

هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العـدد الرابع - المجلـد ٥٥
جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - نيسان ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام

وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

التعايش الديني دعوة

ان من اصول ومرتكزات التمكين للانسان المعاصر، مبدأ عظيم يعد من قيم هذه الأمة الاسلامة، بل دعا وارشد اليه القرآن العزيز، وهو تحقيق التعارف والتآلف والتعاون بين الانسانية جمعاء، ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.

ولا ريب ان الحاجة اليوم غدت ملحة وضرورية، اذا ما استعرضنا واقع الافكار والمفاهيم والممارسات في العالم، التي تفتقد في غالبها الى المنهجية الصحيحة والنظرة الواقعية الرصينة، والتي بدورها ادت الى النزوع للعنف واثمرت الاقصاء والالغاء، ولا ضابط لها في حكم الغالب سوء الافراط او التفريط والازدواجية في المعايير والمكاييل، مما يسبب بل غدا خطراً يهدد المبادئ الانسانية برمتها واصول الديانات السماوية، وبالتالي يعرقل قناة التواصل والتواؤم بين الاسلام والحضارات الأخرى، او ما بات يعرف: بين المسلمين وغير المسلمين.

ولعل الصحيفة الدستورية او الوثيقة -كما يطلق عليها كتّاب بعض السِّير- والتي كتبها رسول الله ﷺ حال وصوله مهاجراً الى المدينة المنورة، بادرت الى تنظيم العلاقات بين سكانها، وتأصيل وتوضيح التزامات جميع الاطراف الموجودة بالمدينة النبوية وضواحيها، وفي هذا تأكيد على عالمية رسالة الاسلام السمحة، في دعوته القائمة على مبدأ الوئام والتعايش بين المجتمعات والاعتراف بخصوصيتها.

كما نجد هذه الوثيقة الدستورية، تحدثت في موادها التي زادت على الخمسين مادة، تحدثت عن التنوع الديني في اطار الأمة، وعن المساواة بين الاطراف المتنوعة، وقد تجاوزت الفرق القبلي من جانب، والفرق الديني من جانب آخر، وأدمجت الاطراف كافة

الى التسامح واحترام الآخر

من مهاجرين وأنصار ويهود ونصارى داخل وحدة امة ومجتمع المدينة، دعماً للنسيج الوطني الواحد.

وهكذا يبدو ان رسول الله ﷺ قد ارسى بالمدينة المنورة، أسس ودعائم ومرتكزات المجتمع الواحد، اساسه التعايش وفق مبادئ انسانية بعيداً عن النزاع والصراع.

ولقد اجمعت كتب التاريخ والسير والمغازي، ان النبي ﷺ لم يدخل في حرب مع اهل الكتاب الا بعد ان نقضوا ميثاق المدينة، وتواطؤوا مع المشركين في مكة لإجهاض دولة الاسلام، فكان ذلك مبرراً لتلك الحروب، لأن الدفاع عن النفس وحفظ العهد والوفاء به، امر مشروع ديناً وعقلاً وواقعاً.

نعم لقد اسس رسول الله ﷺ في المدينة المنورة مبدأ التعايش، منطلقاً من ثوابت وأصول منهجية، من ايمان بوحدة الاصل والخلق الانساني، والايمان بوحدة الغاية والمصير المشترك، والايمان بأن الناس كافة مستخلفون في هذه الارض ومؤتمنون على عمارتها، والا كان الانسان ظلوماً جهولاً، كذلك الايمان بالجزاء والحساب يوم القيامة.

من هنا نؤكد ان التعايش في شريعة الاسلام، اصل في بناء المجتمعات، يقتضي الاعتراف بالتعددية والتنوع، في اطار الوحدة والولاء للأمة والوطن، مما يتيح اشاعة أجواء الحوار بين الحضارات والثقافات والمكونات المتباينة، سواء داخل مجتمع المسلمين أو خارجه، وكذلك من شأنه ان يثمر المحافظة على السلم الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى.

أسرة التحرير

جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله يرعى احتفال وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف

الفصل الأول

عالم ما قبل الرّ

أولًا : نحو معالم الحقيقة

ثانيًا : أوضاع العر

ثالثًا : أوضاع الفر

إعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة

مندوباً عن جـلالة الملك عبـد الله الثانـي ابن الحسين حفظه الله، رعـى صـاحب السـمو الملكي الأمير علي بن نايف الأمين الخاص لجـلالتـه، الاحتفـال الديني الكبيـر، الذي اقـامته وزارة الأوقـاف والشـؤون والمقـدسـات الاسـلاميـة يوم الاثنين ١١ ربيـع الاول ١٤٣٢هـ، الموافق ٢٠١١/٢/١٤م بمناسبـة ذكرى مـولد الرسـول الاعظم صلوات الله وسـلامـه عليـه، وذلك في قاعة المؤتمرات الكبـرى التابعة للمركز الثقافي الاسـلامي في مسجد الشـهيد الملك المؤسس طيب الله ثراه.

وقد اشتمل الاحتفال الذي حضره عدد من اصحاب السماحة والمعالي الوزراء، والسعادة الأعيـان والنواب والسـفراء، وجـمع مـهيب من المدعـوين، اشـتـمل على كلمـات ومـدائح نبـوية بهذه الذكرى العطرة.

وفي بدايـة الاحـتـفـال الذي بـدء بآيات من الـذكـر الحكيـم، القى مـعـالى وزيـر الأوقـاف والشؤون والمقدسات الاسلامية الاستاذ عبد الرحيم العكور كلمة قال فيها:

سيـدي مندوب حضـرة صـاحب الجـلالة الهـاشـميـة الملك عبـدالله الثاني ابن الحـسين المعظم حفظه الله واعز ملكه.. صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف المعظم

أيها الحفل الكريم

فقـد كان الاحـتفـال بميـلاد الرسـول ﷺ احتفـالا بالإنسـان وعـزته وكـرامتـه وحـريتـه، لان قـافلة الحـيـاة قبل ميـلاده كـانت جـائرة السـبـيل حـائـرة الدليل، فـجـزيرة العـرب كـانت تموج بالفتن والفوضى، يبطش القوي بالضعيف ويستعبد الغني الفقير، وتعصف العصبية العمياء بالقيم الإنسانية فتمزق الروابط وتقطع الصلات.

سيدي مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

لقـد أشـرقت الأرض من جـديد بنور ربهـا، وظهـر نور السـمـاء بميـلاد أعظـم الخلق، ومع هذه البـداية وهذا الاجتـبـاء والاصطفـاء، بدأت عناية الله ترعـاه لحـمل خـاتمة الـرسـالات، فعلمـه ربه وأدبه بهدف تقديم أعلى درجـات الكمـال البـشري مـع اشمل واتم رسـالة، فكمـال في الخلق وكمـال في الأعمـال، ولعل هـذه الكمـالات هـي من أسـبـاب العظـمـة الحـقـيـقـيـة فـي شخص الرســـول ﷺ، التي قربتـه الى نفوس الناس وجعلته مـحبوبا اليهم، فهـو العظيم في

كل باب، والمتقدم في كل شأن، فأنى استفتحت أبواب العظمة لتلجها وجدته المالك لمفاتيحها المتربع على عرشها المتسنم ذرى مجدها.



واليوم ونحن نستقبل مناسبة ذكرى مولد النبي الأمين ﷺ نرى ان البشرية عادت في بعض جنبات حياتها، الى مثل ما كانت عليه عند ميلاده ﷺ او اشد فتكا وأعظم خطرا واعقد معالجة، وقد ازدحمت في عالمنا الاحداث: (امن مهدد وسلام منشود ورخاء مأمول وطمأنينه مفقودة) حيث عاش العالم ويعيش حالة من القلق وعدم الاستقرار.

نتطلع الى واقع امتنا العربية والإسلامية، ونتساءل: الم تكن الرسالة التي جاء بها رسولنا الكريم شاملة لكل ما يعين هذه الأمة على بناء المجتمع المثالي؟ الم يشتمل كتاب الله المنزل على رسوله ﷺ على كل القواعد والأسس التي ترفع شأن هذه الامة، الم يحن الوقت كي تعود هذه الأمة الى كتاب ربها فتريح وتستريح.

سيدي مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

اننا نتطلع ان تكون هذه الذكرى حافزاً لنا ودافعا لامتنا الى ان تعود لدين الله، خاصة في هذا البلد حيث تحرص المملكة الأردنية الهاشمية وهي تتشرف بقيادتها الهاشمية الفذة الموصولة بصاحب الذكرى العطرة، بأعمق الجذور وامتن الروابط، والتي تحرص دائما على نشر حقيقة الاسلام بيضاء نقية تذود عن حياضه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وهم على رأس الخلف العدول، يحملون همّ هذا الدين تحقيقا لقول جدهم المصطفى ﷺ: (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله) فجاءت رسالة عمان المستندة الى حكمة القيادة الرشيدة التي تؤمن برسالة الاسلام المستنيرة، والمستشرفة لآفاق المستقبل جاءت في وقت احوج ما تكون فيه الامة لتوضيح صورة الاسلام الأصيلة، وحتى تعي الأمة المنعطف التاريخي الخطير والاخذ بالوسائل السليمة لمعالجة الواقع والنهوض بالأمة.

ولقد كان قول جلالته حفظه الله في الرسالة العمّانية، اصدق التعبير عندما خاطب العالم بقوله: **(انه لن يتسامح او يقبل أي إساءة للدين الإسلامي او أي دين سماوي آخر فالأردن صاحب الشرعية الدينية الذي يتمسك بمبادئ الإسلام، القائمة على احترام الديانات السماوية وأنبيائها عليهم الصلاة والسلام)** وتعزيزا لهذه الاقوال سعت القيادة الهاشمية الحكيمة الى الاهتمام بالمساجد واعمارها ماديا، بإعادة بناء مساجد الصحابة على ثرى الاردن الطهور الذي يضم مساجد ومقامات كبار الصحابة الاجلاء، أمثال أمين الأمة ابي عبيدة ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة وشهداء مؤتة.



سيدي مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف المعظم.

اسمحوا لي بهذه الذكرى المجيدة ان أرفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله وأعز ملكه، أسمى آيات التهنئة والتبريك، سائلا العلي القدير ان يعيد على جلالته هذه المناسبة وعلى العترة الراشدة وشعبكم الوفي الكريم والعرب والمسلمين وهم يهنؤون بالأمن والايمان والسلامة والاطمئنان، وان يحفظ

الأردن عزيزا قويا آمنا مستقرا في ظل قيادته الحكيمة.

وألقى سماحة الشيخ عبد الكريم الخصاونة مفتي عام المملكة كلمة جاء فيها:

مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه؛



أبارك لكم جميعاً هذه الذكرى العطرة وأهنئ مولاي صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين بذكرى مولد جده الأعظم سيدنا محمد ﷺ، وأسأل الله تعالى ان يجعلها ذكرى خير وبركة وقد تحقق ما نصبوا اليه من تقدم وازدهار، وبعد؛

فقد كان العالم قبل مولد النبي محمد ﷺ، في حالة من الفساد والفوضى والظلم والاضطراب، سيطرت عليه الوثنية، وعم فيه الفساد، واضطربت النفوس، وخربت الضمائر، وخوت القلوب، وامتلأت الأرض بتصورات وأفكار زائفة، وخرافات وأساطير كاذبة، وأوهام اختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، وعبث الناس بميراث الأنبياء.

في خضم هذا التيه وقف الضمير البشري حائراً، لا يستقر على حال، ولا يثبت على امر، وكيف يثبت!؟ بل كيف يفكر من لم يبق له من كرامة سوى تقديس الخرافات، وعبادة الاصنام.. يسجد لها من دون الله! فأي هوان، وأي ذل اكبر من ذلك؟!! ﴿**ومن يهن الله فما له من مكرم**﴾ الحج: ١٨ .

روى البخاري عن ابي رجاء العطاردي يقول: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه القيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة فلا ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة، الا نزعناه وألقيناه شهر رجب».

هكذا كان العالم يموج في أباطيل وخرافات، وكأنهم في بحر لجي عميق ينتقلون في

ظلمات كثيفة بعضها فوق بعض، اذا اخرج الانسان يده لم يكد يراها ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ النور: ٤٠ .

ولما اراد الله عز وجل لليل ان ينجلي، وللظلم ان يزول، وللباطل ان يندحر، أذن الله تعالى بميلاد نبيه المصطفى ﷺ فأظهره كما تظهر الشمس بانبعاث انوارها الساطعة، فتفجر النهار المنير، وتلاشت ظلمة الليل الداكن.

ولد الهدى فالكائنات ضياء — وفم الزمان تبسم وثناء

فلما وضعته أمه ﷺ اضاء العالم كله إيذاناً بمولد عالم جديد ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾ المائدة: ١٥، وبمولده ﷺ دبت الحياة في الكون، وظهر دين التوحيد، وشاء الله تعالى ان تنطلق الرسالة من بقعة مباركة لم يكن لها تأثير وقتئذ على مسرح الحياة، في واد غير ذي زرع منقطع بمائه عن الحياة والأحياء، تمتد الصحارى من حوله فلا يبلغه احد الا بشق الانفس.

انه المنة العظمى على العرب، اذ أرسل اليهم خاتم المرسلين، رسولاً عربياً من انفسهم وخص المؤمنين بالذكر، وان كان رحمة للعالمين لأنهم هم المنتفعون ببعثته، قال تعالى: ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ آل عمران: ١٦٤ .

وبعث الرسول ﷺ بالرسالة الاسلامية السمحة، والعرب منهمكون في دنياهم وهم أشتات دون رابط، وأحياء من غير هدف ولا غرض مع انهم عرفوا أمره، وخبروا شأنه، لكنه حمل الرسالة المباركة بقوة، لا يسانده سلطان ولا يناصره جيش، ولا يقربهم او يستميلهم بمال، فقابلوه بالعناد والرفض والسخرية والاستهزاء، وآذوه في نفسه وأهله وصحبه ولسان حاله ﷺ يقول: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم**﴾ المائدة: ١١٨، «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وذكرت كتب السيرة انه رفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي، وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب الى محمد -وربك اعلم- فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل اذهب الى محمد فقل: انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» رواه مسلم، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك**

ربك فترضى﴾ الضحى: ٥ .

سيدي: حمل المصطفى ﷺ الرسالة الاسلامية، ولم يأبه لقول الجهلة والمغرضين والمشككين وإنما كان يقول: «ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي».

فما وهن عزمه وما ضعف وما استكان، وانما قابل الأذى بالصبر، والسفه بالحلم، وكيف يضعف وقد فطره خالقه على كمال ما جبلت عليه الأنفس الانسانية من الكمال والجمال والنوال؟!.

سيدي؛ لو اجتمعت فضائل اهل الحكمة والعلم جميعاً منذ كانت الحياة وجعلت في انسان واحد، ما بلغت معشار ما تحققت في نفس النبي ﷺ، فهذه النفس هي النفس الكبرى الزكية المتفردة بالطهر والزكاة، ولا يعرف التاريخ رجلاً كلّمه ربه وأدبه وأحسن خلقه كسيدنا محمد ﷺ، ولهذا لا نستغرب ان الانسانية به تتحول وتنمو وتخرج من الظلمات الى النور، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة، فترسخت في الأرض مبادئ جيل يخاطب العالم «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، فما أعظم منتك وعطاءك يا رب العالمين.

سيدي؛ هذا هو النبي المصطفى ﷺ الذي نحتفي اليوم بذكرى ولادته، والناس ينظرون الى ما في نفوس اتباعه من هذا الدين، والى ما في اخلاقهم من خلقه والى ما في ايديهم من تراثه.

ولكن علينا ان نعلم بأن الجمع بين راحة البال، وبلوغ الآمال مستحيل، ولا يمكن ان نتجاوز الاخطار والتحديات الا في جمع الكلمة وتوحيد الصف، وان نكون يداً واحدة، وقلباً واحداً وصفاً واحداً في مواجهة التحديات والأخطار التي تحيط بهذا الوطن، من معظم الجهات، والله تعالى لن يخذل خير أمة أخرجت للناس، والرسول ﷺ يقول: «مثل أمتي مثل المطر: لا يدرى اوله خير أم آخره» رواه الترمذي.

قال البيضاوي في شرح هذا الحديث: «نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة، في الخيرية، واراد به نفي التفاوت لا اختصاص كل منهم بخاصية، كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فائدة وكذلك المسلمون.

فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات، وتلقوا دعوة الرسول ﷺ بالاجابة والايمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات، واتبعوا الذين من قبلهم بالاحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد، اجتهد المتأخرون في التحرير والتخليص وصرفوا عمرهم في التقدير والتأكيد، وكل مغفور، وسعيه مشكور واجره موفور».

ومن اجل بلوغ المرام ومجاوزة الضعف والوهن، والحفظ من الفتن والمحن، فلا بد من ان نستمسك بما اوصى به الحبيب المصطفى ﷺ، فقد امرنا ان نستمسك بالكتاب والسنة وآل البيت الأطهار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ» رواه الامام مالك.

وعن زيد بن ارقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي اهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» رواه الترمذي والنسائي.

وألقت الدكتورة ادب السعود النائب السابق، الاستاذة في جامعة العلوم الاسلامية العالمية كلمة قالت فيها:

صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف المعظم مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم حفظه الله ورعاه.

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسـم وثنـاء
يا خير من جاء الوجود تحية
من مرسلين الى الهدى بك جاءوا
بك بشر الله السماء فزينت
وتوضأت مسكاً بك الغبراء

يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمد وضـــــاء
يوحي اليك النور في ظلمائه
متتابعاً تجلى به الظلمـــاء



قبل ألف وأربعمائة واربعين عاماً خرج من مكة نور أضاء قصور الشام، وانطفأت نار المجوس التي لم تطفأ منذ ألف عام، وتصدع ايوان كسرى، لم يكن ذلك بسبب زلزال او كارثة كونية، بل كان مولد خير البرية مبشراً ببدء مرحلة جديدة ومؤذناً بزوال الشر الذي لف البشرية حينذاك بظلمة حالكة، حينها لم يدر في خلد «عبد المطلب» سيد مكة الذي أسمى المولود «محمداً» ليتحقق المعنى في السماء قبل الأرض، ان النور الذي عرض له في رؤياه انما هو حقيقة بين يديه، وانه سيكون لابنه شأن كما قال عندما ادخله الكعبة فرحاً بقدومه.

ولم يدر في نفس حليمة السعدية رضي الله عنها معرفة سر الخير الذي أصابها وقومها بعد قدوم ذلك اليتيم الذي اعرضت عنه جميع المرضعات لفقره، فرضيت بأخذه على مضض حتى لا تعود خالية دون صويحباتها، بل انها لم تدر ما الذي جعل اتانها المنهكة تسبق رواحل نساء بني سعد بعد ان كانت في آخر الركب، انها لم تكن تعلم بأنها تحتضن خير من طلعت عليه الشمس، وتجهل اي شرف نالت دون قريناتها من نساء بني سعد بل دون نساء الأرض.

أيها الحفل الكريم؛

ان الاحتفاء بذكرى مولد خير البشرية، لا يشابه الاحتفال بميلاد اي احد من البشر، لأنه ﷺ لا يعني لنا مجرد رجل عظيم اقام فينا بعضاً من الوقت ومضى، بل انه يعني لنا

رسالة ربانية نقلت العالم من دياجير الظلم الى رحاب النور والعدل الإلهي، ومنهج حياة أبدي أقام العدالة الاجتماعية وأرسى مكارم الأخلاق وساوى بين البشر على اختلاف اجناسهم وألوانهم وألسنتهم وفاضل بينهم على أساس واحد، هو قربهم من الله تعالى والتزامهم بشرعه **﴿ان اكرمكم عند الله أتقاكم﴾** لذا فإنا في هذا المقام وفي ظلال الذكرى العظيمة، نستذكر سيرته العطرة ﷺ التي تجعلنا حقيقين على الاحتفال بمولده العظيم كل يوم.. لا بل كل حين.

لم يعرف عنه -بأبي هو وأمي- الا الصدق، فها هي مكة تصفه بالصادق الأمين في غدوه ورواحه، وتجار مكة يتسابقون على الفوز بإشراكه بتجارتهم للبركات والأرباح الوفيرة التي يجنونها حين يشاركهم العمل، وها هم زعماء مكة يرضون الاحتكام اليه حين سقط حجر من الكعبة، فكان حكمه حاقناً للدماء، ومانعاً لحرب كادت تنشب في مكة لنيل شرف وضع الحجر في مكانه، فحل الخلاف وحظي بإعادة الحجر بيديه الطاهرتين.

ونستذكر الصبر على الأذى الذي لقيه ﷺ من قريش ومن المشركين، حين دعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاوثان والاصنام، التي تتناقض مع الفطرة السليمة والعقل، فكان اشد الأذى من اقرب الناس اليه -عمه ابو لهب- الذي ساومه على ان يختار ويطلب اي شيء، الا ان يقول: ربي الله وانه نبي الله، وصبره على موقف اهل الطائف حين جاءهم داعياً اياهم الى التوحيد فصدوه وأدموا قدميه الشريفتين.

فما كان الا ان رفع يديه الى السماء شاكياً الى الله ضعفه، وداعياً لقومه ولأهل الطائف بالهداية، ورافضاً عرض الملائكة بإنزال العذاب على من آذوه، أم ترانا ننسى ما تعرض له وأصحابه في شعب ابي طالب حتى انهم أكلوا جذوع الشجر من الجوع، وازداد الأمر بوفاة النصيرين عمه ابي طالب وأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، فلم يكن الا صابراً محتسباً «اي رحمة وأي ثبات وأي صبر؟!».

وفي يوم مولده العظيم نستذكر معاني ارساء الدولة الاسلامية بعد ان كان العرب اشتاتاً

ومزقاً تتقاذفهم الحروب والفتن، والتبعية السياسية للفرس والروم شرقاً وغرباً، وتضليل اليهود ومكرهم، ووضع اول دستور في تاريخ العرب، دستور قام على أسس العقيدة والشريعة، دستور جسد معنى الدولة القائمة على التعددية القومية والفكرية والاجتماعية، ودون ان يكون ثم تناقض بين معنى قوة الدولة وقبول الآخر، والتعايش معه في مجتمع واحد آمن.

فعقد الاتفاقيات مع اصحاب الديانات الأخرى، مبيناً ما لهم وما عليهم الا ان يغدروا، وعقد الاحلاف وابرم عقود الصلح، وارسل الرسل الى أقطار الأرض لدعوة الناس للانضواء تحت ظل دين الهداية، مبيناً حقوق الدعوة ومنهجها وتبعاتها والعلاقات المنبثقة عنها بين الأمم والدول، فأوفى حيث كان الوفاء، وجاهد حيث كان الجهاد، ودافع عن الدين بلا تهاون، فكان ﷺ مثلاً للسياسي ورجل الدولة الحكيم، والقائد العظيم والانسان الرحيم.

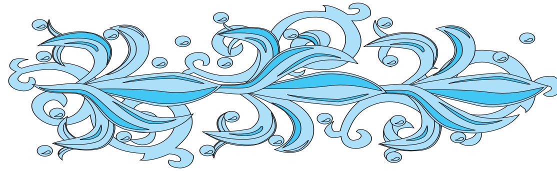
زانتك في الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء
واذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
واذا غضبت فإنما هي غضبة
في الحق لا ضغن ولا بغضاء

اما عن محمد الانسان، فقد كان ﷺ معيناً من الرحمة والعطف لا ينضب، رحيماً بالضعفاء كريماً متواضعاً، فكان ﷺ يحادث الكبار كأنه احدهم فلا يعرف اذا دخل عليه، لأنه لم يتخذ مجلساً خاصاً يختلف عن اصحابه، فيسأل عنه من أراده، ويلاطف الصغار ويكنيهم ويرتحله ابناء فاطمة في صلاته فيطيل حتى ينزل ريحانتاه عن ظهره، وفي بيته

فهو ﷺ نعم الزوج يخصف نعله ويعين اهل بيته، بل ويسامرهم ويسابقهم ويمازحهم، اما محمد الأب، فهو ﷺ يبكي لفراق ابراهيم ويحتسبه ويحزن كما يحزن الأب المحب، ويقوم للقاء فاطمة ويقبل جبينها ويجلسها مكانه ويلاطف ابناءها وزوجها رضي الله عنهم ويدعو لهم، ويرشدهم الى الصبر والعبادة لمواجهة شظف العيش، أوليس هو من قال فيه رب العزة: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾.

ان الاحتفال بذكرى ميلاد خير البشرية ﷺ، لا يعني بالتأكيد تخصيص سويعات للحديث عن سيرته العطرة وكفى، بل يعني ان نتمثل منهجه في كافة تفاصيل حياتنا وان نطبق الرسالة العظيمة التي حملها ﷺ وأداها بكل أمانة وان نحميها بالغالي والنفيس، وألا نتهاون او نخجل من الدعوة اليها فضلاً عن الانتساب لها، وان تبقى سيرته العظيمة نبراساً ينير دروب البشرية كلها، ذلك ان محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام، ودين الاسلام هو الدين الخاتم، جاء به للعالم كافة بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة.

وفي نهاية الاحتفال قدمت فرقة انوار الهدى التابعة لوزارة الأوقاف بالتعاون مع اكاديمية الانجال الدولية مدائح نبوية بهذه المناسبة العطرة.



حقيقة الطب القرآني والنبوي

■ بقلم الدكتور أحمد محمود كريمة

النص الشرعي، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة شفاء للعقول من الضلال، وللقلوب من القسوة وللصدور من الضيق، وللنفوس من الظلام وللعقيدة من الزيغ والجوارح من الانحراف والغواية، قال الله عزوجل: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ الاسراء: ٩، ﴿لينذر من كان حياً﴾ يس: ٧٠ .

والنص الشرعي منه ما هو قطعي الورود كالقرآن الكريم والحديث المتواتر، ومنه ما هو ظني الورود كالحديث المشهور والآحاد، ومنه ما هو قطعي الدلالة كأصول الايمان والأحكام العملية والأخلاق والأخبار، ومنه ما هو ظني كفروع الايمان والعملية، من هنا جاء الحكم الشرعي، التكليفي والوضعي، وانواع التكليفي من وجوب وندب وحرام ومكروه ومباح، وصفته من عزيمة ورخصة وتوقف، وقضية الحلال والحرام ذات بال، الافتاء فيها لأهل الاختصاص لقوله عز وجل: **﴿ولو ردوه الى الرسول وأُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** النساء: ٨٤ .

وجاء التحذير من الاجتراء والافتراء، قال تعالى: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ❖ متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾** النحل: ١١٦ .

ومما ينبه عليه وينوه به فقه الفروق بين «العبادات» و «العادات» وبين صفة فعل الرسول ﷺ من ايجاب وسنة مؤكدة وسنة هدى وسنة زوائد وإباحة، حتى يكون المسلم على بصيرة بالأدلة وآثارها من ثواب وعقاب ومحاسبة ومؤاخذة وسد لجموح عواطف جامحة، وادعاءات ومزايدات من ادعياء ودخلاء -وهم كثر- يتلاعبون بعواطف عوام بمسميات «سنة» و «سلف صالح» و «أهل الطريق والوصول» من سدنة فرق منسوبة الى الدين من مضارها تفريغ الدين الحق من جوهره ومضمونه الى تدين مغشوش وثقافة مغلوطة تؤدي الى «غثاء سيل»!!.

ومن بعض الظواهر «الطب القرآني والنبوي» وما تبع ذلك من ممارسات تلصق بصحيح الدين ما ليس فيه او منه من وسائل علاجية لأمراض عضوية ونفسية بوصفات تنزل عند مروجين ومتكسبين ومتعالمين منزلة الفريضة والسنة المؤكدة! ويدافع أولئك عنها كأنها صارت أصلاً من أصول الدين لا يصح إيمان مسلم الا بها! اعتقاداً وأداءً!!.

ان الادعاء بوجود طب قرآني لأمراض عضوية «عدا آية واحدة عن عسل النحل» إفتيات على النص الشرعي، وترويج أخبار نبوية صحيحها مجرد إخبار عما في بيئته من قبيل عادات وأعراف، تتغير حتماً بتغير الزمان بقوله ﷺ: «أنتم أدرى بشؤون دنياكم» لذا لم يعول فقهاء الشريعة الغراء في مصنفاتهم عليها، ومنها ما هو موضوع مثل «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» وما ماثله من كلام أطباء العرب، ومن المقرر في علم الحديث الشريف اذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، او يناقض الأصول، فاعلم انه موضوع «تدريب الراوي ١/ ٢٧٤» وما بعدها.

ومما يبعث على الغرابة والنكارة معاً الاجتراء على وسائل الطب من غير أهله والترويج لأوصاف علاجية لا تلائم تغير الزمان مثل «بول الإبل» و «عجينة التلبينة» لأمراض عضوية واجتزاء آيات قرآنية من مواضعها وكتابتها في أحجبة وتمائم محرمة شرعاً، أو إذابة مدادها السام في ماء وعسل وأخلاط عشبية يقدم هذا لعلاج أمراض نفسية من هلاوس بصرية وسمعية ومبادئ انفصام وأعراض اكتئاب، وتؤلف كتب ويتولى أشياخ إيهام عوام بأنها علاج نبوي تدليساً وكذباً، «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه البخاري.

وأخذ واقعة عين، وهي الرقية بسورة الفاتحة فقط من صحابي من باب الكرامات في عهد الرسالة الخاتمة» لتكون لمن هب ودب، وصارت آيات قرآنية وأخبار نبوية في مواضع الامتهان والابتذال وفي كتب قديمة مثل: الرحمة في الطب والحكمة، منسوب للسيوطي، إغاثة المظلوم، الجواهر اللماعة، السحر الأحمر، دليل المعالجين بالقرآن الكريم، كنوز الطب الشعبي البديل، الأرواح الشريفة، الأدوية النبوية الجامعة، وغيرها.

ان التوسل بتلاوة الآيات القرآنية دعاء الى الله عز وجل للشفاء مشروع، أما استخدامها علاجاً لأمراض عضوية ونفسية فمسألة فيها نظر.

وقد قال رسول الله ﷺ: «تداووا عباد الله فما أنزل الله من داء الا أنزل له الدواء عدا الموت»، وفعله ﷺ وأصحابه في التداوي الحسي بالمتاح يدلل على كذب المتاجرين بالدين وعوام اتباعه.

❖ الحكم التكليفي للاستشفاء بالقرآن الكريم:

اختلف العلماء في كون القرآن الكريم شفاء على قولين: ارجحهما لقوة دليله وتحقيقه مصلحة ودفعه مفسدة: لا يشرع الاستشفاء بالقرآن الكريم من الأمراض البدنية والنفسية، بل هو شفاء للقلوب، يزول الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات، والأمور الدالة على الله سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾**[(١)] اي وصف آيات تشفي بذاتها.

اما الاستشفاء بالأذكار الشرعية والأدعية فلا خلاف بين الفقهاء في جواز ذلك لورود أخبار وآثار صحيحة مثل: «اللهم رب الناس اذهب البأس واشفي انت الشافي، لا شفاء الا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[(٢)]، «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[(٣)] فهذا دعاء وتوسل الى الله عز وجل وهو مشروع، قال الله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو﴾**[(٤)] فالدعاء بالقرآن والأحاديث للشفاء لا بأس به.

ومما يتصل بهذا الأمر عدة أمور:

أولاً: التعويذ: ما يشمل الرقى والتمائم مما هو مشروع أو غير مشروع[(٥)] وحكمه يختلف حسب نوعه:

أ- ما لا يعقل معناه: ذهب جمهور الفقهاء الى تحريمها لئلا يدخلها سحر أو

كفر أو غير ذلك وصرح بهذا مالك وجمهور الشافعية ووافقهم الخطابي وابن رشد والعز بن عبد السلام وغيرهم[٦] واستدلوا بخبر «ان الرقى والتمائم والتولة شرك..»[٧].

ب- ما كان بكلام الله سبحانه أو بأسمائه فعلى قولين: القول بجوازه لورود أخبار وآثار[٨] مر بعضها قاله جمهور الفقهاء[٩]، قول بالمنع قاله الشعبي وسعيد ابن جبير وقتادة وغيرهم، واحتجوا بحديث رسول الله ﷺ بأنه ذكر اهل الجنة الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولما سئل عن صفاتهم قال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون»[١٠].

ج- ما كان بغير القرآن الكريم ولا بالأذكار الشرعية ولا أسماء الله تعالى، اتفق الفقهاء على كراهته الا اذا كان فيه تعظيم لغير الله جل شأنه فيمنع اتقاء للشرك[١١].

ثانياً: الرقى: جمع رقية وهي العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة، وتكون بكتابة شيء وتعليقه، وقد تكون بقراءة شيء من القرآن الكريم والمعوذات والأدعية المأثورة[١٢] ومثل ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء[١٣].

حكمها التكليفي: ذهب جمهور الفقهاء الى الجواز من كل داء يصيب الانسان بشروط ثلاثة:

أ- ان يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ب- ان يكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

ج- ان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته، لخبر «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك[١٤]، «ما أرى بأساً من استطاع منكم ان ينفع أخاه فلينفعه»[١٥]، وذهب آخرون الى الكراهة لخبر صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب -مر ذكره- ولأنها قادحة في التوكل على الله تعالى ويجب الترك اعتصاماً بالله عز وجل وتوكلاً عليه، وثقة به، وانقطاعاً اليه.

ثالثاً: دفع ضرر العين: ذهب جمهور الفقهاء الى ان الاصابة بالعين ثابتة موجودة ولها تأثير في النفوس، وتصيب المال والآدمي والحيوان[١٦]. واجازوا ادعية واذكاراً للوقاية من العين والاسترقاء من العين لأخبار وآثار صحيحة منها: «العين حق»[١٧]، وأدعية «اللهم بارك ولا تضره»[١٨]، «ما شاء الله لا قوة الا

بالله»[١٩]، «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين»[٢٠].

رابعاً: تعليق التعويذات على الانسان، ولذلك أحوال:

أ- ان كان المعلق شيئاً كتب فيه شيء مما يجوز الاسترقاء به من القرآن الكريم والأدعية، فمنع ذلك جمهور الفقهاء لعموم النهي عن التمائم ولسد الذريعة لأن تعليقه يفضي الى تعليق غيره، ولأنه اذا علق فلا بد ان يمتهنه المعلق جملة معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك[٢١].

خامساً: النفث، التفل النفخ، وهي في الجملة من ملابسات التعويذ، فمنعه طائفة من اهل العلم منهم ابراهيم وعكرمة وابن جريج[٢٢] واجازه جمهور الفقهاء[٢٣] لأخبار وآثار في النفث في الرقية»[٢٤].

سادساً: النشرة، ان يكتب شيئاً من أسماء الله تعالى او من القرآن الكريم ثم يغسله بالماء، ثم يمسح به المريض او يسقيه ونحو ذلك[٢٥]، وذهب جمهور الفقهاء[٢٦] الى الجواز لفعل السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقرأ بالمعوذتين في اناء ثم تأمر ان يصب على المريض[٢٧] ومنعه جماعة من اهل العلم منهم الحسن والنخعي وابن الجوزي وبعض المالكية[٢٨] لقوله ﷺ: «ان النشرة من عمل الشيطان»[٢٩].

ومما ينبه وينوه به وجود ممارسات تتمة للفائدة:

أ- التميمة: ما علق في الاعناق من القلائد خشية العين او غيرها[٣٠]، وهي محرمة لقوله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له»[٣١] اي: فلا اتم الله صحته وعافيته[٣٢].

ب- الودعة: شيء يجلب من البحر يعلق في اعناق الصبيان وغيرهم[٣٣]، وهي منهي عنها لحديث «من علق ودعة فلا ودع الله له»[٣٤].

ج- التولة: شيء تصفه النساء للتحبب الى الأزواج من تعاويذ ونحوه[٣٥]، صرح الحنفية وبعض اهل العلم بحرمته[٣٦] لخبر: «ان الرقى والتمائم والتولة شرك»[٣٧].

د- الرتيمة: خيط يربط في العنق او اليد لدفع المضرة[٣٨] وذهب عامة الفقهاء الى تحريمه لأنه من جنس التمائم المحرمة وسد لذريعة الشرك[٣٩].

هـ- الحفظ من الجن: الجن اجسام هوائية مستترة اصل خلقتها من النار لها قوة التشكل، قال تعالى: **﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾**[٤٠].

واختلف العلماء في دخوله بدن الانسان فمنهم من قال بالاستحالة ومنهم من اجاز لخبر «اخرج عدو الله فإني رسول الله» ويحرم الذبح لهم بدليل قوله تعالى: **﴿حرمت عليكم الميتة..﴾** الى قوله تعالى **﴿وما اهل لغير الله به﴾**[٤٢].

وتجوز اذكار شرعية للحفظ منهم كالاستعاذة قال تعالى: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم﴾**[٤٣]، وقراءة المعوذتين سورتي الفلق والناس لفعله ﷺ[٤٤] وآية الكرسي لأخبار صحيحة[٤٥] وسورة البقرة وخواتمها[٤٦] والأذكار الشرعية[٤٧] والوضوء والأذان وترك فضول الكلام والنظر وفضول الطعام[٤٨].

اذا علم هذا فإن التطبيب اي معرفة اصول حرفة الطب من فروض الكفايات اخذاً للأسباب لقول الله عز وجل: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾**[٤٩] ولقول رسول الله ﷺ «ما انزل الله من داء في الارض الا جعل له شفاء»[٥٠] وهذه الحرفة او التخصص للأطباء في كليات ومعاهد الطب بالجامعات المعتمدة للأمراض العضوية والنفسية وغيرها، والتطبيب تشخيص الداء ومداواة المريض بواسطة الاطباء اهل الذكر في تخصصهم.

اما التداوي فهو تعاطي الدواء والأدوية على حسب مقتضيات كل عصر، فهي من الرؤية الشرعية من قبيل العادات لا العبادات فما ورد من وصفات انما من واقع البيئة وصرحت ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها «ان رسول الله ﷺ كثرت اسقامه فكان يقدم اطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه»[٥١]، وما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، والعرف والعادة من مصادر التشريع الاسلامي، ومن قواعده، «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان».

وما تعلق بالغيب فيجب كف الناس عنه قال الله عز وجل: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾**[٥٢] وما يؤدي الى اكل اموال الناس بالشعوذة والدجل من ممارسات ضارة وشغب على الدين الحق، فيجب التصدي بكل حزم وحسم حماية للدين وللأموال والأعراض وهي من المصالح الكبرى للتشريع الاسلامي، قال الله عز وجل: **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالإثم وانتم تعلمون﴾**[٥٣]

وقــال جل وعــلا: ﴿**وتلك حــدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾(٥٤) وما أدى الى الحرام فهو حرام، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح.

الهوامش:

١- يونس: ٥٧ .

٢- فتح الباري ٢٠٦/١٠ .

٣- صحيح مسلم ١٧٢٨/٤ .

٤- الأنعام ١٧، يونس: ١٠٧ .

٥- الموسوعة الفقهية الكويتية ٢١/١٣ .

٦- حاشية ابن عابدين ٢٣٢/٥، الشرح الصغير للدردير ٧٦٩/٤، الفتاوى الحديثية ص١٢٠، القرطبي ٢٥٨/٢٠، عمدة القارئ ٦٥٣/٥، كشاف القناع ١٨٦/٦، الانصاف ٣٥٢/١٠، الزواجر ١٥٥/١، نيل الاوطار ٢١٤/٨، الدين الخالص ٢٣٢/٢، وما بعدها.

٧- الحاكم ٢١٧/٤ .

٨- فتح الباري ١٢٥/١١، ٢٠٦/١٠، صحيح مسلم ١٧٢٢/٤، ١٢٧٦ .

٩- نيل الاوطار ٢١٢/٨، وما بعدها، عمدة القارئ ١٨٧/١٠، وما بعدها ، الزواجر ١٥٥/١، الاذكار ص١٢٣، الدين الخالص ٢٣٥/٢ .

١٠- اخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري ٢١١/١٠، صحيح مسلم ١٩٨/١ .

١١- عمدة القارئ ٦٥٣/٥ وما بعدها، الشرح الصغير ٧٦٨/٤، نيل الاوطار ٢١٥/٨ .

١٢- «الموسوعة الفقهية الكويتية ٩٦/٢٣».

١٣- حاشية العدوي ٤٥٢/١ .

١٤-١٥- اخرجه مسلم ١٧٢٧/٤ .

١٦- القوانين الفقهية ص٤٥٢، روضة الطالبين ٣٤٨/٩، عمدة القارئ ١٨٨/١٠، وما بعدها، نيل الاوطار ٢١٩/٨ .

١٧- اخرجه البخاري فتح الباري ٢٠٣/١٠ .

١٨- الحاكم ٢١٤/٤ .

١٩- عمل اليوم والليلة لابن السني ص٥٨ وفي اسناده راو ضعيف، الاعتدال للذهبي ٤٩٦/٤ .

٢٠- اخرجه ابو داود ٢١٠/٤ .

٢١- الدين الخالص لصديق حسن خان ٢٣٦/٢، نصاب الاحتساب ص٢٥٢ الباب ٣١ .

٢٢- تفسير القرطبي ٢٥٨/٢٠ .

٢٣- تفسير القرطبي ٣١٨/١٠، ٢٥٨/٢٠، الاذكار ص١٢٠، نيل الاوطار ٢١٢/٨ .

٢٤- فتح الباري ٢٠٦/١٠، صحيح مسلم ١٧٢٢/٤، مسند احمد ٢٥٩/٤ .

٢٥- المفردات للأصفهاني في مادة نشر، والآداب الشرعية ٧٣/٣ .

٢٦- ابن عابدين ٢٣٢/٥، تفسير القرطبي ٣١٨/١٠، وما بعدها، الاقناع ٩٥/١، شرح منتهى الارادات ٣٢٠/١ .

٢٧- لم اعثر على تخريج له.

٢٨- تفسير القرطبي ٣١٨/١٠ .

٢٩- سنن ابي داود ٢١٠/٤ .

٣٠- القوانين الفقهية ص٤٥٢، الشرح الصغير

٤٧٩/٤، نهاية المحتاج ١٢٥/١، اسنى المطالب ٦١/١، المغرب للمطرزي مادة تمم.

٣١- مسند احمد ١٥٤/٤، وفي اسناده جهالة تعجيل المنفعة ص١١٤ .

٣٢- نيل الاوطار ٣١٢/٨ .

٣٣- مختار الصحاح مادة ورع، تفسير القرطبي ٣٢٠/١٠، الآداب الشرعية ٧٦/٣ .

٣٤- مسند احمد ١٥٤/٤، وفي اسناده جهالة- مرجع سابق.

٣٥- القاموس، والمغرب.

٣٦- ابن عابدين ٣١/١، ٢٣٢/٥ .

٣٧- الحاكم ٢١٧/٤ .

٣٨- مختار الصحاح مادة «رتم».

٣٩- ابن عابدين ٢٣٢/٥، فتح القدير ٤٥//٨ .

٤٠- الحجر: ٢٧، وانظر لسان العرب ومختار الصحاح مادة ص، الكليات فصل الجيم، اكام المرجان ص٦ .

٤١- المائدة: ٣ .

٤٢- فصلت: ٣٦، وتماثلها الآية ٢٠ من الأعراف.

٤٣- سنن الترمذي ٣٩٥/٤ .

٤٤- فتح الباري ٤٨٧/٤ .

٤٥- صحيح مسلم ٤٣٩/١، فتح الباري ٥٥/٩، سنن الترمذي ١٦٠/٥ .

٤٦- فتح الباري ٢٠١/١١، صحيح مسلم ٢٠٧/٤ .

٤٧- آكام المرجان ص٩٥ وما بعدها.

٤٨- المائدة: ٢ .

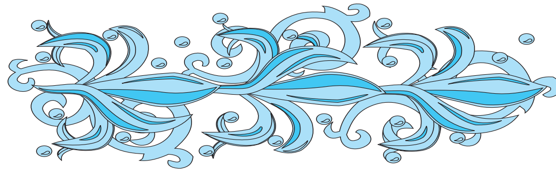
٤٩- مسند احمد ٣٧/٥ .

٥٠- مسند احمد ٦٧/٦ .

٥١- الاسراء: ٣٦ .

٥٢- البقرة: ١٨٨ .

٥٣- الطلاق: ١ .



٢

بحث في نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

عقوبة مانع الزكاة:

لمانع الزكاة عقوبتان: عقوبة أخروية وعقوبة دنيوية قَدَرِيَّةٌ وعقوبة دنيوية شرعية.

أولا: العقوبة الأخروية: وقد ورد في ذكرها ووصفها أحاديث كثيرة منها ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا النبي ﷺ الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ آل عمران: ١٨٠، أخرجه البخاري.

لهزمتيه: شدقيه. **الشجاع:** الحية الذكر. **الأقرع:** الذي لا شعر له لكثرة سمه. **الزبيبتان:** نقطتان سوداوان فوق العينين، وهو أخبث الحيايا.

وقال رسول الله ﷺ: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا جعلت له يوم القيامة صفائح من نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها، إلا أُتي بها يوم القيامة تطؤه بأظلافها وتنحه بقرونها كلما مضى عليه أُخراها ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله

بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) أخرجه مسلم.

❖ ثانيا: العقوبة الدنيوية القدرية:

العقوبة الدنيوية القدرية هي عقوبة من قدر الله أي من قضائه حكم بإنزالها بمانع الزكاة فردا كان أو جماعة، وورد في هذه العقوبة أحاديث منها:

قول الرسول ﷺ: (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين) أخرجه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات. والسنين جمع سنة وهي المجاعة والقحط.

وفي رواية: (ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر) أخرجه الحاكم والبيهقي وقال الحاكم: على شرط مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: (.. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر ولولا البهائم لم يمطروا) أخرجه البزار وابن ماجة والبيهقي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وقال رسول الله ﷺ: (ما خالطت الصدقة ـ أو قال: الزكاة ـ مالا إلا أفسدته) أخرجه البزار والبيهقي ورواه الحميدي وزاد: (يكون قد وجب عليك في مالك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام والحلال).

وإفساد الصدقة للمال الذي تخالطه له معنيان:

الأول: أن من لم يخرج زكاة ماله يهلك ماله، لأنها حق الغير فمن منعها أكل مالا حراما، والمال الحرام مصيره أن يهلك ويهلك الحلال.

الثاني: أن من أخذها وهو لا يستحقها هلك ماله، لأنه أكل مالا حراما، والمال الحرام مصيره أن يهلك ويهلك المال الحلال.

وهنا ننبه على أن منع الزكاة قد يكون لغياب دولة الإسلام، فيتجرأ الناس على منع الزكاة لعدم وجود خليفة يأخذها منهم بالقوة، فيعم المنع فتحل عليهم العقوبة العامة لأن المعصية بسبب غياب دولة الإسلام صارت عامة.

وقد يكون المنع من قبل الخليفة الظالم الذي يجمع الزكاة من الأغنياء ولا يقسمها على الفقراء أو يحرم بعض مستحقيها من نصيبهم فيها، وتسكت الأمة عليه، والسكوت العام عن إنكار المنكر معصية عامة فتحل عليهم العقوبة العامة.

❖ ثالثا: العقوبة الدنيوية الشرعية:

هذه العقوبة دل عليها قول رسول الله ﷺ في الزكاة: (من أعطاها مؤتجرا فله أجره، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر

ماله، عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء) أخرجه أحمد والنسائي وأبو داود، فمن منع الزكاة أخذتها الدولة منه بالقوة، ويجوز لولي الأمر أن يعاقبه عقوبة تعزيرية بغرامة مالية، تأديبا وزجرا لغيره عن منع الزكاة أو إخفاء شيء من ماله أو دعوى كاذبة بأنه أخرجها وقسمها على مستحقيها.

ويجوز للخليفة أن يصدر نهيا عاما عن أن يخرج أحد شيئا من الزكاة المفروضة إلى غير الدولة، ومن أخرجها أخذت منه كأنه لم يخرجها.

وهذا التشديد إنما هو لحق الفقراء والأصناف الذين سماهم الله تعالى وجعل لهم حقا في الزكاة. وليس لآل النبي ﷺ حق في الزكاة فلا تحل لهم.

وعدم إعطاء آل محمد شيئا من الزكاة هو على خلاف ما كان عند اليهود، فكان عشر الزكاة يعطى لآل هارون (اللاويين) الذين كانوا كهانا بالوراثة، وكان جزء آخر من الزكاة يعطى إلى أصحاب المناصب الدينية في اليهود.

❖ موقف دولة الإسلام من المنع الجماعي للزكاة:

إذا منع قوم الزكاة منعا جماعيا واحتاجت الدول الإسلامية إلى قتالهم لتأخذ الزكاة منهم، ففرض عليها قتالهم حتى تأخذ الزكاة منهم، لأن أخذ الزكاة فرض والوسيلة إلى الفرض فرض، فإذا لم يتحقق أخذها إلا بالقتال فيصير القتال فرضا.

ومانع الزكاة سواء أمنعها منع ردة أم منعها دون أن يرتد، وسواء أكان فردا أم كان جماعة فهو في جميع هذه الحالات خارج على نظام دولة الإسلام، فيجب أن يعاقب بالعقوبة التي ينص عليها نظام الدولة، ونظام الدولة الإسلامية هو الإسلام، وحكم الإسلام في مانعي الزكاة إذا كانوا قد منعوها كفرا أن يقاتلوا قتال المرتدين، حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يبادوا، وإذا رجعوا إلى الإسلام فلا يقبل رجوعهم حتى يعطوا الزكاة ويتوبوا عن منعها، وحكمهم إذا منعوها لا عن ردة أن يقاتلوا قتال البغاة، فيقاتلوا حتى يعطوها إلى الدولة ويتوبوا عن منعها.

ولا يعد قتال الدولة لهم معصية ولا جرما لأنه قتال الخارج على نظام الدولة، فمهما كلف قتال الخارجين على نظام الدولة يجب قتالهم، حتى يبادوا أو يرجعوا إلى الخضوع للنظام.

ويدل على أن قتال مانعي الزكاة فرض على الدولة الإسلامية قول رسول الله ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله). ويدل على ذلك أيضا أن أبا بكر الصديق ﷺ قاتل مانعي الزكاة، وكان منهم من منعها بتأويل فهؤلاء قاتلهم قتال البغاة، ومنهم من منعها كفرا وردة فهؤلاء قاتلهم قتال المرتدين، وهذان الصنفان غير المرتدين الذين ارتدوا عن الإسلام بالكلية كمسيلمة الكذاب وأتباعه وسجاح وأتباعها والأسود العنسي وأتباعه، فقاتلهم أبو بكر حتى قتل من لم يرجع منهم وقبل توبة من رجع، فسار أبو بكر في المرتدين بسيرة رسول الله ﷺ في مشركي العرب، وهي القتل أو السيف، لأن المرتدين ارتدوا إلى ما كانوا عليه من الشرك، فرجع أبو بكر فيهم إلى ما كان فيهم من حكم لما كانوا على الشرك.

وكذلك حكم أبو بكر الصديق ﷺ في مانعي الزكاة من غير ردة بالقتل، حتى يتوبوا من معصيتهم الجماعية ويدفعوا الزكاة، وروى أبو هريرة ﷺ ذلك الموقف فقال: (لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. وفي رواية: (عقالا) بدل (عناقا). والعناق هي السخلة، أي الأنثى من أولاد المعز، والعقال: الحبل الذي يقيد به البعير.

فعمر ﷺ وقف عند أول الحديث ولم ينظر في آخره، ولم يتأمل ما فيه من الغاية التي ينتهي عندها وجوب القتال، وهي اجتماع الشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة معا. ويستنبط من قول أبي بكر ﷺ: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) أن الصحابة كانوا مجمعين على قتال تارك الصلاة جهرة. وبهذه الحادثة وإقرار الصحابة لأبي بكر على قتال مانع الزكاة، يكون قتالهم بإجماع الصحابة، ويكون من مواطن الإجماع في الشريعة الإسلامية.

وهذا الموقف من الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الأول والجيل الأول من المسلمين، يبين كم هو حرص الإسلام على حق الفقراء، وكم هو حرص دولة الإسلام

على حماية حق الفقراء وأخذه من الأغنياء وتقسيمه على الفقراء، فهي دولة لا تكترث بقتل الأغنياء إذا اجتمعوا على انكار وجحود فريضة الزكاة ومنع حق الفقراء، ولا تكترث بما يكلفها ذلك من إزهاق الأرواح وإسالة الدماء إذا أصبح ذلك سبيلا ضروريا لحماية حق الفقراء، فهل يعلم فقراء العالم ذلك، ومن علمه منهم فلماذا لا يثوروا على دول الكفر ويطالبوا بدولة الإسلام، التي تعز الذليل وتطعم الفقير وتنصف المظلوم.

ومانعو الزكاة الذين منعوها لا بقصد الردة كانوا متأولين للقرآن، فقد احتجوا على منعهم الزكاة بقول الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾** التوبة: ١٠٣. فقالوا: قوله: **﴿خذ من أموالهم﴾** خطاب للنبي ﷺ وليس لمن بعده. وقالوا: صلاة النبي ﷺ علينا، يعني دعاؤه لنا هو سكن لنا، ودعاء غيره ليس سكنا لنا.

ولكن هذا التأويل بعيد لا تحتمله الآية، أما قوله تعالى في الآية: **﴿خذ من أموالهم﴾**. فالجواب أن هذا خطاب للنبي ﷺ بوصفه ولي أمر وليس بوصفه رسولا، فيكون خطابا لكل من تولى أمر المسلمين بعده. وكل خطاب للرسول ﷺ هو خطاب للأمة إلا ما دل الدليل على أنه خصوصية له، كقول الله تعالى: **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** وقوله تعالى: **﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾**، ولذلك فقول الله تعالى: **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾** هو خطاب للنبي ولجميع الأمة، وكذلك قوله تعالى: **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾** ومثله قوله تعالى: **﴿حرض المؤمنين على القتال﴾** ومثل ذلك كل خطاب موجه إلى النبي ﷺ، ولم يقم دليل على أنه خاص به دون من سواه من المسلمين.

وأما قولهم: إن صلاة النبي سكن لهم وصلاة غيره ليست سكنا لهم، فالجواب أن الرسول ﷺ قد أخبر قبل موته، أن الله ينزل ملائكة كل يوم تدعو: (اللهم أعط منفقا خلفا، اللهم اعط كل ممسك تلفا)، فالدعاء للمنفق مستمر إلى يوم القيامة، فليس لهم حجة في تأويلهم.

والدليل على أن تأويلهم بعيد، إجماع الصحابة على قتالهم وعدم التفات أحد من الصحابة إلى تأويلهم بعد أن بصرهم أبو بكر بالدليل الشرعي الذي يفرض على الدولة قتالهم.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الزكاة حق المال في الاسلام

■ بقلم الدكتور مصطفى رياح

فرض الله سبحانه وتعالى على امة الاسلام أداء زكاة المال، وجعلها ركناً من أركان الدين، وقاعدة من قواعده الخمس التي بني عليها.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الاسلام على خمس: شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت».

ومن ثم فإن فريضة الزكاة حق للفقراء على الأغنياء، تؤخذ من المال الذي بلغ النصاب، وهي بركة للمال ونماء له، وتطهير للنفس من دنس البخل والطمع، وتزكية لها بالانفاق في سبيل الله وابتغاء ما عنده، وهي التي يدفع الله بها الآفات في النفس والمال، قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾**، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: «ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من أموالكم».

فيا من أغناك الله، وبسط لك رزقه، وأغدق عليك من عطائه، أَقبل على ربك بالامتثال لما أمرك به من تزكية مالك، فإن لك من ربك جنات وعيوناً، اسمع الى وعد الله الكريم وهو يقول: **﴿ان المتقين في جنات وعيون ❖ آخذين ما آتاهم ربهم انهم**

كانوا قبل ذلك محسنين ❖ كانوا قليلاً من الليل مـا يهـجـعـون ❖ وبالأسـحـار هم يسـتـغـفـرون ❖ وفي أمـوالهم حق للسـائل والمحروم﴾.

فـإياك ان يُلبس عليك ابليس فـيخـوفك الفـقـر، واطمئن الى وعد الله لك بالمغـفـرة والرزق الواسع، قـال تعـالى: **﴿الشـيطان يعـدكم الفـقـر ويأمـركم بالفـحـشـاء والله يعـدكم مـغـفـرة منه وفـضـلا والله واسع عليم﴾**.

واعلم انه «مـا نقص مـال عـبـد من صدقـة»، وانه ما من عبد رزقه الله مـالاً وعلمـاً واتقى فـيه ربه ووصل فـيه رحـمـه وعلم لله فـيـه حـقـاً، فـإنه يكون بـأفـضل المنازل، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

وان مـا تنفـقـه في سـبيل الله من زكـاة مـالك وغـيـرها، سـتـجـده يوم تلقى ربك محـضـراً، تجده افضل مما قـدمت، وأزكى مما أعطيت، فـعن ابي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره (اي ولد الفرس) حتى اللقمة لتصير مثل أُحد».. الحديث.

فليحذر المسلم ان يكون ممن يكثر ماله ولا يؤدي حق الله فيـه، فـإن من كـان ذلك حاله توعده الواحد القهار بشديد العذاب فقال: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقـونهـا في سـبيل الله فـبشـرهم بعذاب أليم ❖ يوم يحـمـى عليـهـا في نار جـهـنم فـتكوى بهـا جـبـاههم وجنوبهم وظهـورهم هذا مـا كنزتم لأنفـسكم فـذوقـوا مـا كنتم تكنزون﴾**.

وعن ابي هـريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «تـأتي الابل على صـاحـبـهـا على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافـهـا، وتنطحـه بقـرونهـا، وقـال: ومن حقـهـا ان تُحلب على الماء، قـال: ولا يأتي أحدكم يوم القـيـامـة بشـاة يحـملهـا على رقبته، لها يُعار، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلَّغت».

فـإذا كـان ذلك وعيـد الله لمانعي الـزكـاة في الآخـرة، فـإنهم لا يأمنون من عـذابه في حيـاتهم الدنيـا يمحق بركـة أمـوالهم، ويمنع القطر عنهم من السـمـاء، فـإنه «ما منـع قوم زكـاة أمـوالهم الا منعـوا القـطر من السـمـاء، ولولا البهائم لم يُمطروا».

ان من منع الزكاة وأبى دفعها طوعاً، كان حقاً على ولي أمر المسلمين ان يأخذها منه كرهاً، ولو ان يقاتل على ذلك، كما فعل ابو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: «كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله الا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه، وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً (الصغيرة من الماعز) كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو الا ان قد شرح الله صدر ابي بكر رضي الله عنه فعرفت انه الحق».

ولا بد ان توضع الزكاة حيث أمر الله تعالى، لا يُتجاوزون الى غيرهم، لقوله تعالى: **﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾**.

اما من وضعها في غير هؤلاء ممن لا يستحقونها فلا زكاة له، كمن يعطيها الى عماله او موظفيه، ممن ليسوا من اهلها، وانما يخصهم بها تشجيعاً لهم على العمل وتحفيزاً على العطاء، او من يخص بها اقرباءه وذوي رحمه ممن ليسوا من مستحقيها أيضاً.

فعن عطاء بن يسار ان رسول الله ﷺ قال: «لا تحل الصدقة الا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، او لغارم، أو لرجل اشتراه بماله، او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني» فإن ذلك يبطلها، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾**، بل عليه ان يؤديها مخلصاً بها لربه، راجياً منه القبول والثواب بفضله، وان يجعله من المشمولين بقوله الكريم: **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾** وقوله سبحانه: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**.

١

اعتراضات الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري على العلاء مُغُلْطَايْ والبدر الزركشي

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ مقدمة:

حرص الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في كتابه "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" على تتبع ما وقع قبله لشراح الجامع الصحيح للبخاري من أوهام والتنبيه عليها، والدلالة على مواطن الضعف فيها.

فانبرى الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى إلى الاعتراض، متعقّبا الشارح الناقل مبيناً حقيقة الحال ووجه الصواب مزيلا للالتباس وكاشفا للإشكال، وكان من بين هؤلاء الشراح الذين انتقدهم الحافظ ابن حجر: علاء الدين مُغُلْطَايْ (٧٦٢هـ)، والبدر الزركشي (٧٩٤هـ).

وكان منهجي في الجمع والتعليق أن سرت وفق الخطوات الآتية:

١- قدمت للجميع بتمهيد، تكلمت فيه على منهج الحافظ ابن حجر في فتح الباري؛ مبيناً أن من خصائص هذا المنهج، تتبع أقوال الشراح الذين سبقوا إلى شرح الجامع الصحيح. ثم عرّفت بالشارحين المنتقدين، وتكلمت على شرحيهما، ثم تكلمت على منهج الحافظ في الاعتراض، مبينا أسباب ذلك.

٢- كان من منهجي في الجمع أن ألتقط كل ما قدرت عليه من قول صحيح النسبة إلى مُغُلْطَايْ والزركشي، ثم ميزت بعد ذلك بين المعترض عليه، وبين غيره مما نقله الحافظ مستفيداً منه، وهو خارج عن شرط هذا الجمع.

٣- رتبت ما التقطته وفق الكتب والأبواب، حسب ترتيب الجامع الصحيح؛ وأدخلت ما كان لمُغُلْطَايْ والزركشي بعضه في بعض(١).

٤- رقمت الكتب والأبواب وفق ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي للجامع الصحيح؛ في الطبعة التي علق عليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-؛ وذلك حتى يسهل التصدي إلى المقصود بيسر وسهولة.

٥- لم أنقل صيغ تراجم البخاري بكاملها؛ فقد يترجم البخاري بكلام يطول نقله، ويصعب تتبعه، لذلك أترك من الترجمة يسيرا أو كثيراً.

٦- رقمت المستخرج من القدر المنتقد بأرقام مسلسلة.

٧- صدّرت ما استخرجته بقولي: "قال ابن حجر في قوله كذا" فأنقل من لفظ الحديث أو سنده، أو من كلام البخاري في الترجمة أو في السند، القدر الذي شرحه مغلطاي أو الزركشي، ثم جاء الحافظ ابن حجر فاعترض.

٨- قد أحذف من اعتراض الحافظ شيئاً يسيراً، وخاصة إذا طال النقل؛ وامتد الكلام، لكن الحذف غير مخل بأصل الاعتراض ومادته.

٩- عزوت ما استخرجت إلى موضعه من "فتح الباري"، ورددت القدر المتكلم عليه من لفظة أو راو واقع في السند، إلى موضعه من الحديث أو الإسناد أو الترجمة.

١٠- استعنت بتعليقات البدر العيني في "العمدة" على اعتراضات الحافظ ابن حجر؛ كما نظرت في كتاب "انتقاض الاعتراض" للحافظ ابن حجر في بيان حال هذه التعليقات، وأثبتّ جميع ذلك في موضعه في الحواشي.

❖ تمهيد:

سمت همة الحافظ أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر لشرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، فهيأ لذلك عدته، فأسهر فيه ليله، وأتعب فيه نهاره؛ حتى خرج الشرح وقد استوى -حافلاً ممتعاً نافعاً؛ قد أشفى على الغاية، وبلغ النهاية.

وكان من نعم الله تعالى على الحافظ ابن حجر في هذا الشرح؛ أن وفق لسلوك منهج فذ، وطريقة فريدة[٢]، أعجبت أكابر العلماء في عصره وبعد عصره؛ فانطلقت ألسنتهم وأقلامهم منوهة بهذا الشرح النفيس، والعمل الرائع الجليل[٣].

وكان من خصائص هذا المنهج ومحاسنه أمران:

- **الأول: الجمع والاستقراء:** وذلك لأن الحافظ ابن حجر استمد في شرحه من مصادر كثيرة، وموارد وفيرة. تدل على الاطلاع الواسع؛ والعلم المتبحر.

ولقد ندب الباحث أبو عبيدة مشهور حسن نفسه لجمع موارد الحافظ في "فتح الباري"، والكلام عليها، فجاء عمله في مصنف حافل، طبع بعنوان: "معجم المصنفات الواردة في فتح الباري"[٤].

وكان من نتائج هذا الجمع والاستقراء الذي اختص به "فتح الباري"؛ أن سار في الآفاق، واشتهر بين العلماء، وصار موسوعة جامعة للفوائد الحديثية، والنكات الأدبية، والفوائد الفقهية.

وازداد عدد المستفيدين منه، والناهلين من حياضه، فكثرت لذلك مختصراته، وزاد عدد من التقط من فوائده وفرائده، حتى جرد العلامة الباحث حافظ ثناء الله الزاهدي فوائده الأصولية والحديثية في كتاب جامع سماه: "توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصولية، والحديثية والإسنادية في فتح الباري"[٥].

- **الثاني: الموازنة بين الآراء ومناقشتها، والاعتراض عليها:** حرص الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" على تتبع ما وقع للشراح قبله من أوهام: والتنبيه عليها، والدلالة على مواطن الضعف فيها.

وكان من بين هؤلاء العلماء الذين شرحوه:

١- الداودي (٤٠٢هـ).
٢- والمهلب بن أبي صفرة (٤٣٥هـ).
٣- وابن بطال (٤٤٩هـ).
٤- وابن التين (٦١١هـ).
٥- والحافظ النووي (٦٧٦هـ) (٦).
٦- والزين ابن المنير (٦٩٥هـ).
٧- وابن رشيد السبتي (٧٢١هـ).
٨- وعلاء الدين مُغُلْطَايْ (٧٦٢هـ).
٩- والكرماني (٧٨٦هـ).
١٠- والبدر الزركشي (٧٩٤هـ) وغيرهم.

ولإعجاب الحافظ بما وقع له من تعقّب

هؤلاء؛ رغب إلى بعض من كان يحضره من الطلبة أن يعتني بالتقاط ما حصل له من ذلك في شرحه، يفرده بالتصنيف.

قال السخاوي: (٩٠٢هـ): "فما لبى أحد منهم دعوته"[٧].

■ **المبحث الأول: تعريف بالشارحين المنتقدين:**

أولاً: العلاء مُغُلْطَايْ[٨]:

فهو الحافظ مُغُلْطَايْ بن قِلِيجْ بن عبد الله علاء الدين أبو عبد الله الحنفي[٩]، ولد في سنة ٦٨٩هـ[١٠]: ولما صار صبيا كان "يذهب إلى حلق أهل العلم فيحضرها"[١١]، ثم عني بهذا الشأن "فقرأ بنفسه وأكثر جدا، وكان جل طلبه في العشر الثاني بعد السبعمائة؛ فأكثر من شيوخ هذا العصر"[١٢]؛ وجد في الطلب، ومن شيوخه:

١- الحافظ ابن دقيق العيد المتوفى سنة (٧٠٢هـ).

٢- الحافظ ابن سيد الناس المتوفى سنة (٧٣٤هـ).

٣- الإمام أمين الدين محمد بن إبراهيم الداني المتوفى سنة (٧٣٥هـ)[١٣] وغيرهم.

وتولى مغلطاي مشيخة الحديث بالمظفرية البيبرسية، ومدرسة أبي حنيفة والصرغتمشية، والناصرية، وميعاد اقسنقر الناصري[١٤].

واشتغل مغلطاي بالتأليف، فصنف الكثير، فمن ذلك:

١- شرح البخاري، وسيأتي الكلام عليه قريباً.

٢- إكمال تهذيب الكمال: قال الشيخ قاسم (٨٧٩هـ): "ثلاثة عشر مجلداً، ثم لخصه"[١٥].

٣- "الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم" وقد طبعت هذه السيرة أخيراً [١٦].

٤- شرح قطعة من سنن ابن ماجه في خمس مجلدات[١٧].

٥- زوائد ابن حبان على الصحيحين في مجلد[١٨].

٦- ترتيب الوهم والإيهام لابن القطان[١٩].

٧- "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين"[٢٠]، وله أيضاً مؤلفات أخرى، غير ما تقدم[٢١].

ولقد تبوأ الحافظ مُغُلْطَايْ مكانة مرموقة بين ٢٦٦ من علماء عصره، فوصف لذلك بأوصاف تدل عليه، وترشد إليه.

قال الحافظ ابن حجر في بيان مرتبة مُغُلْطَايْ في العلم: "..وكان عارفاً بالأنساب معرفة جيدة؛ وأما غيرها من متعلقات الحديث فله بها خبرة متوسطة"[٢٢].

وقال السيوطي (٩١١هـ): "..وكان حافظا عارفاً بفنون الحديث، علامة في الأنساب"[٢٣].

ووصفه بالحفظ والإمامة، الشيخ قاسم ابن قطلوبغا وابن تغري بردي[٢٤].

قال ابن فهد: "..وقال الصلاح الصفدي: كان جامد الحركة، كثير المطالعة، والدأب، والكتابة، وعنده كتب كثيرة جداً، ولم يزل يدأب، ويكتب إلى أن مات في شعبان في سنة اثنتين وستين وسبعمائة"[٢٥].

ثانياً: البدر الزركشي[٢٦]:

هو محمد بن بَهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي، التركي الأصل، ثم المصري، أبو عبد الله[٢٧].

مولده في سنة ٧٤٥هـ. قال الحافظ ابن حجر: "وعني بالاشتغال من صغره؛ فحفظ كتباً"[٢٨].

ثم أقبل على التفقه فأخذ عن علماء زمانه؛ ومن بينهم:

علاء الدين مغلطاي الذي تخرج به في الحديث[٢٩]، والشيخ جمال الدين الأسنوي (٧٢٢هـ) الذي تخرج به في الفقه[٣٠]، وعماد الدين ابن كثير (٧٧٤هـ) الذي سمع منه بدمشق[٣١]، وشهاب الدين الأذرعي (٧٨٣هـ) الذي رحل إليه، فأخذ عنه بحلب[٣٢].

واشتهر البدر الزركشي بقوة الحفظ؛ وحدة الوعي؛ حتى قيل في لقبه: المنهاجي، لأنه حفظ المنهاج للإمام النووي[٣٣]، كما اشتهر أيضاً بالانزواء عن الخلق؛ والانقطاع عن العوائق، قال الحافظ ابن حجر: "..وكان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد، إلا إلى سوق الكتب، وإذا حضره لا يشتري شيئاً؛ وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره، ومعه ظهور أوراق، يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه"[٣٤].

ومع أن البدر الزركشي، تولى مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى[٣٥]. فبث علمه، ونشره بين الناس، وكان من الآخذين عنه: شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي (٨٣١هـ)؛ ونجم الدين عمر بن حجي (٨٣٠هـ) وكمال الدين

السمني (٨٢١هـ) وغير هؤلاء[٣٦].

ولقب البدر الزركشي بالمصنف لانتشار تصانيفه وكثرتها[٣٧]. قال الداودي: "وله تصانيف كثيرة في عدة فنون"[٣٨]، وقد ترك من المصنفات أكثر من ثلاثين كتاباً منها:

١- إعلام الساجد بأحكام المساجد[٣٩]: وهو مطبوع بتحقيق أبي الوفا المراغي،الطبعة الرابعة،١٩٩٦، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية،القاهرة.

٢- البرهان في علوم القرآن: وهو مطبوع عدة طبعات، وأفضل طبعاته التي حققها الدكتور يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي والشيخ جمال حمدي الذهبي والشيخ إبراهيم بن عبدالله الكردي. وطبعتها دار المعرفة ببيروت في أربعة مجلدات. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. قال الحافظ: "ورأيت أنا بخطه من تصنيفه: "البرهان في علوم القرآن" من أعجب الكتب وأبدعها"[٤٠].

٣- تخريج أحاديث الرافعي في الشرح الكبير[٤١].

٤- التذكرة في الأحاديث المشتهرة[٤٢]: وقد طبع بتحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.

٥- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح: وسيأتي الحديث عنه.

٦- النكت على ابن الصلاح وهو مطبوع عدة طبعات[٤٣].

٧- المنثور في ترتيب القواعد[٤٤]: وهو مطبوع بتحقيق محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠.

٨- البحر المحيط[٤٥]: وهو مطبوع، دار الكتبي بمصر .

٩- سلاسل الذهب في الأصول[٤٦].

١٠- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة[٤٧]، وهو مطبوع بتحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.

وصف البدر الزركشي بأوصاف تنوه بجلالته في العلم؛ ونباهته بين العلماء.

قال الخطيب الجوهري: "الفقيه المتفنن، المشهور بالزركشي، الشافعي، صاحب التصانيف الفائقة المفيدة، والفنون الرائقة البديعة"[٤٨].

وقال ابن تغري بردي: "... وكان فقيهاً مصنفاً"[٤٩].

وأجمع من ترجم للبدر الزركشي على أنه توفي سنة ٧٩٤هـ بالقاهرة[٥٠].

قال السيوطي: "ودفن بالقرافة الصغرى"(٥١).

■ **المبحث الثاني: الكلام على شرح العلاء مغلطاي والبدر الزركشي لصحيح الإمام البخاري:**

ليس القصد من الكلام على شرح العلاء مغلطاي، والبدر الزركشي للبخاري، الحديث عن منهج الشارحين ومواردهما، ومزية شرحيهما، وإنما القصد -ههنا- إثبات أن لكل واحد من الحافظين شرحاً لصحيح الإمام البخاري.

أولاً: نبذة عن شرح مغلطاي:

أثبت كل من ترجم للحافظ مغلطاي صحة نسبة شرح البخاري إليه، ومن هؤلاء: الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان"، و"الدرر الكامنة"(٥٢)، وابن فهد المكي في ذيله على تذكرة الحفاظ(٥٣)، والشيخ قاسم بن قطلوبغا في "تاج التراجم"(٥٤)؛ والسيوطي في "طبقات الحفاظ" و"حسن المحاضرة"؛ والشوكاني في "البدر الطالع"(٥٥)؛ كما ذكره القسطلاني(٥٦)؛ وهؤلاء جميعاً أهملوا ذكر اسم الشرح؛ بيد أن حاجي خليفة ذكر له اسما فقال: "وشرح الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج التركي المصري الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢هـ(٥٧)، وهو شرح كبير سماه "التلويح"، أوله: الحمد لله الذي أيقظ من خلقه.. الخ"(٥٨).

ويعلم من قول حاجي خليفة أن شرح مغلطاي كبير؛ وهو كذلك، فقد قال الحافظ ابن حجر: ".. فشرح البخاري في نحو عشرين مجلدة"(٥٩)، ولذلك تصدى جلال الدين التباني المتوفى سنة ٧٩٣هـ لاختصاره(٦٠).

ويوجد الجزء الأول لشرح مغلطاي في خزانة تطوان في المغرب بقسم المخطوطات برقم ٧٣٦ .

ثانياً: نبذة عن شرح البدر الزركشي:

يستفاد من كلام من ترجم للبدر الزركشي، أن له شرحا كبيرا في شرح البخاري، شرع فيه، لكنه لم يكمله، قال الحافظ ابن حجر: "وشرع في شرح كبير، لخصه من شرح ابن الملقن، وزاد فيه كثيراً، ورأيت منه المجلد الأول بخطه"(٦١).

وقال أيضاً في موضع آخر: "وشرع في شرح البخاري، فتركه مسودة، وقفت على بعضها"(٦٢).

قال الحافظ: وفي هذا الشرح، لخص البدر الزركشي شرحه الذي سماه:

"التنقيح"، وأضاف: "وهو في مجلد"[٦٣].

وأفاد حاجي خليفة أن أوله: الحمد لله على ما عم بالإنعام...، وأن البدر الزركشي قصد فيه إيضاح غريبه، وإعراب غامضه، وضبط نسب، أو اسم يخشى فيه التصحيف، منتخباً من الأقوال أصحها، ومن المعاني أوضحها، مع إيجاز العبارة، والرمز بالإشارة، وإلحاق فوائد، يكاد يستغني به اللبيب عن الشروح، لأن أكثر الحديث ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وسماه: "التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح"[٦٤].

ووضع الحافظ ابن حجر على "التنقيح" نكتاً، قال القسطلاني: "لم تكمل"[٦٥].

وممن نكت عليه أيضاً القاضي محب الدين أحمد بن نصر البغدادي المتوفى سنة ٨٤٤هـ[٦٦].

ويوجد "التنقيح" بالظاهرية بـ رقم ٨٤٨[٦٧].

■ **المبحث الثالث: منهج الحافظ ابن حجر في الاعتراض على مغلطاي والزركشي**

أولاً: أسباب الاعتراض:

هناك جملة أسباب حملت الحافظ ابن حجر على الاعتراض؛ منها:

١- الوهم في النقل من الكتب: فقد يدعي أحد الشارحين وجود رواية في أحد الكتب المعتبرة، وعند التحقيق لا يوجد ذلك؛ فينبري الحافظ ابن حجر معترضاً؛ ليبين وهم الشارح وغفلته عما هو موجود في واقع الحال[٦٨].

٢- سوء فهم كلام المنقول عنه: ذلك أن أحد الشارحين قد ينقل من كلام من سلف من أهل العلم في المسألة العارضة، ثم يفهم منه ما ليس مراداً للمنقول عنه، فينبري الحافظ ابن حجر متعقّباً الشارح الناقل؛ لأنه قد يأتي من الشراح -ممن تأخر بهم الزمن- فينقل فهم الشارح، فيزيدك وهماً على وهم[٦٩].

٣- حمل كلام البخاري في تراجمه على غير وجه صواب: فقد يعمد أحد الشارحين إلى ادعاء أن القطعة من كلام البخاري في الترجمة صحيحة النسبة إليه؛ فيقول: إنها من كلامه، بينما يظهر من البحث والنظر أنها ليست له؛ إذ هي ثابتة لأحد الصحابة، أو التابعين من طريق آخر مروي في المسانيد أو السنن، فيكون هذا الأمر مدعاة لاعتراض الحافظ ابن حجر[٧٠].

٤- التفرد في إعراب لفظة على نحو

لم يسبق إليه أحد: ذلك أن أحد الشارحين قد يعرب لفظة على نحو لم يسبق إليه؛ ويكون إعرابه مخالفاً للقواعد وللمنصوص عليه في كتب أهل الفن؛ فينبري الحافظ ابن حجر إلى الاعتراض؛ وبيان حقيقة الحال[٧١].

٥- الغلط في نقل كلام أهل العلم: فقد يستمد أحد الشارحين، من كلام العلماء على أحاديث الجامع الصحيح؛ فيغلط الواحد منهما في النقل، فيكتب شيئا، بينما الموجود في كلام المنقول شيئاً آخر. فيكون ذلك سببا في التعقّب للتنبيه على الغلط الواقع؛ والسهو الحاصل[٧٢].

٦- عدم وقوف الحافظ ابن حجر على ما أحال عليه الشارح: فقد يدعي أحد الشارحين وجود هيئة لترجمة ما، أو للفظ ما، في نسخة أخرى من البخاري متعقّبا بذلك كلام من سبقه من الشارحين، فيأتي الحافظ ابن حجر، فيعترض بأنه لم ير في شيء من نسخ البخاري التي وقعت له ما ادعاه أحد الشارحين[٧٣].

٧- ذهول أحد الشارحين عن تعيين المهمل في السند: ذلك أن أحد الشارحين قد يهم في معرفة من أهمله البخاري في السند؛ ولا يهتدي إليه، ويسمي غيره، بينما يأبى عليه ذلك سياق الإسناد، ومعرفة أحوال الرجال وتراجمهم؛ فيتصدى الحافظ ابن حجر -وهو الخبير المطلع على خفايا الأسانيد- للاعتراض، وبيان وجه الصواب[٧٤].

٨- شدة قصور أحد الشارحين في التخريج: ذلك أنه قد يتصدى أحد الشارحين لتخريج رواية أو حديث، فيعزوه إلى أحد الكتب، ثم يدعي أنه لم ير ذلك إلا في ذلك الكتاب، ويجزم في قوله؛ فينبري الحافظ ابن حجر -وهو من أهل الاستقراء التام في معرفة دواوين الإسلام[٧٥]- للاعتراض، وبيان أن تلك الرواية وقعت عند غير من ذكره الشارح[٧٦].

٩- حمل كلام أحد الرواة على المجاز: فقد يفسر أحد الشارحين كلام أحد الرواة باستعمال المجاز لكي يبين حقيقة الحال فيه، بينما الأصل استعمال الحقيقة مندوحة، لأن ذلك قد يؤدي إلى تغليط الرواة الثقات، كما يرى الحافظ ابن حجر[٧٧].

١٠- نسبة الوهم إلى الرواة بغير حق: ذلك أن أحد الشارحين قد يضيق عليه المخرج في رواية، فيزعم أن راويها قد وهم

فيها، بينما يكون لتلك الرواية وجه صحيح، ومخرج معتبر سليم، فينبري الحافظ ابن حجر للانتقاد وتبرئة الرواة الأثبات(٧٨).

١١- الغفلة عن مقاصد البخاري في الجمع بين الحديث والترجمة: فقد يغمض الوجه الذي ساق من أجله البخاري الحديث في ترجمة ما؛ فينفي أحد الشارحين مناسبة ذلك الحديث لتلك الترجمة؛ ويلوح لمن فتح الله عليه وجه الجمع؛ فيكون ذلك من أسباب اعتراض الحافظ ابن حجر(٧٩).

١٢- القصور في معرفة أحوال الرجال ومراتبهم في الجرح والتعديل: فقد يجرح أحد الشارحين أحد الرواة، فيضعفه، وينسى أن غيره أضعف منه، فهو بالجرح أولى، وبالقدح أليق، فينبري الحافظ ابن حجر معترضاً(٨٠).

١٣- مجانبة الدقة في التعبير: ذلك أن أحد الشارحين قد ينسب المسألة إلى البخاري، ويقطع على أنها من صنيعه؛ لكن العبارة تقعد به عن الوفاء في الدلالة على صنيع البخاري، فينبري الحافظ ابن حجر -وهو الذي مارس الصحيح وعرف مقاصد صاحبه- موضحا عادة البخاري مثلا في إخراج حديث فلان الراوي مقروناً بغيره، وليس منفردا كما ادعى أحد الشارحين(٨١).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) تعقّب الحافظ ابن حجر العلاء مُغُلْطَايْ في ثلاثة وخمسين موضعاً، وتعقّب البدر الزركشي في ثلاثة وعشرين، كما سنقف على أبرزها .

(٢) أدرك الحافظ ابن حجر جلالة المنهج الذي سلكه في شرحه؛ فكان يكثر من شكر الله تعالى على ما هدي إليه، من ذلك قوله عند شرح حديث: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" -بعد أن حكى جملة وافرة في المناسبة بين الرؤيا الصالحة والنبوة-: "فهذه عدة مناسبات لم أر من جمعها في موضع واحد، فلله الحمد على ما ألهم وعلم". وانظر: فتح الباري (ج: ١٢/ص: ٣٦٨) دار الفكر بلا تاريخ.

(٣) انظر طرفاً من مدح "فتح الباري" في: نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي (ص: ٥٧) المكتبة العلمية -بيروت ١٩٢٧م.

(٤) نشرته دار الهجرة، الدمام، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ط١.

(٥) طبع الكتاب في جهلم بباكستان بإشراف جامعة العلوم الأثرية سنة ١٤٠٦هـ.

(٦) بلغت اعتراضات ابن حجر على الإمام النووي، أكثر من مائة اعتراض، وسأفرد لها دراسة خاصة إن شاء الله تعالى.

(٧) انظر كتابه: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ج: ١/ص: ١٠٧ دار ابن حزم، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم باجس، ٣ مجلدات..وقد لبّى طلبة العلم المعاصرين دعوة الحافظ ابن حجر ، فقاموا بجمع هذه التعقبات ودراستها في رسائل علمية متعددة.

(٨) هذه تسمية بعض من ترجم للحافظ مُغُلْطَايْ:

١- الحافظ ابن حجر: في:

أ- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ج: ٤/٣٥٢).

ب- لسان الميزان (ج: ٦/ص: ٧٢).

٢- الشيخ قاسم بن قطلوبغا: تاج التراجم (ص: ٧٧).

٣- ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ (ص: ١٣٣).

٤- الحافظ السيوطي في: أ- طبقات الحفاظ (ص: ٥٣٧). ب- حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٣٥٩).

٥- ابن العماد: الشذرات (ج: ٣/ص: ١٩٧).

٦- ابن تغري بردي: "النجوم الزاهرة (ج: ١/ص: ٩).

٧- الإمام الشوكاني: البدر الطالع (ج: ٢/ص: ٣١٢).

(٩) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٤/ص: ٣٥٢)، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

(١٠) انظر: البدر الطالع، الشوكاني، ج: ٢/ص: ٣١٢)، دار المعرفة، بيروت دون تاريخ، وفي مولد مغلطاي أقوال أخرى.

(١١) انظر: ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ، قاسم بن قطلوبغا (ص: ١٣٣) دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.

(١٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(١٣) انظر: تاج التراجم، قاسم بن قطلوبغا (ص: ٣٠٥)، دار القلم، دمشق، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ.

(١٤) انظر: المصدر السابق. وللتعريف بهذه المدارس انظر: خطط المقريزي، (٣٧٨/١) و(٢/٤٠٣-٤٠٤)، طبعة الثقافة الدينية، مصر.

(١٥) انظر: تاج التراجم، قاسم بن قطلوبغا (ص: ٣٠٦).

(١٦) انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، (ص: ٥٣٤)، تحقيق علي محمد غمر، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٥هـ.

(١٧) انظر: تاج التراجم، قاسم بن قطلوبغا، (ص: ٣٠٦)، والبدر الطالع، الشوكاني، (ج: ٢/ص: ٣١٣).

(١٨) انظر: ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ، قاسم بن قطلوبغا، (ص: ١٣٩).

(١٩) انظر المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢٠) قلت: حصل لمغلطاي بسبب هذا الكتاب محنة. قال الشوكاني في البدر الطالع (ص: ٣١٣): "وأنشد لنفسه في "الواضح المبين" شعراً يدل على استهتار وضعف في الدين".

(٢١) انظر بقية مؤلفات مغلطاي في: تاج التراجم (ص: ٣٠٦) وذيل ابن فهد (ص: ١٣٩).

(٢٢) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٤/ص: ٣٥٣).

(٢٣) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٣٥٩). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر ١٣٨٧هـ.

(٢٤) انظر: تاج التراجم (ص: ٣٠٤) والنجوم الزاهرة (ج: ١١/ص: ٩). مصر بلا تاريخ.

(٢٥) انظر: (ذيل ابن فهد على التذكرة (ص: ١٤١) والشذرات (ج: ٣/ص: ١٩٧) ولسان الميزان (ج:

٦/ص: ٧٢) طبعة دار الفكر بلا تاريخ، وإنما ذكر الحافظ ابن حجر مغلطاي في "اللسان" لأمور، منها: ادعاء مغلطاي السماع من جماعة ثبت بالدليل الصحيح عدم سماعه منهم، ومنها: تأليفه "للواضح المبين"، وفيه ما لا ينبغي قوله في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢٦) ترجم للبدر الزركشي طائفة من أهل السير، منهم:

١- الحافظ ابن حجر: في: أ- الدرر الكامنة (٣٩٨/٣). ب- إنباء الغمر (ج: ٣/ص: ١٣٨).

٢- السيوطي في: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

٣- الجوهري (علي بن داود الصيرفي) في: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (ج: ١/ص: ٣٥٤).

٤- ابن تغري بردي في: النجوم الزاهرة (ج: ١٢/ص: ١٣٤).

٥- الداودي في: طبقات المفسرين (ج: ٣/ص: ١٥٧).

٦- ابن العماد في: الشذرات (ج: ٦/ص: ٣٣٥).

(٢٧) وكناه ابن هداية في طبقاته (ص: ٢٤١) طبعة دار الآفاق. بأبي الحسن، ووهم فيه؛ حيث ترجم لأبي الحسن محمد بن إبراهيم الزركشي التونسي المتوفى سنة ٩٣٣هـ. ونسب إليه "بداية المحتاج في شرح المنهاج". وهو صحيح النسبة إلى البدر الزركشي.

(٢٨) انظر: الدرر الكامنة، الحافظ ابن حجر، (ج: ٣٩٧/٣).

(٢٩) انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر (ج: ٣/ص: ١٣٩). دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

(٣٠) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

(٣١) انظر: إنباء الغمر (ج: ٣/ص: ١٣٩). وحسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

(٣٢) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٧). وإنباء الغمر (ج: ٣/ص: ١٣٩).

(٣٣) انظر مقدمة "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ١٧). دار الكتبي. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، مصر.

(٣٤) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٦).

(٣٥) انظر: الشذرات (ج: ٦/ ص٣٣٥).

(٣٦) انظر: مقدمة "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ٢٢ و٢٣).

(٣٧) انظر: المصدر السابق (ج: ١/ص: ٢٣).

(٣٨) انظر: طبقات المفسرين (ج: ٣/ص: ١٥٧).

(٣٩) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧). وهدية العارفين (ج: ٢/ص: ١٧٤) دار الفكر.

(٤٠) انظر: إنباء الغمر (ج: ١٤٠/٣).

(٤١) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧) وهدية العارفين (ج: ٢/ص: ١٧٤).

(٤٢) انظر: كشف الظنون (ج: ١/ص: ٣٨٦). دار الفكر.

(٤٣) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧) ومعجم المؤلفين (ج: ٩/ص: ١٢١).

(٤٤) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

(٤٥) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٨) وحسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

(٤٦) انظر: تقديم "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ٢٦).

(٤٧) انظر: تقديم "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ٢٤).

(٤٨) انظر: نزهة النفوس والأبدان (ج: ١/ص: ٣٥٤). مصر. مركز تحقيق التراث، ١٩٧٠م.

(٤٩) انظر: النجوم الزاهرة (ج: ١٢/ص: ١٣٤).

(٥٠) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٧). ونزهة النفوس (ج: ١/ص: ٣٥٤).

(٥١) انظر: حسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).والقرافة الصغرى أسفل جبل المقطم بمصر.

(٥٢) انظر: لسان الميزان (ج: ٦/ص: ٧٢)؛ والدرر الكامنة (ج: ٤/ص: ٣٥٤).

(٥٣) انظر: (ص: ١٣٩) منه.

(٥٤) انظر: تاج التراجم (ص: ٣٠٦).

(٥٥) انظر: طبقات الحفاظ (ص: ٥٣٧) وحسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٣٥٩). والبدر الطالع (ج: ٢/ص: ٣١٣).

(٥٦) انظر: إرشاد الساري (ج: ١/ص: ٤٢). دار الفكر بلا تاريخ، ونقل القسطلاني عن صاحب الكواكب كلمة في شرح مغلطاي، رأيت إثباتها هنا، فإنه قال: "... وشرحه بتتميم الأطراف أشبه؛ وبصحف (وكذا) تصحيح التعليقات أمثل؛ وكأنه من إخلائه من مقاصد الكتاب على ضمان، ومن شرح ألفاظه، وتوضيح معانيه على أمان".

(٥٧) كذا قال حاجي خليفة، والذي في كتب التراجم كما تقدم آنفا "٧٦٢هـ".

(٥٨) انظر: كشف الظنون (ج: ١/ص: ٥٤٦) طبعة دار الفكر. وانظر أيضا: مقدمة تحفة الأحوذي (ج: ١/ص: ٢٥٥). دار الفكر بلا تاريخ.

(٥٩) انظر: لسان الميزان (ج: ٦/ص: ٧٢).

(٦٠) انظر: كشف الظنون (ج: ١/ص: ٥٤٦).

(٦١) انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر (ج: ٣/ص: ١٣٩ و١٤٠).

(٦٢) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٧). وحسن المحاضرة (ج: ١/ص: ٤٣٧).

(٦٣) انظر: الدرر الكامنة (ج: ٣/ص: ٣٩٧).

(٦٤) انظر: كشف الظنون (ج: ١/ص: ٢٠٣) ومقدمة تحفة الأحوذي (ج: ١/ص: ٢٠٣) والحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ٣٢٦) للقنوجي. دار الجيل ودار عمار لبنان. والأعلام للزركلي (ج: ٦/ص: ١٦) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ج: ١٠/ص: ٢٠٥).

(٦٥) انظر: إرشاد الساري (ج: ١/ص: ٤٣).

(٦٦) انظر: تقديم "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ٢٥).

(٦٧) انظر: تقديم "البحر المحيط" (ج: ١/ص: ٢٥).

(٦٨) انظر: الاعتراض رقم: ١ و٧ و٨ و١١ و٢٢.

(٦٩) انظر الاعتراض رقم: ٣ و٤.

(٧٠) انظر الاعتراض رقم: ٥.

(٧١) انظر: الاعتراض رقم: ٦.

(٧٢) انظر: الاعتراض رقم: ١٠.

(٧٣) انظر: الاعتراض رقم: ١٢ و١٤ و٣١.

(٧٤) انظر: الاعتراض رقم: ١٥ و١٧.

(٧٥) المقصود بدواوين الإسلام: الكتب والمجاميع المؤلفة في السنن والأخبار.

(٧٦) انظر: الاعتراض رقم: ١٦.

(٧٧) انظر: الاعتراض رقم: ١٨.

(٧٨) انظر: الاعتراض رقم: ٢٤.

(٧٩) انظر: الاعتراض رقم: ٢٦ و٣٣.

(٨٠) انظر: الاعتراض رقم: ٣٠.

(٨١) انظر: الاعتراض رقم: ٢٧.

القناعة بين التوكل والإتكال

■ بقلم الدكتور طلال حمزة عبيدات

القناعة في اللغة هي الرضا بما قسم، فمن رضي بما قسم له فقد قنع، لأن من تيقن أن ذلك بتقدير الخالق الرازق، وأنه ليس في قدره، وعدم النظر ما للغير، فعند الزيادة عليه طاب عيشه وزال همه.

قال الجاحظ: القناعة هي الاقتصار على ما سنح من العيش، والرضا بما تسهل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال وطلب المراتب العالية مع الرغبة في جميع ذلك وإيثاره،والميل إليه وقهر النفس على ذلك، والتقنع باليسير منه. وقال المناوي: القناعة عرفا هي الاقتصار على الكفاف، وقيل: الاكتفاء بالبلغة، وقيل: الوقوف عند الكفاية.

والقناعة ليست كما يتبادر إلى ذهن المتشككين والمشككين تبريرا للكسل والخمول، ولا هي دعوة للإتكال وقتل الطموح والنشاط،ولا مدعاة لإحباط الهمم وإجهاض الأفكار، وإنما هي أن ترضى بما يرزقك الله دون سخط ولا اعتراض، وإذا حصلت على اقل مما تطمح إليه فمن قناعتك وعدم اعتراضك على مشيئة الله فإن عليك المحاولة تلو المحاولة، وبذل الجهود، والأخذ بالأسباب الموصلة إلى تحقيق ما تطمح إليه، ولا تتعارض مع قول الشاعر:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

فالقناعة لا تمنع التاجر من تنمية تجارته لتدر عليه المزيد من الربح الحلال، البعيد عما حرم الله من غش وتدليس وتطفيف في الكيل والميزان، ولا تتعارض مع أن يضرب المسلم في الأرض لطلب رزقه المقدر له، معتبرا بما تفعل الطيور التي تغادر أوكارها خماصا فتسعى في الأرض فتعود لأزغابها بطانا، ولا تتعارض مع أن يسعى المرء فيما يعود بالنفع فيما شرع الله، بل كل ذلك مطلوب.

❖ **محاسن القناعة:**

إن للقناعة أهمية عظيمة، وأثراً بالغاً في حياة الإنسان وتحقيق رخائه النفسي والجسمي، والقانع بالكفاف اسعد حياة وأرخى بالا، وأكثر دعة واستقرارا من الحريص المتفاني في سبيل أطماعه وطلب المزيد من متاع الدنيا الفاني، الذي يعيش حياته في قلق وتعب ونصب، لا يكتفي بما يسر الله له من رزق، ودائما نفسه تردد: هل من مزيد؟ فأنى يذوق طعم الراحة وهدوء البال .قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من رضي بما قسم الله له استراح قلبه وبدنه" فالقناعة بمثابة الثروة الكبيرة فإن من قنع كان غنيا وإن كان في حقيقة الأمر لا يملك من حطام الدنيا إلا الشيء اليسير جدا، وإن من لم يقنع كان فقيرا وإن كان يملك ثروة طائلة، ويظهر ذلك واضحا جليا في قول الرسول ﷺ: "القناعة كنز لا ينفذ"، وقال الإمام الشافعي:

رأيت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يراني على بابه
ولا ذا يراني به منهمك
فصرت غنيا بلا درهم
أمر على الناس شبه الملك

وقال حكيم: وضع الله تعالى خمسة في خمسة، أي جعل خمسة أمور لا تتحقق إلا في خمسة أمور، وهي: العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة، فالقناعة أول الرضا والورع أول الزهد وقيل: أنعم الناس عيشا من تحلى بالعفاف ورضي بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف، وهذا الشاعر يشيد بخلق القناعة ويحث على التحلي بها، لأن فيها العز والغنى الحقيقي:

أفادتني القناعة كل عز
وأي غنى أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال
وصير بعدها التقوى بضاعة

والقناعة تؤدي إلى صفاء النفوس، ونقاء القلوب، وراحة البال، واطمئنان الضمير، واستقرار الأحوال، فإن القنوع إذا رأى من متاع الدنيا من الشهوات والملذات والأدوات والأموال وأنواع المسليات والملهيات، ولم يستطع أن ينال منها شيئا لا يعتريه الندم، ولا يلحق به الأذى، ولا يصيبه اليأس والحزن، ولا يساوره شك ولا امتعاض، ولا يخالطه نكد ولا نصب، وتظل نفسه مطمئنة راضية بما قسم الله تعالى لها من الطيبات، قال رسول الله ﷺ: "عز من قنع، وذل من طمع" (النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٨٠).

❖ مراتب القناعة:

القناعة درجات، فمنها من يرضى صاحبها بالنزر اليسير، ومنها من لا يرفض صاحبها ما يأتيه سواء كان كثيرا أم قليلا، وبناء على ذلك يمكن تصنيف القناعة إلى ثلاثة مستويات، هي:

١- **المرتبة الأعلى:** وهي أكبر أنواع القناعة، حيث يرضى القنوع بما تيسر له من الرزق ولو كان قوت يومه ولا يطمع في المزيد عليه،وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده،عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" (الترمذي وابن ماجة) والقانع فيها يقتنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه.

٢- **المرتبة الوسطى:** وهي أن تنتهي القناعة بصاحبها إلى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة، فهو يسعى للحصول على ما يكفيه من الرزق، ويساعده على السعي لتأمين الحاجات الأساسية لحياة الإنسان والاكتفاء بالضروري منها: دون أن يهلك نفسه في البحث عن الزيادة وعدم النظر إلى ما في أيدي غيره، وبلا كد وتعب وانهماك في الجري للحصول على المزيد من الأموال والأدوات ووسائل الحياة دونما طمع ولا جشع، ودون أن ينظر إلى ما في أيدي الناس حسدا وطمعا.

٣- **المرتبة الأدنى:** وهي أن تنتهي القناعة بصاحبها إلى الوقوف على ما سنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرا، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيرا، فهو يرضى بالقليل، ويقتنع بما توفر له من الرزق، ولكنه لا يتوانى عن الجد والاجتهاد للحصول على ما يمكن الحصول عليه دون طمع أو جشع ودونما لهو عن طاعة الله وذكره، فهو يقنع بالقليل ولكنه يسعى للمزيد وهو حريص على أن يكون رزقه حلال، وينفق أمواله في مسارب حلال، ولا

يحسد أحدا أكثر منه مالا، ولا يسعى للإعتداء على ما بأيدي الآخرين، وهو لا يتعب نفسه في الكد للحصول على ما ليس بالمستطاع، ولا يهلكها بالانجراف وراء شهوات نفسه ليحصل عليها بأي طريق كان، حلال كان أم حراما.

❖ آثار القناعة:

القناعة سلوك ونهج يومي يرافق الإنسان القنوع في جميع أوقاته وأحواله، وتنعكس آثارها على نفسه وقلبه، فتظهر على جوارحه، ويمكن إيجاز الآثار التي توفرها القناعة للقانع بما يلي :

١- الحياة الطيبة: هناك الكثير من الناس من يعمل لدنياه وآخرته، ويستمتع من الدنيا بما رزقه الله راضيا قانعا، وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾** النحل: ٩٧ وقال المفسرون: إن الحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة هي: القناعة.

٢- التمتع بالغنى الحقيقي: وهو غنى النفس لا غنى المال، وهذا رسول الله ﷺ يوضح أن القناعة من أسباب الغنى ولو مع قلة المال، فقال: "إرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس" (سنن الترمذي، ج٣،ص٣٧٧).

٣- القناعة وقاية من الذنوب التي تفتك بالقلب، وتذهب الحسنات كالحسد والغيبة والنميمة والكذب: فبالقناعة ترتاح النفوس وتطمئن القلوب، وتحفظ القانع من الوقوع في مآثم الغيبة والنميمة لمن هم أوفر منه حظا ومالا، وتنقي قلبه من الحسد الذي يحيق بصاحبه، ذلك أن القانع لا يتطلع إلى من هم أعلى منه، ما دام يرى من هم أدنى منه،وما دام يؤمن بأن الأرزاق مقدرة من الله تعالى الذي لا يعترض على إرادته مؤمن، وهذا على العكس من الطمع الذي هو ضد القناعة، فهو يلقي بصاحبه إلى الهلاك ويدفعه دائما إلى التطلع إلى ما في أيدي الناس، ويتمنى اقتناصه بدون حق، فنفس الطماع لا تشبع ولا تقنع ودائما تركض وراء متاع الدنيا.

٤- العز في القناعة والذل في الطمع: الإنسان القنوع يصون نفسه عن الدنايا ومد يده طلبا لمساعدة الناس، ويحفظ عينيه عن التحديق إلى ما في أيديهم حسدا وغيرة، ويمسك لسانه عن الوقوع في معاصي النميمة والغيبة، فترتاح نفوسهم، وتطمئن قلوبهم، وبذلك يحبهم الناس ويحترمونهم وينزلونهم منازل عالية، وتكون كلمتهم مسموعة، ورأيهم

مقبولا، ومجلسهم مرغوبا، قال النبي ﷺ: "عز من قنع وذل من طمع " (النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٨٠).

٥- في القناعة تحقيق لشكر المنعم سبحانه وتعالى: نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وعلى الإنسان أن يتوجه بالشكر والثناء على الله تعالى من أجل أن تستمر هذه النعم ويتمتع بها الإنسان ويسعد،ألا بشكر الله تدوم النعم، وقال تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه قائلا: «اللهم ارزقني حسن شكر نعمك العظيمة».

والإنسان القانع والقنوع بما أنعم الله عليه من الرزق مهما قل، فإن لسانه لا ينفك يلهج بذكر الله وحمده والثناء عليه، بينما الإنسان الطماع لا يكتفي بما رزقه الله من أموال طائلة وعقارات واسعة، وتجارة رائجة ويطمع بالمزيد، ويرد ذلك كله لجهده ونشاطه، وتلهيه هذه الأموال والتجارة عن ذكر الله سبحانه وحمده والثناء عليه، ناسيا أو متناسيا قول الله تعالى: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**﴾ الجمعة: ٥٣، وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "لو أن لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (صحيح مسلم، ج٧،ص١٣٩).

٦- القانع تعزف نفسه عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله: فالقناعة هي الاكتفاء بالقليل، والاقتصار على حياة الكفاف، والنزر اليسير من القوت ولو وجد كسرة يابسة من الخبز يسد بها رمقه لحمد الله كثيرا، وعدها نعمة عظيمة، فهو يتمتع دائما براحة البال كما تقدم قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "من رضي بما قسم له استراح قلبه وبدنه" وإن كان لا يملك من حطام الدنيا إلا الشيء اليسير جدا، فتقر عيناه، ويستريح من القلق والهم والغم، ويستطيل على الكل لأنه يكفيهم نفسه.

❖ فضل القناعة:

الإنسان القانع لا يصدر منه إلا الخير، ولا يعرف الشر لقلبه طريقا، ولذلك فهو يحبه الله ويحبه الناس، **والقناعة تحقق للإنسان الخير في الدنيا والآخرة، ولها فضائل كثيرة، لعل أهمها:**

١- القناعة سبب البركة: فهي كنز لا ينفد، وأخبر عنها الرسول ﷺ أنها أفضل الغنى، فقال: " من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه

فكأنما حيزت له الدنيا" (الترمذي وابن ماجة).

٢- القناعة طريق الجنة: قال رسول الله ﷺ: "من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا أتكفل له بالجنة، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدا شيئا" (رواه أبو داود والترمذي وأحمد).

٣- القناعة عزة للنفس: فهي تجعل صاحبها حرا، لا يتسلط عليه الآخرون، بينما الطمع يجعل صاحبه عبدا للآخرين، وقيل: عز من قنع وذل من طمع.

٤- القناعة سبيل للراحة النفسية: فالقانع المسلم يعيش في راحة وأمن واطمئنان، بينما الطماع يعيش مهموما مغموما لا يستقر له حال، ولا يهدأ له بال، وصدق الشاعر إذ يقول:

هي القناعة لا ترضى لها بدلا
فيها النعيم وفيها راحة البدن
أنظر إلى من ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن

❖ الأسباب المؤدية إلى القناعة:

قال بعض السلف: ثلاث آيات غنيت بهن عن جميع الخلائق؛ أما الأولى: فقوله تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾** وأما الثانية: فقوله تعالى: **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾** وأما الثالثة: فقوله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾**.

فهذه الآيات الثلاث أوضحت لكل ذي لب أن أرزاق العباد مقدرة من الله تعالى، وموزعة بين خلقه، ولن يستطيع أحد أن ينال من رزق غيره شيئا، فالله تعالى هو خالق الناس وخالق الأرزاق، وإذا كتب رزقا فلا مانع له، وإن أراد بأحد ضرا فلا كاشف له، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، **وهذا مما يوجد القناعة التي لها أسباب عديدة توصل صاحبها إلى فضيلة القناعة وهي:**

١- الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه: وهذا من أهم وأولى الأمور المؤدية إلى القناعة؛ فقول الإنسان: حسبي الله ونعم الوكيل تريح النفس وتفتح أبواب الخير والسعادة، قيل: إنه لما توفي جالينوس وجد في جيبه رقعة مكتوب عليها: «ما أكلته مقتصدا فلجسمك، وما تصدقت به فلروحك، وما خلفته فلغيرك، والمحسن حي وإن نقل إلى دار البلى، والمسيء ميت وإن بقي في دار الدنيا، والقناعة تستر الخلة، والتدبير يكثر القليل» وليس لابن آدم أنفع من التوكل على الله سبحانه، لأن الله تعالى يحب المتوكلين ولا يحب المتكلين،

فالله لا يرزق الخامل الكسول، وإنما يأمرنا بالسعي والعمل والجد واتخاذ الأسباب ثم بعد ذلك التوكل على الله، قال رسول الله ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو من أوكارها خماصا (بطونها فارغة) وتروح بطانا (بطونها مملؤة)" وفي هذا الحديث الشريف حث صريح للناس على السعي والعمل للحصول على الرزق المقدر لكل منهم.

٢- قدر الدنيا بقدرها وإنزالها منزلتها:

فالدنيا دار عمل، وما هي إلا متاع فان، وهي ممر وعبور إلى دار القرار والخلود، والسعيد من لا يقضي عمره في اللهث وراء متاع، ويتزود ليوم النشور، وخير الزاد التقوى.

٣- جعل الهم للآخرة والتنافس فيها:

كتب الخليفة العباسي المنصور إلى أبي عبد الله الصادق: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ (طلب المساعدة) فأجابه: ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك في الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك بها ولا في نقمة فنعزيك بها، فكتب له المنصور: تصحبنا لتنصحنا، فقال له: من يطلب الدنيا لا ينصحك، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك.

٤- النظر في حال الصالحين وزهدهم وكفافهم وإعراضهم عن الدنيا وملذاتها:

فإن من طبائع الصالحين وسجاياهم الزهد في الحياة، والاكتفاء بالقليل مما تيسر لهم، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه مع خادم له كيسا من الدراهم إلى أبي ذر الغفاري، وقال له: إن قبل بهذا فأنت حر. فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر وألح في قبوله فلم يقبل، فقال له: اقبله فإن فيه عتقي، فقال: نعم ولكن فيه رقي!!.

٥- تأمل أحوال الناس البسطاء:

فالناس البسطاء لا يذلون أنفسهم طمعا في المال، ويقتنعون بالكفاف مع العز ولا يقبلون الغنى مع الذل، فالفقر في النفس لا في المال، وكذلك الغنى غنى النفس لا في المال.

٦- مجاهدة النفس على القناعة والكفاف وحملها على الاكتفاء بما رزقها الله، وبما أمكنها الوصول إليه: فإن من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الأغنياء، وإنما أصبح القانع من أغنى الناس لأن حقيقة الغنى حمل النفس على عدم الحاجة إلى الناس.

٧- معرفة نعم الله تعالى والتفكر فيها: وإن محاولة التعرف على النعم العميمة التي أسبغها الله تعالى على الإنسان والتي لا تعد ولا تحصى، وأولها نعمة الإسلام، ونعمة الصحة،ونعمة الرزق، والأمن والاستقرار، تجعل المسلم الواثق بالله تعالى يحمده على هذه النعم ويقنع بها، ولا يحسد غيره ممن حظه أوفر من حظه، وأكثر مالا منه، ويرضى بما قسم الله له.

٨- العلم بما في القناعة من راحة النفس وسلامة الصدر واطمئنان القلب: فالقناعة تحرر الإنسان القنوع من عبودية المادة، واسترقاق الحرص والطمع وعنائهما المرهق،وهوانهما المذل، وتنفتح فيه روح العزة والكرامة والإباء والترفع عن الدنايا وعن استدرار عطف اللئام، فتبقى نفسه في راحة واستقرار، وصدره خال من الحقد والأضغان، وقلبه يعمره ذكر الله وحمده والثناء عليه، الا بذكر الله تطمئن القلوب.

٩- الدعاء: فقد كان رسول الله ﷺ يدعو ربه قائلا: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا" (الشيخان)، وهذا منتهى القناعة بالكفاف.

١٠- ترويض القلب على القناعة: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن: "واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في سبيل من كان قبلك، فاخفض في الطلب وأجمل في المكسب، فإن رب طلب جر إلى حرب، فليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم.

١١- اليقين بأن الرزق مقدر والإنسان في رحم أمه: فالرزق يكتب للإنسان وعمره أربعون يوما في بطن أمه، ولن يكون له في دنياه غير ما كتبه الله تعالى له في ذلك اليوم، فالرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا ترده كراهة كاره، ولكن العبد وإن كان رزقه مكتوب، فهو مأمور بالسعي والاكتساب والجد والاجتهاد مع اليقين بأن الله تعالى هو الرازق.

١٢- تدبر آيات القران الكريم ولا سيما التي تتحدث عن الرزق والاكتساب: مثل قوله تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**، وقوله تعالى: **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾**صدق الله العظيم.

والحمد لله رب العالمين

اسبوع الوئام العالمي بين الأديان مبادرة مباركة

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

اسبوع الوئام العالمي بين الأديان تلبية للمبادرة الهاشمية الكريمة التي اعلنها جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه في الثالث والعشرين من ايلول عام ٢٠١٠م وتبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة ، اذ تشير ديباجة القرار الصادر لتبني المبادرة الى أهمية الاعتراف الانساني بالحاجة الملحة للحوار بين الأديان المختلفة، من اجل تعزيز التفاهم والوئام والتعاون المتبادل بين الناس، مع التأكيد على الضرورة الأخلاقية كي تدعو كل الأديان والمعتقدات الى السلام والتسامح والتفاهم المتبادل ، وفي صلب القرار تأكيد على ان التفاهم المتبادل والحوار بين الأديان يشكلان بُعدين مهمين في ثقافة السلام.

واعلان الأسبوع الأول من شهر شباط من كل عام اسبوعا للوئام العالمي بين الأديان، وتشجيع كل الدول لتدعم – على اساس طوعي – نشر رسالة الوئام بين الأديان وحسن النوايا في مساجد العالم وكنائسه ومعابده وغيرها من دور العبادة في هذا الأسبوع بناء على حب الله وحب الجار.

اننا في الأردن وبتوجيه ومتابعة من حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه، نؤمن بالحوار اساساً للتفاهم بين الأديان

والثقافات ومنطلقا للعلاقات بين الأمم والشعوب، والسلام القائم على العدل كقاعدة أساسية في بناء العلاقات الدولية والتطوير لآفاق الحياة الإنسانية، ودافعا لمزيد من العطاء والانجاز في هذه العلاقات.

ومن هنا شكلت الحكومة لجانا خاصة من بعض أصحاب المعالي الوزراء والأمناء العامين، لإعداد مسودة توضح الإستراتيجية الأردنية في تحالف الحضارات، مستنيرة بالانجازات الكبيرة المتعددة لكافة المؤسسات الأردنية والتي تعد منارات عز وأوسمة شرف على جبين أردننا العزيز، وقد شارك الاردن في العديد من المؤتمرات الدولية حول حوار الأديان وتحالف الحضارات كان آخرها مؤتمر (دول عدم الانحياز والتعاون بين الأديان والسلام والتطوير) والذي عقد في العاصمة الفلبينية/ مانيلا في السادس عشر من آذار لعام ٢٠١٠م.

كما كان لرسالة عمان التي اطلقها جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه سنة ٢٠٠٤م صدى عالميا بما حوت من محاور اساسية في سماحة الاسلام وعدالته وتكريمه للانسان واحترام العهود والمواثيق والرأي الآخر.

ونحن في وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية واحساساً بأهمية هذه الرسالة، وتفعيلا لمضامينها قمنا بعقد اكثر من عشرين دورة محلية شارك فيها اكثر من الف امام، وعقد ثلاث عشرة دورة دولية شارك فيها اكثر من عشرين دولة عربية واسلامية واوروبية، بلغ عدد المشاركين فيها نحو (٣٥٠) مشاركا.

وتم استكتاب مئات الأئمة والوعاظ، لاعداد بحوث علمية في محاور ومضامين رسالة عمان، كما دأبت الوزارة سنويا على اقامة المجالس العلمية الهاشمية في شهر رمضان المبارك مؤكدة على اختيار عناوين هذه المجالس من محاور ومضامين رسالة عمان.

وفي اطار احتفالات المملكة بإسبوع الوئام تم الاعداد لإقامة احتفال في كل مديرية من مديريات أوقاف المملكة البالغة ست عشرة مديرية، بالتنسيق والتعاون مع الحكام الإداريين ومشاركة الاخوة

المسيحيين.

ان المتمعن في طليعة هذه الأمة والناظر لهذا الدين الحنيف، عندما التقى بالديانتين "اليهودية والمسيحية" في بلد واحد هو المدينة المنورة، ثم في اقليم واحد هو منطقة الشرق الاوسط، حيث تعايش اتباع هذه الديانات في وئام وسلام، وما تزال المساجد والكنائس التراثية والحديثة تؤدي دورها الديني والروحي في كل مدينة من مدن الشرق الاوسط مهد الديانات السماوية، دون تعصب او انطواء لأن رسول الاسلام ﷺ منذ وصل الى الملتقى الجغرافي لهذه الديانات، بادر الى سن التشريعات لضمان العيش المشترك فيما عرف "بوثيقة المدينة المنورة" التي عدت من الوثائق السياسية الجديرة بالاعجاب على مر التاريخ ، لما قررته من حرية العقيدة، وحرية الرأي وحرية العيش فيها لكل أهلها في اثنين وخمسين مادة تناولت حرمة الظلم وحرمة الأموال والدماء، لتأسيس وطن يستظل الجميع بحمايته وحماية مقدساته، ويشعر الجميع بحقوق المواطنة فيه لأن (الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله).

ولذا جاءت شريعة الاسلام التي تمثل حلقة رئيسة من حلقات سلسلة النبوة المباركة والرسالة السماوية السمحة لينقل لنا نبيها محمد ﷺ قول الله تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون**﴾ البقرة: ١٣٦ .

والمهم في هذا الموضوع ان ينفذ اتباع الديانات فكرة الحوار بمفهومها الحضاري الراقي لإزالة العقبات الوهمية التي تحول دون الاتصال والاقناع والتقبل، وصولا الى الاستفادة من ثقافة الآخر وتجربته عوضا عن اعتزاله واعلان الكراهية له او تهميشه وإقصائه.

على صعيد آخر ومن باب الإنصاف ، فقد اصدر المسيحيون في القدس في نهاية العام الماضي وثيقة مسيحية شاركهم فيها مسلمون، بشأن حرمة الأماكن المقدسة واستنكار الحفريات حول المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وبشأن تهجير المسيحيين من مواطنهم بفلسطين وفي القدس

الشريف تحديداً.

كما ان المفكر الكاثوليكي البروفسور هانس كينغ قد صاغ شعارا جعله عنوانا لكتاب ترجم الى عدة لغات، وهو: (لا سلام في العالم الا بالسلام بين الاديان، ولا سلام بين الاديان الا بالحوار والتفاهم بين المسيحيين والاسلام).

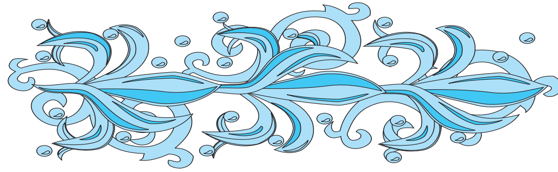
كما عقدت مؤسسة القدس الدولية مؤتمراً ببيروت في العام الماضي حضره مفكرون مسلمون ومسيحيون وكان شعاره: (لا إنقاذ للقدس الا بالتضامن بين المسيحيين والمسلمين).

لندرك ان هذه النشاطات جميعها تمضي من مستوى وأفق الحوار الى مستوى وواقع العلاقات في محاولات دؤوبة للتصحيح والتجديد، فعسى ان ينجلي هذا المخاض وينكشف عن أفق جديد بإذن الله سبحانه.

قال تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾**.

وقال تعالى: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** العنكبوت: ٤٦ .

حفظ الله الأردن حصنا آمنا منيعا ودوحة استقرار ووئام في ظل حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه.



سمو الأمير غازي

يرعى

احتفال وزارة الأوقاف

بمناسبة الاسبوع العالمي

للوئام بين الأديان

عالم ما قبل الرّسالة

أولًا : نحو معالم الحقيقة

ثانيـًا : أوضـاع العرب

ثالثـًا : أوضـاع الفرس

إعداد الاستاذ أحمد عزت

مندوباً عن صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد الممثل الشخصي لجلالة الملك، رعى الاستاذ الدكتور محمد الرعود امين عام وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بتاريخ ٢٠١١/٢/٤ احتفال الوزارة بمناسبة الاسبوع العالمي للوئام بين الأديان، في قاعة المؤتمرات الكبرى في المركز الثقافي الاسلامي التابع لمسجد الشهيد الملك المؤسس عبد الله بن الحسين طيب الله ثراه.



وفي بداية الاحتفال الذي استهل بتلاوة مباركة من القرآن الكريم، قال الاستاذ الدكتور محمد الرعود في كلمته: ان اسبوع الوئام بين الأديان جاء تلبية للمبادرة الملكية التي اعلنها جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله في الثالث والعشرين من شهر أيلول لعام ٢٠١٠، وتبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث يشير القرار الصادر، الى اهمية الاعتراف الانساني بالحاجة الملحة للحوار بين مختلف الأديان لأجل تعزيز التفاهم والوئام والتعاون المتبادل بين الناس.

وقال: ان اسبوع الوئام بين الاديان يجسد مساهمة حقيقية وصادقة في تعميق علاقات المحبة والأخوة والعيش المشترك، ويعزز وحدة وترابط اتباع الديانات لما فيه خير ومصلحة الانسانية كلها.

وأضاف الرعود: ان تجربة الاردن في ترسيخ مفهوم الامن والتعايش السلمي تجربة غنية، والأردن يستضيف على ترابه مئات الجنسيات من دول شقيقة وصديقة للعمل والبناء، اذ تم عقد الاتفاقيات المقدمة من جميع الدول ذات الصلة بالعمالة الوافدة، مما اسهم في ايجاد مناخات التعاون والتعايش الديني والثقافي والاقتصادي والامني في بلدنا العزيز الى السلام والتسامح والتفاهم المتبادل.

كما ألقى المدير التنفيذي للمركز الاردني لبحوث التعايش الديني الاب نبيل حداد كلمة قال فيها:

يسعدني ان اكون اليوم ههنا، تلبية لدعوة كريمة مشكورة من وزارة الاوقاف والشؤون

والمقدسات الاسلامية للمشاركة في هذا الاحتفال، الذي يأتي بمناسبة اسبوع الوئام العالمي بين الاديان ضمن فعاليات وئامنا الاردني.

وأعرب عن سعادتي بالوقوف هنا اليوم وفي هذا المكان المبارك، الشاهد على الايمان والطاعة لله الواحد الأحد الذي نعبده جميعاً، وعند هذه البقعة الطيبة التي حملت من المدرسة الهاشمية اسماً وإرثاً ورسالة ودوراً عبدلياً، من عبد الله الأول الى عميد آل البيت عبد الله الثاني، الأول بين الملوك، الجامع بين الحكمة والحكم، الرائد في التسامح والعمل من اجل دينه ووطنه وأهله.

وحسن ان نكون ههنا على هذه الربوة من عمان، عاصمة اردن القداسة والوئام، حيث تتعانق مآذن مساجدها مع جرسيات كنائسها، لتختلط في مزيج وئامي صادق، كلمات الله اكبر مع نواقيس بيعها، الداعية الى حب الله وطاعته جلّت قدرته وحب الجار والقريب، وحسن ان يكون احتفالنا اليوم في فيلادلفيا مدينة الحب الأخوي، ولها من اسمها النصيب كله حاضرة للوئام الذي يرسخه هاشميونا واردنيوهم، لتزداد عمان بعروبتها وهاشميتها وبإيمانها وبوئامها مهابة ووقاراً وأمناً وأماناً.

ان اردنيي الوئام قد استحقوا ان يكونوا الأكفأ للريادة في نشر الوئام، فهم الذين استقبحوا على الدوام وبتلقائيتهم الاردنية الطيبة المتزنة الواعية كل فكر متطرف، حتى صار الاعتدال والوسطية تقليداً بل غريزة اردنية، لا يملون العمل من اجل تعزيزها وئاماً، ينتمي الى الايمان والانسانية والحضارة والخلق.

أيها الحفل الكريم؛

ان وئامنا الذي تأمرنا بها ديانتنا اسلامكم ومسيحيتنا، هو تقاسم لثراء روحي وأخلاقي، يؤسس لمجتمعات افضل وهو ليس وليد مساوم يقبلها الفكر او العقل او الدين، وليس حالة تلفيقية تلقي المميزات، انه اعتراف صادق موضوعي بوجود التباين واحترام هذا التباين، من هنا فإن المعرفة الحقة بالذات هي المقدمة الأولى للوئام، تكملها معرفة القريب واحترامه وحبه كما هو، ولا يقوم على المداهنة بل على معرفة رصينة إلزامية تندثر في غيابها ثقافة بناء السلام ويغيب الأساس الفلسفي للوئام.

في الوئام نتوقف برهة نتأمل في تاريخ ارضنا التي بارك الله حولها، التي احتضنت تعدداً حضارياً عز نظيره حملت كل تكويناته خصوصيات انصهرت كلها لتنطق بلسان عربي يحمل تواصلنا مسلمين ومسيحيين.

في اسبوع الوئام العالمي الذي يحمل شهادة ميلاد اردنية (صنع في الاردن) نتوقف برهة، لنتأمل في تاريخ ارضنا التي بارك الله حولها والتي ما نطقت الا بعبارات القداسة وما استساغت آذان أبنائها العرب الخلص، الا اللسان العربي غير ذي عوج، فصارت عروبتنا وعربيتنا اداة ووسيلة لوئامنا، منذ صارت الارض الاردنية المقدسة باباً لفتوحات الجيش العربي الاول في مؤتة وفحل واليرموك، وحاضنة اضرحة قادته الأول الذين وقف معهم غساسنتنا يرسمون معاً اصدق صورة للوئام، ما زال يؤكده هذا الحضور المسيحي العربي ووئامه مع محيطه الاسلامي مدة اربعة عشر قرناً، تزينها تسع عقود تسامح هاشمية رسخت مثلاً يحتذى، تتطلب معادلته استعداداً وسماحة وسياسة ورؤية، وصار نشر الوئام مهمة حملتها القيادة الهاشمية، وفق رؤية واعية لدور وطني وقومي وحضاري وديني، فجاءت رسالة عمان وثيقة تعبر عن فعل ايمان وتعيد الى الذاكرات الكسلى صور حلف الفضول والحوار مع مسيحيي نجران، ولقاء بيت المقدس بين عمر الفاروق رضي الله عنه وصفرونيوس رسالة للدولة الاردنية بقيادة مليكها ولدورها العالمي في نشر الوئام، واستبشارها بحوار يرتوي من بحر الايمان بالتوحيد وقيم السماء، فأثمرت الجهود الهاشمية وثيقة جديدة: «تعالوا الى كلمة سواء، حب الله وحب الجار» تلقتها الكنائس المسيحية في العالم كله بالاحترام، ثم هذه المبادرة الهاشمية الثالثة «اسبوع الوئام العالمي بين الاديان» يقدمها صاحب الجلالة الملك المفدى حفظه الله في شهر ايلول من العام الماضي الى الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولتتوج هذه المبادرة التي حمل على رسم تفاصيلها صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بترحيب المنظمة الدولية، فتبنتها بالاجماع ليكون الاسبوع الاول من شهر شباط من كل عام اسبوعاً للوئام بين اتباع الاديان.

نعم انها عمان الفاتحة فضاءات الحوار وآفاقه على الانسانية جمعاء، من خلال دور متسق باحترافية الفرسان وسلوك المؤمنين، صورة صادقة لأصالتنا وحداثتنا الواعية الرزينة في مزيج اردني فريد عبقري رصين رسمه ايمان عبد الله الثاني وفكره وانسانيته،

يتسع لمنظومة رائعة من قيم التعايش والوئام بين الاديان والحضارات.

وهكذا يظل الوئام، صار ارثاً يحرص ابناؤه المسيحيون والمسلمون ويتصدون بانتماء وطني فريد، للدفاع عن صورة الامة فها هم يسيرون خلف قيادة ملهمة، وملهمة تبشر بالوئام بين الأمم والمسرة بين الناس والسلام بين بني البشر المستلهمة من ايمانهم، طاعة لأوامر السماء والتزاماً بالشهادة لوطن مزين بتسعة عقود تسامح هاشمية، لتظل معه عماننا فسطاطاً للحوار والأمن والأمان والوئام، وتردد كل منابره التمجيد لله في عليائه وتجسد حب الجار.

كما ألقى الاستاذ الدكتور محمد القضاة عميد كلية الشريعة في الجامعة الاردنية كلمة قال فيها:

ان التواصل يحتاج الى لقاء واللقاء يزيل الثلوج ويصحح المفاهيم والأفكار، وان البشر هم بنو الانسان، وليس من حواجز تمنع الاجتماع للحوار الايجابي المثمر، واول طريق للتواصل الانساني الحضاري ان نلتقي ولا نمل من الدعوة الى هذا المكوِّن الاساسي



للانسان الذي يريد ان يرضي ربه، وعمر الكون على أسس من التفاهم ويزكي نفسه ويسمو بها لأن الأمة العربية والاسلامية، بتركيبتها من مسلمين ومسيحيين لم يحدث فيها الحروب والنزاعات، لأن ابناءنا يحافظون على حق الله وحق الجوار وهذا ما يجب ان نعلمه لأبنائنا من اجل استمرار هذا التواصل في عصرنا الحاضر.

ومن النافع المفيد ان نتعرف على الآخر والى الآخر وما لديه، بعيداً عن الجدل الديني والكلام في العقائد، وبالنتيجة فإن الجوامع المشتركة كثيرة، ونقاط الاختلاف تختفي في ظلال الجوامع، وليس لنا ان نركز على الجزئيات الخانقة، ونترك مساحة المشترك الواسعة التي تجمع ولا تفرق، وهذا يتطلب انشاء عقلية تقبل الآخر في العيش المشترك، وترسيخ التواصل الذي يعد من اهم المهمات وأقوى الواجبات في عصرنا، لأن الرفض يعني فشل جهود التواصل الحضاري مع الآخر، ان العلاقة والتواصل مع الآخر في بلدنا رغم اختلاف العقيدة، من اهم الاسس التي حافظت على النسيج الاجتماعي الواحد من الثوابت والقيم والأخلاق، رغم العواصف التي تأتي من وقت لآخر.

ان من يرفض التواصل والتعرف على الآخر وحقه في الحياة، تحت مسمى الخلاف في العقيدة، فإنه يقوّض صرح البناء الاجتماعي الذي ركز دعائمه الشرفاء على مختلف الاجيال، وبالتالي فإن هذا الانسان يصل لحدود الانانية والطائفية المقيتة التي تؤدي الى الافساد في الارض، لذا فبناء جسر التواصل الفكري والحضاري من الاولويات لقادة الرأي والفكر التنويري، وبالتالي فلا بد ان يرسخ كثقافة عامة لأجيالنا، وهو يوصل البشرية للتعاون البناء القائم على كلمة سواء، وهي الكلمة التي تعتمد على ركنين هما حب الله وحسن الجوار والخلق في التعامل والعلاقة بين الناس استجابة لقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾.

ان من اهداف التواصل الحضاري ان يعيش الانسان في سلام ومحبة وثراء فكري وثقافي واشباع للاحتياجات الانسانية، ومن اهم مقومات التواصل الحضاري والعلاقة مع مقومات الآخر هي ضيق الافق والاستعلاء والتمركز حول الذات والعودة للوراء وعدم الفهم السليم للمقاصد الدينية، ومحاولة رفض وإقصاء الآخر بدون مسوغ.

ان اولويات التواصل هي حوارات متبادلة وثقافة متبادلة منذ الصغر، ونشر ثقافة

حقوق الانسان بغض النظر عن اللون والجنس والدين، وعلينا ان نعلم انه لا تواصل بين الاجيال ما لم توجد ثقافة الحوار الهادف الذي يوسع قاعدة المشترك والثوابت، وهو يعتمد على اللقاء والتعارف والتعاون والاستمرارية.

وحتى يكون التواصل الحضاري بين بني البشر منتجاً، يجب ان نعترف ان الثقافة والحضارة الاسلامية تتسع للآخر ولا تقبل الاقصاء ولا الظلم ولا القهر، وهي تسعى لأن يعم العالم قيم المساواة والعدل والتسامح والمحبة وكل ما هو خلاف للقيم النبيلة لا علاقة له بالأديان السماوية، ومما لا شك فيه ان الواقع العالمي بحاجة ملحة الى التواصل الحضاري والثقافي للتقريب بين المفاهيم، وردم ما يمكن ردمه من هوة الاختلاف، حتى يتسنى التعايش السلمي والتعاون المشترك بين الأمم.

فالاختلاف في العقيدة او الدين او اللون او اللغة امر طبيعي إلهي مألوف وتاريخي، وعن هذا القانون الالهي في الاختلاف، نشأ التعدد في اجناس البشر والتنوع في افكارهم، فالاختلاف مبدأ يؤكده الاسلام، واذا ركزنا النظر على بني الانسان في الوجود، فبإمكاننا ان نصور العالم كمنتدى شعوب يراد لها بالحكم الشرعي والناموس الطبيعي ان تتواصل وتتعارف وتتفاعل وتتعاون وتتفاهم حسب ما يسمح به التمايز الفطري، الذي تتسم به وتمليه على الأفراد والجماعات والتعاليم الشرعية والآراء الفكرية التي تشبثت بها كمبادئ تنظم حياتها الروحية والمادية، وعلاقاتها مع بقية الاجناس الأخرى.

فالتعدد والتنوع في الشرائع في إطار وحدة الدين والانسانية واختلاف هذه الانسانية الى أمم وثقافات، سنة من سنن الخالق عز وجل، وآية من آياته، وقانون خلق عليه الوجود، قال تعالى: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾**.

ومما سبق يتضح ان ثقافتنا الاسلامية لا تقف في وجه التقارب والتواصل الحضاري والثقافي، وانما تضع له ضوابط ولا يماري أحد في جدوى التواصل هذا بشكله الايجابي الذي يمهد ارضية خصبة للتعايش والتعاون وتبادل المصلحة، ويوفر الجو الملائم للحوار الديني باعتبار الدين جزءاً لا يتجزأ عن الثقافة، واعتبار الحوار من أحد جوانب التواصل ويعتبر التواصل الثقافي خطوة اولى الى الحوار الديني والثقافي بين الاجناس البشرية.

كما ألقى أمين عام وزارة الثقافة الاستاذ جريس سماوي كلمة قال فيها:

يطيب لي ان اعبر عن سروري وجزيل شكري لدعوتي لأن اكون متحدثاً اليوم في هذا المقام، الذي نستطيع به ان نتحدث بطلاقة الهواء وسلامة الماء في أمر اعتدناه وعشناه، منذ ان كان هذا الوطن جزءاً من الشرق القديم بل في قلب الشرق، وطناً مبنياً على التنوع الثقافي وحوار الحضارات ومواطنة كافة الفئات التي شاركت في بناء هذا البلد الذي نحب ونعشق، والذي يرفل بنعم الحرية التي أسدلها عليه الهاشميون اصحاب المشروع العروبي الاسلامي التاريخي، والرسالة السامية الموجهة للانسانية رسالة سمحة محبة للناس والحياة نابعة من عقيدة الاسلام العالمية السمحة، اذ اننا نعتز في كوننا لم نكن نعرف الصراع الا بين قوى الخير والشر، ولم نعرف للحضارة الانسانية والرقي بها الا الحوار او التحالف، منذ ان كان بلدنا هذا جزءاً من الجغرافيا التي تربط الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، قبل ان تكتشف القارات الجديدة، ونحن وفق هذا نعرف ما معنى تحالف الحضارات وحوار الحضارات، ثم كانت هذه الأرض المباركة مفتاحاً لأنوار الحضارة الاسلامية العربية، وطريقاً لإشاعة قيم العدل والخير في العالم واليه، الى عصرنا الحديث، وعهد الدولة الهاشمية التي لم تتأسس على عرق، ولم تبن الا على الانفتاح على القيم الانسانية، بروح الاسلام العظيم، وإرث العروبة الجامعة، متمثلين في ذلك الآية الكريمة: **﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾**.

كما يحق لنا ان نقول: ان الهاشميين قد صاغوا وجود الدولة الأردنية الحديث وفق مفاهيم النقاء الانساني، بعيداً عن أغاليط النقاء العرقي والنقاء الحضاري، وهرطقات التفوق الحضاري، فالحضارة الانسانية اطار جامع تتنوع فيه المشروعات الانسانية، وتمنحه بتنوعها جمال الوجود كما يمنح تناغم الألوان الجمال للوحة.

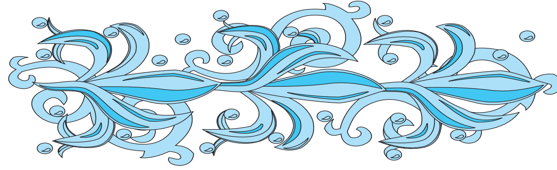
ان وزارة الثقافة التي تنطلق في ادائها من الرؤى الهاشمية الخلاقة، قد أخذت على عاتقها ان تعكس تلك الروح في مشروعاتها وبرامجها، والاتفاقيات التي تعقدها مع الهيئات والمؤسسات العربية والدولية، فكان من برامجها «البرنامج الوطني لتنمية ثقافة الحوار» الذي يهدف الى تنمية ثقافة الحوار، ونشر ثقافة التسامح، وفقه التسامح، فضلاً عن نشر ثقافة تفاعل الخصوصيات في الإطار الوطني والانساني، وقد نفذ هذا البرنامج

من خلال ورش عمل في أقاليم المملكة الثلاث، ومن هذه البرامج برنامج الاتصال والثقافة المجتمعية الذي نفذ بالتعاون مع المجلس الاعلى للشباب.

كما عقدت الوزارة قرابة ستين اتفاقية ثقافية مع الدول الصديقة والشقيقة، واشتركت بمشروع الانترنت عبر المتوسط مع الدول الاوروبية، كما تشترك الآن الوزارة في مشروع «ميدلر» الذي يهتم بالتراث الحي لدول حوض المتوسط، كما ان الاردن عضو في اللجنة الدولية للتراث العالمي، كما تشارك المملكة في عضوية تحالف الحضارات المنبثق عن هيئة الأمم المتحدة، كما تم تشكيل لجنة وطنية اردنية من عدد من الوزارات والمؤسسات الوطنية، لصياغة الاستراتيجية الوطنية لتحالف الحضارات.

والأهم من هذا كله ما يتحقق على الواقع، فالبيئة الوطنية الاردنية والرؤى الملكية السامية، وانجازات الدولة الاردنية الحديثة، كل ذلك اسهم في ان تكون مخرجات الثقافة، والانتاج الثقافي الاردني مما نفاخر به، ويعكس مدى الوعي الذي وصلنا اليه في اشاعة قيم العدل والمساواة وقبول الآخر، وكل ذلك متوج بالدور الذي يقوم به جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم حفظه الله ورعاه، في المحافل والملتقيات الدولية، بما يضع الاردن في مصاف الدولة الأولى التي يقاس على تجربتها في تبني النهج الانساني في ادارة الدولة، وادارة علاقاتها.

هذا وقد حضر الحفل مفتي عام المملكة سماحة الشيخ عبد الكريم الخصاونة، وعدد من اصحاب السعادة الاعيان والنواب وضباط القوات المسلحة واعضاء السلك الدبلوماسي.



في رحاب أسبوع الوئام الدولي بين الأديان

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد المقصود حامد

فقليل من الرجال من يحمل في قلبه وعقله همّ أمة الإسلام، واهبا نفسه للبشرية كلها، ليكون رسول سلام ومحبة من أجل الوصول إلى غاية تتمثل في أخوة عالمية صادقة، تسودها المحبة والوئام.. ومن هؤلاء القليل جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه.

فإضافة إلى ما يبذله على كافة الصعد لشرح قضية فلسطين العادلة بأسلوب أخاذ مقنع، وما يبذله النشامى من الجيش العربي الأردني تنفيذا لأمر جلالته في المساعدات الجادة في أكثر من موقع من الأرض كأفغانستان.. وغيرها، وما يبذله من جهد جهيد لإسعاد شعبه وتحقيق الرخاء والرفاهية له.

فإنه في الوقت نفسه يوضح جلالته للعالم كله حقيقة الدين الإسلامي في وسطيته وسماحته وإنسانيته، وليس هذا بغريب على واحد من حفدة الحبيب المصطفى ﷺ.

وكان من ذلك رسالة عمان التي اعتمدها عدد كبير من علماء الإسلام، والتي احتوت مضامين تبين الجوانب المشرقة لديننا الحنيف.

وأحدث ما وفق الله ملكنا المفدى اليه

في هذا الإطار، ما قدمه من اقتراح علمي وعقلي متوازن يساهم في تقارب البشرية والتأليف بين قلوبها، وجمعها على الإخاء والمودة ومن ذلك دعوته إلى أسبوع للوئام بين الأديان، الأمر الذي تبنته هيئة الأمم المتحدة وأقرته وأعلنت من خلاله اعتبار الأسبوع الأول من شهر فبراير (شباط) أسبوعا للوئام بين الأديان، فأخذ اقتراح جلالته بذلك صبغة عالمية دائمة.

وبهذه المناسبة المتفردة أقول: إن أسوتنا وقدوتنا الأولى هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي أرسى لأمته في التعامل مع الآخر منهجا مؤسسا على السماحة، فها هو ﷺ بعد ما استقر في المدينة المنورة عقد اتفاقيات مع من كانوا يجاورونه من سكناها من اليهود، فدخل معهم في معاهدات للسلم والدفاع المشترك عن المدينة ضد من تسول له نفسه الإغارة عليها.

ولكن عندما نقض أولئك اليهود عهودهم معه ﷺ قضى فيهم بحكم الله كلٌّ حسب ما ارتكب من جرم.

أما النصارى فقد تعددت مواقفه ﷺ تجاههم وكان من ذلك ما يلي:

● ها هو الراهب بحيرى يبشر أبا طالب عم النبي بأنه ﷺ نبي آخر الزمان، ويوصي أبا طالب بتعهد هذا الغلام الميمون، وبحفظه ومنع إيصال إيذاء اليهود إليه.

● لما شعر المصطفى ﷺ بمدى ما وصل إليه أصحابه الكرام من أذى في أنفسهم وأموالهم، أراد أن يؤمنهم فوجههم إلى الهجرة إلى الحبشة أرض النصارى – آنذاك– والسبب كما قال ﷺ: "إن بها ملكا لا يظلم عنده أحداً"، وفي كنف النجاشي الملك النصراني العادل عاش صحابة رسول الله ﷺ ممن هاجروا في أمن وأمان، ليكشف هذا عن مدى العلاقة الحميمة والوطيدة بين الإسلام وأهل الكتاب لا سيما النصارى.

● لما جاء وفد نصارى نجران إلى سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة، حاورهم بأسلوب علمي أسس على السماحة وكرم الضيافة، ولما حان وقت صلاتهم سمح الرسول لهم بأن يصلوا مقيمين شعيرتهم في مسجده ﷺ، وفي نهاية زيارتهم لم يجدوا إزاء هذا الموقف من سيدنا رسول الله ﷺ إلا تكريما وتسامحا منقطعي النظير، فلم يكرههم على الإسلام، ولم

يعادهم لأنهم لم يدخلوا فيه، وسمح لهم أمامه بإقامة صلاتهم بغض النظر عن موقف الإسلام منهم.

● من تأمل الآية الكريمة الواردة في سورة "الحج" والتي أذن الله فيها للمسلمين بالقتال ليردوا الظلم الواقع عليهم، يجد ما يكشف عن معدن الشريعة الإسلامية السمحة في قوله عز وجل: **﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾** الحج: ٤٠، فجعل الإسلام الدفاع عن بيوت العبادة في اليهودية والنصرانية هدفا إسلاميا قبل الدفاع عن المساجد الإسلامية.

● أباح الإسلام المصاهرة بين المسلمين وأهل الكتاب فللمسلم جواز تزوجه بكتابية، وعلى الزوج المسلم أن لا يمنعها من إقامة شعائرها، وأن لا يكرهها على الإسلام بل تنص كتب الفقه على أن على الزوج المسلم، أن يذهب بزوجته الكتابية إلى دار عبادتها وأن ينتظرها حتى تصلي ويرجع بها، وينتج عن هذه المصاهرة ذريةً من المسلمين أخوالهم من أهل الكتاب.

● في قول الله عز وجل: **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** الممتحنة: ٨، وفي هذه الآية الكريمة دعوة عامة لأهل الإسلام، فيها إجازة إقامة علاقة البر والقسط إلى غير المسلمين كافةً ما داموا غير محاربين للإسلام، ومن يفعل هذا البر والقسط المشار إليهما، تناله محبة المولى عز وجل التي هي مطمع وغاية كل مؤمن.

● يرسم الإسلام منهج الحوار مع أهل الكتاب فيؤسسه على القول الحسن والجدال البناء، أما إذا كان الحوار بأسلوب مغاير لذلك فإن الإسلام ينهى عنه لقوله تعالى: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** العنكبوت: ٤٦ .

● يعلنها الإسلام في قرآنه الكريم سماحة، وتلطفا، وقولا حسنا مع البشرية جمعاء، فقال عز من قائل: **﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾** البقرة: ٨٣، كما قال: **﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾** الإسراء: ٥٣ .

● ينادي الإسلام في قرآنه الناس جميعا بني آدم دون تفرقة بين دين أو لون أو جنس، مبيناً لهم أنهم جميعا تربطهم أخوة واحدة في آدم أبي البشر، وأن هذا التنوع في الشعوبية والقبائلية إنما هو للتعارف، وأما العقيدة ففيها مقياس يسعى إليه الوادون للنجاة في كل زمان ألا وهو التقوى، التي لا يعرف حقيقة كنهها إلا عالم الأسرار والخبير بما خلق، فقال سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** الحجرات: ١٣ .

وقال عز من قائل: **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾** الإسراء: ٨٤ .

● إن حروب الفرنجة (الحروب الصليبية) لم تجد لها مجيزا في أي ملة في النصرانية، فلقد كانت دوافعها سياسية واقتصادية بحتة ولم يكن في رفعها للصليب إلا وسيلة لكسب عواطف المسيحيين في العالم، وعلى سبيل المثال فإن بلدا "كمصر" مذ دخلها الإسلام وحتى تاريخه، لم تقم فيه معركة بين المسلمين والنصارى، بسبب ما وجده أهل الكتاب من الإسلام من عدل، وسماحة، ومودة، واحترام متبادل وإنجاء لهم من براثن الظلم الروماني.

ولكن هناك أناساً تلاعبت برؤوسهم الأهواء، فتغالت عقيدتهم وفسروا نصوصا من القرآن والسنة، حسبما يهوون فأرادوها فتنةً وحروباً طائفية، ووجد أعداء الإسلام في أمثال تلك الفئات الضالة، ما يحقق أغراضهم فراحوا يتبنونهم ويزينون لهم صنيعهم، فجاءت تلك الفئات تتكلم باسم الدين في الوقت الذي يتبرأ كل دين منهم منهجا، وسلوكا، وأخلاقا، وعقيدة.

ولله در الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه عندما عبر بكلمات توزن بالذهب عن حقيقة تلك الفئات فقال: (نقوم بمجهود لمواجهة من يريدون اختطاف الإسلام وقيمه السمحة) جريدة الدستور ٢٠١٠/٢/١٠.

فالله نسأل أن يحفظ الإسلام والمسلمين وأن يوفق للحق والخير كل المؤمنين ويهب المحبة لأبناء آدم أجمعين.. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى اله وأصحابه أجمعين.

أهمية الكلمة في الإسلام فضلها.. وخطرها

■ بقلم الشيخ ابراهيم محمد الدهون

إن الناظر إلى دين الله تعالى الإسلام، والمتأمل لنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ليرى كم هي الدرجة العالية التي حظيت بها الكلمة في ديننا الحنيف، فليست هي مجرد لفظة تتألف من حروف، وليست أمراً لا يؤبه له ، بل لها منزلة رفيعة وهي المدخل لكل خير أو شر، مما يدعونا للحرص على الكلمة الطيبة والحرص من الخوض في الباطل بكلمة السوء.

فلقد كان القرآن الكريم كلاماً هادياً إلى الخير والفضيلة والعلم والإيمان، وكان أول شهادة يلج بها الإنسان باب الإسلام، كلمات وأعظم بها من كلمات هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وعلمنا النبي ﷺ ذكراً حسناً هو كلمات تقال، فيرتفع بها الإنسان درجات في الجنة وتكون له بها غراس فيها، ويرضى عنه الرحمن بذكرها ويثقل بها ميزان حسناته أقول: إنها كلمات من الخير والحق والتعظيم للخالق الكريم سبحانه.

ولما شاء الله تعالى أن يضرب مثلاً في كتابه يبين فيه الفارق الكبير بين الحق والباطل بين الإيمان والكفر، ضربه بالكلمة الطيبة وضدها فقال سبحانه وتعالى: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ❖ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾** ابراهيم ٤١ - ٤٢ .

والكلمة الطيبة هنا هي أصل الإسلام كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ورمز فيها هنا المؤمن المصدق بهذه الكلمة فأصلها في قلبه وفرعها في السماء

أي يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء أي بفضلها وورد أنها شجرة النخلة لعظيم نفعها وثباتها في الأرض وقوتها ﴿**تؤتي أكلها كل حين**﴾ فيه دلالة على ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الخير في كل حين، ليكون أهلاً ليرفع له العمل الصالح الصادر عنه في كل حين من ليل أو نهار.

وأما الكلمة الخبيثة أي الكفر كشجرة الحنظل، لا ريح لها وطعمها مر فهي خلو عن الخير بكل صوره، فكيف إذا كانت ميتة مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار؟.

والذي يتأمل النص السابق والمثال فيه يحرص على الخير بكل صوره ويحرص على اجتناب الزلل كلمة كانت أو معتقداً أو تصرفاً ، **وإتماماً للفائدة أذكر ببعض نماذج الخير والأهمية للكلمة الطيبة في الإسلام وخطر ضدها.**

١- **حرمة الفحش في الكلام:** فقد قال ﷺ: (ما كان الفحش في شيء إلا شانه وما كان الحياء في شيء إلا زانه) رواه الترمذي.

٢- **حرمة الطعن واللعن وبذاءة اللسان:** قال ﷺ: (ليس المؤمن بالطعان ولا الفاحش ولا البذيء) رواه الترمذي.

٣- **حرمة نسبة المسلمين إلى الكفر أو أن يدعو أخاه بقوله:** يا عدو الله فقد قال ﷺ: (من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) متفق عليه.

٤- **يكفي الإنسان تمحضاً بالشر أن يحتقر الآخرين** قال ﷺ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه مسلم.

٥- **طريق عظيم من طرق الخير الكلمة الطيبة التي تعني الصفح والتجاوز:** عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) متفق عليه وفي رواية أبي أيوب رضي الله عنه قوله ﷺ: (فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) متفق عليه.

٦- **الكلمة الطيبة علامة صادقة على الإيمان بالله واليوم الآخر وأثر من أثاره**، قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) متفق عليه.

٧- **الإيذاء لا يتحقق باليد فقط بل باللسان أيضاً** والهاجر للمعاصي كالمهاجر إلى الله تعالى في الأجر والثواب قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحسنين لأنفسنا بحسن إيماننا وأقوالنا وأفعالنا وتصرفاتنا إنه أكرم مسؤول.

والحمد لله رب العالمين

قطوف دانية

بقلم الطالب عمر نضال

قال الله تعالى:

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾.

الفتح: ٢٩

حسن الخلق

قال رسول الله ﷺ:

«يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق، قال: وما حسن الخلق؟ فقال: ان تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك».

فضل التواضع

عن عياض قال:

قال رسول الله ﷺ: «ان الله أوحى اليّ ان تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

فضل التسبيح

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «احب الكلام الى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر».

حسن الظن

قال علي بن ابي طالب ﵁ في إحدى خطبه: «لا يرجون أحد الا ربه، ولا يخافن الا ذنبه، ولا يستحيين اذا سئل عما لا يعلم ان يقول: لا أعلم! ولا يستحيين اذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه».

حقيقة الدنيا

يقول أحد الأدباء في وصف الدنيا:

الدنيا عسل مشرب بسم، وفرح موصول بغم، فلا تغرنك زهرتها، ولا يفتتك زينتها.

إذهب فأنت حر

جاء غلام لأبي ذر ﵁ وقد كسر رجل شاة له، فقال له ابو ذر: من كسر رجل الشاة ؟ قال الغلام: أنا، ولم فعلت ذلك؟ قال: لأغيظك، فتضربني فتأثم، قال ابو ذر ﵁: لأغيظن من حرضك على غيظي، إذهب فأنت حر.

لتهذيب النفس

اذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً، عدم الأدب سبب كل شر، ومن لم يقهر جسده، كان جسده قبراً لنفسه، احمد من يغلظ عليك ويعظك، لا من يزكيك ويتملقك.

أربعة

أربعة يذهبن ضياعاً: الأكل مع الشبع، والسراج مع القمر، والزرع في السبخة، وصنع الخير في غير أهله.

قال الله تعالى:

﴿..رب إني وضعتها أنثى..﴾

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

ان الله عز وجل كرم آل عمران تكريماً واسعاً، حيث قال جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ آل عمران: ٣٣ .

والله تعالى يعلم حيث يضع اصطفاءه، لقد اعطاهم علماً ونبوة، فنعم العطاء عطاؤهم، ونعمت البركة الإلهية التي حلت بهم، وكانت امرأة عمران «حنّة» أم مريم عليها السلام قد حظيت بتكريم كبير، اذ كان لها حظ ولادة مريم ام المسيح عليه السلام.

هذه الأم حنة متبتلة قانتة، حملت جنينها من عمران، فسعدت غاية السعادة، ونذرت ان يكون الجنين الغلام فيما رغبت وتوقعت محرراً من شؤون الدنيا، مخلصاً لوجه الله تعالى، متقرباً لربه بخدمة البيت والمصلين والركع السجود، ولكن امرأة عمران وضعت انثى، وبذلك لم يتحقق لها ما شاءت من خدمة البيت «اي بيت المقدس» واستبدلت بنذرها دعاء ذا قيمة كبيرة لابنتها، لقد سلّمت بالأمر وقالت: **﴿واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ آل عمران: ٣٦**، طلبت لابنتها ما تطلبه الأم المؤمنة، لم تطلب هذه المرأة الصالحة مالاً ولا جاهاً ولا عَرضاً من اعراض الدنيا، بل طلبت لابنتها عوناً من الله تعالى ولذريتها كذلك.

قال الله جل وعلا في بيان أخّاذ يصور هذا الموقف تصويراً إعجازياً رائعاً: **﴿قالت**

رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ❖ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ آل عمران: ٣٦-٣٧.

ان خبر مريم في القرآن الكريم (عليها سلام الله وبركاته) خبر عظيم، فلم ينزل في أي من النساء ما نزل فيها، لقد ذكر فيها اصطفاء الله اياها مرتين، وذكر سبحانه وتعالى انه طهرها من اي رجس، وقد أشار رسول الله ﷺ في حديث عن النساء الى اكتمالها، فكانت آيات الله عز وجل في كتابه وأحاديث رسوله ﷺ الشريفة تدفع كل مسلم ومسلمة الى ذكرها بكل اجلال وتقدير.

لقد اشتهت امرأة عمران إذ شاخت وتقدم بها السن ان يكون لها غلام، فدعت الله سبحانه وهي من بيت صالح، وذرية مرضي عنها، دعته جل وعلا ان يعطيها، فاستجاب سبحانه وأزال عنها آلامها، وغرس في نفسها الأمل بعد الجفاف! لم تذكر الآيات ان امرأة عمران طلبت غلاماً، وإنما ذكرت أنها نذرت ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس، لا يعيقه عن ذلك شأن من شؤون الدنيا، ولن يشغله أهله بما يعطله عن خدمة المسجد، فهو قيّمه وخادمه وسادنه المتفرغ له، إنه نذر وليس على الله سبحانه وتعالى شيء من نذورنا، فلما ولدت أدركت أن نذرها ذهب مع الريح، ويئست من تحققه، قالت: **﴿رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى﴾**.

ان قوله تعالى: **﴿والله أعلم بما وضعت﴾** قول ذو أهمية بالغة، لم يرد في الآية الكريمة (والله اعلم **بمن** وضعت) فيكون الأمر عادياً، فإن الاسم الموصول «من» يدل على العاقل، وقولنا: من هذا يختلف عن قولنا: ما هذا؟، فعبارة: من هذا تحدد اسم الانسان او قرابته او نوعه، ولكن عبارة: ما هذا؟ تشير الى مركزه ومرتبته واهميته وكيانه الاجتماعي وقدرته، ولذلك نستطيع ان ندرك ان الله جلت قدرته، سينزل مريم عليها السلام منزلة عظيمة، فالمولودة كريمة على الله

سبحانه وعلى خلقه من البشر.

وأما الجملة القرآنية التي وردت في التمييز بين الذكر والأنثى فقد وردت على لسان امرأة عمران، قالت: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** ليس بقصد تفضيل الذكر على الانثى تفضيلاً عاماً، وانما قصدت هنا القدرة على خدمة المسجد «بيت المقدس»، ولذلك كان من الخطأ ان يستشهد أحد بهذه الآية الكريمة في مجال التمييز وتفضيل الذكر على الأنثى، فإن لها شأناً خاصاً بها، وكفى بنا علماً وتقديراً ان نذكر سبب نزولها، لقد نزلت في السيدة مريم ابنة عمران عليهما السلام التي أحصنت فرجها وطهرها الله تعالى من أي رجس، واصطفاها على كثير من عباده المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والقانتين والقانتات.

وقد أغناها رسول الله ﷺ بأقواله الشريفة عن فهم آية: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** على غير وجهها الصحيح، فقد ورد في كتاب صحيح مسلم برواية عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها، مريم أم النبي الكريم عيسى عليه السلام، وخديجة زوج النبي الكريم محمد ﷺ وكان النبي ﷺ قد علم من ربه بواسطة جبريل عليه السلام ان السيدة خديجة رضي الله عنها مبشرة بالجنة، ولها بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

ونجد في صحيح البخاري ايضاً حديثاً آخر لرسول الله ﷺ عن السيدة مريم عليها السلام، قال فيها: «كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ان هذه الأحاديث الشريفة رفعت مراتب بعض النساء الى درجة عالية يطمع اليها ملايين الرجال في العالم، وأما العبارة القرآنية: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** وعبارة الحديث الشريف: «ناقصات عقل ودين» فلهما مناسباتهما، ونحملهما على الأوجه التي وردت فيها، فليس من حقنا ان نزحزح ونحرف الكلام عن مواضعه.

كما حث رسول الله ﷺ النساء على الصدقة واستمرارها، تكفيراً لهن عن

بعض اعمال يقمن بها، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر اهل النار، فقلن: وبم ذلك يا رسول الله؟ فقال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء؟ فتساءلت النساء عن ذلك، فقال النبي ﷺ: أليس شهادة المرأة منكن مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، فقال: أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: وذلك من نقصان دينها».

فسر النبي ﷺ النقصان غير ما نفسره في مجالسنا الخاصة، انه يتحدث عن الفطرة وظواهرها، وهذه الفطرة صبغة الله يتصرف بها كيف يشاء، لم يكن المعنى في نقصان العقل عدم قدرة المرأة على حل مسائل الحساب والهندسة والإحاطة بالمسائل الطبية، وحفظ الشعر وفهم اللغة، ليس ذلك مقصوداً، إنما المقصود أداء الشهادة والصلابة في قول الحق، وقد خلق الله تعالى للمرأة عاطفة مرهفة حساسة، قد تثور العاطفة وتؤثر في سلامة الشهادة، فالمرأة تتأثر بولدها الى درجة لا تسمح لها برؤيته سجيناً، وكذلك الحال مع والدها وأخيها وزوجها، ان كان معها في رضى ولا يشوب علاقتهما السخط.

إذن لن تقع الشهادة منها موقعاً صحيحاً سليماً بسبب هذه العاطفة، هكذا اراد الله لهذا المخلوق ان يكون، وان أرادت لنفسها الشدة والصلابة فقد انحدرت بفطرتها، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ البقرة: ٢٨٢.**

وقد قال عدد من المفسرين في كلمة **﴿ضل﴾**: انها بمعنى: نسي!، كأن الرجل لا ينسى!!، ولم أجل الضلالة بمعنى النسيان في مختلف المصادر التي نعود اليها لمعرفة المعاني، فكلمة «ضل» معناها: بَعُدَ عن الحق، والضلالة هي الميل عن الحق واتباع الهوى، ولكن الشهادة تحتاج الى حزم، فقد يشهد أحدنا على أخيه أو قريبه أو صديقه، لا يكفي لهذا الموقف امرأة واحدة، فجعل الله لها عوناً يشد أزرها في الموقف الصعب.

والله تعالى أعلم

مظاهر العنف المجتمعي

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

تتعدد مظاهر العنف الجماعي لتبدأ في المنزل بين الزوجين، وتنتهي في الشارع مرورا بجميع مؤسسات المجتمع المدني الرسمية منها وغير الرسمية، كالمدرسة والجامعة والمستشفى والبلدية والانتخابات النيابية والجمعيات الخيرية والنوادي والمراكز الثقافية، وحتى في الأسواق وحركة المرور ومواقف السيارات.. الخ

ففي الأسرة مع وجود بعض الحالات الشاذة التي تمارس فيها الزوجة العنف ضد زوجها أو أبنائها، فإن الزوج غالبا ما يكون هو المعتدي وهو الذي يثير الخلاف مع زوجته ليتطور الى مشاجرة بينهما، ثم إلى ارتكاب جريمة قد تصل الى القتل وإزهاق الروح؛ فمن باب ممارسة الزوجة للعنف المجتمعي فهناك حالات أقدمت فيها الزوجة على ارتكاب جريمة قتل زوجها بالاشتراك مع شخص آخر قد يكون عشيقاً أو إبناً أو أخاً، ففي سبعينيات القرن الماضي أقدمت امراة في منطقة الزرقاء بمشاركة عشيقها على ارتكاب جريمة قتل زوجها وقامت بتقطيع جثته ارباً ارباً ووضعتها داخل برميل وصبت فوقها خلطة اسمنتية حتى لا تفوح رائحتها، وفي ثمانينيات القرن نفسه أقدمت إمرأة في مدينة الرصيفة بالإشتراك مع ابنها على استدراج زوجها الثري إلى أحراش طريق ياجوز وقاما بقتله ورمي جثته بالأحراش، وأظهر التحقيق أن الزوجة أقنعت ابنها بضرورة التخلص من

والده بسبب قسوته وافتعاله المشاحنات والمشاجرات والإهانات لها ولأبنائهما، والاهم من هذا بخله وعدم الإنفاق عليهم بسعة ويسر بالرغم من سعة حالته المادية وامتلاكه تجارة رابحة (الذهب) فقتلاه طمعا في أن يرثا أمواله ويعيشا في بحبوحة وتمتع.

وفي مجال اعتداء الزوج على زوجته، فنكتفي بذكر حادثة أخرى قرأت عنها مؤخراً، حيث حدثت اعمال شغب وحرق منازل في مدينة إربد بين اهل مواطنة اردنية قتلها زوجها في جمهورية ألمانيا – حيث يعيشان هناك– وبين اهل الزوج وهو من نفس المنطقة، مما دفع بقوات الأمن العام للتدخل لفض الإشتباكات والمشاجرات بين العشيرتين، وتم أخذ عطوة عشائرية بإسم أهل الزوج من أهل الزوجة.

وقبل أيام تم تنفيذ حكم الإعدام شنقا في شاب كان يعمل في مستشفى الأمير فيصل بن الحسين في الرصيفة لارتكابه جريمة قتل زوجته بطريقة بشعة؛ إذ قام بتخديرها وتقطيعها إلى أوصالٍ صغيرة والقى كل عضو في حاوية بعيدة عن الأخرى، ولم يَدُر في خلد أحد أن يكون هو القاتل لزوجته المعروفة بالتزامها الديني والخلقي، ولم يتم اكتشاف أنه هو القاتل إلا بعد مرور عام كامل على الجريمة، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها الأجهزة الأمنية، وحدثت فتنة بين أهل الزوجين إلى أن أصدر القضاء الأردني العادل حكمه بإعدام الزوج القاتل. وهناك أعمال عنف لا تصل إلى حد القتل وإنما تؤدي إلى الكسور والرضوض والجروح، وما أكثر ما نرى ونسمع عن مثل أعمال العنف هذه.

واما في الجامعات فالمشاجرات الجماعية متكررة، والظروف داخل المحيط الجامعي تسمح بذلك، إذ أن تواجد الطلاب يكون على شكل جماعات عشائرية أو جهوية أو إقليمية، وكل مجموعة من الطلاب تنتمي إلى هيئة ما تشكل ما يعرف "بالشلة" ويقوم أعضاؤها بأعمال وتصرفات إستفزازية، ومن أحدث ما جرى تلك الحادثة التي وقعت قبل حوالي ستة أشهر في إحدى الجامعات الأردنية بين مجموعتين من الطلاب؛ والتي أسفرت عن قتل طالب، وما هذه الحادثة إلا دليل على أن الجامعات وهي مراكز التنوير والتكوين وتخريج الكفاءات والأطر الفنية العليا تشكل وللأسف بؤرا

للعشائرية والجهوية.

ولم تقتصر هذه الأحداث على جامعة أو جامعتين، بل امتدت إلى مختلف الجامعات الأردنية واصبحت تحتدم بين طلاب الجامعات من ذوي الإنتماءات المختلفة ؛لأشخاص أو عشائر، وتناسوا أو نسوا أن الإنتماء للوطن يأتي على قمة الإنتماءات، وأن لا إنتماء أسمى وأعلى وأشرف من الإنتماء للوطن وثراه الطيب الطاهر الذي يقدم للجميع الأمن والأمان، ويوفر لهم سبل العيش الكريم بهامات مرفوعة وقامات منتصبة، ويظلهم كلهم بظل الخيمة الهاشمية التي توفر دفء الأمن والاستقرار، وتزودهم بعناصر الحياة الطيبة الكريمة بفضل الجهود الخيرة العظيمة التي ما فتئت القيادة الهاشمية الفذة بقيادة عميد آل البيت جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين تبذلها وتسهر على تأمينها بكل ما أوتي جلالته من حكمة وحنكة وإخلاص للوطن والمواطنين.

ولم يقتصر العنف الجماعي في الجامعات على الطلاب وحدهم، بل إن الأمر تجاوز ذلك ليصل إلى الهيئة التدريسية من الأساتذة، وهم مربو الأجيال وبناة الأطر والكوادر والكفاءات والفنيين والعلماء، فتأثروا بهذه العصبية المقيتة والعشائرية المتعصبة؛ وما إقدام أحد الأساتذة المخضرمين على إطلاق الرصاص من مسدسه على زميلته الدكتورة عميدة احدى الكليات، إلا دليل واضح على أن العقلية العشائرية لا تزال متغلغلة في أدمغة الكثيرين، دون تمييز بين مثقف وغير مثقف، وما حمل الأستاذ الدكتور لمسدسه داخل محيط الجامعة وفي قاعة المحاضرات، إلا دليل على تعصبه لعقلية العشائرية، إذ مهما كانت الأسباب لا نتوقع من أستاذ يحمل لقب الأستاذية ان يلجأ إلى أخذ حقه -إن كان له حق- بقوة السلاح بدلا من اللجوء إلى الطرق القانونية المتحضرة،وإن المطلع على الإنترنت والمتصفح للتعليقات على هذه الحادثة، يرى بكل وضوح العقلية التعصبية الإقليمية التي تدعو إلى إثارة الفتنة بين مكونات المجتمع الأردني.

وأما عن المشاجرات المجتمعية في المستشفيات، فقد أخذ عددها بالإزدياد في السنوات الأخيرة، وكثرت حوادث الإعتداء بالضرب وإلحاق الأذى بالأطباء والممرضين لأسباب فيها رائحة العصبية والعشائرية، إذ أن الطبيب وخاصة في قسم الإسعاف والطوارئ يعمل ثماني

ساعات يوميا في ظروف صعبة وفي ازدحام من المراجعين لإصابات وامراض مختلفة؛ بعضها يستحق الإعتبار على أنه حالة طارئة بحاجة إلى تدخل سريع، ومعظمها أمراض عادية وغير طارئة يمكن علاجها في المراكز الصحية وعيادات الإختصاص، فيأتي مجموعة من الأشخاص مصطحبين معهم أحد ذويهم ملهوفين معتقدين أن يجدوا الطبيب جالسا بانتظارهم، ولكنهم يفاجؤون بانشغاله في علاج مريض آخر، وأن هناك مرضى آخرون ينتظرون الدور، فيغضب هؤلاء الأهل ويطلبون من الطبيب ترك ما بيده ليعالج مريضهم!! ولأن الطبيب شخّص الحالة بأنها تستطيع الإنتظار ويطلب من التمريض البدء بإجراء الأعمال التمريضية اللازمة يشتاط هؤلاء الأشخاص غضباً، ويقومون بالإعتداء على الطبيب بالضرب، سرعان ما يتحول الأمر إلى عشائرية ويهب جميع أبناء العشيرة للوقوف إلى جانب المعتدي والدفاع عنه ونصرته، وينتهي الأمر بقيام جاهات عشائرية لأخذ عطوة عشائرية، وإجراء صلح عشائري يسقط بموجبه الطبيب حقوقه الشخصية عن المعتدي، وتسير الوساطات العشائرية إلى الجهات الأمنية حتى يتم إنهاء القضية، وهكذا تتكرر العملية، وهذا ما دفع الحكومة استجابة لمطالب نقابة الأطباء والنقابات المهنية الأخرى إلى تغليظ عقوبة الإعتداء على الأطباء وسائر الموظفين أثناء تأديتهم واجبهم المهني، وبعد أن كان المعتدي وبتدبير من ذويه يلحق الأذى بنفسه ليشتكي بدوره على الطبيب بدعوى أنه ضربه فيتم انهاء القضية شكوى مقابل شكوى.

وعلى ضوء ذلك ألغت الحكومة هذا الإجراء واعتبرت الطبيب دائما هو المشتكي ولا يجوز إيقافه مع المعتدي، فكان هذا الإجراء ردا للإعتبار بالنسبة للأطباء. ومن هذه الحوادث المتكررة ما قام به مؤخرا طبيب ونائب سابق بالإعتداء على طبيب في أحد المستشفيات، حيث انهال عليه ضربا لأنه تأخر عن الحضور لعلاج ابنه بسبب انشغاله مع زملائه بإجراء عملية انعاش قلبي لمريض توقف قلبه عن العمل، فسيطرت العقلية العشائرية على عقل هذا الطبيب النائب وتصرف تصرفا بدائيا، ولا يزال موقوفا على ذمة التحقيق.

وسبق أن حدث في مدينة الرصيفة أن

أحضر جماعة من سكان المدينة أحد أقربائهم ميتاً ليضعوه في ثلاجة الموتى في مستشفى الأمير فيصل، وبعد مدة قصيرة حضر إبن المتوفى واخذ يصرخ ويشتم وقام بضرب وتكسير الأبواب وهو يقول: كيف يموت والدي؟ علماً أنه لم يتوف في المستشفى وإنما أحضر متوفيا ليحفظ في ثلاجة الموتى، ولما رفع الأمر للأمن العام انهالت الواسطات والجاهات من النواب ووجهاء العشائر وتم إطلاق سراحه على أن يقوم بإصلاح ما تم تكسيره، وكان يجب أن ينال عقاباً أشد بسبب إعتدائه على الممتلكات العامة وعلى هيبتها بدون سبب.

وأما عن حوادث العنف التي تحدث في الأسواق وحركة المرور ومواقف السيارات فهي كثيرة ومتكررة ومستمرة، فكم من مشاجرة حدثت بين شخصين وسرعان ما امتدت بين عشيرتيهما لتصطبغ بالصبغة العشائرية بسبب خلاف على موقف للسيارة، وكذلك أثناء الإزدحام على الدور داخل الأسواق التجارية، أو صدم سيارة لأخرى لعدم احترام السائق لقواعد المرور وسرعان ما تصبح قضية عشائرية، مع أنها يجب أن تبقى محصورة في إطار القانون المدني الذي ينظم ويبت في هذه القضايا.

ولا نستطيع التحدث عن إنهاء العشائرية إلا إذا التزمت الحكومة نفسها ببسط سلطة القانون على الجميع دون تمييز أو انحياز، ولعل هذا المبدأ من أهم العوامل التي تؤسس للعدالة الإجتماعية بغض النظر عن الأصل أو الدين أو العشيرة، والتي تحافظ على سيادة هيبة الدولة واحترام القوانين الأردنية، وترسيخ مبدأ الثقة بقضائنا العصري المستمد من تعاليم الإسلام الحنيف، مع الإستفادة من مضامين القوانين العالمية الحديثة، عندما نرى أن القوانين المدنية التي وضعتها الحكومة بالإشتراك مع ممثلي الشعب من اعضاء مجلس الأمة، وبسط سلطتها ونفوذها على جميع المواطنين دون استثناء ودون تفريق بين زيد وعمرو بسبب العشيرة أو المنصب أو المنطقة، وتطبيق مواد الدستور الأردني الذي ينظم جميع شؤون المملكة والتي تنص على أن جميع المواطنين متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات؛ عندها نستطيع القول: إننا دولة عصرية متحضرة تسود فيها الثقافة الوطنية على سائر الثقافات الجزئية، ويستطيع كل مواطن أن يثق بالحكومة والعدالة والمساواة وبالتالي يصدق انتماؤه للوطن.

مفهوم البيئة في الاسلام

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

قال الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ النحل: ١١٢، وقد ذكر «إليكس كار لايل» العالم الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في الطب، في كتابه «الانسان ذلك المجهول» انه يجب ان يكون الانسان مقياساً لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك، لأنه غريب في العالم الذي ابتدعه، انه لم يستطع ان ينظم دنياه بنفسه، لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة، هو إحدى الكوارث التي عانت منها الانسانية.

وان البيئة هي إحدى مخلوقات الله سبحانه لإسعاد الانسان الذي يجب عليه ان يسعى دائماً الى تحقيق الموازنة بين الحاجات وإشباعها، لأن الإخلال في هذه الموازنة يؤدي الى الإخلال والاضراب في إشباع حاجات الانسان.

❖ معنى البيئة:

١- في اللغة: هي كلمة عربية أصيلة من كلام الأجداد والأسلاف، فقد ورد في «تاج العروس» للزبيدي ما نصه: «وبوّأه منزلاً نزل به الى سند جبل، وبوّأ فيه - أنزله ومكّن له فيه فأباءه إياه، قال: أبأت القوم منزلاً وبوّأتهم منزلاً اذا نزلت بهم الى سند جبل، أو قيل: نهر، والاسم البيئة بالكسر، وبوّأ المكان: حله وأقام فيه،

والمباءة أي النزل كالبيئة والبيئة بالكسر: الحالة، ويقال: انه لحسن البيئة».

وكذا في لسان العرب لابن منظور، وفي الصحاح للجوهري: المباءة: منزل القوم في كل موضع[1].

٢- في الاصطلاح: وأما البيئة، فهي الاطار الذي يعيش فيه الانسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من البشر، أو هي المحيط الحيوي او المادي الذي تعيش فيه الكائنات، ويمكن تقسيمها الى نوعين: البيئة الحيوية وهي من صنع الله تعالى، والبيئة المجتمعية وهي من صنع الفرد والمجتمع، وتكون البيئة طيبة نقية، اذا حدث توازن بيئي بين البيئة الحيوية والبيئة المجتمعية، ولكن الحادث الآن هو سيطرة البيئة المجتمعية على البيئة الحيوية[2].

❖ البيئة كما خلقها الله عز وجل:

لقد جاء الاسلام ليوجد عند أتباعه بيئة شعارها الأمن والاستخلاف والتمكين في الأرض، لكون الانسان لا يقدم على عمل الا وهو يعلم علم اليقين الغاية منه، والأسباب الدافعة اليه، فإن كان خيراً أقدم عليه وحض عليه، وان كان شراً ابتعد عنه وحذر منه، قال تعالى: **﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾** البقرة: ٢٢، وقال تعالى: **﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾** الحجر: ٢٢، وقال تعالى: **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾** يس: ٥٠ .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن آيات العلوم الكونية، قد بلغت في كتاب الله عز وجل (٧٥٠) سبعماية وخمسين آية كلها في عجائب هذا الكون ومنافعه وغرائبه[3].

ولكنا نجد قضية حماية البيئة من أهم القضايا التي يحاول العلم معالجتها الآن، لأنها تؤثر على وجود الانسان ومستوى معيشته، ولأن كثيراً من الأنظمة العالمية الآن تتميز بالحداثة، فقضية البيئة تتميز بها ايضاً، فلا نجد لها جذوراً في كتابات السابقين ولا حتى مع قيام الثورة الصناعية الحديثة في اوروبا، فقبل هذه الثورة كان الانسان يعيش عيشة طبيعية يتعايش فيها مع من حوله بقدر طاقته

البشرية دون تدمير، وقد جعل الخالق الأرض مستقراً، ومكن الانسان فيها، وجعل له النافع على نوعين: أولهما ما يحصل بخلق الله تعالى ابتداء، مثل خلق الثمار وغيرها وتسخير المخلوقات كالشمس والقمر والبحر، وثانيهما: ما يحصل بالاكتساب، وكلاهما في الحقيقة إنما حصل بفضل الله وإقداره وتمكينه[٤].

❖ عناصر البيئة:

ويقصد بالعناصر؛ الأركان والأصول والأمهات التي اشتملت عليها من اجل ايجاد نوع من التكامل بين عناصرها ويجعلها صالحة للحياة فيها من غير اختلال في الاصل، ويمكن القول بأن عناصر البيئة التي أوجدها الله تعالى في هذا الكون، والتي أشارت اليها الأحاديث الشريفة، هي المكونات الحقيقية للبيئة في الوضع الطبيعي، ويلاحظ من خلال ذلك ان بعضاً مما يمكن له ان يخضع لفعل البشر وتحكماتهم، كالماء والنار والكلأ والأرض، والبعض الآخر مما لا يمكن ان يتحكم فيه بشر، وهو عنصر وحيد ممثل بالهواء، وعلى ذلك فإن عناصر البيئة اربعة لو استثنينا الانسان الذي من اجله وجدت هذه العناصر والأصول، بغرض اعمار الأرض واستصلاحها والخلافة فيها **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾** البقرة: ٣٠[٥].

❖ حماية البيئة:

لقد جاءت الشريعة الاسلامية بكمالها لحماية البيئة، من خلال مصادر التشريع المختلفة وأولها القرآن الكريم، وسنة الرسول الكريم ﷺ، وإجماع الأمة والقياس، وقول الصحابي، والمصالح المرسلة والاستصحاب، والعرف والعادة، والاستقراء، وسد الذرائع، والاستدلال والاستحسان، واجماع الخلفاء الاربعة، وشرع من قبلنا، وهذه التشريعات يختص بها ولاة الأمر في التشريع والتطبيق، وثمة نظام آخر يساعد على حماية البيئة، وهو نظام «الحسبة» الذي قد تقوم به السلطات المحلية أو الأفراد على السواء.

والمحتسب بعينه ولي الأمر للقيام بالحسبة لإزالة المنكرات الظاهرة، والأمر بالمعروف الظاهر، كما ان له أن يستعين في أداء مهمته بالأعوان، ويشبه عمله عمل السلطة التنفيذية من حيث مراقبة التشريعات[٦].

وتشمل حماية البيئة في الاسلام: البيئة الطبيعية كالزلازل والجراد والحشرات والجفاف والفيضانات والعواصف والسيول والمجاعات وغير ذلك من الكوارث الطبيعية، وكذلك حماية موارد المياه من التلوث، وحماية النبات كالغابات والحشائش، وحماية البيئة الحيوانية، كسقي الحيوان والنهي عن رميه، والذكاة بحد الحديدة التي يذبح بها خشية تعذيبه، كما تشمل الحماية في الاسلام قتل الفواسق كالغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور.

ومن مبررات قتل الحيوانات التي تفسد حياة الانسان وتدمر بيئته، ان خسارة الهند مثلاً نتيجة عدوان الحيوانات المفترسة والأفاعي تبلغ عشرات الآلاف من الأنفس، وأكثر من سبعة آلاف رأس من الأبقار سنوياً(٧).

❖ جلب المصالح ودرء المفاسد في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

١- في القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** البقرة: ٢٠٥، والمعنى في الآية انما هو الذي قام بإحراق الزرع وقتل الحمر (جمع حمار) ولكنها كما يقول القرطبي: صارت عامة لجميع الناس ممن عمل مثل عمله استوجب تلك اللعنة والعقوبة، وبذلك يكون المراد ان الظالم يفسد في الارض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل، وقيل: المراد ان المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الارض، والمستقرئ لنصوص القرآن الكريم يجد ان المصلحة وما يشتق منها قد ذكرت ما يقارب من مائة وثمانين مرة، فيما المفسدة وما اشتق منها ذكرت ستين مرة(٨).

٢- في السنة النبوية الشريفة: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الايمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها» رواه مسلم، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ج٢، ص٦ . ويدل هذا الحديث على اهتمام الاسلام البالغ بالتنشئة التي تحيط بالمسلم، فالنظافة تقيه شر الامراض المختلفة،

لأنها من الايمان(٩).

❖ **التوازن البيئي:**

قال تعالى: **﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾** القمر: ٤٩، وقال تعالى: **﴿انا كل شيء خلقناه بقدر﴾** الرعد: ٨، وقال تعالى: **﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾** الحجر: ١٩، لقد شاء الله تعالى ان خلق النباتات الخضراء، والانسان والحيوان ومجموعات صغيرة كالكائنات الدقيقة لتشكل بمجموعها مكونات النظام البيئي، بحيث يكون لكل من هذه المخلوقات دور في الحفاظ على البيئة، فالانسان والحيوان يستخدم النبات في غذائه، والكائنات الدقيقة تقوم بتحليل بقايا النباتات او الحيوانات، وتحولها مرة ثانية الى ثاني أكسيد الكربون والعناصر الأساسية التي تتكون منها هذه النباتات، وهذه الأدوار التي تقوم بها هذه المخلوقات لتحافظ على توازن النظام البيئي، ولكن الانسان بجموحه فضلاً عن طموحه يربك هذا النظام، ما أدى ويؤدي الى خلق مشكلات بيئية مباشرة وغير مباشرة، نتيجة تدخله غير الواعي في استخدام هذه المكونات، فزيادة تلوث مياه المحيطات بما يؤثر على عملية تكوين «البلانكتون» وهو المادة الخضراء التي تتكون من عملية التمثيل الضوئي في البحار، والتي هي أصل الحياة النباتية والحيوانية الحية، فإذا ماتت هذه المادة في مياه البحار والمحيطات، فإن الحياة فيها تنعدم بسبب انعدام الأكسجين «لأن البلانكتون ينتج حوالي ٧٠٪ من اكسجين الهواء في الجو» ما يؤدي الى تراكم اول اكسيد الكربون الذي يمكن ان يهدد بتغيير المناخ في العالم(١٠).

❖ **التشريعات الاسلامية لحماية البيئة:**

لقد سبق الدين الحنيف الى وضع تشريعات محكمة كرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، وان المنهج الاسلامي هو الأقدر على تصحيح العلاقة بين الانسان والبيئة، وإنهاء التلوث بكل أشكاله، ورسم المنهج الاسلامي حدد هذه الشريعات.

فأولاً: هناك مبدأ الخلافة والأمانة، فالانسان خليفة عن الله في ملكه ووصي على البيئة وليس مالكاً لها، وعليه ان يتحمل دون غيره من المخلوقات تبعات هذه

الخلافة وأمانتها، التي هي الحفاظ على الارض، والحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه وخلقها، بعد ان سخر له كل ما في الكون من نعم ظاهرة وباطنة لينتفع بها ويحمد رب العالمين.

واذا ما اساء الانسان حمل الأمانة بإساءة استعمال هذه النعم التي تتكون منها عناصر البيئة، فهو غير جدير بالخلافة، قال تعالى: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: ٦١ .

وثانياً: هناك ايضاً مبدأ التوسط والاعتدال، قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾** البقرة: ١٤٣، ونهى سبحانه عن الاسراف **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾** الاعراف: ٣١، فالتوسط والاعتدال في الاسلام أسلوب حياة، وليس ظاهرة مؤقتة، ولا شعاراً يرفع عند حلول الأزمات العادية أو عند نقص الموارد الطبيعية كالماء وسائر الموارد والثروات، وقد نهى الاسلام عن الاسراف في كل شيء حتى في الماء ولو كان من اجل الوضوء (حيث معناه: لا تسرف في الوضوء ولو كنت على نهر جارٍ) رواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وكذلك كل مكونات البيئة، ثم هناك مبدأ: بالشكر تدوم النعم، والرضا بما قسم الله سبحانه للإنسان، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وهناك ايضاً قواعد فقهية لا تجيز العبث والافساد والاضرار بمكونات البيئة ومنها قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» رواه أحمد وابن ماجة[11].

❖ البيئة الجمالية بيئة ربانية:

فالقرآن الكريم آية الاسلام الكبرى، ومعجزة جمالية، لأنه قد اعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظمه وأسلوبه، حتى سمّاه بعضهم سحراً، قال رسول الله ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم» اي جمّلوا وحسّنوا، رواه مسلم، وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» رواه البخاري، اي يجعل في صوته غنة.

وحين خلق الله سبحانه الأنعام جعل فيها جمالاً، قال تعالى: **﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾** النحل: ٨، وكذلك بقية مخلوقاته كالسماء، قال تعالى: **﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾**

الحجر: ١٦ .

ولقد صور القرآن الكريم بيئة الحياة صوراً راقية زاهية، تسعد الانسان اذا ما تعهد بالرعاية والعناية وعدم التعدي عليها في تناغمها الالهي ووحدتها الربانية وانسجامها الفطري، فكلها موسيقى تسبح في البر والبحر والجو، قال تعالى: **﴿أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير﴾** الملك: ١٩ .

وتنشد الطبيعة للرحمن قول الشاعر:

يا ظاهراً بجماله الرحماني
في كل ما يبدو من الأكوان
اظهرت نورك للقلوب مشاهداً
في مظهر يومي الى البنيان

فتجدد الفصول وجمال الطبيعة بيئة ربانية تدعو الى الحفاظ عليها وعدم كفر النعمة التي أنعم الله سبحانه بها على الانسان وسخرها له[١٢].

الهوامش:

١- د. فؤاد عبد اللطيف السرطاوي، البيئة والبعد الاسلامي، دار المسيرة، عمان- الاردن ٢٠٠٧، ص٢٧ .

٢- عبد العظيم احمد عبد العظيم، الاسلام والبيئة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر ١٩٩٩ ص٦ .

٣- د. فؤاد السرطاوي، مرجع سابق، ص٣٤-٣٧ .

٤- عبد العظيم احمد، مرجع سابق، ص٦-٧ .

٥- د. فؤاد السرطاوي، مرجع سابق، ص٤٢ .

٦- عبد العظيم احمد، مرجع سابق، ص١٨ .

٧- المرجع السابق، ص٦٢-٦٣ .

٨-٩- د. السرطاوي، مرجع سابق، ص١٣٤-١٣٨ .

١٠-١١- د. هشام ابراهيم الخطيب، الاسلام والبيئة، دار قنديل، عمان، الاردن، ٢٠٠١، ص١٦٤-١٧٥ .

١٢- يوسف يونس نوفل، البيئة الجمالية، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر، بلا، ص١٠-٢٩ .



ابن شداد الموصلي مؤرخ سيرة صلاح الدين وجهاده والناطق باسمه

■ **بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار**

لقد حظيت معارك الجهاد التي خاضها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وأهل بيته، باهتمام عدد من المؤرخين الذين اختصوا بها، كما حظيت باهتمام مؤرخي التاريخ الاسلامي بصورة عامة، من أمثال ابن الجوزي وابن الأثير وأبي الفداء وابن كثير.

كذلك اهتم بها مؤلفو معاجم السير الشخصية، كإبن خلكان في «وفيات الأعيان» ومن سار على نهجه، أو مؤرخي بعض الأقاليم مثل «الاعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة» لمحمد بن علي المقدسي المتوفى سنة ٦٨٢هـ، علاوة على فريق من المؤرخين الذين اختصوا بالجهاد ضد الصليبيين، وفي مقدمتهم ابن شداد الموصلي في كتابه «سيرة صلاح الدين» وهو الذي اتخذه كاتباً لرسائله، علاوة على الوظائف الأخرى.

ومن هذه الكتب: «مفرج الكروب» لمحمد ابن واصل، وكتاب «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» لشهاب الدين المقدسي، المعروف بأبي شامة، أما ابن شداد فهو «يوسف بن رافع الاسدي الموصلي» الذي يعد من كبار القضاة، وشداد هو جده لأمه، وقد تفقه في الموصل وبغداد، وتولى الإعادة بالمدرسة النظامية نحو اربع سنوات ودرّس في الموصل وحلب ودمشق التي حدّث بها، وقد ولاه صلاح الدين قضاء العسكر، كما ولاه قضاء بيت المقدس وأوقافها، علاوة على

مرافقته له في غزواته التي دوّن وقائعها، وبقي يرافقه حتى وفاته رحمه الله.

أما لقاؤه لصلاح الدين لأول مرة فقد تم مصادفة، ذلك ان ابن شداد مر بالشام في طريقه الى الحج سنة ٥٨٣هـ كما مر بها في عودته، ولقي صلاح الدين الذي أُعجب به، وعرض عليه تولي قضاء العسكر كما اسلفنا، وبقي على صلة وثيقة به حتى وفاته، وعندها اتصل بابنه الملك الظاهر في حلب.

ويبدو ان شخصية ابن شداد هي التي مهدت له سبيل التقدم لدى صلاح الدين الذي اختصه بكثير من الرعاية «مقدمة كتاب الروضتين آنف الذكر ج١/٢٥»، ومنذ عام ٥٨٤هـ بقي ملازماً لصلاح الدين في جميع معاركه، ويسجل مشاهداته «المصدر السابق ص٣٥».

كما كلفه صلاح الدين بأن يكون المتكلم باسمه «سيرة صلاح الدين ص٢٠٩ ومفرج الكروب ج٢/٣٨٥-٣٨٧» لابن واصل الذي نقل قولاً لابن شداد، بأن صلاح الدين أمره ان يحث عساكر المسلمين المرابطين حول القدس على الجهاد، وكان السلطان يتولى الكلام بعده، فيعظم مهمة المجاهدين، وهم بذلك يخفرون حياة المسلمين.

وقد ورد في «مفرج الكروب» قول لابن شداد بأن السلطان كان يستشيره حول القتال، ثم خالطه في المرحلة الاخيرة من حياته مخالطة تامة، وهو يروي معظم السيرة الشخصية عن مشاهدة مباشرة، لهذا اعتبرت السيرة التي صنفها ابن شداد من اوثق المراجع لسيرة صلاح الدين حسبما اكده المحقق لسيرته جمال الدين الشيال «ص٧ هامش١».

والمؤكد ان السلطان سيّره في سنة ٥٨٤هـ رسولاً الى الخليفة، فسار مسرعاً في نهر دجلة من الموصل الى بغداد، فوصلها في يومين، وعاد منها، وسيّر معه الخليفة شيخ الشيوخ، لعظم تقديره لصلاح الدين «السيرة ص٥٧ و٦٤-٦٥» والفتح القسي ص٢١٦-٢١٧»، ومما ذكره ابن شداد عن تقوى صلاح الدين «انه كان يحضر مجالس الشيوخ الذين لا يحضرون مجلسه، فيقصدهم في مجالسهم، مثل ابي طاهر السلفي الذي كان يعقد مجلسه في الاسكندرية» (ص٩).

وقد جمع للسلطان ابن شداد كتاباً في

احكام الجهاد، فكان يلازم مطالعته (ص٨٦)، وكان يرحب بالقادة الصليبيين الذين يرغبون في لقائه مثل حاكم «شقيق ارنون» الذي فاجأه بزيارته، وكان يحسن العربية وله اطلاع على التاريخ الاسلامي (ص٩٧).

هذا وذكر محمد الاصفهاني في كتابه «الفتح القسي ص٣٩٤» وجود ابن شداد الى جانب الملك العادل، شقيق صلاح الدين وجماعة من الأمراء للبحث في اقتراح زواج العادل بأخت ملك الانكليز، الأمر الذي كان مطروحاً لتسوية الحروب الصليبية، الأمر الذي لم يتم بسبب معارضة رجال الكنيسة كما ذكر الاصفهاني (ص٣٩٨-٣٩٩) سفر صلاح الدين الى القدس لأداء صلاة الجمعة في اول ايام ذي الحجة، بمسجد الصخرة المقدسة، يصحبه ابن شداد، مما يدل على تمتعه بمكانة خاصة لدى السلطان.

ويتولى ابن شداد الكشف عن بعض شؤون العلاقات السلمية بين السلطان وامبراطور الروم في القسطنطينية، وقد تجلى ذلك في الرسائل التي بعثها الامبراطور الى صلاح الدين، وتتضمن اخباره بإقامة الخطبة في جامع تلك المدينة من قبل رسول الخليفة، الذي لقي احتراماً كبيراً وإكراماً من جانب الامبراطور، وكان ذلك الرسول قد اصطحب معه في السفن المنبر وجمعاً من المؤذنين والقرّاء، وكان دخولهم الى العاصمة يوماً عظيماً، واجتمع المسلمون المقيمون بها والتجار، وقد أقام بهم رسول الخليفة الدعوة الاسلامية.

وقد شاهد ابن شداد رسول الامبراطور وهو يبلغ صلاح الدين بنص رسالة الامبراطور بهذا الشأن ومعه الترجمان، وقد كانت تلك الرسالة مختومة بالذهب، وقد أشارت الى المرجفين بذكر الأكاذيب عن بلاده، ونوه بالعراقيل التي تعرضت لها الحملة الالمانية عند مرورها بأرض الروم، الى درجة ان الألمان لن يصلوا الى البلاد الاسلامية الا في اضعف حال، وقال: ان الامبراطور رغم ذلك، ما ربح شيئاً من محبة صلاح الدين، الا عداوة الافرنج وجنسهم (ابن شداد ١٣٢-١٣٣).

اما الرسالة الواردة من امبراطور الروم الى صلاح الدين، فكانت تشتمل ايضاً على طلب الصليب الصلبوت، وان تكون كنيسة القيامة بأيدي قسيس من الروم، وكذلك سائر كنائس القدس (ابن شداد ص٢٠٩)،

كما تضمنت الاتفاق على ان من يكون عدواً لملك الروم لمن عاداه وصديقاً لمن صادقه، وطلب الامبراطور السماح له بقصد قبرص وقد قوبلت جميع المطالب بالرفض، وقيل للمندوب الرومي: ان الصليب المطلوب قد بذل فيه ملك كرج (١٠٠) ألف دينار ولم يجب الى ذلك، وتضمنت (ص٢١٥) من الكتاب المذكور، بعض الاخبار عن عدوان الافرنج على قوافل المسلمين، وبلغت اخبارها لصلاح الدين فساءه ذلك، وأخذ ابن شداد في تسكينه وتسليته، وهو لا يكاد يتقبل التسلية.

ثم ينتقل ابن شداد (ص٢١٦) الى ذكر حضوره مجلس السلطان وعنده الامراء، وأمره ابن شداد ان يكلمهم ويحثهم على الجهاد، خصوصاً بعد عدوان الألمان على المسلمين الذين أبدوا بسالة وتفانياً في الدفاع، مما أفشل تلك الحملة التي تعرضت لهجمات العساكر، حتى لم يبق مع ملك الألمان الا القليل، وقد كان كتاب ابن شداد مصدراً لكثير من المؤلفات عن الجهاد الاسلامي، خاصة لدى الكتّاب الذين الفوا في موضوع الجهاد.

هذا وقد تضمن «مفرج الكروب ج٢/٣١٠» خبر ارسال صلاح الدين رسالة الى الخليفة العباسي سنة ٥٨٦هـ يحملها ابن شداد، كما كلفة بتبليغ حكام سنجار والجزيرة والموصل وإربل الدعوة الى الهاجد، فجابوا بالقبول.

كما تضمن هذا الكتاب خبر قيادة صلاح الدين للقوات الاسلامية في معركة «عكا» ص٣٢٥-٣٢٧، من «مفرج الكروب» الذي نقل عنه (ص٤٠٥-٤٠٦) بعض تخوف صلاح الدين من دعوات الصلح التي يطلقها العدو من ان تؤدي الى تقاعس قادة المسلمين مما يمنح العدو الفرصة، كما ينقل عنه خبر وفاة السلطان رحمه التي شهدها بنفسه حتى دفنه (ص٤١٦-٤٢٣).

كذلك نقل عنه بعض صفاته (ص٤٢٩-٤٣٨) ثم انتقل ابن شداد الى مصر ليصحب الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، الذي ولى امرها، ثم انتقل (اي ابن شداد) الى حلب سنة ٥٩١هـ متولياً قضاءها ومدبراً أمور حاكمها «الملك الظاهر» واستمر فيها.

وقد كان لابن شداد باع كبير في التدريس، فهو شيخ ابن خلكان ومن

مؤلفاته علاوة على سيرة صلاح الدين، عدد من الكتب الفقهية، مثل «دلائل الاحكام» و «ملجأ الحكام عن التباس الاحكام» وغيرها (انظر وفيات ابن خلكان وطبقات الشافعية للسبكي وتاريخ ابن الوردي، ومقدمة كتاب الروضتين للدكتور محمد حلمي احمد» **واهمية كتاب ابن شداد ان مؤلفه لم يفارق صلاح الدين منذ التحق بخدمته سنة ٥٨٤هـ حتى وفاته، وكان ينتقل معه في ميادين القتال ويشارك في القتال، او يقوم بمراقبة حركات الأعداء، أو يبلغ رسائل صلاح الدين الى القادة، أو يقرأ عليه بعض الحديث، حتى في ساحة القتال.**

وظل ابن شداد ملازماً له حتى بعد ان عين قاضياً للقدس (مقدمة المحقق لكتاب الروضتين ص٢٨-٢٩) وقد اعتمده ابو شامة مصدراً اساسياً يعتمد عليه، اذ لازم مؤلفه صلاح الدين لا ينقطع عنه (المصدر السابق ج١، ص٣٥-٣٦) والجدير بالذكر ان ابن شداد ذكر في كتابه (٢٤٧) انه فرغ من جمعه يوم وفاة صلاح الدين رحمه الله وانه صنفه لوجه الله تعالى، وفي حث الناس على الترحم على صلاح الدين وذكر محاسنه.

ومما ذكره ابن شداد في كتابه (ص٢٠٩) بأن السلطان انفذه لمشاورة القادة في أمر يتعلق بالملك العادل، فأجمعوا كلهم على تأييد كل قرار يتخذه صلاح الدين بشأن الأمور التي تقع بينه وبين أخيه، ثم يتحدث (ص٢١٤-٢١٥) عن معركة فاجأ بها الصليبيون المسلمين، وقد وصل خبرها الى السلطان حينما كان ابن شداد في خدمته، وقد أثر ذلك الخبر في نفسيته كما أسلفنا، ويشير المؤلف (ص٢١٦) الى اجتماع عقده السلطان مع جميع الأمراء لإعداد حملة لمواجهة العدو، اذ يقول: كلفني السلطان «ان اكلمهم واحثهم على الجهاد» ثم ذكر نصوص بعض اقواله، ودعاهم الى الاجتماع عند الصخرة المباركة والحلف هناك على الموت، مما ترك أثراً عميقاً في نفوسهم.

وكان السلطان يخص ابن شداد بالأخبار الواردة من جبهات القتال (ص٢١٦-٢١٧)، ومنها انه أمضى ليلة كاملة معه، في التفكير فيما يجمع المسلمين ويقضي على أسباب الفرقة، وكان صلاح الدين يصغي لنصائحه التي تنبعث من روح اسلامية صافية، ثم يؤدي برفقته صلاة الجمعة في المسجد

الأقصى، وهكذا تقبل الله سبحانه دعوات صلاح الدين اذ غادر الصليبيون عدداً من المواقع ومنها عكا، وقاتلهم المسلمون وهم ينسحبون، فقتلوا عدداً منهم وأسروا آخرين (ص٢١٨-٢١٩) وكان السلطان يستدعي ابن شداد وهما في جبهات القتال، ويكلفه بكتابة الرسائل الى بعض حكام المسلمين، وقد حضر المؤلف استسلام الصليبيين في «يافا» بعد حصار المسلمين لها، وكان ابن شداد في مقدمة الداخلين اليها (ص٢٢٢-٢٢٥).

ومما ورد في كتاب «مفرج الكروب ج٢/٢٧٤-٢٧٥» ان ابن شداد حضر بمعية صلاح الدين حصار «صفد» وقد وصف عملية الحصار والانتصار على العدو، وكتب بذلك الى الخليفة مبشراً بأخذ الكرك والشوبك وصفد وكوكب، وذكر المؤلف (ج٢/٣٠٤) ان ابن شداد كان من الاشخاص الذين يستشيرهم السلطان في أمر القتال لاستعادة «عكا» وورد في هذا الكتاب (ج٢/٣١٠-٣١٤) خبر عن انتداب صلاح الدين لابن شداد في أوائل سنة ٥٨٦هـ ليبلغ الخليفة بأخبار مرور ملك الألمان وجيوشه بالقسطنطينية، وان قدومه كان بسبب كسرة الافرنج في حطين وتحرير بيت المقدس، فحملته العصبية الدينية على جمع جيش حاشد لاسترجاع القدس (ج٢/٣١٧-٣١٨).

ولما لم يدعم ملك الروم ولم يسعفهم بالغذاء، تشردوا عند وصولهم الى بلاد الشام، اذ يجهلون جغرافية الطريق، كما فعلت الثلوج فعلها في إفنائهم حتى أكلوا دوابهم، وتخطفهم التركمان، ولكنهم مع ذلك وصلوا الى بلاد الأرمن، فدخلوا في طاعتهم، لكن تفاصيل الأخبار كلها تبشر بانفراط ذلك الجيش وضياعه بعد موت الملك الألماني (ج٢/٣١٩-٣٢٣).

ومما ذكره ابن شداد ان صلاح الدين قد استدعاه الى دمشق في المحرم من سنة ٥٨٩هـ، ولقيه قبل ان يدخل احد غيره «ابن شداد ص٢٤٢» واستمر بقاء ابن شداد في دمشق حتى وفاة صلاح الدين رحمه الله في ٢٠ صفر من تلك السنة (ص٢٤٦).

اما ابن شداد نفسه فقد توفي بحلب سنة ٦٣٢هـ ١٢٣٤م، والمعروف انه كان قاضياً، ويقول ابو شامة عنه: انه كان من الرؤساء وكان للناس به نفع، وكان (اي ابو شامة) يجتمع به في دمشق، حيث اجاز له،

ثم سمع عليه بمصر سنة ٦٢٨هـ، عند قبة الامام الشافعي رحمه الله، (انظر كتاب الروضتين لأبي شامة ج٢/١٦٣)، ولابن شداد مؤلفات كثيرة علاوة على ما كتبه عن صلاح الدين، ومنها كتابه في «فضل الجهاد» (انظر الروضتين ج٢/١٦٦) وممن ترجم لابن شداد تلميذه ابن خلكان في (الوفيات ج٢/٣٥٤ طبعة مصر ١٣١٠هـ) كما ترجم له السبكي في (طبقات الشافعية ج٥/١١٥ طبعة مصر ١٣٢٢هـ) وله ترجمة في «اعلام» الزركلي (ج٨/٢٣٠ طبعة سنة ١٩٧٩م).

❖ الكتب التي ألفت في سيرة صلاح الدين:

يأتي في مقدمة تلك الكتب «سيرة صلاح الدين» لابن شداد السابق ذكرها، ومثله كتاب العماد الاصبهاني «الفتح القسي في الفتح القدسي» وهذا الكتاب مكتوب بالسجع الذي يعم الكتاب كله، وهو اسلوب عرف به العماد الاصفهاني في سائر مؤلفاته الاخرى، وقد كان الاصفهاني كإبن شداد في صحبة صلاح الدين، وقد ذكر «اي الاصفهاني» بصراحة وجود ابن شداد في صحبة صلاح الدين وأخيه الملك العادل، وخاصة فيما يتعلق باقتراح زواج العادل بأخت الملك الانجليزي «الفتح القسي ص٣٩٤).

وعلى اي حال فإن ابن شداد قد اهتم كشاهد عيان بجميع تحركات السلطان ولنأخذ مثلاً معركة «عين جالوت ص٦١» فقد ذكرها في موعدها المحدد (٢٢ ربيع الآخر ٥٧٩هـ) وقد كان بعض القادة الذين قدموا لكشف اخبار الافرنج قد اكتشفوا ان عسكر الكرك والشوبك كانوا سائرين لنجدة العدو، فقتل المسلمون عدداً كبيراً منهم، وأسروا زهاء (١٠٠) شخص، مقابل مقتل مجاهد واحد (ص٦٢-٦٣).

ومن الكتب التي اهتمت بصلاح الدين وجهاده للأعداء، كتاب «مرج الكروب في أخبار بني أيوب» لجمال الدين محمد واصل، ثم كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية»، وهو بقلم عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة، ومما جاء في هذا الكتاب (ج/٣٨٥ ٢-٣٨٦) ان السلطان كان يكلف القاضي ابن شداد ان يتكلم مخاطباً العساكر عندما يكلفون بمهام قتالية، فيحثهم على الجهاد، وكان صلاح الدين يتولى الحديث

بعده، فيؤكد عظم مهمة المجاهدين، وانهم يحفظون حياة المسلمين.

وجاء في هذا الكتاب ان السلطان كلف ابن شداد بنقل رسالة الى الخليفة، وعوّل عليه ليشرح الأمور التي أرادها، وجاء في هذا الكتاب (ج٢/٣٧٤-٢٧٥) ان ابن شداد حضر مع صلاح الدين حصار صفد، وهو الذي كتب بشأن هذه الوقعة، الرسالة الموجهة الى الخليفة على لسان صلاح الدين مبشراً بالنصر، كما ذكر المؤلف (ج٢/٣٠٤) ان ابن شداد كان في جملة الاشخاص الذين يستشيرهم السلطان في محاولة استرداد عكا، وقد انتدبته في اوائل سنة ٥٨٦هـ ليوصل الى الخليفة الخبر عن مرور ملك الألمان بجيوشه بالقسطنطينية، وهي تقدر بين ٢٠٠ ألف و ٢٦٠ ألفاً من المقاتلين «مفرج الكروب ج٢/٣١٧-٣١٨).

❖ ملاحظات ذات علاقة بالموضوع:

هناك بضع ملاحظات تتعلق بشخصيات مهمة ذات علاقة بموضوع هذا المقال، وهي:

١- ذكر عز الدين «جورديك» الذي عين والياً على القدس عقب تحريرها، اذ ذكره ابن شداد «ص٦١ حاشية ٦، ص٢٤٠» وقال: وهناك قدم «جورديك» وجماعة من المماليك النورية، فصادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين لنجدة الافرنج، فهجموا عليهم وقتلوا منهم مقلتة عظيمة، وأسروا (١٠٠)، وهو الخبر الذي ورد ذكره في «مفرج الكروب ج/٢، ص٢٢ هامش ٣ وص ٢٣ هامش ١»، وجورديك هذا من القواد الذين رافقوا «شيركوه» في حملته على مصر، وشارك صلاح الدين عند القبض على الوزير الفاطمي «شاور» ثم كان جورديك من القادة الذين احتلوا حماة وقلعتها، حينما هاجمها صلاح الدين، وقد كان نشطاً في ترسيخ حكمه في جهات حلب وحماة «مفرج الكروب ج/٢٢-٢٣».

ويضيف مؤلف «الفتح القسي ص٢٧٢-٢٧٥» قائلاً: انه كان من جملة القواد الذين تصدوا لملك الألمان بقيادة الملك العادل، وكان النصر حليفه، وكان ابن شداد ممن شهدوا هذه المعركة التي اسفرت عن مقتل عشرة آلاف قتيل من الافرنج مقابل عشرة شهداء من المسلمين، وفي هذا الكتاب (ص٤١٩) ورد ذكر جورديك، في قيادة غارة سنة ٥٨٨هـ على موقع «يبنى» وفيه الافرنج، وقد غنم

المسلمون عدداً من الأسرى، كما انه أغار على عسكر للعدو في عسقلان وأسر (٣٠) شخصاً منهم والذي دعاني الى ذكر هذا القائد هو انتداب صلاح الدين لابن شداد لمراسيم توليته لولاية القدس نيابة عنه، ويبدو ان ابن شداد كان من جملة المؤيدين لجورديك، لأنه كثير الجد والخدمة لأهل الدين والخير مما حمل صلاح الدين على توليته القدس، وتكليف ابن شداد بأن يتولى ذلك، فتمت التولية يوم الجمعة عند الصخرة المباركة «ابن شداد ص٢٤٠».

٢- ثم يأتي ذكر شخصية اخرى في سياق تاريخ الجهاد الاسلامي في فلسطين، وهو ذكر بهاء الدين «قراقوش» الذي عينه صلاح الدين لتولي عمارة عكا وأسوارها «الفتح القسي ص١١٨ وما بعدها» وقد ذكر هذا المصدر «ص١٦٩ وما بعدها» امر صلاح الدين له، بإتمام سور عكا وإحكامه «مفرج الكروب ج٢/٥٢-٥٤ وحواشيها».

والجدير بالذكر ان صلاح الدين سبق له ان أمر قراقوش ان يبني سور القاهرة وقلعتها، وأنه قام بتلك المهمة خير قيام، ولا تزال القلعة قائمة حتى يومنا هذا، ولذلك اكتسب اعجاب صلاح الدين وثقته -كما يتضح مما ورد في «الفتح القسي ص٣١٦» من مديح صلاح الدين له، وإقدامه في القتال حتى سماه «المقدام المقدم» في محاربة الجيش الألماني في أواخر سنة ٥٨٦هـ.

غير أنه من المؤسف ان شخصية قراقوش اقترنت عند الناس، بارتكاب المظالم والقسوة، وهو غيره ولقبه شرف الدين الذي اساء للناس، وقد كان من خدم عمر بن ايوب وكانت حياته سلسلة من المغامرات والمذابح والنهب والسلب، مما ألقى في نفوس الناس الهلع «انظر تاريخ الاسلام -ابراهيم حسن ص٦١٢ وحاشيتها» لذلك ينبغي عدم الخلط بين الشخصين.

اما صاحبنا ويسمى بهاء الدين قراقوش القوي المتوفى سنة ٥٩٧هـ فقد قام بغزو بلاد المغرب في الفترة ٥٧١-٥٨٢هـ حسبما ورد في «مفرج الكروب ج١/٥٦١ حاشية ٤» وقد ورد في الفتح القسي ص١١٨-١١٩، القول: بأنه تولى عمارة سور عكا، ثم سجل خبر احتلالها (ص٣٥٨-٣٥٩).

وفي هذه المصادر نجد القول: بأن

قراقوش هذا هو غلام الملك المظفر، عمر ابن شاهشاه بن ايوب، وانه خرج الى المغرب في طائفة من الترك، وانضم اليه جماعة من العرب، واستولى على طرابلس وعلى كثير من بلاد افريقيا، وقد انضم اليه مسعود بن زمام -وهو من أعيان المغرب، وكان خارجاً عن طاعة عبد المؤمن (خليفة المغرب وأولاده) فاتفقا وكثر جمعهما، وحكم قراقوش تلك البلاد وصار معه عسكر كثير وجرت بينه وبين المغاربة حروب كثيرة (ليس هذا موضع ذكرها)، ولكن محمد بن واصل ذكرها في كتابه «مفرج الكروب ج١/٢٣٥-٢٣٦» وان قراقوش هو الذي غزاها، كما انه يشير الى استيلاء عساكر مصر على برقة وحصونها حتى بلغوا حدود المغرب.

ومما يدل على قوة شخصية قراقوش هذا، الوصف الذي خصه به العماد الاصفهاني في كتابه «الفتح القسي ص١١٨» حيث سماه «الشهم الماضي السهم، المضيء الفهم الهمام المحرب النقاب المجرب، المهذب اللوذعي المرجب، اللوذعي الالمعي.. وهو الثبت الذي لا يتزلزل والطود الذي لا يتحلحل، الذي يكفل جاشه بما يتكفل به الجيوش، وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة، وكوتب بالحضور لتولي الامور وعمارة السور، وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة، ورجالها وعمالها وعمارها ومهندسيها ومؤسسيها، ومثل بالخدمة السلطانية.. الخ».

ثم ترد اشارة اخرى في «الفتح القسي ص٣٠٦» الى جهد قراقوش في بناء أسوار عكا، حيث سد الثغرات فيها واعمار الاضرار الناجمة عن هجمات الافرنج، ثم يفاجئنا ابن شداد في كتابه «سيرة صلاح الدين» (ص٢٣٩-٢٤٠) بخروج بهاء الدين قراقوش من الاسر في شوال ٥٨٥هـ وقد فرح بخروجه صلاح الدين، وسارع للقائه، غير انني لم اجد في المصادر المتيسرة اي خبر عن اسره، ووجدت خبر اطلاقه من الاسر في (الفتح القسي ص٤٤٤-٤٤٨)، حيث قال المؤلف الذي رافق صلاح الدين في رحلته من القدس الى طبرية: انهم التقوا هناك ببهاء الدين قراقوش الذي اطلق من الاسر، ولم اجد في اي مصدر رجعت اليه شيئاً عن أسره، ويبدو ان الافرنج اسروه عند احتلالهم عكا، عندما كان مشغولاً في اعادة بناء أسوارها.

٣- ورد في كتاب الفتح القسي

ص٢١٦-٢١٧، ان صلاح الدين عوّل على القاضي ابن شداد ليكون هو كتابه المرسل الى الخليفة، وكلفه ان يحسن القول ويصف حقيقة الحال ويبدو ان ابن شداد قد أدى المهمة بنجاح، اذ ما لبث ان اثمرت الزيارة، حيث تلقى صلاح الدين رسالة من الخليفة في ربيع الأول من سنة ٥٨٦هـ على يد رسول خاص من قبل الخليفة الذي ارسل معه احمالاً من النفط الطيار، واحمالاً من العتاد وقدور النفط ومبلغ (٢٠) ألف دينار ذهباً، مع جماعة من «الزراقين النفاطين» الذين صنعوا من تلك المواد اسلحة حارقة، احرقت الكثير من اسلحة العدو وكبدته خسائر جسيمة، ولا سيما في السلاح ووسائط النقل (الفتح القسي ص٢٤٢-٢٥٢).

وهكذا لعب النفط الذي ارسله الخليفة من العراق دوراً في تدمير استحكامات العدو، حتى ان احد الزراقين استأذن السلطان للدخول الى عكا التي يحتل العدو نصفها، للقيام بتفجيرات في استحكاماته، هذا وقد ورد في «مفرج الكروب ج٢/٣٠٧» خبر عن ورود احمال من النفط الأبيض ومجموعات من التروس والرماح من الأنواع الجيدة، من صاحب الموصل.

هذا وقد اعتبر مؤلف «الفتح القسي ص٢٨٣ و٢٩٠-٢٩١» ان انتصار المسلمين على الألمان الذين جاءوا لينتقموا من المسلمين الذين حرروا القدس وعشرات المدن والمرافق المهمة، وينسب المؤلف ذلك النصر الى وجود الزراقين الذين احرقوا اسلحة الألمان بنيران نفطهم، فهل يعيد التاريخ نفسه فيكون نفط العراق والبلاد العربية الأخرى عاملاً في هزيمة اليهود؟!!

٤- لؤم اوروبي:

يبدو ان الأوروبيين ولا سيما الانجليز والفرنسيين، رغم ادعائهم بكونهم علمانيين، فقد فضحتهم الحرب العالمية الأولى، حيث ان القائد الفرنسي -وقد نسيت اسمه- الذي اسقط الدولة العربية الفيصلية، واحتل دمشق، حرص قبل ان يفعل اي شيء على التوجه الى القبر الذي يضم الجثمان الطاهر لصلاح الدين الايوبي مبادراً بمخاطبة القبر الشريف وبلهجة مكابرة فقال: «ها أننا قد عدنا يا صلاح الدين»!!.

اما زميله البريطاني الذي احتل القدس، فقد اعلن لوسائل الاعلام مفاخراً وقال: «الآن انتهت الحروب الصليبية»

وهكذا يحقدون على من ألحق الهزيمة بهم قبل ثمانية قرون!! ولكن صلاح الدين رحمه الله قد فضحهم وهو في قبره، كما فضحهم عندما ألحق بهم الهزيمة.

ويهمني في هذه المناسبة ان اذكر شيئاً عن القائد البريطاني آنف الذكر، لأنني اذكر اسمه جيداً، وهو المارشال «هنري اللنبي» الذي كافأته حكومته بتعيينه «المندوب السامي البريطاني في مصر اي الحاكم بأمره على مصر بملكها وحكومتها» وقد شغل هذا المنصب من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣٥، اي قبل سنة من وفاته.

هذا وقد القت حكومة الوفد المصري في اواخر سنة ١٩٥١ المعاهدة المصرية - البريطانية التي تمنح المندوب سلطة عليها، وهذا الالغاء مهد السبيل للحكومة العسكرية الانقلابية في سنة ١٩٥٦ تأميم الشركة الفرنسية التي تملك حق ادارة القناة، مما ادى الى ملابسات خطيرة استغلتها اسرائيل مما لا علاقة له بمقالنا هذا.

❖ المراجع:

البغدادي -اسماعيل باشا البابانى المتوفى سنة ١٣٣٩هـ:

١- ايضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون، استانبول ١٩٤٧م.

٢- هدية العارفين الى اسماء المؤلفين، استانبول ١٩٥١م.

٣- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، القاهرة.

٤- الحنبلي العماد الحنبلي، الشذرات، مصر ١٣٥٠هـ.

٥- ابن خلكان وفاة الأعيان، القاهرة ١٩٤٨ .

٦- الزركلي، خير الدين، معجم الاعلام، دمشق ١٩٥٧م.

٧- السبكي طبقات الشافعية، القاهرة ١٣٢٤هـ.

٨- ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين ١٩٥٦م القاهرة.

٩- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع الموصلي، النوادر السلطانية، القاهرة ١٩٦٢م.

١٠- العماد الاصفهاني، محمد بن محمد بن حامد، الفتح القسي في الفتح القدسي، لايدن ١٨٨٨م.

١١- العماد الاصفهاني، طريدة القصر، بأقسامها العديدة لكل قطر «كالعراق ومصر والشام.. الخ».

١٢- ابن واصل محمد بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، بجزئين، القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٧م.

١٣- رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق.

١٤- الموسوعة الانجليزية المسماة «هاتشيسن» لسنة ١٩٩١م.

الإعجاز العلمي في الطواف حول الكعبة المشرفة

■ بقلم الفلكي عماد مجاهد

انتهيت والحمد لله من أداء مناسك العمرة، ولا أريد أن أتحدث عن المشاعر العظيمة التي تنتاب من يشاهد الكعبة المشرفة خاصة للمرة الأولى في حياته أو من يزورها في كل مرة، حيث اتركها لمن يشاهدها فعلا أو لمن زارها من قبل، إذ انه يشعر انه يعيش في عالم آخر ودنيا غير الدنيا، وكم يشعر أن هذه الدنيا التي نلهث خلفها لا تساوي شيئا يذكر أمام عبادة الله عز وجل.

عندما دخلت إلى المسجد الحرام وبدأت بالطواف، ورأيت الآلاف يطوفون حول الكعبة، بدأت أتساءل في نفسي: لماذا نطوف حول الكعبة وباتجاه مغاير لاتجاه عقارب الساعة؟، ولماذا سبعة أشواط في كل مرة نطوف فيها حول الكعبة سواء في أداء مناسك العمرة أو مناسك الحج، أو في السنة حيث أن تحية الحرم هي الطواف إذا أمكن ذلك؟ وبدأت أتساءل هل هنالك حكمة إلهيه من الطواف حول الكعبة؟

لا شك فنحن نؤمن بالله عز وجل ونؤدي العبادات دون نقاش، ولكن ليس هنالك من مانع في أن نسعى للكشف عن أسرار بعض هذه العبادات، لأنها تقربنا من الله عز وجل وتزيدنا إيمانا وتعظيما بالإسلام.

إن كل شيء في هذا الكون يدور منذ أن خلق الله الكون، ولولا هذا الدوران أو الحركة أو الجريان لما عمر هذا الكون، وهذه الحركة والدوران دليل على عظمة الخالق تبارك وتعالى، فكما هو معروف أن الإلكترون صاحب الشحنة السالبة في

الذرة يدور حول نواة الذرة، ولولا حركة الالكترونات لما عرفنا المادة الكونية بل كل الوجود، فنحن والماء والشجر والنار والهواء والأرض والشمس والقمر والنجوم تتكون من ذرات، **وكل ذرة من الذرات فيها الكترونات تدور حول النواة، وتدور الالكترونات حول النواة بعكس اتجاه عقارب الساعة أي مثل اتجاه الطواف حول الكعبة الشريفة.**

إن كل شيء في هذا الكون يتحرك أيضا، فالأرض تدور حول نفسها بعكس اتجاه عقارب الساعة، والقمر أيضا يدور بنفس الاتجاه سواء حول نفسه أو حول الأرض، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس ومن ضمنها الأرض بعكس اتجاه عقارب الساعة، كما تدور الكويكبات حول الشمس بنفس الاتجاه، كذلك فان الشمس وباقي النجوم تدور حول نفسها بعكس اتجاه عقارب الساعة، وتدور النجوم حول مركز مجرتنا بعكس عقارب الساعة أيضا، كما تدور المجرات وهي اكبر الوحدات الكونية باتجاه معاكس لعقارب الساعة، أي أن كل ما في الوجود من اصغر ما في الكون وهي الذرات وحتى اكبر ما في الكون وهي المجرات يدور ويتحرك في فلك واتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة، لذلك وصف الله تعالى حركة هذه الأجرام السماوية بالآية الكريمة **﴿وكل في فلك يسبحون﴾**.

إذا فإن طواف المسلمين حول الكعبة الشريفة، هو قانون الهي يخص كل المادة الكونية، وارى أن حركة الأجرام الكونية هو تسبيح لله عز وجل **﴿ولاكن لا تفقهون تسبيحهم﴾**، وخضوع لخالق الكون جلت قدرته، ونحن في طوافنا حول الكعبة لهو بلا شك أعظم تعبير عن إيماننا وخضوعنا لله تعالى، ولكن الأعظم في طوافنا أننا نطوف بإرادتنا وبإيماننا بالله عز وجل وليس بقوانين تحكمنا، أي أننا مخيرون في الطواف ولسنا مسيرين كما المادة الكونية، وهو برأيي أعظم تعبير عن الإيمان بالله عز وجل.

أما بالنسبة لعدد أشواط الطواف حول الكعبة الشريفة وهي سبعة، فلها بلا شك أسرار ومعاني ودلالات كثيرة، فالسموات التي ذكرها الله تعالى سبعا، وذكرت سبع مرات في سبع آيات، وعدد آيات فاتحة الكتاب سبع، وخلق الإنسان يمر بسبع مراحل، وألوان الطيف المرئي سبعة، وغير المرئي سبعة، وأسباب رزق الإنسان تمر بسبع مراحل كما وردت في القرآن الكريم، والقمر يمر بسبع مراحل، وعلى الأرض سبع قارات وسبعة محيطات، والأنواع الرئيسة من النجوم عددها سبعة، والإلكترون الذي يدور حول النواة له سبعة مستويات، وعدد أيام الأسبوع سبعة.

العاصمة عمان

أحدى مدن الديكابولس العشر ومن آثارها المسجد الحسيني والمدرج الروماني وأهل الكهف والقلعة

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

العاصمة عمان أكبر مدن الأردن، وهي إحدى مدن الديكابولس decepolis العشر[١]، وهي قصبة أرض البلقاء، قال السمعاني[٢]: (عمان مدينة البلقاء)، وهي مدينة قديمة، ترتفع ٧٥٠ متراً عن سطح البحر، وتتكوّن من جبال كثيرة، كان اسمها ربّة عمّون أو فيلادلفيا، وهي واحدة من أقدم المدن التي لا زالت مأهولة، ازدهرت في أيام الرومان، وورد اسمها في الحديث الشريف؛ فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً)[٣].

قال ياقوت الحموي: (قيل: إن عمان هي مدينة دقيانوس -الذي فتن أصحاب الكهف- وبالقرب منها الكهف، والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم)[٤]؛ أقول: يقع الكهف في الضواحي الشرقية لمدينة عمان اليوم.

دخلت عمان في الحكم الإسلامي منذ العام الثالث عشر الهجري، الموافق للعام الرابع والثلاثين وستمائة للميلاد؛ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ إذ فتحها يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، واعتنى بها الخلفاء المسلمون أيما اعتناء، وحافظوا على آثارها.

كانت عمان مركزاً تجارياً، ومحطة استراحة، للمسافرين؛ فقد ذكرها التابعي الجليل الشاعر ابن عبيد السلمي المتوفى سنة١٣٠ هـ / ٧٤٧م في شعره؛ فقال[٥]:

حَنَّت بأبواب عَمَّانَ القطاةُ[٦] وقد

قضى به صحبها الحاجاتِ والوطرا

وقال المقريزي: (في سنة ٧٥٧هـ عمرت مدينة عمان من البلقاء للأمير صَرْغَتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد، وهي بلد قديم من بناء عمان ابن أخي لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط، وقيل: هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف)[٧].

ويظهر أن عمان كانت مدرسة علمية في الإسلام، ولذلك ينسب إلى عمّان كثير من العلماء رواة الأحاديث النبوية الشريفة؛ الذين سطعت أنوارهم على ثراها، وتنسموا عليلها، ومن هؤلاء الأفاضل السائب بن أحمد، والسائب بن عمر، وقاضي عمان حفص بن عمر[٨] وأبو دفاقة[٩] ومحمد بن كامل العمّاني[١٠].

❖ ومن أشهر آثار عمان:

أولاً: المسجد الحسيني الكبير: يقع وسط عمان، وقد ذكر العلماء أنه جامع يشبه المسجد الحرام شكلاً، وأنه مرصع بالفسيفساء؛ قال الرحالة البشاري المقدسي المتوفى عام ٣٨٠هـ الموافق ٩٩٠م: (عمّان على سيف البادية، ذات قرى ومزارع، ورستاقها[١١] البلقاء، وهي معدن الحبوب والأنعام، بها عدة أنهار، وأرحيَة يديرها الماء، ولها جامع ظريف في طرف السوق، مفسفس الصحن، شبه مكة)[١٢].

والمراد بكونه شبه مكة أن تصميم البناء القديم للمسجد يشبه تصميم البناء القديم للمسجد الحرام بمكة، وما زالت ترتفع مآذن مسجد في وسط عمان في الموقع نفسه، وهو المسجد الجامع الذي أقيم الآن مقامه المسجد الحسيني الكبير، واختلفت الأقوال في اسمه القديم؛ فقد يطلق عليه بعضهم المسجد العمري، بينما يسميه آخرون المسجد الجامع، وسمّي بالمسجد الأموي، والعباسي، واسمه المتفق عليه حالياً المسجد الحسيني الكبير؛ نسبة إلى الشريف حسين بن عون رحمه الله، إذ يوجد الآن فوق الباب الخارجي الأوسط نقش يؤرخ لبناء هذا المسجد في عهد سمو

الأمير عبدالله بن الحسين؛ نصه: (أمر بناء هذا المسجد عبد الله ابن أمير المؤمنين الحسين بن علي بن محمد بن عون إبان إمارته على نواحي الأردن عام ١٣٤١ هجرية).

ثانياً: المدرج الكبير: هو المشهور بالروماني، والظاهر أنه ملعب رسول الله سليمان عليه السلام، قال الرحالة البشاري المقدسي وهو يصف عمان: (بها قصر جالوت على جبل يطل عليها، وعليه مسجد، وملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[١٣]، وقال المقريزي في عمان: (قيل: هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[١٤]، وليس المراد بالملعب هنا مكان لهو، وإنما هو لتعلّم فنون المصارعة وآلة الحرب والفروسية.

ثالثاً: القلاع الشهيرة على جبل القلعة:

يوجد آثار كثيرة على جبل القلعة الذي يطل على المدرج الكبير؛ وفي التاريخ أخبار كثيرة عنها؛ فقد سميت بقصر جالوت؛ قال الرحالة البشاري المقدسي وهو يصف عمان: (بها قصر جالوت على جبل يطل عليها)[١٥]، وجالوت هو الذي قتله رسول الله داود؛ كما ورد في القرآن؛ قال الله تعالى: **﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾**[١٦].

وذكر الإصطخري[١٧] أن في عمان دار ضيافة لزبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، وأنه ليس بالشام دار ضيافة غيرها، وزبيدة هي التي توفيت سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م- وهي من فضليات النساء وشهيراتهن.

رابعاً: مسجد ومقامات أهل الكهف بجوار عمان: أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم؛ وفرّوا من القوم الذين اتخذوا من دون الله آلهة؛ قال الله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾**[١٨]، وقد قصّ الله تعالى قصتهم؛ واختلف العلماء في مكان الكهف؛ قال ابن حجر: (اختلف في مكان الكهف فالذي تضافرت به الأخبار أنه في بلاد الروم، وروى الطبري أنه بالقرب من أيلة، وقيل: بالقرب من طرسوس، وقيل: بين أيلة وفلسطين، وقيل: بقرب زيزاء، وقيل: بغرناطة من الأندلس).

ويرجح أن الكهف المشهور في الأردن

بجوار عمان الأقوال الآتية:

١- قال ياقوت الحموي: (قيل: إن عمان هي مدينة دقيانوس -الذي فتن أصحاب الكهف- وبالقرب منها الكهف، والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم)[١٩].

٢- قال ابن شداد: (البلقاء بلد به الكهف والرقيم، وعنده مدينة يقال لها: عَمَّان بها آثار قديمة)[٢٠].

٣- قال المقريزي: (عُمّرت مدينة عمان من البلقاء للأمير صَرْغَتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد، وهي بلد قديم من بناء عمان ابن أخي لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط، وقيل: هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام)[٢١].

٤- قال القزويني: (بلقاء: كورة بين الشام ووادي القرى، بها قرية الجبارين ومدينة الشراة، وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم)[٢٢].

ويقال: إنه في البتراء؛ عن ابن عباس: (**﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾** قال: الرقيم: واد بين عُسْفان وأيَلة دون فلسطين، وهو قريب من أيَلة)[٢٣]، وقال ابن العربي: (قَالَ قَوْمٌ: إنَّ الْكَهْفَ فِي نَاحِيَةِ الشَّام عَلَى قُرْبٍ مِنْ وَادِي مُوسَى، يَنْزِلُهُ الحُجَّاجُ إذَا سَارُوا إلَى مَكَّةَ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي بَاب: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾**، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ بَابَ حَدِيثُ الْغَار، وَذَكَرَ عَلَيْهِ خَبَرَ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمْ الْمَطَرُ إلَى غَار، وَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: وَاَللَّهِ لاَ يُنْجِيكُمْ إلاَّ الصِّدْقُ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ)[٢٤].

ولعلهما -قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الغار- قد حدثتا في الكهف المشهور في عمان، وأما ما يقوله العلماء من كونه في البلقاء فلأن مصطلح البلقاء يشمل البلاد من مؤتة إلى إربد، وقد يشمل أكثر من ذلك، والله تعالى أعلم.

ويقع الكهف ضمن مقبرة قديمة؛ في أراضي (أبو علندا)، وقد حفرت قبورهم في سفح الجبل، ويفتح المدخل على قاعة مركزية تتفرع عنها ثلاثة محاريب؛ مسقوفة، وتوجد سبعة مدافن حجرية في الكوتين الشرقية والغربية، مزينة بزخارف هندسية ونباتية، وتغطي جدران الكهف

الداخلية كتابات يونانية وعربية بالإضافة إلى بعض الرسومات، كما يوجد في الموقع مسجدان قديمان؛ يقع الأول فوق الكهف مباشرة، ويمكن رؤية محرابه فوق مدخل الكهف، أما الثاني فيقع في الساحة أمام الكهف، وقد يعود تاريخ بناء المسجدين إلى الفترة الأموية؛ إذ وجد العديد من الكتابات في المسجدين وداخل الكهف، تشير إلى محاولات كثيرة لإعادة بناء وتجديد الأبنية على امتداد الفترات الإسلامية، وتوجد بالإضافة إلى المسجد في ساحة الكهف الأمامية شجرة زيتون قديمة، ومعالم معصرة زيتون عند زاوية المسجد الجنوبية الغربية، وفي عام ٢٠٠٧م بُني عليه معهد الملك عبد الله الثاني لإعداد الدعاة وتدريبهم، وقد روعي في التصميم العديد من العناصر المعمارية الإسلامية المتميزة، وتقدّر مساحته الإجمالية (١٥٠٠م٢).

خامساً: مقام بلال بن رباح رضي الله عنه في قرية بلال في وادي السير: بلال بن رباح رضي الله عنه؛[٢٥] مؤذن رسول الله ﷺ، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهد بدراً، وعاش بضعاً وستين سنة، وهو من أول سبعة أظهروا إسلامهم، وشهد له النبي ﷺ بالجنة، فعن أبي بريدة رضي الله عنه قَالَ: (أصبحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فدعا بلالاً فقَالَ: يا بلالُ بمَ سبقتني إلى الجَنَّةِ؟ ما دخلتُ الجَنَّةَ قطُّ إلاّ سَمِعْتُ خَشخَشتَكَ أمامي، دخلتُ البارحةَ الجَنَّةَ فسَمِعْتُ خشخشتكَ أمامي، فأتيتُ على قصرٍ مُربَّعٍ مُشْرِفٍ من ذهبٍ، فقلتُ: لمن هَذَا القصرُ؟ قَالُوا: لرجلٍ من العَربِ، فقلتُ: أنا عربيٌّ لمنْ هذا القصرُ؟ قالوا: لرجلٍ من قُريش، فقلتُ: أنا قُرشيٌّ، لمن هَذَا القَصرُ؟ قَالُوا لرجلٍ من أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقلتُ: أنا مُحَمَّدٌ لمن هَذَا القصرُ؟ قَالُوا: لعُمَرَ بن الخَطَّاب، فقَالَ بلالٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ ما أذَّنْتُ قطُّ إلا صلَّيتُ ركعتينِ، وما أصابني حدثٌ قطُّ إلاّ توضأتُ عندها ورأيتُ أنَّ للَّهِ عليَّ ركعتينِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بهمَا)[٢٦].

شارك بلال رضي الله عنه في اليرموك على أرض الأردن، واختلف العلماء في مكان وفاته؛ قال ابن إسحاق: توفي بلال رضي الله عنه سنة عشرين بدمشق، وقيل: بحلب، وقيل: غير ذلك، وله مقام في وادي السير في قرية سميت باسمه (بلال)، ولعله عاش في هذا المكان، ولم يدفن فيه، والفرق واضح بين المقام والضريح في هذا المجال، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

١- الديكابولس decepolis تحالف روماني يوناني، ضم أهم المدن في منطقة بلاد الشام؛ وفي الأردن مدن منها؛ هي فيلادلفيا (عمان)، وأبيلا (حرثا)، وجراسيا (جرش)، وجدارا (أم قيس)، وكانتا أم الجمال، طبقة فحل، ودايون -تل الحصن وإيدون- وبيت رأس.

٢- الأنساب ص٣٩٩.

٣- رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن ثوبان رضي الله عنه، وقال السيوطي: صحيح

٤- معجم البلدان ٤/ ١٥١.

٥- معجم مقاييسُ اللّغة لأبي الحسين أحمد بن فارِس ٤ / ١٢.

٦- اسم ناقة الشاعر.

٧- السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢٢٦.

٨- الأنساب ص٣٩٩.

٩- تاريخ دمشق ٣٥١/٨ .

١٠- معجم البلدان ١/ ٢١٤.

١١- الرُّستاق السواد الذين يقطنون حول مجتمع الناس، أي: الضواحي

١٢-١٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٥.

١٤- السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢٢٦.

١٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٥.

١٦- سورة البقرة ٢٥٠-٢٥١.

١٧- المسالك والممالك ١ / ٢٥.

١٨- سورة الكهف ٩.

١٩- معجم البلدان ٤/ ١٥١.

٢٠- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ابن شداد ١ / ١١٠.

٢١- السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢ / ٢٢٦.

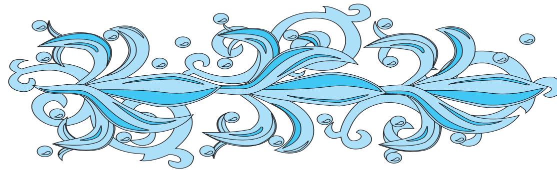
٢٢- آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ١ / ٦١.

٢٣- تفسير الطبري ١٧ / ٦٠٢.

٢٤- أحكام القرآن لابن العربي ٥ / ٣١٣.

٢٥- سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٤٧، الطبقات الكبرى ابن سعد: ١ / ١٦٥، الاستيعاب: ٢ / ٢٦.

٢٦- رواه الترمذي: أبواب المَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.



رسالة الخطيب

■ بقلم الاستاذ شعيب الجابري

الخطابة فن من الفنون العريقة التي اهتدى اليها الانسان منذ القديم، وقد حظيت بشأن عظيم عند العرب في الجاهلية يستخدمونها في منافراتهم، وفي النصح والإرشاد، وإثارة الحماسة والدعوة الى السلم والحرب، وفي مناسباتهم الاجتماعية، متحدثين عن أمجاد القبيلة ومحامدها، وفاق الخطيب الشاعر في هذا المجال وعلت منزلته وسمت مكانته.

جاء في كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ: «فلما كثر الشعر والشعراء صار الخطيب اعظم قدراً»، واستدل الجاحظ بشهادة الشاعر:

ومتى تتم عند اجتماع عشيرة

خطباؤنا بين العشيرة تفصل

ورغم هذه المكانة وهذا الشأن العظيم يظل كلام الخطيب في الجاهلية مطبوعاً بطابع العصبية القبلية، يحرض الناس على الفتن، ويُلهب مشاعرهم، الى ان جاء الاسلام فوجهه التوجيه السليم، وصارت الخطابة عبادة ككل العبادات، مقرونة بصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء، تهدف فيما تهدف اليه الى صناعة الانسان السوي وتكوين المسلم الصالح عقيدة وعبادة ومعاملة، وتحول الخطيب من بوق للقبيلة الى داعية لله عز وجل، ملتزم بتعاليم دينه، متخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، بل صار وريث منبر رسول الله

ﷺ يدعو بدعوته، ويسير على نهجه، يبتغي بذلك رضا ربه وحظوة عنده عز وجل، «من دعا الى الهدى كان له من الاجر مثل اجر من تبعه، لا ينقص من اجورهم شيئاً».

والخطابة وان تغير جوهرها فقد أبقت على رسالتها في استمالة الناس وحشد عزائمهم، لكن في الاتجاه الذي يرضي الله ورسوله ﷺ، ترشد الناس وتعظهم وتوجههم الى الخير، وتقوي صلتهم بخالقهم، وتعلمهم ما جهلوا من أمور دينهم، وهي في الحقيقة مهمة شاقة ومسؤولية جسيمة، تحتاج الى من يرعاها حق رعايتها، ويتصف بصفات يفتقدها بعض خطبائنا، ويمكن اختزال هذه الصفات فيما يلي:

١- حسن الخلق:

الخطيب داعية، والدعاة ورثة الأنبياء، والخطيب وريث منبر رسول الله ﷺ، ولا يليق بوريث هذا المنبر الشريف الا ان يتحلى بأخلاق عالية، أخلاق رسول الله ﷺ، الذي كان قرآناً يمشي على الارض، حتى يعطي السلوك الامثل والقدوة الحسنة لمن يتلقون عنه، ولا يجوز بحال من الاحوال ان يسمح الخطيب لنفسه بموقف تشير اليه الاصابع فيه، انه بذلك يسيء لدينه اكثر مما يسيء اليه الاعداء والخصوم، ويُفقد كلامه اية مصداقية، لأنه يعظ الناس بما لم يتعظ به، ويقول ما لا يفعل، فيمقته الناس، ومقت الله اشد وأكبر **﴿يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾**.

٢- قوة الشخصية:

وتتجلى قوة الشخصية عند الخطيب في جرأته الخطابية ووثوقه من نفسه وهدوء باله، حتى اذا اعتلى المنبر شد اليه انظار الناس، ونبه الغافلين منهم، فإذا تكلم حرك القلوب وهز المشاعر.

وقوة الشخصية لا تعني الرياء والحركات الاستعراضية والتصنع في القول، والترفع عن الناس، فذلك مدعاة لتنفير الناس من شخصه، فضلاً عما يقول، ومن طبيعة الناس، التي جبلهم الله عليها، أنهم لا يتقبلون قول من يستطيل عليهم او يغلظ لهم في القول او يستصغرهم، إنهم يقدِّرون من تواضع لهم،

ونزل الى مستوى فهمهم، فيفتحون له قلوبهم ويشربون من معانيه الطيبة، فتسمو عند الله منزلته ويرتفع عند الناس قدره «من تواضع لله رفعه».

ولا تتوقف صفات الخطيب عند حسن الخلق وقوة الشخصية، بل لا بد ان يتصف بصفات أخرى لا تقل اهمية عن الأولى، ألا وهي ان يكون واسع الاطلاع، حيث يفترض في كل خطيب وواعظ، الإلمام بكتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله الكريم ﷺ، كما يفترض فيه ان يكون سليم المرجعية، فلا يعتمد على مراجع مشبوهة او مشوبة بالموضوعات والاسرائيليات، ولا يعتمد الخطب الجاهزة المؤلفة التي تعود الى عصر غير عصره كما هو حال بعض الخطباء، فيتحدثون في زمن غير زمانهم، وعن مجتمع غير الذي يعيشون فيه ويأتون بأحاديث لا أصل لها، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، مما يجعلهم في وضع حرج عندما يستفسرون من قبل بعض المصلين فلا يجدون للرد كلاماً.

قال لي احد الخطباء المخضرمين آسفاً على الزمن الذي مضى: «كنا نلقي خطبنا كيفما تيسر ولا يجرؤ احد من المصلين على مسائلتنا، اما اليوم فقد صرنا نُسأل حتى عن تخريج الأحاديث» والوقوف عند كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ، والاكتفاء بهذا القدر على اهميته غير كاف في زمن الانترنت والحاسوب، والخطيب اذا لم يعمل على توسيع معارفه والانفتاح على ثقافة عصره ومجريات الأمور المحيطة به، انما يحكم على نفسه بالانعزال والانطواء، ويحكم على مهمته بالفشل.

انها بالفعل مهمة شاقة تقتضي الاجتهاد والبحث وتجديد المعارف، والتفاعل مع الواقع، حتى اذا كان يوم الجمعة جاءت الخطبة بمادة دسمة شاملة تغذي نهم المتلقي، وتقدم له دينه بصورة مشوقة.

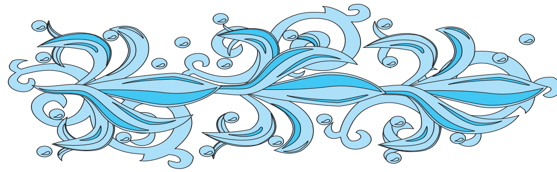
❖ التيسير والتبشير:

وقد ابتليت الخطابة بما ابتليت به الدعوة الى الله عموماً من المكفرين والمتشددين والمفسقين، او المتساهلين الى ادنى حد بلا حجة ولا دليل، وقد تكون حجتهم في غالب الأحيان حديثاً موضوعاً او ضعيفاً او يأخذون بظاهر النص، دون

ان يكلفوا انفسهم عناء البحث عن جوهر النص وأسباب النزول، بل هناك من لا يتورع عن إدراج احاديث وقصص من الاسرائيليات، ويأتون بخطب حسب المزاج والهوى، فإن كانوا متشددين شددوا على الناس، وان كانوا متساهلين تساهلوا في حدود الله، الشيء الذي أساء لصورة هذا الدين في أذهان الكثيرين، فنعتوه بما لا يليق به كما نعتوه بالتشدد وعدم ملائمته لروح العصر، ولنا في خطب النبي ﷺ وفي خطب الصحابة ما يغني عن الحديث.

تيسير وتبشير وبساطة، ذلكم هو دين الله، وتلكم هي دعوة رسوله ﷺ التي استقاها من قوله تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**.

وختاماً، هذه فقط صرخة صادقة، وهمسة في أذن المخلصين في زمن الوهن والاستضعاف الذي تعرفه الأمة الاسلامية، وما احوج هذه الأمة الى خطباء من طينة خاصة، يظهرون الوجه الحقيقي للاسلام ووسطيته وسماحته **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**.



شهادة الزور

■ بقلم الشيخ جعفر بني حمد

ما أحوج النَّاس في عهود الانحراف عن هداية الله، إلى أن يعرفوا أثر الذنوب وما تجره عليهم من دمار وهلاك وشؤم وشقاء ومن هذه الذنوب التي فشت في مجتمعنا الاسلامي شهادة الزور تلك الشهادة التي حذر منها المولى سبحانه وتعالى وأمر باجتنابها قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾الحج: ٣٠-٣١ .

لقد ندبنا الاسلام إلى الشهادة وأمرنا بها اذا ما دعينا اليها قال تعالى: **﴿ولا تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾** البقرة: ٢٨٣ ولكن الأمر جاء بأن تكون شهادة قائمة على الصدق والعدل وتحري الحق من الباطل قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾** النساء: ١٣٥، وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) رواه البخاري، وتكرار التحذير من شهادة الزور هنا لتساهل الناس بها وكثرة الدواعي إليها، كالعداوة والحسد ولما يترتب عليها من المفاسد الكبيرة، فكم ضاعت حقوق من أصحابها بسبب شهادة الزور! ولقد بين الرسول ﷺ أن من اقتطع حق امرىء

مسلم بيمينه -وغالباً ما تقترن شهادة الزور باليمين- فإنه يأخذه غصباً وزوراً سواء أكان هذا المال قليلاً أم كثيراً، وسيترتب على ذلك تحريم الله تعالى عليه الجنة واستحقاق دخوله النار، فعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنه فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك) رواه مسلم كما أنه يبوء بغضب من الله تعالى فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان) متفق عليه ثم قرأ علينا من كتاب الله عز وجل **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** آل عمران: ٧٧ ومن التساهل في شهادة الزور ما يفعله بعض الناس في المحاكم من قوله لشخص يقابله هناك: إشهد لي وأشهد لك فيشهد له في أمر يحتاج الى علم بالحقيقة والحال، كأن يشهد له بملكية أرض أو بيت أو تزكية وهو لم يقابله إلا على باب المحكمة وهذا كذب وزور فينبغي أن تكون الشهادة كما ورد في كتاب الله: **﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾** يوسف:٨١، فكم من حقوق ضاعت بشهادة الزور، وكم وقع من ظلم على أبرياء بسببها أو حصل أناس على ما لا يستحقون، أو اعطوا نسباً ليس بنسبهم بناء عليها.

وبالرغم من هذه الشناعة المترتبة عليها، فإن بعض الناس يقومون بها مقابل أجر ضئيل فقد يقوم بها مقابل وجبة غداء في مطعم، أو نظير دراهم قليلة يأخذها بعد الشهادة، ألا فليعلم شاهد الزور أنه بهذه الوجبة أو الدراهم التي يأخذها إنما يقتطع قطعة من النار ليضعها في بطنه، ولو علم شاهد الزور أن الله وملائكته وأنبياءه ورسله يلعنونه في هذه اللحظة، ما فعل هذا الفعل القبيح ولما قال هذا القول الكذوب.

وهو بهذه الشهادة القبيحة إنما يرتكب جرائم ثلاثاً:

الجريمة الأولى: أنه يجعل لمن شهد له، حقاً ليس له، دون خوف أو وجل.

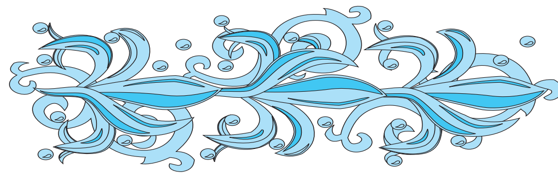
الجـريمـة الثـانيـة: أنه يأخـذ حـقـاً من شخص إلى شـخص آخر، فكأنه بذلك يحل حـراماً ويحـرم حـلالاً ومن فعل ذلك فقـد تجــاوز حــده واعــتــدى على هـداية ربه وتصرف فيما ليس من حقـه ومن فعل ذلك مُستَحِلاً فقد كفر.

الجريمة الثالثة: أنه يحلف كذباً وبهتاناً ويتــجــرأ على الله والنـاس بهــذه الأيمان الكاذبة وتلك هـي شهادة الزور.

هذه هـي أضــرار شــهــادة الزور فــهي أضرار اجتماعيـة -دينية وإنسانية- فهي لا تقل شنـاعـة عن جـريمتي القـتل والسـرقـة، فــريما دفع شــاهد الـزور صــاحب الحق الأصلي إلى ارتكاب جريمة القتل لتخليص حـقــه المغـصــوب أو جــريمة الســرقــة، لاسترجاع حقه المسلوب.

فـهي من أبغض الذنوب إلى الله تعـالى جـعلهـا الرسـول ﷺ قـرينة الشـرك بالله وعـقـوق الوالـدين، وفي اقـترانهـا بهـمـا مـا يدل على مـا فـيـهـا من قـبح وتنفـيـر ولما يتـرتب عليها من مفاسـد وأضـرار جسيمـة في المجتمع.

والحمد لله رب العالمين



خُلق الشكر

■ **بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي**

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ وقال جل وعلا: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ وقال رسول الله ﷺ: «أشكر الناس لله أشكرهم للناس».

الشكر هو اعتراف المرء بالإحسان لذويه، وإقراره بالثناء على مسديه، فجحد النعمة كفر، وإنكارها لؤم، لهذا كان من الواجب ان يشكر الانسان المولى جل وعلا على تواتر نعمه، ومزيد إحسانه حتى يضاعف له في رزقه ويبارك له في عمله، كما يجب عليه الا يجحد شكر من قدّم إليه صنيعاً حسناً أو أولاه معروفاً، فإذا فعل ذلك فقد أدى الواجب المستحق واستحق المعونة والعطف متى عرته شدة أو نابته نائبة.

قال علي كرم الله وجهه: «كفر النعمة لؤم»، وقال الحسن: «كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها، فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها»، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «تذكروا النعم فإن ذكرها شكر»، وقال المغيرة بن شعبة: «اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم اذا كفرت، ولا زوال لها اذا شكرت».

ودخل هارون على بعض الحكماء فقال له: يرحمك الله ما شكر العينين؟ قال: اذا

رأيت بهما خيراً ذكرته، وإذا رأيت بهما شراً سترته، وقال: فما شكر الأذنين؟ قال: اذا سمعت بهما خيراً حفظته، واذا سمعت بهما شراً نسيته.

وسئل بعضهم: ما أضيع الاشياء؟ قال: المطر الجود في ارض سبخة لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، وسراج يوقد في الشمس، وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها.

وقال بعض العقلاء: امسكوا المعروف عن ثلاثة: اللئيم فإنه بمنزلة الارض السبخة، والفاحش فإنه يرى ان الذي صنعته له انما هو لمخافة فحشه، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت اليه.

قال الشاعر:

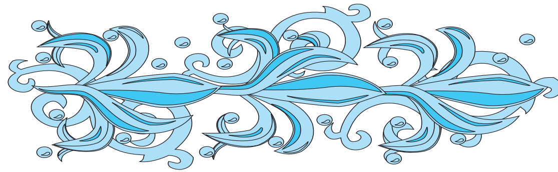
سأشكر لا لأني اجازيك منعماً
بشكري ولكن كي يزاد لك الشكر
واذكر اياماً لدي اصطنعتها
وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر:

أوليتني نعماً أبوح بشكرها
وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت
فلتشكرنك أعظمي في قبرها

نرجو الله تعالى ان يجعلنا من عباده الشاكرين المقدرين.

والحمد لله رب العالمين



٢

صفحات
من العسكرية العربية الاسلامية
المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه

■ **بقلم الاستاذ مصطفى هديب**

في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تقدم ابو عبيد عمرو بن مسعود الثقفي، من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعلن على الناس انه يلبي نداء أمير المؤمنين بالذهاب الى العراق، ثم تقدم بعده سليط بن قيس وتدافع المسلمون على أثرهما يلبون النداء حتى اجتمع منهم ألف رجل.

فسر أمير المؤمنين بذلك، وأمر المثنى ان يسرع في العودة الى العراق، «النجاء حتى يقدم عليك اصحابك»!

واكتملت عدة الجيش وجعل ابو عبيد الثقفي أميراً عليه، وعلى جيش العراق كله، وسار ابو عبيد الى العراق وقد وجد المثنى قد انسحب بجيشه من الحيرة الى خفّان.

وصار المثنى تحت إمرة ابي عبيد بهذا امر امير المؤمنين عمر بن الخطاب وانصاع المثنى الجندي القائد المجاهد في سبيل الله لهذا الأمر، وكان المثنى على عهده مخلصاً يرجو ثواب الله وفي خدمة الاسلام والمسلمين.

كان رستم الفارسي قد وجه جيشين لمحاربة المسلمين الاول بقيادة «جابان»

وأمره ان يتخطى الفرات الى الحيرة، وجعل على الآخر «نرسين» وأمره ان يعسكر بـ «كسكر» بين الفرات ودجلة.

والتقى الجيش الاسلامي بقيادة ابي عبيد الثقفي بجيش جابان في النمارق بين القادسية والحيرة، وانتصر المسلمون على الفرس، وأسر جابان ومساعده «مردانشاه».

قتل مردانشاه وأما جابان فقد خدع من اسره واطلق سراحه وامر رستم الجالينوس «احد قواد الفرس» ان يلحق بنرسي، المعسكر بكسكر عوناً له، ولم يكن حظ جيش ترسين بأحسن من حظ جابان، فقد التقى بجيش المسلمين فهزم هزيمة منكرة في «السقاطية» قرب كسكر!!.

وبعد ذلك وجد ابو عبيدة قائد جيش المسلمين قواده ومنهم المثنى فاحتلوا سواد العراق من اسفله الى اعلاه.

أفاء الله على المسلمين اثر غزوة السقاطية مغانم كثيرة ولم يفرح المسلمون بشيء فرحهم بتمر يدعى «النرسيان» كان ملوك فارس يحبونه وقد اقتسموه بينهم، واطعموا منه الفلاحين، ثم بعثوا بخمسه الى عمر بالمدينة.

❖ معركة الجسر الخاسرة:

عظم على الفرس ما أصابهم في النمارق والسقاطية ووجهوا الى المسلمين (بهمن جاذويه) ومعه الجالينوس وتراجع ابو عبيد وجنوده الى قرية قُس الناطف، وعبروا النهر اليها.

وصار النهر «الفرات» بين الفرس والمسلمين ثم بعثوا الى ابي عبيد يقولون له: «اما ان تعبروا اليها وندعكم والعبور وإما ان تدعونا نعبر اليكم»، واشار اصحاب ابي عبيد الا يعبر ويدعهم يعبرون، لكن ابا عبيد رفض ذلك فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا: «ان العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا وانهم قد فعلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به احد، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فرة الى كرة، فقال: «لا افعل، جبنت والله اذاً وجبن سليط»، فرد عليه سليط: انا والله أجرأ منك نفساً، وقد اشرنا عليك بالرأي فستعلم.

كان جند المسلمين عشرة آلاف وضاق بهم المكان الذي ترك لهم وراء الجسر فلم يكن لهم مرجع من فرة الى كرة، ولم يمهلهم بهمن حتى يتم عبورهم فحملوا على المسلمين وتقدمت الفيلة جيش الفرس وفرت منها خيول المسلمين ورشق الفرس

المسلمين بالنبل فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وترجل ابو عبيد وجنوده ووصلوا الى الفرس وقتلوا منهم ستة آلاف.

وتسلط المسلمون على الفيلة يقطعون بطن هوادجها حتى تخلصوا من شرها وتناوب الجيشان التقدم والتراجع ساعات النهار، وتقدم ابو عبيد من فيل شرس فضرب خرطومه بسيفه فهاج الفيل فداس ابا عبيد حتى ازهقت روحه وسحبت جثته!

وكان ابو عبيد قد اوصى بالقيادة من بعده ان استشهد لسبعة من قومه فصارت اليهم الراية والقيادة، وقد استشهدوا جميعاً الواحد اثر الآخر.

وجاء دور المثنى، وتسلم القيادة والمعركة محتدمة، رأى المثنى ان الجيش الاسلامي قد اختل نظامه واضطربت صفوفه، فأخذ يفكر! وهو ينظر ماذا يعمل جاءه خبر عبد الله بن مرشد الثقفي يقطع الزوارق الاولى من الجسر ليمنع الناس من الانتقال الى الضفة الأخرى ولا يعودوا يقاتلون، واستولى الفزع على الناس، وتواثبوا في النهر، وهلك منهم كثيرون، ووقف المثنى ينادي وقد امر ان تعاد الزوارق على الجسر، يا أيها الناس: انا دونكم فاعبروا على هيأتكم، ولا تدهشوا، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، وظل المثنى يقاتل ويحول بين رجاله وبين الفرس، واصيب المثنى بضربة رمح جرحته واثبتت فيه حلقاً من درعه، وقاتل مع ابي زيد النصراني دفاعاً عن المسلمين، وابلى سليط بن قيس، كما ابلى المثنى وعبر جند المسلمين المروحة ولما اتموا سار المثنى خلف الجند واستشهد سليط بن قيس، وانحدر المثنى مسرعاً بجنوده الى الحيرة ثم الى أُليَّس، وهو يحسب لمتعقبيه الف حساب!.

لقد قتل من جنود المسلمين من قتل، وغرق في الفرات عدد كبير، وفر ألفان من اهل المدينة ينجون بأنفسهم، وتعقب الجيش المسلم جند من الفرس وعلى رأسهم جابان ومردانشاه واجتمع اهل أليس وجند المثنى ونازلوا هذا الجيش وأسروا جابان ومردانشاه وقتلوهما واصحابهما.

ووصلت انباء هزيمة المسلمين الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، اخبره بها عبد الله بن زياد، ودخل بعض المنهزمين الى المدينة منكسي الرؤوس وبعضهم سكن البوادي وكان عمر رضي الله عنه يواسي العائدين من الحسرة «يا معشر المسلمين لا تجزعوا انا منكم وانما انحزتم الي يرحم الله ابا عبيد».

تحصن المثنى بأليس وبعث الى عمر بن

الخطاب أمير المؤمنين يستمده المدد، وبعث الى من هم بجواره من قبائل العرب بينهم نصارى بني النمر الذين قالوا: «نقاتل مع قومنا».

ووافق بنو بجيلة ان يذهبوا الى العراق مدداً للمثنى ولهم الربع في خمس الفيئ، وتجمع من فر من الجسر وعادوا ليقاتلوا مع المثنى، ثم تابعهم بنو الأزد وبنو كنانة وغيرهم من العرب، ومعهم نساؤهم وأبناؤهم.

وفي هذا الوقت تنادى الفرس الى قتال المسلمين فجمعوا جمعاً عظيماً أمروا عليه القائد مهران الهمذاني.

كان المثنى يعسكر في مكان قريب من أليس وهو مرج السباح، فأرسل الى أمراء المدد القادم من المدينة من القبائل العربية ان موعدنا البويب، وهو مكان قرب الكوفة في جنوب العراق اليوم.

واجتمع المسلمون في البويب، وقوات مهران قبالتها ولا يفصل بينهما الا النهر، وكان جيش المثنى من جنوده الذين ظلوا معه، ومن الازد وكنانة وبجيلة، ومن غيرها من القبائل القادمة من المدينة وفيه من نصارى تغلب وبني النمر، وقبائل اخرى من قبائل العراق.

وعبأ المثنى جيشه، وعبر الفرس النهر الى المسلمين، وقال المثنى: اني مكر ثلاثاً، فتهيئوا ثم حملوا مع الرابعة، وما ان كبر المثنى الاول حتى اعجل الفرس العرب، وعاجلوهم فشدوا عليهم.

واختلت لشدة الفرس بعض صفوف المسلمين من بني رعْجِل، فأرسل المثنى من يقول لهم: ان الامير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم.

واشتبك الفريقان ورأى المثنى ان المعركة تتأرجح بين الفريقين وقد تطول، لذا فكر في حسمها بأن يحمل على قائد الفرس فيقتله، ودعا اليه انس بن هلال النمري، وابن مردي الفهر التغلبي وقال لكل منهما: انك امرؤ عربي وان لم تكن في ديننا، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي.

وحمل المثنى فأزاله من مكانه حتى دخل في ميمنته، واندفع الفرس يحمون قائدهم وثار الغبار واشتبك الفريقان وانجلى الغبار وقد تراجع قلب الفرس فحملت عليهم ميمنة المسلمين والميسرة فاندفع الفرس الى ناحية النهر يبتغون النجاة.

وكان المثنى يحض جنوده: عاداتكم في

امـثـالهم انصـروا الله ينصـركم، وانهـزم الفــرس واخـذوا يولون الادبار يـريدون ان يعبروا الجسـر وسبقهم المثنى الى الجسـر وردهم عنـه، وقـتل منـهم المسلمـون اعـداداً هائلة وسمي يوم البويب «يوم الاعشار» لأن المسلمين خصـوا مـائة رجل قتل كل واحـد منهم عشرة من الفرس.

يقــول د. هـيكل: انتــصـــر المسلمـــون بالبـويب نصـراً مبـيناً وكـان اجتـمـاع الناس على محبة المثنى من اسـباب النصر بل كان اجل هذه الاسباب واعظمها.

واسـتشـهـد مسـعـود بن حـارثـة شـقـيق المثنى وقـــال وهو دنف (اي لازمـــه المرض وقـربت وفـاته): «يـا مـعـشـر بكـر بن وائل، ارفـعــوا رايتكم رفـعكم الله، لا يهـولنكم مصرعي».

وقـاتل انس بن هـلال النمـري النصـراني حتى قتل، وحمل غـلام نصـراني من تغلب على مهران فقتله واستولى على فرسه، ولما سبق المثنى الفـرس على النهـر فمنعـهم من عبـوره، حاز عـرفجـة بن هـرثمة كتيبـة منهم الى الفـــرات، فلمـــا احـــرجـــوا كـــروا عـلـى عـرفـجـة ورجاله فـقاتلوا ونالوا منهم، فقـال رجل لعـرفـجـة: لـو أخـرت رايتك، فـقـال عـرفـجـة: علـي اقـدامـهـا، وحـمل بهـا على الفرس فـولوا نحـو الفـرات فـمـا بلغـه احـد منهم حياً.

وكـمـا حـزن المثنى على اخـيـه مـسـعـود، حزن على أنس بن هـلال النصـراني، وجلس المسلمون بعد النصـر حول المثنى فحـدثهم: قـــاتلت العــــرب والعـــجم فـي الجـــاهـليـــة والاســــلام والـلـه لمائـة مـن العـــــجم فـي الجـاهليــة كـانوا اشـــد علـي من الـف من العـرب، ولمائـة من العـرب اليـوم أشــد علي من الف من العـجم وان الله اذهـب بأسـهم ووهـن كيـدهم فـلا يروعنكم زهـاء ترونه، ولا قسي فج، ولا نبال طوال فـإنهم اذا اعـجلوا عنهـا اوقـدوهـا كـالبـهـائم أينمـا وجـهـتـموهـا اتجهت.

واخـذت الأمـور فـي جبـهـة فـارس تميل الى لاتحـــاد ونبـــذ الفــرقـــة وملكـوا عليــهم يزدجـرد بـن شـهـريار بن كـسـرى واتحـدوا تحت رايتـه ووصلت انبـاء ذلك الى المثنى فـســار فـي جنـده حـتى نـزل بذي قـار علـى تخـوم الباديـة العـربيــة ليـأمن مـن مـفـاجـأة الفرس.

ولم يفـكر الفـرس فـي السـيـر لمواجـهـة المثنى في ذي قـار، وأخيـراً تحـرك سـعـد بن ابي وقـاص اميراً على الجيوش التي جهزت للقضاء على دولة الفرس.

ولكن الله تعالى لم يمهل المثنى ليشارك في هذا الجهد الجديد، فقد نفر عليه الجرح الذي اصابه يوم الجسر وقبض المثنى ولم يلق سعداً، وهكذا انتهى دور المثنى على مسرح الحياة ولقي وجه ربه سبحانه وتعالى قائداً مجاهداً مغواراً، مقاتلاً شجاعاً في سبيل الله.

❖ نظرة في مآثر القائد البطل المثنى:

ظل العرب قروناً متطاولة يرهبون الفرس، وكان الفرس يتعاورون مع الحبشة احتلال اليمن ولكنهم يستأثرون ببعض مناطق الجزيرة العربية الشرقية، اما من جهة العراق فقد كان المناذرة يكفونهم عرب الجزيرة.

وكانت اول معركة هي «ذي قار» وفيها انتصر العرب على العجم، ولما جاء المثنى الى المدينة يطلب المدد وقف في الناس خطيباً ومما قاله: لقد اجترأنا عليهم وغلبناهم على افضل شقي السواد.

وكلمة اجترأنا فيها من الدلالة الشيء العظيم وهي تعني اننا لم نعد نخاف فارس، فقد انهدم الجدار الذي كان يرعبنا منهم، واصبحنا نحاربهم ونهزمهم فعلام الجبن والتباطؤ؟!

حتى جاء ابو عبيد وتأمر على جيش المسلمين وانضوى المثنى تحت امرته، ومن قبل صار تحت امرة خالد، وشارك في كل معارك خالد التي بلغت ١٥ معركة وشاركه الانتصار هناك، وها هو يطلب المدد بعد الانتصار المشرف العظيم الذي قاده المثنى.

ويأتي جرير بن عبد الله البجلي بجيش الى العراق، ويظل اميراً على جيشه ويرفض ان ينضوي تحت لواء المثنى، فلا يبرم المثنى بذلك وجاء سعد اميراً على جيوش العراق ويتوفى المثنى قبل ان يلقاه.

يقول د. هيكل: «لم يغضب المثنى لتأمير غيره عليه، لأنه كان مؤمناً حسن الايمان كما كان جندياً باسلاً يقدر معنى النظام وطاعته، ويسمو بالنظام والايمان على اهداء النفس وشهواتها، وان يكن خالد عبقري الحرب وسيف الله، فالمثنى هو السابق الى فتح العراق وهو القائد المحنك الذي حمل العبء في أشد المواقف دقة، وهو الحكيم الذي جمع قلوب العرب من اهل العراق مع انهم لم يكونوا على دينه، واستطاع في البويب ان يضرب الفرس ضربة لم يفيقوا بعدها ولم ينتصروا، والآن وداعاً أيها القائد القادر وفي ذمة الله».

التصور الإسلامي لحقيقة الحياة الدنيا

■ بقلم الأستاذ عبد الله محمد أبو زيد

إن الإسلام إذ يدعو إلى الإيمان بالغيب، ويدعو إلى الإيمان بالآخرة والإقبال عليها، فإنه لا يعطل العمل للدنيا، والكفاح من أجل ترقيتها، ذلك أن الدنيا في المنظور الإسلامي هي مزرعة الآخرة ومقدمتها، والمزرعة بحاجة إلى عمل وسعي وجهد وبذل، ومرتبة المسلم في الآخرة، هي بقدر ما يقدم في الدنيا من عمل صالح.

وهذا العمل الصالح لا يقتصر على أعمال العبادات من الصلاة، والصيام، والحج، بل يشمل كل نشاط وفاعلية يقوم بها المسلم في الدنيا إذا كانت الآخرة همه وغايته، وهذا ما تنطق به آيات الكتاب الكريم: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون﴾**[1].

وأنت تجد في هذه الآية الكريمة، كيف ربط الله تعالى بين الإيمان به وكتبه ورسله والملائكة واليوم الآخر من جهة، وبين إيتاء المال للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة، والصبر عند المصائب والشدائد والشجاعة عند لقاء العدو من جهة أخرى، الأمر الذي يرشد إلى أن الإيمان بالغيب ارتد إيجابا على حركة الإنسان في هذه

الحياة وجعله إنسانا فاعلا منتجا مؤثرا، لا إنسانا عاجزا كما يدعي.

❖ اقتران الإيمان بالعمل:

وإن مما يؤكد هذا الارتباط بين الإيمان والعمل،أن القران الكريم قد ذكر الإيمان في أكثر من سبعين آية من آياته مقرونة بالعمل، ولم يكتف بمجرد العمل، بل اشترط أن يكون من الصالحات، وهي كلمة جامعة تشمل كل جهد إنساني تصلح به الدنيا، وينتفع به الفرد والمجتمع، وتصلح به الحياة الروحية والمادية معا، قال تعالى: **﴿والعصر ❖ إن الإنسان لفي خسر ❖ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**[٢].

والمسلم عندما يمارس عمله الدنيوي، لا ينساق إليه بحافز من قهر خارجي، أو سلطان سياسي، أو سلطة تنفيذية تشهر عليه سوطها وسيفها ليعمل، وإنما يندفع إلى العمل الصالح بحافز من نفسه التي ارتوت من معاني الإيمان، وبإيحاء من ذاته التي أدركت أن حسن العمل في الدنيا(٣) هو مفتاح بوابات الجنة **﴿تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾**[٤]، **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[٥]، **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾**[٦].

وهذه الجاهزية الإيمانية التي تحفز الإنسان إلى العمل في الدنيا، تطالبه أيضا بإتقان هذا العمل وإحسانه، والوصول إلى أرقى درجات الحسن والكمال، وذلك لشعور المسلم العميق واعتقاده الجازم، بأن الله يراقبه ويراه في مصنعه، ومزرعته، ومتجره، وفي جميع أحواله، ويقينه بأن الله الذي يؤمن المسلم بوجوده، يأمر بإحسان العمل "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"[٧].

وعليه فإن الإيمان بالغيب من أعظم وسائل ودوافع الإنتاج، بل وإتقان المنتج، والوصول به الى أقصى درجات الحسن والإبداع.

وهذا العطاء في الحياة الدنيا الذي يعززه الإيمان بالغيب ويقويه ويعمقه، لا يعرف حدا، ولا مدا،بل يستمر حتى آخر لحظة في الحياة، وهو ما يعبر عنه رسول الله ﷺ: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[٨].

ولعلنا ندرك أنه لا أمل من الانتفاع من

هذه الفسيلة ما دامت الساعة قد قامت، ولكنه تكريم العمل، ومواصلة الإنتاج، والاستمرار في العطاء والبذل، الذي يحرص عليه المؤمنون بربهم المنتظرون لثوابه ولعطائه، جزاء وفاقا لما قدموا من عمل صالح في الدنيا.

بل إن عقيدة المسلم لا تعرف البتة يوما من أيام الأسبوع يخلد فيه المسلم للعبادة، وينقطع عن الناس وينعزل عن أعمال الحياة، ذلك أن الأيام جميعها في الإسلام أيام عمل، والعمل الدنيوي، يمكن أن يكون عبادة بحد ذاته إذا كان بصدق النية[(٩)].

حتى يوم الجمعة الذي يعتبر عيد المسلمين الأسبوعي، يبين الله ضرورة العمل فيه فيقول: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾**[(١٠)].

فحياة المسلم حتى في يوم عيده،عمل وبيع وتجارة، قبل الصلاة ثم انتشار في الأرض وابتغاء من رزق الله بعد انقضاء الصلاة[(١١)].

ولذلك كان صحابة النبي ﷺ، صناعا، وزراعا، وتجارا، ومجاهدين، ولم يقعد بهم إيمانهم عن العمل والعطاء والتضحية، بل كانوا ينهون القوم الذين يظنون أن الإيمان يقتضي الانقطاع عن إصلاح الدنيا، وقد حدثوا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى قوما قابعين في ركن من المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته ونهرهم، وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله يقول: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾**.

الهوامش:

(١) البقرة: ١٧٧ .

(٢) سورة العصر.

(٣) الايمان والحياة، يوسف القرضاوي ١، مكتبة وهبة القاهرة ص٢١٦ .

(٤) الزخرف: ١٢ .

(٥) السجدة: ١٧ .

(٦) الزلزلة: ٧ .

(٧) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤٣١٦) ٣٤٩/٧ .

(٨) سبق تخريجه.

(٩) الايمان والحياة، القرضاوي ص ٢٩٤ ط١ .

(١٠) الجمعة: ١٠ .

(١١) مرجع سابق ط١، ٢٩٤ .

الأقليات الاسلامية ومشكلة الحفاظ على الهوية

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

لا بد قبل البدء في الحديث عن الاقليات الاسلامية، من توضيح مفهوم «الاقلية» وما قد ينطوي عليه من عناصر يجب توافرها لتحقيق ذلك المفهوم، ومن ثم الحديث بشكل واضح عن السياسات التي تستخدم للتعامل مع هذه الاقليات.

فالأقلية هي جماعة من السكان تختلف عن الآخرين في مجتمع ما من حيث العرق والقومية او الدين أو اللغة وترى نفسها كجماعة متميزة، وعلاوة على ذلك فهذه الجماعة غير مسيطرة ومن ثم تكون عرضة لبعض الاستبعاد والتمييز والمعاملة المختلفة كتلك الجماعات الموجودة في اوروبا وخاصة في بريطانيا وفرنسا.

وهذه الاقليات معظمها من دول شمال افريقيا دخلوا اوروبا بحثاً عن عمل بصورة غير مشروعة ثم اصبحوا من حيث وجودهم يشكلون مجموعات لها أحياء خاصة، وقد تتزايد هذه المجموعات كتلك التجمعات الموجودة في ألمانيا ومعظمهم من عمال المناجم الأتراك، وأكثرهم من المسلمين.

وحسب التعريف السابق للأقلية، فلا بد من توافر العناصر التالية حتى يمكن ان نطلق مصطلح اقلية على جزء من السكان:

١- عنصـــــر المواطنـة: أي يجب ان يكون اعضاء الأقلية من المواطنين في المجتمع الذين يسكنون فيـه، بمعنى ان الأجـانب واللاجئون لا يشكلون أقلية.

٢- عنصـر التمـيـز: اي يجب ان يكون افـراد الاقلية متميزون عن باقي السكان اما عرقياً أو لغوياً أو دينياً أو قومياً، أو كل ذلك.

٣- عنصـــر الســيطرة: اي ان الاقليـــات المسيطرة التي تحكم في بلد ما لا تعتبر أقليات، مثال: المسلمون في الهند، زمن المغول، كانوا اقل عدداً ولكنهم لم يعتبروا أقليـة حيث كانوا يحكمون الهند بالرغم أنهم لم يكونوا الأكثر عدداً، ولكنهم الآن يعتبرون اقلية اسلامية لأنهم لا يحكمون.

٤- العنصر العددي: اي ان يكون عدد افراد الاقليــة اقل من باقي السكان او انهم لا يحكمون، مثال المسلمين في تنزانيا اكثر عـدداً من باقي السكان لكنهم يعـتـبـرون أقلية حيث أنهم لا يحكمون.

ولا بد من وجود وعي وتضامن بين افراد الاقليـة وشـعـور بأنهم مـتـمـيـزون عن باقي السكان وان هناك تمييزاً في المعاملة ضدهم من قبل السلطة الحاكمة.

ويتـضـمـن تعـريف الاقليـات التـصنيف التالي:

أ- الاقلية الدينيـة وهي اقليـة تخـتلف عن باقي السكان من حيث الدين.

ب- الاقلية العـرقيـة وهي اقلية تختلف عن باقي السكان من حيث العرق والاصل.

ج- الاقلية القـوميـة وهي اقلية تخـتلف عن باقي السكان من حيث القومية.

د- الاقليـة اللغـوية وهي اقليـة تخـتلف عن باقي السكان من حيث اللغة.

ومن هنا نصل الى تعـــريف الاقليـــة الاسلامية بأنها جزء من السكان في مجتمع مـــا يخـــتلف عن باقي السكان ديناً كـــون افرادها يدينون بالدين الاسـلامي، وتتعـرض لمعاملة مختلفة وعندهم احساس بالترابط فيما بينهم، وبالتمييز ضدهم.

❖ أولاً: سياسات التعامل مع الاقليات:

تختلف سياسات الدول من حيث التعامل مع الأقليات من دولة الى أخرى التي تحتوي مجتمعاتها على أقليات يمكن ايجازها فيما يلي:

١- سيـاسـة الاحتواء، وتعني الفصل مع عـدم المسـاواة وهـي اسـتـراتيـجـيـة هدفـهـا الابقاء على عزلة الاقليات وعدم مساواتها بالأغلبية، وتمليها اعتبارات معينة للجماعة المسيطرة مثل المعتقدات الدينية، والعنصرية والمصالح المادية والاهتمامات المشتركة، ومن الأمثلة على هذه السياسة تعامل تركيا مع الأكـراد وتعــامل باكـســتــان مع المذهب الأحمدي وتعامل ايران مع الاقلية البهائية.

٢- سياسة الاستيعاب، وهي استراتيجية

تقوم على أن الاقلية تتقبل قيم ومبادئ وثقافة الجماعة المسيطرة، «الاغلبية» عن طريق الرضا وتنتج مع هذه الأغلبية في المجتمع، ومن سمات هذه السياسة انها تخدم مادة الاقليات والأشخاص الطموحين، حيث ان السلطة تحاول ان تعين الافراد الاكثر فعالية في الاقلية، في مناصب مرموقة او تمنح امتيازات معينة بحيث يعملوا لصالح النظام الحاكم، ومن الامثلة على ذلك العراق حيث يحاول ان يمنح قادة الاكراد مناصب حزبية وسياسية ليكسب تأثيرهم على الأقلية الكردية، كذلك تعمل معظم دول امريكا اللاتينية مع الأقليات الموجودة فيها.

٣- **التعددية،** تقاسم السلطة وهي سياسة للتعامل مع الاقليات في المجتمعات التعددية، اي المجتمعات التي تتكون من اقليات متعددة على اساس الاعتراف بالهوية الجماعية، ويتم تقاسم السلطة وهي سياسة للتعامل مع الاقليات في المجتمعات التعددية -اي المجتمعات التي تتكون من اقليات متعددة على اساس الاعتراف بالهوية الجماعية- ويتم تقاسم السلطة مع الجماعات الرئيسة الفاعلة في المجتمع واشراك جميع الاقليات، ومن الأمثلة على ذلك لبنان حيث يتم تقاسم السلطة بين المسيحيين والسنة والشيعة.

❖ ثانياً: الأقليات الاسلامية والحفاظ على الهوية:

يعيش ما يزيد على ٣٧٠ مليون مسلم كأقليات في دول غير اسلامية موزعة على جميع القارات، لكن معظمهم ٢٨٢ مليون مسلم يعيشون في قارة آسيا، ويعاني كثير من الاقليات الاسلامية من الفقر المدقع والتخلف والجهل حتى بالتعاليم الاسلامية، هذا اضافة الى التمييز ضدها والذي يصل في بعض الأحيان الى العنف الطائفي والاضطهاد.

وبحيث ان هذه الأقليات تعيش في مجتمعات غير اسلامية، فإنها تواجه مشاكل عديدة من حيث المواءمة مع قوانين وعادات وتقاليد المجتمعات التي تعيش فيها:

١- **من الناحية السياسية،** فإنها تخضع لقوانين وأنظمة غير اسلامية وضعية وبروز مفاهيم جديدة مثل العلمانية والقومية، التي لها تأثير في القضاء على المفهوم الاسلامي للأمة واستبداله بالقومية، وكذلك من ناحية السياسات التي تتعامل بها الدول مع هذه الاقليات الاسلامية وما تنطوي عليه من سياسات احتواء واستيعاب والتي تسعى الى طمس وتذويب الهوية الاسلامية.

كذلك هنالك مشكلة التمييز العنصري والطائفي ضد الأقليات المسلمة والتي ممكن ان تصل الى درجة التطهير العرقي واستعمال العنف ضدهم، كما يحدث في

الشيشان من روسيا.

٢- من الناحية الاجتماعية، فإن الاقليات الاسلامية تتبع الى قوانين احوال شخصية غير اسلامية، فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث وفرص العمل، كذلك مشكلة «الحجاب» للنساء حيث تحاربه بعض الدول مثل فرنسا وتايلاند وبريطانيا، ومشكلة الاطعمة والاشربة من حيث الحلال والحرام اضافة الى مسألة مراسم واماكن دفن اسلامية وقفية، وعدم توافر اماكن للعبادة في مراكز العمل.

٣- من الناحية الاقتصادية، فكما اسلفنا فإن معظم الاقليات الاسلامية تشكو من الفقر المدقع وذلك لعدم المساواة في توزيع الدخل، والتمييز الطائفي ضد الاقليات الاسلامية، اضف الى ذلك مسألة الربا وقضية الحلال والحرام في موارد الرزق.

ومما له الاثر الاكبر في طمس الهوية الاسلامية: هو تأثر هذه الاقليات بالمجتمعات التي تعيش فيها من حيث العادات والتقاليد وحتى تأثر بعض الاقليات بالممارسات الدينية هناك، جزء من الاقلية الاسلامية في الهند متأثرة بعبادة الرهبان عند الهندوس وكذلك تقديس القبور والمزارات وهناك انتشار للبدع عند بعض الاقليات الاسلامية في الفلبين.

بل ان بعض اركان الاسلام قد تعرضت للتشويه عند بعض هذه الاقليات مثل اوقات الصلاة وعدد ركعاتها وميقاتها والصيام والزكاة، بل تكاد لا تبين في الممارسات اليومية لتلك الاقليات.

كما ان بعض الاحكام الشرعية معطلة عند تلك الاقليات مثل عقد الزواج الشرعي والتعامل من البعض بالربا والزنا وشرب الخمر. والطلاق والميراث وكثير من الاحكام الشرعية بدأت تتلاشى عند الاجيال الجديدة لتلك الاقليات، ولم يبق لتلك الاقليات الا الاسم والمعاناة وسط المجتمعات التي تعيش فيها، فيسمعون برمضان وصيامه ولا يكاد عدد محدود منهم من يصوم رمضان أو يقيم الصلاة.

❖ ثالثاً، تطبيقات على السياسات المتبعة مع الاقليات الاسلامية:

١- **الاقلية الاسلامية في امريكا،** تتمتع بالحرية الدينية حيث تمتاز السياسة الامريكية نحو الاقليات باستخدام التعددية، ولا تواجه الممارسات الدينية وحتى الدعوة الى اية عقوبات.

٢- **الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية،** لا يحظى نموذج التعددية الثقافية قبولاً تاماً في أوروبا الغربية وتتعرض الاقليات الاسلامية هناك لبعض التمييز احياناً.

٣- **الاقليات الاسلامية في الهند،** من الناحية النظرية فإن الدستور الهندي يعتمد التعددية دون ان يخصص تمثيلاً

نسبياً طائفياً للأقليات، ومن ناحية الممارسات السياسية فهي تأتي ما بين سياسة الاحتواء والاستيعاب.

٤- **الدول الشيوعية،** اعتمدت على سياسة الاحتواء ضد الاقليات الاسلامية هناك والتي تصل الى درجة القمع والاضطهاد والإبادة كما يحدث للمسلمين في الشيشان.

٥- **دول امريكا اللاتينية،** انتهجت سياسة الاستيعاب مع الاقليات الاسلامية هناك والتي كان لها أثر اكبر على الهوية الاسلامية لتلك الاقليات.

٦- **الاقليات الاسلامية في الصين ودول افريقيا،** تتعرض للتمييز والقمع والاضطهاد.

❖ رابعاً، تعامل المسلمين مع الاقليات غير الاسلامية في العالم الاسلامي:

تختلف سياسات تعامل المسلمين مع الاقليات غير الاسلامية في العالم الاسلامي من دولة الى أخرى وهي تتراوح ما بين التعددية والاحتواء، ولكنها تمتاز بأنها أفضل من تعامل الدول غير الاسلامية مع الأقليات الاسلامية حيث ان الغالب هو المساواة مع باقي السكان ومراعاة كامل حقوق هذه الاقليات، **ومن الامثلة على ذلك:**

١- **السياسة الاردنية في التعامل مع الاقليات الدينية المسيحية،** وتتميز بالمساواة وضمان حقوق الاقلية من جميع النواحي السياسية والدينية والاجتماعية.. الخ.

٢- **مصر،** تمارس سياسة الاحتواء والاستيعاب مع الاقلية الدينية القبطية.

٣- **السودان،** ترفض التعددية وتقاسم السلطة رغم ان مجتمعها ذو طابع تعددي وتمارس سياسة الاحتواء مع الاقليات العرقية والدينية.

٤- **الباكستان،** تمارس سياسة الاحتواء مع الاقليات الدينية هناك ولا تعاملها على قدم المساواة مع الاغلبية.

❖ خامساً، صورة الاسلام والمسلمين في الغرب:

تتصف صورة الاسلام والمسلمين في الغرب بالتشويه، وقد بدأت هذه الصورة المشوهة ترتسم منذ الحروب الصليبية، وفي القرن الماضي ساهمت الصهيونية العالمية بهذا التشويه وألصقت صفة الارهاب والاجرام والتخلف بالمجتمعات الاسلامية.

كما ان بعض المستشرقين ساهموا في رسم هذه الصورة المشوهة عن الاسلام والمسلمين، وبعضهم تجرأ بالافتراء على رسول الله محمد ﷺ بأنه خاطف نساء، وبعضهم تهجم على القرآن الكريم أمثال سليمان رشدي، انها حملة ظالمة على الاسلام والمسلمين.

المسجد

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ الجن: ١٨، وقال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ النور: ٣٦، والرفع المادي: يتمثل في بناء المساجد وتأثيثها وصيانتها ونظافتها، والرفع المعنوي: يتمثل في عمارتها: بالعبادة والذكر وإقامة حلقات العلم واحترامها وتعظيمها.

المسجد: هو المنارة المضيئة.. والعنوان الواضح لدولة الإسلام.

المسجد: هو البنية المتينة التي نهضت عليها دولة الإسلام.

المسجد: هو مكان لتطهير النفوس، وتزكية الأخلاق، ومحضن متكامل لتربية الشخصية المسلمة السوية.

المسجد: هو مكان لهداية الناس إلى الله ودينه، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وحمل رسالة الإسلام الخالدة.

المسجد: هي مأوى القلوب، ومكان لتهذيب النفوس، واستقبال الوفود، ودار للشورى تحقيقاً للمؤاخاة بين القلوب.. وجمع لكلمة المسلمين.

المسجد: لممارسة الدور الرائد في المجتمع الإسلامي.. يبدأ من تحقيق معنى العبادة بمفهومها الشامل تكبيراً وتهليلاً وركوعاً وسجوداً.. للرب الواحد المعبود.

المسجد: أمكنة للأمان والاطمئنان، ومواطن للسكينة والوقار والهدوء والنظام.

المسجد: هو ركن أساسي، ومكان رئيسي للتربية الربانية الصحيحة.. علماً

ولقاء وتشاوراً.

المسجد: هو مكان للعبادة الخالصة لله الواحد.. ودار للعلم والمعرفة والحكمة.

المسجد: هو المنطلق الأساسي للدعاة المسلمين.. لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة.

المسجد: هو أول بناء تم تشييده في الإسلام.. ليصبح الراية والمعلَم للوجود والحضور.

المسجد: هو رمز الترابط الروحي والاجتماعي في حياة الناس.

المسجد: هو النواة الأولى.. في بناء الحياة الاجتماعية السليمة.

المسجد: هو ساحة رحبة للتربية السليمة اقتداء بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة.

المساجد: هي بيوت العبادة والطاعة.. اساسها التقوى، ومنها ينبعث الحق والنور والهدى.

المساجد: محل نزول الرحمة، والاعانة على كبح جماح وجموح النفس والهوى، وابعاد الشياطين ووسوستهم والمساعدة على التهيؤ لعبادة الله وخدمة دينه، والابتعاد عن اللفظ والغيبة ولغو الحديث.

المساجد: هي الأماكن التي تخرج فيها الأئمة العدول، والعلماء الكبار، والقادة الأفذاذ، والساسة العظام.

المسجد: هو المكان الطاهر الذي يدعى فيه إلى الجهاد في سبيل الله وتنظيم كتائب الجهاد وانطلاقها تحت راية الإسلام.

المسجد: هو المكان التي تقوّى فيه أواصر التعاون والألفة والمحبة بين المسلمين.

المسجد: هو مكان دراسة العلوم الإسلامية.. بعد الصلاة والذكر وتلاوة القرآن.

المسجد: هو خير مكان لاستلهام سيرة قائد البشرية وقدوتها ﷺ، وسيرة أصحابه (ذلك الجيل القرآني الفريد).

المسجد: هو دار للشورى والحوار السياسي، ونقد الإدارة، وصياغة القوانين، والمحاسبة على كافة الأمور.

المسجد: مؤتمر رسمي مفتوح أمام جميع المصلين .. ينعقد كل يوم جمعة على

مستوى الأمة بأسرها.

المسجد: هو المكان الذي سبق برلمانات العالم كلها بمئات السنين في مدارسة أمور المجتمع، وبيان احتياجاته ولوازمه وبيانها للحاكم بأسلوب الدعوة الصادقة، والنصح الراشد، والأمر بالمعروف، والرفق الهادف.

المسجد: ليس مقتصراً على تعليم وتهذيب وتربية الرجال وحدهم فقط، بل تعدّاه إلى تعليم النساء اللائي يحضرن إلى المسجد للاستماع إلى المواعظ، ويتعلمن أمور دينهن ودنياهن، وتربية ابنائهن على الأخلاق الإسلامية الحميدة.

المسجد: هو مكان المراجعة الدورية الأسبوعية.. لما يعترض الأمة من أزمات ومشاكل بتقديم ما يلزم لحلها وتجاوزها.

المسجد: هو المكان الذي لا تسري عليه القوانين.. لأن تحديدها ورسم معالمها يتم فيه ومنه.

المسجد: هو مكان للحوار الاجتماعي والسياسي وغيرهما، بتحرير المنبر من شخصية الواعظ، وافساح المجال للمسلم الموجود.. كي يتحدث عن مشاكله ومعاناته الحاضرة، فهو لأمر الجماعة وكل ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين جاز الحوار فيه.

المسجد: هو مكان تربية الأطفال الذين يصطحبهم آباؤهم وأمهاتهم.. لينهلوا من المعرفة، ويتعودوا على تأدية العبادات، ويتربوا على حب الله ورسوله ﷺ، ويمتثلوا بالمبادئ والأخلاق السامية، ويروّضوا على حب العلم والعمل.. فهم عدة الأمة ودعامة مستقبلها:

كما أن أول عمل قام به معلم البشرية وهاديها إلى الخير ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة هو بناء مسجده الشريف ومشاركته العمل ببنائه، وأن أول مدرسة تأسست في المسجد.. هي مدرسة الوحي.

وإذا كانت الحكومات تعمد إلى بناء الجامعات العلمية.. فلا يجب اغفال بناء المساجد لأنها الجامعات الروحية، لذا يجب على المجتمع الاسلامي.. إيلاء المسجد بما يستحقه من تكريم واحترام وتعظيم وحفظ رسالته لارتباطه الوثيق بين الاسلام وشعاره: فحيثما وجد المسجد.. كان الإسلام.

عـــزة الاســـلام

■ بقلم الاستاذة فاتن عواد

العزة هي الرفعة والبعد عن مواطن الذل والمهانة. فالله يأمرنا أن نكون أعزاء، لا نذل ولا نخضع لأحد من البشر، والخضوع إنما يكون لله وحده، فالمسلم يعتز بخالقه ودينه، ويطلب العزة في رضا الله سبحانه، وقد قيل: من طلب العزة بغير طاعة الله أذله الله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنا أذلاء، فأعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

فالإسلام هو الدين القيم الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وهو أعظم المنن التي منّ بها الكريم الوهاب، وقد تكفل الله لمن سلكه بسعادة الدنيا والآخرة، فيه المبادئ السامية، والأخلاق العالية، والنظم العادلة. إنه الدين الذي ينبغي لنا أن نفتخر به، وأن نتشرف بالانتساب إليه، فمن لم يتشرف بهذا الدين ويفخر به ففي قلبه شك وقلة يقين.

إن الله تعالى يخاطب حبيبه قائلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ الزخرف: ٤٤، أي: شرف لك وشرف لقومك وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة.

ومما زادني شرفاً وتيهاً
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي
وأن صيرت أحمد لي نبياً

إن الشــرف أن نكون من عــبــاد الله الصالحين، وأن نعمل الصالحات ونجتنب المحــرمـــات، ومن عـــزة المسلم ألا يكون مستباحًا لكل طامع، أو غرضًا لكل صاحب هوى، بل عليه أن يدافع عن نفسه وعِرْضِهِ وماله وأهله، والمسلم يرفض إذلال نفسـه، حتى لو قتل في سـبيل عـزته وكـرامتـه، ويبدو ذلك واضحًا في موقف الرجل الذي أتى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله، أرأيتَ إن جـاء رجل يريد أخـذ مـالي؟ فـقـال الرسـول ﷺ: (فـلا تعطهِ مـالك) فـقـال الرجل: أرأيت إن قـاتلني؟ فـقـال ﷺ: (قاتلْه).

فـقـال الرجل: أرأيتَ إن قـتلني؟ فـقـال ﷺ: (فأنت شهيد)، فقال الرجل: أرأيت إن قتلتُه؟ فقال ﷺ: (هو في النار)» مسلم.

فهكذا يعيش المسلم محتفظًا بكرامته؛ لا يضـعف، ولا يلين، ولا يتنازل عن شيء من كرامتـه وعـزته من أجل مـالٍ قليل، أو عَرَضٍ دنيوي يزول، وكما جاء في الحديث: (من جلس إلى غني فتضعضع (تذلل) له لدنيا تصيبه، ذهب ثلثا دينه، ودخل النار) الطبراني.

ولكي يحافظ المسلم على عزته، ويجعل دينه عـزيزًا ودولته عـزيزة، يجب عليـه أن يعمل، ويكد ويتعب؛ حتى تتحقق له القوة، فـلا عـزة للضـعـفـاء الذين يمدون أيديهم للناس ويأكلون بلا جهد او نصب.

لقـد كـان الإسـلام هو شـرف السلف الأول رضـوان الله عليـهم، وغـاية آمـالهم وعرفوا أن الحياة إنما تبتغى في مرضاة الله وطاعـتـه، وأن عــزهم في دينهم وتمسكهم به، وأن ارتبـاطهم إنما هو بالله الواحد الأحد.

حج هشـام بن عبد الملك، فلما كان في الطواف رأى سالم بن عبد الله وهو يطوف وحـذاؤه في يديه، وعليـه ثيـاب لا تسـاوي ثلاثة عشـر درهمـاً، فـقـال له هشـام: يا سـالم، أتريد حـاجـة أقـضـيـهـا لك؟ قـال سـالم: أمـا تسـتحي من الله! تعـرض عليّ الحـوائج وأنا في بيت من لا يُعـوز إلى غيـره؟! فسكت هشـام، فلمـا خـرجـا من الحرم قال له: هل تريد شيئاً؟ قال سالم: أمن حـوائج الدنيـا أو الآخـرة؟ فـقـال: من حـوائج الدنيـا، فـقـال سـالم: والله الذي لا إله إلا هو ما سألت حوائج الدنيا من الذي

يملكها تبارك وتعالى، فكيف أسألها منك؟

إنه الإيمان الذي ربى القلوب على التعلق بالله والنزول في حماه والالتجاء إليه والاعتصام به.

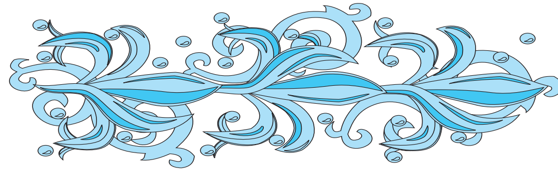
هذا نموذج فيه الأسوة والقدوة في التشرف بالإسلام، والاعتزاز به، والاعتماد على الله، والتوكل عليه، والسير على نهجه، والالتزام بسنة نبيه ﷺ.

إن الإسلام هو الدين العالمي الصالح لكل زمان ومكان، وقد صدق الله تعالى في قوله جل شأنه: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** آل عمران: ١٩ .

فالمسلم الحق الذي يؤمن بالله إيمانا صادقا يحس بعزة نفسه؛لأن الإيمان الصادق يجعل المؤمن عزيز النفس ؛ولكن كيف حرص الإسلام على عزة نفس المسلم؟ ولماذا؟ إن الإسلام يحرص على عزة نفس المؤمن وقد بلغ في ذلك الحد الاقصى، حيث كان من أسماء الله عز وجل العزيز وقد ذكر في القران الكريم كإسم من أسماء الله عز وجل بلفظي (العزيز، عزيز).

من هنا فقد بين معلم البشرية ﷺ كيف يعز الإنسان نفسه حيث قال في حديث رواه الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه "قال رسول الله ﷺ: "لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: "وكيف يذل نفسه قال: "يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق" فالمتأمل في الحديث يظهر له ظهوراً واضحاً كيف عالج الرسول ﷺ المشكلة؟ حيث أنه ﷺ بين إذا عرف المسلم حدود نفسه وسار فى ضوئها فإنه لا يذل ولا يهان، وقد بدأ الرسول ﷺ الحديث مما يحدث بقاعدة قد يغفل عنها البعض حيث قال: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه".

اللهم أعزنا بالاسلام وأعز الاسلام بنا



اذا ما رمت ان تحيا عزيزاً

شعر الاستاذ جبريل الهباهبة

أجب داعي إلهك اذ دعاك   وبادر للهدى واعصي هواك
رأيت العمر بالساعات يمضي   فلا تدري متى يُفنى مداك
عرى الاسلام فلتحرص عليها   ولا تركن الى ما في يداك
وتقوى الله فاجعلها رفيقاً   وفي التقوى تحقق مشتهاك
حذار الناس ان الناس بلوى   ولا تقنط اذا الرب ابتلاك
فما الدنيا سوى أضغاث حلم   وتلقى الله لو طوّل سراك
فصبراً في مجال الدين صبرا   فإن الصبر طبع من وفاك
أرى الدنيا غروراً في غرور   وفي لحد المقابر منتهاك
وتبعث للحساب وانت تدري   وتجزى ع الذي كسبت يداك
فإما في جنان الخلد تحيا   واما النار صاح ما دهاك
فلا تغتر في دنياك يوماً   سراب عيشها والنصح جاك
واطمع في رضا الرحمن دوماً   وطع رب البرايا اذا نهاك
تخيل يوم يغدو الطفل شيخاً   وراعي الصور للأخرى دعاك
تخيل يا أخي والناس غرل   حفاة بل عراة ما بلاك
وشمس الكون تعلو الناس شبرا   وكبش الموت مذبوحاً حذاك
فلا موت خلود في خلود   لأي الارض الله اجتباك

فــإن كــان المقــام جنان خلد فطوبى والســرور أخي عـــلاك
وان كــان المقــام جـحــيم نار لظاها يا المعـــذب من لظاك
تـخـيل يوم تجـتـمع الخـصـوم ويقــــضي الله من هـذا لذاك
وكل الـنـاس بـالآثـام غــــرقى وتسـقى من صـديد النار مــاك
ويوضع للورى مــيــزان عــدل وترمى في جــهنم من رمـــاك؟
اتدري مــا الجـحـيم؟ عظيم نار لهـا صـوت يزمـجـر واحـتـواك
ودرك الــنــار مـن نــار تـلـظى ويكشف مـا ترى في القلب حـاك
فـلا تعص الإله وكن مـقـيـمـا لطاعــات المهــيـمـن إذ هـداك
ومن ليل الدجى فـاجعل نصيـباً لنفسك في القـيام فـمـا وراك
اذا مــا رمت ان تحـيــا عــزيزا فـــدع عنك الدنا تربت يداك
وتعـمل للجنان فـإن فـيــهـا تحـــقق يا أخ التـــقـــوى هواك
فـفي الجنات من عـسل مـصفى تمجـــد يا إلـهي في عــــلاك
وفــيــهــا مــا تلذ به عــيــون فـهل يعــبــد بدنيــانا ســواك
وحــور العين في جنات عــدن قـصـور العـز قـد شـيـدت هناك
وفـيـهـا من نعـيم ليس يحـصى بهـا سـعـد وفـيـهـا مـبـتـغـاك
إلهي كن لنا دومـــاً مــعـــيـناً أجب دعـــوة ظلوم قـــد دعـــاك
واغـــفـــر زلة وامـح الخطايا واعـتق خـالقـي عـبـداً نصـاك
وادخل يا رحـيـم الكون عـبـداً ربى الفـردوس وامنحني رضـاك



خطبة الجمعة

التحذير من أذية المؤمنين والناس اجمعين

بقلم الشيخ عبد الله القصير

يا أيها الناس، اتقوا الله تعالى واحذروا أذية المؤمنين، والإساءة إلى الناس أجمعين، إلا بحق ظاهر، قام عليه الدليل البين السالم من المعارض من الكتاب والسنة، والمأثور عن السلف الصالح من هذه الأمة؛ ليكون لكم برهاناً قاطعاً وحجة دافعة حين تختصمون عند ربكم، فتؤدى الحقوق إلى أهلها، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وتؤخذ المظالم من الظالمين فترد إلى أهلها في يوم لا درهم فيه ولا دينار، بل إن كان للظالم عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، «وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» رواه البخاري.

وفي رواية عند مسلم: «فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

وحينئذ **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وصاحبته وَبَنِيهِ ❖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** عبس: ٣٤-٣٧، **﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ❖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْيهِ ❖ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾** المعارج: ١١-١٤ .

عباد الله، إن أذية المؤمنين والناس

أجمعين بغير حق من أشد المظالم، وأعظم المآثم التي توعد الله أهلها بالوعيد الأكيد، وتهددهم بالعذاب الشديد، في مثل قوله سبحانه: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾** الأحزاب:٥٨، وقوله سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» الحديث، أي أعلمته أني محارب له. وما ثبت في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى الصبح فهو في ذمة الله ـ أي في أمانه وضمانه ـ فلا تسيئوا إليه بغير حق، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يكبه على وجهه في نار جهنم».

فالذي يؤذي المؤمنين خاصة والناس عامة بغير حق، على خطر من غضب الله وانتقامه، وما توعد به الظالمين في الدنيا ويوم القيامة، حتى ولو كان المؤذي من أفاضل الناس وخيارهم؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا سفيان مر -في حال كفره- على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي فأخبره، فقال ﷺ : «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي، وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

أيها المسلمون، وإيذاء المؤمنين وغيرهم من الناس بغير حق له صور منصوص عليها من القرآن وما أثر عن النبي ﷺ من بيان، ويعظم الإيذاء ويتضاعف الإثم وتشتد العقوبة، كلما عظمت حرمة الشخص، أو الزمان، أو المكان، أو المناسبة.

ولقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من غير وجه أن النبي ﷺ قال للناس في يوم النحر في أشرف زمان ومكان وجمع حضره، وبعد أن قرر للناس على حرمة البلد والشهر واليوم: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم-وفي رواية قال: وأبشاركم- عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا

فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب» الحديث.

فمن أعظم أذية المؤمنين والناس بغير حق وقتلهم بغير حق، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ المائدة: ٣٢، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ النساء: ٩٣ .

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ النساء: ٢٩-٣٠، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً﴾** رواه البخاري.

أيها المسلمون، وإذا كانت هذه حرمة دم المسلم فإن لعنه وهجره وتفسيقه ورميه بالكفر بغير حق فهو كقتله، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «ولعن المؤمن كقتله»، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا لعن شيئا، صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبوابها دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم يجد مساغا رجعت إلى الذي لُعن، فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها»، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» متفق عليه.

وفي البخاري عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق والكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك» وفي صحيح مسلم عنه: «المتسابان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم»، وفي سنن أبي داود عن أبي خراش السلمي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»، وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار».

أيها المسلمون، أما أذية المسلمين بأخذ أموالهم فهي من أعظم الظلم وأكبر موجبات الإثم. قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» وقال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة». فقال رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول

الله؟ فقال ﷺ: «وإن كان قضيباً من أراك».

أيها المسلمون، ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»، وقال: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته - يعني أوضح وأبين- من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإني أقطع له قطعة من النار» متفق عليه.

وقال: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دماً حرامًا» رواه البخاري.

وأخبر أن الدَّيْنَ لا يكفره القتل في سبيل الله وذلك لأنه من حقوق الناس. فمن أخذ للناس شيئا بغير حق فهو ظلم جزاؤه النار، سواء أخذه من طريق القوة والقهر، أو عن طريق الخديعة والحيلة، أو عن طريق الرشوة، أو بواسطة اليمين الفاجرة، أو بحكم القاضي إذا أخطأ اجتهاده، والمدعي يعلم أنه مبطل، أو كان عن طريق ظلم الناس في الاعتداء على أبدانهم وانتهاك حرماتهم، فكل ذلك ظلم يكون الظالم به عرضة لعقوبة ظلمه في الدنيا والآخرة أو فيهما معا. فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الظلم؛ فإنه حسرة وندامة وظلمات يوم القيامة.

ومن ذلك الاستطالة في أعراض الناس بالغيبة والبهت والنميمة والتعدي عليهم بالضرب والشتم وأنواع انتهاك الحرمات، فكل هذه من الظلم التي لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصوم، بل لا يغفر للظالم حتى يغفر له المظلوم، فإن ديوان الظلم من الدواوين التي لا يترك الله منها شيئا بل يؤاخذ بها إلا إذا تنازل عنها أصحابها، فكم من شخص يظن أنه كثير الحسنات، ثم يأتي يوم القيامة مفلسا من بين البريات بسبب ما تحمل من الظلامات، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.



إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد الثاني - المجلــد ٥٣

صفر ١٤٣٠هـ - شباط ٢٠٠٩م

❖ ❖ ❖



المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- ■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- ■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- ■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- ■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- ■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- ■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- ■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- ■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثاني ٢٠٠٩

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

حقيقة الصراع

ان سنة التدافع بين الأمم والحضارات والشرائع، باقية الى قيام الساعة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾، والغلبة في هذا التدافع، تكون لأهل الحق والإيمان تارة، وتارة أخرى تكون لأهل الشر والطغيان، لكن النهاية الحتمية لهذا الصراع، غلبة أهل الحق والإيمان على قوى الشر والفساد كما قال تعالى: ﴿والعاقبة للتقوى﴾، ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾.

وكتاب الله تعالى، كفانا مؤونة البحث عن هوية الصراع مع الأعداء، إذ راحت آياته الكريمة توضح الصراع العقدي الديني، ولذا فإن الذين يفرغون الصراع من محتواه العقدي، يكذبون صريح القرآن ويخالفون الحقيقة والواقع، إذ أن القرآن الكريم يدل بنصوصه دلالة قاطعة لا تقبل الجدال والمناقشة، على ان صبغة الصراع صبغة دينية، ويخبر ان الحسد داخل قلوب أعداء الإسلام، حيث حسدوا المسلمين على دينهم الذي هو خير، وهم لا يريدون لهم أي خير ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وأخبر القرآن الكريم عن أهل الكتاب خاصة، أنهم لن يرضوا من المسلمين بغير الكفر بديلاً ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.

هذه هي الحقيقة الشرعية للصراع كما يدل عليها القرآن الكريم، وما يقال من استخدام السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة وغير ذلك، إنما هي وسائل للهيمنة الدينية على المسلمين، وقنوات تصب في المجرى الرئيسي الذي يتمثل في الصراع الديني.

بين الشرائع والحضارات

والواقع يدل دلالة قاطعة على ما قرره القرآن الكريم -وان كان القرآن العظيم لا يحتاج الى دليل، إذ هو الدليل القاطع- وما العولمة إلا تجسيد عملي لهيمنة الثقافة والفكر والمنهج الغربي على العالم كله، في ظل سلطة الظالم الأقوى المتمثلة في الغرب على المظلوم الضعيف، المتمثل في دول العالم الثالث او الدول النامية، أو الدول المتخلفة كما يحلو لهم ان يسموها!!.

فالحقائق والوقائع تقطع الطريق، على الذين يريدون إفراغ الصراع من محتواه العقائدي الى أمور أخرى، ليست إلا وسائل وأساليب للوصول الى الهدف الأكبر، الذي هو فرض الغالب لعقيدته ودينه وفكره وثقافته وأخلاقه وعاداته على الأمم المغلوبة.

ومع ان الصراع ونتائجه قضاء محتوم، وقدر مكتوب في لوح محفوظ، الا ان المؤمن نهي عن القعود والتواكل والاعتماد على القدر، بل أمر بالمدافعة ونصرة دين الله والأخذ بالأسباب المحققة لذلك، والإسهام في خدمة دين الله حسب طاقته ووسعه، والله تعالى ليس في حاجة خلقه إذ هو تعالى قادر على نصرة دينه وإهلاك أعدائه، كما أهلك المكذبين الأولين، ولكنه سبحانه يبتلي بالمدافعة عباده، ليظهر الصادق من الكاذب، ويميز الخبيث من الطيب، ويبين المؤمن من المنافق ﴿أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ❁ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾، ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾.

والأمة الإسلامية أمة سلام وعدل ومحبة، تسير على منهج الله، متبعة كتاب الله وهدي المصطفى ﷺ، فلم يعرف عنها في وقت من الأوقات أنها كانت ظالمة أو متسلطة أو قاهرة لشعوب الأرض، وإنما تنشر الاسلام والسلام والمحبة والوئام، في اي مكان حلت أو اليه ارتحلت.

٣٦

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط..﴾ النساء: ١٣٥-١٤٧

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

يقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ .. الآيات على محورين: من العدل والشهادة بالحق تدور أمور المجتمع، ومن اجل استقرار المجتمع على أصوله، تأمرنا الآية الكريمة بالعدل وشهادة الحق.. ﴿كونوا قوامين﴾، ولم تقل الآية الكريمة: قائمين بالقسط.

وذلك من واقعية الاسلام الذي يقدر طبيعة الانسان وتسلط غرائزه عليه، فمن شأن النفس ان تنازع الانسان حتى لا يأمر بالعدل.. وهو معها في معارك متصلة، يغالبها حتى يغلبها بالمواظبة على مقاومتها يقظاً لشراستها، ملزماً لها كلمة العدل والحق، وذلك كله من ايحاءات كلمة **﴿قوامين﴾** والذي لا يتم لو كان التعبير «قائمين».. لما تفيده «قوامين» من معاناة.

وأحياناً يكون الانسان في موقع المسؤولية فيحابي نفسه أو قريبه.. ومن ثم فالآية الكريمة تشد من أزره لينجح في هذا الامتحان الصعب، حين يختار الانسان بين أهل الثقة واهل الخبرة، فهي تقول له: قل الحق واحكم بالعدل ولو على نفسك ولو على قريبك ان كان فقيراً.. فلا تحملك الشفقة عليه من الانحياز له ظلماً.. فالله تعالى أرحم به منك.

وان كان غنياً.. فلا تشهد له ظلماً خوفاً منه.. فالله تعالى أغنى وأقوى منه، والاجدر بكم هو تغليب مصلحة الحق، ورضا الله

على واشجة القربى ولحمة النسب.

ولا تقول الآية الكريمة: «وأقسطوا» لأنها لا تريد ان تعدلوا مرة أو مرات، ثم تظلموا وتتجمد قيمة العدل.. وانما تريد لكم ان تكون صفة العدل سجية وملكة لكم، يصدر عنها العدل بلا تكلف، ولا بد من المواظبة على مقاومة النفس النزاعة الى التمرد والتحيز.

وإذن فلا تستدبروا العدل، وإلا فلو انكم لويتم ألسنتكم بالشهادة، او اعرضتم عنها فلم تؤدوها، فسوف يجازيكم الخبير بأعمالكم سبحانه وتعالى.

فليكن كلمكم بالاتجاه الصحيح، حتى تكون لكم في الايمان قدم راسخة تجعل منكم الأمة الوسط الشاهدة على الناس دائماً.

ويتم ذلك عبر مجموعة من المراحل.. إيمان بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، والا فمن كفر فقد أبعد في الضلال النجعة، ولا أمل في عودته الى الحق.. وأجدر بذلك التيه وأحق به هم هؤلاء الذين **﴿آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً﴾** هؤلاء الذين فقدوا عنصر القيادة، فلم يتذوقوا للإيمان طعماً، وإلا لما اعتنقوه ثم خلعوه كما يخلعون ثيابهم، وما ظلمهم الله لأن مشيئته تعالى مقترنة بحكمته، ومن مشيئته وحكمته تعالى، ان من طال عليه أمد التقليد وألغى عقله حُرم الهداية بسوء تصرفه.

ومنهم أولئك المنافقون الذين يوالون من هم على شاكلتهم في الضلال، فبشرهم استهانة بهم وتهكماً، بأن كيدهم الى زوال جزاء ما قدمت أيديهم من اعمال حين **﴿يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾** طمعاً في مغنم لن ينالوه، ولكن لماذا يؤثرون بالولاء هؤلاء المارقين من دون المؤمنين؟!

﴿أيبتغون عندهم العزة﴾؟ ان ذلك من سفه الرأي، لأنهم لا عزة لهم بعدما فقدوا سببها، وهو الايمان، لقد رأوا طائراتهم تزأر في الجو، وبوارجهم تمخر عباب البحر ففتنوا بها، ودخلوا في حمايتهم، رغباً ورهباً، مع انه لا عزة عندهم إطلاقاً، وما يبدو من مظاهر القوة هناك، إنما هو الفجر الكاذب، وطالب العزة عند من لا يملكها مكلف، الزمن ضد طبيعته، ومكلف الأيام ضد طباعها، متطلب في الماء جذوة نار، والمفروض ان تطلب العزة عند مالكها تعالى، ان العزة لله جميعاً، ومن اعتز بغير الله هان.

واذ يعمل كل على شاكلته، فينسجم الانسان مع صنوه في البهتان، فإن مسؤولية المؤمنين ان يظلوا حيث وضعتهم أقدارهم حماة العقيدة وحرّاس القيم، وشوكة في حلق هؤلاء المنافقين، فلا يمكنوهم من

الاستهزاء بهذه القيم.

او على الأقل.. اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فقاطعوا هذا المجلس المنحرف، واذا منعكم الخجل من مقاطعة من يقاطعونكم فأنتم عندئذ مثلهم في الإثم حين سكتم عن النهي عن المنكر، فاتسع مداه، ولو انكم تصديتم له لانكمش وزال، يقول صاحب المنار هنا: «فليعتبر بهذا اهل هذا الزمان، ويتأملون كيف يمكن الجمع بين الكفر والايمان او بين الطاعة والعصيان، فإن كثيراً من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله ويستهزئون بالدين، ويقرهم على ذلك، ويسكت لهم من لم يصل الى درجة كفرهم، لضعف الايمان والعياذ بالله تعالى» أ.هـ.

لكن ذلك لا يعني مقاطعتهم نهائياً، وانما لا بأس من مجالستهم لو توقفوا عن ممارسة هوايتهم في الاستهزاء تحت ضغط تأبّيكم الذي يفرض عليهم احترامكم.. وحتى لا يهنأ المنافقون بما فعلوا.. وحتى لا يستفيدوا من سكوت بعض ضعاف الايمان منا على سخرياتهم، فإن الحق تبارك وتعالى يقض مضاجعهم بأن كيدهم الى زوال، وان دوام الحال من المحال، وذلك قوله عز وجل: **﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾**.

هؤلاء **﴿الذين يتربصون بكم﴾** ينتظرون ما يحدث لكم أيها المؤمنون من نصر أو هزيمة محكومين بما يحقق مصلحتهم ومن تربصهم: إن نصركم الله، زعموا انهم كانوا معكم شركاء في تحقيق هذا النصر، واذا انتصر الكافرون منّوا عليهم بأنهم كانوا معهم، وكانوا لهم ردءاً يفيئون اليه، واذا كانت الدنيا تمكنهم من «تمرير» هذه المزاعم الكاذبة، فإن غدا لناظره قريب، وسوف ينكشف أمرهم يوم القيامة، حيث لا تروج الدعاوى الكاذبة.

وكيف أنهم لم يحققوا في الدنيا بالنفاق كسباً، وإن ظنوا ذلك، ولو فرض وحققوا نصراً وقتياً فليس لأنهم كافرون، وانما لأنهم عملوا بقوانين النصر والهزيمة. **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** يتمكنون من رقابهم.. هذا وعد الله ويبقى ان يثبت المؤمنون أنهم أهل له بالأمل ثم بالعمل.

ومن عملهم.. إدراك ألاعيب المنافقين الذين يحاولون أن يخادعوا الله سبحانه وتعالى بهذه المزاعم، ولكنه تعالى خادعهم ومجازيهم على خداعهم والذي من أماراته أنهم يراؤون بما يظهرون من عبادات، في ريبهم يترددون، انهم ممزقون من حيث لا يستقرون، فلا انتماء لهم، نهاية استحقوها بضلالهم ، والذي ترتب عليه إضلال الله لهم، ومن كان هذا شأنه فيجب اعتزاله،

قبل ان تلزمكم حجة الله البالغة **﴿لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾**.

كيف ينسجم الصدق مع الكذب، والتلون مع الثبات؟ ان المنافقين في كل عصر ومصر يخادعون ويكذبون، ويكيدون ويتربصون، اما المؤمنون.. فصادقون ثابتون على المبدأ، انهما لا يلتقيان.. بينهما برزخ فلا يجتمعان.

ان المنافقين هم تلك الألغام المنبثة في ارض الاسلام، فاحذروهم على انفسكم ودينكم، اي وان احدهم لحريص على ارضاء رئيسه في الدنيا.. يحاول نيل رضاه ولكنه لا يعمل على الفوز برضا الملكين عن اليمين والشمال عزين، يسطران حتى خطرات القلوب.. حتى أنين المرضى!!.

إنكم إذن مثلهم لو لم تعتزلوهم، فهل تريدون ان تكونوا معهم **﴿في الدرك الأسفل من النار﴾**؟!!.

وفي الوقت الذي يبدو فيه الموقف هكذا ملتهباً.. مشتعلاً بوعيد المنافقين، الذين ارتكبوا أغلظ أنواع الكفر، في هذا الوقت تهب نسمات رطاب من الله عز وجل، وذلك قوله تعالى: **﴿الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ❖ وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾**.

وهكذا.. ومع فداحة إجرام المنافقين.. الا ان ذلك لم يغلق باب الرجوع الى الله سبحانه وتعالى.. **فإذا عاد المنافقون الى الله تائبين، فلا مانع عندئذ من موالاتهم هذه الموالاة المشروطة بما يلي:**

أولاً: ان يندموا ندماً عميقاً على ما كان منهم.

ثانياً: ان يصلحوا ما أفسدوا في سالف أيامهم.

ثالثاً: ان يكون اعتصامهم بالله عز وجل، لا بفئة من الناس كانوا مسترد آمالهم.

ورابعاً: ان يطلق ذلك كله من قاعدة الإخلاص.. الاخلاص الذي يتخلصون به من كل أشباح الماضي.

وهؤلاء المتصفون بهذه الخصائص، هم وحدهم الجديرون بشرف معية المؤمنين.. المعية التي يستحقون بها مشاركة المؤمنين فيما وعدوا به من أجر عظيم.

إنهم بهذا العود الحميد يدخلون في رضوان الله تعالى.. واذا كان هناك من يستكثر ذلك عليهم نظراً لصحيفة سوابقهم.. فهو مخطئ، فالله سبحانه وتعالى ما به حاجة الى الانتقام والتشفي، وانما هو جل وعلا غفّار لمن تاب وآمن.. يستقبله سبحانه بصفات جماله.. وكأن شيئاً لم يكن، **﴿وكان الله شاكراً عليماً﴾**

من الإعجاز الكوني في القرآن الكريم ﴿والسماء ذات الرجع﴾

■ بقلم الاستاذ عماد مجاهد

أقسم الله تعالى بالسماء في موضع من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ الطارق: ١١، ومما لا شك فيه أن لهذه الآية الكريمة معان كبيرة لكي يقسم الله تعالى بها في كتابه العظيم.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «قال ابن عباس: الرجع: المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وعنه ﴿والسماء ذات الرجع﴾ تمطر ثم تمطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم، وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا».

أما الشيخ محمد الصابوني فيقول في تفسيره: **﴿والسماء ذات الرجع﴾** أي اقسم بالسماء ذات المطر، الذي يرجع على العباد حينا بعد حين قال ابن عباس: الرجع المطر ولولاه لهلك الناس وهلكت مواشيهم».

يستدل من تفسير هذه الآية الكريمة إلى أن معنى الرجع هو المطر الذي يرجع إلى سطح الأرض بعد أن كان في السماء بفعل تبخر المياه وتحولها إلى غيوم لتسقط بعد ذلك أو ترجع إلى الأرض، لكن مع تطور العلم الحديث وزيادة مفاهيمنا العلمية وتصوراتنا الدقيقة عن الكون، فلا أجد حرجا من إضافة معان أخرى أكثر دقة لهذه الآية دون الخروج عن المعنى الحقيقي لها، خاصة وان الله تعالى قد عبر عن المطر بالرجع وليس بالمطر، **فعملية الرجع تتم**

على الأرض في مظاهر أخرى غير المطر مثل رجع الموجات الصوتية والرجع الحراري والرجع الغازي ورجع المياه (المطر) وغيرها، كما أن معنى الرجع في اللغة أوسع من المطر، فقد جاء في اللغة أن: رجع رجوعا ومرجعا ومرجعة ورجعى ورجعانا أي انصرف وعاد، أو صرفه ورده، ويقال: عوده على بدئه، أي رجع في الطريق الذي جاء منه، والرجع جمع رجاع ورجعان المطر بعد المطر، ورجع الصدى: ما يرده عليك المكان الخالي إذا صوت فيه.

❖ طبقات الغلاف الغازي:

من نعم الله عز وجل أن خلق للأرض غلافا غازيا يحيط بها من كل جانب، يبلغ سمك الغلاف الغازي الأرضي حوالي ٣٥ ألف كيلو متر، ويتوازن الهواء حول الأرض بفعل الجاذبية، إذ ان قوة الجاذبية تعمل على سحب الهواء نحو الأرض لتمنعه من التسرب نحو الفضاء ولولا هذه الجاذبية لما وجد الغلاف الغازي حول الأرض ولاستحالت الحياة عليها فسبحان الله .

يتألف الغلاف الغازي الأرضي من سبع طبقات رئيسية هي:

١- التروبوسفير Troposphere: يبلغ سمك هذه الطبقة ١١ كيلو مترا فوق سطح البحر أي أنها الطبقة التي تعلو سطح الأرض مباشرة، وهي أعلى طبقات الغلاف الغازي كثافة حيث تشكل ٨٠٪ من كتلة الغلاف الغازي للأرض لذلك فهي ثقيلة جدا إنما يقل الضغط كلما ارتفعنا للأعلى، وفي هذه الطبقة تحدث جميع العوامل الجوية ففيها تتشكل المنخفضات والمرتفعات الجوية وتتشكل السحب والعواصف الرعدية والمطر.

٢- الستراتوسفير Stratosphere: يصل ارتفاع هذه الطبقة إلى ٥٠ كيلو مترا فوق سطح البحر وهي طبقة هادئة كونها خالية من العوامل الجوية لكنها مهمة جدا فهي تتكون من غاز الأوزون وهو جزيء مكون من ثلاث ذرات أوكسجين O3 التي تعمل على منع الأشعة فوق البنفسجية من الوصول بكميات خطرة إلى سطح الأرض والتي تعمل على إصابة الإنسان بسرطان الجلد أو فقدان البصر وتقليل المناعة عند الإنسان.

٣-الميزوسفير Mesosphere: يصل ارتفاع هذه الطبقة إلى ٨٥ كيلو مترا فوق سطح البحر، وهي اقل طبقات الغلاف الغازي حرارة إذ تصل حرارة السطح الخارجي فيها إلى حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر.

٤- الايونوسفير Ionosphere: يصل ارتفاع هذه الطبقة إلى حوالي ٧٠٠ كيلو

متر فوق مستوى سطح البحر وتتكون من أوكسجين ونيتروجين متأينين بفعل الأشعة السينية القادمة من الشمس وتتأثر هذه الطبقة بهذه الأشعة ، ومن مميزات هذه الطبقة أن سمكها يتغير بتغير الحرارة سواء في التقلب من الليل إلى النهار أو بتغير الفصول بسبب تغير الحرارة في كل فصل .

٥- الثرموسفير Thermosphere : يصل ارتفاع هذه الطبقة إلى حوالي ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح البحر، والغريب في هذه الطبقة أن حرارتها أعلى من حرارة الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي الأرضي، وهذا ما تم الكشف عنه من خلال الصواريخ أثناء انطلاقها إلى الفضاء الخارجي، ويعزوا العلماء ارتفاع درجة حرارة هذه الطبقة إلى الامتصاص الشديد لهذه الطبقة للأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة الكبيرة القادمة من الشمس والتي تتفاعل مع المجال المغناطيسي في الغلاف الغازي الأرضي والطبقات العليا في الغلاف الغازي فتتولد نتيجة لهذا التفاعل حرارة عالية.

٦- الاكسوسفير Exosphere : يصل ارتفاع هذه الطبقة إلى حوالي ٣٥ ألف كيلو متر فوق سطح البحر، تتميز هذه الطبقة بأنها قليلة الكثافة حيث أن جزئياتها تتحرك بسهولة بسبب ضعف الجاذبية الأرضية على هذا الارتفاع.

٧- الماجنيتوسفير Magnetosphere: اكتشف هذه الطبقة الفيزيائي الأمريكي "فان ألن" سنة ١٩٥٦م وهي الطبقة الخارجية للغلاف الغازي الأرضي أي ابعد طبقات الغلاف الغازي الأرضي عن سطح الأرض فهي تبعد عن سطح البحر حوالي ٥٠ ألف كيلو متر، وهي عبارة عن مجال مغناطيسي مهمته مواجهة الجسيمات المشحونة كهربائياً القادمة من الشمس والتي تزداد عند حدوث النشاطات المغناطيسية الشمسية حيث تؤدي إلى تأين الغلاف الغازي وتظهر على شكل ألوان جذابة جدا تسمى "الشفق القطبي".

❖ السماء بمعنى رجع المطر:

من المعروف أن الماء يغطي حوالي ٧١ ٪ من سطح الكرة الأرضية، ونتيجة لأشعة الشمس يتبخر حوالي ٣٨٠ ألف متر مكعب من المياه سنويا الذي يبقى على شكل بخار في طبقة التروبوسفير حتى يتكاثف بسبب البرودة ليعود إلى سطح الأرض على شكل مطر أو برد أو ثلج بحسب درجة الحرارة السائدة في الجو، هذه العملية تسمى "دورة المياه في الطبيعة" ولولاها لاستحالت الحياة بكافة أشكالها على الأرض، فهي تزود اليابسة والمناطق الزراعية البعيدة عن

مصادر الماء بالمياه ولولا هذه العملية لما نبت الزرع ولاختفت ينابيع الماء، كما وتعمل على تنقية المياه من الشوائب وغسل الهواء في الجو.

❖ السماء بمعنى رجع الأصوات:

من المعروف أن طبقة التروبوسفير الملاصقة لسطح الأرض تتكون من غازات مختلفة مثل "النيتروجين" الذي يشكل ما نسبته ٧٨ ٪ من هذه الطبقة و "الأوكسجين" ويشكل ما نسبته ٢٢ ٪ وبخار الماء وثاني أكسيد الكربون والهليوم والكبريت والإيدروجين بنسبة قليلة جدا.

إن الموجات الصوتية التي تنطلق من حناجرنا، وكذلك الأصوات التي تطلقها الحيوانات والطيور وكل الموجات الصوتية التي تنتج عن أي اهتزازات مثل صوت الأشجار ودوي الانفجار واصطدام الكتل بعضها ببعض مثل انهيارات التربة وغيرها، كلها أصوات تنتج عن اهتزازات ينقلها الهواء في هذه الطبقة فنسمعها بآذاننا التي صممها الخالق عز وجل لهذه الغاية، أي أن هذه الموجات ترتد من الهواء من مكان لآخر وهو ارتداد ورجع يحدث نتيجة وجود الهواء.

إن رواد الفضاء عندما يرتادون الفضاء ويتجاوزون الغلاف الغازي الأرضي فإنهم لا يسمعون بعضهم ويتصلون مع بعضهم البعض بالأجهزة اللاسلكية التي تعمل بموجات راديوية خاصة.

❖ السماء بمعنى رجع الحرارة:

تتعرض الأرض بشكل دائم لكمية هائلة من أشعة الشمس، ولولا رجع الحرارة من الغلاف الغازي الأرضي لاحترقت الأرض نهارا ولتجمدت ليلا، لكن بوجود الغلاف الغازي الأرضي فإنه يعمل على اتزان الحرارة على الأرض في الليل والنهار.

إن الغلاف الغازي الأرضي يرجع حوالي ٥٣ ٪ من أشعة الشمس الساقطة على الأرض ويعيدها إلى الفضاء الخارجي ولو أن هذه النسبة من الأشعة وصلت سطح الأرض لأحرقت كل أشكال الحياة عليها، وفي نفس الوقت يحفظ الغلاف الغازي الأرضي النسبة الباقية من أشعة الشمس التي تصل سطح الأرض دون أن يسمح لها بالارتداد إلى الفضاء بل يردها إلى سطح الأرض كي تحفظ الحرارة بمعدل مناسب حتى لا يتجمد سطح الأرض ليلا.

إذن فرجع الحرارة يتم بطريقتين: إحداهما رجع للحرارة من سطح الأرض للخارج ورجع الحرارة من الخارج إلى الفضاء الخارجي وكلتا الطريقتين تتم بشكل دقيق جدا ولولاهما لما كانت الحرارة على

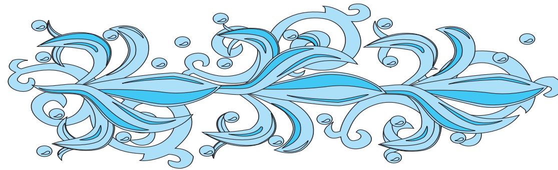
سطح الأرض معتدلة ولاستحالت الحياة عليها.

❖ السماء بمعنى رجع الأشعة الكونية:

يقوم الغلاف الغازي الأرضي بإرجاع نسبة كبيرة جدا من الأشعة الضارة القادمة من الشمس والنجوم نحو الفضاء، منها طبقة الأوزون التي تعمل على امتصاص نسبة من الأشعة فوق البنفسجية وإرجاع نسبة كبيرة منها نحو الفضاء.

وهنالك رجع راديوي حيث ترد الطبقة المتأينة الموجات الراديوية القادمة من أجهزة الاتصال والإرسال التلفزيوني نحو الأرض وتمنع خروجها إلى الفضاء ولولا هذه العملية لما تمكن الإنسان من مشاهدة أي بث تلفزيوني أو إذاعي أو اتصال لاسلكي على الإطلاق.

هذه المعلومات عن رجع السماء التي اكتشفها العلم الحديث، تستحق أن يقسم الله تعالى بها، و تبين بكل وضوح أن نبينا محمداً ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى، فمن قمة الإعجاز أن يحدثنا القران الكريم، الذي انزل على سيدنا محمد ﷺ عن احدث ما توصل إليه العلم الحديث دون أن يعرف القراءة والكتابة ولم يتخرج من جامعة ولم يكن هنالك أي مستوى علمي قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، كل هذا يجعلني اشهد انه لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله!



٢

الدولة في الفقه السياسي الإسلامي

■ بقلم الاستاذ الدكتور أحمد العوضي

تقدم في العدد السابق بيان مفهوم الدولة وبيان موجز لأركانها، وهي: السكان والإقليم والسلطة السياسية، وفيما يلي بيان حكم إيجاد السلطة السياسية في الشريعة الإسلامية.

أولا: بيان اتفاق المسلمين على وجوب إيجاد السلطة.

ذكر عدد من فقهاء السياسة المسلمين اتفاق الأمة المسلمة سوى النجدات من الخوارج، وهشام الفوطي من المعتزلة أن إيجاد السلطة بإيجاد من يمارسها واجب على المسلمين، وقد نسب إلى أبي بكر الأصم القول بعدم الوجوب.

قال ابن حزم: "اتفق جميع أهل السنة والمرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم.. وقول هذه الفرقة ساقط، يكفي للرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا"(١).

وقال الجويني: "اتفق المنتمون إلى الإسلام على تفرق المذاهب وتباين المطالب على ثبوت الإمامة، ثم أطبقوا على أنّ سبيل إثباتها النص أو الاختيار"(٢).

وقال ابن خلدون: "إن نصب الإمام واجب، قد عُرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأنّ أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى

في عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام[٣].

وقال الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع، وإن شذّ عنهم الأصم"[٤].

اتفقت النصوص سالفة الذكر في نقل اتفاق الأمة المسلمة على وجوب إيجاد السلطة، وهو اتفاق لا يقدح فيه مخالفة النجدات ولا مخالفة هشام الفوطي، ذلك أنه خلاف يعارض رأياً يستند على نصوص شرعية، ولا يصح معارضة استدلال يستند على نص باستدلال يستند على نظر مجرد.

ثانيا: بيان خطأ القائلين بعدم وجوب السلطة في الشريعة الإسلامية.

أ. بيان خطأ النجدات:

استدل النجدات بأدلة عقلية من أظهرها:

١- نصب الإمام يثير الفتنة لتنازع الناس على الرئاسة[٥]، وما يثير الفتنة غير واجب. لكن إذا اتفق الناس على تنصيب إمام دون حصول فتنة جاز تنصيب إمام[٦].

٢- العربان في البوادي تنتظم أمورهم الدينية والدنيوية مع عدم وجود سلطان له فيهم الرياسة، فلا حاجة لنصب إمام، فلا يكون واجباً[٧].

٣- الانتفاع بالإمام يحصل بالوصول إليه، وآحاد الناس لا يستطيعون الوصول إليه، فلا يتحقق الانتفاع العام به، فلا يكون نصبه واجباً[٨].

الجواب: الدليل الشرعي للحكم الشرعي يستنبط من الدليل الشرعي وليس من العقل، والنجدات استدلوا بأدلة عقلية، ولا يصح أن يكون العقل مصدرا للأحكام الشرعية.

ب- بيان خطأ هشام الفوطي:

ذهب هشام الفوطي إلى أن نصب الإمام واجب عند ظهور الأمن ولا يجب عند ظهور الفتن[٩]، واستدل بأن نصب الإمام حال الفتنة يزيد في الفتنه فلا يجب[١٠].

الجواب: رأي هشام رأي عقلي يعارض أدلة الشرع، فإن النصوص الشرعية دلت على أن نصب خليفة واجب، وجاءت دلالات النصوص الشرعية في ذلك مطلقة، فلم تفرق بين حال الأمن وحال الفتنة، ويحرم رد حكم الشرع بحكم العقل، لأنه رد لحكم الله بحكم الإنسان.

ج. بيان خطأ ما نُسِبَ إلى أبي بكر الأصم:

نسب إلى أبي بكر الأصم أنه كان يقول

بعدم وجوب الإمامة ونسب إليه القول بوجوب نصب الإمام في حال عدم التناصف[١١]، وذلك أخذاً من قوله: "لو أنصف الناس بعضهم بعضاً وزال التظالم وما يوجب إقامة الحد لاستغنى الناس عن الإمام"[١٢].

وعبارة أبي بكر الأصم، لا تفيد عدم وجوب نصب خليفة، وهذا ما فهمه القاضي عبد الجبار المعتزلي وصرح به إذْ علق على عبارة الأصم قائلاً: "والمعلوم من حال الناس خلاف ذلك، فإذن عُلم من قوله أن إقامة الإمام واجب"[١٣].

ومما سلف ذكره يتبين عدم وجود دليل يسلم من الطعون للقائلين بعدم وجوب إيجاد سلطة سياسية، وهم النجدات من الخوارج، ولا لمن قال بعدم وجوبه حال الفتن، وهو هشام الفوطي، ولا لمن قال بعدم وجوبه حال تناصف الناس، وهو أبو بكر الأصم، على التسليم بأن عبارته تفيد ذلك.

وهنا يمكن الاستدلال بإجماع الصحابة على وجوب نصب إمام، إذْ لم ينقل أن أحداً منهم ذهب إلى عدم وجوب نصب إمام. قال الجويني:"وأما أصحاب رسول الله ﷺ فقد رأوا البِدَار إلى نصب الإمام حقاً، فتركوا لسبب التشاغل به تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه مخافة أن تتغشاهم هاجمة محنة"[١٤].

قلت: لأن نصب ولي أمر للمسلمين فرض على الفور وليس على التراخي، فقد صرحت السنة النبوية بتحريم أن يبيت المسلمون ليلتين وليس لهم إمام فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين وليس في عنقه بيعة إمام»[١٥].

ويتبين مما سلف ذكره أن إيجاد السلطة في المسلمين فرض، وكون مشروعية إيجاده من رتبة الفرض يدل على أهميته، وأنه من المقاصد التي لا تستغني الأمة عنها، فهو الذي ينهض بالمصالح العامة في المجتمع، ويتكفل برعاية مصالح الأفراد وحقوقهم وحمايتها، لذلك كانت السلطة في الإسلام من المقاصد التي لا يفضلها غيرها من المقاصد السياسية، وبوجودها توجد الدولة، وبانتفائها تنتفي الدولة.

ثالثاً: من أدلة وجوب إيجاد السلطة في الشريعة الإسلامية:

أوجبت الشريعة الإسلامية على جماعة المسلمين إيجاد سلطة فيهم، ومن نصوص الشريعة التي خاطبت جماعة المسلمين بذلك خطاباً تكليفياً ما يأتي:

١- قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: ١٠٤.

أوجه الاستدلال:

أ ـ دل تذييل الآية بوصفهم بالفلاح على أنهم لا يفلحون إلا إذا أدوا ذلك التكليف، فدل ذلك على أن أداءه فرض.

ب ـ المقصود بالأمة السلطة السياسية، ورأسها ولي الأمر، فيكون إيجاد السلطة في جماعة المسلمين فرضا، ولو فرض عدم وجود ولي أمر للمسلمين كما كان حال المسلمين قبل أن يقيم النبي ﷺ دولة الإسلام في المدينة المنورة وجب على المسلمين العمل لإيجاد السلطة المسلمة فيهم لكي يصبحوا أمة، والقاعدة الفقهية تنص على أن (الأمر بالشيء أمر بما لا يتم ذلك الشيء إلا به). ومثلها قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

ج ـ المقصود بالأمر والنهي التشريع، فدل التكليف بإيجاد الأمة التي تنفذه على أن السلطة هي الطريقة الشرعية لتنفيذه، ولما كان تنفيذ التشريع فرضا دل ذلك على أن طريقة تنفيذه فرض، لأن للوسائل أحكام المقاصد.

٢– وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** النساء: ٥٩.

دلت الآية دلالة التزام على وجوب إيجاد ولي أمر في المسلمين، يعني صاحب سلطة عليا عامة فيهم، لأن طاعة ولي الأمر لا توجد إلا إذا وُجِد ولي الأمر، فيكون إيجاده واجباً.

وطاعة الله هي طاعة تشريعه، وطاعة الرسول ﷺ هي طاعته فيما يبلغ وفيما ينفذ، لأنه مرسل من أجل التبليغ والتنفيذ، وطاعة أولي الأمر هي طاعتهم فيما يأمرون وينهون وينفذون من تشريع الله.

٣ـ ودلت السيرة النبوية ـ وهي سنة فعلية تشريعية ـ على أن النبي ﷺ لم يترك العمل من أول يوم من البعثة لإيجاد السلطة الإسلامية، وهي السلطة التي تطبق الشريعة الإسلامية، ولذلك هيأ المدينة، لتكون وطنا للمسلمين وللسلطة الإسلامية، فأُمر المسلمون بالهجرة إليها، ثم بايع أعيان أهلها على الهجرة إليها لإقامة السلطة فيها، فبايعوه البيعة التي سميت بيعة العقبة الثانية ثم هاجر إليها، فتولى السلطة فيها، وبذلك اكتملت أركان الدولة: الأرض والسكان والسلطة، وقامت دولة الإسلام، وأصبحت جماعة المسلمين في المدينة المنورة أمة بالمعنى السياسي، وأصبحت المدينة المنورة مجتمعاً إسلامياً ودولة إسلامية.

٤ـ وقال رسول الله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين وليس في عنقه بيعة

إمام)[١٦]. قوله: (لا يحل) يعني يحرم، وضد الحرام الفرض، فتكون بيعة إمام فرضا، وإذا لم يوجد إمام يكون إيجاده فرضا، لكي يوجد فرض الطاعة.

❖ من أبرز خصائص السلطة في الشريعة الإسلامية:

أولاً: القوة القاهرة:

أبرز خصائص السلطة في الدولة القوة القاهرة، فإذا لم تكن السيطرة قوية وقاهرة لا يستتب الأمن ولا يستقر النظام ولا يصغر الناس أمام التشريع والقضاء والتنفيذ، لذلك يجب أن ينفرد الخليفة بالقوة القاهرة، بحيث لا يكون في المجتمع سلطة لسواه، وإن من حقه أن يقيد حيازة السلاح أو يحظرها، وأن يتخذ أي إجراء من شأنه إخلاء الدولة من كل قوة أو وسيلة إلى القوة تؤدي إلى التجاوز على السلطة الشرعية فيها.

وقد لاحظ فقهاء الشريعة الإسلامية أهمية استناد الحكم في الدولة الإسلامية على القوة المادية، فحرصوا على توافرها له منذ لحظة عقد البيعة للخليفة، فاشترطوا في المبايعين من أهل الحل والعقد في زمانهم أن يكونوا من أهل الشوكة ـ يعني القوة ـ وعللوا ذلك بأن المقصود من إيجاد السلطة لا يتحقق إلا بالقوة القاهرة.

ومن نصوص فقهاء السياسة المسلمين في ذلك ما يلي:

قال ابن تيمية: "الإمامة تثبت عندهم ـ أهل السنة ـ بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافق أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فالإمامة ملك وسلطان، والمَلِك لا يصير مَلِكا بموافقة واحد واثنين ولا أربعة إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم، ولو قُدِّر أن عمر وطائفة معه بايعوا أبا بكر وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر إماماً بذلك، وإنما صار إماما بمبايعة جمهور الصحابة الذين هم أهل القدرة والشوكة، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة لأن ذلك لا يقدح في مقصود الولاية، فإن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الأمة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك، فمن قال: يصير إماماً بموافقة واحد واثنين وأربعة وليسوا هم أهل القدرة والشوكة فقد غلط، كما أن من ظن أن تخلف الواحد والاثنين والعشرة يضر فقد غلط"[١٧].

فاشترط ابن تيمية صفتين في المبايعين:

الأولى: القدرة والشوكة:

الثانية: أن يمثلوا جمهور الأمة، يعني

أكثريتها:

قال الغزالي: "والذي نختاره أنه يكتفى بشخص واحد يعقد البيعة للإمام مهما كان ذاك الواحد مطاعاً ذا شوكة لا تطال، ومهما إذا مال إلى جانب مال بسببه الجماهير، ولم يخالفه إلا من لا يكترث بمخالفته، فالشخص الواحد المتبوع المطاع بهذه الصفة يكفي، إذ في موافقته موافقة الجماهير، فإن لم يحصل هذا الغرض إلا لشخص واحد أو ثلاثة فلا بد من اتفاقهم، وليس المقصود أعيان المبايعين، إنما الغرض قيام شوكة الإمام بالأتباع والأشياع، وذلك يحصل بكل مستول مطاع، ونحن نقول: لما بايع عمر أبا بكر لم تنعقد البيعة له بمجرد بيعته، ولكن بتتابع الأيدي إلى البيعة، بسبب مبادرته، ولو لم يبايعوه لما انعقدت الإمامة، فإن شرط ابتداء الانعقاد قيام الشوكة وانصراف القلوب إلى المشايعة ومطابقة البواطن على المبايعة"[١٨].

فكلام الغزالي صريح في أن قيام الشوكة ورضا المبايعين شرط في انعقاد السلطة، فدون القوة القاهرة وهو ما يعبر عنه لغة بالشوكة لا توجد الغاية المقصودة شرعا من السلطة وهي الهيبة والسيطرة.

وقال الجويني: "إنْ بايع رجل واحد مرموق، كثير الأتباع والأشياع مطاع في قومه، وكانت منعته تفيد استتباب الأمن واستقرار السلطة انعقدت بيعته، وقد يبايع رجال لا تفيد مبايعتهم شوكة ومُنَّة (قوة قهرية، فلست أرى للإمامة استقراراً"[١٩].

ويتبين مما سبق أن القوة القاهرة خاصية من خاصيات السلطة في النظام السياسي الإسلامي .

ثانيا: السيطرة العامة العليا:

السيطرة العامة، هي التي تعم الأفراد والهيئات والمؤسسات كافة داخل إقليم الدولة. ولكي تبقى السيطرة عامة في الدولة الإسلامية أوجب المشرع قتل من بويع بالسلطة بعد انعقاد البيعة الشرعية لغيره، فقال الرسول ﷺ: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)[٢٠]، بفتح الخاء في رواية، وكسرها في رواية أخرى.

والعلة في وجوب قتله أنه بمبايعته بالسلطة يوجد في الدولة سلطة أخرى وسلطان آخر، فتفترق الأمة ويُفْقَدُ الأمن والاستقرار في الدولة، لذلك أوجب المشرع قتال من بايعته الأقلية، إذا بايعت الأكثرية لآخر، لأن بيعة الأقلية باطلة، فإذا كانت بيعة الأقلية هي السابقة فصاحبها هو المقصود برواية (فاقتلوا الآخر) منهما بفتح الخاء، وإذا كانت بيعته متأخرة عن بيعة الأكثرية، فيكون هو المقصود برواية

الهوامش:

١- ابن حزم، أبو علي محمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د ت، ج٤، ص١٢٠.

٢- الجويني، أبو المعالي عبد الملك، غياث الأمم في التياث الظُّلم، الشؤون الدينية، قطر، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٥٤.

٣- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م، ط٢، ١٤٠٠، ١٩٨٨م، هـ١، ص ٢٣٩.

٤- الماوردي، الأحكام السلطانية الولايات الدينية، ص٤، مصدر سابق.

٥- الإيجي، عضد الدين، المواقف، شرح الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٧م،ج٨، ٣٤٩.

٦- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح مقاصد الطالبين في علوم أصول الدين، للتفتازاني نفسه مطبعة دار الطباعة، الأستانة، ١٢٧٧هـ، ص٢٠٣.

٧- الإيجي، المواقف، ج٨، ص٣٤٧، مصدر سابق.

٨- المصدر السابق، ٨، ٣٤٧.

٩- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، د ت، ص٢٧١. والشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص٤٨١. والتفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، ص٢٠٠، مصدر سابق.

١٠- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، ص٢٧٢، مصدر سابق.

١١- الإيجي، المواقف، ج٨، ص٣٤٥، مصدر سابق، التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، ص٢٠٠، مصدر سابق. والرازي، فخر الدين بن محمد بن عمر، الأربعين في أصول الدين، حيدر آباد، ١٣٥٣هـ، ط١، ص٤٢٧.

١٢- التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، ص٢٠٠، مصدر سابق. والبغدادي، أصول الدين، ص٢٧١، مصدر سابق، والشهرستاني، نهاية الإقدام، ص٤٨١، مصدر سابق.

١٣- الهمذاني،عبد الجبار بن أحمد،المغني في أبواب التوحيد والعدل،تحقيق عبد الحليم محمود وسليمان دنيا،١٩٦٦،ج٢٠، قسم١، ص ٤٨.

١٤- الجويني، غياث الأمم، ص٥٤، مصدر سابق.

١٥- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر العربي، ١٩٨٣، ج٨، ص١٣٨

١٦- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٣٨/٨، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.

١٧- ابن تيمية، تقي الدين، منهاج السنة النبوية، ١٤٢/١، وبهامشه صريح المعقول، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

١٨- الغزالي، أبو حامد، فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص١٧٦، دار الكتب الثقافية، الكويت، د ت.

١٩- الجويني، عبد الملك، غياث الأمم في التِّيَاث الظُّلَم، ص٧٥، الشؤون الدينية، قطر، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٠- مسلم. صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٤٢/١٢، الدار الثقافية العربية، بيروت، ط١، ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م.

١

منهج الحافظ العِجْلي في كتابه «تاريخ الثقات»

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

المقدمة

عنيت هذه الدراسة بالحافظ العجلي في كتابه : تاريخ الثقات"، وسلطت الضوء على مفردات منهج العجلي في كتابه هذا وفق دراسة علمية استقرائية منصفة بإذن الله تعالى . وأبرزت أهم ملامح منهجية العجلي في كتابه، وبيان الدور الكبير الذي قام فيه خدمة للسنة النبوية المطهرة .

فلقد منّ الله تعالى على هذه الأمة، أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه من كل تحريف او أي مساس، وحفظ سنة رسوله ﷺ بما قيض من علماء أجلاء شمروا عن ساعد الجد والإخلاص وانبروا للدفاع عن السنة والحديث، ونذروا أنفسهم جنودا أوفياء ليردوا كل دخيل عن حياض السنة والحديث فجزاهم الله خير الجزاء.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ، عالمنا وحافظنا **الإمام احمد بن عبد الله العجلي**، صاحب كتاب التاريخ في الرجال، والذي يسلط بحثنا هذا الضوء على منهجه فيه، لما لدراسة هذا الكتاب من أهمية بارزة لا تخفى على أصحاب الاختصاص، لا سيما من يشتغل منهم في التراجم والرجال وتحقيق السنة والحديث، لذا ارتأيت أن أقف على ملامح منهجية العجلي في كتابه، وذلك من خلال الاستقراء والبحث والتمحيص

لتراجم الكتاب، فوقفت عليها ودققت فيها، وأفردتها في هذا البحث الذي وسمته: **"منهج الحافظ العجلي في كتابه تاريخ الثقات"** وجعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث ودوافع الكتابة فيه ومنهجية البحث وهيكليته.

❖ المبحث الأول: تعريف بالحافظ العجلي وكتابه، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: تعريف بالحافظ العجلي.

● المطلب الثاني: تعريف بالكتاب.

❖ المبحث الثاني: هل العجلي متساهل في الحكم على الرجال؟ وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: أقوال أهل العلم في ذلك.

● المطلب الثاني: دراسة وترجيح.

❖ المبحث الثالث: منهج الحافظ العجلي في كتابه التاريخ.

❖ الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

❖ ❖ ❖

❖ المبحث الأول: تعريف بالحافظ العجلي وكتابه، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: ترجمة الحافظ العجلي:(١)

هو الإمام الحافظ احمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم، أبو الحسن العجلي الكوفي، ولد سنة ١٨٢هـ بالكوفة، ونشأ فيها إلى أن أصبح عمره خمس عشرة سنة أي سنة ١٩٧هـ، ليطلب الحديث بعد ذلك، ثم رحل مع أبيه إلى بغداد سنة ٢٠١هـ، وهناك سمع العجلي من علمائها ومحدثيها، وقد أطال المقام فيها.

ولما أتم خمسا وثلاثين سنة، أي في حدود سنة ٢١٧هـ، أخذ العجلي يطوف في مراكز العلم ويرتحل هنا وهناك طالبا للعلم ومتوسعا فيه، فدخل البصرة وبلاد الشام، ومكة والمدينة، وجدة، واليمن، ومصر. وبعد ذلك استقر به المقام في طرابلس الغرب هربا بدينه وخوفا على عقيدته من الزيغ والانحراف، ونجاة بنفسه من الابتلاء زمن فتنة خلق القرآن التي ابتلي بها العلماء حينذاك، ولعل ذلك من أهم أسباب عدم رواية العجلي للأحاديث مع أنه عاصر كلاً من البخاري ومسلم. إلا أحاديث يسيرة وحكايات عن الصالحين تؤكد تقشفه وزهده وصلاحه رحمه الله.

شيوخه: للحافظ العجلي شيوخ كثر، من أشهرهم:

١- والده: عبد الله بن صالح بن مسلم

العجلي (ت ٢١١هـ).

٢- الإمام احمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

٣- يحيى بن معين، إمام الجرح والتعديل(ت ٢٣٣ هـ).

٤- حماد بن أسامة الكوفي، أبو أسامة (ت ٢٠١ هـ).

٥- مسدد بن مسرهد بن مسربل الاسدي (ت ٢٢٨ هـ).

٦- عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي (ت ٢١٩ هـ٩)

٧- الفضل بن دكين (عمرو بن حماد) الكوفي (ت ٢١٩ هـ).

٨- يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي (ت ٢٠٣ هـ٩)

٩- يزيد بن هارون بن زاذان الواسطي (ت ٢٠٦ هـ)

١٠- نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبيد الله المروزي (ت ٢٢٨)

١١- محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي (ت ٢١٢ هـ).

١٢- يعلى بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي (ت ٢٠٣ هـ) وآخرون كثر.

تلاميذه: كما لإمامنا شيوخ، كان له تلاميذ، من أشهرهم:

١- ولده صالح، (ت ٣٢٢ هـ).

٢- محمد بن فطيس الغافقي (ت ٣١٩ هـ).

٣- عثمان بن حديد الالبيري

٤- سعيد بن عثمان بن سعيد التجيبي (ت ٣٠٥).

٥- سعيد بن إسحاق

وغيرهم كثيرون.

❖ ثناء أهل العلم عليه:

لقد حظي الإمام العجلي بوافر المدح والثناء عليه، لمقامه ومكانته ورسوخه وتبحره في العلم، ومن ذلك:

١- قال عباس بن محمد الدوري- تلميذ يحيى بن معين: "إنا كنا نعدّه مثل احمد ابن حنبل- ويحيى بن معين".

٢- قال مالك بن عيسى القفصي -احد نقاد الحديث بالمغرب- وقد سئل: "من أعظم من رأيت بالحديث؟ فقال: أما من الشيوخ فأبو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح الكوفي الساكن بالطرابلس بالمغرب".

٣- وقال علي بن أحمد بن زكريا الاطرابلسي: إن ابن معين واحمد بن حنبل قد كانا يأخذان عن العجلي "وقال عنه ابن معين: ثقة ابن ثقة ابن ثقة.

٤- قال الوليد بن بكر الأندلسي الحافظ الثقة: "وكان أبو الحسن من أئمة أصحاب الحديث الحفاظ المتقنين من ذوي الورع والزهد".

٥- قال الذهبي: "الإمام الحافظ الأوحد الزاهد".

٦- قال ابن ناصر الدين الدمشقي: كان إماما، حافظا، قدوة، من المتقنين، وكان يعد كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين".

نتاجه العلمي:

قال الحافظ الذهبي في سياق ترجمته للعجلي: صاحب التاريخ والجرح والتعديل، بما يفيد ان له كتابين، وقد اشار محقق كتاب تاريخ الثقات الى ذلك، وبعد البحث تبين لي أن الحافظ العجلي ليس له إلا مصنف واحد هو كتابه هذا في تاريخ الرجال، والراجح لدي أنهما كتاب واحد والله اعلم.

وفاته:

توفي الحافظ العجلي سنة ٢٦١ هـ، عن تسع وسبعين سنة، عليه رحمة الله.

● المطلب الثاني: تعريف موجز بالكتاب ومكانته:

يعد كتاب تاريخ الثقات للعجلي -أو تاريخ الرجال- من أقدم المصنفات في الجرح والتعديل، وهو مجلد واحد، طبع عدة طبعات، منها طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، وهي الطبعة التي اعتمدتها في دراستي هذه، وجاء اسم الكتاب فيها: "تاريخ الثقات".

وأخرى طبعت بتحقيق السيد عبد العليم البستوي، مكتبة الدار بالمدينة، وجاءت باسم "معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم".

هذا وقد حظي كتاب العجلي بمكانة مرموقة بين مصنفات أهل العلم فمدحوه وأثنوا عليه، ومن ذلك:

- قول الحافظ الذهبي: "وهو كتاب مفيد، يدل على سعة حفظه".(٢)

- وقوله: "وله مصنف في الجرح والتعديل، طالعته وعلقت منه فوائد، يدل على تبحّره بالصنعة وسعة حفظه".(٣)

- وقول الصفدي: "روى عنه ابنه صالح ابن احمد كتابه في الجرح والتعديل، وهو كتاب مفيد يدل على إمامته وسعة حفظه".(٤)

- وقول ابن ناصر الدين الدمشقي: " كتابه في الجرح والتعديل يدل على سعة حفظه وقوة باعه الطويل".(٥)

أقول: وبلغت تراجمه "٢١١٦"، ترجمة ذكورا وإناثا، بما في ذلك تراجم الصحابة

رضي الله عنهم، والكتاب قد تم ترتيب تراجمه من قبل الحافظ الهيثمي واسماه "ترتيب ثقات العجلي".

وثمة مسألة مهمة لا بد من الحديث فيها وهي "حقيقة اسم الكتاب" لأن بعض الأسماء التي أطلقت عليه مثل "الثقات" أدت إلى إيجاد انطباع وتصور قد لا يكون دقيقا عن الكتاب وشرط صاحبه فيه، وإليك تلك الأسماء التي أطلقت على هذا الكتاب:

١- "كتاب الجرح والتعديل" وصفه بذلك: الإمام الذهبي، وابن ناصر الدين الدمشقي، والصفدي.

٢- "التاريخ" قاله اليافعي[٦] وكذا قال الحافظ ابن حجر تحت ترجمة أبيه:".. صاحب التاريخ".[٧]

٣- "تاريخ الثقات" هكذا هو اسم الكتاب في النسخة التي اعتمدتها هنا، كما في المخطوط الأساس لكتاب الهيثمي الذي جاء تحت اسم " ترتيب ثقات العجلي".

٤- "كتاب سؤالات أبي مسلم صالح أباه أبا الحسن احمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي"هكذا جاء اسمه في نسخة ترتيب تقي الدين السبكي.

٥- "معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث من الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم" هكذا ورد الاسم في النسخة التي حققها السيد عبد العليم البستوي.

بعد هذا العرض لما أطلقه العلماء من أسماء مختلفة لكتاب الحافظ العجلي، لا بد أن نصل إلى نتيجة مفادها أن هذا الاختلاف في التسمية سببه القناعة المتولدة لدى كل عالم حسب اجتهاده بموضوع الكتاب وحقيقته.

والذي ترجح لدي من خلال النظر في تراجم هذا الكتاب والوقوف عليها أن الحافظ العجلي لم يهدف إلى إفراد الثقات بمصنف يعنون له بذلك لأن فيه من ليس بثقة صرح العجلي نفسه بضعفهم، وقد أجاد الشيخ حاتم بن عارف الشريف حينما قال: "إلا أن الصواب أن كتاب العجلي ليس مختصا بـ "الثقات" ففيه جماعة جرحهم العجلي نفسه بالضعف تارة وبالترك أخرى، وبالكذب أحيانا. وبالزندقة أيضا، بل لقد بوب لكتابه بابا بعنوان "ومن المتروكين" كما في الجزء المتبقي من أصل كتاب العجلي".[٨]

إذاً لم يفرد كتاب العجلي للثقات، إنما فيه من وصف بالتعديل وفيه من وصف بالتجريح، لكن مسألة من وثقهم العجلي واختلف فيهم موضوع له بحث آخر.

وقال الشيخ الشريف أيضا: "لكن تسمية الكتاب بـ "الثقات" جرّت إلى خطأ كبير عن هذا الكتاب، فلم يفهم على أن

تسميته بـ: "الثقات" لأن الثقات هم أغلب من ذكر فيه، بل فهم على انه كتاب مختص بـ "الثقات" فقط كثقات ابن حبان وابن شاهين، فمن الحفاظ: يقول خاتمتهم الحافظ ابن حجر[٩]: ومنهم من افرد الثقات بالذكر كالعجلي وابن حبان وابن شاهين".

ومن المعاصرين: يقول فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور أكرم ضياء الدين العمري[١٠]: أما كتب الثقات فأول من صنف فيها: أبو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح العجلي"[١١].

أقول: والغالب على كتاب العجلي انه مختص بالثقات عند كثيرين من أهل العلم المتقدمين منهم والمتأخرين وكذلك المعاصرين، وإن كان الواقع ليس كذلك إنما الأغلب الأعم من تراجمه هم ثقات ولذلك أطلق عليه الثقات. والذي أراه وأميل إليه أن تسميته بـ: "التاريخ" أرجح وأدق من تسميته بالثقات.

❖ المبحث الثاني: هل العجلي متساهل في الحكم على الرجال؟

وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: أقوال أهل العلم في ذلك:

وجدت أهل العلم في ذلك فريقين:

الفريق الأول: يعدّونه ناقدا كغيره من جهابذة الجرح والتعديل كالإمام احمد وابن معين وغيرهما، ومن هؤلاء: عباس بن محمد الدوري، ومالك بن عيسى القفصي، وعلي ابن احمد بن زكريا الاطرابلسي، والوليد بن بكر الأندلسي، والإمام الذهبي، وابن ناصر الدين الدمشقي"[١٢].

وقال يحيى بن معين عنه: "ثقة ابن ثقة ابن ثقة"[١٣]، وإن كان هذا القول لا يدل على أنه من أئمة النقد والجرح والتعديل، لكنه يؤكد مدى ثقة أئمة الجرح والتعديل به ومكانته عندهم.

كل ذلك يبين بجلاء أن الحافظ العجلي إمام من أئمة النقد والجرح والتعديل، وأنه من كبار الحفاظ، وأنه ضابط عدل حتى أنه كالإمام أحمد ويحيى بن معين وغيرهما.

ولا أعلم أحدا من أهل العلم القدماء والأوائل ذكر العجلي بشيء من التساهل ونحوه، بل كان قوله معتمدا لديهم ترى ذلك من خلال نقولهم عنه في موطن الاستدلال على الرجال لا سيما في التوثيق، وهم أئمة الجرح والتعديل كالخطيب البغدادي والحميدي وابن عساكر والمزي والذهبي، وابن عساكر والحافظ ابن حجر، والسخاوي والسيوطي، وابن العماد الحنبلي وغيرهم، وكتابه أحد مواردهم جميعا في مصنفاتهم.

الفريق الثاني: اتهموه بالتساهل وعدّوه كإبن حبان تماما:

وهذا الفريق من المعاصرين، وعلى رأسهم العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، فقد وجدته بالاستقراء قد نص على ذلك في تحقيقه للفوائد المجموعة للشوكاني في أكثر من موضع:

١- قال: "وقد استقرأت كثيرا من توثيق العجلي فبان لي أنه نحو من ابن حبان"[(١٤)].

٢- وقال: "إن كلمة ثقة عندهما -العجلي والحاكم- لا تفيد أكثر مما تفيده كلمة " صدوق" عند غيرهما بل دون ذلك"[(١٥)].

٣- وقال: "... كلاّ لم يوثقه أحد غير قول العجلي: "لا بأس به" والعجلي متسامح جدا.."[(١٦)].

٤- وقال: ".. فلم يبق إلا قول العجلي: " ثقة" والعجلي متسامح جدا، وخاصة في التابعين فكأنهم كلهم عنده ثقات، فتجده يقول: "تابعي ثقة" في المجاهيل، وفي بعض المذمومين كعمر بن سعد، وفي بعض الهلكى كأصبغ بن نباتة..."[(١٧)].

وقال في التنكيل: "والعجلي قريب من ابن حبان في توثيق المجاهيل من القدماء"[(١٨)].

وقال في الأنوار: "فإن العجلي قريب من ابن حبان او اشد، عرفت ذلك بالإستقراء"[(١٩)].

ونحو هذه الأقوال أيضا صرح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أكثر من مكان في مصنفاته منها: قوله: "العجلي معروف بالتساهل في التوثيق كإبن حبان تماما"[(٢٠)].

وقال: ".. وكان ذلك قبل أن يتبين لي أن العجلي متساهل في التوثيق مثل تساهل ابن حبان أو نحوه.."[(٢١)].

وكذا قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي: "عرف بالاستقراء من تفرده -مع ابن حبان- بتوثيق بعقض الرواة الذين لم يوثقهم غيرهما، فهذا عرف بالاستقراء، وإلا فلا أعلم أحدا من الحفاظ نص على هذا، والذي لا يوثقه إلا العجلي والذي يوثقه أحدهما أو كلاهما فقد لا يكون بمنزلة صدوق، ويصلح في الشواهد والمتابعات، وان كان العجلي يعد أرفع في هذا الشأن، فهما متقاربان"[(٢٢)].

هذه أقوال بعض أهل العلم المعاصرين، والتي يؤكدون فيها على تساهل الإمام العجلي وأنه كإبن حبان تماما أو أوسع، وتبع هؤلاء جمع من أهل العلم وطلبته اليوم على أن الحافظ العجلي متساهل، وأصبحت قضية مسلما بها لا تقبل النقاش ولا الحديث!!.

● **المطلب الثاني: دراسة وترجيح:**

بعد دراسة مستفيضة لكتاب العجلي،

توصلت إلى الإحصائيات التالية:

١- رواة وصفهم العجلي بقوله: "ثقة" أو "لا بأس به" وهم ضعفاء أو مجاهيل وعددهم: "١٣٥" مائة وخمسة وثلاثون، أي ما نسبته ٣.٦٪ من عدد تراجم كامل الكتاب والبالغة ٢١١٦ ترجمة.

٢- رواة انفرد العجلي بذكرهم لم أقف لهم على ذكر عند سواه وعددهم "٣٥" خمسة وثلاثون، أي ما نسبته ٧.١٪ من كامل عدد التراجم.

٣- رواة بيّض لهم فلم يذكر فيهم جرحا ولا تعديلا، وبلغ عددهم (٦٠) ستون، أي ما نسبته ٩.٢٪.

لكن معظمهم من المشاهير المعروفين أو بعض كبار الصحابة فكأنه اكتفى بذكرهم لشهرتهم، كأبي بكر الصديق (ترجمة رقم ١٩٠٦) ويحيى بن معين (ترجمة رقم ١٨٢٦) وابو حنيفة النعمان (ترجمة رقم ١٦١٤).

وبعض هؤلاء الذين بيض لهم ثقات، كأبي الشعثاء سليم بن اسود (ترجمته رقم ١٩٦٣) ونافع بن عبد الرحمن القارئ (ترجمة رقم ١٦٧٨) وآخرون وصفهم بالزندقة كيونس بن فروة (ترجمة رقم ١٨٨٤) وغيرهم مجاهيل وضعفاء كإبراهيم ابن مكرمة بن يعلى (ترجمة رقم ٣١) وذويد (ترجمة رقم ٤٠٧)، وسفيان بن أبي العوجاء (ترجمة رقم ٥٧٥).

٤- رواة وثقهم العجلي وابن حبان فقط، وبلغ عددهم نحو (٢٠٠ مائتي ترجمة) أي ما نسبته ٥.٩٪.

خلاصة القول: إن نسبة الضعفاء الذين وثقهم والذين انفرد بذكرهم (على اعتبار أنهم مجاهيل) هي ٨٪ من كامل العدد. أما الذين سكت عنهم فلا ملامة عليه في ذلك ولقد سكت البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما عن مئات الرجال فلم يذكرا فيهم جرحا ولا تعديلا ولم ينتقدا في ذلك.

وأما الذين وثقهم ومعه ابن حبان ولم يجرحهم أحد فإنني أميل إلى القول بقبول رواياتهم وان اقل أحوالهم أن حديثهم حسن إن شاء الله تعالى.

بعد ذلك أقول: هل يا ترى نسبة ٨٪ من كامل العدد (أي الضعفاء الذين وثقهم العجلي والمسكوت عنهم عنده) تستدعي أن يوصف العجلي بالتساهل المطلق وأن يحكم عليه بذلك كما رأينا في عبارات المعلمي والألباني والوادعي؟ في حين أننا لو استعرضنا كتب الرجال كافة لوجدنا فيها مثل ما في كتاب العجلي أو نحوه، ولم يسلم كتاب من النقد والطعن، بل إنني لم أقف على قول واحد للعلماء القدماء يصف فيه العجلي بالتساهل.

لا بل وقفت على ما يدلل بما لا يقبل الشك على عبارات لجماعة من أهل العلم المعتبرين في فن الجرح والتعديل، يتضح من خلالها اعتبارهم لتوثيق العجلي وأنه لا فرق بين توثيقه وتوثيق غيره من العلماء المشهورين في ذلك، وأوجزه بما يلي:

١- وقفت على رواة عند ابن حجر في تقريب التهذيب، كان يكتفي فقط بنقل توثيق العجلي لهم مقرا له بذلك، ومن هؤلاء: زياد ابن أبي مريم الجزري[٢٣]، وسعيد بن حيان التيمي[٢٤]، وسيف الشامي[٢٥]، وصالح بن خيوان[٢٦]، وعبد الله بن أبي بصير[٢٧]، وعبد الله بن ضمرة السلولي[٢٨]، وغيرهم كثير ممكن يكتفي الحافظ ابن حجر فقط بتوثيق العجلي لهم.

وأحيانا كان ينقل توثيق العجلي إلى جانب توثيق احمد كما في ترجمة صالح بن صالح ابن حي، قال ابن حجر: قال احمد: ثقة، ووثقه العجلي[٢٩]، وتراه يثق بما يقول العجلي في جوانب أخرى في الراوي كالإتجاهات العقدية كما في ترجمة عبد الله ابن زيد بن عمرو الجرمي، قال ابن حجر: ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير"[٣٠].

وفي مواطن أخرى كان يقدم توثيق العجلي على حكم غيره من العلماء كما في ترجمة البراء بن ناجية الكاهلي، قال: " قرأت بخط الذهبي في الميزان: فيه جهالة لا يعرف، قلت - ابن حجر: قد عرفه العجلي وابن حبان فيكفيه[٣١]" واكتفى في التقريب بقوله: ثقة[٣٢] مما يؤكد تبنيه لحكم العجلي واكتفائه به.

وبالمقابل وجدت الحافظ ابن حجر ينقل توثيق علماء آخرين غير العجلي ويكتفي بحكمهم، كالإمام النسائي، كما في ترجمة عاصم العدوي الكوفي[٣٣]، وعبد الله بن عثمان البصري[٣٤]، وعبد الملك بن زيد بن سعيد العدوي[٣٥]، والإمام يحيى بن معين، كما في ترجمة عبد الله بن بَحير[٣٦]، وعبد السلام بن أبي حفص الليثي[٣٧]، وعبد المجيد بن أبي يزيد العقيلي[٣٨]، والإمام أبو حاتم .كما في ترجمة عبد القدوس بن بكر ابن خُنَيس[٣٩].

لتعلم أن الحافظ ابن حجر لا يفرق بين حكم كل من النسائي وابن معين وابو حاتم والعجلي على الرواة، فمن أين لنا أن نفرق بينهم ونصف هذا بالتساهل دون ذاك من غير أدلة كافية وبيان واضح؟.

٢- وكذلك الحال عند الإمام الذهبي، فقد كان يذكر الترجمة وينقل حكم العجلي وحده معتمداً عليه، كما في ترجمة اسلم بن الحكم، قال: وثّقه العجلي[٤٠]، هكذا فقط دون أن ينقل توثيق غيره له.

وكما في ترجمة معلى بن منصور

الرازي، قال: قال العجلي: " ثقة نبيل صاحب سنة طلبوه على القضاء غير مرة فأبى"[٤١].

فهو بهذا قد اعتمد على حكم العجلي ونقل توثيقه لمعلى ولم ينقل توثيق غيره، علما بأنه مجمع على توثيقه.

وهكذا الحال في عشرات الأمثلة التي ساقها الذهبي واكتفى بحكم العجلي دون غيره، لا مجال لسردها هنا.

٣- وكذا اعتمد الإمام ابن تيمية توثيق العجلي إذ قال : وأما عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان، فقال يحيى بن معين وأبو زرعة واحمد بن عبد الله- العجلي: "ليس به بأس"[٤٢].

فقد قرن ابن تيمية بين يحيى وأبي زرعة والعجلي ولم يفرق بين احد منهم في الحكم تساهلا أو تشددا على اعتبار أنهم سواء.

وكذلك فعل ابن تيمية في ترجمة أبو منيب الجرشي الدمشقي الأحدب إذ نقل توثيق العجلي له فقط وقال:

" ما علمت أحدا ذكره بسوء وقد سمع منه حسان بن عطية"[٤٣].

أقول: يفهم من ذلك أن العجلي إذا انفرد بتوثيق لم يخالفه غيره فقوله معتمد شأنه شأن غيره من أهل الجرح والتعديل، وأكد ابن تيمية على رأيه هذا بقوله: وقد احتج الإمام احمد وغيره بهذا الحديث".

٤- وكذا الإمام المزي كان ينقل كلام العجلي وحده معتدا به، كما في ترجمة إسحاق بن عبد الله بن الحارث القرشي، قال: وقال احمد بن عبد الله العجلي: ثقة"[٤٤] وكما في ترجمة أسماء بن الحكم الفزاري، قال: قال العجلي: كوفي تابعي ثقة"(٤٥)، وينقل أيضا توثيق العجلي إلى جانب توثيق غيره دون تفريق أو بيان لأفضلية أحد على آخر كما في ترجمة برد ابن أبي زياد الهاشمي، نقل فيه توثيق العجلي والنسائي"[٤٦].

٥- وكذا الإمام ابن رجب الحنبلي، فقد اعتمد قول العجلي أكثر من مرة ورجحه على غيره كما يتضح من كلامه لشرح حديث" لا تغضب" إذ اعتمد قول العجلي في ان جارية بن قدامة التميمي تابعي وليس صحابيا، حيث قال : قال يحيى: وهم يقولون : لم يدرك النبي ﷺ وكذا قال العجلي وغيره: "انه تابعي وليس بصحابي"[٤٧].

أقول: هذا مع أن الحافظ ابن حجر رجح أن جارية المذكور صحابي ثابت الصحبة"[٤٨] وكذا ذكره ابن حبان في الصحابة"[٤٩].

وأكتفي بهذه الأمثلة كبراهين واضحة وجلية على ما قدمت.

على أن اتهام الحافظ العجلي بالتساهل أراه بعيداً كلّ البعد عن الحق مع احترامنا وتقديرنا لأولئك العلماء الذين ساقهم اجتهادهم للحكم على العجلي بالتساهل، لكنني وبالدليل أخالفهم بأن إمامنا وحافظنا عالم من علماء الجرح والتعديل المعتد بقولهم إلا إذا خالف سائر الأئمة فانفرد بحكم وخولف فيه، عندها لا يعتد بقوله كسائر النقاد ويؤيد ذلك قول الشيخ الالباني: "فتوثيقه مردود إذا خالف اقوال الأئمة الموثوق بنقدهم وجرحهم"، وأما إذا انفرد بحكم ولم يخالفه فيه غيره، فشأنه في ذلك شأن سائر علماء الجرح والتعديل، فيكون حينها قد اطلع على حال من لم يطلع عليه غيره، والله اعلم.

◆ المبحث الثالث: منهج الحافظ العجلي في كتابه التاريخ:

وقفت بالاستقراء على أهم ملامح منهج الحافظ العجلي في كتابه تاريخ الثقات، وقد فصلت ذلك في النقاط التالية:

أولا: يوثق الضعفاء والمجهولين:

وثق الحافظ العجلي جماعة في كتابه " تاريخ الثقات" وهم في الحقيقة ضعفاء أو مجهولون ونحو ذلك وعددهم (١٣٥) ترجمة أي ما نسبته ٣،٦ بالمائة منهم على سبيل المثال:

١- عبد الرحمن بن مريح الخولاني: قال العجلي(٥٠): مصري تابعي ثقة وحقيقة أمره أنه مجهول، جهله كل من ابن أبي حاتم(٥١): والذهبي(٥٢) ولم يوثقه سوى العجلي.

٢- عبد الملك بن قدامة بن إبراهيم بن حاطب الجمحي المدني: قال العجلي(٥٣): ثقة.

في حين أنه ضعيف باتفاق، ضعفه كل من : البخاري(٥٤)، والعقيلي(٥٥)، وابن أبي حاتم(٥٦)، وابن حبان(٥٧)، وابن عدي(٥٨)، والذهبي(٥٩)، والنسائي(٦٠)، وابن حجر(٦١).

٣- عمرو بن جابر الخضرمي: قال العجلي(٦٢): مصري تابعي ثقة وكان يغلو في التشيع، والحق انه ليس ثقة، ضعفه كل من: الإمام احمد بن حنبل(٦٣)، والنسائي(٦٤)، والدارقطني(٦٥)، والعقيلي(٦٦)، والذهبي(٦٧)، وابن حجر(٦٨)، وذكره البخاري وسكت عنه(٦٩).

ثانيا: أورد في ثقاته متروكين ومتهمين بالكذب وكذابين ولم يبين ذلك.

تناول العجلي في كتابه بعض المتروكين والمتهمين والكذابين، وسكت عنهم من هؤلاء:

١- ثوير بن أبي فاختة، أبو الجهم، مولى جعدة بن هبيرة: قال العجلي: هو وأبوه لا بأس بهما، في حين كذبه سفيان

الثوري[٧٠]، وقال يحيى بن معين[٧١]: ليس بشيء، وقال البخاري[٧٢]: "كان يحيى وابن مهدي لا يحدثان عنه" وكان سفيان بن عيينة يغمزه"[٧٣].

ولم يوثّقه سوى العجلي، فقد اتفق على تضعيفه، ضعّفه كل من النسائي[٧٤]، والدارقطني[٧٥]، والذهبي[٧٦]، وابن أبي حاتم[٧٧]، وابن حجر[٧٨].

٢- سعيد بن سلام العطار، أبو الحسن البصري: قال العجلي[٧٩]: لا بأس به.

أقول: لم يوثقه سواه، فقد اتُهم بالوضع والكذب.

وقال البخاري[٨٠]: "يذكر بوضع الحديث عن سفيان وهشام بن سعد" وقال أيضا : هو منكر الحديث"[٨١]. بل كذبه محمد ابن عبد الله بن نمير[٨٢] وقال النسائي[٨٣]: متروك الحديث، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين[٨٤] وقال الإمام احمد بن حنبل[٨٥]: إني اضرب على حديثه" .

وقال ابن أبي حاتم[٨٦]: منكر الحديث جدا .

٣- سعيد بن ذي لعوة: قال العجلي[٨٧]: كوفي ثقة، والبغداديون يضعفونه" .

أقول: بل هو دون ذلك، فقد قال ابن حبان[٨٨]: دجال يزعم انه رأى عمر بن الخطاب يشرب المسكر" وقال البخاري[٨٩]: يخالف الناس في حديثه لا يعرف" .

وضعفه كل من علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو زرعة[٩٠].

ثالثا: وصف رواة بقوله: " لا بأس به" وهو ضعيف:

واضح أن عبارة "لا بأس به" هي من أوصاف التوثيق عند العجلي: وقد نعت به جماعة في ثقاته وهم ضعفاء، منهم:

١- تليد بن سليمان المحاربي: قال العجلي[٩١] "كوفي، روى عنه احمد بن حنبل، لا بأس به، وكان يتشيّع ويدلس" .

أقول: بل هو متهم بالكذب، قال الإمام احمد[٩٢]: "حدثني تليد وهو عندي كان يكذب" .

وقال يحيى بن معين[٩٣]: "تليد كذاب، وقال مرة : ليس بشيء "ووصفه أبو داود بالرافضي الخبيث"[٩٤].

وبهذا صفه النسائي[٩٥]، وابن أبي حاتم[٩٦]، وابن حجر[٩٧]؟

فمن هذه الحالة بعيد كل البعد عن التوثيق بل وعن أدنى درجاته.

٢- سنان بن هارون البرجمي: قال العجلي[٩٨]: "كوفي، لا بأس به" .

أقول: الراجح فيه الضعف، فقد ضعفه

كل من: يحيى بن معين[٩٩]، وابن أبي حاتم[١٠٠]، والعقيلي[١٠١]، والذهبي[١٠٢]، وابن حبان[١٠٣]، وابن حجر[١٠٤]، ولم أر من وثّقه.

٣- عمر بن راشد بن شجرة اليمامي، قال العجلي[١٠٥]: "لا بأس به".

أقول: بل هو ضعيف باتفاق، ضعفه كل من: يحيى بن معين[١٠٦]، والبخاري[١٠٧]، وابن حبان[١٠٨]، وابن أبي حاتم[١٠٩]، والعقيلي[١١٠]، وابن عدي[١١١]، والدارقطني[١١٢]، والنسائي[١١٣]، والذهبي[١١٤]، وابن حجر[١١٥].

رابعا: كما وصف آخرين بـ "لا بأس به" وهم ثقات:

من هؤلاء:

١- إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني: قال العجلي[١١٦]: لا بأس به.

أقول: هو ثقة باتفاق، كما ترجم له ابن أبي حاتم[١١٧]، وابن حجر[١١٨] وغيرهما.

٢- أسباط بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة القرشي: قال العجلي[١١٩]: "لا بأس به".

أقول: وهذا كحال سابقه، متفق على توثيقه، وانظر ترجمته عند ابن حجر[١٢٠].

٣- المنذر بن ثعلبة العبدي البصري: قال العجلي[١٢١]: لا بأس به.

- أقول: والحق أنه ثقة، وثّقه الإمام احمد[١٢٢]، وابن حجر[١٢٣].

خامسا: "ضعّف رواة حقّهم التوثيق".

أورد العجلي في كتابه رواة ونص على ضعفهم صراحة، والواقع أن حقّهم التوثيق، من هؤلاء:

١- إسماعيل بن زكريا بن مرة الخلقاني الاسدي: قال العجلي[١٢٤]: كوفي ضعيف.

أقول: وإن تكلم فيه وضُعِّف إلا أن اقل أحواله أن يقال فيه: صدوق، وقد أخرج له الستة.

قال ابن معين[١٢٥]: ثقة، وقال ابن أبي حاتم[١٢٦]: سمعت أبي يقول: إسماعيل "صالح" وقال مرة: حديثه مقارب.

وذكره الذهبي[١٢٧] وقال: ثقة منصف، وقال ابن حجر[١٢٨]: صدوق يخطئ قليلا" وقال[١٢٩]: قال الإمام احمد: ثقة ومرة: ضعيف ، وقال النسائي: أرجو أن لا يكون به بأس".

٢- محمد بن كثير العبدي، أبو عبيدة البصري: قال العجلي[١٣٠]: ضعيف، أقول: بل هو ثقة باتفاق لم يضعّفه أحد وقد اخرج له الستة، قال يحيى بن

معين[١٣١]: لم يكن به بأس، وقال ابن أبي حاتم[١٣٢]، سألت أبي عنه فقال: صدوق، وقال ابن حجر[١٣٣]: ثقة لم يصب من ضعفه، وقال: قال[١٣٤] احمد: ثقة، وقال مسلمة: لا بأس به.

٣- يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي: قال العجلي[١٣٥]: ضعيف.

أقول: بل هو كسابقه ثقة، وقد أخرج له الستة سوى الترمذي، ذكره ابن حبان في الثقات[١٣٦]، وقال ابن أبي حاتم[١٣٧]: سألت أبي عنه فقال: هو ثقة، وقال ابن حجر[١٣٨]: ثقة.

سادسا: يذكر ما للراوي من اتجاهات عقدية أو فكرية ونحو ذلك".

حرص العجلي وهو يترجم لرواة كتابه أن يذكر على نحو مختصر، ما يؤمن به بعضهم من فكر عقدي يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وكأنه بهذا يريد أن يبرهن على عقيدته عقيدة أهل السنة.

واليك نماذج من ذلك:

١- أبان بن يزيد العطار البصري، قال عنه[١٣٩]: ثقة وكان يرى القدر ولا يتكلم فيه.

أقول: هو ثقة باتفاق.

٢- إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، قال عنه[١٤٠]: رافضي جهمي لا يكتب حديثه، أقول: بل هو كذاب وضاع، قال يحيى بن معين[١٤١]: كان كذّابا وكان رافضيا، وقال الإمام احمد: تركوا حديثه، وقال البخاري: كان يرى القدر وكان جهميا، وذكره ابن حبان في المجروحين[١٤٢].

٣- إسحاق بن منصور السلولي: قال عنه[١٤٣]: كوفي ثقة، كان فيه تشيع، أقول: هو ثقة باتفاق وقد أخرج له الستة.

٤- تليد بن سليمان المحاربي: قال عنه[١٤٤]: روى عنه احمد بن حنبل لا بأس به، وكان يتشيع ويدلس.أقول: وقد سبق الحديث عن تليد هذا، وهو متهم بالكذب.

٥- عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة التنوري: قال عنه[١٤٥]: "بصري ثقة، وكان يرى القدر ولا يدعو إليه".

٦- عمرو بن جابر الحضرمي: قال عنه[١٤٦]: "مصري تابعي ثقة، وكان يغلو في التشيع".

أقول: وهو ليس ثقة، إنما هو ضعيف[١٤٧].

وهناك آخرون كذلك قرن العجلي بين تعديلهم أو جرحهم وبين فكرهم العقدي، وهم كثيرون لا يمكن أن أسردهم جميعا، لكن ما يلاحظ أن الحافظ العجلي منصف حقا غير غال ولا جاف، فتراه يقول عن بعض الرواة: كان يرى القدر ولا يدعو إليه،

الهوامش:

١- انظر ترجمته في: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٢/٥٠٥-٥٠٦. مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط١/١٤٠١ هـ.

والعبر، له، ١/٣٧٤، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٩٨٥م، تحقيق: أبو هاجر زغلول.

وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/١٤١، دار الفكر، ط/ ١٩٨٨م.

وابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٣٣، مكتبة المعارف، ط٢/ ١٩٧٧م.

والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤/٢١٤- ٢١٥، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢- الذهبي، تذكره الحفاظ، ٢/٥٦٠-٥٦١.

٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/٥٠٦.

٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤ هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي - لبنان ، ط١ / ٢٠٠٠ م ، ٧/ ٥١ .

٥- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين ابو الفلاح عبدالحي بن احمد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) شذرات الذهب، دار الفكر، ط/ ١٩٨٨م، ٢/١٤١.

٦- اليافعي، عبد الله بن اسعد بن سليمان بن فلاح اليمني، (ت ٧٦٨) ، مرآة الجنان، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت، ٢/١٧٣.

٧- ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) تهذيب التهذيب دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٩٨٤م، ٥/ ٢٢٩ .

٨- مقال للشيخ حاتم بن عارف الشريف، في موقع ملتقى أهل الحديث.

٩- ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر، مطبعة سفير بالرياض، ط١/ ١٤٢٢ هـ ص١٩٩.

١٠- الدكتور اكرم ضياء الدين العمري، موارد الخطيب البغدادي، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ص٣١.

١١- مقال للشيخ حاتم الشريف، مرجع سابق.

١٢- وأقوال هؤلاء جميعا سبقت تحت عنوان: "ثناء أهل العلم عليه" تنظر هناك.

١٣- الخطيب البغدادي، احمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، ٤ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ٤/٢١٥.

١٤- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٠هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، ص٢٢ .

١٥- المرجع السابق ص ٦٤.

١٦- المرجع السابق ص ٢٢٠.

١٧- المرجع السابق ص ٤٨٥.

١٨- المعلمي اليماني، ابو عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (ت ١٣٨٦ هـ) التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق الالباني، دار الكتب السلفية، ط١/١٩٩٧م، ١/٦٩.

١٩- الأنوار الكاشفة ص ٦٨.

٢٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٢١٨- ٢١٩ حديث رقم ٦٣٣ المكتب الإسلامي، ط٤، ١٩٨٥م.

٢١- صحيح سنن ابي داود ٧/٣٦١، حديث رقم ٢٣٤٥ ٠

٢٢- مقبل بن هادي الوادعي، المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح، رقم ٣٢/٣٧-٣٨.

٢٣- ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/٢٧٠ ترجمة رقم ١٣٣ دار المعرفة ط٢/ ١٩٧٥.

٢٤- ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/٢٩٣ ترجمة رقم ١٤٤.

٢٥- ابن حجر، تقرب التهذيب، ١/٣٤٤ ترجمة رقم ٦٣٨.

٢٦- ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٣٥٩ ترجمة رقم ١٤.

٢٧- ابن حجر، تقريب التهذيب١/٤٠٤ ترجمة رقم ٢٠٩.

٢٨- ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٤٢٤ ترجمة رقم ٣٩٠.

٢٩- ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٣٦٠ ترجمة رقم ٢٧ .

٣٠- ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٤١٧ ترجمة رقم ٣١٩.

٣١- ١/٤٢٧.

٣٢- ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١/٤٢٧.

٣٣- ابن حجر، تهذيب التقريب، ١/٩٥.

٣٤- ابن حجر، تهذيب التقريب/ ١٣٨٦ ترجمة رقم ٣٥.

٣٥- ابن حجر، تهذيب التقريب ١/٥١٩ ترجمة رقم ١٣١٠.

٣٦- ابن حجر، تهذيب التقريب ١/٤٠٣ ترجمة رقم ١٩٦.

٣٧- ابن حجر، تهذيب التقريب ١/٥٠٦ ترجمة رقم ١١٨٧.

٣٨- ابن حجر، تهذيب التقريب ١/٥١٧ ترجمة رقم ١٢٩٠.

٣٩- ابن حجر، تهذيب التقريب ١/٥١٥ ترجمة رقم ١٢٧٣.

٤٠- الذهبي، شمس الدين

احمد بن عثمان، الكاشف في رجال الأئمة الستة ١/٢٤٢. ترجمة رقم ٣٢٣.

٤١- المرجع السابق، ١/٥٨٤ ترجمة رقم ٢٩٠٥.

٤٢- ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٣٦.

٤٣- المرجع السابق ١/٢٣٧. وانظر للاستزادة بأمثلة أخرى الفتاوى له ٢٤/٣٤٩.

٤٤- المزي، جمال الدين أبو الحجاج، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢/٤٤٣، تقديم عبد العزيز رباح، احمد بن يوسف دقاق.

٤٥- المرجع السابق، ٢/٥٣٣.

٤٦- المرجع السابق، ٤/٤٣.

٤٧- ابن رجب، عبد الرحمن بن احمد الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ١/٣٦٢، تحقيق شعيب الارناؤوط.

٤٨- ابن حجر، الإصابة ١/٢١٨.

٤٩- ابن حبان، الثقات ٣/٦٠.

٥٠- كتاب الثقات، ترجمة رقم ٩٨٢، دار الكتب العلمية، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ط ١/ ١٩٨٤ م.

٥١- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٥/٢٨٧، دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٩٥٣م.

٥٢- الذهبي، شمس الدين احمد بن عثمان، المغني في الضعفاء، ١/٥٤٧، ترجمة رقم ٣٦٣١، تحقيق د. نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي/ قطر.

٥٣- الثقات، ترجمة رقم ١٠٣٧.

٥٤- التاريخ الكبير ٥/٤٢٨، دار الفكر.

٥٥- الضعفاء الكبير، ٣/٣٠، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى.

٥٦- الجرح والتعديل ٥/٣٦٢.

٥٧- المجروحين ٢/١٣٥.

٥٨- الكامل في الضعفاء، ٥/١٩٤٦.

٥٩- الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/٦٦١، نشر دار المعرفة، تحقيق البجاوي، والمغني في الضعفاء ١/٥٧٧.

٦٠- الضعفاء والمتروكين (المجموع في الضعفاء والمتروكين) دراسة الشيخ عبد العزيز السيروان، ص١٥٥، ترجمة رقم ٣٨٢، دار القلم، ط١/ ١٩٨٥م.

٦١- تقريب التهذيب ١/٥٢١، دار المعرفة، تحقيق

عبد الوهاب عبد اللطيف.

٦٢- الثقات، ترجمة رقم ١٢٥٢.

٦٣- ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل ٢٢٤/٦.

٦٤- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ص ١٧٥، ترجمة رقم ٤٤٧.

٦٥- المرجع السابق، ص ٣٤٦، ترجمة رقم ٣٨٦.

٦٦- الضعفاء الكبير ٢٦٣/٣، ترجمة رقم ١٢٦٩.

٦٧- المغني في الضعفاء، ٦٢/٢.

٦٨- تقريب التهذيب ٦٦/٢.

٦٩- التاريخ الكبير ٣١٩/٣.

٧٠- العقيلي، الضعفاء الكبير ١٨٠/١، ترجمة رقم ٢٢٦.

٧١- التاريخ ٧٢/٢، دراسة د. احمد محمد نور سيف، ط١٩٧٩/١م.

٧٢-٧٣- التاريخ الكبير ١٨٤/٢، والتأريخ الصغير له ٣١٠/١، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ط١/ ١٩٨٦م.

٧٤- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ترجمة رقم ٩٦.

٧٥- المرجع السابق ترجمة رقم ١٤٠.

٧٦- ميزان الاعتدال ٣٧٥/١، والمغني في الضعفاء، ١٩١/١، ترجمة رقم ١٠٦٩.

٧٧- الجرح والتعديل ٤٧٢/٢.

٧٨- تقريب التهذيب ١٢١/١.

٧٩- الثقات، ترجمة رقم ٥٥٠.

٨٠- انظر العقيلي، الضعفاء، ١٠٨/٢.

٨١- التاريخ الكبير ٤٨٢/٣.

٨٢- انظر، العقيلي، الضعفاء الكبير ١٠٨/٢، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٣٢/٤.

٨٣- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ترجمة رقم ٢٦٩.

٨٤- المرجع السابق، ترجمة رقم ٢٦٩.

٨٥-٨٦- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٣٢/٤.

٨٧- الثقات، ترجمة رقم ٥٤٢.

٨٨- المجروحين ٣١٦/١، والذهبي. المغني في الضعفاء ٣٧٣/١.

٨٩- التاريخ الكبير ٤٧١/٣.

٩٠- انظر ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ١٨/٤-١٩.

٩١- الثقات، ترجمة رقم ١٧٦.

٩٢- العقيلي، الضعفاء الكبير ١٧١/١.

٩٣- ابن معين، التاريخ ٦٦/٢.

٩٤- الذهبي، المغني في الضعفاء ١٨٣/١.

٩٥- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ترجمة رقم ٩١.

٩٦- الجرح والتعديل ٤٤٧/٢.

٩٧- تقريب التهذيب ١١٢/١.

٩٨- الثقات، ترجمة رقم ٦٢٨.

٩٩- التاريخ ٢٤٠/٢.

١٠٠- الجرح والتعديل ٢٥٣/٤.

١٠١- الضعفاء الكبير ١٧١/٢ وقال : حديثه غير محفوظ.

١٠٢- المغني في الضعفاء ٤١١/١.

١٠٣- المجروحين ٣٥٤/١.

١٠٤- تقريب التهذيب ٣٣٤/١.

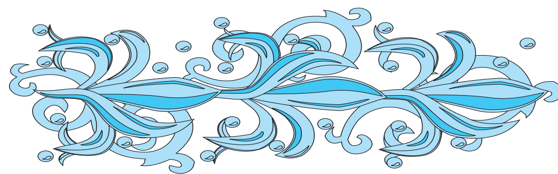
١٠٥- الثقات، ترجمة رقم ١٢٢٧.

١٠٦- التاريخ ١٢٤/٤، ٣٤٥.

١٠٧- التاريخ الكبير ١٥٥/٣.

١٠٨- المجروحين ٨٣/٢.

١٠٩- الجرح والتعديل ١٠٧/٣.
١١٠- الضعفاء الكبير ١٥٧/٣-١٥٨.
١١١- الكامل في الضعفاء ١٦٧٧/٥.
١١٢- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ترجمة رقم ٣٧٩.
١١٣- المرجع السابق، ترجمة رقم ٤٧٤.
١١٤- الميزان ١٩٣/٣، والمغني في الضعفاء ٤١/٢.
١١٥- تقريب التهذيب ٥٥/٢.
١١٦- الثقات، ترجمة رقم ٢٧.
١١٧- الجرح والتعديل ١٠٧/٢.
١١٨- تهذيب التهذيب ١٢٩/١، وتقريب التهذيب ٣٦/١.
١١٩- الثقات، ترجمة رقم ٦١.
١٢٠- تهذيب التهذيب ٢١١/١، والتقريب ٥٣/١.
١٢١- الثقات، ترجمة رقم ١٦٣٢.
١٢٢- الجرح والتعديل ٢٤٣/٨.
١٢٣- تقريب التهذيب، ٢٧٤/٢.
١٢٤- الثقات، ترجمة رقم ٨٧.
١٢٥- التاريخ ٣٤/٢.
١٢٦- الجرح والتعديل ١٧٠/٢.
١٢٧- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، ص ٤٥، تحقيق محمد شكور امرير، مكتبة المنار، ط١/١٩٨٦م.
١٢٨- تقريب التهذيب، ٦٩/١.
١٢٩- تهذيب التهذيب، ٢٩٧/١.
١٣٠- الثقات، ترجمة رقم ١٤٩٤.
١٣١- التاريخ، ٥٣٦/٢.
١٣٢- الجرح والتعديل، ٧٠/٨.
١٣٣- تقريب التهذيب ٢٠٣/٢.
١٣٤- تهذيب التهذيب ٤١٧/٩.
١٣٥- الثقات، ترجمة رقم ١٨٢٩.
١٣٦- ابن حبان، كتاب الثقات.
١٣٧- الجرح والتعديل ١٩٧/٩.
١٣٨- تقريب التهذيب ٣٦٠/٢.
١٣٩- الثقات، ترجمة رقم ١٧.
١٤٠- المرجع السابق، ترجمة رقم ٤٣.
١٤١- التاريخ، ١٣/٢.
١٤٢- المجروحين ١٠٥/١.
١٤٣- الثقات، ترجمة رقم ٧١.
١٤٤- المرجع السابق، ترجمة رقم ١٧٦.
١٤٥- المرجع السابق، ترجمة رقم ١٠٤٦.
١٤٦- المرجع السابق، ترجمة رقم ١٢٥٢.



وحدة الخلافة
في عصر الخلفاء الراشدين
والعصرين الاموي والعباسي

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

الخلافة الاسلامية كلمة مشتقة من الفعل خَلَفَ اي اتبع في الحكم، ومصطلح الاستخلاف في الاسلام هو سبب من الاسباب الرئيسية التي وضع الله بني البشر على الارض من اجلها؛ كي يعبدوه ويطبقوا احكامه التي ارسلها إلى الانبياء والرسل على مر الزمن.

وقد عرف الماوردي الخلافة بأنها رئاسة عامة لأمور الدنيا والدين، وعرفها ابن خلدون بأنها حمل الكافة على مقتضى احكام النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها، «ابن خلدون ١٩٠».

❖ الخلافة عند أهل السنة والجماعة:

هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهي عينها الإمامة، فإن الخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة فقط، ومن هنا يُعلم أن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة، ويقول أبو الحسن الماوردي: "الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"، وسمّيت خلافة لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين ويخلف النبي ﷺ في إدارة شؤونهم، وتسمّى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ولأن طاعته واجبة ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة، ولم ينص الرسول ﷺ على الخليفة من بعده كما تقول الشيعة،

الذين يعتبروا مغالين في معنى الإمامة من المنظور السني.

❖ الخلافة في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠ .

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص: ٢٦ .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥ .

❖ الخلافة في الأحاديث الشريفة:

دلت الأحاديث الواردة في الخلافة، أن الخلافة في قريش وأنها استمرت بعد رسول الإسلام ﷺ لفترة ٣٠ عاما وهي فترة حكم الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ثم تحولت لملك عضوض وهي فترة تعاقب الدول الأموية والعباسية والفاطمية والعثمانية وغيرها، ثم ستصبح حكما جبرياً، ثم ستعود مرة أخرى خلافة على منهاج النبوة.

قال ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» رواه الترمذي وأحمد، وقال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عضوضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» رواه أحمد.

وقال: «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة والهجرة في المسلمين والمهاجرين بعد» رواه أحمد، وقال ﷺ: «الملك في قريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة والأمانة في الأزد يعني اليمن» رواه الترمذي، وقال: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» رواه مسلم والترمذي، وقال: «قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة» رواه الترمذي.

❖ تاريخ الخلافة:

الخلافة الإسلامية الراشدة: توفي الرسول ﷺ دون أن يعين خليفة له على المسلمين أو ينص على شخص كخليفة له، إلا أن المسلمين اختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للرسول ﷺ وإماما للمسلمين (ابن قتيبة، ٨).

حرم الاسلام على المسلمين أن يقبلوا كافرا حاكما عليهم، قال تعالى: **﴿ومن يفعل ذلك فليس له من الله في شيء﴾** آل عمران: ٢٨، وحصر الاسلام تحمل المسؤولية في الرجال، قال تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء﴾** النساء: ٣٤، وأوجب الاسلام طاعة الحاكم المسلم: قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** النساء: ٥٩ .

❖ الطريقة التي تم بها اختيار الخلفاء الراشدين للحكم:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اختير للخلافة بطريق الانتخاب في أعقاب بيعة السقيفة والنقاش الذي دار بين الأنصار والمهاجرين **وسميت هذه الطريقة بطريقة الاختيار واطلق عليها البعض الانتخاب الاستشاري وكانت على مرحلتين:**

البيعة الخاصة وهي بيعة السقيفة ثم البيعة العامة التي تلتها فيما بعد بالمسجد، وكانت أسبقية أبي بكر في الاسلام ومكانته عند الرسول ﷺ وخصوصا اختياره لإمامة المسلمين في الصلاة من قبل الرسول ﷺ أثناء مرضه، أحدى الاشارات التي اعتمد عليها جمع من الصحابة لتأكيد أفضلية أبي بكر رضي الله عنه و تمت البيعة له وظل في الحكم لعامين.

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اختير على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسميت هذه الطريقة بالعهد، إذ عهد إليه أبو بكر بالخلافة من بعده وذلك بعد أن استشار أبو بكر كبار الصحابة من أصحاب الحل والعقد، عن طريق وصية مباشرة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، استمر في حكمه مدة ١٠ أعوام.

وأول من أطلق عليه لقب أمير المؤمنين في التاريخ الاسلامي هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و هو لقب يُطلق على الحكام المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين ابتداءً من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نهاية العهد العباسي، و لم يكن هذا اللقب على أساس التزكية دائماً وإنما لُقب لمن يتقلد منصب الخليفة وذلك كما هو الحال اليوم للألقاب التي تطلق على حكام ورؤساء الدول.

٣- عثمان بن عفان رضي الله عنه: حسب طريقة الشورى، إذ عين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وإحساسه بدنو أجله مجلسا استشاريا مكونا من ستة أشخاص مرضيين من قبل رسول الله ﷺ، وابنه عبد الله سابعهم شرط ألا يكون مرشحا وهم: (عثمان بن عفان، علي ابن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، سعد ابن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، الزبير ابن العوام- رضي الله عنهم جميعاً) وعهد إلى المجلس باختيار الخليفة بالشورى، وبهذه الطريقة اختير عثمان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وبايعوه بالخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الطبري: ج٥، ٣٧)، وتمت أول ما يمكن تسميته بانتخابات ضمن المجتمع الاسلامي الوليد للاختيار بين عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب، و أسفرت النتائج كما تقول المصادر عن العملية الاستفتائية التي قام بها عبد الله بن مسعود عن تسمية عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة للمسلمين، واستمر في الحكم ١٢ عاماً.

٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه: اصبح خليفة بطريقة الاختيار بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في أول فتنة تشهدها الدولة الاسلامية.

تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بمبايعته من قبل جمع من الصحابة، ليستلم بذلك دولة في حالة اضطراب شديد اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة الى الكوفة، واستمر علي في الحكم ٥ أعوام.

بعد اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه الحسن بن علي الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم قبل أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية.

كان الحسن بن علي بن ابي طالب أول من تولى الخلافة بعد أبيه (بالوراثة) وذلك بعد استشهاد ابيه، إلا أن الحسن لم يلبث أن تنازل عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان حبا في السلم وعدم استمرار الفتنة بين المسلمين وحقنا لدمائهم وللاستمرار في الجهاد ونشر الاسلام، حيث بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١م.

تميزت الخلافة الراشدية بأنها قد تحققت فيها فكرة الشورى ومثل الاسلام الاعلى في العدل بين الناس، ولم تستطع الانسانية ان تنشئ نظاما سياسياً يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي بين الناس كما اراد ابو بكر وعمر ان يحققاه، فقد كان طريق الانتخاب الحر بعد استشارة

المسلمين هو طريقة انتخاب الخلفاء الراشدين الأربعة، ولم يفكر احد منهم استثمار الخلافة أو جعلها وراثية في اولاده (ماجد: ٣١ طه حسين ٦).

◆ **الخلافة الاموية:**

عمل الخليفة معاوية على نقل العاصمة إلى دمشق وأخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد (نظام الوراثة) (اليعقوبي، ج: ٢، ٢٥٦) خلال حياته وبعد وفاة معاوية أصبح ابنه يزيد هو الحاكم الجديد مما أدى إلى رفض بعض الصحابة من ضمنهم الحسين بن علي لذلك الأمر.

وبعد وفاة يزيد تولى ابنه معاوية بن يزيد مقاليد الحكم وراثيا ولكنه أعلن رفضه للأمر وقرر الانعزال وترك الأمر شورى بين المسلمين، وتم اختيار مروان بن الحكم من قبل الأغلبية خليفة للمسلمين، ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان لينتهي بذلك الأمل في عودة الخلافة إلى شورى بين المسلمين **وبشكل عام تعتبر بداية تولي معاوية بن أبي سفيان هي بداية نهاية الخلافة وتحولها لملك عضوض وحكم وراثي منحصر في أسر حاكمة.**

◆ **وقد تميزت الخلافة الاموية:**

بالتحول من مبدأ الشورى إلى مبدأ الوراثة، أصبحت الخلافة وراثية من الاب إلى الابن او الاخ مع الابقاء على اسلوب البيعة التي كانت تؤخذ بالرضى احيانا وبالإكراه احيانا اخرى، وأصبح الحكم يستند إلى السياسة أولاً والدين ثانياً، وأدخلت مظاهر الابهة التي كانت معروفة عند القياصرة (الرفاعي ٣٥). وكانت الوظائف الهامة بيد العرب والدولة كانت عربية اعرابية.

الخلافة العباسية: العباسيون: ثاني السلالات من الخلفاء ٧٥٠-١٢٥٨ م، ومقرها منذ ٧٦٢ في بغداد، ٨٣٦-٨٨٣ ثم ٨٩٢ في سامراء.

يرجع أصل العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ، وبمساعدة من أنصار الهاشميين استطاع أبو العباس السفاح (٧٤٩-٧٥٤) بعد معارك طائلة القضاء على الأمويين ومظاهر سلطتهم، قام هو وأخوه أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥) باتخاذ تدابير صارمة لتقوية الخلافة العباسية، في عام ٧٦٢ تم إنشاء مدينة بغداد. بلغت قوة الدولة أوجها وعرفت العلوم عصر ازدهار في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة ٨٠٣) ثم في عهد ابنه عبد الله

المأمون (٨١٣-٨٣٣) الذي جعل من بغداد مركزاً للعلوم ورفع من مكانة المذهب المعتزلي حتى جعله مذهباً رسمياً للدولة.

واستمر ذلك حتى جاء الخليفة المتوكل على الله جعفر، فأحيا السنة وأمات البدعة جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي: فأظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة واستقدم المحدثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه أيضاً نحو من ثلاثين ألف نفس، وتوافر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له حتى قال قائلهم: **الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم.**

وقد تميزت الخلافة العباسية بأنها سمحت لجميع العناصر المشاركة في الدولة بتولي الوظائف الهامة، فعينوا كثيرا من الوزراء والقادة من الفرس، كما قرب بعض الخلفاء العباسيين الاتراك (النبراوي: ٤٥-٥٥) باعتبارهم مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات مما ادى الى التقدم الشامل في كافة مناحي الحياة.

وقد اشترط الفقهاء شروطا عدة لا بد من توافرها في الخليفة منها: الاسلام، والعلم بشؤون الدين والاحكام الشرعية وأن يكون الخليفة مجتهدا، والعدالة، والحرية، وبسلامة الحواس والاعضاء، والبلوغ والذكورة، والعقل، والكفاءة والنسب القرشي (الماوردي ٣، ٦).

ومن الشروط التي اشترطها الفقهاء في الخليفة، العدالة: أي أن يكون المرشح لهذا المنصب قائما بالفرائض والاركان متوقياً الكبائر من الاثام، لا يصر على الصغائر، وأن يكون صادق اللهجة ظاهر الامانة بعيداً عن الريب مأمونا وقت الرضا والغضب، مستعملاً مروءة من كان مثله في دينه ودنياه، لا يجاهر بعصبية ولا يجور في الحكم (أبو فارس ٣٧).

إلا ان بعض الفقهاء في القرون المتأخرة خفف من الشروط الواجب توافرها في الخليفة حيث الغى بعضهم شرط الاجتهاد لتعذره في كثير من الظروف (الشهرستاني، ج١، ٦٠).

أما واجبات الخليفة ووظائفه فقد

حصرها الماوردي في حفظ الدين والحفاظ على العقيدة وحمايتها، وتنفيذ الاحكام بين المتشاجرين، وإقامة الحدود وتطبيق الشريعة الاسلامية، وتحقيق الشعور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، وجهاد من عادى الاسلام واعلان السلم والحرب وقيادة الجيوش الاسلامية، ونشر الاسلام والدفاع عن بلاد المسلمين، وجباية الفيء والصدقات، وتقدير العطايا وما يستحق في بيت المال، واستكفاء الامناء وتقليد النصحاء وتنظيم ادارة البلاد وتكليف الموظفين، ومباشرة الامور وتفقد الاحوال (الماوردي، ١٥-١٧).

وقد عرف ابن خلدون الخلافة بأنها حمل الكافة على مقتضى احكام النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها، ابن خلدون ١٩٠، وقد اشترط ابن خلدون في الخليفة أن يكون مجتهدا فقال: لا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهدا، لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال (ابن خلدون ٢١٢) كذلك اشترط في الخليفة الكفاءة، فقال: إن يكون جريئا في اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا يحمل الناس عليها، عارفا بأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصبح له بذلك ما جعل إليه في حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح، ابن خلدون ٢١٢ .

وقد لقب الخليفة بعدة ألقاب منها: الخليفة، والامام لانه يؤم المسلمين بصلاتهم وفي تدبير شؤونهم ورعاية مصالحهم، وأن تسميته بالإمام فتشبيهاً بالإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به، وامير المؤمنين، فقد دعا العباسيون أول خليفة عباسي بأمير المؤمنين (ابن خلدون، ٢٤٩، ٢٥٠) وظهر في العصر العباسي مناصب نافست في نفوذها الخليفة نفسه كمنصب امير الامراء، حيث كان ابن رائق أول من تولى هذا المنصب، وشارك الخليفة في الخطبة له على المنابر (السيوطي ٣٩٢) كما اقام ابو عبيد المهدي سنة ٢٩٧هجرية الخلافة الفاطمية في المغرب في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية قائمة في المشرق،السيوطي ٥٢٤.

وقد اجمع فقهاء المسلمين وعامتهم على وجوب الخلافة، حيث قال ابو بكر في خطبته يوم السقيفة في بداية الخلافة: ان محمدا ﷺ قد مضى لسبيله ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به وقد صدقه القوم ولم يقل له واحد منهم: ان الدين يصح من غير

إدارة الانتباه
مورد اقتصادي اسلامي
جديد يستحق الاهتمام

■ **بقلم الدكتور علي فلاح الزعبي**

إذا تخيرنا ان لكل عصر مرت به البشرية، مورداً حيوياً وحيداً ليلعب فيه الدور الرئيسي، فسنختار الحجارة للعصر الحجري، والزراعة للعصر الإقطاعي، وقوة العمل لعصر الثورة الصناعية، والمعلومات لعصر ثورة الاتصالات. والانتباه هو المورد الأساسي لعصرنا الحالي.

فعلى عكس ما كان متوقعاً ومفترضاً، ثبت انه لا يمكن للنجاح أن يقوم على الأشياء، بل على الإنسان نفسه، والإنسان لا يملك سوى شيء واحد، وهو الوعي أو الانتباه لما يحيط به، فقد أصبحت قدرة المدير ورجل الأعمال على استيعاب وملاحظة وتركيز الانتباه على المعلومات التي يتعرض لها باستمرار، هي التي تحدد فرصته في البقاء وقدرته على المنافسة.

وعلى ذلك فمن الأفضل لمديري الشركات الاسلامية والعربية اليوم، أن يركزوا على اكتساب مهارات إدارة مورد (الانتباه) وطرق استخدامه، والإقلاع عن الاهتمام بالموارد المالية والطبيعية والمعلوماتية وحدها.

❖ تعريف الانتباه:

كغيره من المصطلحات الإدارية الجديدة، سنحتاج لتأصيل مصطلح "الانتباه"من الناحية اللغوية. فقد قرن العرب بين النابه و النبيه. فالنباهة تعني الجمع بين الشرف والشهرة، والنابه يكون -على خلاف الخامل- شخصاً عظيماً وشهيراً،

فهو أحد النبهاء، والنباهة ترادف الفطنة واليقظة وتخالف الخمول والغباء، ويقال: (أنبهه من النوم) أي أيقظه.

ويقول "توم بيترز" في واحدة من محاضراته الشهيرة مخاطباً حشدا من رجال الأعمال: "إذا لم تكونوا تشعرون بالارتباك والحيرة، فأنتم لستم منتبهين"، أي أن الاضطراب الذي يضرب أسواق اليوم يجعل أكثر الناس انتباها ووعيا بما يجري، أكثرهم حيرة واضطرابا بسبب إدراكهم لأبعاد الفوضى والضغوط التي تعم الأسواق.

فمما يسترعي الانتباه هو أن أكثر الموارد ندرة و أهمية في عصرنا الحالي قد أضحى هو "الانتباه" نفسه، فهناك الملايين من الأفكار والتقنيات والمعلومات والمواهب ومصادر التمويل التي تتنافس على جذب انتباه جماهير العملاء والمنافسين، فأي منها سيشد الانتباه ويحظى بالانتشار والولاء وتكتب له الحياة؟ تلك هي المسألة الأساسية اليوم.

خذ شركتك مثلاً: ففي كل يوم وكل لحظة تتلقى عشرات الأفكار والمعلومات وتصادفك عشرات المواهب والأساليب والفرص السانحة، فعلى أي منها يتركز انتباهك وانتباه مرؤوسيك وزملائك؟ وهل تشعر بضرورة تغيير بؤرة تركيزك من إحداها إلى الأخرى؟ وهل من الضروري أن تصل أنت وموظفوك إلى إدراك نوع وقدر الانتباه الذي ينبغي أن تولوه لكل جديد؟ والسؤال الأهم: **ما هي الأشياء التي لا يجب أن ينصرف إليها انتباهكم؟ وهل مثل هذه الأشياء موجودة في الواقع؟**

وعليه فما هو الانتباه؟ (الانتباه هو تركيز الجهد الذهني على معلومة أو فكرة ما). يستقبل وعي الإنسان يومياً آلاف المعلومات والأفكار، لكن انتباه الشخص يتركز على بعضها دون بعضها الآخر، ويمكن تعريف (الانتباه) بشكل أكثر موضوعية **بأنه المرحلة الوسيطة بين الوعي والفعل، فهو الجسر الذي يصل مرحلة الفهم والاستيعاب بمرحلة اتخاذ القرار والتنفيذ،** وحتى بعد مرحلة اتخاذ القرار والتنفيذ، يتم تعديل القرار وتصحيح مسار التنفيذ بناءً على التغذية الراجعة نتيجة التركيز (الانتباه)، وبهذا فبدون (انتباه) لا يوجد تنفيذ، ولا حتى تعديل.

اما جاذبات الانتباه: فهي الأشياء أو الأنشطة الرياضية الخطرة، مثل سباق السيارات وتسلق الجبال، الأنواع الست من الانتباه، وعلى مستوى الأعمال يمكنك أن تحكم على درجة نجاح أو فشل أية فكرة أو مشروع بمجرد تعداد وإحصاء أنواع الانتباه المتضمنة فيه.

تحديات الانتباه: تقع المشاكل و

التحديات التي تواجه مديري الشركات العربية والاسلامية و رجال الأعمال في فئتين رئيستين هما:

١- كيفية توجيه الانتباه في مواجهة العدد الهائل من الاتجاهات والاختيارات.

٢- جذب الموظفين والعملاء وحملة الأسهم الذين يجدون أنفسهم في مواجهة سيل عارم من المعلومات.

أنواع الانتباه: الانتباه أنواع، فهناك الانتباه الذي يتولد لدى العملاء عندما يصادفون إعلانك، وهناك الانتباه الذي يجذب المدير إلى تتبع فرصة معينة أو توجه معين في السوق، وانتباه آخر هو الذي يتملك الموظفين في توجههم نحو التركيز على أداء مهام معينة دون غيرها. **فإذا ما قمنا بتصنيف الانتباه فسنجده ينقسم إلى ثلاثة محاور أساسية وستة أنواع هامة يضم كلاً منها نوعين متضادين من الانتباه مثل:**

١- الانتباه الاختياري مقابل الإجباري:
يمكن أن ينبع الانتباه إما عن المتعة أو عن الألم، فالانتباه الاختياري ينبع من الفضول والرغبة البريئة في الفهم كمتعة تجتذب الإنسان نحو تنمية وتوسيع مداركه، أما الانتباه الإجباري فينبع من محاولة تجنب الألم، مثل الانتباه للخطر ومتطلبات البيئة القاسية والتحسب لتكاليف المعيشة.

٢- الانتباه الجميل مقابل الانتباه الأليم:
ينبع الانتباه المفرح من السعي وراء المشاعر الايجابية مثل التعرف إلى الشخصيات الجميلة ونشوة الانتصار وحب الآخرين، ويقابله الانتباه الأليم والبغيض الذي ينبع من الرغبة في الهرب من الآلام والمشاعر الأليمة مثل تجنب الكوارث والموت أو الهزيمة.

٣- الانتباه الواعي مقابل اللاواعي:
كثيراً ما تركز انتباهك عند كتابتك لتقرير هام لمديرك أو عند قراءتك لتقرير الاداء أو لنتائج الشركة السنوية، و هذا ما يسمى بالانتباه الواعي.

وهناك أيضاً الانتباه اللاواعي وهو الذي يلم بكل التفاصيل الثانوية المحيطة بك دون أن يركز عليها بشكل مباشر، مثل رائحة الدخان الصادرة عن المنزل المجاور أو ملاحظتك تغير مكان الملفات التي كنت تقرأها بالأمس، هذه الأشياء الثانوية قد لا تلفت النظر أو الانتباه إلا إذا حدث ما يدخلها إلى بؤرة تركيزك بشكل مباشر.

العوامل المؤثرة على الانتباه في المستقبل: في عصر المعلومات كانت المعرفة هي القوة فكلما زادت معرفتنا، زادت فرصتنا في النجاح، و لكن تغير الأمر في العصر الحالي نتيجة تدفق كم هائل من المعلومات غير الضرورية وبشكل يفوق قدرة عقول الموظفين ووسائل الاتصال في

الشركات على الاستيعاب والإدارة، فقد أصبح الانتباه موردا نادرا يسيطر بالفعل على عوامل نجاح أي شركة، ولا بد لتحقيق النجاح في أسواق اليوم من الاعتراف بأن **الانتباه قد أضحى مورداً حيوياً هاماً وأنه يمكن إدارته مثل أي مورد آخر من الموارد والسلع القيمة، فإذا استعرضنا العوامل التي تؤثر على إدارة عنصر، والانتباه كمورد اقتصادي أساسي في عصرنا الحالي والتالي، فيمكننا أن نستشرف ما يلي:**

١- التكنولوجيا: ستحدث زيادة ملحوظة في سعة نقل واستيعاب أجهزة الإعلام والوسائط المتعددة، وهو الأمر الذي سيتيح للأفراد الحصول على كميات هائلة من المعلومات بشكل فوري، مما سيؤدي إلى انتعاش سوق الأجهزة التي ستقوم بغربلة وتصنيف هذا الخضم الزاخر من المعلومات وحماية انتباه العملاء والمستهلكين، وستصبح مراقبة الانتباه والتحكم فيه احد الأنشطة الضرورية لكل الناس.

٢- الموارد البشرية: سيتولد ما يطلق عليه ذكاء الانتباه كإحدى المهارات الضرورية للحصول على وظيفة، وستساعد الشركات الموظفين على تعلم طريقة إدارة الانتباه بصورة أفضل والانتفاع به بأكبر قدر ممكن، كذلك ستظهر العديد من الطرق والمناهج التي تبين كيف يمكن إدارة الانتباه داخل الشركات.

٣- الحياة اليومية: سيتشتت انتباه الأفراد خلال محاولاتهم إنجاز مهام وأعمال متعددة ومتضاربة في ذات الوقت، ولن يرى الجيل القادم أية حواجز بين المهارات والمعلومات التي يكتسبونها بشكل شخصي والمعلومات التي يتعلمونها في العمل، وبناءً على ذلك ستصبح المعلومات والمهارات العملية أكثر ترويحاً وترفيهاً وخاصة في طرق الترفيه، وستصبح طرق اكتساب المهارات والمعلومات الشخصية عملية وفاعلية، حتى ولو كانت في المجال العاطفي والنفسي للإنسان.

٤- قيمة العميل: في الماضي، كان انتباه العميل يعتبر أمراً مسلماً به بينما كانت السلع والخدمات هي الأكثر قيمة وأهمية، ولكن هذا الوضع سينعكس تماماً في المستقبل، فالشركات لن تولي منتجاتها وخدماتها نفس القدر من الاهتمام الذي ستمنحه لجذب انتباه العميل، وعلى هذا الأساس يمكن أن تمنح السلع والخدمات للعملاء على سبيل الهدايا ولأغراض التسويق والتأثير في العميل أكثر مما سيحدث بغرض البيع فقط.

٥- الأعمال: مع ازدياد كمية المعلومات ستنشأ صناعة تدور حول تمكين الأفراد من إدارة الانتباه بشكل أفضل وذلك من خلال

إكساب العملاء مهارات الانتقاء والتصنيف والتحليل والتركيب.

٦- **التعليم:** ستحتل تكنولوجيا الانتباه دورا هائلاً في تطوير المواد والوسائل التعليمية، وسيصبح المعلمون أكثر انتباهاً لتعليم التلاميذ طرق إدارة الانتباه، كما سيقوم المدرسون بإعادة هيكلة الخبرات التعليمية بشكل يجعلها تتوافق مع قدرة كل طالب على الانتباه وستتخصص الخبرة التعليمية وتصبح أكثر تركيزاً على مجالات محددة بدلاً من التشتت في دراسة مجالات متعددة.

٧- **الحياة الاقتصادية:** ستحدد إدارة الانتباه طريقة كسب كل فرد لقوت يومه. فتزايد المنافسة سيجعل المسوقين يمنحون العملاء السلع والخدمات مجاناً مقابل الحصول على انتباههم. فيمكن أن يدفع منظمو المؤتمرات الأموال والحوافز للأفراد مقابل حضورهم وتشريفهم المؤتمرات، أما الشركات فيمكن أن تقدم عروضاً مجانية لرحلات بحرية وحوافز أخرى بغرض تجميع أفراد ينتمون إلى فئات واتجاهات معينة، وسينتج عن ذلك ظهور وسائل تكنولوجية لقياس الانتباه، وسوف يتسابق المعلنون على فهم ما يجذب وما لا يجذب الانتباه الحقيقي للجمهور. وستنفق الشركات على التسويق أكثر مما تنفق على الإنتاج، كذلك يمكن أن يتغير النظام الاقتصادي بأسره وفقاً لما تمليه أساليب التسويق الجديدة التي تهدف إلى غاية واحدة، هي: (جذب الانتباه)، وهكذا، لن تعود الشركات ولا الأفراد يتفاخرون بدرجة كثافة البيانات وتعقيدها وتنويعها، ولكنها ستتفاخر بمدى قدرتها على استغلال هذه المعلومات في تحقيق أهداف محددة.

أدوات إدارة الانتباه: لتكون قادرة على إدارة الانتباه بصورة فعالة، تحتاج الشركات لتطوير الوسائل الأربع التالية:

١- طرق قياس الانتباه وتوجيهه داخل الشركة: تحتاج الشركة إلى تطبيق طرق منهجية وشاملة لقياس انتباه موظفيها حتى تستطيع إدارة هذا الانتباه وتوجيهه إلى المجالات التي يؤتي فيها أفضل ثماره، ومن المؤكد أن هذه العمليات ستتحسن مع مرور الوقت لأن الانتباه أضحى موضوعاً مطروحاً للبحث والدراسة.

٢- مراعاة العامل النفسي:

حتى الآن كان هدف عصر المعلومات هو إغراق الناس بفيض هائل من المعلومات، وقد ثبت أن لهذا أثراً عكسياً فلم يستطع الناس تحمل هذا الكم الهائل من المعلومات ولم يعودوا قادرين على استيعاب سوى القليل منها، ولهذا ستتم فهرسة المعلومات

وفقاً للتدرج الأساسي للاحتياجات البشرية، وهذا التدرج الذي وضعه أبراهام ماسلو في عام ١٩٥٠م يوضح أن الإنسان لن ينتبه إلى تحقيق حاجة تقع في أعلى سلم الإحتياجات الإنسانية في حالة وجود خطر يحيق بحاجة أخرى تقع في مستوى أقل من سلم الاحتياجات الإنسانية، لذا فسيتم تصميم أغلب رسائل التسويق لمخاطبة الاحتياجات الأساسية كوسيلة لتوليد انتباه العملاء.

سيكتشف المديرون أن نصيباً كبيراً من انتباه موظفيهم ينصرف إلى أنشطة اجتماعية وليس إنتاجية مثل الحديث في السياسة والمجادلة ونشر الإشاعات والثرثرة على الانترنت واستخدام بيئة العمل بما يحقق المتعة لا بما يحقق الربحية.

سيصبح الأفراد أكثر انتقاءً في الأصناف التي تشد انتباههم خلال أوقات فراغهم، وهم في الأساس ينتبهون للعناصر التي تؤثر عليهم شخصياً أو تلك التي ترتبط بموضوع يجدونه شيقاً على المستوى الشخصي.

ستزداد درجة اهتمام الأفراد بأساليب التأمل والراحة الذهنية لتصفية رؤوسهم من زخم المعلومات القاسي.

٣- الحصول على الأساليب التقنية التي تتيح شحذ انتباه الموظفين في الإتجاه المرغوب وتنميته: فمن المتوقع ظهور تقنية جديدة تحل مشكلة زخم التقنيات السابقة، ومع ظهور كل هذه التقنيات التي تحمي الانتباه سيستغرق الأفراد والموظفون وقتاً طويلاً للتدريب على نوعية المعلومات المطلوب نقلها والمعلومات التي يجب فرزها ومنعها، كذلك ستتطلب هذه الأجهزة ارتفاع طاقة تشغيل وسعة الحاسوب وسرعة المعالجات وقدرتها على التخزين.

لكن التقنية في حد ذاتها ليست هي الحل لحماية الانتباه، ولأن أفضل التقنيات لن تعرف رغباتك في المعلومات بدون استثمار بعض من وقتك وانتباهك ستحتاج دائماً إلى التدخل في اختيار هذه التقنيات، ولأن أفضل الأفراد القائمين على حماية البيانات دائماً بشر فما زالت السكرتارية والمساعدون التنفيذيون يلعبون دوراً كبيراً في فرز المعلومات وتحديد الرسائل التي تستحق انتباه رؤسائهم، وهم بذلك ما زالوا أفضل من أي تقنية في مجال حماية المعلومات وفرزها وتصنيفها ولا يبدو في الأفق ما يبشر بإزالة هذا الدور أو حتى تهميشه، لذلك نتوقع زيادة دور الإدارة الوسطى بعد تقلصه لفترة من الوقت خلال عقد التسعينات.

٤- طرق إكساب الموظفين مهارات إدارة وتنمية الانتباه: فالصناعات المتخصصة في جذب الانتباه مثل الإعلانات والأفلام

والتلفزيون والنشر، مصادر ممتازة للأفكار في مجال إدارة الانتباه، وقد واجهت هذه الصناعات وتناولت تقريباً كل مشكلة من المشاكل التي سيواجهها مديرو الانتباه في المستقبل، ويمكنك أن تستعير من استراتيجيات ووسائل صناعة الانتباه في هذه الصناعات تطبيقات عملية مفيدة لشركتك.

المجالات والتطبيقات الرئيسية للانتباه: تضع الشركات التي تتعلم مهارات وتقنيات إدارة الانتباه اليوم نفسها في مكان يؤهلها للنجاح في المستقبل لأن الاقتصاد القائم على الانتباه يزداد نمواً وتوسعاً في كل يوم، وهذه **أبرز مجالات وتطبيقات الانتباه القائمة والمتوقعة:**

١- **التجارة الالكترونية:** العلاقة التي تربط بين النجاح والانتباه واضحة في كل تطبيقات التجارة الالكترونية، فإذا لم تستطع الشركة الإلكترونية أن تجذب الزوار عبر الانترنت فلن تحقق أي نجاح على الإطلاق، ويطلق على هذا الاسلوب (جذب العميل) فالمواقع الإلكترونية الجذابة هي التي تغري الزوار وتستحوذ على انتباههم وتشجعهم على العودة إليها مراراً وتكراراً، يطبق الموقع الجذاب أربع تقنيات لجذب الانتباه، وهي:

١- **ملائمة المعلومات للجمهور:** تقديم المعلومات المناسبة والمفيدة للزائرين والتي يتم تحديثها باستمرار وتقديم مزايا عديدة مستمرة يستفيد منها الأفراد.

٢- **مخاطبة الحواس:** تحتفظ المواقع الإلكترونية بانتباه زائريها عندما تقدم لهم ما يشد حواسهم باستخدام التقنيات المناسبة، مثل استخدام الأحاديث المتفاعلة وإجراء المسابقات المسلية وتعظيم القيم الأخلاقية التي يؤمن بها الزوار ويؤيدونها.

٣- **سهولة التعامل:** يحتوي الموقع الجذاب على أسلوب تصفح بسيط جداً مع تقديم خدمة التحميل السريع لبعض البيانات والملفات المفيدة والمجانية من هذا الموقع، وكلما زادت سهولة تعامل الزوار مع الموقع كلما زادت جاذبية الموقع للأفراد وكلما زادت فرص عودة الزوار إلى زيارة الموقع مرة أخرى.

٤- **شعور الإنتماء إلى الجماعة:** يولد الموقع الجذاب لدى الأفراد إحساسا عالياً بالانتماء إلى جماعة تضمهم عبر الانترنت وينمو هذا الإحساس ليصبح شعوراً بالملكية المشتركة لهذا الموقع، **وأكثر الأساليب شيوعاً لبناء هذا الإحساس بالانتماء هي:**

- إتاحة الفرصة للزوار للتعبير عن آرائهم وأفكارهم الشخصية والحميمة.
- السماح للزوار بالاحتفاظ بأماكن خاصة داخل الموقع تلائم رغباتهم.

- تقديم الاقتراحات الشخصية.

- منح الزوار الإحساس بأنك تعرفهم وتعتز بهم وتقدر قيمتهم.

٢- القيادة: هناك علاقة مباشرة بين القادة الناجحين والانتباه، فهم يبحثون دائماً عن الطرق والوسائل التي تساعدهم على إدارة وتركيز انتباههم وانتباه مرؤوسيهم على المهام المطلوبة، **باختصار، المدير الناجح هو الذي يشجع الآخرين ويحفزهم على أن يقتدوا به ويفعلوا مثله، وتتطوي قيادة الانتباه على أربع مهارات أساسية هي:**

١- قدرة القائد على تركيز انتباه الأفراد: لا بد أولاً وقبل أي شيء أن يضرب المدير مثلاً يحتذى به لكل من حوله، وهذا يعني أنه لا بد أن يكون:

- ملماً بما يريد تحقيقه، أي صاحب رؤية.

- معلماً للأفراد بما يريد تحقيقه وبمعايير الإنجاز التي يعتمدها.

- محدداً للأهداف التي سيتركز عليها الانتباه اليوم وفي المستقبل.

- منقحاً ومتفتحاً للنقد والتقييم والتغذية العكسية من الأفراد الموثوق بهم.

٢- جذب اهتمام وانتباه الآخرين: جزء من مهارات المدير الناجح أن يعرف كيف يحصل على الاهتمام المناسب في الوقت المناسب، وطريقة تجنب الانتباه والاهتمام غير المثمر أو غير الفعال، والقادة الأكفاء يشعرون بمتطلبات كل موقف فكأنهم يشعرون بالفطرة متى يجب عليهم أن يشجعوا الآخرين على شحذ انتباههم ومتى لا يجب أن يدققوا في كل شيء.

٣- جذب انتباه العاملين في الشركة: القائد الفذ هو الذي يخلق بيئة عمل يركز فيها العاملون على المهم فقط، ولتحقيق هذا الهدف فإنه يقيم توازناً مذهلاً بين الحماس وضغط العمل.

ولا بد للقائد المتميز أن يكون لديه إدراك دقيق للحافز الذي يدفع الأفراد لإنجاز المهام الكبرى، ويعمل المديرون باستمرار لتغيير تركيز انتباه الشركة أو المؤسسة من المسائل غير المهمة إلى الأمور التي تهم العملاء، القائد الفذ هو الذي يعرف كيف يضفي الحماس والأهمية على الأمور والمسائل التي يريد أن يقنع الشركاء والعاملين بتركيز انتباههم عليها ويبدأ ذلك بتركيز المدير أو القائد نفسه على القضايا المهمة وينتقل هذا المعنى في جميع أنحاء المنظمة عبر القصص والحوافز والمخططات في المنظمة وهكذا حتى يصبح مؤكداً للموظفين أن هناك أموراً أهم من غيرها، وهذه هي لحظة مولد ثقافة المنظمة.

٤- الإستحواذ على انتباه العملاء: القائد الإداري الحق هو الذي يجعل منتجاته وخدماته في أذهان العملاء دائماً، وإذا نجح في الاحتفاظ بهذا الإهتمام فمن المؤكد أن هؤلاء العملاء سيزداد تعاملهم التجاري مع شركته، وإذا أخفق في ذلك سيكون تعامل المشتري معه قليلاً للغاية.

٣- الإستراتيجية: من منطلق الانتباه تبدأ استراتيجية العمل عندما تغير إدارة المنظمة اهتمامها من القيام بنشاطها التجاري كما هو معتاد إلى تحديد الطريقة التي ينبغي عليها أن تؤدي بها نشاطها التجاري في المستقبل، وتتلخص الاستراتيجية في المفاضلة بين الخيارات الممكنة وتقرير ما ينبغي التركيز عليه في المستقبل، **ويجب أن تتوافر للاستراتيجية الصحيحة السمات التالية:**

- تنتقل وتنتشر عبر المنظمة كلها وتشملها.
- تجمع بين الإبداع والأصالة معاً.
- تكون بسيطة وغير معقدة ويمكن تلخيصها في عبارات موجزة ومفهومة.
- تتضمن أساليب تركيز الانتباه على الأهداف الإستراتيجية، ولا تسمح بالانحراف عنها.

وكلما زادت تقنية الاتصال تقدماً وأصبح العالم أكثر ترابطاً واتصالاً ستزدهر المنظمات التي لديها استراتيجية لجذب انتباه كل موظفيها رغم الحدود الجغرافية التي تفصل بينهم، ولا بد أن تدرك كل شركة أن عنصر الانتباه مورد نادر وأن أرباحها المستقبلية ستعتمد مباشرة على قدرتها على الاستفادة من هذا المورد، وتتعلق الاستراتيجية في جانب كبير منها بالانتباه، **حيث تشمل الأسئلة المعتادة لأي استراتيجية:**

- طريقة تركيز الانتباه على خطة العمل بدلاً من العمليات اليومية.
- وعلى الأمور الإستراتيجية بدلاً من الأمور التكتيكية.
- وعلى الأفراد الذين لديهم أفكاراً استراتيجية.

وتستفيد المنظمات الناجحة من الاتصالات الفعالة لتركيز الانتباه على الاستراتيجية التي تم تطويرها، ويجب أن نوضح هنا أن الإستراتيجية التي تنجح في تركيز الانتباه ربما تبقى معرضة للفشل، فقد يكون الانتباه مركزاً في الاتجاه الخطأ، فإن لم تركز استراتيجيتك على شيء البتة فستصل إلى نفس النتيجة وهي الفشل، ولكن الفشل هنا يكون مؤكداً، كما أن أفضل الاستراتيجيات وأسوأها لن تؤدي إلى أي تغيير إن لم تجذب انتباه أحد.

٤- الهيكل التنظيمي: يركز الهيكل التنظيمي انتباه الموظفين ويوجهه، وعندما يحدث تغيير في الهيكل التنظيمي فإنه يعيد تنظيم الأمور بحيث يدفع بالأولويات إلى المقدمة ويبقى ما هو أقل أهمية في المؤخرة. فكل هيكل تنظيمي يرسل رسالة مفادها أن هناك أموراً أهم من الأخرى.

٥- إدارة المعرفة: يقوم العاملون في مجال معالجة المعلومات بهذه المهمة، فقط لأن هذه هي وظيفتهم، لكنهم لا يفعلون ذلك بدافع الفضول أو الرغبة في الإطلاع أو إشباع نهمهم الشخصي للمعرفة. فإذا تشتتوا بسبب تعدد الخيارات المعرفية وفشلوا في التركيز على المعلومات الهامة، وركزوا على المعلومات الشيقة أو الممتعة لهم، فستنجم عن ذلك مشاكل خطيرة. والسؤال هو: كيف يمكنك معادلة مقدار اهتمام وانتباه هؤلاء الموظفين مع كم ونوع الانتباه الذي تطلبه منهم؟ لا توجد حتى الآن استراتيجية عامة تنطبق على كل الحالات ولكن الأفكار والمبادئ التالية ربما تساعدك على تحقيق هدفك:

- كن دقيقاً وحازماً في المراقبة والتقييم: في الغالب يكون إجمالي مقدار انتباه كل فرد ثابتاً. ولهذا يقوم المديرون بتوزيع وتوجيه الانتباه على المجالات الهامة واستئصال المعلومات والبيانات غير الضرورية، حتى لا يتشتت ذهن الموظف.

- اجذب الانتباه للمعلومات المهمة: عليك بصياغة مضمون المعنى الذي تنقله إلى الموظفين والعملاء بطريقة ماهرة، حاول أن تعرف ما الذي يجذب انتباههم وضمن معلوماتك أفكاراً تخاطب اهتمامات الموظفين والعملاء واربط المعلومات بالعاطفة بطريقة تجعلهم ينتبهون لها ويستوعبونها بسهولة.

- قلل كم المعلومات: لا تجعل الموظفين يصلون إلى درجة التشبع من المعلومات وحاول أن تستغل احتياطي انتباههم وتستخدمه على فترات متفرقة وربما يتطلب ذلك بعض الحساسية في التعامل مع الموظفين لديك.

- ابتعد عن المشتتات: تستنزف التقنية الجديدة والانحرافات عن أسلوب الحياة اليومي المعتاد وكميات الرسائل الالكترونية الهائلة انتباهاً هائلاً ووقتاً ثميناً، كان من الأجدر استغلالهما في أنشطة أخرى أكثر إنتاجية، فلص مشتتات الانتباه هذه حتى تزيد فرص استغلال الانتباه في أنشطة أخرى مفيدة.

- التدريب والتعليم: وجه الموظفين ودربهم على طريقة استخدام التقنيات الجديدة وعلى التكيف معها وعلى التعامل

حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية
شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

من القضايا التي اتخذها من يحاول النيل من الإسلام، واتهامه باضطهاد المرأة والحط والتقليل من مكانتها، وتفضيل الرجل عليها موضوع "الشهادة" في الحقوق والحدود والمحاكم، حيث يدعون بأن الإسلام ينظر إلى الرجل نظرة أعلى من نظرته للمرأة التي يعتبرها نصف الرجل ويحاولوا الاستدلال بآية الديْن التي يقول فيها الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى..﴾[١].

فالله تعالى في هذه الآية يخاطب أصحاب الحق ويحضهم على ضرورة توثيق حقوقهم من أجل الحفاظ عليها، ومنعها من الضياع، أو إنكار المدين للدين الذي عليه، وأرشدهم إلى أهم طرق الحفاظ على حقوقهم من الإنكار وهي استشهاد الشهود، وحدد أن عدد الشهود المقبول لضمان واثبات الحق هو شاهدان من الرجال أو رجل واحد وامرأتان، فاتخذوا من هذه الآية ذريعة قوية للهجوم على الإسلام ومحاولة تقويله ما لم يقل، حيث أنه ساوى بين المرأة والرجل فجعلهما سواء في التكليف

والعبادات والعقوبات والأهلية، مع الأخذ بالاعتبار الخصوصيات الخاصة بكل جنس، من ذكر أو أنثى.

وحتى يكون الحكم على موقف الإسلام من شهادة المرأة صادقا ودقيقا فإنه لا يجوز تناوله منعزلا عن بقية الآيات والأحاديث، وإلا كان الحال كمن يقرأ: **﴿ولا تقربوا الصلاة..﴾**[٢] ولا يكملها بقوله تعالى: **﴿.. وأنتم سكارى﴾**[٣] فبداية نقول: إن من الواجب على المرأة أن تؤدي الشهادة امتثالا لأمر الله تعالى بقوله: **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**[٤] وقوله تعالى: **﴿وأقيموا الشهادة لله﴾**[٥].

والشهادة تؤدى عادة عند طلب المدعي إلا إذا كان صاحب الحق لا يعلم بأن الشاهد قد رأى، وخاف الشاهد فوات الحق، فمن الواجب عليه أن يشهد بدون طلب من صاحب الحق"[٦].

ومع أن الآية صريحة وواضحة وهي أنها تقبل شهادة المرأة من حيث المبدأ، وأنها ترشد إلى استشهاد امرأتين محل رجل واحد في إثبات الحق عند الديْن، فإن جمهور العلماء على عدم قبول شهادة المرأة في الحدود والقصاص دون أن يرد هناك نص في التنزيل، إلا أن ابن حزم الظاهري أجاز شهادتها في كل شيء"[٧] وأجاز مالك شهادة النساء على بعضهن البعض في الأماكن التي لا يحضرها الرجال وذلك حفظا للحقوق والدماء[٨].

وحاول بعض السطحيين والمعارضين للإسلام ومن يتربصون به الدوائر ويشتغلون بالنيل منه والإساءة إليه، أن يثيروا الشبهات حول هذا التشريع فظنوا أن رفض الجمهور شهادة المرأة في الحدود والقصاص وجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، انتقاص للمرأة وتقليل من شأنها وحط من مكانتها، وهذا الإتهام باطل من عدة وجوه هي[٩]:

١- لم يرد نص في القرآن ولا في السنة يمنع شهادة المرأة في الحدود والقصاص، وما رأي الجمهور إلا اجتهاد منهم، ولكن هناك من العلماء من اجتهد وأجاز شهادتها في الأماكن التي لا يحضرها الرجال، وهناك من اجتهد وأجاز شهادتها في كل شيء -ابن حزم- وبالتالي فهو اجتهاد يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ، وما دام لم يرد به نص قرآني ولا حديث نبوي فيبقى مجال الاجتهاد فيه مفتوحا ولا يجوز القطع به.

٢- ان العلة بشهادة امرأتين بدل شهادة رجل واحد، قد ذكرها الله تعالى وهي انها قد تنسى احداهما الحادثة كما وقعت على اليقين فتذكرها الاخرى فتتذكر، فتشهد استناداً الى شهادتها وانما نسب النسيان اليها دون الرجل لأن حدوثه منها اكثر -

وليس خاصاً بها- لأنها مشغولة عن مثل هذه الامور بالانشغال بأعمال بيتها، وعادة المرأة لا تهتم كثيراً ولا تنتظر تشاهد الجرائم والصراعات والخلافات، فتكون مشاهدتها للواقعة جزئية غير دقيقة، فتعمل المرأة الأخرى على تكملة النقص، وتتعاونان في تذكير بعضهما البعض فيتكون من رأيهما صورة أوضح وأدق عن حقيقة الواقعة التي ستشهدان عليها.

٣- قبل رسول الله ﷺ شهادة امرأة واحدة في الرضاع، فعن عقبة بن الحارث انه تزوج أم يحيى بنت أبي إيهاب فجاءت أمة سوداء فقالت: قد أرضعتكما وهي كاذبة، فأعرض فأتيته من قبل وجهه فقلت: إنها كاذبة قال: «كيف بها وقد زعمت أنها أرضعتكما؟ دعها عنا».[١٠]

٤- وعلى افتراض صحة رأي الجمهور - وهو ما لم نؤكده- بعدم قبول شهادة المرأة في الحدود والقصاص، فقد ساقوا مبررات على ذلك تهدف إلى صون المرأة والترفع بها عن أن تقف أمام القاضي والحاضرين من الرجال فتصف ما كان من جريمة الزنا أو القذف، وذلك تقديراً لما فطرها الله عليه من خجل وحياء، فهم يربأون بها أن تقف هذا الموقف وتقول: رأيت فلاناً يفعل بفلانة كذا وكذا وتصف عملية الزنا مكتملة، كذلك فإن طبيعة المرأة وما جبلت عليه من الحياء ستشيح بوجهها أو تغمض عينيها، حتى لا ترى الفاحشة تمارس أمامها وتراها بأم عينها، وغالباً ما يدفعها ذلك إلى رد فعل مباشر فإما أن تصرخ أو تبتعد بسرعة عن مكان الفاحشة أو تدير وجهها عن الزانين، وبذلك لن تكون هناك رؤية دقيقة للفعل، والمفروض بالشهادة أن تكون عن تيقن كامل لا تشوبه منقصة أو ظن أو تخمين، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الشهادة فقال: «هل ترى الشمس؟ قال: نعم، قال: على مثلها فاشهد أو دع»[١١].

ويفصل ابن قيم الجوزية ما بينه شيخه ابن تيمية حول شهادة الرجل والمرأتين في آية الدَين، وأن الله تعالى لم يذكر الشاهدين: الرجل والمرأتين في طرق الحكم التي يحكم بها القاضي، وإنما ذكر النوعين من البينات في الطرق التي يحفظ بها الانسان حقه، فأمرهم لحفظ حقوقهم ان يكتبوا وان يملي الذي عليه الحق وان يستشهد صاحب الحق على حقه رجلين، فإن لم يجد فرجل وامرأتان ونهى الشهداء عن التخلف عن أداء الشهادة. ثم أمرهم اذا كانوا في سفر ولم يجدوا كاتباً ان يستوثقوا بالرهان المقبوضة، هذا يعني ان الله تعالى لم يذكر ما يحكم به الحاكم وانما ارشد الى ما يحفظ به الحق فطرق الحكم شيء وطرق حفظ الحقوق شيء اخر ولا تلازم بينهما[١٢].

يقول النبي ﷺ: "البينة على من ادعا واليمين على من انكر"[١٣]، والبينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق، ولم يقتصر او يختص لفظ البينة بالشاهدين، فهذا في التحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب الحق حقه لا في طرق الحكم وما يحكم به الحاكم او القاضي، فذكر الله سبحانه ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكام او القضاة لا يحكمون الا بذلك، فإن طرق الحكم اعم واشمل من طرق حفظ الحقوق. ويقول ابن القيم: ان الحاكم يحكم بالنكول (الامتناع عن الحلف او التلاعن)، واليمين المردودة ولا ذكر لهما في القرآن، وكذلك فإن الحاكم يحكم بالقرعة بكتاب الله وسنة رسوله الصريحة الصحيحة، ويحكم بالقافة معرفة الاثار ومعرفة شبه الرجل بأخيه وابيه ويحكم بالقسامة ويحكم بشاهد الحال ويحكم بالشاهد واليمين، وهذا كله ليس في القرآن ولم يحكم به رسول الله ﷺ ولا احد من اصحابه[١٤].

ويقول ابن القيم: ان البينة في الشرع اعم واشمل من الشهادة، ويحكم القاضي بالقرائن القطعية، ويحكم بشهادة غير المسلم اذا وثق بها واطمئن لها"[١٥] ويعلل ابن تيمية حكم كون شهادة المرأتين لا في طرق حكم الحاكم وانما في طرق حفظ الحقوق تحديداً، تعدلان شهادة الرجل الواحد، بأن المرأة ليست ممن يتحمل عادة مجالس وانواع هذه المعاملات ولكن اذا تطورت خبراتها وممارساتها وعاداتها، كانت شهادتها حتى في الاستشهاد على حفظ الحقوق والديون مساوية لشهادة الرجل"[١٦] ويؤكد ابن تيمية ان نسيان المرأة ليس طبعاً ولا جبلة في كل النساء، وليس حتماً في كل انواع الشهادات، وانما هو امر له علاقة بالخبرة والمران أي انه مما يلحقه التطور والتغيير، ولذلك فإن اعتبار المرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الذي يتبع نقص انسانيتها ويكون اثراً له"[١٧].

ويقول شيخ الازهر الاسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت: ان موضوع الرجل والمرأتين في آية الاشهاد ليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي ويحكم، وانما هو في مقام الارشاد الى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل، فالمقام مقام استيثاق على الحقوق لا مقام قضاء بها، والآية ترشد الى افضل انواع الاستيثاق التي تطمئن بها نفوس المتعاملين على حقوقهم"[١٨] ويستشهد بآية اللعان التي تساوي شهادة المرأة بشهادة الرجل **فآية الدين اذا موجهة لصاحب الدين وليست موجهة الى القاضي في حكمه بين المتنازعين**، وهي توجه النصح والارشاد الى دائن خاص في حالات

خاصة من الديون، لها ملابسات خاصة وليست تشريعاً موجها الى القاضي"[١٩].

ليس المقصود بشهادة امرأتين بدلاً من رجل واحد في آية الدين النيل من عدالة المرأة، فالمرأة مساوية للرجل عدالة وتجريحاً وانما هي خوف من النسيان: ﴿ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى﴾

حيث كانت المرأة لا تقوى آنئذ على ان تذكر تفاصيل موضوع الشهادة لانه لم يكن من شأنها ان تشتغل بالشؤون المالية، لمقتضى مفهوم الآية ان الغاية هي التذكر، فإذا تحقق ذلك بأن استعانت على شهادتها بالكتابة، بمعنى اذا كان يقع تسجيل الشهادة في حينها من طرف الشهود فلا يبقى محل لاشتراط المرأتين مكان الرجل الواحد، بل لو اجتهد مجتهد انه اذا تطورت المرأة الى درجة اتقان مسائل المال والاعمال فبلغت بذلك مبلغ الرجال وتساوت معهم في الحكم لكان لوجهة نظره دلالات معمول بها في اسباب الخلاف"[٢٠].

وقد تنبه ابن تيمية لهذا المعنى حيث قال فيما نقله عنه تلميذه ابن قيم الجوزية: "ان عدل النساء بمنزلة عدل الرجال، فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال مادة لم تكن فيه على نصف رجل، وما يقبل من شهادتهن منفردات انما هو اشياء تراها بعينيها وتسمعها بأذنيها وتلمسها بيديها من غير توقفة على عقل، كالولادة والاستهلال وعليه ففكر المرأة والرجل سواء فيما طبع عليه او ما اكتسبه، ونسيانها ناشئ عن وضعها في الاجيال الماضية من بعد عن ممارسة الحياة العامة.

ان تقرير شهادة امرأتين بدلا من شهادة رجل واحد في آية الدين، للاستيثاق وإثبات الحقوق لا يمكن اتخاذه حجة على ان منزلة المرأة تساوي نصف منزلة الرجل، وان مكانتها اقل من مكانته، فحتى لو افترضنا ان هذه الشهادة عامة في جميع الأحوال، فإنها ليست معياراً لتقييم الانسان، وليست دليلاً على أن المرأة نصف الرجل، فهي ليست إنتقاصاً من مكانتها ومنزلتها وإنما هي حالةٌ خاصة في ظروفٍ خاصة وليست عامة في جميع الأحوال، والواقع أن شهادة المرأة مقبولة في كل شيء ولها عدة أحوال مثلها في ذلك مثل شهادة الرجل، فهناك من الحالات تُقبل فيها شهادة امرأة واحدة وتُقدَّمُ على شهادة الرجل، بل إن الشرع لا يعتبر إلا شهادتها وذلك في الأمور التي لا يصلح أن يطَّلع عليها سوى النساء، مثل حالات الحيض والولادة والإستهلال (التبليغ عن جنس المولود ذكراً أو أنثى)، والإرضاع والعيوب تحت الثياب كالرتق والبكارة والثيابة والبرص وانقضاء العدة[٢١]، فقد قبل الرسول ﷺ شهادة امرأةٍ واحدة في الرضاعة، فعن عقبة بن الحارث أنه تزوج أم

يحيى بنت أبي إيهاب فجاءت أَمَةٌ سوداء فقالت: قد أَرضَعَتكُما وهي كاذبة، فأعرض، فأتيته من قِبل وجهه فقلت: إنها كاذبة، قال: «كيف بها وقد زعمت أنها أرضعتكما؟ دعها عنك»[٢٢]، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ بشهادة بريرة في شأن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في الإفك عندما قالت له: "لا نعلم عنها إلا خيراً وإنما هي جاريةٌ حديثة السن تنام على العجين فتأتي الدواجن فتأكله" وأيد الله تعالى شهادتها ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها.

وتُقبل شهادة النساء وحدهن دون الرجال على بعضهن البعض في كل شيء، حتى في الحقوق والقصاص والدماء في الأماكن التي لا يحضرها الرجال، مثل جناية حدثت في حمّام النساء، وإلا فما هو السبيل لإثبات الحق والحقيقة في جماعة من النساء لا يوجد بينهن رجل؟ وعليه فإنه إذا قُبلت شهادتها في مثل هذا الموقف، فإنه لا مانع من قبول شهادتها في أي موقف مشابه له حتى ولو كان في حضور الرجال.

ولعل أوضح صورة لمساواة الإسلام لشهادة المرأة بشهادة الرجل، هو قبول شهادتها في حالة اللعان مساوية لشهادة الرجل تماماً، وعدم تفضيل شهادة الرجل على شهادتها أو ترجيحها أو قبولها دون شهادة المرأة كما جاء في آية اللعان بقوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ❁ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ❁ ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ❁ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾**[٢٣]، بل إنّ شهادتها تُبطل شهادته حتى ولو كان صادقاً وهي كاذبة، فإذا ادّعى رجل الفاحشة على زوجته أو قال لها: يا زانية أو رأيتك تزنين، أو اشتكى عليها بأنها زنت ولم يأتِ بالبينة الشرعية للقذف، فقد لزمه الحد إن لم يلتعن، فإن التعن هو ولم تلتعن هي فعليها الحد، وإن لاعنت لا يثبت عليها الحد لقوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾**.

فقد روى أبو داود بإسناده عن إبن عباس رضي الله عنهما قال: جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فجاء من أرضه عِشاءاً فوجد عند أهله (زوجته) رجلاً فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهجه حتى أصبح، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي فوجدت عندهم رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه فنزل قوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم**

ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم..﴾ فسري عن رسول الله ﷺ فقال: ابشر يا هلال قد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً، قال هلال: قد كنت ارجو ذلك من ربي تبارك وتعالى، فقال رسول الله ﷺ: ارسلوا اليها، فأرسلوا اليها، فتلاها عليها رسول الله ﷺ وذكرهما واخبرهما ان عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا، فقال هلال: والله لقد صدقت عليها، فقالت: كذب، فقال رسول الله ﷺ: لاعنوا بينهما، فقيل لهلال: اشهد، فشهد اربع شهادات بأنه صادق ثم شهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين، ثم قيل لها: اشهدي، فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ولما كانت الخامسة تلكأت ساعة ثم قالت: والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما، ولم يقم الحد على أي منهما.. وواضح ان شهادتها الخامسة كانت كاذبة ولكنها درأت عنها الحد، ولم يؤخذ بشهادة زوجها مع انه صادق.

وكذلك فإن شهادة الرجل على احوال مختلفة متعددة، فهناك من الأمور ما يقبل فيها شهادة رجل واحد مثل اثبات رؤية هلال شهر رمضان فإنه يكفي لذلك شهادة مسلم واحد مشهود له بالعدل والصلاح وذلك اذا كان الجو غير صاف، وهناك امور تقبل فيها شهادة رجلين اثنين مثل عمليات البيع والدين والدماء، ومنها ما لا يقبل فيه اقل من اربع شهادات مثل الزنى والقذف، وهناك امور لا تقبل فيها شهادة الرجل مثل الحالات الخاصة بالمرأة كالحيض والولادة والارضاع وعيوب ما تحت الثياب.

وأخيراً فإنه ليس من العدل والانصاف ان تؤخذ آية الاشهاد على الديْن منعزلة عن غيرها، مجردة من حيثياتها وظروفها الخاصة للتدليل على ان شهادة المرأة تساوي نصف شهادة الرجل، وان شهادة المرأة لا تقبل وبالتالي فإن منزلة المرأة تساوي نصف منزلة الرجل، حيث ان هذا يعتبر من باب محاولات التصيد والصاق الاتهامات الباطلة في نظرة الإسلام للمرأة والادعاء بأنها نظرة دونية، متجاهلين عن سبق اصرار مساواة المرأة بالرجل في كل شيء من عمل وعبادات وتكاليف شرعية وثواب، وذلك بقوله تعالى: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾**(٢٤)، وقوله تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض﴾**(٢٥)، وليقرأوا ما كتبه العالم الفرنسي غوستاف لوبون عن المرأة: "اخذ الغرب عن المسلمين اخلاق الفروسية واحترام المرأة، وإذا فليست المسيحية كما يظن بعض الناس في الغرب هي التي انصفت المرأة، بل الإسلام"(٢٦).

الهوامش:

١– سورة البقرة، الآية ٢٨٢ .

٢– سورة النساء، الآية ٤٣ .

٣– سورة النساء، الآية ٤٣ .

٤– سورة البقرة، الآية ٢٨٣ .

٥– سورة الطلاق، الآية ٢ .

٦– هذا في حقوق العباد اما في حق الله، فالشاهد مخير بين الستر والإظهار، والستر افضل، د. رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الاسلامي، ص ٢٢٦ .

٧– المصدر نفسه، وكذلك ابن حزم الظاهري، المحلى، ج ٩، ص ٣٩٥ .

٨– المصدر نفسه، ص ٢٧٠ نقلاً، عن تبصرة الحكام، ج ١، ص ٢٩٥ .

٩– عبد السلام ابو النيل، وضع المرأة في العالم الاسلامي، ندوة الخبراء، ص ١٨٤ .

١٠– البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا شهد شاهد.. رقم ٢٤٤٦، واحمد في المسند رقم ١٨٦٠٩، اول مسند الكوفيين، والترمذي في السنن، كتاب الرضاع رقم ١٠٧١٠ باب في شهادة المرأة الواحدة في الرضاعة، والدارمي في السنن، باب النكاح، رقم ٢١٥٥ عن عقبة بن الحارث.

١١– المغنى لابن قدامة، مجلد ١٠، ص ١٣٩، وقال: رواه الخلال في الجامع بإسناده وأخرجه الحاكم والبيهقي.

١٢– ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ص ١٠٣ – ١٠٥ .

١٣– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما مرفوعاً من رواية ابن عباس عن النبي ﷺ وهكذا ذكرها أصحاب السنن، وقال القاضي عياض: قد رواه البخاري ومسلم من رواية ابن جريج مرفوعاً، وكذلك رواه ابو داود والترمذي بإسنادهما عن نافع الجمحي عن ابن مليكة عن ابن عباس وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذلك رواه البيهقي وغيره بإسناد حسن او صحيح.

١٤–١٥– ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص ٧٥ .

١٦– ابن تيمية ص ٧٩ .

١٧– المصدر نفسه، ص ٧٨ .

١٨– الشيخ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط ١٨، س ٢٠٠١، ص ص ٢٣٥ – ٢٤١ .

١٩– د. فريال مهنا، اسلام ام ملك يمين، ص ٢٩٩ .

٢٠– حبيبة اليارقودي، حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

٢١– المغني، ج ١٠، ص ١٣٧ .

٢٢– البخاري واحمد والترمذي والدارمي، انظر هامش ١٠ السابق

٢٣– سورة النور، الآيات ٦ – ٩ .

٢٤– سورة النساء، الآية ١٢٤ .

٢٥– سورة آل عمران، الآية ١٩٥ .

٢٦– د. احمد شلبي، واقع المرأة في العالم الاسلامي، في ندوة: وضع المرأة في العالم الاسلامي، الايسيسكو بالقاهرة، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٨٤ .

حكم الجمع بين الصلوات

▪ **بقلم الدكتور صلاح محمد أبو الحاج**

يقع السؤال كثيراً عن حكم الجمع الذي يحصل في فصل الشتاء في المساجد؟ وتفصيل ذلك: إن ابتعاد المسلمين عن تعلم أحكام دينهم أوقعهم في الورطة الظلماء، فإن تعلم ما لا بدّ للمسلم منه من أحكام الطهارة والصلاة وغيرها فرض عين، لا يعذر المسلم بجهله، فكثير من هذا الجمع الواقع في مساجدنا لا يجوِّزه أحد من مجتهدينا المعتبرين.

إذ لا يجوز الجمع بغير عذر، قال ابن قدامة الحنبلي(١): «قد أجمعنا على أن الجمع لا يجوز لغير عذر»، وحديث ابن عباس رضي الله عنه: «صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً بالمدينة بلا خوف ولا سفر، قال أبو الزبير: فسألت سعيداً لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتني فقال: أراد أن لا يحرج أحداً من أمته»(٢)، فهذا الحديث الذي يحتج به كثير من العامة غير معمول بظاهره عند سادتنا الفقهاء المعتد بهم؛ لعموم أخبار التوقيت، قال الحافظ الترمذي(٣): «جميع ما في هذا الكتاب من الحديث معمول به، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين: حديث ابن عباس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ جمع بين الظهر والعصر بالمدينة...»، **ولذلك رأينا العلماء أولوه على وجوه منها:**

١. أنه لا يكون ذلك إلا في الجمع الصوري بين الصلوات بأن يصلي الظهر في آخر وقته، والعصر في أول وقته، وكذا فعل بالمغرب والعشاء، فيصير جامعاً فعلاً لا وقتاً، وهذا مذهب السادة الحنفية، وأولوا ما جاء في بعض الآثار من الجمع إن صحت على ذلك، قال العلامة الزيلعي(٤): «ويحمل تصريح الراوي بخروج وقت الأولى على أنه تجوز لقربه منه كقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ**﴾ الطلاق: ٢: أي قاربن

بلوغ الأجل؛ إذ لا يقدر على الإمساك بعد بلوغ الأجل، أو يحمل على أن الراوي ظن ذلك، أو ظنّ الراوي أنهما وقعا في وقت واحد، والدليل على صحة هذا التأويل ما سبق ذكره عن ابن عمر وعلي ومثله عن جابر وأبي عثمان وغيرهم رضي الله عنهم».

٢. إنه يحمل على الجمع لأجل المرض، وهو قول عطاء ومالك والحنابلة[(٥)].

إذا تبين لك ذلك فاعلم أن للفقهاء في الجمع مذاهب، إذ ذهب الحنفية إلى عدم جواز الجمع بين صلاتين في وقت واحد بسبب العذر من سفر أو مطر أو برد أو مرض أو غيرها إلا في عرفات ومزدلفة، ويجوز الجمع بينهما فعلاً بأن يصلي كل واحدة منهما في وقتها، فيصلي الأولى في آخر وقتها، والثانية في أول وقتها، فإنه جمع في حق الفعل، وإن لم يكن جمعاً في الوقت، بدليل:

أ- النصوص القرآنية والحديثية الواردة بتعيين الأوقات فلا يجوز تركها إلا بدليل مثلها، ومنها: قال تعالى: **﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** الإسراء: ٧٨، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾** النساء: ١٠٣، وقال تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾** البقرة: ٢٣٨، وعن أبي ذر قال ﷺ: «صلِّ الصلاة لوقتها»[(٦)]، وغيرها.

ب- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة إلا لميقاتها إلا صلاتين صلاة المغرب والعشاء بجمع وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها»[(٧)].

ت- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي الصلاة لوقتها إلا بجمع وعرفات»[(٨)].

ث- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ في السفر يؤخر الظهر ويقدم العصر ويؤخر المغرب ويقدم العشاء»[(٩)].

ج- عن نافع وعبد الله بن واقد أن مؤذن ابن عمر رضي الله عنه، قال: «الصلاة، قال: سر سر حتى إذا كان قبل غيوب الشفق نزل فصلى المغرب، ثم انتظر حتى غاب الشفق وصلى العشاء، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا عجل به أمر صنع مثل الذي صنعت»[(١٠)].

ح- عن علي رضي الله عنه: «أنه كان إذا سافر سار بعدما تغرب الشمس حتى تكاد أن تظلم، ثم ينزل فيصلي المغرب، ثم يدعو بعشائه فيتعشى، ثم يصلي العشاء، ثم يرتحل ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع»[(١١)].

خ- عن نافع رضي الله عنه قال: «خرجت مع عبد الله ابن عمر في سفر.. وغابت الشمس.. فلما أبطأ قلت: الصلاة يرحمك الله، فالتفت إلي ومضى حتى إذا كان في آخر الشفق نزل فصلى المغرب، ثم أقام العشاء وقد توارى الشفق فصلى بنا، ثم أقبل علينا فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا عجل به السير صنع هكذا»[١٢] قال عبد الحق: «وهذا نص على أنه صلَّى كل واحدة منهما في وقتها»[١٣].

د- إن التأخير حتى يخرج وقت الأولى ويدخل الثانية تفريط فعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على مَن لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى»[١٤].

وما ذهب إليه الحنفية هو الأسلم والأحوط لصراحة النصوص القرآنية والحديثية في أن لكل صلاة وقتها، وقد أنكر الإمام البخاري جمع التقديم[١٥]؛ لعدم ثبوته ومعارضته للنصوص.

ومع ذلك فإن أصحاب المذاهب الأخرى الذين أجازوا الجمع جعلوا له شروطاً لا يصح بدونها،فعند الشافعية كما في «المهذب»[١٦]: «يجوز الجمع بين الصلاتين في المطر في وقت الأولى منهما، فإذا دخل في الظهر من غير مطر، ثم جاء المطر لم يجز له الجمع، لأن سبب الرخصة حدث بعد الدخول فلم يتعلق به.. فإن أحرم بالأولى مع المطر ثم انقطع في أثنائها ثم عاد قبل أن يسلم ودام حتى أحرم بالثانية جاز الجمع، لأن العذر موجود في حال الجمع، وإن عدم فيما سواهما من الأحوال لم يضر، لأنه ليس بحال الدخول، ولا بحال الجمع، ولا يجوز الجمع إلا في مطر يبل الثياب، وأما المطر الذي لا يبل الثياب فلا يجوز الجمع لأجله، لأنه لا يتأذى به، وأما الثلج فإن كان يبل الثياب فهو كالمطر، وإن لم يبل الثياب لم يجز الجمع لأجله، فأما الوحل والريح والظلمة والمرض فلا يجوز الجمع لأجلها فإنها قد كانت في زمان النبي ﷺ ولم ينقل أنه جمع لأجلها.. ويشترط في الجمع: أن ينوي الجمع، وأن يقدم الأولى ثم يصلي الثانية، وأن لا يفرق بينهما، فإن فصل بينهما بفصل طويل بطل الجمع، وإن فصل بينهما بفصل يسير لم يضر».

وعند المالكية كما في «شرح الخرشي»[١٧]: «إنه يجمع بين المغرب والعشاء فقط؛ لأجل المطر الغزير، وهو الذي يحمل الناس على تغطية الرأس، أو الطين الذي يمنع المشي بالمداس مع الظلمة لا الغيم، ومثل المطر الثلج والبرد ولا يجوز الجمع المذكور لأجل طين فقط

ولا لأجل ظلمة ولو مع ريح شديد».

وعند الحنابلة كما في «كشاف القناع»[١٨]: «ويجوز الجمع بين العشاءين لا الظهرين لمطر يبل الثياب، أو يبل النعل، أو البدن، وتوجد معه مشقة، ولا يباح الجمع لأجل الطل، ولا لمطر خفيف لا يبل الثياب على المذهب؛ لعدم المشقة، و يجوز الجمع بين العشاءين دون الظهرين لثلج وبرد؛ لأنهما في حكم المطر، ويجوز الجمع بين العشاءين لجليد؛ لأنه من شدة البرد ووحل وريح شديدة باردة، وزاد في «المذهب» و «المستوعب» و «الكافي»: مع ظلمة».

وحاصل المقام أنه ينبغي للمسلم أن يحترز لدينه فإن كثيراً من الجمع الذي يقع في مساجدنا اليوم لا يصح على مذهب من المذاهب، وبالتالي تكون الصلاة باطلة، وعليه قضاؤها، فالجمع بين الظهر والعصر لا يصح إلا عند السادة الشافعية وعندهم لا يكون الجمع إلا في المطر، أما في المغرب والعشاء فيصح عند الشافعية والمالكية والحنابلة بالشروط السابقة عند كلٍّ منهم، أما عند السادة الأحناف فلا يصح الجمع، وهو الأحوط والأسلم لا سيما أن الناس لا يقفون عند الحدود والشروط التي اشترطها الفقهاء، فيقع المحذور وتبطل الصلاة، وقد وقفت فيما سبق على قوة دليلهم، والله أعلم.

الهوامش:

(١) في ((المغني)) ٢: ٥٩.
(٢) في صحيح مسلم ١: ٤٩٠، وغيره.
(٣) في ((علله)) ١: ٣٢٣.
(٤) في ((تبيين الحقائق))١: ٨٩.
(٥) ينظر: ((المغني)) ٢: ٥٩.
(٦) في صحيح مسلم ١: ٤٤٨.
(٧) في صحيح مسلم ٢: ٩٣٨، وصحيح البخاري ٢: ٦٠٤، وغيرها.
(٨) في سنن النسائي الكبرى ٢: ٤٢٣، والمجتبى ٥: ٢٥٤، وإسناده صحيح كما في إعلاء السنن ٢: ٨٤، وغيره.
(٩) في شرح معاني الآثار ١: ١٦٤، ومسند أحمد ٦: ١٣٥، وإسناده حسن. ينظر: إعلاء السنن ٢: ٨٥، وغيرها.
(١٠) في سنن أبي داود ٢: ٦، وسنن البيهقي الكبير ١: ١١٤، وسنن الدارقطني ١: ٣٩٣، وغيرها، وإسناده صحيح كما في إعلاء السنن ٢: ٨٥، وغيرها.
(١١) في سنن أبي داود ٢: ١٠، والأحاديث المختارة ٢: ٣١٢، وإسناده صحيح كما في إعلاء السنن ٢: ٨٦.
(١٢) في سنن النسائي ١: ٤٩٠، والمجتبى ١: ٢٨٧، وإسناده صحيح كما في إعلاء السنن ٢: ٨٨، والتبيين ١: ٨٨.
(١٣) ينظر: تبيين الحقائق ١: ٨٨، وغيره.
(١٤) في صحيح مسلم ١: ٤٧٣، وصحيح ابن خزيمة ٢: ٩٥، وغيرها.
(١٥) ينظر: معارف السنن ٢: ١٦١.
(١٦) ٤: ٢٥٣-٢٥٤.
(١٧)٢: ٧٠.
(١٨)٢: ٧ .

١

قرامطة البحرين
عقائدهم الدينية ونشاطهم السياسي

■ **بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار**

أبدأ حديثي بعد الاتكال على الله سبحانه، بالتعريف بالكلمة الأولى الواردة في عنوان هذا المقال، وهي «القرامطة»، ثم أتبعه بتعريف الموقع «المسمى البحرين» فأما القرامطة، فإنها مشتقة من كلمة «قرمط»، وهي التي أطلقها المؤرخون على شخص اسمه «حمدان» وقد لُقب به رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلة السواد على ثيران له، وهو ممن اعتنق الدعوة الدينية التي آمنت بها هذه الطائفة الاسماعيلية، وقد كان مصدرها احد دعاة الاسماعيلية الذي قدم من خوزستان، واشتهر بين الناس باسم «قرمط» وهناك اقوال مختلفة في سبب انتسابهم الى هذا الرجل.

والمهم ان التاريخ شهد مجموعة من البشر سكنوا «البحرين» وحكموها، وقد تسموا بهذا الاسم الذي عرف به «حمدان قرمط» آنف الذكر الذي اقترن اسمه بمواقفه المؤيدة للدعوة الاسماعيلية بسلمية عام ٢٨٦هـ وعلى يديه استقل موقف القرامطة عن الاسماعيلية.

أما معنى «قرمط» فهي مشتقة من «كرميته» وهو الرجل الذي نزل عنده الداعية الأول لهذه النحلة، وتعني «**أحمر العينين، وهو الرجل الذي كان يحمل غلة السواد على ثيرانه**»، يقال: بل هي مشتقة من اوصاف رجل قصير ورجلاه قصيرتان مما يجعل خطواته قصيرة، وبها سمي، وقد وردت في معجم «لسان العرب» لابن منظور لفظة «قرمط» بمعنى التقارب في الخطوات، ومن الجدير بالذكر ان لهذه الكلمة وجود في

اللهجة العراقية، اذ يوصف بها الرجل الذي يقتصد في الانفاق الى حد التقطير، بأنه «يقرمط» مما يجعلها تتفق والمعنى الثاني وهو قصير الخطوات.

غير ان هناك تفسيراً آخر لاطلاق هذا الوصف على الداعي الاسماعيلي، وهي القول: ان سبب ذلك لكونه من قرية «قرمط» إحدى قرى واسط!!.

واما من اطلقت عليهم هذه التسمية «القرامطة» فقد ذكر ابن حزم في كتابه «الملل والنحل» انهم **«اي القرامطة» والاسماعيلية، هما طائفتان مجاهرتان بترك الاسلام، وتقولان بالمجوسية الصريحة، وسماهم ابن كثير: الزنادقة الملاحدة،** أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة «مزدك وزرادشت» وهم يبيحون المحرمات، غير ان القرامطة الذين تأسس وجودهم كقوة عسكرية وحكام في ٢٧٨هـ وذكر الطبري في احداث تلك السنة، قال: انهم وجدوا بسواد الكوفة، وتابعه المؤرخون في ذلك، وان دعوتهم كانت سرية برئاسة احمد ابن محمد الطائي، الذي فرض على كل رجل منهم دفع دينار واحد في السنة، مما قوّى وجودهم.

ويروي المؤرخون تفاصيل كثيرة يرجع بعضها الى سنة ٢٦١هـ، حين اقام «قرمط» بكلواذى وخصص له عبد الله بن ميمون احد أولاده ليكاتبه من الطالقان، بينما هناك من يقول بأن دعوة القرامطة كان مركزها في الكوفة على يد احمد بن عبد الله بن ميمون القداح، واحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدي، وهو الذي بعث من «سلمية» الحسين الأهوازي داعية الى العراق، فلقي حمدان قرمط بسواد الكوفة، وبه تأثر فاتخذ المسلك الذي انتهى به الى عقيدة القرامطة، وينسب بعض المؤرخين ان بدأ هذه العقيدة بميمون القداح والد احمد بن عبد الله سالف الذكر، الذي عاش حسب قول بعض المؤرخين في زمن المأمون، ويعتبرون مؤسس الدعوة الباطنية، ويقولون: انه بدأ دعوته في سنة ٢٢٠هـ، ومن المؤرخين من يجعل بداية تلك الدعوة في سنة ٢٦٤هـ ويؤكد كثير منهم ان مسير قرمط الى سواد الكوفة كان قبل عام ٢٧٠هـ.

والجدير بالذكر ان المصادر التاريخية تتفق على ان المكان الذي بدأت فيه دعوة القرامطة هو سواد الكوفة، لأنه انسب الأماكن لنشر الدعوة للعلويين، بسبب كونها منطقة زراعية يقطنها الفلاحون الذين لا يملكون ارضا، ثم كثرة المجموعات السكانية

فيها من عرب وفرس وأنباط، مما هيأها للانقسام بسبب تلك العوامل، فضلاً من موقعها على الطرق المهمة، ومنها طريق الحج، ثم وضعها الثقافي الخاص، مما هيأ لأهلها الاطلاع على الاتجاهات الفلسفية والدينية البعيدة عن الاسلام، فضلاً عن تأثرها بالحركات العسكرية المعارضة للعباسيين.

اما بالنسبة للشخص الذي عين لنقل الدعوة الى سواد الكوفة، فهو عبد الله بن ميمون القداح، الذي كلف بها على يد الحسين الأهوازي، وسار على نهجه حمدان قرمط، ومن الجدير بالذكر ان الاهوازي هو اسماعيلي العقيدة، ولذلك نجد التطابق في العقيدة بين الاسماعيلية والقرامطة، ويتضح ذلك من الرسالة التي بعث المعز الفاطمي الى الحسن الاعصم احد زعماء القرامطة في البحرين، وقد جاء فيها: «ان دعوة القرامطة كانت له وولاتها معينون من قبله». وهو يذكرهم بأن الدعوة واحدة، ولا ينبغي لهم مهاجمة مصر، مما يؤدي الى الخلاف «فيشمت بنا المسلمون».

وهذا القول مما يشعر بأن الفاطميين والقرامطة، لا يعتبرون أنفسهم من المسلمين، ثم يذكرهم المعز باعتراف زعماء القرامطة بإمامة المهدي بن محمد من سلالة اسماعيل ابن جعفر الصادق رضي الله عنه الذي يشاركهم في امامته الاسماعيليون الذين يؤخذ رأيهم في تعيين دعاة القرامطة.

ومع توفر الأدلة على انتساب القرامطة الى إمام الاسماعيلية، فقد وجدت بعض مظاهر الخلاف بينهما، وذلك لخلاف حمدان قرمط مع من كان يكاتبه منهم من سلمية، وسبب الخلاف هو امور شخصية واعتبارات الزعامة، ولكن سرعان ما تحول الخلاف الى صراع عسكري، ولكن لم يؤثر في عقيدة القرامطة، فظلت دعوتهم الأساسية لإمامة اسماعيل، اذ لم يستطع القرامطة ان يستقلوا عن الفاطميين، بل استمروا على أساس نشأتهم الأولى.

❖ المقصود بالبحرين:

بالنظر لاشتهار اسم البحرين ودلالته على موضع معين هو جزيرة «أوال» المعروفة تاريخياً، فإنه من واجبي ان أنبه القارئ الى ان البحرين المنوه عنها في هذه المقالة فهي منطقة واسعة، تمتد من جنوب البصرة، الى عُمان الحالية، وتطل على الخليج العربي وخليج عُمان، ويحدها غرباً إقليم اليمامة.

هذه هي البحرين التي ينتسب اليها

القرامطة، ولكنها يتركز وجودها في ارض المشقر، ومن مدنها هجر العاصمة والعقير والقطيف والاحساء والهفوف، اي الاقليم الشرقي من المملكة العربية السعودية، ومما قاله ياقوت الحموي عن قصبتها -اي عاصمتها- هجر: ان ابا طاهر الجنابي القرمطي هو الذي عمرها.

والبحرين منطقة زراعية لوفرة مياهها، ولذلك كثر سكانها واجتذب الأغراب، ومع ذلك فإن الطقس الصحراوي يغلب عليها، وهذه الظروف هي التي لعبت دوراً مهماً في تشكيل تاريخها، حتى ان الخوارج كثيراً ما اتخذوها قاعدة لثوراتهم، كما انها صارت قاعدة للخوارج على السلطة وحركاتهم، ومن ابرز تلك الثورات، ثورة الزنج، التي قادها شخص ادعى النسب لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه، وقد قصدها من سامراء سنة ٢٤٩هـ، وكان يتبع مبادئ الخوارج، فاستمال العبيد من الزنج بالبصرة، فتبعه عدد كبير منهم، وكانت ثورته في عام ٢٥٥هـ، فاستقل بالبصرة مدة ١٤ عاماً، الى ان قضت عليه الدولة العباسية سنة ٢٧٠هـ.

والجدير بالذكر أن صاحب الزنج اتصل بالقرامطة، ولكن الفريقين لم يتفقا لوجود خلاف عقائدي بينهما، ويعتبر البعض ان ثورة الزنج هي التي مهدت الطريق لبروز القرامطة، اذ انهكت قوى الخلافة العباسية، فوجد القرامطة الطريق ممهداً لحركتهم، وعلى هذا الأساس يعتبر البعض ان القرامطة هم امتداد لحركة الزنج.

❖ القرامطة في البحرين:

كان بدء الدعوة القرمطية في البحرين سنة ٢٨١هـ، بينما لبعض المؤرخين أقوال أخرى، وعلى اي حال فإن المجمع عليه بأن ابا سعيد الجنابي هو صاحب الدور الأول في نشر الدعوة القرمطية في البحرين بصرف النظر عن الدعاة الذين سبقوه ومهدوا له السبيل، مثل يحيى بن المهدي الذي كان على اتصال بالاسماعيلية خارج البحرين، وكان يأتي بعد كل سفرة يقوم بها، بكتب تسند الأمر اليه وكلما غاب يحيى كان يأتي بكتاب من ولي أمر الطائفة تدعو المؤمنين بها لدفع مبالغ معينة بدأت بستة دنانير، ثم جاء بكتاب آخر يطالب المؤمنين بطائفته خُمس أموالهم، وهكذا.

ويبدو ان ابا سعيد كان يسافر الى سواد الكوفة، يلتقي بدعاة الاسماعيلية، ثم يعود الى البحرين ويقوم بمعونة أصهاره «آل سنبر» ببث الدعوة التي احتكرها لنفسه، وعندما وقع الخلاف بين القرامطة والاسماعيلية، استغل ابو سعيد الفرصة في

سنة ٣١٦هـ وبلغ طموحاته بضم قرامطة العراق الى قيادته وكانت هذه السنة وباء عليه إذ هزمت قواته أمام قوات الخليفة في سواد الكوفة، اما علاقاته بقرامطة الشام فالمعروف عنها قليل.

❖ معتقدات قرامطة البحرين:

بالنظر للكتمان الذي يحيطون به معتقداتهم، فإن المعروف عنها قليل، وقد لاحظ ذلك المؤرخ المسعودي، كما ان الذين كتبوا عن مذاهبهم لا يتفقون على شيء، اذ يلتزم القرامطة السرية المطلقة التي التزموا بها في العهد والميثاق الذي يؤخذ ممن ينتمي اليهم، بأن يستروا ما سمعوا منهم ولا سيما حول أصحاب المهدي.

وزاد في هذه السرية، موقف الدولة منهم، اذ كانوا مهددين بالقتل، ثم ان المؤرخين وغيرهم ممن تناول الفرق، كانوا يتناولونهم بروح العداء، ولكن هناك المصادر الاسماعيلية المحققة التي تشير الى احوالهم، فهي الاصل لما يقال عنهم، غير انه يمكن القول: ان احوالهم ليست ثابتة، اذ لهم في كل زمان مبدأ وأسلوب، وكذلك فإن لكل مرحلة من مراحل دعوتهم اسلوباً يتفق وتلك المرحلة، علاوة على استخدامهم للرموز، ولا سيما فيما يعتقدونه في التأويل باستخدام رموز الأعداد والحروف، وخاصة فيما يتعلق بتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والاستدلال بالأرقام، واستخدام الحساب أو باتخاذ اشكال الحروف اساساً لتخميناتهم.

وقد استخدموا هذا الاسلوب في وضع المبادئ التي يريدونها والتي لا يفهمها أحد غيرهم، حتى ليمكن القول: انهم ساروا الى وضع دين جديد اعتبروه هو الحق، وكل ما سواه هو الباطل، ومن ذلك انهم يزعمون ان جميع ما فرض الله على عباده في القرآن والأحاديث النبوية هي ذات ظاهر وباطن، والنجاة على ما في الباطن، وان لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وان العمل بالظاهر غير واجب، ويشبهون علماء الظاهر بالحمار الذي يحمل أسفاراً!!.

ومن علماء دعاتهم هبة الله الشيرازي، الذي يتعجب لأن اهل الظاهر لم يتمسكوا بالتأويل الذي هو قرين التنزيل، وهو بزعمه، الذي جعله الله بريئاً من المصائب، نقياً من الشوائب، وجعل اهل البيت خزنته وحماته، وقال داع آخر، هو حاتم بن عمران في إحدى رسائله حول تأويل قوله تعالى: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**﴾ يونس: ٣٩: ان ذلك يعني تخلفاً عن التأويل لم يحط علمه بكيفية الشيء لأن

الاحاطة التي هي علم يتم به علم الاحاطة، وكل من ينكره يقع في التشبيه والشرك، وهذا يدل أنهم يعتبرون جميع المسلمين الذين يعبدون الله، ليسوا بمؤمنين.

ومفاد هذا القول بأن للدين مفهوماً لا يعرفه الا الخاصة منهم، ويحيطون امامهم بهالة من التقديس، لكونه المصدر الأساسي في معرفة علم الباطن، سر الله تعالى - حسب قولهم- لا ينكشف على عبد تكون نفسه محتملة للرياضات الكثيرة، والله يعلم انه مؤمن صالح، وليس ذلك العبد الا الامام المعصوم الذي جعله الله باب العلم، ثم انهم لم يثبتوا على تأويل واحد، اذ قالوا بأن لكل باطن تأويلاً، ولكل تأويل تأويل آخر، ويحدد العراقي هدفهم من التأويل بأنهم يتوسلون بذلك الى إبطال العمل بظاهر الآيات والأخبار وتعطيل الرسل.

أما من حيث الاستدلال بالأعداد والحروف (وهذا من دعائم معتقداتهم)، فإنهم يحددون عدد الأئمة بسبعة، بناء على ان السموات سبع والأرضين سبع، وفي جسم الانسان سبعة اعضاء، يداه ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه، وان في رأسه سبعاً: عيناه واذناه ومنخراه وفي فيه لسانه كصدره الذي فيه قلبه، وان الأئمة هم كذلك، وقلبهم هو محمد بن اسماعيل، والأئمة تدور احكامهم على سبعة، سبعة كأيام الاسبوع، والسموات السبع والكواكب السبعة اما الفقهاء فتدور أحكامهم على اثني عشر.

وكذلك خرجوا من آيات الله بمعان توافق أهواءهم، ومنها البسملة، حيث ان الله جعلها افتتاحية كل سورة من القرآن الكريم، وهي على سبعة واثني عشر حرفاً، وهي ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فبسم الله عددها (٧) حروف وهي تدل على الأئمة السبعة «والرحمن الرحيم» هي (١٢) حرفاً وهي تدل على الحجج وعددهم (١٢).

وهكذا فإن قولهم بالتأويل لا يستند على دليل ولا عقل، وانما أساسه الانسان والرغبة في التشكيك، وإبعاد المسلم عن دينه، وقد رد عليهم الديلمي بحجج منطقية مفحمة، وحدد ابن الجوزي غرضهم من التأويل، وهو انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس، حتى تبطل الرغبة والرهبة، علاوة على غرضهم لهدم قوانين الشرع، ويقول ابن تيمية في فتاويه: «فعلم الباطن الذي يدعون، مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل هو جامع للكفر»، والعياذ بالله.

❖ اعتقادهم بالإمامة:

وهي من مستلزمات عقيدتهم بها، لأنهم

يحتاجون اليها في التأويل وفي تفسير الظواهر، وهم يقصدون بها اهل البيت (رضوان الله عليهم)، بصفتهم حملة العلم وخزنته، فتمسكوا بهذه العقيدة، وعبروا من خلالها الى كل ما يهدفون، وذكروا بأن لكل عصر لا بد من إمام معصوم يرجعون اليه في تأويل الظواهر، وحل الاشكالات في القرآن المجيد، وهو جار في نسبهم لا ينقطع ابد الدهر، وقد كان من اهتمامهم بالإمامة ان جعلوها من اركان الدين، وان جميع الفرائض لا تتم الا بها، وأولوا قوله تعالى: **﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾** المائدة: ٦٧، وقالوا: ان من لم يقبل من الرسول (ﷺ) فرض الولاية، فكأنه لم يقبل منها فرائض الصلاة والزكاة وغيرها، فالرسول ﷺ، اذا لم يبلغ الرسالة الأخيرة، فكأنه ما بلغ الأولى، واذا لم يقبل ابناء الأمة الرسالة الأخيرة، فكأنهم ما قبلوا الأولى بما فيها من فرائض، بل تجاوزوا هذا القول بأن الإمامة والولاية أهم من جميع اركان الاسلام، لأنها «اي الامامة» اصل الفرائض، وقطبها وقوامها، وطاعة الإمام فرض لا رخصة فيه لأحد أبداً.

ويؤكد أحد كتابهم المحدثين أن الإمامة أساس لجميع أركان الدين ودعائمه، وهي أفضل دعائمه، فإن من يقوم بأركان الدين كلها، ثم يعصي الإمام أو كذّب به، فهو آثم في معصيته، ولا تقبل طاعته لله وللرسول، بل -حسب زعمه- ان مرتبة الوصاية والإمامة أفضل من مرتبة الرسالة (كذا).

ولقد أوّلوا كثيراً من الآيات وحملوها ما لا تحتمل، ليبرهنوا على ان الآيات تؤيد تلك المزاعم، وقالوا لأتباعهم: «من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتة جاهلية، ومثله من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام، وبمعرفته تسقط جميع التكاليف عنه»، ونسبوا للإمام العصمة من الخطأ والزلل، وانه يساوي النبي ﷺ في العصمة والاطلاع على حقائق الأمور.

والجدير بالذكر فإنهم اذا ما فشلت تأويلاتهم الباطلة، عمدوا لحفظ مكانة إمامهم وقدسيته، للتطاول على الله سبحانه، فيقولون: «بدا لله كذا وكذا» اي فأعاد النظر في الأمر!! وهذا ما حصل بالنسبة لانقطاع الامامة عن جعفر الصادق رضي الله عنه، في حياته، وصارت في ابنه اسماعيل، ثم ان الله -حسب زعمهم- بدا له في امامة جعفر واسماعيل اعادة النظر فجعلها لمحمد ابن اسماعيل!!.

هذا ولم يكتفوا بوصف الامام بالعصمة فحسب، بل وصفوه بعلم الغيب، ومنهم من

قال بنبوته، وانه بلغ مرتبة «القائم» وهو الذي يُبعث بالرسالة وبشريعة جديدة وينسخ شريعة محمد ﷺ، وقد جعلوا امامهم من أولي العزم من الرسل، وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن اسماعيل، والأخير بزعمهم هو خاتم الأنبياء، وجعل الله له جنة آدم، ومعناها اباحة المحارم «والعياذ بالله».

كل ذلك اورده سعد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٠١هـ المعروف بالقمي، في كتابه «المقالات والفرق»، المطبوع في طهران سنة ١٩٦٣م، وقد ذكر ذلك شمس الدين محمد ابن يوسف المتوفى سنة ٧٨٦هـ المعروف بالكرماني في كتابه «راحة العقل» المطبوع في بغداد سنة ١٩٧٣م، قد ذكر ان إمامهم يقوم مقام الله ومقام رسوله، ويقولون: ان محمد بن اسماعيل حي ولم يمت، وانما هو غائب مستتر، وهو المهدي كما قال القمي، وكانوا يتوقعون ظهوره في عام ٣٠٠هـ، كما قال ابو سعيد الجنابي، ولكنه لم يظهر، ومع ذلك فهم يواصلون هذا الاعتقاد ويجمعون الأموال بحجة انها من حق الإمام الغائب، فهي مدخرة له حسبما يقول ابو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٧١٣هـ، المعروف بالدواداري في كتابه «كنز الدرر» حول اخبار الدولة الفاطمية.

والجدير بالذكر ان بعض القرامطة يعتبرون محمد بن الحنفية هو المهدي، ومنهم ابو سعيد الجنابي الذي ادعى انه رسوله الى الناس حسبما يذكر عبد الجبار ابن احمد المتوفى سنة ٤١٥هـ المعروف بالهمداني، في كتابه «تثبيت دلائل النبوة» المطبوع في بيروت سنة ١٩٦٦م.

ثم هناك من يروي تصرفات عجيبة تتعلق بإيذاء القرامطة لمن ينتسب لآل البيت، وقد ورد ذلك في مخطوطة بعنوان «الرد على الاسماعيلية القرامطة» موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق، لمؤلفها عبد الله محمد بن علي الكوفي (غير معروف تاريخ وفاته).

وقد نقل عن احد القرامطة قوله للحسينيين: انكم تتبارون مع الحسنين فتقولون لهم: منا الامام فأبى الله الا ان يجدع انفكم جميعاً ونقلها الى غيركم، وأشار الى ابي طاهر القرمطي وقال: هذا رسول الله حقاً.

ويروي الكوفي عمن حدثه عن ابي طاهر انه قال: ما بي تأسف الا على إذلال الطالبيين بالكوفة لإخواننا من أولاد الفرس!! أقول: ولعل هذا القول ينم عن نعرة شعوبية.

ومما روي عن الوزير العباسي علي بن عيسى قوله في رسالته الموجهة الى زعيم القرامطة ابي سعيد الجنابي قوله له: انك زعمت بأنك رسول المهدي، بينما سببت آل الأخيضر العلويين ومن باليمامة منهم، واسترققت العلويات (مما لا يستقيم مع الادعاء بكونك رسول المهدي العلوي) ويروي الكوفي عن ابن «سنبر» احد وزراء القرامطة قوله: ان ادعاء القرامطة للتشيع، ما هو الا ستار وتغطية على كثير من الجهال الذين كانوا يظنون انهم من الشيعة.

❖ معتقداتهم في الألوهية:

يقوم اعتقادهم بالإمامة على اعتقادهم بالألوهية من الايمان بوجود إلهين، مثل اعتقاد المجوس الذين يقولون بوجود إله النور وإله الظلمة اللذين سموهما «السابق والتالي» ويقول الكوفي: ان المعبود هما إلهان، ولكن احدهما اجل قدراً، وان الله نور علوي لا تشبهه الأنوار، فكان منه الانبياء والأئمة، وهو علة لوجود الناس، واسمه «السابق» واسم المعلول «التالي»، وان السابق خلق العالم بواسطة التالي، ويسمى الأول «عقلاً» والثاني «نفساً» وبنوا على ذلك اقوالاً حول طبيعة الانسان وما الى ذلك، وقالوا: ان «لا إله الا الله» مجملها لا إمام الا إمام العصر، وما الى ذلك.

ويقولون: ان الله (سبحانه وتعالى) ليس موجوداً وليس معدوماً، وانه لا يوصف بصفة، وعلى هذا الأساس تأولوا صفاته «سبحانه» وقالوا: اذا عرف المخلوق خالقه بطل كونه خالقاً لعارفه، واذا عرف انه خالق فكيف يعبده؟ وما الى ذلك من الأقوال التي تصلح لبث الشك في الانسان وتسهل انزلاقه الى الكفر والعياذ بالله.

❖ معتقداتهم بالنبوة:

يصفون النبي (ﷺ) بأنه شخص فاضت عليه من «السابق بواسطة التالي» قوة قدسية صافية تنتعش عند الاتصال بالنفس الكلية، مثلما يحصل لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد مجريات المستقبل، وقالوا اقوالاً تشرح ما يظنون من الوحي، وكيفية وصوله الى الأنبياء وينتهون به الى القول بأن القرآن المجيد هو كلام الرسول ﷺ، وانه تركيب حروفه ومعانيه حصلت بالفيض من النفس الكلية الى نفس النبي ﷺ الجزئية، فصاغ هو الكلمات، والقرآن ليس بكلام الله في الحقيقة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: **﴿انه لقول رسول كريم﴾** الحاقة: ٤٠، والتكوير: ١٩، اي ان القرآن الكريم هو تعبير الرسول ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي يقصد به جبريل عليه السلام، ويسمى كلام الله مجازاً، لهذا

يقول القرامطة بأنه يجوز في القرآن المجيد الزيادة والنقصان، وان له باطناً يخالف ظاهره، حسبما يقول الديلمي محمد بن الحسن من علماء القرن الثامن الهجري، في كتابه «عقائد آل البيت الباطنية» وكتابه الآخر، «بيان مذهب الباطنية وبطلانه»، وفي الكتابين رد واضح على تلك العقائد وبيان بطلانها.

والجدير بالذكر ما نقله الهمذاني من قول لأبي طاهر القرمطي في احدى خطبه، اذ قال: «يا معشر الناس، انا كنا ندخل عليكم بحسب اهوائكم، مرة بمحمد، ومرة بعلي، ومرة باسماعيل بن جعفر، ومرة بمحمد بن اسماعيل، وبالمهدي، وهذا كله باطل» كما نقل عنه اكمالاً لهذه العبارة في قوله: «اعلموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أبينا آدم، وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور، من ذكر موسى وعيسى ومحمد انما الدين دين آدم وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم «ألا لعنة الله عليه» وهذا ما نقله احمد بن محمد بن علي الحصكفي المتوفى سنة ١٠٠٣هـ، في كتابه الملخص لتاريخ الاسلام للذهبي، وهو مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، وقد ذكر الكوفي مناداة ابي طاهر القرمطي في البلد قائلاً: قد أحييت محمداً وعلياً، واستتابهما (طالبهما بالتوبة) من إضلالهما للأمم، فأبيا ان يتوبا.. الخ واستمطر عليهما اللعنة، لعنة الله».

وذكر ابن حزم في كتابه «الملل والنحل» ان القرامطة مع استهتارهم بالأنبياء صلوات الله عليهم، فإن بعض زعمائهم ادعوا النبوة لأنفسهم، ونقل الكوفي سالف الذكر ان بعض زعمائهم ادعوا النبوة، فأبو سعيد الجنابي حينما دخل البحرين ادعى النبوة وقال احد اتباعه: هذا رسول الله حقاً، صلوا عليه، ويشير الى ابي طاهر، ومنهم من قال بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر.

❖ معتقداتهم في القيامة والمعاد والثواب والعقاب:

وهذه ايضاً تقوم على أساس إيمانهم بالإمامة، وقد اعتبروا ان القيامة هي خروج إمامهم ويسميه الكرماني باليوم الآخر، وعبر بعضهم عن القيامة بقيام افضل البشر وهو امامهم واشرفهم واقومهم في الزمان يكون بقيامه لموع آثار نفسانية تلحق بمن آمن به وانتظره، ويحرم منها من جحد به ولم ينتظره، وفقاً لحجة العراقي الداعي احمد حميد الدين الكرماني المتوفى سنة ٤١١هـ، في كتابه «راحة العقل» المطبوع في

بيروت ١٩٦٧م، فيه أولوا القيامة وقالوا: انها رمز الى خروج الامام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع، المغير للأمر، وقالوا: تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائر على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الأخير اي دخول يوم القيامة وعندها ترتفع التكاليف وتضمحل الشرائع «انظر الملل والنحل لابن حزم».

وبناء على ذلك ينكرون القيامة بالشكل الذي يؤمن به المسلمون، ويؤولون ما ورد في القرآن الكريم عن ﴿**يوم ينفخ في الصور**﴾ الزمر: ٦٨، فهي عندهم اشارة الى صاحب الدور السابع الخاتم للأدوار وقالوا عن طلوع الشمس من مغربها: ان ذلك اشارة الى خروج المهدي من المغرب، كما ان بعضهم ينكر قدرة الله على جمع رفات المخلوقات المنتشرة في طول الأرض وعرضها خلافاً لما أكده القرآن الكريم في سورة ق (الآيات ٢-٤)، ويؤكدون ان البرزخ هم النطقاء والأوصياء والأئمة في كل دور من ادوارهم.

وعندهم ان جسم الانسان يبلى بكل مكوناته، لا يمكن جمعها، وخلاصة ما يقولون هو: ان الأرواح ويسمونها «النفوس المنكوسة» وهي المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين، فإنها ابداً في النار، وهم يعنون بذلك جميع امة محمد ﷺ، حيث انهم يسمونه ﷺ: زعيم الأمة المنكوسة، حسب قول الديلمي في كتابه «بيان مذهب الباطنية وبطلانه».

اما بالنسبة للعقاب الأخروي، ويقرنونه بظهور «النفس الزكية» صاحب الدور السابع في العالم الطبيعي، وان الشعائر التعبدية ما هي الا عذاب لأهل الظاهر، وان القيامة ما هي الا خروج إمامهم صاحب الدور السابع واما العذاب الأكبر فإنه يحصل بقيام «القائم» وقتله لرؤساء الأضداد، وعندما يشكو المؤمنون من رائحة غير المؤمنين الكريهة، تنزل نار فتحرقهم عن آخرهم، وقالوا عن «الفئة المنكوسة» بما يفيد التناسخ، فقالوا عن عذابها: انها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الابدان، وتستمر للتعرض للألم والأسقام.

ويبدو من أقوالهم انهم يبطلون المعاد والعقاب والبعث لمن في القبور، كما ينكرون الجنة والنار، ويؤلون الآيات الدالة عليها ويزعمون ان لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور.

❖ معتقداتهم في الواجبات الشرعية:

وفيما يتعلق بما أوجبه الشرع على المسلمين القيام به، فإن القرامطة انحرفوا

بها الى معان تخدم أغراضهم في ترسيخ اعتقادهم بالإمام المعصوم، مستخدمين التأويل على أوسع نطاق، بدأ بعقيدتهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فزعموا في آياته التحريف والتأويل لكل ركن من اركان الاسلام، مما لا يجوز للمسلم قوله، ويقول البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: انهم زعموا ان الصلاة معناها موالاة لإمامهم والحج زيارته، والصوم الامساك عن افشاء سره «وليس الامساك عن الطعام»، والزنا هو إفشاء سرهم بدون عهد أو ميثاق.

وزعموا ان من عرف معنى العبادة سقط عنه فرض القيام بها، تأويلاً للآية ٩٩ من سورة الحجر، التي تنص على **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾** ومعنى اليقين عندهم هو معرفة التأويل، ومن هذا القبيل قولهم: ان معرفة الباطل تغني عن كل عمل، وفي مقدمة ذلك معرفة الامام التي هي غاية الكمال، والتكاليف الشرعية هو نوع من العذاب الذي يعذب به اهل الظاهر، والعبادات عندهم هي الاخيار والأبرار وهم الأئمة، والأشرار هم علماء اهل الظاهر.

فأما شرب الخمر والمنكرات وسائر ما يفعله العصاة منها، أنها لم تجب عليهم مما يجب على العامة من صلاة وصيام وزكاة، اذ لا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب، وقد اعتقدوا ان التكاليف الشرعية هي من تأليف الرسول ﷺ، وفقاً لما قاله داعيهم ابو فراس شهاب الدين في كتابه «الايضاح».

أ- أما الصلاة فإنهم خرجوا بها عن مدلولها الحقيقي، وأدخلوا عليها عدة تأويلات، فقالوا: ان الصلاة اشارة الى الثناء على الامام، والوضوء هو البراءة من الاضداد الذين ادعوا الامامة،وكثيرة هي التأويلات المتعلقة بالوضوء وبالصلاة، وهذه التأويلات ليست محددة، وإنما هي بحسب حذق الدعاة، وبحسب الظروف القائمة وقت السؤال عنها، أو بحسب قدرة المدعو في الفهم، وبحسب منزلته في الدعوة.

وقد قالوا في الجنابة: هي مبادرة المستجيب بإفشاء سر اليه قبل ان ينال رتبة استحقاقه، ومعنى الغسل تجديد العهد، وذكروا للزنا معنى آخر غير الذي سبق ذكره، وهو إلقاء نطفة علم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد، وما الى ذلك، اما من حيث اركان الصلاة، فإنهم سلكوا عدة طرق، ولكنها تركزت بمدلولاتها على معان تحقق اغراضهم، وقد اورد القاضي النعمان بن محمد «وهو قاضي قضاة الفاطميين في مصر» في «الرسالة المذهبة» بالنسبة لصلاة العصر: انها دليل

على القائم المنتظر صاحب سيف التأويل، وان صلاة المغرب هي دليل على آدم أبي البشر، وما الى ذلك من كلام يعتمد على التأويل، ومثل ذلك عن صلاة الفجر وقوله: إنها دليل على الإمام والحجة.

ولحق التأويل كيفية الصلاة، فإن التكبير بمعنى تلاوة العلم والركوع هو حد الأساس، ومعنى السجود هو حد الناطق، والتحميد بمعنى الحدود العلوية، والتسليم هو درجة الاجلال، او تسليم المرء نفسه وماله الى إمام عصره.

ويروى عنهم ما قالوه عن الركوع بأنه يدل على الحجة، والسجود يدل على الإمام، والتشهد الأول يدل على التالي، والثاني يدل على السابق، والتسليم على اليمين يدل على اقرارك بالظاهر والباطن، والتسليم على اليسار هو اقرارك بالناطق والأساس، ويؤلون قوله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾** البقرة: ١٤٤، بقولهم: قد نعلم تقلب فكرتك في شريعتك، وما تحتاجه من تأويل، **﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾** يعني: فلنيسره لك وصياً ترضاه، **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** يعني: فسلم نصف ما افيض عليك اليه، **﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** اي: حيثما بلغتم فأضيفوا نصف المرتبة تاليه (انظر كتاب الافتخار للسجستاني).

ومهما يقال عن الصلاة، فإنها ليست من الفرائض عندهم، والمعروف ان ابا سعيد الجنابي القرمطي، قد قتله خادمه بعد ان مكث عنده مدة طويلة، ولم يره يصلي صلاة واحدة، ولا يعرف شريعة ولا يرجع الى دين «ابن مسكويه - تجارب الأمم».

هذا وقد زار البحرين سنة ٤٤٣هـ، الرحالة ناصر خسرو وقد شاهدهم لا يصلون ولا يصومون، وليس في الاحساء مسجد جمعة، ولا تقام بها صلاة ولا خطبة «انظر كتابه سفر نامة».

ب- اما الزكاة، فإنهم دعوا الى دعمها وفرض ما هو أكثر منها، الأمر الذي يدل على سعيهم الى جر المغانم استناداً على التأويل، كما فعل حمدان قرمط، ومن بعده أبو سعيد الجنابي.

ج- أما الصيام فقد ساروا فيه على التأويل، وقالوا: انه الامساك عن كشف السر، ويقول السجستاني: ان تأويل الصوم بالنهار، والافطار في الليل، هو الصمت بين اهل الظاهر، وكتمان الاسرار عنهم ونشرها في أهل الحقائق.

ويروى عن أحد دعاتهم قوله: اما الصوم فهو الستر على إمامك وحجتك، وودائع

سره، ولا يحل اتباع تعاليم الظاهرية، ولا أخذ علم الظاهرية، وعن حكمة الصيام، فقالوا في تأويلها كلاماً يدور حول الإمام ووجوب الإلتزام به، والتستر عليه، والصمت عن اخباره، ثم يقولون: ان الصوم يومان في السنة هما «يوم المهرجان ويوم النوروز» وفي الختام ينتهون الى اسقاط الصوم بالكلية، كما هو الحال مع ابي سعيد الجنابي آنف الذكر، الذي قتله خادمه اذ لم يره يصوم أو يصلي، الأمر الذي شهده ناصر خسرو كما اسلفنا، اما الصوم الذي اختاروه في «يومي المهرجان والنوروز» فإنه ينم على رعايتهم لتقاليد فارسية لا علاقة لها بالاسلام.

د- اما الحج فقد أولوه أهمية خاصة في بادئ دعوتهم، ثم صاروا يقولون حسب قول الطبري في تاريخه: ان الحج الى بيت المقدس، وبعد ذلك انتهوا به الى معان تخدم مصالحهم الخاصة، ومما أولوه، قولهم: ان التلبية اشارة الى اجابة الدعوة، والتجرد من المخيط، اشارة الى البراءة من المخالفين، والتعري هو خلع ولاية الأضداد، والإحرام اشارة الى تحريم الافشاء بأسرار دينهم بدون اذن الامام، والطواف بالبيت اشارة الى الطواف حول الإمام ومذهبه، وقالوا: ان الاحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفات، بأنها تعني الأربعة الحُرم، وهم الدعاة الذين يلازمون الإمام ولا يفارقونه.

ويشير السجستاني الى بعض تأويلاتهم التي تخرج الحج عن مقاصده، فقالوا: «ألا ترى انه شرط في الحج الزاد والراحلة، فالزاد العلوم، والراحلة الدليل الذي يهديه الى معرفة الإمام والدخول في طاعته، اما الحرم فإنه العقد المعقود لمن دخل في طاعة امام زمانه، اي في الأمن والأمان من الشكوك والاختلافات القائمة في سائر الأمة، **ويكفي ان نعرف موقفهم من الحج، مما فعله ابو طاهر القرمطي سنة ٣١٧هـ من مهاجمة مكة المكرمة في زمن الحج وقتله الحجاج واقتلاعه الحجر الأسود من مبنى الكعبة المشرفة وحجزه لديه (٢٢) عاماً اذ لم يعيده الا في سنة ٣٣٩هـ ويقول مفاخراً بفعلته تلك:**

فلو كان هذا البيت لله ربنا
لصب علينا النار من فوقنا صباً
لأنا حججنا حجة جاهلية
محللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وانا تركنا بين زمزم والصفا
جنائز لا تبغي سوى ربها رباً

وقد رواها اليافعي في تاريخه المسمى

«مرآة الجنان وعبرة اليقظان».

ولا بد لي هنا من ملاحظة تلفت الأنظار، أنهم جعلوا الحج الى بيت المقدس، ولذلك تجرأوا على مهاجمة الحرم المكي وقتل الحجاج فيه واقتلاع الحجر الأسود، ثم تخصيص الحج ببيت المقدس ينطوي على نعرة يهودية لصرف المسلمين عن المسجد الحرام.

وخلاصة القول: فالقرامطة يصنفون الناس تجاه العبادات الى صنفين، صنف المأمور بالتكاليف، وهو في حقه يجري مجرى الحمير التي لا يمكن رياضتها الا بالأعمال الشاقة، اما الصنف الثاني، فهم اتباع دعوتهم، ويسمونهم الأذكياء المدركين للحقائق، وهؤلاء تسقط عنهم التكاليف للجوارح، فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا جهاد، ولا يُحرم عليهم شيء البتة من طعام وشراب وملبس ومنكح، كما ذكر الديلمي في كتابه «بيان مذهب الباطنية وبطلانه».

وقد روي عن بعض رؤسائهم انه قال لأتباعه: قد أسقطنا عنكم العبادات فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة «كما روى الشيخ ابن تيمية في فتاويه»، وقد وضع هذا النهج ابو سعيد الجنابي بما اظهره من الإباحة وتعطيل الشرائع، وموّه ذلك على الضعفاء حتى أنهم ألهوه، وقد هدم ما في البحرين من مساجد (انظر الهمذاني عبد الجبار ابن احمد في تثبيت دلائل النبوة، بيروت ١٩٦٦، وابن الشحنة محمد بن محمد في روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر المنشور بهامش «الكامل» لابن الأثير، طبعة ١٩٢٩، والأزكوي في كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوطة في كلية الآداب بجامعة بغداد، وابن لعبون، حمد بن محمد الوائلي في تاريخ ابن لعبون، طبع سنة ١٣٥٧هـ).

ومما له علاقة بالأحوال الدينية في البحرين في عهد القرامطة، ما قاله الشاعر ابن لعبون العيوني عنهم، وقد تولت عشيرته القضاء عليهم، فقال:

أبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفه
بل كلما أدركوه قائماً هدما

وقد أباحوا في أسواقهم بيع لحوم الحيوانات من قطط وكلاب وحمير، فتباع الى جانب لحوم البقر والغنم، وشهدها ناصر خسرو، مما يدل على مدى استهتارهم بالدين وكفرهم بأحكامه.

المطلوب من الأمة اليوم

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

ان المشاهد لما تتعرض له الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى وجه الخصوص في أرض الاسراء والمعراج، ليعلم أنها في محنة كبيرة، وتتعرض لعدوان سافر على أيدي أعدائها، مع خذلان عظيم أصاب أفرادها، وانطبق على المسلمين في هذا العصر الحديث قول ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم ان تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(١).

فهذا الحديث العظيم الذي حكاه النبي ﷺ قبل قرون طويلة نراه الآن ماثلاً أمامنا، وواقعاً مشاهداً، اذ تداعت على أمة الاسلام أمم من كل مذهب وملة: من اليهودية الصهيونية، والنصرانية والهندوسية وغيرها.

فالصهاينة اليهود قد تداعوا على غزة واعتدوا على المساجد والمنازل والمستشفيات والأخضر واليابس، ومارسوا أبشع الجرائم العرقية العنصرية في حق إخواننا من قتل وحرق وتمزيق، وهدم للدور على رؤوس ساكنيها، واتلاف للمزارع، وتدمير للمصانع وللبنية التحتية للمسلمين في فلسطين، بقصد التضييق عليهم، وتهجيرهم منها بعد ان بدت بوادر التفوق الديمغرافي للفلسطينيين تظهر، وهو ما

يخيف اليهود، وينذر بخطر كبير عليهم.

وما ممارسات الصهاينة الدموية في ارجاء الأرض المحتلة، الا جزء من مشروع «الترانسفير» وهو مصطلح سياسي صهيوني قديم يعني: طرد عناصر سكانية وتوطين أخرى، وكان المتظاهرون الصهاينة من اليمين قد خرجوا في مظاهرة صاخبة قوامها مائة ألف، رافعين لافتات كتب عليها: **«فقط الترحيل يجلب السلام»**، ومن رأى أفعال الصهاينة هذه الأيام في غزة، من التركيز في القتل على الشباب والأطفال والشيوخ والنساء، والمقابر الجماعية التي حدثت في جنين ونابلس وغيرها، أيقن ان خوف اليهود مما اصطلح على تسميته بالقنبلة الديمغرافية الفلسطينية، قد بلغ مداه، وان اليهود مستميتون في بث الرعب والذعر في أوساط الفلسطينيين بالذبح الجماعي، وهدم الدور على ساكنيها، لعلهم يرحلون ويتركون الأرض لهم، ولا سيما ان عندهم مخططاً لتوطين قرابة مليون يهودي سيتم جلبهم من الخارج، فلا بد من إفساح الأرض لهم بإفراغها من سكانها الأصليين.

لقد تداعت أمة الكفر من مختلف المذاهب والأديان كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ على ديننا، وعلى مناهجنا، وعلى جمعياتنا الخيرية، وعلى كل ما يمت للإسلام بصلة، تشكيكاً وتشويهاً ومحاربة، محاولة إنهاء المعركة بين الدين الحق دين الإسلام وبين الإلحاد والمادية لصالحها!! وأنى لهم ذلك!!.

انه تداعٍ اتخذ مسارات عدة، وسخر أذرعة متعددة، عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، للاجهاز على أمة حية اثخنتها الجراح، وأثقلتها المصائب والنكبات.

ورغم كثافة المسلمين، وكثرتهم العددية، التي جاوزت مائتي مليون بعد المليار، فإنها أضحت أمة عاجزة عن رد العدوان، أو نصرة المستضعفين من المسلمين الذين يتم حصارهم وإبادتهم بشكل جماعي في المدن والمخيمات الفلسطينية على يد اليهود الصهاينة.

وقد نقلت شاشات التلفزة ما استطاعت التقاطه من مشاهد المذابح في غزة، رغم التعتيم اليهودي، والحصار المحكم، لئلا تفوح رائحة الجرائم اليهودية في أبناء الأقصى، ولكنها فاحت، وفضحت اليهود الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا يعرفون ميثاقاً ولا يوفون بعهد.

لقد تأثر المسلمون والعالم أجمع بما

شاهدوا، وبكوا وخطبوا وصاحوا عبر وسائل الاعلام المختلفة، وسمعنا جميعاً صرخات ونداءات المحاصرين تحت البنايات التي هدمها عليهم الصهاينة في غزة، ولكن ما لصريخهم من سامع، ولا لنداءاتهم من مجيب:

لقد أسمعت لو ناديت حياً

ولكن لا حياة لمن تنـــادي

ان الأمة قد وصلت الى مرحلة الغثائية التي نص عليها الحديث الشريف، حينما قال قائل للنبي ﷺ: «من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن».

وقد نزعت مهابتنا من صدور اعدائنا، وإلا لو كانوا يهابون مليار مسلم، بل مليون مسلم لما فعلوا ما فعلوا بإخواننا المعذبين في غزة وفلسطين، وفي غيرها من البلدان المنكوبة، وقد قذف في قلوب هذا المليار مسلم زيادة الوهن الا من رحم الله تعالى، وقد فسر النبي ﷺ الوهن: **«بحب الدنيا وكراهية الموت».**

وهذا واقع في المسلمين فإنهم أحبوا الدنيا وتنافسوا فيها، واقتتلوا عليها واختلفوا من أجلها، ففقدوا قوتهم الذاتية التي كانوا يملكونها من قبل، والمتمثلة في فدائهم لدينهم بأموالهم وأنفسهم، ومن هنا وجد العدو مدخلاً عليهم وأصابهم في نقطة الضعف الموجودة فيهم، ألا وهي: «حب الدنيا وكراهية الموت».

إنه لا مخرج للأمة المسلمة من هذه المحنة العظيمة إلا بالأوبة الى الله تبارك وتعالى، ومحاسبة النفس قبل محاسبة الغير، واستشعار المسؤولية التي أثقلت كواهلنا، وكلنا مسؤولون أمام الله تعالى، والدماء التي تراق، والأعراض التي تنتهك في غزة وفلسطين وغيرها سيسألنا الله تبارك وتعالى عنها، وماذا قدمنا لحفظها من الأعداء.

وبناءً على ذلك فإنني أدعو نفسي أولاً، ثم إخواني المسلمين الى ما يلي:

أولاً: تجديد العهد مع الله تعالى، وصدق التعلق به، واللجوء اليه، والمداومة على التوبة والاستغفار ولا سيما في هذه الأوقات الحرجة، فإن الله سبحانه وتعالى اذا علم من عباده صدق توجههم اليه، أعطاهم ما سألوا وبلغهم ما تمنوا، ونحن نتمنى العزة والنصر للمسلمين، وندعوا الله عز وجل في صلواتنا وخلواتنا ان ينصر إخواننا

المجاهدين، ولكننا سددنا طريق الإجابة بالمعاصي، مما كان سبباً في رد دعائنا فعلينا إن كنا صادقين في نصرة إخواننا، ان نتوب الى الله عز وجل.

فواجب على الذين تركوا الواجبات، وضيعوا الفرائض، ان يتوبوا من ذلك ويؤدوا فرائض الله تعالى خاصة صلاة الفجر في جماعة المسلمين وغيرها من الواجبات الدينية الأخرى.

وواجب على الذين ركبوا أهواءهم، واستذلتهم شياطينهم فواقعوا المحرمات وفعلوا الموبقات ان يتوبوا من ذنوبهم، ويقلعوا فوراً عن عصيانهم، ان أرادوا سعادة أنفسهم، ونصرة إخوانهم، وإذا تاب كل فرد من تقصيره في جنب الله تعالى، حصلت التوبة الجماعية، واذا تابت المجتمعات من ذنوبها سادة وعامة، وحكاماً ومحكومين، تهيأت أسباب النصر والعزة والكرامة، وزالت أسباب الذلة والهزيمة والمهانة.

ومع بالغ الأسف فإن هذه القضية البدهية التي يُسلم بها كل مسلم، ويؤمن بها كل مؤمن، تتلاشى عند العمل والتطبيق، فترى المسلم يخرج نفسه من دائرة المسؤولية، ولا يرى ان ذنوبه هي التي حجبت نصر الله تعالى، وتجده يطالب الآخرين بنصرة إخوانهم، وهو قد وقع في أسباب تخلف النصر وتسبب حلول الهزيمة.

يا أيها المسلم، إياك أن تحتقر ذنباً تعصي الله تعالى به مهما كان صغيراً، وعليك بالتوبة منه فوراً، فلعلك اذا فعلت ذلك رضي الله عملك، واستجاب دعاءك فنزل نصر الله تعالى بسبب توبتك ودعوتك **﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾**[٢].

ثانياً: الوقوف مع إخواننا المسلمين المضطهدين في دينهم في كل مكان خاصة في ارض الاسراء والمعراج التي اشتدت بها المحنة في هذه الأيام ووقوفنا معهم قلباً وقالباً، بأحاسيسنا ومشاعرنا وقلوبنا وأموالنا، فإن ذلك من النصرة الواجبة لهم علينا، والله تعالى يقول في محكم تنزيله: **﴿وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾**[٣]، واليهود لا عهد لهم ولا ميثاق ويقول سبحانه وتعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**[٤]، وصح عن النبي ﷺ انه قال: «المؤمنون كرجل واحد، اذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٥]، وفي رواية لمسلم: «المسلمون كرجل واحد، ان اشتكى عينه اشتكى كله، وان اشتكى رأسه اشتكى كله».

فما أبعد المسلمين عن هذه النصوص العظيمة الا من رحم الله تعالى، وكم من قطر من أقطار المسلمين اشتكى، ولكن المسلمين ما نصروه خذلاناً أو عجزاً أو عدم إحساس به وبمصابه!!

ألسنا نشاهد مذابح إخواننا صباحاً ومساء، ونتأثر قليلاً وربما نبكي لما أصابهم، وبعد برهة من إقفال الشاشة، أو المذياع أو طي الصحيفة، نقبل على لذيذ الطعام والشراب، ونهنأ براحة المراكب والمساكن، وننام ملء جفوننا، وكأن المصابين ليسوا من إخواننا، أو ان أمرهم لا يعنينا، فأين نحن من جسد اذا اشتكى عينه اشتكى كله، واذا اشتكى رأسه اشتكى كله!!.

ان هذه النصوص العظيمة في الأخوة الإسلامية التي نقرؤها في كتبنا، ونسمعها من علمائنا ودعاتنا وخطبائنا، ليست للقراءة والحفظ فقط، أو للمفاخرة بها فحسب، بل قبل ذلك كله هي للتطبيق والعمل، وذلك لا يكون الا بفهمها وتدبرها، ومن ثم التفاعل معها والعمل بموجبها.

وإن نكاية عدونا فينا بقتل إخواننا ليست أعظم من مصيبتنا في انفسنا، وموت أحاسيسنا ومشاعرنا تجاه قضايا أمتنا، ولن يستطيع العدو ان يهزمنا الا اذا استطاع القضاء على إحساسنا بمصاب إخواننا، وحينئذ نكون غير مؤهلين لحمل الرسالة وأداء الأمانة، ونصير الى خيار الاستبدال الذي ذكره الله تعالى بقوله: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**(٦).

ثالثاً: عدم الشعور بالإحباط واليأس، فما قتل أمة مثل يأسها وإحباطها، والانتصار أول درجاته الانتصار على جزع النفس وضعفها، وخورها وجبنها، والعدو بما يمارسه من إرهاب عسكري وفكري ونفسي، انا يريد ارهاب نفوسنا، وإضعاف عزيمتنا، ومن ثم التخلي عن حقوقنا، والسكوت عن مطالبنا.

وان إخواننا الفلسطينيين في الأرض المباركة، قد ضربوا أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ، والانتصار على النفس، رغم الإرهاب الذي يلقونه على يد القوات الصهيونية المدججة بأحدث الأسلحة العسكرية، والاستخباراتية والنفسية، والا فهل من المعقول ان يواجه طفل يحمل حجراً أو زجاجة حارقة دبابة، ومجنزرة وطائرة! أو ان تودع المرأة الفلسطينية أبناءها وفلذات كبدها، الواحد تلو الآخر، للقيام بالعمليات الاستشهادية، او لمواجهة

الجنود الصهاينة وهي ترجج أنهم مقتولون، وأن من خرج منهم لن يعود، لولا تثبيت الله تعالى لهم، نسأل الله تعالى ان يزيدهم ثباتاً ويقيناً.

وعلينا معاشر المسلمين ان نحذوا حذو إخواننا الفلسطينيين في ثباتهم وعزيمتهم، فلا نيأس، ولا نحبط، ولا نبأس، مهما كان حكم الكوارث وقوة القوارع، والنصر لا يكون الا بعد شدة البلاء والامتحان والتمحيص، وقد سئل الامام أحمد رحمه الله عن الرجل: «يبتلى خير له أم يُمكَّن؟! فقال: لا يمكّن حتى يبتلى» وكذلك الأمم لا يمكّن لها حتى تبتلى، كما قال الباري عز وجل: **﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾**[٧]، وقال سبحانه: **﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾**[٨].

نعم والله ان النصر لقريب، فلنصبر ولنستبشر، ولنتواص بالحق ولنتواص بالصبر.

الهوامش:

١- رواه ابو داود ٤٢٩٧، واحمد ٢٧٨/٥ .

٢- ابراهيم: ٢٠ .

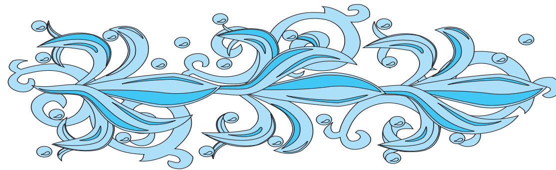
٣- الأنفال: ٧٢ .

٤- الحجرات: ١٠ .

٥- رواه البخاري ٣٦٦/١٠، ومسلم ٢٥٨٦ .

٦- محمد: ٣٨ .

٧- البقرة: ٢١٤ .



المؤرخ ومدى مسؤوليته عن الحرب والسلام

■ بقلم الدكتور محمود عواد

التاريخ لغة: هو الاعلام بالوقت وما وقع فيه من حوادث[١] قال الجوهري (ت-٣٩٨هـ): التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال: أرخت وورخت[٢]، ويبدو ان الكلمة عربية الاصل، بدليل قول الاصمعي(ت-٢١٦هـ): بنو تميم يقولون: ورخت الكتاب توريخا، وقيس تقول: أرخته تأريخا[٣]، وعلى أية حال فإن الكلمة تطلق في العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية على أحداث الماضي كله، وعلى المحاولات التي تبذل لمعرفة الماضي وتسجيل أخباره[٤].

أما تعريف التاريخ إصطلاحا، فقد اختلفت عبارات العلماء المسلمين فيه، وذلك لسعة موضوعاته، فالمؤرخون في القرون الثلاثة الاولى للهجرة النبوية الشريفة، لم يدونوا تعريفا كاملا ومحددا لعلم التاريخ، وإنما كانوا يكتفون بذكر فوائده وأغراضه.

قال خليفة بن خياط(ت-٢٤٠): «هذا كتاب التاريخ، وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم، وانقضاء عدد نسائهم، ومحل ديونهم»[٥].

ووضع ابن خلدون (ت-٨٠٨هـ) تعريفا محددا لعلم التاريخ قال فيه: «ان التارخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرق بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع لدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل الكائنات

ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق، وجدير بأن يعد في علومها وحليق»[٦]، ويقول المقريزي (ت-٨٤٥هـ): «إن التاريخ هو الإخبار عمّا حدث في العالم في الزمان الماضي»[٧]، كما عرفه محمد بن سليمان الكافيجي (ت-٨٧٩هـ) بأنه علم يبحث فيه عن الزمان، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته»[٨].

أما السخاوي (ت-٩٠٢هـ) فقد ذكر ان التاريخ هو: «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل وبدن، ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص وعن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملحمة وتجديد فرض، وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب، وفتح بلد وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الانبياء وغير ذلك من أمور الأمم وأحوال القيامة، ومقدمتها، وقال: «وتاريخ كل شيء آخره، وفي الوقت غايته وفي الوضع الذي ينتهي إليه، والحاصل أنه فن يبحث عن وقائع الزمان، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الأحوال المعارضة الموجودة للانسان وفي الزمان»[٩].

وذهب السيد قطب الى أن التاريخ هو ليس الحوادث،إنما هو تفسير للحوادث والاهتداء الى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات متفاعلة الجزئيات ممتدة مع الزمان والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان[١٠].

من هذا كله نخلص الى القول: ان التاريخ علم نظري إنساني يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت، ومن حيث التفسير والتعليل والربط، فهو بإختصار: الانسان في الزمان[١١].

ان موضوع التاريخ موضوع حي، والصلة وثيقة بين التاريخ والمؤرخ، إذ ان المؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ، مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ عملية متصلة بين المؤرخ وحقائقه، أو حوار متصل بين الماضي والحاضر[١٢]، والتاريخ صناعة كبيرة الأهمية عظيمة الاثر عظيمة الفائدة، شديدة الخطر والضرر، والمؤرخون خطيرون وخطرون، وهم على شفا جرف هار الى النار، لكل هذا يتوقع أن يكون للمؤرخ وما يكتبه من مادة دور كبير ومسؤول

عن السلم والحرب، والحب والكراهية، فالتاريخ هو المادة الأساسية التي تجمع بين الشعوب إن أحسن إستعمالها، وهو المادة الاساسية للتفرقة بين الشعوب إن أسيء استعمالها إن قصد به ذلك.

قال ابو جعفر الطبري (ت-٣١٠هـ) في مقدمة كتابه «تاريخ الرسل والملوك» مبينا طبيعة الأخبار التي ينطوي عليها: «فما في كتابي هذا خبر يستنكره قارئه أو يستشفعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا[١٣]، فجاء المؤرخون، أو من يدعون التاريخ -في غالبيتهم- واستخدموا ما وافق أهواءهم من روايات ضعيفة فأثاروا بذلك الفتن والحروب، وكان ما يريدون».

لقد أثار أولئك الفتن بطرق عدة، كطعنهم في شخصيات التاريخ أو التركيز على مثالبهم وليس همهم في ذلك إلا الإساءة إليهم بدافع الحسد والحقد والكراهية، قال القاضي أبو بكر (ت-٥٤٣): والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد، وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا، فاقبلوا الوصية ولا تلتفتوا إلا الى ما صح من الأخبار، واجتنبوا -كما ذكرت لكم- أهل التواريخ، فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك الى رواية الاباطيل فيقذفوا في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى[١٤].

وقال في مكان آخر معللا إشارته السابقة: إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين، والمؤرخين، وأهل الآداب، فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا الطبري، وغير ذلك هو الموت الاحمر والداء الأكبر، فأما الجاهل هو ابن قتيبه فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب الامامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه، وكالمبرد في كتابه الأدبي (يقصد الكامل في الأدب) وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه؟ واما المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك[١٥].

ماذا على المؤرخ من مسؤولية؟ وهل له أن يكتب مثالب الناس، أو يعتدي عليهم بالشتيمة؟ قال الرسول ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا

نصيفه»[١٦].

لقد شعر العلماء المسلمون بعظم مسؤولية المؤرخ، فناقشوا خير التاريخ وشره، وفوائده ومضاره وحرامه وحلاله، قال أحمد بن حنبل (ت-٢٤١هـ): ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم[١٧] وهذا ما صرح به ابن أبي زيد القيرواني المالكي (ت-٣٨٦) في مقدمة رسالته[١٨]، وأضاف ابن حجر على هذه الفتوى ذكر العلة في ذلك فقال: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم، لانهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن إجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين»[١٩].

فهذه جملة صالحة من كلام أكابر علماء السلف، يتبين منها الموقف الواجب على المسلم أن يقفه من الآثار المروية في قدح بعض الصحابه بسبب ما يروى عنهم من شجار وخلاف ومقاتلة، كأيام حرب الجمل وصفين وغيرها، فيجب صيانة القلم واللسان عن ذكر مساوئهم، واحسان الظن بهم والترضي عنهم أجمعين.

فالأخبار المروية عنهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى حرف وتشوه، قال ابن العربي عن هذه القضية: «ومن نظر الى افعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء، فهذا زياد لما أحس بالمنية استخلف سمرة ابن جندب رضي الله عنه من كبار الصحابة، فقبل خلافته وكيف يظن به على منزلته ان يقبل ولاية ظالم لغير رشده، وهو على ما هو عليه من الصحبة، وذلك من غير اكراه ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين، فمع من تحبون أن تكونوا: مع سمرة بن جندب، او مع المسعودي والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم؟»[٢٠].

لذا كان من المتوجب على المؤرخ طي هذه الصفحات وعدم إظهارها، قال الحافظ الذهبي (ت-٧٤٨ هـ): "إن كثيرا مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيه، واخفاؤه بل إعدامه، وإن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء"[٢١]، وان قيل هذا وحكمه عن صحابة رسول الله ﷺ فهو أمر ينطبق كذلك على كتابة تاريخ غيرهم بصورة عامة، إذ ماذا قصد البراد

من المؤرخين عند ذكرهم أن الخليفة فلانا قد شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى، ولعلهم أرادوا بذلك تسهيل المعاصي على الناس، ليقولوا: إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فلا يستبعد ذلك منا، وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وعلى قراءتها لرعيتهم في مثل افعالهم حتى صار المعروف منكرا، والمنكر معروفا، حتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه في المساجد، وفيها من الباطل والكذب والمناكير»[٢٢].

لقد أفتى عدد من العلماء المسلمين، ومن مذاهب متعددة بأن التاريخ فرض كفاية ونصيحة يثاب فاعلها إن صدقت نيته واستقامت طريقته، على أن لا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع، وإن كان في الواقعة أمر فادح وحق مستور، فينبغي أن لا يبالغ في إفشائه ويكتفي بالاشارة، والمشهور لا تتبع مساويه لانه غير معصوم[٢٣].

أما استجلاء المؤرخ لاخبار الثورات والفتن والحماقات التي ارتكبها الانسان في فترات ضعفه، فهو أمر لا يولد إلا أحداثا شبيهة بها أو أكثر مرارة، فالأرض القاحلة المهملة لا تنبت شجرا مثمرا، والشر لا يولد الخير، والجهل لا يكشف حقيقة الاشياء، قال تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾**[٢٤].

لقد ادرك الناس بعد الحرب العالمية الثانية أهمية الدور الذي لعبه المؤرخون في إثارة الحروب وبث البغضاء والكره، وبادر الخلفاء بعد استسلام إيطاليا الى منع تدريس التاريخ فيها لأن كتب التاريخ الفاشية كانت تنمي في نفوس الايطاليين جنون العظمة والغرور[٢٥]، ولا يخفى ما استجلبته دراسة أحقاد التاريخ من حروب معاصرة.

وقد يكون تعصب المؤرخ -مهما كانت أسبابه ودوافعه-[٢٦] مدعاة لكتابة غير منصفة، يكون أثرها وبالاً على الأمة، فلقد قامت الدولة العبيدية على أساس من التشيع المفرط وسموا دولتهم بالدولة العلوية الفاطمية، وغالوا في حب علي رضي الله عنه، فأبغضوا كثيرا من الصحابة، ووضع لهم علماء السوء أكاذيب مفتراة تخدم أهواءهم[٢٧].

ومن أمثلة التعصب الضار في العصر الحديث ما نقرأه من إجبار بعض المؤرخين في بعض البلدان على إعادة كتابة التاريخ بشكل يحقق أغراض الجهاز الحاكم، ويحط من قدر حكام اعتاد المؤرخون تمجيدهم

في الماضي، والأمثلة على هذا كثيرة ولا مجال لذكرها هنا[٢٨].

وعلى العموم فليس المتعصب بأهل لأن يؤخذ الحق من مؤلفاته، لأن المصاب بالعمى لا يقود الأعمى، ولو فعل ذلك لكانت ظلمات بعضها فوق بعض، وقد يكون التاريخ وكتابته مدعاة للتمزق إن أسيء استعماله ففي عام ١٩٠٨م أقصي السلطان عبد الحميد عن منصب الخلافة، وقام أتاتورك باطلاق شعار «تركيا للاتراك»، وأن على تركيا أن تهتم بنفسها، وأن تبحث لها عن انتماء آخر غير انتمائها للعالم الاسلامي، وهنا نشطت الأبحاث الأثرية وبدأ بعث تاريخ تركيا الجاهلي، وخرج المهتمون بهذه الأبحاث الأثرية والتاريخية بنتيجة مفادها: أن شعب تركيا ينتمي إلى الجنس الآري (الأوروبي) وليس له صلة بالعرب، وعلى هذا الأساس قام أتاتورك باتخاذ سلسلة من الاجراءات لقطع كل صلة تربط تركيا بإسلامها وخاصة بالعالم العربي[٢٩].

واستخدم المستعمرون التاريخ من جديد لتدعيم التجزئة في الوطن العربي، فقد نصت عصبة الأمم في صك انتداب بريطانيا على فلسطين على الاهتمام بالحفريات، وكذلك كان الأمر في سوريا ولبنان، فقد ألف الفرنسيون لجاناً خلال الحرب في كل من دمشق وبيروت لكتابة تاريخ الشام ويشار في هذا المجال إلى تبرع المليونير الأمريكي اليهودي روكفلر عام١٩٦٢م، بأموال لإنشاء متحف الآثار الفرعونية في مصر، واشترط أن يوضع هذا المتحف لمدة ثلاثين عاماً تحت اشراف لجنة انتقاها هو نفسه، وكان واضحا أن هدفه من ذلك، خلق جيل جديد من المتعصبين للفرعونية ثقافياً وسياسياً[٣٠].

من هذا كله لا بد من وضع تصور لما يجب أن يقوم به المؤرخ من توجيه التاريخ وجهة تخدم البشرية، إن تسجيل التاريخ للعظة والعبرة، واستخدامه كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها هو الأمر المطلوب، ولعل هذا ما أراده اللّه سبحانه وتعالى من ذكر تاريخ السابقين في القرآن الكريم، وكذلك بذكره «الأسوة الحسنة»، قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾**[٣١]. كما نلمس هذا من قول أبي الفرج ابن الجوزي (ت-٥٩٧هـ) في المنتظم: "وللسيرة والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان، احداهما: أنه إذا ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت الخوف

من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر»[٣٢].

ولكن من استفاد من التاريخ كعبر؟ قال «هيجل»: «الدرس الوحيد الذي نستفيده من التاريخ هو أن احداً لم يتعلم من التاريخ»[٣٣]، فالأمريكان قد انسحبوا من فيتنام عام ١٩٧٥م فهل استفاد الروس من هذه الدروس في أفغانستان؟ وغير هذا أمثلة كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

ان الغاية من وجود الانسان على الأرض، هي العمل والابداع لا التدمير والقتل، قال تعالى: **﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون﴾**[٣٤]، فأوقات التدمير أوقات شيطانية وفترات ضعف في تاريخ الانسان، من شأنها تفتيت أجزاء المجتمع، قال توينبي: فكل مجتمع يسير نحو الحضارة فإن أجزاءه تترابط بعضها ببعض بواسطة الافراد الذين ينتمون اليه[٣٥].

ولعل البعد عن التاريخ السياسي والعسكري واتباع التاريخ العلمي الحضاري بكل معانيه، سيكون سبيلا لتكوين الثقة بالنفس وبالامكانيات، لأن التراث هو الذي يبقى إذا استقطرنا تاريخ أي أمة بحوادثه الجزئية المتعددة[٣٦]، وقد يكون الدكتور جورج سارتون محقا حين دعا في أوائل هذا القرن إلى التركيز على تاريخ العلم، وإهمال التاريخ السياسي والعسكري، اذ ليست القوة العسكرية هي أشد القوى فاعلية حين يدور حولها التاريخ، فضلاً على أنها لا تجعل للتاريخ معنى أو مغزى، فهي تاريخ لشر ما في النفس من قوى، قال تعالى: **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾**[٣٧].

إن أهمية الأمة لا تقاس بانتصاراتها في المعارك، وانما بما قدمته للعالم أجمع في ميادين الحضارة المتنوعة ليرقى في سلم المدنية، قال تعالى: **﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾**[٣٩].

ورحم الله عمر بن عبد العزيز إذ يقول –

الهوامش:

(١) محمد عواد، صناعة، ص١١٥

(٢) الجوهري، الصحاح، جـ١ ، ص٤١٨ (مادة أرخ).

(٣) السخاوي، الاعلان ص٦.

(٤) عبد الكريم غرايبة، سر، ص١.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤٩، انظر: تاريخ، جـ١، ص٤-٥.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٣.

(٧) انظر: محمد بن صامل السلمي، منهج، ص٤٩.

(٨) الكافيجي، المختصر، ص ٣٢٧.

(٩) السخاوي، الاعلان، ص٧.

(١٠) سيد قطب، في التاريخ، ص٣٧.

(١١) انظر: الدوري، تفسير، ص٣، نعمان عبد الرازق السامرائي، في «تفسير، ص٤١.

(١٢) أنظر: الدوري تفسير، ص٣.

(١٣) الطبري، تاريخ، جـ١، ص٥.

(١٤) ابن العربي، العواصم، ص٢٤٤/٢٤٥.

(١٥) ن.م، ص٢٤٨/٢٤٩.

(١٦) انظر تخريج الحديث في: محمد بن صامل السلمي، منهج، ص٢٠٧.

(١٧) انظر: ابن حنبل، السنة، ص٧٨.

(١٨) ابن أبي زيد القيرواني، رسالة، ص٨.

(١٩) ابن حجر، فتح الباري، جـ١٣، ص٣٤.

(٢٠) ابن العربي، العواصم، ص٢٤٥.

(٢١) انظر حول هذا في: ابن تيمية، مجموع، جـ٤، ص٤٣٤.

(٢٢) ابن العربي، العواصم، ص٢٥١/٢٥٢.

(٢٣) انظر: عبد الكريم غرايبة، سر، ص٢.

(٢٤) سورة الانفال آية ٢٥.

(٢٥) انظر عبد الكريم غرايبة، سر، ص٧.

(٢٦) انظر مثل هذه الاسباب في الشوكاني، أدب، ص٤٠-٤٢.

(٢٧) الشوكاني، أدب، ص٧.

(٢٨) انظر عبد الكريم غرايبة، سر، ص٧.

(٢٩) انظر هذه الاجراءات في: جمال عبد الهادي محمد مسعود، منهج، ص١٤٦-١٤٨.

(٣٠) ن.م، ص١٥٢.

(٣١) سورة الاحزاب آية ٢١.

(٣٢) انظر: السخاوي، الاعلان، ص٢١.

(٣٣) انظر: احمد محمود صبحي، في فلسفة، ص٨٩.

(٣٤) سورة الشعراء آية ١٥١-١٥٢، وانظر كذلك: المائدة آية ٦٤، وهود آية ١١٦.

(٣٥) توينبي، مختصر، ص٣٤٩.

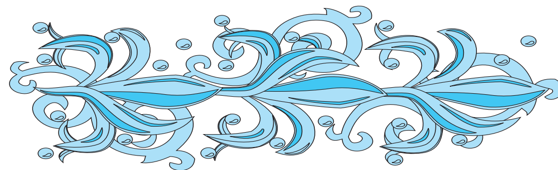
(٣٦) قسطنطين زريق، نحن، ص٢٤٤/٢٢٥.

(٣٧) سورة يوسف آية ٥٣.

(٣٨) سورة الانبياء آية ١٠٥.

(٣٩) سورة الحشر آية ١٠.

(٤٠) سورة البقرة آية ١٣٤ .



قطوف دانية

اعداد الاستاذة هبة زكي العجرمي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه ان الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم﴾

النور: ٦٢

الحياء لا يأت إلا بخير

روى ابن ماجة في سننه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ انه قال:

«ان الله عز وجل اذا اراد ان يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتاً ممقتاً، نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة، لم تلقه الا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه الا خائناً مخوناً، نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه الا رجيماً ملعناً، نزعت منه ربقة الاسلام».

الغنيمة الباردة

أخرج الامام احمد والامام البيهقي قول الرسول ﷺ:

«الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه»

وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول: «الا أدلكم على الغنيمة الباردة؟ قالوا: بلى، فيقول: الصيام في الشتاء، لأنها غنيمة بغير قتال ولا تعب ولا مشقة».

هذا الذي ينفعك

قال علي بن نصر: رأيت الخليل بن احمد الفراهيدي في النوم، فقلت في نفسي: لا ادري أحداً من اسلافنا اعقل من الخليل، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني، ثم قال لي: رأيت ما كنا فيه؟! ما انتفعنا بشيء منه وكله باطل، ولكن سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر ما رأينا أنفع منهن!

اشارات للسالكين

- اذا مكنك الله من عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً لقدرتك عليه.
- لا قربة للنوافل اذا اضرت بالفرائض.
- استجداء المديح من الخلق، دليل على ضعف الإخلاص.
- اسعد الناس بالعفو، أقدرهم على تنفيذ العقوبة.
- كل علم وبال على صاحبه، الا من عمل به.
- طلب الجنة بغير عمل، ذنب من الذنوب.

طريق النجاة

ثلاثة امور ان ضعفت عن فعلها، فلا تضعف عن ثلاثة غيرها:

- ان ضعفت عن فعل الخير، فلا تضعف عن ان تمسك عن الشر.
- وان ضعفت عن نفع الناس، فأمسك ان تضرهم.
- وان ضعفت عن الصيام، فلا تأكل لحوم الناس.

لأن شر الناس من لم يكن صالحاً، ويقع في الصالحين.

الآباء يُسَمّون الأبناء

■ بقلم الدكتور محمود أحمد القيسية

الاسم.. هذا الحق الشخصي، والوسام المهدي من الوالد لولده ما له وما عليه؟! وما هي حكايته عبر العصور في سالف الأزمان.. وحتى اليوم؟

ان الناظر الى مهرجان الأسماء، ليحار طويلاً، أهي من صنع الآباء والأمهات؟ أم هي مقسومة من وحي الخالق عز وجل لصاحبها على يد المسمي له، أياً من كان؟!

ولا بد من المرور بمسيرة طويلة مع هذه الأسماء لنصل الى قناعات راسخة حولها، فالإسم أياً ما كان نوعه، قلت حروفه ام كثرت، وضح معناه ام غمض.. يظل محكوماً باتجاهين بحاجة لمحكم، وهما متداخلان تداخل القضاء بالقدر والليل بالنهار!

فهل الاسم هدية السماء؟! أم هو هدية ووسام يقدمهما الآباء للأبناء والكبار للصغار، بمجرد المجيء لعالم الصراع والشقاء؟!

في الواقع ان أصحاب الخبرة في هذه الحياة، وهم ممن مضى بهم قطار العمر وقطع السنين، يتبنون الفكرة الأولى، على ان الاسم مقسوم لصاحبه تماماً، ولا دخل لأحد به! فهو هدية وقسمة.. وسام ومفتاح سمّه أيّاً ما يحلو لك، موروثة منا نحن الآباء لهم هم الأبناء، وما علينا الا ان نحسن إيصال هذه الهدية ونورثها لهم بأمانة، ونسلمها بهدوء وفرح، وتأمل وشكر للخالق عز وجل.

أما الاتجاه الآخر، في هذه المسألة، فمفاده، أن الاسم صنعة نتقنها من اجل ابنائنا، ويتدخل في اختيارها وانتقائها المزاج الشخصي المفتعل بناء على مؤثرات آنية مختلفة: من فرح وغضب ومباهاة واعتداد، يؤدي بالمسمى الى الحرج في كثير من الأحيان، بل ويظل الاسم غير المتقن

احياناً والمختار في غفلة منا بمثابة السبة او اللعنة، مثل جربوع، خريوش!!.

وعليه، مهما تعددت دوافع اختيار الاسم واختلفت، علينا لزاماً ان نحسن الصنعة، فنتقي الله في هذا الابن العزيز، لنخلع عليه الوسام الذي يستحق وفقاً لطموحات عريضة أمامنا، متذكرين تاريخاً تليداً ومجداً مؤصلاً لنا، وتراثنا العربي الاسلامي، تراث زاخر غني بكوكبة من الأسماء التي تدل على الرفعة والطموح، والتميّز والشموخ للذكر والأنثى معاً، وما اكثرها اذ هي تشكل نهراً لا يني يتدفق بغزارة وعذوبة، فلنجعله يروّي ظمأنا لماض مشرق زاهر طالما اشتقنا اليه، كلما هبت علينا نفحاته.

بقي القول: إن الأمة اليوم وهي في بداية ألفيتها الثالثة الجديدة لمعنية ان تستيقظ وتنهض من كبوتها وسباتها الذي طال، فعصر العولمة وهجمتها الشرسة تريد لها ان تكون شجرة مجتثة الأصول، غريبة في بيتها وأرضها.

إن رياح العولمة تسفي رمالاً قذرة تكدر صفو حياتنا صباح مساء، وإننا مطالبون بالتصدي لتلك الرياح في كل المجالات، وأبسطها لحظة الصفر، لحظة انتقاء المسميات لكل ما يخصنا ويعطينا تميزاً، ويبقينا في أعيننا وأعين من يحلمون بنا اكثر ثقة وطمأنينة وتيمناً بغابرنا الماجد، وحاضرنا المأمول الطموح، وغدنا الموعود، بناء على ماضينا المشرق، فهل نخجل من تسمية أبنائنا: طارق وخالد ومريم وعاتكة؟! ولا نخجل من تسميتهم: شمران وطقعان ولولي وسالي؟!!.

وبعد لنتحدث قليلاً عن الاسم ومشتقاته وما ورد حوله.. **فالاسم ما يعرف به الشيء ويستدل به عليه، وهو عند النحاة ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمن.**

وحكى اكثر علماء اللغة ان اشتقاق «اسم» من سموت أسمو، اي: علوت، كأنه جُعل تنويهاً بالدلالة على المسمى لما كان تحته، والجمع اسماء وجمع الجمع أسامي وأسامٍ.

وقد ذهب بعضهم الى ان اصله من «وسَمت» كأنه جُعل سِمة للمسمى، وهذا غلط والمذهب الأول هو الصواب، لأن اسم جمعه أسماء وتصغيره سُمَيّ وفيه اربع لغات: سِمٌ، وسُمٌ، واِسْمٌ، واُسْمٌ، هذا في الابتداء أعني كسر الألف وضمها ولأنه لو كان اسم من «وسمته» لكان تصغيره وُسَيْماً.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ «الاسم» ومشتقاته وإليك بعض الآيات: فأول آية في القرآن من سورة الفاتحة: ﴿**بسم الله**

الرحمن الرحيم﴾ أي: أبدأ بتسمية الله تعالى وذكره قبل كل شيء، فإنه تعالى الرب المعبود، واسع الرحمة كثير التفضل، الذي وسعت رحمته كل شيء، وعم فضله جميع الأنام، حيث يقول جل وعلا: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** البقرة: ٣١، وقال سبحانه: **﴿وإني سميتها مريم﴾** آل عمران: ٣٦، وقال تعالى: **﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾** مريم: ٧، وقال سبحانه: **﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾** الصف: ٦، وأحمد الاسم المرادف لمحمد.

ويقول ابن القيم في كتابه «زاد المعاد ٣٠٧/٢»: «لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، اقتضت الحكمة ان يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وان لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب

الا ومعناه ان فكرت في لقبه

وكان ﷺ يستحب الاسم الحسن، وامر اذا أبردوا اليه بريداً ان يكون حسن الاسم، حسن الوجه[1]، وكان ﷺ يأخذ المعاني من أسمائها في المنام واليقظة، كما رأى انه واصحابه في دار عقبة بن رافع، فأُتوا برطب من رطب ابن طاب، فأوّله بأن لهم الرفعة في الدنيا، والعاقبة في الاخرة، وأن الدين الذي قد اختاره الله لهم قد ارطب وطاب[2]، وتأول سهولة أمرهم يوم الحديبية من مجيء سُهيل بن عمرو اليه[3].

ويندب جماعة الى حلب شاة، فقام رجل فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» قال: مرّة، فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس» فقام آخر فقال له: «ما اسمك؟» فقال: حرب، فقال له ﷺ: «اجلس»، فقام آخر، فقال له ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: يعيش، فقال له رسول الله ﷺ: «احلُبها»[4].

ولما كان بين الأسماء والمسميات من الارتباط والتناسب والقرابة، ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام، عبر العقل من كل منها الى الآخر، سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً عن اسمه، فقال: جمرة، فقال: ابن من؟ فقال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحرقة، قال: اين مسكنك؟ قال: بحرَّة النار، فقال: بأيها؟ قال: بذات لظى، قال عمر رضي الله عنه: أدرك أهلك فقد احترقوا، فذهب فوجد الأمر كذلك[5]، فعبر عمر من الألفاظ الى أرواحها ومعانيها، كما عبر النبي ﷺ

من اسم سهيل الى سهولة أمرهم يوم الحديبية فكان الأمر كذلك».

وهناك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ يحث فيها على تحسين الأسماء، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء ابائكم، فأحسنوا أسماءكم» اخرجه ابو داود(٦).

«لقد أمر النبي ﷺ أمته بتحسين أسمائهم، وأخبرهم أنهم يدعون بها يوم القيامة، وفي هذا والله اعلم تنبيه على تحسين الأفعال المناسبة لتحسين الأسماء، لتكون الدعوة على رؤوس الأشهاد بالاسم الحسن، والوصف المناسب له».

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «احب اسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن»(٧)، فقد وضح ﷺ تفضيل هذين الاسمين على سائر ما يسمى به.

وفي حديث آخر عن ابي وهب الجشمي رضي الله عنه -وكانت له صحبة- قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»(٨).

يقول ابن القيم: «ولما كان الأنبياء عليهم السلام سادات بني آدم، وأخلاقهم اشرف الأخلاق، واعمالهم اصح الأعمال، كانت أسماؤهم أشرف الأسماء، فندب النبي ﷺ أمته الى التسمي بأسمائهم، ولو لم يكن في ذلك من المصالح الا ان الاسم يذكِّر بمسماه، ويقتضي التعلق بمعناه، لكفى به مصلحة مع ما في ذلك من حفظ أسماء الأنبياء وذكرها، وان لا تنسى، وان تذكر أسماؤهم بأوصافهم وأحوالهم»(٩).

وأما ان أصدق الأسماء حارث وهمام، لأن الحارث هو الكاسب، والاحترات: الاكتساب، وهمّام: فعال من هم يهم فهو هام، والانسان كاسب وهمام بالطبع، ولا يكاد يخلو من كسب وهمّ، ويقال: همّ بالشيء اذا اراده.

وأما ان أقبح الأسماء، حرب ومرة، لأن الحرب مما لا يتفاءل بها وتكره لما فيها من القتل والأذى، وأما مرّة فلأن معناه المر، والمر كريه بغيض الى الطباع، أو لأنه كنية إبليس، فإن كنيته أبو مرة(١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ان أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»، وزاد ابن ابي شيبة في روايته: «لا مالك الا الله عز وجل» قال سفيان: مثل: «شاهان شاه» وقال أحمد بن حنبل: سألت ابا عمرو عن «اخنع» فقال: «أوضع»(١١).

لقد ذكر رسول الله ﷺ ان أوضع الأسماء عند الله وأغضبه له اسم: ملك الأملاك، لأن الملك الحق لله وحده، ولا ملك على الحقيقة سواه، فالتسمية بهذا الاسم ونحوه ليست لأحد غير الله، فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل والله لا يحب الباطل(١٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: «ان رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح» أخرجه الترمذي(١٣)، وثبت عنه ﷺ انه غير اسم عاصية، وقال: «أنت جميلة»(١٤)، وكان اسم جويرية برّة، فغيره رسول الله ﷺ بإسم جويرية(١٥)، وغير اسم حزن جد سعيد بن المسيب، وجعله سهلاً، فأبى، وقال: ما انا بمغير اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد(١٦).

قال ابو داود: وغير النبي ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاماً، وسمى حرباً: سِلماً، وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضاً تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سمّاه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بنو الرشدة، وسمى بني مُغوية: بني رِشدة(١٧).

وعن ابي جبيرة بن الضحاك، قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة: **﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾** الحجرات: ١١، قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان!، فيقولون: مه يا رسول الله! انه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾**(١٨).

لذلك نهى الله تعالى المؤمنين ان يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك، كالأعمش، والأعمى، والأعرج، والأحول ونحو ذلك.

وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب، فأبو بكر لقبه الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق، وعثمان ذو النورين، وابو عبيدة بن الجراح امين هذه الأمة، وحمزة أسد الله، وجعفر بن ابي طالب ذو الجناحين، واشرف من اشتهر بلقبه: ابراهيم الخليل، وموسى الكليم وعيسى المسيح عليهم جميعاً افضل الصلاة وأتم التسليم.

ومن أحب التوسع في هذا الباب، فعليه بكتب تراجم المحدثين: «تهذيب الكمال» أو «تهذيب التهذيب» أو «تقريب التهذيب» وكتاب «الألقاب» لابن الفرضي. قال ابن القيم في «زاد المعاد» ٢/٣١٤: «وأما الكنية

فهي نوع تكريم للمكني وتنويه به، كما قال الشاعر:

اكنيه حين أناديه لأكرمه

ولا ألقبه والسوءة اللقب

وكنى النبي ﷺ صهيباً بأبي يحيى، وكنّى علياً رضي الله عنه بأبي تراب إضافة الى كنيته بأبي الحسن، وكانت أحب كنيته اليه، وكنى أخا أنس بن مالك، وكان صغيراً دون البلوغ بأبي عمير.

وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة، منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه كان له ثلاث كنى: ابو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلى، ومنهم ابو أمامة، وأبو رقية تميم الداري، وابو كريمة المقداد بن معدي كرب، وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم اجمعين، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ «أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه، والعق عنه»، أخرجه الترمذي[١٩]، ووضع الأذى عن المولود هو ان يزال ما عليه من أثر الولادة، والعق: هو ان يحلق الشعر الذي يخرج على رأسه من بطن أمه، وهو من جملة وضع الأذى عنه، وان يذبح عنه شاة او شاتان.

وسمّى العرب أبناءهم بأسماء متنوعة: فهناك أسماء تدل على العبودية لله تعالى، مثل: عبد الله وعبد الرحمن وعبد السلام.. الخ، **وأسماء أنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم،** مثل: آدم، ابراهيم، نوح، يوسف، وغيرهم، **وأسماء تدل على الالتزام الديني مركبة تركيباً إضافياً مثل:** أسد الله، بدر الدين، صلاح الدين، **وأسماء نباتات مثل:** تفاحة، حنظل، وردة، **وأسماء أمكنة مثل:** غدير، بحر، ثنية، **وأسماء حيوانات مثل:** فهد، حمامة، صقر، **وأسماء مستمدة من البيئة الطبيعية، مثل:** حجر، صخر، حديد، **وأسماء تدل على الزمان مثل:** جمعة، خميس، شعبان، **وأسماء تدل على صفات مثل:** مبارك، مسعود، صالح، **وأسماء تدل على ادوات مثل:** سيف، دلة، رميح، **وأسماء تدل على مظاهر طبيعية مثل:** بدر، هلال، قمر، شمس، نجم، **وأسماء تدل على أماكن جغرافية مثل:** منى، عرفات.

مما مرّ يتضح لنا ان الاسم بمثابة أمانة استودعنا اياها من أمننا على أبنائنا، وما علينا الا ان نحسن أداء حملها وتسليمها لهم، حرصاً على مسيرتهم بيننا سواء في حياتنا او بعد مماتنا، ليتوارثوها هم بالتالي فيحسنوا الأداء.

وهناك من كتب في هذا الجانب، وأفرد مرجعية لا بأس بها، حتى لا يظل لمعذور عذر في هذا الجانب، ومجرد سؤال او زيارة

لمكتبة تسعف الموقف، وتنهي الحيرة والإحباط!

وعلينا هنا التذكير بما امتازت به اسماؤنا العربية من ميزات، وتفردت به من سمات مثل: الانتساب للمكان، كالشامي، والمدني، وغيرها، وكذلك الصفات الشخصية المحببة: أبو الشوارب، أبو عرب، والشجاعة والكرم، ناهيك عن استيعابها لأسماء مفردات البيئة على تنوعها من نبات وحيوان وبحر وصحراء!!

ولعل هذا التنوع اذن مما يجعل اللوحة مصدراً ثراً للجمال والطرافة، اضافة للمؤثرات الثقافية والتاريخية والاجتماعية، ومما يوقف المنادين بالتغريب حتى في الاسم، ويُسكنهم راداً عليهم افتتانهم بما ذهبوا اليه، فما يعيب التسمية بـ: سؤدد، ريّان، نعيم، رضا، حامد، مليح، شاكر، عنترة، شجاع، قيس، لبنى، نجوان، مهران، شروق، مازن.. مثلاً!؟.

ان للأمة إذن مكنوزها من مهرجان الأسماء، وما عليها الا ان تحسن الانتقاء، ليكون المردود والعطاء، واضحاً مميزاً، يعزز الثقة في أنفسنا ويشعرنا بانتمائنا لأمة هي أمة الخيرية.

الهوامش:

١- اخرجه ابو الشيخ في «اخلاق النبي ﷺ» ص٢٧٤ من حديث ابي هريرة، وفي سنده ضعيف.

٢- أخرجه مسلم ٢٢٧٠، وابو داود ٥٠٢٥، وأحمد ٤٤٢/٢١ (١٤٠٥٢).

٣- أخرجه البخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢).

٤-٥- أخرجه مالك في الموطأ ٩٧٣/٢ .

٦- سنن ابي داود، ٤٩٤٨، وصحيح ابن حبان ١٣٥/١٣ (٥٨١٨) وفيه تمام تخريجه.

٧- أخرجه مسلم ٢١٣٢ .

٨- ابو داود ٤٩٥٠، والنسائي ٢١٨/٦-٢١٩، وانظر حديث المغيرة بن شعبة عند مسلم ٢١٣٥: «انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».

٩- زاد المعاد لابن القيم ٣١٢/٢ .

١٠- جامع الأصول لابن الأثير٣٥٩/١ .

١١- أخرجه البخاري ٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦، ومسلم ٢١٣٤ .

١٢- زاد المعاد ٣١١/٢ .

١٣- سنن الترمذي ٢٨٣٩ .

١٤- اخرجه مسلم ٢١٣٩، وابو داود ٤٩٥٢، والترمذي ٢٨٣٨، من حديث ابن عمر.

١٥- اخرجه مسلم ٢١٤٠ من حديث ابن عباس.

١٦- اخرجه البخاري ٦١٩٣، وابو داود ٤٩٥٦ .

١٧- ذكره ابو داود في سننه، بعد الحديث ٤٩٥٦، وقال: تركت اسانيدها للاختصار، وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٣٧١/١-٣٧٨ .

١٨- اخرجه ابو داود ٤٩٦٢، وابن ماجة ٣٧٤١، والترمذي ٣٢٦٨ .

١٩- برقم ٢٨٣٤، وانظر حديث سمرة بن جندب عند ابي داود ٢٨٣٧-٢٨٣٨ وابن ماجة ٣١٦٥ والترمذي ١٥٢٢، والنسائي ١٦٦/٧، بلفظ «كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى».

السكاكيني وتصوره الساذج لمراحل تطور اللغة العربية

■ **بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي**

استغربت قبول أستاذنا الدكتور عبد الرحمن ياغي، برأي الاستاذ المرحوم خليل السكاكيني حول تطور اللغة العربية، وذلك في مقالته المنشورة في جريدة الرأي.

السكاكيني يقول: ان اللغة العربية مرت في تطورها بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: مرحلة قرينة «المعنى» اي ان المعنى هو الذي يحدد العلاقة بين الكلمات، فإذا قلنا مثلاً: «الحجر كسر الزجاج» فهم ان الحجر هو الكاسر والزجاج هو المكسور، فليس من المعقول ان يكسر الزجاج الحجر، وفي هذه المرحلة لم يفكر العربي بحركات الإعراب، فقد يرفع الحجر وقد ينصبه وقد يجره، وقد يرفع الزجاج أو ينصبه أو يكسره.. كذلك.

والمرحلة الثانية: مرحلة قرينة «الترتيب» وهي أن يأتي الفاعل مثلاً قبل المفعول مثل: هجر موسى عيسى، فالهاجر هو موسى والمهجور هو عيسى، اي الفاعل هو موسى والمفعول هو عيسى.

أما المرحلة الثالثة: فكانت عندما اتسعت فيها اللغة وتعقدت فيها الحياة العربية، فماذا يفعلون في هذه المرحلة التي لم تعد فيها قرينة المعنى كافية ولا قرينة الترتيب؟ حينئذ لجأوا -كما يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي- الى مشروع «التشكيل».. تشكيل أواخر الكلمات، بل وأواسطها وسائر حروفها.

أقول: وهذه المراحل مقبولة نظرياً لكاتب يجلس وراء مكتبه، ويأخذ يفكر في

كيفية تطور اللغة العربية حتى وصلت الى تشكيل أواخر الكلمات بل وتشكيل بنية الكلمة كاملة!.

ولكنها غير مقبولة واقعياً، لأن النصوص التي بين ايدينا منذ «المهلهل امرئ القيس» لا تسعفنا على قبول هذا التصور، فامرئ القيس جاء معرباً اعراباً كاملاً، أو محرك الأواخر حسب ما هو معروف في الاعراب الذي استخرجه النحاة من استقراء النصوص من امرئ القيس حتى منتصف القرن الثاني في الحواضر، وحتى نهاية القرن الرابع في البوادي، وكذلك كانت بنى الكلمات محركة في هذه النصوص المختلفة أو في المشافهات المتعددة.

ليس من حفريات تدعم رأيه:

ولأننا لم نجد في الحفريات نصوصاً للغة العربية، يمثل قسم منها المرحلة الأولى، وقسم المرحلة الثانية، سواء أكانت مكتوبة على رقاق أو رقائق أو مكتوبة على حجارة.

لو وجد حجر او حجارة قد كتبت عليها جمل كجملة: الحجر كسر الزجاج، لقلنا: ان هذه المقولة تعتمد على شيء مكتوب، ولكنه لم يوجد شيء من ذلك، ثم هل الحياة قائمة على الاشياء المادية وحدها كالحجر والزجاج ام هناك جانباً عاطفياً قائماً في حياة الانسان منذ ان وجد على الأرض! اما هبط آدم وحواء عليهما السلام، وهما متحابان متعاطفان؟ منذ ان أكلا من الشجرة المحرمة وبدت لهما سوءاتهما «اي اصبحا يشعران بالجنس، لأن العورة بلا جنس ليست عيباً يجب إخفاؤه»، هل يعتقد ان يتفاهما على الحجر والزجاج، الزجاج الذي لم يعرف الا بعد رحيلهما عن هذه الدنيا بأدهار، قبل ان يتفاهما على الحب الذي كان يجمع بينهما؟ قد يقال: انهما كانت يتفاهمان عملياً.. ولكنني لا أصدق انهما ما كانا يضيفان الى الجانب العملي بعض الألفاظ العاطفية المعنوية.

ومثل آدم وحواء.. البشر الذين جاءوا بعدهما، ومثل هؤلاء البشر.. العرب في الجزيرة العربية، ان نظرية الانتقال في حياة البشر من المرحلة المادية الى المرحلة المعنوية ثم الى الجمع بين المرحلتين، لا تعبر عن طبيعة الانسان، فالانسان منذ ان وجد على وجه الأرض وهو ذو طبيعة معقدة، فيها الجانب المادي وفيها الجانب العقلي والجانب العاطفي، ولا بد انه كان يعبر عن هذه الجوانب بالاشارة احياناً وبالكلام أحياناً أخرى، بل ان الاشارة في الاشياء المادية دالة اكثر من الاشارة في الاشياء العاطفية والمعنوية، مما يدفعه دفعاً

الى الوسيلة اللغوية التي تعبر عن العاطفة والعقل تعبيراً ما، ومع ان نسبة المعنويات أقل في بدايات الحياة بيد انها ليست منعدمة.

لا نصدق فرضيات بلا دليل:

ونحن لا نصدق مقولات وفرضيات يُكذب بعضها بعضاً ثم نجعل كلام الله وراء ظهورنا، الله تعالى يقول عن آدم: **﴿وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ❖ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم﴾** البقرة: ٣١-٣٢ .

فمعنى ذلك ان آدم عليه السلام علمه ربه سبحانه وتعالى لغة قبل ان يهبطه الى الأرض، ثم تعلم منه أبناؤه ثم انقسم الناس شعوباً وقبائل، وأصبحت كل جماعة في بقعة من الأرض تنشئ لغة خاصة بها، وكانت بعض الشعوب تتقدم وبعضها تتخلف، تبعاً لطبيعة المناخ والظروف التي تحيط بكل شعب.

لغة سيدنا آدم عليه السلام:

أما اللغة التي تعلمها آدم عليه السلام فهي العربية غالباً، ثم رفعت بعد انتهاء حياة آدم عليه السلام، والله اعلم، ذلك لقوله تعالى عن جهنم وجوابها له: **﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾** ق: ٣٠، وهذا يعني ان جهنم تنطق بلسان المقال لا بلسان الحال، وليس ذلك بعجيب! فإذا كان الله تعالى قادراً على ان ينطق الجلود وكل شيء يوم القيامة، كما في قوله تعالى عن الكافرين: **﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي انطق كل شيء﴾** فصلت: ٢١ .

فالله تعالى قادر ان ينطق جهنم، فليس لها ان تخرج عن ناموس الآخرة العام، وبذلك تكون اللغة التي بدأت بها الحياة الدنيا، هي اللغة العربية التي تبدأ بها الحياة الأخرى كذلك.

ثم نحن لا نزال نقول: الحجر كسر الزجاج، او: كسر الحجر الزجاج، اي: نقدم الفاعل ونؤخر المفعول، ولا نقدم الزجاج على الحجر، اي: لا نقدم المفعول به على الفاعل في هذه الجملة، الا في النادر النادر، لأن التقديم للزجاج يعني ان كسر الزجاج أهم عندنا من فاعل الكسر (الحجر)، وفي مثل هذه الحالة، نجعل الجملة مبنية للمجهول غالباً، فنقول: كسر الزجاج او نجعلها جملة «اشتغال» فنقول: «الزجاج كسره الحجر».

المرحلة الأولى وَهْم:

يتبين من هذا ان المرحلة الأولى كما رآها السكاكيني، ليست الا وهماً توهمه السكاكيني وهو جالس وراء مكتبه، لأن اللغات ولا سيما العربية ليست من البساطة بحيث يتوهم متوهم أنها تأتي على مراحل منفصل بعضها عن بعض، بل ان اللغات من التعقيد، بحيث تتداخل فيها المراحل كتداخل طبيعة الانسان المعقدة المكونة من فكر وعاطفة وأحاسيس، كلها متمازجة متعاونة يعضد بعضها بعضاً.

اما **المرحلة الثانية** كما رآها السكاكيني، التي تقوم على الترتيب، فهي مرحلة توهمها الكاتب كما توهم المرحلة الأولى، ان هذا الترتيب الملزم لا يصح الا في الأسماء التي تظهر عليها الحركات، مثل المثال السابق: «هجر موسى عيسى» فالهاجر هو موسى (وهو الفاعل) والمهجور هو عيسى (وهو المفعول نحوياً) وانه لمن السذاجة المتناهية ان يتصور احد ان اللغة في حقبة معينة لم تكن تتعامل الا مع الأسماء المقصورة، وما شابهها مما لا تظهر عليه الحركات.

اللغة أوسع من ذلك وأكثر تعقيداً من ذلك مئات المرات، ولو كانت اللغات تصنع بهذه الصورة، لكانت بسيطة جداً، غير معقدة التكوين، ولكان المتكلمون بها لا يعدون بالعشرات، بحيث يستطيعون ان يتفقوا على نهج موحد في التعامل معها، ثم هل كانت العقلية نامية عند البدو المتناثرين في الصحراء بحيث يرسمون خططاً ثم ينفذونها؟ وأين كانوا يجتمعون ليتحاوروا ثم يتفقوا؟!

لا تغيير على ترتيب الأسماء المقصورة:

ان الترتيب في الأسماء المقصورة وما شابهها لا يزال مرعياً، ولن يتغير في المستقبل، لأنك لا تستطيع ان تميز بين الفاعل والمفعول الا بهذه الطريقة، وبطريقة أخرى لم يتنبه لها السكاكيني، وهي انه يمكننا ان نقول: «موسى هجر عيسى» لكي نميز بين الفاعل والمفعول، وهل يُظن ان العرب جهلوا هذا النوع من الترتيب؟ إنه ترتيب أقرب الى الوضوح اللغوي من الترتيب الأول، واللغة تنشد الوضوح في كل استعمالاتها.

أما ترانا نقول من اجل الوضوح: عين وجمعها عيون، وعين وجمعها أعيان، لنميز بين العين المبصرة والعين التي تدل على الذوات؟ فنقول: عيون، للعيون المبصرة، ونقول: أعيان، للذوات أو أعلام البلد، أما عيون الماء، فهي من قبيل المجاز، لأن هناك تشابهاً بين العيون الآدمية وعيون الماء، والتشابه يسمح للغة بأن تستعمل كلمة واحدة للمشبه والمشبه به.

أما ترانا نقول: «زيد بحر» فنكاد نساوي بذلك بين زيد وبين البحر، أما قال حافظ ابراهيم: «أنا البحر في أحشائه الدر كامن؟» يقصد اللغة العربية.

ومهما يكن فإن الاضطرار الى الترتيب على صورة «هجر موسى عيس» فإنما يدل على أهمية «الحركات» في اللغة، لأننا بواسطة الحركات نستطيع ان نقدم وأن نؤخر في الكلمات التي تظهر عليها الحركات تبعاً للمعنى المراد مثلاً، الله تعالى قال: **﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل﴾** البقرة: ١٢٧ .

فقد جاء ابراهيم عليه السلام وهو فاعل بعد الفعل مباشرة، اما اسماعيل وهو فاعل، فقد جاء بعد تمام الجملة، ولكن القارئ يدرك ان كلاً من ابراهيم واسماعيل فاعل لأنه مرفوع، ولكن تأخر اسماعيل لم يأت جزافاً، وانما للدلالة على انحناءات المعنى، فإبراهيم هو الرجل المكتمل الذي كان يبني، اما اسماعيل فكان صبياً يناوله صغار الحجارة والطين، ولذلك فهما لا يستويان في العمل، ولذلك فمن الحق ان يميز بينهما في التعبير، فيأتي الشخص الرئيسي في عملية البناء بعد الفعل مباشرة، ويؤخر الشخص الثانوي في عملية البناء حتى تكتمل الجملة.

ولولا حركات الاعراب لكان حق التعبير ان يقال: «واذ يرفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت» علماً ان ابراهيم كان الشخص الرئيسي في عملية البناء، وان اسماعيل كان الشخص الثانوي! وبهذا يكون التعبير الثاني ضعف التعبير الأول، ومن المقرر ان البلاغة في الايجاز.. عندما يستوي التعبير الموجز والطويل في اداء المعنى.

تفوُّق اللغة العربية:

وهذا الى جانب أشياء أخرى كثيرة، يشير الى تفوق اللغة العربية، لغة تفسير القرآن الكريم على اللغات الأخرى، ومنها الانجليزية التي يعرف شيئاً منها نصف الأردنيين، في العربية مثلاً، قال المتنبي:

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى

ولا تتقى حتى تكون ضواريا

والطوى: الجوع، والضواري: الوحوش المولعة بأكل اللحم، والأُسدَ هنا منصوبة لأنها مفعول به، وهي مقدمة على الفاعل الحياء، وهو مرفوع وقد وضحنا سبب التقديم والتأخير في كلام سابق.

ونضيف اليه ان الانسان يرتاح ويُنفس عن مكبوتاته المؤلمة، عندما يؤنب نفسه تأنيباً مباشراً او غير مباشر، عن طريق الواعي أو اللاواعي، أما يقول الكفار عندما

يسألهم أصحاب الجنة: **﴿ما سلككم في سقر﴾** المدثر: ٤٢، فأجابوهم مؤنبين أنفسهم: **﴿قالوا لم نك من المصلين ❖ ولم نك نطعم المسكين ❖ وكنا نخوض مع الخائضين ❖ وكنا نكذب بيوم الدين ❖ حتى أتانا اليقين﴾** المدثر: ٤٣-٤٧ .

أرأيت الى هذه السلسلة من الاتهامات التي اتهموا بها أنفسهم، وهي تعبر عما يجدونه في اعماقهم، وعما مارسوه عملياً، لأن الافضاء بالأخطاء يدخل على النفس شيئاً من الراحة، انه لون من ألوان التطهير الذي تحدث عنه ارسطو الفيلسوف اليوناني، في كتابه «فن الشعر» ويقصد فن الشعر المسرحي.

رأي يخلو من المنطق:

وبعد .. فلو كان الإعراب دليلاً على تطور الحضارة وتعقد اللغة المعبرة عنها فحسب، لما فقدت اللغة الجرمانية الاعراب مع الأيام، والحضارة تتقدم ولا تتراجع، أو على الاقل تبقى حيث هي، بل لكانت اللغات التي تعبر عن حضارة اليوم المعقدة الشديدة التعقيد وعلى رأسها الانجليزية، كلها معربة وهذا لم يكن، ولن يكون في هذه اللغات.

ان الإعراب إحدى خصائص اللغة العربية الرئيسية كالاشتقاق.. لكي تتمكن اللغة العربية من التعبير عن ادق المعاني العقلية والوجدانية، ولكي تكون مفسرة لغة القرآن المعجز، ولا يصح ان ينزل المعجز بلغة لا تماثلها ألفاظ لغة معجزة حتى يمكن تفسير اعجازه بها.

ان اللغة العربية ولدت معربة ألهمها الله تعالى العرب إلهاماً لتكون لغة القرآن الكريم الخالد، كما فصلنا في التمهيد من كتابنا «العربية الفصحى».

لقد اصطفى الله تعالى العرب ليكونوا الحملة الأوائل للقرآن الكريم، واصطفى سيدنا محمداً ﷺ من بينهم ليكون الرسول المصطفى الذي ينزل عليه القرآن، واصطفى اللغة العربية من بين اللغات، لتكون قادرة على ان تقدم القرآن للناس كافة، طبق من ذهب، عليه أشهى طعام للعقول والأجسام.

ان تصور السكاكيني بعد كل ما تقدم، هو تصور ساذج لتطور اللغة العربية، لا يدعمه لا واقع كان في الجزيرة العربية، ولا منطق سديد يغوص في اسباب تطور جميع اللغات الحية والميتة منها على السواء، فاللغات اكثر تعقيداً في نشوئها وفي تطورها، من هذا التسطيح في الفهم الذي لا يرضاه كل عقل ذي منطق سديد والله تعالى اعلم.

المعالم الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

لقد فاضلَ الله تعالى بين الأيام والأزمان؛ كما فاضلَ بين الأماكن والبلدان؛ وحظي الأردن بأنه بلد مبارك؛ لأنه من أكنافِ بيت المقدس؛ وفي بيت المقدس وفيه قال الله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، واسم الأردن فضلاً عن مسماه لا ينسجمُ مع القيود، ولا ينبغي أن يذل لغير الربِ المعبود؛ فأهل اللغة يقولون: سمي بذلك لطيب هوائه، وشدة وغلبة أهله، كذا قال الإمام النووي؛ وأكّده ياقوت الحموي، والذي يعيش في الأعالي لا شك يطيبُ هواؤه، ويَسلُس النَفسُ في صدره، وينمو فكرُه، ويغدو مجالُ نظرِه أرحبَ وأشملَ؛ ويشعر بالسعادة للحرية، وتحقيق الآمال، فتضفي على النفس سروراً، وتبعثُ في القلب بهجة وحبوراً، ويَنشَطُ الجسد للعملَ والتفاني.

إن أرض الأردن طهور مباركة، وسماؤه نقيةٌ، وتاريخه ناصعٌ، وجذورُه ضاربة في عمق التاريخ لأمتنا الماجدة، فقد حدثت على أرضنا من شواهدِ التاريخ الإسلامي الكثيرُ من الذكريات؛ فمن سمائِه مرّ الحبيبُ ﷺ يركبُ البراقَ صوبَ الأقصى.

ولقد عاش على أرضه أنبياءٌ ومرسلون؛ منهم رسولُ الله لوط عليه السلام؛ الذي أرسله الله تعالى إلى المؤتفكات، وسكن أرض سدوم حول البحر الميت، وسميت بعض المدن والقرى باسم أبنائه وبناته؛ ومن ذلك:

١. الربة في الكرك سميت باسم ابنته؛

ولقد عاش في الربة عبد الله الهاشمي المتوفى قبل نهاية القرن الثاني الهجري، وهو الذي لما وقف بين يدي المهدي قال له: أين تسكن؟ قال: البلقاء، قال: أين منها؟ قال: الربة، قال: ما لك وللربة، فما هي سهلة الموطأ ولا طيبة المشتا؟ قال: إن كانت كذلك فإنها كما قال زهير[١]:

عَلَى مُكْثِريهِمُ حَقُّ مَن يَعتَريهِم
وَعِندَ المُقِلّينَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ[٢]

وفي الربة مقام ينسب للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عمله العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان القانوني.

٢. **زُغَر في (غور الصافي)** سميت باسم الثانية من بناته وهي القرية التي نجّاه الله فيها، قال الله تعالى: ﴿ونجيناه وَلُوطًا إلى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، وفي زغر عاش القارئ محمد بن الحسن أبو الطيب الزغري[٤].

٣. **عمان مسماة باسم ابن رسول الله لوط عليه السلام؛** وهي طرف الكوثر؛ قال رسول الله ﷺ: «حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء»[٥]، قال الرحالة محمد بن أحمد البشاري المقدسي المتوفى عام ٣٨٠هـ: «عمّان على سيف البادية، ذات قرى ومزارع، ورستاقه[٦] البلقاء، وهي معدن الحبوب والأنعام، بها عدة أنهار، وأرحيَة يديرها الماء، ولها جامع ظريف في طرف السوق، مفسفس الصحن، شبه مكة[٧]، وبها قصر جالوت على جبل يطل عليها، وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام»[٨].

٤ . **ومآب مسماة باسم مؤاب بن لوط عليه السلام،** وفيها حدث أولُ صلح كان بالشام، فقد صالح أهلها أبا عبيدة رضي الله عنه.

ومنهم رسول الله شعيبٌ عليه السلام؛ الذي أرسله الله إلى مدين وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس؛ وهي القبائل التي سكنت البلقاء؛ والبلقاء في التاريخ من إربد إلى معان؛ فبلقاوية هي التي جاءت تمشي على استحياء وقالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[٩]، وماء مدين مشهور في مؤتة حيث شهدت أن موسى عليه السلام قوي أمين.

ورسولُ الله هارون وموسى عليهما السلام، وقد عاشا بين مادبا والبتراء، وفي وادي موسى الحجر الذي ضربه رسول الله موسى عليه السلام فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وآثار رسول الله يحيى عليه السلام في قلعة مكاور، ورسول الله إلياس عليه السلام الذي انتقل من بعلبك إلى لستب في عجلون، وهي إلى اليوم تسمى باسمه مار إلياس عليه السلام، وفي اربد قبر أم موسى بن عمران عليه السلام، وقبور أربعة من أولاد يعقوب عليه السلام.

ومن أشهر معالم النبي محمد ﷺ في الأردن:

١. شجرة الباقوعية في الصفاوي التي تهصرت أغصانها عليه، ولقد وتضوّع عطره تحتها.

٢. ودخل جرش مرتين في تجارته لخديجة رضي الله عنها كما ذكر البيهقي في السنن الكبرى.

٣. صومعة الراهب بحيرى في مادبا في أم الرصاص التي طعم فيها مع عمه أبي طالب.

٤. فتح رسول الله ﷺ ثلاث بلاد أردنية بنفسه الشريفة؛ هي:

أ- أيلة «العقبة»: قال المقريزي(١٠): «سُميت: بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام»، ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحنة ابن رؤبة(١١)؛ فصالح رسول الله ﷺ؛ قال ابن إسحق: «أعطى النبي ﷺ أهل أيلة بردة مع كتابه أماناً لهم»، وهي بلد لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم؛ قال ابن كثير(١٢): «قال السهيلي: كان نوبياً من أهل أيلة».

ب- أذرح والجرباء، وما بينهما حوض الكوثر؛ ففي حديث مسلم: «إنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضاً، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(١٣) وفيهما حدث التحكيم المشهور.

وفي الأردن سكن بعض أتباع الأنبياء؛ كأهلِ الكهف في الرجيم «الرقيم» قرب عمان، وسكن يوشع بن نون في البلقاء.

ودخل الإسلامُ أرض الأردن بدخول ثلة من الصحابةِ الأطهار الكرام؛ وانبعثت إشراقاتُه في الأرجاء؛ وما زال يزدهي بمقامات حب رسول الله ﷺ زيد، وذي الجناحين جعفَر، والنقيب الشاعر ابن رواحة في سماء مؤتة، والأردنيون يتنسمونَ عطرَ أمين الأمة أبي عبيدة، ويلتمسون البركَة من شهيد الأقحوانة وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ويتنافسون في حُسن القيادة، متأثرين بفاتح الأردن شرحبيل بن حسنة، وقد ارتووا من نبع سفير النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي؛ ومقامه بجانب الطفيلة، وشهداء ذات أطلاح؛ كعب بن عمير الغفاري وأصحابه، وغيرهم من الأفذاذ الأطهار الأبطال.

ولقد ولد بعض الصحابة الكرام في الأردن وعاصروا العهد الزاهر؛ عصر النبوة الأغر؛ ومنهم فروة الجذامي، وسيمونةُ البلقاوي، وعبدُ الله بن حوالة الأردني، وغيرهم؛ ممن سطعت أنوارهم فيه، وأشرقت بوجودهم سماؤه؛ وتزينت بهم أرضه.

ولقد تأسست في الأردن مدارسٌ للقرآن وللحديث؛ منها مدرسةُ الأيليين في العقبة؛ وأستاذها المحدّث الزهري رحمه الله، ومدرسةُ القرآن في رحاب المفرق التي أنجبت ابن عامر اليحصبي؛ وهو أحد القراء السبعة، وشهاب الدين الدجاني من الدجنية، ومدرسة عجلون التي ولد فيها العجلوني الجراحي صاحب كتاب كشف الخفاء المشهور، وابنُ خطيب عذراء الذي ولد في لستب، وشهاب الدين الباعوني، ومحمد بن خليل الجعفري من عين جنة، ومدرسةُ

الكرك والشوبك، ومنها البرهان الكركي، ويوسف بن دانيال الشوبكي، ومدرسة البلقاء؛ وأستاذها التابعي الجليل محمد بن عطية السعدي البلقاوي، والعلامة محمد بن عبدالله الصلتي، ومدرسة إربد؛ ومنها شرف الدين القاضي قاسم بن محمد الإربدي، وشهابُ الدين الملكاوي، والزراعي الحُبراصي من حبراص، وعلاء الدين الحبكي من حبكا، وعبد الغني الجمحي من جمحى، والعز القدسي من كفر الماء، والحسن بن علي الرمثاوي من الرمثا، ومنهم من نسب إلى الأردن؛ كالتابعي الجليل نعيم بن سلامة الأردني، ومنهم نسب إلى عشيرته كالجذامي، أو إلى مهنته كعبادة بن نسي قاضي طبرية، وقائد جيوش الأردن.

ولقد تميّز بعضهم بالقيادة السياسية والعسكرية؛ كالذين ولدوا أو عاشوا في الحميمة التي سكنها التابعي الجليل علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس، وولد له فيها أكثر الخلفاء والقادة العباسيين؛ كالسفاح وأبي جعفر المنصور، فيشهد التاريخ بعظم هذا المكان المنيف، وإنه لا يمكن للشجرة أن ترتفع في السماء فروعها إلا إذا ضربت في الأرض جذورها.

وما زال العلماء المُحدّثون ينهلون من المعين الصافي، ويرتشفون من الرحيق المختوم، يواكبون المستجدات، ويحلون المعضلات، في النهار يركبون التعاسيف؛ يطلبون الروايات، وفي الليل يكابدون الظلمة والأسرجة؛ يفتشون ويقمّشون.

هذا ويعتز الأردن ويفتخر بوجود فضليات ذوات رأي في تاريخه؛ وهذا بلا شك يدفع المرأة الخلف أن تسير على نهج سلفها من تاريخها، من اللائي عشن قبلها في بلدها، وعلى أرضها وتحت سمائها:

١. **بنات نبي الله لوط وشعيب،** وقد مرّ ذكرهن عن قريب.

٢. **بنتا معاذ بن جبل رضي الله عنهم؛** شهيدتا طاعون عمواس، ومقامهما بجوار والدهما وأخيهما في الأقحوانة (البابونج)؛ قال البلاذري: توفي بناحية الاقحوانة من الأردن وله ثمان وثلاثون سنة(١٤)، وقد بنى المقام قبل مائتي سنة الشيخ المهندس محمد ابن علي بن عبد الرحمن الطيبي نسبة إلى الطيبة في إربد.

٣. **فاطمة بنت علي بن عبد الله بن العباس، عمة السفاح والمنصور** كانت امرأة حازمة وكانت مع أبيها بالحميمة، قال ابن عساكر: «كانت فاطمة بنت علي أسنَّ بنات علي وأفضلَهن وأجزلَهن، وكان إخوتها يكرمونها، ويعظمونها، ويبجلونها؛ لحزمها، وعقلها، وصواب رأيها، ولها أخوات منهن أمينة، ولبابة، وميمونة، وغيرهن، رحمهن الله».

٤. العباسية زينب بنت الأمير سليمان، التي ينسب إليها الزينبيون، كانت مع أهلها بالحميمة، روت الأحاديث عن أبيها، وحدث عنها كثيرون؛ وكان المأمون يكرمها ويجلها.

٥. الهاشمية زبيدة زوجة هارون الرشيد؛ عاشت في عمان، وهي صاحبة الرأي النافذ؛ فقد ذكر الإصطخري(١٥) «أن في عمان دار ضيافة لزبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر: زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، وأنه ليس بالشام دار ضيافة غيرها».

٦- عائشة الباعونية؛ وهي من عائلة عريقة بالعلم، وهي الشيخة، الأريبة، العالمة العاملة، أم عبد الوهاب، الصوفية، أحد أفراد الدهر، ونوادر الزمان؛ فضلاً، وعلماً، وأدباً، وشعراً، وديانةً، وصيانة، ومن شعرها في مدح النبي ﷺ:

ولعمري كل حسن في الورى
قاصر عن حسن جدّ الحسني
صاحب الجاه الذي لا يحتمى
بسواه يوم تطوى الأرض طي

والقلاع الإسلامية كثيرة شهيرة في الأردن؛ كالقصور الإسلامية في الصحراء الأردنية، ومنها قصر المشتى وواجهته إلى اليوم في برلين، وقصر الخرانة، وقصر عمرة، وعين السل، وقلعة الكرك المعروفة بجوهرة الصحراء، وقلعة عز الدين أسامة في عجلون، وقلعة القطرانة التي كانت مركزاً إسلامياً ودفن فيها الشيخ حامد العطار رحمه الله، وقلعة العقبة، ذات التاريخ العريق، وسوق الحجاج في زيزياء، وبركتها إلى اليوم تشهد على ما قلت، وعلى الثرى الطهور جرت سرايا وغزوات ومعارك؛ فسرية ذات أطلاح في الطفيلة، ومؤتة الأولى، وفحل الغراء، واليرموك الشماء، وفيها مقامات شهداء عمواس، ومدن الديكابولس العشر منها ثماني مدن في الأردن هي فيلادلفيا (عمان)، وابيلا (حرثا)، وجراسيا (جرش)، وجدارا (ام قيس)، وكانتا أم الجمال، وطبقة فحل، ودايون تل الحصن وإيدون، وبيت رأس.

إنها شجرة لا شرقية ولا غربية؛ باسقةً في الطول؛ سيقانها صنوان وغير صنوان، تسقى بماء واحد، طيبة العطر، وارفة الظل، عمادُها النبوة، وشرفُها الأصالة، وأوراقها شمائلُ مَن تحت القبة الخضراء ثوى، ثمرها منضود، وظلها ممدود، تعجب الزراع، وتغيظ الكافرين، وتسر الناظرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

لقد آن الأوان أن تظهر مكنوزاتُ الأردن؛ لاستعراض هذه السير الزكية، فهلا انبرى طالب علم؛ يربط الجديد بالقديم؛ ويبرز ما كاد يندرس من تاريخنا العريق؛ وفاءً لحقهم،

وتجديداً للعهد، وتشييداً للبنيان، وإعادة ما اندرس في سالف الأيام إلى الأذهان؛ فالفكر القويم لا يتحقق إلا إذا بُني على الأساس السليم، ولا يمكن للأردنيين أن يستوردوا الثقافات، وأجدادهم سطروا التاريخ بأحرف من نور، أضاء ما ادلهمّ من الخطوب.

كل ذلك يستوجبُ الانتماء والولاء الديني، والولاء ثمرة الحب، والحب يستلزم الطاعة، والطاعة لا تؤتي أكلَها إلا إذا اقترنت بالمودة؛ فإذا تآزرا واجتمعا أنتجا الإخلاصَ في العمل، والتفانيَ فيه، وتعاضد المحبون مع سائر أركان المجتمع لبناءِ صرح شامخ من الحضارة، وازدان التاريخ بالذكر الطيب الجميل.

وحبّ الوطن فضيلة تعلمنا ذلك من النبي ﷺ؛ إذ لما خرج من مكة التفت إليها وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى الله وأنت أحب بلاد الله إلي»، وتعلمناه من عائشة رضي الله عنها وعن أبيها؛ إذ قالت: «ما رأيت القمر أجمل منه بمكة».

إن الثمرة المرجوة من الولاء والانتماء هو استمرار الأمن والأمان، والأمن نعمة تستوجب الشكر؛ قال الله تعالى: ﴿وإذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧، وقال الرسول ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمناً في سِرْبِه مُعَافَى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدّنْيَا».

الهوامش:

١ . البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى شرح أبي العباس ثعلب ص ١١٤.

٢ . المعتر: الذي يعتري بالأبواب؛ أي: يسأل الناس؛ والمراد بالبيت: أن هؤلاء السائلين حقهم على الأغنياء المكثرين، وأما الفقراء المقلين فيتصفون بالسماحة والجود، وبذلك مدح أهل البلقاء الذين يسكن بينهم.

٣ . سورة الأنبياء ٧١.

٤ . غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٣٣٣.

٥ . رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن ثوبان رضي الله عنه، وقال السيوطي: صحيح.

٦ . الرُّستاق: السواد الذين يقطنون حول مجتمع الناس، أي: الضواحي

٧ . ترتفع اليوم مآذن المسجد الحسيني الكبير وسط عمان في الموقع نفسه.

٨ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي البشاري ١ / ٦٥.

٩ . سورة القصص ٢٦.

١٠ . المواعظ والاعتبار ١ / ٢٣١.

١١ . في القاموس المحيط للفيروزآبادي: يُحَنَّةُ بنُ رَذَبَةَ ملك أيلة.

١٢ . البداية والنهاية ٢/ ١٢٣.

١٣ . مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

١٤ . فتوح البلدان ١٤٥ .

الجهاد.. خمسة ميادين لابد منها

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

الجهاد كلمة جامعة شاملة يدخل فيها جميع أنواع السعي وبذل المجهود والكفاح، واستخدام شتى الوسائل المشروعة لإحداث ذلك التغيير الذي تبتغيه دعوة الله المنزلة إلى بني البشر، وقد عرفه ابن تيمية فقال: "الجهاد حقيقة الإجتهاد وفي حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن رفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، والجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو عنوان الصدق في حمل الدعوة الإسلامية"[١].

ولما تفاقم أذى قريش للرسول ﷺ وصحبه، أمره الله تعالى بقتال المشركين، وهو ما يعبر عنه بالجهاد أو القتال في سبيل الله، وهو القتال الخالص لله تعالى، وقد أذن الله لرسوله ﷺ وللمؤمنين بأن يقاتلوا في سبيل الله في آيات بعضها نزل في مكة وبعضها نزل في المدينة[٢].

❖ الجهاد ومن أنواع العبادة:

«والعبادات على ضروب منها ما يختص بالنفس كالصلاة، والصوم، ومنها ما يختص بالمال والنفس كالحج والجهاد، ومنها ما يختص بالمال كالزكاة »[٣] وتعني العبادات لغة الطاعة والخضوع والتذلل، ويرى أبو الأعلى المودودي استنادا إلى الإستعمال اللغوي لمادة (عبد): أن مفهوم العبادة الأساسي أن يذعن المرء لعلوّ أحد وغلبته، ثم ينزل له عند حديثه واستقلاله، ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له إنقياداً.

ويرى ابن تيمية أن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى المحبة، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له[٤].

ومن غايات العبادة أنها إبتلاء إلهي يصقل الإنسان، كما قال تعالى: ﴿**أفحسبتم**

أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ آل عمران: ١٤٢، ومن خصائصها أن تكون خالصة لله تعالى لقوله سبحانه: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** البينة: ٥، وقوله تعالى: **﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾** الزمر: ١٤، وقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[٥].

❖ غايات الجهاد وميادينه:

أ- غايات الجهاد: لقد أذن الله سبحانه للمسلمين بالقتال لأمور منها:

١- الدفاع عن النفس.

٢- تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها.

حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه، ولما تمالأ أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال الرسول ﷺ، ونقض يهود المدينة العهد الذي أخذه الرسول عليهم، وانضموا إلى مشركي قريش لقتله، أمر الله سبحانه وتعالى بقتالهم[٦].

ب- ميادين الجهاد:

للجهاد ميادين خمسة لا بد للمؤمن من أن يثبت إيمانه من خلالها ويحصنه لخوض غمارها، وهي ثقيلة على النفس ولذلك كان **أولها:** جهاد النفس على تعلم الهدى ودين الحق، والإلتزام بما تعلم والعمل به، والدعوة إلى ما تعلمت من الحق والهدى حتى لا يكون صاحبها من الذين يكتمون ما أنزل الله من الحق، وجهادها لتتعلم الصبر على مشاق الدعوة بالثقة بالله، وتذكر لمن يجاهد في سبيله، حيث قال تعالى: **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾** الحج: ٤٠، كما يجاهدها لتثق بأحقية ما تدعو إليه، قال تعالى: **﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** المائدة: ٥٠.

وثانيها: جهاد الشيطان: **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾**، فاطر: ٦.

وثالثها: جهاد الكفار: وهو فرض على المؤمنين وضرورة حثيثة للحفاظ على بذرة الإيمان في قلوب أصحابها، وإيصال دعوة الله إلى خلقه، قال تعالى: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾** البقرة: ٢١٧.

ورابعها: جهاد المنافقين: وهذا صنف خطير من الأعداء لإظهار الإيمان بينما هم يعملون خفية ضد المسلمين، فجهادهم لذلك من ألزم الجهاد على المؤمنين واتخاذ الحيطة منهم أوجب من إتخاذها من غيرهم، ولذلك شغل الحديث عنهم حيزا كبيرا في القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾** المنافقون: ٤.

وخامسها: جهاد أهل المنكر وهو الظالمون والفاسقون: ويعرف هذا النوع من الجهاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

بقوله تعالى: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ الحج: ٤١ .

يقول البيهقي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ومنابذة الظالمين في قوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله**﴾ الحجرات: ٩:

ثم الشرائط في وجوبه إن كان منكرا فقط لا يؤدي إلى فساد أعظم منه ويعمل على الظن انه يؤثر، وإن كان اساء إليه أحد بقصد قتله أو أخذ ماله، فله الدفع من غير شرط، وإن كان منكرا في الدين وفي إنكاره إعلاء لكلمة الإسلام، فله إنكاره، وإن أتى على نفسه ويكون له الثواب عظيم، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، ولهذا اختار المتشددون في الدين الخروج على الظلمة وإن أتى على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم، كما فعل الحسين بن علي رضي الله عنه وزيد بن علي ويحيى بن زيد.. وغيرهم من أئمة الحق آثروا القتال على التقية، طلباً لعلو كلمة الإسلام، وبذلوا المهج دونه..»[٨].

❖ الحض على الجهاد:

يقول الله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾ التوبة: ١١١ .

إن الإيمان بالله وبالحياة الآخرة والمسؤولية العظمى أمام الله وجزاء الأعمال يكون في أعماق النفس دافعاً الى عمل الخير ومكافحة الشر، ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامناً تنفيذ قواعد الأخلاق والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي ومن قواعد الزجر والعقاب.

ومن آثار هذا الإيمان أيضا أنه يسبب الإخلاص في العمل، فلا يكون عمل المؤمن ترقباً لمكافأة أو شكر ينتظرهما من الناس، أو من المجتمع، وسواء عليه أشكره الناس أم لم يشكروه، أقابلوه بالإحسان أو بالعقوق، فإنه يعمل لوجه الله وابتغاء مرضاته وانتظاراً لحسن العاقبة في الحياة الأبدية وفقا لما تصفه الآية الكريمة: ﴿**إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾[٩].

ومن أرفع أنواع العبادة الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق والخير، والقرآن لم يقصر وصف الصلاح على العبادات المخصوصة، بل شملها لأعمال أخرى، وذلك في قوله تعالى في معرض الكلام عن المجاهدين مع الرسول ﷺ: ﴿**ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل**

صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ❖ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ التوبة: ١٢٠-١٢١ .

وسئل رسول الله ﷺ ما أجر المجاهد؟ فقال: «لا تستطيعونه ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيامه ولا صلاته حتى يرجع المجاهد» (أخرجه الستة إلا أبا داود)، وفي حديث آخر: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»[١٠].

وهكذا يتبين لنا أن أعمال التقوى الفردية كما رسمت العبادات من صلاة وصوم وذكر ليست كافية مطلقا لتجعل الرجل صالحا وحدها، وبأن الفرق بين المجاهد في سبيل تأسيس المجتمع الصالح الذي يريده الإسلام أو الدفاع عنه، والمتعبد بالعبادات الفردية كبير جدا، فالأول أعلى مرتبة وأقرب الى الله، قال تعالى: **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ❖ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ❖ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ❖ خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾** التوبة: ١٩-٢٢ .

كما وصف الله تعالى المجاهدين بأنهم من الصابرين وقت الشدة وفي الحرب بقوله: **﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾** البقرة: ١٧٧[١١].

❖ آيات وأحاديث الجهاد:

ذكرت مؤلفة كتاب «أحكام التشريع بالقرآن والسنة» الآيات الخاصة بالجهاد وكذلك الأحاديث الخاصة بالجهاد، أما آيات الجهاد فهي الآيات ١٩٠ - ١٩٥ (البقرة) قال تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**، الى قوله تعالى: **﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾**، والآية (١٦٠) آل عمران، والآيات (٧٤ - ٧٥) النساء، والآية (٧٦) النساء كذلك، والآيات (١٥-١٧-٤٥-٦١) الأنفال، والآيات (٣٩-٤١-١١١-١١٢) التوبة، والآية (٤٠) من سورة الحج، والآية (٧٠) من سورة محمد، والآية (٩) من سورة الحجرات، والآيتان (٨-٩) من سورة الممتحنة، كما تورد الآيتين (١٥٧-١٥٨) من آل عمران دليلا على ثواب الشهيد، كذلك الأحاديث الخاصة بذلك.

أما الأحاديث الخاصة بالجهاد وهي كثيرة كما هو معلوم منها: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»، (البخاري: ٢٧٨٣).

وقد خص الرسول ﷺ الجهاد، لأنه من ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين،

كان لجهاد غيرهم من الفساق أثره، ومن ضيع الجهاد كان لسواه أضيع، وكذلك حديث: «.. ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل» (رواه البخاري: ٣٦) وهذا يدل على خلوص النية في الجهاد بأن تكون خالصة لوجه الله، وإعلاء لكلمة الدين وإعزاز المسلمين.

وقد قال ﷺ: «الحرب خدعة» من رواية ابي هريرة رضي الله عنه (البخاري: ٣٠٢٩)(١٢) وكذلك يورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب الجهاد والأحاديث الخاصة بالجهاد من كتب الصحاح وأحاديث الرمي والسبق (بالخيل والسهام والنبال) كما قال ﷺ: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (رواه مسلم-١٣٠).

❖ مطاعن وشبهات في الموسوعة البريطانية:

يرد الدكتور فضل حسن عباس على هذه المطاعن والشبهات في كتاب «قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية - نقد مطاعن ورد شبهات»[(١٣)] فيورد المؤلف بعضها من قبل ما جاء في تلك الموسوعه حيث تقول: «إن أسلوب الآيات التي نزلت في المدينة المنورة يشبه أسلوبها في مكة قبيل الهجرة، وهي ترتكز على أن تكوين مجتمع إسلامي حديث، يحرض فيه المؤمنون على القتال ويلام فيه المتقاعسون..» ويرد على ذلك المؤلف إننا إذا استعضنا أول آيتين في الجهاد، وتدبرناهما تدبرا جيدا، أدركنا دون عناء أو إعياء، أن هذا الجهاد كان مفروضا على أصحاب الدين الجديد، حتى لا يبتلعهم خصومهم الكثيرون ويزيلوا كل أثرهم من الحياة ، ونحن نرى -حتى في هذا العصر- أن حروبا تقام من أجل توسع شعب على حساب شعب آخر ، وهاتان الآيتان اللتان أشرت إليهما من قبل، تقول أولهما : **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾** الحجر: ٣٩، والفعل يقاتلون مبني للمجهول (بفتح الباء)، أي يقاتلهم غيرهم ولذلك أذن لهم أن يردوا الإعتداء عن أنفسهم.

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾** (البقرة:١٩٠) والغريب الذي يستحق العجب (يقول المؤلف): إن الذي ينكرونه على الإسلام هو الجهاد، مع أن الجهاد في الإسلام لم يكن فيه تعسف، ولم يكن ليحرم أصحابهم من حقوقهم في بلادهم.. والذين ينكرون على الإسلام هذا يعطون أنفسهم ومواطنيهم الحق باستعمار الشعوب.. إن الجهاد في الإسلام ضرورة ملحة وسواء أكان الجهاد دفاعيا أم غير دفاعي ، فإنه شرع للدفاع عن النفس والعقيدة، لذلك أحب المسلمون هذا الجهاد، ولم يتقاعس إلا أولئك المنافقون الذين لم تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم»[(١٤)].

ومن هذا الباب يرد المؤلف على ادعاء الموسوعة البريطانيه، أن الشيخ رشيد رضا

في كتابه (تفسير المنار) قد فسر الآية الكريمة: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾**، بنظرية دارون، فيقول: «وهذا قول تعوزه الدقة، فقد قال الشيخ رشيد رضا: «دفع الله الناس بعضهم ببعض من السنة العامة، وهو ما عبر عنه علماء الحكمه في هذا العصر بتنازع البقاء، ويقولون: إن الحرب طبيعة في البشر لأنها من فروع سنة البقاء العامة. وأنت ترى أن قول الله تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾** ليس نصا فيما يكون بالحرب والقتال خاصة، بل هو عام لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس الذي يقتضي المدافعة والمغالبة..»[(١٥)].

ومن هنا فإن مظاهر العبادة ليست شيئا إلى الجهاد وفي سبيل الله بالمال والنفس والصبر على الشدائد وخاصة بالحرب، وانفاق المال في سبيل الخير وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد، كل ذلك مع الإيمان بالله واليوم الآخر لأن هذه العقيدة هي الأساس الذي ينبثق منه سائر الأعمال، وقد ذكرت إقامة الصلاة في جملة هذه الأعمال لتحتل مكانها بينها على أنها جزء ضروري من مجموعها، وذلك في الآية (١٧٧) من سورة البقرة في قوله تعالى: **﴿ليس البر بأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾** إلى قوله تعالى: **﴿وأولئك هم المتقون﴾**.

وقد استقر حكم الجهاد في الإسلام على وجوب قتال كل من لا يقبل بدعوة الإسلام والخضوع لها. وهو واجب المسلمين في كل عصر إذا توافرت إليهم القوة والعدة اللازمة.

الهوامش:

١- د. أحمد نوفل (وآخرون): في الثقافه الإسلامية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤، ص١٠٠ .

٢- د. حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ط٣، مكتبة النهضة الإسلامية - مصر، ١٩٦٢، ص١٧٨ .

٣- المحسن بن محمد بن كرامة الجسمي البيهقي: تحكيم العقول في تصحيح الأصول، تحقيق عبد السلام عباس، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - عمان، ٢٠٠١، ص ٢٣٨ .

٤- د. أحمد نوفل وآخرون، مرجع سابق، ص٨٥ .

٥- المرجع السابق، ص٨٨، ٨٩ .

٦- حسن إبراهيم: مرجع سابق، ص١٧٨ .

٧- د. أحمد نوفل : مرجع سابق ص١٠٠ - ١٠٣ .

٨- البيهقي: مرجع سابق، ص٢٢٩ - ٢٣٣ .

٩- محمد المبارك: نظام الإسلام - العقيدة والعبادة، دار الفكر، مكة المكرمة، ١٩٧٠، ص١٥٦ .

١٠- المرجع السابق، ص١٦٩ - ١٧٠ .

١١- المرجع السابق، ص١٧٠ .

١٢- آمال عبد السلام محمد المنوفي، أحكام التشريع بالقرآن والسنة، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٤، ص٤٥٥-٤٦١ .

١٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من أدلة الأحكام (تحقيق حازم القاضي)، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة - الرياض، ٢٠٠٤، ص٢١٥ - ٢٢٥ .

١٤- د. فضل حسن عباس: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية - نقد مطاعن ورد شبهات

مقومات الشخصية في الاسلام

■ بقلم الاستاذ علي القاضي

مقومات الشخصية في المجتمعات غير الاسلامية مقومات بشرية، ولذلك فإنها قابلة للتغيير، وفي النهاية فإن أعمال هذه المجتمعات لا تؤدي الى الأهداف المقصودة وتكون كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

ويقصد بالشخصية: الذات الواعية لكيانها، المستقلة في إرادتها، والتي تستطيع المشاركة العقلية والأخلاقية في المجتمع الذي تعيش فيه.

ومقومات الشخصية في الاسلام ثابتة وقد وضعها الله سبحانه وتعالى ليستطيع المسلم بها تحقيق وظيفته في الحياة، وتتلخص في:

أولا: المحتوى الإيماني:

فالإيمان الصحيح متى استقر في قلب المؤمن ظهرت آثاره في السلوك، لأن العقيدة الاسلامية متى استقرت في القلب فإنها تتحرك لتحقيق مدلولها في المجتمع عن طريق تحويله الى عمل نافع طبقا لما رسمه الاسلام، ذلك لأن الإيمان بالله تعالى وعبادته المتصلة، يحرران المسلم من العبودية والخضوع لأية قوة بشرية، كما يحررانه من كل العوائق الداخلية والخارجية، ويجعلانه يسير في عمارة الأرض طبقاً لمنهج الخالق سبحانه وتعالى، فينطلق المسلم الى أداء وظيفته في الحياة وهو يحس بالحمية والحيوية، والله سبحانه وتعالى معين له على أدائها متكفل برعايته ضامن له الثواب، سواء أصاب أم أخطأ ما دامت الوجهة كلها له.

ثانيا: التفكير السليم:

الاسلام يهدف الى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، عن طريق إقامة الحياة في الأرض على أساس من الحق والعدل، ولذلك فإنه عمل على إصلاح القلب البشري ووجه الطاقة العقلية الى التأمل في حكمة الله تعالى في الخلق والى حكمة التشريع الذي أنزله ليطبق في الأرض، وقد وجه العقل البشري الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمع، ويستخدم طاقاتها الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها فقال تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: ١١ .

كما وجه العقل البشري الى إستخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان فقال سبحانه: **﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾** الملك: ١٥ .

والمذهب التجريبي: في أصله مذهب إسلامي، وقد ساعد على تقدم المعرفة العلمية في الغرب، لأن الاسلام وضع المنهج الصحيح للإستدلال العقلي، فقد طلب من عباده أن ينظروا وأن يتفكروا: **﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾** يونس: ١٠١ .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل العلماء المسلمين، ينطبع تفكيرهم بالدقة العلمية المتناهية التي أدهشت الغرب، وجعلت عالما مثل جب يقول في كتابه «**الإتجاهات الحديثة في الإسلام**»: أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية في الغرب مساعدة مادية ملموسة، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى.

وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء فقال تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** المجادلة: ١١، وجعل النبي ﷺ العلماء ورثة الأنبياء كما حث القرآن الكريم العلماء على أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم فقال: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾** التوبة: ١٢٢ .

والاسلام يقر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم في الخير، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي، فطلب من المسلمين تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط، ولذلك فقد تميز المسلمون بالدقة العلمية في ابحاثهم على الرغم من قلة الإمكانات التي كانت معهم، يقول (بريفوليت) في كتابه **بناء الانسانية على أساس الحضارة العربية:** «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث، ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح، ولذلك فلم يوجد بين الدين

والعلم فجوة كتلك التي نراها في العالم الغربي».

ثالثا: العمل الصالح:

والعمل الصالح يكمن في جلب الخير النافع ومحاربة الشر الضار، وهو عمل أخلاقي ناجح، وعن طريقه تتربى الشخصية القويه القادرة على أداء وظيفتها في الحياة، فيكون الإطمئنان النفسي في الدنيا والآخرة: ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ النحل: ٩٧ .

والعمل الصالح هو كل عمل يعمله الانسان، سواء أكان خاصا به أم بالأسرة الصغيرة أو الكبيرة أو المجتمع الكبير أو الصغير أو بالكون كله ما فيه ومن فيه.

ويدخل في ميدان العمل الصالح المحافظة على الأخوة الاسلامية، وأساس هذه الأخوة الحب في الله والتناصح والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وعلى التسامح والتشاور والتكافل الاجتماعي والتكافل الاقتصادي، فالمسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**﴾ الفتح: ٢٩ .

رابعا: القوة:

والقوة من مقومات الشخصية في الاسلام، ولكن مفهوم القوة في الاسلام يختلف عن مفهوم القوة في الجاهلية وعن مفهومها في الحضارة الغربية، فالقوة في الاسلام معناها أن يلتزم المسلم بمنهج الاسلام قولا وعاطفة وسلوكا، وأن ينتصر على وسوسة الشيطان وعلى رغبات النفس وشهواتها إذا ما خالفت تعاليم الاسلام، وألا يكون المسلم إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، بل عليه أن يحسن إذا أحسنوا وأن يتجنب إساءتهم إذا أساؤوا، ومن القوة في الاسلام الجهاد في سبيل الله في جميع الأزمان والأماكن، والثبات في الجهاد بحيث يكون مثلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ آل عمران: ١٧٣ .

بهذه المقومات استطاع المسلمون أن ينشروا الاسلام، وأن يدعوا الى الله على بصيرة على امتداد الزمان والمكان، ثم حدث ما حدث من ضعف في كثير من المجالات حتى طمع فيها الاعداء، ووضعوا الخطط للقضاء على الاسلام بالطرق العسكرية ثم بالطرق الفكرية وغير ذلك، ونجحوا في ذلك الى حد كبير.

الصحوة الاسلامية:

وأخيرا ظهرت الصحوة الاسلامية التي أرادت أن تعيد للإسلام مجده وللمسلمين شخصيتهم، ترى كيف يتم ذلك؟ إن ذلك لا يتم الا بالمنهج الكامل المتكامل الذي ينبع من الكتاب والسنة، ثم بالتطبيق المناسب على المسلمين أفرادا وجماعات.

والمنهج يكون في تنشيط الدعوة الى الله: الدعوة بالأقوال والدعوة بالأفعال والدعوة بإقامة المشروعات التي تخدم الأمة وتنفع الناس.

ولا بد من التركيز على التأليف بين القلوب وتجنب الانقسامات والنزاعات، والصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي.. ذلك لأن أساس تربية الشخصية الاسلامية الإستجابة لله ولرسوله ﷺ، فبذلك يدخل الانسان الاسلام حيا بالمعنى الكامل للحياة، ولا بد من ملاحظة أن أعداء الاسلام يخافون الاسلام ويرصدون حركات الصحوة الاسلامية، ويعملون على محاربتها بكل الوسائل الممكنة، يقول المستشرق «غارونر»: «إن القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف أوروبا».

ويقول «انطوني ناتينج» في كتابه **«الغرب منذ ان جمع محمد أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي»:** بدأت خطوات الانتشار الاسلامي وعلى العالم الغربي أن يحسب حساب الاسلام كقوة دائمة وعلينا مواجهتها عبر المتوسط.

وقد وضع الغربيون الخطط المختلفة لمواجهة هذه الصحوة، يقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢: «فلنعط العالم الاسلامي ما يشاء – ولنقو في نفسه الرغبة في عدم الانتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض- فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفا- وتحرر العملاق من قيود جهله ومن عقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من طاقات إسلامية ضخمة – خطرا دائما ينتهي به الغرب وتنتهي معه وظيفة الحضارة.

ترى ما موقف المسلمين من ذلك؟

هل يختارون جلد الذات في الانتقام من أنفسهم؟ إن ذلك ليس من الاسلام في شيء، والطريق السليم هو الالتزام بمنهج الاسلام التزاما كاملا، والدعوة الى الله على بصيرة والنقد والتوجيه والشورى، وهو طريق مملوء بأشواك الصبر وآلام الأذى، ولكنه أيضا مملوء بالمحبة والأخوة والتعاون والتوكل على الله –لا التواكل– والسير على منهج الاسلام، وذلك طريق النجاح للمسلمين في صحوتهم وقياداتهم للبشرية مرة أخرى وإنقاذها مما هي فيه من كفر وطغيان وظلم وافتراء، وبذلك يفوز المسلمون في الدنيا والآخرة، وصدق الله العظيم القائل: **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

الجهاد وفضائله وكرامات الشهداء

■ بقلم الاستاذة فاتن عبد الله

الحمد لله الذي جلَّت قدرتُه، وعَلَت كلمتُه، وعمَّت رحمته، وسبغَت نعمتُه، فإن أفضلَ الأعمال بعد الإيمان بالله: الجهادُ في سبيل الله؛ لما فيه من محق أعداءِ الله وتطهير الأرض منهم، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم، وصَون دماء المسلمين وأموالهم وحُرَمهم وأطفالهم، واستيلاء المسلمين بما منحه الله من أراضي الكفار وأموالهم، وإرقاق جنودهم ورجالهم، ولذلك عظّم الله فيه أجرَ الطالب من المسلمين والمطلوب، والغالب والمغلوب، والقاتل والمقتول، وأحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوّضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله، بحياة أبديَّةٍ سرمديّة لا يصفها الواصفون ولا يعرفها العارفون.

❖ في فرض الجهاد بالأنفس والأموال:

قال الله عز وجل: ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفُسكم في سبيل الله**﴾ التوبة: ٤١، وقال سبحانه: ﴿**كتب عليكم القتِالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم واللهُ يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ البقرة: ٢١٦، وقال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسِنتكم» رواه أحمد، وأبو داود والنسائي، أي أغلِظوا لهم الكلام.

قال الشيخ طارق السعدي: «أما "**الجهاد بالنفس**" فهو مواجهة الأعداء والرباط لهم في ميادين القتال ومظانها، وأما "**الجهاد بالمال**" فهو تمويل وسائل الجهاد (كتمويل المقاتلين بالعدة والعَتاد، وخلفهم في أهلهم)، وأما "**الجهاد باللسان**" فهو المخاطبة بما فيه مصلحة الجهاد كالإعلام» اهـ.

❖ فضل الجهاد في الاسلام:

قال الله تعالى: **﴿ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾** النساء: ٧٤، وقال تعالى: **﴿وفضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ❖ درجات منهُ ومغفرةً ورحمةً وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾** النساء: ٩٥-٩٦ .

وروى أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً وجبت له الجنَّة» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعِدها عليَّ يا رسول الله؟ فأعادها عليه ثم قال: «وأخرى يرفع اللهُ بها العبدَ مئةَ درجةٍ في الجنة، ما بين كل درجتين مثلُ ما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله» رواه مسلم، وقال ﷺ: «إن في الجنة مئة درجةٍ أعدَّها اللهُ تعالى للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السماء والأرض» البخاري، وقال ﷺ: «مَثَلُ المجاهد في سبيل الله كَمَثَل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيامٍ ولا صلاة حتى يرجع المجاهدُ في سبيل الله تعالى» متفق عليه، وسُئل ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمانٌ بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهادٌ في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور» متفق عليه.

إنما فضَّلَ اللهُ الجهادَ وجعله تلوَ الإيمان، لما ذَكرنا من مصَالِحِهِ العاجلةِ ومنافعه الآجلة.

❖ الخروج في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «تضَمّنَ اللهُ لمن خرج في سبيل الله تعالى، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برُسُلي، أن أدخله الجنةَ أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة» متفق عليه، وفيما يرويه ﷺ عن ربه أنه قال: «أيُّما عبدٍ من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي، ضَمِنتُ له إن رَجَعته أرجعه بما أصاب من أجرٍ أو غنيمة، وإن قبضته غفرت له ورحمته» رواه أحمد والنسائي والترمذي.

إنما ضمن الله الرجعة والرضوان والغفران لمن جاهد في سبيله، ابتغاءَ مرضاته ونصرةً لدينه؛ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريدَ به وجهه الكريم.

❖ في فضل الغُبار في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «لا يلجُ النارَ رجلٌ

بكى من خشية الله حتى يعودَ اللبنُ في الضَّرع، ولا يجتمعُ على عبدٍ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم» رواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال ﷺ: «ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسّه النار» رواه البخاري.

قال الشيخ طارق السعدي: "وخير البكاء في المقام: البكاء على العجز عن الالتحاق في صفوف المجاهدين، وابتغاء رحمة الله تعالى ولطفه وتأييده للمجاهدين" اهـ.

إذا كانت مشقّة الغُبار عاصمةً من عذاب النار، فما الظنّ بمن بذل ماله وغرَّر بنفسه في قتال الكفار؟

❖ كرامات الشهداء الاطهار:

والشهداء هم مؤمنون مصطفون، اختارهم الله لما باعوا انفسهم لله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فشرفهم الله واكرمهم بشهادة، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** الذي يتأمل الآية الكريمة ويتدبر عبارة **﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** سيجد فيها إعجازاً رائعاً، لأن مصيرنا الفناء إلا أجساد الأنبياء كما روي عن الرسول ﷺ في سنن أبي داود والنسائي.

قال محمد الزين: إن الشهداء تبقى أجسادهم بيننا غضة طرية، لأن أرواحهم تتغذى من ثمار الجنة وهذا ما يعلل رائحة المسك ونزفهم للدم ونمو اللحية وتعرقهم، مع أن بعض الشهداء قد مضى على استشهادهم سنين وعقود وحتى قرون، وهو يعلل عدم تحلل الخلايا وعدم اقتراب الميكروبات والحشرات والقوارض منها.

ففي فناء الأجساد طبياً، انه من المعلوم أن فناء اللحم يكون بين ستة أشهر إلى عام، والعظم بين عشرين إلى خمسين عاماً، ويتحلل الجسد حسب طبيعة الجو المحيط (الرطوبة والحرارة والتعرض للشمس ومكان وطبيعة الموت وطبيعة الجسد).

❖ مراحل التحلل:

عند موت الإنسان يبدأ التحلل داخلياً بعد أربع دقائق، وهو ما يسمى علمياً التحلل الذاتي فيستهلك الأوكسجين وتزداد نسبة ثاني أكسيد الكربون والفضلات التي تسمم الخلايا، ثم تبدأ بعض الأنزيمات بتحليل الخلايا من الداخل، بسبب ازدياد نسبة الحموضة فتفكك الشحوم والبروتينات والسكريات لعناصر أبسط، وهذا التحلل لا يكون ظاهراً للعيان في الأيام الأولى، ولكنها تكون كثيفة في الكبد بسبب كثافة الأنزيمات، والدماغ بسبب نسبة السوائل الموجودة به، ويتغير لون الدم ويتجمع تحت

الجلد وبسبب ازدياد نسبة الحموضة تتجلط السيتوبلازما، ثم تبدأ مرحلة البلاء أو الاهتراء، حيث تقوم البكتريا اللاهوائية والهوائية بتحليل الخلايا، بعد أن قضت على الدفاعات المتبقية من الكريات البيض وتجعلها تنهار بالكامل، وتحولها لغازات وسوائل ومواد أولية ويتغير لون الدم إلى الأخضر القاتم، والغازات الناتجة عن التحلل هي الميثان وثاني أكسيد الكربون وسلفيد الهيدروجين والأمونيا، و إن لم تخرج من الفتحات الطبيعية قد تتسبب بانفجار الجسد، وهذه الغازات هي التي تعطي رائحة الإنتان لجسد الميت، وكل هذا ضمن الأسبوع الثالث ثم تقوم بعض الحشرات التي لها دور هام في الفناء، بوضع بيوضها في الفتحات الموجودة وتقوم يرقاتها بالغذاء على الجسد المتحلل، ثم تتعاون كل هذه المخلوقات على تحليل اللحم والعظم ويفنى اللحم قبل العظم بسبب طبيعته، وهنا تبدأ مرحلة التحلل الجاف حيث ينبت على العظم المتبقي طحالب تساهم في تفتيته، وذلك حسب الرطوبة المتوفرة وفي العقد الأول تظهر على العظام شقوق ويتقشر، ولكنه يتحول إلى غبار مع مرور الوقت (أي من التراب وإلى التراب نعود).

بعض كرامات الشهداء والروايات الموثقة:

انه أتى عن طريق التواتر والقصص المروية عن أشخاص ثقات، أن بعض الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى قد بقيت أجسادهم غضة طرية لمدة سنوات وعقود وحتى قرون، بدون أن يتغير لون الجلد وأن رائحة المسك كانت تخرج منهم ودماؤهم تنزف من مكان إصابتهم، ومنهم من طالت لحاهم ومنهم من بقيت أجسادهم في الأرض الفلاة لسنين ولم تأكلها الضباع ولا الكلاب..!!

اما شهداء أُحد فذكر الدكتور طارق السويدان في سلسلته (قصة النهاية) نقلا مباشرا عن الشيخ محمود الصواف الحادثة العظيمة التي تشرف بها بعض العلماء في إعادة دفن **بعض شهداء أُحد وكيف أنه بعد مضي ١٤٠٠ سنة من استشهادهم كانت أجسادهم باقية كما هي لم تتغير ولم تتعفن ولم تتحلل.**

يقول الدكتور السويدان: «وقد حدثنا الشيخ محمود الصواف رحمه الله انه دُعي فيمن دُعي من كبار العلماء لإعادة دفن شهداء أُحد في مقبرة شهداء أحد التي أصابها سيل فانكشفت الجثث، يقول :من

الجثث التي دفنت كان حمزة رضي الله عنه، فيقول: ضخم الجثة مقطوع الأنف والأذنين بطنه مشقوق وقد وضع يده على بطنه فيقول: فلما حركناه ورفعنا يده سال الدم».

والشهيد الذي بقي جسده كما هو بعد ١٥ عاماً من استشهاده، فنسمع كثيرا عن كرامات الشهداء، وغالباً ما كنت أعتقد أنه مبالغ فيها ولا أصدقها برغم إيماني بوجودها، لكن ما حدث قبل أيام جعلني أصدق كل ما أسمعه، فعندما فتحنا القبر وجدنا الشهيد سمير شحادة كما تركناه قبل ١٥ عاما، وكأنه استشهد قبل ساعة واحدة فقط.. بهذه الكلمات علق السيد ماهر كتوت من البلدة القديمة في نابلس حينما شاهد كالمئات غيره واحدة من تلك الكرامات، فقد كان الجسد سالماً من أي تغيير، فكان على حاله يوم استشهاده!!

يقول عامر شقيق سمير: «توجهنا بعد وفاة والدتي إلى المقبرة لنفتح قبر شقيقي استعداداً لدفن الوالدة فيه كما أوصت في حياتها، وكنا قد استفتينا عددا من العلماء حول جواز دفنها في نفس قبر ابنها، فأشاروا لنا بالجواز بسبب طول المدة، فقد كنا نعتقد أن مدة ١٥ عاماً كافية لأن لا يبقى من جسده سوى بعض العظيمات، عندما فتحنا القبر كانت المفاجأة الكبرى أننا وجدنا سمير كهيئته يوم استشهاده، وجسده كما هو لم يأكله الدود، حتى ملابسه لم تتلف، وكذا العلم الفلسطيني الذي لُفَّ به لم يتغير لونه، لمسناه فإذا هو مبلول من مياه الأمطار التي تساقطت يوم استشهاده، وكذلك رأسه كان مبتلاً وقد رأينا شعره ممشطاً كما لو أنه قد سرحه قبل لحظات..! و زادت دهشتنا عندما هممنا بتحريكه لنفسح المجال لدفن الوالدة إلى جانبه، فإذا بجسده ما زال دافئاً ودماؤه الحارة ذات اللون الأحمر القاني تسيل من جديد وكأنه أصيب قبل دقائق معدودة»!!.

اما عن الشهيد الأردني العريف حسين محمد عوض المومني من بلدة عبين في محافظة عجلون، الذي استشهد على أرض فلسطين عام ١٩٦٧م في منطقة طوباس، ثم وجدت جثته بعد ما يزيد على عشر سنوات من استشهاده، كاملة لم تتغير، وقد رفض أهل طوباس نقل جثة الشهيد إلى مسقط رأسه، تيمناً وتبركاً بها وتكريماً لها.

فما هو موقف العلم من هذا كله، فقد وقف العلم عاجزاً عن تحليل هذا الأمر والملحدين شككوا فيها وسموها خرافات وهناك من المسلمين من بني جلدتنا من

شكك أيضاً للأسف الشديد.

فقد اجتهد وعلل الدكتور عبد الحميد القضاة على ذلك، بأن المكروبات هي جنود لله تعالى تنفذ أمره، وقد أمرها بأن لا تقرب جسد الشهيد، لكن كيف سنعلل ابتسامتهم ونزيف دمائهم وتعرقهم ونمو لحاهم ورائحة المسك التي تخرج منهم..!!

فعن فضل الشهادة في سبيل الله.. يقول الله تعالى: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ❖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** آل عمران: ١٦٩-١٧١

.

قال رسول الله ﷺ: «أرواحهم في جوفِ طيرٍ خضرٍ لها قناديلُ معلّقة بالعرشِ تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت» مسلم.

قال الشيخ طارق السعدي: "هذا أعلاها، وقد أطلعنا على مزيد، منه: عدم الألم في الموت، وتظليل الملائكة الكرام له، وتكفير جميع الذنوب، الأمن من فتنة القبر والفزع عند النشر، والشفاعة لبعض أهل بيته، وإيجاب الجنة، وغير ذلك مما يجعله يتمنى الرجوعَ إلى الدنيا ليعاود ما فعلَ فرحاً بما أعطاه الله تعالى" اهـ.

ويقول ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ، يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ» سنن ابن ماجة.

وقد أفرد البخاري في الجزء الرابع من صحيحه باباً في "فضل الجهاد والسير"، ويبدؤه بالآية الكريمة: **﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** التوبة: ١١١ . فالشاري هو الله تعالى وكما نعلم، فالخير يعم والشر يخص فلحق الجسد ما لحق الروح من تكريم من عليين.

إن هذا التكريم الإلهي للشهداء، هو دليل على صواب الطريق وصحة المسيرة، وهو اصطفاء واختيار من الله تعالى للمخلصين من عباده، فهم مكرمون بالدنيا والآخرة، وهي إشارات خير وبشرى، تطمئن قلوب

طفل القدس وغزة ينادي

شعر الاستاذ عدنان ساري الزين

أُنـــة لـــلـــه بـــيـــن الـــســـحـــب   مـن فـؤاد الـمـتـعـب الـمـنـتـحـب
قـد رمـاه الـدهـر ذلاً فـانـحـنـى   يـنـتـخـي بـالـدمـع مـجـد الـعـرب

لـم نـزل نـشـكـو وقـد طـال الـبـكـاء
وأنـيـن الـشـيـخ والـطـفـل هـبـاء
ودمـوع الـغـيـد مـن هـذا الـبـلاء
كـل هـذا والـدعـا تـلـو الـدعـاء

رب يـتـم رب حـقـق مـطـلـبـي   واهـزم الأعـداء اعـداء الـنـبـي
كـل دعـوانـا هـراء فـي هـراء   دون سـيـف قـاصـم مـلـتـهـب

كم تغنى الطفل في عذب النشيد
وهـو يـرنـو لـلـرشـيـد ابن الـرشـيـد
او بيان الفتح في عهد الوليد
صرخة ولت فهل شيء جديد

يـفـرح الـطـفـل بـمـجـد ذهـبـي   يـتـغـنـى فـيـه بـيـن الـسـحـب
فـيـنـادي ان قـومـي أمـتـي   ديـنـهـا الاسـلام عـز الـعـرب

إيـه يـا قـدس مــنــار لــلأنــام

مـوطـن الاسـراء والـنـاس نـيـام

نـورطـه فـيـك كـالـبـدر الـتـمـام

يـتـجـلـى مـثـلـمـا الـبـيـت الـحـرام

وكـذاك الـعـهـد عـنـد الـنـجـب		فـي كـتـاب الـلـه خـيـر الـكـتـب

نـرخـص الـروح لـمـجـد الـعـرب		ونـعـيـد الـقـدس مـعـراج الـنـبـي

عـزنـا غـزّة يـا نـور الـكـمـال

انـثـر الآه سـحـابـاً فـي الـجـبـال

يـنـبـت الـمـجـد اصـيـلاً بـالـرجـال

دائـمـاً أنـت مـنـار كـالـهـلال

فـي ظـلام الـلـيـل تـحـت الـغـيـهـب		يـسـطـع الـنـور بـفـتـح الـشـهـب

هـكـذا الـفـكـر وسـيـف الـعـرب		بـدر تـم فـي الـسـمـاء الأرحـب

يا شباب العُرب يا خير الشباب

عـزكـم بـالـلـه تـقـوى واحـتـسـاب

فـاطـرحـوا الـنـوم ويـا نـعـم الإيـاب

لـلـهـدى والـبـر فـي نـور الـكـتـاب

عـلـنـا نـبـنـي الـنـجـب		بـالـجـهـاد الـصـادق الـمـلـتـهـب

يـا صـلاح الـديـن عـهـد الـعـرب		ان نـعـيـد الـقـدس مـحـراب الأبـي



خطبة الجمعة

أثر الإسراف والتبذير في تقويض المجتمعات

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ۞ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ۞ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ الفرقان: ٦٧-٦٩ .

يمتدح الله تعالى في هذه الآيات الكريمة، عباده المؤمنين المتقين، الذين يتوسطون ويعتدلون في الاقتصاد والنفقات، امتثالاً لشريعة الله تعالى الآمرة بالاعتدال والتوسط في كل مرافق الحياة **﴿وجعلناكم أمة وسطاً﴾**.

وامتثالاً لحديث رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد»، اي ما افتقر من لا يسرف في الانفاق ولا يقتر، لأن الاسراف أو التبذير هو ذميم وقبيح شرعاً وعقلاً، لمجاوزته الحد الذي وضعه الحكيم العليم لعباده، في انفاق المال بوضعه في غير ما رسم له.

وكذلك الشح والتقتير، فهو إمساك المال والضن به عن الواجبات التي لا بد منها، والبخل به على نفسه ومن يعول، وهو أيضاً ذميم وقبيح وتفريط مشين ومهين.

ومن هنا فإن الاقتصاد الحسن الجميل، وقع وسطاً بين أمرين كلاهما قبيح وذميم عند الله والملائكة والناس أجمعين، ومعلوم أيها الإخوة المؤمنون، ان المجتمع المتمدن السليم، يقوم على أربعة أركان.. **العلم والمال والنظام والأخلاق الفاضلة،** وان كل أمة تجردت من العلم والمال والنظام والأخلاق الكريمة كان الشقاء حليفها.

وكان التأخر نصيبها، والواقع المعاش، أصدق شاهد وليس بعد العيان بيان، والا وهل يكون مع الجهل والفقر والفوضى وسوء الأخلاق في الناس خيراً؟ اللهم لا، فالمال خير عون لصاحبه، وأقوى عامل على رقي الأمم ونهوض الشعوب، وبه تكون الأمة عزيزة قوية، جليلة مهابة محترمة في نظر الأمم.

أما اذا فقدت الأمة المال، فإنها تصبح ذليلة ضعيفة فاقدة الهيبة، ساقطة الحرمة والكرامة، مستعدة لأن تصير فريسة للأقوياء وغنيمة للمستعمرين، ولقمة سائغة في أفواه المتجبرين الظالمين.

لهذا عنى الشارع الحكيم الرحيم، بأمر الاقتصاد وحمل الناس عليه، ونعى على الاسراف والتبذير وسفّه احلام المسرفين والمبذرين، كما نعى على الشح والتقتير، وقبّح من شأن المقترين وأهل الشح، وصدق الله العظيم: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً مدحوراً﴾**.

فالله تعالى يأمرنا بالتوسط والاعتدال في أمورنا كلها، والاعتدال في قضاء مآربنا، نعم أيها الاخوة الموحدون، الاسلام يرشدنا الى السعادة، ولكن وللأسف لا نهتدي بهديه، ولا يعرف كثير منا لنفسه ميزاناً يزن به عمله، ولا حساباً يضبط به مورده ومصرفه، كي يتسنى له ان يقتصد في بعض ماله، ليسد به عوزه، اذا ألمت به ملمة، او نزلت به نازلة، ولا يعلم ان النعم لا تدوم، **وقد كان عمر بن عبد العزيز يدرك هذه الحقيقة وقد بلغه ان بعض أولاده اتخذ خاتماً بألف درهم، فكتب اليه: أما بعد، فقد بلغني انك اشتريت خاتماً بألف درهم، فبعه وأشبع ألف جائع واتخذ خاتماً من حديد واكتب عليه: «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه».**

كم منا معشر المسلمين من تنبه لذلك، وتدبر عواقب الاسراف؟ كم منا سلك طريق الاقتصاد فنفع نفسه وأمته؟ كم منا من اعتبر بمن أوقعهم سوء التصرف في ذل الدَّيْن؟ وساقهم التبذير والترف الى هوة الفقر، فأصبحوا نادمين خاسرين!.

فاتعظ اخي المسلم بغيرك، واعتبر بحوادث الأيام، فالسعيد من بغيره اتعظ، والشقي من كان عبرة للناس.

نعم أيها الاخوة المسلمون.. قبيح بنا أن ننقاد لهوانا ونركن الى الطيش والغرور، قبيح بنا والله ان نضيع أموالنا فيما لا يرضي الله عز وجل، حرام علينا والله ان نحمل انفسنا ما لا طاقة لها به، ونوقعها في ذل وهم لا خلاص لها منه.

قبيح بنا ان تكون أعمالنا، كمعاول ننقض

بها ما بنى الآباء والأجداد من الثروة وما جمعوا لنا من الأموال.

ألم يكفنا جهلنا بوسائل الثروة، بل اضعنا ما في أيدينا ومكّنا المرابين من أساس حياتنا وموارد ارزاقنا وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾**.

هذه أفراحنا، هل وقفنا فيها عند حدود الشريعة الغراء وكلها حكمة ورحمة؟ هل وقفنا فيها عند ما يرضاه العقل السليم والرأي السديد؟ هل تركنا فيها الاسراف والتبذير رياء وافتخاراً؟.

وتلك مآتمنا وأحزاننا، هل اتبعنا فيها سنة رسول الله ﷺ وسنة السلف الصالح من بعده؟ لا والله أيها الاخوة المؤمنون، لقد تجاوزنا حد الاعتدال في جميع أمورنا، واستحوذ الشيطان من ضعفنا على عقولنا إلا من رحم الله عز وجل.

انظروا أيها الإخوة الى الحال الذي صرنا اليه هذه الأيام.. انظروا مقدار العناء الذي يطارد أبناء المجتمع، سيما الفقراء منهم، انظروا الى الجشع والطمع والاحتكار والغش في البيع والشراء، فعن أنس رضي الله عنه قال: «غلا السعر في المدينة على عهد رسول الله ﷺ، فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا «اي حدد لنا الأسعار» فقال رسول الله ﷺ: «ان الله هو المسعّر القابض الباسط الرزاق».

وقد أباح الفقهاء من المالكية والشافعية، للوالي أو الحاكم ان يحدد الأسعار خشية جشع التجار ضعاف النفوس، الذين لا هم لهم الا ان يملؤوا جيوبهم بالمال الحرام.. وجني الأرباح الفاحشة في أقصر وقت ممكن.

هؤلاء المقامرون الذين لا يراعون إلّا ولا ذمة، ويتسابقون على كسب موارد البلاد وأرزاق العباد، هذه الفئة من الناس، اباح الشارع الحكيم للحاكم المسلم ان يأخذ على أيديهم بأقسى قوة، حتى يردعهم عن غيهم وضلالهم البشع، فالأصل في المال أنه مال الله، والناس مستخلفون فيه ووكلاء عليه، فليس لأحدهم ان يحبس ما في يده من هذا المال عن غيره، وليس له ان يحبسه عن المصالح العامة، وليس له أن يستأثر به دون غيره، وليس له ان يكنزه ويدخره وقد خُلق لينتفع الناس به.

وليس له ان يظن اذا اعطى غيره شيئاً من هذا المال، انه يعطي شيئاً من عنده، وانما هو وسيط أعطى غيره من مال الله، كما أخذ هو لنفسه من مال الله.. والحق في ان تقتطع من ثروات الأفراد لتقوم بالمصالح العامة والتي يعود نفعها على البلاد والعباد.

بل يجب على الحكومة المسلمة ان تراقب توزيع الثروات المجمدة والأموال المعطلة، فتحد من ثراء الأغنياء والمترفين الفاحش، لترفع مستوى معيشة الفقراء والمحتاجين.. **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ❖ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**.

وهكذا معشر المسلمين، نرى ان الاسلام يمنع الثروات والأموال ان تتضخم، وينقلها من يد واحدة الى أيد كثيرة، ويعطي للحكومات الاسلامية الحق والتصرف في أن تقتطع من ثروات الأغنياء ما يصلح حال الجماعات، ويرفع مستوى الفقراء والمعدمين، ويحول بين الأغنياء وبين الترف المزري الذي يفسد الأفراد والجماعات، بل يجعل المال في يد الفقراء والأغنياء.

وهذا هو ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبيل وفاته، فقد أُثر عنه أنه قال: «لو استقبلت من امري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء».. لقد خشي رضي الله عنه من تضخم ثروات الأغنياء الذي يؤدي بهم الى الجشع والترف، فخاف عليهم وخشي على الفقراء الذل والحسد والفتن.

نعم أيها الإخوة المسلمون، هكذا يحمل الاسلام الناس في الأزمات والمجاعات، وعند الضرورات، ان يسع بعضهم بعضاً فيما هم في حاجة اليه، وفيما يقيم أودهم ويحفظ حياتهم.

هذا الاسلام الذي يقيم المجتمع على البر والخير وعلى التراحم والتعاطف، ويوجب على القوي والضعيف والغني والفقير والقريب والبعيد، ان يكون كل منهم باراً بأخيه راحماً له عطوفاً عليه شغوفاً به.. «فالمسلمون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد..» هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واعلموا أيها الإخوة ان المال الذي بأيدينا انما هو مال الله تعالى، وهبه الإله عز وجل، من فضله وبمقتضى كرمه، وهو سبحانه قادر على ان ينزعه أو يدمره تدميراً، فما الأموال ولا الملذات او الأولاد والأزواج، بالتي تقربكم الى الله زلفى، أو تجعل لكم في التاريخ ذكراً عطراً، انما الذي يقربكم الى الله، العمل الصالح لإسعاد أمتكم وان تكونوا أمناء فيما أودعكم الله من مال، وتؤدوا حق الفقراء والمساكين.

تم العدد بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

المشرف العام

الاستاذ عبد الفتاح صلاح

وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

أسرة التحرير

رئيس التحرير

الدكتور محمد الرعود

أمين عام وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

المحرر المسؤول

سميح احمد عثامنة

سكرتير التحرير

أحمد عزت

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الثالث - المجلد ٥٣

ربيع أول ١٤٣٠هـ - آذار ٢٠٠٩م

❖ ❖ ❖



المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثالث ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

أين المسلمون من ذكرى

مع إطلالة شهر ربيع الأول من كل عام، تفوح الذكرى العطرة لمولد المصطفى ﷺ وبعثته ومهاجره، فقد روى الامام احمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: «ولد رسول الله ﷺ في شهر ربيع، واستنبئ في شهر ربيع، وهاجر في شهر ربيع، وتوفي في شهر ربيع».

وها نحن في هذه الأيام، نعيش في رحاب ذكريات رسول الله ﷺ.

فما أحوجنا ان نذكِّر المسلمين بواجبهم نحو رسولهم وإمامهم وقدوتهم، فنحن الآن في أمس الحاجة الى ان نتخلق بأخلاقه ﷺ وأن نهتدي بهديه، وأن نسير على نهجه وأن نتبع سنته ونتأدب بآدابه، فقد ارشدنا الله جل وعلا الى ذلك بقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

ولذلك يجب على المسلمين محبة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً، لأن محبته ﷺ سبب لحصول حلاوة الإيمان، فقد قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وأن يُحب المرء لا يُحبَه الا لله، وان يكره ان يعود الى الكفر كما يكره ان يقذف في النار».

ومحبته ﷺ ايضاً سبب لمرافقته في دار النعيم، فقد ثبت في الحديث الصحيح ان رجلاً سأل رسول الله ﷺ المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب» فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «فوالله ما فرحت بشيء فرحي بهذا الحديث، فإني أحب الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر» رضي الله عنهما.

وكما لا يخفى ان محبته ﷺ شرط الإيمان، فقد قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين»، لذا يجب على المسلمين تجديد العهد وتأكيده في أن يحيينا الله جل وعلا

مولــد رسـول اللــه ﷺ؟

على محبته، ويبعثنا على محبته، ويحشرنا في زمرته وتحت لوائه.

ومن علامات محبة رسول الله ﷺ، تصديقه فيما أخبر به ربه تعالى، وفيما شرعه لنا ﷺ تصديقاً جازماً لا شك فيه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى ❖ ان هو الا وحي يوحى ❖ علمه شديد القوى﴾.

فهذا التصديق يقودنا الى امتثال أوامره ﷺ واجتناب نواهيه، فلا نقدم هوى انفسنا وحظوظها على أمر الله ورسوله، ثم ندّعي محبة الله ورسوله، فالمحب لمن يحب مطيع.

فالسعادة في طاعة الله ورسوله وامتثال أوامره ونواهيه، والشقاء كل الشقاء في معصيته واتباع الهوى والشيطان.. ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾.

فمن طاعته ﷺ الوقوف عند أوامره، بأن لا يعبد الله الا بما شرع لنا، لا نزيد شيئاً من عند انفسنا اجتهاداً ولا ننقص شيئاً تكاسلاً وإهمالاً، فالوقوف عند أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، وما سار عليه سلف الأمة والقرون الأولى، التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية أسلم وأعلم، فالاتباع خير من الابتداع.

وكما أثر عن الامام مالك رحمه الله قال: «لن يصلح آخر هذه الأمة، الا بما صلح عليه أولها»، وكما ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما رأى ناساً يسبحون بالحصى وأحدهم يقول: «سبحوا مائة وكبروا مائة فيفعلون» فوقف على رؤوسهم وقال: «يا هؤلاء لقد فقتم أصحاب محمد علماً! أو لقد جئتم ببدعة ظلماً، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما اردنا إلا الخير؟! قال: كم من مريد للخير لم يصبه!!».

أسرة التحرير

٣٧

حول مأدبة القرآن: ربع قوله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء..﴾

سورة النساء: ١٤٨-١٦٢

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

حين تخرج الكلمة البذيئة من فم إنسان، فإنها تزكم الأنوف وتعكر الجو، لأنها اكثر شيوعاً ودوراناً على الألسنة من الفعل، وحين يجهر بها صاحبها تصير شرراً يتطاير هنا وهناك، يؤثر لا محالة في نفوس من طبعها التقليد، والذي قد يحمل المشتوم على الانتقام وشيوع روح الإتهام، وقد لا يكون للانسان ناقة في القضية ولا جمل، ولكنه قد يجرب ما سمعه.. فليس أول الفاعلين!

وتلافياً لهذا الخطر، ينبه الله تعالى محذراً بأنه تعالى لا يحب الفاحش المتفحش.. لا يحب اعلان كلمة السوء، حفاظاً على البيئة التي تتنامى فيها الدعوة في ظل من الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع، والتي تتراجع في مجتمع يخف إحساسه بالسوء!!

والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة، هو السماح للمظلوم بالدفاع عن نفسه، ولا بد للمظلوم من فوران.. شريطة ألا يتجاوز الحدود في دفاعه، والمسموح به هو:

١- التظلم من المعتدى عليه، رفعاً للضيم.

٢- الدعاء عليه ردعاً له وإراحة الناس من شره.

٣- وإن ساءه ذلك حتى لا يحرض المجتمع على الغيبة والريبة.

مع الأخذ في الاعتبار ان الله عز وجل كان ولا يزال سميعاً عليما، فإذا كان عز

وجل يسمع ويعلم كل ما قيل ويقال، فهو حسبنا ونعم الوكيل، ينتقم لنا ممن أساء الينا، وليس الا العفو والصفح، وهكذا يسمح للمظلوم ان يتألم، فاراً من الكبت ثم الانفجار!!

ومن الاشارة الى صريح العبارة: **﴿ان تبدوا خيراً أو تخفوه او تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾**، يعفو مع قدرته عز وجل على الانتقام، ولم يبق الا ان نأخذ العفو خطوة عملية، تخلقاً بأخلاقه سبحانه وتعالى.

وإن كان في الناس من قيل فيه: ضربني وبكى ثم سبقني واشتكى، فليعلم انه مشمول بعلم الله تعالى، الذي سوف يجازيه بما يضمره وبما يزوِّره وان كان محقاً وأنه تجاوز حده.

واذ يربي الله الأمة بمثل هذا التحذير، فإن ذلك لا ينفي الحقيقة المرة، وهي مشروعية ذكر فضائح من عظم خطره فراراً من سريان ذلك بالعدوى الى المجتمع المؤمن، ومن هذه الفضائح:

فضيحة التفريق بين الرسل، ومن يفعل ذلك أولئك هم الكافرون حقاً، حينما اضافوا النفاق الى الكفر، محاولين حماية وجودهم بإمساك العصا من وسطها، في الوقت الذي برئ فيه المؤمنون من هذا البلاء **﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾**.

ومن البلاء.. سؤال اليهود أن يأتيهم بكتاب من السماء كما جاء موسى عليه السلام بالألواح، والمقصود انهم متعنتون لا يريدون الحق، بدليل ان موسى لما جاءهم بكتاب من السماء، فلم يكتفوا به، وطلبوا المعاينة، انه العناد الذي اشتروا به عقاب الله حين أخذتهم الصاعقة **﴿ثم اتخذوا العجل﴾** ومتى؟؟ **﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾**، ومع ان الله تعالى عفا عنهم، ومع سطوع البرهان، ورفع الطور فوقهم، وهذا الميثاق الذي واثقهم به الله عز وجل.

ورغم هذا.. فقد بذلوا فطرة العناد والعدوان فيهم: فقد نقضوا الميثاق، وقتلوا الأنبياء، وقالوا: قلوبنا غلف، أوعية للعلم، فلا حاجة بنا الى علم جديد، ولاحظ قوله تعالى: **﴿منهم﴾** وكيف كان ذلك إشارة الى «موضوعية المنهج القرآني» والذي ينصف المؤمنين منهم بإنجائهم من هذا العذاب الأليم، ولا يأخذ المجرم بجيرانه.

هذه الموضوعية، وان شئت قلت: هذا الانصاف، يؤكده قوله عز وجل: **﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين**

الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾.

وإذن.. ففي اليهود راسخون في العلم، يأخذون بالدليل، ويرفضون التقليد ولا يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً، ومنهم المؤمنون، لا إيمان دعوى وعصبية، وانما ايمان إذعان ثابتين عليه ثبات الجبال، لا يفرقون بين أحد من رسله، فهم مؤمنون بموسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم السلام.

ولقد جاءت **﴿والمقيمين الصلاة﴾** منصوبة لفتاً للأنظار، ودعوة الى مزيد من التأمل في المنتهى الى ثبات خطرها وأثرها في حياة الانسان، ذلك «بأن تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها، ينبه الذهن الى التأمل فيها، ويهدي الفكر الى استخراج مزيتها».

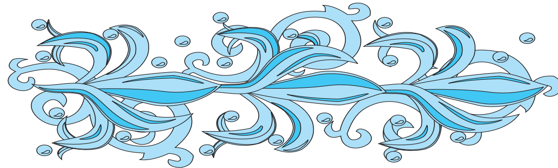
يقول العلماء: «وللقرآن الكريم ان يكون متفقاً مع قواعد النحاة او مخالفاً لها، جارياً على ما عرف من اساليب العرب، أو خارجاً عنها، وعلى النحاة ان يصححوا نحوهم عليه، وعلى الأساليب العربية ان تستقيم على ما طلع عليه بها القرآن الكريم من أساليب جديدة، وان تجعلها من مذخورها التي تحرص عليه».

وهكذا تنوه الآيات الكريمة بالعلم الراسخ، الذي يضرب بجذوره في ارض النفوس، ان العلم السطحي كالكفر الجاحد، وهما اللذان يحولان بين القلب وبين المعرفة الصحيحة.

ان الذين يتعمقون في العلم، ويأخذون منه النصيب الحقيقي، يجدون أنفسهم أمام دلائل ايمانه الكونية، لا يجيب على علامات الاستفهام فيها الا الراسخون في العلم.

اما بعد.. فهذا هو الاسلام الذي ينصف مناوئيه، وما به من حاجة الى التشفي منهم، وانما هم الذين يختارون لأنفسهم ما يحلو لهم وما يليق بهم.

وكل انسان مسؤول عن اختياره، ان شاء اتخذ سبيله إما الى الجنة وإما الى النار.. وما ربك بظلام للعبيد.



١

ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها

■ **بقلم الدكتور صالح أحمد رضا**

إن القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول الشريعة الاسلامية، التي يجب على كل مسلم أن يرجع اليه في كل أمر، ويحكمه في كل مسألة من مسائل الحياة، ويعمل بما ورد فيه من الأحكام الشرعية، والأوامر الربانية، وقد كان المسلمون على هذا طيلة التاريخ الاسلامي في كل بلاده وأصقاعه، لا يشذّ عن ذلك أحد من المسلمين، فإن شذّ كان ضالاً عن السبيل القويم، والصراط المستقيم.

والسنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الشريعة، التي يفزع اليها المسلم عند الملمات، ويستفتيها في حكم اي عمل يريد القيام به، وينوي أداءه، ويسترشد بها في اعماله اليومية، وعباداته المفروضة والمندوبة، لأنها هي الحجة على المؤمنين، والبيان لأوامر الحق في كتابه، والمظهر الكامل لشرائع الاسلام، وسار المسلمون على اعتبار السنة النبوية أصلاً للأحكام، ومرجعاً للأنام عبر حياتهم الطويلة التي قضوها في ظل الاسلام.

ولكن بعض الناس يدّعون انهم قرآنيون، يهتدون بهدي القرآن فقط، فيرفضون السنة النبوية، ولا يحتجون بها، ولا يعتبرونها أصلاً يرجع اليه، يزعمون انهم يتبعون القرآن الكريم، لأنه متواتر في الوصول الينا نقله الجم الغفير عن مثلهم الى رسول الله ﷺ، وأما السنة فإنما وصلت عن طريق الآحاد، وهو لا يفيد الا الظن في الحكم.

وقد كوّن هؤلاء منعرجاً خطيراً في حياة الأمة الاسلامية، ضاراً للمجتمع الاسلامي،

الذي ظللته السنة النبوية، وشذوذاً واضحاً عن إجماع الأمة، وضلالاً عن الصراط الحق، والسبيل السوي، وزعزعة لما قر في ضمير الناس من الاعتماد على سنة المصطفى ﷺ، ولهذا وجب بيان هذا المبدأ الضال، والفكرة الشاذة، وإيضاح خطئها، واظهار فسادها لمن يغتر بها من المسلمين، وليس المراد مناقشة اصحابها لأني اظنهم يعتقدون بطلان رأيهم -في قرارة نفوسهم- وانما يريدون الفساد في الارض واتباع غير سبيل المؤمنين.

وإني سأعرض هنا لأهمية السنة النبوية في حياة المسلم، مبيناً مهمة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ في هذه الحياة، موضحاً ان أوامر القرآن الكريم لا يمكن تطبيقها الا بالاعتماد على السنة النبوية، وان كتاب الله تعالى قد حض المؤمنين في محكم آياته على اتباع السنة، فمن كان للقرآن متبعاً، فلا شك انه سيقتدي بالسنة في أعماله، كما أبين مراد هؤلاء في دعواهم تلك، وأنهم إنما يريدون هدم الاسلام في أنفسهم، وعدم القيام بأوامره، وإقصاء الشريعة عن التطبيق في مجتمع الناس ومعاملاتهم.

❖ مهمة الرسول ﷺ:

ان الله جلت حكمته لم يُخل هذه الأرض من رسول داع الى الحق، وهاد الى دين الله الذي أراده للناس، ودعاهم اليه عن طريق أنبيائه ورسله: **﴿وإن من أمة الا خلا فيها نذير﴾**[1]، وذلك لأن الناس لو تركوا لأنفسهم دون هداية ربانية لضلوا عن السبيل القويم، ولتنكبوا الصراط المستقيم، ولو استهدوا بهدي عقولهم لاختلفت أهواؤهم وتعددت السبل التي يسيرون فيها، ويتوجهون اليها، كما نراه اليوم في المجتمعات التي لا تهتدي بالاسلام، ولكي لا يبقى للناس حجة على الله أرسل لهم الرسل في كل وقت وفي كل عصر، ليدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله عز وجل: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**[2]، وقال عز من قائل: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[3].

واننا لكي ندرك الحاجة الى السنة النبوية، علينا ان نرجع الى كتاب الله لنعلم مهمة هذا الرجل، الذي كانت السنة حياته كلها قولاً وفعلاً وخلقاً ﷺ، ثم لنرى حكم القرآن الكريم بهذه السنة المطهرة.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مهمة رسوله الكريم ﷺ في كتابه العزيز ضمن آيات كثيرة.. ومن ذلك قوله عز وجل: **﴿لقد**

منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾(٤).

فيمنّ الله جل جلاله على المؤمنين بما أنعم عليهم من بعثة الرسول ﷺ، مبيناً ما كان يقوم به ﷺ من اعمال، وذلك:

١- **تلاوة القرآن الكريم:** والمقصود منها هو تعلم كيفية التلاوة من فعل رسول الله ﷺ، حتى تكون تلك الكيفية مطابقة لنزول القرآن كما أمر الله تعالى رسوله فقال: **﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾**(٥).

٢- **تزكية الصحابة رضوان الله عليهم:** وهذه المهمة لها جوانب متعددة، فقد ورد في الكتاب الكريم قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**(٦).

فكان أخذ الزكاة سبيلاً لتزكية نفوس المؤمنين من داء الشح والبخل، ويدخل في ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاءت آيات كثيرة فيها، ومن ذلك وصف رسول الله ﷺ الذي جاء فيه: **﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾**(٧).

ويدخل في ذلك الأمر بالاقتداء بالنبي الكريم ﷺ في الأعمال والأخلاق، اذ من كمل اقتداؤه برسول الله ﷺ فقد كملت تزكية نفسه، قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**(٨).

وذلك لأن أخلاق رسول الله ﷺ صورة للأخلاق المرضية الواردة في كتاب الله عز وجل، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: «كان خلقه القرآن»(٩).

٣- **تعليم الكتاب:** وهذه المهمة لا شك هي شيء آخر غير تلاوة القرآن، ولذلك أوضح الله تعالى هذه المهمة في قوله سبحانه: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾**(١٠).. وقال جل وعز: **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾**(١١).

فكان رسول الله ﷺ يفسر لهم أحكام القرآن، ويبين لهم ما غمض عليهم، ويحكم بينهم بحكم الله تعالى، ويفصل لهم ما أجملته الآيات الكريمة.

كل ذلك إنما كان من البيان لكتاب الله، وتوضيحه بسنته الكريمة للصحابة رضي الله عنهم، ولمن جاء بعدهم من المسلمين الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، ومن البيان كذلك ما جاء في قول الله تعالى في

وصف رسوله الكريم ﷺ: **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**(١٢).

فإحلال الطيبات، وتحريم الخبائث الذي ورد في السنة المطهرة، كان بياناً لما جاء في القرآن الكريم.

٤- وكانت المهمة الرابعة هي تعليم الحكمة، والمقصود بالحكمة هنا في الآية الكريمة هو «السنة» باتفاق علماء الاسلام وجمهور المفسرين، لأنها في مقابلة القرآن الكريم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى لنساء النبي ﷺ ورضي عنهن: **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً﴾**(١٣).

فقد أمرهن جل وعلا بذكر ما يتلى في بيوتهن، وهو أمران:

الأول: آيات الله والمقصود ما في القرآن الكريم.

الثاني: هو الحكمة، ولا شك انها أمر آخر غير القرآن، ولذا عطفت على الآيات، ولا يذكر في بيوت أمهات المؤمنين الا القرآن وسنة النبي ﷺ، فعلم من ذلك ان مهمة رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم، تعليم السنة لأصحابه، ولهذا قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»(١٤) يعني السنة النبوية.

ومن الآيات التي ذكرت شيئاً من المهام المنوطة برسول الله ﷺ: قول الله تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ❁ وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾**(١٥).

نأخذ منها المهمة الخامسة، وهي:

٥- الدعوة الى الله، وهي تستلزم ايضاحاً من السنة النبوية لطرق الدعوة وسبلها ومبادئها، التي يجب على الداعية ان يسلكها مع الأقوام المختلفة التي يدعوها للدخول في الاسلام، وانما تعرف هذه الوسائل من توجيهاته الكريمة، التي كان يوجه بها أصحابه الدعاة الذين كان يرسلهم الى الأقوام المختلفة، كما يتبين من الوسائل التي سلكها في دعوة قومه من قريش وغيرها، وكذلك تعرف من الكتب والرسائل التي بعثها الى الملوك والعظماء.. الى غير ذلك من مظان أصول الدعوة في السنة النبوية.

من هذا كله يتبين لنا ان رسول الله ﷺ وهو صاحب السنة التي أوضحت شريعة الله عز وجل، فكانت سنته بمثابة المذكرة الايضاحية للدستور الخالد «كتاب الله عز وجل».

❖ اهمية السنة لفهم القرآن:

ان القرآن الكريم هو كلام الله تعالى في مبناه ومعناه، يظهر من سياق آياته انه أريد بالقرآن، أن تكون السنة النبوية سائرة معه تفسر معانيه وتوضح مبانيه، وأريد بآيات الكتاب المبين، ان تسير مع هداية الرسول ﷺ، وذلك لأن المهمة العظمى لرسول الله ﷺ هي: بيان ما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز من آيات بينات، وتشريع محكم، فلا شك ان السنة النبوية لها الأهمية العظمى في فهمنا للكتاب العزيز في آياته وأحكامه، حتى اذا أراد المرء منا ان يتحقق من فهمه للقرآن الكريم، كان عليه ان يعرف ما ورد في السنة المطهرة من بيان لمعانيه، أو تفسير لمبانيه، او تطبيق لأحكامه، ومن أولى الأمثلة في ذلك العبادات المفروضة التي أمرنا بها في كتاب الله جل وعز، وعلى رأس ذلك كله «الصلاة»، وقد شهد الزمان أناساً يقولون: إنهم يصلون لله بقلوبهم، فلا يقومون بالصلاة كما يقوم بها المسلمون، ويتأولون الركوع والسجود اللذين وردا في كتاب الله بالإخبات والإذعان بالقلب.

لقد اتجه الواحد من هؤلاء الى التأويل الفاسد الذي يرضي هواه عندما كان متبعاً لعقله الضال الذي أورده تلك الموارد الذميمة، فلننظر الى هذه العبادة، وكيف ورد الأمر بها في كتاب الله جل وعلا، وكيف كان البيان لها في سنة المصطفى ﷺ، قال تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة﴾** فكيف تكون إقامة الصلاة؟ والصلاة في اللغة هي الدعاء؟!.

وقال عز وجل: **﴿واركعوا واسجدوا﴾** فمتى يكون الركوع؟ ومتى يكون السجود؟ أيهما يسبق الآخر؟ والواو في اللغة لا تفيد الترتيب؟ وكيف يكون الركوع؟ والركوع في اللغة مطلق الانحناء؟ وكيف يكون السجود؟ وأصله الخضوع والتذلل؟ لم يبين القرآن الكريم هذا كله.

وقال تعالى: **﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾**(١٦)، وقد قال الامام احمد رحمه الله تعالى: «اجمع العلماء على ان هذه الآية نزلت في الصلاة»، فمتى يقرأ الانسان القرآن في الصلاة؟ وكم يقرأ؟ وماذا يقرأ؟ كل هذا لم يفصل في كتاب الله عز وجل، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(١٧).

فكانت صلاته ﷺ مثالاً يحتذى للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، عملوا بها وعلموها حتى وصلتنا سليمة بفضل الله جل وعلا، وقال رسول الله ﷺ عن الصلاة: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم»(١٨)، فعرفنا ان الصلاة تبتدئ بتكبيرة الإحرام،

وتنتهي بالتسليم وعرفنا من فعله ﷺ انه كان يبتدؤها بدعاء الاستفتاح، كما بين الرسول الكريم ﷺ انه «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١٩]، فأوضح ﷺ ان المؤمن عليه ان يقرأ الفاتحة بعد دعاء الاستفتاح، ثم انه يقرأ ما تيسر له من كتاب الله عز وجل.

وقد رأى رسول الله ﷺ صحابياً لا يحسن الصلاة، فقال له: اذهب فصل، فإنك لم تصل، وفي المرة الثالثة قال له الصحابي: علمني فوالله لا أحسن غيرها، فقال له رسول الله ﷺ: «اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[٢٠].

هذا غيض من فيض مما ورد في السنة النبوية من أمور الصلاة، فكيف بنا اذا أردنا ان نستعرض ما ورد فيها من بيان لمقدمات الصلاة وشرائطها وأركانها للزم ذلك كتاباً كبيراً، أما اذا استعرضنا ما ورد في السنة من بيان للعبادات الأخرى كالزكاة مثلاً التي أمرنا الله تعالى في كتابه بإيتائها في آيات كثيرة مقرونة بإقامة الصلاة، ولكن في أي مال تؤدى الزكاة؟ وما هي انصباء الزكاة؟..

لم يذكر القرآن شيئاً من ذلك، وتكفلت السنة الكريمة في إيضاح الأمور المتعلقة بالزكاة، فلولا السنة لما استطاع المسلم ان يعرف الواجب الذي عليه ان يقوم به بالنسبة لما له، وكم يخرج منه، ومتى يخرج، فكيف للمرء ان يفهم ما ورد في القرآن الكريم من الأمر بإيتاء الزكاة بدون ان يعرف ما قاله رسول الله ﷺ فيها.

وهكذا في كل أمر من أمور الشريعة الكريمة من حج، وصيام، وجهاد، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وطاعة الوالدين، والذكر والقيام والدعاء والاستغفار وطهارة ونجاسة وصيد وذبائح وغير ذلك من الأمور التعبدية التي أمرنا بها في كتاب الله العزيز.

وليس ذلك فقط في مجال العبادات التي تكون اركان الدين الأساسية التي تقوم عليها، بل وهي كذلك تشمل الحدود التي هي أمور معينة لا مجال للعقل فيها، مع ذلك فإن القارئ لكتاب الله تعالى لا يستطيع ان يعرف كيف ينفذ هذا الحد، فالله سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين بقطع يد السارق في قوله تعالى: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾**[٢١].

فما هو حد السرقة ونصابها الذي يعتبر

من وصلت سرقته اليه سارقاً؟ وكيف نقطع اليد؟ واليد تطلق على جميع اليد من رؤوس الأصابع الى الكتف، فهل نقطع من الرسغ؟ ام من الكتف؟ كل هذا احتمالات للنص القرآني، والسنة هي التي حددت القطع من الرسغ، وإلا لما عرفت كيفية إقامة الحد.

وقل مثل ذلك في الجلد، وأكثر من ذلك في الرجم، أحكام لم تعرف الا من طريق النبوة المتلقاة من الله تعالى، فكيف لا نقبلها ونضيعها؟!.

وأما المعاملات فحدث ولا حرج، فقد قال الله تعالى: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**[٢٢]، وكلمة البيع تطلق على كل تعامل بين شخصين يدفع أحدهما ثمناً ويأخذ مقابله البدل المراد، ولكن أليس في البيع أنواع لا يجوز للمسلم ان يتعاطاها؟ وأن يعامل الناس على أساسها؟ ومن أين للمسلمين أن يتبينوا تلك الأنواع من البيوع المحظورة؟ والنص الوارد في كتاب الله عز وجل عام يشمل كل انواع البيوع، إنه رسول الله ﷺ الذي ارسل لبيان كتاب الله، ولتفصيل المجمل من آياته، وهو ﷺ المبين لذلك كله.

ولهذا نجد في السنة المطهرة انه ﷺ أجاز بيوعاً كانت موجودة في زمانه، ومنع من بيوع، وحد حدوداً لبيوع أخرى، ومن ذلك قوله: «ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»[٢٣] كما نهى عن ثمن الكلب، وزجر عن ثمن السنور، ونهى عن بيع فضل الماء، ونهى عن بيع حبل الحبلة، ونهى عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر، ونهى عن بيعتين في بيعة الى غير ذلك من البيوع المنهي عنه، كل ذلك بيان لقوله تعالى: **﴿وأحل الله البيع﴾** فهل نترك بيان رسول الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى لبيان شرعه، ونتبع عقولاً قد تضل عن السبيل، وتخطئ الطريق القويم؟! هذا هو الضلال المبين والفساد في الدين.

هذا في البيع، فإذا انتقلنا الى الشطر الآخر من الآية الكريمة المتعلق بالربا **﴿وحرم الربا﴾** فتأتي الأسئلة حول ذلك: ما هو الربا؟ وفي أي الأموال يجري، وما هي أنواعه؟!.

صحيح ان الله تعالى قال في كتابه الكريم: **﴿وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون﴾**[٢٤] مبيناً ان الحكم في موضوع الدين ان يأخذ الدائن رأس ماله دون زيادة أو نقصان، ليبتعد عن الربا، ولكن هناك أمور قد تدخل في الربا يغفل عنها المسلم، وبيان ذلك للرسول المصطفى ﷺ، فقد بين ان الربا نوعان: ربا الفضل، وربا النسيئة، وكلاهما محرم، كما اوضح

من شارك في مسألة الربا بأي نوع من أنواع المشاركة فقد اشترك مع المرابي في الإثم، والطرد من رحمة الله كالشاهد والكاتب[٢٥].

الى غير ذلك مما أوضحه رسول الله ﷺ في أمر الربا مما يوضح السبيل أمام المسلم، ولا يجعله في دروب الحياة المالية المتشعبة، وبخاصة في هذا الزمان.

فكيف بنا اذا انتقلنا الى القصاص وكيفيته، والى المحرمات من النساء وحجاب المرأة وكيف يجب ان يكون، والمحرمات من الأطعمة والأشربة والطلاق والعتاق والرجعة والرضاع.. الى غير ذلك من ابواب الفقه وشؤون الحياة التي يتعرض لها المسلم في تعامله مع إخوانه، فإنه لا يستطاع إدراك الأحكام الشرعية من كتاب الله وحده، بل لا بد لنا من الرجوع الى من فصّل مجمله، وفسّر نصه، وبيّن مبهمه، وخصص عامه، وقيد مطلقه، إنه رسول الله المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى الذي قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[٢٦].

فالسنة النبوية بالنسبة للأحكام أصل في التشريع اذا حكمت بشيء، فهو حكم رباني لا يجوز لأحد ان يرده، ولا ان يناقش فيه اذا ثبت وروده عن رسول الله ﷺ، بل عليه ان يتبعه، ويعمل بما يدل عليه، ويهتدي بهديه، ويسترشد بما وجه الناس اليه، لأنه رسول من عند الله يبلغ شرعه، ويطبقه في الأمة، يطبقه على نفسه، وعلى أسرته، في قوله وعمله، فلا يخرج شيء من ذلك عن شرع الله تعالى، ولو خرج شيء من القول أو الفعل أو التقرير عن حكم الله تعالى، أو خالفه، فإن الله جل وعلا سينبه رسوله ﷺ ويدله على الصواب من الفعل كما حدث ذلك في الأنفال يوم بدر، وفي تقريب الكبراء من قريش، وإبعاد الضعفاء، والله يقول في كتابه العزيز: **﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ❁ لأخذنا منه باليمين ❁ ثم لقطعنا منه الوتين﴾**[٢٧].

فلو كان محمد ﷺ يزيد في الرسالة او ينقص منها، أو كان يقول شيئاً من عنده، وينسبه الى الله لعاجله ربه الذي ارسله بالعقوبة، والمقصود في ذلك: بل هو ﷺ صادق بار راشد، والله جل وعلا مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات، فأقواله هدي كريم، وأفعاله تشريع حكيم، وتقريراته ﷺ حق سليم من تشريع الرب جل وعلا، الذي شرعه للناس ليتبعوه ويقتدوا به.

فحياة المصطفى ﷺ كانت تمثيلاً حياً وتفسيراً حقيقياً لما جاء في القرآن، ولا يمكننا ان نتبع القرآن الكريم حقاً وصدقاً

الهوامش:

١- فاطر: ٢٤ .

٢- النحل: ٣٦ .

٣- النساء: ١٦٥ .

٤- آل عمران: ١٦٤ .

٥- المزمل: ٤ .

٦- التوبة: ١٠٣ .

٧- الأعراف: ١٥٧ .

٨- الأحزاب: ٢١ .

٩- رواه مسلم.

١٠- النحل: ٤٤ .

١١- النحل: ٦٤ .

١٢- الأعراف: ١٥٦ .

١٣- الأحزاب: ٣٤ .

١٤- رواه الإمام أحمد في المسند ٤/١٣١ .

١٥- الأحزاب: ٤٥-٤٦ .

١٦- المزمل: ٢٠ .

١٧- رواه البخاري، كتاب الأذان، ورواه الدارمي وأحمد.

١٨- رواه ابو داود، كتاب الطهارة، والترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

١٩- رواه البخاري ومسلم.

٢٠- أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد.

٢١- المائدة: ٣٨ .

٢٢- البقرة: ٢٧٦ .

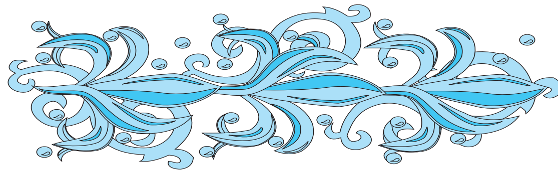
٢٣- متفق عليه.

٢٤- البقرة: ٢٧٨ .

٢٥- عند البخاري ومسلم.

٢٦- رواه الإمام أحمد.

٢٧- الحاقة: ٤٤-٤٦ .



٢

منهج الحافظ العِجْلي في كتابه «تاريخ الثقات»

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

تقدم لنا في الحلقة السابقة ترجمة وافية للإمام العجلي، وعلو كعبه وتضلعه في الحديث النبوي الشريف، وأنه كان من ابرز علماء الجرح والتعديل، وانه لم يكن متساهلاً قط، كما نعته بعض المعاصرين! وفي هذه الحلقة نواصل الحديث عما امتاز به كتابه «تاريخ الثقات».

سابعا: يجمع لبعض الرواة وصفين أو أكثر:

من الملامح البارزة في أسلوب العجلي وهو يتعامل مع الرواة جرحا وتعديلا انه كان أحيانا يجمع للرواي الواحد وصفين أو أكثر، تارة يتفق الوصفان، وأخرى يتعارضان، واليك نماذج ما اتفق فيه الوصفان أو أكثر:

١- عبد الله بن الأسود، أبو عبد الرحمن:

قال العجلي[١]: كوفي جائز الحديث، لا بأس به، يكتب حديثه" فهذه أوصاف ثلاثة، لكنها متفقة في حق هذا الراوي الذي ترجم له ابن أبي حاتم[٢] وقال: سألت أبي عنه فقال: شيخ لا أعلم روى عنه غير عبد الله وهب".

أقول: وشيخ في مصطلح ابن أبي حاتم يعني انه يكتب حديثه وينظر فيه وهو دون الصدوق.

وذكره البخاري[٣] ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا". ومن لم يذكر فيه البخاري جرحا ولا تعديلا فالراجح فيه الجهالة[٤].

٢- حبان بن علي العنزي: قال العجلي[٥]: كوفي، صدوق، جائز الحديث.

٣- عمرو بن محمد العنقزي: قال العجلي[٦]: ثقة، جائز الحديث.

هذه تراجم رواة جمعت وصفين أو أكثر وكلها متجانسة إلا أن العجلي كذلك جمع لرواة وصفين متعارضين في التراجم التالية:

١. بشر بن حرب الازدي، أبو عمر الندبي: قال العجلي[٧]: "بصري، ضعيف الحديث، وهو صدوق". ولعله أراد بذلك انه صدوق فيه لين، كما اختارها ابن حجر مرتبة دنيا من مراتب التوثيق[٨]، أو أنه صدوق في دينه، ضعيف في حديثه.

٢. جميع بن عمير العجلي: قال العجلي[٩]: كوفي لا بأس به، يكتب حديثه وليس بالقوي.

٣. صالح بن حيان القرشي: قال العجلي[١٠]: "جائز الحديث، يكتب حديثه، وليس بالقوي وهو في عداد الشيوخ".

٤. القاسم بن عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن: قال العجلي[١١]: "تابعي، ثقة، يكتب حديثه وليس بالقوي".

أقول: هؤلاء الأربعة وهناك آخرون اجتمعت فيهم أوصاف متضادة كما ترى، لكن ما فلسفة العجلي من ذلك؟ وما مراده من ذكر وصفين متضادين في راو واحد؟ ولم يكن الأمر غريبا لو انه وثق فقط أو جرح فقط.

وحتى وفق قاعدة المحدثين فيمن اجتمع فيه قولان، فإن المعتمد منها قول المجرح لا المعدل لعلمه الأدق بحال الراوي، لا يمكن تطبيق هذه القاعدة هنا لأن المعدل والمجرح واحد، ولا يمكن أيضا الجواب عن هذه الحالة وفق القاعدة الأخرى التي عالجت الراوي الذي اجتمع فيه قولان من عالم من علماء الجرح والتعديل بالأخذ بآخر القولين منهما، وذلك لان الوصفين هنا صدرا من العجلي في وقت واحد.

والذي استظهرته من مراد العجلي لهذه الجزئية من منهجيته في الحكم على الرجال ما يلي:

أولا: انه يحكم على الراوي في عبارته الأولى بما يترجح لديه ويقتنع به من حاله، ويذكر ما قيل فيه عند غيره من وجه آخر.فتراه في الراوي الأول" بشر بن حرب الازدي". قد قال فيه: ضعيف الحديث، وهو صدوق" وقد أصاب حينما ضعفه لأنه مضعف عند الأغلب[١٢]، لكن ابن عدي قال[١٣]: لا بأس به عندي، ولخص ابن حجر جملة الأقوال فيه فقال[١٤]: "صدوق فيه لين" فيكون قد وافق العجلي إلى حد كبير.

وكذلك الحال في الراوي الثاني: "جميع ابن عمير" والثالث: "صالح بن حيان" كلاهما ضعيف عند غالب علماء الجرح والتعديل.

أما الراوي الرابع "القاسم بن عبد الرحمن" فمختلف فيه في حين جمع

العجلي إلى قوله: ثقة " ليس بالقوي".

ثانيا: أو أن العجلي نفسه مضطرب القول فيهم، لم يتبين له حال تترجح على أخرى، فظهر تردده فيهم على نحو جمع فيه الوصفين معا في لفظ واحد، وترك أمر تحقيقهم والوقوف على واقع الحال فيهم إلى من سيأتي بعده ليبقى باب العلم والاجتهاد والبحث مفتوحا إلى يوم الدين.

ومما يلحظ أيضا أن العجلي قرن مع الأوصاف السالفة الذكر لهؤلاء الرواة قوله: "يكتب حديثه" وهذه عبارة واسعة المعنى في الفهم إلا أن أهل الحديث يستعملونها يعنون بها الاعتبار في حال الشواهد والمتابعات، أما إذا انفرد فلا يحتج بحديثه.

ثالثا: أو أن للعجلي في الراوي نفسه رأيين اجتمعا في قول واحد، فيكون قد نسخ آخر كلامه أوله.

ثامنا: "يذكر علل الحديث ويشير إلى بعض علومه ضمن تراجم بعض الرواة": ربما عرض العجلي إلى شيء من علل الحديث أو بعض علومه لدى ترجمته لبعض الرواة، مما يؤكد علم الرجل وسعة إطلاعه وتبحره في هذا الفن، ومن ذلك ما يلي:

١) **إبراهيم بن مرزوق الثقفي**[١٥]: قال أبو مسلم: سألت أبي احمد - يعني العجلي - قلت: روى ابن مرزوق عن هارون بن إسماعيل الخزاز، حدثنا علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثنا هلال بن أبي ميمونة، أن عطاء بن يسار حدّثه، أن عقبة بن عامر الجهني حدّثه قال: اقبلنا مع رسول الله ﷺ" قال: أخطأ إنما هذا رفاعة"[١٦].

أقول: الشاهد أنه عرف علة الإسناد وأدركها، وبين أن الراوي عن الرسول ﷺ هو رفاعة الجهني لا عقبة.

٢) **إبراهيم بن يزيد النخعي:** قال العجلي[١٧]: حدثنا أبو زيد الهروي: سعيد ابن الربيع، عن شعبة، قال: لم يسمع إبراهيم النخعي من مسروق شيئا. وقال: إبراهيم النخعي لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ، وقد أدرك منهم جماعة، ورأى عائشة رضي الله عنها رؤيا".

٣) **سعيد بن إياس الجريري، أبو مسعود البصري:** قال العجلي[١٨]: ثقة، واختلط بآخره، روى عنه في الاختلاط: يزيد بن هارون، وابن المبارك، وابن أبي عدي، وكلما روى عنه مثل هؤلاء فهو مختلط، إنما الصحيح عنه: حماد بن سلمة، وإسماعيل ابن علية، وعبد الأعلى من أصحهم سماعا، سمع منه قبل انه يختلط بثمان سنين، وسفيان الثوري، وشعبة صحيح".

أقول: هذا تحرير غاية في التحقيق،

يكشف عن مدى اطلاع الرجل وتبحره في معرفة الرجال والوقوف على الروايات وما كان منها قبل الاختلاط، وما كان بعده.

٤) **محمد بن دينار البصري:** قال العجلي[١٩]: لا بأس به، لم يسمع من مصدع، وانما حدث عن رجل عنه".

٥) **عامر بن شراحيل الشعبي:** قال العجلي[٢٠]: سمع الشعبي من ثمانية وأربعين من أصحاب النبي ﷺ، والشعبي اكبر من أبي إسحاق السبيعي بسنتين، وقال: مرسل الشعبي صحيح، لا يرسل إلا صحيحا".

٦) **يحيى بن أبي بكير قاضي كرمان:** قال العجلي[٢١]: ثقة روى عنه احمد بن حنبل" وقال: حدثنا احمد بن حنبل، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا زائدة عن عاصم بن أبي النجود، عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة.."[٢٢].

قال العجلي: كان يخطئ في هذا الحديث يحيى بن أبي بكير يقول : عن زائدة عن عاصم عن زر، وإنما رواه الناس عن منصور عن مجاهد".

من ذلك يتضح نبوغ عالمنا وإمامنا العجلي ودرايته بالحديث الشريف وعلومه وعلله، فهو بذلك حقا كأقرانه: الإمام أحمد. والبخاري، وغيرهما.

تاسعا: يترجم لبعض الرواة، ويضيف أحيانا عبارة "وكان عثمانيا":

ربما أضاف العجلي عبارة "وكان عثمانيا" في ثنايا بعض التراجم لزيادة بيان في شخص المترجم له، ومثال:

١- عثمان بن عاصم أبو حصين الاسدي.

٢- فضيل بن غزوان الضبي.

٣- محمد بن القاسم الاسدي.

٤- مغيرة بن مقسم الضبي.

جميعهم قال العجلي في تراجمهم[٢٣]: وكان عثمانيا.

ويريد من نسبتهم إلى عثمان، أي إنهم كانوا يحبون عثمان ويفضلونه على عليّ رضي الله عنهما، ودليل ذلك يتضح من خلال تراجم أخرى، فلقد ترجم العجلي لطلحة بن مصرف اليامي[٢٤]، وقال : كان يحرم النبيذ، عثمانيا، يفضل عثمان على علي".

وتحت ترجمة مغيرة بن مقسم الضبي[٢٥]، قال: وكان عثمانيا، وكان يحمل على عليّ بعض الحمل".

وربما ذكر عن بعض الرواة صراحة أنه يحمل على عليّ رضي الله عنه كما في ترجمة اسحاق بن سويد العدوي، وحجر المدري، وحريز بن عثمان الرحبي، وعبد الله بن أبي زيد الجرمي، وغيرهم، وربما صرح بحب

بعضهم لعلي رضي الله عنه أيضا كما في ترجمة لاحق بن حميد أبو مجلز السروسي، قال: "وكان يحب عليا رضي الله عنه".

ويبدو من تأكيد العجلي توضيح مواقف هؤلاء الرواة من الصحابة تعظيم قدر الصحابة وبيان مكانتهم من جهة، وأثر هذه المواقف في الرواية من جهة أخرى.

لكن ما يلاحظ أن العجلي حينما يترجم لهؤلاء الذين يحبون عثمان ويفضلونه على علي رضي الله عنه، كان يقرن معهم لفظة "ويحرم النبيذ" كما في ترجمة طلحة السابقة، وترجمة عبد الله بن إدريس الزعافري[٢٦]، قال: وكان عثمانيا ويحرم النبيذ".

ويقابل ذلك انه إذا ترجم لرواة وقرن بذلك حبهم لعلي رضي الله عنه يذكر بجانب ذلك عبارة تفيد حل النبيذ، ومثال ذلك:

١- زبيد بن الحارث اليمامي[٢٧]، قال فيه: وكان علويا وكان يزعم أن شرب النبيذ سنة وكان في عداد الشيوخ".

٢- طلحة بن مصرف اليامي: قال تحت ترجمته: وكان طلحة بن مصرف، وزبيد اليامي متآخين، وكان طلحة عثمانيا، وكان زبيد علويا، وكان طلحة يحرم النبيذ، وكان زبيد يشرب".

وقال أيضا: وكان عبد الله بن إدريس الاودي، وعبثر بن القاسم أبو زبيد متآخين، وكان عبد الله بن إدريس عثمانيا وكان عبثر علويا، وكان ابن إدريس يحرم النبيذ، وكان عبثر يشربه".

يتضح من ذلك مما لا شك فيه أن من كان عثمانيا يحرم النبيذ، ومن كان علويا يشرب النبيذ، لنفهم من ذلك أن عثمان رضي الله عنه يحرم النبيذ وان علياً رضي الله عنه يحله ويبيحه، والمراد بالنبيذ: ما يعمل من الاشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك، يقال: نبذت التمر والعنب، إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذا، فصرف من مفعول إلى فعيل، وسواء كان مسكرا أو غير مسكر فإنه يقال له: نبيذ"[٢٨].

أقول: فمنشأ الخلاف في تحريمه وإباحته من هنا، أي أنه مسكر او غير مسكر، فمن رآه مسكرا حرمه، والعكس بالعكس.

عاشرا: إذا ترجم لبعض شيوخه ميّزه بقوله: "كتبت عنه" ثقة كان أم لا.

ترجم الحافظ العجلي لجملة من شيوخه وحكم عليهم وميّزهم بقوله: " كتبت عنه" سواء كانوا ثقات أو مجروحين، ومما أود تأكيده هنا أن حكم العجلي على شيوخه ومن كتب عنهم كان دقيقا جدا، وقد أصاب عين الحق فيهم إلى حد كبير جدا سواء من

وثّقهم أو ضعّفهم، ولعل هذا يعود إلى معرفته بهم ومعاصرته لهم وتفحّص أحوالهم بشكل مباشر ودقيق، وإليك النماذج التالية:

١- بشر بن عمر الزهراني: قال العجلي[٢٩]: "ثقة كتبت عنه".

٢- عبد الملك بن عمرو، أبو عامر العقدي: قال العجلي[٣٠]: "ثقة وقد كتبت عنه".

٣- عمرو بن ربيع بن طارق: قال العجلي[٣١]: "ثقة كتبنا عنه بمصر".

٤- عياش بن الوليد الأزرق: قال العجلي[٣٢]: "ثقة وقد كتبت عنه".

٥- فهد بن حيان : قال العجلي[٣٣]: "ضعيف الحديث وقد كتبت عنه".

٦- أبو ربيعة، عمرو بن ربيعة: "قال العجلي[٣٤]: ضعيف وقد كتبت عنه وليس هو بشيء".

وسواهم كثير، فمن ذكر العجلي انه كتب عنهم ثقات كانوا أو غير ثقات، وقد أصاب في وضعهم ووافق غيره من رجال الجرح والتعديل غالبا.

حادي عشر: وان لم يكتب عمن عاصره بين ذلك:

كما أن الحافظ العجلي لدقته وأمانته كان إن لم يكتب عمن عاصره من الشيوخ بين ذلك وهو يترجم لهم، ومثال ذلك:

١- إسحاق بن منصور بن حيان الأسدي: قال العجلي[٣٥]: ثقة، متعبّد، رجل صالح، وقد رأيته ولم اكتب عنه".

٢- إسماعيل بن إبان الغنوي: قال العجلي[٣٦]: ضعيف الحديث يحدّث عن ابن أبي خالد، وهشام بن عروة، أدركناه ولم نكتب عنه شيئا".

٣- جندل بن والق التغلبي : قال العجلي[٣٧]: لا بأس به، يحدّث عن مندل، أدركته ولم أكتب عنه".

وغيرهم جماعة ذكرهم العجلي في ثقاته ممن عاصرهم ولم يكتب عنهم شيئا لسبب او لآخر، ومنهم ثقات وغير ثقات.

ثاني عشر: وان لم يسمع ممن عاصره بين ذلك أيضا:

ان يبين العجلي وهو يترجم لرواة ثقات لم يسمع منهم ممن عاصرهم، فهو بهذا يكشف عن سلامته من التدليس وبراءته منه، وأمانته العلمية، ومدى دقته وحرصه على النزاهة والأخلاق وبيان الحق، ومن أمثلة ذلك:

١- إبراهيم السعدي: قال العجلي[٣٨]: "من ولد عمر بن سعد وقد رأيته" واقتصار العجلي على قوله: "وقد رأيته" يفيد انه رآه فقط ولم يسمع منه، فلو سمع منه لبين ذلك.

٢- حبان بن هلال الباهلي: قال العجلي[٣٩]: "ثقة لم أسمع منه شيئا.

٣- خلاد بن يحيى الكوفي: قال العجلي[٤٠]: رأيته بمكة، ثقة".

وهذا يعني أنه رآه فقط ولم يسمع منه ولم يكتب عنه.

فالعجلي بهذا البيان يقدم خدمة جليلة لمن أراد أن يترجم له ويبحث في شيوخه ومن كتب عنهم، ومن سمعهم ومن لم يسمعهم، ومن رآهم رؤية، ولا يخفى ما لذلك من أهمية وضرورة تتعلق بمعرفة الراوي ومروياته والمتصل منه وغير المتصل ونحو ذلك.

ثالث عشر: يذكر الراوي وشيئا من مناقبه أو بعض صفاته الخلقية والخلقية وأحيانا: صنعته.

درج العجلي في كثير من تراجمه على ذكر بعض مناقب الراوي أو صفاته خلقية كانت أم خلقية، وأحيانا يعرض لصنعته إن كان له صنعة، ومثال ذلك ما يلي:

١. إبراهيم بن يزيد النخعي: قال العجلي[٤١]: كوفي، ثقة، وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا وفقيها، متوقياً، قليل التكلف، والأسود بن يزيد خاله. ومات وهو مختف من الحجاج.

٢ . الاحنف بن قيس: قال العجلي[٤٢]: تابعي، ثقة، وكان سيد قومه، وكان أعور دهما قصيرا كوسجا[٤٣].

٣. مروان بن معاوية الفزاري: قال العجلي[٤٤]: ثقة، وما حدث عن الرجال المجهولين، من ولد عيينة بن بدر من أصحاب النبي ﷺ، ما يروى عن عيينة شيئا، وما حدّث عن المعروفين فصحيح.

٤. علي بن عبد الحميد بن مصعب المُعنى: قال العجلي[٤٥]: ثقة، وكان ضريرا.

٥. محمد بن بشار[٤٦] (بندار): قال العجلي: ثقة كثير الحديث، يكنى أبا بكر، وكان حائكا.

هذه نماذج لرواة تعدى العجلي فيهم حد الوصف إلى ذكر شيء من مناقبهم أو بعض صفاتهم وأوصافهم، ولم يفعل ذلك في غالب من ترجم لهم، فقد اهتم في هؤلاء النفر لتوضيح أمرهم أكثر من غيرهم، أو انه وجد فيهم ما لم يجده في سواهم، أو يكون قد خرج عن منهجه في كتابه قليلا، لأنه في الغالب يذكر وصف الراوي بكلمة أو كلمتين.

رابع عشر: وأحيانا يتوسع في الكلام حول الراوي كثيرا:

عادة العجلي أن يختصر الحكم على الراوي بكلمة أو كلمتين، لكنه استطرد في

تراجم بعضهم وأسهب وأطال وساق لهم بإسناده روايات مرسلة وموقوفة وقليل منها مرفوع، وعامتها تتعلق بذكر مناقبهم وصفاتهم وشيء من مواقفهم وبعض عباراتهم وحكمهم ونحو ذلك.

علما بأن هذه التراجم استوعبت صفحة أو صفحتين أو ثلاثة أو أكثر أحيانا. فلا سبيل لإيرادها هنا، واكتفي بذكر بعض أصحاب هذه التراجم وهم:

١- الربيع بن خثيم الثوري.

٢- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري.

٣- سليمان بن مهران الأعمش.

٤- طلحة بن مصرف اليامي.

٥- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٦- يزيد بن هارون بن وادي السلمي[٤٧].

خامس عشر: يصف بعض الرواة بقوله: "يكتب حديثه" ويقرن ذلك بعبارة: "وليس بالقوي" أو "ضعيف الحديث".

وقفت على رواة عند العجلي في ثقاته وصفهم بقوله: "يكتب حديثه" ثم يضيف: "وليس بالقوي" أو «ضعيف الحديث» وهذا نهجه في كل من وصفهم بـ: "يكتب حديثه" إلا في راويين اثنين فقط قال فيهما:

"يكتب حديثه" فقط وهما:

١- قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل[٤٨].

٢- كليب بن وائل بن هبار التميمي.[٤٩]

وكلاهما صدوق[٥٠] بخلاف أولئك الذين اقترن بهم وصف الضعف، وقد اتضح لي أن جميع من وصف بهذين الوصفين معا ضعيف فعلا، وكأن عبارة "يكتب حديثه" عند العجلي اقرب للتجريح منها للتعديل بدلالة اقترانها بما ذكرت، ولأن من وصفوا بها حقيقة ضعفاء، وليؤكد على أنهم مع ضعفهم إلا أن حديثهم قد يكتب ويعتبر به في الشواهد والطرق، أي أن ضعفهم يسير وليس شديدا.

ومن هؤلاء:

١- أيوب بن عتبة، قاضي اليمامة: قال عنه العجلي[٥١]: يكتب حديثه وليس بالقوي.

أقول : وهو ضعيف باتفاق[٥٢].

٢-داود بن يزيد الأودي: قال العجلي[٥٣]: يكتب حديثه وليس بالقوي، وقال مرة: لا بأس به، أقول: بل هو ضعيف[٥٤].

٣- صالح بن أبي الأخضر: قال عنه العجلي[٥٥]: يكتب حديثه وليس بالقوي.

أقول: وهو ضعيف[٥٦]، وقد قرن الحافظ لوصف الضعف قوله: "يعتبر به".

وهناك عشرات الأمثلة نحو هؤلاء يقرن العجلي في وصفهم بين قوله: "يكتب حديثه"

وقوله: "ليس بالقوي" أو ضعيف الحديث مثل: صالح بن حيان القرشي وصالح بن محمد بن زائدة وعبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله العامري وعلي بن زيد بن جدعان ويحيى بن عبد الله الجابر، وغيرهم.

سادس عشر: يذكر بعد وصف الراوي ما يؤكد سماعه من قوم أو عدم سماعه من آخرين".

إن الناظر في كتاب العجلي يلاحظ بجلاء، جملة رواة أكد العجلي أثناء الترجمة لهم على أمرين متقابلين : السماع أو عدمه ممن رووا عنهم، وهذا الصنع يؤكد دقة الحافظ العجلي ومراعاته لذكر أهم التفاصيل وأدقها في شخص الراوي، ومن هؤلاء:

١- عباس بن ذريح الكلبي الكوفي: قال عنه العجلي(٥٧): "ثقة، روى عن الشعبي وهو يرسل عن عائشة لم يدركها".

٢- عبد العزيز بن جريج المكي: قال عنه العجلي(٥٨): لم يسمع من عائشة.

٣- عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي: قال عنه العجلي(٥٩): ثقة، لم يسمع من علقمة شيئا، ولم يسمع من حارث الأعور إلا أربعة أحاديث.

٤- عبد العزيز بن صهيب البصري: قال عنه العجلي(٦٠): ثقة، سمع من انس.

٥- الهزهاز بن ميزن الرؤاسي: قال عنه العجلي(٦١): ثقة، سمع من عبد الله بن مسعود.

هذه أمثلة وغيرها كثير أوضح الحافظ العجلي من خلال تراجمهم عدم سماع بعضهم ممن رووا عنهم، ولا يخفى ما لهذا البيان من فائدة عظيمة يضعها أمامنا بين يدي طلبة العلم لا سيما المهتمين منهم بالحديث وعلومه.

سابع عشر: يوضح ما إذا كان الراوي مقلاً في الرواية أو مكثرا:

وجدت الحافظ العجلي في بعض الرواة يذكر أثناء الترجمة لهم ما إذا كانوا مقلين في الرواية أو مكثرين، حتى انه يذكر عدد الأحاديث التي رواها قليلة كانت أو كثيرة.

ومن هؤلاء:

١- بيان بن بشر البجلي: قال عنه العجلي(٦٢): "ثقة،وهو من أصحاب الشعبي وليس بكثير الحديث، روى اقل من مائة حديث".

٢- عتي بن ضمرة السعدي: قال عنه العجلي(٦٣): ثقة، روى عنه الحسن ستة أحاديث، ولم يرو عنه غيره".

٣-عمرو بن الحمق بن الكاهن: قال عنه العجلي(٦٤): لم يرو عن النبي ﷺ إلا حديثين: حديث: "إذا أراد الله بعبد خيرا

عسله"[٦٥] وحديث "من ائتمن على نفسه رجلا فقتله"[٦٦].

٤- حماد بن سلمة البصري "أبو سلمة": قال عنه العجلي[٦٧]: ثقة، رجل صالح، حسن الحديث، يقال: إن عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره، وكان لا يحدث حتى يقرأ مائة آية نظرا في المصحف.

٥- عبد الملك بن عمير الكوفي: قال عنه العجلي[٦٨]: تابعي ثقة.. روى أكثر من مائة حديث.."

٦- عكرمة بن عمار اليماني: قال عنه العجلي[٦٩]: ثقة، عجلي، يروي عن النضر ابن محمد ألف حديث".

ثامن عشر: "يذكر رواة ويُبيّض لهم دون أن يترجم لهم أو يُبيِّن درجتهم، وهم متباينون في الرتبة".

وقفت على ملمح واضح من ملامح منهج الحافظ العجلي في كتابه، يضاف إلى ما سبق، وهو انه كان في كثير من تراجم كتابه يذكر الراوي فقط دون أن يترجم له ولو بكلمة، ودون بيان لدرجته، علما بأن هؤلاء المبيض لهم ليسوا سواء في الرتبة بل هم متباينون، ومن أمثلة هؤلاء:

١- احمد بن سعيد بن بشر بن عبيد الله الهمداني" أبو جعفر المصري"[٧٠]، هكذا ذكره فقط ولم يترجم له أو يبين فيه شيئاً، علما بأنه صدوق (ابن حجر، التقريب ١/١٥).

٢- أبان بن صالح بن عمير القرشي[٧١]: هكذا ساقه العجلي دون أن يترجم له بكلمة، وهو ثقة لم يضعفه إلا ابن عبد البر (ابن حجر، التقريب، ١/٣٠).

٣- محمد بن ياسر[٧٢]: هكذا ساقه العجلي، ولم اعثر له على ترجمة في كتب تراجم الرجال المطبوعة، فهو غالبا مجهول.

٤- هشام بن سلمان المجاشعي[٧٣]: هكذا ذكره ثم ساق رواية له دون تعليق، علما بأن هشام هذا ضعيف الحديث (انظر ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٩/٦٢).

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن الحافظ العجلي بيض لرواة في كتابه ولم يذكر درجتهم علما بأن بعضهم ثقات والبعض الآخر مجاهيل وضعفاء، فلو أن الأمر اقتصر على المشهورين الثقات لكان فعلا مقصودا ويعد ملمحا منهجيا لديه، لكن الأمر غير ذلك كما ذكرت، حتى أنه كان يبيض لبعض الصحابة كعقيل بن أبي طالب[٧٤].

تاسع عشر: وصف عددا من الرواة بقوله: "جائز الحديث" فماذا يعني بذلك؟

من جملة ما أطلق الحافظ العجلي على

رجال كتابه وصفا يكاد ينفرد به، وهو قوله: "جائز الحديث" ويضيف أحيانا "وهو حسن الحديث" وأحيانا "وليس بالقوي" وأحيانا "لا بأس به".

وبداية أسوق بعض الأمثلة على ذلك، وما قاله الحافظ العجلي، ثم سأسوق كلام أهل العلم فيهم لنتوصل إلى مراد العجلي من قوله: "جائز الحديث".

١- إبراهيم بن المهاجر البجلي: قال عنه العجلي[٧٥]: "كوفي جائز الحديث".

٢- حجاج بن أرطأة النخعي: قال عنه العجلي[٧٦]: "كوفي جائز الحديث وكان له فقه وكان على البصرة.. إلى أن قال: فإنما يعيب الناس منه التدليس".

٣- صالح بن حيان القرشي: قال عنه العجلي[٧٧]: "جائز الحديث، يكتب حديثه وليس بالقوي".

٤- ليث بن أبي سليم: قال عنه العجلي[٧٨]: "جائز الحديث، وقال مرة: لا بأس به".

٥- يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم: قال عنه العجلي[٧٩]: "كوفي، جائز الحديث، وكان بآخره يلقن".

ولنر بعد ذلك ماذا قال أهل العلم في وصف هؤلاء الرواة وما هي درجتهم:

الأول: إبراهيم بن المهاجر، قال النسائي[٨٠]: ليس بالقوي وذكر ابن أبي حاتم تضعيفه عن جملة من أهل العلم منهم يحيى بن معين وأبيه (أبو حاتم)، ونقل عن سفيان واحمد قولهما: لا بأس به[٨١]. وكذا ضعّفه الذهبي[٨٢]: وابن حبان[٨٣]، وابن عدي[٨٤]، ولخص ابن حجر جملة القول فيه فقال: "صدوق لين الحفظ"[٨٥].

الثاني: حجاج بن أرطأة النخعي: تركه ابن مهدي والقطان، وقال أحمد: لا يحتج به، وقال ابن معين والنسائي: ليس بالقوي، وقال الدارقطني: لا يحتج به، وقال ابن عدي: ربما أخطأ ولم يتعمد"[٨٦] وقال الحافظ ابن حجر: صدوق كثير الخطأ والتدليس"[٨٧].

الثالث: صالح بن حيان القرشي، فمضعف عند الجميع، لم يوثقه أحد[٨٨].

الرابع: ليث بن أبي سليم: وإن وثّقه بعضهم فالغالب فيه الضعف، وقد لخص الحافظ ابن حجر القول فيه فقال: صدوق، اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك"[٨٩].

الخامس: يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم: فضعيف أيضا، لم يوثقه سوى ابن حبان[٩٠].

وبعد هذا العرض لأقوال أهل العلم في هؤلاء الذين وصفهم الحافظ العجلي بجائز الحديث أو قرن معه وصفا آخر، ندرك

وبوضوح لا شك فيه أن كل من وصفه العجلي بهذا الوصف مطلقا أو مقرونا فهو ضعيف عند أهل العلم كما رأينا، لنقف على حقيقة مفادها: أن عبارة "جائز الحديث" عند العجلي لا تعني توثيقا ولا تعديلا، فهي إما أن تكون في مصطلحه تعني الضعيف، أو الموثق على قاعدة تساهله في التعديل، وإن كنت أرجح الأخير منهما لأنه كان أحيانا يقرن مع قوله "جائز الحديث" عبارة تشعر بمراده وهي: "حسن الحديث" كما في ترجمة هشام بن سعد[٩١] والله اعلم.

عشرون: يكرر بعض أسماء الرواة أثناء تراجم كتابه:

وجدت حافظنا يكرر بعض التراجم، ولعل ذلك سهو منه رحمه الله أو ظنا منه أن المكرر آخر، واليك النماذج التالية:

١- إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني، ذكره تحت الترجمة رقم ٢٧ من كتابه، ثم كرره تحت رقم ٤٧ باسم إبراهيم الطهماني.

٢- إبراهيم بن مرزوق: ذكره تحت رقم ٣٨، ورقم ٤٢ بنفس الاسم.

٣- شفي الاصبحي: ذكره تحت رقم ٦٧١ ثم كرره برقم ٦٧٢ بإسم: شفي بن ماتع، وكلاهما رجل واحد.

٤- عبيد الله بن عبيد الرحمن الاشجعي: ذكره تحت رقم ١٠٦٢ ثم أعاده برقم ١٠٧٢ باسم: عبيد الله الاشجعي.

٥- عبيد الله بن عبيد الله بن أبي ملكية: ذكره تحت رقم ٨٤٨ ثم كرره تحت رقم ٨٩٢ باسم: عبد الله بن أبي ملكية.

حادي وعشرون: أورد في كتابه ضعفاء ونص على ضعفهم وهم كذلك:

ساق الحافظ العجلي أثناء تراجم كتابه عددا من الرواة الضعفاء ولقد أصاب حينما نص على ضعفهم وبين ذلك، ومن هؤلاء:

١- إسحاق بن يحيى بن طلحة: قال عنه العجلي[٩٢]: ليس بالقوي أقول: هو ضعيف باتفاق[٩٣].

٢- عمر بن حبيب القاضي، قاضي بغداد، قال عنه العجلي[٩٤]: "ليس بشيء" أقول: وهو ضعيف باتفاق"[٩٥].

٣- محمد بن جابر بن سيار بن طلق السحيمي: قال عنه العجلي[٩٦]: ضعيف.

أقول: وهو كذلك، وقد ضعفه الأئمة[٩٧].

ثاني وعشرون: ذكر رواة تفرد بهم لم أقف عليهم عند غيره:

انفرد الحافظ العجلي بعدد من الرواة ساقهم وترجم لهم بكلمة أو كلمتين أو نحو ذلك دون ان يذكر فيهم جرحا ولا تعديلا ولم أقف لهم على ترجمة عند غيره أو اظفر

بذكر لهم. ومن هؤلاء:

١- أنيسة: يكنى أبا همام، قال العجلي[٩٨]: كان ببغداد رأيته يأخذ الحديث أخذاً رديئا.

٢- سفيان العضوي[٩٩].

٣- عبد الله بن موسى القيسي: قال العجلي[١٠٠]: كان عالما بالقرآن رأسا فيه.

٤- محمد بن ياسر، يكنى بأبي القطان[١٠١].

٥- عبد الملك بن قزيع: قال العجلي[١٠٢]: كوفي قديم الموت سمع ابن عباس..".

هؤلاء وأمثالهم حكمهم الجهالة للسكوت عليهم فلم يذكر فيهم جرحاً ولا تعديلاً.

ثالث وعشرون: انفرد بتوثيق رجال لم يوثقهم سواه:

كما وجدت أن الحافظ العجلي قد انفرد بتوثيق عدد من الرواة لم يوثقهم سواه احد من أهل العلم، واليك النماذج التالية:

١- إسماعيل السدوسي: قال العجلي[١٠٣]: كوفي ثقة.

٢- الأسود بن سفيان: قال العجلي[١٠٤]: مكي تابعي ثقة.

٣- زياد اليربوع: قال العجلي[١٠٥]: ثقة.

٤- عبد الرحمن بن أبي جعفر: قال العجلي[١٠٦]: تابعي ثقة، صاحب سنة، رفيع، رجل صالح.

٥- قيس بن مسلم: قال العجلي[١٠٧]: كوفي ثقة.

٦- كعب مولى عامر بن إسماعيل: قال العجلي[١٠٨]: مدني ثقة.

رابع وعشرون: يتحسس وينقم من الرواة الموالين للسلطان:

أدركت بوضوح أن الحافظ العجلي يضع الرواة الموالين للسلطان أو العاملين لديهم في دائرة التشكيك في عدالتهم ويعد ذلك ثلما فيها، يتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية:

١- إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد: قال العجلي[١٠٩]: "ما فيه خير كان أمينا ليحيى بن أكثم".

واستغرب ذلك منه الذهبي، وقال: "وإنما نقم عليه العجلي انه كان أمينا على أموال الأيتام فكان ماذا؟؟[١١٠].

٢- عبد الله بن الأسود، أبو عبد الرحمن: قال العجلي[١١١]: جائز الحديث، لا بأس به، يكتب حديثه، كان يلي السلطان".

٣- قطبة بن العلاء بن المنهال الغنوي: قال العجلي[١١٢]: كان يحدث عن أبيه، حدثنا طويلا في قصة الجمل، لم تطب نفسي ان اكتب عنه لأنه كان على شرطة الكوفة".

أرأيت كيف ينظر العجلي لمن يلي أمراً للسلطان؟

يقول: لم تطب نفسي ان اكتب عنه، لماذا؟ لأجل انه كان على شرطة الكوفة، وكأنه يعد ذلك خرما في مروءته وثلما لعدالته، وليس له في ذلك مستند ولا مسوغ معقول.

٤- يونس بن بكير الشيباني: قال العجلي[١١٣]: وكان على مظالم جعفر بن برمك، ضعيف الحديث.

يتضح بجلاء من خلال هذه الأمثلة أن الحافظ العجلي كان يقصد إبراز هذا الأمر وهو يترجم لهؤلاء الرواة، ويعد من عمل لدى السلطان مجروحا وان كان هذا الجرح نسبيا بالنسبة له، إلا انه يهتم ويحرص على سلامة الراوي من خوارم المروءة أن لا يعمل لدى السلطان، فكانت هذه جزئية منهجية واضحة لدى حافظنا العجلي.

❖ الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

١- إمامة الحافظ العجلي وعلو كعبه وتضلعه في الحديث وعلومه.

٢- لم أقف على مصنف للعجلي سوى كتابه في التاريخ.

٣- ليس هناك من العلماء القدماء من وصف الحافظ العجلي بالتساهل.

٤- الذين وصفوا العجلي بالتساهل كلهم معاصرون.

٥- تبين بالدليل ان الحافظ العجلي ليس متساهلا، بل شأنه شأن إخوانه من علماء الجرح والتعديل.

٦- كثيرون من أهل الجرح والتعديل وعلوم الحديث كانوا يعتمدون على حكم العجلي وتوثيقه للرواة.

٧- لطالما اقترن حكم العجلي مع حكم غيره من علماء الجرح والتعديل.

٨- بلغ عدد الذين وثقهم العجلي وهم ضعفاء حوالي (١٣٥) ترجمة أي ما نسبته ٣.٦٪ من كامل عدد تراجم الكتاب.

٩- بلغ عدد الذين انفرد بذكرهم (٣٥) ترجمة أي ما نسبته ٧.١٪.

١٠- بلغ عدد الذين بيض لهم (٦٠) ترجمة أي ما نسبته ٩.٢٪.

١١- كتاب العجلي نفيس في موضوعه لا يستغنى عنه أبدا.

١٢- معظم من وثقهم العجلي في كتابه هم كذلك وهو الأغلب الأعم.

١٣- غالبا ما يذكر إضافة الراوي إلى بلد ما، يماني، شامي، بصري. واستوعب بذلك معظم الرواة إلا نادرا.

١٤- غالب الروايات التي كان يسوقها أثناء التراجم هي بإسناده.

١٥- يذكر تراجم لصحابة ثابتي

الهوامش:

١- الثقات، ترجمة رقم ٧٧٨.

٢- الجرح والتعديل، ٢/٥.

٣- التاريخ الكبير ٥/٤٤.

٤- انظر كتاب: رواة الحديث الذين سكت عنهم ائمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل، ترجمة ٢٤٢.

٥- الثقات، ترجمة ٢٤٢

٦- المرجع السابق، ترجمة ١٢٨٤.

٧- المرجع السابق، ترجمة ١٤٩.

٨- انظر مقدمة كتاب تقريب التهذيب ١/٤.

٩- الثقات، ترجمة رقم ١٢٨.

١٠- المرجع السابق، ترجمة رقم ٦٨٢.

١١- المرجع السابق، ترجمة رقم ١٣٧٥.

١٢- انظر البخاري، التاريخ الكبير ١/٨٠، والعقيلي، الضعفاء الكبير ١/١٣٨، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٢/٣٥٣ والمجموع في الضعفاء والمتروكين، ضعفاء النسائي، ترجمة رقم ٧٦، وضعفاء البخاري، ترجمة رقم ٣٩. والذهبي، ميزان الاعتدال ١/٣١٤، والمغني في الضعفاء ١/١٦٥.

١٣- الكامل في الضعفاء ٢/٤٤١.

١٤- تقريب التهذيب ١/٩٨.

١٥- الثقات، ترجمة رقم ٤٢.

١٦- والحديث بطوله أخرجه احمد في مسنده ٤/١٦.

١٧- الثقات، ترجمة رقم ٤٥.

١٨- الثقات، ترجمة رقم ٥٣١.

١٩- الثقات ترجمة رقم ١٤٥٣.

٢٠- الثقات، ترجمة رقم ٧٥١.

٢١- الثقات، ترجمة رقم ١٧٩٣.

٢٢- الحديث أخرجه احمد في مسنده ١/٤٠٤، وابن ماجة في السنن في المقدمة باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ١/٥٣.

٢٣- انظر الثقات، ترجمة رقم ١١٠٧، ١٣٥٨، ١٤٩١، ١٦٢٢.

٢٤- الثقات، ترجمة ٧٧٢٦.

٢٥- الثقات، ترجمة ١٦٢٢.

٢٦- الثقات ، ترجمة ٧٧٧

٢٧- الثقات، ترجمة ٤٥٣.

٢٨- ابن الأثير، مجد الدين الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/٧، المكتبة الإسلامية، تحقيق محمود الطناحي.

٢٩- الثقات، ترجمة رقم ١٥٢.

٣٠- الثقات، ترجمة رقم ١٠٣٤.

٣١- الثقات، ترجمة رقم ١٢٥٩.

٣٢- الثقات، ترجمة رقم ١٣٢٦.

٣٣- الثقات، ترجمة رقم ١٣٦٢.

٣٤- الثقات، ترجمة رقم ١٩٤٨.

٣٥- الثقات، ترجمة رقم ٧٠.

٣٦- الثقات، ترجمة رقم ٨٢.

٣٧- الثقات، ترجمة رقم ٢٢٢.

٣٨- الثقات، ترجمة رقم ٤٦.

٣٩- الثقات، ترجمة رقم ٢٤١.

٤٠- الثقات، ترجمة رقم ٣٨٨.

٤١- الثقات، ترجمة رقم ٤٥.

٤٢- الثقات، ترجمة رقم ٤٩.

٤٣- الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه.

٤٤- الثقات: ترجمة رقم ١٥٥٦.

٤٥- الثقات، ترجمة رقم ١١٩٣

٤٦- الثقات، ترجمة رقم ١٤٣٥.

٤٧- الثقات، انظر التراجم التالية: ٤١٩. ٥٧١، ٦١٩، ٧٢٦، ١٤٧٦، ١٨٥٩.

٤٨- الثقات ترجمة رقم ١٣٣٨٥.

٤٩- الثقات، ترجمة رقم ١٤٢٢.

٥٠- انظر: ابن حجر ، التقريب ١٢٥/٢، ١٣٦.

٥١- الثقات، ترجمة رقم ١٣١.

٥٢- انظر، العقيلي ، الضعفاء الكبير ١٠٨/١، وابن حبان، المجروحين ١١٦٩، والذهبي، المغني في الضعفاء ١٥٦/١، وابن حجر ، التقريب ٩٠/١.

٥٣- الثقات، ترجمة ٤٠١.

٥٤- انظر، العقيلي، الضعفاء الكبير ٤٠/٢، والذهبي، المغني في الضعفاء ٣٢٢/١، وابن حجر، التقريب ٢٣٥/١.

٥٥- الثقات، ترجمة رقم ٦٨١.

٥٦- انظر البخاري، التاريخ الكبير ٢٧٣/٤، وابن معين، التاريخ ٢٦٢/٢، والذهبي، المغني في الضعفاء ٤٣٢/١، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٣٩٤/٤، وابن حجر، التقريب ٣٥٨/١.

٥٧- الثقات، ترجمة رقم ٧٧٠.

٥٨- الثقات، ترجمة رقم ١٠٠٧.

٥٩- الثقات، ترجمة رقم ١٢٧٢.

٦٠- الثقات، ترجمة رقم ١٠١٢.

٦١- الثقات، ترجمة رقم ١٧٢٦.

٦٢- الثقات، ترجمة رقم ١٧٥.

٦٣- الثقات، ترجمة رقم ١٢٥٥.

٦٤- تتمة الحديث : قيل: «وما عسله؟ قال: يفتح الله عز وجل له عملا صالحا قبل موته يقبضه عليه».

٦٥- أخرجه الإمام احمد في مسنده ٢٠٠/٤ عن سريج بن النعمان قال: حدثنا بقية عن محمد بن زياد الالهاني قال: حدثني أبو عنبة، قال سريج: وله صحبة قال: قال رسول الله ﷺ.. أقول: وهذا إسناد ضعيف فيه بقية بن الوليد: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء (ابن حجر، التقريب ١٠٥/١).

ملاحظة: أرى أن الإمام العجلي وقع هنا في وهم بين، وهو أن هذا الحديث ليس لعمرو بن الحمق وإنما هو لأبي عنبة الخولاني صحابي مختلف في صحبته واسمه (انظر: ابن حجر، الإصابة، ٧/ ١٣٨- ١٣٩). أما الحديث الآخر فهو لعمرو ابن الحمق.

٦٦- الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الديات، باب من أمن رجلا على دمه فقتله ٨٩٦/٢ حديث رقم ٢٦٨٨ قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، ثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن رفاعة بن شداد

القتباني، قال: لولا كلمة سمعتها من عمرو بن الحمق الخزاعي، لمشيت فيما بين رأس المختار وجسده، سمعته يقول: "قال رسول الله ﷺ: "من أمن رجلا على دمه فقتله فانه يحمل لواء غدر يوم القيامة".

أقول: وهذا إسناد صحيح، وصححه البوصيري في الزوائد.

ملاحظة: وقع العجلي في وهم آخر حينما قال: لم يرو عمرو بن الحمق إلا حديثين، والواقع أن عمرواً روى أكثر من ذلك، انظر ابن حجر، الإصابة، ٢٩٤/٤.

٦٧- الثقات، ترجمة رقم ٣٣٠.

٦٨- الثقات، ترجمة رقم ١٠٣٥.

٦٩- الثقات، ترجمة رقم ١١٥٩.

٧٠- الثقات، ترجمة رقم ٣.

٧١- الثقات، ترجمة رقم ١٣.

٧٢- الثقات، ترجمة رقم ١٥١٣.

٧٣- الثقات، ترجمة رقم ١٧٣٥.

٧٤- الثقات، ترجمة رقم ١١٥٥.

٧٥- الثقات، ترجمة رقم ٣٩.

٧٦- الثقات، ترجمة رقم ٢٥١.

٧٧- الثقات، ترجمة رقم ٦٨٢.

٧٨- الثقات، ترجمة رقم ١٤٣١.

٧٩- الثقات، ترجمة رقم ١٨٤٣.

٨٠- المجموع في الضعفاء والمتروكين، ترجمة رقم ٧، ص ٤٣.

٨١- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ١٣٣/٢.

٨٢- المغني في الضعفاء، ترجمة رقم ١٨٩. والميزان ٧٦/١.

٨٣- المجروحين ١٠٢/٢.

٨٤- الكامل في الضعفاء ، ٢١٦.

٨٥- ابن حجر، التقريب ٤٤/١.

٨٦- الذهبي، المغني في الضعفاء ٢٢٣/١-٢٢٤.

٨٧- ابن حجر، التقريب ١٥٢/١.

٨٨- انظر النسائي "المجموع في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٢٩٥، ويحيى بن معين، التاريخ ٤٣٤/٣، والبخاري، التاريخ الكبير ٢٧٥/٤، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٣٩٨/٢، والذهبي، الميزان ٢٩٢/٢، والمغني في الضعفاء، ٤٣٣/١، وابن حبان، المجروحين ٣٦٩/١، وابن حجر، التقريب ٣٥٨/١.

٨٩- ابن حجر، التقريب، ١٣٨/٢، وانظر: البخاري، التاريخ الكبير ٢٤٦/٧، ويحيى بن معين، التاريخ، ٥٠١/٢، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١٧٧/٦، وابن حبان، المجروحين، ٢٣١/٢، والذهبي، الميزان ٤٢٠/٣، والمغني في الضعفاء ١٣٦/٢.

٩٠- الثقات ٦٢٢/٧، وانظر البخاري، التاريخ الكبير، ٣٣٤/٨، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٢٦٢/٩، وابن عدي، الكامل في الضعفاء ٢٧٢٩/٧، والذهبي، الميزان، ٤٢٣/٤، والمغني في الضعفاء ٤٢٠/٢، وابن حجر، التقريب ٣٦٥/٢. وقد وصفه البخاري بـ "منكر الحديث" وقال النسائي : "متروك".

٩١- الثقات، ترجمة رقم ١٧٣٤.

٩٢- الثقات، ترجمة رقم ٧٢.

٩٣- انظر، البخاري، التاريخ الكبير، ٤٠٦/١، وابن معين، التاريخ ٧٢/٢، وابن حبان، المجروحين، ١٣٣/١، والذهبي، المغني في الضعفاء ١٢٣/١، وابن حجر، التقريب ٦٢/١.

٩٤- الثقات، ترجمة رقم ١٢٢١.

٩٥- انظر البخاري، التاريخ الكبير ١٤٨/٦، والعقيلي، الضعفاء الكبير، ترجمة رقم ١١٣٩، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١٠٤/٥، وابن حبان، المجروحين، ٨٩/٢، والذهبي، الميزان، ١٨٤/٣، وابن حجر، التقريب ٥٢/٢.

٩٦- الثقات، ترجمة رقم ١٤٤٠.

٩٧- انظر، البخاري، التاريخ الكبير ٥٣/١، وابن معين، التاريخ ٥٠٧/٢، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٢١٩/٦، وابن حبان، المجروحين، ٢٧٠/٢، وابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٢١٥٨/٦، والذهبي، الميزان ٤٩٦/٣، وابن حجر، التقريب، ١٤٩/٢.

٩٨- الثقات، ترجمة رقم ١٢٠.

٩٩- الثقات، ترجمة رقم ٥٧٩.

١٠٠- الثقات، ترجمة رقم٨٩٣

١٠١- الثقات، ترجمة رقم ١٥١٣.

١٠٢- الثقات، ترجمة رقم ١٠٣٨.

١٠٣- الثقات، ترجمة رقم ٩٣.

١٠٤- الثقات، ترجمة رقم ٩٥.

١٠٥- الثقات، ترجمة رقم ٤٧٩.

١٠٦- الثقات، ترجمة رقم ٩٤١.

١٠٧- الثقات، ترجمة رقم ١٤٠١.

١٠٨- الثقات، ترجمة رقم ١٤١٧.

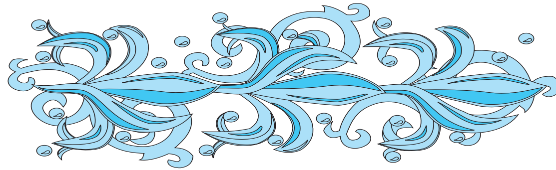
١٠٩- الثقات، ترجمة رقم ٦٢.

١١٠- ابن حجر، لسان الميزان ٣٥٢/١.

١١١- الثقات، ترجمة رقم ٧٧٨، وكرره العجلي برقم ٨٣٥.

١١٢- الثقات، ترجمة رقم ١٣٨٩.

١١٣- الثقات، ترجمة رقم ١٨٨١.



آصرة العقيدة هي أساس الارتباط بين الناس

■ بقلم الدكتور عبد المجيد المعلومي

لا شك ان الروابط التي تجمع بين الناس مختلفة، وتعتبر آصرة القربى أو الدم من أقدم الروابط التي كونت المجتمعات البشرية، ويوم أن ظهر الاسلام كانت تجمعات الناس على شكل قبائل كما في جزيرة العرب وأماكن أخرى، وقوميات كما في بلاد فارس، ومجتمعات دينية كما في الامبراطورية البيزنطية، وقد جعل الاسلام رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم، وان أقر بعض الأواصر الاخرى اذا انضوت تحت هذا الأصل، مثل الأرحام التي حث الاسلام على وصلها، ورتب على ذلك الاحكام المتعلقة بالتكافل الاجتماعي والارث، ومثل صلة الجوار وما يترتب عليها من تضامن كالصلة بين أبناء المدينة.

وجعلهم أولى من سواهم بزكاة اغنيائهم، لكن هذه الصلة ينبغي أن تنضوي تحت آصرة العقيدة فإذا خالفتها وأضرت بها لم يبق لها اي اعتبار، فأساس الارتباط في الاسلام هو العقيدة التي تقتضي مصلحتها التفريق بين المرء وأبيه، أو أبيه أو زوجته، أو عشيرته، وهكذا قاتل ابو عبيدة رضي الله عنه أباه وهو يمجد الاصنام، فقتله عندما التقى به في معركة بدر الكبرى، ورأى ابو حذيفة رضي الله عنه أباه المشرك وهو يسحب ليرمى في القليب ببدر دون ان ينكر قلبه ذلك(١).

وروى الترمذي عن عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزوة - قال سفيان يرون أنها غزوة بني المصطلق- فكسع* رجل من المهاجرين رجلا من الانصار.. فسمع ذلك

عبد الله بن أُبي بن سلول فقال: أو قد فعلوها؟ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.. فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل[٢].

وقد كان عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ باراً بأبيه، لكن مصلحة العقيدة هي المعتبرة عنده أولاً، فما رأى أباه يؤذي المسلمين، إلا عرض على النبي ﷺ أن يقتله ويأتيه برأسه[٣].

وقد أوضح القرآن الكريم ذلك فيما قصه عن نوح عليه السلام وابنه: **﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ❖ قال يا نوح إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك ان تكون من الجاهلين﴾**[٤].

وهكذا بين الحق سبحانه ان ابن نوح عليه السلام، وان كان من أهله باعتبار القرابة، لكنه لم يعد من أهله لما فارق الحق وكفر بالله ولم يتبع نوحا نبي الله، وصرح القرآن الكريم بعلة انقطاع الآصرة بين نوح وابنه بقوله تعالى: **﴿انه عمل غير صالح﴾** فاذا كانت القرابة من الدرجة الاولى تنبتُّ عندما تصطدم بالعقيدة، فالأحرى ان تنبت صلات الدم والعرق والوطن واللون اذا اصطدمت بمصلحة العقيدة.

وقد حصر الاسلام الاخوة والموالاة بين المؤمنين فقط، قال تعالى: **﴿انما المؤمنون اخوة﴾**[٥] وقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين حتى لو كانوا آباءهم وإخوانهم او ابناءهم، ووصف من يفعل ذلك من المؤمنين بالظلم، مما يدل على أن موالاة المؤمنين للكافرين من اعظم الذنوب قال تعالى: **﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾**[٦].

وقد وضع القران الكريم مصالح المسلم وعلاقته الدنيوية كلها في كفة، ووضع حب الله ورسوله والجهاد في سبيله في كفة أخرى، وحذر المؤمنين وتوعدهم ان هم غلّبوا مصالحهم وعلاقاتهم الاجتماعية على مصلحة العقيدة، قال تعالى: **﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**[٧].

وقد نزلت هذه الآيات من سورة التوبة في الحض على الهجرة الى المدينة المنورة للدفاع عن الدولة الاسلامية التي نشأت فيها، وقد نجح الصحابة الكرام في امتحان العقيدة، ففارقوا الأهل والاموال والمساكن التي يحبونها، وهاجروا الى الله ورسوله والجهاد في سبيله.

وخلاصة القول: ان المجتمع المدني الذي اقامه الاسلام، كان مجتمعاً عقديا يرتبط بالاسلام، ولا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو أعلى أنواع الارتباط وأرقاها.

وهذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتمي اليه مهما كان لونه أو جنسه، على أن ينخلع من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الاسلامية ليتمتع بسائر حقوق المسلمين.

وعلاقات المؤمنين قائمة على الاحترام المتبادل فلا يستعلي غني على فقير ولا قوي على ضعيف.

وقد تفتر العلاقة بين المسلم وأخيه ساعة غضب، لكن انقطاعها لا يستمر فوق ثلاث ليال، وتدعم أسس الحب بالصلة والصدقة، أخرج الامام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان ابو طلحة اكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله اليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، فلما نزلت: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**[٨] قام ابو طلحة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، ان الله تعالى يقول: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** وان أحب اموالي اليّ "بيرحاء" وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: «ذلك مال رايح، ذلك مال رايح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى ان تجعلها في الاقربين، فقال ابو طلحة: افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في أقاربه وبني عمه»[٩].

وقد ثبت في التاريخ أن عثمان رضي الله عنه تصدق بقافلة ضخمة –ألف بعير تحمل البر والزيت والزبيب– على فقراء المسلمين عندما حلت الضائقة الاقتصادية بالمدينة المنورة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد عرض عليه التجار خمسة أضعاف ثمنها ربحاً فقال: اعطيت اكثر من ذلك، فقالوا: من الذي اعطاك وما سبقنا اليك احد، ونحن تجار المدينة؟ قال: ان الله اعطاني عشرة امثالها ثم قسمها بين فقراء المسلمين.

فالعقيدة الاسلامية منعت ظهور الصراع الطبقي في المجتمع الاسلامي، وآخت بين الاغنياء والفقراء، ووحدت الصف الداخلي لمواجهة متطلبات الجهاد، وهذه صورة من المجتمع المدني توضح كيف عاشت مجموعة من أفقر المسلمين في عصر النبوة، قال تعالى: **﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾**[١٠].

ذكر ابن سعد في طبقاته بإسناده الى محمد بن كعب القرظي، ان هذه الآية نزلت في اهل الصفة[١١]، وذكر الطبري في تفسيره بأسانيده عن مجاهد والسدى، انها نزلت في فقراء المهاجرين[١٢].

الهوامش:

١- ابن هشام ٧٥/٢ .

* كسع: طرده.

٢- الترمذي، السنن ٩٠/٥، كتاب التفسير.

٣- الهيثمي، مجمع الزوائد ٣١٨/٩ .

٤- هود: ٤٥-٤٦ .

٥- الحجرات: ١٠ .

٦- التوبة: ٢٣ .

٧- التوبة: ٢٤ .

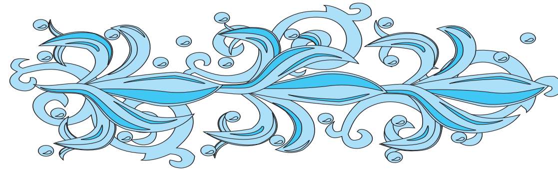
٨- آل عمران: ٩٢ .

* رايح: أي ان أجرها يروح ويغدو عليه.

٩- صحيح البخاري ٣١/٦، كتاب التفسير.

١٠- البقرة: ٢٧٣ .

١١- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٥٥/١ .



قال الله تعالى:

﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة..﴾

■ بقلم الاستاذ علي محمد الرفايعة

تمر بالأفراد الفتن والابتلاءات والاختبارات، ثم يكشف الله تعالى الغمة ويأتي باليسر بعد العسر، قال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً ❖ ان مع العسر يسراً﴾ الشرح: ٥-٦ .

وعن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال: «لن يغلب عسر يسرين» المستدرك: ٥٢٨/٢ .

وأمام هذه الفتن ينقسم الناس الى قسمين: قسم قانط من رحمة الله، امتلأ قلبه بالشك والريب واليأس، قال تعالى: **﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور﴾** هود: ٩، وقال تعالى: **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾** الحج: ١١ .

وقسم يتقبل البلاء بصبر ويقين ورضى بقضاء الله تعالى، وأولئك هم أهل الإيمان الذين أيقنوا ان البلاء سنة الله في خلقه، قال تعالى: **﴿انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾** الانسان: ٢ .

فليستعن أهل الايمان بالصبر والصلاة، وبذكر الله والاستغفار، والأمل في الله ان يفرج الكربة ويكشف الغمة.

ومن الخطأ البين، ان يعتقد الانسان انه يعيش في هذه الحياة الدنيا سالماً معافى، فالإنسان لا يأمن ان تنزل به النوازل أو المصائب في حياته الدنيا والله تعالى يقول: **﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾** البلد: ٤، اي تعب ومشقة وعناء.

وطبيعة الدنيا انها دار ممر، والآخرة دار مستقر، الدنيا دار تعب ونصب ونكد، وأما

الجنة فجعلها الله تعالى دار راحة وأمن وواحة سلام، لا تعب فيها ولا نصب كما قال تعالى: **﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾** الحجر: ٤٨ .

لذلك، لما جاء جبريل عليه السلام بالبشارة للسيدة خديجة رضي الله عنها، قال للنبي ﷺ: «بشر خديجة ببيت من قصب لا تعب فيه ولا نصب».

فهذه طبيعة الحياة الدنيا وطبيعة البشر فيها، يستحيل ان تخلو من الشدائد والمصائب، قال الشاعر واصفاً الدنيا:

جبلت على كدر وأنت تريدها

صفواً من الآلام والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب في الماء جذوة نار

فالعاقل لا يركن الى الدنيا، فالدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل يحق الحق ويبطل الباطل، فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها، فلا خلود في الدنيا ولا بقاء فيها، ولا سلامة من الآفات والأمراض والفتن.. قال تعالى: **﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً﴾** النساء: ٧٧ .

ان المؤمن في حياته يتعرض في كثير من الأحيان الى ضغوط نفسية وابتلاءات في هذه الحياة من نقص في الأموال والأنفس والثمرات الى غير ذلك من المحن، فلا يجد في هذه الحياة ما يخرجه من هذه المحن الا الاستعانة بالله تعالى المتمثلة في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين﴾** البقرة: ١٥٣ .

ففي هذه الآية الكريمة.. دعوة صريحة من الله تعالى للمؤمنين بأن يستعينوا بهذين العنصرين الأساسيين في حياة المؤمن كما قال النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم خير من يستعينوا بعنصري الصبر والصلاة، فها هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يسير في الطريق وهو راكب على جواده وكان قد توفي أخوه فذهب اليه من يخبره بوفاته، فما كان من عبد الله بن عباس الا ان نزل عن جواده وتوضأ بما معه من ماء وصلى ركعتين لله تعالى، فتعجب من أخبره

بذلك من صنيعه هذا، حيث لم يجزع ولم يتضجر وقال له: عجباً لك أأخبرك بوفاة أخيك فتتوضأ وتصلي! فقال له: أما سمعت قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين﴾**.

وكيف لا يكونوا كذلك وهم قد تربوا في مدرسة الحبيب المصطفى محمد ﷺ، الذي كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة، وكان يقول دائماً حين يحين وقت الصلاة: «أرحنا بها يا بلال» فما أحوجنا الى هذه الأخلاق الفاضلة.

وقد سبق في علم الله انه اذا اصاب المؤمن مصيبة، فإنها تكون وفق قدر معلوم وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية وكتابة إلهية ولا بد ان يعلم المؤمن، ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه حيث قال الله تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾** الحديد: ٢٢، وهكذا فإن من صفته تعالى ان يقدر ويلطف ويبتلي ويخفف.

ان في الشدائد دروساً قيمة للمؤمنين، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تنضج نفوسهم وتصقل إيمانهم وتذهب صدأ قلوبهم، وتكفر من خطاياهم وتزيدهم صلة بربهم.

أولاً: ان في الابتلاء تمحيص للمؤمنين وزيادة في الأجر والثواب، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، واذا اراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» وقال النبي ﷺ: «ان عظم الجزاء مع عظم البلاء، وان الله تعالى اذا احب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ثانياً: التعرف على سنة الله عز وجل في التغيير، قال تعالى: **﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: ١١ .

ثالثاً: تمييز الخبيث من الطيب يقول الله تعالى: **﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾** آل عمران: ١٧٩ .

رابعاً: البلاء دروس من دروس التوحيد والايمان والتوكل، يطلعك عملياً على حقيقة نفسك لتعلم انك عبد ضعيف لا حول ولا قوة الا بربك، فتوكل عليه حق التوكل.

خامساً: ان البلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها، وأنها متاع الغرور وان الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، حياة لا مرض فيها ولا تعب **﴿وان الدار الآخرة لهي**

الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت: ٦٤ .

سادساً: ان البلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالعافية.

سابعاً: ان البلاء يذكرك بعيوب نفسك لتتوب منها، قال تعالى: **﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾** السجدة: ٢١ .

ثامناً: ان البلاء درس تربوي عملي يربينا على الصبر، وما أحوجنا الى الصبر في كل شيء، ولن نستطيع الثبات على الحق الا بالصبر على طاعة الله.

لا يخلو المسلم من الابتلاء، فإما ان يبتلى في نفسه بالقتل او الشهادة في سبيل الله، أو المرض او بالأسر او بالخوف من الأعداء، أو يبتلى في ماله، بسلبه أو إتلافه أو خسارته في إحدى التجارات، أو يبتلى في ولده بوفاته أو مرضه، أو غير ذلك من المحن، قال تعالى: **﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ❖ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ❖ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** البقرة: ١٥٥-١٥٧ .

ويجب على المسلم الصبر والاسترجاع عملاً بقوله تعالى: **﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾** البقرة: ١٥٦، قال ابو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد
واعلم بأن المرأ غير مخلد
أو ما ترى ان المصائب جمة
وترى المنية بالعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟
هذا سبيل لست فيه بأوحد
فإذا ذكرت محمداً ومصابه
فاذكر مصابك بالنبي محمد

والله تعالى بشر الصابرين المسترجعين بقوله: **﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾** البقرة: ١٥٧ .

هذه نعم من الله عز وجل، وصلاة الله على عبده.. اي عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه في الدنيا والآخرة.

قال الزجاج: الصلاة من الله تعني الغفران والثناء الحسن، وقيل: أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه: «نعم العدلان ونعم العلاوة» اراد بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الاهتداء، وقيل: اي استحقاق الثواب وإجزال الأجر، وقيل: تسهيل المصائب وتخفيف الحزن.

قال أحد السلف: «ما أصبت في دنياي

بمصيبة الا رأيت لله فيها ثلاث نعم: انها لم تكن في ديني، وانها لم تكن اكبر منها، وانني ارجو ثواب الله عليها».

وهكذا لا بد ان يكون المؤمن شاكراً لله، فضلاً عن رضاه بقضائه تعالى وصابراً على بلائه.

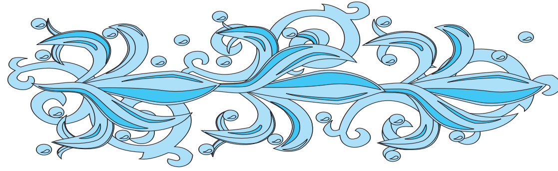
يا صاحب الهم ان الهم منفرج
ابشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع احياناً بصاحبه
لا تيأسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعن فإن القاسم الله

اذا بليت فثق بالله وارض به
ان الذي يكشف البلوى هو الله

والله ما لك غير الله من احد
فحسبك الله في كل لك الله



في ذكرى ميلاد رسول الرحمة ﷺ

■ بقلم الدكتور عبد الله الديرشوي

ما أعظمه من شهر، وما أجملها من ذكرى، وما أشرقها من أيام، يحيي فيها المسلمون ذكرى ميلاد نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، وحق لهم ان يحيوها، لأن عظمة نبيهم لا تدانيها عظمة مخلوق، ولأن سيرته العطرة لا تضاهيها سيرة..

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمد وضاء
زانتك في الخلق العظيم شمائل
يُغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
واذا رحمت فأنت ام أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء(١)

نعم فهو الذي جمع الله عز وجل له الكمالات البشرية في أرفع مظاهرها، وأسمى معانيها، حتى غدا المثل الكامل لكل كبير، ولكل عظيم، بل ولكل إنسان.

كيف لا وهو إمام الأنبياء والمرسلين، وكيف لا وهو حبيب رب العالمين، أدبه ربه تعالى فأحسن تأديبه، وأنعم عليه فأكبر خلقه، «وسكب في قلبه الحكم والعلم، وفي خلقه الإيناس والبر، وفي طبعه السهولة والرفق، وفي يده السخاوة والندى حتى جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً، فصدق قول الله عز وجل: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو**

كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ آل عمران: ١٥٩»[٢].

وان المرء اذ يقف مع سيرة الحبيب محمد ﷺ يستعرض مواقفه، ليشعر أنه أمام الرحمة بعينها، ويدرك معنى قوله ﷺ: «انما انا رحمة مهداة» رواه ابن عساكر.

وفي هذه الصفحات القليلة نقف مع بعض مظاهر هذه الرحمة التي تجلت في اقواله وأفعاله ﷺ:

❖ رحمته بالخلق كافة:

لقد كان رسول الله ﷺ رحمة للبشرية كلها، مؤمنهم وكافرهم، حيهم وميتهم، غنيهم وفقيرهم، عامهم وخاصهم، وحسبه في ذلك قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: ١٠٧، ذلك لأن البشرية كلها استفادت من شريعته، وتأثرت بمنهجه بأسلوب أو بآخر، طائعة أو كارهة، شاعرة او غير شاعرة.

وكذلك ما من أحد الا وستشمله رحمته في الآخرة، حين يقف الناس في ارض المحشر ينتظرون ساعة الحساب، فيطول بهم الانتظار، ويطول ويطول، حتى يتمنون الخروج من هذا الموقف ولو الى النار، فيلجأون الى أبي البشر آدم عليه السلام، عله يشفع لهم عند الله عز وجل، ليريحهم من هول الموقف، فيعتذر آدم عليه السلام، فيأتون نوحاً عليه السلام فيعتذر، فيأتون إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام وكلهم يعتذرون، فيأتون الحبيب محمداً ﷺ فيقول: «أنا لها.. أنا لها» فيقبل الله تعالى شفاعته في الإنس والجن، وهي الشفاعة العظمى، ويريحهم من هول الموقف[٣].

نعم لقد كان رسول الله ﷺ رحمة للناس كافة، للمؤمنين بالهداية، وللمنافقين بالأمان من القتل في الدنيا، وللكافرين بتأخير عذابهم الى يوم الحساب وعدم استئصالهم في الحياة الدنيا بعذاب عام، كالذي كان يقع في الأمم السابقة حين كانت تكذب رسلها من خسف أو مسخ أو ريح عاصف أو غير ذلك.

ولم تكن الرحمة متكلفة عند رسول الله ﷺ كما هو الشأن عندنا، بل كانت سجية وخلقاً، لا تفارقه حتى في أعصب الساعات، وأحلك الظروف، كما نلاحظه في غزوة أحد، وفتح مكة، وغيرهما، ففي غزوة أحد عندما حاول المشركون اغتياله صلوات الله وسلامه عليه، وشجوا وجهه، وكسروا رباعيته، ونظر الرسول ﷺ حوله فإذا بخيرة أصحابه حوله مستشهدين مضرجين بدمائهم، اذ بأحد أصحابه يقول: ادع عليهم يا رسول الله، فما كان من الحبيب الا ان دعا لهم بالهداية، وقال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وقال لأصحابه: «اني لم

أبعث لعاناً وانما بعثت رحمة»[٤].

وفي فتح مكة عندما دخلها الرسول ﷺ فاتحاً مظفراً، لم تكسره نشوة الانتصار، ولا تملكه حب الانتقام، بل دخلها خاضعاً لله متذللاً له، حامداً شاكراً، وعندما سمع الرسول ﷺ سعد بن عبادة حامل راية الأنصار يقول: اليوم يوم الملحمة، رد عليه الرسول ﷺ قائلاً: «بل اليوم يوم المرحمة» ولما جمع الرسول ﷺ المشركين في صعيد واحد ونظر اليهم وهم الذين آذوه وأخرجوه وأصحابه بالأمس القريب، لم يزد على ان قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

هذه هي بعض معاني رحمته ﷺ بالناس كافة، اذ لا يمكن حصرها أو استقصاؤها، لأن حياته ﷺ كلها مشتملة على هذا المعنى..

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت

بأنه خير مبعوث من البشـــر

عمت فضائله كل البلاد كمـــا

عم البرية ضوء الشمس والقمر[٥]

❖ رحمته ﷺ بالمؤمنين:

لقد كان ﷺ رحيماً بالمؤمنين، رؤوفاً بهم، يستجيب لمطالب بؤسائهم، ويمشي ويكد في حاجة ضعفائهم، ويشق على نفسه في سبيل اسعادهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، ذكر يوماً حالة ابراهيم عليه السلام مع قومه وعطفه عليهم، وذكر حالة عيسى عليه السلام مع قومه وعطفه عليهم، ثم رفع يديه الى السماء وبكى وقال: «اللهم أمتي أمتي»، فأرسل الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام يخبره بأن الله سيرضيه في أمته[٦] **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** الضحى: ٥ .

فهل رأيت أروع وأعظم من هذه الصورة؟ هل تبلغ رحمة مخلوق بأولاده أو أتباعه هذا الحد؟ ومن هنا كان حقاً علينا ان نحب رسول الله ﷺ أكثر من آبائنا وأبنائنا وأنفسنا التي بين جنبينا، لأنه أهل لذلك، ولأنه سبب لسعادتنا الأبدية، ولأنه أولى بنا من أنفسنا، كما صوره ﷺ بقوله حين قال: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي»[٧].

ومن كمال رحمته بنا أنه ﷺ خبأ لنا دعوته المستجابة الى يوم القيامة، حتى يشفع لنا بها عند الله عز وجل[٨]، ومن هنا ندرك بعض معنى قول الله عز وجل: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** التوبة: ١٢٨ .

لقد نحله الله عز وجل صفتين من صفاته، ﴿رءوف رحيم﴾ لم ينحلهما أحداً من خلقه، لا من قبله ولا من بعده، يقول صاحب الظلال: «ولم يقل: جاءكم رسول منكم، ولكن قال: ﴿من أنفسكم﴾ وهي أشد حساسية، وأعمق صلة، وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهم به، فهو ﷺ بضعة من أنفسهم، تتصل بهم صلة النفس بالنفس، وهي أعمق وأحس ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ يشق عليه عنتكم ومشقتكم ﴿حريص عليكم﴾ لا يلقي بكم في المهالك، ولا يدفع بكم الى المهاوي، فإذا هو كلفكم الجهاد وركوب الصعاب، فما ذلك من هوان بكم عليه، ولا بقسوة في قلبه وغلظة، وانما هي الرحمة في صورة من صورها، الرحمة بكم في الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم ان يكون لكم شرف حمل الدعوة، وحظ رضوان الله والجنة التي وعد المتقون»[٩].

ويحدثنا ابو هريرة الصحابي الجليل رضي الله عنه عن صورة رائعة تتجلى فيها عظمة الرسول ﷺ ورحمته بأصحابه، فيقول: «كنت أشد على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمر بي النبي ﷺ حين رآني، وعرف ما في وجهي، وما في نفسي، ثم قال: أبا هر.. قلت: لبيك يا رسول الله.. قال: إلحق «اي اتبعني» ومضى، فاتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخلت، فوجد لبناً في قدح، فقال: من اين هذا اللبن؟ قالوا: اهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر.. قلت: لبيك.. قال: إلحق الى اهل الصفة فادعهم لي.. قال: واهل الصفة اضياف الاسلام، لا يلوون على اهل ولا مال ولا على أحد، وكان اذا اتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً، واذا أتته هدية ارسل اليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت في نفسي: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا وأمرني كنت أعطيهم، وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: أبا هر.. قلت: لبيك.. قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهيت الى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر اليّ فتبسم فقال: ابا هر.. قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت.. قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب.. فقعدت فشربت، فقال: اشرب.. فشربت.. فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً،

قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى، وشرب الفضلة»[١٠].

هل عرف البشر أروع من هذه الصورة أو مثلها؟ وهل عرف أحد من الولاة أو الحكام أو الرعاة مثل هذه الرحمة؟! انظر كيف يؤثر رعيته على نفسه، فلا يشرب الا من بعد ان يشرب الجميع ولا يشبع الا من بعد ان يشبع الجميع، ولا يتمتع الا من بعد ان يتمتع الجميع، فضلاً عن أن يمتاز عنهم بشيء، وهو مع ذلك كله لن يكون أكرم من الله سبحانه، ولا ارحم منه بعباده، اذ لا يعدو ان يكون عبداً من عباده، وأثراً من آثار رحمته التي وسعت كل شيء، ومن هنا فقد بارك الله له في قدح اللبن ولم يخيب رجاءه فبارك له فيه حتى ارتوى منه الجميع، فقرت عينه ﷺ.. نعم..

هذا محمد المحمود سيرته
هذا أبر بني الدنيا وأوفاهـا
هذا الذي حين جانا بالرسالة في
بطحاء مكة عم النور بطحاها
ما للنبيين من وصف وليس له
فمنهتي حسنها فيه وحسناها
انت الذي ما له في الكون من شبه
هيهات أين ثراها من ثرياهـا
ما نال فضلك ذو فضل سواك ولا
سامى فخارك ذو فخر ولا ضاهى[١١]

❖ رحمته ﷺ بالنساء:

لقد ضرب رسول الله ﷺ اروع الأمثلة للناس كلهم وعبر العصور، في مراعاة فطرة المرأة والاحسان اليها وتكريمها، وحسن معاشرتها بالمعروف، فقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، اخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[١٢]، وينادي على رؤوس الاشهاد بأن المرأة كالرجل في الانسانية والتكريم والتكليف والثواب والعقاب، وأنها تعتبر أحد شقي الانسانية، وان العلاقة بينها وبين الرجل قائمة على اساس التعاون والاحترام المتبادل، فيقول ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[١٣].

وعندما يصنع احد جيران الرسول ﷺ طعاماً ويدعوه اليه -وكان فارسياً طيب الطعام- يقول له الرسول ﷺ: وهذه؟ لعائشة، فيقول: لا، فيقول الرسول ﷺ: لا، ثم عاد يدعو الرسول ﷺ في الثانية، فكرر شرطه بأن يأخذ عائشة معه، فرفض، ثم عاد الثالثة، فكرر عليه الرسول ﷺ شرطه، فقال: نعم، فقاما «اي الرسول وعائشة» يتدافعان حتى أتيا منزله[١٤].

وفي هذا الحديث يقول الدكتور محمد

سعيد رمضان البوطي: «ان فيه الصورة البارزة الحية لجميل خلقه ﷺ مع اهله، وعظيم رحمته وعاطفته تجاهها، فقد كانت تمر الأيام الطويلة المتتابعة ولا تستوقد نار الطعام في بيت رسول الله، وانما طعامهم الأسودان: التمر والماء، أفيترك رسول الله ﷺ اهله –وهي انما ترضى بالشظف أسوة به– ليجلس من ورائها الى مائدة شهية عامرة عند جاره الفارسي؟! ما كان خلق رسول الله ﷺ ليرضى بذلك»[١٥]، **وفي هذا درس للأزواج بأن لا يكون همهم أنفسهم وحسب، بل عليهم ان يعطفوا على زوجاتهم، ويحسنوا معاملتهن ويؤدوا ما عليهم من حقوق لهن.**

وتذكر لنا السيدة عائشة رضي الله عنها موقفاً آخر من مواقف رسول الرحمة والانسانية ﷺ، يتجلى فيه مدى مراعاته ﷺ لما جبلت عليه المرأة من الميل الى الترويح عن النفس، فتقول: «كان الحبش يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله، فحملني الرسول على ظهره وجعلني انظر اليهم حتى انصرفت، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن»[١٦]، ولما أتت جارية الى الرسول ﷺ تشكوا أباها وتقول: بأنه زوجها وهي كارهة، فكان ان خيرها الرسول ﷺ[١٧].

بل ان الرسول ﷺ جعل من حسن معاشرة الرجل لزوجته مقياساً لأعظم القيم ألا وهي كمال الايمان عندما قال: «خياركم خياركم لنسائهم»[١٨].

كما ان الرسول ﷺ حث على طاعتها وهي أم، وأمر ببرها وحسن معاملتها ورعايتها حين سأله رجل ثلاث مرات: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ وهو يقول: أمك، الى ان كانت المرة الرابعة فقال: أبوك»[١٩].

ودعا الى تكريمها وهي بنت، وأمر بحسن رعايتها وتربيتها، والعطف عليها في احاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «من ابتلي (اختبر) من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له ستراً من النار»[٢٠]، وتراه يمشي في حاجة الأرملة ويحث المسلمين على مساعدتها قائلاً: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله –شك الراوي– واحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»[٢١]، وعندما رأى امرأة مقتولة –في فتح مكة– تأسف لذلك وقال: «ما كانت هذه لتقتل» فأخبره اصحابه بأنها كانت تقاتل ولذلك قتلوها، فنهاهم عن قتل النساء[٢٢]، فهذه بعض صور تكريمه للمرأة ورحمته بها، وصدق الشاعر اذ يقول:

أغر ارسله الرحمن مرحمة
للخلق بالحق يهدي العرب والعجما[٢٣]

❖ رحمته ﷺ بالصبيان والعيال:

كان ﷺ يعامل الصبية معاملة كلها رحمة ورقة ورأفة، وكان يتلطف بهم ويمازحهم، ويلوم على القسوة والجمود معهم، وكان يضرب الأمثلة -بفعله- للناس ليغير المفاهيم الخاطئة المترسخة في أذهانهم، فكان يحمل الصبيان ويقبلهم ويضعهم في حجره، بل ويحملهم على عاتقه وهو في الصلاة، وكان يقول: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا»(٢٤)، حتى قال فيه أنس بن مالك رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله»(٢٥).

وكان ﷺ اذا قدم من سفر تُلقِّي بصبيان أهل بيته، وكثيراً ما كان يقصد بيت ابي سيف العين وكان ظئراً لابراهيم ولده، فيأخذه ﷺ فيقبله ويشمه، ولما مات جعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ وكأنه استغرب بكاءه، فقال ﷺ: «يا ابن عوف انها رحمة..» وكان يمازح الحسن والحسين، ويركبهم على ظهره، ويدلع لهم لسانه ويقبلهم، ولما رآه الأقرع بن حابس ذات يوم وهو يقبل الحسين، قال: ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر اليه الرسول ﷺ وقال: «من لا يرحم لا يرحم»(٢٦).

وعندما أتاه ناس من الأعراب ذات يوم ووجدوه يقبل اولاده، قال أحدهم: يا رسول الله أتقبلون الصبيان؟ والله ما نقبلهم، فقال رسول الله ﷺ: «أو أملك ان كان الله نزع من قلبك الرحمة»(٢٧).

وبينما كان ﷺ يصلي ذات يوم سمع بكاء طفل -وهو في صلاته- فخففها وأسرع في أدائها رحمة بالصبي، ليرى ما الذي يؤذيه ورفقاً بأمه حتى لا تفتتن في صلاتها ببكاء ولدها.

وكان ﷺ يحرض المسلمين على تكريم أولئك الأطفال الذين شاءت الأقدار ان تحرمهم من عطف الأبوة أو حنان الأمومة، ويقول: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه» ثم يشير باصبعيه السبابة والوسطى ويقول: «انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»(٢٨).

❖ رحمته ﷺ بالحيوان:

وهذا مظهر آخر من مظاهر رحمة رسول الله ﷺ، ولكنها في هذه المرة ليست في البشر، بل تتجاوز ذلك الى الحيوانات العجماوات، وفي وقت كانت أمم الأرض تتلهى بقتل الحيوانات وتعذيبها في أفراحها ومناسباتها ورياضاتها، فجاء الرسول ﷺ لينهاهم عن عدم الاكتراث بأحوالها، فقال ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم مجالس»(٢٩)

فنهى عن المكث طويلاً على ظهرها وهي واقفة.. ونهى عن اتخاذها هدفاً للرمي وقال: «لعن الله من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً»[٣٠].

ونهى عن التحريش بينها ووسمها في وجوهها أو كيها بالنار ونحو ذلك، وأمر بالرفق بها حتى عند ذبحها، وقال: «ان الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٣١].

وبينما كان الرسول ﷺ يمشي في بعض حاجاته وجد بعيراً قد لصق ظهره ببطنه من شدة هزاله وضعفه، فقال ﷺ: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»[٣٢].

وبين ﷺ ان الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة، كما في قصة الرجل الذي نزل البئر وملأ خفه ماء فسقى كلباً فشكر الله فغفر له[٣٣]، كما ان القسوة عليها قد تدخل صاحبها النار، كما في قصة تلك المرأة التي ربطت هرة، فلا هي أطعمتها ولا دعتها تأكل من خشاش الأرض، فدخلت النار بسبب ذلك[٣٤].

فلا عجب من ذلك، لأن الرحمة انما هي رقة الفؤاد، ومن رق قلبه لحيوان، فسيرق قلبه لإنسان من باب أولى، لأن الرحمة لا تتجزأ ولا تتبعض، والراحمون يرحمهم

الهوامش:

١- من قصيدة أمير الشعراء احمد شوقي في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ.

٢- خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ٢٠٤، ط دار القلم، سورية ١٩٨٥م.

٣- صحيح ابن حبان بتحقيق الاستاذ شعيب الأرناؤوط ٣٧٧/١٤ وهو صحيح، ط. مؤسسة الرسالة ١٩٩١م.

٤- شرح السنة للبغوي، بتحقيق الاستاذ شعيب الأرناؤوط ٣٧/١٣ وهو متفق عليه، ط. المكتب الاسلامي ١٩٨٣م.

٥- من قصيدة لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

٦- صحيح ابن حبان ٢١٧/١٦ .

٧- صحيح مسلم بشرح النووي ٥٠/١٥، الناشر مؤسسة مناهل العرفان.

٨- صحيح ابن حبان ٣٧٣/١٤، وهو صحيح.

٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٧٤٣/٣، ط. دار الشروق.

١٠- صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٨٦/١١، ط. دار الريان.

١١- من ديوان الشاعر عبد الرحيم البرعي.

١٢- كشف الخفاء للعجلوني ١٢٠/١ وهو صحيح.

١٣- المرجع السابق ٢١٤/١ وهو صحيح.

١٤- صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٩/١٣ .

١٥- الى كل فتاة تؤمن بالله، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٧٢، ط. مكتبة الفارابي، دمشق.

١٦- متفق عليه.

١٧- رواه ابو داود ورجال اسناده ثقات.

١٨- شرح السنة ٧٨/١٣ وهو صحيح.

١٩- صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٢/١٦ .

٢٠- شرح السنة ١٨٧/٦، وهو صحيح.

٢١- شرح السنة ٤٥/١٣ وهو صحيح.

٢٢- صحيح البخاري مع الفتح ١٧٢/٧ .

٢٣- ديوان البرعي.

٢٤- شرح السنة ٤٠/١٣ وهو صحيح.

٢٥- صحيح مسلم بشرح النووي ٧٥/١٥ .

٢٦-٢٧- صحيح مسلم بشرح النووي ٧٦/١٥ .

٢٨- شرح السنة ٤٣/١٣ .

٢٩- رواه احمد والحاكم.

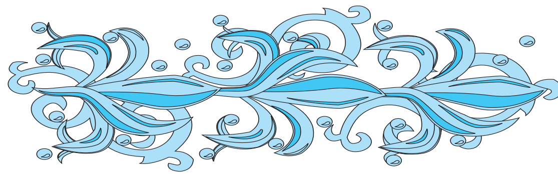
٣٠- صحيح ابن حبان ٤٢٢/١٢، وهو متفق عليه ايضاً.

٣١- شرح السنة ٢١٩/١١ وهو صحيح.

٣٢- رواه ابو داود وابن خزيمة.

٣٣- شرح السنة ٢٢٩/١٢، وهو صحيح.

٣٤- المرجع السابق ٣٨٢/١٤ وهو صحيح.



رحمة رسول الله ﷺ بالعبيد والخدم

■ بقلم الاستاذ محمد مسعد ياقوت

تتمثل رحمته ﷺ للعبيد في عدة جوانب، أهمها انه ساهم بشكل كبير في تحرير العبيد، فضيق ﷺ مصادر الاسترقاق ووسع منافذ التحرير، كما جعل للعبيد حقوقاً وواجبات، وأمر بالرفق بهم وبالخدم، فهم على أقل الأحوال إخواننا في الإنسانية.

◆ تحرير العبيد:

لقد كانت دعوة النبي ﷺ دعوة لحرية الانسان، والقضاء على العبودية، فقرر الحرية الانسانية وجعلها من دلائل تكريم الخالق للإنسان، ولذا رأيناه ﷺ يولي عناية خاصة لتحرير الأرقاء، عن طريق إلغاء مصادر الرق أولاً، وتشجيع المسلمين على تحرير عبيدهم، انطلاقاً من قوله: «ان من اعتق عبداً اعتق الله له بكل عضو عضواً من اعضائه من عذاب النار»(١).

ومن ثم نظم الاسلام أحكام الرق، بحيث ضيق في أسباب حدوث الرق، وتوسع في أساليب العتق، ولذلك، كما يقول «اميل درمنغم»: «عدّ فك الرقاب من الحسنات ومكفراً لبعض السيئات»(٢).

ويذكر «آدم متز» أهم أساليب العتق في الاسلام، مبيناً ان العتق يعد مبدأ من مبادئ الاسلام، فيقول: «كان في الاسلام مبدأ في مصلحة الرقيق، وذلك ان الواحد منهم كان يستطيع ان يشتري حريته بدفع قدر من المال، وقد كان للعبد أو الجارية الحق في ان يشتغل مستقلاً بالعمل الذي يريده، وكذلك كان من البر والعادات المحمودة ان يوصي الانسان قبل مماته بعتق بعض العبيد

الذين يملكهم»[٣].

وكان الرسول ﷺ في مجتمعه الاسلامي، إماماً في إقرار مبدأ تحرير العبيد، حتى ان أسرى الحرب لم يعتبرهم عبيداً، وسمح لهم بدفع الفدية او تعليم أبناء المسلمين لفك أسرهم[٤].

فلم يبق ﷺ ايما عبد على عبوديته، فما ان يؤول اليه عبد رقيق، حتى يسارع الى إعتاقه[٥]، بل رفع ﷺ من شأن العبيد حتى جعل النبي ﷺ كما يقول نظمي لوقا[٦]: «العبدان والأحابيش سواسية»[٧].

ومن هنا وقفت قيادات قريش الأرستقراطية في وجه الدعوة التي ترنو الى تحرير العبيد وتنادي بالمساواة التامة بينهم وبين السادة، ولقد كانت قيادات مكة تساوم قائد الدعوة على طرد هؤلاء العبيد مقابل إقرار قيادات مكة بالاسلام، ومن ثم نزل القرآن الكريم محذراً رسول الله ﷺ ان يترك العبيد او يطردهم، وهم الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدعوة، ويدعون ربهم الواحد الأحد صباحاً ومساءً، يريدون ببذلهم وجه الله تعالى، لا يبتغون منصباً أو جاهاً كما يبتغي غالبية السادة، فقال الله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾** الكهف: ٢٨ .

ان هؤلاء العبيد في الشرع الاسلامي السمح، هم أعظم قيمة وأكثر بركة وأرق أفئدة، وأطهر نفساً من هؤلاء السادة الذين يستعبدون الناس، ويتجبرون في الأرض بغير الحق، هؤلاء العبيد نزل من اجلهم الأمر من السماء الى رائد الدعوة ﷺ بأن يضعهم في عينيه! بل نزل التحذير من الله لرسوله ﷺ من ان يلتفت عن العبيد الى زينة الكبراء، أو ان يتلهى عن العبد ويطيع السيد المارق.

أما العبيد فقد وجدوا الكرامة والحرية، في تعاليم الاسلام الاصلاحية، وفك رقابهم من طوق الفقر والذل، وخلصهم من عبادة الحجارة وسياط السادة، بل جعل منهم سادات المسلمين، حتى أُثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعليقاً على حادثة شراء أبي بكر لبلال بن رباح رضي الله عنهما، ليعتقه من الرق، فقال: «سيدنا وأعتق سيدنا»!.

❖ فرية سن الاسترقاق:

ورغم جهود رسول الله محمد ﷺ في تحرير العبيد، الا ان بعض الحاقدين زعموا ان محمداً ﷺ سن الاسترقاق!

ونحن نترك «لايتنر» يرد على هذه الفرية، فيقول: « .. انا نرى الأغبياء من

النصارى يؤاخذون دين الاسلام، كأنه هو الذي قد سن الاسترقاق، مع ان محمداً (ﷺ) قد حضّ على عتق الرقاب، وهذه أسمى واسطة لإبطاله حقيقة»[٨].

كذلك يتحدث الكاتب الفرنسي «فانسان مونتييه»[٩] مستنكراً هذه الشبهة على اصحابها فيقول: «إنهم يتهمون الاسلام بظاهرة الرق التي وجدت قبل الاسلام وليس بعده، بل حين انتشر الاسلام وطبقت تعاليمه كان يسعى لإلغاء الرق، بل ان كثيراً من الكفارات للذنوب التي يقدم عليها المرء، هو تحرير الرقاب الذي عدّه الاسلام تقرباً وطاعة لله»[١٠].

ويتحدث «كويليام»[١١] عن هذه الروايات التي اختلقها الحاقدون، وزعموا ان محمداً ﷺ، سن الاسترقاق والنخاسة.. فيقول: «ان روايات كهذه مجردة بالمرة عن الحقيقة، لا يمكن تصديقها وتصور وقوعها»[١٢]، ويدلل على حقيقة ان محمداً ﷺ له الفضل في القضاء على النخاسة في الجزيرة العربية، فيضرب مثالاً بمناطق شرق ووسط افريقيا، التي تفشت فيها مظاهر النخاسة والاسترقاق، ويبين ان السبب في تفشي هذه المظاهر في هذه المناطق، هو «لأن الاسلام لم يدخل فيها!! وبرهان ذلك ان الاسلام من خصائصه ابطال النخاسة إبطالاً دائماً»[١٣].

رغم ان تجار النخاسة والرق -كما يقول سادوار بروي- كانوا «من الأوروبيين»[١٤]، ومن ثم.. «توقفت حركة التطور في البلدان الافريقية على اثر العبث الذريع الذي أحدثه في تلك الأراء تجار النخاسة والرق من الأوروبيين»[١٥].

واذا قيل: ان الاسلام لم يلغ الرق والاتجار بالبشر إلغاءً كاملاً رغم عظم مجهودات نبي الله ﷺ في مكافحة الاسترقاق، فجواب ذلك **ان الدولة الاسلامية وحدها لا تستطيع ان تقضي تماماً على عادة الاسترقاق والاتجار بالبشر، وذلك لعدة أسباب وجيهة ومنطقية.**

السبب الأول: ان مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر، كانت متأصلة ومنتشرة في المجتمعات الانسانية، العربية وغير العربية، منذ قديم الزمن، فكان على الشرع الاسلامي كعادته ان يستخدم التدرج في القضاء على المنكرات والأعراف الفاسدة، فضيّق منافذ الاسترقاق ووسع أبواب العتق.

السبب الثاني: ان هذه العادات كانت قبل ظهور الاسلام بمثابة الأعراف الدولية، فقد كانت جميع الدول والامبراطوريات -دون استثناء- تمارس الاسترقاق والاتجار بالبشر، ومن ثم فإن القضاء على الرق يحتاج الى اتفاق دولي عام، يلزم الجميع

بمنع الاسترقاق او الاتجار بالبشر.. ومعلوم ان الدولة الاسلامية ايام النبي ﷺ لم تكن من القوة والانتشار بالقدر الذي يسمح لها بمنع هذه العادات.

السبب الثالث: ان الناس كانوا حديثي العهد بالاسلام، وإذا اصدرت الدولة قراراً بمنع الرق، فسوف يقع حرج شديد على هؤلاء الناس، الذين أصبحت تجاراتهم وأعمالهم تقوم على كاهل هؤلاء العبيد، فكان على النظام الاسلامي ان يأخذ بمبدأ التدرج في منع الاسترقاق والاتجار بالبشر.

السبب الرابع: ان الدولة الاسلامية لم تكن تمتلك من الامكانيات الاقتصادية والمالية بحيث تتمكن من كفالة هؤلاء العبيد بعد تحريرهم، أو حتى توفير فرص عمل لهم جميعاً، فمن المعروف ان العبيد كانوا في كفالة أسيادهم يطعمون من مال السادة، ويحترفون لهم في مهنهم.

❖ نماذج رحمته ﷺ للعبيد:

ان المتأمل في التوجيهات النبوية، يجدها تشيد بالجهد الجهيد الذي بذله نبي الله ﷺ في سبيل تحسين اوضاع العبيد والإماء، ويعرف بحق كيف كانت مكرمة العبيد في الاسلام، **وهذه بعض التوجيهات النبوية التي نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.**

أولاً: وصيته ﷺ بالعبيد والإماء:

كان آخر كلمات النبي ﷺ وهو يجود بروحه الشريفة، وقد حضره الموت، الوصية بالعبيد والإماء.. فعن علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»(١٦).

إنه ﷺ يوصي بالعبيد، وهو في سكرات الموت! فهو الذي احتضنهم حياً، وأوصى بهم بعد مماته خيراً، فكان ﷺ خير معلم لهم وخير أب وخير محرر.

ثانياً: تحذيره ﷺ من إيذاء العبيد والإماء:

كان ﷺ يغضب أشد الغضب من ضرب العبيد أو إيذائهم، فعن ابي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت من خلفي صوتاً: «اعلم أبا مسعود.. لله أقدر عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو النبي ﷺ! فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى، قال: «أما إنك لو لم تفعل للفعتك النار أو لمسّتك النار»(١٧).

هكذا كان رسول الله ﷺ يربي تلاميذه، ويفقه المسلمين على احترام آدمية الإنسان، وخاصة الضعفاء منهم والعبيد والخدم والأُجراء.

ويمتد هذا النداء الأبوي الى حكام المسلمين في كل زمان ومكان، فليزمهم بحماية العبيد من التعذيب أو الاضطهاد، فضلاً عن السعي الجاد لتحريرهم.

ثالثاً: أمره ﷺ بالإحسان الى العبيد:

كان رسول الله ﷺ ألطف الناس بالعبيد، وأرفق الناس بالإماء، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ من اشد الناس لطفاً! والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه!! وما سأله سائل قط الا أصغى اليه أذنه، فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول يد أحد بيده الا ناوله إياها، فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه»(١٨).

وعن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة «يعني من نفس الثوب» فسألته عن ذلك، فقال: اني ساببت رجلاً، فعيرته بأمه (قال لبلال: يا ابن السوداء) فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟ انك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خولكم (العبيد والإماء والخدم والأسرى هم إخوانكم في الدين والانسانية) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»(١٩).

فحرم ﷺ السخرية من العبيد أو الاستهزاء بألوانهم أو أنسابهم، كما حرم إجهاد العبد في الخدمة، وأوجب مساعدته اذا كُلّف ما يغلبه، وحذر الفقهاء من استعمال العبيد على الدوام ليل نهار، فقالوا: اذا استعمل السيد العبد نهاراً اراحه ليلاً، وكذا بالعكس، وقالوا: يريحه بالصيف في وقت القيلولة، ويمنحه قسطه من النوم، وفرصة للصلاة المفروضة، واذا سافر به يجب عليه ان يحمله معه على الدابة او يتعاقبان على البعير ونحوه.

بل قالوا: «ان كان العبد ذمّياً فقد ذكر بعض الفقهاء انه لا يمنع من إتيان الكنيسة، أو شرب الخمر، أو اكل لحم الخنزير، لأن ذلك دينه، نقله البناني عن قول مالك في المدونة»(٢٠).

رابعاً: التعاون في تحرير العبيد:

شغل الرق سلمان الفارسي رضي الله عنه حيناً من الزمن، فقد كان مولى عند أحد الوجهاء، حتى فات سلمان عدد من المشاهد مع الرسول الكريم ﷺ، منها بدر وأحد، فذهب الى النبي ﷺ، فأشار عليه النبي ﷺ ان يكاتب سيده، فكاتبه سيده، فكاتبه على ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين أوقية من ذهب.

وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان، فأحضروا له النخل وحفروا معه أماكنها وقدم رسول الله ﷺ ووضع النخل بيده الشريفة وعُتق سلمان، وكانت أول مشاهده غزوة الأحزاب، وهو صاحب فكرة انشاء خندق عظيم حول المدينة لتحصينها من الغزاة، ولما نجحت الفكرة، زاد تقدير الناس لسلمان، نظراً لرجاحة عقله، وجهده في خدمة دولة الاسلام بفكرة الخندق، فقال الأنصار: سلمان منا! وقال المهاجرون: سلمان منا!، فقال النبي ﷺ «سلمان منا أهل البيت»![٢١].

وهكذا ارتفع شأن العبيد في دولة الاسلام بجهدهم وخدمتهم للمجتمع، ولم تكن عبوديتهم أيما يوم من الأيام تشينهم بين إخوانهم المسلمين، وفي ذلك ايضاً النموذج العملي الذي حشد فيه النبي ﷺ جهود المسلمين من أجل تحرير عبد، وهو بذلك يلزم المجتمع بضرورة تضافر الجهود لفك الإنسان من الرق.

خامساً: سن قاعدة: «كفارة ضرب العبد عتقه»:

شرع الاسلام منفذاً لتحرير العبيد عن طريق سن قاعدة «كفارة ضرب العبد عتقه» والذي لم يكن موجوداً أيام الجاهلية، فمنح حق الحرية للعبد اذا ضربه سيده، فعن ابي صالح ذكوان عن زاذان قال: أتيت ابن عمر رضي الله عنهما، وقد أعتق مملوكاً له، فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً، فقال: ما لي فيه من الأجر ما يسوى هذا.. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لطم مملوكه او ضربه فكفارته ان يعتقه»[٢٢].

سادساً: كفالة الدولة الاسلامية للعبد المعاق او المريض:

فلقد كان لزنباع ابو روح رضي الله عنه -أحد الصحابة- عبد يسمى سندر بن سندر، فوجده يقبل جارية له، فقطع ذكره وجدع انفه، فأتى العبد النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبي ﷺ لزنباع: «ما حملك على ما فعلت؟» قال: فعل كذا وكذا، فذكر له ما فعل بالجارية، فقال النبي ﷺ للعبد: «اذهب فأنت حر» فقال العبد: يا رسول الله فمولى من أنا؟ فقال ﷺ: «مولى الله ورسوله» فأوصى به المسلمين، فلما قبض جاء العبد الى أبي بكر رضي الله عنه فقال: وصية رسول الله ﷺ، فقال: نعم، تجري عليك النفقة وعلى عيالك، فأجراها عليه حتى قبض.. فلما استخلف عمر رضي الله عنه جاءه فقال: وصية رسول الله ﷺ قال: نعم أين تريد؟ قال مصر، قال: فكتب عمر الى صاحب مصر ان يعطيه أرضاً يأكل منها»[٢٣].

فالدولة في الشرع الاسلامي تكفل

اصحاب الاعاقات من العبيد، كالمواطنين الأحرار، وقرر لهم الراتب المالي الدوري الذي يغنيهم عن التسول أو سؤال الناس.

❖ تحريم الاتجار بالبشر:

من دلائل مكافحة الاسترقاق في الشرع الاسلامي، تحريمه لكافة صور ومظاهر الاتجار بالبشر، وخاصة النساء والأطفال الأحرار، فعن ابي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل اعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط اجره»(٢٤).

فجعل الاتجار بالبشر من أبواب الخيانة والغدر والظلم، والله عز وجل خصم لجميع الغادرين الا انه اراد التشديد على هذه الأصناف الثلاثة، فقد ارتكبوا جرماً شنيعاً يتعلق بحقوق الانسان، فأحدهم غدر بأخيه الانسان، فعاهده عهداً وحلف عليه بالله ثم نقضه، والثاني باع أخاه الانسان الحر، والثالث أكل مال أخيه الانسان الأجير، وهو داخل في إثم المتاجرة بالبشر كالثاني، لأنه استخدمه بغير حق، وخالف الأمر النبوي: «اعط الأجير أجره قبل ان يجف عرقه»(٢٥).

وجريمة الاتجار بالبشر –التي حرمها الشرع الاسلامي الفضيل– تتسربل بصور عديدة مارستها المجتمعات الجاهلية في القديم والحديث، فمارستها قبائل العرب ودول الفرس والرومان قبل بعثة النبي الأعظم ﷺ، فكانوا يقطعون الطرق على الأحرار، فيسرقون أموالهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة على أنهم عبيد، وفي العصر الحديث مارس الامريكان هذا السلوك الجاهلي مع الزنوج، فخصصوا الهيئات التي تبيع وتشتري فيهم، وهم أحرار، ومارسوا أبشع صور التمييز العنصري في حقهم، اضافة الى ظهور جماعات المتاجرة بالأطفال والنساء لغرض الاستغلال الجنسي التجاري، ناهيك عن استغلال هذه الجماعات للكوارث الطبيعية والحروب لممارسة نشاطها، وخير شاهد ما حدث في كارثة تسونامي، وما أعلنته الصحف عن ارقام مفزعة للنساء والأطفال الذين تم الاتجار بهم في ظل هذه الكارثة الانسانية، الأمر نفسه حدث مع ضحايا الشعب المسلم في البوسنة والهرسك بعدما اعمل فيه الجيش الصربي الذبح، فتم بيع آلاف الفتيات والأطفال على مرأى ومسمع من العالم «المتحضر»!.

وتحولت البلدان الأوروبية والولايات المتحدة الامريكية، الى مراكز كبرى للاتجار بالبشر من جانب العصابات المنظمة التي تحصد سنوياً ما بين ٨ – ١٠ مليارات دولار من الاتجار بالأطفال والنساء، وذلك وفقاً

لإحصائيات وزارة العدل الأمريكية، بيد ان الشرع الاسلامي الكريم حرّم بيع الأحرار، وناهض تجارة البشر بالبشر، وحرّم إكراه الفتيات على ممارسة البغاء فقال الشارع الحكيم: **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾** النور: ٣٣ .

الى جانب ان جريمة الاتجار بالبشر تنتهك حق الانسان في الحرية، وتنتهك حقوق الأطفال والنساء في العيش في بيئة آمنة صالحة، فهي تنزعهم من أسرهم ومن بين آبائهم وأمهاتهم، الى جحيم الاستغلال الجنسي والسخرة والتعذيب النفسي والجسدي، وكلها مظاهر حرمها الاسلام وحاربها نبي الاسلام ﷺ.

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر، ليسجل أمام الله تعالى ثم التاريخ، ان النظام الاسلامي هو اول نظام في تاريخ البشرية ناهض الاسترقاق وحارب المتاجرة بالبشر.

الهوامش:

١- عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار» «الإرب هو العضو» صحيح مسلم باب فضل العتق، حديث رقم ١٥٠٩ .

٢- إميل درمنغم: حياة محمد ٢٩٠ .

٣- آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٢٩٠ .

٤- محمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ١١٩ .

٥- مولانا محمد علي، نقلاً عن محمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ١١٩ .

٦- د. نظمي لوقا، كاتب نصراني من مصر، يتميز بنظرته الموضوعية، كثيراً ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين، ويستمع بشغف الى كتاب الله وسيرة النبي ﷺ، بل انه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره، ألف عدداً من الكتب، ابرزها: محمد الرسالة والرسول، و محمد في حياته الخاصة.

٧- د. نظمي لوقا: محمد الرسالة والرسول ص١٨٥ .

٨- لايتنر، دين الاسلام، ص٧ .

٩- شغل منصب استاذ اللغة العربية والتاريخ الاسلامي بجامعة باريس، وشغل منصب رئيس «مؤسسة الدراسات الاسلامية» في «داكار» وله عدة دراسات منها: كتاب «الارهاب الصهيوني» و «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» وكتاب «الاسلام في افريقيا السوداء» كما قام بترجمة كتب ابن خلدون الى الفرنسية.

١٠- عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا ٢٣١ .

١١- مفكر انجليزي، ولد سنة ١٨٥٦، وأسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم «الشيخ عبد الله».

١٢- كويليام، ومن آثاره: «العقيدة الاسلامية» ١٨٨٩، و «أحسن الأجوبة».

١٣-١٤- عبدالله كويليام، العقيدة الاسلامية، ص٢٦ .

١٥- ادوارد بروي، تاريخ الحضارات العام ٥٦٤/٣ .

١٦- صحيح، رواه ابو داود ٧٦١/٢، برقم ٥١٥٦، وأحمد ٧٨/١، برقم ٥٨٥ .

١٧- سنن ابي داود، برقم ٤٤٩٢، باب حق المملوك، وصححه الألباني في صحيح سنن ابي داود، برقم ٥١٥٩ .

١٨- رواه ابو نعيم الاصبهاني في دلائل النبوة ١١٦ ، وابو حنيفة في مسنده ٤٠، والحارث في مسنده ٩٣٩، وذكره ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٣٩٣١، ولم يقف على سنده.

١٩- رواه البخاري، كتاب الايمان، برقم ٣٠، وأخرجه مسلم في الإيمان والنذور، باب اطعام المملوك مما يأكل رقم ١٦٦١ .

٢٠- عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف بدولة الكويت، باب «رق».

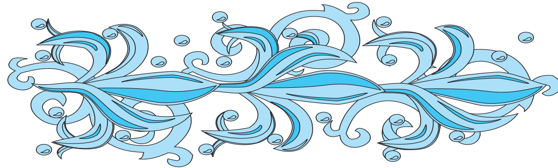
٢١- رواه الحاكم في المستدرك، برقم ٦٥٤١، والطبراني في المعجم الكبير، برقم ٦٠٤٠، والقصة منتشرة في كتب السيرة، في ثنايا احداث الخندق.

٢٢- سنن ابي داود، برقم ٤٥٠٠، وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٢٧٨ .

٢٣- رواه أحمد ١٨٢/٢، وأخرجه ابو داود ٥٤١٩، وابن ماجة ٢٦٨٠، وحسنه الألباني في الإرواء ١٧٤٤ .

٢٤- رواه البخاري، كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً، ح: ٢٠٧٥ .

٢٥- رواه البيهقي، ١١٤٣٩، عن ابي هريرة، وابن ماجة ٤٢٣٤، وقال الألباني: صحيح، انظر الإرواء ١٤٩٨ .



٣

الدولة في الفقه السياسي الإسلامي

■ بقلم الأستاذ الدكتور أحمد العوضي

البيعة هي طريقة إيجاد السلطة في الشريعة الإسلامية، وذلك أن البيعة عقد سياسي بين الأمة ومن ستسلمه السلطة، فبالبيعة تنعقد الولاية وبها يستقر الملك، ولذلك لم يزل ولاة أمر المسلمين في الدولة الإسلامية، يحرصون على أن تكون سلطتهم مبنية على البيعة.

وننبه هنا على أن الخلفاء الراشدين تمسكوا بالبيعة طريقا إلى السلطة، وذهب فريق آخر إلى أن الطريق إلى السلطة، هو النص من الله على لسان رسوله ﷺ، أي أن الله سمى أشخاصا حصر تولي السلطة فيهم دون غيرهم.

أما الذاهبون إلى أن البيعة هي الطريقة الشرعية إلى السلطة السياسية فأطلق عليهم لقب (أهل السنة)، وأما القائلون بأن الطريقة الشرعية إلى السلطة السياسية، هي النص من الله على لسان رسوله ﷺ فأطلق عليهم لقب (الشيعة).

والمستند لتسمية أهل السنة بهذا الاسم هو قول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»[(١)]، فدل ذكر الخلفاء بوصف الخلافة وليس بأشخاصهم على أن المقصود بسنتهم طريقتهم في الحكم، وليس مطلق سنتهم، فإن الخلفاء الراشدين ليسوا معصومين لتكون سنتهم مطلقا واجبة الطاعة، وإنما سنتهم التي يجب على المسلمين اتباعها هي سنتهم (طريقتهم) في الحكم.

وبهذا التكليف أصبحت سنة الخلفاء الراشدين سنة نبوية تقريرية، أي أن الله أقر سنة الخلفاء الراشدين في الحكم قبيل موته، فأصبحت طريقتهم في الحقيقة سنة نبوية.

❖ مصدر السلطة في الإسلام:

أولا: الزعم بأن مصدر السلطة في

الإسلام إلهي (ثيوقراطي).

زعم بعض المستشرقين أن السلطة في الإسلام ثيوقراطية، يعني أن الله هو الذي يعين صاحب السلطة، ولكي نبين غلط من زعم ذلك سنبين أشكال الثيوقراطية ومناقضتها جميعا للإسلام.

أشكال (الثيوقراطية):

الشكل الأول: "إلهية الحاكم".

يقوم هذا الشكل على أن الحاكم إله[٢]، فالسيادة له وحده، وسلطته مطلقة وإرادته يجب أن تكون هي النافذة. ساد هذا الشكل من الحكم الثيوقراطي في كثير من المدنيات القديمة، فقد تميز الحكم في مصر الفرعونية طيلة العصر الفرعوني، بنظام الحكم القائم على ألوهية الحاكم، فكان الحاكم في اعتقاد الرعية إلهاً يعيش بين الناس، فهو وحده مصدر السيادة، أي صاحب الأمر والنهي، ويجب أن يؤمن الناس بألوهيته ووجوب الطاعة له.

وقد ذكر القرآن الكريم قول فرعون: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** النازعات: ٢٤، وقوله: **﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾** القصص: ٣٨، وقوله لموسى: **﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾** الشعراء: ٢٩.

وكان سائداً بينهم أن ألوهية الحاكم، تنتقل بما تتضمنه من سيادة وسلطة إلى ابنه، فليس لأحد سواه حق في السيادة والسلطة، وليس لأحد حق في الرقابة عليه ومعارضته ومحاسبته، لأن أجداده الآلهة هم الذين سيحاسبونه، وقد ساد هذا الشكل من السلطة في المدنيات القديمة الرومانية واليونانية والصينية، فكان الناس يخضعون للحاكم على أساس أنه إله، وأن عبادته هي طاعته.

كذلك، ساد هذا الشكل في اليابان حتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين، فلم يزل اليابانيون حتى نهاية الحرب العالمية الثانية يؤمنون بأن الإمبراطور إله، ولكن بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية جعل الدستور الجديد الإمبراطور رمزاً للأمة بدلاً عن اعتباره إلهاً[٣].

الشكل الثاني: الحاكم ابن الإله.

كان الحاكم يعتقد في نفسه أنه ينحدر من أصلاب الآلهة، وأنه يحكم باسمها، ووفق هذا الشكل كان الملك أو الإمبراطور هو مصدر الدين وهو المعبود، فعبادته وطاعته واجبان على الأمة[٤].

الشكل الثالث: الحق الإلهي المباشر.

ويقصد منها أن الحاكم يستمد سلطانه من الله مباشرة، دون إرادة أخرى[٥] فالله

وحده هو الذي يصطفي الحاكم ويمنحه السلطة[٦]، وهذا الشكل موجود في الفقه الشيعي، فإن الإمام -عندهم- مصطفى من الله للحكم، وهو معصوم، فطاعته واجبة مطلقا.

وقد ساد هذا الشكل من النظرية الثيوقراطية في أوروبا في العصور الوسطى، واستمر وجودها في أوروبا حتى منتصف القرن العشرين، ولم يزل الشيعة يؤمنون بهذه النظرية، وكذلك استند عدد من ملوك أوروبا على هذه النظرية لتبرير سلطتهم المطلقة وفرضها على الشعب، ومن أولئك الحكام[٧].

١- لويس الرابع عشر، الذي قال: (إن سلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق، فالله مصدرها، وليس الشعب، وهم ـ الملوك ـ مسئولون أمام الله وحده، عن كيفية استخدام السلطة).

٢- لويس الخامس عشر ملك فرنسا، أصدر مرسوماً سنة ١٧٧٠م، جاء فيه: (إننا لم نتلق التاج من أحد إلا من الله، فسلطة عمل القوانين هي من اختصاصنا وحدنا، لا يشاركنا في ذلك أحد، ولا نخضع في عملنا لأحد). فالله في زعم لويس الرابع عشر هو مصدر سلطانه، وليست الأمة، وله وحده حق وضع القوانين، وليس لأحد من الأمة حق في الرقابة عليه ولا مساءلته، ولا الاستنكاف عن طاعته.

٣- شارل الأول ملك انجلترا، فقد استند إلى هذه النظرية في تبرير سلطانه المطلق، فادعى أن الله هو الذي يختار الشخص ليهبه السلطان في الدولة.

٤- جليوم الثاني إمبراطور ألمانيا، أصدر بياناً عام ١٩١٦م، بأن العناية الإلهية قضت بأن يكون حاكماً لألمانيا.

٥- أدولف هتلر، أصدر بياناً عام ١٩٣٩م، بأن الله قد اختاره لحكم ألمانيا ولمساعدتها على الخروج من أزمتها.

٦- فرانكو ملك إسبانيا، كان حتى وفاته عام ١٩٧٦م يدعي أن العناية الإلهية قد اختارته لكي يحكم إسبانيا ويحميها من السقوط في براثن الشيوعية الكافرة.

ومن القول العجاب: إن من الحكام في بعض الدول الأوروبية، من حاول أن يجعل من نظرية الحق الإلهي المباشر أساساً فكرياً للسيطرة على العالم، فكان جليوم الثاني إمبراطور ألمانيا يعلن ان الله اختار ألمانيا لتحكم العالم وتسيطر عليه، ولكن الواقع كذب دعواه، فقد انتهت الحرب الأولى بهزيمة ألمانيا، ونفيه منها، كذلك حاول أحد رؤساء الوزارات في بريطانيا توظيف النظرية الثيوقراطية بشكلها الثالث -الحق الإلهي المباشر- في مجال العلاقات

الدولية، لمصلحة بريطانيا، فزعم أنّ العناية الإلهية اختارت بريطانيا لتسيطر على العالم[٨].

ويمكن القول: إن هذه النظرية اندثرت وانتهت في أوروبا مع نهاية القرن العشرين، ولكنها كانت ولم تزل ركن الإيمان عند الشيعة، وقد ظهرت بقوة على يد الشيعة في إيران، فقد قامت الثورة الشيعية في إيران عام ١٩٧٩م من أجل أن تعجل بخروج الإمام الثاني عشر (الإمام محمد بن الحسن العسكري) وهو المهدي المنتظر عندهم.

وقد حارب كثير من رجال الفكر الغربي هذه النظرية، ولعل هؤلاء المفكرين كانوا قد استناروا بالفكر الإسلامي السياسي، فأدركوا أن ممارسة السلطة ليست منحة من الله، وإنما هي ثمرة إرادة الأكثرية من الأمة، فهي ثمرة عقد سياسي تولي الأمة بموجبه الشخص الذي يمارس السلطة السياسية.

وهذا الفكرة في الحقيقة جزء من النظام السياسي الإسلامي، لكن رجال الفكر الغربي أخذوها مفصولة عن الأسس الإيمانية والتشريعية الأخرى في الإسلام.

الشكل الرابع: الحق الإلهي غير المباشر.

تقوم هذه النظرية على أساس أن الله لا يباشر بنفسه اختيار الحاكم، ولكنه يوجه إرادة الناس بحيث يختارون من يرضاه هو، ويوجه الحوادث بحيث يقع اختيار الناس ورضاهم على من اصطفاه هو[٩]، فالله هو مصدر السلطة، وإن كانت الأمة هي التي تختار الحاكم، لأنها تختاره بتوجيه وتسيير من الله[١٠].

ونذكر هنا أن هذا الشكل من الثيوقراطية (إلهية مصدر السلطة) طبق من الناحية العملية في أوروبا، بواسطة الكنيسة، فكانت الكنيسة باعتبارها ممثلة للشعب، تختار الحاكم وتمنحه السلطة، لأن البابا كان يزعم أنه ممثل الله في الأرض، فهو الذي يمنح السلطة نيابة عن الله إلى الإمبراطور أو الملك. ووفق ذلك كانت تُجرى مراسيم تتويج الأمير أو الملك أو الإمبراطور في الكنيسة، ويُلبسه البابا تاج الحكم إيذاناً بأن الكنيسة اختارته ليحكم الناس باسمها وتحت إشرافها، واشتُهر ذلك في أوروبا جميعاً باسم تعميد الملوك والأباطرة.

ولم يُقَدَّر لنظرية الحق الإلهي غير المباشر أن تستمر، وذلك بسبب الصراع بين الكنيسة من جهة والملوك والأباطرة من جهة أخرى، وهو صراع انتهى بهزيمة الكنيسة وعزلها تماماً عن أي دور سياسي، فعادت نظرية الحق الإلهي المباشر، وأصبحت السلطة حقاً للملك وعاد الحكم

المطلق إلى أوروبا فسيطر عليها طوال القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، واستمر وجودها في بعض دول أوروبا حتى نهاية الربع الثالث من القرن العشرين.

والحقيقة أن نظرية إلهية مصدر السلطة على تعدد أشكالها ما وجدت إلا لتبرير اغتصاب ملوك أوروبا للسلطة، وتبرير سلطتهم المطلقة[11]، وإعدام إرادة الشعوب ومصادرة حقها في اختيار الحاكم ومعارضته ومراقبته ومحاسبته.

❖ موقف الإسلام من نظرية الثيوقراطية (إلهية مصدر السلطة).

الإسلام ينفي الأُلوهية عما سوى الله، ويثبتها لله وحده، وينفي أن يكون لله مثل، وينفي الأبوة والبنوة عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ الشورى: ١١، وقال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد ❖ الله الصمد ❖ لم يلد ولم يولد ❖ ولم يكن له كفوا أحد**﴾ سورة الإخلاص، وبذلك فإن الإسلام يبطل الشكلين الأولين من أشكال الثيوقراطية.

وأما الشكل الثالث (الحق الإلهي المباشر) فهو باطل في الشريعة الإسلامية، لأن الإسلام لا يعترف بالحاكم الذي يدعي أن الله اختاره ليحكم الناس.

وأما الشكل الرابع (الحق الإلهي غير المباشر) فباطل في حكم الإسلام، لأنّ تسيير الحوادث وتوجيه إرادات الأفراد، بحيث يختارون من يحبه الله ويتركون من يكرهه يُعد في الإسلام جبراً وتسييراً، والقول بالتسيير في ذلك يتنافى مع الإسلام، فلا يصح القول بأن الله يوجه الحوادث بحيث لا يختار الناس إلا ما اختاره.

وإن مبدأ الشورى في النظام السياسي لهو برهان واضح على أن (السلطة) في الفكر الإسلامي بشرية خالصة، قال تعالى في معرض مدحه للمسلمين: ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم**﴾ الشورى: ٣٨، وقال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ آل عمران: ١٠٩، فإذا كان النبي ﷺ مأموراً بالمشاورة فغيره مأمور بها من باب أولى.

وقد حرص المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين على التقيد بمبدأ الشورى في تنصيب صاحب السلطة السياسية، فلم يتولّ أحد من الخلفاء الراشدين منصب الخلافة إلا على أساس من الشورى السياسية، وهي الترشيح والانتخاب النزيهان والبيعة الرضائية.

كذلك، يمثل مبدأ الرقابة من جهة الأمة على أعمال الحكم والإدارة في الدولة

الإسلامية برهاناً على أن السلطة في الفكر الإسلامي بشرية شورية محضة، فالحاكم في الشريعة الإسلامية ليس معصوما، وليس معينا من قبل الله عز وجل.

ومما سلف يظهر جليا أنه لا وصف صحيحا ينطبق على مصدر السلطة في الإسلام سوى أنه (بشري خالص)، وتتلخص وجهة نظر الإسلام في الثيوقراطية (إلهية

الهوامش:

(١) الترمذي، السنن، ٤/٤٣٦، كتاب الفتن. وأخرجه أبو داود، السنن، كتاب السنة، ٧/٢٧. وهو حديث صحيح.

(٢) خليل، محسن، القانون الدستوري والنظم السياسية، ص٢١٠، ط١٩٨٧م.

(٣) الحلو، ماجد، الدولة في ميزان الشريعة، ص٨٥، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

(٤) الجرف، نظرية الدولة، مرجع سابق، ص٤٨.

(٥) عبد الكريم، فتحي، الدولة والسيادة، مرجع سابق، ص١١٥. وعبد الهادي، السلطة في نظرية الدولة، دار النهضة العربية، القاهرة، ص٧٩، ١٩٨٤م.

(٦) خليل، محسن، القانون الدستوري والنظم السياسية، ص٢١١، ط١٩٨٧.

(٧) ليلة، النظم السياسية، مرجع سابق، ص٧٤. وعبد الهادي، السلطة السياسية، ص١٤٣، هامش رقم (١)، وليلة، النظم السياسية، ص٧٦، ٧٧ مرجع سابق.

(٨) متولي، عبد الحميد، المفصل في القانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٢٤٤، ١٩٥٢م.

(٩) الجرف، نظرية الدولة، مرجع سابق، ص٥٣، وعبد الكريم، فتحي، الدولة والسيادة، مرجع سابق، ص١١٨.

(١٠) الحلو، ماجد، الدولة في ميزان الشريعة، مرجع سابق، ص٨٦.

(١١) خليل، محسن، القانون الدستوري، مرجع سابق، ص٢١٤.



من معجزات رسول الله ﷺ

شعر الاستاذ اسماعيل زويريق

ولد الحق فالوجود نهار ... داشن الفجر ما له إمساء
لاح في مفرق الزمان شعاعاً ... يحتوي الأرض نوره الألاء
كلها ألسن الزمان مديح ... كلها أطيار الرياض ثناء
من سناه ارتجت أواوين كسرى ... واعترى نار المعبد الإطفاء
والبحيرات ما لها قد تلاشت ... حفها الجدب حين غار الماء
حقةٌ معجزاته يا قريش ... فلماذا القلوب منك جفاء
معجزات في كل طور تبدت ... ورآها الأدنون والبعداء
معجزات جلّت عن الحصر، جلت ... عن حساب يطاله الإحصاء
كل ايام عمره معجزات ... ما توخّى بلوغها الأنبياء



عجباً ان يحتم فيك التحدي ... عجباً ان تجتالك الكبرياء
كلما ابصرت الخوارق منه ... زدت كفراً والتَّمَّك الإغواء
كل ما قد أتى به هو حقاً ... يا قريش الحقيقة الزهراء
خارق ما يأتي به كل فعل ... كل قول خوارق عصماء
صافياً سال من اصابعه يو ... ما كما اخبر الرواة الماء
ومن المسجد الحرام الى الأقصى ... به كان ليلة إسراء
فإذا بالبراق يقطع جواً ... منعاً لاجتيازه مرخاء
قد سرى والدرب الطويل له الليل ... غطاء له السواد رداء
وهو فوق البراق نور على نور ... ونجم بين النجوم مضاء
مركب دونه المراكب شأناً ... ما له اشباه ولا أكفاء

ليلة بالأسرار حافلة فالناس   في سبر غورها جهلاء
حادث ما اهتدى الى كنهه العقل   ولا استقصت سره حوباء
حار في حل لغزه من له في العلم   باع وفي الصلاح لواء
ليلة الاسراء العظيمة لاحت   في البرايا انوارها الغراء
وسرى في كل الأماسي شذاها   يملأ الروح فيضها والشذاء
نقلة قادته الى المسجد الاقصى   فصلى وراءه الأنبياء
جولة في تلك السموات لا وصف   لها ولا لها سيماء
سدرة المنتهى الى منتهاها   كان معراجه وكان اللقاء
بين هذا الامر اذ كيف يسري   والمسافات دونها الجوزاء
كيف تستوعب العقول مداه   وهو أمر لا يعتريه رياء

❖ ❖ ❖

كيف تقري الضيف الكريم وما في   بيتها الا نعجة حطباء
كيف تقريه والسنون عجاف   مجحفات لا كسرة لا قراء
كيف تقريه والمعيشة ضنك   كيف تأويه والمكان خلاء
احتوتها من السباسب ارض   ما بها أعشاب ولا أكلاء
فإذا القفر ما عليه انيس   واذا الأرض دورها أرماء
قربي أم معبد شاتك الجدّاء   وان غالها الطوى والعناء
قربيها فضرعها لبن   بين يديه ودره ألباء
لبن الضرع فاستقوا عللا   ثم مضوا لا جوع ولا أصداء
ورأى الزوج ما رأى قال: «أنى   لك هذا وشاتنا جدّاء»
وانبرت تحكي ما رأت في ذهول   عن ضيوف حلّوا كراماً وفاءوا
لك يا أم معبد بالذي جئت   من الله أجره وجزاء

❖ ❖ ❖

جزع الصحب ان يطول حصار   فدعا الله واستجيب الدعاء
فإذا بالصبا على غرة ثارت   هجوماً كأنها النكباء

ضربت جحفل الضلالة ضرباً ... صعقياً عجاجة قحفاء
اجفلت تنصر الحنيفة نصراً ... فاستطير الجماد والأحياء
ما اطمأنت قدر ولا استعرت ... نار ولا فيهم استقر بناء
ما الذي غالها قريش فباتت ... لا كراع يرى ولا حصباء
فرأت في الفرار خير ملاذ ... ورأت في البقاء ما لا تشاء
رضيت بالإياب نصراً وفيئاً ... بعد ان ظنت انها غلباء
نصبو للخلاص منه فخاخا ... شيمة الغدر فيهم إجرياء
سمت الشاة ذات غدر وقد ... ظنت بأن اللحم السميم دواء
آمنت بالرسول لما رأت بالسم ... في الشاة حدّثت أعضاء
غض عما قامت به طرفه ... في مثلها دأب المصطفى الإغضاء

❖ ❖ ❖

أفصحت حين مسّها الظلم يوماً ... عن خبايا الصدور تلك الظباء
ولـه حنّ الجذع اذ صار فرداً ... فإذا منه كالذليل ضُغاء
كم شفى الأسقام العويصة منه ... مسحة أو ثفالة أو دعاء
كيف ينشق فلقتين قمير ... والى سمتها تعود ذكاء
معجزات ليست لها في الذي ... يأتي ولا في الذي مضى أكفاء
ليس يرتاب في نبوته الا ... عم عن طريقه نزّاء
كل خصيصة أتاه بها الله ... على الناس حجة بيضاء
كيف لا يؤمن الورى بنبي ... آمنت بالذي اتى الخافياء
كل فعل منه دليل مبين ... كل رؤيا حقيقة زهراء
هو من أبرأ النفوس من الجهل ... وهل في الأدواء كالجهل داء
ان من يرمي اي معجزة منه ... بريب فالدين منه براء
نصر الله الدين في كل ارض ... نصرة لم تحدها أمداء
هي من أكبر الخوارق طراً ... شهدت ان قوله إيحاء

❖ ❖ ❖

العلة في الحديث النبوي الشريف
سبب غامض ومعرفتها إلهام

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

يعد هذا العلم من أجلّ علوم الحديث الشريف وأشرفها وأدقها، ولا يتأهل للنظر فيه الا الراسخون في علوم الحديث، من اهل الخبر والحفظ والفهم الثاقب.

ولهذا لم يتصد للكلام فيه الا أفذاذ الرجال وجهابذة السنة وأطباء الحديث، كإبن المديني واحمد بن حنبل والبخاري ومسلم ويعقوب بن شيبة وأبي حاتم وابي زرعة والدارقطني، وذلك لأن العلة في اصطلاحهم، عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة في صحة الحديث مع ان الظاهر السلامة منها، وربما وجدت العلة في الاسناد الذي رجاله ثقات الجامع لشروط الصحة من حيث الظاهر.

قال الحاكم: «وهذا النوع من معرفة علم الحديث، علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل، قال: «وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإن حديث المجروح ساقط واهٍ وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات بأن يحدثوا بحديث له علة وتخفى عليهم علته، فيصير الحديث معلولاً والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير».

◆ معنى الحديث المعلل لغة واصطلاحاً:

العلة لغة: اسم مفعول من أعلّه: أنزل به علة فهو مُعل، والحديث الذي اكتشفت فيه علة قادحة هو معل.

اصطلاحاً: هو الحديث الذي طلع فيه علة قادحة، مع ان الظاهر سلامته منها، وسماه الكثيرون بـ «المعلول» وآخرون بـ «المعلل» والعلة التي يكون بها الحديث معلاً:

هي ذلك السبب الخفي الغامض الذي يقدح صحة الحديث، والتي قد تخفى على الكثير من الباحثين.

ولكن أهل الاختصاص لا يخفى عليهم مثل هذه العلل، فالحافظ المتقن ذو الفهم الثاقب والبصيرة النفاذة، صاحب الملكة التي تكونت من طول التجربة، تكون عليه من الأمور البسيطة، وقد تكون العلة في الاسناد وهي الأكثر وقوعاً أو في المتن، وطريقة معرفة العلة ان يجمع الحافظ طرق الحديث ويستقصيها من الجوامع والمسانيد والأجزاء، ويسبر أحوال الرواة، فينظر في أخلاقهم، ومقدار حفظهم، ومكانتهم من الضبط والإتقان، وبعدها ينظر الحافظ في كل ما سبق فيقف بعدها على العلة التي قدحت الحديث وجعلته معتلاً(١).

❖ علل الحديث:

يقول الإمام النيسابوري: «هذا النوع فيه معرفة علل الحديث، وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل، أخبرنا محمد بن ابراهيم بن اسحق الهاشمي، قال: حدثنا احمد بن سلمة بن عبد الله قال: سمعت أبا قدامة السرخسي يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لأن أعرف علة حديث هو عندي، احب اليّ من ان اكتب عشرين حديثاً ليس عندي.

فالجنس الأول من أجناس علل الحديث: مثاله ما حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن اسحق الصغاني قال: حدثنا حجاج بن محمد قال: حدثنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا أنت استغفرك وأتوب اليك، الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»، قال ابو عبد الله: «هذا حديث من تأمله لم يشك انه من شرط الصحيح له علة فاحشة»(٢).

❖ العلة في اصطلاح المحدثين:

ان أول كتاب ورد فيه تعريف العلة، هو كتاب «معرفة علوم الحديث» للحاكم «ت ٤٠٥هـ» حيث قال: «وعلل الحديث وهو علم برأسه..» وقال: «وإنما يعلل الحديث من اوجه ليس للجرح فيها مدخل» غير ان هذا التعريف ليس بمانع حيث منهج كتب العلل لا يقتصر على الحديث الذي هذه صفته، فنلاحظ ان كتب العلل ككتابنا هذا مثلاً، احتوت على علل سببها جرح في الراوي كأن يكون ضعيفاً او متروكاً أو منكراً أو غير ذلك.

وقال ابن الصلاح في مقدمته: «ثم اعلم

انه قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرنا من باقي الأسباب، على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل، ولذلك نجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب والغفلة وسوء الحفظ ونحو ذلك من أنواع الجرح[٣].

❖ مجالات العلل:

من نظر في المصادر الأولى التي كتبت في العلل من أصحاب القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة، يجد اصحابها قد اودعوا فيها من الأحاديث المعلة ذات العلل الخفية والجلية.

والناظر في علل ابن المديني والترمذي وعلل الحديث لابن ابي حاتم، وعلل الدارقطني، وغيرها، يجد هذا جلياً واضحاً، وقد قال ابن الصلاح: «ولذلك نجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب والغفلة وسوء الحفظ ونحو ذلك من أنواع الجرح».

والعلة على المصطلح المعروف من كون الحديث المعل هو «خبر ظاهره الصحة والسلامة، اطلع فيه بعد البحث على قادح، وهو من فعل المتأخرين، ولعل أول محاول قام بتحديد هذا المفهوم هو الحاكم رحمه الله، ثم تلاه المصطلح، غير ان السخاوي في «فتح المغيث» ذكر تخريجاً لطيفاً لوجود مثل هذه العلة الجلية في كتب العلل، فقال:

«ولكن ذلك منهم، يعني اصحاب كتب العلل الذين يعلون بالجرح بالنسبة للذي قبله، اي الذي لا مدخل فيه للجرح قليل، على انه يحتمل ايضاً ان التعليل بذلك من الخفي لخفاء وجود طريق آخر لينجبر بها ما في هذا من ضعف، فكأن من المعلل اشار الى تفرد».

وخلاصة القول: ان القادح، منه الخفي ومنه الجلي، فما كان منه خفياً فهو داخل في ميدان علم العلل، وما كان منه جلياً فقد أدخل تجوزاً لما فيه معنى العلة من كون الحديث لا يقوى على الاحتجاج به، وللعلاقة ما بين العلة في اللغة والعلة في الاصطلاح، ومن هنا دخل في هذا المصطلح معظم علوم الحديث كالمرسل، والمنقطع، والمعضل، والمدرج والمقلوب، والمضطرب، والشاذ، والمنكر، وغير ذلك والله تعالى اعلم[٤].

❖ العلة في الحديث سبب غامض خفي:

«.. واكتشاف علة الحديث يحتاج الى اطلاع واسع، وذاكرة طيبة، وفهم دقيق، لأن العلة نفسها سبب غامض يخفى على المشتغلين بعلوم الحديث» قال ابن حجر: «وهو من اغمض انواع علوم الحديث وأدقها، ولا يقوم به الا من رزقه الله تعالى فهماً ثاقباً، وحظاً واسعاً، ومعرفة تامة بمراتب

الرواة، وملكة قوية بالأسانيد والمتون».

وقد يتمكن الخبير المتمرس بهذا الفن، من معرفة إحدى العلل الغامضة بضرب من الالهام يشرح الله به صدره، ولا غرو، فالمعرفة بالحديث ليست تلقيناً، وإنما هو علم يحدثه الله في القلب، ودقة هذا الفن وصعوبته واعتماده على طول الممارسة كانت سبباً في قلة التأليف فيه، ولذلك قال الخطيب البغدادي: «ينبغي لصاحب الحديث ان يكون مثل الذي ينتقد الدراهم فإن الدراهم فيها الزيف والبهرج، وكذلك الحديث»[٥].

❖ أشهر من ألّف في العلل:

١- شعبة بن الحجاج الذي قال فيه ابو حاتم الرازي: «كأنه خلق لهذا الشأن»، وقال فيه الشافعي: «لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق» وشعبة هذا أول من فتش بالعراق عن امر المحدثين حتى صار علماً يقتدى به.

٢- عبد الرحمن بن مهدي، الذي قال فيه ابن المديني «شيخ البخاري»: «كان عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس».

٣- يحيى بن معين.

٤- ابن المديني.

وقد ذكر الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» ثمانية وعشرين كتاباً معظمها من العلل ومعرفة الرجال فيها، منها مثلاً: «العلل» لإسماعيل القاضي في اربعة عشر جزءاً كتبها عن ابن المديني، و «علل حديث ابن عيينة» في ثلاثة عشر جزءاً، و «الوهم والخطأ»، في خمسة أجزاء، و «العلل المتفرقة» في ثلاثين جزءاً.

٥- الإمام أحمد بن حنبل في كتابه «العلل ومعرفة الرجال» كتبه عنه علي بن المديني.

٦- الامام البخاري.

٧- ابن حجر.

٨- الترمذي في كتابه «علل الترمذي» واكثر مادته من صدر البخاري، فالترمذي يسأل والبخاري يجيب[٦].

❖ أمثلة من الأحاديث المعللة:

١- حديث الطهور: قال الترمذي: سألت ابا عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري عن حديث مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي ان رسول الله ﷺ قال: «اذا توضأ العبد فتمضمض خرجت الخطايا من فيه..» الحديث، فقال: ما لك وهم في هذا الحديث، وقال: عبد الله الصنابحي، وهو ابو عبد الله الصنابحي، واسمه: عبد

الرحمن بن عسيلة ولم يسمع من النبي ﷺ، وهذا الحديث مرسل، وعبد الرحمن هو الذي روى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه، والصنابح ابن الأعسر الاحمسي، صاحب النبي ﷺ، قال: قلت له: كم روى عن النبي ﷺ؟ قال: حديثين، حديثه عن النبي ﷺ: «اني مكاثر بكم الأمم»، وحديث آخر حديث الصدقة، وليس هو عندي صحيح، رواه مجاهد عن قيس عن الصنابح(٧).

ومن أمثلة الحديث المعلل ايضاً: «ان يكون حديث ما محفوظاً عن صحابي، ثم يروى عن آخر، لاختلاف بلد الراويين او الرواة، كحديث موسى بن عقبة عن ابي اسحق عن ابي بردة مرفوعاً: «اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم مئة مرة» فالناظر في هذا الاسناد يحسبه أول الأمر مروياً على شرط الصحيح، ولكن فيه رواية مدني عن كوفي، ومن المشهور ان المدنيين اذا رووا عن الكوفيين زلقوا».

ومن ذلك الاختلاف على رجل في تسمية شيخه او تجهيله، كحديث ابي شهاب عن سفيان الثوري عن الحجاج، عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم» ويرى الحاكم ان علته في ما أسند عن محمد بن كثير، حدثنا سفيان الثوري عن حجاج عن رجل عن ابي سلمة.

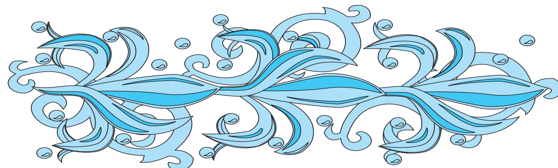
والأمثلة كثيرة، واكثر ما يتطرق التعليل الى الاسناد الجامع شروط الصحة ظاهراً، ولكثرة تطرق التعليل الى الاسناد، يستحب ان يصنف المسند معللاً، كما يستحب للراوي اذا روى حديثاً معلولاً ان يبين علته(٨).

الهوامش:

١- محمد عوض الهزايمة، دراسات في علوم الحديث ط٢، دار عمار، عمان - الأردن ١٩٩١، ص١٤٨ .

٢- الامام الحاكم محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ط٣، تصحيح وتعليق السيد معظّم حسين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص١١٢-١١٣ .

٣-٤- ابو طالب القاضي، علل الترمذي الكبير ج١-٢، تحقيق حمزة ذيب مصطفى، مكتبة الأقصى، عمان، الاردن، ١٩٨٦، ص٢٥-٣٠ .



ميـزات الحضارة العربية الإسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

إن التوازن في النظرة الشاملة إلى الدنيا والدين في الحضارة العربية الإسلامية، أحد مظاهر أصالتها، قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ القصص: ٧٧، وكذلك فإن من مظاهر اصالتها تكريم الإسلام للإنسانية بإنقاذه البشرية من الرق والعبودية والضلال، وغرس الفضيلة والكرامة والعزة في النفوس، قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ الحجر: ٤٧، وقال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ البقرة: ١٩٧، وقال تعالى: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ الحشر: ١٠ .

لقد كانت نظرية الأصولية الشمولية المتوازنة بين الدين والدنيا، من مقومات الحضارة العربية الإسلامية، فقد نظر الإسلام إلى المادة والروح أو العلم والدين على أنهما أمران متلازمان لا يفترقان، فجمع بين مطالب الدنيا والآخرة ودعا الإنسان إلى أن يعمل في الحياة الدنيا ويستفيد من طيباتها وخيراتها، وأن يتزود فيها للآخرة من التقوى والعمل الصالح (معروف: ١٦٣-١٦٧).

وتبدأ الأصالة (التأصيل) للحضارة العربية الإسلامية بالفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإحاطة الشاملة بالإسلام عقيدة وعبادة وتشريعا وخلقا (الخطيب: ١١١، ١١٢).

◆ التسامح:

لقد حث القرآن الكريم على العفو

والصفح، قال تعالى: **﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** البقرة: ٢٣٧، ولا يسمح الإسلام لأحد من المسلمين بإجبار الناس على الدخول في الإسلام، قال تعالى: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾** البقرة: ٢٥٦، وقد خاطب القرآن الكريم الناس جميعا ولم يقتصر الخطاب على العرب والمسلمين وحدهم، وقال تعالى: **﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا﴾** الأعراف: ٢٦، قال تعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** الأعراف: ٣١، وقد تكفل الإسلام بحماية المشرك إذا استجار بالمسلم، قال تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾** التوبة: ٦، وكذلك فقد جعل الإسلام الإقناع اساس المجادلة مع أهل الكتاب وبالتي هي أحسن، قال تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** العنكبوت: ٤٦ .

وطلب الإسلام مقابلة الاساءة بالعفو والإحسان، قال تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾** الشورى: ٤٠، وقال تعالى: **﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾** التغابن: ١٤ .

وقد دعا الإسلام إلى تحرير الرقيق وعتق العبيد، وجعل استرقاق الحر مخاصمة لله، ففي حديث قدسي يقول الله عز وجل: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره».

ومن الأمثلة على التسامح في الحضارة العربية الإسلامية، العهده التي قطعها عمر ابن الخطاب لأهل القدس، فقد أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا تؤخذ أموالهم ولا يكرهون على دينهم (طبارة: ٢٨٢).

ومن اقوال الرسول محمد ﷺ التي تدل على التسامح،: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه انفعهم لعياله»، وقوله ﷺ: «أفضل الصدقة اصلاح ذات البين»، وقوله ﷺ: «رأس العقل بعد الدين، التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر»، وقوله: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك» (الغزالي، ج.: ٢، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٦، ٢١٧).

وقد قال الباحث الفرنسي كوتييه الذي بحث في أعراف المسلمين وعاداتهم وتسامحهم مع الأقوام الخاضعة لهم، والحرية التي نالوها في ممارسة شعائرهم الدينية: «لقد ثبت أن الفاتحين من العرب قد بلغوا درجة عظيمة من التسامح، لم تكن متوقعة من ناس كانوا يحملون عقيدة جديدة» (معروف ٢٩٤).

وقد أكد الباحثون أنه لا يوجد في التاريخ الإسلامي من أجبر أو أكره على اعتناق الإسلام من اليهود وأهل الذمة، كما تفيد بذلك مصادر التاريخ الإسلامي (أرنولد: ٢١٣).

❖ أشكال التسامح ووسائله:

للتسامح عدة أشكال تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات و العلاقات بين الدول وأبرزها ما يأتي:

- **التسامح الديني:** قال الله تعالى: **﴿إن الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** المائدة: ٦٩ .
- **التسامح في المعاملات:** قال الله تعالى: **﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾** المؤمنون: ٩٦ .
- **التسامح العرقي:** قال الرسول الكريم ﷺ في خطبة حجة الوداع: «إن أباكم واحدٌ، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى» من خطبة حجة الوداع.
- **التسامح الثقافي:** لكل مجتمع ثقافة التي من حقه أن يعتز ويحاول نشرها.

❖ وسائل التسامح:

- الحوار العقلاني الهادف.
- التهدئة.
- احترام حرية الآخرين.
- رحابة الصدر.
- إعطاء الأولوية للمصلحة العامة.
- التعليم والتثقيف.

❖ التفاعل:

كان من نتائج تفاعل الحضارة العربية الإسلامية مع أوروبا، نقل نظام الترقيم إليها، ومن نتائج تفاعل الحضارة العربية الإسلامية مع الهند استعمال الارقام الهندية، حيث كان الخوارزمي أول من استعملها في مؤلفاته، وهو أول من ألف في علم الجبر، حيث كان أول واضعيه كما وضع علم الحساب، وتوصل العرب إلى حل معادلات من الدرجة الثالثة، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات والتفاضل والتكامل وعرفوا

المتواليات العددية والهندسية، ولهم بحوث في النسبة العددية والهندسية والتأليفية.

ومن نتائج تفاعل الحضارة العربية الإسلامية مع اليونان، ترجم العرب كتاب «الجمسطي» في الفلك لبطليموس وقاموا بتحقيقه ونقده، وكذلك فقد ترجموا كتاب «الأصول» في الهندسة لاقليدس وقاموا بتحقيقه وتحريره ونقده، وحلوا تمريناته ومسائله، وكذلك ترجم العرب كتاب جالينوس في الطب، حيث اصبح مرجعا للعلماء العرب (منتصر: ١١).

لقد توصل العرب إلى فهم البحث العلمي القائم على التجربة، ثم المشاهدة ثم الاختبار ثم النتيجة قبل أن يتوصل إلى ذلك بيكون (منتصر ١٠-١٧) وكانت الحضارة اليونانية التي تدعى الثقافة الهيلينية قد انتشرت في بلاد الشام ومصر والعراق وفارس بعد اجتياح الاسكندر لهذه البلاد (٣٣٣-٣٢٣) ق.م حيث نشأت المدارس الفلسفية في فارس، وكذلك مدرسة للطب في جند نيسابور، وقد درس السريان المنطق وعلم النفس وعلم ما وراء الطبيعة، حيث ترجموا كتب أرسطو وشروحها، فترجمات السريان كانت ملخصات لكتب فلاسفة اليونان وشروح هذه الكتب، وقد احتوت ترجمتهم على بعض الأخطاء، كما حذفوا بعض الاشياء وابدلوا بعض المعاني (فروخ: ١١١-١١٢).

أما حركة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية فقد بدأت منذ العصر الأموي، حيث تحول خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ - ٧٠٤م). من الخلافة إلى العلم، ودرس الكيمياء على يد راهب من الاسكندرية اسمه مرياتوس، وكذلك فقد ترجم عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ/٧٥٩م)، كتاب الملوك من الفارسية إلى العربية في عهد أبي جعفر المنصور، وقد قامت الدولة العربية الإسلامية برعاية حركة الترجمة كما فعل هارون الرشيد وابنه المأمون، مما أدى إلى اتساع حركة الترجمة (فروخ: ١٧٢-٢٧٢).

❖ الحيوية:

ورد في القرآن الكريم آيات تعطي الإسلام صفة الحيوية، قال تعالى: **﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾** (آل عمران: ٢٩)، ويستنكر القرآن الكريم ركون الإنسان إلى الحياة الدنيا والاطمئنان إليها ونسيان الحياة الآخرة، حيث يكون عقابه النار، قال تعالى: **﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ❖ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾** (يونس: ٧-٨).

ويرى الإسلام أن كل شيء يجري بحسبان على سنن ونواميس كونية معلومة وانظمة محكمة، ويحث الناس على معرفتها، قال تعالى: ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار**﴾ الرعد: ٨، وقال تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾ الفرقان: ٢، وقال تعالى: ﴿**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**﴾ لقمان: ٢٧، وقد وضح الاسلام للإنسان السبل من قبل الرسل، والإنسان هو صاحب الخيار في اختيار أحد الطريقين فهو يعمل بمشيئته واختياره وإرادته، قال تعالى: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾ فصلت: ٤٦، وقال تعالى: ﴿**فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**﴾ الشورى: ٣٠، وقال تعالى: ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**﴾ الإنسان: ٣ .

فالقدر في الإسلام دليل على الحيوية في الحضارة العربية الإسلامية، فهو يخلق بالإنسان الشجاعة وعدم الخوف من الموت أو المرض أو الفقر، ويدفع به ليعمل بقوة وشجاعة وينظر الى الحياة نظرة المتفائل المطمئن (معروف ١٦٨-١٧٣).

❖ الشمول:

اهتمت الحضارة العربية الإسلامية بالإنسان، إذ نظرت إليه ككائن محترم، وسيد الكائنات جميعها وأغلاها وأعظمها، وما في الكون سخر أصلاً للإنسان للانتفاع به وبمحتوياته بما يحقق له الخير والراحة والسعادة، قال تعالى: ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ❖ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار**﴾ إبراهيم: ٣٢-٣٣ .

وقد وفق الإسلام بين الحياة والدنيا والآخرة، ليعلم الإنسان كيف يتصرف في أموره ويعرف ما يفعل منها وما يترك، حيث وازن بين متطلبات الحياة في الدنيا، ومستلزمات المعاش وما تقتضيه الحياة الآخرة، فوجهه إلى الإيمان بالله وعبادته ليحظى بسعادة الدارين الأولى والآخرة، قال تعالى: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ القصص: ٧٧ .

وقد تناول الإسلام بتشريعاته وقوانينه كل شيء في الحياة، فقد كان الفرد يتلقى تعليمه وتأديبه منذ الصغر، فيتعود على مكارم الأخلاق في الكتاب والمسجد والمدرسة، ويتم الإشراف على سلوكه وتصرفاته في المجتمع، ويتم تعويده على آداب الحديث والجلوس والطعام والشراب

وآداب السير في الطريق، وكانت الدولة الإسلامية توفر له المأكل والمشرب والملبس، وتحافظ على حياته وماله وعرضه وحريته، سواء أكان مسلماً أم ذمياً.

فالشمول من طبيعة الحضارة العربية الإسلامية وميزاتها، حيث استمدت ذلك من مدنية العرب قبل الإسلام، ومن جوهر عقيدة الإسلام ومن مقتبسات المسلمين من حضارات الأمم الأخرى، وقاموا بإفراغ هذا المزيج في قالب خاص تمثلت فيه النزعة العلمية والميل إلى البحث والاستقصاء، وتمثل فيما بعد في الابتكار والابداع والتجديد لا التفكير والجمود.

وقد اهتمت الحضارة العربية الاسلامية بالعقل الإنساني، فهي تنظر إليه كأساس للتفكير وعماد الحياة ومركز الكون، فالفكر العربي في الحضارة العربية الإسلامية يمثل جميع من كتب ودون اللغة العربية، وتكلم بها دون النظر إلى لونه أو أصله، فقد قال الرسول ﷺ: «إن العربية ليست بأب ولا أم إنما العربية اللسان» (معروف ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، كفافي ١٤٤).

❖ الوحدانية:

يؤكد الإسلام أن كل ما في الكون ملك خالص لله وحده، يتصرف فيه كيف يشاء وهو الوحيد الذي يعلم كل ما في هذا الكون، ولا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء، قال تعالى: ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ البقرة: ١١٥.

والله هو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس له شريك في الملك، قال تعالى: ﴿**وإلهكم اله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾ (البقرة: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ (الأنعام: ١٠٣)، وقد أوجب الإسلام على المسلمين التوجه إلى الله بقلوب مؤمنة صادقة، فلا يعبدون سواه ولا يذلون ولا يخضعون ولا يسجدون إلا له، قال تعالى: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين**﴾ الاعراف: ١٩٤، وكل ما في الوجود دال على عظمة الله ووحدانيته وكل يسبح له، فالشمس والقمر والأرض والجبال والبحار والنجوم وكل شيء يسبح له ويعبده، قال تعالى: ﴿**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا، يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً**﴾ الإسراء: ٤٤.

إن هذه المعاني تصقل شخصية الفرد المسلم، وتنمي أحاسيسه وتهذب نفسه وترسم صورة متكاملة لمجمل حياته، وتبعده عن التناقض والضياع، وتأخذ بيده للسير

٢

قرامطة البحرين
عقائدهم الدينية..ونشاطهم السياسي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

تبدأ أساليب الحكم لحكومة القرامطة بالدعوة لكسب المؤيدين، وهي على مراحل بالنسبة للمدعوين للانضمام الى فرقتهم، وهي ليست على منوال واحد، وانما تعتمد على طبيعة المدعو ومدى استعداده لتلقي مبادئهم، اذ لم تكن عقائدهم تلقن للمدعوين دفعة واحدة، وانما كانت تلقن اليهم على درجات، تترتب كل منها على سابقتها، ويراعى في الدعوة أحوال المدعوين، فإذا كان المدعو ملكاً يسلك معه ما يلائم طموحه، وإن كان ناسكاً بما يناسبه، اما اذا كان اعرابياً فيسلك معه اسلوب يبلّغه امنيته في الرئاسة والملك والأخذ بالثأر من العجم، وان كان اعجمياً ملئ صدره غيظاً على العرب، وفقاً لما ذكر الكوفي في كتابه «الرد على الاسماعيلية والقرامطة».

وهكذا.. فيسلكون مع كل انسان حسب موقفه، مع الحذر من الكلام في بيت فيه من يعرف «علم الكلام» ووجوه النظر في المقاييس، اي لا يوجهون دعوتهم الى العلماء والمثقفين ويقصرونها على الجهال الذين يتلقون دعوتهم كل حسب طبقته، واحتماله للشك والحيرة.

ويقول الذهبي في كتابه «تاريخ الاسلام»: «انهم يظهرون مع كل فرقة من الناس، انهم منهم» ويعبر ابن النديم في كتابه «الفهرست» عن هذا القول بقوله: ان يكون البلاغ الأول للعامة، والثاني لمن فوق هؤلاء قليلاً، والثالث لمن دخل المذهب منذ سنة، والرابع لأصحاب السنتين، والخامس

لمن أمضى في الدعوة ثلاث سنوات، والسادس لأصحاب اربع سنوات، والسابع، وفيه يحدث عن نتيجة المذهب والكشف الأكبر.

ويقول محمد بن اسحق: انه قرأ سيرة دعواتهم، فرأى فيها أمراً عظيماً من اباحة المحظورات، والوضع من الشرائع وأصحابها، وعلى كل حال، فإن المدعو يمر بتسع مراحل، ولكل مرحلة هدفها، من زرع الشكوك في نفسه الى زعزعة إيمانه، وينتهي في المرحلة التاسعة ويسمونها مرحلة «السلخ» اي يكون المدعو في نهايتها الى «الانسلاخ» من دين الاسلام والدخول في الفكر، حسبما جاء في كتاب «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ.

ولهم تنظيمات في الدعوة، وفيها الدعاة، وهم في تسع مراتب، وانهم مرتبون في جزائر معروفة، اذ يقولون: ان الدنيا اثنا عشر جزيرة، وفي كل جزيرة حجة ولذلك فإن هناك (١٢) حجة، وكلهم يدعون للإمام، وهو امام معصوم قائم بالحق، ولا بد لكل عصر من امام يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكالات في القرآن الكريم، وفي الأخبار، ووسيلته الى الناس هم الدعاة، ومرتبة الامام تمثل القيادة العليا المطلقة، وهو مصدر لكل قانون وكل تنظيم وتشريع.

وبناء على ذلك حرصوا ان تكون شخصيته مستورة، بحجة الخوف عليه، وبقصد إخفاء حقيقة امره، حتى يتسنى للدعاة ان يتكلموا باسمه، وعندهم ان الأرض لن تخلو من امام حي قائم في ظاهر مكشوف، ام في باطن مستور، ولكل امام من يسمى «الباب أو الحجة» ومعناه باب سر الامام ومستودع اعماله.

ولسعة العالم قسموا الارض الى (١٢) جزيرة لكل منها «حجة» وهي مرتبة سرية للغاية، وصاحبها يبلغ افضل الحدود، وهو حد العصمة، ثم هناك «داعي الدعاة» وان كان يطلق هذا اللقب على الحجة أو الباب، وهي مرتبة سرية ايضاً، لكن رتبة «داعي الدعاة» العادية، هي ظاهرية وعلنية، وله حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر.

وهناك «داعي البلاغ» ويعتبر رابع الحجج الذين يكونون القيادة العليا للدعوة، واوّلوا الآية **﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾** النحل: ٦٨، فقالوا: ان النحل هم دعاة الإمام، والجبال هم دعاة البلاغ، والشجر هم الحجج، وما يعرشون هو ما يحملون من دعاة الاحرام، مما يفيض من

دعاة البلاغ، ومهمتهم تبليغ الأوامر التي يصدرها داعي الدعاة الى الأقاليم.

ثم هناك «الداعي المطلق - النقيب» وهو يرتبط بداعي الدعاة، ويستمد منه العلوم، ويتولى تعليم العبادة الباطنية، ويسمى النقيب، وهو يقوم لأهل جزيرته مقام الامام.

ثم هناك «الداعي المحصور» ومهمته ان يعلم المدعوين العبادة الظاهرة، ومراسم العبادة الباطنية، وهو مسؤول امام الداعي المطلق.

وهناك «الجناح» وهو (ايمن وأيسر) والجناح يعتمد على الحجج لأعلى الدعاة، والأجنحة يتولون مهمة الرسل بين الدعاة وامامهم.. مهمة الجناحين المذكورين سابقاً تقديم التقارير للداعي المطلق عن المكان المقرر ارساله اليه، ومن مهامهم نشر الدعوة ظاهراً وباطناً.

ثم هناك «المأذون المطلق»، و «المأذون المحدود» وتتركز مهمة الأول على أخذ العهود والمواثيق على المستجيب، والثاني انه في حالة الثقة بإخلاص المستجيب، يبدأ بمكاشفته ببعض الأسرار الخفية، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون ويثق به.

والمرتبة التاسعة هي «المكاسر» وهو الذي يهيئ المدعو للانتقال الى الداعي المأذون، ومهمته جذب الأنفس المستجيبة، وهو يخالط الناس ويخاطبهم مباشرة، وان يسير مع المدعو بحسب حاله وبما يميل الى طبعه، والمرتبة العاشرة هي «المكالب» ومهمته القيام بعملية تفرّس حال المدعو، وهذا يختص بالمرحلة الأولى من مراحل دعوتهم، ومن مهمته القيام بالتجسس وجمع الأخبار المتعلقة بالمدعوين او الدعوة، ولذلك شبه بكلب الصيد، والمرتبة الحادية عشرة، وهي مرتبة لا تحتسب من مراتب الدعاة، وانما هي تختص بالذين يندرجون في دورات التدريب والتعليم وتختص بالمستجيبين الذين ينبغي ان يتصفوا بعدة صفات تكون مدخلاً اليهم.

❖ قيام دولة القرامطة:

من الواضح ان المبادئ التي حرص القرامطة على نشرها بين الناس، تنطوي على ايجاد الأرضية الفكرية لقيام دولة لهم، اذ جمعوا طائفة من الناس أثاروهم ضد من يحيط بهم، وعزلوهم فكرياً وعقائدياً عما سواهم، وربطوهم بعهود ومواثيق اشترطوا فيها النصرة لهم على من خالفهم، ووحدوهم تحت قيادة إمام لا تجوز طاعة أحد سواه، وفرضوا عليهم ضرائب متعددة، فجمعوا الأموال الطائلة وجمعوا السلاح، وبنوا ما سموه «دار الهجرة» وجعلوا الطريق

ممهداً لاقامة دولة، اذا توفر المكان والزعامة، وقد استغل هذه الظروف يحيى المهدي عند قدومه الى منطقة البحرين، فأبرز رسائل زعم انها من الإمام المهدي، وهي تؤكد بأنه ظاهر لا محالة، وعليهم الاستعداد، ثم ان ابا سعيد كان يصرح بأنه رسول الإمام حجة الله على خلقه، وانه سيخرج في سنة ٣٠٠هـ، ويملك الأرض بأسرها.

أما اقليم البحرين، فقد كان مهيئاً لانتشار دعوة القرامطة لكثرة الثورات، وانتشار الدعوات بسبب جهل اهله، مما برز في هجومهم المتكرر على الحجاج قبل عهد القرامطة وبعده، واشتراكهم في ثورة الزنج، ثم كون البحرين بعيدة نسبياً عن مقر الخلافة، ووجود عدد كبير من القبائل التي لم تنتم الى احد المذاهب السائدة، وقوة وشجاعة اهلها.

ثم اختلاف كلمة قبيلة عبد القيس وهي اكثر سلطاناً، ثم كثرة الحروب بين القبائل، مما أدى الى ضعفها ووهن أمرهم بالبحرين، وعندها وثب ابو سعيد الجنابي على القطيف، ثم ان الدولة العباسية ظهرت فيها بوادر الضعف بظهور الدول المستقلة عنها، مما فتح الباب أمام كل مدع للثورة والمطالبة بالاستقلال، الأمر الذي ادى الى انفراط عقد العالم الاسلامي، واقتصر الأمر على مكاتبة الخلفاء بإمرة المؤمنين والدعاء لهم، كما كثرت الثورات في أرجاء اقاليم الدولة، ولا سيما الثورة باسم آل البيت، ومنها ثورة الزنج التي تزعمها شخص ادعى الانتساب الى آل البيت، وقد استمرت (١٥) عاماً حتى تم القضاء عليها سنة ٢٧٠هـ، لكن آثارها تشكل ارضية صالحة لكل مدع.

● ثورة أبي سعيد الجنابي:

لا شك ان ضعف الخلفاء وانشغالهم بمحاولة استرداد سلطانهم، كان عاملاً قوياً في تشجيع الثائرين، لا سيما ان الخلافة لم تكن بالقوة الكافية لقمع الثائرين، وتأمين الأمن في أقطارها، ومنها الثورة التي تجسمت بعدوان ابي سعيد على القطيف سنة ٢٨٦هـ، وقد تبنّى مبادئ القرامطة وخلاياها في الدعوة السرية، وقد التفت حوله جماعة من الأعراب والأنباط الذين رحبوا بدعوته، فاستفحل امره وقويت شوكته.

والجدير بالذكر، ان ابا سعيد هذا الذي عرف بالجنابي نسبة الى قرية «جنابة» من قرى الأهواز، كان بائعاً للدقيق فيها، الا انه نفي منها بسبب لم يذكره المؤرخون، الا ان المؤرخ الهمذاني في كتابه «تثبيت دلائل النبوة» يقول عن الجنابي: بأنه كان فاسقاً

شريراً، وجاهلاً لا يعرف من كتاب الله شيئاً، ولا شيئاً من السنة، ولا في الأدب، بل وهناك من زاد في زندقته فقال: انه ادعى النبوة، وهو «الحمادي اليماني من اهل المئة الخامسة» في كتابه «كشف الأسرار الباطنية».

والمعروف ان الجنابي عندما وصل الى البحرين اعلن الاستقلال لنفسه، وتغلب على المنطقة واظهر فيها «القرمطة» وقتل الداعي الذي سبقه في تلك المنطقة، ويروي ابن الأثير في «الكامل» ان والي البحرين في سنة ٢٨٣هـ، علم بخبر ابي سعيد وما يقوم به من نشر الدعوة القرمطية، فقبض على صاحبه، فحلق لحيته ثم اطلقه فسار الى بني كلاب وعقيل والخريس، فاجتمعوا معه.

اما ابو سعيد فقد هرب، واما اهل البحرين فلم يكونوا على وفاق معه، ولجأ أكثرهم الى البصرة، ولكن اختلاف كلمة عبد القيس أوهن امرهم في البحرين مما مكن ابا سعيد من الظهور والاستيلاء على الحكم عام ٢٨٦هـ، والمصادر التاريخية تعتبر هذا التاريخ لقيام حكم القرامطة في البحرين، اذ اجتمعت عليه جماعة من الأعراب والقرامطة، فقوي امره، وقتل من حوله من اهل القرى، وعندما توجه الى القطيف، واستولى عليها وقتل من بها من السكان، ثم توسع في السيطرة على مدن البحرين وقراها فكان لا يظفر بقرية الا قتل اهلها ونهبها.

وفي سنة ٢٨٧، زحف على مدينة «هجر» فحاصرها مدة سنتين مما ادى الى احتلالها، ويعد ذلك انتصاراً ساحقاً على الخلافة العباسية، وقد كابد اهلها من الحصار، خاصة وقد منع وصول الماء الى مدينتهم، ولم يدع احداً حياً من سكانها الا قتله بسبب رفض قبولهم دعوته، فعمد الى حرقهم، يقول البكري في كتابه «المسالك والممالك»: انه قتل من ال «هجر» ٣٠٠ ألف طرحهم أحياء في النار، وقد ادى ذلك الى انفتاح الديار على يده واستجابت العشائر له رغبة ورهبة، كما يقول ابن حوقل في كتابه «صورة الأرض».

ثم سار ابو سعيد الى محاصرة مدينة «الزارة» فأحرقها، وقتل قادتها، ثم توجه الى القبائل وأمعن في قتل ابنائها، ومنع وصول الطعام والشراب اليهم حتى هلكوا.

وقد كان امير البحرين «ابن بانو» قد قام بعدة محاولات للقضاء على القرامطة، فهاجم حصناً لهم، فظفر به عام ٢٩٠هـ، كما واقع قوات لابي سعيد فهزمهم ودخل القطيف فافتتحها (كما يقول الطبري وابن الأثير في تاريخيهما).

والجدير بالذكر ان الجنابي قد توفي سنة ٣٠١هـ، وبعد وفاته تولى العسكر الحكم، فيما يسمى «مجلس العقدانية» ودام حكمهم ٩ سنوات، الى ان تسمله ابو طاهر «احد ابناء ابي سعيد» اذ بايعه المجلس المذكور، الذي له الاشراف على سياسة الدولة، وهو يتألف من العسكريين، واستمر بالإشراف حتى عام ٤٢٨هـ وبعد اضمحلال قواتهم السياسية.

والجدير بالذكر ان لقب «السادة الرؤساء» قد اطلق على أبناء ابي سعيد الذين تولوا الحكم بعد وفاة أخيهم ابي طاهر سنة ٣٣٣هـ، وكانوا متضامنين فيما بينهم، وقد وردت هذه التسمية في عدة مناسبات، منها رفض الخليفة العباسي مساعدة القرامطة في حملتهم على الشام، ضد الفاطميين عام ٣٦٠هـ اذ اشترط على القرامطة التخلي عن التسمية بالسادة التي كتبوها على اعلامهم في تلك الحملة، كما انها وردت في بعض نقودهم التي ضربت في فلسطين في سنة ٣٦١هـ.

وبعد وفاة ابي يعقوب، آخر أبناء ابي سعيد، عقد أمر الحكم لستة من أهل بيته، وتسموا ايضاً باسم «السادة»، وكما مر معنا ان ابا سعيد الجنابي هو المؤسس لحكم القرامطة في البحرين التي حكمها منذ عام ٢٨٦هـ، حتى وفاته في سنة ٣٠١هـ، وقد كان حكمه سلسلة من العدوان على اهل البحرين ومدنها كما اسلفنا، واستمر حكمه حتى قتله في الحمام خادم له بسبب عدم قيامه بالصلاة والصيام (المقريزي – اتعاظ الحنفا) وقيل غير ذلك، اي انه حاول فعل الفاحشة في خادمه فقتله (ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة) وتولى الحكم ابنه الأكبر سعيد، ولكنه عجز عن القيام به، فغلبه أخوه الأصغر ابو طاهر سليمان.

● حكم ابي طاهر سليمان:

كانت بداية حكمه في الفترة (٣٠٥-٣١٠هـ) وكان يشاركه في الحكم مجلس العقدانية، واتسمت هذه الفترة بالهدوء، فلم يسجل التاريخ للقرامطة اي نشاط عسكري ضد الخلافة، الا ان عهده اقترن بوصول كتاب من عبد الله المهدي في المغرب، بتأييد ولايته، على أساس ان القرامطة هم اتباع المهدي الفاطمي، وفعلاً كانت علاقته وثيقة بالفاطميين في الظاهر والباطن، الا انها قد تعكرت بعد هجوم ابي طاهر على مكة المكرمة، وقتله مجاوري الحرم وحجاجه عام ٣١٧هـ، وقد كتب اليه الحاكم الفاطمي يعنفه على ذلك العدوان.

كما ان علاقته بالعباسيين شهدت توتراً خاصة بعد ارسال ابي طاهر رسالة الى

الخليفة، وتسميته «بقائد الأرجاس المسمى بولد العباس»، وتهديده بالقتل وسبي ذراريه، ويذكره فيه بظهور الامام المنتظر مستغنياً عن نصرة العرب، وهي رسالة تهديد من الخليفة تضمنت اتهامه بقتل الحجاج، وبإحراق المساجد واخراب الأمصار، لكن ابا طاهر يبرر ذلك انه فعل ما فعل بسبب ما رآه من المسلمين بتخلقهم بأخلاق الفجار، وانه حكم عليهم بحكم الله، ثم اتهم الخليفة العباسي نفسه بمروقه من الدين، وبسوء التصرف، واتهم المشايخ بالفجور والضلال والجهل، ووصف الخليفة بأنه أمير الفاسقين، وانه قلّد خدامه امر المسلمين، حتى صار اشراف الناس يخاطبونهم «بالسيد والمولى» وما الى ذلك من الاستهتار بالخلافة.

هذا وقد بلغت دولة القرامطة في عهد ابي طاهر ذروتها، واتخذت فلسفتهم ومعتقداتهم شكلها النهائي، وكان له سبعة وزراء، واتسع نفوذ دولته حتى بلغ الكوفة في سنة ٣١٣هـ، ودخل فريق من العراقيين في مذهبه، فعين عليهم عماله في واسط وعين التمر، كما وصل نفوذه الى الأحقاف من بلاد حضرموت، كما وصل نفوذه اصفهان عام ٣٢٢هـ، وقد بلغ نفوذه الذروة في عهد المقتدر بالله، اذ يروى ان بعض رجال الدول العباسية في هذا العهد، كانوا يتشيعون ويراسلون اولاد ابي سعيد، وكان اهل الكوفة عند هجوم ابي طاهر على مدينتهم، يسمونه: ولي الله وحجته وخليفة المهدي في البحرين (تثبيت دلائل النبوة للهمذاني) ومبالغة في حكمه للبحرين ابتنى له ولأصحابه داراً سماها «دار الهجرة» وذلك بسبب الخلاف الذي وقع بين مجلس العقدانية واهل البحرين سنة ٣١٤ هـ، بل اضطر ابو طاهر ان ينقل مركزه الى مدينة «المؤمنية» التي بنى قصره فيها.

ولما طغى أبو طاهر وبغى وملأ الأرض فساداً، صارت صورته شبهة في نظر الجهال الذين تصور لهم انه نبي مبعوث، ولفريق آخر هو القائم المنتظر، ولفريق آخر انه «المنتقم من العرب للعجم» وللآخرين انه إله معبود! وماج الناس في الشكوك كما يقول الكوفي «انظر الرد على الاسماعيلية والقرامطة».

في الحقيقة ان ابا طاهر قد وصف بأوصاف تدل على مدى خبثه وإفساده، وقال عنه ابن حوقل في كتابه «صورة الأرض»: بأنه المعتدي على قوافل الحجاج في طريق مكة، وقاتل الطالبيين وبني هاشم، والمستحل دماءهم وفروجهم واموالهم، ومخرب مكة وسارق الحجر

الأسود، وفاعل كل كبيرة، ومستحل لكل عظيمة، ومقترف كل الآثام ومستبيح كل حرام.

ويقول ابو المحاسن ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: انه كان زنديقاً ملحداً، لا يصلي ولا يصوم، وكان هذا الملعون اشد ما يكون بلاءً على الاسلام وأهله، وأشار السيوطي في «تاريخ الخلفاء» الى مفاسده واعتدائه وعدوان جيوشه اكثر من مرة، حتى انقطع الحج لعدة سنوات خوفاً من عدوان القرامطة، ويقول المسعودي في تاريخه: قد طالت ايامه الى وفاته في سنة ٣٣٢هـ بمرض الجدري، مما ادى الى تقطع أوصاله بسببه وتعذب اشد انواع العذاب قبل وفاته.

● **عهد اولاد ابي سعيد الثلاثة:**

بعد وفاة ابي طاهر، صار الأمر لإخوته الثلاثة، وهم ابو القاسم سعيد، وابو يعقوب يوسف وابو العباس (ولم يتحقق المؤرخون من اسمه، وقيل: انه أحمد) وكان هؤلاء على رأي واحد، غير ان ابا القاسم كان هو المقدم في حين ان ابا يعقوب كان مشغولاً باللهو، وابا العباس كان ضعيف البدن كثير الأمراض، لكنهم اذا لزمهم أمر مهم يخرجون الى مكان اسمه «الجرعاء» لبحثه، والاتفاق على الاجراء اللازم، وهكذا صار الحكم جماعياً.

وكانت الدولة في عهدهم لا تزال قوية، حتى انهم في عام ٣٤١هـ، استجابوا لطلب من حاكم عمان ان يمدوه بقوة في هجومه على البصرة، وكانت قيادتها الى ابي يعقوب، وفي سنة ٣٥٨هـ، ارسلوا الى بني نمير وغيرهم من العرب يدعونهم الى طاعتهم فأجابوا، واقسموا على الطاعة، وفقاً لما ذكره ابن الأثير في كتابه «الكامل».

كما بلغ نفوذهم الى الشام على يد احد رجالهم المدعو «حسن الأعصم» وكان من ثمرات ذلك النفوذ القطعة النقدية التي ضربت في فلسطين عام ٣٦١هـ تحمل عبارة السادة الرؤساء والحسن بن احمد «الاعصم» وقد اسلفنا ذكره.

واستمر ابو القاسم سعيد وهو المدبر الأول للدولة حتى وفاته في سنة ٣٦١هـ، واعقبه اخوه ابو يعقوب يوسف وهو آخر الثلاثة، حيث ان الأخ الثالث قد توفي قبل ذلك، اما يوسف فقد توفي عام ٣٦٦هـ، وفي هذه الفترة أعيد الحجر الأسود الى موضعه في سنة ٣٣٩هـ، ثم بدأ النزاع بين ابناء ابي سعيد وأحفاده عام ٣٥٨هـ، اذ طلب سابور بن ابي طاهر من اعمامه ان يسلموا الأمر اليه بحجة ان اباه قد عهد اليه بذلك، وقبض عليه احد اعمامه، وحبسه اعمامه في داره الى وفاته، وحصلت المنافرة بين

احفاد ابي سعيد، حيث نفي البعض منهم الى جزيرة «أوال» ثم تولى الأمر الحسن الاعصم، ونفى ابناء العائلة جميعاً حتى ليقال: ان مجموع من حبس في تلك الجزيرة بلغ (٣٠٠) شخص منهم، مما كان له تأثير في انقسام القرامطة وسقوط دولتهم.

وفي هذه الفترة (٣٦٠-٣٦٦هـ) شهد العلاقات مع الفاطميين تضارب المصالح العسكرية في مصر والشام، كما شهدت النزاع بين العباسيين، وقد استخدم فيها القرامطة اداة للنزاع وخاصة من قبل البويهيين الذين صاروا ينازعون الفاطميين بخصوص السلطتين الروحية والسياسية، حيث انهم شكلوا حلفاً مع الحمدانيين.

● حكم السادة الستة (٣٦٦هـ - ٤٧٠هـ):

وتمتد هذه الفترة من عام ٣٦٦هـ اي عند وفاة ابي يعقوب، عندما عقد القرامطة لستة من اهل بيته وسموا السادة، لحكم دولتهم حتى سقوطها على ايدي العيونيين عام ٤٧٠هـ، وقد ورد ذكر اثنين منهم في احداث سنة ٣٧٥هـ، هما اسحق وجعفر الهجريان في «ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي»، بالاضافة الى شخص ثالث هو «كسرى».

اما ابن حوقل فقد ذكر في كتابه «صورة الأرض» شخصاً رابعاً هو صخر بن ابي اسحق، ولقد كان لهؤلاء السادة مداخلات في المنازعات التي طرأت بين الحكام البويهيين، وعلى كل حال فإن مؤشرات الضعف في حكم القرامطة قد بدت واضحة، من ذلك هجوم زعيم «المنتفق» في سنة ٣٧٨هـ على القطيف، واخذ ما فيها من ثمين المتاع والسير به الى البصرة، كما قال ابن الاثير في كتابه «الكامل».

ومع ذلك فإن ناصر خسرو وبعد سبعين عاماً من هذا الحادث، لم يلحظ اي مظاهر للضعف، بل قدر قوتهم العسكرية بعشرين الف مقاتل، كما وصف اسلوب حكمهم مما هو مبسوط في رحلته «سفر نامة» اما لعبون في «تاريخه» يذكر ان القرامطة كانوا (٨٠) اميراً، عندما تصدى لهم عبد الله العيوني في عام ٤٧٠هـ وحاربهم حتى انتزاع الملك منهم.

❖ الخاتمة:

وهكذا فإن دولة القرامطة قد كتب لها الحياة حوالي قرنين من الزمان، وكان لها وجود محسوس في المنطقة، وتأثير ملموس على الحياة السياسية والعسكرية والدينية في المنطقة، وكانت من حيث المبدأ في عداء عسكري وعقائدي ضد العباسيين وان كان قد تحول الى حلف مع البويهيين، بحيث ابعدهم عن حليفهم التقليدي الذي تمثل

بالفاطميين، والظاهر ان الفاطميين كانوا في طريقهم الى الزوال، اذ قضوا القرن الأخير من حياة دولتهم «التي انتهت من الوجود عام ٥٦٧هـ» في ظل اضطرابات داخلية وقتال ضد الصليبيين الذين طمعوا الى احتلال مصر بعد ان توطد حكمهم في بعض مناطق الشام، ولكنهم ما دروا ان الله سبحانه قد هيأ لهم من تكون نهايتهم على أيديهم، كالأتابكة والأيوبيين وعلى رأسهم نور الدين وصلاح الدين، والحمد لله رب العالمين، فقد انهوا حكم الفاطميين وانتصروا على الصليبيين.

هذا وقد لاحظت ان من كتب عن القرامطة لم يلحظ ميولهم الفارسية مما ورد في تاريخهم، ومثال ذلك:

اولاً: ان القرامطة من اصل فارسي وقد جاء جدهم من جنابة من بلاد فارس وهو ينتسب الى جنابة، كما ان اسم والده «بهرام» وهو اسم فارسي قديم واخر اسمه «كسرى» وثالث اسمه «سابور».

ثانياً: وردت رواية عن ابي طاهر انه قال: ما بي الا تأسف على اذلال الطالبيين بالكوفة لإخواننا اولاد الفرس، وهذا القول دليل على جذور فارسية للقرامطة لا يعوزها الدليل.

ثالثاً: يقوم اعتقاد الباطنية بالألوهية على وجود «إله النور» و «إله الظلمة» فوجود إلهين من معتقدات المجوس، يسمى هذين الإلهين عند القرامطة «السابق» و «التالي».

رابعاً: بالنسبة للصيام، فإنهم قالوا: ان الصيام يومان هما يوم المهرجان والنوروز، وكان من صوم الفرس قبل الاسلام.

خامساً: ويراعي القرامطة في دعوتهم ظروف المتلقي، فقالوا: ان كان اعجمياً ملأوا صدره غيظاً على العرب والعكس ايضاً، وهذا ما يخالف روح الاسلام الذي يدعو للاخوة بين المسلمين جميعاً.

سادساً: في رسالة ابي طاهر الموجهة الى الخليفة العباسي، يعنفه ويهدده بقرب ظهور المهدي ويقول: «وهو مستغن في ظهوره عند العرب» ولا يخفى ما في هذا القول من نعرة شعوبية.

سابعاً: ثم ان القرامطة، اعترفوا بمناسبة واحدة على الأقل، انهم جاءوا لينتقموا للفرس من العرب «للعجم» لا يخفى ان هذه الأقوال تبعث الشكوك في نفوس العرب، وتفصح عن نوايا القرامطة

كشف المصادر:

١- ابن الأثير علي بن محمد الشيباني ٣٦٠هـ، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٧ .

٢- الاحساني محمد بن عبد الله آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، الرياض ١٩٦٠م.

٣- الأذكوي، كشف الغمة لجامع اخبار الأمة، مخطوطة بكلية الآداب في جامعة بغداد.

٥- الاعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٢٧م.

٦- اسماعيل محمد اسماعيل، الحركات السرية في الاسلام، بيروت ١٩٧٣م.

٧- الباباني البغدادي، اسماعيل باشا، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، بغداد، مكتبة المثنى.

٨- البغدادي، عبد القاهر ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، بيروت ١٩٧٣م.

٩- البغدادي احمد بن عبد الله ١١٠٢هـ، عيون اخبار الاعيان، مخطوطة في المتحف العراقي.

١٠- بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الاسلاميين، بيروت ١٩٧٣م.

١١- ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم ٧٢٨ه، مجموع الفتاوى، الرياض ١٣٨٦هـ.

١٢- تامر، عارف تامر، خمس رسائل اسماعيلية، بيروت ١٩٥٦م.

١٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ٥٩٧هـ، تلبيس ابليس، بيروت ١٣٦٨هـ.

١٤- ابن الجوزي، القرامطة تحقيق محمد الصباغ، بيروت ١٩٧٧م.

١٥- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد ١٣٥٧هـ.

١٦- بندلي جوزي من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، دار الروائع، بيروت.

١٧- ابن حزم ابو محمد بن احمد الظاهري الاندلسي، الفصل في الملل والنحل، القاهرة ١٩٦٤م.

١٨- حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف، عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب، مصر ١٩٤٧م.

١٩- الحصكفي، احمد بن محمد الحلبي ١٠٠٣هـ، ملخص تاريخ الاسلام للذهبي، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد.

٢٠- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ٨٠٨هـ، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧١م.

٢١- الخليفة عبد الله بن خالد الخليفة، البحرين عبر التاريخ، البحرين، ١٩٧٠م.

٢٢- خسرو، ناصر خسرو، ٤٦٠هـ، سفرنامة الرحلة، نقلها الى العربية يحيى الخشاب، بيروت ١٩٧٠م.

٢٣- الدواداري، ابو بكر عبد الله بن ايبك ٧١٣هـ، كنز الدرر وجامع الغرر في الدولة الفاطمية، مخطوطة في دار الكتب المصرية.

٢٤- دي كوييه، ميكال يان، القرامطة وعلاقتهم بالفاطميين «ترجمة عربية» بيروت ١٩٧٨م.

٢٥- الديلمي، محمد بن الحسن، من علماء القرن الثامن، قواعد عقائد آل محمد الباطنية، ١٩٥٠م.

٢٦- الديلمي، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، استانبول ١٩٣٨م.

٢٧- الذهبي، محمد بن احمد التميمي ٧٤٨هـ، دول الاسلام ١٣٦٤هـ.

٢٨- زكار، سهيل زكار، تاريخ القرامطة، ترجمة الحسن الاعظم، بيروت ١٩٨٠م.

٢٩- سنان، ثابت بن سنان، ٣٦٥هـ، تاريخ القرامطة، ضمن كتاب سهل زكار، بيروت، ١٩٨٠م سالف الذكر.

٣٠- السامرائي، عبد الله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الاسلام، بغداد ١٩٧٢م.

٣١- السجستاني، ابو يعقوب، ٣٥٣هـ، الافتخار، بيروت ١٩٨٠م.

٣٢- سعد محمد حسن، المهدية في الاسلام، مصر ١٩٥٣م.

٣٣- السفاريني، محمد بن احمد، لوائح الأنوار البهية في عقدة الفرقة المرضية، القاهرة، ١٣٢٣هـ.

٣٤- السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، ت ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٣٥١هـ.

٣٥- ابن الشحنة، محمد بن محمد ٨١٥هـ، روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر، القاهرة، ١٢٩٠هـ.

٣٦- شتروطمان، اربعة كتب اسماعيلية، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

٣٧- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ٥٤٨هـ، الملل والنحل، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨- شاكر، محمود شاكر، القرامطة، بيروت ١٩٧٩م.

٣٩- الشيرازي، هبة الله داعي الدعاة ٤٧٠هـ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، القاهرة ١٩٤٩م.

٤٠- الشامي، فضيلة عبد الأمير، الخلفية العقائدية لحركة القرامطة، رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة ١٩٧٣م.

٤١- الطبري، محمد بن جرير ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٤٢- عليان، عبد الفتاح عليان، قرامطة العراق، القاهرة ١٩٧٠م.

٤٣- عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، بغداد، بدون تاريخ.

٤٤- العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، القاهرة ١٣٨٣هـ.

٤٥- عمر، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، بغداد ١٩٧٧م.

٤٦- عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٧٥م.

٤٧- عنان، محمد عبد الله، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، القاهرة ١٩٥٤م.

٤٨- الغزالي ابو حامد ت٥٠٥هـ، فضائح الباطنية، حققه عبد الرحمن بدوي، ١٩٦٤م.

٤٩- غالب، مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الاسلام، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠- غالب مصطفى غالب، القرامطة بين المد والجزر، بيروت، ١٩٧٩م.

٥١- الفاسي، محمد بن احمد الحسني ٨٣٢هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نشر ضمن كتاب «المنتقى في اخبار ام القرى».

٥٢- القرشي، الداعي المطلق ادريس عماد الدين ٨٧٢هـ، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، بيروت، ١٩٧٥م.

٥٣- القطبي، عبد الكريم بن محب الدين، ت ١٠١٤هـ، تاريخ البلد الحرام، القاهرة ١٩٥٠م.

٥٤- القمي، سعد بن عبد الله ٣٠١هـ، المقالات والفرق، طهران ١٩٦٣م.

٥٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر ٧٥١هـ، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، بيروت ١٩٧٥م.

٥٦- ابن كثير، اسماعيل بن عمر ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، بيروت ١٩٧٤م.

٥٧- الكرماني، محمد بن يوسف ٧٨٦هـ، الفرق الاسلامية، بغداد ١٩٧٣م.

٥٨- الكرماني، الداعي احمد حميد الدين ٤١١هـ، الأقوال الذهبية، بيروت ١٩٧٧م «راحة العقل» بيروت ١٩٦٧م.

٥٩- الكوفي، محمد بن علي، الرد على الاسماعيلية والقرامطة، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية، بدمشق.

٦٠- ابن لعبون، حمد بن محمد الوائلي ١٢٥٥هـ، تاريخ ابن لعبون ١٣٥٧هـ.

٦١- ابن مسكويه، احمد بن محمد ٤٢١هـ، كتاب تجارب الأمم، مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ.

٦٢- ابن مقرب العيوني، عبد الله بن علي ٣٦٩هـ، ديوان ابن مقرب، الاحساء ١٣٨٣هـ.

٦٣- مهدي، علي محمد مهدي، الاخيضر، بغداد ١٩٦٩م.

٦٤- المجلسي، بحار الانوار، وهو مخطوطة في مكتبة الخلاني في بغداد.

٦٥- مجهول، بيان الفرق الضالة، وهو مخطوطة في مكتبة الخلاني، المتحف العراقي في بغداد.

٦٦- المسعودي، علي بن الحسين ٣٤٦هـ، مروج الذهب، القاهرة ١٩٧٣ .

٦٧- القاضي النعمان بن محمد ٣٦٣هـ، الرسالة المذهبية، نشرت ضمن خمس رسائل اسماعيلية سبق ذكرها برقم ١٢ .

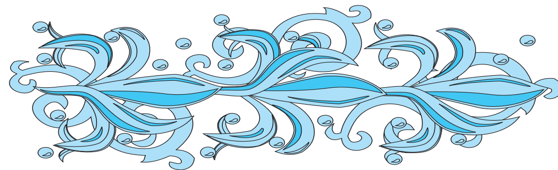
٦٨- نظام الملك وزير السلاجقة، القرن الخامس الهجري، كتاب سياستنامة، ترجمة محمد العزاوي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٩- الحسن بن موسى، فرق الشيعة، استانبول ١٩٣١م.

٧٠- ابن النديم، الفهرست، بيروت ١٩٧٨م.

٧١- الهمداني، محمد بن عبد الملك ٥٢١هـ، تكملة تاريخ الطبري، بيروت ١٩٥٨م.

٧٢- الهمذاني، عبد الجبار بن احمد ٤١٥هـ، تثبيت



قطوف دانية

اعداد الاستاذة هبة زكي العجرمي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾

النور: ٢١

عدم تمني الموت

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي».

رواه مسلم

تفقدوا الحلاوة

قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء:

في الصلاة، وفي الذكر وفي قراءة القرآن،

فإن وجدتم.. وإلا فاعلموا ان الباب مغلق.

حكمة في النصح

قال ابو جعفر المنصور يوماً لسفيان الثوري: عظني،

فقال له: ما عملت فيما علمت، فأعظك فيما جهلت.

وقال المأمون لواعظ أغلظ القول عليه: يا هذا ان الله قد أمر من هو خير منك، بلين القول لمن هو شر مني!!

يعني بذلك قول الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام حينما ارسلهما الى فرعون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾

هل فقد الأمل؟!

ان محناً كثيرة أصابت المسلمين في تاريخهم الطويل، ونجوا منها وعادوا أقوى مما كانوا، لأن الدين الاسلامي يحمل في نفسه عوامل بقائه وحماية أتباعه.

قالوا في البخل

■ البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به الى كل سوء.

■ الجواد يأكل ماله، والبخيل يأكله ماله.

■ سئل جميل: أما يكسوك محمد بن يحيى؟ قال: لو كان له بيت مملوء إبراً، وجاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء، والملائكة ضمناء، يستعير منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قدّ من دبر ما أعاره اياها!.

مصارع الظالمين وعواقب المفسدين

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

ان الله برحمته وحكمته وعدله، قد أمر بالعدل والاحسان وحرم الظلم والبغي والعدوان كما قال سبحانه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[١] وقال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[٢]

واقتضت سنته الكونية هلاك الظالمين ومحق المعتدين، وقطع دابر المفسدين، سواء أكان الظالم فردا أم جماعة أم أمة من الأمم، لقد حفل القرآن الكريم بالاخبار الكثيرة عن مصارع الظالمين ومصير المفسدين، الذين عمروا عمرانا عظيما وشيدوا حضارات عتيدة وظنوا انهم بلغوا النهاية في القوة والعزة، وغرتهم انفسهم فظلموا وأفسدوا، وما تركوا ظلمهم رغم الآيات والنذر فحققت كلمة العذاب عليهم، وأصبحوا أثرا بعد عين، وخبرا طواه التاريخ يتلى للتذكرة والاعتبار.

انها سنة ماضية في الظالمين مهما اختلفت ازمانهم وتباعدت بلدانهم وتنوعت اعراقهم، فسنن الله تعالى لا تحابي أحداً، ولا تفرق بين زمان، أو تطال أقواما، فمن ظلم وتمادى في ظلمه فهلاكه واقع لا محالة، إلا ان يمن الله عليه بتوبة عاجلة قبل حلول العذاب.

إن من عدل الله تبارك وتعالى أنه لا يهلك من لا يستحق الهلاك، ولا ينزل العذاب إلا بمن أتى أسبابه، وحقق موجباته، والآيات القرآنية الكريمة دالة على هذه الحقيقة،

ومنها قول الله تعالى: ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم ءاياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾[٤]، وقال عزوجل: ﴿**وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا**﴾[٥]، ولما قضى الله تعالى بإهلاك قوم لوط علق سبب هذا الهلاك على ظلمهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين**﴾[٦]، ولما كذب أقوام رسلهم، وظلموا أتباع الرسل أوحى الله تعالى الى الرسل بهلاك هؤلاء المكذبين الظالمين فقال سبحانه: ﴿**فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ❖ ولنسكننكم الارض من بعدهم**﴾[٧].

والظلم الذي تقع فيه الأمم على نوعين:

أولهما: ظلم النفس بالشرك والكفر، ورفض دين الله تعالى الذي ارتضاه، ورد شرائع الرسل عليهم السلام، واستبدال ذلك بالقوانين والأنظمة البشرية أو تعاليم السادة والكبراء المنبثقة عن الأهواء والشهوات.

وهذا النوع هو أكبر انواع الظلم وأشدها خطرا، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾[٨].

وثانيهما: ظلم الناس وذلك ببخسهم حقوقهم، والتسلط على مواردهم وثرواتهم والتدخل في شؤونهم وخصوصياتهم وسلبهم إرادتهم وحريتهم، وقسرهم على المناهج والتعاليم التي ترتضيها القوى الظالمة.

والنوع الأول من الظلم مستلزم للنوع الثاني: كما يشهد بذلك الحال، وكما يدل عليه تاريخ الطغاة الظالمين، فإن أتباع الأنبياء والمرسلين من العامة والضعفاء ما سلموا من ظلم السادة والأقوياء الذين رفضوا أن تكون العبودية خالصة لله تعالى، وأرادوا تعبيد الناس لأصنامهم وأهوائهم، فقهروا الناس على ظلمهم وقسروهم على شركهم فكانت نتيجة ذلك غضب رباني على الظالمين جعل أرضهم يبابا، وديارهم بلاقع، عبرة للمعتدين.

منهم قوم نوح عليه السلام الذين كذبوا نوحا، وظلموا أتباعه واحتقروهم، وازدروهم، وقالوا: ﴿**ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين**﴾[٩]، فلما أنهوا المهلة التي قدرها الله تعالى لهم، ولم يتوبوا من استكبارهم، قضى سبحانه بهلاكهم، وعلق ذلك على ظلمهم، فقال سبحانه: ﴿**ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**﴾[١٠]، فلما أغرقهم أخبر عن ذلك بقوله: ﴿**فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾[١١].

ومنهم عاد قوم هود عليه السلام الذين غرتهم

قوتهم، حتى قالوا: **﴿من أشد منا قوة﴾**[١٢]، فلما زاد عتوهم، وعلا ظلمهم أخذهم الله تعالى، وأخبر عنهم بقوله سبحانه: **﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾**[١٣].

ومنهم ثمود قوم صالح عليه السلام الذين طلبوا الآيات فلما جاءتهم كذبوا بها، وعقروا الناقة، فحق عليهم عذاب الله تعالى بسبب ظلمهم كما قال سبحانه: **﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾**[١٤].

ومنهم قوم لوط عليه السلام الذين كذبوا الرسل، واستحلوا الفواحش، ولم يعتبروا بما سلف من إهلاك الظالمين، فساروا على دربهم، وعملوا بطريقتهم فأمر الله تعالى بقلب ديارهم عليهم، وإتباعهم بحجارة من نار، فحمل قريتهم ملك من الملائكة ثم قلبها عليهم: **﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ❁ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾**[١٥].

وأخبار الظالمين وما جرى لهم من عذاب كثيرة، والأمم التي أهلكها الله تعالى بسبب ظلمها وبغيها عديدة، كما قال سبحانه: **﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾**[١٦]، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير﴾**[١٧]، إنه هلاك وعذاب طال البشر والحيوان والديار والعمران، ولم يبق حجر على حجر، فاستحال عمرانهم خرابا، وديارهم يبابا، كما قال سبحانه: **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ❁ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم ءاياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾**[١٨].

إن هذه السنة الربانية المتكررة عبر الازمان، يحتاج إلى قراءتها وفهمها كل البشر في هذا العصر، سواء أكانوا من الظالمين أو من المظلومين، فالظالمون يحتاجون إلى قراءتها وتدبرها وفهمها، لعلهم يرتدعون عن ظلمهم ويرعوون عن كفرهم، فيشكرون الله تعالى على ما من به عليهم من القوة والسيادة في الأرض بإقامة العدل، ورفع الظلم، وعدم استغلال ضعف الضعفاء بالتسلط عليهم، ونهب ثرواتهم ومقدراتهم، وتبديل دينهم وثقافاتهم تحت مشاريع النظام الدولي الجديد، والعولمة، وسيادة النظم الرأسمالية، التي زينت لهم شياطينهم أن نهاية التاريخ عندها، وأن أي معارض لها أو ناقد لبنودها أو مقرراتها فهو خارج عن الإجماع الدولي.

فالناس لهم خصوصياتهم وثقافاتهم التي

لا يرتضون تبديلها بالقهر والقوة والتسلط، كما تريد أن تفعل القوة الرأسمالية المعاصرة.. كيف وللمسلمين دين حق، هو دين الأنبياء كلهم عليهم السلام، فلن يحاربه أو يحاول تبديله إلا معذب هالك، ولن يكون مصيره إلا عين مصير الظالمين المستكبرين الذين رفضوا دين الله تعالى، واستنكفوا عن شريعته، وحاربوا حملتها من الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولسنا نخاف على دين الله تعالى، لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له، وستظل طائفة من المسلمين يدينون به، ويبلغونه غيرهم إلى أن يأتي أمر الله تعالى كما جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وكما يحتاج الظالمون إلى معرفة السنة الربانية في إهلاك الظالمين لعلهم يجتنبون الظلم، فإن المظلومين في أمس الحاجة إلى معرفتها أيضا، ولا سيما إذا كانوا من المسلمين أتباع الأنبياء عليهم السلام، لأن معرفتهم بعواقب المجرمين ومصارع الظالمين تزيدهم إيمانا بدينهم، ويقينا إلى يقينهم، وثباتا عليه مهما كانت التبعات والتضحيات، كما أن فيها تسلية لهم، وفتحا لأبواب الفرج والنصر، وكلما زاد ظلم الظالمين واستكبار المجرمين، وأصروا على تغيير معالم الدين علم المؤمنون أن هلاك الظالمين بات وشيكا، وأن سنة الله الماضية في الظلم وأهله قد أزف وقوعها لتكون عذابا على أعداء الديانة، ورحمة ونجاة لأتباع الرسل عليهم السلام، كما مضت سنة الله تعالى في الظالمين السابقين الذين هلكوا في أوج قوتهم وسيادتهم، واستفحال ظلمهم وطغيانهم **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ❖ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾**[١٩]، **﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**[٢٠].

الهوامش:

١- النحل: ٩٠ .
٢- رواه مسلم.
٣- هود: ١١٧ .
٤- القصص: ٥٩ .
٥- الكهف: ٥٩ .
٦- العنكبوت: ٣١ .
٧- ابراهيم: ١٣-١٤ .
٨- لقمان: ١٣ .
٩- هود: ٢٧ .
١٠- هود: ٣٧ .
١١- العنكبوت: ١٤ .
١٢-١٣- فصلت: ١٥-١٦ .
١٤- هود: ٦٧ .
١٥- هود: ٨٢-٨٣ .
١٦- الأنبياء: ١١ .
١٧- الحج: ٤٨ .
١٨- القصص: ٥٨-٥٩ .
١٩- الأنعام: ٤٤-٤٥ .

الحقوق الاجتماعية للمرأة
إلزام المرأة بالحجاب وتغطية الوجه والكفين

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

ورد في قاموس لسان العرب: حجب الحجاب: الستر، حجب الشيء بحجبه حجبا وحجابا وحجبة: *ستره*، وحجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب، وامرأة محجوبة قد سترت بستر، والحجاب اسم ما احتجب به، وكل ما حال بين شيئين حجاب، والجمع حجب. ويلاحظ من هذا التعريف للحجاب عند الحديث عن امرأة محجوبة: قد سترت بستر ولم يذكر أو بلباس، وعليه فإن الحجاب هو الشيء أو الحاجز الذي يستر شخصاً ما عن شخص آخر، ويتضح هذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾.

فعبارة **﴿من وراء حجاب﴾** أي من خلف ساتر أو حاجز يخفي ما خلفه، فهو أمر للمسلمين أن يسألوا نساء النبي ﷺ وهن متحجبات خلف ستار، وليس وهن يرتدين لباساً خاصاً يلبسن أو يسترن به أجسامهن، والهدف من سؤالهن وهن خلف حجاب أو ستار هو أن لا يروا شخوصهن وليس أن لا يروا وجوههن، ولكن وقد أذن لهن بالخروج للحاجة الماسة، فعندها يجب عليهن أن يغطين وجوههن فضلاً عن بقية البدن حتى لا يرى أحد وجوههن ولا أبدانهن.

أي أن المعنى الأصلي للإحتجاب هو منع نساء النبي ﷺ من لقاء الرجال الأجانب دون حجاب أو ستار أو حاجز، والإبتعاد بشخوصهن تماماً عن انظار الرجال، أما الستر الكامل للبدن مع الوجه

والكفين عند الخروج للحاجة فإنه بديل عن الإحتجاب، وهكذا يكون للحجاب صورتان: صورة أصلية داخل البيت وهي محادثة الأجانب من وراء ستار، وصورة فرعية خارج البيت وهي ستر الوجه مع سائر البدن، فالأصل هو ستر الشخص واحتجابه عن نظر الرجال سواء داخل البيت أو خارجه، ويتأكد هذا المعنى من سبب نزول آية الحجاب السابقة الذكر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية (الحجاب): لما أهديت (زفت) زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون (وفي رواية مسلم وزوجته مولية وجهها إلى الحائط) فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى آية الحجاب فضرب الحجاب وقام القوم، ولو أن الحجاب يعني ستر البدن، وكانت زينب العروس جالسة مولية وجهها إلى الحائط وهي سافرة الوجه لأمرها الرسول ﷺ بستر وجهها ولا حاجة لضرب الحجاب ومنع أنس من الدخول.

❖ ما هو الجلباب:

الجلباب هو الملاءة أو الملحفة التي تكون فوق الثياب أو هو الثوب نفسه، فقد جاء في القاموس المحيط: والجلباب كسرداب وكسنمار: القميص وثوب واسع للمرأة دون الملحفة أو ما تغطي به ثيابها كالملحفة، وهو يغطي الجزء الأسفل من البدن من مستوى المنكبين حتى أخمص القدمين، ولا يشمل تغطية الرقبة والرأس والوجه.

وأما الخمار: فهو قطعة من القماش يغطي بها الرأس، وقد كانت المرأة في الجاهلية تضع الخمار على رأسها وترمي أطرافه للخلف مسفحة بصدرها وربما أظهرت أيضاً عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها.

أما النقاب: فهو الخمار او المنديل يشد عند قاعدة الأنف وتحت محاجر العيون، ويتدلى إلى ما دون الذقن فيغطي الوجه ما دون العينين.

❖ ستر المرأة جميع بدنها أمر فطري:

أن ستر المرأة لجميع بدنها من أعلى رأسها إلى أسفل ساقيها أو أخمص قدميها أمر فطري، وهذا ليس خاصا بالمرأة وحدها، بل هو عام للرجال كما هو للنساء، وقد بدأ الانسان يغطي بدنه منذ بدء الخليقة فأبونا آدم وأمنا حواء عليهما

السلام، بمجرد ان انكشفت عوراتهما لبعضهما البعض بعد أن أكلا من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، شرعا يجمعان من ورق الشجر ليسترا به عوراتهما، قال تعالى: **﴿فأكلا منها فبدت سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾**[٥].

(اين الهوامش من ١-٤)

وعلمهما الله تعالى صنع اللباس ومنّ عليهما بذلك فقال تعالى: **﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾**[٦] وقد مضى الناس على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم على هذه الفطرة، وظلوا يحرصون على ستر أبدانهم بارتداء اللباس ولوقايتها من شر الحر والبرد القارس.

فها هي الملكة بلقيس ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس من دون الله، كان ثوبها سادلا على ساقيها لا يبدي من جسمها أي جزء، بدليل أنه لما طلب منها النبي سليمان عليه السلام أن تدخل القصر، ظنت وجود الماء في باحته فرفعت ثوبها وكشفت عن ساقيها حتى لا يتبلل الثوب، فلم يرض النبي سليمان عليه السلام عن هذا الكشف وأخبرها بحقيقة الأمر وأن لا ماء في الصرح، وانما هو صرح ممرد من قوارير وذلك لتغطي ساقيها، قال تعالى: **﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير﴾**[٧].

والنساء في الجاهلية كن يسترن أجسامهن، وحيث كشفت بعضهن عن نحرها فظهر العنق والصدر وفتحت الجيب وأجزاء من السيقان، لم يرض الله تبارك وتعالى عن هذا وسماه تبرج الجاهلية الأولى، ونهى المرأة المسلمة عنه بقوله مخاطبا النساء المسلمات: **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**[٨] وأمرها بنبذ هذا الجرم بتثبيت الخمار على الجيب، وهو موضع القلادة أعلى الصدر وليس الصدر نفسه، أو بعبارة أوضح هو موضع طوق أو فتحة الثوب أعلى الصدر بشكل يواري فيه الأذن والعنق وأعلى الصدر حيث قال تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾**[٩].

وظل الحال كذلك حتى فسدت أخلاق أبناء العرب والمسلمين، وأخذوا يقلدون شعوب الغرب في الانحلال الأخلاقي والجري وراء الشهوات، والنظر إلى المرأة على أنها مجرد أداة للمتعة وقضاء الشهوة، فأغروها بالعري كالمرأة الغربية وزينوا لها أن تكشف عن بدنها وأجزائه الحساسة، وتبدي جميع مفاتنها لتغري الرجال

وتشدهم إليها، وهذا تناقض صارخ ممن ينادون بمساواة المرأة بالرجل في كل الأمور، ونحن نرى سواء من خلال وسائل الاعلام بما فيها الفضائيات أو بالمشاهدة الحسية على أرض الواقع، أن الرجل في الدول الغربية يظهر الاحترام للمرأة ويقدمها على نفسه في الدخول إلى الأماكن ويلبسها معطفها ويقبل يدها، ويصطحبها آخر الليل فيبتذلها ويتخذها أداة طبيعية للعبث بها وقضاء شهوته ثم اطلاق سراحها عائمة لا تدري أين تذهب.

وهنا يخطر سؤال لا أجد له جوابا عند دعاة التحرر من كل القيود الدينية والاجتماعية والمبادئ الأخلاقية والقيم الانسانية، وهو لماذا يصرون على ضرورة تبرج المرأة وكشف جميع بدنها إلا من خرقة صغيرة من القماش لا تغطي عورتها، ويفرضون عليها ان تعاني من آلام البرد القارس يضرب لحمها وعظمها المكشوفين، بينما لا يطلب ذلك من الرجل الذي يحرص غالبا على ارتداء اللباس الكامل الذي يغطي جميع أجزاء جسمه، فيوفر له الحماية من المؤثرات الخارجية والوقاية من تأثير البرد القارس؟

ألا يدرك هؤلاء الناس أن تبرج المرأة وكشف عورتها ليس دليلا او علامة على التقدم والرقي، بل هو دنو إلى مرتبة الحيوان، وحط من قيمة المرأة ومكانتها، فأصبح لا ينظر اليها الا أنها أداة لمتعة الرجل وخاصة أنها تشغل نفسها كثيرا، وتفرط باستخدام المعاجين والكريمات والبودرات والألوان المختلفة لصبغ حواجبها وجفونها ورموشها وخديها وشفاهها بمختلف الألوان، لتظهر بمظهر فاتن يثير الرجال ليميلوا اليها ويطلبوها للاستمتاع بها وتحدث الفاحشة فعلا(١٠).

ان الله تعالى الذي خلق الانسان وكرَمه أيما تكريم، وفضله على جميع المخلوقات تكريما للمرأة وتقديرا لدورها العظيم في الحياة ورحمة بالرجال، أمرها أن تستر بدنها ونهاها أن تبدي شيئا من زينتها لأحد إلا لزوجها والى حد ما للمحرمين عليها من الرجال، وأباح لها اظهار ما يظهر عادة من هذه الزينة لتتمكن من القيام بالأعمال المطلوبة منها، وأمر كلا من الرجل والمرأة بغض البصر وعدم الاصرار على النظر إلى ما يجوز أن يطلع عليه من جسم الآخر، احتراما وتكريما وتقديرا للانسان رجلا كان أو امرأة.

ومن باب المحافظة على عرض وشرف

كل منهما قال تعالى: **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾**[١١].

كما أن الله تعالى أمر النساء بأن يكون لباسهن كاملا ساترا لجميع البدن ما عدا ما يظهر عادة منه، على أن لا يكون قصيرا يبدي السيقان التي هي مثار الشهوة والفتنة عند الرجال فقال تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾**[١٢].

خصائص لباس المرأة: يعد لباس المرأة موضوعا خلافيا في الفقه الاسلامي القديم والمعاصر، ويتجلى هذا الخلاف في مسألة تحديد عورات المرأة بشكل عام وفي مسألة سفور وجهها أو عدمه بشكل خاص[١٣].

فالفقه القديم يكاد يجمع على أن لباس المرأة، يجب أن يغطي جميع بدنها من أسفل القدم حتى أعلى الرأس ويشمل ذلك الكفين والوجه والعينين، وذلك اعتمادا على تفسيرات غير دقيقة للآيات الكريمة المتعلقة بلباس المرأة، فقال ابن عباس وعبيدة: إن ادناء الجلباب، يعني أن تلوي المرأة جلبابها على كامل البدن والرأس والوجه حتى لا يظهر منها الا عين واحدة لكي تبصر بها، وفي قول آخر لابن عباس أن تلويه المرأة فوق الجبين حتى تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه"[١٤].

وقال الزمخشري: إن الجلباب ثوب واسع تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها، وهناك قول بأن يغطي بدنها ورجليها و يستر وجهها وعنقها ويديها؛ إن معنى إدناء المرأة لجلبابها على جبينها وأنفها وعينيها أو على الأقل عين واحدة ووجهها، يفرض عليها أن تعمل طوال الوقت على تثبيت أطراف الجلباب بيديها أو على الأقل يد واحدة، وهذا يتنافى مع الحكمة الإلهية في خلق اليدين لمساعدة الانسان على القيام بأعماله في كل الأوقات، وفي حال تثبيت المرأة للجلباب على وجهها فإنها لن تستطيع استخدام يديها لما خلقها الله من اجله من قضاء لحاجاتها الحيوية اليومية الكثيرة والمتنوعة، وكذلك فانه يحرمها من استخدام عينيها في الرؤية والابصار، فهي عمياء أو عوراء، وأنفها لا يقوم بعملية التنفس بشكل طبيعي اضافة لما يلحقها من العرق وحر الهواء الذي تتنفسه وهذا مخالف للإرادة الإلهية في

خلق البصر في قوله تعالى: **﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾**[١٥] وقوله تعالى: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾**[١٦].

واذا كان الفقه القديم قد أوغل في تأويل معاني إدناء المرأة لجلبابها ضمن سياق حياة بدوية وجاهلية ممدودة في الزمان والمكان، مثقلة بعادات وتقاليد مغرقة في القدم[١٧] واذا كان الفقه في العصور الوسطى قد أراح نفسه من أي تأويل، بأن حجر على المرأة وعزلها عزلة تامة خلف جدران البيوت والقصور، فمنعها من الخروج إلى الأسواق أو المساجد أو أي مكان آخر، بحجة أن مملكة المرأة بيتها، فإن الفقه المعاصر بالرغم من اتجاه معظمه إلى القول بكشف المرأة وجهها وكفيها، فإنه ما زال متمسكا بتأويلات الأقدمين للآية الكريمة الخاصة بالجلباب متجاهلين أنه يجوز اضفاء قدسية على اجتهادات بشرية وردت في مراحل معينة، في حين أن الالتزام بالأوامر الإلهية يعني الالتزام بفحوى التنزيل ومقاصده.

وليس هناك خلاف في أن المرأة يجب أن ترتدي لباسا ساترا كاملا لجميع بدنها يستطيع اخفاء زينة المرأة ومفاتنها، الا ما اعتاد أن يظهر للناس وينظرون اليه ويرونه وهما الوجه والكفان وهذا اللباس قسمان: اللباس الأسفل الذي يغطي الجسم من مستوى المنكبين إلى ما فوق القدمين، أما من حيث اللباس الأعلى فلا بد أن يكون خمارا أو ما يقوم مقامه من لباس يغطي جميع الرأس وجميع الرقبة وفتحة الثوب أو طوقه على أعلى الصدر بدليل قوله تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها﴾**، وقوله تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾**.

ومعنى الآية الأولى في اللباس من أعلى الجسم أي ليلوين أغطية رؤوسهن على أعناقهن وصدورهن ليخفين ما يظهر من طوق القميص وفتحته أو طوق الثوب من العنق والصدر، ولا يسمحن ببروز أي جزء من البدن الا ما هو ظاهر بالطبيعة وهما الوجه والكفان، وأما الآية الثانية الخاصة باللباس الأسفل، فمعناها أن يرخين أو يسدلن عليهن أثوابهن للأسفل حتى تغطي أقدامهن، فالجلباب هو الثوب، ويدنين أي يرخين أو يسدلن، والارخاء يكون للأسفل ليغطي الساقين وهما ليسا مما ظهر من الزينة.

ان القول بأن الحجاب مفروض على النساء في الاسلام يسترن به وجوههن ما عدا عيونهن او حتى بما فيهن عيونهن، هو رأي اسلامي قاله بعض الأئمة المجتهدين من أصحاب المذاهب. والقول بأن الحجاب غير مفروض على النساء في الاسلام فلا يجب على المرأة المسلمة أن تستر وجهها مطلقا لأنه ليس بعورة، هو أيضا رأي اسلامي قاله بعض الأئمة المجتهدين من أصحاب المذاهب[١٨].

ويستدل أصحاب الرأي الأول بقول الله تبارك وتعالى: **﴿واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾** وقوله تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾** وقالوا: إن معنى يدنين أي يرخين عليهن ويغطين وجوههن وأعطافهن، وذلك مخالفة للباس الإماء المبتذل ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع، وكذلك استدلوا بالأحاديث النبوية ؛ منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله محرمات، فإذا حاذى بنا سدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها فاذا جاوزنا كشفنا»[١٩].

والحديث الذي رواه ابو داود عن ابن عباس: «كان الفضل بن العباس رديف رسول الله ﷺ فجاءت الخثعمية تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فصرف رسول الله ﷺ وجهه عنها» وروى هذه الحادثة عن علي بن أبي طالب وزاد: فقال له العباس: «يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما»[٢٠].

والواضح صراحة أن الآية الأولى وهي آية الحجاب، تتحدث عن بيوت وأزواج النبي ﷺ وليس عن بيوت وأزواج عامة المسلمين، فليس للمملوكات ولا نساء عامة المسلمين ذكر في الآية، فالحديث موجه من الله تعالى إلى جميع المسلمين يأمرهم فيه بعدم دخول بيوت النبي ﷺ دون إذن، واذا دخلوا لا يطيلوا البقاء لأن ذلك كان يؤذي النبي ﷺ ثم أمرهم اذا سألوا نساء النبي ﷺ شيئا، ان يسألوهن من وراء حجاب أي من خلف ساتر وحاجز حتى لا يرين بشخوصهن وذواتهن، وليس بمجرد تغطية وجوههن وفي الآية التي تلتها لم تذكر أزواج عامة المسلمين بقوله تعالى: **﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء أخوانهن ولا أبناء إخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن﴾**[٢١].

فالحديث مستمر عن نساء النبي ﷺ بأنه لا حرج عليهن في التحدث مع محارمهن دون حجاب، فاستثنى محارم نساء النبي ﷺ من الاحتجاب الخاص بأمهات المؤمنين، بينما استثنى محارم نساء عامة المسلمين من اخفاء الزينة الباطنة، وهو أمر يعم النساء جميعا بقوله تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن﴾**(٢٢).

ففي آية اخفاء الزينة ذكرت الآية **﴿بعولتهن﴾** لأن لكل امرأة بعلا (زوج) يصرح للمرأة إبداء زينتها له، وهي تشمل جميع نساء المسلمين بمن فيهن نساء النبي ﷺ، إلا أن نساء النبي ﷺ خصهن الله تعالى بآية خاصة أمرهن فيها بالاحتجاب عن جميع الرجال باستثناء محارمهن، ولكن لم يذكر من بين المحارم "بعولتهن" لأن جميع نساء النبي ﷺ لهن بعل واحد هو رسول الله ﷺ وليس لكل واحدة منهن بعل آخر ولهذا لم تذكر الآية كلمة "بعولتهن".

ويفهم من هذا أن الحديث هنا خاص بنساء النبي ﷺ وليس موجه لعامة نساء المسلمين، وبالتالي فإن الاحتجاب خاص بنساء النبي ﷺ ولا ينسحب على بقية النساء، ثم ان سبب نزول آية الحجاب مرتبط بنساء النبي ﷺ على التخصيص، فعن عمر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب(٢٣).

فالحديث ينص على أن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: احجب نساءك ولم يقل له مر نساء المؤمنين بأن يحتجبن وذلك لأن عمر وقع في قلبه نفرة من اطلاع الرجال على نساء النبي ﷺ، وقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم أحاديث كثيرة تدل دلالة واضحة على أن الحجاب وما في معناه لم يرد ذكره الا مرتبطا بنساء النبي ﷺ، وللاطلاع على هذه الأحاديث يرجع إلى صحيحي البخاري ومسلم(٢٤).

وأورد الطبري أن نساء النبي ﷺ كن يخرجن للجهاد قبل فرض الحجاب، ولكن الرسول ﷺ رفض ان يأذن لهن بالخروج إلى الجهاد بعد فرض الحجاب وان كان يسمح لاحداهن - بالقرعة - بالخروج معه فذلك من أجل الصحبة وليس للجهاد، بينما ظل الإذن بالخروج للجهاد لعامة الصحابيات بعد فرض الحجاب، فهذه أم سليم تشارك في معركة خيبر وحنين وكانت المعركتان بعد آية فرض الحجاب، وكانت نساء النبي ﷺ

يحجبن معتزلات الرجال بينما عامة النساء يخالطن الرجال، وكانت كرائم الصحابيات يلقين الرجال دون حجاب[٢٥].

وهذه الآية لا مجال للشك في أنها خاصة بنساء النبي ﷺ، ولا دلالة على امتدادها لنساء عامة المسلمين مثلها في ذلك مثل آيات أخرى خاصة بنساء النبي ﷺ، و لا تنسحب على بقية النساء المسلمات مثل قوله تعالى: ﴿**ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾[٢٦] فلا يجوز ولا يحل لنساء النبي ﷺ أن يتزوجن بعده بخلاف النساء المسلمات فإنه يحق لهن الزواج بعد مفارقة أزواجهن سواء بالطلاق أو الموت.

ولا يقال هنا: ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان كان سبب نزول الآيات نساء الرسول ﷺ ولكنها عامة فيهن وفي غيرهن، فسبب النزول هو حادثة وقعت، وهنا نساء الرسول ﷺ لسن حادثة وقعت، وانما نص معين جاء بحق اشخاص معينين (نساء النبي) ولا يقال: إنه اذا كانت نساء الرسول ﷺ وهن الطاهرات اللواتي يتلو الوحي في بيوتهن ويطلب منهن الحجاب، فإن غيرهن من النساء المسلمات أولى أن يطلب منهن، **لا يقال ذلك لسببين:**

١. أن هذا ليس من قبيل الأولى لأن الأولى هو أن ينهى الله عن الصغير فيكون النهي عن الكبير من باب أولى، مثل قوله تعالى: ﴿**ولا تقل لهما أف**﴾، فمن باب أولى أن لا يضربهما.

٢. أن هذه الآية أمر لأشخاص مخصوصين قد نص عليهم بعينهم لاتصافهم بصفة معينة، فهو أمر لنساء النبي ﷺ بوصفهن أزواج النبي لأنهن لسن كأحد من النساء ولأن هذا العمل يؤذي الرسول ﷺ، وبذلك انتفت قاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وانتفى الاقتداء بنساء الرسول ﷺ لأن القدوة الحسنة للمسلمين، هو الرسول نفسه ﷺ وليس نساؤه ولا بناته وانتفى بذلك كون غيرهن من باب أولى، وثبت أن النص قطعي في كونه لنساء النبي ﷺ، فدل أن الآية خاصة بنساء النبي ﷺ ولا تشمل النساء المسلمات مطلقا ولا بوجه من الوجوه، فثبت بذلك أن الحجاب خاص بنساء الرسول ﷺ كما أن القرار في البيوت خاص بنساء الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن**﴾[٢٧].

فالله يأمر نساء النبي في هذه الآية بالقرار في البيوت وعدم الخروج لأنهن لسن

كغيرهن من النساء المسلمات، كما خصهن بالاحتجاب عن الرجال عند الحديث معهن لأنهن زوجات الرسول ﷺ وذلك يؤذيه، كما أنه خصهن بأمر آخر وهو عدم زواجهن بعد الرسول ﷺ من دون النساء اللواتي يحق لهن الزواج بعد أزواجهن، وذلك احتراما وتقديرا لرسول الله ﷺ ورفع مكانته ومقامه، وبذلك انتفى الاستدلال بآية الحجاب الخاصة بنساء النبي ﷺ على كون الحجاب قد شرع للنساء المسلمات[٢٨].

وأما قوله تعالى: **﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾** فإن هذه الآية لا تدل مطلقا على تغطية الوجه بحال من الأحوال، فلا يوجد فيها أي لفظ يدل على ذلك لا منطوقا ولا مفهوما، لأنها تعني يرخين أو يسدلن عليهن من جلابيبهن وحرف (من) هنا لا يعني «التبعيض» أي جزء من جلابيبهن، وانما هي للبيان أي يرخين عليهن جلابيبهن لأن معنى أدنى الثوب: أرخاه، والجلباب: الرداء يستر من فوق لأسفل فمعنى الآية هو أن الله تعالى يأمر الرسول ﷺ بأن يقول لأزواجه ونساء المسلمين: أن يرخين أثوابهن لأسفل ولا تدل على تغطية الوجه، فمن أين يمكن أن تفهم أن معنى يدنين عليهن من جلابيبهن أن يجعلن ثيابهن على وجوههن؟

فالآية تأمر بإرخاء الثوب، والارخاء يكون للأسفل وليس رفعها لأعلى، وهكذا فان من الصعب تصور أن إدناء الجلابيب يتضمن تغطية وجه المرأة؛ لأن الجلباب هو لباس للجسد دون الرأس والوجه، واذا أصر البعض على أن إدناء الجلباب يشمل تغطية الوجه فإنهم بذلك يفرغون آيتي غض الرجال والنساء أبصارهم من معناهما ومغزاهما ومقاصدهما، اذ عن ماذا يفترض أن يغض الرجل بصره اذا كانت المرأة متخفية وراء جلبابها ولا يظهر منها أي شيء؟ وكذلك كيف ستغض المرأة بصرها وهي مغطية لوجهها وعينيها ولا ترى بهما شيئا؟

والواقع أن آيتي غض البصر تفيدان أن المرأة كانت تسير كاشفة لوجهها وعينيها والله تعالى يقول: **﴿ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها﴾** ورغم أن بعض الصحابة والأئمة حاولوا تفسير الظاهرة بالرداء والثياب فقط (عن عبد الله بن مسعود، ابن كثير ج ٢، ص ٦٠٠) أو الخاتم والخلخال (مالك، انظر المكان نفسه) فان التفسير الصحيح هو ما قاله ابن عباس الذي يجزم انها زينة الوجه والكفين (ابن كثير، المكان نفسه) وكلام ابن مسعود ومالك لا يتفق مع المقصود اذ ما هي الزينة في الثوب الذي يلف المرأة لفا

كاملا لا يعلم ما بداخله، وكيف يتسنى للمرأة أن تظهر خلخالها دون أن تظهر كفيها وأعلى قدميها؟

والآية نفسها تتابع الحديث فتقول: ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾ وذلك لتحريك الخلخال الذي تضعه المرأة فوق الكاحل لتلفت انتباه الرجل لإغوائه، وهذا دليل على أن الخلخال من الزينة الخفية وليس من الزينة الظاهرة، وهذا دليل على ان الزينة الظاهرة ليست هي الثوب ولا الخلخال وانما هي الوجه والكفان، ويتأكد هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾.

فالخمر جمع خمار وهو ما يغطى به الرأس، والجيوب جمع جيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص وقد كانت المرأة في الجاهلية، تغطي به رأسها وترمي بأطرافه للخلف مسفحة بصدرها وربما أظهرت أيضا عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله تعالى المرأة المسلمة بتعديل هذه العادة بأن تلوي خمارها على العنق وأعلى الصدر، ولم يأمرها بتغطية الوجه بها وقد استخدم تنزيل الخمار وليس وسيلة أخرى لتغطية الجيوب (العنق وأعلى الصدر) لأنه كان هو المستعمل والمألوف للمرأة فيسهل عليها اتمام الاستفادة منه بسهولة ودون تكلفة مالية وهذا من باب التيسير على المرأة بالامتثال لأمره تعالى بتغطية جيبها بما هو متوفر ومألوف لها، دون أن يكلفها عناء البحث عن أداة جديدة لاستخدامها في تغطية جيبها[٢٩].

وهذا دليل على أن الوجه والكفين ليسا عورة وأن الحجاب والجلباب والخمار المغطي للوجه غير موجود ولم يشرعه الله[٣٠] وأما الأدلة من السنة المطهرة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ولا يجب تغطيتهما، فما رواه ابو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال لها: «يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا، وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه» وحديث ابن عباس وعلي بن أبي طالب عن قضية الخثعمية والفضل بن العباس دليل على عدم وجود الحجاب، بدليل أن الرسول ﷺ أدار وجه الفضل إلى الشق الآخر حتى لا ينظر إلى وجهها، ولم يأمر الخثعمية بتغطية وجهها وكانت كاشفة له، بدليل نظر الفضل اليها ونظرها إلى الفضل.

فلو أن الخوف من الفتنة سبب للبس الحجاب، لأمرها بستر وجهها بعد ان تحقق من نظرة الفضل اليها نظرة افتتان، ولكنه لم يأمرها بل لوى عنق الفضل مما يدل على أن التحريم على الناظر لا على المنظور[٣١].

فهذا الحديث دليل على عدم وجوب الحجاب لا على وجوبه أما بالنسبة للحديث الذي استدل به على الحجاب، والذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله محرمات فإذا حاذى بنا، سدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزنا كشفنا» فإنه يتناقض مع الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين»، وقال في الفتح: والنقاب هو الخمار الذي يشد على الأنف أو تحت المحاجر.

فحديث عائشة يدل على أن النساء المحرمات، كن يغطين وجوههن عندما كانت تمر بهن الركبان، بينما يدل حديث ابن عمر على النهي عن لبس النقاب وهو لا يغطي الا الجزء الأسفل من الوجه، فكيف يتفق ذلك مع ستر الوجه كله بالثوب بإرساله على الوجه؟ وبالرجوع للحديثين تبين ان حديث عائشة قد اعتل بأنه من رواية عن عائشة وقد ذكر يحيى بن سعيد القطان انه لم يسمع منها، وأما حديث ابن عمر فهو حديث صحيح قد رواه البخاري، ولذلك يرد حديث عائشة لضعفه ومعارضته للحديث الصحيح ولا يحتج به[٣٢]؟.

وبهذا فإنه لا يوجد نص صريح في القرآن ولا في الأحاديث النبوية، يدل على وجوب الحجاب للمسلمات أو يدل على أن الوجه والكفين عورة، لأن الله تعالى أمر النساء بعدم ابداء زينتهن الا ما ظهر منها، وقد روي عن ابن عباس قوله: **﴿ما ظهر منها﴾** تعني "الوجه والكفين" وقال القرطبي: لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الحج والصلاة، فيصلح أن يكون الاستثناء راجع اليهما وقال الزمخشري: فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها.

ان الالتزام بإدناء الجلباب وضرب الخمار لا يعني الابقاء بصورة حرفية على مواصفات لباس المرأة الجاهلية، ولا تثبيت تصاميم وطرز محددة دون غيرها لفرضها على المرأة المسلمة كزي أبدي، وانما كان

هدفه انتزاع عناصر الابتذال والهوان من الزي النسائي الجاهلي وتكريس مظهر رصين ووقور يليق بنظرة القرآن الكريم للمرأة، وقد أوضح الله تعالى هذا المقصود بقوله: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون**﴾[٣٣].

فزي المرأة المسلمة ليس الجلباب بحد ذاته ولا الخمار بحد ذاته ولا المرط بحد ذاته، وطريقة استعمالها لهذا الزي ليس الادناء بحد ذاته أو الضرب بحد ذاته[٣٤] وانما هو لباس التقوى، أي لباس الحشمة والوقار الذي يصون كرامة المرأة المسلمة وكبرياءها ويضفي هيبة على شخصيتها، وينقذها من الابتذال ومن البخاسة والتحول إلى سلعة رخيصة معروضة على قارعة الطريق.

فالاسلام ينظر إلى المرأة نظرته إلى الانسان كانسان، ذلك الكائن الذي كرمه وفضله على سائر المخلوقات، واراد لها ان تحتفظ بمكانتها هذه فلا تنحط إلى الدونية وتجعل من نفسها أداة للعبث والمتعة والشهوة، وترهق نفسها في تزينها وتجميلها وتلوينها بالألوان البراقة، لتكون فاتنة تفتن الرجل ليستخدمها لقضاء حاجته أول النهار ويقذفها آخر الليل، أو يقضي حاجته منها آخر الليل ويرمي بها أول النهار، ولا ان تكون مجرد كائن لا يعرف معنى للحياة ولا يذوق لها طعما، ولا يتمتع بالنظر إلى جمالها والسير في مناكبها فتحبس نفسها داخل البيت لا تخرج منه أبدا، واذا خرجت لأمر ما تلف بدنها كله من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين بثوب يحجب عنها ليس الرؤية فقط، بل ويحجب عنها النور والهواء والبصر فتسير في الطريق لا ترى أمامها.

فلا إفراط ولا تفريط، ولا تزمت ولا تحجر ولا ابتذال ولا هوان، واذا كان الله تعالى في خلقه للانسان لم ينبت له، الشعر على جبهتها، حتى لا يتدلى على الوجه فتحجب جمالها اولاً ويغطي العينين ويحجبها عن الرؤية ثانيا ولكي لا يمنعها من كامل الادراك فكيف يخالف الفقه البشري الارادة الإلهية فيأمر بتدلي الحجاب والخمار على عيني المرأة لكي يمنع عينيها من كامل الإدراك؟ فهل المرأة ليست من صنف البشر وبالتالي فهي لا تستحق أن تمتع عينيها بكامل الإدراك الذي خلق الله العينين من اجله، وهكذا فان ارادة الله في لباس المرأة تتمثل بلباس التقوى، أي لباس العفة والوقار والرصانة والاحتشام.

فالواجب على المرأة المسلمة أن تلتزم

بلباس التقوى فتغطي رأسها بالخمار الذي تلويه من على رقبتها للأمام، لتغطي رقبتها وأعلى صدرها عند طوق أو فتحة الثوب والأذنين حتى لا تبدو للرجال الأجانب، لأنها ليست من ظاهر الزينة وبشكل لا يعيقها عن أداء وظائفها الطبيعية سواء في العينين او الأنف أو الفم أو اليدين ولا يسبب لها الضيق والمشقة سواء في الاحساس بالحرارة أو بعدم رؤية الطريق والأشياء على حقيقتها.

وقال القاضي عياض: فرض الحجاب مما اختص به ازواج النبي ﷺ، فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا لغيرها ولا يجوز لهن اظهار اشخاصهن وان كن

الهوامش:

١. الأحزاب: ٥٣.

٢. عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم، الكويت، سنة ٢٠٠٢ ص ٦٧.

٣. البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم﴾ ج ١٠ ص ١٤٨، ومسلم كتاب النكاح، باب زواج زينب ج ٤، ص ١٥١.

٤. ابن كثير، تفسير القرآن، مجلد ٢، ص ٦٠٠.

٥. طه: ١٢١.

٦. الأعراف: ٢٦.

٧. النمل: ٤٤.

٨. الأحزاب: ٣٣.

٩. النور: ٣١.

١٠. محمد توفيق أبو علي وزميله، وضع المرأة في العالم الاسلامي، ندوة الايسيسكو في آب ١٩٩١ بالقاهرة، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢-٣.

١١. النور: ٣١.

١٢. الأحزاب: ٥٣

١٣. د. فريال مهنا، و اسلام أم ملك يمين، مرجع سابق، ص ١٣٢.

١٤. المرجع نفسه، ص ١٣٦.

١٥. الأحقاف: ١٢٦.

١٦. الإسراء: ٣٦.

١٧. جمال البنا، الحجاب، دار الفكر الاسلامي في القاهرة ٢٠٠٢ ص ٣٩- ٦٧.

١٨. تقي الدين النبهاني، النظام الاجتماعي في الاسلام، دار الأمة، بيروت، ص ٥٩.

١٩. رواه أبو داود في السنن، باب المناسك رقم ١٥٦٢، و ابن ماجة في السنن باب المناسك رقم ٢٩٢٦ و كذلك الامام احمد في المسند، كتاب باقي مسند الانصار باب حديث السيدة عائشة، رقم ٢٢٨٩٤.

٢٠. رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم ١٤١٧، وأبو

داود في السنن، كتاب المناسك رقم ١٥٤٤، والدارمي في السنن، كتاب المناسك رقم ١٧٦ وكذلك احمد في المسند، كتاب مسند بني هاشم رقم ١٧١٢ .

٢١. الأحزاب: ٥٥.

٢٢. النور: ٣١ .

٢٣. البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه﴾، ج ٩ ص ٢٣٥.

٢٤. البخاري، كتاب التفسير، باب لا تدخلوا بيوت النبي. ج ١٠ ص ١٤٦-١٤٧ وباب لولا اذ سمعتموه، ص٧٠ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب زواج زينب، ج ٤ ص ١٤٨ وكتاب التوبة، باب في حديث الإفك، ج ٨ ص ١١٤ .

٢٥. لمعرفة تفاصيل ذلك وأسماء العديد من الصحابيات اللاتي كن يظهرن على الرجال ويخالطنهم، انظر عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج ٥، ص ٩٣- ١٠٩.

٢٦. سورة الأحزاب: ٥٣ .

٢٧. الأحزاب: ٣٢-٣٣.

٢٨. تقي الدين النبهاني، مرجع سابق ص٥٩ .

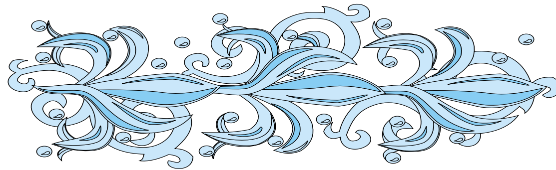
٢٩. د. فريال مهنا، اسلام ام ملك يمين، ص ١٤٦.

٣٠-٣١- تقي الدين النبهاني، المرجع السابق ص ٧٠.

٣٢. المرجع نفسه، ص ٦٨.

٣٣. الأعراف: ٢٦.

٣٤. د. يوسف القرضاوي، الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف، ص ١٢٠.



الرحيم ﷺ شيّد حضارة والمتهوّسون صنعوا صُلبان الدم

■ بقلم الاستاذ بركات محيى الدين

الإمبراطورية الثالثة التي أسسها رسول الله محمد ﷺ، كانت عجيبة الصحراء الكبرى وبناءه المجيد، هذا البنّاء العظيم محمد ﷺ، شيّد ملكاً وسلطاناً امتد من حافات المحيط الأطلسي حتى سهول الصين، ومن جنوب فرنسا حتى أواسط افريقيا في سنوات معدودات، لا يكفين لبناء قرية، عمل رسول الله محمد ﷺ الديني والمدني، استغرق ثلاثاً وعشرين سنة، أمضى ثلثها في مكة خائفاً يترقب وممنوعاً من الاتصال بأي شخص إلا سراً، لكن يثرب قريته الطينية التي هاجر اليها أخيراً، قُدِر لها ان تكون سيدة الكون بلا منازع.

هل لك ان تتخيل كم من الجيوش سيحتاج الرجل، وكم من الحروب سيخوض وكم من الأموال سيمتلك ليحقق ذلك، أجل.. لقد كان جيش محمد ﷺ مؤلفاً من بضع مئات!! ورجاله لم يكونوا يمتلكون ما يقيم أودهم من التمر والخبز، وفي إحدى الحروب وهي حرب الخندق، كانوا يستعيرون ثياب نسائهم ليتقوا بها برد الشتاء، ان حروبه وغزواته الكثيرة التي بلغت أكثر من اثنين وعشرين حرباً وغزوة، عمّ بعدها الإسلام وتعاليمه كل جزيرة العرب، لم يُقتل خلالها أكثر من ثمانمائة وخمسين رجلاً من جميع المتقاتلين من المؤمنين والكافرين.

هذا العدد المتواضع كان أقل بكثير من أعداد القتلى الذين يسقطون في أية معركة تافهة بين أية قبيلتين عربيتين، أو الذين تدوسهم الخيل في نزهة صيد من نزهات كسرى أو قيصر إبان ملكهما العضوض، إنه حقاً ثمن زهيد لنشر دين وإقامة دولة وبناء حضارة يتفق الجميع على دورها المحوري في البناء الانساني الكوني في كرتنا

الأرضمائية، وإنه أيضاً لقربان معقول ومبارك، لنشر روح أخرى في الكون غير روح الإيقوانات والنيران المقدسة وآلهة الطين، التي كانت تحكم العالم القديم والتي رأينا جزءاً من سفالتها أثناء الحروب الصليبية.

لقد بدأت قصة الحروب الصليبية، التي استغرقت قرنين من الزمان عندما لبّى العالم المسيحي الغارق في التخلف آنذاك نبوءة بطرس، ذلك الجندي القديم الذي ترهب بعد ان طرأ على حياته الروحية شيء من المس، جراء ما لاقاه من سوء المعاملة من قبل بعض المسلمين، عندما كان حاجاً الى بيت المقدس، فحلم بأنه مرسل لدعوة أوروبا الى تحرير الأرض المقدسة، وقبل هذا كان رجال الاكليروس قد أوجبوا الحج الى تلك الدار وجعلوه فريضة مكفّرة لأسوأ الجرائم وأبشع الرذائل.

والتقت هلوسات بطرس الذي سمي بـ «الناسك» مع رغبات البابا أوربان ومصالح القيصر الروماني القسيس كومنين وبقية سنيورات أوروبا، فعُقد في إيطاليا مؤتمر سنة ١٠٥٩م لهذا الغرض، برعاية الحبر الأعظم، ورددت جموع الغوغاء «الرب يريد ذلك»، مطالبة بالزحف نحو فلسطين، وتألف جيش ابتدائي من العصابات، قوامه ١٣٠ ألف رجل كان على رأسه بطرس الناسك، فزحف بحركة شاملة ما بين بحر الشمال ونهر التيبر، وقد أكرمت البلدان الأوروبية جيش الرب هذا بتوفير الأرزاق والدعم في بادئ الأمر.

وما ان وصل الى بلغاريا التي كان سكانها قليلي الحماسة لمثل هذه الهستيريا الجماعية، فأبوا ان يضيفوا هذه العصابات مجاناً مما أغضب الصليبيين فأخذوا في نهب قرى تلك البلاد وذبح أهليها، وارتكبوا ابشع الجرائم بحق السكان المحليين، مثل تقطيع الأطفال إرباً إرباً وشيهم كالخراف، وقد اضطر الأتراك المسلمون في آسيا الصغرى لمقابلة جيش الوحوش هذا بقسوة وصلابة ولم يلبث هذا الجمع ان أبيد، ثم توالت بعده الحملات الصليبية، وكان بعضها يتألف من مليون مقاتل!.

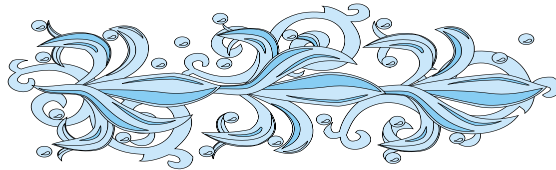
وقد كان سلوك الصليبيين عند دخولهم القدس، مناقضاً تماماً لسلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخلها قبل قرون، يقول الكاهن ريموند داجيل، كاهن مدينة لوبوي، عندما روى خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر: «لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في

الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع تسبح كأنها تريد ان تتصل بجثث غريبة عنها، وكان الجنود الذين احدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعث من ذلك الا بمشقة».

وقد شمل الانحطاط والسفالة جميع المشتركين في الجهد الصليبي المسعور، حتى من يفتخر به المسيحيون ويسمونه قلب الأسد، فقد ذبح ريكاردوس ملك انجلترا هذا ثلاثة آلاف أسير مسلم أمام معسكر المسلمين، كانوا قد سلموا أنفسهم اليه بعدما قطع لهم عهداً بحقن دمائهم، ليثبت انه أبعد الناس عن قيم النبل والفروسية التي كان يتمتع بها أمير الجيش الاسلامي آنذاك الناصر صلاح الدين، الذي لم يبخل عليه بالطعام والمرطبات وبطبيبه الخاص أثناء مرضه.

ومع ان الحملات الصليبية الست الكبرى استمرت لقرنين من الزمن، فإنها فشلت في أن تحتل القدس أو تحتفظ بها، لكنها نجحت في التأسيس للحقد والصراع المزمن بين أبناء الحضارتين الإسلامية والمسيحية، هذا الصراع الذي يجعل المسلمون يشكون بأي جهد سياسي أو عسكري صادر من الغرب تجاههم، وهو الذي يجعلهم يحسبون هفوة لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش في بداية حملته العسكرية على العراق، التي وصف فيها حملته تلك بالحملة الصليبية، يحسبونها حلماً مقيماً وخطة متأصلة في قلوب المسيحيين.

بعد هذا.. هل يحق لنا ان نشتط فنقول: ان عيسى عليه السلام وإنجيله المترع بالسلام والمحبة، كانا مسؤولين عن برامج القتل وخطط الفساد التي ينفذها أتباعه المحسوبون على ديانته، لا شك انهما بريئان كبراءة محمد ﷺ وقرآنه من صفاقة بعض المسلمين وانحطاطهم، ومهما يكن من امر فإن رجلاً استطاع ان يبعث أمة ويقيم حضارة وينشر ديناً كبيراً في بضع سنين.. لهو مزاج الرحمة الحقيقي، ونزوة الكون الكبير العتيقة.. انه الرحيم رسول الله



١

الفتــوى

بين أحكام الشرع ومقتضيات اللغة

■ بقلم الاستاذ محمد البايك

ان من اصعب الكلمات واعصاها على التحليل اللغوي والصرفي، كلمة الفتوى والفتيا وتوابعها الفتاوى والفتاوي، فقد اشار اسماعيل بن حماد الجوهري قديماً وتبعه الرازي في المختار من الصحاح وابن سيده، الى جواز الوجهين في فاء الفتوى: الفتح والضم، وذلك خلافاً لما ذهب اليه صاحب القاموس، وعلى ذلك جرى كلام صاحب التاج الشيخ مرتضى الزبيدي، وان اشتهر الفتح اليوم على ألسنة الناس وتُنوسي الضم(١).

اما اصل الفتوى المتردد بين الاسمية والمصدرية والفعل، فقد اورد في ذلك سيبويه وبعده ابو العباس المبرد في المقتضب، وتبعهما المازني في تصريفه وابن جني في مصنفه كلمة الفتوى تحت قاعدة: ما جاء على فعلى اسما من ذوات الياء، وان الياء تقلب فيه واواً نحو الفتوى والدعوى.

واصل الفتوى على ذلك، الفتيا بالياء، لأننا لا نعلم لها اصلاً في الواو كما قال ابن جني، وان لم يستشهدوا على ذلك بشاهد مسموع، رغم ادعاء المازني رحمه الله بأن هذا الباب محكي عن العرب، فهذا مذهب القائلين بالأصل الاسمي فيها(٢).

والى جانب هذا القول يورد احمد بن فارس الرازي وكذا ابن جني معاصره احتمالاً ثانياً بإرجاع الفتيا الى اصل مصدري هو الفتى والفتاء والفتوة اي الشباب، لأن في الفتيا تقوية لنفس المستفتي، فتكون بدورها من اصل واوي بعيد مثلها مثل القصيا التي هي من القصوى، وبها جاء القرآن الكريم، قال

تعالى: ﴿**اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى**﴾[٣].

اما القاضي عبد النبي الأحمد نكري من المتأخرين، فيذهب في كتابه في اصطلاحات الفتوى الملقب بدستور العلماء الى ان اصل الفتوى والفتيا، انما هو فعل ثلاثي هو فتي وازن علم ومصدره فتى، والاسم منه الفتيا بالياء مثله في ذلك مثل التقيا من تقي، ثم جاءت الفتوى لغة في الفتيا كما ان التقوى لغة في التقيا، وذلك ارجع الكل الى اصل فعلي ثلاثي[٤].

اما صاحب الصحاح وقد تبعه في ذلك صاحب المصباح المنير وبعدهما الاحمد نكري آنف الذكر فيوردون للفتوى اصلاً فعلياً اخر رباعياً هو افتى يفتي فتوى، فتكون كلمة الفتوى حينئذ اسم مصدر لا مصدراً، لأنها ثلاثية من فعل رباعي كتوضأ وضوءاً وصلى صلاة[٥].

وهذه خلاصة مذاهبهم في اصل كلمة الفتوى، وقد ترددت كما يظهر بين ارجاع هذا الاصل الى اسم هو الفتيا، او الى اصل مصدري هو الفتا والفتاء وبين ارجاعها الى فعل ثلاثي هو فتي او رباعي هو افتى.

وهذا الاختلاف بينهم ربما يكون السبب فيه عاملان: احدهما عدم السماع وعدم وجود حجة عربية قاطعة او مرجحة من جهة، والثاني الخلاف المشهور بين البصريين والكوفيين في اصل الاشتقاق هل هو الفعل او المصدر؟ وقد رجح البصريون المصدر، فظهر هناك مجال لهذا الاختلاف في اصول هاتين الكلمتين، مع الاستعانة على ذلك بالقواعد الصرفية الأخرى كالقاعدة المشار اليها في فعلى اسما وجواز قلب الياء فيها واواً كما تقدم.

اما مشتقات هذه المادة فقد اعتبر صاحب دستور العلماء كلمة الفتيا، مشتقة من مصدر هو الفتا، ثم تفرعت الفتوى من الفتيا ثم تفرع فعل افتى الرباعي من الفتوى، ثم صرفوه مضارعاً على يفتي واشتقوا منه الافتاء بمعنى، تبيين المبهم واسم الفاعل المفتي بمعنى المبين للحوادث المبهمة، وشرعاً المجيب في الامور الشرعية والنوازل الفرعية، ثم اشتقوا منه فعلاً سداسياً هو استفتى يستفتي استفتاءً، وهو السؤال عن الافتاء، على سبيل الاشتقاق الأصغر[٦].

اما جمع الفتوى جمع تكسير على فعالى وفعالي: فقد ذكروا من ذلك الفتاوى والفتاوي لأن القاعدة فيما جاء على فعلى اسما ان يجمع على فعالى مقصوراً او على فعالي منقوصاً على القياس فيهما: قال صاحب الألفية:

وبالفعالي والفعالى جمعا

صحراء والعذراء والقيس اتبعا

فيقاس بناء على ما أشير اليه في هذا البيت فعلى اسما نحو علقى وفتوى، وهي المشار اليها والى غيرها بقولها: «والقيس اتبعا» والأصل في ذلك هو فعالي بالكسر عندهم وفعالى بالفتح فرع عنها[٧].

فإذا انتقلنا الى الدلالة اللغوية والشرعية لهذا المصطلح، وجدنا صاحب مقاييس اللغة يرجع معنى الفتوى الى أصلين: أحدهما من أفتى الفقيه في المسألة اذا بين حكمها، وعليه قوله تعالى: **﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾** ونحوها، والاصل الثاني من الفتاء بمعنى القوة والشباب[٨]، وكأن في الفتوة تقوية للمسألة وترجيحاً لما أفتى به المفتي! وقد تقدمت الأصول التي ارجع اليها علماء التصريف الكلمة.

أما المعنى الاصطلاحي باعتبار الفتوى فرعاً من فروع الفقه، فقد اورده صاحب أبجد العلوم محمد صديق حسن خان، وكذا طاش كبري زاده في مفتاحه وغيرهما، باعتبار الفتوى علماً تروى فيه الأحكام الصادرة من الفقهاء في الواقعات الجزئية، ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم[٩]، وبذلك كان المفهوم اللغوي للفتوى صادقاً على الافتاء في كل عِلم عُلم.

فكل من بيّن مسألة فقد أفتى، ولكن اشتهرت الفتوى في العرف الشرعي فقصد بها موضوع الفقه وأحكام الشريعة كما تقدم هذا، وقد أحدث الاسلام في أوضاع اللغة انقلاباً كبيراً وولد من داخل اللغة الجاهلية الأولى، بسبب ما اقتضته اغراض الاسلام الجديدة وتشريعاته البديعة، ويقول في ذلك أحمد بن فارس الرازي في أهل القرن الرابع الهجري ٣٩٠هـ، في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما ذاكراً جملة من هذه المصطلحات الشرعية الدقيقة التي لا بد ان يعرف الفقيه والمفتي ما تحتها من دلالة شرعية خاصة يقول: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع أخرى، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت..

وشغل القوم بتلاوة الكتاب العزيز والتفقه في دين الله عز وجل، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض ابواب المواريث، فصاروا -بعدما ذكرناه- الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات، وذلك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عندما سئل «سأله ابن الكواء» عن ابنتين وابوين وامرأة:

صار ثمنها تسعاً، فسميت المنبرية (لأنه سئل عنها وهو على منبر الكوفة، بعد قوله في الخطبة: الحمد لله يحكم بالحق قطعاً وتجزى كل نفس بما تسعى، واليه المئاب والرجعى)، فسئل عندئذ فقال: والمرأة صار ثمنها تسعاً، ومضى في خطبته فتعجبوا من فطنته قال ابو عبيد: أراد ان السهام عالت حتى صار للمرأة التسع ولها في الاصل الثمن (وذلك ان الفريضة لو لم تعل كانت من اربع وعشرين، فلما عالت صارت من سبعة وعشرين، فللبنتين الثلثان ستة عشر سهماً، وللأبوين السدسان ثمانية اسهم وللمرأة ثلاثة من سبعة وعشرين، وهو التسع، وكان لها قبل الحول ثلاثة من اربعة وعشرين وهو الثمن، وتسمى ايضاً البخيلة لقلة عولها).

ثم قال رضي الله عنه وهو على منبره والمهاجرون والأنصار متوافرون: سلوني فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل ام في جبل؟ والى ان يتكلم هو وغيره في الفرض وحده كالمشتركة بالفتح والكسر ويقال لها: الحمارية والحجرية واليمية وهي زوج وأم أو جدة وأخوان فصاعداً لأم وشقيق وحده أو مع غيره يشاركون الأخوة الأم للذكر كالأنثى (فأصلها من ستة: للزوج ثلاثة نصفها وللأم أو الجدة السدس، واثنان ثلثها للأخوة للأم) ولم يفضل شيء للأشقاء ووقعت في زمن عمر رضي الله عنه في اول خلافته فأسقط الأشقاء، ووقع له نظيرها في العام الثاني، وأراد ان يحكم فيها بمثل ذلك فقال له بعضهم: هب ان ابانا كان حماراً أو حجراً مطروحاً في اليوم، أليست الأم تجمعنا؟ وقيل: ان زيد بن ثابت رضي الله عنه هو القائل، فلما ظهر له صحة ذلك شرك بين الجميع فقال قائل: انك قد قضيت في هذا عام أول بغير هذا؟ فقال: تلك على ما قضيناه يومئذ، وهذه على ما قضيناه اليوم»[١٠].

وكذلك سموا الفرائض ذات الخصوصية من امثال المباهلة «لقول ابن عباس فيها: فإن شاؤوا فلندع أبناءنا وأبناءهم.. الآية..[١١]، وكذلك الغراء لأنها اشتهرت حتى كالكوكب الأغر وكذلك أم الأرامل ومسألة الامتحان لأن الطلبة كانوا يمتحنون بها ومسألة ابن مسعود ومسألة الاكدرية لتكدر الأقوال وكذا مختصرة زيد والخرقاء لتخرق الأقوال فيها وتسمى بالمسدسة وبالمسبعة وبالمثمنة وبالعثمانية وبالحجاجية وبالشعبية وغيرها مما هو أغمض وأدق[١٢].

ثم قال ابن فارس: فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما ألفوه ونشؤوا عليه وغذوا به الى مثل هذا الذي ذكرناه، فالوجه في هذا اذا سئل الانسان عنه ان يقول فيما له اسمان، لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء

الاسلام به[١٣] وسرد من ذلك كلمات تبدلت دلالتها اللغوية الى دلالة شرعية اشهرها المؤمن والمسلم والكافر والمنافق والركوع والسجود والصوم والحج.. الخ[١٤].

وفي القرن الثاني الهجري، يبرز عالم مجتهد وإمام عربي فصيح وفقيه مجدد هو الشاعر الناثر محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤هـ) يتحقق فيه العلم بأسرار اللغة العربية من جهة وبدقائق الفقه والاستنباط من جهة أخرى، وقد ساعده على هذا الجمع عروبته في النسب وفصاحته البدوية وتعاطيه الشعر والقريض وغريب اللغة، حتى اعتبر العلماء كلامه رغم تأخر وفاته الى أوائل القرن الثالث الهجري، داخلاً في عصر الاستشهاد بكلام من عاش في ذلك العصر، كما أوضح ذلك العلامة أحمد بابا في رسالته المسماة «وسيلتي وشافعي في ثبوت الاستدلال بألفاظ الامام الشافعي».

وينقل عنه في هذا الصدد وفي تنبهه الى ما تحت الألفاظ من دلالات ومقاصد عند الافتاء والجواب طرائف ومواقف، فمن ذلك ما ذكره صاحب حياة الحيوان، الشيخ كمال الدين الدميري محمد بن يوسف (٨٠٨هـ)، عند حديثه عن طائر القمري[١٥] من انه كان جالساً بين يدي مالك رحمه الله، فجاء رجل فقال لمالك: اني رجل ابيع القماري واني بعت في يومي هذا قمريا فرده على المشتري وقال: قمرك لا يصيح! فحلفت له بالطلاق انه لا يهدأ من الصياح! فقال له مالك: طلقت زوجتك ولا يد لك عليها، وكان الشافعي يومئذ ابن اربع عشرة سنة فقال للرجل: ايما اكثر صياح قمرك ام سكوته؟ قال: لا بل صياحه! فقال: لا طلاق عليك! فسأله الامام مالك من اين له هذا الحكم؟ فقال: لأنك حدثتني عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة ان فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله! ان ابا جهم ومعاوية خطباني! فقال ﷺ: «اما معاوية فصعلوك لا مال له وأما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» وقد علم رسول الله ﷺ ان ابا جهم كان يأكل وينام ويستريح ومع ذلك قال: لا يضع عصاه، على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ولما كان صياح قمري هذا اكثر من سكوته جعلته كصياحه دائماً! فتعجب الإمام مالك من احتجاجه وقال له: أفت فقد آن لك ان تفتي فأفتى في تلك السن.

ويذكر عن الشافعي ايضاً وهو بالعراق ما وضع له من الأسئلة المحرجة من قبل فقهائها في مجلس مشهور قصد إعناته وقد تمكن من الاجابة عنها بذكاء لمّاع وبديهة سريعة وفهم لما تحت السؤال من غموض والتباس في الدلالة، ومن هذه الأسئلة التي تجاوزت عشرا هذا السؤال: رأى رجل

وامرأة غلامين في الطريق فقبلاهما، ولما سئلا في ذلك قال الرجل: ان ابي جدهما واخي عمهما وزوجتي امرأة أبيهما، وقالت المرأة: أمي جدتهما واختي خالتهما، والمقصود ان الرجل والمرأة في المآل والداهما.

كما ورد في هذه الأسئلة له: لقي امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً بإبنينا وزوجينا، والمقصود ان الغلامين كانا ابني المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها، فكان الغلامان حينئذ ابنيهما باعتبار كل واحدة أماً لأحد الغلامين وكانا زوجيهما باعتبار ان كل واحد منهما تزوج احداهما وكانا ابني زوجيهما لأن كل واحد منهما ابن لاحداهما ولزوجها.

كما القي عليه سؤال يحتاج الى تنبه لغياب عنصر من عناصر الأهلية فيه هو كالآتي: مسلمان حران عاقلان شربا الخمر فحد احدهما ولم يحد الآخر، فكان الجواب ان احدهما كان بالغاً والآخر كان صبياً[١٦] الى آخر القصة التي اكتفى بها الشافعي رحمه الله بسؤال واحد اعجز الحضور وهو رجل مات عن ٢٠٠ سهم فلم تنل اخته من تركته الا درهماً واحداً فكيف كان الظرف في توزيع التركة؟ والمقصود انه ترك ابنتين وزوجة أماً واثني عشر أخاً فأخذت البنتان الثلثين ٤٠٠ والأم السدس ١٠٠ وأخذت الزوجة الثمن ٧٥ درهماً، وأخذ الاثني عشر أخاً ٢٤ سهماً وبقي الدرهم الواحد للأخت الأنثى[١٧] وقد اشتهر الشافعي كما ذكر عنه الامام الرازي صاحب كتاب العلل من رجال القرن الرابع ٣٢٧هـ، في كتابه عن آداب الشافعي ومناقبه بأجوبته في شرح لغة النصوص الشرعية الغامضة المعنى في مثل تفسير معنى «الرمة» في حديثه ﷺ «انه نهى عن الروث والرمة ان يستنجى بهما» فقال: «الرمة: العظم البالي» مستشهداً بهذا البيت:

به جيف الحسرى فأما عظامها

فرم وأما لحمها فصليب*

وتفسير معنى النياق الحسرى: الهالكة من التعب[١٨]، كما نقل ايضاً قول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول في شرح الحديث في مكة «لا يختلى خلاها» فقال: الاختلاء الاحتشاش قطعاً ونتفاً[١٩]، وسئل عن اللمس في آية **﴿أو لامستم النساء﴾** فقال: هو اللمس باليد، ألا ترى انه ﷺ نهى عن الملامسة ان يلمس الثوب بيده ليشتريه، ولا يقلب، قال الشاعر:

وألمست كفي كفه اطلب الغنى

ولم أدر ان الجود من كفه يعدي[٢٠]

ونقل عنه ايضاً في وصف الشجاج وهي جراحات الوجه والرأس، ما يدل على دقة

معرفته بفقه اللغة العربية وتسخير ذلك في تدقيق الأحكام الشرعية، قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: الدامية: اذا رأسه فأدماه، والباضعة اذا بضع اللحم، والسمحاق ان يكون بينهما وبين العظم جلدة رقيقة، وفيها حكومة «اي غرم دون الأرش» يقدره الحاكم لأن تقدير الارش بالشرع، والموضحة التي توضح عن العظم حتى يرى أو يقرعه المرود ففيها خمس من الإبل[٢١] والهاشمة: التي توضح ثم تهشم العظم وفيها عشر من الابل، والمنقلة: التي تكسر عظم الرأس حتى يتشظى فتستخرج عظامه من الرأس ليلتئم وانما قيل المنقلة لأن عظامها تنقل، وقد يقال: المنقولة وفيها خمسة عشر من الإبل[٢٢].

والمامومة وهي آلامة التي تخرق عظم الرأس حتى تصل الى الدماغ وسواء قليل ما خرقت او كثيره[٢٣]، ثم ذكر له في وصف اسنان الابل، ابل الزكاة والديات ما يدل على تمكنه وقته في فقه اللغة العربية كقوله: اذا وضعت الناقة قيل لولدها: (ربع) والأنثى (ربعة) ثم لا يزال حواراً حولا ثم يفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل والفصال الفطام فإذا استكمل الحول ودخل في الثاني فهو ابن مخاض، ولا يزال ابن مخاض الى السنة الثانية[٢٤] كلها فإذا استكملها ودخل في الثالثة، فهو ابن لبون الى ما ذكر في هذه الأنعام وأسمائها مع الشرح[٢٥] في نفس طويل.

ومع هذا التنبه الى الدلالات اللغوية الى جانب الأحكام الشرعية من قبل الامام محمد بن ادريس لم يسلم من مؤاخذة وردود عليه؟ فهذا ابو بكر بن داود بن علي بن خلف الظاهري ابن الامام داود الظاهري مؤلف كتاب الزهرة من رجال القرن ٣هـ، ت٢٩٧هـ، يغلط الشافعي في كلمات ذكر انه أخطأ فيها عن طريق اللغة، فيذكر عنه أحمد بن فارس الرازي من اهل القرن ٤ في كتابه في فقه اللغة، في باب حاجة اهل الفقه والفتيا الى العربية قال: لأن علم اللغة كالواجب على اهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء[٢٦] ثم سردها صاحب فقه اللغة وسنن العرب في كلامها فذكر من ذلك إيجابه ترتيب اعضاء الوضوء مع اجماع اهل العربية، ان الواو تقتضي مجرد الجمع المطلق ولا تقتضي التوالي[٢٧] ومنها قوله في التزويج اذا قال الولي: زوجتك فلانة فقال المزوج: قد قبلتها: ان ذلك ليس بنكاح حتى يقول: قد تزوجتها او قبلت تزويجها، قال: ومعلوم ان الكلام اذا خرج جواباً فقد فهم انه جواب عن سؤال، قال الله عز وجل: **﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾**[٢٨] قال: **﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾**[٢٩] فاكتفى من

المجيبين بها، وما كلفوا ان يقولوا: بلى انت ربنا، ومن هذه المسائل تسمية البكر التي لا توطأ حائلاً وابن ابي داود يقول: انما تسمى حائلاً اذا كانت حاملاً مرة، او توقع منها حمل فحالت، وذكر من ذلك قوله في الطائفة: انها تكون ثلاثة وأكثر وقد قال مجاهد: الطائفة تقع على الواحد، ومن ذلك قوله في الآية: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[٣٠]، اي لا يكثر من تعولون، والعرب تقول في كثرة العيال: أعال الرجل، فهو معيل.

ومنها قوله في القروء: إنها الاطهار لأن القرء من قولهم: قري الماء في حوضه، قال: والعرب تقول: لا تطأ جاريتك حتى تقريها، وقال ﷺ: «دعى الصلاة ايام أقرائك» قال ابو بكر: ومن العظيم ان علياً وعمر رضي الله عنهما قالا: القروء الحيض* فهل يجترأ على تجهيلهما باللغة؟

ومن هذه المسائل قوله تعالى: ﴿وحرض المؤمنين على القتال﴾[٣١] انه اراد الذكور دون الإناث قال: وهذا من غريب ان يغلط فيه مثله! يقول تعالى: ﴿يا بني آدم﴾ أفتراه اراد الرجال دون النساء؟! الى غير ذلك، فما هو من باب الخلاف الفقهي والاختلاف انتصاراً لمذهب على آخر اعتماداً على أمور وشبه من بينها الألفاظ اللغوية، التي يمكن ان يعتمد عليها المخالف عند المناظرة، مما هو من قبيل ما يجوز الاحتجاج به عند المخالفة مما ليس سبيله سبيل الاستنباط، او ليس فيه لدلائل العقل مجال مما يختلف فيه الفقهاء اذا كان التنازع في اسم او صفة او شيء من الحقيقة والمجاز مثل اختلافهم في الآية: ﴿أو لامستم النساء﴾[٣٢] ومعنى «المثل» في الآية: ﴿ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾[٣٣]، ومعلوم ان الشافعي رحمه الله اذا كان لم يعمل بدلالة اللغة وحدها فيما تقدم اعمل دلائل أخرى نقلية، وهو المعتمد في مذهبه على الحديث وعلى تفسيرات أخرى لغوية فيما تتسع له استعمالات كلام العرب ولهجات القبائل مما

الهوامش:

١- الزبيدي، تاج العروس «فتى».

٢- انظر المقتضب وكذا المنصف ٢/١٥٨ .

٣- المنصف، ٢/١٥٨-١٦١ .

٤- دستور العلماء ٣/١٣-١٤ .

٥- التاج «فتى» ودستور العلماء ٣/١٣-١٤ .

٦- دستور العلماء ٣/١٣-١٤ .

٧- شرح الاشموني على الفية ابن مالك ٤/١٤٣ .

٨- مقاييس اللغة «فتى».

٩- ابجد العلوم ٢/٣١٥- ٢/٥٥٧ .

-١٠ الصاحبي تحقيق السيد احمد صقر ٧٩-٨٠ .

-١١-١٢-١٣-١٤ نفسه ص٨٠-٨٦ .

-١٥ حياة الحيوان ٢٥٨/٢ .

-١٦ من وصايا الرسول ٥٣٠-٥٣٢ طه عبد الله العفيفي.

-١٧ آداب الشافعي ومناقبه ١٣٩ .

* الصليب: الشديد، واصحاب الطب الجامعون للعظام يستخرجون ودكها، ويأتدمون به وأوتوا الرسول ﷺ لما قدم مكة.

-١٨ آداب الشافعي ومناقبه ١٣٩ .

-١٩ نفسه ١٤٠ .

-٢٠ نفس المرجع آنف الذكر قبله ٥٣٣/١ .

-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥ نفسه ٢٣٨-٢٤٦ .

-٢٦-٢٧ الصاحبي ٥٠-٥٥ .

-٢٨ الاعراف: ٤٤ .

-٢٩ الاعراف: ١٢٧ .

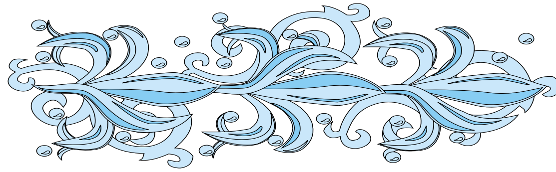
-٣٠ النساء: ٣ .

-٣١ الأنفال: ٦٥ .

* كأنه جمع محاض او محيض او جمع حائض او هو حيض جمع حائضة.

-٣٢ النساء: ٤٣ .

-٣٣ المائدة: ٩٥ .



من بشائر نبوة رسول الله ﷺ

■ بقلم الأستاذ أيمن محمد خليل

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ الأعراف: ١٥٧ .

ويقول جل وعلا: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ الصف: ٦ .

❖ بشارتان:

تشير الآية الكريمة الأولى الى بشارتين بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وقد ذكرت احداهما في العهد القديم، والثانية في العهد الجديد، وكان العهدان موجودين في عصر نزول القرآن وظهور سيدنا محمد ﷺ، وان المبشَّر في العهدين من وَصَفَه فيهما بالأمي، وتلك ميزة رسول الله محمد ﷺ.

وان البشارة صنفان: ناطقة حية باقية، وبشارة صامتة يخبر عنها بالألسن، والبشارة الناطقة هي التي يتاح لكل أحد ان يراها أو يصغي اليها، وكذا تكون البشارة التي يحدِّث بها القرآن الكريم، وقد كتبت في العهدين.

ولو لم تكن البشارة مكتوبة في التوراة والإنجيل، لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين، كما جاهر القرآن الكريم بالتصريح بها.

وسكت القرآن الكريم عن ذكر البشائر الواردة في كتب الأنبياء عليهم السلام، ولعل ذلك من اجل عدم وجود تلك الكتب في عصر رسول الله محمد ﷺ، أو لعدم التمكن من التعرف عليها، فلا يمكن تصديق تلك البشائر ولا تكذيبها.

ومن ميزات البرهان المقنع ان يكون سهلاً تناوله، سيما اذا أقيم لتوجيه الناس وارشادهم، فقد اكتفي في القرآن الكريم بالإشارة الى بشارات يتاح التعرف عليها لكل واحد، وصفح عن غيرها من البشائر، وذلك من دلائل صدق القرآن الكريم وآيات الحق التي حفت بالقرآن الكريم.

❖ نظرة الى الآية الكريمة الأولى:

تحدثنا الآية الكريمة بأن الواجبات التي يفترض بالنبي الكريم ﷺ أن يقوم بها تجاه الذين يتبعونه، ستة واجبات: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإباحة الطيبات، وتحريم الخبائث ووضع الإصر، ووضع الأغلال.

وان الأولين يوجهان الى تهذيب الأفعال والأقوال، والأوسطين الى تعديل النزعات والغرائز، والأخيرين الى انقاذ البشرية من الأوزار والمآسي.

ومن الواضح ان اصلاح كل مجتمع وتهذيبه يتحقق بالأولين، وان تعديل كل نزعة يتحقق بأمرين: أحدهما: باعطائنا ما تتطلبه النزعة وتريده، ويتحقق ذلك بإباحة الطيبات، ثانيهما: يجعل حداً للتطلّب والإرادة، وذلك يتحقق بتحريم الخبائث، وان تهذيب كل نفس وتطهيرها من الأرجاس يحصل بالأمرين، ثم ان وضع الإصر والأغلال هو إزالة الموانع عن الاصلاح والتهذيب.

فالمعروف: هو الحق، حسنات الأفعال والأقوال ومكارم الأخلاق، والمنكر هو الباطل من سيئات الأقوال والأفعال، والأخلاق الذميمة، والطيب هو ما يستطاب من اللذات من الأطعمة والأموال والأزواج وغيرها، والخبيث هو ما يستكره من تلك، فهو مقابل للطيب.

والإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه ويحبسه عن الحراك لثقله، ولعله كناية عن العادات السيئة، والتقاليد القومية البالية، والعقائد الفاسدة، التي تطوق المرء وتثقله بحيث لا يستطيع الحركة نحو التقدم والازدهار، ولا يقدر على الصعود في مراقي الحضارة والمعارف، بل تجبره على السقوط وتدفعه نحو الدمار.

والغل: ما يقيد به اليدين والعنق، والمغلول.. من لا يقدر على أية حركة

ونشاط.

تلك الستة أركان لدعوة رسول الله محمد ﷺ بصريح القرآن.. وهي الغاية المنشودة التي جاء لتحقيقها، وإنها لهي المنهاج الأرقى لإعطاء حياة سعيدة للمجتمع البشري، ولتوجيهه الى التقدم نحو الأمام ووقايته من التقهقر والسقوط، وتلك هي الرحمة التي وسعت العالمين جميعاً، يقول رب العزة مخاطباً سيد العالمين محمداً ﷺ: **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾**.

❖ بشارة موسى وعيسى عليهما السلام:

ان البشارة بظهور سيدنا محمد ﷺ، موجودة في التوراة، ذلك الكتاب الذي أتى به موسى عليه السلام، فالكليم بشَّر قومه بظهور محمد ﷺ، والبشارة بظهور محمد ﷺ واردة في الإنجيل، وهو كتاب سيدنا عيسى عليه السلام.

وتحدثنا الآية الكريمة الثانية، بأن عيسى عليه السلام بشَّر بقدوم سيدنا محمد ﷺ، وهو يخاطب بني اسرائيل جميعاً، لا الحواريين فحسب.. وإن ذلك كان في بداية دعوته، وقد أخبرهم بأمور ثلاثة:

١- أنه مبعوث اليهم من جانب الله تعالى، فيفترض على كل إسرائيلي الايمان برسالة عيسى عليه السلام ونبوته.

٢- انه مصدق لما بين يديه من التوراة، فهو مؤكد لشريعة موسى عليه السلام، وليس بناسخ لها، فالمفروض على كل من يرى نفسه متبعاً للمسيح عليه السلام، العمل بشريعة موسى عليه السلام كما فرض على بني اسرائيل اتباع المسيح عليه السلام.

٣- انه مبشِّر برسالة النبي الأمي ﷺ، وقد صرح باسمه تأكيداً، فمن يرى نفسه متبعاً للمسيح، فعليه ان يؤمن بنبوة أحمد ﷺ، وإلا فهو ليس بمسيحي.

فكان المسيح عليه السلام ذا مناصب ثلاثة من قبل الله تعالى: رسول الله الى بني اسرائيل، ومصدقاً لشرعة موسى عليه السلام، ومبشراً برسالة أحمد ﷺ، ويفيدنا قوله تعالى في هذه الآية: **﴿فلما جاءهم بالبينات﴾**.. انه كان لرسول الله محمد ﷺ بينات ومعجزات شتى، قوبلت من جانب قومه بالعناد والعداء، حتى قالوا: **﴿هذا سحر مبين﴾**.

ان قول عيسى عليه السلام لبني اسرائيل: **﴿إني رسول الله إليكم﴾** ينبئ أنه كان رسولاً الى بني اسرائيل فحسب، فلم تكن رسالته عالمية.. اذن فالواجب على الحملات التبشيرية دعوة الاسرائيليين الى المسيحية عوضاً عن دعوة غيرهم، واذا كانت رسالة عيسى عليه السلام تخص بني اسرائيل، فإن ذلك لا يمنع غيرهم من التدين بغيرها كدين إلهي، ومن اعتنق المسيحية من غير بني

اسرائيل في ذلك العصر، كان مصيباً في إيمانه.. إذ آمن برسول أرسله الله تعالى.

◆ البشائر بقدوم الأنبياء عليهم السلام:

جرت سنة الله تعالى فضلاً منه على عباده، على إخبارهم بإرسال رسول يرسله في المستقبل، فكان أنبياء الله السابقون يبشرون بمن يأتي من بعدهم من الأنبياء.

لقد كان يحيى عليه السلام مبشراً بنبوة عيسى عليه السلام، كما كان عيسى عليه السلام مبشراً بنبوة محمد ﷺ، ومن البديهي ان البشائر التي صدرت من انبياء السلف بنبوة نبي للخلف، كانت تنفع الأجيال القادمة وتفتح عيونهم وتجعلهم على أهبة استقبال هذا النبي الذي بشّر بقدومه، كما ان هذه البشائر تزيل الريب عن الناس وتعطيهم مزيداً من الثقة والاطمئنان.

وتزيد البشائر إيمان المؤمنين بنبوة نبيهم، وتجعل الكافرين به في شك من كفرهم، ويضعف صمودهم أمام الدعوة الى الحق، وتثير في أنفسهم بواعث لقبولهم الدعوة.

وللبشائر الإلهية أثر عظيم في سهولة تنفيذ دعوة النبي، وان النبوة المسبوقة بالبشارة أنفذ في القلوب، وأقرب الى الإذعان بها من غيرها، فقد لا تُطلب المعجزة من النبي، اذ أوجبت البشارة حصول الثقة لهم وأغنتهم عنها.

ان البشائر تبعد الناس عن وطأة المفاجأة أمام واقع غير منتظر، وتقودهم الى الاسراع في الإيمان بالنبي، كما أنها تخرج دعوته عن الغرابة في نفوس الناس، فالدعوة المتوقعة أقرب الى القبول من الدعوة المفاجئة، ومن لم يكن في قلبه مرض فإنه يسرع الى تقبل تلك الدعوة، كما كانت الحال بالنسبة للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وبعض علماء أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ منتظرين قدومه.

◆ البشائر الصامتة على قدوم محمد ﷺ:

ونجد الاشارة هنا الى سكوت القرآن الكريم عن البشارات الصامتة التي تشير بظهور نبي، ومن تلك البشائر.. الأحداث الكونية التي حدثت كلها يوم ميلاد رسولنا الكريم محمد ﷺ، وحدَّث بها جميع أرباب السير والتواريخ وقالوا:

أُكبت الأصنام المنصوبة على الكعبة على وجوهها، وخمد أوار بيت النار في منطقة فارس، بعد ان كان لها ألف عام دون ان تخمد، وغيضت بحيرة ساوة، وارتجف إيوان كسرى، ولم يبق سرير لملك إلا وأصبح منكوساً،

والملك يومها أبكم لا ينطق ببنت شفة! وانتزع علم الكهانة، وبطل سحر السحرة، وحجبت كاهنات العرب عن صواحبها.

وهنا يرد سؤال عن صلة هذه الأحداث برسالة رسول الله محمد ﷺ، ويمكن الجواب عنه بعد النظر الى هذه الأحداث، نظرة بها ميزاتها وخصائصها، ومما لا شك فيه ان كل واحدة منها أمر كوني عظيم، وقد حدثت في مجتمع عظيم يتصل به كثير من الناس، فشاهدوها واطلع عليها آخرون ممن لا يقلون في العدد عنهم.

ان منزلة الكعبة المشرفة في المجتمع العربي عظيمة جداً، وقد كان يشار اليها بالبنان، من حيث العظمة والقداسة، فلم يولد عربي إلا وهو زائر للكعبة أو سامع بها، وقصة الفيل وجيش أبرهة تشهدان على عظمتها.

فإذا سقطت الأصنام المنصوبة على الكعبة على وجوهها وهي آلهة العرب، والكعبة بيت الآلهة، فهل يخفى نبأ ذلك على عربي أو على غيره ممن له صلة بالعرب؟!

ومنزلة نار فارس بين العجم، كانت كمنزلة الكعبة بين العرب، ومن المستحيل بحسب العادة ان تخمد تلك النار التي كانوا يقدسونها ويعظمونها ولا يطلع الأعاجم على ذلك! وكذا غيرهم ممن له صلة بهم، ولا سيما اذا عرفنا ان الخمود كان في لحظة واحدة ولم يكن تدريجياً.

ثم ان منزلة كل ملك في عصره وفي مجتمعه، ليس مما يخفى، فإذا خرس الملك في يوم تام، فهل يمكن خفاء ذلك على شعبه وعلى غيرهم ممن له صلة بالملك أو بالمملكة أو بالشعب؟!

ويندرج في ذلك ارتجاس إيوان كسرى وانتكاس أسرة ملوك العالم وغيرها، وكذلك الأمر في غيض بحيرة ساوة التي كان ينتفع منها آلاف من الناس في مزارعهم وحدائقهم وبساتينهم، على مدى السنين المتطاولة، وكذا كل من كان يأكل من ثمارها ويتمتع بجمالها.

ولم تكن واحدة من هذه الأحداث أمراً شخصياً خاصاً، بل كانت أحداثاً كونية اجتماعية تتصل بالآلاف من الناس، ومن درسها يرى ان حدوث كل واحدة منها دفعة (سوى ارتجاس ايوان كسرى) ليس بأمر طبيعي ولا بحادث معتاد بين الناس.

وإذا افترض ان انقلاب صنم واحد على وجهه أمر طبيعي، فلا يجوز ان يكون انقلاب جميع الأصنام المنصوبة على الكعبة دفعة واحدة حادثاً طبيعياً، سيما اذا

عرفنا ان الأصنام كانت مثبتة بالأوتاد والمسامير!!

واذا افترض خمود نار ظاهرة طبيعية، ولكن لا يمكن ان يكون خمود نار فارس في لحظة واحدة ظاهرة طبيعية، وهي التي لم تخمد الف عام، واستمرت مشتعلة امام العواصف والأمطار والثلوج، وكان لها حراس يدفعون عنها كيد العدو، ويغذونها بالوقود باستمرار، وبقية الأحداث ليست بخارجة عن هذه الميزة.

فالعقل بعد تأمل وتفكير.. يذعن الى انها لم تكن أحداثاً كونية طبيعية، وإنما هي أحداث على خلاف فطرة الطبيعة وسنتها.

اذن تكون الصلة بينها واقعية، مثل الصلة بينها وبين ميلاد سيدنا محمد ﷺ، فهي تحدث بلسانها الكوني ببداية حياة جديدة ونهاية حياة.

ومن الواضح أن قسماً من هذه الأحداث عربي، وقسماً منها شرقي، وقسماً منها عالمي، فهل هذه بشارة بنبوة عالمية؟!.

● **فالنوع الأول يشير الى تجديد حياة الدعوة الى التوحيد،** ونهاية دور الشرك، وان للدعوة الى التوحيد بعد الطوفان دورين: يبدأ الدور الأول بظهور سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فإنه أول من قرع باب الدعوة الى التوحيد بعد الطوفان.

ويبدأ الدور الثاني بظهور سيدنا محمد ﷺ، فإنه أحيا الدعوة الى التوحيد بعد اندراسها، ودعا الى رفض الشرك بعد نضارته بين الأمم.

● **والنوع الثاني يشير الى ظهور عصر إقامة العدل** والقيام بالقسط ومكافحة الظلم، ومحاربة الحكم الفردي.

● **والنوع الثالث يشير الى بداية عصر العلوم والمعارف،** ونهاية دور الخرافات والأساطير والأضاليل.

واذا نظرنا الى ما بعد مرور اربعين عاماً على يوم وقوع هذه الأحداث يوم ميلاد سيدنا محمد ﷺ، ورأيناه ﷺ يدعو الى التوحيد ومجاهدة الشرك والى العدالة الاجتماعية وإبادة الظلم والجور والى العلوم والمعارف والابتعاد عن الخرافات والأساطير، عرفنا صلة تلك الأحداث بميلاد سيدنا محمد ﷺ.

فلقد جاء سيد العالمين محمد رسول الله ﷺ، لبث روح جديدة في العالم، تشل العروش القائمة على الجماجم، وتهدم القصور المتعالية على النفوس البشرية، ولسحق الأصنام المنصوبة على أجساد الضعفاء، وتنير العالم أجمع بنور الإيمان

الطائفة البهائية

■ بقلم الدكتور "محمد رامز" العزيزي

ظهرت الطائفة البهائية أو البابية، على يد رجل فارسي اسمه علي محمد الشيرازي، ولد في شيراز عام ١٨١٩م من مدن ايران، وكان أبوه مسلما شيعيا، وزعم أنه ينتسب إلى بيت النبوة، وقد بدأت دعوته عام ١٨٤٤م، وكان عمره خمسة وعشرين عاما.

وقد أعلن عن نفسه أنه هو "الباب" أي الواسطة بين المؤمنين وهو «المهدي المنتظر» الذي قرب ظهور دعوته، بعد أن غاب غيبته الصغرى قبل ذلك بألف عام، وكان هذا الإمام وهو «محمد المهدي» قد اختفى وهو ابن ست سنوات في سرداب (سامرا) ولم يعد، وكان هو الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة الإمامية.

وقد ادعى بأنه مصدر الهداية والمعرفة، ثم ما أسرع ما جال في خاطره، أنه أكبر من أن يكون أداة للإمام المستور الذي يحيى ليهدي الناس ويعلمهم، وأعلن أن اللّه قد رفع قدره وأصبح هو المهدي الجديد، الذي لا بدّ من ظهوره على وجه التحديد عام ١٢٦٠هـ أي بعد غيبة الإمام المستور بألف عام، وسافر إلى مكة لإعلان ظهوره عملا بحديث موضوع شاع بين كل الفرق الباطنية، وهو: «أنّ المهدي يظهر بين الركن والمقام»، وكان يدعو تحت قناع الإصلاح الديني والإجتماعي المزيف، وباسم التآخي العام بين الناس على اختلاف دياناتهم، وقومياتهم، ومذاهبهم.

ومن التعاليم التي كان ينادي بها، إلغاء جميع العقوبات التي شرعها الإسلام إلاّ دفع الدية، وإسقاط الجهاد في سبيل اللّه، ويجوز رؤية النساء سافرات والتحدث إليهن

من غير حرج، ووضع كتابا ضمنه كل آرائه وسمّاه «البيان»، وهو عنده الكتاب المقدّس.

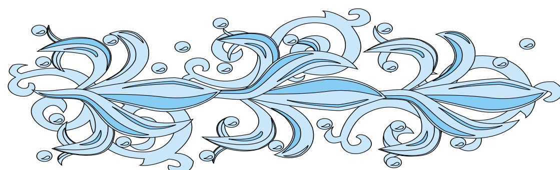
وقد صادفت دعوته بعض النجاح عند عدد قليل من أبناء وطنه شيراز، وخاصة العامة أصحاب الأهواء، فاستدعاه حاكم شيراز وعقد له مجلسا من العلماء والفقهاء، فانقسم العلماء في أمره، فمنهم من أفتى بقتله، ومنهم من قال باختلال عقله، أما الوالي فقد همّ بقتله، فإذا بالباب ينكر أنه وكيل الغائب الموعود، والواسطة بينه وبين المؤمنين، فتركه الوالي على أن يحضر في يوم الجمعة إلى المسجد ليعلن توبته على رؤوس الأشهاد، فلما حل اليوم المذكور صعد الباب على المنبر وقال: «إن غضب الله على كل من يعتبرني وكيلا عن الإمام، أو الباب إليه، وان غضب الله على كل من ينسب إلي إنكار وحدانية الله، أو أني أنكر نبوة محمد ﷺ خاتم النبيين أو رسالة اي رسول من رسل الله، او وصاية علي امير المؤمنين، او اي احد من الأئمة الذين خلفوه»، وبذلك نجا الباب من القتل، ثم فر إلى أصفهان عام ١٨٤٦م، وكان دعاته قد توغلوا في هذه الولاية مثل توغلهم في شيراز، وفي عام ١٢٢٦هـ الموافق ١٨٤٩م أمر الشاه ناصر الدين بإلقاء القبض عليه ثم قتله رميا بالرصاص لاستفحال شرّه عند العامة، وقد تبرّأ منه كاتب وحيه وجيه حسين التبريزي وانهال عليه بالشتائم والسباب وتبرّأ منه، فأطلق سراحه بعد أن ألقي القبض عليه معه.

وكان عُمر الباب يوم إعدامه إحدى وثلاثين سنة، وقد نقل بعض أتباعه رفاته إلى حيفا في فلسطين، وكان ممن استجاب لدعوته (البابية) شخص فارسي آخر عرف بالبهاء، فخلفه في دعوته واسمه حسين علي نوري بن برزك، وإلى هذا الشخص تنسب فرقه (البهائية)، وادعى أنه هو الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر، وأن أستاذه الباب ليس إلا مبشرا به وداعيا إليه.

وانتقل إلى بغداد وأقام بها إثني عشر عاما، قضى بعضها في أطراف السليمانية يبشر بضلالته، فأخرجته حكومة بغداد، فقصد الأستانة وقاومه شيوخها، فنفي إلى أدرنه حيث أقام نحو خمس سنوات، ثم أرسل بعد ذلك إلى سجن عكا بفلسطين عام ١٨٦٨م، ثم افرج عنه عند صدور الدستور في الأستانة الذي يمنح الحريات لأصحاب الديانات المختلفة، ولو كانت باطلة لا أساس لها من الصحة، فانتقل إلى البهجة من قرى عكا والتف حوله مريدوه وتوفي بها عام ١٣٠٩هـ ودفن في حيفا.

ثم خلفه من بعده إبنه عباس الذي سما نفسه عبد البهاء، وعندما شعر بأن دعوته لا تنتشر كما ينبغي في فلسطين سافر إلى مصر وأمريكيا وأوروبا، وقام بنشرها بعد أن أعلن أن البهائية عقيدة دولية، وأنها تهدف إلى تحقيق الديانة الواعية التي لا تفرق بين جنس وجنس، فدخلها بعض اليهود والنصارى، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان في فلسطين، فخدم الحلفاء في القضاء على الدولة العثمانية، وقد أنعمت عليه الحكومة البريطانية برتبة فارس مع لقب سير، وعندما توفي في عام ١٩٣١م وهو في السابعة والسبعين، خلفه بوصية منه حفيده لإبنته شوقي رباني.

وبعد أن مات ميرزا شوقي رباني دون أن ينجب ولداً، اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل، وانتخبوا اليهودي الأمريكي الصهيوني «ميسون» رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم، ومنذ تم انتخابه تحولت البهائية إلى حركة صهيونية أمريكية، ولا يزال المعبد الرئيسي للبهائيين يقع في فلسطين بمدينة عكا، حيث يحج إليه كل عام عشرات الألوف من البهائيين، من إيران والولايات المتحدة وبعض أنحاء أوروبا، ومن بعض الدول العربية، وخاصة فلسطين حيث ينتشر المذهب البهائي في شمال فلسطين في منطقة عكا وحيفا وصفد، وهم يتظاهرون بالاسلام ويخفون عقيدتهم البهائية في البلاد العربية، حتى لا ينكشف أمرهم وخاصة في فلسطين.



أم القرى

مهداة الى سيدي رسول الله ﷺ

شعر الاستاذ عدنان ساري الزين

فيما نعمت منازلاً وشبابا | للناهبين لذائذاً وشرابا
من ضاربين مزاهراً بمزاهر | والغارقين بنشوة إطنابا
والمؤنسون من الحجون الى الصفا | والمنصتون لفنهم إعجابا
بنت المفاخر والمكارم والنهى | وهي المنى للقاصدين رغابا
أم القرى: سجيل تضرب باغياً[1] | والنور هل وذو البراطم خابا[2]
نور الهدى سطعت بنا أنواره | ومن اهتدى فإلى الرشاد أثابا
صلى عليك الله كم لاقيت في | بطحاء مكة جاهلاً كذّابا
وصبرت اذ يعقوب يعجز صبره | والشعب يشهد كم لقيت عذابا
وجه أفدي كم تنعم بالطوى | فطوى الزمان الجهل والأذنابا
نفسي الفدا والولدان وصبيتي | لمحمد لذّ الفداء وطابا
والطيب المختار يضرع قلبه | رب اهدهم لا يعلمون صوابا
الأخشبان لأمره والكائنات لطوعه | لو شاء زلزل أو أراد خرابا
لكنه البر الرءوف بأمة | حيرى تطاحنها الزمان فشابا
إيه بلاد الله يا أحبب بها[3] | خير المنازل اربعاً وترابا
هذا رسول الله أكرم من سرى | يطوى الحزوم بلاقعا ويبابا[4]
لهفي عليك بمهجة حرانة | ترجو الشفاعة من لدنك طلابا
يا سيدي المختار حسبي أنني | عبد تفهم كلمتين عذابا[5]
لا ارتضي الا هما نوراً على | نور الحقيقة منهجاً وكتابا

❖ ❖ ❖

١- اشارة الى سورة الفيل.
٢- أبرهة الحبشي.
٣- تقدير الكلام: يا «اخي» اي المنادى محذوف، وهذا كثير في لغة العرب.
٤- الحزوم: مفردها حزم وهي الأرض اليابسة في الصحراء.
٥- الكلمتان: لا إله الا الله . محمد رسول الله.

خطبة الجمعة

قال عز وجل:

﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾

بقلم الاستاذ محمد السعدي

الحمد لله ﴿الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

لقد كرم الله عز وجل نبينا محمداً ﷺ بجملة من الخصائص والمزايا والمحامد والمناقب، جعلته ﷺ يتبوأ مكان الصدارة بين الأنبياء، ومكان الإمامة بين الرسل عليهم السلام.. يقول الرسول ﷺ وهو يبين بعض ما منّ به عليه الرحمن تبارك وتعالى من النعم والعطايا والخصائص والمزايا: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة، وبعثت الى الناس عامة».

ويقول ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: اعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت الى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

أيها المؤمنون:

مما ميز الله تعالى به محمداً ﷺ انه جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وجعل كتابه خاتم الكتب، فلا نبي

بعده، ولا رسالة بعد رسالته ولا كتاب بعد كتابه.. يقول الله جل وعلا: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾**.

ويقول ﷺ: «ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

لقد جاء محمد ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق بأكرمها، ويكمل النبوات بأعظمها، ويختم الشرائع بأعدلها، ويختم الكتب بأوثقها، ويختم القدوة بأكملها، ولأنه ﷺ خاتم النبيين، ولأن البشر جميعاً مطالبون بالإيمان برسالته، والدخول في دينه، والاقتداء بسنته ﷺ فإن الله بحكمته قدّر ان تُدوّن سيرته وحده بأدق تفاصيلها، من مولده الى انتقاله الى الرفيق الأعلى، حتى يكون معروفاً لجميع الناس فيؤمنوا به، ويتبعوا هديه.

أيها المسلمون:

ومما ميّز الله به نبينا محمداً ﷺ، أنه بعثه لسائر الأمم وللشعوب كافة، عربهم وعجمهم، أسودهم وأبيضهم، أحمرهم وأصفرهم، وجعل رسالته دائمة مستمرة الى يوم القيامة، بينما كان الرسل قبله يبعثون الى أقوامهم خاصة في عهود تاريخية محددة، ولم تكن هذه العمومية نتيجة لانتصار الاسلام وانتشاره كما يدعي اعداء هذا الدين، بل كانت مبدءاً ثابتاً من مبادئ الدعوة الاسلامية منذ انطلاقها ومنذ كان المؤمنون قلة مستضعفة في مكة تعذب وتضطهد، وتطارد وتحاصر.

وكفى بالله شهيداً، فكل الآيات التي تحدثت عن عالمية دعوة الاسلام، آيات مكية.. يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف المكية: **﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً..﴾**، ويقول عز وعلا في سورة الأنبياء المكية: **﴿وما أرسلناك الى رحمة للعالمين﴾** ويقول جل وعلا في سورة سبأ وهي مكية ايضاً: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾**.

اخوة الإيمان:

إن ختم النبوة بمحمد ﷺ، وختم الرسالات بالاسلام، وديمومة هذه الرسالة الى نهاية الأزمان، اقتضى خلود المعجزة المحمدية حتى تكون حجة على الناس، ودليلاً على نبوته ﷺ.

لقد كانت معجزات الأنبياء عليهم السلام ظرفية، انتهت بانتقالهم الى الرفيق الأعلى لأن رسالاتهم كانت مؤقتة، أما معجزة رسول الله محمد ﷺ، فهي معجزة دائمة خالدة، لأن رسالته مستمرة، وليست هذه المعجزة الا معجزة الوحي، معجزة القرآن الكريم، الكتاب المعجز الذي لا يقبل المعارضة: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**.. الكتاب الشامل الذي لا يعرف النقص: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**.. الكتاب المعصوم الذي لا يقبل التناقض: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**.. والكتاب الموثوق الذي لا يقبل التبديل: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** انه الكتاب الذي تكفل الله بحفظه ولم يتكفل بحفظ سواه من كتبه السماوية.

وحينما كان المشركون يطالبون رسول الله ﷺ بالآيات والمعجزات، كان الله تعالى يسترعي انتباههم الى ان معجزة الرسول بين أيديهم وتتلى عليهم صباح مساء: **﴿وقالوا لولا أنزل عليه ءايات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما انا نذير مبين ❖ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾**.

ويقول ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي الا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة».

اخوة الاسلام:

من فضل الله على رسوله محمد ﷺ، أنه أخذ له العهد على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، بالايمان به ﷺ واتباعه ونصرته ان بعث وهم أحياء، وهذا يستلزم التبشير بمجيئه وأمر اتباعهم

بالايمان برسالته واتباع هديه، يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾**.

ويقول الرسول ﷺ: «انا دعوة ابي ابراهيم الذي قال: **﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم﴾** وبشارة عيسى حيث قال: **﴿.. يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾** ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور ساطع أضاءت منه قصور الشام».

ان كتب اليهود والنصارى الموجودة بين أيديهم اليوم، لا يذكر فيها اسم محمد ﷺ صراحة، لأن هذه الكتب عبثت بها يد التحريف والتبديل، ومع ذلك فلا يزال فيها بشارات بظهور نبي وأوصاف له تنطبق على رسول الله ﷺ، ولقد أكد القرآن هذه الحقيقة حين قال عز وعلا: **﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل..﴾** ولو ان اليهود والنصارى وضعوا التعصب جانباً وأعادوا قراءة كتبهم بروح النزاهة والإنصاف، لوجدوا رسول الله ﷺ وآمنوا بنبوته ورسالته.

أحباب الله:

مما اختص به رسول الله محمد ﷺ، ان الله تعالى تولى حمايته وتكفل بحفظه من الذين يتآمرون عليه ويدبرون قتله، وما ذاك الا من أجل ان يكمل الدين، وتتم النعمة وتسلم القدوة، حتى تتم المهمة التي بعث من اجلها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، يقول الله تبارك وتعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾**.

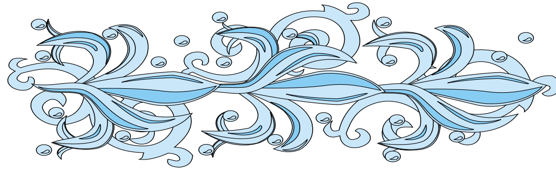
وبرغم ان الرسول ﷺ تعرض لمحاولات اغتيال كثيرة دبرها اليهود والمشركون، وبرغم المعارك الكثيرة التي خاضها مقاتلاً في الصف الأول، وبرغم

انه كان دائماً هدفاً للأعداء، فإنه ظل سالماً، لأن من بيده الحياة والموت أراد له ان يحيا ويسلم حتى يعز الاسلام ويذل الشرك والطغيان.

عباد الله:

ان الله قرن ذِكر محمد ﷺ بذِكره في كلمة الشهادة والأذان والتشهد، وقرن طاعته ﷺ بطاعته حين قال تعالى: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله..﴾** وقرن بيعته ببيعته حين قال: **﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله..﴾** وقرن رضاه برضاه حين قال: **﴿..والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين..﴾** وقرن إجابته بإجابته، حين قال: **﴿يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول﴾** وقرن محبته ومغفرته باتباعه حين قال: **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**.

فاتبعوا سنة رسول الله ﷺ، وسيروا على خطاه، وكونوا نماذج حية لمناقبه ومحامده وأخلاقه، حتى يعرف الناس فضله وسبقه، ولا تشوه صورته وتنتقص عظمته، وانصروا دينه، ووقروا سيرته، واشكروا لله الذي منّ عليكم بنبوته ورسالته، وأرسل اليكم اعظم انبيائه ورسله، واتبعوا النور الذي أنزل معه: **﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا**



تمت بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد الرابع - المجلـــد ٥٣

ربيع ثاني ١٤٣٠هـ - نيسان ٢٠٠٩م

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

● بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.

● العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.

● ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.

● ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.

● العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.

● إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.

● توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.

● التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.

● تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام

وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من اعظم المبادئ التي قام عليها الاسلام، بل ان خيرية الأمة الاسلامية، كانت ثمرة للإيمان بالله تعالى أولاً، ثم تحقيق هذا المبدأ.. ذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ضمن الضوابط الشرعية - هو ضمان للمجتمع وصمام أمان من ترديه الى مهاوي الانحطاط والرذيلة والفساد، وبالتالي تعرضه للعقوبات الإلهية.

ولا ريب ان اهل الباطل عندما يدكوا بمعاول فسادهم سفينة النجاة، التي يسير فيها المجتمع، واذا لم يؤخذ على أيديهم وتكسر معاولهم، لا شك ان الغرق سوف يهدد المجتمع ثم الأمة بأكملها، قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾.

لهذا عدت الشريعة الاسلامية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اوجب الواجبات، بل ذهب بعض الأئمة الى اعتباره ركناً من اركان هذا الدين، يقول عز وجل: ﴿ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ ويتحقق هذا الركن بتحقيق الخيرية التي تميزت بها الأمة الاسلامية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وان ضعف تحقيق هذا المبدأ في اي مجتمع، لا يقف عند حدود هذا الضعف فحسب، بل ان الشرر سيكون مضاعفاً، ولا اقل ان ينتج عن ذلك لا محالة، دعاة الى المنكر بمختلف الوجوه البراقة، وابرازه بشتى ألوان الانفتاح والتقدم والمدنية!! وبالتالي إحداث الحصانة له حتى ولو بسن التشريعات القانونية الملزمة!.

وهكذا يكون الامر لفعل المنكر بالاكراه عليه، وبالمقابل لا بد ان تكون حرب شعواء على المعروف واهله! وبقدر ما يكون الضعف، يكون ما يوازيه من المنكر، حتى تصبغ بالمجتمع حال النفاق والمنافقين، وتمكنهم في الارض

﴿...بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾

كما اخبر الله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾.

ولقد حدثتنا الايام والسنون، ان النفوس الضعيفة عندما تتقطع عنها لذائذها المحرمة، بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنها تسعى جاهدة لتهوين هذه الشعيرة، من خلال ابقاء الشبهات والآراء المضللة حولها، فيدعون ان ذلك ينافي الحرية الشخصية، ولا ادل على ذلك من الأمم، التي تدعي وتدعوا الى الحرية المطلقة، كيف استحالت الى مجتمعات بهيمية.. في كل يوم وساعة بل ولحظة ينطق حالها بتلك الفضائح المخزية، التي تخالف الفطرة السليمة والأعراف النبيلة.

وتأتي حجة أخرى باعثها التقاعس عن اداء هذا المبدأ العظيم في الاسلام، وذلك ان المرء عليه بنفسه وصلاحها، ولا يلتفت الى مخالفات الآخرين، فإن ذلك لا يضر به..! وهذا من اكبر البهتان، بل يتنافى مع ابسط قواعد هذا الدين.

وترى آخر يوهن من قدر هذه الشعيرة والصدع بها، بحجة ان ذلك موجب للفتنة والبلاء، وما درى هذا واضرابه ان اي دعوة للهدى والاستقامة والاصلاح، لا بد ان يرافقها الابتلاء ولا بد ان تظللها المصاعب، وما سلم من ذلك الأنبياء والمرسلون والمصلحون في كل عصر وجيل.

ولا شك ان بلية الدين لا تكون الا من هؤلاء الذين اذا سلمت اهواؤهم، فلا مبالاة بدين او ملة او مجتمع، وأولئك مع سقوطهم من عين الله ومقته، قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية وهم لا يشعرون، فان القلب المؤمن الصادق، كلما كانت حياته اتم، كان غضبه لله ورسوله اقوى، وانتصاره للدين اكمل..

أسرة التحرير

٣٨

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح..﴾

سورة النساء: ١٦٣-١٧٦

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

هؤلاء المشاغبون المفرقون بين الرسل، لم يكن كفرهم لعيب في الدليل، فرسالته ﷺ أقوم قيلا، وأهدى سبيلاً، ولكنه الهوى الأصيل وما يفرزه من عناد دخيل!

ولو كان إيمانهم ناشئاً عن استرشاد وفهم صحيح، ما كفروا بنبوة محمد ﷺ والذي لم يكن وحيه بدعاً، لأن جنس الوحي واحد، كله ينبع من مشكاة واحدة، والأنبياء والمرسلون عليهم السلام هم موكب الايمان، يمضي عبر التاريخ مرسلين من عند الله عز وجل، كلّ في زمان أقّته ومكان حدده.

فما هو سبب الايمان بالبعض والكفر ببعض؟!

لقد كلم الله موسى عليه السلام تكليماً، ومع ذلك فقد آمنتم بمن لم يحظ بهذه الكرامة، ومنهم ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وعيسى عليهم السلام، فلم لم تؤمنوا بمحمد ﷺ؟!

واذا كان إيمانكم برسول مشروط بنزول الكتاب عليه جملة، كما نزلت التوراة جملة، كان ذلك ترجيحاً بلا مرجح، لأن هؤلاء الأنبياء الإثني عشر، كانوا انبياء ورسلاً مع ان واحداً منهم ما أتى بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة.

على ان التوراة مثل القرآن، نزلت منجمة على حسب الوقائع بدليل ﴿تكليماً﴾ اي على التدرج شيئاً فشيئاً بحسب المصالح

(الدرر).

ثم ان نزول الكتاب مفرقاً منجماً أقرب الى المصلحة، لأن الكتاب اذا نزل دفعة واحدة كثرت التكاليف فكانت شاقة على النفوس، الأمر الذي يفرض علينا التسليم بصحة ما جاء به الرسول ﷺ ومن قبله رسل قصهم الله تعالى عليه، ورسل لم يقصصهم عليه ممن بعثوا الى الصين واليابان والهند مثلاً **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾** تمت بهم الرسالة التي لم تبق للمعاندين شبهة يتذرعون بها، وانت يا محمد لا عليك من جحود هؤلاء، فإنه يشهد لك والملائكة كذلك يشهدون وكفى بالله شهيداً **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾** البقرة: ١٠ .

وبعد هذا الجحود يتجلى الله سبحانه وتعالى على عباده، فيدعوهم الى الايمان الذي وضحت دلائله بشهادته من مظاهر رحمته عز وجل بعباده، فإن آمنوا يكن الايمان خيراً لهم وحدهم، وان كفروا فإنه عز وجل غني عن إيمانكم وقادر على عقابكم لأن له ما في السموات والأرض وأنتم جزء من هذا الملكوت، (ولأنه تعالى العليم الحكيم لا يخفى عليه شيء من أمركم في إيمانكم وكفركم، ولا يعدو حكمته امر جزائكم.

وحاشا علمه وحكمته ان يخلقكم عبثاً، وان يترككم بعد ذلك سدى، كلا، انه يجزي كل نفس بما تسعى، فطوبى لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وويل لمن اعرض عن ذكر ربه ولم يرد الا الحياة الدنيا).

ومن إفحام اليهود محاجة النصارى، لقد فرّط اليهود في نظرتهم الى عيسى عليه السلام، وأفرط النصارى بنفس القوة في تقديرهم له، وهو المعنى الذي تشدد الآي هنا النكير عليه، وذلك قوله عز وجل: **﴿يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة﴾**، لا تفعلوا، لا تتجاوزوا الحدود، ذلك بأن الزيادة في الدين كالنقص منه، كلاهما بعد عن سواء الصراط.

﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل لعبادة الله لا لعبادة الهوى، وهو عليه السلام مؤيد بروح من الله عز وجل، فآمنوا بالله إيماناً يليق به وهو انه تعالى واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، له ملك السموات والأرض، وليس له ولد سبحانه، والمسيح عليه السلام نفسه لن يستنكف ان يكون عبداً لله، ولن يأنف من

هذه العبودية ولن يبرأ منها، وحتى الملائكة المقربون، لن يستنكفوا ان يكونوا عبيداً لله تعالى.

ومن يستنكف عن عبادته ويستنكر، مغروراً مزهواً بقوته وثروته، مترفاً عن عبادته سبحانه، فقد يرخي القدر الأعلى له حبال التمني، ولكنها مدة قصيرة ليجد نفسه في النهاية، محشوراً مع غيره في يوم عصيب يختلف فيه الجزاء طبق ما كان من قول أو عمل.

﴿فيعذبهم الله عذاباً أليماً﴾ ثم لا يجدون من أنصار الدنيا من يدفع عنهم ذلك العذاب ابتداء، كما وأنهم لن يجدوا من يخرجهم منه اذا ألقوا فيه.

أما بعد؛ ففي الوقت الذي تنقشع فيه سحائب الشبهات وتسقط كل الأقنعة، في هذا الوقت الذي أسقط في يد اليهود والنصارى والمنافقين، في هذا الوقت بالذات ينادي الله تعالى عباده ليسارعوا الى توحيده عز وجل، مسارعة يحملهم عليها ما استكن في النفوس من رغبة فيما يصلحها ورهبة مما يهلكها، ان الجزاء مختلف باختلاف نوعية العمل في الدنيا **﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً﴾**.

وعندما يقتصر السياق على الطائعين دون المارقين، فقد يكون حسن ظن بالناس ليكونوا أهلاً لحسن الظن، فيطيعوا ولا ينحرفوا، وأما الأخرى فلا ينبغي ان تكون!!

وأخيراً يعود السياق على بدء بقوله تعالى: **﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾** يقول الرازي: تكلم الله تعالى في أول السورة في أحكام الأموال، وختم آخرها بذلك لماذا؟ قال: ليكون الآخر مشكلاً للأول، لكن صاحب المنار يقول: «جعل هذه الآية مفردة على غير فواصل السورة، يراد به: توجيه النفوس اليها لئلا تغفل عنها، وهذا الأسلوب صار مألوفاً هذا العصر، حتى في المراسلات الخاصة، يجعلون للرسالة ذيلاً يسمونه الحاشية»، وهم يتعمدون ذلك، تنبيهاً على أهمية هذه الحاشية.

والمعنى: ان هلك امرؤ -ذكراً كان أو أنثى- وليس له ولد ولا ولد ولد وله أخت شقيقة أو أب، فلها نصف ما ترك، وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ولا ولد ولد، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك، وان كانوا إخوة ذكوراً واناثاً فللذكر مثل حظ الأنثيين، **﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله**

٢

ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها

■ بقلم الدكتور صالح أحمد رضا

إذا كان الذين يرفضون السنة واتباع هديها يتذرعون بأنهم قوم قرآنيون، يتبعون الكتاب المنزل من عند الله تعالى، لأنه متواتر عن النبي ﷺ لا يدخله الشك ولا الوهم، ولا الريبة في شيء من آياته، بل في حرف من حروفه، فلنستفت القرآن الكريم الذي يعتبرونه حجة وحده، ماذا يقول هذا الكتاب عن الرسول الذي جاء به، وأرسل إليه، وعن أقواله التي ينطق بها، وعن أفعاله التي يقوم بها، فاذا كان يأمرنا بطاعته فعلينا جميعاً اتباع ذلك.

وقد هيأ الله تعالى للأمة الإسلامية، قوماً يعتنون بنقل السنة بطريق صحيح لتصل إلينا، ولنقتدي بها، فأمر الله تعالى الأمة الاسلامية باتباع النبي الأمي ﷺ يوجب عليها أن تعتني بنقل سنته، والمحافظة عليها، وحراستها من كل معتد ظالم، أو غافل جهول، وذلك بتوفيق من الله لهذه الأمة وهذا مستلزم لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[١].

فحفظ الكتاب مستلزم لحفظ السنة، اذ تقل الفائدة في حفظ النص دون حفظ البيان، ولا يتم المراد من الكتاب الكريم الا بنقل السنة معه موضحة لذلك، ولهذا كانت السنة المطهرة محفوظة بحفظ الله تعالى لها، وقد رأينا عبر التاريخ الاسلامي منذ فجر الاسلام حتى عصرنا الحاضر علماء أجلاء، وجهابذة فضلاء، يحفظون للأمة حديث رسولها ﷺ نقياً صافياً دون ادنى شائبة تشوبه، مبعدين عنه كل زيغ أراد مفتر إلحاقه بالسنة، وإدراجه ضمن نصوصها، مبينين خطأ المخطئين، وغفلة الغافلين، ووهن الضعفاء والمتروكين.

وهذه الجهود التي بذلها علماء الإسلام في سبيل الحفاظ على السنة واتباعها، وفي استنباط الأحكام منها على مر العصور، وكر الدهور، إنما كانت عملاً بما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات، تأمر المسلمين حيث وجدوا وأنى كانوا في كل عهد وفي كل زمان، باتباع النبي ﷺ وطاعته ما داموا يستظلون بظلال الشريعة الوارفة، ويؤمنون بالله رباً، وبالاسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

لهذا كله كان لا بد من استعراض ما ورد في القرآن من آيات توضح لنا السبيل في موضوع السنة واتباعها لتعلم الحق من الباطل، والهدى من الضلالة، وفي أكثر من أربعين آية أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ﷺ، نذكر منها الآيات التالية:

قال سبحانه: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾[٢]، يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأن من أطاعه في أمره ونهيه، فقد أطاع الله تعالى، ومن عصاه فيهما، فقد عصى الله تبارك وتعالى، وما ذاك إلا لأنه ﴿**لا ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى**﴾[٣]. واذا كان النص بالنسبة للصحابة الذين يتلقون الأمر من المصطفى ﷺ مشافهة، فهو يشمل كذلك الأصحاب الذين يتلقون أوامره ﷺ، ممن تلقاه عنه لقوله: «فليبلغ الشاهد الغائب»[٤] كما يدخل فيه كذلك غير الأصحاب ممن جاء بعدهم من المسلمين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لعموم النص، وقال تعالى: ﴿**إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون ❖ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾[٥].

وهذه الآيات جاءت في سياق أوصاف المنافقين الذين لا يقبلون على رسول الله ﷺ ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه الا اذا كان لهم الحق، فبين الله تعالى أن المؤمن الحق اذا دعي الى الله تعالى -أي الى كتاب الله تعالى- والى الرسول في حياته ﷺ ليحكم في الخلاف الواقع وإلى سنته بعد وفاته ﷺ، ليحكمها فيما يجري بينه وبين غيره من الشقاق والخصومة، ان يقول بدافع ايمانه: سمعت لحكم القرآن واطعت ما فيه، وسمعت لحكم الرسول ﷺ الذي ورد في سنته، وأنا مطيع لما ورد فيها، فأخبر الرب عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ﷺ، الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أنهم هم المفلحون في الدار الدنيا بإصابتهم للصواب من الامر ولسيرهم على الشريعة الحقة، وهم المفلحون في الآخرة

بنيل المطلوب، والسلامة من الموهوب.

ثم بين الحق سبحانه أن طريق الفوز هو طاعته وطاعة رسوله ﷺ فيما جاء الأمر به، وترك ما جاء من النهي عنه، وطاعة الله تعالى إنما تكون بالتزام كتابه والسير وفق أحكامه، وطاعة رسوله ﷺ تكون بالتزام سنته، واتباع هديه.

ويقول عز وجل: **﴿قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فإن تولوا فانما عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾**(٦).

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الرب بطاعته وطاعة رسوله، وذلك كما بينا سابقاً، إنما يكون باتباع الكتاب والسنة ثم يبين لهم مهمة رسوله ﷺ إن تولى عنه الناس وتركوا ما جاءهم به بأنه عليه إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وليس عليه حملهم على الطاعة، وأما الناس فعليهم مسؤولية قبول دعوته وتعظيمها، والقيام بمقتضاها، مقراً أن الهداية للطريق المستقيم لا تكون إلا بطاعته ﷺ.

وقال الله سبحانه: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**(٧)، عن أنس رضي الله عنه قال: «خطب النبي ﷺ على «جليبيب» امرأة من الأنصار الى أبيها، فقال: حتى استأمر أمها، فقال ﷺ: نعم اذاً قال: فانطلق الرجل الى امرأته فذكر لها، فقالت: لا ها الله، اذا ما وجد رسول الله ﷺ الا جليبيباً، وقد منعناها من فلان وفلان، قال: والجارية في سترها تسمع، قال: فانطلق الرجل يريد ان يخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقالت الجارية: اتريدون ان تردوا على رسول الله ﷺ امره، ان كان قد رضيه لكم، فانكحوه، قال: فكأنها جلت عن أبويها وقالا: صدقت، فذهب ابوها الى رسول الله ﷺ فقال: ان كنت قد رضيته، فقد رضيناه، قال ﷺ: «فإني قد رضيته» قال: فزوجها، ثم فزع اهل المدينة، فركب جليبيب، فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم»(٨).

قال الحافظ ابن عبد البر: ان الجارية لما قالت في خدرها: «اتردون على رسول الله ﷺ أمره؟» نزلت هذه الآية: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**(٩).

هذا في أخص خصائص الانسان وهو الزواج، فكيف بالأمور الأخرى؟! والآية عامة في كل أمر اذا حكم فيه رب العزة، أو حكم فيه رسوله ﷺ بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار له مع حكم الله أو حكم رسوله، ولا رأي ولا قول، وانما يعرف حكم الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه، وحكم رسول الله ﷺ من سنته، ثم شدد الله تعالى في حكمه، وأبان ان الذي يقوم بعمل، أو يقول قولاً، أو يعطي رأياً فيه معصية لله، ومعصية لرسوله ﷺ فقد ضل ضلالاً واضحاً عن سبيل الحق.

يقول الله عز وجل: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[٧]، يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن أحد حتى يجعل الرسول ﷺ حكماً عدلاً في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، فإذا حكّموه يذعنوا لحكمه، وتسلم له نفوسهم تسليماً كاملاً في الظاهر بالانقياد، وفي الباطن بالاستسلام دون اعتراض أو ممانعة كما ورد في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[١١].

قال الله تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾**[١٢] اي مهما امركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه انما يأمركم بخير، وانما ينهى عن شر.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله عز وجل قال: فبلغ امرأة من بني اسد في البيت يقال لها: ام يعقوب، فجاءت اليه فقالت: بلغني انك قلت كيت وكيت، قال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى؟ قالت: اني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: ان كنت قرأتيه فقد وجدتيه، اما قرأت: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه»[١٣]، فهذا الصحابي الجليل بين لهذه المرأة انه يعبر في أقواله بهدي القرآن ولا يخرج عنه، والقرآن الكريم هو الذي أمر باتباع المصطفى ﷺ والاهتداء بهديه، فما أمر به رسول الله ﷺ فهو امر من عند الله، وما نهى عنه فهو منهي عنه عند الله جل وعلا، وقال سبحانه: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**[١٤].

هذه الآية الكريمة اصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، وكيف يمكن للانسان المسلم ان يتأسى به اذا لم يطلع على السنة المطهرة، ويتعرف منها على صفات القدوة التي أمره الله تعالى ان يقتدي بها ويتبع خطاها، ويسير وفق هديها في حياته كلها.

وقال جل من قائل: **﴿قل ان كنتم تحبون**

الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[١٥]، ميزان لمحبة الله تعالى، ومقياس للمحبة التي يجب ان تكون في قلب كل مؤمن، لما يعلمه من النعم التي يغدقها عليه ربه تعالى في حياته، هذه المحبة لا تكمل الا باتباع المصطفى ﷺ الذي جعله الله تعالى قدوة للناس ليتبعوا امره، وينطلقوا معه، فمن اتبعه الاتباع الكامل، حظي من الله عز وجل بالمحبة الكاملة، بالاضافة الى مغفرة الذنوب، انه المقياس الحقيقي الذي يجب على المؤمن ان يقيس به محبته لله تعالى، ولا يتم له ذلك دون اقبال على السنة والاغتراف من بحرها الرائق.

ويقول الله تبارك وتعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾**[١٦]، قال العلماء: معناه الى الكتاب الكريم، والى الرسول ﷺ في حال حياته والى سنته بعد وفاته، والتنازع حاصل بين الناس في كل وقت، وكل عصر لا ينتهي الا بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ اذا كان الناس يؤمنون الايمان الكامل بأن هذا الدين دين ارسله الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ، وهو دين خالد سيبقى الى آخر الزمان يحكم في أمور الناس.

وقال سبحانه وتعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[١٧]، فليحذر وليخشى من خالف أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله الذي سار فيه ومنهجه الذي رسمه، وسنته التي أوضحها، وشريعته التي أعلاها، فليحذر أولئك من ان تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، او يصيبهم الله بعذاب أليم في الدنيا بقتل او حد أو حبس او نحو ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها، جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، انا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، فتغلبوني وتقحمون فيها»[١٨].

نجد في كتاب الله قوله تعالى: **﴿وإنك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله﴾**[١٩]، فالرسول الكريم ﷺ عندما يبين الطريق الحق الذي يجب على الناس اتباعه في كلامه الذي ينطق به، وفي فعله الذي يقوم به، وفي إقراره لأحد من الصحابة على عمل، فإنما يصدر عن هداية الله تعالى له ويكون من اتبعه متبعاً لصراط الله المستقيم.

اما اذا أبينا على الرسول الكريم ﷺ ما جاءنا من الهدى، أو رفضنا بعض السنة

التي جاءنا بها، فكأننا في الحقيقة نرفض رحمة الله تعالى، لأن الله جل وعز قال عن نبيه ﷺ: **﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾**[٢٠] أو نبخس هذه الرحمة المهداة حقها من التكريم والاجلال.

❖ ما جاء في السنة عن رفض السنة:

رسول الله ﷺ والمؤيّد من الله جل وعلا في كل امر يقدم عليه وفي كل قول ينطق به، قد أنبأنا في بعض أقواله الكريمة من ان قوماً من اهل الكسل الذين فقدت همتهم عن طلب العلم، والسعي اليه وبذل الجهد في سبيله سيكون لهم مثل هذا الموقف الذي يقفه أولئك الذين يرفضون السنة، فلا يقبلونها ولا يحتكمون اليها، ولهم في ذلك حجج واهية، وأدلة لا تقف امام قواعد النقد الصحيح، ومنطق العقل الصريح.

عن أبي رافع رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه»[٢١].

وعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه[٢٢] ألا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[٢٣] زاد ابن حبان «الا وانه ليس كذلك».

وعن ابي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا اعرفن الرجل يأتيه الأمر من امري، اما أمرت به واما نهيت عنه فيقول: ما ندري ما هذا، عندنا كتاب الله ليس هذا فيه»[٢٤].

وانظر الى وصف رسول الله ﷺ لرافضي السنة، فقد وصفهم بالشبع والجلوس على الأرائك، وهي صفة أصحاب الترف والدعة والذين لزموا البيوت، واقبلوا على الملذات، وقعدوا عن طلب العلم، ولم يبذلوا فيه اي جهد، ولهذا لا يستغرب منهم ان يقولوا مثل هذا القول ويترفعوا عن قبول السنة والاحتجاج بها.

ولو انهم بذلوا شيئاً من الجهد، واطلعوا على العلم، وفقهوا كتاب الله تعالى، لما تكلموا بمثل ما نطقوا به، بل علموا ان امر الله تعالى في كتابه يوجب طاعة رسوله واتباع سنته ﷺ.

فأخبر رسول الله ﷺ بهذا الخبر عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه، وقد وجد تصديق ذلك فيما بعده، كلما جاء عصر ظهر للناس ناعق يقول بمثل هذا الرأي الأخرق الذي لا ثبات له.

وقد وردت أحاديث تبين ان الكتاب والسنة لا يفترقان، ولا يختلفان، عن ابي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ابداً: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٢٥].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنتي»[٢٦].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فماذا تعهد الينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢٧].

ولولا ثبوت الحجة بالسنة النبوية المطهرة، لما قال ﷺ في خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم: «الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع»[٢٨]، وقوله ﷺ في الحديث: «نضر الله امرءاً أسمع منا حديثاً فأداه كما سمعه فرب مبلغ اوعى من سامع»[٢٩].

قال الامام الشافعي: «فلما ندبه رسول الله ﷺ الى استماع مقالته وحفظها وأدائها، دل على انه لا يأمر ان يؤدي عنه الا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»[٣٠].

وعن أبي موسى الاشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم اني رأيت الجيش بعيني، واني انا النذير العريان، فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من اطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب بما جئت به من الحق»[٣١].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاءت ملائكة الى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: انه نائم، وقال بعضهم: ان العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: ان لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، من اجاب الداعي، دخل الدار واكل من المأدبة، ومن لم يجب

الـداعـي لـم يـدخـل الـدار ولـم يـأكـل مـن المأدبة».

فقالوا: أولوها له يفقهها، قال بعضهم: انه نائم، وقال بعضهم: ان العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار: الجنة، والداعي: محمد، فمن اطاع محمداً فقد اطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس»(٣٢).

الى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، ونكتفي بما دلت عليه هذه الأحاديث من وجوب اتباع السنة المطهرة، وان ذلك من امر الله عز وجل وليست من اختراع رسول الله ﷺ من قبل نفسه.

❖ من حجج الرافضين للسنة:

وقد احتج هؤلاء ببعض الحجج زيادة عن قولهم بأنهم يتبعون القرآن، وقد أجبنا عن ذلك بأن المتبع لكتاب الله يجب عليه ان يتبع السنة، لما ورد في كتاب الله من الآيات الواضحات بإيجاب ذلك.

ومن حججهم انهم قالوا: قال الله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾**(٣٣)، وقال سبحانه: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾**(٣٤)، فيقولون: اذا كان القرآن تبياناً لكل شيء، وما فرط الله فيه من شيء، فإن الاحكام هي احق الاشياء بالتبيين، وعدم التفريط فيها، وعليه فلا حاجة بنا الى دليل على الأحكام غير القرآن، ولا مسوغ للعدول عنه الى غيره.

فيجاب عن ذلك بما سبق بيانه بأن القرآن الكريم الذي يبين كل شيء، أوضح ان السنة حجة يجب اتباعها في كثير من الآيات، وان ما حرم رسول الله ﷺ من شيء، وما شرعه من امر، انما هو ما حرمه الله تعالى وشرعه، ولا حاجة الى ايراد الآيات الدالة على ذلك.

وكون القرآن الكريم تبياناً لكل شيء فذلك: بمبادئه التشريعية العامة التي قررها، الى جانب القليل من احكامه التفصيلية، وبطرقه التي ارشد اليها لمعرفة حكم ما لم ينص عليه في القرآن بالتفصيل، ومن جملة ما فيه، وما ارشد اليه هو وجوب اتباع الرسول والرجوع الى سنته فيما لا نص للقرآن فيه، والقرآن بهذا التفسير تبيان لكل شيء.

ومن هنا كانت احكام الشريعة من كتاب وسنة وما يلحق بهما ويتفرع عنهما من إجماع وقياس احكاماً من كتاب الله تعالى إما نصاً وإما دلالة، فلا منافاة بين حجية السنة وبين ان القرآن جاء تبياناً لكل شيء(٣٥).

قال الشافعي: «فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله ﷺ سننه بفرض الله طاعة رسوله على خلقه

وأن ينتهوا الى حكمه، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل لما افترض الله من طاعته، فيجمع القبول لما في كتاب الله ولسنة رسول الله، القبول لكل واحد منهما عن الله، وان تفرقت فروع الاسباب التي قبلت بها عنهما»[٣٦].

واحتجوا كذلك على ان الرسول ﷺ اتخذ الكاتبين من اصحابه لكتابة القرآن الكريم، ولكنه لم يشر على أحد منهم بكتابة السنة، بل نهى عن كتابتها، وقال كما ورد في صحيح مسلم: «من كتب عني غير القرآن فليمحه»[٣٧]، يقولون: فهذا دليل على ان السنة ليست قانوناً عاماً يجب تبليغه للمسلمين للقرآن، اذ لو كانت كذلك لأمر الرسول ﷺ بكتابتها كما أمر بكتابته.

والاجابة عن ذلك من وجوه:

١- قلة عدد الذين كانوا يعرفون الكتابة من العرب، وذلك لأميتهم التي شهد بها القرآن الكريم في عدد من الآيات، فلم يكن من المعقول الا ان يتوافر العدد الموجود ممن يجيد الكتابة على كتابة القرآن وحده دون الاهتمام بأمر آخر غيره، وذلك لأنه الاصل الأول من أصول الشريعة الذي جاء تبياناً لكل شيء والمعجزة الباقية على الزمان.

٢- ان رسول الله ﷺ قد عاش بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، مدة طويلة من الزمن تمتد ثلاثاً وعشرين سنة من عمر الدعوة، فكانت السنة تتمثل خلال هذه الفترة كلها بكل كلمة نطق بها رسول الله ﷺ في المنزل مع اهله او مع أحد من المؤمنين، أو من الكافرين في شؤون الدعوة أو غيرها كما يتمثل ذلك في افعاله التي كان يقوم بها انّى مضى، وحيث سار، وكتابة مثل هذا كله من العسر بمكان اذ يحتاج الى تفرغ كامل من الصحابة الذين يعرفون الكتابة ليكونوا دائماً على استعداد للكتابة، الألواح بين أيديهم، والأقلام بين اصابعهم لتسجيل ما يرونه وما يسمعونه، وقد كان ذلك متعذراً في الفترة المكية الأولى لقلة عدد الكتاب الذين كانوا يقومون بكتابة القرآن الكريم، كما كانت الكتابة متعذرة في الفترة المدنية الأولى لقلة عدد الكتبة ايضاً، ولكثرة الحروب والغزوات والسرايا التي كان يمضي اليها الأصحاب الكرام.

٣- اما اتخاذ كاتبين للقرآن فإنما كان حتى لا يختلف فيه لأنه المصدر التشريعي الأساسي، ولهذا السبب نفسه نهى عن كتابة السنة، وذلك حتى لا يختلط شيء من السنة الموجزة الحكيمة بالقرآن الكريم، مما لو حدث لكان خطراً على كتاب الله بفتح باب الشك فيه لأعداء الاسلام، مما يتخذونه قنطرة ينفذون منها الى المسلمين لحملهم على التحلل من أحكامه.

٤- ولهذا لما كان رسول الله ﷺ يأمن من اختلاط الكتاب بالسنة عند بعض الصحابة، وفي بعض المواطن كان يأذن بالكتابة كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله ﷺ اريد حفظه فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه الى فيه، وقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق»[٣٨].

وكانت كتابة عبد الله معروفة لدى الصحابة، فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه: «ما من اصحاب النبي ﷺ احد اكثر حديثاً مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٣٩].

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال: «ما كان احد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه، وكنت اعيه بقلبي ولا اكتب بيدي، واستأذن رسول الله ﷺ في الكتابة فأذن له»[٤٠].

وقد امر بالكتابة كما روى ابو هريرة رضي الله عنه «ان النبي ﷺ خطب فقال ابو شاه: اكتبوا لي يا رسول الله، يقصد ان تكتب له الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه»[٤١].

وفي أمر النبي ﷺ أمته بالتبليغ عنه، إباحة لكتابته وتقييده لأن النسيان من طبع اكثر البشر، ومن اعتمد على حفظه لا يؤمن عليه الغلط، فترك التقييد يؤدي الى سقوط اكثر الحديث، وتعذر التبليغ وحرمت آخر الأمة من معظم العلم، فلذلك دون الحديث تدويناً كاملاً، بعضه في زمانه ﷺ وبعضه بعد ذلك، وقد ذكر ذلك في كتب علوم الحديث.

هذا وقد اجمع جيل الصحابة في حياة النبي ﷺ وبعدها على التزام العمل بالسنة، واطاعته فيما قضى به، وافتى فيه، والسؤال عنها حتى يعرف اذا كان للرسول ﷺ سنة في الأمر المشكل، والمسألة النازلة.

وقد حمل العلماء النهي عن كتابة الحديث اذا كان ذلك في صحيفة واحدة مع القرآن الكريم حتى لا يختلط مع كتاب الله تعالى، وبخاصة في أول عهد الاسلام حيث كان الصحابة رضي الله عنهم لم يأخذوا على عبارات القرآن وألفاظه.

ثم لو فرضا ان حديث النهي عن كتابة الحديث غير منسوخ بالأحاديث الواردة بالأمر بها، او السماح بها، او غير مخصصة بعدم الاختلاط بالقرآن، فليس فيه المنع من الأخذ بالسنة، وانما غاية ما فيه المنع من كتابة السنة في حياة رسول الله ﷺ،

الهوامش:

١- الحجر: ٩ .

٢- النساء: ٨٠ .

٣- النجم: ٢-٣ .

٤- رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة والدارمي واحمد.

٥- النور: ٥١-٥٢ .

٦- النور: ٥٤ .

٧- الاحزاب: ٣٦ .

٨- الامام احمد في مسنده.

٩- الاحزاب: ٣٦ .

١٠- النساء: ٦٥ .

١١- حديث حسن.

١٢- الحشر: ٧ .

١٣- رواه احمد والشيخان.

١٤- الاحزاب: ٢١ .

١٥- آل عمران: ٣١ .

١٦- النساء: ٥٩ .

١٧- النور: ٦٣ .

١٨- أخرجه احمد والبخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

١٩- الشورى: ٥٢ .

٢٠- الأنبياء: ١٠٧ .

٢١- رواه الامام الشافعي في الرسالة ٢٩٥، واسناده صحيح، ورواه الامام احمد في المسند ٥٨/٦، ورواه ابو داود، كتاب السنة باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٥، ورواه الترمذي، كتاب العلم باب ما نهى عنه ان يقال عند حديث النبي ﷺ.

٢٢- عند ابن حبان «وما يعدله».

٢٣- رواه الامام احمد في المسند ١٣٠/٤-١٣١، والدارمي في سننه ١٤٤/١، وابو داود في كتاب السنة رقم ٤٦٠٤ .

٢٤- رواه الشافعي في الرسالة رقم ٢٩٥-٦٢٢-١١٠٦، بتحقيق شاكر رقم ٣١ و ٣٢ و ٣٣، في ترتيب مسند الشافعي.

٢٥-٢٦- اخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي.

٢٧- اخرجه ابو داود رقم ٤٦٠٧، وابن ماجة ١٠/١-١١، والحاكم في مستدركه ٩٥/١-١٩٧، وصححه هو والذهبي واخرجه البيهقي واحمد في مسنده رقم ١٧٢١٢ والترمذي ٣٢٨/٣ وقال: حسن صحيح.

٢٨- متفق عليه.

٢٩- رواه البخاري.

٣٠- الرسالة للشافعي ٥٥ .

٣١- رواه البخاري كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وكتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، ورواه مسلم، كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على امته رقم ٢٢٨٣، واخرجه ابن حبان في صحيحه ٣/١ ط شاكر.

٣٢- رواه الامام البخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

٣٣- الأنعام: ٣٨ .

٣٤- النمل: ٨٩ .

٣٥- السنة ومكانتها في التشريع ١٥٥ .

٣٦- الرسالة ٣٢ .

٣٧- رواه الامام احمد، المسند ١٧١/١، والامام مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب التثبيت في الحديث رقم ٣٠٠٤ .

٣٨- سنن الدارمي ١٢٥/١-١٢٦، وتقييد العلم للخطيب البغدادي بطرق كثيرة ٨٣٠٧٤، وجامع بيان العلم ٧١/١، واحمد ١٦٢/٢، و١٩٢ وابو داود كتاب العلم ١٨/٣، حديث ٣٦٤٦ .

٣٩- صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٤٠- احمد في المسند ٤٠٣/٢، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: اسناده حسن ٢٠٧/١ .

٤١- رواه البخاري في الصحيح، كتاب العلم باب كتابة العلم، وكتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة اهل مكة، وكتاب الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، في حديث طويل.

٢

الفتوى
بين أحكام الشرع ومقتضيات اللغة

▪ بقلم الأستاذ محمد البايك

ينقل ابو حيان النحوي في تذكرته مناظرة ذات مغزى في وجوب مراعاة اللغة العربية عند الفتوى، وما يترتب احياناً من لوم وغلط في عدم هذه المراعاة، فقد جرت مناظرة في مجلس الرشيد بين الكسائي رأس المدرسة الكوفية في النحو، وبين ابي يوسف القاضي صاحب ابي حنيفة، وكان القاضي يذم النحو ويقول: ما هو النحو؟! فأراد الكسائي ان يعلمه فضل النحو وحاجة القاضي والمفتي اليه، فسأله عن قول القائل: هن حواج بيت الله، ما الفرق بين هذه العبارة في إثبات الحج وعدم اثباته وبين قوله: هن حواجٌّ بيتَ الله!

فقال القاضي محمد: لا فرق، فقال الرشيد وكان له اهتمام بالعربية: اخطأت، فاستحى ابو يوسف، ثم قال: وكيف ذلك؟ قال: اللواتي ثبت لهن الحج هن المقول فيهن: حواج بيت الله على الاضافة لأنه بمثابة الاخبار عن شيء وقع، أما المقول فيهن: حواج بيت الله بالتنوين فلم يكن منهن حج بعد، لأنه بمثابة قولك: هن يحججن او سيحججن، قال تعالى: **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله﴾**[٢]، فكان ابو يوسف يمدح بعد ذلك النحو ويعظمه ويلتفت اليه[٣].

ويذكر ايضاً في هذا الصدد وفي ارتباط الحديث والفقه والفتيا بالنحو والعربية، ما نقله الزبيدي (٣٩٧هـ) في طبقات النحويين واللغويين عن ابي بكر بن شقير عن ابي جعفر الطبري، قال: سمعت الجرمي يقصد ابا عمر صالحاً بن اسحاق النازل في قبيلة جرم يقول: انا منذ ثلاثون أفتي الناس في

الفقه من كتاب سيبويه[٤] قال: فحدثت به محمد بن يزيد يقصد المبرد على وجه التعجب والانكار، فقال: انا سمعت الجرمي يقول هذا، وأومأ بيده الى أذنيه، وذلك ان ابا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش[٥].

وقصة النحوي الذي سئل في مسألة حدوث السهو في سجدتي السهو ما حكمه وهل يسجد له؟ فلما أجاب بالنفي سألوه ومن اين اخذت هذا من كتاب سيبويه؟ فقال: لأن المصغر لا يصغر مرتين!.

ولا نصل الى أوائل القرن الرابع الهجري، حتى نجد محاولتين جادتين في لفت النظر الى العلاقة بين دلالة الألفاظ والعبارات اللغوية عن التصريح بها في مجال حاسم كمجال الايمان والنذور والقسم، وبين دلالتها الشرعية ولأن اليمين على نية المستحلف، فقد وضع أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالمفجع البصري (٣٢٧هـ) كتاب المنقذ من الأَيمان في هذا الصدد، كما وضع معاصره الامام ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (٣٢١هـ) في الموضوع نفسه كتاباً سماه «الملاحن»، مصرحاً فيه بالغرض من تأليفه يقول: هذا كتاب ألفناه ليفزع اليه المجبر المضطهد على اليمين المكره عليها، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظالم، ويتخلص من حيف الغاشم[٦].

ومعنى تسمية كتابه بالملاحن، لأن اللحن عند العرب الفطنة وفي ذلك ينقل عنه عليه الصلاة والسلام «لعل احدكم الحن بحجته من بعض» اي افطن لها واغوص عليها، لأن اصل اللحن ان تريد شيئاً فتوري عنه بقول آخر[٧].

وبهذا عمد المؤلفان الى استغلال اللغة واستخدام الفاظها والتلاعب الذكي بدلالتها، مع اصطناع اسلوب التورية بإظهار الحالف المعنى الظاهر واستبطانه المعنى البعيد، وبهذا النمط اللغوي والفقهي يورد ابن دريد في كتابه الملاحن، ما يقارب مائتي عبارة في كل منها ملحن من هاته الملاحن، يخرج بدلالة الألفاظ عن الظاهر ثم يفسر هذا الملحن من اليمين والقسم، مستشهداً له بالشعر والنثر والقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، في نحو قولك: والله ما رأيت في هذه الدار انساناً، وانت تقصد بالانسان مياهاً معروفة بنجد كما تقول: والله ما عندي إوز ولا أملكه وتقصد بالإوز الرجل القصير الضخم، والإوزة المرأة كذلك لأن العرب تسمي صغار البط وكبارها إوز، قال الراجز: قد بعثوني راعي

الإوز[٨]، وتقول: والله ما رأيت لفلانة زوجتي بطناً ولا فخذاً، وقصدك بالبطن بطناً من العرب، وكذلك بالفخذ[٩]، وتقول حالفاً: والله ما رأيت فلاناً قط، ولا كلمته، اي ما ضربت رئته ولا جرحته[١٠]، والكلم الجرح والجمع كلوم وكلام وينسب الى الصديق قوله في الرثاء:

أجدك ما لعينك لا تنام

كأن جفونها فيها كلام*

وتقول في القسم: والله ما أعلمت فلاناً ولا أعلمني تقصد: ما شققت شفته العليا وقد قال جار الله:

ومن افلح الجهال ايقنت انني

انا الميم والأيام افلح اعلم

والميم من الحروف الشفوية لا يستطيع الاعلم مشقوق الشفة العليا اخراجه على وجهه، وخاصة اذا كان أفلح مشقوق الشفة السفلى[١١]، وتقول في القسم: والله ما لفلان عندي جارية ولا اغتصبته عليها، وتقصد بالجارية السفينة قال تعالى: ﴿**وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام**﴾[١٢] يعني السفن، وتقول: والله ما كسرت لفلان سناً ولا ضرساً، تقصد بالسن الثور الوحشي، قال الراجز: «يخور فيها كخوار السن»[١٤] والضرس قطعة من المطر تقع متفرقة في الأرض[١٤]، وتقول: والله ما كنت ساعياً قط ولا أصلح لذلك وتقصد بالساعي العامل على الصدقات، قال الراجز:

يا ايها الساعي على غير قدم

تعلمن ان الدواة والقلم

تبقى ويودي ما كتبت بالقلم[١٥]

اي ما كتبت في الصحيفة وتقول: والله ما نصح فلان فلاناً ولا يحسن ان ينصح، تقصد بالنصح الخياطة والمنصحة الابرة والنصاح الخيط الذي يخاط به وتقول: والله ما اعرف لفلان ليلاً ولا نهاراً، فالليل ولد الكروان، والنهار ولد الحبارى[١٦] الى غير ذلك مما ذكره مفصلاً في كتاب الملاحن.

وفي الفترة التي تلي هذا العصر تنبه احمد بن عبد الله بن سليمان المعري(٤٤٩هـ) الى هذا اللون من الدلالات المترددة بين المصطلح الشرعي والوضع اللغوي الاصلي، فأورد في رسالة الصاهل والشاحج قطعة طويلة النفس في اللحن، نحا فيها نحو ابن دريد آنف الذكر يقول فيها على لسان الشاحج* وهو صوت غير الصاهل من الحيوان ذي الحافر كالبغل والغراب مخاطباً البعير: ولست أسألك ما سألت الصاهل من حمل الشعير فإني

كرهت ان اتصور بصور اهل النظم المتكلفين، فعدلت عن ذلك الى تحميلك اخباراً مستطرفة لها في السمع ظاهر ولها في المعنى باطن انحو بها نحو ابن دريد في كتاب الملاحن[17].

ثم يقول له ملغزا: العلم يدل على ان الحسن.. لم ير الحسين قط، وان فاطمة لم تر علياً في بيتها وقد يجوز ان تكون رأته على باب البيت، وان الخل يجوز ان يكون فيما سلف، كان بحضرة علي بن الحسين رضي الله عنهما، فيتكلم ويسأله عن اشياء من امر الدين، وان محمد بن علي الباقر، وهو والد جعفر الصادق، لم ير في داره جعفراً قط، وكان علي رضي الله عنه يرحم الأرملة ويبر اليتيم ويضرب بحد سيفه ام الصبيين، وكان يأمر بقتل الأعرج والأعيرج وهما في الحرم، ويكره دخول الأعمى المسجد وكان ينصف الخسيس من اهل الاقدار، ويوطأ الجليل في زمانه بالقدم، وكان يلعن البقرة ولا يقول في الثور الا خيراً، ويصلي ان اتفق له فوق العنز، واكل الصقر ولم يأكل البازي لأنه من سباع الطير، وكان يعلم البازي افعال الصالحين فإن قبل منه، وإلا أدبه بالسيف أو السوط[18] فيستغرب البصير مثل هذا الكلام المحال في ظاهره، لمخالفته للواقع وللدلالات اللغوية التي تحته فيقول:

«دهدرين، سعد القين[19] ان جرفك لمتهدم، وانك لمجترئ على الكذب، وما يحسن بمثلي وأنا مخلف عامين ان ينقل باطلاً ولا يتحمل كذباً.. أعلى أهل البيت عليهم السلام تلع «اي تكذب» لعلك لهم ناصب «اي مبغض» فيصيبك عذاب واصب، ازعمت ان الريحانتين (يقصد الحسن والحسين) لم ير أحدهما الآخر، وحكمت ان السبطين لا يلتقيان! وهل فرق بينهما شيء الا الموت، وزعمت ان محمد بن علي لم ير جعفراً في داره، فمن الذي نقل ذلك اليك؟ أليسا بالمدينة قاطنين، افتظنهما كانا لا يتزاوران، وقد دلت الأخبار ان جعفراً رضي الله عنه كان يسكن مع ابيه في الدار برهة من الدهر، وأما قولك: ان الزهراء لم تر علياً رضي الله عنه في بيتها، فعليك بهلة الله* اين كانت تلقاه؟ في بيوت الناس ام على ظهور الصعدات**[20].

وزعمت ان الخل كان يحضر مائدة علي ابن الحسين فيسأل عن الحلال والحرام، وهل للخل ارب في ذلك، ما يشعر الخل أفي خابية القي ام لشاكي صفراء سقي! ولا يبالي اطبخ به لحم خنزير أم لحم فصيل؟

واما زعمك ان علياً كان يضرب ام الصبيين بسيفه، فإنما فعل ذلك لحدث أحدثته أوجب لها ان تضرب، وادعاؤك انه كان يكره دخول الأعمى المسجد كذب لم

يروه احد من الشيعة ولا من غيرهم، وما خلت المساجد في عصره عليه السلام من المكفوفين، وقد كف قوم من اصحاب رسول الله ﷺ، فما روي ان احداً منهم منع من المسجد، ولو علم هذا منك قوم يتوسلون في المساجد يخبطون الأرض بالعصي، لوقفوا لك في بعض طرقك وخبطوك بعصيهم خبط الراعي السلمة[٢١].

وبعد كلام طويل يعود ابو العلاء على لسان الشاحج فيقول: فيقدر الله سبحانه ان ينطق الشاحج فيقول: ألم أبدأ في خطابك بأني قد جمعت لك أخباراً من نحو ما ذكره ابن دريد في الملاحن! فإنا لله وانا اليه راجعون اذا قطعن علماً بدا علم استجرت من الرمضاء بالنار، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، انما الحسن والحسين كثيبا رمل الغزتهما عن الحسن والحسين رضي الله عنهما!

قال الشاعر: بحيث اضر بالحسن السبيل، يقصد الكثيب وقال في الحسين: تركنا بالثنية من حسين: نساء الحي يلقطن الجمانا، والعلي الفراش الشديد الصلب والاشتقاق يدل على انه العالي، فهذا الذي عنيت بقولي: ان فاطمة لم تر علياً في بيتها، والخل الرجل المهزول، والجعفر النهر الكثير الماء؟ فهذا الذي عنيت بأن الباقر رضي الله عنه لم ير جعفراً في داره قط، ألغزته عن جعفر الصادق.

وأم الصبيين: المرأة التي لها صبيان لأن العرب تردد ذلك فيقولون: ام الصبي وأم الصبيين، والأعرج الذي عنيت ان علياً رضي الله عنه كان يأمر بقتله في الحرم هو الغراب او الذئب، لأنهما جارحان وقتلهما مباح في الحرم مندوب اليه[٢٢]، والأعيرج ضرب من الحيات، والأعمى السيل والفحل الهائج من الابل، ويقال: اعوذ بالله من الأعميين، ولا ريب ان علياً رضي الله عنه كان يكره دخول هذه الأشياء المسجد[٢٣] والجليل الذي ذكرته في حديث علي يحتمل امرين: احدهما ان يعنى به الثمام «المشار اليه في قول بلال يتصبر عن حمى المدينة متمثلاً:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بمكة حولي اذخر وجليل

وانما قلت: وكان ينصف الخسيس من اهل الاقدار، الغازاً ليتوهم السامع ان الجليل ها هنا يعني به الجليل من الناس[٢٤] وقولي: كان يلعن البقرة، عنيت به جمع باقر، وهو الذي يبقر بطن المرأة او الرجل، ومعلوم من سيرة علي رضي الله عنه كان يلعن من فعل ذلك، وذكرت الثور بعد ذلك ملغزاً «ولا يقول في الثور الا خيراً» والعنز «في يصلي فوق العنز» هو الأكمة السوداء قال الراجز:

وعلم أخرس فوق عنز، والصقر: الدبس* ألغزته عن الصقر من الطير في «وأكل الصقر ولم يأكل البازي» والبازي الذي كان يعلمه أخلاق الصالحين، هو البازي في معنى الظالم القاهر، ويقال: بزاه اذا ظلمه وقهره(٢٥).

ولا نغادر هذين القرنين الرابع والخامس، دون ان نذكر على سبيل التناسب ما لاحظه ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم البستي الخطابي (٣٨٨هـ) في رسالته حول اصلاح غلط المحدثين، وكان كما يصفه ابن الجوزي في المنتظم، ذا فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه، وله اشعار جيدة بالاضافة الى علمه بالحديث وكان فقيهاً ثقة ثبتاً كما كان إماماً في الفقه والاجتهاد.

وقد لاحظ رحمه الله تساهل المحدثين في نقل بعض الفاظ الحديث على سبيل اللحن والغلط، فربما نقلها الفقهاء عنهم كذلك، فتشيع على وجه الخطأ وينسى فيها الصواب، وقد سمي كتابه ايضاً بإصلاح الألفاظ الحديثة التي يرويها اكثر الناس محرفة ملحونة(٢٦).

وهذه الرسالة جزء من كتابه المشهور في غريب الحديث الذي طبع بآخره، اورد فيه نحواً من مائة واربعين حديثاً فيها ألفاظ يخطئ رواة الحديث في ضبطها، أو في معناها، أشار الى صحة ضبطها ومعناها، فقال رحمه الله بعد سند متصل من نقلة الكتاب اليه ومن بين رجاله الشيخ الامام الصالح المتقن ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي القرطبي (٥٧٠هـ) قراءة عليه في داره بمراكش سنة ثمان وستين وخمسمائة، قال: حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب (٥٢٠) قال بعد ذكر رجلين في السند: قال ابو سليمان الخطابي رحمه الله: هذه الفاظ من الحديث يرويها اكثر الرواة والمحدثين ملحوظة ومحرفة أصلحناها لهم وأخبرنا بصوابها، وفيها حروف تحتمل وجوهاً اخترنا منها أبينها وأوضحها والله الموفق للصواب(٢٧).

فمن ذلك قوله عليه السلام عند دخول الخلاء: «اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث» فأصحاب الحديث يروونه الخبث ساكنة الباء وكذلك رواه ابو عبيد في كتابه وفسره فقال: اما الخبث فإنه يعني الشر، وأما الخبائث فإنها الشياطين، قال ابو سليمان: وانما هو الخبث مضموم الباء جمع خبيث، واما الخبائث فهو جمع خبيثة استعاذ بالله من مردة الجن ذكورهم وإناثهم، فأما الخبث ساكنة الباء، فمصدر خبث الشيء يخبث

خبثاً وقد يجعل اسماً(٢٨).

قال ابن الاعرابي: اصل الخبث في كلام العرب: المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وان كان من الملل فهو الكفر، وان كان من الطعام فهو الحرام، وان كان من الشراب فهو الضار، واما الخبث مفتوحة الخاء والباء فهو ما تنفيه النار من رديء الفضة والذهب ونحوهما، فأما الخبثة فالريبة والتهمة، يقال: هو ولد الخبثة اذا كان لغير رشده، ويقال: لا خبثة اي لا تهمة فيه من غصب او سرقة او نحوهما(٢٩).

ويورد ايضاً قولة السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ املككم لإربه»، واكثر الرواة يقولون: لاربه والأرب انما هو اسم العضو، وانما المقصود الارب مفتوحة الراء والألف وهو الوطر والحاجة حاجة النفس والوطر(٣٠).

ومن ذلك حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بطول الطوليين يرويه المحدثون بطول الطوليين، قال: هو خطأ فاحش لأن الطول: الحبل وانما هو بطولي تأنيث أطول، والطوليين تثنية الطولى يريد انه كان يقرأ فيها بأطول السورتين يريد الانعام والاعراف، قال الشاعر:

فاعضضته الطولى سناماً وخيرها

بلاء وخير الخير ما يتخير(٣١)

وكذلك قوله عليه السلام: «انما انسى لأسن» يرويه عوام الرواة: انسى خفيفة السين على وزن ادعى، وليس بجيد، انما معنى انسى اي ينسى ذكره او ينسى عهده وما اشبهه والاجود ان يقال: اي ادفع الى النسيان(٣٢)، ومن هذا قوله ﷺ: «لا يقولن أحدكم: نسيت آية كيت وكيت انما أنسيت»(٣٣).

وفي حديثه عليه السلام الذي يرويه ذو اليدين، قال: فخرج سرعان الناس «البخاري» يرويه العامة سرعان الناس مكسورة السين ساكنة الراء، وهو غلط والصواب سرعان بنصب السين وفتح الراء هكذا يقول الكسائي.

قال ابو سليمان: ومما سبيله انه يهمز لدفع الاشكال، وعوام الرواة يتركون الهمز فيه قوله ﷺ في الضحايا: «كلوا وادخروا وائتجروا» «الدارمي ٧٩/٢ والمسند ٧٥/٥» اي تصدقوا طلب الأجر والمحدثون يقولون: واتجروا فيقلب المعنى فيه عن الصدقة الى التجارة، وبيع لحوم الاضاحي فاسد غير جائز، ولولا موضع الاشكال وما يعرض من الوهم في تأويله لكان جائزاً ان يقال: واتجروا بالادغام كما قيل في الأمانة: أتمن الا ان الاظهار هنا واجب، وهو مذهب

الحجازيين، يقال: ائتزر فهو مئتزر وائتدع فهو مؤتدع وائتجر فهو مؤتجر قال ابو دهبل:

يـا ليـت أنـي بأثوابـي وراحلتـي

عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر[٣٤]

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري على التقريب، يترك لنا ابو محمد القاسم بن علي الحريري (٥١٦) مقاماته الشهيرة في غريب اللغة وألغازها وطرائفها، وكان عالماً بالعربية والفقه واللغة جميعاً، وقد استفاد فيما يظهر في إحدى مقاماته من احمد بن فارس الرازي من اهل القرن الرابع آنف الذكر من خلال كتاب له سماه: فتيا فقيه العرب، وذلك في مقامته الثانية والثلاثين التي أدارها على تقمص ابي زيد السروجي بطل مقاماته الشهير دور فقيه العرب، ووفادته على بني حرب ايام الحج في نواحي الحجاز وهو يقول عارضاً معرفته وسعة اطلاعه: «سلوني عن المعضلات واستوضحوا من المشكلات، فوالذي فطر السماء، اني لفقيه العرب العرباء، فعمد اليه فتى فتيق اللسان، جريء الجنان، فقال: اني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم، فهم مائة فتيا! فإذا كنت ممن يرغب عن بنات غير (يقصد الباطل) ويرغب من في مير (يقصد الزاد) فاستمع وأجب، لتقابل بما يجب! فقال ابو زيد السروجي: الله أكبر! سيبين المخبر، وينكشف المضمر، فاصدع بما تؤمر! فقال الفتى: ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله؟ قال: انتقض وضوؤه من فعله (يقصد بظهر نعله: الكناية عن زوجه) قال: فإن توضأ ثم اتكأه البرد! قال: يجدد الوضوء من بعد (يقصد بالبرد: النوم) قال: أيجوز الوضوء مما قذفه الثعبان، قال: وهل ماء انظف منه للعربان (يقصد بماء الثعبان: جمع ثعب وهو مسيل الوادي) قال: أيستباح ماء الضرير، قال: نعم ويجتنب ماء البصير؟ (يقصد بالضرير حرف الوادى والبصير الكلب) قال: أيحل التطوف في الربيع، قال: يكره ذلك للحدث الشنيع (يقصد بالربيع: النهر الصغير يكره وينهى عن التغوط فيه): قال: أيجب الغسل على من أمنى؟ قال: لا ولو ثنى! (اي من نزل بمنى) **وهكذا الى ان أتى على أسئلته المائة المليئة بالغريب**[٣٥] **مما أبرز به حاجة المفتي الى معرفة ما تحت الألفاظ من المعاني الدقيقة، وإلا اخطأ في الجواب وخانه الصواب!.**

ولا نغادر هذا الموضوع دون ان نشير

الى صنيع البرهان بن فرحون ابراهيم برهان الدين (٧٩٩هـ) من اهل القرن الثامن الاياني ثم الجياني الاصل، وقد استقر آباؤه بتونس فترة ثم رحل منهم من رحل الى المدينة المنورة التي ولد بها هذا الفقيه والقاضي المالكي، العلم وصاحب اشهر كتاب في فقه القضاء المسمى بتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، وصاحب الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، وصاحب كتاب كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب في مصطلحات السادة المالكية، وإرشاد السالك الى أفعال المناسك، ودرة الغواص في محاضرة الخواص، وهذا الكتاب الأخير في الألغاز الفقهية الذي كان به رائداً في المدرسة المالكية، مرتباً هذه الألغاز على أبواب الفقه وقد بلغ بها اكثر من ستمائة لغز يفتتح كل واحد بقوله: فإن قلت.. ويجيب بقوله: «قلت» مستعملاً اسلوب النثر وقد يصوغ اللغز في عبارة أخرى فيقول: وان شئت قلت: يقول في أوله: ومن احسن ما اجم به نفسه (اي طالب العلم) محاضرة الطلاب بألغاز فروع الأصحاب لأنها تحد الأذهان وتفتح الجنان، وتفاضل بين الأقران، والعمل بها ثابت في الصحيح، وهي في البخاري نص صريح[٣٦]، **وهذا النوع يسميه العلماء الألغاز، وأهل الفرائض يسمونه المعميات، والنحاة يسمونه المعمى، واللغويون يسمونه الأحاجي**، ولم أقف للمالكية على تأليف من هذا النوع يقتفي به ويتبع، فقيدت من ذلك ما تستطرف به المذاكرة وتستجلى به المحاضرة[٣٧] وسميته بدرر الخواص في محاضرة الخواص[٣٨]، ومن اشهر الألغاز التي اوردها محققه في القاضي ملغزاً به عن الميزان البيتان المشهوران:

وقاضي قضاة يفصل الحق ساكتا

وبالحق يقضي لا يبوح فينطق

قضى بلسان لا يميل وان يمل

على احد الخصمين فهو مصدق[٣٩]

ومن هذه الألغاز في موضوع البهيمة المملوكة، التي تصول على انسان فيقتلها دفاعاً عن نفسه ولا يكون عليه ضمان على قول، هذا اللغز اعمى صال وقتل ولا ضمان عليه، وجوابه ان الاعمى هنا للفحل[٤٠].

ومن هذه الألغاز: رجل قال: أول ما تزوج ابي وأمي كنت مدركا! فكيف ذلك؟ وجوابه انه ابن رجل استولد أمته، فلما ادرك الولد اعتق ابوه أمه وتزوج بها فحضر الولد هذا

الهوامش:

١- المائدة: ٩٥ .

٢- الكهف: ٢٣-٢٤ .

٣- تذكرة النحاة ٣٤٨ لأبي حيان النحوي.

٤-٥- طبقات النحويين واللغويين ص٧٥ .

٦-٧- الملاحن ص١٥ .

٨- الملاحن ص٥٨ .

٩-١٠- الملاحن ص١٨-١٩ .

* قال الاصمعي معناه: أبجد منك هذا؟ منصوب بطرح الباء وقال ابو عمر: نصب على المفعولية المطلقة والتقدير مالك؟ أجدا منك؟ واجازوا في الجيم الفتح والكسر وما في الشعر بغير الواو ومكسور مع الواو نحو وجدك لم أحفل بما قام عودي ومنه قوله: اجدك لا ترضى العباءة ملبساً.

١١-١٢- الملاحن ٢٠، والسورة سورة الرحمن.

١٣- نفسه ٢١ .

١٤- نفسه ٢٢

١٥-١٦- نفسه ٢٤ .

* شحج البغل والغراب صهل بصوت غليظ.

١٧- رسالة الصاهل والشاحج ٢١٩، بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

١٨- نفسه ٢٢٢-٢٢٣ .

١٩- الدهدر: الكذب والقين: الحداد والمثل يقال للشيء الباطل، وسعد القين معروف بالكذب وأصل دهدرين، ده درين يعني نوعين من الدر قاله لبعض تجار العجم، يلبس عليهم وهو يبيع لهم الخرز في صورة الدر، فقيل على سبيل التكذيب لمن يأتي بشيء زور، وقيل غير ذلك.

٢٠- نفسه ٢٣٥ .

* بهلة الله: اي لعنته واصله في بهلت الناقة اذا تركتها والمباهلة الملاعنة.

** جمع صعدة للاتان الطويلة وصعدة اسم على الارض.

٢١- نفسه ٢٣٨ .

٢٢-٢٣- نفسه ٣٥٤ .

٢٤- نفسه ٣٥٥ .

* الدبس بالكسر: عسل التمر والعنب والنحل والجمع الكثير من الناس والدبس لغة فيه وهو بالفتح للأسود من كل شيء.

٢٥- نفسه ٣٥٦ .

٢٦- مقدمة تحقيق اصلاح غلط المحدثين ص١٠ .

٢٧- اصلاح غلط المحدثين ١٩ .

٢٨- نفسه ٢٢ .

٢٩- نفسه ١٢ .

٣٠- نفسه ٢٦ .

٣١-٣٢-٣٣- اصلاح ٢٧ .

٣٤- اصلاح ٣١ .

٣٥- انظر مقدمة تحقيق درة الغواص ص٢١-٢٥ بتحقيق محمد ابي الاجفان وعثمان بطيخ، دار التراث، القاهرة (د ت).

٣٦- نفسه ٦٣ .

٣٧- نفسه ٦٢ .

٣٨- نفسه ٦٣ .

٣٩- مقدمة المحقق ٣٦ .

٤٠- مقدمة المحقق ٣٧ .

٤١- مقدمة المحقق ٤١ .

١

البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى

■ بقلم الدكتور محمد علوي المالكي

سيدتنا خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدية، تجتمع مع النبي ﷺ في جده قصي الذي جمع القبائل القرشية.. وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤلي بن غالب، فأكرم بهذا النسب الطاهر الذي هو نسب أشرف الحبائب، وقد حفظها الله تعالى من ارجاس الجاهلية، فأحاط عرض هذه السيدة الزكية، وصانه من كل أذية وبلية، برعايته وعنايته الباهرة، ولذلك كانت تلقب بالسيدة الطاهرة، فما اجل هذه المنحة الفاخرة، واشتهر تلقيبها بالكبرى لعظم شأنها في المعاهد الأخرى، وهي بذلك أحق وأحرى.

وقد ولدت رضي الله عنها قبل ولادته ﷺ بنحو خمس عشرة سنة، فنشأت في بيت طاهر طيب الأعراق، على اكمل السير المحمودة وأحسن الأخلاق، فكانت رضي الله عنها متكاملة حسناً وعقلاً، وجمالاً وفضلاً، حازمة رشيدة في جميع أمورها، حسنة التدبير والتصرف في جميع شؤونها، ذات فراسة قوية، وهمة علية، لها نظر ثاقب، ومعرفة دقيقة بالعواقب، اغناها الله تعالى بسعة النعم، وكثرة الخدم والحشم، ومنّ عليها ذو الجلال والاكرام بكثرة الأموال، فكانت تستأجر الرجال، ليتاجروا في ذلك بالحلال، فتضاربهم[1] عليه بشيء معلوم، ويستفيد بذلك الجميع على العموم.

وظهرت اسرار تلك الأخلاق المرضية، والأوصاف الحسنة الزكية، فيما بلغته بين قومها في الجاهلية، من مكانة علية، ورتبة سنية، وشهرة قوية، فهي الدرة الثمينة

الطاهرة الرزينة، دوحة المجد الطيبة الفروع، وشجرة الفرد اليانعة الأفراد والمجموع.

اللهم انشر نفحات الرضوان عليها وامدنا اللهم بالأسرار التي أودعتها لديها اللهم صل وسلم على زوجها الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد أراد الله تعالى لهذه السيدة الطاهرة، ان تجمع بين شرف الدنيا وعز الآخرة، فوصلت اليها أخبار سيد المرسلين ﷺ وأخذت تتعرف عليها بتدبر وتفكر ويقين، فرأت انه المجمع على فضله المبين، وانه ﷺ المشهود له بأنه التقي الأمين، وانه الصادق المصدق، والكريم الذي لا يلحق ولا يسبق.

فعلمت ان معاملة مثل هذا ناجحة، ومتاجرته ان شاء الله رابحة، فما كان منها الا ان بعثت اليه، وعرضت مشروعها التجاري عليه، وهو ان يتجر لها في مالها، وتعطيه افضل ما تعطيه لعمالها، فقبل ذلك ﷺ وخرج بتجارتها من البلد الحرام، قاصداً بلاد الشام، وهذه هي الرحلة الثانية، ولم يثبت انه ﷺ سافر الى الشام الا في هاتين المرتين، في عامين مختلفين، كما ذكره بعض الحفاظ المرجوع اليهم، المعول على قولهم.

وارسلت معه ميسرة الغلام، واوصته عليه وأمرته ان يكون قائماً بخدمته حق القيام، فألقى الله محبة النبي ﷺ في قلبه، حتى أخذت بعقله ولبه، وخدمه فأخلص خدمته، وصحبه فأحسن صحبته.

ورأى بعينه شيئاً من اسراره، وسمع بأذنه ما سمع من أخباره، ومن ذلك ما حدثه به الراهب نسطورا، وهو حق ليس بخرافة ولا اسطورة اذ قال ذلك الراهب وقد رأى اشرف الحبائب نزل تحت شجرة هناك: من هذا الذي يفوق بدر الأفلاك؟ فقال ميسرة: هذا رجل من الكرام، من اهل البلد الحرام، فقال له الراهب وهو واثق مما يقول: ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي أو رسول[٢]، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة لا تفارقه؟ قال: نعم، قال: هذا آخر نبي فهنيئاً لمن يصدقه.

ثم في تلك الأثناء، وقع بين سيد الأنبياء ورجل كان في تلك الأنحاء خلاف في ثمن بعض المشتريات، فقال له الرجل: احلف بالعزى واللات، كما يجري بينهم في مثل تلك الحالات، فقال سيد السادات: والله ما حلفت بهما، واني لأمر فأعرض عنهما، فقال الرجل: القول قولك، والرأي عندك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبي تشرفنا به في سوقنا، وانه لتجده أحبارنا منعوتاً في كتبنا.

ومن ذلك انه كان يرى في كل تلك المدة القصيرة، سحابة تظله دون الجميع في وقت الظهيرة، وقيل فيما روي: انه كان يرى ملكين، يظللان سيد الكونين، ولما اتم ﷺ مهمته وباع سلعته، رجع الى مكة، وقد اكتسب خيرات كثيرة، وجاء بأرباح وفيرة، فسرت بذلك أيما سرور، وحمدت فعله المشكور، ونظرت اليه بعين الاكبار والاحترام، واكرمته غاية إكرام، وتأثرت بشخصيته كل التأثير، فأكنت له في نفسها عظيم التقدير، وزاد ذلك عندها بعدما حدثها ميسرة بما شاهده من الآيات، وعجائب الأحوال وخوارق العادات، التي هي للنبوة دلائل واضحات، حدثها عن السحابة التي صحبته في سفره، فكانت نعم الصاحب، وعن كلام ذلك الراهب، وعن طاعة الابل وطي الأرض له، والتوفيق الذي لازمه في سفره كل الملازمة، وتلك الرمال والحجارة التي لانت تحت مواطئ قدميه، وكل ذلك وعاه بقلبه ورآه بعينيه، وحدثها بما رآه من حسن سيرته، في خلقه ومعاملته، مع ما سبق لها معرفته عنه من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكريم أخلاقه وديانته.

فأصبحت هذه الصفات والأخلاق العلية، مثبتة متيقنة لديها جلية، فأحست بعارض غريب، عن صورة وحقيقة ذلك الحبيب، وتحيرت من امر نفسها، وأصبحت قلقة بين قلبها وعواطفها، فقد رفضت بالأمس القريب الكثير من الرجال، من ذوي الوجاهة والمال، وردتهم خائبين متحسرين، لرفضها طلبهم المتين.

ولما اراد الله تعالى لها السعادة الأبدية، والشرف والفضل على نساء البرية، ترجح عندها ان لا تفوت هذه الفرصة الذهبية؛

واستبانت خديجة انه الكنز

الذي حاولته والكيمياء

فاختارت لنفسها الزكي الأمين، سيد ولد آدم اجمعين، ومن لاحت في وجهه علامات النبل والجمال، وتكاملت فيه خصال الكمال والجلال، وبدت عليه امارات السيادة وظهرت منه اشارات النجابة والقيادة، فما كان منها الا ان ارسلت اليه، وعرضت نفسها عليه، فخطبت الرسول الاعظم والنبي الأكرم ﷺ، وقالت له: يا ابن العم، اني قد رغبت فيك لقرابتك، وشرفك، وسامي منزلتك وقدرك، وفي رواية[٣]، انها ارسلت له نفيسة بنت أمية دسيساً اليه فقالت له: ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال: ما في يدي شيء، فقالت له: فإن كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة؟ قال: ومن؟ قالت له: خديجة فأجاب.

ورأته خديجة والتقى والزهد

فيه سجيـــة والحيـــاء

وأتاها ان الغمامة والسرح

اظلتــه منهمـــا افيـــاء

وأحاديث ان وعد رسول الله

بالبعث حان منـــه الوفـــاء

فدعته الى الزواج وما أحسن

ما يبلـــغ المنـــى الأذكيـــاء

وقد ألهم الله تعالى نبينا ﷺ الموافقة، فكانت خطوة مباركة موفقة، فشاور اعمامه الكرام وأيدوه على ذلك الكلام، فتقدم حمزة فكلم عمها وقيل: أباها والصحيح ان اباها خويلد قد مات قبل حرب الفجار، ثم حضر رؤساء قريش يتقدمهم ابو طالب، فكان هو لسان حالهم المتكلم الخاطب، فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ(٤) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وامر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله يعد هذا له نبأ عظيم، وخطب جليل».

ثم قام ورقة بن نوفل فقال: «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها، وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم، فاشهدوا علي يا معشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على اربعمائة دينار» ثم سكت، فقال ابو طالب: قد احببت ان يشركك عمها، فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وشهد على ذلك صناديد قريش.

وقد جاء في سيرة ابن هشام، انه عليه افضل الصلاة والسلام، اصدقها عشرين بكرة سنية، وقيل: اثنا عشر اوقية من ذهب ونصف اوقية، وكل هذا لا يعارض ما جاء في خطبة ورقة بن نوفل السابقة من ان الصداق اربعمائة درهم، اذ يمكن الجمع بينهما بتقويم الثمن بذلك، او ان احد الاشياء مهر والآخر هدية من عمه ابي طالب للسيدة خديجة، أو انه ﷺ زاد ذلك في صداقها على صداق عمه، فكان الكل صداقاً.

وتزوج نبينا الأمين ﷺ أم المؤمنين رضي الله عنها، وقد اتم خمساً وعشرين وأتمت هي الأربعين.

قال صاحب قرة الأبصار:

واذ الى مكة عاد وافتتح

ستاً وعشرين من العمر نكح

خديجة من بعد اربعينا

مضت لها من عمرها سنينا

وقد نحر ﷺ جزوراً او جزورين، وقرت بذلك من المحبين العين، وانشرحت منهم الصدور، وعم الفرح والسرور وطلع سعد السعود، وانكمد الفؤاد المفئود، وغدا الحسود لا يسود وهو مهموم، وقال ابو طالب: الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب والغموم، وقال في ذلك الراجز في قوله المنظوم:

لا تزدهي خديج في محمد

نجم يضيء كإضاء الفرقد

ولما تزوجت خديجة سيد ولد عدنان، كان قد تزوجها قبله رجلان، وهما هند ابو هالة ابن زارة من بني عدي، وعتيق بن عائذ بن مخزوم القرشي، وقد اختلفوا في تعيين الثاني من الأول، وليس في ذلك نص صريح عليه يعول، وقد كان عندها من الذرية من غير خير البرية، عبد مناف وهند، وهما من زوجها عتيق، وقيل: ان هنداً هذه أسلمت وفازت بالصحبة والتصديق، وولدت لأبي هالة ولداً سموه هنداً، وهو صحابي جليل ممن شهد بدراً وأحداً، وقد روى حديثاً مشهوراً في صفة النبي ﷺ، وقتل يوم الجمل مع سيدنا علي ذي الوجه المكرم، وذكر بعضهم أنه مات بالبصرة في الطاعون، وكان قد مات في ذلك اليوم سبعون ألفاً كلهم مسلمون، فشغل الناس بجنائزهم وتركت جنازته ولم يوجد من يحملها فصاحت نادبته:

واهند ابن هنداه

واريب رسول الله ﷺ

فلم تبق جنازة الا وتركت وأما جنازته فحملت، وازدحم عليها الناس فامتلأت بهم المواضع، وما حملت الا على اطراف الأصابع، وقال بعضهم: ان الذي مات في الطاعون ابن هذا المذكور، ويسمى بهند ايضاً والخلاف في ذلك مشهور، وكان فصحياً بليغاً وصافاً محسناً، وصف رسول الله ﷺ فكان مجيداً متقناً، وكان يقول: انا اكرم الناس اباً وأماً وأخاً وأختاً، ابي رسول الله، وأمي خديجة التي عنها رضي الله، وأخي القاسم عليه السلام، وأختي فاطمة عليها الرحمة والاكرام، ولخديجة من ابي هالة ابنان غير هذا المذكور، احدهما الطاهر

والآخر هالة والأول غير مشهور.

وكان لها رضي الله عنها مواقف مع زوجها مشكورة، فلا تذكر قصة الوحي والبعثة الا وهي معها مذكورة، وسنذكر مسألة الوحي من أولها، لنعرف مقدار هذه السيدة وفضلها.

فاعلم ان اول ما بدئ به رسول الله ﷺ من النبوة التي تفضل بها عليه مولاه تعالى، انه كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال: السلام عليك يا رسول الله، وغير ذلك من الارهاصات التي أشهرها الرؤيا الصادقة، فكان ﷺ لا يرى رؤيا في نومه الا وكانت لا محالة واقعة، وحبب الله اليه الخلوة، فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده، فكان يجاور من كل سنة شهراً في حراء، مشتغلاً بالعبادة والتفكر في ملكوت الأرض والسماء.

وكان اذا خرج الى حراء تتكفل خديجة بكل حاجاته، وتحقق له كافة رغباته، وتهيء له الطعام والشراب، وتيسر له ما تستطيع من الأسباب، فيقطع لمقصوده ويقبل على معبوده، وهو مرتاح البال، من كل المتعلقات والاشغال، فاذا طالت غيبته عليها، تركت كل ما لديها وخرجت تتلمسه في مكانه الذي تعود الذهاب اليه، وقلبها يخفق من شدة خوفها عليه، حتى اذا رأته مستغرقاً في وحدته، منجمعاً على فكرته، رجعت ولم تكلمه لئلا تقطعه عن خلوته، وتبقى منتظرة موعد عودته، لتعمل جاهدة على إزالة وحشته، وإدخال السرور الى قلبه، والسعادة الى نفسه ﷺ.

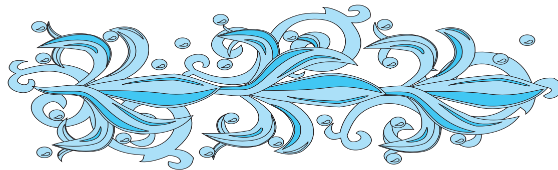
يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- المضاربة: هي اعطاء الرجل ماله لآخر يتجر فيه وله جزء من الربح.

٢- اي ما نزل تحتها هذه الساعة الا نبي، ولم يرد انه ما نزل تحتها قط الا نبي.

٣- رواه الواقدي وهو الأليق والمناسب بحال المرأة وخصوصاً كالسيدة



أهل الصفة في عهد رسول الله ﷺ

■ بقلم الدكتور عبد المجيد المعلومي

أعقب هجرة المسلمين من مكة الى المدينة المنورة، ظهور مشكلة تتعلق بمعيشة المهاجرين الذين تركوا بيوتهم واموالهم ومتاعهم بمكة، فراراً بدينهم من طغيان المشركين.

ولا شك ان بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم الى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على اقتصاد المدينة، وليست للمهاجرين خبرة زراعية، فمجتمع مكة تجاري، كما انهم لا يملكون ارضاً زراعية في المدينة، وليست لديهم رؤوس أموال، فقد تركوا اموالهم بمكة، وقد وضع الانصار امكاناتهم في خدمة المهاجرين، لكن بعض المهاجرين بقي محتاجاً الى المأوى.

واستمر تدفق المهاجرين الى المدينة المنورة، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من أهل المدينة، فكان هؤلاء الغرباء بحاجة الى مأوى مدة إقامتهم، ولا شك ان النبي ﷺ فكر في ايجاد المأوى للفقراء المقيمين، وحانت الفرصة عندما تم تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة، وذلك بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً من هجرته ﷺ الى المدينة(١)، حيث بقي حائط القبلة الأولى في مؤخر المسجد النبوي، فأمر النبي ﷺ به فظلل أو سقف واطلق عليه اسم الصفة أو الظلة(٢)، ولم يكن لها ما يستر جوانبها.

ولا نعرف سعة الصفة، ولكن يبدو انها كانت تتسع لعدد كبير حتى ان النبي ﷺ استخدمها في وليمة حضرها ثلاثمائة شخص، وان كان بعضهم قد جلس في حجرة من حجرات ازواج النبي ﷺ الملاصقة للمسجد(٣).

واول من نزل الصفة المهاجرون، لذلك نسبت اليهم، فقيل: صفة المهاجرين[٤]، وكذلك كان ينزل بها الغرباء من الوفود التي كانت تقدم على النبي ﷺ معلنة اسلامها وطاعتها، وكان الرجل اذا قدم على النبي ﷺ وكان له عريف* نزل عليه، واذا لم يكن له عريف، نزل مع اصحاب الصفة[٥]، فكان ابو هريرة رضي الله عنه عريف من سكن الصفة من الطارقين، فكان النبي ﷺ اذا اراد دعوتهم عهد الى ابي هريرة فدعاهم لمعرفته بهم.

والى جانب المهاجرين والغرباء نزل بعض الانصار في الصفة حباً لحياة الزهد والفقر، رغم استغنائهم عن ذلك ووجود دور لهم في المدينة، ومنهم كعب بن مالك الأنصاري[٦]، وحنظلة بن ابي عامر الأنصاري «غسيل الملائكة»، وحارثة بن النعمان الانصاري.. وغيرهم رضي الله عنهم.

وكان عددهم يختلف باختلاف الأوقات، فهم يزيدون اذا قدمت الوفود الى المدينة ويقلون اذا قل الطارقون من الغرباء، على ان عدد المقيمين منهم في الظروف العادية كان في حدود السبعين رجلاً[٧].

لكن عدد من سماهم ابو نعيم اثنان وخمسون فقط، منهم خمسة نفى ابو نعيم ان يكونوا من اهل الصفة، وابو نعيم وحده الذي يقدم الينا قائمة بأسماء المشهورين من اهل الصفة، وهو ينقل من مصدر اسبق لا يصرح باسمه، ولعله الكتاب الذي صنفه ابو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ) في اهل الصفة[٨].

وفيما يلي قائمة بأسماء اهل الصفة كما ذكرها ابو نعيم[٩]، مضافاً اليهم من ذكرتهم بقية المصادر ممن لم يذكرهم ابو نعيم، وهم:

١- ابو هريرة، حيث نسب نفسه اليهم[١٠].

٢- ابو ذر الغفاري، حيث نسب نفسه اليهم[١١].

٣- واثلة بن الأسقع[١٢].

٤- قيس بن طفهة الغفاري، حيث نسب نفسه اليهم[١٣].

٥- كعب بن مالك الأنصاري[١٤].

٦- سعيد بن عامر بن خديم الجمحي.

٧- سلمان الفارسي.

٨- اسماء بن حارثة بن سعيد الأسلمي.

٩- حنظلة بن ابي عامر الأنصاري (غسيل الملائكة).

١٠- حازم بن حرملة.

١١- حارثة بن النعمان الانصاري النجاري.

١٢- حذيفة بن اسيد ابو سريحة الانصاري.

١٣- حذيفة بن اليمان، وهو من المهاجرين، حالف الأنصار فعد في جملتهم.

١٤- جارية بن جميل بن شبة بن قرط.

١٥- جعيل بن سراقة الضمري.

١٦- جرهد بن خويلد (وقيل: ابن رزاح الأسلمي[١٥].

١٧- رفاعة ابو لبابة الأنصاري.

١٨- عبد الله ذو البجادين.

١٩- دكين بن سعيد المزني وقيل: الخثعمي[١٦].

٢٠- خبيب بن يساف بن عنبة.

٢١- خريم بن فاتك الأسدي.

٢٢- خنيس بن حذافة السهمي.

٢٣- خباب بن الأرت.

٢٤- الحكم بن عمير الشمالي.

٢٥- حرملة بن أياس، وقيل: هو حرملة بن عبد الله العنبري.

٢٦- زيد بن الخطاب.

٢٧- عبد الله بن مسعود.

٢٨- الطفاوي الدوسي.

٢٩- طلحة بن عمرو النضري.

٣٠- صفوان بن بيضاء الفهري.

٣١- خريم بن أوس الطائي.

٣٢- صهيب بن سنان الرومي.

٣٣- شداد بن أسيد.

٣٤- شقران مولى النبي ﷺ.

٣٥- السائب بن خلاد.

٣٦- سالم بن عمير، من الأوس من بني ثعلبة.

٣٧- سالم بن عبيد الاشجعي.

٣٨- سفينة مولى النبي ﷺ.

٣٩- سالم مولى ابي حذيفة.

٤٠- ابو رزين.

٤١- الأغر المزني.

٤٢- بلال بن رباح.

٤٣- البراء بن مالك الانصاري.

٤٤- ثوبان مولى النبي ﷺ.

٤٥- ثابت بن وديعة الأنصاري.

٤٦- ثقيف بن عمرو بن شميط الأسدي.

٤٧- سعد بن مالك ابو سعيد الخدري.

٤٨- العرباض بن سارية[١٧].

٤٩- غرفة الأزدي[١٨].

٥٠- عبد الرحمن بن قرط[١٩].

٥١- عباد بن خالد الغفاري[٢٠] رضوان الله عليهم أجمعين.

ينقطع اهل الصفة للعلم ويعتكفون في المسجد للعبادة، ويألفون الفقر والزهد، فكانوا في خلوتهم يصلون ويقرؤون القرآن ويتدارسون آياته ويذكرون الله تعالى، ويتعلم بعضهم الكتابة حتى أهدى أحدهم قوسه لعبادة بن الصامت رضي الله عنه لأنه كان يعلمهم القرآن والكتابة[٢١]، واشتهر بعضهم بالعلم وحفظ الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل ابي هريرة رضي الله عنه الذي عرف بكثرة حديثه، وحذيفة بن اليمان الذي اهتم بأحاديث الفتن.

لكن انقطاع اهل الصفة للعلم والعبادة، لم يعزلهم عن المشاركة في أحداث المجتمع والاسهام في الجهاد، بل كان منهم الشهداء ببدر، مثل صفوان بن بيضاء وزيد بن الخطاب، وخريم بن فاتك الاسدي وخبيب ابن يساف وسالم بن عمير وحارثة بن النعمان الانصاري، ومنهم من استشهد بأحد مثل حنظلة الغسيل[٢٢]، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد، ومنهم من استشهد بأُحد مثل حنظلة الغسيل[٢٢]، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد، ومنهم من استشهد بخيبر، ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبد الله ذو البجادين، ومنهم من استشهد باليمامة مثل سالم مولى ابي حذيفة[٢٣]، نعم هكذا كانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار.

اما ملابسهم فلم يكن لأهل الصفة ما يقيهم من البرد او يسترهم ستراً كاملاً، فليست عندهم اردية، فكانوا يأتزرون بالكساء، وكانوا يخلون من الظهور بملابسهم أحياناً لأنها لا تسترهم ستراً كاملاً، وسرعان ما كانت تتسخ ملابسهم، فجوانب الصفة مكشوفة للهواء والتراب[٢٤].

وكان طعامهم التمر، حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم يخص كل رجلين منهم مداً من تمر في كل يوم، وقد اشتكوا من اكل التمر، وقالوا: انه أحرق بطونهم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع ان يوفر لهم طعاماً غيره، فصبّرهم وواساهم[٢٥]، وكان كثيراً ما يدعوهم الى تناول الطعام في بيته، لكنه لم يتمكن من تقديم الطعام الجيد لهم، ففي بعض الروايات سقاهم لبناً، ومرة اطعمهم جشيشة «طحين ولحم أو تمر مطبوخ» ومرة

اخرى حيسة «طعام من التمر والدقيق والسمن» وناولهم في احدى المرات الثريد[٢٦]، وكان ﷺ يعتذر اليهم اذا لم يكن الطعام جيداً، فقد قدم لهم مرة صحفة فيها صنيع من شعير، وقال: «والذي نفس محمد بيده ما امسى في آل محمد طعام ليس شيئاً ترونه»[٢٧].

رغم كل هذا كانت الأخوة وآدابها تحكم علاقتهم ببعضهم، وقد حكى ابو هريرة رضي الله عنه انهم كانوا اذا اجتمعوا على أكل التمر وأكل أحدهم تمرتين معاً قال لأصحابه: «اني قرنت فأقرنوا»! لئلا ينال من التمر أكثر منهم[٢٨].

لقد قنعوا بالقليل من الطعام والخشن من الثياب، وعافت نفوسهم القصور لينقطعوا الى العبادة والعلم والمجاهدة، فكانوا أمثلة للزهد والترفع عن الدنيا.

وكان النبي ﷺ يزور اهل الصفة ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم، كما كان ﷺ يكثر مجالستهم ويرشدهم ويواسيهم ويذكرهم ويوجههم الى قراءة القرآن الكريم ومدارسته وذكر الله والتطلع الى الآخرة، وتشجيعهم على احتقار الدنيا وعدم تمني الحصول على متاعها[٢٩]، وكان ﷺ اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً، واذا أتته هدية أصاب منها وأشركهم فيها[٣٠]، وقد طلب ﷺ من بنته فاطمة رضي الله عنها ان تتصدق عليهم لما ولدت الحسن رضي الله عنه بوزن شعره من الفضة[٣١].

وقد أوصى النبي ﷺ الصحابة بالتصدق على أهل الصفة، فجعلوا يصلونهم بما استطاعوا من خير، فكان اغنياء قريش يبعثون بالطعام اليهم، وكان النبي ﷺ يوزع اهل الصفة بين اصحابه بعد صلاة العشاء ليتعشوا عندهم، ويقول: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وان اربع فخامس او سادس، فيأخذ الصحابة بعضهم ومن بقي منهم يصحبهم النبي ﷺ الى داره فيتعشون معه»[٣٢].

وقد اقترح محمد بن مسلمة الأنصاري وآخرون من الأنصار على النبي ﷺ ان يخرج كل واحد منهم قنواً* من بستانه حين ينضج التمر لأهل الصفة والفقراء، فوافق على ذلك، ووضع في المسجد حبلاً بين ساريتين فأخذ الناس يعلقون الأقناء على الحبل.

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقوم على حراسة الأقناء، وتشير رواية أخرى الى ان النبي ﷺ هو الذي اشار على الناس بالتصدق بقنو من ثمار بساتينهم ليرفع الله

الهوامش:

١- صحيح البخاري ١٠٤/١ كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة.

٢- السمهودي، وفاء الوفا ٣٢١/١ .

٣- صحيح مسلم، حديث رقم ٩٤ كتاب النكاح .

٤- ابو داود، السنن ٣٦١/٢ كتاب الحروف.

* العريف: النقيب او القيم بأمور القبيلة او الجماعة، لسان العرب، مادة عرف.

٥- احمد، المسند ٤٨٧/٣ .

٦- ابن ابي حاتم، كتاب الجرح والتعديل ١٦٠/٣ .

٧- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٣٩/١ .

٨- حاجي خليفة، كشف الظنون ٢٨٦/١ .

٩- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٤٨/١ وما بعدها.

١٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٥٦/١ .

١١-١٢- ابن سيد الناس، عيون الأثر ٣١٧/٢ .

١٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٥٦/١ .

١٤- ابن ابي حاتم، كتاب الجرح والتعديل ١٦٠/٣ .

١٥- ابو داود، السنن ٣٦٣/٢ كتاب الحمام، باب النهي عن التعري. احمد، المسند ٤٧٩/٣ .

١٦- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٦٥/١ .

١٧- ابن حجر، الاصابة ترجمة رقم ٥٥٠٥ .

١٨- الاصابة، ترجمة رقم ٦٩١٣ .

١٩- الاصابة، ترجمة رقم ٥١٩٠ .

٢٠- الاصابة، ترجمة رقم ٤٤٦٣ .

٢١- ابو داود، السنن ٢٣٧/٢ .

٢٢- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٧٣/١ .

٢٣- المصدر السابق ٣٦٧/١-٣٧٠ .

٢٤- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٤١/١ .

٢٥- احمد، المسند ٤٨٧/٣ .

٢٦- صحيح البخاري ٦٨/٨-١١٩ .

٢٧- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٥٦/١ .

٢٨- ابو نعيم، حلية الأولياء ٣٣٩/١-٣٤٠ .

٢٩- احمد، المسند ٨/٤ .

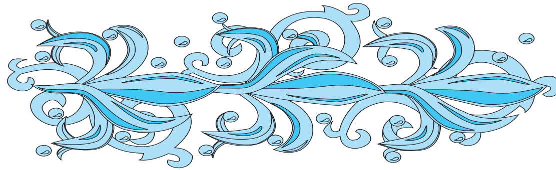
٣٠- المصدر السابق ٥١٥/٢ .

٣١- البيهقي، السنن ٣٠٤/٩ .

٣٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٥٥/١ .

* القنو: العذق بما فيه من الرطب وجمعه اقناء «لسان العرب مادة قنا».

٣٣- السمهودي، وفاء الوفا ٣٢٤/١-٣٢٥ .



من الأسس الشرعية والأخلاقية في الحوار

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد القادر الشيخلي

الحوار في الاسلام، يخضع لضوابط شرعية وأخلاقية، وذلك لأنه الأسلوب الأنجع في نشر الدعوة الاسلامية عالمياً، فالشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة هي الطريق في الدين[١]، أما الخلق فهو حال النفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية[٢]، والأخلاق كلها، الجميل منها والقبيح، هي مكتسبة، ويمكن للانسان متى لم يكن له خلق حاصل، ان يحصل لنفسه خلقاً[٣]، ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: «حسّنوا أخلاقكم»[٤].

وتتطلب الأسس الشرعية والأخلاقية للداعية في حواره السليم، ان يتحلى بفضائل أخلاقية ويطبقها في حياته الخاصة، كما يتعين عليه النأي عن الرذائل الأخلاقية وألا يقترفها مطلقاً، فالمحاور المسلم هو من عُرف بفضائله كما عرف بورعه وخشيته من اقتراف اي منكر او عورة او شر، وكلما تطابق لسان المحاور مع سلوكه العملي في ظل قبة الشريعة السامقة، كان حواره منتجاً لثماره اليانعة.

ونظراً لسعة هذه المباحث فسأكتفي بأبرزها:

أولاً: الاستقامة في الحياة:

الاستقامة في اللغة: الاعتدال والاستواء، يقال: استقام له الأمر، اي اعتدل واستوى، وطريق مستقيم: اي الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شُبه طريق الحق(٥) قال تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** الفاتحة: ٦ .

واختلفت عبارات السلف في تفسير

الاستقامة وبيان المراد منها، فقد سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: ان لا تشرك بالله شيئاً، وقال عمر رضي الله عنه: الاستقامة ان تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ عنه روغان الثعلب، وقال عثمان رضي الله عنه: الاستقامة الاخلاص، وقال علي رضي الله عنه: الاستقامة اداء الفرائض.

وقال بعض أهل الحق: الاستقامة على ثلاثة أضراب: استقامة باللسان، واستقامة بالجنان، واستقامة النفس، فالاستقامة باللسان.. المداومة على كلمة الشهادة، والاستقامة بالجنان.. المداومة على صدق الارادة، والاستقامة بالنفس.. المداومة على العبادة والطاعات[٦].

وقال الراغب الاصفهاني[٧]: استقامة الانسان لزومه للمنهج المستقيم، نحو: **﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** فصلت: ٣٠، والأولى ان يقال في تعريفها[٨]: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها، فلا بد ان يكون الانسان مستقيماً في الوسط غير مائل في طرفي الافراط والتفريط، وان يستقيم على امر الله فيعمل بطاعته في الظاهر والباطن، ويتجنب معاصيه كلها.

والخلاصة: ان الاستقامة تعني الاعتدال في جميع الأمور من الأقوال والأفعال، والمحافظة على جميع الأحوال التي تكون فيها النفس على افضل حال وأكملها، فلا يظهر منها قبيح، ولا يتوجه اليها ذم ولا لوم[٩].

ثانياً: القدوة الحسنة:

ينبغي ان يكون المحاور الداعية قدوة حسنة لغيره، اي ان يكون سلوكه ناصعاً فاضلاً جليلاً لا عكس ذلك، قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم

ولذلك قيل: «ان الناس على دين ملوكهم» والمقصود بالدين هنا، التصرفات والمعتقدات التي يدين بها الحاكم فيحذو أفراد الشعب حذوهم.

ان مكارم الأخلاق التي كان يدعو اليها رسول الله ﷺ، كانت متمثلة فيه بأجلى وأعمق معانيها، ولذلك، أثمرت دعوته اليها، وصار صحابته الكرام يتشبهون به في كل صغيرة أو كبيرة، فكانوا بؤرة الإشعاع القوي الذي انطلقت منه أضواء الدين الاسلامي الحنيف، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية فيما لا يزيد عن ربع قرن، فأصبحت تمتد

من بلاد الفرس شرقاً الى أقاصي المغرب.

لقد قال الله جل وعلا: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** الأحزاب: ٢١ والأسوة هي القدوة، فالأسوة من الاتساء، كما ان القدوة من الاقتداء.

لقد كان رسول الله ﷺ علاوة على خصاله الحميدة، ورغم ما عرف عنه من رفق ولين، مقاتلاً شجاعاً لا يبالي بالمخاطر ما دام يُقاتل في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمة الدين[١٠].

ثالثاً: مراعاة آداب الكلام:

يتعين على المحاور ان يتعلم من القرآن الكريم آداب الكلام، فيكون كلامه كما أراد رب العالمين، ومن ذلك:

أ- القول السديد، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾** الأحزاب: ٧٠ .

ب- القول الحق، قال تعالى: **﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق﴾** الأعراف: ١٦٩ .

ج- القول المطابق للفعل، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾** الصف: ٢-٣ .

د- القول المعروف، قال تعالى: **﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾** البقرة: ٢٦٣ .

هـ- القول الليّن، قال تعالى: **﴿فقولا له قولاً ليناً﴾** طه: ٤٤ .

و- القول الحسن والأحسن، قال تعالى: **﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾** الاسراء: ٥٣، وقال: **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾** الزمر: ١٨، وقال: **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً﴾** فصلت: ٣٣ .

ز- القول الطيب، قال تبارك وتعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** فاطر: ١٠ .

ح- القول الأثقل: الآيات القرآنية، لذلك يجب ان يستشهد بها المحاور والداعية، قال تعالى: **﴿انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** المزمل: ٥ .

ط- أزكى كلمة، أزكى كلمة وأطيبها كلمة التوحيد «لا إله الا الله» قال تعالى: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ❖ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾** ابراهيم: ٢٤-٢٥ .

بينما أقبح كلمة هي الكفر، قال تعالى:

﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ ابراهيم: ٢٦ .

لذلك حرم الله سبحانه وتعالى ان يتفوه المسلم بألفاظ منافية للشريعة، مثال ذلك:

١- **الكذب والزور**، قال تعالى: **﴿واجتنبوا قول الزور﴾** الحج: ٣٠، وقال تعالى: **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا﴾** الكهف: ٥ .

٢- **الجهر بالسوء الا من ظلم:** قال تعالى: **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم﴾** النساء: ١٤٨ .

٣- **التناقض في القول:** قال رب العزة: **﴿إنكم لفي قول مختلف﴾** الذاريات: ٨، وقال عز وجل: **﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾** البقرة: ٥٩ .

٤- **زخرف القول:** قال تعالى: **﴿يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً﴾** الأنعام: ١١٢ .

رابعاً: التواضع:

من الآداب التي جاءت بها شريعة الاسلام لتنظيم المحاورات والمجادلات التي تدور بين الناس: التواضع وتجنب الغرور والتزام الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق.

فسيدنا سليمان عليه السلام الذي أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد بعده يتفقد جنوده، فلا يرى الهدهد من بينهم، فيتوعده، ويأتي الهدهد بعد ذلك، فيقول لسليمان عليه السلام بكل شجاعة: **﴿أحطت بما لم تحط به﴾**، ويقبل سليمان عليه السلام بكل تواضع حجة الهدهد، ويكلفه بحمل رسالة الى تلك الملكة التي أوتيت من كل شيء، لها عرش عظيم، فيوصل الرسالة إليها، وتنتهي قصة هذه الملكة بأن تقول: **﴿اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾**.

واستمع الى القرآن الكريم وهو يحكي عن سليمان عليه السلام جانباً من هذه القصة البديعة فيقول: **﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين ❖ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ❖ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ❖ اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾** النمل: ٢٠-٢٣ .

وهكذا نرى ان الجندي الصغير في الأمة التي يظلها العدل والأمان، لا يمنعه صغره من ان يرد على الحاكم الكبير، وان يدافع عن نفسه بكل حرية وشجاعة، ونرى ان الحاكم الكبير يقابل رده بكل تواضع، ويفسح له المجال في ان يدلي بكل حججه، وان يضعها موضع التحقيق والاختبار.

وهكذا الأمم العاقلة الرشيدة لا يهان

فيها الصغير، ولا يُظلم فيها الكبير، وان التحاور بين العقلاء يقوم على التواضع واعطاء كل ذي حق حقه دون تكبر أو غرور.

وانظر الى تلك المحاورة التي دارت بين شعيب عليه السلام وبين قومه، تراها تمتاز من جانب شعيب عليه السلام بالتواضع والأدب والحكمة والشجاعة، انه يقول لهم بكل لطف ورقة: **﴿يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾** هود: ٨٨ .

وتأمل تلك التوجيهات السديدة التي يلقنها القرآن الكريم للنبي ﷺ آمراً إياه ان يقولها لقومه بكل تواضع وشجاعة وحكمة فيقول: **﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ❖ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون ❖ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾** سبأ: ٢٤-٢٦ .

ويقول عز وجل: **﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير﴾** الشورى: ١٥ .

ان الحوار او النقاش او الجدال الذي يدور بين الناس، اذا كان يقوم على التواضع والاحترام المتبادل بين الاطراف، وعلى الاسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق، كانت نتائجه طيبة وآثاره حميدة، لأنه -في الأعم الأغلب- يوصل الى الحقيقة المرجوة، والى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من اجلها الحوار، اما الحوار او النقاش او الجدال الذي يكون مبعثه الغرور والتعالي، والتفاخر والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد ان يأتي بنتيجة توصل الى حق أو حقيقة أو اتفاق(١١).

والتواضع خلق اسلامي كريم تحلى به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وجعله الله تعالى من صفات عباده المؤمنين، وهو يعني خضوع المسلم للحق، ولين الجانب، والبعد عن الكبر والغرور، فمن كان متواضعاً لا يستعلي على الناس بنسبه وماله وجاهه، لأن الله تعالى طهّر قلبه من الكبر الذي يتنافى مع إيمانه بربه، الذي خلق الناس جميعاً من نفس واحدة.

وللتواضع في الاسلام صور كثيرة في مجالات الحياة المتعددة، مثل التواضع في اللباس، والمظهر وفي المأكل والمشرب وفي المشية، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من

كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[١٢] وينكر الاسلام تحريم الزينة المباحة، والتمتع بالطيب من المأكل والمشرب.. قال رسول الله ﷺ: «.. وما تواضع احد لله الا رفعه الله»[١٣].

وتواضع المؤمنين نابع من عقيدتهم وصلتهم بربهم، فقد اطمأنت نفوسهم بالإيمان، وظهر أثر ذلك في سلوكهم وجميع مظاهر حياتهم، وللتواضع آثار إيجابية تعود على الفرد والمجتمع، منها: ان المؤمن المتواضع يحبه الله تعالى، وترتفع مكانته في الدنيا والآخرة، ويحبه الناس فتنشأ بينه وبينهم الألفة والثقة، فإن كان أباً أو مربياً يقتدون به، ويقبلون نصحه، وان كان عالماً معلماً يقبل الناس عليه، وان كان طالب علم أحبه زملاؤه واحترموا رأيه.

وكذلك فإن المسؤول المتواضع ينال محبة الناس، ويكسب ودهم، ويبتعد عن كل ما فيه من إضرار بالمصلحة العامة، والقائد المتواضع يبني الثقة بينه وبين جنوده، ويساعد على تحقيق النصر والفوز على الأعداء[١٤].

حكايات:

١- عن شريح القاضي قال: «لما توجّه علي رضي الله عنه الى صفين افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع الى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال: نصير الى القاضي، فتقدم علي فجلس الى جنب شريح، وقال: لولا ان خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكني سمعت النبي ﷺ يقول: «أصغروهم حيث أصغرهم الله» فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم هذا الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب، فقال شريح: ايش تقول يا يهودي؟ فقال: درعي وفي يدي، فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، غلامي قُنبر والحسن يشهدان ان الدرع درعي، فقال شريح: شهادة الإبن لا تجوز للأب، فقال علي: رجل من اهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت النبي ﷺ يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة» فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد ان هذا هو الحق، وان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله، والدرع درعك»[١٥].

٢- استعدى رجل على علي بن ابي طالب رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلي جالس، فالتفت اليه فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس

مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع علي الى محله، فتبين عمر التغيّر في وجهه، فقال: يا ابا الحسن، ما لي اراك متغيراً؟ أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك، فاعتنق عمر علياً وجعل يقبل وجهه، وقال: بأبي أنتم بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات الى النور[١٦].

٣- ذكر أحمد بن اسحق الحلبي، قال: سمعت عمر بن سيّار المنبجي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: وجّه اليّ هارون الرشيد، فسألني ان أحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ان العلم يؤتى ولا يأتي، قال: فصار الى منزلي فاستند معي الى الجدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، ان من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، قال: فجلس بين يدي، قال: فقال بعد مدة يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينة[١٧] فلم ننتفع به[١٨].

خامساً - الحياء:

الحياء خلق كريم يدعو صاحبه الى الالتزام بالفضائل، ويمنعه من القيام بكل ما هو قبيح، والحياء زينة المسلم، وهو ثمرة من ثمار الايمان، قال رسول الله ﷺ: «الايمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الايمان»[١٩]، فالحياء خلق المؤمنين الأتقياء، يعصمهم به الله تعالى من الوقوع في المعاصي، وهو أمارة صادقة تكشف عن الايمان الذي غمر قلوبهم، وقد اتفقت دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على استحسان الحياء والتحلي به، والدعوة اليه لأن الحياء لا يأتي الا بالخير.

وعكس الحياء البذاء، وهو فحش في القول والفعل ووقاحة في الكلام ومجاهرة بالمعاصي أمام الناس، وهذا خلق مذموم، عواقبه وخيمة، قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الايمان والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[٢٠].

أنواع الحياء:

الحياء ثلاثة أنواع، هي:

١- **الحياء من الله تعالى:** وذلك بالامتناع عن المعاصي والذنوب في السر والعلن، فلا ينظر الى محرم، ولا يعق والديه، ولا يأكل الحرام، ويلتزم بأداء الطاعات امتثالاً لأمر الله تعالى، وشعوراً برقابته وعظيم حقه، كمحافظته على الصلاة والصيام.

٢- **الحياء من الناس:** وذلك بأن يمتنع عن المجاهرة بالمعاصي أمام الناس، والتحدث في المجالس عن الفواحش، فالمسلم الذي يستحيي من الناس لا يؤذيهم،

ولا يقصر في أداء حقوقهم.

٣- الحياء من النفس: وذلك بأن يكون للنفس سلطان على صاحبها، فتحاسبه قبل ان يحاسبه الناس، فيستشعر رقابتها عليه وقيمتها عنده، وبذلك تسمو نفسه فتصبح نفساً لوامة تكبحه عن الشر، وتدفعه الى الخير(٢١).

سادساً: العفة:

العفة هي: ضبط النفس عن الانسياق وراء الشهوات، والترفع عن الوقوع في المحرمات، وهي خلق اسلامي حث الاسلام عليه بقول الله تعالى: ﴿**ومن كان غنياً فليستعفف**﴾ النساء: ٦، وقول الرسول ﷺ لأناس من الأنصار: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله»(٢٢).

أنواع العفة:

العفة انواع كثيرة منها:

١- عفة اللسان: خلق الله تعالى للانسان لساناً، يكون به ذاكراً لربه، شاكراً لأنعمه، مسبحاً بحمده، وليتلو به القرآن، ويعلم به الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليخاطب الناس به عمّا يجول بخاطره، والمسلم العفيف الذي يقدّر هذه النعمة، يجند لسانه لكل ما ذُكر، فيجنبه الكلام الفاحش البذيء فلا يسب ولا يذم ولا يقبّح، ولا يغتاب ولا ينم، ولا يسخر ولا يستهزئ وقد بين الرسول الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه مخاطر هذا اللسان وانه غالباً ما يكون سبباً في عذاب الناس يوم القيامة، بقوله ﷺ: «وهل يُكب الناس في النار على وجوههم «او على مناخرهم» الا حصائد ألسنتهم»(٢٣).

٢- العفة في كسب الأموال، ومن صور ذلك:

أ- الترفع عن أخذ الأجر على اعمال الخير، الا اذا كان محتاجاً ومن الأمثلة على ذلك أن الله تعالى أمر الأوصياء بالمحافظة على أموال اليتامى، والعمل على تنميتها ودعاهم للتنزه عن أخذ الأجرة على ذلك تعففاً إن كانوا أغنياء، أما اذا كانوا فقراء فليأخذوا منها بالمعروف.

ب- الترفع عن اموال الصدقات وسؤال الناس، فقد شجع الاسلام على كسب الحلال والابتعاد عن الكسب الحرام، فيكون المسلم بذلك عفيف النفس، وقد أثنى الله تعالى على جماعة من فقراء المؤمنين، وقفوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله تعالى، ولم يستطيعوا الكسب، وقد كانوا مع فقرهم لا يسألون الناس شيئاً، بل يتجملون بالصبر والعفة يحسبهم من يجهل حالهم أغنياء

لتعففهم عن إظهار الحاجة، حتى لا تجرح كرامتهم، قال الله تعالى: **﴿يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾** البقرة: ٢٧٣ .

ج- الترفع عمّا في أيدي الناس، فالمؤمن يرضى بما قسم الله تعالى له من الرزق والخير، فلا يتطلع الى ما عند غيره من متاع الدنيا وزينتها مثل الأنعام والسيارات والأبنية والمزارع.. وغير ذلك، قال الله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾** طه: ١٣١ .

٣- العفة عن الوقوع في الفاحشة، وذلك بالابتعاد عن كل ما يؤدي اليها من النظر الى العورات وظاهر الفتنة، والاغراء والتبرج، ومجالس الاختلاط المحرم، ومواطن الشبهات وغير ذلك، وقد قص لنا القرآن الكريم لهذا النوع من العفة، قصة سيدنا يوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز عن نفسه، فصبر وقاوم دواعي الشهوة والاغراء بإصرار وعزيمة، طلباً لمرضاة الله تعالى، وترفعاً عن الخيانة، فتوجه الى ربه بالدعاء ان يحفظه من الوقوع في الفاحشة، فاستجاب دعاءه وأعفه الله تعالى، وصرف عنه الفتنة، قال تعالى مبيناً ذلك: **﴿قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين ❖ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾** يوسف: ٣٣-٣٤[٢٤].

سابعاً- الحلم:

الحلم سيد الأخلاق، ويعني التغاضي عن المسيء والعفو عنه وكظم الغيظ، قال الإمام الشافعي (توفي ٢٠٤هـ-٨٢٠م):

لما عفوت ولم أحقد على أحد
ارحت نفسي من هم العداوات

اني أحيي عدوي عند رؤيته
لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه
كما إن قد حشى قلبي محبّات

وقال ايضاً:

اذا ما كنت ذا فضل وحلم
بما اختلف الأوائل والأواخر

فناظر من تناظر في سكون
حليماً لا تلح ولا تكابر

يفيدك ما استفاد بلا امتنان
من النكت اللطيف والنوادر

وإياك اللجوج ومن يرائي
يأتي قد غلبت ومن يفاخر

الهوامش:

١- الجرجاني، التعريفات، ص١٦٧ .

٢- مسكويه، ابو علي احمد بن محمد الخازن توفي ٢٤١هـ ١٠٣٠م، تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الامريكية ١٩٦٦، ص٣١ .

٣- الفارابي «ابو نصر محمد بن طرخان، توفي ٣٣٩هـ- ٩٥٠م» التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق د. جعفر آل ياسين، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص٥٥ .

٤- الغزالي، احياء علوم الدين ج٣، ص٤٠ .

٥- ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٩٨ .

٦- الخوبري، درة الناصحين ٢١٠ .

٧- الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن ص٤١٨ .

٨- ابن رجب، جامع العلوم والحكم ص١٧٨ .

٩- د. أحمد بن يوسف الديويش، الاستقامة، الرياض، دار بلنسية، ١٤١٥ - ١٩٩٩م.

١٠- محمد كامل حسن المحامي، الأخلاق في القرآن الكريم، بيروت المكتب العلمي للطباعة والنشر ص٢٤ وما بعدها.

١١- د. محمد سيد طنطاوي، ص٣٠ .

١٢- صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

١٣- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

١٤- مجموعة من المؤلفين، التربية الاسلامية، عمان، وزارة التربية والتعليم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٢٦ .

١٥- السيوطي «جلال الدين عبد الرحمن»، تاريخ الخلفاء، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجارية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، ص١٨٤ .

١٦- ابن ابي الحديد «عبد الحميد المدائني» شرح نهج البلاغة، ج١٧، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ص٦٥ .

١٧- هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي سنة ١٩٨هـ، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، في التوسع انظر الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبعة الهند، سنة ١٣١١هـ الجزء الأول ص٣٩٧ .

١٨- وردت هذه الحكاية لدى: ابو هلال العسكري «الحسن بن عبد الله بن سهل -توفي بعد ٤٠٠هـ ١٠٠٩م» الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق د. عبد المجيد دياب، القاهرة، دار الفضيلة ١٩٩٨م، ص٨٤ .

١٩- صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان عدد شعب الايمان.

٢٠- سنن الترمذي، ابواب البر والأدب والصلة، باب ما جاء في الحياء.

٢١- مجموعة مؤلفين التربية الاسلامية، ص١٣٨ .

٢٢- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة.

٢٣- سنن الترمذي، أبواب الايمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة.

٢٤- مجموعة مؤلفين التربية الاسلامية، ص١٤٢ .

نقاط القوة والضعف في أداء خريجي كليات الشريعة في سوق العمل

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

ان رسالة الإسلام الخالدة، ما وصلت الى ما وصلت اليه من المجد والعزة والرفعة والسؤدد، الا بتوفيق الباري جل وعلا، ثم بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة وعلمائها الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس ونذروا لله حياتهم، فكانوا جنوداً أوفياء، دعاة حق وفضيلة، حملوا مشاعل الهدى والتقى، وأضاءوا للبشرية دروب الخير والسعادة، وبددوا فيهما ظلمة القلوب فأنارت بنور الإيمان.. قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1]، وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[2].

من هنا تأتي أهمية أهل الحق ومكانتهم «وإذا كان ذلك كذلك فمن الواجب على كليات الشريعة، أن تعد الدعاة والخطباء للقيام بالواجب الشرعي المناط بهم، لتكون هذه الكليات فاعلة في بناء الفرد والمجتمع، ولا يتحقق ذلك الا بالعلم والعمل والصدق في القصد»[3].

«وان من وظيفة كليات الشريعة وخطباء المنابر، مراقبة سير الأمة حتى اذا رأوا ايجابية من تآلف بين الناس أو محافظة على المرافق العامة والخاصة، أو حماية لأمن الوطن والمواطن أو تعاون للبناء، أو تحاور هادف، ان يعظموا هذه الايجابيات في النفوس وأن يكون منهم الثناء العاطر على قائلها أو فاعلها والداعي اليها، ليعم الخير في بلدنا هذا وفي سائر بلاد المسلمين، بل

ليعم الخير في العالم وعندئذ تنعم شعوب الأرض بالأمن والأمان، لأن دعوتنا الإسلامية دعوة ربانية عالمية»[٤].

❖ المبحث الأول: نقاط القوة:

لا شك أن كل إنسان له وعليه، والكمال ليس الا لله وحده، لكن السعي نحو الأفضل والأكمل والأحسن، ضرورة شرعية ومطلب إنساني نابع من سلامة العقل والفكر واستقامة الفطرة والوجدان، الأمر الذي يحتم على المسلم حامل رسالة الإسلام ان يكون في طليعة ركب من سار نحو تحقيق أسمى الأهداف وأجلّ الغايات، وأرقى ما تصبو اليه البشرية، مضطلعا بهدي نبيه الكريم محمد ﷺ ومتحليا بأخلاقه العظيمة، ومستناً بسنته، قال ﷺ: «.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[٥].

وأئمة المساجد من خريجي كليات الشريعة في وطننا العزيز، يشكلون حلقة في سلسلة خير أمة أخرجت للناس، تلقوا علومهم الشرعية على أيدي أساتذة وعلماء اجلاء فضلاء، وتخرجوا الى ميادين العمل والتربية ليعكسوا ما نهلوا من علوم ومعرفة وثقافة، واقعا وممارسة ودعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإنني ومن خلال موقعي في وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، واتصالي المباشر بأئمة ودعاة وخطباء وموظفي وزارة الأوقاف، استطيع ان الخص نقاط القوة والايجابية عند نسبة لا بأس بها وفق ما يلي:

١- الالتزام بالدوام في المساجد، وحضور الصلوات وإمامة الناس.

٢- أداء خطبة الجمعة وصلاتها، وفق التوجيه النبوي الحكيم فلا إخلال ولا تطويل، وبما يحقق نفعا للناس في دينهم ودنياهم.

٣- الاهتمام بالجانب العلمي واللغوي، وتحضير الخطبة على أساس يستوفي إحاطتها بعناصر الخطبة الناجحة.

٤- الاهتمام بالمظهر العام وارتداء ملابس نظيفة ومناسبة، ولذلك ارتأينا في الوزارة أن نوحد ملابس الأئمة بجبة وبنطال (لون سكني) على غرار لباس القضاة ومنتسبي مديرية الإفتاء العسكري والأمن العام، يرتديها الإمام في صلاة الجماعة والجمعة والاجتماعات الرسمية.

٥- كثيرون تعاهدوا حفظ القرآن الكريم، الذي تخرجوا به من كليات الشريعة وازداد حفظهم أثناء عملهم في الميدان وهم يعاودون قراءته بين الحين والآخر مخافة

التفلت والنسيان، وهناك عدد لا بأس به يحفظون كتاب الله كاملاً عن ظهر قلب.

٦- متابعة التحصيل العلمي والقطف المستمر من ثمار الدوحة النبوية الخالدة، وعدم الاكتفاء بما حصلوا من علوم ومعارف أثناء الدراسة، بل كثيرون تابعوا دراساتهم العليا وتخرجوا بالشهادة الجامعية الثالثة "الدكتوراه" وبعضهم تم تعيينه مؤخرا في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية وغيرها من الكليات ونحن في الوزارة لا نرفض طلبا لإمام أو مؤذن يتقدم بطلب بالسماح له بالدراسة الشرعية في أي جامعة أو كلية.

٧. الالتفات الى دور القرآن الكريم ومراكز تحفيظ القرآن ورعاية الناشئة من أبنائنا وبناتنا، ليصل عدد دور القرآن الكريم في المملكة الى حوالي (٦٠٠) دار، والمراكز الصيفية لتحفيظ القرآن الكريم هذا العام الى حوالي (٤٠٠٠) مركز، ليخرج مركز واحد منها في صيف العام الماضي إثني عشر حافظا لكتاب الله.

٨. كما أن بعض موظفي وزارة الأوقاف من أئمة وغيرهم، خطوا خطوات رائعة نحو التصنيف والتأليف في بعض القضايا الشرعية أو المعاصرة أو كتابة البحوث العلمية المحكمة، ليصقلوا بذلك شخصياتهم العلمية وليتمكنوا من أداء رسالتهم على بصيرة ووعي وفهم وإدراك.

٩. التمتع بالأخلاق العالية، ومعاملة الناس بالحسنى والاحترام، سواء داخل المسجد أو خارجه، واستيعاب أصحاب الأمزجة العسرة، وذوي الآراء المخالفة، ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، والمساهمة في حل مشكلاتهم ونحو ذلك.

١٠. متابعة البرامج النافعة والهادفة والمدروسة، والتي تبث عبر بعض الفضائيات ذات الرسالة المسؤولة والإفادة منها وتبصير الآخرين بها، وكذلك سائر وسائل الإعلام الأخرى، هذا الى جانب نقاط أخرى سيأتي الحديث عنها تحت مبحث " وزارة الأوقاف واقع وتطلعات".

١١. المشاركة في ندوات علمية وورش عمل تبحث في قضايا صحية واجتماعية وتربوية، تتصل بالأسرة والصحة الإنجابية والمخدرات وقضايا الشباب.

❖ المبحث الثاني: نقاط الضعف:

كما أسلفت، كل إنسان له وعليه، وآثرت ان ابدأ بذكر نقاط القوة والايجابيات، وفق حكمة الكأس الذي يملأ نصفه الأول ماء والآخر هواء، و «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٦].

ولأن النقص والضعف ملازم للعمل البشري تلازم الروح والجسد، أود ان أسلط

الضوء تاليا على بعض نقاط الضعف لدى خريجي كليات الشريعة من العاملين في المساجد، من باب النقد الذاتي البناء الذي اكتسبناه من آيات الكتاب الحكيم وهو يتنزل تدريجيا على قلب النبي الأمي الأمين ﷺ، وهو ينقد ويصوب ويعالج مسار المسلمين وعلى مرأى ومسمع من الكافرين، فهذه سورة عبس، وقصة أسرى بدر، وموقعة حنين،وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وغيرها من المواقف التي وجه القرآن من خلالها للمسلمين نقداً ولوما وتوجيها صريحا لا غموض فيه، فأي حرج بعد ذلك ان ننقد ونقوم ونوجه من أجل الإصلاح والتطوير والارتقاء بالعمل من الحسن الى الأحسن.

فأقول وبالله التوفيق:

١- أرى أن أثر خريجي كليات الشريعة في ميادين العمل ضعيف أو محدود، قياسا مع اعدادهم وما تلقوه من علم ومعرفة عبر سني دراستهم، بل ان لبعض من هم دونهم في المستوى التأهيلي والتحصيل العلمي، أثراً أكثر من أثرهم ولعل من أهم أسباب هذا الضعف تدني معدلات القبول في التخصصات الشرعية عبر سنين مضت، وتوجه أصحاب المعدلات العالية لدراسة التخصصات العلمية.

٢- كثير من الأئمة لا يحافظون على الأجزاء التي تمكنوا من حفظها اثناء دراستهم، ويكتفون بقصار السور أو بعض الآيات في سور أخرى، وكذلك الحال بالنسبة للأحاديث النبوية التي تم حفظها ثم نسيانها.

٣- ظاهرة ضعف الإلمام باللغة العربية وقواعدها وبيانها وبديعها، وما يتصل بها، ويبدو ذلك جليا في الخطب والدروس والمحاضرات العامة.

٤- اعتماد الأسلوب الارتجالي في خطب الجمعة، وضعف التحضير وتكرار الخطب والدروس، والذي يؤدي بالإمام والخطيب الى قطع علاقته بالمصادر وأمات الكتب ومراجع البحث وطرق التوثيق.

٥- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص والروايات الإسرائيلية، والاستدلال بها أثناء الخطب والدروس، مما يؤدي الى نشرها وبثها لدى الناس والعامة ممن لا يميزون بين صحيح وضعيف، وقد عد رسول الإسلام ﷺ من فعل ذلك كاذبا كما جاء في الحديث: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذبا فهو أحد الكاذبين»(٧).

٦- التخبط عند البعض في انتقاء موضوعات الخطب والدروس، وعدم التركيز

على ما من شأنه ان يحقق نفعا وفائدة للناس، وحلا لمشكلاتهم الاجتماعية والتربوية والأسرية ونحو ذلك، ومخالفة الهدي النبوي في الإيجاز في الخطبة، فتراه يطيل خطبته بصورة منفرة وربما أدى ذلك الى إيجاد حواجز نفسية بينه وبين الناس، الأمر الذي يدفعهم الى البحث عن مساجد أخرى.

٧- ندرة الحديث عن الانتماء الحقيقي للأمة والمواطنة الصادقة ومفهوم الأمن، والتصاق ذلك كله بالعقيدة الصحيحة والإسلام المعتدل والفهم الوسطي والمنطق السليم، الذي تحلى به حملة رسالة الإسلام من طليعة هذه الأمة ومن نهج نهجهم وسار على دربهم الى يوم الدين.

٨- الخطاب اليائس الذي يصدر عن البعض، ويحطم المعنويات ويكسر مجاديف الأمل، فيقعد عن العمل بدعوى أن لا فائدة تذكر ولا حصيلة تجنى، والأصل ان لكل مجتهد نصيباً، ولكل عامل جائزة، قال تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[٨]، ولا نجاح مع اليأس، كما أنه لا مكان لليأس في نفوس المؤمنين، قال تعالى: ﴿**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب**﴾[٩].

٩- إخفاق البعض في إحكام السيطرة من جهة تربية وتوجيه الأبناء، والحرص على التزامهم بالإسلام، فترى للأسف انفلات بعضهم بشكل لا يمكن ان تصدق معه، انتماء هذه الفئة الى آباء يحملون الشريعة، ويمارسون الدعوة الى الإسلام ويقودون الأمة الى حياض الفكر والاستقامة والطهر والعفاف.

١٠- سوء علاقة البعض مع مجتمع المسجد أو المنطقة أو الحي، مما يؤدي الى وجود حالة من النفور يصعب معها استمرار التواصل بينه وبين مختلف الجهات والأطراف، وحينها ينعدم تفعيل أهداف الرسالة ويتلاشى العطاء وتضعف المسؤولية.

❖ المبحث الثالث: مقترحات لتحسين الأداء:

" ان عوامل الوعي في الأمة الإسلامية استمدت ثقافتها من المسجد، وانطلقت تعمل في المسجد، فكان المسجد أعظم جهاز إعلامي يتسلح به المثقفون المسلمون، وقد نهلوا الحقائق من خطبة الجمعة والدروس ومجالس العلم وحلقات التعليم، وتوجيهات الصلاة، فكانوا قوة شدت انتباه الباحثين من رجال الحضارة الغربية، فراحوا يرصدون تحركات

المسلمين في المسجد ومن المسجد والى المسجد".

والمسجد في الإسلام يريد ان يجعل من الكلمة مصدراً للخير والعطاء والإصلاح تملأ دنيا الإنسان وتترسخ في أعماق الحياة، ليتذوق الناس طعمها وتستريح النفوس الى سماعها، وتبني الحياة بوحي من هداها[١٠].

ومعلوم ان فارس هذا الميدان هو إمام المسجد وخطيبه، وهو قطب الرحى لإنجاح أهداف رسالة المسجد وتحقيق حضارة الإسلام، وثمة مقترحات أذكرها تاليا لتحسين الأداء والقيام بالواجب وتفعيل رسالة المسجد:

١- عمل برامج منتظمة ذات موضوعات متعددة، على شكل دروس يقدمها الإمام في مسجده وفق منهجية علمية مدروسة.

٢- لقاء دوري بين أئمة كل منطقة، يتباحثون فيه واقعهم ونقاط الضعف والقوة في أدائهم، والإفادة من تجارب بعضهم بعضا، ليتم تلافي السلبيات، وتعميم الايجابيات وتعزيزها.

٣- إشراك الأئمة أو عدد منهم في مؤتمرات محلية وعربية وعالمية، بهدف اكتساب الخبرات المتنوعة لرفع سوية الأداء الوعظي والدعوي، وصقل الشخصية العلمية.

٤- تعزيز مفهوم التربية بالقدوة، فلا يصح أن يأتي الإمام والداعية والمربي والمعلم بما يناقض قوله أو مروءته، كأن يمارس عادة التدخين (حتى ولو وحده) او يتعامل بالربا، أو يسيء معاملة أهله وأبنائه وجيرانه، ونحو ذلك.

٥- عقد لقاءات منتظمة بين أئمة المساجد في المنطقة ومعلمي التربية الإسلامية في المدارس، للتباحث ووضع آليات للعناية بالطالب، بدءاً من أسرته ثم مسجده فمدرسته، ليكون لبنة صالحة في بناء مجتمعه ووطنه وأمته.

٦- استغلال المناسبات الدينية والوطنية بالحديث في الخطب والدروس واللقاءات، لضرورة ربط ماضي هذه الأمة بما فيه من عزة وسيادة ووعي وقيادة بحاضرها، وأصالتها بعصرها الحديث.

٧- إعداد برامج ذاتية ومنتظمة من كل إمام لحفظ كتاب الله بأحكامه وفقهه ومعاودة النظر والمراجعة لما يحفظ حتى لا يتفلت منه، ولذلك قال الرسول ﷺ: (تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)[١١].

٨- ضرورة الاطلاع ومعرفة أصحاب العقائد والفرق الأخرى والإحاطة بمناهجها،

لندرك من نحن وأين نقف في خضم هذه العواصف الفكرية المتلاطمة، وحتى لا نسيء لإسلامنا وعقيدتنا من حيث لا ندري، ومن هنا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تنقض عرى الإسلام عروة عروة، اذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

٩- سيتم ضمن إستراتيجية الوزارة قريبا، تفعيل دور حملة الماجستير والدكتوراه من الأئمة، بتخصيص محاضرة لكل إمام يلقيها امام جمع من الأئمة حول موضوع رسالته، ويتم مناقشته فيها وطرح أسئلة لإثراء الفكرة وتعزيزها والإفادة منها.

١٠- استغلال شهر رمضان ومضاعفة الجهود وإعداد البرامج المكثفة في الوعظ والإرشاد والتدريس وحفظ القرآن وتحفيظه، وقيام رمضان إيمانا واحتساباً، وبث روح التعاون والتكافل وتعزيز فلسفة الجسد الواحد.

١١- التركيز على الخطاب المبني على بث الأمل في نفوس الناس، وتوجيههم نحو فعل الخير وبيان الحق، لتعزيز الايجابيات وتلاشي السلبيات تلقائيا، قال تعالى: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**﴾(١٢) وصدق المثل: "لان أوقد شمعة خيرا من ان ألعن الظلام ألف مرة".

١٢- إعادة النظر في مناهج وخطط المواد العلمية التي تدرس في كليات الشريعة لتتلاءم أكثر مع واقع العمل للارتقاء بالأداء.

١٣- الاستماع الى آراء العاملين في الميدان من خريجي كليات الشريعة والإفادة منها، لصياغة المناهج والخطط المتعلقة بتخصصاتهم وأدائهم.

❖ المبحث الرابع: وزارة الأوقاف.. واقع وتطلعات:

ان دراستي في هذا المبحث ليست دراسة شمولية لواقع الوزارة وتطلعاتها، لكنها تُعنى فقط بالواقع الدعوي والوعظي ذي الصلة الوثيقة بالإمام والخطيب، وبالتطلعات لمستقبل هذا الواقع.

ان لوزارة الأوقاف نشاطا بارزا لا يخفى في مجال إعداد الدعاة والأئمة والمؤذنين وتدريبهم وتأهيلهم ورعايتهم، كما تعكف على دراسة برامج مستقبلية لرفع سوية أدائهم الميداني والعلمي والوظيفي على حد سواء ولعلي سأوضح ذلك بأهم النقاط التالية:

١- يبلغ عدد المساجد العاملة في الأردن حوالي (٤٥٠٠)، يعمل فيها قرابة (٤٠٠٠) موظف بين إمام ومؤذن، أي ان المساجد مشغولة بنسبة (٩٠٪) تقريبا، نصفهم أئمة والنصف الآخر مؤذنون،

ومعظم الأئمة يحملون درجة الدبلوم والبكالوريوس في الشريعة أو الدراسات الإسلامية، وعدد لا بأس به يحملون درجة الماجستير وعدد كذلك من حملة الدكتوراه.

٢- تم إنشاء معهد الملك عبدالله الثاني لإعداد الدعاة وتأهيلهم وتدريبهم بمقره المؤقت في كهف أهل الكهف، **ويعمل المعهد على تحقيق الأهداف التالية:**

أ- بناء قيادات واعية لرسالة الوعظ والإرشاد، متفهمة لدورها في تنمية الوعي الإسلامي في المجتمع.

ب- رفع كفاءة الدارسين والمتدربين العلمية والعملية.

ج- تبصير الدارسين والمتدربين بالأساليب الدعوية الرشيدة، في مخاطبة الناس ومعالجة مشكلاتهم وتفقيههم بأحكام دينهم وقضاياهم الاجتماعية.

د- معايشة الدارسين والمتدربين لخبرات ومهارات تدريبية عملية في مجالات الوعظ والإرشاد.

هـ- تمكين الدارسين والمتدربين من تعرف واقع المجتمعات المعاصرة ودور الفكر الإسلامي في معالجة القضايا العامة ومشكلات العصر.

و- تنمية قدرات الدارسين والمتدربين على مهارات التواصل الفاعل مع المجتمع.

ز- تعزيز المنظومة القيمية الإسلامية في التفكير والسلوك لدى الدارسين والمتدربين.

وجاء هذا المعهد وارثا لمركز تأهيل الوعاظ والأئمة، والذي كان يعقد برامج تأهيلية للعاملين في المساجد من غير المؤهلين، تحت مسمى " المستويات الثلاثة " تأسيسي وأول وثاني، مدة كل مستوى ستة أشهر، يتلقى الدارس خلالها محاضرات في اللغة والتفسير وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله والعقيدة والسيرة، وبما يعادل في نهايتها درجة الدبلوم في الشريعة الإسلامية.

٣- تم عقد خمس وعشرين دورة لشرح مضامين رسالة عمان وما تحمل من فكر وسطي، ومنهج معتدل في عدة محافظات وفي معهد الملك عبدالله الثاني بمشاركة أكثر من (١٢٠٠) إمام من وزارة الأوقاف ودائرة إفتاء القوات المسلحة والأمن العام بمعدل عشرة أيام لكل دورة، يقضون فيها تفعيل برنامج حافل بالمحاضرات في موضوعات شتى ويستمعون الى محاضرين من وزارة الأوقاف وإفتاء القوات المسلحة الأردنية، والمعهد الوطني للتدريب ووزارة التربية والتعليم، وتم مؤخرا عقد ثلاث

دورات دولية لشرح مضامين رسالة عمان، شارك فيها دعاة وأئمة من عدة دول عربية واسلامية، من اليمن وتونس وليبيا والجزائر والمغرب وفلسطين وأندونيسيا وبروناي وغيرها.

٤- تم عقد عشرات الدورات باللغة الانجليزية لتأهيل الأئمة والموظفين في هذا الجانب، وذلك لتفعيل الفكر الدعوي في أوساط غير الناطقين باللغة العربية، وللإطلاع على واقع وأفكار وثقافة ومناهج الآخرين، فالعلم بالشيء خير من الجهل به.

٥- تم عقد عشرات الدورات لتعليم الحاسوب (ICDL).

٦- مرافقة أئمتنا لبعثات الحج الأردنية، وعمرات مسلمي ١٩٤٨، للإفتاء والإرشاد والتوعية بمناسك الحج والعمرة، ولا يخفى ما يشكل ذلك حراكا فقهيا دعويا ممزوجا بأداء المناسك والارتقاء بالايمان وسمو الروح، بين لقاءات أخوية ملؤها المحبة والصدق والإخلاص.

٧- لقاءات شهرية تتم بين مدير الأوقاف في منطقته وأئمة المساجد، يتباحثون في قضايا هامة تتعلق في صلب عملهم من اجل التطوير وتبادل الخبرات، يتخلل هذه اللقاءات محاضرة من أحد الأئمة يتم تقويمها ونقدها، وهكذا في كل مرة.

٨- تقديم كشف شهري من كل إمام للجهة المسؤولة في مديريته، يبين فيه عناوين المحاضرات والدروس التي ألقاها ومكانها وزمانها.

٩- من جوانب إستراتيجية الوزارة في الوقت الحاضر، ومن باب المماثلة للترقيات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات، نعكف على إعداد مشروع نظام لرتب الأئمة يترقى الإمام بموجبه عبر رتب علمية، ولكل رتبة متطلبات يقابلها علاوة يستحقها مع الحصول على كل رتبة، يصل مع نهاية هذه الرتب الى حفظ كتاب الله كاملا وبعض كتب الحديث والفقه واللغة والسيرة وشروحها، ونشر بحوث في مجلات علمية محكمة، حيث نصت المادة (٣) من مشروع نظام رتب الأئمة في الوزارة على تحقيق ما يلي:

أ- تحسين أداء الأئمة وتشجيعهم على اكتساب معارف ومهارات وخبرات جديدة، تؤهلهم للقيام بواجباتهم على أكمل وجه.

ب- تشجيع حملة المؤهلات الشرعية، على العمل في مجال الوعظ والإرشاد والإمامة والخطابة في المساجد من خلال إيجاد حوافز معنوية ومادية.

ج- منح الأئمة حوافز مادية وفق أسس ومعايير وتطبيقات واضحة ومحددة.

د- تصنيف الأئمة الى رتب متدرجة وفق أسس ومعايير واضحة ومحددة، تعتمد في التسلسل الوظيفي وإشغال الوظائف القيادية في مجال الوعظ والإرشاد.

١٠- تكثيف ملتقيات الوعظ والإرشاد، والتي يشارك فيها أئمة من مختلف مناطق المملكة، يقومون خلالها بجهود مضاعفة لالتقاء شرائح المجتمع في منطقة الملتقى وحوله، وتفعيل الجانب الدعوي والإنساني والاجتماعي وتوزيع المشاريع التنموية على فقراء المجتمع المحلي، وتفقد أوضاعهم الصحية بيوم طبي مجاني، والتشاور معهم في عدد من الأمور والقضايا النافعة.

١١- المسابقة الهاشمية الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره (للذكور والإناث) تقيم وزارة الأوقاف هذه المسابقة، انسجاماً مع رسالتها في العناية بكتاب الله العزيز، ودعوة الناشئة والشباب المسلم لإحكام الصلة بالقرآن الكريم تلاوة ومنهجاً، لإعداد جيل قرآني مؤمن، وتأكيد الاعتصام بهذا الكتاب وجمع الأمة عليه، لتستمد منه الهدى والرشاد.

١٢- المجالس العلمية الهاشمية التي تعقدها الوزارة في كل عام في شهر رمضان المبارك وبرعاية ملكية سامية، في المركز الثقافي الإسلامي التابع لمسجد الشهيد المؤسس الملك عبدالله -طيب الله ثراه- يشارك فيها طائفة من علماء المسلمين من كافة أنحاء الوطن العربي وبموضوعات حيوية وهامة، وبمعدل أربعة مجالس في الشهر الفضيل.

١٣- ومن جوانب الإستراتيجية الدعوية في الوزارة، تنظيم مؤتمر دولي للوعظ والإرشاد، يشارك فيه علماء ودعاة وأئمة من كافة أنحاء الوطن العربي والإسلامي يتباحثون فيه أهم القضايا المتعلقة بالدعوة الإسلامية وآلياتها وأسباب انتشارها ومعوقاتها ونحو ذلك.

١٤- التركيز على قطاع المرأة والاهتمام بها ومتابعة شؤونها، من خلال مديرية الشؤون النسائية والمراكز النسائية التابعة لها في كافة أنحاء المملكة، حيث تم مؤخرا تعيين حوالي (٦٠٠) واعظة من حملة الشهادات الشرعية لتفعيل هذه الغاية، كما ان هؤلاء الواعظات يشاركن في الدورات السالفة الذكر على حد سواء مع الأئمة والمؤذنين.

١٥- المكرمة الملكية الخاصة بزواج الأئمة العزاب، حيث يتم في كل عام تخصيص ما بين (٣-٤) الاف دينار لكل إمام عزب وبمعدل ثلاثين إماما.

١٦- تم إعداد كتاب للأئمة والخطباء

يحوي مادة علمية مقترحة ومساعدة، على شكل خطب منبرية بموضوعات منتقاة ومشكولة ومضبوطة، يستعين بها الخطيب كمرجع من ضمن المراجع الاخرى.

١٧- تم استكتاب عدد كبير من الأئمة لإعداد بحوث علمية في ضوء رسالة عمان ومحاورها، حيث بلغ عدد من كتب فيها حوالي (٦٠٠) اماما.

١٨- تصدر الوزارة عشرة أعداد من مجلة هدي الإسلام في كل عام، تشتمل

الهوامش:

١- يوسف: ١٠٨ .

٢- حديث صحيح له ألفاظ، أخرجه البخاري ومسلم واحمد وأصحاب السنن عن جماعة من الصحابة، انظر صحيح الجامع الصغير ١٢١٩/٢-١٢٢٠ .

٣-٤- من مقال للدكتور شحادة العمري بعنوان (دور المنابر في تعظيم الايجابيات والتحذير من السلبيات) ص٣ .

٥- جزء من حديث العرباض بن سارية، أخرجه احمد في المسند ٣٥/٩-١٠، وأبو داود في السنن ٢١١/١٢، وابن ماجة في السنن ٤٩/١، والدارمي في السنن ١٢٢/١ .

٦- حديث حسن، أخرجه احمد في المسند ١٩٨/٣، من حديث أنس، والترمذي وابن ماجة والحاكم انظر صحيح الجامع ٨٣١/٢ .

٧- حديث صحيح، أخرجه مسلم من حديث المغيرة (انظر مختصر مسلم رقم ١٨٦٣) واحمد في المسند ٢٥٢/٤ من حديث سمرة.

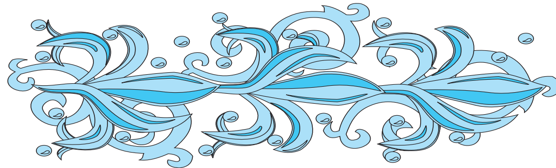
٨- التوبة: ١٠٥ .

٩- البقرة: ٢١٤ .

١٠- من مقال للدكتور احمد عبد الرحيم السايح، نشر في مجلة هدي الإسلام، ص٥٤-٥٩، العدد الثاني، مجلد ٤٤ سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م.

١١- حديث صحيح، أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (فتح الباري ٢٥٢/١٤) حديث رقم ٤٦٤٥ .

١٢- الإسراء: ٨١ .



٤

الدولة في الفقه السياسي الإسلامي -الانتخاب-

■ بقلم الأستاذ الدكتور أحمد العوضي

نجيب في هذه الحلقة على الأسئلة التالية:

ما مفهوم الانتخاب؟ وما الفرق بينه وبين التعيين؟ ما حكم الانتخاب في الشريعة الإسلامية وما أدلة مشروعيته؟ ما حكم انتخاب المرشح المفضول مع وجود الفاضل؟ ما النسبة التي تتحقق بها إقامة فرض الكفاية في الانتخاب؟

❖ مفهوم الانتخاب والفرق بينه وبين التعيين.

أولاً: الانتخاب في اللغة:

الانتخاب: مصدر الفعل انتخب، وأصله الثلاثي نخب، يقال: نخب نخبا أي أخذ نخبة الشيء. ونخبه، اختاره وانتقاه. وانتخبه، إذا أعطاه صوته في الانتخاب - وهذا المعنى مستحدث-.

والانتخاب إجراء قانوني يحدد نظامه ووقته ومكانه بمواد دستورية يفسرها ويشرحها قانون ولوائح، يختار على مقتضاه شخص أو أكثر لرئاسة مجلس أو ندوة أو لعضويتها أو نحو ذلك. والمنتخب -بكسر الخاء- هو من له حق التصويت في الانتخاب[1].

❖ ثانياً: الانتخاب اصطلاحا:

لم يجد الباحث تعريفا اصطلاحيا للانتخاب، ولذلك اصطلح له التعريف الآتي:

الانتخاب هو: مفاضلة تتولاها جماعة بين أفراد ترشحوا لولاية هي حق للجماعة لا تستطيع مباشرتها إلا بإنابة.

فالمفاضلة التي تمارسها الجماعة، وهي صاحبة الولاية والسلطان في الأصل هي جوهر الانتخاب، وهي مفاضلة بين من تأهلوا لتلك الولاية، بتوافر شروط استحقاق تلك الولاية في كل منهم، وترشحهم فعلا لها.

ويقصد بكلمة الجماعة مجموع الأفراد الناخبين، ويدخل في معناها الرجال والنساء على السواء، وذلك لأن إرادة الرجل والمرأة في الشريعة الإسلامية سواء، فإرادة المرأة إرادة إنسان، وإرادة الرجل إرادة إنسان، والإنسانية في الرجل والمرأة متساوية، فلا تتأثر بالذكورة والأنوثة، وهذا ما توافق فيه النظام الديمقراطي في آخر مراحل تطوره مع مقررات النظام السياسي الإسلامي.

❖ ثالثا: الفرق بين الانتخاب والتعيين:

لم يجد الباحث من فرق بين مفهوم التعيين ومفهوم الانتخاب، لذلك حاول التحقق من ماهية كل من المعنيين، فوجد معنى الانتخاب يصدق على انتقاء واحد من جمع، وانتقاء جمع من جمع أكبر منه، ووجد معنى التعيين يصدق على المعنى نفسه، وبسبب هذا الاشتراك الجزئي في الدلالة بين اللفظين، قد يمس ذهن القارئ أو السامع لَبْسٌ يتوهمه بين معنى التعيين ومعنى الانتخاب.

والسبيل إلى إزالة اللبس هنا أن يقال: إن الانتخاب جزء من سلطة الأمة واختصاصاتها، ولا يدخل شيء منه في سلطة رئيس الدولة واختصاصاته، وأما التعيين فهو جزء من سلطة رئيس الدولة واختصاصاته، ولا يدخل شيء منه في سلطة الأمة واختصاصاتها، فمفهوم التعيين يباين معنى الانتخاب.

وبناء على التباين بين معنى الاختيار ومعنى التعيين، ينشأ الوضوح في وجوب امتناع أجهزة الحكم والإدارة في الدولة عن التدخل بكافة أشكاله في إرادات الناخبين، والامتناع عن ممارسة أي تأثير يوجه نتيجة الانتخابات إلى مصلحة بعض المرشحين دون بعض.

❖ رابعا: رأي الباحث في استعمال مصطلح الانتخاب:

يرى الباحث أفضلية مصطلح الاختيار على مصطلح الانتخاب، وإن كان مفهومهما واحداً، وذلك لأن الأول مصطلح شاع استعماله وترسخ في كلام فقهاء السياسة

المسلمين، وجزئية المعنى اللغوي فيه أكثر من جزئية المعنى اللغوي لنخب في المعنى الاصطلاحي للانتخاب.

ومما يراه الباحث يرجح رأيه هذا ليكون صوابا، أن المشرع تعالى استعمل في القرآن الكريم مشتقات الفعل الرباعي (اختار) ولم يستعمل الفعل نخب ولا الفعل انتخب ولا مشتقاتهما، ومن ذلك ما يلي:

قوله تعالى: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا﴾** الأعراف: ١٥٥.

وقوله تعالى: **﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾** طه: ١٣.

وقوله تعالى: **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾** الدخان: ٣٢.

وقوله تعالى: **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾** القصص: ٦٨.

وقوله تعالى: **﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾** القلم: ٣٨.

وقوله تعالى: **﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾** الواقعة: ٢٠.

خامسا: حكم الانتخاب في الشريعة الإسلامية وأدلة مشروعيته.

الانتخاب في الشريعة الإسلامية فرض كفاية، فإذا أقيم هذا الفرض من عدد تتحقق بهم الكفاية، أُجر من شارك في الانتخاب ولم يأثم من سواهم، وإذا لم يشترك في الانتخاب العدد الذي يكفي، أُجر من شارك وأثم سائر من يحق لهم الانتخاب، لأن الفرض لم يسقط عنهم.

❖ الأدلة الشرعية على حكم المشاركة في الانتخابات في الدولة الإسلامية:

لم أجد من الباحثين من استنبط حكم المشاركة في الانتخاب، ولذلك اجتهدت في اقتناص الأدلة التي وجدتها تصلح للاستدلال في هذه المسألة، ومن الأدلة ما يلي:

١- قول الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: ١٠٤.

أوجه الاستدلال في الآية:

أ- توجيه الطلب بصيغة الجمع يدل على أنه خطاب للأمة، فتكون الأمة بمجموعها مكلفة بإقامة مضمون التكليف الوارد في الخطاب الشرعي.

ب- صيغة الأمر المجردة عن القرينة في الخطابات الشرعية تدل ـ على الراجح

من أقوال الأصوليين ـ على الوجوب، وصيغة الطلب في الآية الكريمة مجردة عن القرينة فتدل على الوجوب، فيكون التكليف المطلوب في الآية من رتبة الواجب.

ج- لفظ (أمة) الوارد في الآية يقصد به جماعة الحكم والإدارة في الأمة المسلمة، إذ دون هذه الأمة ـ الجماعة ـ ذات المعنى السياسي لا يصير المسلمون أمة بالمفهوم السياسي لهذه الكلمة.

د- دلت العبارة : **﴿ولتكن منكم أمة﴾** على أن الأمة المسلمة بمجموعها هي التي توجد أمة الحكم والإدارة فيها، وهذا يدل دلالة التزامية على مشروعية الانتخاب، وذلك أن الانتخاب هو السبيل لإيجاد أمة الحكم والإدارة في الأمة المسلمة، بإيجاد رئيس الدولة الذي يتولى نيابة عن الأمة تعيين بطانته التي تعينه في شؤون الحكم والإدارة.

ويرى الباحث أن تفسير (أمة) في الآية بالجماعة السياسية مطلقا أو الحزب السياسي، هو من التأويل البعيد وليس من التأويل القريب، فهو غير مسلم.

لكن حيث خلا موضع من سلطان الدولة المسلمة، تعلق بذمة المسلمين جميعا في ذلك الموضع فرض إيجاد سلطة إسلامية فيهم، ومستند ذلك التعلق أن " للوسائل أحكام المقاصد"[٢] وأن "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٣].

٢- قول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[٤].

معنى الحديث بحسب فهم الباحث:

عليكم بطريقتي في الحكم وطريقة الخلفاء الراشدين، ويدل على هذا المعنى أربع قرائن:

الأولى: أنه ذكر الخلفاء بصفة الخلافة، وليس بصفتهم أنهم فلان وفلان وفلان.

الثانية: أنه قيد كلمة الخلفاء بقيد الراشدين، فدل ذلك على أن علة الأمر بالاتباع هي الرشد وليس مطلق كونهم خلفاء.

الثالثة: أن الخلفاء الراشدين ليسوا معصومين من الخطأ، ولا محصورين بأعيان معينين، ولا بزمن معين، فكيف يأمر الرسول ﷺ بالتزام سنتهم؟!!

الرابعة: أن الخلفاء الراشدين كان بعضهم يخالف بعضا، فعمر خالف أبا بكر في بعض الأحكام الشرعية العملية، وعلي رضي الله عنه خالف أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ولو كان المقصود بسنتهم ما ورد عنهم من

قول أو فعل أو تقرير لكانت واجبة الاتباع مطلقا، ولم يخالف بعضهم بعضا، فلما خالف اللاحق منهم السابق في بعض الأحكام الشرعية العملية، دل ذلك على أن المقصود سنتهم في الحكم، وليس قولهم وفعلهم وتقريرهم مطلقا، وكانت سنتهم في الحكم أن يتسلموا الولاية على الأمة بالترشيح والانتخاب والبيعة الرضائية، فلذلك سموا راشدين، فمن تسلم الولاية بغير ذلك الطريق لا يكون راشداً.

ويدل الحديث على أن الطريقة التي تولوا السلطة بها، هي علة تسميتهم راشدين، فمن تسلم الولاية بغيرها فليس راشدا ولو كان أتقى أهل الأرض وأحسنهم عدلا، لأن من غصب الولاية وهي حق الأمة رغما عنها هدم العدل من أساسه، وجعل الظلم سبيل ولايته، فلن ينفعه بعد ذلك أن يتظاهر بالعدل.

من أوجه الاستدلال في الحديث:

أ- دل الحديث دلالة عبارة -من رتبة النص في الوضوح- على اتباع سنة الخلفاء الراشدين، والأمر في الحديث مجرد عن القرينة، فيدل على الوجوب، فيكون اتباع سنة الخلفاء الراشدين في طريقة الحكم واجبا.

ب- كان الانتخاب هو طريقة الخلفاء الراشدين لتسلم سلطة الحكم، فيكون هو الطريقة الشرعية لتسلم الولايات التي هي من سلطة الأمة واختصاصها.

ج- تقاس كل ولاية من الولايات التي هي من سلطان الأمة واختصاصاتها على ولاية الحكم العليا، بدلالة الحقيقة اللغوية، وليس بطريق الأولى، الذي هو طريقة القياس الأصولي.

فالقياس هنا قياس لغوي، أي توسيع دلالة النص بحيث تشمل كل ما تصدق عليه حقيقتها اللغوية، وليس قياسا أصوليا بحمل فرع على أصل في حكمه لوجود علة حكم الأصل في الفرع، إذا تحققت شروط الحكم وانتفت موانعه، أي ليس من باب تعدية علة الحكم بمعناها الأصولي القاضي بأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه.

❖ سادسا: حكم انتخاب المرشح المفضول مع وجود الفاضل:

هذه المسألة تأثر فيها الفقه الإسلامي بالفقه الشيعي، ومنشأ هذه المسألة في الفقه الشيعي أن الأئمة أعلى مقاما من النبي ﷺ!! فمن ذلك أن محمد جواد مغنية ذكر أن الإمام "يحلق إلى القمة التي لا شيء

فوقها إلا خالق كل شيء وهو الواحد القهار"[٥]. وقال الخميني: "وثبوت الولاية والحاكمية للإمام لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية، يخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي ورسول"[٦].

وهذه الرتبة يؤمن بها الشيعة للأئمة الإثني عشر جميعا، فقد ذكر العاملي أن "الأئمة الإثني عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين وغيرهم"[٧].

وكذلك يصطفي الله للإمامة كما يصطفي للنبوة، لأن الإمامة في نظرهم امتداد للنبوة، وهي منصب إلهي كالنبوة، فكما اختار الله الأنبياء اختار الأئمة، وأمر نبيه بالنص عليهم[٨]. فمن يصطفيه الله للولاية يحرم على الأمة أن تصطفي غيره للولاية، فإذا فعلت ذلك كفرت وخرجت من الإيمان، ولذلك فأهل السنة خارجون في نظر الشيعة من الإيمان إلى الكفر، فيجب لعنهم، والخلفاء الراشدون كفار في نظرهم خارجون من الإيمان إلى الكفر، فيجب لعنهم.

والأئمة في نظر الشيعة مخلوقون من نور[٩]، هذا هو منشأ مسألة ولاية المفضول مع وجود الفاضل، نشأت لدى الشيعة، قاصدين منها أن إمامة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم باطلة، بناء على أن الأئمة معصومون، فهم أصحاب الحق في الإمامة، والخلفاء الراشدون غاصبون.

وشاع بحث مسألة إمامة المفضول مع وجود الفاضل في كتب علم الكلام، أثناء بحث شروط الأفضلية التي يفاضل بها بين المرشحين إذا تساووا في شروط الاستحقاق، وكانوا متأثرين في ذلك بالشيعة، مع اختلاف بين السنة والشيعة في الغاية من ذلك.

وفي الشريعة الإسلامية، كل من توافرت فيه شروط الاستحقاق الشرعية صح ترشحه وترشيحه، وصح انتخابه، ولا ينظر قانونيا إلى ما زاد على شروط الاستحقاق من الصفات والقدرات والأخلاق، فإن كل ناخب يفضل من تلك الصفات والأخلاق والقدرات ما لا يفضله ناخب آخر، ولذلك يختلف الناخبون في التفضيل بين المرشحين.

وهذه الصفات والأخلاق والقدرات تتوزع

في الناس على تفاوت بينهم، سواء في قدر كل واحدة منها وفي القدر من مجموعها، ولذلك لن يحصل توافق ولا اتفاق بين الناخبين على أن فلان من المرشحين أفضل من فلان، ولذلك فكل ناخب مكلف ديانة بالتصويت لمن يراه أفضل في نظره من غيره من المرشحين، وعلى أساس ما يفضله هو من صفات الأفضلية، ما دامت صفات الاستحقاق قد توافرت في المرشحين جميعا.

الهوامش:

١- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٩٠٨.

٢- ابن عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دون تاريخ، مكتبة الكليات الأزهرية، ج١، ص٥٣.

٣- البناني، حاشية البناني على شرح متن جمع الجوامع لتاج الدين السبكي، دون تاريخ، دار إحياء التراث،ج١، ص١٩٣، والغزالي، أبو حامد، المنخول من تعليقات الأصول، دون تاريخ، ودون ناشر، ص١١٧.

٤- حديث صحيح، أخرجه الترمذي، السنن، كتاب السنة، باب الأخذ بالسنة، دار المعارف، دون تاريخ، ط١، الرياض، حديث رقم ٦٦٧. وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة، السنن، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، دار المعارف، دون تاريخ، ط١، الرياض، حديث رقم ٤٢، وأبو داود، السنن، باب لزوم السنة، دار المعارف، دون تاريخ، ط١، الرياض، حديث رقم ٤٦٠٧.

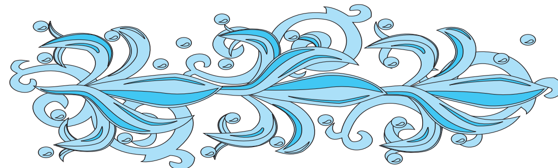
٥- مغنية، محمد جواد، الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة، ١٤١٤هـ، تحقيق عبد الحسين مغنية، مؤسسة عز الدين، ط١، ص ١٢٩.

٦- الخميني، الحكومة الإسلامية، تقديم وتعليق محمد الخطيب، ١٤١٩هـ، دار عمار، ط١، ص ٤٧.

٧- العاملي، محمد بن الحسن الحر، الفصول المهمة، دون تاريخ، طبعة إيران، ص ١٥٢.

٨- الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٤٧ - ٤٨، مرجع سابق.

٩- المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية للإمام علي، ١٩٥٥م، المطبعة الحيدرية، ص١٢٩ .



الحقوق الاجتماعية للمرأة
الطلاق ليس حكراً على الرجل دون المرأة

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

قد يثير بعض المفترين -ادعاء للمعاصرة الكاذبة، بقصد الإساءة للإسلام والنيل منه- بعض المشاكل الوهمية ويتخذون منها معاول هدم وإساءة مثل مسألة الطلاق، فقد زعم هؤلاء الحاقدون والمغرضون أن الإسلام قد ظلم المرأة في أن جعل الطلاق بيد الرجل، ولم يجعله بيد المرأة وهذا ادعاء باطل يستند الى آراء سطحية، إذ انه بدراسة الفقه الإسلامي نجد أن الإسلام قد جعل الطلاق حقا للمرأة كما هو حق للرجل.

وبداية فإن الإسلام جعل طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، قائمة على اساس حفظ النوع البشري، وجعل تحقيق هذا الهدف في الاتصال الجنسي، ولم يجعل طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على الاتصال الجنسي كما هو الحال في البلاد غير المسلمة.

وحتى يكون النوع البشري صحيحا سليما معافى من الأمراض والإعاقات الصحية والنفسية والاجتماعية، أمر بتنظيم هذا الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة وأمر بأن يكون اتصالا شرعيا مقيدا ومحددا بين رجل وامرأة، ضمن ضوابط شرعية تمنع الإباحية والشيوع الحيواني بواسطة الزواج، وهذا الزواج لا يتحقق ولا يكون شرعيا إلا إذا تم بتحرير عقد شرعي يجري وفق الأحكام الشرعية، لكي تترتب عليه الأحكام التي تترتب على الزواج، وما لم يحصل هذا العقد لا يكون زواجا حتى ولو تعاشر الرجل والمرأة مدة طويلة، ومن هنا كان اجتماع الخليلين كما يجتمع الزوجان لا يعتبر زواجا وإنما زنا.

وعقد الزواج عظيم الأهمية، فقد وصفه

الله تعالى بالميثاق الغليظ، قال تعالى: **﴿كيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾**[١] وبه يتحقق الهناء والطمأنينة والسعادة والمودة والرحمة.

وكما شرع الله الزواج فقد شرع أيضا الطلاق بقوله تعالى: **﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾**[٢] والطلاق هو حل عقدة التزويج أو فك عقد الزواج، وهو حلال شرعا لأن الشرع أحله دون ان يورد اسبابا له[٣] والتطليق الشرعي ثلاث تطليقات الواحدة بعد الاخرى.

فإن طلق مرة جاز له أن يرجعها أثناء العدة دون عقد جديد، أما إذا لم يرجعها إليه أثناء العدة فإنها تصبح بائنة منه بينونة صغرى، بمعنى أنه لا يحل له أن يرجعها إلا بعقد جديد ومهر جديد ولكن دون شرط أن تتزوج رجلا غيره، وإن طلقها المرة الثالثة فقد بانت منه بينونة كبرى، بمعنى أنه لا يجوز له أن يرجعها إليه إلا بعد أن تتزوج شخصا آخر ويدخل بها دخولا شرعيا، ثم يفارقها فراقا شرعيا إما بالطلاق أو بالموت وتنقضي عدتها الشرعية، فعندها يمكنه أن يرجعها بمهر جديد وعقد جديد، قال تعالى: **﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾**[٤].

والطلاق بيد الرجل وليس بيد المرأة، والسبب هو أن الله تعالى أراد ذلك وليس لنا أن نجهد أنفسنا في محاولة إيجاد أسباب ذلك، لأن التشريعات الإلهية تنفذ دون البحث عن الأسباب، وإنما هي وصف لواقع حاصل فعلا، ولكن يمكن القول: **إن ذلك راجع إلى أن المبادرة للزواج نفسه هي بيد الرجل وليست بيد المرأة، والتكاليف المالية والمهر يقوم بدفعها الزوج وليس المرأة، ثم النفقة جعلها الله على الزوج وليس المرأة وكذلك رئاسة الأسرة للرجل وليست للمرأة**، والتصرفات التي تقوم بها المرأة تدل على قبولها بقيادة الرجل للأسرة، فعليه وحده ألقيت مسؤولية البيت وتكاليفه، فيجب أن تكون المسؤولية في الأسرة والصلاحية في حل عقدة الزاوج للرجل تبعا للأعباء والمسؤوليات الملقاة على كاهله.

ولكن ليس معنى أن يكون الطلاق بيد الرجل أنه لا يجوز للمرأة أن تطلق نفسها وتحدث فرقة بينها وبين زوجها،بل إن لها الحق في ذلك في ظروف وحالات تقتضي ذلك، مع وجود فارق بين صلاحية الزوج وصلاحية الزوجة في التطليق، فالزوج له أن

يطلق زوجته في أي وقت شاء حتى بدون سبب، أما المرأة فصلاحيتها في تطليق نفسها مرتبطة بأحوال معينة، وليست مطلقة كصلاحية الرجل، وهو إذا كان بالنسبة للرجل يسمى طلاقا فإنه بالنسبة للمرأة يسمى فسخا أو خلعا[٥] فللمرأة الحق في أن تقدم لولي الأمر الشرعي وتثبت له سببا مشروعا ومقبولا للتفرقة بينها وبين زوجها فيفرق بينهما ولو لم يقبل الزوج، **وهذا يحدث في الأحوال التالية**[٦]:

١- إذا اشترطت المرأة عند عقد النكاح أن تكون عصمة الطلاق بيدها ووافق الزوج على ذلك، ففي هذه الحالة تستطيع أن تطلق نفسها منه، وهي لا تطلقه هو وإنما تطلق نفسها منه بأن تقول له: طلقت نفسي منك ولا تقول له طلقتك، لأن الطلاق يقع على المرأة ولا يقع على الرجل، وهناك حالات كثيرة أعرف شخصيا بعضها جعلت فيها عصمة الطلاق بيد المرأة بموافقة الزوج عند عقد النكاح.

٢- إذا عقد الزوج عقد النكاح على زوجته وهو يعاني من العنة أي الضعف الجنسي وعدم القدرة على ممارسة العشرة الزوجية، إما لمرض أو بسبب الخصاء دون أن يعلمها قبل عقد النكاح، ففي هذه الحالة لها الحق في فسخ عقد النكاح لأنه يعتبر باطلا، ويعتبر عقد غرر، إذ يجب على كل من الرجل والمرأة أن يعلم الطرف الآخر بأي مرض خفي يعاني منه، فإذا لم يستطع الزوج الدخول في زوجته فإن للزوجة الحق في أن ترفع الأمر للحاكم، أو من يمثله مثل القاضي الشرعي، فيقوم بتأجيل القضية مدة عام، فإن لم يستطع الدخول بها أجاب القاضي طلبها وفسخ عقد النكاح، فقد روي أن ابن منذر تزوج امرأة وهو خصي فقال له عمر: أعلمتها؟قال: لا، قال: أعلمها ثم خيرها، وروي أيضا أن عمر أجّل العنين (العاجز جنسيا) سنة[٧].

٣- إذا ظهر للزوجة قبل الدخول أو بعده أن الزوج مصاب بمرض من الأمراض التي لا يمكن الإقامة معه بلا ضرر، مثل مرض الجذام والبرص والزهري والسل والايدز سواء كان مصابا بها قبل عقد النكاح أو ظهرت عليه بعد عقد النكاح،فإن للمرأة أن تراجع القاضي وتطلب منه التفريق بينها وبين زوجها،فيجيب القاضي طلبها ويفرق بينهما إذا ثبت له وجود هذا المرض فعلا وعدم إمكان البرء منه في مدة معينة.

٤- إذا أصيب الزوج بالجنون بعد عقد النكاح، فللزوجة أن ترفع الأمر للقاضي الشرعي وأن تطلب تطليق نفسها منه، فيؤجل القاضي القضية مدة سنة، فإذا لم

يشف الزوج وظل مصابا بالجنون فيحكم القاضي بالتفريق بينهما.

٥- إذا سافر الزوج إلى مكان ما وغاب عن زوجته وانقطعت أخباره وتعذر عليها تحصيل النفقة، فإن لها أن تطلب الطلاق بعد أن تبذل الجهد في البحث والتحري عنه لأن الرسول ﷺ جعل عدم الإطعام والنفقة، علة للفراق والطلاق إذا أرادت المرأة ذلك كما جعل خروج المرأة من بيت زوجها دون إذنه علة لعدم الإنفاق عليها.

٦- إذا تم زواجها رغما عنها ودون موافقتها، فقد روي أن خنساء الأنصارية زوجها أبوها وهي ثيب بدون أخذ رأيها، فكرهت ذلك فأتت الرسول ﷺ وأخبرته فأبطل نكاحها (رواه الدارمي في السنن في كتاب النكاح في باب من زوج ابنته و هي كارهة).

٧- إذا كرهت خلقته او خَلقه: اذا كان الزوج قبيحاً لا ترتاح الزوجة إلى عشرته أو تشعر بالغضاضة والامتعاض من قبحه فلها أن تطلب الطلاق منه، ففي حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أن جميلة بنت عبد الله بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت ابن قيس فأتت رسول الله ﷺ فقالت: لا يجمع رأسي برأس زوجي ثابت أي شيء ولا أعبه في دينه أو خلقه، ولكنني رأيته مارا في عدد من الرجال فإذا هو اشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال لها ﷺ: «أتردين عليه ما أعطاك -وكان قد أعطاها حديقة - قالت: أرد وأزيد، قال: الزائد لا وقضى لها بالطلاق»(٨).

٨- إذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته، وتعذر عليها الوصول إلى ماله للإنفاق على نفسها فإن لها الحق أن تطلب من القاضي أن يطلقها وعلى القاضي إذا ثبت له صحة إدعائها أن يطلقها حالاً ودون إمهال لأن الرسول ﷺ يقول: "امرأتك ممن تعول تقول: أطعمني وإلا فارقني"(٩).

٩- إذا حدث بين الزوجين نزاع وشقاق، ولكن في هذه الحالة لم يوجب الطلاق حلا فوريا للنزاع والشقاق بين الزوجين وإنما أمر باتخاذ إجراءات ومحاولات عديدة للإصلاح بين الزوجين المتخاصمين لعلها تؤدي إلى إنهاء الخلاف وزوال أسبابه، فأمر الأزواج باللجوء إلى أسلوب الوعظ والتوجيه والإرشاد للزوجة، فإن لم يؤد إلى حل النزاع فيلجأ الأزواج إلى أسلوب الهجر في المضاجع، ومعلوم أن المرأة تتعلق عاطفيا بزوجها ولا تحتمل الابتعاد عنه وخاصة في النوم، فقد يؤدي هذا الأسلوب إلى تصحيح

المرأة لخطئها والعودة إلى جادة الصواب، فإن لم ينفع هذا الأسلوب فيلجأ الزوج إلى أسلوب الضرب غير المبرح والذي قال عنه ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الضرب بالسواك ليحدث تأثيرا معنويا ولا يحدث تأثيرا جسديا، قال تعالى: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾**[١٠].

فإن لم تؤد جميع هذه الأساليب إلى فض النزاع وإصلاح الأمر فأمر الله تعالى بتعيين حكم من أهل الزوجة وحكم من أهل الزوج، فيقومان بالاستماع لشكاوى الزوجين ويبذلان الجهود الخيرة والصادقة للإصلاح بينهما وإزالة أسباب الخلاف، قال تعالى: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾**[١١]، فإن استحال التوفيق بين الزوجين فلم يبق إلا أسوأ الحلول وهو الطلاق، ويحدد الحكمان بما حصلا عليه من معلومات وبينات من التحقيق مع الزوجين من هو صاحب الحق، فإن كانت الزوجة هي صاحبة الحق فيعملان على تحقيق طلبها إن أصرت على الطلاق.

من هنا يتبين لنا أن الشارع الذي جعل من خصائص الزواج ونتائجه الأمن والطمأنينة والإستقرار لكل من الزوجين، يحرص على أن لا يصيب الزوجة الكدر والمقت والشقاء، وأعطاها الحق في التخلص مما يسبب لها مثل هذه المنغصات في بيت الزوجية، وذلك بحل عقد الزواج من طرفها، ولذلك لم يتركها الشارع مجبرة على البقاء مع الزوج إذا تعذرت الهناءة الزوجية، فأباح لها الشرع أن تفسخ عقد النكاح في أي من الأحوال التي يتحقق معها عدم إمكانية العشرة أو عدم توفر الهناءة.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الطلاق ليس مندوبا أو محبذا في الشرع، وإنما هو مباح أبغض الحلال عندما لا مناص من اللجوء إليه، بعد استعمال جميع الأساليب اللينة وغير اللينة بدء من الوعظ والتوجيه والإرشاد ووصولا إلى تشكيل لجنة التحكم، وأن الطلاق هو آخر العلاج، ولا يلجأ إليه إلا إذا فشلت جميع تلك الأساليب في تحقيق الهناءة الزوجية وتوفير الراحة والسعادة والتعاون بين الزوجين، وليس من الحكمة إرغام الزوجين على البقاء في علاقة سيئة مزعجة منغصة لا تحقق الأهداف المرجوة منها.

❖ تعدد الزوجات:

عندما بزغ فجر الإسلام على البشرية،

كانت المجتمعات كلها و خاصة المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية تمارس الزواج المتعدد دون تحديد لعدد الزوجات، فكان من الممكن أن يتزوج الرجل بعدد غير محدد من النساء، وله الحق في أن يهديها إلى أي شخص يريده، و لم يكن يحرم زواج القريبات حتى أن الرجل كان يتزوج بزوجة أبيه بعد موته، ولكن الإسلام أباح للرجل تعدد الزواج ولكنه حدد هذا العدد واشترط أن لا يزيد على أربع نساء في الوقت ذاته، قال تعالى: **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾**(١٢).

فهذه الآية الكريمة تبيح للرجل تعدد الزوجات وترشده بأن يكن من الطيبات، وكذلك ترشده إلى ضرورة العدل بينهن، وإذا خاف ألا يعدل بينهن فليقتصر زواجه على امرأة واحدة وليترك الجمع والتعدد، فالأمر كله في التعدد يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فلكم ذلك، واختياركم زوجة واحدة هو أقرب لعدم الجور والظلم، لأن معنى ألا تعولوا في الآية: أي أقرب ألا تجوروا وتظلموا، إذن الآية الكريمة تبيح تعدد الزوجات ولكن لا تحث عليه أو تشجعه كما يدعي البعض، وتحدده بأربع زوجات، ولكنها تشترط لذلك تحقيق العدل بين الزوجات، ثم ترغب في الاقتصار على زوجة واحدة في حالة عدم العدل بينهن، ثم إن الله تبارك وتعالى أوضح للرجال أنهم مهما حرصوا وحاولوا تحقيق العدل بين الزوجات فإنهم لن يستطيعوا ذلك، بقوله تعالى: **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾**(١٣).

فهذا إيضاح بين للرجال بأنهم لن يستطيعوا إقامة العدل بين الزوجات حتى ولو كانوا شديدي الحرص على إقامته، فخفف عنهم في ذلك وأمرهم بأن يقيموا الحد المقبول من العدل وعدم الإعراض التام عن زوجة لصالح أخرى، ويجعلها معلقة حائرة فلا هي متمتعة بحقوق الزوجية ولا هي مسرحة لعل الله يقيض لها زوجا آخر.

ويرى بعض العلماء أن تفسير هذه الآية: أن الرجال لن يستطيعوا إقامة العدل بين الزوجات في جميع الأمور، وأنهم مطالبون بتحقيق ما يستطيعون من العدل عملاً بقوله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**، وأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حدود الظلم: **﴿ولا يظلم ربك احدا﴾**(١٤).

وهذا يعني أن العدل المفروض على الزوج تحقيقه، هو العدل في غير المحبة لأنها ليست في طاقة الرجل واستطاعته، فقد روت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: اللهم إن هذا قسمي في ما املك فلا تلمني في ما لا املك"[١٥]، يعني قلبه، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾: في الحب والجماع أما العدل المطالب به فهو العدل في المبيت عندهن ليلاً وفي الطعام والكساء والمسامرة والمجاملة والترويح عن النفس والملاطفة في المعاملة وتوفير السكن والأثاث ووسائل الحياة.

والإسلام بإباحته تعدد الزوجات وتقييده بعدد محدود، نهج منهج المثالية الواقعية، مراعياً جميع الجوانب البشرية وإمكانية التطبيق على ارض الواقع، فهناك بعض المجتمعات تعدد الزواج بدون قيد ولا مراعاة لحقوق الزوجة والأولاد، وما زال هذا النوع موجوداً في بعض البلدان، بحيث أن الأب لا يعرف أبناءه لا من حيث العدد ولا من حيث الأسماء وبالتالي لا يعرف عن سلوكهم وحياتهم ونشأتهم شيئاً، وكل ما في الأمر انه يزورهم عندما يرغب في معاشرة هذه الزوجة أو يعطيها نفقتها الشهرية دون أن يكلف نفسه عناء مسؤولية تربية أبنائه وتوفير الظروف الملائمة لهم.

وهناك بعض المجتمعات الأخرى تقتصر الزواج على واحدة بشكل ظاهري أو شرعي، ولكنه في الواقع يعدد زواجه بطريقة منفرة كما نلاحظ في هذه الأيام كثرة أعداد "الزواج العرفي" وما ينتج عنه من مشاكل للمرأة، وظلم وهضم حقوق وتنكر.

وهناك أنماط متعددة من الزواج تتنافى والقيم والمثل الإنسانية، فتقيم الزواج على طريقة "الثنائية المفتوحة في الزواج"[١٦]
وهذا النوع من الزواج يقوم على الإنفتاح في العلاقات الجنسية لكل من الزوجين، فهناك مثلا "نظام تبادل الزوجات"على أن لا يكون الهدف من هذا التبادل هو إقامة علاقات عاطفية مع أطراف أخرى، بل يقوم بدعوى أن من شأنه دعم العلاقة العاطفية مع الزوج الأصلي وتجديد العلاقة وإحيائها وإخراجها من حالة الرتابة والملل، واختبار متانتها عن طريق مواجهتها بتجارب جنسية غير عاطفية تتم مع شخص آخر غير الزوج، وهو شكل من أشكال الزنا برضا الزوجين.

وهناك أنواع من الزواج "المتعددة الأطراف المغلقة" وهي التي يكون فيها للشخص الواحد علاقات جنسية غير

عاطفية مع شخصين آخرين على الأقل، وتكون العلاقة مقتصرة على أشخاص معينين ومعروفين، وهذا النوع ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية وهو نوع من الفاحشة المبتذلة، التي تنم عن عدم إخلاص أو التزام بالزواج الشرعي، وممارسة العملية الجنسية مع شخصين آخرين دون وجه مشروع، فهو تعدد غير أخلاقي وغير شرعي وغير صحي.

ولكن الأدهى من ذلك كله هو ما تعرف بالزيجات "المتعددة الأطراف المفتوحة" وهو يعني أن يكون للشخص الواحد علاقات مفتوحة مع عدد غير محدد من الأشخاص، كأن يكون للرجل عدد من النساء يمارس معهن العلاقات الجنسية، ويكون للزوجة عدد من الرجال تمارس معهم العلاقة الجنسية، وهذا يعني الإباحية المطلقة التي لا تخضع لأية معايير أخلاقية أو دينية، ولا تهتم بكرامة المرأة وإنسانيتها التي وهبها الله تعالى لها كإنسانة أولا وكإمرأة ثانيا،واعتبارها مجرد أداة لقضاء الشهوة الجنسية دون أي نظام أو تنظيم وهذا ستكون تبعته الحتمية زوال الأبوة والأمومة، وبالتالي تفكك المجتمع وانحلاله بسبب الإحساس بعدم وجود روابط أسرية وعائلية بين أفراده، واختفاء عواطف الحنان والعطف وبالتالي عدم توفير الحماية للأطفال فيعيشون مشردين متسكعين في الشوارع لا يحترمون أية تقاليد وأعراف وقيم اجتماعية.

بينما جاء الإسلام ليحترم المرأة ويبوئها المكانة السامية التي تستحقها كإنسان وكإمرأة، ويرفعها من الحضيض والإنحطاط، ويجعلها زوجا مساويا للرجل تأخذ ما لها من حقوق وتعطي ما عليها من واجبات يفرضها الزواج والحياة الزوجية،فنظم علاقتها بالرجل وحرم كل علاقة غير شرعية،وهي القائمة على الزواج المنظم والمعلن والمحدد الذي يتفق وكرامة الإنسان رجلا كان أو امرأة، ويحفظه من الأمراض الخطيرة التي قد تصيبه من الإنتقال غير المشروع للإستمتاع بالمرأة كأداة للمتعة وليست شريكة في المتعة والسعادة والسكن والإستقرار"(١٧).

وعلى صعيد الواقع الفعلي في المجتمعات غير المسلمة التي تمنع تعدد الزوجات ولا تسمح بالطلاق، ينتشر بينها نظام "الخليلات" حيث نجد أن الزوج له عدد من النساء اللاتي يمارس معهن العلاقة الجنسية دون عاطفة ودون عقد شرعي، وكذلك الزوجة تمارس الشيء نفسه، ونحن

نلاحظ نتائج هذا النظام اللاشرعي الذي لا تحكمه أنظمة ولا ضوابط شرعية أو قانونية أو اجتماعية، من كثرة الأبناء اللقطاء الذين يوضعون في دور اللقطاء، وتقوم الدول على تربيتهم وتنشئتهم فيشبون معتلين ومنحلين وأغلبهم يصاب بالإنحراف السلوكي فيسيئون للمجتمع الذي يشعرون أنه يظلمهم، وكذلك نلاحظ التفكك الأسري والإنحلال العائلي بحيث أن الأب يفقد دوره في تربية أبنائه ذكورا وإناثا والإنفاق عليهم بل حتى توجيههم وإرشادهم، وهذا يؤدي حتما إلى انحلال المجتمع كله وانعدام الروابط والصلاة فيه وبالتالي فإنه يحمل عوامل ضعفه وانقراضه.

ولا أدري ما هي الإعتبارات الإنسانية والأخلاقية والإجتماعية والدينية، التي تجعل الناس يرفضون وينتقدون النظام الإسلامي، الذي ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من الإحترام والتقدير وحفظ الكرامة والشرف للجميع، ويقبلون ويمتدحون النظام الإنحلالي الذي ينادي بالإباحية وحق كل من الزوجين في ممارسة الجنس مع أي شخص آخر، دون أية ضوابط شرعية وأخلاقية مع ما ينتج عنها من أمراض خطيرة قد تكون قاتلة كالإيدز مثلا.

ومن هذا المثل أن شخصا في دولة عربية رفعت عليه زوجته قضية في المحكمة لأنه تزوج بغيرها أي مارس حقه الشرعي في التعدد، وكانت المحكمة ستصدر بحقه حكما بالإدانة لولا أنه ادعى أمام القاضي أن هذه المرأة الثانية ليست زوجته بل هي خليلته، فأصدر القاضي حكما ببراءته، فلماذا هذا السكوت عن الزنا باسم "الخليلة أو الصاحبة" وإباحته وعدم المعاقبة عليه بينما يحرم تعدد الزوجات الشرعي الذي يتم تنظيمه على أسس وأصول دينية واجتماعية ؟ بل إن بعض الدول الغربية تحرم تعدد الزوجات بينما تبيح وتحلل الشذوذ الجنسي وهو "الزواج المثلي"، فالمرأة تتزوج امرأة، والرجل يتزوج الرجل!! أليس هذا من الجنون والإنحطاط الخلقي والدونية والبهيمية؟"[١٨].

بل إن الدعاية الغربية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، قد صورت حكم تعدد الزوجات تصويرا بشعا، واعتبرته نقيصة وأداة للطعن في الإسلام متجاهلة ما يقدمه هذا الحكم من حماية أكيدة للفرد والمجتمع من أمراض الإنحلال والتفكك والإنحراف، ومن الأمراض الإجتماعية والنفسية والجسمية التي أصبحت تشكل خطرا داهما للبشرية جمعاء، وما علموا أيضا أن الإسلام الحنيف لم يجعل تعدد الزوجات فرضا على

المسلمين ولا مندوبا، ولم يشجع عليه بل جعله مباحا إذا اقتضت الضرورة والظروف ذلك، وقيده بشروط وقيود ليس من السهل تحقيقها.

❖ مشروعية تعدد الزوجات:

الأصل في الزواج هو الزواج الأحادي، أي أن الرجل يتزوج بامرأة واحدة، ولكن هناك ظروف قد تمر بالزوجين تجعل من المباح للرجل أن يتزوج بامرأة ثانية أو أكثر، بحيث لا يتجاوز العدد الذي حدده الله تعالى في كتابه العزيز وهو أربع زوجات، **وهذه الظروف أو العوامل هي:**

١- إن التعدد استجابة لعامل خلقي في طبيعة الرجل والمرأة، فحاجة الرجل للمرأة مستمرة وممتدة طوال حياته ما لم يصب بمرض عضوي يسبب له العنة (الضعف الجنسي)، في حين أن قابلية المرأة منقطعة بسبب الحمل والولادة والنفاس والحيض ثم انقطاع الدورة الشهرية بسبب الإنخفاض الحاد في معدل الهرمونات الجنسية الأنثوية، مما يؤدي إلى فتور ملحوظ في حياة المرأة الجنسية وعدم بحثها عن الإستمتاع بالجماع كما كانت أثناء مرحلة الصبا، حيث تكون رغبتها في الإستمتاع أقوى وأشد من رغبة الرجل.

فعندما تبلغ المرأة سن اليأس مع بداية الخمسين من العمر، تصبح غير قادرة على إشباع رغبة الرجل أو إشباع عواطفه وحاجاته الجنسية، ويبدو عليها الفتور وعدم المبالاة، بل في أحيان كثيرة تكره المعاشرة الزوجية، بينما يكون الرجل ما يزال يتمتع بنشاطه ورغبته في المعاشرة الجنسية وبحثه عن المرأة، وهنا قد يتعرض إلى الإنحراف والوقوع في الفاحشة فيكون الزواج الشرعي خيرا له ويحميه من الزلل والإنحراف.

٢- وهناك عامل اجتماعي وهو أن عدد الإناث أكثر من عدد الرجال في جميع دول العالم، وقد شاءت حكمة الله ذلك لأن المرأة هي التي تقوم بمهمة الحمل والإنجاب بمعدل مرة في العام وقد تكون مرة كل عامين أو ثلاثة، بينما الرجل يستطيع القيام بمهمته الجنسية في تلقيح البويضة لأكثر من امرأة، ولكن المرأة لا تستطيع ممارسة الجنس مع أكثر من رجل بهدف الحمل والإنجاب في الفترة نفسها، ولهذا فإن زيادة عدد النساء اللواتي يعاشرهن الرجل بالزواج الشرعي يؤدي إلى زيادة النسل مع حفظ النسب، أي تعرف الوالدة والوالد، بينما لا يتحقق ذلك من زيادة عدد الرجال الذين يعاشرون امرأة

واحدة!! لأنها في حال حملت من الأول لم يعد ممكنا أن تحمل من الآخرين، ثم إن تعرض الرجال للموت أكثر من النساء وذلك بسبب الحروب التي عناصرها هم الرجال وليس النساء، ثم بسبب ممارستهم للأعمال الشاقة والمغامرات والسفر والترحال، ونتيجة لذلك فإن عدد النساء في العالم يفوق عدد الرجال، وكحل لمشكلتهن فإن تزوج الرجل أكثر من امرأة زواجا شرعيا، يكون حلا مقبولا أكثر من تركهن يعانين من الوحدة والحاجة والإفتقار إلى من يقوم على حمايتهن"[١٩].

٣- حب الأبناء عاطفة غريزية في الإنسان، لأنهم كما قال عنهم رب العباد زينة الحياة الدنيا: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾**[٢٠] وهم عزوة وسند لآبائهم ولا يستطيع الإنسان أن يصبر على عدم انجاب الأبناء، ويضحي بالمال وكل ما هو ممكن في سبيل الحصول على الولد، فقد يكون سبب عدم الإنجاب في المرأة، وهنا لا بد للرجل من البحث عن زوجة أخرى تحقق له هذه الغريزة فتنجب له الأطفال، فيكون عدم الإنجاب من العوامل المبيحة لتعدد الزواج، وقد يتساءل شخص ما، وماذا إذا كان السبب من الرجل ؟ والجواب هو يحق للمرأة حينئذ أن تطلب فسخ الزواج فيقوم القاضي الشرعي بتنفيذ هذه الرغبة.

٤- وقد تصاب المرأة بمرض مزمن مقعد بحيث تصبح غير قادرة على تحقيق واجبات الزوجية، وقد يكون بينها وبين زوجها مودة واحترام وارتباط متين وهنا يكون الحق للزوج بالزواج من امرأة ثانية لتحقق له حاجاته العاطفية والمادية والنفسية، وتوافق الزوجة الأولى على البقاء مرتبطة به لما بينهما من مودة واحترام، وفي ذلك تحقيق لمصالح الطرفين.

ونظرا لهذه العوامل المبيحة لتعدد الزوجات، فإن جميع الشرائع السماوية حتى المسيحية أباحت التعدد، فالاقتصار على زوجة واحدة لم يكن إلا منذ عهد الملك شارلمان"[٢١] الذي كان متزوجا بأكثر من واحدة، ثم أشار القساوسة على المتزوجين بأكثر من واحدة أن يختار الواحد منهم إحداهن زوجة له ويبقي الأخريات أخدانا، ومن هنا انتشرت عادة تعدد العلاقات الجنسية غير الشرعية في العالم الغربي"[٢٢].

ويقول جورجي زيدان: "إن النصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين أو أكثر، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم"[٢٣]، ولم يرد

الهوامش:

١- النساء: ٢١ .

٢- البقرة: ٢٢٩ .

٣- تقي الدين النبهاني، النظام الاجتماعي في الاسلام، ص١٦٠ .

٤- البقرة: ٢٣٠ .

٥- د. موزة غباش، قضايا المرأة في الملف العربي، في محاضرات المركز الثقافي الاسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠٠ .

٦- تقي الدين النبهاني، مرجع سابق، ص١٦٢-١٦٤ .

٧- المرجع نفسه ص١٦٣ .

٨- رواه البخاري وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مكتبة المعارف، الرياض، ص٤١٦، وكذلك ابن عبد البر النمري القرطبي، الاستيعاب، دار احياء التراث، بيروت، ج٤، ص٢٥٦ .

٩- الطبري، مختصر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار القرآن الكريم، بيروت، سنة ١٩٨٣، ص١٥٠ .

١٠- النساء: ٣٤ .

١١- النساء: ٣٥ .

١٢- النساء: ٣ .

١٣- النساء: ١٢٩ .

١٤- الكهف: ٤٩ .

١٥- رواه ابو داود من حديث عائشة، انظر الشيخ تيسير رجب التميمي، محاضرة غير منشورة بعنوان: «منزلة المرأة في الاسلام» المؤتمر الاسلامي الدولي، تموز ٢٠٠٥، مؤسسة آل البيت، عمان.

١٦- حمد سيد احمد، الاتجاهات الفكرية السائدة حول قضية المرأة، في ندوة الخبراء حول المرأة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص١٠-١١ .

١٧- عبد السلام ابو النيل، مرجع سابق، ص٣١٨ .

١٨- ندوة الخبراء حول المرأة العربية (مرجع سابق ص١٠٧ .

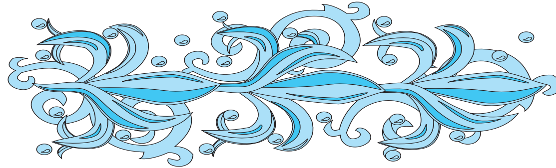
١٩- عبد السلام ابو النيل، مرجع سابق، ص٣١٩ .

٢٠- الكهف: ٤٦ .

٢١- الشيخ محمود شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ص١٩٩ .

٢٢- عبد السلام ابو النيل، مرجع سابق، ص٣٢٠ .

٢٣- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي.



مكانة المرأة في الدولة الإسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

كانت المرأة في مجتمعها الجاهلي مجهولة القدر، مجحودة الفضل، ترزح تحت أعباء ظالمة وتقاليد جائرة حتى إذا ما جاء الإسلام أنصفها وبوأها مكاناً سامياً (شلبي: ٢٧٢). لم تحظ المرأة في تشريع سماوي أو وضعي بالتقدير والتبجيل بمثل ما حظيت به المرأة المسلمة، وقد تعدد ذكر النساء بالقرآن الكريم، وذكر شؤونهن في سور بأكملها في كتاب الله، بلغت عشر سور من أهمها سورة النساء الكبرى وسورة النساء الصغرى (الطلاق) بالإضافة إلى ما جاء في سورة البقرة، وما جاء في سورة التحريم والمجادلة والممتحنة والنور والمائدة والأحزاب (النبراوي: ١٥٨-١٥٩).

❖ دور المرأة المسلمة في التاريخ:

للنساء المسلمات دور مشهود في الجهاد، فقد خرجن غازيات مجاهدات مع رسول الله ﷺ، يقمن على تضميد الجراح ونقل الجرحى من المجاهدين إلى المدينة وسقي الماء للجنود، وحث الجند على الجهاد (النبراوي: ١٩٥، عاشور: ٢٥٧).

وفي عهد الخلفاء الراشدين اختلطت بالناس لسماع خطب الخلفاء ومناقشتهم ومحاسبتهم، ومع التطور الذي أصاب المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، أخذت الأميرات يتدربن على ركوب الخيل ويشتركن في السباق، ودخلت الحريم ابتداء من عهد الوليد بن يزيد إلى القصور جرياً على تقاليد الروم وعاداتهم (عاشور: ٢٥٧)، وكان نصيب المرأة في الحياة العامة في

المجتمع في مرحلة النضج والازدهار كبيراً يسترعي الانتباه، على الرغم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة، فقد اسهمت بدور بارز يدل عليه ذلك العدد الضخم من تراجم النساء الذي تحتويه تواريخ المدن الإسلامية في العراق ومصر والشام والأندلس، فضلاً عما حوته كتب التراجم والطبقات من ذكر الشهيرات من النساء اللواتي برزن في مختلف ألوان النشاط السياسي والفكري والديني والاجتماعي، فقد افرد السخاوي -على سبيل المثال- أحد أجزاء كتابه «الضوء اللامع» للنساء (عاشور: ٢٧٥).

وعندما اشتد تيار التصوف سلكت عدد من النساء في القاهرة وغيرها من المدن الإسلامية مسلك المتصوفة من الرجال، فلبست الخرق، ولازمت هؤلاء النسوة المتصوفات الزوايا والرباطات التي خصصت لهن تحت رئاسة شيخهن (عاشور: ٢٧٧).

ويتحدث التاريخ عن أسماء نساء كان لهن دور في المجتمع الإسلامي سواء أكن من الحرائر أم من الرقيق، ومنهن على سبيل المثال زبيدة زوجة الرشيد التي شاركت الخليفة مجده وعظمته، وكانت بطريقة حياتها ومقتنياتها وتحفها الثمينة مصدراً للتقليد والتزيين في عصرها، فقد كانت المترفات من النساء يحرصن على تقليدها، ومنهن: عليّة والعباسة بنت المهدي، وصبح أم هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر في الأندلس (الباشا: ١١٦-١١٧).

وكان للإماء والجواري دور في رفاهية المجتمع لا سيما النابهات منهن، فكان منهن الشاعرات والمغنيات اللاتي يحيين مجالس السمر والطرب واللهو، وأدت الجواري دوراً مهماً في التاريخ، وخاصة في المجتمع العباسي، اذ صار بعضهن أمهات الخلفاء والسلاطين والأعيان، ونال بعضهن حظوة كبيرة عند اسيادهن، ومنهن من صارت من السلاطين مثل شجرة الدر، وأصبحت بعض الجواري على جانب كبير من الثراء بحيث استطعن ان يشدن عمائر يوقفنها في أعمال الخير، واصابت بعض الجواري حظاً وافراً من العلم و برعن في الفنون والأدب والصناعات (الباشا: ١١٩).

وكان من النساء عالمات بالدين يقبل الناس على دروسهن مثل: ستيتة بنت القاضي ابي عبدالله الحسن بن اسماعيل الضبي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)، وكان ابنها قاضياً، وتكنى أم الواحد وكانت فاضلة عالمة ومن أحفظ الناس للقرآن، وكانت تفتي وفق المذهب الشافعي مع العلماء، ونقل عنها الحديث، وأم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) وأخذ عنها كثير من العلماء، وكانت موصوفة بالديانة والفضل. واشتهرت بعلم الحديث كريمة بنت أحمد

المروزي بمكة، وقد قرأ عليها الخطيب البغدادي صحيح البخاري، وجوز بعض الفقهاء أن تجلس المرأة للقضاء، كأبي حنيفة وابن جرير، وكان لهن حضور في الحياة العلمية كاللغة والأدب (متز ٢/١٧٨-١٧٩).

وتشير المصادر في القرن الثامن للهجرة إلى نساء باشرن أمور الشراء في الأسواق وإلى نساء ذهبن إلى الحمامات العامة حيث كن يأنسن ببعضهن. وخرجت النساء إلى أماكن النزهة والفرجة كغوطة دمشق وشاطئ النيل (عاشور : ٢٧٧).

❖ الأعمال التي احتلتها المرأة في المجتمع:

أعطى الإسلام حقوقها كاملة، واعترف لها بمشاركة الرجل في ابقاء الجنس البشري، فهي الزوجة والإبنة والأخت، وهي عماد الأسرة والركيزة الأساسية في بناء المجتمع (النبراوي: ١٥٩)، وقد اوضح الإسلام بأن المرأة والرجل من أصل واحد ومن نفس واحدة، فقال تعالى: **﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾** النساء: ١ .

وتشترك المرأة في مسؤوليتها مع الرجل فيما يتعلق ببناء الأسرة وتربية النشء، وهي في الوقت ذاته مسؤولة أمام خالقها بوصفها كائناً عاقلاً مدركاً يحاسب عما يأتي من أعمال قال تعالى: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾** النساء: ١٢٤ .

واعترف الإسلام للمرأة بدورها الحيوي في المجتمع، ولها أن تتعلم وأن تعرف الإسلام معرفة حقيقية فهي مكلفة مسؤولة، وإن كان الشرع الحنيف قد خفف عنها القيام ببعض ما يكلف به الرجل، وإن استطاعت أن تؤديها، أو أدتها بالفعل، لما في ذلك من حرج (النبراوي ١٥٩: لوبون ٤٠١ - ٤٠٣، ٤٠٤).

وللمرأة حقها الكامل في التصرف في مالها، ولها الأهلية الكاملة في ممارسة البيع والشراء وعقد العقود واختيار الزوج المناسب لها (النبراوي ١٦٠)، واعترف الإسلام لها بحقها في الميراث، وعلى ابيها نفقتها حتى تتزوج.

يقول لوبون: «وحقوق الزوجة التي نص عليها القرآن ومفسروه افضل كثيراً من حقوق الزوجة الأوروبية، فالزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلاً عن مهرها، ولا يطلب اليها أن تشترك في الانفاق على أمور المنزل، وهي إذا أصبحت طالقاً أخذت نفقة، وهي اذا تأيمت أخذت نفقة سنة واحدة ونالت حصة من تركة زوجها» (لوبون: ٤١٠).

وفي تحمل المسؤولية الفردية يستوي كل من الرجل والمرأة، وقد نص القرآن الكريم على ذلك في كثير من آياته، مؤكداً استقلال الرجل والمرأة في تحمل هذه المسؤولية، وفي الارتفاع إلى مستوى المحاسبة والتقدير **﴿أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾** (آل عمران ، ١٩٥).

وتنقسم المسؤولية الفردية إلى قسمين: مسؤولية خاصة تتعلق بالإنسان ذاته من حيث احترامه لعقله ونفسه، ومراعاة ما أمر الله به فيما يرتبط بالعلاقة بين الإنسان وخالقه ورعاية ذاته، ومسؤولية عامة تختص بالدعوة إلى الإصلاح والخير في إطار المبدأ الإسلامي العام الذي حدده القرآن، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويناط بالرجل والمرأة التطبيق العملي لهذه المسؤولية بشقيها الخاص والعام، وفي نطاق قيام الرجل والمرأة بالمسؤولية الملقاة على عاتقيهما وعبر تقديرها لأبعاد هذه المسؤولية، يحقق للجميع الصلاح والتقدم والخير، كما يتحقق للأمة انسجامها وتناسقها (النبراوي: ١٦١).

وتحث المسؤولية الفردية على المرأة أن تتعلم، وعد الفقهاء ذلك فرض عين، وللمرأة المسلمة بكراً كانت أو ثيباً أن تقول رأيها في زواجها، فقد قال رسول الله ﷺ: «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صمتها» (النبراوي: ١٦٢).

وللمرأة المسلمة الحق في أن تدلي بشهادتها وأن تُقبل هذه الشهادة، ولكن القرآن الكريم حدد ذلك فذكرت الآية الكريمة: **﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾** وقد فسر ذلك تفسيراً يرفق بحال المرأة حتى اذا نسيت احداهما تذكرها الأخرى (النبراوي ١٩٢) وكانت النساء الحرائر يتخذن الجواري، وكانت السيدة الحرة، حرة التصرف في جاريتها ان شاءت اعتقتها أو أهدتها أو باعتها (الباشا: ١١٩).

والمرأة شريكة الرجل في تكوين الأسرة، يرعيانها سوياً إلى أن يصل الأبناء إلى مرحلة النضج والاعتماد الكامل على النفس، بما يتاح لهم من تربية وتعليم ومساندة روحية ومادية في نطاق الأسرة السوية التي يريدها الإسلام (النبراوي: ١٦٢).

❖ الأعياد والمواسم في الدولة الإسلامية:

حفلت الدولة الإسلامية بكثير من الرسوم والمظاهر الاجتماعية، وكان من ضمنها الاهتمام بالأعياد والمواكب وتنظيمها حسب قواعد معينة وأنظمة محددة (ماجد: ١٢٣)، إلا أن المجتمعات الإسلامية شهدت كثيراً من الاحتفالات

والأعياد منها: الدينية التي يحتفل بها المسلمون ومنها الوطنية أو شبه القومية التي يحتفل بها المسلمون وغير المسلمين، ومنها العائلية.

❖ **الاحتفالات الدينية:**

كان منها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والاحتفال بإحياء شهر رمضان الكريم، والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى وخروج موكب الحج (عاشور، ٢٦٩)، لكن أهم هذه الأعياد وأكبرها عيد الفطر والأضحى، لارتباطهما بركنين أساسيين من أركان الدين الإسلامي وهما: الصيام في شهر رمضان، والحج إلى البيت الحرام، ويحتفل بهما المسلمون قاطبة على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم وبلدانهم، وكانوا يحتفلون بهما بفخامة وأبهة تظهر روعتهما في أمهات المدن، وبخاصة المدن التي يكون الشعور الديني بها عميقاً كالديار المقدسة والثغور (عبد الباقي: ٨٨)، وكان المسلمون يرسلون للمرابطين في الثغور الحلوى والهدايا تقرباً لله وتكريماً لهم (ماجد: ١٢٤).

وكان الناس في مختلف أقطارهم يتهيأون للعيدين قبل حلولهما، حيث كانوا يعدون الحلوى الخاصة، وكانت تصنع بهذه المناسبة ابراج من السكر توضع في وسط الموائد (عبد الباقي: ٨٨).

١- عيد الفطر:

يرجع الاحتفال به إلى أيام رسول الله ﷺ، فبدأ الرسول بصلاة العيد بعيد انتهاء شهر رمضان (ماجد: ١٢٤) ثم جرت العادة أن يخرج الخليفة صباح يوم العيد إلى المسجد الجامع للصلاة بالناس وإلقاء خطبة العيد، وعندما يعود الى الدار يأمر بمد السماط للناس، ويستعرض الموكب الذي يمر أمامه، وفيه الأمراء والقواد ومختلف صنوف الجند بكامل اسلحتهم وزينتهم تتقدمهم الأعلام، ويستمر الناس في احتفالهم بالعيد ثلاثة أيام، ويسمى اول يوم في شوال -وهو أول يوم عيد الفطر- يوم الرحمة، وقد جرت العادة في هذا اليوم أن توزع الخيرات؛ كالفطرة والكسوة والطعام (عبد الباقي: ٨٩).

وكان الخلفاء والسلاطين والحكام يبالغون في التوسعة على العلماء وتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين، ويستقبل العيد الجميع بملابس جديدة (عاشور: ٢٦٩).

٢- عيد الأضحى وموسم الحج:

يعد موسم الحج أعظم مواسم السنة احتفالاً؛ إذ تتجمع فيه مواكب الحجاج من مختلف أقاليم الدولة العربية وأمهات مدنها في حاضرة الخلافة تتقدمها المحامل والطبول (عبد الباقي: ٨٩)، وكان موكب الخليفة على رأس هذه المواكب جميعاً أو

من ينوب عنه.

ومن الملاحظ أنه لم يخرج خلفاء للحج بعد هارون الرشيد، وكان يخرج من كل قطر موكب، أما موكب بغداد فكان يجمع كثيراً من المسلمين الراغبين في الحج القادمين من الأقطار الشرقية (العراق وفارس وخراسان) (ماجد ١٢٥).

وكان الناس يقيمون الولائم للحجاج، ثم يقلد الخليفة من يختاره لإمارة الحج ويخلع عليه ويجهزه بالدواب لركوبه مع حاشيته فيخرج بالحجاج وهم في طاعته (عبد الباقي: ٩٠).

أما الخلفاء فكانوا يحملون معهم زادهم وتخرج معهم مجموعة من الجند لحراستهم، وقد عرفت وظيفة أمير الحج منذ عصر النبي ﷺ؛ إذ كان ينيب عنه عند الضرورة أحد الصحابة في رئاسة المسلمين الذاهبين للحج، وسار الخلفاء والولاة على هذه السنة، فكانوا يضعون نواباً عنهم يرأسون الحجيج الخارج من أقطارهم إلى بيت الله الحرام، وعرف هؤلاء في الدولة الإسلامية باسم «أمراء الحاج» (ماجد: ١٢٥).

وكان من واجب أمير الحج إرشاد الموكب إلى الطريق الصحيح والمحافظة على أمن وسلامة الحجاج، وهو الذي يلقي خطبة عيد الأضحى نيابة عن الخليفة في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وهو الذي يوزع هدايا الخليفة، ويعلق قناديل الذهب والفضة التي يبعث بها الخليفة بالمسجد الحرام، لمدة خمسة أيام ليراها الناس ويشاركوا بالاحتفال في تعليقها، ثم تنقل بعدها إلى داخل المسجد، كما يتولى نصب الأعلام التي عليها اسم الخليفة، وعندما ينتهي الحج وتعود مواكب الحجاج على حاضرة الخلافة، يتجمع الناس ثانية، ويخفون لاستقبالهم ضاربين الدفوف وحاملين الأعلام، وتتم تهنئتهم بسلامة العودة ويأمر الخليفة بتوزيع الهدايا خاصة على من عاد من الحجاج من رجال الدولة ووجهاء الناس.

ومن أهم مظاهر عيد الأضحى النحر، ويوم النحر هو أول ايام عيد الأضحى وتنحر وتذبح فيه أعداد كبيرة من الإبل والبقر والغنم، وكان من رسوم دار الخلافة أن توزع على القواد وحاشية الخليفة وموظفي الدولة أعداد كبيرة من البقر والغنم والإبل، ليضحوا بها، وإطلاق من يرى الخليفة من المحبوسين، كما يأمر بذبح سبعين ناقة في أبواب دار الخلافة رغبة في الأجر والثواب (عبد الباقي: ٩٠).

٣- رأس السنة الهجرية:

يعد الأول من المحرم معظماً لأنه غرة الحول ومفتتح السنة، وهو ليس عيداً شعبياً بل اقتصر الاحتفال به على دار الخلافة، واعتاد الناس أن يتهادوا فيه، إلا أن

الفاطميين بالغوا بالاحتفال برأس السنة الهجرية، فكانوا يعملون طعاماً وحلوى في مطبخ القصر، ويوزع على القواد والموظفين من اصحاب الرتب وارباب السيوف والأقلام، ويعمم ذلك على سائر الناس، وقد احتفلوا به أسوة بالعباسيين في بغداد وسامراء (عبد الباقي: ٩١).

◆ الاحتفالات الاجتماعية (غير الدينية):

١- **أول الرَّبِيع:** يخرج الناس فيه إلى البساتين مصطَحبين معهم الجواري والقيان، فيرقصون ويغنون ويقضون نهارهم في طرب ومتعة (عبد الباقي: ٩١).

٢- **النوروز والمهرجان:** وهذان العيدان في اساسهما من اعياد الفرس، واستمروا على الاحتفال بهما بعد قيام الدولة الإسلامية، فيقع النوروز في أول يوم من السنة الشمسية (أي في ٢١ - آذار / مارس من السنة الرومية)، ويقع المهرجان في منتصف السنة الشمسية، كما استمرت أغلب الطقوس التي تجرى في هذين العيدين، بما لا يتنافى مع تعاليم الإسلام، على ان مشاركة العرب فيهما اقتصرت على تبادل الهدايا والخروج للترويح عن النفس، واعتاد الخلفاء أن يوزعوا هدايا على حاشيتهم، كما كانوا يتلقون هدايا من الوزراء والقادة وأفراد عائلاتهم (عاشور ٢٧٠، عبد الباقي ٩٢).

وكان النوروز عند المصريين هو رأس السنة القبطية، لكنه أصبح زمن المماليك عيداً عاماً يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين، فيصنعون الحلوى ويتبادلون الهدايا وتعطل المتاجر (عاشور: ٢٧٠).

٣- **تولية الخليفة أو السلطان:** وفيه تتزين المدن وتمد الأسمطة في قصر الحاكم وتضاء الدكاكين والحوانيت بالشموع والقناديل، وقد تجري هذه الاحتفالات كذلك بمناسبة شفاء الخليفة أو السلطان من مرضه أو عودته ظافراً من الحرب (عاشور: ٢٧٠).

٤- **وفاء النيل:** ويكون هذا الاحتفال عندما يصل ارتفاع مستوى النيل ستة عشر ذراعاً، فيخرج الناس ومعهم مشاعل الشموع وبالقناديل ويستأجرون المراكب ويزينوها، ويخرج السلطان في هذا اليوم بموكب مهيب يحضره كبار رجال الدولة (عاشور ٢٧٢).

٥- **أعياد الشِّيعَة:** ومنها الاحتفال بيوم عاشوراء، ويوم غدير الذي يصادف في الثامن عشر من ذي الحجة (ماجد ١٢٤).

٦- **أعياد النصارى:** ومن ذلك احتفالهم بعيد رأس السنة والأعياد الخاصة حسب تعدد الطوائف المسيحية، فكانت الأديرة تحتفل عادة بالأعياد فيخرج رهبانها وقساوستها إلى المذبح متزينين وحولهم فتيانهم، وبأيديهم المجامر والصلبان تتدلى على صدورهم، ويتقلدوا الصلبان، وكان

يتجمع حولهم النصارى من الرجال والنساء محتفلين بالطقوس الدينية، وهم يحملون تحف الرياحين والورد، فيخرج المسلمون لمشاركتهم في افراحهم ومشاهدة طقوسهم (عبد الباقي ٩٣).

٧- الزواج والولادة أو الختان:

وهي من المناسبات التي تعرض فيها مظاهر البذخ خاصة احتفالات الزواج، وقد سجل لنا التاريخ بعض هذه المناسبات مثل: زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل، وزواج الخليفة المعتضد من قطر الندى ابنة خماويه -سلطان مصر- حيث وصف العرس الأخير بأنه كان في منتهى الجمال، وفيه وقف العروسان على حصير منسوج من خيط الذهب ومرصع بالدر والياقوت، ثم نثر عليهما الف لؤلؤة من صينية ذهبية (ماجد ١٢٨ - ١٢٧).

❖ المواكب في الدولة الإسلامية:

اهتمت الدولة العباسية اهتماماً خاصاً بالمواكب، وذلك جرياً على عاداتهم الاهتمام بالرسوم والمظاهر التي من أهمها المواكب التي يشترك فيها الخليفة، وجرت العادة أن يأخذ موكب الخليفة مظهراً حربياً، وكان من التقاليد المتبعة في هذه المواكب ظهور الخليفة بشعارات خاصة أو علامات خاصة هي البردة والخاتم والقضيب، وقد كان الخلفاء يخرجون في مناسبات خاصة منها:

١- موكب الجمع: يخرج لصلاة الجمعة في موكب فخم، إذ كان الحرس من مختلف الطبقات يسيرون في المقدمة وهم يحملون الأعلام، ويأتي بعدهم أمراء بيت الخلافة على ظهور الخيل المزدانة، ثم الخليفة وهو يمتطي جواداً ابيض وحوله كبار رجال الدولة، ويلبس قباء اسود، ويضع على رأسه قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة غالية وبيده قضيب الخلافة وبأصبعه خاتم، ويتدلى من صدره سلسلة طويلة ذهبية مرصعة بالجواهر النفيسة. وكان الهادي هو أول من أدخل هذا النظام، وكان يضرب على أبواب قصر الخلافة في بغداد بالطبول في أوقات الصلاة.

٢- مواكب الحج: كان الخليفة يخرج على رأسها أو يبعث من ينوب عنه، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في اثناء الحديث عن الاحتفال بعيد الأضحى.

٣- مواكب الاستقبال: وفي هذه المناسبات كان الخليفة يخرج في موكب لاستقبال بعض الوفود أو السفراء، ويبالغ في هذه المواكب إلى درجة كبيرة، من أمثلتها موكب استقبال الخليفة المقتدر في بلاطه رسل الإمبراطور قسطنطين السابع سنة ٣٠٤هـ، إذ يقال: إنه مشى في موكب الخليفة ١٦٠ ألف فارس وراجل وسبعة آلاف من الخدم وسبعمائة صاحب، وسار رسل الإمبراطور بين صفين من السباع

نقابة الأشراف..
الحقيقة عن أصلها ووظائفها

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

لفت نظري -ولو متأخراً- في مجلة «سامراء»، في عددها السادس عشر، الصادر في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٦ ص٣٠-٣١، مقال عن نقابة الأشراف والنسب النبوي، بقلم السيد جليل صابر من القاهرة، تركز على نقابة الاشراف في مصر، وكأن النقابة هي من صنع الفاطميين، ثم تأكد وجودها من جانب المماليك، واقتصر أمرها على بعض المظاهر، ومنها الاعتمار بعمامة خضراء، وفات على الكاتب الفاضل ان نقابة الأشراف احتلت مكانة رفيعة جداً، لا يسمو فوقها سوى منصب الخلافة، وقد كان لها نظامها الذي يحدد وظائفها وخصائصها، وقد تناولها القاضي ابو الحسن الماوردي (علي بن محمد البصري البغدادي المتوفى سنة ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) في كتابه القيم «الأحكام السلطانية» تناول فيه تشكيلات الدولة في الاسلام، أو ما يمكن تسميته «الأحكام الدستورية»، وهو كتاب قيم اهتم به المستشرقون في وقت مبكر، وقد نشروه لأول مرة في سنة ١٨٥٣م بتحقيق المستشرق الألماني «مكس أنغر» في ألمانيا، وقد ترجم الى بعض اللغات الأوروبية.

كما أنه نشر في البلاد العربية عدة مرات، ومنها طبعتان في مصر، كانت ثانيتهما في سنة ١٩٦٦، وأخرى في العراق سنة ١٩٨٠، وكنت من جانبي قد نشرت مقالاً (في ثلاث حلقات) في جريدة الرأي الأردنية في ٢٨ و ١٩٩٨/٤/٢٩، و ١٩٩٨/٥/١٦، بعنوان «نقابة الأشراف ومكانتها في المجتمع الاسلامي» علاوة على مقال آخر بعنوان «حقائق تاريخية عن الأسرة الكيلانية» في الجريدة نفسها بتاريخ

. ١٩٩٧/٣/٢١

اما الذي يهمني الآن، فهو التنبيه الى الحقيقة، وهي أن النقابة أمرها قديم، ولم يكن وجودها مرتبطاً بالفاطميين حكام مصر، وإنما يعود تأسيسها الى بني العباس، فهم الذين شعروا بالحاجة لوجود مؤسسة ترعى شؤون الطالبيين والعباسيين، وتقوم بتدوين سجلات بمواليدهم، لئلا يدخل في النسب الشريف من لا تثبت ولادته لأب طالبي أو عباسي، اذ كانوا يخشون ان يدّعي الانتساب اليهم بعض المتطفلين والمزيفين الذين لم يرعوا حرمة الانتساب الى البيت النبوي الطاهر، اذ خصّ الله أهله بمكانة تثير حسد الحاسدين، اذ جعل الصلاة والسلام عليهم جزءاً من الصلاة المكتوبة، حتى قال في ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه :

يا آل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة له

(ديوان الشافعي ص٧٢)

ولذلك ليس من المستغرب ان يوجد ناس يطمعون في نيل هذه المكانة، حتى بالكذب، والعياذ بالله، هذا وان عناية العباسيين بالأنساب تقوم على ما أمر به الرسول ﷺ بقوله: «اعرفوا انسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة، ولا بُعد اذا وُصلت وان كانت بعيدة» (الأحكام السلطانية، القاهرة ١٩٦٦، ص٩٦).

وهذا أمر موجه الى عموم المسلمين، ولكنه يختص -من باب أولى- بأبناء البيت النبوي الجليل، ولذلك فلا غرابة ان يستدعي هذا الأمر ايجاد منصب في الدولة الاسلامية يسمى «ولاية النقابة على ذوي الأنساب» مهمتها صيانة ذوي الأنساب الشريفة من ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، وتعيين من يتولى النقابة موكول الى الخليفة نفسه، او ممن يفوضه الخليفة بممارسة حق التعيين نيابة عنه (مثل وزير التفويض) او أمير الإقليم، أو نقيب عام الولاية (بالنسبة لتعيين نقيب خاص).

كما ان للخليفة ان يعين نقيبين عامين أحدهما للطالبيين وثانيهما للعباسيين -كما أسلفنا- يتم اختيارهما ممن هم (أجلهم بيتاً، وأكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأياً، فيولى عليهم، لتجتمع فيه شروط الرئاسة والسياسة، فيسرعوا الى طاعته برياسته، وتستقيم

امورهم بسياسته) الماوردي ص٩٦ .

ثم ان النقابة على نوعين: خاصة وعامة، ففي الأولى يقتصر نظر النقيب على مجرد النقابة (اي الرئاسة) ولا يتجاوزها الى إصدار أحكام شرعية وإقامة حد شرعي، وفي هذه الحالة لا يُشترط فيه التقدم في العلم، **وتقتصر واجباته على الاهتمام بشؤون يبلغ مجموعها (١٢) شأناً، وهي:**

١- حفظ أنساب من يرعاهم، فيمنع من ان يدخل فيها وهو ليس منها، ويمنع من يخرج عنها من هو منها، ليكون النسب محفوظاً بريئاً من الخلل.

٢- تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم، حتى لا يتداخل نسب في نسب، ويثبتهم في ديوانه «اي سجله».

٣- معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى، فيثبتهم في السجل، وكذلك معرفة من مات حتى لا يضيع نسب المولود، ولا يدّعي نسب الميت احد غيره «اي يتقمص شخصيته، اي لا يزال حياً».

٤- يأخذهم «اي يلزمهم» من الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم أصلهم، لتكون حشمتهم في النفوس موفورة وحرمة الرسول ﷺ فيهم محفوظة.

٥- ينزههم عن المكاسب الدنيئة، ويمنعهم من المطالب الخبيثة، حتى لا يكون بينهم متبذل ولا متذلل.

٦- يكفهم عن ارتكاب المآثم وانتهاك المحارم، ليسيروا على هدي الدين الذي نصروه، وحتى لا ينطق أحد بذمهم.

٧- يمنعهم من التسلط على العامة «بحجة شرفهم» والشطط عليهم «بسبب نسبهم» ويندبهم الى استعطاف القلوب وتألف النفوس، لكي تميل اليهم القلوب والنفوس على السواء.

٨- يكون عوناً في استيفاء حقوقهم حتى لا يضعفوا عن تحصيلها، كما يعمل على أخذ الحقوق منهم لكي يكونوا منصفين للغير.

٩- ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة، باستيفاء سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة، مما أوجبه الله لآل البيت النبوي «اي الخمس».

١٠- ان يمنع نساءهم ان يتزوجن الا من الأكفاء، لشرفهن ولتعظيم حرمتهن.

١١- يقوّم ذوي الهفوات منهم، ويقيل العثرة والزلة بالموعظة الحسنة «اي بدون عنف».

١٢- رعاية «أوقافهم» بحفظ أصولها وتنمية فروعها، وتنظيم جبايتها، ويعدل في قسمتها، وايصالها الى مستحقيها.

اما الصنف الثاني من النقابة (وهو النقابة العامة) فإن صاحبها يتولى جميع الأمور السالفة الذكر ويزيد عليها خمسة أخرى، هي:

أولاً: يتولى الحكم (اي القضاء) بين افراد الطالبيين والعباسيين فيما اذا تنازعوا بينهم في حق من الحقوق.

ثانياً: يقوم بالولاية على أيتامهم فيما يتعلق بأملاكهم «اي القاصرين في السن».

ثالثاً: اقامة الحدود الشرعية عليهم فيما ارتكبوه من أمور يحرمها الاسلام، كالقتل والسرقة والزنا وما اليها.

رابعاً: تزويج النساء اللاتي لا أولياء لهن، أو اللاتي تعسف اولياؤهن من ناحية الزواج بشكل يضرهن.

خامساً: فرض الحجر على من تثبت اصابته بالعته (الجنون) او كان سفيهاً، ويتولى رفع الحجر عمن شُفي من الجنون أو زالت صفة السفه عنه، وصار شخصاً سوياً.

ولصحة تولي النقيب لهذا الصنف من النقابة (اي العامة) ينبغي له ان يكون عالماً من اهل الاجتهاد، ليصح حكمه وتنفذ احكامه القضائية، ثم هناك أمور شرحها ابو الحسن الماوردي تتعلق بعلاقة هذا النقيب بالقضاة العاديين، وملابساتها وما يتصل بها من أمور فقهية تهم المختصين، وفيها تفاصيل تقع خارج نطاق هذا المقال (انظر الأحكام السلطانية ص٩٦-٩٩).

يتضح مما تقدم ان نقابة الأشراف لم تنشأ على أيدي الفاطميين، بل كان انشاؤها من قبل العباسيين الذين حرصوا على صيانة أنساب الطالبيين والعباسيين على السواء، وهم الذين عنوا اقصى العناية بتعيين النقباء الذين لا يتقدمهم في المنزلة سوى الخلفاء، ومصداق ذلك ما قاله الشريف الرضي «الآتي ذكره» مخاطباً الخليفة:

مهلاً أمير المؤمنين فإننا

في الدوحة العلياء لا نتفرق

إلا الخلافة ميزتك فإنني

انا عاطل منها وأنت مطوق!!

والمعروف ان أشهر من تولى النقابة في العصر العباسي أسرة علوية حسينية النسب، هي أسرة الشاعر الرضي آنف الذكر واسمه محمد بن الحسين العلوي

(ت٤٠٦هـ ١٠١٥م)، الذي انتهت اليه نقابة الأشراف العلويين والعباسيين على السواء، بل وقد جدد له الخليفة تقليدها له اثناء حياة والده الذي تولاها ايضاً (اعلام الزركلي - الطبعة الرابعة ج٦/٩٩).

وكان والده وهو الحسين بن موسى العلوي (ت ٤٠٠هـ ١٠١٠م) تلقى منشوراً بذلك، علاوة على إسناد إمارة الحج ورئاسة ديوان المظالم اليه، وهي من اختصاص الخليفة نفسه أو ولي عهده (الزركلي ج/٢٦٠ ٢).

ثم تولاها أخوه الملقب بالمرتضى، واسمه علي بن الحسين العلوي (ت٤٣٦هـ ١٠٤٤م) ولكن ولايته اقتصرت على نقابة الطالبيين فقط، وهو شاعر كأخيه، وصاحب مصنفات كثيرة في علوم الدين والأدب (الزركلي ج٤/٢٧٨).

كذلك تولى بعض العباسيين هذه النقابة بصنفيها (اي الجمع بين العلويين والعباسيين)، أو الانفراد بفريق واحد منهما، ومن ابرز هؤلاء: طراد بن محمد الهاشمي العباسي (ت٤٩١هـ ١٠٩٨م)، الذي اشتهر باسم «الزينبي النقيب»، الذي وصف بأنه كان أعلى الناس منزلة لدى خليفة زمانه، اذ تولى نقابة العباسيين في البصرة، ثم عين بمنصب «نقيب النقباء» اي جميع النقباء هم تحت رئاسته (الزركلي ج٣/٢٢٥).

واستمر الحال على هذه الصورة، لكن الغزو المغولي وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م، ثم توالي الغزوات على العراق من بدو أواسط آسيا، ثم العدوان الصفوي خاصة، ادت الى جرف النقابة ضمن ما جرفت من تنظيمات علاوة على الدمار المادي.

وقد استهدف الصفويون المؤسسات الدينية بصفة خاصة، بل استهدفوا آل الشيخ عبد القادر الكيلاني بالذات، اذ انتهت اليهم رئاسة النقابة وولاية الأوقاف المخصصة لجامع الكيلاني ومدرسته، فشردوا الكثير منهم الى تركيا ومصر وبلاد الشام، ولكن السلطان سليمان القانوني الذي قاد بنفسه حملة عسكرية، ادت الى طرد الصفويين من العراق، ودخل بغداد في سنة ٩٤١هـ ١٥٣٤م، فأعاد بناء الجامع وأقر الأسرة الكيلانية في رئاسة نقابة الأشراف، وهي اسرة شريفة ترجع في نسبها الى الإمامين الحسن والحسين، رضي الله عنهما، من ناحية الأب والأم (عباس الغزاوي - العراق بين احتلالين -ج٣/٣٤٣-٣٤٤ و ج٤/٢٩ و ١٢٥ و ١٢٦)، ويعتبر

النقيب الكيلاني رئيساً لجميع نقباء العراق.

ومن أبرز الذين تولوا النقابة في بغداد السيد عبد الرحمن باشا ابن علي النقيب الكيلاني (ت١٩٢٧م)، الذي عاصر الاحتلال البريطاني للعراق، ويعتبر أبرز شخصية عراقية في زمانه، ولذلك حاولت بريطانيا اقناعه في ترشيح نفسه لعرض العراق، لكنه رفض، غير انها اقنعته بتأليف اول وزارة عراقية انبثقت عن الثورة العراقية ضد الانجليز سنة ١٩٢٠ .

وبعد وفاته تعاقب على تولي النقابة عدد من أبنائه وأحفاده، وهكذا استمرت النقابة الكبرى في آل الكيلاني، فواصلت اعمالها الخيرية في صيانة جامع الكيلاني ومدرسته ومكتبته وتجديدها، الى جانب توزيع الطعام للفقراء ورعايتهم، حتى وقع العدوان الصليبي الأخير، مما هيأ الفرصة للعدوان على تلك الصروح وتدميرها، مما هو معروف، ولا شك ان التدمير قد جرف النقابة ومؤسساتها، مما يعيد الى الأذهان العدوان الصفوي قبل خمسة قرون، ان من المؤلم حقاً ان تتعرض هذه الرئاسة الروحية الى مثل هذا المصير، ولا شك ان مسؤولية ما وقع تقع على عاتق قرصان الاحتلال الغادر الذين رعوا حملات القتل والتفجير والتهجير والتدمير.

هذا ولا تكتمل الصورة عن نقابة الاشراف دون الاشارة الى ان كثيراً من مدن العراق كان لها نقيب على غرار بغداد، ومنها البصرة «وقد مر ذكر نقيبها الزينبي» وقد برز أحد ابنائها وهو السياسي الكبير السيد طالب باشا ابن رجب النقيب (ت١٩٢٩م) الذي تولى بعض المناصب العليا في العهد العثماني، ثم تولى مناصب وزارية في حكومة العراق الحديث، لكنه اصطدم بالتعنت البريطاني، مما أدى الى نفيه الى الهند (الزركلي ج٣/٢١٨).

ومن المدن العراقية التي وجد فيها النقباء -على ما اتذكر- الموصل وكربلاء وسامراء وعانة ومندلي، ولا زال عدد من ابناء هذه المدن يحملون في أسمائهم صفة الانتساب الى النقابة، فيقال مثلاً: (فلان النقيب).

أما في البلاد العربية الأخرى، فإن أسراً كثيرة في مصر وسوريا وفلسطين والأردن تحمل لقب «الكيلاني» وأذكر منها على وجه الخصوص وجود تكية كيلاني في مدينة حماة على ضفاف نهر العاصي، وهي من معالم المدينة المهمة، حيث تتمتع هذه الأسرة ببالغ الاحترام، ولعله كانوا من

بقلم الطالبة آلاء محمود الصرفندي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ❖ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾.

آل عمران: ١٣٤-١٣٥

دعاء

قال رسول الله ﷺ:

«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها الا انت، واصرفني عن سيئها، لا يصرف عني سيئها الا انت».

حفظ اللسان

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«اذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وان اعوججت اعوججنا».

فصاحة الخليل

كان الخليل بن احمد الفراهيدي، من ازهد الناس، راوياً ومحدثاً، وشاعراً زيادة على تخصصه بوضع علم العروض، وبحور الشعر، وقد جمع احرف اللغة العربية كلها في بيت من الشعر وتفرد بذلك بالسبق فقال من البحر «البسيط»:

صف خلق خودٍ كمثل الشمس اذا بزغت

يحظى الضجيج بها نجلاء معطار

ثلاثة

قال بعض الحكماء: احذروا من صحبة ثلاثة اصناف من الناس:

- **اللئيم:** فإنه بمنزلة الأرض السبخة، التي لا ينفع فيها العمل.
- **الفاحش:** فإنه يرى ان ما صنعت اليه، انما هو من مخافة فحشه.
- **الأحمق:** فإنه لا يعرف مقدار ما أحسنت له.

كيف تسلم اعصابك من التلف؟

عامل القدر بالرضى، وعامل الناس بالحذر، وعامل اهلك باللين، وعامل اخوانك بالتسامح، وعامل الدهر بانتظار تقلباته، تسلم اعصابك من التلف والانهيار.

تحية عراقية الى الأردن، ملكاً وحكومة وشعباً

شعر الدكتور صادق عبيد الكبيسي

انبئت ان الملك الاصيلا ... أصدر امراً مفرحاً مأمولا
يأمر فيه جنده الفحولا ... بموقف قد وضع الحلولا
لمن اقام زمنا طويلا ... لديه حتى ظنه بديلا
عن بلد لست ترى مثيلا ... له سوى الأردن او مقيلا
هو العراق بلد الأحرار ... ما ضاق ذرعاً ان رأى نزيلا
يختاره كموطن يقيم ... على ثراه نفسه كفيلا

❖ ❖ ❖

يا سيدي باسم الألى اقاموا ... وجاوروك زمناً طويلا
ما مسهم جراءه متاعب ... ولا رأوا خلاله تقليلا
ادعو الإله الملك الجليلا ... ان يحفظ الراعي والرعيلا
وان يظل الاردن العزيزا ... متوجاً في رأسه اكليلا
وان تظل القائد المقداما ... مسددا فيما ترى قنديلا

❖ ❖ ❖

لا ترمني يا قارئي بالزور ... ولا تقل كلامه معسولا
لو نلت منهم مثل نيلي لا ترى ... ما قلت الا نادراً قليلا
لبثت عشراً بعد خمس فيهم ... ما كنت يوماً بينهم مخذولا
بل قدموني في الصلاة امامهم ... ارقى المنابر ناصحاً مقبولا
هم في ضميري اخوة ادعو لهم ... بعد الصلاة بكرة وأصيلا
فارقتهم لا عن قلا بل حاجة ... فرضت علي النأي والرحيلا
يا ليتني اقضي حياتي بينهم ... يا ليتني دمت لهم خليلا

❖ ❖ ❖

١

الإمام الليث بن سعد لمحات من حياته وفقهه

■ بقلم الأستاذ رجب عبد اللطيف

لأديب الشام ومؤرخه المعاصر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، وصف جامع لأبي الحارث الليث بن سعد، ينبئُ فيه عن صفات الإمام وأحواله، لعل اللغة قد أسلمت له قيادها، فاختار منها ما الشيخ جدير به، فجاء تعبيره الوارف ليمثل الحقيقة في أزهى صورها، وهو في الوقت ذاته ينم عن التقدير في أتم وجوهه، قال رحمه الله: «علم شامخ من اعلام الاسلام، وامام من أئمة الدين، وأحد افراد الدنيا علماً وذكاءً ونبلاً ورفعة وسخاءً وكرماً، اجمعوا على انه عدل مالك في الفقه ونظيره في الاجتهاد، وانه لمصر مثل مالك للمدينة: لا يفتى ومالك في المدينة، ولا يفتى والليث في مصر، وهو يعد اعظم جاهاً من مالك، واكثر مالاً وأسخى يداً واجزل عطاء».

ولقد عرف له الأولون فضله وعلمه، وسموه ورفعته، فعاش رئيساً في العلماء، مقدماً عند الخلفاء، مطاعاً عند الولاة، مبجلاً عند الخاصة، موقراً عند العامة، ازدحمت عليه النعم، وأقبلت عليه الخيرات، ودنت منه الأماني، فأوتي العلم والعقل والصحة والمال، والريادة والجاه، وأوتي مع هذا كله نفساً اكبر من هذا كله، فما التفتت اليه، ولا تمسكت به، ولا شغلها عن دينها وتقواها، مالت اليه الدنيا فمال عنها، ومنح من كل نعمة أوفاها، فما قصر في شكر، ولا زهد في أجر، وكان سيد مصر، أمره قبل امر الولاة، وحكمه فوق حكم القضاة، فما اقتنص بذلك دنيا، ولا غمص عليه في بطن ولا فرج، وكان دخله بين عشرين وثمانين ألف دينار في العام، فما كنز بيضاء ولا

صفراء، ولا منعها فقيراً، ولا أمسكها عن ذي حاجة، فأطبق العلماء على إجلاله، واتفق المصنفون على الثناء عليه، وعقدت القلوب على حبه، واجمع الناس على احترامه»[١].

وهذه الدراسة عن امام مصر وفقيهها، ما هي الا تفصيل لما اجمله الشيخ من صفات الليث وأحواله وفقهه وأصوله وعوالي حديثه.

❖ نسبه:

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المكنى بأبي الحارث الملقب بالمصري.

❖ مولده:

ولد الليث في شعبان عام ٩٤هـ، على ما روى عن نفسه أنه «ولد في شعبان سنة اربع وتسعين»، ويحدد بعض المؤرخين اليوم والتاريخ تحديداً قاطعاً فيقول: انه ولد يوم الجمعة الرابع عشر من شهر شعبان[٣]. وقد ولد الليث بقرية قلقشندة[٤] بمركز طوخ، محافظة القليوبية.

لم تول كتب الطبقات والتراجم عنايتها واهتمامها بنشأة الليث وحياته الأولى، وما يصاحب ذلك عادة من الحديث عن الآباء والأجداد، وما قدموه لأولادهم من آثار وإمكانات وما أخذوهم به من آداب وتوجيهات، فهي مطبقة الصمت عن كل ذلك، الا ان الناظر فيما أوردته هذه المصادر من شذرات ولمحات هنا وهناك، يستطيع ان يرسم معالم هذه النشأة وقسماتها ان لم تكن بصورة كاملة، فهي على الأقل جامعة لملامحها الأصلية ومعالمها الثابتة، ومن ذلك:

١- عروبة أسرته:

ينتمي الليث لأسرة عربية تنتمي بدورها لقبيلة «فهم»، التي هي بطن من بطون «قيس»، عرض عليه ولاية مصر فأبى تورعاً، ووليها ابن عمه الوليد بن رفاعة بن خالد بن طاعن الفهمي، في الفترة من ١٠٩-١١٧هـ، وهو عربي صراح من فهم وما دام هو والليث أبناء عمومة فلا بد ان يكون الليث عربياً مثله، وقد اختلف المؤرخون في عروبة الليث هذه، فنفاها قوم واثبتها آخرون وهو الأرجح.

ومن اشهر هؤلاء المثبتين، السمعاني حيث يقول في ترجمته لفهم: «هم بطن قيس من عيلان منهم أبو الحارث الليث بن سعد الفهمي»[٥] فضلاً عن ان ابن يونس صاحب تاريخ مصر، قد اشار الى عروبة الليث في معرض تعقيبه على القائلين بفارسية الليث وأنه من أصبهان، حيث قال: «وليس لما يقولونه ثبات عندنا»[٦].

ومن المعاصرين الذين يذهبون لهذا القول، شيخ الأزهر الأسبق د. عبد الحليم محمود[٧].

أما القائلون بفارسية الليث من المؤرخين القدامى فهم كثير ومن أشهرهم، ابن سعد، وابن قتيبة، والخطيب البغدادي، وابن عساكر، وابن خلكان.

وهم يعتمدون في هذا على رواية تنسب الى الليث وذويه وأنهم من اهل اصبهان، وعلى هذا تكون أصول الليث مفترضة في فهم، وان ديوانهم كان فيهم فنسبوا اليهم، ومن المعاصرين الذين اعتمدوا هذا القول الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الأزهر الأسبق.

غير ان الراجح كما سبق هو عروبة الليث للأسباب التالية:

١- ان المؤرخين كافة يقرون بعروبة ابن عمه الوليد.

٢- ان الرواية التي يعتمد عليها القائلون بفارسيته، فضلاً عن انها لم تثبت كما ذكر ابن يونس، فإنه يمكن توجيهها برغبته في الفرار من الولاية على عادة العلماء الأثبات في النفور من الولايات وانتحال شتى الاسباب التي تعفيهم من ذلك، حتى ان ابن وهب تلميذ الليث تظاهر بالجنون حتى لا يسند اليه منصب القضاء، فالرواية جاءت إثر عرض الولاية عليه، فرفضها بهذا الادعاء، يقول الليث: «قال لي جعفر: تلي لي مصر؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، اني اضعف من ذلك، اني رجل من الموالي، قال: ما بك من ضعف معي ولكن ضعفت نيتك في العمل عن ذلك لي»(٨).

٣- ومما يؤيد انه عربي صراح، جواب الليث لنافع مولى ابن عمر وقد سأله عن بلده وقومه، وكذلك اجابته لابن لهيعة عند رؤيته لنافع وسؤاله عنه على ما سيأتي.

أما حجة الشيخ مصطفى عبد الرزاق، فإنها ترجع لمصداقية ابن سعد عنده، على انا نلاحظ ان الشيخ مصطفى قد خالف ابن سعد في أمر قريب من هذا، حيث لم يقبل التاريخ الذي حدده ابن سعد لوفاة الليث وهو عام خمس وتسعين ومائة وارتضى -محقاً- قول الجمهور القائلين بوفاته عام خمس وسبعين ومائة.

❖ يسار أسرته:

الذي نحب ان نلم به في هذه العجالة، هو يسار أسرته وغناها، وانها ذات جاه ونفوذ ويظهر لنا هذا الاستنتاج ويقوى من ملاحظة أمران:

الأمر الأول: سخاء الليث وكرمه الذي اشتهر به في الآفاق وسارت به الركبان، حتى صار مضرب الأمثال، اذ كان دخله يقدر بثمانين ألف درهم، ومع هذا لم تجب عليه الزكاة لنفاذه قبل ان يحول عليه الحول، وهذا امر سنفصله في حينه، وهذا السخاء قد ورثه عنه ابنه شعيب فلم لا يكون الأمر سجية في تلك الأسرة، وأنها

تؤدي به شكر ما أنعم الله عليهم به من الأموال؟!.

الأمر الثاني: ان ابن عمه الوليد بن رفاعة، مع انه كان ولياً على مصر، فإنه كان ينفس على ابن عمه الليث، حتى هدم بيته ثلاث مرات، والليث يعيد بناءه، فلو لم يكن ذا بسطة لاختار بقعة أخرى يعيش فيها.

فإذا ما انتقلنا من المظنون الى المقطوع، اعني من الحديث عن اسرته الى الحديث عن نفسه: نستطيع ان نحدد السمات الأولى لشخصية الليث، وهي:

❖ الخلق:

لعل مفتاح شخصية الليث هو الخلق في اسمى صوره، وفي اروع مواقفه حتى كأنه يمثله للناس سلوكاً حياً، وقد بعدت بينه وبينهم الشقة، فجاء الليث ليبين لهم الخلق واقعاً يحسونه بأيديهم ويرونه بأبصارهم، وسيرته ناطقة بذلك وشعاره الذي جعله رأيه وديدنه **«تعلموا الحلم قبل العلم».**

ولقد أدرك القدماء والمحدثون هذا المعنى في الليث، فأبو نعيم من القدماء يصفه بأنه السري السخي الملي الوفي، لعلمه عقول ولماله بذول(٩)، وهو ما سبقه اليه ابن سعد في طبقاته عندما وصفه بالنبل، فقال: «وكان سرياً من الرجال نبيلاً سخياً له ضيافة»(١٠).

اما من المعاصرين الذين تنبهوا لهذه السمة، فيأتي على رأسهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي يقول: «والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث، يجد فيها كثيراً مما يتعلق بحسن السلوك، وكمال الخلق الى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والمعاملات».

ثم يقول: وهذا الذي نهض به الليث من توجيه الحركة الفقهية الى الناحية الخلقية الروحية، كان من حقه ان يجعل الليث معدوداً في أئمة الصوفية الذين نهضوا بالتصوف نهضته الأولى، ونهضة التصوف الأولى كانت اخلاقية(١١).

❖ السخاء:

يعد الليث في جوده وسخائه نسيجاً وحده، لم يقاربه فيه أحد أو يدانيه، الأمر الذي كاد يجعل منه أسطورة في هذا الخلق، فعرف به ونسب اليه بصورة لم تعهد في الأثرياء من قبله أو من بعده، حاشا اغنياء الصحابة رضوان الله عليهم كعثمان وابن عوف، ومن اقرانه عبد الله بن المبارك.

أما ما سوى هؤلاء فإن الليث يقف بالنسبة لهم متربعاً على عرش الجود والسخاء، **ولعل في إيراد الصور والمواقف التالية دليلاً لما نقول، ومقنعاً لمن استراب، على ان من القواطع في ذلك:**

انه مع ثرائه الكبير وغناه الواسع، يأتي عليه الحول وما في ملكه نصاب، فلا تجب عليه الزكاة، فعن قتيبة بن سعيد قال: كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف دينار كل سنة وما وجب عليه زكاة قط[١٢] وهو ما أكده ابنه شعيب حين يقول: يستغل ابي في السنة ما بين عشرين ألف دينار وتأتي عليه السنة وعليه دين[١٣].

ومن المواقف التي تصور لنا سخاء الليث، رغبته في تسجيل أسماء الفقراء وذوي الحاجات ليجعل لهم في ماله نصيباً ثابتاً على مدار الأيام وتفصيل ذلك ما يرويه لنا سعيد، حيث يقول: مررت بالليث بن سعد فتنحنح لي فرجعت إليه فقال لي: يا سعيد، خذ هذا الفنداق[١٤]، فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلة، قال: فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث، وأخذت منه الفنداق، ثم صرت الى المنزل، فلما وصلت أوقدت السراج وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، ثم بدرتني نفسي فقلت: فلان بن فلان فإذا بينا انا على ذلك اذ أتاني آت، فقال: ها الله يا سعيد تأتي الى قوم عاملوا الله سراً فتكشفهم لآدمي؟ مات الليث ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم الى الله الذي عاملوه، قال: فقمت ولم أكتب شيئاً، فلما أصبحت أتيت الليث بن سعد، فلما رآني تهلل وجهه فناولته الفنداق، فنشره، فأصاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت فقال لي: يا سعيد وما الخبر؟ فأخبرته بصدق عما كان، فصاح صيحة فاجتمع عليه الناس من الخلق، فقالوا: يا أبا الحارث إلا خيراً! فقال: ليس الا خير ثم أقبل علي فقال: يا سعيد بينتها وحرمتها، صدقت مات الليث أليس مرجعهم الى الله؟![١٥].

وعلى هذا المنوال، حيث السخاء فيه ملكة يصدر عنه دونما تكلف او ادعاء، والكرم عنده سجية تظهر آثاره في الحضر وفي السفر، مع القريب والبعيد مع الشريف والوضيع تسجل المواقف وتروى الآثار.

١- فعن قتيبة بن سعيد قال: «قفلنا مع الليث بن سعد من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن، سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله، وسفينة فيها أضيافه».

٢- وعن منصور بن عمار، قال: «كنت عند الليث بن سعد يوماً جالساً، فأتته امرأة ومعها قدح فقالت: يا ابا الحارث ان زوجي يشتكي وقد نعت له العسل، فقال: اذهبي الى ابي قسيمة فقولي له: يعطيك وطراً - اي فرقاً- وهو ١٢٠ رطلاً من عسل، فذهبت فلم ألبث ان جاء ابو قسيمة فسار بشيء لا أرى ما قال له، فرفع رأسه اليه فقال: اذهب

فأعطها وطراً، انها سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا.

٣- وفي قصة أخرى مشابهة، ان امرأة جاءت الى الليث بن سعد فقالت: ان لي أخاً وصف له العسل فهب لي سكرجة[١٦]، فقال: يا غلام املأ سكرجتها عسلاً واعطها زقاً من عسل، فقال: انها سألت سكرجة، فقال: سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا، وحق لي ذلك أني امرؤ من أصبهان[١٧].

٤- قال عبد الله بن صالح: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى الا مع الناس، وكان لا يأكل الا بلحم، الا ان يمرض[١٨].

٥- صورة أخرى لكرم الليث وسخائه يرويها لنا أسد بن موسى فيقول: لما دخلت مصر، دخلتها في هيئة رثة، فدخلت على الليث بن سعد، فلما فرغت من مجلسه، خرجت فتبعني خادم له في دهليزه، فقال: اجلس حتى أخرج اليك، فجلست فلما خرج اليّ وانا وحدي، دفع اليّ صرة فيها مائة دينار، فقال: يقول لك مولاي: أصلح بهذه النفقة بعض أمرك، ولمّ شعثك، وكان في حوزتي هميان فيه ألف دينار، فأخرجت الهميان، فقلت: انا عنها في غنى، استأذن لي على الشيخ، فاستأذن لي فدخلت فأخبرته بنسبي واعتذرت اليه من ردها، واخبرته بما مضى، فقال: ادفعها الى بعض اصحاب الحديث ممن تراه مستحقاً لها، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها على جماعة[١٩].

وقال شعيب: خرجت مع أبي حاجاً فقدم المدينة فبعث اليه مالك بن أنس بطبق رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار ورده اليه[٢٠].

وقدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترق بيت عبد الله بن لهيعة، فوصله بألف دينار، ووصل مالك بن أنس بألف دينار قال: وكساني قميصاً مسندساً[٢١].

وكان الليث يطعم الناس في الشتاء الهرانس بعسل النحل وسمن البقر وفي الصيف سويق اللوز بالسكر[٢٢].

ونختم هذا الخلق بصورة هي أعز منالاً مما سبقه، وأبعد واقعاً ترينا من اي معدن جبل هذا الرجل، وكيف تكون الأريحية في قمة مثالها ، نعرضها هنا فقط دون تعليق، فهي غنية عن كل تعليق.

اشترى قوم من الليث ثمرة فاستقلوها – اي طلبوا بعد مدة ان يفسخوا البيع- فأقالهم ثم دعا بخريطة[٢٣] فيها اكياس، فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ابنه في ذلك -اي سأله عن علة ذلك-

فقال: اللهم غفرانك انهم قد أملوا في ذلك أملاً فأحببت ان اعوضهم عن أملهم بهذا(٢٤).

❖ الورع:

ومن صفات الليث وخلاله التي نعرض لها هنا، ورعه وتقواه، ونستطيع ان نتعرف على مظاهر هذا الورع من خلال التأمل في مواقفه التالية:

١- تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ، فقد كان من عادته ان يتطهر قبل الرواية والتحديث إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ، وتعظيماً لقدره وفي هذا يقول كاتبه عبد الله بن صالح: كان مالك والليث لا يمسان الحديث الا وهما طاهران(٢٥).

٢- حرصه على لبس خفين وقت ازدحام المدينة بالحجاج، الأمر الذي لفت انتباه شيخه، ورأى ان في ذلك ما قد يشق على الناس ان اتبعوه فيه، وقال له: «انك امام منظور اليك»(٢٦).

٣- وعندما يفصح الليث عن عدم سماعه عن عبيد الله بن جعفر، وأنها مناولة وليست سماعاً، فإنه يعني التحرج من التدليس المنبئ عن الورع والتدقيق في طرق الرواية، فيقول: «لم أسمع من عبيد الله بن جعفر وإنما هي مناولة»(٢٧).

٤- بل ان سائر مواقف الليث خاصة، في مجال الانصاف والجود، إنما تتبع من هذا الخلق، وقد عرف الأقدمون لأبي الحارث هذه الصفة، حيث وصفه الخطيب البغدادي بالتدين والورع، فقال: «وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنه» اي ان هذا الخلق مما عرف به منذ صغره.

من هنا قال الشافعي: الليث اتبع للأثر من مالك، وكان هذا احد الصفات التي وصفه بها ابن منجويه، حين قال: «كان من سادات اهل زمانه، فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وسخاءً»(٢٨).

ومن آراء الليث الدالة على ورعه، قوله: «اذا جاء الاختلاف أخذنا فيه بالأحوط»(٢٩).

أيضاً من دلائل ورع الليث والبعد عن مظاهر السمعة، قول الليث: كتبت من علم الزهري كثيراً -يعني عن غيره- قال: فأردت ان اركب البريد اليه الى الرصافة، فخفت ان لا يكون ذلك لله، فتركت ذلك(٣٠).

ومعنى هذا الخبر، ان الليث روى عن الزهري مباشرة، وروى عنه كذلك من خلال واسطة أو واسطتين، وكان يمكنه ان يذهب اليه في محل إقامته حتى يكون سماعه منه عالي الاسناد، غير انه لم يذهب اليه خشية

الهوامش:

١– مجلة الرسالة، السنة ٣، عدد ٨٧، ص٣٣٢ .

٢–٣– انظر ترجمة الليث في المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٥١٧، حلية الأولياء لأبي نعيم ج٧ ص٣١٨، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص٣، الأنساب للسمعاني ج٤ ص٤١٣، مختصر تاريخ دمشق ج١ ص٢٤٩، سير اعلام النبلاء للذهبي، ج٨، ص١٤٣، الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ج٧ ص١٧٩، شذرات الذهب ج١ ص٢٨٥ .

٤– وقد ضبطها القلقشندي فقال: قلقشندة بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ج٣ ص٤٠٣ .

٥– السمعاني، الأنساب ج٤ ص٤١٣ .

٦– صبح الاعشى، نقلاً عن مصطفى عبد الرزاق، اعلام الاسلام، ص٧٤ .

٧– انظر كتابه، الليث بن سعد.

٨– تاريخ بغداد ج١٣ ص٥، سير اعلام النبلاء ج٨، ص١٤٦ .

٩– حلية الأولياء ج٧ ص٣١٨ .

١٠– الطبقات الكبرى ج٧ .

١١– الامام الشافعي ص٨٧ .

١٢– الحلية ج٧ ص٣٢٢ .

١٣– تاريخ دمشق ٢٥٥ .

١٤– الفنداق كلمة فارسية معناها «صحيفة الحساب».

١٥– مختصر ابن عساكر ٢٥٤–٢٥٥، وانظر ايضاً تاريخ بغداد.

١٦– سكرجة: الاناء الصغير.

١٧– حلية الأولياء ٣٢٠، وانظر تاريخ ابن عساكر ص٢٥٢، وتهذيب الكمال ص٤٤٧ .

١٨– ابن عساكر ص٢٥٢ .

١٩– حلية الأولياء ج٧ ص٣٢١ وانظر تاريخ دمشق عند ترجمة اسعد بن موسى.

٢٠–٢١– ابن عساكر ٢٥٢، وانظر تهذيب الكمال ص٤٤٦ .

٢٢– المصدر السابق، والمقصود بالهرانس: الفطائر.

٢٣– اي وعاء.

٢٤– تهذيب الكمال ص٤٤٧، سير اعلام النبلاء ج٨ ص١٤٩ .

٢٥– التمهيد ج١ ص٨١ .

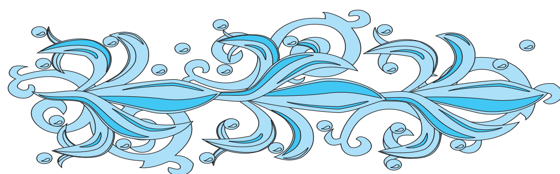
٢٦– سير اعلام النبلاء ج٨ ص١٥٤ .

٢٧– تهذيب الكمال ص٤٤٢ .

٢٨– رجال صحيح مسلم ج٢ ص١٥٩ .

٢٩– جامع بيان العلم ص٣٩٥ .

٣٠– تاريخ بغداد، وحلية الأولياء، والرحمة الغيثية ص٢٣٩ .



١

«اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»

■ بقلم الواعظة: رغداء بكور الياقتي

حث النبي ﷺ الرجال على حضور الجمع والجماعات والجنائز، ورهّب المتخلفين عن المساجد بقوله: «لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شعلاً من النار، فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد» البخاري ٦٥٧، ووصف الذين يتخلفون عن المساجد وحضور الجماعات بالنفاق، بقوله ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، لو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا» البخاري ٦٥٧ .

وبين ﷺ مدى الأجر فيها فقال: «تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا» البخاري ٦٤٨، وبين ﷺ حرمة المساجد بقوله: «إنما بنيت المساجد لما بنيت له»، وأخبر عن فضل الأئمة والمؤذنين ودعا لهم فقال: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين» رواه أحمد فيض القدير ٣٠٧٦، ومع هذا كله لفضل المساجد وصلاة الجماعة وعمارة بيوت الله وحرمتها، **فإن مجموعة من أئمة المساجد والمؤذنين – وللأسف– ينفرون الناس من حضور الصلاة، بارتكابهم بعض المخالفات أو التشديدات أو المعاداة الظاهرة لمن يخالفهم،** وأنا بدوري أحببت ذكر بعض هذه المواقف والمخالفات راجية من إخواني أئمة المساجد والقائمين عليها تجاوزها، ليرجعوا للمسجد هيبته وحرمته وليكونوا قدوة صالحة لباقي الناس.

١. ظاهرة غياب الإمام لأيام متوالية أو لصلوات متوالية في اليوم الواحد عن المسجد، وترك المجال لأي شخص يملك الجرأة للتقدم لإمامة الناس، بغض النظر عن إتقانه لأحكام الصلاة وأحكام التجويد والتلاوة، حتى إنه في بعض المساجد يتقدم إمام لكل صلاة على حدة في اليوم الواحد، وكأنه لا يوجد إمام رسمي معين من وزارة الأوقاف ويتقاضى راتبا، ويمكن أن نراه موظفا أو عاملا في مجال آخر أو يكمل دراسته وهكذا، علما أن هذه الظاهرة فتحت الباب لمن له مواهب أو اتجاهات، للدخول إلى المساجد ونشر آرائهم، وبث معتقداتهم وأهدافهم.

٢. ظاهرة منتشرة عند كثير من الأئمة، وهي عدم القراءة بأحكام التجويد، فتراه للأسف يمد المقصور ويقصر الممدود، ويفخم المرقق ويرقق المفخم، ويغن في غير مواطن الغنة، ويتركها في موجبها، مع علمه بانتشار علم التجويد وتهافت الناس العاديين على تعلمه، وربما يوجد في مسجده دار قرآن، وهذه المشكلة إحدى الخلافات بين الأئمة. والمصلون متعلمون ينتقدونه ويلومونه وهو إمامهم لا يعلم ولا يعرف تلاوة القرآن الكريم.

٣. الخطأ الفاحش في ابتداء واختتام الصلاة وابتداء الفاتحة الشريفة، وأعني بذلك لفظ تكبيرة الإحرام حيث يلفظها بعضهم بدون همزة قطع هكذا «لَه أكبر»، وعند السلام يلفظها بدون همزة القطع فيقول: «سلام عليكم»، وفي الفاتحة يبتدئها: «حمد لله رب العالمين» وقد اتفق القراء والنحويون على وجوب إثبات همزة الوصل عند الإبتداء بها فتصبح همزة قطع، وإنما تسقط هذه الهمزة في الدرج يعني بالوصل، قال الباجوري في حاشيته ١٥٤/١ في معرض شرح أركان الصلاة: والثالث: تكبيرة الإحرام قوله: «الله أكبر» بقطع الهمزة، وعن التسليمة يقول عن شروطها: الشرط الأول: التعريف بالألف واللام ولا يكفي التنوين مقامه فلا يكفي «سلام عليكم» ١٦٣/١، وتنطبق هذه القاعدة على كلمة «الحمد» من الفاتحة وهذا لحن جلي تبطل الصلاة به.

٤. قضية الجهر والإسرار في البسملة للفاتحة الشريفة، معروف أنها مسألة خلافية على قولين: الجهر بها للشافعي ومن وافقه، والإسرار بها للحنفي لا إسقاطها، وعلى حسب صلتي بالناس وأسئلتهم تبين لي أن الكثير من الناس يسقطها دائما ولا يقرؤها استنادا على ما سمعه من إمام المسجد، فلذلك يرجى من

الأئمة الجهر بالبسملة وإن كانت على خلاف مذهبهم لهدفين مهمين: الأول؛ تعليم الناس كيفية نطقها الصحيح، والثاني؛ لئلا يظن الجاهل أن إمامه لا يقرأها أصلا فيقلده تقليدا خاطئا.

٥. التنحنح الظاهر المتكرر عند الكثير من الأئمة لإصلاح أصواتهم، وقد يصاحبه شرق وبلع لنخامته بشكل واضح، ولا يهمه في ذلك إن ظهر مع التنحنح حروف أم لا، وأكثرهم من يخرج معه حروف مفهومة مثل: إح إح وهذه المسألة خطيرة جدا لأنه يدخل حروفا إضافية لقراءة الفاتحة أو السورة، وتؤثر على صحة الصلاة عند الفقهاء. قال المرغيناني في الهداية «مذهب حنفي»: وإذا تنحنح بغير عذر بأن لم يكن مدفوعا إليه، وحصل به الحروف ينبغي أن تفسد عندهما، و إن كان بعذر فهو عفو كالعطاس» ١٦٢/١، وعند الشافعية، التنحنح والضحك والبكاء ولو من خوف الآخرة والأنين والتأوه والنفخ من الفم والأنف والسعال والعطاس إن ظهر منه حرفان أو حرف مفهم تبطل صلاته «المغني للخطيب الشربيني، ١٩٥/١» وعن ابتلاع البلغم فالقاعدة: كل ما أبطل الصوم أبطل الصلاة «حاشية الباجوري» ١٨٦/١، قال في المغني: «وكذا لو اقتلع نخامة ولفظها في الأصح، فلو نزلت من رأسه وحصلت في حد الظاهر من الفم فيلتقطها من مجراها وليمجها، فإن تركها مع القدرة فوصلت الجوف أفطر في الأصح» «مغني المحتاج ٤٢٧/١»، ولا فرق بين أن تكون النخامة والبلغم من الرأس أو من الصدر والحلق.

٦. كثرة حركات الإمام، من ابتدائه الصلاة وهو يحاول ترتيب عباءته وضمها إلى بعض وتقديم وتبعيد ما على رأسه والعبث في لحيته وحك وجهه وأنفه في كل فتره قريبة ومتواصلة وهكذا حتى انتهاء الصلاة؛ «فقد اتفق الفقهاء الأربعة على أن العمل الكثير الذي ليس من جنس أعمال الصلاة، وهو الذي يراه الناظر ويعرف أنه ليس للصلاة مبطل لها. وحدد العمل الكثير بنحو ثلاث حركات متواليات، ومعنى التوالي أن لا تعد الأولى منقطعة عن الثانية، فلو تخلل فصل بين الحركة الأولى والثانية فهذا لا يبطلها» «الفقه على المذاهب الأربعة ٣٠٥/١» والسكون ومراقبة حركات الجسد من الخشوع في الصلاة لقوله ﷺ: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

٧. القراءة بعد الفاتحة؛ الكثير من أئمة المساجد لا يتبع الهدي النبوي في القراءة من عدة نواح، منها:

١. عدم السكت بعد الفاتحة لإعطاء فرصة للمأموم للقراءة.

٢. عدم قراءة سورتي السجدة والإنسان في فجر الجمعة مع أنها وردت في الصحيح حديث رواه مسلم.

٣. عدم تطويل الركعة الأولى وتقصير الثانية في كل الصلوات ما عدا الجمعة.

٤. قراءة السورة بعد الفاتحة بالركعتين الأوليتين فقط.

٥. عدم تطويل الركعة الثانية وتقصير الأولى في صلاة الجمعة.

والخطأ الشائع أن بعض الأئمة أصبحت الركعات الأربع عنده بطول واحد وبقراءة سورة بعد الفاتحة، والحديث عن أبي قتادة عن أبيه قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليتين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطوّل في الأولى ويقصّر في الثانية، ويُسمع الآية أحيانا، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطوّل في الركعة الأولى من صلاة الفجر ويقصّر في الثانية» البخاري ٧٥٩ .

وله أيضا رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليتين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب، ويسمعنا الآية، ويطوّل في الركعة الأولى ما لا يطول في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح» البخاري ٧٧٦ .

٨. سجود التلاوة: بدون تنبيه المصلين إليها قبل الصلاة، يوقع الكثير من المأمومين في الخطأ، خاصة النساء في المصليات الخاصة بهن، فالإمام وقلة معه يسجدون والباقي يركعون ومن ثم يكملون الصلاة على غير صحة وصواب، لأن القليل من الناس الذي يعرف مواضع السجدات في القرآن الكريم.

٩. قراءة الصلاة الإبراهيمية بعد التشهد الأول؛ وهذا خلاف السنة عند جميع الأئمة، إذ ان السنة الاقتصار على التشهد إلى قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله اللهم صلي على محمد» ثم يقوم للثالثة وفي التشهد الأخير يزاد الصلاة الإبراهيمية، حتى إن الشافعية يسجدون للسهو إن قرئت في التشهد الأول.

١٠. الذكر بعد الصلاة: منع الكثير من أئمة المساجد الذكر بعد الصلاة واعتبروه بدعة محرمة وحاربوا من فعله مع أنه ورد في الصحيح حتى أن البخاري ترجم له «باب الذكر بعد الصلاة» عن ابن عباس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إن رفع الصلوات بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد النبي ﷺ، وقال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته» الحديث البخاري ٨٤١.

وقوله: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير البخاري ٨٤٢، يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه على هذا الحديث: قوله: «كان على عهد رسول الله ﷺ» فيه أن مثل هذا عند البخاري يحكم له بالرفع خلافا لمن شذّ ومنع ذلك، وقد وافقه مسلم والجمهور على ذلك وفيه دليل على جواز الجهر بالذكر عقب الصلاة، قال الطبري: فيه الإبانة على صحة ما كان يفعله بعض الأمراء من التكبير عقب الصلاة، ومن المحتمل أن تكون هذه مفسرة لذلك، فكأن المراد أن رفع الصوت بالذكر أي التكبير، وكأنهم كانوا يبتدءون بالتكبير بعد الصلاة قبل التسبيح والتحميد «فتح الباري ٣٢٦/١».

وفيه أيضا: عن وارد بن المغيرة بن شعبة قال: أملى علي المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

١١. عدم التوازن بين أفعال الصلاة في القراءة وما بين الركوع والسجود، فالبعض يختصر القراءة جدا بحيث لا يتمكن المقتدي من إتمام فاتحته ويختلس الركوع والرفع منه، بينما عد عليه تسبيحات السجود فوصلت إلى ثلاث عشرة تسبيحة فهذا خلل، فينبغي التوازن والاعتدال في كل حركات الصلاة وأفعالها.

١٢. موضوع خطبة الجمعة غير الهادفة ولا الشاملة؛ فإن بعض الخطب إلقائية تعبيرية بصوت جهوري مفتعل يغلب عليه الصياح، لا تتناول أحكاما شرعية ولا مشاكل اجتماعية ولا حياة واقعية، والمصلون في أمسّ الحاجة لهذه المواضيع، إذ ان نسبة كبيرة منهم لا يدخل المسجد إلا يوم الجمعة، فيأتي ليسمع صراخا وجعجعة أو شتائم ولعائن على من يخالفه في المذهب والطريقة، والتكفير والتبديع والتفسيق للكثير من طبقات هذه الأمة وكأنه وحده المؤمن بالله والباقي كفار، وهو العالم والباقي جهال.

فما أدري ماذا يستفيد المستمع وخاصة

المتلهف والمحتاج لحكم شرعي لصلاته، أو صيامه وزكاته وحجه ومعاملاته، بل لحياته الزوجية أو مشاكله الأسرية وتربية أولاده أو واجباته، أو مشاكل وهموم المواطن والمجتمع بأسره، لذلك لم يتغير الناس إلى الأحسن ولم تنحل مشكلات المجتمع، لأن خطيب الجمعة بعيد عن ذلك تماما، كأنه لا يعيش في هذا المجتمع و لا يرى ولا يسمع فساد الرجال وانجرافهم وراء النساء والانترنت والأفلام الجنسية وتداولها بينهم حتى سببت خراب بيوت الكثيرين، وعدم الإلتزام بحقوق الزوجة وإهمال مسؤوليته تجاه بيته وأولاده.

ألم يسمع عن اضطهاد الرجل للمرأة والعنف معها وسوء معاملتها وعشرتها؟ ألم يسمع ويرى تجاوز الرجل مع زوجته وابنته وأخته حتى خرجت سافرة كاسية عارية؟ ألم يسمع ويرى فساد النساء ومعاصيهن المتنوعة وإهدار كرامتهن ووقتهن بدون فائدة وسوء إدارتها لبيتها وسوء معاملتها لزوجها وسوء تربيتها لأولادها؟ ألم يسمع عن معاملات الناس من الغش والإحتكار وغلاء الأسعار والتكالب على المال الحرام والربا والخمور والمعازف والموسيقى والغناء الماجن وتهتك الأعراض وتضييع العمر باللغو واللهو والنوادي والمقاهي ومراكز الانترنت، والتكبر على العمل الشريف المفيد مع انتشار البطالة، والتسول؟ ألا يسمع عاقبة التهور في قيادة السيارات ورؤية آلاف من الضحايا البرآء.

أين دراسة وطرح هذه المواضيع الساخنة والحساسة، التي تهم معشر الرجال الذين يحضرون كل جمعة ليعلموا خطرها وعظيم حرمتها، فلو كانت الخطبة مركزة وهادفة استفاد المصلي من كل خطبة شيئا ولو حكما واحدا فقط لحصّل المئات بل الآلاف من الأحكام خلال الجمع ما سيغير أخطاءه وسلوكه وأخلاقه إلى الأفضل.

١٣. تجريح الخطباء على المنبر لبعض علماء الأمة قديما أو حديثا، وإثارة النعرات الطائفية والتعييب على الاختلافات المذهبية مع ذكر الأسماء الصريحة مما يسهم في توسعة البلبلة والفوضى بين صفوف المسلمين، فيخرج المصلون كل واحد في رأي مع أو ضد.

١٤. عدم التفقه للإمام والخطيب في أحكام الدين وخاصة أحكام الصلاة مع أن الإمامة والخطابة تقتضي العلم والتعلم، ومع ذلك نراه يتجرأ على الإفتاءات المغلوطة لكثير من الأحكام، والمفروض من الإمام

والخطيب أن يكون ملما بالفقه والحديث والتفسير والتجويد والنحو وسائر العلوم الضرورية.

١٥. عدم رفع اليدين في الدعاء بخطبة الجمعة: وهي عادة تعود عليها أكثر الخطباء تقليدا للبعض وقد ترجم البخاري لذلك فقال: باب رفع اليدين في الخطبة ٩٣٢ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل فقال: «يا رسول الله هلك الكراع وهلك الشاء فادع الله أن يسقينا فمدّ يديه ودعا».

١٦. السنة القبلية والبعدية لصلاة الجمعة: كثير من الأئمة لا يصلون السنة القبلية والبعدية لصلاة الجمعة، بل وينهى الناس عنها! ويعتبر الذي يصليها مبتدعا زاعما أن النبي ﷺ لم يصلها مع أن البخاري عنون لذلك **-باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها-** ٩٣٧، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين» ففي شرح هذا الحديث قال ابن حجر العسقلاني في الفتح، ٤٢٦/٢: قال ابن المنير في الحاشية: كأنه يقول: الأصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لأن الجمعة بدل الظهر، وقال ابن بطال: إنما أعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد الظهر من أجل أنه ﷺ كان يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر، قال: والحكمة فيه أن الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنقل بعدها في المسجد خشية أن يُظن أنها التي حذفت.

وروى أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك.

وقد احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بأن قول ابن عمر: «وكان يفعل ذلك» عائد على قوله: «ويصلي بعد الجمعة ركعتين» ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله «أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال: كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك» أخرجه مسلم.

وورد في سنة الجمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة، مثل الذي رواه البزار «كان ﷺ يصلي قبل الجمعة ركعتين وبعدها

في ظلال رسالة عمان

الدور المأمول من الدعاة في هذا العصر حسب مضامين رسالة عمان

■ بقلم الشيخ فليح سند الزين

لقد كان العالم العربي والعالم الإسلامي، مسرحا لصراع رهيب بين قوى الاستعمار الكبرى طيلة القرن العشرين وإلى يومنا هذا، وكانت أدوات الصراع هم أهل المنطقة الذين سخرتهم تلك القوى، فاندفعوا بذلك المسار ليكرسوا النفوذ الاستعماري وهم يظنون أنّهم يحاربونه، وينفذّون مخططاته وهم يحسبون أنّهم يعارضونها، ووصلت بالأمة الحال إلى ما لا يخفى على أحد، وقد جرّوها إلى حتفها بظلفها، وأسقطوها في فتن كقطع الليل المظلم طيلة ذلك القرن، وهذا القرن الجديد، وأشبعها أدعياء التحرر تنظيرا، وأصمّوا الآذان بالخطب العصماء، والشعارات الرنّانة، وكانت النتيجة مزيدا من التخلف، والتشرذم، والهوان.

وإنّ الإنسان ليصاب بالذهول عندما يستعرض تلك الفتن التي أسقطت الأمّة فيها، وما سفك فيها من دماء، وما أنفق فيها من ثروات هائلة، وما دمّر فيها من طاقات مادية وبشرية، والطامّة الكبرى والمصيبة العظمى أنّ العرب والمسلمين، كانوا هم وحدهم وقود تلك المعركة فسفكوا دماء بعضهم بعضا، نيابة عن الطامعين في استعمارهم واستعبادهم، ونهب ثرواتهم ومنعهم من التقدّم فخربوا بيوتهم بأيديهم، وكانوا كالذين وصف الله في كتابه **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾** ابراهيم: ٢٨ .

ولقد أنعم الله على هذا البلد الطيب بقيادة آل بيت النبي ﷺ، تلك القيادة الحكيمة الرشيدة الملهمة، التي استطاعت أن تنأ بهذا الوطن عن تلك الفتن مع قيامها بدورها الإسلامي، والقومي، والإنساني،

واستطاعت التوفيق بين هذين المجالين بما يشبه المعجزة مما يشهد لها بكمال الحكمة،واكتمال الحنكة، فجعلت الأردن واحة أمن واستقرار داخل صحراء قاحلة تموج بالفتن، وفتحت أبوابه ليكون مأوى لمن التجأ إليه من أبناء هذه الأمة، مكرراً سنة الأنصار الحميدة ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ الحشر: ٩، ولا عجب أن يكون الأردن بقيادة آل البيت كذلك فقد قال النبي ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق».

نتفق جميعاً على أن ما تتعرض له الأمة هو فتنة طاحنة، فيها من الفظائع ما يفلق الصخر، ويذيب الحديد، فأمر طبيعي أن تلتهب المشاعر، وتتأجج العواطف، وتغلي الدماء، وتحاول الصدور أن تنفث زفرات حرى من الغيظ والغضب، **ولكن الناس أمام ما يجري أصناف أربعة:**

الصنف الأول: عامة بسطاء يتصفون بصفات العامة التي لا تخفى عليكم، وهؤلاء هم السواد الأعظم، والأكثرية الساحقة، ويمتازون بسطحية التفكير، والاندفاع مع العواطف، ويسهل خداعهم وتضليلهم، ويجهلون عواقب الأمور، وهم الذين قال عنهم أحد حكماء هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ما اجتمعت إلا ضرت وما تفرقت إلا نفعت.

الصنف الثاني: المهرجون الأنانيون الذين لا يهمهم إلا أنفسهم، وينجرفون مع العامة، ويدغدغون عواطفها، ويتلاعبون بمشاعرها بحثا عن نجومية تافهة، وشعبية زائفة، ويسيرون معها على مبدأ ما يطلبه المستمعون، فلا يحدثونها إلا بما ترغب بسماعه لا بما تحتاج إليه، وهذا الصنف ساهم في الماضي ولا يزال يساهم في تضليل الأمة ودفعها في مسار الهلاك والضلال.

الصنف الثالث: المغرضون الذين لا يندفعون للبحث عن النجومية والشعبية كالصنف الثاني، ولكنهم يقومون بدور تضليلي مقصود لحساب أعداء الأمة وهؤلاء هم الذين أطال الكتاب العزيز الحديث عنهم، وكشف أساليبهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين**﴾، وقد عانت الأمة ولا تزال تعاني من هذا الصنف، وإن ما فعله فيها هؤلاء وأولئك، يفوق ما فعله العدو الخارجي أن يصل إلى ما وصل إليه لولاهم .

الصنف الرابع: وهم الحكماء الربانيون الذين جاء ذكرهم بقوله تعالى: ﴿**ما كان**

لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ آل عمران: ٧٩ .

قال الطبري بعد استعراضه أقوال العلماء في معنى **﴿الربانيين﴾**: وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويقوم بها، فالربانيون إذا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: هم فوق الأحبار لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

هذا هو الصنف المؤتمن على مصير الأمة الذي لا يندفع مع العامة منجرفاً مع العاطفة أو باحثا عن الشهرة أو متعمداً سوقها لحتفها بظلفها، هذا الصنف الذي وعدنا الحق على لسان نبيه ﷺ بأنه لا يخلو منهم عصر من العصور حيث قال في حديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) هذا الصنف من أهل العلم الحكماء الذين يتعاملون مع الناس تعامل الأطباء المهرة مع المرضى، فيعطونهم ما يلزمهم من علاج وإن كان مراً ولا يرضون أن يكونوا قصاصاً ومهرجين، يتبعون أهواء العامة وينجرفون مع عواطفهم.

ولست بحاجة إلى القول بأن واجبنا الشرعي يفرض علينا أن نكون من هذا الصنف الرباني الحكيم، وان نكون مدركين لطبيعة الأخطار التي تعصف بالأمة وان نقودها إلى بر الأمان، في هذا الظرف العصيب وأمام هذا السيل الجارف من الفتن التي تزلزل كوكب الأرض والتي لا نبالغ إذا قلنا: إنها مما حذر منها النبي ﷺ حيث قال: «ويل للعرب من شر قد اقترب من فتنة عمياء صماء بكماء، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي، فيها خير من الساعي، وويل للساعي فيها من الله يوم القيامة».. **وأود أن أضع بعض المعالم الرئيسة في طريق النجاة ملخصا في النقاط التالية:**

١- الالتزام بالنهج السياسي الذي تنتهجه قيادة هذا الوطن الرشيدة ذلك النهج القائم على الحكمة والاعتدال، واعتبارها هي المرجعية الوحيدة في أي أمر سياسي تنفيذا لقوله تعالى: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾** ولا سيما أن هذه القيادة هم آل بيت النبي ﷺ

التي تمثل سفينة النجاة كما في الحديث الشريف.

وقد جاء في الأثر المروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»، وقد أثبتت هذه القيادة الطاهرة الشريفة، أنها دائما كانت تقف الموقف الصحيح والذي قلما يكتشفه المخذولون إلا بعد فوات الأوان.

فقيادة هذا البلد هي الأدرى بالمصلحة، وهي التي تعلم بواطن الأمور وخفاياها، فواجب قادة أهل الرأي وخاصة حملة العلم الشرعي وفرسان المنابر، أن يكونوا عونا لها في هذا النهج الحكيم الرشيد، وإن أشد ما تبتلى به قيادة حكيمة رشيدة هو التصرفات الرعناء غير المسؤولة، التي يقوم بها الذين يندفعون مع عواطفهم ويجهلون بواطن الأمور ويتجاهلون عواقبها، ونعوذ بالله بأن نكون ضالين أو مضلين.

٢- الحذر كل الحذر من الوقوع في الفتنه التي يخطط لها العدو، ويصفق لها المهرجون والمغرضون، فالعدو يحاول إشعال حرب التكفير وحرب الطوائف، وقد قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له اللسان فيها كوقوع السيف» وفي رواية عن أبي عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف».

وإن ما يقوله البعض على المنابر من تكفير وتفسيق وتضليل لبعض الطوائف، له من الأضرار ما لا يعلمه إلا الله، وهل وقفوا عند قوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»، يأتي خطيب منفعل فيهاجم إحدى طوائف المسلمين، ويفسقها، وقد يكفرها أو يشن هجوما على أهل ذمتها، وممن يرتبطون معنا بعهد وميثاق فيسمعه شاب غر جاهل، متدين، متحمس فيعتقد أن دماء تلك الطائفة حلال وفي سفكه أعظم قربة لله فيقتل معصوم دم من هؤلاء المساكين، فمن الذي يحمل وزر هذا الدم الحرام؟ أليس ذلك الخطيب الذي ألقى بتلك الكلمة ولم يلق لها بالا، فهوت به في النار سبعين خريفا كما جاء في الخبر؟؟

وتتضاعف المصيبة عندما نعلم أن هناك من يتربص بهذا الوطن من الأعداء الذين يريدون تصدير أزماتهم وحرائقهم على هذا الوطن الآمن، فيستغلون ما يقال على تلك المنابر، ويتخذونه ذريعة لما يريدون فعله مما يأباه الله، فالله الله في هذا الوطن الذي هو مقر الأمن والحماية والمأوى ولقمة العيش لإخوانهم الهاربين من الفتن، الله.. الله.. في هذا الوطن الذي ما توانى

يوما عن البذل والعطاء في سبيل الأمة وقضاياها، الله الله في هذا الوطن الذي استعصى على الأعداء بفضل نهجه الحكيم الرشيد.

٣- وتأسيساً على ما تقدم فإن الواجب علينا نحن حملة العلم الشرعي، أن ننأ بمساجد المسلمين عما يثير الفتن، ويعطي الآخرين المسوغ لاستهداف الوطن، وما أحوجنا أن نقتدي بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله الذي عاش في فترة من الفتن تشيب لها النواصي، ومع هذا فقد اتجه للجانب التربوي؛ لأنه هو الأساس لمن أراد لإنقاذ الأمة من محنتها، وإقالتها من كبوتها، فوضع كتاب إحياء علوم الدين ذلك الكتاب السلوكي العملي، ولم يصرفه عن هذا النهج تلك الأحداث الجسام التي عصفت بالأمة آنذاك.

فقد اكتشف ذلك العالم الرباني العملاق أن الخلل في النفوس والأخلاق، فاتجه لعلاجها غير ملتفت لسواها؛ لأن النفوس والقلوب إذا صلحت صلح سائر الأمور، وإذا فسدت لن يصلح الظاهر ألبتة، فالناس بحاجة لمن يرسخ فيهم الإيمان الصحيح الدافع للعمل الصالح، والخلق الحميد، الناس بحاجة لمن يرسخ في نفوسهم مفاهيم الأخوة الإيمانية، والإنسانية والرحمة، والتعاون، والتكافل، الناس بحاجه لمن يطهر نفوسهم من أمراض القلوب من عداوة، وحسد، وشح وأنانية وأثرة.

وأغنى الناس عن ذلك الكلام الذي ملوا سماعه بالاتجاه المعاكس والمشاكس، وما قبل الحدث وما بعد الحدث، وما أغنى الناس التباكي والتراثي وهم في وضع لا يلتفت الشقيق لشقيقه، ولا الجار لجاره ولا يتألم من ألم ابنه وأبيه، ما أغنى القرية التي يتضور فقيرها جوعاً ولا يجد من يلتفت إليه، ما أغناها عن الحديث عما يجري في مشارق الأرض ومغاربها وكيف يرجى منها خير للأمة وهي لا تلتفت لما يعانيه بعض من فيها؟؟.

لنتجه في خطبنا ودروسنا إلى هذه الجوانب التي تنفع الناس، وتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، إن الناس وقد استمرؤا ذلك النهج الذي رسخه بعض الخطباء، والقائم على إعفاء الناس من المسؤولية، وإلقاء اللوم على الآخرين، فجهل الناس أو تجاهلوا أنه مطلوب منهم أن يعيشوا متكافلين متضامنين كالجسد الواحد، تجاهلوا أنهم مطالبون بالالتزام بالأخلاق الحميدة، والابتعاد عن الأخلاق الذميمة، تجاهلوا أنهم سيسألون يوم القيامة عن هذه الأعمار التي أضاعوها بالغيبة والنميمة.

إن الواجب الشرعي يحتم علينا أن نرسخ منهج الدعوة الإسلامية القائم على الحكمة، والموعظة الحسنة، والذي يهدف إلى تحقيق

مهارات الاتصال
وبناء العلاقات من منظور إسلامي

■ بقلم الاستاذ بلال تيسير ابو الزيت

يعد الاتصال جانباً مهماً في الحياة، وهو عملية هادفة لنقل المعلومات والافكار والمهارات والاتجاهات، من شخص إلى آخر أو إلى آخرين بصورة تحقق الاهداف المنشودة، ويلعب الاتصال الفعال دوراً اساسياً في نجاح العلاقات الانسانية في مختلف مجالات الحياة، لذلك فهو مهارة يتعين على العاملين في المؤسسات الحكومية اكتسابها وتطبيقها، ليتمكنوا من تحقيق مهامها.

وللحديث عن موضوع مهارات الاتصال لا بد لنا من توضيح الامور التالية:

❖ الاتصال في الاسلام:

للاتصال دور هام في توضيح رسالة الإسلام كما جاء في رسالة عمان "الذي يقوم على مبادئ أساسها: توحيد الله والإيمان برسالة نبيه ﷺ والارتباط الدائم بالخالق بالصلاة، وتربية النفس وتقويمها بصوم رمضان، والتكافل بالزكاة، ووحدة الأمة بالحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا وبقواعده الناظمة للسلوك الإنساني بكل أبعاده، صنع عبر التاريخ أمة قوية متماسكة وحضارة عظيمة، وبشر بمبادئ وقيم سامية تحقق خير الإنسانية، قوامها وحدة الجنس البشري، وأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، والسلام، والعدل، وتحقيق الأمن الشامل والتكافل الاجتماعي، وحسن الجوار، والحفاظ على الأموال والممتلكات، والوفاء بالعهود، وغيرها وهي مبادئ تؤلف

بمجموعها قواسم مشتركة بين أتباع الديانات وفئات البشر؛ ذلك أن أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرق بين أحد منهم، وإن إنكار رسالة أي واحد منهم خروج عن الإسلام، مما يؤسس إيجاد قاعدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمع الإنساني دون مساس بالتميز العقدي والاستقلال الفكري، مستندين في هذا كله إلى قوله تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** البقرة: ٢٨٥ .

وكرم الإسلام الإنسان دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾** الإسراء: ٧٠ .

وأكد أن منهج الدعوة إلى الله يقوم على الرفق واللين: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** النحل: ١٢٥، ويرفض الغلظة والعنف في التوجيه والتعبير : **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾** آل عمران: ١٥٩ .

وقد بين الإسلام أن هدف رسالته هو تحقيق الرحمة والخير للناس أجمعين، قال تعالى: **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: ١٠٧ " وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» حديث صحيح.

وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى معاملة الآخرين بالمثل، حث على التسامح والعفو اللذين يعبران عن سمو النفس قال تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾** الشورى: ٤٠ **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** فصلت: ٣٤ .

وقرر مبدأ العدالة في معاملة الآخرين وصيانة حقوقهم، وعدم بخس الناس أشياءهم قال عز وجل: **﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** المائدة: ٨ **﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾** النساء: ٥٨، **﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس**

أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾ الأعراف: ٨٥ .

وأوجب الإسلام احترام المواثيق والعهود والالتزام بما نصت عليه، وحرم الغدر والخيانة قال تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾** النحل: ٩١،

وابراز معالم الحق ونقل رسالة الوحدانية، تلك الرسالة التي حملها جميع الانبياء والرسل اجمعين وحملها الرسول ﷺ ودعا الناس اليها بالحكمة والموعظة الحسنة وتحمل من اجلها المشاق والصعاب التي تنوء عن حملها الجبال، قال تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** النحل: ١٢٥ .

وان مخاطبة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة تحتاج من المرسل البحث والدراسة والموضوعية والتخطيط الجيد والتفكير العميق في كيفية صياغة الرسالة بالشكل الذي يحقق الأهداف ·

❖ خلق الرسول ﷺ:

قال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: ٤ . والوصف هنا للرسول ﷺ، بأنه على خلق عظيم، ولو كان قاسيا فظاً غليظ القلب في دعوته لتفرق الناس عنه ولم يستمعوا اليه، ولم يحقق بذلك النتيجة من عملية الاتصال بالناس وهدايتهم الى دين الحق والنور: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾** آل عمران: ١٥٩، بهذا فقد امر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ان يجادلهم بالتي هي احسن.

وقد تابع النبي الكريم ﷺ دعوته الى جميع الناس بما آتاه الله عز وجل من رحابة صدر وحسن خلق، حتى انه لم يعرف عنه ﷺ في معاملاته قط، قسوة او غلظة أو جفوة.

وفي الاصغاء، وحسن الاستماع، كان الرسول ﷺ مثالاً يحتذى حتى ان الله سبحانه وتعالى عاتبه في القرآن الكريم عندما ترك قاعدة الاصغاء لمرة واحدة لانشغاله بأمر عظيم يهم الدعوة الإسلامية عندما جاءه عبد الله بن ام مكتوم رضي الله عنه ليسأله، وكان في حوار مع عدد من زعماء قريش فقال تعالى: **﴿عبس وتولى ❖ أن جاءه الأعمى﴾** عبس: ١-٢ .

هذا وقد أولت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية اهتماماً بالغاً في

موضوع تنمية مهارة الاتصال لدى الموظفين وعلى وجه الخصوص الائمة والوعاظ والمدرسين من خلال عقد الملتقيات والندوات والمحاضرات في سبيل تمكينهم من ايصال رسالة المسجد إلى المصلين والمسلمين بصدق وامانة.

لأن المسجد هو المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون احكام دينهم وشريعة ربهم سبحانه وتعالى، فالدعاة هم ورثة الأنبياء وهم المكلفون في ابلاغ دين الله تعالى، واذا كانت مهمة النبي ﷺ في زمنه صعبة وشاقة، فإن مهمة العلماء والدعاة اليوم كذلك، لان المقصد واحد وهو مخاطبة القلوب بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة الناس بالحسنى والكلمة الطيبة لنيل سعادة الدارين الدنيا والآخرة، والوزارة تعمل ومن خلال خططها وبرامجها على ان يتحلى الداعية بشخصية متميزة، ذات قدرة وإقناع وعمق في التفكير واطلاع على الثقافات المعاصرة، وأن يكون على علم بالتحولات التي طرأت في ظل العولمة، كما وأن على الداعية أن يكون رفيقاً يتحلى بالصدق والأمانة والرفق مع الناس وان يكون قدوة حسنة، وهي من أهم العوامل التي تجعل من الداعية ذات تأثير على الآخرين، وخير دليل على اهتمام الوزارة بهذا الشأن لتحقيق رسالتها، هو انشاء معهد الملك عبدالله الثاني لاعداد الدعاة وتأهيلهم وتدريبهم.

هذا الصرح العلمي الرائد والذي بدء باكورة عطائه باحتضان العديد من الدورات العلمية، التي تناولت مفاهيم ومضامين رسالة عمان في بيان الصورة الحقيقية المشرقة للاسلام والتي شارك فيها دعاة ووعاظ من كل من ليبيا وسلطنة عمان والجزائر والمغرب وتونس واليمن وفلسطين بالاضافة الى مشاركة عدد من الائمة والوعاظ من وزارة الاوقاف ودائرة افتاء القوات المسلحة ومديرية الامن العام الأردنية.

❖ النقاط الواجب توافرها في عملية الاتصال:

اللباقة، الانصات، الاختيار، التوقيت، السلوك، التفاعل.

- **اللباقة:** الشخص اللبق بطبعه لا يقاطع حديث احد، وتلمح في وجهه القبول والرضى، ولا يظهر على تعبيراته عدم الصبر بل يتمتع بكل امكانيات الذوق.

- **الانصات:** ضرورة الانصات لمن يتكلم، فالمستمع الجيد، يحسن الاصغاء وينتبه الى الشخص المتكلم او المحاضر ويتابع تحركاته، ويشعره دائماً انه معه ويستمع اليه

باهتمام واختيار ما يلائم من المواقف من خلال كلامه وتغيراته ومداخلاته .

● **التوقيت:** المستمع المتميز يدرك متى سيتحدث ويترك الآخرين يتحدثون اولاً، ويبحث عن وقفة لحديث الآخرين قبل وقفة ابتسامة، حتى يبدأ حديثه مع كونه متابعاً جيداً لنظرات السامع وحركاته ليحدد متى يتوقف، ومتى ينتهي .

● **السلوك:** من سمات المستمع اللبق، انه يتجنب السلوك المقلق غير السار بالنسبة للاشخاص الذين يناقشهم، ولا ينشغل بأي شيء عندما يتحدثون اليه حتى لا يشعرون بعدم اهتمامه بهم.

● **التفاعل:** كلما تفاعل المستمع مع الاخرين واظهر اهتماما بما يقولون، كلما ظهر ودهم نحوه، واظهاره الحماس في تفاعله ومناقشته يزيد من فرص نجاحه سيما اذا وضع مصالح الناس في حسبانه، وتذكر دائماً انه كلما كان صامتاً لفترة اقل مما يجب، كلما ظن الآخرون انه بلا فائدة وبلا حضور.

❖ عناصر الاتصال:

المرسل / الرسالة، وسيلة الاتصال/ المستقبل.

● **المرسل:** وهو مصدر الرسالة الذي يقدم المعلومات او الاستفسارات التي يريد توصيلها الى الطرف الاخر داخل المؤسسة او خارجها، وهو الذي يختار نوع الرسالة ووسيلة الاتصال.

● **الرسالة:** وهي الموضوع او المحتوى الذي يتم صياغته بلغة واضحة من المرسل وتتضمن ما هو مطلوب ايصاله، ويتم التعبير عنها بالرموز اللغوية او اللفظية او غير اللفظية او بهما معاً.

اما عن خصائص الرسالة فهي: الوضوح، الدقة، التأثير، البساطة، السهولة، الاكتمال.

● **المستقبل:** وهو الجهة او الشخص الذي توجه له الرسالة فيطلع عليها لمعرفة محتواها والاحاطة بمعناها، ويفهمها وفق تجاربه ومعرفته وقدرته على الادراك والاستقبال.

التغذية الراجعة:

وهي اعادة ارسال الرسالة من المستقبل الى المرسل واستلامه لها وتأكده من انه تم فهمها، والمرسل في هذه الحالة يلاحظ الموافقة أو عدم الموافقة على مضمون الرسالة وقد سميت بهذا الاسم، لانها ترتد من المستقبل الى المرسل لتغذيه بالمعلومات التي تجعله قادراً على الاستمرار

في عملية الاتصال، وهي افضل طريقة للتأكد من ان الرسالة قد تم استقبالها وفهمها.

وتكتمل عملية الاتصال بالتغذية الراجعة من المستقبل لانها تمثل الدليل على وصول الرسالة للمستقبل وتعتبر بداية الطريق نحو الحوار والاستمرار في عملية الاتصال.

وهناك عامل آخر يؤثر سلباً على عملية الاتصال وهو التشويش: ويقصد به أي عامل يتدخل في عملية الاتصال وينتج عنه تقليل فاعلية الاتصال ودقة الاتصال او تعطيله او اعاقة الرسالة ويمكن حدوثه في أية مرحلة من مراحل الاتصال.

● **وسائل الاتصال: هناك عدة وسائل واساليب للاتصال منها:**

الوسائل الشفهية:

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به مشافهة عن طريق الكلمة المنطوقة لا المكتوبة مثل (المقابلات الشخصية، والمكالمات الهاتفية والندوات والاجتماعات، والمؤتمرات)، ويعتبر هذا من أقصر الطرق لتبادل المعلومات والافكار واكثرها سهولة ويسراً وصراحة، ويعاب عليه انه يعرض المعلومات للتحريف وسوء الفهم، مع أنه يعتبر أقوى أنواع الاتصال لاعتماده على كل من الاتصال والحوار المباشر.

الرسائل الكتابية:

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق كلمة مكتوبة مثل (التشريعات والمنشورات والتقارير والتعاميم والبلاغات والمقترحات والشكاوى وغيرها).

ويعتبر هذا الاسلوب هو المعمول به في اغلب المؤسسات الحكومية، وتتميز الرسائل الكتابية بمزايا منها: امكانية الرجوع لها عند الحاجة وحماية المعلومات من التحريف وقلة التكلفة ومن اهم عيوبها البطء في ايصال المعلومات، واحتمال الفهم الخاطىء عندما يكون للكلمة اكثر من معنى.

الرسائل غير اللفظية:

وهي الرسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الاشارات او الايماءات والسلوك (تعبيرات الوجه وحركة العينين واليدين وطريقة الجلوس) ويختلف فهم الرسائل غير اللفظية بسبب اختلاف الثقافات داخل المؤسسة وداخل المجتمع.

❖ **انواع الاتصالات:**

● **الاتصالات الرسمية:** وهي الاتصالات التي تحصل من خلال خطوط السلطة الرسمية والمعتمدة بموجب اللوائح والقرارات المكتوبة وهي داخلية وخارجية.

● **اتصالات نازلة:** وهي الاتصالات التي تتدفق من اعلى الى اسفل، وتهدف الى نقل الأوامر والتعليمات والتوجيهات والقرارات، مثل المذكرات والتعاميم والمنشورات واللقاءات الجماعية.

● **الاتصالات الصاعدة:** «من أسفل إلى أعلى»، وتضم نتائج تنفيذ الموظفين الى المدير حول الخطط وشرح المعوقات والصعوبات في التنفيذ والملاحظات والآراء، وتتحقق هذه عن طريق سياسة الباب المفتوح من المسؤول، ويمكن ان تساعد في تحقيقها صناديق المقترحات وغيرها.

● **الاتصالات الافقية:** وهي الاتصالات الجانبية التي تتم بين الافراد والجماعات في المستويات المتقابلة مثل اتصال مدير بمدير آخر في منطقة اخرى، ويعزز هذا النوع من الاتصال الى تبادل المعلومات بين المستويات الادارية المختلفة خصوصاً اذا ما ركز على: تنسيق العمل وتبادل المعلومات وحل المشكلات.

❖ أهداف الاتصال:

- اعطاء معلومات محددة عن العمل.
- إيضاح علاقة الوظيفة بغيرها من الوظائف.
- إيضاح السياسات والاجراءات.
- اعطاء الشخص معلومات عن كيفية ادائه للعمل.
- اقناع الموظفين بضرورة تطبيق الخطط والبرامج وتحقيق الاهداف.

هناك طرق لتحسين مهارة فن التعامل مع الاخرين منها:

- لا تقاطع احداً، دعه يتحدث بحرية.
- لا تصرخ وابق هادئاً.
- لا تجعل ردة فعلك مبالغا فيها ومفتعلة.
- لا تشكو بل توجه الى الشخص المناسب وتحدث معه لتحل المشكلة.
- لا تسخر من احد واحترم آراء الآخرين.
- لا توجه النقد او التوبيخ للآخرين (خاصة أمام الناس).
- لا تجادل بل استمع للآخرين ثم اشرح وجهة نظرك.
- لا تكن سلبياً بل حاول ان تفتح صدرك للمقترحات الجديدة.

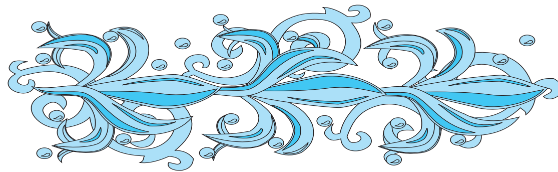
- لا تتحدث كثيراً كما لو كنت تلقي محاضرة، بل امنحهم فرصة المشاركة.
- لا تكن متحيزاً لاي طرف اذا ما توسطت في امر ما فكن عادلا.
- لا تترك احداً يتحدث اليك وتمشي بعيداً بل انتظر واستمع اليه.
- حدد وقتا اخر ان كنت مشغولا.
- لا تقلل من شأن الاخرين.
- لا تغفل عن المشكلات الشخصية لمرؤوسيك، واظهر لهم تعاطفك واهتمامك وتفهمك.

وفي الختـــام.. تذكر بأن الكلمات عبارة عن رموز وكلما ازدادت معرفتنا باللغة العربية ومعلوماتنا عن القضايا التي نتحدث عنها، ازدادت قدرتنا على التأثير والإقناع ثم استمع بدقة واستيعاب إلى الرسالة التي ينقلها الآخرون إليك، وابحث عن كل ما تحمله من المعاني ولا يقتصر التركيز على بضع الكلمات من الرسالة، فإن ما تعنيه هذه الكلمات بالنسبة لك قد يختلف عن ما تعنيه لشخص اخر، واعرف ان عنصر الاتصال هو قلب نشاط المؤسسات وهو بمنزلة خطوط تربط أوصال البناء التنظيمي لأية مؤسسة، ربطاً وثيقاً حتى تكون مؤسستنا وحدة متكاملة تعمل لرفعة هذا الوطن الحبيب.

لا بد لنا من إعطاء هذا العنصر كل الاهتمام حتى نصل إلى إحداث التوازن المطلوب لتحقيق الأهداف والتطلعات المرجوة، وان يكون رسول الله ﷺ قدوتنا في التعامل مع بعضنا البعض وان تكون الكلمة الطيبة هي الأصل في إيصال الرسالة.

❖ المراجع:

- وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم.



نصر الكرامة سطرته أسود

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

مرحاً بذكرى الانتصار تعود	نصر الكرامة سطرته أسود
من جيشنا العربي تلك خصالهم	دحروا العدو وفعلهم مشهود
بذلوا النفوس رخيصة يا إخوتي	جعلوا الكرامة للنفوس تعود
فازوا بكلتا الحسنيين فبعضهم	نال الشهادة انه لسعيد
يا أيها الشهداء خيراً نلتموا	فالعمر يا شهداءنا محدود
ومقامكم عند الإله مبجّل	ستكرمون وفي الجنان خلود
ارواحكم بحواصل الطير التي	تغدوا لأنهار الجنان ورود
والبعض عاش مباهياً وبنصره	رفع الجبين وحاله محمود
يا قومنا لا تعجبوا من نصرنا	نصر التقاة على العدى معهود
دحروه دايان الحقود وجيشه	ذاك الذي وبزعمه سيسود
ذاك الذي وبزعمه لا يقهر	قهرته جند للحسين أسود
جعلوه يطلب وقف نيران الوغى	ذاق المرارة جيشه الرعديد
والقائد الأعلى أجاب معارضاً	لا للوقوف وجندهم موجود
حتى يغادر غورنا وديارنا	للغرب رغم انوفهم ويعودوا
جعلوه يرجع خائباً أبطالنا	ويجر أذيال الهوان شريد
ومخلفاً أرتاله ودروعه	فيها الجنود محرّقون قيود
ربطوا لكي لا يهربوا ولجبنهم	جيش البغاة سماته رعديد
لنبيهم موسى أجاب جدودهم	قاتل وربك اننا لقعود
والقول قول الله ليس بقولنا	بكتاب ربي مثله موجود
ساءت ظنونهم بأردن العلا	وكأنه سهل المنال فريد
ونسوا بأن جنوده يحمونه	وعيونهم للطامعين رصود
يا قاصد الأردن بالفعل الردي	هذا الحمى بثباته معهود
هذا الحمى من ربه لمبارك	وعدوه من ربنا مصدود
والله حافظه وحافظ أهله	من كل سوء إنه لمجيد
وصلاة ربي على النبي وآله	صلوا عليه ووقروه وزيدوا



من محاسن الدين الاسلامي

■ بقلم الاستاذة أميرة أمين

إن دين الإسلام الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ، أكمل الأديان وأفضلها، وأعلاها وأجلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة، ما يشهد لله تعالى بالكمال المطلق والعلم والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقا، وأنه الصادق المصدق، الذي ﴿لا ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم: ٤ .

وكلما كان العبد أعرف بهذا الدين وأشد تعظيما له وسرورا به وابتهاجاً، كان أكمل إيمانا وأصح يقينا، فمن محاسن الدين الحنيف أنه برهان على جميع أصول الإيمان وقواعده، وإن من أكبر وجوه الدعوة إلى دين الإسلام، شرح ما احتوى عليه من المبادىء التي يقبلها كل صاحب عقل وفطرة سليمة.

فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه ويبينون للخلق مصالحه، لكان ذلك كافيا كفاية تامة في جذب الخلق إليه، لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شبه المعارضين والطعن في ديانات المخالفين، فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين، فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره.

وإن محاسن الدين الإسلامي، عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، وليس القصد في هذا المقال استيعاب ذلك

وتتبعه، فإنه يستدعي بسطا كثيرا، وإنما الغرض ذكر أمثلة نافعة يستدل بها على سواها، وينفتح بها الباب لمن أراد الدخول، وهي أمثلة منتشرة في الأصول والفروع والعبادات والمعاملات، قال الله عز وجل: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**.

أكمل الدين بالنصر، والإظهار على الأديان كلها، فنصر عبده ورسوله ﷺ، وخذل أهل الشرك خذلاناً عظيماً، بعد ما كانوا حريصين على صد المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك، فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره يئسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، وأتم جل وعلا على عباده نعمته بالهداية والتوفيق، والعز والتأييد، ورضي الإسلام لنا ديناً، قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**، وقد نظر أصحاب الأفكار البريئة السليمة في أحكام الإسلام فاعتنقوه، وتأملوا في حكمه الجليلة فأحبوه، وملكت قلوبهم مبادئه الحكيمة فعظموه، وكلما كان المرء سليم العقل، نير البصيرة، مستقيم الفكر، اشتد تعلقه به، لما فيه من جميل المحاسن، وجليل الفضائل.

جاء الدين الإسلامي بعقائد التوحيد، التي يرتاح لها العقل السليم، ويقرها الطبع المستقيم، يدعو إلى اعتقاد أن للعالم إلهاً واحداً لا شريك له، أولاً لا ابتداء له، وآخراً لا انتهاء له، **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

فتراه يلفت نظرك أن الخلق، خلقه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا **﴿بديع السموات و الأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾**، وتارة يلفت نظرنا إلى خلق الإنسان **﴿من أي شيء خلقه ❖ من نطفة خلقه فقدره﴾**، وتارة يذكره في خلق السموات **﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ❖ رفع سمكها فسواها﴾**.

وفي أخرى يلفت نظره إلى خلق الأرض والأنعم التي يغمرنا بها، ومن أعظم تلك النعم أن جعلنا مسلمين وهدانا إلى هذا الدين، وفي ذكر بعض محاسن الدين الإسلامي؛ وما يدعو إليه هذا الدين القويم، يجده يدعو إلى مكارم الأخلاق، يدعو إلى الصدق والعفاف والعدل، وحفظ العهود، وأداء الأمانات، والإحسان إلى اليتيم والمسكين، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذائذ الحياة المباحة في قصد

واعتدال، يدعو إلى البر والتقوى، وينهى عن الفحشاء والمنكر، والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالسعادة والفلاح، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد.

وتأمل محاسن شرائع الإسلام الكبار، التي هي إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وأما النكاح فمستحب، ومحاسنه كثيرة منها تحصين الفرج وتحصين الزوجة وتكثير الأمة، وتكثير النسل، ومنها تحقيق مباهاة النبي ﷺ بأمته، الأمم الأخرى يوم القيامة.

ومن محاسنه: تأديب الجماعات الطاغية، فحكم بقتل القاتل، وأمر بقطع يد السارق، ليحقن الدماء، قال تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**، والقطع لحفظ الأموال، فيعيش الناس آمنين مطمئنين، قال تعالى: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾**، وحرم الزنا ومقدماته كالنظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، والقبلة واللمس، وأمر برجم الزاني، وحكم بجلد الزاني البكر، مائة جلدة والتغريب، كل ذلك محافظة على الأنساب والأعراض، وحماية للأخلاق، وصيانة للأمة من الفناء والفساد، وحرم الخمر، وعدها أم الخبائث، ومن محاسن الإسلام الحث على المشورة والأخذ بها.

ومن محاسنه: أن أفضل الناس عند الله تعالى أكثرهم صلاحاً وتقوى، والأخلاق الإسلامية - من الصدق والأمانة والوفاء والعفة وغيرها- ليست أموراً كمالية في نظر الإسلام، كما يتوهمه بعض الناس، بل هي واجبات، يحرص عليها، ومُعرض كل من يخرج عن دائرتها، بأنه سيقتص منه في الآخرة إن لم يتب ويتدارك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار" رواه مسلم.

ومن محاسن الدين الإسلامي: انه يرشد معتنقه إلى أن صلاح حياته يتطلب منه أن يكون عفاً في كلامه، فلا يغتاب، ولا يفتري، ولا يكذب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" وقال: "إن

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام".

ومن محاسن الدين الإسلامي: أنه يحث المؤمن على أداء واجبه، وأن لا يدخر جهداً في توجيه أهله وإخوانه، وأقربائه وجيرانه، وكل من تربطهم به صلة وثيقة إلى الخير، ووسيلته إلى هذا التوجيه هي التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن محاسن الدين الإسلامي: الأمر بالحياء الذي هو أصل كل فضيلة، وعصمة من كل شر، لمن وفقه الله، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "استحيوا من الله حق الحياء قلنا: يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله، قال ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا" رواه الترمذي وأحمد والحاكم بسند صحيح.

ومن محاسن الدين الإسلامي: النهي عن قطيعة الرحم، ومراعاة الحكمة، وذلك أن نضع كل إنسان من المؤمنين في منزلته، ونراعي كرامته وشعوره، وان نعطف على الضعفاء، ونشفق على الفقراء، ونرأف باليتامى.

ومن أعظم محاسن الإسلام: ما جاء به من النواهي التي تحذر المسلم من الوقوع في الشر، وتنذره سوء العاقبة التي تترتب على الأفعال القبيحة؛ فمما نهى الإسلام عنه الكبر، والحقد، والعجب والتشاؤم، واليأس، والبخل، والتقتير، والإسراف، والتبذير، والكسل، والخور، والجبن، والضعف، والبطالة، والعجلة، والفظاظة، وقلة الحياء، والجزع، والعجز، والغضب، والطيش، والتسخط، على ما فات ونهى عن الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره، وعن النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد وعن إفشاء السر، والسخرية بالناس، والاستهزاء بالآخرين والسب، واللعن، والشتم، وكتمان الشهادة، وحذر من شهادة الزور، ومن قذف المحصنات، وسب الأموات، وكتم العلم، ونهى عن عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وإهمال الأولاد وتتبع عورات الناس، وعن تشبه الرجال بالنساء، وعن تشبه النساء بالرجال، وعن إفشاء سر الزوج، كما نهى عن شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، وعن المقامرة التي تعرض المال للمخاطرة ونهى ايضا عن الزنا، واللواط، وقتل النفوس التي حرم الله قتلها، ونهى عن كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية، أو النفس، أو العقل، او الشرف،

الاسلام طريق الاستقامة وحبل النجاة

بقلم الأستاذ سميح احمد عثامنة

يقول الله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ صدق الله العظيم.

حينما تجلت رحمة الله تبارك وتعالى على هذا العالم، واراد الله له الهداية، بعث المصطفى ﷺ بخير كتاب كريم، يهدي الى أقوم سبيل.

وبذلك استنارت الدنيا بهذا المصباح السماوي المبارك، الذي كانت رسالته رحمة عامة شاملة مباركة، رحمة في الدنيا والآخرة، رحمة في العقيدة والتشريع، رحمة في الأخلاق والنظام العام في الأسرة، رحمة في المجتمعات والشعوب.

عند ذلك سعدت البشرية التائهة في بيداء الظلم والضلال، واهتدت بنور خالق الارض والسماء **﴿كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾**.

نعم معشر المسلمين.. ان الله حينما اختار لنا الاسلام ديناً، قد شرفنا بهذا الاسلام، واعزنا بهذا الدين، وجعل امتنا خير أمة أخرجت للناس، وان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم شأن يذكر، ولم تكن لهم عقيدة صادقة ينضون تحت لوائها، وكانوا اضعف الشعوب واقلها شأناً في تسيير دفة الأمور في العالم، وكانوا بجانب الدولتين العظيمتين فارس والروم كمّاً مهملاً.

ما كانوا يقارنون بدولة فارس ولا بدولة الروم، فما ان تشرفوا بالاسلام ودخلوا تحت لوائه واشربت قلوبهم حبه، عقيدة وشريعة وسلوكاً واخلاقاً حتى صاروا اعز الشعوب والأمم، وصارت لهم سمات مميزة تنادي بأن هذا مسلم وهذه مسلمة، ولم يمض ربع قرن من الزمان بعد مجاورة النبي ﷺ الرفيق الأعلى، حتى تهاوت تحت سنابك خيلهم، خيل الله تعالى، دولتا فارس والروم.

وذهب كسرى فلم يقم كسرى بعده، وهلك قيصر فلم يقم قيصر بعده، وصدقت نبوءة رسول الله ﷺ عندما قال: «.. واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والله لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» اخرجه البخاري.

بهذا الاسلام أيها الاخوة الموحدون، صرنا سادة العالم، وبيدنا مصاير الأمور ما يزيد على عشرة قرون من الزمان، وخطب ود المسلمين وسعى اليهم مذعناً ومنقاداً، وطالب عهدهم وامانهم، معظم ملوك الارض ورؤساؤها.

نعم اخوة الايمان، بهذا الاسلام صمدنا وصددنا اعظم غارة بربرية في القرون الأولى، وهي غارة التتار، بل لم يجد بعض ملوكهم بداً من الانضواء تحت راية الاسلام.

وبهذا الاسلام وبهذا التجمع تحت لوائه، رددنا كيد الصليبيين في نحورهم لما قامت أوروبا المسيحية كلها، لتلتهم بلاد الاسلام والمسلمين، ولتقضي على هذا الدين في مهده، ولتستولي على بيت المقدس، وبعد كفاح مرير وجهاد مستمر تحت قيادة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي، استرددنا بيت المقدس من ايديهم، بعد ما اغتصبوه قرابة قرن من الزمان، ورددنا كيد الصليبيين في نحورهم ورجعوا بخفي حنين خاسئين حاسرين.

وبفضل هذا الاسلام والتجمع تحت لوائه سترد غارات البرابرة في العصر الحديث -وهم اليهود الصهاينة- على بلاد المسلمين، وسنسترد بيت المقدس ان شاء الله تعالى.

نعم ايها المسلمون.. لقد كان طريق النصر على البرابرة التتار هو التجمع تحت لواء الاسلام، ولقد كان طريق النصر على الغزاة الصليبيين هو التجمع تحت لواء لاسلام، وبفضل التجمع تحت راية الاسلام في الغارتين كان النصر حليف المسلمين، وكان الخذلان حليف الأعداء المجرمين، والعاقل من اتعظ بالاحداث التاريخية، واتخذ منها العبر والعظات.

وقد نجحت تجربة التجمع تحت راية الاسلام مرتين، افلا نكررها في العصر الحديث حتى نرد طغيان اليهود الصهاينة، ونسترجع منهم ارضنا الغالية وبعض مقدساتنا الاسلامية، التي تتمثل في بيت المقدس وما حواليه من الأرض الطيبة المباركة.

ان الله تبارك وتعالى يقول: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾.**

ان هذه الآية الكريمة، لتستنهض همم المسلمين في ان يتحدوا ويتآلفوا ويتحابوا في الله، وحينئذ يتمكنون من ارجاع اراضيهم المغتصبة، واسترجاع كرامتهم التي مرغها في التراب هؤلاء اليهود الصهاينة، الذين لا يعبؤون لأحد ولا يهتمون لقائل.

نعم يا عباد الله.. اريد من المسلمين ان يعرفوا مكانتهم في التاريخ الانساني، ومكانتهم كأهل دين يعتبر خاتم الشرائع وأكملها، واوفاها بحاجات البشرية، إذ جاء الاسلام وجعل الحضارة الانسانية حقيقة واقعية بعد ان كانت خيالاً.

ان حضارة الاسلام هي الحضارة الحقة، لأنها الحضارة التي تقوم على حرية الدين والعقيدة، وحماية الدماء وصيانة الاموال والأنساب والأعراض، هي الحضارة التي سمت عن العصبيات الجنسية والنسبية واللونية واللغوية.

فهذا هو عمر بن الخطاب القرشي ثاني شيخي الاسلام وثاني الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين يقول في بلال الحبشي من مقالة قالها في الصديق رضي الله عنه: «هو سيدنا واعتق سيدنا» يريد بلالاً.

وهذا هو سيدنا رسول الله ﷺ يقول لأبي ذر الغفاري لما عير بلالاً رضي الله عنهما وقال له: يا ابن السوداء، قال له ﷺ: «انك امرؤ فيك جاهلية»، فقال ابو ذر: على ساعتي هذه يا رسول الله؟ قال: نعم» وهذا هو بلال الحبشي يقوم الى خالد بن الوليد وهو في اوج انتصاراته العسكرية فيحل عمامته ويغله بها، وذلك تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم اجمعين.. انها أمثلة لا نكاد نجد لها مثيلاً في تاريخ البشرية كلها.

فيا معشر المسلمين.. الاسلام يريد منكم ان تتيقنوا ان ديننا هو خير الملل، وشريعتنا هي خير الشرائع وان اخلاق الاسلام هي سيدة الاخلاق، واننا معاشر

المسلمين خير امة أخرجت للناس.

الاسلام يريد من المسلمين ان ينشئوا اولادهم من الصغر على هذه الحقائق، ينشؤوهم من الصغر على اخلاق الاسلام الاصيلة، وان المسلمين هم الذين ينبغي ان تكون لهم السيادة في الارض، وهم الجديرون بخلافة الله في الارض.

ان سيادتنا في الارض، ليست سياسة تجبر وطغيان، وانما هي سيادة تراعي الحقوق وترعى العهود، وتنشر الهدى والخير بين الناس.

سيادة مبناها على رعاية العدل ورعاية الرحمة ورعاية الكرامة الانسانية، وصدق الله العظيم حيث قال: **﴿الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**.

ان اليوم الذي يعرف فيه المسلمون حقيقتهم الاسلامية وشخصيتهم العريقة، ومكانتهم في التاريخ ومكانتهم في بناء الحضارة الانسانية شباباً وشيباً، ورجالاً ونساءً لهو اليوم الذي سيحل فيه المسلمون مشكلاتهم، والذي سيسترجعون فيه عزهم ومجدهم وكرامتهم.

ولهو اليوم الذي نأمن فيه على شبابنا وشاباتنا، من الانحراف وقبول المذاهب الفاسدة والأفكار الوافدة المستوردة.

ان هذا البلاء الذي سرى الى بعض شبابنا وفتياتنا في كثير من البلاد الاسلامية، سببه ان هؤلاء الشباب والشواب، ليس لهم من قوة الشخصية الاسلامية، ولا من قوة العقيدة ولا من قوة النفس والايمان ولا من معرفتهم بذواتهم، ليس لهم من كل ذلك ما يعصمهم من متابعة كل ناعق، والاستجابة الى كل مضلل، وانه لمن المؤسف حقاً ما من بدعة تظهر في الشرق او الغرب، الا ونجد لها استجابة بل وارتماءً في أحضان هذه المذاهب الباطلة، والبدع المستهجنة من بعض شبابنا وشاباتنا!.

نعم ايها المسلمون.. نريد ان تكون حياتنا اسلامية بحتة، اسلامية في عقيدتنا وفي اخلاقنا، اسلامية في سياساتنا ومعاملاتنا، اسلامية في أمورنا المدنية والجنائية والاقتصادية، لأن الاسلام فيه كل ما نحتاج اليه في ديننا ودنيانا، فهو عماد التربية وحصن الفضيلة، وهو يؤدي وظيفته في جميع الظروف والاحوال، يرقى بالفرد والمجتمع الى اعلى درجات الكمال، ويحمي حمى الدولة من كل خطر يعرضها للزوال.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـدد الخامس - المجلـد ٥٣

جمادى الأولى ١٤٣٠هـ - أيار ٢٠٠٩م

❖ ❖ ❖

❖ ❖ ❖

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في لتحقيق رسالة الأمة

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١-٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤-٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام
وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الخامس ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

حاجة الإنسانية اليوم

كانت البشرية في حاجة الى من يرسم لها الطريق، ويوضح لها السبيل، ويضع لها المنهج القويم، لبيان العلاقة السليمة بين الأفراد والجماعات، في وقت عم فيه ظلام الشرك، وانتشرت فيه أباطيل الجهل، وعبادة الأصنام من دون الله، واعتدى فيه القوي على الضعيف، وانتهكت الحرمات وسفكت فيه الدماء، وشاعت الفوضى وكثرت الضلالة، ولا سلطان الا للقوة وقد ملكت العصبية عليهم نفوسهم، وانقطعت فيما بينهم الوشائج، وتباعدت الصلات، وانتشر الخلاف بين الأفراد والجماعات.

ولقد شاء الله عز وجل، ان ينقذ البشرية مما هي غارقة فيه من الغواية والفرقة البغيضة، والتشتت الممقوت، فشع نور الاسلام على رسول البشرية محمد ﷺ، حينما جاءه جبريل عليه السلام يقرأ عليه آيات من القرآن الكريم، بأمر من الله تعالى، ومنذ ذلك الوقت توالت الفيوضات على أمة الاسلام بهذا الكتاب المبين الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.

وقد تضمن هذا الكتاب شريعة الله للبشر، كما وقفت السنة النبوية المطهرة، الى جانب القرآن الكريم، توضح وتبين وتؤكد الأسس السليمة لحياة المسلم على الأرض.

لقد اهتم الاسلام كما هو معلوم بجميع ميادين الحياة، فقد نظم علاقة الانسان بربه، فأرشده تعالى الى كيفية عبادته، ورسم له واجباته عن طريق الأحكام التي ضبطها القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية الشريفة.

ونظم ايضاً علاقة الانسان بأخيه الانسان المسلم، فبحث شؤونه الدنيوية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والسياسية والعائلية.

لهدي الشريعة الإسلامية

وضبط علاقة المسلمين بالأمم الأخرى، التي لا تدين بالاسلام في حالتي السلم والحرب، وطرق التعامل معها سياسياً وعسكرياً، فكان تشريعنا الاسلامي متكاملاً، لم يترك الفرد المسلم او الجماعة الاسلامية في تيه، وسط عالم مضطرب بلا توجيه صحيح وإرشاد سليم.

كما اهتم بالجانب الاخلاقي للمسلم، فامتاز بذلك عن بقية التشريعات والقوانين الأخرى، التي كثيراً ما تكون مجافية للأخلاق والسلوك الصالح السوي.

فالمعاملات الاسلامية أخلاقية، وهي لا يمكن ان تتعارض مع الأخلاق النبيلة وخصال الفطرة القويمة، او تبتعد عنها كما هو في غيرها، والذي نريد ان نؤكد عليه، هو ان المقصد العام من الشريعة الاسلامية، هو حفظ الأمة الاسلامية في دينها وقيمها ونظمها، وصلاح المحافظين عليه القائمين به، كما تتميز بخصائص تستهدف تحقيق مصالح العباد أفراداً وجماعات، ودرء المفاسد التي تسيء الى الناس، والمساواة بين المسلمين كافة امام الله، والتيسير وعدم الحرج واحترام كرامة الانسان، وضمان حريته وتشجيع مواهبه، ومثوبته على العمل الصالح، ومؤاخذته من اجل ارتكابه لقبيح الأفعال.

ومن هنا نستطيع القول: بأن الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة بنفسها، لها خصائصها التي تميزها عن غيرها، صالحة لكل عصر وجيل، مرنة تراعي مشاكل كل عصر، قادرة على الحلول الناجعة لها، تراعي الواقع، وتعتمد على الأخلاق في احكامها، ولقد شهد لها القاصي والداني بأهميتها، وهي معترف بها دولياً كمصدر من مصادر التشريع الحديث.

أسرة التحرير

٣٩

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود..﴾

سورة المائدة: ١-١١

■ **بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة**

لأن الانسان كائن حي، فهو يرجو لهذه الحياة ان تستمر، ولا يتم ذلك الا بالغرائز، وفي طليعتها غريزة حب الذات، يحب بها ما يحفظ ذاته، وكذلك غريزة الغضب، يحمي بها مكتسباته، أما فيما يتعلق بغيره.. فقد لا يبحث ولا يغضب له بالقدر المناسب، فجاء قول الله عز وجل: ﴿أوفوا بالعقود﴾ ترويضاً له على أداء حقوق غيره، وأهمها حقوق الله تعالى في المكان وفي الزمان.

وحقوق الناس: **﴿ولا آمين البيت الحرام﴾** ولا الأشياء، لا الصيد ولا غيره، والمطلوب هو الافلات من قبضة الانفعال، حتى لا تعاملوا من أساء اليكم، فلا تحملكم شدة عداوة قوم على ظلمهم، لأن الخطأ لا يسوغ الخطأ!

وفي سبيل التمكين لهذه المعاني في القلوب، كانت هناك محرضات على الالتزام بها.. انها عقود، فهي أوثق من العهد وآكد.

واذكروا ان من كان قبلكم لم يصنها، فحرّم الله عليهم طيبات كانت حلاً لهم، اما انتم.. فقد أحل الله لكم الأنفال، فاشكروا النعمة، وفروا من النقمة، لقد أباح لكم الأنعام، في كل الأحوال، ثم الصيد: في بعض الأحوال **﴿ان الله يحكم ما يريد﴾** فسلموا بحكمه لثقتكم بحكمته، ولا تخلوا

بشيء من شعائره ﴿ولا تحلوا شعائر الله﴾ (فرائضه) ﴿ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد﴾ (بخاصة)، ولا تمنعوا من البيت الحرام من سبق ومنعكم منه، كونوا سلاماً مع الكون بما فيه ومن فيه ما دمتم محرمين، ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ محتفظين بأعصابكم قوية، وبإرادتكم سوية.

ومهما كان حجم إساءة أعدائكم، فعاملوهم بما أنتم أهل له من العفو، لا بما هم أهل له من الانتقام، متعاونين على البناء لا على الهدم، وبعد ان أتم الكلام على احترام اعظم المكان وأكرم الزمان، عدد سبحانه وتعالى المحرمات بما يعد على الاصابع، اشارة الى اتساع دائرة الحلال، وما يفرضه من حرية الحركة في دين ما جعل الله فيه من حرج، وذلك قوله عز وجل: ﴿حرمت عليكم الميتة..﴾ الآية.

والآن وبعد بيان الحلال والحرام.. فقد تمت النعمة وكمل الدين، اذ استجمعتم عناصر القوة والدوام، فكنتم مما يغيظ الله به الكفار، الذين يئسوا من ان يغلبوكم، فلا تخافوهم وخافون، مدركين ما في هذا الدين من يسر يحملكم على الاستمساك به ﴿فمن اضطر في مخمصة (اي مجاعة) غير متجانف لإثم (غير متعمد) فإن الله غفور رحيم﴾ ومن الظواهر الصحية ان يسأل الصحاب عما احل لهم في محاولة للعمل، يسألون: ماذا أحل لهم، ويجيبهم الجواب شافياً كافياً: ﴿أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح﴾ وهو الصيد الذي يصطاد بالحيوانات المدربة على الصيد كالنسور والكلاب ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه..﴾.

ولما كان الاختلاط بأهل الكتاب حتمياً وسع الله تعالى الأمر معهم، فأحل طعامهم وأحل نساءهم ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب..﴾، ولاحظ تقديم حل طعام اهل الكتاب، وذلك فراراً من الحساسية التي قد تلم ببعض المسلمين.

وأما فيما يتعلق بالزواج، فمع حل الكتابية.. فإن الأولوية تكون للمؤمنة متى تيسرت، وذلك شريطة المهر والحفاظ على قيمة العفة، وهي المحور الذي تدور عليه الأسرة، مهما كان دين ربة البيت، والا فإن انحراف الدوافع بغياب قيمة العفة، مؤد بالأسرة الى الخسران ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا

الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ .

ومن الوفاء بالعقد: اقام الصلاة مسبوقة بالوضوء **﴿وان كنتم جنباً فاطهروا..﴾** واذا لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً شاكرين نعمة التيسير في هذا الدين الذي كان من تيسير تنزله، ان غمركم بنعمه الجزيلة التي لا يقدر على مثلها الا الله عز وجل، الأمر الذي يجعلها بتواترها عصية على النسيان وعلى الكفران.

ومن اعلى مستويات شكر النعم ان تكونوا كما يريد الله تعالى منكم: **﴿قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾** استمروا معظمين لله تعالى بإقامة الدين، مشفقين على عباده بالتمكين لقيمة العدل، هذا العدل الذي يجب ان تقدسوه الى الحد الذي تحافظون عليه حتى في تعاملكم مع اعدائكم.

وإذا كنتم ترغبون في التقوى، فالعدل هو طريقها، تفعلون ذلك في صحبة يقين جازم بوعد الله سبحانه ووعيده.. وعده لكم بالمغفرة والأجر **﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**.

والمغفرة والأجر العظيم هنا: لهم دون سواهم من اصحاب الجحيم، انهم اصحابها ملازمون لها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، خالدين فيها أبداً، وهو المصير الرعيب، الذي يغري المؤمنين بمزيد من الايمان والعمل الصالح، وفاء بالعقود، رغبة في الجنة ورغبة عن النار.. **وهو درس من دروس الدعوة،** وذلك بذكر المتقابلات.. اجمل الجمال، في مقابل اقبح القبح، ليزداد المؤمنون ابتهاجاً، ويزداد الكافرون غماً.

يقول البقاعي في قول الله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا﴾:** اي اقروا بالايمان بألسنتهم و **﴿عملوا﴾** تصديقاً لهذا الاقرار **﴿الصالحات﴾** وترك المفعول الثاني أقعد في باب البشارة، فإنه يحتمل كل خير، وتذهب النفس في تحريره كل مذهب، ولما كان الموعود شيئين، فضلاً واسقاط حق، قدم الاسقاط تأميناً للخوف، فقال: **﴿لهم مغفرة﴾** اي: لما فرط منهم، لما طبع الانسان عليه من النقص نسياناً او عمداً، ولما أمنهم بالتجاوز اتبعه الجود بالعطاء فقال: **﴿وأجر﴾** على قدر درجاتهم من حسن العمل **﴿عظيم﴾** لا يدخل تفاوت

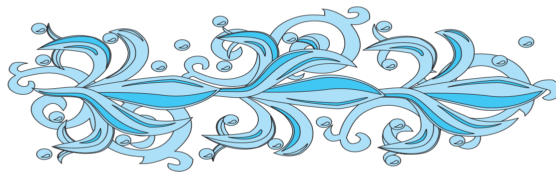
درجاته تحت الحصر.

ولما قدم الوعد.. لأنه في سورة الذين آمنوا، اتبع الوعيد لأضدادهم، وهو اعظم وعد لأحبابه المؤمنين ايضاً ﴿**والذين كفروا**﴾ غطوا ما اتضح لعقولهم من ادلة الوحدانية ﴿**وكذبوا**﴾ عناداً ﴿**بآياتنا**﴾ على ما لها من العظمة ﴿**أولئك**﴾ البعداء من الرحمة ﴿**اصحاب الجحيم**﴾.

ويبقى ان يدرك المؤمنون اليوم سنة الله تعالى فيمن اطاعه وفيمن عصاه، ليدركوا في الوقت نفسه انهم في عين الله وان اعداءهم مصيرهم الى النار، وانهم مهما زهوا بما يملكون وما يفعلون، فإن العبرة بالخواتيم.

وعادة الله تعالى مع من اطاعه تؤكد ذلك، وهو الأمر الذي يتقاضهم ان يذكروه ثم يشكروه ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾.

فقد أحس قوم بغاة احسوا بقوتهم ومنعتهم ان يقتلوكم فمنعهم الله سبحانه مع قوتهم وضعفكم، وكثرتهم وقلتكم، فتوكلوا على الله، ولا تقطعوا عاداتكم مع الله سبحانه وتعالى بطاعته، حتى لا يقطع عادته معكم بالنصر المبين.



٣

ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها

■ بقلم الدكتور صالح أحمد رضا

من جملة ما يتذرع هؤلاء القوم الرافضون للسنة، الذين يقبلون القرآن –بزعمهم– ان القرآن الكريم متواتر من لدن رسول الله ﷺ الى هذا الوقت، لم يدخله شيء غريب عنه، ولم ينقص منه شيء، فهو يفيد القطع التام بأن كل آية من آياته هي من عند الله تعالى دون ريب أو شك، وأما السنة النبوية فليس فيها من المتواتر الا القليل النادر، وأما باقيها فهو منقول بطرق آحادية ولا يفيد نقلهم اكثر من الظن، فكيف نأخذ بالمظنون؟

وللإجابة على ذلك أضرب مثلاً: ذلك الطعام الذي نطعمه فإن اي انسان يقوم بتحضير الطعام، يكون امامه احتمال احتراق الطعام مهما كان القائم بهذا العمل يقظاً، ويزيد هذا الاحتمال قوة حتى يكاد يقرب من اليقين، كلما كان القائم بطهي الطعام كثير الغفلة كالأطفال، أو صغار السن، او المعتوهين، ويضعف هذا الاحتمال حتى يكاد ينعدم تماماً، ولا يخطر على البال كلما كان القائم به يقظاً منتبهاً ماهراً في صنعته، عارفاً لما يحتاجه من الوقت، ورغم

هذا الاحتمال الوارد في طهي الطعام من الاحتراق او عدم اجادة الطهي، لم يمتنع احد عن القيام بذلك لأن الاحتمال العقلي لا يمنع من العمل، والعقل لا يتوقف عن الخوض في الاحتمالات الكثيرة التي قد لا تحدث كلها، او لا يحدث جلها.

وكذلك الأمر في الحديث النبوي الشريف، فإن احتمال الخطأ فيه يزيد زيادة تجعل هذا الاحتمال اقرب الى اليقين بوجود انسان يتصف بالكذب، ولهذا يرد علماء

الحديث كل حديث جاء في اسناده رجل هو على هذه الصفة، بالرغم من الاحتمال العقلي في صدق الكذوب، ويخف احتمال الخطأ عن الأول اذا كان في الرواة انسان كثير الوهم، عظيم الغفلة، يأخذ عمن ليس بأهل، كل هذه صفات تبقي احتمال الخطأ قائماً، وقريب الوقوع، ولا تلغيه، ولهذا يقف علماء الحديث من رواية هؤلاء وأمثالهم موقف الحذر المتنبه، ويخف الاحتمال اكثر اذا كان في الرواة من هو قليل الوهم، خفيف الخطأ، فيه شيء من الغفلة، فيقبل حديث هؤلاء مع شيء من الحيطة، ويكاد ينعدم هذا الاحتمال عندما يكون الرجل الراوي للحديث ثقة في دينه، صادقاً في قوله، ضابطاً لعلمه الذي يحمله، شديد الانتباه، عظيم الادراك لطرق الحديث ورجاله، متثبتاً في نقله، ولهذا يجعل العلماء الأحاديث التي ترد من طريق امثال هذا الرجل، في الدرجة العالية من الصحة، واذا جاء الحديث من طريق يتصف رجاله بهذه الصفات، فلا شك ان من واجب الأمة ان تقوم بتطبيق ما ارشدها اليه هذا الحديث، لأنه أفاد بما يقرب من اليقين ان هذا الحديث صحيح الى رسول الله ﷺ ونسبته اليه سليمة لا ريب فيها.

وقد يقول قائل: ان ما قلته قد يصدق في الأمور الدنيوية التي لا يحتاج فيها الانسان الى اكثر من الظن الغالب، وليس محتاجاً فيها الى اليقين ليقوم بالعمل، اما اذا كان الأمر في الدين، وفي ايجاب امر على المسلمين فلا يجوز لنا ان نأخذ الا بأمر مستيقن، ولا يصح ان نأخذ بالظن.

فيجاب عن ذلك بأن هذا القول من جملة الظن في الدين الذي لا دليل عليه، فما هو الدليل على ان الله تعالى منعنا العمل بالظن، وأمرنا دائماً وأبداً باليقين؟ بل نقول: ان الله تعالى لم يطالبنا الا بالظن الذي يغلب صدقه، اما الوصول الى اليقين القاطع الذي ليس معه اي احتمال، فهذا لا يطلب من الانسان المسلم، اذ ليس من مقدوره ان يصل الى اليقين، ولهذا عندما تكلم العلماء عن القرآن الكريم قالوا: ان بعضه قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وبعضه قطعي الثبوت ظني الدلالة، وقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر الا أولوا الألباب﴾**.

فالراسخون في العلم هم الذين يعودون

بالمتشابه الى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ولمن يطلع على علم أصول الفقه، يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعاني، ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء في كل زمان، وفهمهم من كتاب الله تعالى مما يدل على أننا لسنا متعبدين باليقين، ولهذا امرنا الله تعالى في كتابه العزيز ان نتبين القول اذا جاءنا عن طريق انسان فاسق، خارج عن الدين، غير متبع لأحكام الشريعة، فقال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**(٢).

فيأمر الله تعالى المؤمنين بهذه الآية بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، والمفهوم من هذه الآية الكريمة ان حامل الخبر ان كان صادقاً في نفسه، ثقة في دينه مرضياً في خلقه، فلا يحتاج خبره الى تبين وتثبت، لأن خبره يفيد الظن الراجح الموجب للعمل بما أخبر، ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾**(٣)، فقد اوجب الله تعالى علينا قبول قول شاهدين والعمل بمقتضى شهادتهما في اثبات الحقوق، والدماء، ولا شك ان خبر الشاهدين هو خبر آحاد ومع ذلك فخبرهما معتبر شرعاً.

مما مر يتبين ان كون السنة مفيدة للظن لا يقتضي ردها، وعدم الاذعان لأمرها، بل ذلك يقتضي اتباع ما جاء فيها، اضافة الى ذلك فإن علماء الحديث قد اعتنوا في امرها، وتتبعوا طرقها حتى اصبحت السنة الصحيحة قريبة من اليقين في ثبوتها، تورث الانسان حين اطلاعه على شروط الأئمة في قبول الحديث ثقة بها، وعلماً بأن هذه السنة محفوظة بحفظ الله تبارك وتعالى لها، لأن بها بيان كتابه عز وجل.

ومن جملة ما يحتجون به على رفض السنة، زعمهم ان في السنة احاديث منقولة عن رسول الله ﷺ، يخالف بعضها بعضاً، ويضربون على ذلك مثلاً ما ورد عن النبي ﷺ قوله: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر، وفر من المجذوم فرارك من الأسد»(٤).

فقالوا: ان اول هذا الحديث يتنافى ما آخره، فكيف يقرر الحديث في اوله نفي العدوى: ثم يطلب في آخره، ان يفر المرء من المريض المصاب بمرض الجذام، وهذا الذي قالوه يعرف عند علماء الحديث باسم «مختلف الحديث» وهو ان يأتي حديثان متضادان في المعنى من حيث الظاهر، ولكنهما في الحقيقة ليس بينهما اي تعارض او اي تباين، وذلك لأنهما صادران عن

رسول الله ﷺ.

وقد كان ابن خزيمة الذي كان يقال له: امام الأئمة يقول: «لا اعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما»[٥]، وقد وضع العلماء قواعد للترجيح بين هذه الأحاديث او للجمع بينها، وبيان عدم هذا التعارض، يتبين منها ان العالم الغواص على دقائق العلوم، المطلع على روايات الحديث، المطلع على الرواة ومكانتهم هو الذي لا يشكل عليه امثال هذه الأحاديث التي اوردها هؤلاء، واعتبروها مشكلة لا حل لها، اما الذين يأخذون من العلم اسمه، ولا يجهدون انفسهم في البحث والاطلاع، فهم وحدهم الذين يجدون اختلافاً في الحديث يشكل على افهامهم.

واما الحديث الذي اوردوه مثالاً على ذلك، فإنه لم يكن مشكلاً عليهم، وذلك لأن الحديث يسير في سياق واحد، ومعناه على النهي اي لا يعدي بعضكم بعضاً، ويؤيده الحديث الآخر: «لا يورد ممرض على مصح»[٦].

ولا تعتقدوا بالطيرة، ولا تتطيروا ولا تشاءموا، فما علاقة الطير بالعمل سواء طار شمالاً أم طار يميناً، ثم ينتهي الحديث مقرراً بأن على المسلم ان يبتعد عن مواطن المرض، وعدم الاقتراب من أسبابه، ولهذا لما اقبل المسلمون على بلد فيها الطاعون عقد المسلمون مجلس الشورى، فكان الرأي ان لا يدخلوا تلك البلد، فقال ابو عبيدة رضي الله عنه: أفراراً من قدر الله؟ فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو غيرك قالها، نفر من قدر الله الى قدر الله.

وهكذا يسير الحديث دون ان يكون تعارض بين اوله وآخره، منسجماً مع بقية الأدلة الواردة في السنة الشريفة.

ومما ذكروه في ذلك ايضاً: قول رسول الله ﷺ: «اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[٧] قالوا: وهو متعارض مع ما ثبت في السنة من دخول علي بن ابي طالب رضي الله عنه، الجنة، قالوا: فهذان الخبران متعارضان، لأن علي بن ابي طالب قد قاتل المسلمين في معركة صفين فهو من اهل النار بزعمهم».

وقد يكون هذا الحديث قد مر بالقارئ كثيراً، ولكن لم يخطر في باله كما خطر ببال هؤلاء الذين يريدون ان يثيروا الرماد في وجه الشمس المشرقة الوضاء، ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويذهب جهدهم هباء منثوراً لا أثر له في عالم الاسلام والمسلمين، لأن من المعلوم لكل مسلم ان

حديث «اذا التقى المسلمان» حديث معناه: اذا كان لقاؤهما حمية جاهلية، او عصبية قومية، او حماقة شخصية يريد كل واحد منهما ان يقتل أخاه لهذا السبب فهما في النار، اما اذا بويع لخليفة من المسلمين ثم قام من ينازعه على الخلافة، فمن الواجب في حقه ان يقاتل ذلك الانسان الذي يريد ان يفرق جماعة المسلمين وينشر الفوضى في صفوفهم.

وقد بين الله تعالى ذلك الحكم في كتابه العزيز في قوله سبحانه: ﴿**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين**﴾[٨].

ومما احتج به الذين رفضوا السنة كذلك، ان السنة تخالف العقل والعلم في بعض النصوص التي وردت في كتب السنة، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «اذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء»[٩]، وزعموا ان هذا كلام لا حقيقة له في العلم، وتعجبوا كيف يكون في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر دواء؟!

ان هذا الموضوع يفتح باباً آخر هو باب موقف العقل من النصوص الشرعية الواردة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ، وقد كان للمعتزلة في هذا سهم واسع حيث قالوا بأن الحديث يجب ان يعرض على العقل الصريح، فما وافق العقل قبل، وما رفضه رد.

ولكن ماذا يراد من العقل في مثل هذه الأمور؟ لأن كان المراد بدهيات الأمور التي تدرك لكل انسان، فهذا امر قد نص عليه علماء الحديث، وبينوا ان من علامات الحديث الموضوع مخالفته لبداهة العقول، وللمقطوع به من الدين او التاريخ او الطب.

ولئن كان المراد من غير هذا مما يستغربه العقل، فإن استغراب العقل شيئاً ما، أمر نسبي يتبع الثقافة والبيئة وغير ذلك مما لا يضبطه ضابط ولا يحدده مقياس.

ومن المقرر في الاسلام انه ليس فيه ما يرفضه العقل ويحكم باستحالته ولكن فيه أمور قد يستغربها العقل، ولا يستطيع تصورها، وشأن المسلم اذا سمع خبراً ما، ان يرفض ما يرفضه العقل، ويتأنى فيما يستغربه حتى يتيقن من صدقه أو كذبه.

وطريق التيقن أو العلم في الاسلام احد

أمور ثلاثة:

١- إما الخبر الصادق الذي يتيقن السامع من صدق مخبره، كإخبار الله في كتبه وإخبار الأنبياء.

٢- وإما التجربة والمشاهدة بعد التأكد من سلامة التجربة فيما يقع تحت التجربة والاختيار.

٣- واما حكم العقل فيما ليس فيه خبر صحيح ولا تجربة مشاهدة.

ومن اعجاز القرآن الكريم انه وضع هذه القواعد الثلاث لتحقق العلم او اليقين في آية واحدة هي قوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**(١٠).

هذا ومن الجدير بالذكر هنا ان العلم يتطور ويتغير، فإن كثيراً مما كان غامضاً على العقول اصبح مفهوماً واضحاً، بل ان كثيراً مما كان يعتبر حقيقة من الحقائق اصبح خرافة من الخرافات، وما كان مستحيلاً بالأمس اصبح اليوم واقعاً.

وكلما ازداد العقل علماً بما حوله، ازداد علماً بسعة جهله في امور تتكشف له في عالم الانسان نفسه، وفي الكون الواسع من حوله، فما يزال امام الانسان مجالات علمية واسعة لا يدرك منها شيئاً، او يدرك منها أشياء وتخفى عليه منها أشياء.

ولهذا كله: لا يجوز للانسان أن يجعل العقل البشري وما وصل اليه من علم وإدراك، هو الحاكم في نصوص الشريعة اذا صح الطريق الى صاحبها ﷺ.

والذين ينادون بتحكيم العقل في صحة الحديث او كذبه، لا نراهم يفرقون بين المستحيل وبين المستغرب، فيبادرون الى تكذيب كل ما يبدو غريباً في عقولهم، وهذا تهور طائش ناتج من اغترارهم بعقولهم من جهة، ومن اغترارهم بسلطان العقل، ومدى صحة حكمه فيما لا يقع تحت سلطانه من جهة أخرى(١١).

وقد وقع في مثل هذا كثير من علماء المسلمين إبان النهضة الأوروبية الحديثة، فحاولوا بكل جهدهم ان يبينوا ان الاسلام يخضع للعقل بكل نصوصه، فخرجوا عن النصوص وروحها، وجاءوا بكلام لا يرضاه الاسلام، فالعقل له حدود يجب ان يقف عندها ولا يتعداها.

ونعود الى الحديث الذي اوردوه مثالاً على ذلك، وهو حديث الذباب، فما وجه الغرابة فيه؟ أليس الله قادراً على ان يجعل في أحد جناحي الذباب جراثيم مؤثرة، وأن يجعل بالجناح الآخر مضادات لهذه

الجراثيم؟! ان الله تعالى على كل شيء قدير، ولكن اكثر الناس لا يعلمون، وقد اجريت تجارب في القاهرة لإثبات هذا الأمر وأثبتت التجارب صحة ذلك وخسئ المبطلون.

ومن الأحاديث التي قالوا عنها أنها متعارضة مع العقل والعلم، قوله ﷺ: «اذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب»(١٢).

فقالوا: ان غسل الاناء سبع مرات بالماء جدير ان ينظفه اما ان يغسل بالتراب، فكيف ينظف التراب؟ ان شأن التراب ان يزيد الاتساخ، لا ان يجلب التنظيف؟ فيقال في ذلك ما قيل في الحديث السابق، بأن هذا من الأمور الغيبية التي وردت عن رسول الله ﷺ على العلم ان يكشف عنها، والعلم متطور لا يقف عند حد، فإذا ثبت ذلك من طريق السند، وحكم العلماء بصحته، فهو صحيح لا شك فيه، ويبقى المطلوب من اهل الطب والمشتغلين بالجراثيم ان يتحققوا من ذلك، ولهذا وجدنا ان الباحثين في ذلك قد تبينوا صحة ما ورد في حديث رسول الله ﷺ وقالوا: بأن جراثيم الكلب لا يمكن ان تزول الا بالتراب مهما غسلت بغيره، وقد ثبت ذلك في تجارب اجريت في اسبانيا.

ان رفض الأحاديث الصحيحة جملة واحدة او اقساماً، ليس هو حتى اليوم الا قضية هوى، قضية قصرت عن ان تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء، وان السبب الذي يحمل على مثل هذا الموقف من المعارضة بين كثيرين من المسلمين المعاصرين يمكن اعادته الى مصدره، ان السبب يرجع الى استحالة الجمع بين طريقة حياتنا وتفكيرنا الحاضرة المتقهقرة وبين روح الاسلام الصحيح، كما يظهر في سنة النبي ﷺ في نظام واحد، ولكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون ان يبرروا قصورهم، وقصور بيئتهم، فإنهم يحاولون ان يزيلوا ضرورة اتباع السنة لأنهم اذا فعلوا ذلك، كان بإمكانهم بعدئذ ان يأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على اوجه من التفكير السطحي حسب ميول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو، ولكن الاسلام الذي يعتبر نظاماً خلقياً وعلمياً، ونظاماً شخصياً واجتماعياً، ينتهي بهذه الطريقة الى التهافت والاندثار.

وفي هذه الأيام التي زاد فيها نفوذ المدينة الغربية في البلاد الاسلامية، نجد سبباً جديداً يضاف الى الموقف المستغرب

الذي يقفه بعض المسلمين من هذه القضية، ذلك هو قولهم: انه من المستحيل ان نعيش على سنة النبي ﷺ، وان نتبع الطريقة الغربية في الحياة في آن واحد.

ثم ان بعض الجيل المسلم الحاضر، مستعد لأن يُكّبر كل شيء غربي، وان يولع بكل مدنية أجنبية لأنها اجنبية، وهذا التفرنج كان أقوى الأسباب التي جعلت أحاديث النبي ﷺ، وجعلت جميع نظام السنة معها لا تجد قبولاً في يومنا هذا[١٣].

وبذلك نعلم ان هؤلاء النفر من الناس الذين يرفضون السنة النبوية، ولا يريدون تحكيمها فيما بينهم، انما يريدون بذلك رفض الاسلام كله بالبعد عن احكامه وتشريعاته، وعدم القيام بها كما امر الاسلام وسن رسول الله ﷺ، واتبعه على ذلك الصحابة الكرام، والأمة الاسلامية من بعدهم عبر القرون الممتدة في تاريخ الأمة الاسلامية، وذلك لأن السنة هي المثال الحي لشريعة الله في الأرض، وخطر أولئك عظيم على الأجيال الاسلامية، والشبان الناشئين، مما يوجب على الأمة الاسلامية ان تقف أمام الاتجاه القائم في رفض السنة لبيان زيفه وضلاله، وان تبذل الجهد في إعلاء الأمة بالمكانة الحقيقية للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأختم هذه المقالة بقول الاستاذ محمد أسد، حيث قال: «لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الاسلام، وإنك اذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك ان

الهوامش:

١- آل عمران: ٧ .

٢- الحجرات: ٦ .

٣- البقرة: ٢٨٢ .

٤- أخرجه البخاري.

٥- تدريب الراوي ٢/١٩٦ .

٦- رواه البخاري.

٧- متفق عليه.

٨- الحجرات: ٩ .

٩- رواه البخاري.

١٠- الاسراء: ٣٦ .

١١- السنة ومكانتها في التشريع، ٣٤-٣٦، بتصرف يسير واختصار.

١٢- أخرجه مسلم والترمذي بلفظ قريب.

١٣- الاسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ٩٧-٩٨ .

١٤- الاسلام على مفترق الطرق، ٨٧ .

١

الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

دراسة في اختلاف آراء العلماء

■ بقلم الدكتور عماد علي الخطيب

إن الحديث الشريف أصل من أصول النحو ومصدر من مصادره السماعية، وقد كان من الحق أن يأتي في الاستشهاد بعد القرآن الكريم، وقبل كلام العرب من شعر ونثر، لما فيه من الفصاحة النبوية وصحة اللفظ ودقة المعنى، وما بُذل فيه من التحري في الرواية والتشدد في التدوين، وقد وُجد الحديث الشريف في كتب اللغويين والنحويين على درجات متفاوتة منذ أيام سيبويه، ولم ينكر أحد عليهم ذلك، حتى جاء ابن الضائع (ت٦٨٠هـ) وأشار إلى منع الاستشهاد بالحديث الشريف، ثم اتبعه أبو حيان (ت٧٤٥هـ) فتزعم هذا الاتجاه، و حمل لواء المعارضة، وأنكر على ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) وغيره الاستشهاد بالحديث. وتوسط قوم بين مذهبين وكان المتحدث بلسانهم الإمام الشاطبي (ت٩٠هـ).

وبذلك اختلفت آراء النحاة في موضوع الاستشهاد بالحديث الشريف على ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب المانعين، ويمثله ابن الضائع (ت٦٨٠هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ).

الثاني: مذهب المستشهدين بالحديث الشريف وزعيمه ابن مالك الأندلسي (٢٧٦هـ) وتبعه الرماميني (ت٨٦٧هـ).

الثالث: مذهب المتحفظين ويمثله أبو إسحق الشاطبي (ت٨٩٠هـ).

وقد منع ابن الضائع الاستشهاد بالحديث الشريف، لجواز نقل الحديث

الشريف بالمعنى وهذا هو السبب في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن الكريم، وصريح النقل عن العرب **فلولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى بالحديث، لكان الأولى في إثبات اللغة حديث النبي ﷺ؛ لأنه من المقطوع أنه أفصح العرب.**

والطرفان المهمان في الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف هم الطرف الـ (مع) و الطرف الـ (ضد)؛ فمن العلماء من رفض و منهم من وافق، و سيقف البحث وقفة مفصلة عند كل من الفريقين، بتلخيص مفيد، ولقد تحرج اللغويون الأوائل من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف على أساس أن بعضه روي بالمعنى، وبعضه انقطع سنده وبعضه طعن في رواته.. ومن ذلك لم يحتج بالحديث النبوي الشريف حتى وصلنا إلى القرن الخامس الهجري، و به استشهد الزمخشري بالحديث وواصل ابن مالك الاحتجاج في ألفيته في القرن السابع..

على أن هذا التحرج كان من قبل النحاة واللغويين الأوائل، خوفا مما اصطبغه الرواة على الحديث من تحريف، وما وضعته كثير من الفرق الإسلامية كي تخدم أغراضها الخاصة.. ومهما يكن من أمر فإن هذا مدعاة إلى الاحتياط والتريث في الأمر والتحقق من مدى صدق الراوي، وثقته والتمييز بين الحديث الصحيح والمشكوك فيه، لأن الحديث دوِّن متأخرا والرسول ﷺ قال: «من دوّن عني شيئا فليمحه» وهو الذي قال كذلك: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» على أن التحرج صدر منه، ومن هنا تحرج النحاة واللغويين كثير من الاحتجاج بالحديث خوف ما يطرأ عليها من تحريف، فكان طبيعيا هذا التشدد وكله من أجل بقاء اللغة الفصيحة لا تشوبها شائبة.

ومع كل ذلك أعيد النظر في الأمر، ورأى النحاة واللغويون الذين جاؤوا من بعد، أن الحديث النبوي الشريف يحمل ثروة لغوية هامة، كان من الأحرى الرجوع إليه والاستفادة منه على أساس أنه لسان عربي مبين، وكيف وهو الذي صدر عن الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.. وقد وقع في العصر الحاضر البت في هذه المسألة على أن ما ورد في الكتب الصحاح يحتج بها دون جدال.

وإن القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف أضافا إلى رصيد العربية ثروة هائلة من المصطلحات، فنجم عن ذلك اتساعها في الأغراض والارتقاء في المعاني والأخيلة والأساليب، فقويت على تجلية المعاني الدقيقة، واستخدمت فيها الحجج

العقلية والبراهين الفلسفية، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه، وتهذيب أساليبها وتشكلت في صورة الأساليب العلمية، ومن هنا عدا من المصادر الثلاثة التي جمعت منها اللغة بعد الشعر الجاهلي.

❖ مشكلة البحث:

لقد دار الجدل حول مشروعية الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف لغوياً ونحوياً وصرفياً بوصفه شاهداً في تقعيد النحو والصرف وتدوين اللغة وتقصي المعاني؛ لأن الحديث النبوي الشريف تأخر تدوينه إلى ما بعد زمن الاحتجاج.

وإن لبعض العلماء آراءً حول جدلية الاحتجاج به -كابن الضائع- وقد تقصى المتخصصون الأكاديميون المعاصرون هذه الإشكالية بما لا مزيد عليه، وتقصوا أقوال العلماء وجدلهم حول هذه الإشكالية، وسيقف الباحث عند هؤلاء، ويفند ما قالوا محاولة لترجيح رأي على آخر قدر ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

❖ دوافع البحث:

أولاً: إن البحوث التي ربطت بين الدراسات النحوية وحديث الرسول ﷺ دراسات نادرة، تخلو منها المكتبة اللغوية لا سيما تلك البحوث التي تناولت الأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري من خلال الشروح المعروفة، وفي مقدمتها «عمدة القارئ» للإمام العيني، وعندما ننظر -كما أسلفت- إلى ما بذله الباحثون في الدراسات القرآنية النحوية، نجد عشرات المؤلفات والبحوث والرسائل الجامعية، تناولت هذا الجانب من الدراسة خلافًا للدراسات الحديثية النحوية. **فحاولت أن أقدم هذا البحث المتواضع؛ لبنةً من اللبنات الأولية الأساسية في مكتبتنا النحوية، إسهاما مع الباحثين الآخرين في خدمة السنة النبوية المطهرة ولغة القرآن الكريم الخالدة.**

ثانياً: إن كثيرًا من النحويين المتأخرين استشهدوا بأحاديث الرسول ﷺ في مؤلفاتهم ومصنفاتهم، لكنهم جمعوا بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، في كثير من الأحيان، فآثرتُ أن أختار صحيح البخاري مجالاً للإحتجاج النحوي بالحديث النبوي، لأنه أصحُّ كتاب لدى المسلمين بعد كتاب الله تعالى.

ثالثا: إن الإمام العينيّ عالم أتقن علوم الشريعة تفسيرا وحديثا وفقها، وعلوم العربية نحوا وصرفا وبلاغة، ولهذا اخترته؛ لمنزلته الكريمة لدى العلماء، وهو من أبرز العلماء المُحَدِّثين الذين وَظَّفُوا اللغة العربية في خدمة السنة النبوية.

❖ دراسات سابقة:

من الدارسين لمنهجية الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف -على سبيل المثال لا الحصر- الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها «موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث»، والدكتور محمود الفجال في كتابيه: «الحديث النبوي في النحو العربي» و «السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي»، والدكتور محمد حمادي في كتابه «الحديث النبوي الشريف، وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية»، و الدكتور سعيد الأفغاني في كتابه «في أصول النحو».

❖ محتوى البحث:

لقد جعل الباحث هذه الدراسة في ثلاثة مباحث متداخلة وما كان فصلها إلا لغايات بسط الموضوع والقدرة على تفهمه، وهذه المباحث هي:

المبحث الأول: لمحة موجزة عن معنى الاحتجاج وتاريخ الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف.

المبحث الثاني: نماذج من الأحاديث التي احتج بها الطرف الموافق في بعض المسائل النحوية.

المبحث الثالث: منهج بعض علماء اللغة في الاحتجاج بالحديث الشريف.

ولا يزعم الباحث أنه قام في دراسته هذه، باستقصاء جميع الأحاديث النبوية التي احتج بها في المسائل النحوية، إنما أتى -حسب جهده- على ما أفاد بحثه، واختار الشواهد المذكورة في البحث، سائلا الله عز وجل أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجزينا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وفوق كل ذي علم عليم.

❖ في التعريف والمصطلح:

الاحتجاج طريقه الاستشهاد، ومعنى الاستشهاد في اللغة: يكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوّق دليل من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر وربما النثر، وقد ربط بينهما غير دارس، منهم سعيد الأفغاني في كتابه «في الاحتجاج بالشعر في اللغة»(1)، إذ قال: "يراد بالاستشهاد إثبات قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة".

وكلمة الاحتجاج في الاصطلاح تقابل الاستشهاد، وارتبط الحديث عن الاحتجاج بمصطلح عصر الاحتجاج: ذلك الذي يوصله بعض العلماء إلى ١٥٠هـ.

ومصطلح «الاستشهاد» من: ش هـ د، وشهد كعَلِمَ وكَرِمَ وقد تسكّن هاؤه، وشهده كسمعه، وشهد الشاهد الذي يبين ما علمه، أو شهد عليه شهادة كما في قوله تعالى:

﴿وشهد شاهد من أهلها﴾[٢].

وذلك أن الشاهد في الحياة العادية يصدق رؤيته للحدث مع رؤيته، فإن الشاهد في أي مجال يصدق دعوى أن ذلك الشيء صحيح، أو القاعدة صحيحة[٣].

وأورد البغدادي عن أبي جعفر الدعيني الأندلسي قوله: علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب في عصر الاحتجاج ، والاستشهاد دون الثلاثة الأخيرة فإنها يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك يعني المعاني بين العرب وغيرهم ، إذ هو راجع إلى العقل ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأبي تمام والمتنبي[٤].

والمستفاد من الكلام أن الاستشهاد نوعان: الاستشهاد اللغوي والآخر في المعاني، وكلمة الاحتجاج في الاصطلاح تُقابل الاستشهاد، **أما الاستشهاد في المعاني:** يقصد به في المعاني العقلية وهي الفكرة العامة، أو الكلمة التي تخطر للعقل أي أنها لا يقصد بها معنى لفظ أو تركيب[٥].

أما الشاهد اللغوي: فهو ذلك الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئي من التنزيل، أو كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وتأتي خصوصية الشاهد في كونه يجب أن يكون نصا ولا يحتمل غيره.

◆ لماذا الاستشهاد؟

ذكر سعيد الأفغاني أنه أحسّ القوم ضرورة الاستشهاد لمّا رأوا أن سلامة اللغة العربية بعد اختلاط الأعاجم إثر الفتوح، في معرض الخطر، وفي ذلك الحين آنس أولو البصر أن الأمر آئلٌ إلى إفساد اللغة وضياع العصبية.. ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الأوائل، عن الاستشهاد بالحديث، هو إيثارهم الابتعاد عن موطن تزل فيه الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث، في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتهام بعض الناس لبعض، بهذا الوضع.

وليس معنى هذا أن المؤلفات النحوية الأولى تخلو من ذكر الحديث تماما، فعند سيبويه والفراء وأبي علي الفارسي[٦]، مثلا، بعض الأحاديث الشواهد، غير أن أول من أكثر من الاستشهاد[٧] بالحديث، كان هو النحوي الأندلسي: ابن خروف (ت ٦٠٩هـ)، وتابعه على ذلك ابن مالك، صاحب الألفية (ت ٦٧٢هـ).

❖ أثر الحديث الشريف في العربية وبعض مستوياتها:

١- مستوى المفردات:

لعله كان للحديث الشريف دور كبير في حفظ الغريب، ولعلّ هذا الدور يزداد أهمية عندما نعلم أن قسماً من المعجمات العربية قد أهملت وتركت الكثير من الغريب في اللغة بعذر لا يعني بالعلم شيء ولا يؤيدها مؤيد من حقيقة تخدم هذه اللغة العريقة، وقد أشار إليه ابن دريد (ت٣٢١هـ) في معجمه الكبير "الجمهرة" عن تسمية كتابه بهذا الاسم: "إنما أعرنا بهذا الاسم لأنا اخترنا له من كلام العرب الجمهور وأرجأنا الوحشي المستنكر"[٨]، وزاد عليه قائلاً: "على أننا ألفينا المستنكر واستعملنا المعروف".

وإذا نظرنا إلى معجم الصحاح للجوهري (ت٣٩٤هـ) ألفينا المصنف وقد آثر ترك كل لفظ ورد عن الرواة لم يصح عنده، فقال: إني قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة"[٩].

وبزعم ترك الوحشي المستنكر والإلغاء، قد أغفل ذكر موادّ كثيرة ولو لم يغفلها التزاماً للصحيح وطرحاً لما ظنّه غير صحيح، لقدّم لنا ثروة لغوية ضخمة فليس كل ما طرحه غير صحيح[١٠].

ولقد تميز الحديث الشريف من بين مصادره المادة اللغوية العربية، بكثرة العربية ووفرته بشكل استرعى أنظار علماء اللغة، وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) أول من صنف في غريب الحديث غير أن كتابه صغير موجز[١١].

ثم النضر بن شميل أبو الحسن المازني (ت٢٠٤هـ) ويليه أبو عبيد القاسم الهروي ابن سلام (ت٢٢٣هـ)، ثم استمر التأليف والتصنيف في غريب الحديث فجاء عبد الله ابن مسلم الدينوري ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بكتاب في ذلك.. إلى أن جاء محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وله كتاب "الفائق في غريب الحديث" ثم جاء مجد الدين مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) في كتابه "النهاية في غريب الحديث".

ولعله من أثر الحديث الشريف في بناء اللغة العربية التوسع في الدلالة والألفاظ الإسلامية، و إن هذا التوسع يُعدُّ لوناً من ألوان هذا التطور الذي عرض كلمة العربية البدوية فاستحالت شيئاً آخراً يقتضيه الدين الإسلامي والبيئة الجديدة.

وربما يكون التوسع في الدلالة بنقل معنى الكلمة من الحقيقة اللغوية إلى الحقيقة الشرعية، وإما بنقل معنى الكلمة إلى حقيقة لغوية أخرى.. على ما في ذلك

من تفصيل، **يمكن إجماله فيما يلي من أسطر..**

١- النقل من الدائرة اللغوية إلى الحقيقة الشرعية وذلك مثل كلمة الصلاة: وقد بيّن الرسول عليه السلام أن الصلاة في قوله تعالى: **﴿أقيموا الصلاة﴾** ليست معناها اللغوي وهو الدعاء بل معناها عبادةٌ خاصةٌ بينها بفعله عليه السلام وقال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

٢- النقل من الحقيقة اللغوية إلى حقيقة لغوية أخرى: وذلك مثل كلمة "صرعة" وهي في اللغة المُبالغ في الصراع الذي لا يغلب وقد نقله الرسول إلى معنى آخر حين طرح سؤالاً على الحاضرين فقال: "ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: هو الذي يملك نفسَه عند الغضب"، فنقلها من معنى إلى معنى الذي يغلب نفسه عند الغضب(١٢).

و ربما شغلت الاختلافات الواسعة في حقيقة المعاني الجديدة، التي صارت إليها الألفاظ الإسلامية أئمة اللغة والأصول؛ **ذلك أن تغيير الدلالة وانتقال اللفظ من معنى إلى آخر يتخذ أشكالاً مختلفة ترجع إلى ثلاثة أشكال هي:**

١- تضييق المعنى.

٢- توسيع المعنى.

٣- انتقال المعنى.

وقد أوتي النبي ﷺ قدرةً عجيبةً على تكوين الألفاظ، كقدرته على الإحاطة باللغات واللهجات العربية، فأثر الحديث الشريف في إبداع الألفاظ اللغوية وتكوين الأوضاع جزء من كيان اللغة وجانب من ثروتها، واتخذت عملية الإبداع هذه ألواناً كالارتجال والاشتقاق والتعريب.

أولاً: الوضع بالارتجال:

فالارتجال: هو خلق الألفاظ و إطلاق ما لم يسمع به من قبل، ولا يكون الارتجال مقبولاً إلا إذا صدر من فصيح وصاحب وفرة وقدرة على الوضع والابتكار.

وقد خصص ابن جنِّي في كتابه الخصائص باباً سماه :"باب في الشيء يُسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره". وقد خلص فيه إلى أن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته فإنه يتصرف ويرتجل ما لم يسبقه أحد قبله.. فقد حكى عن رُؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سُبقا إليها، وكثيراً ما سمّى النبي ﷺ الظواهر بكلمات خاصة، لم يرد لها ذكر من قبل مثل قوله ﷺ: "لا يلجُ حظيرة القدس مدمن خمر" أراد بحظيرة القدس الجنة، وهي في الأصل الموضع الذي يحاط إليه لتأوي إليه الغنم

والإبل ويقيها من البرد والريح. وكإعلامه ﷺ أن هناك بيتاً في السماء بإزاء الكعبة يُسمّى "الضراح" يقول ابن خالويه (ت٣٧٠هـ): لم يُعرف تعريف الضراح إلا من الحديث(١٣).

ثانياً: الوضع بالاشتقاق:

قال ابن دُحية في كتابه التنوير: الاشتقاق من أعرب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله ﷺ لأنه أُوتي جوامع الكلم، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.

ثالثاً: الوضع بالنحت:

ذكر صاحب المزهر أنه قد وقع النحت في العربية، وهو قليل وقد ألف فيه بعضهم كتاباً لا يتجاوز العشرين ورقة. والمنحوت من الكلمات الإسلامية العربية يتصدر الكمية المنقولة من هذه الألفاظ ذات الصوغ المبتكر التي نحت كل لفظ منها من كلمتين كما نحت النجار من خشبتين وجعلهما واحدة ومن أمثلة ذلك: "البسملة" والهيللة "لا إله إلا الله" والحوقلة والحمدلة.. إلى آخر ذلك.

رابعاً: الوضع بالتعريب:

إن للحديث الشريف إسهاما في تقديم الدليل على وقوع المعرب في لغتنا العربية، وفي إطلاع الباحثين على أن التعريب حق من حقوق هذه اللغة، حتى تشق طريقها نحو التطور والإبقاء بحاجات الحياة في كل مجال.

يقول حسن ظاظا في كتابه (كلام العرب): "وأسلافنا العرب منذ الجاهلية استعملوا كثيراً من الألفاظ الأجنبية في لغتهم واستعملوا "السجنجل" (المرآة)، والقنطرة والناموس (القاعدة والقانون)، وعقر الدار والبلغم والالستبر والبستان والدفتر والأسقف والإبريز، هذا فضلاً عن ألفاظ كثيرة جاءت بعد ذلك من حضارات متباينة اتصل بها العرب بعد الإسلام، فعرفنا كلمات مثل: الجهبذ، الجوسق، السنجاب، السفنجة "(١٤).

٢- مستوى الجُملة:

لعب الحديث الشريف في بعض الظواهر النحوية دوراً مهماً في تخليق بعض الظواهر النحوية واللغوية واستدل به بعض النحاة لتوثيق ما ذهبوا إليه في دراسة النحو واللغة.

فالحديث الشريف هو المقياس الأمثل لدراسة العربية دراسة واقعية، تقوم على أساس أصح المصادر وأصفى الينابيع بعد القرآن، ويعد مصدراً غنياً من مصادر الدراسة النحوية، وسيورد الباحث بعض الأحاديث الشريفة التي تعد منهجاً أساسياً

في الدراسة النحوية.

١- مشاركة "ثم-الواو-الفاء"، مما شاع أن الواو وكذلك الفاء تنصب المضارع بعد الطلب إذا لم يُرد الاشتراك في الفعل وأُريد العطف مثل: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، وفيها ثلاثة أوجه:

- الجزم على التشريك بين الفعلين في النهي.
- النصب على النهي عن الجمع.
- الرفع على ذلك المعنى ولكن على تقدير: "وأنت تشرب اللبن"[١٥].

غير أن الحديث استعمل "ثم" في هذا الموقع وليس الواو أو الفاء فقال ﷺ: "لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"[١٦].

واختار ذلك ابن مالك حين أجرى "ثم" مجرى الفاء والواو بعد طلب فأجاز في الحديث المذكور ثلاثة أوجه:

- الرفع بتقدير "ثم يغتسل فيه" وبه جاءت الرواية.
- الجزم بالعطف على موضع فعل النهي.
- النصب بـ "أن" مضمرة[١٧].

٢- مجيء فعلي الشرط والجواب مختلفين: قد يكون فعلا الشرط وجوابه مضارعين أو مختلفين نحو: **﴿من كان يُريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾**[١٨].

ومنها قول الرسول ﷺ: "من يُقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له"[١٩].

٣- ذِكر الخبر بعد "لولا": والأخبار التي قرر الجمهور حذفها وهو الخبر بعد "لولا" غير أن ابن مالك استدل بحديث النبي ﷺ: "لولا قومك حديث عهدٍ بكفرٍ لبنيت الكعبة على قواعِد ابراهيم".

❖ النزاع حول الاستشهاد بالحديث الشريف:

يعد الحديث الشريف مصدرا من مصادر النحو السماعية، وكان من الطبيعي أن يتقدم الحديث الشريف بعد القرآن؛ لكونه مصدراً ثانياً في التشريع الإسلامي ومما فيه من الفصاحة النبوية وصحة اللفظ ودقة المعنى.

وفي الكتب اللغوية والنحوية نجد الحديث الشريف من أيام سيبويه ولم ينكر عليهم أحد ذلك حتى ظهر ابن الضائع أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٨٠هـ) وأثار قضية منع الاستشهاد بالحديث الشريف ثم سار على دربه أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ).

وعلى ذلك انبعث الخلاف بين النحاة في موضوع الاستشهاد بالحديث الشريف وانقسموا إلى:

أولاً: مذهب المانعين: ويمثله ابن الضائع (ت ٦٨٠ هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، والسيوطي (ت ٩١١ هـ).

والثاني: مذهب المجوزين: ويمثله ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، وتبعه الدماميني محمد بن أبي بكر الإسكندراني (ت٨٢٧هـ) وبدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ)، وابن سعيد التونسي المالكي (ت١١٩٩هـ).

والثالث: مذهب المتوسطين: ويمثله الشاطبي أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي اللغوي الغرناطي (ت ٨٩٠ هـ).

والمانعون هم الذين يمنعون الاستشهاد بالحديث الشريف مطلقاً بغير تمييز، وقد منع ابن الضائع الاستشهاد بالحديث الشريف لجواز نقل الحديث بالمعنى وذَكر في شرحه جملة الزجاجي: تجويز الرواية بالمعنى هو السبب في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمد في ذلك على القرآن وصريح النقل[٢٠].

وكان ابن الضائع أول من نسب إلى ابن خروف الإكثار من الاستشهاد بالحديث، إذ قال: "ابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي فحسن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب استدراكه فليس فيما رأى"[٢١].

وجعل هذا ابن الضائع أول من نبه على أن النحويين الأوائل، لم يكونوا ليستشهدوا بالحديث الشريف لأنه مروي بالمعنى، فلم يثبت أن لفظه من لفظ رسول الله ﷺ مما كانت أقوى النحو والصرف وأصولها.

وقد كانت حجة المانعين تكمن في:

١. أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى.

٢. أنه قد وقع اللحن كثيراً فيما رُوي من الحديث.

٣. كثير من الرواة كانوا غير عرب.

وأخيرا فلعل سبب عدم احتجاج النحويين بالحديث النبوي يعود إلى أمرين:

أولهما: أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، والآخر أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع.

وهذان السببان لا يثبتان عند التحقيق والتدقيق، فالأول منهما وهو تجويز النقل بالمعنى، فقد حدث مثله كثير في الشعر، ثم هو احتمال عقلي لا يقيني، وفي ذلك يقول سعيد الأفغاني[٢٢]: "على فرض وقوعه

فالمغير لفظاً بلفظ في معناه، عربي مطبوع يحتج بكلامه في اللغة.. وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الروايات، من غلط أو تصحيف، فنزر يسير، لا يقاس أبداً إلى أمثاله في الشعر وكلام العرب، فكثير من الأشعار نفسها، رويت بروايات مختلفة".

وكان النحاة القدامى يدركون ذلك فالخليل يقول: "إن النحارير، ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت".

فتغيير رواية الشعر مسألة معروفة معلومة لدى الجميع، ومع هذا لم يرفض أحد من النحويين الاحتجاج بالشعر لهذا السبب، فلمَ يُرفض الاحتجاج بالحديث الشريف بناء على هذه الشبهة؟

أما وقوع اللحن في الحديث، فهو إن وقع قليل جدا لا يبنى عليه حكم، و قد وقع اللحن والتصحيف في كثير من الأشعار القديمة، و لم يمنع ذلك من الاحتجاج بها، أما القول بأن في رواة الحديث أعاجم فهذا أمر يثير الدهشة، فكم في رواة الشعر و النثر من الأعاجم، وقد استدرك بعض المتأخرين ذلك كابن مالك وابن هشام فأكثروا من الاستشهاد بالحديث الشريف وحسناً فعلوا.

❖ ثانيا: مذهب المجوزين:

وهم الذين جوزوا الاستشهاد؛ لأن الأصل في نقل الأحاديث الضبط والتحري بين النقلة والمحدثين.

وتراهم يتحرون في الضبط و يشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى، فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا، فيلقى، ولا يقدح في صحة الاستدلال بها، ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو في الحديث الذي لم يدون في الكتب، وأما ما دون وجعل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم في ذلك(٢٣).

وقالوا بأن تدوين الحديث وقع في الصدر الأول من الإسلام قبل فساد اللغة العربية، حين كان كلام أولئك المبدلين -إن وجد- على تقدير تبديلهم، وهذا يسوغ الاحتجاج به وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به(٢٤).

ثالثًا: مذهب المتوسطين:

ورأيهم بين المانعين والمجوزين، ولا يرفضون الاستشهاد بالحديث جملة ولا يأخذون به جملة! ولكنهم يجيزون الاستشهاد بالحديث القصير الذي ثبت لفظه عن الرسول الكريم ﷺ أو تلك الأحاديث المعتنى بلفظها رواية، والحديث عندهم على نمطين:

الهوامش:

(١) سعيد الأفغاني: الاحتجاج بالشعر في اللغة، دار الفكر، سورية، ط(٤)، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) سورة يوسف: الآية (٢٦).

(٣) سعيد الأفغاني: الاحتجاج بالشعر في اللغة، ص٥١.

(٤) عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار التراث، بيروت، ج١، ص ٥ .

(٥) سعيد الأفغاني: الاحتجاج بالشعر في اللغة، ص ٥٧، ٥٨ .

(٦) انظر فهارس كتاب سيبويه، لعبد السلام هارون ج٥، ص٣٢، وانظر سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص٦ .

(٧) ذكر ذلك ابن الضائع في "شرح الجمل"، فقال: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً"، انظر: خزانة الأدب ج١، ص٥ .. وعلى ذلك، ليس ابن خروف أول من استشهد بالحديث، بل كان أول من أكثر من الاستشهاد به.

(٨) ابن دريد: جمهرة اللغة، ج١، ص٤ .

(٩) الجواهري: الصحاح، ج١، ص٣٣ .

(١٠) من تقديم العطار للصحاح، ص١٣٥ .

(١١) ذكر ذلك عدنان الخطيب: المعجم العربي "حروف المعجم وترتيبها -بناة المعجم- المعجم الحديث بين الصناعة والفن"، مجلة المجمع العلمي العربي، م٤٠، ج١، كانون ثاني، ١٩٦٥م، ص١٨٧ - ٢١٤ .

(١٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٣٣-٣٤ .

(١٣) ابن جني: الخصائص، ج٢، ص٢٤.

(١٤) كلام العرب، ص٧١، وجاء في الحديث الشريف: "لا تقوم الساعة حتى يكون الناسُ برازيق"، كلمة برازيق جمع برزق بمعنى جماعات.

(١٥) شرح الأشموني، ج٣، ص٣٠٨.

(١٦) صحيح البخاري، ج١، ص٣٦١ .

(١٧) شرح الأشموني، ج٣، ص٣٠٨.

(١٨) سورة الشورى، الآية الكريمة (٢٠).

(١٩) صحيح البخاري، ج١، ص٩٩.

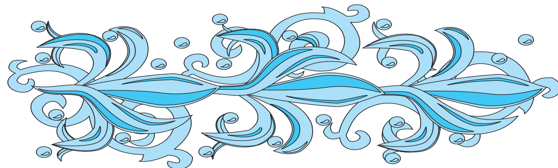
(٢٠) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص٢٠٤ .

(٢١) السيوطي: الاقتراح، ص٥٤ .

(٢٢) سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص٥٠-٥١ .

(٢٣) البغدادي: خزانة الأدب، ج ١، ص٥ .

(٢٤) المرجع نفسه، ج١، ص٦ - ٧، وما بين شطرتين هو من صنع الباحث.



الجوانب الأساسية للتربية الاسلامية

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

هذا عنوان كتاب قيم صنفه أحد أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض «كلية العلوم الاجتماعية» هو استاذ تركي متخصص بهذا الفرع من المعرفة، اسمه «مقداد يالجن» ويبدو ان الكتاب قصد بتأليفه ليكون الجزء الأول من موسوعة عن التربية الاسلامية، وقد تم طبعه في سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

والظاهر ان هذا المشروع كانت الجامعة المذكورة بصدد تنفيذه، غير انني لا اعلم ما حصل لهذا المشروع، حيث تقاعدت عن العمل في جامعة الملك سعود، اذ كنت استاذاً للتاريخ الاسلامي فيها لمدة ١٨ عاماً.

وبالنظر لما في هذا الكتاب من جهد علمي اصيل، رأيت من واجبي التعريف به، خاصة وان المؤلف قد بذل في اعداده جهداً كبيراً، مما اسفر عنه كتاب قيم تناول جوانب أصيلة في هذا الميدان شغلت (٥٢٦) صفحة، ويكفي القول: إن مؤلفه قد رجع في اعداده الى (١٨٥) مصدراً قيماً، سواء أكانت من المصادر الاصلية من اسلامية وغيرها، بعضها مصادر قديمة وأخرى حديثة مهمة للغاية، جاء ذكرها لغرض المقارنة بينها وبما في الاسلام من مبادئ اساسية، لها السبق والتقدم على غيرها من أمهات المصادر.

في الواقع ان الدكتور مقداد قد بزّ كل من سبق وطرق هذا الموضوع، حتى ليمكن القول: بأنه رصد أكثر ما في الاسلام من

مبادئ التربية الأساسية، حتى ليمكن وصفه بالتقدم على جميع التربويين الذين عالجوا هذا الموضوع، ويكفينا في هذا الشأن، تعداد مؤلفاته للإلمام بإنجازاته منذ اصداره لأولها في عام ١٩٦٩م، وها هي:

١- منهاج الدعوة الى الاسلام في العصر الحديث، طبع في مصر ١٩٦٩م.

٢- البيت الاسلامي كما ينبغي ان يكون، القاهرة ١٩٧٢م.

٣- الاتجاه الاخلاقي في الاسلام، القاهرة ١٩٧٣م.

٤- التربية الاخلاقية الاسلامية، القاهرة ١٩٧٧م.

٥- قيمة الايمان والأخلاق في الحياة العلمية، باللغة التركية، اسطنبول ١٩٨٠م.

٦- علم النفس التربوي في الاسلام، الرياض ١٤٠١هـ.

٧- دور التربية الاخلاقية الاسلامية في بناء الفرد والمجتمع، بيروت ١٤٠٥هـ.

٨- فلسفة الحياة الروحية، بيروت ١٤٠٥هـ.

٩- بناء البيت السعيد في ضوء الاسلام، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٦هـ.

١٠- الكتاب الموسوعي «اي جوانب التربية الاسلامية الاساسية» الرياض ١٤٠٦هـ.

وله من المؤلفات المخطوطة، ولم تكن مطبوعة في عام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م:

١١- الطريق الى العبقرية.

١٢- طريق السعادة.

١٣- اهداف التربية وغايتها.

وله من البحوث باللغة العربية ما يأتي ذكره:

١٤- مؤلفات ابن سينا المخطوطة في تركيا، نشر في مجلة جامعة الدول العربية، ١٩٧٥م.

١٥- رسائل التربية الايمانية، نشر في مجلة المسلم المعاصر في الكويت، ١٩٧٦م.

١٦- خصائص التربية الاسلامية ومميزاتها، نشر في مجلة المسلم المعاصر في الكويت ١٩٧٦، عدد ٦ .

١٧- منهج التجديد في الفلسفة الاسلامية، نشر في مجلة المسلم المعاصر في الكويت ١٩٧٦، عدد ٧ .

١٨- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نشر في مجلة السراج في عمان ١٩٧٦م.

١٩- ضرورة الحياة الروحية للحياة الانسانية، نشر في مجلة الهادي، في اربعة اعداد في السنة الرابعة.

٢٠- الطبيعة الانسانية من حيث الخير والشر، ودور التربية في تغييرها، مجلة

كلية الإلهيات في جامعة أنقرة ١٩٧٨م.

٢١- الشعوب الاسلامية ووسائل التقريب بينها، مجلة العلوم الاجتماعية بالرياض ١٩٨٠م.

٢٢- دور التربية الاسلامية في مكافحة الجريمة، بحث لمؤتمر الجريمة في الرياض ١٤٠٤هـ.

٢٣- دور التربية الاسلامية الحضاري في مواجهة التحديات والغزو الحضاري، بحث مقدم الى ندوة التحديات والغزو الثقافي في دول الخليج العربي في سلطنة عمان، ١٤٠٥هـ.

٢٤- اساليب العقوبة والمثوبة في ضوء التربية الاسلامية، كان مخطوطاً حتى عام ١٤٠٦هـ.

٢٥- الوراثة والبيئة والتربية الاسلامية، كان مخطوطاً حتى عام ١٤٠٦هـ.

البحوث باللغة التركية:

٢٦- خصائص العقيدة الاسلامية، مجلة رئاسة الشؤون الدينية في أنقرة، المجلد ١٨ .

٢٧- المنهج الذي ينبغي اتباعه في الأبحاث الاسلامية المعاصرة، مجلة كليات الإلهيات، جامعة انقرة، ١٩٨٠م.

٢٨- دور التربية الدينية في حل مشكلات الأحداث، الجريدة الوطنية لشهر رمضان، استانبول ١٩٧٨م.

٢٩- الديانة والحضارة الانسانية، مقدم لجامعة أنقرة للنشر في سنة ١٩٧٥م.

٣٠- الايمان بالله في ضوء العلوم الحديثة، مجلة معهد العلوم الاسلامية، جامعة انقرة ١٩٨٠م.

٣١- خصائص القرآن الكريم، بلسان الدارسين الغربيين، جامعة انقرة ١٩٧٩م.

وهكذا فإن الدكتور مقداد شعلة من النشاط، فعلاوة على مؤلفاته العربية التي بلغت (١٣) له بحوث بالعربية وعددها (١٢) تم نشرها في دوريات عربية معروفة، وذلك علاوة على (٦) بحوث منشورة باللغة التركية، هذا ما رصدته عن نشاطه في الكتابة والتأليف، وقد كان ذلك قبل (١٨) عاماً، عندما كنت في الرياض.

ولا شك انه قد ضاعف انتاجه خلال هذه المدة الطويلة، هذا وليسمح لي القارئ الكريم باستعراض كتابه القيم المشار اليه بما فيه من مقدمة وخاتمة، وما بينهما من فصول ثمانية مجموع صفحاتها اربت على (٥٠٠) صفحة، **ولعل من المفيد اعطاء فكرة عن هذه الفصول بسرد اسمائها وعدد صفحات كل منها:**

الفصل الأول، وعنوانه «مدخل، الاسلام والتربية» (٣٢) صفحة.

الفصل الثاني، وعنوانه «التربية الصحية» (٤٠) صفحة.

الفصل الثالث، وعنوانه «التربية العقلية والعلمية» (٤٥) صفحة.

الفصل الرابع، وعنوانه «التربية الاعتقادية» (٩٠) صفحة.

الفصل الخامس، وعنوانه «التربية الروحية» (٥٠) صفحة.

الفصل السادس، وعنوانه «التربية الاخلاقية والاجتماعية» (٥٠) صفحة.

الفصل السابع، وعنوانه «التربية الارادية» (٤٦) صفحة.

الفصل الثامن، وعنوانه «التربية الابداعية والابتكارية» (١٨) صفحة.

ثم الخاتمة صفحتان، والملحقات ثمان صفحات علاوة على المقدمة بسبع صفحات، وبهذا يكون المجموع (٥٠٢) من الصفحات.

ان كتاباً بهذا الحجم ليس من السهل تقديم خلاصة لمحتوياته، ولعل من الممكن تقديم خلاصة لأحد فصوله، لاعطاء فكرة عن محتوياته وأسلوبه، وقد اخترت «الفصل الخامس» الذي يتناول التربية الروحية، لأن تربية الروح هي من اهم الأهداف التي أرسى مبادئها الاسلام، كما انها تتضمن جوهر الدين، ولعل من المفيد الاشارة الى عناوين الموضوعات التي شرحها المؤلف في هذا الفصل وهي تبدأ في ص ٢٢٩(١):

١- تنشئة الأطفال على عبادة الله، بدءاً من المراحل الأولى.

٢- تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة.

٣- تحلية النفس بأنواع الفضائل الأخلاقية.

٤- ممارسة الرياضات الروحية بأساليبها وميادينها.

٥- تكوين شعور لدى الناشئين بأنهم بحاجة الى الله باستمرار.

٦- تدريب النشء على ذكر الله، بالأسلوب التربوي.

٧- تكوين الوعي لدى الدارسين بأهمية الحياة الروحية الانسانية وضرورتها.

وقد عرض لهذا الفصل بمقدمة عن أهمية التربية الروحية (ص٢٣١)، قال فيها: ان الجانب الروحي من اهم الجوانب في الطبيعة الانسانية، بل هو الجانب الجوهري من طبيعة الانسان، وهو الذي يميز الانسان عن الحيوان، وقد دفعه الى التسامي على الترهات والأهواء، ويدفعه الى التضحية

بالجانب المادي من كيانه في سبيل التسامي الروحي في سبيل الله، وفي سبيل خير الأمة وخير الانسانية، وكلما ارتقينا بالتربية الروحية، ارتقينا من الناحية الانسانية، وسرنا بالحياة الانسانية الى مدارج الكمال، وانتقلنا الى آفاق أوسع.

ثم ينتقل الى القول: بأن بعض المربين الغربيين، قد ادركوا هذه الأهمية، ونقل قول عالم غربي بهذا الصدد هو «رونيه أدبير» اذ قال: ان الروح هي المنبع الوحيد الذي تنبثق منه الطبيعة والمجتمع والكيان الفردي، وان الانسان يمتاز بهذه الخاصية عن سائر الكائنات الطبيعية رغم ان هذه الكائنات هي روح ايضاً، في رأي هذا العالم الغربي، ولكن المؤلف لا يشاركه في هذا الرأي (ص٢٣١-٢٣٢).

ثم ينتقل المؤلف الى منشأ التربية الروحية، اذ يعتقد بعض الدارسين والفلاسفة ان اصل الاشياء روحي، او ذي جوهر روحي، بينما يقول فريق آخر: بالثنائية، اي ان الاصل فيها روحي ومادي في آن واحد، (ص٢٣٢).

ومن هنا نشأت النظرة «التكاملية» الى حقائق الأشياء، ومن هنا نشأت النظريات التربوية والاتجاهات الفكرية والفلسفية، ولما كانت التربية هي الوسيلة الوحيدة لدى الفلاسفة لبناء الأفراد، ولنقل الفلسفة من النظرية الى الواقع، فإن كل فلسفة وضعت لنفسها نظرية تربوية خاصة بها، مما أدى الى نشوء النظريات التربوية (ص٢٣٣)، ومنها ميدان التربية المادية فقط، بمختلف صورها.

أما الفلسفة الروحية فيعبر عنها «روبيه أدبير» بقوله: الروح تسود كل شيء، وهي كل شيء، وان مصير الانسان ان يكون روحاً، وليس معنى ذلك انه ينفرد بهذا الوصف، لأن سائر الكائنات الطبيعية هي الى درجة ما روح ايضاً، لكن الانسان يفوقها جميعاً لأنه يعي مصيره الروحي (ص٢٣٤)، ووظيفة التربية في هذه الفلسفة هي التنمية الروحية، ولهذه الفلسفة فروع ذات اتجاهات مختلفة، حسب اتجاهات القائلين بها مثل «لينبتر» و «جورج باركلي» و «هيغل»، وأهم ما تركز عليه هذه الفلسفة، هي التربية العقلية والاخلاقية (ص٢٣٤-٢٣٧).

وفي المقابل «الثنائية المثالية سابقة الذكر» هناك الفلسفة الثنائية الواقعية التي تؤمن بالروح والمادة معاً، ويرجع اصلها الى «ارسطو» الذي خالف استاذه «افلاطون» في اعتبار الواقع الاساسي ويقسم العالم الى قسمين: العالم المثالي عالم الحقائق الروحية والعقلية الثابتة، والعالم الحسي الذي هو ظل لذلك العالم الروحي الحقيقي، «جمهورية افلاطون ص١١٥».

ثم تطور هذا الاتجاه على أيدي بعض المفكرين وعلى رأسهم «توماس الأكويني» وقد ادعوا ان العالم هو المادة، او الواقع، اي حقائق مستقلة عن ادراك العقول، كما ان عالم الأرواح هو عالم الحقائق ايضاً، وقد خلق الله سبحانه هذين العالمين، وكان من دعاته الفرنسي «جان جاك روسو» و «سبنسر وليم مكدوغل» و «جون ديوي» وكلهم يدعون الى تأسيس التربية على العلوم البيولوجية والسايكولوجية، والاجتماعية، مع الاهتمام بالواقع، وبالتربية الواقعية الطبيعية، وذلك لاعداد الفرد للحياة العملية الواقعية، للوصول الى المثل العليا، والاتصال بالعالم الروحي، واخيراً تقوم هذه التربية على الايمان بوجود الروح وبوجود حقيقي وراء هذا العالم لكن مع الاهتمام بالواقع والحياة الطبيعية الاجتماعية (ص٢٣٧-٢٣٨) لأن الانسان يعيش في هذا العالم لا وراءه ولا فوقه.

ثم هناك الفلسفة التكاملية التي تؤمن بالمادة وبالروح على حد سواء، وتجعل للروحية موضوعية المادة نفسها وتدعو الى مراعاة قوانين الحياة المادية والروحية معاً، ومهمتها تقويم اعوجاج البشرية التي انزلقت في طريق مغلق، وانغمست في الجوانب المادية، ولذا لا بدّ ايضاً من منع الانسانية من الانغماس في هذا العالم المادي، ولا بد من اعادة معنى الانسانية الى هذا العالم، وعدم الخلط بين العالمين، وهذه الفلسفة تهتم في ميدان التربية، بالتربية الروحية، كما تهتم بالتربية الجسمية، دون الاعتراف بالفواصل بينها، لأن هدفها هو تكوين شخصية انسانية متكاملة من جميع النواحي، وقد اصبح هذا الاتجاه اتجاهاً لبعض كبار المربين، ومن اشهرهم الفيلسوف «فخته» والمربي الكبير «بستالوزي» و «فرويل» انظر (ص٢٣٩-٢٤٠).

كان هذا ديدن الدكتور مقداد يالجن، في جميع فصول الكتاب، فيبدأه بمقدمة تاريخية ترجع الى العصور القديمة، ثم يخلص منها الى أمور العصر، ويعتبرها مقدمة للفصل الخاص بالتربية الروحية الاسلامية وجوانبها الأساسية.

❖ مفهوم التربية الروحية الاسلامية وجوانبها الأساسية:

بعد التمهيد الذي التزم به الدكتور مقداد، لينقل الى المفهوم الاسلامي للتربية الروحية الاسلامية التي يدور حولها الكتاب، وقد قدم لها بما يخص معناها، فقال: انها اول ما تعنى بحمايتها مما يشوه جوهرها، وذكر أسباب مرضها، كما تعنى بتنميتها وبتغذيتها بمختلف العبادات بأساليب خاصة، وتطهيرها من الرذائل، وتحليتها

بالفضائل، ثم ترقيتها لتمكنها من التقرب الى خالقها، لتكون على صلة مستمرة به، ولتستمد منه العون والاشراق، لأن الحياة الروحية التي تضفي على حياة الانسان القوة والاشراق في الدنيا، والأمل في الآخرة، هي التي تجعله يتحمل الصبر ويواجه الصعوبات بشجاعة، دون ان ينهار أمامها فيرتكب جريمة الانتحار، وفي الوقت نفسه طاقة دافعة الى الالتزام بالواجبات والقيام بالأمور العظيمة، ثم ان التربية الروحية لا تعني قط، دفع الناس الى الدروشة، لأنها في اعتقاده لا يحبذها الاسلام (ص٢٤٠-٢٤١).

كما تعنى هذه التربية بتنشئة الصغار على أداء العبادات بروح العبادة، لا بشكلها فحسب، ولا بالتخويف، بل بغرز الرقابة الإلهية في الدنيا، والترهيب بعقابه في الآخرة، ثم بيان ضرورة الحياة الروحية للحياة الانسانية، وكشف فوائدها وتبصير الناشئين بتلك الحقائق الروحية، وان كسب رضا الله يتم بعبادته بقلب خاشع، وبخدمة عباده لوجه الله (ص٢٤١) واليك التفصيل:

أولاً: تنشئة الأطفال على عبادة الله منذ الصغر:

ينبغي ان تبدأ هذه التربية بالتعليم والممارسة ابتداءً من المرحلة الابتدائية، بتعليمهم الصلاة بالترغيب دون استخدام القوة، وانما بتعويد الطفل على أدائها شيئاً فشيئاً، علماً بأن من حكمة التربية الاسلامية، التدريج في تعويد الناس على أداء الواجبات، ولهذا انزلت الشريعة الاسلامية تدريجياً، كما ان القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة، كما نص عليه القرآن نفسه، ومن ذلك **﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾** الاسراء: ١٠٦، وتبعاً لذلك فإن الصلاة لم تفرض الا بعد ١٢ سنة من البعثة، ومثل ذلك الصيام والحج والزكاة (ص٢٤٢).

فالاعتياد أمر مهم، وقد بالغ به بعض المربين، حينما عبروا بأن التربية هي عادة، وقد عرّفها ابن سينا قائلاً: «التربية عادة، وأعني بالعادة فعل الشيء الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلاً، في اوقات متقاربة»، هذا وقد امر الرسول ﷺ بالبدء بتعليم الصبيان الصلاة، عندما يبلغون سبع سنين، دون ان يجبروا على أدائها، وضربهم عليها في العاشرة، كما جاء في الحديث (سنن الترمذي ٢٥٣/١، وسنن ابي داود ٢٧٠/١).

كما ان الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾** البقرة: ٢٨٦، ومن أساليب التربية الروحية في هذه المرحلة ان تساير التربية الروحية اهتمامات الطفل (ص٢٣٢-٢٤٤)، ولكن مجرد الاعتياد على

اداء العبادات لا يكفي للتربية الروحية، ولا بد من سلوك مراحل اخرى، ومنها:

ثانياً: تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل:

ان التيارات السيئة هي بمثابة الجراثيم في جسم الانسان، وتكون سبباً في مرضه، وقد قال الله سبحانه: **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾** البقرة: ١٠، وما الى ذلك من الآيات التي ذكرت الرجس (التوبة: ١٢٥) ومنه القذارة ورجس القلوب التي ينبغي التنفير منها ومن قذارتها، حيث ان الفوز والنجاح الأخروي، مرهون بسلامة القلب من الرذائل (الشعراء: ٨٩) وقد أمر الله الانسان بأن يعمل على تزكية نفوس المربين، وان يبصرهم كيف يطهرون انفسهم، اقتداءً بالرسول ﷺ، فقال تعالى: **﴿كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** البقرة: ١٥١، اي يبصركم بكيفية التطهير (ص٢٤٥-٢٤٦).

ثالثاً: تحلية النفس بالفضائل الأخلاقية:

ان العبادات هي الصورة المجسمة للاتصال الروحي بين العبد وربه، لذا يجب بقاء الروح طاهرة، والنيات صافية،فإذا كانت الروح ملتصقة بالرذائل اثناء العبادة، فإنها عبادة لا تنقذ الانسان من عذاب الله، لأنها عبادة تحققت بصورتها الظاهرة فقط، اذ قال الرسول ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً»، وهذا حديث رواه الامام احمد بن حنبل وهو وارد في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٢/٢-٣٨) كما قال الله تعالى في الأضحية: **﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾** الحج: ٣٧، وقال تعالى في الزكاة: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: ١٠٣، لأن المهم هو تطهير النفس مع أداء الفرائض، ثم ان الرسول ﷺ بين اهمية الأخلاق والمتخلق بها عند الله تعالى فقال: «خير الناس أحاسنهم خلقاً» الجامع الصغير ٩/٢، وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى (ص٢٤٦-٢٤٨).

رابعاً: ممارسة الرياضة الروحية بأساليبها في ميادينها:

ينبغي دراسة هذا الموضوع بروح العبادة وشكلها معاً، اذ انها ذات صلة مباشرة بالله سبحانه، وان لا يتم ذلك بشكل العبادة فقط، وانما ينبغي ان يتم بروحها أيضاً، اي تكون العبادة بنية خالصة لوجه الله تعالى، عملاً بالحديث الشريف القائل: «انما الأعمال بالنيات، وان لكل امرئ ما نوى» صحيح البخاري ج١، فصل بدء الوحي.

وهناك احاديث اخرى تعزز هذا المعنى

(ص٢٤٨-٢٤٩)، فضلاً عن الأحاديث التي توحي بأنه ينبغي ان يكون الانسان في حوار معنوي مع الله، بمعنى المناجاة، حتى يستغرق الانسان في عالم روحاني واسع، وعلاوة على ذلك هناك حوار من جانب واحد في حالة الدعاء، وقد وعد الله المؤمنين بالاستجابة لدعائهم بقوله تعالى: **﴿ادعوني استجب لكم﴾** غافر: ٦٠، علاوة على آيات أخرى تعزز هذا المعنى (ص٢٥٠-٢٥١).

خامساً: تكوين شعور لدى الناشئين بأنهم بحاجة الى الله باستمرار:

ان يكون هذا الشعور لدى المسلم في جميع الحالات، في الصحة والمرض، في الغنى والفقر،فيجعل صلته بالله مستمرة لا يستغني عنها، وانه لا يوجد أحد غير الله يستطيع تحقيق حاجات الانسان، ويرى «بستالوزي» الاوروبي النصراني سالف الذكر، ان اهم مرحلة لغرس هذا الشعور في نفس الانسان، هي فترة المراهقة، والتأكيد له بأن الله يخاطب عباده لتكوين هذا الشعور، كما في الحديث القدسي القائل: «يا عبادي كلكم ضال الا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته، فاستطعموني اطعمكم».. الخ الحديث، صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ كتاب البر والصلة، ثم ان الله يذكّر عباده بنعمه التي لا تحصى، فقال جل جلاله: **﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم﴾** النحل: ١٨، انظر ايضاً كتاب «جوانب التربية الاسلامية الاساسية» ص٢٥٢-٢٥٤ .

سادساً: تدريب الناشئين على ذكر الله بالأسلوب التربوي:

ان هناك فرقاً بين الذكر بتعداد اسماء الله فقط، وبين الذكر بالجنان بمشاهدة آيات الله وآلائه والتفكّر فيها، فالنوع الأول من الذكر لا يربي الشعور، ولا ينمي الانسان من الناحية الروحية، لكن النوع الثاني هو المربي، وهو المطلوب في التربية الروحية، اذ ينبغي تبصير الناشئ بنعم الله والشكر له على الدوام، كما قال الله عز وجل: **﴿سبح اسم ربك الأعلى ❖ الذي خلق فسوى ❖ والذي قدر فهدى﴾** الأعلى: ١-٣ .

وهذا يتطلب تبصير الناشئين بنعم الله الكثيرة، وان يدربهم على التسبيح والشكر، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا القبيل، وقد توصل علماء الغرب مثل الفيلسوف الألماني «كانط» و «سييل هامان» الى ان هذا الاسلوب هو الكفيل بأن يجعل الانسان مؤمناً بوجود الله وقدرته وتفضله على العباد، وبعظمته، مصداقاً للآية الكريمة **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم**

إيمـاناً وعلـى ربهـم يتوكلـون﴾ الأنفـال: ٢، والآية الكريمة ٢٨ من سورة الرعد ونصها: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** (ص٢٥٤-٢٥٧).

سـابعـاً: تـكـويـن الـوعـي الـكـامـل لـدى الناشئين، بأهمية الحياة الروحية وضرورتها للحياة الانسانية:

هنـاك عدة ضرورات تدفع الى الالتزام بالحياة الروحية، وعدم معرفتها سبب في اهمال هذه الحياة وما يترتب على هذا الاهمال من اضرار خطيرة في حياة الناس افراداً وجماعات، من غرق في الحياة المادية التي ادرك خطورتها كبار العلماء والفلاسفة، الذين دعوا الى العودة الى الحياة الروحية وضرورتها من النواحي النفسية والطبية والاجتماعية والاقتصادية مما عالجه الدكتور مقداد فيما يلي:

١- عالج الدكتور مقداد هذه الجوانب بالتفصيل مستشهداً بالآيات الكريمة، ومنها آية خلق الانسان **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾** الحجر: ٢٩، فكلما توغل البشر في الحياة، زادوا شعوراً بالانشراح والبهجة، لأنها من حاجات الروح المستمرة ولا تتوقف عند حد بخلاف الحاجات المادية (ص٢٥٨-٢٥٩).

كما انه لو حُرم من الحاجات الروحية تظهر آثارها ولو بعد حين، وقد ادرك العلماء الغربيون جسامة الاضرار التي تلحق بالانسان عن اهمال العالم الروحي، ومن هؤلاء «سير ريتشارد ولفنغستون» رئيس جامعة اكسفورد البريطانية الذي قال: اننا نعيش في عالمين: عالم مادي وعالم روحي معاً، والأخير هو عالم القيم، ولو ضحينا به على مذبح العلوم والاقتصاديات وغيرها، لكان في ذلك هلاكنا، مثل من يحذف «الفيتامينات» من طعامه.

ومع ذلك اننا لا نولي هذه الحقيقة العناية الكافية، ولهذا يبين الله تعالى ان من اهمل الحياة الروحية فإنه يعيش حياة شقية، قال تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾** طه: ١٢٤، وقال جل وعلا: **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** الرعد: ٢٨، انظر (ص٢٦٠-٢٦٢).

٢- ثم ان اهمية الحياة الروحية وضرورتها لوقاية الانسان من الأمراض التي تؤدي اليها ترك الحياة الروحية، ومنها الأمراض الجسمية التي تتأثر بالحياة النفسية المرضية، وكذلك بالنسبة للرذائل والجرائم التي يرتكبها من انعدمت عندهم الحياة الروحية، وتؤدي بالتالي الى امراض جسيمة (ص٢٦٢-٢٦٦).

٣- لا شك ان الحياة الروحية مهمة

كعنصر أساسي من عناصر السعادة، لأن الانسان قد خُلق لعالم اوسع من عالم المادة، بل ولعوالم اخرى من عوالم العلم والأدب والأخلاق والروح، ولكل من هذه العوالم متعته ولذته الخاصة، وليس كالحيوان الذي خُلق للحياة المادية فقط.

والحضارة هي التقدم الروحي والمادي للانسان، وهذا ما ادركه فيلسوف اوروبي بارز هو «البرت اشفتير»، اذ قال: اننا نعيش في ظل انهيار الحضارة، اذ تجمد الجو الروحي في وقائع معروفة، وينعكس اثر هذا الانجماد بنتائجه المدمرة من كل ناحية على حياة الانسان، ولعلاج ذلك لا بد من اشاعة الروحية في الجماهير، والأمر الوحيد الذي يساعدنا في علاجه، هو التخلي عن السيطرة على الآخر، لكن ذلك من الأفعال الروحية، لقد اسكرنا التقدم في الكشف والاختراع، فنسينا الاهتمام بتقدم الانسان في الشئون اللامادية (٢٦٧-٢٦٩).

والحقيقة ان الرسول ﷺ، قد قرر ذلك بشكل آخر، اذ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: ان يكون الله ورسوله أحب اليه من سواهما، وان يحب المرء لا يحبه الا لله، وان يكره الا لله» اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي ج١/٩ .

وعلى كل حال فإن الاسلام يقرر ان الحياة الروحية هي اشراق وهدى، وانها وسيلة لعلاج الانسان وسعادته في هذه الحياة، وقال الله تعالى: **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾** طه: ١٢٣ (ص٢٧٠-٢٧١).

٤- ثم ان اهمية الحياة الروحية، وضرورتها كعامل من عوامل التسامي والتكامل والتقدم في مختلف ميادين الحياة الانسانية، تكمن فيها القدرة على دفع الانسان الى التسامي والتكامل والتقدم في تلك الميادين، إذ تهدف الحياة الروحية الى صعود البشر بأرواحهم واتصالهم بالله، لكن ذلك لا يمكن ان يتم الا بتسامي الانسان على الرذائل وتكامله بالفضائل، وبقدر ما يعمل من الخير للناس خالصاً لوجه الله، وقد قال النبي ﷺ: «خير الناس انفعهم للناس»، وقال ﷺ: «خير الناس أحسنهم خلقاً» (الجامع الصغير ٢/٩)، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾** المؤمنون: ٥٧، وقال تعالى: **﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾** المؤمنون: ٦١ .

وهكذا ان التقرب الى الله سبحانه يكون من ناحيتين معاً: عبادة الله وخدمة عباده، بعمل الخيرات لهم، وهكذا يسعى الانسان ليتمكن من هذه العبادة الى العمل العلمي

ويقدم الخدمة بالاختراعات العلمية المفيدة، ومنها ما يتعلق بالزراعة، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «لا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء، الا كانت له صدقة» (صحيح مسلم ١٨٨/٣) وقال ﷺ: «ان مما يلحق المؤمن من عمله بعد موته، علم علّمه ونشره، او بيت لابن السبيل بناه، او نهر أجراه، او صدقة اخرجها في صحته وحياته» (سنن ابن ماجة، حديث رقم ٢٤٢)، وما الى ذلك من خيرات (ص٢٧٢-٢٧٣).

ويتضح مما تقدم ان الاسلام شريعة متوازنة تشمل الروح والجسد دون تقتير ولا تبذير، لأن الافراط والتفريط كليهما ميل عن الثواب، وعن الطريق المستقيم، فهو دين للناس كافة، وللأبد، اذ هو يتفق تماماً مع السنن الطبيعية والكونية بدون اي خلل، قال الله عز وجل: **﴿الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان﴾** الشورى: ١٧، ودعا الى الاعتدال ونهى عن الرهبانية اذ قال سبحانه وتعالى: **﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم..﴾** الحديد: ٢٧، وقال تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** القصص: ٧٧ .

وعلاوة على ما تقدم فهناك الحديث النبوي القائل: «لا صام من صام الى الأبد» «فتح الباري ١١٤/٥»، وهكذا فإن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، تجمع على التوازن بين أمور الدين والدنيا (ص٢٧٤-٢٧٨).

نستخلص من هذا كله، ان المسلمين يجب عليهم ان ينظموا حياتهم وفقاً للمعايير الاسلامية التي تحدد منهج الاسلام للحياة الانسانية، اذا اردنا ان يكون سلوكنا متوازناً مع طبيعتنا الروحية والجسمية، ومتوازناً مع حياتنا الاجتماعية حسب المنهج الاسلامي، وان نحرص على تربية اطفالنا في ضوء هذا المنهج، والا فإن هذه التربية لا تؤتي الثمرة المرجوة ولا تتحقق الغاية المطلوبة!.

❖ خاتمة:

يتضح مما تقدم -كما يتضح لمن قرأ كتاب الدكتور «مقداد يالجن» كما فعلت انا- ان المؤلف قد حرص على إيراد أقوال لفلاسفة غربيين وعلماء اوروبيين التي من شأنها تأييد المبادئ الاسلامية في التربية الروحية الأساسية، التي سبق اليها الاسلام ودعا اليها، وأخذ بتطبيقها قبل (١٤) قرناً من الزمان، وهدفه من ذلك ان يؤكد عالمية الاسلام، وانه جاء لهداية العالمين قاطبة، بخلاف بقية الأديان، خاصة اليهودية التي اختصت بطائفة محدودة من البشر، تدعي

كشف ببعض المراجع:

١- القرآن الكريم، طبعة المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.

٢- سنن الترمذي «الجامع الصحيح» للإمام عيسى بن محمد الترمذي، القاهرة ١٩٦٤م.

٣- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، طبعة استانبول ١٩٧٩ .

٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فؤاد عبد الباقي، القاهرة.

٥- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد وعبد الباقي، القاهرة: ١٩٥٩م.

٦- سنن ابي داود، الامام ابي داود السجستاني، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١م.

٧- سنن ابن ماجة، الامام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٥٢م.

٨- فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر العسقلاني، القاهرة ١٩٥٩م.

٩- كشف الخفاء ومزيل الالباس، اسماعيل العجلوني، مكتبة القدسي، القاهرة ١٢٥١هـ.

١٠- إحياء علوم الدين، الامام الغزالي، القاهرة ١٩٦٩م.

١١- تحفة الاحوذي، بشرح الجامع للترمذي، ابو علي المباركفوري، المدينة المنورة ١٩٧٠م.

١٢- مسند الامام أحمد، احمد بن حنبل، القاهرة.

١٣- تفسير ابن كثير للقرآن الكريم، القاهرة.

١٤- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، القاهرة ١٩٥٩م.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، محمد الأنصاري القرطبي، ١٩٦٧م، القاهرة.

١٦- سنن الدارمي، ابو محمد عبد الرحمن الدارمي، ١٩٦٦، القاهرة.

١٧- سنن النسائي، ابو عبد الرحمن النسائي، القاهرة ١٩٦٤م.

١٨- طبقات الصوفية ابو عبد الرحمن السلمي، القاهرة ١٩٦٩م.

١٩- الترغيب والترهيب من الحديث، زكي الدين المنذري، القاهرة ١٣٥٢هـ.

٢٠- تربية الانسان الجديد، د. فاضل الجمالي، تونس ١٩٦٧م.

٢١- الانسان في القرآن، عباس محمود العقاد، بيروت ١٩٧٠م.

٢٢- الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي، د. احمد صبحي، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٣- لمحات من وسائل التربية الاسلامية، محمد أمين المصري، القاهرة.

٢٤- جمهورية افلاطون، ترجمة نظلة الحكيم، القاهرة.

وأخيراً مؤلفات د. مقداد يلجن:

٢٥- جوانب التربية الاسلامية الأساسية، الرياض ١٩٨٦، وهو موضوع هذا المقال.

٢٦- الاتجاه الاخلاقي الاسلامي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٣م.

٢٧- البيت الاسلامي كما ينبغي ان يكون، دار الهلال بالقاهرة، ١٩٧٢م.

٢٨- التربية الأخلاقية الاسلامية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٧م.

٢٩- دور التربية الاسلامية الاخلاقية في بناء المجتمع والحضارة الانسانية، دار الشروق، بيروت ١٤٠٣هـ.

مقاصد الشريعة الاسلامية الثلاثة مع مكملات كل منها

■ بقلم الدكتور محمد ابراهيم الربابعة

المصالح التي جاءت الشريعة الاسلامية لتحقيقها بوجه عام، تهدف الى المحافظة على كيان المجتمع الاسلامي وسلامته، وتحقيق مصالحه، والى اجتناب المفاسد واجتلاب المنافع.

وهذا ما دلت عليه النصوص والقواعد الكلية من الكتاب والسنة، وقد استقرأ علماؤنا الأجلاء -علماء الأصول- قواعد أحكام الشريعة الغرّاء، فوجدوا انها وُضعت لمصالح العباد في الدارين في العاجل والآجل معاً.

ومصالح الناس في الدنيا هي كل ما فيه نفعهم وصلاحهم وسعادتهم ودفع الضرر عنهم، ومصالحهم في الآخرة هي الفوز برضوان الله عز وجل، والطمع برحمته، ودخول جنته، والخوف من سخطه وعذابه في النار.

ولأن المصالح تقاس بموازين الآخرة، فما يكون عليه ثواب في الآخرة يكون مصلحة، وما يكون عدلاً في الآخرة، يكون عدلاً في الدنيا، وقواعد العدل في الدنيا هي قواعد العدل في الآخرة، والآخرة لا تنفصل عن الدنيا، والدنيا لا تنفصل عن الآخرة، فالدين للدنيا والآخرة[١].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «ان المقاصد كلها مبنية على التعلل، وذلك عن طريق استقراء قواعد الشريعة للأحكام كلها»[٢]، وقد اورد الشاطبي[٣] نماذج على ان مقاصد الشريعة معللة نذكر منها:

أ- قول الله تبارك وتعالى: ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[٤].

ب- وقول الله عز وجل: ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾[٥].

ج- وقول الله جل وعلا: ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾[٦].

بعد هذا الاستقراء كما يقول الامام الشاطبي، نقطع بأن الأمر مستمر في جميع جزئيات وفروع الشريعة.

فتكاليف[٧] الشريعة الاسلامية، تعود وتؤول الى حفظ هذه المقاصد والمصالح في المجتمع البشري قاطبة، لم يميّز فيها بين المسلم وغيره، فالمقاصد يجب مراعاتها لجميع البشر.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: «التكاليف كلها راجعة الى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والله غني عن عبادة الكل»[٨].

وقال الآمدي رحمه الله: «أئمة الفقه مجمعة على ان أحكام الله تعالى لا تخلوا عن حكمة مقصودة»[٩].

❖ أنواع المقاصد:

المقاصد لغة: جمع مقصد، من قصد الشيء، وقصد له، وقصد اليه قصداً، من باب ضرب، بمعنى طلبه وأتى اليه، واكتنزه وأثبته، والقصد: هو طلب الشيء، أو إثبات الشيء، او الاكتناز في الشيء أو العدل فيه[١٠].

هذا، وقد حصر علماء الأصول[١١] تلك المقاصد من حيث قوتها في ذاتها في ثلاث مراتب: «الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات (الكماليات)».

لذا سأتكلم بعون الله تعالى، عن هذه المقاصد الثلاثة، وأحدد مفهوم ومدلول كل منها، مع ضرب الأمثلة على كل واحدة من هذه المراتب.

- **الضروريات[١٢]، وفيه ثلاثة فروع:**

الضروريات مأخوذة من الضرورة، وسميت ضرورية لأن حياة البشر تتوقف عليها، اذن، الضروريات لا محيص ولا مناص منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث اذا فقد شيء منها لم تجر مصالح الدنيا على النظام والاستقامة، وانهارت الحياة الانسانية، واختل توازنها، وعمّت الفوضى، وانتشر الفساد، وضاعت مصالح العباد، وقد توفت حياتهم[١٣].

الفرع الأول: بما يكون الحفظ للضروريات؟

الحفظ يتضمن معنى الايجاد، والحفظ لا يكون الا لشيء موجود أولاً إيجادها - باللازم العقلي- ثم حفظها.

والحفظ يكون بعد الايجاد، فالحفظ يستلزم الوجود، ولذلك صرّح الامام الشاطبي عن الوجود تصريحاً، والحفظ

للضروريات يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم اركانها ويثبت قواعدها، لأنها اذا كانت ثابتة تكون أقوى، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود -من حيث الايجاد-.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع، دفع الشيء قبل الوقوع، او المتوقع فيها، يحول دون الوقوع، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فحفظ الضروريات اذن، يكون بإقامة اركانها، وتثبيت قواعدها، ويدرأ الفساد الواقع عليها، وذلك بالحيلولة قبل الوقوع[١٤].

الفرع الثاني: ما الأمور التي يرجع اليها حفظ الضروريات؟

يرجع حفظ الضروريات الى أمور خمسة هي: (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، كما رتبها المالكية والشافعية، ورتبها الحنفية على النحو التالي: **(الدين والنفس والنسب والعقل والمال)**.

فعليها يقوم امر الدين والدنيا، وبها صلاحهما، بل وما خلق الله تعالى أمة كما يقول الغزالي، الا وكانت هذه الضروريات مرعية عندها.

قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى: «المصلحة، هي عبارة في الأصل عن جلب منفعة، او دفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو ان يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، ونسلهم، وعقلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»[١٥].

فهي اذن، مراعاة في كل ملة، وحتى في الشرائع الوضعية فقد شرع الله تعالى من الأحكام ما يكفل بقاء هذه الضروريات (الدين، النفس، العقل، النسل، والمال) والمحافظة عليها.

١- المحافظة على الدين[١٦]**:**

شرع الله تعالى لحفظه وايجاده قواعد الايمان، وفرض أنواع العبادات، وذلك من جانب الوجود ومن حيث إقامة اركانه: كالإيمان، والنطق بالشهادتين، والصلاة والزكاة والصيام والحج، وشرع لحفظ الدين وحمايته من العدوان: الجهاد في سبيل الله، وعقوبة المبتدع الداعي الى بدعته، وذلك من حيث المنع[١٧].

٢- المحافظة على النفس: شرع لحفظ

النفس العادات، بتناول ما يقيم الحياة، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وذلك من جانب الوجود، اما من حيث المنع -العدم- فشرع العقوبات لحفظ النفس، ومنع الاعتداء عليها، فأوجب القصاص، وفرض الديّات والكفّارات[١٨].

٣- المحافظة على العقل[١٩]:

شرع لحفظ العقل من جانب الوجود، ما شرعه لحفظ النفس من تناول الغذاء الذي يتوقف عليه بقاء الحياة والعقل، فحرم المسكرات وعاقب بعقوبة زاجرة كل من يقدم على اذهاب عقله، فجعل حد الشرب، وذلك من حيث المنع او العدم، وهذا من جانب العدم لا الوجود[٢٠].

٤- المحافظة على النسل:

شرع لحفظ النسل من جانب الوجود، بأن أباح النكاح والنفقات، كما شرع لحفظه من حيث المنع -حرّم الزنا- ووضع لها عقوبة زاجرة -حد الزنا-[٢١].

٥- المحافظة على المال[٢٢]:

شرع لحفظ المال من حيث الوجود - اصل المعاملات المختلفة بين الناس- كما شرع لحفظه من حيث المنع (حرم السرقة والغش والربا) وشرع الحد في السرقات (حد السرقة)[٢٣].

وبناء عليه، فإن كل ما من شأنه يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة، يكون مصلحة وكل ما من شأنه يهدم هذه الأصول يكون مفسدة[٢٤]، فهذه الأصول مراعاة في كل ملة من الملل، وكل شريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، لذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وهذا يدل على ان هذه الأصول الخمسة، ضرورية للحياة البشرية، ولا يمكنها الاستغناء عنها لتوقف حياتهم عليها.

وترتيب هذه الضروريات مبتدأة بالدين -من حيث الأهمية- فالدين هو أهم هذه الضروريات، فعند التعارض بين هذه المقاصد الخمسة الضرورية يكون التقديم والتأخير، فالدين مهم كلي، وهو أساس هذه المهام الكلية.

فما به يكون حفظ الدين، مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند التعارض، وهكذا في بقية الضروريات الخمس وهي: «الدين، النفس، العقل، النسل، المال».

وإليك أنموذجاً من الأحكام، للاستدلال على نظام ترتيب هذه الأصول الخمسة من حيث الأهمية:

أ- مشروعية الجهاد في سبيل الله، وهذا دليل على ان حفظ الدين مقدم على

حفظ النفس، حيث ان الانسان يضحي بنفسه وماله من اجل حفظ الدين، وإعلاء كلمة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم**﴾[٢٥].

ب- أيضاً أباح الاسلام للمضطر ان يشرب الخمر، ويأكل الميتة، في سبيل انقاذ نفسه مع ان الشرب للخمر يذهب عقله، فدل ذلك على ان حفظ النفس مقدم على حفظ العقل.

ج- اجمع العلماء على انه يشترط لجلد الزاني ان لا يتسبب إتلاف له، أو لبعض حواسه او قواه العقلية، فدل على ان حفظ العقل مقدم على حفظ النفس.

د- قول الله تعالى: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾[٢٦]، هذا نهي عن اتخاذ الزنا وسيلة للكسب، فدل ذلك على ان مصلحة حفظ النسل مقدمة على حفظ المال[٢٧].

❖ الفرع الثالث: الفرق بين العادات والمعاملات:

هذا ويجدر بنا ان ننبه الى الفرق بين العادات والمعاملات، وذلك بتحديد مفهوم كل منهما، لورودهما كثيراً في هذا البحث.

فالعادات هي التي يحتاجها الانسان بفطرته (كالأكل والشرب والسكن واللباس فكل ما يفتقر اليه الانسان، بحكم جبلة الآدمية ولا غنى عنها، فهي من قبيل العادات.

أما المعاملات، فهي عبارة عن العقود والتصرفات التي تبرم بين الناس، من اجل الحصول على ما يحتاج من العادات، وهذا راجع الى تقدم الحياة البشرية، فالله عز وجل قد شرع الأمرين (العادات والمعاملات).

● **الحاجيات**[٢٨]:

وهي التي يحتاج اليها الناس في حياتهم، للتيسير عليهم ورفع الحرج والضيق عنهم، واذا فاتت الحاجيات وقع الناس في ضيق ومشقة، ويمكن ان يستغني عنها الناس، ولكن بشيء من المشقة، ومع فوات شيء منها لا يختل نظام الحياة كما في الضروريات.. وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات.

فنجد الشارع الحكيم في العبادات، قد شرع الرخص تخفيفاً عن المكلفين، فرخص للمسافر ان يقصر من الصلاة، وان يفطر في رمضان، ورخص ايضاً الجمع بين الصلاتين في الأحوال التي يجوز فيها الجمع، ورخص للمريض ان يفطر في رمضان ثم يقضي بعد ذلك.

ونجده في العادات، قد أباح الصيد والتمتع بالطيبات الحلال، ونجده في

المعاملات، يشرع كثيراً من العقود والتصرفات التي يحتاج اليها الناس كالقرض[٢٩] والمساقاة[٣٠] والسلم[٣١] والاستصناع(٣٢) والمزارعة[٣٣]، وفي العقوبات نجده يشرع من الأحكام ما يرفع به الحرج عن الناس ويرفع المشقة عنهم.

مثال ذلك: الحكم باللوث «القرينة الضعيفة» وضرب الدية على العاقلة، وتضمين الصنّاع، ونحو ذلك[٣٤].

● **التحسينيات (الكماليات)[٣٥]:**

مراعاتها من مكارم الأخلاق او من محاسن العادات، والابتعاد عن كل ما يحط من قيمة الانسان، التي تكون حياتهم مستنكرة في نظر العقول السليمة، وكما يقول الاستاذ مصطفى الزرقا[٣٦] رحمه الله تعالى: «فهي من قبيل استكمال ما يليق والتنزه عما لا يليق»، ويجمعها قسم مكارم الأخلاق، ولا يترتب على تركها حرج او مشقة، ولا يختل نظام الحياة بفقد شيء منها، **وقد شرع الله عز وجل كثيراً من الأحكام في العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات، لتحقيق او تحصيل هذا التحسين والتكميل والتزيين.**

ففي العبادات نجده شرع ستر العورة، والاحتراز من النجاسات، وشرع طهارة الثوب والبدن وكل الطهارات وندب الى أخذ الزينة عند كل مسجد، قال الله سبحانه وتعالى: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[٣٧]، كما ندب ايضاً الى التطوع بالصدقة والصلاة والصوم[٣٨].

وفي العادات، كآداب الأكل والشرب، واجتناب أكل النجاسات، وشرب كل مستقذر وخبيث، ونهى عن الاسراف والاقتار في كل ما يحتاجه الانسان[٣٩].

وفي المعاملات، نهى عن بيع النجاسات، وعن بيع الانسان على بيع أخيه، وسلب المرأة منصب الإمامة[٤٠].

وفي الجنايات، حرم قتل الرهبان والصبيان والنساء في الجهاد، هذا في الظروف العادية، وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه وينهاهم عن قتل هؤلاء، عندما كان يبعث سراياه[٤١].

فالتحسينيات، منها ما هو مندوب كآداب الطعام، ومنها ما هو واجب كستر العورة[٤٢].

● **مكملات المقاصد الثلاثة[٤٣]:**

فمن فضل الله تعالى وحكمته، ان شرع من الأحكام المكملة لهذه المقاصد الثلاثة «الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات» من اجل حفظها وصيانتها، وهذه المكملات هي للتأكيد، وليس للنقص كما يظن، فينضم الى كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث، ما

هو مكمل ومتمم لها فهو مندرج معها في الرتبة، ويؤكد حكمة كل منها، فمثلاً في الضروريات، لما حرم الخمر لحفظ العقل، شرع حد قليل السكر، وان لم يسكر، لأن كل ما يؤدي الى المحظور يكون محظوراً.

والتماثل في القصاص، يعتبر مكملاً لما أوجبه الله تعالى، وهو القصاص لحفظ النفوس، قال الله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾**(٤٤).

وحرم الخلوة بالأجنبية سداً للذريعة، وهو مكمل ومتمم لما حرمه الله تعالى وهو «الزنا» لحفظ النسل والعقل.

وفي الحاجيات، مثل خيار البيع لحفظ المال، واعتبار الكفء لحفظ النسب او النسل، وأباح قصر الصلاة للمسافر، فأكمل ذلك بتجويز الجمع بين الصلوات في السفر.

وفي التحسينيات، مثل آداب الطهارة ومندوباتها، وترك ابطال الاعمال، والانفاق من طيبات المكاسب.

فالضروريات اذن، هي اصل المصالح فالضروري مقدم على الحاجي عند تعارضهما، والحاجي مقدم على التحسيني عند التعارض.. فالحاجي مكمل للضروري، والتحسيني مكمل للحاجي والمكمل للمكمل مكمّل.

تنبيه: هنا لا بد من الاشارة الى ان هذا التقسيم لمقاصد الشريعة الاسلامية الثلاثة، لا يعني بأي حال من الأحوال ان الضروري فرض، والحاجي مندوب، والتحسيني مباح، كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة، بل قد يكون في كل منهما ما هو فرض او مندوب او مباح.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

١- الزرقا، المدخل الفقهي، ج١، ص٩٠-٩١، بتصرف يسير.

٢-٣- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٢-٣ .

٤- النساء: ١٦٥ .

٥- الأنبياء: ١٠٧ .

٦- الملك: ١-٢ .

٧- التكاليف: هي عبارة عن وسائل تفضي الى غاية شرعت لتحقيق المقاصد.

٨- العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج٢، ص٦٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د ت.

٩- ابو الحسن علي بن ابي علي الآمدي ت (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ج٣، ص٢٥٨، مؤسسة النور، ط١، ١٣٨٨هـ، ٣ أجزاء.

١٠- د. ابراهيم انيس وجماعة من العلماء، المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٣٨، دار احياء التراث العربي،

بيروت - لبنان.

١١- الشاطبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣، الغزالي الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي ت(٥٠٥هـ)، المستصفى من علم الأصول، ج١، ص٢٨٦، ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر المحمية، ١٣٢٤هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، مؤسسة التاريخ العربية، بيروت - لبنان.

١٢- انظر المصادر السابقة، الزرقا، المدخل الفقهي ج١، ص٩٣، خلاف، علم اصول الفقه، ص٩٩ .

١٣- انظر المصادر السابقة، محمد سعيد رمضان البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية، ص٢٥٠ .

١٤- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤، بتصرف يسير.

١٥- الغزالي، المستصفى، ج١، ص٢٨٦-٢٨٧، وانظر الشاطبي، الموافقات ج٢، ص٢ .

١٦- الدين، هو خصيصة من خصائص الانسان كالنطق والعقل فكما ان الانسان محتاج الى عقل فهو محتاج الى الدين.

١٧-١٨- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤، بتصرف يسير.

١٩-٢٠-٢١- العقل: منحة إلهية فطر الانسان عليها، وبه يتميز عن سائر المخلوقات فهو قبس إلهي وجد في الجبلة الانسانية، ودائماً قضاياه متفقة مع قضايا الشرع لأن المصدر واحد.

٢٢- المال: كل ما له قيمة في الشريعة الاسلامية، ويحتاج اليه الانسان في حياته يعتبر مالاً، انظر الفقه الاسلامي وادلته د. وهبة الزحيلي ٤/٤٠ طبعة دار الفكر.

٢٣- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤، بتصرف يسير.

٢٤- الغزالي، المستصفى، ج١، ص٢٨٧ .

٢٥- التوبة: ٤١ .

٢٦- النور: ٣٣ .

٢٧- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية، ص٢٥٦ .

٢٨- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤، وانظر علم اصول الفقه، ص٢٠٠، الزحيلي د. وهبة الزحيلي، الوسيط في اصول الفقه الاسلامي، ج١، ص٣٠٣ .

٢٩- القراض: عقد المضاربة، هو اشتراك طرفين في عقد، احدهما يقدم العمل والآخر يقدم رأس المال.

٣٠- المساقاة: هي دفع الشجر لمن يصلحه على جزء من الثمن خارج منه.

٣١- السلم: هو بيع شيء مؤجل بثمن عاجل لحاجة الناس مع ان البيع معدوم.

٣٢- الاستصناع: هو عقد على عمل شيء لم يوجد فهو عقد على معدوم، واجيز للحاجة والضرورة.

٣٣- المزارعة: هي دفع الأرض لمن يزرعها على ان تكون له حصة في الزرع.

٣٤- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٥ .

٣٥- انظر المصدر السابق، وانظر الزرقا، المدخل، ج١، ص٩٤، وخلاف، علم اصول الفقه، ص٢٠٠، د. وهبة الزحيلي، الوسيط في اصول الفقه الاسلامي، ج١، ص٣٠٣ .

٣٦- الزرقا، المدخل، ج١، ص٩٤ .

٣٧- الأعراف: ٣١ .

٣٨-٤٢- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٥، بتصرف يسير.

٤٣- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٥، وما بعدها، وانظر خلاف، علم اصول الفقه، ص٢٠٤-٢٠٥، د. وهبة الزحيلي، الوسيط في أصول الفقه الاسلامي، ج١، ص٣١٩-٣٢٠ .

٤٤- البقرة: ١٧٩ .

٢

البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى

■ بقلم الدكتور محمد علوي المالكي

لقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها صادقة الفراسة، صائبة النظرة، صافية الفكرة، وكانت على ثقة من ان رجلاً كزوجها محمد الأمين ﷺ، يحمل هذه الروح العالية، والنفس السامية، والفضائل التي ما عرفتها قريش بأسرها، يضاف الى ما نقله اليها عبدها مما سبق ذكره في الحلقة السابقة، كانت على ثقة منه انه سيكون له شأن عظيم، يتحدث عنه المسافر والمقيم، وسيحدث في التاريخ أمراً، تهتز له الدنيا عجباً وتيهاً وفخراً، فما اجل عينها الصادقة الحنونة، التي ترعاه في حب وتباشر شؤونه، وما اعظم قلبها العطوف الذي يزوده بالرعاية، ويخفق له فرحاً منتظراً يومه الذي تنصب له في الراية، وينشر له مرسوم دار

ومرت الأيام على هذا النظام، فما اكمل الأربعين على التمام، حتى جاء اليوم الذي هيأته القدرة الربانية لإبلاغه الرسالة السماوية، وهو في وحدته التعبدية، بعد ان مهدت من قبل الأسباب، وتفتحت لذلك الأبواب، فأتاه في ذلك المقام، في اليقظة لا في المنام، رسول الملك العلام، وقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ ولست من جملة القراء، فأخذه فغطه وما تركه حتى بلغ غاية الجهد والاعياء، ثم امره بالقراءة مرة ثانية فامتنع، فأخذه وغطه وما تركه الا بعد ما كاد يقع، وفي الثالثة قال له: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق ❖ خلق الانسان من علق ❖ اقرأ وربك الأكرم ❖ الذي علم بالقلم ❖ علم الانسان ما لم يعلم**﴾ فما أعظمها من بشارة اوصلتها يد الاحسان، من حضرة الامتنان، الى هذا الانسان.. وأيدتها ببشارة ﴿**الرحمن ❖ علم القرآن ❖ خلق الانسان ❖ علمه البيان**﴾.

ولا شك انه ﷺ هو المقصود بهذا التعليم، من حضرة الرحمن الرحيم، فرجع رسول الله ﷺ الى زوجته بعد ان شهد مشهد كرامته، وفؤاده يرجف من هول ما رآه، وشدة ما سمعه وقرأه، ولقد كاد ينخلع لولا تثبيت مولاه، وقال: زملوني زملوني فزملته، فلما ذهب عنه الروع وحدثها قال لها: لقد خشيت على نفسي، وكدت افقد شعوري وحسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، وان الله سيكتب لك عزاً ومجداً وسؤدداً فرحمك موصولة ويدك لضيفك مبذولة، تحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق كل مكلوم، واثبت يا ابن العم فلك البشرى، فوالله لقد كنت اعلم ان الله لا يفعل بك الا خيراً، واني اشهد انك نبي هذه الأمة المنتظر، وهذا زمانك ان شاء الله قد حضر، وقد اخبرني ناصح غلامي وبحيرى الراهب بخبرك المبين.

ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل واخبرته بالتفصيل، فقالت لسيدنا محمد ﷺ: حدثني بفمك ايها السيد النبيل، فأخذ يحدثه ﷺ بما رآه وسمعه من سيدنا جبريل، فقال ورقة: هذا والله الناموس الجليل، الذي كان ينزل على موسى رسول بني اسرائيل، يا ليتني اكون حاضراً ومؤيداً لدعوتك ناصراً، وفي رواية ان السيدة خديجة قالت لرسول الله ﷺ في أول أمره: اذا جاء صاحبك بالوحي فأخبرني بخبره، فلما جاءه أخبرها فقالت: اجلس على شقي الأيمن، فجلس فقالت: اتراه الآن، قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، فرفعت خمارها عن رأسها، وقالت: هل تراه الآن؟ قال: لا، فقالت: ما هذا بشيطان، هذا ملك من ملائكة الرحمن.

وأتاه في بيتها جبريل
ولذي اللب في الأمور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدري
أهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس
جبريل فما عاد او أُعيد الغطاء

وكانت تفعل ذلك احتياطاً لدينها، وزيادة في يقينها، اما النبي ﷺ فقد كان واثقاً بذلك الخطاب، دون شك او تردد وارتياب.

وفي تلك اللحظة الكريمة، سعدت الدنيا بالرسالة العظيمة، ومن ذلك الجبل المشهود، في ذلك اليوم الموعود، طلعت شمس الوجود، فأفاضت نوراً جديداً، واستقبل العالم صباحاً سعيداً، لقد كان هذا العالم يستقبل كل يوم صباحاً، ولكنه لا يرى فيه للأمة خيراً ولا فلاحاً، وما اكثر النهار المظلم، والصبح الكاذب المعتم، لكن من هذا المكان المتواضع، وعلى ذلك الجبل

الراسخ، الذي ليس بمخصب ولا شامخ، ثم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة، بمدنياته وحضاراته الشهيرة، ومدارسه الفخمة، ومكتباته الضخمة، اذ منّ الله على هذه الأمة برسالة محمد ﷺ الذي كشف عنها الغمة، وجلى الظلمة، فطلع الصبح المشرق الصادق، واستيقظ فيه الكون بعد ان كان في غفلة غارق، وتعرف على المفتاح النبوي الذي يفتح كل عقل ملتوي، فظهرت له شناعة الشرك والوثنية، والخرافات والأوهام الجاهلية، فتهذبت تلك القوى الجامحة كل التهذيب، وانصقلت تلك المواهب الضائعة بهدي الحبيب، وتقلبت بين مقامي الترغيب والترهيب، فتدفقت كالسيل واشتعلت كاللهيب، حتى كان راعي الابل راعي الأمم، وخليفة يحكم وإليه يحتكم، واصبح فارس القبيلة والبلد فاتح الدول ذات المجد والعدد، فكثر العدل وانتشر النور، وقل الجدل وفقدت شهادة الزور، وتبدلت الأحوال الى احسن حال، فالتاجر امين صدوق، والغني سخي شفوق، والفقير شريف كادح، والعامل مجتهد ناصح، والرئيس متواضع رحيم، والخازن حفيظ عليم، والقاضي عادل فهيم، فظهر في ذلك المجتمع صدق التاجر وامانته، وتعفف الفقير وكدحه، واجتهاد العامل ونصحه، وسخاوة الغني ومواساته، وعدل القاضي وحكمته، واخلاص الوالي وشفقته، وتواضع الرئيس ورحمته، وقوة الخادم وحراسته، فكانت تلك البعثة للعالم ربيعاً، وللانسانية خصباً وريعاً.

وقد اختص الله تعالى هذه الجوهرة المصونة، والدرة المكنونة، بمزايا عديدة وخصال حميدة، فمنها انها رضي الله عنها هي التي طلبته، والى الزواج بها دعته، وانها أول امرأة يتزوجها، ووليمتها اول وليمة يصنعها، وعاشت معه ﷺ بقية عمرها، ولم يتزوج بغيرها رضي الله عنها حتى ماتت بعد ان رأى خالص برها، ودفنها ﷺ بمكة ونزل هو بنفسه في قبرها، وقد عاشرته اربعاً وعشرين سنة أحسن عشرة، ورافقته افضل رفقة، وآلفته اعظم ألفة، وصادقته أوفى محبة، وكانت لا ترى منه ميلاً الى شيء الا بادرت به اليه، وقدمته هدية بين يديه، وقد رأت منه قبل البعثة النبوية رغبة في مولاها زيد بن حارثة قوية، فما كان منها الا ان وهبته له بنفس راضية سخية، فكان الى حضرته من المنسوبين، وكتب في ديوان المسعودين، وفاز بالأولوية مع السابقين، وتشرف بمحبوبية سيد المرسلين ﷺ.

ومن خصائصها التي نالت بها اعلى مراتب الشرف والكمال، انها رضي الله عنها أول من آمن به ﷺ من النساء والرجال، فصدقته وآزرته، واعانته وثبتته، وخفف الله بسبب ايمانها عن نبيه ﷺ كل هم، وفرج عنه ما اصابه في الدعوة من تعب ونكد

وغم، فكان ﷺ لا يسمع شيئاً من زمرة الالحاد، من تكذيب وجحود وعناد، ويرجع الى خديجة الا ويجد عندها كل هدى وسداد، فتهون عليه الرزايا وتواسيه، وتبعث الطمأنينة الى نفسه وتسليه، وتمنحه العطف وتبشره بما سوف تراه فيه وتشجعه وتؤيده وبكل خير تمنيه.

وقد ثبت انها رضي الله عنها صلت معه ﷺ وتشرفت بمنقبة الوضوء واستقبال البيت الحرام، وكان جبريل عليه السلام قد علم النبي ﷺ تلك الصلاة، قبل ان تفرض الخمس صلوات ليلة المناجاة، وكان يصلي صلاتين مرة في العشية ومرة في الغداة.

وقد روي عن يحيى بن عفيف انه قال: جئت زمن الجاهلية الى مكة فقدمت مني ايام الحج ونزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس خرج رجل من خباء قريب منا، فاستقبل الكعبة وقام يصلي، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الرجل، فركع الغلام والمرأة، فرفع فرفعا، فسجد فسجدا، فقلت: يا عباس امر عظيم، فقال: امر عظيم، اتدري من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا محمد بن عبد الله ابن اخي، أتدري من الغلام؟ قلت: لا، قال: هذا علي بن ابي طالب، اتدري من هذه المرأة؟ قلت: لا، فقال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي.

وهذا حدثني ان ربك رب السماء والأرض أمرهم بهذا الذي تراهم عليه، وأيم الله ما اعلم على ظهر الارض كلها احداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، قال عفيف الراوي: فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت اكون ثانياً.

ومن خصائصها عليها الرحمة والإكرام، انها افضل نساء المصطفى بالتمام، كما جاء في الحديث عن سيد الأنام، انه قال: «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون» وفي رواية عن انس مرفوعة: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية»، وهو حديث ثابت بلا مراء وقد أثبت حكم صحته اجلة العلماء[1].

وفي رواية صحيحة ثابتة لا يشك فيها اثنان، انه ﷺ قال: «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» وقد روى هذا الشيخان.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهي معروفة في اصول كتب اهل السنة الشهيرة، وكلها متفقة في مجموعها بيقين، على ان مريم عليها السلام، وخديجة وفاطمة وآسيا هن افضل نساء العالمين رضي الله عنهن اجمعين، والخلاف بين العلماء في تعيين اولاهن، والموازنة في الافضلية بينهن، وقد اجتهد بعضهم في تعيين واحدة، وتكلف

التأويل والجمع ولا ارى في ذلك فائدة.

ومن خصائصها الشريفة، ومناقبها المنيفة، ان كل اولاده ﷺ منها، الا سيدنا ابراهيم عليه السلام فلم يتكون عنها، بل عن مارية القبطية، التي اهداها له مقوقس مصر والاسكندرية، وقد ولدت لخير البرية ستة من الذرية، **الأول القاسم**، وهو اكبر الأولاد، وبه يتكنى ويفتخر على العباد، وهو اول من مات من ولده، ودفن في بعض الاقوال بمكة بلده، **والثاني عبد الله ويقال له: الطاهر والطيب** لأنه ولد في الاسلام، ومات صغيراً بالبلد الحرام، **والثالثة زينب** وهي اكبر بناته وقد ولدت قبل بعثته، وتزوجها ابو العاص بن الربيع وكان اسلامها وهجرتها قبل اسلامه وهجرته، وتوفيت في اول عام ثمانية من هجرة المصطفى ﷺ، ودفنت في جنة البقيع وقبرها هناك لا يخفى.

والرابعة رقية والخامسة ام كلثوم، وقد كانتا تحت ولدي ابي لهب الشقي المحروم، فلما نزلت **﴿تبت يدا ابي لهب﴾**، غضب ابوهما اشد الغضب، وقال لولديه: رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد صاحب هذا الكلام، يقصد بذلك ايذاءه ﷺ، ففارقاهما قبل الدخول عليهما، ولم يصلا بفضل الله اليهما.

وقد تزوجت رقية بسيدنا عثمان بن عفان، وهاجرت معه الى الحبشة فراراً بالايمان، ثم رجعت وهاجرت معه الى مدينة الشفيع، وماتت عنده ودفنت في جنة البقيع، ثم تزوج بعدها اختها وهي أم كلثوم، وماتت عنده ايضاً وقبرها في البقيع معلوم، فيكون قد تزوج من بنات النبي اثنتين، ولذلك اشتهر بين الأنام بذي النورين، ولو كانت هناك ثالثة لمن بها عليه سيد الكونين ﷺ.

والسادسة فاطمة الغراء، المعروفة بالبتول والزهراء، ام الحسن والحسين اهل الوضا، وزوج الامام علي المرتضى الذي احسن عشرتها واخلص لها حبها، ولم يتزوج عليها حتى قضت عنده نحبها، وكانت وفاتها سنة احدى عشرة من الهجرة النبوية، بعد ان عمرت ثلاثين سنة قمرية، ودفنت بالبقيع على أصح الأقوال المروية، وقيل: دفنت ببيتها الذي بجانب الحجرة النبوية، وهو في المسجد الآن وليس في ذلك رواية مرضية، وبهذا تعلم ان بناته دخلن في الاسلام، وهاجرن معه ﷺ الى المدينة من البلد الحرام.

فهؤلاء جملة اولاده منها رضي الله عنهم اجمعين، وحشرنا في زمرتهم مع رسول رب العالمين آمين.

ومن فضائلها ان النبي ﷺ كان لا ينسى أبداً ودها، ويحفظ في اهلها عهدها، فيبعث لهم بما يأتيه من الهدايا، ولا يتركهم اذا قسم بين اصحابه العطايا، وقد يذبح الشاة

بنفسه ثم يقطع اعضاءَها ويخص بها اصدقاءها واقرباءها، فإذا غارت السيدة عائشة ولم يتحمل ذلك قلبها، قال لها ﷺ: «لقد رزقت حبها، فأنا أحب من يحبها».

ومن فضائلها المروية عن أئمة المحدثين الكبار، في كثير من كتب السنن والسير والآثار، أنه ﷺ كان يكثر من ذكرها، وينشر بين الجميع طيب خبرها وحسن برها، ويثني عليها احسن الثناء، ويستغفر لها الله ويكثر لها من الدعاء، ويتحدث عن ما لها من الشرف والفضل والكمال، ويسترسل في ذلك الحديث دون ملل ولو طال، فإذا سمعته عائشة يتحدث عنها غارت أشد الغيرة منها، وقالت: ما هي الا حمراء الشدقين عجوزاً كبيرة، وقد عوضك الله خيراً منها شابة صغيرة، فكان يغضب من قولها، ويخاصمها على فعلها ويقول: «ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي اذ كفر الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وآوتني اذ رفضني الناس، وواستني اذ حرمني الناس، ورزقني اولادها اذ حرمني اولاد النساء»[٢].

وقد جاء في بعض الآثار المروية، عن السيدة عائشة الصديقة، انها قالت: «ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة باهتمام، فاحتملتني الغيرة وقلت فيها ما لا ينبغي من الكلام، فتغير وجهه تغيراً ما كنت اراه الا عند نزول الوحي عليه، وسقطت في جلدي وندمت على إساءتي بذلك اليه، وقلت: اللهم ان اذهبت غيظ رسولك الآن، لم أعد اذكرها بسوء ما بقيت مدى الأزمان، فلما رأى ذلك مني، عذرني وسامحني وعفا عني، وذكر لي طرفاً من فضائلها الغراء»، وبهذا تعلم ان غيرتها لا عن بغض او عداء، وانما هي طبيعة معروفة في النساء، وعائشة هي التي نقلت لنا عن خديجة ذلك الخبر، ولولاها ما كنا وقفنا له على عين ولا أثر.

ومن فضائلها عليها الرحمة والإكرام، ان رب العزة ارسل لها مع جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه أدام وطعام، فإذا هي اتتك فاقرأ عليها من ربها ومني السلام، فلما بلّغها قالت: الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وقد ثبت ذلك عن الشيخين، في كتابيهما المعروفين بالصحيحين.

ومن خصائصها رضي الله عنها ما رواه الشيخان، ان جبريل عليه السلام بشرها ببيت في الجنان، اذ قال ذلك الملك المكرم، للنبي ﷺ: «بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب[٣]، لا صخب[٤] فيه ولا نصب»[٥].

ومن فضائلها رضي الله عنها الغراء، انها وقفت مع النبي ﷺ في السراء والضراء، ولم ترض ان تتركه لما قاطعه في الشعب الاعداء فخرجت عن بيتها الرفيع، ومقامها المنيع، ودخلت معه الشعب فكانت من جملة

المحصورين، ولم تبال بسنها الذي زاد على الستين، رغبة في متابعة سيد المرسلين، فاستبدلت حياة العز والرفاهية بتلك الحياة الخشنة القاسية، وكم ذاقت معهم مرارة العطش والجوع، اذ كان الطعام والشراب عن الجميع ممنوع، فيحق للتاريخ ان يحني رأسه أمام جلالها، ويتوج صحائفه بكريم فعالها.

والحاصل ان فضائلها لا تعد ومناقبها لا تحد، وما عسى ان يقال فيمن وصفها سيد ولد عدنان، واشاد بذكرها على رؤوس الأعيان، ورفع شأنها بين النساء على كل شان، وذكر فضلها وشرفها الثابت بالتحقيق، وشكر بها مواقفها معه في الايمان والتصديق.

فما اعظم اخلاقها القويمة، وسيرتها المستقيمة، التي هي عين اوصاف المؤمن الكريم، كما اخبر عنها الرسول العظيم ﷺ، اذ قال: «ان المؤمن تراه قوة في دين، وحزماً في لين، وايماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وشفقة في محبة، وبراً في استقامة، وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، ومنخرجاً عن طمع، وكسباً في حلال، ونشاطاً في هدى، ونهياً عن شهوة، ورحمة للمجهود، ان المؤمن لا يظلم من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد ولا يطعن، في الزلازل وقوراً، وفي الرخاء شكوراً»، فكأن هذه الأوصاف والأخلاق منطبقة على السيدة خديجة رضي الله عنها تمام الانطباق.

❖ وفاتها رضي الله عنها:

ولما تمت لها الكمالات الباهرة، وتوطنت الرتبة السامية العلية الفاخرة، وامتدت انوارها وآياتها المتكاثرة، توفيت رضي الله عنها في يوم الحادي عشر من رمضان، قبل هجرة سيد ولد عدنان، بثلاث سنين على الأصح من الأقاويل، وقيل بأربع وقيل بسبع على ما قيل، ولم يصل عليها ﷺ، لأنها لم تشرع الصلاة على الميت في ذلك العام، ونزل النبي ﷺ في قبرها، وسوى عليها التراب، وأحسن نزلها، وهي فضيلة لها دون غيرها من أمهات المؤمنين، رضي الله تعالى عنهن اجمعين الى يوم الدين، وكان لها من العمر خمس وستون عاماً، ودفنت بمقبرة المعلى المعروفة بالحجون، وهذا وان كان قد ثبت بطريق الآحاد، الا انه اشتهر كل الاشتهار بين كافة العباد.

الهوامش:

١- أخرجه أحمد والترمذي وصححه.

٢- اصله في الصحيحين وله روايات كثيرة عند احمد وابي حاتم والدولابي والطبري وغيرهم.

٣- لؤلؤ مجوف.

٤- لا صياح.

٥- تعب.

١

ذوو الاحتياجات الخاصة وكيفية أداء العبادات

■ **بقلم الدكتورة جميلة الرفاعي**

لقد ساد التشديد المِلل السابقة فقال تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾(١)، والإصر هو الحمل الثقيل، وهو تصوير لما كان في شرائع السابقين من التكاليف السابقة.

ثم بعث الرسول ﷺ بالحنيفية السمحة، التي رفع فيها الحرج كما بين ذلك في آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾(٢) وقال تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾(٣).

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة تصرح أو تشير إلى التيسير ورفع الحرج، فعندما أطال معاذ بن جبل في الصلاة بالناس، انقطع أحد المصلين عن الصلاة خلفه، وعندما علم النبي ﷺ قال لمعاذ معاتباً: «أفتّان أنت يا معاذ أو أفاتن أنت - ثلاثاً- ثم أمره فقال: «لولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والصغير وذو الحاجة»(٤).

ولقد تحدث العلماء حديثاً عن اليسر في الإسلام وبعد أحكامه عن المشقة، فقد قرر ابن القيم هذه الحقيقة بقوله: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة

خرجت من العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة وإن دخلت إليها بالتأويل»[٥].

ويقول صاحب فواتح الرحموت: «لا حرج في الشرع فلهذا لم يجب شيء من الأحكام على الصبي العاقل ولا على المعتوه البالغ، ولا يجب القضاء للصلاة في الحيض والنفاس وشرعت العبادات في المرض قاعداً أو مضطجعاً»[٦].

ويقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة: «لدى تتبع أنواع وصنوف العبادات في الإسلام، نلاحظ أنها مبنية على اليسر ورفع الحرج، وليست مبنية على العسر والتضييق وحيثما وكيفما ومتى وجدت المشقة أو الحرج، وجدت أحكام التيسير ورفع الحرج»[٧].

في بداية الحديث عن ذوي الاحتياجات الخاصة، سأتناول بعض المصطلحات العامة المتعلقة به لتوضيحها والتعرف عليها من ناحية لغوية وشرعية:

❖ الحكم في اللغة:

الحكم بالضم: القضاء[٨] والحكم: العلم والفقه قال تعالى: **﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾**[٩] أي علماً وفقهاً[١٠]، والجمع أحكام لا يكسر على غير ذلك، وقد حكم عليه بالأمر حكماً وحكومة بينهم كذلك[١١] يقال: هذا الذكر الحكيم أي الحاكم لكم وعليكم[١٢].

❖ الحكم في الاصطلاح الشرعي:

خطاب الله تعالى القديم المتعلق بأفعال المكلفين على وجه الاقتضاء أو التخيير أو الوضع[١٣].

الاقتضاء: هو الطلب، وينقسم إلى: طلب فعل وطلب ترك، وطلب الفعل إن كان جازماً فهو الإيجاب وإلا فهو الندب[١٤]، وطلب الترك إن كان جازماً فهو التحريم وإلا فهو الكراهة، أما التخيير فهو الإباحة.

ويقسم الحكم الشرعي إلى ما يلي:

١- **الحكم الأصلي:** ما شرع ابتداء من أول الأمر غير متوقف في وجوده على وجود عذر من المكلف أو عدم وجود عذر عنده، وعلى هذا يصح تناوله لجميع المكلفين[١٥]، ويسمى عزيمة.

٢- **الحكم غير الأصلي:** ما كان مبنياً على أعذار العباد، أي لا يكون مشروعاً إلا إذا وجد العذر الذي يجعل الإتيان به مشروعاً ويسمى رخصة، ولا يصح الإتيان به إلا لأصحاب الأعذار التي حددها الشارع لكل حكم[١٦].

أما العبادة فهي من ناحية اللغة: هي الطاعة والعبودية والخضوع والذل والتعبيد[١٧]، وفي الشرع: عرّفها العلماء تعريفات متعددة تدور جميعها حول معنى الطاعة النابعة من محبته سبحانه، فقال الزمخشري والشوكاني وأبو السعود: أقصى غايات الخضوع والتذلل[١٨].

والأهلية في اللغة: الصلاحية والاستحقاق والجدارة(١٩)، **أما اصطلاحاً:** أهلية الإنسان للشيء وصلاحيته لصدوره وطلبه منه وقبوله إياه[٢٠].

❖ أنواع الأهلية:

القسم الأول: أهلية الوجوب: صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه، أي صلاحيته لأن تثبت الحقوق المشروعة له وإثبات حقوق الآخرين عليه[٢١]، ومناطها الحياة لذا فهي تشمل الجنين والمجنون[٢٢]، وتقسم إلى:

أ- أهلية وجوب ناقصة: وهي صلاحية الشخص للوجوب فقط، فتثبت له الحقوق على غيره ولا تترتب عليه أي واجبات، وتنطبق على الجنين في فترة الحمل[٢٣].

ب- أهلية وجوب كاملة: وتتمثل بثبوت الحقوق وترتب الواجبات عليه، وتثبت للطفل منذ الولادة وتستمر معه حتى الوفاة، وهذه تنطبق على المجنون والمعتوه الراشد[٢٤].

القسم الثاني: أهلية الأداء: هي صلاحية الشخص لممارسة الأعمال التي يتوقف اعتبارها الشرعي على العقل، ومناط أهلية الأداء هو العقل، وعليه تترتب على أقوال المكلف وأفعاله أثارها الشرعية[٢٥]، وتقسم إلى قسمين[٢٦]:

أ- أهلية أداء ناقصة: وهذه تثبت للصغير المميز من السابعة حتى البلوغ.

ب- أهلية أداء كاملة: وتثبت للشخص اعتباراً من بلوغه وتستمر معه إلى الوفاة، إلا إذا طرأ على عقله عارض يفقده القدرة على التصرف.

والعوارض: هي الموانع لغة[٢٧] ويقصد بها شرعاً بأنها خصال أو آفات لها تأثير في الأحكام بالتغيير أو الإعدام[٢٨]، والعوارض قد تكون سماوية أو مكتسبة، فالسماوية هي ما ليس للعبد فيها اكتساب واختيار، وتثبت من قبل صاحب الشرع وسبب نسبتها للسماء لأن الإنسان لا دور له في مسائل الجنون والعته والمرض[٢٩]، أما العوارض المكتسبة فهي التي يكون للعبد دور في اكتسابها بمباشرة الأسباب كالسكر أو غيره كالإكراه[٣٠].

وهذه العوارض التي تعرض لأهلية

الأداء، منها ما يعرض للإنسان فيزيل أهلية الأداء أصلاً كالجنون والنوم والإغماء، ومنها ما يعرض للإنسان فينقص أهليته للأداء ولا يزيلها كالعته، ومنها ما يعرض للإنسان فلا يؤثر في أهليته لإزالتها ولا ينقصها ولكن يغير بعض أحكامها لاعتبارات ومصالح قضت بهذا التغيير لا لفقد أهلية أو نقصها كالسفه والغفلة والمرض[٣١].

❖ الرخصة:

الرخصة في اللغة: بتسكين الخاء هي التيسير والتسهيل، وبفتح الخاء عبارة عن الشخص المتمتع بالرخصة[٣٢]، **وفي الاصطلاح:** ما استبيح لعذر مع بقاء الدليل المحرم[٣٣].

وعرفها الشاطبي: "ما شرع لعذر شاق استثناءً من أصل كلي"[٣٤]، وهذا الاستثناء يقتضي المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه، وكونه مقتصراً به على موضع الحاجة خاصة من خواص الرخص وهو الفاصل بين ما شرع من الرخص، فإن شرعية الرخص جزئية يقتصر فيها على موضع الحاجة، فإن المريض إذا قدر على القيام في الصلاة لم يصل قاعداً، وإذا قدر على مس الماء لم يتيمم وكذلك سائر الرخص.

والترخيص المشروع ضربان:

أحدهما: أن يكون في مقابلة مشقة لا صبر عليها طبعاً ولا شرعاً، ومثال المشقة التي لا صبر عليها طبعاً المرض الذي يعجز معه استيفاء أركان الصلاة على وجهها المطلوب، أو عن الصوم لفوت النفس أما شرعاً كالصوم المؤدي إلى عدم القدرة على الحضور في الصلاة أو على إتمام أركانها وما أشبه ذلك.

الثاني: أن يكون في مقابلة مشقة بالمكلف قدرة على الصبر عليها[٣٥].

ومن هذه الأنواع يتبين أن ترخيص الشارع إنما هو للتخفيف عن المكلفين تارة بإباحة ترك الواجب للعذر، أو باستثناء بعض العقود من الأحكام الكلية للحاجة وكل ذلك يرجع عند التحقيق إلى إباحة المحظور للضرورة أو الحاجة[٣٦].

والحاجة لغة: يقال: حاج الرجل يحوج إذا احتاج[٣٧].

الحاجة اصطلاحاً: "ما يفتقر إليه للتوسعة ورفع الحرج عن المكلف فهي إذا ما فقدت، وقع الناس في حرج وضيق وعسر"[٣٨].

ويقصد بالحاجة أنه مفتقر إليها من

حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات.

ويقصد بذوي الاحتياجات الخاصة عند علماء التربية: كل فرد ينحرف انحرافاً ملحوظاً عن الأفراد العاديين، سواء أكان هذا الانحراف إيجابياً أم سلبياً، بمعنى تفوق، أو تدني في القدرات العقلية أو الخصائص الجسمية والانفعالية والاجتماعية[٣٩].

وفئة ذوي الاحتياجات الخاصة يدخل تحتها الأعمى والأعرج، والمريض المقعد والمشلول ومقطوع اليدين أو الرجلين، والمعضوب والأخرس، والمبتلى بسلس البول، والمستحاضة، ويدخل تحت هذا المفهوم الأمراض العصرية التي لم تكن موجودة زمن الرسول ﷺ والصحابة، مما لها علاقة بذوي الاحتياجات الخاصة، كالمريض مرضاً نفسياً (الاكتئاب الوسواس القهري) والمريض المصاب بالإيدز، وغير ذلك من الأمراض التي يمكن أن تعالج ولكن تحتاج إلى فترة قد تكون طويلة.

الهوامش:

١- سورة البقرة آية ٢٨٦ .

٢- سورة البقرة آية ١٨٥ .

٣- سورة النساء آية ٢٨ .

٤- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، وصحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني، ص ٢٥٥، كتاب الآذان، باب ٦٣ من شكا إمامه إذا طول، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠ م، وسيشار إليه فيما بعد بالعسقلاني.

٥- ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، دار الجليل، بيروت، الجزء الثالث، ص ٣، وسيشار إليه فيما بعد بابن القيم: إعلام الموقعين.

٦- عبد العلي، عبد العلي بن نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت وهو مطبوع مع كتاب المستصفى محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثانية/ ج١، ص١٦٩، وسيشار إليه فيما بعد بعبد العلي: فواتح الرحموت، الغزالي: المستصفى.

٧- حبنكة، عبدالرحمن حبنكة، ابتلاء الإدارة، دار القلم، دمشق، طبعة أولى ١٩٩٥، ص٢٧٨، وسيشار إليه فيما بعد بحبنكة: ابتلاء الإدارة.

٨- الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، المجلد الثامن، ص

٣٥٢، وسيشار إليه فيما بعد بالزبيدي: تاج العروس.

٩- سورة مريم آية ١٢ .

١٠- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى، ١٣٠٣هـ، المجلد الخامس عشر، ص٥٣٠، وسيشار إليه فيما بعد بإبن منظور، لسان العرب.

١١- الفيروز آبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٨٣م، المجلد الرابع، ص٩٨، وسيشار إليه فيما بعد بالفيروز آبادي، القاموس المحيط.

١٢- ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٣٤٣٠ .

١٣- ابن أمير الحاج، أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن محمد، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٩م، المجلد الثاني، ص٩٩، وسيشار إليه فيما بعد بابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، الغزالي، المستصفى، ١/ ١١٣ (طبعة دار الأرقم).

١٤- الاقتضاء: معنى يكون مقصوداً للمتكلم متضمناً لما يتوقف عليه صدق اللفظ ولما يتوقف عليه صحته عقلاً ولما يتوقف عليه صحته شرعاً، ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ٣/ ٤٧٤ .

١٥- عبيد الله، عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي، التوضيح على التنقيح، مطبعة صبيح، المجلد الثاني، ١٣٢، وسيشار إليه فيما بعد بعبيد الله: التوضيح على التنقيح.

١٦- عبيد الله، التوضيح على التنقيح، ٢/ ١٣٢ .

١٧- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر مختار الصحاح، المكتبة الأموية، دمشق، ١٩٨٠، ص٤٨٠، وسيشار إليه فيما بعد بالرازي، مختار الصحاح.

١٨- الزمخشري، أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، المجلد الأول، ص ١٣، وسيشار إليه فيما بعد بالزمخشري، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، طبعة ثالثة، طبعة ١٩٧٣م، المجلد الأول، ص٢٢ .

١٩- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٢٤٥ (ط ١٩٩٣، ٣م، مؤسسة الرسالة).

٢٠- أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود البخاري، تيسير التحرير، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني، ص ٢٤٩، وسيشار إليه فيما بعد بأمير شاه.

٢١- التفتازاني: شرح التلويح، ٢/١٦١-١٦٢ .

٢٢- السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، أصول السرخسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، ص٣٣٣، وسيشار إليه فيما بعد بالسرخسي، أصول السرخسي.

٢٣-٢٤- التفتازاني، شرح التلويح، ٢/ ١٦١ - ١٦٢ .

٢٥- الزرقا، المدخل، ٢/ ٧٤٢، التفتازاني، شرح التلويح، ٢/ ١٦١ - ١٦٤ .

٢٦- التفتازاني: شرح التلويح، ج ٢/ ١٦١ .

٢٧- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١٩٨٧، ١، ص١٥٣، وسيشار إليه فيما بعد بالفيومي: المصباح المنير.

٢٨- ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، ٢/ ١٧٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م).

٢٩- عبدالكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى، ١٩٨٥م، ص١٠١، وسيشار إليه فيما بعد بعبد الكريم زيدان: الوجيز.

٣٠- زيدان: الوجيز، ١٠١ .

٣١- خلاف، عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، الكويت، ط ١٢، ١٩٧٨م، ص ١٣٨ - ١٤٠، وسيشار إليه فيما بعد بخلاف: علم أصول الفقه.

٣٢- ابن منظور، لسان العرب، ٧/٤٠، دار صادر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٢/٣٠٤ (المطبعة الحسينية، مصر).

٣٣- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، كشف الأسرار، المجلد الأول، ص ٤٨٨، وسيشار إليه فيما بعد بالنسفي، كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري، ١/١١٧ (دار المعرفة، بيروت).

٣٤- الشاطبي، أبو اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، ابن عفان، ط ١٩٩٧، ١م، المجلد الأول، ص ٤٦٦، وسيشار إليه فيما بعد بالشاطبي: الموافقات.

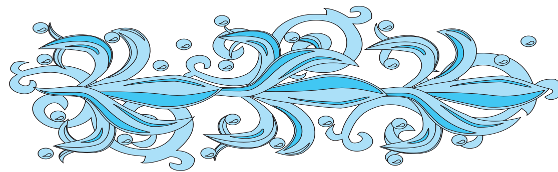
٣٥- الشاطبي، الموافقات، ١/٤٩٣ .

٣٦- خلاف، علم أصول الفقه، ١٢٢- ١٢٣ .

٣٧- الفيومي، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ١٩٨٧م، لبنان، ص٦٠، وسيشار إليه فيما بعد بالفيومي، المصباح المنير.

٣٨- الشاطبي، الموافقات، ٢/١٠ .

٣٩- محمد ابراهيم: أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي، طبعة أولى، ٢٠٠٣م، ص١٧٣، وسيشار إليه فيما بعد بمحمد إبراهيم، أساسيات



في
ظلال
رسالة
عمان

قداسة الاسلام ودناسة الإرهاب.. نقيضان لا يجتمعان

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

جاء في رسالة عمان: «.. وإننا نستنكر، دينياً وأخلاقياً، المفهوم المعاصر للإرهاب والذي يراد به الممارسات الخاطئة أيّاً كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدي على الحياة الإنسانية بصورة باغية متجاوزة لأحكام الله، تروّع الآمنين وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى وتقتل الأسرى، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية، من تهديم العمران واستباحة المدن ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق﴾ «الأنعام: ١٥١»، ونشجب هذه الممارسات ونرى ان وسائل مقاومة الظلم وإقرار العدل تكون مشروعة

ان موجة الحقد والكراهية التي ابداها كثير من الغربيين، لم تقف عند حد مضايقة واستفزاز مواطنيهم من العرب والمسلمين، وانما انجر ذلك الى اتهام الاسلام ذاته بأنه يدعو الى العنف والإرهاب!

وتنافس الاعلام الغربي بكل مكوناته، من كلمة وصورة وصوت وكاريكاتور، في التهجم على الاسلام والمسلمين، ولم يمل من الحديث عن الاسلام كمصدر من مصادر العنف والإرهاب، ساعياً بذلك الى انضاج مزاوجة تقرن الاسلام بالارهاب في أذهان الغربيين بصورة تلقائية وعفوية، مما نتج عنه تهييج مشاعر رجل الشارع الغربي في اتجاه معين، وعلى نحو ادى الى تشويه صورة الاسلام الحقيقية،

والتحريض ضد العرب والمسلمين.

ان المسلم الغيور ليستشيط غيظاً وغضباً عندما يلاحظ حدة تنامي وتعاظم موجة اتهام الاسلام والمسلمين -بهتاناً وزوراً- بالعنف والارهاب، كما ان المهتم والمتابع لواقع صورة الاسلام في الغرب، ليأسف على ما آلت اليه تلك الصورة في الآونة الأخيرة من تشويه وتمييع بالغين.

لقد جاءت احداث امريكا لتهز ما سعى المسلمون في البلاد الاسلامية والديار الغربية خلال العقدين الماضيين الى تحقيقه، من تصحيح لصورة الاسلام في الغرب، ومحاولة التصدي لكل التهم والشبهات والطعون، التي طالما وجهت الى الاسلام والمسلمين.

ان الاسلام والارهاب نقيضان لا يجتمعان، فالاسلام دين سماوي مقدس، وقداسته تتجلى في كونه ديناً ربانياً اخلاقياً عالمياً، والارهاب عمل اجرامي مدنس، ودناسته أكثر ما تبين في كونه رعباً وعدواناً وترويعاً، واذا كان الامر كذلك، فإن المقدس لا يمكن ان يقرن بالدنس، والأديان السماوية التي تستمد روحها وجوهرها من مشكاة واحدة وقبس نوراني رباني، لا يمكن ان تدعو الى العنف او الارهاب بحال.

ولا نحتاج الى الدفاع عن الاسلام من تهمة الارهاب، فالقرآن الكريم كله دعوة الى السلم والحوار والجدال بالتي هي احسن، والحضارة الاسلامية تفيض بمعاني السمو والجاذبية والانسانية، والتاريخ الاسلامي الذي تعايش في ظله المسلمون مع اهل الأمم الأخرى، قد عرف اجلى صور التعايش والتسامح والتعاون.

ان الاسلام دين الرحمة، بينما الارهاب غلظة ونقمة.. والاسلام دين العدالة، بينما الارهاب دين قسوة وظلم كله.. والاسلام دين الحوار والدعوة بالتي هي احسن، والارهاب اكراه وعدوان كله.. والاسلام تعقل وتبصر، بينما الارهاب سفه وتهور كله.. والاسلام دين النور، بينما الارهاب ظلمات.. والاسلام دين الخير، بينما الارهاب شر كله.. والاسلام دين المحبة والسلام، بينما الارهاب كراهية ورعب كله.

فالاسلام والارهاب اذاً نقيضان لا يجتمعان، لأن الارهاب يعتمد على السلاح والاكراه، في حين يسعى الاسلام الى اسلوب الحوار والاقناع.

ان الاسلام يعصم الدم الانساني، الا

على وجه الحق، كما انه يعتبر قتل نفس انسانية واحدة قتلاً للانسانية كلها، قال تعالى: **﴿من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾** المائدة: ٣٢ .

اما الارهاب فإنه يحمل في طياته مخزوناً من الأمراض والمعضلات، فهو اولاً لا يحل المشكلات بل يولدها ولا يحقق استجابة للمطالب، بل يزيدها تعقيداً.

ان الاسلام دين يقر الاختلاف البشري والتنوع الانساني **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾** المائدة: ٤٨، اما الارهاب فهو اسلوب ينم عن ضيق الافق وانسداد الفكر، وان النصوص الاسلامية تدعو الى الاعتدال في كل شيء، والى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن.

الاسلام رفق كله، فهو لا يدعو الى الابادة او استعمال العنف، وفي الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: «ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»، وهو يرخص في دفع العدوان حماية للنفس والدين وسائر مقومات الحياة، وينهى عن الاعتداء وتجاوز الحدود، قال تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾** البقرة: ١٩، وأخبر النبي ﷺ ان الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

وان الرسول ﷺ لم يختر ابادة مشركي مكة ابادة ربانية، وذلك ما تبين من جوابه عن سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها، عندما قالت له: هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم أُحد؟ فذكر لها ما لقيه من قومه.. الى ان قال ﷺ: «فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك، وانا ملك الجبال، وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، ان شئت اطبقت عليهم الأخشبين، قال رسول الله ﷺ: بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» رواه البخاري.

ولما امر النبي ﷺ واصحابه بالهجرة الى المدينة المنورة وأقام هناك دولة التوحيد، لم يمارس العنف ضد رؤوس الكفر الذين لم يدخروا وسعاً في محاربة الاسلام، بل حاربهم حرب جيش لجيش الى ان تحقق الوعد الإلهي الكريم، ففتحت مكة المكرمة وتطهرت الجزيرة العربية من

رجس الوثنية، وانطلق نور الاسلام الى مختلف ارجاء العالم مبشراً بحضارة جديدة لا نظير لها.

وهذا الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قائد جيشه الذي توجه لغزو الروم قائلاً: «لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً الا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له».

فهل هناك تسامح افضل من هذا؟ وهل هناك اعظم من هذه الوصية؟ وصية من خليفة المسلمين لجيشه! وفي حق من؟ في حق عدوه! وفي وقت قتال لم يوصه بالبشر فحسب، بل بالحيوان والشجر، فهل بعد هذا كله يتهم الاسلام بأنه يدعو الى العنف والارهاب؟!!.

ان الاسلام دين الحنيفية السمحة، وقد جلى رسول الله ﷺ هذا الملمح السامي فجعله يلخص الدين كله حين قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» وقال ايضاً: «احب الدين الى الله الحنيفية السمحة» رواه البخاري.

والحنيف هو الذي يميل الى الحق في إخلاص وصدق واستقامة، واسلام الأمر كله لله تعالى، ويحمل هذا المفهوم بعداً استيعابياً سمحاً ويرتكز الى ركائز عدة، منها ان الاسلام دين الوسطية والاعتدال ودين الفطرة واليسر، وهو دين يحث على السلوك الحميد، والخلق القويم والفضائل الحسنة، ولذلك خاطب القرآن الكريم نبي الله ﷺ بقوله: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** فصلت: ٣٤ .

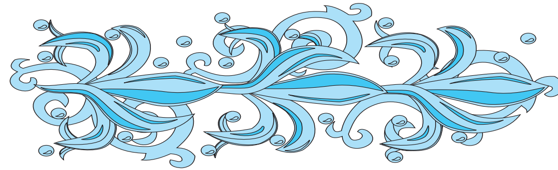
ومن هذا الجانب السلوكي السامي تنبثق فضيلة التسامح، كقيمة اخلاقية رفيعة وسمة انسانية مميزة، تطبع المجتمع الذي يدعو الاسلام الى قيامه والتعايش في اطاره، فالاسلام دين السماحة الذي لا ضيق فيه ولا تعصب، ولا غلو ولا تطرف ولا عنف ولا إرهاب سواء مع الذات او مع الآخر.

فالاسلام أبعد ما يكون عن الإرهاب، لأن الارهاب ترويع واستباحة للنفوس البريئة، اما الاسلام فهو إعزاز للنفس الانسانية وتكريم لها، قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾** الاسراء: ٧٠ .

والارهاب تحريض على العداوة والبغضاء بين الأمم والشعوب، والاسلام دعوة صريحة الى التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات، قال تعالى: **﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾**، فالاسلام يدعو الى التعايش الحضاري، بعيداً عن اي عصبية جنسية أو عنصرية عرقية او تفوق حضاري.

لهذا فإن الخلط بين الاسلام والارهاب أمر شنيع واتهام خطير، واذا كان هناك من يسعى الى تكريس هذه المزاوجة الباطلة بين الاسلام كدين مقدس والارهاب كشيء مدنس، ويرمي الى تعميق الكراهية بين العالم الاسلامي والعالم الغربي بالأفكار المغلوطة والآراء المضللة، وسياسة التخويف من الاسلام والمسلمين، فإن من واجب العلماء والمفكرين والدعاة، العمل على دفع التهمة بقوة، وتصحيح صورة الاسلام وتحسينها، وتوضيح حقائقه وقيمه ومثله النبيلة للغربيين، الذين لا يعرفون ولا يريدون ان يعرفوا شيئاً عن الاسلام، والذين لا يزال جلّهم يعتقدون ان الاسلام يغذي روح العنف والارهاب!.

ان المسلمين وهم يدينون الارهاب اياً كان مصدره، فإن موقفهم منه لا يستمد من أدبيات الغرب، ولا من اعلام الاثارة والتهويل، وانما يرتكزون في مواقفهم من الارهاب الى مرجعية الاسلام ومنهجه.



خواطر من وحي الجنان

قصيدة بمناسبة انعقاد الدورة الدولية الخامسة لشرح مضامين
رسالة عمان، في معهد الملك عبد الله الثاني
لإعداد الدعاة وتأهيلهم وتدريبهم

شعر الشيخ عبد القادر البيحاني/ اليمن

الـى عـمـان يـا تـاج الـزمـان
لقد جئناك من بلد اليماني

الـى ملك البلاد ومن كساها
بأثواب المهابة والأمان

الى الشعب الذي قد صاغ مجداً
بمعركة الكرامة والتفاني

اتينا والقلوب تفيض حباً
لمن ملئوا بعطفهم جناني

لمن صاغوا المكارم والمزايا
وحلوا في الورى أعلى مكان

فقد طوقتموا الأعناق جوداً
يكل بوصفه حقاً لساني

تلاقى في سماء المجد شام
مع يمن تلاقى كوكبان

اتينا نبتغي علماً تسامى
كبلقيس اتت كالخيزران

أتت للنور من سبأ فنالت
بأرض الشام هدياً كالبيان

أتينا ضمن وفد في وفود
نعالج ما نلاقي ما نعاني

من الفهم السقيم لدين طه
ففرق شملنا خلط المعاني

أضاع شبابنا في الوهم حتى
رماهم في مهاوي العنفوان

فكل يدعي وصلاً بليلى
وكل يدعي نيل الأماني

فتبديع وتكفير وعنف
يسود بلادنا في كل آن

فدورتنا خروج من مضيق
الى سوح المحبة والأمان

الـى لـغـة الـحـوار مـع الـتـآخـي الـى لـغــة الـمــودة والــحــنــان
فيـا من قـد حضـرتم مجتمعنا وجـئـتـم مـن أقـاصـيـهـا ودانـي
عـلـيـكـم إخـوتـي نـشـر لـفـكـر لـه عـنـد الإلـه عـظـيـم شـان
يـزيح عن الـخـلـيـقـة ما عـراهـا مـن الـتـشـتـيـت من طغـيـان ثـانـي
نـرى قـيـم الـتـسـامـح في صفـاء نـرى الاسـلام يـعـلـو فـي الـعـنـان
فـأعـداء الـديـانـة فـي انـتـشـار فـهـم مـا بـيـن مـنـتـقـم وشـانـي
فـأرض الـرافـديـن لـنـا مـثـال بـهـا طـغـيـان مـحـتـل وجـانـي
بهـا الـمـحـتـل يـبـغـي مـحـو ديـن وإفـسـاداً ومـسـخـاً لـلـكـيـان
وأقـصـانـا الـجـريـح يـئـن قـهـراً لـتـدنـيـس عـلاه كـذا هــوان
فـهـدم ثـم تـشـريـد وسـفـك وقـتـل الأبـريـاء بـلا تـوانـي
عـلـى مـر الـلـيـالـي فـي تـوال عـلـى مـر الـدقـائـق والـثـوانـي
فـلـيـس لـمـا نـعـايـش من حـلـول سـوى عـود الـى نـبـع الـمـثـانـي
فـديـنـي ثـم قـرآنـي طـريـقـي الـى سـكـنـى رفـيـعـات الـجـنـان
وبـحـر وافـر مـنـه اغـتـرفـنـا قـريـض الـشـعـر في حب الـحـسـان
فـيـا ربـاه يـا غـوثـاه يـا مـن أذاقـنـي الـجـمـيـل كـذا سـقـانـي
تـحـول حـالـنـا وتـنـيـر دربـا لأبـنـاء الـشـريـعـة فـي زمـانـي
وصـلـى الـلـه ربـي كـل حـيـن وسـلـم مـا دنـى ثـمـر لـجـانـي
عـلـى من بـالـصـلاة عـلـيـه يـزكـو جـنـانـي يـنـجـلـي مـا قـد دهـانـي
وآل ثـم أصـحـاب كـرام وتـابـعـهـم عـلـى مـر الـزمـان



حقوق المرأة الإجتماعية والإقتصادية

حصة المرأة في الميراث، مرتبطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والتكليفية الخاصة

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

يحاول البعض أن يتخذ من مسألة الإرث، ذريعة للحط من شأن المرأة وإنقاص أهليتها، والنظر إليها على أن مكانتها نصف مكانة الرجل، لأن نصيبها في الميراث هو نصف نصيب الرجل عملا بالآية الكريمة: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[(١)] إن تفسير هذه الآية لا يعني بأي حال من الأحوال أن الرجل يساوي امرأتين؛ وإنما تعني تحديد حصة البنت من ميراث والديها بنصف حصة الولد، وهذا المعنى يجب النظر إليه في إطار المنطق العام للنظام الاجتماعي.

فالإسلام فرض على الزوج أن يدفع المهر لزوجته، وأن ينفق عليها وعلى أولادهما، ولا يكلف المرأة بإنفاق أي شيء من مالها حتى ولو كانت من أغنى الأغنياء، فالرجل مطالب بتوفير المال اللازم لحياة الأسرة، بينما المرأة غير مطالبة بشيء من ذلك، فكان من العدل والحال هذه أن يزيد من نصيب الولد والرجل على العموم بالنسبة لنصيب المرأة، فالأمر لا يعدو تنظيما ماليا نظر فيه إلى الأعباء والتكاليف المالية المفروضة على كل شخص.

وحين لا يكون الأمر مرتبطا بهذا المنطق والتحليل، نجد أن قاعدة التوزيع تختلف عن ذلك، فلا تأخذ المرأة دائما

نصف ما يأخذ الرجل، بل هناك حالات مختلفة باختلاف حالة الميراث، ففي حالة الأبناء تأخذ البنت نصف ما يأخذ الابن، ذلك لما ينتظر الابن من نفقات وتكاليف مالية مكلف بها شرعا، في حين أن البنت لا يطلب منها أي شيء للزوج عند زواجها، وهذا في العصبات كالأولاد والإخوة الأشقاء والإخوة لأب، لأن واقع الأنثى في ذلك أن نفقتها واجبة على أخيها إن كانت فقيرة، ولو كانت قادرة على العمل.

بينما جعل الإسلام نصيب المرأة كنصيب الرجل في بعض الحالات الأخرى، لقوله تعالى: **﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾**[٢]، وهذا في حالة الإخوة لأم، لأن الكلالة هو المقطوع الذي لا أصول ولا فروع له، وليس له إخوة أشقاء أو لأب، فتبين أن المراد بالأخ أو الأخت هم الإخوة لأم، وواقع الأنثى في ذلك ان نفقتها لا تجب على أخيها لأمها، لأنه وإن كان محرما عليها فهو ليس ممن تجب عليه النفقة، ولهذا ساوى بينهما في الميراث بأن جعل لكل منهما السدس دون تفريق بينهما.

وفي بعض الحالات نجد أن حصة الأنثى أكثر من حصة الرجل، فلو مات رجل وترك خلفه بنتا وأبوين، فإن البنت تأخذ نصف التركة والأم تأخذ ثلث التركة، وأما الأب فيأخذ الباقي تعصيبا وهو نصف الثلث (السدس) أي أقل من البنت ومن الأم، وما قاله بعض الفقهاء، من أن الأم لها ثلث ما بقي من التركة، فهو مخالف لقول الله تعالى: **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾**[٣]، ومخالف لقول الرسول ﷺ: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر"[٤].

وكذلك فإن البنت وهي امرأة، استحقت نصيبا أكبر من نصيب أبيه وهو رجل، ولو أن قيمة الإنسان وقدره تقاس بالنصيب في الميراث لوجب أن نقول: إن البنت في هذه الحالة أفضل من الأب لأن حصتها في ميراث والدها، أكبر من حصة جدها في ميراث ولده مع أن فضل الأب مقدم على كل فضل، وحقه على ولده فوق كل اعتبار حتى

أن رسول الله ﷺ قال لأحد أصحابه: "أنت ومالك لأبيك"(٥).

ومع ذلك فإن الإسلام لم يفرض للأب في الميراث إلا السدس عند وجود الولد، مثله في ذلك مثل الأم، بل إن الأنثى تحجب الذكر حجبا تاما عن الميراث في بعض الحالات فلا ينال شيئا من التركة، فالأنثى الوارثة بالفرض تحجب الذكور الذين يرثون ما يبقى بعد قسمة الفرض ممن يدعون بالعصبة، فالأخت الشقيقة للمتوفى وابنته - إذا لم يكن له ولد- تحجبان عن الميراث إخوته الذكور من أبيه، كما أن حفيدة المتوفى من ابنه تحجب عن الميراث إخوته الذكور من أمه، وسوى بين الأم والأب في ميراث ولدهما، وسوى بين الأخ والأخت في ميراث السدس إن لم يكن للميت وارث، وسوى بين الإخوة والأخوات في الثلث إذا تعددوا في نفس الحالة"(٦).

وقد راعى الإسلام حاجة الشخص للمال، والتكاليف الملقاة على عاتقه عند توزيع الميراث، فقد جعل حصة الولد أكبر من حصة أخته في ميراث الوالدين نظرا لزيادة حاجته للمال على حاجتها، وزيادة الأعباء المالية الملقاة على كاهله أكثر منها، وكذلك جعل حصته أكبر من حصة جده في ميراث أبيه، لأن حاجته وهو في مقتبل العمر أكبر من حاجة جده الذي تقدم به العمر، واكتملت تربيته وأصبحت حاجته للمال لا تقاس بالنسبة لحاجة الولد لمواجهة أعباء ومتطلبات الحياة، بينما سوى الإسلام بين حصة الوالد والوالدة في ميراث ولدهما، لأن حاجتهما للمال في هذا العمر متساوية.

إذن نلاحظ أنه ليس من العدل والإنصاف الاعتماد على آية الميراث الخاصة بالأبناء التي تفرض للولد حصة تساوي ضعف حصة البنت، في إطار منعزل عن غيرها من الآيات الأخرى، التي تناولت مختلف حالات الإرث والتي تبين أن حصة الرجل ليست دائما ضعف حصة المرأة، بل قد تكون مساوية لها في حالات وأقل منها في حالات أخرى، وذلك لأن الإسلام يأخذ بالاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتكليفية الخاصة.

فعندما تكون حاجة الولد وهو الرجل للمال اكبر من حاجة البنت وهي المرأة، فإن الإسلام يفرض له نصيبا اكبر من نصيب البنت، وحين تكون حاجة الرجل للمال بسيطة فإنه يفرض للبنت نصيبا اكبر من نصيبه، وحين تتساوى حاجة الرجل مع حاجة المرأة، فإنه يفرض لكل منهما نصيبا

مساويا للآخر، فالوالدان لكل واحد منهما السدس إن كان للمتوفى ولد، وإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث، والزوج يرث نصف تركة زوجته إن لم يكن لهما أولاد، ويرث الربع إن كان لهما أولاد، والزوجة ترث ربع تركة زوجها إن لم يكن له أولاد، وترث الثمن إن كان له أولاد، والأخت ترث نصف حصة الأخ في ميراث والدهما للذكر مثل حظ الأنثيين.

«فالإسلام قد بالغ في رعايته للمرأة، إذ أعطاها نصف نصيب الرجل في ميراث الوالدين، مع إعفائه إياها من أعباء المعيشة حتى من الإنفاق على نفسها وألقاها جميعا على كاهل الرجل وحده"(٧).

وبناء على ما سبق وبالنظر في جميع الآيات الخاصة بالميراث، يتبين أن الإسلام لم يظلم المرأة ولم يفضل الرجل عليها أو يميزه عنها، بل مضى في طريق المساواة بين الرجل والمرأة إلى أمد بعيد إن لم نقل إلى النهاية، وأن الشريعة الإسلامية قد نهجت في تعاليمها المثالية الواقعية، أي أنها بعيدة عن الخيال، لا تجفو الواقع ولا يستحيل تطبيقها لأنها تستجيب إلى دواعي الفطرة الإنسانية والظروف الموضوعية، سواء كانت الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها، وتراعي العدالة في توزيع الحقوق على شطري النفس البشرية: الذكورة والأنوثة في توزيع الأعباء عليهما، وبالتالي فإنه من باب الظلم والتجني، إطلاق تهمة ظلم الإسلام للمرأة واعتبارها أدنى من الرجل، وقيمتها نصف قيمته وذلك لاعتبار أن حصة المرأة ليست دائما نصف حصة الرجل، وحتى مع وجود هذه الحالة فإن القيمة والقدر للإنسان لا تقاس أبدا بمقدار حصته.

الهوامش:

١- النساء: ١١ .

٢- المؤمنين: ٤٤ .

٣- النساء: ١١ .

٤- الشيخ تيسير الرجبي التميمي، محاضرة غير منشورة بعنوان "منزلة المرأة في الإسلام" في المؤتمر الإسلامي الدولي، تموز ٢٠٠٥، مؤسسة آل البيت، عمان.

٥- رواه أبو داود وابن ماجة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، انظر التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٢، ص١٠٠٢، رقم ٣٣٥٤، وكذلك ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٣٢، ص(٤٠).

٦- أ. د. عبد الهادي بو طالب، حقوق الإنسان وحقوق الأسرة، وحقوق المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، ص٢٥. في المؤتمر الإسلامي الدولي، تموز ٢٠٠٥، مؤسسة آل البيت، عمان.

قراءة لكتاب:

«في نحو اللغة وتراكيبها»

للدكتور خليل عمايرة

■ **بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي**

قرأت كتاب الدكتور خليل عمايرة «في نحو اللغة وتراكيبها» والكتاب ذو فائدة لما فيه من نظرات جديدة، ولكن لي عليه بضع ملاحظات سأؤجلها الى مقالة أخرى، وسأكتفي -هنا- بالمقارنة بين نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي عاش في القرن الخامس الهجري - الثاني عشر الميلادي- ونظرية الدكتور نحوم تشومسكي الذي ولد في القرن العشرين عام ١٩٢٨، سأكتفي بالمقارنة بينهما لأهمية النظريتين، ولأن عبد القاهر الجرجاني كان أدق فهماً لتكوّن اللغة كما أرى.

في الطبعة الأخيرة المنقحة لنظرية تشومسكي، يعرض الدكتور العمايرة أهم النقاط فيها على النحو التالي: «وقد ترتب على هاتين الفرضيتين «الفطرية والشمولية» فرضية اخرى تبرز في المصطلحين التاليين: الكفاية أو القدرة أو الكفاءة والقدرة، Competence، والأداء أو الانجاز كما أرى Performance، فالكفاية تكون في امتلاك «المتكلم السامع - Ideal Speaker Hearer» القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات[١] الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة الى الربط بين الأصوات المنتجة وتجميعها في مورفيمات[٢] تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها بما يسمى «انتاج اللغة».

وهذه القواعد والقوانين وتلك القدرة كامنتان في الذهن، وأما استعمالها «اي

استعمال اللغة»، فيسمى الأداء، فالأداء هو الكلام، أو هي الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيبها، فهو «الأداء» الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية باللغة، ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف «خطأ» ناتج عن عوامل مقامية سياقية، او ذهنية نفسية اجتماعية.. الخ.

ويكمل الدكتور عمايرة.. وقد ارتبط بهاتين الفرضيتين، فرضيتان أخريان في نظرية تشومسكي، هما: البنية العميقة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure، أما البنية العميقة، فهي الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي اصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وان لم تكن ظاهرة فيها.

وبصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه، فقد تكون كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم مقدماً جزءاً من الجملة النواة على الآخر، وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم او في الكشف عنه[٤].

❖ الدماغ والنفس، هما مصنع اللغة:

اقول: ان معنى قول تشو: ان اللغة فطرية، هو ان الانسان يستطيع ان ينتج اللغة ولا يستطيع ذلك سائر الحيوانات[٥]

وتوضيح ذلك ان في الدماغ خلايا خلقت مستعدة لاستقبال اللغة وهذا امر بديهي[٦]، فالانسان لا يحصل شيئاً من العلم، سواء أكان في مجال العلوم أو الآداب أو المعارف الانسانية، الا اذا كان لديه استعداد فطري لذلك، اي لديه خلايا في الدماغ تستطيع بالتعاون مع عضوية الجسم، ومع الوجدان خاصة (اي العواطف والمشاعر والأحاسيس) ان تستقبل شتى المعارف والعلوم، وذلك لأن الانسان لم يخلق لديه استعداد فطري للطيران -دون واسطة- لا يستطيع ان يطير على ارتفاع عشرين متراً، ولو ظل يتدرب طول حياته، بينما تستطيع ذلك الطيور، لأنها خُلقت وفي جسمها استعداد للطيران، فتأخذ تطير بعد الولادة بأسبوع أو بشهر، يبدأ طيراناً ضعيفاً ثم يشتد.

إذن -تشو- بهذا لم يأت بشيء جديد غير معروف لكل العقلاء، او على الأقل لكل المثقفين العقلاء.. وان معنى قوله: ان اللغة

شمولية، هو ان هذه الخلايا التي في الدماغ، فيها قدرة على تنظيم اللغة في قواعد وقوانين محدودة تمكن الانسان من صوغ الجمل بلا حدود، ومن معرفة الصائب منها من الخطأ، سواء أكان هو المنتج لها أو كان غيره هو المنتج لها.

❖ ابن خلدون سبق تشو:

وأقول: هذا أمر سبق به ابن خلدون تشو قبل ستة قرون، فإبن خلدون يرى أن تكون الملكة اللغوية «او القدرة اللغوية» انما يحصل من خلال سماع القول الفصيح وقراءته والدربة على استعماله، اي: ان الانسان يقوم بعمليتين مترافقتين متعاقبتين، يتلقى اللغة شيئاً فشيئاً، ويمارسها شيئاً فشيئاً[٧].

أقول: ان هذا الكلام يعني ان الدماغ قابل لاستقبال اللغة، وقابل لانتاجها في لحظات متعاقبة، بعضها لاستقبال اللغة وبعضها لانتاج اللغة.

وأقول: ان القرآن الكريم سبق المفكرين.. ابن خلدون وتشو، فقد قال تعالى: **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾** النحل: ٧٨، فالربط بين العلم **﴿لا تعلمون﴾** وبين **﴿السمع والأبصار والأفئدة﴾** هو دلالة على ان هذه الأشياء الثلاثة هي آلات لتحصيل العلم، اذ لم يكن الانسان ذا علم عند خروجه من بطن أمه، ولكن الله جعل في جسمه هذه الآلات الثلاث لتكون آلات لتحصيل العلم، والفؤاد من هذه الآلات الثلاث وهو القلب، قال أبو ذئيب[٨] الهذلي يصف امرأة جميلة:

رآها الفؤاد فاستضل ضلاله
نيافاً من البيض الحسان العطائل[٩]

والقلب هو العقل، او ان العقل والقلب بينهما اشتراك، قال تعالى: **﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾** الحج: ٤٦، فالقلب يدفع الوعي الى العقل، والحق ان العقل لا يفكر الا اذا حفزه حافز من القلب او الوجدان، أما ترى ان المرء لا يقوم بعمل جسمي او فكري الا اذا وجد عنده الرغبة في ذلك، ولن تكون رغبة بغير حفز من القلب «الوجدان» الذي يحرك العواطف والمشاعر والأحاسيس.

وقد وضح رسولنا الكريم محمد ﷺ قول القرآن السابق بقوله: «ألا إن في الجسد مضغة، اذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١٠]، ذلك لأن القلب هو الذي يحرك

العقل للعمل والتفكير.

❖ الفؤاد هو القلب:

ننتهي من هذا ان الفؤاد هو القلب، وان القلب بينه وبين العقل ارتباط شديد، وهذا يؤدي الى ان نقول: آلات الجسم توصل ما تحصله من لغة ومعارف الى العقل، ثم يستقر كل نوع منها -لغة أو معارف- في الخلايا التي تخصه في الدماغ، وكل نوع من هذه الخلايا يقوم بثلاثة أعمال، الأول: استيعاب المادة التي تصل اليه، والثاني: تكيف الخلايا مع هذه المادة لتصبح مقولبة بالقوالب التي تنتج نوع المعرفة المخصوصة، والثالث: انتاج المعرفة المخصوصة، وانتاج وحدات ابداعية في مجالها، مثلاً.. قوالب اللغة تستوعب ما يأتيها من ألفاظ وتعابير وتراكيب، ثم تتقولب بالقوالب التي تقدمها هذه اللغة، ثم تصبح هذه القوالب قادرة على إفراز كثير مما وصلها من اللغة، وعلى إنتاج ما لا يحصى من الألفاظ «المشتقة غالباً» ومن التعابير التي تأتي على هدى القواعد التي استقرت في «الخلايا - القوالب».

ويقول الدكتور العمايرة: «فليس الأمر فيما يرى تشومسكي، اكتساباً كما يراه السلوكيون، يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولد صفحة بيضاء.

أقول: ان نظرية تشو لا تقول الا أقل من نصف الحقيقة، وان نظرية السلوكيين تقول نصف الحقيقة الآخر، اعني ان اللغة لا تكتسب الا بواسطة شيئين، الأول: وجود خلايا في الدماغ مستعدة لاستقبال اللغة، والثاني: وجود لغة تحل في هذه الخلايا عن طريق الاكتساب، وبهذا يكون رأي ابن خلدون أقرب الى الصحة من الرأيين السابقين، لأنه جمع بين الاكتساب والاستعداد للاكتساب، تقوم بهما خلايا في الدماغ.

أقول: وان الكفاية والأداء.. القدرتين اللتين وردتا في النص الذي نقلناه من شرح الدكتور العمايرة، لنظرية الدكتور تشو، لا تختلفان كثيراً عن الفطرية والشمولية اللتين تحدثنا عنهما سابقاً، فالكفاية تعني تخزين اللغة، مفردات وتعابير وخلال ذلك تتكون في خلايا اللغة في الدماغ القواعد والقوانين التي تسير عليها اللغة، التي تؤدي الى ان تكون هذه الخلايا قادرة على انتاج عدد غير محدود من الجمل، عن طريق هذه القواعد، من عدد محدود من الجمل أو القوالب، ولكنها تظل في حالة كمون حتى يثيرها مثير خارجي او داخلي، فتبرز منها عملياً الجمل التي تناسب هذا المثير، وهذا.. هو الأداء، هو القدرة على الانتاج

للجمل المرتبطة بالمثير والتي تعبر عن معنى.

❖ الإمام الجرجاني.. قال وسبق:

ومثل هذا قاله الامام عبد القاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الاعجاز» منذ القرن الخامس الهجري -الثاني عشر الميلادي- قال: «واذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب الا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه الى اللفظ شيء، ومما لا يتصور ان يكون فيه، ومن صفته بأن لك أن الأمر على ما قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم، وان الكلم يترتب في النطق حسب ترتب معانيه في النفس، وانها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف، لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر انه يجب فيها ترتيب ونظم، وان يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»[١١].

اقول: قوله: ان اللفظ تبع للمعنى في النظم، وان الكلم يترتب في النطق حسب ترتب معانيه في النفس، يعني شيئين: الأول: ان المرء لا يستقبل الفاظاً دون معان، وغالباً ما تأتي الألفاظ في تعابير تقوم على معان مركبة، وثانياً: انه ينطق الألفاظ غالباً، في تعابير تترتب في النطق والكتابة حسب ترتيب معانيها في النفس (اي العقل) وهذا هو الأداء والله تعالى أعلم.

❖ نقيض منهج الجرجاني:

أما ظن الكاتب ان الجرجاني أراد ان تكون الجمل على غرار الجملة التي ذكرها (الكاتب) فهو نقيض منهج الجرجاني، لأن الجرجاني رأى ان البلاغة هي في ترتب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس، ولهذا، لا يمكن ان يضاهي قولنا: «حياة لكم في القصاص» قول الله تعالى وقوله الحق: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾** البقرة: ١٧٩، ذلك بسبب الفارق في التقديم والتأخير، الذي اهتم به عبد القاهر كثيراً، واهتمامه بالتقديم والتأخير يعني أنه يرى بلاغة عالية في التقديم والتأخير، على شرط ان يقع موقعه. الجرجاني كان ما رآه توضيحاً لبلاغة الكلام، اما مثال الكاتب فَعِيٌّ من الكلام.

عبد القاهر.. استعان بمصطلحات النحو في تحديد البلاغة في النظم، بم تكون؟ أبالتقديم، أم بالتأخير، أبالتعريف أم بالتنكير، أبالافراد أم بالتثنية، أم بالجمع؟

استعان كما يستعان بمصطلحات البلاغة في باب المجاز، وباب البديع، دون ان يخطر بباله تغيير لأي مصطلح نحوي، وبديهي ان

اعرابنا للآية السابقة: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾** ليس له اي تعلق بالبلاغة، وإنما البلاغة تأتي من نظم الكلم بطريقة مخصوصة متفقة مع ترتيب المعاني في النفس، فليس كل تقديم يؤدي الى بلاغة، وليس كل تنكير يؤدي الى بلاغة، وليس كل إفراد أو تثنية او جمع يؤدي الى بلاغة، بل هذه وأمثالها تؤدي الى بلاغة اذا وقعت مواقعها في النظم المتسق مع مواقعها في النفس، ولكنها تؤدي الى خلل في التعبير ورداءة اذا لم تقع في النظم كما وقع ترتيبها في النفس.

❖ البلاغة قد تكون في الترتيب البسيط:

ومن هنا فقد تكون البلاغة العالية في نظم الكلام «ترتيبه» حسب الترتيب البسيط، أي: يأتي، فعل ثم فاعل ثم مفعول به، وقد تكون في نظمه بطريقة يقع فيها التقديم والتأخير، فإذا قال تعالى: **﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾** النصر:١، فإن الكلام

الهوامش:

١- الفونيم: أُترجمه «الصُّوَيِّت».

٢- المورفيم: أُترجمه «الصُّوات» ولا تشدد الواو.

٣- عبارة البنية السطحية، ترجمة للمصطلح الانجليزي.. خاطئة لأن المراد هو «البنية الظاهرة» وليس السطحية، اي البنية الخارجة من الدماغ الى الوجود الفعلي.

٤- خليل احمد عمايرة في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق ٥٥-٥٩، عالم المعرفة، جدة ١٩٨٤م.

٥- لا يستطيع ذلك سائر الحيوانات، فهذا أمر بديهي وما تتعلمه بعض الطيور كالببغاء، وبعض القردة كالشمبانزي لا يعد لغة، لافتقاره الى الكثرة والتماسك والتنويع.

٦- بديهي مثلها سليقي وطبيعي وغريزي، كلها سمعت من العرب، والسماع مقدم على القياس، لأن اصل القياس سماع، ولأن قواعد القياس وضعت ليقاس عليها ما يشتقه المولدون بعد عصر الاحتجاج حتى تقوم الساعة، أما ما صدر عن العرب الفصحاء فلا ينقاس، وان كان نادراً، بل يصبح ان يقاس عليه عند الحاجة.

٧- انظر ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، المقدمة، ١٢٣٤هـ- القاهرة ١٩٦٢م، تحقيق علي عبد الواحد.

٨- أبو ذئيب، يكتب ايضاً، ابو ذؤيب في الصورة الأولى غُلِّبَ الكسر عن طريق الياء وفي الثانية غلب الضم وكلاهما صحيح.

٩- معجم لسان العرب، مادة «فأد».

١٠- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) الصحيح ١/ ٢٠ .

١١- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ) دلائل الاعجاز ٥٥-٥٦، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٥هـ، ١٩٥٢م.

٥

الدولـــة في الفقه السياسي الإسلامي

النسبـة التي تتحقـق بهـا إقامة فـرض الكفاية في الانتخاب

■ بقلم الأستاذ الدكتور أحمد العوضي

النسبـة التي تتحقق بها إقامة فرض الكفاية في الانتخاب هي ما زاد على النصف من عدد الناخبين في كل دائرة انتخابية، وأما في انتخابات رئيس الدولة فهو ما زاد على النصف من عدد المواطنين الذين يحق لهم الانتخاب.

ويستدل لهذه النسبـة بسنـة الخلفاء الراشدين، فإن بيعة كل واحد منهم تمت بأغلبية أهل الحل والعقد المتواجدين في حاضرة الدولة، أي عاصمة الدولة وهي المدينة المنورة، ولم تتم بالإجماع، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "... واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حُباب ابن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم (قريش) أوسط (أفضل) العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال

عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس"(١).

وروى الطبري(٢) أن حُباب بن منذر قال: يا معشر الأنصار، أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنكم أمير، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هيهات، لا يجتمع اثنان في قَرَن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته؟ ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مُدلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة، فأجابه الحباب: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم، دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جُذَيْلها المحكك وعُذَيقها المُرَجَّب، أما والله إن شئتم لنعيدنها جَذَعة.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذن يقتلك الله، فأجابه الحباب: بل إياك يقتل، وأمسك الحباب بسيفه فضرب عمر يده فسقط السيف فأخذه عمر، وعندئذ تدخل أبو عبيدة وكان قبلها ملتزماً جانب الصمت فقال: يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغيّر، ولما سمع الأنصار كلام أبي عبيدة تأثروا فقام بشير بن سعد (أحد زعماء الخزرج) فقال: "إنا والله وإن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي النعمة علينا بذلك إلا أن محمداً ﷺ من قريش وقومه به أولى. وأيم الله لا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم" فاقتنع الخزرج.

ولما سمع أبو بكر كلام بشير أخذ بيد كل من عمر وأبي عبيدة وقال للأنصار: "هذا عمر، وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا" ودعاهم إلى الجماعة وحذرهم الفرقة، فسارع عمر رافعاً صوته إلى القول: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط أبو بكر يده فبايعه عمر وبايعه أبو عبيدة ثم بايعه بشير

بن سعد، فلما رأى أسيد بن حضير بشير بن سعد قد بايع التفت إلى قومه وقال لهم: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، قوموا فبايعوا أبا بكر، فقام الأوس فبايعوا.

وفي اليوم التالي جلس أبو بكر في المسجد فبايع له الناس، وبذلك تمت البيعة لأبي بكر وتمت إجراءات توليته.

وقد اشتملت إجراءات تولية أبي بكر على ثلاثة أمور هي: الترشيح والاختيار والبيعة:

أولاً: الترشيح:

لقد اختلف المهاجرون والأنصار فيمن هم أحق بأن تكون الخلافة فيهم، فادعى الأنصار أنهم الأحق وادعى المهاجرون أنهم الأحق وأصروا على ذلك، واحتج أبو بكر على الأنصار فقال: "ولقد علمت يا سعد (ابن عبادة) أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: (قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجر الناس تبع لفاجرهم) فقال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء".

فانحصر الترشيح في المهاجرين ثم رشح أبو بكر عمر وأبا عبيدة ليختار الأنصار واحداً، فلما رأى عمر أن الترشيح حصر في المهاجرين سارع فرشح أبا بكر بقوله: أبسط يدك فقبل أبو بكر ترشيح عمر له فبسط يده فبويع، وببسطه يده وعدم ظهور مرشح آخر، أصبح هو المرشح الوحيد.

وقد يقول قائل: لماذا صح الترشيح في بعض الأمة؟

والجواب: إن الترشيح كان محصوراً في المهاجرين دون غيرهم، لأن المهاجرين كانوا من قريش وقريش أكبر بطون مضر ومضر أكبر قبائل العرب، وكانت الزعامة على العرب في الجاهلية لقريش فيصعب على قريش أن تنقاد لغيرها، على الرغم من تهذيب الإسلام للعرف السياسي الذي كان سائداً، فإن مدة سنة ونصف بين فتح مكة وموت النبي ﷺ، لم تكن كافية لمحو العصبية القبلية في قريش، وقد ظهر ذلك في اجتماع السقيفة، فكان الواقع يمثل علة لحصر الترشيح في قريش، فلما تغير الواقع وانتفت علة الحصر (وكانت اضطرارية وخارجة عن الإرادة) انتفت الضرورة إليه، لأن الضرورة تقدر بقدرها. (وعند الضرورات تستباح المحظورات) وكانت ضرورة دل عليها الدليل الشرعي وهو قول الرسول ﷺ: (الناس تبع لقريش) قال ذلك لا لميزة قريش ولكن للخوف على الاستقرار

السياسي من قريش.

ولما رأى عمر زوال الضرورة قال: (لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته)[٣]، وقال: (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حياً استخلفته.. فإن أدركني أجلي وقد مات استخلفت معاذ بن جبل)[٤].

نقول هذا مذكرين بكلام عمر وإصراره في اجتماع السقيفة على أن تكون الخلافة في قريش، مما يدل على أن الضرورة وهي قصد الاستقرار السياسي الذي لا يتحقق حينذاك إلا إذا كانت الخلافة في قريش، كانت هي علة إصرار المهاجرين على أن تكون الخلافة فيهم، فإن مكة لم يمض على فتحها أكثر من سنة ونصف تقريباً قبل موت النبي ﷺ.

ويلاحظ هنا أن أهل الحل والعقد من الأنصار تداعوا إلى الاجتماع، فسمع المهاجرون بذلك فأسرعوا إلى حضوره.

ثانياً: الانتخاب والبيعة:

انتهى الأمر إلى أن أبا بكر أصبح هو المرشح الوحيد، لذلك لم يحصل اختيار وإنما حصلت تزكية لعدم وجود مرشح آخر معه ينافسه على الولاية.

وابتدأ عمر بن الخطاب البيعة لأبي بكر، فأبو عبيدة فبشير بن سعد من الأنصار، فتتابعت الأيدي حتى ازدحم المكان بالمبايعين، وبذلك تمت بيعة الانعقاد، وفي اليوم التالي جلس أبو بكر في المسجد وتلقى بيعة الطاعة وهي (البيعة العامة). ولو لم يتتابع الناس لبيعة أبي بكر في السقيفة حتى بايع أكثرهم، لم تنعقد البيعة له.

ثانيا: تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أولا: الترشيح:

لما رأى أبو بكر أجله قد دنا جمع أهل الحل والعقد وقال لهم: "إنه قد نزل بي ما ترون ولا أظنني إلا ميتاً لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم في حياةٍ مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي".

وتشاور أهل الحل والعقد، واتفقوا على أن يفوضوا إلى أبي بكر مهمة الترشيح لما يعلمونه من أمانته ونزاهته وأن يرضوا من يرضاه أبو بكر لهم، فرجعوا إليه وقالوا: (رأيُنا يا خليفة رسول الله رأيُك، فقال: فلعلكم تختلفون؟ قالوا: لا. قال: فعليكم عهد الله على الرضا؟ قالوا: نعم. قال: أمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده).

فناداهم واحدا واحدا، وشاورهم في أنه يريد ترشيح عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فشاور عبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وأسيد بن حضير رضي الله عنهم، وآخرين، فوافق أكثرهم، فأصبح ترشيحه بموافقة الأكثرية شرعيا.

ثانياً: الانتخاب والبيعة:

لما وافق أكثر أهل الحل والعقد على ترشيح أبي بكر لعمر بن الخطاب للخلافة، دل ذلك على أن ترشيحه قد اكتسب صفة الشرعية، ولما لم يرشح أحد غيره أصبح الخليفة ملزما بتنفيذ رأي الأكثرية، وكتابة العهد له، ولذلك أمر أبو بكر عثمان أن يكتب العهد إلى عمر فكتبه، ثم أشرف الخليفة على الناس وقال: (أترضون بمن استخلف عليكم ؟ فإني والله ما ألوت من جَهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، فقالوا: نعم، فقال: إني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا. فرفع أبو بكر يديه إلى السماء، وقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم ما أنت به أعلم، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم).

ولم يكن رأي أهل الحل والعقد في عمر واحداً، فإن أبا بكر دعا عبد الرحمن بن عوف وسأله: ما رأيك في عمر، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فسأله: ما رأيك في عمر؟ فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير فيه من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. ودعا أسيد بن حضير فسأله في عمر فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير بعدك، يرضى بالرضا ويسخط بالسخط، ولن يلي هذا الأمر أقوى عليه منه، ثم دعا طلحة فسأله، فقال طلحة لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا، وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: بالله تخوفني؟!! اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك. أبلغ عني ما قلت من وراءك ثم دعا عثمان، فقال: اكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول لقائه بالآخرة، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، وإن بدل فكل امرئ وما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ثم أمر عثمان فختم الكتاب ثم أمر أن يخرج به مختوماً، فبايع الناس ورضوا[٥].

ودلت الروايات على أن الناس بايعوا لعمر بالخلافة بعد أن قرأ عليهم عثمان كتاب العهد، ويقصد بالناس هنا أهل الحل والعقد ومن حضر من بطانة الخليفة، وهي بيعة انعقاد، لم يصح لأحد أن يخرج منها، ولم يبق بعدها إلا بيعة الطاعة التي لا يصح أخذها ولا إعطاؤها ما دام الخليفة الشرعي موجودا يمارس اختصاصاته.

ومما سلف ذكره يتبين أن عهد أبي بكر لعمر بالخلافة، كان بعد أن شاور أبو بكر أهل الحل والعقد في أن يستخلف عليهم قبل موته، خشية الاختلاف والفتنة بعد موته كما حصل بعد وفاة الرسول ﷺ، فلما وافقوه ردهم ليتشاوروا ويقدموا إليه واحداً ليعهد إليه، فاختلفوا ورأوا أن يوكلوا مهمة الترشح له هو، فشاورهم في عمر وعلي فرأى أن أكثريتهم يريدون عمر، فعهد له.

فلم يتولَّ أبو بكر مهمة الترشيح إلا لأن أهل الحل والعقد فوضوا ذلك إليه، لعلمهم أنه أعلم بالأصلح لها والأقوى عليها بحكم كونه الخليفة، فهو أعلم برجال الحكم والإدارة في الدولة، فيكون علمه بهم ومفاضلته بينهم مبنية على واقع محسوس وليس على سماع وظن.

ويدل فعل الصحابة هذا على جواز أن يفوض أهل الحل والعقد إلى الخليفة أمر ترشيح واحد ليبدوا رأيهم فيه، فإن وافقت أكثريتهم عليه صح العهد إليه، وإن لم توافق أكثريتهم عليه لم يصح العهد إليه، ويرشح غيره، فالأمر في الحقيقة أمر أهل الحل والعقد وليس للخليفة من ذلك شيء، فترشيحه لا يتضمن أي إلزام لأهل الحل والعقد بالموافقة على من رشحه.

ولذلك لو أراد الأكثرية غير عمر لعهد أبو بكر لمن أرادوه، لأن الاختيار لأهل الحل والعقد، وعلى الخليفة تنفيذ إرادة أكثريتهم، فلما وجد أبو بكر أكثر أهل الحل والعقد يريدون عمر التزم برأيهم فعهد إليه.

ويدل فعل الصحابة هذا على أن رأي أهل الحل والعقد ملزم في ذلك للخليفة، ورأيه في ذلك ليس ملزما لهم.

وباختيار أكثرية أهل الحل والعقد لعمر وعهد أبي بكر بالخلافة له تعين عمر للخلافة، ولم يبق من إجراءات توليته سوى البيعة له، والبيعة لا تعطى في حال وجود خليفة، لكيلا يجتمع في الأمة خليفتان، فأعطيت له بعد موت أبي بكر.

إن سنة أبي بكر في الحكم أنه تمم إجراءات الترشيح والاختيار في حياته، وأقر الصحابة تفويض الترشيح للخليفة، وكان أميناً عادلاً لا يترك من وسعه شيئاً في سبيل ترشيح خيرهم للخلافة.

وإذا فوض أمر الترشيح للخليفة منع من ترشيح ذي القرابة، لأن تولية ذي القرابة يورث التهمة، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: (أترضون بمن استخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة. فقالوا: نعم). ولما جعل عمر الخلافة شورى بين ستة عين ابنه عبد الله مشيراً، وأخرجه من أن يكون له فيها نصيب، فقال: (ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً، وليس له شيء من الأمر)، فترشيح القريب انحراف بالخلافة إلى سبيل الوراثة.

❖ ثالثا: تولية عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عمر قال: (دخلت على حفصة فقالت: أعلمتَ أن أباك غير مستخلف؟ قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل، فحلفْتُ أني أكلمه في ذلك، فدخلت عليه فسألني عن حال الناس، فأخبرته ثم قلت له: إني سمعت الناس زعموا أنك غير مستخلف، وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيع، فرعاية الناس أشد، قال: فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إليّ فقال: إن الله عز وجل يحفظ وإني لا أستخلف، فإن رسول الله لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر استخلف، قال: فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف)(٦).

وعنه قال: (حضرت أبي حين أصيب، فأثنوا عليه.. وقالوا: استخلف، فقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً؟! لوددت أن حظي منها الكفاف لا عليّ ولا لي، فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني (يقصد أبا بكر) وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني)(٧)، يقصد الرسول ﷺ.

ولكن رأي عمر استقر على أن يستخلف، فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال له: (أريد أن أعهد إليك قال: أتشير بها علي؟ والله لا أفعل. ثم أستدعى ستة رجال، فقال: إني وجدتكم رؤوس الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، فقد توفي رسول الله وهو عنكم راض، وإني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكن أخاف اختلافكم بينكم فيختلف الناس)(٨).

عن عمرو بن ميمون قال: (قال عمر بن الخطاب ـ لما أصيب ـ لابنه عبد الله: إنطلق

إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.. فقالوا: يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرّهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له- فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.. فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه واللهُ عليه والإسلامُ لينظرن أفضلهم في نفسه، فأُسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمّرتك لتعدلن، ولئن أمّرتُ عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه)[٩].

ومما أمر به عمر بن الخطاب أنه قال: (إذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم...وقال للمقداد بن الأسود: إن وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم.. فإن رضوا - يعني ثلاثة منهم - رجلاً وأبى إثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله ابن عمر، فأي الفريقين حكم فيختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله ابن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فاقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس...وما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحداً، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ)[١٠].

أولاً: الترشيح:

دلت النصوص سالفة الذكر على أن أهل الحل والعقد، فوضوا أمر الترشيح والاختيار لعمر بن الخطاب، بدليل قولهم له: (استخلف) فرشح عمر لهم ستة رجال هم رؤوس الناس وقادتهم وأفضلهم للخلافة، وكل واحد منهم رجل دولة.

وقد اكتسب ترشيح عمر للستة المذكورين صفة الشرعية من تفويض أهل الحل والعقد له في الترشيح للخلافة، فكان ترشيح كل واحد من الستة ترشيحا شرعيا.

ويدل جعل عمر أمر الاختيار للستة الذين رشحهم، وإقرار الصحابة له على ذلك على أن لأهل الحل والعقد أن يفوضوا للخليفة إذا كان أميناً عادلاً مهمة الترشيح والاختيار، وأن له عندئذ أن في واحد فقط كما فعل أبو بكر، أو يجعلها شورى في أكثر من واحد ليتنازلوا لواحد منهم أو يتنازل بعضهم ويجري الاختيار بين الباقين، كما فعل عمر.

ثانياً: الانتخاب والبيعة:

أمر عمر بتطبيق مبدأ الأكثرية في الاختيار، فمن رضيه ثلاثة من خمسة تعين للخلافة، وإذا انقسم الناخبون فريقين متساويين بين مرشَّحَيْنِ وجب الترجيح (فحكِّموا عبد الله بن عمر)، وإذا رفضوا حكمه، (فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف) فإن عبد الرحمن حلف أن لا يتولاها عندما أراد عمر أن يستخلفه فقال: (أتشير بها علي، والله لا أفعل) وبذلك جعل عمر لعبد الرحمن صوتاً مرجحاً، عند تساوي الفريقين، وجعل جانبه هو جانب الأغلبية، لكي يستقيم تطبيق مبدأ الأكثرية في الاختيار.

وقد عمل الزبير وطلحة وسعد بمبدأ الانسحاب من الترشيح، كل منهم لصالح مرشح آخر من الثلاثة الباقين (عثمان وعلي وعبد الرحمن)، فعرض عبد الرحمن على عثمان وعلي أن ينسحب أحدهما فرفضا، ولو انسحب أحدهما لانسحب عبد الرحمن، لأنه رفضها ابتداءً، لكن لما أصر عثمان وعلي على الاستمرار في الترشيح للخلافة، وجد عبد الرحمن أنه لا بد من إجراء انتخابات، ليظهر من تريده أكثرية الأمة، فصار لزاماً الرجوع للأمة لتمارس الانتخاب مباشرة. فعرض عبد الرحمن على عثمان وعلي أن يفوضاه في إجراء الانتخابات في الأمة بينهما فقبلا، فأخذ الميثاق على علي: لئن أمّرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، وأخذ على عثمان مثل

ذلك.

وبدأ عبد الرحمن أخذ أصوات الناخبين بسؤال الناس واحداً واحداً، الرجال والنساء عمن يختارونه عثمان أو علي ، قال المسور بن مخرمة: (والله ما رأيت مثل عبد الرحمن، والله ما ترك أحداً من المهاجرين والأنصار ولا غيرهم من ذوي الرأي إلا استشارهم)[١١].

وقبل أن يعلن عبد الرحمن بن عوف نتيجة الانتخاب قال: (إني لم أزل دائباً منذ ثلاث أسألكم عن هؤلاء النفر، ثم سألتهم عن أنفسهم، فوجدتكم أيها الناس وإياهم اجتمعوا على عثمان، قم يا عثمان". فلم يقل رجل من المهاجرين ولا الأنصار ولا وفود العرب وصالحي الناس: إنك لم تستشرنا)[١٢].

ولما قدم طلحة ـ وكان مسافراـ قيل له: بايعْ عثمان. فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك إن أبيت رددتها. قال طلحة: أتردها؟ قال عثمان: نعم. قال طلحة: أكل الناس بايعوك؟ قال: نعم. قال طلحة: قد رضيت، لا أرغب عما أجمعوا عليه. فبايعه[١٣].

وننبه هنا على أن رواية البخاري أثبتت حضور طلحة بينما أثبتت رواية الطبري وابن الأثير سفره، فتقدم رواية البخاري لأنها أصح.

هذه هي إجراءات التولية ترشيحاً واختياراً وبيعة لكل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، فلم يتول أحد منهم سلطة الحكم الا بتولية من الأمة صاحبة السلطان، ولم يتول أحد منهم إلا على أساس إرادة الأكثرية من أهل الحل والعقد.

وقد جرى العرف السياسي زمن الخلفاء الراشدين جميعاً أن ينوب أعيان الأمة في حاضرة (عاصمة) الدولة عن أعيان الأمة في سائر الأمصار، وأن ينوب عامة أهل الحاضرة (العاصمة) عن عامة الأمة في الأمصار، وذلك أمر تقتضيه الظروف وتفرضه ضرورة التعجيل بنصب الخليفة، لأن تنصيبه فرض على الفور وليس على التراخي.

❖ من أوجه الاستدلال بسنة الخلفاء الراشدين:

١ ـ إقرار الصحابة نتيجة الانتخابات التي تولى أبو بكر الخلافة بموجبها يدل على إقرارهم مبدأ الأكثرية، لأن أبا بكر انتخب بالأكثرية وليس بالإجماع، بدليل عدم اشتراك علي والفضل بن عباس في الترشح والترشيح، لاشتغالهما بتجهيز النبي ﷺ غسلا وتكفينا، استعدادا

لدفنه.

٢ ـ لم يحضر علي بن أبي طالب والفضل اجتماع السقيفة ولا شاركا في انتخاب أبي بكر رضي الله عنه فدل ذلك على أن انتخاب أبي بكر انعقد بالأكثرية وليس بالإجماع، وهذا يدل دلالة لزوم، أي إشارة على أن الانتخاب يكفي فيه الأكثرية ولا يشترط فيه الإجماع.

٣ ـ دلت مشاورة أبي بكر لأهل الحل والعقد وأخذه برأي الأكثرية وعدم تأثره بمخالفة طلحة، على أن نسبة الأكثرية هي المعتمدة في الانتخاب، فمن حاز الأكثرية من أصوات الناخبين يكون هو الفائز فيها، ويكون هو صاحب السلطة الشرعية.

٤ ـ رشح عمر ستة لمنصب الخلافة، وأمر إذا رضي ثلاثة منهم رجلا وخالف اثنان بقتل الاثنين المخالفين، وهذا صريح في أن من يحصل على أكثرية أصوات الناخبين يعد هو الفائز في الانتخاب.

٥ ـ اكتفى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأكثرية أهل المدينة في انتخاب الخليفة، وهذا ما دل عليه قوله: "فوجدتكم أيها الناس وإياهم اجتمعوا على عثمان". وهي عبارة تحمل على معنى الأكثرية قطعا، ولكنها لا تحمل على معنى الإجماع إلا باحتمال ظني، فدل ذلك على أن الأكثرية هي المبدأ الذي يعتد به في اعتماد نتيجة الانتخابات.

و مما سلف ذكره ظهر للباحث أن اعتماد مبدأ الأكثرية ثابت شرعا، دل لذلك سنة الخلفاء الراشدين وسنتهم في الحكم دليل شرعي بدليل قول الرسول ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ)[١٤].

يدل دلالة نصية على إقرار الرسول ﷺ سنة الخلفاء الراشدين في طريقة تولي السلطة، فتكون سنتهم في الحقيقة سنة نبوية تقريرية، ولذلك ليست دليلا شرعيا في ذاتها، ولكن الدليل الشرعي هو سنة النبي ﷺ التقريرية، قبل موته، وكذلك يدل الحديث دلالة لزوم على بطلان دعوى النص على الإمامة.

❖ قدر النسبة التي يكون بها الانتخاب شرعيا:

أما عن قدر نسبة الأكثرية، فهي الأكثرية التي تزيد على نصف عدد من شاركوا في الانتخاب، لأن كل عدد لا يزيد عن النصف لا يصح تسميته أكثرية، وقد دلت سنة الخلفاء الراشدين دلالة صريحة على ذلك،

الهوامش:

(١) صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، باب فضل أبي بكر، ج٤، ص١٩٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، بشرح فتح الباري، تصحيح ابن باز، دار الفكر، ج ١٣، ص١٩٩.

(٣) أحمد، المسند، دون ناشر ولا تاريخ، ج١، ص٢٠١ رقم ١٠٨. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٧/٤ .

(٤) أحمد، المسند، ، ج١، ص١٠٩، والعسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، تصحيح ابن باز، دار الفكر، ج١٦، ٢٣٦ .

(٥) الطبري تاريخ الأمم والملوك، احداث سنة ١٣هـ. وابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دون ناشر ولا تاريخ، ج٣، ص١٩٩-٢٠٠، والسيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء الراشدين، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ١٩٨٨م، دار الجيل، بيروت، ص٨٢.

(٦) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٩٨٣م، دار الفكر، ج١٢، ص٢٠٤.

(٧) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ص٢٠٤ .

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج ٤، ص٢٢٨، وابن الأثير، علي بن محمد، بن يوسف، الكامل في التاريخ، ١٩٦٥م، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٦٦.

(٩) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ج ٤، ص٢٠٥-٢٠٧، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان.

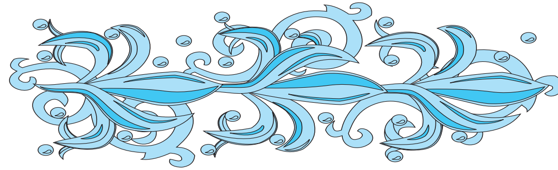
(١٠) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، دون تاريخ، مطبعة السعادة، ج٧، ص١٤٥-١٤٦.

(١١) عبد الرزاق، المصنف، تحقيق حبيب الأعظمي، ١٣٩٠هـ، بيروت، ط١، ج ٥، ص٤٨٢، رقم ٩٧٧٦.

(١٢) العسقلاني، ابن حجر، المطالب العالية،ج٤، ص٢٧٧، رقم ٤٤٢٨.

(١٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٣٣، وابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن يوسف، الكامل في التاريخ، ١٩٦٥م، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٧٢.

(١٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٣٤-٤٣٦



قطوف دانية

بقلم الطالبة عائشة محمد

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ❖ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾.

الأنعام: ١٦٤-١٦٥

الغنى غنى النفس

قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

من كان غناه في قلبه، لم يزل غنياً،

ومن كان غناه في كسبه، لم يزل فقيراً،

ومن قصد المخلوقين لحوائجه، لم يزل محروماً،

لا تسألن بني آدم حاجة

وسل الذي أبوابه لا تحجب

والله يغضب ان تركت سؤاله

وبني آدم حين يسأل يغضب

وصية الحبيب ﷺ

قال ابو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

أوصاني رسول الله ﷺ فقال:

«يا أبا أيوب.. الا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها؟! تصلح بين الناس اذا تدابروا، وتقرب بينهم اذا تباعدوا، الا اعلمك كلمة من كنز الجنة؟ اكثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله»..

مناجاة العارفين

كان الإمام الشبلي رحمه الله يرفع يديه مناجياً ربه وهو يقول:

«يا رب ما اسمي عندك يا علام الغيوب؟ وما أنت صانع بذنوبي يا غفار الذنوب؟ وبم تختم عملي يا مقلب القلوب؟ ثم يقول باكياً: يا قرة عيني وسؤدد قلبي.. ما الذي اسقطني من عينك؟! أم تراك قلت: ﴿**هذا فراق بيني وبينك**﴾؟!!

تيجان العرب

ذكرت العمائم عند ابي الأسود الدؤلي، فقال:

العمامة خير ملبوس.. جنة في الحروب، وواقية في الأحداث، مسكنة من الحر، مدفئة من البرد، وقار في الندى، وزيادة في القامة، وهي تعد من تيجان العرب.

٢

«اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»

■ **بقلم الواعظة رغداء بكور الياقتي**

يصر الكثير من الأئمة على ثمان ركعات لصلاة التراويح، بدليل أن رسول الله ﷺ صلاها هكذا من حديث عائشة رضي الله عنها، وما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، ويخطئون من صلاها عشرين ركعة، ولكن هذا الحديث الصحيح لا يدل على صلاة التراويح لأن في غير رمضان يصليها ولا يوجد تراويح، فمحمول هذا على صلاة الليل والوتر كما ذكره الحافظ، مستوفى في باب «كم كان النبي ﷺ يصلي من الليل؟» كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة بالليل، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاته بالليل فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر.

وقد ورد في الحديث الصحيح في البخاري أنه ﷺ لم يصل التراويح في المسجد سوى ليلتين أو ثلاث، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان»، قال ابن شهاب: «فتوفي رسول الله ﷺ والناس على ذلك ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر، يعني أوزاع متفرقون».

وعن عروة بن الزبير عن عبد الله القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه ثم خرجت معه ليلة والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر رضي الله عنه: «نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل» وكان الناس يقومون أوله.

وورد من طريق عطاء عدد الركعات التي كان يصليها، قال محمد بن يوسف: «إحدى وعشرين وقال: أدركتهم في رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر» رواه محمد بن نصر.

وعن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين، وعلى إحتمال أن النبي ﷺ صلاها ثمان فقط، لا يستدعي تغليط سائر الأمة التي أخذت بسنة عمر رضي الله عنه القائل بحقه ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين».

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «والجمع بين هذه الروايات ممكن بإختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الإختلاف بحسب تطويل القراءة وتحقيقها، فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس، وبذلك جزم الداودي وغيره والعدد الأول موافق لحديث عائشة المذكور بعد هذا الحديث في الباب، والثاني قريب منه والإختلاف فيما زاد عن العشرين راجع إلى الإختلاف في الوتر، وكأنه كان يوتر بواحدة وتارة بثلاث».

وروى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال: أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز -يعني بالمدينه- يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث، وقال مالك: هو الأمر القديم عندنا، وعن الزعفراني عن الشافعي: رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق.

وعنه قال: إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن والأول أحب إلي.

وقال الترمذي: أكثر ما قيل فيه: إنها تصلى إحدى وأربعين ركعة يعني بالوتر، وقد نقل ابن عبد البر عن الأسود بن يزيد: تصلى أربعين ويوتر بسبع، وقيل: ثمان وثلاثين ذكره محمد بن نصر بن أيمن عن مالك، وأقوال أخرى ذكرها.

بعد كل هذا أقول: لماذا الإصرار على الثمان فقط وتغليط ما سوى ذلك؟

❖ كيفية صلاة التراويح:

المعروف والمتواتر أن صلاة التراويح، تصلى مثنى مثنى لأنها هكذا وردت فأشبهت الفريضة فلا يجوز تغيير هذه الصفة، وهو عمل جمهور المسلمين في أصقاع الدنيا، ذكر ذلك الخطيب الشربيني في المغني وغيره، ولكن وجد اليوم بعض الأئمة من يصليها أربعا أربعا مخالفا لجمهور المسلمين.

❖ القنوت في آخر ركعة في التراويح:

لم يثبت عن أي أحد من سلف الأمة فهو بدعة لا دليل عليها.

❖ إطالة القنوت في الوتر والفجر:

ورد فيهما دعاء للنبي ﷺ الذي كان يقنت به الفجر وهو: «اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت نستغفرك ونتوب إليك» رواه البيهقي.

أو الدعاء الوارد عن النبي ﷺ أو الدعاء عن عمر وابنه رضي الله عنهما وهو: «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي وإليك نسعى ونحمد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق».

والحكم الشرعي للقنوت عند الفقهاء:

أنه يسن عند الشافعية في الفجر دائما وفي النصف الأخير من رمضان في الوتر.

أما عند الأحناف يسن في الوتر و لا يسن في الفجر، والذي عليه العمل عند الشافعية ما ثبت عن النبي ﷺ، والذي عليه العمل عند الأحناف ما ثبت عن عمر وابنه. ويقول علماء الشافعية: فإن جمع بينهما فالأفضل تقديم قنوت النبي ﷺ وإن اقتصر فليقتصر عليه، واستحباب الجمع في حق المنفرد وأمام قوم محصورين راضين بالتطويل، ليسوا أجراء ولا أرقاء ولا متزوجات، ويكره إطالة القنوت كالتشهد الأول، قال النووي في المجموع: قال البغوي: يكره إطالة القنوت كما يكره إطالة التشهد الأول، ويكره قراءة القرآن فيه فإن قرأ لم تبطل صلاته ويسجد للسهو - الباجوري.

وأما في الوقت الحاضر فقد تفنن الأئمة وتنافسوا في أيهم الذي يطوّل دعاء القنوت، وهذا من البدع التي لم تكن في عهده ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين، إضافة إلى ما يحدث من المأمومين من ارتفاع الأصوات والشهيق والنحيب والتأوه، وإخراج الحروف معه أو الكلمات التي تبطل الصلاة، والحركات التي رافقته مع اليدين وهزها وغير ذلك.

❖ رفع الأصوات بالمساجد:

وذلك من بعض الأئمة والمؤذنين والخدم على بعض المصلين إن سألوا أو اعترضوا، ولا يدري هؤلاء أن بذلك قدوة سيئة للناس، بل تجرأ البعض منهم على طرد من لا يعجبه من المسجد.

❖ إغلاق أبواب المساجد الخارجية:

حتى لا يستطيع أي متأخر عن الصلاة أو المار من دخول المسجد والصلاة فيه، حتى صارت أكثر أبواب المساجد الخارجية مسورة بأبواب حديدية من الأرض إلى السقف كأنك تنظر إلى سجن أو حصن، والذي يجب أن يكون عليه الحال إغلاق الأبواب الداخلية للحفاظ على نظافة وأمان المسجد، ولكن يجب فتح الأبواب الخارجية ليبقى صحن المسجد مستقبلا افواج المتأخرين عن الصلاة، حتى لا ينطبق عليهم قول الله تعالى: **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾**.

ولقد مررت أنا شخصيا بمسجد أدرس فيه منذ ١٥ سنة في وقت صلاة المغرب، فأردت الصلاة خوفا من فواتها فلم يفتح لي الباب، وبقيت أستجدي أولاد المسؤولين فلم يردوا علي حتى عرفتهم على نفسي ففتح لي.

❖ نظافة المساجد:

تشكو بعض المساجد من إهمال النظافة بجميع مرافقها، وتراكم الغبار من سنين، وتمزيق أوراق المصاحف وبعثرتها، وقذارة الحمامات، مع أن لكل مسجد موظفاً يتقاضى راتبا مخصصا إزاء نظافة المسجد، ولكن لا يقوم به، وخاصة مصليات النساء لا يدخلها أبدا ولا يتعرف عليها، فأنا أتجول في أكثر من مسجد والذي يقوم بتنظيف مصلى النساء ومرافقه، هم من النساء الحضور لا موظف المسجد، فأين تقوى الله وإخلاص العمل وتحليل الراتب، فيجب على الإمام الإشراف على الموظف ومتابعته على النظافه، لأن الإمام هو المسؤول الأول عن المسجد.

❖ اللعب بالمساجد:

سمح الكثير من أئمة المساجد للأولاد باللعب في المساجد بألعاب متنوعة، فصارت ساحات المساجد ملاعب كرة قدم، ومصلى النساء أو سدة المسجد بعض طاولات التنس، حتى ان الأولاد نشأوا على عدم احترام المسجد وهيبته، وفي هذا الفعل نهي صريح من رسول الله ﷺ القائل: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم وسل سيوفكم وجمروها في الجمع» رواه ابن ماجة والطبراني.

❖ بعض المساجد مهاجع:

اتخذت بعض المساجد مهاجع لبعض الفئات، فيكون فيها الطبيخ والغسيل والجلي وصوت الصحون والطناجر، وهذا ما سمعته بنفسي لا في صحن المسجد وإنما في حرمه إضافة إلى النوم والفرشات والأمتعة والتجمعات والكلام ورفع الأصوات، ولا أدري أين نحن من حديثه ﷺ: «خصال لا ينبغين في المسجد: لا يتخذ طريقا، ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبغي فيه بقوس، ولا يقتص فيه من أحد ولا يتخذ سوقا» رواه ابن ماجة وزاد الطبراني: «ولا تتخذوا المساجد طرقا إلا لذكر أو صلاة»، فالأفضل تأمين أماكن محترمة مخصصة لإقامتهم خارج المسجد تؤمنها الجهات المستدعية لهم.

❖ الجمع بين الصلاتين للمطر:

وهي رخصة وردت عن رسول الله ﷺ، ولكن بعض الأئمة يتوسع فيها كثيرا سواء وجد المطر أم لا، مع أن الفقهاء شرطوا وجود المطر بعد الصلاة الأولى حتى يشرع في الثانية، أما إذا انقطع قبل الشروع فيها فلا يصح الجمع، ويشترط أن يكون الجمع بالمطر الذي يبلّ الثياب وتلحق المشقة بالخروج فيه، وأما الطلّ والمطر الخفيف الذي لا يبلّ الثياب فلا يبيح الجمع وهو مذهب مالك والشافعي واحمد، المغني ١١٨/٢ .

❖ تعليق الصور الفوتغرافية في بعض المساجد:

لوحظ في الآونة الأخيرة وجود ملصقات إرشادية لتعليم الصلاة، تشتمل على صور رجال يقومون بأداء الصلاة أو الوضوء، وهذا لا يجوز تعليقه في البيوت العادية فضلا عن بيوت الله والجميع يعلم حديث الستارة، التي اتخذتها السيدة عائشة فلم يدخل ﷺ حتى هتكتها وجعلتها وسائد، كما أن وجود الصور في البيت يمنع وجود

الملائكة فكيف يكون هذا بالمساجد؟

❖ **القدح في بعض من يقنت بالفجر:**

أئمة ينتقدون أئمة آخرين، ويقدحون قنوتهم المستمر في صلاة الفجر وينفرون الناس من الصلاة خلفهم، متهمين هؤلاء أنهم أصحاب بدعة وهذا بلا شك ناشئ عن قلة أو عدم التفقه في الدين، لأنه يقدح في أئمة المذاهب ويتعصب لمذهبه فالأحناف الذين لا يقنتون لا يبدّعون غيرهم، والحديث في البخاري ١٠٠١، «سئل أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أقنت النبي ﷺ في الصبح قال: نعم».

❖ **وضع مكبرات الصوت للصلاة والدروس اليومية والدعاء:**

مما يشوش على المجاورين للمسجد وفيهم المريض والنائم والطالب والدارس وقارئ القرآن والمصلي وغير ذلك، خاصة في صلاة الفجر والعشاء والتراويح وقت الهدوء والنوم لبعض الناس ووقت العبادة لكثير آخرين، علما بأن المجاورين لا يفهمون شيئا من هذا الصوت العالي سوى التشويش.

❖ **إشغال السدة أو مصلى النساء لعدد قليل من النساء:**

لصلاة الجمعة وهي تتسع لعدد كثير من الرجال الذين يصلون تحت أشعة الشمس أو البرد والمطر، فالمقدم هنا: إفساح المجال للرجال يوم الجمعة، وتوجيه النساء لحضور الدروس النسائية للواعظات في المساجد.

❖ **إطالة مدة الإنتظار بين الأذان والإقامة:**

وذلك أكثر من المدة المحددة من قبل وزارة الأوقاف، حتى أنني أتمنى على الوزارة جعل المدة خمس دقائق فقط لكل الصلوات، لأن الذي سيحضر للصلاة يجب أن يكون متهيئا للحضور إلى المسجد مع الأذان، والذي يكون موجوداً بالمسجد لا يحتاج لهذا الانتظار.

ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء، قال عثمان بن جبلية وأبو داود عن شعبة «لم يكن بينهما إلا قليل» البخاري ٦٢٥.

❖ **صلاة العيد إذا كان يوم الجمعة:**

البلبلة التي تحدث من بعض الأئمة وحرصهم على إسقاط صلاة الجمعة لحضورهم صلاة العيد، مع أن جمهور

العلماء وغالبية الفقهاء توجب الجمعة لعموم الآية والأخبار الدالة على وجوبها، لأنهما صلاتان إحداهما فرض والثانية سنة لا تسقط إحداهما بالأخرى، ومن اعتقد إسقاط الجمعة ينبغي أن لا يحدث بلبلة وفوضى بين المسلمين ولا يخطئهم، وللعلم أقول لأئمة المساجد: إنه على رأي من قال بسقوط الجمعة عمن صلى العيد قالوا: إلا الإمام فإنها لا تسقط عنه إلا أن لا يجتمع له من يصلي به الجمعة. المغني لابن قدامة ٢/٢١٢.

❖ **إغلاق سماعة الأذان في بعض المساجد:**

وذلك عندما يصل المؤذن إلى الصلاة على النبي ﷺ لإعتقادهم ببدعتها وعدم جوازها.

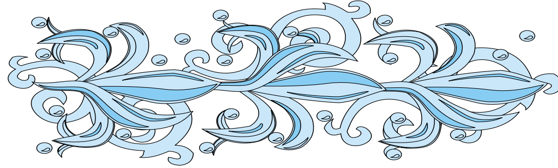
أقول: هذه المسألة قد حسم أمرها على أنها من المستحسنات التي تذكر بالصلاة على النبي ﷺ، ومطلوبة من المؤذن والمستمع من قوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي» الحديث.. فما المانع أن يقولها المؤذن بصوت مرتفع، ويكفي أن وزارة الأوقاف قد اعتمدتها وجعلت فاصلاً بين نهاية الأذان وهذه الصلاة!، فما وجه اعتراض المعترضين؟.

❖ **دخول الباعة المتجولين إلى ساحات المسجد:**

وفي ذلك هتك لحرمة المسجد ورفع الأصوات والنداء على بضاعتهم بأصوات منكرة، ويرمون فضلات بضاعتهم ومنكرات أخرى على أبواب المساجد.

❖ **السماح للمتسولين والمتسولات بالجلوس على أبواب المساجد الداخلية والخارجية:**

وهذا يكاد يكون بشكل دائم كأنه دوام وظيفة، حرا وقرا رجالا ونساء، فالمطلوب من الإمام منعهم وتوجيههم للعمل بدلا من



٢

الإمام الليث بن سعد
لمحات من حياته وفقهه

■ بقلم الأستاذ رجب عبد اللطيف

ان رجلاً مثل الليث بن سعد على هذه الدرجة العالية من العلم والثقافة على اختلاف مجالاتها وتنوع ميادينها، لا بد ان يكون قد ولج هذا العالم -عالم المعرفة- بهمة عالية ونفس واعية، وقلب يقظ، ورغبة صادقة في النهل من معينه والارتواء بحياضه منذ يفاعته.

وغير ذلك لا يصح على العادة المتبعة -والعادة محكمة- وبديهي ان يبدأ الليث طريقه العلمي في حياته المبكرة على ايدي العلماء القريبين منه والمجاورين له، وان يكون اول ما يعيه ويصغي اليه السمع، هو القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، مع علوم الفقه واللغة، وكلما زادت سنه كثر سماعه وعلت مروياته، وعمل على التلقي من طبقة أخرى أبعد مزاراً وأغزر علماً.

وذلك كله على ما تقتضي به سنة تلقي العلم وتحصيله في هذه العصور، واتباعاً لهذه السنة وعملاً بها، يتوجه الفتى لأداء فريضة الحج في عام ثلاثة عشر ومائة، اي في العشرين من عمره ليشهد منافعه، وهو هنا لا تخرج عن التزود بالعلم.

والالتقاء بعلماء الاسلام الوافدين على الحرمين والمقيمين بهما، فينهل من علمهم ويعل، ويرتشف من فيضهم لتنضج شخصيته العلمية ويستوي على سوقه، ومن الذين أخذ عنهم في هذه الحجة، ابو شهاب الزهري، وابن ابي مليكة، وعطاء بن ابي رباح، وابن الزبير، ونافع وعمران بن ابي

انس[١]، وفي هذا يروي الليث قائلاً: كنا بمكة وبها ابن شهاب وعطاء بن ابي رباح، وابن ابي مليكة، وعمرو بن شعيب، وقتادة بن دعامة، وعكرمة بن خالد، وأيوب بن موسى، واسماعيل بن ابي أمية، فكسفت الشمس بعد العصر، فقاموا قياماً يدعون في المسجد فسألت أيوب بن موسى فقلت: ما يمنعهم ان يصلوا صلاة رسول الله ﷺ التي صلاها في الكسوف؟ فقال ايوب بن موسى: نهى عن الصلاة بعد العصر، والنهي يقطع الأمر[٢].

وقد أتاح شغفه هذا بالعلم وتلقي شيوخه، ان ادرك نيفاً وخمسين من التابعين على رأسهم عطاء بن ابي رباح والزهري، وهشام بن عروة، ونافع مولى ابن عمر، ونافع بن نعيم شيخ القراء في عصره، وغيرهم، اما من تابعي التابعين، وهم جيله، فقد ادرك منهم ١٥٠[٣].

ولقد عرف قدر الليث في المدينة على حداثة سنه، فها هو ربيعة ويحيى بن سعيد يتزحزحان له في المجلس ويعظمانه كما يقول الداوردي[٤]، بل ان يحيى بن سعيد الانصاري ليعترف له بأنه إمام منظور اليه[٥].

ومن رحلاته التي طوّف بها، العراق فرحل اليها مرات ومرات يدفعه الشوق للسماع من علمائها، حيث ارسل يوماً الى هشيم يسأله دفع كتبه اليه لسماعها، ويدفعه كذلك النصح للخلفاء فيلتقي بأبي جعفر المنصور الذي يعرض عليه ولاية مصر على ما مر.

ويلتقي كذلك بالمهدي الذي يعجب بعقله وسمته، فيوصي وزيره يعقوب بن داود بملازمة الليث والاستفادة منه[٦]، وموقفه مع هارون الرشيد وفقهه في التخلص مما سنعرض له بالتفصيل.

ولم يكتف الليث بالرحلة للحرمين والعراق، وانما تابع السير لسائر أمصار العلم واقطار المعرفة فرحل الى دمشق وجالس سعيد بن عبد العزيز.

❖ نبوغه العلمي:

نشأ حريصاً على طلب العلم وتلقي شيوخه بالإجلال والتقدير، فتيسرت له سبله، ومهد له ذلك وتفتحت أمامه مغاليقه، ودانت له قطوفه وألقي اليه بمقاليده، حتى فاق شيوخه وساد أقرانه، **لعل في هاتين الاشارتين ما يدل على نبوغه وتفوقه.**

١- يقول الداوردي: لقد رأيت الليث بن سعد اذا اتى يحيى بن سعيد وربيعة بن ابي

عبد الرحمن وانهما ليتزحزحان له زحزحة ويعظمانه[٨].

وفي رواية أخرى عن عبد العزيز بن محمد: رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم في المسائل، وقد فرفر اهل الحلقة[٩].

٢- فعن شرحبيل بن يزيد قال: ادركت الناس زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن ابي حبيب، وعبد الله ابن ابي جعفر، وجعفر بن ربيعة والحارث بن يزيد وابن هبيرة، ومن يقدم مصر من علماء اهل الشام للرباط، والليث بن سعد يومئذ شاب، وانهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار اليه[١٠]، وزاد بعضهم على حداثة سنه، قال يحيى بن بكير: رأيت من رأيت فلم أر مثل الليث[١١]، ولذا فقد توقع له شيوخه التقدم في العلم كما تفرسوا فيه الامامة فها هو شيخه يحيى بن سعيد الانصاري، يراه يوماً وقد فعل شيئاً من المباحات فيلفت انتباهه قائلاً له: «لا تفعل فإنك امام منظور اليه»[١٢]، وقيل لليث يوماً وقد فاض علمه وتفتق ذهنه وأتى في الفقه والحديث ما أثار دهشة الآخذين عنه: -امتع الله بك- انا نسمع منك الحديث ليس في كتبك؟ فقال: أو كل ما في صدري في كتبي!!، لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب[١٣].

وقريب من هذا في الدلالة على عظم شأن الليث وكمال عقله وتمام علمه، ما تكلم به الليث في مسألة فقال له رجل: يا ابا الحارث في كتابك غير هذا؟ قال: في كتابي او في كتبنا ما اذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا[١٤].

❖ الانصاف والتقدير:

من الصفات التي جبل عليها الليث الانصاف سواء أكان ذلك لمخالفيه ام كان لمريديه، ومن صور ذلك:

١- انصاف مخالفيه في الرأي:

وهو في هذا المقام يمثل نمطاً فريداً من الرجال الذين يبدون رأيهم ويجابهون مخالفيهم، دون ان تحملهم هذه المخالفة على التجني عليهم او النيل منهم بغير الحق، بل تراهم متجردين للموضوعية بعيدين عن الإسفاف، وهكذا كان الليث عندما يختلف مع الآخرين.

فلم يكن للهوى عليه سبيل، فهو يعطي كل ذي حق حقه، فلا يتحيف على صاحبه وذلك شأن الكبار والأفذاذ من العلماء، ومن دلائل ذلك ما جاء في خلافه مع قاضي

مصر اسماعيل بن اليسع، فقد اختلف معه في امر فقهي على ما تقدم، وكتب الى الخليفة في عزله، غير انه لم ينس ان يذكر محاسن الرجل وخلاله الطيبة، وانه لم ينقم عليه في مسلك شخصي يشين صاحبه أو يزري به، فقد جاء في كتابه للمهدي في امر عزله: «انك وليت رجلاً يكيد(١٥) سنة رسول الله ﷺ بين اظهرنا، مع انا ما علمنا عليه في الدينار والدرهم الا خيراً»(١٦)، وفي رواية اخرى «إنا لم ننكر عليه شيئاً غير انه احدث احكاماً لا نعرفها».

فتراه هنا لم يسفه على الرجل او ينال من امانته وعفته، كلا وانما هو يذكر ما ينقم عليه فقط، وكان يمكن له الا يتعرض لذكر مزاياه، ولو فعل هذا ما لامه أحد، لكن الانصاف يأبى عليه الا ان يذكر محاسن الرجل تماماً كما ذكر ما يآخذه عليه.

٢- انصافه لمالك:

الليث ومالك هما فرسا رهان ذاك العصر، من العلماء من يقدم الليث وهم الكثرة، ومنهم من يرى مالكاً أحق بالتفضيل -ولهذا موضعه من البحث- ومع هذا نرى الامامين يثني كل منهما على الآخر، ويعرف كل واحد لصاحبه حقه ومنزلته ومكانته، ونعرض **بعض الصور التي يتبين منها** **انصاف الليث لمالك، ومن ذلك:**

أ- يذكر القاضي عياض ان الليث بن سعد ذكر مالكاً، فرفع من قدره(١٧).

ب- ولا يكتف الليث بإعلاء شأن مالك بين الناس والثناء عليه، وانما يقدم خطوة ترفع من شأن مالك عند ربه، ذلك ان الليث كان يدعو لمالك في صلاته(١٨) تقديراً لعلمه الذي يبثه في الناس، وحفظه لسنة رسول الله ﷺ، وندع ما ذكره الليث لمالك في رسالة اليه لموضعه من هذه الدراسة.

٣- انصافه لشيوخه:

كان الليث بن سعد كثير الانصاف لأساتذته وشيوخه، يثني عليهم بالخير ويشيع فضلهم وهو ما يظهر جلياً في رسالته لمالك.

٤- انصافه لتلاميذه من نفسه:

يبلغ انصاف الليث الذروة حين ينتصف لتلميذه من نفسه، لكلمة قالها فيه، وتفصيل ذلك ان ابن القاسم كان قد رحل الى المدينة لملاقاة مالك والاستماع اليه، وعندما عاد الى مصر اجتمع حوله الناس في المسجد، ويسأل الليث عن هذا الجمع، فيقال: انه ابن القاسم فتند من فيه كلمة

ينكر ان يكون لابن القاسم ما يجعل الناس يلتفون حوله، فيقول: يأبى الله والمسلمون، وينام الليث فيرى في المنام هاتفاً ينكر عليه ذلك فيستيقظ مردداً ما سمعه في نومه مصححاً لما سبق من قوله قائلاً: لا يأبى الله ذلك، ولا المسلمون. والى هنا يمكن ان ينتهي الامر، فلقد عرف الليث خطأه ويقول في نفسه: عرفت فالزم.

لكن هيهات فللإنصاف شأن آخر، وقد سمع بعض الناس قوله، فلا بد ان يعطى الرجل حقه وان يزف اليه بشراه ويعترف له بخطئه، فيرتفعان هذا بإنصافه وذاك ببشرى الليث له، فيخرج الى المسجد ويحدث الناس برؤياه[١٩].

❖ رقة الليث:

كان الليث بن سعد من العلماء العاملين الذين يتقلبون بين الخوف والرجاء، فمع كثرة عبادته وذهاب صدقاته بكل ما يجبى اليه من ضياعه، فلم تجب عليه زكاة قط الا انه كان رقيق القلب كثير الدمع، يظهر ذلك جلياً مع منصور بن عمار الذي يروي عنه: «ان في قصصه وكلامه شيئاً عجيباً لم يقص على الناس مثله، وقد اعطاه الليث مرة ألف دينار، وقال له: حصن بهذه الحكمة التي آتاك الله»[٢٠].

ويروي منصور ما حدث بينه وبين الليث فيقول: «دخلت على الليث بن سعد يوماً وعلى رأسه خادم يغمزه، فخرج ثم ضرب الليث يده الى مصلاة فاستخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار، ثم رمى بها اليّ، ثم قال: يا ابا السرى، لا تعلم بها ابني فتهون عليه، فبلغ ذلك شعيب بن الليث، فوصله بألف دينار الا ديناراً، وقال: انما نقصتك هذا الدينار لئلا أساوي الشيخ، يعني والده الليث، في العطية.

قال منصور بن عمار: كان الليث بن سعد اذا تكلم بمصر احد: ارسل اليه، فتكلمت في المسجد الجامع يوماً، فإذا رجلان قد دخلا من باب المسجد فوقفا على الحلقة، فقالا: من المتكلم؟ فأشاروا اليّ، فقالا: اجب ابا الحارث، فقمت وانا أقول: واسوأتاه ألقى من.. فلما دخلت على الليث سلمت فقال لي: انت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم، رحمك الله، فقال لي: اجلس وردد علي الكلام الذي تكلمت به، وأخذت في المجلس بعينه، فرق الشيخ وبكى وسري عنه، واخذت في صفة الجنة والنار، فبكى الشيخ حتى رحمته، ثم قال لي بيده: اسكت فسكت، فقال لي: ما اسمك؟ قلت: منصور، قال: ابن من؟ قلت: ابن عمار، قال: انت ابو السرى؟

قلت: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، ثم قال: يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه، فقال لها: جيئيني بكيس كذا وكذا، فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقال: يا ابا السرى خذ هذا اليك وصن به هذا الكلام ان تقف به على ابواب السلاطين، ولا تمدحن من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك في كل سنة مثلها.

قلت: رحمك الله، ان الله قد انعم اليّ وأحسن، قال: لا ترد علي شيئاً أصلك به، فقبضتها وخرجت، قال: لا تبطئ علي، فلما كان يوم الجمعة الثانية أتيته، فقال لي: اذكر شيئاً، فأخذت في مجلس لي، فتكلمت، فبكى الشيخ، وكثر بكاؤه، فلما اردت ان اقوم قال: انظر ما في ثنى الوسادة، فإذا خمسمائة دينار، فقلت: رحمك الله، عهدي بصلتك بالأمس، فقال: لا ترد علي شيئاً أصلك به، متى أراك؟ قلت: الجمعة الداخلة، قال لي: خذ في شيء اذكرك به، فتكلمت فبكى الشيخ، وكثر بكاؤه، ثم قال لي: يا منصور، انظر ما في ثنى الوسادة، فإذا ثلاثمائة دينار، قال: اعدها للحج، ثم قال: يا جارية، هاتي ثياب الإحرام، إحرام منصور، فجاءت بأربعين ثوباً فلما استكثره، قال له الليث: انت رجل كريم وسيصحبك قوم، فأعطهم، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه: وهذه الجارية لك(٢١).

❖ ذكاء الليث وفطنته:

رزق الليث بن سعد من الفطنة والذكاء، ما جعل الحكام يحمدون الله على انه بين رعاياهم، وفي هذا يذكر الليث: قال لي المنصور حين اردت ان اودعه: قد سرني ما رأيت من سداد عقلك فاتق الله في الرعية أمثالك(٢٢).

ومن الطرائف الدالة على حضور بديهته ما حدث عندما حج عام ثلاثة عشر ومائة، وقابل نافعاً مولى ابن عمر فاستأثر بالسماع منه دون ان يشرك معه رفقته، رغبة في الاسناد العالي الذي هو متعة العلماء ومناط فخرهم، ومن خلاله يتوافد عليه الاكابر من العلماء الذين لم يسعفهم الزمان بمثل هذا السماع.

وتفصيل ذلك ما ذكره الليث حين قال: حججت انا وابن لهيعة، فلما صرت بمكة رأيت نافعاً فأقعدته في دكان علاف، قال: فمر بي ابن لهيعة فقال: من هذا الذي رأيته معك؟ قلت: مولى لنا، فلما قدمنا مصر قلت: حدثني نافع فوثب الي ابن لهيعة

فقال: يا سبحان الله! فقلت: ألم تر الأسود معي في دكان العلاف بمكة؟ فقال لي: نعم، فقلت: ذاك نافع[٢٣].

وعلى هذه السنة عامله ابن لهيعة فحج في العام القابل يسمع منه، فوجد القدر قد استأثر به ولقي ربه، ثم جاءت ابن لهيعة الفرصة التي فاتته بموت نافع، فعندما قدم الأعرج حامل حديث ابي هريرة كما كان نافع راوية لابن عمر رضي الله عنهما، يريد الاسكندرية ورآه ابن لهيعة فأخذه، فما زال عنده يحدثه حتى اشترى له سفينة وسافر الى الاسكندرية.

فقعد يحدث، فقال: حدثني الأعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه فقلت: الأعرج متى رأيته؟! فقال ابن لهيعة: ان اردته، هو بالاسكندرية فخرج الليث الى الاسكندرية فوجده قد مات، فذكر أنه صلى عليه[٢٤].

ايضاً من المواقف الدالة على فطنة الليث ابن سعد ودقيق نظره: فتواه لهارون الرشيد بعدما عجز الفقهاء عن ايجاد مخرج ليمينه مع زوجه زبيدة، وتفصيل ذلك انه «جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملامة في شيء من الاشياء، فقال هارون لها في معرض كلامه: انت طالق ان لم اكن من اهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعاً بهذا اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجاً، ثم كتب الى سائر البلدان من عماله ان يحمل اليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان اذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن اشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي واحداً واحداً فقال له: يعني هذا الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء.

فقال: قد سمع امير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال له: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس، فقال: يخلي أمير المؤمنين مجلسه ان اراد ان يسمع كلامي في ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة الا هذا الغلام[٢٥]، وليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان؟ وعلى طرح التعلم والهيئة والطاعة لي من أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى وصل الى سورة

الرحمن فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ فلما بلغ: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** قال: قف يا أمير المؤمنين هنا، فوقف فقال: يقول أمير المؤمنين: والله فاشتد على الرشيد، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين على هذا وقع الشرط فنكس امير المؤمنين رأسه، وكانت زبيدة في سبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب، ثم رفع هارون رأسه فقال: والله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم، الى ان بلغ الى آخر اليمين، ثم قال: انك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله، قال هارون: اني أخاف مقام الله، قال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله تعالى في كتابه، فسمع التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك.

ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تُجب فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك؟ فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر ولإبنة عمك أكون عليها وتسلم اليّ لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك اقطاعاً، فقال: يا أمير المؤمنين: ما اريد من هذا شيئاً، بل تكون في يدي أمير المؤمنين فلا يجري عليّ حيف العمال وأعز بذلك، قال: لك ذلك، وأمر ان يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي امير المؤمنين يجمع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل اليه واستأذن في الرجوع الى مصر، فحمل مكرماً»[٢٦].

ولا غرو هذا مبلغه من الذكاء ان يعجب بأبي حنيفة لدقيق نظره وحدة ذكائه وفطنته في ايجاد المخارج حيث يقول: كنت أسمع بذكر ابي حنيفة، وأتمنى ان أراه، فكنت يوماً في المسجد الحرام، فرأيت حلقة عليها الناس منتصفين، فأقبلت نحوها، فرأيت رجلاً من اهل خراسان، أتى أبا حنيفة فقال: إني رجل من أهل خراسان، كثير المال، وان لي ابناً ليس بالمحمود وليس لي ولد غيره، قال الليث: فو الله ما اعجبني قوله بأكثر ما اعجبني سرعة جوابه، والقصة المشار اليها: «ان الرجل قال: يا ابا حنيفة، قصدتك أسألك عن أمر قد اهمني واعجزني قال: ما هو؟ قال: لي ولد ليس لي ولد غيره فإن زوجته طلق، وان سريته اعتق، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة؟ فقال له: للوقت اشتر الجارية التي

يرضاها هو لنفسك، ثم زوجها منه فإن طلق رجعت مملوكته اليك، وان أعتق أعتق ما لا يملك به[٢٧].

وفي صدد لقاء الليث بأبي حنيفة، روي ان الليث لقي مالكاً في المدينة فقال له: اني اراك تمسح العرق عن جبينك، قال: عرقت مع ابي حنيفة، انه لفقيه يا مصري يقول الليث: ثم لقيت ابا حنيفة فقلت: ما أحسن قول ذلك الرجل فيك، فقال: والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام[٢٨].

❖ فراسة الليث وحسن تقديره للأمور:

ومن صفات الليث التي عرف بها فراسته، ومن المواقف التي بينت هذه الصفة وأظهرتها، موقفه من سكان قبرص الذين مالؤا الروم ونكثوا عهدهم، فكتب اليه والى غيره من الفقهاء عبد الملك بن صالح الذي كان والياً على الثغور، يسألهم عن حكم الشرع في إجلائهم عنها لأنهم قد نقضوا عهدهم[٢٩].

فكتب اليه الليث رسالة يبين فيها الحكم الشرعي في اجلائهم، عارضاً بعض المعاني والأسرار الفقهية التي ربما تخفى على الكثير، وليت الوالي أخذ بنصيحة فقيهنا ربما لتغير الوضع في البحر المتوسط كله، وقد أثبتت الأيام فراسة الليث وأظهرت خطأ من عارضه.

يقول الليث في رسالته: «ان اهل قبرس -قبرص- لم نزل نتهمهم بالغش لأهل الاسلام والمناصحة للروم، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء**﴾[٣٠]، ولم يقل: لا تنبذ اليهم حتى تستيقن خيانتهم، وإني ارى ان تنبذ اليهم ثم ينظروا سنة يأتمرون، فمن أحب اللحاق منهم ببلاد المسلمين، على ان يكون ذمة يؤدي الخراج فعل، ومن أراد ان ينتمي الى الروم فعل، ومن اراد ان يقيم بقبرص على الحرب أقام، فقاتلهم المسلمون كما يقاتلون عدوهم، فإن في انظار سنة قطعاً لحجتهم ووفاء بعهدهم[٣١].

❖ تواضع الليث:

ومع هذا الثراء الواسع الذي سمح لأبي الحارث بحياة منعمة له ولسائر ضيوفه ومعارفه وقاصديه وهم كثير، ومع هذه المكانة الكبيرة تجاه الولاة والقضاة، حتى انه كان يعزل من لم تعجبه طريقته، ومع هذا وذاك.. فإن الليث لم تبطره النعمة ولم يشمخ بأنفه، بل كان لين الجانب، دمث الأخلاق، متواضعاً للعلم وأهله، وان كان في

غير ذلك ذا نفس أبية.

أخذ ذات مرة بركاب ابن شهاب الزهري، فلما قيل له في ذلك: اجاب بأن دافعه هو إجلال العلماء وتقدير العلم، أما ما سوى ذلك فلا، بل انه ليخبر انه ما اخذ بركاب أبيه[٣٢].

وتكرر هذا الفعل منه لشيخه ربيعة، فقد أخذ كذلك بركابه فقال له ربيعة: يا ليث خدمك العلم، وقد فسر يحيى مراد ربيعة بأن يبلغ الليث مبلغ الكرامة، وقد أعاد الليث هذا الدعاء ليحيى عندما أمسك بركاب الليث[٣٣]، وقد مر بنا في إنصاف الليث تلميذه ابن القاسم ما يعد هضماً للنفس.

❖ صلابته في الحق:

من صفات الليث وخصائصه التي عرف بها وحفظت له إعلاء الحق وتمسكه به، والعمل على إنفاذه، ومن أمثلة ذلك، ما حدث بينه وبين ابن عمه الوليد بن رفاعة امير مصر، فكلما هدم بيت الليث أعاد بناءه، حتى استكان الأمير وعرف لليث قدره ومكانته فأوصى له.

وكذلك ما حدث بينه وبين قاضي مصر واسماعيل بن اليسع، وكان يميل الى مذهب ابي حنيفة، ولم يكن يرى جواز الوقف، فجاءه الليث مرة يحاوره في ذلك، والقاضي يعرف قدره ومكانته، الا انه أصر على رأيه في عدم إنفاذ الوقف، فما كان من الليث الا ان اشتكاه للخليفة طالباً عزله.

ويصور لنا المقريزي هذه الواقعة فيقول: «جاء الليث الى اسماعيل بن اليسع فجلس بين يديه، فدفعه اسماعيل، فقال: انما جئت مخاصماً لك، قال: في ماذا؟ قال: في ابطالك أحباس المسلمين، قد حبَّس رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، ومن بقي بعد هؤلاء، وقام وكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزله، فأتاه الليث وجلس الى جنبه وقال للقارئ: اقرأ كتاب امير المؤمنين! فقال له اسماعيل: يا ابا الحارث وما كنت تصنع بهذا؟ أما والله لولا امر السلطان، ثم لو أمرتني بالخروج لخرجت، فقال له الليث: إنك ما علمت لعفيف عن اموال الناس»[٣٤].

وصورة أخرى لصلابة الليث في الحق وتصحيحه لما اعوج: هي ان صاحب البريد اراد ان يتدخل في خصومة له، فنهره القاضي فأشاع صاحب البريد لدى الخليفة مقالة سوء عن القاضي زورا وبهتاناً، فما ان سمع الليث بالقصة حتى خرج الى الوالي ومعه ابن لهيعة وعاصم بن العلاء ينصفون

الهوامش:

١-٢- تهذيب الكمال ٤٤١-٤٤٢ .

٣- حلية الأولياء ص٣٢٤ .

٤-٥-٦- تهذيب الكمال ٤٤٣-٤٤٤ .

٧- مختصر تاريخ دمشق ٢٤٦ .

٨- تهذيب الكمال ٤٤٣ .

٩-١٠- تاريخ دمشق ٢٤٩، سير أعلام النبلاء، ج٥، ١٤٦، تاريخ بغداد.

١١- تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

١٢- وفي هذا يقول الليث: كنت بالمدينة مع موافاة الحجاج وهي كثيرة الروث فكنت البس خفين فإذا بلغت باب المسجد نزعت احدهما ودخلت المسجد، فقال يحيى بن سعيد: لا تفعل «تهذيب الكمال ص٤٤٤ بتصرف».

١٣- تاريخ دمشق ٢٤٩، تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

١٤- حلية الأولياء، ج٧، ص٣١٨ .

١٥- أغلب الظن ان اللفظ هنا على غير بابه، وان المقصود به المخالفة التي تدخل في باب الاجتهاد الذي لا يأثم صاحبه، فإجراء اللفظ على ظاهره بعيد، وللسلف نظائر كثيرة في ذلك، فكثيراً ما يقول الصحابي: كذب فلان يقصد به الخطأ والذي يرجح ذلك ويقويه ان الليث نفسه قد روى عن يحيى بن سعيد قوله: اهل العلم اهل سعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحلل هذا، ويحرم هذا، وان المسألة لترد على أحدهم كالجبل فإذا فتح لها بابها قال: ما أهون هذه «سير اعلام النبلاء ج٥، ص٤٧٣».

١٦- المفتي، مصدر سابق وانظر كذلك تاريخ ولاة مصر وقضاتها للكندي ص٢٨١، ط مؤسسة الكتب الثقافية.

١٧- ترتيب المدارك ص٦٢ .

١٨- المصدر السابق ٦٨ .

١٩- انظر في شأن الرؤية ترتيب المدارك ٢٥٤ .

٢٠-٢١- انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج٧، ص٣١٩، وما بعدها.

٢٢- تهذيب الكمال ٤٤١ .

٢٣- مختصر تاريخ دمشق ٢٤٧ .

٢٤- مختصر تاريخ دمشق ج٢١، ص٢٤٦ بتصرف وانظر ايضاً تهذيب الكمال ص٤٤٢ .

٢٥- المراد بالغلام هنا خادم الرشيد.

٢٦- الليث بن سعد، د. عبد الحليم محمود بتصرف، ص٤٠-٤٣، وكذلك اعلام الاسلام «الشافعي» د. مصطفى عبد الرازق.

٢٧- الليث، د. عبد الحليم محمود ص٤٤ .

٢٨- ترتيب المدارك ج١، ص٦٢-٦٣ .

٢٩- كان من كتب اليهم عبد الملك، الامام مالك، وسفيان بن عيينة، وغيرهما وكان معظم المجيبين يميل الى ابقاء الأمر وعدم اجلائهم.

٣٠- الأنفال: ٨٥ .

٣١- الأموال لأبي عبيدة، ص٧٧، وكذا الاموال لابن زنجويه ج١، ص٤٢٥ .

٣٢- مختصر دمشق ج٢١، ص٢٤٨، والرحمة الغيثية ص٢١ .

٣٣- ترتيب المدارك.

٣٤- المقفى ج٢، ص١١٤، وانظر كذلك تاريخ ولاة مصر وتسمية قضاتها ٢٨١ .

٣٥- تاريخ ولاة مصر، ص٢٩٠ .

القرض في الفقه الاسلامي

■ بقلم الدكتور الشيخ سامي الصالح

التعاون من صفات المجتمع الاسلامي، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ المائدة: ٢، ومن أمثلة التعاون في المجتمع الاسلامي إقراض المحتاج، وفي هذا المقال اريد ان أبين معنى القرض وفضله، وبعض الأحكام للقرض، وحكم الزيادة عليه.

أولاً: معنى القرض وفضله:

القرض لغة: هو القطع، وشرعاً دفع مال لمن ينتفع به، ثم يرد بدله، جاء في (مغني المحتاج، ٢/١٥٣): القرض هو تمليك الشيء على ان يرد بدله، ويسمى سلفاً بلغة أهل الحجاز، ولقد شرع الاسلام القرض لما فيه من التيسير على الناس، وتفريج كروبهم، وقضاء حوائجهم، وهو من مكارم الأخلاق، وقد شجع الاسلام عليه وجعل الله تعالى عليه أجراً عظيماً فقال تعالى: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم﴾** الحديد: ١١، وقال تعالى ايضاً: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾** البقرة: ٢٤٥ .

والقرض الحسن هو: القرض الذي ليس فيه أذى للمقترض ولا منة، (القرطبي ٢٤٢/٣) وقد بين رسول الله ﷺ فضائل التعاون ومنه اقراض المحتاج فقال ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (رواه ابو داود).

ثانياً: بعض احكام القرض:

للقرض في الشريعة الاسلامية احكام،

نذكر منها ما يلي:

١- كونه مندوباً بالنسبة للمقرض، كما بينا من النصوص الشرعية السابقة المحفزة للقرض، كما انه مباح وجائز ولا حرج فيه للمستقرض، فقد استقرض الرسول ﷺ ورهن درعه على شعير خبز لأهله، (متفق عليه).

٢- اهلية المقرض والمقترض: بأن يكونا بالغين عاقلين، فلا يجوز للصبي مثلاً ان يقرض غيره لأنه ليس من اهل التبرع، والقرض انما هو من باب التبرع، (مغني المحتاج ج٢/١٥٤، بدائع الصنائع ٧/٣٩٤).

٣- ان يكون القرض معلوماً قدره، وان يكون المال ملكاً للمقرض، فلا يصح القرض ممن لا يملك.

٤- يجب الوفاء بالدين في موعده المحدد عند قدرته على ذلك دون تأخير او مماطلة للدائن، ويكون ظالماً مع قدرته على سداد الدين لقوله ﷺ: «مطل الغني ظلم» (رواه البخاري، ومعنى مطل: منع اداء الدين وتأخيره).

٥- وجوب امهال المدين اذا كان معسراً، لقوله تعالى: **﴿وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة﴾** البقرة: ٢٨٠، ووجه الدلالة ان الله تعالى امر بالإنظار، اي الامهال والأمر يفيد الوجوب، فإن عجز المستقرض عن السداد، فقد حث الاسلام المقرض على ان يتصدق على المستقرض بالمبلغ الذي اقرضه اياه، او بجزء منه اذا اراد ذلك، وله اجر عظيم، قال تعالى: **﴿وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾** البقرة: ٢٨٠، وفي الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «من انظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله» ويقول الامام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وان كان ذو عسرة﴾**.. الآية: اذا علم رب الدين عسرة غريمه او ظنها، حرمت عليه مطالبته، وإن لم تثبت عسرته عند الحاكم (الجزء الثالث ٣٧٥).

٦- يحبس المفلس في قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم حتى يتبين إفلاسه، ولا يحبس في قول آخر عند مالك ان لم يتهم انه غيب ماله، وكذلك لا يحبس ان ثبت عسره، ودليل هذا الرأي الفقهي ان رجلاً أصيب في عهد رسول الله في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا عليه» فتصدق الناس عليه، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: «خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك»، ووجه الدلالة ان رسول الله ﷺ لم يأمر بحبس الرجل ولا بملازمته، وانما فقط قال: «خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك» (تفسير القرطبي ٣/٣٧٢-٣٧٣).

٧- يندب للمقترض ان يحسن نيته وان ينوي سداد الدين، لأن الله يكون معه في سداد دينه اذا حسنت نيته في الوفاء، واما اذا ساءت نيته، وأضمر في نفسه أكل اموال

الناس وعدم الوفاء بها، فإن الله يعاقبه بالافلاس واتلاف ماله، جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ قال: «من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه، وإن أخذها يريد اتلافها، أتلفه الله»، وهذا يعني ان النية لها اثرها في عمل الانسان، فصاحب النية الحسنة يؤدي الله عنه، بمعنى انه ييسر عليه السداد، واما صاحب النية السيئة فإن الله يجعله في عسر.

٨- يجوز القرض الى أجل، وكونه بدون اجل احسن، لما فيه من الارفاق والتيسير بالمستقرض، والعمل اليوم على كونه الى اجل معلوم، ويملك القرض بالقبض ويصبح لازماً، فقبل القبض هو من باب الوعد، ومن مكارم الأخلاق الوفاء بالوعد، لكن متى قبضه المستقرض ملكه، وأصبح في ذمته (مغني المحتاج).

٩- للمقرض ان يشترط رهناً وكفيلاً واشهاداً على الدين (مغني المحتاج ١٥٧/٢) لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**﴾ البقرة: ٢٨٢، ولقوله تعالى: ﴿**وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة**﴾ البقرة: ٢٨٣، ولأن النبي ﷺ رهن درعه على شعير أخذه لأهله (متفق عليه).

ثالثاً: حكم الزيادة على القرض:

١- اشتراط الزيادة على القرض ربا وهو حرام، كأن يستقرض رجل من اخر فيشترط المقرض على المستقرض زيادة على القرض، ومثال ذلك: اقرضه مائة دينار، وشرط عليه ان يعيدها له مائة وعشرين، **فهذه الزيادة على القرض هي ربا، وهي حرام واكل مال الناس بالباطل، والدليل على ان هذه الزيادة حرام ما يلي:**

قوله ﷺ: «كل قرض جر منفعة فهو ربا»، وهذا الحديث وان كان ضعيفاً فقد روى البيهقي معناه عن جمع من الصحابة، (مغني المحتاج ٧/٢، بدائع الصنائع ٥/٧)، وروي ايضاً انه ﷺ نهى عن قرض جر نفعاً.. فالزيادة منفعة جرها القرض للمقرض، وهو منهي عنه، والنهي يفيد التحريم.

٢- الزيادة المشروطة على رأس المال لا يقابلها عوض، لذلك: هي صورة من صور الربا وهو حرام، قال تعالى: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ البقرة: ٢٧٥، فلا يجوز الاقتراض بفائدة قليلة كانت او كثيرة، لأنه ربا صريح وقد قال رسول الله ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه».

وسواء أكان القرض استهلاكياً او انتاجياً فالزيادة على رأس المال فيه حرام، ومثال القرض الاستهلاكي كأن يقترض رجل مالاً بفائدة لسد ضروريات الحياة كبناء سكن خاص له او شراء ملبس أو مأكل ونحو ذلك.

ومثال القرض الانتاجي كأن يقترض رجل مالاً بفائدة ويبني عمارة ثم يسدد

المبلغ من ارباح هذا المشروع.

ولا يجوز التفريق بين القرض الاستهلاكي والانتاجي في حكم الزيادة، ويقال: ان القرض الانتاجي تجوز فيه الزيادة، لأنه يقصد به الانتاج، والدليل على حرمة الزيادة حتى في القرض الانتاجي، هو ان الآيات التي تحدثت عن حرمة الربا عامة، ولم تفرق بين استهلاكي وانتاجي، كما ان الاحاديث الشريفة جاءت بصيغة العموم ولم تفرق ايضاً.

كما انه من جهة أخرى ان المقرض في القرض الانتاجي عندما يأخذ الفائدة فهو لا يشارك اصحاب المشروع في الخسارة بل هو رابح دائماً، والعدل يقتضي ان يشارك في الربح والخسارة، لا ان تكون الخسارة فقط على المستقرض، ولذلك جعل الاسلام بديلاً للربا بما يسمى بالمضاربة وهي نوع من الشراكة يقدم فيها احدهم المال ويقدم الآخر العمل، ويشترط في العقد بيان نسبة الربح باتفاق بين الشريكين.

٢- قليل الزيادة المشروطة وكثيرها حرام، لأن قوله تعالى: **﴿وحرم الربا﴾** عام في القليل والكثير، وكذلك الأحاديث التي ورد فيها تحريم الربا لم تفرق بين قليل وكثير، ولأن التوبة من الربا تعني أخذ رأس المال فقط، من غير زيادة مهما كانت، قال تعالى: **﴿وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم﴾** البقرة: ٢٧٩، ولا يحتج بقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة﴾** آل عمران: ٣٠ .

فالآية الكريمة جاءت لتبين شناعة فعل المرابين وقبح صنيعهم، فهي وصف لحالهم وعلماء أصول الفقه يقولون: لا يؤخذ منها مفهوم المخالفة، بمعنى اذا كان غير اضعاف مضاعفة يجوز، لأنه مثل قوله تعالى في سورة النور: **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً﴾** ٣٣، فالشرط ان اردن تحصناً ملغي، ولا يقال: ان لم يردن التحصن فيجوز اكراههن على الزنا (القرطبي ١٢/٢٥٥).

٣- تحرم كل منفعة جرها قرض، سواء أكانت بزيادة مالية في القرض كما ذكرنا، او جاءت المنفعة على شكل هدية او ان يعمل المستقرض للمقرض عملاً، او يستأجر المستقرض دار المقرض بأكثر من اجرتها، فهذا كله لا يحل للمقرض وهو من باب القرض الذي جر منفعة، وهو حرام كما ذكرنا (بدائع الصنائع ٧/٣٩٥).

٤- الزيادة غير المشروطة في عقد القرض ليست ربا (مغني المحتاج ٢/١٥٦) ومثال ذلك: اعطاه مائة دينار ولم يشترط المستقرض على المقرض اي زيادة، وعند السداد رد المستقرض مائة وعشرين، فهذه الزيادة من باب حسن القضاء والمعروف الحسن، فقد اعطى رسول الله ﷺ جملاً رباعياً خياراً في بكر صغير، وقال: «ان من خير الناس أحسنهم قضاء» (رواه البخاري، مغني المحتاج ٢/١٥٦، بدائع الصنائع ٣٩٥/

كيف أشار الرسول ﷺ إلى تغير اللون مع تغير الحرارة في النجوم والكون؟

■ **بقلم الاستاذ عماد مجاهد**

يبكي المرء مندهشاً، عندما يقرأ الأحاديث النبوية الشريفة، التي لها مدلولات علمية كبيرة لم يكتشفها إلا العلم الحديث، وبعد تجارب وأبحاث علمية مضنية قام بها عباقرة العلم الحديث، فيزداد المرء حبا وعشقا وإيمانا بنبوة أبي القاسم ﷺ.

قال عباس الدوري البغدادي: حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا شريك عن عاصم ابن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة».

وفي رواية أخرى: «يا جبريل ما لي أراك متغير اللون فقال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل صف لي النار وانعت لي جهنم فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب النار علق بين السماء والأرض لمات من في الأرض جميعا من حره، والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه، لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه، والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار، التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت، حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال

رسول الله ﷺ: حسبي يا جبريل لا يتصدع قلبي فأموت قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال: تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به؟! قال: وما لي لا أبكي أنا أحق بالبكاء، لعلي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي أبتلى بمثل ما ابتلي به إبليس، فقد كان من الملائكة وما يدريني لعلي أبتلى بمثل ما ابتلي به هاروت وماروت قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل عليه السلام فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد: إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصيا، فارتفع جبريل عليه السلام وخرج رسول الله ﷺ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال: أتضحكون ووراءكم جهنم لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل، فنودي يا محمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسرا ولم أبعثك معسرا فقال رسول الله ﷺ: سددوا وقاربوا».

لقد ثبت الآن بأن لون المادة، يتعلق بعدد الالكترونات السطحية وان نفخ الالكترونات السطحية يحولها من لون لآخر ونوع آخر من المادة.. كالفرق بين الهليوم والهيدروجين، كما ثبت بأن حرارة النجوم وألوانها مرتبط ببعضه كالنجوم العملاقة الحمراء والتي حرارة سطحها ٣ آلاف درجة مئوية تقريبا، تتحول إلى نجوم قزمة بيضاء وحرارة سطحها ٦ آلاف درجة مئوية وهكذا، فالنجوم إذا ازدادت حرارتها صغر حجمها وتغير لونها، وإذا زادت الحرارة تحولت النجوم من اللون الأبيض إلى اللون الأسود، فمثلا مركز الشمس مظلم ويدعى Dark Core حرارته ١٥ مليون درجة مئوية، وهكذا فإن الثقوب السوداء أو (النجوم السوداء) لا تضيء.

وصدق رسول الله ﷺ فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها، لان سرعته تصبح أعلى من سرعة الفوتونات الضوئية، وجاذبيته الكبيرة تجعله يجذب الضوء لداخله ويمنعه من الانطلاق فلا يرى. وهنا نقول: في أي جامعة علمية درس سيدنا محمد ﷺ حتى علم وعرف بأن الشعاع الأسود لا يضيء؟

وأما كلمة الرسول ﷺ: «لا يطفأ لهبها» فإن النار عندما تصل إلى درجة السواد، قد أصبحت كلها مطحنة ذرية، وكلنا يعرف بأن الطاقة الذرية لا تنضب إلا بعد مرور مليارات السنين، فعمر الشمس مثلا ٥ مليارات سنة وبقي عليها لتنطفئ خمسة مليارات سنة أخرى، فالشمس كما نعلم تعتمد على تحويل الهيدروجين إلى هليوم بشكل دائم، مطلقة نتيجة هذه العملية

التفاعلية النووية، طاقة هائلة هي الطاقة المعروفة في كل النجوم.

وهكذا فإن لون النجوم يعتمد على حرارتها، فالنجوم الحمراء هي اقل النجوم حرارة، وإذا ازدادت حرارتها يتحول لونها إلى الأبيض، وإذا ازدادت حرارتها أيضا فإن لونها يتحول إلى الأسود، ولا تعد ترى سوى بالأطياف غير المرئية من خلال حرارتها التي تطلق أشعة غير مرئية!!

إن هذه الظاهرة الفيزيائية تتوافق تماما مع قول رسول الله ﷺ في الحديث المذكور آنفاً! فالألوان تتغير بحسب الحرارة، لذلك فلون جهنم الأقل حرارة يبدأ بالأحمر، وكلما نفخت الملائكة فيه تزداد حرارتها فيميل لونها إلى الأبيض، وبزيادة النفخ وزيادة النار يتغير لونها إلى الأسود! فمن علم الرسول ﷺ هذه الأسرار العلمية قبل اكتشافها حديثا؟ إن هذا إعجاز الهي يؤكد أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

لقد ناقشت بهذا الحديث أحد علماء الذرة الكبار وكان ملحدا، سألني وكرر السؤال عدة مرات.. أأنت متأكد بأن النبي محمداً قال: بأنه لو أن حلقة من حلقات جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت؟ أجبته بنعم، فقال: صدق رسول الله صدق رسول الله صدق رسول الله، وكأنه أخذته حالة من الذهول، فقلت له: ماذا أذهلك؟ فأجابني والدموع في عينيه: إن رسالة الدكتوراه في الذرة كانت حول هذا الموضوع، فقلت له: كيف؟ فأجابني: إن النار تتحول من حمراء إلى بيضاء ثم سوداء، تصبح كثافتها خيالية بحيث يستطيع ثقب اسود بسيط أن يبتلع مجرة بأكملها، حيث انه على سبيل المثال إذا استطاع العلم وبشكل نظري أن يزيل الفراغات من الكرة الأرضية، واقصد بالفراغ بين النواة والالكترونات حولها، لاستطعنا جمع الكرة الأرضية ومن عليها من جبال ومخلوقات وبحار في حجم البيضة، ووزن هذه البيضة كوزن الكرة الأرضية نفسها، وهكذا فان حلقة من حلقات جهنم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت، ليس من حرها فقط بل من وزنها أيضا.. لا شك انه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى!!

أما قول النبي ﷺ لسيدنا جبريل عليه السلام: «كفى يا جبريل لا ينقطع قلبي فأموت» فهذا أيضا ذو إعجاز طبي، فقد ثبت بأن الرعب الشديد والخوف الشديد، يؤدي إلى توقف القلب في حالة الانقباض فالموت المفاجئ، لذلك قال الرسول الأعظم ﷺ: «المرعبون في النار» وهنا يتبين لنا كم هم مسيئون من يرعبون الناس ويروعونهم.

الأمن الغذائي في العالم العربي والاسلامي

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

لقد كان الاهتمام بمسألة تأمين الغذاء للسكان، من المهام الرئيسية للحكومات والدول في التاريخ، وكانت مشكلة نقص الموارد الغذائية، على رأس المشكلات التي واجهت الحكومات والشعوب، وبالرغم من تطور عمليات انتاج الغذاء في العالم تطوراً كبيراً منذ منتصف القرن الحالي، فإن هذه المشكلة لا تزال قائمة بشكل او بآخر في العديد من الدول النامية.

والواقع انه بالرغم من تطور التقنيات الانتاجية تطوراً هائلاً في مختلف الميادين وفي معظم الدول الصناعية، فإنه لا يزال هناك مجموعة كبيرة من سكان العالم يعانون من نقص الغذاء، بل يعاني بعضهم من جوع حقيقي في هذا البلد او ذاك.

لهذا فإن محاولات القضاء على الجوع وعلى سوء التغذية في الدول الفقيرة، كانت ولا زالت تمثل حرباً مشروعة تشنها حكومات هذه الدول بمساعدة المنظمات الدولية في كثير من الأحيان، واصبح التوسع في انتاج الغذاء وتحسين نوعية وشروط انتاجه في كل دولة، هو من السمات البارزة لنجاح السياسة الاقتصادية في تلك الدولة ولتحقيق استقلالها الاقتصادي.

وسنحاول ان نبحث في هذا الموضوع ما يلي:

١- مفهوم الأمن الغذائي.

٢- تطور انتاج الغذاء في العالم.

٣- اسباب تعثر الزراعة في البلدان العربية والاسلامية.

٤- الاجراءات المقترحة لتحسين حالة الأمن الغذائي في الدول العربية

والاسلامية.

❖ أولاً: مفهوم الأمن الغذائي وواقعه في البلدان العربية والاسلامية:

الأمن الغذائي يعني وصول الدولة الى حاجة جيدة من انتاج الغذاء تستطيع من خلالها تأمين المتطلبات الغذائية الرئيسية لأفراد المجتمع عن طريق الانتاج المحلي، لهذا فإن النقص الكبير في تأمين الموارد الغذائية للسكان في اي مجتمع من المجتمعات واعتماد ذلك المجتمع اعتماداً كبيراً على الغذاء المستورد من الخارج، صار ينظر اليه على انه تهديد لأمن ذلك المجتمع ومن ذرائع التدخل والعدوان العسكري.

والواقع ان دولاً عديدة قد مرّت بفترات من انكشاف الأمن الغذائي كلياً او جزئياً بما فيها بعض الدول الصناعية مثل الاتحاد السوفييتي سابقاً، وكان منع تصدير الغذاء الى هذه الدول او تلك يستخدم في الكثير من الأحيان بمثابة سلاح يشهر في وجه الدول المحتاجة الى استيراد الغذاء من اجل انتزاع تنازلات معينة منها او جعلها تتخذ مواقف سياسية تخدم الدول المصدرة للغذاء.

كتلك الضغوطات التي تمارسها الولايات المتحدة على الدول المستفيدة من هذه المساعدات وعلى رأسها مصر العربية والأردن، بل انها صراحة طلبت من مصر والأردن الضغط على الفلسطينيين لقبول المقترحات الاسرائيلية في كامب ديفيد وتوقيع معاهدة صلح نهائية مع اسرائيل.

وتعرضت دول اسلامية اخرى لمثل هذه الضغوط وخاصة اندونيسيا والباكستان والصومال نظراً لانخفاض مؤشر الانتاج في الغذاء لهذه الدول.

بينما ارتفع مؤشر الانتاج الغذائي في السعودية وماليزيا وسوريا وليبيا الى الحد الذي كفل لها الاستقلال السياسي لمثل هذه الضغوط، مما يتطلب من البلدان العربية والاسلامية اتخاذ الاجراءات المناسبة والضرورية لتحقيق مستوى افضل من الانتاج لتحقيق هذا الامن الغذائي لمجتمعاتها.

❖ ثانياً: تطور انتاج الغذاء في العالم:

لقد كان النضال من اجل توسيع انتاج الغذاء، ومن اجل القضاء على الجوع في البلدان النامية عموماً والبلدان العربية والاسلامية بصورة خاصة، يعتمد على تطوير التقنيات الانتاجية في الزراعة واستبدالها بتقنيات حديثة، ولقد حقق العديد من الدول نجاحات كبيرة في هذا الميدان.

وتشير الأرقام التي تعطيها بعض الوكالات المتخصصة الى ان الجياع في العالم قبل عام ١٩٦٩ كانوا يشكلون اكثر من ثلث سكان العالم، اما الآن فإن مشكلة الجوع الحقيقي انحسرت الى حد كبير حتى اصبح عددهم يتراوح بين ١٠٠٠ - ٥٠٠ مليون تبعاً للتعريف المعتمد للجوع.

وبالمقابل ظل عدد كبير من سكان الدول الاسلامية يعانون من سوء التغذية، ويمكننا ان نشير الى ناحيتين في مجال تطور انتاج الغذاء:

١- ان هذا التطور جاء مترافقاً مع النمو السكاني الكبير في هذه الدول، والذي هو اعلى المعدلات.

٢- ان نمو انتاج الغذاء جاء في كثير من الأحيان بثمن باهض هو الاساءة الى البيئة واستعمال الموارد البيئية استعمالاً جائراً لا يحقق متطلبات التنمية القابلة للديمومة.

فالزراعة الحديثة المكثفة لم تكن لها آثار ضارة على البيئة الطبيعية فحسب، بل كانت لها آثار ضارة ايضاً على صحة الانسان نفسه من جراء الافراط في استخدام الاسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية.

واذا القينا نظرة على انتاج الغذاء في العالم بمجموعه، نجد ان هذا الانتاج قد نما نمواً كبيراً في العقود الثلاثة الأخيرة، ولقد جاءت معظم الزيادة في انتاج الغذاء بفضل ما اصبح يسمى بالثروة الخضراء التي كان نجاحها يعتمد على التوسع في استعمال المخصبات والمبيدات الحشرية والعشبية، وتطوير انظمة الري وتحسين الفصائل الحيوانية والنباتية، ولقد ازداد استخدام الطاقة في عمليات الانتاج الزراعي، ومع ذلك بقي نصيب الدول العربية والاسلامية متواضعاً من هذه التطورات.

❖ ثالثا: اسباب تعثر الزراعة في البلدان العربية والاسلامية:

نتساءل لماذا تتعثر الدول العربية والاسلامية في تلبية متطلبات سكانها من المواد الغذائية؟ ولماذا تضطر الى استيراد كميات كبيرة من الحبوب من الدول الأخرى - خاصة الولايات المتحدة وكندا-؟ وكيف توصلت تلك الدول المصدرة للحبوب الى زيادة قدرتها الانتاجية من الحبوب والمواد الغذائية فحققت الاكتفاء الذاتي واستطاعت ان تصدر كميات كبيرة من انتاجها؟

للاجابة على مثل هذه الأسئلة نقول: ان

الدول العربية والاسلامية عموماً تنتمي الى مجموعة الدول النامية التي تعاني من مشكلات تنموية عديدة، يقع على رأسها ضعف انتاجية العمل وضعف القدرة على استغلال الموارد المتاحة.

وان انخفاض مستوى انتاجية العمل في الدول العربية والاسلامية ولا سيما في مجال العمل الزراعي وانتاج الغذاء، هو نتيجة لمجموعة من الصعوبات التي تعاني منها هذه الدول على صعيد تنمية الموارد البشرية، وتقوم تنمية الموارد البشرية على عدد من الدعائم الرئيسية، ولا سيما نشر التعليم العام والتعليم التقني الفني والمهني، وتحسين الواقع الصحي والتوسع في تقديم الخدمات الصحية على صعيد الوقاية من الأمراض وعلى صعيد معالجة الأمراض والاصابات المختلفة، وعلى صعيد رفع مستوى الوعي الصحي.

ومن هذه الدعائم ايضاً تأمين الظروف المناسبة للتوسع في التشغيل وربط التعليم بعمليات الانتاج، ومنها تحسين ظروف المعيشة والسكن وتحسين واقع المرأة وزيادة فاعليتها في المجتمع، وزيادة مساهمتها في العمل والانتاج.

ومن المشكلات التي تواجه الدول العربية والاسلامية عموماً ارتفاع معدل النمو السكاني، والواقع ان مثل هذا النمو المرتفع يضع صعوبات كثيرة في وجه هذه الدول وهي تحاول المضي قدماً في مسيرة التنمية البشرية والتنمية الاقتصادية.

فارتفاع معدل الولادات في المجتمع يجعل نسبة الاطفال في المجتمع كبيرة، ويجعل نسبة السكان في سن العمل منخفضة نسبياً، وهذا بدوره يخفض نسبة العاملين ويرفع نسبة المعالين المستهلكين، فإذا قارنا نسبة المواليد للمرأة الواحدة في الدول النامية، نجد انها في المعدل ستة أطفال بينما نجدها عند المرأة الألمانية لا تتعدى الطفلين.

❖ رابعاً: الاجراءات المقترحة لتحسين حالة الامن الغذائي في البلدان العربية والاسلامية:

ان هناك موارد طبيعية ومالية وبشرية هائلة في الدول العربية والاسلامية، ولا تحتاج هذه الدول الى حسن استغلال هذه الموارد، وتوجيه عمليات الاستثمار والتنمية فيها بما يحقق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية المرغوبة، وفيما يلي بيان بأهم تلك الاجراءات التي من شأنها تحقيق النهضة في ميدان انتاج الغذاء في هذه

الدول:

١- تنمية الموارد البشرية:

ان اهم ثروة في اي مجتمع من المجتمعات هي سكان ذلك المجتمع، لذلك كلما كانت نوعية هؤلاء السكان جيدة كان المجتمع اكثر قدرة على تحقيق التنمية المطلوبة، ورفع مستوى معيشة ابنائه، **ويكون تحسين نوعية السكن من خلال التعليم الموجه كماً ونوعاً من اجل:**

أ- القضاء على ظاهرة التسرب من المدارس والقضاء على الأمية بين الكبار.

ب- الاهتمام بالقيم الروحية والتأكيد على ضرورة تحلي المتعلمين بها باعتبارها اساساً لكل جهد مفيد.

ج- ربط التعليم بالتنمية والتأكيد في المناهج التعليمية على تخريج اشخاص يمتلكون ثقافة عامة واسعة ومتعددة الجوانب، ويمتلكون القدرة على المحاكمة العقلية والتقييم العلمي للأمور، ويحبون النظام ويحترمون القانون، ويتحلون بالصبر والصدق والأمانة والاخلاص.

كذلك فإن تحسين نوعية الانسان تكون عن طريق رفع مستوى الخدمات الصحية والاهتمام بنظافة البيئة وسلامتها، سواء منها ما يتعلق بالحد من اضرار التلوث، او ما يتعلق بالمحافظة على الأمن والنظام والقوانين مع الاهتمام بمسألة العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص أمام الجميع في حدود الامكانات المتاحة.

٢- تطوير الموارد الزراعية والاعتماد على الاساليب العلمية المتطورة في الانتاج الزراعي:

لقد حققت الثورة الزراعية انجازات كبيرة على صعيد رفع انتاجية الأرض الزراعية من المحاصيل المختلفة، ولا تزال هناك امكانيات كبيرة أمام العديد من الدول العربية والاسلامية، لتحقيق المزيد من ادخال التقنيات العصرية الملائمة.

ويمكننا على هذا الصعيد ذكر عدد من العناصر التقنية:

أ- استخدام المخصبات او الاسمدة في المناطق المروية والبعلية على حد سواء، والاستفادة من منجزات العلوم الزراعية في تأمين الاسمدة الملائمة لكل محصول من المحاصيل الزراعية.

ب- استخدام المبيدات الحشرية والعشبية من المركبات الفوسفاتية العضوية والكربونية وغيرها، ولا بد ان يكون

استخدام هذه المبيدات عقلانياً وضمن الشروط المطلوبة حتى لا تسبب اية اشكالات صحية لجسم الانسان او الحيوان.

جـ استخدام المعالجة البيولوجية للحشرات الضارة، ويكون ذلك بتربية انواع معينة من الحشرات النافعة التي تقضي على الحشرات الضارة للنباتات ولا سيما الخضار والفواكه.

د- استخدام الدورات الزراعية المناسبة مما يقلل من احتمال تعرض المحاصيل للحشرات ويجعل التربة اكثر قدرة على الانتاج.

هـ- تطوير السلالات النباتية والحيوانية:

ويمكن الاستفادة من منجزات الهندسة الوراثية في:

- زيادة قدرة النبات والحيوان على مقاومة الامراض.
- زيادة انتاجية النبات والحيوان.
- زيادة قدرته على الظروف المناخية القاسية.
- زيادة مقدرته على النمو السريع.

و- التوسع في استخدام التقنيات الحديثة.

ز- التوسع في استصلاح الأراضي الزراعية.

ح- مكافحة التصحر وزيادة الرقعة الزراعية.

٣- التعاون العربي والاسلامي في المجال الاقتصادي والزراعي:

تستطيع الدول العربية والاسلامية ان تجني فوائد اقتصادية كبيرة، فيما لو اقامت تعاوناً اقتصادياً أوثق فيما بينها على غرار السوق الأوربية المشتركة.

والواقع ان هناك دولاً عندها فائض في الأيدي العاملة والموارد البشرية ونقص في الأموال، في المقابل هناك دول لديها فائض في رأس المال وتفتقر الى الايدي العاملة، ان التكامل لسد هذه الاحتياجات يزيد من الانتاج ومعدلات التنمية الاقتصادية.

ولهذا فإن التعاون الاقتصادي العربي ليس أداة لتحقيق الأمن الغذائي فحسب، بل هو اداة لتحقيق تنمية عربية متينة وتحقيق الاستقلال الاقتصادي بمعناه الواسع، وتأمين مستقبل زاهر للعرب وامة الاسلام جميعاً.

هذا وبالله التوفيق

المراجع:

١- الثروة في ظل الاسلام أ. د. البهي الخولي،

رسول الله يا أغلى الغوالي

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

بـروحـي افـتـديـك وكـل غـالـي رسـول الـلـه يـا أغـلـى الـغـوالـي
نـحـبـك يـا رسـول الـلـه حـبـا يـفـوق الـعـقـل بـل فـوق الـخـيـال
فـحـبـك واجـب ابـداً عـلـيـنـا وقـبـل الاهـل والـمـال الـحـلال
وقـبـل الـنـفـس اذ تـعـلـو عـلـيـهـا فـحـبـك مـن مـحـبـة ذي الـجـلال
ولا ايـمـان يـكـمـل قـبـل حـبـك فـذاك الـحـب مـصـداق الـكـمـال
لـقـد رفـع الإلـه الـيـك ذكـراً وذكـرك يـا رسـول الـلـه عـالـي
فـاسـمـك بـعـد اسـم الـلـه يـذكـر بـكـل أذانـنـا فـوق الأعـالـي
وذكـرك يـا رسـول الـلـه مـسـك تـعـطـر مـنـه أفـواه الـرجـال
عـلـيـك الـلـه صـلـى فـي عـلاه كـمـا صـلـى الـمـلائـك فـي الأعـالـي
ومـن صـلـى عـلـيـك ولـو صـلاة يـنـال بـذكـرهـا خـيـر الـمـنـال
فـعـنـد الـلـه واحـدة بـعـشـر وذاك الـفـضـل يـعـطـى بـالـمـآل
وحـيـث الـمـال لا يـنـفـع لـشـخـص ولا الأبـنـاء تـنـفـعـهـم بـحـال
فـمـن يـأتـيـه بـالـقـلـب الـسـلـيـم فـذاك يـنـال مـنـزلـة الـعـوالـي
رسـول الـلـه لـن يـمـسـسـك بـاغ فـعـنـد الـلـه انـتـم فـي الـمـعـالـي



«نتان بشيفكن» نتن خبيث | يهودي حقود من حثال
تطاول بالكلام على نبينا | وان نبينا فخر الرجال
ليضحك ساقطات خاسرات | بخسة قوله لذوي الضلال
ولم ينج المسيح من اليهود | فكم بهتوه في ذاك المجال
خلال حوارهم بقناة عشر | تتابع سخرهم وعلى التوالي
يهود اهل مكر اهل حقد | فتلك صفات سوء الخصال
رسول الله كم مكروا عليكم | فأنجاك المنجي ذو الجلال
وكم جمعوا بحقدهم الدفين | لك الاحزاب في اعتى النزال
فسخر ربنا ريحاً شديداً | كفتك بحوله شر القتال
ولن ترضى اليهود بأي حال | باسلام فهم اهل الضلال
ويكفي ان مولانا ارتضاه | لنا دينا وانزل بالكمال
وكل الأنبياء لهم مقام | لدى الاسلام محترم مثالي
وتبقى راية الاسلام دوماً | بحول الله تخفق في الاعالي
وفي الأردن قدوتنا مليك | يدافع في المحافل بالمقال
عن الاسلام بالقول الحكيم | ويرعى القدس ايضاً بالفعال
ولا عجب فنعم الهاشمي | كريم الاصل من خير الرجال
رعاه الله للأردن ذخراً | وللاسلام رمزاً للنضال
وأختم بالصلاة على نبينا | محمد صاحب الخلق المثالي



خطبة الجمعة

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه..﴾

بقلم الأستاذ سميح احمد عثامنة

أما بعد؛

فليس ثمة شك في ان الاسلام، يبني المجتمع على أسس سليمة وقواعد متينة، تكفل له البقاء شامخاً قوياً وعزيزاً أبياً، وذلك بما احتوى من مبادئ وأخلاق، وبما اشتمل عليه من نظم ومثاليات.

ولقد رأينا كيف ان مجتمع ما قبل الاسلام، بما كان عليه من تفكك وتمزق وانهيار، وانحراف وفساد، قد تحول بالاسلام الى مجتمع فاضل قوي سعيد متماسك، تسود بين أفراده المودة والمحبة، ولا نعجب حين نرى الفريقين من الاعداء يشيدون بالاسلام ويمجدون تعاليمه، معترفين صراحة وضمناً بأنه هو الطريق الوحيد، الذي يمكن بواسطته إقامة المجتمع الفاضل السعيد.

كما أنه هو الذي يمكن ان يكفل للانسان حقوقه، وان يحقق للمجتمع نهوضه على أسس الإخاء والمساواة والعدالة التي هي من مبادئه السامية.

فالاسلام أيها الاخوة الموحدون، أساسه رعاية المصالح ودرء المفاسد، وغايته اسعاد الناس في الدنيا والآخرة، وهو بحر زاخر يحوي كل أسباب القوة والرخاء للأمم والشعوب، لأن فيه الوفاء كل الوفاء بحاجات المجتمعات الكبيرة والصغيرة، وبمطالب الدول في مختلف العصور والاجيال، لأن هذا التشريع هو تشريع منزل من أحكم الحاكمين عز وجل.

نعم أيها الإخوة المؤمنون؛ ان الاسلام يشتمل على كل ما يحتاجه المجتمع ليحيا حياة دنيوية سعيدة، وأخروية تحظى برضا الله عز وجل، بفضل تعاليمه السمحة التي لم ترق الى مستواها اي تعاليم، والتي تجلت في الإخاء والمساواة والعدل والشورى، كما دعت من قبل ذلك الى الايمان بوحدانية الله تعالى، الى غير ذلك من المحبة والعطاء والبذل والتضحية والفداء.

فهذه المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، كان لها أبعد الأثر في تربية النفوس على المساواة والايثار والمحبة، الأمر الذي رأينا معه الأنصار لا يفتحون بيوتهم فقط لإخوانهم المهاجرين، بل فتحوا لهم ايضاً قلوبهم، حيث قدموا لهم أعز ما عندهم عن رضا نفس وسماحة خلق.

وهؤلاء هم سادة العرب، ومنهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصين، يذهبون الى رسول الله ﷺ يقولون له: ان سادة العرب يأتونك فيستحون من ان يراهم العرب جلوساً مع اصحابك من الارقاء، أمثال بلال وعمار وخبّاب وصهيب (رضوان الله عليهم)، فإذا جئناك فأقمهم، واذا ذهبنا فأجلسهم حيث شئت، فأنزل الله تعالى قوله: **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾**.

نعم معشر المسلمين.. ان نظرة واحدة الى جميع العبادات الاسلامية، ترينا كيف ان الاسلام قد سوى فيها بين الناس جميعاً، فالصلاة يقف فيها الجميع امام رب العالمين، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين خادم وأمير، والحج يستوي الجميع في اقامة شعائره، متجردين من الثياب الا ما يستر العورات، وكذا الصوم، يمتنع المسلمون عن تناول المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس.

وهكذا الحال في الأحكام التشريعية، فلا فرق بين شريف ووضيع، أو قوي وضعيف، أو غني وفقير، ومع كل هذا نرى الاسلام دعوة اصلاحية، تهذب الفرد وتقومه وتوجهه نحو الخير، وتحثه على ان يكون سمحاً عفواً كريماً، مهذباً نبيلاً عادلاً مع خالقه، ومع روحه ونفسه، ومع مجتمعه وبني جنسه، وصدق الله العظيم: **﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**.

وهذا سيدنا رسول الله ﷺ يخرج من بيته موعوكاً قد عصب رأسه الشريف وصعد المنبر وخطب في الناس: «من كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري فليستقد منه،

ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخش الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني».

وحدث ان ابا ذر الغفاري رضي الله عنه تطاول على بلال الحبشي رضي الله عنه وقال له: يا ابن السوداء! فشكاه الى رسول الله ﷺ فقال له: اسابيت فلاناً؟! قال: نعم، قال: أعيرته بأمه؟ قال: نعم، عندئذ قال له رسول الله ﷺ: «انك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم» فقام ابو ذر رضي الله عنه ووضع خده على الأرض وقال لبلال: طأ بنعلك على خدي. وكأنه أراد بذلك ان يكفر عما بدر منه في حق بلال، ولكن بلالاً المسلم، الذي تربى على يد رسول الله ﷺ، واستقى من معينه، ضرب المثل الأعلى بقول الله تعالى: **﴿وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**.

وهكذا ايها الإخوة المسلمون.. نرى كيف طبق رسول الله ﷺ العدالة والمساواة وسائر الحقوق تطبيقاً عملياً، وكيف تمسك اصحابه رضي الله عنهم بهذه الحقوق، وطبقوها تطبيقاً يدل على مدى شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، امام الله وامام رعاياهم، من هنا أهاب الاسلام بكل مسؤول ان يتحرى العدل في تقديره للمرؤوسين، وحكمه عليهم، من اجل ان يشعر المجتمع بالأمان والاستقرار، ويتفرغ افراده للعمل والبناء.

قال القاضي الصالح عمر بن حبيب: حضرت مجلس الرشيد يوماً، فجرت مسألة فتنازعها الخصوم، وعلت الأصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فدفع بعضهم الحديث حتى قالوا: ابو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم! فقلت: يا أمير المؤمنين، ان الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، فنظر اليّ الرشيد نظر مغضب وانصرفت، فلم ألبث ان جاءني غلام فقال: اجب أمير المؤمنين اجابة مقتول، وتحنط وتكفن، **فقلت: اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك، ان يطعن على أصحابه، فسلمني منه.**

وأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي وهو حاسر عن ذراعيه، بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بَصُر بي قال: يا عمر ما تلقاني احد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت علي! فقلت: يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه، وملت اليه وجادلت عنه، ازدراء على رسول الله ﷺ، وعلى ما جاء به، فإنه اذا كان اصحابه ورواة

حديثه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام مردودة غير مقبولة، فالله الله يا أمير المؤمنين، ان تظن ذلك او تصغي اليه، وانت اولى ان تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم. فلما سمع كلامي رجع الى نفسه ثم قال: احييتني يا عمر أحياك الله، احييتني احياك الله، أحييتني احياك الله.

نعم أمة الاسلام، هكذا كان سلفنا الصالح، يتحرى الدقة في تطبيق العدالة، هذا هو الاسلام الذي مكّن للمسلمين الأولين من اقامة المجتمع الفاضل، حيث كانوا يطبقون تعاليمه تطبيقاً عملياً.

ومن هنا فلم يزل امراً غريباً، بل وغير مستساغ ان يتحاكم المسلمون الى قوانين موضوعة من البشر وبينهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ان الذين بهرت حضارة الشرق او الغرب اعينهم، فلم يبصروا ان هناك حضارة سوى هذه الحضارة، انهم بعيدون عن الصواب وهم مع هذا يسجلون على عقولهم طفولة ساذجة، بل ان الذين يعلنون ان شريعة الله لا تصلح لهذا الزمان، هم قوم جاحدون للحق، وانهم اطفأوا مصابيح عقولهم، وبهرتهم الحضارة المزعومة، وحبست تفكيرهم في نطاقها، ومن ثم نسوا شريعتهم وتراثهم الخالد، بل فقدوا ذاتيتهم الاسلامية، وعاشوا بذاتية شرقية او غربية، حتى اصبحوا لا يؤمنون الا بحضارتها وقوانينها.

نعم عباد الله، هذا بعض ما تعاني منه الأمة الاسلامية اليوم من محن، في عصر العولمة والفضائيات، ولا سبيل أمامنا الا العودة الى الله عز وجل.

نعم ايها الإخوة المؤمنون؛ لا يكفي ان نتناول هذه المعاني، لنثبت للأمة أنها تمر بمحنة قاسية، او ان عليها ان تتجاوز هذه المحنة، بل علينا ان نتعاون على البر والتقوى، وان نقتلع جذور هذه الأمراض، ان علينا جميعاً في هذه المرحلة الحاسمة، ان نسعى لأن نكون نماذج صحيحة في هذه الأمة.

نعم عباد الله؛ يجب علينا جميعاً ان نحاول زيادة هذه النماذج الطيبة في كل يوم، كل منا يطهر نفسه، كل منا يتخلق بكل الأخلاق التي ارادها الله تعالى، فعلى قدر ما توجد هذه النماذج، على قدر ما نتحرك للعمل على معالجة المسلمين، لتطبيب شبابنا التائه، حتى يتحول الى جيل رباني بإذن الله عز وجل ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

تم العدد بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد السادس - المجلد ٥٣

جمادى الثانية ١٤٣٠هـ - حزيران ٢٠٠٩م

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١-٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤-٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد السادس ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

إحياء القيم الاسلامية وأثرها

من الأسباب التي تساهم في خلق ظاهرة العنف الاجتماعي، ضعف الروابط الاسرية، فقد كانت قيم الاسلام وآدابه في التعامل داخل الأسرة وفي الدائرة القريبة لدائرة الجوار، تتميز بالثبات والرسوخ، ولكنها في السنوات الأخيرة في عصر العولمة، والفضائيات والانفتاح، اصابها الوهن والتغير، وهو أمر خطير ينبغي التنبه اليه، اذ ان تدعيم الروابط الأسرية، يساهم الى حد كبير في تخفيف ظاهرة العنف الاجتماعي، وكذلك تنمية القيم الاسلامية الاصيلة، مثل: بر الوالدين والاحسان الى الزوجين، ومع الابناء، ومراعاة حقوق الجوار، وحق الطريق، وحق الغير في إبداء رأيه، وفي توجيه النصيحة لغيره.

كل هذه القيم الاسلامية الاصيلة، والتي تعد جوهر الأخلاق الاسلامية، يجب ترسيخها في المجتمع الاسلامي، ونشرها في التعامل، وتشجيعها في سلوك الأفراد قبل بعضهم، ولا شك ان ارتباط القيم التي ذكرناها بالاسلام، يغني عن التفصيل في هذا المقام.

ولا ريب ان إحياء القيم الاسلامية في النفوس، يعين المجتمعات الاسلامية على التخفيف من ظاهرة العنف الاجتماعي الى أقل حد ممكن، ذلك ان الاسلام دعا المؤمنين جميعاً الى الدخول في السلم: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ البقرة: ٢٠٨ .

فوضع بذلك قاعدة السلم الاجتماعي بين الناس ووسائل هذا السلم عديدة، أهمها ولا شك، توثيق روابط الانسان بغيره، واعطاء هذه الروابط قيمة دينية كبرى وهو ما يتميز به الاسلام بالذات، وما يتضح بجلاء من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

لقد جعل الاسلام اهم روابط الانسان الأسرية هي رابطة الأبوة والبنوة، وقد جعل القرآن الكريم بر الوالدين وطاعتهما والاحسان اليهما، تالياً في التوصية به لعدم الشرك، وهو اكبر الكبائر.

واذا كانت نظرة الانسان تجعله احسن الناس وأشدهم عطفاً على الأبناء، فإن الله تعالى أوجب على الوالدين النفقة على الصغار حتى يشتد عودهم، كما تعددت وصايا الرسول ﷺ بالاحسان الى الأبناء والعدل بينهم في العطية، والعطف واحسان تربيتهم

في الحد من العنف الاجتماعي

وتعليمهم، وبذلك ساير التشريع الاسلامي فطرة الوالدين، وشدد على الأبناء في واجب البر، بما يعين فطرة الانسان السوي في الاحسان الى أصله، وسبب نشأته وعونه في الحياة، وحاميه في صغره وضعفه.

وتأتي وصية الاسلام في القرآن الكريم بالنسبة للحياة الزوجية ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ الروم: ٢١، وأحاط الشرع علاقة الزوجية بما يضمن بقاءها ونقاءها، ويجعل منها متعة الحياة للانسان السوي «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة».

وفي الدائرة الأوسع دائرة الرحم، جعل الله تعالى تلك الصلة في ارفع مكان في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ النساء: ١، وجعل صلة الرحم من الايمان وقطع هذه الصلة من علامات النفاق، ووصايا الرسول ﷺ في هذا الشأن عديدة في معانيها ومراميها.

وحين يخرج الانسان من نطاق الأسرة، يجد أمامه دائرة أوسع وأشمل، أولئك الذين يعيشون في مكان واحد وجوار واحد، ولا يخلو الانسان في المجتمع من أن يكون له جار قريب أو بعيد، وقد اشار القرآن الكريم الى تلك العلاقة بما يجعلها رفيعة المقام.

وأشار القرآن الكريم الى علاقات الصداقة والمودة في آياته الكريمة، وأورد الحديث النبوي الشريف هذه العلاقات وشروط قيامها وبقائها وأثرها في النفوس، بما يجعل الانسان المسلم في سلام مع أهله في بيته ومع جيرانه، ومع من يؤثرهم بمودته وصداقته، تحقيقاً لمقاصد الدين الحنيف ومصالح الدنيا.

ان النظام التعليمي في الأمم الاسلامية، ينبغي ان يركز على تنمية هذه القيم الاسلامية، وربطها بمقاصد الدين ومصالح الدنيا، وبث الوعي بها منذ الصغر في نفوس المسلمين، لأن ذلك يعصمهم من ممارسة العنف أياً كانت الأسباب ضد هؤلاء الذين أوصى الاسلام بالاحسان اليهم داخل الاسرة وخارجها، وفي علاقات المجتمع كله وان يكون للدعوة الى تنظيم هذه العلاقات وترسيخها في نفوس المسلمين، مكان كبير في الخطبة في المسجد، وفي الدرس الديني، وفي كل تجمع يتوجه اليه الخطاب الديني في المجتمع.

أسرة التحرير

٤٠

حول مأدبة القرآن:
ربع قوله تعالى: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل..﴾
سورة المائدة: ١٢-٢٦

■ بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

وهذه حلقة في سلسلة التذكير: تذكير المؤمنين بسابق نعمة الله تعالى عليهم، وبعد التذكير تجيء نعمة التحذير.. تحذيرهم من الوقوع في مثل ما تورط فيه بنو اسرائيل من نقض العهود، فراراً من الوقوع في مثل مصيرهم، ومن حذرك من خطر وشيك فقد حماك من التردي فيه، وتلك نعمة يمنها الله عليهم، وذلك بقوله تعالى: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾.

يقسم الحق سبحانه وتعالى بأنه أخذ الميثاق الذي واثقهم به، وكان من لطفه تعالى بهم، وتودده اليهم سبحانه ان جعل منهم نقباء، ينقبون عن أحوالهم رعاية لمصالحهم، لأنهم اقرب اليهم وأشفق عليهم، ثم كان من تشريفه تعالى لهم انه خاطبهم مبشراً بمعيته سبحانه وتعالى لهم **﴿وقال الله اني معكم﴾** بالنصر والعون والتأييد..

ولكن ذلك مشروط بأمور خمسة: إقام الصلاة، ان تكون حارساً مقيماً ينهاهم عن الفحشاء والمنكر، وإيتاء الزكاة، لا مجرد اعطائها، وانما طيبة بها انفسهم، والايمان بجميع الرسل دون تفريق، ايماناً مشفوعاً بالوقوف معهم ضد من يناوئهم.

ثم كانت منكم صدقات لأصحاب الحاجات، فإن فعلتم لأطهرن ما في قلوبكم

مـن الأدران، بهـذه العبـادة التـي تـؤكد اثـر الاعمال في قلوب الناس، ثم ليكون مصيركم الجنان، ومن كفر فجزاؤه من جنس عمله.

ومع انهم المستفيدون من هذا العرض السخي، فقد نقضوا العهد نقضاً انحرف بهم عن سواء الصراط فاستنزلوا بذلك لعنة الله عليهم، وقسوة القلوب التي كانت كالذهب الخالص.. فيه لين لكنه داخله النحاس فقسا وتجمد.

وكان من عقابهم حرمانهم من نعمة التوفيق، حين بدلوا نعمة الله كفراً فحرفوا الكلم عن مواضعه بالتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، بالاضافة الى ما كان منهم، من نسيان ثم توظيف الآيات لتكون في خدمة ما يشتهون الأمر الذي يتقاضى الرسول ﷺ ألا يأمنهم، وليكن منهم على حذر، لأن مسلسل الخيانة منهم لن يتوقف أبداً، ولا يزال يستمد جريانه من البِركة الآسنة!.

ومن موضوعية القرآن وانصافه ان يستثني منهم «قلة مؤمنة» **﴿إلا قليلاً منهم﴾** وعليه ان يعاملهم بأسلوب آخر، يدور على محورين: العفو والصفح.. انهما أليق بك، فافعل ما يليق بك، ودعهم يفعلون ما يليق بهم!! وما يليق بهم بعد ما قست قلوبهم هو: العدوان والعنف بلا رحمة، فليس في الصدور قلوب، وانما هي الحجارة او أشد قسوة!

ولنفهم درس القرآن هنا جيداً، وعلى ضوء ما يحدث اليوم في عالمنا المعاصر، ان المعارض يبدأ بالعناد، في محاولة لإثبات وجوده بهذا العناد.. وبعد ذلك يكذب بآيات الله هروباً من مواجهة الحق الذي لم يستطع بعناده ان يحجب سناه.

ثم تكون السخرية إرادة هز صورة الداعية حتى لا يبدو في افضل حالاته، وقد لا يطفىء ذلك كله نور فورة غضبه، فيلجأ الى العدوان.

ومن جحود بني اسرائيل الى بعض النصارى، لتجد نفس المعنى **﴿.. أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾**، وهذا تصرف بعض الذين زعموا انهم نصارى -اي الذين ينصرون الله- ولكنهم لم يحترموا هذا القول، فنسوا **﴿حظاً مما ذكروا به﴾** وهو الايمان بمحمد ﷺ رسولاً، فكان الجزاء ان كانت العداوة بينهم، والى يوم القيامة، يكفّر بعضهم بعضاً، وذلك قوله

عز وجل: **﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾**.

واذا كان لهم إعلام جَسور على الحق، يزيفه، فسوف ينبئهم الله تعالى بهذا الحق الذي يتنكروه له اليوم.

ثم تواصل الآيات الكريمة الحملة عليهم، بإضافة حجج جديدة من شأنها ان تأخذ بحجزهم الى الحق: **﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾**.. ان العيب فيكم، وليس في الرسالة التي لا ينتفع بها الا من اتبع رضوان الله **﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى ابن مريم﴾**، وهم فريق من النصارى، وليسوا كلهم.

ثم يجيء الرد القاصم الحاسم: **﴿قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير﴾**.

والمعنى: اذا اراد الله ان يهلك المسيح عيسى ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره؟!! ان لله ملك السموات والأرض فهو سبحانه يفعل ولا مانع لفضله ويحكم ولا معقب لحكمه.

ويمضي السياق في بيان سيئاتهم والتي منها زعمهم **﴿نحن أولياء الله وأحباؤه﴾**، ويجيء الرد يلقمهم حجراً: **﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾**؟!

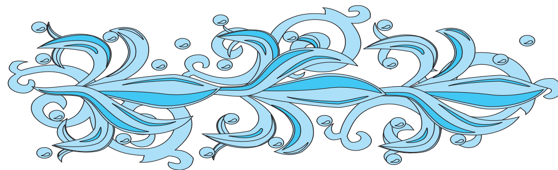
والمعنى: لو كانوا -كما يدعون- أبناء الله وأحباءه لما عذبهم، لكنه ما عذبهم سبحانه، ودل ذلك على أنهم ليسوا ابناءه، وليسوا أحباءه وانما هم كما وصفتهم الآية الكريمة: **﴿بل انتم بشر ممن خلق﴾**.

فأنتم من طينة البشر، يجري عليكم ما يجري على البشر، وكلكم محكوم بسنة القاهر فوق عباده، ليس لأحد عليه حق المغفرة له، او لا يعذبه، الا ان يشاء سبحانه وتعالى، فدعوا الملك للمالك، واشغلوا انفسكم بما يهمكم وما فيه فائدة لكم **﴿.. قد جاءكم رسولنا على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾**.

لقد كان محمد ﷺ رحمة مهداة ونعمة مسداة.. جاءكم بعد فترة حرفت فيها الشرائع، وكان مجيئه وبيانه ﷺ حجة عليكم حتى لا تعتذروا وتقولوا: ما جاءنا من رسول! لقد سقطت اعذاركم وزالت عنكم **﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾**، فهيا.. وكونوا عند حسن الظن بكم.. وهيهات هيهات.

ويبقى في بيان عنادهم وموقفهم من موسى عليه السلام: لقد ذكّرهم بأنهم كانوا سوقة، فصاروا ملوكاً وكانوا ضالين فصار فيهم الأنبياء، يذكرهم بهذا نبيهم الذي نجّاهم من الهوان، محرضاً لهم على دخول ارض مقدسة ومكتوبة لهم من الله عز وجل.

ومع هذه المغريات.. لكنهم رفضوا ان يدفعوا ثمنها، فأسقطوا بهذا التخاذل حقهم في دخولها، وفي النهاية اضافوا سوء الأدب الى هذا الهوان فيما حكته الآيات الكريمة: **﴿فاذهب انت وربك فقاتلا﴾**، وتجيئهم القذيفة من وادي الأمان، من رجلين منهم **﴿من الذين يخافون أنعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب﴾** ولكنها كانت صرخة في واد.. ثم كان الجزاء العادل **﴿انها محرمة عليهم﴾**.



طريقة القرآن الكريم في إلزام الخصم بالحجة

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد القادر الشيخلي

يلاحظ ان القرآن الكريم يلزم الخصوم في الاحتجاج، ويفحمهم من اقرب الطرق وأقواها إلزاماً، ولا يتجه الى مجرد الافحام والإلزام اللذين تأتي بهما الحجة، بل يتجه في الغالب الى ارشاد القارئين الى الحقائق، وما في الكون من دلائل على القدر كما في قوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ❖ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ❖ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ❖ ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ❖ والنخل باسقات لها طلع نضيد ❖ رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾ ق: ٦-١١ .

ان المتتبع لهذه الآيات البينات، يرى فيها ليس مجرد إفحام الوثنيين ومنكري التوحيد، بل يرى توجيهاً نحو الكون وما فيه من دلائل القدرة وعجائب الصنع، وكما في قوله تبارك وتعالى: **﴿الرحمن ❖ علم القرآن ❖ خلق الانسان ❖ علمه البيان ❖ الشمس والقمر بحسبان ❖ والنجم والشجر يسجدان ❖ والسماء رفعها ووضع الميزان ❖ ألا تطغوا في الميزان ❖ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ❖ والأرض وضعها للأنام ❖ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ❖ والحب ذو العصف والريحان ❖ فبأي آلاء ربكما تكذبان ❖ خلق الانسان من صلصال كالفخار ❖ وخلق الجان من مارج من نار ❖ فبأي آلاء ربكما تكذبان ❖ رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** الرحمن: ١-١٨.

ولئن اتجه القرآن الكريم الى الإلزام والإفحام، فإنه لم يلبث أن يأخذ بيد العائد الى الحقيقة، يبينها واضحة جلية لا ريب فيها، كما في قوله تعالى، رداً على المشركين حين طلبوا ان يكون الرسول ﷺ مَلَكاً: **﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ❖ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾** الأنعام: ٨-٩ .

ومن الحجاج المفحم قوله تعالى في الرد على اليهود ووصفهم بالكذب: **﴿الذين قالوا ان الله عهد إلينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين﴾** آل عمران: ١٨٣ .

ومن أنواع الجدال ما يعبر عنه بأخذ الخصم بأقرب طريق للإفحام والإلزام، وهي كثيرة، منها:

أ- التحدي: تحدى الله تعالى كفار قريش بأن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن الكريم مفتريات: **﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾** هود: ١٣ .

ب- تحدي خليل الرحمن الملك الجبار، عندما قال له: **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾** البقرة: ٢٥٨ .

ج- أخذ الخصم بموجب كلامه، وإثبات انه عليه وليس له، من ذلك ما ورد في قوله تعالى في شأن المنافقين: **﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾** المنافقون: ٨ .

«وحقيقة رد الخصم من فحوى كلامه، وهو ان يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام، فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى كلام المتكلم، لأن حقيقة القول الموجب رد الخصم من فحوى كلامه».

د- مجاراة الخصم ليعتبر: أي مجادلة الخصم فيما يقول، ثم التعقيب عليه بما يقلب عليه نتائج قوله، من ذلك قوله تعالى، حاكياً عن الرسل مع أقوامهم: **﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ❖ قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان**

نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ابراهيم: ١٠-١١ .

من هذا النص الكريم نرى ان الرسل عليهم السلام، سلموا بالمقدمة التي بنى عليها الاقوام رفضهم، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم: **﴿ولكن الله يمن على من يشاء﴾**، فكأنهم قالوا لهم: ان ما قلتموه من اننا بشر حق، ولكن ما تريدون ان تثبتوا عليه من إثبات أننا لسنا أنبياء باطل، لأن الله يمن على من يشاء من عباده، وقد منّ علينا، وقدمنا لكم السلطان والدليل، ولا سلطان لنا الا ما يمدنا به الله تعالى.

هـ- التسليم: «وهو ان يفرض المحال، إما منفياً او مشروطاً بحرف الامتناع يكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه قوله سبحانه: **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾** المؤمنون: ٩١ .

المعنى ليس مع الله سبحانه إله، ولو سلم ان معه إلهاً .. مع ذلك التسليم، لذهب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلا بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال، لما يلزم عليه المحال».

و- قياس الخلف: وفيه يتجه القرآن الكريم الى إثبات المطلوب بإثبات نقيضه، وذلك في مثل الاستدلال على إثبات الوحدانية لله تعالى، من ذلك قوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾** الأنبياء: ٢٢ .

وقوله تعالى: **﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً﴾** الاسراء: ٤٢، وكإثبات ان القرآن الكريم من عند الله تعالى: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** النساء: ٨٢ .

ز- الانتقال: وهو ان ينتقل المستدل من حجة الى أخرى، مع لزوم الحجة الأولى وإفحامها للخصم، إلا أنه لم يتبين وجه الرأي فيها، ولم يتفهم دلالتها، أو أنه فهم ذلك، ولكنه أراد ان يصرف نفسه عنها بمغالطة تخرجه مما هو متورط فيه، لأنه يعلم انه ليس على حق، إلا أنه يريد ان يتخلص، فينتقل المستدل بها الى حجة أخرى، تلزمه إلزاماً وتسد عليه باب المغالطة التي أتى بها، ومثال ذلك في قوله

تعالى في حكاية مناظرة الخليل عليه السلام لملك زمانه النمرود: **﴿ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** البقرة: ٢٥٨ .

وكان النمرود في مبدأ دعوة ابراهيم عليه السلام، مطمئناً الى معارضة القوم، واستهزائهم بدعوته، وانصياعهم لأوامر الملك المتجبر.

والحجة أنه بما لم يفهم النمرود الدلالة في الدليل الذي ساقه له ابراهيم عليه السلام أو فهمه وغالط وكابر، فإن الخليل عليه السلام استمر في مناظرته في هذه الحجة، مع لزومها وإفهامها، بل أراد ان يختصر له الطريق في إلزامه على وجه قاطع، لا يستطيع معه اللف والدوران، فانتقل الى حجة أخرى، تتعلق بالأفلاك السماوية، وكان النمرود من اهل الفلك، كما ورد في بعض كتب التفسير ليقنعه من طريق علمه، وعلى وجه لا يقبل الشك والمحاورة، فقال: **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾**، وقد أتى هذا الانتقال بنتيجة باهرة، اذ انقطع النمرود عن المخاصمة والمجادلة.

ح- **التمثيل:** وهو ان يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف، ويبين الجهة الجامعة بينهما، كما في قوله تبارك وتعالى: **﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ❖ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير ❖ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾** الحج: ٥-٧ .

لقد قاس الله تعالى أمر إعادة الانسان خلقاً سوياً في الحياة الأخروية، على ما كان عليه الانسان الأول عن طريق التمثيل، حتى لا يكون مستغرباً من بعض الذين يقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت - فأضحى لا مجال للشك في ذلك، وذلك بأسلوب القرآن الكريم المستفيض.

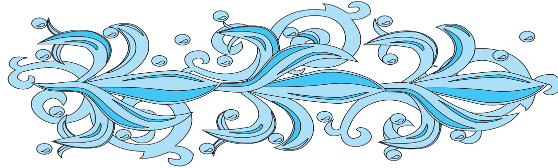
ط- **المناقضة:** وهو تعليق على

مستحيل، إشارة الى استحالة وقوعه، كما في قوله تعالى: **﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾** الأعراف: ٤٠ .

ووصولاً الى الإقناع، استخدم القرآن الكريم في حجاجه الأسلوب التلقيني، وسوق القضايا مسلمة، ولا تحتاج الى دليل، ولا تحتمل مناقشة، وهو أسلوب له أثره عندما تزاح الأغشية التي صنعها أصحاب المصالح، ويخلى بين الناس وبين الحق السافر الواضح، ومن ابى واستكبر بعد ذلك فهو من الخاسرين بعد ان وضحت الحجة، وأزيلت غياهب الباطل*.

*** انظر في تفصيل اوسع:**

- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل، ج٢ ص٥٦-٥٧، القاهرة، مطبعة الشهيد الحسين.
- ابن ابي الاصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق د. ضيف محمد شرف، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ص٣١٤ .
- الامام ابو زهرة، تاريخ الجدل، القاهرة، دار الفكر،



العلامة ابو الحسن الرمّاني ومفهومه للإعجاز القرآني

■ بقلم الدكتور أحمد جمال العمري

ابو الحسن الرماني.. هو علي بن عيسى بن عبد الله، الإخشيدي الورّاق الرمّاني، بتشديد الراء والميم نسبة الى الرمان او قصر الرمان الموجود بواسط، والإخشيدي نسبة الى الإخشيد أستاذه المعتزلي.

ويعرف أيضاً بالورّاق لقيامه بأعمال الوراقة التي كانت شائعة في عصره وتعيشه مما كانت تدره عليه من دخل.

ولد الرماني سنة ٢٩٦هـ ببغداد او سامراء، وشغل بطلب العلم وتحلق في حلقات شيوخ عصره مثل ابي بكر بن دريد، وابي بكر السراج، والزجاج، وغيرهم من اساتذة اللغة والنحو، ولكن يبدو ان اكثر شيوخه أثراً في نفسه وفي علمه هو الإخشيد المتكلم المعتزلي المشهور في عصره.

يقولون: انه تخرج على يده وكان له اثره البارز في حياته وعلمه حتى لقب بالاخشيدي نسبة اليه من كثرة ملازمته له وأخذه عنه وتبنيه لآرائه.

يقول اصحاب التراجم: إنه كان واسع الاطلاع، غزير العلم، متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو، لذلك لقبوه بالنحوي، شيخ العربية، صاحب التصانيف، ووضعوه في طبقة ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي.

ويبدو انه كان مغرماً بعلوم المنطق

والفلسفة، ونرى أثر ذلك واضحاً في كتاباته وتحليله للآراء والموضوعات، وقديماً لمس فيه معاصروه هذه الخصيصة وقالوا عنه: انه كان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى انه كان يتفلسف في عباراته ويتخير أوجزها وأدلها على المعنى، سئل يوماً: **لكل كتاب ترجمة فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟** فقال: **﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾**.

لم تقف اهتمامات الرماني العلمية عند حدود اللغة والنحو، او علوم المنطق والفلسفة والنجوم، بل تعدت ذلك الى العلوم الدينية، علوم القرآن والحديث والفقه، وألف فيها مصنفات كثيرة **وتظهر مكانة الرجل العلمية فيما ذكره عنه معاصروه ومترجموه، يقول ابو حيان التوحيدي:** «انه لم ير مثله قط، علماً بالنحو وغزارة في الكلام، وبصراً بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وايضاحاً للمشكل مع تآله وتنزه ودين ويقين، وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة».

وقال ابن سنان: «انه ذو مكان مشهور في الأدب»، ونظراً لثقته العلمية ورجاحة عقله، وعمق آرائه وجديتها فقد اعتمد عليه كثير من العلماء ونقلوا عنه، في مقدمتهم: ابن رشيق، وابن سنان، وابن ابي الاصبع العدواني، والسيوطي وغيرهم، فكتبهم تنطق بما أخذوه ودونوه عنه في مصنفاتهم.

❖ آثاره:

صنف الرماني مجموعة ضخمة من المصنفات والمؤلفات، قدرتها بعض المصادر بما يقرب مائة كتاب، معظمها في علم النحو الذي عاش له وبرع فيه واشتهر به، بيد ان هذه المؤلفات لا تحجب المؤلفات الدينية، خاصة في علوم القرآن، منها:

١- تفسير القرآن المجيد، ويوجد بدار الكتب المصرية -المكتبة التيمورية- تفسير جزء عم من هذا التفسير مخطوطاً.

٢- النكت في اعجاز القرآن، وهي رسالة علمية بليغة طبعت ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن بدار المعارف بمصر، وستكون محور دراستنا لتوضيح مفهومه للاعجاز القرآني.

٣- الجامع في علوم القرآن.

٤- ألفات القرآن.

٥- شرح معاني القرآن للزجاجي.

٦- إلتفات القرآن.

أما مؤلفاته النحوية، فأهمها:

٧- شرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرد.

٨- شرح كتاب سيبويه.

٩- نكت سيبويه.

١٠- اغراض كتاب سيبويه.

١١- المسائل المفردة من كتاب سيبويه.

١٢- شرح مختصر الجرمي.

١٣- شرح المسائل للأخفش.

١٤- شرح الألف واللام للمازني.

١٥- شرح كتاب الموجز والأصول لابن السراج.

١٦- كتاب الإيجاز في النحو.

١٧- كتاب المبتدأ في النحو.

هذا بالاضافة الى مجموعة أخرى من كتب اللغة، أهمها:

١٨- كتاب الاشتقاق الكبير.

١٩- كتاب الاشتقاق الصغير والألفاظ المترادفة.

٢٠- كتاب التصريف.

٢١- كتاب الهجاء[١].

❖ مفهومه للإعجاز القرآني:

حدد لنا الرماني مفهومه للإعجاز القرآني في رسالته «النكت في اعجاز القرآن» وهي رسالة أدبية بلاغية قيمة، تعكس لنا تخصصه العلمي، ومنهجه الاستدلالي التحليلي، في توصيف افكاره ورؤاه.

فهو يقرر في فاتحة رسالته، ان وجوه اعجاز القرآن تظهر من سبع جهات:

١- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

٢- والتحدي للكافة.

٣- والصرفة.

٤- والبلاغة.

٥- والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.

٦- ونقض العادة.

٧- وقياسه بكل معجزة.

ولما كان الرماني من علماء اللغة البارزين في عصره، فقد خص الجهة البلاغية من رسالته بجانب كبير، فذكر على أنها على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين اعلى طبقة وأدنى طبقة.

فما كان في اعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس.

ثم يعرف الرماني مفهومه للبلاغة قائلاً:

انما البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القران.

ولقد حصر الرماني البلاغة القرآنية فجعلها في عشرة أقسام، هي: الايجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، وخصص لكل قسم منها باباً على حدة، ابرز فيه سماته البلاغية وأدق خصائصه.

فالإيجاز في نظره تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، فإذا كان المعنى يمكن ان يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن ان يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة ايجاز، وكدأبه دائماً يجنح الى التقسيم، فيقول: والايجاز على وجهين: حذف وقِصَر.

فالحذف.. اسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، او فحوى الكلام، والقِصَر.. بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.

فمن الحذف: **﴿واسأل القرية﴾** ومنه **﴿ولكن البر من اتقى﴾** ومنه **﴿طاعة وقول معروف﴾**، ومنه حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر، وما جاء منه في القرآن كثير، كقوله تعالى: **﴿ولو ان قرآناً سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى﴾** كأنه قيل: لكان هذا القرآن.

ومنه: **﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها﴾**: أنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير.

وانما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان، فحذف الجواب أبلغ من الذكر.

وأما الايجاز بالقصر، فهو اغمض من الحذف، وان كان الحذف غامضاً، للحاجة الى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح، فمن ذلك: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**[٢]، ومنه: **﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾**[٣]، ومنه: **﴿ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس﴾**[٤] ومنه: **﴿ولا يحيق المكر السيء الا بأهله﴾**[٥] وهذا الضرب من الايجاز في القرآن كثير.

ولكي يدلل الرماني على روعة الاعجاز القرآني من حيث الايجاز، يقارن بين قولهم: «القتل انفى للقتل»، وبين قوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾** فيقول: ان بينه وبين لفظ القرآن تفاوتاً في البلاغة والايجاز، **وذلك يظهر من اربعة أوجه:**

انه اكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

أما الكثرة في الفائدة، ففيه كل ما في قولهم: «القتل انفى للقتل» وزيادة معان حسنة منها ابانة العدل لذكره القصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة ومنها، الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله تعالى به.

وأما الايجاز في العبارة، فإن الذي هو نظير «القتل انفى للقتل» قوله: **﴿القصاص حياة﴾** والأول اربعة عشر حرفاً والثاني عشرة أحرف.

واما بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة، فإن في قولهم: «القتل انفى للقتل» تكريراً غيره ابلغ منه، ومتى كان التكرير كذلك، فهو مقصر في باب البلاغة عن اعلى طبقة.

ثم يتابع الرماني حديثه مستشهداً على دقة المعاني القرآنية، ومدى اعجازها البلاغي الذي يبرزه الايجاز متناولاً هذا الايجاز من جميع زواياه، هذا عن الباب الأول.

بيد ان هذا الباب وان كان عميقاً الا انه لا يبين حقيقة مفهوم الرماني للإعجاز القرآني، وانما يظهر هذا المفهوم واضحاً في الأبواب التالية، ويكفي ان نقف عند بابين اثنين من هذه الأبواب، لنتعرف مفهوم الرماني ومنهجه في ابراز أسرار هذا الاعجاز ولنتفهم مدى عمقه في الفهم ودقة إحساسه بالمعاني القرآنية وسر بلاغتها.

فلنقف اولاً عند باب الاستعارة: وهو كعادته حين يقف عند اي باب يبدأ بالتعريف وتحديد العناصر والخصائص.

فالاستعارة كما عرفها الرماني: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة على جهة النقل للابانة. **ويفرق بين الاستعارة والتشبيه بدقة وعمق قائلاً:** «والفرق بين الاستعارة والتشبيه ان –ما كان من التشبيه– بأداة التشبيه في الكلام، فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في اصل اللغة.

ويتناول الرماني الخصائص الفنية للاستعارة، كمقدمة لدراسة هذا الفن القولي في القرآن، فيقول: «وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، الا انه بنقل الكلمة بأداته الدالة عليه في اللغة، وكل استعارة حسنة فهي

توجب بلاغة بيان لا تنوب منا به الحقيقة.

وذلك انه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي اصل الدلالة على المعنى في اللغة.

فإذا انتهى من هذا الجانب التعريفي النظري، انتقل الى الجانب التطبيقي الاستدلالي، مستشهداً بما جاء في القرآن الكريم من الاستعارة على جهة البلاغة.

فلنستمع الى قوله في تحليل بعض الآيات الكريمة: يقول الله عز وجل: **﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾**[٦].

يقول الرماني: حقيقة **﴿قدمنا﴾** هنا: عمدنا، وقدمنا أبلغ منه، لأنه يدل على انه عاملهم معاملة القادم من سفر لأنه من اجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العدل، لأن العمد الى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ.

وأما **﴿هباءً منثوراً﴾** فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه حاسة.

وقال عز وجل: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾**[٧]، يقول: حقيقته فبلغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير، فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الايصال، الا ان الايصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ.

وقال عز وجل: **﴿بريح صرصر عاتية﴾**[٨] حقيقته «شديدة» والعتو أبلغ منه لأن العتو شدة فيها تمرد.

وقال عز وجل: **﴿سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ﴾**[٩]، يقول الرماني: شهيقاً حقيقته صوتاً فظيعاً كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه وأوجز والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت.. **﴿تميز من الغيظ﴾** حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد، والاستعارة ابلغ منه، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك ما يدعو اليه من شدة الانتقام، فقد اجتمع شدة في النفس تدعو الى شدة انتقام في الفعل، وفي ذاك اعظم الزجر واكبر الوعظ، وأول دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة.

ويقول الله تعالى: **﴿اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾**[١٠] اي تستقبلهم للايقاع بهم استقبال مغتاظ يزفر غيظاً عليهم، وقال تعالى: **﴿ولما سكت عن**

موسى الغضب﴾[١١]، وحقيقته انتفاء الغضب، والاستعارة أبلغ، لأنه انتفى انتفاء مُراصد بالعودة فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توجبه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الامساك عما يكره.

وقال تعالى: **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾**[١٢]، ذرني هنا مستعار، وحقيقته: ذر عقابي ومن خلقت وحيداً بترك مسألتي فيه، الا انه اخرج لتفخيم الوعيد مخرج ذرني وإياه لأنه أبلغ، وان كان الله تعالى لا يجوز عليه المنع، وانما صار أبلغ لأنه لا منزلة من العقاب الا وما يقدر الله تعالى عليه منها أعظم، وهذا اعظم ما يكون من الزجر.

اما الباب الثاني الذي سنطرقه في هذا المقال، فهو باب الفواصل، والفواصل في نظر الرماني، حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن افهام المعنى وهي في رأيه من دلائل الاعجاز القرآني.

والرماني يرى ان هناك فرقاً كبيراً بين هذه الفواصل القرآنية والاسجاع، فإذا كانت الفواصل بلاغة، فإن الاسجاع عيب، وذلك ان الفواصل تابعة لها، وهذا قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، اذ كان الغرض الذي هو حكمه، إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة اليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة اليه فهو البلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب، ولُكَنة: لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة ومثله مثل من نظم قلادة در ثم ألبسها كلباً، وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم.

ويقدم لنا الرماني لذلك مثلاً فيما يحكى عن بعض الكهان: «والأرض والسماء، والغراب الواقعة بنقعاء لقد نفر المجد الى العشراء» ومنه ما يحكى عن مسيلمة الكذاب: «يا ضفدع نقي كم تنقين.. لا الماء تكدرين ولا النهر تفارقين» ثم يقول: «فهذا اغث كلام يكون واسخفه وهو تكلف المعاني من اجله، وجعلها تابعة له من غير ان يبالي المتكلم بها ما كانت».

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق الى إفهام المعاني التي يحتاج اليها في أحسن صورة يدل بها عليها، ويرى الرماني ان فواصل القرآن الكريم على وجهين، احدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة.

فمن أمثلة الحروف المتجانسة، قوله تعالى: **﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ❖ الا تذكرة لمن يخشى﴾**.. الآيات، وقوله عز وجل: **﴿والطور ❖ وكتاب مسطور﴾**..

الآيات.

اما الحروف المتقاربة، فمن أمثلتها تقارب الميم من النون في قوله تعالى: **﴿الرحمن الرحيم ❖ مالك يوم الدين﴾** وقارب الدال مع الباء نحو قوله تعالى: **﴿ق والقرآن المجيد﴾**، ثم قال: **﴿هذا شيء عجيب﴾**.

وانما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة.

ويفرق الرماني بين موسيقى العبارة الحاصلة في هذه الحالة وبين القوافي فيقول: ان القوافي لا تحتمل ذلك ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وانما حسن الكلام فيها أقامه الوزن ومجانسة القوافي، فلو بطل احد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج، وبطل ذلك الحسن الذي له في الاسجاع، ونقصت رتبته في الافهام، والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وابداؤها في الآي بالنظائر.

هذا هو مفهوم الرماني للاعجاز البلاغي للقرآن، كما عرضه في رسالته، ولا

الهوامش:

١- انظر ثبت مؤلفاته، معجم الأدباء لياقوت ٧٣/١٤ .

٢- البقرة: ١٧٩ .

٣- المنافقون: ١ .

٤- النجم: ٢٣ .

٥- فاطر: ٤٣ .

٦- الفرقان: ٢٣ .

٧- الحاقة: ٦ .

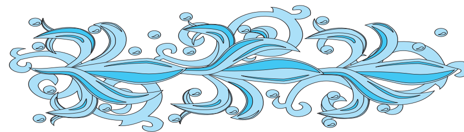
٨- الحجر: ٩٤ .

٩- الملك: ٨ .

١٠- الفرقان: ١٢ .

١١- المدثر: ١١ .

١٢- الأعراف: ١٥٢ .



سورة الكوثر
تحقيق القول في زمان ومكان نزولها
دراسة حديثية نقدية

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

❖ المقدمة:

يتناول هذا البحث تاريخ نزول سورة الكوثر، وما اعتراه من اختلاف العلماء في مكيتها ومدنيتها، لما ينبني عليه من تفسير لآياتها.

وقد عرض البحث لأدلة الفريقين وحجج القبيلين ووازن بينهما، ثم توصل الى تحقيق القول بمدنيتها اعتمادا على صحة النقل، وحجة العقل.

فقد اختلفت أنظار العلماء في نزول سورة الكوثر، وتباينت أقوالهم، قال الأكثرون: انها مكية، وقال آخرون: انها مدنية، وبعد النظر في أدلة الفريقين، وحجج القبيلين من نصوص حديثية وأقوال لأهل العلم، رأيت انها بحاجة الى تمحيص وتحقيق، لبيان القول الراجح في نزول هذه السورة الفذة.

ولذلك ارتأيت إفرادها بهذا البحث لمعرفة زمان ومكان نزولها، لما ينبني عليه من تفسير وبيان لمضامين آياتها الثلاث، لما بين نزول السورة وتفسيرها من وشائج وصلات.

وجاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية دراسة الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول: تاريخ نزول الآيات والسور، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معرفة المكي والمدني.

المطلب الثاني: ترتيب نزول الآيات والسور.

المبحث الثاني: القائلون بمكية سورة الكوثر وأدلتهم.

المبحث الثالث: القائلون بمدنية سورة الكوثر.

المبحث الرابع: المناقشة والترجيح، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مناقشة أدلة القائلين بمكية سورة الكوثر.

المطلب الثاني: مناقشة أدلة القائلين بمدنية سورة الكوثر.

المطلب الثالث: الترجيح.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث.

❖ المبحث الأول:

تاريخ نزول الآيات والسور، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: معرفة المكي والمدني:

عني العلماء بمعرفة المكي والمدني، وبذلوا جهودا مشكورة في تتبع نزول الآيات والسور حسب الأمكنة والأزمنة على الرغم من صعوبة هذا الأمر، قال القاضي ابن العربي: "ومعرفة المكي من المدني أمر عسير لم تبلغ اليه معرفة العلماء على التحقيق، ولا ثبت فيه النقل على الصحيح، وانما أراد الله ان يكون كذلك على سبيل الاحتمال حتى تختلف بالمجتهدين الأحوال"(١).

وهو ما يقول به الاستاذ الدكتور ابراهيم خليفة في تفسير سورة النساء "أقول: أقصى ما يمكن للباحث البالغ الدقة والتحري بالنسبة لأغلب السور، هو مجرد العلم بالزمان العام لنزولها، أعني كون هذا النزول قد كان قبل الهجرة أو بعدها، وهو ما اختاره المحققون من علماء القرآن تحديدا لمصطلح المكي والمدني، فأما معرفة المكان العام أو الزمان والمكان الخاصين للنزول، فدون ذلك بالنسبة لأغلب سور القرآن ان تبلغ الأسباب أسباب السموات..»(٢).

واذا كان ذلك كذلك فانه لا يصح الجزم بزمان ومكان نزول سورة، لانشغال الصحابة الكرام رضي الله عنهم، عن هذا الأمر بحفظ القرآن والدعوة الى الاسلام في الأمصار، وعدم روايتهم لما شاهدوه من التنزيل زمانا ومكانا.

أجل، لقد كان الدكتور خليفة دقيق العبارة اذ قال: "اغلب السور" وهو ما يتفق ودقة البحث العلمي الرصين، فسورة الأنفال نزلت في بدر مكانا، وفي السنة التي وقعت بها معركة بدر زمانا، وسورة الفتح نزلت في الحديبية.. وهكذا لكن لا نجد لكل سورة ما نجده في سورة الأنفال والفتح وغيرهما.

هذا وان سورة الكوثر من السور التي

اختلفت فيها أنظار المفسرين، جمهورهم يرون انها مكية، وآخرون يجزمون بأنها مدنية، واننا "لا نجد سورة من سور القرآن الكريم اختلفت أقوالهم فيها، كاختلافهم في هذه السورة"[٣] انني لأطمح أن اقف على تاريخ نزول هذه السورة زمانا ومكانا بعد النظر في الروايات ونقدها سندا ومتنا، لتحقيق القول في مكيتها أو مدنيتها، وهو ما قام البحث لبيانه.

المطلب الثاني: ترتيب نزول الآيات والسور.

عرض أهل العلم من المفسرين والمحدثين لموضوع ترتيب نزول الآيات والسور في مصنفاتهم، قال الاستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز في بيان ذلك: "لكل آية ترتيبان: الأول: بمقتضى التسلسل الزمني على أساس تاريخ نزولها، والثاني: ترتيبها كما تظهر في كيان الكتاب، وقد ظل هذان الترتيبان مرعيين بدقة لكل آية، وكل سورة، والكتاب بأجمعه طيلة مدة التنزيل، وفي ترتيب التسلسل الزمني كان كل تنزيل يطابق حاجة الساعة، ويرتبط مع سابقه ولاحقه في التعليم والتشريع بشكل تدريجي، وعلى سبيل المثال فهذا هو المنهج الأساسي للمراحل المتوالية، فهو يبدأ بالأمر البسيط **﴿اقرأ﴾** ثم يتدرج الى تكليف الرسول ﷺ **﴿قم فأنذر﴾**[٤].

والحق أن ترتيب نزول الآيات والسور يعد عضلة، لتعذر الجزم بصحة هذا التسلسل نظرا لاختلاف الروايات وتعارضها في ترتيب النزول فضلا عن ضعفها وشذوذها سندا ومتنا.

ومن تأمل كلام الحافظ ابن حجر الذي صدره بـ (قد) الدالة على تحقيق ضبط النقلة لترتيب نزول السور دون الآيات يعتريه العجب، فقد قال رحمه الله تعالى: "وقد ضبط النقلة ترتيب السور، ولم يضبطوا من ترتيب نزول الآيات الا قليلا"[٥].

قلت: كلام الحافظ في عدم ضبط ترتيب نزول الآيات صحيح، اما كلامه في ضبط النقلة ترتيب نزول السور فلا يسلم له لسببين اثنين:

أولهما: انه لم يرد ترتيب نزول جميع السور القرآنية حسب تسلسها الزمني في الصحيح.

وثانيهما: ان الحافظ رحمه الله تعالى، قد اعترض على رواية ابن الضريس في ترتيب نزول السور المدنية التي لم تذكر سورة الكوثر، فقال: "وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث انس ان سورة الكوثر مدنية فهو المعتمد"[٦]، وهذا الاستدلال من الحافظ ابن حجر يبطل قوله: "وقد ضبط النقلة ترتيب نزول السور" لأن ابن الضريس

وهو كغيره من رواة أسانيد ترتيب نزول السور لم يضبط التسلسل الصحيح للنزول لحديث أنس في صحيح مسلم رحمه الله تعالى، وهو ما أذكره في المبحث الثالث ان شاء الله تعالى.

وللأستاذ الدكتور ابراهيم خليفة كلام علمي رصين في عرض هذا الموضوع ومناقشة الأقوال فيه قال في تفسير سورة النساء ".. انك ترى النص في مصاحفنا على ان سورتنا هذه -يعني النساء- قد نزلت بعد الممتحنة، وأقول: من العجيب ان يساق الحديث عن ترتيب النزول بمثل هذا المساق المسلم هكذا في المصاحف حتى لكأنه قضية مفروغ منها ثبتت بأوثق الأدلة وانصع البراهين عن الشارع نفسه، مع أن واقع الأمر أن هذا الترتيب لم يأت فيه شيء يعول عليه عن واحد من الصحابة فحسب فضلا عما فوق الواحد".

ثم يقول الدكتور خليفة: "دع عنك ان يكون قد ثبت فيه شيء عن المعصوم ﷺ حتى يعطى كل هذا القدر من التسليم، بل قصارى ما جاء فيه: إما آثار ليس من مفادها مثل هذا الترتيب أصلا، لكون السور قد جاءت فيها متعاطفة بواو العطف التي هي موضوعة في العربية لمطلق الجمع، وليس من مفادها البتة المعية ولا الترتيب لا متعاقبا ولا متراخيا..»(٧).

وبعد ان سرد الدكتور خليفة الروايات الكثيرة في ترتيب نزول السور المكية والمدنية، كرد على هذه الروايات والأقوال ناقدا ومفندا تحت عنوان "ماذا نلاحظ على هذه الاثار وما بني عليها"، ثم ختم المناقشة والتمحيص بقوله: "وبالجملة فإن ترتيب السور من حيث النزول هو أمر معاكس لمنطق الواقع والمعقول والمنقول جميعا لسبب يسير جدا هو أنه غير كائن ولا يمكن ان يكون اصلا"(٨).

هذا ما يتعلق بترتيب نزول السور.. اما تاريخ نزول الآيات وترتيبها فأمره أصعب واشق على الرغم من أهميته، قال الاستاذ عرجون: "وتاريخ آيات القرآن علم عظيم جدا في بيان هداية القرآن، ولكنه قليل الوجود، وقليلة العناية به"(٩) لدقة مسلكه، ووعورة تسلقه، ولذلك عز بين العلوم وندر التخصص فيه، ذلكم ما يتعلق بتاريخ نزول السور والآيات حسب التسلسل الزمني.

اما ترتيب الآيات في سورها، والسور في كيان الكتاب فأمر توقيفي لا اجتهاد فيه، وهو ما يعبر عنه بالترتيب المصحفي بدءا من فاتحة الكتاب حتى سورة الناس.

واذا أمعن الباحث نظره في سورة الكوثر التي تأتي في الترتيب المصحفي بعد الماعون، أدرك الاعجاز الكامن في ارتباط

السورتين من حيث الترتيب في كيان الكتاب.

اما ترتيب نزولها فأمر عسير لأننا بحاجة الى معرفة زمن نزولها على التحقيق أولا لكثرة ما قيل فيه من أقاويل، واذا تحقق القول الفصل الذي يعضده الدليل بمكيتها أو مدنيتها -وهو ما يقوم هذا البحث بدراسته- أضحى البحث عن ترتيب نزولها في ضوء هذا الترجيح متعينا، وهو ما سيظهر ان شاء الله تعالى بعد عرض الأقوال وأدلتها ثم المناقشة والترجيح.

❖ المبحث الثاني:

القائلون بمكية سورة الكوثر:

القول بمكية سورة الكوثر هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما: وبه قال الكلبي[١٠]، والسدي[١١] ومقاتل[١٢]، وغيرهم، قال البيهقي: "والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازي ان هذه السورة مكية[١٣]، وهو قول ابن اسحاق، واكثر المفسرين"[١٤] واليه ذهب الجمهور، قال أبو حيان: "هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور"[١٥] منهم الإمام الطبري[١٦] وابن الضريس[١٧] والواحدي[١٨] والزركشي[١٩] والسيوطي في لباب النقول[٢٠] ورشيد رضا[٢١] وغيرهم[٢٢].

روى ابن الضريس بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كانت اذا انزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما أنزل من القرآن **﴿اقرأ باسم ربك﴾** ثم **﴿ن﴾** ثم **﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾** ثم **﴿اذا الشمس كورت﴾** ثم **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** ثم **﴿والليل اذا يغشى﴾** ثم **﴿والفجر﴾** ثم **﴿والضحى﴾** ثم **﴿الم نشرح﴾** ثم **﴿والعصر﴾** ثم **﴿والعاديات﴾** ثم **﴿انا اعطيناك الكوثر﴾**..[٢٣].

هذه الرواية احدى الروايات التي جاءت في تاريخ نزول السور القرآنية، وهناك روايات كثيرة رويت في سبب نزول سورة الكوثر، أو لبيان الشانىء المذكور في قوله تعالى: **﴿ان شانئك هو الابتر﴾** اذكر بعضها تاليا كونها معتمد القائلين بمكية السورة الكريمة:

١- أخرج الطستي عن ابن عباس ان نافع بن الأزرق قال له: اخبرني عن قوله تعالى: **﴿انا اعطيناك الكوثر﴾** قال: نهر في بطنان الجنة حافتاه قباب الدر والياقوت فيه أزواجه وخدمه، قال: وبأي شيء ذكر ذلك؟ قال: ان رسول الله ﷺ دخل من باب الصفا وخرج من باب المروة فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص الى قريش، فقالت له قريش: من استقبلك يا أبا عمرو آنفا؟ قال: ذلك الابتر، يريد به النبي

ﷺ، حتى أنزل الله هذه السورة ﴿انا اعطيناك الكوثر ❖ فصل لربك وانحر ❖ ان شانئك هو الابتر﴾.

يعني عدوك العاص بن وائل هو الأبتر من كل خير لا أذكر في مكان الا ذكرك معي يا محمد، من ذكرني ولم يذكرك ليس له في الجنة نصيب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

وحباه الاله بالكوثر الأكبر

فيه النعيم والخيرات[٢٤]

٢- أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول ﷺ القاسم ثم زينب، ثم عبدالله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية، فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة، ثم مات عبدالله، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر، فأنزل الله ﴿ان شانئك هو الابتر﴾[٢٥].

٣- وروى ابن هشام عن ابن اسحاق قال: وكان العاص بن وائل السهمي -فيما بلغني- اذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه، فانما هو رجل أبتر، لا عقب له، لو مات لانقطع ذكره، واسترحتم منه، فأنزل الله في ذلك ﴿انا اعطيناك الكوثر﴾ ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، والكوثر: العظيم؟[٢٦] قال الامام السهيلي في شرحه الروض الأنف: ".. وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوثر على قول ابن اسحاق، وأكثر المفسرين، وقيل: ان ابا جهل هو الذي قال ذلك..»[٢٧].

٤- وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: لما توفي القاسم ابن رسول الله ﷺ بمكة مر رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته، على العاص بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله ﷺ: اني لأشنئوه، فقال العاص بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتر، فأنزل الله ﴿ان شانئك هو الأبتر﴾[٢٨].

٥- واخرج ابن ابي حاتم عن السدي، قال: كانت قريش تقول: اذا مات ذكور الرجل بتر فلان، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر، والابتر الفرد[٢٩].

٦- وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله سبحانه: ﴿ان شانئك هو الابتر﴾ قال: هو العاص بن وائل[٣٠].

وقد أخرج الطبري خمسة أسانيد عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، تقول: ان القائل: هو العاص بن وائل، ثم ختم أسانيده التي حددت القائل بأنه العاص بن وائل[٣١] ليروي بسنده عن ابن زيد قال في قوله تعالى: ﴿ان شانئك هو الابتر﴾ قال: الرجل يقول: انما محمد أبتر، ليس له كما ترون عقب، قال الله تعالى: ﴿ان شانئك هو

الأبتر﴾[٣٢] وهذه الرواية -كما ترى- جاءت مطلقة، وكأن الإمام رحمه الله رواها في ختام الروايات التي تحدثت عن العاص بن وائل ليحدد من اطلاق اسم الرجل انه العاص بن وائل.

٧- وأخرج البيهقي في الدلائل عن محمد بن علي قال: كان القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة، فلما قبضه الله قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله **﴿انا أعطيناك الكوثر﴾** عوضا يا محمد عن مصيبتك بالقاسم **﴿فصل لربك وانحر ❖ ان شانئك هو الأبتر﴾** قال البيهقي: هكذا روي بهذا الاسناد وهو ضعيف والمشهور أنها نزلت في العاص بن وائل[٣٣].

تلكم الروايات عينت القائل بأن العاص ابن وائل السهمي، وقال آخرون: القائل: عقبة بن أبي معيط.

٨- أخرج الطبري بسنده عن شمر بن عطية: قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: انه لايبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات **﴿ان شانئك﴾** عقبة بن أبي معيط **﴿هو الأبتر﴾**[٣٤].

٩- وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن شمر ابن عطية بن ابراهيم قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ولد وهو أبتر فأنزل الله فيه **﴿ان شانئك هو الأبتر﴾**[٣٥]. وقيل: نزلت في أبي جهل.

١٠- أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قوله تعالى: **﴿ان شانئك هو الأبتر﴾** قال: "أبو جهل"[٣٦]. وقيل: نزلت الآية في كعب بن الأشرف.

١١- أخرج الطبري بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكه أتوه، فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة، وانت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ قال : بل أنتم خير منه، فنزلت عليه **﴿ان شانئك هو الأبتر﴾** قال: وأنزلت علي **﴿الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ...﴾** الى قوله: **﴿نصيرا﴾**[٣٧][٣٨] قال الامام الطبري في ختام عرض الأسانيد في تعيين الشانئ المذكور ونزول الآية، قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: ان الله تعالى ذكره أخبر ان مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من بغضه الناس، وان كانت الآية نزلت في شخص بعينه"[٣٩].

١٢- وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي أيوب قال: لما مات ابراهيم ابن

رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا: ان هذا الصابىء قد بتر الليلة فأنزل الله تعالى **﴿انا اعطيناك الكوثر﴾** الى آخر السورة، وقال: رواه الطبراني في حديث طويل فرقته في مواضعه، وفيه واصل بن السائب وهو متروك"[٤٠].

تلكم أشهر الروايات التي دعت المفسرين وأصحاب المغازي والسير ليحكموا على السورة بأنها مكية وهو ما حدا بالامام الحافظ البيهقي ليقول: "والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازي أن هذه السورة مكية"[٤١].

وقد انبرى أحد المعاصرين من أصحاب العلم بالحديث ورجاله والتفسير وأصوله وهو الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا ليقرر في تفسير سورة الكوثر أنها سورة مكية قال رحمه تعالى: "من المعلوم القطعي في القرآن ان كبراء قريش في مكة كانوا يعيرون النبي ﷺ بفقره وضعفه، ويتربصون به ريب المنون لانتهاء أمره، وانقطاع ذكره، وورد في الروايات عن أشدهم شنآنا له كالعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب أنهم كانوا يشمتون بموت أولاده الذكور، ويقولون: بقي (أبتر) أي انقطع عقبه فلم يبق له من يذكر به، فنزلت هذه السورة المعجزة بإيجازها واعجازها مبطلة لباطلهم، ثم جاء الزمان مصدقا لها ومكذبا لهم"[٤٢].

اقول: وقد يحتج بعض القائلين بمكية السورة بحديث أنس رضي الله عنه في صحيح البخاري في الاسراء والمعراج، قال: "لما عرج بالنبي ﷺ الى السماء، قال: "أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر"[٤٣] لأن رحلة الاسراء والمعراج كانت قبل الهجرة، وهو استدلال في غير موضعه كما سأبينه ان شاء الله تعالى في مبحث المناقشة والترجيح.

هذا ما أمكن جمعه من الروايات في مكية سورة الكوثر، ارتأيت ايرادها في هذا المبحث لأن جمهور العلماء، وأكثر المفسرين والمحدثين يستدلون بها على نزول سورة الكوثر في مكة قبل الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

❖ المبحث الثالث:

القائلون بمدنية سورة الكوثر:

القول بمدنية سورة الكوثر ذهب اليه من السلف "الحسن وعكرمة وقتادة فيما قال ابن الجوزي في زاد المسير[٤٤] وأبو حيان في البحر المحيط[٤٥] وجزم الإمام النووي بمدنية السورة، فقد سئل رحمه الله تعالى في الفتاوى عن السورة، هل نزلت سورة **﴿انا اعطيناك الكوثر﴾** بمكة أو بالمدينة؟

فأجاب: نزلت بالمدينة، ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ يوما بين أظهرنا اذ غفا اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، قال ﷺ: نزلت علي آنفا سورة: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم ❖ انا اعطيناك الكوثر ❖ فصل لربك وانحر ❖ ان شانئك هو الأبتر﴾** ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: انه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير وهو حوض ترده أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم" هذا اللفظ رواه مسلم، وفي رواية له (بين أظهرنا في المسجد) وقد أجمع المسلمون على أن انسا لم يصحب النبي ﷺ قبل الهجرة الى المدينة"[٤٦].

ومن العلماء الذين قالوا بمدنية سورة الكوثر الامام المفسر المحدث ابن كثير، قال في تفسير سورة الكوثر: "مدنية وقيل: مكية" ثم أخرج بسنده حديث انس، ثم قال رحمه الله تعالى: "واستدل بهذا الحديث - أي حديث أنس- كثير من القراء ان السورة مدنية، كما استدل به كثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها"[٤٧].

ولا أدري لم أسقط الشيخ محمد علي الصابوني مدنية السورة في مختصره[٤٨] واكتفى بالقول: "سورة الكوثر مكية" مخالفا بذلك صاحب التفسير الامام ابن كثير الذي ذكر القول بمكية السورة بصيغة التمريض (قيل) وجزم بمدنيتها.

واما خاتمة الحفاظ الحافظ ابن حجر العسقلاني فاعتمد القول بمدنية سورة الكوثر، قال في فتح الباري: "أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن من طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس ان الذي نزل بالمدينة: البقرة ثم الانفال ثم الاحزاب.. الى ان ختمها بسورة براءة"[٤٩] ولم يذكر ابن الضريس سورة الكوثر، قال الحافظ: "وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس ان سورة الكوثر مدنية، فهو المعتمد"[٥٠] وللسيوطي قولان في تاريخ نزول سورة الكوثر، قال بمكية السورة في لباب النقول في أسباب النزول متابعة للجمهور[٥١] وقال بمدنية السورة في الاتقان، قال رحمه الله تعالى: "سورة الكوثر: الصواب أنها مدنية ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه" والصحيح أن الامام النووي رحمه الله تعالى لم يعرض لمدنية السورة في شرح صحيح مسلم، وانما جزم بمدنية السورة، ورجح القول به في الفتاوى[٥٢] وهو ما ينبغي التنبه اليه، وتنبيه الناقلين عن السيوطي أيضا.

ومن المفسرين المعاصرين الذين

رجحوا مدنية السورة العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير قال رحمه الله تعالى: "والأظهر ان هذه السورة مدنية وعلى هذا سنعتمد في تفسير آياتها"[٥٣] وقال محمد ابن يوسف أطفيش في تيسير التفسير: "والسورة مدنية عند الجمهور وهو الصحيح، قال أنس: أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة.." الحديث، وقيل: نزلت بمكة، وقيل: ونزلت أيضا بالمدينة"[٥٤] والظاهر أن الشيخ أطفيش وقع في وهم عندما قال: "السورة مدنية عند الجمهور" فإن الجمهور يقولون بمكية السورة كما تقدم آنفا.

ومن العلماء المعاصرين الذين كانوا مع الجمهور، ويقول بمكية السورة، ثم ترجح القول بمدنيتها ودافع عنه الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس، قال في اتقان البرهان: "سورة الكوثر: اختلف فيها ويترجح لدي مكيتها، والله اعلم، وبعد مراجعتي لما كتبت، والمقارنة بين الروايات، والموازنة التي تقوم على الدرس والاستنتاج، صار الراجح مرجوحا.."[٥٥].

ومن تأمل أقوال العلماء الذين قالوا بمدنية السورة أدرك ان حديث أنس رضي الله عنه في صحيح مسلم مستندهم في الحكم على السورة.

ويرى بعض العلماء أن السورة مدنية نزلت يوم الحديبية واستدلوا بروايات وآثار في نزول ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال الامام الطبري: "وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية يوم الحديبية، حين حصر النبي ﷺ وأصحابه، وصدوا عن البيت، فأمره الله أن يصلي، وينحر البدن، وينصرف ففعل، ذكر من قال ذلك: ثم أخرج بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال: كانت هذه الآية، يعني قوله سبحانه: ﴿فصل لربك وانحر﴾ يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله فخطب الفطر أو النحر، ثم ركع ركعتين ثم انصرف الى البدن فنحرها، فذلك حين يقول: ﴿فصل لربك وانحر﴾[٥٦].

وهذه الرواية حفل بها الدكتور محمد عناية الله في كتابه امعان النظر في نظام الآي والسور وقال عقب ايرادها: "مفادها ان قريشا صدوا النبي ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام، ولم يسمحوا لهم بالحج او العمرة عام الحديبية، فجاءتهم البشرى والسلوى ﴿انا اعطيناك الكوثر﴾ ولتدخلنه على رغم أنوفهم، فلا تأس على ما فعلوا، وصل الصلاة، وانحر البدن، وأعلم أنهم أرادوا أن يقطعوك عن الكعبة وبركاتها ولكنهم سوف يرون أنهم هم المقطوعون عنها وليس لهم منها حظ ولا نصيب، ولا حبل ولا بعير.."[٥٧].

وأما خاتمة المحققين، علامة الرافدين الألوسي فنقل في تفسير سورة الكوثر، قولي النووي والسيوطي، ولم يجزم رحمه الله بمكية أو مدنية السورة(٥٨).

وقال الشهاب الخفاجي في حاشية البيضاوي: "..الصواب أنها مدنية (أقول): لبعضهم هنا تأليف صحح فيه أنها نزلت مرتين وحينئذ فلا اشكال"(٥٩).

وخلاصة القول: إن نزول سورة الكوثر فيه ثلاثة أقوال:

- **الأول: نزلت قبل الهجرة.**
- **الثاني: نزلت بعد الهجرة.**
- **الثالث: نزلت مرتين.**

وسيظهر الراجح من هذه الأقوال في مبحث المناقشة والترجيح في الحلقة

الهوامش:

١- أحكام القرآن لابن العربي ٩/٢ .

٢- تفسير سورة النساء، أ.د. ابراهيم خليفة ص ٤١ .

٣- اتقان البرهان، أ.د. فضل حسن عباس ٤٠١/١ .

٤- أنظر : دراسات اسلامية، أ.د. محمد عبدالله دراز ص ١٦ .

٥- فتح الباري للحافظ ابن حجر ٨/٩ .

٦- المرجع السابق ٥١/٩ .

٧- تفسير سورة النساء، أ.د. ابراهيم خليفة ص ٤٧ وما بعدها .

٨- أنظر: المرجع السابق ص ٤٨-٨١ .

٩- القرآن العظيم هدايته واعجازه، محمد صادق عرجون ص ١٥٢ .

١٠-١١- الدر المنثور للسيوطي ٦٥٢/٨ .

١٢- تفسير مقاتل ٨٨٠/٤ .

١٣- الدر المنثور للسيوطي ٦٤٧/٨ .

١٤- الروض الأنف للسهيلي ١٨١/٢ .

١٥- البحر المحيط لأبي حيان ٥٢٠/٨ .

١٦- تفسير الطبري ٤١٤/٣٠ .

١٧- فضائل القرآن لابن الضريس ص ٣٣-٣٤ .

١٨- أسباب النزول للواحدي ص ٤٦٦ (ط الريان).

١٩- البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٩٣/١ .

٢٠- لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص ٢٥٧-٢٥٨ .

٢١- تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن، رشيد رضا ص ٨٩ .

٢٢- أنظر: تفسير الكشاف للزمخشري ٨٠٦/٤، وتفسير الرازي ١١٠/٣٢، تفسير أبي السعود ٤٧٧/٦ وغيرهم.

٢٣- فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣-٣٤، والاتقان للسيوطي ٣١/١ .

٢٤- الدر المنثور ٦٤٦/٨-٦٤٧ .

٢٥- المصدر السابق ٦٥٥/٨ .

٢٦- سيرة ابن هشام ١٨١/٢ .

٢٧- الروض الأنف للسهيلي ١٨١/٢ .

٢٨- الدر المنثور ٦٥٣/٨ .

٢٩- تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٧١/١٠ .

٣٠- تفسير الطبري ٤٢٦/٣٠ .

٣١-٣٢- المصدر السابق ٤٢٦/٣٠-٤٢٧ .

٣٣- الدر المنثور ٣٥٢/٥ .

٣٤- تفسير الطبري ٤٢٧/٣٠ .

٣٥-٣٦- تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٧١/١٠ .

٣٧- النساء: ٥١-٥٢ .

٣٨-٣٩- تفسير الطبري ٤٢٨/٣٠ .

٤٠- مجمع الزوائد للهيثمي ١٤٣/٧ .

٤١- الدر المنثور ٦٤٧/٨ .

٤٢- تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن، رشيد رضا ص٨٩ .

٤٣- صحيح البخاري (متن الفتح) حديث رقم ٤٩٦٤- ٩٣٤/٨ .

٤٤- زاد المسير لابن الجوزي ٣٣١/٨ .

٤٥- البحر المحيط لأبي حيان ٥٢٠/٨ .

٤٦- فتاوى الامام النووي ص ٢٦٩-٢٧١ .

٤٧- تفسير ابن كثير ٥٥٦/٤ .

٤٨- مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٦٨٢/٣ .

٤٩- فتح الباري ٥١/٩، وانظر فضائل القرآن لابن الضريس ص ٣٥ .

٥٠- فتح الباري ٥١/٩ .

٥١- لباب النقول للسيوطي ص ٢٥٧-٢٥٨ .

٥٢- انظر: الاتقان للسيوطي ٤٢/١، وفتاوى الامام النووي ص ٢٦٩ .

٥٣- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٧٢/٣٠ .

٥٤- تيسير التفسير، اطفيش ٣٧١/١٥ .

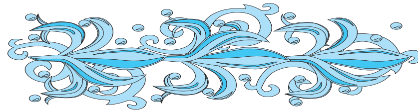
٥٥- تفسير الطبري ٤٢٤/٣٠-٤٢٥، الدر المنثور ٦٥١/٨ .

٥٦- اتقان البرهان أ. د. فضل حسن عباس ٤٠١/١ .

٥٧- امعان النظر / سبحاني ص ١٤٣-١٤٤ .

٥٨- روح المعاني للآلوسي م ١ ج ٣٠ ص ٣١٢ .

٥٩- حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٥٧٧/٩ .



٢

الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

دراسة في اختلاف آراء العلماء

■ بقلم الدكتور عماد علي سليم الخطيب

راجت في كتب النحاة فكرة عرض لها البغدادي في خزانة الأدب، مفادها أن تأخر تدوين الحديث النبوي الشريف قد أخر جواز الاستشهاد به؛ ذلك أن علماء العربية هم غير علماء الحديث النبوي، ثم إن دواوين الحديث لم تكن بعد مشتهرة في العهد الأول من التدوين، و لم يتناولها علماء العربية كما كانوا يتناولون القرآن الكريم.. فإذا سلمنا عدم استشهادهم بالحديث؛ فذلك لعدم انتشاره بينهم، لا لأنهم يمنعون الاستشهاد به.

إلى تلك الفكرة اطمأن سعيد الأفغاني في أصول النحو حيث قال: "وأغلب الظن أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية، لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم، ولما التفتوا قط إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزن بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة"[١].

وهذا رأي غير دقيق اعتمادا على ما تقدم من آراء في الحلقة السابقة، لاختلاف العلماء -بظن الباحث- فقد كان من علماء اللغة العربية رواة حديث مثل: أبي عمرو بن العلاء، عيسى بن عمر الثقفي، والنضر بن شميل المازني، والخليل بن أحمد، والقاسم ابن سلام، وعبد الملك الأصمعي، والرياشي، وقد شغل سيبويه بالحديث قبل دخوله مجال العربية، وقد تتلمذ على محدث كبير يعرف بحماد بن سلمة، ويقول النضر بن شميل المازني يوضح الحقيقة: "ما رأيت أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد".

فأين ادعاء الباحثين أن علماء العربية ما كانوا ليتناولوا دواوين الحديث لأنها لم

تكن مشتهرة كما كانوا يتناولون القرآن الكريم! إنه ادعاء باطل؛ فإن مدون الحديث الأول هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ)، وظهور الأئمة مبكرين: الإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ)، والإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ، والإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، وصنفوا في الحديث.. وصولا إلى الصحيحين للبخاري (١٩٤ - ٢٥٦)، ومسلم (٢٦١ هـ)، وهذا يدل على اعتماد أئمة اللغة الأولين على الحديث اعتمادا ملحوظا ليحكم بتداول تلك المصنفات الحديثية بينهم.. ومن أئمة اللغة الذين استشهدوا بالحديث النبوي ابن جني (٣٩٢ هـ)، وابن فارس (٣٩٥ هـ)، والجوهري (٣٩٨)، وابن سيدة (٤٥٨ هـ)، والسهيلي (٥٨١ هـ)، وابن بري (٥٨١هـ) وابن خروف (٦٠٩ هـ)[٢].. وسيلخص الباحث -قدر استطاعته- دور كل مَنْ لم يستشهد بالحديث -غير أبي حيان- محاولاً بسط السبب في ذلك من خلال ما يرد من أمثلة على تلك الممانعة.

فقد برز من أعلام المانعين من الاستشهاد به: ابن الضائع (ت ٦٨٠هـ)، وأبو حيان (ت ٧٥٤هـ)[٣]، أما ابن مالك، فقد أخذ مثلا قول الرسول ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار" شاهداً على لغة: "أكلوني البراغيث"، وهي اللغة التي تلحق الفعل ضمير تثنية أو جمع، إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا، وقد عرفت هذه اللغة بذلك الاسم؛ لأن سيبويه أول من مثل لها في كتابه، فاختار هذا المثال، فقال: "في قول من قال: أكلوني البراغيث"، كما قال: "ومن قال: أكلوني البراغيث، قلت: على حد قوله: مررت برجل أعورين أبواه"، وإن كان قد ضرب لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابه، فقال: "واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذه بالتاء، التي يظهرونها في: قالت فلانة، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة، كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة"[٤].

وجاء من علماء العصور المتأخرة، أمثال "الإمام الشاطبي" (ت ٧٩٠هـ) من قسّم الأحاديث إلى قسمين: قسم يظن أن العناية قد وجهت إلى ألفاظه لغرض خاص، كالأحاديث التي قصد بها تبيان فصاحته ﷺ، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية، وقسم يظن أن العناية وجهت فيه إلى المعنى، وقد رأى الشاطبي أنه لا يصح الاستشهاد به مطلقا[٥].

❖ رأي مع الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

ذكر مجمع اللغة العربية ما ملخصه: أنه

لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح في السنة النبوية المطهرة.. فما قبلها، وأنه يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي، إذا كانت من الأحاديث المتواترة المشهورة، والأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات، والأحاديث التي تعد من جوامع الكلم، وكتب النبي ﷺ، والأحاديث المروية لبيان أنه ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم، وتلك الأحاديث التي عرف من حال روايتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم ابن محمد ورجاء بن حيوه وابن سيرين، والأحاديث الأخرى التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء، وأخيرا تلك الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.

❖ نموذج من أهل الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف:

لعله من أشهر كتب الإمام بدر الدين العيني الشرعية، التي تناول فيها مسائل لغوية ونحوية وصرفية وبلاغية كتابه: (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)، وقد بدأه في سنة ٨٢٠هـ، وفرغ منه في سنة ٨٤٧هـ كما ذكر في آخر الكتاب، والكتاب مطبوع، ومن آخر طبعاته طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م وهو في عشرين جزءا، وكان اعتمادي عليه في هذا البحث.

والمادة اللغوية في الكتاب المذكور غنية، والمسائل التي تناولها ، والقضايا التي أثارها كثيرة يصعب جدا على باحث واحد أن يحصرها، ويكتفي الباحث -هنا- بذكر أمثلة للدلالة على ذلك:

المثال الأول: روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رسولَ اللهِ ﷺ لطعام صَنعتْهُ له، فأكل منه، ثم قال: قُومُوا فلأصليَ لكم، قال أنسٌ: فقُمْتُ إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بماء، فقامَ رسولُ الله ﷺ وَصَفَفْتُ واليَتيم وراءَهُ، والعَجُوزُ مِنْ ورائنا[٦]، قال العيني: ((قوله: فَلأُصليَ لكم))، فيه ستة أوجه من الإعراب:

الوجه الأول: (فَلأصليَ) بكسر اللام، وضم الهمزة، وفتح الياء، ووجهه أن اللام فيه لام (كي) والفعل بعدها منصوب بأن المقدرة، تقديره (فلأن أُصليَ).

الوجه الثاني: (فَلأُصلِّيْ) مثلها إلا أنها ساكنة الياء، ووجهه أن تسكين الياء المفتوحة للتخفيف وفي مثل هذا لغة مشهورة.

الوجه الثالث: (فَلأُصَلِّ) بحذف الياء، لكون اللام لام الأمر.

الوجه الرابع: (فأصلي) على صيغة الإخبار -عن نفسه- وهو خبر مبتدأ

محذوف، تقديره (فأنا أصلي)، والجملة جواب الأمر.

الوجه الخامس: (فَلْنُصَلِّ) بكسر اللام في الأصل، وبنون الجمع، ووجهه أن اللام لام الأمر، والفعل مجزوم بها، وعلامة الجزم سقوط الياء.

الوجه السادس: (فَلأصلي)، بفتح اللام، وروي هكذا في بعض الروايات، ووجهه أن تكون اللام لام الابتداء للتأكيد، أو تكون جواب قسم محذوف، والفاء جواب شرط محذوف، تقديره (وإن قمتم فوالله لأصليَّ لكم)، ثم قال قوله: «فصففتُ أنا واليتيمُ» هكذا رواية الأكثرين، وفي رواية المستملي والحموي «فصففت واليتيم» بغير لفظ (أنا)، وفي مثل هذا خلاف بين البصريين والكوفيين، فعند البصريين لا يعطف على الضمير المرفوع إلا بعد أن يؤكد بضمير منفصل.. وعند الكوفيين يجوز ذلك بدون التوكيد، والأول هو الأفصح.

وأما المثال الثاني: فقد روى البخاري أن الرسول ﷺ قال: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيوْمَ ولَدَتْهُ أمهُ»، قال العيني: قوله: «ولم يفسق» الفسق: العصيان والترك لأمر الله تعالى، والخروج عن طريق الحق، وقال القزاز: أصله انفسقت الرطبة إذا أخرجت من قشرها، فسمي بذلك الفاسق لخروجه من الخير وانسلاخه منه، وقالوا: الفسق في الدين اسم إسلامي، لم يُسْمَعْ في الجاهلية ولا يوجد في أشعارهم، قال ابن الأعرابي: «لم يُسْمَعْ قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق، وهذا عجيب، وهو كلام عربي».

وأما المثال الثالث: روى البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشةَ رضي اللهُ عنها: «يَا أُمَّتَاهُ ، هل رأى محمد ﷺ (ربَّه..) قال العيني: قوله: «يا أُمَّتَاهُ» بزيادة الألف والهاء، قال الخطابي: هم يقولون في النداء: يا أبه، يا أمه، إذا وقفوا، فإذا وصلوا قالوا: يا أَبَتِ، ويا أُمَّتِ، وإذا فتحوا للندبة قالوا: يا أبتاه، ويا أمتاه، والهاء: للوقف، وقال الكرماني: «هذا ليس من باب الندبة إذ ليس ذلك تفجعا عليهم، وقال بعضهم: أصله: يا أُمَّ، فأضيف إليها ألف الاستغاثة، فأبدلت تاء، وزيدت هاء السكت بعد الألف، قلت: -أي العيني- لم يقل أحد ممن يُؤْخَذ عنه: إن الألف للاستغاثة، وأين الاستغاثة ها هنا؟».

وفيما يتصل بتوجيه الحديث عن طريق ظاهرة التضمين فإنني أذكر هذين الشاهدين، فأما الأول: فقد روى البخاري أن الرسول ﷺ عندما أمر ببناء المسجد كان يقول: «اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة، فاغفرْ للأنصارِ والمُهَاجِرَة»[7]، قال العيني: قوله ﷺ: «فاغفر للأنصار» كذا في رواية

الأكثرين وفي رواية المستملي والحموي (فاغفر الأنصار) بحذف اللام، ووجهه أن يضمن (اغفر) معنى (استر).

وأما الشاهد الثاني: فهو قول العيني في شرح حديث الرسول ﷺ: «اللهمَ لا مانعَ لما أعطيْتَ، ولا مُعطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينفعُ ذَا الجَدِّ مِنْك الجَدُّ»: (ولا ينفعُ ذا الجد منك الجد) أي ولا ينفعُ ذا الحظِّ حَظُّهُ من الدنيا بذلك، أي بدل طاعتك، أو بدل حظك، أي بدل حظه منك، وقيل: ضُمِّنَ (ينفعُ) بمعنى (يمنع)، قال ابن دقيق العيد: قوله: (منك) يجب أن يتعلق بـ (ينفع)، وينبغي أن يكون (ينفع) قد ضمن معنى (يمنع) وما قاربه».

وإلى جانب احتجاج العيني بالحديث النبوي في المسائل النحوية، فإنه رحمه الله كان يحتج بحديث الرسول ﷺ في المسائل اللغوية، وللدلالة على ذلك يذكر الباحث مثلا: روى البخاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وراءه الصحابةُ ذاتَ يوم، فلمَّا رفعَ رأسَه من الركعة قال: «سمعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قال رجل وراءه: ربَّنا ولكَ الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: مَن المتكلمُ؟ قال: أنَا، قال الرسولُ ﷺ: «رأيتُ بضْعَةً وثلاثينَ مَلَكَاً يبتدرونها أيُّهُمْ يكتبها»(٨).

قال العَيني في شرح هذا الحديث: «البضع: هو ما بين الثلاث والتسع، وقال الجوهري: إذا جاوزت العشرة ذَهَب البضْع، لا تقولُ: بِضْعٌ وعشرون، قلتُ: الحديث يردُ عليه لأنه ﷺ أفصح الفصحاء، وقد تكلم به».

وقال شارحاً قول أنس بن مالك رضي الله عنه: «وحدثتني ابنتي أُمَينةُ أنه دُفِنَ لصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاج البصرةَ بِضْعٌ وعشرونَ ومئةٌ»، قال الجوهري: «تقول: بضع سنين، وبضعة عشر رجلا، فإذا جاوزت لفظ العشر لا تقول: بِضْعٌ وعشرون، قلتُ: -أي العيني- الذي جاء في الحديث يرد عليه، وهو سهوٌ منه، وكيف لا، وأنسٌ من فصحاء العرب».

❖ رأي مخالف يرفض الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

ربما أجمع علماء اللغة على فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته وعلو كعبه في البيان العربي؛ ولهذا كان من المفروض أن يكون حديثه ﷺ المصدر الثاني من مصادر الدرس اللغوي بعد القرآن الكريم؛ يقول سعيد الأفغاني: "وقد كان من المنهج الحق بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب؛ إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبلغ من الكلام النبوي، ولا أروع تأثيراً، ولا أفعل في النفس، ولا أصح

لفظاً، ولا أقوم معنى؛ ولكن ذلك لم يقع".

وفي الحق أن الباحث في تاريخ النحو، يجد أن النحويين المتقدمين لم يستشهدوا بالحديث النبوي، سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، و يفصح عن هذه الحقيقة أبو حيان إذ يقول «من السيوطي في الاقتراح»: "على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين الأحكام من لسان العرب، والمستنبطين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي، والفراء وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد والأندلس".

ولعله يمكن أن نقول: إن النحاة الأوائل عندما استنبطوا القواعد والأحكام، لم يكن علم الحديث قد استقر، ولم تظهر كتب الصحاح، وما فيها من حسن رواية، وعظيم دراية، ولو أدركوا ذلك لما عدلوا عن هذه الثروة العظيمة، ولعل اللوم يقع على طبقات النحويين التي ظهرت بعد استقرار علم الحديث، وظهور ثمراته، كابن السراج والفارسي وابن جني.

كما أنه سادت المباحث النحوية فكرة تصل شهرة جذورها الأساسية إلى أبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) وابن الضائع الأندلسي من قبله (٦٨٠هـ).. وعصارتها أن أئمة النحو المتقدمين من الكوفة والبصرة ما كانوا ليستشهدوا بشيء من الحديث! وقال إبراهيم مصطفى في هذا الصدد: أما الحديث فقد رفضوه جملة وقالوا: رواته لا يحسنون العربية فيلحنون فلا حجة في الحديث والاستشهاد به[٩]، وقال عن ذلك عبد الصبور شاهين: في القرن الرابع كان قد مضى زمان طويل من الإنكار الشديد لمكانة الحديث الشريف من نصوص اللغة"[١٠].

ويقول مهدي المخزومي في المجال ذاته: "أما الحديث فلم يجوز اللغويون والنحاة الأولون كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه من البصريين والكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الاستشهاد به"[١١]، وإلى ذلك أشار شوقي ضيف وعبد العال سالم مكرم، إذ استبعد البصريون من منهجهم الاعتماد على الحديث النبوي الشريف في تقعيد القواعد[١٢].

وقد جاء أبو حيان الأندلسي في تفسيره "البحر المحيط" بشواهد كثيرة، ولم يأل جهدا في ميدان الاحتجاج والاستشهاد؛

فقد اعتمد على الشواهد في استنباط معاني الكلمات القرآنية وتوضيحها وتحديدها.. ولأبي حيان موقف من الاحتجاج، نلخصه بما يلي:

إنه يحتج ويستشهد بالقرآن الكريم، وقراءاته، والكلام العربي ولهجاته، ولكنه لا يجوِّز الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، ويتبين ذلك من خلال إنكاره على ابن مالك(١٣) استشهاده بالحديث النبوي الشريف، معللا ذلك أن العلماء تركوا ذلك لعدم وثوقهم من أن ذلك لفظ الرسول الكريم ﷺ؛ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية، وإنك تجد أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى - لا سيما بالأحاديث الطوال- نقلا عن "سفيان الثوري": إن قلت لكم: إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني، إنما هو المعنى، وهناك أمر ثان، وهو أنه قد وقع بعض اللحن فيما روي من الحديث؛ لأن بعض الرواة كانوا غير عرب، وكانوا يقعون باللحن وهم لا يعلمون ذلك، فلم يستشهد أبو حيان الأندلسي بالحديث إلا قليلا، وفي كثير من الأحيان يورده على سبيل المثال، ونجد في كتابه أنه يسوق الحديث النبوي الشريف للاستدلال به و لكن يؤخره عن المصدرين الآخرين: (القرآن الكريم والكلام العربي) المستشهد به، وكان يكتفي بالاستدلال بالحديث النبوي الشريف ويحذف الإسناد ولا يذكر درجة الحديث من الصحة أو الضعف، مثلا عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾** الأعراف: ١٧١ .

يقول أبو حيان: (النتق): الجذب بشدة، وفسره بعضهم بغايته وهو القلع، وتقول العرب: نتقت الزبدة من فم القربة، و (الناتق): الرحم التي تقلع الولد من الرجل، وفي الحديث: "عليكم بزواج الأبكار فإنهن أنتق أرحاما وأطيب أفواها وأرضى باليسير"(١٤).

وفيما يلي ملخص لتاريخ الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند علماء العربية:

● **من العلماء الأوائل:**

■ **أبو عمرو زبان بن العلاء المازني (ت١٥٤هـ)**، من القراء السبعة المشهورين، و إمام أهل البصرة في اللغة والنحو، وأستاذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو أول من وصل إلينا من العلماء الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف وقد استشهد بثلاثة أحاديث نبوية شريفة(١٥) فقط في تأصيل بعض قضايا الصرف، وهو من أوائل الطبقة الثالثة من الرواة الذين بذلوا جهدا مضاعفا في تنقية كلام الشواهد المروية

من التدليس وتمييز الصحيح فيها من غيره..

■ **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)**، ثاني النحويين الكبار وتلميذ أبي عمرو بن العلاء وشيخ سيبويه (أستاذه) وروى عن أبي عمرو استشهاده بالحديث النبوي الشريف، وهو مؤلف معجم "العين" وله تنسب (مدرسة العين) في تأليف المعاجم التي ترتب الألفاظ حسب مخارج الحروف.. وتبعه (القالي) و (الأزهري) و (الصاحب بن عباد) و (ابن سيدة)، وهو من أوائل الرواة بعد أبي عمرو بن العلاء، من الطبقة الثالثة الذين بذلوا جهدا مضاعفا في تنقية كلام الشواهد المروية من التدليس وتمييز الصحيح فيها من غيره..

■ **أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر (سيبويه) (ت ١٨٥هـ)**، ثالث النحاة الكبار، من أئمة البصريين، وهو أول من وصلت إلينا آراؤه وآراء شيوخه بين دفتي كتاب ثابت النسبة له وقد جمع في كتابه معظم قواعد النحو والصرف، ولم يستشهد سيبويه بالحديث النبوي الشريف، ولكنه أدرج ألفاظه في درج الكلام! ويقال في دراسة تأريخ علم اللغة والنحو والصرف: "قبل سيبويه وبعد سيبويه"، وفي رأي أستاذنا الدكتور كمال جبري أن سيبويه استشهد بخمسة أحاديث نبوية شريفة فقط، لكنه أغفل بعض الأمور منها: أغفل نسبة الحديث للرسول ﷺ، ولم يورد الحديث منصوصا.

■ **الكسائي (ت ١٨٩هـ)**: من الطبقة الثالثة من الرواة الذين بذلوا جهدا مضاعفا في تنقية كلام الشواهد المروية من التدليس وتمييز الصحيح فيها من غيره.

● **من علماء القرن الثالث:**

■ **أبو زكريا يحيى بن زياد (الفراء) (ت ٢٠٧هـ)**، إمام الكوفيين بعد (الكسائي) وقيل: هو أعلم الكوفيين بعد الكسائي! من أوائل الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف في علم اللغو والنحو، لكن أبا عمرو بن العلاء سبقه لذلك.

■ **أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٥هـ)**، له كتاب مشهور "مجاز القرآن"، وقد استشهد بالحديث، وأول من صنف في كتب غريب الحديث، وكان العلماء يستعينون على غريب الحديث وما غمض عليهم منه بالحديث نفسه. وهو من الطبقة الثالثة من الرواة الذين بذلوا جهدا مضاعفا في تنقية كلام الشواهد المروية من التدليس وتمييز الصحيح فيها من غيره.

■ **أبو زيد، سعيد بن أوس ثابت الأنصاري** (ت٢١٥هـ)، استشهد بالحديث.

■ **أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ)**،

استشهد بالحديث.

■ **ابن السكيت (ت٢٤٤هـ)**، استشهد بالحديث.

■ **المبرد (ت٢٨٥هـ)، استشهد بالحديث.**

■ **المفضل بن سلمة (ت٢٩٠هـ)، استشهد بالحديث.**

■ **ثعلب (ت٢٩١هـ)، استشهد بالحديث.**

● **من علماء القرن الرابع:**

■ **ابن دريد (ت٣٢١هـ)**، ألف (ومثله السجستاني) في كتب الصيغ، وفيه يورد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر لمعالجة الألفاظ واللغة، وألف معجم "الجمهرة"، وله تنسب (مدرسة الجمهرة) وتبعه (ابن فارس، ت ٣٩٥ هـ) في معجمه (مقاييس اللغة).. وفي المعجم يعتمد على الحديث النبوي الشريف كما القرآن الكريم وكذلك الشعر[١٦] في تكوين المعجم وعلاج ألفاظه.. وقد حذف للاختصار أغلب الشواهد الشعرية من معجمه!

■ **الزجاجي (ت٣٣٧هـ)**، له كتاب "اشتقاق أسماء الله" وينقل عن سيبويه والخليل، ويرجح مذهب أبي عمرو بن العلاء.

■ **الجوالقي (ت٣٥٩هـ)**، ألف كتاب "المعرب"، وهو من التصنيف اللغوي الشامل للمادة اللغوية.. وقد أفاد عمله في بداية صناعة المعجم عند العرب.

■ **ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)**، له كتاب مشهور "إعراب ثلاثين سورة من القرآن"، يورد فيه رأي أبي عمرو بن العلاء في الاحتجاج بالحديث في المسألة اللغوية.

■ **الحسن بن احمد بن عبد الغفار، المعروف بـ (أبي علي الفارسي) (ت٣٧٧هـ)**، سبق (ابن خروف) في الاحتجاج بالحديث، وهو من الذين سمعوا الحديث، لكنه لم يكن من المحدثين.

■ **أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٤هـ)**، صاحب الكتاب ذائع الشهرة والصيت "الخصائص" وله كتاب "المحتسب" وهو من أهم الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف في علم اللغة والنحو، أثناء حديثه عن قراءة ابي سعيد الخدري وكيفية توجيهه للقراءة، وهو صاحب المقولة الشهيرة التي وردت في كتابه (الخصائص ج ٢ ص ٤٢س): «فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته، ومدت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله، فقد حكي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسبقا إليها".

■ **أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، استشهد بالحديث في كتابه "الصاحبي".**

■ **الجوهري (ت٣٩٨هـ)**، من الذين استشهدوا بالحديث النبوي الشريف في

توثيق الكلمة العربية و بنيتها في معجمه "تاج اللغة وصحاح العربية"، وإليه تنسب مدرسة "الصحاح" التي كانت الأساس لصناعة ابن منظور معجمه ذائع الصيت "لسان العرب"، وتبع الجوهري في طريقة تأليفه للمعجم: الصغاني، وابن منظور، والفيروز آبادي والمرتضى الزبيدي.

● من علماء القرن الخامس:

■ **ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ)**، صاحب القول المشهور في الحديث النبوي الشريف الذي وضح مكانة الحديث النبوي الشريف في العلوم الإسلامية، بأنه: "مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو ولا مقروء".

● من علماء القرن السادس:

■ **ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت٥١٥هـ)**، استشهد بالحديث في كتابه "كتاب الأفعال".

■ **الزمخشري (ت٥٣٨هـ)**، مؤلف معجم "أساس البلاغة" وله تنسب طريقة التأليف الجديدة للمعاجم، مثل المعجم الوسيط.. الذي يستعان في شرح ألفاظه على النصوص والمعاجم السابقة كما يعزز المؤلف معجمه بالشواهد القرآنية والحديثية والأمثال والروايات العربية المعروفة.

■ **ابن بري (ت٥٨١هـ)**، استشهد بالحديث.

■ **السهيلي (ت٥٨١هـ)**، استشهد بالحديث.

● من علماء القرن السابع:

■ **ابن خروف الأندلسي (ت٦٠٩هـ)**، من أوائل من احتجوا بالحديث.

■ **أبو عمرو ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)**، كان يأتي بكلام (ابن بابشاذ) ويرد به على (الزمخشري) في الاستشهاد بالحديث وبعض مسائل اللغة والنحو.

■ **الصغاني (ت٦٥٠هـ)**، ألف كتابين مهمين في الصيغ هما "افتعل" و "انفعل" وقد أكثر الاستشهاد فيهما بالحديث النبوي الشريف والاعتماد عليه في تأصيل القاعدة الصرفية، ألف معجم "العباب"، ويتبع فيه طريقة معجم "الصحاح" للجوهري ٣٩٨ هـ".

■ **جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي النحوي الأندلسي المعروف بـ (ابن مالك) (ت٦٧٢هـ)**، صاحب "الألفية"، و "التسهيل" و "شرح العمدة" و "عدة اللافظ"، وقد استشهد بالحديث في مسائل اللغة والنحو، وله قواعد عرفت منه، وينقل عن سيبويه وطرق استشهاداته، وكان يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في استقراء قواعد نحوية وصرفية جديدة كان

قد استدركها على من تقدمه من النحاة البصريين والكوفيين والبغداديين.

■ **أبو الحسن علي بن محمد الأندلسي المعروف بـ (ابن الضائع) (ت٦٨٠هـ)**، بلغ الغاية في النحو في عصره، وهو من أهم الذين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في علم اللغة والنحو، محتجا بأن سيبويه لم يستشهد به!.

● **من العلماء المتأخرين:**

■ **أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)**، ألف كتب: "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" و "التذييل والتكميل في شرح التسهيل" ومختصره: "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، وهو من أهم الذين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في علم اللغة والنحو، يأخذ رأيه من قول منقول عن سفيان الثوري: "إن قلت لكم: إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني وإنما هو المعنى"، وهو بذلك يخالف ابن مالك جمال الدين الأندلسي -قبله- صاحب "الألفية" المشهورة، الذي كان يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في استقراء قواعد نحوية وصرفية جديدة كان قد استدركها على من تقدمه من النحاة البصريين والكوفيين والبغداديين، وهو نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه!

■ **السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ)**، أغزر العلماء المصريين في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والتراجم واللغة والنحو، ومن أشهر مصنفاته في النحو: "الأشباه والنظائر"، و "همع الهوامع"، وهو من أهم الذين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في علم اللغة والنحو، ويروى سبب رفضه لأن معظم الأحاديث قد رويت بالمعنى، وأجاز الاستدلال بالأحاديث التي تثبت روايتها باللفظ، وهي عنده قليلة جدا.

❖ **الخاتمة، أهم نتائج البحث:**

كانت الشبهات والتساؤلات التي ذكرها بعض النحاة حول قضية الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في المسائل النحوية واللغوية تنحصر في دعاوى ثلاث، الأولى: دعوى رواية الحديث بالمعنى، والثانية: دعوى اللحن والخطأ في الحديث، والدعوى الثالثة: دعوى تدوين الحديث بعد فساد اللغة، وقد رد العلماء على هذه الدعوات بأن دعوى رواية الحديث بالمعنى لا ينبغي أن نسلم بها على إطلاقها، وذلك للأمور التالية:

أ- ذهب بعض علماء الصحابة والتابعين

إلى عدم جواز رواية الحديث بالمعنى، وفي مقدمتهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فإنه كان لا يسمحُ بتقديم كلمةٍ على كلمة في حديث رسول الله ﷺ، مثال ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»، ولما روى رجلٌ هذا الحديث بتقديم الحج على صيام رمضان، قال له ابن عمر: «لا، صيام رمضان، والحَج، هكذا سمعتُ من رسول الله ﷺ»[١٧]، وكذلك كان بعض علماء التابعين؛ لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى[١٨].

ب- إن ورود الحديث الواحد في ألفاظ مختلفة، قد يكون سببه أن الرسول ﷺ كان يعيد الكلام ثلاثاً لقصد البيان وإزالة الإبهام، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفْهَمَ عنه[١٩].

ج- إن بعض الصحابة والتابعين أجازوا رواية الحديث بإبدال كلمة بأخرى عند الضرورة، ومع ذلك فقد وضعوا في ذلك ضوابط محكمة دقيقة، فالإمام الشافعي رحمه الله أجاز للمحدث أن يأتي بالمعنى دون اللفظ إذا كان عالمًا بلغات العرب[٢٠].

ثانيا: دعوى اللحن والخطأ:

ذهب بعض النحاة إلى أن من الأسباب التي تدفعهم إلى عدم الاحتجاج بالحديث الشريف في المسائل النحوية وقوع الخطأ واللحن فيه[٢١]، وأن معظم رواته من الأعاجم، وهذه الدعوى ينبغي ألا تكون مانعاً للاحتجاج النحوي بالحديث للأمور التالية: أ- لقد بذل العلماء المسلمون جهوداً لا مثيل لها في سبيل حفظ الحديث الشريف، وبحثوا في ما يتعلق به رِوَايةً وَدِرَايةً، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامةَ السُّنَّةِ من العَبَث، ولعل من أهمها التزام الإسناد، ودراسةُ حياة الرواة وتاريخهم، وهكذا نشأ علم الجَرْحِ والتعديل، الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين، وألفت في الرواة مصنفات ضخمة، حتى إنه لم يعد يختلط الكَذَّابون والضعفاء بالعدول الثقات.

ب- القول بأن أكثر رواة الحديث كانوا غير عرب، لا ينهض حجة لرفض الاحتجاج بحديث الرسول ﷺ في المسائل النحوية، وذلك للأسباب التالية:

الأول: إن ما وقع من لحن أو خطأ أو تصحيف في حديث الرسول ﷺ قليل نادر، بَيَّنَهُ علماء الحديث، فيما صنَّفوا من مؤلفات.

الثاني: الزعم بكون بعض رواة الحديث

من غير العرب قد أدى إلى وقوع اللحن فيه، يمكن الرد عليه؛ بأن اللغة العربية مُلْكٌ لمن يتعلمها فيتقنها، فإن أتقنها فليس هناك فرق بينه وبين العربي سوى النسب، والنسب لا أثر له في اللسان، كذلك فإن هؤلاء المسلمين الأعاجم من رواة الحديث كانوا أمراء المؤمنين في الحديث، وقد وُصِفُوا بالضبط والدقة، وحملوا الحديث على أكمل وجه، وأدَّوه كما حملوه، مثلما كان الإمام البخاري محمد بن إسماعيل رحمه الله (ت ٢٥٦هـ).

الثالث: إن رواة اللغة أضافوا إلى الشواهد المنسوبة إلى العرب أشياء كثيرة، فهذا أبو الطيب اللغوي في كتابه (مراتب النحويين) يتحدث عن خلف الأحمر فيقول: «كان يُضْرَبُ به المثل في عمل الشعر، فهو بذلك وَضَّاعٌ غير موثوق، لا يُؤْتَمنُ»، ومع وجود هؤلاء الرواة الوضّاعين فإن علماء النحو استشهدوا بكلام العرب، وهذا هو المنهج السليم لأن وجود أمثال هؤلاء النفر لا يقدح في الكثرة الكاثرة من علماء اللغة الثقات كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري وغيرهم كثير.

وعلى هذا فإن وجود بعض الوضّاعين في رواية الحديث -كذلك- لا يقدحُ في الاستدلال به في مسائل النحو، علما بأن العلماء -كما تقدم- قد ميَّزوا الحديث الصحيح من الموضوع، وألفوا في ذلك مصنفات كثيرة.

ثالثا: دعوى تدوين الحديث بعد فساد اللغة:

زعم بعض النحاة أن الحديث النبوي لا يُحْتَجُّ به لتدوينه بعد فساد اللغة، وهذا الزعم مردود -أيضا- للأسباب التالية:

١- لقد بُدِئَ بتدوين الحديث الشريف في عهد الرسول ﷺ، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: ما رواه الدارمي في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعُه عن رسول الله ﷺ، أريد حفظَهُ، فنهتني قريشٌ وقالُوا: تكتبُ كلَ شيء سمعتَهُ عن رسول الله ﷺ، ورسولُ الله بشرٌ يتكلمُ في الغضبِ والرضا؟ فأمسكتُ عن الكتابة فذكرتُ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، وقال: «اُكتب فوالذي نفسي بيدِهِ ما خرج منه إلا حقٌ»[٢٢].

٢- وفي عهد الصحابة بدأ بعض العلماء من التابعين بتدوين حديث الرسول ﷺ، أخذاً من أحد الصحابة مباشرة، فهذا هَمَّام ابن مُنَبِّه أحد أعلام التابعين يلقى الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه، ويكتب عنه كثيرًا من حديث الرسول ﷺ، ويجمعه في صحيفة يطلق عليها اسم الصحيفة الصحيحة، وقد نقلها الإمام أحمد بتمامها في مسنده، كما

نقل الإمام البخاري عددًا كثيرًا من أحاديثها في أبواب شتى، ولهذه الصحيفة أهمية تاريخية في تدوين الحديث الشريف، لأنها حجة قاطعة على أنه دُوِّنَ في عصر مبكر لأن هَمَّاماً لقي أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا شك أنه كتب عنه قبل وفاته، علمًا بأن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توفي حوالي سنة ٥٩هـ، ومعنى ذلك أن هذه الوثيقة قد دُوِّنَت قبل هذه السنة، أي في منتصف القرن الهجري الأول.

٣ - وفي عهد التابعين شاع تدوين الحديث وكتابته، فهذا الحسن البصري (ت ١١٠هـ) يقول: «إن لنا كتباً كنا نتعاهدها»، أما التدوين الرسمي للحديث فقد بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز إذ كتب إلى عامله على المدينة المنورة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١١٧هـ) يقول: «اكتب إليَّ بما ثبت عندك من حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني خشيت دَرْسَ العلم وذهابه».

يتبين مما سبق ذكره أن الأسباب التي ذكرها بعض النحاة في عدم احتجاجهم

الهوامش:

(١) سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص٤٨ .

(٢) عبد العال مكرم: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ص٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٣) البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص ٩، والسيوطي: الاقتراح، ص١٧-١٨ .

(٤) سيبويه: الكتاب، ج ١، ص ٢٣٦ - ٢٣٧، و ج ٥، ص١٣ .

(٥) البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص٦ .

(٦) عمدة القاري، الإشارة إلى آخر الكتاب في ج٢٠، ص٤٠٢ . وانظر ج٣، ص٣٥٥ .

(٧) يمكن الرجوع إلى عمدة القاري: ج٣، ص٣٥٧، و ج ٧، ص٤٠٢، ج١٦، ص٤٤ - ٤٥، و ج٣، ص٤٣٣ - ٤٣٤، على ترتيب الشواهد.

(٨) عمدة القاري، ج٥، ص١٣٧ - ١٣٨، وكذلك ج٥، ص٢٠٦، وانظر سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص٤٦ .

(٩) إبراهيم مصطفى: في أصول النحو، مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة التربية والتعليم، مصر، ج ٨، ص١٤٤ .

(١٠) عبد الصبور شاهين: مشكلات القياس، مجلة عالم الفكر، الكويت، ج١٤، ص٣١١ .

(١١) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط(٢)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨م، ص٧٩.

(١٢) شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص ٣٨، وعبد العال مكرم: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص٩٧ .

(١٣) محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ): البحر المحيط، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وغيرهما، دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ج٤، ص٤١٧ .

(١٤) جاء في كتاب محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ط(١)، القاهرة ١٩٦٣م، ص٣٣٢، أن التدوين الرسمي للحديث النبوي الشريف كان في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع فقد مارسه الصحابة الكرام في عهد رسول الله ﷺ ولم يقتصر تدوين الحديث بعد وفاته ﷺ فقط، حتى قيض للحديث فيما تلا من الزمن مدونات كبرى مهمة.

(١٥) يعد إبراهيم بن هرمة، ت س١٥٠هـ، آخر شاعر يستشهد بكلامه في لسان العرب، كما نقل ثعلب عن الأصمعي قوله: "ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج"، راجع الاقتراح، ص٧٠ .

(١٦) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج١، ص٦٥ .

(١٧) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص٢٧٥ .

(١٨) النووي: رياض الصالحين، باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك، ص٢١٤ .

(١٩) الشافعي: الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٢م، ص٧٤٤، ٧٥٧ .

(٢٠) البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص٤-٦ .

(٢١) البغدادي: تقييد العلم، حققه: يوسف العشي، دار إحياء السنة المحمدية، ط٢، ١٩٧٤م، ص٧٤، وما بعدها.

(٢٢) جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٧٤ .



الإفتـــاء..
معنى ومسائل عصرية

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

تتناول الفتاوى في عصرنا هذا مواضيع حية معاصرة تعظم الحاجة اليها، لأنها تمس الواقع الحياتي، والذي لا يكاد يوجد -في كثير من جوانبه- أجوبة تطمئن اليها النفس وترتاح، هذا ان وجدت!

والناظر الى الواقع العلمي الشرعي، يلمس -للأسف- أنه قد خلا او كاد من الفتاوى المعتمدة على التجذير الأصولي، والمؤسسة على القواعد العلمية الرصينة التي أرساها كبار الأئمة المجتهدين، مما أدى الى فوضى في العلم والاستهانة بإصدار فتاوى سطحية، هوائية، مزاجية، لا تمت الى العلم بصلة ولا تشتم رائحته!

❖ الإفتاء لغة:

أما اللغة: فيقال: أفتاه في الأمر: أبانه له، وأفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، وفُتىً (بضم الفاء) وفتوى: اسمان يوضعان موضع الإفتاء، ويقال: أفتيت فلاناً فتيا رآها اذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته اذا أجبته عنها، وفي الحديث: «أن قوماً تفاتوا اليه» معناه تحاكموا اليه وارتفعوا اليه في الفتيا (ولعله عرف عن فتيا او فتوى مضموم الأول) يقال: أفتاه في المسألة يفتيه اذا أجابه، والاسم: الفتوى، قال الطرماح:

أنخ بفناء أسوق من عدي
ومن حرم، وهم اهل التفاني

أي التحاكم وأهل الافتاء، قال: والفتيا تبين المشكل من الأحكام، أصله من الفتى

وهو الشاب الحديث الذي شب وقوي، فكأنه يقوّي ما أشكل ببيانه فيشب ويصير فتياً قوياً.

وأفتى المفتي: اذا أحدث حكماً، وفي الحديث: «الاثم ما حاك في صدرك وان أفتاك الناس عنه، وأفتوك» اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً، وقال ابو اسحق في قوله تعالى: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً﴾ اي فسألهم سؤال تقرير أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم السالفة، وقوله عز وجل: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم﴾ أي يسألونك سؤال تعلم، والفتيا والفُتوى والفَتوى (بضم وفتح)، ما أفتى به الفقيه، الفتح في الفتوى لأهل المدينة[1].

❖ مثال من الفتاوى السطحية:

حكم ما يعرف بـ «شهادات الاستثمار»:

يقول أحدالأعضاء في مجلس يعد من اهم المجالس العلمية في العالم الاسلامي: «ان عائد شهادات الاستثمار لا يصير ربا، لأن رئيس الدولة كرب الأسرة، وليس هناك ربا بين الأب وأولاده» من كتيب حكم الاسلام في أرباح شهادات الاستثمار، وودائع صناديق الادخار، لفضيلة الشيخ ياسين سويلم طه، عضو لجنة الفتوى بالأزهر، هكذا بكل بساطة، وهذا مثال من كثير ما يعمم من فتاوى[2].

❖ الفتيا فقه الاحكام:

فإن من أشرف العلوم علم الفقه الذي تعرف به أحكام الدين، قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» فهو العلم الذي يعرف به المسلم الأحكام العملية التي يعرض لها في الليل والنهار، فيميز بين الحلال والحرام، ويكون له به السعادة الدنيوية والأخروية، فبالتزام أحكامه يصل الى جنات الرحمن، فالفقه هو الثمرة العملية للعلوم الشرعية.

لذا أكثر العلماء العاملون، والفضلاء الصالحون من التنويع في التأليف فيه لنفع البريّة، قال ابن الشحنة (ت٩٢١ هـ): «فصنف فيه العلماء ونوّعوا، وتفننوا في أفنانه وفرعوا، فمنهم من دوّن الأحكام مجردة عن الأدلة، ومنهم من نصب الخلاف، وجمع الأحكام والدليل والعلة، ومنهم من اقتصر على المتفقة صوراً، المختلفة أحكاماً، ومنهم من اعتنى بالشوارد التي لا يعرفها الا من غزر علماً، ومنهم من دون المسائل الفقهية على طريق اللغز والتعمية والأحجية، قصداً الى تشحيذ الأذهان وتحلية للتنويع، لئلا يمل الطالب الكسلان[3].

❖ **من فتاوى العقيدة - الكبائر والصغائر:**

سأل أحدهم عن مرتكب الذنوب، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة من الكبائر، متى تغفر له؟ فأجابه أحد المفتين قائلاً: «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن المولى تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿**إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ النساء: ٤٨، فمقتضى هذا النص الكريم ان كل الذنوب ما عدا الكفر، فإنها واقعة تحت المشيئة، ثم ان الذنوب الصغائر تكفر بالأعمال الصالحة، فإن الصلاة تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى، والجمعة تكفر ما بينها وبين الجمعة الأخرى، ورمضان يكفر ما بينه وبين رمضان الآخر، وصوم عاشوراء يكفر صغائر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين -السنة الماضية والسنة القادمة.. وهكذا بقية الأعمال.

أما الكبائر، فإن كانت في حقوق العباد، فكفارتها وفاء هذه الحقوق لأصحابها من دماء وأموال وأعراض أو عفوهم عنها، وأما بالنسبة لحقوق الله تعالى، فإن كانت عبادات بدنية، كصلاة وصيام وحج وزكاة، فكفارتها قضاؤها ان كانت عبادات بدنية محضة كالصلاة، أما ان كانت مالية كالزكاة أو مالية بدنية كالحج، فكفارتها قضاؤها، فإن لم يستطع المسلم القضاء بنفسه فإن النيابة تفيد فيها، لقوله ﷺ في الصلاة: «من ترك صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها» رواه البخاري في مواقيت الصلاة ٢١٥/١ برقم ٢٠٧٢.

وقال ﷺ في ترك الحج حتى مات او عجز عن الأداء بنفسه: «حجي عن أبيك أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: فاقضوا الله فالله أحق بالقضاء» رواه البخاري في الحج، ٦٥٦/٢ برقم: ١٧٥٤، ط دار ابن كثير.

أما التقصير في حقوق أصحاب الحقوق، كالتقصير في رعاية الاولاد والزوج والزوجة والجيران والمرؤوسين، فإن أمكن الاعتذار إليهم حتى يصح منهم العفو فذاك، وإلا فالتوبة الصادقة، وكذلك التوبة في انتهاك حرمة من حرمات الله تعالى من تعاط السحر أو شرب الخمر أو المخدرات أو لعب الميسر، أو أكل لحم الخنزير أو الدم أو الميتة، دون اضطرار، فإن التوبة الصادقة تفيد في ذلك كله، لأنها كلها الى الله تعالى، والله ذو الجلال والإكرام وذو الطول والإنعام، فإنه يقبل التائبين ويحبهم، بل قدمهم على المتطهرين في محكم كتابه، قال

تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ البقرة: ٢٢٢[٤].

❖ الشرك بالله تعالى:

سئل الشيخ ابن عثيمين عن جواز شتم الحياة اذا غضب او ضاق بها، فأجاب: الحمد لله، لا يحل لإنسان اذا ضاق من الحياة ان يشتمها، لقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى قال: «يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر، بيدي أقلب الليل والنهار» متفق عليه، أخرجه البخاري ٤٨٢٦، التفسير، باب: وما يهلكنا الا الدهر، الآية، ومسلم ٢٢٤٦ النهي عن سب الدهر، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه، وثبت عن النبي ﷺ انه قال: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» صحيح ، وهي إحدى روايات مسلم للحديث السابق ٢٢٤٦/٥، اي هو المصرف للدهر.. وعلى الانسان اذا ابتلي ببلية ان يصبر ويحتسب فإن الله أمر بالصبر»[٥].

وسئل أيضاً عن قولهم: «اطال الله بقاءك» «أطال عمرك» فأجاب: لا ينبغي ان يطلق القول بطول البقاء، لأن طول البقاء قد يكون خيراً وقد يكون شراً، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله، (صحيح، رواه الترمذي ٢٣٣٠، كتاب الزهد، وأحمد ١٩٩٢ من حديث ابي بكرة) وعلى هذا فلو قال: أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك[٦].

❖ الايمان والنذور:

سئل الشيخ ابن جبرين «عبدالله بن عبد الرحمن» عن الحكم الشرعي للنذور، وهل لعدم الوفاء بها عقوبة؟ فأجاب: حكم النذر شرعاً أنه مكروه، فقد ثبت ان النبي ﷺ نهى عن النذر وقال: «انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل» ويلزم الوفاء بالنذر ان كان عبادة كنذر صلاة أو صوم أو صدقة أو اعتكاف، ولا يجوز ان كان معصية كقتل او زنا وشرب خمر وأخذ مال ظلماً ونحوه، وعليه كفارة يمين، وهي إطعام عشرة مساكين.. الخ، ويخير اذا كان النذر مباحاً كأكل وشرب ولباس وسفر وكلام عادي ونحوه، بين الوفاء به أو كفارة يمين اذا كان نذر طاعة لله يصرف للمساكين والمستضعفين، فإن كان عملاً صالحاً بدنياً أو مالياً لجهاد وحج وعمرة، لزم الوفاء به، فإن خصصه لجهة اختص بها كالمساجد والكتب والمشاريع الخيرية، ولم يجز صرفه لغير ما عينه فيه[٧].

❖ فتاوى المعاملات:

معاملة الكفار، وحكم موالاتهم والتشبه

بهم وتقليدهم:

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، عن مصافحة الكفار وابتدائهم بالسلام، والرد عليهم اذا سلموا علينا -مسلمين- فقال: الكفار والمشركون من يهود ونصارى ووثنيين ودهريين كلهم نجس كما أخبر الله، فلا يجوز إكرامهم ولا احترامهم ولا تقديرهم في المجالس ولا القيام لهم، ولا بداءتهم بالسلام او بكيف أصبحت أو أمسيت لقوله ﷺ: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى في السلام، واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى أضيقه» واذا سلموا علينا فإنا نقول: وعليكم ولا يجوز مصافحتهم ولا معانقتهم ولا تقبيل أيديهم![8].

❖ فتاوى العبادات:

سئل الشيخ صالح بن فوزان عن حكم أخذ المرأة أطفالها الى المسجد، فقال: أخذ الأطفال الى المسجد فيه تفصيل: فإن كانوا يبلغون سن السابعة، فإنه يذهب بهم الى المسجد من اجل تمرينهم على الصلاة، وتربيتهم عليها وتصح منهم نافلة، وان كانوا دون السابعة، فإنه لا يذهب بهم الى المسجد الا اذا أمن من أذاهم للمصلين، وإساءتهم الى المسجد، او تنجيسه بأن أمكن ضبطهم، وكان هناك حاجة الى الذهاب بهم كأن يخاف عليهم اذا بقوا في البيت[9].

أما الشيخ ابن جبرين فسئل عن إمامة أحد الشباب وتسبيحه بعد الصلاة بيده اليمنى فقط، فقال: ما فعله الإمام هو الصواب، فقد ثبت عن النبي ﷺ انه كان يعقد التسبيح بيمينه، ومن سبح باليدين فلا حرج لإطلاق غالب الأحاديث، لكن التسبيح باليمنى افضل عملاً بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ[10].

كما سئل الشيخ ابن عثيمين عن حكم استعمال الصائم للروائح العطرية، فأجاب: لا بأس بها ان يستعملها في نهار رمضان، وان يستنشقها الا البخور فلا يستنشقه لأن له جرماً يصل الى المعدة وهو الدخان[11].

❖ من فتاوى الحقوق:

سئل الشيخ ابن فوزان عن حق الإبن على أبيه في إيوائه وإسكانه، هل ينتهي بمجرد بلوغه ام بزواجه؟ فأجاب: حق الإبن على أبيه ينتهي بمجرد استغنائه عنه، اذا كبر واستطاع ان يكتسب لنفسه وان يستغني بكسبه، فإنه ينتهي حقه على والده في الانفاق، اما ما دام انه صغير أو كبير، ولكنه لم يستغن، ولم يقدر على الاكتساب، فإنه ينبغي على والده حق الانفاق عليه، حتى

الهوامش:

١- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس عشر، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ص١٤٧-١٤٨ .

٢- الشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي، مرشد المفتي، المكتب الاسلامي، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٦، ص٥-٦ .

٣- ابو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، فتاوى اللكنوي، تحقيق صلاح محمد ابو الحاج، وتقديم د. عبد الملك السعدي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠١، ص٩-١٠ .

٤- د. أحمد علي طه ريّان، فتاوى وأحكام «بريد الاسلام» دار ابن الهيثم، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٠ .

٥- ناصر السعدي، ابن عثيمين، محمد آل الشيخ وآخرون: موسوعة فتاوى معاصرة ج١، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بلا تاريخ ص٣٨٥ .

٦- محمد بن صالح العثيمين، فتاوى اركان الاسلام والعقيدة، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٤٠٢ .

٧- ابن باز وابن عثيمين وآخرون، فتاوى المرأة المسلمة، ج١، ط٢، ١٩٩٦، ص٩٢٦ .

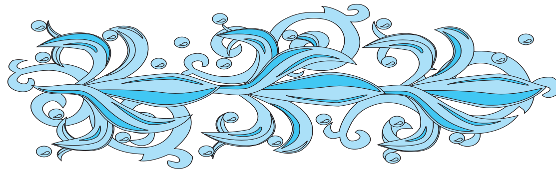
٨- ابن جبرين وابن باز وابن عثيمين، فتاوى اسلامية، ج١، شركة دار الأرقم، بيروت ١٩٨٩، ص٨٨ .

٩- فتاوى المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص٩٢٦ .

١٠- فتاوى اسلامية، مرجع سابق ص٢١٥ .

١١- فتاوى اركان الاسلام والعقيدة، مرجع سابق ص٦١٢ .

١٢- فتاوى المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص٩٢٦ .



٢

ذوو الاحتياجات الخاصة وكيفية أداء العبادات

■ بقلم الدكتورة جميلة الرفاعي

لقد تحدثنا سابقا عن مصطلحات تهم الموضوع، فتحدثت عن الرخصة والحاجة والأهلية والعبادة والحكم الشرعي، بعد هذه المقدمة سأبدأ بالحديث عن الأدلة الشرعية المؤيدة لرفع الحرج عن ذوي الاحتياجات الخاصة.

❖ الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة النبوية المؤيدة لرفع الحرج عن ذوي الاحتياجات الخاصة:

أولاً: القرآن الكريم:

١- قال تعالى: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم لعلكم تعقلون﴾**[١].

وجه الدلالة: تبين الآية الكريمة أن الحرج والمسألة مرفوعة عن ذوي الاحتياجات الخاصة كالأعمى والأعرج والمريض فيما لا يقدرون على فعله، يقول القرطبي عن ابن العربي: "لكن المختار أن يقال: إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر المرض في إسقاطه كالصوم وشروط الصلاة وأركانها والجهاد ونحو ذلك"[٢].

٢- قال تعالى: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري**

من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذبه عذاباً أليماً﴾[٣].

وجه الدلالة: أن الإثم مرفوع عن ذوي الاحتياجات الخاصة فيما لا يقدرون عليه كالجهاد؛ يقول القرطبي: "إن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت: **﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم الله عذاباً أليماً﴾** قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزلت: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾** أي لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم، والعرج آفة تعرض لرجل واحدة، إذا كان ذلك مؤثراً فخلل الرجلين أولى أن يؤثر"[٤].

٣- قال تعالى: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾**[٥].

وجه الدلالة: أن الحرج مرفوع عن الإنسان في حالة المشقة التي تلحقه، وهذا للإنسان السليم، فكيف بإنسان مريض أو أعمى، يقول القرطبي: "الحرج أي ضيق في الدين"[٦].

٤- قال تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**[٧].

وجه الدلالة: فسر الحرج بأنه قصر الصلاة والإفطار للمسافر وصلاة الإيماء لمن لا يقدر على غيره، وحط الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض[٨].

٥- قال تعالى: **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾**[٩].

وجه الدلالة: التكليف ساقط عن العاجز في حدود ما يعجز عنه، وعليهم أن يأتوا من التكليف ما يستطيعون، يقول القرطبي: "الآية: أصل في سقوط التكليف عن العاجز، هذه الآية بينت أنه لا حرج على المعذورين وهم قوم عرف عذرهم كأرباب الزمانة والعمى والعرج[١٠].

٦- قال تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[١١].

وجه الدلالة: التكليف هو الأمر بما يشق عليه وتكلفت الأمر تجشمته[١٢]، فكل إنسان يكلف بما يطيق.

ثانياً: السنة النبوية:

١- ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن أحب الأديان فقال: "الحنيفية السمحة"[١٣].

٢- ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم، فإن كان، كان أبعد الناس عنه"[١٤].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَة"[١٥].

٤- روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم" قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر"[١٦].

٥- قال ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"[١٧].

٦- قال ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه"[١٨].

٧- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[١٩].

٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال ما يطيقون"[٢٠].

وجه الدلالة من هذه الأحاديث جميعها:

أن الإسلام دين يسر لا عسر، وهو لا يكلف الإنسان السليم المعافى فوق طاقته، فما بالك بالإنسان المريض، فالتيسير على ذوي الاحتياجات الخاصة في التكاليف الشرعية من باب أولى، فهم عاجزون عن أداء هذه التكاليف إلا بمشقة كبيرة جداً، والحرج مرفوع عنهم ولا إثم عليهم، فالإسلام لا يقبل الضرر لأحد.

الأدلة الشرعية من القواعد الفقهية المؤيدة لرفع الحرج عن ذوي الاحتياجات الخاصة.

القاعدة في اللغة: هي الأساس[٢١] قال تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾**[٢٢].

وعرفها الفقهاء بأنها: "حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته"[٢٣].

والقواعد الفقهية ترشد إلى أحكام الجزئيات الفقهية، وهي بمجموعها تدل على أن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج.

الفرع الأول: المشقة تجلب التيسير.

المشقة في اللغة: هي الجهد والعناء والانكسار الذي يلحق النفس والبدن[٢٤].

المشقة في الاصطلاح: تطلق المشقة على أربعة معانٍ[٢٥].

الأول: مطلق المشقة وهي تكليف ما لا يطاق، ويشمل المشقة الناتجة عن محاولة القيام بالفعل المستحيل كمحاولة القيام من المقعد.

الثاني: مشقة خاصة بالمقدور عليه، ولكنها خارجة عما اعتاده الناس في أعمالهم العادية وهذا النوع على ضربين:

أ- أن تكون المشقة موجودة في الفعل وإن لم يتكرر كالصوم في المرض والسفر، وقد شرعت الرخص لهذا النوع من المشاق.

ب- لا تكون المشقة موجودة في الفعل ولكنها تنشأ عن الاستمرار والدوام عليه كالنوافل إذا ما داوم الإنسان عليها.

الثالث: مشقة خاصة بالمقدور عليه، ولكنها لم تخرج عما اعتاده الناس، فهي ليست مشقة في ذاتها ولكن التكليف بالفعل المشتمل على هذه المشقة يقتضي من العبد الالتزام، وهذا الالتزام شاق على النفس ومن ذلك الصلوات الخمس.

الرابع: مشقة مجاهدة النفس ومحاربة شهواتها، وهذه تنشأ من التكاليف ببعض الأفعال كالصوم فإن فيه محاربة شهوة الأكل والشرب والوطء.

❖ المشاق الموجبة للتخفيفات الشرعية[٢٦]:

والمشاق قسمان:

أحدهما: مشقة لا تنفك عنها العبادة غالباً كمشقة البرد في الوضوء والغسل.

الثاني: مشقة تنفك عنها العبادات -غالباً- وهي على مراتب.

المرتبة الأولى: مشقة عظيمة فادحة: كمشقة الخوف على النفوس والأطراف والمنافع، فهي موجبة للتخفيف قطعاً، لأن حفظ النفوس والأطراف لإقامة مصالح الدين، أولى من تعريضها للفوات في عبادة أو عبادات يفوت بها أمثالها.

المرتبة الثانية: مشقة خفيفة لا وقع لها، كأذى وجع في إصبع فهذه لا أثر لها، لأن تحصيل العبادات أولى من دفع مثل هذه المفسدة التي لا أثر لها.

المرتبة الثالثة: متوسطة بين هاتين المرتبتين فما دنا من المرتبة العليا أوجب التخفيف أو من الدنيا لم يوجبه، وما تردد في إلحاقه بأيهما اختلف ولا ضبط لهذه المراتب إلا بالتقرب.

ضابط المشقة المؤثرة في التخفيف:

ذكر الشاطبي[٢٧] في كيفية ضبط المشاق غير المعتادة، أن ضبط ذلك يكون بالنظر في العمل وما يؤدي إليه أداؤه أو الدوام عليه من الانقطاع عنه أو عن بعضه، أو عن وقوع خلل في صاحبه في نفسه أو ماله، فإن لم يكن في شيء من ذلك في الغالب، فلا يعدُّ في العادة مشقة وإن سمي كلفة، ومعنى هذا أن المكلف إذا علم أن العمل يدخل عليه في جسمه أو نفسه أو عقله فساداً وجب تركه، وكذلك يجب أن لا يؤدي العمل إلى الانقطاع عن بقية الأعمال ولا سيما حقوق الغير، وبناءً على ذلك إذا

ترتب على القيام بالعبادات حرج بالنسبة لذوي الاحتياجات الخاصة، فله أن يأخذ بالرخصة لا العزيمة.

الفرع الثاني: إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اتسع الأمر ضاق:

معنى القاعدة: إذا حصلت ضرورة عارضة للشخص أو الجماعة، أو طرأ ظرف استثنائي أصبح معه الحكم الأصلي المشروع للحالات العادية محرجاً للمكلفين ومرهقاً لهم، حتى يجعلهم في ضيق من التطبيق فإنه يخفف ويوسع عليهم حتى يسهل، وما دامت تلك الضرورة قائمة محلاً بقوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[٢٨]، وهذه القاعدة متفرعة عن قاعدة "المشقة تجلب التيسير" ومن تطبيقات هذه القاعدة قبول شهادة النساء والصبيان في كل موضع لا يحضره الرجال حفاظاً على الحقوق من الضياع، كذلك إذا ترتب ضرر على المريض أو المقعد أو الأعمى، أو غيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، وضاق عليهم الأمر فإن الله وسع عليهم.

الفرع الثالث: الضرورات تبيح المحظورات: هذه القاعدة متفرعة من القاعدة الأم المشقة تجلب التيسير.

ومعنى القاعدة: أن حالات الاضطرار أو الحاجة الشديدة، تجيز ارتكاب المحظور الذي لا يزول الاضطرار به والمحظور يقصد به كل منهي عنه شرعاً فكل ممنوع في الإسلام - ما عدا حالات الكفر والقتل والزنا- يستباح فعله عند الضرورة إليه، بشرط ألا ينزل منزلة المباحات، ومن تطبيقاتها إباحة كشف عورة المريض عند الطبيب للضرورة[٢٩].

الفرع الرابع: الضرورات تقدر بقدرها: وهي كذلك متفرعة عن قاعدة المشقة تجلب التيسير.

ومعنى القاعدة[٣٠]: إن كل ما أبيح للضرورة من فعل أو ترك، فإنما يباح بالقدر الذي يرفع الضرر والأذى، ولا يجوز استباحة أكثر مما تزول به الضرورة، ومن تطبيقاتها: أن الجبيرة يجب أن لا تستر من الأجزاء الصحيحة غير المريضة إلا بقدر ما لا بد منه، وكذلك على ذوي الاحتياجات الخاصة أن يأتوا ما يستطيعون منه، فمثلاً له أن يتوضأ كما يتوضأ السليم، ويعذر في الجزء غير الموجود عنده، وللمريض أن يتمم إذا لم يستطيع الوضوء.

الفرع الخامس: الحاجة تنزل منزلة الضرورة، عامة كانت أو خاصة:

وهي متفرعة عن قاعدة المشقة تجلب التيسير وتعرف الضرورة بأنها: "أمور لا بد

منها من أجل قيام مصالح الدين والدنيا، وإذا ما فقدت وقع الناس في فساد ويترتب على مخالفتها ضرر وأذى يلحق بالنفس"[٣١].

ونعني بالقاعدة: إن التخفيفات الشرعية الاستثنائية، لا تقتصر على حالات الضرورة بل تتعداها إلى حالات الحاجة العامة والخاصة ومن تطبيقاتها:

أولاً: الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة: كإباحة النظر إلى العورة في بعض الحالات الاستثنائية كالمداواة والخطبة والشهادة.

ثانياً: الحاجة الخاصة تنزل منزلة الضرورة: نحو إباحة لبس الحرير للرجل كحالة مرضية[٣٢]، ولذوي الاحتياجات الخاصة حاجة خاصة تخصهم وهذه الحاجات تنزل منزلة الضرورة، وهناك قواعد أخرى تؤيد فكرتنا فمثلاً قاعدة «الضرر يزال» ودليلها "لا ضرر ولا ضرار"[٣٣] وتطلب القاعدة رفع الضرر وترميم آثاره بعد الوقوع[٣٤] كالحجر على الصغير والمجنون، وهناك قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالباً، لأن عناية الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات، ولذلك قال ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه"[٣٥] ومن ثم سمح له في ترك بعض الواجبات بأدنى مشقة كالقيام في الصلاة والفطر والطهارة للإنسان المحتاج وبحاجة إلى هذا التشريع ولم يسامح في الإقدام على المنهيات وخصوصاً

الهوامش:

١- سورة النور آية ٦١

٢- القرطبي، أبو محمد عبد الله بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٣م، ص ٤٧٠٥، وسيشار إليه فيما بعد بالقرطبي، الجامع.

٣- سورة الفتح آية ١٧ .

٤- القرطبي، الجامع، ٦٠٩٣/٩ - ٦٠٩٤ (ط دار الريان للتراث).

٥- سورة المائدة آية ٦ .

٦- القرطبي، الجامع، ٦٠٩٣/٩ - ٦٠٩٤ (ط دار الريان للتراث).

٧ سورة الحج آية ٧٨ .

٨- القرطبي، الجامع، ٤٤٩٢ - ٤٤٩٣ .

٩- سورة التوبة آية ٩١ .

١٠- القرطبي، الجامع، ٣٠٦٥/٩ .

١١- سورة البقرة آية ٢٨٦ .

١٢- القرطبي، الجامع، ١٢٣٧/٩ .

١٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار إحياء التراث، المجلد الأول، ص١٦، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وسيشار إليه فيما بعد بالبخاري، الصحيح.

١٤- البخاري، الصحيح، ١٠٢/١٢،المجلد رقم ١٥، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (ط ٢٠٠٠، ٣م، دار الكتب العلمية).

١٥- البخاري: الصحيح، ١٦/١، كتاب الإيمان باب الدين يسر، الدلجة: من أدلج سار الليل كله (الفيومي: المصباح المنير: ٧٦).

١٦- البخاري، الصحيح، ١٥٩/٨، المجلد العاشر، كتاب المغازي (منشورات محمد بيضون).

١٧- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث المنار السبيل، المكتب الإسلامي، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الجزء الثالث، ص٤٠٨، كتاب الزكاة، رقم الحديث (٨٩٦)، قال عنه: "صحيح" وسيشار إليه فيما بعد بالألباني: إرواء الغليل.

١٨- البخاري، الصحيح، ٣١٢/١٣، (المجلد ١٦) كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ط ٢٠٠٠ دار الكتب العلمية.

١٩- البخاري، الصحيح، ٢٧/١، كتاب العلم، باب كان ﷺ يتخولهم بالموعظة.

٢٠- البخاري، الصحيح، ١٠/١ -١١، كتاب الإيمان، باب أنا أعلم بالله.

٢١- الرازي، مختار الصحاح، ٥٤٤ .

٢٢- سورة البقرة آية ١٢٧ .

٢٣- الباز، سليم الباز، شرح مجلة الأحكام العدلية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ص ١٧، وسيشار إليه فيما بعد بالباز، شرح المجلة.

٢٤- الزبيدي، تاج العروس، ٣٩٦/٦ (ط دار ليبيا ١٩٦٦م).

٢٥- الشاطبي، الموافقات، ١١٩/٢ .

٢٦- السيوطي، جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٣م، ص ٨-٨١، وسيشار إليه فيما بعد بالسيوطي، الأشباه والنظائر.

٢٧- الشاطبي، الموافقات، ١٢٣/٢ .

٢٨- سورة البقرة آية ١٨٥ .

٢٩- الزحيلي، وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، مؤسسة الرسالة، ط٢، ص ٢٦٦، وسيشار إليه فيما بعد بالزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية .

٣٠- الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، ٢٤٥، علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، دار الجيل، ط ١٩٩١ م، المجلد الأول، ص ٣٨، وسيشار إليه فيما بعد بعلي حيدر، درر الأحكام .

٣١- الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص ٨، وما بعدها.

٣٢- السيوطي، الأشباه والنظائر، ٨٨، الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، ٢٢٦-٢٥٧، علي حيدر، درر الأحكام، ٣٥/١-٣٨ .

٣٣- الألباني، إرواء الغليل، ٤٠٨/٣، الزكاة، رقم الحديث ٨٩٦، قال عنه: "صحيح".

٣٤- الزرقا، المدخل، ٩٨٢/٢ .

٣٥- البخاري، الصحيح، ١٦/١، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

٣٦- السيوطي، الأشباه والنظائر، ٨٧ .

نظرية النظم وتكون اللغة وانتاجها

بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي النظم في مجال الأدب

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

ان النفس تكون هادئة وهي تعبر عن الفكر، وأكثر هدوءاً وهي تعبر عن العلم البحت (الرياضيات والهندسة) وعن العلم التجريبي، اذ ان النشوة النفسية، يأتي معظمها بعد انجاز العلم، وتحقيق النتائج التي افترضتها الفرضية، أو جاءت بها المصادفة، التي نبعت خلال البحث التجريبي.

أما في مجال الأدب فإن حركتها تكون عنيفة، على تفاوت بين الأديب عند انشاء الرواية، عنها عند انشاء القصة، عنها عند انشاء الشعر، تكون حركتها قوية جداً في الشعر العظيم، بحيث تبلغ ستين درجة بالمئة أو أزيد، وتهبط الى خمسين بالمئة أو أقل في القصة، ولكنها تهبط الى ثلاثين بالمئة في الرواية.

وبهذا يكون حظ المعاطفة اكثر من ضعف حظ العقل في الشعر، ثم يزداد حظ العقل قليلاً في القصة، ثم يربو على حظ العاطفة في الرواية، ويكون التعبير في الشعر العظيم اكثر تعقيداً لترتيب الألفاظ الطبيعية في التعبير من ترتيبها في القصة، وفي القصة اكثر منه في الرواية، وطبعاً يكون في الرواية اكثر منه في العلم، اما الفكر فلسفة ونقداً فيأتي بين الأدب والعلم، بل ان جيشان العاطفة في الشعر يضع امام

العقل صوراً -تشبيهات ومجازات- لا يضع أمام العقل مثلها في العلم، اذ يكاد العلم يكون خالياً من الصور، من التشبيهات وخاصة من الاستعارات[١].

❖ مثالان على لغة الشعر:

ولنمثل على لغة الشعر ببيتين احدهما للدلالة على تعقيد التركيب في الشعر او على كثافته، والآخر للدلالة على اهتمام الشعر بالصور، يقول الأخطب الأموي في وصف النساء الجميلات على الضعائن:

حتّوا المطي فولتنا ركابهم

وفي الخدور اذا باغمتها الصور[٢]

في الشطرة الثانية، الترتيب البسيط هو: «الصور في الخدور اذا باغمتها» ولكنك ترى هذا الترتيب الذي قدمناه به المبتدأ وهو «الصور» ثم جاء بالمتعلق بالخبر «في الخدور» ثم بالشرط «اذا باغمتها» ترى بهذا الترتيب ان جمال الشطرة ضاع، وان إحكام التركيب تفكك، وان الكلام أصبح نثراً رديئاً ولكن في حالة ترتيب الشاعر للشطرة، جاء الكلام محكماً، فقد قدم متعلق الخبر «وفي الخدور» لأهميته، لأن النساء مسافرات، والشاعر يريد ان يسبق الى ذهن المتلقي الى ان هؤلاء النسوة منعمات، لا يمشين على ارجلهن، وانما هن على الضعائن وفي الخدور ايضاً، اي: لكل منهن خدر على ظهر الناقة يقيها الحر والبرد ونظرات المتطفلين، فهن منعمات مصونات، ثم قدم الشرط «اذا باغمتها» قبل المبتدأ «الصور» ليشعرك انهن لسن سوقيات يثرثرن مع الغادي والرائح، وانما هن متعززات لا يكلمهن الا من يهفو الى كلامهن، ومن دلائل أنهن منعمات انهن لا يصوتن من حلوق خشنة، وانما هن يساقطن الكلام كالبغام «والبغام صوت الظبية» فهو يخرج من اللسان والشفاه لا من الحلق.

وأظنك الآن أدركت من الكلام السابق: لماذا أخر المبتدأ «الصور» فلا بد من الاحتراس قبله بأن هؤلاء النسوة الجميلات في الخدور، ثم ان البغام لا يناسبه الا الصور من النساء، اي الجميلات، لأن المصور «الرسام» غالباً ما يجود الصورة حتى تكون أقرب الى المثال، فالصوت الرقيق الرخيم لا يصدر من المرأة المنعمة الحسناء.

ويقول الفرزدق عن غزو الشيب الشباب مهتماً بالصور:

والشيب ينهض في الشباب كأنه

ليل يصيح بجانبيه نهار

فالشيب اصبح في نفس الشاعر من الأحياء ينهض ليطرد الشباب «ممثلاً بالشعر الأسود» ثم شبهه بصورة الليل يقتحم حماه النهار، ثم شخص النهار والليل، فالليل كقطيع الأغنام الأسود، والنهار كالراعي يصيح بجانبي قطيعه، لكي ينطلق في الصباح الى المرعى.

ولن تجد مثل هذا البيت والذي قبله في نص علمي أو فكري.

❖ البنيتان:

اما البنية العميقة والبنية السطحية في نظرية تشوم، كما اصطلح على تسميتها الدكتور العمايرة، فإنني لا أرى أن هذين الاصطلاحين دقيقان، وأدق منهما ان نقول: البنية الخفية والبنية الظاهرة، لأن تسميتها بالبنية العميقة والبنية السطحية، يعني ان البنية الأولى ذات تركيب وعمق، واما الثانية فهي بسيطة ساذجة، مع ان البنية العملية هي صورة ظاهرة عملية للبنية الداخلية المجردة، غالباً، ولهذا، فالتسمية التي اقترحتها هي اقرب الى الصحة، فليس الفرق بينهما غالباً، ان الأولى أجود من الثانية، بل الفرق بينهما فرق مكان فالأولى كامنة في موضعها من الدماغ، والأخرى صيغة عملية منطوقة او مكتوبة، ولهذا فلا مندوحة من ان نترجم «Deep» بالداخل او «Surface» بالظاهر.

ثم فمن حيث المعنى فلا جديد يطرحه هذان الاصطلاحان، اذ هما يعيدان ما قيل سابقاً في الرقم الأول، وهو ان البنية الداخلية «كما سميتها» هي الخلايا التي تستقبل اللغة، ثم يؤدي ورود اللغة إليها شيئاً فشيئاً، الى تخزينها والى نمو القوالب «القواعد والقوانين»، في هذه الخلايا شيئاً فشيئاً، هذه القوالب التي يقاس بها صحة اللفظ من خطئه، ويقاس بها صحة التعبير من خطئه كذلك.

اما البنية الظاهرة، فهي التجسيد العملي، المنطوق والمكتوب، لما استقر في هذه القوالب، وقد يكون مجرد استرجاع لما استقر في تلك القوالب، وقد يكون ابداعاً يجري على بنية هذه القوالب، ولكن بتشكيل جديد مبدع للمعاني والألفاظ، لأن هذه القوالب مرنة بحيث تسمح بالتدفق الجديد او الفيض الابداعي، معنى وصوراً وتعابير.

❖ تحدث الجرجاني قبل تشوم:

وقوله: «فهو الأداء» الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف

«خطأ» ناتج عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية.. الخ.

أقول: هذا الأمر تحدث عنه الجرجاني بقوله: فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه، ان كان صواباً، وخطؤه ان كان خطأً، الى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، ألا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم او فساده، او وصف بمزية وفضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في اصل من أصوله، ويتصل بباب من ابوابه(٣).

أقول: ان اعتبار الجرجاني النظم -صحة وفساداً- راجعاً الى معاني النحو، اي راجعاً الى القالب الذي تشكل في خلايا الدماغ التي تخص اللغة، يماثل هذا الذي سمّاه تشوم الكفاية، لأن معاني النحو (اي مصطلحاته) راسخة في الخلايا المذكورة سابقاً.

وصحة النظم وفساده ترجعان الى معاني النحو، اي: ان صحة النظم وفساده انما هي الصورة القولية الظاهرة، أي: هي الأداء كما عبر عنه تشوم، (الاختلاف في التعبير وليس في المعنى المركزي)، ومعاني النحو هي الكفاية(٤)، كما اسلفنا، والجرجاني، ليؤكد نظرته، يضرب مثلاً على صحة النظم، وآخر على فساده ومن أمثلته على صحة النظم التي تعني اتفاق التعبير مع معاني النحو، اي اتفاق البنية الخارجية مع البنية الداخلية، قول البحتري:

بلونا ضرائب من قد نرى
فما ان وجدنا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثات
عزماً وشيكاً ورأياً صليبا
تنقل في خلقي سؤدد
سماحاً مرجى وبأساً مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخاً
وكالبحر ان جئته مستثيبا

ثم يوضح جوانب الجمال في الأبيات، فيقول: أفلا ترى ان اول شيء يروقك منها قوله: هو المرء أبدت له الحادثات، ثم قوله: تنقل في خلقي سؤدد، بتنكير السؤدد، واضافة الخلقين اليه، ثم قوله: فكالسيف، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ لأن المعنى لا محالة، فهو كالسيف، ثم تكريره الكاف

في قوله: وكالبحر، ثم ان قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطاً وجوابه فيه، ثم ان اخرج كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما اخرج من الآخر، وذلك قوله: صارخاً، هناك و: مستثيباً، ها هنا؟ لا ترى حسناً تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت، او ما في حكم ما عددت[٥] أقول: ليس سببه الا قوالب النحو الراسخة في الدماغ.

ومن أمثلته على فساد النظم اي: انحراف القول الظاهري عن البنية الداخلية، أي: انحراف الاداء عن الكفاية، (الفرق فرق اصطلاحات وليس فرق حقائق) قال: مثال من قول المتنبي:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمـه

بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

ومع انه لم يحلل البيت لكنه ضربه مثلاً على فساد النظم، ونظم البيت دون انحراف (وفاؤكما بأن تسعداني -ايها الصديقان- وتهتما بأمري كالربع كلما كان اكثر عفاءً كان اكثر جلباً للحزن، كما ان الدمع يشفي من الحزن اذا كثر انهماله).

❖ التقديم والتأخير يؤثر أحياناً:

وقول تشوم الأخير الذي اورده الدكتور العمايرة: «بأنه قد ينطق بالبنية السطحية المتكلم.. مقدماً جزءاً من الجملة النواة على الآخر، وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم او في الكشف عنه»[٦].

أقول: قد نعذر تشوم بهذا القول بعض العذر لا كله، لأن تغيير الترتيب في الجمل في اللغة الانجليزية قليل، فهي على الأغلب ذات قوالب جامدة (جمل انماطية) خلافاً للغة العربية ذات القوالب المرنة في اكثرها، فهي جمل نماذجية، ولكن الحق ان تغيير الترتيب يؤدي الى تغيير في معنى التعبير (ظلال المعنى)، وان لم يؤثر في المعنى المركزي او الغرض، كما سماه الجرجاني او المعنى (النواة) كما سماه تشوم، اقرأ ما يقوله الجرجاني عن هذا التغيير، يقول: «لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها»[٧].

أقول: ونمثل على ذلك بقوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾** البقرة: ١٧٩، فلو قال أحد الناس: «ولكم حياة في القصاص» لتغير المعنى كثيراً، لأن القرآن الكريم عندما قدم كلمة **﴿في القصاص﴾** على كلمة **﴿حياة﴾** انما كان ذلك ليوجه الانظار الى القصاص لأهميته، لأن

القصاص يقلل نسبة القتل العمد كثيراً، فمن ينوي القتل يتردد كثيراً قبل ان يقدم، لأنه يعلم ان مصيره القتل بالقصاص، ولا شك ان الذي يعلم انه اذا قتل رجلاً عمداً سيسجن ولن يقتل، قصاصاً فإنه يكون اجرأ على القتل عشر مرات من الذي يعلم انه مقتول لا محالة اذا قتَل.

فإذا اضفت الى ذلك ان المتلقي للعبارة ﴿في القصاص﴾ يتوقع ان يكون تمام العبارة «قتل المقاتل» ولكنه يجد كلمة تسوغ قتل القاتل وهي كلمة ﴿حياة﴾ فيحس براحة وتعجب وعثور على كنز لم يكن يخطر له ببال، وليس شيء من هذا يكون لو قدمت ﴿حياة﴾ وأخرت ﴿في القصاص﴾ ان الفرحة المفاجئة التي لم تكن تنتظرها او تتوقعها الآتية من عبارة القرآن تفتقدها في عبارتنا التي غيرنا بها ترتيب عبارة القرآن، لا شك ان المعنى المركزي لا يتغير، ولكن ظلاله تغيرت كثيراً كما عرفت آنفاً.

◆ الجرجاني اسبق واعمق من تشوم:

اذن الجرجاني كان اكثر وعياً من تشوم الى ان تغيير ترتيب ألفاظ الجملة (وهو ما سماه تشوم: التحويل) يؤدي الى تغيير في المعنى، اي: في ظلال المعنى على الأقل.

◆ تلخيص:

وأخيراً نلخص ما سبق في النقاط الثماني الآتية:

١- مصطلح الفطرية والشمولية مضمونهما بديهي، اذ لا يمكن ان يتعلم الانسان شيئاً -لغة أو غير لغة- لولا انه مزود باستعداد فطري لذلك، ثم لا يمكن ان يأتي بجديد في الفكر والأدب لولا ان عقله قابل لتكوين قوالب لفظية محدودة، قادرة على انتاج عبارات غير محدودة، وهذا فهم كان ابن خلدون قد سبق في توضيحه تشوم، والقرآن الكريم سبق ابن خلدون وتشوم في توضيح ذلك.

٢- اللغة اكتساب، كما يقول السلوكيون، لا يتم لولا ان في خلايا الدماغ ما يستقبل اللغة ثم يتكون فيها قوالب قادرة على انتاج اللغة، ثم يأتي الابداع من المبدعين عند تحويل اللغة الى فعل.

٣- لا فرق كبيرا بين الفطرية والشمول من جهة، وبين الكفاية والأداء من جهة اخرى، وهذان المفهومان سبق بهما الجرجاني تشوم بثمانية قرون.

٤- أدرك الجرجاني ان للنفس علاقة قوية في استيعاب اللغة وفي انتاجها، الى

جانب عمل العقل في هذين الأمرين، وهذا اكثر وضوحاً في الأدب.

٥- عمل النفس وحفزها للعقل للاستيعاب ثم الانتاج يقوى في مجال الأدب، ويقل في مجالي العلم والفكر.

٦- مصطلح البنية الداخلية والبنية الظاهرة، ادق من مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية.

٧- التطابق التام بين الأداء والكفاية لا يكون الا في القرآن الكريم، ويكون بنسبة عالية في الأدب الرفيع، ويضعف في الأدب الرديء وأدق من مصطلح «الكفاية» مصطلح «القدرة بالقوة» وقد تكلم عن هذا الامر اللغوي الناقد الامام الجرجاني.

٨- ليس صحيحاً ان تغيير ترتيب الكلام لا يؤثر على ظلال المعنى، المعنى المركزي قد لا يتأثر، ولكن ظلال المعنى تتأثر، لقد ادرك الجرجاني هذا بوضوح، ولم يدركه تشوم.

والله تعالى أعلم

الهوامش:

١- انظر كتابي «منابع الشعر ومكانة الشاعر» ففيه التفصيل.

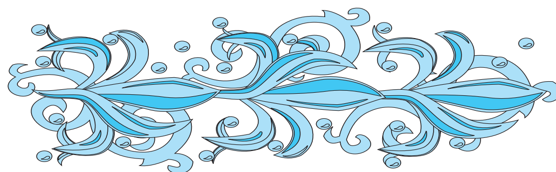
٢- معجم لسان العرب - **المطي:** النوق، **الخدور:** مثل الخيمة الصغيرة، تركب على ظهر الناقة، لكي تدخل بداخلها المرأة المنعمة، **الصور:** الجميلات من النساء، وكأنهن الرسوم، **باغم:** كلمها، فجاء كلامها ناعماً رقيقاً كأنه بغام الظباء.

٣- المرجع نفسه ٨٢-٨٣ .

٤-٥- والحق اني غير مرتاح لمصطلح «الكفاية» ترجمة للكلمة الانجليزية، وأدق منها كما ارى «القدرة بالقوة» اي: السابقة للفعل، وان كانت الترجمة الأولى بكلمة واحدة، وهذه بكلمتين.

٦- في نحو اللغة وتراكيبها ٥٩ .

٧- دلائل الاعجاز ٨٧ .



حقوق المرأة الإجتماعية والإقتصادية

المرأة مطالبة بالعمل بالنص القرآني

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

الإسلام يقدر العمل ويحث عليه ويأمر به، ويجعله أساس الحساب، فينال الإنسان جزاءه على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ❖ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[١] والعمل هو الوسيلة الأساسية لتنمية الإنسان فردا وجماعة في مختلف الميادين، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها، ويوصف العمل بأنه من مميزات الشريعة الإسلامية التي لا يقتصر اهتمامها على الجانب المادي فحسب أو الجانب المعنوي والروحي فحسب، بل تراعي الجانبين الروحي والمادي معا.

والإسلام لم يخص الرجال بالعمل دون النساء، وإنما أمر الإنسان بصفته إنسانا ذكرا كان أم أنثى أن يعمل، ورتب للعامل سواء كان ذكرا أم أنثى أجرا عظيما، قال تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**[٢] وقال تعالى: **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**[٣] وهاتان الآيتان وغيرهما من الآيات القرآنية، تدل دلالة واضحة على أن المرأة مطالبة بالعمل مثلها مثل الرجل مع اختلاف نوع العمل الذي يقوم به كل منهما بحكم طبيعته.

وعليه تعد مشاركة المرأة في الصالح العام بالخدمة والفكر والإرشاد أساسية كما جاء في قوله تعالى: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾**[٤] وبذلك يعتبر العمل في الإسلام من أول واجبات الحياة، وما أروع قول الرسول ﷺ في الحث على العمل وتعمير الأرض حتى

آخر رمق من الحياة: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[٥].

ولا يتوقف عن العمل وإعمار الأرض، وذلك أن نظرة الإسلام للعمل تقوم على أساس تكريمه وتشريفه والحث عليه، فشعار الإسلام كله في خطابه للناس كافة قول الله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[٦].

والعمل الذي يكرمه الإسلام هو العمل العقلي واليدوي لقوله ﷺ: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له"[٧]، لذلك لا يمكن أن يكون للإسلام موقف عام رافض لقيام المرأة بالعمل خارج البيت، وليس هناك أي نص قرآني أو حديث نبوي يمنع المرأة من العمل"[٨] ولكن الإسلام لم يدخل في تفاصيل الأعمال التي تناسب الرجال ولا تناسب النساء، بل ترك ذلك لما تمليه الفطرة والواقع المعيشي والميول الطبيعية لدى الجنسين.

وبما أن الإسلام وضع المرأة في مكان المسؤولية: عامها وخاصها، وأمرها بتعلم وتعليم ما تحتاجه من دينها ودنياها، وفسح لها المجال في الجهاد والغزو فلم يكن من المعقول أن يسلبها أهلية مباشرة الحقوق المدنية من بيع أو شراء، فأباح لها أن تملك وأن تتصرف بما تملك وأن توكل غيرها فيما لا تريد مباشرته بنفسها، وأن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها كالرجل تماما بحيث لم يفرق بينهما كما في قوله تعالى: **﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾**[٩].

والإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة لا في الأجر على العمل ولا في ربح التجارة ولا في إنتاج الزراعة، فالرسول ﷺ كان يعطي المرأة من الغنيمة مثلما يعطي الرجل، ولما اكتشف الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه منجما للذهب سوى في توزيعه بين الرجال والنساء، فوضع بذلك قاعدة مفادها أن الرجل والمرأة سواء ما دامت تقوم بنفس العمل وتتحمل نفس التبعة والمسؤولية"[١٠].

وليس صحيحا أن الإسلام منع المرأة من العمل بمنعها من الخروج من بيتها وأمرها بالقرار فيه، فالإسلام عندما أمر النساء بالقرار في البيوت بقوله تعالى: **﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**[١١] فإن هذه الدعوة إلى القرار في البيوت ليست مانعة من خروج المرأة من البيت، ولا هي

مانعة لها من العمل، ولا هي موجهة للمرأة المسلمة عامة، فالقرار في البيت لا يمكن اعتباره حبسا وتعبيرا عن العجز العقلي للمرأة، لأنه لا ينص على ذلك، وإنما سمح لهن بالخروج من البيت لقضاء أية حاجة سواء كانت عملا أو بيعا أو شراء أو زيارة، ولكن بشرط أن يحدث ذلك في إطار العفة والاحتشام وعدم الوقوع في الخطأ أو إيقاع الرجل في الفتنة أو الخطأ، ودليل ذلك أن الرسول ﷺ اعتبر القرار قياما بواجب يكافئ واجب الرجل في الجهاد في سبيل الله.

فالقرار إذن ليس حبسا ولا عزلة، بل هو تفرغ للقيام بعمل ووظيفة، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاءت النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن: يا رسول الله ذهب الرجال بفضل الجهاد في سبيل الله فما لنا من عمل المجاهدين؟ فقال: من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله"(١٢).

ومن البديهي انه لا يمكن للقعود المجرد بحد ذاته أن يكون في منزلة الجهاد في سبيل الله، وإنما قصد الرسول ﷺ القعود الذي تتفرغ فيه المرأة لعمل وإصلاح وتربية لبيتها وأبنائها وزوجها، وبمعنى آخر لأسرتها، وسبب القرار هو حماية لأزواج النبي ﷺ وصوناً لهن من اللمز والهمز والإساءة بما لا يليق بمكانتهن ومنزلتهن التي هنَّ فيها لكونهنَّ زوجات الرسول ﷺ.

وواضح تماماً أن الدعوة موجهة مباشرة إلى نساء النبي دون غيرهن من نساء المسلمين، ذلك أنهن لسن كغيرهن من النساء، فهن أمهات المؤمنين جميعاً، ولا يحلُّ لهن أن ينكحن زوجاً غير النبي ﷺ بعد فراقه سواء بالطلاق أو بالموت، وليس هذا شأن النساء المسلمات الأخريات اللواتي يحل لهن الزواج بعد فراق أزواجهن، وبالتالي فإن استنتاج قاعدة عامة شاملة لجميع النساء ليس في محله، ولا يُقصد منه إلا محاولة النيل من الإسلام وتشويه حقيقة موقفه من المرأة، فحاولوا تفسير هذا القرار على أنه حكم بالحبس والعزلة للمرأة عامة!.

ولنا أن نتساءل هل هناك سوابق من عمل النبي ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله عليهم تمنع المرأة من العمل؟ والجواب على ذلك هو بالنفي قطعاً، حيث أن النساء اشتركن في مبايعة النبي ﷺ في بيعة العقبة، واشتركن مع النبي ﷺ في الجهاد والغزوات يداوين الجرحى ويسقين

المجاهدين ويحرضنهم على القتال ويرفعن من معنوياتهم، بل ويجهزن على بعض المقاتلين من الكفار، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن الربيع بنت معوذ قولها: "كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة"، وقد كان في عهد النبي ﷺ من النساء من اشتركن في الجهاد وهاجرن وساهمن جنباً إلى جنب مع الرجال في المعارك، فقد قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب في معركة أُحد فكانت تضرب بالسيف وترمي بالقوس وتذود عن النبي ﷺ وكانت من القِلَّة التي ثبتت معه ﷺ حين اشتد الكرب وحمي أوار القتال وانهزم المسلمون وتزاحم الكفار على النبي ﷺ حتى قال عنها: "لَمقام نسيبة خير من مقام فلان وفلان وفلان"(١٣).

ورُوي أن أم سليم بنت مامان الأنصاري كانت تسبق الشجعان في الجهاد، وروى مسلم في صحيحه عن أم عطية الأنصارية قالت: "غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى"(١٤)، وكان لصفية بنت عبد المطلب - عمة الرسول ﷺ موقف بطولي يوم الخندق، فقد قتلت يهودياً يدور بالحصن لم يجرُأ حسان بن ثابت رضي الله عنه على قتله(١٥).

وكانت سمية بنت خياط أم عمارة وزوجة ياسر إحدى سبعة أشخاص أظهروا الإسلام في مكة، وكانت أول شهيدة في الإسلام، وهذه خولة بنت الأزور أبلت بلاءاً حسناً في معركة أجنادين عندما أُسر أخوها ضرار بن الأزور، فظلت تقاتل إلى جانب خالد بن الوليد حتى تم تخليص ضرار من الأسر، ولا يمكن أن ننسى المجاهدة البطلة، صانعة الأبطال الشاعرة الخنساء ابنة عمرو السلمية التي شاركت في معركة القادسية وحرضت أبناءها الأربعة على الجهاد في سبيل الله، فعملوا برأيها وأبلوا بلاءاً حسناً حتى استشهدوا، فقالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"(١٦).

وقد علَّم رسول الله ﷺ أمَّ عطية كيف تغسل الأموات، وعلَّم ابنته فاطمة كيف تعالج الجروح حتى تبرأ، وفي إحدى الغزوات استأذنت امرأةٌ الرسول ﷺ أن تخرج لجذاذ النخيل فأذن لها، وكذلك جلست كثير من النساء مجالس العلم والتعليم، فيقول أبو الحسن الأشعري: "ما أُشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا لديها علماً فيه"(١٧)، بل إن مشاركة

المرأة في الحياة العامة تجاوز هذه الأعمال حتى في الإجارة والأمان، فقد قبل النبي ﷺ إجارة أم هانئ ابنة أبي طالب لأحد الكفار يوم فتح مكة، فقد جاءت إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله زعم ابن أبي طالب (علي رضي الله عنه) أنه قاتل رجلاً أجرته، فقال لها: "قد أجرنا من أَجَرتِ يا أم هانئ"(١٨) كما أن المرأة مأمورة أن تشارك في الإصلاح العام عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر**﴾(١٩).

وهكذا يكون عمل المرأة من وجهة نظر فقهية إسلامية على الإباحة الأصلية، ويكون من وجهة نظر اجتماعية مرهوناً بظروف كل مجتمع، مرتبطاً بأحوال الزمان والمكان، ولذلك تكون الدعوة إليه (إلى العمل) وإلى منعه قضية اجتماعية تحتاج إلى البحث عن المصلحة الإجتماعية أكثر من احتياجها إلى البحوث الفقهية(٢٠) وما حدث فيما بعد من حيف على المرأة و منعها من القيام بدورها في العمل والمشاركة في الحياة العامة يرجع إلى إساءة فهم التشريع مرة وإلى إساءة تطبيقه تارة أخرى، وأنه ليس من الإسلام من شيء في أن تلقي المرأة حظها في بناء المجتمع الإسلامي على كاهل الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها فالحياة لا تستقيم إلا بتكليف الجنسين فيما ينهض بالمجتمع.

إذن فإن عدم مشاركة المرأة للرجل في العمل، والإصرار على أن تبقى قابعة في البيت لا تغادره ليس لهما أساس من النصوص الشرعية، وإنما ذلك انعكاس لموقف اجتماعي خاص -وليس دينيا- حددته ظروف اجتماعية وثقافية ترتبط بمرحلة من مراحل نمو المجتمع، كما يرتبط بتأثير التقاليد المستقرة وقابليتها للتطور والتغير تحت تأثير عوامل التعليم والثقافة وزيادة الانفتاح على بيئات وثقافات أخرى.

فهذا التصور الذي ينظر إلى المرأة من زاوية واحدة باعتبارها موضوعاً لإشباع رغبة الرجل عاطفياً وجنسياً، ولا يكاد يصل إلى أبعد من ذلك ليرى فيها جوانبها الإنسانية والعقلية، أو ليستشعر وظيفتها الكبرى في التربية والحضانة وتكوين الأسرة ورعايتها ومشاركة الرجل في حمل تبعات تنمية المجتمع وعمارة الأرض، هو حصيلة الإصرار على أن المرأة لا دور لها خارج البيت، وعلى أنها بحكم تكوينها العقلي والبدني والعاطفي أضعف من الرجل وأدنى منه مرتبة.

ونؤكد هنا أن هذا التصور ليس التصور

الإسلامي لقضية المرأة عامة، وأنه لا توجد أية نصوص شرعية تقر ذلك، وإنما هو تصور الناس في البلاد الإسلامية بحكم العادات والتقاليد والثقافة الإجتماعية والجهل بتعاليم الدين وسوء فهمها أو إساءة تطبيقها، وواضح أنه يوجد بَوْن شاسع بين أن يكون ذلك تصور الإسلام، وبين أن يكون تصور الناس في بلاد الإسلام.

فممارسة السلوك أو نشوء الفكرة أو ظهور الموقف داخل الإسلام التاريخي أو الجغرافي أي في بلاد المسلمين، كلها أو بعضها، وفي أزمنة مختلفة لا يمكن إعتباره أساساً حقيقياً لإعتباره سلوكاً أو تصورا أو فكرة أو موقفاً إسلامياً نابعاً من تعاليم الإسلام، فالمسلمون عبر التاريخ مارسوا ألواناً متعددة من نماذج السلوك واتخذوا عشرات بل مئات المواقف، بينها من

الهوامش:

١- الإخلاص: ٦ - ٧ .

٢- آل عمران: ١٩٥ .

٣- النجم: ٣٩ .

٤- النساء: ١٢٤ .

٥- أخرجه أحمد في المسند، ج٣، ص ٢٣٤ .

٦- التوبة: ١٠٥

٧-٨- اليونسكو، ندوة الخبراء حول المرأة العربية والتغيرات الإجتماعية والثقافية، القاهرة، يناير سنة ١٩٨٧م، ص٦١ .

٩- النساء: ١٢٤ .

١٠- حبيبة البارفودي، حقوق المرأة الإجتماعية والإقتصادية، في ندوة الخبراء حول المرأة العربية، بغداد ١٩٨٧، ص١٢٤ .

١١- الأحزاب: ٣٢ - ٣٣.

١٢- رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك.

١٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، مجلد ٨ من ص٤١٣ - ٤١٦ .

١٤- أخرجه مسلم في صحيحه عن هشام بن حسان بإسناده، ج ١٢، ص١٩٤ وكذلك البخاري في مختصر صحيح البخاري، حديث رقم ١١٣٢ وكذلك ابن سعد، المرجع السابق، ص٤٥٥ .

١٥- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص ٢١٨ .

١٦- المصدر نفسه، ج٨، ص٣٢٩، وكذلك ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٤٤ .

١٧- اليونسكو، ندوة الخبراء حول المرأة العربية، ص٦٢ .

١٨- البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه ورواه الترمذي برواية أخرى، أنظر مشكاة المصابيح، ج٢، ص ١١٦٤، رقم ٣٩٧٧.

١٩-٢٠- حبيبة البارفودي، مرجع سابق، ص ١٢٥.

٢١- د. أحمد كمال أبو المجد، التصور الإسلامي لقضية المرأة، في ندوة الخبراء، ص٥٥ .

كتاب
«جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» لحافظ الأندلس ابن عبد البر

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

من الملاحظ ان اهل الأندلس والمغرب وحكامها، كانوا كثيري الاهتمام بالحديث، ولا سيما في القرن الخامس الهجري، وهو القرن الذي ظهر فيه المحدث الفقيه والفيلسوف ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ، والشيخ عبد الله بن ياسين زعيم دولة المرابطين المتوفى سنة ٤٥٦هـ، كما ظهر في القرن السادس المهدي بن ترمرت المتوفى سنة ٥٢٤هـ، والخليفة الموحدي المحدث يعقوب المنصور المتوفى سنة ٥٩٥هـ «تاريخ الاسلام، حسن ابراهيم حسن، القاهرة ١٩٦٨، ص٤٤٨-٤٤٩ .

إلا أن أشهر محدثي الأندلس في هذه الفترة هو الحافظ القرطبي ابو عمر يوسف ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٢هـ، الذي أطراه ابو الوليد الباجي، فقال عنه: لم يكن في الأندلس مثله في الحديث، ومن اشهر مؤلفاته كتاب «الاستذكار لمذاهب الاعصار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»، وقد جمع ابن عبد البر الصحابة في كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» الذي خصصناه بمقال آخر، وله ايضاً كتاب «الدرر في المغازي والسير» وكتاب «بهجة المجالس وأنس المُجالس».

اما كتابه «جامع بيان العلم» فإنه كتاب تعليمي تربوي، فقد سبق واختصره محمد

المحمصاني عن طبعة المدينة المنورة، وقد بدأه ببيان معنى العلم وفضله (ص٣-٦) ثم انتقل الى باب خصه بقول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(ص٧-١٣)، وأورد الأحاديث التي في هذا السياق، وتحدث عن رواتها، ثم انتقل الى الكلام عن تفريع أبواب فضل العلم وأهله، بما في ذلك قول الرسول ﷺ: «ينقطع عمل المرء بعد موته الا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»، (ص١٣-١٦) ثم انتقل الى أبواب اخرى ذات صلة بهذا المآل، مثل قوله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله» وقوله ﷺ: «لا حسد الا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»(ص١٦-٢٠).

ويستمر في هذا السياق، ويورد الآيات التي تؤكد هذا المعنى، ومنها ما ورد في باب سماه «باب في تفضيل العلم على العبادة» المستفادة من قوله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة وملاك الدين الورع» (ص٢١-٢٢) ثم يأتي بالنصوص الواردة بهذا المعنى، وما قاله العلماء بشأنها، ومنها القول: «للأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة» (ص٣١)، ويوالي رواية الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى، ومنها قوله ﷺ: «طالب العلم له أجر الشهيد، ان مات وهو يطلبه» ثم يدعمه بما يروى عن الصحابة، ومنها اشعار لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه، مطلعها:

الناس في جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء

ومنها:

ما الفضل الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

كما انه يروي اشعاراً لآخرين في هذا المعنى (ص٤٨-٥٠ و ٥٤ و ٥٦ و ٥٨ و ٦٨ و ٦٩) ثم يعقد أبواباً في هذا المجال، ومنها «باب فضل التعليم في الصغر والحض عليه» ويؤيده بما روي من الشعر، وخاصة في الالحاح في طلب العلم وذم منعه (ص٨١ و ٨٣-٨٧ و ٨٨-٩٢)، ثم عقد باباً في «ذكر الرحلة في طلب العلم» (ص٩٢ و ١٠١-١٠٣» وباباً في «كيفية الرتبة في أخذ العلم» وفيه التحذير من أخذ العلم جملة واحدة لأنه يذهب عنه جملة واحدة.

ثم روى بعض أبيات الشعر، ومفادها هذا المعنى (ص١٠٤-١٠٦) ثم ينتقل الى باب سماه «مجالسة العلماء والحرص على العلم» (ص١٠٦)، ويردفها بباب «آفة العلم وغائلته وإضاعته وكراهية وضعه عند من ليس بأهله» (ص١٠٧) ثم ينتقل الى باب سماه «باب في هيبة المتعلم للعالم» (ص١١١)

وباب آخر سماه «باب جامع لنشر العلم، ص١٢٢» الى جانب باب «جامع في آداب العالم والمتعلم ص١٢٥».

ويستطرد الى ما سماه «فصل رفع الصوت في المسجد، وغير ذلك من آداب العلم، ص١٣٩»، ويردفه بـ «فصل في مدح التواضع وذم العُجب وطلب الرياسة، ص١٤١» ويدعمه بشعر من نظمه، فأورد اربعة أبيات في هذا المآل، ص١٤٣-١٤٨».

ثم ينتقل الى باب «حال العلم عند الفساق والأرذال، ص١٥٧»، وباب آخر عن «استعاذة الرسول ﷺ من علم لا ينفع، وسؤاله للعلم النافع، ص١٦١» وأردفه بباب «ذم الفاجر من العلماء، وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا ص١٨٦»، وروى بعض الشعر مما له علاقة بهذا الموضوع، هذا موجز لما ورد في الجزء الأول من الكتاب.

أما الجزء الثاني في الكتاب، فيبدأه بباب في «ما جاء في مساءلة الله عز وجل العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا ص٢/٢» وأورد الكثير من الشعر مما له علاقة بهذا الموضوع (ص٢/٧-١ و ١٩-٢١).

ثم اورد باب « معرفة أصول العلم وحقيقته، وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم ٢/٢٢» وما بعدها وخاصة استشهاده بالشعر (٢/٣٥-٣٦)، ثم يتكلم عن «حدود علم الديانات وسائر العلوم والمنتحلات عند جميع اهل المقالات ٢/٣٦» ويليه ما سماه باب «مختصر في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم ٢/٤٠» ويليه باب سماه «من يستحق ان يسمى فقيهاً أو عالماً حقيقة لا مجازاً، ومن يجوز له الفتيا عند العلماء، (ص٤٣-٦٤).

وينتقل الى باب مختصر عنوانه «اثبات المقايسة في الفقه» يتضمن بعض الشعر (٢/٦٥-٦٩)، ثم يورد باباً في «خطأ المجتهد من المفتين والحكام» تضمن بعض الشعر كالمتعادل (٢/٦٩-٧٦ و ٧٧-٧٩) ويشفعه بباب «ما يكره فيه المناظرة والجدال ٢/٩٢» وفي هذا الباب كثير من الشعر (٢/٩٤-٩٩) ومنه يخلص الى باب «اثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، ص٩٩-١٠٨».

ثم ينتقل الى باب «فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والاتباع، ص١٠٩» وذكر بهذا الشأن بعض الشعر أيضاً، (ص١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١، ١٣٢) ومن هنا ينتقل الى باب عنوانه «ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والظن والقياس ص١٣٣-١٥٧» ويورد فيه كثيراً من الشعر مما له علاقة بالموضوع (ص١٥٨، ١٦٢، ١٧١، ١٧٤، ١٨٠)، ويليه باب في «الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها» (ص١٨٥)، ثم باب «موضع السنة من الكتاب

وبيانها له» (ص١٨٨)، ثم باب «في من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة ص١٩٣-١٩٨»، وباب يليه «في افكار اهل العلم وما يجدونه من الأهواء والبدع ص١٩٩-٢٠٤» وفيه الكثير من الشعر كالمعتاد، وتضمن القول بفضل «النظر في الكتب وحمد العناية بالدفاتر، ص٢١٢».

هذه خلاصة مركزة مما ورد في هذا الكتاب القيم، وقد لقي عناية كثير من علماء المسلمين، ومنهم ابن خلكان الذي اقتبس جملة مما ورد فيه، ولعل من المفيد ادراج بعضها من ذلك ان النبي ﷺ:

١- رأى في منامه انه دخل الجنة، ورأى فيها عذقاً مدلى اعجبه، وسأل عن صاحبه، فقيل له: هو لأبي جهل، فشق عليه ذلك، وقال: ما لأبي جهل والجنة، والله لا يدخلها أبداً، فلما أتاه ابنه عكرمة مسلماً، فرح به وقام اليه، وتأويل ذلك الغدق انه لعكرمة بن ابي جهل.

٢- وفي الكتاب، انه قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: كم تتأخر الرؤيا، قال: رأى النبي ﷺ كأن كلباً ابقع يلغ في دمه، فكان الشمر قاتل الحسين رضي الله عنه، وكان ابرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين عاما، ومنها ايضاً ان النبي ﷺ رأى رؤيا فقصها على ابي بكر رضي الله عنه، وهي انه ﷺ رأى كأنه وأبو بكر يرقيان درجاً، فسبقه النبي ﷺ بمرقاتين ونصف، فقال: يا رسول الله يقبضك الله تعالى الى رحمته، وأعيش بعدك سنتين ونصف السنة.

٣- ومن ذلك ان بعض اهل الشام قال لعمر رضي الله عنه: انه رأى الشمس والقمر اقتتلا، ومع كل واحد منها فريق من النجوم، فسأله عمر: مع أيهما كنت، قال: مع القمر، قال: مع الآية الممحوة، لا عملت لي عملا أبداً، فعزله، وأخيراً قتل في «صفين»، وهو مع معاوية.

٤- وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجري، فقال لها ابوها: ان صدقت رؤياك يدفن ثلاثة من خير اهل الأرض في حجرتك، ولما دفن الرسول ﷺ في حجرتها قال لها ابو بكر رضي الله عنه: «هذا أحد أقمارك وهو خيرها».

٥- وكان الشاعر الحطيئة اراد السفر، فقال لامرأته:

عدي السنين لغيبتي وتصبري
وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا
وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر.

٦- ومنها ذكر المغيرة بن شعبة عمر

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: كان والله أفضل من ان يَخدع، وأعقل من ان يُخدع.

٧- روي انه لما هبط سيدنا آدم عليه السلام الى الأرض، قال له جبريل عليه السلام: «يا آدم ان الله عز وجل قد احضرك ثلاثة خصال لتختار واحدة منها، فقال: «الحياء والدين والعقل»، فقال آدم عليه السلام: اني اخترت العقل، فقال جبريل للحياء والدين: ارتفعا فرفضا، وسألهما جبريل عن سبب عصيانهما، فقالا: لا عصيان لأننا امرنا ان لا نفارق العقل حيث كان.

وقد ذكر ابن خلكان جملة عن الأخبار تدل على مدى غنى ابن عبد البر بالمعلومات التي تصلح لروايتها في كتابه «بهجة المجالس» وقد سمي الخطيب البغدادي بحافظ الشرق بينما سمي ابن عبد البر بحافظ الغرب، وقد توفيا في سنة واحدة، وهما كما قال ابن خلكان: اماما في هذا الفن «اي في الحديث» وكان ولده عبد الله من اهل الأدب البارع، والبلاغة، وله رسائل وشعر «وفيات الأعيان - نسخة الدكتور احسان عباس ج١/٦٦-٧٢».

وقد ذكره كحالة في كتابه «معجم المؤلفين ج١٣/٣١٥» بأنه قرطبي مالكي، محدث حافظ مؤرخ عارف بالرجال والأنساب، مقرئ فقيه نحوي، روى عن كبار المحدثين «المعجم ج١٣/٣١٥»، وورد ذكره في «الصلة» لابن بشكوال ص٦١٦-٦١٨، والضبي في «بغية الملتمس ص٤٧٦-٤٧٧»، والحميدي في «جذوة المقتبس ص٣٤٤-٣٤٦»، والفتح لابن خاقان في «مطمح الأنفس ص٦١-٦٢» وابن كثير في البداية والنهاية ج١٢/١٠٤» وابن الأثير في «اللباب ج٢/٢٥٣» وابو الفداء في «المختصر في اخبار البشر ج٢/١٩٧» واليافعي في «مرآة الجنان ج٣/٨٩»، والذهبي في «تذكرة الحفاظ ج٣/٣٠٦-٣٠٧» وابن العماد في الشذرات ج٣/٣١٤-٣١٦» كما ذكرت مخطوطات مؤلفاته في كثير من مكتبات العالم، كمكتبة عاشر افندي في استانبول والاسكوريال في اسبانيا والظاهرية في دمشق وغيرها.

هذا وقد نشرت مخطوطة كتاب «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» مرتين، كانت الطبعة الأولى من قبل المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، بتحقيق عبد الرحمن محمد، ولكنه لم يقدم لها بأية مقدمة، وكانت الطبعة الثانية في المدينة المنورة ايضاً التي نشرت من قبل المكتبة العلمية، وصاحبها هو «محمد النمنكاني» وهي غير مؤرخة، وقد نشرت بمقدمة موجزة جداً، لا تزيد على نصف صفحة، أشار فيها الناشر الى انه خرج أحاديثها بالاشارة الى مواضع

العمل
عنصر من عناصر الانتاج في الاقتصاد الاسلامي

■ بقلم الاستاذة عريب احمد عودة الله

ان مفهوم العمل في المذهبين الاشتراكي والرأسمالي ضيق، فقد جعلوه مقصوراً على الانتاج، الذي تقدمه فئة من المجتمع مجردة من رأس المال، بل هو عندهم اضيق من هذا، لأنهم قصروه على الانتاج المادي دون الانتاج الفني، فإسم العمال عندهم يطلق على هذه الفئة في مقابل اصحاب رؤوس الأموال واصحاب الاعمال واصحاب المهن الحرة والموظفين.

أما في الاسلام فمفهوم العمل أوسع من ذلك، فكل جهد وعمل مادي او معنوي او مؤلف منهما معاً، يعد عملاً في نظر الاسلام، فعامل المصنع ومديره، والموظف في الدولة، والتاجر، وصاحب الأرض، والطبيب والمهندس، كل هؤلاء عمال في الدولة الاسلامية.

وعلى ذلك فالمفهوم الاسلامي للعمل يشمل كل نشاط او فعالية مشروعة في مقابل كسب، سواء أكان أجرة أو ربحاً.

❖ مشروعية العمل:

ليس كل عمل في الاسلام مرضياً عنه، ولكن العمل المباح هو المرضي عنه، فإذا كان العمل منهياً عنه شرعاً فهو غير مشروع ولا مقبول، كالمتاجرة بالمحرمات مثل: الخمر والخنزير والمخدرات، ومثل السرقة والتنجيم والشعوذة والزنا، ومثل ذلك ايضاً الاعمال الهدامة، التي تنشر الفاحشة كالمسرحيات والأفلام والقصص والصحف،

التي لا هم لأصحابها الا الدعوة الى الفساد والافساد.

ومن ينظر في النصوص من الكتاب والسنة، يجد الاسلام يحث على العمل والسعي واستعمار الارض، وينهى عن البطالة والكسل والقعود، قال تعالى: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله﴾** الجمعة: ١٠ .

وفي الحديث الشريف، يقول رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من ان يأكل من عمل يده، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري[١].

وتحرص نظرة الاسلام الى العمل على تكريسه لخدمة المجتمع الاسلامي، سواء أكان هذا الجهد بدنياً أم ذهنياً، كما تحرص على رسم معالم استغلاله بمختلف الوسائل، وتقرر ان كل من يستغل طاقته في ميدان مشروع، يعد عاملاً أياً كانت مرتبته الاجتماعية، كما لا يكفي ان ينتج العمل السلع والخدمات، بل يجب ان تفوق قيمة هذه السلع والخدمات قيمة الجهد المبذول في انتاجها[٢].

ويرى ماركس ان العامل الذي يعمل ثمان ساعات عمل، يخلق (١٦) ديناراً، يقتطع منها الرأسمالي -صاحب العمل- (٨) دنانير، ويدفع للعامل (٨) دنانير كأجور، وهي تمثل عنده فائض القيمة كما يسميها، ومعنى ذلك: ان العامل تسلم ما يقابل اربع ساعات عمل فقط (٨) دنانير، وهي الضروري اجتماعياً، واستغل اربع ساعات عمل للرأسمالي (عمل فائض) دون مقابل، وهذا عنده هو جوهر الاستغلال الرأسمالي للطبقة العاملة، ويعد ذلك أساساً للتناقضات الطبقية، والصراع الطبقي في المجتمع الذي لا يقره الاسلام[٣].

❖ وجوه العمل في الاسلام:

تكاد تنحصر هذه الوجوه في أصول ثلاثة، هي: الزراعة والصناعة والتجارة، وعليها يقوم البناء الاقتصادي، وهي أصول ترتبط بعضها ببعض، وفي ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته: «اما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش، وبمقدار ما يبذله الانسان من عمل وما يقدمه من جهد يكون نصيبه من الحياة افضل، ويكون حظه من السعادة أوفر، لذلك كانت قيمة الانسان في ان يعمل، وكانت قيمة العمل فيما يترتب عليه من ثمرة ونفع للفرد والمجتمع، ومن اجل ذلك كان العمل والمال ضرورتين من ضرورات الحياة الانسانية، كما جعل الله سبحانه وتعالى الارض بكل ما فيها، مهيأة لبذل النشاط ومسخرة لصالح الانسان وسعادته، على ان

يبذل جهده ويستغل طاقته في استخدامها والانتفاع بخيراتها[٤].

يقول ابن تيمية: «قال غير واحد من الفقهاء من اصحاب الشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم، كأبي حامد الغزالي وأبي الفرج ابن الجوزي: ان هذه الصناعات كالفلاحة والنساجة والبناية، فرض على الكفاية فإنه لا تتم مصلحة الناس الا بها»[٥].

وقال ايضاً: «ان هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الانسان، صارت فرض عين عليه، ولا سيما ان كان غيره عاجزاً عنها، فإذا كان الناس محتاجين الى فلاحة قوم او نساجتهم أو بنائهم، صار هذا العمل واجباً يجبرهم ولي الأمر عليه اذا امتنعوا عنه بعوض المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل، ولا يمكن الناس من ظلمهم»[٦].

❖ الاسلام يحث على الانتاج المثمر:

وضع الاسلام جملة من الوسائل للحث على العملية الانتاجية، التي تؤتي ثمارها خدمة للمستهلك وحماية له من الأضرار الناجمة عن عدم الانتاج، وهذه الوسائل هي:

١- يحكم الاسلام بضرورة انتزاع الارض من صاحبها، اذا عطلها وأهملها حتى خربت وامتنع عن إعمارها واستغلالها في العملية الانتاجية.

٢- تحريم جميع انواع الربا، وأهمها انحراف المال عن دوره الاساسي والطبيعي في الحياة الاقتصادية.

٣- تحريم الاكتناز والاحتكار.

٤- التحذير من صرف جهد المسلمين ووقتهم في اعمال اللهو والمجون.

٥- عدم تمركز الثروة في جهة واحدة، قال تعالى: **﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾** الحشر: ٧ .

٦- حرم الاسلام الاسراف والتبذير.

٧- اوجب الاسلام كفاية على عامة المسلمين تعلم جميع الفنون والصناعات والحرف التي يحتاجها المجتمع المسلم، والتي تعمل على الاسهام في تكافل الدورة الانتاجية.

٨- للدولة الاسلامية الحق في تخطيط الانتاج وتوجيهه لتفادي الفوضى في الانتاج.

٩- هناك أجران للمسلم المنتج، دنيوي وأخروي، لأنه اعتبر الانتاج عبادة[٧].

❖ الحسبة ووجوه العمل في الاسلام:

ان وجوه العمل في الاسلام تكاد تتحصر في أصول ثلاثة، هي: التجارة والزراعة

والصناعة، ولذلك انشئ نظام الحسبة ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان يتولاها بنفسه، فقد رؤي مرة يضرب جمّالاً ويقول له: «حمّلت جملك ما لا يطيق» والمحتسب هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو المحافظ على الآداب وعلى الفضيلة والأمانة ووظيفته: النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات احياناً، مما يستدعي الفصل فيها بالسرعة، وبالتالي فإن عمله مبني على الشدة والسرعة في الفصل.

ويشرف المحتسب على السلع المعروضة في الاسواق، وكل ما يقدم خدمة للآخرين مثل بائعي الفراء وصانعي الحلوى والشوائين، وغيرهم من اصحاب المهن والحرف والتجارة(٨).

❖ الاسلام يدعو الى اتقان العمل:

لم يكتف الاسلام بالقيام بالعمل وحسن تقسيمه وتوزيعه، انما تجاوز ذلك الى المطالبة بإتقان العمل وإخلاص النية فيه، يقول رسول الله ﷺ: «ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً ان يتقنه» وقد حث الاسلام على الاسراع في العمل، فالوقت مقوم من مقوماته، وعامل إنجاحه، كما شجع أفراد المجتمع الاسلامي على ممارسة النشاطات الاقتصادية المنتجة، سواء أكانت زراعية ام صناعية ام تجارية، يقول الرسول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير او انسان الا كان له صدقة» وقال ﷺ: «خير الكسب الصانع اذا نصح» وقال ﷺ: «التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» كما يقول ﷺ: «تسعة اعشار الرزق في التجارة».

والعمل في الاسلام التزام عام مع وجوب مداومته مع الاستثمار، ووجوب اتباع ارقى وأحدث الأساليب في الانتاج، قال تعالى: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** الزمر: ٩ .

ويدعو الاسلام الى مراقبة الأعمال ومنع الضار منها، كما يدعو ايضاً الى تحديد الأجور والتدخل في سوق العمل، ويؤثر العمل في الاسلام على موارد الدولة ونفقاتها، فالزكاة تأكل المال ان لم يستثمر في عمل نافع، قال ﷺ: «إتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة» واذا كان العمل جماعياً فيجب تقسيمه بين الافراد، لأنه عنصر من عناصر الانتاج في الاقتصاد الاسلامي(٩).

❖ العلاقة بين العاملين وأصحاب العمل:

وجه الاسلام العاملين الى القيام بالأعمال المناطة بهم على أتم وجه وأكمله، واتقان العمل في الاسلام يسمى الاحسان،

وقد كتب الله الاحسان على كل شيء، ففي الحديث الشريف: «ان الله كتب الاحسان على كل شيء، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته».

ولا فرق في هذا بين احسان العبادة واحسان العمل الدنيوي، قال تعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ❖ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾** الملك: ١-٢، فإذا اتقن الاجير او الموظف العمل الموكول اليه وأحسن فيه، فقد قضى ما عليه، ويبقى حقه على صاحب العمل.

وحقه على صاحب العمل ان لا يكلفه فوق طاقته، وان يؤدي اليه اجره كاملاً غير منقوص، وقد نهانا الله عز وجل عن ان نبخس الناس أشياءهم، كما امرنا بالوفاء بالعقود قال تعالى: **﴿ولا تبخسوا الناس اشياءهم﴾** الشعراء: ١٨٣[١٠].

الهوامش:

١- د. عمر الاشقر، نحو ثقافة اسلامية اصيلة، دار النفائس، عمان، الأردن ٢٠٠٠، ص٣٠٣-٣٠٤ .

٢- د. عوض محمود الكفراوي، سياسة الانفاق العام في الاسلام وفي الفكر المالي الحديث، دراسة مقارنة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر ١٩٨٢، ص٢٥٠ .

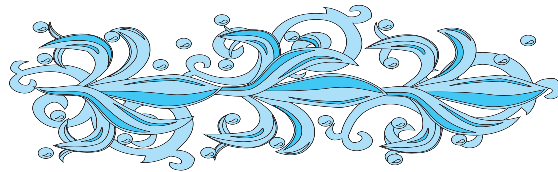
٣- د. محمود محمد الحبيب، مقالة «اضواء على الجانب الكمي للاقتصاد الماركسي والاشتراكية العلمية»، مجلة الثقافة، العدد السادس، السنة السابعة، مطبعة دار الجامعة، بغداد، ١٩٧٧، ص٧٨ .

٤- د. عوض الكفراوي، مرجع ساق، ص٢٥٠-٢٥١ .

٥-٦- د. عمر الاشقر، مرجع سابق، ص٣٠٥ .

٧- د. عبد الستار ابراهيم الهيني، الاستهلاك وضوابطه في الاقتصاد الاسلامي، مؤسسة الورّاق، عمان، الاردن ٢٠٠٥، ص٣٨٢-٣٨٥ .

٨- د. حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية ط٣،



قطوف دانية

بقلم الواعظة وفاء عيد المجاولة

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ❖ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ❖ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾.

آل عمران: ١٥-١٧

علامات

من علامات سعادة العبد وفلاحه:

انه كلما زيد في علمه، زيد في تواضعه ورحمته،

وكلما زيد في عمله، زيد في خوفه وحذره،

وكلما زيد في عمره، نقص من تكالبه وحرصه،

وكلما زيد في ماله، زيد في سخائه وبذله،

وكلما زيد في قدره وجاهه، زيد في قربه من الناس والتواضع لهم وقضاء حاجاتهم.

كلمات مضيئة

- اللسان عضو صغير، به يكشف الأطباء عن أمراض الجسد، والحكماء عن امراض النفس.
- الجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديق غيره.
- احفظ لسانك الا من أربعة:

حق توضحه، وباطل تدحضه، ونعمة تشكرها، وحكمة تظهرها.

الأيدي ثلاثة

يد بيضاء، ويد خضراء، ويد سوداء..

فاليد البيضاء، هي الابتداء بالمعروف،

واليد الخضراء، هي المكافأة عن المعروف،

واليد السوداء، هي المن بالمعروف!.

وصية

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:

يا بني أوصيك بتقوى الله في الغيب والشهادة،

وكلمة الحق في الرضا والغضب،

والقصد في الغنى والفقر،

والعدل مع العدو،

والعمل في النشاط والكسل،

والرضا والشكر لله في الشدة والرخاء.

٣

الإمام الليث بن سعد
لمحات من حياته وفقهه

■ بقلم الأستاذ رجب عبد اللطيف

تبوأ الليث بن سعد من العلم ذروته السامقة التي قل أن يدانيه فيها أحد، اللهم الا من كان على شاكلته من العلماء الأفذاذ والفقهاء الأعلام.

وقد شهد له بهذه المكانة أساطين الأئمة، وكفى بذلك دلالة على علو قدره وعظم شأنه، فلا يعرف الفضل الا أهله، ومع هذه المنزلة ومع هذا الثناء من كبار رجالات الفقه والحديث، فإن تراث الرجل العلمي لم يتح له حتى الآن من يحدد معالمه ويفصح عن اتجاهاته ويكشف عن أصوله، بالقدر الذي ينبئ عن جلالة الشيخ وإمامته، واذا كان قومه الأولون ضيعوه فإنه ما زال الى اليوم مهضوماً حقه، مجهولاً علمه، فلم يكتب عنه الا شذرات هنا وهناك دون ان يعمد لآرائه الفقهية -وما أكثرها- بالدراسة والتحليل والمقارنة.

ولا ندعي اننا في هذه العجالة قادرون على تحقيق ذلك، وإنما الذي نرمي اليه الآن هو بيان إمامة الشيخ من خلال سرد آراء العلماء وبيان تقديرهم له وإعجابهم به، آملين ان يقيض الله لتراث الشيخ من يظهره ويكشف عن سماته وخصائصه.

وقبل ان نسوق بعض آيات الثناء والتقدير، نشير مجرد اشارات فقط لعلو همته ونباهة قدره وسعة ثقافته وتنوعها، ومن ذلك قول اشهب بن عبد العزيز: «كان لليث كل يوم اربعة مجالس يجلس فيها، اما أولها، فيجلس لنائب السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان فإذا انكر من القاضي امراً او من السلطان كتب

الى أمير المؤمنين فيأتيه القرار، ويجلس لأصحاب الحديث وكان يقول: نحُّوا اصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم، ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله احد من الناس فيرده كبرت حاجته او صغرت[٢].

قيل لليث: امتع الله بك، انا نسمع منك الحديث ليس في كتبك! فقال: «أوكل ما في صدري في كتبي؟ لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب»[٣].

❖ ثناء الإمام مالك:

ونبدأ بالإمام مالك لاعتبارات عديدة منها: انهما صنوان في العلم وكلاهما إمام هدى ومنار رشد وعاصم من ضياع، ومن هنا تأتي أهمية شهادة مالك لأبي الحارث، وقد تعدد ثناء مالك على الليث بحسب الأحوال والمناسبات، ونقتطف هنا بعضاً منه:

١- ما جاء في رسالة مالك لليث والتي يقول فيها: «وانت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من اهل بلدك وحاجة من قبلك اليك واعتمادهم على ما جاءهم منك بحقيق»[٤].

٢- بل «ان الامام مالكاً ليخص الليث بوصف ينبئ عن جلالة قدره وعلو كعبه، دراية وخلقاً وورعاً وسلوكاً اعني قوله: «اخبرني من ارضى من اهل العلم» حيث يفصح ابن وهب تلميذ الإمامين مالك والليث، بأن مقصود مالك هو الليث بن سعد فيقول: «كل ما كان في كتب مالك اخبرني من ارضى من اهل العلم، فهو الليث بن سعد»[٥].

٣- وذكر ابو نعيم عن ابي صالح قال: «كنا على باب مالك بن انس فامتنع علينا فقلنا: ليس بشبه صاحبنا فقال: فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد، قال: شبهتموني برجل كتبنا اليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ الينا فأصبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار[٦].

٤- وعن يحيى بن بكير عن ابن وهب قال: دخلت على مالك بن انس فسألني عن الليث بن سعد فقال لي: «كيف هو؟ قلت: بخير، قال: كيف صدقه؟ قلت: يا ابا عبد الله انه لصدوق، قال: اما انه فعل، متع بسمعه وبصره»[٧].

❖ بين الامامين الليث ومالك:

أسلفنا ان كلاً من الليث ومالك إمام هدى ومنار رشد، وفي هذا يقول تلميذهما ابن وهب: «لولا الليث ومالك لضللنا» وفي تعبير آخر «لولا مالك والليث هلكت، كنت

اظن ان كل ما جاء به عن النبي ﷺ يفعل به»[٨].

وقد تقرر هذا القول من ابن وهب حتى ان ابا جعفر الأيلي يقول: «سمعت ابن وهب ما لا احصي يقول: لولا ان الله انقذني بمالك والليث لضللت»، ولم يكن ابن وهب بدعاً في تقدير وتعظيم شيخيه، بل شاركه في هذا سائر العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الشافعي الذي قال فيهما وفي صنوهما: «العلم يدور على ثلاثة.. مالك بن انس وسفيان بن عيينة والليث بن سعد»[٩].

وقد تعددت آراء الفقهاء في المقدم منهما وان ثبتت الغلبة لأبي الحارث الليث بن سعد، وفي هذا المجال يقول الامام الشافعي: «الليث أفقه من مالك الا ان اصحابه لم يقوموا به»[١٠] وفي تعبير آخر: «ضيعه قومه».

ان تلاميذه لم ينشروا آراءه ولم يعطوها حقها من النظر والتأمل ومقارنتها بآراء الفقهاء السابقين له واللاحقين عليه، ولم يكن هذا القول من الشافعي وليد اعجاب وقتي سرعان ما يزول، وانما كان قولاً ناشئاً عن دراية واسعة بأقدار الرجال، ولذا كان يتأسف على فواته[١١]، اي انه كان يتمنى لو لقي الليث وأخذ عنه وتلقى منه.

ولم يكن الشافعي وحده الذي يرى تقديم الليث على مالك وانما هناك غيره الكثير من العلماء والفقهاء ينحون نحوه ويرون رأيه، فها هو ذا يحيى بن بكير يكرر عبارة الشافعي فيقول: «الليث أفقه من مالك ولكن الحظوة لمالك»[١٢]، بل ان سعيد بن أيوب ليخطو خطوة أخرى في تقديم الليث فيقول: «لو ان مالكاً والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم، ولباع الليث مالكاً فيمن يزيد»[١٣].

ولا يعني هذا القول من سعيد انتقاص مالك بحال من الأحوال، وانما هي اقدار ومنازل.

ويقول ابن وهب: «وكان يقرأ مسائل الليث فمرت مسألة فاستحسنوها، فقال رجل: ما أحسن ما قال الليث كأنه كان يسمع مالكاً يجيب، فقال ابن وهب: بل لعل مالكاً كان يسمع الليث يجيب فيجيب، والله الذي لا إله الا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث»[١٤] هذا هو موقف العلماء من المقارنة بينهما.

وان كان هناك من يفضل مالكاً ويقدمه على الليث، ومن اشهر هؤلاء العلماء يحيى ابن معين، الذي كان يقول: الليث عندي ارفع من محمد بن اسحق، فلما سئل عن المقارنة بين مالك والليث فضل مالكاً[١٥].

واذا ما انتهينا من هذه المقارنة بين

الإمامين الجليلين، فإننا نعاود الحديث عن ثناء الفقهاء والعلماء على الليث بن سعد.

ولعل اول هذه الشهادات اثباتاً ما جاء عن الشافعي من تأسف على عدم رؤيته لأبي الحارث وفي ذلك يقول: «ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث بن سعد وابن ابي ذئب»[١٦].

ويروى ان الشافعي وقف على قبر الليث وقال: «لله درك يا امام لقد حزت اربع خصال لم يكملن لعالم: العلم والعمل والزهد والكرم»[١٧]، ولم يختلف الامام احمد وهو من هو عن الثناء على الليث، فقال: «ما في المصريين أثبت من الليث بن سعد، لا عمرو ابن الحارث ولا أحد»[١٨]، ويقول فيه ايضاً: «الليث بن سعد منير العلم صحيح الحديث»[١٩]، فإذا ما اتينا لأحمد بن صالح الذي يصوغ شهادته من خلال تعبير موح بالاعجاب مفعم بالتقدير قائلاً: «الليث بن سعد امام قد اوجب الله علينا حقه»[٢٠].

اما يحيى بن بكير فيرسم ملامح شخصيته العلمية وقسماتها وان كان ذلك بصورة موجزة الا انها شافية، فيقول: «ما رأيت أكمل من الليث بن سعد، كان فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة»[٢١]، يقول الراوي: وما زال يذكر خصالاً جميلة حتى عد عشراً، ثم يؤكد يحيى بن بكير ما بدأ به حديثه فيقول: «لم أر مثله».

والخلاصة ان الثناء على الليث وتقديره والاشادة بفضله، قاسم مشترك بين العلماء جميعاً ولعل في هذه التوقيعات التي نثبتها ما يغني عن الاطالة.

ذكر ابن سعد في طبقاته «انه كان ثقة، كثير الحديث، صحيحه، وكان قد اشتغل بالفتوى في زمانه بمصر، وكان سرياً من الرجال نبيلاً، سخياً له ضيافة»[٢٢].

ويقول علي بن المديني: «الليث بن سعد ثبت»[٢٣]، وسئل ابو زرعة عن الليث بن سعد فقال: «صدوق، قيل له: أيحتج بحديثه؟ قال: اي لعمري»[٢٤]، ويقول السيوطي: «الليث بن سعد احد الأعلام»[٢٥]، ويصفه الذهبي بأنه احد الأعلام الأثبات ويقول ايضاً: «وهو إمام حجة ثقة بلا نزاع»[٢٦]، ويقول أيضاً: «شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها»[٢٧].

وعلى هذا المنوال تستمر شهادات الأعلام، فيقول:

١- **ابن ابي مريم:** «ما رأيت احداً من خلق الله افضل من الليث، وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت تلك الخصلة في الليث»[٢٨].

٢- **ابو يعلى الخليلي:** «كان إمام وقته بلا مواضعة»[٢٩].

٣- **ابن حبان:** «كان من سادات اهل زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً وفضلاً وكرماً»[٣٠].

٤- **النووي:** «اجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث»[٣١].

٥- **ويقول ابن تغري بردي في نجومه الزاهرة:** «أحد الأعلام وشيخ اقليم مصر وعالمه».

ونختم هذه العجالة بقول اليافعي فيه: «شيخ الديار المصرية وعالمها، سامي المجد والعلا بالعلم والسخاء الذي سما بها ابو الحارث ذو المجد والسعد المشهور بالليث»[٣٢].

❖ مكانته عند الحكام:

عرف الأمراء مكانة الليث فأولوه قدره وحفظوا له منزلته، وعرضوا عليه الولاية مراراً وتكراراً فأبى، وآثر الاكتفاء بالنصح والتوجيه لمن بيدهم الأمر حتى اذا ما أعيته الحيلة في أمرهم نصح بعزلهم دون تزيد او اجحاف، ودلائل ذلك:

١- قول ابن تغري بردي: «وكان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث ان القاضي والنائب من تحت امره ومشورته»[٣٣].

٢- وقد فصل الخطيب البغدادي امر هذه الرئاسة فنقل عن اشهب بن عبد العزيز انه كان لليث بن سعد في كل يوم اربعة مجالس يجلس فيها، أما أولها فيجلس لنائب السلطان في نوائبه وحوائجه وكان الليث يغشاه السلطان فإذا انكر من القاضي امراً او من السلطان، كتب الى أمير المؤمنين فيأتيه العزل»[٣٤] على ما قرره.

٢- ويقول الذهبي: ان نائب مصر وقاضيها من تحت اوامره واذا رابه من احد منهم امر كاتب فيه الخليفة فيعزله[٣٥].

ومن الدلائل على مكانة الليث وعلوها، حتى عند الخلفاء ما ذكره يعقوب بن داود وزير المهدي، حيث قال لي أمير المؤمنين لما قدم الليث بن سعد العراق: إلزم هذا الشيخ فقد ثبت عند امير المؤمنين أنه لم يبق أحد اعلم بما حمل منه[٣٦].

ونختم هذا الثناء بقول الذهبي: كان الليث رحمه الله فقيه مصر ومحدثها ورئيسها ومن يُفتخر بوجوده في الإقليم[٣٧].

❖ شيوخ الليث بن سعد:

تتلمذ الليث على يد شيوخ عصره من التابعين الذين ادركهم وقد بلغ عددهم خمسين ومائة، ومن أشهرهم:

١- عطاء بن ابي رباح.

٢- ابن ابي مليكة.

٣- نافع مولى ابن عمر.

٤- ابن شهاب الزهري.

٥- يزيد بن ابي حبيب.

٦- جعفر بن ربيعة.

٧- بكير بن عبد الله الأشبح.

٨- هشام بن عروة.

٩- يحيى بن سعيد الأنصاري.

١٠- خير بن نعيم قاضي مصر، وغيرهم كثير.

وقد كان شيوخه هؤلاء يعرفون قدره ويعظمونه، وقد مر بنا في الحديث عن مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ما يدل على هذا التعظيم والتقدير.

ومن الشيوخ الذين كان لهم أثر بارز في حياة الليث:

١- الزهري[٣٨].

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، نشأ منذ صغره محباً للعلم، حريصاً على الطلب حتى فاق اقرانه وساد اهل زمانه، ويعد اول من دوّن الحديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وكان أحد الأئمة الذين جمعوا الحديث رواية ودراية، كما كان مجتهداً نظاراً، يعرف مسائل الحلال والحرام، وهو في ذات الوقت بحر في التفسير لا تكدره الدلاء، كما كان أعرف الناس بالتاريخ والسير وعليه المدار فيهما.

رآه الليث بن سعد وسمع منه وكتب عنه، وأراد ان يرحل اليه ليرفع إسناد بعض مروياته عنه، غير ان ورعه ابى عليه ذلك وتحرج من الذهاب اليه لأن نيته في ذلك كانت الى علو الإسناد[٣٩] وعاد الى الإسناد النازل فروى غير حديث بينه وبين ثلاثة رجال.

٢- يحيى بن سعيد[٤٠]:

وهو صنو الزهري وقرينه في العلم والفضل، وفي هذا يقول سعيد الجمحي: ما يرويه لنا الليث بن سعد: «ما رأيت أحداً شبهاً بابن شهاب من يحيى بن سعيد الانصاري، ولولاهما لذهب كثير من السنن(٤١)، بل ان من اهل المدينة من يقدمه على الزهري[٤٢]، وقد اثنى عليه الليث في رسالته الى مالك على ما سيأتي كما وصف الليث علمه الغزير وثقافته الواسعة، فروى قول عبيد الله بن عمر: «كان يحيى بن سعيد يسح علينا مثل اللؤلؤ»[٤٣].

كما نقل عنه الليث قوله: «اهل العلم اهل

سعة وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا، ويحرم هذا، وان المسألة لترد على احدهم كالجبل فإذا فتح لها بابها قال: ما أهون هذه»[٤٤].

ويحيى بن سعيد هذا هو الذي تفرَّس في الليث وعلم ما ينتظره من علو الشأن، فقال له: «انك امام منظور اليك»[٤٥].

❖ تلاميذ الليث:

وكما كان لأبي الحارث العديد من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم وأخذ عنهم وتلقى منهم، كذلك كان له من تلاميذه النجباء الذين تأثروا به وتخرجوا على يديه ورووا مروياته واحاديثه واخبروا بمسائله وآرائه[٤٦].

بل ان هناك العديد من المصنفات قامت على رواية الليث[٤٧] ومن أشهر هؤلاء التلاميذ[٤٨]:

١- عبد الله بن وهب.

٢- يحيى بن بكر.

٣- قتيبة بن سعيد.

٤- يحيى بن يحيى الليثي.

٥- عبد الله بن عبد الحكم.

٦- ابن القاسم.

❖ وفاة الليث رحمه الله:

وبعد حياة عامرة بالخير، حافلة بالدروس رواية ودراية ودّع الليث دنيانا في يوم الجمعة، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة[٤٩] رحمه الله ورضي عنه، محسناً الظن بمولاه شاكراً له نعمه السابغة قائلاً:

بذرت المال في ارض العطايا
فأصبحت المكارم من حصادي
وما وجبت عليّ زكاة مـــال
وهل تجب الزكاة على الجواد[٥٠]

وكان وقع وفاته على الناس عظيماً، فقد تصدع من العلم بنيان، واهتزت من المروءة أركان، فخيّم على الناس حزن عميق وأسى شديد، يصور لنا هذا الأثر أحد شهود جنازته خالد الصدفي قائلاً: شهدت جنازته وانا مع ابي فما رأيت جنازة قط بعدها اعظم منها، ورأيت الناس كلهم في جنازته عليهم الحزن والناس يعزي بعضهم بعضاً ويبكون، فقلت لأبي: كأن كل واحد من الناس صاحب الجنازة.

فقال: يا بني كان عالماً كريماً حسن العقل، كثير الافضال، يا بني لا يرى مثله أبداً[٥١]، ودفن رحمه الله ورضي عنه في القرافة الصغرى.

الهوامش:

١- تاريخ ولاة مصر، ص٢٩٠، بتصرف.

٢- تاريخ دمشق ٢٥٢ .

٣- تاريخ دمشق ٢٤٩، وانظر ايضاً تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

٤- انظر نص هذه الرسالة في مكانها من هذه الدراسة.

٥- تاريخ بغداد، ج٦، سير اعلام النبلاء ١٤٧، تهذيب تاريخ دمشق ٢٥٠ .

٦- حلية الأولياء ج٦، ص٣١٩ .

٧- تهذيب الكمال ٤٤١ .

٨- تاريخ بغداد ص١٣، التمهيد ج١، ص٦٢، ترتيب المدارك ج١ ص٦٢-٦٦، وتهذيب الكمال ص٤٤٤ .

٩- تذكرة الحفاظ ٢٢٤، شذرات الذهب، ج١، ص٢٨٥ .

١٠- التمهيد ٦٢، وكذا ترتيب المدارك.

١١- انظر المصدرين السابقين وانظر كذلك النجوم الزاهرة ج٢، ص٨٢ .

١٢- الجرح والتعديل لأبي حاتم ص١٧٩، وابن عساكر ٢٤٩ .

١٣- انظر تاريخ بغداد وتذكرة الحفاظ، مرجعين سابقين.

١٤- الرحمة الغيثية ص٣١ .

١٥- انظر تاريخ بغداد ص١٢، وانظر ايضاً التمهيد ج١، ص٧٣ وترتيب المدارك ص٦٣٤ .

١٦- وعبارة الذهبي في التذكرة، «كان الشافعي يتأسف على فواته»، وانظر تهذيب الكمال ص٤٤١ .

١٧- اعلام الاسلام الشافعي ص٨٤، للشيخ مصطفى عبد الرزاق.

١٨-١٩- الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ج٧، ص١٧٩، وانظر ايضاً تذكرة الحفاظ للذهبي ج١، ص٢٢٤، وتهذيب الكمال ٤٤٠ .

٢٠- سير اعلام النبلاء ج٧، ص١٥٥ .

٢١- تاريخ دمشق ٢٤٩، تاريخ بغداد ص٦، شذرات الذهب ٢٨٥، تذكرة الحفاظ للسيوطي ص٩٥، تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

٢٢- طبقات ابن سعد ج٧، ص٥١٧ .

٢٣-٢٤- الجرح والتعديل لأبي حاتم ج٧، ص١٧٩ .

٢٥- طبقات الحفاظ ص٩٥ .

٢٦- ميزان الاعتدال ج٤، ص٣٤٣ .

٢٧-٢٨-٢٩- الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، ابن حجي ص٢٦ .

٣٠- الثقات ج١٧٩ .

٣١- تهذيب الاسماء واللغات ج٢، ص٧٤ .

٣٢- مرآة الجنان، ج١، ص٣٨٣ .

٣٣- النجوم الزاهرة، ج٢، ص٨١ .

٣٤- تاريخ بغداد ص٩، وتاريخ دمشق ٢٥١ .

٣٥- سير اعلام النبلاء ج١، ص٢٢٤ .

٣٦- تهذيب الكمال: ٤٤٤ .

٣٧- سير اعلام النبلاء ١٤٣ .

٣٨- انظر ترجمته في المصادر السابقة.

٣٩- انظر ورع الليث من هذه الدراسة.

٤٠- انظر ترجمته في تهذيب الكمال ج٢، ص١٠٧، وما بعدها، وسير اعلام النبلاء ص٤٦٨-٤٨١، طبقات الحفاظ ص٥٧، شذرات الذهب ج١، ص٢١٢، وغير ذلك من المصادر.

٤١-٤٢- تهذيب الكمال، ج٢٠، ص١٠٧، والسير ص٤٧٢ .

٤٣- المصدر السابق ص١٠٨، وانظر السير ص٤٧٢ .

٤٤- السير ص٤٧٣-٤٧٤ .

٤٥- تهذيب الكمال ص٤٤٤ .

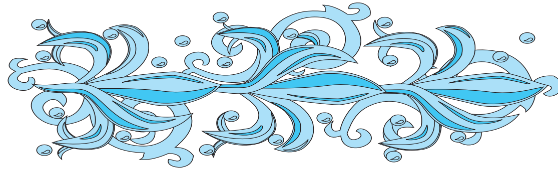
٤٦- نجد آثار ذلك واضحة في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم وسائر الكتب وكذا المسانيد والمعاجم، كما نجده كذلك في تفسير الطبري، وفي مجال الفقه، نجد الأمر ظاهراً في المدونة وكذا كتاب الاستذكار والتمهيد لابن عبد البر.

٤٧-٤٨- انظر ذلك في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم حيث اعتمد على روايات الليث اعتماداً كبيراً.

٤٩- تاريخ بغداد ص١٤، وغير ذلك من المصادر السابقة.

٥٠- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، ص٤٠، لمرعي بن يوسف المقدسي، ط دار ابن حزم.

٥١- مختصر تاريخ دمشق ص٢٥٠ .



الإعجاز في انه ﷺ لا ينطق عن الهوى

■ بقلم الاستاذ عماد مجاهد

فسر الرسول ﷺ إحدى أهم الاكتشافات الطبية الحديثة، وهي كيفية تشكل جنس الجنين بعد التزاوج بين الرجل والمرأة، وهو يدل على أن الرسول ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأنها معجزة وهبها الله تعالى لرسوله ليقطع الطريق على كل مشكك بنبوته ﷺ.

روى الإمام مسلم والإمام احمد عن ثوبان، جاء عبد الله بن سلام –وهو حبر من أحبار اليهود– جاء يسأل الرسول ﷺ، فنكت الرسول ﷺ بعود معه ثم قال: سل، فسأل الحبر عن مكان وجود الناس يوم القيامة، ثم أول طعام أهل الجنة ثم قال: صدقت وجئت أسالك عن شيء لا يعلمه احد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، فقال رسول الله ﷺ: «ينفعك إن حدثتك؟ قال: اسمع بأذني، جئت أسألك عن الولد؟ فأجاب الرسول ﷺ: ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر، إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة (وفي رواية إذا علا) نزع الولد إلى أبيه (وفي رواية ذكر بإذن الله) وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل (وفي رواية إذا علا) نزع الولد إلى أمه (وفي رواية أنثى بإذن الله)، فقال اليهودي: صدقت وانك لنبي ثم انصرف، فقال الرسول ﷺ: لقد سألني هذا الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به».

في لقاء مع البروفيسور الطبيب الدكتور "احمد عيد" المحاضر في المستشفيات الأمريكية ومن ضمنها المستشفى الشهير "مايو كلينيك" الذي يعلق على هذا الحديث

الشريف: عندما يقرأ طبيب الاختصاص هذا الحديث يخر ساجدا لله سبحانه إذا كان على دراية بعلوم القران- وكان من نعمة الله علي أني درست علوم الشريعة والقران جنبا إلى جنب مع علوم الطب وغيرها من علوم الطبيعة- وهنا أقول: إنني ذهلت لما رأيت من تناغم وانسجام تام بين علوم الطب والطبيعة مع علوم القران والشريعة.. ولذا قال السائل: لا يعلمها ولا يعرفها إلا نبي أو رجل أو رجلان، فالرجل الأول: هو عالم بالطبيعة.. وحياة الحيوان وولادته، والثاني: عالم بعلوم الطب وتفاصيله.

كيف لا وأول من اكتشف حركة النطاف في السائل المنوي، هو الأب "لوفينهوك" عندما نظر إلى السائل المنوي لأحد الخراف، ووجد المخلوقات المنوية الدقيقة وهي تسبح في هذا السائل، بين هذا الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث الشريف قبل اربعة عشر قرناً «إذا سبق ماء الرجل..» فعلا وجد الأطباء أن لكل ذكر حيوان أو إنسان من الثدييات له نوعان من النطف (y-x) فالأول مؤنث والثاني مذكر، بينما للأنثى نوع واحد فقط وهو (x-x) كلاهما مؤنث، فإذا أتى النوع الأول من الذكر كان المولود أنثى أي (x-x) أما النوع الثاني فيكون المولود ذكرا (x-y) وهذا مصداق لقوله تعالى: **﴿وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى ❖ من نطفة إذا تمنى﴾** أما قول النبي ﷺ: «إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة» فمعناه (ما نراه تحت المجهر) عن تسابق النطف الذكرية والأنثوية كل منها يتسابق وكأننا في سباق الدراجات أو الخيول، لان سرعة النطفة الذكرية أسرع من النطفة الأنثوية، والنطفة الذكرية اقصر عمرا وأسرع حركة واصغر حجما، أما النطفة الأنثوية فهي اكبر حجما وأطول عمرا وأبطأ حركة، وبهذه الطريقة الرائعة يستطيع الاختصاصي تعيين نوع المولود ذكراً أم أنثى.

فقول الرسول ﷺ: «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة» (أي أن النطفة الذكرية أقوى تأثيرا وأسرع حركة، نزع الولد إلى أبيه «وفي رواية ذكرا» بإذن الله) وفي رواية (إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة..) لان النطفة الذكرية أسرع حركة من الأنثوية فيأتي المولود ذكرا، وأما قول المصطفى ﷺ: «إذا علا ماء المرأة ماء الرجل» أي أتى (x_x) نزع الولد إلى أمه وفي رواية (أنثى بإذن الله)، لان النطفة الذكرية تموت قبل الأنثوية بحسب أيام الجماع، فإذا كانت في الأيام الأولى من الإخصاب فيكون المولود غالبا أنثى، أما في الأيام الأخيرة فيكون ذكرا.

عوداً إلى الحديث الشريف، «فان ماء

الرجل ابيض وماء المرأة اصفر» هذا الكلام هو إعجاز لا يعرفه إلا الاختصاصيون ليس بالنسائية والتوليد فقط، وإنما الأخصائيون بجراحة النساء والرجال، فلو أخذنا نطفة من خصية الرجل ولقحنا بها البويضة الأنثوية فإنها لا تحمل، إذ لا بد من ذهاب النطف من الخصية إلى البربخ فالحويصل المنوي لتنضج وتصبح قابلة للقاح،

لذلك عندما يقذف الرجل، يتقلص الحويصل المنوي ويخرج الماء الدافق الذي نضج في الحويصل المنوي والموجود بين الصلب والترائب والشرايين الثربية (في البطن) ولو أخذنا مسطرة وقسنا مكان الحويصل المنوي لوجدناه كما ذكر القران الكريم **﴿خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾** وكذلك فان المبيض الذي تنطلق منه بيضة كل شهر، شهر من المبيض الأيمن والشهر الثاني من المبيض الأيسر وبكل دقة وانتظام وكما يجيب رجل الطب بأن النطاف تتسابق (كسباق السيارات أو الخيل) فمن يصل أولا ويلتصق بجدار البيضة، تفتح له البيضة نافذتها بعد أن تتعرف على نوع النطفة (حسب بطاقة التعريف التي تحملها كل نطفة فتبارك الله أحسن الخالقين) إذ لو جامع تيس نعجة فلا يتم الحمل إطلاقا، لان البيضة لا تفتح نافذتها لدخول المنطقة إلا بعد التعرف عليها.

والعظيم المثير للذهول حديث النبي الأمي محمد ﷺ وقوله: «فإن ماء الرجل ابيض (وكلنا يعرف ذلك) وأما ماء المرأة فأصفر» فهذا لا يعرفه إلا اختصاصيو جراحة التوليد حيث تبين لهم بأن مكان انطلاق البيضة الأنثوية من المبيض، يتشكل جسماً اصفر ويدعى بجميع اللغات بالجسم الأصفر، والعجب العجاب في الموضوع أن الحويصل المنوي عند الذكر والمبيض الأنثوي عند المرأة، كلاهما يقعان بين الصلب والترائب وفي منتصف المسافة تماما) وكلاهما يدفقان، فالمني يدفق من الحويصل المنوي عند القذف، وكذلك المبيض عندما تخرج البيضة فإنها تنفتق وتقذف للأعلى من جديد.

إن حديثنا هذا عن كيفية تلقيح الذكر للأنثى، وتحديد جنس الجنين كما كشف عنه الطب الحديث، يتوافق تماما مع ما حدثنا به الرسول ﷺ، فقل لي بربك: هل كان محمد ﷺ طبيبا شق البطون والأرحام والحويصلات، فعرف ذلك؟ أم انه وحي من السماء؟ وصدق الله القائل: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾**.

في
ظلال
رسالة
عمان

تكريم الانسان وحرمته في الاسلام

■ بقلم الواعظ علي محمد علي القضاه

ان الاشتغال بعلوم الدين من اشرف الاعمال، واكثرها قرباً الى الله تعالى، وأنفعها للعامة والخاصة، كيف لا وبه يتميز الحلال من الحرام، ويُعرف الخطأ من الصواب، والغث من السمين، مما يجري بين الناس، ومن الأمور التي يتوجب معرفتها حق المعرفة والاحاطة التامة بها النفس الانسانية، ما لها وما عليها، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الاسراء: ٧٠ .

◆ شمول الكرامة الإلهية للإنسان حياً وميتاً:

ان الانسان مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وهو مأمور بتعبد الله تعالى، من خلال تنفيذ أوامره جل وعلا، وعمارة الأرض التي هي مسخرة من قبل الله الخالق جل وعلا لخدمة هذا الانسان.

وهناك مظاهر عديدة كرّم الله تعالى بها الانسان، سواء عندما يكون حياً على ظهر هذه الأرض، أم عندما يصير مدفوناً في بطنها لا حول له ولا قوة، وسأعرض هنا جانباً من هذه الكرامة الإلهية التي اختص بها الانسان.

◆ المظاهر الإلهية لكرامة الانسان الحي:

من خلال تتبع النصوص من القرآن

الكريم والسنة النبوية الشريفة، يظهر جلياً الكثير من مظاهر تكريم الخالق سبحانه وتعالى للانسان حال حياته، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: ان الله تعالى امر ملائكته الأطهار بأن يسجدوا لآدم ﴿فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[١]، وقال تبارك وتعالى: **﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس لم يكن من الساجدين﴾**[٢].

فهاتان الآيتان وغيرهما، يظهر من خلالهما ان الله تبارك وتعالى كرّم آدم وذريته حيث أمر الملائكة بالسجود له، وهذا التكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء.

ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، من ذلك المعرفة والارادة المستقلة التي تختار الطريق، واضطلاعه بأمانة الهداية الى الله تعالى بمحاولته الخاصة، وهذا كله بعض أسرار التكريم[٣].

ثانياً: ان الله تعالى حرم الاعتداء عليه بأي صورة من الصور، فلا يحل لأحد ان يقتل آدمياً بغير حق، او يعتدي على عضو من اعضائه الا اذا ارتكب ما يوجب ذلك، قال تعالى: **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق﴾**[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[٥].

ثالثاً: ان الشريعة الاسلامية اعتبرت جسد الانسان امانة ائتمنه الله تعالى عليها، وانه لا يجوز لأحد ان يتصرف في هذا الجسد بما يسؤه او يهلكه الا بالحق، حتى ولو كان هذا التصرف صادراً من الشخص نفسه، قال تعالى: **﴿ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً﴾**[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها ابداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[٧].

ان هذا الخلق الذي خلقه الله تعالى وبعث فيه الحياة، وميّزه بالعقل ليباشر مهامه في المجتمع، ويؤدي دوره في الحياة الدنيا، لا يرضى الله تعالى عمن يهدمه، او يناله بأي أذى، سواء كان هذا الأذى واقعاً على النفس ام على جزء منها، وسواء أكان الجاني جانياً على نفسه ام على غيره، فكل

ذلك منهي عنه.

رابعاً: ان الشريعة الاسلامية حثت على التداوي حفظاً للنفس البشرية، وفي ذلك دليل على ما لهذه النفس من كرامة عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء»[٨].

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً الا وضع له شفاء، أو قال: دواء، الا داءً واحداً، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم»[٩].

خامساً: ومن مظاهر اكرام الانسان حال حياته انه طاهر، وقد تناول الفقهاء المتقدمون طهارة الانسان الحي ونجاسته، واختلفوا في حكم هذه المسألة على قولين:

القول الأول: طهارة الانسان الحي المسلم، ونجاسة الكافر وهو ما ذهب اليه الظاهرية[١٠] حيث استدلوا بما يلي:

أ- طهارة المسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ان النبي ﷺ لقيني في بعض طرق المدينة وأنا جنب، فانخنست منه فذهبت فاغتسلت ثم جئت، فقال ﷺ: «اين كنت يا أبا هريرة؟ قال: كنت جنباً فكرهت ان اجالسك وانا على غير طهارة، فقال ﷺ: سبحان الله، ان المسلم لا ينجس»[١١].

وجه الدلالة: نص الحديث على نفي النجاسة عن المسلم، فيلزم ثبوت الطهارة له، فيكون المسلم الحي طاهراً.

ب- نجاسة الكافر: قال تعالى: **﴿إنما المشركون نجس﴾**[١٢].

وجه الدلالة: دلت الآية الكريمة على نجاسة عين المشرك، فيكون الكافر بسائر أجزائه لأن بعض النجس نجس[١٣].

القول الثاني: طهارة الانسان الحي، سواء أكان مسلماً أم كافراً، وهو قول كل من الحنفية[١٤] والمالكية[١٥] والشافعية[١٦] والحنابلة[١٧]، واستدلوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

فمن القرآن الكريم، قوله تبارك وتعالى: **﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾**[١٨].

وجه الدلالة: دلت الآية الكريمة على حل طعام الذين اوتوا الكتاب، ولو كانوا نجسين ما أجاز الله ذلك، لما قد يترتب على نجاستهم نجاسة طعامهم، وكذلك جواز نكاح نسائهم، وهو يدعو الى أتم المخالطة، ولا يمكن مع هذه المخالطة الإحتراز عن آثارهن من عرق وريق في بدن المؤمن وثوبه وفراشه، فدلّ ذلك على طهارة الكافر، اذ لو كانوا نجسين لما اجاز الله تناول طعامهم

ونكاح نسائهم[١٩].

ومن السنة النبوية:

أ- ما فعله الرسول ﷺ من ربطه الكافر في المسجد[٢٠].

ب- وفد ثقيف لما قدموا المدينة على رسول الله ﷺ انزلهم المسجد، ليكون ارق لقلوبهم[٢١].

وجه الدلالة: ان النبي ﷺ قد أدخل الكافر في مسجده، في حين أمرنا ان نجنب المساجد النجاسة، فلو كان الكافر نجساً لما أدخلهم ﷺ.

ورد الجمهور على أدلة ابن حزم بما يلي:

١- الآية يجاب عنها: بأن المراد بالنجاسة في الآية نجاسة المعنى والاعتقاد، او اجتنابهم كالنجس، وليس المراد نجاسة الأعيان والأبدان[٢٢].

٢- الحديث يجاب عنه على انه خاص في طهارة المسلم دون الكافر، يجاب عنه بأن حصر عدم النجاسة بالمسلم جرى مجرى الغالب[٢٣].

الراجح: بعد عرض اقوال الفقهاء، وما استدلوا به، يظهر ان الراجح هو ما ذهب اليه اصحاب القول الثاني، وهو القول بطهارة جسد الانسان الحي مسلماً كان أم كافراً.

وذلك لما يلي:

١- ما استدل به اصحاب هذا القول من ادلة، وردهم على من قال بنجاسة الكافر، فقد اباح الله تعالى الاكل من طعام اهل الكتاب، وكذلك الزواج من نسائهم، وفي ذلك دلالة على طهارتهم.

٢- ان النبي ﷺ قد أكل من الشاة التي أهدتها اليه يهودية من خيبر[٢٤]، وفي ذلك دلالة على طهارة الكافر، اذ لو كان نجساً لما قبل النبي ﷺ تناول طعامهم.

فهذه الأدلة والقرائن تؤيد وترجح القول بأن الكافر في الطهارة والنجاسة حكمه حكم المسلم، وان المراد من نجاسة المشركين في الآية نجاستهم المعنوية، لاعتقادهم الباطل وعدم الحرص على الطهارات، وانهم لا يتحرزون من النجاسات فيما يستحلونه كأكل لحم الخنزير وشرب الخمر.

وبالتالي فإن هذا مظهر من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان المسلم والكافر حال الحياة.

❖ المظاهر الإلهية لكرامة الانسان الميت:

كما كرم الله تعالى الانسان حياً، كذلك كرمه عندما يصبح جثة هامدة، لا حول له ولا قوة، ومظاهر هذا التكريم كثيرة، منها:

أولاً: تغسيله وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه، كل ذلك مع استعمال الرفق في هذه الأمور، لئلا تنتهك حرمته، لأن احترامه واجب وبالتالي يستحب استعمال الرفق واللين في كل أموره، في تقليبه، وفرك اعضائه، وعصر بطنه وتليين مفاصله، وسائر أموره، احتراماً له فإنه مشبه بالحي في حرمته، ولا يأمن ان عَنُفَ به ان ينفصل منه عضو، فيكون مُثّلَة به، وقد قال ﷺ: «كسر عظم الميت ككسر عظم الحي»[٢٥]، وقال ﷺ: «ان الله يحب الرفق في الأمر كله»[٢٦].

ثانياً: حرمة التعدي على جثة الميت، عن طريق كسر عظمه او ما شابه ذلك، لما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، ان رسول الله ﷺ قال: «كسر عظم الميت ككسر عظم الحي»[٢٧] فالآدمي محترم حياً وميتاً.

ثالثا: احترام قبر الميت، وهذا الاحترام له صور متعددة منها:

١- كراهة وطء القبور والمشي عليها، لما جاء في حديث جابر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: «نهى النبي ﷺ ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يُبنى عليها وأن توطأ»[٢٨].

٢- كراهة الجلوس عليها، لما ورد عن النبي ﷺ انه قال: «لأن يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده، خير له من ان يجلس على قبر»[٢٩].

٣- حرمة قضاء الحاجة، قال رسول الله ﷺ: «لأن امشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي، احب إلي من ان امشي على قبر مسلم، وما أبالي أوسط القبر قضيت حاجتي او وسط السوق»[٣٠].

هذه بعض مظاهر احترام القبور في الشريعة الاسلامية، وهذا يدل على تكريم الاسلام للانسان حياً وميتاً، ومن يرتكب بعض هذه المخالفات انما يدل على استخفافه بحق المسلم، اذ القبر بيت المسلم وحرمته ميتاً كحرمته حياً[٣١].

رابعاً: القيام للجنازة اذا مرّت، لقول النبي ﷺ: «اذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع»[٣٢] وعن جابر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: مرت بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله انها جنازة يهودي، فقال ﷺ: «اذا رأيتم الجنازة فقوموا»[٣٣].

من خلال النصوص يتضح لنا مدى احترام الاسلام وتكريمه للانسان وهو ميت، حتى ولو كان على غير دين الاسلام.

خامساً: حرّم فقهاء الاسلام النبش - نبش القبور- لغير ضرورة[٣٤] لما فيه من هتك لحرمة الميت، فعن ابي ذر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، قلت: لبيك يا

رسول الله وسعديك، فقال: كيف انت اذا اصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف يعني القبر؟ قلت الله ورسوله اعلم، قال: عليك بالصبر»[٣٥].

فالاسلام اعتبر القبر بيتاً، ومن يعتدي على هذا البيت بالنبش لغير ضرورة يعاقب بما يستحق، وفي هذا صيانة وحماية وتكريم للإنسان لا يجاريه تكريم.

سادساً: نهت الشريعة الاسلامية عن التمثيل[٣٦] **بالميت،** حتى مع الكفار الا اذا كان من باب المعاملة بالمثل، قال تعالى: **﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾**[٣٧]، وقد دلت الآية الكريمة على وجوب المماثلة في العقاب تحقيقاً للعدل[٣٨] والتمثيل بجثث الأعداء من غير ان يمثلوا بجثث المسلمين فيه تعد على القدر الواجب، فلا يجوز لمنافاته للعدل.

بالاضافة لما سبق، فإن في النهي عن التمثيل، إظهاراً لمبدأ العدل والرحمة الذي جاء به الاسلام العظيم، قال رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً..»[٣٩].

سابعاً: من مظاهر التكريم الإلهي للانسان الميت، طهارة جثته مسلماً كان أم كافراً(٤٠) وذلك للأدلة التالية:

١- قول الله تبارك وتعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم..﴾**[٤١].

وجه الدلالة: دلت الآية الكريمة على تكريم بني آدم مطلقاً المسلم والكافر. والقول بنجاسة الآدمي يناقض هذا التكريم، فيكون الآدمي طاهراً[٤٢].

٢- قول رسول الله ﷺ: «سبحان الله! ان المسلم لا ينجس»[٤٣].

٣- قول رسول الله ﷺ: «لا تنجسوا موتاكم فإن المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتاً»[٤٤].

وجه الدلالة: دل الحديثان على طهارة المسلم حياً وميتاً، والمؤمن في الحديثين ليس بقيد، وانما ذكر المؤمن جرى مجرى الغالب، فيكون الكافر طاهراً[٤٥].

٤- من المعقول: انه لو تنجس بالموت لكان نجس العين كسائر الميتات، ولو كان كذلك لما أُمرنا بغسله كسائر الأعيان النجسة[٤٦]، ولأن غسله وإكرامه يأبى تنجسه، اذ لا معنى لغسل الميتة التي هي بمنزلة العذرة[٤٧].

هذه بعض المظاهر الإلهية لتكريم الانسان وهو ميت، وسبق ذلك المظاهر الإلهية لتكريم الانسان وهو حي، كل ذلك مدعماً بالأدلة من الكتاب الكريم، او من السنة النبوية الشريفة.

وهذا يدل على ما لهذا الكائن من مكانة عالية رفيعة عند خالقه سبحانه وتعالى، ان هو أحسن عمله وأطاع ربه، حيث انه سبحانه سيواصل إكرامه في الدنيا والآخرة، وان أساء عمله مسخ الله صورته الباطنة وأهانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ❖ ثم رددناه أسفل سافلين ❖ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾**(٤٨).

الهوامش:

١- البقرة: ٣٤ .

٢- الأعراف: ١١ .

٣- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط٩، ١٩٨٠م، ج١، ص٥٧ .

٤- الاسراء: ٣٣ .

٥- البخاري، ابو عبد الله محمد، صحيح البخاري، دار الأرقم، بيروت، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿ان النفس بالنفس﴾ المائدة: ٤٥، حديث (٦٨٧٨).

٦- النساء: ٢٩ .

٧- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به حديث (٥٧٧٨).

٨- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما انزل الله داء الا انزل له شفاء حديث (٥٦٧٨).

٩- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى سنن الترمذي، دار الفكر ط٣، ١٩٧٨م، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث (٢٠٣٨) وقال: حديث حسن صحيح.

١٠- ابن حزم، علي بن احمد، المحلى بالآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص١٣٦-١٣٧ .

١١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، حديث (٢٨٣).

١٢- التوبة: ٢٨ .

١٣- ابن حزم، المحلى، ج١، ص١٨١ .

١٤- الجصاص، ابو بكر احمد بن علي، احكام القرآن، دار احياء التراث العربي، ج٤، ص٢٧٩-٢٨٠ .

١٥- الدسوقي، محمد بن احمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٨٥ .

١٦- النووي، المجموع ج٣، ص٥٩٢ .

١٧- البهوتي، كشاف القناع، ج١، ص٥٣ .

١٨- المائدة: ٥ .

١٩- صالح، محمد اديب تفسير النصوص في الفقه الاسلامي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٩٣، ج١، ص٤٥٤ .

٢٠- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الاغتسال اذا اسلم وربط الأسير في المسجد، حديث (٤٦٢) والكافر هو «ثمامة بن أثال».

٢١- الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ط٢، ١٩٨٣م، ج٩، ص٤٥، حديث (٨٣٧٢).

٢٢- النووي، المجموع ج٣، ص٥٩٣، الشربيني، مغني المحتاج، ج١، ص٢٣١، البهوتي، كشاف القناع، ج١، ص٥٣ .

٢٣- الشربيني، مغني المحتاج، ج١، ص٢٣١ .

٢٤- البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر، حديث (٤٢٤٩) وهي زوجة سلام ابن مشكم.

٢٥- السجستاني، ابو داود سليمان، السنن، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم، حديث (٣٢٠٧) الألباني، محمد ناصر الدين، ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، حديث (٧٦٣) وقال: حديث صحيح.

٢٦- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الامر كله، حديث (٦٠٢٤).

٢٧- سبق تخريجه.

٢٨- الترمذي، السنن، كتاب الجنائز، باب كراهية تجصيص القبور، والكتابة عليها، حديث (١٠٥٢) وقال: حديث حسن صحيح.

٢٩- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر، حديث (٩٧١).

٣٠- ابن ماجة، ابو عبد الله بن يزيد، السنن، دار الأرقم، بيروت ط١، ١٩٩٩م، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور، حديث (١٥٦٧)، الألباني، إرواء الغليل، حديث (٦٣) وقال: حديث صحيح.

٣١- ابن مفلح، ابو اسحق ابراهيم بن محمد، المبدع شرح المقنع، المكتب الاسلامي، دمشق، ١٩٧٤، ج٣، ص١٢٩ .

٣٢- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، حديث (١٣٠٧).

٣٣- المرجع نفسه، والمكان نفسه، حديث (١٣١١).

٣٤- ابن عابدين، محمد امين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، جـ٢، ص١٤٠، الآبي صالح عبد السميع، جواهر الإكليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص١٠٨-١١٧، الشربيني، مغني المحتاج ج٢، ص٥٨، كشاف القناع ج٢، ص١٤٣، هذا مع ملاحظة ان هناك بعض الحالات اجاز الفقهاء معها النبش وذلك كأن يدفن الى غير القبلة، او من غير غسل، او من غير تكفين، او دفن في ارض مغصوبة، كل هذا قبل ان يبلى الميت وإلا فلا.

٣٥- السجستاني، السنن، كتاب الحدود، باب الحجة في قطع النبّاش، حديث (٣٩٥٨).

٣٦- الخرشي، محمد بن عبد الله بن علي، حاشية الخرشي على مختصري سيدي خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص١١٥، هذا مع ملاحظة ان بعض الفقهاء ذهبوا الى جواز التمثيل بجثث العدو، اذا كان في ذلك نكاية بالكفار، وغيظ لهم، وتحقيق مصلحة للمسلمين، ويكره لغير ذلك، وهو قول الحنفية والشافعية والحنابلة، انظر: الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، ١٩٥٨م، ج١، ص١١٠، ابن نجيم زين الدين بن ابراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٧، ج٥، ص١٣١، النووي، يحيى بن شرف المنهاج،

شرح صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت ط٤، ١٩٩٧، ج١٢، ص٢٦٥، الشربيني، مغني المحتاج ج٥، ص٣٦، البهوتي شرح منتهى الارادات، ج١، ص٦٢٤، ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن احمد، المغني على مختصر الخرقي، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ج١٣، ص١٩٩-٢٠٠ .

٣٧- النحل: ١٢٦ .

٣٨- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ج١٠، ص١٣٢ .

٣٩- مسلم، صحيح مسلم، حديث (١٧٣١).

٤٠- الخرشي، حاشية الخرشي، ج١، ص١٦٣، الحطّاب، ابو عبد الله، مواهب الجليل، دار الكتب العلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص١٤١، النووي، المجموع. ج١، ص٢٣١، الشربيني، مغني المحتاج، ج١، ص٢٣١، المرداوي، ابو الحسن علي بن سليمان، الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار احياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٧٧، البهوتي، كشاف القناع، ج١، ص١٩٣ .

٤١- الاسراء: ٧٠ .

٤٢- الشربيني، مغني المحتاج، ج١، ص٢٣١ .

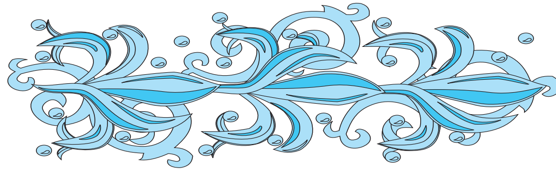
٤٣- سبق تخريجه ص٦ .

٤٤- الحاكم، ابو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص٣٥٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٤٥-٤٦- النووي، المجموع، ج٣، ص٥٩٢، الشربيني، مغني المحتاج ج١، ص٢٣١ .

٤٧- الخرشي، حاشية الخرشي، ج١، ص١٦٣ .

٤٨- التين: ٤-٦ .



١

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

الشريف قتادة بن إدريس جدُّ الأشراف بمكة المكرمة

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

تتمتع الأسرة المالكة في المملكة الأردنية الهاشمية، بشرف الانتساب إلى سلسلة ذهبية تتصل بسيد البشرية ﷺ، والأردنيون يثبتون شجرة النسب في المساجد والمدارس والمكتبات والمكاتب، وفي هذه الزاوية من مجلة هدي الإسلام أصبو إلى الوقوف على سِيَر أمراء البيت الحرام كل شريف منهم، والاطلاع على صفاته وإنجازاته؛ ومن هؤلاء الأمراء الأشراف:

قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هكذا نسبه المقريزي - المتوفى سنة ٨٤٥ هـ - في كتابه الموسوم بـ(السلوك لمعرفة دول الملوك)(١).

وهو أبو عزيز، الحسني العلوي: جد الأشراف "بني قتادة" بمكة، ولد في ينبع سنة (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)، ونشأ شجاعاً عاقلاً، ترأس عشيرته وعلا شأنه.

ولمّا كثرت الفتن بمكة بين المتنازعين على إمارتها قصدها بجمع قوي، فملكها في سنة تسع وثمانين وخمسمائة(٥٩٨ هـ)، وأقام في إمارتها نحواً من أربعين سنة واستفحل ملكه(٢)، وكان فاضلاً، محسناً في بدء أمره، وكان يقول: أنا أحق بالخلافة، له شعر جيد وأخباره كثيرة(٣).

وذكر ابن الأثير- المتوفى سنة ٦٣٠هـ- في الكامل(٤) وابن خلدون -المتوفى سنة ٨٠٨هـ- في تاريخه(٥) أن ولايته كانت قد

اتسعت من حدود اليمن إلى مدينة النبي ﷺ، وكثر عسكره، واستكثر من المماليك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً، وكان في أول ملكه حسن السيرة؛ فقد أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج، وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم إنه بعد ذلك أساء السيرة، فارتكب عظيماً؛ إذ قتل بعض أقاربه.

وصفه العصامي- المتوفى سنة ١١١١هـ-(٦) بالذكاء؛ فقال: (أما قتادة النابغة: فكان يكنى أبا عزيز)، والتمس له عذراً؛ وأنه كان شديداً على ولاة مكة بسبب انهماكهم على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء؛ اغتراراً منهم بما هم فيه من العز والسيف لمن عارضهم في مرادهم وإن كان ظلماً، وبعثه على المسير إليها أن بعض الناس فزع إليه مستغيثاً به في ظلامة ظلمَها، فوعده بالنصر، وتوجه إلى مكة في جماعة من قومه، فما شعر أهل مكة ألا وهو معهم بها، وولاتهم على ما هم فيه من اللهو والانهماك، فلم تكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها.

وقال العصامي: (قال صاحب عمدة الطالب في مناقب آل أبي طالب: كان قتادة جباراً فتاكاً فيه قسوة وتشدد وحزم، وكان الخليفة في زمانه الناصر العباسي، فاستدعى الناصر الشريف قتادة إلى بغداد، ووعده ومنّاه فأجابه إلى ذلك، وسار إلى أن وصل إلى العراق، فخرج أهل بغداد لتلقيه، وكان ممن خرج في غمار الناس رجل درويش معه أسد مسلسل، فلما نظر إليه الشريف قتادة تطيّر؛ وقال: ما لي ولبلد تذل فيها الأسود؟ فرجع من فوره إلى الحجاز، وكتب إلى الخليفة العباسي:

بلادِي وَلَو جَارَت علي مُريفَةَ
وَلَو أَنني أَعرَى بها وأَجُــوعُ
وَلى كف ضِرغَامٍ إذا ما بَسَطتُهَا
بها أَشتَرِي يَومَ الوَغى وأَبِيعُ
مُعَوَدَة لَثْمَ المُلُوكِ لِظُهْرِهَا
وفي بَطنِها للمُجدبينَ رَبيـعُ
أَأَترُكُها تَحتَ الرهَانِ وأَبْتَغِي
بها بَدَلاً إني إذَن لَرَقِيــعُ
وما أَنا الا المِسكُ في غَيْرِ أَرضكُم
أَضُوع وَأَما عِندَكُمْ فَأَضِيعُ

فلما وقف الناصر العباسي على هذه الأبيات استشاط غضباً، وامتلأ حنقاً وحرباً، وكتب إلى الشريف قتادة كتاباً، يقول فيه: أما بعد: فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس

الربيع أثوابه، قاتلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون.

فلما قرأ الكتاب الشريف قتادة ارتاع لذلك أشد ارتياع، وأرسل إلى بني عمه بني الحسين بالمدينة يستنجدهم ويسألهم المعونة، فأتته منهم رجال النجدة، ذوو العدد والعدة، فلما أقبلت تلك الكتيبة الناصرية كسرها، وبدد شملها وقهرها، فلما بلغ ذلك الناصر العباسي والى عليه الإنعامات الكاملة وأقطعه الإقطاعات الهائلة[8].

ذكر المقريزي[8] أن قتادة توفي سنة سبع عشرة وستمائة (٦١٧هـ/١٢٢٠ م) في آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة؛ ويقال: خنقه ابنه الحسن بمكة، وهو مريض[9].

الهوامش:

١ . السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي١/٦٠ .

٢ . تاريخ ابن خلدون ١٠٣/٤ .

٣ . الأعلام للزركلي ٢٦/٦ .

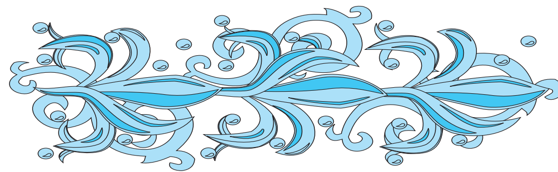
٤ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٢٠/٥ .

٥ . تاريخ ابن خلدون ١٠٣/٤ .

٦-٧- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ٣٨٩/٢ .

٨ . السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦٠/١ .

٩ . الأعلام للزركلي ٢٦/٦ .



هوى الضاد

شعر الاستاذ حسين مصطفى ابو عجمية

١- أم اللغات:

لأم اللغى نسبتي وانتسابي — هواها، رضعت طري الإهاب

أنا من تعلق بالضاد لباً — وهام بمعجزها في الكتاب

لزمت حماها صبياً وكهلاً — لأظفر منها بأغلى الرغاب

هواها، لقد بذّ حبّ الغواني — ونقر الدفوف ولهو التصابي

وأين من الضاد ميس القدود — ولثم الورود ورشف الرضاب!

وأين من الضاد عزف اللحون — وهمس الجفون ووصل الكعاب!

٢- عشقها وتحصيلها:

بذلت لها فوق بذل الكرام — وأبليت فيها برود الشباب

أباحت لي الوصل بعد امتناع — وأبدت لي الحسن بعد احتجاب

ولما ولجت حماها ارتني — لجين العيون ودر العباب

ومدت قراها الفريد وقالت: — هلم الى زادنا والشراب!

اصبت نصيباً كريم الأصول — خضير المروج جليل اللباب

٣- سمو المزايا:

هي الضاد قد برزت في حلاها — عروساً تجلى بأبهى ثياب

هي الضاد فياضة بالمعاني — وسحر البيان وفصل الخطاب

سمو المزايا: بوحي الإله — وفيض النبي ونهج الكتاب



أهمية الشباب في الاسلام

■ بقلم الأستاذ عبد الله محمد أبو زيد

يمثل الشباب الثروة الغالية والثمينة للأمة، ولكن هذه الثروة قد يستفاد منها، وتُوجَّه نحو الخير والفضيلة والبناء، وقد تهدر أو تستغل للنشر والفساد والهدم والرذيلة.

ويعتبر الشباب ثورة بطاقتهم وحيويتهم ونشاطهم وقوتهم، وانفعالهم وحماسهم، ولكن هذه الثورة قد تكون بناءة وخيرة وصالحة، تستفيد منها الأمة في تحقيق الآمال الجسيمة، وتعتمد عليها في الآلام والخطوب وتصبو بها نحو الصلاح والإصلاح، وقد يستطيع أعوان الشر والشيطان من الإنس والجن أن يوجه ثورة الشباب نحو الفساد والإفساد والدمار والتخريب.

والشباب قوة وحيوية للحاضر والمستقبل، ولكن قد تكون هذه القوة موجهة للفضيلة وحماية الأعراض والأموال والأوطان، وحاملة للدعوة الصادقة، وضياع الأمة، وتشتيت فكرها وإحباط مشاعرها وتبني الدعوات الفاسدة والمبادئ الباطلة والشعارات البراقة الخادعة والمذاهب الهدامة.

فالشباب هم رأس مال الأمة، وعدتها وعتادها، وحاضرها ومستقبلها، وثروة الأمة التي تفوق ثروتها ومواردها كلها، فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها، وكيف تنميها وترعاها وكيف توجهها وتستفيد منها وتفيدها، استطاعت أن تؤدي رسالتها في الحياة وتحقق سر وجودها وان لم تدرك ذلك، كتب لها الشقاء والتعاسة في دينها ودنياها.

ولهذا حرص النبي ﷺ الحرص الكامل

على تكوين الشباب، وتربيتهم وإعدادهم لحمل المسؤولية، وتهيئتهم لأداء الأمانة التبليغية، وكان ينصح عليه السلام في مناسبات كثيرة ومجالات عدة، باستغلال فترات الشباب وأيامه في الصلاح والإصلاح والجهاد والبناء والتعمير (دور الشباب في حمل الرسالة للإسلام، عبد الله علوان ص٩).

ففي تكوينهم على مراقبة الله، وخشيته له في السر والعلن، قال ﷺ: "إن الله ليعجب من الشباب الذي ليست له صبوة " (رواه احمد وأبو يعلى) (أي شذوذ وانحراف) وفي تكوينهم على التزام الطاعة لله والعبادة له والتسليم لجنابه يقول ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد» (رواه الشيخان).

وفي دعوة الشباب لاغتنام فرص حياتهم فيما يعود عليهم بالفائدة والنفع، يقول ﷺ: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك" رواه الحاكم.

وفي حث الشباب على تحمل المسؤولية ومحاسبة النفس، يقول ﷺ: "لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ما عمل فيه" (رواه الترمذي)، وفي عصمة نفوس الشباب من الميوعة والانحلال وإحصانها بالزواج الذي شرعه الله يقول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أي القدرة على الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج» رواه الجماعة".

ولقد بين القران الكريم أن الشباب مرحلة متميزة في حياة الإنسان، قال تعالى في وصفه لفتية أهل الكهف، المؤمنين بربهم الصابرين على مقارعة الظلم: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** الكهف: ١٣، وقال تعالى حكاية عن قوم إبراهيم في معرض حديثه عن تحطيم الأصنام: **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾** الأنبياء: ٦٠، وقال تعالى في وصفه لشباب يحيى وقوته في حمل الدعوة: **﴿خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا﴾** مريم: ١٢ .

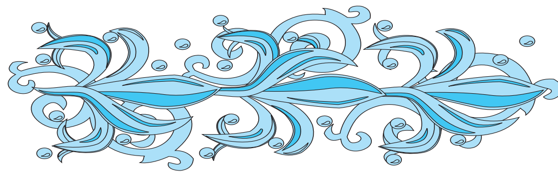
وهذا رسول الله ﷺ حينما أوصى الله إليه بالنبوة كان في سن الأربعين، وهو سن

اكتمال الشباب، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر من النبي ﷺ بثلاث سنوات وعمر رضي الله عنه كان عمره يوم اسلم سبعا وعشرين سنة، وعثمان رضي الله عنه أصغر من رسول الله ﷺ، وقد كان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عندما أسلم في الثامنة من عمره وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها في العاشرة من عمرها.

والعصبة المؤمنة التي تركزت في دار الأرقم في فجر الدعوة الأولى كانوا شبابا، ولقد عين الرسول ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه قائدا لجيوش المسلمين وهو في سن السابعة عشر، وأرسل ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه قاضيا على اليمن وهو في ربيع الشباب، وأخذ أراء الشباب ونزل عند مشورتهم في غزوة احد.

فالشباب لهم ماض مشرق في التاريخ الإسلامي، وهم الذين حملوا راية الدعوة ورفعوا لواء الجهاد المقدس، والتفوا حول رسول الله ﷺ وكانوا اليد اليمنى للنبوة والرسالة، فحقق الله على أيديهم النصر الأكبر لدولة الإسلام الفتية التي خضعت لها مملكتا فارس والروم في خمس وثلاثين سنة من عهد الخلفاء الراشدين "مشكلات الشباب في ضوء الإسلام، (إسحاق الفرحان ص١٣ وما بعدها، دار الفرقان، عمان ١٩٨٢).

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن الشباب، أن ننبه أن حديثنا عنهم لا يعني إغفال الحديث عن الرجال والكهلة، أو التقليل من شأنهم، كما كان الحال عند الشيوعيين، حينما طالب أحد زعمائهم بعد الثورة بإبادة جميع المسنين، حتى لا يكونوا عالة على الدولة، ولكن المقام هنا مقام الحديث عن الشباب،



خطبة الجمعة

الشـــباب
أمل الأمة الاسلامية وعمادها

بقلم الأستاذ سميح احمد عثامنة

أما بعد؛

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ يخبر الحق جل وعلا في هذه الآية الكريمة، ان من صفات عباده المتقين، انهم يسألون الله عز وجل أن يرزقهم زوجات صالحات، ويرزقهم ذرية صالحة، وقد وضع سبحانه وتعالى العلامات والمعالم والطريق التي يتبعها الانسان السوي، الذي يريد ان يحقق الله تعالى له هذا الخير.

نعم أيها الاخوة المؤمنون، لقد خلق الله تعالى عباده على الفطرة السليمة السوية، وبعث الرسل عليهم السلام لتقريرها وتكميلها، والناشئة في بكور حياتها، ديوان مفتوح وسجل ناصع، تتلقى ما يرد عليها من حق أو باطل، ارض تنبت اي غراس من صحيح العقائد وفاسدها، ومن مكارم الأخلاق ومساوئها، كما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه».

وعقول الشباب هدف لأعداء المسلمين، الذين تنوعت وسائلهم ليوقعوا الشباب في شَرَكهم، وليزجوا بهم في وحل الفتن تارة، ويلقوا عليهم الشبهات تارة أخرى، ليوردوهم مستنقع الهوى والشهوات، ويغرقوهم في الملهيات والمحرمات.

نعم معشر المؤمنين.. ان الشباب

في نظر الاسلام، هم عماد الأمة بعد الله، وهم الذين تقوم على أكتافهم نهضة البلاد، وتعلق عليهم الآمال بعون الله تعالى، في القيام بالأمة من كبوتها ونهضة الأمة وصحوتها، الشباب هم الذين قاموا بدعوة الاسلام، وأيد الله بهم هذا الدين، فقيض لرسوله ﷺ مجموعة من الشباب، قاموا به وعزروه ونصروه، لقد كان من السابقين الأولين في الاسلام، علي كرم الله وجهه، وسعد بن ابي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن مسعود، وخباب بن الأرت، وسعيد بن زيد، وغيرهم كثير من الشباب الذين نصر الله دينه بهم رضوان الله عليهم أجمعين.

نعم عباد الله.. ان الشباب في هذه الأمة الاسلامية، هم كنزها الحقيقي، وذخرها الدائم، وهم الساعد الذي تبني به مجدها، وتهزم به عدوها بإذن الله تعالى، وأطفال اليوم هم شباب الغد، **وشباب اليوم هم رجال المستقبل بإذن الله عز وجل، فبهمة الشباب وبخبرة الشيوخ، تبنى الأمم حضارتها، فمتى اعتمدت الأمة على الشباب دون الشيوخ، كانت متهورة وضائعة، ومتى اعتمدت الأمة على الشيوخ دون الشباب، ضربها العجز والوهن، وكانت في آخر ركب الأمم، فلا بد من قوة الشباب وحكمة الشيوخ، حتى تسير سفينة الحياة، ويستمر عطاء الأمم، لذا فعلى الشيوخ ان يورثوا الشباب الحكمة والحنكة والعقل والتجربة، وان يربوهم على معالي الأمور وعظائم الأعمال،** وما بكى الباكون وتأسف المتأسفون على مثل فترة الشباب كما قال قائلهم:

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيب

نعم أيها الإخوة المسلمون.. الشباب قوة بين ضعفين، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، مرحلة الشباب هي تلك المرحلة التي تكون ما بين الخامسة عشرة والأربعين، تلك الفترة من العمر، التي يبدأ فيها النضج الفكري والجسدي حتى يكتمل عند سن الأربعين، وذلك السن هو سن اكتمال الرجولة، قال تعالى: **﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني ان اشكر نعمتك علي وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾**.

نعم معشر الموحدين.. ونحن نتكلم عن شباب الأمة، فأي شباب هم، كيف حالهم، وهل هو حال المقبلين على الله، المستقيمين على الطريق القويم، الذي يُطمئن الأمة ان مستقبلها يسير على خير والى خير؟ ام هو حال الشباب المعرض

عن تقوى الله، المنصرف الى غياهب الضلال واللهو، والعبث، والذي يشعر الأمة بأن مستقبلها في خطر، **فالشباب على قسمين:**

القسم الأول، هم اهل الصدق والاستقامة والصلاح، نظر الله الى قلوبهم، فرأى ما فيها من التقوى وحسن القصد، فكانوا اهلاً لهدايته وتوفيقه، وهم منارات يهتدي بها الحائرون، في دياجير ظلام الحضارة المزعومة المتهالكة، هؤلاء الصفوة من الشباب الصالح المؤمن، لا نملك الا ان نسأل الله لهم الثبات والتمكين.

اما القسم الثاني من الشباب، فهم للأسف صنف تركوا طريق الخير والسعادة الذي يهدي الى النور ويفضي الى الضياء، وسلكوا طريق الشر، خدعوا بمظهره اللامع البراق، الذي منتهاه الى الظلام، والويل والثبور، نسأل الله لهم الصلاح والتوفيق والهداية وأن يردهم الى دينه رداً حسناً جميلاً.

نعم عباد الله المتقين، ان الحسرة كل الحسرة عندما نرى شباب الأمة وعماد المستقبل، قد هجر كثير منهم المساجد، فأصبحت الصلاة في واقع بعضهم أمراً محزناً وحالاً مؤسفاً، تلتفت بين الصفوف فينقلب اليك بصرك خاسئاً وهو حسير، متسائلاً: أين الشباب الذين يملؤون المدارس والمعاهد والجامعات؟ فتجد البعض منهم قد ضيع الصلاة وترك قراءة القرآن، استنكف واستكبر عن عبادة ربه وخالقه ومدبر أمره الذي وهبه الشباب وأنعم عليه بالصحة وأمده بالعافية.

ويزيد الألم والحسرة عندما ترى كثيراً من شباب الأمة، وقد ذابت شخصية بعضهم في تقليد أعمى، وانسياق عجيب، فتعجب من امر ذاك الشاب الذي اكرمه الله بالاسلام، واعزه بهدي سيد الأنام ﷺ، ثم يقلد الغرب في خنوثته وانحلاله وميوعته وشهوات رذائله، وهذا مصداق لقول رسول الله ﷺ: «لتتبعن سَنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم».

والأنكى من هذا يا معشر المسلمين، ان ترى شباباً في مقتبل العمر وقد تجاذبتهم وتلقفتهم ايادي الشر والفساد، ليغروهم ويغرقوهم بالمسكرات والمخدرات.

وتزداد الحسرة عندما نرى بعض ابناء المسلمين عشاقاً للرياضة والفضائيات على حساب دينه وقيمه، قبلته هي الكرة، لا يدري لم خلق ولا يفكر حتى في صلاة أو طاعة ربه او والديه أو نهضة مجتمعه

ورفعة أمته!!.

ولو رمت تسأله: من صاحب القدم الذهبية والرأس الذهبي والكأس الفضي وغير ذلك.. لتشدق بملء فيه وأجاب اجابة العارف الخبير.. بل تراه في تفاصيل اجابته يحدد لك اسم هذا اللاعب واسم ابيه وأمه وجده، وماذا يلبس ومن اي ماركة يرتدي حذاءه، وبأي قدم يلعب، بالقدم اليمنى أم بالقدم اليسرى، ويخبرك عن عدد المباريات التي شارك فيها وانتصر الى غير ذلك من دقائق وسفاسف الأمور!!

ولو حاولت ان تسأله عن سورة الفاتحة، تجده لا يحسن قراءتها، ان لم يكن لا يحفظها، ولو سألته عن احد أئمة السلف الصالح، من الصحابة الكرام او التابعين رضوان الله عليهم، لوجدته فاغراً فاه يتخبط ذات اليمين وذات الشمال، ويتلعثم، ويقف حائراً ثم لا يجد جواباً!!

نعم يا أمة الاسلام.. اننا نرى ما يفتت الكبد ويمزق الفؤاد، نرى شبابا في زهرة ومقتبل العمر، لكنهم في اعمالهم وهمتهم يحبون حبواً، وقد آتاهم الله بسطة في الجسم، لا ترى في عيونهم بريقاً ولا في خطاهم عزماً، شاخت أفئدتهم وماتت هممهم، وهم في عنفوان الشباب، والى الله وحده المشتكى والمصير.

فيا معاشر الشباب، تعالوا بنا ننظر ماذا قدم اسلافنا الأوائل من شباب الأمة الاسلامية لدينهم، وماذا قدم شبابنا اليوم لدينهم.

نعم إخوة الايمان.. عندما تعلوا الهمم وتسموا الاهتمامات، يقود شاب في الثامنة عشرة من عمره جيشاً يقاتل به الروم. جيش فيه سيدنا ابو بكر وعمر وكبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين، ولم تكن تلك اول مرة يقود فيها الشاب اسامة بن زيد جيشاً، بل سبق له قبل ذلك ان كان اميراً في سرية من السرايا، ولم يكن هو وحده الذي قاد جيشاً، فلقد امّر رسول الله ﷺ كذلك علي بن ابي طالب كرم الله وجهه على جيش.

نعم يا شباب المسلمين اليوم، نعم يا امل الأمة الاسلامية، لقد كان الشباب يتسابقون الى الالتحاق بجيش رسول الله ﷺ للقتال ضد أعداء الله ورسوله، حتى الصغار الذين دون الخامسة عشرة، وكان ﷺ في كل غزوة يستعرض الجيش فرداً فرداً، فيرد الصغار، لهذا كثيراً ما تحدثنا كتب السيرة والتراجم عن قولهم: استُصْغِرَ فلان في غزوة كذا واستُصْغِرَ البراء بن عازب ورافع بن خديج رضي الله عنهما في بدر، وفي غزوة أحد استصغر ابو

سعيد الخدري وزيد بن ثابت، وكان عمير ابن ابي وقاص في بدر يتوارى لئلا يراه رسول الله ﷺ فلما رآه ﷺ رده، فأجهش بالبكاء كيف يرد ويحرم من شرف القتال مع نبي الله ﷺ!!، حتى أجازه ﷺ وسمح له بالقتال.

وان الأمر إخوة الايمان لم يقف عند مجرد المشاركة في القتال، وان كان ذلك أمراً له دلالته التي ينبغي ان تبقى في الذهن، فلقد تعدى الأمر الى مواقف بطولية للشباب اثناء القتال في المعارك وغيرها، حفظها لنا التاريخ، يطول المقام بذكرها.

واقرؤوا ان شئتم سيرة معاذ ومعوذ ابني عفراء، اللذين قتلا فرعون هذه الأمة ابا جهل، واقرؤوا سيرة البراء بن عازب وغيرهم كثير رضي الله عنهم.

نعم عباد الله، إن مرحلة الشباب فرصة عظيمة لا تعوض، يجب اغتنامها فيما ينفع الانسان في دينه ودنياه وآخرته، وهو فرصة ثمينة تمر بسرعة، فإن لم تشغل بخير، شغلت بشر، ولا بد، فالأوقات محدودة، والأنفاس معدودة، فعودوا الى الله يا شباب الاسلام، فأنتم الرجال الذين بهم تقوم الأمة، عودوا الى الله حتى نري الأعداء زمجرة الأسود، فنحن اليوم بأشد الحاجة الى شباب مؤمن، يشعر بواجبه تجاه دينه وأمته، وبما عليه من تبعات تجاه بناء الدين وإشادته، نحن بأشد الحاجة الى شباب مؤمن، يحمل نفساً مطمئنة، يشعر بأن اكبر سروره في اخلاص العمل لله.

فما ظهر الدين وعرف الناس شرائع المرسلين، الا بفضل الشباب الصالحين، الذين استجابوا لله والرسول ﷺ، والتاريخ يا عباد الله اصدق شاهد على فضل الشباب الناشئين في طاعة الله، من أمثال علي وأسامة بن زيد وعبد الله بن عباس وبن عمر وغيرهم كثير رضوان الله عليهم اجمعين.

فهنيئاً لشاب تقي تعلق قلبه بالمساجد.

هنيئاً لشاب تعلق فؤاده بمجالس العلم والخير وعمل الصالحات..

هنيئاً لشاب اغتنم شبابه قبل هرمه، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل موته.

تم العدد بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد السابع - المجلد ٥٣

رجب ١٤٣٠هـ - تموز ٢٠٠٩م



المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد السابع ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

ماذا يعني إسراء الرسول ﷺ من

لقد ختم الله تعالى آية الاسراء بقوله: ﴿.. إنه هو السميع البصير﴾، لماذا أسرى الله تعالى بعبده؟ وماذا رأى وماذا سمع؟

لقد رأى الله تعالى نبيه وحبيبه محمداً ﷺ يفقد في السنة العاشرة للبعثة، عمه الذي كان يحميه من كيد المشركين، ويفقد زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، التي كانت تقف الى جانبه وتشد أزره وتخفف آلامه، ورأى الكفار يتجرؤون عليه، ويهينونه ويضربونه ويلقون على ظهره الأوساخ وهو ﷺ ساجد في أشرف مكان في المعمورة، وسمعهم يكذبونه ويعاندونه ويشتمونه ويهزؤون به ويتآمرون عليه، رآه تعالى سدت في وجهه الأبواب، وتجهمت له الوجوه، وضاقت به السبل.

فأراد الله عز وجل ان يعوضه عن تجهم الأرض بحفاوة السماء، وعن هوان الأرض بعزة السماء، اراد الله عز وجل ان يخفف آلام الرسول الكريم ﷺ ويمسح جراحه، واراد ان يواسي قلبه الكسير، وشعوره الجريح، أراد تعالى ان يطمئنه الى انه معه يحفظه ويرعاه، وسوف ينصره، ويظهر دينه مهما طال الزمان واشتدت المعاناة.

أراد الله ان يقوي إيمانه ويقينه، ويشحذ همته، ويقوي عزيمته، أراد الله عز وعلا ان يكرم نبيه ويكافئه على صبره وكفاحه وجهاده وتضحياته، أراد الله تبارك وتعالى ان يرفع مقامه ويبين له رفعة مكانته عنده، أراد الله عز وجل ان يضيف الى معجزات الرسول ﷺ معجزة جديدة، تكون حجة على المشركين، ونوراً للباحثين عن الحق، وزيادة لإيمان المؤمنين، تتمثل في قول ابي بكر رضي الله عنه عند سماعه خبر الاسراء: «ان كان قاله فقد

المسجد الحرام الى المسجد الأقصى؟

صدق»: ﴿وما ينطق عن الهوى ❖ ان هو الا وحي يوحى﴾.

ماذا يعني اسراء الرسول ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى؟ ولماذا كان الاسراء الى الأقصى بالذات؟

لقد كان الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، إعلاناً بانتقال النبوة من بني اسرائيل الذين نقضوا العهد، وفشلوا في حمل أمانة الرسالة الى بني اسماعيل الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا حملة الرسالة الخاتمة الى البشرية جمعاء.

لقد كان الاسراء اعلاناً بأن المسلمين هم ورثة الرسالات السماوية السابقة، وورثة المسجد الحرام وورثة المسجد الأقصى.

لقد كان الاسراء اعلاناً بارتباط ارض فلسطين بالاسلام، واعلاناً بقداسة ارض فلسطين.

لقد كان الاسراء اعلاناً بوحدة المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وارتباط مكة بالقدس.

ولقد فهم اصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه رسالة الاسراء، ومغزى الاسراء فسروا الى فلسطين، وخفوا الى تحرير القدس في اول فرصة سانحة، ووحدوا ارض الاسراء تحت راية الاسلام، وأمّنوا طريق القدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين للركع السجود، وفهم صلاح الدين روح الاسراء، فطهّر القدس من رجس الصليبيين في السابع والعشرين من رجب ذكرى الاسراء والمعراج الشريفين.

اسرة التحرير

٤١

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق..﴾

سورة المائدة: ٢٧-٤٠

■ **بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة**

يأمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ، ان يتلو على الناس وبني اسرائيل منهم خاصة، ذلك الحدث المهم، تلاوة بالحق المطابق للواقع الموافق لما في كتبهم، ﴿نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ والذي قال: ﴿لأقتلنك﴾.. قال مقسماً مؤكداً بالنون، يعني: هو مصر على قرار القتل، فلا رجعة فيه، فقال له أخوه: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾.

يا أخي ارجع الى نفسك فسألها: لماذا لم يتقبل الله تعالى قرباني؟ ثم قبل قربان أخي؟ في محاولة منك لمعرفة اسباب القبول، حتى تشغل نفسك بها ولك أجدى وأهدى، انا لم ارتكب ذنباً يستدعي قتلي! كل ما فعلته هو أنني اتقيت الله في قرباني.. فكان مقبولاً، فبأي ذنب تقتلني إذن؟!!

وعلى أي حال.. **﴿لئن بسطت يدك إليّ لتقتلني ما انا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾**، انا لا أقول لك: لن أقتلك.. فهذا نفي لفعل واحد، يمكن ان افعله غداً، وانما أنفي عني الصفة، فأنا لا اتصف بما ينافي التقوى -ونفي الصفة ابلغ من نفي الفعل-، وفي هذا من شدة التحرز ما فيه، ويعني: أنني لن أقتلك ابتداء، وحتى لن أقاومك **﴿ما انا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾** لا خوفاً منك، وانما خوفاً من الله سبحانه وتعالى.

لقد قررت عدم الانتصار لنفسي، ان اكون عبد الله «القتيل» ولن اكون عبد الله «القاتل» فدمي هدر ومالي مباح!!

وهذا هو الموقف المثالي المشتق من سنة رسول الله ﷺ، والذي التمس العذر لمن عذبوه، فقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، وفي هذا الرد المسالم تحريض الظالم حتى يكف عن ظلمه، وكان من المتوقع ان يفثأ الحقد المستكن في صدره، ولكن الوحش الكامن في جبلته، لا يزال مصراً على الانتقام، فكان لا بد من زجره بما هو أنكى، وهو عذاب الآخرة، وذلك قوله تعالى: **﴿اني أريد ان تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾**.

ومع هذا الرد السابغ من قبل «هابيل» فقد كان لقابيل شأن آخر: تحولت «الغيرة» في قلبه الى حقد.. وتخلق الحقد فصار عدواناً.. عدواناً على من؟! على من طبق المنهج، ومضى على طريق السداد، ولهذا السبب يتلظى بنار الظالم، الظالم الذي يتحرش بالمظلوم في محاولة لاستنزاله من سمائه العالية، حتى يكون معه في المستنقع الآسن.

ولقد دخل قابيل في معركة طويلة مع نفسه، فهناك صوارف تردعه حتى لا يرتكب جريمة القتل، وهي: العقل والأخوة والهيبة والجزاء الرادع.

وكلما صرفته هذه عن الثورة والتمادي في الخطيئة، عادت نفسه فغلبته، وزينت له قتل أخيه فقتله.. قتله في لحظة من لحظات الضعف الانساني، وبلا روية ولا تفكر في العواقب، بعد حرب ظلت سجالاً، ثم انتهت بالقتل.

هذه العواقب التي كان منها: **﴿فأصبح من الخاسرين﴾** واذا كان الصباح (محل توقع الارتياح) فقد كان شؤما عليه، اذ كان من الخاسرين.. خسر الدنيا بفقدان أخيه، ثم خسر الآخرة.. فخسر الدين، وكان بهما ممن سن بالقتل سنة سيئة، فعليه وزرها، ووزر من عمل بها الى يوم القيامة.

وكان من مظاهر خسرانه ذلك الندم الملح على مشاعره، لما كان «الغراب» معلماً له كيف يدفن أخاه، حيث أحس بالهوان أمام هذا المشهد العصيب، **﴿فأصبح من النادمين﴾**.. أجل حل به الاكتئاب النفسي على جريمة قتل أخيه، والتحير في أمره، وتلمذته للغراب، وتبريء والديه منه.

وحماية للأرواح من مثل هذا السفّاح، وحتى لا يكون انسان تحت رحمة انسان يقول الله عز وجل: **﴿من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير**

نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ .. الآية.

والسؤال الآن.. لماذا بنو اسرائيل وبالذات؟

ثم لماذا كان قتل نفس واحدة قتلاً للناس جميعاً؟!

اولاً: فلأن لبني اسرائيل رصيدا ضخماً من الحقد، ثم لأن ايديهم ملطخة بدماء الأنبياء عليهم السلام، فخصوا بالذكر هنا ردعاً لهم.

ثانياً: فلأن من قتل نفساً واحدة، تجرأ على قتل كل نفس، فكأنه قتل الناس جميعاً حتى هو نفسه!! فلا فرق عنده بين نفس ونفس، بعد ان اتخذ إلهه هواه، وبعدما استهان بالحياة، فجفت ينابيعها.. فقد هتك حرمة الدماء، وسن القتل، ثم جرّأ الآخرين على فعل ذلك.

وإذن ما أرخص الروح عنده، ولئن كان قتل واحد بالفعل، فهو قاتل للناس جميعاً بالقوة، ولقد كان من رحمة الله تعالى أن اعان هؤلاء السفاحين على أنفسهم بإرسال الرسل تأكيداً للأمر، وتجديداً للعهد، فأبى أكثرهم الا كفوراً، وبقيت منهم بقية ينهون عن الفساد في الأرض، وتلك موضوعية الاسلام الذي لا يأخذ المجرم بجيرانه، وانما يستثني منهم قلة باقية على العهد.

ومضياً مع خطة الاسلام في حماية الأرواح باستتباب الأمن، يقول الله عز وجل: **﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا﴾** .. الآيات.

وهذا من سد الذرائع الذي لا يزال ركناً في سياسة كل الدول عبر العصور، فهؤلاء الذين ينشرون الرعب، بالقتل والنهب من عبيد الشيكات وليسوا من عباد الرحمن.. فعباد الرحمن يمشون على الأرض هوناً، وهؤلاء يعيثون فيها فساداً، فيجب مواجهتهم بالعزم الشديد وضربهم بيد من حديد، والحاكم مخير بين هذه العقوبات، ويستثنى من ذلك التائبون توبة نصوحاً، وهم قادرون لا عاجزون.

ومن وراء الحاكم المجتمع المسلم، يشد من أزره تقليماً لأظفار هؤلاء القساة، وبعدما عرف من جسارتهم عليه ان يكون مضاداً لهم بالتقوى، وابتغاء العمل الصالح، ومواصلة الجهاد في سبيله، كأفضل وسيلة يقطعون بها الطريق على قطاع الطريق، ومواصلة الجهاد حتى يأمن المجتمع، وفي ظل هذا الأمان تتفرغ الأمة لإنجاز خططها وإغاظة عدوها، وعلى رجاء ان تكونوا من المفلحين.. في الوقت الذي يعض فيه اعداؤكم بنان الندم يأساً، الى الحد الذي لو

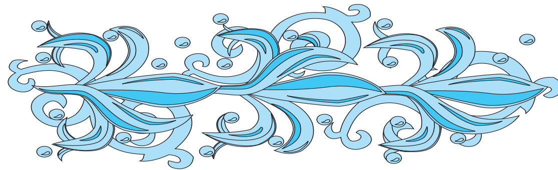
امتلكوا فيه الدنيا بأسرها لدفعوها ثمناً لخلاصهم.. وهيهات.

ويأخذ السارق مكانه في مؤخرة المحاربين من قطاع الطريق، وعلى ما قدر ما أحدث من خلل في صفوف المجتمع تقطع يده تأديباً وزجراً لغيره **﴿والله عزيز حكيم﴾**.. عزيز: قوي، لا يستطيع أحد الامتناع من سطوته وجبروته.. حكيم: بالغ الحكمة في شرائعه، ومع عزته تعالى وحكمته، فإنه قبل توبة التائبين **﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم﴾**.

اي بالغ المغفرة والرحمة، لا مانع له من ذلك، ولا من اي شيء يريد فعله، فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى ولا مانع اذا اراد شيئاً، لأن قدرته عز وجل تامة **﴿ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير﴾**.

اما بعد؛

فإذا كان من اعدائنا اليوم من يحاربون الله تعالى بالتشويش على كتابه العزيز، ثم يحاربون الرسول ﷺ بالتشكيك في سنته.. اذا كان فيهم من يحاول ذبح امتنا لا بالسكين ولكن بالشبهات والتخمين.. بلا دماء ولا أشلاء، فإن واجب أمتنا ان تستمسك بالعروة الوثقى.. بالتقوى والطاعة، على نحو يفوق استمساك الماكرين بباطلهم، معتصمين بالركن الذي لا يضام، والعين التي لا تنام، والحصن الذي لا يرام **﴿والله على كل شيء قدير﴾**.



٢

سورة الكوثر
تحقيق القول في زمان ومكان نزولها
دراسة حديثية نقدية

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

أرى من المناسب والمفيد بعد عرض أدلة القائلين بمكية سورة الكوثر، والقائلين بمدنيتها في الحلقة السابقة، أن أخصص هذا المبحث الرابع للنظر في أدلة الفريقين، للوصول الى القول الراجح في تاريخ نزول السورة الكريمة لما ينبني عليه من تفسير لآياتها، وبيان لأسرار اعجازها.

وينتظم الكلام في هذا المبحث ضمن المطالب التالية:

● المطلب الأول: مناقشة أدلة القائلين بمكية سورة الكوثر:

١- استند القائلون بمكية السورة الى الروايات والآثار التي رويت في أسباب نزول السورة، وتعيين الشانئ في آية ﴿**ان شانئك هو الأبتر**﴾.

وقد نسبت هذه الروايات القول بمكية السورة الى ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الكلبي والسدي ومقاتل وغيرهم.

اما ابن عباس رضي الله عنهما فلا نملك ما يصحح الرواية عنه(٦٠) وأما الكلبي فقال فيه أئمة الجرح والتعديل: انه كذاب -لا تحل الرواية عنه- قال البخاري في التاريخ الصغير فيما يرويه عن سفيان: قال الكلبي: قال أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب، روى محمد بن اسحاق عن ابي النضر وهو الكلبي"(٦١) وقال النسائي: "الكلبي محمد بن السائب، متروك الحديث.. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب"(٦٢) وقال الذهبي: "الكلبي

يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح الا الحرف بعد الحرف.. لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به"[٦٣].

وأما خاتمة الحفاظ الحافظ ابن حجر فقال: "..ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس، التفسير المنسوب لأبي النضر محمد ابن السائب الكلبي، فإنه يرويه عن أبي صالح وهو مولى أم هانئ عن ابن عباس، والكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب"[٦٤].

وأما السدي الصغير -تلميذ الكلبي- فقال فيه البخاري-: "محمد بن مروان الكوفي صاحب الكلبي سكتوا عنه"[٦٥] وقال النسائي: "متروك الحديث.."[٦٦].

وقال الذهبي: "محمد بن مروان السدي الكوفي، وهو السدي الصغير، تركوه، واتهمه بعضهم بالكذب وهو صاحب الكلبي"[٦٧] وقال الحافظ ابن حجر: "ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفا، وهو محمد بن مروان السدي الصغير.."[٦٨] ومن أوهى الطرق عن ابن عباس، طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس، فاذا انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب.. وبعده -في ان روايته أوهى- مقاتل بن سليمان، الا ان الكلبي يفضل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديّة"[٦٩].

وأما مقاتل بن سليمان صاحب التفسير فقال فيه الدارقطني: "مقاتل بن سليمان، خراساني يكذب"[٧٠] وقال الذهبي: "مقاتل ابن سليمان البلخي المفسر، أبو الحسن، روى عن مجاهد، والضحاك.. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال وكيع: كان كذابا، وقال النسائي: كان مقاتل يكذب"[٧١] وقال الحافظ في كتابه العجاب: "ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم: .. تفسير مقاتل قاتله الله تعالى، وانما قال الشافعي فيه ذلك، لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم.

وروى تفسير مقاتل هذا عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع، وقد نسبوه الى الكذب"[٧٢].

لقد أطنبت في ذكر عبارات الجرح التي قالها أساطين الجرح والتعديل في بيان أحوال هؤلاء الرواة الثلاثة : الكلبي والسدي الصغير ومقاتل، لأن مروياتهم هي عمدة القائلين بمكية سورة الكوثر، من المفسرين واصحاب المغازي وغيرهم.

يقول الاستاذ الدكتور محمد ابو شهبة

رحمه الله تعالى بعد عرض طرق الرواية في التفسير: "ومما ذكرنا: يتبين جليا: أن العلماء المحدثين نقدوا طرق المرويات في التفسير وغيره، وبينوا الصحيح والضعيف، والموضوع ونبهوا الى الاسرائيليات، وحذروا منها، ولو أن المفسرين كانوا من أهل الحديث والنقد لنزهوا كتبهم مما وقع فيها من المرويات من غثاء وزبد، ولما وقع فيها كل هذا الركام من الاسرائيليات، والخرافات والأوهام.."(٧٣).

والحق انني اكتفيت بنقد روايات من اشتهر القول عنهم بمكية السورة ببيان درجة رواتها من الضعف ،على الرغم من ضعف أسانيد بقية الروايات واضطرابها، واختلافها في تعيين الشانئ المبغض وأنها لا تسلم من المناقشة.

واذا نظرنا في الروايات التي عرضت لآية ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وهي عمدة القائلين بمكية السورة فقد اختلفت في تعيين الشانئ، قيل: العاص بن وائل، وقيل: عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو جهل، وقيل: كعب بن الأشرف، وقيل: غير ذلك.

وأن هذا الاختلاف والاضطراب في تعيين القائل دليل على ضعف الروايات واضطرابها على فرض صحتها، فكيف اذا كانت ضعيفة؟.

٢- وأما الروايات والآثار في ترتيب نزول السور المكية والمدنية، ومنها أثر ابن الضريس فقد استوعبها ونقدها نقدا علميا بضوابط المحدثين الاستاذ الدكتور ابراهيم خليفة في تفسيره لسورة النساء بما لا مزيد عليه، وقال في أثر ابن الضريس: "وأما أثر ابن الضريس فيعتري الضعف سنده من أوجه.."(٧٤) ثم عدد هذه الأوجه، وبناء عليه لا يصح الاحتجاج بأثر ابن الضريس الذي يعد سورة الكوثر من السور المكية، وقد استدرك الحافظ ابن حجر على ابن الضريس عند ترتيبه نزول السور المدنية فقال: "وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن سورة الكوثر مدنية فهو المعتمد"(٧٥) وأما حديث أنس رضي الله عنه في صحيح البخاري قال: "لما عرج بالنبي ﷺ الى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر"(٧٦) فلا يصح الاحتجاج به على مكية سورة الكوثر، لأن الحديث بمنطوقه ومفهومه انما يبين صفات نهر الكوثر، ومن المعلوم يقينا أن نهر الكوثر هو في الجنة قبل نزول سورة الكوثر، فقد رأى ﷺ هذا النهر قبل أن يقول ﷺ في حديث أنس: "أنزلت علي سورة.." ان الناظر في حديث أنس في الاسراء والمعراج وهي الرحلة التي وقعت

قبل الهجرة يظن أن هذا الحديث فيه دلالة على مكية السورة، وهو وهم وقع فيه بعض أهل العلم.

واما من المعقول: فإن ما قرره الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا في مكية السورة لا يقوم على ساق ولا يثبت عند البحث والتمحيص ولا يجوز ان نبني الحجج العقلية على أدلة نقلية لم تثبت عن المعصوم ﷺ، أو عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم لتنال درجة المرفوع حكما.

ولا أدري لم ذهب الأستاذ رشيد رضا الى القول بمكية السورة وهو المحدث الجهبذ، لكن الرجل ربما تابع شيخه محمد عبده وتهيب من مخالفته إتباعا للجمهور دون تدقيق أو تحقيق، وانك لتعجب من قلم الأستاذ رشيد الذي استعمل صيغة الجزم (ورد) في الروايات، دون صيغة التمريض (روي) وهو يعلم أن الروايات التي رويت في نزول السورة إنما هي روايات ضعيفة مضطربة سندا ومتنا لا يصح الجزم بها كما هو معلوم عند المحققين.

وعلى كل حال فإن لكل عالم زلة، ولكل جواد كبوة، ويظل الأستاذ رشيد فقيها عالما ومفسرا دراكا رحمه الله تعالى.

وللأستاذ الدكتور فضل حسن عباس كلام جزل يعد من النكت والعيون في مناقشة القائلين بمكية السورة، قال في كتابه إتقان البرهان: "... ونظن أن القائلين بمكيتها -أي سورة الكوثر- وقفوا عند كلمة الأبتر، وفسروها بأنه الذي لا عقب له ونسجت حول هذا التفسير هذه الروايات، ولنا على هذه الروايات أكثر من مأخذ"[٧٧].

هذه المآخذ إنما هي مناقشة عقلية للجمهور والمفسرين الذين قالوا بمكية السورة، ثم عد ثلاثة مآخذ هي: "أما أولا: فلأن سيدنا رسول الله ﷺ، حينما اشتد الصراع بينه وبين أولئك الكافرين، كان في الأربعينات من عمره الشريف ﷺ، وهو عمر لا يحكم على الإنسان فيه بأن لا عقب له، فمن الممكن أن يولد للإنسان في الأربعينات والخمسينات والستينات، والمولود قد يكون ذكرا أو أنثى، فكيف استطاع أولئك أن يحكموا عليه ﷺ بأن لا عقب له"[٧٨].

هذا المأخذ استشفه شيخنا العلامة من الواقع الذي يعهده الناس في الانجاب وأن الرجل قد يأتيه الأولاد وقد تجاوز الستين، فكيف يعيره العرب الأقحاح بانقطاع الذرية وهو لا يزال ﷺ في مرحلة القوة الجسدية؟.

أما المأخذ الثاني: فاستنطقه من لغة الضاد، لغة العرب الخلص، لغة القرآن

الكريم، قال أستاذنا: "وأما ثانيا: فلأن الأبتر في اللغة مأخوذ من البتر وهو القطع، وقد قالوا: ان الأبتر الذي لا خير فيه، ونظن أن هذا التفسير للأبتر هو الذي يتفق مع السياق والمنطق، وليس كذلك التفسير الأول، لأنه لا يعقل أن يصدر من عاقل، ثم ان الله تبارك وتعالى سيكذب هذا القائل ويخزيه".

وأما ثالثا: "فإن تفسير الأبتر بما فسروه من أنه الذي لا عقب له، يثير الشبهات حول القرآن الكريم وحاشاه فلقد ذهب أكثرهم الى ان المقصود به العاص بن وائل، وعلى هذا فالله يقول: **﴿إن شانئك هو الأبتر﴾** فقد جاءت الآية بأسلوب القصر والتأكيد، ومعنى الآية ان العاص أو أبا جهل أو عقبة ابن أبي معيط لن يكون لكل منهم عقب ألبتة، والأمر غير صحيح، فلقد قال الواقع والتاريخ بأن هؤلاء جميعا كان لهم، وكان هذا العقب ممن أكرمه الله بالاسلام، عمرو ابن العاص وابنه عبدالله وعكرمة بن أبي جهل، وابنه عقبة بن أبي معيط"، ثم ختم الاستاذ الدكتور فضل هذه المآخذ الثلاثة بقوله: "هذه الأسباب وغيرها تجعلنا نرد هذا القول، لما يترتب عليه من محاذير كثيرة"(٧٩).

وقد تساءل العلامة السهيلي عن مجيء الذرية للعاص بن وائل، والآية **﴿ان شانئك هو الأبتر﴾** جاءت بأسلوب القصر، قال رحمه الله تعالى: "قوله سبحانه: **﴿ان شانئك هو الأبتر﴾** أي: لا انت، والأبتر الذي لا عقب له يتبعه.. فاذا ما قلت هذا، ونظرت الى العاص وكان ذا ولد وعقب.. فكيف يثبت له البتر، وانقطاع الولد، وهو ذو ولد ونسل، ونفيه عن نبيه ﷺ..".

ثم أجاب السهيلي عن هذه العضلة بقوله: "بالجواب: أن العاص -وان كان ذا ولد- فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه، وهم أتباعه ﷺ وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم.."(٨٠).

ان رد الأستاذ الدكتور فضل على القائلين بمكية السورة فيه جواب ورد على كلام السهيلي، الذي أبعد النجعة في تأويله، والأصل أن يأخذ المعنى على ظاهره، وينظر بعين بصيرته الى النظم الكريم أولا، لا الى روايات مضطربة، وعندئذ لا يحتاج الى مثل هذا التكلف.

وخلاصة القول: إن الروايات التي رويت في نزول سورة الكوثر بمكة لا تثبت في الميزان سندا ولا متنا، وعلى فرض صحتها فإن اضطرابها واختلافها يبعد الاحتجاج بها.

واما المناقشة العقلية للجمهور فقد كان كلام أستاذنا الدكتور فضل فيه الفضل وكان منتزعا من فهمه لإعجاز القرآن الكريم، وما فيه من المعاني الثانوية.

وبعد هذه المناقشة الهادئة مع الفريق الأول، ننتقل الى القائلين بمدنية السورة الكريمة.

● المطلب الثاني: مناقشة أدلة القائلين بمدنية سورة الكوثر:

بعد عرض أدلة الجمهور وأكثر المفسرين الذين ذهبوا الى القول بمكية سورة الكوثر، والنظر في أسانيد الروايات التي استندوا اليها حري بنا أن نقف مع أدلة الفريق الثاني الذين قالوا بمدنية السورة.

لقد ذهب الى القول بمدنية السورة من السلف: الحسن وعكرمة وقتادة وبعض المحققين من أهل الحديث والتفسير منهم الامام النووي، وابن كثير، وابن حجر، وابن عاشور وغيرهم، ومستندهم حديث أنس في صحيح مسلم، قال أنس رضي الله عنه: "بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم ❖ انا اعطيناك الكوثر ❖ فصل لربك وانحر ❖ ان شانئك هو الأبتر﴾** ثم قال: أتدرون ما الكوثر، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب انه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك"[٨٢].

هذا الحديث هو أقوى حجج هذا الفريق القائل بمدنية السورة، وهناك روايات أخرى تذكر ان السورة نزلت في الحديبية، قال شيخ المفسرين الامام الطبري في سياق تفسير آية **﴿فصل لربك وانحر﴾** قال: "وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية يوم الحديبية، حيث حصر النبي ﷺ، وصدوا عن البيت فأمره الله أن يصلي، وينحر البدن، وينصرف ففعل" ثم روى بسنده عن سعيد بن جبير، أنه قال: "كانت هذه الآية، يعني قوله تعالى: **﴿فصل لربك وانحر﴾** يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله ﷺ، فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف الى البدن فنحرها، فذلك حين يقول: **﴿فصل لربك وانحر﴾**[٨٣].

وأخرج السيوطي في الدر المنثور عن ابن جرير وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال: كانت هذه الآية يوم الحديبية أتاه

جبريل فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله ﷺ فخطب خطبة الأضحى، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف الى البدن فنحرها فذلك حين يقول سبحانه: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾[٨٤].

وقد اعتمد الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس رواية ابن جبير وهو أحد ثقات رواة التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما- في ترجيح مدنية سورة الكوثر[٨٥].

وأما الدكتور محمد عناية الله سبحاني فاعتمد رواية سعيد بن جبير رضي الله عنه في دراسته لنظام سورة الكوثر في مضامين كتابه (امعان النظر في نظام الآي والسور) ورأى أن هذه الرواية تنسجم وتتناغم مع نظام السورة، قال بعد ايراد ما أخرجه الطبري بسنده عن سعيد بن جبير: "مفادها -أي الرواية- ان قريشا صدوا النبي ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام، ولم يسمحوا لهم بالحج أو العمرة عام الحديبية، فجاءتهم البشرى والسلوى ﴿**انا اعطيناك الكوثر**﴾ ولتدخلنه على رغم أنوفهم، فلا تأس على ما فعلوا، وصل الصلاة وانحر البدن، واعلم أنهم ارادوا أن يقطعوك عن الكعبة وبركاتها، ولكنهم سوف يرون أنهم هم المقطوعون عنها وليس لهم منها حظ ولا نصيب، ولا حبل ولا بعير"[٨٦].

واذا امعنت النظر في أدلة القائلين بمدنية سورة الكوثر تجدها قليلة مقارنة مع عدد الروايات التي استند اليها القائلون بمكيتها.

وهناك قول ثالث يرى ان سورة الكوثر نزلت مرتين، قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي: "لبعضهم تأليف صحح فيه أنها نزلت مرتين وحينئذ فلا اشكال"[٨٧] وهذا القول تعوزه الدقة، ولا دليل عليه، قال أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس بعد ايراد ما نقله الخفاجي عن بعضهم: "وهكذا نجدهم حينما تختلف عليهم الروايات يقولون بتعدد النزول"[٨٨] ولو ذهب أصحاب هذا القول الى جمع الروايات والموازنة بينها ثم ترجيح ما يعضده الدليل لكان أسلم وأحكم، وسأبين في الترجيح الراجح من هذه الأقوال الثلاثة ان شاء الله تعالى.

● المطلب الثالث: الترجيح:

بعد دراسة أدلة القائلين بمكية سورة الكوثر، والقائلين بمدنيتها ينبغي الترجيح بين أدلة الفريقين وحجج القبيلين وصولا الى القول الصواب في تاريخ نزول هذه السورة الكريمة ومن ثم محاولة بيان ترتيب نزولها بين السور القرآنية.

أقول وبالله التوفيق ومنه السداد الى

أقوم طريق: لقد استند الجمهور القائلون بمكية سورة الكوثر الى الروايات التي رويت في نزول السورة او تعيين الشانىء في آية ﴿ان شانئك هو الأبتر﴾ **وهذه الروايات ظهر لنا بعد دراسة اسانيدها ومتونها أنها مختلفة مضطربة، ضعيفة لا تقوى على النهوض امام حديث انس رضي الله عنه في صحيح مسلم**، وانك لتعجب كيف هش الجمهور من المفسرين والمحدثين وأصحاب المغازي للروايات الضعيفة المضطربة ولم يفطنوا لرواية انس في الصحيح، ومن المعروف في معايير وضوابط الترجيح بين الروايات، انه اذا تعارض الضعيف مع الصحيح يؤخذ بالصحيح ويترك الضعيف، هذا أولا.

وأما ثانيا: فإن اعتماد الروايات دون نقد وتمحيص لا يتفق والمنهج العلمي السديد، فلا بد من عرض الروايات والآثار على أهل العلم من أساطين الجرح والتعديل لاصدار الحكم عليها، أما التقليد للأكثرية أو الجمهور فيما ذهبوا اليه دون دراسة او نقد فلا يصدر من أهل الفطنة، ويأباه الألباء من أهل العلم في كل عصر ومصر، وزمان ومكان.

وأما ثالثا: فإن مسؤولية تمحيص ونخل الروايات، انما تقع على عاتق المحدثين من المفسرين لبيان درجة الأحاديث من حيث القبول والرد.

واذا علمنا ان العلامة محمد رشيد رضا وهو من هو بعلم الحديث ورجاله، قد قبل الروايات التي رويت في نزول السورة بمكة دون تعليق او تعقيب بل اعتمد قولهم في ذلك اعتراك العجب العجاب.

وأما رابعا: فإن حديث انس رضي الله عنه قد ورد في صحيح مسلم – وهو كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم قطعا، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أنزلت علي) لا يحتمل التأويل وهو حديث مرفوع، ولعل التصريح بعبارة (أنزلت علي..) ثم تلاوة سورة الكوثر كاملة من خصائص هذه السورة الشريفة الكريمة، فإن تاريخ نزول السور انما يصرح به الصحابة الذين شهدوا التنزيل رضي الله عنهم وأرضاهم، أما سورة الكوثر فقد نطق بنزولها صاحب الكوثر صلى الله عليه وسلم والحق أنه لا تعارض بين حديث انس، واثر سعيد بن جبير في تاريخ نزول السورة، اذ المدني ما نزل بعد الهجرة، وأكاد أجزم بأن لفظة (آنفا) في حديث مسلم يراد بها نزول السورة في الحديبية بعد سورة الفتح، وخاصة أن أنسا راوي الحديث قد شهد الواقعة.

وقد قرر أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس القول بمدنية السورة، استميح لنفسي نقل كلامه، قال حفظه الله تعالى

بخير: "والذي يظهر.. أن ما أخرجه الامام مسلم وغيره من الأئمة هو الذي ينبغي أن يقبل، ثم مما يزيد هذا القول ترجيحا ويزيد النفس اطمئنانا له، ان السورة الكريمة كما تقول الروايات نزلت في الحديبية ونحن نعلم مقدار ما عاناه النبي ﷺ والمسلمون في الحديبية، حتى ان الله من عليهم وهو يعلم ما في نفوسهم من عليهم بالسكينة بل ذكر انزال السكينة مرات ثلاث في سورة الفتح، وسورة الفتح -كما نعلم- نزلت في منصرفه ﷺ من الحديبية، والمنطق الذي تطمئن اليه النفس ان كلتا السورتين نزلتا في الحديبية بشرى للنبي ﷺ، كانت سورة الفتح وعدا له بالنصر، وثناء على المؤمنين معه، وكانت سورة الكوثر بشرى للنبي ﷺ بما أعد الله له من خير، لا في الدنيا وحدها، بل في الاخرة كذلك، والذي يزيد هذا الأمر وضوحا قوله سبحانه: **﴿فصل لربك وانحر﴾** وهذا أمر -أعني النحر- بعد ما صدهم المشركون عن العمرة، والأبتر في السورة الكريمة هو الذي لا خير فيه، ولقد صدق الله وعده"(٨٩).

ثم أخرج الدكتور فضل رواية الطبري عن سعيد بن جبير "ثم ختم كلامه الجزل بقوله: "هذا ما أكرمني الله به بعد تأن وتدبر، ولله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة وله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم"(٩٠) لقد كان الدكتور فضل حسن عباس صريح القول، واضح البيان في ترجيحه مدنية سورة الكوثر، أما العلامة ابن عاشور فرجح مدنية السورة في أول تفسيرها في التحرير والتنوير وقال: "والاظهر أن هذه السورة مدنية وعلى هذا سنعتمد في تفسير آياتها"(٩١)، لكنه تردد في مضامين تفسير آية **﴿فصل لربك وانحر﴾** بين مكية السورة ومدنيتها فقال: "فإن كانت السورة مكية.. وان كانت السورة مدنية.."(٩٢) وهذا النهج لا يتناسب ومقام ابن عاشور العلمي وخاصة أنه أظهر من البداية مدنية السورة.

والراجح في نظري أن سورة الكوثر مدنية نقلا وعقلا، أما من حيث النقل فحديث أنس في صحيح مسلم هو الحجة والبرهان، لصحته وصراحته في النزول.

وأما من حيث العقل: فإن القرآن تحدى في سورة البقرة **﴿فأتوا بسورة من مثله﴾** وسورة البقرة مدنية ولا يتصور أن تنزل آية البقرة بعد سورة الكوثر، لأن أقل التحدي انما ينصرف الى أقصر سورة وهي سورة الكوثر، لذلك أرجح نزول هذه السورة بعد

آية البقرة والله تعالى أعلم.

واذا ترجح القول بمدنية سورة الكوثر، تعين البحث عن ترتيب نزولها بين السور المدنية لا بين السور المكية كما هو متعارف عليه في كتب علوم القرآن، ويظهر لي أن هذه السورة نزلت بعد سورة الفتح فقد خاطب ربنا تبارك وتعالى نبيه ﷺ في سورة الفتح بقوله: **﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾** وختم السورة ببيان صفات أصحابه رضوان الله عليهم في آية **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[٩٣] وقد اغتبط الصحابة رضوان الله عليهم وفرحوا فرحا شديدا بسورة الفتح وما فيها من بشارات، فنزلت سورة الكوثر تخاطب رسول الله ﷺ في آياتها الثلاث **﴿انا اعطيناك الكوثر ❖ فصل لربك وانحر ❖ ان شانئك هو الأبتر﴾** تخاطبه ﷺ لتكون السورة خالصة له ﷺ بعد سورة الفتح التي بدئت بمخاطبته وختمت ببيان صفات أصحابه رضوان الله عليهم.

وفذلكة القول: إن سورة الكوثر مدنية نزلت بعد سورة الفتح، لما بين السورتين من وشائج وعلائق، أقول -من غير تطاول على سلفنا الصالح وعلمائنا الأجلاء- من المناسب عد سورة الكوثر مع السور المدنية وترتيب نزولها بعد سورة الفتح وليس بعد العاديات على ما ذهب اليه القائلون بمكية هذه السورة، والله تعالى أعلم.

❖ الخاتمة:

بعد النظر في أدلة القائلين بمكية سورة الكوثر، والقائلين بمدنيتها ودراسة أسانيدها برزت النتائج الآتية:

١- ان القائلين بمكية السورة اعتمدوا تعدد الروايات في سبب نزولها، على الرغم من اختلافها في تحديد اسم المبغض من أهل الجاهلية.

٢- لم يمحص القائلون بمكية السورة الروايات والأسانيد، ولم يدققوا في اتصالها وانقطاعها فضلا عن شذوذها وعللها.

٣- اعتمد القائلون بمدنية السورة حديث انس رضي الله عنه في صحيح مسلم وهو نص في موضوع النزاع، سالم من المعارضة لأن الروايات التي تقابله لا تسلم من كلام في سندها ومتنها فضلا عن اضطرابها لو صحت.

٤- أظهرت هذه الدراسة أن سورة الكوثر مدنية زمانا ومكانا، نزلت بعد الهجرة، وبعد نزول سورة الفتح عند رجوعه ﷺ من صلح الحديبية، وهو ما قام البحث لتحقيق القول فيه نقلا وعقلا.

الهوامش:

-٦٠ اتقان البرهان أ . د . فضل حسن عباس ٤٠١/١ .

-٦١ التاريخ الصغير للبخاري ٤٨/٢ - ٤٩ .

-٦٢ كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢١١ .

-٦٣ ميزان الاعتدال للذهبي ١٥٩/٦ .

-٦٤ العجاب في بيان الاسباب للحافظ ابن حجر ٢٠٩/١ .

-٦٥ التاريخ الصغير للبخاري ٢٢٤/٢ .

-٦٦ كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٢١٩ .

-٦٧ ميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٨/٦ .

-٦٨ العجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر ٢١٠/١ .

-٦٩ الاسرائيليات والموضوعات في كتاب التفسير، أ . د . ابو شهبة ص ١٥٦ .

-٧٠ كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ١٦٤ .

-٧١ ميزان الاعتدال للذهبي ٥٠٥/٦ .

-٧٢ العجاب في بيان الاسباب للحافظ ابن حجر ٢١٧/١-٢١٨ .

-٧٣ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أ . د . ابو شهبة ص ١٥٩ .

-٧٤ انظر لزاما : تفسير سورة النساء، أ . د . ابراهيم خليفة ص ٦٣ وما بعدها.

-٧٥ فتح الباري للحافظ ابن حجر ٥١/٩ .

-٧٦ صحيح البخاري (متن الفتح) حديث رقم ٤٩٦٤ -٩٣٤/٨ .

-٧٧ اتقان البرهان أ .د . فضل حسن عباس ٤٠٢/١ .

-٧٨-٧٩ المرجع السابق ٤٠٣/١ .

-٨٠ الروض الأنف ١٨٢ .

-٨١ اتقان البرهان أ .د . فضل حسن عباس ٤٠١/١ .

-٨٢ صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/٤ .

-٨٣ تفسير الطبري ٤٢٤/٣٠-٤٢٥ .

-٨٤ الدر المنثور ٦٥١/٨ .

-٨٥ اتقان البرهان أ٠د . فضل حسن عباس ٤٠٤/١ .

-٨٦ امعان النظر، سبحاني ص ١٤٤ .

-٨٧ حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٥٧٧/٩ .

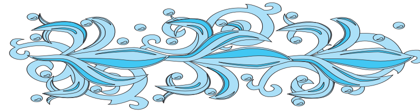
-٨٨ اتقان البرهان أ . د . فضل حسن عباس ٣١٣/١ .

-٨٩-٩٠ المرجع السابق ٤٠٤/١ .

-٩١ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٧٢/٣٠ .

-٩٢ المرجع السابق ٥٧٤/٣٠-٥٧٥ .

-٩٣ الفتح: ٢٩ .



ناقة صالح عليه السلام في القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور خالد عطية ضيف الله

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه صالحاً عليه السلام، إلى قبيلة ثمود برسالة مفادها: عبادة الله الواحد الأحد الذي لا إله غيره ولا رب سواه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الأعراف: ٧٣، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صالحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود: ٦١ .

وقد كان قوم صالح يعبدون الأوثان، وعدوا دعوة صالح لهم خروجاً منه عن السيادة التي كانوا يرونها فيه **﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ هود: ٦٢ .**

وقد انقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾** النمل: ٤٥ .

الآية المبصرة: وكانوا قد سألوه (ناقة) يخرجها لهم من صخرة عينوها، فأخرج الله ناقة من الهضبة الصخرة كما سألوا، فتنة ليختبرهم الله، وقد أوحى الله لنبيه أن ينتظر -صابراً على الأذى- ما هم صانعون وما سيصنع الله بهم **﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾** القمر: ٢٧ .

❖ شروط التعامل مع الناقة:

وكان سيدنا صالح عليه السلام قد وضح أمامهم بعض القضايا المتعلقة بالناقة،

وهي:

١. أن الناقة هي ناقة الله، وهي معجزة وآية دالة على صدق نبوته ودعوته ﴿**هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾ الأعراف: ٧٣ .

٢. لستم مكلفون بإطعام الناقة، ولكن المطلوب منكم أن تتركوها تأكل في أرض الله ﴿**وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ**﴾ هود: ٦٤، أما شرب الماء فلها نصيب من الشرب في يومها، ولكم نصيب في يوم محدد ﴿**قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾ الشعراء: ١٥٥، ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ الشمس: ١٣ .

٣. عدم المساس السيئ بالناقة كالعقر أو الضرب؛ لأن ذلك يعرض القوم إلى غضب الله وعذابه القريب ﴿**هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ الأعراف: ٧٣ .

❖ موقف قوم صالح عليه السلام من الناقة ودعوته:

١. عقر الناقة: حيث عقرها قُدار بن سالف، بأمر من القوم بأن قتلها بالسيف.

٢. العتو عن أمر الله.

٣. طلب العذاب واستعجاله.

٤. التكذيب بحقيقة نبوة صالح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ الأعراف: ٧٧ .

❖ الجزاء العادل:

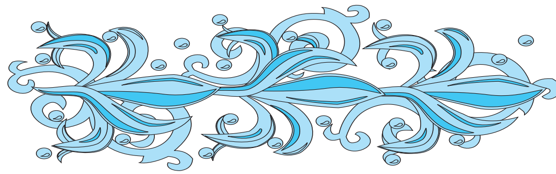
بعد أن كذَّبوا صالحاً ونحروا الناقة، قال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وَعْدٌ من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه، فلما جاء أمر الله بهلاك ثمود أخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حِرَاك لهم، ونجى الله صالحاً عليه السلام والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منه، ونجاهم من هوان ذلك اليوم وذلَّته ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ❖ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ❖ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ هود: ٦٥–٦٧ .

❖ أهل مكة وآية الناقة:

اقترح أهل مكة بعض المعجزات المادية

من الرسول صالح عليه السلام بل عينوها، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام: ٣٥، كما طلبوا من الرسول عليه السلام أن يكون له بيت من الذهب أو الرقي في السماء أو إنزال كتاب من السماء فيه تصديق النبوة: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ الإسراء: ٩٣ .

ولكن الله لم يستجب لاقتراحات أهل مكة، لأنه سبحانه وتعالى يعلم أنهم سيكذبون بها كما كذب بها الأولون فأهلكهم الله بتكذيبهم، ومن ذلك قصة الناقة ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾ الإسراء:



المكانة الدينية للقدس الشريف في الاسلام

■ بقلم الاستاذ سميح احمد عثامنة

منذ ظهرت الحضارات الانسانية، وميزان القوى لا يستقر على حال، أمم تكون في الصدارة، ثم تمسي فاذا هي في آخر الركب، وأخرى لم تكن شيئاً مذكوراً، فاذا هي تترقى في أوج العظمة وقمم المجد، إنها أيام الله تعالى يداولها بين الناس، ولا شك أن هذا التداول بإذن الله وأمره ، يخضع لسنن من الله شتى ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ الفتح: ٢٣ .

ان حركة التاريخ في السنن والنواميس، تعطي أفقاً واسعاً للنظر والتأمل والتفكر والتدبر، أسباب تجتمع بإذن الله فيكون باجتماعها انتصار وقوة ، ثم تجتمع بطريقة اخرى ليكون بها التشرذم والانحسار والضعف، اذ لا مفر من سنن الله العاملة في التاريخ فهي لا ولن تحابي أحدا .

ومن منظور هذه السنن وبتأمل هذه النواميس ، شاء الله سبحانه أن يجعل بيت المقدس مسرى نبيه ﷺ ومنطلق المعراج الى السماء ، في رحلة النبي الأكرم ﷺ، ولأمر حكيم شاء سبحانه وتعالى أن يجعل ببيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، منذ فرضت الصلاة في العهد المكي وثمانية عشر شهراً من العهد المدني ، وهو ما يزيد على نصف سني البعثة المحمدية.

فالقدس الشريف مدينة عربية الأصول والنشأة، اسلامية التاريخ والحضارة، أنشأها العرب اليبوسيون قبل خمسة آلاف عام، وعاش فيها الكنعانيون فازدهرت وأينعت

ولقيت هذه المدينة المقدسة، العناية البالغة والاهتمام الكبير من المسلمين في كل عصر وجيل.

والتاريخ الاسلامي يحدثنا أن الهدف الاسمى لحركة التحرير الأولى، التي قادها الرسول ﷺ كانت لكسر شوكة الاستعمار الروماني، وانعتاق الكيان العربي القائم في هذه المنطقة على اختلاف شرائعه ومذاهبه، واعلاء شعار التسامح والمحبة والعدل والمساواة كما قال عز وجل: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾** البقرة: ٢٥٦ .

إنه التمييز الواضح، والخصوصية الخاصة، والاعلان الصريح لما لهذه المدينة المقدسة من منزلة كبرى في دين الاسلام وتاريخ المسلمين، فللمسجد الأقصى وقصة الاسراء خبر خاص وسورة كاملة في قلب مصحفنا الشريف ودستورنا الخالد، إنها سورة الاسراء سورة بني اسرائيل في آياتها ودلالاتها وكنوزها **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾** الاسراء: ١ .

انه رباط قرآني محكم بين هاتين المدينتين المقدستين، واتصال ديني وثيق بين مكة المكرمة والقدس الشريف، ورباط مقدس بين أشرف بقعتين فيهما الكعبة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، رباط الهي وثيق وما وصله الله لا ينقطع أبدا.

بيت المقدس ربوة مباركة ذات قرار ومعين، أرض مقدسة قبلة الأمة وبوابة السماء وميراث الاجداد، ومسؤولية الأحفاد، معراج محمدي وعهد عمري، دار الاسلام بها يجسد تراث الأمة ويحدد مستقبلها ويثبت وجودها، الى مسجدها تشد الرحال، ومن قبله تشد الأبدان والأنفس والأفئدة، فتحها المسلمون بعد وفاته ﷺ بست سنوات وحكموها قرون طويلة، ثم احتلها الصليبيون قرابة تسعين عاماً فأخرجهم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

لقد حكم المسلمون هذه المدينة المباركة هذه الاحقاب الطويلة، فما هدموا بيتاً لساكن ولا معبداً لمتعبد، بل التزموا بتعاليم دينهم، واحترموا كل ذي عهد وعقد وذمة ووفاء للعهد العمري.

❖ بيت المقدس في القرآن الكريم:

وصف القرآن الكريم في كثير من آياته المحكمة بيت المقدس ومسجده بالبركة،

وهي النماء والزيادة في الخيرات، قال سبحانه: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾** الاسراء: ١، وقال عز وجل: **﴿ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** الانبياء: ٧١، وهذا حكاية عن الخليل ابراهيم عليه السلام في هجرته الأولى الى بيت المقدس وبلاد الشام، وقال تعالى: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾** الأعراف: ١٣٧، وفي قصة سليمان عليه السلام يقول سبحانه: **﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾** الأنبياء: ٨١، كما قال عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾** المائدة: ٢١، وعند حديث القرآن الكريم عن رغد عيش أهل سبأ يقول سبحانه: **﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً امنين﴾** سبأ: ١٨، وهي قرى بيت المقدس كما ورد عند جمهور المفسرين.

كذلك وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بالربوة ذات الخصوبة، وهي أحسن ما يكون فيه النبات، ونعت ماءها بالمعين الجاري حيث قال تعالى: **﴿وجعلنا ابن مريم وأمه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين﴾** المؤمنون: ٥٠، قال المفسرون: هو بيت المقدس، وفي قوله تعالى: **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** البقرة: ١١٤، قال كثير من المفسرين: المراد بذلك هو مسجد بيت المقدس.

ويقول الله سبحانه: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾** الاسراء: ٧ ، فقد أجمع العلماء والمفسرون أن المسجد المذكور ها هنا، هو المسجد الأقصى المبارك.

❖ بيت المقدس في السنة النبوية الشريفة:

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني في الأرض، لما ورد في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا

رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الاقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه» صحيح البخاري: كتاب أحاديث الانبياء رقم ٣٣٦٦، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ٥٢٠.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» صحيح البخاري: كتاب أحاديث الحج رقم ١٨٦٤، وصحيح مسلم: كتاب الحج ٨٢٧ ، وشد الرحال يدل على مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه الرسول ﷺ للأقصى المبارك، وربط مكانته وبركته مع منزلة وبركة الحرمين الشريفين.

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: "يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس" فقال: «أرض المنشر والمحشر، ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف فيما سواه» مسند أحمد ٤٦٣/٦، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة ٤٥٧، وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة ١٤٠٧.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: "تذكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: مسجد رسول الله أم بيت المقدس فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا وما فيها» المستدرك للحاكم ٨٥٥٣، والطبراني٦٩٨٣، والبيهقي ٤٨٦/٣.

كما بشر رسول الله ﷺ بفتح بيت المقدس، ومن مؤيدات هذه البشارة حديث عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس» صحيح البخاري كتاب الجزية ٣١٧٦.

والقدس حاضرة الخلافة الاسلامية في آخر الزمان، فعن عبد الله بن حوالة الاسدي قال: «وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو قال: على هامتي، ثم قال: يا ابن حوالة اذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»، مسند أحمد ٢٨٨/٥، وسنن أبي داود: كتاب الجهاد ٢٥٣٥، والبيهقي في سننه ١٦٩/٩.

❖ العهدة العمرية:

لما اشتد حصار المسلمين لفتح بيت

المقدس، ورغب البطريرك صفرونيوس في تسليم المدينة اشترط أن لا يكون ذلك إلا على يد الخليفة نفسه، فقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك وفي هذا دلالة على علو منزلة هذه المدينة عند الخليفة الراشد أمير المؤمنين وعند المسلمين أجمعين، وكتب الوثيقة العمرية (أو ما عرف بالعهد العمري) ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء اعطاء الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض (الفلاحين) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع الى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء (من الجزية) حتى يحصدوا حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا ما عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو ابن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية ابن أبي سفيان، وعمر بن الخطاب سنة خمس عشرة من الهجرة، شهد على ذلك وكتب وحضر». «تاريخ الطبري: ٢٤٠٥/١»

وبعد ذلك قام أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه في الناس خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: **«يا أهل الاسلام إن الله تعالى قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء، وأورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض، فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم، وما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا الى التوبة، إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم».**

لقد تضمن العهد العمري من المبادىء والثوابت التاريخية والدينية والقيم الراقية في العلاقات بين الأمم والشعوب والشرائع،

ما يفخر به المسلمون عبر عصورهم وأجيالهم، كذلك تضمن حرية المعتقد وحرية السكنى وحرية التنقل، وهو عهد منذ اكثر من ألف واربعمائة سنة لم يكن متأثراً بشعارات حقوق الانسان المزعومة في عصرنا الحاضر، ولكنها كانت تطبيقاً لمنهج الاسلام في التعامل الراقي المخلص مع أهل الشرائع الأخرى، ولقد أصبحت مدينة القدس الشريف وسكانها من مختلف الديانات في حماية المسلمين، يحافظون عليها ويدافعون عنها وعمن فيها، فهذا حديث أهل الاسلام، وهذا حكمهم، وهذا تاريخهم.

❖ منزلة القدس ومكانتها عند الخلفاء المسلمين:

تقدم القول: إن الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه ذهب بنفسه لاستلام بيت المقدس لأهميته ومكانته عند الله ثم المسلمين، وهكذا كان شأن الخلفاء من بعده، فهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بويع بالخلافة في بيت المقدس لا في عاصمته دمشق، والمغزى واضح من الناحيتين الدينية والسياسية، وكذلك الخليفة سليمان بن عبد الملك بويع بالخلافة أيضا في بيت المقدس، وكاد ينقل عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق الى القدس الشريف، فاكتفى ببناء مدينة الرملة وجعلها عاصمة فلسطين ومقره لأكثر أشهر السنة، أما عمر بن عبد العزيز فكان يذهب خاصة الى بيت المقدس لمحاسبة عماله تحت قبة الصخرة المشرفة، هذه الصخرة التي تشرف ببناء مسجد كبير عليها ذي تحفة معمارية متميزة الخليفة عبد الملك بن مروان.

ولم يكن اهتمام خلفاء بني العباس ببيت المقدس أقل من اهتمام خلفاء بني أمية على بعدها من بغداد ، فثلاثة من خلفائهم الأولين ذهبوا اليها، (فقد جاء في حوادث سنة ١٤٠ للهجرة أن أبا جعفر المنصور خرج حاجاً فأحرم من الحيرة، وبعد ان زار مكة والمدينة توجه الى بيت المقدس، وبعد أربع عشرة سنة ذهب خاصة الى بيت المقدس.. وجاء في حوادث سنة ١٦٣ للهجرة أن المهدي سار الى بيت المقدس، وكان معه ابنه هارون الرشيد، أما المأمون فقد اشتهرت زيارته الى بيت المقدس بما تم في عهده من ترميم قبة الصخرة وضرب نقود نقش عليها اسم المدينة تخليداً لذلك) تاريخ الطبري ٣/١٢٩.

ويقال مثل ذلك عن غير هؤلاء من كثير من الخلفاء والسلاطين على مر العصور.

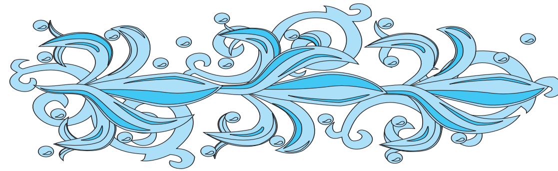
أما الهاشميون آل العترة الأبرار «فقد قاموا على حماية القدس الشريف، ورعاية مقدساته وخدمتها بما يتناسب ومكانتها

الدينية وقيمتها الانسانية الحضارية، يحملونها وديعة ويترجمونها رعاية لشؤون مقدساتها، امتدت قرابة العشرة عقود من عهد الشريف الحسين بن علي -رحمه الله- ضجيع المسجد الاقصى، ومروراً بالملك عبد الله بن الحسين -طيب الله ثراه- شهيد المسجد الأقصى، والمغفور له -بإذن الله- الملك الحسين بن طلال -رحمه الله تعالى- ووصولاً الى جهود جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين (حفظه الله)، لتظل مسؤولية آل البيت الأطهار متوارثة، فكلما شاهدوا ثلمة في حائط بنائها الاسلامي، وجوانب آثارها التاريخية، إلا وهبوا وسارعوا الى رتقه وتشييده، فكانت سلاسل اعمارها الهاشمية الثلاثة، واعادة بناء منبر صلاح الدين الايوبي.. كل ذلك شواهد حية على الرعاية الهاشمية الموصولة لهذه المدينة المقدسة».

❖ بيت المقدس اليوم:

بعد احتلال فلسطين من اليهود الغاصبين قبل احدى وستين سنة، فما زال بيت المقدس، يجري فيه ما لم يحدث على أيدي أي غزاة في تاريخ البشرية كلها في تاريخ القدس وما لم يجر ذلك في التاريخ الممتد منذ آلاف السنين، حيث لم يفعل محتل او غاز مثلما فعله ويفعله المحتلون اليوم، بعد أن أحرقوا المسجد الأقصى ونسبوا ذلك الى معتوه مختل العقل!! أما أعمال الحفر والهدم والتخريب حول وتحت المسجد الاقصى المبارك فهي متواصلة منذ أن وطأت أقدامهم ولا تزال.

إن شأن القدس، شأن المسلمين كلهم،



بيت المقدس بين رمضانين

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

إن التاريخ مدرسة لمن أراد ان يتعلم السياسة والأحداث الكبرى، فتواريخ الأمم تتشابه ملابساتها وأسبابها، والانهزام والسقوط له أسباب رئيسية تتكرر كل مرة، ولذا فإن من الحكمة وبعد النظر الاطلاع على تلك الأسباب في هزائم سابقة سجلها التاريخ لاجتنابها حتى لا تتكرر الهزائم، ذلك أنه في كل مرة تتكرر الأسباب تتكرر الهزيمة أيضاً، ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين؛ فكيف يلدغ ألف مرة؟!

وأحداث بيت المقدس هذه الأيام، تشبه أحداثاً وقعت قبيل رمضان الذي كان قبل ألف سنة الا قليلاً، وأسبابها الرئيسية آنذاك تشبه اسبابها الآن، وعسى ألا تقع الواقعة التي وقعت حينها، فلا مصاب اعظم من ذلك المصاب، الذي اصيب به المسلمون في ذلك الوقت، ذلكم هو سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين الحاقدين قبل سبعة أيام من رمضان عام ٤٩٢هـ، حينما سارت جحافل الصليبيين من الغرب، لتخليص القبر المقدس في الشرق من ايدي المسلمين، فدخلوه ضحى يوم الجمعة ٢٣/٨/٤٩٢هـ، بنحو مليون مقاتل!

فأعملوا السيوف في الرقاب، وأجروا الدماء في الشوارع، ورفعوا من جثث القتلى تلالاً، وصنعوا من هاماتهم قباباً، ولاذ المسلمون بالمسجد الأقصى هرباً من سيوفهم، ظناً منهم ان حرمة المسجد ستوقفهم عن همجيتهم وسفكهم للدماء، لكن الصليبيين لاحقوهم فقتلوا داخل المسجد ما يزيد على سبعين ألفاً، فيهم العالم والعابد، والشيخ الطاعن في السن، والطفل الراضع، والمرأة الثكلى، لم يميزوا مقاتلاً عن غير مقاتل، ولا فرقوا بين عاجز وقادر!!.

وقد وصف هذه الاعمال المروعة

المؤرخون المسلمون منهم وغير المسلمين، وكتب كاتب نصراني حضر مع ذلك الجيش الهمجي فقال: «فلما ولج حجاجنا المدينة جدوا في قتل الشرقيين ومطاردتهم حتى قبة عمر في المسجد الأقصى، حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين اعملوا فيهم أفظع القتل طيلة اليوم بأكمله، حتى فاض المعبد كله بدمائهم».

هرب المسلمون من القدس بعد سقوطها في أيدي الصليبيين، وتوجهوا الى عاصمة الخلافة العباسية «بغداد» يصحبهم القاضي ابو سعد الهروي، فحكى الناس لأهل بغداد ما حل بهم، فبكوا من هول ما اخبروا، ونظم القاضي الهروي كلاماً يصف تلك الكارثة فقرئ في الديوان وعلى المنابر وارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء ليحرضوا على الجهاد.

ولكن ذلك لم يجد شيئاً، لأن الوقت قد فات، والداء قد استمكن، ولم تكن العلة في قوة العدو بقدر ما هي في ضعف المسلمين، لقد استقبل المسلمون ذلك الرمضان الحزين، وجراحهم تنزف، وقلوبهم تشتعل، واجفانهم تحترق من البكاء على بيت المقدس، وما اصابهم من مصاب جلل الا بما كسبت ايديهم.

ولو نظرنا نظرة فاحصة الى واقع المسلمين آنذاك لعرفنا اسباب سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين، وعجز المسلمين عن الدفاع عنه.

لقد كانت الدولة الاسلامية آنذاك منقسمة الى ثلاث دول كبرى: الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد، والدولة العبيدية وتحكم مصر والشام، والدولة الأموية في الأندلس، وهي منفصلة عن الشرق الاسلامي، فهذا التفرق كان من اسباب التناحر والضعف، وقد اسهمت الدولة العبيدية في نشر البدعة وقمع السنة، بل انتشر الشرك والعياذ بالله في وقتها، لتبني حكامها كل ما يخالف السنة.

لقد كان واقع المسلمين آنذاك واقعاً أليماً من الضعف والتفرق، حتى ان عامة الناس لما رأوا هذا التفرق عزفوا عن الجهاد، وركنوا الى الدنيا وحظوظها وانتشرت المعاصي، فكان ذلك سبباً في تسلط العدو عليهم من جهة، ومن جهة اخرى عجزهم عن رد ذلك العدو، حتى استباح ديارهم وسفك دماءهم، وسلب قدسهم الشريف.

وواقع المسلمين اليوم يشبه الى حد كبير واقعهم قبل ألف عام، فالشرك منتشر في كثير من بلاد المسلمين، والجهل بأحكام الشريعة، أدى الى انتشار البدعة وضعف السنة، بسبب الرؤوس الجهال من علماء الضلالة في كثير من البقاع.

وانصراف كثير من الناس عن العمل

للآخرة الى حظوظ الدنيا الفانية وتعلقهم بها، جعلهم يسارعون في الشهوات، ويهابون الموت، بسبب عدم استعدادهم له، ولأن الموت يقطع عنهم شهواتهم المحرمة، وهذا هو الوهن الذي ذكره النبي ﷺ ثم فسره بقوله: «حب الدنيا وكراهية الموت»، فكان ذلك سبباً في ضعف المسلمين.

فالصورة التي كانت قبل ألف عام تتكرر اليوم بأسبابها وملابساتها، بل ان صورة اليوم اشد قتامة من الصورة الماضية، واذا كان المسلمون منقسمين الى ثلاث دول آنذاك، فإنهم اليوم دويلات كثيرة قسمها الاستعمار البغيض، وألهبها بمشكلات الحدود.

وزاد من سوء الصورة الحاضرة، انتشار الولاء لغير الله تعالى ودينه الاسلام، فكثرت الولاءات الجاهلية للعروبة وللقومية وللتراب، في أحزاب ضيقة تفرق ولا تجمع، وتضعف ولا تقوي، تحت مشروع العلمانية التغريبية التي تقصي الدين وتريد إلغاءه لو استطاعت.

فواقع المسلمين اليوم أشد قتامة من واقعهم قبل ألف عام، وقد سقطت القدس في ايدي الصليبيين آنذاك، وسقطت الأرض المباركة قبل ستين عاماً في يد اليهود، وهم الآن يريدون هدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان عليه السلام وعسى الا يكون لهم ذلك، فيكون رمضاننا حزيناً كما كان رمضان المسلمين حزيناً قبل ألف عام.

إنها أحداث متكررة، وأسباب متشابهة، ولن يخرج المسلمون من ضعفهم حتى يدحروا اليهود وأعوانهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، والعودة الى الاسلام بصفائه الخالي من الشرك والبدعة، وتحكيم شريعته في الكبير والصغير، والجليل والحقير، كما فعل المسلمون قبل ألف عام، حيث عادوا الى الله تعالى وأصلحوا أنفسهم، فعادت اليهم قوتهم وعزهم، وقيض الله لهم قادة صالحين من آل زنكي ومن بعدهم عماد الدين، ونور الدين، وصلاح الدين وغيرهم، واسترجعوا بيت المقدس من الصليبيين بعد اثنتين وتسعين سنة من الاحتلال الصليبي.

والمسلمون اليوم قادرون بإذن الله تعالى على تحرير بيت المقدس من رجس اليهود بشرط ان يسيروا على نفس ما سار عليه من قبلهم من إصلاح انفسهم وبيوتهم ونشر الصلاح في أمتهم، وكل واحد عليه مسؤولية في ذلك: الرجل في بيته، والمرأة مع أولادها، والمعلم مع تلاميذه، والقائد مع جنده، والحاكم مع رعيته، وان قوماً استردوا بيت المقدس من دنس النصارى بعد اثنتين وتسعين سنة، ليسوا عاجزين عن استردادها من اليهود الذين دنسوها ستين سنة اذا عملوا بالأسباب التي تحقق لهم ذلك، وأسأل الله تعالى ان ينصر دينه، ويعلي كلمته، وان يطهر بيت المقدس من رجس

موقف العقل من الاسراء والمعراج

■ بقلم الاستاذ صلاح الدين الهادي

لعل الناس لم يختلفوا في شيء قط، كما اختلفوا في شأن الاسراء والمعراج، ولم يتجادلوا في شيء قط كما تجادلوا في امرهما، فمن الناس من صدق بهما جميعاً، ومنهم من كذب بهما جميعاً، ومنهم من صدق بالاسراء وكذب بالمعراج، ومنهم من قال: بأن الاسراء كان بالروح والجسد معاً، ومنهم من قال: بأنه كان بالروح دون الجسد، ومنهم من قال: بأنه كان في اليقظة، ومنهم من قال: بأنه كان في المنام، ومنهم من اطلق لسان المناكير فروى فيه ما لم يصححه إسناد، أطاع خواطر النفس فتقوّل على الدين، ومنهم من ثبت الله الحق في قلبه وكشف عن وجه تحقيقه فوقف حيث ما وقفه صحاح النقل، وقضى فيه بما أوجبته دلائل العقل.

وهكذا لم يزل الناس منذ حدث هذا الحادث العظيم يختلفون فيه، ولا يزال كل فريق يحاول ان يؤيد رأيه بكل ما يبدو له من الحجج وما يرجح عنده من البراهين، وصدق الله العظيم اذ يقول في شأن هذا الحدث: **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس﴾** الاسراء: ٦٠ .

ولعل السبب في هذا الاختلاف ان الناس يأبون الا ان يحكموا فيه العقل ولا يرضون بغيره حكماً، فهل العقل يصلح ان يكون حكماً في هذا الأمر الخطير؟

فالعقل لا يمكن ان يفهم الا ما تمده به الحواس، لأن الحواس هي روافده التي تمده بالمعلومات عن كل ما يقع تحت حسها، وما دامت هذه الروافد عاجزة عن أن تستمد مدركاتها من عالم آخر غير عالم الحس،

فلا يمكن ان توصل الى العقل علماً من غير عالمها، فهل الكون كله هو عالم الحس وحده؟ هل الكون كله هو هذه المحسوسات التي نراها بأعيننا، ونسمعها بآذاننا، ونذوقها بألسنتنا، ونشمها بأنوفنا ونلمسها بأيدينا؟

وبعبارة أخرى، هل نحن في الواقع نرى بأعيننا كل شيء في هذا الكون، ونسمع بآذاننا كل صوت، ونشم بأنوفنا كل ريح، ونلمس بأيدينا كل جسم؟، لا شك ان هناك أشياء كثيرة لا تدركها حواسنا هذه لأنها اما بعيدة عن منالها، واما خارجة عن دائرة ادراكها، وهي في كلتا الحالتين تعتبر «غيباً».

لا تستطيع حواسنا ان تصل الى ادراكها، فهل نستطيع اذن ان ندعي ان كل ما غاب عن حواسنا غير موجود؟!

لا شك اننا لا نستطيع ان ندعي ذلك، ولا نستطيع كذلك ان ندعي ان كل ما غاب عن حواسنا غير معقول ان يكون موجوداً، لأن العقل في هذا المجال لا يستطيع ان يحكم، اذ الحواس التي يستمد منها معلوماته والتي يعتمد على ادراكها لذلك الغيب، لم تصل بعد الى ذلك الغيب، او هي بطبيعتها لا تستطيع الوصول اليه، فوسائل العلم اذن بهذا الغيب ستظل مفقودة حتى تصل الحواس الى ادراكه، فإذا استطاعت الحواس ان تصل اليه فأدركته، استطاع العقل ان يفهمه ويصدر حكمه عليه، اما اذا ظلت الحواس عاجزة عن الوصول اليه، فإن العقل كذلك يظل جاهلاً به، فلا يستطيع ان يفسره ولا ان يحكم عليه، فإذا تصدى للحكم كان حكمه خطأ، لأنه حكم قائم على غير علم.

من اي طريق اذن يأتي للعقل علم ما وراء المادة؟ لا يمكن ان يكون ذلك الا من طريق السمع.. من طريق السمع وحده لا من طريق غيره، وذلك بأن يتلقى الخبر عنه من صادق أمين، له قدرة على الاتصال بما وراء المادة، اي «بعالم الغيب»، وهذا لا يتأتى الا للأنبياء والرسل عليهم السلام، وهم صادقون فيما يبلغون من هذه الأخبار، لأنهم يتلقونها بطريق الوحي الإلهي عن الله تعالى، وهو سبحانه أصدق القائلين، فليس هنا مجال للشك في صدق الحقيقة التي يخبر بها الرسل والأنبياء عن عالم الغيب، وليس للعقل ان يقول في هذا المجال شيئاً لأنه خارج عن نطاق ادراكه.

فالسمع اذن، هو وحده الطريق الذي يستمد العقل منه معلوماته عما وراء المادة، او عن عالم الغيب وما فيه من الجنة والنار والملائكة والجن والحشر والحساب، وما

الى ذلك من السمعيات التي لا يمكن أن تأتينا أخبارها الا عن طريق السمع وحده.

والاسراء والمعراج، من هذه السمعيات، فليس للعقل مجال في الحكم عليهما بالصدق او بالكذب، وبالجواز او بالاستحالة، لأنهما غير داخلين في نطاق علمه، فإذا تصدى للحكم عليهما فقد تصدى للحكم فيما ليس له به علم، فليس للعقل -اذن- الا التصديق بما ورد عنهما على لسان الصادق الأمين، وهو رسول الله ﷺ، وليس له ان يسأل عن امكان ذلك او كيفيته، لأن ذلك شيء ليس في طاقة العقل ان يفهمه، لأنه من عالم الغيب الذي لا يدخل في دائرة ادراكه، اما الذي يستطيع العقل ان يسأل عنه فهو الحكمة في ذلك الاسراء والمعراج.

❖ حكمة الاسراء والمعراج؟

اما حكمة الاسراء، فقد اجملها رب العزة تبارك وتعالى في قوله: **﴿لنريه من آياتنا﴾**، وذلك حيث يقول عز وجل في أول سورة الاسراء: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾.**

وأما حكمة المعراج، فقد اجملها الله سبحانه وتعالى في قوله: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**، وذلك حيث يقول عز وجل في سورة النجم: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى ❖ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❖ ما زاغ البصر وما طغى ❖ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.**

فالغرض الذي كان من اجله الاسراء والمعراج، هو ان يري الله تعالى رسوله ﷺ ما شاء من آيات قدرته وعجائب صنعه وعظيم ملكه جل وعلا، ليطمئن قلبه ويزداد يقينه ﷺ.

فكان من كراماته عليه سبحانه وتعالى، ان خصه بتلك الرحلة الملكوتية العجيبة، ليريه من آياته ما استشرف غيره الى رؤية بعضه، ليرقى به من منزلة «علم اليقين» الى منزلة «عين اليقين» فكان ﷺ، هو الرسول الوحيد الذي يخبر امته بخبر السمعيات وما وراء المادة عن عيان ومشاهدة، لا عن مجرد الخبر السماوي فحسب، ولذا كان ﷺ واضح البيان في تعليمه، يكثر من التشبيهات وضرب الأمثال وانواع الاستعارة، ليقدم للناس تلك الحقائق الكونية الخفية، مصورة بصورة ما يشبهها من الأمور الواقعية المعهودة، وتلك منزلة من سمع ورأى لا من سمع فقط.

ولقد كان الوحي عليه السلام ينزل عليه بخبر

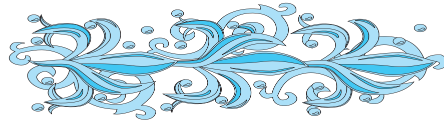
تلك الحقائق والآيات الغيبية، فيخبر مثلاً عن الذين يأكلون الربا بأنهم **﴿لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾** البقرة: ٢٧٥، وعن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأنهم **﴿انما يأكلون في بطونهم ناراً﴾** النساء: ١٠، ويخبر عن آل فرعون في حياة البرزخ بقوله: **﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾** غافر: ٤٦ .

وهكذا وهكذا مما نزل به الوحي عليه السلام على قلبه ﷺ، وتلك معارف جلية كان يستشرف لرؤيتها اكابر الأنبياء والرسل، ويتشوفون الى درجة في المعرفة اعلى من الدرجة التي هم عليها، ولا شك ان رسول الله ﷺ كان يتشوف كما كانوا يتشوفون، ولكنه ﷺ لم يطلب من الله كما طلب غيره تأدباً معه سبحانه وتعالى وحياءً منه، فأكرمه الله تعالى بتلك الرحلة ليريه من آياته ما شاء، ويطلعه من عجائب كونه على ما يريد، وليفضي اليه بما شاء من اسراره جل شأنه.

❖ وضوح وتكذيب!!:

ان الحديث عن الاسراء والمعراج، حديث يتجدد كل عام، وقد تناولته أقلام افاضل العلماء والباحثين بالشرح والتفصيل في أمهات الكتب، مستندين في اثباتهما الى ما صح من الأحاديث النبوية الصحيحة التي لا تقبل شكاً ولا تحتمل تأويلاً، رواها اكثر من ستة وعشرين صحابياً جليلاً، وانتهى الى هذا الرأي اجماع اكثر المسلمين، ومع هذا فلم يخل عصر من العصور من وجود اناس قد ضلت أفئدتهم فلجوا في العناد، فأنكروا وشككوا في بعض معجزات الاسراء والمعراج، بل منهم من كذب بالمعراج فطعن بجهله في أحاديث نبوية مروية في أصح كتابين هما، صحيح البخاري وصحيح مسلم.

ان حديث الاسراء والمعراج فيما يظهر للناس، ينطوي على كثير من الغرائب والعجائب التي تحار فيها العقول والألباب، بل وترتاب فيها أحياناً قلوب فريق من الذين يؤثرون ان يكون الحكم في كل ما يعتقدون لعقولهم، وعقولهم وحدها، مع ان هؤلاء أنفسهم يسلمون تسليماً مطلقاً فيما يقال لهم: انه من حقائق العلم المقررة مع ان



ذكرى الاسراء والنبي الأعظم ﷺ

▪ بقلم الطالبة هبة زكي

يا ليلة الاسراء ومعارج الأضواء — وحفاوة الآباء بالابن فيك غنائي
هي رحلة نبوية نورية مقدسية — وفضيلة ومزية لولاء كل ولاء
في الأرض كان جفاء فاستقبلته سماء

الحمد لله أكرم نبينا وحبيبنا محمداً ﷺ بالمعجزات وأيده بالبراهين الساطعات، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ثم عرج به الى السموات العلى ليريه بعض آياته الكبرى، أشهد ان لا إله الا الله، شرف نبينا تشريفاً عظيماً ليلة الاسراء والمعراج، فأقام سبحانه وتعالى لنبيه حفل استقبال في المسجد الأقصى، حضره النبيون والمرسلون عليهم السلام، وأقام له حفل تكريم وتفخيم في السموات العلى، شهده الملائكة المقربون، وأشهد ان سيدنا محمداً رسول الله، وصفيه وخليله، شرح الله له صدره، ورفع ذكره، وأعلى مقامه وقدره، ووضع عنه وزره، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين لاذوا بجانبه، وصدقوه ونصروه.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾** الاسراء: ١، فالاسراء كما جاء في هذه الآية الكريمة، وأوضحته الأحاديث النبوية، هو رحلة النبي محمد ﷺ ليلاً من المسجد الحرام في مكة المكرمة الى المسجد الأقصى بمدينة القدس الشريف، راكباً على ظهر دابة خارقة السرعة تسمى البراق، ومعه ملك الوحي جبريل عليه السلام.

أما المعراج، فهو عروج النبي ﷺ في تلك الليلة الى السموات العلى (اي صعوده اليها من المسجد الأقصى بعدما صلى فيه

إماماً بالأنبياء) حتى بلغ النبي ﷺ السماء السابعة ووصل في ذلك المقام الأسمى الى سدرة المنتهى وكشف الله له في ذلك الملأ الأعلى عن البيت المعمور حتى رآه، وهو بيت جليل القدر عظيم الشأن.

فنال ﷺ بذلك شرفاً ما بعده شرف، ونعمة ليس فوقها نعمة، وذاق ﷺ حلاوة الوصال، ولذة المناجاة، وذلك بعد ان اطلعه الله سبحانه وتعالى على كثير من آياته ونفحاته، وأوقفه على بساط أنسه وهباته، وبعد ان هيأ له السموات والأرض، وجمّل له الملك والملكوت، وبعث له الانبياء والمرسلين، وأخدمه الملائكة المقربين، وسخر له البراق والمعراج، وأدناه منه، فكان قاب قوسين أو أدنى، أفاض عليه من اسرار علمه وغوامض قدرته وبديع حكمته ما شاء الله ان يفيض **﴿ما زاغ البصر وما طغى ❖ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**.

وأراد سبحانه وتعالى، ان يسري عنه، وان يطلعه على ملكوت السموات العلى ليرى بعض آياته الكبرى، وقدرته العظمى، وحكمته القصوى، ليطمئن ويرتاح من تلك القسوة والجفوة، حيث عين الله ترعاه.

ان حادثة الاسراء والمعراج، بكل ما فيها من معاني وتأملات وما تجلى عنها من بديع قدرته جل وعلا وعظيم ملكه، كلها تدل على عظم هذه المعجزة وانها معجزة لا يحظى بها اي نبي من انبياء الله عز وجل، فقد اختاره الله تعالى وهو العليم باستحقاقه لهذه المعجزة العظيمة، التي تؤكد على صدقه ﷺ، ونبوته ومنزلته وعظيم شأنه عند ربه سبحانه وتعالى.

فبعد ان لقي أشد ما لقيه من تعسف وظلم مشركي قريش، حتى دمعت عيناه الشريفتين وسال دمه الطاهر، رفع يديه مناجياً ربه سبحانه وتعالى راجياً إياه قائلاً: «اللهم ان اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، انت رب المستضعفين، وانت ربي، الى من تكلني، الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته أمري، ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي..».

بهذه الكلمات التي قرعت باب السماء، استحق الرسول الأعظم ﷺ ان يصطفيه اليه تعالى بهذه الرحلة السماوية، فكانت وما زالت دليلاً قاطعاً على نبوته وعظمته ومكانته عند ربه عز وجل، وواجبنا كمسلمين تجاه هذا النبي الأعظم، كلما مرت هذه المناسبة في كل عام، ان نستشعر عظمة منزلته ونحقق ما كان يسعى لتحقيقه ﷺ من ان ينصر دين الله عز وجل كما نصره هو وأصحابه رضوان الله عليهم، حيث عرفوا وصدقوا هذا النبي الأعظم ﷺ وساروا معه الى ان وصل الى مبتغاه.

في ذكرى الاسراء والمعراج

■ بقلم الاستاذ أحمد ابو السباع القيسي

يهل على العالم العربي والاسلامي في ٢٧ من شهر رجب من كل عام، ذكرى الاسراء والمعراج، هذا الشهر له مكانة عظيمة ومحبة كبرى في قلوب المسلمين وفي نفوسهم، ففيه أسري بسيد الخلق محمد ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله، وفيه ايضا تم استرداد بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين الايوبي يوم الجمعة ٢٧ من رجب عام ٨٥٣ هـ، وفي هذه الذكرى العظيمة تتطلع انظار المسلمين في كل مكان الى بيت المقدس، حيث المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، حيث مسجد قبة الصخرة والمقامات الاسلامية الاخرى.

فالاسراء والمعراج كانا خطة الهية، وترجمة عملية، واعلانا ربانيا لوراثة الرسول ﷺ لمقدسات اجداده واسلافه من الرسل الكرام ابناء ابراهيم عليه السلام الى يوم الدين، وليكون ذخيرة حية وصورة مشرقة للأجيال المتعاقبة، يرى فيه الناس عظمة الخالق وقدرته ومكانة الرسول ﷺ عند خالقه والذي اصطفاه من بين الخلق، لينشر رسالة الاسلام والمحبة على الناس اجمعين.

هذه المعجزة الالهية التي يجب ان نأخذ منها نواحي العزة والخلود من حياة رسولنا الكريم ﷺ صاحب الرسالة العامة والشاملة والخاتمة الى العالمين، فالله سبحانه وتعالى رفع ذكره وشرح صدره واثنى عليه في كتابه الكريم، وادخل محبته في قلوب الخلق أجمعين الى يوم الدين، واختاره الله هادياً ومرشدا وداعيا اليه بإذنه وحمله الرسالة وثقل الامانة، فكان اتباع دعوته مفتاح محبته

لقوله تعالى: **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** آل عمران: ٣١ .

وامتثل ﷺ لنداء السماء فبلغ الرسالة وأدى الامانة وجاهد في الله حق جهاده، فبدأ بالنضال والجهاد والمواجهة الشاقة بين الخير والشر، بين رسالة الاسلام والهداية والنور والعدل، وبين مجتمع غارق في ظلمات الجهل والانحراف، مجتمع ضلت فيه العقول واقفلت فيه الصدور وانتشر فيه الظلم والفساد، وعمت فيه الرذائل، وزرعت فيه الفرقة والفتن، التي قضت على المبادئ، فعاث الانسان في الارض فساداً، فانتشرت الوحشية مكان الانسانية، واستحب العمى على الهدى، وطاوع الانسان شرور نفسه وهواها، فعبد الاوثان التي كان يصنعها بيديه، دون ان يعطي عقله ولو برهة من الوقت للتفكير بالخالق الواحد الاحد الفرد الصمد.

فجاء سيدنا محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربه، وبدأ بالدعوة الى الله الواحد الذي هو اقرب الى الانسان من نفسه، بدأ بدعوة قومه الى التوحيد بعد الشرك، والى الاسلام بعد الكفر، ودعاهم الى التعاون على البر والتقوى بعد ان كان بعضهم يظاهر البعض على الاثم والعدوان، كما دعاهم الى الهدى بعد الضلال، والى الاستقامة بعد الانحراف، والى الفضيلة بعد الرذيلة، والى الغاء الفوارق بين البشر والى ترك الاستعباد والعيش بأخوة ومحبة ومساواة.

وقد حارب الطغاة الرسول ﷺ من اول يوم نادى بوحدانية الله وبدين الاسلام، وناصبوه العداء من اول وهلة، وكانت خصومة اشرار كفرة فجرة، عموا عن الحق وتمسكوا بالضلال، ووقفوا امام دعوة الاسلام وصدوا الناس عنها، واستخدموا كل انواع الاذى والاضطهاد بحق رسول الله ﷺ وصحبه، الذين تمسكوا بدعوتهم وعقيدتهم ولم يهنوا ولم يضعفوا رغم كل ما لاقوه من معاناة.

بعد ذلك كله شعر رسول الله ﷺ وصحبه بالغربة والوحشة، وبالذات بعد وفاة زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، ووفاة ابي طالب عم الرسول ﷺ، واللذين كانا يمثلان حمايةً ودرعاً واقياً لدعوة الرسول ﷺ وصحبه، فسمي ذاك العام (بعام

الحزن)، فضاقت ارض مكة بما رحبت عن قبول الدعوة الاسلامية، وعز على رسول الله ﷺ وصحبه ان يجدوا من قومهم وأهلهم انواعاً اخرى من العذاب وسوء الاخلاق، لعدم تصديقهم الدعوة بعد الذي تعرضوا له من قبل اهل مكة.

وهنا تفتح السماء ابوابها لمحمد ﷺ وتمتد الرعايه الربانية الى رسوله الكريم ﷺ، فكانت معجزة الاسراء والمعراج، قال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** الاسراء: ١ .

نعم انها المعجزة والرحلة الارضية والسماوية، التي كافأ بها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بجسده وروحه، فهدأت نفسه وقرت عينه واستراح لما رأى نعم ربه وفضله عليه، فهو تعالى معه في رحلته بعنايته ورعايته واهتمامه وحفظه، اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى، الى حيث تنقطع علوم الخلائق، حيث يسمع صريف اقلام كتبة الله من الملائكة المقربين، الذين **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** التحريم: ٦ .

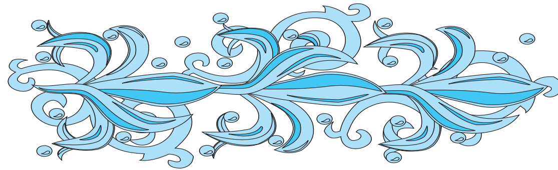
وفي معجزة المعراج يقول الله تعالى: **﴿والنجم إذا هوى ❖ ما ضل صاحبكم وما غوى ❖ وما ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى ❖ علمه شديد القوى ❖ ذو مرة فاستوى ❖ وهو بالافق الاعلى ❖ ثم دنا فتدلى ❖ فكان قاب قوسين او أدنى ❖ فأوحى الى عبده ما أوحى ❖ ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** النجم: ١-١١ .

فكانت معجزة التكريم لسيدنا محمد ﷺ، مجازاة له على ما قدم في سبيل نشر الدعوة الى الله، وحماية وحفظاً له من خالقه، وعلو مكانته عنده عز وجل، وباستقبال السماء له ذاق ﷺ كرامة الوصل وحلاوة القرب ولذة المناجاة لخالقه العظيم، وعاد الرسول ﷺ حاملاً من الله أكرم منحة لأمته، وهي فريضة الصلاة، التي فرضها رب العالمين في الملأ الاعلى، لتكون معراجاً يصل به المرء الى مرضاة خالقه والحصول على رضاه تعالى، والدخول في رحمته الواسعة.

نعم إنها معجزة فيها الكثير من العظات

والعبر للناس اجمعين، وبالذات في أيامنا الحالية، التي نعيشها والتي تمر فيها أمتنا الاسلامية بمصاعب كثيرة وويلات وفتن دنيوية، واستعمار ومحاربة لديننا الحنيف لتقول لعباد الله الصالحين والمدافعين عن دين هذه الامة وحقوقها: بأن لا يهنوا ولا يضعفوا ولا يتعجلوا النصر، وان لا يتمسكوا بالعجز واليأس، لأن الله سبحانه وتعالى، خالق السموات والارض أخذ على نفسه العهد بنصر المؤمنين، الذين تمسكوا بدينهم وعقيدتهم وجاهدوا في الله حق جهاده وساروا على نهج رسول الله ﷺ لقوله تعالى: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** وقوله تعالى: **﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ❖ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ❖ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ❖ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور﴾** الحج: ٣٩-٤١ .

فما أحوجنا الى هذه الذكرى العطرة لكي نتخذ منها منطلقاً لترك مغريات هذه الدنيا الفانية، والعودة الى الله والتمسك بديننا وقيمنا الاسلامية الكريمة وأخلاقنا الحميدة ونعمل جاهدين على استرجاع مقدساتنا واوطاننا من ايدي المغتصبين.. اللهم آمين.



رباعيات الاسراء والمعراج

شعر الاستاذ عبد الغني احمد ناجي

شـــاء الإلـــه لأرضـــه الـــغـــراء ان تـلـتـقـي فـي لـيـلـة بـسـمـاء
كـي يشـرق الـنـور الـنـدى يعمهـا نـور الـهـدى وعـنـايـة فـيـحـاء
كـي تـسـمـو الـدنـيـا سـمـو هـدايـة تـغـدو بـه فـي الـقـمـة الـشـمـاء
كـي تـزكـو الأرواح فـي أجـسـادهـا بـالـوصـل يـدنـيـهـا مـن الارضـاء

❖ ❖ ❖

فـدعـا الإلـه حـبـيـبـه ورسـولـه فـي لـيـلـة شـهـدت لـه أفـضـالـه
أسـرى بـه مـن مـكـة بـعـنـايـة لـلـمـسـجـد الأقـصـى يـؤم رجـالـه
ام الـنـبـيـيـن الأوائـل عـنـده لـيـكـون خـاتـم جـمـعـهـم وجـمـالـه
رمز التقاء المرسلين على الهدى كـي يـشـهـدوا لـلـه فـي جـلالـه

❖ ❖ ❖

من مـركـز التوحيـد كان عـروجه والـكـون مـن فـرح يـضـوع أريـجـه
حتى دنا من عرش رب الكون يحدو خـطـوه نـور بـه تـفـريـجـه
والـروح جـبـريـل الأمـيـن رفـيـقـه حـتـى انـتـهـى بـمـقـامـه مـعـراجـه
كـل لـه عـنـد الإلـه مـكـانـة ومـحـمـد فـاق الـخـلائـق نـهـجـه

❖ ❖ ❖

وهناك حيث مشاهد فوق النهى هذا مقام محمد والمنتهى
لم يرقه من قبله بشر فتلك مكانة ومحمد يدعى لها
فدعاه رب العرش نحو سمائه حتى محا من نفسه احزانها
فالعام عام الحزن حول محمد وعناية المولى تريه حنانها

❖ ❖ ❖

فرأى من الآيات ما فوق البشر كيف الاحاطة بالبصيرة والنظر؟!
كيف الحديث عن المشاهد وطاقة الانسان يعييها البهر؟!
والــــبــــهــــاء فان ذلك فوق محدود القدر
فسرى الخطاب فلا حدود ولا اتصاف يسمو بها الانسان من دنيا البشر

❖ ❖ ❖

فرضت صلاة للسمو بروحنا وعروجه في ليلة لسماء
ويحدث المختار بالاسراء قاسوا الأمور بفكرة عمياء
والقوم بين مكذب ومكابر رب الوجود بقدرة علياء
لم يعلموا ان الذي اسرى به تجري بها الأقدار في الأجواء

❖ ❖ ❖

والقدرة العلياء فوق عقولنا يرنو لنا حتى نعود لقربه
والقدس مسرى من نهيم بحبه موصولة حتى نخف لدربه
وشكاته مما يحيق بساحة عود الحبيب الى رياض حبيبه
فنعيده ليد الحنيف مطهرا «الله أكبر» في سلام رحابه

❖ ❖ ❖

٣

ذوو الاحتياجات الخاصة وكيفية أداء العبادات

■ بقلم الدكتورة جميلة الرفاعي

لقد تحدثنا فيما سبق حول الأدلة الشرعية المؤيدة لرفع الحرج عن ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي هذه الحلقة سنتحدث حول حكم عباداتهم.

تقسم العبادات إلى عبادات جسدية وعبادات مالية، وتجب العبادات المالية في أموال هؤلاء لأن إخراج المال لا يحتاج لصحة في الجسد أو العقل، فالزكاة حق للفقير يستخرج من مال الصغير ومال المجنون من قبل الولي.

أما العبادات الجسدية أي التي يقوم بها الجسد صحيحاً لا سقم فيه، فعلى صاحبه أن يؤدي التكاليف الشرعية حسب ما طلب وشرع الله عز وجل، أما إن كان من ذوي الاحتياجات الخاصة فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، لذا عليه أن يأتي بما يستطيع ويطيق، وفي هذا المبحث قمت بذكر أمثلة على عبادات ذوي الاحتياجات الخاصة وبينت الحكم الشرعي فيها وأقوال الفقهاء إن وجدت اختلافات في المسألة عندهم، وهذا المبحث قسّم تحت المطالب التالية:

المطلب الأول: التيمم.

المطلب الثاني: صلاة أهل الأعذار.

المطلب الثالث: الفطر في رمضان.

المطلب الرابع: الاستنابة في الحج.

يعد من ذوي الاحتياجات الخاصة كل مريض أصيب بالإسهال الشديد أو البول المستمر غير المنقطع، أو البواسير أو الحمى أو السرطان أو الإيدز أو غير ذلك من الأمراض، كذلك العرج وفقدان البصر أو الأعشى، والزمن وهو المصاب بمرض مزمن كالربو، والمقعد والمفلوج وكبير السن

ومقطوع أحد الأطراف كل ذلك من الأسباب الموجبة للتخفيف.

❖ المطلب الأول: التيمم:

الأصل الوضوء وينتقل إلى التيمم عند فقدان الماء، أو وجود عذر يمنع من استخدام الماء وهذا باتفاق الفقهاء جميعاً، وفي هذا المطلب سأتحدث عن المريض والمعذور عن استخدام الماء فله أن يتيمم، مع وجود الماء وقربه منه، لكن هنالك مانع يمنعه من الاستخدام وهو العذر والمرض، والضابط في هذا الأمر عند الحنفية[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] شدة المرض بالوضوء أو يطيل الوضوء زمن الشفاء، وله أن يتيمم في حالة الخوف من حدوث المرض، وزاد المالكية أن يخاف الموت أو فوت بعض الأعضاء[٥]، وزاد الشافعية والحنابلة على هذه الضوابط زيادة ألم وحدوث شين فاحش في عضو غير ظاهر[٦].

واستدل هؤلاء بما يلي:

١- قال تعالى: **﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾**[٧].

وجه الدلالة: أن الله عز وجل أباح التيمم بدلاً عن الوضوء في حالات منها المرض وفقدان الماء.

٢- وعن جابر رضي الله عنه قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال»[٨].

وجه الدلالة: أن الرسول ﷺ غضب غضباً شديداً على من أفتى المريض المصاب بجرح في رأسه أن يغتسل ولا يتيمم، مع العلم أن الغسل يزيد في وضعه بل أدى إلى موته، وغضبه ﷺ على الإفتاء بالغسل بدلاً من التيمم، يدل على أن التيمم هو الواجب أن يفتى به.

٣- روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت وصليت بأصحابي الصبح فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فقلت: سمعت الله تعالى يقول: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾**[٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً»[١٠].

وجه الدلالة: أنه ﷺ لم ينكر عليه فعله

وهو التيمم لخوفه من المرض.

والخلاصة: أنه إذا كان المريض يخاف باستعمال الماء الموت أو فوت بعض الأعضاء فيباح له التيمم إجماعاً، أما إذا خاف إبطاء البرء أو زيادة المرض أو كثرة الألم وإن لم تطل مدته، أو خاف حصول شيء فاحش في عضو ظاهر، فيباح له التيمم عند الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية وهذا ما ذكره ابن حزم في المحلى[١١].

نلاحظ أن الفقهاء أجمعوا على أن للإنسان أن يتيمم إذا اشتد مرضه باستعمال الماء، أو إن أطال استعمال الماء زمن المرض وأبطأ شفاؤه، أو إذا كان يخاف من الاستعمال حدوث موت أو مرض وفوات بعض الأعضاء، وهذا بالنسبة للإنسان الصحيح فكيف الحال بالنسبة لذوي الاحتياجات الخاصة، الذين هم بحاجة إلى المساعدة والعون والتخفيف، فإن تسبب استعمال الماء لهم في أدنى ضرر فإن لهم أن يأخذوا برخصة التيمم.

وقبل أن أنتقل إلى المطلب التالي أود أن أطرح سؤالاً، وهو كيف يتوضأ أو يتيمم أقطع اليد؟ نقول وبالله التوفيق: أقطع اليد له حالات قد يكون أقطع اليد الواحدة، أو أقطع اليدين، فإن كان أقطع اليد الواحدة فإنه يستعمل الأخرى في وضوئه واستنجائه وتيممه وهذا الكلام لا يختلف فيه اثنان، وقد قال ابن نجيم: "إن كان الرجل أقطع لا يمكنه مسح الأذنين بيديه الإثنتين، فإنه يبتدء باليمنى وبالخد الأيمن"[١٢].

ويقول في شرح العمدة: "لأقطع اليمنى أن يستنجي باليسرى للحاجة"[١٣] وإن كان أقطع اليدين، فعند رجوعي للمذاهب الأربعة[١٤] وجدت أنهم يقررون حقيقة وهي لا تكليف إلا بالمستطاع، لذا إن أراد أن يتوضأ وهو كما هو معلوم لا يستطيع أن يتوضأ لوحده، لذا فإنه سيستعين بغيره، فإن كان أقطع اليدين إلى أقل من المرفقين، فإنه يغسل ما بقي لأنه جزء من فرض الوضوء، أما إن كان القطع فوق المرفق فلا فرض عليه لسقوط محله.

❖ المطلب الثاني: صلاة أهل الأعذار:

● الفرع الأول: في الأذان:

هل لذوي الاحتياجات الخاصة أن يؤذنوا، أم أن حاجاتهم الخاصة تمنعهم عن فعل ذلك، اختلف الفقهاء في ذلك على أقوال:

القول الأول: يجوز أذان الأعمى والأقطع والأعرج وذوي العيب في جسده إذا لم يكن العيب في دينه، قاله الحنفية[١٥] والمالكية[١٦].

واستدل هؤلاء لقولهم بأن مؤذن الرسول ﷺ كان أعمى[١٧].

القول الثاني: يصح أذان الأعمى ولكنه مكروه، قال به الشافعية[١٨] والحنابلة[١٩].

١- لأن ابن أم مكتوم رضي الله عنه كان يؤذن بعد أذان بلال رضي الله عنه[٢٠].

٢- ولأن الأعمى لا يعرف الوقت فربما غلط، ولربما فوت على الناس فضيلة أول الوقت[٢١].

الرأي الراجح: إن أذان الأعمى يصح بالاتفاق، وقد ورد أن ابن أم مكتوم كان يؤذن للناس ولم ينكر عليه ﷺ، لذا يباح أذان الأعمى، وهو يعتمد في معرفة الوقت على البصير، والكراهة تتعلق بعدم معرفته الوقت دون مساعدة من بصير.

- **الفرع الثاني: في استقبال القبلة:**

العاجز عنها لمرض: قال الحنفية[٢٢] والمالكية[٢٣]: إن كان مريضاً لا يمكنه أن يتحول بنفسه إلى القبلة وليس بحضرته من يحوله إليها، يسقط عنه الاستقبال لأن هذا شرط زائد فيسقط عند العذر، وقالوا: للأعمى أن يقلد البصير المجتهد[٢٤].

وقال الشافعية: الأعمى يوجهه غيره إلى القبلة فيصير في أمر القبلة مقتدياً[٢٥]، وإذا قدر أن يعتمد المحراب بالمس وعلم أنه محراب وأنه متوجه إليه فهو كالبصير، وكذلك إذا علم أن باب المسجد إلى الشمال أو غيرها من الجهات جاز له الاستدلال به ومتى أخطأ فعليه الإعادة[٢٦] وإذا لم يجد العاجز من يخبره فتارة يقدر على الاجتهاد وتارة لا يقدر، فإن قدر لزمه الاجتهاد واستقبل ما ظنه قبلة وليس للقادر على الاجتهاد تقليد غيره وهذا مقتضى قول الحنابلة[٢٧].

وقالوا: إذا اختلف مجتهدان في القبلة ومعهما أعمى قلّد أوثقهما في نفسه وهو أعلمهما عنده وأصدقهما قولاً وأشدهما تحرياً لأن الصواب أقرب إليه[٢٨].

نلاحظ من جميع الأقوال أن الأعمى يكون مقلداً في القبلة عند وجود البصير، وإن لم يوجد من يدله على القبلة، فله أن يجتهد كما أن المريض العاجز عن استقبال القبلة له أن يصلي بأي اتجاه لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

- **الفرع الثالث: في الإمامة:**

اختلف الأئمة في حكم إمامة العاجز بشكل عام على عدة أقوال:

القول الأول: يكره تنزيهاً إمامة أعمى ونحوه كالأعشى، لأنه لا يتوقى النجاسة وكذا السفيه والمفلوج والأبرص والأعرج يقوم ببعض قدمه فالاقتداء بغيره أولى،

وكذا من له يد واحدة والعلة النفرة لذا قيد الأبرص بالشيوع ليكون ظاهراً ولعدم إمكان إكمال الطهارة في المفلوج والأقطع والمحجوب، هذا قول الحنفية[٢٩].

القول الثاني: تبطل الإمامة باقتداء بعاجز عن ركن فعلي من أركانها كقيام أو قولي كالفاتحة إلا الإمام المماثل في العجز من الركن العاجز عنه، فلا تبطل خلفه بل تصح ومثله إذا جلس المأموم خلف الإمام الجالس لعجز أو غيره في النفل.

وإذا لم يتماثلا في الركن المعجوز منه، كعجز أحدهما عن القيام والآخر عن الجلوس مثلاً فلا يصح اقتداء أحدهما بالآخر، هذا القول المالكية[٣٠].

القول الثالث: تصح الصلاة خلف العاجز، قال الشافعية[٣١]، ورواية عن الحنابلة[٣٢]: إن إمامة الأعمى أفضل لأن الأعمى لا ينظر إلى ما يشغله فهو أخشع وكذلك صححوا صلاة السليم مقتدياً بالسلس[٣٣].

وذكر ابن مفلح الحنبلي أن إمامة أقطع اليد أو الرجلين أو إحداهما فيها روايتان أحدهما: يصح لأنه لا يخل بركن في الصلاة كقطع الأنف والثاني: لا يصح لإخلاله بالسجود على عضو[٣٤].

وكره ابن عقيل إمامة من قطع أنفه، ولا تصح الصلاة خلف أخرس لأنه أخل بفرض الصلاة كالمضطجع يؤم القائم[٣٥].

الرأي الراجح: إذا كان هذا العجز لا يؤثر على شروط صحة صلاته، فلا مانع من إمامته، كمقطوع الرجل والأعمى، فهما يستطيعان أن يتطهرا بشكل كامل ولا يؤثر العجز عندهما على صحة الصلاة، لكن المفلوج الذي قد لا يستطيع أن يتوضأ مثلاً إلا أن يتوضأ من قبل الآخرين، فهنا أرى أن إمامته لا تصح، لاحتمال عدم الطهارة الكاملة.

لذا القول بالصحة أو البطلان بشكل عام لا يصح، إنما ترجع إلى حالة العاجز، فإن كملت طهارته وأتى بأركان الصلاة بشكل صحيح فلا بأس بهذه الإمامة وإلا فلا.

وأما بالنسبة لإمامة أقطع اليدين أو الرجلين وأقطع الأنف، فإن أمكنه القيام فإن إمامته صحيحة[٣٦]، أما بالنسبة لإمامة الأخرس بغيره ولو لأخرس مثله، فإن إمامته لا تصح لأنه لا يستطيع أن يأتي بأركان الصلاة بالشكل الصحيح[٣٧].

مسألة: حكم صلاة القائم خلف القاعد[٣٨]:

هل لغير العاجز عن القيام أن يصلي خلف القاعد جالساً أم قائماً؟

اختلف العلماء في ذلك على عدة أقوال:

القول الأول: يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف العاجز عن القيام، وتصح صلاته، قال هذا القول أبو حنيفة وبعض المالكية والشافعية وأبو ثور(٣٩)، ولكن استخلاف من يصلي بالجماعة قائماً أفضل خروجاً من الخلاف من منع الاقتداء بالقاعد لأن القائم أكمل وأقرب إلى كل هيئات الصلاة.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ أمر في مرضه الذي توفي فيه أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فقام يهادي بين رجلين ورجلاه يخطان في الأرض فجاء فجلس عن يسار أبي بكر، فكان ابو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعداً، يقتدي ابو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس بصلاة أبي بكر(٤٠).

القول الثاني: تصح صلاتهم قعوداً لا قياماً خلف العاجز، وقال بهذا أحمد، والأوزاعي، وابن المنذر، واسحاق(٤١).

استدل هؤلاء بحديث: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً"(٤٢).

وجه الدلالة: أن الحديث صحيح، وهو نص في الموضوع، إذ يقول ﷺ: "إن صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً".

القول الثالث: لا تصح الصلاة خلف الجالس مطلقاً، قاله مالك(٤٣).

واستدل هؤلاء بحديث الرسول ﷺ: "لا يؤمن أحد بعدي جالساً"(٤٤)، فالحديث نص في عدم الائتمام بالجالس مطلقاً.

الرأي المختار: الصلاة خلف القاعد جائزة لحديث السيدة عائشة السابق، وهو حديث صحيح، ولكن خروجاً من الخلاف يفضل الصلاة خلف القائم.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢، /٢٣٣ ،١ الكاساني، أبو بكر علاء الدين بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢، ٤٨/١ .

٢- الحطاب، أبو عبد الله المغربي الحطاب، مواهب الجليل، دار الفكر، ط٣، ٣٢٦/١، المواق، أحمد بن يوسف المواق، التاج والإكليل، دار الفكر، ط٣،

١٩٩٢م، ٢٣٦/١، وسيشار إليه فيما بعد بالمواق، التاج والإكليل (مطبوع بهامش مواهب الجليل).

٣- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، ٢٨٦/٢، عبد العزيز ابن عبدالسلام السلمي، قواعد الأحكام، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٠، ١٩٥/٢ – ١٩٦، وسيشار إليه فيما بعد بالعز: القواعد.

٤- البهوتي، منصور بن يوسف البهوتي، كشاف القناع، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م، ١٦٣/١ .

٥- الحطاب، مواهب الجليل، ٣٢٦/١ .

٦- النووي، المجموع، ٢٨٦/٢، البهوتي، كشاف القناع، ١٦٣/١ .

٧- سورة النساء آية ٤٣ .

٨- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، دار الحديث، القاهرة، ٩١/١، رقم الحديث ٣٣٦، وسيشار إليه فيما بعد بأبي داود، السنن.

٩- سورة النساء آية ٢٩ .

١٠- الحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١هـ) المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢-١٩٩٩، الطبعة الأولى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٣٨٥/١، رقم الحديث ٦٢٩، وسيشار إليه فيما بعد بالحاكم: المستدرك، الألباني: إرواء الغليل: ١٨١/١ .

١١- ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم، المحلى، دار التراث، القاهرة، ١١٦/٢، وسيشار إليه فيما بعد بإبن حزم المحلى.

١٢- ابن نجيم: زين الدين ابن نجيم (٩٢٦هـ -٩٧٠م) البحر الرائق، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٩/١، وسيشار إليه فيما بعد بإبن نجيم: البحر الرائق.

١٣- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، شرح العمدة، تحقيق سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣، الطبعة الأولى، ١٥٣/١، وسيشار إليه فيما بعد بإبن تيمية: شرح العمدة.

١٤- ابن نجيم: البحر الرائق: ٢٩/١، العبدري: محمد ابن يوسف العبدري ت (٨٩٧) التاج والإكليل، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨، الطبعة الثانية، ١٩١/١، وسيشار إليه فيما بعد بإبن نجيم، البحر الرائق، القفال: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حلية العلماء، تحقيق ياسين درادكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، عمان، ١٩٨٠م، ١٢١/١، وسيشار إليه فيما بعد بالقفال: حلية العلماء، ابن تيمية: العمدة ١٨٧/١-١٨٨، البهوتي: منصور بن يونس، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، الطبعة الثانية، ٢٧٣/١، وسيشار إليه فيما بعد بالبهوتي، شرح منتهى الإرادات.

١٥- ابن عابدين، الحاشية، ٧٤/٢، دار المعرفة (طبعة أولى ٢٠٠٠م) الكاساني، بدائع الصنائع، ٢٥٢/١ (دار المعرفة، طبعة أولى ٢٠٠٠م).

١٦- الحطاب، مواهب الجليل، ١١١/٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥م)، مبارك المالكي، تسهيل المسالك إلى هداية السالك، مكتبة الشافعي، طبعة أولى ١٩٩٥م، ٢٥٩/٢، وسيشار إليه فيما بعد بمبارك المالكي: تسهيل المسالك.

١٧- البخاري، الصحيح، كتاب الشهادات، رقم الحديث (٢٤٦٤).

١٨- النووي: المجموع، ٢٠٠/٤ .

١٩- ابن قدامة، المغني، ٤٢٥/١، (دار الكتاب العربي،

بيروت)، ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبد الله، المبدع، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠، ٣١٥/١، وسيشار إليه فيما بعد بابن مفلح، المبدع.

٢٠- البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، رقم الحديث (٥٨٧)، دار ابن كثير، ١٩٨٧م.

٢١- النووي، المجموع، ٢٠٠/٤، ابن قدامة، المغني، ٤٢٥/١، (دار الكتاب العربي، ١٩٧٢)، ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله، المبدع، المكتب الإسلامي، ج٣١٥/١، وسيشار إليه فيما بعد بإبن مفلح، المبدع، أبو بكر الحسيني، الشافعي، كفاية الأخيار، دار الخير، طبعة أولى، ١٩٩٢م، ص١١١، وسيشار إليه فيما بعد بأبي بكر الحسيني، كفاية الأخيار، النووي، المجموع، ١٠٣/٣ .

٢٢- ابن عابدين، الحاشية، ١٣٣/٢ (ط٢٠٠٠م، دار المعرفة) الكاساني، بدائع الصنائع، ١٩٩/١ (ط٢٠٠٠م، دار المعرفة).

٢٣- الحطاب، مواهب الجليل، ١٩٥/٢، (دار المعرفة ط ٢٠٠٠م.

٢٤- الحطاب، مواهب الجليل، ١٩٨/٢ - ١٩٩، دار الكتب العلمية.

٢٥- الكاساني، البدائع، ٢٦٠/١ (ط ٢٠٠٠، دار المعرفة).

٢٦- أبو بكر الحسيني، كفاية الأخيار، ٩٥ .

٢٧- ابن قدامة، المغني، ٤٨٩/١، (ط ١٩٧٢، دار الكتاب العربي).

٢٨- ابن قدامة، المغني، ٤٧٢/١، ابن مفلح، المبدع، ٤١٠/١ .

٢٩- ابن عابدين، الحاشية، ٣٥٤/٢-٣٥٩، (ط ٢٠٠٠ دار المعرفة).

٣٠- مبارك المالكي، تسهيل المسالك، ٤٩٦/٢ .

٣١- النووي، المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع، ٧٠/٢ .

٣٢- ابن مفلح، المبدع، ٦٨/٢ .

٣٣- الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٣٣٠/١ .

٣٤-٣٥- ابن مفلح، المبدع، ٦٨/٢ .

٣٦- البهوتي، شرح منتهى الإرادات : ٢٧٣/١ .

٣٧- البهوتي، شرح منتهى الإرادات: ٢٧٣/١، الفروع، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨، الطبعة الأولى، ١٧/٢، المرداوي: علي بن سليمان المرداوي (٨١٧ - ٨٨٥) الإنصاف، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٦٠/٢، وسيشار إليه فيما بعد بالمرداوي : الإنصاف.

٣٨- النووي، المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع، ٦٨/٢ .

٣٩- النووي، المجموع ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع،٧٠/٢ .

٤٠- مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، رقم الحديث (٦٣٢) دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م.

٤١- النووي، المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢،ابن مفلح،المبدع،٧٠/٢ .

٤٢- البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، رقم الحديث (٦٤٧٠)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧ .

٤٣- مبارك المالكي، تسهيل المسالك، ٤٩٦/٢، النووي، المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع ٧٠/٢ .

٤٤- ذكر الترمذي أن بعض العلماء قالوا بعدم صحة الصلاة خلف من أم جالساً، السنن، كتاب الصلاة، رقم الحديث ٣٢٩، دار الكتب العلمية.

حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية

الولاية والإمامة في الصلاة

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

من القضايا المثيرة للجدل حول نظرة الإسلام للمرأة، والتي يتخذها أعداء الإسلام ومن يريدون الإساءة إليه والنيل منه، قضية حق المرأة في تولي الولاية، وان الإسلام سلب المرأة هذا الحق، ومنعها من تولي الولاية، وحصر هذا الأمر في الرجل وحده دون المرأة، والولاية أنواع، منها الولاية الشخصية على الذات والولاية الصغرى على الصغار والسفهاء، والولاية الوسطى مثل تولي القضاء والإمامة في الصلاة والشورى، وعضوية مجلس الأمة، والولاية العظمى أو الكبرى وهي تولي الحكم أو رئاسة الدولة.

وبادئ ذي بدء، نقول: بأن جمهور العلماء في الفقه القديم والحديث يقولون: بحجب الولاية عن المرأة مع اختلاف فيما بينهم، بأن أجاز بعضهم الولاية الذاتية للمرأة، وهي أهليتها لتولي إدارة شؤونها الشخصية، من تملك وتجارة وتوكيل وضمان وغير ذلك، بينما ذهب البعض الآخر إلى جانب الولاية الذاتية، بالإجازة للمرأة في الولاية الصغرى، بأن قالوا: إن لها الحق في الوصاية على الأبناء الصغار والسفهاء وفاقدي الأهلية، وكذلك الحال بالنسبة لحقها في تولي الولاية الوسطى، **إلا أن جميع الفقهاء يقولون بحجب الولاية العظمى عن المرأة.**

وبالرجوع إلى النصوص الأولى، يتبين أن هذا الاتجاه في حجب الولاية العظمى عن المرأة، لم يستمد من نصوص قرآنية، وإنما استناداً إلى حديث نبوي شريف قاله رسول الله ﷺ، حين ابلغوه أن إحدى بنات كسرى الفرس تولت الملك بعد موت أبيها، فقال ﷺ: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"(١)، وفي حين يميل بعض المتشددين إلى منع المرأة من ممارسة أية ولاية خاصة أو

عامة، فإن هناك من الفقهاء من يقصر حجب الولاية عن المرأة على الولاية العظمى أو العامة، بينما يتيحون لها أشكالاً أخرى من الولاية"[٢].

ويرى البعض أن المسلمين يجمعون على أن للمرأة ولاية على نفسها، تؤسس لها حرية وسلطاناً في شؤون زواجها، وسلطانها يعلو سلطان وليها الخاص أو العام (الحاكم)، **ويجمع المسلمون كذلك على أن للمرأة ولاية ورعاية وسلطاناً في بيت زوجها وفي تربية ابنائهما**، لقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها».

غير أن عدداً من الفقهاء، وقف بالولاية المباحة والمفتوحة ابوابها أمام المرأة عند الولاية الخاصة، واختاروا حجب الولاية العامة عن المرأة"[٣]، فهم يرون انه لا يجوز للمرأة أن تتولى الولاية العامة، أي الحكم أو رئاسة الدولة، وذلك لأن الولاية بما تتطلبه من جزم واختلاط بالرجال وإمامة للناس في الصلاة، وقيادة في الحروب، وعمل دائم ليل نهار، تتنافى وطبيعة المرأة من اللين والعطف، وعدم تحملها المتاعب والمشاق، وتتعارض مع وظيفتها الأصلية في الإنجاب وتربية النشء وإدارة شؤون البيت، وخاصة في أوقات العادة الشهرية وما يرافقها من آلام وتعكر في المزاج واضطرابات نفسية، وأوقات الحمل والنفاس والإرضاع[٤].

وقد الحق بعض الفقهاء بحجب الولاية العامة عن المرأة، حجب أية وظيفة تمارس فيها المرأة المسؤولية الأولى، أو مسؤولية الحكم كالقضاء والشورى والترشيح لمجلس الأمة والإمامة في الصلاة، وانتخاب الحاكم أو الخليفة.

غير أن هناك من يحاول إعطاء تفسيرات للحديث النبوي الشريف في النهي عن تولي المرأة الحكم أو الولاية العظمى، فيقولون: بأنه جواب لخبر اخبره به أصحابه رضوان الله عليهم، وهو أن الفرس عندما توفي ملكهم لم يجدوا رجلاً يولونه بعد وفاة ملكهم، فولّوا ابنته عرش الملك، وانه ليس عاماً شاملاً، فالمقصود بالحديث هي ابنة كسرى بعينها التي وليت الملك بعد وفاة أبيها، فهو يعني حالة خاصة ولا يعني جميع النساء، ويذهبون أيضا إلى القول: بأن الحديث الشريف لم يكن من الوحي، أي لم يكن من أمور الرسالة، وإنما في أمر دنيوي لا علاقة له بالوحي.

وقد سبق للرسول ﷺ أن رجع عن رأيه في أمور دنيوية، فعندما مر ﷺ بقوم يلقحون النخل فقال لهم: «ما تصنعون؟ لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً» وفي رواية أنه قال: «لو لم تفعلوا لصلح فتركوه، فخرج شبصا أو فنقص فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، فقال: أنتم أدرى مني بشؤون زرعكم»[٥].

وكان أصحابه يسألونه عن بعض القضايا والمواقف، فيما إذا كانت من عند الله فلا يحيد عنها أو من عنده كبشر يمكن مناقشتها وتعديلها، كما حدث في موقع المجاهدين في ماء بدر، حيث قال له الخباب بن الارت: يا رسول الله اهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نحيد عنه، أم هي الحرب والمكيدة؟ فقال: بل هي الحرب والمكيدة، فأشار عليه بتغيير الموقع، فأخذ برأيه، وانتقل بالمجاهدين إلى المكان الذي أشار به عليه الخباب، وكذلك موضوع الخروج من المدينة إلى أُحد لملاقاة الكفار هناك، أو انتظارهم داخل المدينة، ونزل عن رأيه واخذ برأي الأكثرية من الشباب، ومثل ذلك في حفر الخندق حيث اخذ برأي سلمان الفارسي، أما ما كان فيه وحي أو تنزيل فلم يكن يحيد عنه ولا يأخذ فيه برأي احد، كما حدث في موضوع أسرى بدر، وفي موضوع صلح الحديبية، حيث لم يأخذ برأي أصحابه لأنه كان فيهما وحي وتنزيل من الله تعالى.

ويستدل أصحاب الرأي القائل بعدم حجب الولاية العظمى عن المرأة، بأن هذا الحديث الذي قيل في مناسبة خاصة، وغير المتصل بوحي أو بتوضيح أو تفسير أو ترجمة للنص الأول (القرآن الكريم)، يفترض أن يدخل في نطاق موقف بشري محض لا صلة تربطه بمعجزات النبوة أو الرسالة[٦] وان للرسل طبيعة بشرية، وعصمتهم تكون في ما يبلغون عن الله تعالى فقط، قال تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾**[٧].

ثم ألم يعاتب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ على تصرف بشري لا صلة له بالوحي عندما أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه؟ فقال تعالى: **﴿عبس وتولى ❖ أن جاءه الأعمى ❖ وما يدريك لعله يزكى ❖ أو يذكر فتنفعه الذكرى ❖ أما من استغنى ❖ فأنت له تصدّى ❖ وما عليه ألا يزكى ❖ وأما من جاءك يسعى ❖ وهو يخشى ❖ فأنت عنه تلهى﴾**[٨] وكان ﷺ كلما جاءه ابن أم مكتوم يخاطبه قائلاً: مرحباً بمن عاتبني به ربي.

ونحن نرى أن حديث الرسول ﷺ فيه شجب لتوليه رئاسة الدولة للمرأة، وفيه تحذير شديد بعدم الفلاح والنجاح للأمة التي تولي أمرها لامرأة، وما دام فيه هذا الشجب وهذا التحذير بالفشل وعدم النجاح، فإنه يصل إلى درجة المنع، وعليه فانه لا يجوز للمرأة تولي أمر الأمة وقيادتها، ولم يسبق لامرأة مسلمة أن وصلت إلى سدة الحكم والرئاسة في الدولة الإسلامية، باستثناء شجرة الدر في العهد المملوكي، والتي لم يدم حكمها إلا فترة وجيزة، ثم انه ورد عن الخليفة علي بن أبي طالب قوله: "لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة"[٩]، ويفهم من هذا القول إن المرأة

لا تكون خليفة أو رئيسة دولة.

❖ ثانياً: إمامة المرأة في الصلاة:

مع انه لا نص قرآني صريح يمنع المرأة من الإمامة في الصلاة، فإن الفقه الإسلامي القديم والحديث حصر الإمامة في الصلاة على الرجال دون النساء، غير أن البعض يرى جواز إمامة المرأة في الصلاة، بحجة أن السياقات القرآنية الكلية التي تنيط الولاية بالإنسان المسلم السّوي والمؤهل، دون تمييز بين رجل وامرأة، تشمل أيضا مسألة الإمامة، حيث يقول الله تعالى: **﴿ونريد أن نمنَّ على المستضعفين في الأرض ونجعلهم أئمة﴾**[١٠].

وان فحوى الكليات القرآنية تمنح المرأة حق الإمامة، وليس ثمة إشارة في تلك الكليات إلى حجب ذي طابع تمييزي بين الجنسين[١١]، وقد أباح الطبري وأبو ثور إمامة المرأة للرجال والنساء في الصلاة، واستدل على ذلك بحديث أخرجه أبو داود والحاكم عن أم ورقة بن نوفل، أن النبي ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها وجعل لها مؤذناً، وكان لها غلام وجارية، فيفهم من ذلك أنها كانت تؤم بالمؤذن والغلام والجارية.

أما المزني فقد قصر إمامة المرأة للنساء، وهو ما أباحه الجمهور في صلاة التطوع، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وداود والاوزاعي وسفيان الثوري واسحق بن راهويه، واستدلوا لذلك بأن عائشة رضي الله عنها، كانت تؤذن وتقيم الصلاة وتقوم وسط النساء تؤم بهن في الصلاة، وذكر ابن حزم أن المرأة تؤم بالنساء مطلقا، وهذا مذهب عطاء ومجاهد والحسن البصري، واستدل له بما روته تميمة بنت سلمة أن عائشة أمّت في فريضة المغرب وقامت وسطهن بالقراءة، إلا انه لم يسبق للمرأة أن مارست الإمامة في الصلاة، ولا وقفت خطيبة في المصلين، وقد صدرت سلسلة من الفتاوى الشرعية، أجمعت على إدانة دعوة القائلين بجواز إمامة المرأة للرجل، وان الصلاة بها تقع باطلة لان الله تعالى أمر النساء أن يقفن خلف صفوف الرجال[١٢].

وان الترخيص بإمامة المرأة مخالف لشرع الله، إذ أن امتنا منذ عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا الحاضر لم يجز للمرأة أن تقف خطيبة في الرجال[١٣]، وأن إمامة المرأة موقف بدعي وضال ومحدث من جميع الوجوه وفي جميع المذاهب، وان الذكورة شرط في خطبة الجمعة وإمامة صلوات الجماعة العامة، وان إجماع الأمة انعقد في المشارق والمغارب، على انه لا دخل للنساء في خطبة الجمعة، ولا في إمامة صلاتها، وان من شارك في ذلك فصلاته باطلة إماماً ومأموماً[١٤].

وان كلمة أهل المذاهب الثمانية، اتفقت

على أن المرأة لا تؤم الرجال في الفرائض، وجوّز بعض الفقهاء صلاتها بأهل دارها من الرجال المحارم على أن تقف خلفهم لا أمامهم، ولم يجوّز إمامتها للرجال الأجانب، وواضح أن هذا الجواز تشوبه مثلية هامة، وهي أن الإمام يعني المتقدم الذي يجب أن يكون أمام المصلين جميعاً ليأتموا به في جميع أفعاله، ولا يجوز أن يكون خلفهم، لأنه سيكون غائباً عن أنظارهم، فلا يرون أفعاله، وبالتالي يصعب، بل يستحيل عليهم الإقتداء به، ثم انه جواز خاص بالمحارم من الرجال الذين أباح لهم الشرع بالنظر إلى زينة المرأة المحرمة عليهم تحريماً أبدياً، فهو جواز في أضيق حالاته لو صح فعله.

ولم يسبق لرسول الله ﷺ، أو احد خلفائه الراشدين، أو الخلفاء من بعدهم، أن صلى إماماً بالمسلمين وهو يقف خلفهم، حتى انه عندما نزلت على الرسول ﷺ آية تحويل القبلة من المسجد الأقصى في بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة في مكة المكرمة -وكان قد صلّى ركعتين من صلاة الظهر أو العصر- استدار إلى جهة الكعبة واستدار معه المصلون، وتقدم الرجال إلى الصفوف الأولى وتأخرت النساء إلى الصفوف الخلفية، ولم يكتف ﷺ بالاستدارة إلى الكعبة والبقاء في أماكنهم فتكون النساء في الصفوف الأمامية والرجال في الصفوف الخلفية والرسول ﷺ من خلف الجميع، فدلّ ذلك على أن الإمام يجب أن يتقدم جميع المصلين لا أن يكون في مؤخرتهم.

إن الأصل في الإمامة والأذان أنها للرجال بإجماع المسلمين، لأن الصلاة في الإسلام حركات وقيام وركوع وسجود وقعود، وهي حركات وهيئات، لا يجوز أن تقوم بها المرأة بين أيدي الرجال، لان حكمة الله تعالى اقتضت أن يجعل في جسم المرأة من الخصائص ما يثير الرجل ويحرك غريزته(١٥)، وانه لا يجوز للرجال أن يصلوا خلف المرأة أو يستمعوا خطبتها(١٦)، ولا ندري هل أخذ القائلون بجواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة في اعتبارهم طبيعة المرأة والرجل، وما تثيره المرأة في الرجل من ميل وعاطفة وانجذاب بحركاتها وبصوتها، فكيف سيكون موقف المرأة نفسها وموقف الرجل وهو يرى امرأة تقف أمامه وتثني جسمها بالركوع والسجود، وترفع صوتها على مسامعه، وهو واقف بين يدي الله، وما يتطلبه ذلك الوقوف من خشوع تام، وإمامة المرأة للرجال يترتب عليها أن تقف في الصفوف الأولى أمام الرجال، وفي ذلك إثارة للفتنة وإفساد للصلاة لخلوها من الخشوع، ومخالفة صريحة لحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: "خير صفوف الرجال أولها، وخير

صفوف النساء آخرها»[17].

ثم إن من شروط الإمامة الرجولة، ثم أقرأهم للقرآن، ثم الأعلم بالسنّة، ثم اللابس للباس الشرعي، ثم الملتحي واللابس للقلنسوة والعمامة، لذلك لا حق للمراة في إمامة المصلين المختلطين[18]، وإمامة المرأة للرجال باطلة، لأنها ضد الحياء، والإسلام أمر بالعفاف والاحتشام[19]، وليس في إمامة الرجل نقص في مكانة المرأة، ولا تفضيل للرجل عليها، إنما هو أمر اقتضته طبيعة المرأة وطبيعة الرجل، وان الإمام هو رجل واحد يؤم عشرات أو مئات، بل وآلاف

الهوامش:

١- صحيح البخاري كتاب المغازي، ج٩، ص١٩٢، والنسائي في السنن، كتاب آداب القضاء والإمام احمد في المسند ٣/٥، من حديث أبي بكرة .

٢- د. فريال مهنا، إسلام أم ملك يمين، ص٣٠٦ .

٣- محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة، ص١٠٢ .

٤- عبد السلام أبو النيل، وضع المرأة في العالم الإسلامي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ص ٢٨٨.

٥- رواه مسلم في صحيحه، والإمام احمد وابن ماجة، الموسوعة الشاملة للأحاديث النبوية عن جامع الأصول في أحاديث الرسول، قرص مدمج.

٦- د. فريال مهنا، مرجع سابق، ص٣١٢ .

٧- سورة الكهف، الآية ١١٠ .

٨- سورة عبس، الآيات ١- ١٠ .

٩- حبيبة الباروفودي، حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في ندوة الخبراء حول المرأة العربية والتغيرات الاجتماعية والثقافية، بغداد سنة ١٩٨٧ ص١٢٧ .

١٠- سورة القصص، الآية ٥.

١١- د. فريال مهنا، المرجع السابق، ص٣٢٩ .

١٢- فتوى مفتي جمهورية مصر، جمال البنا، جواز إمامة المرأة للرجال دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢٣ .

١٣- فتوى مفتي المملكة العربية السعودية، جمال البنا، المرجع نفسه، ص٢٦.

١٤- بيان مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، المرجع نفسه، ص٢٨ .

١٥- د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، الشروق، القاهرة، ص ٢٠٠١، ص٣٠.

١٦- فتوى الشيخ خالد الماجد، جمال البنا، المرجع السابق، ص٣٨.

١٧- رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، انظر رياض الصالحين رقم ١٠٨٤، ص٨٥ .

١٨- فتوى الشيخ صهيب الحلبي، جمال البنا، المرجع السابق، ص٦.

١٩- الشيخ محمد سيد طنطاوي، جمال البنا، المرجع السابق، ص٤٢ .

في ظلال رسالة عمان

مراعاة الاختلاف في الاجتهادات وأخلاقياتها

■ بقلم الواعظ عمر قاسم محمد قرعان

ان الناظر الى ما استجد في واقعنا من الحوادث والنوازل، وقفزت به المتغيرات الى جديد من القضايا، الا هرعت الى بحثها وبيان الحكم فيها، اعداد كثيرة ووفيرة من العلماء والباحثين، وقام لتحقيق الحق فيها متخصصون فضلاء، مما يبعث على الاسترواح والاستبشار بالصحوة الاسلامية.

والناظر والمتفحص في كثير من تلك الدراسات والبحوث، وعلى الرغم مما يراه من مستوى علمي وتدقيق معرفي، فإن هذا الناظر والمتفحص واجد في بعضها او حتى في معظمها، ما يحوجه الى تمثل المنهج السليم في تناول القضايا الاجتهادية والنوازل المستحدثة المبحوث فيها.

ولئن كان من الأسس المنهجية الواضحة عند علماء المسلمين من اهل السنة والجماعة ازاء مسائل الاجتهاد، مراعاة الاختلاف فيها احتياطاً واجتناباً او امتثالاً، الا ان هذا الاصل الأصيل يتوجه رويداً الى الضمور والاضمحلال في كثير من دراساتنا المعاصرة، وكل ذلك بسبب تلك الهوة المدهشة والمحيرة بين المتقدم والمتأخر، علاوة على افتقار الأمة الى انتصاب القدوات مع استشراء الأهواء، **ولذلك احببت ان اتناول هذا الموضوع من مواضيع العمل الاسلامي المعاصر الذي تطرقت اليه رسالة عمان بشكل واضح.**

❖ **اولاً: تعريف مراعاة الخلاف:**

أ- لغة: المراعاة من راعيت الشيء رعياً ومراعاة «لاحظته محسناً اليه، والأمر نظرت إلام يصير..»(١).

والخلاف والمخالفة.. ان يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر..(٢).

ب- اصطلاحاً: لقد عرفت مراعاة الخلاف بعدة تعريفات، لعل من احسنها تعريف ابن عرفة رحمه الله في حدوده، «اعمال دليل المخالف في لازم مدلوله الذي اعمل فيه في نقيضه دليل آخر»(٣).. ومثال ذلك: اعمال الامام مالك رحمه الله دليل مخالفة القائل بعدم فسخ نكاح الشغار، في لازم مدلول ذلك المخالف -ومدلوله عدم الفسخ - الذي هو ثبوت الإرث بين الزوجين المتزوجين بالشغار عند موت احدهما، وهذا المدلول الذي هو عدم الفسخ اعمل مالك رحمه الله في نقيضه، الذي هو الفسخ اعمل دليلاً آخر يقتضي الفسخ عنده(٤).

❖ **ثانياً: موضوع مراعاة الخلاف:**

اما موضوع مراعاة الخلاف بالمعنى العام، فهو التصرفات المختلف في حكمها الدائر بين الاقتضاء والمنع، من حيث تحقيقها لمقصود الشارع. ومنشؤها: احتمال التورط في نقيض مقصود الشارع بفعل ما هو خلاف الأولى.

❖ **ثالثاً: مراعاة الخلاف في المذاهب الأربعة:**

نص غير واحد من العلماء على ان مشروعية مراعاة الخلاف ثابتة بالاجماع(٥)، وان تتبع ذلك عند كثير من العلماء يعتبر صعباً، نظراً لاستحالة الاحاطة بأقوال الجميع، فإن الاقتصار على ذلك في المذاهب الأربعة المشهورة يغني عن كل تتبع واستقراء.

ومن المهم بيان ان اكثر المذاهب اخذاً بهذه القاعدة وتعويلاً عليها المالكية والشافعية ثم الأحناف والحنابلة.

أما في مذهب مالك رحمه الله فاعتمادها في بناء كثير من الفروع مشهور معلوم، قال الشاطبي رحمه الله تعالى: «وهو اصل في مذهب مالك ينبني عليه مسائل كثيرة»(٦)، واما في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، فقد نص أئمة المذهب على مشروعية البناء على مراعاة الخلاف واستحبابه فقال الزركشي رحمه الله تعالى: «يستحب الخروج منه، اي الخلاف، باجتناب ما اختلف في تحريمه وفعل ما اختلف في وجوبه..»(٧).

وقال ابن السبكي رحمه الله: «الخروج افضل.. واعتماده من الورع المطلوب شرعاً..»[٨]، أما في مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله، فقد صرح ابن عابدين رحمه الله في حاشيته باستحباب مراعاة الخلاف، حيث افرد له مطلباً خاصاً فقال: «مطلب في ندب مراعاة الخلاف..».

وقد صلى ابو يوسف القاضي رحمه الله صاحب ابي حنيفة، بالناس الجمعة يوماً مغتسلاً من الحمام، فلما تفرقوا أخبر بوجود فارة ميتة في بئر الحمام، فقال: اذن نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة «اذا بلغ الماء قلتين..».

وأما في مذهب الامام احمد رحمه الله فيجد الدارس نماذج تدل على ذلك، منها ما ذكره ابن قدامة رحمه الله بخصوص وقت الجمعة عند الحنابلة، وأنها تصلى قبل الزوال عندهم خلافاً للجمهور، حيث قال: «فالأولى ان لا تصلى الا بعد الزوال ليخرج من الخلاف..»[٩].

وفي باب رد الشهادة من كتاب كشاف القناع قوله: «ان من عمل في الفروع المختلف فيها عند الأئمة اختلافاً شائعاً، كمن تزوج بلا ولي او بلا شهود، او شرب من النبيذ ما لا يسكر، أو أخر الزكاة او حج متأولاً او مقلداً لمن يرى حله: لم ترد شهادته لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في الفروع، وقبلوا شهادة كل مخالف لهم فيها، ولأنه اجتهاد شائع لا يفسق به المخالف كالمتفق عليه..»[١٠].

❖ رابعاً: الغاية من مراعاة الخلاف:

ان التصرف بباعث الخروج من الخلاف، لا ينشئه المكلف لمعرفة الحكم، ولكن لتجيزه والخروج عن عهدته، ويتذرع به الى الايقاع بتصرفه على وجه متيقن لا يعصف الشك بساحته، فهو وسيلة الى الامتثال المحقق، لا طريق الى معرفة الحكم.

فالغاية التي يصدر عنها المحتاط في خروجه من الخلاف، هي الورع والاستبراء للدين لكونهما متعلقان ببراءة الذمة والخروج من العهدة، والعمل بالورع غير محتاج الى استدلال لبداهة استحبابه في الشرع، لا سيما اذا كان في امتثال الأوامر والنواهي.

وثمة ما يلحق بهذا الأصل هو ان المقاصد العليا والغايات العظمى التي يلتفت اليها ههنا، هي تضييق هوة الخلاف بين المذاهب الفقهية، فكثير ما أحدثت هذه الخلافات شروخاً في وحدة المسلمين، وخلقت جراحات عميقة وفتناً عظيمة

وعاها التاريخ وشهد بها الواقع.

وبقدر ما في اختلاف الفهوم والأنظار من خير ونفع وما في تعدد المذاهب من ثراء وسعة، فإن فيها من دواعي الفرقة وأسباب التشتت ما يأسى له القلب ويحزن، **ولا شك ان الخلاف الفقهي في ذاته لا ينتهض لإحداث الفرقة، وانما تتسبب الفرقة عن ضيق الصدور واستحكام الهوى، والتعصب للرأي.**

❖ خامساً: مشروعيتها واصلها من الدين:

أ- مستندها النقلي:

من امثلة مراعاة الخلاف، ما ثبت عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت: كان عتبة بن ابي وقاص عهد الى أخيه سعد ابن ابي وقاص ان ابن وليدة زمعة مني، فاقبضه اليك، قالت: فلما كان عام الفتح أخذه سعد، وقال: ابن أخي، قد كان عهد الي فيه، فقام اليه عبد بن زمعة فقال: اخي وابن وليدة ابي ولد على فراشه فتساوقا الى رسول الله ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله! ابن اخي قد كان عهد الي فيه، وقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة ابي ولد على فراشه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك يا عبد بن زمعة» ثم قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ثم قال لسودة بنت زمعة: «احتجبي منه» لما رأى من شبهه بعتبة بن ابي وقاص، قال: فما رآها حتى لقي الله»[١١].

ووجه الاستدلال بالحديث ان النبي ﷺ راعى الحكمين معاً، أي حكم الفراش وحكم الشبه، اما مراعاته لحكم الفراش فلإلحاقه الولد بصاحبه وهو زمعة، واما مراعاته لحكم الشبه فلأمره سودة رضي الله عنها، بنت صاحب الفراش بالاحتجاب من الولد الملحق به، ويشهد لهذا الاصل من حيث معناه العام قصة الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود لما صلى خلف عثمان رضي الله عنه بمنى متماً، رغم مخالفته له ومراجعته اياه في ذلك، ولما سئل عن ذلك قال: الخلاف شر..»[١٢].

ب- مستندها الأصولي:

١- تخريجها على الاستحسان، ووجه استنادها الى الاستحسان ان مقتضى القياس، ان يجري المجتهد على وفق دليله، وليحكم بمقتضى اجتهاده الذي أداه اليه الظن الغالب الموجب للعمل، فلا يترك قوله ودليله، ليصير الى قول الغير ودليله، هذا هو الاصل، غير انه يعدل عن ذلك فيهمل العمل بمقتضى قوله ودليله من وجه، ليعمل

دليل غيره المرجوح عنده وموجب هذا العدول، هو رجحان دليل المخالف في لازم مدلوله، وعلى هذا فهو ليس تاركاً لاعتقاده في قوله ودليله ولا مطرحاً له بالكلية، بل قصاراه انه امتثل على وفق دليل غيره من جهة يكون رأي الغير ارجح فيها، او اختار الاشق مع اعتقاده صحة الأخف وهو عدول يسنده النظر الحازم والرأي السديد.

٢- تخريجها على المناسب الملائم:

والمقصود من ذلك بالضبط.. اعتبار جنس الوصف في جنس الحكم، فإن جنس الشبهة مؤثر في جنس الترك والاجتناب، اذ جنس الوصف الذي هو الاختلاف مؤثر في جنس الحكم، الذي هو الاجتناب المصطلح عليه بالمراعاة او الخروج، لما في التورط فيه من احتمال مواقعة الحرام او تفويت الامتثال بالواجب الذي يناسبه فعل الاشق من الأمرين، اما بالترك واما باستيعاب محتملات التكليف.. فعلى هذا يكون الخروج من الخلاف من المصالح التي أمر الشارع بتحصيلها كما ذكر العز بن عبد السلام رحمه الله[١٣].

ج- تخريجها على اعتبار المآل:

وهو مختص بحالة ما بعد الوقوع، فإنه ربما افتى المفتي بفساد الفعل ابتداءً، فإذا وقع عاد عليه بالانفاذ والاعتبار، وهو نوع من الالتفات الى الواقع والبناء عليه بعد تجديد النظر في المسألة، بحيث يصير التصرف بعد وقوعه معتبراً، وشرعياً بالنظر لقول المخالف وان كان ضعيفاً في اصل النظر، لكن لما وقع الامر على مقتضاه روعيت المصلحة[١٤] ومنه ما يجري في تصحيح العقود اذا كان فسادها مختلفاً فيه كقولهم: كل نكاح فاسد اختلف فيه فإنه يثبت به الميراث ويفتقر في فسخه الى الطلاق، لأنه بعد وقوعه تعلق به مصلحة كل من الزوجين والأولاد والورثة.

ومنه ايضاً قولهم: «اذا دخل المصلي مع الامام في الركوع وكبر ناسياً تكبيرة الاحرام، فإنه يستمر مع الامام ولا يقطع مراعاة لقول من قال: ان تكبيرة الركوع تجزئ عن تكبيرة الاحرام»[١٥].

❖ سادساً: حكم مراعاة الاختلاف:

تكاد تجتمع كلمة القائلين برعي الخلاف على انها مستحبة، قال الزركشي رحمه الله: «يستحب الخروج منه -اي الخلاف- باجتناب ما اختلف في تحريمه وفعل ما اختلف في وجوبه»[١٦]، وقال كثير من العلماء: «الخروج من الخلاف مستحب بالاجماع».

كما ان الحكم باستحباب الخروج من الخلاف انما يتمشى مع الاصل فيه، والا فإن ثمة حالات يخف فيه الطلب او يتأكد، وهي مجال لبحث الناظر المتمرس واجتهاده.

❖ سابعاً: احوال مراعاة الخلاف:

اكثر الأئمة القائلين برعي الخلاف، لا يقيدونه من حيث فعله بحالة دون اخرى، وانما ينضبط عندهم بحسب قوته ووجاهته، ويفرق كثير من المالكية بين حالة ما قبل الوقوع وحالة ما بعد الوقوع، فمنهم من يراعيه قبل حصول الفعل، نظراً لأصل البراءة والاحتياط من التورط في الشبهة، ومنهم من يراعيه بعد الحصول التفاتاً الى المصلحة واعتباراً للمآل الذي يتقوى حياله دليل المخالف.

والحق ان تقييد الاعتبار بإحدى الحالتين دون الأخرى، غير متجه في النظر لأن مناط الاعتبار انما هو قوة المأخذ ووجاهته في الخلاف، وذلك غير مقصور على حال دون حال لوجدانه في كليهما كما هو مشاهد في فروع القاعدة.

الحالة الأولى: قبل الوقوع: وصورتها ان يظهر للمجتهد بعد اجتهاده قوة مأخذ مخالفه وصحة متمسكه بأن يكون مقتضاه آتياً على وفق الاحتياط، او محققاً لمصلحة شرعية ظاهرة كائنة في جهة الأخف، فيمضي حينئذ على اجتهاد مخالفه، مرجحاً لمقتضاه ومقرراً لظهوره ابتداءً، بحيث يجوز الامتثال على وفقه قبل الشروع في الفعل والامتثال.

ومن مسائل هذه الحالة، قول المالكية بكراهة الوضوء بالماء المستعمل لرفع الحدث، مراعاة لمن قال ببطلان التطهر به(١٨)، ومن مسائله ايضاً: ما سبق نقله عن ابن قدامة رحمه الله بخصوص استحباب صلاة الجمعة بعد الزوال عند الحنابلة رغم تجويزهم صلاتها قبله.

الحالة الثانية: بعد الوقوع: وصورتها ان يرجح المجتهد في المسألة مثلاً دليل الحظر والمنع ابتداءً، فإذا وقع الفعل بخلافه راعى دليل غيره المرجوح عنده لوجه يقتضي رجحان دليله في تلك الحال، كإستحقاق المرأة المهر والميراث عند المالكية اذا تزوجت بغير ولي، فإن مالكاً مع قوله بفساد النكاح دون ولي، يراعي الخلاف عند نظره فيما يترتب عليه بعد الوقوع، اذ التفريع الى البطلان الراجح عنده يؤدي الى مفسدة وضرر أقوى من مقتضى النهي على ذلك القول.

ويشهد لهذا التقرير ما ثبت في قصة

الأعرابي البائل في المسجد[١٩] فهو مع كونه واقعاً منهياً عنه على وجه القطع، الا ان النبي ﷺ امر بتركه حتى يتم بوله، لما في قطعه عليه من الأضرار والمفاسد.

❖ ثامناً: شروط مراعاة الخلاف:

الشرط الأول: ان يكون الخلاف قوي المدرك: اي يكون مأخذ المخالف فيما ذهب اليه قوياً بحيث لا يعد هفوة او شذوذاً، ومن هنا لم يراع خلاف ابي حنيفة رحمه الله في الرواية المنقولة عنه في بطلان الصلاة برفع اليدين، وكذلك اسقاطه الحد في القتل بالمثقل واعتباره اياه شبهة تدرأ الحد، ومنه ايضاً ما نقل عن عطاء بن ابي رباح رحمه الله من إباحة وطء الجواري بالعارية[٢٠].

الشرط الثاني: ان لا تؤدي الى صورة تخالف الاجماع، اي ان لا يلزم من رعي الخلاف خرق الاجماع والا حرم، كمن تزوج بغير ولي ولا شهود بأقل من ربع درهم، مقلداً ابا حنيفة في عدم الولي ومالكاً في عدم الشهود، والشافعي في اقل من ربع درهم، فإن هذا النكاح لو عرض على الحنفي لا يقول به، وكذلك المالكي والشافعي.

ومنه ايضاً ما نقل عن ابن سريج رحمه الله من الشافعية، انه كان يغسل أذنيه مع الوجه ويمسحهما مع الرأس ويفردهما بالغسل، مراعاة لمن قال: انهما من الوجه او الرأس او انهما عضوان مستقلان، فوقع في خلاف الاجماع.

الشرط الثالث: ان لا يترك المراعي للخلاف مذهبه بالكلية، اذا لزم من رعي الخلاف ترك المجتهد او الناظر لقوله ودليله جملة، فإن ذلك خارج عن مسمى مراعاة الخلاف، وانما هو تقليد للغير بعد الاجتهاد والنظر ومعظم العلماء على منعه.

الشرط الرابع: ان يكون الجمع بين المذاهب ممكناً، فإن لم يكن كذلك فلا يترك الراجح عند معتقده لمراعاة المرجوح، لأن الجمع بين المتناقضين متعذر عقلاً.

مثاله: قول بعض الشافعية: ان من تقدم بقراءة الفاتحة على الامام وجب عليه اعادتها، فإن القائل بهذا لا يمكن معه مراعاة القائل بأن تكرار الفاتحة مرتين مبطل، الا ان يخص البطلان بغير العذر.

الشرط الخامس: قيام الشبهة: لأنه اذا توافر العلم بصحة الحكم ووجه انتزاعه من دليله فالمصير الى قول المخالف مراعاة له غير متجه، كما ان عبادة الله تعالى بمؤدى الاجتهاد التام اولى من عبادته بالاحتياط العام، لليقين في الأول ومطلق التفويض في

الثاني والسياق هنا مختص بحالة ما قبل الوقوع لا غير، وثمة حالة تستثنى من هذا العموم وهي حالة التورع في التروك، فإنها لا تقيد بقيام الشبهة ولا يطلب عليها دليل لأن الورع لا يتوقف على ورده.

❖ تاسعاً: أهمية مراعاة الخلاف في العمل الاسلامي المعاصر:

من الهموم التي تؤرق المخلصين من ابناء الدعوة، ظاهرة الفرقة التي تكاد تتأصل في مسيرتها الحالية، مما تسبب عنه كثير من الآلام، وتولدت منه عوامل ضعف اربكت حيويتها وبعثرت جهودها وسرت اعداءها.

وبدل البحث عن عناصر الائتلاف والاجتماع، صرنا نؤصل لذلك التفرق! ونلتمس له التعليلات والمسوغات ووصل بنا الحد في بعض الحالات والمواقع الى فقد التعايش السلمي بين اهل الملة على الاقل.

ان قلة الورع وغياب الرؤية العلمية المتكاملة، وايثار مصالح الكيان على المصالح العليا هي اسباب حقيقية لواقعنا المزري، واذا اردنا الخروج منه لنحقق الوثب الى الآفاق الرحبة التي هي امل الجميع، فعلينا ان نعالج تلك الاسباب المفرقة نفسها.

وينبغي ان يكون واضحاً في أدبيات الصحوة الاسلامية، التي اصبحنا نرى بدايتها ان الحوار البناء المبني على الرغبة في الخروج من الخلاف، هو مفتاح الوصول والخلاص من حالة التدهور والتخلف الذي كرسناه بأنفسنا، ولئن كان الوصول الى تحقيق هذه القناعة عسيراً فيما يبدو، فإنه لا بد ان تسبقه مرحلة التأصيل لهذه الكليات المعرفية والاخلاقية في الوقت نفسه، بتكريس دؤوب يجعلها فيما بعد من المسلمات التي تأخذ مكانها في الوجدان العام للصحوة، وحينها تتفتح امامنا فرص التفوق والنصر والتمكين ان شاء الله.

❖ عاشراً: اخلاقيات امثل للإختلاف:

الاختلاف حقيقة لا مناص منها للنوع البشري ما دام البشر غير مكتملين، اي ما داموا قد خلقوا من طبيعة غير طبيعة الملائكة، وهم كذلك، وسيظلون كذلك ما بقوا على ظهر هذه البسيطة، ولذلك فليس المطلوب ازالة الخلاف او إلغاءه، فذلك غير ممكن، وانما المطلوب فقط التقليل منه والتعايش السوي السليم معه.

في المجتمعات المطمئنة الواثقة من نفسها يكون الاختلاف اقل خطراً، والتعاطي

معه اقل توتراً، وان الناظر في البحوث المعدة حول اختلاف الصحابة، يندهش مما يرى من الاتساع الكبير للاختلاف الذي كان بينهم، والذي حفظته لنا كتب السنة والتاريخ والتفسير، ولكن الدهشة تكون اكبر عندما يرى الانسان الاخلاقيات العالية التي كانت سائدة بينهم، رغم الاختلاف، فإن احدهم مثلاً لا يبذل اي جهد كي يقسر الآخرين على قناعاته او يلزمهم بما يراه صواباً.

كما ان أحدهم لا يمكن ان يشكك في مقاصد الآخر، او يطعن في مقاصده ونواياه، كما ان الجدال بينهم لا يستمر ويتشعب حتى يتحول الى خصومة ولدد، بل يكتفي كل من الاطراف ببيان وجهة نظره، حتى يظن انها قد ظهرت للآخر ظهوراً كافياً، ثم لا عليه بعد ذلك قبلها الآخر او ردها.

والأمر في ذلك سيان، لا يشعر كما يفعل الكثيرون الآن بأن من لم يقبل قوله، رقيق الدين او ضعيف العقل، فضلاً عن ان يعتبره معادياً له، او ناظراً اليه نظرة ازدراء واحتقار وكأنه يقول له: «ومن انت حتى ادع رأيي لرأيك..».

وهو فوق ذلك لا يتخذ اي موقف عدائي او خصومة او مقاطعة لأخيه لمجرد اختلافه معه، انه يعطيه كامل الحق في الموافقة او المخالفة، كما يعطيه كل الوقت الذي يحتاجه لكي يقلب النظر ويعيد التأمل في الحجج والآراء التي سمعها، ثم لا يبالي بعد ذلك، هل اقتنع بقول صاحبه او بقي على رأيه، لأن قول صاحبه وحججه لا تكفي لتغيير ما كان عليه من قول ورأي، تلك حالهم، حيث لا يحتاج المرأ الى كثير جهد كي يعرف ذلك من تاريخهم.

وهناك كتب حاشدة جمعت منها نماذج كثيرة من الاختلافات بين اصحاب النبي ﷺ وقد ظهر فيها سمو أدب اختلافهم العلمي، ومنه يظهر سر نجاحهم وسيادتهم وقدرتهم على تغيير الشعوب وتربيتها، وتقديمهم النموذج الراقي للجماعة المتحابة المتمسكة، وللانسان المسلم وللأمة المسلمة المتحابة المتآلفة، وبذلك دخلت الأمم بفضل الله تعالى ثم بفضل النموذج الراقي للجماعة المتاحبة المتماسكة دخلوا في دين الله أفواجاً، كيف لا وهم نتاج للتربية النبوية الكريمة التي علمهم فيها النبي ﷺ القيم العليا، حيث كان ﷺ يقول: «ان الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، واضاعة المال، وكثرة السؤال»[٢١]، وكان ﷺ يقول:

الهوامش:

١- لسان العرب باب رعي.

٢- بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٥٦٢/٢ .

٣-٤- كتاب الحدود لابن عرفة بشرح الرصاع ٢٦٣/١ .

٥- شرح صحيح مسلم للامام النووي ٢٣/٢ .

٦- الاعتصام للشاطبي ١٤٥/٢ .

٧- المنثور في القواعد للزركشي ١٢٧/٢ .

٨- الاشباه والنظائر للسبكي ١١٢/١ .

٩- المغني لابن قدامة ٣٥٨/٢ .

١٠- كشاف القناع للبهوتي ٣٤٢/٦ .

١١- اخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٨/٥ .

١٢- حياة الصحابة للكاندهلوي ٥/٢ .

١٣- قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام ١٤/٢ .

١٤- هامش الموافقات للشيخ دراز ١٥١/٤ .

١٥- المقدمات الممهدات لابن رشد الجد ١٦٠/١ .

١٦- المنثور من القواعد ١٢٧/٢ .

١٧- البحر المحيط للزركشي ٣١١/٨ .

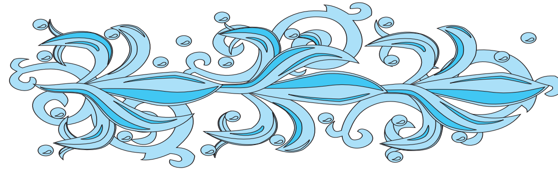
١٨- الحدود لابن عرفة بشرح الرصاع ٣٦٣/١ .

١٩- اخرجه مسلم في صحيحه في الطهارة باب وجوب غسل البول ٢٣٦/١ .

٢٠- الاشباه والنظائر للسبكي ٣٨/١ .

٢١- اخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٦٤٧٣، ومسلم حديث رقم ١٧١٤ .

٢٢- اخرجه احمد في المسند ٣٩٦/١ .



قطوف دانية

اعداد الأستاذ احمد العجرمي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾.

الإسراء: ١

ليلة الاسراء

يا ليلة في الدهر جل مقامها
نور عليك يفوق نور ذكاء
يا ليلة فيها الفضائل أنعت
لنبينا ذي الرتبة العلياء
يا ليلة صارت لأمة أحمد
عيداً تجدده العظماء
يا ليلة قُصي حديثاً شائقاً
عما علمت فأنت أصدق راء
يا ليلة قُصي حديث محمد
فستبترين جهالة الجهلاء

دعاء

اللهم عليك أتوكل، وبك استعين، وفيك أوالي، وإليك انتسب، وفيك أفرق، ومعك أستأنس، ولك أمجد، وإياك أسأل لساناً سمحاً بالصدق، وصدراً قد ملئ بالحق، وأملاً منقطعاً عن الخلق، وحالاً مكنونها يبوئ الجنة، وظاهرها يحقق النعمة والمنة، وعاقبة تنسي ما سلف، وتتصل بما يتمنى ويتولف.

رسول الله ﷺ في بيته

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟

فقالت: ما كان الا بشراً من البشر، كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويرقع دلوه، وكان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم، الا انه كان بسّاماً.

الهوى

يقول ابن خلدون:

ان النفس اذا كانت على حال من الاعتدال، اعطت الخبر حقه من التمحيص والنظر، حتى يتبين صدقه من كذبه، واذا ضامرها تحيز لرأي او نحلة، قبلت ما يوافقه من الأخبار لأول وهلة، وكان هذا الميل والانحياز غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله.

الكيا الهراسي

من أئمة الشافعية البارزين وكتابه «احكام القرآن»

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

الكيا الهراسي، هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الملقب بعماد الدين، الفقيه الشافعي، وهو من اهل طبرستان، تفقه في نيسابور على امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك الجويني «مع زميله الامام الغزالي» وقد برع في الفقه حتى صار شيخ الشافعية ببغداد، عند انتقاله اليها، وكان جهوري الصوت، فصيح العبارة، حلو الكلام، كان في بادئ الأمر قد غادر نيسابور الى «بيهق» ودرّس فيها مدة، ومنها توجه الى العراق وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد حتى وفاته سنة ٥٠٤هـ.

ذكره المؤرخون، ومنهم الحافظ عبد الغافر ابن اسماعيل الفارسي في سياق تاريخ نيسابور، وقال عنه: انه كان من ابرز معيدي إمام الحرمين في الدرس، الى جانب ابي حامد الغزالي، وقد قال ابن خلكان: «بل آصل منه -اي من الغزالي- واصلح منه وأطيب في الصوت والنظر».

ثم اتصل بخدمة الملك بركياروق السلجوقي، وحظي عنده بالمال والجاه وارتفاع الشأن، وتولى القضاء في دولته، وكان محدثاً يستعمل الحديث في مناظراته ومجالسه، ويروى من كلامه قوله: «اذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح»، اي ان الحديث مقدم في امور الدين على القياس.

وممن ذكره تلميذه ابو طاهر السلفي وسماه شيخنا «وهو محمد بن احمد بن سلفة الذي هاجر الى الاسكندرية، وتوفي

بها سنة ٥٧٦هـ» ومن تلامذة الكيا، سعيد بن محمد بن عمر البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩هـ، واحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بإبن برهان الذي توفي سنة ٥٢٠هـ، وشافع بن الرشيد الجبيلي الشافعي المتوفى سنة ٥٤١هـ، وعلي بن محمد بن عيسى المؤمل المتوفى سنة ٥٤٥هـ، وغيرهم كثيرون، اما السلفي فقد استفتاه سنة ٤٩٥هـ، في كلام جرى بينه وبين الفقهاء في النظامية بقوله: ما يقول الامام -وفقه الله- في رجل اوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، هل يدخل كتبة الحديث في هذه الوصية ام لا؟ فكتب الكيا الهراسي تحت هذا السؤال: نعم كيف لا وقد قال النبي ﷺ: «من حفظ على أمتي اربعين حديثاً من امر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».

وسئل الكيا ايضاً عن يزيد بن معاوية، فقال: «انه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وأما قول السلف ففيه لكل من الإمام أحمد والإمام مالك والإمام ابي حنيفة، تلويح وتصريح ولنا «اي الشوافع» قول واحد «التصريح دون التلويح» وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم «ثم اقتبس منه عدة أبيات في الخمرة، والحث على شربها»، ثم كتب الكيا فصلاً طويلاً استغرق جميع الورقة، فاستمر يكتب بظهرها، وقال: لو مددت ببياض «اي الورق» لمددت العنان في مخازي هذا الرجل، ثم ختم اجابته بذكر اسمه واسم أبيه «اي توقيعه».

والظاهر ان زميله في النظامية وهو الامام الغزّالي، قد استفتي هو الآخر، فكان له رأي آخر، واستغرقت فتواه صحيفتين، وقد ضربت عنه صفحاً، لأنه مما لا علاقة له بهذا السياق.

كانت ولادة «الكيا» في سنة ٤٥٠هـ، ووفاته في بغداد سنة ٥٠٤هـ، ودفن في تربة ابي اسحق الشيرازي، وحضر دفنه الشيخ ابو طالب الزيني العباسي «نقيب الأشراف» وقاضي القضاة ابو الحسن الدامغاني، وكانا من مقدمي الحنفية «علماً ان الكيا كان شافعي المذهب كما أسلفنا».

واستشهد كل منهما ببيت من الشعر، فقال الدامغاني:

وما تغني النوادب والبواكي

وقد اصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزيني:

عقم النساء فما يلدن شبيهه

ان النساء بمثله عقم

كما كان في خدمته في النظامية، ابو اسحق بن عثمان الغزني الشاعر، فرثاه

ارتجالاً بأبيات نقلها ابن عساكر في تاريخه «تاريخ دمشق» اقتبس منها ابن خلكان (١٢ بيتاً) مطلعها:

هي الحوادث لا تبقي ولا تذر

ما للبرية من محتومها وزر

وختمها بهذين البيتين:

كأنما مشكلات الفقه يوضحها

جباه دُهم لها من لفظه غُرر

ولو عرفت له مثلاً دعوت له

وقلت دهري الى شرواه مفتقر

(وفيات ابن خلكان ٣/٢٨٦-٢٩)

وأنشد ابو محمد المرندي الخطيب في رثائه:

لهفي على الاسلام غابت شمسه

بعد الشروق فواصلت اصالها

اني لأعجب كيف وارت تربة

بحراً ولم يغرق به من هالها

(المجلة العربية ص١٠٨)

وقال ابن خلكان: انه لا يعرف لأي سبب قيل له: «الكيا» وهي باللغة الفارسية، الكبير القدر المقدم بين الناس، (ولكنه لم يتعرض لمعنى الهراسي) والظاهر ان لقب الكيا قد سبب له بعض المشاكل، فأشيع انه باطني، يرى رأي الاسماعيلية، حيث ان صاحب قلعة «ألموت» ابن الصباح الباطني الاسماعيلي، يحمل هذا اللقب ايضاً، فالتبس الأمر، ثم ظهرت الحقيقة وشهد له الخليفة «المستظهر» بالبراءة، ومنع السلطان من قتله، كما شهد له ابو الوفاء بن عقيل، وقال فيه عبد الغافر الفارسي: بأنه الامام البالغ في النظر مبلغ الفحول، وقد حصّل طريقة امام الحرمين، وبه تخرج، وصار من وجوه اصحابه، ومن رؤوس المعيدين في الدرس، ويقول عنه ابن القاضي شهبة: انه لازم امام الحرمين حتى برع في الفقه والأصول والخلاف، وطار اسمه في الآفاق، وكان إماماً نظاراً، قوي البحث دقيق الفكر، فصيحاً، وكانت فيه لطافة عند مناظرته.

ومما نقل عنه قوله: انه كانت في مدرسة نيسابور قناة لها (٧٠) درجة، وكنت اذا حفظت الدرس انزل الى القناة، وأعيد الدرس في كل مرقاة، مرة في النزول ومرة في الصعود، وهذا ديدني في كل درس اتلقاه.

وصنف عدداً من الكتب فذكر حاجي خليفة «صاحب كشف الظنون» كتابين هما: «تعليق الفرائد على شرح العقائد»، و «المصنف في الروايات»، بينما ذكر له اسماعيل البغدادي في كتابه «هدية العارفين» خمسة مصنفات، هي: «احكام

القران»، «تعليق في اصول الفقه»، «نقد مفردات الإمام احمد»، «شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين/ وهو افضل كتب الخلافيات»، «لوامع الدلائل في زوايا المسائل».

ولعل من المفيد ان اعرِّف بكتابه «أحكام القرآن» الذي يعتبر من اهم الكتب المؤلفة في التفسير الفقهي عند الشافعية، اذ يورد فيه أقوالهم، ويستدل ويرد على مخالفيها، بإبطال حججهم.

وقد ألفه على أسلوب الامام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في ابتداعه من أخذ الدلائل على غوامض المسائل، ويضم اليه ما نسجه على منواله، ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب وصلنا مطبوعاً من كتب التفسير الفقهي عند الشافعية، وهو يتناول الأحكام الفقهية، والخلافات المذهبية وما اليها.

وقد نشر في اربعة مجلدات بتحقيق الدكتور عزت علي عطية وموسى محمد علي «انظر مقال المجلة العربية بقلم محمد صفاء حقي، ص١٠٧-١٠٩ عن الكيا الهراسي.

ومما قاله الهراسي عن الدافع لتأليف هذا الكتاب، قوله: انني تأملت مذاهب القدماء في هذا الشأن، ورأيت مذهب الامام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ارشدها وأحكمها، ومعظم ابحاثه يرتقي الى درجة الحق واليقين، ولذلك صنف هذا الكتاب من الدلائل التي انتزعها الشافعي من الدلائل في غوامض المسائل، وقد اتبع الهراسي منهجاً صعباً دقيقاً في جمع آيات الأحكام وهي ٥٤٠ آية، وآلى على نفسه ان يبين اقوال العلماء فيها، ويقتبس القول الراجح عنده منها، ويستشهد به، ولا يهمل الاحتمالات الأخرى، كما انه لم ينس الرد على آراء الفرق الاسلامية في ذلك، مع التمسك بالأدلة والبراهين.

اما مصادره التي اعتمدها في تأليف هذا الكتاب، فهي اولاً: كتب الشافعية، مثل كتاب «الرسالة» وكتاب «الأم» وكلاهما للإمام الشافعي، و «أحكام القرآن» لأبي بكر الجصاص، و «أحكام القرآن» لأبي موسى القمي و «أحكام القرآن» لاسماعيل بن اسحق المالكي مع كتابه الآخر «معاني القرآن» كما كان ينقل عن «فوائد القرآن» لعبد الجبار بن احمد، وعن «الموطأ» للإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخلاصة القول: انه لم يهمل اي مصدر ذي علاقة بموضوعه، الا انه رغم استعانته بهذه الكتب «وبعضها الكثير ليست للإمام الشافعي» فإنه لم يتخل عن ولائه للمذهب الشافعي.

وقد سبقت الاشارة الى اقتناعه

بالمذهب الشافعي، والتزامه به، واعتقاده بأنه اصح المذاهب وأقومها، وأن الامام الشافعي بنى مذهبه على كتاب الله، وان الله فتح له من ابوابه ويسر عليه من أسبابه، ورفع له حجابه، ما لم يسهل لمن سواه «حسب قول كاتب المقال آنف الذكر، محمد صفاء حقي، ونشره في المجلة العربية» ومما جاء فيه بأن ثناء الكيا الهراسي على الامام الشافعي، لا يعني غض النظر عن آراء الأئمة الآخرين، او الحط من مكانتهم، اذ ان ثناءه على الشافعي ينطوي على الدفاع عنه، وبيان فضله وعلمه، ولكنه يأخذ بالأدلة التي ترجحت عنده، حتى انه يم يتردد «اي الهراسي» عن ذكر مسائل الضعف في أقوال مذهبه، اذا لم يجد لها ادلة كافية، كما انه لم يتردد في الرد على الامام الشافعي نفسه، كما يرد على أقوال أصحاب الشافعي، وقد ورد ذلك بوضوح في الجزء الثاني من كتاب «أحكام القرآن».

ويخلص الكاتب الى القول: إن «الكيا» ينظر الى القول لا الى القائل، والى الدليل لا الى من استدل به، الا انه تحامل بعض الشيء على ابي بكر الجصاص، بعبارات لاذعة، حيث اراد «وأقصد الكيا» ان يدافع عن الامام الشافعي، فقذف ابا بكر الجصاص بعبارته نفسها التي وجهها للإمام الشافعي نفسه.

◆ معنى الهراسي:

سبقت الاشارة الى توضيح معنى الكيا، اما بالنسبة الى وصفه بالهراسي، فإن كثيرين لا يعرفون لهذه الكلمة معنى، ومنهم صاحب المقال آنف الذكر، وهو محمد صفاء حقي، إذ ختم مقاله بهامش مفاده بأنه لا يعلم معنى نسبته لهذه الصفة لأي شيء، ولو انه رجع لمعجم «الصحاح» للجوهري لوجد المعنى واضحاً، وهكذا فإن نسبته هي الى الهرس، وحسب قواعد اللغة الفارسية تكون بصيغة الهراسي «وليس الهراس» كما في نسبة من يعمل في صنع اواني النحاس «الصفر» الصفاري وليس الصفار، ومثله الغزّالي، لمن يعد الغزول للنساجين.

فالهراسي هو الذي يطبخ «الهريسة» وهي طعام قديم لا يزال يصنع في العراق، وله دكاكين ضيقة وخاصة للإفطار في الصباح الباكر، وهو يصنع من القمح الذي يطبخ مع لحم البقر في قدور كبيرة، ويتولى الطباخون تحريك هذا الخليط وهو على النار بالمهراس، وهو آلة للخلط والدق «وهي التي ورد ذكرها في معجم الصحاح» والمهراس مصنوع من الخشب ويتكون من

عمود يبلغ طوله حوالي (١٥٠) سم، مثبت في كرة «او اسطوانة» من الخشب الثقيل، ويستمر به التحريك والدق، حتى يتحول الخليط الى سائل كثيف ذي طبيعة واحدة لا يتميز فيه اللحم ولا القمح.

وقد عرفته بعض بلاد المشرق في العصر العباسي، ثم ان هذه الهريسة قد اعتاد اهل العراق على صنعها بكميات كبيرة في يوم عاشوراء، «اي العاشر من محرم» في كل سنة، ويوم استشهاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوزيعها على الفقراء، ويتبرك بتناولها الأغنياء، وهي من الأطعمة المفضلة في شهر رمضان المبارك.

❖ المصادر:

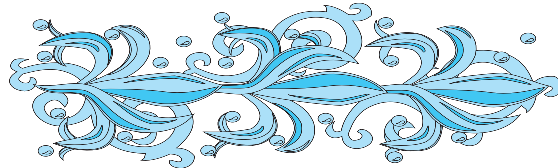
ورد ذكر الهراسي في «تاريخ اربل» لابن المستوفي، تحقيق د. سامي الصقار، في الورقة (١٧٤-أ) الواقعة في النسخة المطبوعة في ص٥٩٧-٥٩٨ من الجزء الأول.

كما ورد ذكره في «المنتظم» لابن الجوزي ج٩/٦٦٧، وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان «تحقيق د. احسان عباس»، ج٣/٢٨٦-٢٩٠، وفي «العبر» للذهبي ج٤/٨، و «تاريخ ابن كثير» ١٢/١٧٢، و «معجم ابن الفوطي» ج٢/٧٩١، وفي «شذرات الذهب» لابن العماد ج٤/٨، وفي «طبقات الشافعية» للسبكي ج٤/٢٨١، وفي «مرآة الزمان» لحفيد ابن الجوزي، ص٣٧، وفي «تاريخ ابن الأثير» ج١٠/٤٨٤، وفي «سياق تاريخ نيسابور» لعبد الغافر الفارسي في الورقة ٧٢ .

وورد ذكره في مخطوطة ابن الشعار «عن شعراء هذا الزمان» الموجود في مكتبة السليمانية باستانبول، وورد ذكر الهريسة في «معجم الصحاح» للجوهري.

وأخيراً ذكر الكيا محمد صفاء حقي في مقاله المنشور في المجلة العربية ص١٠٧-١٠٩، عن «الهراسي» وبالنسبة لمؤلفاته يراجع «كشف الظنون» لحاجي خليفة، و «هدية العارفين» لاسماعيل باشا البغدادي «وكلاهما من طباعة استانبول».

كما يراجع كتابه «احكام القرآن» بتحقيق



٢

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

الحسن بن علي الأصغر بن قتادة والي مكة المكرمة سنة ٦٤٧هـ

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

الحسن بن علي بن قَتادة بن إدريس بن مُطاعن بن عبد الكريم، الشريف الحسني المكي، أبو سعد، ويقال: أبو سعيد؛ هكذا نسبه القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ في (مآثر الإنافة في معالم الخلافة)(١)، والمقريزي - المتوفى سنة ٨٤٥ هـ - في كتابه الموسوم بـ (السلوك لمعرفة دول الملوك)(٢)، وابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م في كتابه (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي)(٣).

ولي إمرة ينبع، وولي إمرة مكة نحو أربع سنين، قال القلقشندي(٤): (كانت مكة بيد راجح بن قتادة وهو يخطب(٥) لعمر بن علي بن رسول؛ صاحب اليمن ثم غلب عليها سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعيد؛ الحسن بن علي بن قتادة)، وقال ابن تغري بردي: (الحسن بن علي بن قَتادة بن إدريس بن مُطاعن بن عبد الكريم، الشريف الحسني المكي، أبو سعد صاحب مكة وينبع؛ ولي إمرة مكة نحو أربع سنين)(٦).

وفي **سبب استيلائه على مكة** قال العصامي- المتوفى سنة ١١١١هـ - في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: (إن الملك المنصور أقام أبا سعد بوادي مُر ليساعد عسكره الذين أقاموا بمكة، فحسن مشايخ العرب من زبيد وغيرهم لأبي سعد الحسن بن علي بن قتادة أخذ مكة والاستيلاء عليها، والفتك بمن فيها من العسكر اليمني، وهونوا عليه أمرهم، وكانوا فرقتين، فرقة تخرج إلى أعلى المعلاة، والفرقة الأخرى تخرج إلى أسفلها هكذا كل يوم، فحمل أبو سعد على

إحدى الفرقتين، فكسرها فضعفت الأخرى، فقبض على ابن المُسَيَّب، وأخذ خيله وعدده ومماليكه، واستولى على مكة، وأحضر الأعيان من أهلها، وقال: ما لزمته الا لتحققي خلافه ونيته الخروج على الملك المنصور؛ صاحب اليمن، والذهاب بهذا المال إلى العراق، والمال عندي محفوظ إلى أن يصل مرسوم السلطان فأسلمه إليه، فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بموت الملك المنصور علي بن رسول، فقوي أمر أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة المذكور[٧].

واستمر الشريف حسن هذا على مكة، وكان شجاعاً، جلداً، كريم الأخلاق، شديد الحياء، جمع الشجاعة والكرم والعلم والعمل، طيب الأعراق وكانت أمه حبشية، ووقع له معها أنه حارب بعض العرب، فلما تراءى الجمعان، جاءته في هودجها فقالت له: اعلم أنك وقفت في موقف إن ظفرت أو قتلت قالت الناس: ظفر ابن رسول الله ﷺ، أو قتل ابن رسول الله، وإن هربت قالوا: هرب ابن السوداء، فانظر أي الأمرين تحب أن يقال. فقال لها: جزاك الله خيراً؛ لقد نصحت فأبلغت، ورجع فقاتل حتى ظفر، فقال الناس: كما قالت، ودامت ولايته على الحجاز نحو أربع سنين.

وهو والد عبد الكريم جد الأشراف ذوي عبد الكريم، ووالد أبي نمي صاحب مكة، وكان له الشعر الرائق والنثر الفائق، فمن شعره:

وإن قِيلَ إني غَداً مَيت
بأيدِي الصبَابَةِ ظُلماً فَهَل
تموتُ نفوس بآجَالِها
وَنفسي تَمُوتُ بغَيرِ الأجَل
فَلَيتَ إذا ما اتاني الحِمَامُ
يُؤَخرُ عَني الإلهُ الأجَل
لأني غيُوث إذا الغَيثُ مَل
ويَوْمَ الكِفَاحِ أُرَوى الأَسَلْ

وتوفي الحسن في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة ٦٥١ هـ التي توافق ١٢٥٣م، وقتله ابن عمه جماز بن حسن؛ وذلك أنه لما كانت تلك السنة قدم الشريف جماز هذا بعسكر من عند الناصر بن عبد العزيز بن الظاهر بيبرس، ووعده أن يخطب له بمكة، فأمده بعسكر صحبة الركب الشامي، فتقدم أمام الركب ودخل مكة في رمضان من السنة المذكورة، واستولى على مكة، وقتل ابن عمه أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة.

الهوامش:

١ . مآثر الإنافة في معالم الخلافة القلقشندي ج ١ / ٢١٠.
٢ . السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١٢٨/١ .
٣ . المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ج ١ / ص ٤١٩.
٤ . مآثر الإنافة في معالم الخلافة القلقشندي ج ١ / ٢١٠.
٥ . يعني أنه يخطب بتكليف من صاحب اليمن هذا.
٦ . المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ج ١ / ص ٤١٩.
٧ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ / ٣٩٥ .

فساد اليهود
في زمن رسول الله ﷺ

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

عندما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة المنورة، كان يسكن المدينة قبيلتان عربيتان هما: الأوس والخزرج، وكان يسكن معهما ثلاثة قبائل يهودية، هي: قبيلة قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وكان هؤلاء اليهود قد جاءوا اليها بسبب اضطهاد الدولة الرومانية لهم، بعد ان اعتنقت الدولة الديانة المسيحية، وبسبب اعتقادهم بأنه سيظهر نبي تكون هجرته الى المدينة كما ورد في كتبهم، وقد عقد رسول الله ﷺ مع كل قبيلة عهداً مقتضاه ترك الحرب والأذى بينه وبينهم، فلا يحاربهم ولا يؤذيهم، ولا يعينون عليه أحداً، وإن داهمه بالمدينة عدو ينصرونه، وأقرهم على دينهم.

كما كان بني قينقاع وبني النضير حلفاء للخزرج في الجاهلية، وكان يهود بني قريظة حلفاء للأوس، ولم يظهر اليهود للمسلمين في أول الأمر اي عداوة، ولكن لما اقبل كثيرون على الاسلام وازداد المسلمون في المدينة قوة وشوكة أظهر اليهود عداوتهم لرسول الله ﷺ ومن آمن به، وخاصة بعد ان أسلم نفر منهم، ومنهم أحد أحبارهم ورؤسائهم، وهو عبد الله بن سلام، واتصل بالنبي ﷺ واعلن اسلامه وأمر اهل بيته بأن يسلموا فأسلموا معه.

وهنا بدأت حرب جدل بين النبي ﷺ واليهود أشد وأكبر مكراً من حرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة، حيث تعاون اليهود مع المنافقين من العرب الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**ومن الناس من يقول**

آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ❖ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون..❖ البقرة، الآيات: ٨-٩ .

وبلغ من كيد اليهود وسعيهم للإيقاع بين المسلمين، ان أمر أحد احبارهم ورؤسائهم «شاس بن قيس» -وهو الذي ينتسب اليه حزب شاس الاسرائيلي المتعصب- غلاماً أن يذهب الى مجلس من مجالس الانصار، وينتهز فرصة يذكر فيها يوم بعاث وما كان فيه من انتصار الأوس على الخزرج، وتكلم الغلام بما أمر به شاس، فذكَّر القوم بذلك اليوم، فتنازعوا وتفاخروا واختصموا وقال بعضهم لبعض: ان شئتم عدنا لمثلها، فبلغ النبي ﷺ ما حصل، فخرج اليهم فيمن معه من الصحابة، فذكّرهم بما ألف به الاسلام بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً متحابين، وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضاً، واستغفروا الله جميعاً لما بدر منهم.

وكان اليهود يعرفون ان محمداً ﷺ نبي ورسول، وكانوا قبل يطلبون من الله النصر على المشركين بالنبي المنتظر، فلما جاءهم كفروا به عناداً، وجحوداً، لأنه من غير بني اسرائيل، قال الله تعالى ذاكراً ذلك: **❖ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين❖** البقرة: ٨٩ .

وبعد غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على قريش، خافوا من عاقبة ازدياد قوة المسلمين عسكرياً، فبدأوا بالتحرش بالمسلمين، فانتهكت قبيلة بني قينقاع حرمة امرأة مسلمة من نساء الأنصار في سوقهم، فكشفوا عن ساقيها خلسة، وقتلوا احد المسلمين الذي انتصر لها، فما كان من رسول الله ﷺ الا ان حاصرهم وأجلاهم عن المدينة.

كما ذهب احد رؤسائهم وشعرائهم وهو كعب بن الاشرف الى قريش يبكي قتلاهم، ويحضهم على حرب المسلمين، فقال ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فقال محمد بن سلمة الانصاري الأوسي: أتحب ان أقتله؟ قال: نعم، فقال: انا لك به، فذهب محمد بن سلمة ومعه اخوه كعب من الرضاع وبعض الصحابة فقتلوه وأراح الله المسلمين من شر أعماله.

ثم نقضت يهود بني النضير عهدها مع رسول الله ﷺ، حيث تآمر جماعة منهم على قتله، بينما كان هو وبعض الصحابة في ديارهم، وذلك بأن يأخذ أحدهم صخرة

يلقيها عليه من علو، وهو ﷺ جالس مستند الى جدار بيت، فاطلع الله رسوله ﷺ بقصدهم، فانسحب من مكانه تاركاً اصحابه وراءه، يظنون انه قام لبعض أمره، فاستبطأه الصحابة فقاموا في طلبه، ثم ارسل الى بني النضير من يقول لهم: «اخرجوا من بلادي لقد نقضتم العهد الذي بيني وبينكم بما هممتم به من الغدر بي»، وأمهلهم عشرة ايام، فأرسل اليهم حليفهم في الجاهلية زعيم المنافقين في المدينة، عبد الله بن ابي سلول، رسولين يقولان: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل ان يصل اليكم.

وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ❖ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ❖ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾** الحشر: ١١-١٣ .

فطمع اليهود بهذا الوعد وتأخروا عن الموعد الذي حدد لهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ست ليال، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ولم يروا من حليفهم وأخيهم بالكفر عبد الله بن أبي سلول نصراً، بل خذلهم خوفاً ورهبة من المسلمين، فسألوا رسول الله ان يجليهم ويكف عن دمائهم، وان لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا آلة الحرب، ففعل، وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كي لا يسكنها المسلمون، واستولى المسلمون على ديارهم، كما استولوا من قبل على ديار بني قينقاع، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾** الحشر: ٢ .

الا ان يهود بني النضير نقضوا العهد الذي في مقابله عفا عنهم رسول الله ﷺ ولم يقتل منهم أحداً، فقرر بعض قادتهم وزعمائهم تأليب العرب عليه، طمعاً في استئصال الاسلام وأصحابه. وتنفيذاً لذلك، خرج بعض قادتهم من بينهم حيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق الى مكة، وقابلوا

رؤساء قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ فسألوا حيي بن أخطب عن قومه، فقال: تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم فيسيروا معكم، وسألوه عن بني قريظة، فقال: أقاموا بالمدينة مكراً بمحمد حتى تأتوهم فينضموا اليكم، وترددت قريش أتقدم على حرب المسلمين ام تحجم، فليس بينها وبين محمد الا خلاف على الدعوة الى عبادة الله وحده، ودعوته تنتشر بين العرب، وقد يكون على حق وهو واحد منهم، وقسم كبير من اصحابه إخوانهم وأبناء عمومتهم، فقالت لليهود: يا معشر يهود، انكم اهل الكتاب الأول، وأهل علم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالت اليهود: بل دينكم خير من دينه، وانتم أولى بالحق منه، والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ❖ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾** النساء: ٥١-٥٢ .

فقد فضل اليهود وثنية قريش على توحيد الله تعالى الذي يدعو اليه الاسلام، وهذا منتهى الكفر والضلال، وبيان شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ مع انهم يعرفون في قرارة أنفسهم بأنه رسول الله، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾** البقرة: ١٤٦ .

وبناء على تفضيلهم لديانة قريش على الديانة التي يدعو اليها الاسلام، اتفقت قريش مع يهود بني النضير على الخروج لقتال المسلمين، وتواعدوا على ان يكون القتال بعد اشهر، ثم جاءوا بعد ذلك الى قبيلة غطفان، وحرضوها على قتال المسلمين، وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب، فاتفقوا معهم على قتال المسلمين، وذهبوا الى كل من له عند المسلمين ثأر من القبائل العربية يحرضونهم على الأخذ بثأرهم، ويذكرون لهم مبايعة قريش إياهم على حرب محمد، ويمجدون لهم وثنيتهم ويعدونهم النصر لا محالة.

وخرجت الأحزاب التي جمعها اليهود لحرب محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وكان عدد المشركين عشرة آلاف، وساروا جميعاً تحت إمرة ابي سفيان، فقام المسلمون بحفر خندق من شمال المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية، لم

يبق مدخل للمدينة الا من جهة يهود بني قريظة، الذين كانوا في المدينة، وذلك عن طريق مساكنهم ونخيلهم، فانتهز يهود بني قريظة هذه الفرصة لنقض عهدهم، حيث ذهب حيي بن أخطب الى كعب بن اسد القرظي سيد بني قريظة فحسن له نقض العهد، وأخبره بأن الأحزاب لن تذهب حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقبل ما طلب حيي ونقض عهده مع رسول الله ﷺ.

ووصل نبأ انضمام بني قريظة الى الأحزاب الى رسول الله ﷺ، فبعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة ليقفوا على حقيقة الأمر، فلما أتى هؤلاء الرسل لقوا بني قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم، وقد حاول سعد بن معاذ وكان حليفهم في الجاهلية، ان يقنعهم بعدم نقضهم لعهدهم مخافة ان يحل بهم ما حل ببني النضير وبني قينقاع، فنالوا من رسول الله ﷺ والمسلمين، وقال كعب: من رسول الله؟!! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، وكاد الفريقان يتشاتمان.

وما أصاب المسلمين في هذه الغزوة ذكره الله تعالى في سورة الأحزاب، ومنه قوله تبارك وتعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ❖ اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ❖ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ❖ واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً ❖ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً﴾** الأحزاب: ٩-١٣ .

وقد توجه رسول الله ﷺ بالدعاء الى الله تعالى الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم» وقد اجاب الله دعاءه ﷺ، فأرسل الى الأحزاب ريحاً شديدة وقصف الرعد، ولمع البرق، وهطل المطر بغزارة، واشتدت العاصفة فاقتلعت خيام الأحزاب، وكفأت قدورهم، وأدخلت الرعب الى نفوسهم، فظنوا ان رسول الله ﷺ قد بدأهم بحرب فنادوا النجاة النجاة، فارتحلوا واصبح الصبح، ولم يجد المسلمون منهم أحداً، فرجع رسول الله ﷺ الى منازل المدينة، والمسلمون معه، يرفعون أكف الضراعة الى

الله شكراً ان كشف الضر عنهم، ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين لقضي على الاسلام والمسلمين، بسبب تأليب اليهود عليهم، وبسبب نقض بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ.

ولما رجع رسول الله ﷺ بأصحابه وأراد ان يخلع لباس الحرب، أمره الله تعالى بمحاصرة بني قريظة الذين لا تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق، حيث كان لا بد من القضاء على بني قريظة بسبب ما جبلوا عليه من غدر وفساد في الأرض، وللقضاء على من كان معهم من رؤساء بني النضير، الذين ألبوا الأحزاب وجمعوهم للقضاء على الاسلام والمسلمين، فأمر ﷺ من يؤذن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة، وأمر علياً ان يتقدم برايته اليها» وبالرغم مما كان عليه المسلمون من نصب بعد طول حصار قريش وغطفان وبعض القبائل العربية الأخرى لهم، فإنهم قد خفوا لهذا القتال مسرعين ومعهم رسول الله ﷺ.

فلما اتوا بني قريظة فإذا بهم ومعهم حيي بن أخطب النضري، يقعون في رسول الله محمد ﷺ بأقبح مقالة يكذبونه ويطعنون فيه، وينالون من اعراض نسائه،

ولما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم ناداهم: «هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟» وقد حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة لم يقع خلالها الا بعض تراشق بالنبل والحجارة، ولم يجرؤ بنو قريظة ان يخرجوا من حصونهم طول مدة الحصار.

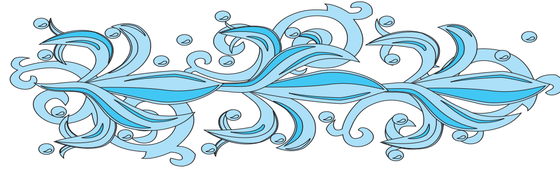
وبعثت قريظة الى النبي ﷺ تعرض الخروج الى اذرعات تاركة وراءها ما تملك، فأبى ذلك عليها الا ان تنزل على الحكم، فطلب اليهود ان يحكم فيهم سعد بن معاذ حليفهم في الجاهلية، وكأنما اعماهم القدر ما كتب عليهم بسبب فسادهم، فأنساهم مقدم سعد اليهم أول نقضهم عهدهم وتحذيره اياهم ووقوعهم في النبي ﷺ امامه وسبهم المسلمين بغير حق، فحكم سعد بهم ان تقتل المقاتلة وتقسم الأموال وتسبى الذرية والنساء، فلما سمع النبي ﷺ هذا الحكم، قال: «والذي نفسي بيده لقد رضي بحكمك هذا، الله والمؤمنون وبه أمرت».

أقول: والواقع ان هذا الحكم مع قساوته وشدته، انما اصدره سعد رضي الله عنه وهو حليفهم لما رآه من شدة العداوة منهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين، حيث تأصلت في نفوسهم مما جعله يؤمن بأنهم ان ابقى على حياتهم، لم تهدأ لهم نفس حتى يؤلبوا الأحزاب من

جديد، وحتى يجمعوا العرب لقتال المسلمين ويقتلوهم ان ظفروا بهم، فالحكم انما اصدره متأثراً بالدفاع عن النفس معتبراً بقاء اليهود في المدينة او زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين، ولعلهم لو نزلوا على حكم رسول الله ﷺ منذ اليوم الأول، واعترفوا بخطئهم في نقض عهده لما أهدرت دماؤهم وضربت اعناقهم وأسر من أسر منهم، ولعل سعداً ذكر ان الأحزاب لو انتصرت بخيانة بني قريظة، لما كان امام المسلمين الا ان يستأصلوا ويمثل بهم، فجازاهم بما عرضوا المسلمين له.

ولقد أدرك اليهود ان هذا العقاب الذي حل بهم انما هو عقاب على فسادهم الأول الذي أخبروا به في التوراة، فعندما قدم حيي بن أخطب الذي كان سبباً في غزوة الأحزاب ونقض بني قريظة لعهدها تذكر ذلك فقال: «يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل»، وهذا الفساد وعقاب الله لهم ذكر في التوراة كما ذكره الله في القرآن، وذلك في قوله تعالى: **﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ❖ فإذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾** الاسراء: ٤-٥ .

فالمراد بقوله تعالى: **﴿عباداً لنا أولي بأس شديد﴾** هم صحابة رسول الله ﷺ، والمراد بقوله تعالى: **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** ديار بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وقد اكد الله تعالى حصول ذلك بقوله: **﴿وكان وعداً مفعولاً﴾**.



محكمة المظالم

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

محكمة المظالم أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان (الفترة الأموية)، للنظر في الظلم الذي يلحق الرعية من جانب موظفي الدولة الإسلامية، أو من ذوي الحسب والنسب، وهي بمثابة محكمة استئناف عليا، يترأسها الخليفة أو وزير التفويض أو الولاة، وفي العهد العباسي انشأ الخليفة المهدي ديواناً دعي بديوان النظر في المظالم.

ويشترط في انعقاد محكمه النظر في المظالم بوجود العناصر التالية: الحماة والأعوان (لتنفيذ الأمر) والقضاة والحكام والفقهاء والكتّاب والشهود.

❖ **صلاحيات محكمه المظالم:**

- مراقبة عمل الولاة وعمال الخراج وكتّاب الدواوين.
- الحماية من ظلم الأقوياء والحكام.
- الفصل في الخلاف حول الوقف.
- تنفيذ ما يعجز عنه المحتسب ومقاضاة من يعجز القاضي عن مقاضاتهم.
- تظلم الموظفين من نقص أرزاقهم.
- مراقبة القيام بالعبادات كالجُمَع والأعياد والحج والجهاد.

ان قاضي المظالم أعلى قدرا من القاضي العادي، ويظهر لنا من خلال هاتين المؤسستين تحقيقا عاما للعدالة الاجتماعية من خلال صلاحيات كل من هؤلاء القضاة (المحتسب وقاضي محكمة المظالم).

أمثلة على ذلك:

في الحسبة: إجبار السادة على معاملة

عبيدهم وإمائهم معاملة حسنة، منع المعلمين من ضرب الصبيان ضربا مبرحا، منع الحمّالين من الإكثار في الحمل على الدواب، جمع وحفظ الأشياء الضائعة وإعادتها إلى أصحابها.

أما بخصوص قاضي محكمة المظالم: يكفي أن نركز على كون الوظيفة مرتكزة على إعادة ظلامات الرعية، والنظر في شكاواهم ضد تعسف الولاة وحتى ضد عدم إنصافهم أمام القضاة العاديين.

❖ تطور مؤسسة القضاة منذ عهد الرسول ﷺ وحتى أواخر العهد العباسي الأول:

كان الرسول ﷺ أول قاض في الإسلام بالإضافة إلى المهام الأخرى التي قام بها ولم يكن للمسلمين في عهده قاض سواه، وكان ﷺ يحكم بما ينزله الله من أحكام، وبعد وفاته ﷺ وعندما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، عهد بالقضاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند اتساع الدولة الإسلامية وتقسيمها إلى ولايات عين الخلفاء الراشدون قضاة مستقلين وخاصة في الولايات، ففي هذه الفترة كان القاضي مستقلا محترم الجانب، وكان يعتمد في قضائه على القرآن الكريم والسنة أو يجتهد برأيه، وكان يعقد جلسات القضاء في بيته في البداية ثم انتقل إلى المسجد.

في عهد الأمويين تميز القضاة بميزتين: كان القاضي يحكم حسب اجتهاده ولم يكن القاضي متأثرا بالسياسة، وكذلك استمروا في استنباط أحكامهم الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وفي عهد العباسيين اختلف نظام القضاء كثيرا مما كان عليه فقد خضع القضاء لأهواء السياسة. ونشأت في هذا العصر المذاهب السنيّة الأربعة، ثم اتخذ العباسيون نظام قاضي القضاة والحسبة وابقوا على محكمة المظالم التي أنشأها عبد الملك بن مروان.

❖ الشروط التي كان يجب توافرها في القاضي:

اتصف القاضي بالورع وغزارة العلم والفقه والعدل والحلم والنزاهة والإسلام والبلوغ والحرية وسلامة الحواس والذكورة.

مكانته الاجتماعية: تمتع القاضي بمكانة اجتماعية مرموقة تناسبت مع صلاحياته التي كانت تتسع وتضيق، وتقاضى أجرا مرتفعا ومُنع من تلقي الهدايا، أما في العصر العباسي الثاني فقد فقدَ القاضي كرامته واصبح يقدم مبلغا من المال لقاء بقائه أو تسلمه وظيفة القاضي.

أنواع القضايا التي كان يبت بها: الأحوال الشخصية، حقوقية وجنائية، فمثلا في

العصر العباسي اتسعت سلطته وصلاحياته، فبعد أن كان ينظر في الخلافات المدنية والخصومات الجنائية، أصبح يفصل في الدعاوى والأوقاف وتنصيب الأوصياء وتضاف إليه الشرطة، والمظالم، والحسبة، ودار الضرب وبيت المال.

❖ مصادر وأسس التشريع الإسلامي التي يستند إليها القاضي في إصدار أحكامه:

١) **القران الكريم:** هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، لأنه كلام الله المنزّل على رسوله محمد ﷺ عن طريق الملاك جبريل عليه السلام، وكانت بداية نزوله في ليلة السابع والعشرين من رمضان، والمعروفة بليلة القدر، واستمر نزوله على فترات تقرب ٢٣ سنة، وبلغت عدد سوره (١١٤) سورة قسمت إلى قسمين: السور المكيّة والسور المدنيّة، ولقد تناول القرآن الأمور مجملة، ولم يتطرق إلى التفاصيل، فجاءت السنة النبوية مفصلة لهذه الأمور المجملة.

٢) **السنة النبوية:** هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، وهي كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة للرسول ﷺ (الحديث)، فجاء لتفسير مجمل القرآن الذي تناول الأمور بدون توضيحها مثلا: (الصلاة والصيام والزكاة.. الخ، ذكرت مجملة بالقرآن، ولكن الرسول ﷺ وضح كيفيتها).

٣) **القياس:** وهو قياس حالة وأمر معين بآخر في الحكم الشرعي، للتشابه بينهما في السبب والقرب من الحق.

اعتُمد على القياس بعد وفاة الرسول ﷺ نظراً لاتساع مصالح الدولة وتشعبها، فالقاضي ينظر إلى الحالة التي عليه القضاء فيها، فإذا لم يجد نصاً لها لا في القرآن ولا في السنّة، يحاول أن يبحث عن حالة مشابهة لها في القرآن والسنة، ويحكّم رأيه ويصدر قراره.

٤) **الإجماع:** هو إجماع رأي المجتهدين العلماء على حكم شرعي في عصر غير عهد الرسول ﷺ ويستند إلى دليل شرعي، ظهر الإجماع زمن الخلفاء الراشدين وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، فاستشار الخلفاء الناس في القضايا التي لم يجدوا جواباً لها في القرآن أو السنة النبوية.

٥) **الإجتهاد:** (الرأي) العمل في اجتهاد الرأي، عندما يتعذر وجود نص في القرآن الكريم، ولم يعتمدوا كثيرا على الحديث إلا ما صح منه لخوفهم من الوقوع في الأحاديث الموضوعة (المزيفة).

عندما ترعرعت المذاهب السنية الأربعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) في

العصر العباسي، أدى ذلك إلى ضعف روح الاجتهاد، فأصبح القاضي ملزماً بأن يصدر أحكامه وفق أحد هذه المذاهب، ففي العصر العباسي اصبح لكل ولاية أربعة قضاة يمثلون المذاهب السنية الأربعة، ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه، بعد أن كان قاض واحد لكل ولاية حتى العهد الأموي.

❖ المذاهب السنية الأربعة ومؤسس كل منها:

١) المذهب الحنفي: مؤسسه أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٦٩٩- ٧٦٧) ولد في الكوفة وتعلم فيها واشتهر بعلم الفقه، وهو يعتقد بوجوب العمل بالرأي والاستنباط، وكتابه المشهور (الفقه الأكبر) تولى رئاسة مدرسة الكوفة وهي المعروفة مدرسة الرأي عرض عليه تولي القضاء في العصر الأموي والعباسي، فرفضه، أدى ذلك إلى اضطهاده وسجنه على يد الخليفة أبو جعفر المنصور حتى مات في سجنه، يعتبر مذهبه أكثر مذاهب أهل السنة تساهلاً، ويدين به نصف أهل السنة، خاصة في الهند وباكستان.

٢) المذهب المالكي: مؤسسه مالك بن أنس (٧١٥- ٧٩٥م) عربي الأصل ولد ونشأ في المدينة المنورة، كان جده أبو عُمير من أصحاب رسول الله ﷺ، كان مالك أحد كبار أئمة الرأي من التابعين، اعتمد في فتاواه على القرآن والسنة ثم اعتمد على القياس إذا لم يكن نص في الكتاب أو السنة، (ولم يعمل بالرأي كأبي حنيفة) كما أخذ بإجماع أهل المدينة لان أهل المدينة أعرف المسلمين بالتنزيل، كما وأخذ بقول الصحابي، إذا لم يعلم له مخالف. وأن كتابه المشهور (موطأ الإمام مالك) انتشر مذهبه في مصر والمغرب والأندلس.

٣) المذهب الشافعي: مؤسسه محمد بن أدريس الشافعي (٧٦٧- ٨١٩م) ولد في غزة وترعرع في مكة، وتتلمذ على يد علماء الحديث والفقه، وانتقل إلى المدينة، درس الموطأ حتى مات مالك وتأثر به كثيرا، تنقل بين الحجاز والعراق ومصر إتخذ الشافعي طريقا وسطا بين الحنفية المتساهلة والمالكية المحافظة، واعتمد في أحكامه بعد القرآن على الحديث إن صحت روايته عن النبي ﷺ وإذا لم يجد فيها، لجأ إلى إجماع كافة علماء المسلمين، وليس علماء المدينة فقط كالمالكي، امتنع عن العمل بالاجتهاد ورفض العمل بالاستحسان (استنباط الرأي الحسن)، كأبي حنيفة. كان للشافعي دور هام في تطور الفقه الإسلامي، ينسب له كتاب (ألام) إنتشر مذهبه في مصر السفلى وشرق أفريقيا

وفلسطين.

٤) **المذهب الحنبلي:** مؤسسه أحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥م) ولد ببغداد أخذ عن الشافعي الحديث والفقه، رحل في طلب الحديث فزار الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام، حيث سمع عن كبار علماء وفقهاء المسلمين، سجنه المأمون (خليفة عباسي) لأنه لم يأخذ برأي المعتزلة (بخلق القرآن).

سار في أحكامه على نفس طريقة الشافعي، فاعتمد على القرآن والعمل بالحديث متى صح سنده، وكذلك عمل برأي الصحابة ففضله على الرأي والقياس.

كتابه المشهور (المسند) وهو كتاب حديث دُوّن به إسناد الأحاديث، إعتنق الوهابيون في الجزيرة العربية مذهبه، ولا يزال مذهب الدولة السعودية.

❖ مدى اعتماد المذاهب السنية الأربعة على كل واحد من مصادر التشريع الإسلامي:

● **المذهب الحنفي:**

١) يستعمل القرآن أولا ويستعمل ما صحّ لديه من الحديث (خوفا من أن يكون موضوعاً).

٢) فأخذ بتحكيم الرأي (الاجتهاد).

٣) القياس.

إنتشر هذا المذهب لدى الأتراك العثمانيين والهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم.

● **المذهب المالكي:**

١) إستعمل القرآن وإذا لم يجد حلا إستعمل ٢) السنة النبوية وأخذ ٣) بإجماع أهل المدينة، ولم يأخذ بالرأي وإنما أخذ بإجماع كافة علماء المسلمين (وليس كما رأى مالك بإجماع أهل المدينة)، وانتشر مذهبه في مصر السفلى وشرق أفريقيا وفلسطين وغرب الجزيرة العربية وجنوبها.

● **المذهب الشافعي:**

وسط بين المذهب الحنفي والمالكي، اعتمد على القرآن والسنة لان مصدرها هو الله تعالى، لم يأخذ بالاجتهاد وإنما رأى بإجماع كافة علماء المسلمين، (وليس كما رأى مالك بإجماع أهل المدينة).

● **المذهب الحنبلي:**

١) إعتمد على القرآن.

٢) الحديث النبوي الصحيح.

٣) ثم الفتاوى (رأي العلماء) فاختار منها ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة.

٤) ثم أخذ بالقياس واعتبر الحديث أفضل

كيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة في شبابها وشيخوختها؟

■ بقلم الاستاذ رفعت محمد طاحون

الحجاب هو اللباس الذي تستر به المرأة جسدها كله ما عدا وجهها وكفيها، وابتعادها عن مخالطة الرجال وعدم ابداء الزينة كالتطيب والتعطر عند خروجها من بيتها، وعدم اللين بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض.

فنجد هنا: انه حفاظاً للمجتمع من ضرر التبرج وصيانة لأجسام النساء من التهتك ولحيائهن وعفافهن من الفساد، ولتحقيق الأمان النفسي للمرأة في شبابها وشيخوختها، نهى الله سبحانه وتعالى الخبير بضعف الانسان وطيش الشباب، عن التبرج ودواعيه.

فاسمعن أيتها الامهات والاخوات المسلمات أوامر الله ان كنتن حقاً مؤمنات:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولي الإربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور: ٣١).

فهذا امر الله سبحانه وتعالى للنساء بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لئلا

يرى منها شيء في قوله تعالى: **﴿.. وليضربن بخمرهن على جيوبهن..﴾**.

ويقول رسول الله ﷺ لأسماء: «يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا، وأشار الى وجهه وكفيه» رواه ابو داود عن عائشة رضي الله عنها.

وأكد الاسلام على عدم ابداء الزينة (كالتطيب والتعطر) عند خروجها من بيتها بجانب الخمار: ففي قوله تعالى: **﴿.. ولا يبدين زينتهن..﴾** لم يتعين زينة في اي عضو او ثوب فإن ذلك يدل صراحة على ان كل عضو قد يكون فيه زينة وفتنة.

فهنا الخمار وحده لا يكفي مع التجمل والتزين حيث اعقب قوله تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** وقوله: **﴿ولا يبدين زينتهن﴾**، وقول رسول الله ﷺ: «ايما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه احمد والنسائي والحاكم، وفي رواية «فهي ملعونة».

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ايما امرأة اصابت بخوراً فلا تشهدن العشاء» اي الآخرة.. رواه ابو داود والنسائي.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن تطيب المرأة وهي خارجة للمسجد، فعن موسى بن يسار رضي الله عنه قال: «مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: اين تريدين يا أمة الله؟ قالت: الى المسجد، قال: وتطيبت؟ قالت: نعم، قال: فارجعي واغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل» رواه ابو داود وابن ماجة.

ونهى سبحانه وتعالى ان تضرب المرأة الارض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك الشهوة في قلوب بعض الرجال، يقول تعالى: **﴿.. ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن..﴾**.

ونهى سبحانه عن صوت المرأة بلين ودلال، يقول تعالى: **﴿.. فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾** الاحزاب: ٣٢ .

ورأى الاسلام ضرورة ابتعاد النساء واحتجابهن عن مخالطة الرجال خوفاً من الفتنة، فقد روي عن ام سلمة رضي الله عنها ، انها كانت عند رسول الله وميمونة، وقالت: فبينما نحن عنده، اقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا

بالحجاب فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا منه» فقلت: يا رسول الله اليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوعمياوان انتما؟ الستما تبصرانه؟» اخرجه الترمذي وابو داود.

◆ كيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة في شبابها؟

تأملي اختي المسلمة الحكمة من الحجاب، فقد وضع الله سبحانه وتعالى القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل، حفاظاً لاستقرار الاسرة وأمنها وأمانها، وحرم اي شيء يمكن ان تكون فيه فتنة من امرأة لرجل غريب عنها، وحقق الأمان النفسي للمرأة في شبابها وشيخوختها.

فحينما نتأمل حال امرأة متبرجة حينما تريد الخروج من بيتها، لوجدنا أنها تستعد لذلك قبل الموعد بساعة او اكثر تظل حائرة ماذا ستفعل اليوم في تسريحة شعرها؟ وماذا تغير في مكياجها وملابسها؟؟ ولحرصها على ان تظل المرأة جديدة كل يوم كما تزين لها اعلانات التلفاز والمجلات النسائية.. وغير ذلك نراها تضع على وجهها طبقات فوق طبقات مستخدمة كل الوان الطيف دون تمييز، وتطيل ثوبها تارة وتقصره اخرى، جاعلة فتحته مرة من الأمام ومرة من الخلف.. وهكذا تظل في حيرة دائمة لا تنقطع، ما تكاد تخلع ملابسها اليوم وتزيل مكياجها، حتى تفكر فيما ستفعله غداً.

ناهيك عما تتكبده من نفقات باهظة وآلام نفسية مبرحة، حتى ترى صديقتها او زميلتها في العمل، وقد بدت أجمل منها، أو انها استطاعت ان تحوز على اعجاب الرجال بدرجة اكبر منها.. هنا تتفجر طاقات الحقد والحسد، وتتحول الزمالة او الصداقة الى منافسة على الجمال او الى مسابقة لاصطياد اكبر قدر من الرجال!.

أما المرأة المحجبة بحق، فهي في مأمن من هذا كله، فحجابها يستر جسمها كله، فإن كانت جميلة حفظ لها جمالها، وأذهب ما في نفسها من حرص فطري على ان تظهر امام الرجال بصورة فاتنة جذابة، وحصر مجال ظهورها في زينتها امام زوجها ومحارمها واخواتها المسلمات، لتجد بذلك متنفساً مشروعاً لإبراز جمالها، وهي ايضاً بذلك تحافظ على شعور اختها المسلمة الاقل منها جمالاً، او التي لم تنل حظها من

الجمال حينما ترى انها في حجابها مثل الجميلة سواء بسواء..

فهل هناك أمن نفسي للفتاة اعظم من هذا؟؟

❖ كيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة في شيخوختها؟

ان الانسان المتزوج من زوجة مكثا معاً مدة طويلة، وهما الان في سن الاربعين او الخمسين، فإن المرأة قد تعرضت لعمليات الخدمة وعمليات الولادة والرضاعة وعمليات التربية ولعامل الزمن في شكلها وفي نضارتها، وكل هذا له اثره في تكوينها حيث تبدأ في الذبول.

فإذا كان الرجل في سن بين الاربعين والخمسين يذهب الى الشارع فيجد الفتاة في مقتبل العمر ذات النضارة الموقوتة، وقد خرجت من بيتها الى الطرقات والاسواق، وقد تزينت بأبهى زينتها، وارتدت افخر ما عندها من ثياب، وتحلت بما لديها من حلي، وصبغت وجهها بما قدرت عليه من اصباغ، وارسلت شعرها على اجمل ما يكون، وتعطرت بعطرها النفاذ، وانتعلت من الأحذية ما يكفل لمشيتها التثني والتمايل والاغراء والاغواء.

خرجت المرأة بهذه الكيفية ولسان حالها يقول -إلا من رحم الله-: الا تنظرون الى هذا الجمال؟ انها تعرض جمالها في اسواق الشارع كما يعرض التاجر المتجول سلعه، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزيناً بالألوان الزاهية والاوراق اللامعة، ليسترعي الانظار، ويغري النفوس ويثير الشهية، فتروج بضاعته ويكثر المشترون ويتهافت الطلاب والجياع المنهمون، ان هذه المرأة التي تلاقت عليها الانظار، وتهافتت عليها القلوب، قد استمتع بمرآها كل رجل، وانجذبت لها شهواته الدفينة، فأصبحت ملكاً للجميع.

هذا الرجل المسكين، عندما يرى فتاة في خير عمرها، في كامل نضارتها وعلى احسن ما تكون من الزينة، فماذا يكون موقفه منها حينما يراها؟ ستجلب غرائزه فبعد ان كانت غرائزه طبيعية مع أهله، تثور كل فترة وتهدأ بانتظام فهو حينما يرى منظراً كذلك الذي من شأنه ان يجلب غرائزه ويلهبها فماذا ستكون النتيجة المحتملة، ساعة ان يذهب الى البيت؟ تجري شهوته الى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع ويراه في البيت من زوجة

كبيرة السن مجعدة الشعر مثلاً ومتعبة.. وبين هذا وذاك تتكالب عليه الهموم والحسرات، ولا نعتقد ان هذه المقارنة ستسر اي امرأة، فنظرة الرجل في الشارع الى حسن ظاهر سافر مبتذل تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته، ولو لم ير في الشارع ما رآه لما التهبت مشاعره ولا تنبهت غرائزه.. من هنا تنحل الاسرة وتنفك المودة العائلية، ففساد اغلب البيوت من هذه المسألة، والفتاة الجميلة في الحالة الاولى ستصل الى مثل هذه السن يوماً ما!!.

فالشريعة الاسلامية تقول للمرأة: لا تبرجي حتى لا تلهبي غرائز الناس، وتفسديهم على بيوتهم، لأنك عندما ستكونين في مثل هذا السن، ستأتي فتاة اخرى جميلة مثلك لتفسد عليك زوجك وبيتك، لأن هذه الفتاة ستتعرض له كما تعرضتي انت لغيره.

فكأن الاسلام أمن حياتها ايضاً لأن عمر زمانها عشرة او خمسة عشر سنة، وبعد ذلك تصبح امرأة عادية تفسد بيتك وتفسد زوجك وتفسد حياتك عليك وهي في مقتبل العمر.

فالاسلام كي يرحم المرأة ويجعلها وقورة محترمة، منعها من أن تفعل في الناس هذا حتى لا يفعل احد معها ذلك.

وهنا فلو حجبت النساء مفاتنهن عن الرجال لصارت كل منهن آمنة من فقدان زوجها ومن تغير نفسه من ناحية زوجته، ولظلت محتفظة بحبه لها واقباله عليها لماذا؟

لأن الجمال ينمو والنمو في المخلوقات والنبات والحيوان والانسان لا يدركه المتتبع له.. لذلك تجد الرجل وله ولد ينظر اليه كل يوم فلا يمكن ان يلحظ انه يكبر، ولكن لو غاب عنه شهراً يتجمع نمو الشهر كله وهو بعيد عنه وعندما يعود يحس بأنه قد كبر.

والفلاح مثلاً اذا جلس بجوار الزرع لا يلحظ نموه ولا يراه، فاذا غاب عنه فترة لاحظ هذا النمو.. والرجل مع زوجته كذلك فهو عندما يتزوجها وهي عروس تكون في ابهى زينتها ونضارتها لانه يراها كل يوم، فانه لا يلحظ فيها اي تغيير وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من امامه شيئاً فشيئاً دون ان يلاحظ هذا الذبول، بل تظل في عينيه هي نفس العروس الجميلة التي زفت اليه، ولكن اذا نزل الى الشارع فرأى فتاة اصغر منها وفي كامل نضارتها وزينتها ورونقها

جرت شهوته الى غمار المقارنة بين ما ينظر اليه في الشارع وما يراه في بيته، مما يبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته.

وفي النهاية نقول: ان الاسلام حينما يحجر على المرأة على الا تبتذل ولا تتبرج او لا تبدي زينتها الا لمحارمها وزوجها، فالاسلام يريد تكريم المرأة وان يضعها في موضعها الطبيعي زوجاً تمثل السكن والحضانة لأشرف جنس في الوجود مثلما امر الرجل بغض البصر وحفظ الفرج.

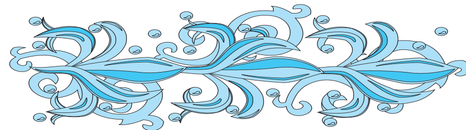
ان المرأة المؤمنة الفقيهة يجب ان يدل مظهرها على مخبرها، يجب ان يسطع الايمان في كل تصرفاتها واحوالها، فتعرف انها من اهل القرآن بتنفيذها أوامر القرآن فيحترمها المؤمنون ولا يؤذيها الفاسقون..

فبالله ما سترت بعض نساء من يدعون الاسلام الآن، من زينتهن التي امرت بسترها اذا كن هكذا عاريات الاذرع والسيقان والصدور!! باديات النهود والارداف والصدور، مصبوغات الوجوه والعيون والثغور!! حاسرات الرؤوس، مسترسلات الشعور؟؟

ماذا تركت الشريفة لغيرها من فنون التبرج؟ وماذا ابقت لنفسها من ضروب الاحتشام؟ انها لم تترك من ذلك ولم تبق شيئاً. فبالله ايتها السيدة المحترمة، اتستطيعين ان تفرقي بين الراقصة وبين السيدة الشريفة الطاهرة؟

اختي المسلمة اعلمي ان المرأة المتبرجة التي لم تلتزم بأوامر الله تعالى، تنال الغضب من الله وسوف تلقى سوء المنقلب في الآخرة.

يقول رسول الله ﷺ: «صنفان من اهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..» رواه مسلم، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من



أسباب عدم تفاعل المصلين مع خطب الجمعة

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

الحمد لله الذي فرض على عباده صلاة الجمعة، وأمرهم أن يسعوا إليها إذا سمعوا النداء، وأن يتركوا البيع والشراء وكل ما من شأنه أن يلهيهم عن سماعها، وعن أداء الصلاة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة: ٩، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرع الله سبحانه وتعالى خطبة الجمعة لحكم بالغة ومعان سامية، وشرع لها الاجتماع في كل أسبوع، يتلقى المسلمون الحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتزود بالتقوى، والتذكير باليوم الآخر، والاستعداد لما بعد الموت.

ودراسة أسباب عدم تفاعل المصلين مع خطب الجمعة أمر مهم في الشريعة الإسلامية، فلا بد من البحث عن هذه الأسباب واستقصائها، والبحث عن العلاج المناسب لها، وخصوصاً أن مستويات المصلين متفاوتة بين العالم والجاهل، والشيخ والشاب، والذكي وغير الذكي، والمثقف وغير المثقف، والقروي والحضري والبدوي.

❖ مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في حاجة الناس

إلى إبراز دور خطيب الجمعة في التأثير في نفوس المصلين؛ باعتبار كثرة النقد الموجه إلى خطباء المساجد في هذه الآونة، والتعرّف على الدور الحقيقي الذي تلعبه خطبة الجمعة في تبصير الناس بأمور وأحكام دينهم، والحديث عن مواضيع لها مساس بالواقع وحياة الناس وتنظيم صلتهم بالخالق المنعم عليهم المستحق للعبادة، **وفي هذه الدراسة سأتناول هذه الأسباب واقتراح الحلول المناسبة لها.**

❖ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان ما يلي:

١- إبراز دور خطيب الجمعة في التأثير في نفوس المصلين، وعدم الملل والسآمة من حضور خطبة الجمعة.

٢- بيان أسباب عدم تفاعل المصلين مع الخطب المنبرية المقدمة في الوقت الحاضر.

٣- اقتراح حلول لمعالجة هذه المشكلة.

❖ أسئلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١- ما أسباب عدم تفاعل المصلين مع الخطب المنبرية المقدمة في الوقت الحاضر؟

٢- مدى إسهام الخطبة في توثيق الصلة بالخالق، وتوثيق العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع؟

٣- ما أصناف الخطباء والمصلين؟

❖ أصناف الخطباء والمصلين:

قبل الحديث عن الأسباب التي تجعل التفاعل مع الخطب المنبرية المقدمة في الوقت الحاضر قليلا إلى حد ما، لا بد لنا من إلقاء الضوء على أصناف الخطباء والمصلين؛ وذلك للتداخل العام بينهما، وحتى يمكن لنا ادراك العلاقة التي تجمع بينهما، للوصول معاً إلى البحث عن العلاج المناسب لمثل هذه المشكلة، من مشاكل العصر، فقد كثر النقد لبعض خطباء المساجد، ولا ندري على من نلقي المسؤولية في ذلك، فالخطباء اليوم كثرت أصنافهم فكلٌ له طريقته في الخطابة، فبعضهم يميل إلى الإطالة في الخطبة والإطناب فيها والاسترسال في الشرح؛ ظناً منه أن ذلك أكثر نفعاً ولا يدري أن ذلك يورث ملل المصلين وضجرهم وتنفيرهم من الصلاة.

ومعلوم أن تطويل الخطبة مناف لأهداف الإسلام العامة، وبعضهم يوجزها، وبعضهم يتحدث عن أمور لا صلة لها بحياة الناس،

فتجد المصلين في واد والخطيب في واد آخر، وبعضهم يريد أن يرضي مجموعة من الناس، لينال مدحهم ورعايتهم، وبعضهم يميل إلى التعرض إلى مواضيع متعددة من خلال خطبته، ولا يقصرها على موضوع واحد، وبعضهم يبتعد عن الحديث عن مشاكل المجتمع والمستجدات المعاصرة، فيقصر خطبته على المواضيع الجامدة التي لا تتعلق بحياة الأمة، فيصور لهم الإسلام على أنه لم يتحدث عن مستجدات العصر، وبعضهم يميل إلى التحدث عن الأمور السياسية، فيغفل عن دور الإسلام في السياسة، وأن الإسلام وضع قواعد السياسة والحكم، وبعضهم يميل إلى التحدث مع المصلين بأسلوب استعلائي فوقي، وينصب نفسه عليهم قاضياً، فيحكم عليهم بالكفر والفسوق والعصيان، ويغفل عن دور الإسلام العظيم الحكيم في الدعوة إلى الله بالرفق واللين والبعد عن التطرف والغلو، وبعضهم يميل إلى تجريح الأفراد والهيئات، وبعضهم يميل إلى ارتجال الخطبة، وهذا الارتجال يؤدي بالبعض إلى اضطراب الأفكار واختلال المفاهيم وعدم تنظيم وترتيب الأفكار.

وكما نعلم فالناس تميل إلى الاستماع الواعي للخطيب المعد لخطبته والمحضر لها مسبقاً، وبعضهم يميل إلى التحدث في خطبه عن المسائل الخلافية التي تثير الفتن بين المصلين، هذه بعض أصناف خطباء الجمعة، والخطيب الناجح هو الذي يختار الكلمات الطيبة التي تدخل آذان المصلين، وتعلق في عقولهم وأذهانهم، وتكون نبراساً لهم في حياتهم.

وإذا كان الخطباء أصنافاً نستطيع التمييز بينهم، فإن المصلين أصناف، وخيرهم من أتى إلى الصلاة بدافع التقوى والحرص على إرضاء رب العالمين، وانتظار الفائدة من الخطبة، فبعض المصلين يدخل المسجد وسمعه وفكره وعقله معلق في الدنيا فأنى له الانتفاع من الخطبة والاستفادة منها، وبعضهم يميل إلى أن تكون خطبة الخطيب قصيرة جداً، بحيث لا تأخره عن الذهاب إلى بيته أو عمله بأسرع وقت، وبعضهم يدخل المسجد بحكم العادة وهواه في خارجه، وبعضهم يحب سماع الخطب في كل جمعة من خطيب متجدد لا يحب سماعها من خطيب راتب ثابت لا يتغير أَلِف السماع منه، وبعضهم يميل إلى سماع القصص في الخطب، وبعضهم لا يهمه أي شيء إنما هدفه إسقاط الفرض ومهما يكن تأثير الخطبة عليه، فما دامت أصناف الناس متفاوتة وجب على الخطيب

الناجح التقريب بينها، واتباع الأساليب التي تجذب الناس إلى الاستماع للخطبة.

❖ الأسباب الحقيقية لعدم تفاعل المصلين مع خطب الجمعة:

١- الضعف اللغوي عند بعض الخطباء، وقلة معرفتهم بقواعد اللغة العربية، مما ينفر المصلين منهم، ويزيد الأمر خطورة أن يقع الخطباء في الخطأ في الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا لا يجوز شرعاً.

٢- الابتعاد عن تحسس أحوال المجتمع وقضاياه المعاصرة، والتحدث في أمور لا صلة لحياة الناس فيها، ومعلوم أن الخطيب الناجح هو الذي يتحدث عن قضايا الساعة والعصر.

٣- افتقاد بعض الخطباء للقدوة الحسنة، فتجده يقول ما لا يفعل، فكيف للمصلين الأخذ عن الخطيب الذي ينهى عن الربا وهو أول من يتعامل به، فالخطيب الناجح هو الذي يجعل من نفسه صورة مشرقة لما يدعو إليه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** الصف ٢-٣ .

٤- الإطالة في الخطبة والاسترسال في

الشرح، وعرض عدة مواضيع في خطبة واحد، وهذا الأمر يفقد الخطبة وحدة الموضوع، والبعد عن الإيجاز، وكما نعلم أن هناك كثيراً من التوجيهات النبوية للخطباء بقصر الخطبة، ومراعاة أحوال المصلين، ومنها ما رواه عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان لسحراً" (صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة(٤٧، ٨٦٩ ص١١٤).

ويمكن القول: إن المصلي يستطيع التركيز والانتباه في الخطبة لعشرة دقائق وبعد ذلك يفقد هذه التركيز، فلا بد للخطيب أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، وإعداد خطبة نموذجية بقدر هذا الوقت، شاملة لما يريد إيصاله للناس؛ لأن الهدف من الخطبة هي الموعظة، والموعظة بطبيعتها تميل إلى الإيجاز غير المخل.

٥- تعرض بعض الخطباء للمسائل الخلافية التي تثير بين المصلين الفتن، هذه المسائل التي لم ينص الشارع الحكيم على الحكم بها ؛ لذا نجد أكثر الآراء فيها وتعدد الاتجاهات، فالخوض فيها منفر للمصلين من الاستماع لهذه الخطب.

٦- ارتجال الخطب، ولا شك أن هذا الارتجال في أغلب الأحيان يؤدي إلى اضطراب الأفكار وعدم ترابطها، فالخطيب الناجح هو الذي يعد للخطبة إعداداً مسبقاً، وتكون أفكاره منظمة ومترابطة ومتسلسلة.

٧- مخاطبة بعض الخطباء الناس بأسلوب استعلائي فوقي، وينصب نفسه عليهم قاضياً، فيحكم عليهم بالكفر والفسوق والعصيان، ويميل إلى تزكية نفسه أمامهم، ويغفل عن أن دور الإسلام العظيم الحكيم يتمثل في الدعوة إلى الله بالرفق واللين والبعد عن التطرف والغلو في الدين.

❖ الحلول المقترحة لمعالجة هذه الأسباب:

١- إعداد مجموعة خطب نموذجية من قبل متخصصين بالخطابة وطبعها من قبل وزارة الأوقاف وتوزيعها على الخطباء لكي يستفيدوا منها، وقد أحسنت وزارة الأوقاف صنعاً عندما أصدرت كتاباً في هذا الشأن، ولم تلزم خطيب الجمعة به، ولكن من أجل الاستشهاد به والاسترشاد به، وهو جهد مبارك يسجل في ميزان حسنات القائمين عليه، ولكن حبذا لو تم توحيد موضوع خطب الجمعة في مساجد المملكة جميعها بموضوع واحد، مع اختلاف أسلوب الخطيب وطريقته وأفكاره التي في النهاية تصب في قالب واحد وهو وحدة الموضوع.

٢- إعادة النظر في الأسس التي يتم من خلالها انتقاء الخطباء، وإخضاع الخطباء للتجربة، للتأكد من مدى كفاءة الخطيب لاعتلاء منبر رسول الله ﷺ، وتقديم حوافز تشجيعية لهم، فخريج الشريعة الإسلامية، لا يتوجه إلى العمل في وزارة الأوقاف بحجة أن الراتب الذي يتقاضاه قليل مقارنة مع الوظائف الأخرى؛ هذه الأيام نلاحظ أن وزارة الأوقاف قد أحسنت صنعاً عندما وفرت السكن المناسب للخطباء والأئمة، وشمول عدد من الأئمة بمكرمة جلالة الملك عبد الله الثاني بالزواج، وتثبيت الأئمة العاملين على حساب صندوق الدعوة في الخدمة الدائمة؛ ليتحقق لهم الاستقرار، ولكن المطلوب هو استقطاب أصحاب الكفاءات والخبرات في الخطابة ليقوموا بواجبهم الدعوي بالخطابة في مساجد المملكة.

٣- عقد دورات مستمرة للخطباء في مختلف المواضيع؛ لتعميق معرفتهم بالمشكلات الحقيقية التي تواجه المجتمع، وهذه الدورات من شأنها أن تزيد من ثقافة الخطيب، وهي تشبه دورات المعلمين الجدد.

٤- الاهتمام بتطوير وإعداد خطب الجمعة، وتكليف المشرفين بحضور الخطب وتقييم أداء الخطباء، وخروج هؤلاء المشرفين للميدان، وسماع خطب الخطباء ثم رفدهم بالتغذية الراجعة؛ ليتم تقويم الأداء، وظهوره بأحسن الصور.

٥- طرح فكرة الخطيب المتجول والتركيز عليها، فالخطيب المتجول يستطيع جذب المصلين إليه، لأن الناس يميلون إلى التجديد، ويبتعدون عن الخطيب الذي اعتادوا أسلوبه وخطبه، فيرغبون بالسماع من الخطيب الجديد المتجول، والخطيب المتجول يستفيد كذلك من خلال تجواله باكتساب معارف جديدة وأساليب جديدة، والناس بطبيعتهم يميلون لسماع الخطب من أكثر من خطيب يتعاقب على خطبة الجمعة، وهذا الأمر لا يورث الملل ولا الضجر، وبالتالي تحقيق المقصود من خطبة الجمعة بتبصير الناس بأحكام الدين الشاملة والكاملة.

٦- عقد اجتماعات دورية بين الخطباء لتبادل الخبرات بينهم، وللوقوف على الأساليب الحديثة في الخطابة ومهارات الاتصال مع الناس، وأساليب الإقناع وإقامة الحجة.

٧- وضع صندوق اقتراحات في كل مسجد للاستفادة منه في وصول التغذية الراجعة للخطيب، والاستفادة منها في تحسين الأداء في المرات القادمة.

٨- تمكن الخطباء من فهم قواعد اللغة العربية، وسلامة اللغة، وتسلسل الأفكار وترابطها، يساعد في جعل المصلين يقبلون على سماع الخطب، وعدم التأخر عنها، أو الانشغال عن سماعها بالتناوم.

٩- توجيه الخطباء إلى الخطابة في مشاكل المجتمع، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

١٠- توجيه الخطباء إلى تقصير الخطبة، ووحدة الموضوع، للبعد عن الملل الذي يصيب المصلين، بسبب الإطالة في الخطبة، وعدم التعرض لأكثر من موضوع في الخطبة الواحدة.

١١- توجيه الخطباء إلى اتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة أثناء الخطابة، وعدم تجريح الناس، واتهامهم بالباطل، وإنما توسيع الصدر للمصلين، واتخاذ رسول الله ﷺ قدوة لهم في ذلك.

هذه بعض المقترحات التي يمكن الاسترشاد بها لتلافي مشكلة الملل والضجر من بعض الخطباء، والاستماع

٤

الإمام الليث بن سعد
لمحات من حياته وفقهه

■ بقلم الاستاذ رجب عبد اللطيف

عرف الليث بن سعد بالاجتهاد واشتهر بالفتوى، وكان له مذهبه المستقل، مثله في ذلك مثل الأئمة الأربعة وسائر فقهاء الأمصار، كالثوري والأوزاعي، والذي يتأمل آراءه يجده أحياناً يوافق مالكاً وأخرى يخالفه، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي حنيفة، فقد يتفقان وقد يختلفان.

وممن شهد لليث بالاجتهاد والاستقلال:

١- **ابن عبد البر**، حيث ذكره بقوله: «أفتى مجتهداً وقايساً فيما لم يجد فيه نصاً»[١].

٢- **ابن عساكر**، حيث يظهر ذلك في رده لمن حصر المذاهب في اربعة، فيقول لهم: «وكأنكم لم تسمعوا بمذهب الليث بن سعد المصري»[٢].

٣- **ابن تيمية**، حيث يبين ان الليث بن سعد مثله في ذلك مثل أصحاب المذاهب الأربعة، يقول ابن تيمية: «ولم يقل احد من علماء المسلمين: ان الحق منحصر في اربعة من علماء المسلمين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، بل اهل السنة متفقون على ان ما تنازع فيه المسلمون وجب رده الى الله والرسول، وانه قد يكون قول يخالف قول الأربعة من اقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وقول هؤلاء الأربعة مثل الثوري والأوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه»[٣].

فأما من نسبه الى الأحناف فإبن خلكان،

وزكريا الأنصاري وكذلك ابن ابي العوام[٤].

أما المعاصرون فقد نسبه الشيخ الكوثري الى الحنفية فقال: «تفقه على ربيعة وابي حنيفة وجمع بين الطريقتين الحجازية والعراقية في الفقه»[٥].

وهذا القول من الشيخ الكوثري يبدو انه اكثر من آثار حبه لأبي حنيفة وحماسه لفقه الأحناف، وإلا فإن المأثور عن الليث لا يدل على ذلك، غاية ما يفيده انه كان يحب رؤية ابي حنيفة لكثرة ما سمع عنه، وقد مر بنا في ترجمة الليث انه اعجب بسرعة جواب ابي حنيفة وحضور بديهيته في مسألة الخراساني.

كما نقل ثناء مالك على ابي حنيفة واعجاب ابي حنيفة بمالك، كيف والليث يخالف ابا حنيفة كما يخالف مالكاً، وقد اعترف له الكوثري بالاجتهاد فقال: «والحق انه استقل في الاجتهاد»[٦].

وقيل ايضاً: انه مالكي المذهب، حيث ذكر ابن النديم في الفهرس انه «من اصحاب مالك وعلى مذهبه ثم اختار لنفسه»[٧].

وهذا القول ايضاً بعيد، فالليث ومالك ولدا في عام واحد، وتوفيا معاً في عام واحد، وتشاركا في الشيوخ وكان كل منهما يعتب على صاحبه وينكر مع التقدير والانصاف الأمر الذي لا يجعل لأحدهما مزية على الآخر وانما هما نظراء.

❖ رسالة الليث الى الإمام مالك:

تقدم ان مصنفات الليث لم تسلم من عوادي الزمن وريب الدهر، ففقدت فيما فقد من تراث أمتنا، غير ان مصنفات المالكية وخاصة الأولى منها قد احتفظت لنا بالكثير من آراء الليث ومسائله وان كانت تكتفي بالاجمال الذي يعوزه الاستدلال والتعليل.

ومن هذه المصادر المدونة لسحنون، والتمهيد، وكذا الاستذكار لابن عبد البر، وبداية المجتهد لابن رشد، وغير ذلك مما هو مذكور في مظانه من هذه الدراسة، ولعل الذي دفع المصادر المالكية في ان تولي اهتمامها بآراء الليث ومسائله اكثر مما نراه لدى المصادر الأخرى، كالشافعية والحنفية، يكمن في أمرين:

الأول: تعاصر الإمامين مالك والليث، فقد ولدا في عام واحد ٩٤هـ، كما ان منحاهما الفقهي يكاد يكون واحداً، عدا بعض الاختلافات التي تكون داخل المدرسة الفقهية الواحدة، فضلاً عما تم من لقاءات

وصلات تعددت وتوالت مع تقدير كل منهما للآخر.

الثاني: ان معظم تلاميذ مالك الذين نشروا علمه كانوا في الوقت نفسه تلاميذ لأبي الحارث، فنقلوا آراء الليث بجانب نقلهم لآراء مالك، فإبن وهب، وابن القاسم، واشهب هم الذين تدور عليهم في الغالب مرويات الليث وهم في الوقت ذاته حملة المذهب المالكي لمصر وللمغرب والأندلس.

وبجانب هذه المصادر التي سبقت الاشارة اليها، هناك مصدر آخر، بل هو اشهر هذه المصادر وأعلاها قيمة وأعني به رسالة الليث الى مالك رداً على رسالته التي بعثها اليه والتي تتضمن العديد من الآراء الفقهية، التي قال بها الليث وخالف فيها مالكاً.

وقد حفظت لنا هذه الرسالة وسلمت من الضياع والفقد، من خلال الأئمة والأعلام الذين بينوها في كتبهم، ومن أشهرهم امام النقاد يحيى بن معين[٨]، وشيخ المحققين ابن قيم الجوزية[٩]، ثم من المتأخرين الحجوي[١٠]، ومن قبل هؤلاء الإمام الفسوي[١١].

وقد نشرها مؤخراً الاستاذ عبد الفتاح ابو غدة، كما قام بشرحها الاستاذ عبد السلام غلوش[١٢]، وان كان قد انحاز في شرحه لمذهب الامام مالك.

وقبل ان تثبت هذه الرسالة وضميمتها رسالة مالك، نشير هنا الى ان الرسائل المتبادلة بين مالك والليث كانت كثيرة، سواء على مستوى العلاقة الشخصية الخاصة بكل منهما، حيث قضاء الحوائج واجابتها، او على مستوى النصح في العلم وابداء دلائل الرأي في مسائل الاجتهاد والخلاف، فهما حريصان على ابداء النصح والتآخي، كل منهما لأخيه ولمن نزل به من الاصحاب والطلاب على عادتهما المتبعة[١٣].

وقد اشار كلاهما الى ما بينهما من كتب ورسائل في صدر رسالتيهما، فمالك يقرر انه نشط للإجابة وسرّ للسؤال، مما يعني ان هناك رسائل من الليث لمالك، وقد اشار الليث في صدر رسالته ما سبق ان كتب له لمالك من كتب ورسائل يسأله فيها عن دلائل لأقوال له لم تقع من الليث موقعها، وهذا يعني ان الامر بينهما لم يكن قاصراً على هاتين الرسالتين فقد سبقهما رسائل وجرت بينهما مكاتبات يظهر هذا جلياً من صدر الرسالتين[١٤].

وقد كان من هذه الرسائل ما يعتب الليث فيه على مالك لبعض ما يصدر عنه من

فتاوى، وان كان مالك لم يجاوبه بها، لذا فقد كره الليث معاودة الانكار والتوقف حتى جاءته رسالة مالك تلك، نتعرض لها هنا، ومنها: «وقد بلغتنا عنكم أشياء في الفتيا فاستنكرتها وقد كتبت إليك».

❖ رسالة الامام مالك التي بعث بها الى الليث:

قال يحيى بن معين: بسم الله الرحمن الرحيم، وهذه رسالة مالك بن أنس الى الليث بن سعد: «من مالك بن انس الى الليث ابن سعد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد؛

عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلاينة، وعافانا وإياك من كل مكروه.. كتبت اليك، وأنا ومن قبلي من الولدان والأهل على ما تحب، والله محمود، اتانا كتابك، تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذي انا به مسرور، أسأل الله ان يتم علي وعليك صالح ما انعم علينا وعليك وان يجعلنا له شاكرين.

وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك وأبعث بها اليك، وقد فعلت ذلك وغيرت منها ما غيرت، حتى صح أمرها على ما يجب.

وختمت على كل قنداق[١٥] أو قال يحيى: فنداق، منها بخاتمي ونقشه: «حسبي الله ونعم الوكيل» وكان حبيبا الي حفظك وقضاءها حاجتك وانت لذلك أهل.

وصبرت اليك نفسي في ساعة لم اكن اعرض فيها لأن انجح ذلك، فتأتيك مع الذي جاءني بها حتى دفعتها اليك، وبلغت من ذلك الذي رأيت انه يلزمني لك من حقك وحرمتك،، وقد نشطني ما استطعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك ورجوته ان يكون لها عندك موضع، ولم يكن يمنعني من ذلك قبل اليوم الا ان يكون رأيي لم يزل فيك جميلاً الا انك لم تذاكرني شيئاً من هذا الأمر، ولا تكتب فيه الي.

واعلم رحمك الله، انه بلغني انك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا، وببلدنا الذي نحن فيه، وانت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من اهل بلدك وحاجة من قبلك اليك، واعتمادهم على ما جاء منك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما نرجو النجاة باتباعه.

فإن الله عز وجل يقول في كتابه: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله**

عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[١٦]، وقال تعالى: **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾**[١٧].

فإنما الناس تبع لأهل المدينة، اليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام، اذ رسول الله ﷺ بين اظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيتبعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده.

ثم قام من بعده استبع الناس له من امته، ممن ولي الأمر من بعده فما نزل بهم مما عملوا انفذوه، وما لم يكن عندهم علم فيه سألوا عنه ثم اخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم.

فإن خالفهم مخالف أو قال امرؤ: «غيره أقوى منه وأولى» ترك قوله وعمل بغيره.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن، فإن كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر خلافه الذي في ايديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها، ولا ادعاؤها.

ولو ذهب اهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا في ذلك على ثقة ولم يجز لهم ذلك مثل الذي جاز لهم.

فانظر رحمك الله فيما كتبت اليك فيه لنفسك، واعلم اني لأرجو ان لا يكون دعائي الى ما كتبت اليك الا النصيحة لله والنظر اليك والظن بك.

فأنزل كتابي منك منزله فإنك ان تفعل تعلم اني لم آلك نصحاً، وفقنا الله واياك بطاعته وطاعة رسول الله ﷺ في كل أمر وعلى كل حال.. والسلام عليك ورحمة الله».

❖ جواب الليث على مالك[١٨]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الليث بن سعد الى مالك بن أنس:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله الا هو، أما بعد؛

عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك، تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره وبه والزيادة من إحسانه.

وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها اليك وإقامتك إياها وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا.

فجزاك الله عما قدمت منها خيراً، فإنها كتب انتهت الينا عنك فأحببت ان أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنه قد نشطك ما كتبت اليك فيه من تقويم ما أتاني منك الى ابتدائي بالنصيحة، وإنك ترجو ان يكون لها عندي موضع -او قال يحيى: موقع- وانه لم يكن يمنعك من ذلك فيما خلا الا ان يكون رأيك فينا جميلاً، الا أني لم أذاكرك مثل هذا.

وأنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وانه يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتم به، وان الناس تبع لأهل المدينة، اليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد اصبحت بالذي كتبت به من ذلك ان شاء الله، ووقع مني بالموقع الذي تحب وما اجد أحداً ينسب اليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا، أو قال: تفصيلاً؟ لعلم اهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذ فتياهم فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله رب العالمين لا شريك له.

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ، ونزول القرآن عليه بين ظهراني اصحابه، وما علمهم الله منه وان الناس صاروا تبعاً لهم، فما ذكرت، وأما ما ذكرت من قول الله تبارك وتعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**(١٩).

فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا الى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله فجندوا الأجناد واجتمع اليهم الناس وأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة رسوله، ولم يكتموهم شيئاً علموه.

فكان في كل جند منهم طائفة يعملون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولم يكتموهم شيئاً علموه، ويجتهدون رأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، ويقوّمهم عليه ابو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأنفسهم ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون بالأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الخلاف لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فلم يتركوا امراً فسره القرآن أو عمل به النبي ﷺ أو ائتمروا فيه الا علموهموه.

فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد ابي بكر وعمر وعثمان، لم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره فلا نراه يجوز

لأجناد المسلمين ان يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من اصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم حين ذهب أكثر العلماء وبقي منهم من لا يشبه من مضى.

مع ان اصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعده في الفتيا في اشياء كثيرة لولا اني عرفت ان قد علمتها كتبت اليك بها.

ثم اختلف التابعون في اشياء بعد اصحاب رسول الله ﷺ، سعيد بن المسيب ونظراؤه اشد الاختلاف.

ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم، حضرناهم بالمدينة وغيرها ورأسهم يومئذ في الفتيا: ابن شهاب، وربيعة بن ابي عبد الرحمن، رحمة الله عليهما.

فكان من خلاف ربيعة تجاوز الله عنه لبعض ما مضى، ما قد حضر وسمعت قولك فيه وقول ذوي السن من اهل المدينة: يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر، وكثير بن فرقد، وغير ذلك ممن هو أسن منه حتى اضطرك ما كرهت من ذلك الى فراقه.

وذكرت انت وعبد العزيز بن عبد الله، بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك، فكنتما موافقين فيما أنكره تكرهان منه ما اكره.

ومع ذلك، بحمد الله عند ربيعة خير كثير وعقل اصيل ولسان بليغ، وفضل مستبين وطريقة حسنة في الاسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمه الله، وغفر له وجزاه بأحسن من عمله، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير اذا لقيناه واذا كاتبه بعضنا، فربما كتب اليه في الشيء الواحد، على فضل رأيه وعلمه، بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضاً ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك الأمر، فهو الذي يدعوني الى ترك ما أنكرت اياه.

وقد عرفت ايضاً ان مما عبت انكاري اياه ان يجمع احد من اجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر، ومطر الشام اكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه الا الله عز وجل، لم يجمع منهم امام قط في ليلة مطر وفيهم: خالد بن الوليد، وابو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن ابي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل.

وقد بلغنا ان رسول الله ﷺ قال: «اعلمكم بالحلال معاذ»، وقال: «يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة»[٢٠]، وفيهم شرحبيل بن حسنة، وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وقد كان ابو ذر بمصر، والزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص، وبحمص: سبعون من اهل بدر.

وبأجناد المسلمين كلها وبالعراق: ابن مسعود، وحذيفة وعمران بن حصين، ونزلها علي بن ابي طالب عشر سنين بمن كان معه من اصحاب رسول الله ﷺ، فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط.

ومن ذلك القضاء بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت انه لم يزل يقضي به في المدينة ولم يقض به اصحاب رسول الله ﷺ بالشام ولا مصر ولا العراق ولم يكتب به اليهم الخلفاء الراشدون المهديون، ابو بكر وعمر وعثمان.

ثم ولي عمر بن عبد العزيز وكان كما قد علمت في احياء السنن وقمع البدع والجد في اقامة الدين والاصابة في الرأي والعلم بما مضى من امر الناس، فكتب اليه رزيق ابن حكيم: انك كنت تقضي بذلك في المدينة بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق، فكتب اليه عمر: انا قد كنا نقضي بذلك في المدينة فوجدنا اهل الشام على غير ذلك فلا نقضي الا بشهادة رجلين عدلين او رجل وامرأتين.

ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط في المطر، والسماء تسكب عليه في منزله الذي كان يكون فيه بخناصره ساكناً.

ومن ذلك ان اهل المدينة يقضون في صدقات النساء، انها متى شاءت ان تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت، يدفع ذلك اليها وقد وافق اهل العراق اهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصر، ولم يقض احد من اصحاب رسول الله ﷺ ولا من كان بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر الا ان يفرق بينهما الموت او الطلاق، فتقوم على حقها.

ومن ذلك قولكم في الإيلاء: انه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وان مرت الأربعة أشهر، وقد حدثني نافع عن عبد الله، وعبد الله الذي كان يروى عنه ذكر التوقف بعد الأربعة أشهر، انه كان يقول في الايلاء الذي ذكره الله في كتابه: لا يحل للمولى اذا بلغ الأجل الا ان يفيء كما أمر الله أو يعزم الطلاق.

وأنتم تقولون: وإذ لبث شهراً بعد الأربعة أشهر التي سمى الله ولم يوقف لم يكن عليه طلاق، وقد بلغنا عن عثمان بن عفان، وزيد ابن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، أنهم قالوا في الايلاء: اذا مضت الأربعة أشهر مضى تطليقة بائنة.

وقال سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وابن شهاب: اذا مضت الأربعة أشهر فهي تطليقة وله الرجعة في العدة.

ومن ذلك ان زيد بن ثابت كان يقول: اذا ملّك الرجل امرأته أمرها، فاختارت زوجها فهي تطليقة، وان طلقت نفسها ثلاثاً فهي تطليقة، وقضى به عبد الملك بن مروان، وكان ربيعة بن عبد الرحمن يقول: وقد كان الناس يجتمعون على انها ان اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق، وان اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت له عليها الرجعة، وان طلقت نفسها ثلاثاً بانت منه ولم تحل له حتى تنكح غيره فيدخل بها، ثم يموت عنها أو يطلقها، الا ان يرد عليها في مجلسه فيقول: انما ملكتك واحدة فيستحلف ويخلى بينه وبين امرأته.

ومن ذلك ان عبد الله بن مسعود، كان يقول: ايما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات، وكان ربيعة يقول ذلك وان تزوجت الحرة عبداً فاشترته فمثل ذلك، وقد بلغتنا عنكم أشياء في الفتيا، فاستذكرتها، وقد كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي، فتخوفت ان تكون استثقلت ذلك فتركت الكتاب اليك في شيء مما انكرت، وفيما اردت فيه علم رأيك.

وذلك انه كان بلغني انك امرت زفر بن عاصم الهلالي حين أراد ان يستسقي، ان قدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك، لأن الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة كهيئة يوم الجمعة، الا ان الامام اذا دنا من فراغه من الخطبة حول وجهه الى القبلة فدعا وحول رداءه ثم نزل فصلى.

وقد استسقى بين ظهرانيكم عمر بن عبد العزيز وأبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، وغيرهما فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة. فاستهتر الناس كلهم الذي صنع زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه.

ومن ذلك انه ذكر لي انك تقول: ان الخليطين في المال لا يجب عليهما الزكاة حتى يكون لكل واحد منهما ما يجب فيه الصدقة، وفي كتاب عمر بن الخطاب انه يجب عليهما الصدقة ويترادّان بينهما بالسوية، وقد كان ذاك الذي يعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون افاضل العلماء في زمانه فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره.

ومن ذلك انه بلغني انك تقول: اذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها، او انفق المشتري طائفة منها ان يأخذ ما وجد من متاعه، وكأن الناس على ان البائع اذا تقاضى من ثمنها شيئاً او انفق

المشتري منها شيئاً فليست بعينها، ومن ذلك انك تنكر ان رسول الله ﷺ لم يعط الزبير ابن العوام الا لفرس واحد.

والناس كلهم يحدثون انه اعطاه اربعة اسهم، ومنعه سهم الفرس الثالث، والأمة كلها على هذا الحديث: اهل الشام واهل مصر واهل افريقية واهل العراق ولا يختلف فيه اثنان.

فلم يكن ينبغي وان كنت سمعته من رجل مرضي، ان يخالف الأمة جميعها، وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذه وانا أحب توفيق الله اياك وطول بقائك، لما ارجو للناس في ذلك من المنفعة، وما اخاف ان يكون من المضيعة اذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك وان نأت الدار فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه.

ولا تترك الكتاب الي بخبرك ومالك وحال ولدك وأهلك وحاجة ان كانت لك او لأحد يوصل بك، فإني أسر بذلك، كتبت اليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله ان يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما انعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله».

❖ التعليق على الرسالتين:

تعد هاتان الرسالتان المتبادلتان بين الإمامين الجليلين الليث ومالك، نموذجاً يحتذى به في آداب الحوار، ومثالاً رفيعاً لما ينبغي ان تعالج به مسائل الخلاف بين العلماء، وذلك لما اشتملتا عليه من الآداب والمعاني ومن اهمها:

١- انصاف كل منهما للآخر وتقديره والاعتراف بما يحظى به من مكانة، وهذا التقدير والإنصاف ليس قاصراً عليهما وحدهما، وانما هو مبذول ومقرر لسائر العلماء الذين جمعتهم أواصر التلقي والسماع، مع ما قد يكون بينهم من اختلاف في الرأي، انظر الى قوله: «ومع ذلك -يحمد الله- عند ربيعة خير كثير..».

٢- شيوع المودة الخالصة بينهما والنصح الخالص، واللذين يمثلان قاسماً مشتركاً يشيع في ثنايا الرسالتين.

٣- الأدب الجم في العرض والخلق الدمث، في إنكار كل منهما على الآخر فيما يراه مخطئاً فيه دون تجريح او مهاترة أو اسفاف.

الأمر الذي يعني ان اختلاف الرأي وتعدد وجهات النظر لا ينبغي لهما ان يكونا وسيلة لتبرير العداء والتخاصم، ناهيك عن

الإفتراء والتكفير.

هذا من ناحية الاطار العام للرسالتين، اما من حيث المضمون، فنلاحظ ان الامام مالكاً، يهدف من رسالته الى توحيد الرأي الفقهي من خلال اعتماد عمل المدينة والنظر اليه باعتباره حكماً يعول عليه ويرجع اليه عند الاختلاف في الرأي، «اما الناس تبع لأهل المدينة».

وقد استدل على ذلك بمكانة المدينة المنورة واهلها من الصحابة رضوان الله عليهم الذين سكنوها وأقاموا بها وماتوا فيها، وان كان من الملاحظ ان مالكاً هو الوحيد الذي ذهب الى هذا الرأي من بين العلماء والمحدثين، وفي هذا يقول الونشريسي: لم يقل أحد غير مالك بأن اجماع اهل المدينة حجة[٢١].

الهوامش:

١- انظر جامع بيان العلم وفضله ص٣٦٨ .

٢- تبيين كذب المفتري، ص٣٦٠ .

٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٢، ص٣٨٨، ط. دار العروبة، مصر.

٤-٥-٦- تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ص٣٦٠ .

٧- ص٣٣٩ .

٨- انظر تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، ج٢، ص٣٧٨، دار القلم.

٩- اعلام الموقعين، ج٣، ص٨٣، ط. الكليات الأزهرية.

١٠- انظر الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي.

١١- انظر المعرفة والتاريخ، ج١، ص٣٨٧ وما بعدها .

١٢- تقريب المدارك بشرح رسالتي الليث والامام مالك، ط. المكتب الاسلامي.

١٣- قال يحيى الليثي: لما ودعت مالكاً سألته ان يوصيني، فقال لي: عليك بالنصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، ثم قدمت على الليث فلما حان فراقي اياه قلت له مثل مقالتي لمالك، فقال لي مثل قوله سواء «تقريب المدارك ٢،٣».

١٤- انظر رسالة اخرى لمالك ينكر فيها على الليث لبسه الرقاق وأكله الرقاق، أورد بعضها ابن تغري بردي في نجومه الزاهرة، مصدر سابق، ج٢، ص٨٢ .

١٥- اي صحيفة.

١٦- التوبة: ١٠٠ .

١٧- الزمر: ١٨ .

١٨- يلاحظ هنا ان هناك فروقاً طفيفة في المصادر التي وردت فيها هذه الرسالة على ما سبق ذكره.

١٩- التوبة: ١٠٠ .

٢٠- اي درجة.

٢١- المعيار المعرب والجامع المغرب، ج٢، ص١٦٤،

قيم اسلامية للحياة..
تعالوا نتعاون!!

■ بقلم الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب

من الحقائق التي لا شك فيها، ان الخير للجميع وان الشر ايضاً على الجميع، ومن هنا وجب على الناس ان يتعاونوا على البر والتقوى واصلاح حالهم، وفتح كل الطرق الموصلة الى التقدم والحضارة والرخاء أمامهم.

وهذا التعاون عمل يباركه الله تعالى كل المباركة، ولهذا دعا عباده اليه بقوله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾ المائدة: ٢ .

وقد بدأ رسول الله ﷺ بالعمل على تطهير القلوب وتنظيفها، لتكون مستعدة لدعوة الله تعالى الى التعاون، ذلك لأن القلوب مثلها كمثل الأرض اذا كانت مليئة بالأعشاب الطفيلية لا يمكن بذرها، وفي مجال تنظيف القلوب نسمع رسول الله ﷺ يقول: «اياكم والظن ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضاً»، ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه، وكونوا عباد الله إخواناً».

ثم نراه ﷺ بعد دعوته الى نظافة القلوب وتطهيرها، يدعو الى التعاون والتضامن في مثل قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

ولقد كان التعاون واضحاً في كل اعمال

المؤمنين الصادقين، ولا يستطيع احد ان ينسى كيف قاسم الأنصار إخوانهم المهاجرين في أموالهم وديارهم، وكيف تعاونوا جميعاً في حفر الخندق حول المدينة، وكان النبي ﷺ نفسه واحداً منهم، يحفر كما يحفرون، ولقد أعجب ﷺ بالأشعريين (قوم أبي موسى الأشعري)، لتعاونهم في السلم وفي الحرب، وجعلهم قريبين منه في اخلاقه وفي هديه استمعوا اليه وهو يقول عنهم: «ان الاشعريين اذا ارملوا -اي فرغ زادهم او قارب الفراغ- في الغزو او قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في اناء واحد بالسوية، فهم مني وانا منهم».

وقد تعلمنا منذ الصغر ان قطرة المطر وحدها ضعيفة، فإذا ما اجتمعت القطرات كونت سيلاً تفيض به الانهار وتروى الاقطار، وان الشعاعة الواحدة من الشمس لا يكاد المرء يشعر بها، فإذا اجتمع الشعاع في بلورة أحرق ما وجه اليه وأدار الآلات الضخمة.

والتعاون المطلوب في الاسلام تعاون عام شامل، مطلوب ان يتعاون أفراد الأسرة فيما بينهم، لأن الأسرة هي الصورة المصغرة للمجتمع، ولست بحاجة الى ان أذكر بصورة التعاون بين الزوج وزوجته وبين الآباء والأبناء فإن هذا امر محفوظ ومعلوم للجميع، ثم يأتي الأقارب بعد الوالدين في وجوب التعاون **﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾** الاسراء: ٢٦، ويقول الله تبارك وتعالى ايضاً: **﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾** البقرة: ٢١٥ .

فالأقربون كما نرى مقدمون في العون بعد الوالدين على سائر الناس، يقول ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلة»، ونحن مطالبون بمعاونة الأقارب ولو قطعوا الصلة بنا، قال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ -اي الذي يجزي الصلة مثلها- ولكن الواصل الذي قطعت رحمه وصلها».

والمعروف ان للمال دوراً كبيراً في حركة التعاون لما له من اثر كبير في مجالات الحياة، ولهذا جعل الله فيه حداً ادنى يجب على كل قادر مالك للنصاب ان يعاون به الفقير، وهذا القدر المعين هو الزكاة المفروضة، وقد حث الله تعالى على الصدقة التي تقوم على التطوع بعد أداء الفرض في آيات كثيرة وهي لا حدود لها، يقول تعالى: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو**

يخلفه﴾ ونسمع كذلك رسول الله ﷺ يقول: «سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها».

وقد نوع الله تعالى الصدقات حتى يشارك فيها المقلون والمحرومون قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وارشادك الرجل في ارض الضلال لك صدقة -يقصد ارشاد الحيران- وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، واماطتك -اي ازالتك- الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، والكلمة الطيبة صدقة».

هذا والفرد في الأمة ضعيف بمفرده مهما عظمت قوته واتسعت ثروته، انه لا يستطيع ان ينهض وحده بالمشروعات الكبيرة والمنشآت الضخمة والمؤسسات الواسعة وغير ذلك من الأمور الضرورية للأمة لتحافظ على حياتها بين الأمم.

ومن اجل هذا التعاون نشعر بحاجتنا الشديدة والضرورية الى تعاون جميع أفراد الأمة، ليبذل كل اقصى طاقته في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية والخلقية والجسمية والحربية، وغير ذلك مما لا بد منه في عصر لا يحترم الا القوة ولا يعترف الا بها، وويل للأمم الضعيفة ان لم يتعاون أفرادها وجماعاتها على تقوية أنفسهم بكل وسيلة من الوسائل التي شرعها الله.

واذا كانت الحرب التقليدية العسكرية الاستعمارية قد انتهى عصرها، فإن في هذا العالم المعاصر المضطرب حرباً من نوع آخر، هناك حرب اقتصادية وهناك حصار اقتصادي هدفه ان يخنق الضعفاء خنقاً، وهناك ايضاً حرب سياسية وحصار سياسي يتمثل في الأحلاف والمعاهدات التي تطوق بها الأمم القوية الأمم الضعيفة، او تعقدها الأمم القوية لتتقاسم بينها الأمم الضعيفة، او يعقدها الأقوياء مع الضعفاء ليجعلوا استعبادهم امراً مشروعاً، وإذلالهم قانوناً موضوعاً!.

وكم اهتم الاسلام بالتعاون الجماعي، حيث جعل المؤمنين في نظره جسداً واحداً اعضاؤه الأفراد، يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقد كلفنا الله تعالى ان نقوي أنفسنا في جميع جوانب الحياة، استعداداً لأي طامع معتد علينا يقول تبارك وتعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله**

يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وانتم لا تظلمون﴾ الأنفال: ٦٠ .

واذا تأملنا لفظ **﴿قوة﴾** الذي جاء نكرة، فهمنا ان هذا التنكير للشمول والعموم وان الله يريدها قوة في كل مجال، قوة تشمل جميع القوى بين جيوش برية وبحرية وهوائية، ويدخل في هذه القوة أيضاً القوة التجارية والصناعية والزراعية، والمصانع والمعامل التي تستلزمها هذه القوى المعتبرة بين سلاح هذا العصر الحديث، كل هذا وغيره في حاجة الى تضافر وتعاون هائل عظيم، ولهذا حث الله تعالى المؤمنين على بذل المال في سبيله ووعدهم بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، حيث قال في آخر الآية: **﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون﴾** الأنفال: ٦٠ .

وننتقل بعد هذا الى التعاون الانساني الذي يدعو اليه الاسلام، الذي جعله الله تعالى ديناً عاماً، وجعل رسوله الكريم محمداً ﷺ رسولاً للناس جميعاً، وكان من الطبيعي ان تتجلى فيه الناحية العامة الشاملة للانسانية كلها، الداعية الى النفع العام والتعاون العالمي، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله انفعهم لعياله» والعيال: كل من تتكفل بهم وتدبر شئونهم والله جل شأنه يقوم بكل ذلك لجميع العباد على اختلاف اديانهم وأجناسهم وألوانهم، فأحب مخلوقاته اليه من يعمل عملاً نافعاً لسائر خلقه، «وخير الناس أنفعهم للناس» كما جاء في الحديث.

وكان اصحاب رسول الله ﷺ يفهمون أحاديثه على عمومها ويعملون بها كذلك، فقد ذبح اهل عبد الله بن عمرو بن العاص شاة، فقال لهم: اهديتم لجارنا اليهودي؟ قالوا: لا، قال: ابعثوا اليه منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

وقد أوجب الله تعالى علينا العدل بيننا وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى، فجعل لهم ما لنا من الحقوق، وعليهم ما علينا من الواجبات، وجعل حكم الذمي حكم المسلم في حرمة القتل ووجوب القصاص وحرم ظلمهم، وذلك قدر المعاني الانسانية العامة، ولم يجعل اختلاف العقائد سبباً للحرمان من الحياة الانسانية القائمة على تبادل المنافع والتعاون على الخير أو سبباً لإيذاء اصحابها، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: **﴿فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين﴾** المائدة: ٤٢ .

وبعد فإذا كان التعاون -كما سبق- سبيل تقوية الفرد والأمة وسبيل سعادة العالم

من الإعجاز الكوني في القرآن
النسبية وسرعة الضوء
في القرآن الكريم

■ بقلم الفلكي الاستاذ عماد مجاهد

اختلف العلماء والفلاسفة منذ القدم حول سرعة الضوء، بعضهم قال: إن سرعة الضوء لا نهائية أمثال العالم ديكارت، وبعضهم قال: إن سرعة الضوء نهائية ومنهم الفيزيائي الشهير غاليليو غاليلي.

وكانت هنالك عدة محاولات من قبل غاليليو غاليلي لقياس سرعة الضوء لكنها باءت بالفشل، إنما كان أول من يقيس سرعة الضوء ويثبت أن له سرعة محددة هو الدنمركي (أولاس رومر) في عام ١٦٧٦م باستخدام أقمار كوكب المشتري.

حيث راقب رومر وقت ظهور أقمار كوكب المشتري بعد اختفائها خلفه أي خسوفها،فوجد أن ساعة اختفاء هذه الأقمار وساعة ظهورها تختلف عن ساعة اختفاء الأقمار وظهورها في الفترة التي تكون فيها الأرض قريبة من المشتري عن الفترة التي تكون فيها الأرض بعيدة عنه، وبعد التحاليل التي أجراها رومر على الأرض والمشتري وساعة حدوث خسوف أقماره عرف أن السبب في اختلاف ساعة ظهور الأقمار يعود إلى اختلاف المسافة بين الأرض والمشتري، وبعد حسابات أجراها توصل رومر إلى أن سرعة الضوء تصل إلى ١٨٥ ألف ميل في الثانية الواحدة .

على كل حال فلقد تطورت الأساليب في قياس سرعة الضوء حتى توصل العلم إلى قياس سرعة الضوء بدقة بالغة وهي ٣٠٠ ألف كيلو مترا في الثانية الواحدة أو ١٨٦ ألف ميل في الثانية وهو قياس قريب جدا من قياس رومر.

وسرعة الضوء هي أعلى سرعة في الكون ولم يكتشف العلم الحديث أي مادة تسير بسرعة الضوء وذلك وفقا لما توصل إليه ألبرت اينشتاين في نظرية النسبية، حيث أكد اينشتاين انه تستحيل على أي مادة أخرى أن تسير بسرعة الضوء .

إن كل أشكال الطيف سواء المرئي منه أم غير المرئي مثل الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء والموجات الراديوية والأشعة السينية وأشعة ألفا وبيتا وجاما كلها تسير بنفس سرعة الضوء .

❖ الحركة والزمن في القرآن الكريم:

تعتبر الحركة من المظاهر المألوفة في الكون الذي نعيش فيه، فكل جسم مادي في الكون فيه حركة دائبة لا تتوقف إلا بانتهاء الكون، وسواء صغر حجم الجرم أم كبر فكل له حركة والكل يسبح في مدار خاص به، فالإلكترون يدور حول نواة الذرة في مدار وفلك خاص به، والأرض تدور حول نفسها كما تدور حول الشمس، والقمر يدور حول نفسه ويدور حول الأرض، كما تدور الكواكب السيارة حول نفسها وحول الشمس، وتدور الشمس والنجوم حول نفسها وحول مركز المجرة، والمجرة أيضا تدور حول نفسها بسرعة رهيبة، وبذلك يتبين لنا أن الكون كله في حركة دائمة لا يتوقف أبدا إلا بأمر الخالق عز وجل.

وقد بين الله تعالى في القران الكريم أن الحركة هي من صفات الكون إذ يقول تعالى في سورة يس الآيات ٣٨-٤٠: **﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❖ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ❖ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ❖ ولا الليل سابق النهار ❖ وكل في فلك يسبحون﴾** ويقول عز من قائل في الآية ٣٣ من سورة الأنبياء **﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾**.

وينشأ عن حركة الأجرام السماوية سواء حول نفسها أو حول جرم آخر زمن معين، فالأرض تدور حول نفسها وينشأ عن هذه الحركة وحدة زمنية هي اليوم، وتدور الأرض

حول الشمس مرة واحدة كل ٣٦٥ يوما تقريبا وهي المدة الزمنية التي تعرف بالسنة الأرضية، ويدور القمر حول الأرض مرة واحدة كل ٢٩ يوما تقريبا وهي المدة الزمنية التي نعرفها بالشهر، وتدور الشمس حول نفسها كل ٢٧ يوما تقريبا، وتدور حول مركز مجرتنا درب التبانة مرة واحدة كل ٢٢٥ مليون سنة أرضية وتعرف بالسنة الكونية .

لقد ذكر الله تعالى السنة في العديد من الآيات، إذ يقول تعالى في الآية الخامسة من سورة السجدة: **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾** ويقول تعالى أيضا في الآية ٤٧ من سورة الحج: **﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** ولكن هل يمكن أن يكون اليوم عند الله تعالى كألف سنة على الأرض؟ وهل كشف العلم الحديث عن معاني علمية فيزيائية لهذا الفارق الزمني؟

في القرن السابع عشر الميلادي، توصل الفيزيائي الشهير "إسحاق نيوتن" من خلال نظرياته الفيزيائية إلى أن الوقت ثابت في كل مكان في الكون ولا يتغير بتغير المكان. وظل هذا المفهوم عن الزمن رائجا لحوالي مائتي سنة حتى مطلع القرن العشرين.

ففي سنة ١٩٠٥م وضع الفيزيائي الألماني الأصل الشهير"ألبرت اينشتاين" نظرية النسبية الخاصة، ثم اتبعها سنة ١٩١٦ بنظرية النسبية العامة، هذه النظرية غيرت كثيرا من مفاهيمنا الكلاسيكية عن الكون والجاذبية والحركة، أي أنها غيرت كثيرا من نظريات اسحق نيوتن عن الفيزياء على الرغم من روعة ما توصل إليه.

من ضمن ما توصل إليه اينشتاين من قوانين في النظرية النسبية بان الكون مؤلف من أربعة أبعاد وليست ثلاثة بحسب الفيزياء الكلاسيكية ومن ضمنها فيزياء نيوتن مثلا، حيث اعتبرت الفيزياء الكلاسيكية بأن الكون مؤلف من ثلاثة أبعاد هي: الطول والعرض والارتفاع، لكن النظرية النسبية أضافت بعدا رابعا في الكون وهو "الزمان" Time.

بين اينشتاين بان الزمان في الكون نسبي بين مشاهد وآخر في الكون Time Relative وانه لا يوجد زمان ثابت(مطلق) Absolute Time، لذلك فلكل مكان في الكون زمانه الخاص به. ولتبسيط هذا المفهوم ، لنفترض أننا نرصد نجم (السماك الرامح)

الذي يبعد عن الأرض ٣٨ سنة ضوئية، أي أن الضوء يحتاج إلى ٣٨ سنة أرضية لقطع المسافة بيننا وبين السماك الرامح.

ولنفترض انه عندما كنا نرصد هذا النجم وإذا به ينفجر فجأة في السماء، وراحت إحدى الإذاعات تنشر الخبر بسرعة عن هذا الحدث الفلكي الهام، وهنا لا يجوز (علميا) حسب نظرية النسبية أن يقول المذيع: بأن نجم السماك الرامح انفجر هذه الليلة مثلا، لأنه في الواقع انفجر قبل ٣٨ سنة وهي المدة التي استغرقها الضوء لكي يحمل لنا صورة الانفجار. ولكن بالنسبة لسكان الأرض شاهدوها(الآن) حسب الزمن الخاص بهم،لذلك فالزمن نسبي بين مكانين مختلفين. وصورة السماء التي نراها بأعيننا ليلا قد تختلف عن الواقع، لأنه قد يكون نجم من النجوم قد انفجر، وبسبب اختلاف المكان والمسافة بيننا وبين هذه النجوم فإننا لم نستطع حتى الآن أن نشاهده بالنسبة للزمان الخاص بنا .

إذن فالنظرية النسبية لا تقبل في بعض المصطلحات الزمنية التي نستخدمها، فلا يجوز استخدام الدلالة الزمنية"الآن" أو "الحاضر" أو "المستقبل" لان هذه الدلالات الزمنية نسبية وليست ثابتة في الكون.

كما توصل اينشتاين إلى أن الزمن يتقلص كلما زادت السرعة، وإذا ما تساوت سرعة جسم ما مع سرعة الضوء فإن زمنه يصبح صفرا. هذا التغير في الزمن لا يلحظه سوى مشاهد آخر يرصد تحركات هذا الجسم بسرعات وأمكنة مختلفة، هذا الاختلاف في الزمان والمكان يسميه العلماء (البعد الزماني المكاني) ونختصره إلى (البعد الزمكاني).

ولتوضيح هذه النظرية حول تقلص الزمان مع الزيادة في السرعة، لنفترض أن مجموعة من الشبان ركبوا سفينة فضائية وانطلقت بسرعة الضوء، ولنفترض أنهم كانوا يحملون ساعات دقيقة وتقاويم كالتي على الأرض، فإنهم لو سافروا إلى نجم يبعد عنا سنة ضوئية واحدة ñ لا يوجد نجم على هذا البعد- فإنهم عند عودتهم سيقولون: إنهم تغيبوا عن الأرض سنتين من الزمن وهي الذهاب والإياب. لكن المفاجأة أنهم عندما يصلون الأرض سيكتشفون أنهم تغيبوا عن الأرض مائتي سنة أرضية!! وان أحفاد أحفادهم هم الذين على قيد الحياة، وان أهلهم وأقاربهم قد توفوا جميعا قبل

حوالي ١٥٠ عاما!! وسبب هذا الاختلاف في الزمن هو الاختلاف في السرعة النسبية بين حركة المركبة الفضائية وحركة الأرض!

لقد بين الله تعالى في العديد من آيات القران الكريم هذه الظاهرة الفيزيائية الكونية والتي لم تكتشف سوى في مطلع القرن العشرين، حيث يقول تعالى:

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ السجدة: ٥.

﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ المعارج: ٤ .

من خلال الآية الثانية نستنتج أن الروح والملائكة لا تنطلق في الكون بسرعة مألوفة، بل بسرعة تقارب سرعة الضوء، لذلك فالملائكة والروح تقطع السماء في يوم واحد في السماء بالنسبة لها لكن في حقيقة الأمر يكون قد مر على الأرض خمسون ألف سنة!!.

هذه القوانين الفيزيائية تنطبق تماما على معجزة الإسراء والمعراج أيضا، فهي تفسر كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرج به إلى السماء وعاد خلال لحظات حيث كان فراشه ﷺ دافئا، كل هذا بإرادة من الخالق عز وجل.

❖ قياس سرعة الضوء في القران الكريم:

إن أدق قياس معروف لسرعة الضوء تم الوصول إليه وفقا للمعايير الأمريكية هو ٤٥٧٤.٢٩٩٧٩٢ كيلو مترا في الثانية الواحدة، أي حوالي ٣٠٠ ألف كيلو مترا في الثانية الواحدة، ووفقا للفيزياء الحديثة فانه لا يمكن لأي جسم مادي في الكون الانطلاق بسرعة الضوء، وهو ما توصل إليه ألبرت اينشتاين في نظرية النسبية من خلال حساباته الفيزيائية المعقدة.

ومن خلال الآيات القرآنية سابقة الذكر يتبين لنا أن يوما واحدا عند الله يقابله ألف سنة على الأرض، ولأن القران الكريم يعتمد التقويم القمري على اعتبار أن الله تعالى أمر المسلمين بالاعتماد على القمر في تقويمهم **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾** البقرة-١٨٩، لذلك فإن الملائكة تقطع المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة قمرية خلال يوم قمري واحد، والخمسون ألف سنة قمرية توازي ١٢ ألف شهر قمري.

يحتاج القمر لكي يكمل دورة واحدة حول

الأرض من ٣٦٠ درجة في السماء إلى ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية و ٨٧ بالمائة من الثانية، وهذه المدة هي مدة الشهر القمري النجمي، ولكن بعد انقضاء هذه المدة الزمنية من عمر القمر الوليد ، نجد أن القمر لا يعود للإقتران مرة أخرى،حيث تكون الأرض قد سبقت القمر مسافة ٢٧ درجة، وبما أن القمر يقطع في اليوم الواحد مقدار ١٢ درجة في السماء فإنه يحتاج لأكثر من يومين حتى يصبح القمر في الاقتران، وبالتالي تصبح مدة الشهر القمري الاقتراني ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان، وهي مدة الشهر القمري الاقتراني الوسطي، حيث تتغير مدة الشهر القمري الاقتراني، وذلك بسبب عوامل مختلفة.

ولكي نحسب سرعة الضوء من خلال حركة القمر والمدة التي يستغرقها في مداره، وجب علينا حساب المسافة التي يقطعها القمر في مداره حول الأرض خلال ألف سنة قمرية -كما جاء في الآية الكريمة- أي ١٢ ألف دورة للقمر حول الأرض أو ١٢ ألف شهر قمري وتبلغ ٨٣١٣٤٧٢٣٠.٢٥ بليون كيلو مترا، ومدة الشهر القمري هي مدة الشهر القمري الاقتراني الوسطي وتساوي ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٨٧،٢ ثانية، وحساب السرعة اللازمة لكي يقطع القمر هذه المسافة خلال يوم قمري واحد فقط.

ولأنني لا أحبذ ذكر المعادلات الكثيرة التي قد تبعد الكثيرين من القراء أو يمكن أن تكون صعبة الفهم لدى البعض، لذلك أرى أن المهم هنا هي أن نتيجة التطبيق الرياضي تكون ٢٩٩ ألفا و ٤٥٨.٧٩٢ كيلو مترا في الثانية الواحدة، أي انه إذا سار القمر بسرعة الضوء فانه يقطع المسافة نفسها التي تقطعها الملائكة خلال يوم واحد!!وهي متطابقة تماما مع سرعة الضوء في المعايير العلمية الحديثة!!. كما أن هذه المعلومات تدل على أن الملائكة تسير في الكون بسرعة الضوء وهو ما يضمن انتقالها في الكون دون أن يمر عليها زمن شاق أو طويل.

بذلك يكون القران الكريم قد سبق كل البحوث العلمية العملاقة التي أجريت على الضوء، وسبق اينشتاين في الإشارة إلى نسبية الزمن، ومن رجل أمي لم يتخرج من جامعة ولم يكن أي من البشر يعرف هذه

حمايــة الإســلام للأمــوال

■ بقلم الاستاذ المحامي شكري الحسن

حرصت الشريعة الاسلامية حرصاً شديداً على حماية الملكية الفردية، وعلى حماية ثمرة جهود الفرد، فقد احاط الاسلام ملكية الانسان، مسلماً كان أم ذمياً، بسياج قوي من الحماية، وفرض عقوبات قاسية على كل معتد عليها مهما كان ذلك الاعتداء.

فنجد الاسلام قرر عقوبة قطع اليد في السرقة، فقال تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله**﴾ **المائدة: ٣٨**، كما كان رسول الله ﷺ، لم يتشدد في تنفيذ حد كما تشدد في تنفيذ حد السرقة، فقد جاء مرة الصحابي الجليل اسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان من احب الناس اليه، جاء يتشفع في فاطمة بنت الاسود المخزومية، حيث أوجب عليها حد السرقة، لأنها سرقت حليا وقطيفة، وكان تبرير اسامة في شفاعته، ان فاطمة تلك تنتسب لبطن شريف من بطون مكة، وان اقامة الحد عليها سيكون عاراً على عشيرتها، فماذا كان رد رسول الله ﷺ؟

لقد انكر النبي ﷺ شفاعة اسامة وانتهره قائلا: «اتشفع في حد من حدود الله» ثم بين ان الاسلام لا يفرق بين شريف و وضيع في هذا الموضوع، وان فاطمة بنت محمد ﷺ، لو سرقت لقطع يدها، ثم اضاف قائلا: «انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد».

صحيح ان عقوبة القطع لا توقع الا بشرط يتعلق بعضها بمادة الشيء المسروق، وبعضها بقيمته، وبعضها في المكان الذي تمت فيه او منه السرقة، وبعضها بالسارق نفسه، وبعضها بالمالك، وبعضها بعلاقة السارق والمسروق منه بعضهما ببعض ووجود قرابة، وبعضها بالشهود، وذلك مفصل في كتب الفقه الاسلامي. وصحيح انه لا يقع القطع الا حيث تنتفي الشبهات، فان قامت شبه ما، فلا يصح توقيع تلك العقوبة، قال النبي ﷺ: «ادرءوا الحدود بالشبهات».

ولكن سقوط القطع لانعدام الشروط وعدم توافرها، او لقيام شبه من الشبهات ذلك لا يعفي السارق من العقوبة، فهناك التعزير في كل حالة يسقط فيها الحد، اذا ثبتت الجريمة بأي طريقة من طرق الاثبات.

والتعزير عقوبة يقررها ويقدرها القانون، والقاضي ينفذها، وتتفاوت هذه العقوبه في شدتها تبعا لتفاوت درجات الجريمة ومبلغ خطورتها، وتبعا لاختلاف المجرمين انفسهم، وما يكفي لردعهم ويكون كالجلد والحبس.. وما الى ذلك.

ذلك كله في السرقة العادية ويسميه الفقهاء: السرقة الصغرى، اما قطع الطريق او ما يسميه العلماء الحرابة او السرقة الكبرى، فالعقوبة اشد، فقد نص القران الكريم على هذه العقوبة بقوله تعالى: **﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**.

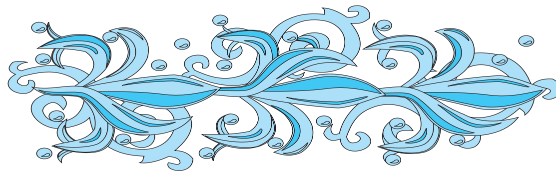
ويرى الامام ابو حنيفة في تفسير ذلك، ان قاطعي الطريق يعاقبون بالقتل او الصلب او بالعقوبتين معا ان قبض عليهم بعد ان سرقوا المال وقتلوا النفس، بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى للواحد منهم ان سلبوا المال فقط، وبالحبس وهذا في نظره، معنى قول الله عز وجل: **﴿او ينفوا من الارض﴾** وان كان القبض عليهم تم قبل ان يرتكبوا جريمة القتل ولا جريمة السلب.

كذلك فقد اجاز الاسلام للمالك ان يدافع عن ماله، بكل وسائل الدفاع، حتى لو ادى ذلك الى قتل المعتدي.. كما ان المعتدى عليه ان مات وهو يدافع عن ماله فله منزلة الشهادة، قال النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد» او كما قال.

والاسلام يجيز نزع الملكية الفردية لتعميم النفع بها، لان المصلحة العامة اولى من الفردية الخاصة، ويرى الفقهاء جواز نزع الملكية الفردية اذا اقتضت الحاجة المرافق العامة او مصلحة الجماعة، ونصوا انه اذا ضاق الجامع ولم يتسع للمصلين جاز هدم الدور التي حوله مع تعويض اهلها عنها، بل ان عمر رضي الله عنه فعلها حين وسع المسجد النبوي الشريف.

كذلك يجيز الاسلام نزع الملكية من صاحبها اذا أساء استخدام حقه فيها، وتعسف في استخدام ذلك الحق فتصرف تصرفا يضر في الناس، وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ الهام على الصحابي الجليل سمرة بن جندب، فقد كان لسمرة نخل في بستان لرجل من الانصار، فكان سمرة يكثر من الدخول للبستان، فيؤذي صاحب البستان واهله، فشكى الرجل الامر لرسول الله ﷺ، فاستدعى سمرة وقال له الرسول ﷺ: «بع نخلك»، فأبى سمرة فقال: هبها له ولك مثلها في الجنة فأبى، فقال الرسول ﷺ: «انت مضار» ثم قال لمالك البستان: «اذهب واقلع نخله» او كما قال الرسول ﷺ.

وبالنظر الى مختلف التشريعات والتوجيهات الاسلامية في هذا المجال وسواه، نرى كم احاط الاسلام العمل والمجهود الانساني بحماية لا تقل في قوتها عن حماية الملكية ورأس المال.



يا من به أسرى الإله تعالى

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

يـا مـن بـه اسرى الإلـه تـعـالـى ... مـن مكـة الـبـيـت الـحـرام تـلالا
للمسجد الأقصى الشريف ببرهة ... حـمـل الـبـراق مـحـمـداً أمـيـالا
من بـعـد مـا شق الأمين محمداً ... لـم يـبـق لـلـشـيـطـان فـيـه مـجـالا
وبـزمـزم غـسـل الأمـيـن فـؤاده ... فـغـدا سـلـيـمـاً صـافـيـاً يـتـلالا
وهناك في الاقصى يؤم مكبراً ... بـالأنـبـيـاء جـمـيـعـهـم إجـلالا
وكـأنـهـم قـد سـلـمـوه قـيـادة ... جـعـلـوه فـيـهـم قـائـداً خـيـالاً
والـكـل مـنـهـم مـرسـل ومـوحـد ... يـدعـو الـى الاسـلام لا ابـدالا
هـو ديـن كل الأنـبـيـاء وحيدها ... لا غـيـره لـلـعـالـمـيـن هـلالا
يـا سـيـد الـثـقـلـين انت مكرم ... عـنـد الإلـه لـتـهـدي الاجـيـالا
يا خير خلق الله انت شفيعنا ... يـوم الـقـيـامـة تـنـقـذ الـذلالا
ان كان أهل الأرض بان جحودهم ... صـدوك عـن ابـوابـهـم جُـهـالا
يكفيك نصر الله فهو المبتغى ... يـا مـرحبا بـالـنـصـر منـه تعالى
وابشر بخير ضيافة ومكانة ... سـبـع طـبـاق فـتـحـت تـتـوالـى
والكل من اهل السماء مرحب ... بـقـدومـكـم ويـمـجـد الاقـوالا
والـلـه فـي عـلـيـائـه يـرعـاكـمو ... سـيـريـك آيـات الـهـدى أشـكـالا
سيريك أصحاب الجنان تمتعوا ... بـالـخـلـد فـيـهـا زائـديـن جـمـالا
أزواجـهـم فيـهـا مـن الـحـور الـتي ... وبـكـل شـوق يـنـتـظـرن رجـالا
مـمـن اطـاعـوا ربـهـم ورسـولـهـم ... بـذلـوا لـذاك الـنـفـس والأمـوالا
ويريك اصحاب الجحيم تسربلوا ... بـالـنـار فـيـهـا يـحـمـلـون ثـقـالا
مـمـن أطـاعـوا غـيـهـم وضـلالـهـم ... ذاقـوا بـذاك الـويـل والاهـوالا
وتـعـود مـن عـنـد الإلـه بـطـاعـة ... يـمـحـو بـهـا الأوزار والاحـمـالا
وصـلاة رب عـلـى الـنـبـي وآلـه ... نـرجـو بـهـا عـفـو الإلـه تـعـالـى



خطبة الجمعة

ذكرى الإسراء والمعراج الشريفين

بقلم الشيخ هاشم محمد علي

يقول رب العزة سبحانه: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء:١، شاء الله الذي لا راد لمشيئته سبحانه، القادر الذي لا يعجزه شيء أن يمن على حبيبه المصطفى ﷺ برحلة مباركة طيبة هي الإسراء والمعراج.

وإن المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء، وهو مؤمن بقدرة الله القادر المقتدر: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾** يس: ٨٢ .

المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء والمعراج وهو يقرأ في كتاب الله عز وجل أن الله تعالى أنزل عبدين من عباده من السماء إلى الأرض ورفع عبدا من عبيده من الأرض إلى السماء أنزل آدم وزوجه: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾** البقرة: ٣٨ .

ورفع عيسى عليه السلام: **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾** آل عمران: ٥٥، فكيف نستكثر على رسول الله ﷺ أن يعرج به مولاه؟

المؤمن يا عباد الله، يقرأ في

كتاب الله عز وجل أن الله تعالى وهب عبدا من عباده القدرة على نقل عرش ملكة سبأ من جنوب اليمن إلى أرض فلسطين في غمضة عين: **﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ❖ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ❖ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾** النمل: ٣٨-٤٠ .

فإذا كانت هذه قدرة عبد فكيف بخالقه؟ وإذا كانت هذه إمكانية موهوب فكيف بالواهب سبحانه ؟

إن من الحقائق العلمية أيها الاخوة المؤمنون، أن القوة تتناسب تناسبا عكسيا مع الزمن، فكلما زادت القوة قل الزمن فكيف إذا كانت القوة هنا هي قوة الحق سبحانه؟ لذا جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ أسري به وعرج وعاد وفراشه لم يزل دافئا عليه الصلاة والسلام.

أما صفة الإسراء والمعراج: فآلة الركوب كانت هي البراق، ((أتاه به جبريل فكانت تضع حافرها عند منتهى طرفها، صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماما في بيت المقدس صعد إلى السموات العلا اطلع على أهل الجنة واطلع على أهل النار، اطلع على أهل الجنة فأري رجالا يزرعون يوما ويحصدون يوما كلما حصدوا عاد الزرع كما كان قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يخلف الله عليهم ما أنفقوا)) **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾** سبأ: ٣٩ .

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكا تلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقا خلفا» وأمتنا عندما تركت الجهاد وضنت على الله عز وجل بمالها بأنفسها، سلط الله عليها ذلا ليس بعده ذل أن أراذل خلق الله عز وجل يسوقونها: **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾** الأنعام: .

قال ابن كثير: ((من فوقكم أي الصواعق ومن تحت أرجلكم أي أن يسلط

عليكم أراذلكم)). ((رأى النبي ﷺ رجالا وأقواما ترضخ رؤوسهم بالحجارة قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة)).

نعم اخوة الاسلام، العقول والرؤوس التي كانت تحترم كل موعد بشري يزيد من رصيدها ويزيد من مالها تخرج مبكرة وتعود في آخر ساعات الليل، ولكنها تنسى موعدها مع الله عز وجل في موقف بين يدي الله في خمس صلوات، مثل هذه الرؤوس لا وزن لها ولا كرامة لها عند الله، وتستحق يوم القيامة الرمي بالحجارة.

((ورأى النبي ﷺ أقواما يسرحون كما تسرح الأنعام، طعامهم الضريع (نبت ذو شوك) قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم))، وأي درك حيواني يبلغه الغني المسلم عندما يفتقد مشاعر الأخوة، مشاعر الرحمة والرأفة بالضعيف الفقير، ومثل هذا يستحق أن يحشر يوم القيامة على صورة الحيوان.

((ورأى النبي ﷺ رجالا يأكلون لحما نتنا خبيثا، وبين أيديهم اللحم الطيب النضج قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء رجال من أمتك تكون عند أحدهم المرأة بالحلال فيدعها ويبيت عند امرأة خبيثة حتى يصبح))، المؤمن ينأى بمائه أن يضعه إلا في الموضع الكريم الطاهر.

وتجتنب الأسود ورود ماء

إذا كان الكلاب ولغن فيه

أما النفس الهابطة أما النفوس العفنة، فإنها لا تبالي أن يكون الفراش طاهرا أم نجسا.

نعم أيها المؤمنون ((ورأى النبي ﷺ نساءً معلقات من أثدائهن قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللواتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهن))، أجمل ما في الرجل غيرته وأجمل ما في المرأة حياؤها، ولكن من علامات قرب الساعة زوال ذلك كما جاء في الأثر: (إذا كان آخر الزمان رفع الله أربعة أشياء من الأرض، رفع البركة من الأرض والعدل من الحكام والحياء من النساء والغيرة من رؤوس الرجال) جيل المستقبل المظلم الذي نعيشه في واقعنا والذي أصبح شغله الشاغل في ليله ونهاره، أن يظفر بالنظرة

الحرام وباللمسة الحرام وبالمتعة الحرام الا من رحم الله، جيل سبق الجاهلية في جاهليتها، وهذا عنترة الجاهلي يصف عفته فيقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

و ((عندما بايع النبي ﷺ نساء مكة على ألا يزنين ولا يسرقن، غطت هند بنت عتبة وجهها وقالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟» استكثرت أن تبايع على هذا الأمر الذي تستقبحه المرأة الحرة فضلا عن أن تكون امرأة مسلمة.

الدروس المستفادة من حادثة الإسراء والمعراج:

درس في النبوات، صلاة النبي ﷺ بالأنبياء إماما له دلالتان، هي وحدة الأنبياء في دعوتهم، فالكل جاء بالتوحيد الخالص من عند الله عز وجل، الأنبياء إخوة ودينهم واحد: ﴿**وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ الأنبياء: ٢٥ .

وما جرى في اليهودية والنصرانية من الانحراف إنما هو بفعل أيديهم: ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ التوبة: ٣٠ .

نعم عباد الله، صلاة النبي ﷺ بالأنبياء إماما، لها دليل ولها دلالة أن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبوة بعد رسول الله ﷺ ولا رسالة: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ الأحزاب: ٤٠ .

وفيها درس للدعاة إلى الله تعالى، عندما عاد النبي ﷺ من رحلته الميمونة المباركة أراد أن يخرج للناس حتى يبلغهم، فتشبثت به أم هانئ بنت أبي طالب تقول له: يا رسول الله إني أخشى أن يكذبك قومك فقال ﷺ: «والله لأحدثنهموه» «سأخبرهم وإن كذبوني».

نعم أيها الاخوة المؤمنون، درس للدعاة إلى الله عز وجل أن يبلغوا أمانة الله تعالى رضي الناس أم غضبوا، رسول الله ﷺ يقول: « .. ومن التمس رضا الناس بسخط

الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس»، وإذا كان أنبياء الله عز وجل يتهمون بالكذب والسحر والجنون!! فليس في ذلك غرابة بعد ذلك أن يتهم الدعاة إلى الله في واقعنا بالتطرف بالإرهاب والرجعية والتأخر.

ودرس آخر في بناء الرجال، والرجال لا يمكن بناؤهم إلا من خلال المواقف، عندما تحدث النبي ﷺ بأمر الإسراء والمعراج طفق القوم بين مصفق وبين واضع يده على رأسه تعجبا يقول ابن كثير: «وارتد ناس ممن آمن بالنبي ﷺ»، فالأمر يحتاج إلى يقين، يقين بقدرة الله ويقين بصدق المصطفى ﷺ فالمحنة تفرز حقائق الرجال، أفرزت هذا النموذج الذي لم يستطع أن يستوعب الأمر لضعف إيمانه، وأفرزت رجالا كأبي بكر الصديق: «جاءته قريش يقولون له: انظر ما قاله صاحبك إنه يدعي أنه أتى في بيت المقدس وعاد في ليلة ونحن نضرب إليه أكباد الإبل شهرا ذهابا وشهرا إيابا! فقال أبو بكر رضي الله عنه: وهو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن كان قد قال فقد صدق» إيمان ثابت إيمان لا تعبث به الدنيا ولا تزلزله الجبال، إيمان قد استقام على حقيقة منهج الله عز وجل.

ودرس آخر يا عباد الله في معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه، فقد طلبت قريش من النبي ﷺ أن يصف لها بيت المقدس ورسول الله ﷺ قد جاءه ليلا ولم يكن قد رآه من قبل يقول ﷺ: ((فأصابني كرب لم أصب بمثله قط))، أي أن الأمر سيفضح أي النبي ﷺ سوف يتهم بالكذب ولكن حاشا لله أن يترك أولياءه يقول ﷺ: فجلى الله لي بيت المقدس -فكشفه لي- فصرت أنظر إليه وأصفه لهم باباً بابا وموضعاً موضعا، **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: ٥١ .

وهذا درس لكل صاحب هم لكل صاحب قلب مكلوم، ألا يلتفت قلبه إلا إلى الله عز وجل، رسول الله ﷺ رجل واحد يحمل هم الدنيا كلها، رجل واحد يحمل أمانة تنوء بها الجبال ماتت زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، التي كان يأوي إليها عند تعبه، مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه كان يبحث عن رجال صدق

يعينونه في تبليغ أمر دعوة الله عز وجل، ذهب إلى ثقيف ولكنها ردته رداً سيئا وأغرت به السفهاء، فضربوه بالحجارة حتى أدميت قدماه الشريفتان، لجأ النبي ﷺ إلى حائط وأخذ يناجي رب العزة سبحانه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، إلهي أنت رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل علي غضبك أو أن تحل بي عقوبتك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله».

يبرأ النبي ﷺ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ويأتي حادث الإسراء والمعراج إيناسا للمصطفى ﷺ وإعلاما له.

وفي هذه الرحلة يا عباد الله، درس في الجهاد، حيث رأى النبي ﷺ البيت المعمور وهو بمنزلة الكعبة في السماء تحجه الملائكة هناك ((رأى النبي ﷺ جند الله عز وجل من الملائكة يدخلون البيت المعمور في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة)) ﴿**ولله جنود السموات والأرض ولا يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ فلماذا إذاً فرض الله علينا الجهاد؟ وهو القادر بكلمة «كن» فيمكن أن يبدل الحال غير الحال، ولله عز وجل جنود الأرض والسماء؟ يريد الله تعالى ألا يتنزل نصره على كسالى يبخلون على الله بأنفسهم، إن الله تعالى يحب أن يرى الدماء تسيل لأجله ويحب الله تعالى أن يرى الأموال تبذل لأجله، وهذا عبد الله بن جحش في غزوة أحد رفع يده بدعاء، وتأمل في دعائه يقول: ((اللهم إنك تعلم أنه حضر ما أرى (أي من التقاء الجيشين) فأسألك ربي أن تبعث إلي رجلا كافرا صنديدا قويا يقتلني ويجدع أنفي وأذني ويضعها في خيط (زيادة في النكال والتمثيل) ثم آتيك ربي بدمي فتقول: فيما ذاك يا عبد الله؟ فأقول: فيك يا رب ، فيك يا رب قد تمزق جسدي وسال دمي)).

أمنية يتمناها المسلم عند الله عز وجل: ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)) فنسأل الله الشهادة.

وهذا درس في الصحوة الإسلامية، تأمل العلماء الربط بين إسراء النبي ﷺ من مكة البيت الحرام إلى بيت المقدس فذكروا أن مكة هي رمز للإسلام لدين الله عز وجل، وبيت المقدس هو رمز لحال المسلمين فما يجري في تلك الأرض هو علامة صحوة المسلمين أو غفلتهم وجذوة الجهاد التي انطلقت من هناك، دليل على أن أمر الغيرة زال في الأمة وأنه ما زال فيها جيل وأنه ما زالت فيها الرغبة في أن تعود إلى الله عز وجل، أن تعود إلى زعامة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وبيت الله عز وجل لا يتحرر إلا على أيد متوضأة طاهرة كريمة . أما الأيدي التي يحمل أصحابها أفكارا منحرفة وعقائد فاسدة وعلمانية كافرة مثل هذه الأيدي لا يبارك الله فيها، وحاشى لله أن يكتب لها النصر والتأييد مصداقا لقول النبي ﷺ: «لتقاتلن اليهود فيختبأ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله».

تمت بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الثامن - المجلد ٥٣

شعبان ١٤٣٠هـ - آب ٢٠٠٩م



المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثامن ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

«نعمتان مغبون فيهما

مع بداية الإجازة الصيفية للطلاب والطالبات، سوف يتوفر لهم بذلك وقت فراغ كبير بعد ان كانوا منشغلين بالدرس والتحصيل العلمي، وبهذا تتضاعف المسؤولية على أولياء الأمور، في حفظ أوقات أولادهم وتوجيههم الى استغلال هذه الاجازة فيما يعود عليهم بالخير والفائدة، فلا يخفى على كل عاقل أهمية الوقت، إذ هو حياة الانسان التي هي أعز شيء لديه، وما أجمل قول الشاعر في ذلك:

دقات قلب المرء قائلة له ... ان الحياة دقائق وثوان

لذلك، فإنه يجب على المسلم ان يقدر الوقت حق قدره، ويحرص على اغتنامه في الخير وعمل الصالحات، وإشغاله بما يفيده في العاجل والآجل، وان يحذر من اهدار الوقت واضاعته فيما لا ينفعه أو فيما يعود عليه بالضرر والإثم في دينه ودنياه، فسوف يسأل الإنسان عن هذا الوقت، هل عمل فيه بطاعة الله وأشغله فيما يرضي ربه عز وجل؟ ام انه فرط في وقته وأضاعه في معصية الله ومخالفة أمره؟.

فعن ابي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم افناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

وقد حرصت وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية على اغتنام فرصة العطلة الصيفية للمدارس، بافتتاح المراكز الصيفية لتحفيظ القرآن الكريم، لأبنائنا الطلاب من الذكور والإناث في معظم مساجد محافظات وألوية المملكة، عملاً بحديث النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس.. الصحة والفراغ».

حيث تعمل الوزارة على الافادة من العطلة الصيفية من كل عام، بإنشاء

«كثير من الناس.. الصحة والفراغ»

المراكز لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم بإشراف أساتذة مؤهلين ومختصين بعلوم الشريعة الاسلامية، وحاصلين على إجازات في أحكام التلاوة والتجويد، لصقل مواهب الناشئة والشباب وتحفيظهم ما تيسر من القرآن الكريم، ضمن منهج مرسوم واضح، ثم تكريم المتميزين منهم بأداء مناسك العمرة على نفقة وزارة الأوقاف وتقديم المتفوقين منهم للتنافس في المسابقات الهاشمية الوطنية والدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، التي تعقد في شهر شعبان للإناث وفي شهر رمضان المبارك للذكور من كل عام، برعاية ملكية سامية، وكذلك اختيار المتميزين والمتفوقين منهم، للمشاركة في المسابقات الدولية لحفظ القرآن الكريم، التي تقام في بعض الدول العربية والاسلامية.

وقد حرصت وزارة الأوقاف على وضع مواد مساندة للتلاوة والحفظ، كالحديث النبوي الشريف، الذي يرسخ في الشباب الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة، وكذلك دروس في السيرة النبوية التي تغرس في الطلاب حب النبي ﷺ واتباع سنته، وفهم نشأة الدعوة الاسلامية، وكذلك بعض دروس الفقه لمعرفة أمور الدين والقيام بالعبادات على الوجه الصحيح.

كما تحرص الوزارة على غرس القيم والمبادئ المثلى، من خلال ابراز الصورة المشرقة للإسلام، واستجلاء سماحته واعتداله ووسطيته، ونبذه للعنف والإرهاب والتطرف واحترام حقوق الانسان، مسترشدة بمضامين رسالة عمان.

وتأمل وزارة الأوقاف ان تخرِّج هذه المراكز طلاباً يعلمون ويعملون، ليكونوا القدوة الحسنة في حب الخير وعمل البر، وخدمة الأهل والوطن، وليلاحظ الجميع من خلال صقل مهاراتهم وتوجيه طاقاتهم لعمل الخير، التغير الذي يسر الآباء والأمهات وجميع أفراد المجتمع بإذن الله تعالى.

أسرة التحرير

٤٢

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك..﴾

سورة المائدة: ٤١-٥٠

■ بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

ظل المؤمنون أوفياء بالعقود وحافظين للعهود، فالحكم عندهم لله لا للهوى، ولكن فريقاً من المنافقين اتخذوا إلههم هواهم، مما أحزن الرسول الكريم ﷺ، فنزلت الآية الكريمة عزاء له وسلوى، حتى لا تحترق الخلايا، من اجل قوم خفاف الأحلام، لا يستأهلون ذلك، بمعنى: لا تبال بهؤلاء المسارعين في الكفر، كأنهم معه في سباق، يظهرونه كلما سنحت لهم فرصة يريدون الحكم بغير ما أنزل الله.

هؤلاء الذين جعلوا من الدين ثوباً يستترون به، ثم يخلعونه متى شاء لهم هواهم، لا تبال بهم، وبمن على شاكلتهم فهم سماعون للكذب، يقبلونه ويروجونه للتشويش عليك، ثم انهم ألعوبة في أيدي سدنتهم، جواسيس لهم، ينقلون لهم عنك ما يحرفونه بالكتاب بالزيادة أو النقصان، بعد استقرار الحق في مواضعه، قائلين: ان حَكم محمد بما نهوى فبها وإلا فاحذروا!

انهم مصرون على الضلال، وأمام مطالع الهدى، فأراد الله سبحانه وتعالى ان يستمروا ضالين كما اختاروا لأنفسهم، فأرح نفسك منهم، فليس لك من الأمر شيء.

وكما انك لن تستطيع تغيير معادن الأرض، فلن تستطيع تغيير معادن النفوس.. النفوس التي فقدت أهلية الاستبصار والاعتبار، ومع ذلك.. فلن تمر جريمتهم بلا عقاب **﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في**

الآخرة عذاب عظيم﴾.

«والوعيد في الآية الكريمة لا يوجه الى اليهود لذواتهم واعيانهم، فذواتهم كسائر الذوات، ولا لنسبهم وأرومتهم، فنسبهم أشرف الأنساب، وانما هو وعيد على فساد القلوب، الذي نشأ عنه فساد الأعمال».

وما يعينك عليهم تذكرك انهم لا يكذبون عليك فقط، وانما يكذب بعضهم على بعض.. فهم **﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾**، انهم يجمعون بين الخستين: قبول الكذب وأكل الحرام! انهم لطول ما ألفوا من الانحراف، كأنما صار لهم جبلة وطبعاً.

والمطلوب منك هو **﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم﴾** انت مخير بين ان تحكم او تعرض، وفي حالة الإعراض عنهم لا تخف منهم، فلن يضروك شيئاً ما من الضرر، فهم اضعف من ان يضروك، أما اذا اخترت الحكم بينهم، فاحكم بينهم بالعدل، وليس بما يريدون **﴿ان الله يحب المقسطين﴾**.

الا انه لعجيب امر هؤلاء الناس **﴿كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾**؟!! كيف يحكمونك والحال ان لديهم التوراة فيها حكم الله فيما يريدون تحكيمك فيه؟!!

والغريب انهم بعد حكمك العادل، وبعد رضاهم به، وإيثارهم له **﴿يتولون بعد ذلك﴾**، وقبل ان يذهب بك التعجب من هؤلاء كل مذهب، فخذ سبب هذا الانحراف: انهم لا يؤمنون.. لا بالتوراة.. ولا بك **﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾**.

لكن المؤمن الصادق هو الذي اذا آمن بشرع: «لا يرغب عنه الى غيره الا اذا آمن بأن ما رغب اليه شرع من الله أيضاً، أريد به الأول أو نسخه لحكمة اقتضت ذلك.

وهؤلاء تركوا حكم التوراة التي يدعون الايمان بها، لأنه لم يوافق هواهم، ثم جاءوك يطلبون حكمك رجاء ان يوافق هواهم، ثم يتولون معرضين، لأنه لم يوافق هواهم، فما هم بالمؤمنين بالتوراة ولا بك، ولا بمن أنزل على موسى التوراة وأنزل عليك القرآن!».

وقد يتبجحون فيقولون: إنهم مؤمنين! مع ان الايمان تصديق بالقلب.. وإذعان بالفعل، واذ يؤثر المنحرفون حكم الهوى، فإن ذلك لا ينفي ان في التوراة هدى ونوراً، وان جحد هؤلاء ذلك.

ان العيب في قلوبهم المظلمة، وليس في التوراة الهادية، ولئن رفضوا حكم الله تعالى، فقد حكم النبيون من بعد موسى فأمضوا أحكام التوراة، وكذلك الربانيون

الذين حكموا بها لما أقامهم الله تعالى حراساً عليها.

وإذن فيا بني اسرائيل، احكموا بها، فإن فيها هدى، بياناً للأحكام، وان فيها نوراً مؤكداً ان النبي حق، ولا يمنعنكم من هذا الالتزام خوف ولا طمع، ﴿**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾.

قال عكرمة: «قوله تعالى انما يتناول من انكر بقلبه، وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله، الا انه اتى بما يضاده، فهو حاكم بما انزل الله تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح والله تعالى اعلم» الرازي.

ومن احكام التوراة التي تلزمهم تطبيقها وإلا كفروا: ﴿**ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف**﴾ اي: تقتل النفس بالنفس اذا قتلت عمداً، والعين تفقأ بالعين، والأنف يجدع بالأنف، والأذن تصلم بالأذن، وهكذا تكون هذه الأعضاء المتماثلة كالنفس في كون جزاء المعتدي عليها مثل ما فعل، وهذا هو العدل ومن حكم بهواه فهو من الظالمين حتماً.

ولقد ظل موكب الإيمان ماضياً لا يضره من خالفه، ولذلك بعث عيسى عليه السلام بعد أولئك النبيين الذين حكموا بالتوراة والذي سار على دربهم، جارياً على سنتهم، مصدقاً للتوراة، وآتاه الله الانجيل ﴿**فيه هدى ونور مصدق لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**﴾.

ومن بين ما اشتمل عليه: التوحيد وما ضم عليه من نور كاشف، يبصر المؤمنين في سناه طريقهم، وبين يديه المسيح عليه السلام مصدقاً للتوراة بقوله وعمله وحاله، فضلاً عما كان به من الآداب والمواعظ التي من شأنها كسر الغرور اليهودي، وزعزعة الجمود الاسرائيلي، على ان المنتفع الحقيقي بذلك كله هم المتقون.

فليرتفع اهل الانجيل الى أفق التقوى، وليحكموا بما أنزل الله في الانجيل، فراراً من الفسق والظلم والكفر.

ثم جئت على قدر يا رسول الله ﴿**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾ أنزلنا اليك القرآن، الكتاب الذي اذا اطلق كان المقصود به القرآن، انزلناه بالحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصدقاً لما سبقه من الكتب، شاهداً بأن الرسل عليهم السلام جميعاً لم يفتروا رسالاتهم، وانما هي جميعاً من عند الله تعالى.

ثم هو مهيمن على ما سبقه من الكتب، رقيب شهيد عليها، أمين عليها، يصدق

الصادق ويصحح الخطأ، **﴿فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق﴾**.

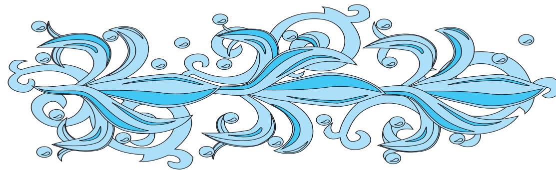
احكم بينهم لأن شرعك ناسخ لشرعهم، قائم بأمر الحياة بعد شرائعهم، مع الأخذ في الاعتبار ان مسلسل ظلمهم واحتيالهم لن يتوقف في محاولات مكرورة للنيل منك، فلا تتبع اهواءهم التي تريد صرفك عن المضي في طريق الحق المبين.

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾.. تختلف الشرائع، وتتحد الأصول، **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾**، ولكنه تعالى لم يفعل **﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾** هل تعملون بها أم لا؟!

ويفرض عليكم الايمان ان تستبقوا الخيرات، ابتدروها.. شمروا عن ذراع واكشفوا عن ساق فيما يشبه السباق وصولاً اليها، حتى اذا رجعتم الى ربكم -ولا بد انكم راجعون- أخبركم عز وجل بمن هو المحق، ومن هو المبطل، فيجاري المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

ولأن خداع اليهود مستمر.. فاستمر انت ايضاً مصراً على تنفيذ حكم الله تعالى فيهم **﴿وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل اليك﴾** وانتبه لمكرهم الخبيث، انهم يحاولون صرفك عن البعض أولاً، تهويناً لشأنه، وعن طريقه يجرونك الى الفتنة عن كله في النهاية!!

ذلكم وصاكم به ربكم، لكنهم ما يريدون الا حكم الجاهلية، ولا أحد أحسن حكماً ممن حكم بشرع الله موقناً بصحته، ذلك بأنه العدل من قبل الحاكم.. والقبول من قبل المحكوم.



١

الإعجاز الغيبي
في القرآن الكريم
والحديث النبوي الشريف

■ بقلم الدكتور شحادة العمري

والدكتور محمد عبدالرزاق الرعود

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ، وقد تضمن وجوهاً من الإعجاز؛ أعظمها الإعجاز البياني؛ لأنه ينتظم القرآن كله، أما أخبار الغيب عن الكوائن في مستقبل الزمان فليست موجودة في كل آية.

ولئن كان القرآن الكريم هو الرسالة والمعجزة، فإن لرسول الله ﷺ معجزات قواطع، وآيات سواطع، يعجز الناس عن احصائها واستقصائها، و قد كثرت المصنفات والمؤلفات في المعجزات النبويات، منها المبسوطات والمختصرات.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن في المعجزات النبوية وجوها من الإعجاز؛ كأوجه الإعجاز في القرآن الكريم ؛لأن السنة النبوية وحي، وبيان عن وحي، قال ناصر السنة، وقامع البدعة، الإمام الشافعي رضي الله عنه : "سنة رسول الله ﷺ وحي، وبيان عن وحي، وأمر جعله الله إليه بما ألهمه من حكمته، وخصّه به من نبوته، وفرض على العباد اتباع رسول الله ﷺ في كتابه".

وهذا البحث إنما يقوم ببيان الإعجاز الغيبي الكامن في الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن ظهور هذه الفئة التي ينتمي إليها بعض المعاصرين على اختلاف مشاربهم، وتنوع تخصصاتهم، يزعمون التنوير، وما علموا أنهم قد وقعوا في حمأة التزوير.

وستظهر هذه الدراسة الوشائج والعلائق بين الإعجاز الغيبي الكامن في الأحاديث الصحيحة وإشارات الإعجاز الغيبي في مضامين بعض الآيات الكريمة.

❖ المقدمة:

فهذا بحث وجيز موسوم بـ: «الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف» تحدثنا فيه عن الإعجاز الغيبي الذي يعدّ أحد وجوه الإعجاز الكامنة في القرآن والحديث، وبيان أن ما تضمنه هذا الإعجاز من الإخبار عن بعض الكوائن قد تحقق، ونؤمن بأن هناك أخباراً نبوية غيبية لم تظهر؛ حيث لم يحن وقت ظهورها بعدُ، وهو مما يعلمه المحققون من أهل العلم بالحديث النبوي الشريف.

وتظهر أهمية البحث في الإعجاز الغيبي لإظهار صدق النبي ﷺ فيما أخبر من وحي غير متلو، وخاصة في هذا الزمان الذي تثار فيه زوابع الشبهات والترهات هنا وهناك لتشكيك المسلمين برسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى له: **﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾**(١) ومن هذا الفضل العظيم أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى **﴿وما ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلاّ وحي يوحى﴾**(٢).

❖ هدف البحث ومسوّغاته:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- إثبات أن الإعجاز عند الإطلاق إنما يطلق على إعجاز القرآن الكريم، وأن المعجزات النبوية إنما تأتي تبعاً لمعجزة القرآن الكريم، وعلى الرغم من ذلك يظل الإعجاز في الحديث النبوي فوق طوق البشر.

- الرد على الطاعنين بالمعجزات النبوية الذين يزعمون أن هذه المعجزات قد انتهت في زمن الرسالة، ولا تناسب عصر العلم والتقنيات.

- إعطاء المسلمين الأمل الواعد بأن ما صحّ عن رسول الله ﷺ من أخبار الغيب لا بد أن يتحقق؛ لأنه كلام الصادق المصدوق ﷺ الذي أخبر عن كوائن وقعت في عصر الرسالة وبعدها.

هذا، واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: الإعجاز في القرآن الكريم والحديث النبوي.

المبحث الثاني: الإعجاز الغيبي في الحديث النبوي يفصّل الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي في حديث: «ألا إنّي أُوتيت الكتاب ومثله معه..»

وإخباره عن طائفة «القرآنيين» في هذا العصر

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث، وأبرز النتائج.

والله نسألُ أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون، الاّ من أتى الله بقلب سليم.

❖ المبحث الأول: الإعجاز في القرآن الكريم والحديث النبوي:

لقد أضحت كلمة «الإعجاز» عند الإطلاق يراد بها إعجاز القرآن الكريم على الرغم من عدم ورودها لفظاً في القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وعلى الرغم من ذلك انتشرت هذه الكلمة وفشت، وكثر استعمالها في مؤلفات الخاصة والعامة، وأضافها بعض العلماء إلى الحديث الشريف تارة بهذا اللفظ، وتارة أخرى بلفظ المعجزات النبوية.

وللعلامة الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى كلام جزل في هذا الشأن قال في بيان تاريخ هذه اللفظة: "إن لفظ (الإعجاز) في قولنا: (إعجاز القرآن) ولفظ (المعجزة) في قولنا: (معجزات الأنبياء)، كلاهما لفظ محدث مولّد، وبيقين قاطع لا نجدهما في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله ﷺ، ولم أجدهما في كلام أحد من الصحابة، ولا في شيء من كلام التابعين ومن بعدهم، إلى أن انقضى القرن الأول من الهجرة، والقرن الثاني أيضاً، ثم نجدهما فجأة يظهران على خفاء في بعض ما وصلنا من كلام أهل القرن الثالث، ثم يستفيضان استفاضة ظاهرة غامرة في القرن الرابع وما بعده إلى يومنا هذا.."(٣)، وأصبحت لفظتا (الإعجاز) و (المعجزة) من المصطلحات الشرعية المتعارف عليها بين أهل العلم، ولا مشاحة في الاصطلاح.

أولاً: معنى الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

الإعجاز في اللغة: مشتق من العجز، والعجز: الضعف وعدم القدرة. والإعجاز مصدر الفعل المزيد (أعجز)، وهو بمعنى الفوت والسبق(٤) لسان العرب.

وأما في الاصطلاح: فإن إعجاز القرآن الكريم يراد به إعجاز القرآن الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، أي نسبة العجز إلى الثقلين بسبب عدم قدرتهم على معارضة القرآن والإتيان بمثل سورة من سوره ولو أقصر سورة وهي الكوثر.

أما وصف الإعجاز بأنه غيبي فنسبة إلى الغيب، والغيب هو: كل ما لم يكن

مشاهداً، والمراد به إخبار القرآن الكريم عن أخبار الأمم السابقة مما وقع قبل نزول القرآن الكريم، وكذلك ما أخبر بوقوعه في مستقبل الأيام مما لم يكن معروفاً عند نزوله، وهو ما ينسحب على الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن أمور مستقبلية غيبية.

ثانياً: ضابط الإعجاز في القرآن الكريم والحديث النبوي:

عُني الأصوليون بتعريف القرآن الكريم، وأطنبوا في بيان محترزات تعريفاتهم، قال الامام ابن السبكي عليه رحمة الله تعالى في كتابه الفذ «جمع الجوامع»: «القرآن هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته»[٥] وهذا التعريف هو ما عليه جمهور أهل الأصول، أما الإمام الزركشي فقال تعريفاً آخر قال: "القرآن: هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته"[٦] ولست هنا بصدد مناقشة الزركشي في قوله: (بآية منه) ومخالفته الجمهور، إنما يعنيني ما ذكره من محترزات لكلمة (للإعجاز) قال رحمه الله تعالى: "خرج به المنزل على غير النبي ﷺ كموسى وعيسى عليهما السلام، فإنه لم يقصد به الإعجاز، والأحاديث النبوية، وقد صرح الشافعي في (الرسالة) بأن السنة منزلة كالكتاب، قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى﴾[٧][٨].

وذهب الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى إلى أن القرآن الكريم هو المُعجِز فحسب، وأما الحديث فليس بمعجز، قال رحمه الله تعالى في كتابه (إعجاز القرآن) في الفصل الذي أفرده لكلام النبي ﷺ، قال: ".. إذا وازنّا بين خطبه ﷺ ورسائله وكلامه المنثور، وبين نظم القرآن تبين من البَون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس، ولا معنى لقول من ادّعى أن كلام النبي ﷺ معجز، وإن كان دون القرآن في الإعجاز.."[٩].

وأما الإمام السهيلي رحمه الله تعالى فسرد في كتابه (الروض الأُنف) العديد من معجزات رسول الله ﷺ الحسية، ثم قال: "وكل صورة من الصور التي ذكرناها علماً على نبوته، غير أنه لا تسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلاّ ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته"[١٠]، وهو ما نبه إليه أديب العربية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عليه رحمة الله تعالى، إذ يقول متعجباً: "أعجب شيء أنك إذا قرنت كلمة من تلك البلاغة إلى مثلها مما في القرآن، رأيت الفرق بينهما في ظاهره كالفرق بين المعجز وغير المعجز سواء.."[١١].

ومن تأمل كلام أهل العلم والفضل الذين قالوا: إن الإعجاز يكمن في القرآن الكريم، وأما الحديث فليس بمعجز، أدرك أنهم انطلقوا من ربطهم بين الإعجاز والتحدي، ورأوا أن كل ما يتحدّى به فهو مُعجز، وما عداه ليس بمعجز، وإذا علمنا أن الحديث الشريف لم يتحدّ به ﷺ عرفنا سر قولهم: إن الحديث الشريف ليس مُعجزاً.

وللإمام الماوردي رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا الباب من اللائق والمناسب أن أذكره قال في كتابه النافع الماتع الموسوم بـ (أعلام النبوة): "والمعجزات من القول: هو الإخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره، فيكون على صدقه دليلاً؛ لأن الخبر ما احتمل الصدق والكذب، وحقيقة الخبر ما كان عن ماض، فأما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازاً، فإن أضيف المستقبل إلى فعل المخبر كان وعداً يصح من نبي وغير نبي، وإن أضيف إلى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة لا يصحّ الاّ من نبي مبعوث وعن وحي منزل.. ويصحّ من النبي ﷺ في كل خبر؛ لأنه من الله تعالى المحيط بعلم الغيوب، كما قال لنبيه ﷺ: **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع الاّ ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾**»[١٢][١٣].

ثم يقرر الإمام الماوردي ما يراه راجحاً في نظره بقوله: "فثبت بما قررناه أن في الأقوال معجزة كالأفعال، فكانت من أعلام النبوة وآيات الرسل، ونحن نذكر منها ما اختص بقول الرسول ﷺ دون ما تضمنه القرآن؛ لأن القرآن معجز في الخبر وغير الخبر"[١٤].

ويطيب القول: إن الحديث الشريف وحي غير متلو، ولا يمكن أن يرقى إلى مستوى القرآن الكريم في الإعجاز، لأن القرآن كلام الله تعالى، والحديث كلام رسول الله ﷺ، وبين الكلامين بون شاسع، ولله در الأستاذ الرافعي الذي كان دقيق التعبير حين اختار عبارة (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) عنواناً لكتابه الفذ.

والحق أنه لا مانع من اطلاق لفظ (الإعجاز) على الحديث النبوي؛ لأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل ما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة من فوق بياني، وطب نبوي، وغيوب مستقبلية وغيرها مما لا يقدر عليه البشر، على الرغم من عدم التحدي، هذا القيد الذي اشترط علماء الكلام توافره ليُحكم على الشيء بأنه معجِز وهو ما ينطبق على القرآن الكريم وحده، ولذلك لم يقل

المتكلمون: إن الحديث النبوي معجز من هذه الحيثية مع قناعتهم بعجز الناس عن الإتيان بمثل الحديث النبوي لفظاً ومعنى، والله أعلم.

ثالثاً: وجوه الإعجاز في القرآن والحديث:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ، وأما ما صحّ عن رسول الله ﷺ من الحديث الشريف فيعد صنواً للقرآن الكريم من جهة، ولا يصل إليه في دقة الإيجاز وروعة الإعجاز من جهة أخرى كونه وحياً غير متلو والقرآن الكريم وحي متلو نزل بلفظه ومعناه من عند الله عز وجل، ومع هذا التفاوت تعددت وجوه الإعجاز في الحديث النبوي كتعددها في القرآن الكريم الذي كثرت وجوه إعجازه فيه، ومن هذه الأوجه: الإعجاز البياني، والعلمي، والتشريعي، والغيبي وغيرها.

لقد كثرت الكتب التي عرضت لإعجاز القرآن الكريم، والوجوه الكامنة في مضامينه، بل نجد كتبا مستقلة تتحدث عن الإعجاز البياني، وأخرى عن الإعجاز العلمي، وهكذا بقية وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهذه الكثرة في التأليف والتنوع في العرض لا نجدها في موضوع إعجاز الحديث النبوي الشريف.

❖ المبحث الثاني: الإعجاز الغيبي في الحديث النبوي يفصّل الإعجاز الغيبي في القرآن:

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم وجه إعجازي متفق عليه بين العلماء، لكنه لا ينتظم جميع القرآن الكريم آية آية، وإنما تجده في آيات معدودة، أما الإعجاز البياني فكائن في كل سورة وآية وجملة وكلمة وحرف، لأن الألفاظ قوالب المعاني.

ومن أنعم نظره في الآيات الكريمات التي عرضت للأمور الغيبية الماضية أو المستقبلية يجد كثيراً من الأحاديث النبوية التي تحمل في طياتها أخبار الغيب تبين وتفصّل ما ذكرته الآية أو الآيات إجمالا.

والحق أن هذه الصلات بين الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة في بيان أخبار الغيب المستقبلية إنما تدل على وشيجة القربى بين الوحيين، وأنهما يصدران من مشكاة واحدة.

ولبيان قوة الترابط بين وجه الإعجاز الغيبي في الحديث و وجه الإعجاز الغيبي في القرآن نذكر مثالين اثنين في الإعجاز الغيبي أحدهما: من القرآن الكريم، والثاني: من الحديث الشريف:

أولاً: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم:

(آيات من سورة الروم أنموذجاً):

يقول الله تعالى: **﴿الم ❖ غُلبت الروم ❖ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ❖ في بضع سنين لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ❖ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(١٥).

هذه الآيات الكريمات يكمن في أعطافها إعجاز بياني غيبي رائع، فقد بدئت بالحروف المقطعة: الف، لام، ميم، التي تفيد الإعجاز والتحدي في أرجح أقوال أهل العلم، لتحمل هذه الأحرف رسالة إعجازية بيانية غيبية بأن ما بعدها من أخبار الغيب حقائق تاريخية لا تقبل التشكيك والجدل، وأن هذه الغيوب واقعة لا محالة، وقد وقعت يقيناً وقت انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى.

لقد جاء وعد الله تعالى بانتصار الروم على عدوهم فارس في قوله: **﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾** بعد قوله سبحانه: **﴿الم ❖ غلبت الروم ❖ في أدنى الأرض﴾** ليكون هذا الكلام تمهيداً لذلك الوعد العظيم الذي لم يكن متوقعاً في تصور الذين ضلوا سواء السبيل، واحتكموا إلى أحوال الدولة الرومانية التي لا تحسد عليها.

يقول العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى: "وإسناد الفعل إلى المجهول؛ لأن الغرض هو الحديث على المغلوب لا على الغالب، ولأنه قد عرف أن الذين غلبوا الروم هم الفرس"(١٦)، وهذه المعرفة التاريخية كانت معلومة من الواقع الذي يعيشه القوم عند نزول هذه الآيات، لذلك فرح أهل الجاهلية عند سماعهم هذا الوعد الرباني بانتصار الروم على فارس؛ لأن الروم كانت -في واقع الحال- قد ضعفت وترهلت، ولا تقوى على فارس تلك الدولة القوية التي انتصرت على الروم وهزمتها هزيمة منكرة، ولهذا فرح المشركون تكذيباً للقرآن الذي بشر بانتصار الروم الذين هزموا شر هزيمة.

إن الإعجاز الغيبي في هذه الآيات واضح وصريح وقد أطنبت في بيانه كتب التفسير وإعجاز القرآن الكريم، واعتمدت في تفصيل ما أجملته الآيات الكريمات على الأحاديث الشريفات، وهو ما سنعرفه في الروايات التي عرضت لموضوع هزيمة فارس وانتصار الروم، في العدد القادم ان شاء الله.

الهوامش:

٠١ سورة النساء، آية ١١٣ .

٠٢سورة النجم، آية ٣ .

٠٣مداخل إعجاز القرآن/ محمود محمد شاكر ص١٩، مطبعة المدني/ جدة، الطبعة الأولى٢٠٠٢م.

٠٤ لسان العرب لابن منظور مادة (عجز).

٠٥ جمع الجوامع لابن السبكي وعليه شرح المحلي ٣٥٧/١ .

٠٦ البحر المحيط للزركشي ٤٤١/١ دار الصفوة/ مصر ط/٢ ١٩٩٢م.

٠٧سورة النجم، آية ٣ .

٠٨البحر المحيط للزركشي ٤٤١/١ .

٠٩ إعجاز القرآن للباقلاني ٢٩١ .

٠١٠ الروض الأُنف للسهيلي ٢٦٧/١ دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى.

٠١١ إعجاز القرآن للرافعي ٣٣٢ دار الكتاب العربي / بيروت ١٩٩٠م.

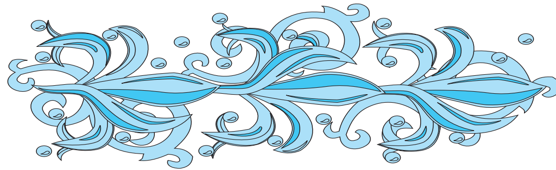
٠١٢ سورة الأنعام، آية ٥٠ .

٠١٣ أعلام النبوة للماوردي ١٧٧ تحقيق خالد العك.

٠١٤ المرجع السابق ١٧٨ .

٠١٥ سورة الروم ١-٥ .

٠١٦ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور٤١/٢٠ .



أثر العمل التطوعي في الشريعة الاسلامية

■ بقلم الدكتور خالد الشطي

للعمل التطوعي أثر عظيم على المتطوعين، الذين يساهمون بجهودهم لتنمية مجتمعاتهم، كما ان للعمل التطوعي اثراً ايضاً على المستفيدين من خدمات المتطوعين وأثراً على المجتمع.

فالمتطوع هو ذلك الانسان المعطاء الذي يساهم بجهده، ووقته، وماله لتقديم العون والمساعدة والجهد لأبناء مجتمعه، ولعل اعظم أثر للعمل التطوعي يحصل عليه بداية المتطوعون، نظراً لما قدموه من بذل وإحسان وعطاء، لأن الله سبحانه وتعالى يجزي

ومن هذه الآثار الجانبية التي يجنيها ويحصل عليها المتطوعون:

● **محبة الله للمتطوعين:**

المتطوعون هم أحب الناس الى الله عز وجل، لأنهم استجابوا لأوامره سبحانه، وكلفوا انفسهم طاقة اضافية فتطوعوا بأوقاتهم وأموالهم وجهودهم، فكان ذلك سبباً لمحبته لهم، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «أحب الناس الى الله أنفعهم»، فمن تطوع بالطاعات وتقرب الى الله بالعبادات والنوافل، وتطوع لخدمة عباد الله عز وجل، فقدّم لهم العون وفرّج كرباتهم، وسد حاجاتهم، كان من احب الناس الى الله، وكلما ازداد المتطوع في عطائه كلما ازداد قرباً ومحبة من الله، قال رسول الله ﷺ: «وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه»[(١)].

فمحبة الله عز وجل لا تكون إلا لأولئك المتطوعين الباذلين المجتهدين، قال رسول

الله ﷺ: «قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»(٢).

● محبة واستغفار من في الكون للمتطوعين:

ان الله سبحانه وتعالى يحب المتطوعين الذين يعلمون الناس الخير، ويسعون في قضاء حوائج الناس، واذا احب الله عز وجل عباده، حببهم لمن في الكون، قال رسول الله ﷺ: «اذا أحب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه، فينادي جبريل في أهل السماء: ان الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه اهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(٣).

فالناس في الدنيا يحبون المتطوعين الذين يسعون لمساعدتهم ونجدتهم وبذل المعروف لهم، قال الشاعر أبو الفتح البُستي:

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان إحسان

من جاد بالمال مال الناس قاطبة
اليه والمال للإنسان فتّان

أحسن اذا كان إمكان ومقدرة
فلن يدوم على الإنسان إمكان(٤)

والملائكة في السماء يحفون المتطوعين، ويدعون لهم، ويصلون عليهم ويحفظونهم، كرامة لما يقدمونه من بذل وعطاء، وسعي في الخير. والطير في السماء، والحيتان في البحار، والنمل في الجحور يستغفرون للمتطوعين الذين يتطوعون لطلب العلم وتعليمه للناس، وبذلهم للمعروف.

قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة، وان الملائكة لتضع اجنحتها رضاءً لطالب العلم، وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء».

وقال رسول الله ﷺ: «ان الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على مُعلمي الناس الخير».

● حفظ الله ورعايته للمتطوعين:

تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظ عباده المتطوعين، الذين يتقربون اليه بالطاعات والنوافل، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه

الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وان سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

ومن حفظ الله تبارك وتعالى لعباده المتطوعين، توكيل الملائكة الحفظة لحفظهم ورعايتهم والدعاء لهم، قال تعالى: **﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾**[٥]، وقوله عز وجل: **﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾**[٦].

● المتطوعون هم خير الناس عند الله تعالى:

خير الناس عند الله تعالى هم المتطوعون الذين يسعون لعمارة الأرض والدعوة الى الخير وبذل المعروف، قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[٧]، فهؤلاء خير الناس عند الله، ولا يستوون مع القاعدين المتقاعسين بالأجر والثواب والعطاء، قال تعالى: **﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ❖ درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[٨].

ولا يوجد في الناس أحسن من أولئك الذين يسعون الى الخير والى العمل الصالح والدعوة الى الله، قال تعالى: **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**[٩].

● المتطوعون ملئوا فراغهم بالنافع من الأعمال:

يُحاسب الانسان يوم القيامة على أوقاته وأيام حياته التي قضاها في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[١٠].

فإن استغل ايام حياته وعمره في العمل الصالح، كان له الأجر العظيم، قال تعالى: **﴿والعصر ❖ ان الانسان لفي خسر ❖ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**[١١].

فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر، والعصر هو الوقت الذي يعيشه الانسان في الحياة الدنيا، كما أقسم سبحانه بالليل والفجر والضحى لعظم الوقت وأهميته، والمتطوعون أولئك الذين استغلوا أوقاتهم الثمينة أحسن استغلال، متبعين حديث رسول الله ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك،

وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[١٢].

● المتطوعون يُيسر عسيرهم وتفرج كروبهم:

ضمن الله سبحانه وتعالى للمتطوعين الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿فأما من أعطى واتقى ❖ وصدّق بالحسنى ❖ فسنيسره لليسرى﴾**[١٣]، والله سبحانه وتعالى في عون المتطوعين ما داموا في عون الناس، فمن يسّر على الناس يسر الله عليه، ومن فرّج عن الناس فرّج الله عنه، ومن قضى حوائج الناس، قضى الله حاجاته، فالجزاء من جنس العمل.

قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

● المتطوعون تجبر فرائضهم اذا نقص منها شيء:

ومن آثار العمل التطوعي على المتطوعين، ان الله سبحانه وتعالى يجبر ما نقص من الفرائض والأركان التي أدوها، قال رسول الله ﷺ: «ان اول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله، صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»[١٤].

● المتطوعون خلفاء في الأرض:

كلف الله سبحانه وتعالى الانسان بحمل الأمانة، وهي استخلافه في الأرض وعمارتها، قال تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾**[١٥].

ورغم ضعف الانسان وجهله الا ان الله سبحانه وتعالى كلّفه بعمارة الأرض، وطاعته والدعوة اليه، قال تعالى: **﴿هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**[١٦]، فالمتطوعون هم الذين يعمّرون الكون ويستخلفون الأرض بما أودع الله فيهم من عقل مبدع، ونشاط وطاقة وقدرة، فيدعون الى الله عز وجل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**[١٧].

أما غيرهم من الناس فهم يعيشون على هامش هذه الحياة، لا يحبون الا انفسهم، ولا يعنيهم الا شأنهم فلا يقدمون للكون والحياة شيئاً.

ولم تكن صفة الخيرية للأمة الاسلامية الا لهذا الدور الايجابي الذي تقوم به من الدعوة الى الخير وعمارة الأرض، قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[١٨]، فطوبى للمتطوعين الذين حملوا الأمانة وتجاوبوا وبذلوا لإرضاء الله عز وجل، وتحقيق ما أراده منهم، قال رسول الله ﷺ: «ان لهذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر ومغلاقاً للخير»[١٩].

فالأمانة التي حمّل الله سبحانه وتعالى الانسان ليحملها هي «الدين والفرائض والحدود والطاعة»، قال الله تعالى لآدم عليه السلام: «إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض، والجبال فلم يطقنها، فهل انت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: ان أحسنت جزيت، وان أسأت عوقبت، فأخذها آدم فحملها»[٢٠].

◆ المتطوعون قلوبهم مطمئنة وحياتهم سعيدة:

ومن آثار العمل التطوعي الايجابية على المتطوعين، هي تلك الراحة النفسية وذلك الاطمئنان القلبي الذي يشعر به المتطوعون بعد أعمالهم التطوعية التي يؤدونها، وقد بين رسول الله ﷺ آثار ذلك الاطمئنان النفسي والفرح القلبي، فعن ابي هريرة رضي الله عنه، ان رجلاً شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «اذا أردت ان تلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»[٢١].

فرحمة الضعفاء والمساكين والمحرومين، تولد رحمة في القلب واطمئناناً وسعادة لا يشعر بها الا المتطوعون الباذلون للمعروف.

وقد أكدت العديد من الدراسات، والأبحاث العلمية بأن المشاركة في الأعمال التطوعية تؤدي الى سعادة الانسان وانشراح صدره.

من هذه الأبحاث «بحث لكلية الصحة العامة بجامعة هارفارد التي أوردتها المجلة الطبية البريطانية BMZ حيث ثبت ان القيام بأعمال اجتماعية، وخيرية يؤدي الى تحسن مواصفات الحياة، وإطالة العمر، ويعود السبب في ذلك ان العمل الخيري

والاجتماعي «التطوعي» هو دفاع ضد الاكتئاب والإحباط، ويؤدي الى شعور بالسعادة وقبول الحياة»[٢٢].

فالسعادة في الحياة، وانشراح القلب ثمرة من ثمار العمل التطوعي، لا يجنيه الا المتطوعون.

❖ المتطوعون يحصلون على أعلى الدرجات في جنات النعيم:

ان الله سبحانه وتعالى يشكر المتطوعين ويجزيهم خير الجزاء، قال تعالى: **﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾**[٢٣]، وجزاء المتطوعين عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا اطمئنانهم، وسعادة قلوبهم، والبركة في أعمارهم، ومحبة الله والناس لهم، واستغفار من في الكون لهم، وتيسير عسيرهم، وتفريج كربهم، أما في الآخرة، فإن الله تبارك وتعالى يكرمهم غاية الكرم على ما قدموه، وبذلوه في حياتهم الدنيا كما في قوله تعالى: **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**[٢٤]، فلا جزاء لهم في الآخرة الا جنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين الباذلين المنفقين الداعين الى الخير، قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٢٥].

واقرءوا ان شئتم: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[٢٦].

فبعد الجهد والعطاء والانفاق، والجهاد في هذه الحياة الدنيا، تكون الراحة والنعيم الخالد المقيم في جنات النعيم، قال تعالى: **﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ❖ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾**[٢٧].

❖ ثانياً: أثر العمل التطوعي على المجتمع:

للعمل التطوعي أثر كبير على المجتمع، فهو يساهم في تنمية المجتمع في كل مجالاته، حيث يساهم في سد حاجات المجتمع المتنوعة، ويعين الدولة على تحقيق أهدافها، وتنفيذ برامجها، والعمل على تحقيق الرفاهية، والسعادة لأبناء مجتمعها، كما يساهم ايضاً في إيجاد مجتمع متماسك متراص كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويحرك الدوافع عند أبناء المجتمع ليساهموا جميعهم بكافة شرائحهم، وطبقاتهم، بعمل

ايجابي لبناء مجتمعهم ونهضته، ويقضي بشكل كبير على المشاكل والمعوقات التي تعيق تطور المجتمع ونموه كمشكلة الفقر، والأمية، والجهل، والأنانية، وحب الذات، وتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

والعمل التطوعي يخلق جواً من الحب، والتراحم، والايجابية، والعطاء، والايثار، مما يساهم في تنمية المجتمع، وتطوره، ومن الآثار الايجابية للعمل التطوعي انه يساهم في استغلال فراغ ابناء المجتمع، ويقضي على الفراغ عند الشباب ليساهموا بجهدهم، وأفكارهم، وطاقاتهم، ومواهبهم، وابداعاتهم نحو ازدهار المجتمع والارتقاء به.

فالعمل التطوعي له آثار كثيرة على المجتمع، يساهم في تنميته في جميع النواحي والمجالات، منها:

١. التنمية الاجتماعية:

العمل التطوعي يساهم بشكل كبير في التنمية الاجتماعية للمجتمع، حيث يساهم في المحافظة على قيم وأخلاق المجتمع وعاداته وتقاليده النابعة من عقيدته الايمانية وأخلاقه الاسلامية.

فالتطوع في بناء المساجد ودور العبادة ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وعمارته وإدارتها لأداء دورها على اكمل وجه، ومساهمة المتطوعين في الدعوة الى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم النصح لكافة شرائح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، يساهم بشكل كبير في تحقيق الأمن الاجتماعي الذي يصبوا اليه المجتمع، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾[٢٨].

والقرآن الكريم فيه دعوة صريحة للقيام بهذا الدور، قال تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير**﴾[٢٩].

كما يساهم العمل التطوعي في تماسك المجتمع وتكافله وتعاونه من خلال المساعدات التطوعية، والأعمال الخيرية التي يحققها العمل التطوعي في المجتمع، فيزداد التراحم، والتعاطف، وينشر جواً من المحبة والتآلف والايثار بين أفراد المجتمع، ويقضي على الظواهر الاجتماعية السلبية فيه، كظاهرة الفقر، وظاهرة الأنانية، وظاهرة الحسد التي تتفشى في المجتمعات التي لا تتصف بالرحمة والتعاطف والتراحم، وقد بين الرسول الكريم ﷺ ذلك في أحاديث، فقال ﷺ: «مثل المؤمنين في

توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد..»[٣٠].

كما ان القضاء على ظاهرة الفقر والأنانية، والشح والحسد، هي من الآثار الايجابية للعمل التطوعي، والتي تساهم بشكل كبير في التنمية الاجتماعية للمجتمع، وتحقيق الأمن الاجتماعي له.

٢- التنمية العلمية والثقافية:

يساهم العمل التطوعي في تنمية المجتمع علمياً وثقافياً، فبناء المراكز العلمية والثقافية، من مدارس وجامعات وكليات ومكتبات ومراكز البحوث والدراسات التي يساهم في بنائها متطوعون من ابناء المجتمع، تساهم في خلق جو علمي ثقافي في المجتمع، كما ان مساهمة ابناء المجتمع وتطوعهم في كفالة طلبة العلم، وتفريغ العلماء للتدريس، ولمتابعة ابحاثهم العلمية، ونشر البحوث والدراسات والكتب العلمية المتنوعة، يساهم أيضاً في التنمية العلمية للمجتمع.

وإن إنشاء المؤسسات العلمية والثقافية الأهلية والتطوعية، ودعمها مادياً ومعنوياً، ومساهمة ابناء المجتمع في وضع اهدافها وبرامجها وأنشطتها، يساهم في تحقيق التنمية العلمية والثقافية المنشودة.

٣- التنمية الصحية والبيئية:

للعمل التطوعي أثر كبير في تنمية المجتمع صحياً وبيئياً، فإنشاء المراكز الصحية وتوفير الأدوية، وتقديم الرعاية للفئات الخاصة، وتوفير العلاج والدواء المجاني للمرضى، ونشر الوعي الصحي والبيئي، يساهم في ايجاد مجتمع ذي بيئة صحية سليمة.

كما ان الروابط والمؤسسات الأهلية الطبية والبيئية، تحقق نقلة نوعية في تطور المجتمع صحياً وبيئياً، من خلال أهدافها وأنشطتها وبرامجها ومشاريعها المتنوعة، فمن علامة تطور المجتمع وازدهاره سلامة البيئة وصحة الناس.

٤- التنمية الاقتصادية:

لا شك ان العمل التطوعي يساهم ايضاً في التنمية الاقتصادية للمجتمع، فإنفاق وعطاء المتطوعين، وعدم اكتنازهم للأموال، وتحويلها الى الفقراء من أبناء المجتمع، يساهم في تحريك عجلة الاقتصاد، وتنشيط الدورة الاقتصادية، كما ان زيادة الطلب على السلع الاستهلاكية، يؤدي الى زيادة الانتاج، الأمر الذي يؤدي الى انتعاش الاقتصاد، مما يحقق تنمية اقتصادية مثلى للمجتمع، فيسعد الأثرياء، وينعم الفقراء بما يقدمه الأثرياء، فيتحقق بذلك الأمن

الاقتصادي.

وفي المفهوم الاسلامي فإن المتصدقين تكثر أموالهم، ولا تنقص ببركة الصدقات التي تنمي الأموال وتبارك فيها، لقول رسول الله ﷺ: «ما نقص مال عبد من صدقة»[٣١].

٥- التنمية العمرانية:

ان قيام المؤسسات التطوعية، والمتطوعين من ابناء المجتمع في المساهمة في بناء المشاريع الخيرية والمشاريع الانتاجية، والمؤسسات العلمية والثقافية هو تنمية عمرانية للمجتمع.

فكلما ازدادت المشاريع العمرانية في المجتمعات، كلما ازداد تأكيد الرغبة في التنمية في كافة المجالات، فبناء المساجد، يحقق الأمن الاجتماعي، وبناء المستوصفات والمصحات، يحقق الأمن الصحي والبيئي، وبناء المؤسسات والمراكز التعليمية، يحقق التنمية العلمية والثقافية، وبناء الجسور والطرق والمدن والمباني الخاصة بالدولة، يساهم بشكل كبير في تحقيق التنمية الشاملة.

٦- التنمية البشرية:

ان العمل التطوعي يساهم في تحقيق التنمية البشرية لأن أساس التنمية في المجتمعات هي التنمية البشرية، فالإنسان هو الذي يحدد مصيره ودوافعه في هذه الحياة، فإما ان يجاهد ويكافح من أجل الرفاهية والسعادة والرخاء أو أن يرضى بالتخلف والتقهقر.

والعمل التطوعي هو الدافع للإنسان لكي يحقق نجاحه، فمن خلاله يساهم الانسان بوقته وجهده من اجل اثبات وجوده، وتحقيق أهدافه وغاياته ومن خلاله يحاول الانسان قدر استطاعته الاستفادة من عقله المبدع وإمكاناته، ومواهبه التي أودعها الله في نفسه، فلا وقت يضيع، ولا فكرة ايجابية

الهوامش:

١- اخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ٦٢١ .

٢- اخرجه أحمد، كتاب مسند الانصار، باب حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ٢١٥٢٥ .

٣- اخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٢٢٠٩ .

٤- الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع، ابراهيم بن محمد الضبيعي، ص١٢، مطابع الوطن الفنية، الرياض، ١٤٠٨-١٩٨٨، ط١ .

٥- الأنعام: ٦١ .

٦- الطارق: ٤ .

٧- آل عمران: ١١٠ .

٨- النساء: ٩٥-٩٦ .

٩- فصلت: ٣٢ .

١٠- متفق عليه.

١١- العصر: ١-٣ .

١٢- اخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤١/٣، وابن ابي شيبة في المصنف ٧٧/٧ .

١٣- الليل: ٥-٧ .

١٤- أخرجه أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند ابي هريرة رضي الله عنه ٧٥٢٢ .

١٥- الأحزاب: ٧٢ .

١٦- هود: ٦١ .

١٧- آل عمران: ١٠٤ .

١٨- آل عمران: ١١٠ .

١٩- أخرجه ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب من كان مفتاحاً للخير ٢٣٨ .

٢٠- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، مجلد ٣، ص١١٧، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٨، ١٤٠٢، ١٩٨١م، مرجع سابق.

٢١- اخرجه أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند ابي هريرة رضي الله عنه ٧٥٢٢ .

٢٢- مجلة حياتنا، صحية ثقافية اجتماعية، العدد ٦١٥، يناير ٢٠٠٠م، تصدر عن الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان بدولة الكويت ص١٣ .

٢٣- البقرة: ١٥٨ .

٢٤- الحاقة: ٢٤ .

٢٥- أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة ٣٢٤٤، ومسلم، الجنة وصفة نعيمها ٢٨٢٤ .

٢٦- السجدة: ١٧ .

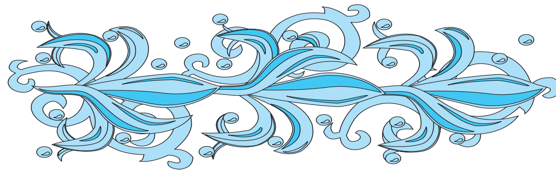
٢٧- البينة: ٧-٨ .

٢٨- هود: ١١٧ .

٢٩- آل عمران: ١٤ .

٣٠- أخرجه مسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٨٦ .

٣١- أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل اربعة نفر ٢٣٢٥، وقال: حديث حسن صحيح .



حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية

حق المرأة في تولي القضاء والمشورة

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

يرى جمهور العلماء أن المرأة لا يجوز أن تتولى القضاء على الإطلاق سواء في ما تصح فيه شهادتها أو لا تصح، ويأثم من يوليها وتأثم هي إن نصبت بذلك، ولا ينفذ قضاؤها حتى لو وافق الكتاب والسنة، ويستدلون لذلك بقول الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[١]، فالآية في رأيهم تفيد حصر القوامة في الرجال، وعليه فلا يجوز للمرأة ولاية القضاء حتى لا تكون لها قوامة على الرجل، وكذلك قول الرسول ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».

ولكن يرى الحنفية أنه لا يجوز تولية المرأة القضاء، ولكن إذا وليت مع إثمها وإثم من ولاها وحكمت وكان حكمها موافقاً للكتاب والسنة، فإن حكمها ينفذ في الأمور التي تصح فيها شهادتها وهي ما عدا الحدود والقصاص، واستدلوا لذلك بأن النهي عن فعل شيء لا لذاته وإنما لوصف مجاور له، لا يستلزم بطلان هذا الفعل وإلغاء ما يترتب عليه من آثار لو حدث، فمثلاً تحريم وطء الرجال زوجته أثناء الحيض والنفاس لا يلغي ولا يمنع ترتيب الآثار الشرعية على هذا الوطء، من ثبوت المهر ووجوب العدة وحرمتها على أصول زوجها وفروعه.

ومن الفقهاء من أجاز للمرأة أن تتولى القضاء، ويكون قضاؤها نافذاً في كل ما

تصح فيه شهادتها، ويرى ابن جرير وابن حزم أن شهادتها تصح في كل شيء وبالتالي فإن حكمها ينفذ في كل القضايا، بينما يرى ابن القاسم أن شهادتها لا تصح الا في قضايا الأموال وما لا يطلع عليه الرجال كالولادة واستهلال المولود وعيوب النساء تحت الثياب، وحجة هؤلاء أن الأصل في الأحكام، أن كل من لديه مقدرة الفصل في قضايا الناس يكون حكمه جائزاً.

وقد خصص هذا الأصل العام بالحديث الشريف المانع لها من رئاسة الدولة، فيكون المخصص هو المستثنى ويبقى ما عداه ومنه القضاء على الحكم الأصلي، وبناء عليه يصح للمرأة تولي القضاء، وليست الأنوثة مانعاً لها لأنها لا تؤثر في فهمها للحجج وفصلها للخصومات[٢] بعد إحضار القواعد والأدلة الشرعية والقانونية، ولان الحديث الشريف المانع لها من الولاية لا ينص على منعها من القضاء فيقول ﷺ: **«لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»** وهذا نهي صريح من تولي المرأة الحكم وذلك بأن ذمّ الذين يولون أمرهم للنساء، وولي الأمر هو الحاكم، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[٣]، فولاية الأمر لا تجوز للنساء أما غير الحكم فيجوز أن تتولاه المرأة، فيجوز أن تتولى أية وظيفة أو منصب من وظائف الدولة لأنها ليست من الحكم وإنما تدخل في باب الاستئجار، فالموظف أجير خاص عند الدولة، وعليه فإنه يجوز لها أن تتولى القضاء، لان القاضي ليس حاكما وإنما هو يقوم بوظيفة فض النزاعات وفصل الخصومات بين الناس على أساس مبادئ الشرع والقانون على سبيل الإلزام، والقضاء هو إخبار بالحكم على سبيل الإلزام.

إن حديث الرسول ﷺ بذم القوم الذين يولون أمرهم امرأة، خاص في موضوع الخبر الذي أبلغوه للرسول ﷺ وهو تولية الفرس امرأة رئاسة الدولة، فإذن موضوع الحديث هو رئاسة الدولة وليس غيرها، وبالتالي النهي عن الولاية العامة لأنها هي ولاية الأمر، **أما موضوع القضاء فهو عمل يختلف عن عمل الحاكم أو الخليفة**؛ فعمل الحاكم هو تنفيذ الحكم مباشرة من قبله سواء رفعت إليه القضية أم لم ترفع، ولكنه رأى هو مخالفة للشرع والقانون فإنه يحاكم المخالف دون مدع أو مشتكي وينفذ الحكم عليه إذا وجدت دعوى، ورفع احد ما قضية إليه ولا بد من وجود متداعيين، فهو يقضي إذا وجد ادعاء ودعوى ومشتكي ومشتكى عليه، ولا شأن له إذا لم يوجد من يدعي أو يشتكي وعندما ينظر في القضية بعد استكمال جميع جوانبها، يقوم بالإخبار عن حكم الله في القضية على سبيل الإلزام

وليست له سلطة التنفيذ مطلقاً.

وهكذا يتبين أن واقع القضاء غير واقع الحكم فلا ينطبق الحديث على القاضي، وكذلك فإن القضاء ليس من الولاية في شيء، فلا ولاية للقاضي على احد من أهل البلد التي يعمل فيها قاضياً ولا ولاية له على المتداعيين، ولا تجب طاعته وإنما يجب تنفيذ حكمه، ولا يعتبر حكمه حكم قاضي إلا إذا حكم في مجلس القضاء، ولذلك لا تعتبر مشاهدته للحادثة أو سماعه لها في غير مجلس القضاء، مجيزاً له أن يحكم بما شاهده أو سمعه ما لم يحصل ذلك في مجلس القضاء، فهو يحكم بتوفر البينات وليس بمشاهدته، وذلك بخلاف الحاكم فإنه تجب طاعته في كل الأحوال وليس له مجلس معين للحكم بل يتولى الحكم في أي مكان في الدولة، وهو منفذ وله ولاية على جميع المواطنين، فواضح أن حديث النهي عن تولية المرأة لا ينطبق على عمل القاضي، وبالتالي فلا يكون القضاء ممنوعاً على المرأة وواقع القاضي أن أجيز عند الحاكم استأجر بأجر معين مقابل تأدية عمل معين، ولا يجوز اعتبار القاضي معاوناً للحاكم، وإنما هو أجير عنده(٤).

وعليه فإنه مع قول بعض الفقهاء بعدم جواز تولي المرأة للقضاء، مستندين إلى توسيع مفهوم ولاية الأمر ليشمل كل الأعمال والوظائف المرتبطة به، فإن إمعان النظر في حديث الرسول ﷺ في النهي عن تولية المرأة ولاية الأمر، لا يسحب على القضاء بسبب الاختلافات العديدة والواضحة بين الحاكم والقاضي وبين الحكم والقضاء، وقد قال بصحة توليها القضاء جماعة من المجتهدين ومن أعلام جميع المذاهب الإسلامية فقد ذهب الطبري وهو من المجتهدين وأصحاب الرأي المقبول، انه لا يجوز تولي المرأة مناصب الحكم دون استثناء، وذهب ابن حزم إلى جواز تولي المرأة الحكم ورد على المستدلين بحديث الرسول ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» بأن ذلك خاص بالإمامة العامة أي الخلافة أو رئاسة الدولة، ويرى أبو حنيفة جواز تولي المرأة القضاء في كل شيء ما عدا القصاص والحدود، ومثل ذلك قال أبو الفرج من علماء الشافعية، وكذلك قال مثله بعض أئمة المالكية(٥).

وقد ولّى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء حسبة السوق لامرأة هي ليلى العدوية المعروفة بالشفاء، وكانت تجلس وتفصل في كل قضايا السوق، ولو أن في حديث الرسول ﷺ نهي عن تولية المرأة القضاء لعمل به الخليفة عمر رضي الله عنه.

ونخلص من هذه الآراء أنه ليس هناك منع قاطع لتولي المرأة القضاء، وذلك لعدم

ورود نص شرعي بهذا الخصوص لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، وأن الرأي القائل بالمنع إنما هو من باب الاجتهاد في تفسير حديث الرسول ﷺ بالنهي عن تولية المرأة الولاية العظمى أو الخلافة أو رئاسة الدولة، وواضح لكل ذي لب أن الحكم والخلافة يختلف اختلافات بينة عن القضاء، وبالتالي لا يجوز الاستناد إلى رأي خلافي واتخاذه حجة وذريعة لاتهام الإسلام بظلم المرأة وحرمانها من تولي القضاء.

❖ حق المرأة في المشورة:

المرأة نصف المجتمع، وهي إنسان كامل الإنسانية تماماً مثل الرجل، والحياة لا تستقيم إلا بتعاون الرجل والمرأة وممارستهما معاً لمختلف النشاطات الحياتية في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية، والنظام السياسي في أي دولة يقوم على أسس تتيح للمجتمعات المساهمة في إدارة شؤون البلاد وتنظيم العلاقة بين الشعب والحكومة، وحق أفراد الأمة في انتخاب حاكمها أو ممثلها، وحقهم في الترشح لشغل منصب الحاكم أو تمثيل الأمة، أو تقديم المشورة للحاكم، **ولهذا فإن أهم ثلاثة حقوق سياسية للأفراد بصفة عامة هي: حق الانتخاب وحق الترشح وحق المشورة.**

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ باتباع منهج التشاور مع المؤمنين جميعاً وليس مع الرجال فحسب واستثناء النساء، فالله سبحانه يأمر المؤمنين بالتشاور فيما بينهم في كل ما يتصل بشؤون الأمة دون أي تمييز بين رجل وامرأة.

قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾(٦) وقال تعالى: ﴿**وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾(٧).

فمن صفات المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم أن أمرهم شورى بينهم، والمرأة مشمولة بكلمة المؤمنين، فهي معنية بالشورى، ولا يجوز إقصاؤها عن مواقع الشورى لأن ذلك يؤدي إلى إقصائها عن التوكل على الله وعن اجتناب الكبائر وعن الغفران عند الغضب وعن الاستجابة لربها وعن إقامة الصلاة وعن الإنفاق مما رزقها الله، إذ أن الذين أمرهم شورى بينهم، هم ذاتهم الذين يتوكلون على الله ويغفرون ويجتنبون ويقيمون الصلاة(٨).

فالقول بإقصاء المرأة عن مواقع

المشورة، وجعلها حكراً للرجل بحجة أن المرأة اقل من الرجل وأدنى منه في القدرة العقلية والبدنية، وأنها غير مؤهلة لحضور مجالس الشورى، لما تمر به من تغيرات فسيولوجية فلا أساس له، ولم يرد نص قرآني ولا حديث نبوي يخص الرجل بالمشورة ويحجبها عن المرأة.

يقول الأستاذ علال الفاسي (رئيس حزب الاستقلال في المملكة المغربية في النصف الثاني من القرن الماضي): انه محض ادعاء بدليل أن الرسول ﷺ استشار أم سلمة رضي الله عنها بعد صلح الحديبية وعمل برأيها، واستشار بريرة في عائشة رضي الله عنها عند حادثة الإفك واقتنع برأيها وانزل الله تعالى براءتها في كتابه العزيز، وقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشورة العجوز في عدم تخفيض المهور وقال: أخطأ عمر واصابت امرأة وتراجع عن رأيه، واستشار عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في حربه عبد الملك بن مروان والحجاج وعمل برأيها[٩].

والإسلام جعل الشورى حقاً للحاكمين والمحكومين لا يحرم منها واحداً منهما، كما جعل استشارة الحاكمين للمحكومين في جميع المسائل المهمة واجباً عليهم وليس مجرد حق لهم كما في الآية الكريمة: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** وقال القرطبي والرازي: إن تخلف الحاكم عن الاستشارة مما يوجب عزله، ويترتب على ذلك أن من حق المواطنين أن يطالبوا الحاكم بأن يستشيرهم في قضايا الأمة، وان يشيروا هم عليه، واعتبر الفقهاء الشورى من الأصول الشرعية وجعلوها فرضاً على من يلي أمور المسلمين، وليس في الإسلام ما يمنع مشاركة المرأة في الشورى ولا من مشاورتها والعمل برأيها إن أصابت ذلك، لأنها ممن يباح لهم الاجتهاد في الأحكام ويؤخذ بفتواها، وقد كانت عائشة رضي الله عنها اعلم الناس بالفقه وأقواهم اجتهاداً، قال عروة: "ما رأيت أحدا اعلم بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه من عائشة".

وقال عطاء: "كانت عائشة افقه الناس واعلم الناس" وكانت ذات رأي قوي في الشؤون العامة يرجع إليها في ذلك حتى قال عطاء: "كانت عائشة أحسن الناس رأياً في العامة"[١٠].

وقد شاركت نفيسة بنت كعب من بني النجار وأسماء بنت عدي بن عمرو وأم منيع من بني سلمة في بيعة العقبة الثانية، وقد استشار الرسول ﷺ زوجته هند بنت أمية (أم سلمة) في غزوة الحديبية حين أمر أصحابه بالنحر والهدي والحلق والتحلل ثلاث مرات فعصوا أمره وتلكؤا في تنفيذ ذلك، لأنهم لم يرضوا عن بنود صلح

الحديبية فأشارت عليه أم سلمة أن يعطيهم القدوة من نفسه فيعمل هو ما طلب منهم فأخذ برأيها ففعل فاستجابوا له واقتدوا به.

واستشار ﷺ بريرة في شأن عائشة في حادثة الإفك وقصة عبد الله بن أبي ومن معه، فقالت له: لا نعلم عنها إلا خيراً وإنما هي جارية حديثة السن تنام على العجين فتأتي الدواجن فتأكله، واستشار عبد الله ابن الزبير امه اسماء بنت أبي بكر في حرب عبد الملك بن مروان والحجاج فقالت له: "إن كنت خرجت لإحياء كتاب الله وسنة رسول الله فإن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، قمت على الحق وإن كنت خرجت لطلب الدنيا فلا خير فيك حياً وميتاً، يا بني مت كريماً ولا تستسلم، فقاتل حتى قتل.

وكانت نائلة بنت الفراقصة زوجة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، تقدم له المشورة في بعض الأمور، فقالت له مرة: تتقي الله وحده وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علي فاستصلحه فإن له قرابة منك وانه لا يعصى.

ولما فر عدي بن حاتم الطائي بأهله إلى الشام ووقعت شقيقته سفانة في الأسر أرسلها النبي ﷺ معززة مكرمة إلى أخيها في بلاد الشام، فلما وصلته لامته، فقال لها: أشيري علي في أمر هذا الرجل (النبي ﷺ) فقالت: أرى أن تلحق به فإن كان ملكاً فلن تذل في ملك العرب وان كان نبياً للسابق إليه فضله، قال: والله يا اختاه هذا هو الرأي فكان عدي من أفاضل الصحابة الكرام.

وكان لليلى بنت عميس مكان في مجلس الرأي عندما تآمر الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأرسلت إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر تحاول نصحهما بعدم الخروج على عثمان فقالت: إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوِّفانه إلى من لا يأثم فيكما.

فيما أوردنا آنفاً أدلة على أن الإسلام أعطى المرأة حق إبداء الرأي والمشورة كالرجل تماماً، فالشورى في الإسلام حق للرجل والمرأة على السواء وليس فيها تخصيص لأي منهما، والنصيحة شرعت للرجل والمرأة وإذا كانت النساء يناقشن الرسول ﷺ ويسألنه، فإن معنى ذلك أن يناقشن الخليفة وغيره ممن بأيديهم الحكم وقصة خولة بنت ثعلبة التي جاءت الرسول ﷺ تسأله عن أمر بإظهار زوجها وجادلته، قصة مشهورة انزل الله فيها قرآنا يتلى: **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..﴾**(١١).

وهذا يفيد أن للمرأة الحق في الجلوس في مجالس الشورى وإبداء الرأي والنقاش والنصح، وليست ممنوعة من ذلك كما يدعي البعض عن جهل أو تجاهل.

وقد نص القرآن الكريم على التشاور بين الرجل وزوجته في الشؤون الزوجية فقال تعالى: **﴿فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ وتشاور فلا جناح عليهما﴾**(١٢).

الهوامش:

١- النساء: ٣٤ .

٢- عبد السلام ابو النيل، وضع المرأة في العالم الاسلامي، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، ندوة الايسيسكو في القاهرة، آب ١٩٩١، بيروت ٢٠٠٣، ص٢٩٠ .

٣- النساء: ٥٩ .

٤- تقي الدين النبهاني، النظام الاجتماعي في الاسلام، ص٨٨-٨٩ .

٥- حبيبة البارفودي، المرأة والقضاء، في ندوة الخبراء حول المرأة العربية والتغيرات الاجتماعية والثقافية، بغداد ١٩٨٧، ص١٣١ .

٦- آل عمران: ١٥٩ .

٧- الشورى: ٣٦-٣٨ .

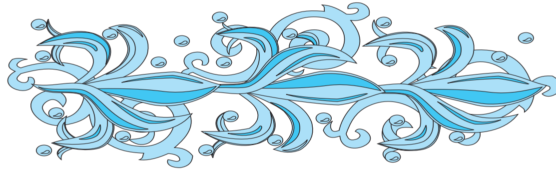
٨- د. فريال مهنا، المرجع السابق، ص٣٢٤ .

٩- حبيبة البارفودي، المرجع السابق، ص١٣١ .

١٠- المرجع نفسه ص١٢٧ .

١١- المجادلة: ١ .

١٢- البقرة: ٢٣٣ .



فضل تلاوة وحفظ القرآن الكريم

■ بقلم الاستاذة فاتن عبد الله

القرآن الكريم هو كلام الله القديم، الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ باللفظ والمعنى، القرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد، ومعجزته الكبرى، وهداية للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، ولقد تعبدنا الله بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾، فيه تقويم للسلوك، وتنظيم للحياة، من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أعرض عنه وطلب الهدى في غيره فقد ضل ضلالاً بعيداً.

ولقد أعجز الله الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، قال تعالى: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة ممن مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾**، القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مسموع بالآذان، فالاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات، ومن أعظم القربات، كيف لا يكون ذلك، وفي تلاوة كل حرف منه عشر حسنات، سواء أكان بتلاوته أم بتدبر معانيه.

وقد أودع الله فيه علم كل شيء، ففيه الأحكام والشرائع، والأمثال والحكم، والمواعظ والتأريخ، والقصص ونظام الأفلاك، فما ترك شيئاً من الأمور إلا بيّنه، وما أغفل من نظام في الحياة إلا أوضحه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ

الذِّكْرُ الحكيم، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، ولا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الجن إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: **﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾** هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه الدارمي.

هذا هو كتابنا، هذا هو دستورنا، هذا هو نبراسنا، إن لم نقرأه نحن معاشر المسلمين، فهل ننتظر من الآخرين أن يقرؤوه؟ قال تعالى: **﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾**، فما أعظمه من أجر لمن قرأ كتاب الله، وعكف على حفظه، فله بكل حرف عشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القران أهل الله وخاصته» (صحيح الجامع ٢١٦٥) وقال ﷺ: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»، وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» (صحيح مسلم).

وعن الإمام الحسن العسكري قال في تفسيره، عن آبائه، عن النبي ﷺ قال: «حملة القرآن المخصوصون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، المقربون عند الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا وعن أقاربه بلوى الآخرة، والذي نفس محمد بيده لسامع آية من كتاب الله وهو معتقد -إلى أن قال-: أعظم أجراً من نبير ذهباً يتصدق به، ولقارئ آية من كتاب الله معتقداً، أفضل مما دون العرش إلى أسفل التخوم».

فصاحب القرآن يرتقى في درجات الجنة بقدر ما معه من القرآن فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القران: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (صحيح الجامع٨١٢٢).

فهنيئاً لحفظة كتاب الله الكريم، هنيئاً لهم هذا الأجر العظيم، والثواب الجزيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» أخرجه مسلم.

فحفظة القرآن الكريم أهل الله وخاصته، وهم أحق الناس بالإجلال والإكرام واعلاهم منزلة، وأرفعهم مكانة، فلقد تسنموا مكاناً عالياً، وارتقوا مرتقىً رفيعاً، بحفظهم لكتاب الله، فعن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه يرفَعُ بهذَا الكتاب أَقواماً ويضَعُ بِهِ آخَرين» أخرجه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط» أخرجه أبو داود، وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيركُم مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمهُ» أخرجه البخاري.

وكان من وصيته ﷺ لأمته عامة، ولحفظة كتاب الله خاصة، تعاهد القرآن بشكل دائم ومستمر، فقال ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلُّتاً من الإبل في عقلها» أخرجه مسلم،

ومن تأمل هذا الحديث العظيم، ونظر في معانيه، أدرك عِظَمَ هذه الوصية، وعلم أهمية المحافظة على تلاوة كتاب الله ومراجعته، والعمل بما فيه، ليكون من السعداء في الدنيا والآخرة فنزول الملائكة والسكينة والرحمة للقرآن وأهله.

كما يستحب ختم القرآن في كل شهر، إلا أن يجد المسلم من نفسه نشاطاً فليختم كل أسبوع، والأفضل أن لا ينقص عن هذه المدة، كي تكون قراءته عن تدبر وتفكر، وكيلا يُحمِّل النفس من المشقة ما لا تحتمل، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر، قلت: أجدُ قوة، حتى قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك».

وهذه دعوة صادقة الى جميع المسلمين رجالاً ونساءً، بحفظ كتاب الله تعالى ما استطاعوا لذلك سبيلاً، وإياكم ومداخل الشيطان، ومثبطات الهمم، فاليوم صحة وغداً مرض، واليوم حياة وغداً وفاة، واليوم فراغ وغداً شغل، فاستغلوا هذه الحياة الدنيا فيما يقربكم من الله زلفى، فأنتم مسؤولون عن أوقاتكم وأعمالكم وأقوالكم، وإياكم وهجران كتاب الله، فما أنزله الله إلا

لنقرأه ولنتدبر آياته ونأخذ العبر من عظاته، قال تعالى: ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾، فمن الناس من لا يعرف القرآن إلا في رمضان، ومن الناس من لا يتذكر كتاب الله إلا في مواطن الفتن والمصائب، فأروا الله من أنفسكم خيراً، وجاهدوا أنفسكم، وألزموها حفظ كتاب الله، وتدارس آياته ومعانيه، فالله لا يمل حتى تملوا.

ومن لم يستطع حفظ كتاب الله تعالى، ومن لم يكن له أبناء في دور القرآن الكريم، فليبادر قبل انقضاء الأوقات والأعمار، ثم لا ينفع الندم، فميدان السباق مفتوح، ليبلوكم الله تعالى أيكم أحسن عملاً.

فالتربية الصحيحة التي تبنى على قراءة وحفظ كتاب الله، انما تنبع من بيوت رزقها الله حب كتابه الكريم وهدى بها أولياء الأمور الآباء والأمهات، الذين يستوصون بالأجيال خيراً، وينشئوها على حب كتاب ربها، ويعلموها العيش في رحابه، فالخير فيهم، يتعاهدون على ما أودع الله بين أيديهم من الأمانات، بتربيتها تربية قرآنية، كي يسعدوا في الدنيا قبل الآخرة، فما هانت أمة الإسلام إلا بهجرها لكتاب ربها وبعدها عنه، ولو تمسكنا بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، لأصبحنا أمة عزيزة، فالله الله في هؤلاء الاولياء، فالأبناء أمانة في أعناقهم، فخيانتها صفة ذميمة، وخصلة ذميمة، مقت الله أهلها، وأبغض فاعليها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاث: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه، فمن خان الأمانة فقد صنفه الله من المنافقين، والله توعدهم بأسفل مكان في النار، فقال تعالى: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً**﴾، فأهمية أداء الأمانة وعدم خيانتها، منوطة بهم، وقد حذرهم الله من خيانته أو التساهل في رعايتها، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾، فهذه الأجيال التي بين أيديكم ستسألون عنها يوم تعرضون على ربكم لا تخفى منكم خافية، وسيتعلق بكم أبناؤكم يوم العرض والحساب، فإياكم أن يكون أولادكم أعداء لكم، فقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم**﴾.

فاحذر أيها الأب المبارك، أن يكون

ولدك عدواً لك في دنياك وأخراك، وأرع هذه الأمانة بكل إخلاص وصدق، فالأبناء كالبذرة، إن اخترت لها مكاناً طيباً نشأت نشأة طيبة، وإن كان غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك، قال تعالى: **﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾** الأعراف: ٥٨، فإن خنت الأمانة وفرطت فيها، وتركت الحبل على غاربه لأبنائك، ولم ترعهم بنصحك، فتكون قد أقحمت نفسك مكاناً لا تُحسد عليه أبداً، واسمع قول النبي ﷺ حيث قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجنة» متفق عليه، فهل تريد أن تموت وأنت غاش لرعيتك، تاركاً لأمر ربك، ثم يكون مصيرك النار وبئس المصير.

وهنيئاً للذين عرفوا أهمية الرعاية السليمة الصحيحة لأبنائهم، وفق كتاب الله تعالى، ووفق سنة نبيه ﷺ، فقاموا بما أوجب الله عليهم من الرعاية بالأبناء، وأحاطوهم بالاهتمام والنصح والإرشاد، فهنيئاً لهم أولئك الأبناء الصلحاء النجباء، الذين يحملون كتاب الله بين جنباتهم، وإلى كل أب وأم أدركا عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهما، وأدياها كما يجب، أُبشرهما بهذا الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه الذي قَالَ فيه رَسُول اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيه، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَة، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا»، فهنيئاً لكم أيها الأولياء هذه البشارة النبوية من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.



أضواء على المسابقة الهاشمية الدولية للإناث
لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره
«الدورة الرابعة»

■ **بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة**

القرآن العزيز، حبل الله المتين، ونوره المبين، أنزله عز وجل هداية للعالمين ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور﴾ ابراهيم: ١، وعلى مر العصور والاجيال، أقبل المسلمون على هذا الكتاب الكريم، تلاوة وفهماً وتدبراً وحفظاً وسلوكاً يستخرجون مكنوناته الثمينة، وأسراره وحكمه الباهرة.

ولعظم شأن القرآن الكريم، فقد تكفل الله عز وجل بحفظه: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: ٩، واختص بذلك الحفظ عدداً من عباده المؤمنين الصادقين، فجعل صدورهم أوعية لكتابه المبين **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾**.

وجعلهم رسول الله ﷺ من اهل الله وخاصته لحفظهم لكتابه العزيز، الذي يعلي قدرهم، ويرطب ألسنتهم ويملأ الاسماع صوتهم الندي، فتخشع الجوارح وتتعطر الأصداء من حناجرهم وأنفاسهم الطاهرة، وهي تتلو أكرم كلام وأعذب مقروء.

ومن هذا المنطلق، فإن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، وبرعاية كريمة من صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبد الله (حفظها الله) وحرصاً منها على

تشجيع التنافس المحمود في حفظ القرآن الكريم، وتكريم الحافظات المتميزات، تقيم الوزارة سنوياً المسابقة الهاشمية الدولية للإناث لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، انسجاماً مع رسالتها في العناية بكتاب الله المجيد، ودعوة الناشئات المسلمات لإحكام الصلة بالقرآن الكريم تلاوة ومنهجاً، حتى يكن قدوة صالحة لأبنائهن ومحضناً تربوياً متميزاً لتربية الجيل المسلم المنشود، لينهل من هذا المعين الذي لا ينضب، والتزود بما فيه، وتأكيد الاعتصام بالقرآن الكريم وجمع الأمة عليه، لتستمد منه الهدى والرشاد.

❖ أهمية المسابقة وأهدافها:

ضمن أولويات وزارة الأوقاف باهتمام وتوجيه مباشر من صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبد الله (حفظها الله)، تأتي هذه المسابقة الدولية تأكيداً لعمق العناية الهاشمية الموصولة بحفظة القرآن الكريم، الذين يفدون الى ارض المملكة الأردنية الهاشمية من أقصى مغرب العالم العربي الى أقصى مشرق العالم الاسلامي، بل تعداه الى مشاركة الأقليات الاسلامية في بعض الدول الاسيوية والأوروبية، كمظهر من مظاهر التضامن الاسلامي، وترسيخاً لأواصر الأخوة والمحبة والتعاون والتعارف بين ابناء المسلمين مهما تناءت بهم الديار.

وليس أقوى في تمتين أواصر التآخي بين أبناء الأمة الاسلامية، من الاجتماع في رحاب القرآن الكريم، للتنافس في حفظه وتلاوته وتجويده وتفسيره، لأن الكتاب العزيز، هو الجامع لوحدة المسلمين والهادي الى سبيل الحق والرشاد، والعزة والسعادة في الأولى والآخرة.

❖ فروع المسابقة:

يحق للمرشحات في هذه المسابقة الاشتراك في أحد الفروع التالية:

الفرع الأول: حفظ القرآن الكريم، كاملاً مع التجويد وحسن الأداء وتفسير مفردات الجزء الرابع «لمن لا يزيد عمرها على ثلاثين عاماً».

الفرع الثاني: حفظ خمسة وعشرين جزءاً متتالياً مع التجويد وحسن الأداء «لمن لا يزيد عمرها على خمسة وعشرين عاماً».

الفرع الثالث: حفظ عشرين جزءاً متتالياً مع التجويد وحسن الأداء «لمن لا يزيد عمرها على خمسة وعشرين عاماً».

الفرع الرابع: حفظ خمسة عشر جزءاً متتالياً مع التجويد وحسن الأداء «لمن لا

يزيد عمرها على عشرين عاماً».

الفرع الخامس: حفظ عشرة أجزاء متتالية مع التجويد وحسن الأداء «لمن لا يزيد عمرها على عشرين عاماً».

❖ الدعوات والاستضافات:

تجسيداً للروابط الأخوية، وتوثيق عرى التعاون الاسلامي بين الدول العربية والاسلامية والصديقة، فقد تم توجيه الدعوات الى وزارات الأوقاف والشؤون الاسلامية، او من يقوم مقامها في الدول العربية والاسلامية والصديقة، وهي:

وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - دولة فلسطين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - الجمهورية التونسية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجمهورية الجزائرية، وزارة الشؤون الاسلامية - مملكة البحرين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان، وزارة الأوقاف والارشاد - جمهورية اليمن، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - دولة قطر، اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم - دبي - دولة الامارات العربية المتحدة، وزارة التوجيه الاسلامي والتعليم الاصلي ومحو الأمية - الجمهورية الموريتانية، وزارة الأوقاف والثقافة والارشاد - الجمهورية الايرانية، وزارة الشؤون الدينية - سلطنة بروناي، وزارة الشؤون الدينية والزكاة والعشر - جمهورية باكستان، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية - جزر المالديف، دائرة العلماء والمفتي العام - جمهورية البوسنة والهرسك، ادارة مسلمي اوزبكستان - جمهورية اوزبكستان، لجنة مسابقة القرآن الكريم العالمية - جمهورية الهند، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية - جمهورية تشاد، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - المملكة المغربية، وزارة الارشاد والأوقاف - الجمهورية السودانية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - دولة الكويت، ديوان الوقف السني - جمهورية العراق، وزارة الأوقاف - الجمهورية العربية السورية، دائرة الافتاء - الجمهورية اللبنانية، جمعية واعتصموا الخيرية - الجماهيرية العربية الليبية، ادارة الشؤون الدينية - الجمهورية التركية، وزارة الشؤون الدينية - الجمهورية الاندونيسية، المشيخة الاسلامية الألبانية - جمهورية ألبانيا، وزارة الأوقاف - جمهورية بنغلادش، مصلحة الشؤون الدينية - مملكة ماليزيا، ادارة مسلمي القفقاز - جمهورية أذربيجان، الادارة الدينية لمسلمي جمهورية قيرغرستان - جمهورية قيرغرستان،

الاتحاد الاسلامي والمفتي العام - جمهورية كوسوفا، المجلس الاسلامي السنغافوري - سنغافورة، منظمة امل الخيرية - المملكة المتحدة، جمهورية الصين الشعبية.

❖ **شروط المسابقة:**

١- يشترط في المتسابقة اصطحاب «محرم واحد».

٢- لا يحق للمتسابقة ان تشارك في اكثر من فرع من فروع المسابقة.

٣- يحق للمتسابقة ان تشارك في فرع اعلى من الفرع الذي فازت فيه سابقاً في المسابقة الهاشمية الدولية.

٤- يحق للمتسابقة التي لم تفز سابقاً «في المسابقة الهاشمية» ان تشارك مرة ثانية في الفرع نفسه الذي لم تفز فيه.

٥- تعبئة جميع بيانات الاستبانة الخاصة بالمسابقة بمنتهى العناية والدقة.

٦- ارفاق صورة عن جواز سفر المتسابقة «والمحرم» بالاضافة الى صورتين شخصيتين حديثتين للمتسابقة.

٧- يحتسب عمر المتسابقة يوم الاحتفال بإعلان النتائج وتوزيع الجوائز على الفائزات.

٨- لا يحق للمتسابقة ان تغير فرع المسابقة الذي اختارته في استبانة الترشيح.

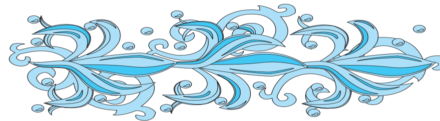
٩- لا يحق للمتسابقة الاعتذار عن عدم المشاركة في المسابقة اذا وصلت المملكة الأردنية الهاشمية.

❖ **موعد المسابقة:**

يكون موعد المسابقة الهاشمية الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره على النحو التالي:

١- تتم بمشيئة الله تعالى مقابلة المتسابقات في الفترة من ١٠-١٤ شعبان ١٤٣٠هـ.

٢- يقام حفل الختام بإذن الله تعالى تحت رعاية صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبد الله (حفظها الله)، صباح يوم ١٤



ايدز العقول وتجارة السموم

■ **بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي**

نعم إنها ايدز العقول للمستعمل، وتجارة السموم للمروِّج، فالليالي حبالى تلد كل جديد، ومع صباح كل يوم تسمع بابتكار نوع من أنواع السموم والعقاقير، التي لو استعملها الانسان لأول مرة، لفقد العقل مناعته وأصبح أسيراً لهذا السم القاتل.

وعلى سبيل المثال.. قبل عدة أعوام، لم يكن هناك من يسمع عن المخدر المخيف «كراك» الذي يؤكد الخبراء على أنه يحدث الإدمان من تجربة واحدة، والمقصود بهذا الادمان ليس مجرد التعود على استهلاكه، بل يعني ان الجسم يصبح بعد جرعة منه في حاجة الى جرعة أقوى وأكبر حتى ينتهي به الى الموت[١].

ثم هناك عقار «رحلة الموت» L.S.D حيث لم يعرف العلم عقاراً اغرب من هذا العقار في تأثيره وشدته، ولم يعرف عقاراً أشد فاعلية بهذه المقادير الضئيلة التي يصعب وزنها، فتناول المليجرام منه كاف لإخراج أعقل العقلاء من عالمه الى الهلوسة والجنون لساعات طويلة، والمليجرام جزء من الجرام، فلو وزعت خمسين كيلو جراماً على بلد تعداده نصف مليون انسان، لأحالهم الى شعب من المجانين بعد نصف ساعة من تناوله[٢].

ان هذه المخدرات وباء، هدفها تدمير العقول وخراب البيوت وإفساد المجتمعات وانحطاط الأخلاق، وما ان ينظر لها تعريف الا وأنواع أخرى قد ابتكرت، والتعريف الذي يناسب هذا الداء الخطير والشر المستطير، هو: **«كل مادة أو عقار يؤدي تعاطيه الى تنشيط او تسكين وفتور الجهاز العصبي**

المركزي، مما يؤدي الى هلوسة أو تسمم او أضرار أخرى»[٣].

واذا وضعنا هذا التعريف في إحدى كفتي ميزان، ووضعنا في الكفة الأخرى ما يقابلها من أحكام الله، وضح لنا حكم الله في ذلك بقوله عز وجل: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[٤].

فقد أخبر الله عز وجل ان هذا النبي ﷺ، وهو الرحيم العطوف بأمته قد جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وهذه المخدرات أشد أنواع الخبائث وأسوأها، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم**﴾[٥]، وقال عز من قائل: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون**﴾[٦]، ومن هاتين الآيتين يتضح لنا ان المؤمن مأمور بتناول الطيبات، سواء في المأكل أو المشرب.

اما العقل فلقد اهتم به الاسلام اهتماماً عظيماً، وأوجب حمايته من كل ما يضره وحرم الاعتداء عليه بأي شكل من الاشكال، فحرم الخمر لأنها تخامر العقل وتغطيه، يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ❖ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾[٧].

ان الاسلام هو النظام الوحيد الذي عرفته البشرية والذي يعمل على منع الجريمة قبل وقوعها، لا معالجتها بعد ان تقع، نجد ذلك في حديث النبي ﷺ عن انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها، وشاربها وحاملها، والمحمولة اليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له»[٨].

واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، كل ذلك من أجل ان يكون المسلم نظيفاً طاهراً بعيداً عن أم الخبائث.

وهذه الأنواع من السموم بصورتها الراهنة لم تكن معروفة لدى المسلمين الأوائل، سواء في عصر الرسالة او القرون

التالية له، الى القرن السادس الهجري، لذلك خلت كتب الأئمة الأوائل من ذكر الأحكام المناسبة لها.

فالإسلام حرم الخمر، لأنها تخامر العقل، اي تغطيه لفترة تأثيرها، يقول رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» فما بالك بما هو أشد من التغطية.. انه التعطيل، إنه التدمير والشلل للعقل، يقول الإمام المراغي: «انها أفتك بالأمة من الخمور وأقتل لها».

وطالما ان العلة الموجودة في الخمر، والتي حرم من أجلها، وهي الإسكار، موجودة في المخدرات، وأكثر من الإسكار، إدمان وهلوسة، فيكون التحريم موجوداً فيها، والحجة قائمة على من تناولها، وإني أخشى على من مات بسببها ان يعذبه الله يوم القيامة بما قتل به نفسه كما جاء في الحديث: «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة».

كما ان ترويج هذه السموم، يعتبر أخطر المعاصي وأشدها، وإن تجار المخدرات من المفسدين في الأرض الذين قال الله فيهم: **﴿إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[٩].

فليتق الله الذين يبحثون عن الربح بالمتاجرة بإفساد عقول البشر، وليعلموا ان الدنيا عرض زائل، وسيأتي اليوم الذي يقفون فيه أمام الجبار جل وعلا، ليسألهم عن هذه الأموال من أين اكتسبوها، وفيم انفقوها؟ ويسألهم عن الضحايا الذين دمروا بسببهم، وليسألهم عن الأيتام الذين شردوا بجشعهم.

ان كوارث الزلازل والبراكين والفيضانات والمفاعل الذرية التي حدثت في العالم لهي أقل تدميراً من هذه السموم في الأمة.

هل تصدقون ان نائب الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، هو نفسه رئيس فرقة العمل المكلفة بمكافحة المخدرات في جنوب فلوريدا، يقول: «ان حجم تجارة المخدرات يصل الى قيمة مائة مليار دولار في العام الواحد»!.

وهناك الآلاف في افريقيا وغيرها يموتون جوعاً كل عام، بسبب الجفاف والفقر والمرض، ولو سألنا أنفسنا كم تنفق دول العالم على اجهزة مكافحة المخدرات، أما كان الأولى ان تكون هذه المبالغ الضخمة للتعمير لا للتدمير؟!.

ولو كل بانٍ خلفه هادم لكفى

فكيف ببان خلفه ألف هادم

ان الاسلام يعالج الموضوع من جميع جوانبه، لا يدع ثغرة يمكن ان تنفذ منها هذه الجريمة، كل ذلك صيانة لهذا العقل، هذه الجوهرة العظيمة، هذا العقل الذي تتميز به الاشياء ويدرك الانسان به الفضيلة ويترك الرذيلة، هذا العقل الذي جعله الله مناط التكليف، فإذا فقده الانسان أصبح عالة على نفسه وأهله ومجتمعه، اصبح في عداد الأموات الذين يمشون على الأرض، بل ان بعض الأموات خير منه.

ليس من مات فاستراح بميت

انما الميت ميت الأحياء

يحتاج في حياته الى من يراقبه ويساعده ويقدم له ما يحتاج، وبذلك يفقد المجتمع عدداً من الناس بدلاً من اين يكون لهم فائدة يقدمونها لأنفسهم ومجتمعهم، اصبح شغلهم رعاية مرضى لا يرجى برؤهم، فالضرر بأي شكل من الاشكال قد حرمه الإسلام، ونهى عنه، ويكفينا القاعدة الشرعية المعروفة «لا ضرر ولا ضرار».

ان قرناء السوء يعتبرون من أعظم الأسباب لإيقاع بعض من لم يقع فيها، إما بتزيينها له أو بزعم أنها تذهب النوم أو تجلبه، أو غير ذلك من الأسباب، فعلى كل أب أن يتفقد ولده ويتعرف على من يصاحبهم ويختار لابنه الصحبة الصالحة.

وبالله التوفيق

الهوامش:

١- جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢٧٥٩ .

٢- المخدرات بين الطب والفقه، ص٤٩ .

٣- المواد المخدرة وطرق مكافحتها، ص٩ .

٤- الأعراف: ١٥٧ .

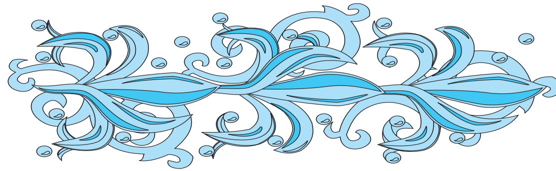
٥- المؤمنون: ٥١ .

٦- البقرة: ١٧٢ .

٧- المائدة: ٩٠-٩١ .

٨- رواه الترمذي.

٩- المائدة: ٣٣ .



١

الانتفاع بالعين المرهونة

■ بقلم الدكتور مصطفى جمال الدين

هذه محاولة لدراسة مسألة صغيرة جداً، من مدنيات الفقه «الانتفاع بالعدين المرهونة» حاولت جاهداً ان يكون بحثي فيها موضوعياً، مقارناً بمذاهب الفقه الاسلامي السبعة: المذاهب الأربعة، والشيعة الامامية والزيدية، واهل الظاهر، وتتلخص في أن «العين» - داراً كانت أو بستاناً أو حيواناً أو ثياباً أو غير ذلك- اذا كانت مرهونة عند شخص ولها منافع، كالسكنى، والثمرة، والولد واللبس، فهل تعود هذه المنافع للشخص المرتهن، باعتبار ان العين تقع تحت حوزته ما دام الرهن قائماً؟ أو تعود لصاحبها الراهن، باعتبار ان مالك العين هو مالك المنفعة، واذا جعلها عند المرتهن فليس اكثر من كونها امانة يستوثق بها من قدرته على الوفاء؟ او ان هناك رأياً ثالثا يعطل منفعة العين، ويبطل حق الطرفين بها ما دامت مرهونة، حتى يفتكّها صاحبها؟

ثم اذا كان هناك شرط ضمن عقد الرهن، بأن تكون المنفعة لاحدهما، فهل يكون هذا الشرط صحيحاً ملزماً؟ او لغواً باطلاً؟ او مبطلاً لعقد الرهن أصلاً؟

الرهن في اللغة: الثبوت والدوام، يقال: رهن الشيء اذا ثبت، والنعمة الراهنة: الثابتة الدائمة، وكل ما احتبس به شيء فرهينة ومرتهنة، قال تعالى: ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ المدثر: ٣٨، اي محبوسة، وقال عز وجل: ﴿**كل امرء بما كسب رهين**﴾ الطور: ٢١، اي محتبس.

وجمع رهن: رهون ورهان ورُهن وتقرأ الآية الكريمة ﴿**فرهان مقبوضة**﴾ و ﴿**رُهن مقبوضة**﴾، البقرة: ٢٣٨ .

والفعل منه: رَهَن وأرهن، ويقال: رهنه وعنده الشيء جعله رهناً، وارتهنه منه: أخذه[٢].

أما الفقهاء فقد عرفوه بأنه: «وثيقة لدين المرتهن»[٣]، او «توثقه دين بعين، يمكن اخذه او بعضه منها او ثمنها»[٤]، أو «جعل شيء محبوساً بحق يمكن استيفاؤه من الرهن»[٥] والمعنى في الجميع واحد لولا:

١- اطالة الآخرين بذكر خواص المعرَّف زيادة على الحد المطلوب.

٢- ولولا التنصيص عند الاحناف، على اشتراطهم ملك الحبس على نحو الدوام بما تشير اليه كلمة «محبوساً» في التعريف الثالث.

٣- ولولا ان التعريفين الأولين -واكثر التعريفات الأخرى التي لم اشر اليها- قد اكدت على كلمة «دين» مع انهم في الأعم الأغلب، يجيزون ان تكون العين المرهونة في مقابل غير الدين، كدرك المبيع لو ظهر مستحقاً، وكالأعيان المضمونة مثل المغصوبة، والعارية المضمونة، وامثالهما مما ليس ديناً.

٤- ولعل كلمة «حق» الواردة في تعريف ابن الهمام -الثالث- مكان كلمة «دين» اشمل منها للسبب الذي ذكرناه، وقد أخذ واضعو «مجلة الأحكام العدلية» بذلك فجعلوا كلمة حق بدل كلمة دين، كما نصوا على «الحبس» تبعاً للمذهب الذي استقوا احكام المجلة منه، هذا على انهم أحسنوا صنعاً، بتغييرهم صيغة التعريف التي نقلناها عن فتح القدير، فرفعوا كلمتي «الشيء والرهن» ذلك لأن في وجودهما معاً، ضمن التعريف، ايهاماً بأن الشيء غير الرهن، ولو ان الصيغة كانت: «جعل الشيء محبوساً بحق يمكن استيفاؤه منه» -اي بضمير يعود على الشيء- لارتفع ذلك الايهام.

هذا على ان كلمة «الشيء» واسعة جداً، فهناك «اشياء» كثيرة منع الاحناف انفسهم، ان تكون رهناً، فلو انهم ابدلوها بكلمة «عين» -كما فعل الحنابلة- او «مال» كما فعلت المجلة، لكان ذلك اكثر دلالة.

وحتى كلمة «رهن» الواردة في التعريف فإنها، وان صح اطلاقها على «المرهون» كما هو مراد التعريف، الا ان أخذها في تعريف الرهن، كعقد يربك التعريف ويضيع ملامح المعرَّف.

بقيت هناك مصطلحات ستمر في اثناء البحث لا بأس بتوضيحها بإيجاز: فالراهن هو الشخص الذي يعطي الرهن «المدين»، والمرتهن هو الشخص الذي يأخذ الرهن «الدائن»، والمرهون هو نفس العين التي جعلت وثيقة، وقد يطلق عليها كلمة «رهن» ايضاً، تسمية للمفعول بالمصدر، والعدل هو الشخص الثالث الذي ائتمنه الراهن

والمرتهن، او الحاكم واودع المرهون عنده.

❖ **الانتفاع:**

في لسان العرب: النفع ضد الضر، فيقال: نفعه ينفعه نفعاً ومنفعة، ونفعت فلاناً بكذا فانتفع به، وفيه: والنفيعة والنفاعة والمنفعة: اسم ما انتفع به.

أما في الفقه الاسلامي فتطلق المنفعة ويراد بها المعاني التالية:

١- زوائد المرهون المنفصلة، المتولدة منه: كالثمر، والولد، والغسيل، والصوف، والوبر، واللبن، وامثالها.

٢- كما يراد بها المكاسب العينية، كأجرة الدار والحيوان، وكسب المملوك، وغلة الأرض وغيرها.

٣- كما تطلق على استعمال المرهون بما لا يترك وراءه اعياناً ثابتة، كالسكنى، والاستخدام، والركوب، ولبس الثوب، وما اشبه ذلك.

❖ **تحرير محل النزاع:**

لم اجد بين فقهاء المسلمين -على اختلاف مذاهبهم- من يقول: بأن منافع المرهون، بأنواعها الثلاثة السابقة، هي ليست ملكاً، أو حقاً من حقوق الراهن، اللهم الا ما ينسب لأبي حنيفة -كما في جواهر الكلام- مما لم اجد له منشأ في كتب الأحناف، بل انهم قالوا: بأن الزوائد المتولدة عن العين المرهونة رهن معها، وهذا اوضح دليل على انهم يقولون بملكيتها للراهن، لأن الرهن -كما هو واضح- لا يقع الا على عين مملوكة.

اذن فموضع الاختلاف ليس في ملكية النافع، وانما هو في نقطتين متداخلتين على ما يظهر:

الأولى: هل المنافع والزوائد المنفصلة عن العين المرهونة، من ثمر وولد وغيرهما مما ينتفع به، تكون -كلاً او بعضاً- رهنا مع الأصل، فلا يحق للراهن ولا المرتهن التصرف بها، بل تكون قيمتها -اذا بيعت- مما يمكن استيفاء دين المرتهن منها كالأصل؟ او لا تكون رهناً، فيحق للراهن حينئذ الانتفاع بها -اما بنفسه، ان جاز له التصرف او بواسطة العدل او المرتهن او اذنه، ان لم يجز- فيحق له ان يفي بها دينه، او يبيعها للمرتهن، او يأخذها لمنفعته الخاصة، او اي نحو من انحاء انتفاع المالك بملكه؟

الثانية: سواء قلنا: بأن المنافع والزوائد -كلاً او بعضاً- رهن مع الاصل، ام لم نقل، فهل يحق لكل من الراهن والمرتهن التصرف بها، مطلق التصرف، ام يحرم ذلك الا بإذن صاحبه؟؟

توضيح ذلك: انها اذا كانت رهناً فهل يحق للراهن مؤاجرتها، او جمعها، او بيعها، او استغلالها بزراعة وشبهها، او اي نحو من انحاء التصرفات الأخرى، على ان يسلم قيمة ذلك او اعينه للعدل او للمرتهن ايفاء لدينه؟؟ او يحرم عليه مطلق التصرف الا بإذن صاحبه، وكذلك الأمر بالنسبة للمرتهن.

واذا لم تكن رهنا فهل يحق للراهن -باعتبار ان المنافع ملكه- استغلالها والانتفاع بها؟ او لا يحق له ذلك، على أساس ان ماله «محبوس» عنه ما دام مرهوناً فتبطل منفعته، اذا لم يأذن له المرتهن، او يكون انتفاعه بواسطة العدل او المرتهن.

وكذلك المرتهن -في فرض ان تكون المنافع ليست رهناً ولكنه انفق عليها- فهل يحق له الانتفاع بها لنفسه من دون اذن الراهن في مقابل نفقته؟ او يتوقف انتفاعه -بمقابل او غير مقابل- على اذن الراهن، باعتبار ان ذلك تصرف في مال الغير؟

والخلاصة: ان النقطة الاولى تتركز في ان منافع الرهن -كلاً او بعضاً- هل هي رهن مع الاصل اولاً؟ والثانية: انه هل يجوز لكل من الراهن والمرتهن التصرف بهذه المنافع او بعضها -كانت رهناً ام لم تكن- او يحرم ذلك؟

لماذا البحث عن زوائد المرهون في موضوع الانتفاع؟

موضوع جواز الانتفاع بالعين المرهونة، يبحث في كتب الفقه عادة، مستقلاً عن موضوع البحث في تبعية زوائد المرهون لأصلها في الرهينة، حتى يبدو وكأن لا علاقة لأحد الموضوعين بالآخر، ولكني وجدت نفسي مضطراً لبحث الموضوعين معاً لسببين:

الأول: انه بعد اتفاق الفقهاء على ان المنافع ملك للراهن، وحق من حقوقه، ففي فرض ان لا تكون رهناً مع الاصل، لا يبقى ما يمنع الراهن من الانتفاع بها الا حرمة التصرف بالأصل -ان قلنا بها- ذلك لأن الانتفاع يستلزم التصرف بالعين، فلو ان الراهن استطاع ان ينتفع بها من دون تصرف، فمقتضى ذلك جواز الانتفاع عند الجميع، فلو ان المنفعة انفصلت عن العين لأي سبب، غير تصرف الراهن، كالثمرة بعد الجذاذ، والولد بعد الولادة، فإن تصرف الراهن بها تصرف بأعيان غير مرهونة.

الثاني: انه لو كانت المنافع رهناً مع الاصل، فمقتضى ذلك ان الراهن لو انتفع بالعين فسوف تترتب عليه -غير الاثم- آثار اخرى، كضمان ما اتلفه من اعيان المنفعة، او اجرة ماله أجرة منها، لأن المفروض ان المنفعة هي الأخرى، عين مرهونة فإذا

اتلفها ضمن كما يضمن لو اتلف الأصل.

لهذين الأمرين، رأيت ان اتوسع في بحث الانتفاع هذا، ملما بباب الزيادات في الرهن، لما بين الموضوعين من تداخل، ولما لعملية الانتفاع من آثار تتعلق بكل من الموضوعين.

❖ انتفاع الراهن:

قلت في الحديث التمهيدي: ان مسألة جواز الانتفاع وعدمه تنبني على البحث في موضوعين مستقلين هما: مسألة رهنية المنافع تبعاً للأصل، ومسألة جواز التصرف، مطلق التصرف في العين المرهونة.

وقد رأيت ان هذين الموضوعين متداخلين مع بعضهما، وان هناك ملازمة بين: القول برهينة المنافع، والقول بعدم جواز الانتفاع، وكذلك بين: القول بجواز الانتفاع، والقول بعدم الرهنية -كما سيأتي ايضاح ذلك- الا ان الفقهاء فصلوا بين المسألتين، في تحريرهم لمسائل الرهن، ولم يقفوا بقليل ولا كثير، عند هذا الترابط الذي ادعيه بينهما، اللهم الا ما يظهر عرضاً، وعلى سبيل الاستنتاج من بعض مناقشاتهم.

لذلك فسوف استعرض آراءهم في هذا الفصل في كل مسألة على حدة، ثم اخلص الى ما استنتجته من واقع الملازمة بينهما.

❖ رهنية المنافع:

● الحنفية:

فرّق الأحناف بين نوعين من زوائد العين المرهونة:

١- فما كان متولداً عن العين، كالولد، والثمر، والصوف واللبن وأمثالها، فهو رهن مع الاصل، وحجتهم في ذلك: ان هذه الزيادة متولدة عن المرهون، ولأن الحق لازم في الاصل، فتسري الرهنية الى هذه الزيادة التابعة(٦).

٢- واما بدل المنفعة كأجرة الدار، وكسب المملوك، وامثالها فليست برهن، والدليل: انها غير متولدة عن العين(٧).

الخلاصة: ان الاصل عند الاحناف هو: التولد عن العين وعدمه، فما كان متولداً كان رهناً، وما لم يتولد لم يكن -على اساس ان الفروع تتبع الاصول في الرهنية- كما هو في الكتابة والتدبير.

● الشافعية:

ان المنافع عند الشافعية، بجميع اقسامها، ملك الراهن، وهي لا تتبع الاصل المرهون في الرهنية، قال الشافعي في الأم: «ولو رهنه شاة فيها لبن، فاللبن خارج من الرهن» «وهكذا لو رهنه نخلاً، او شجراً فأثمرت كانت الثمرة خارجة من الرهن» «والولد والنتاج واللبن وكسب الرهن كله

للراهن، وليس للمرتهن ان يحبس شيئاً عنه»[٨].

ودليلهم:

١- ان للمرتهن حقاً في رقبة الرهن، وما يحدث عنه، مما هو متميز عن العين، غير العين، فليس له حق فيه[٩].

٢- ان المنفعة عين من اعيان ملك الراهن، لم يعقد عليها عقد رهن كسائر ماله[١٠].

٣- ولقوله: ﷺ: «الرهن من راهنه له غنمه وعليه غرمه» والنماء غنم[١١].

● المالكية:

والمنافع عند المالكية نوعان:

١- نوع يكون رهناً مع الاصل، وهو ما كان على صورة الاصل وخلقته، كالولد وما في معناه، كفسلان النخيل[١٢].

٢- ونوع لا يكون رهناً، وهو ما عدا ذلك من ثمر، وغلة واجر، وكسب وغير ذلك[١٣]، ودليلهم: ان الولد حكمه حكم امه في البيع، فكذلك في الرهن، اما غيره فلا يتبع بيع الاصل الا بالشرط، وولد الجارية يتبع بغير شرط[١٤].

● الحنابلة:

لم يفرق الحنابلة في شيء من منافع المرهون، فقد جعلوا منافعه كلها رهنا حتى اكتساب العبد، قال في منتهى الارادات: «ونماؤه، ولو صوفاً ولبناً، وكسبه وأرش جناية عليه: رهن»[١٥].

وقال في الروض المربع: «ونماء الرهن المتصل والمنفصل، كالسمن، وتعلم الصنعة، والولد، والثمر، والصوف، وكسبه، وارش الجناية عليه، ملحق به، فيكون رهناً معه، ويباع لوفاء الدين اذا بيع»[١٦].

وقال في المغني: «نماء الرهن جميعه، وغلاته، تكون رهناً في يد من الرهن بيده.. سواء في ذلك المتصل كالسمن والتعلم، والمنفصل، كالكسب والأجرة والولد والثمرة واللبن والصوف والشعر»[١٧].

ودليلهم والنص لابن قدامة في المغني: «ولنا: انه حكم يثبت في العين بعقد المالك، فيدخل فيه النماء والمنافع كالملك، بالبيع وغيره، ولأن النماء حادث من عين الرهن، فيدخل فيه كالمتصل».

ولأنه حق مستقر في الأم، ثبت برضى المالك، فيسري الى الولد كالتدبير والاستيلاد»[١٨].

ملاحظة: لم أجد بين فقهاء المذاهب من جعل كسب الرهن رهناً غير الحنابلة، ودليلهم في ذلك: «ان الرهن عقد يستتبع النماء فاستتبع الكسب، كالشراء»[١٩].

● **الظاهرية:**

واهل الظاهر رووا روايتين متضادتين، في قضاء لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، وتركوهما لتعارضهما، فذهبوا مذهب الشافعية في ان زوائد الرهن كلها ليست برهن، وحجة ابن حزم في ذلك: «ان الرهن هو ما تعاقدا عليه الصفقة، لا ما لم يتعاقدا عليه، وكل ما ذكرنا شيء لم يتعاقدا الصفقة عليه، فكله غير الاصل، وكله حادث في ملك صاحب الاصل، فكله له»[٢٠].

● **الزيدية:**

لم يتعرض الامام الشوكاني في «نيل الاوطار» لهذا الموضوع، ولكن الامام المهدي لدين الله المتوفى سنة ٨٤٠هـ في كتابه «البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار» وهو كتاب جامع فعلاً لآراء اغلب فقهاء المسلمين، وبخاصة فقهاء الزيدية، بدقة وايجاز، قد اختار القول برهنية المنافع تبعاً للأصل ما عدا الكسب ونسب القول بذلك ايضاً «للقاسمية» وهم فرقة من الزيدية اتباع القاسم بن ابراهيم الرسي الحسني ١٧٠-٢٤٤ هـ، فقال بعد ان حكم برهنية الفوائد الحاصلة عند العقد ان لم يشترط خروجها: «وكذا الحادث بعد العقد يسري اليه الرهن كالكتابة» ودليله: «ان العقد تناول اصله فتبعه»[٢١].

أما الناصرية، وهم اتباع الامام الناصر الاطروش ٣٤٠هـ، فقد نسب اليهم، والى الامام يحيى بن حمزة الموسوي، القول بعدم تبعية الفوائد للأصل بدليل: «ان العقد لم يتناولها، وبقوله ﷺ: «لصاحبه غنمه» وقوله: «الرهن محلوب ومركوب»[٢٢].

وعلى اي حال فالذي يظهر من البحر الزخار، ان للزيدية في المسألة قولين، لم يتفقوا على واحد منهما، خصوصاً وان طريقة المؤلف ان يرمز للمسائل المتفق عليها في المذهب برمز «هب» في صدر الفرع، اما المختلف فيها فينسب القول الى قائله، ثم يدعه أو يهدمه، تبعاً لمختاره هو، كما فعل بمسألتنا هذه، فقد أيد رأي القاسمية وأبي حنيفة، وعارض رأي الناصرية والشافعي، فتناول الحديثين السابقين بقوله:

«قالوا: قال ﷺ: لصاحبه غنمه، قلنا: يعني لا يملكه المرتهن، قالوا: قال ﷺ: «الرهن محلوب ومركوب» يعني للراهن، قلنا: اراد يصح رهن هذا الجنس، او يجوز بإذن المرتهن»[٢٣].

● **الامامية:**

اما الامامية فلهم فيها قولان: -بعد اتفاقهم على خروج اكتساب المرهون-:

١- فالمشهور عندهم: انها رهن مع الاصل،

وبه قال الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وابن ادريس، وبه قول للشيخ الطوسي في النهاية، ومن المتأخرين الامام كاشف الغطاء في تحرير المجلة، وحجتهم في ذلك:

أ- الاجماع المحكي عن السيد المرتضى في الانتصار، وابن ادريس في السرائر.

ب- وان النماء من شأنه تبعية الاصل كما يتبع ولد المدبرة لها فيه[٢٤].

٢- وذهب كثير منهم، وبخاصة المتأخرون الى عدم رهنيتها مع الاصل، من هؤلاء الشيخ الطوسي في الخلاف والمبسوط، والعلامة الحلي في كتبه، وولده فخر المحققين، وصاحبا الجواهر، والحدائق، والشهيد الثاني في المسالك، والسيد الحكيم في منهاج الصالحين، وحجتهم في ذلك:

أ- اصالة عدم الدخول في الرهن.

ب- اصالة تسلط المالك على ملكه[٢٥].

ج- وبأن العقد انما تعلق بالأصل فلا يتناول سواه[٢٦].

د- وبقوله ﷺ: «الرهن من راهنه له غنمه وعليه غرمه» والنماء غنم، وبرواية اسحق بن عمار عن الكاظم:

«قلت: فإن رهن داراً لها غلة لمن الغلة؟ قال: لصاحب الدار»[٢٧].

اما السيد في الرياض فإنه، وان رجح جانب القول بالرهنية -للاجماع المنقول- الا انه لم يرتض ما استدلوا به من التبعية لقوة ادلة المانعين منها لولا الاجماع[٢٨].

❖ نظرة عامة في أوجه الخلاف:

واذا اردنا ان نجمع الاقوال في المسألة -باستثناء دخول الكسب عند الحنابلة لانفراد المذهب به وجدناها كالآتي:

١- القول برهنية المنافع مع الاصل، وهو رأي الحنابلة، ومشهور الامامية، والقاسمية من الزيدية.

٢- القول بعدم رهنيتها، وهو رأي الشافعية، والظاهرية، وكثير من الامامية، والناصرية من الزيدية.

٣- التفصيل بين ما كان على صورة الاصل، كالولد والفسيل، فهو رهن، وما لم يكن فليس برهن، وهو قول المالكية.

٤- التفصيل بين ما كان متولداً من العين، فهو رهن كالولد والثمرة، وما لم يكن فليس برهن وهو قول الحنفية.

❖ أدلة القائلين بالرهنية:

واذا اردنا ان نستعرض ادلة القائلين بالرهنية تجمع لدينا منها ما يلي:

١- ان حق الرهون تعلق بالاصل بعقد المالك ورضاه، فيسري الى النماء والمنافع بالتبع، قياساً على البيع في بعضها، والتدبير في آخر، والزوائد المتصلة في ثالث، وهذه حجة الحنابلة، ومثلهم حجة القاسمية من الزيدية الا ان القياس عندهم على الكتابة.

٢- ما احتج به الامامية من الاجماع المنقول في الانتصار والسرائر.

اما المفصلون كالحنفية والمالكية، فحجتهم فيما ادخلوه في الرهن نفس الحجة، وهي سريان الرهنية من الاصل الى الفرع، قياساً على البيع عند مالك، والكتابة والتدبير عند ابي حنيفة.

واما ما منعنا من رهنيته فهو: اما لأنه غير متولد عن العين فلا تسري اليه الرهنية كما عند الاحناف، واما لأن حكمه في المقيس عليه كذلك كما عند المالكية.

اذن فليس عند القائلين بالرهنية غير دليلين هما: القياس والاجماع.

❖ مناقشة الاستدلال بالقياس:

اذا اردنا ان نتسامح في حجية القياس، من حيث المبدأ، لمخالفة الامامية في حجية المستنبط العلة منه، ومخالفة اهل الظاهر في مطلق حجيته، واردنا ان نسير على مباني القائلين انفسهم، لكان لنا -مع ذلك- المؤاخذات التالية في مجال تطبيقه على مسألتنا:

١- ان قياس الرهن على البيع -عند الحنابلة والمالكية- قياس مع الفارق - كما يقولون- فالرهن يفارق البيع، في ان التبعية هنالك مبنية على أساس غير متوفر في القياس، هو ان عقد البيع اذا تم، انتقلت ملكية العين الى المشتري، وانقطعت علاقة البائع بها كمالك، فما حدث فيها بعد العقد من منافع، فقد حدث في ملك المبتاع، ولهذا فقد جعل الوقت -في قوله ﷺ: «من ابتاع نخلاً - بعد ان يؤبر- فثمرتها للذي باعها»[٢٩]، اساساً للتبعية على اعتبار ان البيع اذا وقع بعد التأبير، فالثمرة حدثت في ملك البائع، واذا وقع قبله فهي حادثة في ملك المبتاع، وبذلك استدل ابن قدامة نفسه -في كتاب البيع- بقوله: «لأنه جعل التأبير حداً لملك البايع للثمرة فيكون ما قبله للمشتري»[٣٠].

فإذا كان الغرض من قياس الرهن على البيع هو: تبعية النماء للأصل في الملكية - كما ربما يظهر ذلك من عبارة المغني- فهو صحيح، ولكنه خارج محل النزاع، واذا كان الغرض هو القياس عليه في مطلق الحكم،

فهو ممنوع للفرق بين حقوق المرتهن وحقوق المشتري.

٢- هذا على ان تبعية المنافع في البيع، بعضها ثبت عن طريق الاجماع، كولد الجارية والحيوان[٣١]، وبعضها عن طريق النص كثمر النخل.

والاجماع لا يصح القياس عليه -وبخاصة عندنا كمقارنين- الا اذا تمت حجيته عند الجميع، ولا اعتقد ان المسلمين اتفقوا على حجية صورة من صور الاجماع، الا اذا كان اجماع الأمة -كل الأمة- وهو غير متحقق الوقوع الا في ضروريات الدين، اما المختلف بها كمسألة تبعية ولد المبيع، فلا يتم تحصيل الاجماع فيها، لمخالفة كثير من الفقهاء في ذلك، ولا يغني مبنى الامام مالك في ان الاجماع هو اجماع اهل المدينة، ولا غيره من المباني، لأنها لا تلزم الا أصحابها.

فإذا كانت حجية الاجماع غير متوفرة في الأصل «المقيس عليه» فكيف يلتمس وجود العلة في الفرع «المقيس»؟.

اما الذي ثبت عن طريق النص، كالثمرة، فإن مالكاً وأبا حنيفة لا يتفقان مع القائسين في كون الثمرة للمبتاع، وانما يراها ابو حنيفة للبايع سواء وقع البيع قبل التأبير أم بعده[٣٢].

واما مالك فإنه لا يرى التبعية في البيع الا للولد، اما الثمرة فلا تتبع الا بالشرط[٣٣].

واما من يتفق معهم في ذلك، من الامامية الظاهرية، فلا يتفق معهم لا في صحة هذا القياس ولا في حجيته.

٣- واما القياس على الكتابة والتدبير، فأمره امر القياس على البيع، من وجود الفارق بينهما، فقد استندت تبعية الولد للأم المدبرة او المكاتبة الى علة أخرى هي: تغليب جانب العتق والحرية، ولا تغليب للرهنية هنا.

٤- هذا على ان القياس اجتهاد، وحجيته مجعولة -ان قلنا بها- في طول السنة، لا في عرضها، اي انه لا اجتهاد في مقابل النص، والنصوص الواردة في الموضوع هي ما احتج به الشافعي والشيخ الطوسي في الخلاف من قوله ﷺ:

أ- «لا يغلق الرهن من راهنه الذي رهنه، له غنمه وعليه غرمه ونماؤه غنمه، وهو ليس للمرتهن قطعاً».

ب- ما استدل به العلامة الحلي في التذكرة، من رواية اسحق بن عمار «قلت: فإن رهن داراً لها غلة، لمن الغلة؟ قال: لصاحب الدار»، ولا يرد عليهما ما اورده في المسالك، والبحر الزخار، والمغني: من انهما

يفيدان ملكية المنافع للراهن «ولا نزاع فيها اذ لا يلزم من دخوله في الارتهان خروجه عن الملك»[٣٤]، ذلك لأن الظاهر -كما في الثانية- من السؤال هو: تخيل السائل للدخول في الرهن، فكان الجواب دفع هذا التخيل، لا بيان اصل الملكية، فإن ذلك واضح بوضوح بقاء نفس العين على ملك الراهن، كما في الجواهر.

ج- يؤيد ذلك ما في الحديث الثالث «الرهن محلوب ومركوب» من الدلالة على استعمال المنفعة، لا اصل الملكية، وقد جعله للراهن لا للمرتهن، لأن استعماله للحلب والركوب تصرف في مال الغير، لذلك فقد اضطر في البحر الزخار الى التعسف في تأويله بأنه: «اراد، يصح رهن هذا الجنس - أو: بإذن المرتهن».

◆ مناقشة المالكية والأحناف:

اما التفصيل الذي ذكرناه عن المالكية بدخول مثل الولد والفسيل، مما كان على صورة الاصل وخروج ما عداهما، فهو تفصيل لا يتضح له وجه.

لأنه: ان اراد ان الولد جزء الأم، فهو بعد انفصاله ليس جزء، اما قبله فالثمرة جزء كذلك، فلماذا التفصيل؟

وان اراد ما احتج له في بداية المجتهد من: ان الولد يتبع في البيع بغير شرط، والثمرة لا تتبع الا بالشرط، فهو -بالاضافة الى عدم تسليمه- قياس تقدم الكلام حوله.

وان اراد ان لكونه على خلقته وصورته مدخلية في التبعية، فذلك استحسان وجهه في غاية الغموض.

اما عن تفصيل الاحناف فهو، بغض النظر عن سلامته، راجع الى ما قلناه في القياس على المكاتبة والمدبرة.

هذا على ان الاحناف تناقضوا -بعد ذلك- فهم في الوقت الذي حكموا فيه برهنية المنافع المتولدة قالوا: بأنها اذا هلكت تهلك بغير شيء[٣٥]، اي لا يسقط بها من الدين شيء، مع انهم يصرون على ضمان المرتهن، وانه اذا هلك الرهن في يده هلك من الدين.. وقالوا: «اذا هلك الاصل وبقي النماء يقسم الدين على قيمة الرهن يوم القبض، وقيمة النماء يوم الانفكاك، فما اصاب الاصل يسقط من الدين، وما اصاب النماء أفتكه الراهن»[٣٦].

مع ان المنافع، ان كانت رهناً، فلا معنى لخروجها من الضمان، وعدم سقوط الدين بها -كما في الفرع الأول- وان لم تكن رهناً، فلا معنى لأن يفتكها الراهن -كما في الفرع الثاني-.

ولا يفيد التوجيه الذي ذكره ابن الهمام من: أن الاتباع لم تدخل تحت العقد، ولم يتناولها اللفظ فلا يكون لها قسط مما يقابل الاصل[٣٧]، لأن عدم دخولها في العقد، وعدم تناول اللفظ لها، يدلان على عدم رهنيتها ايضاً.

❖ مناقشة الاستدلال بالاجماع:

اما الاجماع الذي استدل به القائلون بالرهنية من الإمامية فيمكن مناقشته بما يلي:

١- ان الاجماع لا يكون أصلاً مستقلاً في حجيته الا اذا كان اجماع الأمة -كل الأمة- كما هو مفاد «لا تجتمع امتي على الضلالة» وغيرها من الادلة السمعية التي هي العمدة في حجيته[٣٨].

وواضح من العرض السابق لأقوال فقهاء المسلمين، ان ذلك ممنوع في مسألتنا، بل وفي أية مسألة أخرى لوجود الاختلاف وقعاً فيما عدا ضروريات الدين، وهي لا تحتاج الى مثل هذا الاجماع.

٢- قد يكون الاجماع -في مصطلح آخر- هو اتفاق جماعة يعلم بدخول المعصوم فيهم، وحجيته بهذا المعنى مبنية اما على:

أ- العلم بدخول المعصوم، شخصاً غير معين، ضمن المجمعين وهو ما يسمى بـ «الاجماع الدخولي».

ب- او القطع بالملازمة: بين ما يحكيه الاجماع وبين رأي المعصوم، اما على اساس «قاعدة اللطف» او على أساس «طريق الحدس».

وفي كلا هذين كلام طويل، -حتى عند الامامية- في سلامة مبناهما، وفي حجية الاجماع المنقول فيهما، وقد فضلت ان تراجع فيه كتب الاصول عند الامامية، ليعرف منها بطلان قاعدة اللطف، وعدم جدوى طريق الحدس، وان الاجماع الدخولي ممنوع الوقوع، لأن الذين ينقلون مثله لم يعاصروا الأئمة، والذين عاصروهم لم يدعوا الاجماع[٣٩] وحتى لو افترضنا سلامته من ناحية المبنى، وافادته القطع بدخول قول الامام في المجمعين، فإنه غير عملي بالنسبة لزمن الغيبة، كما يقول الشيخ المظفر[٤٠].

٣- اننا اخترنا ان يكون البحث في هذه المسألة مقارناً، وان تكون أدلته ملزمة لمختلف اطراف المقارنة، ودعوى الاجماع هذه -بما لها من مبنى خاص- لا تختلف عن مباني الاجماع الأخرى، من ناحية كونها لا تلزم الا اصحابها، فإذا اضفنا الى ذلك مصير كثير من الامامية الى خلافه -كما

يقول صاحب الجواهر–[٤١] وذهاب الشهيد الثاني في المسالك الى منعه[٤٢] اصبحت الفائدة في الاستدلال به في حكم المعدومة.

❖ أدلة القائلين بعدم الرهنية:

فإذا اردنا ان نضيف الى مناقشاتنا، لدليلي القياس والاجماع السابقين، قوة أدلة القائلين بعدم الرهنية، امكننا الوقوف الى جانب القول بعدم دخول المنافع في الرهن.

وتلك الأدلة تتلخص في:

١– الاحاديث التي سبق ذكرها آنفاً، لوضوح دلالتها مع خلوها من المعارض.

٢– وأصالة عدم الدخول في الرهن.

٣– واصالة تسلط المالك على ماله وعلى نمائه، خرج المال لوقوع الرهن عليه، فبقي النماء تحت هذه الاصالة، والى هذين الاصلين يرجع –على وجه التقريب– ما احتج به كل من الظاهرية، والشافعية، والناصرية من الزيدية، وان اختلفت الصيغ فقد قالوا:

أ– ان النماء زائد على ما رضيه رهناً، فوجب ان لا يكون له الا بشرط زائد[٤٣].

ب– وان الرهن حق تعلق بالاصل يستوفى من ثمنه، فلا يسري الى غيره[٤٤].

ج– وان النماء عين من اعيان ملك

الهوامش:

١– قلائد الدرر، للشيخ احمد الجزائري ٢١٤ .

٢– المواد اللغوية الماضية عن القاموس ولسان العرب مادة «رهن».

٣– جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي ط حجر ٣٠٨/٤ .

٤– منتهى الارادات لابن النجار الحنبلي ٣٩٩/١ .

٥– فتح القدير للكمال بن الهمام ١٨٩/٨ .

٦– درر الحكام لعلي حيدر ٨١٥/٣، وفتح القدير ٢٤٠/٩، وحاشية ابن عابدين ٤٦١/٥، والمبسوط للسرخسي ٧٦/٢١ .

٧– المبسوط للسرخسي ١٥/٢١، والحاشية ٤٦١/٥، ودرر الحكام ٨١٥/٣ .

٨–٩– الأم للشافعي ١٦٣/٣ .

١٠–١١– المغني لابن قدامة ٣٨٨/٤ .

١٢–١٣– التاج والاكليل بهامش مواهب الجليل ١٥/٥–١٦ .

١٤– بداية المجتهد لابن رشد ٢٣٢/٢ .

١٥– منتهى الارادات ٤٠٤/١ .

١٦– الروض المربع ١٦٨/٢ .

١٧– المغني ٣٨٩/٤ .

١٨–١٩– المغني ٣٨٩/٤ .

٢٠- المحلى لابن حزم ١٠٠/٨ .

٢١-٢٢-٢٣- البحر الزخار للامام المهدي لدين الله ١٦٦/٤ .

٢٤-٢٥- الجواهر ٣٤٣/٤، وانظر في دعوى الاجماع: الانتصار للسيد المرتضى ص١٢٦، والسرائر لابن ادريس، باب الرهن من كتاب المتاجر.

٢٦- الحدائق الناظرة للشيخ يوسف البحراني ط حجر ٢٤٩/٥ .

٢٧- التذكرة للعلامة الحلي ٤١/٢، وانظر في تخريج رواية اسحق بن عمار: وسائل الشيعة للحر العاملي ١٣٠/١٣، وفروع الكافي للكليني ٣٩٦/١ .

٢٨- رياض المسائل للسيد علي الطباطبائي ٥٨٤/١ .

٢٩- انظر سنن الترمذي الحديث ١٢٦٢ ج ٣٥٧/٢، ووسائل الشيعة ٤٠٧/١٢ .

٣٠- المغني ٦٥/٤ .

٣١- الأم للشافعي ٤١/٣ .

٣٢- المغني ٦٦/٤ .

٣٣- بداية المجتهد ٢٣٢/٢ .

٣٤- مسالك الافهام للشهيد الثاني ٢٣٣/١ .

٣٥-٣٦-٣٧- فتح القدير ٢٤٠/٨ .

٣٨- الاصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم ٢٦١-٢٦٤ .

٣٩- شرح الكفاية للرشتي ٦٥/٢-٦٧ .

٤٠- اصول الفقه للمظفر ٩٩/٣ .

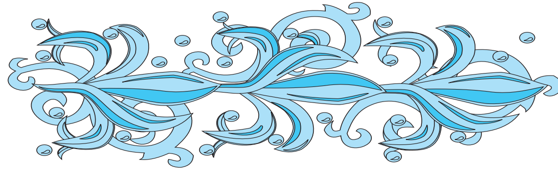
٤١- الجواهر ٣٤٣/٤ .

٤٢- المسالك ٢٣٣/١ .

٤٣- بداية المجتهد ٢٣٢/٢ .

٤٤-٤٥- المغني ٣٨٩/٤ .

٤٦- المحلى ١٠٠/٨ .



من سيرة الرسول ﷺ

شعر الاستاذ حلمي محمد شقير

يا سيدي يا رسول الله قد وهنت ... من العظام وكل الجسم والبصر
فكن شفيعي فيوم الحشر يؤرقني ... ادمى فؤادي وصار الدمع ينهمر
وجد علينا بشرب الحوض في سعة ... اشهى الى النفس والأقوام تنتظر
يا رب اني ضعيف عن مقارعة ... بغير لطفك يا الله احتقر
فلا تكلني الى نفسي تعذبني ... هذى الهواجس والاحلام والصور
يا رب ان رسول الله اعلمنا ... عن الجنان ومن فيها ومن ظفروا
وعن جهنم من فيها وقد ملئت ... من الخلائق والكفار اذ كفروا
في ليلة قد أضاءت كل انجمها ... واشرقت في سماها الشمس والقمر
أسرى بك الله محمولاً على ملك ... وطفت سماء ما أصابكم خور
وكنت قاب قوسين او ادنى على قدر ... في حضرة الله أولاكم السور
اوصاكم الله خيراً اذ حملت لنا ... هذي الصلاة وهذا الصوم والدرر
في لحظة البرق كنتم في مرابعكم ... نسيتم الحزن والأهوال تستعر
يا رب ان صديق العمر مستمع ... قد صدق القول والكفار تحتقر
ان كان قال رسول الله سرى ... قد قال صدقا ولم يكذب لنا خبر
ولم يناقش ولم يعجب اذ اختلفت ... تلك الخلائق والطغيان ينتظر
من ذلك الفارس القرشي ترمقه ... كل العيون فقال الناس ذا عمر
هذا العظيم الذي دانت لعزيه ... كل الطغاة وما لانت له سمر
فزاد الايمان قوم آمنوا وكفى ... وظل منهم عقول شابها قتر
قد كان في حيرة اذ قيل سرى ... وكيف طاف سماء بعدها القمر
وكيف شاهد اهوالاً بلا كلل ... هذا النبي ولم يكذب لنا خبر
هذا بيان لذي عقل وعاطفة ... هذا بلاءٌ أصيب البدو والحضر
يا سيدي يا رسول الله ان لنا ... في القدس ضائعة والظلم منتشر
فحرر اللهم قدسي من جبابرة ... حتى تقر عيون الناس اذ نذروا
بأن يصلوا صلاة الشكر خاشعة ... هذي القلوب وهذي الأنجم الزهر
حتى تظل حمى الاسلام صامدة ... في وجه طاغ بنا من جوره خطر



حول شهر شعبان

■ بقلم الاستاذ المحامي شكري الحسن

شعبان هو اسم للشهر، وقد سمي بذلك لأن العرب كانوا يتشعبون فيه لطلب المياه، وقيل: تشعبهم في الغارات، وقيل: لأنه شَعَبَ أي ظهر بين شهري رجب ورمضان، ويجمع على شعبانات وشعابين.

❖ الصيام في شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله يصوم حتى نقول: لا يفطر ويفطر حتى نقول: لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان» رواه البخاري برقم (١٨٣٣) ومسلم برقم (١٩٥٦)، وفي رواية لمسلم برقم (١٩٥٧): «كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا».

وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي ﷺ لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره، ويشهد له ما في صحيح مسلم برقم (١٩٥٤) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما علمته – تعني النبي ﷺ– صام شهرا كله إلا رمضان»

وفي رواية له أيضا برقم (١٩٥٥) عنها قالت: «ما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان»، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «ما صام رسول الله ﷺ شهرا كاملا غير رمضان» أخرجه البخاري رقم ١٩٧١ ومسلم رقم ١١٥٧، وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان، قال ابن حجر رحمه الله: كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، فقال: «ذاك شهر تغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى

رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص٤٢٥، وفي رواية لأبي داود برقم (٢٠٧٦) قالت: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان» صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داوُد ٢/٤٦١ .

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

وقوله: «شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان»، يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان -الشهر الحرام وشهر الصيام- اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام، وليس كذلك.

وفي الحديث السابق، إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه.

وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشائين بالصلاة ويقولون: هي ساعة غفلة، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكْر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة.

وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها:

أن يكون أخفى للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل، لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء، وكان بعض السلف يصوم سنين عددا لا يعلم به أحد، فكان يخرج من بيته إلى السوق ومعه رغيفان فيتصدق بهما ويصوم، فيظن أهله أنه أكلهما ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته، وكان السلف يستحبون لمن صام أن يُظهر ما يخفي به صيامه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إذا أصبحتم صياما فأصبحوا مدَّهنين»، وقال قتادة: «يستحب للصائم أن يدَّهِن حتى تذهب عنه غبرة الصيام».

وكذلك فإن العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس، ومن أسباب أفضلية الأعمال مشقتها على النفوس لأن العمل إذا كثر المشاركون فيه سهُل، وإذا

كثرت الغفلات شق ذلك على المتيقظين، وعند مسلم (رقم ٢٩٨٤) من حديث معقل بن يسار: «العبادة في الهرْج كالهجرة إلي» (أي العبادة في زمن الفتنة؛ لأن الناس يتبعون أهواءهم فكأن المتمسك يقوم بعمل شاق).

وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه ﷺ في شعبان على عدة أقوال:

١- أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان وكان النبي ﷺ إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها.

٢- وقيل: إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك، وهذا عكس ما ورد عن عائشة أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول الله ﷺ عن الصوم.

٣- وقيل: لأنه شهر يغفل الناس عنه: وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص٤٢٥ .

وكذلك من فوائد صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدّمة لرمضان، فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، قال سلمة ابن سهيل كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء، وكان عمرو ابن قيس المُلائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

❖ الصيام في آخر شعبان:

ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال لرجل: «هل صمت من سرار هذا الشهر شيئاً؟ قال: لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين» وفي رواية البخاري: «أظنه يعني رمضان» وفي رواية لمسلم: «هل صمت من سرار شعبان شيئاً؟» أخرجه البخاري ٤/٢٠٠ ومسلم برقم (١١٦١).

وقد اختلف في تفسير السرار، والمشهور أنه آخر الشهر، يقال: سِرار الشهر بكسر السين وبفتحها وقيل: إن الفتح أفصح، وسمي آخر الشهر سراراً لاستسرار القمر فيه (أي لاختفائه)، فإن قال قائل: قد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين، إلا من كان يصوم صوما فليصمه» أخرجه البخاري رقم (١٩٨٣) ومسلم برقم

(١٠٨٢)، فكيف نجمع بين حديث الحثّ وحديث المنع فالجواب: قال كثير من العلماء وأكثر شراح الحديث: إن هذا الرجل الذي سأله النبي ﷺ كان يعلم أن له عادة بصيامه، أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه، وقيل في المسألة أقوال أخرى.

وخلاصة القول: إن صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرمضانية احتياطاً لرمضان، فهذا محرم.

الثاني: أن يصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك، فجوّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر؛ منهم الحسن -وإن وافق صوما كان يصومه- ورخص فيه مالك ومن وافقه، وفرّق الشافعي والأوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا..

وبالجملة فحديث أبي هريرة -السالف الذكر- هو المعمول به عند كثير من العلماء، وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلا بآخره، فإن قال قائل: لماذا يُكره الصيام قبل رمضان مباشرة (لغير من له عادة سابقة بالصيام) فالجواب أنّ ذلك لمعانٍ منها:

أحدها: لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم.

ولهذا نهي عن صيام يوم الشك، قال عمار رضي الله عنه: «من صامه فقد عصى أبا القاسم ﷺ» ويوم الشك: هو اليوم الذي يشك فيه هل هو من رمضان أم لا؟ وهو الذي أخبر برؤية هلاله من لم يقبل قوله، وأما يوم الغيم: فمن العلماء من جعله يوم شك ونهى عن صيامه، وهو قول الأثريين.

المعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام، وخصوصا سنة الفجر قبلها، فإنه يشرع الفصل بينها وبين الفريضة، ولهذا يشرع صلاتها بالبيت والاضطجاع بعدها.

وربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل؛ لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام، وهذا خطأ وجهل ممن ظنه، والله تعالى أعلم.

في ظلال رسالة عمان

الإرهاب المعاصر مفهومه وأبعاده

■ بقلم الواعظ عماد محمود الزقيلي

انطلقت رسالة عمان من عاصمة العرب والمسلمين، لتقف في وجه عاصفة عارمة تستهدف أمة الإسلام وعقيدة المسلمين، هذه العاصفة الفكرية التي ترمي الى تشويه صورة الاسلام والصاق التهم الباطلة، والادعاءات المجحفة بسماحته وعدله ورحمته.

كان من محاور هذه الرسالة، تحديد مفهوم مقبول عند المسلمين للإرهاب، هذا المصطلح الذي جعله المتشدقون به ثوباً يلبسونه لكل من لا يقف في صفهم، فضلاً عن وقوفه في صف غيرهم حتى ولو كانوا هم من الظالمين.

❖ **الإرهاب في اللغة:**

قال في لسان العرب[١] والقاموس المحيط[٢]: رهب، كعلم رهبة ورُهباً، بالضم وبالفتح وبالتحريك. ورهباناً بالضم، ويحرك: خاف. وأرهبه واسترهبه: أخافه. وترهبه: توعده.

وقال ابو بكر الرازي[٣]: رجل رهبوت بفتح الهاء، اي مرهوب، يقال: رهبوت خير من رحموت، ويقول الراغب الاصفهاني[٤]: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب، قال تعالى: **﴿لأنتم أشد رهبة﴾** الحشر: ١٣، والرهبانية: غلو في تحمل التعبد، من فرط الرهبة، والإرهاب: فزع الابل وانما هو من أرهبت.

❖ **مادة رهب في القرآن الكريم:**

وردت مادة «رهب» في القرآن الكريم

اثنتي عشرة مرة، مرة بصيغة ﴿**يرهبون**﴾[٥]، ومرتين ﴿**فارهبون**﴾[٦]، ومرة ﴿**ترهبون به**﴾[٧]، ومرة ﴿**واسترهبوهم**﴾[٨]، ومرة ﴿**من الرهب**﴾[٩]، ومرة ﴿**أشد رهبة**﴾[١٠]، ومرة ﴿**رغباً ورهباً**﴾[١١]، ومرة ﴿**الرهبان**﴾[١٢]، ومرة ﴿**رهباناً**﴾[١٣]، ومرة ﴿**رهبانهم**﴾[١٤]، ومرة ﴿**رهبانية**﴾[١٥].

واذا كانت «رهب» قد وردت في القرآن اثنتي عشرة مرة، فإن مادة «سلم» وردت بحدود مئة وثلاث وخمسين مرة، ووردت على من يدعون ان القرآن يحث على العنف والتخويف، وفيه دليل صريح على غناه بمصطلحات الأمن والسلام وما دل عليها.

❖ آية سورة الأنفال في كتب التفسير:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون**﴾[١٦].

لعل هذه الآية الكريمة أكثر آية مساساً بموضوع هذا البحث، وهي -غالباً- ما تتبادر الى الذهن عند الحديث عن الإرهاب، لذلك سننظر معاً الى أقوال المفسرين في بعض معانيها ودلالاتها.

يقول ابو عبد الله القرطبي[١٧]: ﴿**ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾، يعني تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب، ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ يعني: فارس والروم، قاله السدي وقيل: الجن، وهو اختيار الطبري، وقيل: المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته.

ولا ينبغي ان يقال فيهم شيء، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ فكيف يدعي احد علماً بهم؟!.. انتهى كلام القرطبي.

اما الطبري[١٨] فقد نقل رواية عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿**.. ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ قال: تخزون به عدو الله وعدوكم، ثم قال -أي الطبري-: ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم -أيها المؤمنون- الخيل عدو الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون اماكنهم واحوالهم، الله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم، وقيل: ان صهيل الخيل يرهب الجن، وان الجن لا تقرب داراً فيها فرس[١٩].

اما ابن كثير فيقول[٢٠]: وقوله: ﴿**ترهبون**﴾ اي تخوفون ﴿**به عدو الله وعدوكم**﴾ اي من الكفار ﴿**وآخرين من دونهم**﴾ قال مجاهد: يعني بني قريظة، وقال

السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: هم الشياطين التي في الدور،وقال مقاتل: هم المنافقون، وهذا اشبه الأقوال، ويشهد له قوله تعالى: **﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾**(٢١).

ان المتأمل لهذه الآية الكريمة في سياق سورة الأنفال، يجد ما يلي:

أولاً: وردت هذه الآية في سورة الانفال، والتي تعتبر من اكثر السور حديثاً عن الجهاد في سبيل الله واحكامه حتى سميت سورة الجهاد.

ثانياً: الآيات التي سبقتها كانت تتحدث عن خيانة العهد من قبل المشركين وذمت هذا الخلق الذميم، وقدمت للنبي ﷺ خطوطاً عريضة وأحكاماً عملية في التعامل مع الذين ينقضون العهد، او من يتوقع ان ينقضوا عهدهم، قال تعالى: **﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ❖ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾**(٢٢).

ثالثاً: اكدت هذه الآيات على خلق النبي ﷺ وصحابته الكرام، المتمثل في عدم الغدر والبعد عن الخيانة، وفي حال خشي من العدو نقض عهده وقرر تأديب هذا العدو، **﴿فانبذ اليهم على سواء﴾** اي اعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك وانه لا عهد بينك وبينهم على السواء، اي تستوي انت وهم في ذلك(٢٣)، قال تعالى: **﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء، ان الله لا يحب الخائنين﴾**(٢٤).

رابعاً: ان الآية السابقة تحذر من خيانة العدو وغدره رغم الخوف من قيامه هو بذلك، وفي هذا دلالة واضحة على المستوى الراقي الذي تفرد به القرآن في قيم وأخلاق الحروب والمعاهدات، نقول هذا في القرن الحادي والعشرين، هذا القرن الذي شهد حضارة تتملق بالانسانية والسلام والتعايش السلمي وهي ملطخة بدماء الأبرياء، لا بل انها تتمادى في تزييفها لتصف القرآن بأنه كتاب يدعو الى العنف والإرهاب وتجاهل الآخر؟!.

خامساً: اشتملت الآية (٥٧) على تركيب لغوي قريب من قوله تعالى: **﴿ترهبون به﴾** ألا وهو قوله تعالى: **﴿فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾**.

ان هذه الآية تتحدث عن الذين ينقضون عهدهم مع المسلمين في كل مرة، وهم لا يتقون، فإن ظفرت بهم في المعركة فنكل بهم وأثخنهم قتلاً ليخاف من سواهم من الأعداء(٢٥).

سادساً: الآية التالية لآية ﴿وأعدوا..﴾ هي قوله تعالى: **﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم﴾**.

ان القرآن الكريم يربي اتباعه على العدل وعدم التجبر وعدم الغرور، فإن انتصر المسلمون وطلب عدوهم السلم، فعلى المسلمين ان يجنحوا له لأن الحرب والقتل ليس هدفاً في الاسلام، وليس هو الأصل، بل هو لتحقيق الأمن.

❖ الحرابة:

نهى الاسلام عن التهديد بالأمن، وحذر من ترويع الآمنين، واعتبر الاعتداء على الأمن جريمة كبيرة، تولى القرآن الكريم تحديد عقوبتها للزجر عنها وتأديب من تسول له نفسه التفكير فيها.

● مفهومها:

اتفق الأئمة على ان من خرج في الطريق العام وأشهر السلاح مخيفاً لعابر السبيل خارج المصر، حراً أو عبداً، مسلماً أو ذمياً، او مستأمناً أو محارباً، فإنه محارب قاطع للطريق جار عليه احكام المحاربين ولو كان واحداً(٢٦).

فالحرابة -عند الشافعية والحنابلة- هي البروز لأخذ مال او القتل او ارعاب مع البعد عن الغوث، وسواء كان معه سلاح أم لا، ان كان له قوة يغلب بها الجماعة، ولو بالكز والضرب بجمع الكف، وقيل: لا بد من آلة للقتال.

وقال صاحب «بداية المجتهد»: فأما الحرابة فاتفقوا على أنها اشهار السلاح وقطع السبيل خارج المصر(٢٧).

● حد الحرابة:

ثبت حد الحرابة في قوله تعالى: **﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ❖ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم﴾**(٢٨).

قال القرطبي: ولا خلاف في ان الحرابة يقتل فيها من قتل، وان لم يكن المقتول مكافئاً للقاتل(٢٩).

❖ المفهوم المعاصر للارهاب:

معلوم ان العالم اليوم رغم اتفاقه على محاربة الارهاب، الا انه لم يتفق على تحديد مفهوم جامع مانع لهذا المصطلح، كما انه لا يخفى ان هذا المصطلح بعثت في اركانه الروح والحياة في الوقت الحاضر الذي شهد حرباً ضروساً على أفغانستان

من قبل الولايات المتحدة، بدعوى محاربة الارهاب، وشهد حرباً على العراق بدعوى امتلاكه أسلحة دمار شامل، وهو -كما يدعي اصحاب الحرب- مأوى للإرهاب وداعم له، وتوالت في هذا الوقت -ايضاً- حلقات الدعم المادي والعسكري والسياسي لدولة الكيان الصهيوني، الذي تدعي الدول الداعمة له بقيادة الولايات المتحدة، تدعي انه يحارب الارهاب ويحتاج لحماية لنفسه من الحركات الارهابية، وهم يقصدون المقاومة في فلسطين ولبنان.

ان السياسة الامريكية والصهيونية، تبادر دوماً لتسمية المؤسسات والجماعات التي تصفها بالإرهابية، وتحجم دوماً عن تحديد تعريف واضح للإرهاب.

في رسالة عمان، ورد تعريف محدد لهذا المفهوم، فقد جاء فيها: «واننا نستنكر دينياً وأخلاقياً، المفهوم المعاصر للإرهاب والذي يراد به الممارسات الخاطئة ايا كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدي على الحياة الانسانية بصورة باغية متجاوزة لأحكام الله، تروع الآمنين، وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى وتقتل الأسرى، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية من تهديم العمران واستباحة المدن..»[٣٠].

اذا كان هذا هو المقصود بالإرهاب، فإن أول من حاربه ونهى عنه هو القرآن الكريم، وأول من أرسى قواعد ومبادئ الأخلاق النبيلة التي يحاربها هذا الإرهاب، هو النظام الإسلامي.

وللتدليل على ذلك، فقد حارب الاسلام الحرابة، ورتب عقوبة رادعة لمن يمارسونها، كما اوجب الاسلام للأسير حقوقاً فهمها المسلمون جيداً، الى درجة ان كتب التاريخ نقلت لنا ان المجاهدين كانوا يقدمون ما لديهم من قليل الطعام للأسرى أولاً، ثم يقتاتون هم بالباقي.

وحرم الاسلام في المعارك قتل غير المقاتلين من النساء والشيوخ والأطفال والرهبان وقل -ان شئت-: المدنيين بعامة.

ومنع الاسلام قطع الشجر وهدم الصوامع وغيرها، وهذا واضح في سيرة الامة الاسلامية، في الوقت الذي كانت فيه محاكم التفتيش تغص بالمظلومين والمخالفين في أوروبا.

اذاً فإننا معاشر المسلمين، لا نعاني من مشكلة تحديد مفهوم للإرهاب، واننا لا نمارس الممارسات التي ينطبق عليها هذا المصطلح وفق هذا المفهوم.

فلماذا تعلن القوى الغربية الحرب على

الارهاب ثم تجتاح بلاد المسلمين، وتجمد ارصدة المسلمين، وتحاصرهم وتستولي على ثرواتهم ومقدراتهم؟!.

ان هذه القوى الغربية تتذرع بوجود حركات ارهابية ومتطرفة وأصولية وخلايا وتنظيمات: تستهدف الغرب وأمنه ومصالحه، تسمى هذه التنظيمات بالإرهابية، وتسمى ممارساتها بالإرهاب.

هذه المصطلحات ماذا تعني؟ ماذا تعني في نظر الغرب؟ وماذا تعني عند المسلمين؟
والمقصودون بهذه المسميات ماذا يفعلون في حقيقة الأمر؟ واذا كان بعضهم يزاول ممارسات خاطئة، فما هي الأسباب الحقيقية لظهورهم؟ واذا اتفق الجميع على تهديد فئة من المنتسبين للإسلام وقامت الدول الغربية بمحاربة هذه الفئة، فهل -عند الممارسة- تقتصر عليها فقط؟

❖ الغلو في الدين:

الغلو في اللغة: يعني مجاوزة الحد والقدر[٣١]، **وفي الشرع:** ينقسم الغلو الى قسمين[٣٢]: الأول: الغلو الكلي الاعتقادي. والثاني: الغلو الجزئي العملي، يعرف النوع الأول: بأنه الغلو المتعلق بكليات الشريعة وبمسائل الاعتقاد.

والنوع الثاني: هو ما كان متعلقاً بجزئية او أكثر من جزئيات الشريعة، سواء أكان قولاً باللسان ام عملاً بالجوارح.

❖ تحذير القرآن الكريم من الغلو:

نهى القرآن الكريم عن الغلو في أكثر من موضع منها: قول الله تعالى في سورة النساء: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق﴾**[٣٣]، وقوله تعالى في سورة المائدة: **﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾**[٣٤].

وحذرت السنة المطهرة على لسان رسول الله ﷺ من الغلو بجميع أشكاله، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[٣٥].

❖ الغلو والعنف:

الغلو والعنف توأمان في كثير من الأحيان، وللحق والموضوعية نقول: شهد تاريخ الأمة الاسلامية بعض النماذج

لحركات غالية، انتهجت منهج العنف في الرد على الخصوم كالخوارج مثلاً، واصحاب المنهج التكفيري.

ولكن اضطر غير هؤلاء من المسلمين، لانتهاج سياسة العنف نظرياً او ممارستها عملياً كنتيجة لأسباب ارغمتهم على هذا المنهج، منها:

● التعذيب والعنف والعنف المضاد:

يقول د. محمد بيومي: «ولا شك ان هناك ظروفاً بمثابة المناخ الذي ساعد على تفريغ تلك الجماعات، اقصد مناخ القهر والمطاردة والتشريد والسجن والاعتقالات للمنتمين للفكر الديني»[٣٦].

ويقول سيد قطب رحمه الله: «ان العنف الذي عومل به الإخوان سنة ١٩٥٤م بناءً على حادث مدبر لهم وليس مدبراً منهم وهو حادث المنشية، هذا العنف الذي أنشأ فكر الرد على الاعتداء اذا تكرر بالقوة، ولو كنا نعلم ان الاعتقال مجرد اعتقال ينتهي بمحاكمة عادلة، وعقوبات قانونية -حتى على اساس القوانين الوضعية المعمول بها- لما فكر احد في رد الاعتداء بالقوة»[٣٧].

كما يقول عمر التلمساني ايضاً: «ان الشباب الذي يلقى كل هذا التعذيب، لم يكن يصدق ان من يفعل هذا يمكن ان يكون مؤمناً»[٣٨].

ويقول أحمد عمر في كتابه «اسيوط مدينة النار»: «بعد ان استنفذنا كل الطرق لإيقاف ارهاب وعنف النظام الحاكم، كان لا بد ان نمارس القوة لإيقاف الممارسات ضدنا للآن.. القتل والتعذيب والتشريد»[٣٩].

اذاً فكرة العنف تولدت عند أصحاب هذه النماذج، كردة فعل للعنف الذي مارسته الأنظمة، وانني وان كانت في غير معرض التبرير للعنف المضاد، إلا أنني اجد انه من العدل بمكان ان أحمل الأنظمة المنتجة للعنف والتيارات المظلومة التي لم تبق لها هذه الأنظمة سوى الغلو والعنف سبيلاً.

❖ النظام العالمي الجديد والعنف:

تعمدت استعمال كلمة «عنف» بدلاً من ارهاب لأن العنف قد يكون مبرراً وبحق كما في حالة رد الظلم والعدوان، في حين التصق في الأذهان مصطلح الارهاب في معرض الظلم والذم، الظلم العالمي الجديد، وقل -ان شئت-: غطرسة النظام العالمي الجديد.

ولا غرابة ان يقف الظالم يحاضر في مبادئ العدل، أو يقاتل المتغطرس وهو يحمل غصن الزيتون، فالقرآن الكريم نقل

لنا مشهداً قديماً متجدداً يمثل هذا النموذج، أقصد عندما قال تعالى: **﴿وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني أخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الأرض الفساد﴾**[٤٠].

فالعالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، ورعاية صهيونية عالمية، مسؤول بشكل مباشر وأحياناً غير مباشر عن العديد من اوجاع ومظالم الأمة الاسلامية، ومنها: غرس جسم غريب في قلب الوطن الاسلامي الكبير، وهو دولة الكيان الصهيوني، ومنها احتلال العراق، ومنها غزو أفغانستان، ومنها اوجاع المسلمين في البلقان، ومنها التدخل في الشؤون الداخلية لدول العالم الاسلامي كجنوب السودان.. وغيرها الكثير.

ان النتيجة الطبيعية لهذه الممارسات ميلاد حركات تتبنى العنف لرد الظلم، ودفع البغي، ومقاومة الاحتلال.

هذه الحركات بمختلف مستوياتها تعتبر في نظر الشعوب المظلومة حركات تحرر، وقادتها ابطالاً وكوادرها احراراً، حتى ربما اضطرها الظلم الذي تعانيه لشراسته وقوته واتساعه، ربما اضطرها الى التمرد على ثوابتها، وقيود معتقدات اتباعها ومبادئهم متأولة ذلك بدافع الضرورة او غير متأولة.

قد يوافق بعض من ابناء هذه الشعوب المظلومة، على تسمية بعض هذه الممارسات ارهاباً، وربما قالها آخرون استحياء، أو مجاملة، وآثر الكثيرون السكوت، ولكن عقولهم جميعاً ومنطقهم بالاجماع يقرر أن ممارسات المعتدي الظالم، والمحتل المتغطرس، والاحتلال الباغي ارهاب قبيح الوجه، منتن الرائحة، تقطر أنيابه دماً، ولكنه يرفع راية محاربة الارهاب وهو يستعطف الآخرين لإنصافه.

❖ دوافع العالم الغربي الحقيقية لمحاربة الاسلام:

أزعم ان مصطلح الارهاب ما هو الا ذريعة للهيمنة على العالم الاسلامي وحرمانه من فرصة الانتعاش والقوة، أو على الأقل تأخير موعد ذلك قدر الامكان، والا فكيف يمكن تفسير كون الغرب سبباً في دعم بعض الحركات النضالية ثم تسميتها بالإرهابية بعد ذلك، كحركات الجهاد في أفغانستان، وغض الطرف عن المقاومة في فلسطين وجنوب لبنان، ودعم النظام العراقي إبان حربه مع إيران وغيرها؟

يقول الدكتور محمد عمارة: فقد سعى العالم الغربي «اليهود والنصارى والشيوعيون» الى مناصبة الاسلام وأهله العداء، وكان الدافع الذي يدفعهم لذلك هو البعد الديني، فقد وظفوا كل امكاناتهم

للحيلولة بين الاسلام وإيقاظ أمته وعالمه، مخافة تأثير هذه اليقظة على النظام الدولي وموازين القوى، والهيمنة الغربية على الشرق الاسلامي[٤١].

وفي وصف ضخامة هذه الهجمة الشرسة على العالم الاسلامي، يقول الشيخ علي الطنطاوي: ابتلي العالم الاسلامي بأعداء كثيرين على مر الزمان، وحاقت به شدائد صعاب، من يوم الردة الى أيام الانقسام والحروب، الى نكبة هولاكو والمغول، الى هجمات الصليبيين، الى مفاسد الباطنية السفاحين، والقرامطة الملحدين، عشرات وعشرات من النكبات ولكنها كلها دون ما يواجهه الاسلام في هذه الأيام[٤٢].

وبنفس المعنى يقول الدكتور إحسان حقي عن هذه المؤامرة: «.. وهي تستهدف الاسلام والمسلمين، اصلاً وفرعاً، ديناً وكياناً، تراثاً وتاريخاً، جماعات وأفراداً، عقيدة ومبدأ، داراً ووطناً، ورزقاً ومتاعاً، ومالاً ونظاماً»[٤٣].

❖ أشكال التآمر على العالم الاسلامي[٤٤]:

اتخذ مسلسل التآمر على العالم الاسلامي شكلين رئيسيين يندرج تحتهما عدة صور:

الشكل الأول: الغزو الفكري، والذي من صوره: فتح المدارس التنصيرية في بلاد المسلمين، وإرسال البعوث التنصيرية بأثواب بعثات طبية وانسانية، واستقطاب عدد من ابناء المسلمين للدراسة في الغرب ليعودوا مبشرين بحضارته، اضافة الى نشر الكتب المفسدة، والسيطرة على برامج التعليم وتوجيهها نحو العلمانية، ونشر المجلات الخليعة والانحلال الخلقي، ناهيك عن بث الشبه لتشويه حقيقة الاسلام والتاريخ الاسلامي، وقضية المرأة، ومحاربة اللغة العربية.. وغيرها الكثير.

الشكل الثاني: ويتمثل بالغزو العسكري، حيث انه لم يكتف العالم الغربي بحملاته الصليبية في العصور الوسطى، بل واصل حلقات مسلسله العدواني بالاستعمار الأوروبي في العصر الحديث مروراً باستعمار الوطن العربي، ثم اعطاء الاستقلال بشكل جزئي واستمرار السيطرة والهيمنة الاقتصادية والعسكرية والسياسية، ونهب الثروات.

بل تمادى هذا العالم «المحارب للإرهاب!» بغزو عسكري مباشر لبعض بلاد المسلمين كفلسطين والعراق وأفغانستان والبوسنة وغيرها من المشاركات العسكرية.

❖ وسائل وعوامل ساهمت في دعم

المخطط الغربي:

أولاً: دور وسائل الاعلام:

تميز هذا العصر بتقدم التقنيات، وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وتحول هذا العالم الى قرية صغيرة، وبرز الاهتمام بصناعة الاعلام الى حد كبير، وأصبح صاحب الحق هو صاحب وسائل الاعلام الأقوى، والظالم في هذا العصر هو الذي لا يملك من الاعلام ما يدفع الظلم عن نفسه.

يقول الدكتور طه جابر العلواني: «ان قضية الربط الاعلامي المعاصر الدائم بين اسم الاسلام والعنف، هو ربط لا تخفى اسبابه وعوامله، وقد يكون من اول هذه الاسباب والعوامل، مهارة الغرب الذي ورث التراث اليوناني والروماني القديم، ومنها ما كان يسميه ارسطو بالخطابة التي تعتمد على قدرة هائلة من الضغط على مخيلات البشر، عن طريق استعمال الفاظ ومفاهيم مختلفة، وشحنها بالمعاني المطلوبة، ثم تكرارها بمناسبة وغير مناسبة حتى يتحول المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ولا جدال في ذكاء ومهارة القائمين على الاعلام الغربي، وقدرتهم على تصوير القتيل المعتدى عليه بأنه هو الذي استفز القاتل المسكين المظلوم الذي يستحق الرثاء، والذي لم يجد سبيلاً أمامه بعد ان ضيق عليه القتيل الا ان يغمد خنجره في صدر ذلك القتيل الشرس الجبار القوي الذي كان قادراً على الفتك به او مستعداً له، لولا ان تدارك نفسه او تداركته قوة أخرى»(٤٥).

واستكمل المؤلف كلامه بالقول: « .. فإن مثل هذه الأجهزة الجبارة التي جعلت من الانسان المعاصر حيواناً إعلامياً، لا شك أنها قادرة على جعله يكذب نفسه ويصدق ما يريد الاعلام ان يجعله يصدق به»(٤٦).

ثانياً: المناهج الدراسية الغربية المكتوبة بأقلام معادية للعرب والاسلام(٤٧):

ثالثاً: الجهل، فمن المعروف ان الامريكي مولع بتخصصه ولا يهتم بأي شيء آخر، يقول جون اسبوسيتو: «فالواقع ان الامريكي العادي يجهل التاريخ حتى الاحداث الرئيسية، مثل: الثورة الفرنسية، بل هناك من يجهل من هو الرئيس كيندي وحتى حرب فيتنام»(٤٨).

رابعاً: الاصولية المسيحية:

يبلغ عدد هؤلاء الاصوليين في امريكا حوالي خمسين مليوناً، اي خمس المجتمع، وهم يرتبطون باسرائيل ارتباطاً وثيقاً مما يدفعهم الى مشاركتهم في تشويه صورة الاسلام وأهله(٤٩).

خامساً: الصراعات التاريخية بين

المسلمين والنصارى.

سادساً: احداث العنف مثل حادث الرهائن في السفارة الامريكية في طهران، وضرب مبنى التجارة العالمي وغيرها.

سابعاً: دور المستشرقين وطروحاتهم وكتاباتهم.

وغيرها الكثير من العوامل التي صبت جميعاً في تكثيف الهجمة وتنظيم المؤامرة لتحقيق اهدافهم ومصالحهم.

❖ من هو الاصولي بنظر الغرب؟

تكرر كثيراً مصطلح: «أصولي» و «أصولية» و «متزمت» وغيرها حتى تطورت سلسلة المصطلحات الغربية الى مصطلح «الارهاب» وكأن هذه المصطلحات شجرة بدأت بذرة ثم نبتة ثم شجرة، ثم أثمرت بالنسبة لهم، وكان الثمر مبرراً مقبولاً للانقضاض على المسلمين.

فمن هو الأصولي بنظرهم؟

يذكر ريتشارد هربرد كيمجيان[٥٠]، وهو نصراني ارمني سوري الاصل، امريكي الجنسية، استاذ العلوم السياسية في جامعة نيويورك، يذكر صفات مشتركة لمن وصفهم بالاصولية بنوعيها –حسب تقسيمه– السلبية والحركية، من هذه الصفات: «أداء الصلوات الخمس في المسجد بانتظام، والمحافظة على أداء الأركان الخمسة، وقراءة القرآن، وتربية اللحية الكاملة وقص الشارب، واجتناب ما حرمه القرآن مثل الخمر والفواحش والمنكرات وغيرها» الأمر الذي يعني ان المسلم الملتزم بدينه يعتبر أصولياً، والمسلم غير الأصولي حسب تقسيمه، هو الذي يشرب الخمر، ويهجر المسجد ويعاقر الفواحش والمنكرات!.

❖ الخلاصة:

خلاصة الأمر ان مصطلح «الارهاب» يعني بنظر اصحابه مفهوماً مختلفاً عما يعنيه بنظر آخرين، وهو بمفهوم المسلمين يعني ممارسات حذر منها الاسلام وحاربها القرآن ورفضتها السنة.

وان هذا المصطلح اصبح اليوم ذريعة للدول المهيمنة، وعلى رأسها امريكا لملاحقة من يخالفونها ويعارضون سياستها، وفق سلم أولويات تحدده اجهزتها المعنية.

والمأمول من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ان لا ينطلي عليهم تلاعب الحضارة الغربية المعاصرة بالأفكار والمصطلحات، وان يردوا على العقل بالعقل، والحجة بالحجة.

ولكن وقوع الآخرين في الخطأ لا يعني انزلاقنا –معاشر المسلمين– فيه، فهم ليس عندهم قرآن يعلمهم حقوق الآمنين

الهوامش:

١-٢- لسان العرب، ابن منظور، باب رهب، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، باب رهب.

٣- مختار الصحاح، ابو بكر الرازي، باب الراء ص٢٢٦ .

٤- مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الراء، رهب.

٥- الأعراف: ١٥٤ .

٦- البقرة: ٤٠ .

٧- الأنفال: ٦٠ .

٨- الأعراف: ١١٦ .

٩- القصص: ٣٢ .

١٠- الحشر: ١٣ .

١١- الأنبياء: ٩٠ .

١٢- التوبة: ٣٤ .

١٣- المائدة: ٨٢ .

١٤- التوبة: ٣١ .

١٥- الحديد: ٢٧ .

١٦- الأنفال: ٦٠ .

١٧- الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ج٨، الأنفال: ٦٠ .

١٨- الأنفال: ٦٠ .

١٩- جامع البيان، الطبري.

٢٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص٣٢٦ .

٢١- التوبة: ١٠١ .

٢٢- الأنفال: ٥٦-٥٧ .

٢٣- تفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٢٧ .

٢٤- الأنفال: ٥٨ .

٢٥- ابن كثير، ج٢، ص٣٢٧ .

٢٦- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، ج٥، القسم الثاني، مبحث احكام قطاع الطرق.

٢٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد ج٢، كتاب الحرابة، الباب الأول.

٢٨- المائدة: ٣٣-٣٤ .

٢٩- الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ج٦، تفسير سورة المائدة.

٣٠- رسالة عمان ٩ /تشرين الثاني ٢٠٠٤م، القاها سماحة قاضي القضاة في مسجد الهاشميين، عمان – الأردن.

٣١- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة «غلو»، وانظر لسان العرب، ابن منظور مادة «غلا».

٣٢- كتاب «مشكلة الغلو في الدين» ج١، ص٢٣، عبد الرحمن اللويحق.

٣٣- النساء: ١٧١ .

٣٤- المائدة: ٧٧ .

٣٥- أخرجه أصحاب السنن.

٣٦- رواه ابو داود ٥/٢٠٩-٢١٠، رقم ٤٩٠، مجمع الزوائد ٦/٢٥٦، والسيوطي في الدر المنثور /١٧٨، ٤، والهندي في كنز العمال حديث رقم ٥٣٤٦، وقال محقق «مسند ابي يعلى»: اسناده حسن. ٦/٣٦٥ .

٣٧- د. محمد احمد بيومي، ظاهرة التطرف، الاسباب والعلاج، ٢ .

٣٨- سيد قطب، لماذا اعدموني ٩٥ .

٣٩- من حديث له بمجلة المصور، عدد ٢٩٨٩ .

٤٠- احمد عمر، اسيوط مدينة النار، ٣٨ .

٤١- غافر: ٢٦ .

٤٢- استراتيجية التنصر في العالم الاسلامي، ٣٢، د. محمد عمارة.

٤٣- مقدمة كتاب المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام، لمحمد محمود الصواف ٤ .

٤٤- د. إحسان حقي، «المسلمون أمام التحدي العالمي» (٥-٧).

٤٥- مشكلة الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ج٢، ص٦٤٥ .

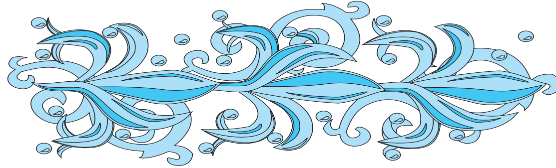
٤٦-٤٧- مجلة الحوار، عدد ابريل، مايو ١٩٩٢م، ١٤-١٥، نقلاً عن د. أحمد يوسف، الاصولية الاسلامية، الاتهام والحقيقة.

٤٨- د. طه جابر، نقلاً عن د. عبد القادر طاش، امريكا والاسلام، تعايش ام تصادم، ٣١ .

٤٩- جون اسبو سيتو، النظرة الامريكية للاسلام، ٢ .

٥٠- د. طه جابر، نقلاً عن د. عبد القادر طاش، امريكا والاسلام، تعايش ام تصادم، ٣١ .

٥١- مشكلة الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ج٣، ص١٠٧٩ .



قطوف دانية

اعداد الطالبة بيان الأسعد

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ❖ ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾.

الحجرات: ١-٢

حديث شريف

سأل سفيان بن عبد الله ﵁ الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم».

أوائل

- أول شهيد في الاسلام، هو الصحابي الحارث بن ابي هالة ﵁.
- أول شهيدة في الاسلام، هي سمية بنت خياط ام عمار بن ياسر ﵂.
- أول من لقب بأمير المؤمنين، هو عمر بن الخطاب ﵁.
- أول من رمى بسهم في سبيل الله، هو سعد بن ابي وقاص ﵁.
- أول مسجد بني في تاريخ الاسلام، هو مسجد قباء في المدينة المنورة.

موعظة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«انما اعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، لا لتركنوا اليها، وإن الدنيا فانية والآخرة باقية».

وقفة مع الذات

اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس.. فتذكر قدرة الله عليك..

لا تكن كالشمعة تحرق نفسها لتضيء للآخرين..

لكن كن كالنحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن أطعمت أطعمت طيباً.

دعاء

كان من دعاء رسول الله ﷺ عند ختم القرآن:

«اللهم ارحمني بالقرآن، واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نُسِّيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله لي حجة يا رب العالمين».

من يتقي الله

سأل رجل الحسين بن علي رضي الله عنهما: ان لي بنية فمن ترى أزوجها؟

فقال له: زوجها من يتقي الله.. فإن أحبها أكرمها.. وان أبغضها لم يظلمها.

٣

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

محمد ﴿أبو نمي الأول﴾ ابن حسن بن علي بن قتادة

أمير مكة خلال خمسين سنة

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

محمد بن حسن بن علي بن قتادة، ومعلوم أن قتادة شريف حسني[١]؛ ثبت نسبه إلى النبي ﷺ، وقد نسب عدد من المؤرخين محمداً (أبا نمي الأول) إلى قتادة؛ ومن هؤلاء المؤرخين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣م[٢]، والعسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م[٣]، وذكره ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ/١٤٧٠م[٤].

ولد محمد أبو نمي الأول عام ٦٣٠هـ[٥] ١٢٣٢م، ونشأ وترعرع في بيوت أمراء مكة، وكان شجاعاً حازماً، قال ابن كثير: (الشريف أبو نمي؛ محمد بن الأمير أبي سعد؛ حسن بن علي بن قتادة الحسني؛ صاحب مكة منذ أربعين سنة، كان حليماً، وقوراً، ذا رأي وسياسة وعقل ومروءة)[٦].

وقال العسقلاني: (كان شجاعاً، تام القامة، حسن الصورة، مهيباً، كريماً، عاقلاً جداً، ذا رأي صائب ومروءة، وكان شجاعاً؛ يقال: إنه لم يكن في بدنه مقدار شبر إلا وفيه جرح، وما قصده أحد فرجع خائباً، وكان يخفر الحاج بنفسه وأهله، ولم يحفظ أنه نهب أحداً قط، وكان الحاج والمجاورون

يدعون بحياته؛ لشفقته عليهم، وله شعر جيد، وأنجب أولاداً؛ يقال: إن عدتهم كانت أربعين نفساً؛ ثمانية وعشرون ذكوراً، والبقية إناث؛ قال ابن فضل الله: كان معه جرأة، ومفرج كرب، والملوك تراه بعين الإجلال، وتتراآه كرأي الهلال، هو يبعد عنهم بعد الصائد من فخه، وينفر نفرة الغراب من فرخه، إلى أن أدركه أجله، وخانه أمله، وأنشد له ما كتب به إلى بعض الملوك:

أراك طبيب المستغرقين وإنني لمن

بيت أهل الخير بيت محمد

وهاد رأى البطحاء في بطن مكة

وفيها مماتي إذا مت ومولدي

ومن زمزم الفيحاء وردي على الظمأ

فهل ثم ماء في المياه كموردي(٧)

أقام في إمرة مكة أربعين سنة أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس(٨) ومن بعده، وشارك ولده مدة يسيرة في إمرتها، ثم استقل في إمرتها إلى أن توفي(٩)؛ قال عبد الملك العصامي -المتوفى سنة هـ ١٠٤٩- ١٦٣٩م-: (في عام ثلاث وخمسين وستمائة جمع الشريف أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، وعمه الشريف حسن بن قتادة جمعاً عظيماً، وقصدوا مكة، فدخلوها من رؤوس الجبال، وتقاتلوا وسط مكة هم وعسكر الملك المظفر صاحب اليمن.

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة استظهر إدريس على أبي نمي بإمرة مكة ثم اشتركا.. وفي سنة تسع وخمسين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور صاحب اليمن معه المراكب تسايره في البحر مشحونة بالعلوفات والأطعمة، وأكثر في طريقه من الصدقات وفعل الخيرات والمبرات، والشريف أبو نمي، وعمه إدريس متوليين إمرة مكة، فلما سمعا به خرجا خوفاً منه.

واستمر أبو نمي وعمه إدريس متوليين إمرة مكة إلى سنة سبع وستين، ثم انفرد بها أبو نمي، وأخرج عمه إدريس منها، وخطب لصاحب مصر الملك الظاهر بيبرس، واشترط عليه السلطان أن لا يمنع زائراً لا ليلاً ولا نهاراً، ولا يعترض تاجراً بظلم، وأن تكون الخطبة والدعاء له، ولأبي نمي، وجعل له عشرة آلاف درهم في كل سنة، فأجاب الشريف أبو نمي بقبول هذه الاشتراطات.

فلما ورد إلى السلطان من أبي نمي الإجابة بالسمع والطاعة وقبول ما اشترطه، كتب السلطان إليه مرسوماً بإمرة مكة

منفرداً.

ثم كتب بيبرس لأبي نمي وإدريس أن يكون حالهما واحداً في إمرة مكة؛ فعادا شريكين، ثم انفرد إدريس بها أربعين يوماً، ثم قتل أبو نمي عمه إدريس في حرب كانت بينهما، واستقل بالولاية منفرداً وذلك في سنة تسع وستين وستمائة.

وفي سنة تسع وثمانين وستمائة وقع بين الشريف أبي نمي وبين الحاج فتنة وانتهى الأمر إلى أن دخلوا الحرم، ورؤي في الحرم الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف، وفي موسم إحدى وتسعين وستمائة وقعت بعرفة جفلة عظيمة، وتعبت الناس من قلة الماء، فبيعت الراوية بأربعة دنانير، ورحل الحاج قبل وقته المعتاد، واستمر إلى أن أخرجه جماز أمير المدينة وغانم بن إدريس بن حسن ابن قتادة أمير ينبع، وأخرجا أبا نمي منها في صفر من سنة تسعين وستمائة، ثم عاد أبو نمي بعد أربعين يوماً وأخرجهما منها، ثم وليها جماز بن شيحة بمفرده عام سبع وتسعين وستمائة بمعاونة أمير يقال له: الحكاحكي كان بمكة من قبل الملك المنصور قلاوون صاحب مصر والشام، ثم عاد أبو نمي، وتفرد بها ودامت ولايته عليها إلى أن مات عام إحدى وسبعمائة، فولى أبو نمي محمد هذا مكة نحو خمسين سنة، وقبل موته بيومين ولَّى ولديه حميضة ورميثة أمر مكة)[١٠].

كان مشاركاً لأبيه في إمرة مكة، وكان يكنى أبا مهدي، ويلقب بنجم الدين، وسبب مشاركته أن راجحاً بن قتادة عم والده استنجد أخواله بني حسين بالمدينة، وطلب منهم الإعانة على إخراج ابن أخيه والد أبي نمي من مكة، وأخذها منه، فسار معه من المدينة سبعمائة فارس من بني حسين وجماعتهم، وعليهم الأمير عيسى الملقب بالحرون؛ فارس بني حسين في زمانه، وكان أبو نمي في الينبع، فلما بلغه خبر راجح قصد مكة؛ لنصرة أبيه في أربعين فارساً، فلما تراءى الجمعان حمل أبو نمي عليهم فما حملوه لحظة، حتى ولّوا هاربين إلى المدينة، فقال السيد جعفر الحسيني النسابة قصيدة يذكر فيها الواقعة، ويمدح أبا نمي؛ فقال:

أَلَم يَبلُغكَ شَأنُ بني حُسَين
وَفَرهمُ وَما فَعَل الحَــرُونُ
فَيا للــه فِعــلُ أبــي نُمـي
وبعضُ البَأسِ يُشبِّهُهُ الجُنُونُ
يَصُول بِأربَعِينَ عَلَى مِئَاتٍ

وَكَم من كَثْرَةٍ ظَلَتْ تَهُــونُ

وكان إذ ذاك عمره سبع عشرة سنة، ثم دخل مكة مسروراً منصوراً، فقابله أبوه بالإعزاز والإكرام، وأشركه معه في الملك من حينئذ، وكانت له شجاعة مشهورة، وخصال حميدة مذكورة. قال ولده حميضة: كانت لأبي خمس خصال: العز والكرم والحلم والشجاعة والشعر.

مات بمكة رابع شهر صفر سنة إحدى وسبعمائة -٧٠١ هـ - ١٣٠١م- وصلي عليه صلاة الغائب بالقاهرة، وقد أناف على السبعين، وله من الولد ثلاثون ذكراً واثنتا عشرة أنثى، منهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وأبو الغيث، وشميلة، وعطيفة،

الهوامش:

١- هكذا نسبه المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في كتابه الموسوم بـ (السلوك لمعرفة دول الملوك ج١/ ص٦٠)، وابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٨ ص١٩٩).

٢- البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص٢٥.

٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ / ص٣٧٢.

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج٨ ص١٩٩.

٥- الأعلام للزركلي ج٦/ ٨٦.

٦- البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص٢٥.

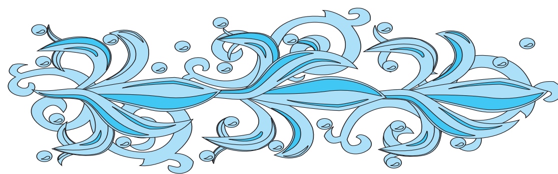
٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ / ص٣٧٢.

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج٨ ص١٩٩.

٩- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ج١/ ص٦٠ .

١٠- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ج٢ / ص٣٩٦-٤٠٠.

١١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ج٢ / ص٤٠٠ .



١

الاســـلام ومـوقف المستشرقين منه

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

لا شك ان بعض المستشرقين قد قدموا خدمات كبيرة للمسلمين، وذلك بحرصهم على العناية بكتب التراث ووقايته من التعرض للدمار، وفي كثير من الأحيان بنشره بطريقة علمية وحمايته من الضياع، الأمر الذي يعرفه الباحثون من المسلمين، ولا سيما العلماء منهم، وطلبة الدراسات العليا على وجه الخصوص، ولكن ذلك لم يمنع كثيراً منهم من الكيد للإسلام، ووصفه بأوصاف باطلة تنم على حقدهم عليه، وتفسير بعض احكامه بأوصاف كاذبة من شأنها الاساءة للإسلام.

وهذا ما حمل مجمع الهند الاسلامي «دار المصنفين في مدينة أعظم كره بالهند» على عقد ندوة علمية حول هذا الموضوع، بإشراف رئيسها الشيخ ابي الحسن علي الحسني الندوي، في شهر شباط من عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ).

فكانت بادرة طيبة شارك فيها عدد من علماء المسلمين من مختلف انحاء العالم، وقد نشرت ابحاثها في مجلة المجتمع المسماة «البعث الاسلامي» الصادرة في عدد رمضان -شوال ١٤٠٢هـ، «تموز - آب ١٩٨٢»، التي تحمل «شعارنا الاسلام من جديد».

ونظراً لأهمية تلك الأبحاث بالنسبة للباحثين في موضوع الاستشراق، واحتمال عدم اطلاعهم على ما تم في تلك الندوة،

رأيت من المفيد إلقاء بعض الضوء على ما تم فيها، وعلى نشاط إخواننا مسلمي الهند في هذا المضمار.

في الحقيقة انني عندما التحقت بجامعة الملك سعود في الرياض سنة ١٩٧٥م، صار موضوع الاستشراق احد المواد التي تدرس لطلبة قسم التاريخ، وكان المعول في تدريس هذا الموضوع على كتاب «الاستشراق» لنجيب العقيقي في اجزائه الثلاثة، وقد حفل الكتاب بمادة ضخمة عن الاستشراق والمستشرقين، ولكنه لم يعط الناحية السلبية حقها بين نشاط المستشرقين، وحاولت جهدي ان ألم بها في محاضراتي، ولسوء الحظ لم يصل الى علمي انذاك خبر هذه الندوة الا متأخراً، وكنت أوصي طلبتي بالاطلاع على المجلة المشار اليها، وعندما تقاعدت ونقلت مكتبتي الى مدينة «يالوه» في تركيا، حيث تعرض منزلي للدمار بسبب الزلزال الذي ضرب تلك المدينة في صيف ١٩٩٩م، مما ادى الى ضياع الكثير من كتبي ومنها المجلة المشار اليها، غير انني بحمد الله تمكنت من الحصول على نسخة منها، فأردت ان انقل محتوياتها القيمة لقراء مجلتنا العزيزة «هدي الاسلام»:

❖ أولاً: مقدمة العدد، بقلم الاستاذ سعيد الاعظمي:

وهي بعنوان: «الاسلام والمستشرقون ولماذا؟» (ص٣-٨) نوه فيها كاتبها بنشاط المستشرقين، ولفت الأنظار الى أهمية الموضوع، ونوه بدور العلماء المسلمين الذي اسفر عن اكتشاف ما في زوايا ذلك النشاط من معاول هدامة، رغم الاعتراف بجهود المستشرقين في نشر المخطوطات الاسلامية، لكنه مع الاهتمام بما يسمونه مواضيع الضعف في الشريعة الاسلامية، والحضارة والتاريخ الاسلامي، وإبرازها لأجل غايات سياسية أو دينية، والمبالغة فيها، وانهم في الغالب يذكرون عيباً واحداً، ويبالغون فيه لتمكينه في النفوس وبذكر عشر محاسن لا أهمية كبيرة لها، وذلك لكسب ثقة القارئ وإعجابه بسعة قلوبهم وسماحتهم، وهكذا يدسون السم بمقدار محدود، حتى لا يستوحش القارئ.

غير ان الاستاذ الأعظمي، يعترف بأن عدداً منهم تكشفت بصائرهم فاهتدوا بهدي الاسلام، وصدرت عنهم دراسات تمثل واقع الاسلام الصحيح في مختلف النواحي، وخلاصة القول: ان المجلة تضم البحوث

والدراسات التي تمت بأسلوب اكاديمي تحليلي، وتكشف اللثام عما ورد في كتابات المستشرقين من اوصاف ظالمة للإسلام ونبيه محمد ﷺ، وإليك الأبحاث:

❖ ثانياً: الاسلام والمستشرقون، بقلم سماحة الشيخ ابي الحسن علي الحسني الندوي:

وهو بحث ضخم يقع في ٥٧ صفحة (ص١٠-٦٦) وقد تضمن نظرة فاحصة دقيقة لرؤية المستشرقين للاسلام بوجه عام، وكتاباتهم في هذا الصدد وقد تضمن الفقرات الآتية:

١- تعاليم الاسلام في الحكم بالعدل، واقامة الوزن بالقسط والعدل.

٢- اعتراف ببعض جهود المستشرقين العلمية الموضوعية من امثال «آرنولد» في كتابه القيم «الدعوة الى الاسلام» و «ستانلي لين بول» في كتابيه «صلاح الدين الأيوبي» و «العرب في الأندلس» والدكتور «سبرنجر» في المقدمة الانكليزية لكتاب «الاصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر العسقلاني، و «أدور لين» صاحب المعجم الكبير بشرح المواد العربية باللغة الانجليزية و «فنسنك» صاحب المعجم المفهرس للأحاديث النبوية.

٣- مواضع الضعف في كتابات كثير من المستشرقين، وهو دأب كثير منهم، اذ يركزون على التعريف بمواضع الضعف في تاريخ الاسلام ومجتمعه ومدنيته وشريعته، وتمثلها بصورة مروعة مضخمة، مما يعلمونه في جامعاتهم ويدرسه طلبة مسلمون مما يحدث يأساً في نفوسهم من مستقبل الاسلام، وسوء الظن بماضيه.

٤- الاستراتيجية الاستشراقية الدقيقة التي تعني تحديد غاية لهم، ويعملون على تحقيقها، بجمع معلومات مما لا علاقة له بالموضوع، ويقدمونها بعد التمويه، ويبنون عليها نظريتهم، وكثير منهم يدسون في كتاباتهم مقداراً من السم، ولكن بقدر محدود لكسب الثقة.

٥- اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية، على مؤلفات المستشرقين، ومن أمثلة ذلك، كتاب «نيكو لسن» في موضوع تاريخ آداب العرب، وكتاب الدكتور «حتي» عن تاريخ العرب، و«بروكلمان» في تاريخ آداب اللغة العربية، و «كولد تسهير» في كتابه عن

«العقيدة والشريعة الاسلامية» وأمثالهم.

٦- ويوصي الشيخ الندوي بالاكتفاء الذاتي في ميدان البحث والتأليف.

٧- يجب على العلماء والمفكرين المسلمين، استعراض مؤلفات المستشرقين، ومحاسبتها، وكشف الغطاء عن أكاذيبها، اي لا بد من عمل ايجابي يضع الأمور في نصابها بتأليف كتب مما لا يدع حاجة للاعتماد على المستشرقين.

٨- الملاحظ قلة الانتاج العلمي التحقيقي في اخطار المواجهة، باللغات الأوروبية، وميزة الهند بين تلك الأقطار، اذ قيض الله وجود علماء يتصدون للهجمات الباطلة برئاسة الشيخ رحمة الكيرانوي الذي صنف كتاب «اظهار الحق» بناء على طلب الخليفة العثماني في زمانه، السلطان عبد العزيز، ورئيس وزرائه خير الدين باشا، وقد ترجم الكتاب الى عدة لغات أوروبية.

٩- ألف بعض المسلمين الهنود كتبهم باللغة الانكليزية، ومنهم السيد أمير علي في كتابه «روح الاسلام» مما أثار اعجاب بعض المستشرقين، وكذلك كتابه «مختصر تاريخ العرب» ومثل ذلك صلاح الدين خدايخش في كتابه «مساهمة في تاريخ الحضارة الاسلامية» ومحمد اقبال في محاضراته القيمة، ثم هناك عمل الجماعة الأحمدية في مضمار التأليف والدعوة الى الاسلام باللغة الانجليزية.. ثم يلقي الكاتب الضوء على نتاج المؤلفين المعاصرين باللغة الانجليزية من الهنود، وأدرج قائمة بهم، وأضاف اليهم بعض مؤلفات «المهتدين» الى الاسلام.

١٠- ثم ذكر المجمع العلمي الاسلامي ونتاجه وخاصة باللغة الانجليزية، وأدرج قائمة طويلة بتلك المؤلفات (ص٣٥-٣٨) كما ادرج الانتاج العلمي الكثير باللغة الاردية.

١١- وخصص فقرة للعلامة شبلي النعماني، والعلامة الندوي ولمجمع «دار المصنفين» وتحدث في هذه الفقرة عن نشاطهم الذي يرجع الى أوائل القرن العشرين، وضرب مثالاً لموقف العلماء الهنود من كتاب جرجي زيدان، بعنوان «تاريخ التمدن الاسلامي» الذي رغم غزارة علم مؤلفه، فإنه ضمّنه تجنياً على الخلفاء الأمويين والعباسيين، وتحريفاً للحقائق التاريخية، مما أثار العلامة

النعماني وحميته الاسلامية «رغم تضمين الكتاب المذكور مدحاً له»، فتناوله بالنقد العلمي، بل صنف كتاباً بنقده.

وقد خلفت مدرسة النعماني مؤسسة للتأليف لها آثار لامعة في البحث والتحقيق، ومن أكبر مآثره، أنه صاحب فكرة «دار المصنف» ومشروعها بدءاً بتأليف السيرة النبوية (ص٤١) علاوة على كتابه القيّم في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٢- وهناك دور العلامة سليمان الندوي (ص٤٣) الذي صنف كتاب «ارض القرآن» وآخر عن الصلات بين العرب والهند، وتأليف غيرهما كثير، كما هناك «ندوة المصنفين» في دلهي، التي خلفت دار المصنفين، وهي تصدر مجلة علمية شهرية باسم «البرهان» ولها مطبوعات قيمة (ص٤٥)، وهناك باحثون آخرون منهم أبو الكلام آزاد وغيره كثير (ص٤٦-٤٧).

❖ ثالثاً: والمقال الثاني في المجلة، وهو بعنوان «المستشرقون والاسلام» بقلم الدكتور أنور الجندي:

وهو مقال كبير يقع في (٤٥) صفحة (ص٦٧-١١١)، تناول الموضوع تحت عناوين وهي:

أ- المستشرقون والقرآن الكريم.

ب- المستشرقون والسنة.

ج- المستشرقون والتاريخ.

د- المستشرقون وموقفهم من اللغة العربية والأدب العربي.

هـ- المستشرقون والسيرة النبوية.

و- المستشرقون والتراث الاسلامي.

ويصف الكاتب فهم المستشرقين للإسلام فهما مادياً خالصاً، اذ ينكرون الوحي، والنبوة والمصدر الرباني للقرآن، ويحاولون تعليل معجزة الاسلام في الانتشار السريع، تعليلاً يخالف الحقيقة، اذ يقولون: ان العرب كانوا أمة لها حضارة ومستعدة للنهوض، وكل الذي عمله الرسول ﷺ هو قيادتها الى النهوض فنهضت، وذلك خلافاً للحقيقة، وينكرون وجود المعارضة الشديدة لمدة (١٣) سنة للاسلام في مكة حتى اضطر الرسول ﷺ الى البحث عن بيئة أخرى، فكانت الهجرة الى المدينة (ص٦٨).

كما ان الاستشراق اولى اهتماماً كبيراً بالجاهلية، واعتبر الاسلام اقتباساً منها، وحاول اعلاء شأنها، كما اولى الاستشراق

اهتماماً كبيراً بالأديان السابقة للإسلام، وعدد الكاتب الأخطاء التي وقع فيها «هاملتون غب» في كتابه «بنية الفكر في الاسلام» فاعتبر «الاحيائية العربية» ويقصد بها تلك العقائد الخرافية كالسحر والتنجيم والكهانة، بزعم ان الاسلام اضفى عليها الصفة الدينية، وهي فرضيات مسبقة يحاول المستشرق البحث عن نصوص تدعمها، ولا يبالي بما وقع فيها من تزييف، بل نفى صفة النبوة عن الرسول ﷺ (ص٦٩-٧٠).

ويحاول مستشرق آخر هو «فون جرونياوم» وصف الاسلام بالدعوة الى الانصراف عن الدنيا، ويدعوهم الى تركيز العمل للآخرة، بناء على تخلف المسلمين الحاضر، وهو لا يتفق والمبادئ الاسلامية، والدليل تجلى فيما كان للمسلمين من حضارة شامخة كانت عاملاً مهماً في النهضة الأوروبية (ص٧٠-٧١).

وهذا التعصب حمل المستشرقين على القول بأن الاسلام لا مستقبل له، وقد أعلن ذلك «مرغوليوث» في سنة ١٩٠٤م، و «لامانس» منذ عام ١٩٣٠م، وكذبتهم الأحاديث ووقائع التاريخ، اذ اتسع نطاق الاسلام في جميع القارات، وظهرت دول اسلامية جديدة في آسيا وافريقيا (ص٧١-٧٣).

وبالرغم مما ذهب اليه المستشرق «غب» من ان التغريب غالب على الكيان الاسلامي، فإن هذه الآثار آخذة في التناقص، وان الاسلام يتصاعد، وعندما تردد قول «برايس» عن الاسلام، وانه لم يبق من عمره الا قرنان، وان عدد المسلمين لا يتجاوز (٢٠٠) مليون، فقد تضاعف عددهم الآن حتى بلغ «ألف مليون»، وقد اتسع العدد بالحسنى والاقناع من تحت حراب الاستعمارية ومدافعه الموجهة الى قلوب المسلمين، واقتحم اوروبا وامريكا.

ويعترف «مرقوليوث» اليهودي، بأن الاسلام قد تحرر من نفوذ الدول الكبرى، وبقي يقاوم نفوذها الاقتصادي والثقافي (ص٧٢-٧٣)، وتناول هذا البحث:

١- وهو بحث د. أنور الجندي كما أسلفنا، تناول موضوع «المستشرقون والقرآن الكريم»، وكان موقفهم موقف الخصومة والانكار، انسجاماً مع مفهوم الاستشراق المسيحي واليهودي، حيث ان التوراة والانجيل اللذين بأيدي الناس، هما مما كتب البشر، وليست مما نزل به الوحي

الإلهي، وقد اقام القرآن الكريم الحجة في امور كثيرة بخصوص الأنبياء الذين صُورت حياتهم خلافاً لمكانتهم كأنبياء.

والشك في مصدر إلهية القرآن هو ما ردده المستشرقون وتأثر به بعض الباحثين المسلمين، من امثال طه حسين وزكي مبارك، ويردده بعض المستشرقين من امثال «غولدزيبر» اليهودي، و «بلاشير» ويشيرون الى ما جاء في التوراة والانجيل، ويذكرون رحلات النبي ﷺ الى الشام، ويرددون ما ورد في القرآن الكريم من قصص اليها.

ثم ادعى «غولدزيهر» بأن القرآن حُرِّف بعد وفاة النبي ﷺ، بالنسبة لاسمه وهو «قثم أو قثامة» فأبدل بمحمد ليناسب الآية **﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾**، كما نسبوا للرسول ﷺ ما كان يتعرض من جهد عند نزول الوحي، ويصورونه بنوبات الصرع، كذلك شككوا بالحروف المفردة في أوائل بعض السور القرآنية، فقال عنها «فولدكه»: انها اختصارات في اسماء مالكي نسخ القرآن التي استعملها «زيد بن ثابت» لجمع القرآن في مصحف واحد، وهو تفسير باطل (ص٧٣-٧٦).

وهناك محاولة للقول بأن القرآن الكريم ليس بنظام كامل، وانما هو محاولة للإصلاح لأن الرسول ﷺ، رأى فساد النظام الطبقي عند قومه، لذلك لجأ الى التخويف بيوم القيامة، ولا شك ان هذا القول باطل، حيث ان القرآن الكريم جاء بنظام كامل، وحياً من الله الى رسوله ﷺ، مما تؤكده اي دراسة عميقة، إذ تجد فيه منهجاً متكاملاً، مهما قيل عن تأثر النبي ﷺ باليهود والنصارى فإنه لا يصح، إذ كان ﷺ أمياً لا يمكنه قراءة التوراة والانجيل، وعلاوة على ذلك فإن ما في القرآن الكريم من نظام لا نجد له مثيلاً في هذين الكتابين (ص٧٧-٧٨).

كانت ترجمة القرآن الكريم من الخطط المقررة في أوروبا، إذ أوصى بها «لويس التاسع» بعد فشل الحروب الصليبية، وكسب الاسلام سمعة عالية في أوروبا، وذلك بتفسيره على النحو الذي يؤدي الى تكذيب الرسول الكريم ﷺ، ثم تقرر ترجمته الى اللغة اللاتينية، وصدرت أول طبعة منه في ايطاليا سنة ١٥٣٠م، ولكن البابا بولس الثالث أحرق جميع نسخها، غير ان البابا اسكندر الرابع، امر بطبع نص القرآن

وترجمته عام ١٦١٧م، اذ وجدوا من الضروري معرفة القرآن بدقة، اذا ارادوا مكافحته، وتمهيد السبل لنشر النصرانية (ص٧٩).

وهكذا نجد كتاب «بوهل» في مادة «محمد» في الموسوعة الاسلامية «الأوروبية» ونجد «تويني» في مادة «تاريخ» ومن جاء بعدهما كلهم يجرون بأسلوب واحد، وهو التعصب والزعم ان القرآن هو تأليف «محمد» بزعمه انه أخذ من التوراة والانجيل!

وهكذا فإن اتفاق المستشرقين ليس عفوياً، بل هو متفق عليه، على حد قول «محمد أسد» وقد شهد بعض الكتاب الغربيين بفساد الاستشراق مثل «آرنست» في كتابه «الاسلام والمسيحية الحقيقية»، وما جاء في الأناجيل الحالية، فإنه ليس ما دعا اليه المسيح ان سبب النزاع بين المسيحية والمسلمين، سببه دهاء «بولس» «ذلك المارق اليهودي المسيحي» وشرحه للصحف المقدسة على طريق التجسيم، وانه هو الذي وضع ذلك المزيج من القصص والأحاديث المتعارضة.

ومن هنا جاء الاختلاف اساساً، لأن لكل انجيل كاتباً مستقلاً، وهي أناجيل «لوقا، متى، يوحنا، مرقص، برنابا» ومن هنا جاء القرآن مخالفاً لهذه الأناجيل وللتوراة مادة وأسلوباً.

ولذلك ورد في القرآن الكريم مواد عديدة لم يرد لها ذكر في هذين الكتابين، وبالتالي لم يعرفها اليهود ولا النصارى، مثل كفالة زكريا للسيدة مريم عليها السلام، كما ان القرآن الكريم بشّر بانتصار الروم بعد بضع سنين على الفرس الذين انتصروا عليهم سنة ٦١٠م، وما الى ذلك مما أخبر به القرآن الكريم من أمور لم تُعرف الا في العصر الحديث، كإنخفاض الضغط الجوي في أعالي الجو، فقال تعالى: **﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء﴾** وما الى ذلك (ص٨٠-٨١) (انظر الآية ١٢٥ من سورة الأنعام).

٢- ثم ينتقل الدكتور الجندي الى ملحق خاص بعنوان «المستشرقون.. موقفهم من اللغة العربية والأدب العربي» فيقول: كانت حملة الاستشراق على اللغة العربية مرتبطاً بحملته على القرآن الكريم، ولذلك توالت دعوات المستشرقين الى استخدام العاميات

والحروف اللاتينية، اذ قام بذلك «ماسينيون» الفرنسي في المغرب وسوريا، وقام اليهودي البريطاني «مرغوليوث» بذلك في بقية البلاد العربية، **وكان الهدف من ذلك، انه اذا حلّت اللغة العامية بدلاً من العربية الفصحى، انقطع الطريق الى الاسلام، وتمزقت الأواصر في أمور عدة:**

أ- رمي العامية بالقصور وعدم الكفاية العلمية.

ب- صعوبة النطق بها، وصعوبة الكتابة بها.

ج- صيرورتها عدم فهم الناس لها.

د- التفاوت بين طريق النطق وطريق الكتابة.

وقد كان «ماسينيون» من اشد الداعين الى ذلك، ولكن وجدت دعوته رداً عنيفاً، وكذلك حاول «مرغوليوث» مع سوريا وايران فيما حاول استبدال الحرف العربي في الكتابة بالحرف اللاتيني، وقد فشلت دعوة الطرفين (ص٨٣-٨٤).

وجرت محاولات لادخال تغيير على اللغة العربية بحجة انها مملوكة للعرب، وجاء الرد عليها بأنها ليست للعرب وحدهم، انما يشاركهم فيها ما يقرب من مليار مسلم، وليس من حق العرب التصرف بها.

لقد كشف علماء اللغة فساد محاولات المستشرقين لمقارنة اللغة العربية باللغة اللاتينية، اذ كان هدفهم وضع العربية في متحف اللغات، وتحويل اللهجات المحلية الى لغات، وهو ما لا يتحقق مع وجود القرآن الكريم، وبذلك فشلت خطط المستشرقين.

ويكفينا ان مؤتمر العالم الاسلامي قد اتخذ قراراً تاريخياً في سنة ١٩٤٩م، بوجوب اعتبار لغة القرآن، لغة عامة لجميع المسلمين (ص٨٣-٨٨).

٣- المستشرقون والأدب العربي:

ولم يسلم الأدب العربي من عدوان المستشرقين الذين أولوه اهتماماً خاصاً، ولكن بالصيغ التي جاء بها الفكر الباطني، وإخوان الصفا، وأعلنوا تأثره بالفكر الفارسي، وبالأدب اليوناني.

أما «مرغوليوث» فقد فرض في الشعر الجاهلي في مقال نشره في مجلة استشراقية سنة ١٩٢٥م، فرضاً لا يختلف عما فرضوه في سائر العلوم، فبروكلمان يقول في احد كتبه: بأن المصادر الأصلية للقرآن مأخوذة من النصرانية، أما «غولديهر» فيقول بأن تلك المصادر مأخوذة من التوراة، بينما هناك من يقول: ان القرآن

المكي هو نصراني، والمدني يهودي! وما الى ذلك من هراء واضح (ص٨٨-٨٩).

وكان أبرز ما حققه المستشرقون ونشروه من التراث، هي المعلقات، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، ورسائل إخوان الصفا، وكلها اعمال لا تعكس طابع الأدب العربي الحقيقي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وعمدوا في الشعر الى إحياء بشار بن برد وأبي نؤاس وأمثالهما، ويطلق «غب» على العصر الجاهلي صفة «العصر البطولي» ويرفض المستشرقون تسميته بالعصر الجاهلي، ويحاولون تزييفه بتسميته عصر استنارة وحضارة، ويسمون العصر الاسلامي «عصر التوسع» ليشككوا في ان الاسلام لم يأت بأي تغيير حقيقي، وانما هو يتابع ما قبله، ويركزون على الاشادة بدور الثقافة اليونانية في المنطقة، واليها يردون كل ما في الأدب العربي من كلام، والى الثقافات الفارسية واليونانية، بل يردون اليها حتى النحو والبلاغة، ويقول «غب»: «ان الذين رفعوا لواء الفكر في العصر العباسي هم من اصل نصراني»، ويردون الاعتزال الى اصل يوناني، ويبدون اهتماماً خاصاً بانتصارات الشيعة والبويهيين وما الى ذلك من التحريفات (ص٨٩-٩١).

٤- المستشرقون والسنة:

ان موقف المستشرقين من السنة، هو كموقفهم من القرآن الكريم، بإثارة الشبهات والتزييف، وقد كشف ذلك العلامة الفرنسي المسلم «اتيان بينيه» فقال: ان من العسير على المستشرقين ان يتحرروا من نزعاتهم عندما يؤرخون للرسول الكريم ﷺ وسنته، بل من المستحيل ان يتجرد المستشرقون عن معاداتهم للاسلام.

وقد كشف هذا العالم المسلم عن تزييفهم للحقائق، ورد عليها وضرب مثلاً بوقف «لامانس» الذي طغى في كتبه التمويه والكذب، بينما حين يتحدث عن اعداء الاسلام، كأبي جهل وأبي لهب والمنافقين، فإنه يشيد بهم ويمدحهم (ص٩١-٩٢).

ويشير المستشرقون الى تأخر تدوين الحديث، مما اعطى المسلمين فرصة - حسب زعمهم- ليزيدوا او ينقصوا فيه، وشككوا بوجود الصحف في العهد النبوي، وقد رد عليهم الدكتور صبحي الصالح في كتابه «علوم الحديث ومصطلحه» انظر (ص٩٢-٩٣).

دروس وعبر من تاريخ القدس

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

لقد استولى الصليبيون على فلسطين وبيت المقدس، في أواخر القرن الخامس الهجري، بسبب بُعد المسلمين في ذلك الوقت عن دينهم حكاماً ومحكومين، وبقي بيت المقدس في أيدي الصليبيين ما ينوف على تسعين عاماً، الى ان هيأ الله تعالى لهذه الأمة من يعيدها الى دينها، ويوحد كلمتها وهو صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فهزم الصليبيين في معركة حطين قرب بحيرة طبريا سنة ٥٨٣هـ، واستولى بعد ذلك على عكا وحيفا والناصرة وقيسارية وبيروت، وتوّج انتصاراته بفتح بيت المقدس التي استسلمت له في نفس السنة.

الا انه لم يتمكن من القضاء على باقي معاقل الصليبيين في بلاد الشام، حيث عاجلته المنية سنة ٥٨٩هـ، وقد تم تطهير بلاد الشام من رجس الصليبيين سنة ٦٩٢هـ وذلك على يد السلطان أشرف خليل بن قلاوون رحمه الله.

توفي صلاح الدين رحمه الله ولم يخلف الا ستة وثلاثين درهماً وقطعة واحدة من الذهب، كما لم يخلف داراً ولا عقاراً، وكان يقول: «ان بقيت الدار لنا فلنا كل ما فيها، وان ضاعت منا ضاع ما يملكه كل فرد واستولى عليه العدو» لكن الذكرى العطرة التي خلفها خلدت ذكراه، وسجل اسمه بين ابطال الاسلام الخالدين.

ثم آل ملك البلاد التي استولى عليها الى أخيه الملك العادل، ثم مات الملك العادل، وكان قد عين ابنه الكامل محمد على مصر وبيت المقدس والقسم الذي حرره صلاح الدين من الصليبيين من فلسطين، وعين ابنه المعظم عيسى على دمشق، وعين ابنه

الاشرف موسى على الموصل، كما عين ابنه الصالح اسماعيل على بعلبك.

وعندما توفي الملك العادل استقل كل واحد منهم بما تحت يده، ثم اختلفوا فيما بينهم، ونتيجة لهذا الخلاف، سلم الملك الكامل محمد الى الامبراطور فريدريك الثاني ملك الصليبيين بيت المقدس وبيت لحم والناصرة، وشريطاً يصل هذه البقاع بعكا التي صارت عاصمة بيت المقدس، وتم ذلك باتفاقية يافا سنة ٦٢٨هـ، وبدون ان يحصل بينهم قتال، فرد اليهم ما كان صلاح الدين قد استنقذه منهم، وذلك ليتفرغ لقتال ابن اخيه الملك الناصر داود بن عيسى واخراجه من دمشق!

وقد هاجم المسلمون الملك الكامل بسبب هذه الاتفاقية، وسجل التاريخ خيانته للأمة الاسلامية، وأعد المسلمون المخلصون لدينهم وأمتهم العدة لاسترجاعه، واسترجعوه بعد مدة وجيزة بقيادة الملك الناصر داود الذي كان ملكاً وقتها على الكرك والشوبك ونابلس.

ولما كان الملك داود يلقب بالناصر، وصلاح الدين كان يلقب بالناصر، قال الشاعر:

المسجد الأقصى له عادة

سادت فأصبح مثلاً سائراً

اذا غدا بالكفر مستوطناً

ان يبعث الله له ناصراً

فناصر حرره أولاً

وناصر حرره آخراً

وعندما وقع الخلاف بين الملك الصالح اسماعيل، الذي صار ملكاً على الشام فيما بعد، والملك الصالح نجم الدين ايوب -ابن أخيه- ملك مصر، سلم الملك الخائن الصالح اسماعيل بيت المقدس له، فسُلمت مرة اخرى للصليبيين بدون قتال سنة ٦٩٣هـ، وذلك بعد ان كانت قد عادت الى حظيرة الاسلام، كما سلم اليهم طبريا وعسقلان، ووعدهم ان ملك مصر اعطاهم بعضها، وتحالف معهم للهجوم على مصر، واباح لهم شراء السلاح من المسلمين، فأنكر عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، خطيب البلد وعالمها آنذاك، وهاجمه وحكم بكفره بسبب تحالفه مع الصليبيين، وتفريطه بحق القدس، كما انه انكر عليه وهاجمه الشيخ ابو عمرو ابن الحاجب شيخ المالكية في بلاد الشام، فاعتقلهما مدة ثم اطلقهما والزمهما منازلهما، فخرج العز بن عبد السلام وابن الحاجب من دمشق، وخرجت معهما دمشق تودعهما، فأرسل السلطان خلفهما رسولاً يراودهما على العودة، فأدركهما وهما في بيت

المقدس، فقال الرسول للعز بن عبد السلام: بينك وبين ان تعود الى منصبك وما كنت عليه وزيادة، ان تقبل يد السلطان، فقال الشيخ: والله يا مسكين، ما أرضاه ان يقبل يدي فضلاً عن أقبل يده، يا قوم: انتم في واد وانا في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم، فاعتقه الرسول ثم اطلق سراحه، فسار الى مصر، وهناك تلقاه الملك الصالح نجم الدين ايوب وولاه التدريس والقضاء، وكان عمره حينذاك ستين عاماً.

وفي اللقاء الذي أعد للصدام بين الصليبيين والصالح اسماعيل من جانب، وبين المصريين من جانب آخر استدار جند الشام المسلمون وانضموا الى القوات المصرية، ومالوا جميعاً على الصليبيين فهزموهم عند مدينة غزة، فقتلوا منهم واسروا خلقاً لا يحصون وذلك سنة ٦٣٩هـ.

وقد استطاع المسلمون ان يسترجعوا بيت المقدس مرة أخرى من الصليبيين، وذلك بعد اربع سنوات من تسليمه وتم تحريره على أيدي الخوارزمة.

ولم يتح لأي جيش صليبي ان يقترب من بيت المقدس بعد ذلك، حتى الحرب العالمية الأولى، وذلك بعد ان خالفت الدولة العثمانية احكام الشريعة الاسلامية، وأتاحت لمجموعة من الانجليز انشاء بنك ربوي عام ١٨٥٦م، والذي انضم اليه فيما بعد مجموعة من الفرنسيين، وكان يعرف بالبنك السلطاني العثماني، فأدى ذلك بمعاقبتها من قبل الله سبحانه وتعالى بزوال حكمها وسقوطها على أيدي الحلفاء الصليبيين، بمساعدة من بعض رعاياها من العرب والمسلمين في الحرب العالمية الأولى، وأدى ذلك الى دخول فلسطين تحت الانتداب البريطاني عام ١٩١٦م،

وقد عملت بريطانيا على تشجيع اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بناء على وعد بلفور وزير خارجيتها اثناء الحرب، وكان اليهود قبل الانتداب البريطاني لا يشكلون سوى ٣٪ من سكان فلسطين ويقيمون في مساحة ١,٥٪ منها.

وقد قام الشعب الفلسطيني اثناء الانتداب بعدة ثورات وانتفاضات ضد هذا الاستيطان، أشهرها ثورة ١٩٣٦م، والتي اضرب فيها الشعب الفلسطيني مدة ستة اشهر، وقد استشهد منهم في وقت الانتداب البريطاني ٥٠ ألفاً من أبنائه وأعدمت بريطانياً ١٧٥ مجاهداً وسجنت ٣٠٠ مدى الحياة.

وقد ارتفعت نسبة اليهود في فلسطين بمساعدة بريطانيا الى ٣٢٪ واغتصاب ٥,٥٪ من اراضيها، وقد قرر مجلس الأمن الدولي في عام ١٩٤٧م تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وقاوم الشعب الفلسطيني هذا القرار

وقاموا بالثورة ضده، ومن قادة الثورة الذين رووا بدمائهم تراب فلسطين، القائد البطل عبد القادر الحسيني، والقائد حسن سلامة، والشاعر عبد الرحيم محمود رحمهم الله تعالى.

ودخلت الجيوش العربية فلسطين للدفاع عنها، وكانت نتيجة ذلك ان قسمت فلسطين بين اليهود والاردن ومصر وسوريا، واعلن الكيان الصهيوني المغتصِب عام ١٩٤٨م، واستولى على ٤٨٪ من اراضي فلسطين وقام بارتكاب عدة مجازر وحشية لطرد السكان الفلسطينيين من اراضيهم المغتصبة.

وبعد هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧م قام الكيان الصهيوني بالاستيلاء على ما تبقى من ارض فلسطين، بالاضافة الى هضبة الجولان السورية وسيناء المصرية، وقاموا ايضاً بإحراق المسجد الأقصى، والعرب والمسلمون لا يحركون ساكناً سوى الاحتجاج والاستنكار لهيئة الأمم ومجلس الأمن الذي تهيمن عليه امريكا الصليبية، التي تدعم اليهود وتمنع اتخاذ اي قرار ضدها، وتمولها وتمدها بالسلاح والعتاد.

وقامت بعد ذلك عدة حركات وطنية للمقاومة الفلسطينية، وقد ارتكب الصهاينة عدة مجازر ضد الشعب الفلسطيني اثناء انتفاضاته منها: انتفاضة عام ١٩٨٢م واندلعت إثر انتهاك اليهود لحرمة المسجد الأقصى، وأيضاً مجازر صبرا وشاتيلا، ومجزرة المسجد الأقصى عام ١٩٩٠، التي استشهد فيها ٢٠ مصلياً، وايضاً مجزرة المسجد الابراهيمي في الخليل يوم ١٩٩٤/٢/٢٥ أثناء صلاة الفجر في شهر رمضان المبارك.

وإني لأرجو من الله تعالى ان يبعث لهذه الأمة علماء مخلصين متقين صادقين مع الله، لا يخافون لومة لائم، كالحسن البصري، وسفيان الثوري، وطاووس بن كيسان، وأبي حازم، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وتقي الدين بن دقيق العيد، فيصارحون الحكام بحال الأمة وينصحونهم بإقامة شرع الله والدفاع عن الأمة الاسلامية، بإعلان الجهاد في سبيل الله الذي اصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة، بعد استيلاء الصهاينة على بيت المقدس وفلسطين، وبعد ارتكابهم المجازر الوحشية بحق الشعب الفلسطيني، فتهب هذه الأمة لتحرير بيت المقدس وفلسطين من ايديهم.

واني لأرجو الله تعالى ان يجتمع علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم وأوطانهم في مؤتمر عام ليبينوا حكم الجهاد في هذا العصر، ويطالبوا المسلمين بواجبهم نحو أمتهم ونحو فلسطين والقدس الشريف، ويذكرونهم بقول الله تبارك وتعالى: **﴿وإن تتولوا يستبدل الله قوماً غيركم ثم لا يكونوا**

من الإعجاز الكوني في القرآن الكريم
﴿والسماء ذات الحبك﴾

■ بقلم الاستاذ الفلكي عماد مجاهد

اقسم الله تعالى بالسماء بقوله جل وعلا: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ الذاريات: ٧، وحسب ما جاء في اللغة فإن معنى «حبك» أي شده واحكمه، وحبك الثوب أي أجاد صنعته ونسجه، واحبكه أي أجاد عمله، والمحبوك أي المحكم الخلق والصنعة، والحبيكة جمع حبائك وهو الطريق من خصلة الشعر ونحوه، وجاء أيضا في المنجد في اللغة والأعلام أن ﴿والسماء ذات الحبك﴾ أي ذات الطرائق الحسنة أو الخلق الحسن.

وقد توسع ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة، حيث يقول: ثم قال تعالى: **﴿والسماء ذات الحبك﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء. وعن أبي صالح: ذات الحبك الشدة وقال خصيف: ذات الحبك ذات الصفاقة. وقال الحسن البصري: ذات الحبك حبكت بالنجوم. وقال قتادة: **﴿والسماء ذات الحبك﴾** يعني السماء السابعة، وكأنه والله اعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة أي النجوم المرئية، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت

والسيارات -الكواكب السيارة- موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزهرات.

أما القرطبي فقد بين في تفسيره أن المراد بالسماء في هذه الآية هي السحب التي تظلل الأرض حسب رأي بعض المفسرين، ورأي آخر يقول: إنها السماء السابعة، أما الحبك فيقول القرطبي: إن فيها أقوالاً سبعة:

الأول قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع: ذات الخلق الحسن والمستوي، وقال عكرمة: ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه يقال: حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا أي أجاد حبكه يقول ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احبكته.

والثاني: ذات الزينة قاله الحسن وسعيد ابن جبير وعن الحسن أيضا: ذات النجوم وهو الثالث والرابع قال الضحاك: ذات الطرائق يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح: حبك ونحوه قول الفراء: الحبك تكسر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة والماء القائم.

من خلال هذه التفسيرات المختلفة لمعنى السماء ذات الحبك التي جاء ذكرها في كتب التفسير مثل تفسير ابن كثير والقرطبي يمكن أن نستنتج الصفات التالية للسماء:

١- تتصف السماء بالإبداع في الخلق والتصوير: فنحن عندما نشاهد السماء سواء من خلال العين المجردة أو من خلال التلسكوب، سنرى عددا هائلا من النجوم تتجمع مع بعضها البعض في مجرات عملاقة ، ويصل عدد النجوم في كل مجرة حوالي ٤٠٠ بليون نجم مثل عدد النجوم في مجرتنا المسماة "درب التبانة" كما ويتفاوت عدد النجوم في كل مجرة بحسب حجمها وشكلها وعمرها ، فلكل نجم من نجوم المجرة عمرا خاصا به أي أن النجوم تمر في فترات عمرية مثل الإنسان، فهنالك نجوم تولد ونجوم تمر بمرحلة الطفولة ونجوم تمر بمرحلة الشباب وهو منتصف عمر النجم، ونجوم كبيرة العمر ونجوم تموت وهي الحالة التي تسمى في الفلك الحديث "السوبرنوفا" أو النجوم المستعرة.

ولكل نجم من هذه النجوم مدار خاص به، فعلى الرغم من العدد الهائل من النجوم في كل مجرة إلا أنها تلتزم بمدارات خاصة بها دون أن تصطدم النجوم بالأخرى نتيجة للقوانين التي تنظم سير هذه النجوم في الكون، وتدور كل مجرة من المجرات حول

نفسها أيضا بدقة متناهية وتكمل دورة حول نفسها خلال ملايين السنين ، فمجرتنا درب التبانة تدور حول مركزها دورة واحدة كل ٢٢٥ مليون عام وتسمى "الدورة الكونية" .

وللمجرات حركة أخرى حيث تبتعد كل مجرة عن بعضها بسرعة منتظمة جدا وتنتج عنها تمدد الكون، وحركة ابتعاد المجرات عن بعضها تتم بأسلوب منتظم وليس بشكل عشوائي، فكلما كانت المجرة ابعد كلما كانت سرعة ابتعادها أعلى، وكان الفلكي الأمريكي "أدوين هبل" قد وضع قانونا باسمه "ثابت هبل" وهو عبارة عن معادلة رياضية توضح بأسلوب رياضي طريقة ابتعاد كل مجرة عن بعضها البعض.

كشف الفلكيون من خلال المراصد الفلكية العملاقة عن وجود مليارات المجرات في الكون، وتبين كذلك أن هذه المجرات تتجمع مع بعضها البعض ضمن عناقيد مجرية galactic clusters يصل عددها إلى مئات وآلاف المجرات، وتدور المجرات في العناقيد المجرية بنفس السرعة ولها نفس العمر تقريبا.

إن هذه الصفات الرائعة للسماء يدل بشكل جلي أنها خلقت وأبدع الخالق في وصفها وتصويرها واتزانها ودقة حركة الأجرام السماوية فيها واتزانها.

٢- الترابط الدقيق في السماء: إن مادة الكون من اصغر الأجزاء فيها مثل الذرات والجسيمات إلى اكبر الأجسام فيها مثل النجوم والكواكب والمذنبات وغيرها، ترتبط مع بعضها البعض بقوانين عظيمة تحكم هذا الكون وتنظمه لكي يحافظ على صورته الحالية وبقائه على حاله إلى ما شاء الله تعالى ، وبالطبع فقد كشف العلماء خلال القرون القليلة الماضية، القوانين الفيزيائية التي تربط مادة الكون ببعضها البعض وتجعله بهذا الاتزان الرائع، ويعتقد انه كانت هنالك قوة واحدة تربط مادة الكون مع بعضها قبل حدوث الانفجار العظيم، ثم تحولت إلى أربع قوى بعد حدوث الانفجار العظيم وتشكل الكون، و هذه القوانين:

- **القوة الذرية الضعيفة:** وهي التي تعمل على تفكيك الجسيمات الأولية في ذرا المادة أثناء تعرضها للإشعاع، والبوزونات هي أجسام أولية تقوم بحمل هذه القوة والتي تكون إما سالبة الشحنة أو عديمة الشحنة.

- **القوة الذرية الشديدة:** هي من اشد القوى المعروفة في الكون، وتعمل على ربط الأجسام الأولية في الذرة مع بعضها البعض

مثل البروتونات والنيوترونات، كما أنها مسئولة عن عملية الاندماج النووي أي تجميع أربع ذرا هيدروجين ليتحول إلى هليوم لتنتج الطاقة في باطن النجوم.

● **القوة الكهرومغناطيسية:** وهي القوة التي تعمل على إنتاج الإشعاع الكهرومغناطيسي، مثل أشعة غاما والأشعة السينية وأشعة ألفا وأشعة بيتا والموجات الراديوية والأشعة المرئية ،بغض النظر عن الطول الموجي لكل إشعاع أو ما إذا كانت مرئية أم لا.

● **قوة الجاذبية:** هي القوة الخفية الموجودة بين الأجرام السماوية في الكون، فهي القوة التي تربط الكواكب السيارة بالشمس والنجوم والمذنبات والكويكبات والأقمار ببعضها البعض، ولولا هذه القوة لاستحال وجود هذه الأجرام السماوية بهذا الاتزان الدقيق في فلكها.

٣- الاختلاف في كثافة المادة من مكان لآخر: إن تكدس المادة في الكون يختلف من مكان لآخر بسبب التغير في توزيع المادة، ففي الوسط بين النجمي أي بين النجوم تقل كثافة المادة، لكنها لا تصل إلى درجة الصفر حيث أن المادة منتشرة في كافة أماكن الكون ولا يوجد فراغات بينها، لكنها تزداد في النجوم والكواكب السيارة، ويمكن أن تصل إلى أدنى الكثافة فيها في النجوم العملاقة، لكنها تزداد في النجوم الفتية والأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية، ويصل أعلى تركيز لمادة الكون في الثقوب السوداء وأشباه النجوم التي يصل تركيز المادة فيها إلى حدود خيالية.

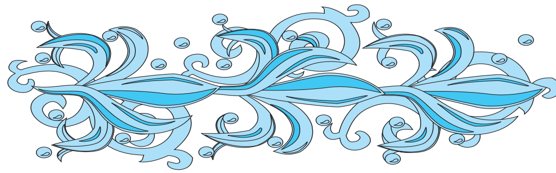
٤- الطرقات في السماء: من صفات السماء العجيبة هي الأجرام السماوية هائلة العدد التي يعج بها الكون من نجوم وسدم وكواكب ومذنبات، وقد سخر الله تعالى لكل جرم سماوي من هذه الأجرام مدارات خاصة بها، فالنجوم تدور في مدارات غاية في الدقة، الأمر الذي يحول دون اصطدامها ببعضها البعض، والكواكب السيارة تدور في مدارات دقيقة جدا لا تحيد عن مداراتها قيد أنملة، وكذلك الأقمار والمذنبات والكويكبات وغيرها، هذه الدقة في مدارات الأجرام السماوية إنما هو مقدر سلفا من خالق الكون عز وجل، حتى لا يحدث اصطدام بين أي من هذه الأجرام السماوية.

في بداية القرن الحادي والعشرين ادخل الفلكيون المعلومات المستقاة عن الكون من خلال المراصد الفلكية التي تعمل بالأشعة

المختلفة، مثل الأشعة المرئية والأشعة السينية وأشعة جاما والأشعة فوق البنفسجية، والتي تم تجميعها خلال العقود الماضية وهي معلومات هائلة لا يستطيع الكمبيوتر العادي قراءتها، لذلك استخدم الفلكيون حاسوباً ضخماً جدا أطلق عليه "السوبر كمبيوتر" حجمه يوازي حجم ملعب كرة القدم، وبعد حوالي شهر كامل والكمبيوتر العملاق يعالج المعلومات التي ادخلها العلماء لرسم الكون فماذا كانت النتيجة؟

أظهرت الصور التي حاكاها الكمبيوتر العملاق، أن الكون عبارة عن خيوط ضخمة من المجرات ظهرت وكأنها حبكت ورصت بدقة وإحكام شديدين، لدرجة أن العلماء اخذوا يصفون الصور التي ظهر بها الكون بالنسيج الكوني وهي نفس التعبير القرآني الذي له المعنى الحقيقي لصفة الكون الحديث.

إن هذه المعلومات التي توصل إليها العلماء في القرن العشرين تدل بلا شك على المعنى المعجز للآية الكريمة ﴿والسماء ذات الحبك﴾ وهذا بلا أدنى شك يزيدنا إيمانا بخالق الكون وصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، الذي كشف لنا عن احد أسرار الكون العظيمة قبل العلم الحديث بأكثر من ١٤ قرنا من قبل رجل عاش في



«التمسوا الرزق بالزواج»

▪ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

تمهيد:

الزواج سكن للنفس وبقاء للنوع، ومن حكمته تعالى ان جعل في الزواج مودة ورحمة، وتعارفاً وتآلفاً بين الأفراد والشعوب والقبائل، قال تعالى: ﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الروم: ٢١ .

ومن حكمته تعالى ان جعل النسب والمصاهرة من أقوى العلاقات بين الشعوب والقبائل، ووسيلة مهمة للتعارف والتقارب بين هذه الشعوب والقبائل، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات: ١٣ .

ومن حكمته تعالى انه خلق الذكر والأنثى من نفس واحدة، فلا تفاضل الا بالتقوى، ولا تنافر الا بتوزيع الأدوار، قال تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾** الأعراف: ١٨٩ .

وهنا تجلت عظمة الخالق وقدرته فوزع الأدوار والمسؤوليات بين الذكر والأنثى، فجعل مهمة الأنثى الأولى الحمل والولادة والأمومة ورعاية الأطفال، وجعل مهمة الذكر الأساسية القوامة اي القيام بمسؤوليات الأسرة ومصاريفها وتلبية احتياجاتها، قال تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على**

بعض وبما انفقوا من أموالهم﴾ النساء: ٣٤ .

وعظم الله تعالى مكانة الأنثى بأمومتها، وجعل الجنة تحت اقدامها وأوصى الله بها خيراً وعلى وجه الخصوص قال تعالى: **﴿ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾** الأحقاف: ١٥، وقال عز من قائل: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ❖ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾** الاسراء: ٢٣-٢٤ .

فسبحان الذي خلق الأزواج كلها من نفس واحدة ومما تنبت الأرض ومما لا نعلم رغم تقدم العلم، قال الله عز وجل: **﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون﴾** يس: ٣٦ .

❖ في الزواج عمارة الأرض وبقاء النوع:

التزاوج بين المخلوقات بقاء للنوع.. وبقاء النوع وتكاثره عمارة الأرض وزراعتها لتنبت من الثمرات والطيبات ما لذ وطاب، ومن حكمته تعالى بأن كرّم الانسان فسخر له كل شيء من الأنعام واستخدمها لمنفعته، واستفاد منها في غذائه ودوائه وكسائه وحلّه وترحاله، قال تعالى: **﴿أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا أنعاماً فهم لها مالكون ❖ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ❖ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾** يس: ٧١-٧٣ .

ومن حكمته تعالى ان جعل الانسان خليفة في الأرض، وكرّمه بهذه الخلافة في عمارة الأرض، قال تعالى: **﴿وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾** الأنعام: ١٦٥، وقال جل وعلا: **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** الملك: ١٥ .

والله الذي نزل الماء من السماء فيحيي به الأرض، وتنبت من كل فج عميق جميع الثمرات والطيبات والحدائق والأعناب والنخل والرمان، يقول سبحانه: **﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾** الأنعام: ٩٩، فسبحان الذي جعل الانسان خليفة في هذه الأرض، وسخر له كل شيء فيها وأبقاه بالتزاوج وعمرها بعمله.

❖ في الزواج تزاحم أقدام وكثرة أرزاق:

يحجم الشباب هذه الأيام عن الزواج، إما

لقلة مال وإما لقلة في فرص الأعمال، وإما هروباً من نفقات العيال، فإن كانت العلة لنقص في مال، فإن الله أراد بعباده اليسر، ولم يرد بهم العسر، ونهى عن الإسراف في كل مناحي الحياة، قال جل وعلا: **﴿.. ولا تبذر تبذيراً ❖ ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾** الاسراء: ٢٦-٢٧ .

وان كان العزوف عن الزواج عدم وجود فرصة عمل، فالله قد تكفل بعباده الرزق وشمل بهذا التكفل، جميع مخلوقاته فما من دابة الا وعلى الله رزقها، قال تعالى: **﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** الاسراء: ٣٠ .

الشيطان يزين للانسان الفواحش.. والعزوف عن الزواج، ويعده الفقر وضيق الحال بينما يعده الله بفضل من عنده، يقول تبارك وتعالى: **﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾** البقرة: ٢٦٨ .

وان كان العزوف هروباً وخوفاً من نفقات العيال، فقد تكفل الله تعالى برزقهم، فقال جل وعلا وهو أصدق القائلين: **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾**.. بل وأكثر من ذلك، فقد وعد الله غير المتزوجين والفقراء منهم خاصة، بأن يغنيهم الله ويرزقهم من فضله، قال تعالى: **﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾** النور: ٣٢ .

والأيامى في اللغة هم غير المتزوجين ذكوراً كانوا أو إناثاً، ومعنى الآية الكريمة، لا تمتنعوا عن الزواج بسبب فقر الرجل أو المرأة، فرزق الله واسع يؤتيه من يشاء من عباده، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى في النكاح» وتلا الآية السالفة الذكر، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح، وقد أخبرنا الله بالغنى ونفي الفقر بالنكاح مصداقاً لقوله تعالى ثم تلا الآية الكريمة» السالفة الذكر من سورة النور.

وأخرج ابن ابي حاتم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال: «اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى» ثم تلا الآية الكريمة السالفة الذكر، وأخرج الديلمي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوا الرزق بالنكاح» وأخرج البزار عن عائشة ام المؤمنين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انكحوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال». وأخرج الخطيب في تاريخه

عن جابر رضي الله عنه قال: جاء رجل الى النبي ﷺ يشكو اليه الفاقة، فأمره ان يتزوج.

ان في الزواج بقاء للنوع وتخليف العيال والأولاد، وولادة الأبناء عمارة في الأرض، وعمارة الأرض مجلبة للرزق، والعزوف عن الزواج هلاك للنفس أولاً، بفقدانها السكن والمودة والتراحم، وهلاك للنوع بعدم التوالد، وهلاك بالفواحش، والفواحش تجلب معها الأوبئة الفتاكة مثل الإيدز وسائر الأمراض الجنسية والتناسلية، بل ان الدراسات اثبتت ان اكثر حوادث الانتحار كانت بين العزاب غير المتزوجين.

بل واكثر من ذلك فإن دعاة تحديد النسل وتنظيمه، يهبون الجوائز للأسر الأكثر عدداً في بلادهم، انهم يسعون لخراب ديار المسلمين بنظرياتهم، بينما لا يطبقونها على أنفسهم ادراكاً منهم ببطلانها، كبر مقتاً عند الله ان يقولوا ما لا يفعلون.

❖ التهافت على الكماليات:

التهافت على الكماليات واقتنائها، وترك الأولوية للأساسيات والضروريات ولّد معه الشقاء في كل مناحي الحياة، فغلاء المهور والتباهي بإقامة الحفلات الباهظة التكاليف، وحصرها في فنادق الخمسة نجوم وإقامة الولائم الى درجة الاسراف، جعل من هذه المظاهر عبئاً ثقيلاً على الشباب ودفعهم إما للعزوف عن الزواج، واما الالتفات على الاجنبيات وحتى المشركات، مع ما يجلب هذا التزاوج من مشاكل وهو من الخطورة على الاطفال من اختلاف في الدين والعادات والتقاليد والثقافة، واكثر خطورة ان بقيت الاجنبيات على الشرك، واصطحبن أزواجهن وأطفالهن الى الكنس والكنائس.. وهجر هؤلاء الازواج صلاتهم وصيامهم، وتنكروا لصلاة الجمعة والجماعة، فيصبح كل واحد منهم على دين خليله.

علاج هذا التهافت:

١- عدم المغالاة في المهور.

٢- وأد الحفلات في الفنادق ذات الخمس نجوم، وحتى على القادرين عليها لأنها مظهر من مظاهر الاسراف والتبذير مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾** الاسراء: ٢٧ .

٣- عدم التهافت على الكماليات من أثاث ولباس ومصاغ، فجميعها مظاهر دخيلة على ديننا وعاداتنا وأخلاقنا، وجميعها رياش وزينة يثقل كواهلنا، وخير الزاد التقوى وزينة الانسان بعقله وحكمته.

٤- تشجيع الزواج بين المواطنين ووضع تشريعات صارمة ضد الزواج من اجنبيات، بل وتحريم هذا الزواج من المشركات، ووضع قيود صعبة عليه ان كان من كتابيات، وسحب البعثات والمناصب الدبلوماسية ممن اختار مثل هذه الزيجات.

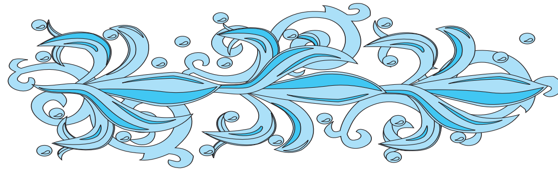
٥- انشاء صناديق الزواج والجمعيات الخيرية، وتشجيع الزواج الجماعي لتقليل التكاليف.

❖ المعيشة الضنكا:

المعيشة الضنكا ان تعيش الأسر بالفقر والحرمان والعوز والتشرد وسائر ألوان الشقاء، الضنك.. شقاء العيش بأشكاله وألوانه وأطيافه وأحجامه، ومرجعه الاعراض عن ذكر الله وتعاليمه، سواء كان هذا الاعراض بالتقصير في أداء اركان الاسلام، أو كان هذا الاعراض بالابتعاد عن تعاليم الاسلام ومبادئه السمحة، قال تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ❖ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ❖ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** طه: ١٢٤-١٢٦ .

فمن ترك تعاليم الاسلام وسن لنفسه سنة بعيدة عن مبادئ الاسلام.. فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، وله المعيشة الضنكا المملوءة بالشقاء والتعب والعوز والمرض وعدم الراحة في كل شيء.

سنة الله في خلقه التزاوج.. والله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، والزواج يجلب المصالح والرزق، ويدرأ المفاسد والفواحش.. هذا وبالله التوفيق.



فضل شهر شعبان وأحكامه

■ بقلم الاستاذة هبة عواد

شهر شعبان من الشهور التي جاءت السنة النبوية الشريفة بتعظيمه وتفضيله، إذ هو شهر متميز من شهور العام، وشعبان: هو اسم للشهر، وسمي بذلك لأن العرب كانوا يتشعبون فيه (أي يتفرقون) لطلب المياه وقيل: تشعبهم في الغارات.

قال ابن حجر -رحمه الله-: سمّي شعبان لشغلهم في طلب المياه أو الغارات بعد أن يخرج شهر رجب الحرام وقيل: لأنه شعب (أي ظهر) بين شهري رجب ورمضان، ويجمع على شعبانات وشعابين وقيل غير ذلك.

ومن رحمة الله أن النبي ﷺ قد بين لنا ما نصنع فيه مما يقربنا إلى الله عز وجل، حيث كان رسول الله ﷺ يحتفل به قبل شهر رمضان كما لم يكن يحتفل بأي شهر من شهور العام، هذا الشهر هو الشهر الذي ترتفع فيه الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى كما قال ﷺ: "هو الشهر الذي يرحم الله عز وجل فيه المسترحمين، ويغفر لعباده المستغفرين"، هذا الشهر شهر يعتق الله سبحانه وتعالى فيه أعداداً لا تحصى، لا يحصيها إلا هو عز وجل من النار.

ولقد روى أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ، أنه سأله قائلاً: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من شهور العام كما تصوم من شهر شعبان! فقال ﷺ: "ذلك شهر يغفل عنه كثير من الناس بين رجب ورمضان، وهو

شهر ترتفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل، فأحب أن يرتفع عملي إلى الله وأنا صائم"، رواه النسائي والحديث ذو سند صحيح.

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما من شهر أكثر صياماً لرسول الله ﷺ منه في شهر شعبان" وقد كان رسول الله ﷺ يكثر الصيام في شعبان، لأنه شهر تغفل الناس عن العبادة فيه؛ و ان أجر العبادة يزداد إذا عظمت غفلة الناس عنها، **وهذا مشاهد فأكثر الناس على صنفين:**

صنف انصرفوا إلى شهر رجب وأحدثوا فيه من البدع والخرافات، ما جعلهم يعظمونه أكثر من شعبان، والصنف الآخر لا يجتهدون في العبادة إلا في رمضان، وأن الأعمال ترفع إلى الله فيه، وأفضل عمل يجعل أعمال العبد مقبولة عند الله هو الصيام؛ وذلك لما فيه من الانكسار لله تعالى، ولما فيه من الافتقار إلى الله والذل بين يديه عز وجل.

وشعبان مقدمة لشهر رمضان فيجب أن يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من صيام، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان» وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان» البخاري.

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله: «وأما صيام النبي ﷺ من أشهر السنة فكان يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور» سبل السلام للأمير الصنعاني.

وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه ﷺ في شعبان على عدة أقوال: وهي أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره، فتجتمع فيقضيها في شعبان وكان النبي ﷺ إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها، وقيل: لأنه شهر يغفل الناس عنه: وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه: "ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان" رواه النسائي، صحيح الترغيب والترهيب ص٤٢٥، وقيل ايضاً: إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك، وهذا عكس ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول

الله ﷺ عن الصوم.

وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه، قضاه في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان -كما كان إذا فاتته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاه- فكانت السيدة عائشة حينئذ تغتنم قضاءه لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالعذر الشرعي، وكانت في غيره من الشهور مشتغلة بالنبي ﷺ، لهذا يجب التنبه على أن من بقي عليه شيء من رمضان الماضي، فيجب عليه صيامه قبل أن يدخل رمضان القادم ولا يجوز التأخير إلى ما بعد رمضان القادم إلا لضرورة (مثل العذر المستمر بين الرمضانين)، ومن قدر على القضاء قبل رمضان ولم يفعل فعليه مع القضاء بعده، التوبة وإطعام مسكين عن كل يوم، وهو قول الأئمة مالك والشافعي وأحمد.

فصيام شعبان ما هو إلا كالتمرين على صيام رمضان، حتى لا يدخل المسلم في صوم رمضان على مشقة، فقد ثبت علميا أن الجسم في أيام الصوم الأولى يبدأ باستهلاك مخزونه الاحتياطي من الدهون والبروتينات وغيرها، فينتج بسبب ذلك سموم تتدفق في الدم (هرمون الأدرينالين)، قبل أن يتخلص منها الجسم مع الفضلات، مما يؤدي إلى شعور الصائم ببعض الأعراض: كالصداع والوهن وسرعة الغضب وانقلاب المزاج وقد يشتم، مما قد يضطره لأن يترك الصيام أحيانا، وهذه الأعراض تزول بعد أن تعود نسب الهرمونات إلى وضعها الطبيعي في الدم خلال أيام من بدء الصوم -بإذن الله تعالى- (وهذا ملاحظ لدى الصائمين).

❖ فضل ليلة النصف من شعبان:

فقد ثبت في فضلها حديثان صحيحان ثابتان عن الرسول ﷺ حيث قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى جميع خلقه، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»، ومن حديث أبي ثعلبة الذي أخرجه الطبراني وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» رواه ابن ماجة، وسبب استثناء المشرك والمشاحن من المغفرة في هذا الحديث، بيان عموم مغفرة الله تعالى لجميع الخلق إلا من استثني، وهم صنفان: مشرك، ومشاحن.

ولنا مع هذين الحديثين وقفات منها:

● **أن الله يغفر فيها لكل عباده إلا المشرك،** فقد كان خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه السلام يخشى على نفسه الشرك، وعلى بنيه عبادة الأصنام، فمن دعائه قوله تعالى: **﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾** إبراهيم: ٣٥، وكان من دعاء الرسول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

● **خطورة الشحناء والبغضاء بين الناس،** وأن الله لا يغفر للمتشاحنين، والشحناء هي: حقد المسلم على أخيه المسلم بغضا له لهوى في نفسه، لا لغرض شرعي، فهذه تمنع المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة، وأما الشحناء فشرها عظيم، فقد خرج الرسول ﷺ ذات يوم يخبر ليلة القدر، فتلاحى رجلان فرفع خبرها ونبؤها، رفعت تلك البركة عن الأمة إلى قيام الساعة بسبب ملاحاة رجلين وخصومة اثنين من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فما ظننا بما يقع في أيامنا هذه من خصومات ومشاحنات بين المسلمين وبين الابن وأبيه، وبين الأشقاء ومن كان له مشكلة بالقضاء والمحاماة فأين هؤلاء جميعاً من الحديث الذي ذكره الرسول ﷺ ومن حديث مسلم الثابت عنه ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الخميس ويوم الإثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، يقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا».

❖ هل صيام شهر شعبان أفضل من صيام شهر رجب؟

قال ابن رجب رحمه الله : صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه، قال الإمام ابن رجب رحمه الله في بيان الحكمة من صيام شعبان: «وفيه معان، وقد ذكر منها النبي ﷺ: أنه لما اكتنفه شهران عظيمان: الشهر الحرام وشهر الصيام، اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأنه شهر حرام، وليس كذلك» لطائف المعارف.

إن هذا الحديث تضمن معنيين مهمين: أحدهما: أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وثانيهما: أن الأعمال ترفع وتعرض على رب العالمين، فأما كون شعبان تغفل الناس فيه عنه، فإن ذلك بسبب أنه بين شهرين عظيمين، وهما الشهر الحرام رجب، وشهر الصيام رمضان، فاشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر محرم، وهذا ليس بصحيح، فإن صيام شعبان أفضل من صيام رجب للأحاديث المتقدمة.

فقد كان النبي ﷺ يريد أن يؤخر العشاء لنصف الليل، وإنما علل ترك ذلك لخشية المشقة على الناس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده، فلا ندري أشيء شغله في أهل، أو غير ذلك؟ فقال حين خرج: «انكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة» رواه مسلم.

ولذا كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشائين بالصلاة ويقولون: هي ساعة غفلة، وكذلك فإن النبي ﷺ فضل القيام في وسط الليل لشمول الغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر كما قال: «إن افضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة في جوف الليل».

❖ البدع المشتهرة في شعبان:

- صلاة البراءة: وهي تخصيص قيام ليلة النصف من شعبان وهي مائة ركعة.
- صلاة ست ركعات: بنية دفع البلاء وطول العمر والاستغناء عن الناس.
- قراءة سورة ﴿يس﴾ والدعاء في هذه الليلة بدعاء مخصوص بقولهم: «اللهم يا ذا المن، ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام..».
- اعتقادهم ان ليلة النصف من شعبان هي ليلة القدر.. قال الشقيري: وهو باطل باتفاق المحققين من المحدثين (السنن والمبتدعات ١٤٦) وذلك لقوله تعالى: **﴿شهر رمضان﴾** وقوله تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾** وقال تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** وليلة القدر في رمضان وليس في شعبان.

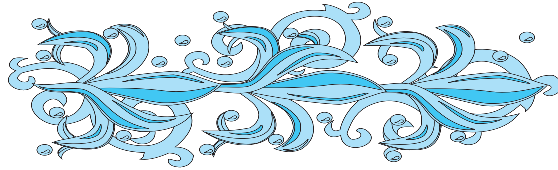
فهذا هو شهر شعبان فالكل بحاجة إلى أن ينتهز فرص تجليات الله تعالى على عباد الله بالرحمة، فالأوزار ثقيلة وهذه الاوقات

الثمينة التي أنبأ عنها رسول الله ﷺ، والتي يتجلى الله عز وجل فيها على عباده بالرحمة، فهذا هو السبيل لكي يرحم الله أمة محمد ﷺ مما قد أصابها.

انها فرصة عظيمة بين يدي شهر رمضان المبارك، تتمثل في هذا الشهر الذي يغفل عنه كثير من الناس كما قال رسول الله ﷺ، وتأمل وانظر في رحمة الله عز وجل، وانه لمن المفروض أن يكون العبد المسرف على نفسه المثقل بالأوزار هو السباق إلى باب الله عز وجل يطرقه ويستجدي منه المغفرة والصفح، ولكن الأمر يجري على العكس من ذلك، الله عز وجل هو الذي يلاحق عباده، هو الذي يلاحق التائهين المعرضين الغافلين السادرين في غيهم، يدعوهم إلى أن يعودوا فيصطلحوا معه، يدعوهم إلى أن يعودوا فيجددوا البيعة له، يدعوهم أن يعودوا إلى رحابه ليرحمهم وليغفر لهم وليحط عنهم أوزارهم وآصارهم.

تلك صورة من صور رحمة الله عز وجل بعباده، إنها لظاهرة تجعل الإنسان يذوب خجلاً من الله، بل محبة لله عز وجل أن يلاحق الله عز وجل عباده الشاردين التائهين العاصين له، العاكفين على أوزارهم في مثل هذا الشهر المبارك، ليقول لهم: أما آن لكم أن تعودوا، أما آن لكم أن ترفعوا رؤوسكم عن الغي قبل أن تنتهي الفرصة ويحين المعاد!!

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ



تعليم الشباب أدب الحوار..

الاختلاف مع العلماء مسؤولية الأسرة والإعلام

■ بقلم الأستاذ أيمن محمد خليل

إن جزءاً من أسباب الفجوة الحادثة بين الشباب والعلماء، هو ان كلاً منهم يعتقد انه على صواب والآخر هو المخطئ، إلا أنه يجب على الشباب ألا ينظروا هذه النظرة الى العلماء، ولا ينبغي على العلماء ان ينظروا الى الشباب من هذا المنظور.

فإذا لم يعرف العالِم أحوال أهل زمانه معرفة جيدة، يصبح من الصعب عليه ان يستجيب لاحتياجاته، حيث ان الشباب في العالم كله، يمر بأزمات خاصة تسمى أزمات الشباب، والتيارات المختلفة التي تجتاح الشباب في مختلف أنحاء العالم، تيارات متعددة ومتنوعة، تحتاج الى متابعة للإلمام بها، فإذا لم يلم العلماء بهذه التيارات التي يتعرض لها الشباب، فسيكون من الصعب عليهم ان يحسنوا التعامل مع الشباب.

لذلك حين يلتقي العلماء بالشباب، وهم في غيبة عن كل العوامل والأسباب والتيارات التي يتعرضون لها، لا تجد لهذه اللقاءات من صدى أو تأثير أو فائدة، وتظل الفجوة قائمة، لأن مرحلة الشباب مرحلة خطيرة ومهمة جداً، بل تحتاج أن يُحسن التخطيط لها، واستثمارها وتوجيهها، وإلا فإنها طاقة متفجرة، يمكن ان تتفجر في نفسها أو في غيرها، ما لم يسمع لأفكارهم وآرائهم ومقترحاتهم، ثم يأتي دور العلماء في التوجيه أو الرد على الأفكار والآراء والمقترحات بشكل مقنع وعقلاني، يستند الى الدليل.

◆ فهم مشكلات الشباب مسؤولية من؟

اذا كان مطلوب من الشباب المسلم ان يتعلم آداب الحوار والاختلاف مع العلماء، فكيف يستطيع العالِم او الداعية ان يفهم مشكلات الشباب؟!

لا شك انه مطلوب ان يتعلم الشباب المسلم آداب الحوار والاختلاف مع الدعاة والرموز الاسلامية، وان يجلسوا اليهم ليتعلموا ويناقشوا، وتعليم الشباب آداب الحوار وآداب الاختلاف مع العلماء، هي مهمة الأسرة والمدرسة والجامعة والنادي الثقافي والفكري، ومهمة الإعلام، ومهمة العملية التعليمية ككل، لكن السؤال هو: كيف يفهم العالِم الشباب ويستمع اليه؟!

ان الفجوة بين العالِم المسلم وبين الأمة هي فجوة واسعة، وهي ليست وليدة اليوم، ولم تنشأ في هذه المرحلة من مراحل تاريخنا، بل سبقتها بمراحل سابقة، ومن ثم يجب على الجامعات الاسلامية والكليات الشرعية في العالم الاسلامي، ان تعيد النظر في برامجها وفي عناصر المادة التعليمية كلها، التي تغذي أو تسهم في تكوين من نسميهم بالعلماء أو الفقهاء، لكي تصبح هذه المادة التي يتلقاها، قادرة على حسّن تكوينه، حيث يتنقل بين فصائل الأمة باختلاف اعمارها واختلاف توجهاتها، ويقدم لها ما هي بحاجة اليه، فإذا لم يتم هذا، يمكن ان تخف حدة العلاقة بين الشباب المسلم والعلماء، فالتحامل على الشباب واعتبارهم هم المقصرون بهذا الشأن! هو أمر بحاجة الى اعادة نظر.

وهناك مصطلحات جديدة ظهرت على الساحة الفكرية والثقافية، ذات الصلة بالفكر الاسلامي، منها مصطلح «أسلمة» أو «اسلامية المعرفة» ومصطلح «نحو فقه جديد» ومصطلح «تعريب العلوم»، فما التفسير لهذه المصطلحات، وهل من المحبذ اشاعتها وترديدها؟!

ان في انتشار هذه المصطلحات وترديدها وضرورة العمل بها، ظاهرة صحية في عالم الفكر الاسلامي المعاصر، فقد استجدت قضايا وأمور ومسائل غير التي كانت منتشرة في عصر النبوة أو السلف او التابعين، مثل قضية البنوك او شركات التأمين، او البورصة، او الاستنساخ، أو قضية نقل الأعضاء.. وغير ذلك، وكل هذه القضايا لا توجد في الفقه الموروث، ولم يتناولها الفقهاء القدماء، الأمر الذي يتطلب ان يكون لدينا فقيه ذو عقلية تعيش هذه القضايا الجديدة المستحدثة، وتتفاعل معها

ويهيئ لها الفتوى القائمة على الاجتهاد.

من أجل ذلك نحن بحاجة الى فقه جديد يناقش مشكلات الأمة والمستجدات التي طرأت عليها من خلال واقعها، وما نراه ان مشكلات الأمة الحالية، يفتي فيها عالم اجتماع، أو عالم في النواحي الطبية، أكثر مما يفتي فيها الفقيه.

أما مصطلح «أسلمة المعرفة» فهو مصطلح جيد وهو مطلب او مصطلح وافق عليه وعمل على تحقيقه، كثير من رموز التنوير والثقافة والفكر الاسلامي، منهم: الامام محمد عبده، وأحمد أمين، وأحمد الزيات، والشيخ الأفغاني، والشيخ رشيد رضا، كل هؤلاء كانوا يطالبون بإعادة بناء الثقافة او المعرفة الاسلامية على قواعدها وأصولها، حتى لا تنفصل المعرفة عن القيم الاسلامية، فتؤدي الى العلمانية، فجاء الاصلاحيون في هذا العصر، يريدون ان تكون «أسلمة المعرفة» في توافق وانسجام مع القيم الاسلامية، ويريدون معرفة لا تؤدي الى تناقض الغايات والمقاصد الاسلامية من خلال ربط المعرفة بالمصادر الشرعية والمعرفية من الكتاب والسنة، فاهتم الاصلاحيون بهذه القضية وما زالت مثار اهتمامهم من الأمس الى اليوم وغداً، باعتبارها هماً من هموم المسلم المعاصر.

أما مصطلح «تعريب العلوم» فهو غاية عظيمة نسعى اليها، ويجب ان يسعى اليه كل مخلص من ابناء العالم الاسلامي، فكتابة العلوم، كل العلوم بالعربية تحد يجب على جميع المؤسسات الثقافية والفكرية والعربية والاسلامية مواجهته، فترى اللغة العربية بين اللغات الأخرى تموت، فيجب ان نطالب في جميع اللقاءات الفكرية والثقافية والدولية بإحياء اللغة العربية، وضرورة كتابة البحوث والدراسات الدولية بها.

لذلك يعتبر العمل على تعريب العلوم، والجهود التي تبذل لتحقيق ذلك، هو جهاد في سبيل الله تعالى، لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهي لغة أهل الجنة، وان كتابة العلوم باللغة العربية، ضرورة ملحة أمام صراع الحضارات والثقافات التي يشهدها العالم.

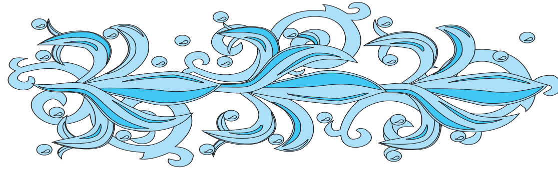
❖ كيف يمكن النهوض بالمستوى الفكري والتعليمي والثقافي في العالم العربي والاسلامي؟

النهوض بالمستوى الثقافي والتعليمي والفكري لأبناء الوطن العربي والأمة الاسلامية، قضية شغلت وما زالت تشغل اهتمام المثقفين والمفكرين ومسؤولي

التعليم والباحثين في العالم العربي والاسلامي، فهي قضية عمرها الآن خمسة عقود أو يزيد، وسيظل هذا السؤال مطروحاً، ولا ننكر ان لدينا نظاماً تعليمياً بحاجة الى مراجعة، والعملية التعليمية بعناصرها المختلفة هي ايضاً بحاجة ماسة الى مراجعة.

فالتعليم في الأمة لم يجر بشكل علمي مدروس، فمنا من يطالب بتعليم عادي، ومنا من ينادي بتعليم ديني، ومنا من ينادي بتعليم عسكري أو زراعي أو صناعي أو تجاري، وهذا كله لم يجر في اطار رؤية موحدة تستهدف تقديم توزيع نموذج معروف محددة معالمه، حيث نكون قد حددنا منذ البداية المواطن المسلم المتعلم المثقف الواعي لكل ما يدور حوله، هذه مواصفاته وهذه مؤهلاته.

ويجب ان نأخذ بتوصيات مؤتمر التعليم الاسلامي، الذي عقد منذ حوالي ٣٩ عاماً في مكة المكرمة، وهناك محاولات على مستويات مختلفة لاصلاح التعليم، لأن اصلاح التعليم والنهوض به والمستوى اللغوي والثقافي والفكري في العالمين العربي والاسلامي أمر خطير ومهم، ويحتاج الى تضافر الجهود، والى استنفار الطاقات، ويحتاج الى فاعلية واندفاع وإحساس من قبل اصحاب القرار، وقد آن الأوان لتطبيق بعض هذه الرؤى أو الأفكار أو الخطط أو البرامج، التي خرجت منها المؤتمرات والمنظمات، حتى يحدث التغيير والنهوض في نفسية الأمة، وأن تعود اليها عافيتها الثقافية والتعليمية والفكرية.



فن تنظيم وإدارة الاجتماعات

■ بقلم الاستاذ بلال تيسير أبو الزيت

تعتبر الاجتماعات جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمعات الانسانية، ولا يمكن أن تتصور بيئة عمل فاعلة ومنتجة دون اجتماعات فعالة، تحقق من خلالها الأهداف والطموحات والنمو.

ولقد اهتم الإسلام بالشورى لتحقيق مقاصد الشريعة السمحة، كونها من أكثر الموضوعات الإسلامية عمقاً وشمولاً، اذ هي منصوص عليها صراحة في القرآن الكريم، وأيدتها السنة النبوية المطهرة.

❖ **الشورى في القرآن الكريم:**

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾** آل عمران: ١٥٩ .

ففي هذه الآية نجد أن الأخذ بمبدأ الشورى قد جاء بصيغة الأمر الذي يتمثل في قوله تعالى: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يشاور الصحابة الكرام في الأمر، **وفي المشاورة أكثر من فائدة منها:**

- تأليف القلوب وإشاعة المودة نتيجة للمشاورة.
- تعود المسلمين على هذا النهج في معالجة ما استجد من الوقائع والأمور.

● تعلم المسلمين القدرة على اتخاذ القرار المناسب في حياتهم الدينية والاجتماعية.

● المشاركة في ابداء الرأي.

● تعزيز عرض الحوار بين أهل الحل والعقد.

وقال تعالى: **﴿ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور﴾** الشورى: ٣٨، وفي هذه الآية يبين الله تعالى أن الشورى هي إحدى الدعائم الهامة، التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، بل العالم الإنساني وما حملت سورة الشورى هذا الاسم إلا لبيان العناية بالحوار واستماع الرأي الآخر والتنبيه إلى أهميته.

كما وردت الشورى في سورة طه قال تعالى: **﴿واجعل لي وزيراً من اهلي ❖ هارون أخي ❖ اشدد به أزري ❖ وأشركه في أمري﴾** طه: ٢٩-٣٢، وفي سورة النمل قال تعالى: **﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون﴾** النمل: ٣٢ .

والقرآن الكريم يعلمنا أفضل الأساليب في الإقناع، التي تلين القلوب وتحول الأعداء الى اصدقاء، وذلك يحتاج الى الصبر والإيمان لتجنب الخصومات والقضاء على الخلافات، فالقرآن الكريم بهذا الأسلوب يهدي الناس الى ان يحتكموا الى الحق، والى ان يتبعوا الطريق الصحيح، وهو طريق المحاورة حتى لا يضلوا فيسلكوا طريق القوة دون مبدأ مشروع أو منطق مقبول.

❖ بعض أشكال الحوار في القرآن الكريم:

الاسلام دين الحوار، لأن البشر متفاوتون في أفكارهم ومواقفهم ومصالحهم وأمزجتهم، وليس كالحوار من وسيلة فعالة لتوسيع رقعة التفاهم، وايجاد عناصر الالتقاء بين الناس، لهذا وضع الاسلام قواعد الحوار العلمي، ورسم أهميته بحيث لا يعدم المحاور قاعدة منطقية مقبولة للحوار إلا ووجد لها مستنداً في القرآن الكريم او السنة المطهرة، **ومن أنواع الحوار في القرآن الكريم:**

● حوار الرسل مع بعضهم كحوار موسى وهارون عليهما السلام.

● الحوار بين الملائكة الذين تمثلوا في صورة البشر وكل من ابراهيم وامرأته، ولوط، ومريم عليهم السلام.

● الحوار بين سليمان ﷺ وكل من النملة

والهدهد.

- الحوار بين الانسان والشيطان، وبين الإنسان والإنسان من الأغنياء والفقراء.
- حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة.
- حوار الله سبحانه وتعالى مع الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.
- حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس عليه لعنة الله.
- حوار الله سبحانه وتعالى مع الأقوام عن طريق الرسل.
- حوار الله سبحانه وتعالى مع الإنسان كإنسان.
- حوار الرسل مع أقوامهم.
- حوار الإنسان مع الجماد، مثل حوار الإنسان مع أعضائه التي تشهد عليه وتنطق يوم القيامة.

❖ الشورى في السنة النبوية:

والسنة النبوية الشريفة جاءت مفسرة ومتممة للقرآن الكريم، وهو المصدر الأول في التشريع وقد لخصت السنة الفعلية بما ثبت أن الرسول الله ﷺ شاور أصحابه في مواقف كثيرة، ونجد الكثير من الأمثلة على ذلك في كتب التفسير والحديث والتاريخ،

وقد عبَّر عن ذلك أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "لم يكن احد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ" فكان يستشيرهم في الحرب والسلم بل وفي خاصة أمره فقد روي عنه في حادثة الافك قوله ﷺ: (أشيروا علي يا معشر المسلمين في قوم آذوا أهلي)، واستشار عليّاً وأسامة بن زيد في فراق عائشة رضي الله عنهم وهناك أمثلة عديدة مثل غزوة بدر حيث استشار الرسول ﷺ أصحابه في ثلاثة مواقف:

الأول: قبل أن تبدأ المعركة **والثاني:** أثناءها **والثالث:** بعد انتهائها في مصير الأسرى، فلم يصدر إليهم الأمر بالحرب دون مشاورتهم ولو فعل لوجد منهم الطاعة بلا ريب أو شك.

وهناك مواقف عديدة استشار بها رسولنا ﷺ منها في غزوة احد وصلح الحديبية واستشارهم في الخروج الى أحد وغزوة الأحزاب أو القتال داخل المدينة فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق.. وهكذا كان رسولنا ﷺ يستشير أصحابه في معظم المواقف التي تهم أمور المسلمين.

والاجتماع ما هو الا صورة من صور الحوار والشورى، **وسأقتصر في هذا المقال**

على تناول الجانب الإداري في اجتماعات المؤسسات العامة، والخاصة، وعليه فلا بد لنا من توضيح الامور التالية، حتى تكون الاجتماعات محققة لأهدافها في التطوير والتحديث والتقدم والنماء، والتقييم لما تم انجازه من حيث الارتقاء بالعمل والاستفادة من التجارب والخبرات.

❖ الاجتماع:

هو لقاء بين إثنين أو أكثر بهدف التشاور واتخاذ القرارات المناسبة، أو تحليل مشكلة وقد يكون بينهم اتصال شفوي أو كتابي، و يكون الاجتماع فعالاً عندما يحقق أهدافه المطلوبة في وقت قصير، وتكون نتائجه لمصلحة العمل مرضية لجميع المشاركين، ويعقد في مكان وموعد محدد مسبقاً، معلن عنه قبل فترة أو أيام أو أشهر من موعد انعقاده، والأجندة التي سيتناولها، وأحيانا يعقد لمواجهة طارئ.

❖ قبل الاجتماع: الحاجة للاجتماع:

هل هناك حاجة للاجتماع؟ فإن لم يكن هناك حاجة، فالواجب أن لا نضيع ونهدر الوقت دونما فائدة ؟؟ أما إن كانت هناك حاجة حقيقية فينبغي عدم التردد في عقد الاجتماع.

❖ الهدف وجدول الأعمال:

يجب تحديد الهدف من الاجتماع والنقاط التي ستتم مناقشتها (جدول الأعمال، او أجندة الاجتماع) وان لا نحاول مناقشة العديد من المواضيع المتفرقة التي تحتاج وقتاً طويلاً والتي لا تخص كل المجتمعين، فالاجتماع يتيح تبادل الخبرات، ونقل المعلومات، ومناقشة المواضيع، ومن وجهات نظر وزوايا مختلفة، او اتخاذ قرارات تحتاج الى مشاركة جماعية.

❖ أما عن جدول الأعمال:

فهو عبارة عن قائمة (ترتب فيها الموضوعات بتسلسل حسب أهميتها) التي ستطرح في الاجتماع لمناقشتها وعادة ما يكون هناك الجدول مرنا بحيث يسمح بمناقشة أي موضوع لم تتضمنه القائمة تحت عنوان (ما يستجد من أعمال).

أ- هناك عدة اعتبارات ينبغي أن تراعى عند إعداد جدول الأعمال ومن أهمها:

- أن يعد الجدول قبل موعد الاجتماع بوقت كاف.
- أن يكون لجدول الأعمال نظام معين ينبغي إتباعه في كل مرة.

ب- ويمكن أن يشتمل جدول الأعمال على العناصر التالية:

- كلمات الترحيب والتحية ممن يترأس الاجتماع، خصوصاً عندما يكون هناك أعضاء جدد.
- التصديق على محضر الاجتماع السابق.
- الموضوعات المؤجلة من الاجتماعات السابقة.
- الموضوعات الجديدة المطروحة.
- ما يستجد من أعمال.
- إنهاء الاجتماع بشكر الحاضرين.

❖ المدعوون (المشاركون):

لا بد من تحديد الأسماء أو الوظائف التي نحتاج إلى دعوتها للاجتماع، ومن المهم ألا ندعو أحداً لا علاقة له بالموضوع، أو من لا يستفيد أو يفيد من حضوره الاجتماع، وعلينا أن لا ننسى أن ندعو شخصية أو جهة لها دور كبير في الاجتماع، لماذا؟ لأن دعوة شخص للاجتماع دون أن يكون هناك سبب جيد لحضوره يؤدي إلى ضياع وقت هذا الشخص، وربما يؤدي إلى عدم شعوره والآخرين بجدية الاجتماع، علاوةً على أن زيادة عدد الحاضرين يعني صعوبة أخذ الفرصة للحديث والتعبير عن الرأي بشكل جيد، أما عدم دعوة شخص له تأثير كبير في الاجتماع فإنه سيؤدي إلى عدم الوصول إلى الهدف من الاجتماع، نتيجة عدم وجود ذلك الشخص الذي نحتاجه لنعرف منه معلومات مهمة، أو نستشيره في القرار، أو نحتاج إلى موافقته على القرار، وبالتالي سنضطر إلى عقد الاجتماع مرة أخرى أو اتخاذ قرارات غير سليمة سرعان ما نسعى لتغييرها.

وعندما يكون عدد المشاركين في حدود عشرة أفراد أو أقل، يكون الاتصال ايجابياً بصورة اكبر وهو ما يرمز إليه بعلم الاتصال أي أن الأسهم الصادرة والواردة من الافراد المشاركين اكثر والتفاعل جيد، أما عند زيادة العدد فإن تنظيم الاجتماع يكون أصعب والوقت المتاح لمشاركة كل شخص أقل.

❖ الزمــان:

يجب تحديد زمن الاجتماع بما يتناسب مع وضع المشاركين، فلا بد ان يكون مناسباً لطبيعة أعمالهم وأن يتم تجنب وقت الذروة في العمل حتى لا يؤثر الاجتماع على طبيعة عملهم وتأخير انجاز معاملات المراجعين الذين يحضرون أحياناً من أماكن بعيدة، وإن كان من الأفضل عقد الاجتماع بعد نهاية الدوام الرسمي.

❖ مبررات عقد الاجتماعات:

مما ينبغي التأكيد عليه أن الاجتماع ليس هدفاً بحد ذاته، لذا يجب أن تتوافر أسباب كافية مقنعة لعقد أي اجتماع حتى لا يكون روتينياً، وإلا فسيصبح الاجتماع قتلاً للوقت، والجهد، والمال، وتتخذ قرارات عشوائية لا تصب في مصلحة العمل، ولا تنهض بمسؤولية.

ومن هنا يبرز السؤال: لماذا تعقد الاجتماعات ومتى ينبغي ان تتم الدعوة اليها؟

❖ من أهم الأسباب والمبررات التي تدعو لعقد الاجتماع:

- وجود مشكلة أو قضية تحتاج الى رأي جماعي.
- وجود قضية أو قضايا تتطلب المتابعة والتقويم المستمر.
- بروز ما يدعو لتغيير الوضع القائم وتطويره.
- الرغبة في تدريب أعضاء الاجتماع وتنمية مهاراتهم الإدارية، والفنية، وزيادة معارفهم ومعلوماتهم ،وتغيير قناعاتهم واتجاهاتهم لبعض الأمور.
- الرغبة في تنشيط أفكار، وآراء، وخبرات، ومعلومات المشاركين في الاجتماع .
- الرغبة في تحقيق التعارف، والتآلف بين أعضاء الاجتماع.
- التنسيق بين مهام ومسؤوليات وسلطات أعضاء الاجتماع، وتوحيد جهودهم ومواقفهم.

❖ أهمية الاجتماع:

- إتاحة الفرصة للمشاركين للتشاور والتعبير عن آرائهم.
- إعطاء الفرصة لتنمية العلاقات الإنسانية.
- المساعدة في تنمية التعاون بين العاملين.
- إعطاء الفرصة للمجتمعين للإطلاع على ما يدور داخل المؤسسة.
- رفع المعنويات التي تشجع على العمل الجاد مما يزيد من كفاءة وعطاء العاملين.

❖ خصائص الاجتماع الناجح:

- أن يتم تبليغ أعضاء الاجتماع قبل موعد انعقاده بوقت كاف.
- استعداد المجتمعين للمواضيع التي ستطرح خلال الاجتماع وذلك عن طريق تزويدهم بمحضر الاجتماع مسبقاً.
- عدم تقارب فترات انعقاد الاجتماعات الا

للضرورة.

● أن يكون وقت الاجتماع مناسباً للمجتمعين.

● أن يكون عدد المجتمعين مناسباً لطبيعة الاجتماع وهدفه.

● أن يكون مكان الاجتماع مناسباً من حيث الإضاءة والتهوية والوسائل التي قد يحتاج اليها المجتمعون.

● أن تتاح الفرصة لكل مشارك في الاجتماع في تحديد فقرات جدول الأعمال.

● أن تتاح الفرصة لكل مشارك في إبداء الرأي أو أي مداخلة.

● أن توضع قرارات الاجتماع في موضع قابل للتنفيذ.

● أن يبدأ الاجتماع في وقت محدد ، وينتهي بوقت محدد ما أمكن.

❖ سلبيات الاجتماع:

بالرغم من أهمية الاجتماعات ودورها المؤثر في التطوير واتخاذ القرارات وحل المشاكل، إلا أن لهذه الاجتماعات بعض السلبيات التي يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

● **التكلفة المالية:** خاصة إذا كان الأعضاء يتوزعون في مناطق متباعدة، أو عندما يتطلب الاجتماع بعض التجهيزات الإدارية والفنية، او الاستعانة بالخبراء المختصين من خارج المؤسسة.

● **التكلفة البشرية:** فالاجتماع يتطلب جهوداً بشرية مما قد يعطل الاستفادة من هذه الجهود في أمور أخرى في مجال عملهم.

● **الاجتماعات تستغرق وقتاً طويلاً:** إذا لم يتم إدارة الاجتماع بطريقة سليمة فإن اوقاتاً كثيرةً قد تهدر دونما الحصول على فائدة.

● **إثارة الخلاف:** تتسبب الاجتماعات (أحيانا) في إثارة الخلاف والنزاع بين الأعضاء نتيجة الجدّية في النقاش، أو عدم احترام الرأي الآخر، والإصرار على الرأي، وعدم التعامل الحسن بينهم، وهذا يكون خارج مصلحة المؤسسة.

● **كثرة الجدل:** يؤدي إلى صعوبة اتخاذ القرار، والذي بدوره يؤدي الى تعليق الموضوعات وتأخير البت فيها، ومن ثم تعطيل الخطوات التنفيذية لها، **ولا سيما إذا كانت هناك خلافات شخصية بين بعض الأعضاء المشاركين في الاجتماع، فيعمل بعضهم الى مخالفة البعض الآخر لا لشيء، إلا لسوء العلاقات الشخصية بينهم وللرغبة في الانتصار للنفس،**

وإظهار الخصم ولو كان محقاً بمظهر المهزوم المخطئ الذي لا يُحسن شيئاً!!.

● **تعقيد القضايا السهلة:** خاصة إذا كان بعض المشاركين ممن يتصف بالمثالية المفرطة عن الواقعية، كأن يميل بعضهم الى الفلسفات والنظريات التي ربما لا تتحملها طبيعة الاجتماع.

وهناك أمور هامة لا بد من الحديث عنها، والتي تساعد في إنجاح إدارة الاجتماعات منها:

❖ تشجيع المناقشة:

المناقشة الناجحة تعتمد على مساهمات المشاركين، وأن يدلي كل مشارك برأيه بنوع من الحرية في عرض الأفكار، كما أن الطرح الأمثل للأسئلة هو الذي يثري المناقشة، وهي على النحو التالي:

● **عامة:** وهي التي تفتح مجالاً واسعاً لردود الفعل المتوقعة، وهي أقل خطورة.

● **محددة:** وهي التي تركز على فكرة محددة، وقد تكون محرجة ولكن تستخدم بعد الاطمئنان ورفع الحرج.

● **غير مباشرة:** وهي التي يتم توجيهها إلى المجموعة مباشرة، وهي أقل خطورة

● **مباشرة:** وهي التي يتم توجيهها الى شخص معين، وقد تكون مربكة، ولكن تستخدم بعد الاطمئنان بعدم الإرباك.

❖ معالجة المواقف الصعبة:

تعتمد الاجتماعات على التفاعل بين المشاركين، لذا يتوقع حدوث بعض المواقف التي من شأنها أن تقلل من فاعلية الاجتماع، ومنها:

● **محاولة أحد الأشخاص السيطرة على المناقشة:** والعلاج يكون بالحديث انفرادياً إلى هذا الشخص "المسيطر" بأن يعطي الفرصة الى غيره من المشاركين.

● **رغبة أحد الأشخاص في الجدل:** والعلاج يكون باتخاذ موقف مباشر من قبل الرئيس يبين له بأنه يضيع وقتاً ثميناً باعتراضاته التي تقاطع سير الاجتماع باسلوب غير محرج.

● **قيام أحد الأشخاص بإجراء مناقشة أخرى مع من يجلسون بجواره:** والعلاج يكون بصمت الرئيس والنظر إلى هذا الشخص، وعادة ما يؤدي ذلك إلى إعادة النظام الى الاجتماع.

❖ إدارة الخلافات:

تعتبر الخلافات ظاهرة صحية لاختلاف

وتباعد تفكير ونفسيات المشاركين في الاجتماعات، وهذه الخلافات فيها جانب إيجابي، فإذا تجاوزنا الجانب السلبي وركزنا على الجانب الإيجابي، فسوف نجد أن الموقف أو المشكلة سوف يطرح فيها العديد من الآراء والأفكار ووجهات النظر مما يثري ساحة الاجتماع بحلول عديدة، لذلك يتحمل رئيس الاجتماع دوراً مهماً في إدارة الخلافات خصوصاً الجوانب الإيجابية.

❖ ما الذي يسبب الخلاف؟:

ينشأ الخلاف عادة عند تعارض رغبات أو وجهات النظر سواء على المستوى الجماعي او الفردي وقد يرجع الخلاف إلى:

- سوء الاتصال، وذلك بعدم الاستماع الجيد بقصد، أو غير قصد، أو عدم التركيز، او سوء فهم وجهة نظر الآخرين، أو عدم احترام رأي الآخرين.
- اختلاف المفاهيم بين شخصين حول نفس التجربة، لأنَّ لكلٍّ منهما وجهة نظر.
- اختلاف القيم بين الأشخاص يحدد قبول أو رفض وجهات النظر أو الآراء.
- اختلاف النتائج المفضلة بحيث يريد كل شخص حلاً مختلفاً لنفس المشكلة.

❖ معالجة تباين وجهات النظر:

لعلاج الخلاف أثناء الاجتماع هناك عدة أساليب منها:

- **المواجهة:** بحيث يبيّن كلّ شخص رأيه بحرّية تامة، وتتطلّب المواجهة جهداً إنفعالياً وذهنياً.
- **التسوية:** ويقصد بها الوصول إلى تسوية مرضية للأطراف المشاركة.
- **التهدئة:** ويقصد بها تهدئة الحوار، والمحافظة على العلاقات، وغالباً ما ينتهي الاجتماع دون ايجاد حل.

❖ معالجة المواجهة أثناء الاجتماعات:

هناك أساليب إيجابية لتجنب أو تدارك الخلاف أثناء الاجتماع ، فعندما ينشأ اختلاف في وجهات النظر يجب العمل بما يلي:

- توضيح الأهداف والوصول إلى اتفاق حولها.
- الحث على الفهم والتركيز على وجهة النظر المختلفة.
- التركيز على الاعتبارات المنطقية من حقائق، وحجج وبراهين، وطرح المشاكل والحلول الممكنة.

● إيجاد البدائل وذلك بتقديم بدائل من قبل المشاركين لتلافي الخلاف.

● جدولة المشكلة وذلك بتدوينها وجدولتها للدراسة والبحث في اجتماعات قادمة لحفظ ماء الوجه.

● استخدام الأسلوب المرح والذي يفيد في تخفيف حدة الموقف، ويمهد الطريق لحل المشاكل وتفهم وجهات النظر الأخرى.

❖ المشارك الناجح في الاجتماع يقوم بما يلي:

● الاستعداد للاجتماع.

● يقدم الأفكار للمناقشة.

● يستمع إلى أفكار وطروحات الآخرين.

● يدرس المشكلة بموضوعية.

● يساهم في السلوك المنضبط للاجتماع.

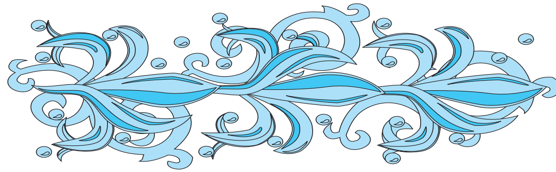
● يقدم المعلومات الإسترجاعية إلى رئيس الاجتماع.

● ينفذ الإجراءات المتفق عليها.

وهكذا فإن الاجتماع الناجح هو الذي يؤدي إلى التفاعل المعرفي، وتبادل الخبرات وحُسن الاستماع وعدم الانفعال مع المشاركين، بحيث لا نعطي ردود فعل سريعة ومباشرة قبل انتهاء المتحدث من التعبير عن رأيه، وأن يسود النقاش الاحترام المتبادل والصدق بعيدين عن الإساءة والتجريح ، وأن يتحلى من يرأس الاجتماع بالهدوء والشفافية والبشاشة والمحبة والمسؤولية والرعاية وإنكار الذات، والعمل لما يحقق مصلحة المؤسسة والعمل على النهوض في مستوى الأداء، ويحقق الأهداف والتطلعات التي تسعى المؤسسة للوصول اليها.

المراجع:

١- كتاب إدارة الوقت الدكتور نادر احمد ابو شيخة المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج.



الدهر قربنا الى جوف الثرى

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

ذهب الزمان بعمرنا فتكدرا … والدهر قربنا الى جوف الثرى
فاطو الغطاء فما أظنك نائماً … هل بعد هذا العمر قلبي يعذرا
فاز الذي أحيا الحياة مشمراً … في طاعة الرحمن غامرَ واشترى
واعلم بأن البيع رابح يا أخي … والصيد كل الصيد في جوف الفرى
واغسل ذنوب القلب بالماء الذي … متدفق يا صاح من نبع الذرى
وادع الكريم هداية تحيا بها … واسع الى فرض الصباح مبكراً
وانو الصلاة بخشية وتأدب … والحمد فاقرأ والقصار وما ترى
واركع الى رب كريم منعم … واحمد إلهك في الركوع موقراً
ثم استو من بعد حمدك قائماً … واهو الى فعل السجود مكبراً
مرغ جبينك خاشعاً متذللاً … واعلم بأن الكبر أمراً يحذرا
سبح إله الكون في عليائه … وانس الدنا وثق بخالق العرى
صحح مسيرك بالصلاة فإنها … سنن الهدى من قبل جسمك يقبرا
وابك على نفس رمتك بغفلة … عن طاعة المولى وربك فاشكرا
والله لم يُخلق أباك لغاية … إلا لطاعة مبدع الدنيا ارى
في كل يوم من زمانك عبرة … هلا اعتبرت بذي الحياة وما جرى
ماذا عليك اذا سعيت لقربة … في بذل مال في المدائن والقرى
وازرع جميلك في الأنام فإنه … يبقى الجميل بأرض خيرك أخضرا
خلق الكريم من البيان نصيبه … والعبد يرضى والمودة تؤجرا
بل عود الوجه الوضيء بشاشة … واصفح عن المخطئ فمثلك يقدرا
هذي سمات الخيرين بعيشهم … حتى وان غاب الكريم سيذكرا
ان النفوس الطيبات يزينها … قول جميل ان قولك مثمرا
واذكر نبي الله وانهج نهجه … طه الشفيع الى العباد مبشرا
صلى عليك الله يا علم الهدى … عد النجوم وما تفيض الأنهرا
في عيد مشكاة الهداية أحرفي … طه الحبيب المرتجى خير الورى
تشذو من الخفاق أجمل باقة … شعراً على صفح الجرائد ينشرا



خطبة الجمعة

مفاتيح القلوب

بقلم الشيخ هادي محسن

أما بعد: أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته فإنها سبيل النجاة في الدنيا والآخرة حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يطع اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

عباد الله: لا يستطيع الإنسان أن يعيش في معزل عن الناس، والانسان اجتماعي بطبعه، لكن ما هي الوسائل التي يتبعها حتى يجذب قلوب الناس إليه ليعيش معهم عيشة السعداء؟ إن هناك مفاتيح للقلوب تفتحها مهما كان إغلاقها، وهذه المفاتيح هي وسائل وفضائل تستعطف بها القلوب، وتستر بها العيوب وتستقال بها العثرات، وهي صفات لها أثر سريع وفعّال على القلوب، إذا تحلى بها الإنسان عاش بين أهله ومجتمعه في أعلى مكان: وأهمها ما يلي:

❖ المفتاح الأول: الابتسامة:

قالوا: هي كالملح في الطعام، وهي أسرع شيء تملك به القلوب وهي مع ذلك عبادة وصدقة، «فتبسمك في وجه أخيك صدقة»

كما في الترمذي، وقال عبد الله بن الحارث: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»، ولكن هناك فئة من البشر لا يعرفون الابتسامة حتى في لقاء الأحباب، فتراه يصافحك أو يعانقك وهو شاحب الوجه، مقطب الجبين، حتى تظن أنه أصابه مكروه، أو أنه يعاني من ألم والعياذ بالله.

إنه بهذه الصورة يذهب حرارة اللقاء وصفاء الأجواء، وكأنك قدمت لتعزيته ولم تكن قادما لتهنئته والاستئناس به.

❖ المفتاح الثاني:

البدء بالسلام: والسلام يا عباد الله: مفتاح مختص بسويداء القلب فأحسن التسديد ببسط الوجه والبشاشة، وحرارة اللقاء وشد الكف على الكف، والمعانقة إذا كان قادماً من بعيد أو سفر، وهو أجر وغنيمة وخيرهم الذي يبدأ بالسلام، قال بعض السلف: «خرجت مع ابن عمر فما لقي صغيراً ولا كبيراً إلا سلم عليه»، وقال الحسن البصري: «المصافحة تزيد في المودة» والنبي ﷺ يقول: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»، وفي الموطأ أنه ﷺ قال: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء».

❖ المفتاح الثالث:

الهدية: ولها تأثير عجيب فهي تملك السمع والبصر والقلب، وما يفعله الناس من تبادل الهدايا في المناسبات وغيرها، أمر محمود بل ومندوب إليه، على أن لا يكلف نفسه إلا وسعها، ولا تخرج الهدية عن مسماها، فترى البعض يبالغ في الهدية حتى يكسر ظهر أخيه المسكين إذا أراد أن يرد له هدية مثلها.

❖ المفتاح الرابع: الصمت وقلة الكلام

إلا فيما ينفع: وإياك وارتفاع الصوت وكثرة الكلام في المجالس، وعليك بطيب الكلام ورقة العبارة «فالكلمة الطيبة صدقة» كما في الصحيحين، ولها تأثير عجيب في كسب القلوب والتأثير عليها حتى مع الأعداء فضلاً عن إخوانك وبني دينك،

فهذه عائشة رضي الله عنها قالت لليهودي عندما قال لهم: السام عليكم قالت هي: «وعليكم السام واللعنة» فقال لها رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله» متفق عليه، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بحسن الخلق وطول الصمت فو الذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما» أخرجه أبو يعلى والبزار وغيرهما.

❖ **المفتاح الخامس: حسن الاستماع وأدب الإنصات:** إن من المفاتيح المهمة في حياة القلوب هي عدم مقاطعة المتحدث فقد كان رسول الله ﷺ لا يقطع الحديث حتى يكون المتكلم هو الذي يقطعه، ومن جاهد نفسه على هذا أحبه الناس وأعجبوا به بعكس الآخر كثير الثرثرة والمقاطعة، فإنه يبقى مكروها ممقوتا بين الناس، يقول عطاء رحمه الله: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد».

❖ **المفتاح السادس: حسن السمت والمظهر:** عباد الله: إن جمال الشكل واللباس وطيب الرائحة، تفتح قلب أخيك لك فالرسول ﷺ يقول: «إن الله جميل يحب الجمال» وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إنه ليعجبني الشاب الناسك نظيف الثوب طيب الريح»، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «إني ما رأيت أحداً أنظف ثوبا و لا أشد تعهدا لنفسه وشاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا وأشده بياضا من والدي أحمد بن حنبل».

❖ **المفتاح السابع: بذل المعروف وقضاء الحوائج:** وهذا أيها المسلمون من أقوى مفاتيح القلوب التي لها تأثير عجيب صوره الشاعر بقوله:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

بل تملك به محبة الله عز وجل كما قال ﷺ: «أحبُ الناس إلى الله أنفعهم للناس»، والله عز وجل يقول: «وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

فيا عجباً لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه، ومن

انتشر إحسانه كثر أعوانه.

❖ **المفتاح الثامن: بذل المال:** والمال عصب الحياة يا عباد الله، وهو مفتاح لكثير من القلوب خاصة في مثل هذا الزمان، والرسول ﷺ يقول: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار» ولعل أكبر دليل على ذلك ما روي أن صفوان بن أمية، فر يوم فتح مكة خوفا من المسلمين، بعد أن استنفد كل جهوده في الصد عن الإسلام والكيد والتآمر لقتل رسول الله ﷺ، فأعطاه الرسول ﷺ الأمان فيرجع إلى النبي ﷺ، ويطلب منه أن يمهله شهرين للدخول في الإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: بل لك تسير أربعة أشهر، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين والطائف كافراً، وبعد حصار الطائف وبينما رسول الله ﷺ ينظر في الغنائم يرى صفوان يطيل النظر إلى وادٍ قد امتلأ نعماً وشاء ورعاء.

فجعل ﷺ يرمقه، ثم قال له: يعجبك هذا يا أبا وهب؟ قال: نعم، قال له النبي ﷺ: هو لك وما فيه، فقال صفوان عندها: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

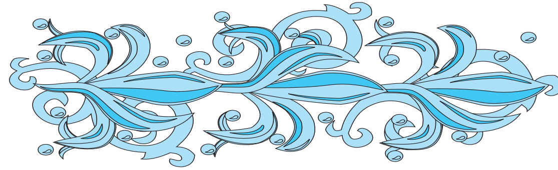
لقد استطاع الحبيب ﷺ بهذه اللمسات وبهذا التعامل العجيب أن يصل لهذا القلب بعد أن عرف مفتاحه، فلماذا هذا الشح والبخل؟ ولماذا هذا الإمساك العجيب عند البعض من الناس؟ حتى كأنه يرى الفقر بين عينيه كلما هم بالجود والكرم والإنفاق.

❖ **المفتاح التاسع: إحسان الظن بالآخرين والاعتذار لهم:** فما وجدت طريقا أيسر وأفضل للوصول إلى القلوب منه، فأحسن الظن بمن حولك وإياك وسوء الظن بهم وأن تجعل عينيك مرصداً لحركاتهم وسكناتهم، فتحلل بعقلك التصرفات، ويذهب بك كل مذهب، وإذا حصل منك خطأ في حق الآخرين فاطلب العفو واعتذر، فقد قال ابن المبارك: «المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق

يطلب عثراتهم».

❖ **المفتاح العاشر: أعلن المحبة والمودة للآخرين:** فإذا أحببت أحداً أو كانت له منزلة خاصة في نفسك، فأخبره بذلك فإنه سهم يصيب القلب ويأسر النفس ولذلك قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه» كما في صحيح الجامع، وزاد في رواية مرسلة: «فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة»، لكن بشرط أن تكون المحبة لله، وليس لغرض من أغراض الدنيا كالمنصب والمال، والشهرة والوسامة والجمال، فكل أخوة لغير الله هباء، وهي يوم القيامة عداء، «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» والمرء مع من أحب كما قال ﷺ -يعني يوم القيامة-.

إذاً فإعلان المحبة والمودة من أعظم الطرقِ للتأثير على القلوب، فإما مجتمع مليء بالحب والإخاء والائتلاف، أو مجتمع مليء بالفرقة والتناحر والاختلاف، لذلك حرص ﷺ على تكوين مجتمع متحاب، فآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى عرف أن فلانا صاحب فلان، وبلغ ذلك الحب أن يوضع المتآخيين في قبر واحد بعد استشهادهما، في إحدى الغزوات، بل أكد ﷺ على وسائل نشر هذه المحبة، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم



تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد التاسع - المجلد ٥٣

رمضان ١٤٣٠هـ - آب ٢٠٠٩م

❖ ❖ ❖



ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد التاسع ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

في رحاب سيد

قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

ان هذا الشهر المبارك نفحة ربانية من نفحات الله المباركة التي منحها لهذه الأمة، قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «إن لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لنفحات ربكم وأسألوا الله من فضله».

ففي شهر رمضان يفتح الله خزائن رحمته وفضله واحسانه وغفرانه ويضاعف فيه الاجر لمن اطاعه، وتعرض لنفحاته، وتوجه الى الله خالقه ورازقه ودعاه بقلب خاشع ودعاء صادق، في هذا الشهر العظيم يتجلى الله على عباده بالرحمات ويخصهم فيه بالبركات، ويزيدهم فيه من الخيرات، قال الحبيب محمد ﷺ: «أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمة قبلهم (الاولى) خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك (الثانية) تستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا (الثالثة) يزين الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا اليك، (الرابعة) يصفد فيه مردة الشياطين، فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره، (الخامسة) يغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يارسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل انما يوفى اجره اذا قضى عمله».

فهنيئا لمن ادرك رمضان واطاع الرحمن، وشمله رب العزة والجلال بالصفح والعفو والغفران وفتح له ابواب الجنان.

وطوبى لمن قوم نفسه، وهذب طباعه، وامر بالمعروف اهله، وبذل في سبيل الله ماله، وقام ليله وطهر قلبه، وغذى روحه.

فليس الصيام الحق ان نمسك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات بل ان الصيام الحق ان نمسك عن كل ما يؤذي الناس بالقول والعمل.

الشهور وأفضلها

ان الصوم الحق يكون بالابتعاد عن كل معصية وخطيئة، والامساك عن الشر والفساد والانحلال.

الصوم غض للبصر، وحبس للسان عن نافلة الكلام وذكر للرحمن وتلاوة للقرآن وتسبيح لله الواحد الديان وفي الحديث الشريف: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك».

الصوم تنزيه للعقل والأذنين، وصون لليدين وحفظ للبطن والرجلين.

الصوم هو التأديب بالجوع، وإقبال على الله بخضوع، ومناجاة الله بخشوع، فمن لم يهذبه صيامه فكأنه ما صام، ومن لم يؤدبه قيامه فكأنه ما قام، قال رسول الله ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر».

وقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور، والجهل، والعمل به، فلا حاجة لله في ان يدع طعامه وشرابه».

إن شهر الصوم هو شهر الرحمة والمغفرة والتوبة والإنابة الى الله سبحانه وتعالى، فها هي ابواب الرحمة مفتوحة في هذا الشهر المبارك العظيم قال ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين»، وفي رواية: «وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

فلنبادر الى الإقبال على الله في هذا الشهر الكريم ونتوب الى الله تعالى لننال منه الخير والرضى ونفوز بالرحمة والمغفرة، التي وعد بها سبحانه بقوله: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ طه: ٨٢ .

قال رسول الهدى ونبي الرحمة ﷺ: «من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

أسرة التحرير

٤٣

حول مأدبة القرآن: ربع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾

سورة المائدة: ٥١-٦٦

■ بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

لأن المجتمع المسلم قائم على عقيدة التوحيد.. فهو بها في عزة وإباء واستقلال، ومن اجل ذلك، لا يليق به ان ينصر من ليس على دينه، ولا ان يغتر به، ولا ان يتودد اليه تزلفاً على حساب دينه، لا سيما اذا كان هذا المخالط حليفاً لأعدائه، حرباً على الاسلام وهو مع غيره يد عليه.

وفي فترة من زمان طفح كيل الحقد والحسد، والذي بدا في مواقف عبد الله بن أُبي، فكان من واجب المسلم ان يعرف عدوه من صديقه، ومن ثم جاء هذا النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

يجيء بوصفهم يهوداً او نصاراً، لا بوصفهم أهل كتاب، لأن كتابهم لا يأمرهم بالتكتل ضدنا، وانما هي عصبية الجنسية تملي لهم، ولا بد من الاخذ في الاعتبار ما يلي:

أولاً: ان النهي عن الموالاة لا يعني العداوة.

ثانياً: يمكن ان تتغير الأوضاع بدليل **﴿عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾**.

ثالثاً: ليس هذه حرباً دينية بدليل ما جاء في بنود المعاهدة «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

رابعاً: ان السماحة مع اهل الكتاب شيء، والولاية شيء آخر، ويعني ذلك: امكان

التعايش السلمي، وتبادل المصالح، اما نصرتهم والاستعانة بهم والافضاء بأسرارنا اليهم، فلا ما داموا أولياء بعض ضد الاسلام.

خامساً: ان كل حزب بما لديهم فرحون، يوالي بعضهم بعضاً، وأجدر بالمسلمين ألا يوالوا الا المسلمين، وإلا فمن أعان غير المسلم عليه، فهو من الظالمين لأنه ألقى بالمودة في غير موضعها.

وفي سبيل التمكين لهذا النهي في قلوب المؤمنين، يعرض السياق هذه الصورة الكابية لينفرهم من المساومة على كرامتهم **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة﴾**.

انهم جماعة من المنافقين مذبذبين بين المؤمنين وغيرهم، يبذلون فطرة النفاق فيهم، فيحاولون ان تكون لهم يد عند كل فريق، حتى اذا غلب كان لهم من الغنيمة نصيب.

يفعلون ذلك خفية، ولكن ثوب النفاق يشف عما تحته، فإذا التحفت به فأنت عار!، وهذا سر التعبير **﴿فترى﴾** فأنت تراهم مهما بالغوا في التخفي، وماذا ترى؟ ترى ناساً هواهم مع غير المسلمين، فيظنون ان المستقبل لأعدائهم، الذين كان ميزان القوة معهم في ظنهم ومن ثم خافوهم أشد الخوف، ومن شدة خوفهم أنهم لا يسارعون اليهم، وانما يسارعون فيهم، أي: يذوبون فيهم ثقة بهم وتوقياً لشرورهم.

ولكن الجواب الإلهي يجيء لطمة على وجوههم، وعداً مؤكداً ان العاقبة للمسلمين، **﴿فعسى الله ان يأتي بالفتح﴾** وقد جاء الفتح فعلاً، وحبط ما كانوا يصنعون.

وهكذا الكريم اذا اطمع في خير فعله، وعندئذ يعلن المسلمون سرورهم بما حدث، مع التعجب من نفاق هؤلاء الذين مكروا، فمكر الله بهم وخاب ظنهم.

ثم يجيء التهديد مدمدماً لجماعة المسلمين ان هم حاولوا اتخاذ غيرهم أولياء: **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾** فلن يتوقف سير الحياة، وانما **﴿سوف يأتي الله بقوم﴾** هم اجدر منكم بعمارة الأرض، لأن فيهم من عناصر الخيرية والبقاء، انهم يحبهم الله الذي اصطفاهم لرسالته، ويحبون الله طاعة له وولاء.

هذا من جهة الخالق سبحانه.. ومن ناحية الخلق، فهم أذلة على المؤمنين، عاطفين عليهم، متذللين «جمع ذليل» ومع

على منزلتهم فهم خاضعون لهم، اعزة على الكافرين: شداد يفرضون عليهم احترامهم، وهكذا المؤمن دائماً، انه من ناحية انسان يفيض على رفاقه عطفاً وحناناً، ومن ناحية اخرى، فهو بطل يفرض احترامه على الحياة والأحياء، متصلبون في دينهم ولا يساومون عليه كما يساوم عليه المنافقون.

ومن شأن هذا الوعيد ان يثبت اقدامكم على الطريق الحق، ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**﴾ الذين هم أولى بهذه الولاية التي استحقوها بعبادتهم والتي يندرجون بها مع حزب الله الغالب.

وبنفس القوة يكون نفوركم من هؤلاء الذين تنكروا لكتبهم فاتخذوا دينكم هزواً ولعباً، اتخذوه.. افتعلوا عداوته التي هي ضد طبيعتهم المشتقة مما ذكرته كتبهم، فاتقوا الله وفاصلوهم ان كنتم مؤمنين حقاً، تغارون ممن ينتهك حماكم، يحملكم على ذلك تلك الصورة الكابية، التي تحرضكم على الدفاع عن دينكم وهي: ﴿**واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً**﴾.

وهكذا يفعل بكم هؤلاء الجهلاء، انهم قوم لا يعقلون، مجانين، لم يكتفوا بكفرهم، حتى اضافوا اليه هذه السخرية، الأمر الذي يفرض عليكم ان تكونوا عند حسن الظن بكم استمساكاً بالاسلام، الى الحد الذي يغيظ الله به الكفار، الذين يكيدون لكم، ويسخرون منكم، لا لعيب فيكم، وانما لأنكم آمنتم بالله، فجعلوا المانع من الكيد لكم مقتضياً له، فعكسوا الآية!!.

ألا وإن جرائمهم لا تقف عند هذا الحد، وانما هناك من هو شر من ذلك ﴿**ومن لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل**﴾.

وفي تجاربكم معهم ما يريكم من شرهم ما لا يحسن السكوت عليه، إنهم المنافقون، اذا جاءك المنافقون قالوا: آمنا ﴿**وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما يكتمون**﴾.

انتهازيون.. ﴿**ترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون**﴾ وإنهم من الإثم فيما يشبه الكلأ المباح.. بلا رقابة ولا قيادة راشدة تكف بأس الذين يرتعون في هذا الإثم ﴿**لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**﴾.

ولقد كانت عراقة اليهود بالذات، في باب الإثم والعدوان بالغة حد التطاول حتى

على الله عز وجل، وليس فقط على الأنبياء والمصلحين. ومن هذا التطاول او هذا الحمق الذي تقوله الآية الكريمة: **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾**.. وماذا انت فاعل مع قوم ينكرون الشمس في رابعة النهار؟!!.

ان العاقل لن يضيع وقته في جدال هؤلاء من سدنة المراء.. وانما هو توقع مزيد من الشرور، ثم مزيد من الحذر في التعامل معهم، لماذا؟ **﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً﴾**.

ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد يحبط كيدهم ويضل سعيهم وذلك قوله تعالى: **﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾**.

وتلك هي الحقيقة التي يؤكدها الواقع الماثل اليوم: فما تزال طوائف اليهود متعادية وان بدا في هذه الفترة ان اليهودية العالمية تتساند وتوقد نار الحرب على البلاد الاسلامية!!.

ولكن ينبغي ألا ننظر الى فترة قصيرة من الزمان، ولا الى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة، ففي خلال ألف وثلاثمائة عام، بل قبل الاسلام، واليهود في شحناء وذل، كذلك وتشرد، ومصيرهم الى ما كانوا فيه، مهما تقم حولهم الاسناد.

ومع كل هذه الجرائم، فطريق العود الحميد مفتوح: **﴿ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾** وتلك هي إنسانية الاسلام، الذي يغفر الإساءة مهما كان حجمها، ويفتح الطريق لاحباً امام كل تائب توبة نصوحاً.

وإنها لسنة الله في عباده جميعاً، اذا تابوا وأنابوا، فعفا الله عما سلف، ويمكن للإنسان ان يكون بالتوبة أطهر مما كان، ولا يستثنى من هذا القانون أحد، مهما كانت فعلته التي فعل، ولا يكلفهم الاسلام شططاً، بل يطالبهم باستفتاء كتبهم، راضياً بأن تكون التوراة والإنجيل حكماً بينه وبينهم، **﴿ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم﴾**.. ماذا يحدث؟ يحدث الرخاء **﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾** والأمل معقود على الأمة المقتصدة -منهم- ان تعود الى الحق المبين، وأما الكثرة الكاثرة فساء ما

٢

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

■ بقلم الدكتور شحادة العمري

والدكتور محمد عبدالرزاق الرعود

الإعجاز الغيبي في الحديث الشريف:

الأحاديث المرفوعة والموقوفة التي تحدثت عن انتصار الروم على فارس (أنموذجاً):

عرض المفسرون لآيات سورة الروم التي عرضت لما وقع بين الروم وفارس، وأنعموا النظر في سياقها وما تضمنته من إعجاز غيبي رائع يتفق وحقائق التاريخ التي ذكرها القرآن الكريم في سوره وآياته.

وعلى الرغم من هذا التأمل لنظم الآيات، احتجوا بالأحاديث الشريفة التي ذكرت وعد الله بانتصار الروم على فارس، وأطنبت في تفصيل الموضوع.

وهذه الأحاديث التي فيها إعجاز غيبي نطق به الصادق المصدوق ﷺ، وجاءت متفقة تماماً مع سياق الآيات ليتعانق الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم بالإعجاز الغيبي في الحديث الشريف في هذا الموضع كتعانقه في مواضع أخرى، وليبينا أن الإعجاز الغيبي فيهما لا يلحقه الخُلف؛ لأنه وحي الله تعالى سواء أكان متلواً أم غير متلو.

نذكر تالياً ما رواه الترمذي من احاديث تتحدث عن غيب تحقق وقوعه بعد بضع سنين كما نطقت آيات سورة الروم.

١- اخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الم ❖ غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ قال: غُلبت وغَلبت[١٧]، قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم؛ لإنهم وإياهم أهل الأوثان وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب، فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «أما إنهم سيغلبون» فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجلاً خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته إلى دون» قال: أراه العشر، قال: قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿الم ❖ غلبت الروم..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله﴾ قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة[١٨].

٢- واخرج ايضا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة[١٩] ﴿الم ❖ غلبت الروم﴾: " ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث الى تسع" قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن من هذا الوجه من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس[٢٠].

٣- واخرج كذلك عن نَيَار بن مُكرَم الأسلمي قال: لما نزلت ﴿الم ❖ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لإنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس لإنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة: ﴿الم ❖ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ قال ناس من قريش لإبي بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسمّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت

الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين قال: لأن الله تعالى قال: **﴿في بضع سنين﴾** قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الاّ من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد(٢١).

٤- وقال عكرمة: لقي المشركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى: **﴿الم ❖ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾** فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على اخواننا، فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فو الله ليظهرن الله الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه (أبي بن خلف) فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناجيك عشر قلائص(٢٢) مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر الى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر، ومادّه في الأجل)، فخرج أبو بكر، فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون(٢٣).

قال ابن عاشور: "وهذا الغلَب الذي ذكر في هذه الآية هو انهزام الروم في الحرب التي جرت بينهم وبين الفرس سنة ٦١٥ مسيحية، وذلك أن خسرو بن هرمز ملك الفرس غزا الروم في بلاد الشام وفلسطين وهي من البلاد الواقعة تحت حكم هرقل قيصر الروم، فنازل أنطاكية ثم دمشق وكانت الهزيمة العظيمة على الروم في أطراف بلاد الشام المحادة بلاد العرب بين بُصرى وأذرعات، وذلك هو المراد في هذه الآية: **﴿في أدنى الأرض﴾** أي أدنى بلاد الروم إلى بلاد العرب"(٢٤).

أنعم نظرك -رعاك الله تعالى- في آيات سورة الروم، وفي الأحاديث التي رواها الترمذي وغيره تجدها متآخية في بيان أخبار غيبية مستقبلية وقعت بعد بضع سنوات من نزول الآيات الكريمات، والكلام في الأحاديث النبويات، وهذا هو الإعجاز بوقوع ما كان غيباً عندما تلا المسلمون

هذه الآيات، واليقين بتحقق انتصار الروم على فارس المذكور في الأحاديث المرفوعة والموقوفة.

وإذا كان ذلك كذلك ندرك أن الإعجاز الغيبي يأتي في القرآن والحديث، ولن تجد بينهما تبايناً أو اختلافاً، وفي هذا التلاؤم والتناغم رد واضح وحازم على القرآنيين الذين شذوا عن مهيع الطريق، واتبعوا أهواءهم في رد السنة صنو الكتاب، وما علموا أنهم بهذا الاعتراض على السنة قد كذّبوا صريح الكتاب.

وهؤلاء الذين نبتوا في منابت مختلفة قد أخبر النبي ﷺ بحالهم ومقالهم قبل مئات السنين بما يثبت وجود الإعجاز الغيبي في الحديث الشريف، وسنعرض لهم في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

❖ المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي في حديث: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه..»، وإخباره عن طائفة (القرآنيين) في هذا العصر:

عُني علماء الحديث والسِير بمعجزات رسول الله ﷺ العقلية والحسية، وأفردوها بمؤلفات مستقلة لما تحمله في طياتها من المعاني الإيمانية، والبراهين العقلية، والحجج المنطقية.

ومن هذه المعجزات النبوية إخباره ﷺ عن أمور غيبية لا ينطق بها الاّ نبي يوحى إليه؛ لأن هذه الأخبار قد تحقق وقوعها، ولا يزال الكثير منها يتحقق كل يوم.

ومن هذه الأخبار الغيبية التي لم يعرفها السابقون إخباره ﷺ عن قوم يظهرون آخر الزمان، يركنون إلى الدعة،يزعمون التنوير في التدبير، والحرية في التفكير، بل ربما تطاول بعضهم على أهل العلم والفضل وحكموا عليهم بالتكفير.

لقد وصف رسول الله ﷺ هذه الفئة وصفاً دقيقاً بيّن فيه ركونهم إلى الدنيا، ومخالفتهم السنة النبوية، ومعارضتهم الأحاديث النبوية زاعمين بأن القرآن الكريم يكفيهم، وهم بهذا الزعم يفترون على القرآن الكريم الذي يأمر باتباع رسول الله ﷺ وتعظيم حديثه الشريف في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[٢٥].

أولاً: الأحاديث النبوية التي تحدثت عن طائفة (القرآنيين) في هذا العصر:

١- اخرج ابو داود عن المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن! فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه! وما وجدتم فيه من حرام فحرموه! ألا لا

يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد؛ إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه؛ فله أن يعقبهم بمثل قراه»[٢٦].

٢- واخرج الترمذي عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل يمسي رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنّ ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله»[٢٧].

٣- واخرج أحمد عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم، فعليهم أن يقروهم، فإن لم يقروهم، فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم»[٢٨].

٤- واخرج ابن ماجة عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الرجل متكئا على أريكته يُحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله..»[٢٩].

٥- واخرج الترمذي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه»[٣٠].

٦- واخرج ابو داود عن أبي رافع، عن النبي ﷺ قال: «لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري! ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه»[٣١].

٧- واخرجه ابن ماجة عن أبي رافع عن رسول الله ﷺ بلفظه[٣٢].

ثانياً: مظاهر الإعجاز الغيبي في هذه الأحاديث النبوية الشريفة:

إن المتأمل في هذه الأحاديث النبوية الشريفة، يدرك أنها تحمل في تراكيبها إعجازاً بيانياً غيبياً رائعاً، فقد عبّرت عن أخلاق هذه الطائفة أحسن تعبير، ووصفتهم بأدق وصف، وكأن رسول الله ﷺ ينظر

إليهم وهم مترهلون معرضون عن سنته ﷺ، هذه السنة النبوية، التي فيها حياة الإنسانية؛ لأنها بينت الدين بياناً شافياً، بدءاً من قول: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وانتهاء بكيفية دخول الحمام، كل ذلك جاء واضحاً رحمة بالخلق أجمعين.

ومن المناسب والمفيد أن نعرض لبعض الأسرار البيانية الكامنة في هذه الأحاديث النبوية التي تحمل في طياتها الإعجاز الغيبي الذي قام البحث لإبرازه وإظهاره، وذلك من خلال بيان وشرح بعض الجمل الحديثية في هذه الروايات للدلالة على الإعجاز الغيبي في الحديث الشريف.

١- قوله ﷺ: "ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه..".

هذه الجملة من رواية أبي داود فيها حجة دامغة على القرآنيين بأن السنة النبوية صنو القرآن الكريم، ولا يصح التفريق بينهما ألبتة؛ والكتاب في هذه الجملة هو القرآن، لقوله ﷺ: "ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه".

ولتأكيد هذا الايتاء بدأ ﷺ الحديث بحرف التنبيه (ألا)، هذا الحرف الذي يدل على التوكيد في علم المعاني.

وللزيادة في توكيد الإسناد جاءت (إنّ) أم المؤكدات في قوله: (إنّي)، والخبر حين يؤكد بمؤكدين فأكثر إنما يؤتى به لمن ينكر الخبر،أو منْ ينزل منزلة المنكر، وهذه المؤكدات في سياق الجملة الحديثية ذكرت لتحقيق ما في مضامينها من إعجاز غيبي.

فإن قلت: لِمَ بدأ رسول الله ﷺ كلامه الشريف بهذه الجملة الفذة؟ قلنا: لقد بدأ بها لتكون تنبيها لما بعدها، ولبيان شدة الانحراف الذي يقع فيه من فرّق بين الكتاب والسنة، وادّعى أنه متبع للقرآن وحده، ومحب لصاحب السنة ﷺ دون أن يأخذ بسنته!!.

٢- قوله ﷺ: "ألا يوشك رجل شبعان على أريكته..".

وهذه الجملة من رواية أبي داود أيضاً وهي كالتي قبلها بُدئت بأداة التنبيه (ألا)؛ لتؤدي هذه الأداة رسالة بيانية هادفة يكمن في بنيتها إعجاز غيبي رائع، ذلك لأنها جاءت لتقريع فئة ستظهر في آخر الزمان تخالف منهج السلف الصالح، قال الإمام الطيبي:" في تكرير كلمة التنبيه توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على منْ ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب! فكيف بمن رجح الرأي على الحديث"[٣٣].

وأما الفعل (يوشك) فهو مضارع الفعل

(أوشك) من أفعال المقاربة، ويفيد في هذا السياق استحضار الصورة التي سيكون عليها رجل في آخر الزمان يعيش في دعة العيش، قد بالغ في الشبع وامتلاء البطن حتى أصابته التخمة، وجلس على سريره المزين، وهذه الصفات ليست من صفات أهل العلم الذين يرحلون في طلب العلم فيقطعون الفيافي والقفار والبحار في سبيل طلب المزيد من العلم.

أنعم نظرك في عبارة «رجل شبعان على أريكته» تجد أن كلمة «رجل» جاءت منكرة لتدل على التقليل والتحقير، أي أن الذين هذه صفاتهم ليسوا كثيرين بين المسلمين - ولله الحمد- هذا أولاً.

وأما ثانياً: فإنهم لا ينالون التقدير والتعظيم من المسلمين، وإنما الاستنكار لأقوالهم التي شذت عن الجادة المستقيمة التي اتبعها المسلمون.

وأما كلمة (شبعان) على وزن (فعلان) فتدل على المبالغة في الشبع، والإنسان إذا شبع تعب جسمه، واسترخى على كرسيه، فكيف إذا كان كرسيه سريراً؟!.

وأما رواية الترمذي عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه فهي: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته»

فهي كأختها رواية أبي داود في المعنى، وفيها التنبيه أيضاً عن حال رجل لا يستحق التقدير -كما هو ظاهر في سياق كلام النبي ﷺ- لأنه قابع على سريره، لم يتعب نفسه في طلب الحديث من أساطين الرواية والدراية، وإنما اكتفى بسماع الحديث وهو متكئ على سريره.

وأما رواية ابن ماجة عن المقدام أيضاً فهي: «يوشك الرجل متكئاً على أريكته..» وهي كالجملتين السابقتين تبين حال هذا الرجل عندما يُحدّث بالحديث، أو يبلغه..

٣- قوله ﷺ: "لا أُلفينّ أحدكم متكئاً على أريكته..".

هذه الجملة الحديثية جاءت في رواية الترمذي وأبي داود وابن ماجة جميعهم رووا هذا الحديث عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن النبي ﷺ.

بُدئت هذه الجملة النبوية الفذة بقوله ﷺ: «لا أُلفينَّ»، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (لا أُلفينّ) «بالنون المؤكدة من الإلفاء، أي لا أجدنّ.. والمراد نهيهم عن تلك الحالة على سبيل المبالغة"[٣٤]، وجاءت هذه المبالغة من مجيء (لا) النافية لتفيد النهي وزيادة، وهو سر قول المباركفوري: إنها أفادت المبالغة.

وقوله: (على أريكته) قال المباركفوري: "أي سريره المزين بالحلل والأثواب.. أي الذي لزم البيت، وقعد عن طلب العلم، قيل: المراد بهذه الصفة الترفه والدعة كما هو عادة المتكبر المتجبر القليل الاهتمام بالدين"[٣٥].

٤- قوله ﷺ في صفة الذين يردون السنة: "يقول: عليكم بهذا القرآن! فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه! وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.."! هذه رواية أبي داود في سننه، وأحمد في مسنده عن المقدام.

وفي رواية الترمذي: "فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله".

وفي رواية ابن ماجة: "يُحدّث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله عز وجل ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه».

وأما رواية عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه مرفوعاً عند الترمذي وأبي داود وابن ماجة: "يأتيه أمر مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه".

تأمل هذه الجمل النبوية الشريفة تدرك أنها تحدثت عن إعجاز غيبي لم يخطر في بال أحد من المسلمين في العصور التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية، ولم يدر بخَلَدهم أن مسلماً يتصرف مثل هذا التصرف المنحرف وبهذه الكيفية الضالة، يزعم الإيمان بصاحب الرسالة ﷺ، ويرد كلامه، ويطلب الاحتكام إلى القرآن، والقرآن يأمر باتباع هذا الرسول ﷺ!!.

ولإبراز مظاهر الإعجاز الغيبي في الحديث، نذكر تالياً بعض هذه المظاهر الإعجازية:

١- إن السنة المطهرة دوحة باسقة، ذات أفنان نضرة، وثمار يانعة، من استظل في ظلالها أصاب، ومن قطف من ثمارها أفلح؛ لأنها صنو القرآن الكريم "ألا إنّي أُوتيت القرآن ومثله معه.." وهذه المثلية جعلتها حجة دامغة في العقيدة والشريعة وكل مناحي الحياة.

٢- إن المُعرضين عن السنة هم مُعرضون عن القرآن، وأصحاب هذه الدعوى خاسرون في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين؛ فإذا كانت الملائكة ترد عن حوضه ﷺ يوم القيامة منْ ابتدعوا في دين الله تعالى بعد الرسول ﷺ، فكيف

الحال بمن رد السنة رداً، ورفع عقيرته متفاخراً بالتحرر من الأحاديث -على حد زعمه- وداعياً إلى تحرير العقول من التصديق بها في الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز ووسائل الإعلام -زاعماً أنها كلام بشري- وما علم أصحاب هذه الأفكار أن التنكر للكلام هو تنكر لصاحبه ﷺ!

٣- لقد جاء وصف دعاة الإعراض عن السنة في هذه الأحاديث يتفق تماماً مع أقوالهم، وأحوالهم، إنهم يقولون الألفاظ التي نطق بها رسول الله ﷺ -بأبي وأمي أنت يا رسول الله-.

وتتحقق هذه الألفاظ لتحمل الإعجاز الغيبي في الحديث الشريف، ألا نسمعهم - في هذه الأيام- يناقشون وينافحون عن آرائهم بقولهم للمخاطبين من تلاميذهم - الذين غُرر بهم-: عليكم بالقرآن!! إنها كلمة حق أُريد بها باطل!!

نعم، نحن نقول لأنفسنا ولهو وللناس أجمعين: عليكم بالقرآن، لكن الفرق بيننا وبينهم، أننا نقول هذه الكلمة ونأمر بالسنة التي أمر بها القرآن فلا تناقض بين السنة والقرآن وهما من مشكاة واحدة.

أما هم فظاهر كلامهم علم رصين، وباطنه جهل مركب!! ألا ترى أيها القارئ الحصيف أن قوله ﷺ عن هذا المترهل الذي شبع وتربع على سريره: عليكم بالقرآن، لم يأت في سياق المدح لقائله! نقول هذا حتى لا يحتج بعضهم بالكلام، فيكون احتجاجه كمن ينهى المسلمين عن الصلاة محتجاً بقوله تعالى: ﴿**فويل للمصلين**﴾ دون أن يتم سياق الآية.

٤- في هذه الأحاديث الشريفة من الإعجاز الغيبي أن هؤلاء القوم قد تجاوزوا الحد، وبالغوا في الاستكبار، تأمل قوله ﷺ في وصفهم: "فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.." أي أنهم لا يحلون ما أحله رسول الله ﷺ، ولا يحرمون ما حرمه ﷺ.

وإذا كان ذلك كذلك هدموا الأحكام والحِكم، ونشروا الفوضى والفساد في البلاد والعباد، لأن السنة شرحت مجمل الكتاب، الصلوات الخمس، كيف يصلونها؟ فريضة الحج، كيف يؤدونها؟.

ألا ترى أن القرآن لم يعرض لكثير من الأحكام، السم مثلاً لم ينه عنه القرآن، هل يشربونه؟!

القرآن لم يحرم لحوم الكلاب، هل يجيزون أكلها؟! كل هذه الأحكام جاءت في

السنة، فأين هم منها؟!

٥- ومن الإعجاز الغيبي في هذه الأحاديث الشريفة وصفهم بقلة العلم، وهو محقق وواقع، تأمل قوله ﷺ: "يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه".

ألا ترى أن هذا الوصف مطابق لما هم عليه في زماننا، "يأتيه الأمر.." بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وبيان ما سيصدر منهم، إنك إذا ناقشت هذه الطائفة التي تزعم تمسكها بالقرآن حتى صاروا يلقبون أنفسهم بـ (القرآنيون) في المراكز والمحافل، أجابوك: لا ندري..

وهذا الجواب: لا ندري هو المناسب لحالهم، فلم يقولوا: لا نعلم، وإنما قالوا: لا ندري؛ ذلك لأن الدراية اكتساب علم الشيء بحيلة، فهم بنفي الدراية يثبتون العلم لغيرهم، ومن العيب أن يتكبر مَنْ لا يدري على مَنْ يدري.

أما قولهم في الحديث: "ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه" ففيه الدليل على تحقق الإعجاز الغيبي، ذلك لأنهم يزعمون التمسك بالقرآن كونه كلام الله تعالى، ويرغبون عما سواه من السنة المطهرة، ولذلك تراهم في دروسهم وخطبهم لا يستدلون بالأحاديث النبوية الشريفة، ولا تجد في كتبهم ومؤلفاتهم من الأحاديث الاّ ما رأوا فيها الرد على المتمسكين بالحديث.

٦- ومن بدائع الإعجاز الغيبي في الحديث ما كتبه المباركفوري في شرح قولهم: "لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه". قال رحمه الله تعالى: "(لا ندري): أي لا نعلم غير القرآن ولا نتبع غيره (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه): ما موصولة، أي الذي وجدناه في القرآن اتبعناه وعملنا به.

ثم يقول المباركفوري الهندي رحمه الله تعالى: "ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع بما أخبر به، فإن رجلاً خرج من الفنجاب من إقليم الهند وانتسب نفسه بأهل القرآن، وشتّان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد والمرتدين، وكان قبل ذلك من الصالحين فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في إهانة النبي ﷺ، وردّ الأحاديث الصحيحة بأسرها وقال: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي ﷺ وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير

القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال وجعلوه إماماً، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده وخرجوه عن دائرة الإسلام، والأمر كما قالوا، والله أعلم"[٣٥].

٧- ومن الإعجاز الغيبي في الحديث أن هؤلاء يزعمون أن الحديث يُعرض على القرآن، فإن وافقه أخذوا به، وإن خالفه ردوه.

وهذا الفهم السقيم سببه قلة العلم، ذلك لأن السنة وحي كالقرآن، فليس معقولاً أن يقع تصادم بين الوحيين، وما هم فيه من وهم إنما جاءهم من ركونهم إلى الدنيا وعدم طلب العلم من أفواه الرجال.

قال الامام الخطابي: "في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه، فأما ما رواه بعضهم أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه" فإنه حديث لا أصل له. وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة"[٣٦].

٨- ومن الإعجاز الغيبي في هذه الأحاديث أنك تجد هذه الطائفة تشرّع أحكاماً تردها الأحاديث؛ لأنهم يعتمدون على ما فهموه من أحكام القرآن، وكثير منها مردود كونها أحكاماً ليس مناطها العقل في استنطاق الحكم من الآية فحسب، بل لا بد من النظر في الحديث الشريف فإن فيه ايضاحاً وتفصيلاً للقرآن الكريم.

ولعل بعضهم تلقف ما يكتبه بعض دعاة الموضوعية -أي عدم التحيّز- من غير المسلمين، فأعجب بعض أبنائنا وبناتنا بهذا النهج الجديد الذي فيه التجديد فقالوا: إن القرآن هو الحجة، وأما ما سواه من السنة وكلام العلماء فليس مقبولاً.

ومن المحزن حقاً أنك ترى بعض أصحاب هذه الأفكار المسمومة، والأقوال المرذولة يحملون الدرجات العلمية العالية في تخصصات العلوم الشرعية، فيصبح هذا المنحرف عن الطريق السوي يداً لمعول الهدم يهدم به الأعداء صرح السنة المشرفة، وخابوا وخسروا فإن السنة محفوظة بحفظ الله تعالى، ولله الحمد والفضل.

تلك أبرز مظاهر الإعجاز الغيبي في هذه الأحاديث الشريفة، تكلمتُ عن طائفة

القرآنيين قبل ظهورهم بمئات السنين، وهذا هو الإعجاز الذي يتحقق بعد سنوات من التحدث به.

❖ الخاتمة:

إن الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف كامن في أعطاف الآيات الكريمات، والأحاديث النبويات مع الفروق الفارقة بين نوعي الإعجاز؛ إذ الإعجاز القرآني فيه من علو المباني، وسمو المعاني ما لا ترقى إليه الأحاديث النبوية الشريفة؛ لأنك واجد فيها نفس رسول الله ﷺ، أما القرآن الكريم فلن تجد وراءه إلاّ الله سبحانه وتعالى الذي **﴿ليس كمثله شيء﴾**.

أما ما يتعلق بالتحدي -هذا الشرط الذي اشترطه المتكلمون في تعريف المعجزة والإعجاز- فلن تجده إلاّ في القرآن الكريم..

ومن المناسب والمفيد أن نذكر تالياً أبرز نتائج هذا البحث الوجيز:

أولاً: إن القرآن الكريم يتضمن وجوهاً إعجازية كثيرة اهتم بها العلماء منها: البياني والعلمي والتشريعي والغيبي والروحي والنفسي والتهذيبي وغيرها، أما الحديث النبوي الشريف فلم يُدرس في هذا الجانب؛ لأن الحديث الشريف لا يُتحدى به كالقرآن الكريم.

ثانياً: لقد جاءت أحاديث نبوية شريفة فيها إخبار عن غيوب مستقبلية تشرح وتفصل مجمل بعض الآيات الكريمات كالأحاديث التي رويت في انتصار الروم على فارس في ضوء ما ذكرته أول سورة الروم من وعد رباني بانتصار الروم على فارس في بضع سنين.

ثالثاً: عرضت كثير من الأحاديث النبوية الشريفة لحوادث تاريخية مستقبلية تحقق بعضها في القرون السابقة، وسيتحقق بعضها الآخر قبل قيام الساعة؛ لأن الذي أخبر بها هو رسول الله ﷺ الذي **﴿لاينطق عن الهوى﴾**.

رابعاً: من الإعجاز الغيبي الذي تحقق حقاً، ظهور طائفة شذت عن مهيع الطريق فأعرضت عن السنة، وزعمت أن كتاب الله هو الحكم، والسنة لا يُلتفت اليها لأنها من كلام بشر، وقد تجاوز هؤلاء حد الإعتدال وتعسفوا في الأقوال والأحوال وأطلقوا على أنفسهم اسم القرآنيين.

خامساً: يجب الإكثار من الدراسات الحديثية التي تتحدث عن الغيب، وبيان ما فيها من وعد للمؤمنين، ووعيد للكافرين.

سادساً: إعطاء الأمة الاسلامية الأمل

الهوامش:

١٧٠ (غُلبت) بصيغة المجهول أي الروم أولاً (وغَلب) بصيغة المعلوم أي ثم غلبت، تحفة الأحوذي ٣٧/٩ .

١٨٠ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الروم (تحفة الاحوذي، ٥١/٥، حديث رقم ٣٢٤٥) وهو حديث صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

١٩٠ مُنَاحَبَة: المناحبة: المراهنة (تحفة الأحوذي ٣٨/٩).

٢٠٠ اخرجه الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم ٣٢٤٥، وقال: هذا حديث غريب حسن.

٢١٠ اخرجه الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم ٣٢٦٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال ابن كثير ٤٦٦/٣: وقد روي نحو هذا مرسلا عن جماعة من التابعين مثل: عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم.

٢٢٠ القلائص هي: الإبل.

٢٣٠ تفسير ابن كثير/ سورة الروم.

٢٤٠ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور٤٣/٢٠ .

٢٥٠ سورة الحشر، آية ٧ .

٢٦٠ اخرجه ابو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٦١٠/٢، حديث رقم ٤٦٠٤، وهو حديث صحيح.

٢٧٠ اخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما نهي عنه انه يقال عند حديث رسول الله ﷺ (تحفة الاحوذي ٤٢٦/٧ حديث رقم ٢٨٠١) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، نقول: وهذا مصطلح الترمذي في التضعيف، وعلته الحسن ابن جابر اللخمي فهو مقبول كما في التقريب ١٦٤/١ لكن الحديث حسن بالشواهد.

٢٨٠ مسند الإمام أحمد ـ حديث ١٧١٧٤، وهو حديث صحيح .

٢٩٠ اخرجه ابن ماجة في السنن، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ ٦/١ حديث رقم ١٢، واسناده ضعيف من اجل الحسن بن جابر كما في اسناد الترمذي، لكنه حسن في الشواهد.

٣٠٠ اخرجه الترمذي في السنن، مرجع سابق،حديث رقم ٢٨٠٠، وقال: هذا حديث حسن.

٣١٠ اخرجه ابو داود في السنن، مرجع سابق، حديث رقم ٤٦٠٥، وهو حديث صحيح.

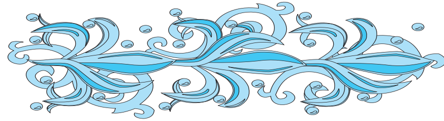
٣٢٠ اخرجه ابن ماجة، مرجع سابق، حديث رقم ١٣، واسناده صحيح.

٣٣٠ تحفة الأحوذي شرح حديث ٢٨٠١ .

٣٤٠ المرجع السابق.

٣٥٠ عون المعبود ٣٥٧/١٢ .

٣٦٠ المرجع السابق ٣٥٦/١٢ .



العمل التطوعي في القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور خالد الشطي

دعا القرآن الكريم في كثير من آياته، الى العمل التطوعي في كافة مجالات الخير، وقص علينا قصص الأنبياء والصالحين الذين تطوعوا.

وقد ورد ذكر كلمة التطوع في عدة أماكن من القرآن الكريم وبصيغ مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾[١]، وفي قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾[٣].

وبالرجوع الى تفسير قوله تعالى: **﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾**[٤] أورد ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ثلاثة أقوال:

١- **﴿ومن تطوع خيراً﴾** قيل: المراد زاد في طوافه «بين الصفا والمروة» على قدر الواجب ثامنة وتاسعة ونحو ذلك.

٢- وقيل: يطوف «بين الصفا والمروة» في حجة تطوع او عمرة تطوع.

٣- وقيل: المراد تطوع خيراً في سائر العبادات.

حكى ذلك الرازي وعزى الثالث الى الحسن البصري[٥].

ورواية الحسن ذكرها الثعالبي[٦]، قال

الحسن في قوله تعالى: ﴿**ومن تطوع خيراً**﴾ يعني به الدين كله، اي فعل غير المفترض عليه من صلاة أو زكاة أو نوع من أنواع الطاعات كلها ﴿**فإن الله شاكر**﴾ مجاز بعمله ﴿**عليم**﴾ بنيته يشكر اليسير، ويعطي الكثير، ويغفر الكبير»[٧].

وقد رجح كثير من المفسرين تفسير قوله ﴿**خيراً**﴾ عموم افعال الخيرات من الطاعات والنوافل لا خصوص السعي[٨].

ويقول ابن عاشور: «ختمت الآية بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل، أو نوافل فقط، وليس المقصود من ﴿**خيراً**﴾ خصوص السعي لأن ﴿**خيراً**﴾ نكرة في سياق الشرط، فهي عامة، ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء لئلا يكون الخير قاصراً على الطواف بين الصفا والمروة بخلاف قوله تعالى في آية الصيام: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له**﴾[٩] لأنه أريد هنالك بيان ان الصوم مع وجود الرخصة في الفطر أفضل من تركه، أو ان الزيادة على إطعام مسكين أفضل من الاقتصار عليه»[١٠].

وكذلك فإن قوله تعالى: ﴿**الذين يلمزون المطوعين**﴾[١١]، فهي خاصة بالإنفاق والصدقات فقط وليست عامة في الأعمال التطوعية.

❖ آيات قرآنية كريمة تدعو الى التطوع في مجالات عدة:

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية الداعية الى العمل التطوعي، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما**﴾[١٢].

وقال تعالى: ﴿**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾[١٣]، وقال تعالى: ﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾[١٤]، وقال تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس**﴾[١٥]، وقال تعالى: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**﴾[١٦].

وقال تعالى: ﴿**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[١٧]، وقال تعالى: ﴿**الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[١٨].

وهناك العديد من الايات القرآنية الداعية الى التطوع بأعمال الخير، والى

الايجابية في حياة الانسان.

❖ قصص من التطوع في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم العديد من القصص التي فيها اعمال تطوعية، قام بها الأنبياء والصالحون على مر تاريخ البشرية، وقد اورد هذه القصص ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم لتكون نبراساً للناس يسيرون على نهجها.

❖ من تطوع الأنبياء:

أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام ليدعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**[١٩]، ودعاهم الى فعل الخيرات وعمل الصالحات، قال تعالى: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾**[٢٠].

والرسل عليهم السلام في دعوتهم الى الله وعبادته وحده، وفعلهم الخيرات، لم يطلبوا أجراً عليها من الناس، قال الله تعالى حكاية عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام: **﴿اني لكم رسول أمين ❖ فاتقوا الله وأطيعون ❖ وما أسألكم عليه من أجر ان اجري الا على رب العالمين﴾**[٢١]، وقال الله تعالى حكاية عن رسوله عيسى عليه السلام: **﴿وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ❖ اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون﴾**[٢٢]، وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين﴾**[٢٣].

❖ تطوع نبي الله يوسف عليه السلام:

ذكر القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام كاملة وورد فيها بعض الاعمال التطوعية التي قام بها، فقد تطوع يوسف عليه السلام للدعوة الى الله في السجن، كما تطوع ايضاً لتفسير الأحلام، قال تعالى: **﴿ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمراً وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ❖ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ❖ واتبعت ملة آبائي ابراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ❖ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ❖ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان**

الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[٢٤].

كما تطوع سيدنا يوسف عليه السلام ليكون على خزائن الأرض بعد ان عُرض عليه ان يكون خالصاً للملك: **﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ❖ قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم﴾**[٢٥].

فتطوع سيدنا يوسف عليه السلام لحمل هذه الأمانة العظيمة ناتج عن شعوره بالقدرة على تحمل المسؤولية والقيام بها، فقد علمه الله تعالى حفظ الامانة وعلمه كيف يصونها.

❖ تطوع نبي الله موسى عليه السلام:

وردت قصة سيدنا موسى عليه السلام في كثير من سور القرآن الكريم، كما وردت اعمال تطوعية قام بها عليه السلام.

فقد تطوع سيدنا موسى عليه السلام لمساعدة الرجل الذي طلب منه العون، قال تعالى: **﴿ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾**[٢٦] فتطوع موسى عليه السلام لنصرته ومساعدته.

كما تطوع سيدنا موسى عليه السلام لمساعدة المرأتين، قال تعالى: **﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ❖ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الي من خير فقير﴾**[٢٧].

كما وردت آيات قرآنية في التطوع في قصة موسى عليه السلام حين أتاه رجل ينذره برغبة فرعون وقومه بالبطش به لينجو بنفسه، قال تعالى: **﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين﴾**[٢٨].

وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر تطوع، حين تطوع الخضر عليه السلام بخرق السفينة لئلا تُغصب من اصحابها وتطوع بقتل الغلام لئلا يؤذي والديه حين يكبر، وتطوع ببناء الجدار لليتيمين لئلا يضيع كنزهما.

كما تطوع موسى عليه السلام لخدمة سيدنا شعيب عليه السلام الذي اتفق معه على خدمته ثماني سنوات مقابل اجر، فتطوع موسى عليه السلام واكملها عشر سنوات كاملة تطوعاً من عنده: **﴿قال إني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد ان**

أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾[٢٩].

❖ تطوع نبي الله زكريا عليه السلام:

تطوع سيدنا زكريا عليه السلام لكفالة مريم بنت عمران عليها السلام، والتي دعت والدتها امرأة عمران ربها ان يرزقها غلاماً ليتطوع لخدمة بيت المقدس لله عز وجل، قال تعالى: **﴿اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم ❖ فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ❖ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**[٣٠]، فتكفل زكريا عليه السلام بمريم عليها السلام.

ثم دعا زكريا عليه السلام ربه عز وجل ان يرزقه ذرية طيبة لتتطوع لدعوة الناس الى الله تبارك وتعالى: **﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء﴾**[٣١] فرزقه الله بيحيى عليه السلام.

كما بين الله سبحانه وتعالى المتطوعين الراغبين بكفالة مريم عليها السلام بقوله تعالى: **﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون﴾**[٣٢].

❖ من قصص التطوع في القرآن الكريم:

وردت قصص كثيرة من القرآن الكريم في التطوع، فقد تطوع الحواريون لنصرة نبي الله عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾**[٣٣].

وتطوع اصحاب الكهف في دعوة قومهم الى الله عز وجل لعبادته وتوحيده فكانت قصتهم مضرب الأمثال في التطوع للدعوة الى الله تبارك وتعالى، وتطوع ذو القرنين الملك الصالح لنصرة المظلومين الذين اعتدى عليهم من قوم يأجوج ومأجوج، قال تعالى: **﴿قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً ❖ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾**[٣٤].

وهذا لقمان الحكيم ذلك الرجل الصالح يدعو ابنه ليتطوع للدعوة الى الخير والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: **﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور﴾**[٣٥].

ولم يقتصر التطوع في القرآن الكريم على البشر بل تعدى ذلك الى الجن والطير والنمل! فقد ذكر القرآن الكريم النفر من الجن الذين استمعوا الى القرآن الكريم، فولوا الى قومهم منذرين، قال تعالى: **﴿وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين﴾**[٣٦].

وتطوع الهدهد ليبلغ دعوة الله الى قوم بلقيس، قال تعالى: **﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين ❖ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ❖ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ❖ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ❖ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ❖ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ❖ الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾**[٣٧].

وتطوعت نملة لتنذر قومها بالخطر كما قال تعالى: **﴿حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾**[٣٨].

وهناك العديد من قصص القرآن الكريم التي ورد فيها التطوع لتكون قدوة للمؤمنين في التطوع لعمل الخير.

❖ تطوع الرسول ﷺ وصحابته الكرام في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن تطوع الرسول ﷺ وصحابته الكرام الذين تطوعوا بأموالهم وبأنفسهم وبكل ما يملكون لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، وتطوعوا ايضاً بأنواع العبادات من النوافل والسنن والطاعات.

قال الله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾**[٣٩].

كما مدحهم الله سبحانه وتعالى

لتطوعهم في مجالات عدة، فقال تعالى: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**[٤٠].

وقال تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**[٤١].

وقال تعالى: **﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ❖ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم﴾**[٤٢].

وقال تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**[٤٣].

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي أوضحت بجلاء التطوع، والتضحية والفداء، والبذل الذي قدمه جيل الصحابة الكرام وسطره القرآن الكريم بحروف من نور ليكون قدوة حسنة للسائرين على درب الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين.

❖ العمل التطوعي في السنة النبوية الشريفة:

دعا الرسول الكريم ﷺ الى العمل التطوعي في كثير من أقواله، كما ترجم ذلك بأفعاله ﷺ، فقد كان أكثر المتطوعين، وقدوة الناس اجمعين، كما بين ﷺ مجالات العمل التطوعي، وبين ثواب المتطوعين، وأجرهم في الدنيا والاخرة، كما حثّ رسولنا الكريم ﷺ في مناسبات عديدة صحابته الكرام على العمل التطوعي ورغبهم فيه، وذكر لهم قصص المتطوعين من الأقوام والأمم التي سبقتهم.

❖ السنة النبوية تدعو الى العمل التطوعي:

ورد في السنة النبوية العديد من الأحاديث الشريفة الدالة على الدعوة الى العمل التطوعي، سواء كان التطوع في العبادات والنوافل أو في أعمال البر والمعروف:

- قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٤٤].

- قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن

كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين اصابعه»[٤٥].

- قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك، وان تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

- قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليه متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

- عن ابي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سألت النبي ﷺ: اي العمل أفضل؟ قال: ايمان بالله وجهاد في سبيله، قلت: اي الرقاب افضل؟ قال: اغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قلت: فإن لم أفعل، قال: تعين صانعاً[٤٦] أو تصنع لأخرق[٤٧] قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»[٤٨].

- عن ابي موسى الاشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت ان لم يجد؟ قال: يعتمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قال: قيل: أرأيت ان لم يستطع قال: يأمر بالمعروف او الخير، قال: أرأيت ان لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة».

وفي رواية البخاري: فقال: «يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، فقالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنه له صدقة»[٤٩].

- من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الانسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر فركعتي الضحى تجزئ عنك»[٥٠].

- وعن ابي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[٥١].

- عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، قلت: يا

رسول الله، من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ قال: لأن من ابواب الصدقة التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله الا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر، وتهدي الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك الى اللهفان المستغيث وترفع بشدة يديك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك..»[٥٢].

❖ قصص التطوع في السنة النبوية من الأقوام السابقة:

قص رسول الله ﷺ كثيراً من القصص الخاصة بالأمم السابقة والتي يتضح فيها العمل التطوعي تشجيعاً للمسلمين للسير في هذا الطريق.

قال رسول الله ﷺ: «بينا رجل يمشي بفلاة من الارض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: اني سمعت صوتاً في السحاب هذا ماؤه: اسق حديقة فلان لاسمك، فماذا تصنع فيها؟ فقال: أما اذا قلت هذا، فإني أنظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثاً»[٥٣].

- قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق اذ وجد غصن شوك فنحاه عن الطريق فشكر الله له وغفر له»[٥٤].

- عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجر قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»[٥٥].

- عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فشرب ثم خرج، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل في البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، فقالوا: يا رسول الله، ان لنا في البهائم لأجراً؟ قال: في كل ذات كبد رطبة أجر»[٥٦].

- عن الحارث الأشعري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ان الله أوحى الى يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، بخمس

كلمات ان يعمل بهن، ويأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن، فذكر الحديث الى ان قال فيه: وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده الى عنقه، وقربوا ليضربوا عنقه فجعل يقول: هل لكم ان افدي نفسي منكم، وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه»[٥٧].

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان رجلاً كان فيمن قبلكم أتاه الله الملك ليقبض روحه فقيل له: هل علمت من خير قال: ما اعلم، قيل له: انظر، قال: ما اعلم شيئاً غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الجنة»[٥٨].

الهوامش:

١- البقرة: ١٥٨ .

٢- البقرة: ١٨٤ .

٣- التوبة: ٧٩ .

٤- البقرة: ١٥٨ .

٥- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الاندلس بيروت ١٩٦٦م.

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمر الطالبي ١/١٥٤ .

٧- تفسير الحسن البصري، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٢م.

٨- معالم التنزيل للبغوي ١/١٣٣ بيروت دار المعرفة ١٤٠٦، ومفاتح الغيب للرازي، القاهرة المطبعة البهية ١٣٥٧هـ، والتحرير والتنوير لابن عاشور مرجع سابق.

٩- البقرة: ١٨٤ .

١٠- تفسير «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية ١٩٤٨م، ٢/٦٤ .

١١- التوبة: ٧٩ .

١٢- النساء: ٣٥ .

١٣- الحجرات: ٩ .

١٤- النساء: ٨٥ .

١٥- النساء: ١١٤ .

١٦- التوبة: ١٢٢ .

١٧- آل عمران: ١٠٤ .

١٨- الحج: ٤١ .

١٩- النحل: ٣٦ .

٢٠- الأنبياء: ٧٣ .

٢١- الشعراء: ١٠٧-١٠٩ .

٢٢- يس: ٢٠-٢١ .

٢٣- الأنعام: ٩٠ .

٢٤- يوسف: ٣٦-٤ .

٢٥- يوسف: ٥٤-٥٥ .

٢٦- القصص: ١٥ .

٢٧- القصص: ٢٣-٢٤ .

٢٨- القصص: ٢٠ .

٢٩- القصص: ٢٧ .

٣٠- آل عمران: ٣٥-٣٧ .

٣١- آل عمران: ٣٨ .

٣٢- آل عمران: ٤٤ .

٣٣- الصف: ١٤ .

٣٤- الكهف: ٩٤ .

٣٥- لقمان: ١٧ .

٣٦- الأحقاف: ٢٩ .

٣٧- النمل: ٢٠-٢٦ .

٣٨- النمل: ١٨ .

٣٩- الفتح: ٢٩ .

٤٠- الفتح: ١٨ .

٤١- التوبة: ١٠٠ .

٤٢- الحشر: ٩-١٠ .

٤٣- الأحزاب: ٢٣ .

٤٤- أخرجه مسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٨٦ .

٤٥- أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب نصر المظلوم ٢٤٤٦، ومسلم، البر والصلة والآداب ٢٥٨٥ .

٤٦- الصانع الذي يجيد صنعته فيغفل الناس عن مساعدته.

٤٧- الأخرق: الذي لا يجيد صناعة، وليس له حرفة.

٤٨- أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب اي الرقاب أفضل ٢٥١٨، ومسلم، الايمان ٨٤ .

٤٩- أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة ١٤٤٥، ومسلم الزكاة ١٠٠٨ .

٥٠- أخرجه ابو داود، كتاب الأدب، باب في إماطة الأذى عن الطريق ٥٢٤٢ .

٥١- مسلم، صلاة المسافرين وقصرها ٧٢٠ .

٥٢- اخرجه أحمد في مسند الأنصار، باب حديث ابي ذر الغفاري ٢٦٩٧٣ .

٥٣- أخرجه مسلم، الزهد والرقائق ٢٩٨٤ .

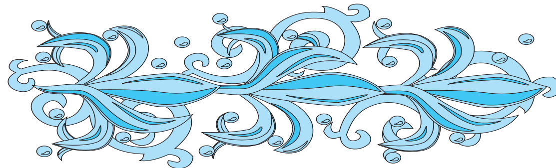
٥٤- أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجد الى الظهر ٦٥٤، ومسلم، الامارة ١٩١٤ .

٥٥- أخرجه مسلم، البر والصلة والاداب ١٩١٤ .

٥٦- أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء ٢٣٦٣، ومسلم السلام، ٢٢٤٤ .

٥٧- أخرجه الترمذي.

٥٨- أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٣٤٥٢، ومسلم المساقاة ١٥٦٠ .



كلمات في استقبال شهر الخير والبركات

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد المقصود حامد

لقد جرت العادة ان الانسان منا اذا علم بقدوم ضيف عزيز عليه، أنه يهيء نفسه وبيته لاستقباله، فيجمل المكان ويحشد كل ما يستطيع من كرم الضيافة، وها هو شهر رمضان المعظم أوشك ان يحل بيننا، ضيفاً عزيزاً غالياً كريماً، يقوي عوامل التقوى ومراقبة الله تعالى، يجدد لدى المسلم عهده مع الله بالسير على طريق الفضائل، والابتعاد عن مواطن الرذائل، ما أحوجنا الى جامعة الصوم، التي تدرس فيها مواد تقوية العقيدة بمفهومها الشامل سلوكاً وعبادات، والتي من خلالها ينزل الله رحماته وبركاته على المؤمنين.

ان ضيفاً من هذا النوع، جدير بأن نجعل قلوبنا على مستوى مجيئه وضيافته، فنعلنها عزيمة قوية وإرادة صادقة كي نكون رجالاً مؤمنين صادقين مع الله تعالى، متحفزين للعمل في ميدان طاعته وعبادته بشتى صنوفها، ولنا في رسولنا الكريم ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة والمنهاج الأمثل القويم، وها هو نبي الرحمة ﷺ يحدثنا عن ثبوت شهر الصوم فيقول ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن أغبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً»، والرؤية هنا لهلال شهر رمضان، فإن أغبى عليكم، اي لم يظهر لكم لسبب ما، ولقد جاء هذا القول الشريف في ضوء قوله تعالى: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾**.

وبعد ثبوت هلال شهر رمضان، يكشف لنا النبي ﷺ بعضاً من أسرار وعظمة هذا الشهر الكريم، فيقول ﷺ: «اذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها

باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عز وجل عند كل فطر عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة» ومعنى صفدت: اي قيدت.

ويرسم النبي الرحيم ﷺ لأمته المنهج المثالي، لما يجب ان يكون عليه الصائمون من أخلاق، فيقول ﷺ: «اذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم» والمعنى يبتعد عن كل أنواع الفواحش والجهالات، ويتعامل في عبادة الصوم مع ربه فيعلنها شعاراً سامياً: «إني امرؤ صائم».

وعلى الايمان والاحتساب، يؤسس النبي ﷺ أموراً رمضانية ثلاثة، هي: صيام رمضان، وقيامه، وإحياء ليلة القدر منه، فيقول ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» ويقول ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، ويقول ﷺ: «من أحيا ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

ولقد بين لنا نبينا ﷺ الباعث الأصيل لتوجه الايمان والاحتساب، وهذا الباعث مطمع كل مؤمن، فقال حديثاً قدسياً عن رب العزة، جاء فيه: «كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، والمعنى.. ان كل عمل ابن آدم مضاعف الحسنة بعشر أمثالها، الا الصوم فإن عطاء الله تعالى للصائمين لا يقف عند هذا الحد، فهو عطاء لا يحصره كيل ولا عد، ففضل الله تعالى يضاعفه لمن يشاء.

ويكفينا فخراً ان عبادة الصوم تسمو بنا كي تكون عبادتنا كعبادة الملائكة لله، الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون، زد عليه ان فوائد الصوم عبادة وأخلاقاً وصحة تفوق الحصر، ورحم الله أحمد شوقي أمير الشعراء عندما قال في الصوم: «انه حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يكسر الكبر ويعود الصبر ويستثير الشفقة ويحض على الصدقة».

ثم أليس هو رمضان الذي ترمض فيه الذنوب، أي تغفر؟ ولكن ان كان الصوم هو الامساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس، فإن تمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾، صدق الله العظيم.

يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

فرض الله تعالى الصوم على المسلمين، وجعله ركناً من أركان الاسلام الخمسة، وجعل الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة: ١٨٥ .

وهذه الفريضة التي فرضها الله تعالى على المسلمين، كان فرضها على عباده المؤمنين من الأمم التي سبقت أمة الاسلام، فهي عبادة خالصة لله جل وعلا وحده منذ بداية خلقه للناس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة: ١٨٣ .

ففريضة الصيام كتبت على المؤمنين، لتزيدهم في التقوى، والتقوى طاعة الله ورسوله ﷺ وخشية العبد لربه كأنه يراه، فهي عبادة خالصة بين العبد وربه، والله يجزي بها مغفرة ورحمة وبركة في الدنيا والآخرة، وخصص لها باباً في الجنة اسمه الريان، جعله للصائمين العابدين لله تعالى.

وإذا كانت عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً، فقد فضل الله رمضان على سائر الشهور، فليس فيها ما يدانيه منزلة وقدراً عند الله، فقد **﴿انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾**.

ومن حضر هذا الشهر فعليه الصيام بشروطه ونظامه وأحكامه وعدة أيامه، فهو

فرض على المسلم العاقل البالغ المكلف شرعاً بصيامه، قال تعالى: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** البقرة: ١٨٥ .

وقد يسره الله تعالى على المسلمين، فجعل صيامه على القادرين عليه، اما من كان مريضاً أو على سفر فأعطاه الله رخصاً بصيام عدة أيام أخر، فالله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: ١٨٥ .

صيام شهر رمضان بكماله وتمامه مع الاكثار من التسبيح والتكبير وحمد الله تعالى على هدايته مع الشكر على هذه النعمة **﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾** البقرة: ١٨٥ .

والصيام يعني الامساك عن الطعام والشراب وعن الشهوات من النساء، من طلوع الفجر الى غروب الشمس، مع صيانة اللسان عن الغيبة والنميمة مع عبادته تعالى، نقيا من كل اثم أو معصية.

وهي أمور تزيد بالتقوى وطاعة الله وخشيته وتنقص مع كل اثم ومعصية، جعلنا الله من القائمين حقاً بشروطه وأحكامه طاهرين من كل اثم ومعصية.

❖ الرخص والعزائم في الصيام:

من أبواب رحمته تعالى بعباده، ان جعل رخصاً للمريض أو المسافر أو الطاعن في السن، فأباح تعالى لأولئك الافطار ان كان في الصيام مشقة، على أن يقضوا ما فاتهم من ايام الصيام التي أفطروها، قبل أن يأتي رمضان القادم.

أما أولئك الذين يطيقونه، اي يتحملونه بمشقة كبيرة، كالطاعنين في السن، ففدية من إطعام مسكين عن كل يوم أفطروه، مع الاكثار من الصدقات حسب الاستطاعة، وبدون قضاء الايام التي افطروها، مع بيان ان الصيام لا يدانيه في الثواب شيء، قال تعالى: **﴿.. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾** البقرة: ١٨٤ .

وحتى اصحاب الرخص، فالصيام خير لهم، لأن ثواب الصيام عظيم ولا يدانيه اي فعل من أفعال الخيرات الأخرى، فهو عبادة خالصة لله تعالى، وهو يجزي به ويضاعف لمن يشاء.

أما أصحاب العزائم فالصيام عليهم فرض عين، وأجرهم يتفاوت حسب عباداتهم، قال الله تعالى: **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون**

الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ التوبة ١١٢ .

فلكل صنف من هؤلاء منزلة خاصة عند الله، وأعلاهم مرتبة ومنزلة من جمع بين كل هذه الصفات مع الصيام، فمرتبة الصائم التائب من ذنوبه توبة نصوحاً لا رجعة فيها، والعابد لله والقائم لأركان الاسلام الخمسة بتمامها وأحكامها ومواقيتها، والحامد لنعم ربه التي لا تحصى والسائح في محبة الله والراكع والساجد في صلواته، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والحافظ لحدود الله من الاختراق، فبشرى له، يدخل من اي باب من ابواب الجنة الثمانية راضياً مرضياً عنه، وبشر المؤمنين.

روى الترمذي والنسائي وابن ماجة والامام احمد في مسنده ان النبي ﷺ قد خطب في الناس في آخر جمعة من شعبان، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس، انه قد أقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر قد دعيتم فيه الى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، ان يوفقكم لصيامه وقيامه وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا ارحامكم، واحفظوا السنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه ابصاركم، وعما لا يحل اليه الاستماع اسماعكم وتحننوا على ايتام الناس، يتحنن الله عليكم، وتوبوا الى الله من ذنوبكم وارفعوا اليه ايديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة الى عباده ويجيبهم اذا ناجوه، ويلبيهم اذا نادوه، ويستجيب لهم اذا دعوه».

◆ رمضان شهر الصدقات وعمل الخيرات:

شهر رمضان شهر الصدقات وعمل الخيرات، فهو العبادة الوحيدة من أركان الاسلام التي لا يتسرب اليها رياء، لأنها سر بين العبد وربه، ولهذا يقول رب العزة في حديث قدسي: «كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

ولمنزلة الصوم هذه عند الله، جعله الله سبحانه وتعالى كفارة لكثير من الذنوب

والأخطاء، تطهيراً لنفس المؤمن وإنابة من العبد الى مولاه الواحد الأحد الفرد الصمد.

والصدقة والانفاق على الفقراء والمساكين والأيتام، لها ثواب خاص عند الله تعالى، فأكثروا من الصدقات في رمضان، ولينفق كل ذي سعة على أهله دون اسراف أو تقتير، ومن فطّر صائماً في رمضان كان له مثل أجره دون ان ينقص من اجر الصائم شيئاً.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من فطّر صائماً كان له مثل اجره، غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيء» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة.

وعن ام عمارة الانصارية رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان الصائم تصلي عليه الملائكة اذا أكل عنده حتى يفرغوا» رواه الترمذي وابن ماجة.

والإكثار من الصدقات، وخاصة في رمضان، يطهر النفس من الشح والبخل، ويدفعها الى عمل الخيرات، قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: ١٠٣.

❖ رمضان شهر الصبر:

ورد عن رسول الله ﷺ انه سمى شهر رمضان شهر الصبر، كما قال ﷺ: «الصوم نصف الصبر» والصبر يشتمل على حالات ثلاث: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وهذه الصور الثلاث تجتمع في الصوم، ولهذا كان أجره مضاعفاً بمقدار إخلاص العبد فيه وصبره والله تعالى يقول: **﴿انما يوف الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** الزمر: ١٠.

وحسب الصيام صبراً أنه قهر للشهوات، ففي ذلك القهر يكون المؤمن سيد نفسه، ولا تكون شهواته سيدة له، واذا توافر للعبد المؤمن ان يتحكم في نفسه، فيكفها عن نزواتها ويحملها على خيرها، فذلك يعني انه اتقى ربه، اي انه يخشاه كأنه يراه.

والتقوى كلمة عرفها أهل الاسلام بأنها اطاعة اوامر الله واجتناب نواهيه، وأن تخاف الله كأنك تراه، ولا يظفر بهذه التقوى الا الصابرون الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه تعالى مصداقاً لقوله: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾** الكهف: ٢٨.

وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه النسائي وابن ماجة.

الصـــوم عبادة ومجاهدة

■ بقلم الدكتور عبد الجابر الأعرج

لقد فرض الله تعالى الصيام على المسلمين، كما فرضه على أتباع الديانات السماوية التي سبقت المسلمين، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة: ١٨٣ .

فهذه الآية الكريمة تبين ان الهدف من فرضية الصيام، تحقيق التقوى في نفوس المسلمين في حياتهم العامة والخاصة.

ويقول تعالى أيضاً: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: ١٨٥ .

فمن فضائل هذا الشهر انه الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم ليكون هادياً للناس جميعاً الى الصراط المستقيم.

❖ الصيام لغة:

هو الامتناع عن الشيء سواء كان طعاماً أم شراباً ام كلاماً، قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: **﴿إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾** مريم: ٢٦، فالصوم في هذه الآية هو الامتناع عن الكلام.

❖ الصيام في الشرع:

الامتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق وحتى غروب الشمس تقرباً لله سبحانه وتعالى.

❖ فوائد الصيام:

ومن أهم الفوائد التي تتحقق للمسلم الصائم بعد تقوى الله سبحانه وتعالى ضبط النفس، فكلنا يعرف ان الانسان اذا اتبع شهواته ورغباته فإنه سيضيع، وقد ينتهك حرمات الناس وحدود الله سبحانه وتعالى.

ولذلك فإن الصوم يعود الانسان على ضبط نفسه والتحكم بها، ولهذا فإن الصيام قد فرض على جميع اتباع الديانات السماوية.

ونحن اذا نظرنا الى فرضية الصيام في رمضان، وتلمسنا سر اختيار الشهر القمري لحساب الصيام، فإنما يجب ان نتذكر ان السنة القمرية تنقص عشرة أيام عن السنة الشمسية، وهذا يعني انه اذا مرت على الانسان ست وثلاثون سنة يصوم بها شهر رمضان، فإنه يصوم شهر رمضان في جميع أيام السنة وفصولها المختلفة، سواء في ذلك اليوم القصير أو الطويل، واليوم الحار أو البارد، وبهذا يتساوى المسلمون في جميع أنحاء العالم في مقدار الصيام وشدته.

وكذلك فإن الصيام بهذا الشكل يعود الانسان على الامتناع عن الفواكه والخضروات وما الى ذلك في كل أيام السنة خلال نهار شهر رمضان.

وعندما عين الشرع شهر رمضان بالذات، ولم يترك حرية اختيار الشهر لكل واحد من الصائمين لكي يصوم فيه، كان هذا لتحقيق الوحدة بين أفراد المجتمع الاسلامي، وتحقيق العبودية الحقة لله تعالى بالالتزام بما أمر الله به، والاستسلام لأوامره ونواهيه سبحانه وتعالى.

كما ان في اختيار رؤية الهلال لإثبات رمضان، ابتداء وانتهاء فيه بعد عن التحريف والتزوير وتحرير للعبادة من ان تخضع لهوى الناس ومزاجهم حكاماً كانوا او محكومين.

وحتى يتحقق الصيام ويقبل عند الله، لا بد ان يكون خالصاً لله تعالى وفق الشروط الشرعية المحددة لقبول الصيام.

فمن لم ينو بصيامه التعبد لله سبحانه وتعالى، فلا يحتسب صيامه عبادة لله سبحانه، حتى لو امتنع عن الطعام والشراب اي مدة يراها طالت المدة او قصرت.

وبذا يخرج من أحكام صيام العبادة ما يقوم به البعض عن الامتناع عن الطعام والشراب، حتى تتحقق مطالبهم السياسية مما يعرف بالإضراب عن الطعام.

كما يخرج من صيام العبادة ما يقوم به البعض من الامتناع عن الطعام والشراب بهدف تخفيف وزنهم أو الحمية عن بعض أنواع الأطعمة والشراب، بهدف الشفاء من بعض الأمراض أو الوقاية منها، والصيام

الشرعي كما انه يوجب الامتناع عن الطعام والشراب وهي شهوة البطن، يوجب كذلك الامتناع عن شهوة الفرج وهو الجماع وما في حكمه.

كما ينبغي للصائم ان يضبط لسانه فلا يتكلم الا بخير، وان سابه احد او قاتله فليقل: اني امرؤ صائم مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ.

وفي توقيت الصيام علامتان يسهل تمييزهما وهما: طلوع الفجر الصادق لبداية الصوم، وغروب الشمس لانتهاء الصيام في كل يوم، وفي هذا تيسير على الأمة الاسلامية، حيث يستطيع المسلم ان يعرف بداية صومه ونهايته في كل يوم من ايام الصوم، دون الحاجة الى دليل او مرشد او الاستعانة بالمراصد الفلكية وغيرها من الوسائل الحديثة وخاصة في الصحراء والأماكن النائية.

❖ فوائد الصيام:

١- ضبط النفس وقوة الإرادة والعزيمة وصلاح الانسان وتقواه.

٢- راحة الجهاز الهضمي: فالجهاز الهضمي الذي يعمل منذ ولادة الانسان الى ان يموت، يحتاج الى راحة في ساعات معدودة لفترة زمنية محدودة وهي شهر رمضان، وصيام التطوع لمن احب ورغب في مثوبة الله سبحانه وتعالى.

والمعلوم في الطب ان التحضير للعمليات الطبية الكبيرة، يشترط لها ان تكون المعدة خالية من الطعام تماماً قبل عملية التخدير، وربما اضطر الاطباء الى تفريغ المعدة من الطعام في العمليات الطارئة والمستعجلة قبل اجراء العملية.

٣- تنظيم لمواعيد الأكل والشرب في الصيام، والتعود على هذا الامر، حيث ان الاكل في مواعيد ثابتة لا يتخللها اكلات خفيفة بين الوجبات، مع اخذ الوجبات الثابتة الكافية، والتي تعطي الجسم حاجته من الطعام والشراب والطاقة، افضل بكثير من ملء المعدة وحشوها بما لا يفيد وقد يضر بالجسم مسبباً امراضاً كثيرة، كعسر الهضم وزيادة الوزن والدهون والضغط والسكري والسمنة وتصلب الشرايين، وما الى ذلك من امراض سببها الاسراف في الطعام والشراب.

ونحن عندما نسوق هذه الحكم والفوائد، لا نقصد تعليل حكم الله سبحانه وتعالى، وانما نسوقها ونثبتها للذين في قلوبهم مرض وشك، حتى نثبت ايمانهم ونزيل الريب من قلوبهم بإذن الله تعالى.

اما المؤمنون فإنهم يطيعون امر الله سبحانه وتعالى، سواء عرفوا الحكمة من أداء هذا الامر والالتزام به ام لم يعرفوا، ما دام الامر من عند الله سبحانه وتعالى، لأنهم يعتقدون ان الله لم يشرع شرعاً ولا فرض شيئاً او نهى عن شيء، الا لحكمة تحقق مصلحة للمسلم في دينه ودنياه.

٤- وفي الصيام ايضاً مدرسة يجدد المسلم فيها اسلامه، ومحطة يتزود فيها المسلم ويستزيد من التقوى، ويستدرك في هذا الشهر ما فاته وقصر به في السنة السابقة من العبادة والصلاة وقراءة القرآن والتهجد، وبهذا يأخذ من هذا الشهر دفعة ايمانية تعينه على الالتزام بأوامر ربه واجتناب نواهيه في بقية أيام السنة المقبلة.

٥- وقد شرع الله الصيام نافلة والقيام والأذكار والدعاء وقراءة القرآن والانفاق في سبيل الله والاعتكاف والصبر في جميع ايام السنة عامة، وخص ايام شهر رمضان هذه الاشياء، وندب الى الإكثار من عمل الخير في ايامه نهاراً وليلاً.

٦- والصيام يعود المسلم على الانضباط والجندية الحقة، واطاعة الأوامر الصادرة اليه، بالامتناع عن ما يشتهيه في ظروف خاصة، كما يطلب من العسكريين في الجيوش والقوات المسلحة في كل الدول، ومن ذلك مثلاً الامتناع عن التدخين في الكمائن والمعارك الليلية والمسيرات والحراسة على الخطوط الأمامية المواجهة للأعداء، حتى لا ينكشف امام عدوه ويعطيه الفرصة لرؤيته والانقضاض عليه والفتك به.

٧- اما الفائدة بالنسبة للامتناع عن شهوة الفرج، فنحن نعرف ما للمرأة من دور في التأثير على الرجل.

كما نرى ان ننبه الى حرمة الاسراف في الطعام والشراب في شهر رمضان على موائد الافطار مما يؤكل منه، الا الشيء القليل ويلقى بقية الطعام في النفايات وهذا لا يجوز في دين الله تعالى.

وننبه الصائمين الى ضبط اعصابهم والالتزام بالهدوء والسكينة اثناء التعامل مع الناس، وخاصة من كان في قطاع الخدمات وخدمة مصالح المراجعين في الدوائر الرسمية وتخليص معاملات المراجعين دون غضب او تذمر او عصبية بحجة انه صائم.

كما ننبه الذين يقبلون على المساجد والصلاة في شهر رمضان خاصة، ويتركون العبادة او يتهاونون بها في بقية العام، نقول لهم: ان رب رمضان هو رب شعبان وشوال ورب السنة كلها، وجميع ايام السنة

وشهورها سواء في فرضية الصلاة، فلا يجوز للمسلم ان يلتزم في الصلاة في شهر رمضان فقط ويتركها بقية أشهر السنة.

وننصح المدخنين ان يمتنعوا عن التدخين طيلة شهر رمضان نهاراً وليلاً، لعل ذلك يشكل نقطة البدء في تركهم لعادة التدخين المذمومة.

كما نلفت نظر الصائمين لعدم الاكثار من الطعام والشراب عند الافطار وعند السحور، حتى لا يصابوا بالتخمة، ولكي يستطيعوا القيام بالعبادات، وخاصة صلاة التراويح بخفة ونشاط، دون ان يثقلهم عنها ما أكلوه وأسرفوا بتناوله من الطعام والشراب وسائر الحلويات والمرطبات والعصائر بمختلف أنواعها.

كما ننبه الصائمين على ان يدخلوا الى ايام الافطار بعد شهر رمضان بالتدريج وبيسر، وخاصة يوم عيد الفطر، حتى لا يصابوا بالأمراض التي يسببها الاكثار من الطعام والشراب والحلويات في هذا اليوم.

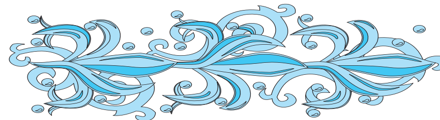
ونذكر بصيام ستة ايام من شهر شوال بعد يوم عيد الفطر، لورود الاحاديث الكثيرة في فضلها واجر من صامها.

كما لا يفوتنا ان نذكر هنا بصدقة الفطر والتي هي طهرة للصائم وطعمة للمساكين، وجبر لما قد يكون في صيامه من نقص، وكذلك فهي تعويد للمسلمين وخاصة الفقراء منهم على البذل والعطاء مهما كان قليلاً، حيث ان أحدهم لا يملك نصاب الزكاة الذي يحول عليه الحول لكي تجب عليه الزكاة فيؤديها، ولكن تجب عليه زكاة الفطر اذا كان يملك مقدار صدقة الفطر زائدة عن قوته وقوت عياله، فيجب عليه ان يخرجها عن نفسه وعياله، وكل من تلزمه نفقتهم صغيراً كان أو كبيراً.

ومقدار صدقة الفطر صاع من الطعام من بر او تمر أو أرز ونحوه مما حدده الرسول ﷺ في الاحاديث المبينة لذلك.

كما نذكر المسلمين بسنة الاعتكاف في المساجد، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان، كما نذكر بقيام الليل وخاصة في الثلث الأخير منه، لعل المسلم يصادف ليلة القدر فيستجيب الله له الدعاء فيها.

وكذلك قيام الليل في الثلث الأخير من الليل وقت تنزل ربنا عز وجل الى السماء الدنيا ليستجيب للداعي ويغفر للمستغفر ويعطي من سأله.



القرآن الكريم المعجزة الخالدة

■ بقلم الاستاذ المحامي شكري الحسن

يأخذ القرآن الكريم سبيله إلى القلوب، و يستولي على النفوس، فلا تلبث أن تشرح الصدور، و كم من رجال العرب الأشداء، اقبلوا على رسول الله ﷺ يريدون اغتياله فسمعوا آيات الله تتلى، فلم يلبثوا حين سمعوها ان تحولوا عن موقفهم الأول ودخلوا في دين الله تعالى وتبدلت العداوة فصارت موالاة والكفر إيماناً.

و من الامثلة في هذا السياق، موقف عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، من إسلام أخته، حين قرع بابها وحينما غلظت نفسه فصكها، ولما وقع القرآن الكريم في سمعه ثم يلبث ان اهتدى وآمن لوقته وقد قال احدهم: فتحت الامصار بالسيوف، وفتحت المدينة المنورة بالقرآن، كما ان الجن حين سمعوا ايات الله، اهتدوا وآمنوا ﴿**إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به**﴾ الجن: ١-٢ .

وقد شاء الله تعالى ان يكون القرآن الكريم معجزةً خالدةً ابد الدهر، فجعلها معجزة تخاطب الناس جميعا في كل زمان ومكان، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً**﴾ الانفال: ٢ .

وتحدى القرآن الكريم العرب، فوقفوا أمامه في حيرة من بيانه وبلاغته وتصريفه، ووجدوا فيه نمطاً فريدا لم يألفوه من قبل، فهو ليس بالشعر، ولا الكهانة، ولا يستطيع ان يقوله بشر، فدهشوا لعظمته، و نطقوا بإعجازه.

وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة فصلت الايات: ١-٤: حدث أن عتبة ابن ربيعة -وكان سيداً- قال يوما وهو جالس

في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المجلس لوحده: «يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فأُكلمه وأعرض عليه اموراً لعله ان يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟! وكان ذلك بعد إسلام حمزة رضي الله عنه، فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم فكلمه، فقام اليه عتبة حتى جلس اليه فقال: «يا ابن اخي انك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال الرسول ﷺ: «قل يا أبا الوليد اسمع».. قال: ابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وان كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع امراً دونك، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرأك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى اذا فرغ عتبة فسأله رسول الله ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم! قال: «فاستمع مني» قال: فافعل قال ﷺ: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم** ❁ **حم** ❁ **تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾ وقرأ له من سوره فصلت (١-٤) وحين سمع عتبة انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى ﷺ، وحين وصل رسولنا الكريم ﷺ الى السجدة، سجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك؟!».

فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم: نحلف بالله لقد جاءكم الرجل بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس اليهم قالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائي اني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط!! والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه!! فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأه فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا فيه ما بدا لكم.

وإذا نظرنا الى معجزات الأنبياء والمرسلين، وجدنا ان القرآن الكريم أعظم المعجزات كافةً، وأوضحها دلالة ذلك ان الخوارق في الغالب مغايرة للوحي الذي يتلقاه الانبياء وتأتي المعجزة شاهدة فقط، أما القرآن الكريم فهو نفسه الوحي وهو

الخارق المعجز فدلالته في عينه.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي الا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي اوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة».

وقد تنوعت وجوه الإعجاز القرآني، فهو معجزة كله في المعنى والمبنى، ومن الاسرار الدقيقة في القرآن الكريم تأثيره على القلوب، وسلطانه في النفوس، قال تعالى: **﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾** الزمر: ٢٣ .

وإنما جاء القرآن الكريم معجزا لأنه جاء بأفصح الالفاظ، في احسن نظام وتأليف، متضمنا أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته والدعوة الى طاعته وبيانه الطريق الى عبادته، من تحليل وتحريم وحظر واباحة، ووعظ وتقديم، وامر بالمعروف ونهي عن المنكر، وارشاد الى محاسن الاخلاق ومكارمها، والزجر عن مساوئها، متضمنا اخبار القرون الماضية، وما حدث فيها من مظالم وبغي وامتهان وكفر، مع الاشارة الى العصور اللاحقة القادمة، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والذي بان عنه الدليل، ومعلوم ان الاتيان بهذه الامور والجمع لأشتاتها كي تنتظم وتتسق، امر تعجز عنه قوى البشر مهما كانت قدراتها، ولعل ما انفرد به القرآن الكريم دون غيره ان النفس لا تمل اعادته، وكلما نظرت فيه وجدته غضاً جديداً مونقاً.. و كذلك انه جمع بين صفتي الجزالة والعذوبة، وهما كالمتضادين لا يجتمعان ابداً في كلام البشر.

يقول الامام شاه ولي الله في كتابه «الفوز الكبير في اصول التفسير»: «ان سألوا عن اعجاز القرآن من أي جهة هو؟ قلنا: المحقق عندنا انه لوجوه كثيرة جدا منها:

١- الاسلوب البديع، لأن العرب كانت لهم ميادين معلومة يركضون فيها جواد البلاغة، ويحرزون قصبات السبق في مسابقة الاقران، بالقصائد والخطب والرسائل والمحاورات، وما كانوا يعرفون اسلوبا غير هذه الاوضاع الاربعة، ولا يتمكنون من ابداعه، فابداع اسلوب غير اساليبهم على لسانه ﷺ وهو أُمي فإن ذلك عين الاعجاز.

٢- الإخبار بالقصص والاحكام والملل السابقة، بحيث كان القرآن الكريم مصدقا للكتب السابقة.

٣- الإخبار بأحوال المستقبل الآتية وكلما وجد شيء جديد نجد ذلك اعجازا جديدا في القرآن الكريم.

٤- الدرجة العليا في البلاغة مما ليس في مقدور البشر وبلاغته من جميع الوجوه، ولها الاستمرارية وليس لها فترة محدودة، وفي ذلك لا يقدر على منافسته احد من البشر وعلى سبيل المثال، هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدودة الى الآيات القليلة، وهي مع ذلك اكثر ما تجيئ آياتها على فاصلة واحدة، او فواصل قليلة، مع ما بين الفاصلة والمفاصل فكل آية في وضعها كأنها سورة من كلمات قليلة.

وهو من معاني قوله تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** الاسراء: ٨٢، وهي لعمر الله رحمة وأية رحمة!

واذا اردت ان تبلغ عجبا من ذلك فتأمل آخر سورة في القرآن الكريم، تلك اول ما يحفظه الاطفال، تلك سورة: **﴿قل أعوذ برب الناس﴾**، انظر كيف جاءت في نظمها، وكيف تكررت الفاصلة وهي لفظة الناس، وفيها السين اشد الحروف صفيرا، واطربها موقعا من النفس من سمع الطفل الصغير وأبعثها لنشاطه، وكيف تناسب مقاطع السورة عند النطق بها، تردد النفس في اصغر طفل يقوى على الكلام حتى كأنها تجري معه.

ومن اعجاز القرآن الكريم، اتساق عباراته واحكام نظمه، واتحاد طريقته في الابداع و القوة كأنما وضع جملة واحدة ليس بين اجزائها تفاوت او تباين، فمرد ذلك الى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الإلهي.

وقد ذهب العلماء الى ان الفاظ القرآن الكريم متميزة من جنسها بحيث اذا وجدت تركيبا قرآنيا في نسق الكلام دل على نفسه، وارشدت محاسنه اليه لما له من صفة الهيبة، قال تعالى: **﴿انه لقول فصل وما هو بالهزل﴾** الطارق ١٣-١٤ .

ومن وجوه الاعجاز القرآني: ان معانيه تجري في مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى ألفاظه، ولا يعدم المفكر وجها صحيحا من القول في ربط كل كلمة بأختها، وكل آية بضريبتها، وكل سورة بما اليها وهو علم عجيب.

وعن تجانس الألفاظ يقول الامام الفيروز آبادي في بصائره: «وأما تجانس الالفاظ فنوعان ايضا: اما من قبل المزاوجة كقوله سبحانه وتعالى: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾** البقرة: ١٩٤، **﴿إنما نحن مستهزئون ❁ الله يستهزئ بهم﴾**

البقرة: ١٤، ﴿**ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم**﴾ التوبة: ١٢ .

وإذا نظرنا الى أطول سورة وهي البقرة، نجد انها تشتمل على موضوعين رئيسيين:

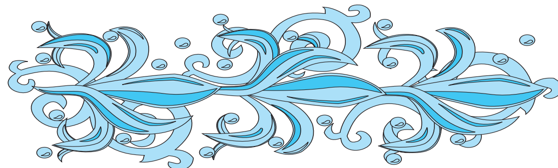
الاول: توجيه الدعوة الى بني اسرائيل وتذكير الله لهم بنعمته، واغراقه لفرعون، وتذكيرهم بألوان العناء التي عملوها، كاعتدائهم يوم السبت وتحريف آيات الله تعالى، وزعمهم ان الدار الآخرة خالصة لهم.

والثاني: يبدأ من قوله تعالى: ﴿**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**﴾ البقرة: ١٧٧، وقد نزل القرآن في بضع وعشرين سنة، وتألف من سبع وسبعين ألفاً وسبعة وثلاثين كلمة، واكتمل القرآن الكريم في هذه المدة بطريقة معجزة يستوي اولها نزولا وآخرها.

ومن أسرار الاعجاز الرباني في القرآن الكريم، انه نزل بلسان عربي مبين، بين عرب فصحاء اللسان، طبعوا على الصراحة في الرأي، والشجاعة في القول، والأنفة من الذل وقد تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله كما زعموا، ثم طاولهم في المعارضة، وتنازل لهم إلى التحدي بعشر سور مثله مفتريات: ﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ هود: ١٣ .

ثم تحداهم بسورة واحدة ﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ يونس: ٣٨، إن العرب رغم ذلك وقعوا في فشل إلى فشل ومن هزيمة إلى هزيمة وتحداهم حين عجزوا قائلاً: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾ البقرة: ٢٤ .

نعم انه القرآن الكريم كلام الله تعالى، المنزل على عبده و رسوله محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، الذي تعهد الله تعالى بحفظه وصيانته، انه المعجزة الخالدة الباقية إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها والله الهادي إلى سواء السبيل.



أبعاد القصة في القرآن الكريم

■ بقلم الاستاذ فوزي الخطبا

القصة في القرآن الكريم، دروس وعبر وصور ومواقف وأبعاد وظلال وآفاق، ودليل ساطع على وحدانية الله عز وجل، وهي وسيلة لتثبيت وتعميق العقيدة والإيمان والتقوى في النفوس، فلها في النفس والقلب وقع وأثر وتأثير تهز المشاعر والعواطف، وتحرك الضمائر وتسمو بالنفوس، لها هدف تربوي إيماني سام عال رباني، وهي باهرة في عرضها عميقة في معانيها قوية في طرحها صادقة في أحداثها ووقائعها، وهي كما قال احد التابعين: "الحكايات جند من جنود الله يثبّت بها قلب من شاء من عباده".

لقد جمعت القصة في القرآن الكريم جميع فنون القصة بكل مستوياتها وأشكالها شكلاً ومضموناً، فهي محكمة التنزيل ربانية المصدر، حفظت في الصدور قبل السطور فهي درس عملي للدعاة في كل زمان ومكان ذكرى وعبرة وموعظة، حاورت العقل وكشفت عن نوازع النفس الإنسانية أفراداً وجماعات وأقواماً، نقرأ خلاصة حياتهم وحضاراتهم التي سادت وبادت، وقد حملت القصة في القرآن الكريم رسالة التوحيد للخلق جميعاً فهي أحسن القصص وأعذب الكلام وأصدق الحديث، فلا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

القصة في القرآن الكريم جزء من نسيجه وجزء من موضوعه الذي يركز عليه، والصورة المجردة من قصص الأنبياء تدلنا على أن هذا القصص لا يساوق ليجعل من القرآن كتاب تاريخ..

ومن وجوه تناسب القصص مع غايات التنزيل[1] تمتزج القصة في القرآن الكريم

بموضوعاته امتزاجاً عضوياً لا يدع مجالاً للفصل بينها.. أي القصة وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن هذه القصة تجيء أبداً في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة في العقيدة، أو التشريع أو غير ذلك وتتعدد أساليب القرآن في التخلص إلى القصة والخروج منها، وطريقة عرضها في ثنايا الموضوع غير أن القصص جميعه لا يخرج عن الغاية المرسومة، وتلك هي الخصيصة الكبرى البارزة فيه التناسب وغايات التنزيل.

والقصة كسائر القرآن موظفة لتحقيق الغاية، التي من أجلها نزل الكتاب وهي خاضعة لمقتضيات هذه الغاية فالقرآن يبسط لبعض قصصه، ويقتضب في بعض آخر، أو يبسط القصة في موضع آخر أو يذكر القصة مجملة ثم يشرع في تفصيلها، أو يبسط بعض مجريات القصة ثم يجعل بعضاً آخر ولكل واحدة من هذه الحالات، علة تتفق والغرض ومقاصد القرآن فطريقة الإجمال قبل التفصيل في مقدمة تسبقها لإعداد النفوس للعرض، وقد تحوي هذه المقدمة طرفاً معجباً من القصة لتجذب السامعين، كما فعل في قصة يوسف عليه السلام بقص الرؤيا، ثم عرض القصة من أولها، على أن هذه القصة تساق أصلاً لأجله، إما بطريقة مباشرة لتثبيته وإما تأييداً لدعوته، ومن الإجمال نوع كالرمز الذي يأتي في أول القصة ليكون مفتاحها الذي تبني عليه الحبكة كلها، وهذه ذروة الفن والحرفة في القصة كما جاء في سورة يوسف، في صورة رؤيا يوسف فكانت رؤياه مفتاح القصة، وكانت آية على نبوته والقدرة على تعبير الرؤى، ثم هي في نهاية القصة تتحقق على نحو يفسر هذا الرمز: الشمس والقمر والنجوم.. وقد يأتي الإجمال في خاتمة القصة ليبين العبرة منها كما في ختام سورة هود"(٢).

القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية.

والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها، والأمثال التي

يضربها.. إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات.

وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات وخصائص معينة، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها.

والتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل لاحظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية، والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال"[٣]، ونزل به قرآنا، فحفظ تاريخ أمم وشعوب لو لم يذكرها القرآن لأصبحت نسياً منسياً.

لقد أعطى القصص القرآني النفس البشرية المؤمنة التربية الصالحة والضبط السوي، فرسم صوراً من حياة الأمم والشعوب والأقوام السابقة وبين لنا مصيرهم وبين فشلهم وبين القرآن للمسلمين صور ومشاهد من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومعتقداتهم المنحرفة وأعراضهم عن عقيدة التوحيد، ثم يبين المآل السيء لأقوام مارست عادات خاطئة وكان عاقبتها الخسران المبين وأوضح علاقة الأمم بأنبيائهم كل ذلك بأسلوب ممتع مشوق[٤].

إن أي نص أدبي ممتع يتطور مع الزمن لكن القصص القرآني أمر مختلف فساعة نزلت القصة حفظت في الصدور ثم كتبها كتاب الوحي في السطور، فهي لم تتغير ولم تتبدل لكننا لا نعدم عناصر القصة في القصص القرآني، فمعروف أن القصة نوعان قصيرة وطويلة، فالطويلة هي فن الامتداد والاستقصاء يتطلب من الروائي إعادة صياغة الواقع من جديد برؤية جديدة وموقف جديد وانعكاس موقفه منه بما يحمل الواقع من قضايا ومشاكل وصراع وتناقضات لأن فهم الواقع في الأعمال الإبداعية يتطلب لا سيما في الرواية خاصة، يتطلب امتلاك رؤية حادة في النفاذ بتحليل البنية التخيلية من أجل التوصل إلى رؤية خاصة التي في أغلب الأحيان ما تكون

متوارية خلف العمل الروائي.

فالنص الروائي له عالمه القائم بذاته، وله قانونه الخاص الداخلي به أما القصة فن اللحظة واللمحة[٥] فالقاص عندما يكتب قصصه ليس معلقاً في الفراغ، وهو يرن للواقع الذي يعيشه يكثر من مصادر قصصه وأصولها، مما يعني إنجاز عملية تكييف للسرد لا يتطابق مع الواقع، ولا ليكون هامشاً له، وإنما ليكون سبيلاً لمحاورته وتناوله، والانطلاق منه والاعتراض عليه، وفق رؤية المكان وجملة مواقفه، وطبيعة تأمله[٦]، فهدفه رسم رؤية للمستقبل حتى يتمكن الإنسان من حل مشكلاته على الأرض.

فمن الخطأ أن نطبق واقع القصة الفنية الحديثة، على واقع القصص القرآني فالقصص القرآني في مجمله يتناول العقيدة والتوحيد والشرك والكفر والفرعنة ويتحدث عن قطيعة الرحم والكذب وتوحيد الأديان وعاقبة الخير والشر وبعض الأمراض الاجتماعية كتطفيف الكيل والميزان والبطر بالنعمة والفسق ومقاومة الأقوام إلى أنبيائهم ورسلهم وحججهم الواهنة وأساليبهم الملتفة.

فالقصص القرآني جاء ليحقق مجموعة من الأغراض، حتى تتمكن هذه القصص من الولوج إلى النفس البشرية فتحرك كوامن الخير وترشد الإنسان إلى جادة الصواب، لقد جاء القصص القرآني لإثبات صدق رسالة محمد ﷺ.

فالرسول ﷺ لم يكن قارئاً ولم يكن مطلعاً على أحوال الأمم الأخرى ولم يجلس مع أحبار اليهود ولا مع كهنة النصارى ليستمع إليهم، ويتحدث القرآن الكريم صراحة على أن محمداً ﷺ، لم يكن يعلم أمر هذه القصص لا هو ولا قومه **﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾** هود: ٤٩ .

وثمة شيء آخر فإن محمداً ﷺ ومن كانوا معه -وكانوا قلة- يحتاجون إلى الثبات والحث على تحمل المشاق والصعاب ولتثبيت فؤاده ﷺ وكانت هذه القصص دعماً لأصحابه ﷺ ليصمدوا أمام أشد صنوف العذاب فتكا **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** هود: ١٢٠ .

فالقصص القرآني جاء تأييداً للرسول ﷺ، والتأييد هنا الإتيان بالمعجزات فيكون

للمؤمنين زاداً إيمانياً قوياً، يحفزهم على الثبات والصبر بعد أن صدقوا المعجزات.

كما أن رسل الله وأنبياءه الكرام لم ينقطعوا عن الأرض منذ عهد آدم أبو البشر فقد ذكر القرآن مثلاً خمساً وعشرين نبياً ورسولاً، فلم يأت نبي من أنبياء الله الكرام من نفسه نصب نفسه نبياً أو رسولاً، لأن مصدر الديانات واحد هو الله لذا فإن هذه الديانات اتفقت في الهدف وهو اعمار الأرض وتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له **﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ألا تتقون﴾** الأعراف: ٥٩ .

فالعلاقة بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ علاقة قوية، فكل الديانات تدعوا إلى الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة والانقياد له والبعد عن الشرك **﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** الحج، ٧٨ .

ونجد في القصص القرآني بعد أن يؤيد الله رسله ويثبت فؤادهم ينصرهم على أعدائهم، وفي ذلك سلوى للمؤمنين بالرسل وعزاء لهم بأن عاقبة هذا الظلم الذي لحق بهم من الكفرة، مصيره إلى زوال فإن طال الزمن أو قصر فالنصر آت لا محالة **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: ٥١ .

فما دام النصر قادماً فعلى المؤمن أن يبتعد عن غواية الشيطان ووسوسة إبليس، فالشيطان عدو للإنسان منذ أن خلق الله الخلق، والقرآن يحدثنا عن المؤتفكات وعن قوم لوط وعن ثمود وعاد وعن شعيب وأصحاب الأيكة، ولم ينس القرآن الكريم بيان نعم الله على أنبيائه عليهم السلام، فداود ألآن له الحديد ولسليمان سخر الله له الريح وعيسى كان يحيي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص ويشفي المرضى بإذن الله عز وجل.

إن ما فعله أنبياء الله من جهود عظيمة وجبارة لنشر دعوتهم وصبرهم على البلاء ذكر القرآن الكريم سيرتهم على مدى الحياة.

كما أن القرآن جاء بتكاليف دينية كانت بمقدور البشر فلا مجال لتركها أو تغافلها حتى لا يظل للإنسان حجة، لقد جاء القرآن الكريم بخوارق لا يستطيع الإنسان فعلها كخلق عيسى وآدم وإحياء الطير لإبراهيم وغيرها كثير وفي ذلك مدعاة لاطمئنان المؤمنين.

واستعمل القرآن الكريم أساليب عدة في عرضه لقصص الأنبياء عليهم السلام منها

أسلوب البشارة والتحذير والتشويق والترويج والتخويف..

❖ عناصر القصة الحديثة:

إن عقد مقارنة بين عناصر القصة في القرآن والقصة الحديثة أمر غير وارد بسبب واحد، القصة في القرآن كلام الله، أما القصة الحديثة فهي من خيال البشر، فلا مجال إذن للمقارنة ومن عناصر القصة الحديثة الحدث الزماني والمكاني والشخوص والحوار والحركة والصراع والعقدة والحل والزمان والمكان، لكن القصة في القرآن ربانية المصدر فهي صادقة مطابقة للواقع ولا مجال فيها للخرافات والأساطير.

وبالتالي فقد جاءت للعظة والعبرة مع احتواء القصص القرآني على المعجزات، والتكرار أنجع الوسائل للإتقان والتكرار يساعد المتعلم على إعادة اللفظ أو مرادفه خشية تناسي المعنى الأول لطول العهد به، هذا التنوع يزيد المعنى رسوخاً في النفس البشرية والقصص القرآني يخلو من الأساطير لأنه قصص ديني لا يمكن النظر إليه من زاوية أدبية صرفة، فالقصص يخلو من أساطير الأولين.

من هنا لا يمكن المقارنة بين عناصر القصة والقصة في القرآن، وذلك لأن الحدث مثلاً يحتوي على القيم الروحية ويختار القرآن من الأحداث ما يوجه النفس البشرية إلى الغرض الديني، أما الشخوص في القصص القرآني فشيء مختلف لأن القرآن لا يكتفي بالملامح الشخصية للشخوص، إنما يسبر غور الإنسان فيبين دوافعه وانفعالاته وكشف عن الهواتف النفسية ودواخلها وتقلباتها.

والشخوص قد تكون نماذج مشاهدة أو غير مشاهدة، وقد تكون بشرية وغير بشرية من الأنبياء وأقوامهم ومن غير الأنبياء، وما في الكون من كائنات ومخلوقات.

وفي القصص القرآني حركة وحوار في غاية الدقة، والحوار أنواع بين الله تعالى والإنسان بين الله تعالى وإبليس عليه لعنة الله وبين الإنسان والملائكة وبين الإنسان والحيوان وبين الإنسان ونفسه وبين الإنسان كنبي وقومه.

والغرض من الحوار القرآني التقرير أو التلقين أو المحاجة أو التذكير أو التخويف أو التبرير أو الاستهزاء.

أما الصراع في القصص القرآني فهو صراع بين قوى الخير وقوى الشر والغالبة دائماً قوى الخير ولو طال الأمر.

وعنصر المفاجأة في القرآن الكريم له أساليب متنوعة، تثير التفاعل في النفس البشرية فتنتظر النتائج وعندها تسكن النفس البشرية وتستقر.

طريقة عرض القصة في القرآن الكريم على أنواع منها:

إما أن يأتي بالملخص ثم تأتي التفصيلات كقصة أصحاب الكهف، أو يأتي بالعاقبة ثم تبدأ القصة كقصة موسى عليه السلام، أو أن تذكر القصة بلا مقدمات كقصة مولد عيسى عليه السلام، وقد تأتي القصة على شكل تمثيلية كحوار إبراهيم عليه السلام مع ربه.

أما عنصرا المكان والزمان، فإن عنصر الزمان لا يقل أهمية عن عنصر المكان لكن الزمان لا يذكر بجميع تفصيلاته وقد اهتم القرآن الكريم بالعدد (سبع ليال تسع ليال بضع ليال وهكذا) واهتم القصص القرآني بالوقت ﴿**والفجر ❖ وليال عشر**﴾ الفجر: ١-٢، ﴿**فأخذتهم الصيحة مشرقين**﴾ الحجر: ٧٣، والزمن في القصص القرآني يتجه للأمام حيث يبدأ من نقطة الحدث كقصة مريم ابنة عمران عليها السلام.

فهما عنصران هامان في القصة الكلاسيكية بإلباسها صورة من الواقع، وتشخيصها للأحداث في جو البيئة التي جرت فيها، وكل ما يتصل بهذه البيئة من ظروف وعادات لها تأثيرها في أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم، فإن القصة القرآنية لا يعنيها من ذكر المكان إلا ما جعلت منه جملة الأحداث الهامة مسرحاً لها: كمصر في قصة يوسف مع امرأة العزيز، ومع الملك، وفي غياهب السجن، وعلى عرش الحكم: ﴿**وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه**﴾.

ولعلنا نجمل أبرز وظيفة للقصة القرآنية(٧):

إن القصص مدرسة كبرى لمن أراد التعلم وجني الفائدة ففيها كل أسباب الهدى، وتفصيل لكل شيء يلزم لخلافة الإنسان في الأرض، وأمانة القيام على منهج الله في الأرض.

إن القصص القرآني دليل على ربانية القرآن،ولكن المكابرين يريدون أن يجعلوا القصص دليلاً على العكس، ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيءٍ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾.

القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون.. فهو يهديهم إلى السبيل الأمثل والأقوم ويكشف لهم سنن الهداية وأسبابها.. ورحمة حتى

يتجنبون كل ما يوقع الهلكة مما حذرت منه القصص.

فالقرآن قص علينا أحسن القصص، ليكون عبرة وذكرى وشفاء للقلوب من أمراض الجهالة، وإرشاداً لتقويم وشؤون البشر، وتهذيب النفوس، وإصلاح معاشهم ومعادهم، وليس الغرض سرد تواريخ الماضي، وذكر شؤونهم وأطوارهم، ولكنه للعظة والاعتبار، ولهذا لا يبالي فيها التكرار ولا يستهجن معها الإطناب بعد الإيجاز، أو الإيجاز بعد الإطناب، ولا أن تسرد غير مراعى فيها تعاقب الوقائع، ولا ترتيب الحوادث.

فالقرآن يذكر القصة في موطنها، بأساليب متغايرة، أو صورة متقاربة، لكل منها مغزى لا يؤديه غيره، ومرمى لا يصيبه سواه، وإلى هذا يشير قوله تعالى: **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** هود: ١-٢ .

القرآن لم يذكر من تاريخ الأنبياء ونحوهم إلا ما فيه عبرة، وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقامة، وتحصين الأخلاق والآداب بسياج الفضيلة، ولكن كتب اليهود والنصارى تقول ما فيه إفساد للأخلاق وتعليم للرذيلة.

في القصص عبرة، وكما قال أحد التابعين: الحكايات جند من جند الله يثبت بها قلب من شاء من عباده، وهذا صريح الآيات **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾** وقوله سبحانه وتعالى في سورة يونس: **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾**.

في قصص القرآن سنة الله في الأنبياء والأمم، أن نصر الله يجيء دائماً في نهاية الطريق وبعد استنفاد كل وسائل الإقناع،حتى لا يكون لأحد على الله حجة.

والقصص في القرآن دليل على وحدانية الله تعالى، وهي وسيلة لغرس فكرة التوحيد في النفوس ونزع ما ينافيها من معتقدات أخرى.

الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله لهداية الخلق، يقص علينا القرآن على لسانهم ما وعظوا به قومهم من الدعوة الى وحدانية الله وترك الإشراك به وعرض الدلائل النيرة التي تشهد بوجوده.

يؤكد القرآن المستمر في القصص أن الحق يظهر أخيراً، والفضيلة تنتصر ختاماً،فالباطل لا يجدي والانحراف لا يثمر.

القصص القرآني تربية عملية للدعاة إلى الله،تربية على معانٍ عديدة مثل: الصبر في أصعب الظروف، وعدم الياس من روح الله، والثقة بالقيم الإيمانية وأنه مهما تكن البدايات صعبة فإن العاقبة طيبة.

إظهار أصول الشرائع السابقة:

إظهار صدق قصص رسولنا الكريم ﷺ بعرض قصص السابقين دون تحريف أو تبديل مغاير ما جاء في الكتب السابقة.

مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل **﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾** يوسف: ١٠٢ .

القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السامع بكل جوارحه، وترسخ في النفس **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾**.

وصل المؤمنين في كل زمان بإخوانهم السابقين من المؤمنين على يد الرسل عليهم السلام، الرسالة فيها واضحة دائماً أن النصرة لأوليائه والعاقبة لهم،والويل لأهل الكفر وإن طال وقتهم وكثر عددهم[٨].

الهوامش:

١- كاظم الظواهري بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، نقلاً مناهج البحث في القصص القرآني، د. أحمد نوفل، ص (٣٧٧، ٣٨٦، ٣٨٤، ٣٨٥).

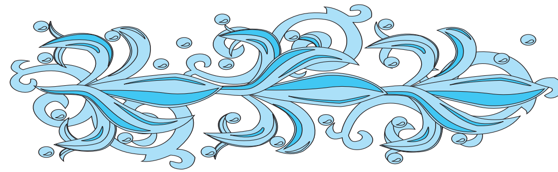
٢- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص (١١٧-١١٨).

٣- محمد رجب بيومي، البيان القرآني، ص (٢٢٢).

٤- فوزي الخطبا، أدباء عرب، دراسات في الأدب العربي الحديث، ص (٢٢٣).

٥- د. محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ص (٢٣)، عمان ٢٠٠٢ .

٦- محمد خير محمود العدوي، معالم القصة في القرآن الكريم، ص (٣٥-٣٦).



تعالوا نتأدب بأخلاق الاسلام

«أدب الصيام»

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

تعرف الأمم بأدب أفرادها وما يتحلون به من خلق وأدب، حيث الأدب أكمل الأخلاق واعلاها، وأحسن الأفعال وأبهاها، لذا كان اهتمام الاسلام بتربية الانسان وحثه الى التحلي بجميع الأوصاف الحميدة، لتجعل منه الشخصية المميزة والمتميزة، روى الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «افضل المسلمين اسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقا» والمسلم يوصف بتقيده بتعاليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحيث تصبح حياته خاضعة للمنهج الاسلامي الذي يتناول كل شأن من شؤونها، فهو على ضوئهما يعيش وبحسبهما يتكيف، فقد جاء في الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه مسلم.

تقوى الله تعالى هي الغاية من الصيام، فهو مطهر للجوارح من فعل المحرمات، مهذب للنفوس بالتورع عن الشبهات، مربّ لخلق الأمانة، كابح لجماح الشهوات، مقوّ للإرادة، قامع لفاحش النزوات وللصيام جمال تتحسسه الأرواح، وله سرّ تعرفه القلوب، ونفحات تعرف العبد لأعلى الدرجات، وارتقاء نفسي يصل بالعبد إلى الطريق الرباني.

وبهذا يكون للصيام قيمة إسلامية وإنسانية عظيمة وهو مقدمة للتقوى. وللصيام آداب جدير بالمسلم الصائم ان يلتزمها.. لتضفي على شبكته الروحية إضاءة جديدة.. ترتاح لها نفسه، ويحسن بها عمله.. وتقرّبه من ربه، **نذكر من هذه الاضمامة العبقة التالي:**

● **إذا رأيت هلال رمضان (أو هلال غيره) فقل كما كان الرسول ﷺ يقول:** "اللهم

أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال رشد وخير" (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

● **استقبال رمضان بنية أن تصوم لله إيماناً واحتساباً** (أي نية وعزيمة، وهو أن يصوم المسلم رمضان على التصديق والرغبة في الثواب.. طيبة به نفسه، غير كاره له، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه). وافتح في أول ساعة منه صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له فقد خاب وخسر! يقول ﷺ: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير اقبل، ويا باغي الشر اقصر" (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال: صحيح على شرطهما).

● **لا تجعل شهر الصيام شهر فتور وكسل،** فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل، وضعف الإنتاج، فهو شهر جَلَد وصبر، يتسلّح فيه المؤمن بقوة الإرادة، ومضاء العزيمة، فينشط إلى العمل، وينطلق في ميادين الكفاح، يملؤها بالجد المثمر، والسعي البنّاء.. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان: "أتاكم شهر رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل" (رواه الطبراني ورواته ثقات).

● **ليكن منهجك في الصوم، التخلّي عن الرذائل، والتحلي بالحلم، والوقار والسكينة،** واجتنب الرّفث (وهو الفحش من القول والعبارات البذيئة النابية) وترك الصّخب، (وهو الصياح ورفع الصوت)، فذلك علامة السفه والطيش، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من صام رمضان، وعرف حدوده وتحفّظ مما ينبغي له ان يتحفّظ، كفّر ما قبله" (رواه احمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد).

● **الإقبال على تلاوة القرآن في رمضان، في ليله ونهاره،** في الصلاة وخارج الصلاة، فهو شهر القرآن.. ففي الحديث المتفق عليه: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من

رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، اجود بالخير من الريح المرسلة".. «والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه" (رواه احمد بسند صحيح).

وتزود من فعل الخيرات، وأداء العبادات والإكثار من المبرات، فقد روى سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: "من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه" (رواه ابن خزيمة) وقال: إن صح الخبر.

● **قدّم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان،** روى انس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ اي الصدقة أفضل؟ قال: "صدقة في رمضان" (رواه مسلم).

● **فان الثواب يضاعف فيه. وإسداء المعروف،** وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم، يقع في ميزان الله أعظم موقع، وقد كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون في رمضان يقول ﷺ في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم: "هو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال ﷺ: يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من لبن) (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال: صح الخبر).

● **حتى يكون صومك صحيحاً يؤتي ثمرته،** ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك، تجنب قول الزور، والكذب، والغيبة، والنميمة، والمراء، وشهادة الزور، والسخرية بالناس، وتتبع عوراتهم، والإيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع وتجنب أيضاً عمل الزور وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد، وتدمر المجتمع وما ابلغ قول المعصوم ﷺ وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". (رواه البخاري).

● **إذا صدرت من غيرك إساءة لك، فقابل السيئة بالحسنة،** وادفع بالتي هي

احسن، وذكر نفسك بأدب الإسلام، والتزم خلق الصائم، وردد ما أمرك الرسول الكريم ﷺ به في هذا الموقف "فإن شاتمه احد او قاتله، فليقل: إني صائم.. إني صائم" (من حديث رواه احمد ومسلم والنسائي).

● **تناول إفطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب، على تمرات وترا،** أو على لبن فإن لم يتيسر لك ذلك، فعلى الماء فإن الماء طهور روى سلمان بن عامر الضبي عن النبي ﷺ قال: "إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور" (رواه أبو داود والترمذي) وذلك لتكسر حدة الجوع، وتطفئ حرارة العطش، فإن لبدنك عليك حقا، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل هذه سنة نبيك ﷺ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا يزال الناس بخير، ما عجّلوا الفطر" (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: "أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن).

● **عند الإفطار، توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين،** فهي في هذه اللحظة دعوة مجابة إن شاء الله يقول ﷺ: "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد" (رواه ابن ماجة) فاللهم سلمنا لرمضان وسلم رمضان لنا، وأعنا فيه على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان واغفر لنا يا ارحم الراحمين. وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول عند فطره: "اللهم إني لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله" (رواه أبو داود والنسائي).

● **تناول سحورك قريبا من الفجر،** ففي ذلك عون على النشاط في النهار، وتحمل مشاقّ الصوم، والوقت المناسب للسحور، قبل الفجر بنصف ساعة، وبذلك يجتمع لك فضلان: تحقيق السنة بتأخير السحور، وإدراك صلاة الفجر جماعة في وقتها.. عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "تسحروا فإن في السحور بركة" (متفق عليه) وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا الى الصلاة، قيل: كم كان بينهما؟ قال: خمسون آية" (متفق عليه).

● **تجنب الإفراط في الأكل والشرب،** فإن من حكم الصوم، التخفيف على المعدة وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام، وان عددا كبيراً من الأمراض الشديدة، والعلل المنهكة، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه،

وقد جاء في الحديث: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه" (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب، في رمضان وغيره فقال عز من قائل: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**﴾ الأعراف: ٣١ .

● **الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان،** فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر احيا الليل، وأيقظ أهله وشد المئزر" (رواه البخاري ومسلم) وفي رواية مسلم: "كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره".

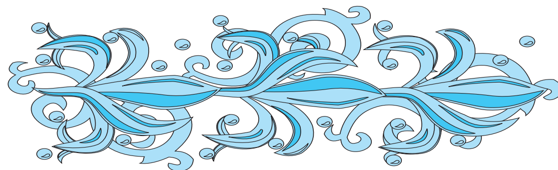
● **الاعتكاف في رمضان خاصة في العشر الأواخر/** تلك الشعيرة المنسية/ فقد روى علي بن الحسين عن أبيه رضي الله عنهم: "من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين "(رواه البيهقي).

● **التسوّك قبل الإفطار وبعده وأثناء الصيام** فإنه مرضاة للرب ومطهرة للفم قال الترمذي: لم ير الشافعي في السواك أول النهار وآخره بأسا، وكان النبي ﷺ " يتسوك وهو صائم، وتذكر أن خلوف فم الصائم.. أطيب عند الله من ريح المسك".

● **من الأدب أن لا يجاهر المسلم والمسلمة -المرخص لهما الإفطار- بالإفطار مجاهرة،** احتراما لشعور ومشاعر الصائمين، وحتى لا يجاهر المستهترون من المفطرين بالمجاهرة بإفطارهم بحجّة أو بغير حجّة.

● **وعلى الصائم أن يتأدب بآداب الإسلام،** فيعمل بما أمر الله، ويتجنّب ما نهى عنه، وأن يكف لسانه عن فضول الكلام، وأن يحسن معاملة الناس، وأن يبتعد عن إساءتهم، وأن يحسن عشرتهم وأن يكون فعالاً للخير.. بعيداً عن النقائص والشرور، وأن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة ويجعلها تصوم معه فلا تمتد لأحد بالإيذاء.. إنما الصيام من اللغو والرفث وقول الزور والعمل به.

إن رمضان شهر صيام وبرّ.. فلا تجعلوه موسماً لموائد التخمة والبذخ والولائم



الصوم وصحة الإنسان

■ بقلم الدكتور رضوان محمد العناتي

تصل نسبة السمنة في الأردن إلى حوالي ٧٣٪، ويؤكد الطب أن للسمنة أضراراً عديدة، وعليه فإنني في هذا المقال أريد أن أبين كيف يصنّف الإنسان نفسه بديناً أم رشيقاً؟ وذكر بعض الأمراض الناتجة عن السمنة وبيان العلاقة بين الصوم والصحة وكيف يمكن الاستفادة من صوم الفريضة وصوم التطوع في تحقيق حديث الرسول الكريم ﷺ: "صوموا تصحوا".

أولاً: معنى السمنة: وبيان تصنيف الإنسان:

يقصد بالسمنة الزيادة في الوزن عن الوزن المثالي للإنسان، وذلك في ضوء ربط وزن الإنسان بطوله بالمتر.

ويمكن تصنيف الإنسان حسب مؤشر كتلة الجسم، الذي حددته منظمة الصحة العالمية على النحو التالي:

مؤشر كتلة الجسم = وزن الانسان بالكيلو غرام/ مربع الطول بالمتر المربع، فمثلاً إذا كان وزن رجل (١٠٢) كغم وكان طوله بالمتر (١,٦٨) فإن مؤشر كتلة الجسم لهذا الرجل = ١٠٢ / (١,٦٨×١,٦٨) = ١٤,٣٦ .

وبالتالي فإن هذا الرجل يصنف أن لديه سمنة مفرطة وعليه التخلص من (٣١) كغم تقريبا (١٤,٣٦-٢٥) × (١,٦٨×١,٦٨) ؛ أي أن الوزن الطبيعي لهذا الرجل هو ٧١ كيلو غراماً.

ويمكنك أخي القارئ الكريم احتساب مؤشر كتلة جسمك وأن تصنف بالتالي نفسك، وتقرر من تلقاء نفسك هل أنت بحاجة إلى تخفيف وزنك أم بحاجة إلى زيادته؟.

ثانياً: أهم أمراض السمنة:

قد يغتر الإنسان السمين أنه ليس لديه أي من أمراض السمنة التالية حالياً، إلا أن الإنسان ينبغي عليه أن يعي أن أمراض السمنة ومضاعفاتها، قد تصيبه مستقبلاً فدرهم وقاية خير من قنطار علاج.

ويمكن تلخيص أهم الأمراض والمضاعفات الناجمة عن السمنة فيما يلي:

١. السكري وما قد ينتج عنه من أمراض ومضاعفات خطيرة كالعمى.

٢. ارتفاع ضغط الدم وارتفاع الكولسترول وما يصاحبه من جلطات.

٣. آلام المفاصل.

ثالثاً: العلاقة بين الصوم وصحة الإنسان:

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين صوم الفريضة أو صوم التطوع، وبين صحة الإنسان حيث أكد ذلك رسولنا محمد ﷺ في الحديث: "صوموا تصحوا"، إضافة إلى أن الصوم الذي لا يعقبه إسراف في تناول الطعام والشراب، مفيد للجسم وصحته، وعليه فإن أطباء الغدد والسكري ينصحون أي إنسان، سواءً كان وزنه طبيعياً أو كان بديناً بأن يجعل السعرات الحرارية المستهلكة، تفوق السعرات الحرارية التي يحصل عليها من الطعام والشراب، مما يساعد في الحماية المستقبلية بإذن الله تبارك وتعالى من السمنة وأضرارها.

إن طبيعة حياة الإنسان في هذه الأيام، وفي ظل توفر المركبات الخاصة للكثيرين وقلة الوقت المتاح لممارسة الرياضة، جعل الكثيرين يعانون من السمنة حيث تصل هذه النسبة في الأردن إلى حوالي ٧٣٪، مما يستوجب المراقبة الشديدة للسعرات الحرارية التي يتناولها الإنسان بمراقبة كميات الطعام والشراب.إن من الإعجاز في الحديث النبوي قوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "ما ملأ ابن آدم وعاء قط شر من بطنه،حسب ابن آدم لقيمات يقمن أوده، فإن كان ولا بد فاعلاً: فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه".

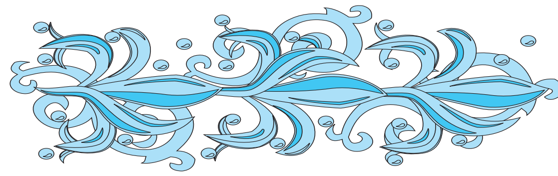
ولكن الكثير من الناس يملئون نصف إلى ثلاثة أرباع بطونهم بالطعام، ويأتي الشراب على ما تبقى فلا يستطيع أحياناً أن يتنفس بأريحية، مما يصيبه بالتخمة والسمنة وما يصاحبهما من أضرار في المدى القصير والمدى الطويل.

لو أنعمنا النظر في الحديث السابق، لوجدنا أن سيد ولد آدم ﷺ استخدم (لقيمات) وهي تصغير (لقمات) تأكيدا على

أضرار ملء البطن بشتى أنواع الطعام والشراب.

وإنني أرى كما أن أجل الإنسان ورزقه مقسوم، فإنك أيها الإنسان إن أسرفت في تناول الطعام والشراب في السنوات الأولى من حياتك، فإنك قد تحرمها كلياً أو جزئياً عبر ما يعرف بالحمية في السنوات المتقدمة من حياتك، وهذا يؤكده الواقع العملي من كثرة المصابين بأمراض السمنة، وها نحن نستقبل شهر رمضان، وهو فرصة طيبة للبدء من التخلص من السمنة في حالة وجودها أو المحافظة على وزنك طبيعياً إن كان كذلك، فالمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، وعلى الخطباء والوعاظ التأكيد على ضرورة التغيير من عاداتنا الغذائية السيئة من الإفراط في تناول الطعام والشراب، فكلنا يعلم قول الله تبارك وتعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** والحديث النبوي الشريف: "كلوا واشربوا من غير إسراف ولا مخيلة".

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



منزلة الصيام في الاسلام

■ **بقلم الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح**

يقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة: ١٨٣ .

إن ربنا سبحانه قد شرع لنا من الأعمال، ما نتقرب به إليه ومن أجلها وأفضلها الصوم، وعين لنا مواسم وأوقات مباركات نتعبد له فيها، ومن أجلها وأعظمها شهر رمضان، هذا الشهر الكريم الذي أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وقد جعل الله ثواب الصوم له لعظم قدره عنده.

قال رسول الله ﷺ: يقول الرب عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي».

ومعنى قوله: «إلا الصوم» أن الحسنات تُضاعف في هذه العبادة أكثر من أي عبادة أخرى لأن الرب عز وجل يتولى هو بنفسه تقدير ثواب هذه العبادة وأجرها.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يسمى: الريان لا يدخل منه إلا الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه غيرهم فينادي منادي أين الصائمون، فيدخلون منه حتى إذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد» متفق عليه.

وعن أبي إمامة رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله مُرني بأمر آخذه عنك فقال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له».

وهذه العبادة العظيمة قد شرع الله عز وجل لها أوقاتًا متعددة ومواسم متنوعة، أجلها وأفضلها وأعظمها شهر رمضان

المبارك، فصيام هذا الشهر الكريم هو أفضل وأعظم أنواع الصيام، وهذا الشهر الكريم هو أفضل وأجل مواسم الصيام يقول رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتّحت أبواب السماء وغُلّقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين» متفق عليه.

وللترمذي وابن ماجة قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن وغُلقت أبواب جهنم فلم يُفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي منادي: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة».

وقال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» أما تصفيد الشياطين وسلسلتهم فليس معناه أنه لا يبقى شيطان ولا جني إلا وصُفد وسُلسل في هذا الشهر الكريم، إنما المراد مردة الشياطين أي: رؤوسهم وطواغيتهم الذين هم أكثرهم خبثًا وشرًا وفسادًا وإفسادًا وإغواءً لبني آدم، وتبقى بقية من الشياطين الصغار والجن الأتباع يوسوسون لكثير من الناس ولولا ذلك لم تر في رمضان أحدًا يعصي الله عز وجل.

فهذه العبادة العظيمة إذا أخلص الإنسان النية فيها واحتسبها عند الله عز وجل، تُفتح فيه أبواب الجنة وأبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم.

وقد كان رسول الله ﷺ لذلك يبشر أصحابه بقدوم هذا الشهر فيقول: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تُفتّح فيه أبواب الجنة - أو قال: أبواب السماء - وتُغلّق فيه أبواب النار وتُصفد فيه مردة الشياطين، ولله فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم».

كما أن رسول الله ﷺ سن لنا من الصيام في غير رمضان، أنواعًا من الصيام نتقرب بها إلى الرب عز وجل، فسن صيام ست من شوال قال: «من صام رمضان واتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»، وسن ثلاثة أيام من كل شهر وهي الأيام البيض «الأيام الغر» رأى رسول الله ﷺ أعرابيًا صائمًا فقال: «إن كنت صائمًا فصُم الغُر»، أي الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، وأفضل الصيام بعد رمضان هو صيام داود عليه السلام كان يصوم يومًا ويفطر يومًا كما أخبرنا بذلك المصطفى ﷺ».

ودل هذا على أن هذا الصيام هو أفضل

من صيام الدهر كله، أفضل ممن صام سائر الأيام، بل إن من صام الدهر فقد خالف سنة المصطفى فقد نهى الرسول ﷺ عن صيام الدهر.

فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام الدهر أو عمن صام الدهر فقال: «ما صام وما أفطر».

وسُئل ﷺ عن صيام يومين وإفطار يوم فقال: «ومن يطيق ذلك؟» فسُئل عن صيام يوم وإفطار يومين فقال ﷺ: «لو أن الله عز وجل قوانا على ذلك».

وسُئل ﷺ عن صيام يوم وإفطار يوم فقال: «ذاك صيام أخي داود».

وقال ﷺ: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان إلى رمضان كصيام الدهر» أي يعدل صيام الدهر.

وسُئل ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية».

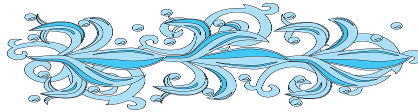
وسُئل ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يُكفر السنة الماضية» روى كل ذلك مسلم في صحيحه.

ومن أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم كما أخبر بذلك ﷺ فقال: «أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة فيه بعد الفريضة صلاة الليل» رواه مسلم.

وما رؤي ﷺ صائمًا أكثر منه في شهر شعبان، فمما سنه لنا أيضًا صيام شهر شعبان. وكذلك سن لنا رسول الله صيام العشر الأوائل من ذي الحجة، وأما الصيام في الجهاد فمن أعظم الأعمال قال ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار مسيرة مائة عام».

ما أعظم أن يجمع المؤمن بين الجهادين جهاد النفس بالصيام، وجهاد أعداء الله بالقتال في سبيل الله فإن هذا من أعظم المراتب وأفضل الأعمال.

نسأل الله العظيم أن يعيننا على صيام هذا الشهر الكريم وعلى قيامه، وأن يجعلنا من عتقاء النار فيه وأن يوفقنا لفعل الخيرات في سائر الأوقات والمواسم المباركات إنه قريب مجيب الدعوات.



تحقيق التقوى في صيام رمضان

■ بقلم الشيخ فهد عبد الرحمن

قد أظلنا شهر الرحمات والبركات شهر الطاعات والصدقات، شهر يجازي فيه الله على القليل بالكثير، ويضاعف فيه الحسنات، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

قال ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين،لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم».

وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان».

وقال: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»، وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به». أي أن أجره عظيم تكفل الله به لعباده الصائمين المخلصين.

شهر رمضان عند سلفنا الصالح ليس شهر النوم والبطالة والبدانة، إنه شهر عظيم عرفوا قدره ومكانته، وعلموا أن من حرم الخير والرحمة فيه فهو المحروم حقاً.

شهر رمضان عندهم هو شهر الجد والنشاط والاستعداد للدار الآخرة، فشهر رمضان عندهم هو شهر جميع الطاعات، هو شهر الصلاة والقيام حيث كانوا يحيون ليله كله قياماً وتهجداً، وهو شهر القرآن

حيث كانوا يختمون به في كل يوم مرة أو مرتين، فكان لبعضهم في رمضان ستون ختمة، وهو شهر الصدقات حيث كانوا يطعمون الطعام ويفطرون الصوام، ورمضان عندهم هو شهر الجهاد حيث وقعت فيه أعظم فتوحات الإسلام، فيه معركة الفرقان الكبرى معركة بدر التي فرق الله فيها بين التوحيد والشرك، وفي رمضان كذلك كان الفتح الأعظم فتح مكة الذي فيه أزهق الباطل وهدمت قلاعه ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

إذاً شهر رمضان عند أسلافنا ليس شهر النوم والكسل والعبث، بل شهر ملؤوا ساعاته ولياليه بالطاعات والعبرات والبكاء والانطراح بين يدي الله يرجون رحمته ومغفرته. إذا كان هذا حالهم في رمضان، فما هي حالنا في رمضان كيف هو حال الأمة يدخل عليها هذا الشهر الكريم هل استعدت للقائه؟ هل عزمت على استثماره واغتنامه؟ هل أعطته حقه من التكريم والتعظيم؟

الصائمون حقاً قد استقبلوا هذا الشهر الكريم بالفرح والاستبشار وحمد الله أن بلغهم رمضان، قد عقدوا العزم على اغتنام نهاره ولياليه بالطاعات والقربات والبعد عن المحرمات، قد امتلأت بمثل هؤلاء المساجد وخلت منهم الأسواق، فهؤلاء هم صلة السلف الذين عرفوا لهذا الشهر قدره ومنزلته، فعمروه بطاعة الله وطلب رضوانه.

وهذه وقفتان نقفهما عند آية وحديث.

الوقفة الأولى: عند قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ فهذه الآية دلت على أن الغاية الكبرى من هذا الصيام هو حصول تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فالصائم الذي لم يحقق تقوى الله في صيامه قد خسر الثمرة من هذا الصيام الذي لم يشرعه الله لمجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة فحسب قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» والمعنى من لم يترك الكذب والميل عن الحق.

الوقفة الثانية: عند قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

ومعنى قوله ﷺ: «إيماناً واحتساباً» أي مصدقاً بوجوبه راغباً في ثوابه طيبة به نفسه غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه.

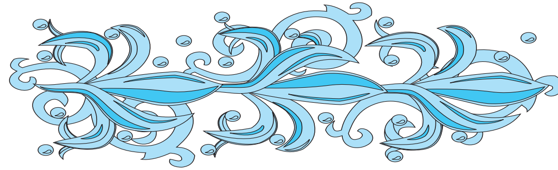
ولا نعجب ممن يصوم ويصلي مع الناس ومع ذلك لا نجد أثراً للصيام في أعماله وتصرفاته بل يوم صومه وفطره سواء، وسر ذلك أن كثيراً من الناس يصومون ويصلون التراويح مع الناس، لكن فعلهم هذا قد غلبت فيه العادة نية العبادة، ولذلك لا نجد للصيام والقيام أثراً في حياتهم قال جابر: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء».

فإذاً قوله في صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر: «إيماناً واحتساباً» هو سبب حصول ثمرة الصيام، وهو غفران الذنوب وحصول الرضى من الله، وأما من صام لأن الناس يصومون، وقام لأن الناس يقومون غافلاً عن إصلاح النية واحتساب الأجر على الله، فهذا قد خسر الأجر والثواب الجزيل.

هذا الشهر الكريم قد هل علينا وما أسرع ما تنقضي أيامه ولياليه، وصدق الله إذ يقول عن هذا الشهر **﴿أياماً معدودات﴾**.

فلنبادر فيه بالأعمال الصالحة والتوبة إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، فهو فرصة للتوبة والدعاء والعتق من النيران، فمن لم يتب فيه فمتى يتوب؟ ومن لم يدع فيه المعصية ولم يستجب له فمتى يدع؟ ومن لم يعتق من فيه من النار فقد خسر أعظم الخسارة.

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾.



حكم صيام يوم السبت أو الجمعة أو يوم عرفة أو عاشوراء

■ بقلم الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

يقع الجدال والنقاش كثيراً حول حكم إفراد صيام يوم السبت أو يوم الجمعة بالصيام، لا سيما عند وقوعه في يوم عرفة أو عاشوراء؟ وبيان ذلك: أنه لا كراهة مطلقاً بصيام يوم السبت أو يوم الجمعة في يوم عرفة أو عاشوراء عند فقهائنا المعتبرين ومذاهبنا الفقهية المعتمدة، كما دلَّت عليه عباراتهم، وكلمات ثقاتهم، ومن ذلك:

أولاً: إن صيام يوم السبت أو يوم الجمعة إن وافق صياماً يعتاده، فلا كراهة فيه في المذاهب الفقهية المعتمدة[١]، كما نصَّ عليه أكابر العلماء من الحنفية والمالكية[٢] والشافعية والحنابلة[٣].

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي[٤] والعلامة الشربيني الشافعي[٥]: «محل كراهة إفراد ما ذكر -أي من الجمعة والسبت- إذا لم يوافق عادة له، فإن كان له عادة كأن اعتاد صوم يوم وفطر يوم فوافق صومه يوماً منها لم يكره».

وقال خاتمة المحقِّقين ابن عابدين الحنفي[٦]: «يكره تعمد صومه -أي السبت والأحد- إلا إذا وافق يوماً كان يصومه قبل، كما لو كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، أو كان يصوم أول الشهر مثلاً فوافق يوماً من هذه الأيام».

وعليه فلا محلّ لإنكار منكر بصيام السبت أو الجمعة إن وافق يوم عرفة أو عاشوراء لعادة الناس بصيام هذه الأيام المباركة.

ثانياً: إن يوم عرفة وعاشوراء من الأيام الفاضلة، التي ثبت فيها الجزاء العظيم لمن صامها في الأحاديث الصحيحة الكثيرة،

كحديث: «صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[٧]، وحديث: «صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»[٨].

فلو سلَّمنا بوجود نهي عن صيامها، فأين ثبوت هذا النهي من ثبوت هذا الأجر الكبير لمن صامها، فهيهات هيهات كما يأتي.

ثالثاً: إنه لم يحرم إفراد صيام يوم السبت أو الجمعة أحد معتبر من الفقهاء، كما نقل ذلك العلامة ابن مفلح الحنبلي[٩]، بل اختلفوا في الكراهة وعدمها كالآتي:

فالسادة الحنفية قالوا بالكراهة التنزيهية في إفراد يوم السبت بالصيام؛ لما فيه من التشبه باليهود[١٠]، ولما سيأتي من حديث في النهي عن صيامه، وذكر شمس الأئمة الحَلْوانيّ لا بأس بصيام يوم السبت إذا كان لا يعتقد تعظيم ذلك اليوم[١١].

ومعلوم أن الكراهة التنزيهية هي خلاف الأولى فقط، فيكون عندهم الأولى عدم إفراد يوم السبت بصيام، ولو صامه فلا إثم عليه، بل هو مأجورٌ؛ لما ورد فيه من الأحاديث في فضيلة صومه، ومنها:

١. عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «أكثر ما كان يصوم ﷺ من الأيام يوم السبت والأحد، وكان يقول: إنهما عيدان للمشركين وأنا أريد أن أخالفهم»[١٢].

٢. عن ابن عباس رضي الله عنه بعث إلى أم سلمة وإلى عائشة يسألهما ما كان رسول الله ﷺ يحب أن يصوم من الأيام فقالتا: «ما مات رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صومه يوم السبت والأحد ويقول: هما عيدان لأهل الكتاب فنحن نحب أن نخالفهم»[١٣].

وأما يوم الجمعة فلا كراهة فيه عندهم، وإنما قالوا: باستحباب صومه وإن لم يصم يوماً قبله أو بعده[١٤]؛ للأحاديث الواردة في فضل الصيام، وبعض الأحاديث المشيرة لاستحباب صيامه، ومنها:

١. حديث صيام الدهر، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: «أخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقال له رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، قلت: قد قلته، قال: إنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: فصم يوماً وأفطر يومين، قال: قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود، وهو عدل الصيام، قلت: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله قال: لا أفضل

من ذلك»[١٥]، فلم يحدد النبي ﷺ يوماً قبل الجمعة أو بعده.

٢. حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يصوم من غرّة كلّ شهر ثلاثة أيام، وقلَّما كان يفطر يوم الجمعة»[١٦]، قال بدر الدين العَيْني[١٧]: «والحديث على ظاهره، ولا تدفع حجيته بالاحتمال الناشئ عن غير دليل من كونه يحتمل عدم تعمد فطره إذا وقع في الأيام التي كان يصومها».

وعند السادة المالكية، فعن الإمام مالك قال[١٨]: «لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومَن يقتدى به، نهى عن صيام يوم الجمعة، وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه».

وعلَّق عليه الفقيه أبو الوليد الباجي المالكي[١٩]: «هذا مذهب مالك رضي الله عنه أن صيام يوم الجمعة ليس بممنوع، وأنه يجوز صومه لمن أرادَ صيامه، وكذلك سائرُ أيام الأسبوع مفرداً ومتصلاً بغيره إلا أنه يكره أن يتحرَّى هذا وغيره بغير صيام، والأصلُ في ذلك ما روي عن علقمة رضي الله عنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: «هل كان رسول الله ﷺ يختصّ من الأيام شيئاً؟ قالت: لا، كان عمله ديمة»[٢٠].

وظاهر الكلام يفيد أنه لا كراهة في صيام يوم السبت أو الجمعة، وإنّما الكراهة في تخصيصهما بالصيام دون غيرهما، كما أن حكمَهما حكم صيام باقي أيام الأسبوع.

وصرَّحَ العلامةُ الدرديرُ المالكيُّ[٢١] والعلامة عليش المالكيّ[٢٢]: «بندب صوم يوم الجمعة وحده فقط، وإن لم يصم قبله ولا بعده، فإن ضمَّ إليه آخر فلا خلاف في ندبه.. وحمل النهي الوارد في قوله ﷺ: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله يوماً أو بعده»[٢٣]، على التَّقيَّة من فرضه كما اتقى قيام رمضان، وقد أمنا من هذه العلّة بوفاته ﷺ؛ ولذا يذكر أن ابن رشد كان يصومه إلى أن مات».

وعند السادة الشافعية يكره إفراد يوم السبت أو الجمعة بالصيام ما لم يوافق عادته؛ لقوله ﷺ: «لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده»؛ وليتقوى بفطره على الوظائف المطلوبة في الجمعة، ومن هنا خصّ الكراهة فيه البَيْهَقيّ والماوردي وابن الصبّاغ والعمراني نقلاً عن مذهب الشافعيّ بمَن يضعف به عن الوظائف، وإلا فلا يكره له صيامه[٢٤].

وظاهر كلام الحافظ ابن حَجَر العسقلانيّ الشافعيّ عدم كراهة إفراد السبت بالصيام؛ إذ قال[٢٥]: «إن الذي قاله بعض الشافعية من كراهة إفراد السبت وكذا

الأحد ليس جيداً، بل الأولى في المحافظة على ذلك يوم الجمعة كما ورد الحديث الصحيح فيه، وأما السبت والأحد فالأولى أن يصاما معاً وفرادى امتثالاً لعموم الأمر بمخالفة أهل الكتاب».

ففيما سبق تخصيص من بعض الشافعية كراهة صيام الجمعة بمَن ضعف عن أداء وظائفها، وردّ من ابن حجر العسقلاني على مَن قال بكراهة إفراد يوم السبت بالصيام.

وعند السادة الحنابلة يكره إفراد صيام يوم الجمعة أو يوم السبت[٢٦]، ولكن قال الأثرم: وحجّة الإمام أحمد في الرخصة في صوم يوم السبت، أن الأحاديث كلها مخالفة لحديث عبد الله بن بشر الآتي ذكره، وقد سبق ذكر بعض هذه الأحاديث المخالفة له.

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي[٢٧]: «واختار شيخنا أنه لا يكره، وأنه قول أكثر العلماء، وأنه الذي فهمه الأثرم من روايته، وأنه لو أريد إفراده لَمَا دخل الصوم المفروض ليستثنى، فالحديث شاذٌ أو منسوخٌ، وأن هذه طريقة قدماء أصحاب أحمد الذين صحبوه، كالأثرم وأبي داود، وأن أكثر أصحابنا فهم من كلام أحمد الأخذ بالحديث، ولم يذكر الآجري غير صوم يوم الجمعة، فظاهره لا يكره غيره».

فبهذا يتضح أنه لا وجه لإنكار صوم يوم السبت أو الجمعة في عرفة أو عاشوراء طالما أن إفرادهما بالصيام من سبب ليس بمحرم، بل نصَّ الحنفية والمالكية على استحباب صيام يوم الجمعة بمفرده، وعدم الكراهة في صيام السبت عند المالكية والكراهة التنزيهية فيه لا غير عند الحنفية.

وكره الشافعية والحنابلة إفراد يوم الجمعة أو السبت وخالف جمع من فقهاء الشافعية المعتبرين أن الكراهةَ خاصّة في يوم الجُمُعة فيمن يضعف عن وظائفها، وردَّ ابنُ حَجَر قولَ بعض الشافعية بكراهية إفراد يوم السبت بأنه لا كراهة فيه، وقال بعض الحنابلة: إن المعتمد عند الإمام أحمد عدم كراهة إفراد يوم السبت، وقالوا: إن هذا قول أكثر العلماء، وقد مرَّ دلائل كل طرف.

رابعاً: إن الحديثَ الوارد في النهي عن صيام يوم السبت عن عبد الله بن بسر عن أخته، وهي الصماء، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم وإن لم يجد أحدكم إلا عود عنبة أو لحاء شجرة فليمضغها»[٢٨]، فإنه محلّ نظر عند كثير من الأئمة وفقهاء الأمة، ولهم محامل وتوجيهات ومسالك عديدة في ردّه، نذكر لك بعضها ليتبيَّن لك حاله ومقاله، ومنها:

١. أنه حديثٌ ضعيفٌ مردود، لم يقبل

كبار الحفاظ والمحدثين؛ قال الإمام مالك: «هذا الحديث كذب»[٢٩].

وعن ابن شهاب أنه كان إذا ذكر له أنه نهى عن صيام يوم السبت، قال: «هذا حديث حمصي»[٣٠]، وقال الإمام الطحاوي[٣١]: «ولقد أنكر الزهري حديث الصماء في كراهة صوم يوم السبت، ولم يعده من حديث أهل العلم، بعد معرفته به».

وقال الإمام النسائي: «هذه أحاديث مضطربة»، وقال الأثرم: ((وكان يحيى بن سعيد يتقيه وأبى أن يحدثني به))[٣٢]، وقال الإمام الأوزاعي: «ما زلت له كاتما حتى رأيته قد اشتهر»[٣٣]، وقال الحافظ ابن حجر[٣٤]: «لكن هذا التلون في الحديث الواحد بالإسناد الواحد مع اتحاد المخرج، يوهن راويه وينبئ بقلة ضبطه، إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين بجمع طرق الحديث، فلا يكون ذلك دالاً على قلّة ضبطه، وليس الأمر هنا كذا، بل اختلف فيه أيضا على الراوي عن عبد الله بن بسر أيضا».

وقال صاحب «عون المعبود»[٣٥]: «وقد طعن في هذا الحديث جماعة من الأئمة: مالك بن أنس، وابن شهاب الزهري، والأوزاعي، والنسائي، فلا تغتر بتحسين الترمذي وتصحيح الحاكم، وإن ثبت تحسينه فلا يعارض حديث جويرية بنت الحارث الذي اتفق عليه الشيخان».

٢. أنه حديثٌ منسوخٌ بحديث الجويرية: «أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: صمت أمس قالت: لا، قال: فتريدين أن تصومي غداً..»[٣٦]، وحديث أم سلمة رضي الله عنها: «أنه ﷺ كان يصوم يوم السبت والأحد يتحرى ذلك ويقول: إنهما يوما عبد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم»، وفي لفظ: «ما مات رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد».

وأشار بقوله ﷺ: «يوما عيد» إلى أن يوم السبت عيد عند اليهود والأحد عيد عند النصارى وأيام العيد لا تصام فخالفهم بصيامها، وممن قال بالنسخ الإمام أبو داود[٣٧]، والحافظ ابن حجر العَسْقلاني[٣٨]، والإمام علي القاري[٣٩]، وغيرهم.

٣. أنه حديث شاذ خالف الأحاديث المشهورة بجواز صيام يوم السبت تطوعاً كما سبق، قال الإمام الطحاوي[٤٠]: «ففي هذه الآثار المروية في هذا، إباحة صوم يوم السبت تطوعاً، وهي أشهر وأظهر في أيدي العلماء، من هذا الحديث الشاذ، الذي قد خالفها..».

٤. أن هذا الحديث إن صحَّ فمحلّ الكراهة هو تعظيم هذا اليوم بالصيام، فإن

لم يكن تعظيم له فلا كراهة، قال الإمام الطحاوي[٤١]: «وقد يجوز عندنا، والله أعلم، إن كان ثابتاً، أن يكون إنما نهي عن صومه، لئلا يعظم بذلك، فيمسك عن الطعام والشراب والجماع فيه، كما يفعل اليهود، فأمّا مَن صامه لا لإرادة تعظيمه، ولا لما تريد اليهود بتركها السعي فيه، فإن ذلك غير مكروه».

وقال شيخنا العلامة الدكتور هاشم جميل: «أجمع وأخصر ما قرأته في حديث الصماء كلام الترمذي، حيث قال بعد روايته لهذا الحديث[٤٢]: «هذا حديث حسن، ومعنى كراهته في هذا: أن يخصّ الرجل يوم السبت بصيام؛ لأن اليهود تعظّم يوم السبت».

إذن فالنهي عن تحري يوم السبت بصوم التطوع، فمن صام يوما قبله أو يوما بعده فهو لم يتحر صومه، ومَن صامه لأنه وافق عادته في الصوم فهو لم يتحر صومه، ومن صامه؛ لأنه وافق صوماً مشروعاً كصوم عرفة أو عاشوراء فهو غير متحرّ له»[٤٣].

وبهذا يتبيَّن أنه يسنّ ويستحبّ صيام يوم السبت والجمعة إذا كانا يوم عرفة أو عاشوراء بلا خلاف عند الفقهاء المعتبرين، وأن الحديث الوارد في يوم السبت ليس على إطلاقه، بل ضعفه جلّ الحفاظ، وقال بنسخه آخرون، وأول معناه البعض الآخر، والله الموفق.

الهوامش:

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٨: ١٤-١٥).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، (٢: ٧٦).

(٣) الفروع (٣: ١٢٥).

(٤) أسنى المطالب (١: ٤٣٢).

(٥) مغني المحتاج (٢: ١٨٥).

(٦) رد المحتار (٢: ٣٧٥)، منحة الخالق (٢: ٢٧٨).

(٧) صحيح مسلم (٢: ٨١٨)، وغيره.

(٨) صحيح مسلم (٢: ١٨١)، وغيره.

(٩) الفروع (٣: ١٢٥): فقال بعد ذكر الأيام المكروهة: «ولا يحرم صوم ما سبق من الأيام نص عليه الشافعي وأحمد في الجمعة، قال صاحب «المحرر»: ولا نعلم قائلاً بخلافهما».

(١٠) البدائع (٢: ٧٩)، البحر الرائق (٢: ٢٧٨)، مجمع الأنهر (١: ٢٥٤)، وغيرهما.

(١١) الفتاوى الهندية (١: ٢٠١).

(١٢) صحيح ابن حبان (٨: ٣٨١، ٤٠٧)، صحيح ابن خزيمة (٣: ٣١٨)، المستدرك (١: ٦٠٢)، سنن البيهقي الكبير (٤: ٣٠٣)، وغيره.

(١٣) سنن النسائي (٢: ١٤٦)، وغيره. قال ابن مفلح

في الفروع (٣: ١٢٤): وصححه جماعة، وإسناده جيد.

(١٤) بدائع الصنائع (٢: ٧٩)، البحر الرائق (٢: ٢٧٨)، مجمع الأنهر (١: ٢٥٤)، وغيرها.

(١٥) صحيح البخاري (٣: ١٢٥٦)، وغيره.

(١٦) صحيح ابن حبان (٨: ٤٠٦) سنن الترمذي (٣: ١١٨)، وحسنه، سنن النسائي الكبرى، (٢: ١٢٢)، المجتبى (٤: ٢٠٤)، مسند الشاشي (٢: ١١٢)، مسند أحمد (١: ٤٠٦)، مسند أبي يعلى (٩: ٢٠٦)، وغيرها.

(١٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١: ١٠٥).

(١٨) الموطأ (١: ٣١١).

(١٩) المنتقى شرح الموطأ (٢: ٧٦).

(٢٠) صحيح البخاري (٢: ٧٠١)، وغيره.

(٢١) الشرح الكبير (١: ٥٣٥).

(٢٢) منح الجليل شرح مختصر خليل (٢: ١٤٨).

(٢٣) صحيح مسلم (٢: ٨٠١)، وغيره.

(٢٤) أسنى المطالب (١: ٤٣٢)، مغني المحتاج (٢: ١٨٥)، وغيرهما.

(٢٥) فتح الباري (١٧: ٨).

(٢٦) الإنصاف (٣: ٣٤٧)، الفروع (٣: ١٢٢)، دقائق أولي النهى (١: ٤٩٤)، كشاف القناع (٢: ٣٤٠)، مطالب أولي النهى (٢: ٢١٩)، وغيرها.

(٢٧) الفروع (٣: ١٢٤).

(٢٨) صحيح ابن خزيمة (٣: ٣١٧)، المستدرك (١: ٦٠١)، وصححه، سنن الترمذي (٣: ١٢٠)، وحسنه، سنن الدارمي (٢: ٦٢)، سنن البيهقي الكبير (٤: ٣٠٢)، سنن أبي داود (٢: ٣٢٠)، سنن النسائي (٢: ١٤٤)، سنن ابن ماجة (١: ٥٥٠)، وغيرها.

(٢٩) سنن أبي داود (٢: ٣٢٠).

(٣٠) المستدرك (١: ٦٠١).

(٣١) شرح معاني الآثار (٣: ٨٠).

(٣٢) الفروع (٣: ١٢٤).

(٣٣) تلخيص الحبير (٢: ٤١٣).

(٣٤) تلخيص الحبير (٢: ٤١٤).

(٣٥) (٢: ٢٩٤).

(٣٦) المستدرك (١: ٦٠١)، وغيره.

(٣٧) سننه (٢: ٣٢٠).

(٣٨) فتح الباري (١٧: ٨).

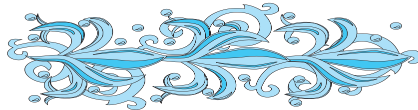
(٣٩) مرقاة المفاتيح (١٣: ١٤١).

(٤٠) شرح معاني الآثار (٢: ٨٠).

(٤١) شرح معاني الآثار (٢: ٨١).

(٤٢) سننه (٣: ١٢٠).

(٤٣) أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء (ص١٣٣).



هلال رمضان
بين الرؤية الشرعية والحسابات الفلكية

■ بقلم الاستاذ الفلكي عماد مجاهد

خلق الله تعالى هذا الكون العظيم ممثلا بأجرامه السماوية المختلفة مثل النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات وغيرها، وبث الخالق عز وجل في الكون القوانين والنواميس الكونية العظيمة التي تحكم وتوزن هذا الكون، لذلك نرى هذا الكون متزنا اتزانا رائعا ودقيقا جدا بحيث لا تستطيع لغة الأرقام وصفه والتعبير عن دقته.

ولقد شاء الله أن يكون لكل جرم سماوي في الكون دورة خاصة به، وينشأ عن كل حركة لكل جرم زمن مختلف عن الآخر، حيث تدور الأرض حول نفسها -محورها- دورة كاملة كل ٢٤ ساعة تقريبا، وينشأ عن حركة الأرض المحورية هذه تعاقب الليل والنهار، وتدور الأرض حول الشمس مرة واحدة كل سنة مارة بالفصول الأربعة، ويدور القمر كذلك حول الأرض في شهر قمري، وتدور الشمس أيضا حول مركز مجرتنا (درب التبانة) كل ٢٥٠ مليون سنة دورة واحدة..

يقول تعالى في وصفه لدقة حركة الأجرام السماوية في حركتها: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❖ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ❖ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾ يس: ٣٨-٤٠ .

وتعتبر حركة الأجرام السماوية المختلفة في السماء حكمة عظيمة من الخالق عز وجل، إذ يمكن استخدام حركة الأجرام

السماوية في تقسيم الزمن ومعرفة الأوقات المختلفة، فلقد عرف المصريون القدماء (الفراعنة) موعد فيضان نهر النيل من كل عام، وذلك من خلال شروق نجم (الشعرى اليمانية) يوم ١٩ تموز، حيث يصادف أول ظهور لنجم الشعرى اليمانية قبيل شروق الشمس مع موعد فيضان نهر النيل، كما استخدم العرب في الجاهلية حركة النجوم الظاهرية في السماء لتحديد موسم الزراعة والحصاد. وعرف هذا الفرع من العلوم عند العرب بعلم الأنواء.

ويشابه علم الأنواء علم الأرصاد الجوية في عصرنا الحالي فعلم الأنواء هو العلم الذي يبين موعد نوء النجم (غروبه) لحظة شروق الشمس، وكانت العرب تربط بين موعد نوء النجم مع جميع أيام السنة، فيعرفون متى يحل البرد والدفء والمطر والريح وغيرها، كما استخدم البحارة المسلمون البوصلة البحرية (الاخنان) وهي التي ابتدعها الملاح العربي المسلم المعروف شهاب الدين احمد بن ماجد، وهي بوصلة بحرية تحدد اتجاه السفينة في البحر بحيث تصل إلى المنطقة المراد الذهاب إليها بدقة، وذلك بالاعتماد على مواقع النجوم في السماء.

كما استخدم الإنسان منذ القدم، حركتي الشمس والقمر في السماء لتقسيم وقته، حيث استخدم حركة القمر واوجهه المختلفة مثل الهلال والتربيعين الأول والثاني والبدر في تحديد أيام الشهر القمري، وربما عرف الإنسان القديم (حضارة ما بين النهرين) مدة الشهر القمري من خلال تتابع ظهور الهلال في الأفق الغربي، أو من خلال ظهور القمر البدر حتى البدر الذي يليه، كما استخدمت معظم الحضارات حركة الشمس اليومية الظاهرية في السماء -والناتجة عن دوران الأرض اليومية حول محورها- لتقسيم اليوم إلى أجزاء اصغر مثل الشروق والغروب والظهر والعصر والفجر والعشاء.

وبذلك يمكن أن نشبه حركتي الشمس والقمر في السماء وكأنهما عقارب لساعة كونية دقيقة جدا، ولا تخطئ أبدا، لأنها من صنع الخالق عز وجل وليست من صنع البشر، ولم تصل أدق ساعة اخترعها الإنسان حتى الآن لدقة الساعة الكونية هذه، يقول تعالى: **﴿الشمس والقمر بحسبان﴾** الرحمن: ٥، أي أن الشمس والقمر يدوران في فلكهما بحساب دقيق جدا، وهذه في الحقيقة من صفات الكون الأساسية، إذ أن

جميع الأجرام السماوية مثل النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات والكويكبات والمجرات، تدور في فلك دقيق جدا، ولولا هذه الدقة في حركة الأجرام السماوية في الكون لما وجد الكون أصلا ولم يوجد بهذا الاتزان الدقيق، يقول تعالى: **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾** الرحمن: ٧ .

ولهذا كله، فلقد كان من المنطقي أن يأمر الله تعالى المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، بأن يستخدموا هذه الساعة الإلهية في تحديد مواعيد العبادات والمناسبات الإسلامية، حيث تستخدم حركة القمر الشهرية في تحديد الفاتح من رمضان والفاتح من شوال وموسم الحج وتحديد بداية العام الهجري الجديد ومناسبة المولد النبوي الشريف ومناسبة الإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات الإسلامية، يقول تعالى: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** يونس: ٥ .

◆ اختلاف المطالع:

جاء في مسند الإمام أبي اسحق الهمذاني نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا الرسول ﷺ يا رسول الله هذه المغارب أين تغرب وهذه المطالع من أين تطلع؟ فقال ﷺ: «هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، تغرب عن قوم وتطلع على قوم، وتغرب عن قوم وتطلع، فقوم يقولون: غربت، وقوم يقولون: طلعت».

وفي رواية أخرى منقولة عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «الشمس بمنزلة الساقية تجري في النهار في السماء في فلكها، فإذا غربت جرت في الليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، وكذلك القمر».

إن الأحاديث سابقة الذكر والمنقولة عن الرسول ﷺ تؤكد بكل وضوح أن الأرض كروية الشكل وان الشمس لا تختفي في العالم السفلي كما كان يظن الفراعنة أو الحضارات الأخرى القديمة، بل إن الشمس تطلع على قوم وتغيب عن قوم، فالشمس تشرق عند قوم لكنها تغيب عند قوم آخرين وتكون في الزوال عند قوم آخرين وتكون عند العصر عند قوم آخرين أيضا، وبذلك فالشمس لا تغيب عن الكرة الأرضية ولكن تختلف الأوقات من مكان ما على سطح الأرض بالنسبة إلى الأماكن الأخرى، وبذلك

يكون الرسول ﷺ أول من أوضح حقيقة كروية الأرض وكيفية تغير الأوقات في اليوم الواحد من خلال حركة الشمس الظاهرية في السماء.

وللأسف الشديد فلا زال بعض الناس يعتقد أن الأرض منبسطة وأنها ليست كروية، وهذا مخالف لما ورد في القران والسنة بل هي مجرد اجتهادات من قبل الناس ووقوعهم في الخطأ أمر وارد، والمشكلة الكبيرة أن التقدم العلمي الهائل عند الغرب جعلهم يستخفون بالأمة الإسلامية عندما يسمعون أن البعض يكذبون كروية الأرض على الرغم من ارتياد الفضاء وتصوير الأرض من الفضاء والتي تظهر فيها كروية الشكل.

ولان الموقع الجغرافي لكل منطقة يختلف عن الموقع الجغرافي لمنطقة أخرى فإن هذا يجعل فترة شروق وغروب الشمس في كل منطقة تختلف عن المنطقة الأخرى وسبب ذلك هو كروية الأرض، فلو أن الأرض منبسطة لأشرقت الشمس وكذلك القمر والنجوم وجميع الأجرام السماوية في نفس الفترة تماما على كل المناطق، وهذا الاختلاف في فترة شروق الشمس وغروبها لكل منطقة معينة على سطح الأرض يسمى (اختلاف المطالع).

وعندما يحسب الفلكي مواقيت الصلاة لكل منطقة معينة أو مدينة على سطح الأرض فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار الموقع الجغرافي لكل مدينة من حيث خط الطول وخط العرض، وهذان العاملان مهمان في تحديد مواقيت الصلاة بسبب اختلاف المطالع.

ولكن هل يؤخذ باختلاف المطالع في رصد الهلال أول الشهر القمري؟

الحقيقة أن رؤية هلال أول الشهر تختلف عن تحديد مواقيت الصلاة، فمواقيت الصلاة دقيقة جدا وتخص منطقة معينة خلال فترة زمنية صغيرة ومحددة، فمثلا يختلف موعد صلاة الظهر في منطقة معينة عن منطقة أخرى تبعد عنها عشرة كيلو مترات نتيجة لاختلاف الموقع، أما بالنسبة لرؤية الهلال فهي لا تخص منطقة معينة لانه إذا تمت رؤية الهلال في منطقة معينة فيجب أن يشاهد في كل المناطق المجاورة إضافة للمناطق التي تقع غرب هذه المنطقة بعد غروب الشمس في كل منطقة، وذلك لان رؤية الهلال تتم فقط بعد غروب الشمس

وبذلك فإذا شوهد الهلال في منطقة معينة فإنه يجب أن يشاهد الهلال في كل المناطق المجاورة والمناطق التي تقع غربها خلال الليلة الواحدة وبذلك فلا اعتبار للمطالع في رؤية الهلال، وهذا ما اتفقت عليه ثلاثة مذاهب باستثناء المذهب الشافعي الذي اقر باختلاف المطالع في رؤية الأهلة.

❖ رؤية الهلال وفقا للشريعة الإسلامية:

أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يعتمدوا على رؤية هلال أول الشهر لكي يحددوا موعد بداية شهر رمضان وهو شهر الصوم، وكذلك شهر شوال وهو شهر الفطر أي بداية عيد الفطر السعيد وكذلك تحديد موعد العبادات والمناسبات الإسلامية الأخرى مثل موسم الحج وبداية العام الهجري وذكرى الإسراء والمعراج والمولد النبوي الشريف وغيرها من المناسبات الإسلامية، وقد وردت أحاديث نبوية شريفة بمتون مختلفة نوجزها بما يلي:

١- صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما.

٢- صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فان غم عليكم فاقدروا له.

٣- صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فان غم عليكم فاكملوا العدة، ولا تستقبلوا الشهر استقبالا».

٤- انا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا، وأشار ﷺ بكفيه مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثون».

إن هذه الأحاديث النبوية الشريفة تدل على أن رؤية الهلال أول الشهر القمري هي علامة بدايته، وهو أمر منطقي تماما، إذ أن الوسيلة الوحيدة المتاحة آنذاك لتحديد بداية الشهر هي رؤية الهلال بالعين المجردة، ولم تكن آنذاك وسيلة غيرها، وقد بين الرسول ﷺ انهم في تلك الأزمان لم يكونوا يحسبون حركة القمر ولم يكونوا حتى يعرفون القراءة ولا الكتابة ولذلك وصف الرسول ﷺ المسلمين في تلك الفترة بالأمة الأمية، وهذه الصفة لا تتعلق بالمسلمين في كل الأزمان بل في زمن الرسول ﷺ، ولكن لم تعد أمة الإسلام أمة أمية بعد عهد الرسول ﷺ كون القران الكريم حث على العلم والتعلم، وكانت نتيجة ذلك أن ظهر العلماء والمخترعون في عصر الدعوة الإسلامية والذين لا تزال أسماؤهم تسطع في الفلك الحديث.

والذي يتمعن في الأحاديث النبوية الشريفة يجد أنها جاءت في متون عدة وتتضمن اكثر من معنى واكثر من حكم شرعي وذلك لحكمة كبيرة وهي توافقها مع كل الأزمان والتطور في الحياة العلمية وكلما ارتقت وسائل المعرفة واتسعت آفاق العلم جيلا بعد جيل، وكلما فتح الله تعالى على بني آدم ما لم يكونوا يعلمونه من قبل بعد أن كان لهم في علم الغيب، وفي ذلك قال تعالى: **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾** كما يشاء الله تعالى أن يظهر للناس أشياء في المستقبل لحكمة لذلك نجد أن متن الحديث يتغير من حديث إلى آخر، وبذلك يصبح الشرع متمشيا مع جميع الأحوال والازمان.

وبذلك فقد جعل الرسول ﷺ الباب مفتوحا للتطور في رصد الهلال من خلال نص الحديث (فاقدروا له) أي قدروا للهلال بالحساب ومنازل القمر لتحديد بداية الشهر إذا كان هنالك مانع للرؤية.

وقد كان المسلمون يختلفون في تحديد بداية الشهور القمرية وخاصة بداية شهر رمضان المبارك وشهر شوال، وفي التاريخ الإسلامي العديد من الوقائع التي تثبت ذلك، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم عن كريب رضي الله عنه انه قال: «استهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، فقدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته فقلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت: أو لا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا هكذا امرنا رسول الله ﷺ».

إن المشكلة الوحيدة التي تواجه عملية رؤية هلال رمضان والشهور القمرية الأخرى هو الخطأ الذي يمكن أن يقع به المسلم الذي يرقب الهلال وبحسن نية أي بدون قصد، والتاريخ الإسلامي يذكر مثل هذه الوقائع، ومن إحدى هذه الوقائع أن الصحابي الجليل سيدنا انس بن مالك رضي الله عنه كان يرقب الهلال -وكان حينها طاعنا في السن- مع بعض الصحابة والتابعين-، فأشار سيدنا انس بيده نحو الأفق وقال لمن معه: إنني أرى الهلال، ولكن جميع من كانوا معه لم يروا شيئا، فنظر الصحابي اياس الذي كان شابا إلى انس فرأى شعرة بيضاء من

حاجبه تتدلى أمام إحدى عينيه فأزاحها بيده ثم قال له: انظر هل ترى الهلال؟ فقال انس: لا، فقال له اياس: انك قد رأيت الشعرة وليس الهلال.

وفي رواية أخرى أن جماعة مكونة من سبعة أفراد، نظروا إلى الأفق وتهيأ لهم رؤية الهلال، وفي هذه الأثناء مر بهم رجل ثامن فقال لهم: اروني الهلال فأروه إياه فإذا به نجم لامع وليس الهلال.

أما في العصر الحالي فان الوقوع في الخطأ في رصد الهلال أمر وارد، ونتيجة لخطأ في رؤية الهلال يصوم ملايين المسلمين مع العلم انه يمكن تفادي الوقوع في الخطأ بسبب نعمة الله علينا وهو التقدم العلمي في كل المجالات العلمية ومنها الحساب الفلكي الذي يمكن من خلاله التيقن برؤية الشهود، ومن هذه القصص ما حدث من بعض الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٣م حيث قرروا -وكانوا أربعة- مراقبة الهلال بأنفسهم، فاستأجروا طائرة صغيرة وارتفعوا بها فوق السحاب وبعد قليل رأوا شيئا ظنوه الهلال، ونزلوا واتصلوا باللجنة يشهدون انهم رأوا الهلال، وبعد سؤالهم واحدا بعد الآخر عن بعض التفصيلات قال ثلاثة منهم: انهم غير متأكدين من ذلك، وان الرابع هو الذي رآه جيدا، وعند سؤاله عن شكل الهلال الذي رآه وعن اتجاهه وعن موقعه نسبة إلى الشمس قال: إن شكل الهلال الذي رآه خط مستقيم!!.

وقيل: إن أحد الرجال الطاعنين في السن وانه اعور جاء مرة يشهد برؤية الهلال، وأكد الرجال الذين كانوا يجلسون مع القاضي في تلك الدولة أن الرجل المسن يسير على عكاز لان نظره ضعيف! وانه يصطدم بالأثاث الموجود في مكتب القاضي فكيف رأى هذا الرجل المسن الهلال وهو لا يرى أمامه؟.

وتحدث قصص كثيرة تدل على جهل الكثيرين من الناس برؤية الأهلة وعدم معرفتهم العلمية بذلك، فمثلا جاء بعض الأشخاص ليشهدوا برؤية الهلال، وعندما تم الاستماع إلى إفادتهم تبين انهم كانوا يرصدون هلال كوكب الزهرة فظنوه هلال القمر أي هلال رمضان، كما حدثت أخطاء شائعة في بعض الدول الإسلامية فعندما جاء أحد الأشخاص ليشهد برؤية الهلال أفاد انه

رآه بعد الفجر أي انه رأى هلال شعبان قبل أن يتولد، فهل من المعقول أن يأخذ القاضي برأي هذا الرجل ويصوم المسلمون نتيجة هذا الخطأ؟! حتى أن الغرابة أن بعض الأشخاص شهد بأنه رأى الهلال ثم غاب ثم اشرق من جديد في نفس اللحظة!.

هل يمكن الاعتماد على الحسابات الفلكية في تحديد بداية الشهر؟

دلت الأحاديث النبوية الشريفة أن إثبات بداية شهر رمضان المبارك والشهور الأخرى يتم من خلال رؤية هلال أول كل شهر، وانه إذا لم تتم رؤية الهلال لسبب أو لآخر فيجب إكمال العدة بحيث يصبح الشهر ثلاثين يوما، ولا يجوز بأي حال من الأحوال الاعتماد على طريقة أخرى في تحديد بداية الشهر خاصة وانه لم يكن هنالك الحاسب والكاتب في عهد الرسول ﷺ.

وعلى الرغم من ذلك فقد اختلف العلماء حول إمكانية الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بداية الشهر، فبعض العلماء اقر بالاعتماد على الرؤية فقط دون الاعتماد على الحساب الفلكي ومعظم من قال بهذا الرأي هم من الفقهاء القدماء، ومنهم من وجد ضرورة الاعتماد على الحساب الفلكي كعامل مساعد لرؤية الهلال.

وقبل أن نبين آراء الفريقين حول إمكانية الاعتماد على الحسابات الفلكية أود أن أبين أن علماء الفلك لا يطالبون الاعتماد على الحساب الفلكي وعدم الاهتمام برؤية الهلال بالعين لان في ذلك مخالفة لنص رسول الله ﷺ، ولكن ما يقصده الفلكيون أو ما يطالبون به هو الاعتماد على الحسابات الفلكية كعامل مساعد في رؤية الهلال بدل النظر إلى السماء دون معرفة شيء عن الهلال، فالحسابات الفلكية الآن تستطيع تحديد بداية الشهر بدقة بالغة من حيث موعد وجود القمر في الاقتران أي ولادة الهلال، ومكان تواجد الهلال فوق الأفق بالنسبة للشمس وارتفاع الهلال عن الأفق لحظة غروب الشمس إضافة إلى كل المعلومات المطلوبة لبيان إمكانية رؤية الهلال، والمراصد الفلكية الآن تطورت تكنولوجيا بشكل ملموس حيث أنها مزودة بأجهزة حاسب آلي مرتبطة مع الأقمار الصناعية بحيث تستطيع هذه المراصد الذهاب بشكل آلي إلى الهلال في السماء أو إلى أي جرم سماوي آخر ووضعه في عينية التلسكوب، وبذلك أصبحت عملية رصد الهلال من

ابسط القضايا الفلكية.

ولكن هل يمكن إثبات بداية رمضان بالحسابات الفلكية؟ يقول الأستاذ الدكتور شرف القضاة أستاذ الفقه وأصول الدين في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية في بحث قدمه حول هذا الموضوع: إن في مسالة الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بداية شهر رمضان رأيان مشهوران: أولهما: أن الشهر لا يثبت بالحساب والتقدير وهو قول الجمهور قديما وحديثا، أما الرأي الآخر فيقول: انه يمكن أن يثبت بالحساب والتقدير وهذا الرأي لم يقل به في القرون الأولى إلا قلة، ولكن اتباعه يزدادون جيلا بعد جيل نتيجة للتطور العلمي المتواصل على مر العصور وخاصة في الحسابات الفلكية.

وحسب الدكتور القضاة فقد استدل أصحاب الرأي الأول بما يلي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين» قال ابن حجر العسقلاني: إن الحديث علق الحكم بالصوم بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير، وقال القرطبي تعليقا على الحديث: إن الله لم يكلفنا في تعرف مواقيت صومنا ما نحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة، وإنما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة وأمور ظاهرة يستوي في معرفتها الحساب وغيرهم، فالحديث ينفي ويرفع الحرج ولا ينهى، انه ينفي أن تكون الأمة الإسلامية في ذلك الوقت أمة متقدمة في العلوم بعامة وفي علم الفلك بخاصة، وليس في الحديث نهي عن الحساب، وإلا كان معناه تحريم علم الحساب بعامة -أي علم الرياضيات- وتحريم حساب حركة الأجرام السماوية بخاصة -أي علم الفلك- ولم يقل بهذا أحد.

بل لو أننا فهمنا الحديث على هذا النحو لكان معناه تحريم تعلم الكتابة أيضا لان الحديث يقول: «لا نكتب» وهذا ما لم يقل به أحد، ويتعارض مع كل الآيات والأحاديث التي تأمر بالعلم بمعناه الشامل، وقد بنى الجمهور في الرأي الأول على الفلك باعتباره تنجيما كما كان سائدا في الماضي البعيد وقبل عصر الدعوة الإسلامية وكان دليلهم على ذلك أن الحساب كان من علم النجوم وقد نهى الإسلام عن ذلك، فعن زيد بن

خالد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي».

وفسر ابن بريزة الحديث قائلا: فقد نهت الشريعة عن الخوض في علم النجوم لانه حدس وتخمين ليس فيه قطع ولا ظن غالب، مع انه لو ارتبط الأمر بها لضاق.

وهذا الدليل أيضا لا يدل على النهي عن تعلم حساب حركة النجوم ولا عن اعتماده في إثبات الشهر، بل هو نهي عن التنجيم الذي يدعي كشف المستقبل من خلال حركة ومواقع الكواكب السيارة في البروج السماوية، لذلك فلقد اعتبر في الماضي أن الحساب ظني لا تقوم به الحجة، لكن تقدم علم الفلك في القرون القليلة الماضية حتى اصبح الآن علما يقينيا، ولكن لو أمر الرسول ﷺ المسلمين الصيام بناء على الحساب الفلكي لكانت هنالك مشقة كبيرة على المسلمين لانهم كانوا سيحتاجون إلى فلكي في كل منطقة وقرية وهذا كان متعذرا.

لقد كان هذا الكلام صحيحا في تلك الأزمان، حيث لم تكن هنالك وسائل اتصال، لكن تطور الاتصالات في العصر الحالي مثل الإنترنت والإذاعة والتلفزيون والصحف وغيرها سهلت من موضوع رصد الهلال ونقل الخبر بين الناس، وبذلك يكون رأي الجمهور الأول صحيحا خلال تلك الفترة لانه كان يصف الظروف السائدة في ذلك الزمان، ولكن يبدو أن رأي الجمهور الأول قد اصبح ضعيفا الآن بسبب التغير في العلم والتكنولوجيا ولم يعد ينطبق على عصرنا الحالي.

أما الجمهور الثاني فقد استدلوا في رأيهم على الحديث النبوي الشريف الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين» وقد فسر المفسرون الحديث على أن الأصل في إثبات الشهر أن يكون بالحساب، ولان هذا الأصل غير متيسر في عصر النبي ﷺ فقد تم اللجوء إلى البديل وهو الرؤية، وإلا فما وجه ذكر الأمة أمية لا تكتب ولا تحسب؟ فالعلة في إثبات الشهر بالرؤية هي أن الأمة لا علم لها بعلم الفلك، والمعلول يدور مع العلة وجودا وعدما، أما

في عصرنا فقد تيسر الأصل فلماذا نلجأ إلى البديل؟، كما بين الرسول ﷺ في حديث آخر: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له» أي اعتماد الحساب اليقيني في إثبات بداية الشهر إذا لم نتمكن من الرؤية وانه يجوز الاعتماد على الحساب.

يبين الدكتور شرف القضاة في بحثه أن رأي الجمهور الثاني الذي يؤيد الاعتماد على الحساب الفلكي هو الأرجح في عصرنا بعد أن زالت عن الأمة أميتها، وبعد أن اصبح علم الفلك في مجال حساب حركة القمر والأرض علما قطعيا.

وقد بين تقي الدين السبكي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري انه ترد شهادة الشاهد إذا أكدت الحسابات الفلكية اليقينية استحالة الرؤية حيث قال: «وها هنا صورة أخرى وهو أن يدل الحساب على عدم إمكانية رؤيته.. فلو اخبرنا به بخبر واحد أو اكثر ممن يحتمل خبره الكذب أو الغلط.. لم تقبل الشهادة، لان الحساب قطعي والشهادة والخبر ظنيان، والظن لا يعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه، والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكنا حسا وعقلا وشرعا، والشرع لا يأتي بالمستحيلات، وهذا يدل على انه إذا صار الحساب قطعيا كما في عصرنا فإنه يفترض الأخذ في الحساب.

وقد وافق السبكي من العلماء في عصرنا محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر والشيخ علي الطنطاوي حيث يقول: «وهذا الحساب قطعي بينما الرؤية غير قطعية فربما توهم الشاهد أو كذب، وخلاصة رأي السبكي الذي يجمع بين العمل بحديث: «صوموا لرؤيته» وبين حقائق علم الفلك هي أن نسال أولا علماء الفلك هل يمكن أن يرى الهلال هذه الليلة؟ فإن قالوا: نعم، تحرينا رؤيته.. وان قالوا بأنه لا يمكن أن يرى رددنا شهادات الشهود.

ومن الذين طالبوا باستخدام الحسابات الفلكية في إثبات بداية الشهور في عصرنا الشيخ احمد شاكر حيث قال: «فإذا خرجت الأمة عن أميتها وصارت تكتب وتحسب وجب أن يرجعوا إلى اليقين الثابت، وان يأخذوا في إثبات الأهلة بالحساب وحده، كما يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: «إن الأخذ بالحساب القطعي اليوم وسيلة لاثبات الشهور يجب أن يقبل من باب قياس الأولى، بمعنى أن السنة التي شرعت لنا

الأخذ بوسيلة أدنى لما يحيط بها من الشك والاحتمال -وهي الرؤية- لا ترفض وسيلة أعلى واكمل واوفى بتحقيق المقصود.

وقال الشيخ بخيت: مما يؤيد القول بالعمل بالحساب الصحيح أن أهل الشرع من الفقهاء وغيرهم يرجعون في كل حادثة إلى أهل الخبرة بها وذوي البصيرة فيها، فانهم يأخذون بقول أهل اللغة في معاني ألفاظ القران والحديث، وبقول الطبيب في إفطار شهر رمضان وغير ذلك، فما الذي يمنع من بناء إكمال شعبان ورمضان وغيرهما من الأشهر على الحساب، والرجوع في ذلك إلى أهل الخبرة العارفين به إذا أشكل علينا الأمر في ذلك، مع كون مقدماته قطعية، وموافقة لما نطقت به آيات القرآن.

❖ النتائج:

إذن نستنتج من هذا البحث أن الحسابات الفلكية يستعان بها في إثبات بداية شهر رمضان والشهور الأخرى بعد أن أصبحت الحسابات الفلكية يقينية ودقيقة وموثقة، وذلك حتى لا يقع المسلمون في الخطأ الغير مبرر في تحديد بداية الشهور العربية سواء أكانت الأخطاء متعمدة أو بحسن نية، ويمكن أن نختصر نتائج البحث بما يلي:

١- لا يجوز الربط بين الفلكي والمنجم وليس الفلك هو التنجيم الذي نهى عنه الإسلام.

٢- الحسابات الفلكية دقيقة للغاية ويجوز الاستعانة بها في إثبات بداية الشهر.

٣- يجب رد شهادة الشاهد إذا أكدت الحسابات الفلكية استحالة الرؤية.

٤- ليس هنالك دليل ينفي الاستعانة بالحسابات الفلكية في تحديد بداية الشهر.

٥- لم ينه النبي ﷺ عن اعتماد التقدير والحساب في إثبات الشهر، بل جعل ذلك هو الأصل إن كان في الأمة علماء في الفلك.

٦- رؤية الهلال وسيلة من وسائل إثبات الشهر وليس غاية أو هدف.

٧- كان الحساب الفلكي قديما ظنيا أما الآن فهو يقيني وقطعي.

٨- لا تتعارض الرؤية الشرعية مع الحسابات الفلكية، ولكن يمكن أن تتعارض الشهادة مع الحساب ويتوجب في هذه الحالة الأخذ برأي الحساب لأن الرؤية بالعين ظنية والحسابات الفلكية

حكم الصيام عن الكلام في الاسلام

■ بقلم الأستاذ أيمن محمد خليل

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ مريم: ٢٦ .

هذه الآية الكريمة، تشير الى طرف من قصة السيدة مريم وابنها المسيح عليهما السلام، كما تتحدث عن نمط من الصيام يعد أغرب ألوانه وأنواعه.

والقصة كما تحدث عنها القرآن الكريم، هي ان السيدة مريم عليها السلام، وُلدت لرجل من بني اسرائيل اسمه عمران، وأن زوجه عندما حملت بها، نذرت ما في بطنها لله تعالى، ليقوم على خدمة بيته، وكانت ترجو ان يكون المولود ذكراً ليؤدي الرسالة التي نذرته من اجلها، ولكن شاء الله عز وجل ان تلد زوجة عمران انثى **﴿فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾** آل عمران: ٣٦ .

ويبدو ان والد مريم قد توفي وهي طفلة صغيرة، فقام على رعايتها وتربيتها زكريا عليه السلام، -وكان زوجاً لخالة مريم- وفي كفالة زكريا نشأت مريم عليهما السلام نشأة طاهرة صالحة، وأسبغ الله تعالى عليها نعمه ظاهرة وباطنة، وكان زكريا عليه السلام كلما دخل عليها في خلوتها، وجد عندها نعم الله ورزقه، فإذا سألها: **﴿يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾** آل عمران: ٣٧ .

ولما أراد الله تعالى ان تحمل مريم بسيدنا عيسى عليه السلام، تركت مكانها المألوف بين أهلها، واتخذت لها مكاناً من جانب

الشرق، فقد كان من عادة قومها تعظيم جهة المشرق **﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾** مريم: ١٦ .

وفي خلوتها الجديدة جاءها ملك من السماء، وتمثل لها بشراً سوياً، فلما رأته فزعت منه وقالت له: **﴿إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً﴾** مريم: ١٨، فقال لها الملك: **﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾** مريم: ١٩، فلما سمعت منه هذا تعجبت كيف يكون لها ولد ولم تتزوج وليست بزانية **﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾** مريم: ٢٠ .

فرد الملك عليها: **﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾** مريم: ٢١ .

إنها إرادة الله عز وجل ومشيئته، وهو سبحانه وتعالى قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، فليس عجيباً ولا صعباً ان يخلق عيسى عليه السلام من غير أب، وان عيسى عليه السلام آية على قدرة الله تعالى، وهو رحمة لمن آمن به ولم يعص الله فيه.

ولما حملت السيدة مريم بعيسى عليه السلام، خافت من قومها -وهي الطاهرة التي احصنت فرجها- لأنهم ان رأوها حاملاً وهي لم تتزوج سيعيرونها، ويلصقون بها أشنع التهم، ففرت بحملها بعيداً، وعندما اتمت مدة الحمل وشعرت بآلام الوضع، لجأت الى جذع نخلة تستند اليه وتتعلق به، وقالت: **﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾** مريم: ٢٣ .

لقد تمنت الموت، لا فراراً من قضاء الله، ولكنها خافت ان يظن بها الشر في دينها وتعيَّر، فيفتنها ذلك، وأيضاً لأن قومها سيقعون في البهتان بسببها، وذلك مهلك لهم.

إنها خافت على نفسها من الفتنة، وعلى قومها من اقتراف الذنوب فينالهم من الله عذاب أليم، فتمنت الموت، وليس في هذه الحالة لوم ولا إثم.

لقد كانت لحظة قاسية في حياة السيدة مريم عليها السلام، سيطر الحزن عليها، وأصبحت لا تدري ماذا تفعل وهي وحيدة في مكانها، ولكن الله الذي تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً، وحفظها من كل سوء، واصطفاها لتكون أماً لنبي كريم، ورسول رحيم، لم يتخل عنها في تلك اللحظة، وارسل اليها ملكاً ناداها من السماء ان تغتبط بمولودها ولا تحزن، لأن الحق سبحانه وتعالى هيأ لها الماء العذب والرطب الجني، فلتأكل من رزق الله ولتهنأ بمولودها الذي سيكون له شأن عظيم، فإذا رأت من البشر أحداً وانطلق يسألها عن سر ولدها، فعليها ان تصمت ولا تتكلم **﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن**

أكلم اليوم إنسياً﴾ مريم: ٢٦ .

وإذا كان معنى الصوم في الآية الكريمة الصمت وعدم الكلام، فهل يجوز ان ينذر الانسان ألا يكلم أحداً من الناس؟ وهل يدل هذا على ان الصوم عن الكلام كان في شريعة بني اسرائيل واجباً بالنذر؟

لقد ذكر بعض المفسرين والمؤرخين ان الصيام بهذا المعنى، كان ملتزماً بالنذر في بني اسرائيل، وروي ان من سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام(١).

ان الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام، ومع هذا كان منتشراً لدى كثير من الشعوب البدائية وغيرها، فعند السكان الاصليين لاستراليا مثلاً، كان يجب على المرأة اذا توفي عنها زوجها ان تظل مدة طويلة تبلغ أحياناً عاماً كاملاً صائمة عن الكلام(٢).

وما جاء في القرآن الكريم عند هذا اللون من الصيام، يوحي بأنه كان متبعاً في ديانة بني اسرائيل، فقد كانت شريعة مريم عليها السلام وقومها حينئذ شريعة بني اسرائيل، وإن لم يشر الى ذلك العهد القديم، على ان هذا الصيام في المسيحية فضيلة لدى الرهبان والعباد(٣).

لكن ما هو موقف الاسلام من هذا الصيام؟

ان الصيام بمعناه الاصطلاحي فرض لغاية مقدسة، وحكمة سامية، هي تربية النفوس والسمو بها الى آفاق عليا من التطهر والصفاء، فلا تتحكم فيها نزعات الاثم ووساوس الشر، وشهوات الجسد، وانما تكون دائماً تقية صالحة تخشى الله تعالى وترجو رحمته، وتهاب حسابه وعقابه.

قال صاحب البحر المحيط: للصوم فائدتان: رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع(٧).

ان الاسلام في كل تشريعاته وأحكامه، راعى اليسر ورفع المشقة وعدم الحرج **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: ١٨٥ .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: «بعثت بالحنيفية السمحة»(٤)، اي المائلة عن الضلال، السهلة التي بنيت على القصد والتوسط وعدم الضرر.

والصيام عن الكلام لون من العنت والمشقة، وتعذيب النفس، وليس فيه تدريب على الاستعلاء على شهوات الجسد، حتى يمكن التجاوز عما فيها من مشقة وضيق، ومن ثم لا يبيحه الاسلام ولا يحض عليه، فالله تعالى أرحم بعباده من ان يفرض عليهم ما فيه إعنات لهم، ثم لا يكون له مع هذا في التهذيب والإرشاد.

جاء في المحرر الوجيز(٥): ولا يجوز في شرعنا ان ينذر أحد صوماً، ولقد أمر ابن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك بالنطق والكلام.

روى ابن اسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر، فقال: ما شأنك؟ قال أصحابه: حلف ان لا يكلم الناس اليوم، فقال عبد الله ابن مسعود: كلم الناس وسلم عليهم، فإن تلك المرأة -يقصد مريم العذراء عليها السلام- علمت ان أحد لا يصدقها أنها حملت من غير زوج، ليكون عذراً لها اذا سئلت(٦).

وبعد؛ فإن الصيام عن الكلام لفترة تطول او تقصر، لا يحقق رسالة الصيام كما شرعه الاسلام، ولهذا كان غير مشروع، واذا كان هناك من يأخذ نفسه بهذا اللون من الصيام في بعض البلاد الاسلامية، فإن الذي لا مراء فيه ان ظاهرة الصيام عن الكلام لدى بعض المسلمين تمتد بجذورها الاصلية الى مصادر غير اسلامية، ثم توارثها الناس جيلاً بعد جيل، كما توارثوا بعض التقاليد والعادات التي يرفضها الاسلام، والتي ما زالت موجودة حتى الآن.

ولما كانت دلالة مادة الصيام، التي وردت في سورة مريم، دلالة لغوية لا شرعية، فإن هذا يسلمنا الى حقيقة، وهي ان القرآن الكريم تحدث عن الصيام من الناحية الشرعية واللغوية، فهو كتاب لغة وتشريع، فلولاه لاندرست اللغة العربية في بلاد كثيرة، ومن اجله وفي سبيل فهمه وتأويل آياته، والوقوف على شواهد اعجازه، نشأت علوم مختلفة وقامت في الوطن الاسلامي نهضة علمية واسعة.

ان التراث العلمي الذي تفخر به المكتبة الاسلامية، هو ثمرة طبيعية لجهود هائلة بذلت في سبيل خدمة القرآن الكريم وفقه احكامه، وان المحاولات التي قام بها الاستعمار وعملاؤه لمناوأة اللغة العربية بقصد القضاء عليها، وإحلال اللهجات العامية محلها، كبتر صلة المسلمين بماضيهم وتاريخهم، قد باءت بالفشل بسبب هذا الكتاب الكريم المعجز الذي أحكمت آياته، والذي حفظه الله تعالى من كل تحريف وتبديل، حتى يرث الأرض وما عليها: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ الحجر: ٩ .

الهوامش:

١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لإبن عطية، ج٢، ص٤٥٨، ط. قطر.

٢-٣- الصوم والأضحية بين الاسلام والأديان السابقة، د. علي عبد الواحد وافي، ص١١، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة.

٤- تفسير البحر المحيط، ج٢، ص٣٠، ط. القاهرة.

٥- رواه الامام احمد في المسند.

٦- ج٩، ص٩٥٨ .

٧- مختصر تفسير ابن كثير، الشيخ محمد علي الصابوني، المجلد ٢، ص٤٤٩، دار القرآن الكريم،

قطوف دانية

اعداد الطالبة سوسن محمود

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

البقرة: ١٨٥

معادن العرب

عن أبي هريرة ﵁ قال:

«قيل: يا رسول من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا».

معرفة النفس

كان ابو بكر الصديق ﵁ اذا مدح من أحد قال:

«اللهم انت أعلم بي من نفسي، وأنا اعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون».

ذكاء إياس القاضي

قال بعضهم لإياس القاضي:

انك تعجل في القضاء من غير ترو في الحكم، فرفع إياس كفه، وقال: كم اصبعاً فيها؟ فأجابوا: خمسة، قال: لقد تعجلتم، هلا قلتم: واحد، اثنان، ثلاثة، اربعة، خمسة؟، قالوا: اننا لا نعد ما عرفناه، فقال: وإني لا أؤخر ما تبين لي الحكم فيه».

التربية

أسرّ معاوية رضي الله عنه الى ابن أخيه عمرو بن عيينة بن ابي سفيان حديثاً، قال عمرو:

فأتيت ابي وقلت له: ان أمير المؤمنين أسر اليّ حديثاً أفأحدثك به؟ قال: لا لأن من كتم حديثه كان الخيار له، ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد ان كنت مالكاً، فقلت: أو يكون هذا بين الرجل وأبيه؟ قال: لا ولكن أكره أن تعود لسانك إذاعة السر.

سيد الاستغفار

عن النبي ﷺ قال:

«سيد الاستغفار، اللهم انت ربي، لا إله الا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة».

رواه البخاري

٢

الاســــلام ومــوقــف المستشرقين منه

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

دأب المستشرقون على توجيه الشبهات الى الشريعة الاسلامية، ومحاولة العثور على تناقضات فيها، فتناولها عدد كبير منهم، مثل «كوفن ورينان وغولدين ولامانس» اذ حاولوا إيهام المسلمين بأن الشريعة هي السبب في تأخرهم، وأثاروا الشبهات حول نصوصها، وانها بحاجة الى التطور حسب العصور، ونسوا أنها تتقبل التغييرات وفق العصور والبيئات، وهناك الزعم بأنها جماع لما كان لدى العرب من قواعد أخذوها عن القانون الروماني، وهو ادعاء باطل، حتى ان مؤتمر القانون الدولي المنعقد في لاهاي سنة ١٩٣٧م، قرر بأن الشريعة الاسلامية نظام قانوني مستقل غير مأخوذ عن التشريع الروماني، ولذلك تقرر تمثيل الشريعة في محكمة العدل الدولية (ص٩٤-٩٥).

وعلاوة على ما تقدم، هناك شبهات أخرى أثاروها تتعلق بالعقوبات وغيرها، فرد عليهم الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله، مما أسكتهم، كما أثاروا شبهة تتعلق بسياسة المال والضرائب فتصدى لهم الدكتور بدوي عبد اللطيف، مما فضح زيفهم (ص٩٦-٩٧).

٦- المستشرقون والسيرة النبوية:

كانت السيرة النبوية وشخصية الرسول ﷺ، هي المخطط المسموم الذي اصطنعه المستشرقون، واستخدموا فيه التعبير الجارح، اذ استمروا يتناقلون أسخف الأساطير، ويوجهون ابشع السباب والشتائم الى النبي ﷺ، غير انهم منذ القرن الثامن

عشر الميلادي، صاروا يتحاشون التهجم على شخص الرسول ﷺ ووعدوا باتباع هذا النهج، لكنهم لم يلتزموا بهذا الوعد، بل استمر بعضهم يستقي معلوماته من المصادر الكنسية، بالاضافة الى الأساطير، وركزوا على بعض المواقف، ومنها لقاء النبي ﷺ بالراهب «بحيرا» زاعمين بأنه أخذ منه التعاليم الدينية، متجاهلين انه لقيه يوم كان في سن التاسعة والثانية عشرة، ثم يزعمون ان ورقة بن نوفل كان داعية للنصرانية، بينما هو في الحقيقة كان موحداً تنبأ بالنبوة للرسول ﷺ (ص٩٧-٩٩).

وكان أشد المستشرقين تعصباً ضد النبي ﷺ هو لامانس الذي عمل على تحريف النصوص الذي فعله كثير من المستشرقين الذين لم يتوصلوا الى تكوين فكرة صحيحة عن الرسول ﷺ، بسبب تعصبهم الديني، ويرجع فشلهم في فهم شخصيته الى مبالغتهم في النظرة التاريخية، ومن حاول الحياد بالنسبة اليه، غلبت عليهم الروح التبشيرية، والمزاعم بكثرة رحلاته ﷺ الى الشام، بل زادوا عليها رحلات مزعومة الى اليمن وفلسطين وآسيا الصغرى وفارس، مما هو غير صحيح البتة (ص١٠٠-١٠١).

٧- المستشرقون والتاريخ:

وبالنسبة للتاريخ الاسلامي، جرت محاولات المستشرقين لتزييفه وإخضاعه لمناهج لا صلة له بها، وقد أدى ذلك الى خلق صورة لتاريخ المسلمين ممزقة ومضطربة، وبما ان التاريخ من عوامل بناء الأمم، فقد كان حرص المستشرقين على إفساده ببعث الجوانب المضطربة فيه، وصور التناقض والخصومة، مما لا قيمة له في بحر التاريخ الاسلامي العريض المليء بالبطولة والحيوية والقوة.

ويهدف الاستشراق من استخدام التاريخ، الى اثارة الالتباس بين القيم المتكاملة بين العرب والاسلام، وبين العرب والمسلمين، وبين المسلمين انفسهم «مثل الترك والعرب» وبين الموجات العربية الى الآفاق، باسم البابلية والفينيقية وما إليها، كالتأكيد على الخلافات المذهبية، وما الى ذلك، مما يؤدي الى تمزيق وحدة المسلمين.

وهكذا تبدو صورة الاسلام في كتابات المستشرقين مثل «بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الاسلامية» حيث يدين كل الحركات الاسلامية الصحيحة، ويرفع من شأن الزنج والقرامطة والباطنية، بينما «روزنتال» اليهودي يصور التاريخ الاسلامي

سلسلة متصلة من الحكام الطغاة، علاوة على الغمز بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وكذلك التشكيك بعالمية الرسالة الاسلامية (ص ١٤-١٠١).

ثم ان التفسير الغربي للتاريخ هو عاجز عن فهم أبعاد التاريخ الاسلامي الذي يقوم على عنصري المادة والروح متكاملين، بخلاف التفسير المادي الذي يجعل التاريخ هو تاريخ البحث عن الطعام، ويقول «ترتون»: اذا صح القول بأن «التفسير المادي» يمكن ان يكون صالحاً في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى، فإن هذا التفسير يفشل فشلاً ذريعاً حين يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم، ولا بد للمؤرخين ان ينظروا الى العلم الصحيح لهذه الظاهرة الفردية، هي ظاهرة الاسلام (ص١٠٤-١٠٥).

٨- المستشرقون والحضارة الاسلامية:

لم تسلم الحضارة الاسلامية من اتهامات المستشرقين وشكوكهم، وهم لا يسمونها اسلامية، بل عربية حتى يثيروا الخلافات بين المسلمين والعرب، وفوق ذلك فهم يرونها حضارة سطحية، كما يقول «رينان»: انتجتها عقول آرية ومنابع فارسية- هندية - غوطية، غير سامية، ومثل «شاخت» الذي لا ينسب للعرب منها سوى لغتهم ودينهم، ومثله «ماسينيون» وقد رد على أقوال هؤلاء الدكتور جواد علي وسفه آراءهم، كما اتهم المستشرقون العرب والمسلمين بحرق مكتبة الاسكندرية، وهي دعوة باطلة كذبها المؤرخ البريطاني «غبون» وكثير من المؤرخين، اذ أحرق نصفها «يوليوس قيصر» واحترق النصف الثاني قبل الاسلام، وفقاً لما أيدته الموسوعة الفرنسية التي قالت: إنها احرقها النصارى في القرن الرابع الميلادي (ص١٠٦-١٠٨).

٩- المستشرقون والتراث الاسلامي:

اما بالنسبة للتراث الاسلامي، فللمستشرقين موقفان متعارضان، **الأول:** موقف التنكر لقيمة هذا التراث، وتصويره متخلفاً لا يعطي شيئاً للعصر الحديث، **وثانيهما:** هو بعث الجوانب الضعيفة، وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية ودعوات الباطنية والزنج والقرامطة، كلها لا تتفق مع جوهر الاسلام، علاوة على إنكار ما ورد في الكتب الكيماوية اللاتينية التي تحمل اسم «جابر بن حيان» لمجرد فقدان اصولها العربية.

والحقيقة التي اعترف بها المؤرخون المنصفون هي ان الشعر الفرنسي

«البروبادور» قد تأثر بالشعر الاسلامي الاندلسي، وقد قال «جورج سارتون»: ان اي شخص يعرف العربية، لا يخطئ مطلقاً في اكتشاف ان هذه الكتب اللاتينية ما هي الا ترجمات لنصوص عربية.

ومثله «درابر» الذي علق على الانكار قائلاً: انه يأسف لهذه الطريقة التي عمد بها الادب الأوروبي الى التحايل (لإخفاء أفضال العرب العلمية علينا) ويتفق مع «سديو» وسماها «جارودي»: «مؤامرة الصمت» ثم ان الاستشراق عمد الى استخدام التراث الاسلامي استخداماً خطيراً، فقد أبرز وأذاع كل ما يفرق وأخفى ما يجمع، وفي مقدمتها خلافات المذاهب وأبحاث الاعتزال والباطنية، وقصدهم من ذلك إحياء الشبهات (ص١٠٨-١١١).

رابعاً: مقال عن المستشرقين والسيرة النبوية، بقلم د. عماد الدين خليل:

ان موقف الغربيين من الرسول ﷺ، يتشكل في إطار ديني صرف مترع بالتعصب والتشنج، مليء بالحقد والكراهية تحيطه جهالة عمياء متعمدة في الغالب، جعلت سداً بينهم وبين النبي ﷺ، يصعب اختراقه وفوقه سحاب، وكانت النتيجة ليست أبحاثاً تاريخية علمية أو موضوعية، اذ كانت سيلاً من الشتائم مارسها رجال الدين من قلب الكنيسة، كما مارسها علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة.

واستمر هذا التيار حتى العصر الحاضر، حتى لتربأ الاقلام على سرد ما قالوه، ومنهم المونيسيور «كولي» في كتابه «البحث عن الدين الحق» اذ قال: برز في الشرق عدو جديد، هو الاسلام الذي أسس على القوة والتعصب، ووضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد من يقتل منهم بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وانتشرت دعوته في أقطار الشرق وافريقيا واسبانيا حتى ايطاليا، وتناول الاجتياح فرنسا، وها هي النصرانية التي وضعت بسيف «شارل ماركس» سداً في وجه الاسلام المنتصر، سنة ٧٥٢م، ثم عملت الحروب الصليبية على مدى قرنين فحمت اوروبا بالسلاح، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الانجيل على القرآن، وما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة (ص١١٢-١١٣).

ويقول المسيو «كيون» في كتابه «ميثولوجيا الاسلام»: ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وفتك بهم فتكاً

ذريعاً، بل هو مرض مروع وجنون يبعث الانسان على الخمول، ولا يوقظه الا على سفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور ويجمع القبائح، وما قبر محمد في مكة «كذا» الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم الى مظاهر الصرع والذهول العقلي، وتعود عادات من شأنها كراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى..!! الخ الهراء».

ويقول «جويليان» في كتابه: «تاريخ فرنسا»: ان محمداً مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه ان يخضعوا العالم، ويبدلوا جميع الاديان، ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى، ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا، بينما اتباع المسيح قد ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين (ص١١٣).

وقد أدرك «ليوبولداس» وهو محمد أسد بعد اسلامه: ان النتائج التي تمخضت عنها الحروب الصليبية كانت مرة، واستحالت الى معضلة في مناهج المستشرقين، يتعذر عليهم تجاوزها، وصار احتقارهم التقليدي للإسلام يتسرب الى بحوثهم العلمية، وصار احتقار الاسلام جزءاً أساسياً في التفكير الأوروبي.

والحق ان تحامل المستشرقين على الاسلام هو غريزة موروثة، إذ يرون وجود الاسلام نفسه خطراً حقيقياً كما قال «لويس براون» في كتابه الصادر عام ١٩٤٤م، لأنه بظهوره اقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية (ص١١٤-١١٥).

ورغم انفصال الدين عن الدولة، وظهور اجيال جديدة من المعنيين بدراسة الاسلام -وأغلبهم من العلمانيين- فإن موقفهم من الاسلام لم يتغير سوى في شيء من التشذيب والتهذيب، حيث استمر التعصب والحقد ضد الاسلام، وذلك باعتمادهم عمداً منهجاً علمياً يقوم على أخذ الضعيف الشاذ من المعلومات، وكانت النتيجة رد معطيات السيرة الى أصول نصرانية أو يهودية -حسب انتمائهم الديني- كما ان المتصدين لدراسة الاسلام، يعتمدون منهجاً معكوساً، فهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يجيئون الى وقائع التاريخ فيستلون منها ما يؤيد فكرتهم، ويستبعدون ما دون ذلك، وأحسن مثال هو «كيتاني» الذي كان اذا رأى فكرة وضع رأيه في السيرة قبل الشروع في

تدوينها، وتمسك به رغم ضعفه (ص١١٦-١٢١).

هذا ومن الواضح، تعاطف أكثر المستشرقين مع اعداء الاسلام، والتحزب لليهود خاصة، ويظهر ذلك بجلاء من «مرغوليوث» فهو يستنكر فتح المسلمين لخيبر، ويعتبره ظلماً، ثم يقول: «عاش محمد ست سنوات من هجرته الى المدينة على التلصص والسلب والنهب، وخاصة بالنسبة لليهود، ولا سيما بغزوة «خيبر» البعيدة عن المدينة التي يعتبرها عدواناً عليه او على اتباعه (مثلما كان الاسكندر ثم نابليون) وان استيلاءه عليها يبين الى أي حد أصبح الاسلام خطراً على العالم، وتمنى «فولدكه» لو تحالفت القبائل العربية ضده(ص١٢٤-١٢٥).

وقد لاحظ «درمنغهام» مغالاة كثير من المستشرقين (وذكرهم بأسمائهم وهم من الكبار) قد غالوا في النقد، ولم تزل كتبهم عامل هدم، اذ أثاروا الشك حتى في وجود النبي ﷺ، وهو يعتبر «لامانس» من افضل المستشرقين، ولكنه أشدهم تعصباً وأنه شوه كتبه وأفسدها بكرهه للاسلام وللنبي بالذات (ص١٢٥).

وكذلك لاحظ «آيتلين دينييه» ان من المتعذر ان يتجرد المستشرقون عن عواطفهم ونزعاتهم، ولذلك بلغ تحريفهم للسيرة النبوية وحياة الصحابة، مبلغاً يخشى منه على صورتها الحقيقية، اذ نجد صورة النبي تبعاً لجنسية المستشرق الكاتب لها، اذ هم يقدمون صورة خيالية هي ابعد ما تكون عن الحقيقة.

وينتهي الى القول: «ان الصور الجليلة التي خلفها المنقول الاسلامي، تبدو أجل وأسمى اذا قيست بهذه الصور المصنعة التي صيغت في ظلال المكاتب بجهد جهيد» (ص١٢٦-١٢٨).

اما بالنسبة لنطاق الدعوة الاسلامية، فإن «ارنولد» يجيب على مزاعم القائلين بتخصيص الاسلام بالعرب وبلادهم، ويقول: ان الاسلام جاء الى العالم أجمع، ولم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يُدعى اليه كافة البشر، وقد التزم «آرنولد» بهذا القول على الورق (ص١٢٩-١٣٠).

وتناول كاتب هذا البحث (عماد الدين خليل) موقف الشيوعيين من الاسلام الذين عبروا عنه بما ينسجم وعقيدتهم، بما لا يختلف كثيراً عن رأي المستشرقين الرأسماليين (ص١٣٤-١٣٨).

خامساً: بحث بعنوان «المستشرقون والتاريخ» بقلم د. عبد العظيم الديب:

يبدأ الكاتب بتاريخ حركة الاستشراق (ص١٤٢)، وقد استهله بمقدمة تاريخية، اذ بدأ بهدف الاستفادة مما لدى المسلمين من علوم، ثم تحول الى دراسة أحوال المسلمين، بهدف زحف الاوروبيين واستعمارهم لبلاد المسلمين، وبعد انتهاء عصر الاستعمار، بدأوا بشوط جديد بزعم انهم يدرسون أحوال المسلمين، تحت ستار علمي، إخفاءً لهدفهم بهدم المنشآت وتمزيق الجيوش، ولكن بزعزعة النفوس، وتحطيم الطريق وتعتيمه بهدف فرض الخضوع بدون أي بمعركة تستهدف العزائم والفكر والعقل، وذلك بجهود المستشرقين.

ويدعو الكاتب المسلمين بضرورة الوعي لوضع حد لذلك الغزو، وذلك بدراسة أساليب هذه الغزوة وفضح أساليبها، ووضع حد لها، لا سيما في ميدان التاريخ، ويعتبر الكاتب، التاريخ هو «عِرْض الأمة» بل هو بالنسبة للمسلمين هو الاسلام مطبقاً منفذاً، وان اي تشويه لتاريخنا هو تشويه للإسلام (ص١٤٣-١٤٥).

لقد توسل المستشرقون بأساليب عدة، لتشويه تاريخنا، سواء بتتبع مواضع الالتهابات وأخبار الفتن واختيار الروايات التي توافق هواهم بدون تحقق، وإهمال الروايات المعتمدة، وقد دأبوا على تفسير الأحداث بطريقة «الاسقاط»، فهم يسقطون ما بأنفسهم على أحداث التاريخ، ويفسرونها على هواهم، كما فعلوا بالنسبة لبيعة ابي بكر رضي الله عنه، وكأنها انتخابات الرئاسة الامريكية، وألاعيبها الحزبية، أو خروج الزبير وطلحة على الامام علي (رضي الله عنهم أجمعين)، بأنهما خافا على ثروتيهما (التي يزعم المستشرقون أنها من غنائم الفرس والروم)، وكأن الأمر يتعلق بشركات الصلب أو السلاح.

وقالوا شيئاً مماثلاً بما يتعلق بالعصر الأموي، وتحدثوا عن إغراق الأمويين مكة والمدينة بالأموال ليشغلوا اهل المدينتين عن طلب المشاركة في الحكم، كما انهم وجهوا الدراسات العليا للطلبة المسلمين في جامعاتهم لدراسة القرامطة والخرمية والاسماعيلية وما اليها، كما ان نشر المخطوطات، ساروا به في طريق مماثل، كل ذلك بتوجيه من المستشرقين «مثلاً بتحقيق كتاب الأغاني» وبدراسة بعض محتوياته، ومثل ذلك بالنسبة لكتاب ألف ليلة وليلة (ص١٤٦-١٤٨).

وجاء الكاتب بنماذج مما يختاره المستشرقون من مواد تتعلق بمواضيع مثل «معركة الحرة» و «التحكيم» بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وحريق الكعبة، كما شوهوا تاريخ الخليفة الرشيد (ولعلهم ينتقمون منه بسبب حملاته ضد الروم وإهانته «لنقفور» كلب الروم (ص١٤٨-١٤٩).

ويضرب مثلاً مما فعله «غوستاف فييت» وكتابه «مجد الاسلام» يوم كان مديراً للمتحف الاسلامي بالقاهرة، فهو يعرض مجد الاسلام بصورة غريبة، اذ يمجد الأمويين لأنهم فرقوا البيت الهاشمي، ولأنهم انتصروا على ابن الزبير، وهكذا وهذا هو ما يسميه «مجد الاسلام» (ص١٤٩).

ويقترح الكاتب منهجاً للكتابة التاريخية، مما يقع خارج نطاق الحقل الذي هو بصدده وهو «المستشرقون والاسلام»، ثم يقدم توصيات للندوة تتعلق بنشر بحوثها وبالخروج بخطة محددة لمحاصرة سموم المستشرقين، وان تعقد مثل هذه الندوة بصفة دورية كل عامين أو ثلاثة، وتنسيقها تحت عناوين محددة، مثل (ما قاله المستشرقون عن حروب الردة)، وما قالوه عن فتوح فارس، وفتوح الشام ومصر وافريقيا، وما قالوه عن حروب المسلمين في أوروبا، وما يقولونه عن الخلفاء الراشدين كما اقترح ان تكون للندوة أمانة عامة دائمة (ص١٥٣).

سادساً: «الاسلام انتشر بالسلم لا بالسيف» بقلم د. محمود محمد الطنطاوي:

وهو عما روجه المستشرقون عن انتشار الاسلام بالسيف، وهي فرية باطلة، والبحث يبدأ بمقدمة عن كيفية نزول الوحي على الرسول ﷺ، مما هو معروف لدى المسلمين، بما في ذلك هجرته ﷺ الى المدينة، وانه رغم شدة الكفار حيال المسلمين، ورغبتهم في قتال المشركين، لم يسمح لهم بذلك النبي ﷺ، لأنه لم يؤمر به، ولما أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالقتال، كانت الحرب ضد الاعتداءات الصادرة عن مشركي مكة، وقد عقد معاهدة مع يهود المدينة على السلام، ولو لم ينقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ ما حاربهم، ولكن العداء جاء من طرف اليهود أولاً.

وقد أذن الله لرسوله ﷺ حقناً للدماء ان يأخذ الجزية منهم دون التعرض لهم، وهي دراهم قليلة، ولا تؤخذ من الرهبان ولا من النساء أو الأطفال، ويترتب عليها حماية اهل الذمة، وقد ضمن لهم القرآن الكريم حرية العبادة، كما ان الرسول ﷺ أوصى بهم

بقوله: «من آذى ذمياً فأنا حجيجه يوم القيامة» وهذه الحقائق تنفي التهمة القائلة بأن الاسلام انتشر بالسيف (ص١٥٤-١٥٩).

ولو كان الاسلام انتشر بالسيف، لما وجدنا يهودياً ونصرانياً في بلاد المسلمين الآن، اما الذين يمتنعون عن دفع الجزية، لا يحاربهم المسلمون من اجل الدخول في الاسلام بالاكراه، ولكن لأجل وقوفهم ضد المسلمين وموالاتهم لأعدائهم، بل ان المسلمين يمكنهم اعفاء من استحقت عليه الجزية (بنص القرآن) وهو «بالمن عليهم» (ص١٥٩).

«والجدير بالذكر ان المسلمين في تاريخهم قد منحوا غير اهل الكتاب هذا الامتياز، كالمجوس والهندوس والسيخ، فعاشوا بين المسلمين، ولا يزالون يعيشون في ظل دول إسلامية كالباكستان، اما في زماننا هذا ونحن في سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، فقد شهدنا قبل بضع سنوات عدوان الامريكان وحلفائهم من اجل اجبار الشعوب الأخرى على اعتناق ديمقراطيتهم الكاذبة، ويفتحون بلادهم لقواعدهم ويستسلمون لاسرائيل، فدمروا العراق (اعرق دول العالم حضارة وتاريخاً)، بكذبة مفتعلة بشهادة الأمم المتحدة، فلما انكشفت الكذبة، قالوا: انهم يحاربون من اجل الديمقراطية، واستخدموا هذه الديمقراطية الكاذبة في العدوان على أفغانستان!! سامي الصقار».

سابعاً: السنة مع المستشرقين والمستغربين، والبحث بقلم د. تقي الدين الندوي:

وهذا البحث يتناول رفض المستشرقين ومنكري السنة بهدف إسقاط السنة النبوية من مكانتها الرفيعة كمصدر تشريعي بعد القرآن الكريم، وهدفهم من وراء ذلك، هو هدم مجتمع الاسلام ونظامه، على هذا التقى أعداء الاسلام وغيرهم في العصور الاسلامية السابقة، مع اعداء الاسلام اليوم، من المستشرقين ومن لف حولهم، لأن نور الاسلام الباهر، يغشي ابصارهم، فيندفعون كالعميان بعصبية حمقاء لتهديم كل ما يتصل بالقرآن بالسنة لتشويه اسماء كل من حمل لواء الاسلام بدءاً بالرسول الكريم ﷺ وأصحابه الى حملة السنة، لإفساد الحقائق المتصلة من حضارة وتاريخ، ولكن المؤسف ان بعض الكتاب المسلمين انخدعوا بمظاهر التحقيق العلمي الخادع من المستشرقين، لجهلهم بحقائق التراث الاسلامي، فوقعوا تحت تأثير اهوائهم وانحرافاتهم.

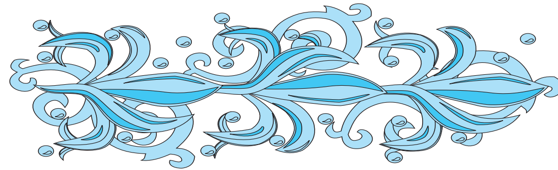
وقد اتيحت للمستشرقين الفرصة والمال ليتفرغوا لدراسة ناحية معينة من الحضارة الاسلامية، حتى اصبحوا مراجع للمثقفين ثقافة غربية، فانخدعوا بهم، وكان العديد من قادة الفكر العربي الاسلامي قد تتلمذوا عليهم، والمؤسف ان بعض المثقفين المسلمين ينقلون عن اساتذتهم من المستشرقين بدون تحقيق، ويتحمسون لأفكارهم ونشرها، وفي طليعتهم احمد أمين، مؤلف «فجر الاسلام» و «ضحى الاسلام» و «ظهر الاسلام» والتي ظهر في بعضها ما يبدو انه «مزج السم بالدسم» اذ تحامل على بعض كبار الصحابة والتابعين، اتباعاً لأساتذته المستشرقين، بل تبنّى بعض مقولاتهم، وفاته ان علماء السنة، بذلوا جهودهم في نقد السند والمتن للأحاديث قبل تدوينها، عملاً بعلم «مصطلح الحديث».

وما ذكره أحمد أمين من الشروط التي يريد تطبيقها على متن الحديث قبل قبوله، فإن علماء الحديث قد طبقوها قبل اتخاذهم القرار بأخذ الحديث او رفضه، مما هو مدون في الكتب ذات العلاقة (ص١٦٤-١٦٨).

وكاتب هذا البحث تطرق الى ما يتعلق بالامام البخاري بالدرجة الأولى، وصحة ما رواه من حديث، مما لا علاقة مباشرة له بموضوع البحث (ص١٦٩-١٨٢).

ثامناً: نظرة خاطفة على موضوع «الاسلام والمستشرقون» للشيخ ابي الليث الندوي الاصلاحي، أمير الجماعة الاسلامية بالهند:

وهو بحث مختصر كتبه أمير الجماعة الاسلامية بالهند، وقد بارك فيه انعقاد ندوة علمية عالمية بعنوان «الاسلام والمستشرقون» وحضرها فريق كبير من علماء المسلمين من الاقطار المسلمة، وقدموا بحوثاً قيمة عن هذا الموضوع،



في ظلال رسالة عمان

هل الاسلام دين العنف والتطرف والارهاب؟

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

يتعرض الإسلام والمسلمون للاتهام بالإرهاب والعنف والتطرف، بل إن بعض وسائل الإعلام اليوم أصبحت تبرز الإرهاب وكأنه صفة ملازمة لهذا الدين ولمعتنقيه، ونسبت بعض وسائل الإعلام وبعض الكتاب الإرهاب إلى الإسلام زعماً أن تعاليم الإسلام وأحكامه وبعض آيات القرآن تدعو إلى الإرهاب وتوجه المسلمين إلى سلوك طريقه!! وهذا يخالف الحقيقة تماما.

وهذه الشبهة من أكثر الشُبه رواجاً وانتشاراً، تطبّل وتزّمر لها كل وسائل الإعلام العالمي

إن القرن الواحد والعشرين، وشريعة الأمم المتحدة، وعدالة مجلس الأمن، تجيز لك مثلاً أن تقتل أربعين ألفاً في الشمال الإفريقي في مجزرة واحدة لأنهم أبرياء، أَو أن تقصف بغداد ليل نهار، ويحتفل أهلها بدخول رمضان تحت وابل القنابل والمدافع، أو أن يستقبل أهل القدس ليلة القدر بشهداء الحرم الإبراهيمي، لأنهم من اتباع رسول الله محمد ﷺ، ولكن كيف يجيزون لك أن تدافع عن دينك وعرضك وأرضك؟ فذلك تطرف وإرهاب لا يحق لك؟ ويل للناس من الألفاظ.. كم تخدعهم عن الحقيقة؟.

وصدق الله العظيم القائل: **﴿وقد خاب من افترى﴾** .. فقد أذاعت (هيئة الإذاعة البريطانية) من لندن صباح الأحد ١٩٩٥/١/٢٩م، أنه على الرغم من العداء

المعلن، والحديث عن الأصولية، وعن الإرهاب الإسلامي.. إلا أن عشرة آلاف بريطاني يعتنقون الإسلام، قسم كبير منهم من النساء، وذلك خلال عام ١٩٩٤ فقط.

كيف انتشر الإسلام؟ وكيف انتشرت غيره من الشرائع؟

هذا النباح المسعور ضد الإسلام لماذا؟ يُتهم الإسلام بالتعصب والإرهاب، وتوصف أوروبا وأمريكا بالتسامح.. كيف؟؟

هل سجل التاريخ -بطوله وعرضه- علينا أن أرغمنا غير مسلم على اتباع ملتنا؟ لم يحصل قط. هل عرفت الحضارة الإسلامية أو سمعت بمحاكم التفتيش؟ التي شكلت في إسبانيا بمرسوم بابوي باسم الدين المسيحي في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٤٧٨م، والتي هدفت إلى تنصير المسلمين بإشراف السلطات الكنسية وبأشد وسائل التنكيل والتعذيب؟؟.

ثم بعد ذلك تسمع من يقول: (إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: (أسلموا أو موتوا)، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم؟) (تاريخ فرنسا، هـ. غيومان، ف. لوستير، ص٨٠).

وآخر يقول: "في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذي أُسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين أتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسّلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات" (البحث عن الدين الحقيقي، المنسنيور كولي، ص٢٢٠).

إن هذه الافتراءات وغيرها تتهاوى أمام عرض سريع لحقائق التاريخ عن انتشار الإسلام، ونحب أن نعرض الموضوع عرضاً تاريخياً، لنقف على أصول الإسلام الأولى كيف انتشر؟ وكيف تعامل مع أتباع الملل الأخرى، ثم نقف أمام القوم الذين اتهموا الإسلام بالعنف والتطرف والإرهاب؟ لننظر إلى سماحتهم ووداعتهم، تاركين للعاقل المنصف الحر الحكم على ذلك..

إذاً فامض معي إلى معارك الإسلام الأولى، وانظر كيف انتشر الإسلام في الجزيرة العربية:

● هل خرج رسول الله ﷺ ومن معه في بدر الكبرى يريد قتالاً؟

الجواب: لا، بإجماع كتاب التاريخ والسِيَر، فقد كانت بضائع قافلتهم قد اشتراها كفار مكة بالمتاع الذي تركه المسلمون بمكة قبل هجرتهم، فخرج ﷺ مع أصحابه وهم المالكون الشرعيون لهذه

الأموال، بهدف استرجاعها من جيب غاصبيها إلى أكف أصحابها.. وكيف يتركونها تمر أمام أعينهم يتاجر بها أعداؤهم ويحاربونهم بها؟ والدليل على ذلك قوله ﷺ لأصحابه: «هذه عير قريش، فاخرجوا إليها لعل الله أن يغنمكموها»، وعلم أبو سفيان بخروجهم، فأرسل من يستنهض أهل مكة لنصرته، ولمّا نجت القافلة أصرّ أهل مكة على قتال رسول الله محمد ﷺ، بل وجدوها فرصة سانحة للقضاء على دعوته.

● وفي معركة أحد، وبعد مضي عام كامل بعد بدر، وقريش لا يغمض لها جفن، ولا ترقد لها عين، وهي تعدّ العدّة للانتقام من النبي ﷺ، وفي السنة الثالثة خرجت قريش في ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها، فكتب العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، يخبره ﷺ بما صنعت قريش، ولم يكن العباس قد أظهر إسلامه بعد.. وقد أراد النبي ﷺ البقاء في المدينة المنورة، لدفع قريش بأقل خسائر ممكنة (محمد الحبش، سيرة رسول الله ﷺ ص١٤٠).

● وكذا في الخندق -غزوة الأحزاب- اتخذ ﷺ موقف المدافع، وفرّق قريشاً ومن معها بإنشاب الخلاف بينهم، كي لا تزهق أرواح من الطرفين.

● وحين أراد فتح مكة عندما نقضت قريش العهد، واستخفت ببنود صلح الحديبية، بتشجيع قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة النبي ﷺ، أغلق وقطع الطريق المؤدية إلى مكة، ولم يحدّث ﷺ أحداً من أصحابه بعزمه، غير أنه أمرهم أن يتجهزوا، ثم سار بهم نحو الشام، حتى تحدث الناس أنه يريد الروم، وانصرفت عيون قريش في المدينة تطمئن أهل مكة أن النبي ﷺ ماض إلى الشام يؤدب الروم بعد وقعة مؤتة.

لقد أراد ﷺ دخول مكة سلماً دون أن تزهق أرواح، أو تراق دماء، فعهد إلى أمرائه حين دخول مكة: أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم، على الرغم من شرك أهل مكة ووثنيتهم!

أرأيت.. هذا هو عنف الإسلام وتطرفه وإرهابه في الجزيرة العربية، أما خارجها: فسنكتفي بعرض بعض شهادات وأقوال بعض المنصفين من غير المسلمين:

■ بلاد الشام وفلسطين:

يقول «أميل در منغم»: «لم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً، وما دخول الناس أفواجاً في الإسلام إلا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب لما دخل القدس فاتحاً أمر بألا يمسّ النصارى بسوء، وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطريرك بكل

رعاية ورفض الصلاة في الكنيسة خوفاً من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد، وهنا نقول: ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين، ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين، فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم، وعقدت النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى» (حياة محمد، ص١٤٤، ترجمة عادل زعيتر، ط٢/ القاهرة).

ويقول المؤرخ اللبناني «جورج حنا»: «لم يروِ المؤرخون المسيحيون أنفسهم عن المسلمين مثل الوحشية التي مارسها الصليبيون، لم يكن هؤلاء وحشيين في معاملة الأسرى المسيحيين.. وبعد معركة طبريا التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على خصمه الملك (غي. ده. لوسينيان) عفّ صلاح الدين عن التفظيع بالأسرى الذين نجوا من الموت.. وفرض عليهم الجزية وأطلق سراحهم مع قائدهم الملك (غي).. وهي (أي: الحادثة) واحدة من المئات التي جاءت في كتب التاريخ عن الحروب الصليبية، ومعظمها لمؤرخين مسيحيين من الفرنج بالذات» (قصة الإنسان، ص٨٩-٩٠، ط٥/ بيروت).

وقال أهل حمص لجيش الفتح الإسلامي -بعدما سمعوا عن سماحتهم -: «يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكفُّ عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم (أي الروم) غلبونا على أمرنا»، وذكر التاريخ أن أهل حمص أغلقوا أبواب مدينتهم دون جيش هرقل الذي جاء لنجدتهم!! (فتوح البلدان للبلاذري، ص١٣٧).

■ مصر وشمال إفريقيا والصومال:

يقول «بيجي رودريك»: « .. ما أن كان الإسلام يدخل بلداً من البلدان المفتوحة حتى يقبل أهلها جميعاً على اعتناقه ويعاملون معاملة الفاتحين سواء بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقي أكرم معاملة، فمصر وشمال إفريقيا والصومال وبلاد أخرى كثيرة هي أمثلة على البلاد التي فتحها المسلمون العرب، فأسلم أهلها وحملوا الإسلام إلى غيرهم، وعاشوا أعزة مكرمين في ظل دولة إسلامية مئات السنين، فلا مجال إذن للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذي يسلب الشعوب كل شيء.." (رجال ونساء أسلموا ٦/١١٣).

■ إسبانيا (الأندلس):

يقول «اتيين دينيه» الذي اعتنق الإسلام وأطلق على نفسه اسم «ناصر الدين»:

«المسلمون على ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة لإكراه غيرهم على الإسلام، وإن وجود المسيحيين في إسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التي ملك فيها المسلمون بلادهم، وكان لبعضهم مناصب رفيعة في بلاط قرطبة، ثم إذ بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطات في هذه البلاد فكان أول همّ لهم أن يقضوا قضاء تاماً على المسلمين» (انظر كتابه «محمد رسول الله» ص٣٣٢، ترجمة د. عبد الحليم محمد، ط٣/ القاهرة).

ويقول «ترند»[١]: «.. في القرن العاشر تردى معظم أوروبا في همجية ووحشية مريعة، على حين أن المسلمين في إسبانيا ضربوا مثلاً رائعاً بما كفلوه لغيرهم من ذوي العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش والتسامح».

■ بلاد ما وراء النهر:

وهنا لا بد من ذكر قضية خالدة في تاريخ الإنسانية[٢].. وهي فتح المسلمون مدينة سمرقند (التي عرفت بعد ذلك من مواطن الحضارة الإسلامية) عنوة على يد قتيبة بن مسلم الباهلي في عهد الوليد بن عبد الملك.

قبل أهل سمرقند الأمر على مضض، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ، وبلغ أهل سمرقند عنه ما ملأ الدنيا من الحديث عن عدله ونصرته للحق ووفائه وبغضه للظلم، أنابوا عنهم وفداً يلقى الخليفة، يشكو ما كان من قتيبة معهم.

ولقي الخليفة وفدهم، فعرضوا الأمر عليه، وقالوا فيما قالوه: إن قتيبة غدر بنا ظلماً، وأخذ بلادنا، والأمر إليك لترفع عنا ما نزل بنا على يديه، فتناول الخليفة قرطاساً وقلماً، وكتب إلى سليمان بن أبي سرح عامله على سمرقند كتاباً قال فيه: «إن أهل سمرقند شكوا ظلماً أصابهم وتحاملاً من قتيبة عليهم، فإذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم قاضياً يقضي بالحق في هذه الظلامة».

وعاد وفدهم بكتاب الخليفة إلى عامله، فأحال قضيتهم إلى القاضي (جُميع بن حاضر الناجي) قاضي سمرقند، فاستمع إلى ظلامتهم، واستدعى شهودهم، ثم استدعى شهوداً من الجيش الذي حضر الموقعة مع قتيبة فشهدوا بالحق، شهدوا أن قتيبة لم ينبذ إليهم عهدهم، بل فاجأهم بفتح.

ولما وضح هذا أمام القاضي، أصدر حكمه في هذه القضية صريحاً لا غموض فيه، قوياً ناطقاً بعدالة الإسلام وسماحته،

قال القاضي: "على الجيش الإسلامي الذي فتح سمرقند بقيادة قتيبة أن يتأهب للخروج منها فوراً، كذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح»!!

لقد كان لهذا الحكم رجة في أنحاء سمرقند، إذ ما كان يتصور أحد أن تعاليم الإسلام تمضي على هذا النحو، وتعطي الحق للقاضي أن يأمر الجيش بالخروج من بلد فتحه واستقر فيه.

وأسرع الوالي يخبر الخليفة بالحكم ويطلب مشورته، فجاء الرد من الخليفة بوجوب تنفيذ حكم القاضي بحذافيره، وعندئذٍ أصدر أمره إلى الجيش بالتأهب للرحيل، وإلى المسلمين المدنيين بمغادرة سمرقند.

وبينما هذا يجري على قدم وساق، والجيش يجمع أسلحته وأمتعته ويفك مخيماته، وبينما المسلمون المقيمون يودّعون أهل سمرقند، ويحزمون أمتعتهم، ويعلنون بيع أملاكهم فيها، إذ بمفاجأة لم تكن في الحسبان، فقد جاء وفد يمثل أهل سمرقند إلى الوالي، وأبلغوه أنهم تشاوروا فيما بينهم، بعد هذا الحكم، وأنهم ما كانوا يتوقعون أن هناك قاضياً يجرؤ على مطالبة الجيش الفاتح بالجلاء عن بلدٍ فتحه، وأنهم ما كانوا يتصورون أن القاضي سيهمل عصبيته لقومه، وأنهم استبعدوا أن يأمر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر، مع انصياع الجميع له..

أمام كل ذلك.. ولحسن المعاملة التي وجدوها من المسلمين، لا يسعهم إلا أن يعلنوا عن تنازلهم عن حقّهم، والمطالبة ببقاء الحال على ما هي عليه، لأنهم لن يخشوا بعد اليوم من المسلمين، وإزاء هذه الرغبة الصادقة من أهل سمرقند، أمر الجيش بالبقاء، وأمر المسلمين بعدم الخروج، وكانت فرحة مزدوجة من الجانبين، وكانت هذه القضية سبباً في إسلام معظم أهل سمرقند، حتى غدت سمرقند بعد ذلك مركزاً للتزود بزاد المعرفة من علمائها.. **هل سمع الكون بمثل هذه العدالة وهذا التسامح؟**

وهذه القصة مهداة إلى كل أفاك أثيم إتهم الإسلام بالتطرف والعنف والإرهاب.. فإذا صنع الإسلام ذلك في أوج سطوته وسلطانه وقوته، أمنهم اليوم بعنفه وإرهابه، وأتباعه لا يملكون من أمورهم حتى أن يدافعوا عن أنفسهم؟

إنه الحقد الذي يغلي في قلوبهم على الدين الحق وأهله، ولا شيء سواه..

❖ كيف انتشرت الشرائع الأخرى؟

يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض

تاريخ نشر البوذية على يد (آزوكا)، والمزدكية على يد (قباد)، والزرداشتية على يد (دارا)، والكونفوشيوسية والمسيحية.. الخ.

ولكننا سنفصل بعض القول عن انتشار المسيحية بكل موضوعية وبعيداً عن التعصب، وبالرجوع إلى ما سجله التاريخ - والتاريخ لا يحابي أحداً- تاركين الحكم الموضوعي للعاقل الحر، لتعلم.. أيهما دين التطرف والإرهاب والعنف؟!!.

وإننا سنذكر بعض شهادات القوم على أنفسهم، والاعتراف سيد الأدلة، أو (من فمك أدينك) كما يقال..

● يقول هـ.أ.ل. فشر[٣]: «ظل شارلمان يحارب السكسونيين ثلاثاً وثلاثين سنة، كلها عنف ووحشية، حتى أخضعهم وحولهم قسراً إلى الديانة المسيحية».

● «فرض شارلمان على السكسونيين الوثنيين النصرانية بالسيف، ولما ضعف السكسونيون بعد معارك كثيرة وحروب عديدة اعتنقوا المسيحية آخر الأمر، وخضعوا لحكم الفرنجة، وكان فرض الدين على السكسونيين على يد القديس (ليودجر) والقديس (ويلهاد)[٤]».

● ويقول غوستاف لوبون: «ولقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي»[٥].

● **وفي الدنمارك:** نشر الملك (كنوت) المسيحية في ممتلكاته بالقوة والارهاب - كما يقول توماس آرنولد[٦]- ومن ثم أخضع الأمم المغلوبة على أمرها للقانون المسيحي.

● **وفي روسية:** يقول ارنولد: «نشرت الدعوة المسيحية على يد جماعة اسمها - وتأمل في هذا الاسم- (إخوان السيف)[٧] أما كيف كان دخول المسيحية روسية، فيبدو أولاً أنه تم على يد فلاديميير دوق كييف، ويضرب به المثل في الوحشية والشهوانية.. واقتنى من النسوة اللاتي اختارهن لنفسه، بالإضافة إلى خمس زوجات شرعيات، ثلاث مئة، على أن هذا وذاك كله لم يمنع تسجيله قديساً في عداد القديسيين بالكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية، لأنه الرجل الذي جعل من كييف مدينة مسيحية، وجعل من الروسيين شعباً على دين المسيح، وقد أمر فلاديميير بتعميد أهل دوقية روسية كلهم مرة واحدة في مياه نهر الدنيبر»[٨].

● وفي النرويج: يقول توماس ارنولد: «قام الملك (أولاف ترايجفيسون) بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو

بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو بنفيهم وتشريدهم»[٩].

● وفي أمريكا[١٠]: فحدث ولا حرج، وهل قامت حضارة الأمريكان إلا على جماجم الهنود الحمر (شعب أمريكا الأصلي)؟! والحديث عن الهنود الحمر حديث عن مأساة (٣٠) مليون إنسان أبيدوا إبادة كاملة بالمدفع والبندقية الأوروبية!! فكانت عملية من أفجع عمليات الإبادة الجماعية في التاريخ، باسم الكنيسة والمدنية!!.

ومن الصور المرافقة للكشوفات الجغرافية الأوروبية، ما رافق استشكاف جزيرة (هاييتي) على يد الأسبان، فأظهروا من ضروب الوحشية ما لم يسبق له مثيل، متفننين في تعذيب سكان الجزيرة بقطع أناملهم، وفقء عيونهم، وصب الزيت المغلي، والرصاص المذاب في جراحهم، أو بإحراقهم أحياء على مرأى من الأسرى، ليعترفوا بمخابئ الذهب أو ليهتدوا إلى المسيحية، وقد حاول أحد الرهبان إقناع الزعيم (هاتيهاي) باعتناق الدين، وكان مربوطاً إلى المحرقة، فقال له: إنه إذا تعمد يذهب إلى الجنة، فسأل الزعيم الهندي: وهل في الجنة إسبانيون؟ فأجابه الراهب: «طبعاً ما داموا يعبدون الإله الحق»!. فما كان من الزعيم الهندي إلا أن قال: إذاً أنا لا أريد أن أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمة المتوحشة!!

وهذه شهادة[١١] منصفة من مبشر في إفريقيا ذكرها في كتابه: «الإسلام في إفريقية الشرقية» وصاحب الكتاب هو المبشر (ليندن هاريس)، فقد قرر المؤلف بعد النظر إلى الفارق الكبير بين أثر العرب المسلمين وأثر الأوروبيين في إفريقيا الشمالية، أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مئتي سنة، لم يتركوا بعدها أثراً من آثار الحضارة النافعة، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذي حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخرجون وينهبون، أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل، فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعمارة وأدوات الحضارة.

وقد حل هذا الدمار في كل بقعة وصلها المبشرون الصليبيون المستعمرون.. والأدهى من ذلك.. أن كل هذا يرتكب باسم السيد المسيح عليه السلام!! فكولمبوس أراد من رحلاته: (الذهب ونشر المسيحية)، لقد أرسل رسالة إلى البابا الكسندر السادس في شباط (فبراير) عام ١٥٠٢م قال فيها: إن رحلتي القادمة سوف تكون لمجد الثالوث المقدس، ولمجد الدين المسيحي المقدس، وما أفعله، عمل جليل من شأنه زيادة مجد

ونمو الدين المسيحي المقدس[١٢].

وحتى إفساد المسلمين واستعمار الشعوب وغصب خيراتها كان يرتكب باسم تعاليم المسيح!! ولقد وقف القسيس صموئيل زويمر عام ١٩٤٥ في مؤتمر للمبشرين بفلسطين ينبه زملاءه إلى أن لا يغلطوا فيحسبوا أن عليهم قلب المسلمين إلى نصارى صادقين في إيمانهم بالمسيح فقال: «.. ولكن علينا أنه لا ينبغي إخراج المسلمين من الإسلام ثم إدخالهم إلى الديانة المسيحية، ولكننا نكتفي بإخراجهم من الإسلام وإبقائهم بلا دين، وبذلك تكونون أنتم الطليعة الأولى للكرب الاستعماري، باركتكم عناية الرب»!!

ولسنا ندري ما هي العلاقة بين عناية الرب وشد أزر الركب الاستعماري وخدمة طغيانه، لسنا ندري ما العلاقة بين هذين النقيضين في نظر إنجيل المسيح وهديه، ووالله إنهما ليبرآن إلى رب المسيح أن يكونا قد حملا إلى الناس في يوم ما، مبدأ استعمار الشعوب وإفسادها وغصب خيراتها.

وبعد.. أيهما دين العنف والتطرف والإرهاب؟! دين ﴿لا إكراه في الدين﴾ أم دين «محاكم التفتيش»؟، دين «من آذى ذمياً فقد آذاني» أم دين قطع الأنامل وفقء العيون وصب الزيت المغلي في الجراح وإحراق الأحياء على مرأى من الأسرى، للاعتراف بمخابئ الذهب أو الاهتداء للمسيحية؟! دين عمر بن الخطاب ﷺ الذي أمر ألا يمس النصارى بسوء وأن تترك لهم كنائسهم- عندما دخل القدس- وشمل البطريرك بكل رعاية، وأبى الصلاة في كنيستهم لئلا تؤخذ منهم فيما بعد تحول إلى مسجد، أم دين الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم في عصر من دماء المسلمين ما بلغت به ركب خيولهم؟؟!

والأعجب من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله لما استرجع بيت المقدس بعد معارك عديدة، أظهر في حروبه ومعاركه كل ألوان الرفق والرحمة والعطف والعفو، كما اعترض (إيفلين كوبولد)[١٣] وقال أيضاً: «مما يجدر ذكره أن صلاح الدين لما افتتح القدس وكانت أفعال الصليبيين الدامية بأهلها ملء السمع والبصر، وأبى أن يعامل المغلوبين إلا بالحسنى وارفق، ورفض الانتقام من الذين أساءوا وأحرقوا ودمروا، وسمح للمسيحيين بمغادرة المدينة تحت رعاية رجاله ومحافظة قواده»[١٤].

وقد مثل ذلك تماماً في إسبانيا والأندلس، فقد تكرر المشهد بحرفيته، والإناء بما فيه ينضح، فقد ضرب جيش

الفتح الإسلامي مثلاً أعلى في الرحمة والتسامح- بإعترافهم أنفسهم كما ذكرنا أقوال (آيتين دينيه)، والأهم منهم ما سطره التاريخ- ثم أنظر ما فعلوه بالمسلمين على الرغم من المعاهدة التي وقعت في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٤٩١م، بين أبي عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة، وفرناند ملك أراغون وقشتاله، وعلى الرغم من قسم فردنياند (وزوجته ايزابيلا) الرسمي بالله أن جميع المسلمين سيكون لهم مطلق الحرية في العمل في أراضيهم ويحتفظون بشعائرهم ومساجدهم، ولكن هذا القسم بالله وهذه العهود لم تكن عند ملكي النصارى سوى ستار للخيانة والغدر..

لقد نقض الإسبان النصارى شروط المعاهدة بنداً بنداً، فمنعوا المسلمين حتى من النطق بالعربية في الأندلس، وفرضوا إجلاء المسلمين الموجودين فيها وحرق من بقي منهم، وزاد الكردينال (أكزيزينيس) على ذلك فأمر بجمع الكتب العربية، ونظمت أكداساً في أكبر ساحات المدينة -وفيها علوم لا تقدر بثمن، بل هي خلاصة ما بقي من تراث التفكير الإنساني- وأحرقها جميعاً!![١٥].

وفي عام ١٤٩٩م دشن الكاردينال كزمينز برنامجاً للتنصير الإجباري شعاره: (إما المعمورية وإما الإخراج من البلاد)، ونشطت محاكم التفتيش نشاطاً رهيباً -كما قال: روم لانو[١٦].

أرأيت هذا هو إرهاب الإسلام وتطرفه!!!؟

أما ما يزعمونه من إرهاب وأصولية وتطرف من المسلمين في هذا العصر، فإنه مقاومة مشروعة للدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم وبلادهم، ومعلوم أنهم استندوا في تأييد شبهتهم على فريضة الجهاد في الإسلام، وهذا يسوقنا للحديث عن الجهاد[١٧] من خلال:

١- بيان هدف الجهاد وغايته.

٢- بيان أسلوب ووسائل تحقيق هذا الهدف.

● المبحث الأول: أهداف الجهاد في سبيل الله:

الهدف الأول: الدفاع عن الأوطان ورد العدوان: ومعلوم أن كل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية اليوم تقر حق الشعوب في دفع المعتدين والطامعين عن أوطانهم وأنفسهم، وآيات القرآن الكريمة صريحة في بيان هذه الغاية، وبينت فرضية الجهاد حينئذ، قال تعالى: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾[١٨] وقال تعالى: ﴿**فمن**

اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[١٩].

الهدف الثاني: نشر الدعوة الإسلامية، وتأمين وصولها إلى الناس جميعاً: وإزالة الحواجز التي تقف بين الإسلام وبين الشعوب المستضعفة والمقهورة، لتخليص الأمم والشعوب من القهر والظلم والاستبداد، ولإعطائها الحق في حرية اختيار عقيدتها وتقرير مصيرها، ومن هنا تعلو مقدار إنسانية الإسلام في هذا الهدف، حيث يقدم المسلمون دماءهم وأموالهم لتخليص بني الإنسان من الأنظمة المستبدة الجائرة.

الهدف الثالث: حماية الأقليات المسلمة التي تعيش خارج الدولة الإسلامية إذا تعرضوا للاضطهاد والظلم، ويحرم تركهم ليعيشوا ألوان القهر والذل بلا مناصرة، قال تعالى: **﴿وإذا استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾**.

● المبحث الثاني: وسائل الجهاد وضوابطه:

جمع الجهاد بين شرف المقصد ونقاء وإنسانية الوسيلة، وأبرز هذه الوسائل التي توضح رحمة الإسلام وبعده كل البعد عن الإرهاب والعنف والتطرف:

١- تبليغ الدعوة باللسان يسبق الجهاد بالسيف:

ويؤيد ذلك قوله ﷺ لأمراء الجند: "أغزوا باسم الله في سبيل الله، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأتيهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم"[٢٠].. **والخصال الثلاث هي: الدعوة إلى الإسلام أو دفع الجزية أو اختيار القتال.**

٢- القتال لمن قاتل:

عند اللجوء إلى منطق القوة والسلاح، فإن هناك مبدأ عاماً يحكم المجاهدين في سبيل الله، وهو عدم الإفراط في إراقة الدماء، فلا يقتل إلا من يقاتل بالفعل أو الرأي، ولا يجوز قتل غير المحاربين الذين لا يشتركون بالقتال، ومن هنا كان النهي عن قتل (النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والمرضى والرهبان والعمال وجميع المدنيين الذين لا يشتركون في غمار المعركة)[٢١].

٣- منع التخريب والأعمال غير الأخلاقية:

وللقتال في سبيل الله ضابط إنساني آخر وهو منع التخريب وتدمير المنشآت المدنية والموارد البشرية التي يستفيد منها المدنيون، إضافة إلى تحريم الأعمال غير

الهوامش:

١- جون براند ترند (١٨٨٧-١٩٥٨) رائد من رواد تاريخ إسبانيا. أستاذ في جامعة كامبردج، قام بعدة رحلات في إسبانيا والبرتغال ومكسيكو واشتغل في معهد الدراسات الشرقية بلندن. وانظر كتابة: تاريخ العالم (٢٩/٥).

٢- انظر: التسامح في الإسلام، شوقي أبو خليل، ص(٥٩).

٣- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، فيشر (٦١/١)، ط٣ دار المعارف بمصر.

٤- HPexln.G Historica Cermanicac Monumenta.

٥- حضارة العربي، لوبون، ص (٣٣٦)، ط٣ دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩.

٦- الدعوة إلى الإسلام، أرنولد ص (٣٠)، ط٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

٧- المرجع السابق ص (٣١).

٨- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (ص ٤٠٧).

٩- الدعوة إلى الإسلام، ص (٣٢).

١٠- أنظر: المظلومون في التاريخ، شاكر مصطفى ص (١٢١) الكويت.

١١- أنظر: التسامح في الإسلام، شوقي أبو خليل، ص (١٠٨).

١٢- أنظر: فتح أمريكا، غرفيتان تودوروف، ص(١٦). ترجمة بشير السباعي/ دار سيناء.

١٣- البحث عن الله، ايفلين كولد، ص (١٩٣) ترجمة عمر أبو النصر/ بيروت ١٩٣٤.

١٤- ايفلين كوبولد، البحث عن الله، ص (٩٥-٩٦).

١٥- أنظر: التسامح في الإسلام شوقي أبو خليل ص (٧٨).

١٦- الإسلام والغرب، روم لاندو، ص (١٨٠)، ترجمة ميز البعلبكي، ط٢، بيروت ١٩٧٧م.

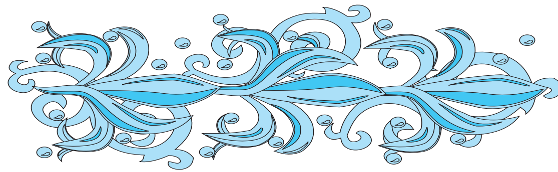
١٧- مرجع هذا البحث كتاب (ثقافة المسلم وتحديات العصر) أبو يحيى ورفاقه، ص (٣٣٣ وما بعدها).

١٨- سورة البقرة (١٩٠).

١٩- سورة البقرة (١٩٤).

٢٠- أخرجه مسلم (١٧٣١).

٢١- د. إسماعيل لطفي بن عبد الرحمن جافاكيا.



المرأة والحقوق السياسية
حق المرأة في الانتخاب والترشح لمجلس الأمة

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

حق الانتخاب وحق الترشح للنيابة، حقان أساسيان على رأس الحقوق السياسية، وحق الانتخاب مشاركة عامة في اختيار الحاكم التنفيذي حين تكون توليته بالانتخاب، وفي انتخاب أعضاء المجلس النيابي الذي يتولى التشريع.

كما يتولى الرقابة على القائمين بالتنفيذ، وكذلك في انتخاب الجمعيات الخيرية والمؤسسات العامة والخاصة التي تجري فيها انتخابات لتعيين مجلس الإدارة أو مجلس العمال أو غيرها من الهيئات التي يتم تكوينها بالانتخاب.

ومعلوم أن المرأة في معظم الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، لم تمنح حق الانتخاب إلا بعد مرور أكثر من قرن كامل على قيام الثورتين الفرنسية والأمريكية، وبعد تطور طويل في مسار النظام النيابي والبرلماني في أوروبا(١).

وعموم مبدأ المسؤولية الفردية وعموم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرضه على الرجال والنساء سواء، يجعل من العسير جداً الاحتجاج بدليل شرعي على منع المرأة من ممارسة حقها في الانتخاب، ولا نعرف أحداً من العلماء الثقات من أنكر على النساء ذلك الحق مستنداً إلى دليل شرعي، أي أن الأصل مساواة المرأة بالرجل في كل الأمور مساواة تنسجم وطبيعة كل من الرجل والمرأة، وبذلك فإن اصل الحكم هو الإباحة ما لم

يرد نص بالمنع أو التحريم، وما دام لم يرد نص شرعي في كتاب الله العزيز ولا في سنة رسول الله ﷺ فإن للمرأة الحق في المشاركة في انتخاب الحاكم أو النواب أو أعضاء أية هيئة أو جمعية أو نادي.

والانتخاب من حيث طبيعته القانونية يقترب كثيراً من الوكالة، فالوكالة هي إنابة شخص وتكليفه للقيام بالعمل نيابة عن شخص آخر، سواء بيع أو شراء أو ضمان أو رهن أو عقد زواج أو طلاق أو أي أمر آخر، والانتخاب هو اختيار شخص لينوب عن المنتخب في إبداء الرأي وإيصاله إلى الحاكم، والتحدث باسمه ومراقبة السلطة التنفيذية باسمه، والمرأة لها الحق في أن توكل عنها من تشاء لإعطاء الرأي وليست ممنوعة من أن توكل من ينوب عنها في البيع والشراء أو الدفاع عن حقوقها والمطالبة باحتياجاتها، وليس هناك نصوص إسلامية تمنع المرأة من أن تنتخب من ينوب عنها، وهذا يتضح بصراحة في مناقشة النساء للرسول ﷺ، فلا كلام في جواز أن تناقش المرأة في أي مجلس وان تعطي رأيها في كل شيء، ولما كان مجلس الأمة هو مجلس لإعطاء الرأي وكان أعضاؤه وكلاء عن غيرهم في إعطاء الرأي، فإنه يجوز للمرأة أن تنتخب من تشاء في مجلس الأمة أي يجوز لها أن تكون وكيلاً عن غيرها في إعطاء الرأي.

وقد حاول بعض الكتاب أن ينكروا على المرأة حقها في الانتخاب والترشح لمجلس النواب، بحجة أن شهادة المرأة الواحدة لا تقبل منفردة بل لا بد أن تكون امرأتين، قال تعالى: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾**[٢]، فقالوا: إن الانتخاب شهادة، وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل، فهل تعتبر كل صوتين من النساء بصوت رجل واحد، ثم أن القضاء أعظم من الشهادة وعضوية البرلمان أعظم من القضاء، وما دام لا يجوز للمرأة أن تتولى القضاء، فإنه لا يجوز لها أن تشارك في البرلمان لا في الانتخاب ولا في الترشح للعضوية[٣].

وهذا الرأي لا أساس له في الشرع ولا يستند إلى نص شرعي يمنع المرأة من تولي القضاء، صحيح أنه قضية خلافية ولكن هناك من العلماء من قال بحق المرأة في تولي القضاء، وان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولَّى امرأة قضاء حسبة السوق، وبالتالي فإن للمرأة الحق في المشاركة في انتخاب الحاكم وأعضاء مجلس الأمة وغيرهما من المؤسسات، كذلك فإن القول:

بأن شهادة المرأة الواحدة لا تقبل وان صوتين من النساء بصوت واحد من الرجال، هو قول غير دقيق، ولم يرد هذا الحال إلا في إثبات الحقوق عند البيع في ظروف خاصة، وأوضحنا في الأعداد السابقة من هذه المجلة، أن شهادة المرأة كشهادة الرجل لها عدة حالات بحيث أن شهادتها تقبل في بعض الأمور ولا تقبل فيها شهادة الرجل، وان من العلماء من قال بقبول شهادة المرأة المنفردة في كل شيء حتى القصاص والحدود، وبالتالي فإن صوت المرأة في الانتخاب مساوٍ لصوت الرجل وليس صوتين من النساء بصوت رجل واحد.

وللمرأة حق انتخاب الحاكم الذي يحكمها، بل أجاز الشرع للمرأة أن تنتخب الحاكم وان تختار أي رجل لأي عمل من أعمال الحكم، لأنه يجوز لها أن تبايع الخليفة وان تنتخبه، فعن أم عطية قالت: "بايعنا النبي ﷺ فقرأ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها، فقالت: فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أؤجر بها فلم يقل شيئاً فذهبت ثم رجعت".

وواضح أن بيعة النبي ﷺ لم تكن على النبوة لأن النبوة، تكليف من الله تعالى ولا تحتاج إلى موافقة الناس ومبايعتهم، وإنما كانت بيعة الطاعة للحاكم لان النبي ﷺ كان إلى جانب كونه نبياً ورسولاً حاكماً ورئيس دولة، وهذا دليل على أن للمرأة الحق في أن تبايع الحاكم وان تنتخبه، وقد قدم على النبي ﷺ في السنة التي هاجر فيها ٧٣ رجلاً وامرأتان هما أم عمارة بنت كلب من بني مازن، وأسماء بنت عمرو بن عدي من بني سلمة، فبايعوا الرسول ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم.

فإذا جاز للمرأة أن تبايع بيعة سياسية، جاز لها أن تنتخب وتُنتَخب لأن البيعة والانتخاب من باب واحد، هو اختيار الحاكم وطاعته، بدليل أن الخليفة إذا لم تتم مبايعته لا تنعقد خلافته، ولا يكون خليفة شرعاً، فالذي يجعله خليفة شرعاً البيعة، وبعد أن فرغوا من البيعة قال لهم الرسول ﷺ: «اخرجوا لي اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء»، وهذا أمر للجميع بمن فيهم الامرأتان بأن ينتخبوا من بين الجميع ولم يحدد لهم الرجال أو يستثني النساء فدل ذلك على جواز أن تشترك المرأة في الانتخاب وفي الترشح، وحق مبايعة النساء للرسول ﷺ ثابت في القرآن الكريم إذ يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: **﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك**

في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾[٤].

ففي الآية أمر صريح للرسول ﷺ بأن يقبل بيعة النساء على الطاعة والالتزام بفضائل الأخلاق وتعاليم الإسلام الحنيف، وما دام أن الأدلة كثيرة على حق المرأة في أن توكل عن نفسها من تراه مناسباً ليقوم لها بأي عمل كالبيع والشراء والكفالة وإجراء العقود وفسخها، فهو مخول بالحديث باسمها بما يراه في صالحها، وعليه فإن لها الحق أيضا من هذا الباب أن توكل وتختار بنفسها أو تنتخب من ترى فيه القدرة والكفاءة على التحدث باسمها وإعطاء الرأي في القضايا المطروحة للنقاش في أي مجلس كان، **وما دام مجلس الأمة هو عادة المكان الذي يتم فيه إعطاء الرأي بحرية وديمقراطية، فإن من حق المرأة أن تنتخب من يمثلها في هذا المجلس النيابي.**

أما عن الترشح لتكون عضواً في مجلس الأمة فقد كانت قد شاركت في مبايعة الرسول ﷺ، وشاركت في التشريع عن طريق الاجتهاد والفتوى وإبداء المشورة، فلماذا لا يكون من حقها أن تكون نائبة عن فريق من الأمة؟ وهناك من يقول: إنه لا يجوز للمرأة أن تنتخب الحاكم أو الممثلين والنواب، ويقولون: إن القضاء أعظم من الشهادة، وعضوية البرلمان أعظم من القضاء، وبما انه لا يحق لها تولي منصب القضاء على اعتبار انه من الحكم، فبالتالي لا يحق لها أن تكون عضواً في البرلمان! وقد أوضحنا آنفاً انه ليس هناك تأكيد على عدم جواز توليها القضاء، وبالتالي ليس هناك ما يمنعها من المشاركة في مجلس الأمة، سواء كناخبة للأعضاء أو عضواً في المجلس.

إن واقع مجلس الأمة انه يحاسب السلطة التنفيذية ويراقبها ويظهر سخطه بما يحتاج إلى سخط كالتقصير في رعاية الشؤون وكالتساهل في تطبيق الإسلام فهو يتابع سياسات الحكومة، في تنفيذ الدستور والالتزام بالمعايير الوطنية، وضبط سير العمل عن طريق التوكيل والإنابة لأعضاء المجلس، الذين يتحدثون باسم الناخبين وينقلون مطالبهم وطموحاتهم إلى الحكومة، وكذلك من أعمال مجلس الأمة، إعطاء رأيه في المرشح لمنصب الحاكم، ويبدي رأيه فيما يتبناه من أحكام، وهو ليس جزء من الحكم، لأنه ليس بيده سلطة تنفيذية، وإنما هو من الشورى وإبداء الرأي في القوانين والأداء الحكومي.

وأعضاء مجلس الأمة وكلاء عن الناس بالرأي ليس إلا، وليسوا وكلاء عنهم في

الحكم، وما داموا وكلاء في الرأي فإن للمرأة الحق أن تعطي رأيها في كل ما هو من صلاحيات مجلس الأمة، فلها أن تعطي رأيها السياسي والاقتصادي والتشريعي وغير ذلك، بمعنى آخر لها أن تكون عضواً في مجلس الأمة إذا انتخبها الناس(٥).

وليس هناك ما يمنع أن توكل غيرها بالانتخاب، أو يوكلها غيرها بالانتخاب أيضا لإعطاء الرأي وليس الحكم، لأن مجلس الأمة هو تشريعي رقابي ولا يشكل جزءاً من الحكم أو الولاية العظمى.

وحق المرأة في الترشح لعضوية المجلس النيابي، مرتبط بالوضع الاجتماعي العام، ولا نظن أن أعباء النيابة أثقل من أعباء الوظائف الإدارية العديدة التي تتولاها المرأة، ولكن قد يقول قائل: إن النيابة "ولاية عامة" ينبغي أن تقتصر على الرجال، فنقول: إن الفقهاء قد اتفقوا على حرمان المرأة من الولاية العظمى، وهي رئاسة الدولة والخلافة، ولكنهم أجازوا لها أن تلي سائر الولايات الأخرى، مع وجود خلاف حول توليها ولاية القضاء، لذلك لا يوجد نصوص إسلامية تمنع المرأة من أن تكون عضواً في المجلس النيابي.

وختاماً نقول: انه لا توجد نصوص تنزيلية تقول بمنع المرأة من تولي جميع الولايات، مثلها في ذلك مثل الرجل، لأن المسلمين جميعاً ذكوراً وإناثاً بعضهم أولياء بعض، ودلت السنة النبوية الشريفة وأعمال الخلفاء من بعد الرسول ﷺ، على حقيقة هذا التوجه الإسلامي، فقد كان الرسول ﷺ يشاورها ويشركها في حروبه، وان الخليفة عمر رضي الله عنه قد عين امرأة في منصب قاض، **وأما عدم تولية الرسول ﷺ والية امرأة، فلأنه لم يكن عند المسلمين آنذاك عدد كبير من الولايات بحاجة إلى عدد من الولاة يستدعي تعيين والية امرأة، اللهم إلا منصب الولاية العظمى وهي الخلافة أو رئاسة الدولة والإمامة في الصلاة، فرغم أن من الفقهاء من أجاز لها تولي هذين المنصبين، إلا أننا نرى عدم جواز توليها لهما، لحديث الرسول ﷺ الصريح بالنهي عن تولية امرأة لمنصب الولاية العظمى، وكذلك لظروف خاصة بالمرأة، لا يجوز لها أن تقوم بإمامة الرجال في الصلاة.**

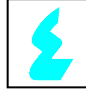
الهوامش:

١- د. احمد كمال أبو المجد، التصور الإسلامي لقضية المرأة، في ندوة الخبراء حول المرأة العربية (مرجع سابق) ص٦٤ .

٢- البقرة: ٢٨٢ .

٣- حبيبة، مرجع سابق، ص١٢٩ .

٤- الممتحنة: ١٢ .



سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

الشريـــف رميثــة

﴿منجد﴾ بن محمد أبو نمي الأول

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

رميثة[١] بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني، ويلقب أسد الدين، وقيل: اسمه منجد[٢]؛ شريف، من أمراء مكة، وقد أثبت ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ= ١٤٧٠م في كتابه الموسوم بـ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» نسبه إلى النبي ﷺ على النحو الآتي: (رميثة- واسمه منجد - بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن أبي غرير إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب)[٣].

كانت وفاة أبي نمي - محمد بن الحسن ابن علي بن قتادة - سنة إحدى وسبعمائة ٧٠١ هـ = ١٣٠١م في عهد الناصر محمد ابن قلاوون من المماليك في عهده الأول[٤]؛ وقبل وفاة أبي نمي ولّى مكانه ولديه رميثة وحميضة.

وذكر ابن بطوطة - المتوفى سنة ٧٧٢هـ - في رحلاته أنه كانت إمارة مكة في عهد دخوله إلى مكة للشريفين الأجلين الأخوين: أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة؛ إبني الأمير أبي نمي بن أبي سعد بن علي ابن قتادة الحسنيين، ورميثة أكبرهما سناً، ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة؛ لعدله، ولرميثة من الأولاد أحمد

وعجلان، وهو أمير مكة في هذا العهد، ودار عطيفة عن يمين المروة، ودار أخيه رميثة عند باب بني شيبة، وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم[٥].

كانت حياة الشريف رميثة مليئة بالمنغصات؛ بين حرب واعتقال ومشاجرات؛

فقد حصل خلاف بين رميثة وحميضة وبين إخوانهما، اعتقلا على إثره أخويهما عطيفة وأبا الغيث؛ وصادف أن حج أميران هما بيبرس وسلار[٦]، فهربا إليهما من مكان اعتقالهما، وشكيا ما نالهما من رميثة وحميضة، فأشكاهما الأميران، واعتقلا رميثة وحميضة، وأوصلاهما إلى مصر، وولّيا عطيفة وأبا الغيث، فرضي السلطان عنهما، وبعث معهما العساكر؛ سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (٧١٣هـ).

وفر رميثة وحميضة عن البلاد، ثم رجعا، ولحق بهما أخوهما عطيفة، وسار معهما، ثم تشاجروا سنة خمس عشر وسبعمائة (٧١٥هـ)، ولحق رميثة بالسلطان مستعدياً على أخويه، فبعث معه العساكر ففر حميضة، ثم رجع واتفق مع أخويه رميثة وعطيفة، ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وسبعمائة (٧١٨هـ) وبعث معه العساكر، فقبضوا على رميثة، وأوصلوه معتقلاً، فسجن بالقلعة.

ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة وسبعمائة (٧١٩هـ)، فهرب إلى الحجاز، فرد من طريقه، واعتقل، وأفرج عنه السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين وسبعمائة (٧٢٠هـ)، وولاه مكة مع أخيه عطيفة؛ كذا ذكر ابن خلدون – المتوفى سنة ٨٠٨هـ في تاريخه[٧]، والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في كتابه الموسوم بـ «السلوك لمعرفة دول الملوك»[٨]، والزركلي في الأعلام ج ٣ /ص٣٣.

عاش في عصره الجلال القزويني العالم المشهور؛ قال العصامي المتوفى سنة١١١١هـ في سمط النجوم العوالي[٩]: (أطلق السلطان الشريف رميثة سنة ٧٢٢هـ من السجن وأحسن إليه، وأشركه في إمرة مكة مع أخيه عطيفة، وفي سنة ٧٣٠ اتفق أن أهل العراق جاءوا بفيل عظيم جعلوا محملهم عليه، فتطير العالم منه، وقالوا: هذا عام الفيل، ثم دخلوا به مكة، ووقفوا به بعرفة ثم توجهوا به إلى المدينة المشرفة، ثم أوقفه الله، فلم يستطع المشي، فضربوه ضرباً مبرحاً فلم يبرح، فلم يزالوا يضربونه حتى مات هنالك.

وقدر الله بعد إتمام الحج بمكة أن قتل أمير الحاج –أزدمر– وولده جميعاً، فاشتد الأمر وعظم وهجم بالخيل إلى المسجد الحرام، ونهبت الأسواق، وتعب الشريف

عطيفة، وتحير في أمره ولم يستطع ردهم ولا قهرهم، وكان حتى الحاج نفسه ينهب بعضه بعضاً.

فلما بلغ السلطان ذلك أمر بقتل الأشراف، وقطع الأشجار من وادي نخلة والأدوية، وأجلى نساءهم وأولادهم، وجهز عسكراً، وأمرهم أن يقيموا بمكة، ولا يرتحلوا، وكان شخص من أهل العلم يسمى قاضي القضاة جلال الدين القزويني واعظاً؛ فقام ووعظ السلطان، ونهاه أن يحدث في حرم الله أو أبناء رسول الله ﷺ وقال له: يا مولانا الرأي أن ترضيهم، وتأخذهم بالطيب، فأرسل إليهم بعض الأمراء بدون ما كان جهزه ونواه، وعزل الشريف عطيفة لأنهم اتهموه بقتل الأمير أزدمر، ورضي عن الشريف رميثة، وأعاده لولاية مكة، فوليها رميثة بمفرده، وولاه إمرتها مفرداً مستقلاً إلى عام ٧٣٤هـ، ثم اشتركا في ذي الحجة من سنة ٧٣٥هـ.

ثم سنة ٧٣٦هـ خرج رميثة من مكة، ثم اصطلحا واشتركا في الإمرة سنة ٧٣٧هـ، وتوجها إلى مصر للملك الناصر مطلوبين، فعوق عطيفة فيها ولزم حتى مات بها، وعاد رميثة متولياً منفرداً، فوصل في تلك السنة ٧٣٧هـ، ولم يزل منفرداً بها مستقلاً.

ووقع في ولاية الشريف رميثة بن أبي نمي واقعة، وهي أنه سنة ٧٤٣ وقعت فتنة بعرفة بين الحجاج المصريين، وبين أهل مكة من أهل مكة من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة، ومن الترك ستة عشر نفراً، ومن أتباع الأشراف ناس قليل، ونفر الناس من عرفة قبل الغروب، وسلكوا طريق المظلمة، ولم يقفوا بمزدلفة، ورحل الحجاج جميعهم يوم النفر، ونزلوا الزاهر، ولم يطوفوا خوفاً على أنفسهم، وتعرف هذه السنة عند أهل مكة بسنة الظلمة.

ثم في سنة ٧٤٤هـ: وقع بين أهل مكة كذلك وأمير الحاج حرب، وقتل جماعة، وسلم الله الأشراف، ولله الحمد والمنة، وسلّم الله الحج من النهب ببركة الشريف رميثة، غير أنه كان غلاء عظيم، وكان الحاج المصري والشامي كبيراً جداً، وفي تلك السنة اشترى الشريف عجلان بن رميثة، وأخوه الشريف ثقبة بن رميثة، اشتريا مكة من أبيهما رميثة بستين ألف درهم، لأنه أكبر سناً، وصار أولاده كل منهم يحكم في البلاد بما شاء واختار، فما رضي بذلك ملك مصر لما بلغه، وأرسل إلى الشريف ثقبة وخدعه وطلبه إليه، فلما وصل إليه بمصر حبسه، فعندما بلغ الشريف عجلان حبس أخيه ثقبة، أخذ جلاب اليمن جميعاً؛ فكان ذلك بعض أسباب الغلاء، وأعاد رميثة إلى إمرة مكة

فعاد واستمر إلى سنة ٧٤٦هـ، فعزل عنها بابنه عجلان، فوصل مكة متولياً ودخلها في حياة أبيه.

وذكر ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ= ١٤٤٩م في الدرر الكامنة[١٠] أنه كان يكنى عَرادَة؛ والعَرادَةُ: حشيشٌ طيب الرِّيح[١١].

وقال ابن تغري بردي في كتابه «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»[١٢]: (وليها نحو ثلاثين سنة أو أزيد في سبع مرات مستقلاً بذلك أربعة عشر سنة ونصف سنة، وشريكاً لأخيه حميضة في مرتين مجموعهما نحو عشر سنين، وشريكاً لأخيه عطيفة خمس سنين).

كان الشريف رميثة سيداً جليلاً فاضلاً نبيلاً، شاعراً كريماً، حازماً حليماً، وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سحبان الزيدي فيه قصيدة؛ منها:

رَجُلٌ إذا اشْتَبَهَ الرجالُ عرفتهُ
بجلالِ صُورته وحسنِ المنطق
ومظفرُ الحملاتِ يرقصُ منه قلب
المغربِ الأَقصَى وقلبُ المشرق
عَلَم يدلُّ على كَمَالِ صفاته
كَرَمُ الفُرُوعِ له وطيبُ المَعرق
يلقَى بوجهِ البِشرِ طارقَ بابه
لَيلاً ويرزقُ منه من لم يرزق
عَزت بنو حَسَن بدَولته التي
عز الذليلِ بها وأَمنُ المفرق
هو صُبح ليلتها وبدرُ ظَلامها
ولسانُ حِكمَتها وصدرُ الفيلق
لا يتقَى من كُل حادثة بها
وبه بِمَكرُوهِ الحوادثِ نتقِي

وفيه قال الشاعر:

رَجُلٌ لا تراه بالمالِ مفراحاً
وَلاَ من مُلمَّة مجْزَاعـــا
وعليه بِكرُ الخلافة ألقَت
إذ رَأته رداءها والقنَاعـا
ليس بالنّازلِ الوهَاد مِنَ الأرض
ولكنَّهُ يحلُّ اليفاعـــا
موقداً ناره على نَشَزِ الأرضِ
إذا الناسُ لبسوها القفاعا
نَم هنيئاً ياجاره ملءَ عينيك
ولا تخشَ نائباً أن تراعـا

وفي نسبه الشريف قال الشاعر:

نَسَبٌ كَمُشْتَق الشمُوس ومَفْخَر
باعُ الكَوَاكِبَ قَاصِر عَنْ طُولِه

أَما الفُرُوعُ فَلَيس مِثْلَ فُروعِهِ
وكَذا الأصُولُ فَلَيْسَ مِثْلَ أُصُولِهِ

يَا ابْنَ المُظَلَّلِ بِالغَمَامَةِ والذِي
قد أُنْزِلَ القرآن في تَفضِيلِهِ

مَاذا عَسَى مَدحِي وَقَد نَزَلَ الثنا
فِيكُمْ مِنَ الرحْمن في تَنزِيلِهِ

فِي هَل أَتَاكَ، وَهَل أَتَى، وَحَدِيدِهِ
حَقاً، وغَافِرِهِ، وفي تَنزِيلِهِ

قَالوا مَدَحتَ رُمَيثَة فَأَجَبتُهُم
لَيسَ المَديحُ يَنَالُ غيرَ مُنِيلِهِ

ولكَيف لا أُثنِي عَلَى من عَمَنِي
دونَ الوَرَى من خَيرِهِ بِجَزِيلِهِ

وتوفي بمكة سنة ٧٤٦ هـ = ١٣٤٦م[١٣]، ودفن بالمعلاة عند قبر أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، قال ابن تغري بردي[١٤]: (مات في يوم الجمعة، وطيف به وقت صلاة الجمعة والخطيب على المنبر قبل أن يفتتح الخطبة، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطواف به، وكان ابنه عجلان يطوف معه، وحطه في مقام إبراهيم، وصلى عليه قاضي مكة شهاب الدين الطبري، بحضرة عجلان) رحمه الله

الهوامش:

١ . قال ابن تغري بردي: «ورميثة براء مهملة مضمومة وبعدها ميم مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة، ثم ثاء مثلثة مفتوحة، وهاء ساكنة» انظر المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ج١، ص٤٤٩ .

٢ . قال السخاوي في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ج١، ص١٧٠: «اسم رميثة منجد».

٣ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج٣، ص ١٢٤.

٤ . بدأ من عام ٦٩٨هـ= ١٢٩٨م ولغاية ٧٠٨هـ =١٣٠٨م.

٥ . رحلات ابن بطوطة ج١، ص٦٦.

٦ . تاريخ ابن خلدون ج ٥، ص٤٣٢.

٧ . تاريخ ابن خلدون ج ٥، ص٤٣٢.

٨ . المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في كتابه الموسوم بـ «السلوك لمعرفة دول الملوك» ج١، ص٤١٦ .

٩ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي، ج٢، ص٤٠٠.

١٠ . في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج١، ص٢٢٢.

١١ . لسان العرب ٢٨٧/٣.

١٢ . المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج ١، ص٤٤٩.

١٣ . الأعلام للزركلي ج ٣ / ص ٣٣ شذرات الذهب ٦: ١٤٩ والدرر الكامنة ٢: ١١١. وخلاصة الكلام ٢٨ - ٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٤ .

١٤ . المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ج ١ / ص ٤٤٩، بتصرف.

مرحباً بك يا رمضان

■ **بقلم الاستاذ احمد ابو السباع القيسي**

من نعم الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة، أن منّ عليها بنعمة الإسلام وأوجب الله جل شأنه الواجبات وشرع الشرائع وسن الأحكام ببراهين ساطعة وحجج قاطعة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فأوجب الله على عباده المكلفين، الصوم في شهر رمضان وفي ذلك من الحكم والمصالح ما تكل عن تعداده أقلام العلماء وألسن البلغاء والفصحاء وهي شرائع إلهية شرعها الحكيم العليم بمصالح عباده في دينهم ودنياهم لتزيد إيمانهم إيمانا وبصيرتهم تبيانا، فتصل بهم إلى طريق الهداية والرشاد.

والصيام هو الإمتناع عن تناول الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

والصيام عبادة قديمة عرفتها الأديان السابقة، بصورة مختلفة عنها كعبادة الإسلام الذي أعطى الصيام ميزة خاصة ومنزلة سامية، بأن جعله طريقا للتقوى والتوبة وبابا مفتوحا لجميع أعمال الخير ومغلقاً في وجه كل أعمال الشر، فرضه الله علينا كما كان مفروضا على أمم سابقة لعلنا أن نكون من المتقين لله المجتنبين لمحارمه، فإن الصيام وقاية من الأخطاء والموبقات وفي ذلك يقول ﷺ: "الصوم جنة" أي وقاية من كل شيء، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ البقرة: ١٨٣.

فالمسلم حين يصوم شهر رمضان يرضي الله سبحانه وتعالى، ويتعود على الصبر وتحمل المشاق وضبط النفس،

ويشعر بآلام الفقراء والمحتاجين ويقدم لهم العون والمساعدة وما يحتاجونه، وتتهذب أخلاق المسلم الصائم ويكون سعيدا في حياته على مدار العام لأن الإيمان الحقيقي منحة هذه السعادة والإستمتاع بها والعيش في ظلالها وذلك لأنه متصل بالله محب له، متمتع بعبادته، قائما بما فرضه عليه.

لذلك تلازم المؤمن في رمضان حالة نفسية مشرقة مليئة بالسعادة لما قدمه من أعمال صالحة وخيرة ترضي الله ورسوله الكريم ﷺ، وتجعل لحياته معنى وقيمة يأخذ من خلالها الأجر والثواب وينال في آخرته جنات النعيم، ورمضان شهر الجهاد، والصوم تربية على الصبر والمجاهدة، لذلك يجب أن يكون الصائم في ذروة نشاطه وحيويته ووعيه لأن رمضان والصوم فيه ليس كما يعتبره بعض الكسالى والساهون عن عبادات الله بأنه إرهاق وتعب وعطش وجوع وعجز وتعطيل للأعمال والأرزاق، بل هو كل الخير والصلاح، فيه الأعمال التي ترضي الله وهو إنجاز لفرض الله وخدمة لمن هم بحاجة للعون والمساعدة.

❖ قدوتنا في الصيام والعبادات:

فرض الله سبحانه وتعالى الصوم في السنة الثانية للهجرة، فصام النبي ﷺ وصحابته أكثر من عشر سنوات، وكان سنه فوق (٥٣) سنة، وقد تمثل فيه نموذج الصائم العابد القدوة لغيره، وقد استلزم هذا وجود القدوة في حياته ﷺ عامة وفي رمضان خاصة، فقد كان ﷺ في رمضان غاية في العبادة، حيث أنه صلى بالليل حتى تفطرت قدماه، وكان أجود الناس وأكثرهم عطاءا، وكان جبريل عليه السلام يذاكره القرآن في رمضان وفي السنة التي مات فيها ذاكره إياه مرتين، وكان إذا دخل العشر الأواخر أيقظ أهله وأحيى ليله وشد مئزره واعتزل نساءه وكان له ﷺ جولات في الجهاد، ففيه كانت غزوة بدر الكبرى وفتح مكة، وكان ﷺ يعين أهله ويصل رحمه ويتصدق على فقراء بلده ويعين غيره على طاعة الله عز وجل، حيث أن رمضان كان في حياته مدرسة متكاملة للخلق والآداب والدعوة والجهاد والصلة والبر والإحسان وحسن التعامل والصورة الحسنة للداعية الكبير الذي يحمل الناس عنه الدين كله من غير نقص.

فرمضان فرصة للتأسي بالنبي ﷺ في عموم أمر المسلم كله قليله وكثيره عامه وخاصه بما يقرب الناس إلى الله تعالى وما يوصل حبلهم به.

وطالما وحدت عبادة الصوم مشاعر المسلمين، ونمت فيهم التكافل الإسلامي بشتى صوره، حتى صار هلال رمضان رمزا فريدا للوحدة الإسلامية فأكثر من مليار مسلم يصومون لرؤيته ويفطرون لرؤيته، فالمؤمن ومن خلال ما يواجهه من مصاعب شتى لا يجد سلوته إلا في اللجوء إلى الله عز وجل والصبر على المحنة، التي يؤمن الكثيرون بأنها ابتلاء وتمحيص من الله، فيقبل المؤمن على صلاة التهجد والتراويح والقيام بأعمال خيرة ترضي الله سبحانه وتعالى حيث قال ﷺ في رؤية الهلال: "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته" متفق عليه.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له" متفق عليه.

❖ للصيام آداب كثيرة أهمها:

١. أن يكثر المسلم من الصلاة لله تعالى.

٢. أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم.

٣. أن يزداد حرصه على صون لسانه عن المحرمات مثل أن يغتاب أحد الناس أو يذمه أو يسبه، أو يكذب عليه.

٤. أن يغض بصره عما يغضب الله والرسول ﷺ.

٥. أن يتجنب الكلام البذيء والرديء والمخاصمة وإن سبه أحد أو تعرض لأذاه فليقل له: إني صائم، لكي يعلمه أن الصيام يمنع من مقابلة الإساءة بالإساءة عملاً بقول الرسول ﷺ: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم" رواه البخاري.

٦. أن يدعو بعد إفطاره بقوله: "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت وبك آمنت، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى".

٧. أن يتسحر ولو بشيء قليل، لأن النبي ﷺ قال: "تسحروا فإن في السحور بركة" رواه البخاري ومسلم.

٨. أن لا يملأ معدته بأنواع الطعام والشراب، بل يكتفي بما يكفل له القوة والنشاط والحيوية.

❖ صلاة التراويح وصدقة الفطر:

وفي رمضان يؤدي المسلمون صلاة التراويح كل ليلة بعد اداء فريضة العشاء

وعدد ركعات هذه الصلاه عشرون ركعة، تصلى ركعتين ركعتين ويسلم المصلي عند انتهاء كل ركعتين، وهذه الصلاة كان يصليها الرسول ﷺ في رمضان ويحافظ عليها رغبة في المزيد من الثواب والاجر عند الله، ويصلى الوتر ايضا جماعة بعد انتهاء صلاة التراويح ويمتد وقتها من بعد فريضة العشاء الى قبيل أذان الفجر.

واقتداء برسول الله ﷺ يتصدق المسلم من ماله على المحتاجين، وقد حبب الله الى المسلم ان يفعل الخير في كل وقت وخاصة في شهر رمضان ففرض الله على المسلمين ان يخرجوا من اموالهم في اخر شهر رمضان زكاة تسمى (صدقة الفطر) ولا يجوز تأخيرها الى ما بعد انتهاء شهر رمضان وذلك حرصا من الرسول ﷺ لكي يفرح المسلمون جميعا في وقت واحد وهو عيد الفطر المبارك، وتجب الصدقة على كل مسلم صغير وكبير يخرجها رب الاسرة عن نفسه وزوجته واطفاله ومن يعيلهم.

صيام النوافل: وهي الايام التي حث الرسول ﷺ على صيامها، زيادة على شهر رمضان المبارك وبين لهم ان فيها من الاجر والثواب الكثير ومنها:

١. الايام الستة من شهر شوال وهو الشهر الذي يلي شهر رمضان، قال ﷺ: "من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال، كان صيامه كصيام الدهر" رواه مسلم.

٢. اليوم التاسع من شهر المحرم ويسمى "تاسوعاء" والشهر المحرم هو اول شهر في السنة الهجرية.

٣. اليوم العاشر من شهر المحرم ويسمى "عاشوراء".

٤. الايام البيض: وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي وسميت بذلك لأن القمر يكون ظاهرا في لياليها، عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا ابا ذر اذا صمت من الشهر ثلاثة ايام، فصم ثلاث عشر، واربع عشر، وخمس عشر" رواه الترمذي والنسائي.

٥. يوم عرفة: وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، والذي يقف فيه الحجاج على جبل عرفات.

٦. يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع.

٧- ان يصوم المسلم ما يستطيع من شهر شعبان نفلاً لله تعالى اي زيادة عن المفروض.

أهلاً بشهر الخير

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

الحمد لله الذي شرع لعباده الصيام، لتهذيب نفوسهم من الآثام والخطايا، وأتاح لعباده أوقات الفضائل ومواسم العبادة ليتزودوا منها من الإعمال الصالحة، ويتوبوا إلى ربهم من الأعمال السيئة، وخص شهر رمضان بالفضل والإحسان، وجعله موسماً لنيل العفو والغفران.

كان السلف الصالح رضي الله عنهم يعلمون علم اليقين فضائل شهر رمضان، شهر الخير والبركات؛ ولذلك فهم يحسبون حساب هذا الشهر الفضيل ويقدرون فضله ومكانته على سائر الشهور، ويتسابقون فيه من الخيرات والأعمال الصالحة.

فكان الإمام مالك بن انس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا دخل رمضان ترك حلق الحديث وأقبل على المصحف، وكذلك كان السلف الصالح يفرحون بقدوم شهر رمضان ويستبشرون به ويسألون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، فهم في سنتهم كلها سؤال وتضرع وتوجه إلى الله تعالى.

فشهر رمضان فرصة عظيمة لا يدرك فضلها إلا من استقبل رمضان، بالتوبة والإنابة إلى الله والبعد عن الشر، فبلوغ رمضان نعمة عظيمة من الله تعالى على المسلمين فلنشكر الله المنعم ولنتزود بالإعمال الصالحة ليوم الرحيل، الأعمال الصالحة التي تثقل الموازين يوم القيامة وتخفف من هول المطلع، وتدفع البلاء والشقاء عن الإنسان في الدنيا، ويكون من الفائزين يوم القيامة بجنة عرضها السموات

والأرض أعدت للمتقين.

ومن هم المتقون: إنهم الواقفون عند حدود الله، العاملون بشريعته، والمتبعون لهدي المصطفى ﷺ، الموقنون بوعد الله وفضله العظيم وجزائه الكريم للصائمين والقائمين، فكان رسول الله ﷺ يبشر الصحابة بدخول شهر رمضان، ويحثهم على العمل الصالح وعدم الغفلة عن ذكر الله فيه، فكان إذا دخل شهر رجب قال: "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان»، ويخطب في أول رمضان أو في آخر شعبان فيهم، كما جاء في حديث سلمان الفارسي الذي يُعد من جوامع فضائل الأعمال في شهر الخير فيقول: «خطبنا رسول الله في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء، ومن سقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة ماء لا يظمأ بعدها أبداً، ومن خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار، قالوا: ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنها: فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار".

وكان رسول الله ﷺ يعتبر شهر رمضان محل الجد والاجتهاد والقوة والنشاط في نشر رسالة الإسلام والجهاد في سبيل نصر الإسلام وأهله،فلنشكر الله الذي بلغنا رمضان وسلوه الإعانة على فعل الخيرات وتقديم الطاعات، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام ويغفر لكم سيئاتكم، وعمروا أوقاته بالإعمال الصالحة فإنها التجارة الرابحة، فإن ربكم قد أتاح لكم الفرصة وأعطاكم المهلة، ومكنكم من العمل الصالح الذي ينفعكم فلا تضيعوا هذا الشهر باللهو

والغفلة، والإقبال على طلب الدنيا وعد الأيام حتى ينتهي رمضان، فشهر رمضان يمر مر السحاب، فقد كان سلف الأمة يتفرغون في شهر الخير حتى من طلب العلم ويقبلون على الصلاة وتلاوة القرآن والذكر وحلقاته والاعتكاف.

إن شهر رمضان من أعظم النعم التي أنعم الله على عباده المؤمنين، فهو شهر تتنزل فيه الرحمات، وتغفر فيه الذنوب، وتضاعف فيه الأجور وترفع فيه الدرجات، ويعتق الله فيه عباده من النيران، فهذه الفضائل وغيرها الكثير الكثير تبين لنا عظم نعمة الله علينا، بأن آثرنا على غيرنا وهيأ لنا الوقت والفراغ والصحة للصيام والقيام، فكم من الناس صاموا معنا رمضان الغابر، هم الآن بين أطباق الثرى يتمنون لو يعودون للدنيا لعلهم يعملون صالحاً، ولكن كلا إنها كلمة وهم قائلوها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون، فلنتفكر بالحقيقة العظمى أن الدنيا ساعة فلنجعلها طاعة.

إن شهر الخير له فضائل يعجز القارئ عن تعدادها ووصفها، ولكن المطلوب منا أن نستقبله بالفرح والسرور، وأن نبادر بالتوبة الصادقة النصوح، ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ وأن نتخلص من جميع المنكرات من كذب ونميمة وغيبة وغناء وتبرج واختلاط، وغير ذلك من المنكرات الرائجة في زماننا الحاضر، وأن نعقد العزم الصادق والهمة العالية على تعمير أوقات رمضان بالأعمال الصالحة، وعدم تضييع أوقاته الشريفة فيما لا يفيد، وأن نكثر من الذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن الكريم والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، وتأديتها بتؤدة وطمأنينة وخشوع وحضور قلب، وأن نحافظ على النوافل بعد إتيان الفرائض فهي المكمل لما انتقص من الفرائض.

لقد فرض الله تعالى على الأمة الإسلامية صيام شهر رمضان كما فرضه على الأمم السابقة، لكي نصل إلى مرحلة عظمى يترقى فيها الإيمان عند المسلمين ليصل إلى التقوى، والوقوف عند حدود الله، والانتهاء عما نهى الله، والتقوى جامعة لعدة معاني عظيمة منها: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد للموت، والتزود ليوم الرحيل، ولم تغب هذه الحقيقة يوماً عن سلف هذه الأمة، فكرسوا حياتهم للعمل بها ففازوا ونجوا، فلنقتدي بهداهم ولنعد

للأمر عدته.

لقد أعطى الله تعالى للأمة المحمدية في شهر الخير، فضائل لم يعطهن لنبي قبل محمد ﷺ، وهذه الفضائل تزيدنا ثقة وإيماناً برافع السماء بغير عمد، وأن الخير كله بيده يعطيه من يشاء، وأن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين والعمل الصالح والتوفيق لعمله إلا لمن يحب.

ومن هذه الفضائل العظيمة: أن الله ينظر في أول ليلة للصائمين ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً، وهذه النعمة الأولى التي يتمناها كل واحد منا ويسعى لنيلها، فلا بد من إخضاع النفس وترويضها على طاعة الله، ومجاهدة النفس عن الميل إلى الشهوات، فلا سبيل للشيطان في رمضان إلا سبيل النفس الأمارة بالسوء، فلتكن نفوسنا لوامة أو مطمئنة لوعد الله للصائمين بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

والفضيلة الثانية: أن الله يزين جنته للصائمين.

والثالثة: أن الملائكة تستغفر للصائمين في كل يوم وليلة.

والرابعة: أن خلوف فم الصائم ورائحته عند الله أطيب من ريح المسك، بسبب الصيام

والخامسة: أن الله في آخر يوم من رمضان يغفر للصائمين ويعتقهم من النار.

فلنسأل الله أن يعيننا على العمل الصالح في رمضان، ويجعلنا ممن يستقبلونه بالفرح والسرور، وأن يجمعنا في مستقر رحمته كما جمعنا في هذه الدنيا من غير حول منا ولا قوة، وأقول: إننا مهما نعمل فلن نؤدي حق الله علينا، ولو بنعمة واحدة من نعمه، فلن ندخل الجنة بأعمالنا، والتي هي بتوفيق من الله وتيسيره لنا للعمل الصالح، بل ندخل الجنة برحمة الله العظيمة، وأن نبشر بغفران الله لذنوبنا برغم تقصيرنا في حقوق الله.

فالسؤال الذي يراود النفس، ما الذي يريد الله؟ والإجابة واضحة وهي: **﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾** يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً، فلنبشر بوعد الله لنصرة دينه وأهله، ولنكن من الذين يعملون بعلمهم، ولا نكون من الذين يكون العلم يوم القيامة حجة عليهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢

الانتفاع بالعين المرهونة

■ بقلم الدكتور مصطفى جمال الدين

إذا انتقلنا الى المسألة الثانية، التي قلنا: ان جواز الانتفاع يتوقف عليها، وجدنا آراء المذاهب فيها متفقة على أنه لا يجوز للراهن التصرف في: البيع، والهبة، والوقف، والرهن على الغير، وغير ذلك مما ينقل العين المرهونة عن رهنيتها، ونحن لن نتعرض لذلك في بحثنا هذا، لاتفاقهم عليه.

أما التصرفات الأخرى، كإستغلال منافع الرهن، وجمعها وبيعها او اعارتها وما اشبه ذلك، فقد اختلفت كلمتهم فيها، فمنهم من منع مطلق التصرف -حتى مع حكمه بأن المنفعة للراهن- ما لم يأذن المرتهن، وبعضهم منع حتى مع اذن المرتهن، ومنهم من أجاز بعض التصرفات ومنع الأخرى، الى غير ذلك مما سنستعرضه بالتفصيل:

فالأحناف منعوا من الانتفاع بالعين المرهونة سواء نقص من قيمة المرهون ام لا، وسواء في ذلك ما قالوا برهنيته من المنافع وما لم يقولوا.

فليس للراهن استعمال المرهون، ولا استخدامه ولا ركوبه، ولا لبسه، ولا سكناه، ولا غير ذلك من طرق الانتفاع، الا بإذن المرتهن.

كما ليس له مؤاجرة المرهون من اجنبي، لأنه لا يملك الانتفاع بنفسه فكيف يملكه غيره(٤٨)، ودليلهم على ذلك هو:

١- ان المسألة عندهم مبنية على اشتراط استمرار القبض ودوام يد المرتهن

على العين، فإذا جاز للراهن التصرف بالانتفاع، وهو لا يمكن الا برفع يد المرتهن، فقد انتفت تلك الاستدامة المشروطة، وأهم أدلتهم على هذه الاستدامة هو قوله تعالى: ﴿فرهان مقبوضة﴾ وذلك إخبار منه تعالى بكون الرهن مقبوضاً ما دام مرهوناً[٤٩].

٢- ان الرهن شرع وثيقة بالدَّيْن، فيلزم ان يكون حكمه ما يقع به التوثيق للدين، وانما يحصل ذلك اذا كان المرتهن يملك حبس الرهن على الدوام، لأنه يمنع الراهن عن الانتفاع فيجعله ذلك على قضاء الدين في أسرع وقت[٥٠].

هذا كله مع عدم الإذن، اما مع الإذن فيجوز كل انتفاع الا المؤاجرة لأن الإذن بها يخرج المرهون عن الرهنية، وعلل ذلك في المبسوط: بأن الاجارة عقد لازم من الطرفين ويستحق به تسليم العين، والرهن يتعلق به اللزوم من جانب واحد، والشيء ينقصه ما هو مثله أو أقوى منه، فمن ضرورة نفوذ العقد الثاني بطلان الأول»[٥١].

الشافعية:

يجوز عند الشافعية ان يتصرف الراهن منتفعاً بالعين المرهونة من دون اذن المرتهن في كل شيء لا يضر به، او لا ينقص من قيمة المرهون.

فللراهن سكنى الدار وإجارتها، وخدمة العبد وكسبه، ولبن الماشية ونتاجها، وثمر البستان وغير ذلك.. ودليلهم:

١- حديث البخاري «الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهوناً الخ»[٥٢] وحديث «الرهن محلوب ومركوب»[٥٣] وهذا لا يجوز فيه الا ان يكون الركوب والحلب لمالكه الراهن، لا للمرتهن، لأنه انما يملك الركوب والحلب ومن ملك الرقبة[٥٤] وقيس على ذلك ما أشبهه[٥٥].

٢- ان المنافع لم تدخل في العقد، ولا تضر بالمعقود له فبقيت على ملك الراهن وتصرفه[٥٦] اما ما فيه ضرر على المرتهن او انقاص للمرهون فلا يجوز له الانتفاع به، فليس له تزويج العبد والأمة، ولا البناء والغراس في الأرض المرهونة، بدليل:

١- ان ذلك ينقص من أثمانها[٥٧].

٢- ولقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٥٨].

ومع ذلك فإذا أذن المرتهن جاز له الانتفاع حتى فيما يضر من غير عوض، لأن المنع كان لحق المرتهن وقد زال بإذنه[٥٩].

الحنابلة:

اما الحنابلة فلم يجيزوا للراهن التصرف لا بانتفاع ولا بغيره، قال في المغني: وليس للراهن الانتفاع بالرهن باستخدام ولا وطء ولا سكن ولا غير ذلك، ولا يملك التصرف فيه بإجارة ولا عارية ولا غيرهما بغير رضا المرتهن.

الدليل:

١- قولهم برهنية المنافع.

٢- انها عين محبوسة فلم يكن للمالك الانتفاع بها كالمبيع المحبوس عند البايع على استيفاء ثمنه، او كالذي ينقص قيمة الرهن.

فإذا لم يتفق المتراهنان على الانتفاع بالعين تعطلت منافعها، فإن كانت داراً اغلقت وان كانت أرضاً أو غيرها تعطلت منافعها حتى يفك الرهن.

فإذا اتفقا على الإعارة أو الاجارة جاز، وذلك:

١- لأن مقصود الرهن الاستيثاق بالدين واستيفاؤه من ثمنه عند تعذر استيفائه من ذمة الراهن، وهذا لا ينافي الانتفاع به ولا اجارته ولا اعارته فجاز اجتماعهما كانتفاع المرتهن.

٢- ولأن تعطيل منفعته تضييع للمال، وقد نهى النبي ﷺ عن اضاعة المال.

٣- ولأنه عين تعلق بها حق الوثيقة فلم يمنع اجارتها كالعبد اذا ضمن بإذن سيده(٦٠).

المالكية:

والمالكية، مع حكمهم بأن المنافع للراهن وليست رهناً مع الأصل عدا الولد والفسيل مما كان على صورة الاصل، فإنهم لم يجيزوا له التصرف في العين، وإنما الذي يلي المنفعة ويستغلها هو المرتهن، ويسلم غلتها للراهن.

وذلك لأنهم يعتبرون أي تصرف في الرهن من الراهن، بإذن المرتهن او بغير إذنه، مخرجاً له من الرهنية ومبطلاً للعقد.

والظاهر ان مجرد الإذن كاف في البطلان عند مالك، جاء في المدونة: «للمرتهن منع الراهن ان يسقي زرعه بما ارتهن من بئر او قناة، وان أذن له ان يسقي به زرعه خرجت من الرهن، وكذلك من ارتهن داراً فأذن لربها ان يسكن او يكري فقد خرجت من الرهن، حين اذن له، وان لم يسكن ولم يكر»(٦١).

ودليلهم على ذلك: استدامة الحيازة «القبض» للمرتهن، فإذا أذن انعدمت تلك الصفة(٦٢)، اما دليلهم على ان الذي يلي كراء الرهن هو المرتهن مع أن المنفعة للراهن فهو: ان عقد الرهن ووضعه بيد المرتهن يقتضي ان يلي كراءه، لأن الراهن ليس له ذلك لأن توليه يخرجه عن الرهن، ولا يجوز ان ينعقد الرهن على تضييع الغلة، فاقتضى ان يلي كراءه من وضع على يده(٦٣).

الزيدية:

أ- نسب في البحر الزخار الى المذهب القول بعدم جواز تصرف الراهن بوجه الا بإذن المرتهن سواء كان ذلك مضراً

أم لا.

بدليل:

١- ان حق المرتهن تعلق بالأصل وبالمنفعة ايضاً[٦٤].

٢- ولأن استدامة القبض شرط عندهم (فإذا فعل زال القبض)[٦٥].

أما مع الاذن فيجوز للراهن كل تصرف وان ضر، ودليلهم على ذلك -مع استلزامه زوال القبض-: ان الاذن كالقبض[٦٦].

قال: «ولا يخرج عن الرهنية بمصيره الى الراهن عارية أو نحوها، اذ انه مقرر لديه، لكن لا يضمنه ما بقي في يد الراهن: إذ هو ماله تلف في يده، وكذا لو أذن له المرتهن ان يعيره أو يؤجره»[٦٧].

ب- ولكن في الزيدية جماعة خرجوا برأي آخر «هو جواز التصرف فيما لا ضرر فيه كالقعود في البستان والاصطياد منه، والشرب من مائه وتأجيره فيما لا يخرج به عن يد المرتهن، والانزاء عليه وبه واستخدامه ونحو ذلك» ونسب ذلك في البحر الزخار الى الامام يحيى بن حمزة الموسوي ٧٤٩هـ بدليل: ان الحق متعلق بالرقبة فقط[٦٨]، كما نسب اليه والى كتاب «المنتخب» القول بعدم اشتراط استدامة القبض قياساً على القرض[٦٩].

كذلك فربما ظهر من تعبير الشوكاني في نيل الأوطار القول بجواز انتفاع الراهن، قال في شرحه حديث ابي هريرة السابق «الظهر يركب بنفقته .. الخ» ما نصه: «وقد قيل: ان فاعل الركوب والشرب لم يتعين، فيكون الحديث مجملاً، وأجيب: بأنه لا اجمال، بل المراد المرتهن بقرينة ان انتفاع الراهن بالعين لأجل كونه مالكاً، والمراد هنا الانتفاع في مقابل النفقة»[٧٠].

الظاهرية:

يرى ابن حزم ان منافع الرهن لها للراهن عدا ركوب الدابة ولبن الحيوان، اذا لم ينفق عليهما وانفق المرتهن «فللراهن الوطء والاستخدام، والمؤاجرة، والخياطة، وأكل الثمرة الحادثة والولد الحادث، والزرع والعمارة، والاصواف الحادثة، والسكنى، وسائر ما للمرء في ملكه» وحجة ابن حزم في ذلك:

١- ان ملك الشيء المرتهن باق لراهنه بالكتاب والسنة والاجماع، فإذا كان كذلك فحق الرهن الذي حدث لم ينل ملك الراهن عن المرهون، ولا يوجب حدوث حكم في منعه، ما للمرء ان ينتفع به من ماله بغير نص.

٢- وان إضاعة المال حرام بنهي الرسول ﷺ عنها، وبالاجماع فإذا كان كذلك فالمنافع لمن تكون؟ ولا دليل على انها

تكون رهناً، فيجب ان تكون للمالك[٧١].

الإمامية:

الذي وقفت عليه من كتب الامامية ان لهم في المسألة قولين:

١- عدم جواز التصرف إلا بإذن المرتهن.

وهذا هو المشهور بينهم، حتى ادعي عليه الاجماع -كما عن السرائر والمفاتيح-[٧٢]، وينتظم في ذلك ممن وقفت على أقوالهم: الشيخ الطوسي، في أحد قوليه، والمحقق في الشرايع، وشارحها في الجواهر، والشهيدان في اللمعة، والروضة، والمسالك، وآغا رضا الهمداني في مصباح الفقيه والطباطبائي في الرياض، والسيد الحكيم في منهاج الصالحين، والإمام كاشف الغطاء في تحرير المجلة.

الدليل:

تختلف أدلة هذا القسم من الإمامية باختلاف مباني أصحابه في فهم حقيقة الرهن:

أ- فالذي يبني على ان حقيقة الرهن، هي ايجاد حق للمرتهن في العين المرهونة بأن يستوفي منها دينه لا غير، من دون ان يوجب ذلك قصوراً في سلطنة الراهن كمالك، الا ما يزاحم هذا الحق، فيكون معنى «الحبس» -عنده- هو ان المالك ممنوع من التصرفات المنافية لحق المرتهن في الاستيفاء، واذا تم ذلك، فليس في الانتفاع ما ينافي حق المرتهن.

لذلك فقد اقتصر الذين قووا هذا المبنى كالسيد في الرياض، في أدلة المنع على:

١- «الاجماعات المحكية المعتضدة بالشهرة العظيمة التي كادت تكون اجماعاً، بل لعلها اجماع لعدم معلومية المخالف».

٢- «اطلاق النبوية التي احتج بها في المختلف: الراهن والمرتهن ممنوعان»[٧٣].

ب- اما الذين بنوا على ان حقيقة الرهن هي: حبس المال عن المالك، وقصر يده وقطع سلطته، لا مجرد احداث حق الاستيفاء للمرتهن.

أما هؤلاء فقد جعلوا من هذا البناء نفسه، أهم الدلائل على منع الراهن، وان استدل بعضهم بالاجماع المنقول، وبحجية النبوية المرسلة ايضاً.

وقد استظهر هذا البناء كل من صاحبي الجواهر والمسالك، والهمداني، وكاشف الغطاء، قال في الجواهر: «ومما يمكن استفادته من مفهوم الرهن الذي قد عرفت انه الحبس الذي به يتم معنى الاستيثاق واليه أومى في الدروس في تعليله المنع، من

ان الغرض من الرهن هو الوثيقة ولا وثيقة مع تسلط المالك على البيع والوطء وغيره من المنافع الموجبة للنقص أو الاتلاف»[٧٤].

وقال في مصباح الفقيه -بعد ذكره للمبنى الثاني-: و «لعل هذا هو الأظهر من مفهوم الرهن» ولهذا فإنه رحمه الله، منع من تصرف الرهن، «الا ما لا يعد تصرفاً عرفاً، والا ما يعود نفعه على الرهن، اذ ربما يقتضي عقد الرهن ذلك مقدمة للحفظ»[٧٥].

وقال الشهيد الثاني: «لما كان الراهن وثيقة لدين المرتهن، لم يتم الوثيقة الا بالحجر على الراهن وقطع سلطته، فيتحرك الى الأداء ومن ثم منع الراهن من التصرف سواء ما أزال الملك كالبيع، أم المنفعة كالإجارة، أم انتقص المرهون وقلل الرغبة فيه كالتزويج، أم زاحم المرتهن في مقصوده كالرهن لغيره، أم أوجب انتفاعاً وان لم يضر بالرهن كالاستخدام والسكنى»[٧٦].

وقال كاشف الغطاء: «الأقرب الى حقيقة الرهن: انه سلطة على العين من المالك لدائنه»[٧٧]، لذلك فإنه منع «الراهن والمرتهن من مطلق التصرفات الناقلة كالبيع والهبة، أو غير الناقلة كاللباس والسكنى، أما التصرفات الاستغلالية كالإجارة، وبيع الثمرة، وجمع الحليب والصوف، فلا ينبغي الاشكال في جوازه -كما ربما يظهر من كلمات الفقهاء- ولكن تعود رهناً مع الاصل»[٧٨].

ولكن الذي يظهر من كلمات الفقهاء، هو منع الراهن والمرتهن من مطلق التصرف حتى التصرفات الاستغلالية التي اعتبرها الامام كاشف الغطاء جائزة واستظهرها من كلمات الفقهاء، ولهذا قالوا «ببطلان المنفعة» بل منع البعض حتى ما يعود لحفظ الرهن «كمداواة المريض» ورعي الحيوان وتأبير النخيل»[٧٩].

٢- جواز التصرف فيما لا ضرر فيه:

وينتظم في هذا القسم من مذهب الإمامية: قول الشيخ في الخلاف، وظاهر العلامة في التذكرة والبحراني في الحدائق، وأقوال أخر نقلها في الحدائق عن الخراساني في الكفاية، والاردبيلي في شرح الارشاد، وظاهر الصدوق، **وأهم أدلة هذا القسم:**

١- الأحاديث التي استدل بها كل من الشيخ والعلامة والبحراني في الحدائق وهي:

أ- قوله ﷺ: «الرهن محلوب ومركوب»، فاثبت للرهن منفعة الركوب والحلب ولا خلاف انه ليس ذلك للمرتهن، ولا دليل على بطلان هذه المنفعة، ولا على دخولها في الرهن، فيجب ان تكون للراهن[٨٠].

ب- ما استدل به في التذكرة من رواية

السكوني عن الصادق عن آبائه عن علي، قال رسول الله ﷺ: «الظهر يركب اذا كان مرهوناً وعلى الذي يركب نفقته، والدر يشرب اذا كان مرهوناً وعلى الذي يشرب نفقته»[٨١].

وقد يكون وجه الاستدلال بها ان الركوب والشرب للراهن بدليل انه هو المنفق على المرهون.

ج- ما استدل به في الحدائق من صحيحه محمد بن مسلم عن الباقر، وحسنه الحلبي عن الصادق، وهما متشابهتان: «عن رجل رهن جارية عند قوم أيحل له ان يطأها؟ قال: ان الذين ارتهنوها يحيلون بينه وبينها، قلت: أرأيت ان قدر عليها خالياً قال: نعم لا أرى هذا عليه حراماً» وفي الصحيحة «لا أرى به بأساً»[٨٢].

٢- ولأن في تعطيل المنفعة ضرراً منفياً بالأصل لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٨٣].

فعليه يجوز للراهن كل تصرف لا يضر بالمرتهن مثل: السكنى والاستخدام، ولبس الثوب اذا لم ينتقص وغير ذلك.. أما التصرفات التي تزيل الملك كالبيع والهبة، أو التي توجب نقص المرهون فلا «لما في الأول من فوات الرهن، وفي الثاني من دخول الضرر على المرتهن»[٨٤].

هذه خلاصة آراء المذاهب الاسلامية في جواز التصرف وسوف ننتقل لمناقشتها فيما يأتي:

نظرة في أوجه الاختلاف:

قلت: ان آراء الفقهاء المسلمين متفقة على منع الراهن من التصرف فيما يزيل الرهنية كالبيع والوقف والهبة -كما عرفت من عرض اقوالهم- اما اختلافهم فهو في جواز تصرفه بالمنفعة، واذا قمنا بعملية تجميع للأقوال وجدناها كالآتي:

١- عدم الجواز مطلقاً إلا بإذن المرتهن وينتظم في ذلك رأي الاحناف والحنابلة ومشهور الامامية والزيدية.

٢- عدم الجواز مطلقاً حتى يأذن المرتهن وهو رأي المالكية.

٣- الجواز مطلقاً وهو رأي الظاهرية.

٤- التفصيل بين ما لا ضرر فيه فيجوز، وما فيه الضرر فلا، وهو رأي الشافعية وبعض الإمامية والزيدية.

الملازمة بين هذه المسألة والمسألة السابقة:

والملاحظ ان جل القائلين بجواز الانتفاع هنا قائلون بعدم تبعية زوائد المرهون في الرهنية -وان اختلفت مبانيهم- وهم الشافعية والظاهرية وبعض الإمامية والزيدية.

وان جل القائلين بالتبعية هناك قائلون بعدم الجواز هنا، وهم الاحناف والحنابلة ومشهور الامامية والزيدية.

وعلة هذا الترابط من جهة التبعية واضحة، فالقول برهنية المنافع يستلزم ثبوت الحق للمرتهن فيها، وإذا تم ذلك، فإن مناط المنع من التصرف بالأصل موجود في المنفعة، فكما لا يجوز التصرف بالأصل لمزاحمته حق المرتهن، كذلك لا يجوز في المنفعة لنفس السبب.

أما القائلون بعدم التبعية فيقتضي ان يستلزم قولهم به القول بجواز الانتفاع، ذلك لأنهم جميعاً -كما مر- متفقون على ان المنافع ملك الراهن، فإذا لم تكن رهنا مع الاصل -كما هو مفروض- فما الذي يمنعه من أخذها (والناس مسلطون على اموالهم).

ولكن الذي يبدو لي -كما هو الظاهر من عبارات بعض المحققين منهم- انهم لا ينكرون هذه الملازمة، وان منعها في الحدائق، الا أنهم حين يمنعون الراهن من الانتفاع فليس ذلك لعدم جواز أخذه المنفعة، وهي غير مرهونة، وإنما لأن الانتفاع بالعين لا يمكن إلا عن طريق التصرف بها، وهو ممنوع لأدلتهم الخاصة.

قال في الجواهر: «ولو فرض امكان انتفاع من دون تصرف في العين لم يبعد القول بجوازه»[85].

وقال في المسالك: ومنعه من التصرف لا من حيث المنفع، بل من حيث استلزامه التصرف بالمرهون»[86].

والى هذا يرجع منع المالكية والأحناف من الانتفاع فيما لم يقولوا برهنيته، فقد أجاز المالكية له أخذ المنفعة عن طريق العدل أو المرتهن، وحكم الأحناف: ان الأجرة تعود للراهن لو أجر العين المرهونة مع الإثم.

من ذلك كله يظهر مدى الترابط -من حيث الأساس- بين القول برهنية المنافع والقول بعدم جواز الانتفاع من جهة وبين القول بعدم رهنيتها والقول بجواز الانتفاع من جهة ثانية.

بل ان القول بإحدهما يستلزم القول بالآخر لولا حرمة التصرف -ان تمت-.

أخلص من ذلك الى القول بأننا سوف نطرح في مناقشاتنا لأدلة المانعين من الانتفاع كل ما يتعلق برهنية المنفعة، لتقدم الكلام فيها، ونأخذ بنظر الاعتبار ما يعود منها لحرمة التصرف.

أدلة المانعين:

وأهم هذه الأدلة:

١- القول باستدامة القبض او الحيازة على العين ما دامت مرهونة، وذلك ينافي الانتفاع لأنه يستلزم رفع يد المرتهن

المشروط بقاؤها، وهذا هو دليل الحنفية، والمالكية، ومشهور الزيدية.

٢- ان مفهوم الرهن هو حبس المرهون عن مالكه، وقطع سلطته على ماله، لأنه وثيقة ولا يحصل الاستيثاق الا بمنع الراهن عن الانتفاع حتى يفي دينه بأسرع وقت.

ويرجع الى هذا الدليل قول الحنفية ايضاً، ومشهور الإمامية وبعض الحنابلة.

٣- الحكم بأن المرتهن تعلق حقه بالعين وبالمنفعة أيضاً -وهذا مبني على رهنية المنافع- فكما لا يجوز له التصرف بالعين لا يجوز بالمنفعة، وهو دليل الزيدية والحنابلة.

٤- الاجماع المدعى عند الامامية منقولاً عن الطوسي في الاستخدام، والركوب، والزراعة والسكنى، وعن ابن ادريس مطلقاً.

٥- اطلاق النبوية المرسلة «الراهن والمرتهن ممنوعان من التصرف، التي احتج بها في الرياض والجواهر.

واذا طرحنا من هذه الأدلة، دليل تعلق الحق بالمنفعة باعتبارها رهنا، لتقدم الكلام عليها، ودعوى الاجماع المنقول، للأسباب السابقة في مناقشة الاجماع، ولأن الشيخ الطوسي الذي نقل عنه الاجماع قال بغير هذا في «الخلاف» فقد جعل للراهن السكنى والاستخدام والركوب والزراعة محتجاً «بأنه لا دليل على بطلان هذه المنافع ولا على دخولها في الرهن، فيجب ان تكون للراهن»، ولم ينصب منعه للراهن الا على «ان يكري داره المرهونة او يسكنها غيره -محتجاً باجماع الفرقة»(٨٧).

وإذا كنا لا نلتزم بحجية النبوية المرسلة أيضاً لضعفها بالارسال، ولتقييد اطلاقها بالمواضع المتفق عليها لصحة ما يأتي من روايات الباب.

اذن فلم يبق لدينا مما يعتد به من ادلة المانعين غير استدامة القبض، وحبس المال عن الراهن، ولنا في مناقشتهما المؤاخذات التالية:

١- استدامة القبض:

والاستدامة شرط قال به ابو حنيفة ومالك واحمد والزيدية، وأنكره الشافعي والإمامية واهل الظاهر، وقبل الدخول في مناقشته يحسن ان نلخص الأقوال في مسألة اشتراط نفس القبض في الرهن وهي ثلاثة:

١- انه شرط في صحة الرهن، اي لا أثر للعقد بدونه كالهبة وهو رأي الشافعي، وأحمد وأبي حنيفة.

٢- انه شرط في لزوم الرهن، بمعنى ان العقد يأخذ أثره في تعلق الحق بالعين قبل القبض ولكنه لا يلزم الراهن حتى يتم القبض، فله الرجوع قبله، وهو رأي

المفيد وجماعة من الإمامية.

٣- انه ليس بشرط أصلا -لا في الصحة ولا في اللزوم- فيصح الرهن ويلزم بمجرد الإيجاب والقبول، وحكمه حكم البيع، وهذا هو رأي مالك وكثير من الإمامية كالشيخ، وإبن ادريس، وصاحب الجواهر، وكاشف الغطاء.

وواضح ان القول بالاستدامة لا يتم الا على القول بأنه شرط في الابتداء، اي شرط للصحة، اما من لم يشترطه ابتداء فاعتقد انه في غنى عن الاستدامة، لأن ذلك لازم لقولهم: «ان مجرد العقد يلزم الراهن فيجبر على الاقباض ما لم يتراخ المرتهن» كما عند المالكية[٨٨].

ومن ذلك يظهر ما في قول المالكية من اربابك حين جمعوا بين القول بعدم اشتراطه ابتداء والقول باستدامته.

اما ابو حنيفة واحمد والزيدية فأهم ما يستدلون به لهذه الاستدامة هو:

١- الوصف الموجود في الآية الكريمة: **﴿وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فرهان مقبوضة﴾**، وتقريب الاستدلال بها -كما في البدايع[٨٩]، انها اخبار بكون الرهن مقبوضاً، واخباره تعالى لا يحتمل الخلل فاقتضى ان يكون مقبوضاً ما دام مرهوناً.

٢- ان الاستدامة احدى حالتي الرهن، فكان القبض فيها شرطاً كالابتداء[٩٠] ولنا في مناقشة ذلك:

١- ان الآية ليست في مقام التعرض لشرائط الرهن ومقوماته، وإلا لكان ذكر السفر وعدم وجود الكاتب شرطاً للرهن كما ذهب أهل الظاهر.

٢- ظاهر الآية أنها وردت لبيان الإرشاد الى حفظ المال، والتوثيق في الدين وأخذ الحائطة له بالكتابة والاشهاد وما الى ذلك مما هو مذكور في الآية السابقة: **﴿واذا تداينتم بدين﴾**.. الآية، فيكون ذكر القبض هنا من هذا الباب، على أساس ان الرهن يلزم من باب التوثيق ان يكون عيناً يمكن قبضها حين العقد لا ديناً في الذمة مثلاً، ولا منفعة يتعذر قبضها والتوثق بها.

٣- ان قوله تعالى: **﴿فرهان مقبوضة﴾** ليست خبراً وانما هي انشاء في صيغة الخبر كقوله تعالى: **﴿فصيام ثلاثة أيام﴾** أو **﴿فتحرير رقبة﴾** وامثالها من أوامر، ولا يختلف الأمر هنا في آية الرهن عن بقية الآيات الا في كونه ارشادياً لا مولوياً إذن فهي ليست خبراً لا يحتمل الخلل -كما يقول الكاساني- لما مر، ولأنها لو كانت خبراً لما صح ان يوجد رهن غير مقبوض قبل العقد.

٤- وحتى لو سلمنا بأن الآية في مقام

اشتراط القبض، فإنه يكفي وقوعه ابتداء، كالهبة، فلماذا الاستدامة وليس في الآية ما يدل عليها.

٥- وأما كونها إحدى حالتي الرهن فيجب ان يكون القبض فيها شرطاً كالابتداء فهو ممنوع:

أ- لأن الاستدامة إحدى حالات كل العقود الأخرى التي يشترط القبض في ابتدائها ومع ذلك لم يشترطوه في استدامتها.

ب- ولأن ذلك لا يلزم الا من اشترطه ابتداء، اما من لم يشترطه كذلك فهو حجة له لا عليه، لأنها اذا كانت إحدى حالتي الرهن فيكون القبض ليس بشرط فيها كالابتداء، ولذلك استغربنا صدورها من المالكية.

٦- ان قوله ﷺ: «الرهن محلوب ومركوب» يدل على عدم الاستدامة لأن ذلك ليس للمرتهن اجماعاً، ولا داخلاً في الرهن كما تقدم، فبقي ان يكون للراهن، وذلك ينفي استدامة القبض.

٢- حبس العين عن الراهن:

اقصى ما يرمي اليه الاستدلال بأن الرهن وثيقة، ولا يتم الاستيثاق الا بقطع سلطة الراهن باعتباره مالكاً، وحبس المال عنه، هو: التضييق على الراهن ليسرع في وفاء دينه -كما صرحوا بذلك-.

ونقاشنا مع هذا الاستدلال من جهات:

١- لماذا لا يكون معنى الوثيقة في الرهن، أو معنى حبس المال عن الراهن هو: منعه عن كل ما ينافي قضية الرهن؟ وقضية الرهن ان تبقى العين محبوسة في يد المرتهن او يد العدل حتى يحين الأجل فتباع وفاء لدينه، وليس للراهن قبل ذلك بيعها ولا رهنها ولا وقفها ولا هبتها ولا أي تصرف آخر كان له قبل الرهن، مما يخرجها عن كونها وثيقة، او مما ينقص من قيمتها او يضر بالمرتهن، ويكون الانتفاع فيما لا يخرجها ولا ينقصها، باقياً له كما كان.

ولعل هذا هو الظاهر، من حقيقة الرهن، كما فهمه -حتى من المانعين- صاحب المغني من الحنابلة[٩١] وصاحب الرياض من الإمامية[٩٢]، وحتى عبارة الدروس التي استعان صاحب الجواهر في تعليله المنع بها «من ان الغرض من الرهن الوثيقة، ولا وثيقة مع تسلط المالك على البيع والوطء وغيره من المنافع الموجبة للنقص او الاتلاف» فإنها قيدت المنافع الممنوعة بكونها متلفة للرهن او منقصة للمرهون، أما ذكره للوطء، مع جوازه فهو اختلاف في مصاديق ما يوجب النقص.

٢- لو كانت حقيقة الرهن هي قطع سلطة المالك ومنعه عن مطلق التصرف، لكان

انتفاعه حتى بإذن المرتهن، منافياً لحقيقة الرهن، ومخرجاً له عن الرهنية، -كما يذهب مالك- وهذا ما لا يلتزم به الإمامية، ولا الحنابلة، ولا الزيدية، وحتى الحنفية في بعض افراده كالإجارة.

٣- ولو سلمنا ذلك فإن اقصى ما يرمي اليه الاستدلال به، هو التضييق على الراهن (ليسرع في وفاء دينه) -كما في عبارتي بدائع الصنائع من الفقه الحنفي والمسالك من الفقه الامامي- ولكن التضييق على الراهن للإسراع بالوفاء، ان كان قبل حلول الأجل، فلا معنى له لمخالفته قضية اشتراط الأجل، وان كان بعده، أمكن تداركه ببيع المرهون ان لم يفتكه الراهن، كما في قضية الرهن، فأية فائدة بالتضييق على المدين وهو لم يجعل ماله رهنا الا لحاجة.

٤- ولو اننا تغاضينا عن كل ما تقدم من نقاش، وسلمنا بصحة أقوال المانعين، فهي لا تخرج عن كونها أدلة اجتهادية، والاجتهاد -عند المسلمين عامة- لا يصار اليه الا عند فقدان النص، وفي النصوص التي استدل بها المجوزون ما يغني عن ذلك كما سيأتي.

اما أدلة المجوزين فهي:

١- الاحاديث المروية في أدلة الشافعية، والشيخ الطوسي، والعلامة في التذكرة من قوله ﷺ: «الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب نفقته والدر يشرب.. الخ»، وقوله ﷺ: «الرهن محلوب ومركوب» وقد تقدم وجه الاستدلال بهما، وان كنت أفهم من الأولى جواز انتفاع المرتهن ايضاً لكن بنفقته كما سيأتي.

٢- ما استدل به في الحدائق من صحيحة محمد بن مسلم وحسنة الحلبي المتقدمتين، في مسألة وطء الجارية وقولهما في الأولى: «نعم لا ارى به بأساً» وفي الثانية: «نعم لا ارى هذا عليه حراماً»، وتوفر شروط الحجية فيهما من صحة سندهما ووضوح دلالتهما وعدم المعارض لهما، الا ما يمكن حمله عليهما من النبوية المرسلة على ضعفها، فيبقى قول صاحب الجواهر قدس سره عمن يرى الجواز: «كأنه اجتهاد في مقابل النص» مردوداً على القائلين بالمنع!!.

اما حمله لهما بإرادة عدم الحرمة الموجبة لحد الزنا، فهو بالاضافة الى ان المقام لا يقتضي الحمل، مما يبعد كثيراً

الهوامش:

٤٨- بدائع الصنائع للكاساني ١٤٦/٦ .

٤٩- البدائع ١٤٥/٦، والمبسوط ١٠٧/٢١ .

٥٠- البدائع ١٤٥/٦ .

٥١- المبسوط ١٦٤/٢١ .

٥٢- الحديث سيأتي بتمامه عند مناقشة الأدلة وهو عن طريق ابي هريرة في البخاري ١٧٧/٣، وسنن الترمذي ٣٦٣/٢، وسنن ابي داود ٢٨٨/٣، وابن ماجة ٨١٦/٢، ومسند الامام أحمد ٢٢٨/٢، وهو وارد كذلك عن طريق الامام علي في الفقيه ١٠٠/٢، والتهذيب ١٦٥/٢، وفي وسائل الشيعة ١٣٤/١٣ .

٥٣- ذكره في منتخب كنز العمال بهامش مسند الامام احمد ٤٨٦/٢، ونسبه لمستدرك الحاكم وسنن البيهقي.

٥٤- انظر الأم للشافعي ١٥٥/٣، وما بعدها، والمهذب لأبي اسحق ٣١٢/١ .

٥٥- نهاية المحتاج للمنوفي ٢٥٩/٤ .

٥٦- المهذب ٣١٢/١ .

٥٧- الأم ١٦٤/٣، ونهاية المحتاج ٢٦٠/٤ .

٥٨- المهذب ٣١٢/١ .

٥٩- المهذب ٣١٣/١ ونهاية المحتاج ٢٦١/٤ .

٦٠- انظر المغني ٣٩٠/٤ .

٦١- مواهب الجليل لابن الحطاب المغربي ١٢/٥ .

٦٢- المنتقى ٢٥٠/٥ .

٦٣- نفسه ٢٥٣/٥ وبداية المجتهد ٢٣١/٢ .

٦٤-٦٥-٦٦- البخر الزخار ٤/ ١١١ ، ١١٨ .

٦٧-٦٨-٦٩- البحر الزخار ١١١/٤، ١١٨ .

٧٠- نيل الأوطار للشوكاني ٢٤٨/٥ .

٧١- المحلى لابن حزم ٩٨/٨ .

٧٢- الجواهر ٣٣٤/٤ .

٧٣- الرياض ٥٨٥/١ .

٧٤- الجواهر ٣٣٤/٤ .

٧٥- مصباح الفقيه لاغا رضا ٢٢٦/٣ .

٧٦- المسالك ٢٣١/١ .

٧٧-٧٨- تحرير المجلة للإمام كاشف الغطاء ٢٩٤/٢، ٣١٥ .

٧٩- الرياض ٥٨٥/١ .

٨٠- الخلاف للشيخ الطوسي ٦١٥/١ .

٨١- التذكرة للعلامة الحلي ٣٢/٢، وقد سبق تخريج الحديث.

٨٢- الحدائق ٢٥٥/٥، والجواهر ٣٣٤/٤، وانظر ايضاً: الفقيه للصدوق ١٠٣/٢، وفروع الكافي للكليني ٣٩٦/١ والتهذيب للطوسي ١٦٤/٢، ووسائل الشيعة للحر العاملي ١٣٣/١٣ .

٨٣- التذكرة ٣٢/٢ .

٨٤- الحدائق ٢٥٥/٥ .

٨٥- الجواهر ٣٣٥/٤ .

٨٦- المسالك ٢٣٣/١ .

٨٧- الخلاف ٦١٥/١ .

٨٨- بداية المجتهد لابن رشد ٢٣٠/٢ .

٨٩- بدائع الصنائع ١٤٦/٦ .

٩٠- المغني ٣٣١/٤ .

٩١- نفسه ٣٩١/٤ .

٩٢- الرياض ٥٨٥/١ .

من فضائل شهر رمضان المبارك

■ بقلم الطالبة مجد اسعد

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥ .

تمر الايام وتتلفَّت قلوب المؤمنين المتقين، تنظر إشراقة شهر رمضان المبارك، لتزيح إشراقتُه الظلام الذي يحيط بالنَّاس في الأرض، وقد عَّمت البلوى، وهاجت أعاصير الفتن.

قال رسول ﷺ: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف يقول الله عز وجل: «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» أخرجه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه البخاري ومسلم.

لا شك أن هذا الثواب الجزيل لا يكون لمن امتنع عن الطعام والشراب فقط، وإنما كما قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» أخرجه البخاري.

وقال ﷺ: «الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل، فإن سابه أحد فليقل: إني امرؤ صائم» أخرجه البخاري ومسلم.

فإذا صمت -اخي المسلم- فليصم سمعك وبصرك ولسانك وجميع جوارحك، ولا يكن صومك ويوم فطرك سواء.

شهر رمضان المبارك أعظم الشهور،

ففيه وقعت أعظم الأحداث وأكثرها خيراً وبركةً على النَّاس، على مرِّ العصور، مع توالي الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فقد أُنزلت الكتب الإلهيَّة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في هذا الشهر الكريم، فعن واثلة بن الأسقع أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُنزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» أخرجه الإمام أحمد.

وقد أُنزلت الصحف والتوراة والزبور والإنجيل، كلٌّ منها أُنزل جملة واحدة على النبيّ الذي أُنزل عليه، وأمَّا القرآن الكريم فقد أُنزل إلى بيت العزّة من السماء الدنيا جملة واحدة في شهر رمضان في ليلة القدر، ثمَّ أُنزل بعد ذلك مفرَّقاً حسب الوقائع على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** القدر: ١، وقال عز وجل: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾** الدخان: ٣، وقال سبحانه: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾** الفرقان: ٣٢ .

وأيُّ خير لدى البشريّة كلّها أعظم من نزول الكتب الإلهيّة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأيُّ خير أعظم من نزول القرآن الكريم هدى للنَّاس كافَّة وآيات بيّنات من الهدى والفرقان، وأيّ نعمة أعظم على النَّاس من أن يُفرَق بين الحقِّ والباطل بآيات بيّنات، ويُخْرَجَ الناس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربِّهم.

❖ فضل قراءة القران الكريم:

شهر رمضان هو شهر القرآن فينبغي أن يكثر العبد المسلم من قراءته، وقد كان حال السلف العناية بكتاب الله، فكان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، فكانوا يقرءون القرآن في الصلاة وفي غيرها، فكان للشافعي في رمضان ستون ختمة، يقرؤها في غير الصلاة، وكان الأسود يقرأ القرآن كل ليلتين في رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها

ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان.

❖ فضل الصدقة في رمضان:

كان رسول الله ﷺ أجود الناس دائماً، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود بالخير من الريح المرسلة.. وقد قال ﷺ: «أفضل الصدقة صدقة في رمضان» أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: فقلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً.

❖ تحري ليلة القدر:

قال الله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر ❖ وما أدراك ما ليلة القدر ❖ ليلة القدر خير من ألف شهر ❖ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ❖ سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾ سورة القدر.

وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه البخاري ومسلم.

وكان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه الكرام رضي الله عنهم بتحريها، وكان يوقظ أهله في ليالي العشر رجاء أن يدركوا هذه الليلة المباركة، وفي المسند عن عبادة مرفوعا: «من قامها ابتغاءها ثم وقعت له، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وورد عن بعض السلف من الصحابة والتابعين، الاغتسال والتطيب في ليالي العشر تحرياً لليلة القدر التي شرفها الله ورفع قدرها.

❖ فضل قيام الليل:

قال الله تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ❖ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما**﴾ الفرقان ٦٣-٦٤ .

وقال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه البخاري ومسلم .

وقد كان قيام الليل دأب النبي ﷺ وأصحابه، قالت السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان اذا مرض أو كسل صلى قاعداً».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من

الليل ما شاء حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول لهم: الصلاة، الصلاة.. ويتلو هذه الآية: **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾** طه: ١٣٢ .

كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ هذه الآية: **﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾** الزمر: ٩، قال: ذاك عثمان بن عفان ﵁، قال ابن حاتم: وإنما قال ابن عمر ذلك، لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة.

❖ فضل صلة الرحم:

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه» ومعنى ينسأ أي يؤخر رواه البخاري، وعن عبد الله بن مسعود ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «صلة الرحم تزيد في العمر» حسنه المناوي في فيض القدير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

إن صلة الرحم من محاسن الأخلاق التي حث عليها الإسلام ودعا إليها وحذر من قطيعتها، فقد دعا الله عز وجل عباده بصلة أرحامهم في تسع عشرة آية من كتابه الكريم، وأنذر من قطع رحمه باللعن والعذاب في ثلاث آيات، ولهذا دأب الصالحون من سلف الأمة على صلة أرحامهم رغم صعوبة وسائل الاتصال في عصرهم، أما في وقتنا المعاصر فرغم توافر مختلف وسائل النقل والاتصال، إلا أنه لا يزال هناك تقصير في صلة الرحم، إن أدنى الصلة أن تصل أرحامك ولو بالسلام، روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام» حسنه الألباني.

❖ العمرة في شهر رمضان:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية: «حجة معي» فهنيئا لمن أدى حجة بصحبة خير الخلق اجمعين سيدنا محمد ﷺ.

❖ الامة احوج ما تكون الى نفحات رمضان:

ان واقع المسلمين اليوم تغيّر، فعسى أن تنهض العزائم مع إشراقة رمضان لاستئناف الحياة الصادقة، حياة بناء الأمة الواحدة والصفّ الواحد، حياة تبليغ الدعوة إلى النّاس كافّة، كان شهر رمضان المبارك عندما يقبل، يبادر النّاس كعادتهم بعد صلاة الفجر إلى العمل والسعي والبناء، واليوم يغلب النوم على الكثيرين فلا يستيقظون على صلاة الفجر، ويمتدُّ بهم النوم إلى وقت متأخر من الضحى أو النهار كلّه، فلو

أحصي الذين يصلّون الفجر أو أيّ وقت آخر في العالم الإسلاميّ كلّه، وأحصيت عدد الذين ينتسبون إلى الإسلام حسب الإحصائيات، لوجدت النسبة منخفضة جداً، فمن يستفيد من هذه الملايين المقصرة من المنتسبين إلى الإسلام؟! إنَّ أعداء الله هم الذين يستفيدون من ذلك كلّه، من خلال عمل منهجيّ دائب ليل نهار.

كان شهر رمضان المبارك يقبل، فيجمع المسلمين أمة واحدة في المساجد، وفي ميادين الجهاد، وفي البناء والعمل المتواصل، يمضون على صراط مستقيم، يعرفون أهدافهم والدرب الذي يؤدِّي إلى الأهداف. واليوم تشعَّبتْ السبل وضاعت الأهداف، وعمّيت الحقائق يقبل شهر رمضان المبارك، والمسلمون ليس لهم نهج ولا خطة لمجابهة الواقع الأليم إنما هي شعارات وأمانيّ وأوهام من خلال الفرقة والتمزق والصراع فكثيرون ممن ينتسبون إلى الإسلام يقضون لياليَ رمضان مع بعض الفضائيات وبرامجها المتفلّتة، وآخرون يقضونها في ألوان أخرى من اللهو والضياع، وآخرون قد لا يصومون أو يصلّون، ويظلّون يصرّون على أنّهم من المسلمين.

ان الأيام الأخيرة من شهر شعبان ترى بعض الناس يتسابقون إلى الأسواق يختارون أطايب الطعام للإفطار وللسحور، إنّها القضيّة التي تشغل بال الكثيرين، وعندما تدور الأحاديث عن شهر رمضان المبارك في بعض وسائل الإعلام في العالم الإسلاميّ، ينصبُّ كثير منه حول اختلاف الأطعمة من بلد إلى بلد، وحول اختلاف العادات من مكان الى آخر في الاحتفاء بشهر رمضان المبارك، العادات التي توارثها جيل عن جيل في مراحل الوهن والضعف.

إنَّ شهر رمضان المبارك يذكرنا بهذه الحقائق كلّ عام، كما تذكّرنا بها سائر الشعائر والشهادتان:

رَمَضانُ أقْبلَ! مُدَّ من
فيءٍ وهاتِ من الظلالِ
واسكبْ على فميَ البَلالَ
ورشفةَ الماءِ الزُّلالِ
واسْقِ البَواديَ مِنْ نداكَ
ومِنْ مَواطِرِك الثِّقالِ
واطْوِ السَّرابَ عن الجنانِ
عن الحُقُولِ عَنِ الرّمالِ
واملأْ بِنورِكَ كلَّ
داجيَةٍ مُروِّعةِ الخيالِ
في فرْحَةٍ نَشَرَتْ على

التصدي لمشكلة المخدرات مسؤولية جماعية

■ بقلم الاستاذ حسن ابراهيم كريرة

للوقوف على حقيقة المخدرات وأثرها وموقف الشريعة الإسلامية منها، لا بد من الإجابة على التساؤلات التالية: هل تشكل المخدرات خطرا على الإنسان؟ وهل من الممكن أن تجعل المتعاطي مثقلا بالأمراض وتسير به إلى دروب الموت والهلاك؟ وهل من الممكن أن تسيطر المخدرات على الإنسان وتفقده سيطرته على حياته، وتحوله إلى شخص لا يستطيع القيام بالنشاطات والأعمال اليومية؟ وهل من الممكن أن تذهب المخدرات بالمتعاطي أو المتاجر بها إلى السجن، فتمنعه من تحقيق أحلامه ومستقبل مشرِّف مشرق؟.

من المؤكد كما تدل الدراسات الطبية والاجتماعية، أن المخدرات لها أعراض جانبية مختلفة على متعاطيها، فهي من الممكن أن تدمِّر الدماغ والقلب والرئة والكبد والكلى والعضلات، كما أنها من الممكن أن تسبب نزيفا في الأنف وصداعا ونوبات مرضية وحبَّ الشباب، ورؤية مشوشة وقيئا وفقدانا للذاكرة والتركيز.. وقد دلت بعض الدراسات على أن تعاطي المخدرات من الممكن أن يسبب أمراضا خطيرة مثل الايدز.. كما أن تعاطي المخدرات والاتجار بها يخلف العديد من الآثار السلبية على المجتمع، ما بين حوادث سير أو عمليات قتل وتنكيل وغيرها، مما يكلف المجتمع فقدان بعض عناصره وتفكك الأسر وأموال طائلة..

ورغم هذه الآثار السلبية الكثيرة إلا أن

بعض الناس، لا يزال مصرا على الاتجار بالمواد والعقاقير المخدرة، إما بدافع التقليد أو التجربة أو الثراء، أو بدواعي الفضول.. وإما بحثا عن شيء ليعبِّروا به عن أنفسهم أو لمجرد أنهم يعتقدون بأن المخدرات طريقهم إلى السعادة.. وإما بهدف تحدي القيم والعادات ووسيلة للفت الانتباه..

إلا أن الدراسات التي أجريت على بعض المدمنين والمتعاطين للمخدرات، دلت على أن هناك عدداً من الأسباب التي أدت بهم إلى ذلك ويمكن إجمالها بما يلي:

- وجود تاريخ للمتعاطي أو للإدمان في الأسرة، بحيث انعكس ذلك سلبا على احد أفرادها أو على عدد منهم.

- انهيار الأسرة نتيجة طلاق أو هجر بين الزوجين، أو وقوع خلافات شديدة واستمرارها بشكل مزمن، يؤدي إلى اختلال فيها وعدم انضباط مما ينعكس على أفرادها بتصرفات سلبية في المجتمع وتشرد لهم وتيه وضياع.

- ضعف الوازع الديني أو (القيمي بوجه عام) بحيث لا يوجد لدى المتعاطي أو المتاجر رادع داخلي من نفسه يزجره ويبعده عن هذا التيه.

- صحبة أقران ورفاق السوء الذين يؤثر بعضهم سلبا على بعض، من خلال ما يقومون به من تصرفات يقلدون فيها بعضهم البعض، وبخاصة إذا كانوا أقرانا متعاطين أو مدمنين، كما أننا نلحظ في هذا المجال وفي مرحلة المراهقة بشكل خاص، بروز عامل التحدي الذي ينمي فيهم التهور والجرأة على خوض غمار التجربة السلبية، كي يصبح بطلا بين اقرانه وأصحابه .

- دلت بعض الدراسات التي ذكرها الدكتور مصطفى سويف في كتابه "المخدرات والمجتمع" على وجود علاقة بين الإدمان والتدخين قبل بلوغ سن اثنتي عشرة سنة.

- الظروف السيئة للحياة أو لبيئة العمل، تدفع في بعض الأحيان إلى التهور والتعاطي والإدمان، وبخاصة لمن لا يملكون خبرة في الحياة ونتيجة أول فشل لهم، نجدهم يلجأون إلى التعاطي هروبا من الواقع المرير بحد زعمهم.

- يذكر الدكتور مصطفى سويف أنه عند العودة لتاريخ عدد من المتعاطين، وجد لهم سجلا سيئا في مرحلة الدراسة أو العمل، مما يؤكد على أن أمثال هؤلاء أكثر عرضة للوقوع في براثن تجار المخدرات مما يؤدي إلى التعاطي والإدمان.

- كما انه ينبغي أن لا ننس عمل بعض وسائل الإعلام السيء، الذي يشكل سببا

قويا لدى عدد كبير من المتعاطين والمدمنين للإقبال على هذا السم الخطير إما بهدف التجربة أو التقليد.

وفي نظرة شرعية للموضوع نقول: إن المتمعن لكتاب الله تعالى والمتصفح لكتب السنة النبوية الشريفة، يجد عشرات الأدلة التي تثبت تحريم المخدرات والعقاقير المخدرة وغيرها، ذلك أن القرآن الكريم جاء بقواعد عامة تصلح لكل زمان ومكان، كما جاءت السنة النبوية موضحة وشارحة لكثير من آياته، ولذلك نجد أن القرآن الكريم أباح كل طيِّب وحرَّم كل خبيث في قوله تعالى: **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾** الأعراف: ١٥٧، ذلك أن المخدرات بمختلف أنواعها خبيثة من أخبث الخبائث وأعظمها ضررا، وقد حق فيها وفيما شابهها قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ❖ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾** المائدة ٩٠-٩١، كما لفتت السنة النبوية أنظارنا إلى حقائق أخرى حول هذا الموضوع، ففي حديث للنبي ﷺ يبين فيه أن كل ما يؤثر على عقل الإنسان من مسكرات ومخدرات وغيرها من مواد إنما هو مسكر وحرام، قال ﷺ: "ما اسكر كثيره فقليله حرام" كما أن النبي ﷺ: "نهى عن كل مسكر ومفتِّر" رواه أبو داود.

ولقد اتفق العلماء في جميع المذاهب الفقهية الإسلامية، على حرمة تناول القدر المؤثر على العقل من المواد والعقاقير المخدرة، فيحرم تعاطيها بأي وجه من الوجوه، سواء كان بطريق الأكل أو الشرب أو التدخين أو السعوط أو الحقن بعد إذابتها، أو بأي طريق كان، واعتبر العلماء ذلك كبيرة من كبائر الذنوب التي يستحق مرتكبها المعاقبة في الدنيا وفي الآخرة.. ومن هنا قال ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري": "واستدل بمطلق قوله ﷺ: «كل ما يسكر حرام» على تحريم المسكر ولو لم يكن شرابا فيدخل في ذلك الحشيشة..".

ويقول محمد فريد وجدي في كتابه دائرة معارف القرن العشرين في حديثه عن حقيقة الحشيش والمخدرات وأثرها الضار على النفس والمجتمع وكيفية مواجهتها: "الحشيش الذي يستعمله بعض الناس للتخدير، هو عصارة القنب الهندي وهو مخدر ومفقد للإحساس ومضر بالمجموع العصبي ضرراً بالغاً جدا، ونتيجته الطبيعية الجنون بأشد حالاته، وتدخينه عادة مُرِّن عليها بعضهم واستناموا لها استنامة لا فواق

منها، وهم في الحقيقة جانون على أنفسهم وعائلاتهم جناية ليس وراءها جناية، وفي رأينا لا الحكومة ولا القانون ولا شيء يستطيع ردَّ هذه العوائد الضارة، إلا التربية الحقة وسريان العلم بين سائر الطبقات" إهـ.

ونحن إذ نعترف بوجود هذه المشكلة الخطيرة -المخدرات- في مجتمعنا ينبغي أن نتوجه بالحديث إلى أبناء المجتمع وبخاصة الشباب منهم، إلى ضرورة تضافر جهود الجميع في مواجهة هذه الآفة، ويجب علينا وبشكل دائم أن نذكر بما يلي:

- أن الإدمان والتعاطي للمخدرات هو من معوقات الإنتاج والنجاح في الحياة.
- ينبغي أن نقول: "لا" عندما يطلب منا فعل شيء خاطئ أو خطير.
- يجب أن لا نقلد الآخرين في مسلكهم الخاطئ.
- علينا أن نصارح الوالدين ومن هم اكبر منا سنا وأصحاب الاختصاص عند الوقوع في براثن المخدرات.
- لا ننس أن المخدرات تنقل الأمراض المعدية.
- إن مصاحبة أقران السوء توقع في شراك الانحراف والجريمة.
- المخدرات وهم وضياع.
- تعاطي المخدرات انتحار بطيء.
- لا فضول ولا تجربة في المخدرات.
- المخدرات ضياع للأموال وهلاك للصحة.
- تعاطي المخدرات سبب رئيسي لارتكاب الجرائم.
- المخدرات ضياع للأسرة واستنزاف للمجتمع.
- الاتجار في المخدرات والترويج لها يدخل في جرائم الإفساد في الأرض التي حذَّر الله تعالى منها فقال تعالى: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** المائدة: ٢٣ .

وبعد ذلك ينبغي أن نذكر أن الوقاية خير من العلاج، ومن هنا ينبغي أن تبرز أهمية الثقافة المجتمعية في الأخطار الناجمة عن المخدرات، كما ينبغي أن ننظر إلى المدمن والمتعاطي على انه شخص مريض ينبغي أن نأخذ بيده إلى بر الأمان لا أن ننبذه ونطرده من المجتمع عملا بقاعدة: «بغض الذنب لا المذنب»، ولنضع أيدينا بأيدي الأجهزة التي تحارب هذه الآفة، ونتعاون مع المسؤولين

نظرات في كتاب:
«الفردوس بمأثور الخطاب»

■ بقلم الدكتور أحمد عودة الله شقيرات

ان هذا التراث الذي خلفه لنا علماؤنا، إنما هو أمانة هذا الدين التي رعوها حق رعايتها حتى تسلمناها منهم، فإذا فيها ديننا وعقيدتنا، وفلاح الدنيا والآخرة، وإننا اذا أخرجنا مصنفاً من مصنفات أهل العلم، إنما نخرجه لنتعلم ما فيه ونعمل به ونعلمه غيرنا.

❖ من هو الحافظ الديلمي؟

هو الحافظ ابو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي، الهمداني، الملقب «إلْكيا» (٤٤٥-٥٥٩) (١٠٥٣-١١١٥) والحق ان ما وصلنا من الحافظ قليل جد قليل، فما نعرفه انه ولد سنة ٤٤٥ بهمذان، ولا بد أنه قد حفظ القرآن الكريم في طفولته، فلما بلغ سن الطلب، سمع من شيوخ بلده ثم رحل وأكثر الرحلة، فسمع ببغداد، وأصبهان، وقزوين وغيرها.

❖ شيوخه:

لقد أكثر من الشيوخ، منهم:

أبو الفضل محمد بن عثمان القومساني، ويوسف بن محمد بن يوسف المستملي، وابو الفتح الطائي وغيرهم، وقد بلغوا ستة عشر عالماً، وقد قال عنه ابن الصلاح: «كان محدثاً واسع الرحلة، حسن الخلق والخلق، ذكياً، صلباً في السنة، قليل الكلام، صنف تصانيف اشتهرت» «شذرات الذهب ٤/٢٤».

كما اهتم بالتاريخ وهذه شيمة

المتقدمين في دراية الحديث من السلف لما كانوا يمزجون بين التاريخ، وهو ذكر الأحداث والوقائع وبين تاريخ الرجال الذي كان لا بد ان يعلموا دقائقه لما يحتاجون اليه من معرفة احوال الرواة وتاريخهم لنقد الاسانيد، فاهتم الديلمي بالتاريخ وصنف فيه مصنفين، وكان في الفقه على مذهب الشافعي، لذا ذكره السبكي والأسنوي في طبقات الشافعية.

❖ مصنفات الديلمي:

لم يحفظ لنا التاريخ من اسماء تصانيف الديلمي سوى خمس مصنفات، هي: فردوس الأخبار، تاريخ همذان، كتاب في حكايات المنامات، نزهة الاحداق في مكارم الاخلاق، وهو جزء صغير من بعض احاديث رويت في مكارم الاخلاق، ذكره «بروكلمان» صاحب تاريخ الأدب العربي، رياض الأنس لعقلاء الإنس في معرفة احوال النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء بعده.

❖ كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب:

وهذا الكتاب مشهور عند أهل العلم، وقد ذكره كثير منهم منسوباً لمصنفه، وهم:

- التاج السبكي في طبقات الشافعية ١١١/٧ .
- الذهبي في طبقات الحفاظ ١٢٥٩/٤ .
- ابن الصلاح «نقله عن صاحب شذرات الذهب».
- الصفدي في الوافي ٢١٨/١٦ .
- ابن العماد في الشذرات ٢٤/٤ .
- اليافعي في مرآة الجنان ١٩٨/٣ .
- كتاب جلبي في كشف الظنون ١٢٥٤ .. الخ.

● موضوع الكتاب:

جمع الديلمي رحمه الله مقصده من كتابه في مقدمته، قال: « .. فإني لما رأيت أهل زماننا هذا.. أعرضوا عن الحديث وأسانيده، وجهلوا معرفة الصحيح والسقيم وتركوا الكتب التي صنفها الأئمة قديماً وحديثاً، واشتغلوا بالقصص والأحاديث المحذوفة عنها أسانيدها التي لم يعرفها ناقلو الحديث.. سيما الموضوعات التي وضعها القصاص، أثبت في كتابي هذا عشرة آلاف حديث.. على سبيل الاختصار من الصحاح والغرائب، والأفراد والصحف المروية عن النبي ﷺ في السنن، والآداب والمواعظ والآمال والفضائل، والعقوبات وغيرها وحذفت أسانيدها».

❖ المصنفات على الفردوس:

لاقى كتاب الفردوس قبولاً بين العلماء فنقلوا منه وعزوا اليه، خاصة وقد انفرد بالكثير من الغرائب كما اهتموا به فصنفوا عليه التصانيف، فمنهم من اختصره، ومن استخرج منه، ومنهم من اسند أحاديثه، فمن ذلك: نزول السائرين الى الله رب العالمين، لمحمود بن محمد الدركزين (ت٧٤٣هـ) ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣٨/٤، ومختصره لابن شهاب الهمذاني (ت٧٨٦هـ) و البنيان المستخرج من الفردوس لعلي بن ابي القاسم بن علي، وقطعة من مختصر لمجهول، ذكره بروكلمان في تاريخ الادب العربي ١٣١/٦ .

مسند الفردوس وهو خمسة أجزاء[١]:

❖ تبويب الفردوس:

وقد بوبه الديلمي على حروف المعجم ومفصلة فصولاً حسب تقارب النبي ﷺ، وذكر على رأس كل حديث منها رواية عن النبي ﷺ، وسماها «الفردوس بمأثور الخطاب» وخرجها على كتاب القاضي ابي عبد الله محمد بن جعفر بن علي القضاعي المصري، الا انه رحمه الله ذكر الف كلمة ومائتي كلمة ولم يذكر رواتها، وذكرت انا في كتابي هذا بعون الله وقوته الحديث بالتمام ليشتغل بها كل مُعرض عن الحديث ومشتغل باله بلا شيء[٢].

❖ أمثلة من ترتيب الأحاديث:

من باب الألف:

١- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أول شيء خطه الله عز وجل في الكتاب الأول: إني انا الله لا إله الا انا سبقت رحمتي غضبي من شهد ان لا إله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فله الجنة».

٢- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «اول شيء خلقه الله القلم من نور واحد بيمينه وكلتا يديه يمين، والقلم مسيرة مئة عام واللوح مثله، فقال للقلم: إجر، فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة برها وفاجرها، رطبها ويابسها».

٣- عائشة رضي الله عنها: «أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: ما خلقت شيئاً أحسن منك، بك آخذ وبك أعطي، فمن كان له واعظ من نفسه كان له من الله حافظ».

٤- ابو الدرداء، «اول من يرد الحوض يوم القيامة المتحابون في الله عز وجل»[٣].

باب الباء:

١- أنس بن مالك رضي الله عنه: «بادروا الأعمال

خمساً هرماً».

٢- ابو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص، والدعاء يرد القضاء ولله في خلقه قضاءان، قضاء ماض وقضاء محدث وللأنبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة».

٣- أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بعثت على أثر ثمانية ألف نبي منهم اربعة ألف من بني إسرائيل».

٤- أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الربا في النسيئة»[٤].

باب الفاء:

١- معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[٥].

باب القاف:

١- أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال ابراهيم: يا رب ما جزاء من سبحك؟ قال: لا يعلم تأويل التسبيح الا الله رب العالمين»[٦].

باب اللام:

١- ابن عمر رضي الله عنهما: «لو كان الغزو بباب البيت لا تذهب الا بإذن ابويك»[٧].

باب الميم:

١- أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الموت كفارة لكل مسلم»[٨].

٢- أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره»[٩].

باب النون:

١- ابن عباس رضي الله عنهما: «نعم سلاح المؤمن الصبر»[١٠].

٢- ابو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم صومعة المؤمن بيته، يكف فيه بصره وسمعه ولسانه ويده»[١١].

باب لام ألف:

١- ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تحدثوا أمتي من أحاديثي الا ما تحمله عقولكم»[١٢].

٢- أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تغمضوا اعينكم في السجود فإنه من فعل اليهود»[١٣].

٣- جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى، فإن تسليمهم بالأكف والرؤوس والإشارة»[١٤].

باب الياء:

١- ابو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يقول الله عز وجل:

ابتلي عبدي المؤمن فإن لم يشكوني الى عوّاده أطلقه من اسري، ثم أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل»(١٥).

٢- انس بن مالك رضي الله عنه: «يا ابن آدم لا تنظر الى صغير الخطيئة، ولكن انظر الى من عصيت»(١٦).

٣- عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «يا أبا بكر لو أراد الله عز وجل ان لا يعصى ما خلق إبليس»(١٧).

٤- أبو هريرة: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام

الهوامش:

١- الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ج٥/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ج-ك.

٢- م.س ج١ ص٧ .

٣- م.س ج١، ص١١-٢٧ .

٤- م.س ج٢ ص٧-٢٨٢ .

٥- م.س ج٣ ص١٢٩ .

٦- م.س ج٣ ص١٩٠ .

٧- م.س ج٣ ص٣٣٩ .

٨- م.س ج٤ ص٢٣٩ .

٩- م.س ج٤ ص٢٤٠ .

١٠- م.س ج٤، ص٢٦٧ .

١١- م.س ج٤، ص٢٦٩ .

١٢- م.س ج٥، ص١٧ .

١٣- م.س ج٥، ص١٨ .

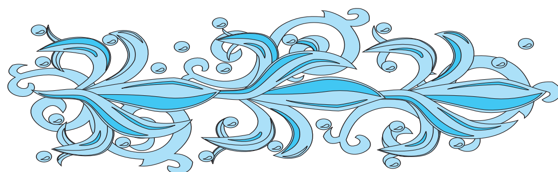
١٤- م.س ج٥، ص٢٠ .

١٥- م.س ج٥، ص٢٤٦ .

١٦- م.س ج٥، ص٢٨٣ .

١٧- م.س ج٥، ص٣٠٣ .

١٨- م.س ج٥، ص٥٢٢ .



﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾

■ بقلم الاستاذ احمد اسماعيل

لقد أفرد الله سبحانه وتعالى سورة كاملة في القرآن الكريم للحديث عن هذه الليلة العظيمة المباركة، وسماها سورة القدر، فقال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر ❖ وما أدراك ما ليلة القدر ❖ ليلة القدر خير من ألف شهر ❖ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ❖ سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ سورة القدر.

فليلة القدر هذه هي التي أنزل الله فيها القرآن الكريم، وقد سميت ليلة "القدر" بهذا الاسم للإشارة إلى أنها ليلة ذات قدر ومكانة ولها شرف ومنزلة، كيف لا وقد شرفها الله بنزول القرآن الكريم فيها، ولهذه الليلة فضل كبير، فقد فضّلها الله سبحانه وتعالى على سائر الليالي وجعلها خيرًا من ألف شهر، يعطي الله فيها عباده الثواب العظيم والأجر الكبير.

فجمع الله جل وعلا لهذا الكتاب العظيم ليلة عظيمة شريفة، وشهرًا عظيمًا كريمًا عنده جل وعلا وإنما كان كذلك لشرف هذا القرآن؛ لأنه كلام الله جل وعلا الذي هو أحسن الكلام وأصدقه وخيره وأفضله، قال جل وعلا: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني: أن العبادة في ليلة القدر أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

فهذه الليلة هي أعظم ليالي الدهر، ليلة مباركة العمل فيها يضاعف أكثر من العمل في ألف شهر، ليلة تضيق فيها الأرض من

كثرة الملائكة، ليلة الشرف من تحرَّاها صارت له المنزلة عند الله، ليلة يباهي الله فيها الملائكة بعباده الصالحين، و فيها يقدر الله تعالى لملائكته جميع ما ينبغي أن يجري على أيديهم من تدبير بني آدم ومحياهم ومماتهم إلى ليلة القدر من السنة القابلة، وهي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها أذى، وهي سبب للسلامة والنجاة من المهالك يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وفي هذه الليلة تنزل الملائكة وينزل معهم جبريل عليه السلام على عباد الله المؤمنين، يشاركونهم عبادتهم وقيامهم ويدعون لهم بالمغفرة والرحمة، وهي ليلة تتنزَّل فيها الملائكة برحمة الله وسلامه وبركاته، ويرفرف فيها السلام حتى مطلع الفجر، وقد بيّن لنا النبي ﷺ أنّ ليلة القدر تكون في إحدى الليالي الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان.

❖ سبب تسميتها بليلة القدر:

قال العلماء: سميت ليلة القدر من القدر وهو الشرف وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام، وهذا من حكمة الله عز وجل وبيان إتقان صنعه وخلقه، وقيل: لشرفها وعظيم قدرها عند الله وقيل: لأنه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وقيل: لأنها نزل فيها كتاب ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر، وأمة ذات قدر وقيل: لأن من أقامها وأحياها صار ذا قدر، وقيل: لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة، لقوله تعالى: **﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾**.

والمراد بالقدر هنا في لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ هو التقدير السنوي؛ وذلك أن الله جل وعلا إذا كان في هذه الليلة فصل من اللوح المحفوظ الذي كتبه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فصل ما فيه إلى صحف الملائكة، فنزلت به إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم ينزل بعد ذلك بحسب ما قدَّره الله جل وعلا في العام.

❖ التماس ليلة القدر:

إذا كان دخول رمضان يختلف -كما نشاهد اليوم- من بلد لآخر، فالليالي الوترية في بعض الأقطار، تكون زوجية في أقطار أُخرى، فالاحتياط التماس ليلة القدر في جميع ليالي العشر الزوجية والفردية، ويتأكد التماسها وطلبها في الليالي السبع الأخيرة من رمضان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما:

أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت (أي توافقت) في السبع الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحرها في السبع الأواخر" متفق عليه، وعن ابن عمر رضي الله عنه أيضا: "التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يُغلبن على السبع البواقي" رواه أحمد ومسلم والطيالسي وعن السيدة عائشة رضي الله عنها كذلك: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان".

ذهب علي، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة من الصحابة رضي الله عنهم، والشافعي وأهل المدينة ومكة من الأئمة إلى أن أرجى لياليها ليلتا إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وقد رجح ذلك ابن القيم رحمه الله، والسبع الأواخر تبدأ من ليلة ٢٣ إن كان الشهر ٢٩ ومن ليلة ٢٤ إن كان الشهر ٣٠ يوما.

ورأى أُبي بن كعب وابن عباس من الصحابة رضي الله عنهم أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وكان أُبَي يحلف على ذلك لعلامات رآها، واشتهر ذلك لدى جمهور المسلمين، حتى غدا يحتفل بهذه الليلة في كثير الدول العربية والاسلامية احتفالاً رسميًا.

والصحيح: ألا يقين في ذلك، وقد تعددت الأقوال في تحديدها حتى بلغ بها الحافظ ابن حجر ٤٦ قولاً. وبعضها يمكن رَدُّه إلى بعض. وأرجحها كلها والله تعالى اعلم : أنها في وتر من العشر الأخير، وأنها تنتقل، كما يفهم من أحاديث هذا الباب، وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين، وعند الجمهور ليلة سبع وعشرين.

❖ علاماتها:

هناك بعض العلامات المقارنة التي يستدل بها البعض على ليلة القدر، ويعوزها كلها الدليل القاطع، وإنما هي اجتهادات وتخمينات لا يعتمد عليها، من تلك العلامات: أن الرياح تكون فيها ساكنة أي لا تأتي فيها عواصف، بل يكون الجو معتدلاً مناسبا وأنه قد يُري الله الإنسان الليلة في المنام، كما حصل ذلك لبعض الصحابة رضي الله عنهم، ومنها قوة الإضاءة والنور في تلك الليلة، وهذه العلامة في الوقت الحاضر لا يحس بها إلا من كان في الفيافي بعيداً عن الأنوار والطمأنينة، أي طمأنينة القلب، وانشراح الصدر من المؤمن، فإنه يجد في تلك الليلة أكثر من مما يجده في بقية الليالي، وأن الانسان يجد في القيام لذة

أكثر مما في غيرها من الليالي.

اما العلامات اللاحقة، منها طلوع الشمس في صبيحتها من غير شعاع صافية ليست كعادتها في بقية الأيام، كما استدل على ذلك أُبي بن كعب رضي الله عنه فقد قال: أخبرنا رسول الله ﷺ: «أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها» رواه مسلم.

وكان عبدة بن لبابة يقول: هي ليلة سبع وعشرين؛ ويستدل على ذلك بأنه قد جرب ذلك بأشياء وبالنجوم، والشرع لا يثبت بالتجارب وروي عنه كذلك أنه ذاق ماء البحر ليلة سبع وعشرين فإذا هو عذب!!.

❖ العمل فيها:

ان أحب الأعمال لمن وفق وحظي بليلة القدر، ما يأتي من أداء الصلوات المكتوبة للرجال مع جماعة المسلمين، سيما الصبح والعشاء والقيام، أي الصلاة، لقوله ﷺ: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" وقراءة القرآن والدعاء واجتناب المحرمات، دقيقها وجليلها ويمكن للمرء أن يجمع بين هذه كلها في الصلاة إذا أطال القيام، وسأل الله الرحمن واستعاذ به من النيران كلما مر بآية رحمة أو عذاب قال ابن رجب: (إن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسناً، وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها، والله أعلم؛ وقد قال الشعبي في ليلة القدر: ليلها كنهارها؛ وقال الشافعي في القديم: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في نهارها، وقال سفيان الثوري رحمه الله: (الدعاء في تلك الليلة أحب إليَّ من الصلاة، وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق).

ولا بأس بأن يستشعر المسلم أن الله تعالى رزقه ليلة القدر، ويفرح بطاعته لله تعالى، فإن هذا من نعم الله على العبد، وكما قال ابن عطاء السكندري: لا تفرح بالطاعة لأنها منك، ولكن افرح بها لأنها منه إليك، فتوفيق الله العبد لقيام ليلة، وخاصة إن كان يشعر أنها ليلة القدر خير وبركة، غير أن هذا لا يجعله يتكاسل عن طاعة الله تعالى، بل إن من ذاق حلاوة الوقوف بين يدي الله تعالى، ومنّ الله سبحانه عليه بهذا الخير، فإنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها.

انفلونــزا الذنــوب

■ بقلم الاستاذة تهاني الصلاحين

لقد ظهرت الأمراض والأوبئة في زماننا هذا، وهذه تدل على علامات الساعة، فمن يصاب بهذه الأمراض، تكون ابتلاء من الله عز وجل، وهذا الابتلاء يدل على محبة الله سبحانه للعبد المؤمن، لأنها تكفر عنه الذنوب، فيلقى الله عز وجل طاهراً من الآثام والخطايا.

لكن هناك مرض يصيب قلب الانسان، وهو اخطر من الأمراض الجسدية، لأنه اذا مات وهو مصاب بهذا المرض فقد خسر الدنيا والآخرة، وهو مرض الابتعاد عن الدين، وهو الابتلاء الحقيقي وقد اسميته «انفلونزا الذنوب» فتعالوا ايها السادة القراء لنتعرف على هذا المرض.

❖ أعراض هذا المرض:

١- ظلمة في الوجه.

٢- وهن في البدن.

٣- قسوة في القلب.

٤- ضيق في الصدر.

٥- الانصراف عن التفكير في الآخرة.

٦- شتات في الأمر.

٧- الافتتان في أمور الدنيا.

❖ أسباب هذا المرض:

١- اتباع الهوى والنفس والشيطان.

٢- الانغماس في الدنيا.

٣- الافراط في سماع الأغاني.

٤- الاعراض عن سماع القرآن الكريم.

٥- مجالسة أصحاب السوء.

❖ مكان هذا المرض:

يتغلغل هذا المرض في القلب ثم ينتقل الى الروح والجوارح.

❖ آثار انفلونزا الذنوب على المجتمع:

١- هدم الأفراد.

٢- هدم الأسرة.

٣- هدم المجتمع.

٤- القضاء على القيم والأخلاق.

❖ طريقة الوقاية والعلاج من هذا المرض:

١- التوبة والاقلاع عن كل ذنب.

٢- أخذ جرعات يومية منتظمة في مواعيد محددة باتقان وخشوع وتدبر «الصلوات الخمس».

٣- جرعات منشطة يومية من كتاب الله.

٤- الصيام في حدود السنة.

٥- الاتعاظ من موت الآخرين.

٦- مجالسة الصالحين من أهل الدين.

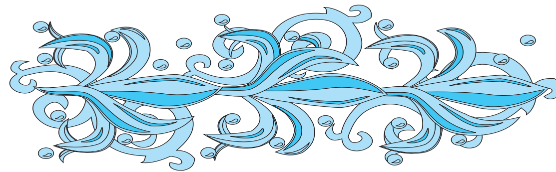
❖ التحصينات:

١- جرعة منتظمة يومياً من أذكار الصباح والمساء.

٢- مصل واقي يومي يتكون من، قراءة آية الكرسي والمعوذتين وقراءة سورة الإخلاص ﴿**قل هو الله أحد**﴾ كثيراً.

٣- الاستغفار والتوبة النصوح.

فلنراجع انفسنا ولا نعتد بهذه الدنيا الزائلة، ونلتزم بأوامر الله عز وجل ونعمل بسنة نبيه محمد ﷺ، حمانا الله وإياكم من الامراض العضوية والنفسية اللهم آمين.



للعراق حنيني

شعر الواعظة ختام العمرو

سأكتب كلما زادت همومي
وفتح الصدر للأحزان بابا
وما زاد الهموم الا ظلم
يعانيه الأحبة بارتيابا
عراق العرب لا تسلي فإني
على الأحباب اطرق الأبوابا
سأطرق يسمع الباقون صوتي
صدى الأصوات يعطيني الجوابا
فإن أعياك ظلم أنت فيه
من الأعداء يشربه الصحابا
فقد أعياني ظلم طال حيناً
من الأحباب ينسيني الصوابا
الى متى عراق الظلم نشرب
سموم الظلم نحسبها شرابا
الى متى عراق العرب نبقى
نواسي بعضنا بعضاً نهابا
أما آن الأوان ليسمعونا
دعاة الحق نمليهم كتابا
فإن ردوا الجواب فقد أصابوا
وإن صمتوا فبدر الليل غابا



خطبة الجمعة

البعد الاجتماعي للعبادات في الاسلام

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ❖ ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ❖ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، ويقول أيضاً تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

عباد الله؛ ان الله تعالى نهى وأمر وأنذر وبشّر، فمن انقاد ووعى، فقد رشد واهتدى، وأوتي الخير الكثير، ومن اعرض وتولى فقد غوى وهوى وما زاد نفسه الا التخسير.

وللعبادة في الاسلام وظيفة لا يستغنى عنها ابداً، لأنها تربط الانسان بالله تعالى فتخلصه وتحرره بذلك من انواع الخضوع للبشر، وضروب العبوديات والاستغراق في الغفلة والشهوات، لأن الانسان روح ومادة ولا يحفظ التوازن بينهما الا العبادة المخلصة لله رب العالمين.

نعم أمة الاسلام، ان العبادة تهيئ نفس الانسان بعد ان ربطتها بخالقها وحاكمها، لقبول السلوك الذي يرتضيه، وتنفيذ الأوامر التي يصدرها، وحمل الأمانة التي يحمّلها اياها، حتى يكون عنصراً صالحاً لإقامة النظام التشريعي في المجتمع والأمة.

وللعبادة في الاسلام خصائص ومزايا كثيرة اهمها:

أولاً: ان تكون خالصة لله تعالى وحده كما قال عز وجل: **﴿وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه﴾** وقال الله تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**، فكل أنواع العبادة من ذكر ودعاء وصلاة وقربات، انما تكون لله وحده ولا تجوز لغيره.

ثانياً: من مزايا العبادة في الاسلام، انها مظهر للخضوع التام لأمر الله ومظهر لطاعته طاعة مطلقة.. ومن هنا كانت العبادات كلها توقيفية لا مجال فيها للاجتهاد في الزيادة او النقصان.

فطريقة الصلاة وعدد ركعاتها وهيئاتها، والحج بمختلف شعائره ومناسكه، والزكاة بأركانها وشروطها، والصوم بآدابه واحكامه.. كل ذلك لا مجال للعقل فيه.. من هنا كان الابتداع في شرع الله محظوراً، والبدعة وصاحبها في النار، لأنه شرع ما لم يأذن به الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»، على ان العبادات غير معقولة المعنى، فهي لا تعلل، لأن عللها خفية، ومن هنا قال العلماء: ان العبادات امور تعبدية ليست مربوطة بعلة ظاهرة، وكل ما نصل اليه في هذا الأمر، ان نكشف عن بعض فوائدها وحكمها دون جزم او اعتقاد بصحة ما رأيناه.

ثالثاً: ومن خصائص العبادة في الاسلام، انها مبنية على التيسير لا على الحرج والتضييق، قال الله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** وقال سبحانه: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**، وقال رسول الله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة».

وانك أخي المسلم، اذا تتبعت احكام الشريعة الاسلامية، وجدت مظاهر رفع الحرج جلية واضحة، ووجدت ان جميع التكاليف في ابتدائها ودوامها، قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد.

فلم تثقل الشريعة كواهل اتباعها بالأوامر والنواهي، بل سلكت بهم طريقاً وسطاً لا اعنات فيه ولا إرهاق، ولو نظرنا الى البعد الاجتماعي لفلسفة العبادات في الاسلام، لوجدنا ارتباطاً وثيقاً بين الفرد والمجتمع من خلال ما تحققه العبادات من معان سامية واهداف نبيلة، لأنها في الأصل تنمي علاقة الفرد مع ربه أولاً وقبل كل شيء، ثم تنمي فيه العلاقة الصالحة بأخيه

ومجتمعه وأمته.

والصلاة يا عباد الله، هي المرتكز الاساسي لصلة الانسان بالله تعالى وإحياء معاني الإيمان في قلبه. انها وسيلة كي يتذكر المسلم ربه، خلال استغراقه في الاعمال اليومية الدنيوية التي توجه ذهنه عادة الى الكسب والربح وملذات الحياة، او المعاناة من مشاقها.

انها رحلة روحية تعرج فيها روح المصلي في مدارج السالكين الى الله عز وجل، لذا جعل الاسلام للصلاة منزلة لا تعدلها منزلة، فهي عماد الدين الذي لا يقوم الا به، قال رسول الله ﷺ: «رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد..» ومن عناية الاسلام بهذا الركن انه امر بالمحافظة عليه في الحضر والسفر، والصحة والمرض، والأمن والخوف، قال الله تعالى: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾**.

والصلاة لا تكون صلة بين العبد وربه، الا اذا احياها بروح الإخلاص والنية الصادقة، كي يتطهر بها من الأدران التي تلحق به في ركب الحياة، وتهبه الخشوع والخضوع والانقياد والتذلل لله تعالى، ومن هنا يتحقق العبد من قربه لربه وكما قال عز وجل: **﴿واسجد واقترب﴾**.

أما ثمرة الصلاة في تنظيم علاقة الفرد بأخيه ومجتمعه فتتمثل في الطهارة والنقاء، لأن الصلاة في جوهرها تنهى عن الفحشاء والمنكر، اذاً هذا الذي نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان، لا بد ان ينعكس خيرها وثمرتها على المجتمع بكل افراده وهيأته، لأن الصلاة توجب على المسلم ان لا يسرق ولا يخون، ولا يكذب ولا يحتكر، ولا يغش ولا يرابي، ولا يؤذي احداً.

اما الزكاة فإنها ترجع الى وصفين محمودين أولاهما: الطهارة والتزكية، **والثاني:** النماء والزيادة.

فعلى المعنى الأول، هي تطهر نفسه عن دنس البخل ودناءة الشح، الذي هو مذموم عند كل من يدين بدين، اما السخي فإنه يحبه كل بر وفاجر، ويستحسن من كل مؤمن وكافر، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن اليها.

وعلى المعنى الثاني وهو النماء: فإن المال بالبذل يزداد حاله، لأن من امر بالأداء والعطاء وعد بالعوض فقال: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾** وقال: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**.

والزكاة معشر المسلمين، تعتبر العمود

الفقري في نظام المال في الاسلام، الذي يقوم على اساس الاعتراف بأن الله هو المالك الاصيل، والاسلام الذي قامت مقاصده على جلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم، امر الاغنياء ان يؤدوا زكاة أموالهم، لأن الفقراء الضعفاء كانوا قبل الاسلام تحت رحمة الاغنياء ومنيتهم، اذ حركهم حب الله والأخوة، او حب الثناء والمروءة، جادوا بشيء على ذوي الضعف والعوز والفقر.

واذا غلب عليهم حب المال والذات، ضاع الفقراء وافترستهم مخالب الفاقة، ولم يجدوا من يدافع عنهم او يطلب لهم حقاً، او يقدم لهم عوناً.

نعم أيها الإخوة المؤمنون، جاء الاسلام ومن بداية تشريعاته في مكة، فقد اهتم بمشكلة الفقر، والمسلمون يومئذ افراد معدودون مضطهدون في دينهم، وكان هذا الجانب الانساني الاجتماعي موضع عناية بالغة في القرآن الكريم، حتى وصل عدد الآي التي تحث على النفقة والزكاة والبذل والعطاء، أزيد من سبعين آية كريمة.

وهكذا نظمت الزكاة علاقة الفرد بأخيه ومجتمعه، مواساة للفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم.

اما الصوم عباد الله، فقد فرضه الله تعالى على عباده لحكمة جليلة رفيعة منصوص عليها، وهي التقوى، جماع الفضائل والمحاسن، والصوم من اكبر الدروس العملية التي تعد الصائم الصادق المؤمن التقي، فرمضان يربي ويغذي في الصائمين الفضائل، ويضبط نفوسهم، ويقوي عزائمهم، حتى تملأ التقوى قلوبهم، فتفيض اخلاصاً ومحبة وخشية وخشوعاً.

اما علاقة الفرد بمجتمعه من خلال مدرسة الصيام، فهي علاقة وطيدة البنيان، لأن الصائم يتعلم في هذه المدرسة ان لا يكذب ولا يغدر ولا يخون ولا ينقض عهداً ولا يخلف وعداً، ولا يطعن ولا يلعن ولا يقول الا حقاً، من هنا قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه».

فضلاً عما فيه من المساواة بين الأغنياء والفقراء والخاصة والعامة، وشعور الغني نحو المحتاج، فيكون ممن يطعمون الطعام على حبه، وذلك عين الشكر للمنعم.

أما الحج اخوة الإيمان، فإن هذا الركن العظيم، تتجلى فيه معان خاصة ليست في بقية العبادات الأخرى، فهو إظهار التذلل لله تعالى، فالحاج يلبس ثياب الاحرام مظهراً

فقره لربه متذكراً يوم يلقاه، وهذا يشعر الانسان بخلود صلته بالله تعالى، وزوال صلته بغيره من لباس وزينة ومال وأهل ووطن، والحج يربي النفس على روح الجندية وخشونة العيش، من خلال ما يتكبده الحاج من مشقات الأسفار، وكثرة الترحال.

اما علاقة الفرد بمجتمعه من خلال هذا الركن العظيم، بل بكل مجتمعات العالم الاسلامي، هي علاقة واضحة جلية، فالمسلمون يجتمعون بالملايين وعلى صعيد واحد وفي يوم واحد، يتعرف بعضهم على بعض، ويحب بعضهم بعضاً، هناك تذوب الفوارق بين الناس، فوارق الغنى والفقر، والجنس واللون، واللسان واللغة، قال الله تعالى: **﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾**.

اذاً الحج هو المظهر العملي للأخوة الاسلامية، حيث يشعر المسلم بأخوته لكل مسلم في العالم، فهم جميعاً إخوة وكأن الايمان اب لهم كما قال عز وجل: **﴿انما المؤمنون اخوة﴾**.

الحج معشر المسلمين، يحيي في نفس الانسان مشاعر العطف على المسلمين، والانتصار للمظلوم منهم.. الحج يعلم كيف يكون المسلم لطيفاً صادقاً أميناً مع أخيه ومجتمعه وأمته.

ثم يخرج المسلم من هذا الركن، وقد ولد من جديد، وعاد مغفوراً له مقبولاً عند ربه، قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

حقاً إن الحج هو المؤتمر العالمي للشعوب المسلمة، اذ تتحقق فيه عبادة الله، وتتبادل المصالح بين المسلمين، وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾**.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه،
أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم
لي ولكم

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العـــدد الأول - المجلـــد ٥٣
محرم ١٤٣٠هـ - كانون الثاني ٢٠٠٩م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الأول ٢٠٠٩

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

الأخوة الاسلامية.. في

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ الحجرات: ١٠، ويقول الرسول المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، وأوجدهم من عدم، وبعث إليهم الرسل والأنبياء لعبادته وحده لا شريك له، وأرسل إلينا أفضل انبيائه ورسله نبينا محمد ﷺ، فنصره الله تعالى بهذا الدين، وقيض له تعالى رجالاً ناصروه، ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ الأحزاب: ٢٣ .

هؤلاء الرجال العظام، هم صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، الذين آخى بينهم النبي ﷺ، وألف الله تعالى بين قلوبهم، فقال: ﴿وإن يريدوا ان يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ❖ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾ الأنفال: ٦٢-٦٣ .

فلقد آخى النبي ﷺ بينهم بالإيمان، الذي يجرد النفوس والقلوب من الضغائن والأحقاد، والحسد والكبرياء، فآخى بين بلال بن رباح الحبشي، وبين خالد بن رويحة الخثعمي، وآخى بين مولاه زيد بن حارثه وعمه حمزة بن عبد المطلب، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، وآخى بين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً، فكانوا مجتمعاً مؤمناً متحاباً لا يعرف إلا التجرد للإيمان فقط، ولا يعرف للتفرق والتحزب طريقاً.

فكيف لا يكون ذلك منهم ورسول الله ﷺ يقول لهم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه» وكيف لا يكون منهم ذلك وقد سمعوا قول ربهم يخاطبهم ويمتن عليهم بقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران: ١٠٣ .

إذاً فالإيمان هو الذي جمعهم، والأخوة الاسلامية في الله ولله، هي التي استندوا اليها، فحرمت دماءهم وأموالهم وأعراضهم، فقادوا الأمم والشعوب،

رحاب الهجرة النبوية

وأخرجوا الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، بدلاً من عبادة الحضارة المدنية الزائفة الزائلة، وأخرجوهم من ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام.

فبالأخوة الاسلامية دكوا عرش كسرى، وزلزلوا ملك قيصر، وامتد الاسلام مشرقاً برّاقاً، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فكيف لا يتم لهم ذلك وقد تكافأت تحت ظل الاسلام دماؤهم، وسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، انها الإخوة الاسلامية التي تجمع الناس بعد شتات وتوحدهم بعد فرقة، وتؤلف بينهم بعد عداوة وتشركهم جميعاً في الآلام والآمال.

اما في وقتنا الحاضر، فقد استطاع اعداء الاسلام، ان يصلوا الى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين، في تحويل العالم الاسلامي الى أمم متناحرة، ودول متفرقة متخاصمة تتقاذفهم الأهواء وتتجاذبهم المطامع وتفرقهم المبادئ وينساقون وراء العصبية القبلية او القومية العربية، ليسيروا في هذه الحياة بلا هدف ولا غاية، ويقتتلون فيما بينهم لا جهاداً في سبيل الله، بل لعرض من الدنيا قليل، ولأجل حدود ومسافات تعد بالأمتار، تراق فيها الدماء التي تجري في عروقها «لا إله الا الله» ويقتل فيها الشيوخ الركع، والثكالى الرتع، والأطفال الرضع، فتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، وتراهم كثرة ولكنهم كغثاء السيل.

ولكن آلامنا ستنقطع، وجراحاتنا ستتوقف بإذن الله تعالى، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تصحوا فيه الأجيال المسلمة من رقدتها، لتقيم في الأرض شعار التوحيد، وشعار الأخوة الاسلامية، التي تشعر بأن المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يتخلى عنه، والتي تشعر بأنه لا يؤمن حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه، والتي تشعره انه لا يؤمن اذا بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به، وسينتصر المسلمون بنصر الله وبعزه الذي وعده أولياءه المتقين: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ غافر: ٥١ .

وستتجسد معاني الأخوة والتراحم والتكافل والإيثار، وسيبقى هذا الجسد الواحد سليماً من جراحاته، سواء رأينا ذلك بأعيننا في حياتنا، أو يكون في مستقبلنا بعد مماتنا، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

أسرة التحرير

٣٥

حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى:

﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾

سورة النساء: ١١٤-١٣٤

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم..﴾ الآيات، من الظواهر الاجتماعية: النجوى، لا سيما في المنعطفات الخطرة، يتناجى الناس سراً أو جهراً تعقيباً على ما يجري في المجتمع من احداث، وقد اتخذها المنافقون واليهود وسيلة لتخويف المسلمين ارادة إضعاف روحهم المعنوية.

وكان لا بد من فلّ هذا السلاح بإعلان انه لا خير في التناجي، الا تناجياً يؤمر فيه بالتصدق او الكلمة الطيبة أو إصلاح ما أفسد العطار من احوال الناس، ومن يفعل ذلك مخلصاً فله اجره العظيم، وما سوى ذلك من تناجي المنحرفين فلا خير فيه.

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ فجزاؤه من جنس عمله **﴿لن يضروا الله شيئاً وسيحبط اعمالهم﴾** سيجهض اعمالهم (تركه وشأنه لقلة الاكتراث به) واذا كان لدى القوم ما يمكن ان يكون عملاً صالحاً، فإنما هو «الرشوة» يقدمونها لتمرير ما يريدون من كيد مبيت، وأولئكم الذين ساء اختيارهم فانتكسوا من بعد ما بين لهم الهدى، فدعهم وما اختاروا لأنفسهم، ومصيرهم الى النار.

ومع ذلك فالعود الى الله تعالى متاح لكل راغب فيه، متى خلصت النوايا وكانت التوبة نصوحاً، ومهما كانت الذنوب فإن الله تعالى غفور رحيم يغفر الذنوب جميعاً، وعفوه

سبحانه وتعالى اعظم منها، الا ان يكون الذنب شركاً والعياذ بالله، فإن الله جل وعلا لا يغفره لأن الشرك به سبحانه وتعالى ظلم عظيم.

وكيف لا يكون الشرك ظلماً عظيماً.. والمشرك يمتهن رجولته حين يعبد أنثى، ويتبع شيطاناً متمرداً على ربه، آخذاً على نفسه عهداً موثقاً بأغلظ الأيمان ان يدمر حياة الانسان؟!! يضلهم بالأماني وهي بضاعة الحمقى.. آمراً لهم بالانحراف عن جادة الصواب **﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً﴾** وكيف لا وهذه آثار فأسه.. غرور في الدنيا ثم الحرور في الآخرة.

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسيدخلهم الله تعالى **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾**.. لكن هذا المصير لا ينشأ من فراغ، ولكنه محكوم بسنن إلهية ماضية على رؤوس العباد، ولا تخضع للتمني مهما كانت عقيدة المتمني.. **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾**.

فليس للإنسان الا ما سعى، والأماني لن تكون طريقاً الى جنات عدن، وسننه تعالى لا تحابي أمة ما، لزرقة عيونها أو ضخامة ارصدتها وانما الأحسن والأكمل هو **﴿من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً﴾** وذلك هو المؤمن الحقيقي، والذي يستدبر شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، يستدبرهم ليسلم وجهه إسلاماً له ما يسوغه: فهو إسلام الوجه لمن له **﴿ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً﴾**.

انه الذي كان شعاره: وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له المزن تحمل عذباً زلالاً

له الأرض تحمل صخراً ثقالاً

وتقرأ الآية الكريمة التالية: **﴿ويستفتونك في النساء..﴾** تتأملها في سياقها، فإذا أنت أمام طاقة من الأزاهير، حين ينقلك السياق من الحديث عن الايمان، الى الحديث عن الحكمة، ثم عن الموعظة واذا أنت الآن مع التشريع والأحكام.

وهو اسلوب فارد من أساليب الدعوة ينبغي ان يحتذى، لنصل بهذا التنوع الى مكان الاقناع في قلب من تدعوه الى الله تعالى وجلاله، في مزيج يفرض على الدعاة اليوم ان يلونوا في أساليب عرض بضاعتهم، ذلك بأن الناس لا يصبرون على طعام واحد، ولا بد من التجديد، ان الأحكام

تكاليف، وإذن فهي شاقة على النفس، ولن تهون تلك المشقة الا بالإيمان يعين على تحملها، ومما يعين على تحملها الوعد والوعيد، ولن يكون للوعد او الوعيد أثرهما الفعال الا عند من يعتقد بكمال وجلال من صدر عنه ذلك الوعد وهذا الوعيد.. وسبحان من هذا كلامه.

ومن الأحكام المشار اليها هنا..

الاحسان الى اليتامى تعويضاً لهم عن فقد آبائهم، ويتامى النساء بخاصة جبراً لخاطرهم لأنهم إناث، وإذ لا يملك هؤلاء الضعفاء من وسائل الإعلام ما ينوه بما عملتم لهم فكفى بالله شهيداً **﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾**.

واذا امرأة خافت من زوجها اعراضاً عنها، فلا بأس ان يتفاهما لتعود المياه الى مجاريها، والحذر من الادعاء والتدليس هنا **﴿ان الله كان بما تعملون خبيراً﴾**.

وتمضي الآيات الكريمة في التركيز على العلاقات الأسرية، ضماناً لاستقرار أحوال المجتمع كله، وذلك قوله عز وجل: **﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾**.

لقد أباح الاسلام نكاح العدد، وإذن فإن فرضت الظروف نفسها وكان لا بد من التعدد، فكونوا مستعدين لتحمل تبعاته، فالعدل المطلق غير داخل في طاقة الزوج، ومن ثم لم يؤمر به، والميل المطلق مقدور على تركه، ومن ثم نُهي عنه **﴿ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾** اي بين النكاح والعزوبة.

والمطلوب فقط هو: الاصلاح والتقوى، بمعنى تحري العدل والانصاف، فراراً من الاجحاف، واذا وصلت الأمور بين الزوجين الى طريق مسدود، فذلك ختام متوقع، فإذا اتخذ قرار الطلاق، وكان لا بد من الافتراق فلا بأس.

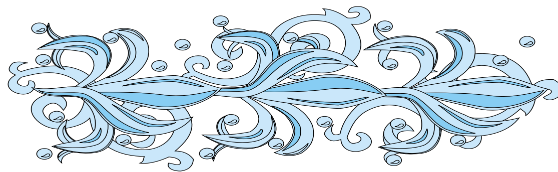
ولا داعي للتحرش والدعاوى الكاذبة، والاتهامات الباطلة، فالله عز وجل سيغني كل طرف بما يعوضه خيراً **﴿وان يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾** ومن سعة ملكه عز وجل ان كان له تعالى **﴿ما في السموات وما في الأرض﴾** ومن كان له ملكوت السموات والأرض قادر على ان يغني كل طرف عمن استغنى عنه، لتنشأ أسرة جديدة على أسس جديدة، ثم تستمر لتستقر **﴿وكان الله غنياً حميداً﴾**.

ولاحظ من رحمة الله تعالى ولطفه هنا لفظ «الطلاق» فهو أبغض الحلال الى الله عز وجل، وانما ذكره بعنوان «التفرق» مشفوعاً بالأمر «بالتقوى» الذي جاء في السورة مكروراً.. انشاءً لهذه الحقيقة النبيلة

«التقوى» والعاصمة من الزلل، ولذا كان مأموراً بها في كل الأديان لهذا السبب **﴿ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً﴾** قادراً سبحانه على أن يغني المطلقة بمن يسعدها، كيف وهي في ملكوت الله نقطة لا تكاد ترى.

وإذ يسول الشيطان أحياناً للرجل بأنه الأقوى.. ومن ثم يميل ويحتجب ويدعي الغضب غروراً وكبراً، اذ قد يفعل الرجل ذلك اعتزازاً برجولته فإن الآية الكريمة تردعه بما ينشئ في حسه بأن ما تفعله من صور ظلمها يساوي الكفر، وان ما يأمرك به إنما هو لمصلحتك انت وأهلك وولدك، وإلا فهو تعالى غير محتاج لا إلى الناس ولا الى تقواهم **﴿لله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ❖ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾**.

ومع قدرته تعالى القاهرة، ومع علمه المحيط فإنه لا يظلم الناس شيئاً، وانما الأمر متروك لاختيارهم **﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً﴾**.



التفسير الموضوعي اتجاه حديث في التفسير

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

❖ مقدمة:

في كتابه «التفسير - أساسياته واتجاهاته» يتحدث الدكتور فضل حسن عباس عن جهود الكاتبين في هذا المضمار ملخصاً كتاب الدكتور محمد حسين الذهبي «التفسير والمفسرون» فيقول: «ان بعض الذين راقت لهم كتب الفلسفة، حاولوا التوفيق بينها وبين الدين عن طريقتين: الأولى: طريقة التأويل للنصوص الدينية والحقائق الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية، اي إخضاع تلك النصوص والحقائق لهذه الآراء حتى تسايرها وتتمشى معها.

والثانية: شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية، ومعنى هذا ان تطغى الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصه، وهذه الطريقة أخطر من الأولى، واكثر شراً منها على الدين.

ويذكر الذهبي بعض شروح الفلسفة للقرآن الكريم، مثل تفسير الفارابي، وتفسير اخوان الصفا وابن سينا الذي كان حريصاً كل الحرص على ان يوفق بين الدين والفلسفة، ويجمل الذهبي ألوان التفسير في العصر الحديث كما يلي: اللون العلمي، اللون المذهبي، اللون الإلحادي، اللون الأدبي الاجتماعي، ومنه مدرسة الشيخ محمد عبده.

❖ معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما:

يقول الدكتور فضل عباس: «لدى النظر في تاريخ التفسير ونشأته نجد ان العلماء عرضوا للفرق او التفريق بين كلمتي التفسير

والتأويل، فالتفسير أصله من الفسر، وهو الكشف (لسان العرب ج٦ ص٢٦١، الطبعة المصورة عن طبعة بولاق) ويستعمل في الحسيات والمعنويات، الفسر والسفر كلاهما في معنى الكشف، الا ان العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره يقول: «ان ذلك مما لا يسفر له وجه» والذي أراه ان ما ذهب اليه علامة الرافدين من انكار الصلة بين الفسر والسفر، لا يؤيده فقه اللغة واستعمال الفاظها»[١].

❖ التفسير الموضوعي لغة واصطلاحاً:

● **تعريفه:**

يمكن القول: ان الموضوع قضية بحثية إنسانية او كونية، او إشكالية علمية او معرفية، تشغل بال الفكر، وتقلق واقع الحياة المعرفية لما تتطلبه من حلول رشيدة، وتوضيحات سديدة، والموضوع القرآني لا يخرج عن هذا المعنى من حيث ان كل ما تناوله القرآن الكريم من قضايا هو مما تمس الحاجة الى القول الفصل فيه، وهو من وضع يضع وضعاً وموضوعات ومنه إتيان وضع آيات موضوع في حقل تفسيري واحد، وقد يكون روضة من آي الذكر الحكيم، اعني سورة قرآنية واحدة، على ان الموضوع حسب ما في اصطلاح اللغة: هو المادة التي يبني عليها المتكلم او الكاتب كلامه، (المعجم الوسيط ص١٠٥).

أما في الاصطلاح: فالتفسير الموضوعي هو مبدأ تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أساساً مهماً في طريقة فهم وحي الله تعالى الى نبيه ﷺ، وقد وجه الرسول ﷺ أصحابه الى فهم القرآن الكريم في ضوء هذا الأساس، وهو ما يراه بعض العلماء من أحسن طرق التفسير، اي تفسير القرآن بالقرآن (ابن تيمية)[٢].

❖ أهمية التفسير الموضوعي في نظر المحدثين:

تتأكد اهمية هذا الاتجاه في التفسير وقيمته، كما يعبر عنها بعض الباحثين من حيث: «ان ما عرضه القرآن الكريم من موضوعات يعد بحق عُمداً قوية في بناء الأمة ونهضتها، وبهذا يطمئن الناس الى ان القرآن ليس بعيداً عن حياتهم، ولا عن نواحي تفكيرهم، ولا عن مشكلاتهم التي تعرض لهم في كل حين، يطمئنون الى ان القرآن ليس كتاباً روحياً فقط مهمته ان يشرح طرق القربى الى الله تعالى من غير ان يعنى بشيء من وسائل الحياة»[٣].

كما تتأكد أهمية التفسير الموضوعي عند بعض الباحثين من حيث: «ان جمع الآيات القرآنية موضوعياً، وتحديد دلالات الألفاظ القرآنية من خلال النظرة الكلية الجامعة يؤدي الى تصحيح كثير من القواعد والقوانين والأحكام الكلية التي قال

بها أصحاب الفنون العلمية المختلفة في الدراسات الدينية واللغوية جميعاً، بل في مختلف أنواع الدراسات في العلوم كلها، وهناك تناغم بين كتاب المسطور وكتاب الله المنظور «الكون» وانسجام تامان، وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد(٤).

❖ الجهود الحديثة والتفسير الموضوعي:

ومن اهم النماذج التي تبين جهود المعاصرين في التفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه ما يلي:

١- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لمحمد محمود حجازي، ويتحدث في كتابه هذا عن مباحث في تكرار الموضوع الواحد في القرآن الكريم.

٢- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي، للحسيني محمد ابو فرحة، وقد قصره على البحث في الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

٣- البدء في التفسير الموضوعي لسعيد الحر الفرماوي، وقد عرض فيه منهج البحث في التفسير الموضوعي، وطبّق ذلك على اربعة موضوعات هي: رعاية اليتيم وأمية العرب، وآداب الاستئذان، وغض البصر وحفظ الفرج في القرآن الكريم، ويذكر المؤلف خمسة عشر كتاباً في هذا الباب(٥).

❖ التفسير الموضوعي في السور القرآنية (سورة التين):

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**والتين والزيتون وطور سينين ❖ وهذا البلد الأمين ❖ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ❖ ثم رددناه أسفل سافلين ❖ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ❖ فما يكذبك بعد بالدين ❖ أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ صدق الله العظيم.

ويذكر المؤلف اسم السورة «التين» ومكان نزولها في مكة على رأي جمهور العلماء، وفي رواية عن قتادة وابن عباس بأنها مدنية، وهو يرجح رأي الجمهور في أنها بمكة، ثم يذكر فضائل السورة، حيث كان يقرأها ﷺ في الصلاة «العشاء» وغيرها، وكذلك يذكر محورها وهو الأمر الجامع لموضوعاتها في نسق واحد، وهو إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، وهو ما يتضح للناظر من خلال رؤية ما في التين والزيتون من الغرائب والفوائد، كما يذكر المناسبات في السور، مثل المناسبة بين اسمها ومحورها، وافتتاحيتها وخاتمتها، وافتتاحيتها وخاتمة ما قبلها، وهي «الانشراح» ويمضي في المناسبات بين مقاطعها ومحورها والمقاطع فيما بينها، ومضمون السورة ومضمون ما قبلها،

والمعنى الاجمالي لمقاطعها[٦].

❖ تفسير القرآن للقرآن:

ومن الجدير بالذكر ان الإنسان أوتي من قوة البيان وحصافة الرأي ورجاحة العقل ما لا يمكن ان يستغني عن تفسيرات القرآن بعضه لبعض، ويتعداها الى غيرها لأن صاحب الكلام أدرى بالمقصود منه من غيره، واليك بعض أمثلة تفسير الآيات بعضها ببعض، فمن ذلك ما نشاهده في سورة غافر، حيث قال الله تعالى: **﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾** غافر: ٣٤، ولقد فسرها قول الباري عز وجل في سورة كاملة هي السورة التي تشتمل على وصف دقيق لحياة نبي الله يوسف عليه السلام منذ ان كان طفلاً حتى شب والظروف والأحوال التي عاش فيها وكيف تقلب بين العسر واليسر وبين الفرج والكرب.

ومن ذلك ما نشاهده في سورة النساء، حيث قال تعالى: **﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً﴾** النساء: ٢٧، فقد فسرها قول الباري عز وجل في نفس السورة بأهل الكتاب، وذلك حيث قال تعالى: **﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل﴾** النساء: ٤٤[٧].

❖ التفسير الموضوعي:

يقول د. محمد الذهبي: «وكذلك وجد من العلماء من ضيق دائرة البحث في التفسير، فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة، فإبن القيم مثلاً أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن اقسام القرآن سماه «التبيان في اقسام القرآن» وأبو عبيدة أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن، والراغب الأصفهاني أفرد كتاباً في مفردات القرآن، وأبو جعفر النحاس أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن، والجصاص أفرد كتاباً في أحكام القرآن، وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا الى موضوع خاص في القرآن يجمعون ما تفرق منه، ويفردونه بالدرس والبحث»[٨].

● عبد الكريم الخطيب المصري والتفسير القرآني للقرآن:

يقع كتاب «التفسير القرآني للقرآن» في ستة مجلدات، وكل مجلد مشتمل على ستة أجزاء، «.. يجب على من يعرض لتفسير كتاب الله تعالى ان ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما

جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله»[٩].

● مكي بن ابي طالب وتفسير القرآن بالقرآن:

نبذة موجزة عن حياته:

هو مكي بن ابي طالب -حموش- بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المقري النحوي اللغوي الفقيه الأديب المتفنن، الإمام العلامة المفسر صاحب التصانيف إمام القرآن في وقته، وخاتمة أئمة القرآن بالأندلس[١٠].

● تفسير القرآن بالقرآن:

وهو أحد مراتب التفسير بالمأثور وأعلاها لأن الله سبحانه وتعالى الذي انزل القرآن هو اعلم بمراده فيه، الذي يبينه ويوضحه، وليس هناك تفسير أصدق وأوضح من تفسير صاحب الكلام وقائله سبحانه، وقد اعتد مكي بهذا النوع من التفسير اعتداداً واضحاً في كتابه هذا، قال في تفسير قوله تعالى: **﴿ذلك الكتاب﴾** البقرة: ٢، اكثر المفسرين على ان **﴿ذلك﴾** بمعنى «هذا» كما تقول للرجل وهو يحدثك: «ذلك والله الحق» اي: هذا والله الحق، قال تعالى: **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** اي: هذا ما كنت منه تحيد، وقال تعالى: **﴿تلك عشرة كاملة﴾** اي: هذه عشرة كاملة.

وقال تعالى: **﴿ذلك إن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾** أي: هذا الحكم لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام،

الهوامش:

١- د. فضل حسن عباس، التفسير اساسياته واتجاهاته، ص١٠٧، مكتبة دنديس، عمان، ٢٠٠٥ .

٢- د. زياد خليل الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص١٩، دار عمار، عمان، ٢٠٠٧ .

٣- المرجع السابق، ص٣٩ .

٤- المرجع السابق، ص٣٦-٣٧ .

٥- المرجع السابق، ص٤١-٥٢ .

٦- د. نائل ممدوح ابو زيد، دراسات تطبيقية على مناهج البحث في التفسير الموضوعي، ص١٥-٢٣، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، الكرك، ٢٠٠٦ .

٧- ابو اليقظان عطية الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، ط٢، ص٣٠، دار الندوة الجديدة، بيروت ١٩٨٦ .

٨- د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ص١٥٩، دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٠ .

٩- د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص٧١، دار البيارق، ١٩٨٢ .

١٠- د. أحمد حسن فرحات، مكي بن ابي طالب وتفسير القرآن، ص٤٧، دار عمار، عمان، ١٩٩٧ .

١١- المرجع السابق، ص٢٢٣ .

من كنوز الحديث النبوي الشريف

■ بقلم الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، حدثني بسر ابن عبيد الله الحضرمي انه سمع ابا ادريس الخولاني انه سمع حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني، فقلت: يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم اليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني ان ادركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

❖ تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر اذا لم تكن جماعة «فتح الباري ١٨/٣٨، رقم ٧٠٨٤» ومسلم في كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن مسلم بشرح النووي ١٢/٢٣٦-٢٣٧».

❖ شرح الحديث:

● **قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير»:**

اي عن الأمن وصلاح الحال، وأسباب الاستقرار ومسائل الإيمان، واجتناب الفواحش، وما الى ذلك، وهذا هو الحال الطبيعي ان يسأل الانسان عن مثل هذه

الأمور، لكن حذيفة رضي الله عنه كان يسأل عن عكس ذلك، ويبدو انه كان محباً لسماع أحاديث الفتن ورواياتها، فهذا ميوله وهذه رغبته.

● **قوله رضي الله عنه: «وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني»:**

المراد بالشر: عكس الخير، اي الفساد واتيان الفواحش، والفسق وعدم صلاح الحال ونحو ذلك، وكان يسأله عن ذلك خوف الوقوع فيه لأن الانسان لا يأمن على نفسه الفتنة والضلال، ووقع في رواية ابن ابي شيبة: «وعرفت ان الخير لن يسبقني».

● **قوله رضي الله عنه: «انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير»:**

يشير الى واقع الجاهلية قبل الاسلام وما كان فيه من كفر، وقتل بعضهم بعضاً، ونهب بعضهم بعضاً، وإتيان الفواحش، وما شابه ذلك، ثم بين تبدل هذه الحياة بما جاء به الرسول ﷺ من الايمان والصلاح والهدى وسائر أنواع الخير، وزاد مسلم في رواية ابي سلام عن حذيفة[1] «بخير فنحن فيه».

● **قوله رضي الله عنه: «فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم»:**

وفي رواية «فتنة» ووقع عند ابن ابي شيبة «فما العصمة منه؟ قال: السيف، قال: فهل بعد السيف من تقية؟ قال: نعم هدنة».

وقول النبي ﷺ: نعم، إشارة الى وقوع بعض الفتن، قال الحافظ: والمراد بالشر ما يقع من الفتن بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وهلم جرا، او ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

● **قوله رضي الله عنه: «وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن»:**

قال النووي: قال القاضي: قيل: المراد بالخير بعد الشر، أيام عمر بن عبد العزيز، وذلك لما كان يسود في ايام عهده من الصلاح والعدل وحب الخير والعمل به.

وأما الدخن: بفتح الدال والخاء، قيل: معناه:

١- الحقد والدغل، ومعناهما متقارب.

٢- فساد في القلب.

٣- قال ابو عبيد: أصله ان تكون في لون الدابة كدورة الى سواد.

٤- الدخان، وهو اشارة الى كدر الحال.

٥- كل أمر مكروه.

والمراد ان الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر، فلا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها، ولا ترجع الى ما كانت عليه من الصفاء، واما

هذا الكدر والفساد وهو الدخن، فقد أوضحه في قوله رضي الله عنه: «قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي». وفي رواية مسلم: «يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي».

وفي رواية ابي سلام الأخرى عنده: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي».

والهدي: الهيئة والسيرة والطريقة وهي سنة الرسول ﷺ، والمعنى: ان هؤلاء الذين يشكلون دخن الخير، دخنهم انهم يتركون العمل بسنة الرسول ﷺ ويتهاونون في المحافظة عليها والدعوة لها، فهم بهذا استبدلوها بطرق ومناهج وسير أخرى فاسدة وغير صالحة وبعيدة عن هدي رسولنا ﷺ.

● قوله ﷺ: «تعرف منهم وتنكر»:

اي يخلطون عملاً معروفاً وآخر منكراً، وفي حديث ام سلمة عند مسلم «فمن أنكر برئ ومن كره سلم» وفي لفظ «فمن عرف برئ ومن انكر سلم ولكن من رضي وتابع».

اي من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع انكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه، وليبرأ، هذا على اعتبار رواية «من كره فقد برئ» اما رواية «فمن عرف برئ» فمعناها: فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق الى البراءة من اثمه وعقوبته بأن يغيره بيده او بلسانه فإن عجز فليكرهه بقلبه»[٢].

قال النووي: المراد من قوله ﷺ: «تعرف منهم وتنكر» الأمراء بعد عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وقال الحافظ: «فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور».

● قوله ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها»:

دعاة: جمع داع، اي الى غير الحق. قال النووي: قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو الى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج وأصحاب المحنة[٣]. **وقوله ﷺ: «على أبواب جهنم»** أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول اليه حالهم كما يقال لمن أمر بفعل محرم: وقف على شفير جهنم. فمن أطاع هؤلاء بما يأمرون به من شر وتابعهم فيه أصبح مآله وكان رفيقهم في جهنم، وهذا معنى قوله ﷺ في حديث أم سلمة عند مسلم: «ولكن من رضي وتابع».

● قوله رضي الله عنه: «صفهم لنا»:

اي حلهم وجلهم وانعتهم لنعرفهم ونكون على بينة من أمرهم.

● **قوله ﷺ: «هـم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»:**

قال الحافظ:

١- اي من قومنا، ومن اهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة الى أنهم من العرب.

٢- وقال الداودي: اي من بني آدم.

٣- وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون.

وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن، ويؤيد ارادة العرب: ان السمرة غالبة عليهم واللون انما يظهر في الجلد.

ووقع لهم وصف آخر عند مسلم من رواية ابي الأسود «وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» اي جسد.

وقد لخص الحافظ ما مر بقوله: والظاهر ان المراد بالشر الأول، ما اشار اليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد في العراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على ابواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، والى ذلك الاشارة بقوله: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» يعني ولو جار، ويوضح ذلك ما جاء في رواية ابي الأسود عند مسلم: «تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع». وكان مثل ذلك كثيراً في إمارة الحجاج ونحوه.

● **قوله ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»:**

اي أميرهم، وفي رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: «فإن رأيت خليفة فالزمه وان ضرب ظهرك فإن لم يكن خليفة فالهرب».

قال الحافظ: قال ابن بطال: «فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم»، ولم يقل فيهم: «تعرف وتنكر» كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك الا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة».

● **ما المراد بالجماعة في الحديث؟**

١- قال الطبري: «الجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن ابي مسعود انه وصى من سأله لما قتل عثمان: عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة» فعنى بالجماعة اذاً: الأمة او السواد الأعظم.

٢- وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم.

٣- وقال قوم: المراد بهم اهل العلم، لأن الله تعالى جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

٤- ثم قال الطبري: والصواب ان المراد من الخبر، لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة(٤).

أقول: وهؤلاء هم اهل السنة والجماعة، وإن تفرقوا في البلاد على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبلادهم.

وبناء على ذلك، فليس المراد من جماعة المسلمين في الحديث، جماعة من الجماعات الاسلامية الموجودة الآن كجماعة الإخوان المسلمين، او جماعة التبليغ او السلفيين او غيرهم، فهؤلاء جزء من جماعة المسلمين عامة في الأرض كلها.

❖ ما حكم التزام جماعة المسلمين؟

قال الطبري: قال قوم: هو واجب لأنه مأمور به، والأمر يفيد الوجوب.

وقال النووي في ترجمة الباب: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: وهذا هو الحق، لأن وقت الفتنة وحدوث الاضطرابات الأمنية وخروج البغاة يفرض على المسلم ملازمة أهل الحق وأميرهم، وقد أخرج مسلم من حديث ابي هريرة يرفعه «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية» اي انه مات في فوضى لا إمام له حتى لو ظُلم من أميره فلا يجوز له الخروج عن طاعته، لحديث سلمة بن يزيد الجعفي عند مسلم وقد سأل رسول الله ﷺ: يا نبي الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأجابه النبي ﷺ بعد الاعراض عنه ثلاث مرات: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

● قوله ﷺ: «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام»:

هذا دل على اعتبار أسوأ الاحتمالات، اي لم يكن للناس أمير، فافترق الناس أحزاباً وفرقاً وطوائف وجماعات **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾**.

● قوله ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»:

اي لا تتبع أحداً في الفرقة واعتزل الجميع خوف الوقوع في الشر، ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عند ابن ماجة: «فلأن

تموت وأنت عاض على جذل خير لك من ان تتبع أحداً منهم» والجذل: عود ينصب لتحتك به الإبل.

وقوله: وأنت على ذلك، اي العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا.

قال البيضاوي: المعنى اذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض اصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة، او المراد اللزوم كحديث «عضوا عليها بالنواجذ».

❖ فوائد أخرى في الحديث:

قال الحافظ: قال ابن ابي جمرة:

١- في الحديث حكمة الله تعالى في عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء، فحبب الى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة.

٢- وفيه سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها، حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه.

٣- ويؤخذ منه ان كل من حبب اليه فإنه يفوق فيه غيره.

٤- ويؤخذ منه ان من أدب التعليم ان يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً اليه من العلوم المباحة فإنه أجدر ان يسرع الى تفهمه، والقيام به.

٥- ويؤخذ منه ذم من جعل للدين اصلاً خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه.

٦- وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من رفيع او وضيع.

الهوامش:

١- قال النووي في شرح مسلم ٢٣٧/١٢: قال الدارقطني، هذا عندي مرسل لأن أبا سلام اسمه ممطور الأسود، لم يسمع حذيفة، وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول، وانما اتى مسلم هذا متابعة والحديث المرسل اذا روي عن طريق آخر متصلاً تبين به صحة المرسل، جاز الاحتجاج به، ويصير في المسألة حديثان صحيحان.

٢- مسلم بشرح النووي ٢٤٣/١٢ .

٣- المراد بأصحاب المحنة، هم الذين قالوا بخلق القرآن واوقعوا العذاب بمن خالفهم، وكان ذلك في عهد المأمون ومن بعده.

٤- فتح الباري ٤٠/١٣-٤١ .

التأصيل النظري لقيم التسامح في الثقافة الاسلامية

■ بقلم الاستاذ الدكتور عدنان زرزور

نقف الآن عند الثقافة الاسلامية التي تمثل النوع الأول من هذه الثقافات احسن تمثيل، وهي الثقافة التي اسست على القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي عبر عنها جماعة المسلمين او جمهورهم، لنشير الى قيم التسامح واحترام الآخر التي انطوت عليها هذه الثقافة، او لطرف من التأصيل النظري والواقع العملي لهذه القيم، وذلك بالقدر الذي يوقفنا على حجم المناقضة والمحادة والخروج عن هذه القيم او العدوان عليها، والذي يمارسه دعاة الغلو والتطرف والارهاب والتكفير، والذي ينسبونه جهلاً وخطأً أو زوراً وبهتاناً -ويا للمفارقة العجيبة- الى هذه الثقافة!

ولنعلم اي خطيئة -تاريخية- كبرى يرتكبونها بحق الاسلام والمسلمين، نقول: تاريخية، لأننا لا نملك في هذه اللحظة سوى قوة الفكرة، او لا نملك غير «الفتح الثقافي» كما قلنا قبل قليل، او غير هذه الثقافة الانسانية نتقدم بها في نادي الحضارات والثقافات، وفي وقت تشتد الحاجة الى قيم هذه الثقافة لحل مشكلات العالم المعاصر او الحضارة الغربية السائدة او على اعلى تقدير: للمساهمة الايجابية الفاعلة في حل هذه المشكلات.

١- يشكل مبدأ المساواة «روح» الثقافة الاسلامية، من منطلق الايمان بالله الواحد جل وعلا، والانسان الواحد، فالله تعالى رب

العالمين لا رب شعب أو فئة او قوم من الناس، والانسان الواحد في اصله ومنشأه، وفي حقوقه وواجباته امام الله تعالى وامام القانون، قال الله تعالى في صدر سورة النساء: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً**﴾.

وقد جمع رسول الله ﷺ بين هذين الأمرين او المنطقين على صعيد واحد في خطبته التاريخية، التي يمكن عدها أول اعلان حقيقي وعالمي لحقوق الانسان، عندما قال ﷺ: «أيها الناس ان ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وان اكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى..».

وقال ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله» وكان اذا استيقظ من نومه قال: «أشهد ان العباد كلهم إخوة» وقال الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب له لأحد عماله يوصيه بالرعية من جميع الملل والنحل: «ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم! فإنهم صنفان: اما أخ لك في الدين، واما نظير لك في الخلق» (نهج البلاغة خ٢٩٢، ص٥٦٢ دار المرتضى).

٢- الثقافة الاسلامية التي انطلقت من الكتاب والسنة النبوية كما اشرنا، او أسست على الوحي او النص: ثقافة اجتهادية تقوم على الاجتهاد والتفسير، وليس للمجتهد في باب العقيدة او الشريعة ان يحمل الآخرين على رأيه واجتهاده، فضلاً على ان يسارع الى تكفيره او ممارسة العنف ضده، لأن هذا ما لا يمكن تصوره في الثقافة الاسلامية وشريعة الاسلام، قال تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ وقد يستشهد بهذه الآية الكريمة على ان العقيدة لا يجوز الاكراه عليها، لأن مثل هذه العقيدة ليست فاعلة ولا موثرة، بل لا ينبني عليها أثر من آثار العقيدة في النفس والحياة والمجتمع، بل هي أقرب الى النفاق منها للإيمان.

ولكن في وسعنا ان نستشهد بهذه الآية على أوسع من هذا، لأنها تقرر أنه لا إكراه في الدين، اي في كل ما جاء به أو بني عليه، أو اجتهد في فهمه، والاستنباط منه، وليس نص الآية: لا إكراه على الدين وفحوى ذلك ما اشرنا اليه من طبيعة الثقافة الاسلامية القائمة على الاجتهاد والتفسير في كل من مسائل الدين، او في العقيدة والشريعة معاً أو في وقت واحد، علماً بأن الاجتهاد في الشريعة، اي في الفقه وفروع الأحكام، لم يكن فيه مجال كبير للتطرف والارهاب، بخلاف مسائل العقيدة والفكر،

ولهذا خص العلماء هذه المسألة -مسألة العقيدة- بالبحث وإطلاق الأحكام، حتى لا يُقدم أحد على تكفير أحد من اهل الملة او القبِلة.

ونكتفي في هذا السياق بكلمتين لكل من الإمام الغزالي حجة الاسلام في العصر القديم، والامام الشيخ محمد عبده حجة الاسلام في العصر الحديث.

قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله: «ينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الانسان الى ذلك سبيلاً، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم» (الاقتصاد في الاعتقاد) وقال ايضاً مبيناً ان المبادرة الى التكفير سمة الجهلة ومن يحركهم التعصب وابتاع الهوى، قال: «التكفير حكم شرعي فمأخذه كمأخذ الأحكام الشرعية، فتارة يدرك بيقين، وتارة بظن غالب، وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالتوقف فيه عن التكفير أولى، والمبادرة الى التكفير (اي المسارعة) انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل واكثر الخائضين في هذا التكفير، انما يحركهم التعصب واتباع الهوى دون النظر للدين».

اما الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله، فقد عد البعد عن التكفير الأصل الثالث من اصول الاسلام الخمسة، وقد عدها على النحو التالي:

١- النظر العقلي لتحصيل الايمان.

٢- تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض.

٣- البعد عن التكفير.

٤- الاعتبار بسنن الله في الخلق.

٥- قلب السلطة الدينية.

وقال في بيان الأصل الثالث: «هلا ذهبت من هذين الاصلين الاول والثاني، الى ما اشتهر بين المسلمين، وعرف من قواعد احكام دينهم، وهو اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الايمان من وجه واحد، حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر».

وأضاف رحمه الله: «فهل رأيت تسامحاً مع اقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم ان يكون من الحمق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مائة وجه؟».

هذا التسامح او هذا الاصل هو ما اشتهر بين المسلمين، وعرف من قواعد احكام دينهم كما يقرر او ينقل الاستاذ رحمه الله.

٣- من قيم التسامح الكبرى في احكام القرآن الكريم: احترام اماكن العبادة

وحمايتها والدفاع عنها، وذلك على قدم المساواة مع مساجد المسلمين قال تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾** الحج: ٤٠ .

وسنة المدافعة هذه التي نصت بعض الآيات الأخرى على أنها عامة في جميع الناس قال تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾** البقرة: ٢٥١ .

هي أحد أسس العمران البشري وصلاح المجتمعات الانسانية، لأنها قائمة على التنوع والتعدد، واستباق الخيرات، قال تعالى: **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم: ٢٢، وقال تعالى: **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** المائدة: ٤٨ .

وفحوى هذا ان التنوع والتعدد هو سنة الله في خلقه، وان التسابق في الخيرات هو الذي يحقق لأمة من الأمم السبق والتفوق، او الانفراد والتميز، وليس القهر والاستعلاء ونهاية التاريخ او صدام الحضارات، وما كان لاختلاف الثقافات وتعدد العقائد والأديان ان يكون سبيلاً الى ذلك في حضارة الاسلام، قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: ٢، وما كان لهذا الاختلاف ان يحول دون البر والصلة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: **﴿اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾** المائدة: ٥، وقال جل وعلا: **﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن﴾** العنكبوت: ٤٦ .

بل لا يجوز في أحكام القرآن البذاءة مع المخالفين، ولا سب عقائدهم ولو كانوا وثنيين! قال تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** الأنعام: ١٠٨ .

٤- اما الدعوة الى هذه الثقافة او العقيدة وحضارة الاسلام، فسبيلها الكلمة، او هذه الكلمة التي لا سب فيها ولا بذاءة، ولكنها القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.. قال تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** النحل: ١٢٥ .

بل ان دفع الظلم والجور والعدوان يكون اولاً بالتي هي أحسن، فإن لم يجد ذلك في هذا الدفع او الرفع، فلا بد من مقاتلة المعتدي لرده على عدوانه وحتى لا تكون فتنة في الأرض قال تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** فصلت: ٣٤ .

وقال تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾** البقرة: ١٩٠، وقال جل وعلا: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ❖ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾** الممتحنة: ٨-٩ .

❖ السلطة الدينية وتسييس الدين:

ويذكرنا الأصل الخامس الذي أسماه الشيخ محمد عبده: «قلب السلطة الدينية» والذي قال فيه: «هدم الاسلام بناء تلك السلطة، ومحا أثرها، حتى لم يبق لها عند الجمهور من اهله اسم ولا رسم».

أقول: يذكرنا هذا الأصل بما بات يعرف بـ «الاسلام السياسي» كما دعاه الاستاذ ابو الحسن الندوي رحمه الله او «الاصولية الدينية» والتي عادت للظهور في مناخ عودة الشأن الديني وتراجع الايديولوجيات كما اشرنا، وبدلاً من ان يترجم عودة الاعتبار للاديان على انه حوار لا صدام، وتسامح لا تعصب، ومساهمة في حل المشكلات لا خلق لها، واغماد للسيف وليس اشهاره، وتعددية وانفتاح لا تعصب او تقوقع او انغلاق، بدلاً من هذا وجدنا ممارسة واسعة لتسييس العقائد او الآراء الدينية أو الزعم بأن ما يراه «الفقيه» او ما أداه اليه اجتهاده وربما مصلحته، هو الحقيقة المطلقة، ثم محاولة بناء السياسة او المواقف السياسية على هذه الحقيقة.

بل وصل الأمر الى حد اضفاء الصبغة الدينية المقدسة، على المواقف السياسية اليومية، نحن لا نرتاب ولا نشكك في البعد السياسي للاسلام، بمعنى ان الشأن او البعد السياسي احد الابعاد التي شملتها رسالة الاسلام كسائر الابعاد الأخرى الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا هاجر النبي ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، اي ان هذه الهجرة كانت سياسية في المقام الأول، من اجل التمكين للأمة وإقامة الدولة.

ولكن مشكلة «تسييس العقائد والأديان» هي في اعطاء المواقف السياسية اليومية،

وهي متبدلة ومتغيرة بحسب الظروف والأحوال، بعداً دينياً أو حكماً شرعياً، كمن يصف برنامجه الانتخابي بأنه البرنامج الايماني او ان قائمته الانتخابية هي قائمة المؤمنين، او من يفتي بحرمة تجاوز حدود دولة من الدول في بعض الظروف او المراحل، او من يقف على منبر الجمعة ليروج لبعض المرشحين ويحذر من بعضهم الآخر!! او يفتي بأن من لا يشارك في الانتخابات سيدخل النار!! لقد ثار مارتن لوثر وكلفن على صكوك الغفران اي التي تضمن لصاحبها المغفرة ودخول الجنة، ولكن اكليروس بعض المذاهب والفرق يهددون اليوم بصكوك العذاب؟!

ان هذا ليس تسييساً للدين او استغلالاً لإيمان المؤمنين وكفى، ولكنه فوق ذلك إفساد للدين وإساءة بالغة اليه، وكاد أقول: انه ازدراء لإيمان المؤمنين وتقوّل على الله لا يقبله اصحاب اي ملة ودين.

لا بد من رفع مفردات الحلال والحرام، والايمان والكفر، والجنة والنار، من السياسة اليومية سواء أكانت سياسات أفراد أو أحزاب او رجال دين، ان رجال الدين الذين يمارسون السياسة ويسوقون الناس بعصا الايمان والكفر والهيبة والاحترام لرموز الدين او رجاله، هو اللاهوت عينه الذي قامت الحضارة الأوروبية على انقاضه، اما الدين والايمان او العقيدة الايمانية فلا عدوان عليها ولا عزل لها ولا انتقاص من قدرها، او قدر جميع المؤمنين من جميع الملل والنحل، في الحضارة الغربية والثقافة الاسلامية على حد سواء.

ولا اريد الحديث في هذه النقطة بأكثر من هذا مكتفياً بالقول: ان الديكتاتوريات المتدثرة بدثار الدين، كانت وما زالت أسوأ انواع الديكتاتوريات في التاريخ، لأنها «تحاصر» شؤون الدنيا بأحكام الآخرة! ولأسباب أخرى كثيرة يمكن الوقوف عليها من خلال هذا التعليل.

بل ان ما دعاه الامام محمد عبده بـ «قلب السلطة الدينية» لم يعن به فقط تجريد رجال الدين من سلطانهم او سطوتهم السياسية فحسب، بل عنى به كذلك تجريد العلماء من احتكار فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحين لا يقوى المرء على الفهم والاستنباط بمفرده، فإن عليه في هذه الحال ان يطالب العالم بالدليل، ولا يسلم له بما يقول بدون برهان، قال رحمه الله: «فإن لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب، فليس عليه الا ان يسأل العارفين بهما، وله بل عليه ان يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به، سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد او في حكم عمل من الأعمال: قال:

«فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه».

ومن العجيب في جميع الأحوال: ان تكون الفتاوى او الآراء الاجتهادية ديناً او هي عين الدين او من نصوصه الملزمة، سواء أكان موضوعها دينياً اي في العقائد والأحكام، ام سياسياً بالمعنى اليومي الذي أشرنا اليه، حتى قال قائلهم: ان الرادّ عليه راد على الله! وان كان هذا المعنى الذي يجعل من رجل الدين هو الدين او الناطق عن الله تعالى!، انما يمارسه في هذه الايام عبر الفتوى السياسية/ الدينية، بعض رجال الدين الذين ينتمون الى بعض الفرق الاسلامية التي خرجت من عباءة التاريخ، او التي تتحرك من خلال أعبائه وأوزاره، وعلى النحو الذي ارادوه وفسروا أحداثه وانتقصوا من اقدار ابطاله وصانعيه.

واياً ما كان الأمر، فإن الأحاديث النبوية الصريحة في نقد هذا الزعم او الخلط بين الدين ورجل الدين، «النص الديني» وفهوم المجتهدين وشروح الشراح والمفسرين، جاء في كتاب الجهاد والسير في الباب الثاني منه «باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته اياهم بآداب الغزو وغيرها» من حديث طويل «الحديث رقم ١٧٣١» عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان النبي ﷺ اذا أمّر أميراً على جيش او سرية، اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً.. الخ، وجاء في آخر الحديث قوله ﷺ: «واذا حاصرت اهل حصن فأرادوك ان تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك، فإنك لا تدري اتصيب حكم الله فيهم ام لا!!».

وقد عقب بعض العلماء على هذا الحديث بأن المجتهد «لا يقول: هذا حكم الله وانما يقول: هذا فرضي في عملي وعلمي».

وقال ابن القيم في التعقيب على هذا الحديث -حديث بريدة: «وسمعت شيخ الاسلام «ابن تيمية رحمه الله» يقول: حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة «حكم في مسألة» حكم فيها احدهم بقول زفر، «من فقهاء المذهب الحنفي» فقلت له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به وألزم به الأمة، قال: هذا حكم زفر، ولا تقل: هذا حكم الله» اعلام الموقعين ص٩٩٠، دار الكتاب العربي ٢٠٠٤ بيروت».

قلت: هذا رأي العلماء في الشأن الديني المحض، فما بالك بخلط هذا الشأن الديني بالسياسي، ثم الزعم بأن هذا

السياسي هو الدين او انه يمثل الارادة الإلهية!! ان هذا مرفوض بنص هذا الحديث النبوي! لا أحد يحكم باسم الدين او بالحق الإلهي، وعلى المرء ان يحتج باجتهاده وفهمه هو للنصوص، وبهذا تكون المرجعية هي المفهوم والاجتهادات، وليست المرجعية: الله ورسوله! وحتى لا يضرب أحد بسيف (الدين) من جهة، ولا يقدم على تكفير او تفسيق من يخالف في الفهم والاجتهاد، او يتهمه بأنه يرد على الله تعالى او أنه يخالف الله ورسوله من جهة أخرى.

❖ تأصيل قيم التسامح في العهد النبوي:

اشرنا في الفقرة السادسة الى ان التعددية والتسامح واحترام الآخر، كان من ابرز سمات عصر النهضة في الاسلام، وان التعصب والانغلاق واكب توقف الاجتهاد العقلي ودخول المجتمعات الاسلامية عصر النمطية والتكرار او عصر الركود، والشواهد على هذا وذاك تكفلت بها صفحات كثيرة في كتب التاريخ، واكتفي هنا ببعض الاشارات الى تأصيل التسامح والاعتراف بالآخر، والتي جاءت في الاحاديث النبوية او وقعت في العهد النبوي الزاهر.

جاء في صحيفة المدينة - الوثيقة الدستورية التي نظمت علاقات مجتمع دولة المدينة بعد ان هاجر اليها النبي ﷺ:-

«ويهودٌ امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. مواليهم وانفسهم، وان بطانة يهود كأنفسهم الا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ «يُهلك» الا نفسه واهل بيته، ومن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم» (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور حميد الله، ط القاهرة ١٩٥٦ ص١٥-٢١).

وجاء في كتاب النبي ﷺ لنصارى نجران وسائر من يدين بالنصرانية في اقطار الأرض: «النجران وحاشيتها وسائر من ينتحل النصرانية في أقطار الارض، جوار الله وذمة محمد رسول الله على اموالهم وانفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير: ان أحمي جانبهم وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح، وان احرس دينهم وملتهم أينما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الاسلام من ملتي، لأني اعطيتهم عهد الله على ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء في ما لهم وما عليهم» (مجموعة

الوثائق السياسية ص١٢٣-١٢٨).

وفي كتب التفسير والسير عن ابن اسحق والربيع وغيرهما ان وفد نصارى نجران قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة ستون راكباً فيهم من اشرافهم اربعة عشر رجلاً، فدخلوا على رسول الله ﷺ المسجد اثر صلاة العصر، عليهم الحَبرات جُبَب وأردية، فقال اصحاب رسول الله ﷺ: «ما رأينا وفداً مثلهم جمالاً وجلالة، وحانت صلاتهم فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ الى المشرق، فقال ﷺ: دعوهم، ثم أقاموا بالمدينة اياماً يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى عليه السلام ويزعمون انه الله -او ابن الله- ورسول الله ﷺ يرد عليهم بالبراهين الساطعة، ونزل فيهم صدر هذه السورة -سورة آل عمران- الى ان آل أمرهم الى ان دعاهم رسول الله ﷺ الى الابتهال وهو الذي نصت عليه الآية ٦١ من السورة في سياق الحديث عن عيسى عليه السلام، قال تعالى: **﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾**.

والمباهلة: ان يجتمع القوم اذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الكاذب، قلت: وفحوى ذلك: ترك الأمر لله تعالى لأنه هو الذي يعلم الكاذب الذي يعتقد خلاف ما يقول، أو يقول خلاف ما يعتقد **﴿لكم دينكم ولي دين﴾**.

ولهذا كان من الطبيعي ان ينشأ علم مقارنة الأديان، او التأريخ للملل والنحل على يد المسلمين، وقد علل المستشرق العلامة آدم متز هذه النشأة بـ «تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى» (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة د. محمد عبد الهادي ابو ريدة ٢٩١/١ ط٢ لجنة التأليف، القاهرة).

ولا ريب عندنا في ان هذا التسامح كان ثمرة او نتيجة لنصوص القرآن الكريم والحديث، والوثائق النبوية التي أشرنا الى طرف منها قبل قليل.

❖ علاقتنا بالآخر اتمامية تكاملية:

بل ان علاقتنا بالآخر لم تقم على التسامح والاحترام فحسب، بل على الاتمام والتكامل، قال النبي ﷺ: «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فنحن نعتد بكل ميراث الانسانية ومنجزاتها في حقل مكارم الأخلاق، بمعناه السلوكي «اي الثقافي الواسع، او المفهوم من هذا النص النبوي البليغ، سواء أكانت نبوية «دينية» سابقة ام عقلية «وضعية» سابقة ولاحقة، وغني عن البيان ان الشريعة تركت للعقل الانساني ساحة مترامية الأطراف لتملأ تجارب الدهور والعصور، والأمم والأقوام، في ضوء

ما نصت عليه من قواعد واحكام ونحو هذا الحديث كذلك، قول النبي ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها» «انه ليس من حقه او واجبه ان يأخذ بها فحسب، بل هو أحق بها من سواه لأنه أقدر حتى من صاحبها الذي وجدها عنده في إخراجها من دائرتها الاقليمية او الخاصة، ووضعها في النسق الانساني العام، بحكم عموم الخطاب القرآني وإنسانية الثقافة الاسلامية.

ويشير هذا الهدي النبوي الكريم الى ان علاقة الخطاب الاسلامي مع الآخر الثقافي علاقة اتمامية تكاملية، وليست اقصائية او عدمية، مع ما تومئ اليه هذه العلاقة من الانفتاح على الثقفات الأخرى، او على عقول الآخرين وتجاربهم.

وقد يمكننا القول أخيراً: ان الثقافة التي كنا ننتجها عبر العصور في ضوء العقل وحركة الاجتهاد والتفسير، والتي كانت متفاوتة بين عصر النهضة وعصر الركود، كان حضور الآخر، الثقافي والحضاري ضرورياً او لازماً لاكتشاف مدى الركود الذي اصاب المسلمين أو لحق بثقافتهم، او الدور الذي انتهوا اليه في التاريخ، وان شئت قلت: كان الآخر لازماً لنقد الذات، وربما جاز لنا القول لذلك، ان حركة التجديد عندنا كانت في الغالب ثغورية، في ضوء الاحتكاك بالآخر، والتعرف عليه والتعارف معه، واذا تذكرنا ان ثقافتنا نصية من حيث الاصول والمصادر، وعقلية من حيث الاجتهاد والتفسير، ادركنا معنى ان يكون المجددون في علم اصول الفقه، والباحثون في فقه المقاصد وأغراض النصوص، بل المشتغلون بفقه الحضارات والثقافات وسنن قيام الأمم والمجتمعات من المغرب، كابن خلدون والشاطبي وابن عاشور وعلال الفاسي ومالك بن نبي.

ولكننا اليوم في حقبة العولمة او ما بعد الاشتراكية، في ضوء مكتب المرء الذي صار يختزل العالم، ووسائل الاعلام التي أحالت كل بيت ثغراً من الثغور، بحيث يتم الاحتكاك فيه بقيم سائر المجتمعات والثقافات، وبخاصة قيم الثقافة الغربية وحضارتها السائدة، لا بد من بعث جميع عوامل النهوض والتقدم في المجتمعات العربية والاسلامية، والتأكيد على الخصائص الانسانية للثقافة الاسلامية وحضارة الاسلام، ومدى قدرتها على المواءمة والتوفيق مع علوم العصر، وعلى الاسهام في حل مشكلاته، واذا كانت بعض الحكومات الغربية والنظم السياسية تعتدي علينا او تسيء معاملتنا، فلا يجوز لنا نحن ان نسيء الى جميع الشعوب؛ لأنها إساءة مردودة علينا وعلى قيمنا وثقافتنا ومستقبل

ديننا في العالم.

❖ على هامش «واقع» التعددية والتسامح:

لقد اتسع القرآن لكل ضروب الحوار، واتسعت الثقافة الاسلامية لجميع ضروب التسامح، وهذان وجهان لحقيقة واحدة، لأن جميع ضروب الحوار في القرآن الكريم قاعدتها ﴿**قل هاتوا برهانكم**﴾ البقرة: ١١١، و ﴿**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون**﴾ الأنعام: ١٤٨، و ﴿**ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيم ليس لكم به علم**﴾ آل عمران: ٦٦، وأساسها الحرية وعدم الإكراه ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ البقرة: ٢٥٦، ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ الكهف: ٢٩ .

انها الحرية مصونة او مضمونة حتى لو كانت حرية الكفر لا حرية الفكر.. ولأن جميع ضروب التسامح الديني والمذهبي، الكلامي او العقدي، والفقهي او الفروعي، وغيرها لم تكن اكثر من تطبيق عملي او تفسير واقعي لضروب الحوار في القرآن، من حوار الله تعالى مع ابليس الى حوار القرآن مع جميع الأديان والعقائد والمذاهب، يستوي في ذلك عقائد المشركين والوثنيين والثنويين واصحاب الكتب السماوية السابقة، والاديان الوضعية وحتى الملاحدة او الدهريين الذي قالوا فيما حكاه القرآن عنهم: ﴿**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون**﴾ الجاثية: ٢٤ .

بالإضافة الى ان العقل والحرية هما اساس هذا التنوع والتعددية، وهكذا عرفت الحضارة الاسلامية في واقعها في عصر الازدهار ذلك التنوع الهائل في العقائد والمذاهب، وفي وسع من اطلع على كتاب: «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» للإمام ابي الحسن الأشعري، او على كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، ان يقف على هذا التنوع الذي انطوى على ضروب فريدة من ضروب التسامح، وتحضرني في هذا السياق ملاحظة الرئيس الألماني الأسبق «رومان هرتسوغ» التي جاءت في كلمته التاريخية التي ألقاها في فرانكفورت بتاريخ ١٥/١٠/١٩٩٥، بمناسبة تسليم جائزة السلام من رابطة الكتاب الألماني للمستشرقة الكبيرة الدكتورة «آنا ماري شمل» قال: ان اطلاعه على تلك التعددية والتنوعية الهائلة في نطاق الاتجاهات الاسلامية في تاريخ الاسلام وواقعه المعاصر، لم يبدأ الا من خلال كتب «آنا ماري شمل»(١) ومعلوم انها خصت هذه

التعددية، وبخاصة في نطاق الاتجاهات الصوفية بدراسات كثيرة.

وبهذه المناسبة فقد دعا الرئيس هرتسوغ الى وجوب التفريق بين تقاليد الاسلام واعمال الارهابيين والمتعصبين، او التفريق بين الدين والحضارة من جهة، والتعصب والارهاب من جهة اخرى، بوصف هذا التفريق لازماً عند دراسة كل من الاسلام والغرب على حد سواء.

يقول: «اننا اليوم في أمس الحاجة ان نعيد للأذهان من جديد، التقاليد الروحية الكبرى النابعة من الاسلام ومساهمته الاجتماعية والحضارية، ونفرق بينها وبين اعمال الارهابيين والمتعصبين، التي ليست الا صورة مشوهة وشاذة عن الاسلام، ونحن نطالب بالشيء نفسه عندما يقوم بعض المتطرفين في الغرب بارتكاب خيانة في حق حضارتهم، ونشر صورة سلبية لثقافتهم».

ولا شك ان موقف الرئيس من الآخر يستحق في هذا المقام التنويه به والاشارة اليه، فقد دعا الى عدم تصوير الآخر بأنه عدو، والحفاظ على هذه الصورة -كما قال- كان دائماً أمراً أسهل من إعطاء صورة موضوعية واقعية عن الآخر، والتعامل معه بما يتناسب في ذلك»، واضاف في تعقيب او تحليل موضوعي بعيد الدلالة: «أليس محتملاً ان يكون السبب في عدم تفهمنا للإسلام هو رسوخه على أسس عميقة من التدين الشعبي، بينما نعيش نحن الى حد كبير في مجتمع علماني» ص٤٦ .

❖ الاسلام والمسلمون في القرن الحادي والعشرين:

والسؤال الآن، ماذا صنعنا نحن بعد عام ١٩٩٥؟ او بماذا أجاب بعضنا على هذه الدعوة أو هذا الصوت ونحوه في الغرب والحضارة الغربية؟

ان الاسلام الذي نريد ان نعبر به القرن الحادي والعشرين ليس اسلام التطرف والارهاب وردود الافعال، ولا اسلام الاجتهادات والفهوم التراثية التي افرزها واقع المجتمعات الاسلامية عبر عصور التاريخ المختلفة، ولكنه اسلام التسامح والانفتاح واحترام الآخر، وهو اسلام القرآن الخالد الذي انزله الله تعالى لكل العصور، واسلام العقل الذي خاطبه القرآن، ونوّه بجميع وظائفه التي عرفها له العقلاء في مئات الآيات، وغني عن البيان ان هذا هو الاسلام الذي افرز في عصر النهضة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ثقافة تتسم بالوحدة والتنوع، وتتسع للاختلاف وتعدد مدارس الفكر والفقه، فضلاً عن

اتساعها للتعددية الدينية واللغوية وضمان حقوق الأقليات وسائر حقوق الانسان.

روى الامام مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ وأصحابه لجنازة يهودي حتى توارت» وروى البخاري ومسلم «ان النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: انها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً»؟.

عبرنا القرن الماضي بأفكار الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده التنويرية، لكننا لم نعش بعد عصر التنوير الذي مهد له الاستاذ الامام، او الذي اوقد له سراج العقل، وقد فعل ذلك لا في مواجهة الدين، ولكن من اجل فهمه وإعادة تفسير القرآن، وان شئت قلت: اوقد الامام سراج العقل في مواجهة ثقافة عصر الركود التي انطفأت فيها فاعلية المسلمين وشاع فيهم الجبر والتواكل والجهل والتقليد.

واذا كنا لم نعش عصر التنوير في الفترة السابقة التي قارعنا فيها الاستعمار والاحتلال، والتي امتدت الى بدايات عصر الاستقلال لأسباب كثيرة، اهما شيوع الايديولوجيات المناقضة للدين بوجه عام وللاسلام بوجه خاص، ومعلوم ان الماركسية على سبيل المثال ناصبت الدين العداء وقد تصبر عليه وناصبت الاسلام العداء ولم تصبر عليه!.

فإن حركة التاريخ بدأت تدفع باتجاه الدين منذ نحو عقدين من الزمان، وتفرض علينا هذه الحركة او تتيح لنا ان نتقدم برسالة الاسلام الى العالم رحمة للعالمين، ولكن في ضوء السراج الذي أوقده الاستاذ الامام قبل اكثر من مائة عام، نهتدي به في فهم الاسلام وتفسير القرآن،ونحن نملك في هذه الرسالة عبقرية القيم، وانسانية الثقافة، وصواب التعامل مع النفس الانسانية، قال تعالى: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** الملك: ١٤ .

ومرة أخرى يحضرني هنا حجة الاسلام الامام ابو حامد الغزالي الذي يدل كلامه في مواطن كثيرة على اننا اذا لم نجمع بين العقل والنص، او لم نفهم القرآن في ضوء العقل، فلا فرق بيننا وبين العميان! قال رحمه الله: «فمثال العقل، البصر السليم من الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء والمستغني اذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان»!.

ولكن هذه اللحظة التاريخية يتم اغتيالها

او قطع الطريق عليها: خارجياً بشعارات نهاية التاريخ والعولمة «عولمة القيم والثقافة الغربية» وصدام الحضارات.

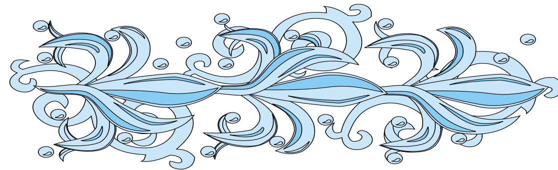
وداخلياً: بالارهاب والتطرف والتعصب الحزبي والقبلي والطائفي الذي يطفئ سراج العقل، ويشوه الفهوم والنفوس والألباب، علماً بأن هذه اللحظة التاريخية قد لاتعود الا بعد عقود وأجيال.

لقد التقطت «عمان» هذه اللحظة عندما نشرت رسالتها التي توجهت بها للمسلمين في كل مكان، والتي عقدت فيها الامل على علماء الأمة ان ينيروا بحقيقة الاسلام وقيمه العظيمة عقول اجيالنا الشابة، زينة حاضرنا وعدة مستقبلنا، بحيث تجنبهم مخاطر الانزلاق في مسالك الجهل والعناء، والانغلاق والتبعية، وتنير دروبهم بالسماحة والاعتدال والوسطية والخير، وتبعدهم عن مهاوي التطرف والتشنج المدمرة للروح والجسد» كما جاء في نص هذه الرسالة التي دعيت بـ «رسالة عمان».

ان عمان وهي تلتقط هذه اللحظة التاريخية الحاسمة، او تقوم بهذه المهمة الجليلة، تقع في بؤرة الفكر العربي الاسلامي، وتعبر عن الاسلام الذي نريد ان نطل به على العالمين في القرن الحادي والعشرين، وبخاصة مع ظهور تحديات داخلية اضافية خطيرة تتمثل في النزعة الطائفية -في العراق وغيره- التي تنصب للمسلمين قبور التاريخ في كل مكان، وتملك عمان في التعفية على هذه النزعة كذلك، رصيداً آخر فريداً يتمثل في عباءة آل البيت الحقيقية وقيادة بني هاشم.

اي ان عمان لا تملك الرؤية الصائبة والتاريخية فحسب، بل تملك معها القيادة التاريخية التي تتمتع بحقوق النسب والتاريخ والعمران والتحضر، فوق ما تحمله القيادة الشابة المتمثلة في جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله على عاتقها من هموم الحاضر وبشائر المستقبل.

وهذا هو قدر الهاشميين المقدور في مفاصل التاريخ العربي الاسلامي بوجه عام، وفي تاريخ العرب الحديث بوجه خاص.. فيا



جامعة العلوم الاسلامية العالمية

عين الاسلام التي يطل منها الأردن على العالم الاسلامي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سعدون محمد الساموك

دخل الأردن الى الحضارة الانسانية من أوسع أبوابها، فصار ارضاً يطؤها كل من اراد الأمان والثقافة والعلم، فكانت عمان عاصمة الثقافة العربية وبدأت تنافس المدن العربية العريقة في الثقافة والفنون، فصارت مكاناً لنشر كتب المؤلفين من كل انحاء الوطن العربي، واصبحت مقصداً لكل المؤتمرات العلمية والاقتصادية العربية والعالمية، فكان لا بد لها من توسيع هذا الباب الحضاري متخطية الحدود التي تعتز بها، لتطل على المنهج الاسلامي العالمي الذي دخلته مصر سابقاً في ازهرها ودخلته تونس في زيتونتها، والعراق في جامعته الاسلامية.

وفي الأردن مؤسسة عظيمة تعنى بشؤون العلم الاسلامي، هي مؤسسة آل البيت، التي يشرف عليها الديوان الملكي العامر، فعرفت هذه المؤسسة بعلماء التفسير والحديث والتاريخ فيها، فانبثقت الجامعة الاسلامية منها لتكمل الدور الذي تضطلع به من اجل تعريف العالم بدور الأردن الاسلامي كما عرفته سابقاً بدورها العربي والعلمي والاقتصادي.

تأسست جامعة العلوم الاسلامية العالمية بأمر من جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله، بالقانون رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٨م، بعد ان صودق على تأسيسها من قبل مجلسي النواب والأعيان، وبذلك تكون هذه الجامعة قد اكتسبت شرعيتها القانونية الرسمية وصارت إحدى جامعات الأردن في جانب وجامعة كل العالم الاسلامي في الجانب الآخر، ولكل من هذين الجانبين ميزته التي يمكن الحديث عنها.

فلكونها اردنية، فهي التي تطبق قوانين الدولة النافذة، اذ لا تخرج عن دائرة ما تريده الدولة في نهج علمي وعملي والتزام في عقد الاتفاقيات الدولية والتملك وقبول الهبات بالموافقات الرسمية المعروفة، وتلتزم جانب

تعليمات مجلسي النواب والأعيان اللذين يمثلان الشعب الأردني في داخل الأردن.

أما الجانب العالمي، فهي العين التي يطل منها الأردن على العالم الاسلامي، فتكون بذلك جامعة كل مسلمي العالم، بإمكان اي مسلم ان ينتمي اليها ان انطبقت عليه شروطها التي وضعتها من اجل لم شمل المسلمين، سواء عن طريق الانتماء اليها طلابياً ام تدريسياً، فهي تنفتح على العالم الاسلامي بطلب انتماء الطلاب اليها، كما انها تسعى الى استقطاب الشخصيات العالمية للتدريس فيها، وستسعى لاستقطاب المحاضرين والأساتذة الزائرين لفترات محدودة تعينها الجامعة.

ولهذا الغرض، فإن الجامعة تضع شروطها الخاصة بها، والتي تميزها عالميتها، لأن الحاجة الى تلك العالمية ضرورة من الضرورات، خاصة وأنها بها تتبع مؤسسة، هي مؤسسة آل البيت العالمية والتي يشرف الديوان الملكي العامر عليها.

ان جامعة العلوم الاسلامية العالمية ستعكس للعالم جزءاً من نشاطات مؤسسة آل البيت، وتعرف العالم الاسلامي بها، كما وأنها ستكون مركزاً علمياً آخر، كجامعة الأزهر في مصر والزيتونة في تونس والجامعة الاسلامية العالمية في ماليزيا، والجامعة الاسلامية في العراق، والتي نتمنى من الله تعالى ان تتفوق وتكون ناجحة ما دمنا جميعاً نسعى لنجاحها.

ونتمنى ان تقوم المؤسسات العلمية في داخل الأردن وخارجه الى مساندة هذه الجامعة ومساعدتها في اعطائها الدور اللائق بها وتأييد خصوصياتها التي تساعدها في النهوض بالأعباء التي انشئت لأجلها والشعور بأن **هذه الجامعة هي عين أخرى يطل بها الأردن العظيم على العالم الاسلامي**، كما هي الحال بالنسبة للمؤسسات الأخرى التي تطل على العالم علمياً، في عقد المؤتمرات والندوات، لأن الأردن العظيم كما هو بحاجة الى صداقة كل العالم، فإنه مؤهل لاستقطاب العالم الاسلامي في هذه الفترة الحرجة، التي يمر بها العالم الاسلامي والتي بقي فيها الأردن صامداً لم يتأثر ان شاء الله بالانتكاسات التي مرت بها الكثير من دول العالم الاسلامي.

ان هذه الجامعة الفتية لا تسعى الى منافسة الجامعات الأخرى في استقطاب طلابها او في التأثير ببرامجها العلمية، حيث تنشد ان يعمل الجميع على إكمال ما هو في صالح الأردن قطعاً، وهو جانب اسلامي كبير، حيث قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**، وإقرار خصوصياتها هي مساعدة لنهوضها وستنهض ان شاء الله بأيدي الخيرين الذين يريدون الخير للأردن وأهدافه في نشر معارفه بين الناس ونشر الثقافة الاسلامية الحقة بكل أبعادها في ارجاء العالم الاسلامي، وعلى الجميع ان يعمل من اجل خير الأردن، فالخير

أهمية الإيمان بالغيبيات

■ بقلم الدكتور عبد الله سليمان

علم الغيبيات من الأمور التي استأثر الله تعالى بها، واختص بها نفسه جل وعلا، دون من سواه من ملك مقرب او نبي مرسل، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء واذا شاء، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، قال سبحانه وتعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فقل إنما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾[٤]، وقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾[٥].

يقول الإمام الطبري[٦] رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قل لهؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم: اني الرب الذي له خزائن السموات والأرض، فأعلم غيوب الأشياء الخفية، التي لا يعلمها الا الرب الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذبوني فيما أقول من ذلك، لأنه لا ينبغي ان يكون رباً الا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره»[٧].

ومن الآيات في هذا المعنى قوله عز وجل: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾**[٨]، يقول الإمام القرطبي في تفسيرها: «فإنه لا يجوز ان ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه، ثم يكون له في ذلك شريك، ألا ترى الى قوله تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾** وقوله عز وجل: **﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾**[٩]، فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه

غيره»[١٠].

ومن أصرح الآيات دلالة قوله تعالى: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾**[١١]، الآية، وتفسيرها في سورة لقمان، قال تبارك وتعالى: **﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير﴾**[١٢].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير آية سورة لقمان: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها احد الا بعد اعلامه تعالى به، فعلم وقت الساعة لا يعلمه الا الله، ولكن اذا امر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد ان يخلقه الله تعالى سواه، ولكن اذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى او شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها **﴿وما تدري نفس بأي ارض تموت﴾** في بلدها او غيره من اي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه -اي الآية- شبيهة بقوله تعالى: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو﴾** وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله، ولا يعلم ما في غد الا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله، ولا تدري نفس بأي ارض تموت الا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله»[١٤].

فالآيات والأحاديث المذكورة وغيرها مما لم أذكره، تدل دلالة قاطعة على اختصاصه سبحانه وتعالى بعلم الغيب دون سواه من الأنبياء والرسل والملائكة والأولياء.

والإيمان بأشراط الساعة جزء من الإيمان باليوم الآخر، الذي هو ركن من اركان الايمان، والايمان بالغيب، هو اساس الايمان كله، لأن أركان الايمان كلها من الأمور الغيبية، وقد بين الله عز وجل في كتابه المبين ان الايمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين فقال عز وجل: **﴿ألم ❁ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ❁ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ❁ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾**[١٥].

ومعلوم من الدين بالضرورة ان علم الغيب من خصائص الله وحده كما سبق بيان ذلك، ولقد شاء الله تبارك وتعالى ان يجعل علم الساعة غيباً من جملة علم الغيب

الذي استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً، وذلك ليبقى الناس من الساعة على حذر دائم، وتوقع مستمر واستعداد كامل لاتخاذ الزاد المناسب لها، فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل، والايمان بذلك من مقتضيات الايمان باليوم الآخر.

والرسل عليهم الصلاة والسلام -مع أنهم أفضل الخلق وأحبهم الى الله عز وجل، وقد خصهم الله تعالى بمزايا كثيرة وأكرمهم بمعجزات عديدة- لم يدَّعِ احد منهم علم الغيب، بل جميعهم كانوا يتبرؤون من ذلك ويردون علم الغيب الى الله سبحانه وتعالى، فنوح عليه السلام قال لقومه: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾**[١٦]، ورسولنا محمد ﷺ وهو سيد الرسل والأنبياء أجمعين، ينفي عن نفسه معرفة الغيب، فقد قال الله في كتابه: **﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم﴾**[١٧]، وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**[١٨].

وعن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية[١٩] وذكرت منها: ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية، والله يقول: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾**[٢٠][٢١].

وعلى الرغم من هذه الأدلة القاطعة الواضحة، عن عدم علم الرسول ﷺ بالغيب، نجد من ينسب الى الرسول ﷺ معرفة الغيب ويستدلون على ذلك بالاستثناء الوارد في قوله عز وجل: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ❖ الا من ارتضى من رسول﴾**[٢٢]، وليس في ذلك حجة لأحد لأن المراد بالغيب هنا ما يتعلق بالوحي خاصة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فإن بعض من لم يرسخ في الايمان، كان يظن ذلك، حتى كان يرى ان صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن اسحق[٢٣] ان ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن الصيت[٢٤]: يزعم محمد انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته؟ فقال النبي ﷺ: «ان رجلاً يقول كذا وكذا، واني قد حسبتها شجرة» فذهبوا فجاءوه بها، فأعلم النبي ﷺ انه لا يعلم من الغيب الا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: **﴿فلا يُظهر على غيبه أحداً ❖ الا من ارتضى من رسول﴾**[٢٥].

فهذا الرجل زيد بن الصيت، عندما قال

هذا كان مشركاً، وكان يعتقد ان النبوة لا تصح الا اذا كان النبي يعلم الغيب، ولكن ما بال بعض المسلمين اليوم وما عذرهم بعد هذا البيان الشافي من الرسول ﷺ مع وضوح الأدلة في هذه المسألة، وأما ما ثبت بالقرآن ان عيسى عليه السلام كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، كما في قوله تعالى: **﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾**(٢٦).

وأن يوسف عليه السلام كان ينبئهم بتأويل الطعام قبل ان يأتي اليهم، والذي حدث لرسولنا ﷺ منه الكثير، مثل ما مر علينا قبل قليل من خبر الناقة وغيره كل ذلك من باب المعجزات، فكما جاء في الآية السابقة حكاية عن عيسى عليه السلام نفسه **﴿ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾** فالآية هي المعجزة.

وبهذا تظهر لنا أهمية الايمان بالغيب ومكانته في الاسلام، فهو صفة المؤمنين المتقين، وكل من يدعي علماً بشيء من الغيب تلقاء نفسه، يكون ضالاً ومكذباً لخبر الله عز وجل، ونصوص الكتاب والسنة تبين ان علم الغيب من خصائص المولى تبارك وتعالى، وهذا يبين لنا حكم الذين يزعمون انهم يخبرون عما سيقع في المستقبل من حوادث، او يزعمون علم ما في نفس الانسان، وغير ذلك من كذب ودجل وشعوذة مما نجد له صوراً في بعض الصحف والمجلات، التي تحتوي على زاوية لقراءة حظ الانسان، او معرفة ما يقع له في المستقبل خلال معرفة الأبراج والكواكب، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

الهوامش:

١- هود: ١٢٣ .

٢- يونس: ٢٠ .

٣- الكهف: ٢٦ .

٤- آل عمران: ١٧٩ .

٥- الأنعام: ٥٠ .

٦- هو ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الامام البارع المفسر المؤرخ، قال الذهبي عنه: اكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، وكان من افراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف، من مصنفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، توفي ببغداد سنة ٣١٠هـ تاريخ بغداد (١٦٢/٢-١٦٩) سير اعلام النبلاء (٢٦٧/١٤-٢٨٢).

٧- تفسير الطبري: ٣٧١/١١ .

٨- النمل: ٦٥ .

٩- الأعراف: ١٨٧ .

١٠- تفسير القرطبي: ١٧/٤ .

١١- الأنعام: ٥٩ .

١٢- لقمان: ٣٤ .

١٣- تفسير ابن كثير: ٤٥٣/٣ .

١٤- اخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد ١٦٦/٨، وانظر مزيداً من الأحاديث في تفسير ابن كثير آخر سورة لقمان.

١٥- البقرة: ١-٥ .

١٦- هود: ٣١ .

١٧- الأحقاف: ٩ .

١٨- الأعراف: ١٨٨ .

١٩- الفرية: الكذب، يقال: فرى الشيء يفريه فرياً، وافتراه يفتريه افتراءً اذا اختلقه، وجمع الفرية فرىً، لسان العرب ١٥٤/١٥ .

٢٠- النمل: ٦٥ .

٢١- اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان ١٥٩/١ .

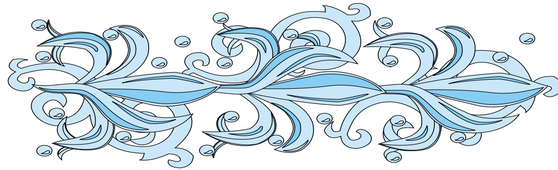
٢٢- الجن: ٢٦-٢٧ .

٢٣- هو ابو بكر محمد بن اسحق بن يسار بن خيار القرشي المطلبي مولاهم، العلامة الحافظ الأخباري صاحب السيرة النبوية، قال ابن سعد: كان ثقة، ومنهم من يتكلم فيه، وقال الشافعي رحمه الله: من اراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق، توفي سنة ١٥٠هـ، وقيل غير ذلك (طبقات ابن سعد ٣٢١/٧ سير اعلام النبلاء ٣٣/٧).

٢٤- زيد بن الصيت بصاد مهملة وآخره مثناة وزن عظيم، هكذا ضبطه ابن حجر في الفتح ٣٤٦/١٣، وذكره في الاصابة ٣٣/٤، من الصحابة من القسم الأول، وكذا ابن الأثير في أسد الغابة ٢٩٨/٢، وقال ابن هشام في السيرة النبوية ٥٢٧/١: قال ابن اسحق: «وكان ممن تعوذ بالاسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من احبار يهود بني قينقاع، سعد بن حنيف، وزيد بن الصيت» وقال الذهبي في تاريخ الاسلام ص٣٩-٤٠ قسم المغازي: وممن اظهر الايمان من اليهود ونافق بعد، وذكر منهم زيد بن الصيت.

٢٥- فتح الباري ٣٦٤/١٣، وقد عزا هذه القصة لابن اسحق في المغازي وقد أخرج هذه القصة كاملة الواقدي في المغازي ٤٢٣/٢-٤٢٥، والطبري في تاريخه ١٠٥/٣-١٠٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٥٩/٤-٦٠، و ٢٣١/٥-٢٣٢ .

٢٦- آل عمران: ٤٩ .



صلح الحديبية
فتح عظيم، ونصر مبين
«الاسباب، الشروط، الاثار، الفوائد»

■ بقلم الدكتور علي فلاح الزعبي

ان صلح الحديبية هو صلح عقد في شهر شوال من العام السادس للهجرة (اذار ٦٢٨م) بين المسلمين وبين قريش، بعد معارك بدر وأحد والخندق، وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

❖ الأسباب:

في أواخر شهر شوال من السنة السّادسة للهجرة، أعلن رسول الله ﷺ أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها وسار رسول الله ﷺ بألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، ليس معهم من السلاح سوى السيوف في القراب، ولبسوا لباس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنما كان للحماية مما قد يعترضهم في الطريق.

ووصلت ركائب المسلمين إلى قرية الحديبيّة القريبة من مكة، ولما علمت قريش بقدوم الرسول ﷺ وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكة وكان شهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال.

وأرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه ليفاوض قريشا، وكان مقدما عندهم وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل، وهنا عزم رسول الله ﷺ على دخول مكة عنوة، فإن قاتلته قريش وتجاوزت حرمة الشهر الحرام، فقد أذن الله للمسلمين بقتالهم وصدّ عدوانهم، واستجاب المسلمون لما عزم عليه

النبي ﷺ وبايعوه على الموت، ودعيت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

لم يقتل عثمان كما كان قد أشيع وعاد إلى الحديبيّة، وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل، لكي لا يقول العرب: إن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرّة، **ووافق رسول الإسلام على مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاق بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبيّة، وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.**

❖ شروط و بنود صلح الحديبية:

بنود صلح الحديبية كما وردت في كتب السنة والسيرة هي:

١ . وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

٢ . أنه لا إسلال (لا سرقة) ولا إغلال (لا خيانة).

٣ . أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ . أن يرجع النبي ﷺ عن مكة عامه ذاك فلا يدخلها.

٥ . أن تخرج قريش في العام القابل عن الحرم فيعتمر ويدخل النبي ﷺ مكة بأصحابه.

٦ . أن لا يكون معه في دخوله مكة غير سلاح الراكب وتكون السيوف في القرب.

٧ . أن لا يخرج من مكة بأحد من أهلها إن أراد أن يتبعه.

٨ . أن لا يمنع أحدا من أصحابه إن أراد البقاء بمكة والإقامة فيها.

٩ . أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلماً بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.

١٠ . وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد ﷺ من غير قريش دخل فيه.

١١ . أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل.

وقد تعجب بعض الصحابة من تلك الشروط حتى قال عمر رضي الله عنه: علام نعطي الدنية في ديننا؟! فقال ﷺ: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا» وقد كان، وعمل عمر أعمالا لقولته تلك يكفر بها عنها وهي غيرة منه على دينه، وللاستزادة في قصة الصلح وشروطها، انظر صحيح البخاري كتاب

الشروط (باب الشروط في الجهاد)، وكتاب المغازي (باب عمرة القضاء)، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب صلح الحديبية)، ومسند الإمام أحمد ج٤ ص ٣٢٥، وسيرة ابن هشام ج٢ ص ٣١٦ وما بعدها، وزاد المعاد ج ١ ص ٣٨٢، وغيرها من كتب السنة والسيرة.

لم تخمد مشاعر المسلمين في المدينة شوقاً إلى مكة، التي حيل بينهم وبينها ظلماً وعدواناً، وما برحوا ينتظرون اليوم الذي تُتاح لهم فيه فرصة العودة إليها والطواف ببيتها العتيق، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي برز فيه النبي ﷺ على أصحابه ليخبرهم برؤياه التي رأى فيها دخوله لمكة وطوافه بالبيت، فاستبشر المسلمون بهذه الرؤيا لعلمهم أن رؤيا الأنبياء حق، وتهيّؤوا لهذه الرحلة العظيمة.

وفي يوم الإثنين خرج الرسول ﷺ، يريد العمرة ومعه ألف وأربعمائة من الصحابة، وليس معهم إلا سلاح السفر، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، فلما اقتربوا من مكة بلغهم أن قريشاً جمعت الجموع لمقاتلتهم وصدهم عن البيت.

فلما نزل الرسول ﷺ بالحديبية أرسل عثمان رضي الله عنه إلى قريش وقال له: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، وادعهم إلى الإسلام، وأَمَرَه أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، وأن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر على قريش، فقالوا: إلى أين؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ويخبركم: أنه لم يأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ إلى حاجتك.

ولكن عثمان رضي الله عنه احتبسته قريش فتأخر في الرجوع إلى المسلمين، فخاف الرسول ﷺ عليه، وخاصة بعد أن شاع أنه قد قتل، فدعا إلى البيعه، فتبادروا إليه، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها قوله: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** الفتح: ١٨ .

وأرسلت قريش عروة بن مسعود إلى المسلمين فرجع إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك -كسرى، وقيصر والنجاشي- والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله ما انتخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم،

وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، ثم قال: وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

ثم أسرعت قريش في إرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح، فلما رآه النبي ﷺ قال: قد سهل لكم أمركم، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فتكلم سهيل طويلاً ثم اتفقا على قواعد الصلح، وهي:

الأولى: رجوع الرسول ﷺ وأصحابه من عامه وعدم دخول مكة، وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون بسلاح الراكب، فأقاموا بها ثلاثاً.

الثانية: وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس.

الثالثة: من أحب أن يدخل في عقد مع محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد مع قريش وعهدهم دخل فيه.

الرابعة: من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرد إليه.

ثم قال الرسول ﷺ: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا الكاتب -وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه- فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن، فما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ﷺ اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: إني رسول الله، وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله، ثم تمت كتابة الصحيفة، ودخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل، وقد خرج من أسفل مكة يرسف -يمشي مقيداً- في قيوده، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد! أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، فقال: إذاً والله لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى، فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال أبو جندل: يا معشر المسلمين! كيف أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ -وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ! فأتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله ألست نبي الله؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت:

علام نعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال ﷺ: إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه. قلت: ألست كنت تحدثنا: أنا نأتي البيت، ونطوف به، قال: بلى، أفاخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال: فأتيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت له مثلما قلت لرسول الله ﷺ، ورد علي كما رد علي رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، وما قام منهم رجل، حتى قالها ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام ولم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنة ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، ثم جاء نسوة مؤمنات، فأنزل الله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾** الممتحنة: ١٠، وفي مرجعه ﷺ: أنزل الله سورة الفتح: **﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ❖ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** الآية، فقال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم، قال الصحابة: هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله: **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾** الآيتين إلى قوله: **﴿فوزا عظيما﴾** الفتح: ١- ٥.

ولما رجع إلى المدينة جاءه أبو بصير – رجل من قريش- مسلماً، فأرسلوا في طلبه رجلين، وقالوا: العهد الذي بيننا وبينك، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحدهما: إني أرى سيفك هذا جيداً، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال: أرني أنظر إليه، فقتله بسيفه، ورجع أبو بصير إلى المدينة، فقال: يا نبي الله! قد أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم، فقال ﷺ: ويل أمه مسعر حرب، لو كان له أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وتفلت منهم أبو جندل، فلحق بأبي بصير، فلا يخرج من قريش رجل -قد أسلم- إلا لحق به، حتى اجتمعت منهم عصابة، فما سمعوا بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقاتلوهم وأخذوا أموالهم، **فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم أن من أتاه منهم فهو آمن.**

❖ آثار صلح الحديبية:

لقد دلت الحوادث التي وقعت بعد صلح

الحديبية، على أن صلح الحديبية كان انتصاراً بالنسبة للإسلام والمسلمين وأن الرسول ﷺ كان ينظر بنور الله وهو يقبل كل شرط من هذه الشروط وقد استطاع أن يكتشف من خلال كل شرط المكاسب والمغانم التي ستعود على المسلمين، وأنه لم يكن من حق المسلمين أن يعترضوا أو يدخلهم ريب فيما قام به الرسول لهم ولكن الأمر كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً: ما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله ﷺ وبين ربه، والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد.

حقاً لقد تعجل الصحابة رضي الله عنهم وقت الصلح ونظروا إلى الشروط نظرة قاصرة محدودة، ولكن الأيام كشفت لهم خطأهم ووضحت لهم المكاسب والمغانم التي تحققت لهم بعد ذلك، وها نحن نلقي بعض الأضواء على **أهم المكاسب التي تحققت للمسلمين من خلال شروط هذا الصلح:**

أولا: كان إبرام الصلح في حد ذاته مكسباً للمسلمين، فهو اعتراف من قريش بمكانة المسلمين التي أصبحوا عليها وأنهم أهل لأن تبرم معهم معاهدات، وأن محمدا ﷺ لم يعد فى نظر قريش مجرد ثائر خارج عن التقاليد والأوضاع، وفى هذا اعتراف بالدولة الإسلامية وزعامة الرسول السياسية.

ثانيا: بالنسبة للشرط الأول وهو وقف القتال عشر سنوات، فإن هذا الشرط قد أتاح للمسلمين هدنة استراحوا فيها من الحروب التي شغلتهم واستهلكت قواهم، وذلك أن الكفار في الجزيرة العربية كانوا يعتبرون قريشا هي رأس الكفر وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد، وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين انفرط عقد الكفار فى الجزيرة ووهت الرابطة التي كانت تجمعهم وتؤلبهم على الإسلام، ومن ثم خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لحساب كفار قريش ويعتمدون على معونتهم ومساعدتهم.

كذلك استطاع الرسول ﷺ أن يغتنم هذه الهدنة ليقوم بدعوة ملوك العالم كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وأمراء العرب إلى الإسلام وتبليغ دين الله إلى كل مكان تمشياً مع عالمية الدعوة ووجوب تبليغها إلى كل مكان من أرض الله.

كذلك أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين أن يختلطوا بعضهم

ببعض، فيطلع المشركون عن قرب على حقيقة الإسلام ومحاسنه، وكيف أنه جاء لإصلاح الفرد والمجتمع بعد أن كان المشركون يتخذون منه موقفا معاديا عصبية منهم وحمية دون أن يحموا العقل والضمير فجاءت هذه الهدنة لتتيح للكفار جوا من التأمل الحصيف والتفكير الرشيد ومن ثم لم يمض على هذا الصلح عام كامل حتى دخل فى الإسلام من العرب، أكثر من الذين دخلوا فيه خلال خمس عشرة سنة قبله.

ولعل هذا أكبر رد على هؤلاء الذين يفترون على الإسلام ويدعون أنه انتشر بالسيف، إن الحقيقة هى أن الإسلام انتصر على السيف كما نرى ولا عجب فالإسلام هو دين العقل ودين الإصلاح والخير للإنسانية في دنياها وأخراها.

ثالثا: وبالنسبة للشرط الخاص (من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه) فإن هذا الشرط أيضا كان فى مصلحة المسلمين لأنه سد لباب التجسس أما قريش التي كان من الممكن أن ترسل نفرا يتظاهرون بالإسلام ويعيشون فى المدينة ويكونوا بمثابة جواسيس لقريش يدلونها على أحوال المسلمين وينقلون اليها أسرارهم.

أما بالنسبة للمسلمين حقاً الذين يرغبون فى الذهاب إلى المدينة فإن ردهم إلى مكة كما اقتضى شرط الصلح قد جعل منهم طائفة قوية فى مكة إزداد عددها مع الأيام وقد رأينا كيف أن أحد هؤلاء الفارين إلى المدينة وهو أبو بصير (عتبة بن أسيد) -الذي رده حسب ما قضى به شرط الصلح- قد أفلت فى الطريق وهرب إلى ساحل البحر فى طريق الشام.

وفى أيام انضم إليه عدد كبير من هؤلاء المسلمين المضطهدين على رأسهم أبو جندل كونوا فريقاً جعل مهمته التصدي لقريش في رجالها وتجارتها، وقد بلغ من خطرهم على قريش أن أرسلت إلى الرسول تسأله أن يلحقهم به فى المدينة وتناشده الله والرحم أن يتنازل عن هذا الشرط الذي وضعته قريش تعسفاً منها وصلفاً وتألم منه المسلمون وقتها إحساساً منهم بأنه دليل على الضعف والهوان والاستسلام **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**.

وأما بالنسبة للشرط الثانى من الشروط وهو (من جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه) فإن المصلحة واضحة فى ذلك كل الوضوح فالذي يرتد لا حاجة للمسلمين

به بل إن في وجوده ضرراً اكبر.

على أنه لم يكن منتظرا بمنطق العقل أن يرتد أحد بعد أن ذاق حلاوة الإيمان فإن الواقع كان يؤكد للرسول ﷺ أن الإيمان حين تخالط بشاشته شغاف القلب، يجعل الإنسان يزداد مع كل يوم ثباتا ويقينا.

رابعاً: وبالنسبة للشرط الخاص بأن (من أحب ان يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه) فإنه شرط خدم المسلمين أكثر من القرشيين فقد شجع القبائل المترددة على الدخول فى الإسلام كما أنه حدد موقف القبائل العربية من المسلمين تحديدا عرفوا منه العدو من الصديق.

خامسا: أما بالنسبة للشرط الخاص برجوع المسلمين فى عامهم هذا ومجيئهم فى العام الذي يليه، فإن هذا الشرط قد أظهر قريشا بمظهر المعتدين الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وفى هذا خروج على تقاليد العرب وأعرافهم كما أنه أبان عن وجه الإسلام المشرق فى السماحة والصفح والسلم.

لكل هذه المكاسب التي تحققت للمسلمين من خلال صلح الحديبية، يقول الإمام ابن شهاب الزهري (ت١٢٤ هـ): فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل فى تلك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: (والدليل على قول الزهري: إن رسول الله ﷺ قد خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر ابن عبد الله ثم خرج فى عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف) لكل هذا نزلت سورة الفتح فى طريق عودة المسلمين إلى المدينة وسمى الله هذا الصلح فتحا مبينا.

❖ فوائد وعبر من صلح الحديبية:

١- إن للمسلم الذي يجيء من دار الحرب في زمن الهدنة قتل من جاء في طلب رده إذا شرط لهم ذلك، لأن النبي ﷺ لم ينكر على أبي بصير قتله العامري ولا أمر فيه بقود ولا دية، والله أعلم.

٢- وفي قصة أبي بصير من الفوائد جواز قتل المشرك المعتدي غيلة، ولا يعد ما

وقع من أبي بصير غدرا لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاهدة التي بين النبي ﷺ وبين قريش، لان ذاك كان محبوسا بمكة، لكنه لما خشي أن المشرك يعيده إلى المشركين درءاً عن نفسه بقتله، ودافع عن دينه بذلك، ولم ينكر النبي ﷺ فعله ذلك.

٣- إن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية.

٤- وفيه أنه كان لا يرد على المشركين من جاء منهم إلا بطلب منهم،لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه، فلما خشي أبو بصير من ذلك نجا بنفسه.

٥- إن شرط الرد أن يكون الذي حضر من دار الشرك باقيا في بلد الإمام،ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزا إليه.

٦- إن ذا الحليفة ميقات أهل المدينة للحاج والمعتمر.

٧- إن تقليد الهدي وسوقه سنة للحاج والمعتمر فرضا كان أو سنة، وإن الإشعار سنة لا مثلة.

٨- وأن الحلق أفضل من التقصير، وأنه نسك في حق المعتمر محصورا كان أو غير محصور وأن المحصر ينحر هديه حيث أحصر ولو لم يصل إلى الحرم، ويقاتل من صده عن البيت، وأن الأولى في حقه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسألة طريقا.

٩- جواز سبي ذراري الكفار إذا انفردوا عن المقاتل ولو كان قبل القتال.

١٠- استحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش.

١١- الأخذ بالحزم في أمر العدو لئلا ينالوا عزة المسلمين.

١٢- فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي واستطابة قلوب الأتباع.

١٣- جواز بعض المسامحة في أمر الدين، واحتمال الضيم فيه ما لم يكن قادحا في أصله إذا تعين ذلك طريقا للسلامة في الحال والصلاح في المال، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم، وأن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر في الحال، بل عليه التسليم لأن المتبوع أعرف بمآل الأمور غالبا بكثرة التجربة ولا سيما مع من هو مؤيد بالوحي.

وكان هذا الصلح فتحاً عظيماً، ونصراً مبيناً للمسلمين، وذلك لما ترتب عليه من منافع عظيمة؛ حيث اعترفت قريش

في فقه اللغة العربية الفصحى

كلمتان - وِزارةٌ - ناشئةٌ

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

هذه أربع كلمات نحللها -هنا- تحليلاً لغوياً، ليبين ان الذين يظنون ان الكلمة الواحدة (= الصيغة الواحدة) ليس لها الا معنى واحد، هم على خطأ، فالكلمة في المعجم يكون لها احياناً عشر معان، بل وخمسة عشر معنى، والشعراء والكتاب يستعمل كل منهم من معاني الكلمة ما يحتاج له، ويلبي قصده ومعناه، ولكن معاني الكلمة مهما تنوعت، فلا بد من ان يكون بينها كلها علاقة ما، إما ان تكون علاقة وئام او علاقة تضادّ، لأن اللغة -كل لغة- لا تتطور المعاني فيها عشوائياً، وانما تسير على نظام يعتمد وجود علاقة -ما- بين الكلمة الواحدة (= الصيغة الواحدة) وبين معانيها الجديدة.

فكيف اذا كانت الكلمة صيغة أخرى، مشتقة من صيغة -أُمٍّ- هي الفعل المجرد، او الاسم، او الحرف، او الضمير.. الخ، عندئذ لا بد من فروق في المعنى واضحة، لكنها مع ذلك لا تخرج عن اطار المعنى العام للمادة، الا اذا كان خروجاً للتعبير عن المعنى المضاد.

❖ الكلمة الأولى (وِزارة):

الوزارة مشتقة من الفعل الثلاثي (وَزَرَ) وهذا الفعل ومشتقاته، له ستة معان:

١- **الوَزَر (الملجأ)**، قال تعالى: **﴿كلا لا وزر ❖ الى ربك يومئذ المستقر﴾** القيامة: ١١-١٢ .

٢- **الوَزَر (الحمل الثقيل)** ومنها الوِزْر بكسر الواو، وهو الذنب، والعلاقة بينَ المعنى (الوزر) ومعنى الوزر، ان الذنب ثقيل، يرهق كاهل فاعله خَاصة اذا كان كبيرة، ويؤلم ضميره هذا في الدنيا، ومثله او أشد في الآخرة، والله تعالى اعلم.

ولذا ورد في القرآن الكريم: **﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾** محمد: ٤، أي تتوقف، فتكف عن القتل وظلم الآخرين، فلثقل

آثام الحرب، فهي تضع آثامها كما يضع الذي يحمل حملاً ثقيلاً هذا الحمل عن كاهله.

٣- **الوزير: المعاون والمساعد للحاكم،** اي الذي يحمل عن الحاكم اكثر الحمل الثقيل ولأن الذي يعمل يخطئ، ولأن الذي يتسلم منصباً رفيعاً قد يظلم، فالوزير له معنى ثان، وهو -أحياناً- يرتكب وزراً، لأنه يظلم او لا يعدل، وقد ورد في القرآن الكريم مضمون رجاء موسى عليه السلام لربه عز وجل: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي ❖ هارون أخي**﴾ طه: ٢٩-٣٠ .

٤- **وَوَزَرَ الشيء.. حمله،** ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ فاطر: ١٨، اي لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، الا اذا دعتها الى الضلال، سواء أقنعتها به ام لم تقنعها، ولهذا قال تعالى عن الكافرين اذ قالوا للمؤمنين: ﴿**اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ❖ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾ العنكبوت: ١٢-١٣ .

٥- **أوزرت الشيء: حزته، وأحرزته، وحصلت عليه،** لأن الذي يستطيع حمل عبء الشيء، فقد أحرزه، لأن الاستطاعة إحراز.

٦- **وزرت فلاناً: غلبته،** لأن الغالب استطاع ان يحمل قوة المغلوب، أو يحمل ثقله (جسمه).

وبعد؛ فهذه ستة معان للفعل (وَزَرَ) ومشتقاته، وكلها ترجع الى معنيين، هما الملجأ ثم الإثم، والمعنيان يرجعان الى معنى واحد، هو الملجأ، لأن الذي يرتكب اثماً قد لجأ الى فعل السوء، ثم اذا تاب لجأ الى ربه عز وجل.

بعد هذا.. نأتي الى جواب الأخ الفاضل فأقول: معجم لسان العرب يقول: والوزير، حبأ الملك الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه، وقد استوزره وحالته الوَزارة والوِزارة، والكسر أعلى.

أقول: حبأ الملك: مساعده وقول - اللسان- يعني انه يجوز فتح الواو، ولكن كسرها أعلى، أقول: وذلك صحيح، من باب التساهل، أما قوانين فقه اللغة فتقول: الكسر في (فِعالة) هو وزن الحرفة، او اسم الذات، **اما الفتح في (فَعالة) فيعني الاشراف، والادارة والسيطرة، اي ان فِعالة بالكسر أقرب الى اسم الذات، اما فَعالة بالفتح، فأقرب الى الفعل،** ولهذا فإذا اردنا البناء، وما فيه من موظفين قلنا: (الوزير فلان، له وَزارة على وِزارة التعليم العالي) بفتح الواو الأولى وكسر الواو الثانية.ومثل الوزارة الوِلاية، فنحن نقول: فلان كان يدير

ولِاية البصرة بكسر الواو، ولكن نقول: فلان له وَلاية على البصرة، بفتح الواو، اي له إشراف عليها، وحكم لها.

ومثلهما الحجابة: فنحن نقول: تولى فلان حِجابة الخليفة، بكسر الحاء، ولكن نقول: فلان له حَجابة على شؤون ادارة ديوان الخلافة، بفتح الحاء في (حَجابة).. وهكذا.

❖ الكلمة الثانية (الناشئة):

وكلمة الناشئة مشتقة من الفعل «نَشَأَ» وهذه الكلمة لها معنيان يعودان الى معنى واحد.

فمعناها الأول: أنشأ الله تعالى الخلق: خَلَقَهُ.

ومعناها الثاني: نشأ الشيء: نما، ويجمعهما معنى واحد، وهو: بدأ ونما، والله تعالى يقول: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: ٦١، فالإنشاء في الأرض، هو بدء الخلق، واستعمار الله الناس فيها، هو النمو اذ أمرهم بعد نضج الولدين المنشئَين ان يسعوا لإعمار الأرض.

ومن هذا المعنى الاصل، تشتق المعاني الأربعة الآتية وهي مستخرجة من معجم لسان العرب:

١- الناشئ: فويق المحتلم، والجمع: نَشَأٌ و نَشْءٌ، وفي الحديث الشريف: «نَشَأٌ يتخذون القرآن مزامير».

٢- النواشئ: هم النَشأ وفي الحديث الشريف: «ضمّوا نواشئكم في ثورة العِشاء».

٣- ويقال للشاب والشابة: هم النّشأ، والناشئون.

٤- الناشئة: بمعنى النشء، وهو مصدر جاء على فاعله، مثل: العافية بمعنى العفو.

أقول: هذه المعاني الأربعة كلها مشتقة من المعنى الأصلي، وهو البدء ثم النمو، ثم «الناشئة» هي: مفرد وجمع مثل: طفل، فهي مفرد وجمع، كما ان الجمع «النشء» جاءت معه جمع أخرى، منها: النشأ بتحريك حرف الشين بالفتح، والنواشئ والنشئون، فقد كان من هذه الجموع الناشئة، مثل النابتة، اذ يقال: فنشأت ناشئة، ونبتت نابتة من الناس، وخالفة في قولنا: وخلفت خالفة خير من الناس، وجارية، في قوله تعالى: **﴿انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾** الحاقة: ١١، اي: حملناكم في المياه الجارية، اي: في المياه الجاريات، فالجارية اذن بمعنى الجاريات، والماء لفظ مذكر، وجمعه ينعت بنعت المؤنث الجمع، فنقول: حجارة مائلة، كما يصح ان نقول: حجارة مائلات.

وإذن النشء والناشئة والنواشئ، والناشئون، كلها جموع تأتي جمعاً لمذكر،

حكم بيع الثمار على اصولها بعد بدو صلاحها

■ بقلم الدكتور احمد مصطفى القضاة

حكم بيع الثمار الموجودة، ويدخل في هذا النوع من البيوع ثلاث حالات:

الحالة الأولى: بيع الثمار بعد بدو صلاحها بشرط القطع، وقد اجمع الفقهاء[١] على جواز بيع الثمار بعد بدو صلاحها بشرط القطع، أخذاً بالأحاديث النبوية الواردة بهذا الشأن، وهي مع انها جاءت مطلقة ولم تقيدها بالقطع، الا ان القطع المشروط جعل العقد على اكمل صورة، فهو كما لو باع الثمر على الأرض بدون شجره، وهو بيع جائز باتفاق الفقهاء اذا اشتمل البيع على اركانه وشرائط صحته، وذكر ابن رشد ان ابا سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة منعا بيع الثمار الا بعد القطع[٢].

الحالة الثانية: بيع الثمار بعد بدو صلاحها بشرط الترك:

ذهب المالكية[٣] والشافعية[٤] والحنابلة[٥] الى جواز البيع ان بدا صلاحه سواء أكان مطلقاً أم بشرط الترك ام بشرط القطع، استدلالاً بعموم الأحاديث النبوية الواردة بهذا الشأن، منها ما روى ابن عمر رضي الله عنهما، ان رسول الله ﷺ «نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمشتري»[٦] فجعل غاية النهي بدو الصلاح، والحكم بعد الغاية يجب ان يكون مخالفاً لما قبلها، فلما لم يجز اشتراط الترك قبل بدو الصلاح، اقتضى ان يكون اشتراطه بعد بدو الصلاح، ولأن الشرط اذا كان موافقاً للعرف لم يقدح في صحة العقد[٧].

وذهب الحنفية[٨] الى ان العقد فاسد، والبيع لا يجوز، لأن الشرط لا يقتضيه العقد ولا يلائمه، وفيه منفعة للمشتري، كما ان فيه غرراً وهو صفقة في صفقة، وفرق بعض الحنفية بين ما تناهى عظمه وما لم يتناه، فذهب محمد الى جواز بيع ما تناهى عظمه بشرط الترك استحساناً لتعارف الناس وتعاطيهم بذلك، اذ الناس يتسامحون بالترك من غير شرط في البيع، بينما ذهب ابو حنيفة وأبو يوسف الى فساد البيع في الصورتين.

وجاء في نيل الأوطار للشوكاني[٩]: فأما البيع بعد الصلاح فيصح مع شرط القطع اجماعاً ويفسد مع شرط البقاء اجماعاً ان جهلت المدة كذا في البحر، قال الامام يحيى: فإن علمت صح عند القاسمية اذ لا غرر، وقال المؤيد بالله: لا يصح للنهي عن بيع وشرط.

وقد استدل أصحاب الرأي الأول وردوا على أصحاب الرأي الثاني: بأن النبي ﷺ نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها، فمفهومه اباحة بيعها بعد بدو صلاحها، والمنهي عنه قبل بدو الصلاح عند اصحاب الرأي الثاني، البيع بشرط التبقية فيجب ان يكون ذلك جائزاً بعد بدو الصلاح والا لم يكن بدو الصلاح غاية، ولا فائدة في ذكره، ولأن النبي ﷺ نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها وتأمن العاهة، وتعليله بأمن العاهة يدل على التبقية، لأن ما يقطع في الحال لا يخاف العاهة عليه، واذا بدا الصلاح فقد أمنت العاهة، فيجب ان يجوز بيعه مبقى لزوال علة المنع، ولأن النقل والتمويل يجب في المبيع بحكم العرف، فإذا شرطه جاز كما لو شرط نقل الطعام من ملك البائع حسب الامكان[١٠].

الحالة الثالثة: بيع الثمار بعد بدو صلاحها مطلقاً عن الشرط:

ذهب الفقهاء[١١] منهم الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة الى جواز البيع في هذه الحالة، أخذاً بالأحاديث النبوية الواردة بهذا الشأن التي نهت عن البيع قبل بدو الصلاح، فدلت على الجواز بعد بدو الصلاح، وقد جاءت بصيغة العموم، فدلت على الجواز بصوره المختلفة سواء أكانت بشرط القطع ام الترك ام مطلقاً، الا ان الحنفية حملوا بيع الثمر مطلقاً على القطع، لأن نفس بيع الشيء يقتضي تسليمه والا لحقه الضرر، ولذلك لم يجز ان تباع الاعيان الى أجل.

قال ابن رشد من المالكية: واما شراء الثمر مطلقاً بعد الزهو فلا خلاف فيه، والاطلاق فيه عند جمهور فقهاء الامصار يقتضي التبقية[١٢].

وقال الشوكاني: وظاهر النصوص ان

البيع بعد ظهور الصلاح صحيح، سواء شرط البقاء ام لم يشرط، لأن الشارع قد جعل النهي ممتداً الى غاية بدو الصلاح، وما بعد الغاية مخالف لما قبلها[١٣].

وأما نفقات ومصاريف البيع كقطع الثمرة وسقي الشجرة: فإن الرأي فيها[١٤] الى ان من اشترى ثمرة في أصولها، فإن جذ الرطبة وجزازة الثمرة وقطعها على المشتري، لأن نقل المبيع وتفريغ ملك البائع منه على المشتري كنقل الطعام المبيع من دار، ويفارق الكيل والوزن فإنهما على البائع لأنهما من مؤنة التسليم الى المشتري والتسليم الى البائع، وههنا حصل التسليم بالتخلية بدون القطع بدليل جواز بيعها والتصرف فيها.

وأما السقي فإنه يلزم البائع حيث كان مما يسقى قبل التخلية وبعدها قدر ما ينميه ويقيه من التلف، لأن من تتمة التسليم الواجب كالكيل في المكيل والوزن في الموزون، واذا باعه مع شرط القطع، لم يجب بعد التخلية سقي الا اذا لم يتأت قطعه الا في زمن طويل يحتاج فيه الى السقي فتكلفه ذلك، ولو باع الثمرة لمالك الشجرة، لم يلزمه سقي لانقطاع العلق بينهما، واذا شرط القطع على البائع ففي الجواز وصحة البيع قولان[١٥].

❖ حكم بيع الثمار المتلاحقة:

قد يحصل البيع قبل بدو الصلاح فيبقى بدون قطع الى ان يتلاحق فيبدو صلاحه، وقد يحصل البيع بعد بدو الصلاح ولو بعضه ولكن يتلاحق الثمر ويختلط الحادث بالموجود كالتين مثلاً، واحياناً يتميز الاختلاط بين الثمار وأحياناً لا يتميز، ولذلك لا بد من معرفة حكم البيع في حال تلاحق الثمار، ومعرفة حكم الثمار المتجددة التي حصلها بعد البيع، وهذه حالة تكثر في الثمار فيتحرج منها البائعان مما يؤدي الى التنازع والخلاف، وآراء العلماء[١٦] في المسألة على رأيين:

أحدهما: يمنع البيع، لأن العقد مشتمل على معلوم ومجهول، وفيه ما لا يقدر على تسليمه، وقد لا يخرج الله المعدوم.

ثانيهما: يجوز البيع، لأن الانسان يسامح أخاه الانسان، ولجريان العادة به، ولأن تمييزه يصعب.

وأبسط الآراء الفقهية في المسألة على النحو التالي:

ذهب الحنفية[١٧] الى انه لو اشترى ثمرة مطلقاً وتركها على النخل من غير شرط الترك ولم يتناه عظمها، فإن كان ذلك بإذن البائع جاز وطاب له الفضل، وان ترك بغير اذن البائع تصدق بما زاد على ما كان عند

العقد، لأنه حصل من وجه بسبب محظور، وان أخرج النخل والشجر في مدة الترك ثمرة أخرى، فذلك كله للبائع سواء كان الترك بإذنه أو بغير إذنه، وان حللها من البائع جاز، لأن هذا الحادث لم يقع عليه العقد، وانما هو نماء ملك البائع فيكون له، فإن اختلط الحادث بالموجود وقت العقد بحيث لا يمكن التمييز بينهما، فإن كان قبل ان يخلي البائع بين المشتري والثمار فسد البيع، لأن البيع صار مجهولاً بحيث يتعذر تسليمه حال وجود التسليم، والعجز عن التسليم مفسد للبيع، وان كان ذلك بعد التخلية لم يفسد البيع وكانت الثمرة بينهما، والقول في الزيادة قول المشتري، لأن البيع قد تم بعد القبض، وأما اذا اشترى ثمرة قد تناهى عظمها وتركها على الشجرة بغير اذن البائع لم يتصدق بشيء، لأنها لا تزيد بعد التناهي، بل تنقص فلم يحصل لهذا زيادة لسبب محظور.

وقال صاحب الاختيار: فإن خرج بعض الثمرة أو خرج الكل، لكن بعضه منتفع به، لا يجوز البيع للجمع بين الموجود والمعدوم والمتقوم وغير المتقوم فتبقى حصة الموجود مجهولة، وكان شمس الأئمة الحلواني والإمام ابو بكر محمد بن الفضل البخاري، يفتيان بجوازه في الثمار والباذنجان ونحوهما، جعلا المعدوم تبعاً للموجود للتعامل دفعاً للحرج بالخروج عن العادة، وعن محمد الجواز في بيع الورد لأنه متلاحق، قال شمس الأئمة السرخسي: والأول أصح اذ لا ضرورة في ذلك لأنه يمكنه ان يشتري اصولها او يشتري الموجود بجميع الثمن ويحل له البائع ما يحدث[١٨].

وعند المالكية[١٩]: ان الشجر اذا كان يطعم في السنة بطنين متميزين، فلا يجوز بيع البطن الثاني بعد وجوده وقبل بدو صلاح البطن الأول، وهذا هو المشهور، وحكي قول بالجواز بناء على ان البطن الثاني يتبع الأول في الصلاح، واما ما لا يتميز بطونه فإنه يجوز ان يباع كله ببدو صلاح البطن الأول لأن طيب الثاني يلحق طيب الأول عادة.

قال الخرشي: ان من اشترى ثمرة تستمر طول العام لا تنقطع وليس لها غاية تنتهي اليه، بل كلما انقطع شيء منها خلفه غيره كالموز فلا يجوز بيعه الا بعد ضرب الأجل وهو غاية ما يمكنه، وظاهره ولو كثر الأجل، وهو كذلك على المشهور[٢٠].

وعند الشافعية[٢١]: انه اذا باع الثمرة بعد بدو الصلاح والشجر يثمر في السنة مرتين، فينظر ان كان ذلك مما يغلب التلاحق فيه وعلم ان الحمل الثاني يختلط بالأول كالتين، لم يصح البيع الا بشرط ان

يقطع المشتري ثمرته عند خوف الاختلاط، وفيه قول: انه موقوف ان سمح البائع بما حدث لأنه تبين انعقاد البيع والا تبين انه لم ينعقد من اصله، واذا شرط القطع ولم يتفق، حتى حصل التلاحق والاختلاط فالحكم كما لو اتفق التلاحق فيما يندر فيه التلاحق، فإن كان مما يندر فيه التلاحق وعلم عدم الاختلاط او لم يعلم انه كيف يكون الحال، فيصح البيع مطلقاً وبشرط القطع والتبقية، وان حصل الاختلاط قبل التخلية وكذا بعدها، فقولان: احدهما: ينفسخ البيع، والثاني: لا ينفسخ، وهو الأظهر، ولو باع الثمرة قبل بدو الصلاح بشرط القطع ثم لم يتفق القطع حتى حصل الاختلاط، جرى القولان في الانفساخ.

وقال الرافعي: لو كان في البلاد الشديدة البرد كروم لا تنتهي ثمارها الى الحلاوة واعتاد اهلها قطعها حصرماً ففي بيعها وجهان: عن القفال انه يصح من غير شرط القطع تنزيلاً لعادتهم الخاصة منزل العادات العامة، وامتنع الآخرون من ذلك(٢٢).

وعند الحنابلة(٢٣): اختلفت الرواية عن أحمد فيمن اشترى ثمرة قبل بدو صلاحها فتركها حتى بدا صلاحها، فنقل عنه حنبل وابو طالب: ان البيع يبطل، وقال القاضي: هي اصح، وهو قول اكثر الفقهاء، لأن اكثر ما فيه من المبيع اختلط بغيره، ونقل عنه ابو داود ان اراد به حيلة فسد البيع وإلا لم يفسد، والظاهر كما قاله ابن قدامة: انه يتعين حمل ما نقله احمد بن سعيد في صحة البيع على من يرد حيلة، فإن اراد الحيلة وقصد القطع والحيلة على ابقائه لم يصح بحال، اذ قد ثبت من مذهب احمد ان الحيل كلها باطلة.

ومتى حكمنا بفساد البيع، فالثمرة كلها للبائع، وفي رواية انهما يتصدقان بالزيادة، قال القاضي: هذا مستحب لوقوع الخلاف في مستحق الثمرة، فاستحبت الصدقة بها، والا فحق انها للبائع تبعاً للأصل، كسائر نماء المبيع المتصل اذا رد على البائع بفسخ او بطلان، ونقل ابن ابي موسى في الارشاد، ان البائع والمشتري يكونان شريكين في الزيادة، واما ان حكمنا بصحة العقد، فقد روى انهما يشتركان في الزيادة لحصولها في ملكها، وعند الشيعة الامامية، ان لو كانت الشجرة تثمر في سنة واحدة مرتين، فالظاهر ان ذلك بمنزلة عامين، فيجوز بيع المرتين قبل الظهور(٢٤).

الرأي المختار: والرأي الذي نميل اليه ان بيع الثمار في حالة كونها متلاحقة او متجددة بعد بدو صلاحها ولو في بعضه، انه بيع صحيح لحاجة الناس اليه واعتيادهم

عليه ولأنه يشق على الناس التمييز بين الموجود والمتلاحق، ولأن الحديث جعل الغاية بدو الصلاح، وهذا يعني ان بعض الثمار لم تلحق بعد، وغالباً ان الناس يتسامحون فيما يتلاحق، الا ان تكون البطون متباعدة ومتميزة، ولذلك فإن القول بالجواز يتفق مع مقاصد الشريعة في التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم، ونرجحه كما قال الدكتور وهبة الزحيلي(٢٥):

الهوامش:

١- السرخسي، المبسوط ١٢/١٩٥، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٥٥ .

٢- ابن رشد، بداية المجتهد ٢/١٤٩ .

٣- الخرشي، حاشية الخرشي ٣/١٨٥، العدوي، حاشية العدوي ٢/١٦٨ .

٤- الشيرازي، المهذب ٣/١٠٣، النووي، المجموع ٤٣٤/ ١١، الرملي، نهاية المحتاج ٤/٤١ .

٥- ابن قدامة، المغني ٤/٩٩، البهوتي، كشاف القناع ٣/٢٨٥ .

٦- مالك، الموطأ، بشرح الزرقاني، كتاب البيوع ٣/٣٠٨ .

٧- الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٣ .

٨- السرخسي، المبسوط ١٢/١٩٦، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٥٦ .

٩- الشوكاني، نيل الأوطار ٥/٢٧٧ .

١٠- ابن قدامة، المغني ٤/٩٩، البهوتي، كشاف القناع ٣/٢٨٥، المقدسي، العدة ص٢٢٧ .

١١- السمرقندي، تحفة الفقهاء ٢/٥٥، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٥٦ .

١٢- ابن رشد، بداية المجتهد ٢/١٥١ .

١٣- الشوكاني، نيل الأوطار ٥/٢٧٧ .

١٤- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٦٠، ابن سلمون، العقد المنظم للحكام ١/٢٤٩ .

١٥- ابن قدامة، المغني ٤/١٠٦ .

١٦- الشعراني، الميزان الكبرى ٢/٦٩، الدمشقي، رحمة الأمة ص١٧٧ .

١٧- السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/٥٥، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٥ .

١٨- الموصلي، الاختيار ٢/٧، الميداني، اللباب ٢/١٠ .

١٩- الدردير، الشرح الصغير ٣/٢٣٥، الصاوي، حاشية الصاوي ٣/٢٣٥، الخرشي حاشية الخرشي ٣/١٨٥ .

٢٠- الخرشي، حاشية الخرشي ٣/١٨٦ .

٢١- النووي، المجموع ١١/٤١٨ و ٤٦٧، المزني، مختصر المزني ص٧٩، الرملي، نهاية المحتاج ٤/١٥٢ .

٢٢- الرافعي، فتح العزيز ٩/٦٤ .

٢٣- ابن قدامة، المغني ٢/٩٧، والكافي ٢/٥٩، البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٨٤ .

٢٤- الخميني، تحرير الوسيلة ١/٤٩٧ .

حقوق المرأة الاجتماعية
قوامة الرجل على المرأة في التشريع الاسلامي

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

❖ مقدمة:

سأتناول في هذه السلسلة من الدراسات، أهم المعضلات والقضايا التي تواجه المرأة المسلمة في العصور الحديثة، ضمن إطار المرجعية المقدسة وضمن نطاق السنة الصحيحة القولية والفعلية والسلوكية.

لقد بسط دوق داركور قلمه بالأذى ورسم صورة بذيئة وقاتمة للشعب المسلم كله، وخص المرأة بمزيد من التجريح والزراية، ورد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام المتأبية على الترقي والحضارة ؟!(١).

وما انفك أعداء الإسلام ومن يتربصون به الدوائر، يدعمهم في ذلك الجهلة والمتزمتون من المسلمين، يروجون بأن الإسلام هو السبب في تجهيل المرأة وهضم مكانتها وإنكار حقوقها المادية والأدبية وحجرها في البيت وسلبها حريتها في التصرف في شؤونها، وان الإسلام يضع المرأة في مكانة منحطة من الرجل الذي ملكه أمرها وفضله عليها في كل شيء وأوكل إليه التحكم بها وإدارتها وجعلها عورة ليس في جسدها فحسب بل وفي صوتها حتى غدت مجرد متاع للرجل، وأصبح الإسلام متهما بإهانة المرأة واستضعافها وحجرها وعدم السماح لها بالخروج حتى ولو كان بهدف العبادة والصلاة في المساجد، وبجعلها مجرد فتنة و مغرية

للرجل، فيحاول منعها من حتى السلام على الرجل ويحرمها من التعليم ومن شرف الجهاد والعمل والتمتع بالطيبات التي أوجدها الله تعالى للمؤمنين، بل حط من قدراتها العقلية والعاطفية والحقوقية فجعلها مساوية لنصف الرجل في الميراث والشهادة وكل شيء!!.

والحقيقة أن كل هذه الاتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، فقد أرسى الإسلام حقوقا أساسية للمرأة موثقة في كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من أمامه، واهم هذه الحقوق حقها في الحياة وذلك عبر إدانة وحظر وأد البنات الذي كان شائعا في العصر الجاهلي، وخلصها من حالة الاستباحة والاستهانة والدونية، وبوأها مكانة كريمة تليق بالإنسان الذي استخلفه الله في الأرض حيث لا تفرقة بين الجنسين فيما يتعلق في الحقوق الأولية، في التكليف والجزاء والحدود والعقوبات الشرعية وأهلية التصرف والتعاقدات المالية والولاية الذاتية وعلى البيت والأولاد والعمل والاشتراك في الجهاد والقتال، وقد انزل الله تعالى بشأنها سورا وآيات قرآنية تبوئ المرأة موقعا متميزا في التنزيل ومجرياته، لم تبلغه حواء قط في الكتب والرسالات السابقة للإسلام ولا عند الأمم جميعها.

فالإسلام أنصف المرأة ورفع مكانتها وساوى بينها وبين الرجل وجعلها نصف المجتمع ونصف الحياة الإنسانية، فالإنسانية كائن لا يعيش إلا بجناحين هما الرجل والمرأة معا وان انكسار احد الجناحين يعني التوقف عن الحياة.

وقد تصدى الأستاذ قاسم أمين لهذه الاتهامات وقام بتفنيدها موضحا حقوق المرأة في الإسلام وما كفله الدين لها من كرامة مادية وأدبية ووازن بين حجاب السترة والاحتشام عند المسلمين وبين تبذل المدنية الحديثة، وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك، وعزى تخلف المرأة المسلمة إلى تقاليد وعادات غريبة عن التوجيه الإلهي والسلوك النبوي ناشئة عن أخطاء الشعوب وجهلها ولم يرد فيها أي نص في الإسلام، وان جل ما ينسب إلى الإسلام إنما هو قيم موروثة من عصور التخلف وإغفال تعاليم الإسلام الأصلية التي نظرت إلى المرأة بوصفها شقيقة الرجل وعضوا نشطا في المجتمع لقوله ﷺ: "النساء شقائق الرجال"[٢].

فقد بايعت المرأة العربية في بداية عهد الإسلام بيعة العقبة دون اعتراض، وبايعت على الموت تحت الشجرة في بيعة الرضوان، وكانت النساء المسلمات يصلين

في المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء، فقد روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت :ما أخذت "ق والقران المجيد " الا من لسان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة أي أنها حفظت السورة عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهي تسمع خطبة الرسول ﷺ وحيث لم يكن النبي ﷺ يستعمل مكبرات الصوت في خطبه، فهذا يعني أنها كانت تسمعها وهي في المسجد.

حيث كان يوصي النساء بأن يذهبن للمساجد غير متعطرات ولا متبرجات، وكن يشاركن في معارك النصر والهزيمة وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، وفي كل عصر وجدت نسوة نابغات قارئات فقيهات ولم يأمرها الإسلام بإخفاء الأيدي بالقفازات حتى في حر الصيف، ولا إخفاء الوجوه والأنوف والعيون بالنقاب فيعطل وظائف هذه الحواس الهامة، وتسير في الطريق على غير هدى ولا ترى ما أمامها ولا تستنشق الهواء وتعاني من وهج الحر ورائحة العرق؛ فهذه تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت إعمال التعاليم الإسلامية الجديدة فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها بالرغم من أن الشريعة الإسلامية كما يقول الأستاذ قاسم أمين: سبقت كل شريعة أخرى في مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية، من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها وإذا كانت هناك فروق معدودة فإنما هي احترام لأصل الفطرة الإنسانية وما ينبني عليها من تفاوت الوظائف وإلا فالأساس قول الله تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**(٣) وقوله تعالى: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**(٤).

وبالرغم من مساواة الإسلام للمرأة بالرجل دونما تفضيل مطلق لأي منهما على الآخر، فالرجل يفضل المرأة في بعض الأمور والمرأة تفضل الرجل في أمور أخرى، وذلك بقوله تعالى: **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾**(٥) أي بما فضلنا الرجال على النساء وبما فضلنا النساء على الرجال، مع التأكيد على مراعاة خصوصية

كل من الجنسين التي تفرض عليه وظائف ومهمات تختلف عن الآخر فيكملان بعضهما البعض، ولا يشبه احدهما الآخر فإن هناك بعض القضايا والأمور التي دار بشأنها نقاش وجدال بين مختلف الاتجاهات الفقهية والفكرية فيما يتعلق بعدم مساواة المرأة بالرجل واحتكار الرجل لهذه القضايا والأمور بحكم ذكوريته التي أهلته للتفوق على المرأة بحكم أنوثتها ولم يتم الاتفاق على رأي واحد بشأنها.

وإنني إذ أتناول هذه الأمور بالدراسة المرتكزة إلى التنزيل والسنة النبوية وإجماع الصحابة وأئمة المسلمين فإنني أرجو أن أتمكن من تقديم الرأي الفصل في حقيقة مكانة المرأة وحقها فيها جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل على أساس مبدأ التكامل والتعاون لا على أساس مبدأ الصراع والتناحر على السلطة انطلاقا من قول رسول الله ﷺ: "كل ميسر لما خلق له"(٦).

❖ قوامة الرجل على المرأة:

هناك العديد من المسائل و القضايا المرتبطة بعلاقة المرأة بالرجل على أساس تفضيل الرجل على المرأة، تثير جدلاً حاداً و مزمناً سواء عند الفقهاء المسلمين أو حتى عند غير المسلمين ممن يحاولون الإساءة إلى الإسلام بإلصاق الاتهامات التي ليست منه في شيء، **وأول هذه القضايا و أهمها: هي قضية قوامة الرجل على المرأة** التي وردت في قول الله تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم﴾**(٧).

حيث يذهب بعض فقهاء السلف إلى تحميلها معاني ثقيلة خارجة عن مضمونها، استغلها أعداء الإسلام و اخذوا يستندون إليها في المبالغة في تفسير معنى القوامة و محاولة شحنها بمفاهيم تسيء لموقف الإسلام من المرأة، و من انه ينقص من مكانتها و يفضل الرجل عليها إلى درجة انه أعطاه الحق في تربيتها و إدارتها و عقابها عقاباً بدنياً و معنوياً، و أنها لا تملك من أمرها و من أمر أسرتها شيئاً أمام قوامة الرجل التي ترتب حقوقاً للزوج يتجلى حدها القصوى في حقه بأن يمارس عنفاً ماديا و جسدياً تجاه زوجته"(٨).

فيلاحظ من تفاسير السلف انه جرى شحن آية القوامة بمضامين ومعاني لا قبل للآية بها لا موضوعياً ولا معرفياً ولا منطقياً، وجرى تحميلها كل ما يجيش في صدور المفسرين من اعتقادات وأفكار وآراء مرتبطة بالقيم التي كانت سائدة قبل الإسلام وقبل التنزيل الحكيم الذي منح المرأة حقوقاً لم تكن تعرفها من قبل

ووضعها على طريق جديد تخطو فيه إلى رحاب الحرية والحياة الفضلى ويكاد يجمع هؤلاء الفقهاء والعلماء على أن كلمة قوام على وزن فعال صيغة مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه.

فقيام الرجال على النساء هو: تأديبهن والأخذ على أيديهن بسبب ما منحهم الله من العقل والتدبير وخصهم به من الكسب والإنفاق"[٩]، وهو أن يقوم الرجل بتدبير المرأة وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من البروز وأن عليها قبول أمره وطاعته ما لم تكن معصية وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة والعقل والقوة في أمر الجهاد والميراث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١٠]، وأن الرجال يقومون على النساء آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعية بما فضل الله بعضهم على بعض، أي بسبب تفضيل الله لبعضهم وهم الرجال على بعض وهن النساء"[١١]، و قد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة و الفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب بالميراث"[١٢].

إن هذا المفهوم للقوامة يعني استبداد الرجل وقهره لأهل بيته وهذا خطأ فادح لا يتفق وطبيعة تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الإحسان للأهل في المعاملة والتوسعة عليهم في الانفاق وجعل العلاقة بين ركني الأسرة علاقة مودة واحترام وتقدير، وقد وصفها الله تعالى بعبارة وجيزة في كلماتها واسعة في معانيها بقوله تعالى: **﴿احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن﴾**[١٣] واللباس يحيط بالبدن كله فيكسبه الدفء والراحة **وهذا تشبيه بليغ في وصف مكانة كل من الزوجين لصاحبه بشموله بعطفه وحنانه شمول الثوب للبدن وهذا تمازج بين حياتين يكاد يجعلهما كياناً واحدا، وليست الغريزة الجنسية هي الجامع المشترك الوحيد بين الزوجين فالنزوة العابرة لا تصنع حياة دائمة"**[١٤].

فالمرأة عنصر استقرار وسكن واطمئنان وراحة وسعادة داخلية وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة عنصر امن وأمان وحماية وبالتالي إحساس بالطمأنينة وهما لبعضهما البعض عنصرا المودة والرحمة والتآلف والتضامن والتكافل، وليست العلاقة الجنسية إلا وسيلة للإنجاب وحفظ النوع البشري الذي خلقه الله تعالى واستخلفه في الأرض لعمارتها وعبادته لا يشرك به شيئا، ولو كانت هي الهدف من الزواج وهي الرابط الوحيد بين الزوجين لكانت رباطاً

هزيلاً واهياً لا تقوى على تمتين عرى هذه العلاقة الفريدة من نوعها، والتي تربط الزوجين في سنوات العمر المتقدمة التي تكاد تنعدم فيها رغبة المرأة في ممارسة الجنس أو تفتر كثيراً لأسباب عديدة لعل أهمها الاسباب الفسيولوجية، وتقل رغبة الرجل أو تنعدم لأسباب عديدة لعل أهمها الأمراض العضوية.

من هنا فإن الله تعالى تقديراً لهذه العلاقة الخاصة و الفريدة، اعتبرها ميثاقاً غليظاً لا يسهل حله و فرطه، و ليس هو كما يتخيل البعض أو كما يحلو للبعض الآخر أن يعتقد انه عقد شراكة واتفاق على النكاح والحصول على المتعة، فالزواج اكبر من أن يكون عقد ارتفاق بجسد المرأة[١٥].

وحقيقة معنى القوامة كما وردت في الآية الكريمة أنها تسير ورعاية شؤون البيت بطريق الملاحظة والتوجيه والإرشاد والعمل على تصويب ما قد يحدث من أخطاء أو انحراف في البيت، فالقوامة مسؤولية تنظيمية إشرافية تلحق بالرجل واجبات لصيقة بطبيعته ومردودها لرعاية المرأة لا للتسلط عليها ولحمايتها وليس لقهرها ولخدمتها وليس لإرهاقها ولتسيير شؤون البيت بعد مشاورتها وللإنفاق على الأسرة وتأمين حاجاتها، فالقوامة لا تعني استعلاء الرجل ولا تأذن له بمصادرة إرادة زوجته وإلغاء حريتها وحقوقها ولا بالاعتداء عليها بالقول أو بالفعل ولا بأكل أموالها والتصرف فيها دون إذنها ولا بمنعها من حق التعلم ومن ضرورات العمل، وبعبارة موجزة: **فإن القوامة رحمة بالمرأة وعبء على الرجل** ووقاية من استبداد أي طرف بالآخر، ومن لجوء أي طرف للعنف لدفع الضرر عنه أو للإضرار بشريكه، فهي إحدى قواعد التنظيم التي تكفل سلامة الأسرة وحسن استقرارها"[١٦].

والقوامة بهذا المعنى هي القيام على شؤون البيت والأهل، وهي أيضا تعني القيام على أمر هذا الدين وفق الشرع والالتزام بالعدل والقسط لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾**[١٧]، وبذلك فهي سمة عامة على مستوى الأمة ومسؤولية تكليفية على الرجل في أسرته في إطار عقد الزواج، وهي في كلا المستويين قرينة التوحيد والعدل وقد حدد الإسلام طبيعة سلطة الرجل في أسرته، اذ جعل مفتاحها كلمة "قوام" أي القائم على شؤون الأسرة وتقتضي القسط في شؤون من أوكل إليه أمرهم"[١٨]، يقول الأستاذ احمد موسى: إن القوامة للرجل لا تزيد عن أن له بحكم أعبائه الأساسية وبحكم تفرغه للسعي على أسرته والدفاع

عنها ومشاركتها في كل ما يصلحها، أن تكون له الكلمة الأخيرة -بعد المشورة- ما لم يخالف بها شرعا أو ينكر بها معروفا أو يجحد بها حقا أو يجنح إلى سفه أو إسراف، فمن حق الزوجة إذا انحرف زوجها أن تراجعه ولا تأخذ برأيه وان تحتكم في اعتراضها عليه بالحق إلى أهلها وأهله أو إلى سلطة المجتمع الذي له وعليه أن يقيم حدود الله لأن الأصل في الشريعة انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سواء كان الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم"[١٩].

والقوامة تنطوي على أمرين هامين هما:

أ- أن يأخذ الرجل على عاتقه توفير حاجات المرأة المادية والمعنوية بصورة تكفل لها الإشباع المناسب لرغباتها وتشعرها بالطمأنينة والسكن.

ب- أن يوفر لها الحماية والرعاية ويسوس الأسرة بالعدل.

وقد تثور مشكلتان في مسألة القوامة، مشكلة لدى المرأة في اعتراضها على قوامة الرجل ومشكلة لدى الرجل في سوء استخدام القوامة لعدم فهم أبعادها وعدم التقيد بموجباتها فإذا أساء الرجل استخدام صلاحيات القوامة أو تعسف فيها أو تجاوز صلاحياته المقررة شرعا فإن من حق ولي الأمر -ممثلا في الحاكم أو القاضي- التدخل للحد من تصرفاته غير المشروعة لحماية الزوجة والأبناء"[٢٠].

هل القوامة تفضيل مطلق للرجل على المرأة؟

يرى معظم فقهاء السلف أن قوامة الرجل على المرأة هي قوامة تفضيلية للرجل على المرأة وان علة القوامة هي "الرجولة" وصاحبها المتصف بها قوام على النساء لعلة الأنوثة، فالعلة هي للأنوثة وهذا الوصف ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان أي أن الرجولة علة للقوامة والأنوثة علة للتي يقام عليها"[٢١] ويرى أصحاب هذا الفقه تعميم القوامة إذ أن القران لم يقيد قوامة الرجال على النساء في البيوت فلم يأت بكلمة في البيوت في الآية مما لا يمكن بدونه أن يحصر الحكم في دائرة الحياة العائلية وإنما هي تتسع دائرتها إلى الحياة المجتمعية العامة فكما انه لم يجعلها قواما في بيتها فلا يمكن أن يجعلها قواما على ملايين البشر من أبناء مجتمعها"[٢٢] **ويمكن تصنيف آراء الفقهاء في القوامة في ثلاثة اتجاهات:**

● **فالإتجاه الأول يقول برأي السلف وهو:** "إن القوامة داخل البيت حق للرجل بصفته رجلا لا لأي صفة أخرى"[٢٣] ويقول: إن الله تعالى يخبرنا أن جنس الرجل هو

المهيأ للقيادة بما أودعه الله تعالى فيه من صفات، فالرجل اقرب إلى تحكيم النظر العقلي، والمرأة على وجه العموم اقرب في معظم حالاتها إلى الاستجابة للعاطفة ومتطلباتها، وان المرأة تعتريها حالات خاصة من الحيض والحمل والولادة والرضاعة وسن اليأس تتسبب عنها متاعب صحية ونفسية تؤدي إلى عدم الاستقرار المزاجي والنفسي للمرأة.

● **أما الإتجاه الثاني وهو ما يعرف بالمستنير** فإنه يرى أن الأسرة باعتبارها مؤسسة لا بد لها من رئاسة ولا يختلف اثنان أن الرجل يمتاز غالبا بغلبة العقل على العاطفة بينما تمتاز المرأة بفيض من العاطفة والحنان زيادة عن الفروق البدنية والنفسية، ويضيف هذا الاتجاه أن الرئاسة في الأسرة ليست استبدادية بل شورية لان الشورى خلق للمسلم في كل شؤونه.

● **وأما الإتجاه الثالث وهو الأكثر استنارة** فيرى أن القوامة تكليف للرجل وليست تفضيلا للرجل على المرأة وان كان التكليف لا ينفي زيادة التشريف إذ لو أراد لقال الله تعالى: بما فضل الله الرجال على النساء ولكنه قال: **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾**، فأتى ببعض مبهمة وهذا يعني أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود حركة وكدح من جانب الرجل للإنفاق يقابله فضل من ناحية أخرى وهو أن المرأة لها مهمة لا يقدر عليها الرجل فهي مفضلة عليه فيها واتى بكلمة بعض ليكون هذا البعض مفضلا في ناحية ومفضولا عليه في ناحية أخرى[٢٤].

والحقيقة هي أن الآية الكريمة لم تقرر تفضيل الرجل على المرأة أفضلية مطلقة بل هي مشروطة في الشق الثاني من الآية بقوله سبحانه وتعالى: **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** فإذا سقط احد هذين الشرطين سقطت القوامة وهذا مثل قوله تعالى عن المسلمين: **﴿كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[٢٥].

فالأمة الإسلامية لم تولد خير امة وإنما أصبحت خير امة عندما أخذت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وستبقى لها هذه الخيرية ما دامت مؤدية لشروطها فإذا قصرت في هذه الشروط انتفت عنها الخيرية وكذلك قوامة الرجل مشروطة بشرطين فهي قائمة ما دام الشرطان قائمين فان انتفى احدهما انتفت القوامة، لان التفضيل الذي يذكره الله تعالى لا يختص بالذكورة والأنوثة وإنما فضل الله

الناس بعضهم على بعض بالتقوى فقال: **﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾**[٢٦] وقد ذكر الله تعالى علة التفضيل بما فضل الله بعضهم على بعض، فجاءت بعض الأولى مبهمة لم تنص على"الرجال" وذلك ليكون معناها شاملا لأفضلية الرجل على المرأة في جانب الكد والتعب خارج المنزل، وأفضلية المرأة على الرجل في جوانب أخرى كالإنجاب واعمار الأرض، وكلمة بعض الثانية مبهمة أيضا لم تنص على "النساء" وإنما تعني الطرف المفضول عليه سواء من النساء أو الرجال، ولو أراد الله تعالى تقرير أفضلية الرجال على النساء أفضلية مطلقة لقال تعالى : "بما فضل الله الرجال على النساء" أو "بما فضلهم عليهن" وكذلك ربط القوامة بالعامل الاقتصادي المهم في حياة البشر فقال تعالى: **﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾** فجعل الرجال مطالبين بالإنفاق على النساء مقابل جعلهم قوامين عليهن فإذا عجز عن الإنفاق عليهن انتفت القوامة، لان القوامة ليست قرينة الذكورة بل قرينة الرجولة وهناك اختلاف بين الذكورة المجردة وبين الرجولة التي هي آداب وسلوكيات إنسانية سامية، يتحمل الرجل في ظلها أمانة القوامة وتظل التقوى في الميزان الإيماني هي معيار التفاضل أما الإجتهاد في إثبات قوة الرجل وضعف المرأة بيولوجيا وعاطفيا بل وعقليا فيرتبط الأمر بخصائص يتجاوزها الزمن في عالم المعلومات والتقنية التي لم تعد معها للقوة البدنية الدور المحوري"[٢٧].

وهكذا فإن هذه القوامة التي يحاول أعداء الإسلام اتخاذها وسيلة في محاولة اتهام الإسلام بأنه حط من مكانة المرأة وسلط عليها الرجل وسلبها حريتها وحقها في إبداء الرأي، ليست قوامة تحكم أو إذلال لشأن المرأة أو انتقاصا لحقوقها إنما هي مسؤولية وتبعة في دائرة الإشراف والحفاظ على كيان الأسرة ليؤدي كل فرد واجبه المنوط به وان هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها، وان وجود هذه القوامة في هذه المؤسسة لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها والعاملين في وظائفها"[٢٨].

لقد جاء الإسلام بأحكام متنوعة خص الرجال ببعضها وخص النساء ببعضها وميز بين الرجال والنساء في قسم منها، وأمر أن يرضى كل منهما بما خصه الله به من أحكام ونهاهم عن التحاسد وعن تمني ما فضل به بعضهم على بعض فقال تعالى: **﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على**

بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[٢٩] وهذا التخصص في الأحكام ليس معناه عدم مساواة وإنما هو علاج لأفعال الأنثى باعتبارها أنثى وعلاج لأفعال الذكر باعتباره ذكراً وكلها قد عولجت بخطاب يتعلق بأفعال العباد كلهم"[٣٠]، فليست الأحكام الخاصة بالرجل تفضيلاً له على المرأة، ولا الأحكام الخاصة بالمرأة تفضيلاً لها على الرجل وإنما كل منهما متعلقة بطبيعة الرجل والمرأة، ولا تقل إحداهما عن الأخرى من حيث الأهمية والأفضلية.

ومما هو جدير بالملاحظة والتوضيح هو أن الزوجة ليست شريكة الزوج بمعنى شراكة في العمل أو في تجارة وإنما هي شريكة له بمعنى صاحبة ومصاحبة لزوجها في السراء والضراء وفي جميع الأحوال فالعشرة بينهما ليست عشرة شركاء وليسا مجبرين عليها طوال الحياة وإنما العشرة بينهما عشرة صحبة يصحب احدهما الآخر صحبة تامة في جميع الوجوه، صحبة يطمئن فيها احدهما للآخر، إذ جعل الله تعالى الزوجة محل اطمئنان للزوجين معاً، قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[٣١].

والسكن هو الاطمئنان أي ليطمئن الزوج إلى زوجته وتطمئن الزوجة إلى زوجها ويميل كل منهما إلى الآخر ولا ينفر منه فالأصل في الزواج الاطمئنان والأصل في الحياة الزوجية الطمأنينة، فحتى تكون صحبة الزوجين صحبة هناء وطمأنينة أوضح الله تعالى ما للزوجة من حقوق على زوجها وما للزوج من حقوق على زوجته وما للأبناء من حقوق على الوالدين وما للوالدين من حقوق على الأبناء وجاءت الآيات والأحاديث صريحة وواضحة بهذا الخصوص فقال تعالى: **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾**[٣٢].

فالآية صريحة وواضحة وهي أن للمرأة حقوقاً على زوجها مثل حقوقه عليها وهذا بالمفهوم العام مساواة تامة بين الزوجة والزوج، و إن كنت أميل إلى أن هذه المساواة ليست متشابهة فإلى جانب الحقوق والواجبات المشتركة للزوجين هناك حقوق خاصة بالزوج على زوجته وحقوق خاصة بالزوجة على زوجها، وبأداء كل زوج حقوق صاحبه تكون المساواة بينهما مساواة تكامل وتكافل وتعاون.

ثم تأتي العبارة الأخيرة من الآية بعد أن تم المعنى الأول، فتذكر أن للرجال عليهن درجة وهذه الدرجة هي القوامة، فهذه

الدرجة وهي درجة القوامة لم تقم على أساس نقص ذاتي في المرأة وإنما على أساس التطبيق العملي والكسبي، **فالمقصود بالدرجة زيادة نسبة صلاح الرجل من جهة رئاسة الأسرة عن صلاح المرأة لها،** فالمرأة صالحة لرئاسة الأسرة والرجل أصلح منها والمصلحة تقتضي تقديم الأصلح على الصالح وهو ما لا يعد طعناً في صلاحية المرأة وذاتيته(٣٣).

قال الشيخ محمد عبده في تفسيره: وأما قوله تعالى: **﴿و للرجال عليهن درجة﴾** فهو يوجب على المرأة شيئاً و على الرجل أشياء و ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم﴾** فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم و رغباتهم في بعض الأمور، و لا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل منهم ضد الآخر فتنفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لأنه اعلم بالمصلحة واقدر على التنفيذ بقوته وماله، ولهذا كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته بالمعروف"(٣٤).

لا بد لأية جمعية أو جماعة أو هيئة من رئيس وعلى ذلك فالأسرة باعتبارها مؤسسة مجتمعية تتكون من عدد من الأشخاص لا بد لها من رئيس، فمن يكون الرئيس؟ لا يختلف اثنان أن الرجل يمتاز -عادة- بغلبة العقل على العاطفة بينما تمتاز المرأة بفيض من العاطفة والحنان إضافة إلى الفروق البدنية والنفسية والفسيولوجية، حيث أنها تمر في بعض الفترات بحالة من الضعف البدني والنفسي بطبيعتها الفسيولوجية تلجئها إلى قدر من اعتزال الحياة العامة كما هو الحال في أيام الحيض والحمل والولادة والنفاس والرضاعة، بينما الرجل يظل -عادة- متمتعاً بمزيد من القوة العضلية ومن القلق الحافز على المضي والصراع الايجابي الخارجي بينما القلق الحافز عند المرأة غالبا ما يدور حول أطفالها وتدبير شؤون بيتها.

هذا فضلاً عن اتساع دائرة مخالطة الرجل لمجالات الحياة خارج البيت واستمرار نشاطه العام الخارجي على وتيرة واحدة مما يجعله اقدر على كسب خبرة أوسع واثبت"(٣٥) ومن باب التأكيد نقول: إن قوامة الرجل على أهله ورعايته لشؤون بيته لا تعني انه الحاكم المتسلط الذي يأمر وينهى دون نقاش وإنما هي تعني مجرد الرعاية والإشراف وفصل الأمر في حال

تعدد الآراء واختلافها حيث لا بد من رئيس ينهي النقاش ويحسم الخلاف ويقول الكلمة النهائية للوصول إلى قرار، وهذا يعني أن للمرأة أن تناقش زوجها وترد كلامه وان تراجعه فيما يقول لأنهما صاحبان وليسا أميرا ومأمورا أو حاكما ومحكوما بل هما صاحبان جعلت القيادة والرئاسة لأحدهما من حيث إدارة بيتهما بالتشاور انطلاقا من مبدأ دعوة الإسلام للوحدة في كل شيء فالإسلام دعا إلى وحدة الإله فقال تعالى: **﴿قل هو الله احد﴾**[٣٦] ودعا إلى وحدة الدين: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[٣٧] ودعا إلى وحدة الكتاب: **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾**[٣٨] ودعا إلى وحدة الرسول ﷺ: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[٣٩] ودعا إلى وحدة القبلة: **﴿فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**[٤٠] ودعا إلى وحدة الأمة: **﴿إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[٤١] وكذلك دعا إلى وحدة القيادة فقال النبي ﷺ: "إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤَمِّروا أحدهم"(٤٢) وقال أيضا: "من أتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"[٤٣].

ومن هذا المنطلق في حرص الإسلام على وحدة القيادة لتنظيم الأمور وضمان حسن سيرها ووجود من تكون له صلاحية اتخاذ القرار حتى لا يبقى الحال عائما وفوضى، قرر الله تعالى أن يكون للأسرة - التي تحتاج إلى إدارة ورعاية وتنظيم وتوفير المؤونة والسكن وضمان التربية السليمة والقويمة والذود عنها - شخص قائم ومنسق وموجه، فكان اختيار الزوج لهذه القيادة والقوامة المحددة والمشروطة لما يتمتع به من صفات وخصائص بدنية وفسيولوجية واجتماعية تؤهله لحمل أعباء هذه المسؤولية الخطيرة والصعبة مما لا يتوفر في الزوجة، ثم انه لو تم اختيار الزوجة لهذه الرياسة فسيقوم جدال اشد من الحالي حول أسباب اختيارها هي وليس الرجل.

وقد كان رسول الله ﷺ المثل الأروع في إعطاء القوامة مفهومها الإنساني القائم على العدل والمشورة والمودة فقد كان في بيته صاحبا لجميع زوجاته، وليس أميرا متسلطا عليهن بالرغم من انه كان رئيس دولة وقبل ذلك وفوقه فهو نبي الله ورسوله فقد كان ﷺ جميل العشرة يداعب أهله ويتلطف بهن ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة رضي الله عنها ليتودد إليها بذلك وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله ويسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤنسهم بذلك وكان يقول لأصحابه :"خيركم خيركم

لأهله"(٤٥) وكان دائما يدعو للرفق بالمرأة والإحسان في معاملتها فقال ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"(٤٦) وورد عنه انه ﷺ قال:"إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله"(٤٧) وهناك إجماع في كتب السيرة على «انه لم يرفع يده الكريمة قط نحو امرأة من نسائه إلا ملاطفا أو مداعبا أو مواسيا"(٤٨) بل انه ﷺ ذهب في حرصه على الإحسان إلى المرأة وعدم الإساءة إليها أو اهانتها، إلى أن اعتبر ضرب الرجل لزوجته يعطي الحق للزوجة في الافتراق عنه إن شاءت، مما يعني أن الضرب ممكن أن يكون سببا مقبولا للطلاق، وكانت الشورى نهجه مع أهل بيته فقد كان يستشير نساءه ويقبل مشورتهن وكن يستشرنه، فقد استشار ﷺ زوجته خديجة عندما نزل عليه الوحي لأول مرة فطمأنته وهدأت من روعه وأشارت عليه بمراجعة ابن عمها ورقة بن نوفل ورافقته إليه، بل إن زوجته أم سلمة رضي الله عنها قدمت له المشورة دون أن يطلب منها وذلك عند إبرام صلح الحديبية مع المشركين حيث أمر المسلمين بالتحلل ونحر الهدي فلم يمتثلوا لأمره لعدم رضاهم عن بنود الصلح فأشارت عليه أم سلمة أن يبدأ هو نفسه بذلك فيتحلل وينحر فيتبعوه وفعلا اخذ بمشورتها فتحلل ونحر وتبعه المسلمون فتحللوا ونحروا.

ومما لا شك فيه أن اهتمام النبي ﷺ العميق بشأن المرأة المسلمة ومصيرها لازمه حتى آخر حياته، فهو لم يكتف بالتشديد في كل مناسبة على معاملة المرأة معاملة حسنة، بل شدد على ذلك في آخر خطبة له للمسلمين التي ألقاها في حجة

الهوامش:

١- محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشرق، القاهرة ط ٦، سنة ١٩٩٦م، ص٣٠.

٢- رواه أبو داود والترمذي وأحمد و الدارمي و ابن ماجة و قال: حديث صحيح، انظر محمد بن عبد الله التبريزي مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني١/١٣٨ .

٣- سورة آل عمران، الاية ١٩٥.

٤- سورة النحل، الآية ٩٧.

٥- سورة النساء، الاية ٣٤.

٦- ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٧٤/٨ .

٧- سورة النساء، الاية ٣٤.

٨- د. فريال مهنا، إسلام أم ملك يمين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م ص ٢٤٤.

٩- الطبري، مختصر جامع البيان عن تأويل آي القران، دار القرآن الكريم، بيروت ١٩٨٣، ص ١٥٣.

١٠- عبد المجيد الزنداني، المرأة و حقوقها

السياسية في الإسلام، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٣، نقلاً عن الطبري الجامع، جـ ٥ . ص ١٦٩.

١١- د. فريال مهنا، مرجع سابق، ص ٣٩.

١٢- الزمخشري، الكشاف، جـ ١، ص ٢١٧.

١٣- سورة البقرة، الآية ١٨٧

١٤-١٥- محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ١٥٤.

١٦- الشيخ طه الصابونجي، العلاقات الزوجية بين الرحمة والعنف، المرأة في الشريعة الإسلامية وفي التشريعات الدينية والمدنية، بيروت، سنة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٠.

١٧- سورة النساء، الآية ١٣٥.

١٨- د. وهبة رؤوف عزت، المرأة و الدين و الأخلاق، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٨٦.

١٩- محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ١٥٥.

٢٠- د. وهبة رؤوف عزت، مرجع سابق، ص ١٨٦.

٢١- عبد المجيد الزنداني، مرجع سابق، ص ٤٤.

٢٢- د. فريال مهنا، مرجع سابق، ص ٤١.

٢٣- عبد المجيد الزنداني، مرجع سابق، ص٤٦.

٢٤- د. فريال مهنا، مرجع سابق، ص٤٢-٤٣.

٢٥- سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٢٦- سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢٧- د. وهبة رؤوف عزت، مرجع سابق، ص ١٨٨.

٢٨- سيد قطب، الإسلام و تنظيم الأسرة، ص ٦١.

٢٩- سورة النساء، الآية ٣٢.

٣٠- تقي الدين النبهاني، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار الأمة، بيروت، ١٩٩٠ م، ص٨٣ .

٣١- سورة الروم، الآية ٢١.

٣٢- سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

٣٣- د. وهبة رؤوف عزت، مرجع سابق، ص ١٨٨.

٣٤- الشيخ محمد عبده، تفسير المنار، جـ ٢، ٣٠١- ٣٠٢.

٣٥- عبد الحليم ابو شقة تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم، الكويت، ٢٠٠٢ م، ط٢، جـ ٥، ص ١٠٠.

٣٦- سورة الاخلاص، الآية ١.

٣٧- سورة آل عمران، الآية ١٩.

٣٨- سورة الاسراء، الآية ٩.

٣٩- سورة الفتح، الآية ٢٩.

٤٠- سورة البقرة، الآية ١٤٤.

٤١- سورة الانبياء، الآية ٩٢.

٤٢- رواه أبو داود وقال: حديث حسن، أنظر رياض الصالحين رقم ٩٦٠، ص٢٥٩

٤٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الامارة، باب حكم من فرق امر المسلمين، رقم ٣٤٤٣ .

٤٤- د. وهبة رؤوف عزت، مرجع سابق ص ١٩١- ١٩٢.

٤٥- رواه الترمذي في السنن، كتاب الرضاع رقم ١٠٨٢، وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجة في السنن، كتاب النكاح، رقم ١٩٦٨ .

٤٦- ابن ماجة كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، رقم ١٦٠٩ .

٤٧- البخاري في صحيحه، رقم ٦٨٩

٤٨- عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ص ١١٥-١٤٩.

٤٩- البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، رقم ١٧٧٢، مختصر صحيح البخاري للزبيدي، ص٤٥٦ ومسلم في الصحيح، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ج١٠، ص٥٨ .

ماذا نعمل تجاه ما يحدث اليوم؟

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

فليس بخاف على أحد ما تمر به البشرية جمعاء من أحداث كبرى، قد ينتج عنها تغييرات في جغرافية الدول وحدودها وسياساتها، فتدخل دول في طيات التاريخ بعد ان كانت تعيش واقعاً ملموساً، وتنشأ دول أخرى على أطلالها ورفاتها.

ومن قرأ التاريخ يجد ان الأحداث الكبرى التي تمر بها الأمم، تكون لها نتائج يعز فيها رجال ويذل آخرون، وترتفع فيها أمم وتندثر أخرى، والواجب على أولي العلم والدعوة والفكر والثقافة وأصحاب القلم واللسان، توجيه جمهور الأمة الى الطريق الصحيح في التفاعل مع الأحداث والتعامل مع آثارها ونتائجها، مشاركة في عملية الإصلاح والتوجيه، ومساهمة في الدلالة على الخير.

ومن هذا المبدأ فإنني أسجل للقارئ الكريم، بعض ما أرى أنه نافع في مثل هذه الأزمات، ولا سيما ان البشرية عموماً، والأمة المسلمة على وجه الخصوص تمر بوقت عصيب، نسأل الله تعالى أن يختار لنا ما هو خير في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب.

والأمور التي أود التأكيد عليها هي ما يلي:

أولاً: ان كل ما يجري في الكون لا يخرج عن تدبير الله تعالى وتقديره قيد انملة، وان ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وبناء على ذلك فإنه يجب علينا الايمان بقضاء الله وقدره، والتسليم بذلك، والرضى به، وحسن الظن بالله، وذلك باليقين بأنه تبارك وتعالى لا يقدر شراً محضاً، لأن الشر

ليس اليه تبارك وتعالى، وكل ما يقدره لا بد ان يكون فيه خير بوجه من الوجوه.

وبما ان الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، فإنه يجب علينا ان نطلب العزة والنصر والأمن منه تبارك وتعالى، لأنه المالك الحقيقي لذلك، والمقدر له، والمدبر لما يحصل في الكون.

قال رب العزة سبحانه وتعالى: **﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾**(١)، وطلب العزة والنصر والأمن من الله تعالى يقتضي صدق التوجه اليه والتعلق بجنابه، والاعتراف بالعجز والضعف وقلة الحيلة، كما كان النبي ﷺ يقول: «لا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله»(٢).

وحصول النصر والأمن والعزة يكون باستدعاء الأسباب الحقيقية للنصر والعزة والأمن، وفي مقدمة ذلك نصر دين الله تعالى، وإقامة شرعه في النفس والأسرة وفي البيت والسوق والعمل وفي السياسة والاقتصاد والإعلام وكل شؤون الحياة، كما قال تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**(٣).

ونصر الله تعالى يكون بإقامة دينه، وتحكيم شرعه في الجليل والحقير، والكبير والصغير من غير تحريف ولا تبديل ولا انتقائية.

ثانياً: اننا لا نساوم احداً على أمرين مهمين مهما كان الثمن وهما:

الأمر الأول: لا نساوم على ديننا وعقيدتنا، فعليها نحيا وفي سبيلها نقاتل ونسأل الله تعالى ان نلقاه غير مبدلين ولا مغيرين، وبناء على ذلك فإن الحملات الاعلانية الغربية وعلى رأسها الصهيونية التي تنال من ديننا وعقيدتنا ومقدساتنا وقرآننا ومناهجنا، لن تشككنا في ثوابتنا ومسلماتنا، ولن تفلح في زحزحتنا عن عقيدتنا وديننا، وستكون عاقبتها بإذن الله تعالى الى البوار والخسران في الدنيا والآخرة.

وهذه الحملات المغرضة تستوجب تكاتف الأمة في ردها وفضحها، وتوجب على كل صاحب قلم ولسان ان يدافع عن حياض الدين، واحكامه وشريعته، ويرد الشبه عنه، ويكشف الزيغ ويظهر الحق لمن لا يعلمه، مع اخلاص النية لله تعالى، وسؤاله جل وعلا الإعانة والتوفيق والسداد.

الأمر الثاني: لا مساومة على قيادتنا ومن ولاه الله أمرنا، ففي رقابنا بيعة شرعية لهم، لا يسعنا الفكاك منها او نبذها، ونعوذ بالله تعالى ان نموت على شعبة من النفاق، ونسأله تبارك وتعالى لمن ولاه أمرنا حسن القصد، وحسن العمل، وحسن الاختيار فيما يقع من أحداث كما نسأله تعالى ان يسددهم وان يريهم الحق حقاً ويرزقهم اتباعه، وان يريهم الباطل باطلاً ويرزقهم

اجتنابه، وان يوفقهم لما فيه صالح الاسلام والمسلمين، والبلاد والعباد انه سميع مجيب.

والواجب علينا طاعتهم في غير المعصية عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**(٤).

كما يجب علينا النصح لهم عملاً بقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٥).

ومن النصح لهم: دلالتهم على الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم الى ما فيه صلاح الاسلام والمسلمين.

ثالثاً: إن العنف بات مشكلة تؤرق المجتمعات، وهو سبب لاختلال الأمن، واستنزاف الطاقات والمقدرات، وعلاجه لا بد أن يتسم بالشمولية والموضوعية بعيداً عن التهوين والتهويل، او الإفراط والتفريط، فلكل مشكلة تقع اسبابها، فالعثور على هذه الأسباب ومن ثم علاجها يكفل بإذن الله تعالى علاج هذه المشكلة، أما الانتقائية في البحث عن الأسباب، والأحادية في علاجها فلن تجدي شيئاً، وتجارب الأيام تثبت ذلك.

واذا كان الغلو في الدين مذموماً، والإسلام دين الوسطية، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه، فإن ذلك لا يعني تمييع الأحكام الشرعية، وتغيير الثوابت والمسلمات نزولاً عند أهواء البشر، او موافقة لمتطلبات المرحلة الحرجة.

وعلاج الغلو في الدين يكون بنشر العلم الصحيح، والدعوة الى الله تعالى على بصيرة، ودعم مجالات الدعوة الى الله عز وجل، بقصد رفع المستوى العلمي والثقافي لدى جمهور الأمة، مما يجعلهم في حصانة من التأثر بالتيارات المنحرفة والمغالية، وكذلك تقوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحجيم منافذ الفساد الاعلامية، وتقويم السلوكيات المنحرفة في الاتجاه الآخر، والأخذ على أيدي السفهاء والمفسدين الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، باسم التطور والتقدم والحضارة تارة، وتارة أخرى باسم الحرية والديمقراطية والتعددية والمؤسسات المدنية، لأن وجود هذه المنافذ المفسدة واتساعها يوماً بعد يوم، وصفاقة القائمين عليها، يؤدي الى استفزاز جمهور الأمة الذي يرى حرمات الله تنتهك، وفرائضه تعطل، فتحمله الغيرة على الانكار، نصرة لدين الله تعالى، وتعظيماً لحرماته ولربما أخطأ في الإنكار والمعالجة بسبب قلة العلم.

وكلما زاد المفسدون من بث فسادهم وشرورهم، زاد معه الاستفزاز وبالتالي صارات فرص انتشار العنف والعنف المضاد أكثر.

ان اعطاء المرجعيات العلمية الموثوقة حقها كاملاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبار رأيها في القرارات والتنظيمات يقلل من اسباب العنف وفرصه من جهة، ومن جهة اخرى يجعل هذه المرجعيات العلمية محل ثقة وقبول عند جمهور الأمة، مما يعني التزام الشباب بأمرهم، وعدم الخروج عن فتاويهم، وقبول نصائحهم وتوجيهاتهم، وبهذا ينحسر العنف بشكل كبير ولا يجد المغرضون والمفسدون من يستمع اليهم، أو يقبل بأطروحاتهم.

وقد جربت بعض الدول التي اكتوت بنار العنف معالجته بعنف مضاد، فتفاقمت المشكلة، وعظم الخطر، وقل الأمن فيها، حتى عادت مرة أخرى لفتح باب الحوار والإصلاح، وتقليل منافذ الفساد والاستفزاز فظهر لهم الأثر الايجابي لذلك.

رابعاً: الوحدة والتماسك مطلب شرعي ملح، أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**(٦)، وامتن سبحانه على عباده بأن جمعهم على كلمة التوحيد، فقال تعالى: **﴿واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾**(٧)، وقال سبحانه: **﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾**(٨).

وقد بين الله تعالى ان التنازع والفشل والفرقة والاختلاف سبب رئيسي للهزيمة والانتكاس والاقتتال، فقال تعالى: **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين﴾**(٩).

ونهانا تبارك وتعالى عن سلوك مسلك أهل الكتاب الذين حرّفوا كتبهم وبدلوا دينهم واختلفوا على أنبيائهم، فاقتتلوا وتحاربوا، وأفنى بعضهم بعضاً، فقال سبحانه: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**(١٠).

واذا كانت الوحدة والتماسك واجبة في حال السلم والأمن واستقرار الأحوال وهدوء الأوضاع، فإنها في المشكلات والأزمات تكون أوجب وألزم، لأن تنازع المسلمين فيما بينهم، اكثر شراً، وأعظم فتنة، وأشد خطراً من العدو الخارجي.

والوحدة التي نعنيها هنا، هي الوحدة الاسلامية التي أمر بها ربنا جل جلاله ورسولنا ﷺ، فوحدتنا هي في دين الله تعالى، وإخاؤنا ومحبتنا لا بد ان تكون

خالصة لله تعالى، مصروفة لمن يستحق المحبة والإخاء والولاية من إخواننا المؤمنين، اذ ان الله تعالى قد حصر الأخوة فيهم، فقال سبحانه: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**[١١].

إنه واجب على المسلمين -حكاماً ومحكومين- ان يتناسوا خلافاتهم في هذه الأوقات الحرجة، وان يجتمعوا على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وان يتعاونوا على البر والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، فالمسؤولية عظيمة، والخطر كبير، والتهديد إن نال بعضهم عصف بجميعهم.

كما يجب الحذر من الاجتهادات الفردية -مهما كانت نية صاحبها وإخلاصه وصدقه- فالتصرفات الفردية التي تمس كامل الأمة لا يجوز ان يستأثر في قرارها أو فعلها أفراد معدودون، بل لا بد ان تعرض على أولي العلم، وأهل الحل والعقد وان تشكل لها اللجان المتخصصة، وان يكون الرأي فيها جماعياً، فالشيطان من الجماعة أبعد، وهو من الواحد أقرب، وكلما كان الدارسون للقضية أكثر، كانوا الى القرار الصائب أقرب، ولربما ان تصرفاً خاطئاً اجتهد فيه صاحبه عن حسن نية، جرّ على الأمة وبالاً عظيماً.

خامساً: في مثل هذه الظروف الحرجة يحاول المفسدون على اختلاف انواعهم ومذاهبهم وأفكارهم اقتناص هذه الفرصة السانحة، والاصطياد في الماء العكر، بالدعوة الى مذاهبهم الفاسدة، وأفكارهم الضالة، والتأليب على الاسلام وأهله ودعاته.

ومن قرأ تاريخ المسلمين وجد ان هذه الفئات -التي تسمى في المصطلحات الحديثة بالطابور الخامس- تظهر في الأجواء المتوترة، والأوقات الحرجة، لتنحاز ضد الاسلام وكتابه وشريعته والملتزمين به، أوليس اصحاب هذه الدعوات يخدمون الأعداء بإحداث القلاقل والفتن، وتأليب المسلمين بعضهم على بعض؟!.

ألسنا ننفي ان يكون ديننا منبعاً للإرهاب والعنف؟ ونصيح بأعلى أصواتنا بأنه دين السماحة واليسر والوسطية، ثم يأتي هؤلاء ليقولوا للأعداء: ان الاسلام هو منبع التطرف، وان القرآن هو مصدر الإرهاب، أوليسوا يؤلبون الأعداء على المسلمين، وعلى دينهم وتراثهم؟! فأين هي وطنيتهم التي طالما تشدقوا بها؟! وأين دعواتهم الى الوحدة وعدم التفرق التي يرددونها على المسامع صباحاً مساءً؟!.

سادساً: عندما تتعاظم الأحداث وتتوارد الأخبار ينشغل اكثر الناس بها عن مصالح دنياهم وأخراهم، وقد شاهدنا في غمرة

هذه الأحداث اهتمام الناس بنشرات الأخبار، وبالتحليلات السياسية، والبرامج الحوارية المتنوعة، حتى ازدحمت على القارئ والمشاهد الكثير من التحليلات والبرامج، فأصيب بالحيرة من تضاربها واختلافها، كما انه لم يعد قادراً على متابعة اكثرها فضلاً عن الإحاطة بجميعها.

وهذا بدوره انعكس سلباً على مصالح الناس وأشغالهم، فعطلوا كثيراً منها، فضلاً عن إهمال بعضهم لبيوتهم وأسرهم، واجتماعهم مع أقرانهم على ما تبثه المحطات الإخبارية من أخبار، وقد أثرت هذه الأحداث على عبادات الناس وأورادهم وقراءتهم للقرآن، فالوقت ليس كافياً لمتابعة هذا الكم الهائل من الأخبار والتحليلات مع القيام بالواجبات الأخرى من دينية ودنيوية.

وكثرة العبادة في الفتن من اعظم اسباب الثبات على دين الله تعالى، وعدم الحيدة عنه، ذلك ان القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، والتثبيت هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾**[١٣].

وأحظ الناس بهذا الثبات هم من التزموا عبادة ربهم حتى في حال المحن، وأكثروا من الطاعات في الفتن، فلم تشغلهم الفتنة عن طاعة ربهم، ولم تجرهم الى القيل والقال، وما لا ينفع من الكلام، وقد ارشد النبي ﷺ الى ذلك بقوله: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ»[١٤].

قال النووي رحمه الله تعالى: «المراد بالهرج هنا: الفتنة، واختلاط امور الناس، وسبب فضل كثرة العبادة فيه: ان الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها،ولا يتفرغ لها إلا أفراد» فحري بالمسلمين ان يكثروا من عبادة الله تعالى في هذه الأوقات الحرجة.

سابعاً: علينا ان نحسن الظن بالله تبارك وتعالى، ونطلب المنح في المحن، ونستخرج النعم من طيات النقم، ونوقن بأن بعد العسر يسراً، وان الشدة يعقبها الفرج، ومهما كان حجم العسر وشدة الكرب، فإن من بعد ذلك فرجاً قريباً، وكلما اشتد الكرب وعظمت المصيبة كان الفرج أقرب.

الهوامش:

١- فاطر: ١٠ .
٢- أخرجه ابو داود ٤٤٢٦ .
٣- محمد: ٧ .
٤- النساء: ٥٩ .
٥- أخرجه مسلم ٨٢ .
٦-٧- آل عمران: ١٠٣ .
٨- الأنفال: ٦٣ .
٩- الأنفال: ٤٦ .
١٠- آل عمران: ١٠٥ .
١١- الحجرات: ١٠ .
١٢- الزخرف: ٦٧ .

تترستان
قطر مسلم عريق نسيه المسلمون!

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

لفت نظري في جريدة «أخبار المسلمين The Muslim News» الشهرية التي تصدر في بريطانيا باللغة الإنجليزية، في عددها الصادر يوم ٢٠٠٥/١١/٢٥، نبذة بقلم استاذ تركي اسمه «طاب كوجك جان» بعنوان «انبعاث الوعي الثقافي وإحياء التراث الاسلامي في تترستان».

كتبها بمناسبة افتتاح مبى جديد مؤخراً لجامع يسمى «جامع كل شريف» في مدينة «قازان» عاصمة إقليم «تترستان» بحضور رئيس البلاد، واسمه «منتمار شمييف» ومشاركة عدة آلاف من التتر المسلمين، احتفالاً بتلك المناسبة.

وقد قال الكاتب: انه يريد بنبذته هذه ان يلقي الضوء على بروز تعلق التتر العميق بجذورهم الروحية والثقافية، الأمر الذي ظهر بوضوح في ظل التحولات الجديدة التي وقعت في البلاد، «ويقصد بذلك انهيار النظام الشيوعي في روسيا وانحلال الاتحاد السوفياتي».

ثم يقول: ان اهم ما وقع في تترستان إثر ذلك الانهيار، هو مبادرة التتر الى استعادة هويتهم الدينية، وما يتعلق بها من أمور مؤسسية واجتماعية، اذ كان محرماً عليهم في العهد الشيوعي التعليم الاسلامي، حيث أغلقت المؤسسات الدينية، لكونها تتعارض مع مبادئ كارل ماركس، الذي يقول: «ان الدين هو أفيون الشعوب».

ثم يقول الكاتب: انه على الرغم من سياسة الاضطهاد التي استهدفت الدين، وفرضت الإلحاد على الناس خلال الحكم الشيوعي، ونشرت تلك المفاهيم في المدارس آنذاك، ولكن تمكن الدين من البقاء حياً في النفوس، وواصل وجوده كوسيلة لتمييز الهوية الجماعية لشعب التتر، وقد تجلى ذلك بظهور الشخصية الاسلامية التي يمثلها ابناء الشعب التتري، الذين سرعان ما

بادروا الى تأكيد تعلقهم بالقيم الاسلامية وبتراثهم الاسلامي.

والمعروف ان تتر «قازان» كانوا قد عانوا الكثير من المتاعب في اعقاب الثورة البلشفية سنة ١٩١٧، اذ عمدت السلطات السوفياتية الى تدمير جميع مكونات الثقافات غير الروسية، واضطهدت اصحاب تلك الثقافات، والتتر منهم، فقد انزوت نتيجة لذلك ثقافتهم بعيداً عن الميدان، لتحل محلها الثقافة الروسية دون غيرها.

فالاتحاد السوفياتي كان رسمياً «دولة إلحادية» وبناء على ذلك كان من سياستها شطب الدين من مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية، وقد حرصت على ابعاد الدين من الحياة العامة «والسياسة منها بوجه خاص» كما أبعدته عن حياة الأفراد، بهدف خلق «انسان سوفياتي جديد» بعيد عن الدين، وعن جميع الاعتبارات الروحية، وبناء على ذلك أغلقت جميع المساجد والمدارس الاسلامية الموجودة في بلاد التتر، ونفت فريقاً من علمائها ومدرسيها بعيداً عن بلادهم، بينما قتلت الفريق الآخر.

ويستطرد الكاتب الى القول: إلا أنه على الرغم من قسوة تلك الإجراءات التي اتخذت ضد الدين ومؤسساته، بغية إبعاده عن حياة الناس الثقافية والاجتماعية، وسلخهم عن نسيجهم الروحي، فإن المسلمين استطاعوا المقاومة، وصمدوا لجميع الاجراءات السياسية والاقتصادية والثقافية الفتاكة، المتخذة في هذا الشأن، واستمروا في تمسكهم بالدين، وبإخلاصهم لانتمائهم القومي، وقد بدأوا بالتململ في ظل السياسة المسماة «بريسترويكا» التي اتبعها «غورباشتوف»، فأخذوا يحاولون استعادة ما فقدوه من حرية الانتماء الديني والقومي، وصاروا يعملون جهدهم لإعادة ترسيخ مبادئهم الدينية، ومشاعرهم القومية، فأحيوا هويتهم باستصدار هوية المواطنة التترية، وأسسوا «اكاديمية تترية للعلوم» وبادروا لإعادة بناء مؤسساتهم التي تعمل في تلك المجالات، كالمساجد والمدارس -والمقصود هنا المدارس الدينية.

وقد حظيت المؤسسات الدينية بأكبر نصيب من الاهتمام، اذ كان الاسلام اهم الأعمدة التي استندت اليها الشخصية الوطنية التترية، فهو الوسيلة الكفيلة بتعزيز تلك الشخصية وحمايتها من الذوبان.

وقد تجلى ذلك الاهتمام بأجلى صوره في مبادرة الحكومة التترية لإعادة بناء جامع «كل شريف» الذي دمره سنة ١٥٥٢م، أمير موسكو الروسي المدعو «يافان الرهيب» عندما شن عدوانه على «خانية قازان» فبنوه في اجمل صورة، وقد نشر كاتب هذه النبذة صورة جميلة لمسجد «كل شريف» الفخم بمآذنه الأربع.

وهكذا بدأ مسلمو التتر باكتشاف تراثهم

والعمل على إعادة بنائه من جديد، ولا سيما في بناء المساجد والمدارس، والمعروف ان عدد المساجد التي كانت موجودة في اقليم ترتستان عام ١٩٩٠، لم تتجاوز الثلاثة لا غير، ولكنها زادت بسرعة خاطفة لتصبح في سنة ٢٠٠٤م، اكثر من ١٠١٤ مسجداً، الى جانب وجود (١٧٦) كنيسة ارثوذكسية، الأمر الذي يدل بوضوح على تعايش المسلمين كما هو شأنهم في كل مكان، مع ابناء الديانات الأخرى.

هذا وقد لقيت مؤسسات التعليم الاسلامي اهتماماً مماثلاً من جانب الحكومة التترية، فأعيد تأسيسها ووضعت لها المناهج، لضمان تعليم الطلبة الصحيح من احكام الدين بعيداً عن التعصب والحزازات الطائفية والاجتهادات المضللة، لكي يبقى الاسلام هو المصدر القويم المعتمد، الذي يستقي منه التتر عناصر وجودهم وتقدمهم وخصوصيتهم.

هذه خلاصة لما ورد في النبذة التي نشرتها جريدة اخبار المسلمين، وحيث انها لم تتناول شيئاً من تاريخ التتر في العصور السابقة، وكذلك عن مهية صلتهم بالدولة الروسية، وخاصة في الوقت الحاضر، فقد رأيت من الضروري ايراد شيء عنهم استكمالاً للتعريف بهم، فأقول: ان التتر شعب مسلم، ينتمي الى العنصر الطوراني، يتحدث بلغة محسوبة من اسرة اللغات «الطائية Altaic» ويصفهم الغربيون بأنهم Turkicعنصراً، وعلى اي حال فهم من الشعوب التي قادها جنكيزخان، ثم هولاكو مدمر بغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م.

ولكن فريقاً منهم (بعد اعتاقهم الاسلام) توغل في عمق الاقاليم المسماة حالياً بالأراضي الروسية، وقد اطلق عليهم آنذاك اسم «القبيلة الذهبية Golden Horde» بسبب كثرة الأموال التي تمكنوا من الاستيلاء عليها في حروبهم.

وقد اقام هؤلاء دولة لهم في القرن الثالث عشر الميلادي، كانت تابعة لامبراطور المغول، وحكمت تلك الدولة اغلب ما هو الآن من أقاليم أواسط روسيا وجنوبها علاوة على غربي سيبيريا، وكانت عاصمتها «سراي» الواقعة على نهر الفولغا، وقد كان الأمراء الروس في موسكو خاضعين لحكم «الخان» رئيسها، ويؤدون اليه بانتظام جزية سنوية تأكيداً لتبعيتهم له.

ولكن تلك الدولة التترية سقطت بعد ثلاثة قرون «اي في القرن السادس عشر الميلادي» على ايدي حكام موسكو، واصبح التتر من رعاياهم، وتقول عنهم «موسوعة كمبرج» الانجليزية: بأنهم «اي التتر» اكتسبوا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، اهمية خاصة، حيث استخدمهم الروس موظفين سياسيين واداريين ومدرسين في الامبراطورية الروسية، علاوة على عمل الكثيرين منهم في مجالات التجارة بنجاح،

وأقول: ان ذلك يدل على تقدم التتر في تلك الحقول على حكامهم الروس، ولذلك اضطروا للاستعانة بهم.

أما الآن فإن التتر يعيشون في جمهورية «تترستان» التي سنأتي بإذن الله على ذكرها فيما بعد، ويقطن كثير منهم في اوزبكستان التي نفاهم اليها «ستالين» سنة ١٩٤٤، فقد أخرجهم من موطنهم في شبه جزيرة القرم، حيث كان لهم حكم ذاتي فيها، كما نفى فريقاً اخر الى جنوب غربي سيبيريا، بحجة كاذبة، فقد اتهمهم بالتعاون مع الألمان، عندما غزوا الاتحاد السوفياتي، وقد مات اكثرهم من شدة البرد التي لم يألفوها، وقد قام من بقي منهم حياً، بمظاهرات صاخبة في موسكو سنة ١٩٨٧ يطالبون بالعودة الى القرم، واستعادة الاستقلال الذاتي لجمهوريتهم، ولكن الحكومة السوفياتية رفضت ذلك، واعتبرته امراً غير ممكن التنفيذ، حيث انها اسكنت في القرم سنة ١٩٤٤ اعداداً كبيرة من الروس والأوكرانيين، اما الآن فإن شبه جزيرة القرم قد ضمت الى السيادة الأوكرانية بعد انحلال الاتحاد السوفياتي وظهور اوكرانيا كدولة مستقلة.

وهكذا لم يبق للشعب التتري سوى جمهوريته ذات الحكم الذاتي التابعة لروسيا، وعاصمتها مدينة «قازان» وتحتل هذه الجمهورية مساحة مقدارها (٦٨) الف كم٢، ويبلغ عدد نفوسها «حسبما ورد في موسوعة كمبرج المطبوعة سنة ١٩٩٠» خمسة ملايين نسمة، اما انتاجها فيتركز في النفط والمواد الكيماوية والأخشاب والمنسوجات.

والجدير بالذكر ان موسوعة «هاتشيسون» الانجليزية، تشير الى تاريخ «خانية قازان» وتقول بأنها كانت من القرن العاشر الى القرن الخامس عشر الميلاديين، كانت تسمى دولة «فولغا –كاما بلغار– Volga Kama Bulgar» وان الروس احتلوها في سنة ١٥٥٢م، ثم اصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي سنة ١٩٢٠، بينما تقول موسوعة كمبرج البريطانية، بأن مدينة «استراخان» كانت هي عاصمة التتر عندما احتلها امير موسكو «ايفان الرهيب» آنف الذكر، في سنة ١٥٥٦م.

هذه خلاصة المعلومات التي تيسرت لي في الوقت الحاضر، وآمل ان أكون قد وفقت في التعريف بقطر مسلم شقيق، يخضع لحكم الروس، ولكننا قلما نسمع عنه شيئاً، بسبب الهدوء الذي يسوده في الوقت الحاضر، ولا أدري عما اذا كانت منظمة المؤتمر الاسلامي تعرف عنه شيئاً ما؟ وهو من ناحية وضعه الدستوري والقانوني، لا يختلف عن وضع إقليم «الشيشان»، وأقاليم أخرى مثل «داغستان» تابعة لحكومة موسكو، ولكن للتتر او تترستان كما يسمون بلادهم، كانت لهم دولة ذات شأن كان حكام موسكو يدفعون اليها جزية سنوية، لعدة قرون، فسبحان مقلب الأحوال واليه المصير والمآل.

قطوف دانية

اعداد الطالب مالك عادل الهباهبة

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

سورة: الحشر: ٩

الغنى غنى النفس

قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

«من كان غناه في قلبه لم يزل غنياً،

ومن كان غناه في كسبه لم يزل فقيراً،

ومن قصد المخلوقين لحوائجه لم يزل محروماً،

لا تسألن بني آدم حاجة

وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله

وبني آدم حين يُسأل يغضب

وصية الحبيب ﷺ

قال ابو ايوب الأنصاري رضي الله عنه:

أوصاني رسول الله ﷺ فقال:

«يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها؟!

تصلح بين الناس اذا تدابروا، وقرب بينهم اذا تباعدوا، ألا أعلمك كلمة من كنز الجنة.. أكثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله».

كلمات من ذهب

- احـذر ان تـظـلـم مـن لا نـاصـر لـه الا الـلـه.
- الحجـر المنصـوب فـي مدمـاك الـبيـت رهـن بـخـرابـه.
- مـا تـلـف مـال فـي بـر أو بـحـر، إلا بـمـنـع الـزكـاة.
- الانسـان بنيـان اللـه، وملـعون من هـدم بـنيـان اللـه.
- خـذ مـن الـدنـيـا مـا شـئـت، وخـذ بـقـدرهـا هـمـاً.
- الـحـمـد لـلـه عـلـى الـنـعـمـة، أمـان مـن زوالـهـا.

وصية للزوجات

زوّج أبو الأسود الدؤلي ابنتيه، فقال لإحداهما:

يا بنية اكرمي أنف زوجك، وعينيه، وأذنيه،

يريد ان لا يشم منك الا طيباً،

ولا يرى الا جميلاً

ولا يسمع الا حسناً.

وقال للأخرى:

أمسكي عليك الفضلين: يريد فضل النكاح وفضل الكلام.

لا تكن ثقيلاً

قال ابو حنيفة النعمان رحمه الله:

من خاف ان يكون ثقيلاً فليس بثقيل.

وقال ابراهيم النخعي: «من أمن الثِقل ثَقُل».

وقال آخر: لقد نهى الله عز وجل عن الثقل على الناس في قوله تعالى:

﴿فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث﴾.

١

الـدولـة في الفقه السياسي الإسلامي

■ بقلم الاستاذ الدكتور أحمد العوضي

ان النظام في الاسلام هو جوهر الدين، والدولة في الاسلام هي الطريقة لتنفيذ النظام وتطبيقه، وهي الطريقة لتوحيد الأمة الوحدة الحقيقية، فلا اسلام كاملاً بلا دولة، ولا وحدة حقيقية للأمة بغير دولة، ولا بلاغ صحيحاً للدعوة الاسلامية بغير دولة.

ولتوضيح فكرة الدولة في الاسلام تأتي هذه السلسلة من البحوث.

❖ تعريف الدولة:

الدولة هي: كيان معنوي يتألف من السكان والإقليم والسلطة، فإذا اكتملت هذه الأركان وجدت الدولة من الناحية الواقعية، وإن لم يعترف بها من الناحية القانونية الدولية.

❖ الركن الأول (السكان):

يقصد بالسكان مجموعة المواطنين الذين يعيشون على أرض الدولة، ولا يشترط في السكان عدد معين، وفي الفقه الدستوري الإسلامي تسمى جماعة المواطنين في الدولة الإسلامية مسلمين وغير مسلمين "أمة الدولة"، بينما تطلق على المسلمين وحدهم " أمة الدين".

أمة الدولة هي: كل من يحمل جنسية الدولة مسلماً كان أو غير مسلم، ودليله قول الرسول ﷺ في صحيفة المدينة: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)، فدل على أن غير المسلمين المواطنين في الدولة المسلمة هم من أمة الدولة المسلمة، ولو لم يكونوا من الأمة المسلمة.

أمة الدين هي: المسلمون وحدهم. يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «هذا كتاب محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد

معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس...» فأمة الدين تصدق على المسلمين وحدهم.

فالمسلم الذي يعيش خارج حدود الدولة المسلمة من أمة الإسلام، ولكنه ليس من أمة الدولة الإسلامية. وغير المسلم الذي يحمل جنسية الدولة الإسلامية يكون من أمة الدولة الإسلامية ولا يضره أنه ليس من أمة دين الإسلام.

وكلمة أمة معناها في اللغة: الجماعة البشرية التي تتألف من مجموعة قبائل، سواء أكان لها صفة سياسية أم لم يكن لها، قال تعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات: ١٣، وفي الاصطلاح الفقهي السياسي الإسلامي يختلف مدلول كلمة "الأمة" عن مدلول كلمة "الشعب" **فكلمة "أمة" في الفقه السياسي الإسلامي تعني:** المجموعة البشرية التي فيها سلطة سياسية. بينما كلمة "شعب" مصطلح لغوي لم ينقلها المشرع سبحانه عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي.

❖ مفهوم الأمة والشعب في الفقه الدستوري الوضعي:

أما الأمة في الفقه الدستوري الوضعي فتعني: جميع أجيال المواطنين الماضية والحاضرة والمستقبلة.

وأما كلمة الشعب فتطلق مضافة على معنيين هما: الشعب الاجتماعي والشعب السياسي.

الشعب الاجتماعي وهو: مواطنو الدولة الذين يحملون جنسيتها.

الشعب السياسي هو: مواطنو الدولة الذين يحق لهم الانتخاب. أطلق عليهم"الشعب السياسي"، لأنهم هم الذين يمارسون السيادة.

و (الشعب السياسي) و (الشعب الاجتماعي) مصطلحان اخترعا في الفقه الدستوري الوضعي نتيجة التعامل مع الواقع.

❖ الركن الثاني (الإقليم):

تعريف الإقليم وأنواعه:

الإقليم هو المساحة التي تمارس الدولة عليها سلطتها. ولا يضر صغر مساحة الدولة، فإن مساحة دولة الفاتيكان تبلغ نصف كيلو متر مربعاً، وقد تكون أرض الدولة متصلة، وقد تكون منفصلة كما كان الحال في الدولة الإسلامية، فإن الأندلس (إسبانيا حالياً) كانت منفصلة برياً عن أرض الدولة المسلمة، ولكنها كانت جزءاً منها وتحت سلطتها، وكانت منطقة البلقان وشمال البحر الأسود جزءاً من أرض الدولة المسلمة ولم تكن متصلة بريًّاً بها، وكذلك

كثير من جزر أندونيسيا.

ويشمل إقليم الدولة كل ما يقع داخله من البر والبحر والجو، فأقاليم الدولة ثلاثة:

الإقليم الأرضي.

الإقليم المائي.

الإقليم الجوي.

أ ـ الإقليم الأرضي: ويكون محدداً بحدود مادية أو وهمية تقطع النزاع مع الدول المجاورة.

ب ـ الإقليم المائي: اتفق دوليا على تحديده بثلاثة أميال، ثم زيد فيه بعد الثلاثة أميال اثنا عشر ميلا.

ج – الإقليم الجوي: سادت في الفقه الدولي الوضعي ثلاث نظريات في تحديد ارتفاع الإقليم الجوي للدولة هي:

النظرية الأولى: يحدد بالعلو الذي تستدعيه حاجة الدولة للمحافظة على نظامها.

النظرية الثانية: يحدد بمسافة معينة ويكون ما بعد هذا الارتفاع إقليماً حراً.

النظرية الثالثة: عدم تحديده، فللدولة سيادة على إقليمها الجوي إلى علو لا نهائي.

❖ حكم الشريعة الإسلامية في تحديد الإقليم الجوي والإقليم المائي:

تقسم الشريعة الإسلامية مصالح العباد إلى مصالح خاصة ومصالح عامة، وعلى هذا الأساس فمصلحة كل دولة بمفردها تعد مصلحة خاصة، والمصالح المشتركة بين مجموع الدول مصالح عامة، وفي الفقه الإسلامي إذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة وجب التوفيق بينهما ما أمكن، حتى إذا لم يمكن التوفيق قدمت المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

ويمكن التوفيق بين مصلحة كل دولة والمصالح الدولية في الانتفاع بالإقليم المائي والإقليم الجوي، وذلك بتحديد المجال الذي تتحقق به المصالح الخاصة للدولة، وجعل ما بعده حقا عاما لجميع الدول.

ولكن يجب أن يكون ذلك قابلاً للتعديل على حسب حاجة العصر، فإن عصر الطائرات والأقمار الصناعية يختلف عما سبقه من العصور، ومن النصوص التشريعية في ذلك الآية القرآنية الكريمة: **﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ❖ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: ١٢-١٣. فكلمة "لكم" تعني التمليك العام، أي للبشرية كافة، فما زاد من البحر والجو عن حاجة الدولة يكون مباحاً إباحة عامة للدول كافة، لأنه خلق

ليكون مباحاً إباحة عامة.

❖ الركن الثالث (السلطة):

أولاً: مفهوم السلطة في اللغة والقرآن والسنة:

السلطة في اللغة: القدرة والسيطرة، فصاحب القدرة على شيء صاحب سلطة وسيطرة عليه، وسمي السلطان سلطاناً لأنه صاحب قدرة وسيطرة. والسلطان أو السلطة هو: قوة اليد في القهر للجمهور الأعظم وللجماعة اليسيرة أيضاً.

وقد ورد في القرآن فعل (سَلَّط) والفعل (يُسَلِّط)، قال الله تعالى: **﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾** النساء: ٩٠، وقوله تعالى: **﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شي قدير﴾** الحشر: ٦، وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدنا **كلمة سلطان تطلق في القرآن على معنيين:**

المعنى الأول: الحجة القوية القاطعة، وهي ما أطلق عليها القرآن "البرهان" ومنه قوله تعالى: **﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾** المؤمنون: ٤٥.

المعنى الثاني: القوة القاهرة والقدرة الغالبة، ومنه قوله تعالى: **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾** الرحمن: ٣٣، والمعنى: لا تنفذون إلا بقوة وقهر وغلبة، وليس لكم شيء من ذلك.

وورد كلمة (السلطان) في السنة النبوية بمعنى السلطة، يعني الحكم، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»[1].

ثانيا: مفهوم السلطة اصطلاحاً:

استعمل الفقهاء المسلمون مصطلح السلطان، وهو مصطلح مرادف لمصطلح السلطة، وأطلقوا السلطان بمعنيين:

الأول: السيطرة العامة العليا في الدولة.

الثاني: من يمارس السيطرة العامة العليا في الدولة، وهو ولي أمر الأمة كلها.

فإذا أطلق السلطان على السيطرة العامة العليا في الدولة كان مرادفا لمصطلح السلطة، وإذا أطلق السلطان على من يمارس السيطرة العامة العليا في الدولة كان مرادفا للخليفة وأمير المؤمنين والإمام.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الامارة، باب ملازمة جمعة المسلمين، ١٢/٢٤٠

من هو العالِم الفقيه؟

■ بقلم الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

إن ضبط مصطلح العالم على إطلاقه أمر غير متيسّر، إن لم يكن مستحيلاً؛ لأن العلومَ والفنونَ لا تُعدُّ ولا تحصى، ومعرفة العالم فيها تتطلب معرفة العلم الذي هو عالم فيه من حيث قواعده ومفرداته، وهيهات هيهات تحصيل هذا.

وإنما ينحصر كلامنا في العلوم الشرعية، وهي عديدة ومتنوعة، فخصصنا الحديث منها في علم الفقه؛ لأنه ثمرتها، وهو المحتاجُ إليه من قبل العامّة، وهذا لا يعنى أن بعضَ الضوابط التي ستذكر في تحديد العالم في الفقه، لا تتجرّ على العلوم الشرعية والدنيوية الأخرى تبعاً.

وإنما أحببت إثارة الانتباه إلى هذا الموضوع للأهمية العالية له بين العامّة والخاصّة، فما من أحد يستغني عنه، ممَّن يرغب في إرضاء ربِّه تعالى والحياة الآخرة، فلا يعرف مَن يسأل، وإلى مَن يلتجئ لمعرفة أحكام دينه!!

فضعف ثقافتنا الإسلامية أوقعنا في إرباك واضطراب كبير، وصار المقياس في تحديد ذلك، المظاهر الخارجية من اللبس والهيئة والشهرة والشهادة والوظيفة وهكذا، مع أنها حقيقة منفصلة تمام الانفصال عن ماهية العلم.

فأي لبس هذا الذي يغدو صاحبه عالماً؟! وأي هيئة هذه التي تضفي العلم على صاحبها؟!

ومَن يمعن النظر في الشهرة والشهادة وغيرها، يجد أنها تتوفّر لكثيرين لأسباب عديدة لا دخل لرفعته العلمية فيها، بل إن العلماءَ من أشدّ الناس ابتعاداً عن هذه المظاهر من الشهرة وأمثالها.

فمثلاً من أكثر الناس شهرة بين الناس هم الوعاظ، والخطباء، وأمثالهم، ممَّن يجيدون الكلام، ويؤثِّرون به في الأنفس، فتتشدّ لهم، وتتعلَّق بهم، وفعل هؤلاء الوعاظ في تحريك المشاعر، وهداية القلوب إلى الله تعالى عظيم وبديع وما أحوجنا إليه.

ولكن هذا لا يعني أن يكون هذا الواعظ والخطيب المفوّه عالماً بالفقه، فيجوز له أن يفتي، ويجوز للناس أن يسألوه ويأخذوا عنه أحكام الشرع، فالتذكير والوعظ وترقيق القلوب أمر، والعلم بالأحكام وبيان الحلال من الحرام أمر آخر، فلا ينبغي الخلط بينهما.

وينبغي لكلِّ حريص على نفسه بأن لا تتردى في ظلمات الضلال والجهل أن يأخذ كلّ علم عن أهله، ولا يخلطَ بين العلوم والفنون، وهو أمرٌ معلومٌ ومشهور، إلا عند بعض أهل زماننا الذين لا يهتمون لأمر دينهم فيستفتون أنفسهم الردية، أو يرجعون إلى أي أحد وإن لم يكن يعرف الشمال من اليمين في أمور الدين.

وتجد كثيراً منهم لا يتردد لحظة في الإفتاء بأمور الدين وإن لم يكن له سابق علم بها، فلو أخذ بإرشاد الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾(١) لما أقبل على هذا الفعل الشنيع، فكما أن لكلّ علم علماؤه وأهله، فكذا الحال في علم الشريعة، بل هو أحرى بذلك؛ لأن فيه النجاة في المعاد.

قال الإمام مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كل علم يُسأل عنه أهله»، وقال العلامة القرافي: «والمعتبر في كلّ فنٍّ أهل الاجتهاد في ذلك الفنّ، وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في غيره، فيعتبر في الكلام المتكلّمون، وفي الفقه الفقهاء قاله الإمام»[٢].

وقال الإمام اللكنوي[٣]: «إن الله تعالى جعلَ لكلِّ مقام مقالاً، وخَلَقَ لكلِّ فنٍّ رجالاً. فكم من فقيه غائص في بحار العلوم القاسية، عار عن تنقيد الأدلة الأصلية. وكم من محدث نقّاد عار عن تفريع الفروع الفقهية وتأصيلها على القواعد. وكم من مفسّر خائض في القرآن لا تمييز له في معرفة الأحاديث الصحيحة والسقيمة، ولا امتياز له بين المشهورة وبين المصنوعة. وكم من صوفي سابح في بحار العلوم اللدنية، عاجز عن درك ما يتعلّق بالعلوم الظاهرة. وكم من عالم متبحر جامع العلوم الظاهرة، لا مراق له في اللطائف الباطنة.. فإذن الواجب أن ننزلَ الناس منازلهم ونوفيهم حظّهم، ونعرفَ مرتبتهم وقدرهم، فلا نعرج الأدنى إلى رتبة الأعلى، ولا ننزل الأعلى إلى مرتبة الأدنى، وتعرف ما يتعلّق بكلّ من أهل ذلك الفنّ، لا من مهرة غير ذلك الفنّ، فإن صاحبَ البيت أدرى بما فيه،

والماهر في شيء أعلم من غيره بما يتعلّق به»[٤].

وقال أيضاً[٥]: «اعلم أن ما اتفق الحفاظ على صحّته، أو حسنه، أو ضعفه، أو على وضعه، الأمر فيه ظاهر، وهو قبول قولهم، بناء على أن صاحب البيت أدرى بما فيه. ولا يعارض قولهم قول غيرهم فقيهاً كان أو صوفياً، مفسّراً كان أو متكلّماً، فإنه لا عبرة لقول مَن لم يتبحّرَ في فنّ الأسانيد في باب صحّة الأحاديث، وسقمها ووضعها عند وجود أقوال المهرة فيه».

فأين هذا الإرشاد الرباني والتنبيه عليه من العلماء الأعلام بأن لكلِّ فنٍّ رجالاً عالمين به، لا بُدّ من الرجوع لقولهم ورأيهم فيه، من فعل أهل زماننا من إنزال العلوم الدنيوية منزلتها والاهتمام بالرجوع إلى المتخصص فيها، والتغافل عن ذلك في العلوم الشرعية، فهذا من عجائب التناقضات.

وفي ذلك يقول الأستاذ اليافعي[٦]: «فمثلاً هناك من هو متخصص في الدعوة إلى الله جل وعلا والوعظ والإرشاد فلا يظنن نفسه أنه إذا أشار إليه الجماهير بالبنان أنه صار مفتياً، وكذا لا يظنن الناس أن كلَّ مَن ارتقى المنابر يصلح للفتوى.

وأيضاً هناك مَن هو متخصّص في الحديث أو اللغة أو الأصول، أو.. فلا يجوز أن يستفتوا ولا يجوز لهم أن يفتوا وإنما الذي يستفتى ويفتي هو الفقيه، كما أن الفقيه لا يُسأل عن مسائل الحديث واللغة، وهذا كله طبعاً ما لم يكن الشخص قد جمع إلى الفقه الحديث.. وهكذا.

والذي دعاني للتنبيه إلى هذا ما نلاحظه من توجه الناس لاستفتاء كل مَن انتصب للخطابة والوعظ، والمشكلة الأدهى أن الخطيب نفسه صدق الناس فصار يفتيهم بغير علم؛ لأنه يظنّ أنه لو قال: لا أعلم، فإنه سينقص من أعين الناس.

ومن المؤسف أننا نلاحظ مراعاة التخصصات في المجالات الدنيوية، ولا نلاحظه في مجال العلم والفتوى، فمثلاً لا يتصدر طبيب لمعالجة الناس إلا إذا تحصّل على ما يؤهله لذلك، ولا تأذن له الجهات المختصّة بمعالجة الناس إلا بذلك، بينما تجد أن من قرأ حديثين صار يفتي الناس بغير رقيب ولا حسيب.

وبينما نجد طالب الطبّ المبتدئ لا يمكن من تطبيق ما درسه حتى ينهي دراسته العامّة، ثمّ يؤذن له بسنة التطبيق، نجد أن طالب العلم الشرعي يقدم على الفتوى وما زال في أول الطلب من غير حجر ولا منع، بل قد يكون بتشجيع من أشياخه والله المستعان.

وبينما نجد طالب الطب المبتدئ يُسلِّم

الأمر للأساتذة في التخصصات، ولا يعترض على ما قد يكون ظاهره معارضاً لما درسه، نجد طالب العلم الشرعي لا يُسلِّم الأمر للأئمة ويكثر من الاعتراض عليهم.

ومثل طالب العلم المعترض على الأئمة كمثل رجل قرأ في كتاب من كتب الثقافة الطبية أن البنسلين ينفع في علاج الحالات البكتيرية، فمرض ابنه بالتهاب في الصدر فعرضه على الأطباء وعملوا له الفحوصات، فقالوا له: لا تستعمل له البنسلين، فإنه سيموت إن استعملت له البنسلين، فركب رأسه، وقال: أنا قرأت أن البنسلين ينفع في ذلك، وهؤلاء لا يعلمون الطب، أنا أحسن منهم، فأعطى ابنه البنسلين، فما هو إلا وقت يسير حتى قضى الابن نحبه بسبب جهل هذا المتعالم المركب!!!».

ولا يستلزم ترقي الفرد في المراتب الأكاديمية عدَّه في زمرة العلماء؛ إذ أن العلومَ الشرعية أوسع من أن تحصرَها مساقات جامعية في ساعات محددة، وبعض مَن يُدَرِّس هذه المواد غير ضابط لها، ويغلب على الطلبة فيها طلب الشهادة لا العلم؛ لذا لا يعدّ تحصيل هذه الشهادات مهما بلغت رتبتها العلمية سواء أكانت دكتوراه أم أستاذية.

فرأينا في زماننا أن لهذه الدراسة الأكاديمية نظاماً وصورة يستطيع مَن يراعيها أن يصلَ إلى أعلى الرتب العلمية وإن كانت معلوماته في تخصّصه ثقافية، ولا يوجد عنده أي ضبط لقواعد علمه، ولا معرفة بفروع فنّه، وإنّما راعى المظاهر الخارجية في الحصول على الشهادة العلمية، فلا يُعدّ مثل هؤلاء من العلماء، ولا يغترّ بظاهر حالهم وحسن مقالهم.

وإذا تمهَّدَ لك ما سبق أمكن القول بأنه لا ينبغي الاغترار باللباس، والمظهر، والمشاهير، وأصحاب الشهادات، ممن يبرزون في الندوات والمؤتمرات، لا سيما أصحاب الفضائيات والمجلات وأشباهها، فليس ذلك من ضوابط العلم والعلماء، وإنما يجب أن تتوفَّرَ فيه شروط وضوابط حتى يعدَّ أهلاً للفتوى، ومرجعاً يركن المسلم إليه في كلامه، ومنها:

أولاً: أن يكون تقياً ورعاً، عاملاً بعلمه؛ لأنه مخبر عن الله تعالى أحكام شريعته، فلا يؤمن غير العدل في أخبار الدنيا، ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[٧]، فما بالك بأخبار الدين والآخرة، ومَن لم يكن صادقاً مع نفسه وأهله بالتزامه أوامر ربّه جل جلاله، هل يصلح أن يكون صادقاً مع الآخرين ببيان أحكام الله تعالى؟!

ولقد رأينا بأمّ أعيننا أناساً يحملون أعلى الشهادات الشرعية، وليس عندهم للصدق من سبيل، ومنهم مَن يتساهل في

عمود الدين وهو الصلاة، ومنهم مَن لا يلتزم بالمعلوم من الدين بالضرورة من الأحكام ممّا هو منصوص عليه في القرآن كالحجاب لزوجته وبناته.

وإن جالسته رأيته مجادلاً ومعارضاً ومخالفاً وراداً لكلام أئمة الدين، فلا أحد يعجبه ويملأ عينه، فيغترّ به كثير من الطلبة، ويعدونه لكثرة كلامه وجداله واعتراضه من فحول العلماء.

وهيهات هيهات أن يكون له حظّ من ذلك، فلو ذاقَ لذّةَ العلم وعرفَ حقيقته لَمَا وجدته منحرفاً، ولأنزل أهله منزلتهم، واستحى من الجدال والاعتراض على الأئمة، وأكبر كلامهم وعلومهم.

فها هو الإمام العلامة المشهور الباقلاني يقول بخصوص حاله مع حال إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري: «إن أسعد أحوالنا أن نفهم ما يقول»، وما أدق هذه الكلمة ممَّن عرف العلم وأهله.

فمَن لم يكن عاملاً بعلمه، ومتبصراً به في سيره، وظاهراً على سلوكه، ومتحلياً به في أخلاقه، فكيف يصلح للفتوى؟! لأن العلم للعمل، لا للخطب فحسب.

قال العلامة طاشكبرى زاده[٨]: «ما تراه عالماً سيء الأخلاق، فذلك عالم باللسان دون القلب، وعالم باصطلاح هذا الزمان دون السلف؛ إذ لو ظهر نور العلم على قلبه لحسنت أخلاقه، فإن أقلَّ درجات العالم أن يعرفَ أن المعاصي ورذائل الأخلاق سموم مهلكة، وهل تطيب نفس عاقل يتناول السم؟!».

وقال المفسّر حقي[٩]: «العالم: هو الذى يعمل بعلمه[١٠]، فإن الإنصافَ من شأنه؛ إذ الإنصاف لا يحصل إلا بصلاح النفس، ولا يمكن ذلك إلا بالعمل، فلا يغترّ أهل الهوى من علماء الظاهر بذلك، فإن كون العلم المجرد منجياً مذهب فاسد، فإن العالمَ الفاجرَ أشدّ عذاباً من الجاهل».

فغاية العلم ومقصده لصاحبه تحقيق مخافة الله تعالى وخشيته ومراقبته حتى يصدق فيه قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١١]، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ليس العلم بكثرة الحديث، ولكن العلم الخشية»[١٢].

وقال إمام المفسرين الطبري[١٣]: «إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن مَن عَلِمَ ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه».

وقال الإمام الرازي[١٤]: «لا تتمّ أربعة أشياء إلا بأربعة أشياء: لا يتمّ الدين إلا بالتقوى، ولا يتمّ القول إلا بالفعل، ولا تتمّ المروءة إلا بالتواضع، ولا يتمّ العلم إلا

بالعمل، فالدين بلا تقوى على الخطر، والقول بلا فعل كالهدر، والمروءة بلا تواضع كشجر بلا ثمر، والعلم بلا عمل كغيث بلا مطر».

وفيما ذكر كفاية في ضرورة التزام التقوى والعمل في كلِّ فتيا وعلم، فعن الإمام ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[١٥]، كيف وقد نصَّوا في كتب آداب المفتي على ذلك.

قال الإمام النووي[١٦]: «وينبغي أن يكون المفتي ظاهر الورع، مشهوراً بالديانة الظاهرة، والصيانة الباهرة. وكان مالك رضي الله عنه يعمل بما لا يلزمه الناس، ويقول: لا يكون عالماً حتى يعمل في خاصَّة نفسه بما لا يلزمه الناس مما لو تركه لم يأثم. وكان يحكي نحوه عن شيخه ربيعة»[١٧].

وقال أيضاً[١٨]: «شرط المفتي كونه مكلفاً مسلماً، وثقةً مأموناً متنَزِّهاً عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، متيقظاً واتفقوا على أن الفاسقَ لا تصحّ فتواه، ونقل الخطيب فيه إجماع المسلمين».

ثانياً: أن يكون عالماً بما يقول، بأن يفهمَه ويعيَه ويضبطَه ويعرفَ كنهه، وضابط ذلك: بأنه لو سئل عمّا يقول في بيان سببه ودقائقه وقواعده أبان وأوضح بأجلى وأنضر صورة وهيئة، وأمثال هذا قلائل جداً؛ لأن الأكثر يردد الكلام ويضيع الأوقات فيما لا يدركه ولا يفهمه.

وهؤلاء أردى الناس وأسوؤهم؛ لأنهم يهلكون مَن يستمعون لهم، ويضلّونهم ويلقونهم في المهالك والمخازي من حيث أنهم لا يدرون أنهم لا يدرون.

قال العلامة الخليل: «الرجال أربعة:

١. رجل يدري ويدري أنه يدري فهو عالم فاتبعوه.

٢. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فهو نائم فأيقظوه.

٣. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهو مسترشد فأرشدوه.

٤. ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهو شيطان فاجتنبوه»[١٩].

ثالثاً: أن يكون ملتزماً بأحد المذاهب الفقهية، ضابطاً لقواعده، متمكناً من مسائله، عارفاً بفروعه، مطّلعاً على أدلته، فإن لكلِّ علوم الدنيا أسساً وقواعد لا يعدّ العالم بها عالم ما لم يضبطها ويراعيها ويأخذ بها في كلامه، ولو كان لمن شاء أن يتكلَّم بما يشاء، لما سَلِّم العلم لأحد، ولا تميَّزَ العالم من الجاهل، ولاختلط الحابل بالنابل.

ومثل هذا لا بُدّ أن يلتزم في الأحكام

الفقهية، فلا يصحّ الافتاء من أي أحد ما لم تتوفر فيه أهليته لذلك من الضبط والتمكّن، لما يفتي به على أحد المذاهب الفقهية مع مراعاة ضوابطها وشروطها وتقييداتها.

وهذا ما أقرّه المؤتمر الإسلامي الدولي كما سبق ذكره من أنه لا يجوز لأحد أن يتصدى للإفتاء دون مؤهلات شخصية معينة يحددها كل مذهب، ولا يجوز الإفتاء دون التقيّد بمنهجية المذاهب.

ولا مخرج مطلقاً من هذه الفوضى العارمة والاضطراب العجيب في الإفتاء حتى لم يبق حراماً إلا وأحلوه، ولم يبق حلالاً إلا وحرموه إلا بالتزام منهجية الفتوى في المذاهب الفقهية التي قُعِّدَت وأسست وضُبطت من قبل فحول العلماء وأكابرهم عبر القرون.

فمَن يفتي بمسألة دون قيد أو ضبط بادعاء أنه مجتهد مطلق وأن الاجتهاد متيسِّر لكلّ أحد، فمهما أفتى بتحليل وتحريم لا نستطيع أن نلزمه بشيء؛ لأنه يقول: إنني مجتهد في ذلك ولي الحقّ فيه؛ لأن الحاكم إذا حكم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر.

ومعلوم أن مثل هذا لا يوجد له قواعد وضوابط مسطورة يمكن إلزامه بها عند شذوذه؛ لأن أغلبَ كلامه محض تشهٍ، من غير شرط أو قيد كما هو لكل صاحب بصيرة.

وأما إذا كان ملتزماً لمذهب من المذاهب المعتمدة المشهورة في فتاواه، فأي خروج منه عن فروع مذهبه وقواعده يمكن معرفته وإلزامه به؛ لأن كلَّ شيء مسطور ومكتوب ومشهور، وأي مخالفة منه له تسقطه، وتعريه، وتبيّن حاله، بأنه متساهل ومتلاعب، فلا يمكنه مخالفة المعتمد في مذهبه؛ لأنه سينكشف فعله ويستبان أمره.

وهذه هي الطريقة المثلى التي سار عليها المسلمون عامة وعلماء في فتواهم وإحكامهم دينهم في عصورهم وعهودهم الذهبية، وفي دولهم المتوالية، وبلادهم المختلفة، كما تشهد به عبارات أئمتهم في المعتمد عند مذاهبهم المعتبرة:

قال السنوسي: «العالم الذي لم يصل رتبة الاجتهاد والعامي المحض فإنه يلزمهما تقليد المجتهد؛ لقوله تعالى: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**[٢٠]، والأصحّ أنه يجب عليهما التزام مذهب معيّن من مذاهب المجتهدين يعتقد أنه أرجح من غيره أو مساو، وينبغي لهما في المساوي السعي في رجحانه ليتّجه لهما اختياره على غيره..»[٢١].

وفي «فتح العلي»[٢٢]: «قال المازري: لا أفتي بغير المشهور ولا أحمل الناس على

غيره، وقد قَلَّ الورع والتحفّظ على الديانة وكثر مَن يدعي العلم ويتجاسر على الفتوى فيه بغير بصيرة، ولو فتح لهم باب في مخالفة مشهور المذهب لاتسع الخرق على الراقع، وهتك حجاب المذهب، وهذا من المفسدات التي لا خفاء بها، وهذا في زمانه فانظر في أي زمان أنت.

قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: انظر كيف لم يستجز هذا الإمام العالم، وهو المتفق على إمامته وجلالته الفتوى بغير مشهور المذهب، ولا بغير ما عرف منه، بناء على قاعدة مصلحية ضرورية إلى أن قلّ الورع والديانة من كثير ممَّن ينتصب لبثّ العلم والفتوى، فلو فتح لهم هذا الباب لانحلت عرى المذهب، بل جميع المذاهب؛ لأن ما وجب للشيء وجب لمثله، وظهر أن تلك الضرورة التي ادّعيت في السؤال ليست بضرورة..».

وقال الجلال المحلي[٢٣]: «والأصحّ أنه يجب على العامي وغيره ممّن لم يبلغ رتبة الاجتهاد التزام مذهب معيّن من مذاهب المجتهدين يعتقده أرجح من غيره أو مساوياً له..»[٢٤].

رابعاً: أن لا يخرج في فتواه عن المذاهب الفقهية الأربعة؛ فإن وقع الاتفاق والإجماع بين علماء أهل السنة على قَبولها، والعمل بها، وعدم جواز الخروج عنها، وعباراتهم في ذلك لا تُعدّ ولا تحصى، ومنها:

قال الإمام الزركشي[٢٥]: «والحقّ أن العصرَ خلا عن المجتهد المطلق، لا عن مجتهد في مذهب أحد الأئمة الأربعة، وقد وقع الاتفاق بين المسلمين على أن الحقَّ منحصرٌ في هذه المذاهب، وحينئذ فلا يجوز العمل بغيرها، فلا يجوز أن يقع الاجتهاد إلا فيها».

وقال العلامة النفرواي[٢٦]: «وقد انعقد إجماع المسلمين اليوم على وجوب متابعة واحد من الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وعدم جواز الخروج عن مذاهبهم وإنما حرم تقليد غير هؤلاء الأربعة من المجتهدين، مع أن الجميع على هدى لعدم حفظ مذاهبهم لموت أصحابهم وعدم تدوينها».

وقال الفقيه ابن نجيم[٢٧]: «لا ينفذ القضاء به ما إذا قضى بشيء مخالف للإجماع، وهو ظاهر، وما خالف الأئمة الأربعة مخالف للإجماع، وإن كان فيه خلاف لغيرهم، فقد صرَّحَ في «التحرير» أن الإجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للأربعة لانضباط مذاهبهم وانتشارها وكثرة أتباعهم».

وقال الحافظ الذهبي[٢٨]: «نقول اليوم: لا يكاد يوجد الحقّ فيما اتفق أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه، مع اعترافنا بأن

اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع الأمة، ونهاب أن نجزمَ في مسألة اتفقوا عليها بأن الحقّ في خلافها».

فانظر بما تشهد به عبارات هؤلاء الأعلام من أئمة الإسلام، وما هو حال المفتين في زماننا الذي لا يراعون لذلك حرمة، ولا يبالون بالمخالفة والخروج عن مذاهب أهل الحقّ، فأي مفت لا يأبه بإجماع المذاهب وأقوالها، ينبغي أن لا يؤبه بقوله ورأيه، ويجب أن يردّ عليه ويبيَّن عواره، بأنه تنكب طريق الحقّ، وخرجَ عن الصواب بترك مذاهب أهل السنة.

خامساً: أن لا يأخذ بالشاذّ من العلم والمسائل؛ إذ الشاذ ما خالف فيه صاحبه أقوال سائر الفقهاء[٢٩]، فما ذكر من أقوال ضعيفة وشاذة في كتب الفقه لا يجوز العمل والإفتاء بها إلا في حالات بيَّنتها في «المدخل»[٣٠].

قال العلامة ابنُ قُطلُوبُغا: «إن الحكم والفتيا بما هو مرجوح خلاف الإجماع»[٣١]، وقال أيضاً[٣٢]: «اتباع الهوى حرام، والمرجوح في مقابلة الراجح بمنزلة العدم، والترجيح بغير مرجح في المتقابلات ممنوع، ونقل عن ابن الصلاح: أنه من يكتفي بأن يكون فتواه او علمه موافقاً لقول أو وجه في المسألة، ويعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح فقد جهل وخرق الإجماع».

وفي «فتح العلي»[٣٣]: «ينظر في الحكم الذي عدل عن المشهور إلى الشاذ، فإن حكم به لمظنّة أنه المشهور نقض حكمه، وإن حكم به مع العلم بأنه الشاذ إلا أنه ترجّح عنده، فإن كان من أهل النظر ممّن يدرك الراجح والمرجوح ـ وهذا يعزّ وجوده ـ مضى حكمه.

وإن لم يكن من العلم بهذه المنزلة زجر عن موافقة مثل هذا.. وعن الواغليسي: لا تكن ممّن يتقلّد غير المشهور الذي عليه القضاء والفتيا من السلف والخلف، فلتعمل على جادة أئمة المذهب واحذر مخالفتهم..».

والناظر للمفتين والمدرسين في زماننا، يجد أنهم لا يفرقون بين الضعيف من المعتمد، ولا يميِّزون بين الغثّ والسمين، والرطب واليابس، وكلُّ ذلك يحتاج إلى دربة على أيدي فقهاء مهرة، وممارسة طويلة في كتب الفقه لتمييز العبارات والأقوال، ومعرفة صحيحها من سقيمها، ومَن لم يضبط ذلك لا ينبغي أن يتصدَّرَ لتدريس أو فتوى.

وحاصل ما سبق في هذه العجالة ينبغي التفريق بين العلم والوعظ، فليس كلّ واعظ عالم، ولا بُدّ من الاعتراف لأهل العلم الشرعي عامّة والفقه خاصة بالتخصّص،

بعدم التعدي من الآخرين غير المؤهلين للكلام والإفتاء في العلوم الشرعية؛ لأن إخبار عن حكم الله، ولا يملكه إلا مَن دَرَسَ وضَبَطَ وتخصَّصَ وتأهَّلَ لهذا العلم الشريف.

والاعتراف للعالم بعلمه في الفقه ينبغي أن يتقيّدَ بأن يكون من أهل الورع والتقوى ممَّن يعمل بعلمه، وأن يكون عالماً وضابطاً لما يقوله ويعلمه، وملتزماً بقواعد العلم من خلال تقيّده بأحد المذاهب الأربعة المعتمدة، وأن لا يخرج في فتاواه عنها، ولا يأخذ بالشاذ والضعيف في العلم.

وهذه أقل الضوابط لمَن ينبغي عدّه في زمرة العلماء الفقهاء، ومَن دونه فعلمه

الهوامش:

(١) النحل: ٤٣.
(٢) ينظر: ((التمذهب)) (ص١٥١).
(٣) في ((الآثار المرفوعة)) (ص٩).
(٤) وتمام ذلك في ((الأجوبة الفاضلة)) (٢٩-٣٥).
(٥) في ((ظفر الأماني)) (ص ٤٢٠).
(٦) في ((التمذهب)) ص١٥٢-١٥٣).
(٧) الحجرات: ٦.
(٨) في ((مفتاح السعادة)) (١: ١٨).
(٩) في ((تفسيره)) (٤: ٣٧٥).
(١٠) قال بعضهم: العالم هو الذي يعمل بما يعلم. كما في ((تهذيب اللغة)) (١: ٣٠١). وفي ((تفسير البغوي)) (٤: ٢٢٧)، و ((تفسير الخازن)) (٤: ٧): ((قيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم: هو الذي يعلم الأشياء، والحكيم: الذي يعمل بما يوجبه العلم)).
(١١) فاطر: ٢٨.
(١٢) في ((حلية الأولياء)) (١: ١٣١).
(١٣) في ((تفسيره)) (٢٠: ٤٦٢).
(١٤) في ((تفسيره)) (١: ٤٦٣).
(١٥) في ((صحيح مسلم)) (١: ١٤).
(١٦) في ((المجموع)) (١: ٧٤).
(١٧) ومثله في ((معالم القربة في معالم الحسبة)) (ص١٨٢)، و ((الفتاوى الفقهية الكبرى)) (١: ٢٠٣)، وغيرهما.
(١٨) (١: ٧٤).
(١٩) ينظر: ((تفسير الرزاي)) (١: ٤٦٣).
(٢٠) النحل: ٤٣.
(٢١) ينظر: ((فتح العلي)) (١: ٦٠).
(٢٢) (١: ٧٤).
(٢٣) في ((شرحه على جمع الجوامع)) (٢: ٤٤).
(٢٤) ينظر: ((التمذهب)) (ص١٥٨).
(٢٥) في ((المحيط)) (٨: ٢٤٢).
(٢٦) في ((الفواكه الدواني)) (٢: ٣٥٦).
(٢٧) في ((الأشباه)) (١: ٣٣٤).
(٢٨) في ((سير أعلام النبلاء)) (٧: ١١٧).
(٢٩) ينظر: ((معجم لغة الفقهاء)) (ص٢٥٥).
(٣٠) (ص٢٥٨-٢٦٣).
(٣١) ((ردّ المحتار)) (٥: ٤٠٨).
(٣٢) في ((التصحيح)) (ق١/أ).
(٣٣) (١: ٧٤).

ميزات العمارة الإسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

أ- العمارة زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

امتازت العمارة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين بالبساطة، فقد بني المسجد النبوي أصلاً من اللبن وسعف النخيل، كما بنيت المساجد في زمن الخلفاء الراشدين من بقايا القصور والمعابد الساسانية، كما حدث في إسطخر وقزوين، أما في العراق فقد أقيمت البصرة والكوفة وفي مصر الفسطاط وبها مساجد بسيطة.

ب- ميزات العمارة في العصور الأموية والعباسية:

الامتداد الأفقي:

يمكن أن يكون نابعاً من طبيعة الصحراء الساكنة، حيث لا يرى إلا الأفق الممتد، الذي يمثل امتداد الجدران والأبراج في جامع سامراء، ويمثل الامتداد الأفقي فكرة المساواة بين أفراد الجماعة الإسلامية الذين يقفون في الصلاة في صفوف متماثلة، فكأن الأفقية في بيت الصلاة تعبير عن البساطة والتنزيه في الإسلام، على عكس الامتداد الرأسي الذي يظهر في كنائس أوروبا من الطراز القوطي، مما يمثل الطبقية في المجتمع الإقطاعي هناك، كما يمثل فكرة التركيب في تصور الإله بمعنى التثليث.

وإذا كانت المئذنة بارتفاعها الرأسي تمثل استثناء لقاعدة الامتداد الافقي في عمارة المسجد، فإن المئذنة بناء ملحق بالمسجد، وارتفاعها نابع من وظيفة الأذان الأساسية لإيصال صوت المؤذن إلى أبعد مسافة ممكنة.

العروبة والوحدة العالمية:

تتمثل عروبة الفن الإسلامي وعالميته

في وحدته التشكيلية التي تعد أهم قيمه الجمالية. فإذا أخذ العرب عن غيرهم الكثير من عناصر الفن، فإنهم أيضاً كانت لهم فنونهم العريقة في اليمن والشام والعراق ومصر، ولا شك أن لهذا تأثيراً كبيراً على تشكيل فنون الإسلام التي أصبحت فنون العرب أيضاً.

الكعبة ودورها في الخاصية العالمية:

تعد الكعبة عاملاً موحداً في الفن الإسلامي بوصفها قبلة المسلمين، فكل مساجد الإسلام تتجه نحو الكعبة، فكأن كل بيت صلاة (مسجد) في حقيقة الأمر جزء من دائرة محيطة بالكعبة والبيت الحرام، وبذلك ارتبطت جميع المساجد في وحدة واحدة من حيث التخطيط الذي يرتكز على محور يتجه من وسط موضع البناء نحو مكة والكعبة، وهذا المحور هو الذي يتعامد على جدار القبلة (عبد الحميد ١٩٨٦: ٤٥٠ - ٤٥٢).

تبادل استخدام العناصر في العمارة والزخرفة:

من خصائص الفن الإسلامي استخدام الأقواس والعقود والقباب بأشكالها المختلفة وبطرق مبتكرة كعناصر معمارية أصيلة أو كعناصر زخرفة. ومن أروع النماذج العقود التي يرتفع بعضها فوق أكتاف بعض في جامع قرطبة، والعقود المدببة المنفوخة في جامع ابن طولون في مصر، ومثل هذا يقال عن مواد البناء المختلفة من الآجر واللبن والحجارة التي استخدمت تبعاً للظروف المحلية، وعلى الرغم من ضعف الآجر، فقد تمكن البناؤون المسلمون من إقامة صروح عظيمة لا تزال باقية للآن مثل بقايا جامع سامراء ومئذنته الملوية وقصر الحمراء في غرناطة، وبقايا جامع إشبيلية ومئذنته وغيرها.

التضحية:

تظهر التضحية في أسلوب العمارة وزخرفتها، الذي يصل حد الإعجاز في النحت والتصوير والنقش على الحجر، فتظهر روعة النقش في المقرنصات التي تملأ اكتاف قواعد القباب وتشارك في رفعها في الزوايا، كما تظهر في الصنج المعشقة في عقود البوابات، حيث تتزاوج الحجارة من ملونة وبيضاء في أشكال متشابكة، فضلاً عن النقوش الكتابية البارزة والتوريق في الرخام والمرمر (عبد الحميد ١٩٨٦ : ٤٥٣-٤٥٤).

التشكيل الهندسي:

يعد المقرنص بأنواعه المختلفة واحداً من الأشكال الهندسية التي أبدع الفنان العربي بطرق استخدامها، وأبدى مقدرة عالية في تركيبها وتوزيعها والتنسيق بينها، ولقد استطاع الفنان العربي عن طريقها أن

يعوض ما فاته من استخدام البعد الثالث في فن الرسم والنحت لأسباب تتعلق بعقيدته، وقد ظهر ذلك واضحاً في المآذن والأروقة (حيدر ١٩٩٤: ٨-٩).

الزخارف والرسوم:

استخدام الزخارف المنوعة واتخاذ الرسوم والصور والفسيفساء الأرضية والجدارية وكذلك الصور الزيتية التي استعمل بها الدهان، ومن المهم أن تلاحظ أن زخرفة المساجد تتكون كلها من أشكال هندسية أو نباتية أو نقوش، أما القصور فقد كانت زخرفتها تضم صوراً آدمية أو حيوانية بالإضافة إلى النباتات أو الأشكال الهندسية.

تخطيط العمارة:

جاءت العمارة الإسلامية (في كثير من البيوت والقصور والمساجد) معبرة تعبيراً صادقاً عن روح الإسلام وجوهره العقائدي، كما كانت انعكاساً لجميع الظروف المحيطة بها بيئياً واجتماعياً وتكنولوجياً.

وعلى الرغم من اتساع الرقعة الجغرافية التي أنارها الإسلام شرقاً وغرباً، واختلاف الظروف البيئية والإقليمية من منطقة لأخرى، وإختلاف المعالجات المعمارية المستمدة من البيئة المحلية لكل إقليم، فإننا نستطيع أن نحس روح الإسلام ونلمسها في جوهره المعماري وإن اختلفت التفاصيل.

تخطيط المساكن:

على الرغم من وجود نماذج عدة للبيت الإسلامي، إلا أن هناك فكراً معمارياً واحداً يربط بينها نستطيع أن نميزه في الآتي:

المسقط الأفقي بكامل مسطح الأرض، وغالباً ما يكون للمنزل واجهة خارجية واحدة هي واجهة المدخل الذي يؤدي إلى قلب البيت وهو الحوش.

السماوي الذي تتوسطه نافورة رخامية ملونة. أما الواجهات الخارجية من المبنى فهي بسيطة للغاية، وأبرز ما يميزها المشربيات الجميلة المصنوعة من الخشب المخروط، والتي تضم بعض الكتابات الكوفية والزخرفية.

وقد اتبع التخطيط الآتي في تصميم المساكن:

أ- أن يكون هناك حجرة رئيسة أو أكثر تواجه الشمال وتطل على حوش سماوي.

ب- أن تكون الشبابيك المطلة على الشارع صغيرة وعالية.

ج- أن يكون المدخل متعرجاً على نفسه يحول دون رؤية ما بداخل المنزل.

د- أن يوصل مدخل الحريم إلى حوش سماوي آخر، إذا أمكن، أو يوصل إلى أقصى أركان الحوش الرئيس للمنزل.

هـ- أن يكون بالطابق الأرضي حجرة استقبال فسيحة للرجال، كثيرة الزخرفة تسمى حجرة العرش، ومقعد أرضي وحجرة للإنتظار ومساكن الخدم، والمطبخ ودورة مياه.

و- أن يشتمل الطابق الأول على جميع قاعات الاستقبال والمعيشة والنوم، ويستعملها أهل المنزل للمناسبات كافة (النحاس ١٩٩٠: د-هـ).

تخطيط المدن الإسلامية:

كان للدين الإسلامي وانتشاره المكاني أثر كبير في نشوء المدن الإسلامية وتطورها وتخطيطها، إذ صقلت الشريعة الإسلامية وتعاليمها حياة الحواضر والمدن العربية، ووجهت الكثير من أنشطة المدن ضمن القيم الإسلامية ومبادئ الدعوة للإسلام، فكانت المدن الدينية والعسكرية ومدن العواصم ومدن البلاط وغيرها، وتشير معظم الدراسات التي تناولت بنية المدن العربية الإسلامية (الجنابي ١٩٨٧: ٨٧-٨٨ العلي ١٩٨٥: ٦٩-٧٠) إلى أن المدينة الإسلامية كانت تعتمد في تخطيطها على:

أ- **الاستعمالات الدينية:** احتل المسجد أفضل موقع في المدينة وهو المركز، بوصفه مقراً للصلاة وخاصة أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، ويرتبط المسجد بشوارع رئيسة تصل المدينة حتى أبوابها الخارجية.

ب- **الاستعمالات التجارية:** احتلت الأسواق التجارية موقعاً مركزياً حول المسجد، يسهل الوصول إليه من كل أطراف المدينة، والأسواق مسقوفة لحماية الناس من المطر والحرارة والغبار.

ج- **الاستعمالات السكنية:** تشغل ثلثي مساحة المدينة، وتتوزع الأحياء السكنية بشكل حلقي، أو نطاقي حول النواة الدينية والإدارية للمدينة، وغالباً ما يكون قصر الحاكم والخليفة قرب المسجد مباشرة.

د- **الاستعمالات الصناعية والحرفية:** تحتل مركزاً وسطاً مرتبطاً بالأنشطة التجارية، وتتخذ نمطين في توزيعها: نمط متخصص على أطراف السوق المركزي ونمط متداخل مع النشاط التجاري داخل السوق.

هـ- **الاستعمالات العسكرية:** وتتمثل في المساحات المخصصة للتدريب والأسوار والأبراج والقلاع والخنادق، ويستدل على ذلك من تخطيط مدينة بغداد.

و- **الشوارع:** تقدر نسبة ما يترك من أراض للشوارع بـ ٢٥٪م تقريباً من مساحة المدينة العربية الإسلامية، وقد وصل عرض أكبر شارع في سامراء إلى ٢٠٠ ذراع.

تخطيط المسجد:

وضع مسجد الرسول ﷺ في المدينة الذي أقيم بعد الهجرة مباشرة، مخطط المساجد فيما بعد، على الرغم من بساطته، وأنه لم يكن يحمل أي صفة معمارية إلا أنه حدد المخطط الأول لمسجد المستقبل بأجزائه الأساسية وهي: الصحن الواسع جداً والحرم قاعة عريضة جداً وقليلة العمق إذ تحددت نسبة أبعادها منطقياً مع نظام الصلاة الجماعية، وقد أضيف إلى الحرم المنبر والمحراب. أما المنبر فلقد استعمل منذ عهد الرسول ﷺ فقد كان النبي يخطب في الجمع على جذع في المسجد قائماً، فقال له تميم الداري: ألا أعلي لك منبراً كما يصنع في الشام؟ فوافقه الرسول ﷺ، فصنع ثلاث درجات من الخشب، أما المحراب فيعتقد أنه يرجع إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (بهنسي ١٩٨٠ : ١٣٢).

ويعد المسجد الأموي في دمشق أول نجاح معماري في الإسلام، وهو حلقة هامة تربط تقليد العمارة المسيحية الشامية بعمارة إسلامية جديدة، ويقوم هذا المسجد في مكان مقدس من مدينة دمشق، حيث كان معبد (حدد) الآرامي منذ ثلاثة آلاف سنة، ثم أنشئ معبد (الجوبيتر) في العهد الروماني مؤلف من سورين متوازيين يحيطان بالهيكل. وفي القرن الرابع أقام الإمبراطور (تيودورس) كنيسة القديس (يوحنا) ضمن الصحن المحاط بالسور الداخلي. وعندما فتح المسلمون الشام تقاسموا هذه الكنيسة مع المسيحيين، ثم اتفقوا على جعلها مسجداً مقابل تخصيص كنيسة مستقلة للمسيحيين. (الحموي ج٢ : ٥٩١).

وأصبح مدخل المعبد الوثني وهما باب جبرون وباب البريد، مدخلين للمسجد يؤديان إلى الصحن. وتحيط بهذا الصحن أروقة من أطرافه الثلاثة ويقوم في الحرم الطرف الرابع، وهو يضم ثلاثة أجنحة تمتد موازية للجدار الجنوبي القديم الذي يحدد القبلة. وينقطع ترتيب هذه الأجنحة العرضية بجناح أوسط ممتد نحو العمق مشكلاً مصطبة تعلوها قبة عالية يطلق عليها قبة النسر. ولقد أشرف الخليفة الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) على بناء هذا المسجد وتزيينه بالفسيفساء والرخام، وكان يرتفع على حافتي الجدار القبلي برجان مربعان يحملان الشكل التقليدي لأبراج النواقيس الشامية، فأعيد بناؤهما من أجل الأذان، ثم أنشئ على منتصف الواجهة الشمالية مئذنة، حددت بذلك شكل المآذن الأولى في الإسلام. ولقد أصبح الجامع الأموي نموذجاً يحتذى لأكثر المساجد. وفي المدينة المنورة وسع الوليد مسجد الرسول ﷺ وقد أنجز هذا العمل

المعماريون والمزخرفون الشاميون.

وأنشأ سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة في فلسطين وأقام قصره فيها، وكذلك بنى المسجد الأبيض في مدينة الرملة، وما زالت مئذنته قائمة حتى الآن، وتعد من أضخم الأبراج الشرقية ولا يعادلها إلا مئذنة (الجيرالدا) في إشبيلية، وكانت هندسة المساجد قد انتقلت إلى الأندلس مع الفاتحين، وخاصة مسجد قرطبة الذي استطاع الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل بناءه عام (٧٨٥م) على أنقاض كنيسة مسيحية، وأصبح أساساً للعمارة الإسلامية الجديدة في الغرب (بهنسي٢، ١٩٨٠: ١٣٥-١٣٦).

تخطيط الحمامات:

إن أقدم حمام إسلامي موجود في قصر عمرة بالأردن وهو مؤلف من قاعة ذات ثلاثة أجنحة تنتهي بقاعة تحاذيها على الجانبين مقصورتان ذات قادمتين واضحتين من الخارج، وتنفتح القاعة إلى اليسار (أي من الشرق) على غرفتين. أما الجنوبية فهي مغطاة بقبوة مهدية، والثانية مغطاة بقبوة متقاطعة، وتنفتح هذه القاعة من الشرق أيضاً على قاعة ثالثة ذات قبة ولها مقصورتان، وتتصل هذه القاعة بدهليز إلى قاعة كبيرة يبدو أنها لم تكتمل.

ويشكل هذا الحمام حلقة مستقلة من نشوء الحمامات الإسلامية، حيث أصبح من الدارج وجود ثلاث قاعات للاستحمام: الباردة والدافئة والحارة، وهذه القاعة مجهزة بأنابيب للبخار (بهنسي ٢: ١٩٨٦ : ١٣٩-١٤٠).

ويشبه هذا الحمام حمام آخر يسمى الصرخ، ويقع على بعد ٢٠ كم شمالي عمان، وانتشرت الحمامات في كل القصور الإسلامية.

تخطيط المدارس:

إن المدارس كمنشآت معمارية تتكون من قاعات للتدريس، وحجرات للأساتذة والطلاب، ومن مصلى ومكان الوضوء، وقد تتضمن مدفناً مقبباً لمنشئ المدرسة، كما تتضمن إيوانات لممارسة التدريس في الهواء الطلق أيام الصيف. ومن أشهر المدارس؛ المدرسة النظامية، والمدرسة النووية في دمشق بقبتها المقرنصة (بهنسي ٢: ١٩٨٦: ١٤١-١٤٢) والمدرسة المستنصرية في بغداد.

تخطيط القصور:

تقوم القصور الصحراوية وفق مخطط متشابه وشكل معماري موحد يعتمد على مبدأ السور المحيط والصحن الداخلي الذي تشرف عليه أروقة تعقبها غرف في طابق أو طابقين، ويأخذ السور الخارجي

طابعاً حصيناً بعيداً عن الفتحات والزخارف، ومع ذلك فإن الأبراج لم تكن ضرورية لوظيفة الدفاع والتحصين، إذ أن البادية كانت آمنة دائماً، بل إن سكانها كانوا موالين وأنصاراً للأمويين الذين ما زالوا يحنون للحياة البدوية. ومن الممكن أن تكون الأبراج لتدعيم الأسوار من جهة، ولإظهار البناء بمظهر المنعة والقوة من جهة أخرى.

ولقد اختلفت الآراء في تحديد مصادر الشكل المعماري للقصور الصحراوية؛ فمن قائل إنها قريبة الشبه بالطراز الهلنستي والبيزنطي الذي تجلى في دير الكهف، أو بالطراز الساساني، أو أنها مستمدة من منشآت العرب الأوائل في الحيرة، وهم المناذرة الذين أقاموا قصري (الخورنق والسدير).

وعموماً، يمكن القول: إن العمارة الإسلامية تتكون من العناصر الفنية المعمارية الآتية:

- **الأقواس:** وهي على أنواع؛ فبعضها نصف دائري أو منكسر، والدائري بعضه متطاول من الأعلى ويشبه نعل الفرس، أما القوس المنكسر فهو متطاول الى أعلى وفي نصفه انكسار. والنوع الآخر هو الأقواس المقرنصة. أما الباب فيحاط بمستطيل ضمنه تحشيات زخرفية تنصفها زهرات مع أقواس زخرفية تعلو هذا المدخل.

- **النوافذ:** وهي شباك حجري أو مصنوع من الجص أو من الخشب وله مشربية، وكانت النوافذ ترتكز على أعمدة جانبية رفيعة. وبرع العرب في صناعة الأبواب الكبيرة وغلفوها بالحديد وطعموها بالذهب والفضة، ونقشوا عليها التزيينات الهندسية العربية البديعة، كما هو الحال في باب المؤيد في القاهرة.

- **المقرنصات:** وهي مأخوذة من النوازل والصواعد ومؤلفة من سبعة عناصر مركبة بشكل مثلثي، توجد على تاج الأعمدة أو على الأفايز، وتتكون من الجص أو الآجر المنحوت أو محفورة على الخشب أو من الطين المحروق.

- **الأعمدة والتيجان:** الأعمدة ذات أشكال مختلفة منها: الاسطواني والمضلع والحلزوني والمثمن. أما التيجان فبعضها بصلي أو مزين بورقات نباتية.

- **القباب:** تعد قبة النسر في الجامع الأموي أقدم قبة إسلامية، وفي العصر الأيوبي أخذت القباب طابعاً محززاً، وحليت ببعض الزخارف.

- **المآذن:** إن مصدر فكرة المآذن والأبراج يرجع إلى الزيقورات الرافدية، وأول مئذنة كانت في الجامع الأموي في دمشق، وانتقلت إلى المساجد الأخرى. والمآذن مربعة كما في جامع القيروان في تونس، أو

قيمة الوقت في الاسلام

■ بقلم الاستاذ ابراهيم شرف الدين

منذ الثورة الصناعية الكبرى التي شهدتها أوروبا، والتي مهدت الى ثورة تكنولوجية رهيبة نعيشها اليوم، جعلت الإنسان يرقى مادياً ويبتعد تدريجياً عن كثير من القيم الأساسية وفقد التفاعل معها، ومن بين هذه القيم قيمة الوقت أو الزمن، الذي يعد رقماً أساسياً في معادلة الحضارة عند المفكر مالك بن نبي رحمه الله.

وسنتحدث عن الوقت ليس من وجهة فلسفية مجردة، ولا نظرة فيزيائية معقدة، ولكن سيكون حديثنا عن الوقت في بعض جوانبه من وجهة اسلامية.

لا يراد من الوقت الزمن المجرد، وانما يراد به اللحظات التي يعيشها المرء، والأخص منها كمجال التكليف والمسؤولية، فلا يدخل فيه مثلاً مرحلة الطفولة، ولا فترات النوم، وعليه فالزمن هو منحة ربانية للابتلاء خيراً أو شراً **﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**، ولأهميته أقسم الله به فقال سبحانه: **﴿والعصر ❖ ان الانسان لفي خسر﴾**، وبين انه آية كبرى، فقسمه تنظيماً له فذكر اجزاءه فقال تعالى: **﴿والليل اذا يغشى ❖ والنهار اذا تجلى﴾**، وقال عز وجل: **﴿والفجر ❖ وليال عشر﴾** وقال تعالى ايضاً: **﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ❖ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾**.

ولا ننسى ان الاسلام ربط عباداته الأساسية بأوقات معينة فقال تعالى في الصيام: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** وقال تعالى في الحج: **﴿الحج أشهر**

معلومات﴾ اما الصلاة فذكر أوقاتها مجملة: **﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** وأشار تعالى الى تفاصيلها فقال: **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهوداً﴾**.

❖ مغالطة الزمن:

لا عجب اذن في تقسيم الوقت وضبطه في القرآن الكريم ضبطاً دقيقاً لأن لحظات العمر ثمينة عظيمة القدر لا يعوضها مال ولا ذهب ولا فضة، ينخدع الانسان بمقولة: «الزمن يسير والانسان واقف» وللشيخ الغزالي رحمه الله قول بليغ في هذا المعنى: «ان الانسان ليسير حثيثاً الى الله» «وكل دورة للفلك تمخض عن مصباح جديد الى الله» وكل دورة للفلك تمخض عن مصباح جديد ليست الا مرحلة من مراحل الطريق الذي لا تتوقف فيه ابداً أفليس من العقل ان يدرك المرء المسلم هذه الحقيقة، وأن يجعلها نصب عينيه، وهو يستبين ما وراءه وما أمامه؟ من الخدع ان يحسب الانسان نفسه واقفاً والزمن يسير، انه خداع النظر حين يخيل لراكب القطار ان الأشياء تجري وهو جالس، والواقع ان الزمن يسير بالانسان نفسه الى مصير العقيدة.

❖ تفاضل الوقت:

للوقت خصائص شاملة تزيد من قيمته طالت اجزاؤه ام قصرت، فإنها تتفاضل حيث يكون بعضها اكبر قيمة واعظم نفعاً من البعض، فساعة خير من ساعة ويوم أفضل من يوم، وعوامل التفاضل كثيرة منها القدرة الذاتية والنشاط الحيوي، فلذلك كانت مرحلة الشباب من العمر بمنزلة الضحى من اليوم لما فيها من قوة وجد، قال تعالى: **﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾**.

وان أهم عامل في تفضيل وقت عن آخر، هو العامل الشرعي والمقصود به ان تكون احكام الشرع وتعاليمه هي مصدر تفاوت الأوقات، وبناء على هذا نجد ان الشارع الحكيم قد خص أزمنة معينة دون سواها بالفضل والبركة، وقد نبه ولي الله الدهلوي الى بعضها في كتابه القيم «حجة الله البالغة» فقال: «.. فمن تلك الساعات ما يدور بدوران السنين وذلك لقوله تعالى: **﴿انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ❖ فيها يفرق كل أمر حكيم ❖ امراً من عندنا انا كنا مرسلين﴾** وفيما تعينت روحانية القرآن في السماء الدنيا واتفق أنها كانت في رمضان، ومنها ما يدور بدوران الأسبوع وهي ساعة خفيفة ترجى فيها استجابة الدعاء وقبول الطاعات وقد بين النبي ﷺ ان مظنتها يوم الجمعة، ومنها ما يدور

بدوران اليوم وتلك روحانية اضعف من الروحانيات الأخرى، **وقد أجمعت أذواق من شأنهم التلقي من الملأ الأعلى أنها اربع..** وقد أشار الله تعالى في محكم كتابه اليها فقال: **﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾**».

والمقصود أيضاً اداء العبادة بمفهومها الشامل، اي كل وجوه الخير، ومما ساعد على ذلك الترفيه على النفس والاستمتاع بما شرعه الاسلام كاللعب المباح والمباريات الرياضية والنوم في الظهيرة والأخذ بالمباحات بقدر وليس هذا اضاعة للوقت، ولا تبذيراً بل هو ضرورة لاستثماره وحسن الانتفاع به.

❖ حتمية الانتفاع بالوقت:

واذا تعددت النصوص الشرعية الكثيرة في بيان قيمة الوقت فالغرض الأساسي من ذلك هو وجوب الانتفاع به وعدم الاشتغال بما لا طائل منه في لغو أو باطل، والله عز وجل وصف خيرة عباده فقال: **﴿واذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**.

وقد أشار العلامة ابن الجوزي الى هذا المعنى فقال: «رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً ان طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب في غزاة وسمر، وان طال النهار فبالنوم وهم اطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل، الا انهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الاقامة».

وما أروع ما فسر به العلامة الكبير الشيخ محمد عبد الله دراز قوله تعالى: **﴿فإذا فرغت فانصب﴾** فقال: «اذا فرغت من عمل فاشغل نفسك بعمل اذا فرغت من عمل لدينك فاشتغل بعمل لدنياك واذا فرغت من عمل لدنياك فاشتغل بعمل لدينك واذا فرغت من حاجة بدنك فخذ غذاءك لعقلك أو متعة لروحك واذا فرغت من شأن نفسك فأقبل على شأن أسرتك ثم على شأن أمتك وهكذا.. لا فراغ الا استجماماً وتأهباً للعمل إنه لا يركن الى الفراغ الى الفارغون».

والرسول ﷺ فيما رواه الترمذي في الشمائل، كان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفس، وكان اذا أوى الى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، جزّأه بينه وبين الناس.

الرحمة في رحاب اللفظ القرآني

■ بقلم الأستاذ أيمن محمد خليل

لم يكن من مجاز القول، ان يوصف الاسلام الحنيف بأنه دين الرحمة، ولا هي دعوة أريد بها الثناء أو التحزب لهذه الشريعة السمحة، التي ترتبط سماحتها في جوهرها بمبدأ الرحمة، الذي ينتظم بالنسيج المحكم لشريعة رسول الله ﷺ.

وليس أمراً عفوياً أن يبدأ المؤمن عبادته وتلاوته، وطعامه وعمله وكل خطوة يخطوها تجاه أمر أو نية ينويها بآية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فتكون صفة الرحمة -بين صفات الله تعالى- هي المذكورة في هذا المقام، تأتي مكررة في صورتين من صورها في العربية، وتكون هذه العبارة هي شعاره وحافزه في كل عمل يشرع فيه.

ولا بد لنا قبل الشروع في تحليل المعطيات العددية لهذه المفردة، ومشتقاتها ووتائر ترددها في النص القرآني، من أن نمهد بمدخل لغوي يسير، يوضح للقارئ الآفاق الدلالية التي تنصرف اليها هذه المفردة القرآنية.

الرحمة لغة: الرقة والانعطاف، قيل: ومنه اشتقاق الرحم لانعطافها على الجنين[١]، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى، وهو الرقة والنعمة على المحتاج[٢]، وقيل: الرحمة رقة تقتضي الإحسان الى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد[٣].

والرحمن الرحيم، على ما صححه الحسين بن الفضل البجلي الكوفي المفسر، اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر، والرفق من صفاته تعالى، وفي الحديث الشريف: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي

عليه ما لا يعطي على العنف»[٤].

والرحمن أبلغ من الرحيم، ولذلك لا يطلق على غير الباري تعالى، وهو اختيار الزمخشري وصححه السمين الحلبي[٥]، وإنما أردف «الرحمن» الذي يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم الذي يتناول الجليل واليسير ليكون -كما علل الزمخشري- كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها وما لطف[٦].

وذكر أهل التفسير ان الرحمة في القرآن الكريم على ستة عشر وجهاً:

● **الأول: الجنة**، ومنه قول الله تعالى: **﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾** آل عمران: ١٠٧، وقوله عز وجل: **﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل﴾** النساء: ١٧٥ .

● **الثاني: الاسلام**، ومنه قوله تعالى: **﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾** البقرة: ١٠٥ .

● **الثالث: الإيمان**، ومنه قوله تعالى: **﴿ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده﴾** هود: ٢٨ .

● **الرابع: النبوة**، ومنه قوله تعالى: **﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾** الزخرف: ٣٢ .

● **الخامس: القرآن**، ومنه قوله تعالى: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾** يونس: ٥٨ .

● **السادس: المطر**، ومنه قوله تعالى: **﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾** الأعراف: ٥٧ .

● **السابع: الرزق**، ومنه قوله تعالى: **﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾** الإسراء: ١٠٠ .

● **الثامن: النعمة**، ومنه قوله تعالى: **﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك﴾** النساء: ١١٣ .

● **التاسع: العافية**، ومنه قوله تعالى: **﴿ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾** الزمر: ٣٨ .

● **العاشر: النصر**، ومنه قوله تعالى: **﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾** الأحزاب: ١٧ .

● **الحادي عشر: المنة**، ومنه قوله تعالى: **﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك﴾** القصص: ٤٦ .

● **الثاني عشر: الرقة**، ومنه قوله تعالى: **﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ الحديد: ٢٧ .**

● **الثالث عشر: المغفرة**، ومنه قوله تعالى:

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام: ٥٤ .

● **الرابع عشر: السعة**، ومنه قوله تعالى: **﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾** البقرة: ١٧٨ .

● **الخامس عشر: المودة**، ومنه قوله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** الفتح: ٢٩ .

● **السادس عشر: العصمة**، ومنه قوله تعالى: **﴿ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾** يوسف: ٥٣ .

قال ابن الجوزي رحمه الله: وقد ألحق بعضهم وجهاً سابع عشر، فقال: الرحمة الشمس، ومنه قوله تعالى: **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾** الشورى: ٢٨[٧].

فإذا كانت هذه الآفاق الدلالية تنصرف اليها كلمة الرحمة كما وردت في النص القرآني، وقد تجاوزت معناها اللغوي المحدود لتشمل مساحة واسعة من المعاني الانسانية، والقيم الروحية والظواهر الكونية والاجتماعية، فلا عجب أن يتسع استخدام هذه اللفظة فتردد هي ومشتقاتها في النص القرآني على نحو ملفت للأنظار.

فالرحمة ترد مفردة أو مضافة الى الله تعالى، أو الى الضمير العائد عليه عز وجل مائة وأربعة عشر مرة.

وترد مشتقاتها الفعلية: رحم، يرحم، ترحم، إرحم، ترحموا، ثلاثة وعشرين مرة، وترد مشتقاتها الاسمية: الراحمين، الرحمن، الرحيم، رحيم، رحماء، ارحم، المرحمة، مائة وسبعاً وثمانين مرة، فيكون مجموع تواتر هذه المفردة ثلاثمائة وأربعاً وثلاثين مرة.

فإذا علمنا هذا وعلمنا أن نقيض هذه المفردة الذي هو كلمة «غضب» وفعلها «غَضِب» لم يرد غير ثماني عشرة مرة، أدركنا مغزى قوله: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾** الأعراف: ١٥٦ .

يفرز ذلك ان كلمة «مغفرة» التي هي وجه من وجوه الرحمة في أحد معانيها، وردت هي ومشتقاتها الفعلية والإسمية: غافر، غفور، غفّار، غفر، يغفر.. ونحوها، مائة وخمساً وثمانين مرة، وهنا نقدر مجدداً سعة الرحمة التي أعدها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، ولخلقه الذين تمسكوا بقدر معقول من إنسانيتهم، ولم ينسلخوا عن فطرة الخير التي جبلهم الله تعالى عليها.

وسنقدر سعة رحمته جيداً.. اذا عرفنا أن كلمة العقاب التي هي نقيض كلمة المغفرة، لم ترد -مسندة الى الله تعالى-

غير عشرين مرة، منها خمسة مواضع اقترنت فيها بالمغفرة والرحمة، نحو قوله تعالى: **﴿ان ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾** الأعراف: ١٦٧، وقوله عز وجل: **﴿ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾** فصلت: ٤٣ .

وإن كلمة «ثواب» و «مثوبة» التي هي نقيض كلمة عقاب، وقريبة من مدلول الرحمة والمغفرة ترد خمس عشرة مرة(٨)، وتبدو محصلة هذا النظر الاحصائي مدعاة للتأمل العميق، فنسبة الرحمة الى الغضب هي ١٨,٥ الى ١، ونسبة المغفرة والثواب الى العقاب هي ١٠ الى ١ .

فهل بعد ذلك يمكن لجاحد ان يقول: ان الاسلام دين العنف والقسوة، ونحن نرى سعة الأفق الذي شغلته مفردات الرحمة والمغفرة والثواب، أمام نقيضاتها من مفردات الغضب والعقاب؟! وهل يكون بعد ذلك مجازاً قولنا: ان الاسلام دين الرحمة وان شريعة سيدنا محمد ﷺ، هي الشريعة السمحة؟!!.

الهوامش:

١- مفردات الراغب الأصفهاني ١٩٦، والدر المكنون، للسمين الحلبي، ٣١/١، ط دمشق.

٢- مقاييس اللغة، لابن فارس ٢٩٨/٢، ط مصر، ١٣٦٦هـ.

٣- الدر المكنون، ٣١/١ .

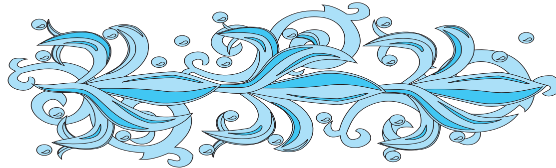
٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٨٠/١٢، وصحيح مسلم، ٢٠٠٤/٤، ط مصر.

٥- الكشاف، ٤١/١، والدر المكنون ٣٣/١ .

٦- الكشاف، ٤٥/١، ط مصر، ١٩٦٦م.

٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي: ٣٣٤، ط بيروت.

٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ط القاهرة،



من الإعجاز الكوني في القرآن
﴿والسماء ذات الحبك﴾

■ بقلم الفلكي الاستاذ عماد مجاهد

اقسم الله بالسماء بقوله تعالى في الآية السابعة من سورة الذاريات: ﴿والسماء ذات الحبك﴾، وحسب ما جاء في اللغة فان معنى حبك: أي شده واحكمه، وحبك الثوب أي أجاد صنعته ونسجه، واحبكه أي أجاد عمله، والمحبوك أي المحكم الخلق والصنعة، والحبيكة جمع حبائك وهو الطريق من خصلة الشعر ونحوه، وجاء أيضا في المنجد في اللغة والأعلام أن ﴿والسماء ذات الحبك﴾ أي ذات الطرائق الحسنة أو الخلق الحسن.

وقد توسع ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة، حيث يقول: قال تعالى: **﴿والسماء ذات الحبك﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، وعن أبي صالح: ذات الحبك الشدة وقال خصيف: ذات الحبك ذات الصفاقة. وقال الحسن البصري: ذات الحبك حبكت بالنجوم. وقال قتادة: **﴿والسماء ذات الحبك﴾** يعني السماء السابعة، وكأنه والله اعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة أي النجوم المرئية وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات - الكواكب السيارة- موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

أما القرطبي فقد بين في تفسيره أن

المراد بالسماء في هذه الآية، هي السحب التي تظل الأرض حسب رأي بعض المفسرين، ورأي آخر يقول: إنها السماء السابعة، أما الحبك فيقول القرطبي: إن فيها أقوالاً سبعة: الأول قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع: ذات الخلق الحسن والمستوي، وقال عكرمة: ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه يقال فيه: حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا أي أجاد حبكه يقول ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احبكته، والثاني ذات الزينة قاله الحسن وسعيد بن جبير وعن الحسن أيضا: ذات النجوم وهو الثالث والرابع قال الضحاك: ذات الطرائق يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح: حبك ونحوه قول الفراء قال: الحبك تكسر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة والماء القائم.

من خلال هذه التفسيرات المختلفة لمعنى السماء ذات الحبك التي جاء ذكرها في كتب التفسير مثل تفسير ابن كثير والقرطبي **يمكن أن نستنتج الصفات التالية للسماء:**

١- تتصف السماء بالإبداع في الخلق والتصوير: فنحن عندما نشاهد السماء سواء من خلال العين المجردة أو من خلال التلسكوب، سنرى عددا هائلا من النجوم تتجمع مع بعضها البعض في مجرات عملاقة ، ويصل عدد النجوم في كل مجرة حوالي ٤٠٠ بليون نجم مثل عدد النجوم في مجرتنا المسماة **"درب التبانة"** كما ويتفاوت عدد النجوم في كل مجرة بحسب حجمها وشكلها وعمرها ، فلكل نجم من نجوم المجرة عمرا خاصا به أي أن النجوم تمر في فترات عمرية مثل الإنسان ، فهنالك نجوم تولد ونجوم تمر بمرحلة الطفولة ونجوم تمر بمرحلة الشباب وهو منتصف عمر النجم، ونجوم كبيرة العمر ونجوم تموت وهي الحالة التي تسمى في الفلك الحديث " السوبرنوفا " أو النجوم المستعرة.

ولكل نجم من هذه النجوم مدار خاص به، فعلى الرغم من العدد الهائل من النجوم في كل مجرة إلا أنها تلتزم بمدارات خاصة بها دون أن تصطدم بالنجوم الأخرى نتيجة للقوانين التي تنظم سير هذه النجوم في الكون، وتدور كل مجرة من المجرات حول نفسها أيضا بدقة متناهية وتكمل دورة حول نفسها خلال ملايين السنين، **فمجرتنا درب التبانة تدور حول مركزها دورة واحدة كل ٢٢٥ مليون عام وتسمى "الدورة الكونية"،** وللمجرات حركة أخرى حيث تبتعد كل

مجرة عن بعضها بسرعة منتظمة جدا وينتج عنها تمدد الكون، وحركة ابتعاد المجرات عن بعضها تتم بأسلوب منتظم وليس بشكل عشوائي، فكلما كانت المجرة ابعد كلما كانت سرعة ابتعادها أعلى، وكان الفلكي الأمريكي "أدوين هبل" قد وضع قانونا باسمه "ثابت هبل" وهو عبارة عن معادلة رياضية توضح بأسلوب رياضي طريقة ابتعاد كل مجرة عن بعضها البعض.

كشف الفلكيون من خلال المراصد الفلكية العملاقة عن وجود مليارات المجرات في الكون، وتبين كذلك أن هذه المجرات تتجمع مع بعضها البعض ضمن عناقيد مجرية يصل عددها إلى مئات وآلاف المجرات، وتدور المجرات في العناقيد المجرية بنفس السرعة ولها نفس العمر تقريبا.

إن هذه الصفات الرائعة للسماء يدل بشكل جلي أنها خلقت وأبدع الخالق عز وجل في وصفها وتصويرها ودقة حركة الأجرام السماوية فيها واتزانها.

٢- الترابط الدقيق في السماء: إن مادة الكون من اصغر الأجزاء فيها مثل الذرات والجسيمات إلى اكبر الأجسام فيها مثل النجوم والكواكب والمذنبات وغيرها، ترتبط مع بعضها البعض بقوانين عظيمة تحكم هذا الكون وتنظمه لكي يحافظ على صورته الحالية وبقائه على حاله إلى ما شاء الله تعالى، وبالطبع فقد كشف العلماء خلال القرون القليلة الماضية القوانين الفيزيائية التي تربط مادة الكون ببعضها البعض وتجعله بهذا الاتزان الرائع، ويعتقد انه كانت هنالك قوة واحدة تربط مادة الكون مع بعضها قبل حدوث الانفجار العظيم ثم تحولت إلى **أربع قوى بعد حدوث الانفجار العظيم وتشكل الكون، و هذه القوانين:**

❖ **القوة الذرية الضعيفة:** وهي التي تعمل على تفكيك الجسيمات الأولية في ذرات المادة أثناء تعرضها للإشعاع، والبوزونات هي أجسام أولية تقوم بحمل هذه القوة والتي تكون إما سالبة الشحنة أو عديمة الشحنة.

❖ **القوة الذرية الشديدة:** هي من اشد القوى المعروفة في الكون، وتعمل على ربط الأجسام الأولية في الذرة مع بعضها البعض مثل البروتونات والنيوترونات كما أنها مسئولة عن عملية الاندماج النووي أي تجميع أربع ذرات هيدروجين ليتحول إلى هليوم لتنتج الطاقة في باطن النجوم.

❖ **القوة الكهرومغناطيسية:** وهي القوة

التي تعمل على إنتاج الإشعاع الكهرومغناطيسي، مثل أشعة غاما والأشعة السينية وأشعة ألفا وأشعة بيتا والموجات الراديوية والأشعة المرئية، بغض النظر عن الطول الموجي لكل إشعاع أو ما إذا كانت مرئية أم لا.

❖ **قوة الجاذبية:** هي القوة الخفية الموجودة بين الأجرام السماوية في الكون، فهي القوة التي تربط الكواكب السيارة بالشمس والنجوم والمذنبات والكويكبات والأقمار ببعضها البعض، ولولا هذه القوة لاستحال وجود هذه الأجرام السماوية بهذا الاتزان الدقيق في فلكها.

٣- الاختلاف في كثافة المادة من مكان لآخر: إن تكدس المادة في الكون يختلف من مكان لآخر بسبب التغير في توزيع المادة، ففي الوسط بين النجوم تقل كثافة المادة بينها، لكنها لا تصل إلى درجة الصفر حيث أن المادة منتشرة في كافة أماكن الكون ولا يوجد فراغات بينها، لكنها تزداد في النجوم والكواكب السيارة، ويمكن أن تصل إلى أدنى الكثافة فيها في النجوم العملاقة لكنها تزداد في النجوم الفتية والأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية، ويصل أعلى تركيز لمادة الكون في الثقوب السوداء وأشباه النجوم التي يصل تركيز المادة فيها إلى حدود خيالية.

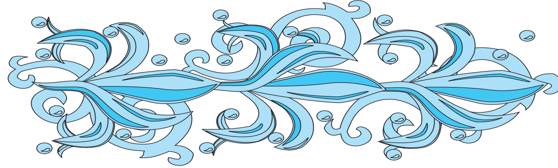
٤- الطرقات في السماء: من صفات السماء العجيبة هي الأجرام السماوية هائلة العدد التي يعج بها الكون من نجوم وسدم وكواكب ومذنبات، وقد سخر الله تعالى لكل جرم سماوي من هذه الأجرام مدارات خاصة بها، فالنجوم تدور في مدارات غاية في الدقة الأمر الذي يحول دون اصطدامها ببعضها البعض، والكواكب السيارة تدور في مدارات دقيقة جدا لا تحيد عن مداراتها قيد أنملة، وكذلك الأقمار والمذنبات والكويكبات وغيرها، هذه الدقة في مدارات الأجرام السماوية إنما هو مقدر سلفا من خالق الكون حتى لا يحدث اصطدام بين أي من هذه الأجرام السماوية.

في بداية القرن الحادي والعشرين ادخل الفلكيون المعلومات المستقاة عن الكون من خلال المراصد الفلكية التي تعمل بالأشعة المختلفة مثل الأشعة المرئية والأشعة السينية وأشعة جاما والأشعة فوق البنفسجية، والتي تم تجميعها خلال العقود الماضية وهي معلومات هائلة لا يستطيع الكمبيوتر العادي قراءتها، **لذلك استخدم الفلكيون حاسوباً ضخماً جداً أطلق عليه "السوبر كمبيوتر" حجمه يوازي حجم ملعب**

كرة القدم، وبعد حوالي شهر كامل والكمبيوتر العملاق يعالج المعلومات التي ادخلها العلماء لرسم الكون فماذا كانت النتيجة ؟

أظهرت الصور التي حاكاها الكمبيوتر العملاق، أن الكون عبارة عن خيوط ضخمة من المجرات ظهرت وكأنها حبكت ورصت بدقة وإحكام شديدين، لدرجة أن العلماء اخذوا يصفون الصور التي ظهر بها الكون بالنسيج الكوني وهي نفس التعبير القرآني التي لها المعنى الحقيقي لصفة الكون الحديث.

إن هذه المعلومات التي توصل إليها العلماء في القرن الحادي والعشرين تدل بلا شك على المعنى المعجز للآية الكريمة **﴿والسماء ذات الحبك﴾** وهذا يزيدنا إيمانا بخالق الكون وصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، الذي كشف لنا عن احد أسرار الكون العظيمة قبل العلم الحديث بأكثر من ١٤ قرنا من قبل رجل عاش في صحراء قاحلة،



دور وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن في إحياء المناسبات الدينية

■ بقلم الاستاذ اسماعيل محمد السعيدات

لا شك أن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية، وبتوجيه من جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله وسدد على الخير خطاه، تتولى مسؤولية عظيمة في المحافظة على الدين الإسلامي، والمحافظة على أركانه وتماسك مجتمعه ووحدته ولم الشمل، والبعد عن التطرف والغلو، والدعوة إلى الوسطية في كل شيء؛ حتى تنال الخيرية من الله تعالى على قيامها بواجبها الشرعي المناط بها حق القيام، وكما نعلم فإن جهود وزارة الأوقاف في كل عام لا تنضب بل تتواصل وتتجدد بتعاقب وزراء الأوقاف على هذه الوزارة، الذين يحملون هم وفكر القيام بواجباتها العظيمة.

ونلاحظ أن دور وزارة الأوقاف في كل عام، بالاستعداد لإحياء المناسبات الدينية وما يرافقها من فعاليات دينية مختلفة، وإيماناً من هذه الوزارة التي لا تدخر جهداً في خدمة الإسلام وأهله بأهمية وخطورة دورها العظيم، فقد أولت الجهات المعنية في الوزارة جل عنايتها في إحياء المناسبات الدينية؛ لذلك تجد أن هذه الجهود تزداد في كل عام بعزيمة ونشاط وتلافي للسلبيات التي قد تقع في أعوام سابقة، بل تضع خطة عملية محكمة مدروسة ومخططاً لها، لتقوم بدورها العظيم في إحياء المناسبات الدينية بدءاً بشهر الخير وانتهاءً بموسم الحج.

وفي هذه الدراسة التي مهما استعرض فيها من أدوار عظيمة لهذه الوزارة في خدمة الإسلام وأهله، فإن قلمي عاجز عن تعداد وحصر أدوارها، ولكن ما سأكتبه هو غيض من فيض لجهود جبارة لهذه الوزارة

والتي تحظى برعاية ملكية سامية وبدعم متواصل من الملك الباني عبد الله الثاني، الذي أخذ على عاتقه المحافظة على الرسالة المحمدية التي ورثها عن الهاشميين، الذين هم من آل البيت ورثة رسالة الإسلام، والتي تبناها الملك عبد الله الثاني واسمها رسالة عمان رسالة السلام العالمي، وكانت مضامينها مستوحاة من هذا الدين العظيم، الذي يدعو إلى الوسطية والبعد عن التطرف ومحاربة الإرهاب، والحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي للوطن والمواطنين.

وهذه الجهود الخيرية المتواصلة التي يقوم بها جلالة الملك عبد الله الثاني في نشر مضامين رسالة عمان في جميع أنحاء العالم، هو جهد مكمل لما قام به من قبل الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه الذي قال: "والله إنها لأمانة عظيمة ومسؤولية جسيمة، نيطت بنا ووكلت إلينا نحن آل هاشم، للدفاع عن رسالة الأمة ومقدساتها على مدى تاريخها العربي الإسلامي المجيد".

فدور وزارة الأوقاف في الأردن دور عظيم في إحياء المناسبات الدينية، وكما هو ملاحظ في جميع الاحتفالات التي تقام لإحياء المناسبات الدينية، فإنها تحظى برعاية ملكية سامية وتوجيه مبارك، وهذا الجهد الذي تقوم به الوزارة جهد عظيم نسأل الله تعالى أن يعيننا على القيام به حق القيام وإنها أمانة ومسؤولية.

ومن الأدوار العظيمة التي تقوم بها وزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية في شهر الخير شهر الرحمة شهر رمضان:

١- **عقد المجالس العلمية الهاشمية** في قاعة المؤتمرات في المركز الثقافي الإسلامي التابع لمسجد الشهيد المؤسس الملك عبد الله بن الحسين طيب الله ثراه، هذه المجالس والتي هي سنة حميدة دأبت على عقدها وزارة الأوقاف في كل عام وتحظى برعاية ملكية سامية، حيث يتم في هذه المجالس استضافة عدد من العلماء والمفكرين من خارج المملكة وداخلها للمشاركة في عدد من المحاور التي هي حديث الساعة، وتعبر عن واقع المسلمين وهمومهم، وهي تأكيد لوفاء الأردن ملكاً وشعباً لرسالة الإسلام الخالدة رسالة السلام والرحمة والعدالة والوسطية، وتأكيد لوحدة الأمة الإسلامية وتماسكها.

٢- **إقامة المسابقة الهاشمية الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره** بمشاركة اكثر من ثلاثين دولة عربية وإسلامية وصديقة، وهذا الدور لهذه الوزارة هو دور وجهد متميز حظي برعاية ملكية سامية، لخدمة كتاب الله عز وجل الذي أنزله على رسوله ﷺ، ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، ودور وزارة الأوقاف في ذلك يأتي

انسجاماً مع العناية التي أولتها القيادة الهاشمية بكتاب الله الذي هو دستور الأمة، وسبب عزتها في الدنيا وسعادتها في الآخرة، وتأكيداً على الاعتصام بالقرآن الكريم وجمع الأمة عليه.

وقد حرصت هذه الوزارة على إنشاء دور القرآن الكريم في جميع مناطق المملكة ومحافظاتها وألويتها، كما حرصت على اغتنام فرصة العطلة الصيفية للمدارس بافتتاح المراكز الصيفية لتحفيظ القرآن الكريم، وذلك للإفادة من هذه العطلة في تعلم وحفظ كتاب الله، تهيئة لتقديم هؤلاء الطلاب للتنافس في المسابقة الهاشمية الدولية لحفظ القرآن الكريم التي تعقد في شهر الخير.

٣- إقامة موائد الرحمن والتي تقوم بها وزارة الأوقاف في كل عام في شهر التواصل والإحسان وبتوجيه كريم من جلالة الملك؛ لتحقيق مزيد من التكافل والتضامن والتعاون على البر والتقوى، والتي تشمل شرائح المجتمع المختلفة من فقراء ومساكين ويتامى وأبناء سبيل وطلبة علم، وهي سبيل لنيل رضى الله وتمثل لقيم الصيام في حياتنا، فقد كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون بالخير في رمضان من الريح المرسلة، وهذه الجهود والأدوار العظيمة للوزارة تأتي تأسياً برسولنا ﷺ، وتوثيقاً للصلات الطيبة بين الناس، لمحبة الإسلام.

٤- طرود الخير وقوافلها الهاشمية التي توزع في كل عام في شهر رمضان بموادها الغذائية وما تحتاجه البيوت لستة أشهر، وهذه المكارم تصل للناس في بيوتهم وقراهم وبواديهم في جميع أنحاء المملكة، التي دائماً يتفقدها جلالة الملك ليقف على ما تعانيه من ظروف معيشية صعبة، ليتم تقديم العون والمساعدة لها.

٥- نقل فترة الغروب عبر القنوات الفضائية وعلى الهواء مباشرة من مسجد الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه، والتي تتضمن فقرات عديدة ومتنوعة تتضمن فضائل الصيام وآدابه ومسائله المختلفة.

٦- نقل فترة السحور عبر الإذاعة من المسجد الحسيني الكبير في وسط عمان، والتي تتضمن فقرات عديدة تبين فضائل الصيام والسحور، تشعر الصائمين بفضيلة تأخير السحور وأنه من سنن المصطفى ﷺ.

٧- نقل صلاة العيد مباشرة عبر القنوات الفضائية؛ مشاركة للمصلين الذين يؤدون صلاة العيد ويكبرون الله تعالى على ما هداهم لنعمة إتمام الصيام والقيام، والفوز بالمغفرة والرضوان في يوم الجائزة.

٨- أما الدور الآخر لوزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية، فيكون بالاحتفال الكبير الذي ترعاه الوزارة تحت الرعاية

الملكية السامية في ذكرى الإسراء والمعراج الشريفين، ومن خلال إقامة احتفال ديني كبير للوقوف على حادثة الإسراء والمعراج، والدروس والعبر المستفادة منها، والتي تذكر المسلمين بواجبهم تجاه المسجد الأقصى، هذا الواجب العظيم الذي كان للرعاية الهاشمية الراشدة، الدور الكبير في رعاية المقدسات الإسلامية في القدس الشريف، والوقوف في وجه مخططات الاعتداء على المدينة المقدسة، وإعادة إعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، وكان هذا الأمر على نفقة صاحب الجلالة وأسرته الهاشمية الماجدة.

وما تزال جهود الأسرة الهاشمية متواصلة تمثلت في إعادة صنع منبر صلاح الدين، والتبرع بالسجاد لفرش المسجد الأقصى، وكل هذه الجهود تأتي لتظل قضية القدس حية في نفوس المؤمنين تذكرهم بواجبهم تجاه المسجد الأقصى وما حوله وأهله.

٩- أما الدور الآخر لوزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية فيكون بالاحتفال الكبير الذي ترعاه الوزارة تحت الرعاية الملكية السامية في ذكرى الهجرة النبوية، من خلال إقامة احتفال ديني كبير للوقوف على حادثة الهجرة النبوية والدروس والعبر المستفادة منها، والتي تذكر المسلمين بمعاني الهجرة وإيجاد البيئة الصحيحة الآمنة للإسلام، وإيجاد دولة الإسلام، والدخول في مرحلة جديدة من مراحل البناء والنهوض والتقدم على مختلف الأصعدة، هذه الذكرى التي تبعث الأمل في ان المستقبل للمسلمين، وتدعوهم إلى وحدة الصف والكلمة ولم الشمل.

١٠- أما الدور الآخر لوزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية، فيكون بالاحتفال الكبير الذي ترعاه الوزارة تحت الرعاية الملكية السامية في ذكرى المولد النبوي، من خلال إقامة احتفال ديني كبير للوقوف على هذه الذكرى العطرة، ذكرى صاحب الخلق الرفيع الذي جمع في رسالته الخالدة بين الدين والدنيا، والحياة والآخرة، هذه الذكرى التي تذكرنا بواجبنا الدعوي في نشر رسالة الإسلام والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولقد كان لنا في رسولنا أسوة حسنة الذي كان خلقه القرآن.

١١- أما الدور الآخر لوزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية فيكون بموسم الحج وخدمة ضيوف الرحمن، وتقديم الرعاية والعون لهم، فالحج ركن خامس في الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً، ففي كل عام تجدد خطوات وزارة الأوقاف نحو تقديم خدمات للحجيج أفضل من عامها السابق ما استطاعت إليه سبيلاً، شعارها في ذلك: السهر على خدمة الحجاج، وتقديم كافة السبل لتمكينهم من أداء نسكهم براحة وأمان، وهذه الجهود للوزارة في موسم

الحج، تحظى برعاية ملكية سامية، حيث يتم التنسيق بين وزارة الأوقاف وسفارة المملكة العربية السعودية في المملكة الأردنية الهاشمية، من أجل تقديم خدمات وتسهيلات وترتيبات أفضل للحجاج القادمين من الأردن وفلسطين.

ووزارة الأوقاف في كل عام تأخذ على عاتقها مسؤولية تنظيم وترتيب موسم الحج؛ لذلك تتضافر جهودها الخيرة من خلال بعثات الحج المتعددة، البعثة الإدارية والإرشادية والطبية والإعلامية والتي يرأسها معالي وزير الأوقاف، في خدمة ضيوف الرحمن وتقديم كافة سبل الراحة لهم، ففي كل عام تقيم وزارة الأوقاف احتفالاً كبيراً بوداع قوافل الحجيج، وان كانت جهودها متواصلة منذ بداية التسجيل الأولي للحج، والتأكد من مطابقة الشروط المعتبرة في الحجيج، وإصدار التصاريح المناسبة لهم، وعملية التنسيق مع مكاتب الحج، وعمليات الكشف على المساكن التي يتم استئجارها للحجاج من قبل متعهدي نقل وإسكان الحجاج بإشراف الوزارة، وعملية تسيير قوافل الحجاج الأردنيين إلى البلاد المباركة بلاد الحرمين، والوداع الكبير الذي يقدم لهم من قبل وزارة الأوقاف تحت الرعاية الملكية السامية، والتوجيهات التي يتم إلقاؤها عليهم لتكون عوناً لهم وهم يغادرون أرض المملكة وحتى عودتهم سالمين بإذن الله تعالى.

وإيماناً بدور وزارة الأوقاف في إنجاح موسم الحج، فقد أولت الجانب التوعوي أهمية بالغة، فقد قامت بإصدار كتب ونشرات، تتضمن أداء الحاج لمناسك الحج والعمرة بيسر وسهولة من خلال تبسيط أحكام ومسائل الحج والعمرة وزيارة المصطفى ﷺ، بعيداً عن الاختلافات الفقهية التي توقع الناس في الحرج والمشقة، وتم عقد ورشات وندوات توعوية لجميع الحجاج؛ لتعريفهم بمناسك الحج وأركانه وواجباته وسننه ومحظورات الإحرام، وتزويد كل حافلة بمرشد ديني؛ ليوضح لهم ما يستشكل على الحجيج من مسائل، بالإضافة إلى بعض الواعظات؛ لتوضيح بعض مسائل الحج للنساء، وهذه الجهود كما نعلم هي غيض من فيض مما تقوم به الوزارة في خدمة الإسلام وأهله.

هذه بعض الأدوار التي تقوم بها وزارة الأوقاف في إحياء المناسبات الدينية، وإن كانت لها جهود مثمرة لا استطيع في هذه العجالة الحديث عنها، بل تترك لتكون نبراساً على قيامها بواجبها بأمانة وإخلاص، من مثل رعايتها للإعمار الهاشمي لمقامات الأنبياء والصحابة والشهداء، ونشرها لمضامين رسالة عمان، وإصدارها لمجلة هدي الإسلام، وإبراز الصورة الحقيقة المشرقة للإسلام، جزى الله القيادة الهاشمية خير الجزاء على جهودها

الطيب كل الطيب في عثمان رضي الله عنه

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر أبو عبيد

يا ذاكر الأطياب في الايمان ... فالطيب كل الطيب في عثمان
هو صاحب النورين اسم ناله ... لزواجه بنتين للعدنان
اولاهما كانت رقية اذ قضت ... في يوم بدر جيء بالجثمان
مرضت وأعفي كي يتم علاجها ... اذ لم يكن عثمان في الميدان
لكن امر الله كان مقدراً ... جاء الممات وفاز بالرجحان
ثم ام كلثوم تزوج بعدها ... فغدا بذي النورين يا اخواني
بنت النبي حظيظ من يحظى بها ... كيف الذي زُفت له البنتان
سمح كريم واستحق بجوده ... حب النبي وربه المنان
للجيش يوم العسر قدم مائة ... من ابله بجهازها الميداني
وبمائة أخرى تبرع متبعاً ... حث النبي الهاشمي العدنان
ويصب في حجر الرسول نقوده ... عشراً من الآلاف تكتملان
ويُقلب المال الرسول بفرحة ... يدعو لذي النورين بالغفران
فيقول ما معناه رب اغفر له ... ما كان بالإسرار والإعلان
ما ضر عثمان بما يفعل وما ... قد نال من مولاه كل حنان
وشرى بماله بئر رومة وحده ... كي يشرب الظمآن بالمجان
من بعد ما كانت تباع مياهه ... بيعاً بمد قربة العطشان
وهو الموفق بالتجارة دائماً ... اذ لا احتكار بلقمة الانسان
يعطيه تجار المدينة مربحاً ... جماً كثيراً ليس بالحسبان
فيقول زيدوا انه قد زادني ... عشراً من الأرباح يا إخواني
فتعجب التجار ممن زاده ... فهمو جميعاً حاضرو الميدان
فأجاب عثمان بأن حماله ... منه الى الفقراء بالمجان
فالله اعطى عشرة من جوده ... في كل درهم منحة المنان
فتجارة لله تربح دائماً ... تنجي من الأهوال والنيران
ورأى النبي بنومه يدعو له ... كي يفطرا في جنة الرحمن ظلماً
فيصوم ذاك اليوم إذ يُقتل به ... بأيدي طغمة عميان
قتلوه ظلماً قائماً في بيته ... يتلو من الآيات بالقرآن
وهو الحيي حياؤه لا يوصف ... حتى الملائك تستحي من عثمان
وصلاة رب على النبي وآله ... نرجو بها عفواً من الرحمن

❖ ❖ ❖

خطبة الجمعة

في رحاب ذكرى الهجرة النبوية المباركة

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

لقد مكث رسولنا الكريم ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة، يدعو الى عبادة الله الواحد القهار، يدعو الى المساواة والعدالة، يدعو الى الفضيلة والطهارة، يدعو الى تحرير الانسان من الخضوع لغير الله تعالى، يدعو الى البر والاحسان وعدم استغلال الانسان لأخيه الانسان.

ورغم هذه الفضائل والمحاسن التي دعا اليها رسول الله ﷺ، فإن قومه قابلوه بالتكذيب والإعراض، والهزء والسخرية، والأذى والاضطهاد، ومع كل هذا مضى ﷺ في طريق الدعوة، صابراً محتسباً ثابتاً صامداً متوكلاً على الله وحده، واثقاً بنصره ولو بعد حين، موقناً أن الله عز وجل ارسله ﴿بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.

نعم إخوة الاسلام، لقد قوبل رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، بالأذى والاضطهاد، وتعرضوا للتعذيب والمطاردة وهم صابرون مصابرون، ثابتون على دين التوحيد، يرفعون أيديهم الى السماء، يشكون بثهم وحزنهم الى الله، ويدعون السميع المجيب: **﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾**.

وكان رسول الله ﷺ يمر بآل ياسر وهم يعذبون في بطحاء مكة فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، و «ان من كان قبلكم ينشر بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه».

وبعد ثلاثة عشر عاماً من الكفاح والنضال، والآلام والمعاناة، والخوف والقلق، جاء الفرج من الله جل وعلا، وأسلم عشرات من الأوس والخزرج من أهل المدينة، وبايعوا رسول الله ﷺ

بيعة العقبة الثانية، وعاهدوه على حمايته ونصرته وإيوائه وأصحابه، والدفاع عن دعوة الاسلام مهما كانت التكاليف والتضحيات **﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾**.

نعم أيها الإخوة المؤمنون، هاجر رسول الله ﷺ بعد ان تكالب عليه اعوان الكفر وصناديده، وبعد ان بالغوا في ايذائه وتسفيهه، لأن الاسلام آنذاك كان حقاً بلا قوة، ولكنه بعد الهجرة أصبح حقاً قوياً يخشاه القريب والبعيد، كان المسلمون أقلية مستضعفة، لا تملك عدداً ولا عدة، واذا بهم بعد الهجرة يصبحوا دولة مسلمة فتية قوية، ترهبها فارس والروم، بذلك الايمان الذي لا يتزعزع، انها تحول بين قوة الارادة ومطلق الايمان، فكان المسلم يترك أباه أو أخاه أو ابنه وزوجه، اذا رأى من أحدهم شركاً أو إصراراً عليه.

ومع ضعف الاسلام آنذاك في مكة، الا ان الله تعالى اراد ان ينصره ويعلي شأنه بأضعف وأوهن شيء عرفته البشرية، لقد أوصى الله تعالى للعنكبوت ان ينسج خيوطه الدقيقة على باب الغار، كي يصمد أمام جحافل الظلم وصناديد الكفر.. أراد الله عز وجل ان ينصر دينه ويعز رسالته بأوهن ما يتصوره الانسان.

نعم أيها الاخوة المؤمنون، خرج رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة، ليفتح آفاقاً جديدة من بلاد الاسلام، كي تكون له دولة تحمي رسالته، دولة يتخرج منها وينطلق الدعاة الفاتحون الى أرجاء الدنيا بهذه الرسالة، وليأتي اليوم المبارك الذي يأذن الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ان يعود فاتحاً لديار ابيه وأجداده، لمهد الرسالة ومنبر الوحي الأول، ليعود الى مكة بعد ثمانية أعوام.

لقد كانت الهجرة المباركة انقلاباً عظيماً في أوضاع المسلمين، وانتقالاً من عهد الخوف الى عهد الطمأنينة، ومن عهد الضعف الى عهد القوة، ومن عهد الذلة الى عهد العزة، ومن عهد القلة الى عهد الكثرة، ومن عهد الضياع الى عهد الدولة، لقد كانت الهجرة انتصاراً حقيقياً، بل كانت مفتاحاً لكل الانتصارات التي جاءت بعدها، فلولا الهجرة ما كانت بدر.. ولا الخندق، ولا تبوك، والقرآن الكريم اعتبرها انتصاراً عظيماً اعز الله به الاسلام والمسلمين.

يقول الله تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾**.

نعم اخوة الاسلام، ان الهجرة تعلمنا ان العقيدة هي أثمن ما في الوجود، وفوق كل شيء، ولقد أوجب الله علينا ان نضحي بكل شيء في سبيل ان تسلم لنا العقيدة، فالاسلام لا يرضى لأبنائه حياة الذل والهوان، ولقد

هدد الله بأشد العذاب أولئك الذين يرضون حياة الذل، ولا يحاولون تغيير الواقع، والانتقال الى مواقع أفضل، ويتحررون من الاستعباد والقهر **﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾**.

نعم أيها الإخوة المسلمون، ان ذكرى الهجرة تطالعنا، والكرب يهيمن على الأمة والأعداء يتكالبون علينا، عام جديد وتحديات قديمة، وما أسوأ ان تمر الأعوام دون ان تتمكن الأمة الاسلامية من مواجهة ما يجابهها من تحديات، وما أسوأ ان تتركه هذه الأعوام للأجيال القادمة من تاريخ، لم تحرص فيه على حماية نفسها، ولم تزد فيه عن كيان امتها، ولم تصمد فيه امام هجمات صمدت امامها أجيال سبقت.

ان إخوة الاسلام بين المهاجرين والأنصار، تفرض التناصر بين المسلمين لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وردع المعتدي، وكسر الظالم، وان خذلان المسلم لأخيه المسلم، امر عظيم وخطر جسيم، وهو ذريعة لإذلال المسلمين جميعاً.

نعم إخوة الايمان، يوم ان هانت الأمة عند ربها، هانت عند عدوها، **﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾**.. نعم هانت الأمة يوم ان وهنت عناصر الأخوة بين ابنائها.

ولو شعر المسلمون انهم جسد واحد، وبناء واحد.. لسارعوا في علاج من تألم منهم، ولم شعث ما انصدع فيهم، ولَمَا كثر عددهم وقل نفعهم، لا تجمعهم جامعة، ولا تربطهم رابطة، ولا يعرف أحد منهم عن إخوانه شيئاً، ولا يهتم بأمرهم، قد زين لهم الشيطان أعمالهم، وتعصبوا لغير الدين، واعتصموا على غير هدى، وحكم عليهم الكفار بالنزاع، وزين لهم الافتراق وعدم الاتفاق.

نعم أمة الاسلام، عام جديد يهل علينا ليفتح علينا ويفسح للعاملين بصدق صفحات الخلود، فمن ذا الذي يسارع في الخيرات ويتعرض من ربه للرحمات.

هجمات إثر هجمات، تزداد ضراوة مع ازدياد الأمة الاسلامية تفككاً وتهاوناً وتصارعاً، هجمات مهما اختلفت منطلقاتها، ومهما تفرقت بأصحابها الاتجاهات، الا انها في حرب الاسلام والمسلمين جبهة واحدة، ويد واحدة وسلاح واحد، يعصف بالمسلمين في محاولات لا تتوقف واصرار لا يخمد.

وتعلمين أمة الاسلام، ان الله سبحانه جعلنا أمة واحدة: **﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**، فلا يجوز لهذه الأمة ان تضل بعد هداية ولا ان تتفرق بعد وَحدة، ولا ان تكفر بعد إيمان.

ولذا كانت اللبنة الأولى في وضع أساس ترابط الأمة ووحدتها، هي قضية الإخاء التي بدأ بها النبي ﷺ عمله من أول أيام الهجرة،

وقرر فور وصوله للمدينة المنورة مبدأ الإخاء بين المهاجرين والأنصار، بهذا المبدأ العظيم وصل رسول الله ﷺ الأمة بعضها بالبعض الآخر.

وفي إطار هذه الأخوة تحرك الفرد بروح الجماعة ومصلحتها، فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا وجوداً الا بها، وكانت عواطف الإيثار والحب والمواساة تملأ المجتمع الجديد بمُثل عليا وقيم أخلاقية فاضلة.

نعم إخوة الاسلام، حينما نذكر موقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين، حيث قاسموهم دورهم ومتاعهم وأموالهم، وواسوهم ونصروهم وخففوا عنهم آلام الغربة، وأشعروهم أنهم في ارضهم وبين أهلهم، حينما نذكر موقف المحبة والإيثار والتضحية الذي سجله الله في كتابه العزيز حين قال: **﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**.

نعم أيها الاخوة، حينما نذكر هذا الموقف، نتعلم كيف يقتضي اسلامنا اغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم ومواساة المحروم.

فلا بد لنا أيها الاخوة من وقفة المحاسبة على عام انتهى من اعمارنا، لا بد للمسلم ان يقف ليحاسب نفسه كما يقف التاجر الحصيف كل عام ليعرف ارباحه من خسائره، ليجرد دفاتره وليعرف موقفه وموقعه، كي يستفيد من اسباب الربح ويتفادى اسباب الخسارة.. هكذا لا بد ان يعرف الانسان ما كسب وما أضاف الى رصيده عند ربه وماذا خسر.

ينبغي للأمة باعتبارها أمة، ان تقف وقفة تحاسب نفسها على عام سيسألها الله تعالى عنه، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن اربع.. وعن عمره فيم أفناه».

أول ثروة يسأل عنها قبل ثروة المال والعلم، ثروة الوقت لأن الوقت لا يوزن بشيء لأنه الحياة، فما أحوجنا ايها الاخوة الى هجرة شعورية تنقلنا من الضعف الى القوة، ومن التفرق الى الوحدة، ومن التنكر لشرع الله الى تحكيم شريعته.. **﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾**.

اللهم أهلّ علينا هذا العام بالأمن والايمان والسلامة والإسلام، اللهم اجمع فيه كلمة المسلمين على الحق واجعله عام نصر وعز وتمكين.

اللهم اجعل حاضرنا خيراً من ماضينا، ومستقبلنا خيراً من حاضرنا، واعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك يا أرحم الراحمين.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا

تم العدد بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

المشرف العام

الاستاذ عبد الفتاح صلاح
وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

أسرة التحرير

رئيس التحرير
الدكتور محمد الرعود
أمين عام وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

المحرر المسؤول
سميح احمد عثامنة

سكرتير التحرير
أحمد عزت

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العدد العاشر - المجلد ٥٣
ذو الحجة ١٤٣٠هـ - تشرين الثاني ٢٠٠٩م



المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد العاشر ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

لبيك اللهم لبيك.. لبيك

كلمات إيمانية عميقة، يبتدئ بها قاصد بيت الله الحرام، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً﴾.. كلمات رقيقة عذبة، تنساب من أفواه وأفئدة ملايين المسلمين.. مئات آلاف بل ملايين المرات في اليوم والليلة.

إنها بداية الحج، الذي يعتبر من أكبر الإشراقات الإيمانية، وأقواها في حياة المؤمن، أنوار إيمانية تشرق من البقاع المقدسة، التي اختارها الله تعالى وميزها لعبادته، منذ آلاف السنين.

حقاً انها إشراقات إيمانية تغمر الحاج.. وهو يطأ بقدميه الأرض التي مشى فوقها خير البرية، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

أنوار إيمانية.. نابعة من لقاء واجتماع ثلاثة ملايين مسلم، وحَّدهم الواحد الأحد الكريم، مع اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، جاؤوا لمقصد عظيم ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

إنه شعور لا يمكن لأجمل الكلمات وأكثرها فصاحةً وبياناً ان تصفه، وهو يغمر المؤمن أثناء سيره في طرقات وشعب وجبال مكة المكرمة والمدينة المنورة، مهاجر ومثوى سيد الخلق والكائنات محمد ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم.

لا تكفي العبارات لوصف هذا الشعور، بيد أن الذهاب الى تلك الديار المباركة، حتى يشعر المؤمن بحضور هؤلاء الصحابة العظام الأجلاء وكأنهم أحياء، بل ان حضورهم اللامنظور.. يملأ أرجاء المكان،

لا شريك لك لبيك..

كيف لا وهم الذين نشروا دعوة الحق ونور الاسلام في بقاع الدنيا.

وماذا يشعر المسلم وهو على جبل أُحد.. الذي قال فيه النبي الأغر ﷺ: «أُحد جبل يحبنا ونحبه»، وكيف يمكن للمرء أن يصف تلك الدموع الساخنة، التي تتحدر من عيون بكت من خشية الله.. وهي ترمق قبر الحبيب المصطفى ﷺ وهو يردد: «السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا نبي الله.. السلام عليك يا حبيب الله.. السلام عليك يا صفي الله.. أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده».

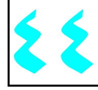
وهكذا كل أرجاء مكة المكرمة والمدينة المنورة، تمتلئ بهذه الوجوه المؤمنة العزيزة.

الحج ركن عظيم أكبر مما يكتب عنه، فمن أداه بإيمان حي صادق، سيجد هذا وأكثر مما يعجز اللسان عن وصفه، وبالتالي سيتذوق حلاوة ما كان في قلبه مكنوناً.

وستبقى الاجابة لنداء الحق الخالد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ستبقى تصدح بها حناجر الملبين المؤمنين، إيماناً بالله وتصديقاً، حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

أسرة التحرير



حول مأدبة القرآن:

ربع قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك﴾

سورة المائدة: ٦٧-٨٢

■ بقلم الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبلغ كل ما أمر به، غير مراقب في التبليغ أحداً وغير خائف من أحد.. قل الحق في وجه المتنكرين له من أهل الكتاب.. وان لم تبلغ كل ما أمرت به، فما بلغت رسالة ربك، ذلك بأن بعضها ليس بأولى من بعض، فكأنك إن لم تبلغ الرسالة كلها، إنك أغفلت أداءها جميعاً.

إن الرسالة شيء واحد: والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ، ومن شأن كتمان البعض ان يخل بالأمانة الواجبة في حق الرسل، فامض لما أمرك الله، وان كان فيما تبلغه إحراج لأهل الكتاب، فلا تتردد في إبلاغهم بأنهم ليسوا على شيء.

وقد يهددونك، ولكن تهديدهم الى زوال فالله معك يعصمك، لا منهم فقط.. وإنما يعصمك من الناس.

ان مداهنة المعاندين طمعاً في إيمانهم لن تجدي شيئاً، والمطلوب هو: تنحية كل الاعتبارات الداعية الى ملاينتهم، وذلك بتبليغهم كل ما أمرت بتبليغه، ولن يضروك شيئاً، وان لم تفعل، وان لم تبلغ إبلاغاً واصلاً درجة الفعل، فما أديت الواجب المنوط بك.

ومما يجب عليك تبليغه: **﴿يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم﴾**.

ان جميع الكتب السماوية أمرت بالإيمان

والإذعان لمن صدقته المعجزة وهو محمد ﷺ، بالدخول في دينه الذي يصدق ما عندهم من كتب، فإن لم يدخلوا فليسوا على شيء.

وإذ يصدع ﷺ بكلمة الحق فسوف يكون رد الفعل في قلوب عليها أقفالها من اليهود: **﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً﴾**.. وليكن.. **﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾**.. لا تأس عليهم.. على هؤلاء الذين يستمسك أكثرهم بتقاليد الوثنية والعصبية من الذين لم ينظروا في شريعتك نظرة إنصاف.. بل ليست لديهم الرغبة في ذلك، لا تأس عليهم فضرر إعراضهم عائد عليهم.

ومع ذلك.. ومهما أبعد الجاحدون النجعة، فباب التوبة مفتوح بين أيديهم: **﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

لاحظ أن لفظ **﴿الصابئون﴾** جاء مرفوعاً، أعني: أنه لم يعطف على ما قبله، وذلك يعني: زيادة الأمل في قبول توبة من تاب، لأن المعنى: كل هذا الفرق، ان تابوا عن طريق العمل الصالح محا الله سبحانه وتعالى ذنوبهم وقبل منهم توبتهم، حتى **﴿الصابئون﴾** وهم أشد ضلالاً، فإنهم إن آمنوا كانوا من المقبولين، ولذلك تغير حكم اعرابهم لفتاً للأنظار الى هذا المعنى.

وحتى يظل الرسول ﷺ محتفظاً بثباته، فلا ييأس.. كان من الحكمة إعلامه بما لدى بني اسرائيل من جحود وعناد، ليدخل في اعتباره فلا يأس على هؤلاء الذين اتخذوا إلههم هواهم: **﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾**.

لقد هيأ الله تعالى دلائل الحق، ثم خلق العقل وكيف يستدل به على وجود الله، معززاً ذلك بالرسول ﷺ المعين على الوصول الى الحق.

ومع هذا فقد ركبوا رؤوسهم فقتلوا الأنبياء، ومن لم يستطيعوا منهم قتله كذبوه، ومع فداحة الجريمة، الا انهم ظنوا أنهم يفعلون أمراً عادياً، ثم عموا عن آيات الله الدالة على جزاء ذلك، ثم صموا كذلك عن سماع ما يدلهم على الحق.

ثم تاب الله عليهم، لكنهم عادوا لما نهوا عنه، ومضى مسلسل الطغيان بهم، ولكن الله تعالى **﴿بصير بما يعملون﴾** من سفك دماء الأنبياء، وتكذيب الرسل ويا له من تهديد شديد، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم ان اليهود لم يكونوا وحدهم على طريق الضلال، حين بالغوا في هذا الضلال ولكن كان معهم على ذات الطريق فريق من النصارى الذين غلوا في إطراء نبيهم المسيح ابن مريم عليه السلام، غلوا كغلو اليهود الذين كفروا.

والعجيب أنهم يزعمون ذلك في الوقت الذي يقول فيه المسيح عليه السلام عكس ما يقولون: فهو يأمرهم بعبادة الله تعالى الذي هو ربه وربهم، فهو عبد مربوب له تعالى، كما وأنهم مربوبون له كذلك، ثم حذرهم من الشرك وما يترتب عليه من آصار.

وممن حرم الله تعالى عليهم الجنة ومأواهم النار: ﴿**الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة**﴾ وأولئك لا ناصر لهم ينصرهم ولا شافع يشفع لهم، ذلك بأنهم ادعوا ذلك بلا روية ولا بصيرة، يقولون ذلك والحال انه لا يوجد إلا إله واحد، هو الله الأحد، وفي نفس الوقت يظل باب التوبة مفتوحاً ﴿**وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ❖ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه**﴾.

وحقاً امرهم عجيب.. اذ يصرون على الباطل، ومتى.. بعد ما جاءتهم البينات، وبعد ان جاءتهم النذر المخيفة، ولكن القوم كانوا بلا عقول تفهم، وبلا قلوب تزدجر،

وتبقى الحقيقة تفرض نفسها، وهي:

أولاً: هو واحد من مجموع الرسل الهداة صفوة الخلق.

وثانياً: وأمه من فضليات النساء.. صديقة تلي مرتبتها مرتبة الأنبياء.

فهما بشر من البشر، بدليل ما كانا عليه من خصائص البشر.. كانا يأكلان الطعام، وما يشير اليه ذلك من حاجتهما الى ما يمد حياتهما بالطاقة، وما يترتب على ذلك من حاجة الى دفع الفضلات، ومن كان كذلك.. لا يكون رباً معبوداً، لأنه مفتقر الى غيره، واذ يسقط هؤلاء في هذا الامتحان، بعد هذه البراهين القاطعة، فعلى العقلاء ان يستشعروا نعمة التوفيق الى معرفة الحق، ثم يشكروه تعالى على النجاح فيما رسب فيه المعاندون.

وهكذا يبدو لك ملمح من ملامح المنهج الاسلامي في الدعوة: من أجل ذلك فالآية الكريمة لا تقول: ان الفرقة الفلانية كافرة لأنها تقول بألوهية المسيح ولا تقول: إن الفرقة العلانية كافرة، لأنها تقول: ﴿**ان الله ثالث ثلاثة**﴾، ولكنها تذكر خصائص الكفر فقط، ودون ان تصم به شخصاً معيناً، ولا فرقة خاصة.

وعلى كل إنسان ان يتحسس معتقده

ليعلم أين موقعه، وإلا فإن النص على كفر فلان أو علان، من شأنه ان يسد بين يديه الطريق الى الخلاص، الذي قد يكون آخذاً سبيله اليه.

ومع فقدانهم لأهم منافذ المعرفة، فإن السياق هنا ما يزال معترفاً بهم، بهذا التوجيه الرشيد السديد لعلهم ينتهون: **﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾** والحال أن الحقيق بالعبادة هو الله **﴿السميع العليم﴾** والذي يملك وحده ما يضركم وما ينفعكم.

ومن دروس الدعوة هنا.. فعلة النصارى هنا هي: الغلو: جعل البشر فوق ما يجب، وعلة اليهود هي: ما قالوا على المسيح وأمه من بهتان وسعيهم لقتله.

وهذا يعني: أنهم يتبعون أهواءهم، ومن أجل ذلك جاءت الآية الكريمة **﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾** فليحذر الذين يخالفون عن امر الله تعالى: ليحذر اليهود إنزال عيسى عليه السلام عن رتبته، وليحذر النصارى رفعه عن رتبته.. فكلاهما بعد عن سواء الصراط.

ليحذر الفريقان ان يدخلا بالغلو في آفاق اللعن، والذي كان سببه الاستمرار **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾**، لقد اختفت روح النقد، وصار اهتمام كل فرد بنفسه، ولا عليه من هلاك الآخرين، في مجتمع أناني.

روى أبو داود والترمذي وحسنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان اول ما يدخل النقص على بني اسرائيل: انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا: اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده» فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ومن أسباب لعنهم ان ولاءهم كان لأعدائك من المشركين **﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾**.. يحرضونهم على قتالك، وما ضروك ولكنهم أضروا بأنفسهم التي جرت عليهم الوبال.. سخط الله تعالى والخلود في العذاب.

ولقد كان بإمكانهم -بالله سبحانه وبالنبي صلى الله عليه وآله- ما وضعوا ولاءهم في غير موضعه ولكنهم بسوء اختيارهم حرموا نعمة التوفيق، فكانوا على ما وصفهم ربهم: **﴿ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾**.

١

السؤال النبوي الشريف
دراسة حديثية تربوية تحليلية

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. مراد شحادة شكيب يوسف

إنَّ سؤالات الرسول ﷺ إحدى أساليبه التربوية في التعليم، وتنوُّع أساليب نبيِّنا ﷺ في السؤالات، يدلُّ على غزارةِ المنهج النبوي بالأمور التربويَّة والتعليميَّة، والتي يمكن الإفادة منها في الوقت الحاضر، وفي كلِّ زمان.

قال أحد الأساتذة التربويين: «إنَّ مِن المتعارف عليه الآن أنَّ التدريس على وتيرة واحدة يصيبُ المتعلِّم بالملل والسأم» لذا على المعلِّم أن ينوِّع المثيرات التي يستخدمها في الموقف التعليمي: فتارةً يصمتُ برهةً لنقل معنى معين إلى التلاميذ. وأخرى يستخدم فيها الإيماءات. ثم ثالثة يؤكدّ على لفظٍ ما. ورابعةً يستخدم مؤشرًا. ثم خامسةً ترتفع فيها نبرةُ صوتِه لتأكيد معنى معيَّن»[١].

لذلك كانت هذه الدراسة إضافة وتمهيدًا لدراسات تالية، تركِّزُ على أساليبه ﷺ في التعليم والتربية.

وحتى تترجم الأقوال إلى أفعال، لا بدَّ مِن استنباط الآثار والفوائد ثم تحليلها، كي يستطيع كلُّ باحثٍ الإفادة منها، حسب اختصاصه العلمي، وبالتالي تكون الأمة الإسلامية قد خطت مرحلة الأقوال إلى الأفعال، والتنظير إلى التطبيق.

وهذا ما نرجو أن نكون قد وفقنا فيه، حيث بيَّنا أن سؤالات النبي ﷺ لها خصائص وضوابط، وأساليب، وغايات، يستفيد منها كل راغب في العلم، أو راغب في التعليم. وقد كانت الدراسة هذه مكونة من : تمهيد، فثلاثة مباحث، ثم خاتمة.

التمهيد، وفيه ثلاثة مطالب:

❖ المطلب الأول: تعريف «السُّؤَالات»

لغةً:

مُفردُها سُؤَال: «من سَأَل، يَسْأَلُ، والأمر اسأَل، وقد تخَفَّفُ همزتُه فيقال: سَالَ يسَالُ، كخَافَ، يَخَافُ، والأمر سَلْ»[٢].

يُقَال: «سَأَلَهُ كَذَا، وعن كَذَا، وبِكَذَا، سؤالاً، وتساؤلاً، ومسألةً» أي: استَخبَرَهُ عنه.

وفي التنزيل العزيز: ﴿يأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٣].

وفيه: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾[٤]»[٥].

والجمع يأتي: أسئلة وسؤالات، على صيغة جمع المؤنث السالم.

إذ أنَّ كل اسم «مفرَد لا ينتهي بتاء، زيدت عليه الألف والتَّاء، بدون عملٍ سواها»[٦] يصبح جمع مؤنَّثٍ سالم.

«وقد كان هذا الاصطلاح شائعًا لدى العلماء» فقد ألَّف العديد من أهل العلم كتبًا سمَّوها بسؤالات كذا، مثل:كتاب: «سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريّا يحيى بن معين» ت٢٣٣هـ[٧].

وكتاب: «سؤالات أبي داود سليمان بن الأشعث للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم ت٢٤١هـ»[٨].

❖ المطلب الثاني: دلالة لفظة السؤال:

تدل لفظة السؤال لغة على ثلاث دلالات:

الأولى: تأتي بمعنى: سؤال العبادة: وهو «الذي يكون بين المخلوق وخالقه» وهو الدعاء، وفي معناه جاء الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إذا سألتَ فاسأل اللهَ»[٩].

الثانية: سؤال الاحتياج: وهو ما يكونُ بين المخلوقِ والمخلوق، إذ لو صُرِفَ إلى الخالِق كان دعاءً، ويأتي بمعنى طلب الحاجة، والمساعدة، والصدقة.

الثالثة: سؤال الاستخبار والاستفهام والاستيضاح: «ويستخبر فيه عن الحال، وعن الزمان، وعن المكان، وعن السبب، وعن الشخص.. إلخ» وهو ما يطلبُ مِن طالب العلمِ الإجابة عنه في الامتحان.

❖ المطلب الثالث: تعريف السؤالات اصطلاحًا:

يمكننا أن نحدد معنى السؤالات اصطلاحا في ضوء ما سبق بأنها: استخبارات موجهة من شخص إلى غيره، تحقق غايات محددة، بأساليب ووسائل محددة.

وهذا المصطلح من الدلالة الثالثة، فهو مستقى منه، وعليه يدور محور بحثنا.

■ المبحث الأول: مشروعية السؤال وآدابه، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: السؤالات التي نهى عنها الرسول ﷺ.

وردت في السنة أحاديث تنهى عن السؤال ففي الحديث الصحيح الذي رواه سهل بن سعد، وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يكره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[١٠].

ووردت في السنَّة -أيضًا- أحاديث تحض على السؤال: فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما شفاء العِيِّ السؤال»[١١].

بل أمر الله تبارك وتعالى بذلك بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٢].

وهذا يدلُّ على أنَّ النهي هنا ليس على إطلاقه، وإنما يحملُ على صنفين من السؤالات هما:

١- السؤالات التي يترتَّب عليها تضييقٌ وتشديدٌ على الأمَّة:

قال الخطيب البغدادي[١٣] رحمه الله: «أما كراهية رسول الله ﷺ المسائل، فإنما كان ذلك إشفاقًا على أمته، ورأفةً بها، وتحنُّنًا عليها، وتخوُّفًا أن يُحرِّم الله عند سؤال سائل أمراً كان مباحًا قبل سؤاله، فيكون السؤالُ سببًا في حَظر ما كان للأمَّة منفعةً في إباحته، فتدخلَ بذلك المشقَّة عليهم والإضرار بهم.

وهذا المعنى قد ارتفع بموت رسول الله ﷺ واستقرَّت أحكام الشريعة، فلا حاظر ولا مبيح بعده»[١٤].

٢- كثرة السؤالات التي لا فائدة منها:

وهو الذي نهى عنه النبي ﷺ صراحَةً، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن التين(١٥/١) قولَه: «فَهِمَ منه البخاري سؤال الناس، ويحتمل أن يكون المراد السؤالَ عن المشكلات أو عمّا لا حاجة للسائل به، ولذلك قال ﷺ: «ذروني ما تركتُكم»(١٥/٢).

قلت -القائل ابن حجر-: وحملُه على المعنى الأعمِّ أولى.

وقال ابن رشد[١٦]: حديث المغيرة في النهي عن المسائل المُشكَلَة كالأغلوطات، أو السؤال عما لا يعني، أو عمَّا لا يقع مما يكرَه وقوعه»[١٧].

وبعد بيان الاختلاف في المراد من النهي، وهل هو سؤال المال؟، أو السؤال عن المشكلات والمعضلات؟، أو أعمَّ من ذلك؟، وبيان ترجيح الحافظ ابن حجر» وهو: أن الأولى حمله على العموم.

فقد قال رحمه الله: «وثبت عن جمع من السلف كراهةُ تكلف المسائل التي يستحِيل وقوعها عادةً، أو يندرُ جدًا، وإنما كرهوا ذلك لما فيه من التنطُّع، والقول بالظنِّ إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ»[١٨].

وفي الحديث: «إنَّ أعظمَ المسلمين جرماً: مَن سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم عليه فحُرِّمَ عليهم مِن أجلِ مسألته»[19].

وقال ﷺ: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك مَن قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[20].

والحاصل: أن كثرة السؤال، ومتابعة المسائل بالأبحاث العقلية، والاحتمالات النظريَّة مذموم، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد وعظوا في السؤال حتى امتنعوا منه، وكانوا يحبون أن يجيء الأعراب فيسألون» كي يسمعوا كلامه ويحفظوا منه العلم، ألا ترى ما في الصحيح عن أنس؟، قال: «نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكانَ يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية العاقلُ فيسأله ونحن نسمع»[21].

وهذا منه رحمه الله تفصيلٌ للسؤال المنهيِّ عنه، وقد ذكرت توجيه الحافظ ابن حجر له من أنَّ النهي كان في حياته ﷺ » كي لا يشقَّ على المسلمين، كما حصل لبني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام.

● المطلب الثاني: من الآداب العامَّة للسؤال.

قال الإمام ابن حزم الأندلسي[22] -في معرض ذكر آداب طالب العلم في مجالس العلم-: «فإذا حضرتها كما ذكرنا، فالتزم أحد ثلاثة أوجه، لا رابع لها، وهي:

أ- إما أن تسكت سكوتَ الجهَّال، فتحصل على أجر النيَّة في المشاهدة، وعلى الثناء عليك بقلَّة الفُضول، وعلى كرمِ المجالسة ومَوَدَّة مَن تجالِس.

ب- فإن لَم تفعَل فاسأل سؤال المُتَعلِّم، فتحصل على هذه الأربع المحاسن، وعلى خامسةٍ، وهي: استزادة العِلم.

وصِفَة سؤال المُتعلِّم: هو أن تسأل عمَّا لا تدري لا عمَّا تدري، فإن السؤال عمَّا تدريه سُخفٌ، وقلَّةُ عَقل، وشُغلٌ لكلامَك، وقطعٌ لِزَمانك بما لا فائدَة فيه، لا لك ولا لغيرك، وربَّما أدَّى إلى اكتساب العداوات - وهو يُعدُّ عينَ الفُضول..

ج- والوجه الثالث: أن تراجع مراجعة العالم..»[23].

وقد جعل أهل العلم مراتب ومراحل لطالب العلم، بحيث ينتقل بها من السهل إلى الصعب، وجعلوا لكل مرحلة متطلبات ينبغي لطالب العلم أن يحققها.

قال ابن القيِّم[24] رحمه الله: «وقيل: إذا جلست إلى عالم، فسل تفقُّهًا لا تعنُّتًا».

وقال -أيضًا-: «وللعلم ستُّ مراتب: أولها: حسن السؤال، ثانيها: حسن الإنصات والاستماع، ثالثها: حسن الفهم، رابعها: الحفظ، خامسها: التعليم، سادسها: وهي

ثمرة العمل به ومراعاة حدوده».

فمن الناس مَن يحرمه لعدم حسن سؤاله إما لأنه لا يسأل بحال،وإما يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضرُّ جهله بها، ويدع ما لا غنى له عن معرفته، وهذه حال كثير من الجهَّال المتعلِّمين، ومن الناس مَن يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والمماراة آثر عنده وأحب إليه من الإنصات، وتلك آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علمًا كثيرًا، ولو كان صاحبها حسن الفهم»[٢٥].

ومما سبق يتبيَّن أنَّ السؤال قد حظيَ باهتمام أهل العلم، حيث جعلوا له آدابًا، وضوابط» كي يسير عليها طالبُ العلم المعنيِّ به -ابتداءً-» وهذا يبدد الإشكال من كون النهي عن السؤال يشمل كل السؤالات، وظهر أنَّه متَّجهٌ إلى السؤال الذي لا حاجة له، ولا فائدة منه، والذي فيه تطفُّل على الآخرين، وإقحامٌ للنَّفس فيما لا يعنيها، وأضراب ذلك مما تقدَّم ذكره قريبًا.

■ المبحث الثاني: مزايا سؤالات الرسول ﷺ وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: من خصائص سؤالات الرسول ﷺ:

❖ الخصائص لغة:

الخصائص جمع خَصيصَة، وهي التي تميِّز الشيء وتُحَدِدُهُ[٢٦]، وعلى ذلك يكون هذا المبحث عن المميِّزات العامَّة في سؤالات الرسول ﷺ وأوَّلها هي أنَّ:

١- سؤالات الرسول ﷺ ذاتُ أهدافٍ ومصالحَ للأمَّة.

لقد كان رسول الله ﷺ معلِّمًا للمسلمين، ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ لم يبعثني معنِّتًا ولا متعنِّتًا،ولكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا»[٢٧].

فكانت كلُّ سؤالاته تعليميَّة للأمَّة وهي بكلمَةٍ أخرى ربَّانيَّة» فما من سؤال فيها إلا ويحقق هدفًا ومصلحة، سواءً على الصعيد الأسري، أم على الصعيد السياسي، أم على الصعيد العقدي، أم على الصعيد الفقهي، أم على الصعيد المنهجي، أم على الصعيد التربوي، وقصدت بالمصلحة أمرين اثنين:

١ - أ: المصلحة الدنيوية:

ويدلُّ هذا على إنسانيَّة سؤالاته، فاهتمام الرسول ﷺ بمصالح النَّاس الدنيويَّة، أضفى على سؤالاته وأكسبها صفةً إنسانيَّةً، باعتبار الإنسان هوَ المقصودُ من الدَّعوة» لذلك أعطى الرسول ﷺ الجانب الإنساني مساحةً رحبَةً» حيث

وجدنا أنَّ بعض سؤالاته أعطت قيمةً لبعض الأعمال الإنسانيَّة،فرفعت درجتها على الاشتغال بالقربات الدينيَّة، وذلك في الأعمال التي تتسع دائرة النَّفع بها للخَلق أو يُدرَأ بسببها شرٌّ كثير عن المسلمين: كإصلاح ذات البَين، وبرِّ الوالدين والإحسان إليهما.

مثال ذلك، هذا السؤال الذي يرعى حقَّ الوالدين على الولد ووجوب الإحسان إليهما:

عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «هل لك أحدٌ باليمن؟!»، قال: أبواي. فقال: (أأذن لك ؟!) قال: لا. قال: «ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلاَّ فبرَّهُما»[٢٨].

وفي هذا تحقيق للتكافل الأسري، وحفاظٌ على الأسرة المسلمة من التفكك، وذلك بإيجاب برِّ الوالدين، وتقديمِ ذلك على العبادات التي دون فرضيَّة طاعة الآباء رتبةً، فالوالدان بابٌ أوسطَ الجنَّة، وهما اللذان قرنَ الله حقَّه بحقهما، حيث قال سبحانه وتعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**[٢٩].

مثال آخر: وفيه سؤال نبويٌّ يُحفِّزُ على الإصلاح بين النَّاس:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضلَ من درجةِ الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاحُ ذاتِ البَيْن، فإنَّ فساد البين هي الحالقة»[٣٠].

فالرسول ﷺ قد بيِّن فضل إصلاح ذات البين ومنزلته، وأنَّه أعلى من درجة الصيام والصدقة مستخدمًا السؤال للكشف عن ذلك.

وكان الإخبار بذلك عن طريق السؤال بالترغيب بقوله: «ألا أخبركم».

وهو عين ما أمر الله تعالى به في كتابه حيث قال: **﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾**[٣١]، وقال محذرًا: **﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾**[٣٢].

كما اهتم ﷺ بالمصلحة الأخرويَّة، مما يدلُّ على أنَّ سؤالاته ربانيَّة.

فمن أمثلة اهتمامه ﷺ بمنافع المسلمين ومصالحهم الأخرويَّة، المتمثّلة بنيل رضا الله تبارك وتعالى ودخولِ جنَّته» هذا السؤال النبوي الذي يخوِّف من رفع الرأس في الصلاة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى -أو ألا يخشى- أحدكم إذا رفع رأسه والإمام ساجدٌ أن يحوِّلَ الله رأسَه رأسَ حِمَارٍ؟ أو صورته صورةَ حمارٍ؟!»[٣٣].

ففي هذا الحديث يبيِّن النَّبي ﷺ عن طريق السؤال الإنكاري، حُكمًا تشريعيًا لخلل يحصل في أمر تعبُّديٍّ» مفاده تحريم مسابقة الإمام، مع بيان جزاء مَن يفعل ذلك من توعُّدٍ بالمسخ عياذًا بالله عز وجلَّ بأن يحوِّل الله صورتَه إلى صورة حمار، وهذا إمَّا أن يكون في الدنيا وإما يوم القيامة.

وصيانة الصلاة عن الخطأ، مِن أكبر المصالح التي تنفع المسلم في العاجل والآجل،باعتبارها صلة العبد بربِّه تبارك وتعالى.

ومِن مثله هذا السؤال الذي بيّن أمرًا مندوبًا، يكونُ سببًا في نيل الدرجات وحصول الرضا مِن الله تعالى: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا جاءَ فدخلَ الصفَّ، وقد حفَزَهُ النَّفسَ فقال: الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ صلاتَه قال: «أيُّكم المُتكلِّمُ بالكلمات، فإنَّه لم يقل بأسًا؟»، فقال رجلٌ: جئتُ وقد حَفَزَني النَّفسُ فقلتُها، فقال: «لقد رأيتُ اثني عَشَرَ ملَكًا يبتدرونَهَا، أيُّهم يرفعُها؟»[٣٤].

وفي هذا السؤال بين ﷺ فضل قول ذلك الصحابي لمَّا جاء إلى الصلاة» وقد حَفَزَه النَّفس، فقال: الله أكبر، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه.

وتقريرٌ له على كلمته في مثل هذا الموضع، بحيث تكون سنَّة متَّبعةً إلى يوم القيامة، وفي هذا بيانٌ للأمَّة لما يرضاه الله ويحبُّه، ولا شكَّ أن نيلَ رضا الربَّ تبارك وتعالى هو سبب كل خيرٍ وفلاح، ونصرٍ ونجاحٍ،في الدنيا والآخرة.

ومِن ذلك نجد أن سؤالاته ﷺ كانت تراعي مصالح المسلمين العاجلة والآجلة.

٢- سؤالات الرسول ﷺ تراعي الظَّرف والمُناسَبَة:

لقد كان رسول الله ﷺ يراعي في سؤالاته الظَّرف والمناسبة، فقد ذكرت عائشة أنَّ رسول الله ﷺ أمرهم أن ينزلوا النّاس منازلهم[٣٥].

وثبتَ عن علي بن أبي طالب قوله: «حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتحبُّونَ أن يكذَّب الله ورسوله؟!»[٣٦].

قال الحافظ ابن حجر: «يعرفون: يفهمون...، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوِّي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى الأخذ عليه بظاهره مطلوب، والله أعلم»[٣٧].

قال عبد الله بن مسعود: «ما أنت بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان

لبعضهم فتنة»[٣٨].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وما أكثر تفاوت الناس في الفهوم، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع»[٣٩].

لقد كان ﷺ يسأل الصِّغار بأسلوب يراعي فيه حالهم، ويسأل الكبار حسب علمهم ومعرفتهم» ولذلك بوَّب البخاري في صحيحه[٤٠]: «باب مَن خصَّ بالعلم قومًا دون قومٍ كراهيةَ ألّا يفهموا».

ومن أمثلة ذلك وهي كثيرة ما يلي:

لقد ظهر ذلك جليًا في حواره ﷺ لعائشة رضي الله عنها وكانت صغيرة، وكان إذ ذاك قد رجع مِن غزوة تبوك أو خيبر، حيث هبَّت ريحٌ فكشفت ناحية الستر عن بنات لُعَب لعائشة كنَّ في سهوة بيتها.

فقال ﷺ: «ما هذا يا عائشة؟»، قلت: بناتي، ورأى ﷺ بينهنَّ فرسًا له جناحان من رقاع!.

فقال: «وما هذا الذي أرى وسطهنَّ؟». قالت: فرسٌ، قال: «وما هذا الذي عليه؟». قالت: جناحان، قال: «فرسٌ له جناحان؟!». قالت: أما سمعت أنَّ لسليمان عليه السلام خيلاً لها أجنحةً؟! فضحك حتى رأيت نواجذه»[٤١].

وفي هذا مِن التواضع الجمِّ، والمداراة الشيءَ العظيم، وهو مِثالٌ حيٌّ في التعامل مع الزوجات مِن جهة، وفي التَّعامل مع النَّاس على قدر عقولهم مِن جهةٍ أخرى، إذ أنَّ الرسول ﷺ يسأل عائشة عن لعَبٍ لها،ويستفسر ليؤنسها، مع أنَّه راجعٌ مِن غزوةٍ طال زمانُها وكثر عليه منها النَّصبُ والتعب.

ومع ذلك تابع عائشة رضي الله عنها على ما يستوعبه عقلها في ذلك الوقت، وهذا منه ﷺ ليربِّي عائشة على النَّافع الذي تستطيع فهمه.

وكانت لمراعاته لها آثارٌ عظيمة، فما هي إلاَّ سنواتٌ قلائل، وإذ بعائشة رضي الله عنها مَرجعٌ يُرجَعُ إليه في السؤال عَن مسائل الشَّرع، حتى كان لها استدراكاتٌ على كبار الصَحابة رضوان الله عليهم.

وهذا يدلُّ على مراعاتِه للفروق الفرديَّة، حيث راعى ﷺ عقلَ عائشة رضي الله عنها على حداثةِ سنِّها.

وفي موطنٍ آخر، ومناسَبَةٍ أخرى، أنكر على أسامَة بنِ زيدٍ وهو الحِبُّ بنُ الحِبِّ على قتله رجلاً كافرًا، قال: «لا إله إلاَّ الله» بعد أن غشيَه برمحه، فسأله النَّبي ﷺ مُنكرًا مُستَعظِمًا منه ذلك الفعلَ، حيث جعل يقول:

«يا أسامة! أقتلتَه بعدما قال: لا إله إلا الله؟!»، قلت: «كان متعوِّذًا» فما زال يكرِّرها حتى تمنَّيتُ أنِّي لم أكن أسلمْت قبل ذلك اليوم»[٤٢] ليكون إسلامه كفَّارة له، فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.

وفي رواية أخرى: «مَن بلا إله إلاَّ الله؟! أفلا شققتَ عن قلبه حتَّى تعْلَم ذلك قالها أم لا؟! مَن لك بلا إله إلاَّ الله؟!!»[٤٣].

ونجدُ هنا أنَّ الرَّسول ﷺ أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه فعلَه إنكارًا شديدًا، حتى تمنَّى أسامة أنْ لم يكن أسلم قبل هذا اليوم.

ومِن قبيلِه إنكاره ﷺ على معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أطال الصَّلاة، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذُ! أفتَّانٌ أنت؟! أفتَّانٌ أنت؟!»[٤٤].

(٣) سؤالات الرسول ﷺ شموليَّة.

وقد ظهرت شموليَّة سؤالاته مِن خلال الأمور التالية:

- شَمِلَت الجميع: من حيث الجنس والدين والعُمر.

- تفَهِّم جميع المستويات العلميَّة.

- شملت كلَّ الغايات والمقاصد الشرعيَّة.

- شاملة لأبواب العلم في الدين.

إنَّ اتِّخاذ الرسول ﷺ السؤال كطريقة مِن طرق التعليم في جميع أبواب العلم يدلُّ على شمولها.

فقد سأل في باب الإيمان والإسلام، وفي باب العلم، وفي باب الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج، وفي باب النكاح وغيرها من أبواب العلم.

أي أن سؤالات النبي ﷺ شملت أبواب العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والرقائق والأخلاق، والعلم.

ومن مثال ذلك:

ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «أيُّ عرى الإسلام أوثق؟» قالوا: الصلاة، قال: «حسنةٌ، وما هي بها؟»، قالوا: صيام رمضان، قال: «حسنٌ، وما هو به؟»، قالوا: الجهاد، قال: «حسنٌ، وما هو به؟»، قال: «إنَّ أوثق عُرى الإسلام أن تحبَّ في الله، وتُبغِضَ في الله»[٤٥].

قوله: «ما هي بها ؟» الباء زائدة أي: وما هي؟ أي: الصلاة تلك الحسنة، التي هي أوثق العُرى.

وأما قوله: «وما هو به؟» أي: ذاك العمل الذي هو أوثق العرى.

ومن خلال هذه السؤالات بيَّن النبي ﷺ الأعمال التي تكسب المسلم خيرًا، فمن الأعمال الجليلة التي تقوِّي عرى الإسلام، وتزيده جلاءً وكمالاً: الصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله تعالى، وأوثق رابطة في الإيمان: أن تحبَّ في الله وتبغِضَ في الله.

شمولٌ من حيث الأبواب، وشمولٌ من حيث المسؤولين، صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً، علماء ومبتدئين، مسلمين وكفَّارًا على اختلاف مللهم ونحِلهم.

فمِن سؤاله عن الأشخاص: «مَن هذه؟ ما شأنك؟»[٤٦].

إلى سؤاله عن الحبل في المسجد «ما هذا الحبل؟»[٤٧].

إلى سؤاله عن الغلام، «أصل الغلام؟»[٤٨].

إلى سؤاله الجارية: «أين الله؟.. مَن أنا؟»[٤٩].

إلى سؤاله الراسخين» كأبي المنذر «أيُّ آية معك من كتاب الله أعظم؟»[٥٠].

إلى سؤاله: «أين السائل عن العمرة؟»[٥١].

إلى سؤاله: «هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟»[٥٢].

إلى سؤاله المختصم إليه في القضاء: «ألك بيِّنة؟»[٥٣].

إلى سؤاله التاجر: «كيف تبيع؟»[٥٤].

إلى سؤاله التذكيريِّ لأحد أصحابه: «أما علمت أن الفخذ عورة؟»[٥٥].

إلى سؤاله الإنكاري: «أما كان هذا يجد ما يسكِّن به شعره؟.. أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟»[٥٦].

فلا غروَ إذا كانت سؤالات النّبي ﷺ جامعة محيطة مستوعبة، يفهمها العامي

الهوامش:

(١) أحمد العليمي، طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه، ص٢٣، وهذا النص من كلام الدكتور حمدي أبو الفتوح عطيفة، أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر،مختار الصِّحاح، دار عمار،عمان الأردن، د.ت، (ص١٤٥)، بتصرُّف يسير.

(٣) سورة المائدة: جزء من آية ١٠١ .

(٤) سورة الفرقان: جزء من آية ٥٩ .

(٥) د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، د.ت، ج١، ص ٤١١، وانظر الفيروزآبادي، مجد الدين

محمد بن يعقوب (ت٨٧١هـ)، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت ١٩٩٧م، ج٢، ص ص: ١٣٣٥-١٣٣٦.

(٦) الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت١٣٢٥هـ)، شذا العرف في فن الصرف، شرح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

(٧) هذا الكتاب مطبوع بتحقيق د. أحمد محمد نور سيف، بمكتبة دار المدينة المنورة، سنة ١٩٨٨م.

(٨) هذا الكتاب مطبوع بدراسة وتحقيق د. زياد محمد منصور، بمكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة سنة ١٩٩٤م.

(٩) جزء مِن حديث ابن عباس، رواه الترمذي في: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: باب، رقم (٢٥١٦). وقال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة: باب قول الله عز وجل: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلحافا﴾ البقرة: آية٢٧٣، وفي الباب الذي قبله: باب مَن سأل تكثُّرًا، رقم (١٤٧٧).

(١١) العِيُّ بكسر العين، وهو هنا: الجهل، يعني: لا شفاء لداء الجهل إلا السؤال والتعلُّم.

انظر الجزري، أبو السعادات المبارك المشهور بابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ، ج٣، ص٣٣٤.

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة: باب في المجروح يتيمم، رقم (٣٣٦).

(١٢) سورة النحل: جزء من آية ٤٣. وسورة الأنبياء: جزء من آية ٧.

(١٣) هو: « أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي، الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ٣٩٢هـ، تفنن في علل الحديث وأسانيده، وعلمًا في صحيحه وغريبه، ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله، توفي سنة ٤٦٣هـ.

(١٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ١٩٩٦م، ج٢، (ص١٦).

(١٥) هو ابو محمد عبدالواحد بن عمر بن عبدالواحد بن ثابت بن التين التونسي، اشهر مصنفاته: "الخبر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح "توفي سنة ٦١١ هـ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ٤٦٥، تأليف محمد بن محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

(١٦) هو: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري، ولد سنة ٦٥٧ هـ، عالم المغرب، الحافظ العلامة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل - بيروت، د.ت، ج٤، (ص ١١١-١١٣).

وكتاب ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر سابق، ج٨، ص١٠٢.

(١٧) العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا،

بيروت، ٢٠٠١ م، ج٣، (ص ٢٧٠).

(١٨) المصدر ذاته، ج ١٠، ص ٣٤١ .

(١٩) اخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، حديث رقم ٧٢٨٩ .

(٢٠) أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه برقم : ١٥/٢ .

(٢١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق، (ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز-مكة المكرمة، ١٩٩٧م، ج٤، (ص ١٠٧٠-١٠٧٣). والحديث اخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الايمان باب السؤال عن اركان الاسلام، ٤١/١، حديث رقم ١٢ .

(٢٢) هو «أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهري، صاحب المصنفات، مات مشردًا عن بلده من قبل الدولة ببادية لَبْلَة عن اثنين وسبعين عامًا سنة ٤٥٦ هـ». ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصدر سابق، ج٥، (ص ٢٣٩-٢٤٠).

(٢٣) الأندلسي، محمد بن حزم، مجموعة رسائل ابن حزم ت (٤٥٦هـ)، تحقيق: إحسان رشيد عباس،١٩٨١م، المؤسسة العربية للتراث والنشر، ج١، (ص٤١١-٤١٣).

(٢٤) هو «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبدالله ابن قيم الجوزيّة، ولد سنة ٦٩١ هـ.

(٢٥) محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة، ١٩٩٨م، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ج١، (ص٢٤٠).

وانظر كتاب: محمد بن صالح العثيمين، شرح حلية طالب العلم، مكتبة الأنصار، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، (ص١٥١).

(٢٦) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج1 (ص٢٣٨).

(٢٧) أخرجه مسلم في صحيحه في: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية، رقم (١٤٧٨).

وأحمد في المسند، رقم (١٤٥١٥)، ج٢٢، ص٣٩١ .

(٢٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو. في كتاب الأدب: باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، رقم (٥٩٧٢) و (٣٠٠٤).

ومسلم في كتاب البر والصلة: باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم (٢٥٤٩).

(٢٩) سورة الإسراء: جزء من آية ٢٣ .

(٣٠) أخرجه ابن حبان في «صحيحه -الإحسان»، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٨م، تحت ترجمة: ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين. ج١١، (ص٤٨٩).

وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب: باب في إصلاح ذات البين، رقم (٤٩١٩). والترمذي في سننه ٦٦٣/٤ وقال : حديث صحيح .

(٣١) سورة آل عمران: جزء من آية ١٠٣.

(٣٢) سورة الأنفال: جزء من آية ٤٦.

(٣٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان: باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، رقم (٦٩١)، ومسلم، كتاب الصلاة: باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، رقم (٤٢٧).

(٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة. رقم (٦٠٠).

قال النووي: «حفَزَه النَّفس»» أي: ضغطَه لسرعته.انظر صحيح مسلم بشرح النووي، مصدر سابق، ج٣ (ص٤٠٩).

(٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه موقوفًا وله حكم الرفع، ١/١٠، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم ٥ .

(٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب من خصَّ قومًا دون قوم بالعلم. رقم (١٢٧).

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١، (ص ٢٩٨).

(٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه في مقدمة الصحيح: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع» رقم (١٤)، ج١، (ص٢٣٥).

(٣٩) الجوزي، عبد الرحمن بن علي،المعروف بابن الجوزي(٥٩٧هـ)، صيد الخاطر، مكتبة نزار مصطفى، مكة المكرمة، الرياض، ٢٠٠٤م، (ص ٣٥٤).

(٤٠) ترجمة باب في صحيح البخاري رقم٤٩، كتاب العلم، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري مصدر سابق، ج١، (ص٢٩٧).

(٤١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب: باب في اللعب بالبنات. رقم (٤٩٣٢). وإسناده صحيح. سهوة البيت : كوة داخل الجدار في البيت. والرقاع : الجلد .

(٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي: باب بعث النبي أسامة إلى الحرقات من جهينة رقم (٤٢٦٩). ومسلم في كتاب الإيمان: باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله. رقم (٩٦).

(٤٣) تقدم تخريجه في الذي قبله، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد: باب على ما يقاتل المشركون، ٥١/٢، رقم (٢٦٤٣). وإسناده صحيح.

(٤٤) أخرجه أبو داود في سننه في سننه في أول كتاب الصلاة: باب في تخفيف الصلاة، رقم (٧٩٠). وإسناده صحيح.

(٤٥) أخرجه أحمد في المسند، رقم (١٨٥٢٤)، ج٣٠، (ص ٤٨٨).

(٤٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطلاق: تفريع أبواب الطلاق: باب في الخُلع رقم (٢٢٢٧). وهذا إسناده صحيح.

(٤٧) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب أول الصلاة: باب النعاس في الصلاة، رقم (١٣١٢). وهذا إسناده صحيح.

(٤٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب أول الصلاة:

باب في صلاة الليل، رقم (١٣٥٦). وهذا إسناده صحيح.

(٤٩) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته رقم (٥٣٧).

(٥٠) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي رقم (٨١٠).

وأبو داود، كتاب أول الصلاة: باب ما جاء في آية الكرسي، رقم (١٤٦٠).وإسناده صحيح. واللفظ له.

(٥١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج: باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب، رقم (١٥٣٦).

ومسلم في كتاب الحج: باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يباح وبيان تحريم الطيب. رقم (١١٨٠).

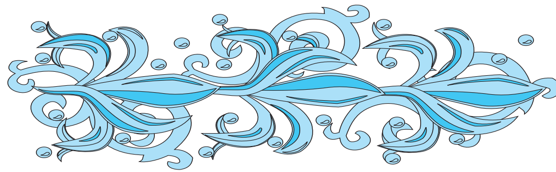
(٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام: باب صوم سرر شعبان رقم (١١٦١).

(٥٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأيمان والنذور: باب التغليظ في الأيمان الفاجرة، رقم (٣٢٤٣). إسناده صحيح.

(٥٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب البيوع: باب النهي عن الغش، رقم (٣٤٥٢). إسناده صحيح.

(٥٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس: باب في غسل الثوب وفي الخُلقان، رقم (٤٠٦٢). وهذا إسناده صحيح.

(٥٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحَمّام: باب النهي عن التعري، رقم (٤٠١٤).وهذا إسناده صحيح.



نماذج وصور عملية للتطوع في تاريخ المسلمين

■ بقلم الدكتور خالد الشطي

المطلع على سيرة الرسول ﷺ وحياته، يرى أنه كان المثل الأعلى في الأعمال التطوعية التي قدمها لربه عز وجل من عبادات ونوافل وطاعات، والاعمال التطوعية التي قدمها لأمته رحمة ورأفة بهم.

أما تطوعه في العبادات، فكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وتسأله عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، كيف يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً»(١).

وكان ﷺ يكثر من الذكر وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل والاستغفار، حتى يقول صحابته رضي الله عنهم: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس ان يستغفر أكثر من سبعين مرة»(٢).

كما كان ﷺ يكثر من صيام النافلة، ويدعو أمته لصيام أيام الإثنين والخميس، والأيام البيض، وصيام يومي تاسوعاء وعاشوراء، وصيام يوم عرفة، وصيام الأيام التي ورد فيها فضل الصيام، وكان ﷺ يعتكف في رمضان في العشر الأواخر، فكانت حياته ﷺ كلها عبادة بأداء الفرائض والواجبات وأداء العبادات التطوعية، التي حث الله تبارك وتعالى للمسارعة اليها.

أما تطوعه ﷺ لخدمة أمته ورعايتهم، فقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في ذلك، قال الله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر﴾**(٣).

فقد كان ﷺ يسهر الليل ويدعو لأمته بالرحمة، والهداية وأسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وكان ﷺ قمة في العطاء والتضحية، وسد حاجات أمته، وقد كان ﷺ كريماً جواداً قبل البعثة وبعدها، فقد كان ﷺ يلقب قبل بعثته بالصادق الأمين، وحين نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾[٤]، نزل من غار حراء خائفاً وجلاً، فقالت له خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها: «والله لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٥].

فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأنفع الناس للناس وأعبد الناس لله عز وجل، ولما بلغ الستين من عمره بلغ به التعب، والضعف، فقالت عنه عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يصلي قاعداً بعدما حطمه الناس»[٦]، فكأنه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صيّروه شيخاً محطوماً»[٧].

وفي سيرته ﷺ العديد من المشاهد والنماذج من تطوعه، منها:

- ان أول ما بدأ به رسول الله ﷺ عند وصوله المدينة المنورة في هجرته هو بناء مسجد قباء، فكان النبي ﷺ يحمل الحجرين وصحابته يحملون الحجر الواحد تطوعاً وتحملاً منه، وقدوة لأتباعه المؤمنين حتى قال أحد الصحابة حين رأى ذلك من رسول الله ﷺ:

لئن قعدنا والرسول يعمل
لذاك منا العمل المضلل[٨].

- وكان رسول الله ﷺ لا يأنف في المشي مع الشيوخ والأطفال لقضاء حوائجهم، عن عن انس رضي الله عنه ان امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي اليك حاجة، فقال: «يا أم فلان، انظري اي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها»[٩].

- «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف ولا يستنكف ان يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما»[١٠].

- وفي المسند عن ابنة لخباب رضي الله عنه قالت: «خرج خباب في سرية فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى كان يحلب عنزاً لنا»[١١].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري وفي عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا.. لم

تراعوا»[١٢].

فكان ﷺ أجود الناس في بذل وقته وماله وجهده وحياته لخدمة دينه، ورعاية أمته، يطعم جائعهم ويعلم جاهلهم ويقضي حوائجهم.

كما تطوع ﷺ بالإمامة والخطابة والوعظ والحكم بين الناس، وقيادة الجيش، وتعليم المسلمين أمور دينهم، وتعليم القرآن والفقه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تولى ﷺ بنفسه الإشراف على تنفيذ ومتابعة بعض الأعمال مثل: اختيار وتكليف اعوانه، ومن هم في حكم وزرائه، وقواده وعماله، وامرائه على المناطق، وأمرائه على بعض الأعمال، وكتاب الوحي والكتّاب عموماً، والمؤذنين والأئمة، وخدم المساجد، والمعلمين والمقرئين وغيرهم»[١٣].

فقد جعل رسول الله ﷺ كل هذه الأعمال تطوعية، يتطوع بها المسلم لأدائها ولم تكن واجبة عليه، مصداقاً لقوله ﷺ للرجل الذي سأله عن الفرائض، ولما أجابه قال الرجل: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا ان تطوع..»[١٤].

❖ العمل التطوعي في حياة الصحابة رضوان الله عليهم:

لقد ربّى رسولنا ﷺ صحابته الكرام على البذل والعطاء والتطوع، فكانوا جيلاً فريداً لم يظهر مثله في التاريخ فقد بذلوا حياتهم وأموالهم وأوقافهم وتطوعوا بكل ما يملكون، ولعل التاريخ يسطر بحروف من نور تطوعهم، كيف لا وقد رأوا نبيهم خير قدوة وأسوة، يدعوهم ويشجعهم على العطاء والتضحية والتطوع، ويتسابق معهم على ذلك فاقتدوا به واهتدوا بهديه.

❖ نماذج من تطوع الصحابة رضي الله عنهم:

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نتناوب ورسول الله ﷺ فنبيت عنده تكون له الحاجة او يطرقه أمر من الليل فيبعثنا، فيكثر المحتسبون وأهل النوب»[١٥].

عن الهيثم بن نصر الأسلمي رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ ولزمت بابه في قوم محاويج فكنت آتيه بالماء من بير أبي الهيثم، وكان ماؤها طيباً»[١٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ناس الى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القرّاء، فيهم خالي «حرام» يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء[١٧].

- وهذا جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه لقبه

رسول الله ﷺ بأبي المساكين.

- فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أخير الناس للمسكين جعفر بن ابي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى انه كان ليخرج الينا العكة[18] التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها»[19] **وهكذا ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة في العمل التطوعي.**

❖ نماذج من تطوع نساء الصحابة رضوان الله عليهن:

لم يقتصر العطاء والتطوع على الرجال من صحابة رسول الله ﷺ، فقد تطوعت الصحابيات رضي الله عنهن وضربن أروع الأمثلة في ذلك.

قال رسول الله ﷺ «النساء شقائق الرجال»[20] والله سبحانه وتعالى خاطب في كتابه الكريم الرجال والنساء بقوله: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا**﴾ فللمرأة في الشريعة الاسلامية دور كبير في مساهمتها في خدمة دينها وعقيدتها وخدمة ابناء مجتمعها، والتاريخ خير شاهد على ما قدمته المرأة المسلمة من تطوع وعطاء:

- رفيدة الانصارية صحابية جليلة كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة[21] من المسلمين، وحين اصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه في غزوة الخندق، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوه في خيمة رفيدة»[22].

- عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان قوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال: «ولقد رأيت عائشة بنت ابي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى جذم سوقهن تنقزان القرب -وفي رواية تنقلان القرب- على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم»[23].

- عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى الى المدينة[24].

- وهذه نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية «ام عمارة» صحابية جليلة من الأنصار، كانت تشارك في ساحة المعارك تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وتلهب في نفوس المسلمين روح القتال، حملت السيف وقاتلت دفاعاً عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد، ويقول عنها ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني»[25]، جرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح وضربة سيف، وتوفيت بالمدينة، شهدت أحداً، وشهدت بيعة الرضوان، وشهدت معركة اليمامة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقاتلت حتى قطعت يدها[26].

وأسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه «ذات النطاقين» رضي الله عنها، من السابقين الى الاسلام، تطوعت لتتكفل بحمل الغذاء والماء لرسول الله ﷺ وصاحبه ابي بكر الصديق، طيلة اختبائهم بجبل ثور جنوب مكة، عندما قرروا الهجرة الى المدينة المنورة معرضة نفسها للمخاطر والأهوال وقطاع الطرق، غير أنها لا تبالي في سبيل الله، وقد وضعت رحالهما، لقبت بذات النطاقين لأنها شقت نطاقها «حزامها» قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز على ظهرها لرسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه[٢٧].

❖ نماذج من تطوع التابعين رضي الله عنهم:

سار التابعون على خطى الصحابة الكرام، فضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء والتطوع فكانوا قدوة لمن بعدهم من المسلمين، فهم من خير القرون كما قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..»[٢٨].

ونضرب في ذلك مثلاً من المتطوعين في هذا القرن ليدل على مشاركتهم وإيجابيتهم وحبهم لفعل الخير، فهذا علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم يضرب أروع الأمثلة في التطوع والعطاء.

عن ابي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين -يعني ابن علي بن ابي طالب- يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: «ان صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل»[٢٩]، وعن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين يُبَخَّلُ فلما مات وجدوه يقوت أهل بيت بالمدينة[٣٠].

❖ نماذج من تاريخ المسلمين في العمل التطوعي:

لقد حفل تاريخ المسلمين بالمتطوعين في كل المجالات لخدمة البشرية وإسعادها، كما أعطت الأمة الاسلامية المثل الأعلى في التطوع والعطاء، واذا كان العالم الغربي اليوم يفتخر بالمؤسسات التطوعية والمتطوعين، فإن الأمة الاسلامية قدمت نموذجاً فريداً على مر تاريخها يدل على ترسيخ العمل التطوعي في نفوس المسلمين.

فكان للإسلام حضارة امتدت في مشارق الأرض ومغاربها، ازدهرت وفاقت كل الحضارات والأمم والشعوب، والمطلع على تاريخ حضارة المسلمين يجد كيف تطوع أبناء المسلمين، وبذلوا أوقاتهم وأموالهم وحياتهم في إعمار هذا الكون وإسعاد البشرية.

فقد عرف تاريخ المسلمين المجاهدين

الذين جاهدوا بأموالهم وانفسهم، وحرروا الناس من العبودية لغير الله، ومن الظلم والجهل، فبدلوا حياتهم وعقيدتهم وسلوكهم، فكانوا صنّاع حياة، كما عرف التاريخ العلماء والأطباء والقضاة والبناة للحضارة الذين قدموا الكثير.

يقول الدكتور عجيل النشمي: «لقد قدم لنا المسلمون عبر تاريخهم الحضاري الطويل، صوراً حية وعملية للعمل التطوعي تمثل في مظاهر عديدة منها:

الجهاد في سبيل الله، فإنه عمل تطوعي في أصله يبذل فيه المسلم أغلى ما يملك وهو نفسه وماله، ومنها الوقف وهو يعتبر صورة ومظهراً حضارياً تطوعياً متكرراً ومتجدداً على مر التاريخ الاسلامي.

وقد تنوع الوقف لصالح المجتمع بكل فئاته وطبقاته، فأنشأ المسلمون المساجد وتطوع الأئمة الفقهاء والمفسرون والمحدثون وغيرهم في التدريس فيها، وتخرج في أيديهم رواد الحضارة الاسلامية والانسانية، وأنشؤوا المستشفيات التي تسمى البيمارستانات، وتطوع مشاهير الأطباء في إدارتها وعلاج المرضى، سواء في ذلك الفقراء والأغنياء، وخصصت أوقاف للصرف على حاجة المقعدين وذوي العاهات والأمراض المزمنة، وانشؤوا مؤسسات لرعاية الأيتام، والمسجونين، والحمامات العامة، ومؤسسات الصناعة الحرفية وغيرها، وأسبلة الماء، وصناديق تسديد الديون للمعسرين، والقناطر والجسور، وغير ذلك كثير، وكانت كل هذه الأوقاف او أغلبها يشرف عليها ويقوم على شؤونها متطوعون يسمون النظار، ويعمل فيها متطوعون محتسبون الأجر والثواب من الله.

ولا نبالغ اذا قلنا: ان العمل التطوعي كان أساس بناء الحضارة الاسلامية، فطبقة العلماء والفقهاء والأطباء وأصحاب الشأن العلمي والحضاري والاجتماعي ما كان عملهم الا تطوعاً، وما كان عملهم وعطاؤهم يقابل بالأجور، بل كانوا يأنفون من ذلك.

وكما ان الحضارة الاسلامية مدينة للعمل التطوعي، فينبغي ان يكون لهذا العمل الشريف السامي دوره في نهضة أمتنا اليوم، وينبغي ان يعمق الوعي به، وتسخر وسائل الاعلام لنشر الوعي واحياء سنته في قلوب الناس، حتى يعود لمجتمعنا الاسلامي تكافله وتعاونه»[٣٢].

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه «من روائع حضارتنا»: «ليس أدل على رقي الأمة وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العالم، من سمو النزعة الانسانية في افرادها، سمواً يفيض بالخير والبر والرحمة

على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من انسان وحيوان، وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم، وبآثارها في هذا السبيل يفاضل بين حضارتها ومدنياتها.

وأمتنا بلغت في ذلك الذروة التي لم يصل اليها شعب من قبلها على الاطلاق، ولم تلحقها من بعدها أمة حتى الآن، اما في العصور الماضية، فلم تعرف الأمم والحضارات ميادين للبر الا في نطاق ضيق، لا يتعدى المعابد والمدارس، وأما في العصور الحاضرة، فإن أمم الغرب وان بلغت الذروة في استيفاء الحاجات الاجتماعية عن طريق المؤسسات الاجتماعية وعن طريق المؤسسات العامة، لكنها لم تبلغ الذروة في السمو الانساني الخالص لله عز وجل، كما بلغته أمتنا في عصور قوتها ومجدها، او عصور ضعفها وانحطاطها.

اننا أقمنا مؤسسات اجتماعية لوجوه من الخير والتكافل الاجتماعي لم يعرفها الغربيون حتى اليوم، وهي وجوه تبعث على العجب والدهشة، وتدل على ان النزعة الانسانية في أمتنا كانت أشمل وأصفى وأوسع أفقاً من كل نزعة انسانية لدى الأمم الأخرى.

لقد كان رسول الله ﷺ أول من ضرب المثل الأعلى لأمته في ذلك، فأوقف سبع بساتين كان أوصى بعض المحاربين حين مات ان يترك أمرها للرسول ﷺ يتصرف بها كيف يشاء، فوقفها رسول الله ﷺ على الفقراء والمساكين والغزاة وذوي الحاجات، ثم تبعه بعد ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوقف أرضه بخيبر، ثم تبعه الصحابة، فوقف ابو بكر وعثمان وعلي والزبير ومعاذ وغيرهم رضي الله عنهم، حتى لم يبق صحابي الا وقف من أمواله شيئاً، وتجدد هذا العمل الانساني مرة أخرى في خلافة عمر رضي الله عنه حين وقف ارضاً في سبيل الله وهو في خلافته، ودعا نفراً من المهاجرين والأنصار فأحضرهم وأشهدهم على ذلك.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: فما أعلم أحداً ذا مقدرة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار الا حبس مالاً من ماله، صدقة موقوفة لا تُشترى ولا تورث ولا توهب، ثم تتابع المسلمون بعد ذلك جيلاً بعد جيل، يقفون الأراضي والبساتين والدور والغلات لأعمال البر، مما ملأ المجتمع الاسلامي بالمؤسسات التي بلغت حداً من الكثرة يصعب إحصاؤه والإحاطة به.

كانت هذه المؤسسات نوعين: نوعاً تنشئه الدولة وتوقف عليه الأوقاف الواسعة، ونوعاً ينشئه الأفراد من أمراء وقواد وأغنياء

ونساء، ولا نستطيع في مثل هذا الحديث ان نعدد أنواع المؤسسات الخيرية كلها، ولكن حسبنا ان نلم بأهمها.

فمن أول المؤسسات الخيرية المساجد، وكان الناس يتسابقون الى إقامتها ابتغاء وجه الله، بل كان الخلفاء يتنافسون في عظمة المساجد التي يؤسسونها، وحسبنا ان نذكر هنا مبلغ ما انفقه الوليد بن عبد الملك من أموال بالغة على الجامع الأموي، مما لا يكاد يصدقه الانسان لكثرة ما أنفق من مال وما استخدم في اقامته من رجال.

ومن اهم المؤسسات الخيرية المدارس والمستشفيات، ومن المؤسسات الخيرية بناء الخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين وغيرهم من الفقراء وذوي الحاجات، ومنها التكايا والزوايا التي ينقطع فيها من شاء لعبادة الله عز وجل، ومنها بناء بيوت خاصة للفقراء يسكنها من لا يجد ما يشتري به او يستأجر داراً، ومنها السقايات اي تسبيل الماء في الطرقات العامة للناس جميعاً، ومنها المطاعم الشعبية التي كان يفرق فيها الطعام من خبز ولحم وحساء «شوربة» وحلوى، ولا يزال عهدنا قريباً بهذا النوع في كل من تكية السلطان سليم، وتكية الشيخ محي الدين بدمشق، ومنها بيوت للحجاج في مكة ينزلونها حين يفدون الى بيت الله الحرام، وقد كثرت هذه البيوت حتى عمت ارض مكة كلها.

ومنها حفر الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزروع والمسافرين، فقد كانت كثيرة جداً بين بغداد ومكة، وبين دمشق والمدينة، وبين عواصم المدن الاسلامية وبلدانها وقراها، حتى قل ان يتعرض المسافرون -في تلك الايام- لخطر العطش.

ومنها أمكنة المرابطة على الثغور لمواجهة خطر الغزو الأجنبي على البلاد، فقد كانت هنالك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون اليه من سلاح، وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر كبير في صد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين في الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر، ويتبع ذلك وقف الخيول والسيوف والنبال، وأدوات الجهاد على المقاتلين في سبيل الله عز وجل.

ويتبع ذلك أوقاف خاصة يعطى ريعها لمن يرد الجهاد، وللجيش المحارب حين تعجز الدولة عن الانفاق على كل أفراده، وبذلك كان سبيل الجهاد ميسراً لكل مناضل يود ان يبيع حياته في سبيل الله، ليشتري بها جنة عرضها السموات والأرض.

ومن المؤسسات الاجتماعية ما كانت وقفاً لإصلاح الطرقات، والقناطر والجسور، ومنها ما كانت للمقابر يتبرع الرجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامة، ومنها ما كان لشراء أكفان الموتى الفقراء، وتجهيزهم ودفنهم.

أما المؤسسات الخيرية لتحقيق التكافل الاجتماعي، فقد كان عجباً من العجب، فهناك مؤسسات للقطاء واليتامى ولختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجزة، يعيشون فيها موفوري الكرامة لهم كل ما يحتاجون من سكن وغذاء ولباس وتعليم ايضاً.

وهنالك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين، والارتقاء بمستواهم، وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم.

ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزاب ممن تضيق ايديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج وتقديم المهور، فما اروع هذه العاطفة وما أحوجنا اليها اليوم.

ومنها مؤسسات لإمداد الأمهات بالحليب والسكر، مع تمحضها للخير الخالص لله عز وجل، وقد كان من مبرات صلاح الدين أنه جعل في أحد أبواب القلعة -الباقية حتى الان في دمشق- ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزاباً آخر يسيل منه الماء المذاب في السكر، تأتي اليه الأمهات يومين في كل اسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجون اليه من الحليب والسكر.

ومن أطرف المؤسسات الخيرية وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزبادي وهم في طريقهم الى البيت، فيأتون الى هذه المؤسسة ليأخذوا زبادي جديدة بدلاً من المكسورة ثم يرجعوا الى أهليهم فلا يضربوهم.

وآخر ما نذكره من هذه المؤسسات، المؤسسات التي أقيمت لعلاج الحيوانات المريضة، أو لإطعامها، أو لرعيها حين عجزها، كما هو شأن المرج الأخضر في دمشق الذي يقام عليه الملعب البلدي الآن، فقد كان وقفاً للخيول والحيوانات العاجزة المسنة ترعى منه حتى تلاقي حتفها.

اما بعد، فهذه ثلاثون نوعاً من المؤسسات الخيرية التي قامت في ظل حضارتنا، فهل تجد لها مثيلاً في أمة من الأمم السابقة؟ بل هل تجد لكثير منها مثيلاً في ظل الحضارة الراهنة؟ اللهم انه سبيل الخلود تفردنا به وحدنا يوم كانت الدنيا كلها في غفلة وتأخر وتظالم، اللهم انه سبيل الخلود كشفنا به عن الانسانية المعذبة، فما هو سبيلنا اليوم؟

اين هي تلك الأيدي التي تمسح عبرة

الهوامش:

١- أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ليغفر الله لك، ١٤٨٣٦، ومسلم، صفة القيامة ٢٨١٩ .

٢- أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول اذا قام من المجلس ٣٤٣٤، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستغفار ٣٨١٤ .

٣- الأحزاب: ٢١ .

٤- العلق: ١ .

٥- أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي ٤ .

٦- أخرجه مسلم،و صلاة المسافرين وقصرها ٧٣٢ .

٧- صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٨-١٩، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٨- فقه السيرة، محمد الغزالي ١٩٠، مؤسسة عالم المعرفة، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٧٦ .

٩- صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٠/١٥، مرجع سابق.

١٠- أخرجه الدارمي، كتاب المقدمة، باب في تواضع رسول الله ﷺ ٧٤ .

١١- أخرجه احمد، كتاب باقي الأنصار، باب حديث ابنة لخباب، ٢٦٥٥٧ .

١٢- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الخمائل، وتعليق السيف بالعنق ٢٩٠٨، ومسلم، الفضائل ٢٣٠٧ .

١٣- مشروعية الخدمة التطوعية، د. محمد سعيد بخاري، ص١٤، مرجع سابق.

١٤- أخرجه البخاري، كتاب الايمان، باب الزكاة من الايمان ٤٦، ومسلم، الايمان ١١ .

١٥- أخرجه أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ١٠٨٠٩ .

١٦- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٣/٦١٥، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ.

١٧- اخرجه مسلم، الامارة ٦٧٧ .

١٨- العكة: ظرف السمن.

١٩- أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن ابي طالب ٣٧٠٨ .

٢٠- اخرجه ابو داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه ٢٣٦ .

٢١- أي كانت ذات ضياع من فقر أو كثرة عيال، لسان العرب، ٢٣١/٨، مرجع سابق.

٢٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير ابي الحسن علي بن محمد الجزري، ج٦، ص١١٠، دار الفكر، والأدب المفرد، للبخاري، حديث رقم ١١٢٩، ص٥٧٨، ج٢، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٨هـ.

٢٣- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزو

النساء ٢٨٨٠، ومسلم، الجهاد والسير ١٨١٠ .

٢٤- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو ٢٨٨٢ .

٢٥- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٤١٥/٨، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٦- الاصابة لابن حجر العسقلاني ١٤٠، مرجع سابق، والأعلام لخير الدين الزركلي، ص١٩، المجلد ٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٦، ١٩٨٤م.

٢٧- تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، ص١٣٠، ط٣، ١٣١٣هـ ١٩٦٤م، المجمع العلمي العربي الاسلامي، بيروت، لبنان ١٣٧٤هـ.

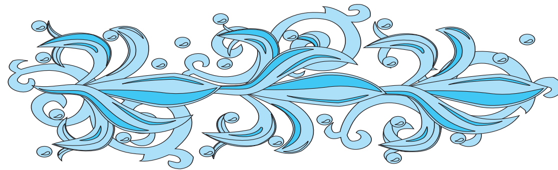
٢٨- أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور اذا شهد ٢٦٥١، ومسلم فضائل الصحابة ٢٥٣٥ .

٢٩- حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، للحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني، مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة، مصر ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

٣٠-٣١- المرجع السابق ١٣٦/٣ .

٣٢- التطوع تضحية وعطاء، كويت الخير والعطاء، ص١٦، مقال للدكتور عجيل النشمي، اصدار وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بدولة الكويت، بمناسبة الاحتفال باليوم الدولي للمتطوعين (٥ ديسمبر ١٩٩٥) بتصرف.

٣٣- من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، من ص١٢١-١٢٨، المكتب الاسلامي، بيروت - دمشق، ط٤، ١٤١٥-١٩٨٥، بتصرف.



طريق الحج المصري في أوائل العهد العثماني

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

❖ أولاً، تمهيد:

كنت قد اقتنيت كتاباً ضخماً يقع في ثلاثة مجلدات، مجموع صفحاتها (٢٣١٣) صفحة، وذلك أيام وجودي في الرياض، وهو بعنوان «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة» تأليف عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي، المتوفى حوالي عام ٩٧٧هـ، (وفقاً لما ذكره بركلمان والزركلي، انظر ص١٨ من الكتاب).

وقد تولى نشره حمد الجاسر سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ولكن زحمة العمل لم تسمح لي بفرصة لقراءته حتى نسيته، لكن الله سبحانه هداني اليه مؤخراً عندما كنت أبحث عن موضوع لمقالة تصلح لمجلتنا الغراء «هدي الاسلام».

فأكببت على قراءته في الليل والنهار، وحررت ما وجدت فيه من مادة مما يتعلق بطريق الحج المصري في أوائل العهد العثماني، وهي الفترة التي عاشها المؤلف وهو يعمل كاتباً لديوان «إمرة الحج» في القاهرة، اذ وجدته كتاباً جامعاً لأمور الحج وإمرته وطرقه ومحطات الرحيل والنزول التي عرفها المؤلف معرفة شخصية، ومتضمناً من المعلومات ما لا بد من معرفته من مناسك الحج على المذهب الحنبلي وهو مذهبه.

وقبل الدخول في الموضوع الذي اردته لمقالتي، وهو طريق الحج المصري، رأيت من المفيد ايراد بعض الملاحظات التي لفتت نظري، وانا أقرأ بعض صفحات هذا الكتاب،

اذ خشيت ان تضيع هذه الملاحظات في ثنايا الحديث عن مراحل الطريق، وما يحدث فيه، وهي على ترتيب ورودها في الكتاب:

١- عاصر مؤلف كتاب «الدرر الفرائد» السلطان العثماني سليمان القانوني، وقد ذكر له مآثر جليلة في العمائر الجميلة في الحرمين الشريفين وفي طريق الحج المصري (ص١٠١-١٠٤).

٢- خصص المؤلف شطراً من مقدمته لأخبار من حج على قدميه العديد من المرات (ص١١٣).

٣- إمرة الحج ولاية سياسية وتدبير وهداية، لأنها من اجل المراتب الدينية وقد تولاها الرسول ﷺ بنفسه عندما حج بالناس في السنة العاشرة للهجرة، ومارسها من بعده الخلفاء (ص٢٢٥-٢٢٦).

ولذلك يحظى منصب «أمير الحج» بمكانة عالية، ويحسد من يتولاه، بل بلغ التحاسد ذروته بين الأمير ووالي مصر على اتساع ولايته (ص١١١١-١١١٣)، وسوف اتناول بإذن الله هذه الولاية لبيان عظم مهمتها.

٤- من واجبات امرة الحج تهيئة عدد من الجمال للاحتياط من اجل تلافي العوض عن الجمال التي تمرض وتلك التي تموت، ولحمل فقراء الحجاج ممن لا يقوى على مواصلة السير على قدميه وللعجزة عند الضرورة، وكذلك لنقل الماء لسقيا العطشان وإغاثة المنقطع(ص١١٩٩).

٥- ان اعداداً كبيرة من الأفارقة المسلمين الذين تسميهم المصادر التاريخية «التكرور» كانوا يأتون بالآلاف لأداء الفريضة، بل كان عدد من كبار ملوكهم يأتون للحج وينفقون اموالاً جسيمة لكثرة الذهب في بلادهم، وقد ركز المؤلف على واحد منهم سماه السلطان ادريس بن علي «ملك برنو» اكبر ملوك التكرور الذي حج في سنة ٩٧٢هـ ولقي الحفاوة والتكريم من حكام مصر (ص١٧٠٥-١٧١٠).

٦- ركز المؤلف على الصعوبات والأخطار التي يتعرض لها طريق الحج، وذكر ما فيه من الآبار والبرك والمحارس (ص٢٢٩-٢٣٤ و ٢٣٧-٢٤٥ و ٢٤٩-٢٥٦ على سبيل المثال).

٧- يؤكد الجزيري على ان اعتداءات العربان على الطريق والقوافل، سببها هو قطع العوائد والرسوم المقررة لهم من قبل الدولة، رغم حاجتهم الماسة لها (ص٢٥٨-٢٥٩ و ٢٨٠).

٨- جرى العرف على تسيير «المحمل الشريف» لنقل كسوة الكعبة المشرفة (ص٣٠٩) ومن تقاليده ان يقبل شريف مكة «خف الجمل» الذي يحمل المحمل، وقد صدر مرسوم سلطاني في حج سنة ٨٤٣هـ بإعفائه من التقبيل، مما استوجب تقديم الشكر الى السلطان (ص٧٢٧).

٩- وجود ما يسمى الزيارة الرجبية، ويسميها المؤلف «حجاج الرجبية» وقد ضمت سنة ٨٤٨هـ، قافلة الزوار (٤٠٠٠) جمل، وكان برئاسة امير للركب، هو ملك الشرق المدعو «شاه رخ» احد ملوك الهند الذي حمل معه كسوة للجدران الداخلية للكعبة (ص٧٣٣).

١٠- حج محمل بغداد سنة ٨٥٠هـ، في هيئة عظيمة، ارسله أحمد شاه بن يوسف صاحب (توريز - ولعل المقصود تبريز عاصمة اذربيجان آنذاك) لاستيلائه على بغداد في تلك السنة، وصحبته في الركب نحو (١٠٠٠) زاملة، وحج في تلك السنة أحد وزراء الدولة العثمانية، (ولم تكن الحجاز تحت الحكم العثماني) وحمل معه مالاً جزيلاً قام بتوزيعه في أهل الحرمين (ص٧٣٤).

١١- زينت القاهرة من اجل الاحتفال بدوران المحمل في شوارعها سنة ٨٥٦هـ بعد ان أُبطل الدوران قبل سنوات، وكان احتفالاً كبيراً يتخلله ألعاب بالرماح وخيول تحمل الاجراس ومشاهد تمثيلية فكاهية (ص٧٤٠-٧٤١)!!.

١٢- في سنة ٨٥٦هـ خطف قطاع الطرق من العربان جميع حجاج التكرور، بسبب اهمال السلطة، ومما زاد في خطورة أولئك العربان «وبعضهم من عرب الحجاز» انهم حذقوا استخدام البنادق، وصاروا يصنعون البارود وبعض قطع السلاح، وهم في غاية الكثرة على حد قول المؤلف (ص٩٢٣).

١٣- ينقسم الحجاج أحياناً، فيقفون في يومين في عرفات، كالذي حصل في سنة ٨٦٤هـ (ص٧٤٢-٧٤٥)، اذ يقع الخلاف في تحديد أول ايام ذي الحجة، مما يترتب عليه خلاف في تحديد يوم عرفة (ص٩٢٠).

١٤- تعدد المحامل التي ترد الى مكة، مثل محمل العراقيين الذي لا يكاد ينقطع، ومحمل الكركين في السنوات (٧٤٩-٧٥١ ، ٧٥٨، ٨٦٩، ٨٧١، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٩٣)، وعادة ما تقع مخاصمات بين اصحاب المحامل كالذي حدث في سنتي ٨٧٦، ٨٧٧هـ، عندما تعرض ارباب المحملين الشامي والمصري، للمحمل العراقي، ومحاولة منعه من دخول

مكة، وشارك في تلك المضايقات أمير الحج المصري نفسه، وشريف مكة، حتى انهم اعتقلوا أمير الحج العراقي، وكبلوه بالسلاسل، وصادروا محمله، بل أخذوه بما فيه من كسوة الكعبة والزينات(ص٧٥٤).

ولكن أمير الحج المصري سمح سنة ٨٨١هـ للمحمل العراقي بدخول مكة، ولكنه منعه من الصعود الى عرفات، وفي سنة ٨٨٦هـ تم منع المحمل من دخول مكة مع امير الحج العراقي، وصادر المحمل وأسر أمير الحج العراقي، وأخذهما معه الى مصر!! (ص٧٥٨-٧٥٩)، كما كان يقع النزاع احياناً بين الركبين المصري والشامي حول السبق في النزول من عرفات، كالذي حصل في سنة ٩٦٩هـ وسنة ٩٧٠هـ.

١٥- في سنة ٩١١هـ بطل الحج من مصر بسبب افتقاد الأمن لوقوع الخلاف بين الطامعين في تولي امارة مكة من الاشراف، وكذلك بين الطامعين في إمارة ينبع، مما حمل السلطان المملوكي على تجريد حملة عسكرية سنة ٩١٢هـ، لتأديبهم وتأمين الأمن للحجاج (ص٧٩٠-٧٩١).

١٦- قام الوالي العثماني في مصر (بعد ان اصبحت ولاية عثمانية) ابتداءً من سنة ٩٢٦هـ، باتخاذ تدابير حازمة لحماية ركب الحاج المصري من عدوان القبائل، بتعزيز القوة العسكرية لتأمين الحماية، وبتخصيص نفقات مالية مجزية توزع على ابناء القبائل التي يمر بها طريق الحج (ص٨١١-٨١٣).

هذا ويستفاد من كتاب «الدرر» كثرة وقوع العدوان على الركب في عهد المماليك، واختفاء ذلك تقريباً في العهد العماني، حيث التزمت القبائل بالسلام وعدم التعرض بل وبالتعاون مع إمرة الحج، علاوة على قيام العربان بعرض ما لديهم من مواد غذائية من انتاج أنعامهم، لبيعها للحجاج، مما أدى الى تحسن أوضاعهم المعاشية، خاصة وهم ينتفعون بأجور جمالهم، مثلما ينتفعون بأجور «الدرك» التي يتقاضونها من امرة الحج لحراس الركب عند مروره بأراضيهم (ص١٢١٦-١٢١٧).

في الواقع ان الدولة العثمانية خصصت مبالغ كبيرة لنفقات ركب الحاج (ص٢٦٨-٢٦٩) لتمكينه من معالجة هذه المواقف.

١٧- يرصد الكتاب ظاهرة المبالغة في الانفاق على مظاهر الفخفخة للركب، حتى بلغت النفقات في بعض السنين أكثر من (١٥٠) ألف دينار ذهباً، (انظر احداث سنة ٩٤٠هـ وغيرها ص٨٣٥-٨٣٧ ، ٨٤٠، ٨٤٤).

ولم يقتصر الاسراف على الجانب

الرسمي فحسب، بل ان الافراد كانوا يتسابقون في المزيد من مظاهر الترف، من ذلك مثلاً ان قاضي مصر -عندما قصد الحج بعياله- احتاج الى (١٠٠) جمل، اما زوجة والي اليمن، فإنها احتاجت لحجها (١٢٠) جملاً (انظر احداث سنتي ٩٦٩-٩٧٠هـ ص١٠٢٧-١١١٤).

١٨- ان ركب الحاج لا يقتصر على الحجاج، بل يشمل الركب اعداداً من التجار واحمالهم من البضائع مما يزيد في طمع العربان في نهب القافلة أحياناً (ص٩١٩).

١٩- بذلت الدولة جهوداً كبيرة من أجل تأمين الأمن في طول الطريق، فقسمه الى اربعة قواطع، وجعلت مهمة حفظ الامن في كل منها على عاتق رؤساء القبائل القاطنة في كل قاطع منها، وسميت تلك المهمة «درك»، وأولها «درك النقب» وهو لمجموعة من بني عطية، وقد افاض الجزيري في الحديث عن حدود كل مجموعة منها وذكر ما لها من مخصصات رسمية، ويضيف الى ذلك ما يسمى «درك المبشر» وهو لقبيلة الحويطات، ويذكر ما لها من مخصصات، أما المنطقة الثانية من الدرك فهي لبني عقبة، وهناك منطقة تسمى «دار السلطان» وهي في الحجاز، فإن الدرك فيها لقبيلة «بلي»، وعلاوة على ذلك هناك طائفة تسمى «درك البحر» وهي المسؤولة عن حفظ الأمن في الجزر والسفن (ص٣٧٢ و ١٣٦٣-١٣٨٧).

٢٠- جرت العادة ان يصحب مركب الحاج امام ومؤذن وميقاتي وحكيم «طبيب وجراح ومعهم الأدوية التي تصرف لكل محتاج مجاناً، وكذلك يصحبها بيطار وقاض ونجار وأدلاء وسياف لتنفيذ حد القتل، وكذلك بعض الشعراء، هذا وللميقاتي آلة تسمى المنكاب، وهي بمثابة الساعة لضبط اوقات الصلاة (ص٣٤٠-٣٤٢، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨-٣٧٠، ٤٢٤).

■ ثانياً، ديوان الحاج:

يحسن بي قبل بدء الحديث عن ديوان الحاج، أن أشير الى اهتمام الجغرافيين المسلمين بشبكة الطرق التي كانت تربط بين أمهات المدن في العالم الاسلامي، ولا سيما بمكة المكرمة وبعاصمة الخلافة بغداد، وقد كان طريق الحج يحظى باهتمام خاص لما تحتله مكة المكرمة والمدينة المنورة من مكانة متميزة لدى المسلمين، ولا سيما ارتباطهما بفريضة الحج، وبرز هذا الاهتمام في كتب الرحلات ولا سيما رحلات مسلمي الاندلس والمغرب، كابن جبير وابن بطوطة والعياشي وأمثالهم.

في الحقيقة ان الجغرافيين المسلمين منحوا طرق الحج اهتماماً خاصاً، وحصروها بأربع جهات، وهي العراق والشام ومصر واليمن، وكل منها يخدم أبناء القطر، المنبعثة منه تلك الطرق وابناء المناطق الواقعة وراءه، فالعراق مثلاً هو مركز تجتمع حجاج المشرق، ومصر لحجاج المغرب، وهكذا.

وأثناء عملي في التدريس اقنعت احد طلابي باعداد رسالته لنيل الدكتوراه بدراسة طرق الحج وتنظيماته «كإمرة الحاج» وآثارها السياسية والاقتصادية في جزيرة العرب، ففعل ونال درجة الدكتوراه في سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. ولكن الرسالة على حد علمي لم تنشر حتى الآن.

اما بالنسبة لديوان الحج، فيبدو ان حكام المسلمين ادركوا ضرورة الاهتمام بطرق الحج المؤدية الى الحجاز، وهناك إشارات مبكرة الى العناية بتلك الطرق، ففي أحداث سنة ١٠٤هـ، «اي في العصر الأموي» خبر يقول: ان الاميال ضربت في تلك السنة بين الكوفة ومكة المكرمة، ويتكرر ذكر خبر مماثل في أحداث سنة ١٣٤هـ «وهي آخر سنوات الحكم الأموي» بضرب الاميال بين المدينتين (ص٤٥١-٤٦٠).

وأهمية هذا الطريق هي كونه ليس مهماً بالنسبة لأهل العراق فحسب، بل ولأهل ما وراءه من الاقطار الشرقية حتى أواسط آسيا، وبمرور الزمن اكتشف الحكام انه لا بد من تنظيم عمليات السفر الى الحجاز بإحداث منصب «إمرة الحج» وهي مهمة عالية الشأن، اذ كان الخلفاء يتولونها بأنفسهم، ولا سيما في العصر العباسي الأول، ثم صاروا يسندونها الى أحد العباسيين أو العلويين، مثل الشريف الرضي وأخيه المرتضى، وكان الى جنب ذلك وجود أمراء حج ينطلقون من الشام ومصر وغيرها.

ولكن بعد سقوط بغداد ونجاح المماليك في دحر المغول على يد الظاهر بيبرس في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وانتقال الخلافة العباسية الى مصر، صار للركب المصري اهمية خاصة، كأهمية الركب العراقي في العصر العباسي، ولذلك اعتنى سلاطين المماليك به، وأقاموا له ديواناً خاصاً سموه «ديوان إمرة الحجاج» يتولاها كبار الشخصيات، وخصصوا له عدداً من الموظفين يرأسهم «الكاتب».

ثم ورث العثمانيون تلك المهمة بعد فتح مصر، وأبدوا اهتماماً مماثلاً بركب الحاج، وأقروا التنظيمات التي أقامها المماليك،

بما في ذلك مكتب «كاتب امرة الحاج» التي تولاها محمد بن عبد القادر الجزيري الحنبلي (ت٩٤٣هـ) ثم تولاها ابنه عبد القادر الذي صنف كتاب «الدرر الفرائد» الذي اشرت اليه في بداية هذا المقال.

وعلى أي حال فالذي يهمني في هذا المقال، هو ما يتعلق بالحاج المصري، وليس هناك من شك بأن حجاج مصر كانوا يسلكون طريق البر عبر سيناء للوصول الى ارض الحجاز، وهو الطريق الذي سلكه الفاتحون المسلمون، ولكن باتجاه معاكس، غير ان الوضع قد تغير في اواسط القرن الخامس الهجري، حيث صار حجاج مصر يسلكون طريق ميناء «عيذاب» على البحر الأحمر، من حوالي سنة ٤٥٠هـ الى سنة ٦٦١هـ، بسبب سيطرة الفاطميين على مصر، وانقطاع صلة مصر بالخلافة العباسية.

ثم صار الصليبيون يتحكمون بفلسطين وببعض ارض الاردن وبأجزاء من سيناء، مما جعل الطريق القديم محفوفاً بخطر عدوان الصليبيين على الحجاج، واستمر السفر بطريق البحر الأحمر الا ان الظاهر بيبرس رحمه الله، سلطان المماليك، نظم سير اول قافلة برية للحجاج وارسل معها كسوة للكعبة، ووضع لبابها مفتاحاً من ذهب، خاصة وان السفر عن طريق عيذاب كان شاقاً لمروره أولاً بصحراء قاحلة «بين قوص وعيذاب» فضلاً عن خطورة عبور البحر الأحمر في سفن تحمل اكثر من طاقتها من الحجاج وبضائع التجار، وكان هذا هو الطريق الذي سلكه الرحالة الاندلسي ابن جبير سنة ٥٧٨هـ، وغيره من حجاج الاندلس والمغرب ايضاً (ص٤٠٠-٤٠١، ٤٠٦-٤٠٧، ٤١٢).

وهكذا فإن العودة لاستخدام طريق البر استلزم تأسيس ديوان للحج من قبل المماليك، وتبناه العثمانيون من بعدهم، وأوكلت اليه مهمة تنظيم شؤون الحج، وإعداد ما يلزم من رجال ومعدات ومواد غذائية وغيرها مما يحتاجه المسافرون والموظفون والحراس ضمن الركب المصري، بما في ذلك فريق عربان القبائل التي يمر الطريق بأراضيها، وهم الذين يقدمون الجمال التي تحمل احتياجات الحاج، الى جانب نقل بعض الأحمال التجارية، وفوق ذلك كانت هناك بعض الأحمال التي تُشحن عن طريق البحر من السويس والطور الى جدة، ومنها الى مكة المكرمة، وكذلك الى «ينبع».

والجدير بالذكر بأن ما كان يشحن بهذه الصورة يعود ثلثاه الى إمرة الحج، وثلثه

لعامة الناس، مع تحديد الأجور رسمياً، سواء بالنسبة للسفن، أم بالنسبة لنقل الجمال، ويبلغ عدد الأحمال المنقولة في هذا الشأن حوالي (٣٠٠٠) حمل، وأغلبها من المواد الغذائية والأعلاف، وبعض المواد الأخرى كالشموع والسلال (ص١١٧٠، ١١٧٢-١١٨٦).

ويتولى تدبير هذه المهام موظفون، لكل منهم مهمته كتابة وحراسة وما اليها، وذلك لقاء مخصصات نقدية محددة (ص١١٨٧-١١٩٨).

وخلاصة القول: فإن حكام مصر من السلاطين والولاة، والسلاطين العثمانيين منحوا إمرة الحاج اهتماماً خاصاً، وصار من يتولاها، فيتولاها نيابة عن السلطان نفسه، وصار يحاط برسوم لا تقل عما يحاط به أداء الفريضة لكل من عزم على أدائها من غني أو فقير، وذلك بتأمين الأمن ووسائط النقل، والماء والطعام والعناية الطبية، الى جانب المرشدين الدينيين، ليس فقط لمن هم رعايا الدولة العثمانية، بل ولغيرهم من المسلمين كالمغاربة والتكروريين الأفارقة، بل شملوا بعنايتهم من ينضم الى الركب الشامي، وزادوا على ذلك عنايتهم بحجاج المشرق من رعايا دول المغول وحكام الهند (ص١٢١٤-١٢١٨ وما بعدها).

وقد بالغوا في العناية بأمن الطريق، حتى أنهم خصصوا جرايات كبيرة للقبائل (كما أسلفنا) ورسموا مساراً للطريق يمر بمحطات محددة ينبغي الوقوف عندها، بل وقضاء مدة معينة في كل منها للاستراحة وتناول الطعام الذي يعده الطباخون الموكلون لهذه المهمة، ولاستقاء الماء من المناهل، ويتم ايقاد المشاعل ليلاً لتبديد الظلام، والتسهيل على الحجاج في حلهم وقضاء حاجاتهم. وصار بذلك للحاج الامن على النفس والمال ايضاً.

■ ثالثا: طريق الحج المصري عند ابن فضل الله العمري:

لقد تناول ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ، في كتابه المسمى «مسالك الابصار في ممالك الامصار»، طريق الحج المصري، وقال: ان الركب الشريف يخرج من القاهرة على أتم رؤية باهرة بالمحمل السلطاني، والسبيل المسبل، والخير المكمل للضعفاء والفقراء والمنقطعين، والماء والزاد والأدوية والعقاقير والأطباء والكحالين «اطباء العيون» والجرائحية، في أكمل زي بالأعلام والطبول والأدلاء والأئمة والمؤذنين والجند والقاضي والشهود والدواوين، بطليعة وساقة وضوئية في

أوائل الركب وأوسطه وآخره، ليسهل الطريق الى البيت الحرام.

واذا نزلوا منزلاً او رحلوا مرحلاً، دقت الطبول والبوقات، ليؤذن للناس بالرحيل والنزول، فلا يعتاق احد فيبقى عرضة للأذى أو الخطف، ثم اذا ساروا ليلاً أو نهاراً يمشي وراءهم من الجند من يحفظ ساقتهم من اللصوص وقطاع الطرق، ثم اذا نزلوا منزلاً كانت الامراء والجند على يقظة لمهاجم قد يهجم، واذا أمسوا دار الطواف على الركب بجوقة تشتمل على أضواء كثيرة ومعها الجند على الخيل بأسلحتهم، وينادي المنادي بإعلام الركب بأي ارض نزلوا ويوصيهم بالاحتراز وما ينبغي عليهم فعله عند التحرك للمرحلة القادمة (ص١٢١٥).

ويستطرد الى القول: فمن رأى ذلك من ابناء القبائل هابه، وعلم بتيقظ اهل الركب لأمورهم، ورأى قوة اهل الشوكة فيهم، فانكف طمعه وانقطع أمله، خصوصاً وما رتبه الملوك لقبائل الطريق رسوماً من الخزائن السلطانية، وجهز المحمل الشريف بالنقود والخلع لشيوخهم واكابرهم، كعادة جارية تدفع كل سنة.

ولذلك اذا نزل الركب في ارض قوم، سارع المشايخ لتلقي المحمل وتقبيل الارض، وتقبيل خف جمل المحمل طاعة للسلطنة، وأودعوا عدداً من ابنائهم رهائن لدى أمير الحاج لا يطلق سراحهم الا بعد الارتحال والتحقق من سلامة الحجاج من اي أذى أو سرقة شيء من متاعهم (ص١٢١٥-١٢١٦).

أما الآن، فسأبدأ بإذن الله بالحديث عن طريق الحج المصري، بحسب المراحل التي حددها ابن فضل الله العمري، ثم اتبعه «في لمحة أخرى» بذكر مراحل الطريق كما وصفها الجزيري، فأقول: جرت العادة خروج حجاج مصر ومن ينضم اليهم من المغاربة والأفارقة، الذين يتألف منهم الركب، سواء أقل عددهم أم كثر، يخرجون في حماية عدد كبير من العساكر «كما أسلفنا» علاوة على مجموعات العمال واصحاب الخدمات.

ويسير الطريق في خط محدد يمر بمواقع معينة وفق نظام معين، وذلك للاستراحة وتناول الطعام واستقاء الماء وترتيب تلك المواقع على الوجه الآتي:

١- يخرج الركب من القاهرة، فينزل «البركة» في مرحلة واحدة، فيقيم فيها ثلاثة أو أربعة أيام «وقد زيدت في العهد العثماني الى خمسة أيام أو أكثر عند الضرورة» وفي هذا الموقع ماء عذب.

٢- يرحل الركب الى «السويس» في خمس مراحل، وماؤها مالح، ويقيم الركب فيها يوماً واحداً.

٣- يصل الركب الى موقع «نخل» في خمس مراحل ايضاً، وماؤه افضل من ماء السويس، وهو في برك، وهناك عمال مكلفون برفع الماء من الآبار لملء البرك، ويقيم الحجاج فيه يوماً واحداً.

٤- يتوجه الركب الى «ايلة» في خمس مراحل كذلك، ويصل الى «رأس أيلة» وهو «العقبة» العظمى التي يتطلب صعودها مشقة كبيرة ويستغرق الصعود وقت مرحلة كاملة، ومنها ينزل الى «حجر بحر القلزم -اي خليج العقبة» فينزل على مائه ويقيم ثلاثة أيام الا اذا اقتضت الضرورة اكثر من ذلك، وفيه تتوفر بعض احتياجات الحجاج، كالزاد والعلف لمن يريد، كما تتوافر الركوبة لمن فقد مركوبه، وما الى ذلك، لأنه تقوم في هذا الموقع أسواق كبيرة لأصناف البضائع، مما قد لا يوجد حتى في المدن الكبيرة.

٥- ثم يصل الركب الى «حقل» على ساحل البحر مرحلة واحدة، ويستقي من مائه وهو أعذب من ماء «ايلة».

٦- وبعد ذلك يتوجه الركب الى «بر مدين» في اربع مراحل، وفيه ماء «مغارة شعيب» ولكنه ماء رديء -حسب قول ابن فضل الله العمري- غير انه ينسب الى شعيب عليه السلام، ومنه سقى موسى عليه السلام لأغنام ابنتي شعيب، كما في القرآن الكريم، والظاهر انه اصبح عذباً في عهد الجزيري.

٧- ويرحل الركب الى موقع «عيون القصب» في مرحلتين، وماؤها ينبع من عيون ينبت حولها القصب، والاقامة فيها يوم واحد.

٨- ويصل بعدها الى «النبك» ويسمى «المويلحة»، على ساحل البحر، في ثلاث مراحل، وماؤها مالح ويسبب الاسهال.

٩- ثم يسير الركب الى «الأزلم» في اربع مراحل، وماؤها كماء سابقه، وهنا يودع الحجاج بعض أزوادهم وعلف جمالهم، في خان بناه بعض الأمراء وجعل فيه حراساً، وذلك للاستفادة من تلك المواد في رحلة العودة.

١٠- ومنه يتوجه الركب الى «الوجه» في خمس مراحل، وهو يقع في واد فسيح يفيض ماؤه ليلاً -وكأنه من النيل أو الفرات- حسب قول ابن فضل الله

العمري ولكنه «اي الماء» يشح نهاراً!!.

١١- وبعده يصل الى «أكْرَى» الذي يسمى ايضاً «فم الضيعة» في مرحلتين، وهما أصعب ما في هذا الطريق من مراحل، وماؤها غزير سائغ يأتي من مسيل أحد الوديان.

١٢- وتليه «الحوراء» على ساحل البحر، في أربع مراحل، وماؤها يشبه ماء البحر، ولكن ترده الجمال.

١٣- ثم يصل الركب الى «نبط» في مرحلتين، وماؤه عذب بارد، ويرحل الركب الى:

١٤- «ينبع» في خمس مراحل، ويقيم الركب فيها ثلاثة أيام، ويودع فيها بعض مقتنيات الحجاج للاستفادة منها عند العودة.

١٥- وبعدها الوصول الى «الدهناء» في مرحلة واحدة، وفيها ماء جار عذب ونخل وزروع.

١٦- وتليها «بدر» في ثلاث مراحل، وبها عيون نضاحة وجداول ومزارع وبساتين ويقربها «الجار» ميناء المدينة المنورة.

١٧- ومنها الى «رابغ» في خمس مراحل، وماؤها مالح، ومنها يحرم الحجاج.

١٨- ثم «خُليص» في ثلاث مراحل، وفيها بركة ماء شيدها احد الأمراء لتوفير الماء للحجاج.

١٩- ومنه الى «بطن مر» في ثلاث مراحل ايضاً، وفيه ماء، ومن هنا يتأهل الحاج لدخول مكة المكرمة عن طريق «عسفان» وفيه بئر ماؤها عذب.

٢٠- ثم يبلغ الركب «مكة المكرمة» في مرحلة واحدة، ويقيم فيها ما قدّر له ان يقيم، حتى يحين وقت الرحيل الى منى فعرفات، لأداء فريضة الحج، وفقاً لما هو مقرر في الكتاب والسنة، مما يجعل الحديث عنه خارج نطاق هذا المقال.

وخلاصة القول: ان هذا الطريق هو طريق الركب المصري في الذهاب والعودة، وهذه هي محطاته ومسافات مراحله، وفقاً لما ذكره ابن فضل الله العمري في منتصف القرن الثامن، اي قبل الجزيري بما يقرب من (١٣٠) سنة.

رابعاً: طريق الحج عند الجزيري:

والجزيري هو عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي «المتوفى في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري» الذي تولى وظيفة كاتب «ديوان امرة الحج»، بعد وفاة أبيه الذي تولى تلك الوظيفة سنين

عديدة حتى وفاته سنة ٩٤٣هـ.

وقد كان عبد القادر يرافق والده وهو صغير، ثم صار يساعده في عمله منذ سنة ٩٤٠هـ، فتدرب على مهام العمل في امرة الحاج، هذا وقد تسنى له منذ صغره الدراسة، اذ درس الفقه وما يتصل به من علوم فبرز فيها وأجازه العلماء بالتدريس والافتاء على المذهب الحنبلي (ص١٢-١٣).

وقد صنف عدداً من الكتب الى جانب «الدرر الفرائد» منها «منازه المنازل ومناهج المناهل» و «خلاصة الذهب في فضل العرب» و «عمدة الصفوة في حل القهوة» و «الزجر عن الخمر»، علاوة على مجموعات شعرية «انظر ترجمته مفصلة في مقدمة الجزء الأول من الدرر الفرائد» وفي أعلام الزركلي.

اما بالنسبة لطريق الحج «وهو موضوع هذا المقال» فإنه لم يكتب بإيراد اسماء المنازل التي سبق وذكرها ابن فضل الله العمري، فإنه زاد على ذلك أموراً كثيرة، اذ تناولها من منظور آخر، اذ قسم الدرب المصري الى ارباع ومناهل ومنازل، فأرباعه ذهاباً واياباً تسعة، بما فيه مسافة الطريق، بين المدينة المنورة وينبع، مما يسمى «الدورة» ومدتها في مقدار الربع لكامل الطريق، والمقصود ان حجاج مصر عند وصولهم من مكة الى ينبع، يتجهون الى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي والتشرف بالسلام على رسول الله ﷺ.

اما المناهل فهي تارة مناهل الارباع، وهي الكبرى، وتارة هي من موارد المياه بالطريق، وهي دون ذلك، والمنازل ضبطها بعض الباحثين في سنة ٨٦٦هـ، فجعلها منازل الطلعة بمناهلها فقط، موزعة على اربعة ارباعها، وجملة ساعات «الدورة» آنفة الذكر (٩٣) ساعة، وعليه فجملة عدد الساعات ذهاباً واياباً هي (١٠٠١) ساعة (ص١٣٠٢-١٣٠٤).

اما بالقياس الطولي، فإن فضل الله العمري قد تولى حسابه، فوجد ان المسافة بين القاهرة ومكة المكرمة تبلغ (٢٨٤) فرسخاً، وثلث الفرسخ، وهي تعادل (٨٥٤) ميلاً (ص١٢٣٧).

ولكن الجزيري لم يكتف بما قاله له غيره عن المسافات، فقام بنفسه بقياس الساعات التي يستغرقها قطع المسافات بين محطات الطريق، وذلك في سنة ٩٥٥هـ، قاسها بما تيسر له من آلة تسمى «منكاب» وهي بمثابة «الساعة» في زماننا فوجدها في الذهاب (٤٢٤) ساعة وثلثي الساعة،

ومثلها في الاياب، وتبلغ ساعات «الدورة» لزيارة المدينة المنورة حسب قياسه (٨١) ساعة وثلث الساعة، وعليه فإن مجموع ساعات رحلة الركب المصري (٩٣٠) ساعة، اي اقل من قياس غيره بمقدار (٧١) ساعة.

كما ان الجزيري اورد بالتفصيل ذكر المنازل، وحدد ما سماه بدرجاتها مما يخرج عن اهتمامات القراء، اذ يتركز على اعتبارات فنية، ثم تناول تفاصيل كثيرة عن كل منزل ينزله الحاج فيصفه ويأتي بشيء من تاريخه ولنأخذ على سبيل المثال ما يأتي:

١- الحديث عن المرحلة الأولى، وهو خروج الركب من القاهرة الى «الريدانية» ثم الى بركة الحاج، وهو يوم ١٨ شوال «او ما يقاربه من سنة الى أخرى» ويذكر مقدار ساعات المسير من الباب والخان الذي أنشأه أحد الباشوات الى البركة، وهي (٥) ساعات، اذ كان المحمل بعد خروجه من الباب ينزل في «الريدانية» ويقيم يوماً وليلة فيها.

٢- ثم يرحل الى البركة، ولكن قد ألغي «ويقصد الاقامة في الريدانية» وصار الركب لا ينزل الا بالبركة، ثم يصفها ويذكر ما فيها من النخل الكثير والبيوت وزاوية لشيخ صالح «ذكر اسمه» وذكر من عمّر الزاوية من الملوك وأنشأ بجوارها بستاناً وبئراً، ثم ما استجد بشأنها، وتحدث عن سوق البركة وما قاله المؤرخون عنها، ومنهم المقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار»، ومن زارها من الأعلام، مثل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، مما غطى خمس صفحات (ص١٣٠٩-١٣١٣).

ويقول: ان البركة هي حل وداع الاحباب، اذ فيها يودع الحاج من جاء لوداعه من اهل وأصحاب، ويزيد على ذلك بإيراد نماذج شعر قيل في الوداع (ص١٣١٥-١٣١٨).

وهنا ينتقل الجزيري الى الحديث عن أمر آخر وهو ما سماه «الدرك» والمقصود هو مسؤولية أمن المنطقة وخفارتها، مما سبقت الاشارة اليه، وزاد على ذلك قوله: ان مسؤولية أصحاب الدرك تشمل التعويض عما تقع سرقته من امتعة الحجاج من مناطقهم(١٣١٣-١٣١٤).

ويختم الحديث بقوله: ان الرحيل من البركة في سنة ٩٥٥هـ، كان وقت طلوع الشمس من يوم السبت الموافق ١٣ شوال، ويضبط مواقيت الحركة والنزول بما يسميه «درجات - ص١٣١٨)، ولعله يقصد درجات

انحراف الشمس من خط الافق والله اعلم.

٣- يمر الركب بعد مغادرة البركة بموضع يسمى «البويب» وهو مضيق بين جبلين صغيرين، وهذا الموضع هو باب لمدخل المضيق الذي تقع نهايته عند «عقبة أيلة» ثم يورد تفاصيل كثيرة عن هذه المرحلة، ويسمى كل موضع يمر به ويستطرد الى ذكر معلومات مفصلة عن طبيعة الأرض وأهلها، وعن المباني التي شيدت في انحائها لخدمة الحجاج، وتلك التي أنشئت لأغراض عسكرية او تجارية، وكذلك مناهل الماء وتسمية مسؤولي الدرك فيها (ص١٣١٩-١٣١٢).

٤- ثم يمر الركب بأرض تسمى «التيه» الذي تاه فيه بنو اسرائيل، وهو ينتهي في موضع على ساحل البحر الذي يسميه «بحر فاران» الذي غرق فيه فرعون، وفيه عيون ماء تجري في قنوات من الرصاص، ويقول: انها الموضع الذي آنس عنده موسى عليه السلام النار، وفي كثير من هذه المواضع مبان «سماها خانات» شيدها الحكام لإيواء من يسلكون هذا الطريق مع برك للماء، ويستطرد الى الحديث عما تقدمه الدولة من مال لمن يتولى رعاية تلك الخانات والبرك، علاوة على ألبسة التشريف والمواد الغذائية (١٣٢٥-١٣٣٠).

٥- ويستمر الجزيري في وصف الطريق، ويشير الى موضع يسمى «النقب» والصعوبات التي تكتنف الوصول اليه – رغم الجهود التي بذلها الحكام في تسهيل وعورة مسالكه، وبناء ما يلزم لتأمين راحة الحجاج فيه، ويبدو ان هذا الموضع يسمى «وادي أيلة» حسب تسمية المؤرخ المقريزي الذي يعتبره اول حد الحجاز.

وهنا يطيل الجزيري الحديث ويستطرد الى ذكر كل شاردة وواردة عن هذا الموقع من التاريخ القديم حتى زمانه، ثم يتوسع في وصف مدينة أيلة، وتاريخها، وما فيها من مبان وأسواق وما الى ذلك، ثم يقول: ان الوصول اليها من البركة استغرق (٩) ايام، ومدة الاقامة ثلاثة أيام، وان الحجاج ينتفعون مما في أسواقها من مختلف انواع الغذاء، وبها ينتهي الربع الأول من الطريق (ص١٣٣١-١٣٣٨ و ١٣٤٦-١٣٤٩).

٦- اما الربع الثاني من الطريق فيشتمل على (١١) منزلة، ودركه في بدايته لبني عطية، ثم لبني عقبة، ويمر بدوار «حقل» ثم بموقع «ظهر الحمار» وبموضع «الجرفين» على ساحل البحر، وبموضع

«الشرفة» وبمضيق «الدار» ويفيض الجزيري في وصف ما يراه من آبار الماء والبرك والمباني القديمة، وبعض مساجد (١٣٥٠١-١٣٥٦).

٧- ويشير الى وصول الركب الى «ارض مدين» بشاطئ البحر، وهي كثيرة الاشجار، وبها آبار وفيها موضع «ام رجيم» و «عيون القصب» وهي على اربعة أيام من العقبة، وتقع على ثلث الطريق الى مكة المكرمة، (ص١٣٥٧-١٣٦٢، ١٣٧٠).

والملاحظ ان الجزيري كثيراً ما يستطرد الى ذكر عدد من الاشخاص الذين تقع الاشارة اليهم عند الحديث عن بعض مواضع الطريق، اذ يعمد الى ايراد ترجمة مفصلة لكل منهم (ص١٣٧٢-١٣٧٥)، ويفعل مثل ذلك عند الاشارة الى الدرك المسؤول عن الطريق فيطنب في الحديث عن المخصصات النقدية والعينية التي تعطى لهم، كما يفصل الحديث عن قبائلهم (ص١٣٧٥-١٣٧٦).

٨- بعد عيون القصب يتجه الركب الى «الشرمة» التي فيها عين ماء، ومنها يسير الركب الى «المويلح» ويسمى «النبك» ايضاً، وفيه قلعة كبيرة، لأجل حفظ بعض حاجات الحجاج وأموال التجار، ويشير الى حفر الابار فيه حتى صارت المويلح من أحسن مناهل الحجاز، ومنها يتجه الركب الى «دار السلطان» ثم «الأزلم» (ص١٣٧٧-١٣٨٦).

٩- ومن الأزلم يبدأ الربع الثالث من الطريق،، ونهايته عند ينبع، وهو أطولها، وأسوأها من حيث توفر الماء، وسمي الموقع بهذا الاسم لخباثة ارضه وكثرة سباخه وملوحة مائه، وفيه خان محرس عسكري، تحفظ به ودائع ركب الحجاج لحين عودتهم، ورغم ملوحة مائه فإنه يعتبر من المناهل الكبار في توفير الماء للحجاج (ص١٣٨٧-١٣٩٧)، ومدة هذا الربع (٨) أيام.

وبعد «الأزلم» يصل الركب الى «اكرى» في طريق متسع حسن السلوك، ويذكر الجزيري عدداً من المواضع الصغيرة حتى يقترب من منزل «الوجه».

١٠- يقترن اسم مدينة «الوجه» بالرحبة، ويبدو ان الجزيري في سفرته عام ٩٥٥هـ لم ينزل ركبه في الوجه لعدم توفر الماء فيه ولا في الرحبة رغم اهتمام الدولة بحفر الآبار وصيانتها

(ص١٣٩٦-١٣٩٧).

١١- ثم يأتي موقع «العرجا» وهو اسم الماء على جانب واد يبعد مرحلة واحدة عن «الوجه» ثم يليه موقع «النهدين» وهما جبلان صغيران، ثم «اكرى» وهي فضاء واسع ومرعى، وماؤها مالح وارضها سبخة، وعندها تنتهي منطقة «درك قبيلة بلي» واقام الركب فيها يوماً وليلة.

١٢- ثم «الحريرة» وهي أول درك أمير ينبع، وفيها تتلى المراسيم السلطانية بتأييد ولاية الشريف على ينبع، وصدور الأوامر اليه بحسن السيرة والعدل في الرعية، وحماية ركب الحاج، وما الى ذلك، وقد جرت العادة ان يخرج اليها أمير ينبع او أحد أبناء اسرته لملاقاة الركب، ثم تأتي بعدها «الحوراء» وهي من مناهل الحجاز، ويبيت فيها الركب (ص١٣٩٨-١٤٠٦).

١٣- ويليها «العقيق» أحد مضايق الحجاز، وقربه «صحين المرمر» وهو منهل مشهور فيه الكثير من الآبار التي حفرها كبار المسؤولين (ص١٤٠٦-١٤٠٩)، ويمر الطريق على موقع «الخضيراء» ثم الى «دارين البقر».

١٤- وجرت العادة قدوم أمير ينبع اليها للسلام على أمير الحج، ثم يتم دخول الركب الى ينبع في موكب حافل بالزينات وبالاحتفالات، وفيها يسبغ أمير الركب على أمير ينبع ألبسة التشريف المرسلة من السلطان، ويمنح أقاربه ومن معه من رجال القضاء والحكم خلقاً خاصة من أمير الركب نفسه (ص١٤١١-١٤١٣).

هذا وتبعد ينبع عن المدينة المنورة مسافة أربعة أيام (ص١٤١٣)، وهي آخر الربع الثالث من أرباع الطريق، ويستغرق السفر اليها من عقبة أيلة (١٦) يوماً (ص١٤١٥).

والجدير بالذكر (بل والطريف ايضاً) ان أمير ينبع يتحمل دفع رسومهم ومصروفات لجماعة امير الحاج القادم من مصر مقابل إلباسه بدلة التشريف في كل سنة، كما يدفع مبالغ معينة للأدلاء الذين يرافقون الركب، ولسكرتير «دوادار» امير الحج، ومدير المستودع «خازندار» وللمباشرين، ولقاضي المحمل وشهوده، ولمن يسمون «جاويشية» ولحامل العلم «الصنجق» ولقائد المحمل وأتباعه، ولمسؤول مطبخ أمير الحج واعوانه، ولمن يعتنون بالأغنام المرافقة للركب، ولغلمان حامل «طست» الذي يغتسل فيه أمير الحج، ولمن يتولى

خدمة الخيول والسراجين، ولبواب امير الحج، ولمن يتولى نصب الخيام، ولمن يقوم بتقديم الطعام والعكامة الذين يخدمون حيوانات النقل، وجماعة السلاح، وللقائمين بحمل المشاعل والطبول، ولفريق الفراشين والنفاطين والطباخين والسعاة الهجانة، وللإمام والمؤذن المرافقين للركب، ولخدم الاصطبل، هؤلاء كلهم يتقاضون مبالغ معلومة من أمير ينبع (ص١٤١٧-١٤١٨)!.

١٥- وفي ينبع مستودعات يترك فيها الحجاج ما لا يحتاجونه في مكة من أمتعتهم، فيأخذونها عند العودة، وما زاد على ذلك يبيعونه (ص١٤١٩)، والاقامة فيها عادة ثلاثة أيام يتوجه الركب بعدها نحو مكة المكرمة في الربع الرابع من الطريق في ١٣ مرحلة، والدرك فيها لبني «ابراهيم الصيارف» ويسمون «العيايشة» (ص١٤٢١-١٤٢٢)، ويمر الطريق بموقع «الدهنا» وفيها عيون جارية ومزارع.

١٦- ثم يتوجه الركب الى بدر وحنين (وهي غير حنين المذكورة في القرآن الكريم) وتعتبر من مناهل الطريق، وبدر تبعد عن رابغ اربع مراحل (ص١٤٢٣-١٤٢٥، ١٤٤٤).

١٧- ثم يسير الركب الى «ودّان» من نواحي الفرع، وهي على مرحلة واحدة من «الأبواء» مقدارها ثمانية أميال، وبعد اربعة ايام يتوجه الى رابغ (ص١٤٤٧).

١٨- ورابغ هي ميقات الاحرام لحجاج مصر والشام والمغرب، في موضع يسمى «جحفة» وهي قرية جامعة بمنبر «اي تصلى فيه الجمعة» على ثلاث مراحل من مكة (ص١٤٤٨-١٤٤٩).

١٩- ومنها يتوجه الركب الى «الجرينات» وهي تلال رمل، ثم الى «قديد» وفيها يحتفل امير الحج بإعداد أحواض من الجلد يملأها بالسكر المذاب لسقاية الحجاج بمناسبة وصولهم قرب مكة المكرمة، كالذي كان يفعله من سبقه في بركة «خليص» وهي تبعد ثمانية اميال من قديد، وقد جددت عين خليص مما ادى الى ازدهار الموقع (ص١٤٥٧-١٤٦١).

٢٠- ومن خليص يتوجه الركب الى عُسفان، وهي على يومين من مكة المكرمة، ثم الى «العقلة» وفيها جرت العادة ان يحضر ابن أخي الشريف او أحد أقاربه لملاقاة امير الركب والسلام عليه، ويحتفل عادة بقدومه وبإلباسه ألبسة

التشريف، ويستمر مندوب الشريف بصحبة أمير الحج، ثم يمر الركب بموضع «مر الظهران» وهو ما يسمى «وادي فاطمة» ثم يحضر شريف مكة بنفسه، في خيل كثيرة لملاقاة امير الحج، يعود الشريف بعدها بصحبة امير الحج المصري الى «الزاهر» بضواحي مكة، حيث مقر نزوله، وعندها يفارقه الشريف متوجهاً الى مكة (ص١٤٦٤-١٤٦٥).

٢١- ثم يدخل امير الحج مكة ليلاً بمشاعله وفوانيسه للطواف، وفي الصباح يجري الاحتفال الكبير، حيث يرتدي الشريف ألبسة التشريف، في موكب حافل بأعلامه وطبوله، ولكن هذه الاحتفالات عرضة للتغيير تبعاً للظروف (ص١٤٦٥-١٤٦٦)، وينزل امير الحج في المدرسة الاشرفية المنسوبة الى قايتباي مدة اقامته بمكة.

ثم ينشغل أهل الركب بأداء فريضة الحج والعمرة وبالصلاة في المسجد الحرام، وقد جرت العادة ان تكون الاقامة بمكة وما حولها عشرين يوماً (ص١٥٥٧)، يرحل الركب بعدها قبل الفجر متجهاً الى المدينة المنورة الى البلد الأمين، ولكن بفارق واحد، وهو عند وصول الركب الى بدر، يتحول الطريق المتجه الى المدينة لزيارة المسجد النبوي والتشرف بالسلام على رسول الله ﷺ، مما يزيد في رحلة العودة مسافة قدرها (٨١) ساعة وثلث الساعة، وهي المسماة «الدورة» (ص١٣٠٨، ١٥٥٨-١٥٧١).

وجرت العادة على الاقامة في المدينة ثلاثة ايام للزيارة وتوزيع الصدقات التي يحملها أمير الركب وغيره على المستحقين، ولأجل الراحة من مشقة السفر، يرحل الركب بعدها حتى يصل الى «الدهنا» احدى محطات الطريق الذي قدم به من مصر، فيسلكه بالنظام نفسه حتى وصوله الى القاهرة.

◆ خامساً، الخاتمة:

يتضح مما تقدم اهتمام المسلمين البالغ في مختلف العصور وفي مختلف الظروف، بشعيرة الحج، وانهم بذلوا اقصى ما يمكن بذله من جهود لتسهيل السبل لمن يريد اداءها، رغم الصعوبات البالغة التي تكتنف السفر في الماضي وجسامتها.

ولكنهم على الرغم من جميع الظروف والعقبات الطبيعية والاعتبارات الآنية، من وقوع الحروب، واختلال الأمن، وتقلبات

الجو، فإنها لم تستطع ان تؤثر سلباً على رغبة المسلم، العالم والجاهل، والغني والفقير، والصحيح والسقيم، والمرأة والرجل، فجميعهم كانوا يضحون بالغالي والرخيص، مادة ومعنى، فيلبون داعي الحج، وان نأى المزار، وطال الطريق، وافتقد الأمن، او انتشر المرض، ووقعت المجاعات، فكل منهم يرنو ببصره الى اجابة نداء المولى سبحانه، اذ قال: **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾** الحج: ٢٧، والاستجابة لدعوة نبيه وخليله ﷺ الوارد في قوله تعالى: **﴿ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** ابراهيم: ٣٧ .

وعدد المستجيبين لدعوة الرحمن على مدى العصور، في ازدياد منقطع النظير، حتى بات البيت رغم توسيعاته المتتابعة، ما عاد يتسع لهم، بل ضاق فضاء عرفات، ووديان منى عن استيعابهم، وفقاً لاعتبارات القدرة المكانية، ولكن القدرة الإلهية قد تكفلت بالتوسيع لاستيعاب جميع القاصدين من ضيوف الرحمن، وهذه من المعجزات التي لا سبيل لنكرانها، وان نفاها الكفرة وكذبها المشركون، والحمد لله رب العالمين.

● كشف المراجع:

١- ابن جبير الاندلسي (ت٦١٤هـ) الرحلة، لايدن (هولندا) ١٨٥٢م.

٢- الجزيري، محمد عبد القادر (ت حوالي ٩٧٧هـ) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة، الرياض ١٩٨٣ .

٣- الخالدي، خالد، طرق الحج وتنظيماته وآثارها السياسية والاقتصادية في جزيرة العرب، رسالة دكتوراه غير منشورة في جامعة الملك سعود ١٩٩٦ .

٤- الزركلي، خير الدين، الاعلام، طبعة القاهرة ١٩٥٤ .

٥- العمري، ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ) مسالك الابصار في ممالك الامصار، القاهرة ١٩٢٤ .

٦- الغماسي، محمد بن احمد الحسني (ت٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة.

٧- ابن فهد، عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ) اتحاف الورى بأخبار ام القرى، القاهرة ١٩٨٣ .

٨- ابن فهد، عبد العزيز بن عمر (ت٩٢٢هـ) غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، مكة.

٩- الماوردي، ابو الحسن (ت٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية، القاهرة ١٩٦٠ .

وقفة مع محظورات الحج

■ بقلم الدكتور صلاح أبو الحاج

في كلّ عام بعد عودة وفود الحجيج من مكّة المشرّفة إلى بلادهم، نسمع منهم قصصاً وحكايات عديدة فيما يتعلّق بالمخالفات الشرعية التي يقعون فيها من حيث أن يعلمون أو لا يعلمون، ويتساهلون في فعلها، دون إدراك منهم لما يتوقّف عليها من الجزاء، فتشعر أن بعضهم يظنّ أنه ذاهب في سياحة للترويح والترفيه، ولا يدرك أنه في عبادة مخصوصة لها شروطها وأركانها وضوابطها الدقيقة التي ينبغي الالتزام فيها، وإلا فقد يفسد حجّه، ويلزمه قضاؤه، أو يجب عليه الجزاء من ذبح شاة، أداء صدقة، والوقوع في الإثم بالحرمة والكراهة بفعل كثير من المخالفات.

وممّا يدلّ على أن الحجّ عبادة شاقّة تحتاج إلى الصبر والعناء دون الترويح والترفيه أن ابنَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «قام رجل إلى النبي ﷺ، فقال: مَن الحاج يا رسول الله؟ قال: الشعث التفل»[١]، فشعر أشعث: أي تغير وتلبّد لقلّة تعهده بالدهن، ورجل شعث: أي وسخ الجسد[٢]، والتفل أن يترك الطيب حتى يخرج منه رائحة كريهة[٣]، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ الحج: ٢٩: أي الوسخ والدرن.

وليس هنا محلّ تفصيل ذلك، وإنما أردت التمهيد به إلى أن في الحجّ محظورات كثيرة ينبغي لمَن حجَّ أن يراعيها

ويهتمّ بها وينتبه إليها، وإلا وجب عليها الجزاء والإثم بفعلها، بخلاف ما يفعله بعض الناس بالاغترار بظاهر حديث: «افعل ولا حرج»، فيحملونه على جميع مناسك الحجّ بأن الدين دين يسر على عسر، فيبيح أحدهم لنفسه أن يفعل ما شاء من محرمات الحج بلا مبالاة، وهذا الفهم الخاطئ غير مراد لما يلي:

أولاً: إن لفظ الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «وقف رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاء رجل، فقال: يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر، فقال: اذبح ولا حرج، ثم جاءه رجل آخر، فقال: يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟ فقال: ارم ولا حرج، قال: فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدم ولا أخّر إلا قال: افعل ولا حرج»[٤].

فهذا الحديث خاص بأفعال يوم النحر من تقديم الرمي أو الذبح أو الحلق أو الطواف على بعضها البعض، وهذه مسألةٌ خلافيةٌ في المذاهب الفقهية، وممّا يدلّ على ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قُدِّمَ ولا أخّر إلا قال: افعل ولا حرج»، فلا يشمل كلّ أفعال الحاج لورود نصوص أخرى عن رسول الله ﷺ كما سيأتي تدلّ على حظر كثير من الأفعال.

ثانياً: ورود نصوص قرآنية دالة على وجود محظورات ينبغي تركها والابتعاد عنها، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧، والرفثُ: هو الجماع أو دواعيه مطلقاً كذكر الجماع بحضرة النساء، أو الكلام الفاحش، والفسوق: المعاصي كلها، والجدال: وهو أن يجادل رفيقه حتى يغضبه بالمنازعة القبيحة[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ المائدة: ٩٥، فيحظر على الحج قتل صيد البر..

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾ البقرة: ١٩٦، وفيه منع للحاج من حلق شعر رأسه أو تقصيره وكذلك شاربه وإبطه وعانته ورقبته ومحاجمه.

ثالثاً: ورود نصوص في السنة النبوية دالة على محظورات يجب على المحرم أن لا يفعلها، ومنها:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «لا يلبس القُمُص، ولا العمائم، ولا السَّراويلات، ولا البَرَانِس»[٦]، ففيه أن لبس المخيط على

الوجه المعتاد محظورٌ ينبغي تركه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن رجلاً أوقصته راحلته، وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمّروا رأسه ولا وجهه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»(٧)، ففيه أن تغطية الرأس والوجه للحاج لا تجوز.

وقال ﷺ: «ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نعلين، فليلبس خفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين»(٨)، فإن لبس الخفّ لا يجوز في الحج، وإذا احتاج لذلك فعليه أن يقطعها أسفل من الكعبين، والمقصود بالكعب هنا، هو محلّ ربط شراك الحذاء، فهذه العظمة الناتئة في ظهر الرِّجل لا يجوز تغطيتها، وإلا ارتكب محظوراً، وهذا ما يقع فيه العديد من الحجيج؛ إذ يلبسون في أرجلهم ما يغطيها دون معرفة منهم لذلك، فيحظر لبس الجَوربين وكلّ ما يواري الكعب الذي عند معقد شراك النعل.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «ولا يلبس ثوباً مسّه الورس ولا الزعفران إلا أن يكون غسيلاً»(٩)، ففيه بيان لترك التطيّب بعد الإحرام.

رابعاً: إن الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ أوجبا الجزاء فيما يقع فيه الحاجّ من المحظورات، ولو كان مضطراً لذلك، فعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية، ونحن محرمون، وقد حصرنا المشركون، قال: كانت لي فروة فجعلت الهوام تساقط على وجهي فمرَّ بي رسول الله ﷺ، فقال: أيؤذيك هوام رأسك؟ قلت: نعم، قال: وأنزلت هذه الآية **﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾** البقرة: ١٩٦، فقال لي رسول الله ﷺ: صم ثلاثة أيام، أو تصدَّق بفرق بين ستة مساكين، أو انسك ما تيسّر»(١٠).

فانظر أيها الأخ الكريم إلى هذا النصّ؛ إذ لو لم يكن إلا هو في هذا الباب لكفى في ردّ هذا التساهل بفعل المحظورات، وعدم التزام الجزاء فيها، فها هو رسول الخلق ﷺ يرى الصحابي الجليل كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد ابتلي بهذه الهوام التي آذته حتى نزلت من رأسه على وجهه، ومع ذلك لم يقل له: احلق ولا حرج، أو افعل ما شئت ولا حرج، وإنما صبر رسول الله ﷺ، حتى نزل قوله تعالى: **﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾**، فأجاز للصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يحلق رأسه.

وهذه الضرورة لم تكن مانعة من وجوب الجزاء على سيدنا كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

فقد أمره الله تعالى بالفدية، وهي صيام ثلاثة أيام أو التصدق على ست مساكين بثلاثة صاعات، أو ذبح شاة.

فأين مَن يتوجَّهون إلى بيت الله تعالى من التزام هذه الأحكام بالابتعاد عن المحظورات المنصوص عنها في كتب الفقه، ودفع الجزاء اللازم إن وقعوا في واحد منها.

وها هنا ينبغي التنبيه على أمر مهم جداً، وهو أنه لا يمكن الابتعاد عن محظورات الحج إلا بمعرفة أحكامه ومحرماته؛ لئلا يقع فيها، وينبغي للحجيج أن يتعلّموا هذه الأحكام بتلقي الدروس والدورات المناسبة لذلك قبل ذهابهم للحجّ، كما كان حال أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يعلمون على يدي رسول الله ﷺ كل صغيرة وكبيرة من الأحكام التي تلزمهم في الحج وغيره.

ويدلّ على ذلك ما روي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «كنت يوماً جالساً مع رجال من أصحاب النبي ﷺ في طريق مكة ورسول الله ﷺ نازل أمامنا، والقوم محرمون، وأنا غير محرم فأبصروا حماراً وحشياً، وأنا مشغول أخصف نعلي، فلم يؤذنوني به وأحبوا لو أني أبصرته، والتفت فأبصرته، فقمت إلى الفرس فأسرجته، ثم ركبت ونسيت السوط والرمح، فقلت لهم: ناولوني السوط والرمح، فقالوا: لا والله لا نعينك عليه بشيء، فغضبت فنزلت فأخذتهما، ثم ركبت، فشددت على الحمار فعقرته، ثم جئت به، وقد مات فوقعوا فيه يأكلونه، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه، وهم حرم، فرحنا وخبأت العضد معي فأدركنا رسول الله ﷺ فسألناه عن ذلك، فقال ﷺ: معكم منه شيء، فقلت: نعم، فناولته العضد، فأكلها حتى نفدها، وهو محرم»[١١].

فهاهم أصحاب رسول الله ﷺ يدركون هذه الأحكام الدقيقة فيما يجب على المحرم من عدم جواز صيد البر، ولا الإشارة إليه، ولا الدلالة والإعانة عليه، ويعلمون أنه يجوز للمحرم أن يأكل منه، لقوله ﷺ: «لحم صيد البر لكم حلال، وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصاد لكم»[١٢]، فلولا أنهم تعلموا ذلك من نبي الله ﷺ لم يدركوا ذلك ولوقعوا في المحظور.

فالنصيحة الغالية التي أقدمها لإخواننا المسلمين الذين يتوجّهون لزيارة بيت الله تعالى أن يتعرفوا أحكام الحجّ ومحظوراته، فإنها من علم الحال الذي يفرض عليهم تعلّمه قبل القيام بهذا النسك العظيم، ولا بدّ أن يكون تعلمهم على أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة؛ لئلا يختلط عليهم

الأمـر ويرتـبـكـون بيـن مـحـلـل ومـحـرم، وأن يحذروا كل الحذر من التلبيس بمحظور من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وإن وقعوا في ذلك فعليهم أداء ما وجب عليه من الجزاء كما هو مفصل في باب الجنايات من كتب الحج في الفقه، سائلين المولى عز وجل أن يتقبّل منهم نسكم، ويقرّبهم به إلى رضاه، والله ولي التوفيق.

الهوامش:

(١) في ((جامع الترمذي)) (٥: ٢٢٥)، و ((سنن ابن ماجة)) (٢: ٦٩٧)، و ((مصنف ابن أبي شيبة)) (٣: ٤٣٢)، و ((مسند البزّار)) (١: ٢٨٦)، قال المنذري في ((الترغيب)) (٢: ١١٨): إسناده صحيح.

(٢) ينظر: ((المصباح المنير)) (ص٣١٤).

(٣) ينظر: ((المغرب)) (ص٦٠).

(٤) في صحيح مسلم ٢: ٩٤٨، وصحيح البخاري ١: ٤٣، وغيرها.

(٥) ينظر: شرح الوقاية ص٢٤٩، وغيرها.

(٦) في صحيح البخاري ٢: ٦٥٣، وصحيح مسلم ٢: ٨٣٤، والبرانس: وهي القلنسوة الطويلة، ينظر: المصباح ص٤٨، وغيرها.

(٧) في صحيح مسلم ٢: ٨٦٦، والمسند المستخرج ٣: ٢٩٨، وغيرها.

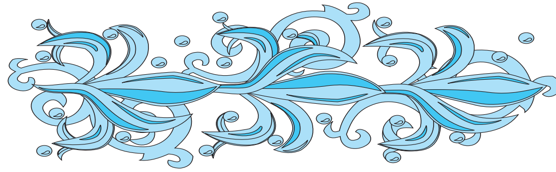
(٨) في صحيح البخاري ٢: ٦٥٣، وصحيح مسلم ٢: ٨٣٤، وغيرها.

(٩) في مسند أحمد ٢: ٤١، وشرح معاني الآثار ٢: ١٣٦، ورجاله ثقات. ينظر: إعلاء السنن ١٠: ٦٠، وغيرها.

(١٠) في صحيح مسلم ٢: ٨٥٩، وصحيح البخاري ٤: ١٥٣٥.

(١١) في صحيح البخاري ٢: ٩٠٨، وغيره.

(١٢) في المستدرك ١: ٦٤٩، وصححه.



فقه الحج
أحكامه ومناسكه وفضله

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

عرف اهل اللغة الحج بفتح الحاء وكسرها، قرئ بهما في السبع: بأنه القصد، يقال: حججت فلانا اذا قصدته بالزيارة، ثم تعورف استعماله في القصد الى مكة للنسك[١]، وعرّفه الفقهاء بأنه القصد الى بيت الله الحرام لأداء نسك الحج، وهو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل حر قادر على فعله بنفسه وماله، فلا يكلفه الكافر بل يمنع منه، والمجنون والعبد والعاجز عن أدائه بسبب كبر سنه أو زمانته (العاهات المختلفة) وهو المعضوب، اي الزمن «بفتح الزاي وكسرها»، او من منعه السلطان الظالم من الحج، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً﴾ آل عمران: ٩٧[٢].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قيل: يا رسول الله، ما السبيل اليه؟ قال: «الزاد والراحلة»[٣].

❖ النية في الحج والعمرة:

لا خلاف بين المسلمين في أن النية لازمة للحج والعمرة، ولا يصح واحد منهما الا بها، لذا قال القرطبي: لا خلاف بين العلماء فيمن شهد مناسك الحج، وهو لا ينوي حجاً ولا عمرة –والقلم جار به وعليه– ان شهودها بغير نية ولا قصد غير مغن عنه، وان النية تجب فرضاً لقوله تعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**[٤]، ومن تمام العبادة حضور النية، واما النية الأولى في بدء الحج والعمرة فالجميع متفقون على وجوبها فيهما[٥].

❖ احكام الحج:

١- وجوب الحج وأدلته من القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾** آل عمران: ٩٧، وحديث البخاري (٥٩٧/٣ رقم ١٧٧٣) ومسلم (٩٨٣/٢ رقم ١٣٤٩/٤٣٧) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة».

٢- وجوب تعيين نوع الحج بالنية: من تمتع او قران او إفراد والأول افضلها، ويكون الإحرام من المواقيت المعروفة.

٣- محظورات الاحرام: وهي كثيرة معروفة لدى المسلمين بالأدلة.

٤- ما يجب عمله أثناء الطواف، وهو معروف كذلك - طواف القدوم، سبعة أشواط، يرمل في الثلاثة الأولى، اي يسعى ركضاً خفيفاً، ويمشي مشياً عادياً في الأربعة الأخرى، ويقبل الحجر الأسود ويستلم الركن اليماني، ويكفي القارن طواف واحد وسعي واحد، مع الوضوء وستر العورة، وتفعل المرأة الحائض فعل الرجل، الا انها لا تطوف بالبيت.

٥- وجوب السعي بين الصفا والمروة.

٦- مناسك الحج: الوقوف على عرفات مع جمع العصرين، والإفاضة، والمزدلفة مع الجمع بين العشائين ثم المبيت وصلاة الفجر، ويأتي الحاج المشعر الحرام، ويذكر الله عنده، ويقف به الى طلوع الشمس، ثم منى، فالرمي في جمرة العقبة سبعاً مع التكبير مع كل حصاة، بعد طلوع الشمس الا النساء والصبيان فيجوز لهم قبل ذلك، ويحلق رأسه أو يقصره، فيحل له كل شيء الا النساء، ومن حلق او ذبح أو أفاض الى البيت قبل الرمي فلا حرج.. ثم بقية أعمال الحج المعروفة ايام التشريق الثلاثة.

٧- أفضل انواع الهدي: البدنة، ثم البقرة، ثم الشاة، وتجزئ البقرة والبدنة عن سبعة، ويجوز للمهدي ان يأكل من لحم هديه، ويركب عليه، ويندب له اشعاره «جرحه» وتقليده «وضع نعليه في رقبته» ومن يفد بهدي لم يحرم عليه شيء مما يحرم على المحرم(٦).

❖ فضل الحج والعمرة:

روى الامام مسلم بسنده، عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة»(٨).

واتفق العلماء على أداء العمرة في اي يوم من ايام السنة، ان لم يكن متلبساً بأعمال الحج، ونقل عن الحنفية انه يكره في يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق، وقال ابو يوسف: يكره في اربعة أيام، هي: عرفة وأيام التشريق(٩).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في التوفيق بين حديث تحريم مكة منذ خلق الله السموات والأرض وبين حديث: ابراهيم حرّم مكة، انه لا معارضة بينهما، لأن المعنى ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة بأمر الله تعالى لا باجتهاده، او ان الله قضى يوم خلق السموات والأرض ان ابراهيم عليه السلام سيحرم مكة، أو بالمعنى ان ابراهيم عليه السلام اول من أظهر تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك عند الله حراماً، أو أول من أظهره بعد الطوفان(١٠).

❖ النيابة في الحج: لغة وشرعاً:

أما في اللغة: فأصلها الثلاثي «نوب» والنيابة مصدر، وتعني اقامة غيره مقامه، **اما في الاصطلاح الشرعي:** فيأتي اصطلاح النيابة مرادفاً للوكالة، فنحن لا نجد في كتب الفقه الاسلامي عنواناً مستقلاً كما هو الشأن بالنسبة الى الوكالة، وإنما يرد ذكرها في مسائل من ابواب مختلفة كالحديث عن النيابة في العبادات من صوم او زكاة أو حج أو نذر أو أضحية.

والوكالة بفتح الواو وكسرها هما لغتان فصيحتان كما نقلهما النووي في «تهذيب الاسماء واللغات» عن ابن السكيت وغيره، وقال في معناها: وكلنا الأمر الى فلان اذا فوضته اليه وجعلته نائباً(١١).

وفي الحج اما ان تكون النيابة عن الحي او الميت، فإذا كانت عن الحي، فإما ان يؤديها النائب مع قدرة المنوب واستطاعته الحج بنفسه، وإما ان يؤديها مع عجزه عن ذلك، وإذا كان المنوب قادراً على أداء النسك بنفسه، فلا تخلو النيابة عن ان تكون في حج الفرض والواجب او في حج التطوع.

اما النيابة عن الميت، فقد ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة الى جواز الحج عمن لزمته فريضة الحج حال الحياة، وتوفي ولما يحج، سواء أكان النائب وارثاً ام غير وارث، وسواء أكان حج الأجنبي بإذن الوارث ام بغير إذنه(١٢)، وقال الحنفية والمالكية: يسقط الحج بالموت، ولا يحج عنه الا إذا أوصى(١٣).

❖ ما جاء في فضل عشر ذي الحجة:

روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل

الصالح فيهن أحب الى الله تعالى من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى: فقال رسول الله ﷺ: ولا الجهاد في سبيل الله تعالى الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» أخرجه البخاري[١٤].

أما صوم يوم عرفة فقد غضب رسول الله ﷺ حين سئل عن صومه حتى قال عمر رضي الله عنه: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وببيعتنا بيعة.

❖ مكملات الحج:

الصلاة بمقام ابراهيم عليه السلام، قال تعالى: **﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾** البقرة: ١٢٧، والشرب من ماء زمزم قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» رواه ابن ماجة، والنزول من عرفات الى مزدلفة والتقاط الجمرات، والنزول من مزدلفة الى منى والتحلل من الاحرام، والهدي، قال تعالى: **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾** البقرة: ١٩٨، ورمي جمرات العقبة الثانية، قال تعالى: **﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون﴾** البقرة: ٢٠٣، وطواف الوداع من مكملات الحج[١٥].

❖ نظرة تأمل في الحج - الاحرام:

«.. فأمور الدين بشكل عام سواء أكانت مجتمعة ام متفرقة، لها أسس وأركان لا تقوم الا بها ولا تعرف بدونها، وتعد بمثابة العمود الفقري للشيء، حيث ان كل ما حولها يدور في فلكها، فكما وصف الرسول ﷺ بأن الصلاة هي عماد الدين، فكذلك أمور العبادات الأخرى على اختلافها، فمن هذا المدلول المتلاصق بعقد نظام لا بد ان يكون للحج أركان معتبرة قائم عليها حتى يسمى بتسميته الشمولية الحج، وإلا فلا يحقق ذلك بدونها»[١٦].

❖ الحكمة من الحج:

يمكن تلخيص حكم الحج في أمرين اثنين، هما: حسي عبادي، وروحي انساني، **﴿وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** الاسراء: ٤٤، **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾** البقرة: ١٩٧، **﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: ١١، لأن الحج مؤتمر عام لتغيير حياة المسلمين ومناقشتها وبيان اسباب ضعفهم وسبل قوتهم[١٧].

الهوامش:

١- لسان العرب «حج».

٢- آل عمران: ٩٧ .

٣- د. عبد العزيز عمر الخطيب، القيم المالية بين التعبد والتعويض في الشريعة الاسلامية، دار عمار، عمان ٢٠٠٠ ص٥٧ .

٤- البقرة: ١٩٦ .

٥- د. عمر الاشقر، النيات في العبادات، دار النفائس، بيروت ١٩٩٥، ص٣٣٤ .

٦- د. محمد صبحي حسن حلاق، الادلة الرضية، لمتن الدرر البهية في المسائل الفقهية للامام محمد بن علي الشوكاني، مكتبة الارشاد، صنعاء، اليمن ١٩٩٠، ص١٤٤-١٦٥ .

٧- القاضي عياض ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، الإعلام بحدود وقواعد الاسلام، «تحقيق محمد صديق المنشاوي» دار الفضيلة، القاهرة، دبي ١٩٩٥، ١٤٣ .

٨- د. عمر احمد هاشم، من هدي السنة في العبادات، مكتبة غريب - القاهرة ١٩٩٣، ص٩٨ .

٩- المرجع السابق ص١٠٠ .

١٠- المرجع السابق ص١٠٤ .

١١- د. محمد عقلة الابراهيم، النيابة في العبادات، دار الضياء، عمان ١٩٨٦، ص١٠ .

١٢- المرجع السابق ص١٧ .

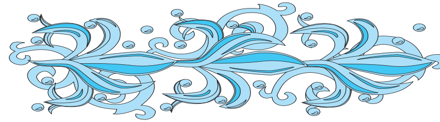
١٣- المرجع السابق ص٤٩ .

١٤- د. عمر الاشقر، مرجع سابق، ص٣٣٤ .

١٥- احمد حسن الردايدة، في رحاب الله اركان الدين ج١، مطبعة كنعان، ١٩٩٥، ص١٣٥ .

١٦- البقرة: ٣٠٣ .

١٧- احمد الردايدة: مرجع سابق، ص١٦١-١٨٧ .



وهذا البلد الأمين

«المسجد الحرام»

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ آل عمران: ٩٦، وثبت في صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال: "المسجد الحرام" قلت: ثم أي، قال: "المسجد الأقصى" قلت: كم بينهما؟ قال: اربعون عاماً، ثم جعلت الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل"، وقال مجاهد وقتاده: لم يوضع قبله بيت، وظاهر الآية يدل على أنه أول بيت وضع للناس، وكونه موضوعاً للناس يقتضي كونه مشتركاً فيه بين جميع الناس؛ فأما سائر بيوت الله فيكون كل واحد منها مختصاً بمكانه لمجموعة من الناس، وكون البيت مشتركاً فيه بين جميع الناس لا يحصل إلا إذا كان البيت موضوعاً للطاعات والعبادات وقبلة للخلق.

فدل قوله تعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس﴾** على أن هذا البيت وضعه الله موضعاً للطاعات والخيرات والعبادات، فيدخل فيه كون هذا البيت قبلة للصلوات وموضعا للحج، ومكاناً يزاد ثواب العبادات والطاعات فيه، والمراد من هذه الأولية كون هذا البيت أولا في كونه مباركاً وهدى للخلق، وقال الحسن البصري: هو أول مسجد عُبِد الله فيه في الأرض، وقال مجاهد: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة، وأن البيت الحرام الذي نستقبله في صلاتنا هو أول بيت وضع معبداً لعموم الناس ومهوى افئدة المؤمنين، حيث يولون وجوههم شطره في اليوم خمس مرات في صلاتهم، كما أنه لا تمر ساعة ولا دقيقة من ليل أو نهار وليس فيها مؤمنون يتوجهون

بقلوبهم ويتجهون بأجسادهم نحوه، كما لا ينفك المسجد الحرام يفيض بالطائفين والعاكفين والركع السجود.

وما دام الأمر كذلك فلم تكن الكعبة المعظمة منفكة قط عن توجه قوم إليها في أي طرف من اطراف العالم لأداء فرض الصلاة، ونظراً لدوران الأرض وكرويتها فكل وقت فريضة، يمكن أن يكون فرض صبح لقوم، وظهر لثان، وعصر لثالث، ومغرب لرابع، وعشاء لخامس، ويمكن تصور الصفوف المحيطة بالكعبة المشرفة تتصل دوائرها حال اشتغالهم بالصلاة إلى أي مصلّ في المسجد وفي سائر ارجاء العالم يستشعرها ويتلمسها من واظب على الجماعة (التي جُعل ثوابها سبعة وعشرين ضعفا عن صلاته فذّاً) حيث يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اتصال في الأرواح وترابط في القلوب والمشاعر والضمائر.. ومن ذاق عرف.

كما خص المسجد الحرام بالبركة والهداية، وبأن من دخله كان آمنا، وهو أول مسجد جعل قبلة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: "هذا البيت دعامة الإسلام، من خرج يؤمّ هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله، إن قبضه ان يدخله الجنة، وإن ردّه يردّه بأجر أو غنيمة" (رواه الترمذي).

أما فضل من صلى فيه فقد ورد عن جار ابن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: "الصلاة في مسجدي هذا افضل الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا افضل من الف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام" (رواه الترمذي).

❖ المسجد الحرام ومراحل عمارته في التاريخ:

منذ عهد ابراهيم عليه السلام إلى عصر النبوة المحمدية فالخليفة الأول ابو بكر رضي الله عنه، لم يكن للمسجد الحرام جدار، وكانت دور اهل مكة المكرمة محدقة به من كل جانب، وبين الدور ابواب يدخل منها الناس، حتى استخلف امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رأى عام ١٧هـ أن المباني قد لاصقت الكعبة المعظمة، حيث ضاق المطاف على الطائفين فارتأى بحكمته المعهودة شراء البيوت التي تحتاجها التوسعة المرتآة فهدمها ووسع المنطقة حول الكعبة المشرفة، وقد أبى بعض اصحاب هذه الدور قبض ثمنها لامتناعهم

عن البيع، فقال لهم: انتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة.. انما هو فناؤها، ثم وضع اثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك.

ثم انشأ سوراً يضم المطاف وفي وسطه الكعبة المعظمة بارتفاع لا يزيد على قامة الإنسان وأمر بوضع المصابيح عليه وجعل له ابواباً، وأقام سداً لمنع السيول من اقتحامه، فكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد جدارا.

ولما كان زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وكثر الناس ورأى الحاجة ماسة لتوسعة المسجد، فاشترى دوراً ووسع بها المسجد الحرام سنة ست وعشرين للهجرة، وجعل للمسجد أروقة فكان اول من اتخذ للمسجد الحرام اروقة.

ولما كان زمن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه زاد في المسجد الحرام زيادة كبيرة سنة اربع وستين للهجرة واشترى دوراً كثيرة من جملتها دار الأزرقي جد (الأزرقي) صاحب تاريخ مكة، وسقف اروقته بالساج المزخرف وكسى اعمدته بالرخام، ثم اهتم بعمارة المسجد الحرام عبد الملك بن مروان الذي عمره عمارة حسنة سنة ٩١هـ وسقفه بالساج دون زيادة فيه سوى رفع جداره، ليقوم ولده الوليد بعده بتوسعته بنقض عمارة والده وتجديدها تجديداً محكماً حيث سقفه بالساج المزخرف والآزر وجمّله من الداخل بالرخام المميز، وجعل له شُرفاً، وجعل في وجوه الطيقان من اعلاها فسيفساء شامية مميزة، وهو اول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل اليه اساطين الرخام.

ثم لما افضت الخلافة للعباسيين قام ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس بتوسعة المسجد الحرام من الجانب الشامي (الشمالي)، ومن جانبه الغربي (الركن اليماني) ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقاً واحداً حيث ابتدأ بعمل التوسعة هذه في محرم سنة سبع وثلاثين ومائة، وثم الفراغ منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة، وكانت زيادة المنصور هذه بمقدار نصف ما كان عليه من قبل، وبعد وفاة المنصور نال المسجد الحرام عناية بالغة من ولده المهدي فقام بعمارته مرتين اولها: توسعة المسجد الحرام سنة احدى وستين ومائة من الجانب اليماني وادخلت دار الندوة فيه.

أما توسعته في الثانية فكانت سنة اربع وستين ومائة عندما قدم حاجّاً حيث رأى الكعبة المعظمة في شق من خارج المسجد وقربها من البناء الآخر، فكره ذلك وأحب أن

تكون متوسطة للمسجد الحرام فتمت التوسعة المناسبة لذلك أيضاً.

وتابع الخلفاء العباسيون توسعة المسجد الحرام كلما دعت الحاجة اليه حيث قام الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٨٤هـ بتوسعة ما يعرف بباب الزيارة، ثم المقتدر بالله الذي قام بتوسعة ما يعرف اليوم بباب ابراهيم، اضافة إلى تجديد بناء المسجد.

أما الخلفاء العثمانيون فكانوا يعتبرون الإهتمام بالبيت الحرام فخاراً لهم فأولوه رعايتهم وعنايتهم وكان من اهم الخلفاء الذين اهتموا بالحرم بناء وتوسعة وتجميلا السلطان سليم الثاني الذي أمر عام ٩٧٩هـ بتوسعة المسجد الحرام وان يستبدل السقف بقباب دائرية بالأروقة على احسن اتقان وابدع نظام واجمل شكل حيث تم تنفيذ ذلك خلال اربع سنوات من عام ٩٨٠هـ حتى عام ٩٨٤هـ، واهتم ولده السلطان مراد خان بعده بعمارة الأروقة وتجديد بناء المسجد.

❖ التوسعة السعودية للمسجد الحرام:

نظراً لتزايد عدد المسلمين وخاصة ضيوف الرحمن ايام الحج، رأت الحكومة السعودية أن تعمل على توسيع الحرم المكي الشريف، حيث كان اهتمام الملك سعود بن عبد العزيز، زائداً بتوسعة المسجد الحرام، فأصدر أمره بدراسة مشروع (توسعة المسجد الحرام) توسعة شاملة كاملة بإشراف لجنة عليا برئاسة الملك فيصل، وذلك استيعاباً لمئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام في يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ الموافق ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٥م، واحتفل بوضع حجر الأساس لذلك المشروع العظيم في يوم ٢٣ شعبان ١٣٧٥هـ الموافق ٥ نيسان ١٩٥٥م وشملت التوسعة المسجد الحرام، كما تم توسعة ساحة الطواف حول الكعبة المعظمة، وتغطية مقام ابراهيم بغطاء زجاجي مصنوع من الكريستال الفاخر مع حاجز حديدي وقاعدة رخامية، حيث رصدت الحكومة السعودية آنذاك مئات الملايين من الريالات السعودية لهذا المشروع المبارك العظيم.

وقد اصبحت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٦٠١٦٨م٢ بعد أن كانت ٢٩١٢٧م٢ أي أصبحت مساحة المسجد الحرام خمسة اضعاف ونصف مما كان عليه قبل، وصار للمسعى ثمانية مداخل وثمانية ابواب، وعرضه ٢٠م، وارتفاع سقفه ١٢م، والسير فيه باتجاه واحد في الذهاب والإياب، واصبحت مساحة الجزء المكشوف بعد اتمام المشروع عشرة آلاف متر مربع،

خاطرة حول الحج

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

انزل الله تعالى دينه الحنيف للناس كافة، ليكون تزكية للحياة ونوراً لها، وروحاً للاحياء وهو بذلك الدواء والغذاء والشفاء والضياء، وهو النبراس الذي يهتدي به البشر في طريق حياتهم الدنيوية، ليصلوا الى ما يصبون اليه في حياتهم السرمدية: من النعيم الدائم في جنات الفردوس.

وقد جعل الله تعالى لهذا الدين اركاناً خمسة، تؤمن لصاحبها النجاح والفلاح، وهذه الاركان الخمسة مرتبة في فرضها ترتيباً يتناسب مع مقدار الزمن الذي يتكرر في كل ركن منها؛ فجاءت شهادة التوحيد اول هذه الاركان، لانها تصاحب الانسان بشكل مستمر طوال حياته في كل يوم وساعة بل ولحظة، ثم جاءت فريضة الصلاة التي تتكرر في اليوم الواحد عدة مرات، ثم تليها الزكاة التي تؤدى بشكل موسمي من مواسم الحصاد او عند تمام الحول، ويأتي بعدها الصوم الذي لا يكون إلا مرة واحدة وفي شهر معين من السنة وهو شهر رمضان وآخر هذه الاركان يأتي تتويجاً لها، ومسك ختامها وهو ركن الحج الذي فرضه الله تعالى سنة ست او تسع للبعثة بقوله: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾**[1] وهو لا يطلب من المسلم الا مرة واحدة في العمر مهما طال او قصر، وما زاد عن مرة فهو تطوع.

ان من خصائص دين الله العظيم انه اذا امر بشيء طوى الامر على حكمة وثمرة ومنفعة، واذا نهى عن شيء جعل للنهي سبباً وعلة: **﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن**

المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[٢] وحتى الامور التعبدية التي لا تبدو لنا حكمتها، تنطوي حقيقتها على حكمة وهدف، واذا كنا لا نعرف هذه الحكمة او هذا الهدف فالسبب راجع الى قصور في فهمنا وادراكنا، ولا يكون عدم العلم بالشيء دليلاً على عدم وجوده، اذ ما اكثر الاشياء التي لا نعلمها وهي موجودة فعلاً فمن منا يعلم مثلاً جميع الاشخاص من اهالي البلاد الاخرى القريبة منها، والبعيدة؟ فهل يعني عدم علمنا ومعرفتنا لهم انهم غير موجودين: وبناء على ذلك فإن عدم معرفتنا لهدف هذه العبادة او تلك، لا يعني انها لا هدف لها ولا حكمة من ورائها، بل ان لكل عبادة حكمة او مجموعة حكم واهداف، لا يعلمها الا الله وحده وأخرى قد نعلمها بفضل الله ونعمته، فالحج هو دعوة ابينا ابراهيم الخليل عليه السلام عندما اسكن زوجته هاجر وابنه اسماعيل عليهما السلام في ذلك الوادي المقفر بين شعاب مكة التي لا ماء فيها ولا زرع، انصياعا لأمر ربه سبحانه وتعالى، فدعا ربه قائلاً: **﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات﴾**[٣].

ولانه كان من عباد الله الصالحين المخلصين فقد استجاب له ربه فقال له سبحانه وتعالى: **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**[٤] وجعل لهم في هذا الحج فوائد ذكرها تعالى بقوله: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾**[٥] وهذه الآية الكريمة تشير بوضوح الى ان اهداف الحج كثيرة ومتنوعة، دينية ودنيوية، ولعل اعظمها هو اجتماع المسلمين في يوم الحج بجموعهم الحاشدة وبهيئة واحدة، وافعال واحدة وكلام واحد، وهذا يمثل قوة الاسلام وعزة المسلمين، ويدل دلالة واضحة على صدق الطاعة لله رب العالمين.

ويمثل هذا الاجتماع الكبير بهيئته الواحدة المتجردة من زينة الدنيا ولذائذها، اخلاص الخضوع والتواضع لله سبحانه في المظهر والمخبر، وفي الحس والنفس، وبهذا يكون الحج عنواناً على ترابط هذه الملايين من المسلمين الذين جاءوا من كل ارجاء الارض باسم الله، وعلى بركة الله، وبروح الاخوة في الله، ورحمة من الله بعباده ورأفة بهم لم يفرضه على جميع المسلمين مهما كانت ظروفهم واحوالهم، وانما اشترط

لتأديته الاستطاعة، فقال تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾**[٦] وهذه الاستطاعة تتسع وتنفسح حتى تشمل الاستطاعة الصحية والاستطاعة المالية والاستطاعة الذهنية والاستطاعة على مخاطر الطريق والخوف من اضرارها.

ويفهم من هذه الاية ان من لا يستطيع توفير هذه الشروط المالية والذهنية والصحية هو غير مطالب بالحج حتى يستطيع توفيرها، وبالتالي فإن المريض الذي لا يستطيع اداء مناسك الحج هو اولى اصحاب الاعذار الذين سقطت عنهم فريضة الحج الى ان يشفوا، فإن كانوا يعانون من امراض لا يرجى شفاؤها فهم غير مطالبين بالحج.

ولكن ما هو واقع فعلاً هو ان بعض الجهات المعنية، تطلب من بعض الاشخاص الذين يريدون الحج بصفة استثنائية ان يحضروا تقريرا طبيا من مستشفى حكومي بأن الشخص الذي يعاني من امراض مزمنة وخطيرة واحيانا يشترطون ان يكتب في التقرير انه بحاجة لمن يساعده في قضاء حوائجه اليومية! **وهذا غير موافق لنص الآية الكريمة التي تشترط لاداء الحج الاستطاعة بأنواعها** واهمها الاستطاعة البدنية والذهنية والصحية.

وانا اذكر هنا حادثتين مررت بهما شخصياً عام ١٩٩٨ فقد ارادت شقيقتي اداء فريضة الحج وكان عمرها خمسين سنة، فحصلت لها على تقرير طبي من مستشفى حكومي بأنها تعاني من داء السكري وارتفاع ضغط الدم وهبوط في عضلة القلب، فتم رفض السماح لها بالحج بحجة ان هذه الامراض غير كافية فرجعت الى الطبيب واضاف عليها امراضاً اخرى وانها لا تستطيع خدمة نفسها وانها بحاجة لمن يساعدها في قضاء حوائجها اليومية، فتم قبول هذا التقرير وسمح لها بأداء الفريضة!.

ونفس الشيء حدث لي شخصياً وفي حكم عملي في مستشفى الامير فيصل فإنني على علم بأعداد غير قليلة تأتي للحصول على هذه التقارير المرضية ليسمح لهم بأداء فريضة الحج، واما السليم الخالي من الامراض فلا يمكن استثناؤه، وانا ارى انه على عكس ما هو حاصل بالفعل وعملا بقول الله تبارك وتعالى الذي يشترط فيه الاستطاعة، **انه يجب ان يطلب من كل من يريد اداء فريضة الحج ان يحضر تقريراً طبيا يفيد سلامته وصحته**

وخلوه من الامراض المزمنة والمقعدة، والتي تشكل خطورة على سلامته وعائقاً امام اداء المناسك وارهاقاً للغير من الحجاج المرافقين، فهؤلاء الاشخاص الاصحاء هم المطالبون بأداء فريضة الحج وهم الاولى والاحق بأن يسمح لهم بأدائها.

واذكر انني في الثمانينات من القرن الماضي، وبحكم عملي طبيباً في مستشفى عين مليلة بالجزائر كنت عضواً في لجنة اختيار الحجاج التي كانت تتم بالقرعة وبإحضار تقرير طبي يفيد الخلو من الامراض، والاستطاعة على تحمل اعباء الحج **لذا فإنني اقترح ان تنتهج وزارة الاوقاف هذا النهج وان تغير من الاسلوب المتبع حالياً وتشترط على كل من يريد اداء فريضة الحج ان يقدم منذ البداية وعند تقديم الطلب، تقريراً طبياً من مستشفى حكومي، يفيد بتمتعه بصحة جيدة تسمح له بتحمل اعباء السفر واداء مناسك الحج.**

وان تتبع نظام القرعة المدروس جيداً، بحيث لا يدخل القرعة من سبق له وان ادى فريضة الحج وان ينحصر عمر المتقدم ما بين ٢٠-٦٠ عاماً الى جانب ارفاق التقرير الطبي حتى لا يبقى المنع يلقي بثقله على المواطنين الا بعد تقدم العمر والمعاناة من الامراض المزمنة والمقعدة، ونفسح المجال امام جميع المواطنين المكلفين في المرحلة العمرية المناسبة لاداء هذا الركن من اركان الاسلام، هذا مع ملاحظة ان هذا الشخص الذي يقدم تقريرا بالمعاناة من الامراض اذا كانت امرأة، فإنها تحتاج الى مرافق رجل والى شخص اخر يقوم بخدمتها وبذلك تأخذ حق شخصين اخرين.

وأما ما يدور من حديث هذه الايام عن مرض إنفلونزا الخنازير وما رافق ذلك من اقتراحات بتأجيل الحج هذا العام لما ينطوي ذلك على خطر انتشار المرض بين الحجاج، فبعيداً عن الجانب الفقهي في جواز تأجيل الحج ام لا، فإنني ارى ان هذا المرض قد تم تضخيمه واشاعة الفزع والهلع بين الناس، لاسباب لا يعلمها الا الله ثم الضالعون في صياغتها، فهذا المرض منتشر في الدول التي تربي الخنازير وكلها دول غير مسلمة، وهناك القليل القليل في بعض الدول العربية والاسلامية.

وهو مرض معروف منذ زمن بعيد كغيره من امراض الحيوانات ومن بين الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان وهي كثيرة، ثم ان هناك امراضاً لا تقل عن هذا المرض خطورة مثل مرض انفلونزا الطيور وما

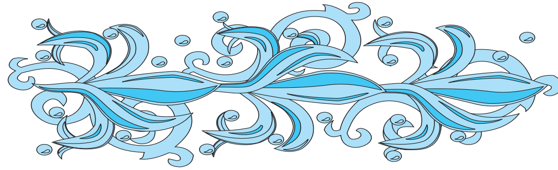
صاحبها هي الاخرى من تهويل ورعب، وسرعان ما توقف الحديث عنها وهناك مرض جنون البقر ومرض السارس وغيرها.

فهذا المرض واسع الانتشار في تلك الدول الأوربية والامريكية والآسيوية غير المسلمة، وبالتالي من غير المقبول ولا المعقول انه كلما ظهر مرض جديد في أي من دول العالم ان نؤجل الحج في ذلك العام، وانما المنطق والعقل يقولان: انه يجب ان يطلب من كل من يريد اداء فريضة الحج لهذا العام ان يقدم شهادة صحية من مصدر رسمي وموثوق في بلده يفيد خلوه من مرض انفلونزا الخنازير وتشديد الرقابة الصحية في المطارات والمعابر الحدودية في المملكة العربية السعودية، لمحاولة اكتشاف أي حالة تكون قد تسربت للتأكد منها، وتطبيق إجراءات الحجر الصحي على مثل هذه الحالات.

وكذلك توعية الحجاج بوسائل الاجراءات الوقائية في الحج مثل وضع الكمامات وتجنب التقبيل عند السلام وتجنب الازدحامات غير المبررة، مع الاشارة ايضاً الى ان المرض غير قاتل فلا يختلف عن غيره في أي من انواع الانفلونزا، ولا مبرر لإثارة هذه الحالات من الفزع والرعب بين الناس.

الهوامش:

١- آل عمران: ٩٧ .
٢- الاعراف: ١٥٧ .
٣- ابراهيم: ٣٧ .
٤- الحج: ١٥٧ .
٥- الحج: ٢٨-٢٩ .



الجهود الحديثة

في خدمة الحديث النبوي الشريف

■ بقلم المعلمة زينب عبد الرزاق الرعود

المقصود بالحديثة أي المعاصرة، وأعني بالمعاصرة في هذا المقال: من عاش في القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠-١٤٠٠هـ)، أي القرن العشرين الميلادي (١٩٠٠-٢٠٠٠م) من أهل الحديث وعلومه، وبذل جهداً ملموساً في خدمة السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، إن تحقيقاً أو شرحاً أو تخريجاً أو تصنيفاً أو أي دراسة حديثية لها اعتبار.

ولقد حظيت السنة النبوية المطهرة بعناية خاصة في القرن الرابع عشر الهجري في جميع المجالات والتخصصات وعلوم الحديث لأسباب كثيرة، أهمها ثلاثة:

١) الصحوة العلمية الإسلامية المباركة، وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري لاستيقاظ المسلمين من غفوتهم، وفتح كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة وإنشاء الجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية والمدارس الشرعية.

٢) الهجمة الظالمة من معظم المستشرقين على الإسلام والمسلمين عامة وعلى السنة النبوية خاصة، وذلك طيلة القرون الثلاثة الأخيرة، سيما في القرن الرابع عشر الهجري عن طريق الإعلام والغزو الفكري، مما دعا العلماء والدعاة والمصلحين للوقوف في وجههم والرد عليهم وكشف أباطيلهم وإثبات حجية السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي الحنيف.

٣) التقنية العلمية المعاصرة، في المطابع والكتب والأشرطة والأقراص المرنة وشبكة الإنترنت، مما فتح المجال لطباعة كتب السنة ونشرها وتخزينها في

"السيديات" وظهرت دراسات جمة في خدمة السنة النبوية وحجيتها"[١].

◆ مراحل التحقيق ونشر الكتب العلمية:

المرحلة الأولى: منذ إنشاء المطبعة الأميرية في بولاق بمصر وطبع مئات الكتب من مختلف الفنون، حرصت المطابع على طبع كتاب أو أكثر بهامش الكتاب الأصلي أو بآخره، وتولى طباعة الكتب وتصحيحها جماعة من العلماء الفضلاء، وتعد هذه المرحلة من أغنى وأخصب مراحل نشر التراث العربي وإذاعته.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الناشرين النابهين، وهم طبقة من عظماء الرجال الذين جاهدوا في سبيل نشر التراث، ومعظمهم من بلاد الشام كمحمد أمين الخانجي، وحسام الدين القدسي، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومن مصر: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي وغيرهم، ومن أهم ما يميز منشورات هذه الطبقة: الحرص على ذكر مخطوطات الكتاب ووصفها.

المرحلة الثالثة: مرحلة دار الكتب المصرية، والتي تحمل كل سمات المنهج العلمي الدقيق في إخراج النصوص، والتي تأثرت إلى حد ما بمناهج المستشرقين الذين شُغلوا بتراثنا واستقوا زبدة مناهجهم من أصل تراثنا، وتعد هذه المرحلة مرحلة النضج والكمال من حيث استكمال الأسباب العلمية واصطناع الوسائل العملية الفنية المعينة على إخراج التراث إخراجاً دقيقاً يقوم على جمع نسخ الكتاب المخطوطة والمفاضلة بينها وإثبات الفروق والتعليق على النص وصنع الفهارس التحليلية.

المرحلة الرابعة: مرحلة الأفذاذ من العلماء وأهم رموزها الشيخ أحمد محمد شاكر، وأخوه محمود، والأستاذ عبد السلام هارون، وغيرهم ممن بذلوا جهوداً طيبة.

ثم تتابعت الجهود في التحقيق والتخريج، وكان لكل قطر من الأقطار الإسلامية، ولكل جامعة أو معهد أو مؤسسة، نصيب ودور، وكان للكثير من العلماء والباحثين والمعنيين بذلك أيضاً دور ونصيب"[٢].

◆ أثر كليات الشريعة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة:

تأسست كليات الشريعة في كثير من الجامعات، حيث تعنى بتدريس علوم الشريعة بمختلف فروعها، ومنها أقسام متخصصة في تدريس الحديث النبوي

الشريف وعلومه، والسيرة المطهرة وتاريخها، والتصدي لمن حاول النيل منهما ودفع شبه الحاقدين من مستشرقين وغيرهم.

ومن أهمها ما يأتي:

١- جامعة الأزهر الشريف/ مصر.

٢- الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.

٣- جامعة أم القرى/ مكة المكرمة.

٤- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.

٥- الجامعة الزيتونية/ تونس.

٦- جامعة محمد الخامس/ المغرب.

٧- الجامعة الأردنية/ الأردن.

٨- جامعة آل البيت / الأردن.

وعشرات الجامعات الإسلامية المنتشرة في شرق العالم الإسلامي وغربه، حيث أعدت ألوف الرسائل العلمية في تخصص الحديث النبوي الشريف وعلومه في الأقسام المختصة التابعة لكليات الشريعة في هذه الجامعات، ولا يمكن إغفال الأثر الكبير الناتج عن هذه الدراسات والرسائل، والجهود المبذولة لخدمة السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف.

❖ بعض المراكز والمؤسسات والجمعيات وأثرها في خدمة الحديث النبوي الشريف:

● دار الحديث الأشرفية بدمشق[٣]:

أول من بناها وأقامها السلطان موسى الأشرف وهو من أبناء السلطان الملك العادل الذي جاء بعد صلاح الدين، ثم تولى استعادة مجدها محدث الشام محمد بدر الدين الحسني صاحب النهضة العلمية وخاصة في علم الحديث، وهي الدار التي تولاها من قبل من العلماء ابن الصلاح وابو شامة والنووي والمزي وابن ناصر الدمشقي وابن كثير وغيرهم.

وللعلامة يوسف المغرب جهد واضح وكبير في إعادة دار الحديث إلى سابق مجدها وتدريس الحديث والعلوم فيها، وهو والد محمد بدر الدين الحسني.

وكان الشيخ يوسف قد تولى مشيخة الدار يقرئ فيها كتب الحديث الشريف وغيرها إلى أن تولى الإمامة من بعده ابنه أحمد بهاء الدين الذي توفي سنة ١٣٣٠هـ.

ثم ولده الثاني محمد بدر الدين، الذي

انقطع في غرفة أبيه بدار الحديث يحفظ المتون، فحفظ الصحيحين مع أسانيدهما، وقيل: إنه حفظ كتب الحديث الستة.

وكان يلقي الدروس في هذه الدار للطلاب والعلماء والشيوخ من صحوة النهار إلى قبيل الغروب، وكثير منها في الحديث الشريف فدرّس الكتب الستة وشروحها، وكنز العمال، وشرح نخبة الفكر، وشرح الشفا للقاري، وشرح مشكاة المصابيح وغيرها.

وقد خلف بدر الدين أكثر من أربعين مؤلفاً منها:

١- شرح على صحيح البخاري.

٢- شرح على الشمائل النبوية.

٣- حاشية على نخبة الفكر.

● مركز بحوث السيرة والسنة/ جامعة قطر[٤]:

تم إنشاء هذا المركز بقرار أميري سنة ١٩٨٠م، محدداً أهدافه ومهمته الجليلة، والتي تتلخص في النقاط التالية:

١- إعداد موسوعة للحديث النبوي تضم صحاح الأحاديث، محققة ومبوبة ومفهرسة بشكل عصري مشرف.

٢- الإسهام في تحقيق المصادر المهمة للسيرة والسنة ونشرها بما يلائم العصر.

٣- إصدار دراسات عصرية عن السيرة والسنة تسهم في تكوين وعي إسلامي صحيح.

٤- متابعة ما ينشر عن السيرة والسنة بأقلام المستشرقين وغيرهم سلباً وإيجاباً.

٥- إخراج دراسات مرجعية (بيبلوجرافية) مفصلة، وأخرى جغرافية وأثرية وخرائط لأرض الرسالة ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة.

٦- دراسة الأحكام الشرعية المستمدة من السنة بشكل متكامل.

٧- إصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر في حقل الفكر الإسلامي المتعلق بالسيرة والسنة.

٨- إنشاء مكتبة إسلامية لبحوث السيرة والسنة ومؤلفاتها ومراجعها ومخطوطاتها.

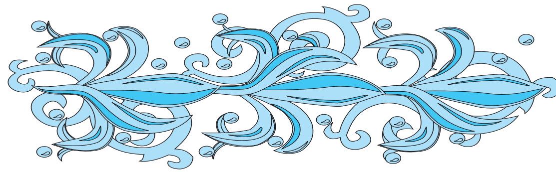
وقد تم تنفيذ بعض هذه البنود كدراسات في السنة والسيرة، وإصدار المجلة العلمية، وإنشاء المكتبة العلمية، والمشاركة في بعض المؤتمرات المتخصصة وغير ذلك.

الهوامش:

(١) الجهود المبذولة في حجية السنة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٩. أ.د. محمد الزحيلي (بتصرف)، ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة، الشارقة، ٤-٥/٥/٢٠٠٥م.

(٢) جهود العلماء في التحقيق والتخريج والتوثيق في العصر الحديث، ص ١٢-١٣. د. عثمان جمعة ضميرية، ندوة "الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم"، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، تاريخ: ٤-٥/ ٥/ ٢٠٠٥م. وانظر: جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة، محمد أبو صعيليك.

(٣) بتصرف، دار الحديث الأشرفية بدمشق وأثرها في خدمة السنة النبوية في القرن



١

فضل أهل البيت وعلو مكانتهم

■ بقلم الدكتور عبد المحسن البدر

القول الصحيح في المراد بآل بيت النبي ﷺ هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته، وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، قال ابن حزم في جمهرة انساب العرب (ص١٤): «ولد لهاشم بن عبد مناف: شيبة وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشرف، ولم يبق لهاشم عقب الا من عبد المطلب فقط».

وانظر عقب عبد المطلب في جمهرة انساب العرب لابن حزم (ص١٤-١٥)، والتبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة (ص٧٦) ومنهاج السنة لابن تيمية (٣٠٤/٧-٣٠٥)، وفتح الباري لابن حجر (٧٨/٧-٧٩).

ويدل لدخول بني أعمامه في أهل بيته ما أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أنه ذهب هو والفضل بن عباس الى رسول الله ﷺ يطلبان منه ان يوليهما على الصدقة ليصيبا من المال ما يتزوجان به، فقال لهما ﷺ: «ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس» ثم أمر بتزويجهما وإصداقهما من الخمس.

وقد ألحق بعض أهل العلم منهم الشافعي وأحمد بني المطلب بن عبد مناف ببني هاشم في تحريم الصدقة عليهم، لمشاركتهم إياهم في إعطائهم من خمس الخمس، وذلك للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٣١٤٠) عن جبير بن مطعم، الذي فيه ان اعطاء النبي ﷺ لبني هاشم وبني المطلب دون إخوانهم من بني عبد شمس ونوفل، لكون بني هاشم وبني المطلب شيئاً واحداً.

فأما دخول أزواجه رضي الله عنهن في آله ﷺ فيدل لذلك قول الله عز وجل: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

فإن هذه الآية الكريمة تدل على دخولهن حتماً، لأن سياق الآيات قبلها وبعدها خطاب لهن، وزوجاته ﷺ داخلات تحت لفظ «الآل» لقوله ﷺ: «ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد».

❖ مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل البيت:

عقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الافراط والتفريط، والغلو والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرسول ﷺ، فإنهم يتولون كل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وكذلك زوجات النبي ﷺ جميعاً، فيحبون الجميع، ويثنون عليهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والانصاف، لا بالهوى والتعسف، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الايمان وشرف النسب، فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولصحبته إياه، ولقرابته منه ﷺ.

ومن لم يكن منهم صحابياً، فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولقربه من رسول الله ﷺ، ويرون ان شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحسنيين، ومن لم يوفق للإيمان، فإن شرف النسب لا يفيده شيئاً، وقد قال الله عز وجل: **﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾** وقال ﷺ في آخر حديث طويل رواه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وقد قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في شرح هذا الحديث في كتابه جامع العلوم والحكم (ص٣٠٨): «معناه ان العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال تعالى: **﴿ولكل درجات مما عملوا﴾** فمن أبطأ به عمله ان يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات، فإن الله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** وقد أمر الله تعالى بالمسارعة الى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال: **﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين ❖ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾** الآيتين، وقال: **﴿ان الذين هم من خشية**

ربهم مشفقون ❖ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ❖ والذين هم بربهم لا يشركون ❖ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ❖ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾».

ثم ذكر نصوصاً في الحث على الأعمال الصالحة، وأن ولاية الرسول ﷺ إنما تنال بالتقوى والعمل الصالح، ثم ختمها بحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في صحيح البخاري (٥٩٩٠) وصحيح مسلم (٢١٥) فقال: «ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، وانما وليي الله وصالح المؤمنين»، يشير الى ان ولايته لا تنال بالنسب وإن قرُب، وانما تُنال بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان اكمل إيماناً وعملاً فهو أعظم ولاية له، سواء كان له منه نسب قريب أو لم يكن.

❖ فضائل أهل البيت في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**، فهذا دال على فضل قرابة رسول الله ﷺ، وهم الذين تحرم عليهم الصدقة، ومن أخصهم أزواجه وذريته، كما مر بيانه.

والآيات دالة على فضائل أخرى لزوجات الرسول ﷺ، أولها: كونهن خيرن بين ارادة الدنيا وزينتها، وبين ارادة الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، رضي الله عنهن وأرضاهن.

ويدل على فضلهن ايضاً قوله تعالى: **﴿وأزواجه أمهاتهم﴾** فقد وصفهن بأنهن أمهات المؤمنين.

وأما قوله عز وجل: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى﴾**، فالصحيح في معناها أن المراد بذلك بطون قريش، كما جاء بيان ذلك في صحيح البخاري (٤٨١٨) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد قال البخاري: حدثني محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاووساً، عن ابن عباس: «انه سئل عن قوله تعالى: **﴿إلا المودة في القربى﴾** فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت؛ ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة، فقال: الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من قرابة».

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه، وإنما أطلب منكم ان تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، ان لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني

وبينكم من القرابة»، ثم أورد أثر ابن عباس المذكور.

وأما تخصيص بعض أهل الأهواء ﴿القربى﴾ في الآية بفاطمة وعلي رضي الله عنهما وذريتهما فهو غير صحيح، لأن الآية مكية، وزواج علي بفاطمة رضي الله عنهما انما كان بالمدينة.

قال ابن كثير رحمه الله: «وذكر نزول الآية بالمدينة بعيد، فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه الا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما رواه البخاري».

ثم ذكر ما يدل على فضل أهل بيت الرسول ﷺ من السنة ومن الآثار عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

❖ فضائل أهل البيت في السنة المطهرة:

روى مسلم في صحيحه (٢٢٧٦) عن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وروى مسلم في صحيحه (٢٤٢٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرط مُرَحَّل من شعر اسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: **﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**».

وروى مسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي».

وروى مسلم في صحيحه (٢٤٠٨) بإسناده عن يزيد بن حيان قال: «انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم، فلما جلسنا اليه، قال له حصين: لقد لقيت -يا زيد- خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت -يا زيد- خيراً كثيراً، حدثنا -يا زيد- ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت اعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها

الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم».

وفي لفظ: «فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله! ان المرأة مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع الى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده».

وهنا أنبه على أمور:

الأول: ان ذكر علي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم في الكساء وحديث المباهلة المتقدمين، لا يدل على قصر اهل البيت عليهم، وانما يدل على انهم من اخص أهل بيته، وانهم من اولى من يدخل تحت لفظ «اهل البيت» وتقدمت الاشارة الى ذلك.

الثاني: ان ذكر زيد رضي الله عنه آل عقيل وآل علي وآل جعفر وآل عباس، لا يدل على أنهم هم الذين تحرُم عليهم الصدقة دون سواهم، بل هي تحرم على كل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وقد مر حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في صحيح مسلم وفيه شمول ذلك لأولاد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

الثالث: تقدم الاستدلال من الكتاب والسنة على كون زوجات النبي ﷺ من آل بيته، وبيان أنهن ممن تحرم عليه الصدقة، وأما ما جاء في كلام زيد المتقدم من دخولهن في الآل في الرواية الأولى، وعدم دخولهن في الرواية الثانية، فالمعتبر الرواية الأولى، وما ذكره من عدم الدخول انما ينطبق على سائر الزوجات سوى زوجاته ﷺ.

أما زوجاته رضي الله عنهن، فاتصالهن به شبيه بالنسب، لأن اتصالهن به غير مرتفع، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، كما مر توضيح ذلك في كلام ابن قيم رحمه الله.

الرابع: ان اهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بتنفيذ وصية النبي ﷺ في أهل بيته التي جاءت في هذا الحديث، لأنهم يحبونهم جميعاً ويتولونهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، وأما غيرهم فقد قال ابن تيمية في مجموع

فتاواه (٤١٩/٤): «وأبعد الناس عن هذه الوصية الرافضة، فإنهم يعادون العباس وذريته، بل يعادون جمهور اهل البيت ويعينون الكفار عليهم».

وحديث: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي» أورده الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٣٦) وعزاه الى ابن عباس وعمر وابن عمر والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم، وذكر من خرجه عنهم وقال: «وجملة القول ان الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح، والله أعلم».

وفي بعض الطرق ان هذا الحديث هو الذي جعل عمر رضي الله عنه يرغب في الزواج من ام كلثوم بنت علي من فاطمة رضي الله عن الجميع.

وروى الإمام أحمد في مسنده (٣٧٤/٥) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ انه كان يقول: «اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، قال ابن طاووس: وكان ابي يقول مثل ذلك.

ورجال الاسناد دون الصحابي خرّج لهم البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، وقال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ: «رواه أحمد والطحاوي بسند صحيح».

وأما ذكر الصلاة على الأزواج والذرية، فهو ثابت في الصحيحين ايضاً من حديث ابي حميد الساعدي رضي الله عنه.

لكن ذلك لا يدل على اختصاص اهل البيت بالأزواج والذرية، وانما يدل على تأكد دخولهم وعدم خروجهم وعطف الأزواج والذرية على أهل بيته في الحديث المتقدم من عطف الخاص على العام.

قال ابن القيم بعد حديث فيه ذكر أهل البيت والأزواج والذرية، واسناده فيه مقال: «فجمع بين الأزواج والذرية والأهل، وانما نص عليهم بتعيينهم، ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه، وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام وعكسه، تنبيهاً على شرفه، وتخصيصاً له بالذكر من بين النوع، لأنه أحق أفراد النوع بالدخول فيه» (جلاء الأفهام ص٢٣٨).

وقال ﷺ: «ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد المطلب ابن ربيعة (١٠٧٢) وقد تقدم.

في ظلال رسالة عمان

العلاقة بين الاسلام والديانات الأخرى من خلال السيرة النبوية

■ بقلم الواعظ توفيق ابراهيم ضمرة

الاسلام هو الدين الحقيقي الذي جاء بنظام عالمي شامل لكل جوانب الحياة والانسان، ينظم أموره الأخروية، كما ينظم أموره الدنيوية، ويرشد المسلمين الى ما هو حق وعدالة في علاقاتهم الداخلية بين أنفسهم، كما يرشدهم الى المبادئ التي تحدد أسس العلاقات بينهم وبين غير المسلمين، وله أحكام يلتزم بها المسلمون في الأحوال العادية كالسلم، كما له أحكام يتقيدون بها في الأحوال الاستثنائية كالحرب، ويقيمون على أساسها العلاقات مع غيرهم.

فالتشريع الاسلامي ليس مقتصراً على الفرائض الدينية، إنه القانون العام للعالم الاسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجزائية، ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية الى أمور الحياة الدنيوية، فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب الدينية الأخرى التي هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم[1].

والفقه الاسلامي يشتمل على جميع فروع القانون المعروفة اليوم، فالقانون الدولي العام، وهو القواعد التي تحكم علاقات الدول بعضها ببعض في السلم والحرب، بحثه المسلمون تحت عنوان «السير والجهاد» كما كتب محمد بن الحسن

الشيباني صاحب ابي حنيفة كتابي «السير الصغير والسير الكبير» الذي درس في المعاهد الغربية[٢].

وقد كفلت الشريعة الاسلامية في نصوص صريحة، الحق للدولة الاسلامية في ان تقيم علاقات سلمية مع الدول والشعوب غير المسلمة، وان تعقد معها العهود او المواثيق وترسي النصوص الاسلامية مبدأ الوفاء بالعهود، يقول الله تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾**[٣]، **﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً﴾**[٤] وغيرها من الآيات.

❖ الحالة السياسية عند العرب قبل البعثة:

لما كانت بلاد العرب مهد الدين الاسلامي، ومنبع الدول الاسلامية، وجب ان نتعرف على حالتها السياسية قبل ظهور الاسلام[٥]، فقد كان العرب ينقسمون الى ثلاثة أقسام، منهم من كان بجوار الدول الكبرى كالغساسنة والمناذرة، ومنهم من كان يعيش في المدن كمكة والمدينة والطائف، والغالبية بدو رحل في الصحراء العربية[٦].

وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة العربية مفككة الأوصال، تغلب عليها النزعة القبلية والطبيعة العنصرية التي يعبر عنها شاعرهم بقوله:

وهل انا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد؟

ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يلجئون اليه وقت الشدائد، ومع هذا فقد كان لهم نوع استقلال بخلاف البلاد المتاخمة للدول الكبرى، فقد حكم الفرس العراق، وغلبت الروم على بلاد الشام، والأحباش على اليمن، ثم أصبحت تابعة للفرس، وعاشت هذه الأقطار العربية انحطاطاً لا مزيد عليه، وموُرست معها ألوان مختلفة من الظلم والاستبداد والقهر والعبودية، ذلك أن الدول المتسلطة على هذه الاقطار كانت ترى العرب همجاً لا حضارة لهم[٧].

وكان زعيم القبيلة هو القائد العسكري والحاكم الاداري والقاضي في المنازعات، وكانت القبيلة مفككة اجتماعياً يسودها نظام الطبقات سادة وعبيد، وغير مستقرة أمنياً تقلقها الغزوات، والسلب والنهب والثارات، ولذلك تحاول ان تكون متماسكة في وجه الخطر الخارجي[٨]، فحالهم يقول: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، وهو ما اعتادوه من حمية الجاهلية وفي ذلك يقول شاعرهم:

اذا انا لم انصر أخي وهو السهو

على القوم لم انصر أخي حين يظلم

ويلخص هذا الحال جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه في كلامه للنجاشي فقال: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الى الجار ويأكل القوي منا الضعيف(٩).

❖ علاقة المسلمين بغيرهم في الفترة المكية:

بُعث النبي ﷺ وهو معروف بالصادق الأمين(١٠)، وله مكانته في قلوب القرشيين(١١)، من اوسطهم نسباً(١٢)، وبدأ دعوته سراً لا يدعو الا من وثق به، يجتمعون في دار الأرقم بن ابي الأرقم(١٣)، وعندما جهر بالدعوة(١٤) قاومت قريش هذه الدعوة الجديدة بشتى الوسائل، سواء كان بالحملة الاعلامية المضادة(١٥)، او بتعذيب المستضعفين من المسلمين(١٦)، او المقاطعة، فلما رأت قريش ان الاسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني المطلب على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم(١٧)، وقد مكث المسلمون في شعب ابي طالب ثلاث سنوات الى ان فرج الله عليهم، وكانت سياسة النبي ﷺ في هذه الفترة الصبر والتحمل، دون المجابهة بالقوة، وهو ما علينا ان نفهمه في هذه المرحلة من حياة الأمة.

❖ سياسة الدعوة السلمية:

دعوة القبائل:

كان رسول الله ﷺ يدعو القبائل العربية في كل موسم حج، بالكلمة الصادقة، عن طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وأنا في بياعة أبيعها، قال: فمر وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: أيها الناس قولوا: لا إله الا الله تفلحوا، ورجل يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب، قال: قلت: من هذا؟ قالوا: غلام من بني عبد المطلب، قلت: فمن هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: عمه عبد العزى(١٨).

فهمنا من هذه الحادثة ان النبي ﷺ تعامل مع الواقع الذي يعيشه وحاول ان يجد له ارضية صلبة ينطلق منها للدعوة الى الله عن طريق حمايته من إحدى القبائل، وهذا ما تم مع الانصار.

❖ بيعة العقبة الأولى والثانية:

وقد استمرت محاولات النبي ﷺ في ايجاد ارضية يقيم عليها دولة الاسلام، حتى التقى بأهل يثرب، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «وقد كان الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا ويؤمن به ويقرئه القرآن وينقلب الى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا فيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام، ثم انا اجتمعنا فقلنا: حتى متى نترك النبي ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل اليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه بيعة العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله؛ علام نبايعك، قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يقولها لا يبالي في الله لومة لائم، وعلى ان تنصروني وتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فقمنا اليه فبايعناه[١٩].

وحتى هذه اللحظة لم يرض النبي ﷺ استعمال العنف، قال له العباس بن عبادة: «والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا، فقال النبي ﷺ: لم نؤمر بذلك»[٢٠].

❖ الهجرة:

كانت أهم المراحل الحاسمة في تأسيس الدولة الاسلامية، الهجرة من مكة الى المدينة، وقد أمر رسول الله ﷺ صحابته بالهجرة الى المدينة، فخرجوا جميعاً مستخفين، الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد خرج علانية، ثم تبعهم الرسول ﷺ مع أبي بكر، وقد استأجر النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه رجلاً من بني الديل هادياً خريتاً، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا حتى أوصلهما المدينة[٢١].

ثالثاً: علاقة المسلمين بغيرهم في المدينة:

من أوائل الأعمال التي قام بها النبي ﷺ، كتابة دستور المدينة، حيث كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم.

وبكتابة هذه الوثيقة أصبح الاسلام نظاماً سياسياً بقدر ما هو نظام ديني[٢٢]

كما نلاحظ تعامل النبي ﷺ مع كافة الاطياف الدينية في المدينة، وضمن حيادهم ثم ترك الدعوة تأخذ مجراها بينهم فأسلم معظمهم، ومن حاربه منهم حاربه على حدة فتفرقوا فسهل القضاء عليهم وإخراجهم من المدينة.

ثم قام رسول الله ﷺ ببناء المسجد[٢٣] والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[٢٤].

❖ الاذن بالقتال:

وبعد ان رسخ الاسلام سياسياً بكتابة الوثيقة، جاء الإذن من الله عز وجل بالقتال، قال تعالى: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾**[٢٥].

❖ ارسال السرايا:

أخذ رسول الله ﷺ يرسل سراياه المسلحة تجوس خلال الصحراء وتخترق طرق القوافل المارة بين مكة والشام، تستطلع أحوال القبائل العربية[٢٦]، وكانت فقط من المهاجرين، وكان أول لقاء مسلح في سرية عبد الله بن جحش[٢٧].

❖ خروج الرسول ﷺ بنفسه:

وكي يثبت مفهوم الجهاد في نفوس المسلمين، بين رسول الله ﷺ فضل الجهاد في سبيل الله بالسنة القولية من خلال عشرات الأحاديث[٢٨] منها، قال ﷺ: «انتدب الله لمن يخرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي، ان ارجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا ان اشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت اني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[٢٩] وأثبت ذلك عملياً بخروجه بنفسه للقتال.

❖ غزوة ودان:

من اجل تأمين حدود المدينة، قام رسول الله ﷺ بعدة غزوات، وتعتبر غزوة ودان أول غزوات الرسول ﷺ فقد خرج رسول الله ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة غازياً حتى بلغ ودان[٣٠]، وكان خروجه ﷺ بالمهاجرين ليس فيهم أنصاري يعترض عيراً لقريش فلم يلق كيداً.

وفي هذه الغزوة وادع بني ضمرة اي صالح سيدهم حينئذ وهو مخشي بن عمر الضمري، ثم رجع الى المدينة، وكانت المصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه ﷺ جمعاً ولا يعينوا عليه عدواً، قال: وكتب بينه وبينهم كتاباً هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الكتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصرة على من رامهم أي قصدهم، إلا ان يحاربوا في

دين الله ما بل بحر صوفه[٣١] وان النبي ﷺ اذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أي أمانهما»[٣٢].

٣- صلح الحديبية سنة ٦هـ:

ان هدنة الحديبية كانت بداية طور جديد في حياة الاسلام والمسلمين، فقد كانت قريش أقوى قوة وألدها في عداء الاسلام، وبانسحابها عن ميدان الحرب الى رحاب الأمن والسلام، انكسر أقوى جناح من اجنحة الأحزاب الثلاثة، قريش وغطفان واليهود، ولما كانت قريش ممثلة للوثنية وزعيمها في ربوع جزيرة العرب انخفضت حدة مشاعر الوثنيين وانهارت نزعاتها العدائية الى حد كبير.

أما اليهود فقد كانوا جعلوا خيبر بعد جلائهم عن يثرب وكراً للدس والتآمر، كانت شياطينهم تؤجج نار الفتنة، وتغري الأعراب الضاربة حول المدينة، وتبيت للقضاء على النبي ﷺ والمسلمين أو لإلحاق الخسائر الفادحة بهم، ولذلك كان أول إقدام حاسم من النبي ﷺ بعد الهدنة هو شن الحرب الفاصلة على هذا الوكر.

ولكن هذه المرحلة التي بدأت بعد الهدنة أعطت للمسلمين فرصة كبيرة لنشر الدعوة الاسلامية وإبلاغها، وقد تضاعف نشاط المسلمين في هذا المجال، وبرز نشاطهم في هذا الوجه على نشاطهم العسكري[٣٣]، والذي يهمنا هنا هو نتائج صلح الحديبية وقيام الرسول ﷺ بإرسال الرسل للدعوة الى رؤساء الدول.

● ما يستفاد من هذه المعاهدة:

١- تجلت في هذه المعاهدة العناية والتأييد الرباني للنبي ﷺ.

٢- ظهر فيها إعجاز السنة النبوية في استشراف المستقبل المشرق من خلال الواقع.

٣- دور ابي بصير وأبي جندل في الغاء بعض شروط قريش.

٤- مدة المعاهدة عشر سنين مع ان النبي ﷺ مات بعدها بأربع سنين وكان يعلم ان مكة سوف تفتح وهو يغزو مكة ويفتحها دلالة واضحة على استشرافه للأحداث.

● ومن الملاحظات على هذه المعاهدة:

أ- السلم أفضل جو للقيام بالدعوة:

قام النبي ﷺ بإرسال الدعاة الذين رباهم الى مختلف الجهات، وكان هذا يعني ارتفاع صوت الاسلام في جميع انحاء الجزيرة العربية، وبدأ الناس يهرعون ويستجيبون لنداء الاسلام، وكان الذين يلتحقون بالاسلام يزيدون القوة العسكرية الاسلامية والأمل لدى المسلمين، لذا فما

ان حان الوقت المناسب وتوجه المسلمون لفتح مكة، لم يكن امام قريش سوى الاستسلام.

ب- التعرف على الاسلام في الصلح:

كانت العلاقة بين الطرفين حتى صلح الحديبية مقطوعة، فلا يذهب أحدهما الى الآخر، وكانت العلاقة الوحيدة بينهما هي المواجهة في ساحات القتال، وفي ظروف الحرب لم يكن من الممكن تبليغ حقائق الاسلام الى الطرف المقابل، وعندما تأسس الصلح، بدأت الزيارات بين الطرفين، والذين كانوا يجهلون فضائل الاسلام ومحاسنه بدأوا يشاهدونها عندما يزورون المدينة فينجذبون اليها ويعتنقون الاسلام.

٤- الرسائل النبوية الى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية:

كانت الفترة من هدنة الحديبية ٦هـ، وغزوة تبوك ٩هـ، فترة شديدة الخطر عظيمة الأثر في تكوين الدولة الاسلامية، فقد شهدت اطراد تقدم النبي ﷺ الحثيث نحو تحقيق ضرب من ضروب الوحدة القبلية في شبه الجزيرة العربية تحت لوائه، وعلى الرغم من ان السير نحو تحقيق هذه الغاية المرجوة كان قد غلب عليه الى حد كبير النشاط التنظيمي والحربي، الا انه كان يتخلله نشاط لا يقل عنه أهمية في مجال العمل السياسي الدبلوماسي.

ولا شك ان مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب، تعبير عملي عن عالمية الرسالة الاسلامية التي اوضحتها الآيات المكية ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾[٣٤]، مما يوضح خطأ النظرة القائلة بالتدرج في نطاق الدعوة من الاقليمية الى العالمية تبعاً لاتساع النفوذ السياسي للرسول ﷺ، فإن صفة العالمية تقررت والمسلمون مستضعفون بمكة، يخافون ان يتخطفهم الناس، ولكن تنفيذ مبدأ العالمية لم يكن الا بعد ارسال الرسل الى الملوك خارج الجزيرة العربية.

كان هدف السفارات النبوية هو الدعوة الى اعتناق الاسلام، فكان سفراء النبي ﷺ في زمانه دعاة الى الاسلام، اختار الرسول ﷺ ستة من أصحابه وأوكل لكل منهم مهمة تسليم الرسالة النبوية للحاكم المقصود، وهؤلاء الصحابة هم:

١- دحية بن خليفة الكلبي، وقد ارسله الى قيصر عن طريق حاكم بصرى.

٢- عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى.

٣- عمرو بن أمية الضمري الى نجاشي الحبشة.

٤- حاطب بن ابي بلتعة اللخمي الى

المقوقس حاكم الاسكندرية.

٥- شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن شمر الغساني.

٦- سليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي شيخ اليمامة.

ان دراسة هذه الوثائق تتميز بأهمية قصوى اذ هي تعبير عن تحديد واضح للعلاقة بين الدولة الاسلامية والدول العالمية آنذاك باختلاف دياناتها[٣٥].

يقول ابن القيم: لما رجع النبي ﷺ من الحديبية كتب الى ملوك الأرض وأرسل اليهم رسله، فكتب الى ملوك الروم، فقيل له: انهم لا يقرؤون كتاباً الا اذا كان مختوماً، فاتخذ ﷺ خاتماً من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب الى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع[٣٦].

وكانت هذه الرسائل بمثابة اعلان قيام الدولة الاسلامية العالمية، فأسلم بعضهم وكفر بعضهم، ولكن هذه الرسائل اعطت صدأ واسعاً، حتى قال أبو سفيان: ان ملك بني الاصفر يخشى محمداً على ملكه[٣٧]، ونتيجة لهذه الرسائل دخلت بلاد اليمن في الاسلام[٣٨].

وتبع هذه الدعوة السلمية حملات عسكرية ابتداءً بمعركة مؤتة[٣٩] التي أزالت خوف العرب من الروم وزرعته في قلوب الروم، ثم غزوة تبوك[٤٠] ثم بعث أسامة[٤١] الذي فتح باب بلاد الشام للانضمام الى الاسلام.

ورافق هذه الحملات عقد بعض المعاهدات مع بعض المدن الشامية، منها:

٥- المعاهدات مع المدن والقبائل خارج الجزيرة العربية:

- مصالحته ﷺ ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح:

لما انتهى رسول الله ﷺ الى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب إيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم وكتب ليحنة بن رؤبة وأهل إيلة.

● ما يستفاد من هذه المعاهدة:

١- اصبحت الدولة الاسلامية عالمية.

٢- ان النظام الاسلامي نظام رحيم يقوم على العدل مع الخصوم.

٣- مرونة هذا النظام وسهولته ووضوحه.

٤- تعامل النبي ﷺ مع الناس بشتى

دياناتهم مما يمكنهم من الاطلاع على الاسلام.

❖ الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث، استعرض ما توصلت اليه من نتائج كانت كالتالي:

١- ان الانسان مكرم في الاسلام كإنسان، قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾** الاسراء: ٧٠ .

٢- اعترف الاسلام بالديانات الأخرى، ولم يلغ وجودها، قال تعالى: **﴿ان الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** البقرة: ٦٢، وبين ان الاسلام هو دين الحق.

٣- اعتمد الاسلام سياسة الدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** النحل: ١٢٥ .

٤- لم يعتمد الاسلام العنف والقوة لإجبار الناس للدخول في الاسلام، قال تعالى: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾** البقرة: ٢٥٦ .

٥- ان السلم هو أفضل الأحوال لانتشار الدعوة الاسلامية.

٦- ان الجهاد في سبيل الله ومقاتلة

الهوامش:

١- إشارات الاعجاز، لبديع الزمان سعيد النورسي (٢٨٢).

٢- الحكومة والقضاء في الاسلام، عبد الحميد احمد سليمان ٣-٤ .

٣- النحل: ٩١ .

٤- الاسراء: ٣٤ .

٥- تاريخ الاسلام، د. حسن ابراهيم حسن ج١، ص١، دار احياء التراث، بيروت ط٧، سنة ١٩٦٤ .

٦- فقه السيرة، البوطي محمد سعيد ص٣٠، دار الفكر، دمشق ط١١، سنة ١٩٩١م.

٧- تفسير الطبري، الطبري ابن جرير ٣٠، ص٣٦٠، تعليق محمود شاكر، دار احياء التراث، ط١، ٢٠٠١ .

٨- البداية والنهاية، ابن كثير ابو الفداء اسماعيل ج٢، ص١٩٠، دار الفكر، دمشق ط١ .

٩- رواه أحمد في المسند، ج٥، ص٢٩٠، الدرر ابن عبد البر ج١، ص١٣٦، وابو نعيم في الحلية ج١

ص١١٥، وابن هشام في السيرة ج١، ص٣٤٤ .

١٠- تفسير القرطبي، القرطبي محمد احمد، ج٩، ص٢٨٤، ج١٩، ص٥٧ .

١١- للدلالة على هذا راجع حادثة بناء الكعبة ووضع النبي ﷺ للحجر الاسود في مكانه، انظر صحيح السيرة النبوية، ابراهيم العلي ص٤٨ .

١٢- قال رسول الله ﷺ: «ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من بني اسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم حديث رقم ٢٧٧٦ .

١٣- فقه السيرة للبوطي ص٦٩، تاريخ الاسلام. د. حسن ابراهيم حسن، ج١، ص٨١ .

١٤- انظر البخاري في تفسير سورة الشعراء حديث رقم ٤٧٧٠، فتح الباري ابن حجر ج٨، ص٧٣٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الايمان رقم ٢٠٨، وأحمد في المسند ج١، ص٢٨١، وابن جرير في التاريخ، ج٢، ص٢١٦ .

١٥- تاريخ الاسلام، د. ابراهيم حسن، ج١، ص٨٣ .

١٦- فقه السيرة للبوطي ص٧٧، تاريخ الاسلام د. حسن ابراهيم، ج١، ص٨٣ .

١٧- ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية ج٢، ص١٩٥ .

١٨- مصنف ابن ابي شيبة، ابن ابي شيبة عبد الله بن محمد، ج٧، ص٣٣٢، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.

١٩- صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد البستي، ج١٤، ص١٧٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وانظر صحيح ابن خزيمة ج١، ص٢٢٣ .

٢٠- الطبقات الكبرى ابن سعد ج١، ص٢٢٣، تاريخ الطبري، الطبري ابن جرير ج١، ص٥٦٣ .

٢١- انظر أحداث الهجرة صحيح البخاري، مناقب الأنصار، رقم ٣٩٢٤، سنن الترمذي رقم ٣١٣٩، المستدرك للحاكم، ج٣، ص٥ .

٢٢- تاريخ الاسلام، د. حسن ابراهيم حسن، ج١، ص١٠٣ .

٢٣- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص٢١٣، ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية ج٣، ص٣٥، فقه السيرة النبوية، البوطي محمد سعيد ص١٤٢، دار الفكر، دمشق ط١١، سنة ١٩٩١ .

٢٤- انظر فتح الباري العسقلاني ابن حجر ج٧، ص٢٧٠، وصحيح البخاري، كتاب الكفالة رقم ٢٢٩٤، صحيح مسلم كتاب العتق، حديث رقم ١٥٠٧ .

٢٥- سورة الحج: ٣٩، وانظر تفسير ابن كثير ج٣، ص٢٣٥، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص٢٤٢٧، جامع البيان، الطبري ابن جرير، ج١٧، ص٢٠٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي محمد ابن احمد، ج١٢، ص٤٦ .

٢٦- فقه السيرة الغزالي محمد، دار الكتب الحديثة، مصر ط٦، سنة ١٩٦٥م.

٢٧- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الخضري محمد، ص٩٥، ط٧ .

٢٨- انظر رياض الصالحين، النووي يحيى بن شرف، كتاب الجهاد ص٤٢٣، تحقيق الألباني محمد ناصر الدين، المكتب الاسلامي ط١ .

٢٩- رواه البخاري كتاب الايمان، رقم ٣٥، واللفظ له،

ورواه مسلم، كتاب الامارة رقم ٣٤٨٤، والنسائي كتاب الجهاد ٣٠٨١، وابن ماجة كتاب الجهاد، رقم ٢٧٣٤ .

٣٠- بفتح الواو، وتشديد الدال المهمة آخره نون، وهي قرية كبيرة بينها وبين الأبواء ستة أميال أو ثمانية والأبواء بالمد قرية كبيرة بين مكة والمدينة.

٣١- اي ما بقي فيه ما يبل الصوفة.

٣٢- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلبي، ج٢، ص٣٤٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي ج٣، ص١٦٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م ص١٤ .

٣٣- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ص٣١٥ .

٣٤- الأنبياء: ١٠٧ .

٣٥- الفقه السياسي للوثائق النبوية، خالد سليمان الفهداوي، ص١٥٦-١٥٩ .

٣٦- زاد المعاد لابن القيم ج١، ص١١٩-١٢٤ .

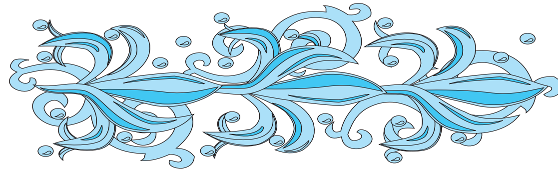
٣٧- البداية والنهاية، ابن كثير ج٣، ص٢٦٣ .

٣٨- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص٢٦٩ .

٣٩- فقه السيرة، الغزالي محمد، ص٣٩٥، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٦، سنة ١٩٦٥م، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الخضري محمد، ص٢٠٩، مصر ط٧، فقه السيرة النبوية، البوطي محمد سعيد، ص٢٥٨، دار الفكر، دمشق ط١١، سنة ١٩٩١م.

٤٠- فقه السيرة، الغزالي محمد، ص٤٣٥، دار الكتب الحديثة مصر، ط٦، سنة ١٩٦٥م، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الخضري محمد، ص٣٢٣، مصر ط٧ .

٤١- فقه السيرة، الغزالي محمد، ص٤٩١، دار الكتب



٣

الانتفاع بالعين المرهونة

■ بقلم الدكتور مصطفى جمال الدين

اتفقت كلمة الفقهاء من مختلف المذاهب على عدم جواز تصرف المرتهن بغير اذن الراهن، لأن تصرفه سواء كان بالعين أو بالمنفعة، تصرف في مال ليس له الا حق الاستيثاق به الى حلول الأجل، فإن افتكه الراهن، والا جاز له بيعه اذا كان وكيلاً في البيع، أو رفع امره الى الحاكم على خلاف ليس هذا محله.

اما مع اذنه فيجوز له الانتفاع بعوض أو بغير عوض، الا اذا كان اصل المدين قرضاً فلا يصح من دون عوض لأنه يكون قرضاً جر منفعة.

وليس هذا موضع بحثنا ايضاً، لأننا في صدد الانتفاع من حيث هو حق هل هو للمرتهن بغض النظر عن اذن الراهن؟ والاختلاف بينهم في موضوع الحق بالانتفاع للمرتهن ينحصر في مسألتين:

مسألة ما لو اتفق المرتهن على الرهن فهل يحق له الانتفاع بالمرهون في مقابل نفقته؟

ومسألة أنه لو اشترط، أو شرط له الراهن في ضمن العقد: ان المنفعة له فهل يصح ذلك؟

وسوف نبحث المسألتين متخذين الطريقة التي سلكناها في انتفاع الراهن.

١- الانتفاع في مقابل الانفاق:

نسب ابن قدامة في المغني القول بمنع الانتفاع في مقابل النفقة الى كل من مالك وابي حنيفة والشافعي، وان المرتهن اذا انفق كان متطوعاً بالنفقة بدليل:

١- ان الرهن من راهنه له غنمه وعليه غرمه[٩٣]، ومن غرمه الانفاق عليه.

٢- ولأنه ملك غيره لم يأذن له في الانتفاع به والانفاق عليه، فلم يكن له ذلك كغير

الرهن[٩٤]، اما ما بين يدي الآن من كتب الاحناف والمالكية والشافعية، فلم اجد فيها نصوصاً صريحة في الموضوع بالخصوص وكل ما وجدته اطلاقات في الفتاوى ظاهرها شامل لمحل النزاع وسوف استعرضها فيما يأتي:

● **الحنفية:**

اطلق الأحناف الحكم في أنه لا يجوز للمرتهن الانتفاع بالمرهون «فلو كان عبداً ليس له ان يستخدمه وان كان دابة ليس له ان يركبها، وان كان ثوباً ليس له ان يلبسه، وان كان داراً ليس له ان يسكنها، وان كان مصحفاً ليس له ان يقرأ فيه»[٩٥]، بدليل: ان عقد الرهن يفيد ملك الحبس لا ملك الانتفاع، فإن انتفع صار غاصباً[٩٦]، واذا شرب اللبن يحسب بدله من الدين[٩٧].

واذا رتبنا الاصول الآتية في مذهبهم استطعنا ان نستنتج منها القول بالمنع حتى مع الانفاق: فقد قالوا:

١- بوجوب النفقة كعلف الحيوان وأجرة راعيه على الراهن[٩٨].

٢- ان الراهن لا يجوز له ان يجعل النماء المتولد عن العين وفاء للمصروف الواجب عليه[٩٩].

٣- اذا ادى المرتهن المصروف العائد على الراهن بدون أمره او أمر الحاكم يكون متبرعاً كمن يؤدي دين المدين بدون اذنه[١٠٠].

من ذلك كله نستخلص صحة ما نسبه في المغني لمذهب الحنفية من القول بالمنع مع الانفاق.

● **الشافعية:**

كذلك قد نستظهر من اقوال الشافعي الآتية صحة ما نسبه المغني اليه من منع المرتهن حتى مع انفاقه واعتبار نفقته تطوعاً: قال الشافعي: «واذا رهنه عبداً أو أمة فغاب الراهن او مرض، فانفق عليهما فهو متطوع، ولا تكون له النفقة حتى يقضي بها الحاكم على الغائب ويجعلها ديناً عليه».

«والدواب كلها كالعبيد -اذا كانت مما تعلف- لأنه لا يحل ان تمات ذوات الأرواح بغير حق»، اما غير الحيوان «فلا حرج في اماتة ما لا روح فيه من ارض أو نبات»، لذلك فليس للمرتهن ان يصلح الأرض او النخل المرهون على ان يرجع به على الراهن، كان الراهن حاضراً أو غائباً، وان اصلحه فهو متطوع»[١٠١].

● **المالكية:**

«لا يجوز للمرتهن الانتفاع بالرهن: لأنه زيادة في القرض، وعوض مجهول في المبايعة.. ولقوله ﷺ: «له غنمه وعليه غرمه» اي للراهن «ومحلوب ومركوب» اي غلته لربه ونفقته عليه»[١٠٢].

لم أقف للمالكية على اكثر من هذه

العمومات.

● الحنابلة:

اما الحنابلة وغيرهم من المذاهب فلهم نصوص خاصة في المسألة قالوا: «للمرتهن ان ينتفع مجاناً بإذن الراهن ما لم يكن الدين قرضاً، وله الركوب والحليب -واسترضاع الأمة- بلا اذن، ان انفق وبقدر نفقته، ولو كان الراهن حاضراً»[١٠٣]، «وللمرتهن ان ينفق عليه ويركب ويحلب بقدر نفقته، متحرياً للعدل، سواء انفق مع تعذر النفقة من الراهن لغيبته او امتناعه، او مع القدرة على ذلك[١٠٤].

الدليل:

١- لرواية «الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهوناً..» الخ فجعل منفعته بنفقته.

٢- لأن نفقة الحيوان واجبة وللمرتهن حق قد امكنه استيفاء حقه من نماء الرهن، والنيابة عن المالك فيما وجب عليه، واستيفاء ذلك من منافعه، فجاز ذلك كما يجوز للمرأة أخذ مؤنتها من مال زوجها عند امتناعه بغير إذنه، والنيابة عنه في الانفاق عليه[١٠٥].

● الزيدية:

وللزيدية قولان في المسألة:

البحر الزخار: ليس للمرتهن فيه -المرهون- الا حق الحبس، واذا استعمله فعليه الأجرة، ويسقط الدين من جنسها[١٠٦].

«ومؤن الرهن كنفقته، وتجهيزه، وتكفينه، وسقي الأرض، واصلاح الشجر وحلب الحيوان وغير ذلك على الراهن لقوله ﷺ: «وعليه غرمه»[١٠٧].

اما الشوكاني في نيل الأوطار، فقد اجاز للمرتهن الانتفاع بركوب الحيوان وحلبه اذا انفق عليه، ولم يقيده بقدر، مستدلاً بحديث ابي هريرة: «الظهر يركب بنفقته..» الخ[١٠٨].

● الظاهرية:

يرى ابن حزم ان منافع الرهن كلها للراهن بما فيها ركوب الدابة ولبن الحيوان «الا ان يضيعها فلا ينفق عليهما، وانفق على ذلك المرتهن، فيكون له حينئذ ركوب الدابة ولبن الحيوان بما أنفق لا يحاسب به من دينه، كثر ذلك أم قل».

«وذلك لما روينا من طريق البخاري في حديث ابي هريرة -ثم نقل الحديث السابق- والنص قد ورد بتحريم الأموال على غير من له فيها حق، فالرهن بلا شك حرام على كل من عدا الراهن وللمرتهن فيه حق الارتهان فدخل به في هذا العموم، وخرج منه من عداه بالنص الآخر».

وقال في تعليقه على قول ابراهيم النخعي الذي ورد فيه «فإن استفضل من

اللبن بعد ثمن العلف فهو ربا».

قال: هذه الزيادة من ابراهيم لا نقول بها وعموم قول النبي ﷺ: «أحب الينا من تفسير ابي عمران رحمه الله برأيه».

ثم قال: «وقال ابو ثور بقولنا في الركوب والحلب، الا انه زاد الاستخدام، ولا أقول بهذا لأنه لم يأت به نص، والقياس لا يستحل به المحرم من أموال الناس، وما كان ربك نسياً»[١٠٩].

● **الإمامية:**

للإمامية قولان أحدهما -وهو المشهور: عدم جواز انتفاع المرتهن حتى مع انفاقه على المحلوب والمركوب، فإذا انفق مع عدم التمكن من انفاق الراهن، لامتناع او غيبته او لتعذر الحاكم، وكان ناوياً الرجوع على الراهن مع الاشهاد على ذلك، رجع عليه بما انفق، واذا كان قد تصرف بالمنفعة مع انفاقه على الرهن ضمن المنفعة وتقاصا، فرجع ذو الفضل بفضله[١١٠].

وينتظم في هذا القول آراء: صاحب الجواهر، والرياض، ومصباح الفقيه، والشرايع، واللمعة والروضة، وتحرير المجلة.

ودليلهم:

١- الاجماع المنقول في السرائر والتذكرة.

٢- عموم قاعدة: عدم التصرف في مال الغير بغير اذنه، وقاعدة الضمان لما يتلفه المتلف والرجوع بما غرم[١١١].

اما القول الثاني: فإنه يجوز في المركوب والمحلوب اذا انفق عليهما، وينتظم في ذلك أقوال: الشيخ الطوسي، وأبي الصلاح، ولم يستبعد القول به في الحدائق ناقلاً الميل اليه في كفاية الأحكام ودليلهم:

١- صحيحة ابي ولاد: «سألت ابا عبد الله (ع) عن الرجل يأخذ الدابة والبعير رهناً بماله، أله أن يركبه؟»، فقال: ان كان يعلفه فله ان يركبه، وان كان الذي رهنه عنده يعلفه، فليس له ان يركبه[١١٢].

٢- وخبر السكوني السابق «الظهر يركب اذا كان مرهوناً وعلى الذي يركب نفقته والدر يشرب اذا كان مرهوناً وعلى الذي يشرب نفقته»[١١٣].

اما قول الشيخ في النهاية فهو: «اذا كان الرهن الدابة فركبها المرتهن كانت نفقتها عليه وكذلك اذا كانت شاة وشرب لبنا كان عليه نفقتها، واذا كان عند انسان دابة او حيوان فإن نفقتها على الراهن دون المرتهن، فإن انفق المرتهن عليها كان له ركوبها والانتفاع بها والرجوع على الراهن»[١١٤].

وقال ابو الصلاح: «يجوز للمرتهن اذا كان الرهن حيواناً فيتكفل مؤنته ان ينتفع بظهره او خدمته او صوفه، او لبنه، وان لم يتراضيا، ولا يحل شيء من ذلك من غير

تكفل مؤنة ولا مراضاة، والأولى ان يصرف قيمة منافعه في مؤنته»[115].

❖ نظرة في أوجه الاختلاف:

من استعراضنا السابق نستطيع حصر الاقوال في المسألة بأربعة:

١- عدم جواز الانتفاع للمرتهن مطلقاً، انفق أم لم ينفق، وهو قول: الأحناف والمالكية والشافعية ومشهور الامامية والزيدية.

٢- اذا انفق عليه كان له الركوب والحلب وزاد بعضهم استرضاع الأمة بمقدار نفقته مطلقاً: تعذر انفاق الراهن ام لا، وهو قول الحنابلة وحدهم.

٣- اذا أنفق -مع عدم انفاق الراهن- كان له الركوب والحلب قل ذلك ام كثر، وهو قول الظاهرية والشوكاني من الزيدية وزاد فيه ابو ثور الاستخدام.

٤- اذا انفق على الحيوان كان له الانتفاع بالركوب والحلب والصوف والاستخدام وهو قول بعض الإمامية.

أما أدلة المانعين فهي:

١- ان النفقة على الراهن، والمنفعة له بدليل «له غنمه وعليه غرمه»، وهو لم يأذن للمرتهن بالانفاق ولا الانتفاع فيكون متبرعاً كغير الرهن.

٢- شمول قاعدتي «عدم التصرف في مال الغير» و «الضمان لما يتلفه المتلف والرجوع بما غرم» لمسألة الاتفاق على الحيوان والانتفاع به.

٣- الاجماع المحكي عن السرائر والتذكرة.

أدلة المجوزين:

١- الأحاديث (أ) حديث ابي هريرة رضي الله عنه وخبر السكوني وهما متشابهان «الظهر يركب اذا كان مرهوناً.. الخ» وقد تقدما.

ب- صحيحة ابي ولاد عن الرجل يأخذ الدابة رهنا بماله أله أن يركبها؟ فقال (ع): «ان كان يعلفه فله ان يركبه وان كان الذي رهنه عنده يعلفه فليس له ان يركبه».

٢- كما يجوز للمرأة الانفاق على نفسها من مال زوجها، بالنيابة عنه، عند امتناعه، بغير اذنه كذلك يجوز للمرتهن الانفاق على الحيوان المرهون عنده بالنيابة عن المالك واستيفاء ذلك من نمائه.

موازنة بين الأدلة:

اذا استثنينا الاستدلال بالاجماع المنقول عن السرائر للأسباب المتقدمة في البحث عن رهنية المنافع واستثنينا الاستدلال بالقياس على الزوجة ايضاً:

١- لوجود الفارق بينهما بتعلق الحق هناك بنفس النفقة، فإذا امتنع الزوج عنها اتلف الحق نفسه، اما هنا فتعلق حق المرتهن بالاستيفاء من العين لا بالانفاق

عليها.

٢- ان انفاق الزوجة على نفسها مشروط - كما هو عند القائسين- بامتناع الزوج عنه مع انهم لم يشترطوا امتناع الراهن عنه - كما مر من ذكر اقوال الحنابلة.

اقول: اذا استثنينا ذلك لم يبق امامنا من أدلة الطرفين غير مشمول قاعدتي الضمان والتصرف في مال الغير لموضع النزاع وامكان تخصيصهما بالأحاديث السابقة.

اما القاعدتان فلا اعتقد ان احداً من الأطراف المعنية يشك في سلامتهما شرعاً أو عقلاً أو لم يظهر ذلك من أحد منهم، وبموجبهما لا يجوز للمرتهن التصرف في منفعة الرهن بدون اذن صاحبه ورضاه، لأنه مال الغير، فإذا تصرف ضمن ما اتلف، واذا انفق رجع بنفقته على المالك ان تعذر انفاقه لغيبته وامتناعه او لتعذر الحاكم.

ولا جديد في ذلك كله ولا خلاف ايضاً بينهم، انما الجديد ان هاتين القاعدتين وان شملتا محل الخلاف، عند الجميع الا انه هل يمكن تخصيصهما بالروايات التي استدل بها المجودون او لا يمكن؟

لذلك فسوف نخطوا للاجابة على هذا السؤال بالخطوات التالية:

١- ان القاعدتين المذكورتين - بالاستعانة فيما مر من بحث منافع المرهون - شاملة لكل ما افترضنا ملكيته للراهن من منافع الرهن سواء الحلب ام الركوب ام الاستخدام ام غير ذلك، فإذا اردنا ان نخصصهما فيجب ان يكون التخصيص فيما ورد فيه النص، وليس في النصوص التي بين أيدينا غير ركوب الحيوان وحلبه، اما الاستخدام والصوف وغير ذلك من المنافع فيبقى تحت عموم القاعدتين.

لذلك فسوف نستبعد اطلاق الحكم بالانتفاع في قول الشيخ الطوسي لأنه يشمل ما عدا الركوب والحلب مما لم يرد في النص، وكذلك قولي ابي الصلاح وابي الثور لإدخالهما الاستخدام والصوف الا اذا كان عندهما نص لم يصل الينا.

٢- الظاهر من روايتي السكوني، وأبي هريرة ﵁ وهما متشابهان: «الظهر يركب اذا كان مرهوناً وعلى الذي يركب نفقته، والدر يشرب اذا كان مرهوناً، وعلى الذي يشرب نفقته» اننا اذا لاحظنا بناء الفعل فيهما للمجهول، ثم بناءه للمعلوم في صلة الموصول، وايجاب النفقة على فاعله ظهر لنا ان المقصود به المرتهن، لا الراهن، بقرينة ايجاب النفقة في مقابل الركوب والشرب، ذلك لأن الراهن ينفق باعتباره مالكاً لا في مقابل ركوبه، وهو يركب باعتباره مالكاً ايضاً، لا باعتباره منفقاً.

من ذلك يظهر ان الرواية في صدد اثبات

الانتفاع للمرتهن وايجاب النفقة عليه، خصوصاً وان ذلك صريح في اللفظ الذي رواه أحمد: «اذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتهن علفها، ولبن الدر يشرب وعلى الذي يشربه نفقته»(١١٦).

واذا تم ما استظهرناه فلا وجه لتعليق الحكم، عند الظاهرية وعند من يقول به من الإمامية، على الشرط -اي اذا لم ينفقه عليه الراهن- ولعل هذا هو ما استظهره الحنابلة حين لم يعلقوه على هذا الشرط.

٣- اذا صح ما فهمناه من رواية السكوني وابي هريرة من ثبوت انتفاع المرتهن في مقابل نفقته، واضفنا اليها ما في صحيحة ابي ولاد السابقة «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأخذ الدابة والبعير رهنا بماله: «أله ان يركبه؟ فقال: ان كان يعلفه فله ان يركبه وان كان الذي رهنه عنده يعلفه فليس له ان يركبه» وهي واضحة الدلالة على ذلك، فإذا نسبنا الروايتين الى عموم الروايات الأخرى التي تجعل الانتفاع للراهن في كل منافع الرهن وتوجب الانفاق عليه كحديث «له غنمه وعليه غرمه» وامثالها مما تقدم ذكره -كانت نسبتهما نسبة المخصص لعموم هذه الروايات، ولقاعدتي الضمان والتصرف في مال الغير، وجعل الانتفاع فيهما- بخصوص الركوب والحلب - للمرتهن المنفق استثناء من عموم الانتفاع للراهن.

وعلى هذا الأساس فلا يبقى وجه لحملهما -عند بعض الإمامية- على الاذن بالانتفاع والانفاق مع تساوي الحقين: النفقة والمنفعة - لعدم تعارضهما مع عموم الروايات في حالة امكان التخصيص.

هذا على ان الحمل على اذن الراهن اذا كان ممكناً في رواية السكوني وأبي هريرة فهو غير ممكن في صحيحة ابي ولاد لوضوح السؤال والجواب في عدم الاذن بقرينة تعليق الركوب على العلف لا على الاذن، فإذا حملناها على اذن الراهن، فلا يصح منع المرتهن في الشق الثاني من الصحيحة: «وان كان الذي رهنه يعلفه فليس له ان يركب» لأنه -مع اذن الراهن- له ان يركب باجماع حتى وان لم ينفق.

ثم لماذا التكلف في «تساوي الحقين» وما هي القاعدة لضبط الركوب مثلاً، اذا ضبطنا قيمة العلف؟ من اجل ذلك استبعد ايضاً مسألة تحديد الانتفاع بالركوب والحلب بمقدار النفقة، عند الحنابلة، لأن النص الذي استدلوا به لانتفاع المرتهن مطلق وتحديده بمقدار النفقة تقييد من دون مقيد.

٢- اشتراط الانتفاع:

من جملة المسائل التي اختلف فيها الفقهاء مسألة ما لو اشترط الراهن او

المرتهن ان منافع الرهن له، وقد تركنا اشتراط الراهن، لما سبق من تفصيلنا القول في عائدية المنافع له بغير شرط.

اما الذي يجب ان نبحثه هنا فهو مسألة اشتراط المرتهن ذلك.

فالشافعية:

منعوا من ذلك لأنه شرط ينافي مقتضى العقد فهو باطل ولأنه شرط ليس في كتاب الله، فهو باطل كذلك ثم اختلفوا في ابطاله للرهن على قولين:

احدهما -وهو الصحيح في المذهب: يبطل لأنه شرط فاسد قارن العقد فأبطله كما لو شرط نقصاناً في حق المرتهن.

والثاني: انه لا يبطل، لأنه شرط جميع أحكامه وزاد، فبطلت الزيادة وبقي العقد بأحكامه.

ثم اختلف المبطلون للرهن في أنه اذا كان مشروطاً في بيع هل يبطل البيع على قولين ايضاً: أحدهما -وهو الصحيح عندهم-: يبطل، لأن المنفعة تكون جزء من المن، فإذا بطل الرهن والشرط، وجب ضم ذلك الجزء الى الثمن والمفروض انه مجهول، فيصير الثمن مجهولاً، فيبطل البيع.

والثاني: انه لا يبطل: لأنه يجوز شرطه بعد البيع، وما جاز شرطه بعد تمام العقد لا يبطل العقد كالصداق في النكاح[١١٧]، نعم لو قيدها -المنفعة- بسنة مثلاً، وكان الرهن مشروطاً في بيع فهو جمع بين اجارة وبيع فيصحان»[١١٨].

ولكن الامام الشافعي نفسه لم يرتض ذلك حتى مع التقييد بسنة، واعتبر البيع والرهن -كليهما- فاسداً، لأنه يكون بيعاً واجارة ولا تعرف كم هي حصة الاجارة، فتصير الى جهالة الثمن[١١٩].

الحنفية:

لم أقف لهم على قول في المسألة، الا ان كتب الخلاف نسبت اليهم القول بلغوية الشرط، وعدم فساد الرهن، قال العلامة في التذكرة، في مسألة اشتراط المنافع للمرتهن في رهن التبرع[١٢٠]، ان للشافعي قولين: «الثاني وبه قال ابو حنيفة: ان الرهن لا يفسد بفساد الشرط لأن الرهن تبرع من الراهن، وهذا الشرط فيه تبرع آخر، واحد التبرعين لا يبطل ببطلان الثاني -كما لو قرضه الصحاح وشرط رد المكسر، يلغو الشرط ويصح القرض»[١٢١].

وكذلك نسب في البحر الزخار الى أبي حنيفة القول بلغوية الشرط.

الحنابلة:

قالوا: «ولو شرط ان تكون منافعه للراهن او للمرتهن فالشرط فاسد - لأنه ليس مما يقتضيه العقد ولا هو من مصلحته»[١٢٢].

«ويصح شرط كل ما يقتضيه العقد كبيع

مرتهن وعدل ونحوه.. لا ما لا يقتضيه او ينافيه: ككون منافعه له، او ان لا يقبضه، ولا يفسد العقد»[١٢٣].

المالكية:

اجاز المالكية الشرط في الرهن اذا كان من بيع، ومنعوه في القرض، لأنه يجر منفعة.. وبشرط ان تكون مدة الانتفاع معينة لا مجهولة.. جاء في المدونة: «قلت[١٢٤]: أرأيت المرتهن هل يجوز له ان يشترط شيئاً من منفعة الرهن؟ قال: ان كان من بيع فذلك جائز وان كان الدين من قرض فلا يجوز ذلك لأنه يكون سلفاً جر منفعة.

قلت: وهذا قول مالك؟

قال: نعم، الا ان مالكاً قال لي: اذا باعه وارتهن رهنا فاشترط منفعة الرهن الى أجل، فلا أرى به بأساً في الدور ولا الأرضين «قال مالك»: واكرهه في الحيوان والثياب «قال ابن القاسم»: ولا بأس به في الحيوان وغيره، اذا ضرب لذلك اجلاً.

قلت: ولم كرهه مالك في الحيوان والثياب؟

قال: لأنه يقول: لا أدري كيف ترجع اليه الدابة والثوب؟

«قال ابن القاسم»: وليس هذا بشيء، لا بأس به في الحيوان والثياب وغير ذلك اذا ضرب لذلك أجلاً، الا ترى انه يجوز له ان يستأجره الى اجل ولا ادري كيف يرجع، وانما باع سلعته بثمن قد سماه وبعمل هذه الدابة او لباس هذا الثوب الى اجل فاجتمع بيع وكراء فلا بأس به»[١٢٥].

الزيدية:

نسب في البحر الزخار، القول الى المذهب بفساد الشرط في البيع وفساده وفساد الرهن في القرض، وقال: «ويلغو شرط خلاف موجبه، كشرط مؤنته على المرتهن، او عدم ضمانه لقوله ﷺ: «ما بال قوم يشترطون..» الخبر، الا ان يقضي خلل شرط كعلى ان لا يقبضه: فسد».

«فإن شرط ان منافعه للمرتهن فوجهان: يفسد كالأول ولا وهو الاصح بل يلغو اذا لم يخل بشرط» «ولو قال: اقرضني كذا على أن ارهنك كذا ومنفعته لك: فسد للربا»[١٢٦].

الظاهرية:

قال ابن حزم في المحلى: «واما مالك فإنه قال: لا بأس ان يشترط المرتهن منفعة الرهن الى اجل في الدور والارض، وكره ذلك في الحيوان والثياب والعروض.. وهذا قول لا برهان على صحته.. وتقسيم فاسد، وشرط ليس في كتاب الله فهو باطل»[١٢٧].

الامامية:

قال العلامة في التذكرة: «الرهن عقد قابل للشروط الصحيحة التي لا تفضي الى جهالة في بيع ان شرط فيه عند علمائنا اجمع لقوله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»

ولقوله تعالى: ﴿**اوفوا بالعقود**﴾ المائدة: ١، ومعنى الايفاء: العمل بمقتضاه فاذا كان مشروطاً دخل تحت هذا الأمر.

ثم قال: «والأقرب عندي جواز اشتراط كل مباح في عقد الرهن اذا لم ينافِ مقتضاه، فأما اذا نافاه لم يصح مثل ان يشترط في الرهن عدم بيع الرهن مطلقاً فإنه ينافي التوثيق على الدين».

«ولو شرط الانتفاع بالرهن او عود منافعه اليه (وعدد امثلة كثيرة قال بعدها): فإن ذلك كله جائز لأنها شروط سايغة فيجب الوقوف عندها لقوله: «المؤمنون عند شروطهم»، «ولا فرق في الرهن بين ان يكون تبرعاً أو شرطاً في بيع أو شبهة».

«ولو اقترض بشرط ان يرهن به شيئاً ويكون منافعه مملوكة للمقرض فالقرض فاسد لأنه جر منفعة، واذا بطل، بطل الرهن»[١٢٨].

وقال الامام الحكيم في «منهاج الصالحين»: «ولو شرط المرتهن استيفاء منافع العين في مدة الرهن مجاناً لم تبعد الصحة وان قيل بالبطلان وأولى منه ما لو شرط استيفاءها بالأجرة، ولو شرط استيفاءها مدة: لزم العمل بالشرط الى نهاية المدة، وان برئت ذمة الراهن من الدين»[١٢٩].

❖ نظرة في أوجه الاختلاف:

من هذا العرض السابق لأقوال المذاهب نجد الفروق بينها كالآتي:

١- للمرتهن اشتراط المنفعة مطلقاً، والشرط صحيح فيما عدا الشرط في القرض، وهو قول الامامية.

٢- للمرتهن اشتراط المنفعة بشرط ان يذكر الأجل وان لا يكون من قرض وفي الدور والأرضين، عند مالك، وفي غيرها ايضاً عن ابن القاسم.

٣- ليس له ذلك، والشرط باطل مبطل للعقد مطلقاً - تبرعاً كان الرهن او مشروطاً- وهو قول الشافعية.

٤- ليس له ذلك والشرط باطل، غير مبطل للعقد، وهو قول للحنابلة، والأحناف، والظاهرية، والزيدية.

واذا تفحصنا أدلة المانعين من مختلف الاطراف وجدناها:

أ- لمخالفة الشرط لكتاب الله، وهو دليل الزيدية والظاهرية والشافعية.

ب- لمنافاته لمقتضى العقد، وهو دليل الشافعية والحنابلة.

ج- لأنه في القرض سلف جر منفعة.

واذا استثنينا الدليل الثالث، لاتفاق المجوزين معهم فيه، لم يبق الا الأولان، وسوف نقف معهما فيما يأتي:

١- مخالفة الشرط لكتاب الله:

«كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل» هذا هو نص دليل الشافعية والظاهرية والزيدية، وهي فقرة من حديث نبوي ورد في حكاية بريرة لما اشترتها ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وشرط مواليها عليها ولاءها، فقال ﷺ: «ما بال قوم يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، قضاء الله أحق وشرطه أوثق، والولاء لمن اعتق»(١٣٠).

والظاهر من هذا الحديث وأحاديث كثيرة مشابهة له، ان المراد بكتاب الله هو ما كتبه على عباده من أحكام الدين، وان كان على لسان نبيه ﷺ.

يدل على ذلك ظاهر أحاديث الشرط الأخرى «المسلمون عند شروطهم الا ما حرم حلالاً أو أحل حراماً» وغيرها(١٣١)، مما هو ظاهر في هذا المعنى، لذلك فإن اشتراط ولاء المملوك لبائعه انما جعل مخالفاً لكتاب الله في حكاية بريرة، لمخالفته لحكم السنة في ان «الولاء لمن اعتق».

ووجه ان يكون الشرط المخالف لكتاب الله باطلاً فهو لأن الالتزام به -بناء على ثبوت أدلة الوفاء بالشرط- يعارض الحكم الأولي لذلك الشيء الذي وقع الشرط عليه، ويرفع اليد عن دليله، فشرب الخمر مثلاً حرام في كتاب الله فإذا وقع شرط ودخل تحت أدلة الوفاء بالشرط صار واجباً، فالالتزام بالوفاء به بغير الحكم الشرعي للخمر من الحرمة الى الوجوب، لذلك يبطل الشرط لمخالفته لكتاب الله.

ولكن التحقيق في الموضوع -كما توصل اليه الشيخ الأنصاري في المكاسب- ان هناك نوعين من الأحكام.

الأول: حكم يثبت للموضوع من حيث هو، ومجرداً عن ملاحظة العناوين الأخرى الطارئة عليه كأغلب المباحات بل المستحبات والمكروهات، فأكل اللحم مثلاً مباح في الشريعة نفسه، وهذا الحكم له بغض النظر عن طروء عنوان آخر عليه بغير الاباحة فيه الى الحرمة كأن يحلف ان لا يأكل اللحم مثلاً، او الى الوجوب: كأن يعقد النذر على أكله.

الثاني: حكم يثبت للموضوع وهو غير مجرد عن ملاحظة العناوين الأخرى الطارئة عليه، وذلك كأغلب الواجبات والمحرمات، فإن الحكم بالمنع عن فعل المحرم، او المنع عن ترك الواجب، اخذ لهما مع ملاحظة عدم قبولهما لطروء أي عنوان آخر -عدا الضرر والحرج- يغير حكم الوجوب او الحرمة فيهما، فشرب الخمر مثلاً حرام في الشريعة مطلقاً سواء حلفت على شربه ام لم تحلف، نذرت ام لم تنذر.

فإذا اتضح هذان القسمان في أذهاننا،

وعرفنا ان بعض الأحكام الخمسة قابل لطروء العناوين الأخرى، وبعضها غير قابل، رجعنا الى مسألة الوفاء بالشرط كعنوان طارئ على الموضع فنجد انه من حيث تغييره للموضوع لا يختلف عن النذر واليمين، فإذا وقع على القسم الأول، كالمباح مثلاً، لا يقع التعارض بين دليل الوفاء بالشرط وبين دليل اباحة ذلك الشيء، لأن المفروض ان الاباحة قابلة لأن يطرأ عليها الوجوب او الحرمة بالعناوين الثانوية كالنذر واليمين، وكالشرط أيضاً.

وان وقع على القسم الثاني -الواجب او المحرم- والمفروض انه لا يقبل طروء العناوين الأخرى، حصل التعارض حينئذ بين دليل الوفاء بالشرط، وبين ذلك الموضوع، فيكون الالتزام به، رافعاً لليد عن دليل ذلك الموضوع وبالتالي مخالفاً لكتاب الله، هذه هي خلاصة الموضوع من حيث المبدأ.

أما من حيث التطبيق فإننا اذا رجعنا الى مسألتنا وجدنا ان بيع الرجل ماله، او رهنه أو هبته وإباحته للغير كلها مباحة في كتاب الله، فلو دخلت شروطاً ضمن عقد آخر صح الالتزام بها لعدم التعارض بين الالتزام بها كشرط وبين كونها مباحة لما سبق ان قلناه.

الا ترى انه لو باع زيد على عمرو بضاعة، بشرط ان يجعل عمرو داره الفلانية رهنا عنده: صح الرهن والبيع عند الجميع بمن فيهم الشافعية، فلماذا يبطل الشرط والعقد عندهم لو رهنه داره بشرط ان تكون منفعتها له؟ مع ان الدار المشروط رهنها في المثال الأول، والمنفعة المشروط اباحتها في المثال الثاني، كلاهما مال من اموال المالك، ومال الرجل مباح له بيعه ورهنه واباحته للغير، وطروء الشرط عليه لا يعارض حكم الاباحة له في كتاب الله القابلة لطروء العناوين المغيرة للموضوع، لا للحكم، من نذر ويمين وشرط، لأن الوفاء بها من كتاب الله ايضاً.

٢- منافاة الشرط لمقتضى العقد:

انما وجب ان لا يكون الشرط مخالفاً لمقتضى العقد -اي عقد- فهو للتنافي بين مقتضى العقد وأثره الذي لا يختلف عنه، وبين الشرط الملزم لعدم تحقق ذلك المقتضى والأثر، فيكون الوفاء بالعقد المقيد بهذا الشرط المنافي مستحيلاً، لذلك فإما ان يحكم بتساقط العقد والقيد معاً واما ان يقدم العقد لأنه المتبوع ويلغي الشرط لأنه تابع.

ولتوضيح ذلك نأخذ المثال الآتي:

مقتضى العقد في البيع وأثره هو ان يكون المبيع ملكاً للمشتري، فإذا اشترط البائع ضمن عقد البيع تملك المبيع، كان هذا الشرط منافياً لملكية المشتري التي هي مقتضى عقد البيع.

وهكذا لو اشترط ضمن عقد الرهن

مثلاً، ان لا يباع المرهون اذا حان الاجل، او ان لا يستوي المرتهن دينه منه، او ان لا يكون وثيقة بيده، او اي مقتضى اخر من مقتضيات عقد الرهن وآثاره، فإن هذه الشروط المنافية لمقتضى عقد الرهن يستلزم الوفاء بها استحالة الوفاء بالعقد الذي يقتضي عكسها.

اما المنفعة فهي مال آخر من أموال المالك، لا علاقة له بالرهن، ولا هي من مقتضيات عقده، بل ولم يتناولها العقد اصلاً، ولهذا اثبتنا -والشافعي معنا- «ان النماء عين من اعيان ملك الراهن لم يعقد عليها عقد رهن كسائر ماله»، ومال الراهن تحت تصرفه، ان شاء منعه عن غيره وان شاء اباحه له ضمن عقد الرهن او بيع أو غير ذلك، والالتزام بالوفاء بإباحة المنفعة للمرتهن لا يجعل الوفاء بعقد الرهن مستحيلاً لأنه لا يخل بأي أثر من آثاره، أو مقتضى من مقتضياته، فأين المنافاة اذن بين اشتراط المنفعة ومقتضى عقد الرهن!!.

ومما مضى تعرف الاجابة على تفصيلات المالكية من اجازة الشرط في الارضين والدور دون غيرها من الحيوان والثياب عند مالك، ومن اشتراط تحديد مدة الانتفاع ليكون بيعاً واجارة في آن واحد، لما ثبت من ان مال المالك يباح له كل تصرف فيه، واشتراط اباحته للغير ضمن العقد لا يخالف الحكم الاولي له في كتاب الله ولا ينافي مقتضى عقد الرهن، فلا معنى لأن تكون سلامة الاشتراط مع تحديد المدة - مبنية على اساس انها بيع واجارة.

بل ان سلامته مبنية على أساس انه شرط سائغ في كتاب الله مشمول بأدلة: «المسلمون عند شروطهم» و ﴿**اوفوا بالعقود**﴾ وأمثالها.

❖ نتائج البحث:

نستطيع تلخيص ما انتهينا اليه من بحث الانتفاع بالعين المرهونة في النقاط التالية:

١- منافع الرهن وزوائده كلها ملك الراهن، وليست داخلة مع العين في الرهنية، سواء منها ما حدث بعد العقد ام قبله.

٢- يجوز للراهن الانتفاع بالعين المرهونة - من دون اذن المرتهن- في كل ما لا يخرجها عن الرهنية او ينقص من قيمتها او يضر بالمرتهن.

٣- لا يجوز للمرتهن -بأي حال- الانتفاع بالعين المرهونة، من دون اذن الراهن، الا اذا كان المرهون حيواناً وانفق عليه المرتهن فيجوز الانتفاع بالركوب والحلب بغير إذن، ومن دون تحديد.

الهوامش:

٩٣- انظر الحديث في منتخب كنز العمال بهامش مسند الامام احمد ٤٨٧/٢، وقد اشار الى وروده في مستدرك الحاكم وسنن البيهقي وجامع عبد الرزاق.

٩٤- المغني ٣٨٧/٤ .

٩٥-٩٦- بدائع الصنائع ١٤٦/٦ .

٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠- درر الحكام في شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر ٣/ ٨٣٠ و ٨٨٢ .

١٠١- الأم للشافعي ١٦٤/٣ .

١٠٢- المنتقى للباجي ٢٤٠/٥ .

١٠٣- منتهى الارادات لابن النجار ٤٠٧/١ .

١٠٤- المغني لابن قدامة ٣٨٦/٤ .

١٠٥- منار السبيل ٣٥٦/١ والمغني ٣٨٧/٤ .

١٠٦-١٠٧- البحر الزخار ١٢٢/٤ .

١٠٨- نيل الاوطار ٢٤٨/٥ .

١٠٩- المحلى لابن حزم ٨٩/٨-٩١ .

١١٠- ملخص عن الروضة البهية ٣٥٥/١، وغيرها من كتب الامامية.

١١١- الجواهر ٣٣٠/٤ .

١١٢- الحدائق ٢٥٤/٥، والجواهر ٣٣٠/٤، وانظر في صحيحة ابي ولاد: الكافي الفروع ٣٩٦/١، والفقيه ١٠/٢، والتهذيب ١٦٦/٢ والوسائل ١٣٤/١٣ .

١١٣-١١٤-١١٥- انظر الحدائق ٢٥٤/٥ والجواهر ٣٣٠/٤ .

١١٦- مسند الامام احمد ٢٨/٢، وانظر نيل الاوطار للشوكاني ٢٤٨/٥ .

١١٧- بتلخيص عن المهذب لابي اسحق الشيرازي ٣١٠/١ .

١١٨- نهاية المحتاج ٢٣٠/٤ .

١١٩- الأم ١٥٥/٣ .

١٢٠- رهن التبرع، هو الذي يتبرع به الراهن وثيقة للدين من دون ان يكون ذلك مشروطاً عليه في بيع او شبهة.

١٢١- التذكرة ١٢/٣ .

١٢٢- المغني ٣٨٢/٤ .

١٢٣- منتهى الارادات ٤٠٧/١ .

١٢٤- السائل هو سحنون بن عيد التنوخي، راوي المدونة، والمسؤول هو عبد الرحمن بن القاسم صاحب الامام مالك، الذي نقل اقواله فيها.

١٢٥- المدونة الكبرى ٢٣/١٤ .

١٢٦- البحر الزخار ١١١/٤ .

١٢٧- المحلى ٩١/٨ .

١٢٨- التذكرة ١٢/٢-١٣ .

١٢٩- منهاج الصالحين للإمام الحكيم ٩٩/٢ .

١٣٠- انظر نصوص هذا الحديث في: البخاري ٢٣٨/٣ و ٢٤٥، والنسائي ٣٠٥/٧، ومسند احمد ٨١/٦، وموطأ مالك ٢٨٨، وانظر كذلك وسائل الشيعة ٤٠/١٦، ٣٥٣/١٢، والتهذيب ١٢٦/٢، الوقفية ٤٣/٢ و ٦٧ .

١٣١- انظر الوسائل ٣٥٣/١٢ وصحيح الترمذي ٤٠٣/٢ وسنن ابي داود ٣٠٤/٣ .

فضل
أيام عشر ذي الحجة

■ بقلم الاستاذ عبد الله محمد أبو زيد

روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الأيام» يعني العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

وروى الامام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم ولا أحب الى الله العمل فيهن من هذه الايام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد» وروى ابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضل الأيام يوم عرفة».

❖ أنواع العمل في هذه العشر:

الأول: اداء الحج والعمرة، وهو أفضل ما يعمل، ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة».

الثاني: صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها، وبالأخص يوم عرفة، ولا شك ان جنس الصيام من أفضل الاعمال وهو ما اصطفاه الله تعالى لنفسه كما قال تعالى في الحديث القدسي: «الا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»، رواه مسلم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم في سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»، متفق عليه، أي مسيرة سبعين عاماً، وروى مسلم رحمه الله عن ابي

قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله والتي بعده».

الثالث: التكبير والذكر في هذه الأيام، لقوله تعالى: ﴿**ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**﴾ وقد فسرت بأنها أيام العشر، واستحب العلماء لذلك كثرة الذكر فيها، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن احمد رحمه الله وفيه: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وعن ابي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان الى السوق في العشر، فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهما، وروى اسحق رحمه الله عن فقهاء التابعين رحمة الله عليهم أنهم كانوا يقولون في أيام العشر: «الله أكبر الله أكبر لا إله الا الله والله اكبر الله أكبر ولله الحمد» ويستحب رفع الصوت والتكبير في الأسواق والدور والطرق والمساجد وغيرها، لقوله تعالى: ﴿**ولتكبروا الله على ما هداكم**﴾.

الرابع: التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب، حتى يترتب على الأعمال المغفرة والرحمة، فالمعاصي سبب البعد والطرد، والطاعات سبب القرب والود، وفي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ان الله يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه» متفق عليه.

الخامس: كثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات، كالصلاة والصدقة والجهاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام، فالعمل فيها وان كان مفضولاً فإنه أفضل وأحب الى الله من العمل في غيرها وان كان فاضلاً، حتى الجهاد الذي هو من أفضل الأعمال عقر جواده واهريق دمه.

السادس: يشرع في هذه الأيام التكبير المطلق في جميع الوقت، من ليل أو نهار الى صلاة العيد، ويشرع التكبير المقيد وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة التي تصلى في جماعة، ويبدأ لغير الحجاج في فجر يوم عرفة، وللحجاج من ظهر يوم النحر، ويستمر الى صلاة العصر آخر أيام التشريق.

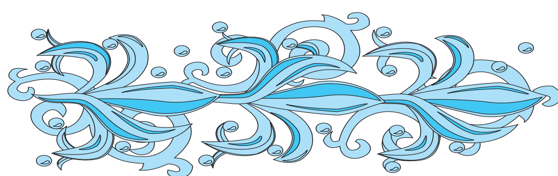
السابع: تشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق، وهي سنة أبينا إبراهيم عليه السلام حين فدى الله ولده بذبح عظيم، وقد ثبت ان النبي ﷺ «ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما» (متفق عليه).

الثامن: روى مسلم رحمه الله وغيره عن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال:

«اذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم ان يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره» وفي رواية «فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره حتى يضحي» ولعل ذلك تشبيهاً بمن يسوق الهدي، فقد قال الله تعالى: **﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾** وهذا النهي ظاهره انه يخص صاحب الأضحية، ولا يعم الزوجة والأولاد الا اذا كان لأحدهم أضحية تخصه، ولا بأس بغسل الرأس ودلكه ولو سقط منه شيء من الشعر.

التاسع: على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى، وحضور الخطبة والاستفادة، وعليه معرفة الحكمة من مشروعية العيد، وأنه يوم شكر وعمل وبر، فلا يجعله يوم شر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسع في المحرمات، كالأغاني والملاهي والمسكرات ونحوها مما قد يكون سبباً لحبوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.

بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة، ان يستغل هذه الأيام بطاعة الله وذكره وشكره والقيام بالواجبات والابتعاد عن المنهيات، واستغلال هذه المواسم والتعرض لنفحات الله ليحوز على رضى مولاه، والله



المفكرون الاسلاميون

مارسوا التطبيق الايجابي ولم يمارسوا التطبيق السلبي

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

ان المفكرين الكبار –اضافة الى أئمة الفقه الأربعة الكبار– هم: الخليل ابن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥) والجاحظ (ت٢٥٥) وابن حزم (ت٤٥٦) والغزالي (ت٥٠٥) وابن رشد (ت٥٩٥) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت٧٥١) والشاطبي (ت٧٩٠) وابن خلدون (ت٨٠٨).

–هؤلاء نظَّروا– بيد انهم تخصص كل منهم بالتطبيق الايجابي التجزيئي (اي على المنهج الفقهي) في مجال او اكثر ولم يلتفتوا كثيراً الى التطبيق السلبي، واعني بالتطبيق السلبي، نفي ما علق بأخبار سيرة الرسول ﷺ وبالحديث الشريف، وبأحداث التاريخ، من اخبار كاذبة او موضوعة.

فالخليل.. صاحب فكر احترافي، قصَره على النحو والعروض، وهذا مهم، لكنه لا يقدم نظرة شمولية للحياة، بل انه جاء بمصطلحات كثيرة في العروض، تربو على مئة وعشرين مصطلحاً عقّدت العروض، مع انه سهل في حقيقته، ولهذا قال الجاحظ: «العروض علم بارد»[1] وهو محق، غير ان تفصيل ذلك ليس من اهداف هذا المقال،

وابن حزم منظر للفقه، والحديث النبوي، وفقيه، أما الجاحظ فقد أخذ من كل علم بطرف، وكان صاحب نظرات صائبة وعميقة في كل ما تناوله من جزئيات، غير أنه لم يكن له نظرية شمولية في إدارة دفة الحياة والحكم.

والغزالي سبق ان لخصنا رأينا فيه.

وابن رشد (ت٥٩٥) كان متفلسفاً وخير شارح لأرسطو، حاول ان يوفق بين الشريعة والفلسفة «سمى الفلسفة: الحكمة» ومن أشهر كتبه في هذا الباب «فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، بيد أنه غلب الفلسفة على الشريعة، فرأى ان الفلسفة للفكر والتنظير، اما الشريعة فعملية، اي اهميتها في حل المشاكل اليومية، والحق انه كان أقلهم تأثيراً في الحياة اليومية، وأقلهم امساكاً لعجلة الهبوط من الاسراع في انحدارها.

وابن تيمية كان صاحب نظر ثاقب في أمور الفكر النظري والافتاء، وقد دخل السجن مراراً وطويلاً بسبب فتاواه السياسية، حتى لقد توفي رحمه الله وهو في السجن، ولكنه لم يضع نظرية سياسية اجتماعية اقتصادية شاملة.

وابن قيم تلميذه، لا يختلف عن استاذه، بل لم يهتم بالسياسية اهتمام استاذه، ولكنه اشار اشارة تكتب بماء الذهب.

وابن خلدون سبق ان لخصنا رأينا فيما كتب في المقالة السابقة.

❖ المفكرون لم يلتفتوا الى أصل الأصول:

والحكم الأخير ان هؤلاء المفكرين الكبار «ومن يأتون دونهم في عمق الفكر» لم يلتفتوا الى أصل الأصول كلها، وهو كما أسلفنا تنقية سيرة الرسول ﷺ العطرة وأحاديثه، وأحداث حياة الصحابة رضوان الله عليهم، ثم أحداث التاريخ بعد ذلك، مما داخلها من اكاذيب وأباطيل وخرافات وغرائبيات وأساطير، لأن الباطل لا يثمر حقاً وعدلاً، ولأن الذين تُحشى أذهانهم ويحشى وجدانهم بمثل هذه اللاعقلانيات، يستحيل ان تنمو لديهم عقول عقلانية قادرة على اصلاح الحياة، والتقدم بها الى الأمام، وانما يستفحل في عقولهم التفكير اللاعقلاني فيشيع التقديس والتقليد، لما ليس مقدساً، ويتبع ذلك التبرير، وهؤلاء الذين تحشى عقولهم بمثل ما ذكرت ليسوا هم هؤلاء المفكرين الأفذاذ، وإنما من يأتون دونهم من أصحاب العقول الكلية.

ولهذا لم يُغير فكر كل هؤلاء المفكرين حالة المجتمعات، وان ساعد على الحفاظ عليها من التدهور المروع، الذي يؤدي الى التخلي عن الاسلام -لا سمح الله تعالى- عقيدة وعبادة وفكراً وسلوكاً، والله تعالى أعلم.

❖ منهج المعتزلة:

المعتزلة بشكل عام لم يبنوا منهجهم على الشك -الا الجاحظ- وانما كان همهم منصباً على قضايا فكرية نظرية، كمسألتي التوحيد والعدل، ومسألة المنزلة بين المنزلتين، وأخطر قضاياهم هي مسألة «خلق القرآن» التي سميت في التاريخ بحق بعبارة «محنة خلق القرآن» وقد تبنى وجهة نظرهم هذه المأمون، وامتحن العلماء على اساسها، فمن وافق على ان القرآن مخلوق، كما يقول المعتزلة، نجا، ومن قال: ان القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وصفته قديمة كلامه قديم، عذب وسجن -كالإمام أحمد بن حنبل، وشيخه- فمات الشيخ في السجن، ولم يخرج الامام احمد من السكن الا بعد ان تولى الحكم المعتصم، فلم يأخذ برأي المعتزلة، وعاد الى الرأي الأعم، وهو ان القرآن العظيم هو كلام الله وكلام الله تعالى صفته، وصفات الله قديمة قدمه، فالقرآن قديم، غير مخلوق.

ان المعتزلة توهموا انهم اصحاب العقل، في مقابل سائر أهل السنة الذين سموا اصحاب النقل[٢] بيد ان العقل.. ليس مجرد فذلكات تحفظ آليتها من «علم الكلام» المشتق من المنطق الأرسطوي، الشكلي الذي لا يقدم شيئاً لتجلية الأفكار، ومن المعلوم بالضرورة ان المنطق لا يحول صاحب العقل الصغير الى محلل قدير، كما ان البلاغة لا تحول العيي الى أديب، وان قرأ كل كتب البلاغة، ومثل المنطق والبلاغة العروض، فليس العروض يحول الشاعر المقرزم الى شاعر عملاق، ان هذه علوم معرفتها وعدم معرفتها سيان، او هما امران متقاربان وليس كذلك النحو مثلاً وفقه اللغة.

❖ دليل عبثية هذه العلوم:

والدليل على أنها لا قيمة لها، أن أكبر شعراء العربية كانوا، قبل معرفة «علم العروض» كانوا يَزِنون بميزان الحس الوجداني المرهف، فيكون كلامهم آتياً على أساس الأوزان العروضية التي حولها العبقري العربي الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) الى علم بدأ محترقاً، اذ اكثر رحمه الله تعالى من الجزئيات المصطلحية التي تعوق التعلم، ولا تفيد للأسف الشاعر شيئاً، ولهذا قال العبقري العربي الآخر، -الجاحظ- عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ): «العروض علم بارد!» كما ذكرنا عبارة الجاحظ هذه آنفاً.

والبلاغة.. لم يعدل بها واضعوها الى غايتها وهي بيان ما في الكلام من جمال،

ومن خلل، وانما أضحت مصطلحات علمية، تتعب معرفتها لكثرة تفصيلاتها دون ان تساهم في توعية متلقيها الى ما في الكلام من جمال، ومن خلل، لماذا هذا كلام جميل، وذاك كلام فيه خلل؟ وليس هنا مجال التفصيل في موضوع البلاغة، على انها بعد الامام عبد القاهر الجرجاني تحولت الى قشور، الى علم مصنوع لا علاقة البلاغة، وهو تبيين ما في الكلام البليغ من جمال، وما في الكلام الرديء من ضعف وخلل، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

١- انظر الجاحظ، الحيوان ٣/١٢١ .

٢- انظر تفصيل ذلك، في الجزء الثاني تحت عنوان «تأصيل للعلاقة بين العقل الكلي والعقل الجزئي» سبقت الاشارة لهذا العنوان، اذ لا فرق جوهرياً بين النقل «العقل الكلي» وبين عقل الانسان «العقل الجزئي» فكلاهما عقل، وكلاهما من إله واحد، مع كمال في العقل الكلي، وقليل من النقص في العقل الجزئي، ثم انظر مقالتين لي سبقتا في مجلة هدى الاسلام.



قطوف دانية

اعداد خلود محمد العجرمي

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾.

البقرة: ١٩٧

الحج فرض واجب فلا تؤخره

عن الفضل رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة».

معنى السبيل

قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

للعلماء أقوال في تفسير ﴿السبيل﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: السبيل ملك الزاد والراحلة، وقال عكرمة رحمه الله: السبيل: الصحة، وقال مالك رحمه الله: السبيل: القدرة.

الحج دعوة من الله
لأحبائه وأصفيائه

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لو يعلم المقيمون ما للحجاج عليهم من حق، لأتوهم حين يقومون، حتى يقبلوا رواحلهم، لأنهم وفد الله تعالى من جميع الناس».

الحج والعمرة غفران للذنوب

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «ما ترفع ابل الحاج رجلاً ولا تضع يداً، الا كتب الله له بها حسنة، او محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة».

حتى الجبناء تشملهم الفضل

عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال:

جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: «اني جبان، واني ضعيف» فقال ﷺ: «هلم الى جهاد لا قتال فيه؛ الحج».

فضل من مات حاجاً أو معتمراً

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «من خرج حاجاً فمات، كتب الله له اجر الحاج الى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات، كتب الله له اجر المعتمر الى يوم القيامة، ومن خرج غازياً في سبيل الله فمات، كتب الله له اجر الغازي الى يوم القيامة».

لبى الحجيج

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

لبى الحجيج نداء الله وارتحلوا ... تلقاء مكة والأفواه تبتهل

لبيك وحدك يا الله وفقنا ... دوماً بذكرك يا الله ننشغل

جئناك نحمل اوزارا تؤرقنا ... فاصفح فإنك أنت المحسن الجزل

جئناك نطلب منك العفو فاعف لنا ... يا صاحب العفو دعنا فيه ننشمل

انت الرحيم ومن في الكون يرحمنا ... إلاك يا رحمن الواحد الأزل

انت المعز فيا الله عز لنا ... دينا رضيت ومن في الطاعة انشغلوا

انت المذل فيا الله ذل لنا ... كل اليهود فهم اعداؤنا الأول

عاثوا فساداً في ارجاء ديرتنا ... بالقدس بالأقصى وحيثما نزلوا

شتت بحولك يا الله جمعهمو ... جمع خبيث لا ينتابه وجل

وارجع بفضلك الاقصى فرحنا ... حتى برؤياه الأبصار تكتحل

هيئ له كصلاح الدين ينقذه ... ممن بتدميره يا ربنا انشغلوا

لكنه باق والله حافظه ... مهما تمادى الحاقدون والضلل

يا ربنا ارجعنا كيوم مولدنا ... بلا ذنوب ولا يبقى لنا زلل

واقبل بفضلك يا الله حجتنا ... لا حج ينفع الا منك ينقبل



بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩

أين القدس من شعر شوقي؟

■ بقلم الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي

أحب الشاعر الكبير أحمد شوقي المكان الذي قضى فيه زمناً ولو قصيراً من عمره، فظهر أثره في شعره، وكلما استمتع بهذا المكان أكثر كان شعره فيه أصدق وأجمل.

وأما وطنه مصر، فقد ظهرت له إبداعات كثيرة في حبه والتعلق به، فلما نفي عنه الى اسبانيا في بداية الحرب العالمية الأولى، استعر حبه في قلبه، كما يقول أحد الباحثين، وغنّى له من هناك أعذب الحانه الوطنية على الاطلاق، كما بدا في السينية والنونية:

يـا نائـح الطلـح أشبـاه عـوادينـا ... وصار النيل عنده اعذب من ماء الكوثر!

مدن تغنى بها:

وقد ذكر في شعره بعض المدن الأوروبية، وحظيت منه باريس بأكثر من قصيدة، أما روما وجنيف فواحدة لكل منهما، وكذلك طوكيو وطرابلس الغرب، وكثر تغنيه بآثار الأمويين في الأندلس الذاهبة.

مدن عربية وإسلامية:

اما المدن العربية والاسلامية فقد تفاوتت فيها أعداد قصائده، وهذا ما سنركز عليه في هذه المقالة.

استانبول:

فقد ذكر الاستانة «فروق» بل أفرد لها ثلاث قصائد طوال، مرة في وداعها «الشوقيات ١٥٤/١» وثانية في هجرها والانتقال الى أنقرة عاصمة جديدة «الشوقيات ١٦٣/١»، وثالثة في إثر الغاء الخلافة عام ١٩٢٤ «الشوقيات ١٠٥/١»،

وفي استيلاء البلغار على أدرنة عام ١٩١٢، تفجع عليها وسماها أخت الأندلس «الشوقيات ١/٢٣٠».

وربما كانت قصائده هذه هنا ذات دوافع دينية، كما أقام في عاصمة الخلافة بعض الوقت وعاش فيها، وهذه علاقات خاصة، فضلاً عن أن أحد أصوله الأربعة جد تركي.

دمشق:

وربما كانت دمشق أوفر المدن العربية حظاً في شعر شوقي، فقد رثى فيها فوزي الغزي «الشوقيات ٣/١١٠»، ونظم في نكبة دمشق ١٩٢٠، قصيدة قافية لعلها من أعذب الحانه «الشوقيات ٢/١٠١»، وثالثة كانت من آيات البيان في حب دمشق وطبيعتها:

آمنت بالله واستثنيت جنته

دمشق روح وجنات وريحان

«الشوقيات ٢/١٠٠» ورابعة في رثاء يوسف العظمة بطل معركة ميسلون «الشوقيات ٢/١٨١».

لبنان: بيروت وزحلة:

وقد أفرد لبيروت قصيدتين عامرتين: الأولى في الاعجاب بجمالها وأناسها «الشوقيات ٢/١٠٥» والثانية في نكبتها حينما ضربها الطليان عام ١٩٢٦ «الشوقيات ١/١٦٢»، أما زحلة فقد صاغ فيها قصيدة كافية طبقت الآفاق وتغنى بها الناس والمغنون «الشوقيات ٢/١٥٠».

عمر المختار:

ولقد رثى المجاهد الليبي الكبير عمر المختار بهمزية يستحقها «الشوقيات ١٧/ ٣».

وفي نهر دجلة:

وربما كانت اقرب الى المجاملة والمدح السياسي «الشوقيات ٤/٨٨».

أما القدس وأما فلسطين:

فلم تفرد لها قصيدة واحدة ولو قصيرة، بل انها قد ذكرت عرضاً وتتمة لموضوعات أخرى، وأقصى ما ظفرت به أبيات قليلة بمناسبة دفن الزعيم الهندي محمد علي الهندي فيها عام ١٩٣١:

بيت على ارض الهدى وسمائه

الحق حائطه وأسس بنائه

الفتح من اعلامه والطهر من

اوصافه والقدس من أسمائه

فهي الأرض المباركة التي ذكرت في القرآن الكريم، وهي ارض المسجد الأقصى التي بارك الله حولها، ذات الشأن في

الدعوة الى الله، فقد صلى فيها رسول الله محمد ﷺ بالأنبياء، وها هم الناس يجتمعون فيها لدفن هذا الزعيم، ويخاطبها بشكل مباشر:

يا قدس هبي من رياضك ربوة

لنزيل تربك واحتفل بلقائه

«الشوقيات ١٢/٣»

وفي نهاية القصيدة يعود لذكر مدينة القدس باعتبارها مثوى لهذا الزعيم المسلم فيسميها سيدة القرى، ويذكرها بأنها كانت مما ينصره هذا الذي سيدفن في أحشائها.

هذا أقصى ما حلمت به القدس من شعر شوقي، اما في مناسبة دفن الشريف حسين ابن علي رحمه الله فيها، فلم تذكر الا مرة واحدة بكلمة مفردة، دون وصف:

وادفنوه في القدس بين سليمان وداود والملوك الأكـــرام

انما القدس منزل الوحي مغنى كل حبر من الأوائل عالم

«الشوقيات ١٥٠/٣»

وقد ذكر الشريف حسين ذكراً طيباً وذكر أبناءه الملوك في الشام والعراق، ويذكر ان عواصم العالم العربي بغداد والشام وعمان والحجاز ومصر كلها تبكيه.

كذلك في قصيدة نهج البردة التي طبقت الآفاق فلم يرد ذكر القدس سوى مرة واحدة:

أسرى بك الله ليلاً اذ ملائكه

والرسل في المسجد الأقصى على قدم

«الشوقيات ١٩٨/١»

وفي قصيدة ثالثة بدت معارضة لموشحة اندلسية معروفة ورد فيها ذكر بيت المقدس وكأنه حاجة عروضية لإتمام الثقافة والروي:

هل درى أندلس من قدما

داره من نحو بيت المقدس؟

«الشوقيات ١٧٦/٢»

ويذكر شوقي القدس مرة اخرى في قصيدة أنشأها لتنشر في حفل افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر عام ١٩٢٧، وقد تحدث فيها عن الوفود العربية التي تنادت للمناداة به أميراً للشعراء، يقول:

أين الوفود الملتقون على القرى

المنزلون منازل الأكرام

الوارثون القدس عن أحباره

والخالفون أمية في الشام

ولنتأمل الشطر الأول من البيت الثاني:

الوارثون القدس عن أحباره، انه يعني القادمين من فلسطين، وهل ورثنا القدس عن أحبار النصارى؟ ما هذا التفكير!؟ هل ننكر اسلامية القدس وعروبتها؟ ليس من يوم طوعها المسلمون بعد اليرموك واستلمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحسب، بل أليست القدس عربية منذ ثلاثة آلاف سنة، ألم تكن يبوس عربية؟ ألم يكن فيها الملك الموحد ملكي صادق، ومر به فيها النبي ابراهيم الخليل عليه السلام؟ كيف ورثناها عن النصارى؟

ويبدو ان شوقي مقتنع بما يقول، ففي صدد حديثه عن مسجد أياصوفيا في استانبول، وقد حوله السلطان محمد الفاتح من كنيسة، يقول:

فيا لثأر بيننا بعده

أقام لم يقرب منه ولا يبعد

باق كثأر القدس من قبله

لا ننتهي منه ولا يبتدي

«الشوقيات ٢/٢٦»

إنه ثأر، ثأر قائم ينتظر التنفيذ، ثأر كنيسة أياصوفيا، ثأر ينبغي ان يسترد للنصارى تماماً كثأر القدس من قبله، وهذا الثأر يزعج شاعرنا باستمرار، لا هو بالمسترد لأصحابه القدامى ولا هم بالساكتين عنه، ما هذا التفكير؟ وكيف يمكن ان يستساغ؟ حشفاً وسوء كيلة، كما قالت الأعراب قديماً.

ما وراء ذلك؟

ترى ما هي الاسباب التي تقف وراء حرمان بيت المقدس، من ان يذكر في قصيدة برأسها في شعر شوقي، ان لم يكن بقصائد أسوة بسائر العواصم العربية والاسلامية؟

- أليس لها في قلوب العرب والمسلمين من المنزلة الدينية مثلما حظيت به في نفوسهم مدينة الخلافة الاسلامية استانبول؟ أليست قبلتهم الأولى، ومسجدهم الثاني، وحرمهم الثالث، وقد ثبت لدى الجميع حس شوقي الاسلامي في قصائده الغراء المعروفة.

- ألم يهبها الله سبحانه وتعالى ما وهب غيرها من جمال الطبيعة واعتدال الهواء وخصوبة العطاء، كما وهب دمشق وبيروت؟ أليست هي التي ذكر عنها جده الفرعوني قبل الميلاد «سنوحي» حينما زارها حينئذ أنها الأرض التي تدر عسلاً ولبناً؟ أم أنه انتسل من اجداد أكراد وأتراك ويونان وشركس، وحال ذلك دون ذلك؟

- ألم تحل عليها كوارث الاستعمار فتصاب بمثل نكبة دمشق أو نكبة بيروت؟

- ألم تقم فيها انتفاضات تنشد الحرية مثل وعد بلفور عام ١٩١٧م، وأحداث العشرينات؟

- ألم تعلق فيها على اعواد المشانق رؤوس نافحت أعداء الله في الأرض كما نافح الشهيد عمر المختار؟ وأين أحداث ثورة البراق عام ١٩٢٩؟ وأبطال سجن عكا: عطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم في شعر شوقي؟

- أم ان شوقي سكت عنه كما سكت عن رثاء الأبطال العرب الذين أعدمهم جمال باشا في بيروت ودمشق عام ١٩٠٦م، ورثاهم الزهاوي وغيره من شعراء العرب؟

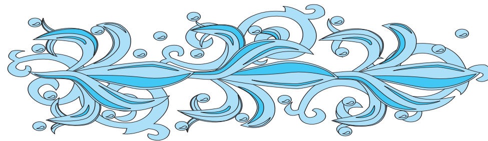
- هل حال ذلك كله عن هذا كله بسبب علاقة شوقي بالقصر الخديوي، حتى زين لنفسه هجاء أحمد عرابي - بطل ثورة عام ١٨٨١م بثلاث قصائد؟

- ام ان فلسطين كانت إرثاً صليبياً واغتصبناه من اهله، وصار إرثاً ثقيلاً علينا كما ورد في قصيدته عن مسجد أياصوفيا؟ وكما قال في قصيدة أخرى عن أهل القدس: «الوارثون القدس عن أحباره»؟

- هل كان ذلك لأن شوقي لم يزر فلسطين؟ ولا ندري لماذا لم تتشرف فلسطين بزيارة هذا الشاعر الكبير، كما زارها غيره من شعراء العروبة والاسلام وأدبائهم وكتابهم، وفي ديوان ابراهيم طوقان قصيدة عامرة أعدها ليلقيها في مهرجان استقبال شوقي في فلسطين مطلعها:

أهلاً برب المهرجان
أهلاً بنابغة البيان
اهلاً بشوقي شاعر
الفصحى ومعجزة البيان
يا فرقد الشعراء كم
من فرقد لعلاك ران

اننا نتساءل بهذه التساؤلات دون التنازل



٥

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

عجلان بن رميثة ابن محمد أبي نمي الأول

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

الشريف عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن الحسن بن قتادة، عز الدين؛ ولد عام ٧٠٧ هـ= ١٣٠٧م[١]، كان والده رميثة أميراً لمكة سنوات طويلة؛ وكان الشريف عجلان وأخوه الشريف ثقبة قد اشتريا مكة من أبيهما رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه كبر سناً، وصار كل واحد منهما يحكم في البلاد بما شاء واختار، فما رضي بذلك ملك مصر لما بلغه، وأعاد رميثة إلى إمرة مكة، واستمر إلى سنة ست وأربعين وسبعمائة ٧٤٦هـ، ثم عزل عنها بابنه عجلان، وكان الملك الكامل[٢] ولاه ذلك من مصر، فوصل مكة متولياً ودخلها في حياة أبيه، وتوفي والده رميثة[٣].. فاستقل وأظهر الشريف عجلان العدل في مكة وأبطل المكوس والنهب والقتل، وخرّج ربع الجبايات[٤].

وقال القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ /١٤١٨م: (بقيت إمارة مكة في عقبه إلى الآن في بيت عَجلان بن رميثة)[٥].

قال ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م في كتابه الموسوم بـ (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة): (ولي إمرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة، مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبة مدة، وشريكاً لابنه أحمد هذا مدة.. وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة، وكان بخلاف آبائه وأقاربه؛ يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة، وربما كان يذكر أنه شافعي المذهب، وهذا نادرة في السادة الأشراف، فإن غالبهم زيدية يتجاهرون

بذلك، قيل: "إنه ذكر عنده مرة معاوية بن أبي سفيان لينظروا رأيه فيه، فقال عجلان: معاوية شيخ من كبار قريش لاح له الملك فتلقفه"، قلت[٦]: لو لم يكن من محاسنه إلا إتباعه للسنة النبوية لكفاه ذلك شرفاً)[٧].

وقال العصامي[٨]: (كان عجلان رحمه الله تعالى شيخاً صالحاً سعيداً اتفق له ما لم يتفق لأسلافه من السعودات؛ فإنه أول من ملك بلاد حلى من أهله السابقين، وبنى الحصون بأجياد، وأرض حسان والمدارس بمكة، وملك العبيد والخيول، والدروع الكثيرة، وأنشأ بمكة سبيلاً للماء بالمروة واستمرت خيراته وحسناته.

ومدحه جماعة من الشعراء منهم الشاعر المعروف بالنشو ومما مدح به الشريف عجلان قول الشاعر المعروف بالنشو قصيدة:

لَولا الغرامُ ووجدهُ ونحولُهُ
ما كُنتَ ترحمُهُ وأنتَ عذولُهُ
إن كنتَ تنكرُهُ فَسَلْ عن حالِــهِ
فَالحُب داء لا يفيقُ عليلُــهُ
يا من يَلُومُ على الهَوَى أهلَ الهوى
دَعْ لومهُم فالصبّرُ ماتَ حميلهُ
دع عنك من لا خَيرَ فيه من الورى
لا تَمتَدحهُ وفي الأنام بديلُـهُ
وامدح مَلِيكَ العَصرِ وابْنَ مليكِهِ
من شَاعَ ما بين الملا تفضيلُهُ
عجلانُ نَخل رُمَيثَة بن محمدٍ
أمن الحَوادِثِ والخطوبَ نزيلُهُ
وَرِثَ المَكارِمَ كابراً عن كابرٍ
فنوالُــهُ للعالميــنَ ينيلُــهُ
مِن آل أحمد واحد في عصرِهِ
فهو الشريف ابن الشريفِ سليلُهُ
ماذا يقولُ المدحُ فيه وما عسَى
إذ كان يَخْدِمُ جدكُم جبريلُهُ
أما الملوكُ فَكلُهُمُ مِنْ دونه
كالبَدْرِ في أُفْقِ السماءِ حلولُهُ
سلطانُ مكَّةَ والمشَاعرِ والصفا
مَنْ لا يَخَافُ مِنَ الزمانِ نزيلُهُ
لو حاوَلَ النجمَ العَظيمَ لنالَهُ
تنبيك عنْهُ رِمَاحُهُ ونصولُـهُ
سكنَت مَحَبَتُهُ القلوبَ جميعَها
لما تَقَارَنَ سَعْدُهُ وقبولُــهُ

وقال العصامي المتوفى ١١١١هـ: (ولي مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة منفرداً إلى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ٧٤٨هـ، ثم شريكاً لأخيه ثقبة إلى سنة خمسين وسبعمائة ٧٥٠هـ ولولده أحمد بن عجلان، ووقعت بينه وبين أبيه وإخوته وولده أحمد منازعات اقتضت عزمه إلى مصر مراراً؛ أولها سنة موت والده رميثة سنة أربعين

وسبعمائة ٧٤٠هـ، فوافق وصوله إليها موت ملكها الملك الصالح وتولية ابنه الكامل، فولى الكامل الشريف عجلان مكة منفرداً فوصل إليها، وقرئ مرسومه بالتولية ودعي له بعد المغرب بأعلى زمزم على العادة.. ثم وقع بين الشريف عجلان وأخيه الشريف ثقبة سنة خمسين وسبعمائة ٧٥٠هـ فتنة[٩].

وفي موسم الحج سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ٧٥١هـ وقع بمنى قتل ونهب، واستمر إلى عام ٧٥٤هـ.

وذكر ابن خلدون –المتوفى سنة ٨٠٨هـ– في تاريخه أنه في عام ٧٥٦ ولي عجلان إمرة مكة مستقلاً[١٠].

وولي عجلان إمرة مكة مستقلاً إلى سنة ستين وسبعمائة ٧٦٠هـ، ثم عزل إلى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ٧٦٢هـ، وفيها قدم الشريف عجلان من مصر متولياً، وأشرك أخاه ثقبة[١١]، فمات ثقبة، واستقل عجلان[١٢].

وقال ابن تغري بردي: (كانت وفاته في ليلة الاثنين الحادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبعمائة –٧٧٧هـ = ١٣٧٥ م– ودفن بالمعلاة رحمه الله وقد قارب السبعين سنة من العمر)[١٣]، وكان له جملة من الأولاد منهم: أحمد وكبيش ومحمد وعلي وحسن.

الهوامش:

١ . الأعلام للزركلي ج ٣ ص٣٣.

٢ . الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد ملك مصر من عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م إلى ٧٤٦هـ= ١٣٤٦م.

٣ . توفي رميثة بمكة سنة ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٦م.

٤ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ ص٤٠٠.

٥ . قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ج ١ ص٤٧.

٦ . القائل هو ابن تغري بردي .

٧ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج ٣ ص٢٣٢.

٨ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ ص٤٠١

٩ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ ص٤٠٠.

١٠ . تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص٤٥٠.

١١ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني – ج ١ ص٣٤٢.

١٢ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ ص٤٥٢، وخلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام ابن زيني دحلان ص٣١.

١٣ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج ٣ ص٢٣٢ .

الشباب ونهضة الأمم

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

إن الاسلام قد حفل كثيراً بالشباب، واعتنى بهم النبي ﷺ عناية كبيرة، لأنهم مشاركون في بناء الأمة ونهضتها وسؤددها، بل ان الأمة لا تقوم الا على سواعد شبابها الذي يهتمون لها، ويضحون في سبيل دينهم ومبادئهم التي تربوا عليها.

وكل أمة مهزومة عبر التاريخ ما تمت هزيمتها الا بهزيمة شبابها، عن طريق افساد مبادئهم وقيمهم، وغزوهم في أخلاقهم وسلوكهم، وكل أمة تود تحطيم الأخرى فإنها ترمي بثقلها في خططها وبرامجها على فئة الشباب، كما يحصل في حروب المخدرات، وإغراق البلاد المقصودة بالغزو بها، بإفساد القوة الحيوية لديها وكما هو حادث الآن من بث الفساد الأخلاقي، والتهتك والعري الفاضح عبر عدد من القنوات الفضائية في مشاهد مثيرة، وحفلات راقصة، وبرامج مختلطة غريزية موجهة لإفساد الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً عن طريق تهييج غرائزهم وصرفهم عما يهمهم ويهم أسرهم وأمتهم، وجرهم الى ميادين العبثية والفوضى الأخلاقية التي نشاهدها في كثير من البرامج التي تهدم ولا تبني أبداً.

ومع طول الزمن، وكثرة هذه المؤثرات، تضعف الرقابة عليها، وتكون مستساغة في المجتمعات، فتفتك بالشباب في أخلاقهم ومعنوياتهم، وتقتل مبادئهم وقيمهم، وحينها

يكون الشباب هملاً، لا لمصالحهم ينظرون، ولا بأمتهم ينهضون، واذا تم تدمير الشباب سهل تدمير أمتهم، وهذه القضية يعرفها المختصون، ويتفق عليها كل العقلاء في أية أمة من الأمم وشواهد التاريخ تدعمها، وأحداث الواقع تؤيدها، فحين تراجع النفوذ الفرنسي امام النفوذ الانجليزي في نهاية القرن العشرين، اضطرت فرنسا الى الرضوخ لمطالب بريطانيا عام ١٨٩٩م، فيما عرف باتفاقية تقسيم المستعمرات، في خضم تلك الأحداث عقد البرلمان الفرنسي عدة جلسات لا ليحاكم وزير الدفاع وقادة الجيش الفرنسي المهزوم، وانما ليحاكم وزير التربية والتعليم بحجة ان نظام التعليم لو استطاع تخريج شباب مؤمن بفرنسا وقضاياها، لما سلم اسلحته ولا انسحب من اية معركة، ولكان جنوده مستبسلين في الدفاع عن أمتهم التي احبوها، وآمنوا بها، وتغذوا على الدفاع عنها وعن مبادئها وقيمها.

ولو قلبنا التاريخ، وأمعنا النظر في سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لوجدنا ان اكثر اتباعهم من فئة الشباب، ولو درسنا تاريخ الحركات التجديدية الصالح منها وغير الصالح لوجدناها ما قامت الا على أيدي الشباب.

ولو نظرنا في السيرة النبوية لوجدنا ان شباب قريش، كانوا من السابقين الى الاسلام حين استتكف الشيوخ والأكابر عن قبول دعوة الرسول ﷺ.

وكان للشباب دور كبير في نصرة الاسلام عسكرياً، ونشره دعوياً، ورد الشبهات عنه، فمصعب بن عمير رضي الله عنه بعثه النبي ﷺ الى المدينة المنورة ليعلم الناس وهو شاب، وبعث معاذاً الى اليمن قاضياً ومعلماً وهو شاب، وابن عباس رضي الله عنه كان يفسر القرآن، ويفقه الناس وهو شاب، وعهد النبي ﷺ لأسامة بن زيد بقيادة جيش فيه كبار الصحابة وهو شاب، والذين جمعوا القرآن في عهد ابي بكر رضي الله عنه هم الشباب، والذين قادوا الجيوش الجرارة، وكانوا قواد المعارك الكبرى الحاسمة في تاريخ الاسلام هم من الشباب.

وهكذا لو قرأنا سير القادة الكبار، والأبطال الشجعان، الذين أبلوا بلاءً حسناً في الاسلام، ونصبوا له راية في كل ارض لوجدناهم قد قضوا شبابهم في ميادين الجهاد، كما كان حال صلاح الدين رحمه الله تعالى.

بل ان الشباب حققوا في كثير من المعارك ما عجز عن تحقيقه كبار القادة

والفاتحين، كما كان ذلك للسلطان محمد بن مراد الثاني العثماني، الذي اكرمه الله تعالى بفتح القسطنطينية، وقد عجز عن فتحها كبار قادة المسلمين في الدولتين الأموية والعباسية، ومات ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه تحت أسوارها غازياً لها.

وقد اجمع المؤرخون من العرب والترك واللاتين والروم على ان السلطان محمد بن مراد حينما قاد جيشه لفتح القسطنطينية، لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وقد لقب بعد هذا الفتح العظيم بمحمد الفاتح.

والحديث عن انجازات الشباب في تاريخ الاسلام كثيرة، بل وفي تاريخ كل الأمم، والحضارة المعاصرة، والتقدم في الغرب وفي اليابان انما كان على ايدي شباب آمنوا بقضايا أممهم، وكرّسوا أوقاتهم في البحث والتجارب، حتى وصلت بلادهم الى ما وصلت اليه من تطور وتقدم، وما مظاهر الانحلال والضياع في البلاد الغربية من قبل طائفة الشباب الا طارئة في السنوات الأخيرة، وأما صناع هذه الحضارة العتيدة فما كانوا من الشباب اللاهين العابثين، ولذلك فإن عقلاء الغرب قد تنادوا، ودقوا نواقيس الخطر، وأحسوا ان أمتهم وحضارتهم الى زوال ما دام شبابهم على حالهم تلك من اللهو والعبث، **وهذا ما جعلهم يضطرون الى تشجيع هجرات شباب دول العالم الثالث المنتج الى بلادهم للاستفادة منهم في تسيير عجلة التقدم والتطور، واعطوهم ميزات مالية، واعتبارات نفسية ما كانوا يجدونها في بلدانهم المتخلفة.**

ان ما سبق عرضه ليدل دلالة واضحة على أهمية الشباب، ويحتم وجوب العناية بهم، ووضعهم على سلم أولويات خطط البناء والنماء.

ومما يبشر بالخير، ويدعو للغبطة والسرور ان شباب الأمة الاسلامية يمثلون الشريحة الأكثر في تعداد السكان، وهذه نعمة نغبط عليها، اذ ان كثيراً من الدول ولا سيما الصناعية تشكو من كثرة شيوخها، وقلة شبابها، حتى اطلق عليها «مجتمعات هرمة».

وهذه النعمة العظيمة يجب أولاً شكر الله سبحانه وتعالى عليها، ومن ثم استثمارها وتفعيلها للمشاركة في تنمية البلاد ونهضتها.

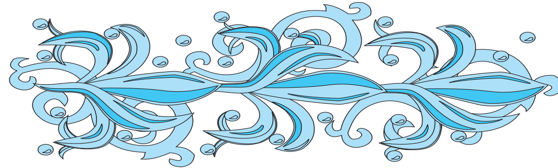
لقد آن الأوان لأن تُصرف جهود المخلصين والناصحين لهذه الشريحة الكبرى والمهمة في مجتمعنا، بدراسة

أوضاعها وإزالة مشاكلها، وتنمية مهاراتها، وتفعيل طاقاتها، والشباب عامل بناء وتنمية ان استثمروا على الوجه الصحيح، وعامل هدم وإثارة للقلاقل ان اهملوا وتركوا.

لقد لوحظت شكاية كثير من الناس لأولادهم في لهوهم وعبثهم، وعدم تحملهم للمسؤوليات الملقاة على عواتقهم، ولذلك اسباب كثيرة يمكن حصرها في الأبوين والأسرة، فالأبوان اللذان يوليان أولادهما عناية كبيرة تربية وتعليماً، وقرباً منهما ليسا مثل الأبوين اللذين أهملا أولادهما، ولا يلتقي الأب بأولاده إلا زمناً يسيراً في اليوم، بل سمعنا عن آباء يمكثون الجمعة والجمعتين لم يجلسوا مع أولادهم، ولم يسمعوا منهم ولم يروهم وهم في منزل واحد، يدخل الأب البيت آخر الليل وأولاده نيام، ثم يستيقظ لعمله وهم في مدارسهم، وعند عودته من عمله يرتمي نائماً الى العاشرة ليلاً وقد نام أولاده ليذهب مع اقرانه في استراحة أو قهوة.

فهل هذا الأب وأمثاله من المهملين لأولادهم قد أحسنوا التربية؟ وتلمسوا مشكلات أولادهم، واستمعوا الى شكاواهم؟ كلا، ثم هل هذا الأب جدير بأن يكون مربياً يُخرج أولاداً ينفعون أنفسهم وأسرهم، ويكونون من عوامل البناء لأمتهم؟ ما أبعد ذلك.

ان العقوق الذي يشتكي منه كثير من الآباء، نتيجة في أغلب صوره وأحواله إهمال الأولاد في صغرهم، والتقصير في تربيتهم، وبعض الآباء يلقي بالمسؤولية كاملة على الأم، ومعلوم ان الأم تستطيع السيطرة على الإبن الى سن معينة، فإذا بدت بوادر المراهقة على الولد فإنه يحتاج الى رجل يقف بجانبه، ويرشده ويحفظه من نزاوته وتهوره، ولا تستطيع الأم ذلك، فإذا اهمله الأب في هذا السن وما قبلها، فهل ينتظر منه البر بعد ذلك؟!.



التحديات الأخلاقية للفكر الاسلامي المعاصر

■ بقلم الشيخ زيدان محمود العقرباوي

ان المسلمين من اكثر الأمم منذ كانوا، وعياً بأهمية الأخلاق وأشدهم حساسية من كل انحراف عن موروثهم الأخلاقي، غير ان التزامهم بالتعاليم الأخلاقية كما جاء بها القرآن الكريم وبلغها قولاً وفعلاً وتجسيداً الرسول الأمين ﷺ، التزام تواجهه في كل العصور صعوبات كبرى، تتعلق بفهم الأحوال الجارية وكيفية معرفة درجة الامكانات التطبيقية من جهة، والاحتمالات الاجتهادية من جهة أخرى.

قال رسول الله ﷺ: «ان الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي»، فقد ورد هذا الحديث في البخاري ومسلم وغيرهما، وقام المفكرون المسلمون لقرنين من الزمان بمحاولة خلق انسجام وتصالح بين الفكر الديني، وبين التحولات والتغيرات الكبيرة التي شهدها عالمنا كنتيجة للتطورات العلمية والتكنولوجية، وهم في محاولاتهم هذه حائرون بين الحرص على تطبيق تعاليم الدين من أصولها، وبين الوصول الى نتيجة يقتنعون فيها بأن دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وجعله ديناً كاملاً لا يمكن ان يضيق عن اشياء مفيدة ونافعة للناس، لأن الاكتشافات في العوالم وتصارع التطور التكنولوجي، أوجد طرقاً جديدة للمعيشة والخيال وحتى في الممارسات الحياتية، مما أحدث قطيعة مع الماضي والممارسات السابقة، حيث جلبت الحداثة تغيرات جذرية عند الفرد المعاصر.

فنجد ان الحداثة أعادت ترتيب كل شيء، بما فيه صياغة مسلماته عن التكوين العائلي والفردي، فالحداثة بكل مكوناتها

طاغية الحضور في حياة الناس، فقد وصل الفكر الاسلامي في ماضيه الزاهر من القدرة على فهم الواقع المعيشي والتعامل معه بإيجاد الحلول لعدد من النوازل والتحديات بدلاً من التقوقع او الفرار.

فبالإمكان تحقيق شيء منتج وخلاق، ان استطاع الفكر الاسلامي التقليدي ان يتفاعل مع العلوم الحديثة، والمهمة جسيمة، فالتحدي الاخلاقي في نطاق الانتاج المعرفي كالجامعات والمدارس الدينية.

فالشباب على الأخص يعيشون صراعاً داخلياً، حيث يشعرون أنهم لا يسلكون في جوانب من حياتهم وفق معايير الممارسات الدينية، فهم يزاولون حياتهم مثقلين مكبلين بمشاعر ذنب تجاه تقصيرهم الديني، ويرون ان دنياهم منفصلة عن دينهم وان العلوم الدنيوية مجرد لهث وراء المادة، ومتاع الدنيا، وكأن الربح المادي محرم في الاسلام.

وعليكم ان تتخيلوا حجم المأساة التي يشكلها هذا النوع من التفكير عندما يتحول العمل اليومي لملايين المسلمين الذين يبذلون أكثر أوقاتهم في اعمال لا يشعرون بأنها جزء من أدائهم الديني او الاخلاقي، فهذا المسلك يعد من اكبر العوائق لتطور مجتمعاتنا وازدهارها، فالأخلاق ركيزة حياة المسلم، فالمطلوب توفير وسائل عادلة لغايات عادلة.

فمن هم المصلحون الغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي، والذين يحيون ما أماتوه من سنتي وما تتطلبه الضرورة الآن، هنا يكمن الدور الحقيقي لعلماء المسلمين فهم القادرون على ان يضمنوا تبليغ العهد الاخلاقي وشرعه لعامة المسلمين من خلال القنوات التعليمية والاعلامية، وعليهم ابراز اهمية مثل هذا العهد الاخلاقي لمستقبل فيه بقاء المسلمين ونهضتهم، مشبعة بالقيم الأخلاقية العليا فضيلة العفة والطهارة وسماحة النفس وفضيلة العدالة والتسامح.

فالحق واحد ولكن تجلياته متعددة، والحق المطلق لا يعلمه الا الله، بينما تقييمنا للحقيقة عملي ونسبي، فنحن بشر، واحكامنا ليست كاملة ولا تامة، فنحن موعودون دائماً بالأجر ان جاهدنا فكرياً واجتهدنا في سبيل الحق واصبنا كان لنا اجران عن الله وان اخطأنا فلنا اجر واحد.

فواجب العلماء انتاج الفكر المستنير، الذي يحارب الفساد ولا يكل عن انتاج الافكار وتأييد مشاريع الاصلاح العملية، لأنها تبعث على الأمن وتحيي الأرض كما تحيي النفوس.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون.. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

من الإعجاز الكوني في القران

أسرار إلهية في بناء الكعبة المشرفة

■ **بقلم الاستاذ الفلكي عماد مجاهد**

تعتبر الكعبة المشرفة في مكة المكرمة قبلة المسلمين التي يتوجهون إليها في صلاتهم وروحهم كونها بيت الله العتيق، هذا البيت تحيط به الأسرار الإلهية التي تحتاج منا لدراستها والبحث عنها لزيادة الإيمان بالله تعالى والتقرب من خلال هذا البناء العظيم.

في محاولة جديدة لدراسة الوضع الديموغرافي للكعبة المشرفة، في ضوء الاتجاهات الأربعة الجغرافية الأصلية، تمكن أستاذ بحوث الشمس والفضاء بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية التابع لوزارة البحث العلمي المصرية الدكتور مسلم شلتوت التوصل من خلال الحسابات الفلكية الحديثة أن يثبت أن قواعد الكعبة التي تأخذ شكلاً متوازي المستطيلات تتجه أركانها نحو الاتجاهات الأربعة الجغرافية الأصلية، موضحا أن ركن الحجر الأسود يأخذ اتجاه الشرق و الركن اليماني يأخذ اتجاه الجنوب، و الركن الشامي يأخذ اتجاه الشمال، أما الركن المقابل للحجر الأسود فيأخذ اتجاه الغرب.

ويذكر الدكتور شلتوت: بأن أشعة الشمس تشرق على الحجر الأسود في الاعتدال الربيعي الذي يصادف يوم الحادي والعشرين من آذار من كل عام، والاعتدال الخريفي الذي يصادف يوم الحادي والعشرين من أيلول من كل عام، أي بداية

فصلي الربيع والخريف، بينما يأخذ الاتجاه المتعامد على الضلع الواصل بين الركن للحجر الأسود والركن الشامي اتجاه شروق الشمس في فصل الصيف، وأن الاتجاه المتعامد على الضلع الواصل بين الركن للحجر الأسود والركن اليماني يأخذ اتجاه شروق الشمس في فصل الشتاء، مشيرا إلى انه في نفس الوقت يأخذ اتجاه النجم سهيل -سهيل اليمن- عند الشروق في الجهة الشرقية الجنوبية.

أما الضلع الواقع بين الركن اليماني والركن الغربي فإن الاتجاه المتعامد عليه يأخذ اتجاه رؤية هلال أوائل الشهور العربية في فصل الشتاء، والضلع الواقع ما بين الركن الشامي والركن الغربي فإن الاتجاه المتعامد عليه يأخذ اتجاه رؤية هلال أوائل الشهور العربية في فصل الصيف، وفي نفس الوقت اتجاه ثلاثة نجوم في يد المحراث في مجموعة الدب الأكبر والتي كان يسميها العرب بنات نعش.

وكان نجم "سهيل" ونجم "بنات نعش" لعبت دورا كبيرا في تحديد اتجاهات القبلة في البلدان الإسلامية المترامية الأطراف في عهد النهضة الإسلامية بجانب المزولة الشمسية، كما تم العثور على مخطوط عربي نادر في مكتبة ميلانو الايطالية لفلكي مسلم من عدن باليمن و اسمه "محمد بن أبي بكر الفارسي" كتبه عام ١٢٩٠ الميلادي وينص على أن الكعبة كانت بوصلة لتحديد مصدر الرياح المعروفة عند العرب بحيث أن كل ركن فيها يقابل اتجاه ريح من الرياح الأربعة التي تهب على مكة المكرمة خلال فصول العام، وأن الرياح الأولى تسمى "الصابا" وتهب على ركن الحجر الأسود أي أنها رياح شرقية، والرياح الثانية تسمى "الجنوب" وتهب على الركن اليماني، والرياح الثالثة تسمى "الدابور" وتهب على الركن الغربي، والرياح الرابعة تسمى "الشمال" وتهب على الركن الشمالي.

موضحا أن مخطوطات من القرن السابع حتى القرن السابع عشر الميلادي أثبتت أن المحور الأكبر للكعبة المشرفة يتجه نحو نقطة شروق النجم سهيل، بينما المحور الأصغر يتجه ناحية شروق الشمس في منتصف الصيف، ولما كان النجم سهيل نجما عملاقا وجبارا، وأحمر اللون، ويعد المع النجوم في السماء بعد نجم الشعرى اليمانية، فقد كان الفلكيون المسلمون في العصور الوسطى يحددون اتجاه القبلة بواسطة هذه المعلومات الجغرافية، مع

استخدام معادلات دقيقة لحساب المثلثات ومن بينهم العالم اليمني الذي اشرنا إليه، والذي كانت له جداول دقيقة (أزياج) حسبها بمهارة لبلاد اليمن، وكان الجزء الأول من المخطوط المعثور عليه يتناول عمليات تحديد القبلة اعتمادا على النجوم والرياح، وفقا لعلاقاتها بجوانب وأركان الكعبة.

وكان فيلسوف قرطبة "ابن حبيب" قد قال: إن القبلة عند قرطبة في اتجاه شروق النجم -ألفا القوس- وهو المع نجم في مجموعة القوس، لان هذا النجم يشرق في اتجاه ركن الحجر الأسود بالكعبة، وأن هناك الكثير من جوامع قرطبة التي أقيمت في العصور الوسطى تتجه ناحية الجنوب من الشرق بمقدار ٣٠ درجة في اتجاه شروق الشمس في الشتاء وهو نفس اتجاه النجم "ألفا القوس" وعلى الطرف الآخر فان الجامع الكبير في قرطبة والذي بني في القرن الثامن الميلادي، إنه يأخذ اتجاه ٦٠ درجة جنوب شرق، ويبدو انه يتجه ناحية الضلع الشمالي الغربي للكعبة ولذلك فان حائط القبلة لهذا الجامع الكبير يكون موازيا للضلع الشمالي الغربي للكعبة، مشيرا إلى أن ارتفاع التلال المحيطة بالكعبة مقدرة بالزاوية وهي ٧,٧٠ درجة للضلع الشمالي ــ الشرقي، و ٢,٣ درجة للضلع الجنوبي ــ الشرقي ٤,٤٠ درجة للضلع الجنوبي ــ الغربي، و ٦,٧٠ درجة للضلع الشمالي ــ الغربي، وانه إذا وقف الإنسان بمقام إبراهيم عليه السلام ونظر في اتجاه الضلع الشمالي ــ الشرقي للكعبة فإنه يمكنه رصد الهلال المولود حديثا في أوائل الشهور العربية لفصل الشتاء، كما أن الحسابات الفلكية الحديثة تثبت أن قواعد الكعبة المرساة والمحددة منذ بدء الخليقة تمثل مركز أطراف الأرض كلها، وأن مكة المكرمة هي مركزه العام، وهو الأمر الذي يؤكد الإعجاز المعماري والفلكي في بناء الكعبة المشرفة.

❖ مكة المكرمة مركز العالم جغرافيا ومغناطيسيا:

يقول تعالى: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾** الأنعام: ٩٢، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لمعنى **﴿ومن حولها﴾**: من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني ادم، ومن عرب وعجم.

عندما نتمعن في هذا التفسير نضع تساؤلا مهما وهو لماذا أطلق الله تعالى على جميع أهل الأرض لفظ **﴿ومن حولها﴾**؟ هل هذا يعني أن مكة المكرمة هي مركز العالم؟ فمعنى من حولها أي أن مكة المكرمة في المركز تماما وكل مناطق الكرة الأرضية تقع حولها تماما مثل النقطة التي تحدد مركز الدائرة؟

هذه الآية الكريمة دفعت عالم المساحة المصري الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رئيس قسم المساحة التصويرية بجامعة الرياض السعودية، إلى تشكيل فريق بحثي برئاسته لإجراء بحوث حول الموقع الجغرافي لمكة المكرمة ومحاولة الكشف عن أسرار موقعها ليكون مكان بيته الحرام ومكان انطلاق الدين الإسلامي الحنيف بمبعث سيدنا محمد ﷺ، وذلك كما جاء في كتاب "المنظار الهندسي للقران الكريم" الذي ألفه الدكتور فائق ألعبيدي جزاه الله كل خير.

يقول الدكتور ألعبيدي: بعد أن رسم الدكتور حسين كمال الدين خريطة لقارات العالم وحدد اتجاه القبلة فيها بحسب أبعاد كل الأماكن على القارات وموقعها من مدينة مكة المكرمة، ثم أوصل بين الخطوط المتساوية مع بعضها ليعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض عليها، ثم عمل على رسم خطوط بين أطرافها مارة في بؤرة تقع في وسط هذه القارات، **فتبين أن مكة المكرمة تقع في بؤرة هذه الخطوط**، ثم رسم خطوط القارات وسائر التفاصيل على هذه الشبكة واستعان في بحثه بالكمبيوتر لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، ولاحظ انه يستطيع أن يرسم دائرة يكون مركزها مكة المكرمة وحدودها خارج القارات الأرضية ومحيطها يدور مع حدود القارات الخارجية، **وتوصل في نظريته إلى مغزى الحكمة الإلهية من اختيار مكة المكرمة مكانا لبيت الله الحرام، وأكدت هذه النظرية التي وضعت في السبعينيات صور الأقمار الصناعية وتحليلاتها الطبوغرافية وطبقية وجغرافية الأرض التي أجريت في هذا العهد التسعيني للقرن العشرين.**

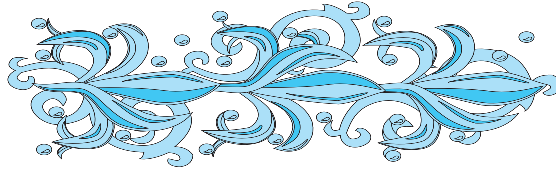
❖ مكة مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي:

يذكر الدكتور ألعبيدي في كتابه أيضا قصة اكتشاف احد العلماء الأمريكان في النصف الثاني من القرن العشرين الماضي بان مكة المكرمة هي المركز المغناطيسي

للكرة الأرضية من خلال الصور الفضائية، حيث اعتمد هذا العالم على أساس ظاهرة كونية موجودة منذ أن خلق الله الكون، وهي ظاهرة التجاذب المتبادل بين الأجرام السماوية المختلفة سواء بين الكواكب السيارة أو النجوم والمجرات وغيرها، وتكون فاعلية هذا التجاذب من مراكز هذه الأجرام، والكرة الأرضية شأنها شأن كل الأجرام السماوية حيث تصدر قوة جذبها من مركزها الباطني، وهي النقطة أو المركز الذي درسه ذلك العالم الأمريكي وتحقق من وجوده وموقعه والمكان الذي يدل عليه على سطح الأرض، وإذا به يجد أن موقع مكة هو الموقع الذي تتلاقى فيه الإشعاعات الكونية.

وبتاريخ ١٩٧٧/٢/٤م نشرت جريدة الأهرام المصرية، نبأ العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين الذي توصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها العالم الأمريكي، وهي أن مكة المكرمة هي مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي بالكرة الأرضية.

هذه المعلومات تؤكد لنا أن الله تعالى لم يختر مكان مكة المكرمة، وهي أقدس مكان على وجه الأرض جزافا، وليست لأنها في صحراء قاحلة أو في ارض خصبة أو في مجاري الأنهار حيث الخضرة والأشجار



رحلة الحج

■ بقلم الاستاذة لجين اسماعيل

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧.

ان من آيات الله البينات عن بيت الله الحرام، ما ورد في القرآن الكريم عن مناجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام ودعائه لربه سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧ .

منذ ذلك الوقت والقلوب يستبد بها هوى جارف، وحنين طاغ، وشوق لهيف إلى بيت الله الحرام، وفي كل عصر وآن كلما أحست النفوس من ذلك ريًا، إذا بها يستولي عليها ظمأ شديد، وعطش غلاب، يطالبها بمزيد من الري، وبأضعاف من الارتشاف فقد استجاب الله تعالى لنبيه دعاءه، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج.

وما يعلو وجه الحاج من دلائل الفرحة والبهجة، وما يخالط قسماته من البشر والسرور، ثم يرنو ببصره إلى أرض الحجاز، فتبدو له هذه الآفاق من خلال رؤاه الروحانية، وقد امتلأت بأفواج الملائكة يلوحون للحجيج، ويزفون إليهم تحيات من عند الله مباركة طيبة، أما عند الوصول إلى بيت الله الحرام، فإن جبريل عليه السلام يستقبلهم

عند الباب برسائل الرحمة، ونفحات المغفرة والرضوان من رب العالمين، وليس هذا فحسب، بل إن الكعبة نفسها بأركانها ترحّب بقصاد بيت الله الحرام، الذين جاءوا من كل فج عميق يبتغون عطاء ربهم، ويمدون أيديهم في ضراعة طالبين عفوه ورضاه، فيلتفت إلى الميزاب الذي يمتد من سقف الكعبة إلى خارجها، فلا يراه وسيلة ينسكب الماء من خلالها فحسب، وإنما يراه مجرى يفيض منه الأجر، وتنساب منه الرحمات على من استغاثوا بالله رب العالمين الرحمن الرحيم.

ذلك الجمع المحشود من البشر، الذي أقبل من كل حدب وصوب، ومثل كل جنس ولغة، وحوى من كل طبقة ولون، فالله وحده هو القادر على جمع هذا الحشد في هذا المكان الذي ليس له حدود.

الحج ركن من أركان الدين، وهو ركن روحي، واجتماعي؛ فهو تهذيب للنفس، وتطهير للقلب، وغسل لأدران الشر، وهو تلاقٍ اجتماعي، وتعارف إسلامي، واجتماع للنفوس المؤمنة على مودة ورحمة وروحانية في ظل البيت المقدس، وفي الأماكن المطهرة.

إن البلاد التي شرفها الله تعالى بأن جعلها مثابة للناس وأمنًا، فيها يكون التجلي الروحي، والإشراق النفسي، والتيقظ الوجداني، وبهذه النورانية المشرقة، وذلك الإشعاع، تلتقي الأشباح والأرواح، والأبدان والنفوس.

للحج أهداف سامية وغايات نبيلة يقصد إليها وتبتغى من القيام به، وهذا شأن جميع التكاليف الشرعية؛ لأنها إنما تهدف إلى إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع لأن الله تعالى غني عن العالمين لا تنفعه عبادة العابدين، ولا يضره عصيان العاصين، وإنما اقتضت حكمته العالية استخلاف النوع الإنساني في الأرض؛ ليعمرها ويستقر فيها على أكمل نظام وأوفق عيشة وانسجام.

وفي الحج منافع للناس كفعل الطاعات في دنياهم لا تقل عن منافعهم في دينهم وقد أرشدهم إلى ذلك ربهم بقوله: ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾، فالمؤتمر الإسلامي الأكبر لا يتحقق على أكمل وجه ولا يؤدي فائدته المطلوبة إلا في تلك الأيام المباركة والأمكنة الطاهرة التي يكون الناس فيها أقرب ما يكونون إلى ربهم؛ لطهارة نفوسهم وأرواحهم وتجردهم مما يشغل القلوب ويبلبل الأفكار؛ حيث لا حقد ولا حسد ولا بغضاء ولا شنآن.

ولقد ختم النبي ﷺ في حجة الوداع رسالته، وخطب فيها خطبته التي أرست قواعد الإسلام، وأسست له الأسس الصالحة التي لا يضل من اهتدى بها، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ فالله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه لتعود فائدة هذه العبادة عليهم طهرًا وثوابًا وسعادة في دينهم ودنياهم.

فما الحياة وتصرفاتها وتقلباتها من غنى إلى فقر، ومن مرض إلى صحة، ومن سعادة إلى شقاء إلا لأجل الابتلاء، والوقوف على مدى استعداد المكلف ومتانة إيمانه وقوة يقينه وتجلده وصبره على ملاقاة الحوادث ومقاومة الخطوب قال تعالى: ﴿**الم أحسبَ الناسُ أن يُتركُوا أن يَقولوا آمنَّا وهُم لا يُفتنونَ ❁ ولقدْ فَتَنَّا الَّذين مِن قبلهم فَلَيَعلمنَّ اللهُ الذينَ صدقوا وليعلمنَ الكاذبين**﴾، وقال تعالى: ﴿**أم حسبَ الذين اجترحوا السيئاتِ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سواءً محياهم ومماتهم ساءَ ما يَحكمونَ**﴾.

وفي جميع أفعال الحج قربات ومواطن تُستجَاب فيها الدعوات وتثمر الأعمال الصالحات؛

ففي مكة المكرمة البيت الحرام الذي قام ببنائه خليل الله إبراهيم ورفع قواعده مع ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾.

فالبيت الحرام هو بيت الرجاء والأمل.. واحة الضال.. وهداية التائه.. وملجأ القاصد.. وملاذ الخائف.. ومقام الطائف والعاكف.. من دخله كان آمنًا.. وبين أركانه الجود والسخاء.. فالأجر مضاعف.. والجزاء موفور.. والذنب مغفور.. والسعي مشكور.. عند رب لا تُغلق رحابه.. ولا تُسد أبوابه.. لا يخيب سائلاً.. ولا يرد طالبًا.. فهو الحليم الذي لا يعجل.. والكريم الذي لا يبخل.. وفي ميدان هذا البيت يتجلى الدين في أروع صورة وأبدع مظهر.. جموع تطوف وتطوف.. وفئات تصعد وتنحدر بين الصفا والمروة.

فمن خلال الطواف نتعلم النظام، ونتدرب على التعاون وإنكار الذات، ونتلقى دروساً عملية في الآداب، والمروءة، والحب،

والعطف، والحنان، ونؤمن بأن التوجيه الديني أسمى من أي توجيه؛ فأي توجيه تكون له مثل هذه الفعالية؟ إن الجيوش تحتاج إلى ربط وإحكام، وضبط ودقة.. بعد تدريب متواصل.. وإشراف حازم.. إلا أننا نرى الحجيج -على كثرتهم واختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم- يسيرون في اتجاه واحد.. وارتباط وتآزر، ووحدة وتكاتف.. ووسط التلبية الهادرة، والأصوات العالية.. إذا أذن المؤذن سمعوا الأذان.. ولبوا النداء.. فإذا بالجميع وقوف وكأن على رؤوسهم الطير.. لا تسمع حينئذ إلا همسًا.. ولا تحس إلا أنفاسًا، ولا ترى إلا أجسامًا منظومة، وأقدامًا مصفوفة.. إذا ركع إمامهم ركعوا، وإذا سجد سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، وإذا دعا أمّنوا.. إنها صورة من صور الجمال وليشهد الوجود كله، بأن الإسلام هو دين النظام.. ودين التضامن.. ودين الألفة.. ودين الحياة..

❖ السعي بين الصفا والمروة:

ومن خلال السعي بين الصفا والمروة يستشعر الحجاج معنى التضحية والجهد.. هذا الجهد الذي قاسته السيدة هاجر من أجل شربة ماء تروي غلة طفل، رضيع أنهكه الجوع وأرهقه الظمأ.. امرأة وحيدة وسط الجبال الشاهقة وبطون الوديان السحيقة تهرول هنا وهناك.. في صعود وانحدار.. وحيرة واضطراب.. يمزق أحشاءها أنين ولد عليل.. جف ريقه.. وجمد لسانه اللاهث من شدة العطش.. فإذا ما اشتد الخطب.. وادلهمّ الأمر.. تجلت رحمة الله فتفجر الماء سلساً.. وانساب عذبًا دافقًا.. إنه بئر زمزم.. زمزم الميمون.. زمزم المبارك.. النبع الطاهر.. الرحيق الحلو.. الدواء الشافي؛ ليعرف الناس أن الله تعالى لا ينسى مخلوقاته.. وأن الفرج بعد الضيق.. وأن مع العسر يسرًا. **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ❁ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾**.

❖ الوقوف بعرفات:

وفي الموكب الإلهي.. وفي الركب الروحاني.. وفي مسيرة الإيمان.. يتوجه الحجاج بين الزحام المتكاثف.. وسط الجموع الصاخبة.. قاصدين عرفات.. متجردين من ملابسهم، اللهم إلا من إزار ورداء أبيضين يتساوى فيهما الغني ذو المال الوافر والجاه العريض.. بالفقير والمسكين ليتذكروا جميعًا ذلك الكفن الذي يلُفّهم عند وداعهم الأخير .

إن هذا الزحام المائج يذكرهم كذلك بيوم الحشر وما فيه **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** في عرفات تذوب الطبقية.. وتتلاشى التفرقة.. وتتجسد المساواة الحقة.. المساواة الصادقة.. المساواة الخالية من كل تكلف أو خداع.. المساواة التي فقدت في العالم المتحضر.. وضاعت في دنيا المدنية الزائفة..

❖ زيارة الحبيب ﷺ:

انها زيارة تختلف عن كل زيارة.. زيارة فيها السعادة والهناء.. زيارة فيها الصدق والوفاء.. زيارة فيها الفوز والفلاح؛ لأنها نزهة القلب.. وفرحة الفؤاد.. لأنها فسحة الروح.. ومتعة الخاطر.. لأنها فرصة الحياة.. زيارة فواحة بالعطر.. شذية العبير.. دافعة بالطهر.. وهّاجة بالنور.. فياضة بالأمل الوضاء.

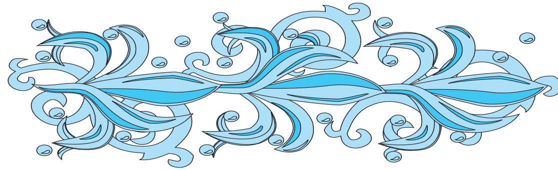
إنها زيارة رسول الله محمد ﷺ أفضل العابدين.. ودرة الخاشعين.. وسيد المرسلين.. إنه أعظم مخلوق في الوجود.. إنه تاج الشرف على رؤوس البشر.. إنه وشاح الحق على كتف الزمن..

وعبر هذه الزيارة الخاشعة تنهمر الدموع.. ويشتد النحيب.. وينتفض الوجدان.. فالكل أتى يدفعه شوق جارف وحنين عارم.. وشغف متحفز.. لزيارة رسول الله ﷺ رائد الإنسانية، ومعلم البشرية، وباعث المحبة.. ليكحل العين برؤياه.. ويضمخ النفس بلقياه.. متنسمًا ريح الجنة.. وأريج الفردوس.. في صمت وخشوع.. ورهبة ورغبة.. وروعة وجلال.. فهنا مهابط الوحي.. ومنابع الطهر.. ومنازل الرحمة.. وشاطئ الأمان.. ومشرق الحضارة.. ومحراب القداسة.. ومن خلال تلك الرحاب.. يتفجر الإيمان.. وينطلق اليقين.. وينبثق الدين.. وتذوب النفس في كؤوس الصفاء.. فيبدو الحاج وقتئذ مجلوًّا بنور الله سبحانه.. وضّاء بشعاع التقوى.. ومزودًا بخير زاد، مغتسلاً من الخطايا والآثام.. متوجًا بتاج العز والكرامة.. عليه فيض من رضى.. وغمرة من حنان.. ولمسة من رحمة.. وهكذا يعود الحجاج من رحلتهم الميمونة، ودراستهم المباركة، إلى بلادهم في تألق وإشراق، ونقاء وانطلاق، يمنحون الحياة الخير والرجاء، وينشرون البر والسلام.

فهذه الأماكن الطاهرة ينبوع الهداية، ومشرق النور، ومبعث الضياء، والسراج الوهاج؛ للسير في هذه الحياة المظلمة على

بصيرة وصراط مستقيم، ولا يتم للمؤمنين معنى البنيان المرصوص الذي أشار إليه الرسول ﷺ في قوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" وقوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي"، لا يتم للمسلمين ما قصده نبيهم إلا إذا اغتنموا كل فرصة من اجتماعهم في مثل الحج والجمعة والجماعات، ففكروا في شئونهم وتدبروا في مسائلهم الدينية والدنيوية، وتعاونوا على البر والتقوى من حل معضلات الحياة والتغلب على مصاعبها، جاعلين نصب أعينهم عزتهم وكرامتهم ومجدهم وسلطانهم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

فليت المسلمين يعلمون الحج وفوائده علمًا ينتج ثمرته ويحقق غايته؛ فيقيموا به ما اعوج من أمرهم، وما انهدم من بنيانهم، وما انحل من أمرهم، وما تناثر من عزهم ومجدهم، وبذلك يرتفع في العالمين صوتهم، ويخشى بأسهم، وتتحد كلمتهم، وتجتمع قلوبهم على ما فيه خيرهم وسعادتهم، وكم لهم من خير عظيم لو تدبروا قول رسولهم الكريم حين خطبهم في بعض مناسك الحج فقال: "أيها الناس، أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه فقال: اللهم



صحتي في صلاتي

■ بقلم الاستاذة هبة زكي

يقول الله عز وجل: ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾.. للصلاة في الاسلام منزلة عظيمة جداً، فهي عماد الدين الذي لا يقوم الا به، وقد اعتنى الاسلام بالصلاة عناية خاصة، وأمر بإقامتها والمحافظة عليها، فهي شيء أساسي في حياة كل مسلم، والصلاة عبادة تتضمن اقوالاً باللسان وأفعالاً بالبدن، وهي صلة بين العبد وربه، ولمن اقامها وداوم عليها وأحسن أداءها، فله من الأجر والفضل والاكرام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ان اي مسلم يؤدي صلاته فهو يؤديها كواجب فرضه الله تعالى عليه، فهو خاضع لأمره جل وعلا، وطالب لمرضاته والتقرب له، وان ما اكتشفه العلم الحديث ان الشخص عندما يؤدي حركات الصلاة، فإن لذلك فوائد جمة وعظيمة لا يلقي لها الشخص بالاً.

وأقصد هنا الفوائد البدنية التي تعود على الجسم بالصحة والوقاية من عدة أمراض، ففي كل حركة من حركات الصلاة، هناك عضلات ومفاصل وأوتار وأربطة تشترك جميعاً في تأدية الحركة مما ينتج عنه تقويتها وتنشيطها.

ان للصلاة فوائد عظيمة ومختلفة فهي أولاً وآخراً عبادة يتقرب بها العبد الى ربه، وهي ايضاً علاج بدني وروحي ونفسي للشخص المداوم عليها، وهنا سأتحدث عن فوائد الصلاة البدنية.

أظهرت البحوث العلمية الحديثة ان مواقيت الصلاة للمسلمين تتوافق تماماً مع

أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم، مما يجعلها وكأنها هي القائد الذي يضبط ايقاع عمل الجسم كله.

وقد جاء في كتاب الاستشفاء بالصلاة للدكتور زهير رابح، ان الكورتيزون الذي هو هرمون النشاط في جسم الانسان يبدأ في الازدياد وبحدة مع وقت دخول صلاة الفجر، ويتلازم مع ارتفاع منسوب ضغط الدم، ولهذا يشعر الانسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر بين السادسة والتاسعة صباحاً، لذا نجد هذا الوقت بعد الصلاة هو وقت الجد والتشمير للعمل وكسب الرزق، وقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» كذلك تكون في هذا الوقت اعلى نسبة لغاز الأوزون في الجو، ولهذا الغاز تأثير منشط للجهاز العصبي وللأعمال الذهنية والعضلية، ونجد العكس مع ذلك عند وقت الضحى، فيقل افراز الكورتيزون ويصل لحده الأدنى، فيشعر الانسان بالارهاق مع ضغط العمل ويكون في حاجة الى راحة، ويكون هذا بالتقريب بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، وهنا يدخل وقت صلاة الظهر فتؤدي دورها كأحسن ما تكون من بث الهدوء والسكينة في القلب والجسد المتعبين.

بعدها يسعى المسلم الى طلب ساعة من النوم، تريحه وتجدد نشاطه وذلك بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر، وهو ما نسميه القيلولة، وقد قال عنها رسول الله ﷺ، فيما رواه ابن ماجة عن ابن عباس: «استعينوا بطعام السحر على الصيام، وبالقيلولة على قيام الليل»، وقال ﷺ: «قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»، وقد ثبت علمياً ان جسم الانسان يمر بشكل عام في هذه الفترة بصعوبة بالغة حيث يرتفع معدل مادة كيميائية مخدرة يفرزها الجسم وتحرضه على النوم، ويكون هذا تقريباً بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، فيكون الجسم في أقل حالات تركيزه ونشاطه.

واذا ما استغنى الانسان عن نوم هذه الفترة، فإن التوافق العضلي العصبي يتناقص كثيراً طوال هذا اليوم، ثم تأتي صلاة العصر ليعاود الجسم بعدها نشاطه خاصة النشاط القلبي، ويكون هنا لصلاة العصر دور كبير في تهيئة الجسم والقلب بصفة خاصة لاستقبال هذا النشاط المفاجئ، والذي كثيراً ما يتسبب في متاعب خطيرة لمرضى القلب للتحول المفاجئ له من الخمول الى الحركة النشطة.

وهنا يتجلى لنا السر البديع في توصية مؤكدة من القرآن الكريم بالمحافظة على صلاة العصر حين يقول تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ البقرة: ٢٣٨ .

وقد ذهب جمهور المفسرين الى ان الصلاة الوسطى هنا هي صلاة العصر، ومع الكشف الذي ذكرناه من ازدياد افراز هرمون الادرينالين، في هذا الوقت يتضح لنا السر في التأكيد على أداء الصلاة الوسطى، فأداؤها مع ما يؤدى معها من سنن ينشط القلب تدريجياً، ويجعله يعمل بكفاءة اعلى بعد حالة من الخمول الشديد، ودون مستوى الارهاق، فتنصرف باقي اجهزة الجسم وحواسه الى الاستغراق في الصلاة، فيسهل على القلب مع الهرمون، تأمين ايقاعها الطبيعي الذي يصل الى اعلاه مع مرور الوقت.

ثم تأتي صلاة المغرب فيقل افراز الكورتيزون، ويبدأ نشاط الجسم في التناقص، وذلك مع التحول من الضوء الى الظلام وهو عكس ما يحدث في صلاة الصبح تماماً، فيزداد افراز مادة الميلاتونين المشجعة على الاسترخاء والنوم، فيحدث تكاسل للجسم وتكون الصلاة بمثابة محطة انتقالية.

وتأتي صلاة العشاء لتكون هي المحطة الأخيرة في مسار اليوم، والتي ينتقل فيها الجسم من حالة النشاط والحركة الى حالة الرغبة التامة في النوم مع شيوع الظلام وزيادة افراز الميلاتونين، لذا يستحب للمسلمين ان يؤخروا صلاة العشاء الى قبيل النوم للانتهاء من كل ما يشغلهم ويكون النوم بعدها مباشرة، وقد جاء في مسند الامام أحمد ان معاذ بن جبل رضي الله عنه لما تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة العشاء في أحد الأيام وظن الناس انه صلى ولن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «اعتموا بهذه الصلاة -اي اخروها الى العتمة- فقد فضلتم بها عن سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم».

ولا ننسى ان لإفراز الميلاتونين بانتظام صلة وثيقة بالنضوج العقلي والجنسي للانسان، ويكون هذا الانتظام باتباع الجسم لبرنامج ونظام حياة ثابت، ولذا نجد ان الالتزام بأداء الصلوات في أوقاتها هو أدق أسلوب يضمن للإنسان توافقاً كاملاً مع أنشطته اليومية، مما يؤدي الى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري.

فسبحان من يعلم ولا نعلم، ان ما ذكره فضيلة الدكتور يعد جزءاً بسيطاً من فوائد

العبادة العظيمة –الصلاة– والتي لها فوائد كشف ولا زال يكشف العلم عنها **فذكر عن الركوع انه يفيد في عضلات جدران البطن،** ويساعد المعدة على تقلصها ومن ثم قيامها بوظيفتها الهضمية وذلك يسهل للأمعاء ان تدفع العضلات الهضمية.

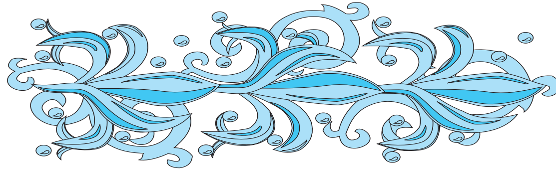
اما السجود، فذكروا من فوائده أنه:

١- يساعد على نظافة الجيوب الأنفية، فتقل فرصة التهابها ويساعد على تصفية الجيوب الفكية.

٢- يساعد على تحقيق الاحتقان لمنطقة الحوض وبالتالي يساعد على الوقاية من الاصابة بالبواسير وحدوث الجلطات بالأوردة.

٣- يزداد تورم الدم الى المخ اثناء السجود، فيزداد ارواؤه وبالتالي يحصل على ما يلزمه من مواد غذائية واوكسجين ويؤدي وظيفته على أحسن وجه.

كل هذا وما زال للصلاة اسرار وأسرار ظاهرة وباطنة، تدلنا على بديع صنعه جل وعلا، وحكمته تعالى في أوامره ونواهيه، وتدلنا على مدى قدرته ورحمته وفضله ومنّه وكرمه على الانسان في جميع شأنه، صغيره وكبيره، فسبحان من أسرى لحبيبه ونبيه ﷺ ليلاً ليفرض علينا واجباً لو حمدنا الله عز وجل على فرضه كل ثانية وكل حين ما كنا من الحامدين الشاكرين، فالحمد لله تعالى الذي هدانا لكتابه وسنة نبيه وللإسلام وله النعمة وله الفضل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا خاتم الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين.



تفكر في دُناك ولو ملياً

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

تفكر في دناك ولو ملياً واعقل قد وعظتك يا أخيا
فكم اردت الى فعل قبيح بنيها في الصباح وفي العشيا
وجدت العمر في الدنيا سرابا ومن يظلم بها يحيا شقيا
فُدع عنك الدنا واعمل لدار تخلد في جنان الله حيا
فبادر للصلاة أخي ففيها صفات الصالحين تعش رضيا
سعيد الناس في الدنيا مقيم لطاعات المهيمن عش رضيا
وصم شهر الفضائل واقتفيه بست وافعل الخيرات هيا
زكاة المال أديها سريعاً ولا تبخل اذا اعطيت شيا
وحج البيت فلتحرص عليه فلا ينفعك بعد الموت حيا
وبر الوالدين تعش بخير وكن في والديك اخي حفيا
وصل رحماً بها أوصاك ربي وواسي المسلمين تعش نقيا
وعاشر من تشاء بحسن خلق وكن بالوعد يا صاح وفيا
وكن في عيشة الدنيا لطيفاً فما دنياك الا مثل فيًّا
ودع عنك التكبر في حياة ومن يظلم سيصلى النار غيا
ستترك عيشة الدنيا وتبلى ولا تبلى الفعائل ايا أخيا
وأعدد للجنان جميل صنع وأرفق بالورى وكن النديا
إلهي أنت ربي أنت عوني أمد يدي الى ربي نجيا
واختم نظم شعري في صلاة على من كان في الدنيا نبيا
محمد سيد الثقلين طه أبو الزهراء من بشر صفيا



خطبة الجمعة

﴿الحج أشهر معلومات..﴾

بقلم الشيخ خالد عبد اللطيف

يقول الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾.

عباد الله.. لفظ الحج في التنزيل الحكيم له مدلولان: لغوي وشرعي.

فالمدلول اللغوي: هو المشي على المحجة أي جادة الطريق، لأي غرض كان يقصده الماشي، وأكثر ما يطلق هذا اللفظ «الحج» اذا تكرر المشي الى الشيء المرة بعد المرة.

وأما المدلول الشرعي: فالحج هو قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة لزيارته وأداء المناسك حوله.

وأركان الحج التي لا يتم الا بها اربعة: **الإحرام**، وكونه من الميقات الذي حدده الشارع واجب، **والطواف**، وهو طواف الإفاضة، **والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات** ساعة من بعد ظهر يوم التاسع من شهر ذي الحجة الى قبيل طلوع الفجر من ليلة العاشر منه.. **والحج فرض مرة في العمر**، وما زاد فهو نافلة مرغب فيها وتطوع محبوب محمود.

ووقت الحج هو الأشهر الثلاثة، شوال وذو القعدة وعشر ليال من أول شهر ذي الحجة، ومعنى كونها أشهر الحج، اي ان الاحرام بالحج لا يكون الا فيها، فلو أحرم احد بالحج قبلها أو بعدها كأن يحرم بالحج في شعبان أو رمضان أو في المحرم أو صفر لما صح احرامه، ولتعين عليه ان يجعله عمرة، أما أشهر الحج فله ان يحرم في أي يوم منها، ويستمر على إحرامه ان شاء الى ان يحج، وله ان يفسخ حجه الى عمرة، فعلى من فرض على نفسه الحج فيها أي ألزم نفسه به وأوجبه عليه حيث أحرم به من الميقات قائلاً: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» فعلى كل من أحرم بالحج ان يتجنب الرفث ومحظورات الاحرام، لأن التلبس بها أو بواحدة منها يفسد الحج، أو يخل به فيُحرم الحاج القبول والثواب.

فلا فرث.. والرفث هو الجماع ومقدماته من النظر بشهوة واللمس باليد أو المباشرة بالجسد وبالكلمة المريبة الدالة على الجماع، الداعية اليه، المفكرة فيه.

والنفي في القرآن **﴿فلا رفث﴾** منعه منعاً باتاً بحيث لا يوجد شيء منه البتة حتى ينهى عنه من يفعله.

وهذا التوجيه للآية الكريمة أيها الاخوة

المسلمون، خير من توجيه من قال: ان النفي هنا بمعنى النهي، غير انه أبلغ منه، فيكون اللفظ خبراً ومعناه الانشاء.

﴿ولا فسوق﴾.. وأصل الفسق اذا خرج الانسان عن طريق الحق والصواب، والمراد به في الآية: الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، بترك ما أمر به من مناسك الحج وغيرها من سائر فرائض الدين وواجباته.

وبفعل ما نهيا عنه وحرما فعله من محظورات الحج وغيرها من كل ما حرم الله ورسوله من المعتقدات والأقوال والأفعال.. فلا ينبغي ان يوجد شيء من الفسوق في الحج، لأنه يفسده ويذهب أجره ويُحرم فاعله مغفرة ذنبه ورضا ربه.

﴿ولا جدال﴾.. الجدال اذا مارى في شيء وخاصم فيه غيره، ليقطعه عن حقه ويثنيه عن مراده، والمراد به هنا اللجج في الخصومة والمبالغة في المماراة مما يؤدي الى قول باطل أو فعل حرام، او شتم أو انتقاص أو اهدار حق، او اثبات باطل.

نعم معشر المسلمين، الجدال الذي يريد به صاحبه ابطال حق، او إحقاق باطل، هو حرام على كل حال، وفي أي زمان أو مكان، والجدال الذي يريد به صاحبه العكس، وهو احقاق الحق، فإنه واجب على كل حال، غير انه بالنسبة للمتلبس بعبادة الحج لا يجب عليه ولا يطالب به، لأن في العبادة المتلبس بها شغلاً يمنعه من القيام بواجب احقاق الحق او ابطال الباطل، شأنه شأن من هو في الصلاة، ولما عرف بالمشاهدة ان الجدال في اي شيء، يجر الى الخروج عن الأدب ويؤدي الى السباب والمشاتمة وهما محرمان لا سيما في الحج.

﴿وما تفعلوا من خير﴾.. والترغيب في فعل الخير في الحج اي خير كان يريد به فاعله وجه الله تعالى، فإن الله تعالى يجزيه به ويثيبه عليه.

وهذه الجملة **﴿وما تفعلوا من خير﴾** تعتبر قسيمة الجملة القرآنية التي سبقتها وهي **﴿فلا رفث ولا فسوق﴾**، اذ الأولى فيها تحريم كل ما يخل بعبادة الحج فيفسدها أو يبطل أجرها، وهذه فيها الترغيب في فعل الخيرات، من اطعام الطعام وإفشاء السلام وإغاثة ملهوف وارشاد ضال أو تعليم جاهل.

وباجتناب كل ما يفسد الحج او يخل به، وكذلك فعل الخيرات يتوفر به وصف البر للحج المذكور في قول رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة».

والآية الكريمة بمعناها العام تشير الى ان يحرم المؤمن بالحج في أشهره التي حُددت للإحرام به فيها، فإذا أحرم تجنب كل ما يفسد عليه حجه أو يخل بكماله من سائر المعاصي، كترك ركن من اركانه، او اسقاط واجب من واجباته، او غيرها من فرائض الدين وواجباته، أو فعل محظور من محظورات الحج أو غيرها من كل ما حرم الله ورسوله من المعتقدات والأقوال والأفعال.

وأقبل مع ذلك على الصالحات بفعلها، والخيرات يسابق اليها ويسارع فيها مدة ما هو متلبس بعبادة الحج حتى يفرغ منها، وقد أبرها الله تعالى له وأثابه عليها، فغفر ذنوبه وهيأه لدخول جنته كما جاء ذلك على لسان رسوله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، و «الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة».

نعم عباد الله.. ما أشبه الحج «ولله المثل الأعلى» بدعوة رسمية وجهها أحد الملوك الى خدمه وعبيده بواسطة أحد خواصه والمقربين عنده، ليزوروا قصره وليحظوا منه بالنوال والعطاء، ونظراً لتفاوت استعداد المدعوين واختلاف ديارهم قرباً وبعداً، جعل مدة الزيارة هذه شهرين وعشر ليال، ليتسنى الحضور في هذه المدة كل المدعوين مهما تناءت ديارهم وبعدت أقطارهم.

وأخذ المدعون يتوافدون، ومن كل حدب وصوب ينسلون، حتى تكامل الوفد ووجب الرِّفد.

فحدد لهم موعداً وخصص لهم مشهداً هو يوم عرفة ليتجلى لهم فيه، ويمنحهم بحسب إخلاصهم في خدمته، جوائز إحسانه وعطايا أفضاله، فحسن ان يخرجوا يوم التروية في ملابسهم الرسمية التي دخلوا بها حرم مولاهم، وحمى من دعاهم فينزلوا بمنى استعداداً، حتى اذا طلعت شمس يوم الموعد المحدد كانوا على أتم استعداد لحضور ذلك المشهد، فينزلوا بنمرة أول النهار، وما ان تزول الشمس وتدنو ساعة الحضور، وقد طعموا وشربوا وتطهروا ونزلوا الى المصلى فصلوا فرضهم معاً، جمعاً وقصراً، كل ذلك تفرغاً منهم للمناجاة واستعداداً للملاقاة، واندفعوا متدفقين على ذلك الميدان الرحب الفسيح (الموقف بعرفات) ووقفوا وكلهم رجاء باكين خاشعين سائلين متضرعين.

ولم يزالوا كذلك حتى يتجلى لهم مولاهم ويعطيهم سؤلهم ومناهم، فيكرم المحسنين منهم ويعفوا عن المسيئين وقد باهى بهم ملائكة السماء، وأشهدهم على ما منحهم واعطى.

ولما تنقضي تلك الساعات التي تزن الدهور بغروب شمس ذلك اليوم الذي يفضل العصور، يأذن لهم مولاهم بالانصراف وقد ارشدهم الى محل النزول (مزدلفة) ليبيتوا ليلتهم في بهجة وسرور، حتى اذا اصبحوا وقفوا بالمشعر الحرام ذاكرين لمولاهم رفده وإحسانه، شاكرين له أفضاله وأفعاله.. **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ... واذكروه كما هداكم﴾**.

وبعد ان يسفروا يخفون عائدين الى بيت مولاهم ومكان تجمعهم ولقياهم، وفي طريقهم يشفون صدورهم ويذهبون غيظ قلوبهم من عدوهم، فيرمونه بمنى بسبع حصيات.

وهناك بمنى وقبل زيارة بيت مولاهم، يلقون تفثهم ثم يقبلون على البيت زائرين ولإنعام مولاهم شاكرين، فيطوفون بيته ويسبحون بحمده.. وبذلك يكونون قد اشهدوا على انهم حضروا الحفل المشهود ونالوا الرفد الموعود.. وها هم أولاء عادوا ليسجلوا اسماءهم في سجل الحضور وليعلنوا انهم من اكرم الزوار.

عباد الله.. ومن المعلوم انه ما تم لهم حضور المشهد المفضل الذي شهدوا ولا تمكنوا من اجابة الدعوة التي اجابوا، الا بعد جهد جهيد وعناء شديد، لبعد ديارهم ولخروجهم عما اعتادوا من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب، فما أحوجهم والحال هذه الى أيام راحة واستجمام في مكان هادئ ومنزل طيب مريح فسيح، حتى إذا استراحوا واستردوا من قواهم ما فقدوا، ودعوا بيت مولاهم وانصرفوا.

وما أكرم مولاهم وما أعظم حفاوته بهم اذ أعد لهم فجاج منى الفسيحة ورحابها الطيبة المريحة، وعزمهم لإقامة ثلاثة أيام ومن تعجل فلا إثم عليه، فيقضونها في متع كثيرة بين ترويح للروح وغذاء للبدن فيهللون ويكبرون ويأكلون ويشربون، حتى إذا قضوا أيامهم وأراحوا أرواحهم وأبدانهم، عادوا الى البيت فودعوا وانصرفوا والكل يضرب في طريق بلاده، عائداً الى وطنه

فهرس عام المجلة
للمجلد الثالث والخمسين
١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م

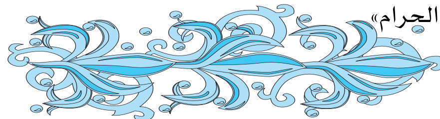
يشتمل على:

- **أولاً: عناوين الموضوعات**
- **ثانياً: أسماء السادة الكتّاب**

▪ إعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة

أولاً: عنـاويـــن الـمـوضـــوعـــات

عنوان الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	رقم الصفحة
قطوف دانية	أ. هبة زكي	٣	٩٦
قطوف دانية	الطالبة آلاء الصرفندي	٤	٩٦
قطوف دانية	الطالبة عائشة محمد	٥	٩٤
قطوف دانية	الواعظة وفاء مجاولة	٦	٨٦
قطوف دانية	أ. أحمد العجرمي	٧	٧٠
قطوف دانية	الطالبة بيان الأسعد	٨	٨٠
قطوف دانية	الطالبة سوسن محمود	٩	٩٦
قطوف دانية	الطالبة خلود محمد العجرمي	١٠	١١٦
قطوف دانية	أ. محمد ابراهيم الخطيب	٧	١١٥
قطوف دانية	أ. ابراهيم شرف الدين	١	١٠٧
قيم اسلامية للحياة	أ. د. سامي الصقار	٦	٧٦
قيمة الوقت في الاسلام	أ. د. عبد المقصود سالم	٩	٣٤
كتاب جامع بيان العلم وفضله	أ. د. سامي الصقار	٧	٧٢
كلمات في استقبال شهر الخير	أ. عماد مجاهد	٥	١١٨
الكيا الهراسي من أئمة الشافعية	أ. رفعت محمد طاحون	٧	٩٢
كيف أشار الرسول ﷺ الى تغير اللون	أ. أحمد اسماعيل	٩	١٦٥
كيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة	د. فيصل جعفر بالي	١	٧٤
﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾	د. نعيم ابراهيم الظاهر	٧	٨٧
ماذا نعمل تجاه ما يحدث اليوم	د. حكمت عبد الكريم فريحات	٦	٧٠
محكمة المظالم	أ. أحمد ابو السباع القيسي	٩	١٣٠
المرأة مطالبة بالعمل	د. فيصل جعفر بالي	٣	٩٨
مرحباً بك يا رمضان	د. فيصل جعفر بالي	٢	٨٤
مصارع الظالمين وعواقب المفسدين	د. نوح الفقير	٢	٧٣
المطلوب من الأمة اليوم	د. عودة الله منيع القيسي	١٠	١١٢
المعالم الاسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية	د. محمد ابراهيم الربابعة	٥	٤٣
المفكرون الاسلاميون مارسوا التطبيق الايجابي	أ. علي القاضي	٢	١٢٥
مقاصد الشريعة الاسلامية الثلاثة	أ. سميح أحمد عثامنة	٧	٢٤
مقومات الشخصية في الاسلام	د. نعيم ابراهيم الظاهر	٤	٨٢
المكانة الدينية للقدس الشريف	أ. عماد مجاهد	١	١١٤
مكانة المرأة في الدولة الاسلامية	أ. عماد مجاهد	٢	١٠



ثانياً: أسماء السادة الكتّاب

اسم الكاتب	عنوان الموضوع	رقم العدد	رقم الصفحة
أ. محمد مصطفى ناصيف	قيم اسلامية للحياة	١٠	٦٤
د. محمد عبد الرزاق الرعود	تعالوا نتأدب بأخلاق الاسلام	١	١٥
د. محمد عبد الرزاق الرعود	وهذا البلد الأمين «المسجد الحرام»	٢	٢٢
د. محمد عبد الرزاق الرعود	من كنوز الحديث النبوي الشريف	٣	١٨
د. محمد عبد الرزاق الرعود	منهج الحافظ العجلي في تاريخ الثقات/ح١	٤	٥٢
د. محمد عبد الرزاق الرعود	منهج الحافظ العجلي في تاريخ الثقات/ح٢	٦	٢٣
د. محمد عبد الرزاق الرعود	نقاط القوة والضعف في اداء خريجي كليات الشريعة	٧	١٠
د. محمد الرعود و د. مراد شحادة	سورة الكوثر تحقيق القول في زمانها/ح١	١٠	١٠
د. محمد المالكي	سورة الكوثر تحقيق القول في زمانها/ح٢	٤	٣٠
د. محمد المالكي	السؤال النبوي الشريف دراسة حديثية/ح١	٥	٥١
د. محمود احمد القيسية	البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى/ح١	٢	١٠٠
د. محمود عواد	البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى/ح٢	٢	٩٠
أ. د. محمود محمد عمارة	الآباء يسمون الأبناء	١	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	المؤرخ ومدى مسؤوليته عن الحرب	٢	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٣٥	٣	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٣٦	٤	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٣٧	٥	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٣٨	٦	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٣٩	٧	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٤٠	٨	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٤١	٩	٦
أ. د. محمود محمد عمارة	حول مأدبة القرآن/ح٤٢	١٠	٦
د. مصطفى جمال الدين	حول مأدبة القرآن/ح٤٣	٨	٤٨
د. مصطفى جمال الدين	حول مأدبة القرآن/ح٤٤	٩	١٣٨
د. مصطفى جمال الدين	الانتفاع بالعين المرهونة/ح١	١٠	٩٥
أ. فاتن عبد الله	الانتفاع بالعين المرهونة/ح٢	٢	١٢٩
أ. فاتن عبد الله	الانتفاع بالعين المرهونة/ح٣	٨	٣٥
الشيخ فليح سند الزبن	الجهاد وفضائله وكرامات الشهداء	٤	١١٤
أ. فهد عبد الرحمن	فضل تلاوة وحفظ القرآن	٩	٧٠
أ. فوزي الخطبا	في ظلال رسالة عمان، الدور المأمول من الدعاة	٩	٥٠





هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الأول - المجلد ٥٤

محرم ١٤٣١هـ - كانون الثاني ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

● بيـــان دور المـملكة الاردنيـــة الهـاشـمـيـة الاسـلامي، تاريخـاً وحضارة ومعاصرة.

● العــمل على ربط الحــاضــر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.

● ترسـيخ مـعـاني الوحـدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.

● ابراز الدعـوة الاسـلاميـة في إطارها العـــالمي، وإقـــامـــة الصـــلات بين الشــعــوب على اساس من الاحترام المتبادل.

● العـمل على بناء جيل مـسلم قادر على الإسـهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.

● إثارة الاهتـمــام بالقـضــايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضـوء الفكر الاسـلامي وقـيـمـه العليا ورسالته الخالدة.

● توجـيــه الاســرة المسلمـة للقـيــام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.

● التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشـعـور بالثـقـة لدى المسلم للقيـام بدوره المسؤول.

● تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التـركـيـز على دور وزارة الاوقـاف في نشـر الثـقـافـة الاسـلامـيـة، وإحـيـاء التـراث الاسـلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتـمـام بجـمـيع المذاهب الاسـلامـيـة، والبـعـد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعـتـمـاد الدليل الشـرعي ومـا يهـدف اليـه من تحـقـيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفـتـاح على الحـضـارة المعـاصـرة، ومـعـالجـة المسـتـجدات من خلال طرح النظرة الاسـلاميـة التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسـلاميـة في انحاء العـالم وبخـاصـة المراكـز المعنيـة بالشـؤون الشبابية.

سنة المجلة

عـشـرة أعـداد تـتـضـمـن عـدداً ممـتـازاً كل عـام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الأول ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

بعض مما تفيض به

الهجرة النبوية العظيمة، تمثل في تاريخ الاسلام انطلاقه كبرى نحو البناء والتطبيق والانجاز، فقد كان الاسلام قبلها حقا بلا قوة ودينا بلا دولة، فاذا هو بها حق تحميه قوة، ودين تسهر على تطبيقه وابلاغه للناس جميعا دولة، فيقيم الرسول العظيم ﷺ بها مجتمعا راشدا، كله دعوة خير وهداية وبر وسلام ورحمة، العدل قوامه، وصيانة كرامة الانسان وحقوقه محركه واساس دوامه، وبذا قدم هذا الدين العظيم للمجتمع الانساني اشمل معرفة، واسلم تنظيم، وأروع حضارة، فمرحلة مكة المكرمة قبل الهجرة كانت مرحلة اعداد، وتهيئة مرحلة تأسيس عقدي وتأصيل خلقي لمرحلة المدينة، مرحلة ما بعد الهجرة مرحلة التشريع العملي التطبيقي.

نعم اذا ذكرت الهجرة النبوية ذكر الانجاز والانتصار والعون والتوفيق من العظيم المتعال.. فبالهجرة النبوية أخذ الاسلام العظيم طريق التطبيق وتم بناء المجتمع الإسلامي الاول، ومن هنا اتخذها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بداية للتاريخ الاسلامي بمشورة من اصحاب رسول الله ﷺ.

وحدث الهجرة نفسه درس عظيم في التخطيط المستقبلي الراشد، فقد كان اساسه الاعداد والتخطيط الذي يلاحظ كل الابعاد والملابسات ويضع الحلول الراشدة لكل القضايا والمشكلات، فقد كان التخطيط الذي قام به الرسول الكريم ﷺ لانجاح هجرته المباركة في غاية الدقة والتنظيم والاعداد، بعد أن علم ﷺ بمؤامرة قريش لمنعه من الهجرة وقتله وتفريق دمه بين القبائل، فقامت الخطة على عدة محاور ومكونات، التحرك ليلا، التحضير السري المسبق مع صاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه، نوم علي بن ابي طالب رضي الله عنه في فراشه، التوجه نحو الجنوب الى غار ثور ويثرب مقصده في الشمال، الإقامة في الغار ثلاثة ايام، تمويه على قريش التي حركت فرسانها نحو يثرب للامساك بالرسول العظيم ﷺ، استئجار الدليل الماهر عبدالله بن اريقط للإرشاد إلى اقرب الطرق إلى يثرب، تكليف اسماء بنت ابي بكر بتزويدهم بالطعام والماء وهما في الغار، الاتفاق مع عامر بن فهيرة ليغطي برعي اغنامه على آثار التحرك من الغار واليه، تكليف عبدالله بن ابي بكر بأن يأتيهم بأخبار قريش، يسبق كل ذلك

ذكرى الهجرة الشريفة

التحضير للخروج الى يثرب بالاتصال بوفود العرب القادمة لمكة المكرمة حتى يهيأ الله سبحانه اللقاء بوفد يثرب من الاوس والخزرج، فتكون بيعة العقبة الاولى، ثم بيعة العقبة الثانية، قبل الخروج اليها بسنة ويزيد، تلك البيعة التي سميت بيعة الحرب، فقد عاهد اهل يثرب الرسول الكريم ﷺ على منعه والدفاع عنه اذا قدم اليهم مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم، وارسل معهم مصعب بن عمير ليعلمهم امور دينهم الجديد، فهيأ عليه السلام بذلك تربة خصبة لانتقاله القادم الى يثرب والذي اخذ يعد له العدة من وقت مبكر، لتكون محض الاسلام ومنطلق المجتمع الاسلامي الراشد الاول.

فالهجرة النبوية لم تكن حدثا عابرا ومرتجلا في تاريخ الدعوة الاسلامية، ولم تكن كذلك هروبا من اذى قريش واضطهادها، فقد كانت بتوفيق الله وعونه خطة محكمة نقلت هذا الدين العظيم للتطبيق العملي الشامل، وبهذا ندرك لماذا اختارها الفاروق بداية للتأريخ الاسلامي مستبعدا اختيار يوم ولادة الرسول ﷺ او بدء نزول القران الكريم، لذلك جاءت الهجرة النبوية في سياق متسق مع طبيعة هذا الدين باعتباره رسالة الله الخاتمة للناس جميعا.

ثم ان ما تعانق مع حدث الهجرة من احداث وممارسات، يوضح طبيعة هذا الدين الشامل وحرصه على بناء حياة انسانية هانئة ومجتمع اسلامي راشد، بدءا من بناء المسجد عنوانا لإحكام الصلة بالله تعالى الى تحقيق المؤاخاة بين ابنائه، بناء للمجتمع القوي المترابط المتكامل، الى اصدار الكتاب الناظم لكل أنواع العلاقات في المجتمع الاسلامي الاول الذي كان بمثابة الاعلان التأسيسي للدولة الذي يؤكد مبادئ العدالة والمساواة وحقوق الإنسان وبخاصة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، تأكيدا لسماحة هذا الدين الخاتم واحترامه لغير المسلمين وحقوقهم.

هذا بعض مما يفيض به هذا الحدث العظيم من موجهات وآثار على الفرد والجماعة، حري بنا ان نقف عندها بالتدبر والاستفادة والتأسي والاقتداء، في إطار من الفهم العميق لحقائق هذا الدين الذي جاء لخير الإنسانية جميعا.

أ. د. عبد السلام العبادي

٢

السؤال النبوي الشريف

دراسة حديثية تربوية تحليلية

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. مراد شحادة شكيب يوسف

(٤) سؤالات الرسول ﷺ واقعيَّة.

لم يكن رسول الله ﷺ يسأل عن أمور خياليَّة خالية من الحقائق، أو أنَّ غرضَها إضاعة الوقت أو التسليَة لذاتها، بحيث تكون سؤالاته لا ثمرةَ لها عاجلاً أو آجلاً، بل كانت سؤالاته منطلِقة مِن واقعٍ مُعاشٍ راعى فيه ﷺ حاجات الأمَّة.

واتخذ ذلك صورًا عدة، منها سؤاله موجهًا لِما هو أكمل وأفضل(٥٧)، أو تنبيهًا وتحفيزًا لَما هو مهمٌّ(٥٨).

فرسول الله ﷺ يسأل ليعلِّم النَّاس أمور دينهم، ومِن خصائص دين الإسلام الواقعيَّة، والتابعُ تبعٌ، فكانت سؤالاته واقعيَّة» لأنَّها دينٌ، وتشريع كما سيأتي بيانُه قريبًا في رقم (٥).

وخلاصة القول في ذلك: إن سؤالات النبي ﷺ واقعيَّة لأنَّها:

أولاً: تناسبُ وتراعي واقع النَّاس المسؤولين.

ثانيًا: ذات مواضيع ودلالات يقبَلُها العقل السليم، ولا تنفر منها أصحابُ النفوسِ الرضيَّة. فتارةً تكونُ وُديَّة مع ما فيها مِن تشريعات أخرى.

كقوله ﷺ: «أبا عُمير ما فَعَل



النُّغير؟»[٥٩]. وتارةً تحوي عِتابًا ومَلامَةً كقوله ﷺ لخالد بن الوليد عندما أخذ سَلبًا من مقاتلٍ مدديٍّ من اليمن في معركة مؤتة: «يا خالد! ما حملك على ما صنعتَ؟!».

ثمَّ لمَّا عَلِم النبي ﷺ بأنَّ عوفَ بن مالك الذي أخبرَه الخبرَ كانَ قد عاتَبَ خالدًا وتوعَّده أن يشكوه إلى النبي ﷺ قال معاتبًا عوف بن مالك: «يا خالد! لا تردَّ عليه، هل أنتم تاركونَ لي أُمرائي؟»[٦٠].

ومِن مثله السؤال الذي طرحَه النبي ﷺ على أصحابه لبيان حقيقة وواقع المؤمن: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من الشَّجَر شجرةً لا يسقطُ ورقها، وهي مَثَلُ المُسلم،حدثوني ما هي؟»[٦١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فيه أي حديث السؤال عن النخلة.. التحريض على الفهم في العلم، وينبغي للمُلغَز له، أن يتفطَّن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال.

كما ينبغي للملغِز ألاّ يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل له بابًا يدخل منه، بل كلَّما قرَّبه كان أوقع في نفس سامعه»[٦٢].

ولا يعارض واقعية سؤالات النبي ﷺ السؤال عن الأمور التي لم تقع بعدُ! وإن كان قد يَحمِل بعض أهل العلم على مَن سأل عن ذلك، مستدلاً بآثار منها الذي رواه الإمام الحافظ الدارمي في «سننه»: "جاء رجلٌ يومًا إلى ابن عمر، فسأله عن شيءٍ لا أدري ما هو، فقال له ابن عمر: لا تسأل عمَّا لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطَّاب يلعنُ مَن سأل عمَّا لم يكن!» [٦٣].

ولكن هذا الاعتراض غير مسلَّم به على إطلاقه، إذ الرأي المذكور خالفه جمهور العلماء، قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والظن والقياس على غير أصل، وعَيب الإكثار من المسائل دون اعتبار»، ثم قال: «اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذمِّ والعيب في هذه الأذكار في الباب عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان.

فقالت طائفة: الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسُّنن في الاعتقاد، كرأي جَهم[٦٤] وسائر مذاهب أهل الكلام..

وقال جماعة مِن أهل العلم: إنما الرأي

المذموم المعيبُ المهجورُ: الرأيُ المبتدَع، وشبِههُ من ضروب البدع..

وقال آخرون وهم جمهور أهل العلم: الرأي المذكور في هذه الآثار عن النبي ﷺ، وعن أصحابه، والتابعين، هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضِلات والأغلوطات[٦٥].

وردِّ الفروع والنوازل بعضها على بعض قياسًا، دون ردِّها على أصولها والنظر في عِلَلِها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل، وفُرِّعت وشُقِّقت قبل أن تقع فيها قبل أن تكون، بالرأي المضارع للظنِّ.

قالوا: ففي الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن، والبعثُ على جهلها وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها ومن كتاب الله عز وجل ومعانيه»[٦٦].

وبهذا يتوجَّه النهي الوارد في الآثار التي استدل بها المانعون للسؤال عن المعضلات والأغلوطات، أو المسائل الفضول التي لا حاجة بالسائل إليها، وإنما تكون من بطر الذهن وفراغ النفس ونحو ذلك، مما لا يترتب عليه فائدة علمية، لما فيه من بعدٍ عن الواقعيَّة، فهذا منهي عنه ولا ريب.

فعن يزيد بن سلمة عن أبيه أن رجلاً قام إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا؟! فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة» فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اِسمَعوا وأطيعوا» فإنما عليهم ما حَمَلوا وعليكم ما حَمَلتم»[٦٧].

(٥) سؤالات الرسول ﷺ غاياتُهَا تشريعيَّة.

لعلَّنا تحدَّثنا عَن جانب مِن هذه الخصيصة عند حديثنا أنَّ سؤالاته ﷺ كانت تحقق مصالح للأمَّة، فهو المعلِّم الأوَّل، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي قال جل شأنه فيه: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**[٦٨].

وقال تبارك وتعالى محذِّرًا: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٦٩].

ورغَّب الأمَّة باتِّباعه فقال: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٧٠].

وقد كانت سؤالاته ﷺ تشرِّع للأمَّة

أحكامًا مُتنوِّعَة، مِن تحـريم، وتحليل، ومِن كـراهةٍ إلى نَدب، إلـى إباحَـةٍ» حـتَّى أنهـا شملت بيان الشـرط والمانع والسبب، وكانت ترسِّخُ قـواعـد في التَّـعـامل مع المجـتـمع والأفراد، في القضاء والإفتاء، وفي الدعوة إلى الله عزَّ وجل.

من أمثلَة ذلك ما يلي:

١- سؤال بيَّن حُرمَةً:

عن أبي هـريرة أنَّ رســـــول الله ﷺ انصـرف مِن صـلاةٍ جـهـر فـيـهـا بالقـراءة، فـقـال: «هل قـرأ مـعـي أحـدٌ منكم القـرآن آنِفًا؟!» فقال رجل: نعم يا رسول الله! قال: رســول الله ﷺ: «إنِّـي أقـول: مــالـي أنازَعُ القرآنَ؟!»(٧١).

قــال: فـانـتـهـى النَّاس عن القــراءة مع رسول الله ﷺ فـيـمـا جـهـر فـيـه النبي ﷺ بالقـراءة مِن الصلوات، حـين سـمـعـوا ذلك مِن رسول الله ﷺ.

في اســتــفــســاره ﷺ عن الذي جـهـرَ بقـراءته خلفَه في الصَّلاة، وبيـان أثر ذلك عليه، دليلٌ على حُرمَة ذلك، بدليل ما قاله أبو هريرة في آخر الحديث.

٢- سـؤالٌ أفادَ أنَّ الأمـر للوجوب مـا لَم تأت قرينَةٌ تصرفه إلى غير ذلك:

عن سـهل بن سعد قال: قال رسـول الله ﷺ: «يـا أبا بكـرٍ مـــا منعك أن تثـــبـتَ إذ أمرتُك؟»(٧٢).

فـيـه دلالـةٌ علـى أنَّ أمــره ﷺ يفـيــد الوجوب، لولا القرينة التي فهمها أبو بكر:

قـال الحـافظ ابن حـجـر: (إن مَن أكـرم بكرامة يتـخيَّر بـين القبول والتـرك، إذا فهم أن ذلك الأمـر على غيـر جهة اللزوم، وكأن القرينة التي بيَّـنت لأبي بكر ذلك هي كونه ﷺ شقَّ الصفوف إلـى أن انتهى إليه فكأنه فـهم مِن ذلك أن مـراده أن يؤم الناس، وأن أمره إيَّاه والاسـتـمـرار في الإمـامـة من باب الإكـرام له والتنويه بقـدره، فـسلك طريق الأدب والتواضع»(٧٣).

٣- سـؤالٌ بيَّـن أنَّ مسَّ الذَّكـر لا ينقض الوضوء:

عن قيس بن طَلق عن أبيه، قـال: قدمنا على نبيِّ الله ﷺ فـجَـاء رجلٌ كـأنَّه بدويٌّ فقال: يـا نبيَّ الله! مـا ترى في مسِّ الرَّجُلِ ذكرَه بعدما يتوضَّأ؟

فقال: «هل هو إلاَّ مُضغةٌ مِنه؟! أو قال: بَضعَةٌ منه؟!»(٧٤).

فـيـه تصـريحٌ بعـدم نقض الـوضـوء مِن مسَّ الذَّكَرِ، وأنَّه لا يؤثِّرُ على وضوء العبدِ،

لمن يقول من الفُقَهاء بذلك، إذ أنَّ في المسألة خلافًا، للحديث الذي روته بُسرة بنت صفوان(٧٥)، وليس هذا موضع بسطِه وذكره.

٤: سؤال بيَّن إباحةً:

عن جابر بن عبد الله قال: قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: هششت فقبلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً! قبلت وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟!». قال: لا بأس. قال: « فَمَه؟! »(٧٦).

فيه بيان إباحة التقبيل للصائم، وأنه لا يبطل الصيام، وقد قاسه الرسول ﷺ بالمضمضة بالماء.

❖ المطلب الثاني: من ضوابط سؤالات الرسول ﷺ:

الضَّوابط لغةً: الضوابطُ: جمعُ ضَابط أي: حَازم(٧٧)، من ضَبَطَ ضبطاً وضَبَاطَةً: حَفظَه بالحَزم(٧٨). وأحكَمَه وأتقنَه.

أمَّا الضَّابطُ اصطلاحًا: فهو حُكمٌ كُليٌّ ينطبقُ على جزئيَّاته(٧٩)» وهو مرادف للقاعدة، حيث قال التهانوي(٨٠): «القاعدة: مرادف الأصل والقانون والمسألة والضابطة والمقصد»(٨١).

وقال الفيُّومي في «المصباح المنير»: «القاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط، وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته»(٨٢).

وعلى ذلك يكون موضوع هذا المبحث هو بيان الأمور الكليَّة في سؤالات الرسول ﷺ والتي كانت تحدد شكلَها ونمطَها العامَّ، ومنها:

١- كانت سؤالاته ﷺ عن قضايا تعنيه وتهمُّه.

هذا الضَّابط أخلاقيٌّ، يدلُّ على خُلق وأدب الرسول ﷺ في طرح السُّؤال، فقد كان يوجِّه سؤالاته بعنايةٍ فائقةٍ، تتمثَّل بأنَّه ﷺ كان يرمي من كلِّ سؤالٍ من سؤالاته غايةً ومقصداً.

وقد بيَّنت في المبحث السابق خصائص سؤالاته، وأنَّ سؤالاته كانت تحقق مصالح للأمَّة، وأنَّها كانت تشريعيَّة وتعليميَّة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من حُسن إسلام المرءِ تركُه ما لا يعنيه»(٨٣). وقال ﷺ: «ويكرَه لَكُم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرَة السُّؤال، وإضاعة المال»(٨٤).

وكان قدوةً عمليَّةً في ذلك، لا في السؤال فحسب، بل في كلِّ شيء، فلم يُروَ سؤالٌ واحدٌ طرحَه رسول الله ﷺ فيه أنه سأل عن شيءٍ لا يعنيه، أو لا يعود بالنَّفع العاجلِ والآجل.

وإنَّه لحريٌّ بذلك فهو نبيُّ الله الذي مدَحه جلَّ وعلا في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٨٥).

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه أنَّه سمعَ النبي ﷺ يقول: «أُخبِرُكُم بأحبِّكم إليَّ، وأقرَبِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامَة؟». فسكتَ القومُ، فأعادها مرَّتين أو ثلاثًا. قال القوم: نعم يا رسول الله! قال: «أحسنُكم خُلُقًا»(٨٦).

ولم يكن رسول الله ليرشدنَا إلى خيرٍ وينهانا عن شرٍّ، ثمَّ يخالِفنا إلى ما ينهانا عنه، وهو القائل: « إنَّما بعثتُ لأتمِّم صالحَ الأخلاق»(٨٧).

قال ابن رجب الحنبلي(٨٨): «حَكَى الإمام أبو عمر بن الصَّلاح، عن أبي محمد ابن أبي زيد -إمام المالكيَّة في زمانه- أنَّه قال: جِمَاعُ آدابِ الخيرِ وأزمَّتُه تتفرَّع من أربعة أحاديثَ، قول النبي ﷺ: «مَن كان يؤمِن بالله واليومِ الآخِر، فليقل خيراً أو ليصمُت»، وقوله ﷺ: «من حُسن إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه»، وقولُه للذي اختصَرَ له الوصيَّة: «لا تغضَب»، وقوله ﷺ: «المؤمِن يحبُّ لأخيه ما يحِبُّ لنفسِه»(٨٩).

قال ابن القيِّم: «كان النبي ﷺ طويلَ السكوت لا يتكلَّم في غير حاجة، يفتتحُ الكلامَ ويختتمُه بأشداقه، ويتكلَّم بجوامع الكلام، فصل لا فضول ولا تقصير، وكان لا يتكلَّم فيما لا يعنيه، ولا يتكلَّم إلا فيما يرجو ثوابه..»(٩٠).

ولذلك لا بدَّ من مُراعاةِ هذه الخصوصيَّات عند تطبيق منهجه وأسلوبه في السُّؤالات في واقعِ حياتِنَا.

فقد يسأل مُسلِمٌ مُسلمًا سؤالاً قد سأله الرسول ﷺ يومًا لأحَدِ أصحابه، ومع ذلك يكونَ مُخالفًا لهديه مواقعًا لنهيه، لأنَّه لم يُراعِ خصوصيَّة النبي ﷺ وأنَّه لمَّا سأل ذلك السؤال كان يسأل بحُكم مَنزلته من المسؤول، فهو يشرِّع لكلِّ طبقاتِ الأمَّة، وبعبارةٍ مختَصرةٍ: لا بدَّ ألاّ يغفلِ السائلِ الذي يريد تطبيق أسلوب ومنهج النبي ﷺ في السؤال المَقام والمُناسبَة ومَنزلَتَه من المسؤول فلا يسأل عمَّا ليسَ من

اختصاصه، والله الموفق.

٢- كانت سؤالاته ﷺ المقصودة لذاتها تتوجَّه لِمَن يُحسِنُ التعبير عَن الجواب.

يتجلَّى للباحث في أحاديث النبي ﷺ التي تُذكَرُ فيها سؤالاته -المقصودة لذاتها- أنَّها كانت موجَّهةً دائمًا لِمَن يحسن التعبير عن الجواب، فلم يكن رسول الله ﷺ يسأل مَن ليسَ أهلاً للسؤال، سواءً كانَ المسؤول مُسلِمًا أم كافراً.

وقصدنا بالجوابِ هنا، الجوابَ الذي يبتغيه السَّائل، لا أيَّ جواب، ولذلك عرَّفناه بـ (الـ) العهديَّة، إذ أنَّ كل ردٍّ على سؤالٍ يكونُ جوابًا، ولكن البحث سيكونُ في صوابِ هذا الجواب أو خطئه. هل فيه الحقيقة أم الكذب والتَّضليل، هل يجيبُ على سؤال السَّائل، أم يبقيه على هيئته قبل الإجابَة؟.

بعد بحثٍ طويل لم نجد سؤالاً مقصودًا لذاته وجهه النبي ﷺ لصغير غير مميِّز، وإنَّما كانت سؤالاته للصغار الذين لم يميِّزوا بعدُ غير مقصودة لذاتها.

ومثاله: الحديث المشهور الذي رواه الشيخان عن النبي ﷺ: «أبا عُمير، ما فعل النُّغير؟!»(٩١).

وفي هذا الحديث دليل على صحَّة هذا الضابط، وهو أنَّ النبي ﷺ سأل أول ما سأل أخاه الكبير أنس بن مالك بقوله: «ما شأنُه؟».

وهذا سؤال مقصود لذاته، فلو كان ﷺ يسأل من لم يميِّز لسأل أبا عمير.

كذلك كانت سؤالاته ﷺ توجَّه إلى أصحابِ العلاقة بالحدَث، وهذا للوصول إلى الجواب المُرادِ، فهو أدعى للمصداقيَّة وأقربُ لليقين.

وتبرز أهميَّة هذا الضابط المَسلكي، في القضاء والإفتاء والمناظرة، فهو عند القضاء لا يسأل مَن لم يرَ أو يعلَم بالقضيَّة المراد البتُّ فيها.

وكذلك عند الفتوى لا يفتي إلا بعدَ إلمام بواقع المستفتي وحاله، وكذلك المناظَرة، فقد كان ﷺ إذا ناظرَ أهل الكتاب، ناظَر علماءَهم بالكتاب.

وقد أرسى لنا كتابُ الله عز وجل هذا الضابط في قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٩٢)، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾(٩٣).

٣- كانت سؤالاته ﷺ في الفتيا ترمي إلى التوضيح والتيسير.

السؤالات النبويَّة مِن أمور الإسلام، فهي لا شكَّ تنضوي تحت قواعده، والتي مِن أهمِّها التيسير، فقد وصَّى النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري لمَّا أرسلهما إلى اليمن فقال: «يَسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا»(٩٤).

وكان هديه ﷺ التيسير على المسلمين والتوسعةَ عليهم، فكان إذا جاءه رجلٌ يريد أن يستفتيه عن أمرٍ مِن أمور الدين، وكان الأمر المستفتَى عنه يقتضي كفَّارةً، كان ﷺ إذا سأل يسأل المُستفتي عن قدرتِه عن فعل أول كفَّارَةٍ تترتَّب عليه، فإن لم يستطعِ المستَفتِي فعلَها، سأله النبي ﷺ عن التي تليها، وهكذا، ميسِّراً وموسِّعًا.

وكان ﷺ إذا سأل في قضايا أخرى كالقضاء والنُّذور، يكون سؤاله بيانًا وتوضيحًا للسائل، وغالبًا ما يكون بأسلوب القياس، وذلك لتوضيح الصورة للمستَفتِي.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: هلكتُ! قال: «وما أهلكَكَ؟».

قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان. قال: «فهل تجدُ ما تُعتِقُ رقبَةً؟». قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصومَ شهرين متتابعين؟». قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينًا؟». قال: لا. قال: «اجلس»(٩٥).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ فقال: «أرأيت لو كان على أمك دينٌ فقضيته، أكان يؤدِّي ذلك عنها؟». قالت: نعم. قال: «فصومي عن أمك»(٩٦).

٤- كانت سؤالاته ﷺ في القضاء تدرء الشُّبهَة وتُحِقَّ الحقَّ.

كانت سؤالاته ﷺ في القضاء لدرء الشُّبهةِ، وليس لإيقاع العقوبةِ، وقد وجدنا هذا جليًّا مِن خلال تكرار السؤال على المرء الذي يقاضيه الرسول ﷺ.

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لماعز بن مالك: «أحقٌّ ما بلغني عنك؟». قال: وما بلغكَ عنِّي؟ قال: «بلغني عنك أنك وقعتَ على جاريَةِ بني فلان؟». قال: نعم» فشهدَ أربعَ شهادات» فأمر به فرجِم(٩٧).

فنرى أنَّ النبي ﷺ سأل ماعزًا بادئ الأمر عن صحَّة ما بلغه عنه، وذلكَ كي لا يقيمَ عليه حدًا هو بريءٌ من موجبه.

وفي رواية أخرى، عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: رأيت ماعز بن مالك حينَ جيءِ به إلى النبي ﷺ رجلاً قصيرًا، فشهدَ على نفسهِ أربعَ مرَّات: أنَّه قد زنى، فقال رسول الله ﷺ: «فلعلَّك قبَّلتَها؟!».

قال: لا، واللهِ إنَّه قد زنى الأَخِر، فرجمَهُ»(٩٨).

وقد تعددت الروايات الصحيحة في قصَّة ماعز، وسنجملُ سؤالاته ﷺ لماعز في هذه القضيَّة، مبوِّبًا لكلِّ سؤالات بعنوان رأيتُه يحقق جامعًا مشتركًا بينهَا:

٤ - أ: سؤالاتٌ لمعرفة صحة نسبة التهمَة للمتَّهم:

١- «أحقٌّ ما بلغني عنك؟»(٩٩).

٢-«إنك قد قلتَها أربعَ مرَّات، فبمَن؟». قال: بفلانة»(١٠٠).

٤ - ب: سؤالاتٌ لدرءِ الشبهة عن المتَّهم:

١- «هل ضاجعتها؟» قال: نعم. قال: «هل باشرتَها؟». قال: نعم. قال: «هل جامعتَها؟». قال: نعم(١٠١). وفي رواية: «أفعلتَ بها؟». قال: نعم(١٠٢).

وفي رواية: «أزنيتَ؟»(١٠٤).

٢- «لعلك قبَّلتَ أو غمزتَ أو نظرتَ؟». قال: لا(١٠٥).

٤- ج: سؤالاتٌ لمعرفة أهليَّة المتَّهم لإيقاع العقوبَة عليه أم لا:

١- «أبكَ جنونٌ؟»(١٠٦). وسأل الحضور مِن الصحابة: «أمجنونٌ هو؟»(١٠٧)، «أشربَ خمرًا؟»(١٠٨).

٢- فلمَّا كان الإقرار منه رضي الله عنه في كل هذه السؤالات! سأله النبي ﷺ: «أأحصنتَ؟» قال: نعم، فأمرَ به فرُجِم(١٠٩).

٤- د: سؤالٌ احترازيٌّ بعد الأمر بإقامَة الحدِّ على المُدان:

١- قال جابر: «لَمَّا وجدَ مسَّ الحجارةِ صرخَ بنا: يا قوم ردوني إلى رسول الله ﷺ فإن قومي غرُّوني من نفسي، وأخبروني أن رسول الله غير قاتلي!! فلم ننزع حتى قتلناه، فلمَّا رجعنا إلى رسول الله ﷺ وأخبرناه قال: «فهلا تركتموه وجئتموني به؟!» ليستثبتَ رسول الله ﷺ منه!»(١١٠).

وفي هذه القضيَّة ظهر جليًّا كم كانَ رسول الله ﷺ حريصًا على المسلمينَ، فهو يتحرَّى، ويستوضَح مِن ذلك الصحابي المرَّة تلوَ المرَّة كي يزيلَ أيَّ لُبسٍ، وينفي أدنى ارتياب، ومع ذلك وبعد أن استوضَح منه، وكان الإقرار منه دون إكراه، والتأكيد على مطابقَة دعواهُ ما فعلَه على وجه الحقيقة، أنكرَ النبي ﷺ على الصحابَة لَمَّا استمرُّوا برجمِه، وقد طلبَ أن يرَدَّ إلى رسول الله ﷺ، فقال: «فهلاَّ تركتموهُ وجئتموني به؟!» ليستثبتَ منه.

وهذا يدلُّ على أنَّ القاضي لا بد أن يسأل ليستثبت مِن الخصوم، بل إنَّ هذا مِن القواعد المقررة في نظام القضاء الإسلامي، فنجد أنَّ الكتب المعنيَّة بالقضاء الإسلامي تقرر على القاضي بدء المرافعة بسؤال المدَّعي عن دعواه، ثم يتوجَّه القاضي بالسؤال إلى المدَّعى عليه عن جوابه الدعوى، فإن أنكرَ المدَّعى عليه، فإن القاضي يثبت إنكاره ثم يسأل المدعي قائلاً: هل لك بيِّنة على دعواك؟

كما يدلُّ أسلوب القضاء النبوي على علانية المرافعة بين الخصوم والبيِّنات والدفوع وإصدار الأحكام، وهذا هو الأصل إلا إذا رأى القاضي المصلحة في جعلها سريَّة لا يحضرها أحدٌ من النَّاس(١١١).

٥- كانت سؤالاته ﷺ تَحصُرُ المسؤولين بإجاباتٍ محدَّدَة.

هذا الضابط، ضابطٌ منهجيٌّ علميٌّ، ولا غروَ أن يكونَ ذلك مِن رسولِ الله ﷺ الذي آتاه الله -تبارك وتعالى- جوامع الكَلِم، فكان يتكلَّم باليسير مِن الكلمات ما يغني عن الكثير، مع بلاغة المعنى، ودقَّة العبارة في السؤال وغيره.

وذلك يدلُّ على وضوح القضيَّة التي يريدها النبي ﷺ في ذهنه قبل أن يسأل، فيتَّخذ أنجع الوسائل اللغويَّة والأساليب البلاغيَّة التي تعبِّر عن مقصوده، مع مراعاة حال المسؤول، وظرفِه.

وتلك كتب السنن موجودةٌ ماثلةٌ لا تجد فيها سؤالاً فُهم منه غير مقصودِ النَّبي ﷺ، أو تترك المجالَ أمام المسؤول أن يناور ويراوغَ في إجابته، بل كانت كحدِّ السَّيف في دقتها وحَسمِهَا، فينصاعُ المسؤول أمام دقَّة السؤال بالإجابة التي يبتغيها الرسول ﷺ.

فعن أبي بكرة عن النبي ﷺ أنَّه قال

في خطبة حجَّة الوداع: «أيُّ شهرٍ هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتَّى ظننَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه. قال: «أليس ذا الحِجَّة؟». قلنا: بلى. قال «فأيُّ بلدٍ هذا؟». قلنا: الله ورسولُه أعلَم. قال: فسكت حتَّى ظننَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه. قال: «أليس البلدَة؟». قلنا: بلى. قال: «فأيُّ يوم هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكَت حتَّى ظننَّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه. قال: «أليسَ يوم النَّحر؟». قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «فإنَّ دمائكم وأموالكم وأعراضَكم حرَامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقونَ ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم»(١١٢).

قال النووي: «ذلك السؤال والسكوت والتفسير، أراد به التفخيم والتقرير، والتنبيه على عِظَم مرتبة هذا الشهر، والبلد واليوم»(١١٣).

قال ابن حجر: «ومناط التشبيه في قوله: كحرمة يومكم هذا، وما بعده: ظهوره عند السامعين» لأن اليوم والشهر والبلد كان ثابتًا في نفوسهم، مقررًا عندهم بخلاف الدماء، والأموال، والأعراض، وكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فبيَّن لهم أن تحريم دم المسلم، وماله، وعرضه، أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم»(١١٤).

وعن كعب بن عُجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ مرَّ به زمن الحديبية وهو يوقد تحت قدرٍ له والقمل يتناثر على وجهه.

فقال له: «أيؤذيكَ هوامٌّ رأسك؟».

قال: قلت: نعم(١١٥).

ويلاحظ هنا أنَّ رسول الله ﷺ سأل كعب بن عجرة عن إيذاء هوامٍّ رأسه له ليرخِّص له حلق شعر رأسه قبل أن يُحلَّ، فالرسول ﷺ لم يسأله، ماذا برأسك؟ وهل تؤذيك أم لا؟ بل قال: آذاك هوام رأسك؟ ليكون الجواب بالنفي أو الإثبات.

قال ابن حجر: «قال القرطبي: هذا سؤال عن تحقيق العلِّة التي يترتَّبُ عليها الحكم، فلمَّا أخبرَه بالشقَّة التي نالته خفَّف عنه، والهوامُّ جمع هامة وهو ما يدبُّ من الأخشاش»(١١٦).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(٥٧) كقوله ﷺ في حال نزاع بين الصحابة في مسألة القدر: «أبهذا أمرتم ؟، أم بهذا أرسلت إليكم ؟». متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو الأيمان، رقم (٦٧٨٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم (١٤٣٠).

(٥٨) كقوله ﷺ: «ألا تبايعون رسول الله ؟»، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم (١٠٤٤).

(٥٩) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب: باب الانبساط إلى الناس، رقم(٦١٢٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب: باب جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الصغير، رقم (٢١٥٠).

(٦٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير: باب استحقاق القاتل سلَب القتيل، رقم (١٧٥٣).

(٦١) متفق عليه،أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم: باب قول المحدث: حدَّثنا أو أخبرنا وأنبأنا، رقم(٦١).

(٦٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١، (ص١٩٣).

(٦٣) أخرجه الدارمي في سننه في باب كراهية الفتيا، ج١، (ص ٤٧). باسناد حسن.

(٦٤) هو الجهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، رأس الجهمية، ورأس الضلالة، الكاتب والمتكلم، توفي سنة ١٢٨ هـ (انظر : الذهبي، سير اعلام النبلاء ٦/٢٦-٢٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٣٥١ و ٦٤٣ .

(٦٥) أخرج أحمد في مسنده، ٤٣٥/٥، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، رقم (٣٦٥٦). عن معاوية بن ابي سفيان ان النبي ﷺ نهى عن الغلوطات".

(٦٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، مصدر سابق، ج٢، (ص ١٠٥٢-١٠٥٤).

(٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة: «باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق» رقم (١٨٤٦).

(٦٨) سورة الحشر: جزء من آية ٧.

(٦٩) سورة النور: آية ٦٣.

(٧٠) سورة آل عمران: آية ٣١.

(٧١) أخرجه أبو داود في سننه في أول كتاب الصلاة: باب مَن كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام رقم (٨٢٦) اسناده صحيح.

(٧٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان: باب من دخل ليؤمَّ الناس فجاء الإمام الأول فتأخر الأول أو لم يتأخر جازت صلاته، رقم ٦٥٢، ومسلم في كتاب الصلاة: باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر ولم يخافوا مفسدة بالتقديم، رقم(٤٢١).

(٧٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج٢، ص ٩٨٩.

(٧٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة: باب الرخصة في ذلك، رقم(١٨٢).وهو حديث صحيح.

(٧٥) ونص الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من مسَّ ذكره فليتوضأ». أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس الذكر، ج٢، رقم (١١١٤). وهو حديث صحيح.

(٧٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصيام: باب القبلة للصائم، رقم (٢٣٨٥). وهو حديث صحيح .

(٧٧) الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق، باب الضاد ص١٨٩ .

(٧٨) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (ضبط): ج١ ص٩١١ .

(٧٩) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج١ ص٥٣٣ .

(٨٠) التهانوي: هو محمد أعلى بن علي بن حامد الحنفي، أحد رجال العلم بالهند، قرأ النَّحو والعربيَّة على والده وتفقَّه عليه، أشهر مؤلَّفاته: (كشَّاف اصطلاحات الفنون).

انظر كتاب، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر، ١٣٧٨هـ، ج٦ ص ٦٧٨.

(٨١) التهانوي، محمد أعلى بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر بيروت، ج٢، ص٨٨٦.

(٨٢) الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، د.ت، ص٧٠٠ .

(٨٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ: بابٌ، رقم (٢٣١٧).وهذا إسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة، رقم (٣٩٧٦).

(٨٤) متفق عليه، تقدم تخريجه ص٥ .

(٨٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب المفرد، باب حُسن الخلُق، رقم (٢٧٢).

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب المفرد، باب حُسن الخلق، رقم (٢٧٣). وقال الألباني: حديث صحيح، المرجع ذاته، ص١٠٠.

(٨٨) هو الإمام الحافظ العلاَّمة: زينُ الدين عبدُ الرحمن بنُ أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن أبي البركات السَّلامي البغدادي، ثم الدمشقيُّ الحنبلي الشهير بابن رجب الحنبلي وهو لقب جدِّه عبد الرحمن، ولد في بغداد سنة (٧٣٦هـ)، بعد انصرام ثمانين عاماً على سقوط بغداد حاضرة العلم بأيدي المغول، ثم توفي سنة (٧٩٥ هـ) بدمشق فرحمه الله رحمةً واسعةً. انظر ترجمتَه في الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧.

(٨٩) ابن رجب، جامع العلوم والحِكَم، مصدر سابق، ج١، ص٢٩١ والمراد هنا توثيق النص فقط.

(٩٠) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مصدر سابق، ج١، ص١٨٢ .

(٩١) متفق عليه، تقدم تخريجه ص١٥.

(٩٢) سورة النحل: آية ٤٣. وسورة الأنبياء: آية ٧.

(٩٣) سورة النساء: جزء من آية ٨٣.

(٩٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم (٤٣٤١و٤٣٤٢) عن أبي بردة. ومسلم في كتاب الجهاد والسير: باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم (١٧٣٢) عن أبي بردة عن أبي موسى -رضي الله عنهما-.

(٩٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، رقم (١٩٣٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع، رقم (١١١١).

(٩٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه،

كتاب الصوم: باب من مات وعليه صوم رقم (١٩٥٣)، ومسلم، في كتاب الصيام: باب من مات وعليه صوم رقم (١١٤٨).

(٩٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (١٦٣٩).

(٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (١٦٩٤). وأبو داود في كتاب الحدود: باب رجم ماعز، رقم (٤٤٢٢)، واللفظ لأبي داود.

(٩٩) أخرجه مسلم في صحيحه في نفس الباب والحديث السابق، وأخرجه أبو داود في سننه، في نفس الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٤٢٥).

(١٠٠-١٠١) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٤١٩). وهذا إسناده صحيح.

(١٠٢) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٢١). وهذا إسناده صحيح.

(١٠٣) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٢٧).

وإسناده صحيح.

(١٠٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود: باب من اعترف نفسه بالزنى، رقم (١٦٩٥).

(١٠٥) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٢٧). إسناده صحيح.

(١٠٦) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٣٠). وإسناده صحيح.

(١٠٧) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٢١).

(١٠٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود: باب من اعترف نفسه بالزنى، رقم (١٦٥٩).

(١٠٩) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٣٠)، وقد تقدم ذكره قبل ثلاثة أحاديث.

(١١٠) أخرجه أبو داود في سننه في نفس الكتاب والباب السابقين رقم (٤٤٢٠).

(١١١) عبد الكريم زيدان، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٢٠-١٢٢، بتصرف.

(١١٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات: باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩).

(١١٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مصدر سابق، ج٦، ص٢٣١ .

(١١٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص ١٦٨ .

(١١٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المحصر: باب قول الله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففديةٌ من صيام﴾**، رقم (١٨١٤). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى. رقم (١٢٠١).

(١١٦) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٤، ص٢٣٣٥.

الاعلام وتبليغ الاسلام

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

قد ارسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وعامة للمكلفين اجمعين كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ سبأ: ٢٨، وقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً﴾ الأعراف: ١٥٨ .

وأمره الله تعالى بإبلاغ الناس بالاسلام في قوله سبحانه: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾** المائدة: ٦٧، وأخبره سبحانه بأن النتائج ليست على المبلغين وانما عليهم البلاغ فحسب، كما قال سبحانه: **﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ﴾** الشورى: ٤٨ .

كما أمره سبحانه بالدعوة الى الله تعالى بالوسائل المتاحة، والأساليب المناسبة فقال تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** النحل: ١٢٥، فقام النبي ﷺ بالبلاغ، وحمل مهام الدعوة الى الله تبارك وتعالى، فكان يؤمن معه الواحد والإثنان والثلاثة مستترين خائفين من بطش قريش وشدتها، وما ترك الرسول ﷺ وسيلة ممكنة للبلاغ الا أخذ بها، ولا أسلوباً يرغبهم ويرهبهم الا عمله، فدعاهم جماعات وفرادى، واتخذ من دار الأرقم بن ابي الأرقم مكاناً لتجمع من آمنوا به ليعلمهم ويثبت قلوبهم بالقرآن.

ومما يلاحظ في دعوته ﷺ أخذه بالوسائل الإعلامية المتاحة في ذلك

العصر، فخطب قريشاً على الصفا خطبة بليغة مؤثرة، ابتدأها بتقريرهم أنه ناصح أمين، فلما أقروا له بذلك صدع بدعوتهم الى توحيد الله تعالى، ونبذ الأوثان.

وكان ﷺ يدور على القبائل في مواسم الحج يدعوهم الى الاسلام، وخرج الى أهل الطائف ودعاهم الى الاسلام، وثبت عنه أنه دعا كبار اهل مكة عند الكعبة، وفي أسواقهم، وفي بيوت بعضهم، ثم لما هاجر الى المدينة واتسعت دعوته وفتحت مكة أرسل الرسائل والرسل الى ملوك الأرض آنذاك كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وغيرهم يدعوهم الى الاسلام، والرسائل والرسل والكتابة اليهم من الوسائل الاعلامية المتاحة في ذلك العصر.

والمطالع لسيرته ﷺ يجد انه ما ترك وسيلة اعلامية في عصره توصل خطابه ودعوته الى الناس الا اخذ بها، لأنه ﷺ مكلف بالبلاغ عن ربه تبارك وتعالى، والبلاغ يحتاج الى إعلام حتى يتم اعلام الناس وتبليغهم بما أمره الله تعالى بتبليغه.

وسار على طريقته ﷺ في البلاغ، والعمل بالوسائل الممكنة لإيصال الدعوة صحابته الكرام رضي الله عنهم وارضاهم، ثم التابعون لهم بإحسان، ثم اتباعهم من بعدهم، ففتحوا البلدان، وأرسلوا الرسائل، وأوفدوا الدعاة الى الله تعالى، ونشروهم في شتى الأقطار والأمصار، وألفوا الكتب الكثيرة في أصول هذا الدين وفروعه، حتى بلغت دعوة الاسلام مشارق الأرض ومغاربها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وفي العصور المتأخرة، حصل تطور مذهل في وسائل الاعلام والاتصال بالآخرين، حتى ان المرء ليجلس في بيته أو مكتبه وتصله أخبار العالم، ويطلع على أمر حدث في أقاصي البلدان بالصوت والصورة حال حدوثه وهو يبعد آلاف الأميال.

لقد تنوعت وسائل الإعلام بين مقروء ومشاهد ومسموع، وكل نوع منها له آلياته في التشغيل والإدارة والتأثير على جمهوره، وتتنافس وسائل الاعلام المختلفة على كسب المشاهدين بأية طريقة، وصار الاعلام مجالاً للدعوة الى الأديان، والدعاية للمذاهب والأفكار، وأكثر الملل والنحل تملك قنوات فضائية وإذاعية خاصة لبث دعوتها، ولها مواقع على شبكة الانترنت كما هو الواقع.

ومنذ بدء الوسائل الاعلامية الحديثة في بثها، كان للعلماء الراسخين في العلم تحفظ على المشاركة في هذه الوسائل

الإعلامية خاصة المرئية منها.

وسبب هذا التحفظ ما يوجد فيها من منكرات، قد يفهم من خروج العالم فيها انه يضفي شرعية على كل ما فيها، وبعض أهل العلم شاركوا فيها من باب ان ما يطرحونه فيها خير ينفع الناس، وليس دليلاً على إقرار المنكرات التي تحويها، ثم ان غيابهم عنها لن يكون سبباً في زوال المنكر، بل ربما كان سبباً في زيادته. واختلفت انظارهم تجاه هذه القضية بين مشارك ومحجم ومؤيد ومعارض ومتوقف.

ثم لما بدأ البث الفضائي، وانتشرت الفضائيات، وصارت تعرض غثاً كثيراً ونفعاً قليلاً محدوداً، رأى اهل العلم ان إحجامهم عن المشاركة فيها ستكون آثاره كآثار إحجامهم من قبل، وأنها لن تتأثر بغيابهم بقدر ما يتأثر المشاهدون في ديانتهم وأخلاقهم من سوء ما يعرض فيها، لا سيما وقد اقتحم كثيراً من البرامج الدينية في عدد منها من لا يحسنون في هذا المجال، وصار بعضهم يفتي بمقتضى هواه، وبما يتسق مع خط القناة الفضائية، فانتشرت شذوذات فقهية، وفتاوى غريبة ما كنا نسمع بها من قبل تحت ضغط الواقع الاعلامي المتحلل من قيم الدين والأخلاق، والتابع في كثير من مواده للاعلام العالمي العلماني.

ولا شك ان في ذلك ضرراً بالغاً على المتلقين عن هذه القنوات الفضائية التي صرفتهم عن دينهم، وغيرت أخلاق كثير منهم بما تقذفه من شبهات وشهوات.

فرأى بعض الغيورين أنه لا بد من اقتحام هذا المجال المهم من قبل اهل العلم الراسخين، وعدم تركه لأنصاف المتعلمين والمثقفين، حتى لا يفسدوا على الناس دينهم بجهلهم بأصول الشريعة وقواعدها ونصوصها، فشارك بعضهم عن قناعة وبعضهم على استحياء، فنفع الله بهم، وحصل على أيديهم خير كثير.

ورغم ذلك فإن كثيراً من علمائنا الكبار، لا زال لهم تحفظ على المشاركة في كثير من الفضائيات، لما تعج به من منكرات عظيمة، مما يجعل الحاجة ملحة لإنشاء قناة اسلامية نظيفة من المنكرات تكون مجالاً يطرح العلماء الراسخون فيها علمهم، ويرشدون الناس ويعلمونهم ويفتونهم في أمور دينهم وتكون لهم في الفضاء قناة اسلامية كما كانت لهم اذاعة القرآن الكريم في الإذاعات، التي نفع الله بها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد نفع الله بقناة المجد وقناة الفجر وقناة إقرأ، وهناك مشاريع تبشر بالخير بظهور قنوات إسلامية تعرض الخير على الناس وتنفح عنهم الخبث، والله المستعان.

نظام المؤاخاة في عهد النبوة

■ بقلم الدكتور عبد المجيد معلومي

اعتبر الاسلام المؤمنين كلهم اخوة، فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾[١]، وأوجب عليهم الموالاة لبعضهم والتناصر في الحق بينهم، لكن موضوع هذا البحث هو المؤاخاة الخاصة التي شرعت وترتبت عليها حقوق وواجبات أخص من الحقوق والواجبات العامة بين المؤمنين كافة.

ويشير البلاذري (ت ٢٧٦هـ) الى ان النبي ﷺ آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمساواة، فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص، وبين ابي عبيدة بن الجراح وسالم مولى ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله، وبينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين[٢]، ويعتبر البلاذري اقدم من أشار الى المؤاخاة المكية، كما تابعه ابن سيد الناس دون ان يصرح بالنقل عنه[٣].

ومال كل من ابن قيم وابن كثير الى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال ابن القيم: «وقد قيل: انه -اي النبي ﷺ- آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها علياً اخاً لنفسه، والثبت الأول* والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الاسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن

عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الانصار»[٤].

ومما يرجح ما ذهب اليه ابن القيم وغيره، ان كتب السيرة الأولى المختصة لم تشر الى وقوع المؤاخاة بمكة، كما ان البلاذري وهو المصدر الوحيد القديم الذي أشار اليها، ساق الخبر بلفظ «قالوا» دون اسناد مما يضعف الرواية، كما ان البلاذري نفسه ضعفه النقاد.

وعلى فرض صحة وقوع هذه المؤاخاة بمكة، فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتآخين دون ان تترتب عليها حقوق التوارث.

وقد واجه المهاجرون من مكة الى المدينة مشاكل متنوعة، اقتصادية واجتماعية وصحية، فمن المعروف ان المهاجرين تركوا اهليهم ومعظم ثرواتهم بمكة، كما ان مهارتهم كانت في التجارة التي تمرست بها قريش، ولم تكن في الزراعة والصناعة، وهما يشكلان أهم دعامة في اقتصاد المدينة.

وبما أن التجارة تحتاج الى رأس المال، فإن المهاجرين لم يتمكنوا من شق طريقهم في المجتمع الجديد بسهولة، وكانت مشكلة معيشتهم وسكناهم تواجه الدولة الناشئة، كما ان علاقة المهاجرين بالمجتمع الجديد كانت حديثة، فقد ترك المهاجرون أهليهم بمكة، مما ولد احساساً بالوحشة والحنين الى مكة، اضافة الى اختلاف مناخ مكة عن المدينة واصابة المهاجرين بالحمى.

وهكذا كان وضع المهاجرين بحاجة الى علاج سريع وحل مؤقت واستثنائي، ولم يبخل الأنصار بشيء من العون، بل أبدوا من التضحية وضروب الإيثار ما استحق الذكر في كتاب الله العزيز حيث يقول الله تبارك وتعالى: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**[٥].

وقد بلغ كرم الأنصار حداً عالياً عندما اقترحوا على رسول الله ﷺ ان يقسم نخلهم بينهم وبين المهاجرين لأن النخل مصدر معيشة الكثيرين منهم، على ان الرسول ﷺ طلب من الأنصار ان يقوموا بإدارة بساتين النخيل ويحتفظوا بها لأنفسهم على ان يشركوا المهاجرين في التمر[٦]، ولا نعرف اذا كانت الشراكة في التمر محددة بنظام كالمناصفة، أو المقصود قيام الانصار بإعالة المهاجرين في تلك المرحلة.

وقد أثرت هذه المعاملة الكريمة في نفوس المهاجرين، فلهجت ألسنتهم بكرم

الأنصار، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا اليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالأجر كله، قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»(٧).

ورغم بذل الانصار رضي الله عنهم وكرمهم، فإن الحاجة الى إيجاد نظام يكفل للمهاجرين المعيشة الكريمة بقانون ظلت قائمة، خاصة ان أنفة المهاجرين ومكانتهم تقتضي معالجة أحوالهم بتشريع يبعد عنهم اي شعور بأنهم عالة على الأنصار، فكان ان شُرِّع نظام المؤاخاة، ولا تختلف الروايات في تاريخ تشريعه الا اختلافاً يسيراً، **فهي تجمع على ان المؤاخاة وقعت في السنة الأولى الهجرية، وتختلف ان كان ذلك بعد بناء المسجد في المدينة أو خلال بنائه.**

اما ابن سعد فقد ذكر ان المؤاخاة بعد الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى(٨) دون تحديد دقيق لتاريخ تشريعها.

وكان اعلان هذا التشريع في دار أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما صرحت الروايات(٩)، ووقعت المؤاخاة بين الطرفين المهاجرين والأنصار، فآخى الرسول ﷺ بين كل مهاجر وأنصاري اثنين اثنين.

وقد شملت المؤاخاة تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال: انه لم يبق من المهاجرين احد الا آخى بينه وبين أنصاري(١٠).

وتتفق المصادر على ان المؤاخاة التي جرت في المدينة، كانت بين المهاجرين والأنصار، لكن ابن سعد يذكر ان ثمة مؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم وقعت في المدينة الى جانب المؤاخاة بينهم وبين الأنصار، ولم يذكر أية تفصيلات أخرى توضح هدف المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، وما ترتب عليها، ولم تشر بقية المصادر لهذه الاشارة أو تعقب عليها(١١).

وقد ترتب على تشريع نظام المؤاخاة حقوق خاصة بين المتآخين كالمواساة بين الاثنين، والمواساة ليست محددة بأمور معينة بل مطلقة لتعني كل أوجه العون على مواجهة الحياة، سواء كان عوناً مادياً، او رعاية ونصيحة وتزاوراً ومحبة، كما ترتب على المؤاخاة ان يتوارث المتآخون دون ذوي ارحامهم مما يرقى بالعلاقات بين المتآخين الى مستوى أعمق وأعلى من أخوة

الدم[١٢].

وقد طابت نفوس الأنصار بما سيبذلونه لإخوانهم المهاجرين من عون، وتصور بعض الروايات عمق التزامهم بنظام المؤاخاة وتفانيهم في تنفيذه، ومن النماذج الفريدة لهذه المؤاخاة، ما حدث بين سعد بن الربيع الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف المهاجر، حيث قال له سعد: ان لي مالاً فهو بيني وبينك شطران، ولي امرأتان فانظر أيهما أحب اليك فأنا أطلقها، فإذا حلت فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فلم يرجع حتى رجع بسمن، قال: ورأى رسول الله ﷺ عليّ أثر صفرة فقال: مهيم؟ فقلت: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: أولم بشاة[١٣].

ولا شك ان المرء يقف مبهوراً امام هذه الصور الرائعة من الأخوة المتينة والإيثار المتبادل الذي لا نشهد له مثيلاً في تاريخ الأمم الأخرى.

وليس موقف ابن عوف في أنفته وكرم خلقه وعدم استغلاله لأخيه بأقل روعة من إيثار ابن الربيع، فقد تمكن –وهو التاجر الماهر– من شق طريقه في الحياة الجديدة وبعد مدة يسيرة تمكن من الزواج ودفع المهر نواة من ذهب[١٤]، ثم بورك له في عمله ونمت ثروته ليصبح من كبار أغنياء المسلمين، فقد أبى الا ان يكون صاحب اليد العليا التي تعطي ولا تأخذ.

❖ إلغاء التوارث بين المتآخين:

لا شك ان التوارث بين المتآخين كان لمعالجة ظروف استثنائية مرت بها الدولة الناشئة، فلما ألف المهاجرون جو المدينة وعرفوا مسالك الرزق فيها، وأصابوا من غنائم بدر الكبرى ما كفاهم، رجع التوارث الى وضعه الطبيعي المنسجم مع الفطرة البشرية على أساس صلة الرحم، وأبطل التوارث بين المتآخين[١٥] وذلك بنص القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[١٦].

فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة، ويرى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ان ما ألغي من نظام المؤاخاة هو الإرث، أما النصر والرفادة والنصيحة باقية، ويمكن ان يوصى ببعض الميراث بين المتآخين[١٧]، ودون وصية لا يرث.

والى هذا المعنى ذهب الامام النووي فقال: «اما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، واما المؤاخاة في الاسلام والمحالفة على طاعة

الله والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى واقامة الحق فباق لم ينسخ»[١٨].

ويبدو ان النبي ﷺ استمر يؤاخي بين اصحابه مؤاخاة مواساة وتعاون وتناصح دون ان يترتب على ذلك حق التوارث بين المتآخين.

واذا قبلنا وقوع مؤاخاة دون إرث قبل وبعد تشريع المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فإن ذلك سوف يفسر الالتباس الذي وقع فيه ابن اسحق عندما أورد في قائمة المتآخين، خبر مؤاخاة النبي ﷺ لعلي ومؤاخاة حمزة لزيد بن حارثة وكلهم رضي الله عنهم مهاجرون، في حين ان سائر الأسماء الأخرى التي وردت في قائمته توضح ان المؤاخاة كانت بين مهاجري وأنصاري[١٩].

كما ان المؤاخاة بين الرسول ﷺ وعلي تقتضي التوارث، والنبي ﷺ لا يورث كما جاء في الحديث.

الهوامش:

١- الحجرات: ١٠ .

٢- البلاذري، انساب الأشراف ٢٧٠/١ .

٣- ابن سيد الناس، عيون الأثر ١٩٩/١ .

* يعني المؤاخاة في المدينة

٤- ابن القيم، زاد المعاد ٧٩/٢ .

٥- الحشر: ٩ .

٦- صحيح البخاري ٣٩/٥ .

٧- ابن سيد الناس، عيون الأثر ٢٠٠/١ .

٨-٩- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٩/١ .

١٠ البلاذري، انساب الأشراف ٢٧٠/١ .

١١- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٩/١ .

١٢- صحيح البخاري ١٩٩/٣، وصحيح مسلم ١٩٦٠/٤ .

١٣- النسائي، سنن ١٣٧/٦ .

١٤- صحيح البخاري ٣٩/٥ .

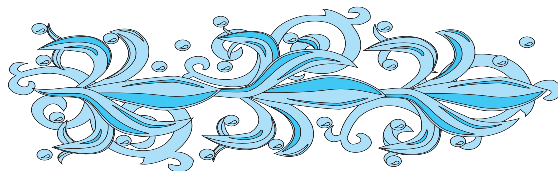
١٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى ٩/١ .

١٦- الأنفال: ٧٥ .

١٧- صحيح البخاري ١١٩/٣ .

١٨- النووي، شرح صحيح مسلم ١٩٦٠/٤ .

١٩- ابن هشام، السيرة ٥٠٤/١-٥٠٧ .



٢

فضل أهل البيت وعلو مكانتهم

■ بقلم الدكتور عبد المحسن البدر

علو مكانة أهل البيت عند الصحابة وتابعيهم بإحسان:

● أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

روى البخاري في صحيحه (٣٧١٢) ان أبا بكر رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب الي ان أصل من قرابتي».

وروى البخاري في صحيحه ايضاً (٣٧١٣) عن ابن عمر، عن ابي بكر رضي الله عنه قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته».

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: «يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به، والمراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم ولا تسيئوا اليهم».

وفي صحيح البخاري (٣٥٤٢) عن عقبة بن الخارص رضي الله عنه قال: «صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: «بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي.. وعلي يضحك».

قال الحافظ في شرحه: «قوله: «بأبي»: فيه حذف تقديره أفديه بأبي»، وقال ايضاً: «وفي حديث فضل أبي بكر ومحبته لقرابة النبي ﷺ».

● عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

رضي الله عنهما:

روى البخاري في صحيحه (١٠١٠)، و (٣٧١٠) عن انس رضي الله عنه: «ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون».

والمراد بتوسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه التوسل بدعائه كما جاء مبيناً في بعض الروايات، وقد ذكرها الحافظ في شرح الحديث في كتاب الاستسقاء من فتح الباري.

واختيار عمر رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه للتوسل بدعائه انما هو لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال رضي الله عنه في توسله: «وانا نتوسل اليك بعم نبينا»، ولم يقل: بالعباس، ومن المعلوم ان علياً رضي الله عنه افضل من العباس، وهو من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن العباس أقرب، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يورَث عنه المال لكان العباس هو المقدم في ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر» أخرجه البخاري ومسلم، وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر عن عمه العباس: «أما علمت ان عم الرجل صنو أبيه».

وفي تفسير ابن كثير لآيات الشورى: قال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله تعالى عنهما: «والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب» وهو عند ابن سعد في الطبقات (٤/٢٢، ٣٠).

وفي كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم (٤٤٦/١) لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: «ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وضع ديوان العطاء كتب الناس على قدر انسابهم، فبدأ بأقربهم فأقربهم نسباً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انقضت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس الى ان تغير الأمر بعد ذلك».

وقال أيضاً: (٤٥٣/١): «وانظر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه، فقال: لا! ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله،

فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش».

وتقدم في فضائل أهل البيت من السنة حديث: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي»، وان هذا هو الذي دفع عمر رضي الله عنه الى خطبة أم كلثوم بنت علي، وقد ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم (٢٠٣٦) طرق هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه.

ومن المعلوم ان الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم، هم اصهار لرسول الله ﷺ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما حصل لهما زيادة الشرف بزواج النبي ﷺ من بنتيهما: عائشة وحفصة، وعثمان وعلي رضي الله عنهم حصل لهما زيادة الشرف بزواجهما من بنات رسول الله ﷺ، فتزوج عثمان رضي الله عنه رقية، وبعد موتها تزوج أختها أم كلثوم، ولهذا يُقال له: ذو النورين، وتزوج علي رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنهن جميعاً.

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة العباس: «كان العباس اذا مر بعمر او بعثمان، وهما راكبان، نزل حتى يجاوزهما اجلالاً لعم رسول الله ﷺ».

● عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

في طبقات ابن سعد (٣٣٣/٥) و (٣٨٧/٥-٣٨٨) بإسناده الى فاطمة بنت علي بن ابي طالب ان عمر بن عبد العزيز قال لها: «يا ابنة علي والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحب الي من أهل بيتي».

● أبو بكر بن ابي شيبة رحمه الله:

في تهذيب الكمال للمزي في ترجمة علي بن الحسين، قال أبو بكر بن ابي شيبة رحمه الله: «أصح الأسانيد كلها: الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي».

● شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية: «ويُحبُّون (يعني اهل السنة والجماعة) اهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: «اذكركم الله في أهل بيتي» وقال ايضاً للعباس عمه -وقد اشتكى اليه ان بعض قريش يجفو بني هاشم- فقال: «والذي نفسي بيده لا

يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»، وقال: «ان الله اصطفى من بني اسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها، أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل».

❖ مقارنة بين عقيدة أهل السنة وعقيدة غيرهم في أهل البيت:

تبين مما تقدم ان عقيدة اهل السنة والجماعة في آل بيت النبي ﷺ وسط بين الافراط والتفريط، والغلو والجفاء، وانهم يحبونهم جميعاً ويتولونهم ولا يجفون أحداً منهم، ولا يغلون في أحد، كما انهم يحبون الصحابة جميعاً ويتولونهم، فيجمعون بين محبة الصحابة والقرابة، وهذا بخلاف غيرهم من اهل الاهواء، الذين يغلون في بعض أهل البيت، ويجفون في الكثير منهم وفي الصحابة رضي الله عنهم.

ومن امثلة غلوهم في الأئمة الاثني عشر من اهل البيت وهم علي والحسن والحسين رضي الله عنهم، وتسعة من اولاد الحسين ما اشتمل عليه كتاب الاصول في الكافي للكليني من ابواب منها:

- باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عز وجل في ارضه، وابوابه التي منها يؤتى (١/١٩٣).

- باب ان الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها عز وجل في كتابه (١/٢٠٦).

في هذا الباب ثلاثة احاديث من احاديثهم تشتمل على تفسير قوله تعالى: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾** بأن النجم رسول الله ﷺ، وان العلامات الأئمة.

- باب ان الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل (١/١٩٤).

ويشتمل على أحاديث من أحاديثهم، منها حديث ينتهي الى ابي عبد الله (وهو جعفر الصادق) في تفسير قول الله عز وجل: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ قال - كما زعموا-: «﴿**مثل نوره كمشكاة**﴾ فاطمة عليها السلام ﴿**فيها مصباح**﴾ الحسن، ﴿**المصباح في زجاجة**﴾ الحسين ﴿**الزجاجة كأنها كوكب دري**﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء اهل الدنيا ﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾ ابراهيم عليه السلام، ﴿**زيتونة لا شرقية ولا غربية**﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿**ولو لم تمسسه نار نور على نور**﴾ اماما منها بعد إمام ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء..».

- باب ان الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة (١/٢٠٧).

وفي هذا الباب تفسير قول الله عز وجل: ﴿**وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ بأن الآيات: الأئمة!! وفيه تفسير قوله تعالى: ﴿**كذبوا بآياتنا كلها**﴾ بأن الآيات: الأوصياء كلهم!!

ومعنى ذلك ان العقاب الذي حل بآل فرعون سببه تكذيبهم بالأوصياء الذين هم الأئمة!!.

- باب أن اهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام (١/٢١٠).

- باب ان القرآن يهدي للإمام (١/٢١٦).

وفي هذا الباب تفسير قول الله عز وجل: ﴿**ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ بأنه يهدي الى الإمام!!، وفيه تفسير قول الله عز وجل: ﴿**والذين عقدت أيمانكم**﴾ بأنه انما عنى بذلك الأئمة عليهم السلام، بهم عقد الله عز وجل أيمانكم!!.

- باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الأئمة عليهم السلام (١/٢١٧).

وفيه تفسير قول الله عز وجل: ﴿**ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً**﴾ بالزعم بأن علياً رضي الله عنه قال: «نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة»!!.

وفيه تفسير قول الله عز وجل في سورة الرحمن: ﴿**فبأي آلاء ربكما**

تكذبان﴾، قـــال: «أبالنبي أم بالوصي تكذبان؟!».

- باب عرض الاعمال على النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام (٩٢١٩/١).

- باب ان الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها (٢٢٧/١).

باب أنه لم يجمع القرآن كله الا الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كله (٢٢٨/١).

- باب ان الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت الى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام (٢٥٥/١).

- باب ان الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون! وأنهم لا يموتون الا باختيار منهم! (٢٥٨/١).

- باب ان الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وانه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم؟! (٢٦٠/١).

- باب ان الله عز وجل لم يعلم نبيه علماً الا أمره ان يعلمه امير المؤمنين عليه السلام، وانه كان شريكه في العلم (٢٦٣/١).

- باب انه ليس شيء من الحق في يد الناس الا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام، وان كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل (٣٩٩/١).

وهذه الأبواب تشتمل على احاديث من أحاديثهم، وهي منقولة من طبعة الكتاب، نشر مكتبة الصدوق بطهران، سنة (١٣٨١هـ).

ويعتبر الكتاب من اجل كتبهم ان لم يكن اجلها، وفي مقدمة الكتاب ثناء عظيم على الكتاب وعلى مؤلفه، وكانت وفاته سنة (٣٢٩هـ) وهذا الذي نقلته منه نماذج من غلو المتقدمين في الأئمة، أما غلو المتأخرين فيهم، فيتضح من قول أحد كبرائهم المعاصرين، الخميني في كتابه «الحكومة الاسلامية ص٥٢» من منشورات المكتبة الاسلامية الكبرى، طهران: «وثبوت الولاية والحاكمية للإمام (ع) لا تعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا ان لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك

مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالَم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه الا الله، وقد قال جبرائيل كما ورد في روايات المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت، وقد ورد عنهم عليهم السلام: ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملَك مقرب ولا نبي مرسل»!!.

ولا يملك المرء وهو يرى أو يسمع مثل هذا الكلام الا ان يقول: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب﴾**.

وكل من له أدنى بصيرة يجزم ان ما تقدم نقله عنهم، وما يشبهه كذب وافتراء على الأئمة، وانهم براء من الغلاة فيهم وغلوهم.

◆ تحريم الانتساب بغير حق الى أهل البيت:

أشرف الأنساب نسب نبينا محمد ﷺ، وأشرف انتساب ما كان اليه ﷺ والى أهل بيته اذا كان الانتساب صحيحاً، وقد كثر في العرب والعجم الانتماء الى هذا النسب، فمن كان من اهل هذا البيت وهو مؤمن، فقد جمع الله له بين شرف الايمان وشرف النسب، ومن ادعى هذا النسب الشريف وهو ليس من اهله فقد ارتكب امراً محرماً، وهو متشبع بما لم يعط، وقد قال النبي ﷺ: «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور» رواه مسلم في صحيحه (٢١٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة تحريم انتساب المرء الى غير نسبه، ومما ورد في ذلك حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار»، رواه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (١١٢) واللفظ للبخاري.

وفي صحيح البخاري (٣٥٠٩) من حديث واثلة بن الاسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل»، ومعنى الفرى: الكذب وقوله: «أو يُري عينه ما لم تر» اي: في المنام.

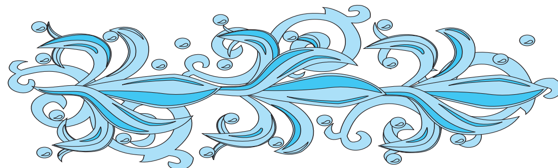
وفي مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (٣١/٩٣) ان الوقف على اهل البيت او الاشراف لا يستحق الأخذ منه الا من ثبت نسبه الى اهل البيت، فقد سُئل عن الوقف الذي أوقف على الأشراف، ويقول: «انهم أقارب» هل الأقارب شرفاء ام غير شرفاء؟ وهل يجوز ان يتناولوا شيئاً من الوقف ام لا؟

فأجاب: «الحمد لله، ان الوقف على أهل بيت النبي ﷺ أو على بعض أهل البيت، كالعلويين والفاطميين او الطالبيين، الذين يدخل فيهم بنو جعفر وبنو عقيل، او على العباسيين، ونحو ذلك فإنه لا يستحق من ذلك الا من كان نسبه صحيحاً ثابتاً، فأما من ادعى انه منهم أو علم انه ليس منهم، فلا يستحق من هذا الوقف، وان ادعى انه منهم، كبني عبد الله بن ميمون القداح، فإن اهل العلم بالأنساب وغيرهم يعلمون انه ليس لهم نسب صحيح، وقد شهد بذلك طوائف اهل العلم من اهل الفقه والحديث والكلام والأنساب، وثبت في ذلك محاضر شرعية، وهذا مذكور في كتب عظيمة من كتب المسلمين، بل ذلك مما تواتر عند أهل العلم.

وكذلك من وقف على الأشراف، فإن هذا اللفظ في العرف لا يدخل فيه الا من كان صحيح النسب من اهل بيت النبي ﷺ.

وأما ان وقف واقف على بني فلان او اقارب فلان ونحو ذلك، ولم يكن في الوقف ما يقتضي انه لأهل البيت النبوي، وكان الموقوف ملكاً للواقف يصح وقفه على ذرية المعين، لم يدخل بنو هاشم في هذا الوقف».

والى هنا انتهت هذه المقالة المختصرة في فضل اهل البيت وعلو مكانتهم عند اهل السنة والجماعة، وأسأل الله التوفيق لما فيه رضاه، والفقه في دينه، والثبات على الحق، انه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين.



٦

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين:

الشريف حسن بن عجلان ابن رميثة بن أبي نمي

■ **بقلم الدكتور نوح الفقير**

السيد الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، محمد بن أبي سعد حسن ابن علي بن قتادة؛ البدر أبو المعالي الحسني المكي[١]، شريف من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أمراء مكة[٢].

ولد الحسن بن عجلان في مكة المشرفة سنة خمس وسبعين وسبعمائة هجرية (٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣م) ونشأ فيها في كفالة أخيه أحمد، فتربى في بيت علم، حتى صار عالماً فاضلاً، وأجاز له جماعة من مصر والشام حدث عنهم حديث النبي ﷺ، وكان فيه خير كثير، واحتمال وحياء ومروءة عظيمة، وصدقات وصلات، ولي إمرة مكة، وساس الأمور بذكاء، واستمر في نمو وزيادة وهيبة في القلوب، ولمّا كبر اعتذر عن إمرة مكة؛ لضعف بدنه، ورغبته في التفرغ للعبادة، وتكرر منه ذلك مرة بعد أخرى، وكان يقال له في كل مرة: (لسنا نثق في أمر مكة إلا بك وإن أردت ذلك فاستنب أنت من شئت)، وباشر خدمة المحمل الشريف[٣].

عاصره المؤرخ ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨١٣هـ، وفي كتابه المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي[٤] قال عنه: (قال الشريف تقي الدين الفاسي في تاريخه[٥]: "ولي حسن بن عجلان هذا إمرة مكة من غير شريك إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر

وستة أيام، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لابنه السيد بركات، وهو الساعي له في ذلك، وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا أشهراً وأياماً، وولي ابنه السيد أحمد عوضه نصف الأمر الذي كان بيده قبل أن يلي نيابة السلطنة؛ فمدة ولايته مكة أميراً ونائباً للسلطنة عشرون سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام" انتهى كلام الفاسي، قلت[٦]: واستمر في إمرة مكة إلى أن وقع منه ما أوجب غيظ الملك الأشرف برسباي[٧] عليه وعزله.. كان الشريف حسن هذا من أجلِّ أمراء مكة ممن أدركنا، سؤدداً، وكرماً، وسياسة، وعقلاً، وأثرى، وكثر ماله، وعقاره، ووقع له ما لم يقع لغيره من أمراء مكة، فإنه أضيف إليه في بعض السنين إمرة المدينة النبوية، وإمرة الينبُع مضافاً لإمرة مكة) انتهى كلام ابن تغري بردي.

حصل خلاف بينه وبين الأمير موسى ابن أحمد بن موسى الحرامي أمير بلدة "حَلَى" من بلاد اليمن، والذي ينسب إلى بني حَرام، ولما توجه القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد بن أبي بكر العذري، الشهير بابن المقرّي إلى الحج من زبيد في سنة ثمان وثمانمائة اجتاز بالأمير موسى ابن الحرامي ببلدة حلي ابن يعقوب فرغب الأمير موسى للقاضي شرف الدين إسماعيل المذكور أن يسعى في الصلح بينه وبين الشريف حسن بن عجلان؛ فالتزم له القاضي شرف الدين بن المقري المذكور بذلك، وسار حتى وصل إلى مكة، وأخذ في إنشاء قصيدة يمدح بها الشريف حسن ويوصيه ويسأله الرضى عن الأمير موسى صاحب حلي وأكثرها حِكَم؛ ومنها[٨]:

أحسنتَ في تدبيرِ ملكِكَ يا حَسَنْ
وأَجَدت في تحليلِ أخلاطِ الفتَن

ما كنتَ بالنزقِ العَجُولِ إلى الأذَى
عند النزَاعِ ولا الضعيفِ أخا الوَهَن

داءُ الرياسةِ في متابَعَةِ الهوَى
ودواؤها في الدفْعِ بالوجْهِ الحَسَنْ

وإذا الفتَى استَقْصَى لنصرةِ نفسِهِ
قَلَبَ الصديقُ لحربه ظَهْرَ المجَن

لا تُصْغِ إن شراً دعا فالشرُّ إن
تنهضْ له يَنْهَض وإن تسكُنْ سَكَنْ

وسديد رأْيٍ لا يُحَرِكُ فتنةً
سَكَنَت وإن حَرَكَتْهُ الفِتَنُ اطمأنّ

رَدَّ العدوّ إلى الصداقة حكمةً
صَفتْ من الأكدارِ عيشَ ذوي الفطَنْ

بالسيفِ والإحسانِ تُقْتَنَصُ العلا
وحصولُها بهما جميعاً مرتهَنْ

فاغمد سيوفَكَ رغبةً لا رهبةً
ما في قتيلٍ فرَّ مرعوباً سمنْ
وأكرمْ سيوفَكَ من دما طرداتها
فالحُرُ يكرمُ سيفَه أن يمتَهَنْ
قد كان لا يرضَى يخطط سيفَهُ
في ظهر مَنْ ولَى أبوك أبو الحَسَنْ
جئنا بحسنِ الظَّنِّ نسألك الرضا
والعَفوَ عنه فلا تخيب فيك ظَن
فالحر يكرمُ سائليه يَرَى لهم
فضلاً كما ابتدءوه بالظن الحَسَن
ويهينُ سائله اللئيم لظنه
في مثله خيراً وذلك لا يُظَن
لا زِلتَ للشرفِ المخلَّد بانياً
شرفاً ومجداً ثابتاً لِبَني حَسَن

ولما تم إنشادها أنعم عليه الشريف حسن المذكور بثلاثين ألف درهم بعد أن أجابه لسؤاله من الرضى عن الأمير موسى صاحب الحلي، واستمر الصلح بينهما إلى أن ماتا، رحمهما الله تعالى.

أدركه الأجل؛ فمرض أياماً، ومات في يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، ودفن بجوار تربة الملك الأشرف برسباي، وحضر السلطان الصلاة عليه، وتأسف عليه.

قُتل أخوه الشريف علي بن عجلان سنة سبع وتسعين وسبعمائة ٧٩٧هـ، وكان أخوه الشريف حسن معتقلاً، فلما وصل الخبر بوفاة أخيه علي بن عجلان أطلقه الملك الظاهر برقوق[٩] وفوض إليه أمر مكة، سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ٧٩٨هـ، ولم تتم السنة حتى وقع بين الشريف حسن وقتلة أخيه على واقعة عظيمة، وكان الظفر فيها له عليهم، فضبط البلاد وحسم مواد الفساد، واستمر مستقلاً بالولاية إلى أن أشرك معه ابنه السيد بركات في نصف الإمرة وذلك سنة تسع وثمانمائة ٨٠٩هـ، ثم سعى لابنه السيد شهاب الدين أحمد في نصف الإمارة فأجيب إلى ذلك، وولى نصف الإمرة شريكاً لأخيه بركات، وولى أبوهما نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وذلك في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة ٨١١هـ، وصار يُدعى له ولولديه بمكة وعلى زمزم، ويُدعى للشريف حسن بمفرده في الخطبة بالمدينة النبوية.

واستمر الشريف حسن وولداه إلى أن عزل هو وولداه سنة اثنتي عشرة

وثمانمائة ٨١٢هـ عن إمرة مكة؛ بسعي الحساد، ونقل أهل الفساد، ثم عادوا في تلك السنة، واستمروا كذلك إلى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ٨١٨هـ، وعزلوا بالشريف رميثة بن محمد، ثم أعيد في عام تسع عشرة وثمانمائة ٨١٩هـ، وهذا كله ببركة الصبر والتحمل والنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى في حفظ دماء المسلمين وأموالهم، لا سيما الحجاج وجيران بيت الله الحرام لا برحت عناية الله شاملة لحماة بلده الأمين آمين.

ثم في عام أربعة وعشرين وثمانمائة ٨٢٤هـ تسلطن الملك المظفر ابن الملك المؤيد، فأرسل كتاباً للشريف حسن، فقرئ بظل زمزم موضوعه أنه فوض أمر مكة إليه، وأشرك معه ولده بركات.. ولم يزل الشريف حسن مستمراً في الولاية إلى أن صرف عنها هو وولده بركات سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وكان ذلك بتفويض السلطان برسباي ملك مصر، وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة أعيد إلى إمرة مكة، ثم إنه حج بالناس وأظهر طاعة السلطان برسباي، فلما وصل خبر ذلك إلى السلطان برسباي طلب حضوره إليه، فتوجه إليه؛ فلما وصل مصر أمر السلطان أن يتلقاه الأمراء والأكابر، وأن يمشوا بين يديه، وأنعم عليه بالإنعامات المزيدة، فكتب بعض أدباء مكة إلى السلطان -على لسان مكة- يذكر أنها متشوقة إلى الشريف حسن قوله:

مِنَ البلدِ المُخصَّص بالأمان
وَكَعبَتِهِ المشرفة المباني
تقبل كَف سُلْطَانِ البرايا
أبي النصرِ الموفق للمَعَانِي
برسبَاي الذي ملكَتْ يداه
جَميعَ الخَلق من قاصٍ وداني
وتُنهِي ما بها من عُظمِ شوقٍ
إلى سُلطَانِها بدر الزمانِ

إلى أن قال:

فَرُد إلىَ سلطاني سريعاً
فإني كَالجوادِ بِلاَ عنانِ

فسمعها السلطان فكتب للشريف حسن بالتوجه إلى مكة وجهزه، ومرض خارج الديار المصرية، فاعترض له الضعف، فعاد إلى القاهرة ومكث بها أياماً يسيرة، ثم توفي بها سادس عشر جمادى الأخرى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ٨٢٩هـ، ودفن فيها، وله وقائع مشهورة في التواريخ مسطورة مع إخوته، وبني عمه وملوك

مـصـر والقـواد وغـيـرهم، وكـان ذا ثروة عظيمة، وحشمة وافرة جسيمة، وخيرات كثيرة عميمة(١٠).

الهوامش:

١ . نسـبـتـه لغـاية (قـتـادة) في المنهل الصـافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨١٣هـ ج١ / ص ٤١٦، ولغـاية (مطاعن) نسبه السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م في الضوء اللامع ٢/ ٤٣.

٢ . ترجـمـتـه في النجـوم الزاهرة في ملوك مـصـر والقـاهرة ٣ / ٣٥١، والضوء اللامع للسخـاوي ٥ / ٤٦٠، الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٨.

٣ . كسـوة الكعـبة التي تهـدى إليـهـا من القـاهرة آنذاك.

٤ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١ / ٤١٦.

٥ . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

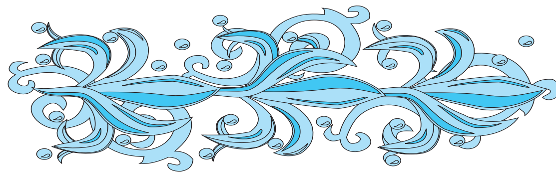
٦ . القائل هو ابن تغري بردي.

٧ . الأشرف برسباي المتوفى ٨٤١ هـ = ١٤٣٨م.

٨ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢/٤١٩ .

٩ . برقوق بن أنص المتوفى سنة ٨٠١ هـ = ١٣٩٨ م.

١٠ . سـمـط النجـوم العـوالي في أنبـاء الأوائل والتوالي العصامي ٢/٤١٧ .



وقفات مع الهجرة المباركة

■ بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

ان حادثة الهجرة المباركة، عبارة عن كنز حافل لا تنفذ عجائبه، ولا تنتهي نفائسه، كل شيء فيها جذاب مؤثر، يستوقف المرء ويدعوه الى التأمل والتفكر، ولا يدعه يخرج الا بعطاء سخي من الدروس والعبر، مما لا يستغني عنه مؤمن صادق، او عاقل أريب.

ان ذكرى الهجرة المباركة، تعرض علينا صورة الكمال البشري، متمثلاً في شخصية النبي سيدنا محمد ﷺ، بكل مقوماتها وعناصر تكوينها، وجوانب العظمة فيها، وتجسد لنا المثل الأعلى في قمته السامقة، الذي ينبغي على كل مسلم ان يحذو حذوه، ويقتدي به، ويحرص على اتباعه ايماناً ومحبة وعملاً وسلوكاً.

جاء رسول الله ﷺ يدعو قومه الى الهدى ونور الاسلام، فقاوموه بعنف، عذبوه واصحابه الكرام، رضوان الله عليهم، واضطهدوهم ثلاثة عشر عاماً متتالية، ومن هنا كان ثقل الفتنة الجسدية والبلاء العام، وقد بلغ ذروته في حصار المسلمين في شِعب ابي طالب ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر، دون ان يتراجعوا عن عقيدتهم، فكان ابتلاء الإبعاد عن المكان، أيسر على نفوسهم، ومع كل هذا، فإن البلاء والفتن يزدادان يوماً بعد يوم.

ومكث المسلمون أمام هذه التحديات، حتى أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة الى المدينة، بعد ان هاجروا من قبل الى

الحبشة، وظل رسول الله ﷺ صابراً محتسباً على أذى قومه، رغم كل صنوف الأذى وألوان العذاب، الذي كان يلاقيه من مشركي مكة، غير ان الأمر قد استفحل، وضاقت قريش ذرعاً، فكادوا له وخططوا لقتله، بعد هذه النية الماكرة، لاغتيال الرسول ﷺ، أمر الله تعالى رسوله بالهجرة من مكة أحب بلاد الله الى نفسه، وأحب بلاد الله الى الله سبحانه وتعالى.

لقد كان حادث الهجرة حادثاً جليلاً لأنه ترك آثاراً عظيمة على الاسلام والمسلمين، ومن أهم هذه الآثار، النقلة السريعة الهائلة التي انطلقت فيها الدعوة الاسلامية بعد الهجرة من مرحلة التقوقع والدفاع، الى مرحلة الانتشار والانطلاق **وعليه فيمكن تقسيم مسيرة الدعوة الاسلامية الى ثلاث مراحل،** لكل منها ميزاتها الخاصة، واهدافها ووسائلها المحدودة، وهذه المراحل هي: مرحلة الدعوة ومرحلة انتقالية، ومرحلة الدولة.

واذا كان العلماء يقسمون مسيرة الدعوة الاسلامية الى مرحلتين متميزتين هما العهد المكي الذي يمثل مرحلة الدعوة، والعهد المدني الذي يمثل مرحلة الدولة، فإن بين هذين العهدين مرحلة انتقالية، هي مرحلة الهجرة والتي كانت تحولاً من تربية الفرد المسلم، الى مرحلة هدفها تكوين المجتمع المسلم، ومن دعوة كانت مجرد عقيدة وفكرة.. الى دعوة أصبحت شريعة ودولة، ومن دعوة محدودة الآثار.. الى دعوة عالمية الأهداف، ومن دعوة اتباعها قلة مستضعفون.. الى دعوة اتباعها سادة فاتحون.

لهذا كانت الهجرة نقلة نوعية كبيرة، نقلت المسلمين من حال الى حال آخر، نقلتهم من الضعف الى القوة، ومن القلة الى الكثرة، ومن الانحصار الى الانتشار، كل ذلك بعد ان خلصت البشرية من الأوهام والضلالات، وسمت بالعقل البشري الى مستوى الحقائق الثابتة، وردت الانسان الى الفطرة السليمة، فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

الهجرة المباركة، التي أخرجت التكبر والاستعلاء من النفوس، وكانت ثورة على الذات، فالكل عباد الله إخواناً والعلاقة بينهم انهم إخوة في الله، والعمل بينهم على أساس التعاون لتحقيق أهداف الاسلام.

لقد كانت الهجرة ثورة على الشهوات، بعد ان انحدر الانسان في العهد الجاهلي الى مستوى العجماوات، لا هم له الا إشباع شهواته ورغباته، يعيش ليأكل.. ويأكل

ليعيش، فجاء الاسلام فسما به من التراب والطين ووازن بين روحه وجسده، وبين روحانياته وشهواته، فلم يسم بروحه على حساب جسده، كما لم يسم بجسده على حساب روحه، بل وازن بين الضروريات لكل منهما، موازنة دقيقة خلصت الانسان من الصراع النفسي والاضطراب الاجتماعي.

وكان من أهداف الهجرة، ايجاد الأمة الاسلامية والقواعد التشريعية في المدينة، وكل ذلك على أساس قيام الدولة الاسلامية، دولة الحق في الارض، وكان كذلك من أهداف الهجرة: ان جعل رسول الله ﷺ السيطرة الاقتصادية للمسلمين، بعد ان كانت لليهود، ونزلت التشريعات السماوية، تضع اسس النظام الاقتصادي الذي يقوم على المحبة والعدل والتعاون والاكتفاء الذاتي.

ان الهجرة تعلمنا ان العقيدة هي اثمن ما في الوجود، وفوق كل شيء ولا قيمة لشيء من متاع الدنيا، طالما ان العقيدة مهددة، وطالما يحرم الانسان من ممارسة حقه في الاعتقاد والعبادة.

لم تكن الهجرة فراراً من الجهاد والتضحية، ولا ركوناً الى القعود والدعة، ولا هروباً من التكاليف والمسؤوليات، بل كانت انتقالاً من جهاد الى جهاد، ومن تضحية الى تضحية، ومن ميدان معركة خاسرة الى ميدان معركة منتصرة، وألقت على عاتق المسلمين مسؤوليات اكبر وتكاليف اعظم.

حينما نتذكر الهجرة، ونرى رسول الله ﷺ يهاجر سراً، ويختار دليلاً كفؤاً ماهراً برغم انه مشرك، ويخطط لرحلته، ويحدد الغار الذي سيبيت فيه سلفاً، ويرسم لكل شخص دوره بدقة، نتعلم كيف نعد لكل امر عدته، وكيف نخطط قبل ان نعمل، وكيف نبني حياتنا على النظام، وكيف نحذر الأعداء.

حينما نتذكر موقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين، حيث قاسموهم دورهم ومتاعهم وأموالهم، وواسوهم ونصروهم، واشعروهم انهم في ارضهم وبين اهلهم، حينما نذكر هذا الموقف، نتعلم كيف يقضي اسلامنا اغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، ومواساة المحروم.

ان الهجرة بمفهومها الشامل، هي هجرة القلوب الى الله تعالى، وهجرة الجوارح الى طاعة الله وهجران المعاصي والمنكرات.

والحمد لله أولاً وآخراً

١

المدينة المنورة في رحلة العياشي المغربي المسماة «ماء الموارد»

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

لا شك ان كتب الرحلات التي خلفها السلف من الرحالين المسلمين، تؤلف مصدراً في غاية الاهمية لتاريخنا، وعلى الأخص ما صنعه الرحالون من الاندلس والمغرب، مما يتجلى في رحلة ابن جبير الاندلسي وابن بطوطة المغربي، ومن سار على خطاهم على مدار التاريخ، ممن سبقوا العياشي، وأولئك الذين اتوا بعده، مثل تلميذه أحمد بن محمد الدرعي والأفراني محمد الصغير صاحب «نزهة الحادي» والحسين بن محمد الورثيلاني، صاحب «نزهة الأنظار» ومحمد بن عبد السلام الناصري، صاحب «الرحلة الكبرى»، ومحمد بن كيران، صاحب «الرحلة الفاسية» وجميعهم نقلوا عن العياشي «الرحلة مقدمة المحقق ص٧٦-٧٧».

ورحلة العياشي هي واحدة من هذه الرحلات، وقد أُسعدنا بتحقيق الجزء المتعلق بالمدينة المنورة على يد باحث كفؤ من ابناء المغرب، كجزء من متطلبات درجة الماجستير في جامعة الملك سعود بالرياض (هو محمد أمحزون - الاستاذ حالياً بجامعة مكناس)، الذي عرفته جيداً، اذ كان من طلابي في مرحلتي الليسانس والماجستير، كما كنت على اطلاع على جهوده اثناء إعداد اطروحة الماجستير، وأَحد مناقشي تلك الاطروحة، بل ومن شدة اعجابي بها شجعته على نشرها،

وكتبت لها تقديماً عندما تقرر نشرها سنة ١٩٨٥، بعنوان «المدينة المنورة في رحلة العياشي».

وبالنظر لأهميتها، وخاصة بالنسبة للمدينة المنورة التي قضى فيها العياشي سبعة أشهر ونصف الشهر، علاوة على المدد التي قضاها فيها اثناء حجتيه الأولى والثانية، حيث تجمعت لديه معلومات قيمة عنها وعن اهلها، لذلك رأيت من واجبي نقل تلك المعلومات ملخصة للقارئ المسلم الذي لم تسنح له فرصة الاطلاع على كتاب الرحلة نفسها، علماً بأن ما ورد في كتاب الرحلة، يتركز على ما وقع اثناء رحلته الثالثة التي استمرت من ربيع الثاني ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م، الى شوال ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م، التي سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته عن الحواضر والبوادي اثناء سفره من «سجلماسة» في المغرب، ثم شرقاً عبر الجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز وفلسطين، وقد تضمنت علاوة على ذلك وصف أحوال الناس في المدن التي زارها، ولقائه لعلمائها واصحاب الطرق الصوفية فيها، بل واشتملت الرحلة على وصف الأسواق والتجارة فيها، بما في ذلك اقامته بالمدينة المنورة التي اتسمت بلقاء العلماء وتعرفه على احوالهم ومؤلفاتهم، ثم اجازتهم له، علاوة على زيارته لمكة المكرمة وصوم رمضان فيها، فسجل في رحلته اخبار اقامته ولقاءاته للعلماء خاصة، الى جانب مشاهداته، ثم عودته الى المدينة، ومنها سفره الى فلسطين، حيث زار القدس والخليل، ومنها الى غزة والعريش فالقاهرة، ومنها انطلق عائداً الى بلاده عبر الشمال الافريقي (ص٤٩-٥٠).

ومما يجعل الرحلة بالغة الأهمية تنوع المباحث فيها، اذ تتحدث عن منازل الحج والمشاعر المقدسة وأحكامها، علاوة على ما حوته من نصوص فقهية وأدبية ونبذ تاريخية ولمحات اجتماعية واقتصادية، الى جانب ذكر المعالم الجغرافية والعمرانية، وتراجم العلماء واللقاءات الفكرية التي اجراها العياشي مع المشايخ وحلقات الدرس والاجازات العلمية وما الى ذلك (ص٥٥).

❖ أولاً- العياشي صاحب الرحلة:

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي، نسبة الى قبيلة آل عياش البربرية التي تقع بلادها في جنوب شرقي المغرب، ولكنه رغم ذلك فإنه عربي علوي النسب من الادارسة، وعُرف بلقبه عفيف

الدين المالكي، وهو حفيد جد يعد من كبار الصوفية المجاهدين، هو عبد الله العياشي الذي قاد المجاهدين عند التصدي للإسبان والبرتغاليين الذين احتلوا اجزاء من المغرب في اواسط القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، حتى اغتياله في سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م (ص٢٥).

والمعروف ان الزوايا الصوفية في المغرب لعبت دوراً مهماً في جهاد الصليبيين الجدد، ومنها الزاوية العياشية في جبال الاطلس (حيث كان مسقط رأس المؤلف) وقد استمرت كبقية الزوايا، مركز اشعاع للعلم ومنارة للدين، وكان من ثمراتها صاحبنا ابو سالم والكثير من العلماء المغاربة الذين اعتادوا على الرحلة الى المشرق للاستزادة من المعرفة وتبادل الاجازات، وكان منهم من اعتاد على تدوين مذكراتهم خلالها، وكثير من هؤلاء رفضوا المناصب الحكومية، حرصاً على طلب العلم وتعليمه تطوعاً واحتساباً، بل ان ابا سالم فضّل السجن على تولي القضاء (ص٢٩).

ولد ابو سالم سنة ١٠٣٧هـ، ونشأ في حجر والده الذي غذّاه بنفائس العلوم، ولقّنه أذكار الصوفية وأدعيتها، وقرأ عليه الكتب المعتمدة في هذا الشأن، وقضى الكثير من حياته في «الزاوية العياشية» التي أسسها والده محمد بن ابي بكر في سنة ١٠٤٤هـ، ثم آلت اليه.

وقد اصبحت الزاوية مقصداً لأبناء القبائل حتى ضاق مسجدها بالمصلين، وصارت تقدم الطعام لمن يقصدها، فوسع ابو سالم المسجد وتولى التدريس فيه الى جانب تربية «المريدين».

ولكثرة من يؤمها، توجس الحكام خيفة منه، بالنظر الى كثرة اتباعه، فأجلوه عنها مرتين، اذ كان قوالاً للحق، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، عاملاً على احياء رواية الحديث، الى جانب زهده وورعه في الحياة حتى وفاته سنة ١٠٩٠م.

والجدير بالذكر ان الزاوية العياشية لا زالت موجودة تؤدي رسالتها العلمية والروحية، ولكنها صارت تسمى «زاوية سيدي حمزة» نسبة لحمزة بن ابي سالم، وفيها مكتبة غنية بالمخطوطات وغيرها من الكتب، ويتولى امرها بعض احفاده، وقد تعرضت في عهد الحماية الفرنسية على المغرب لمصادرة عدد قليل من مخطوطاتها (ص٩-١١).

وعلى أية حال، فإن ابا سالم قد تتلمذ

على كبار المشايخ من اهل زمانه، خاصة عندما أجلت الحكومة اسرته مع عشيرته الى فاس سنة ١٠٦٣هـ، مما أتاح له فرصة لقاء العديد من المشايخ والتتلمذ عليهم والحصول على اجازات منهم (ص٥١-٥٦)، مما هو خارج نطاق هذا المقال المخصص بالأساس للمدينة المنورة، وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه ومؤلفاته التي جاوزت (٢٥) مؤلفاً في الحديث والفقه والتصوف وعلم الكلام والرحلات والتراجم، علاوة على المدائح النبوية شعراً وتخميس البردة (ص٥٧-٦٠).

ولكنه الى جانب ذلك فهو صوفي مغال في صوفيته، غير انه يميل الى التسامح، ويأخذ دائماً بالأيسر من الأحكام، اذ يحرص على إيجاد مخرج مقبول عندما يقع التعارض بين الروايات، سواء أكان ذلك بالنسبة لآراء الصوفية، أم بالنسبة لأحكام مذهب مالك الذي ينتمي اليه، وما يقابلها من أحكام المذاهب الأخرى، اذ كان يؤمن بوحدة المسلمين، بصرف النظر عن اختلاف اوطانهم ومذاهبهم، عملاً بالحديث الشريف «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» (ص٦٠-٦٦).

❖ ثانياً: المدينة المنورة في رحلة العياشي:

قد يتبادر الى الذهن السؤال عن سبب اختياري الجزء المتعلق بالمدينة من رحلة العياشي؟ والسبب هو اهمية المدينة لدى المسلمين، ولدى علمائهم خاصة، اذ كانوا (ومنهم العياشي نفسه) يخصوها بنسخة من مؤلفاتهم، ولكون المسجد النبوي غنياً بحلقات العلماء، حيث تقوم المناظرات بينهم في اروقته، ولا سيما في موسم الحج، اذ ترد اليها أهم ركبان العالم الاسلامي، من مصر والعراق والشام والمغرب وأمثالها، علاوة على غناها بالمكتبات ومنها مكتبات العلماء الذين اباحوا اعارة كتبها لمن يريد الانتفاع بها، والى جانب ذلك ارتفاع المستوى الاجتماعي لأهل المدينة في عصر العياشي خاصة، فضلاً عن توسعها وزيادة عمرانها، ولذلك فالقسم الخاص من رحلة العياشي بالذات، هو بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخها في القرن الحادي عشر الهجري، اذ يحوي وصفاً شاملاً لها، في مختلف أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، فضلاً عن معالمها الجغرافية والآثارية (ص٨٠-٨١).

ومع ذلك فإن العياشي لم يبد اهتماماً

بعمارة المسجد النبوي كغيره من الرحالين الذين يهتمون عادة بالعمارة، اذ ركز اهتمامه على ما يجري فيه من احتفالات ومحاضرات ومناقشات علمية، وما يكتنف احوال خدمة الأغوات من تصرفات، علاوة على نقد ما لا يراه صحيحاً في ذلك النطاق، نقداً علمياً يتسم بقوة البحث وقيام الحجة (ص٦٦).

ان الرحلة مبوبة حسب المواضيع، فقسمها الأول يشتمل على المعلومات التي نجدها عادة في الكتب المخصصة للمعالم الآثارية والجغرافية، بينما يتضمن القسم الثاني مرويات العياشي وملاحظاته عن أحوالها، مع الالتزام بالمنهج العلمي، اذ يسند الأخبار الى اصحابها، ويميزها عن ملاحظاته هو (ص٧٧-٧٨).

وبالنظر لأهمية هذه الرحلة، فقد نقلت أقسام منها الى لغات أجنبية، ولا سيما الفرنسية، وقد أطرى بعض المستشرقين دقتها، فضلاً عن إعجاب العلماء المغاربة بها، فأطروا في وصفها وأثنوا على صاحبها (ص٨٠-٨١) ويتلخص ما ذكر العياشي عن المدينة بما يأتي:

١- الحديث عن جبال المدينة وآبارها وأوديتها.

٢- وصف مقبرتها «البقيع» ومساجدها القديمة.

٣- علاقات الحكم في المدينة وغيرها من حواضر الحجاز وبواديها وصلتها بالسلطات العثمانية وبسلطة اشراف مكة، والتسيب لدى عربان البوادي.

٤- المظاهر الحضرية فيها، وما يتصل بذلك من علاقات اقتصادية ومعاملات تجارية.

٥- المظاهر الاجتماعية في المدينة، ومظاهر السلوك لدى العربان، وتفاوتها بين النزعة الثورية، والإغارة اللصوصية، وحالة الأمن بالنسبة للسلطة العثمانية.

◆ ثالثا: بعض ما تضمنته الرحلة من تفاصيل:

لقد تضمنت الرحلة تفاصيل عن المدينة المنورة، وهي غير مبوبة، ولذلك ادرجها حسب تسلسل ورودها في كتاب الرحلة:

١- يتضح من الرحلة ان الركب المصري في زمن العياشي، كان يأتي المدينة أولاً، بخلاف ما جرت عليه العادة سابقاً من توجهه من منزله «الوجه» الى «ينبع» ومنها

الى «رابغ» فمكة المكرمة، ويؤجل زيارة المسجد النبوي الى رحلة العودة بعد الحج، وفقاً لما ذكره عبد القادر بن محمد الجزيري في كتابه المسمى «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة» في الصفحات (١٣٩٦-١٤٤٧)، وذلك بالنسبة لطرق الحج في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري.

هذا ويبدو ان أمير الحج المصري (وهو يمثل السلطان العثماني)، كانت له سلطة التدخل في شؤون المدينة بالنسبة لتثبيت حكم أميرها أو عزله، كما ان له سلطة منع الحجاج (غير المرافقين له من مصر) من الاقامة في المدينة اكثر من يوم واحد (ص٨٤)، بينما يقضي الركب المصري ثلاثة ايام فيها.

والطريف ما يذكره العياشي عن اهل الركب المصري من ان الحرم أيام إقامتهم، لا تكاد تسمع فيه صوت قارئ ولا مؤذن، لكثرة اللفظ والصخب ورفع الأصوات، وازدحام الناس في المسجد ليلاً ونهاراً، ويجتمع اليهم صبيان المدينة يقرأون لهم الموالد والمدائح النبوية، ويوقدون الشمع ويوزعون الحلوى التي جاءوا بها من مصر، ويسمون ذلك «مولد النبي» ثم هناك الصياح وولولة النساء وبكاء الأطفال، واختلاط النساء بالرجال الأمر الذي استنكره العياشي، وعده من الأخطاء، بل ومن سوء الأدب.

ويضيف الى ذلك وصف ما اعتاد على فعله الركب المصري ليلة السفر الى مكة، اذ يجتمعون مع اهل المدينة وأغوات الحرم في صحن المسجد، فيوقدون الشموع الكبار المركبة على قوائم فضة موشاة بالذهب ويحضر جماعة من المنشدين للمدائح النبوية، وينثر على الناس اللوز والأزهار والحلوى مع تقديم الأشربة، ويقول: ان هذه كانت عادة امرائهم وأمراء الشاميين (ص١٠١-١٠٢).

٢- يشير العياشي الى قدوم الركب الشامي (في سنة ١٠٧٢هـ) ولكنهم لم يفعلوا شيئاً على عادتهم، وذلك بسبب موت اعداد كبيرة من حجاجهم بسبب شدة الحر، ولكنهم اقاموا هذه المرة عشرة أيام، وقسموا الصدقات فانتعشت الاسواق، وبذلك انتفع اهل المدينة، خاصة وانهم يجلبون معهم الكثير من البضائع، وهنا سجل العياشي عادة يمارسها اهل المدينة (واعتبرها عادة سيئة)، ذلك ان نساءهم -عند قدوم الشاميين ببضائعهم-

لا تبقى امرأة منهم (غنية ام فقيرة) الا خرجت تباشر البيع والشراء، لقاء (اتاوة) قد تبلغ (٥٠) ديناراً يقبضنها من ازواجهن، يشترين بها ما يردن من طيب وشبهه، ولكنه اكد على مبالغتهن في التحجب فلا يبدو منهن مغرز ابرة على حد قوله: الا انهن يكثرن من التطيب عند الخروج (فيكون ما سترنه ظاهراً، أبدينه باطناً)، وعلق عليه بما يناسبه من أحكام الدين (ص١٠٢-١٠٤).

٣- في الرحلة تفاصيل عما جرت عليه عادة الزائرين (بل والمقيمين في المدينة) من زيارة الروضة الشريفة والسلام على رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم زيارة مقبرة «البقيع» والسلام على من دفن فيها من الآل والأصحاب وغيرهم، ثم يقول: لا مقبرة على وجه الارض اشرف منها، اذ دفن فيها سادة هذه الأمة وأفاضلها من الصحابة وأزواج النبي ﷺ وأولاده وبناته وأهل بيته، وسادة التابعين وتابعيهم بإحسان، فهم أول زمرة تحشر مع الرسول ﷺ، اذ منهم خلفاؤه وأعمامه وعماته، والجم الغفير من اصحابه وأنصاره وأولادهم واتباعهم.

وقد روي عن الامام مالك رحمه الله قوله: انه دفن بالمدينة اكثر من عشرة آلاف من الصحابة وبعد اداء هذه الزيارة تتم زيارة المشاهد التي تضمها «طيبة» ويقوم العياشي بتعدادها، ويحيل القراء على ما ذكره السمهودي في كتابه «تاريخ المدينة» ثم يقول: وفي المدينة شهداء أحد وشهداء الخندق، وشهداء الحرة، (والمقصود هي الواقعة التي حدثت سنة ٦٣هـ بين الجيش الأموي وثوار أهل المدينة، وقد سفك فيها دم غزير) ويعتبر العياشي قتلى اهل المدينة في هذه الوقعة هم أكرم الشهداء، بعد شهداء العصر النبوي (ص٨٦-٨٩).

٤- ثم ينتقل العياشي الى ذكر المشاهد التي تزار في المدينة، ومنها قبة صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول الكريم ﷺ، قرب البقيع، وقريباً منها مسجد صغير يقال: ان النبي ﷺ وقف في موضعه ليستغفر لأهل البقيع، وقيل: انه زاوية لدار عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه، التي دفن فيها، وفيها كثير من اهل البيت، ثم يروي العياشي ما يؤكد كون ذلك الموضع هو الموضع الذي استغفر فيه الرسول ﷺ لأهل البقيع.

ويتحول بعد ذلك الى وصف موقع آخر قربه، سماه «مشهد اسماعيل وهو ابن الامام جعفر الصادق» وبالقرب منه «قبة

كبيرة ماثلة في الهواء على حد قوله» قال: ان فيها مشهد العباس ومشهد الحسين بن علي (اقول: انه مشهد الحسن، لأن مشهد الحسين هو في العراق، ولعل ما وقع هو خطأ من النساخ) وفيها مشهد أمه فاطمة رضي الله عنهم، ومشهد زين العابدين بن محمد الباقر وجعفر الصادق، وغيرهم من آل البيت رضي الله عنهم (ص٨٧-٨٩).

٥- ويتحول بعد ذلك العياشي الى ذكر مشهد أمهات المؤمنين كلهن، ما عدا خديجة وميمونة رضي الله عنهن، ثم يعود لذكر مشهد عقيل بن ابي طالب، ليقول: ان فيه قبر ابن عمه (ابي سفيان بن الحارث رضي الله عنه، وهو ابن عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة، انظر كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ج٣/١٦٧٣)، وفيه ايضاً مشهد ينسب الى بنات النبي ﷺ (عدا فاطمة رضي الله عنهن) على ما يقال، ويعلق على ذلك بالقول: ان المعروف ان النبي ﷺ كان يدفن من مات من اهل بيته، قرب قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وقربه مشهد ابراهيم بن النبي ﷺ.

والجدير بالذكر ان العياشي عندما يورد هذه المعلومات، كان حريصاً على مراجعة الأخبار المروية، ويقارنها ببعضها، وصولاً الى القول الراجح عنها.

وهناك قبر فاطمة بنت أسد، ام الإمام علي كرم الله وجهه، ويؤيد العياشي وجوده في هذا الموضع، بخلاف من جعله في موضع آخر، وبالقرب من هذا الموضع قبر عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود وصحابة آخرين رضي الله عنهم (ص٨٩-٩٢).

٦- ويستطرد العياشي الى ذكر من دفن في ذلك المشهد من ارض البقيع، ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعليه (قبة عظيمة هائلة - على حد قوله)، وهناك ايضاً مشهد حليمة السعدية رضي الله عنها، مرضعة الرسول ﷺ، وعليه (قبة لطيفة)، حسب وصفه، وفي المشهد نفسه قبر الامام مالك رحمه الله تعالى، وبعد الخروج من البقيع، يصادف الزائر لقبر نافع مولى ابن عمر، وهو من أئمة التابعين (ص٩٣-٩٤).

٧- هذا وقد سجل العياشي ملحوظة مهمة، اذ رأى جموعاً من حجاج العراق يقبلون على زيارة قبر اسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله عنهما، ويسلمون عليه ويبالغون في تعظيمه، ويقولون: «نشهد انك على دين أخيك موسى -اي موسى

الكاظم- ونشهد انك غير مخالف له، متبع لطريقه»، ويقول العياشي: ان ما يقولونه هو رد على ما تؤمن به الطائفة الاسماعيلية من ان اسماعيل هو الذي ورث الإمامة من ابيه، وليس موسى الكاظم.. الخ.

وينتهز الفصرة ليؤكد ان الأئمة من آل البيت كانوا يعظمون السنة، ويعظمون اصحاب جدهم ﷺ، الى جانب تبحرهم في العلم، وبراءة ساحتهم مما قد يُنسب اليهم في غير ذلك.

ثم ينسب الى الزوار من الاسماعيلية، تعظيمهم لبئر قرب ذلك المشهد والدعاء عندها، اذ هي البئر -كما يصرح كبيرهم- التي دخلها الامام جعفر الصادق فغاب حتى يومهم ذاك!!، ويشير العياشي الى العقيدة السائدة بغيبة الامام الثاني عشر محمد المهدي، وبعودته في آخر الزمان، إشارة الى الحديث النبوي القائل بعودة المهدي، ويؤكد أن بعض مشايخ الصوفية من اهل السنة يقولون بذلك، ومنهم الشيخ محيى الدين بن عربي الاندلسي (ت٦٢٨هـ)، وأنه -اي العياشي- لا يستطيع البت في صحة قول من قال عن ذلك المهدي، ولكنه لا يجد ما يمنعه من قبوله، اذ صح ان آل البيت أنفسهم هم قالوه، وان بعض أئمة الصوفية ايدوه (ص٩٥-٩٨).

٨- ثم يعود العياشي الى ذكر المشاهد التي تزار قرب البقيع، ومنها مشهد الصحابي ابي سعيد الخدري رضي الله عنه، الذي فيه شبهة، لأن السمهودي لم يذكره ضمن من دُفن في البقيع، لكنه لا يرى ما يمنع من زيارة المشهد حتى لو لم تصح نسبته الى صاحبه، فإن مجرد النسبة لها اثر في حصول البركة للزائر.

ويستطرد الى الحديث عن وجود ثلاثة مشاهد خارج البقيع، احدها مشهد مالك ابن سنان من شهداء أحد رضي الله عنهم، وعليه قبة، ذلك ان رسول الله ﷺ أمر في بادئ الأمر نقل شهداء أحد الى المدينة، ثم أمر بمنع النقل، بعد ان تم نقل عدد منهم، ومنهم مالك وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، الذي أكد ابنه نقل جثمان والده قبل صدور الأمر بدفن الشهداء، حيثما استشهدوا، وهناك مشهد لمحمد بن عبد الله «من ذرية الإمام الحسن» ويُلقب النفس الزكية، وهو في جوف مسجد عند جبل سلع، وكذلك مشهد سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وهو بأُحد (ص٩٨-١٠١).

٩- ولم يغفل العياشي عن رصد

اعـتـداءات الأعـراب على ركب الحـجـاج، فـسـجل عـدوانهم -مـثـلاً- على الركب الشـامي، قـرب تبـوك، في وقـعـة وصـفـهـا بأنها «شنيـعـة» وأخـذ من الحـجـاج (٢٠٠) بعـير وأمـوالاً لا تحـصـى، وقتلوا أقواماً -على حد قـولـه- وسـبـب ذلك ان لهم «أتاوة» سنوية من بيت المال، ولكن رئيس الركب لم يكن يـعـرف بهـا «كـذا» فلم يعطهم شـيـئـاً، وأغلظ لهم القول، فحاولوا اقناعه بحقهم، فـأصـر على عـدم الدفع، مما أدى الى مهاجمته فانهزم، فنهبوا الركب وحصل ما حصل من القتل والنهب (ص١٠٥-١٠٦).

❖ رابعاً المساجد التي تزار بالمدينة:

وأولها مسـجـد «قـبـاء»، أول مسـجـد في الاسـلام، وزيارته المفضلة لدى رسـول الله ﷺ هي صباح يوم السبت، اذ كان يأتيه كل سـبـت راكـبـاً أو مـاشـيـاً، وورد في فـضـلـه الكثـيـر من الآثار، وفي الحث على زيارته التي تعدل العمرة في ثوابها، وبالقرب منه مـسـجـد «علي» الذي يؤثر ان الرسـول ﷺ توضأ من «مهراس فيه»، وهو حفرة يتجمع فـيـهـا ماء المطر» وفي جواره دار كلثوم بن الهدم، الذي نزل فيه النبي ﷺ عند قدومه الى قـبـاء، وقد تحـول الى مسـجـد صـغـير، وفي حـديقـتـه «بئـر أريس» التي يُتـبـرك بشـرب مـائهـا، والى جانبـهـا يوجـد رباط كبير لسكنى الغرباء (ص١٠٧-١٠٩).

وهناك مسجد الجمعة، في الطريق الى «قـبـاء» تحـيط به النخيل، وقـد صلى فيـه الرسـول ﷺ أول جـمـعـة في المدينة، ثم مسجد «الفضيخ» الواقع شرقي قباء، وكان النبي ﷺ يصلي فـيـه اثناء حـصـاره لبني النضـير، وفيـه نزل الوحي بتحـريم الخمـر وبالقرب منه «الحرة» مسجد بني «قريظة» وهو مـسـجـد كـبـيـر، وفي جانب منه صلى فـيـه الرسـول ﷺ، ثم مـسـجـد «مـشـربة ام ابراهيم» وفـيـه صلى النبي ﷺ، وهو الموضع الذي ولد فـيـه ابراهيم (ص١١٠-١١٢).

وهناك مـسـجـد «بني ظفـر» الواقع شـرقي البـقـيـع الذي عُـرف في زمن العياشي باسم «مسجد البغلة» وفيـه صلى الرسول ﷺ مع بعض اصحابه، وفيه نزلت الآية **﴿فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** النساء: ٤١، فبكى ﷺ، وعند هذا المسجد آثار يتبرك بهـا النـاس، ومنهـا أثر مـرفق الرسـول ﷺ في حجر (ص١١٣).

ثم هناك مسـجـد «الاجابة» الذي صلى فـيـه الرسـول ﷺ، ودعـا فـاسـتـجـاب الله

لاثنتين مما سأل في دعائه ومنعه واحدة، اذ سأله ان لا يهلك أمته بالسِّنة، ولا يهلكها بالغرق، وسأله ان لا يجعل بأسهم بينهم، فامتنع (وقد ورد ذلك في صحيح مسلم).

ومنها مسجد الفتح، والمساجد التي في قبلته، وكانت تعرف بمجموعها -في زمن العياشي- بمساجد الفتح، وقد يُطلق عليها اسماء أخرى كمسجد الأحزاب، نسبة لغزوة الخندق، وفيه استجاب المولى لدعوة الرسول ﷺ بهزيمة الأحزاب، ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وغيره من الصحابة وأهل المدينة يخرجون الى هذه المساجد للتفسح، ويخصونها بالزيارة يوم النصف من شعبان، بإقامة الخيام والمبيت فيها، فيأكلون ويطربون -على حد قول العياشي- ويكثر الناس في التجمع في ذلك الموضع، مما استحق النقد من جانب العياشي (ص١١٣-١١٧).

ومن الأماكن التي يتبرك الناس بها ويصلون فيها «كهف سلع» الذي كان الرسول ﷺ يبيت فيه ليالي غزوة الخندق، وفيه -على ما يروي البعض- ان الله تعالى استجاب لدعوة النبي ﷺ بعدم الاساءة لأمة المسلمين، وهناك مسجد «القبلتين» الذي تحولت فيه القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة، ومنها مسجد «السقيا» حيث عرض الرسول ﷺ جيش بدر في ذلك الموضع، وصلى فيه، ودعا هناك بالخير لأهل المدينة، ويبدو ان السمهودي وجده خرباً، لكن العياشي وجده في بناء وثيق، ويأوي اليه الغرباء، ويقيم فيه الركب المصري احياناً، ومنها مسجد «ذباب» الذي عُرف في زمن العياشي باسم «مسجد الراية» وهو قرب «ثنية الوداع» اذ كان حامل راية الموالي -في غزوة الخندق- يقف عنده (ص١١٧-١٢٣).

❖ خامساً جبل أُحد وما بقربه من المساجد النبوية، ومشهد حمزة وغيره من الشهداء رضي الله عنهم:

اعتاد اهل المدينة زيارة قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، يوم الخميس، ويبيت بعضهم هناك ويحاول العياشي تفسير اختيارهم ليوم الخميس، ويقول: ان زيارة أُحد ومن به من الشهداء، من السنن المأثورة، حيث ان الرسول ﷺ صلى على قتلى أُحد بعد ثماني سنين، وكان يزور قبورهم على رأس كل سنة.

والمشهد عليه قبة عالية متقنة، وحوله بناء متسع فيه بئر وقربه «صفة المسجد»، ولأهل المدينة موسم كبير في اواسط رجب

فيه يحتفلون بزيارة الموضع، بل يأتي الناس من مختلف انحاء الحجاز واليمن لتلك الزيارة، بعدد يقارب عدد من يجتمع في الحج!!.

وتنصب الخيام وتقام الأسواق، ويأتي العسكر بأمرائهم، ويلهو البعض باللعب والطرب، وتطلق المدافع ومـا الى ذلك، ولكن الناس يبيتون طيلة ليلهم ونهارهم في القراءة والزيارة حول قبر حمزة رضي الله عنه وتوقد الشموع والقراءة لا تنقطع حول القبر بأسلوب جميل يتتابع فيه القراء(١).

وقد شارك العياشي فيه -رغم انه لم يستطع معرفة السبب لذلك الاحتفال- فبات هناك، وبالغ في وصف الارتياح الذي شعر به (ص١٤٣)، ولكنه ينبه الى عدم رضا جانب كبير من العلماء لما يقع في مثل هذه الاحتفالات من اسراف وتصرفات مذمومة، ولكنه يحاول تبريرها بأسلوب جميل، ويستشهد ببعض ما وقع في الرؤيا في المنام لبعض المشايخ من التسامح فيما يقع، وذلك من باب الرحمة بعامة الناس والرأفة بهم (ص١٢٥-١٣٢).

هذا ويطيل العياشي الحديث عن قبور شهداء أُحد ويذكرهم واحداً واحداً، لأن ذكرهم في نظره هو من غرر المسائل التي قلما توجد في كتاب، ثم يذكر منزلة أُحد الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «انه يحبنا ونحبه» ويورد كثيراً من الكلام بهذا الشأن، ثم يستطرد الى ذكر ما جرى بين المالكية من بحث عن جواز قطع بعض نبات حرم المدينة، للأكل كالخبيز، ام لا، وانه يميل الى الاجازة لمن يجيز ذلك في مذهبه، ويحاول ان يحدد المبرر للإباحة، ويؤكد ان هذه الاجازة لا يمكن الاخذ بها حيال الصيد، لأن الاجماع منعقد على حرمته، بينما هناك خلاف حيال قطع النبات وأكله، ويدعو العياشي -في مثل هذه الأمور- الى الأخذ بما هو أيسر على الناس، لأن المبالغة في التشدد قد تؤدي الى أضرار بالغة بمصالح الناس، ويحاول ان يجد لذلك المبررات الشرعية، خاصة وان اتباع المسلم لفقه غير مذهبه، هو من باب التيسير (ص١٣٣-١٣٩).

ثم يستأنف العياشي الحديث عن «أُحد» ويروي خبراً عن مرور موسى عليه السلام به مع أخيه هارون، وان هارون عليه السلام توفي ودُفن فيه، ويقول: انه وجد «شِعباً» في الجبل باسم «شعب هارون» كما وجد بأعلى الجبل مبنى يسكنه بعض الفقراء يسمونه «قبة هارون» وذلك نسبة الى رجل بهذا الاسم هو الذي ابتناها وكان يتعبد

فيها، وقد انشرح صدر العياشي عندما وقف للصلاة على قمة ذلك الجبل (ص١٣٩-١٤٢).

ويواصل العياشي الحديث عن المساجد التي تزار بمنطقة أُحد، فيذكر منها مسجداً يسمى «مسجد الفسح» وفيه نزلت الآية الكريمة: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾** المجادلة: ١١، ويقال: ان النبي ﷺ صلى فيه بعد الانتهاء من القتال في أُحد، وبالقرب منه مسجد صغير يقال عنه: ان رباعية رسول الله ﷺ قد كسرت في موضعه، ولذلك يسمى «مسجد الثنية».

ومن مساجد أُحد التي تزار مسجد «ركن جبل العنين» الذي كان الرماة يوم أُحد في موضعه، ويسمى أيضاً مصلى رسول الله ﷺ، وهناك مسجد «السابلة» ويسمى مسجد أبي ذر، أو مسجد «السجدة»، ثم هناك مسجد صغير جلس فيه الرسول ﷺ للاستراحة بعد الرجوع من أُحد (ص١٤٢-١٤٥).

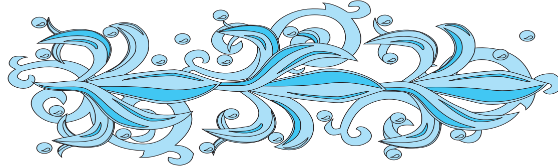
ومن المساجد التي يرى العياشي زيارتها، مصليات العيد التي صلى بها الرسول ﷺ، وأشهرها ثلاثة تقع غربي المدينة المنورة، ويسمى أحدها «مسجد مصلى العيد، ويعرف حالياً بمسجد الغمامة» وينسب الثاني والثالث على التوالي الى الامام علي وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وفي ختام هذه النبذة عن المساجد التي تزار وفضائلها، حرص العياشي على التصريح بأنه تابع بشأنها ما ذكره السمهودي، اذ هو القدوة في هذا الشأن، وعليه المعوّل (ص١٤٥-١٤٧).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- الملاحظ ان العياشي لم يتناول الاحتفال بصوم رمضان، لأنه غادر المدينة في أواخر شعبان، اذ قرر صوم رمضان في مكة المكرمة.



الهجرة النبوية
نبراس خير للأمة الاسلامية

■ **بقلم الاستاذ اسماعيل محمد السعيدات**

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ التوبة: ٤٠ .

من خلال هجرة المصطفى ﷺ لا بد لنا ان نستشعر معية الله تعالى ونحن نقوم بالعبادات التي أمرنا بها عز وجل، وحث عليها رسوله الكريم ﷺ، هذه المعية التي استشعرها من قبل رسول الله وصاحبه في غار ثور، عندما خاف ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله وعلى الدعوة الاسلامية، ولكن رسول الله الذي كان دائماً يستشعر هذه المعية في كل ما يقوم به من اعمال، فيرد عليه بالقول: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.. لا تحزن ان الله معنا».

هذا الاستشعار الذي كان بوعد من الله تعالى، بأن النصر والفوز والفلاح للأمة التي تكون في معية الله سبحانه، حيث يقول تبارك وتعالى: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** الروم: ٤٧ .

فعلى المسلمين ان يخلصوا نياتهم لله تعالى في كل ما يصدر منهم من أقوال وأفعال، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ان رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن

كـانت هجـرته لدنيـا يصـيبـهـا أو امـرأة يتـزوجـهـا، فـهـجـرته الى مـا هاجـر اليـه» (صـحيـح البـخاري، كـتاب الايمان، باب ما جـاء من الأعـمـال بالنيـة والحـسـبـة، ولكل امـرئ مـا نوى، رقم البـاب ٣٩، حـديث رقم ٥٤).

من خـــلال أحـــداث الهـــجـــرة النبـــوية نسـتـخلص الابتـلاء والامـتـحـان الذي حل برسـول الله ﷺ وأصحابه الأبرار، فقد خرج ﷺ يدعو اهل الطائف الى الاسلام ويلتمس منهم النصـــرة، ولكنه أوذي هناك وضـــرب بالحـجـارة من قـبل الصـبـيـان والعـبـيـد والسفهاء، حتى أغمي عليه وقد شج وجهه عدة شجاج، ومع ذلك بقي ﷺ صابراً تسيل الدمـاء من قـدمـيـه الشـريفـتين، وزيد ابن حارثة رضي الله عنه يتلقى الحجارة مدافعاً عنه.

فعندما خرج من عندهم حزيناً مهموماً على موقفهم، أسند ظهره على حائط أحد البيوت، فنزل عليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبـال ليـأخـذ منه الأمـر بإطباق الجـبلين عليـهـم، ولكن الـرحـمـة المهـداة ﷺ أبى ان يدعـو على قـومـه بالعـذاب، بل دعى لهم بالرحمة والهداية، فإنهم لا يعلمون عن خير الدعوة الاسلامية، حيث قال ﷺ: «بل ارجو ان يخـرج من اصـلابهم من يوحـد الله»، وهذه صفـات المبعوث رحمـة للعـالمين، بأن يدعـو بالخيـر للأمة ولا يريد لها الهـلاك والعـذاب، وهذا الأمـر يجـعلنا نقـتـدي به ﷺ، وندعـــو لهـداية الناس الـى الاســلام والمحبة والتعاون والتكاتف والنصرة.

وفي حادثة الهجرة نزل قول الله تعالى: **﴿ومن يخـرج من بيتـه مـهـاجـراً الى الله ورسـوله ثم يدركـه الموت فـقـد وقع أجـره على الله وكان الله غفـوراً رحيـماً﴾** النساء: ١٠٠، ليـحث المسلمين على ان الخـروج في سـبـيل الله ونصـرة دينه، من الأمـور التي تقـرب العـبـد من ربه، وتجـعل الأجـر يقع عند الله، ومن يخرج لأداء اي عبادة مهما كانت ثم يموت، فقد وقع جزاء عمله عند الله تعالى موقع القبول والفوز.

ومن خـلال تتـابع احـداث ومـجـريات الهـجـرة، نلمس ثبـات رسـول الله ﷺ على دعـــوته، بـالرغـم من كل المغـــريات المادية والمعنوية لدفـعــه عن دعـوته، والعـــذاب والمقـــاطعـــة التي حلـت بـالمسلـمـين والاضطهـاد، ومع ذلك كله نلمس حـرص رسـول الله ﷺ على إكـمـال نشـر الاسـلام الى مـشـارق الأرض ومغـاربهـا، بقـوله ﷺ:

«والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه».

لقد جاءت حادثة الهجرة النبوية بعد حياة صعبة عاشها رسول الله ﷺ وأصحابه ومعاناة شديدة، وتعرض لصنوف العذاب المختلفة والحصار الاقتصادي والإيذاء والسخرية والاستهزاء، جاءت من أجل تسلية رسول الله ﷺ والتخفيف عما لاقاه من المشركين، وتكريماً للأمة الاسلامية التي تدافع عن الحق والفضيلة.

ولكن السؤال الذي يراودني في هذا المقام، ماذا وعت أمة الاسلام اليوم من دروس الهجرة المباركة؟ ألم يأن لها ان تصحوا من سباتها الطويل، وأن تتنبه الى الاصلاح والارتقاء الى الخيرية التي خصها الله بها في قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾** آل عمران: ١١٠ .

هاجر المسلمون من أجل نشر الدين وليس من اجل رغد العيش ونعومته، بل ليقيموا دولة الاسلام، فقد طردوا كل عوامل الخوف والضعف والفرقة من نفوسهم، هاجروا وقلوبهم عامرة بالحب والرحمة والصدق مع الله تعالى، ولكن المسلمين اليوم نسوا كثيراً من دروس الهجرة ومعانيها وقيمها، فأصبحت مرتبة في حياتهم حسب الأهداف، فألبسهم الشيطان الأثرة وحب النفس وترك الإيثار، فلم ير كل واحد منهم الا مصلحته، ويوم ان رآنا العدو على هذه الحال، سيطر علينا وجعلنا شيعاً وأحزاباً متفرقة!!

فهل نفيق من سباتنا ونستغل الصحوة الاسلامية المنبثقة من نفوس أبنائنا، والمسلمين اليوم بأمس الحاجة الى الرجوع الى الدين القويم، ونبذ الفرقة والخلاف، وتجديد العهد مع الله، ومجاهدة النفس عن هواها، وتوحيد الصفوف ولم الشمل.

اللهم ردنا الى دينك رداً جميلاً، وتوفنا وأنت راض عنا يا رب العالمين، سبحان رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

٤

ذوو الاحتياجات الخاصة وكيفية اداء العبادات

■ بقلم الدكتورة جميلة الرفاعي

لقد تحدثنا فيما سبق حول حكم عبادات ذوي الاحتياجات الخاصة، وتحدثنا عن التيمم وصلاة أهل الأعذار، و في هذه الحلقة، سنكمل الحديث عن بقية الموضوع ان شاء الله.

❖ صلاة الراكع والساجد خلف المومئ:

قال أبو حنيفة والصاحبان ومالك: لا تجوز الصلاة خلف المومئ[١]، وذهب الشافعية وزفر إلى جواز الصلاة خلف المومئ[٢].

أدلة الشافعية وزفر:

١- لأن الإيماء يعتبر للمومئ ركناً من أركان الصلاة، فجاز للقادر عليه أن يأتم بالعاجز عنه كالقيام[٣].

٢- لأن كل واحد منهما مؤد ما هو مستحق عليه بصفة الصحة، فيصح اقتداؤه نظير اقتداء المتوضئ بالمتيمم والغاسل بالماسح[٤].

أدلة الحنفية والإمام مالك:

١- هناك حال المقتدي فوق الإمام، لأن الاكتفاء بالإيماء مع القدرة على الركوع والسجود يمنع جواز الصلاة فيمنع صحة الاقتداء[٥].

٢- لأن الإيماء ليس ببدل عن الركوع والسجود لأنه بعضه، فلو قلنا: يصح الاقتداء به، يكون هذا اقتداء بالبعض دون البعض، وهذا لا يجوز بخلاف التيمم والمسح فإن التيمم بدل عن الوضوء، والمسح بدل عن الغسل فيصبح اقتداؤه به بالإجماع[٦].

الرأي المختار: نلاحظ من أدلة الطرفين أنهم استدلوا بأدلة عقلية، فقد اجتهدوا وتوصلوا إلى ما توصلوا إليه، لذا فإنني أرى أن للمؤتم الراكع الساجد أن يبحث عن الإمام الذي يستطيع أن يركع ويسجد، لأن حال الإمام والمأموم حال واحدة، وإن لم يجد إماماً يستطيع الركوع والسجود فله في هذه الحالة أن يتبعه، إذ قد يكون أحفظ وأقرأ منه، والله أعلم.

❖ الفرع الرابع: في صلاة الجماعة:

من الأعذار المبيحة للتخلف عن الجماعة، المرض الذي لا يقدر المرء معه أن يأتي الجماعات وذلك باتفاق العلماء[٧].

- كأن يكون الإنسان مقعداً أو مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مقطوع الرجل أو مفلوجاً.

- أما الأعمى فلا جماعة عليه إن لم يجد قائداً، وإن وجد عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد[٨] وأحمد[٩].

واستدل الفقهاء لعدم وجوب الجماعة للعذر بما يلي:

١- عن أنس رضي الله عنه قال: "لم يخرج إلينا النبي ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم فقام نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات[١٠].

وجه الدلالة: أن الرسول ﷺ وهو قدوتنا لم يخرج للصلاة لأنه في حالة المرض الشديد، فدل ذلك على أن أصحاب الأعذار لا جماعة عليهم.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى"[١١].

وجه الدلالة: أن الجماعة لا تجب في حالة المرض والخوف.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: «يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له فلما ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة قال: نعم قال: فأجب»[١٢].

وجه الدلالة: أنه ﷺ لم يرخص

للأعمى أن يترك الجماعة، لأنه لم يعتبره عذراً يمنع الجماعة.

٤- وعن ابن مكتوم رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إني رجل ضرير البصر شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ قال: هل تسمع النداء؟ قال: نعم قال: لا أجد لك رخصة»(١٣).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ لم يرخص للأعمى الذي لم يجد قائداً بالتخلف عن صلاة الجماعة، وهذا يؤكد أهميتها ووجوبها فغيره يكون مطالباً بها من باب أولى، ولا تجب على من له عذر قوي.

٥- عن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب من موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة»(١٤).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ استنكر على من يطيل في صلاة الجماعة، إذ يكون خلفه الكبير والضعيف وذو الحاجة.

❖ الفرع الخامس: في صلاة الجمعة:

قال ﷺ: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة: عبد مملوك وامرأة أو صبي أو مريض"(١٥).

فالجمعة فرض عين على كل مكلف من غير أصحاب الأعذار المذكورين في الحديث، ويلتحق بالمريض من به إسهال كثير فإن كان بحيث لا يضبط نفسه، حرم عليه حضور الجماعة لأنه لا يؤمن تلويثه للمسجد(١٦) والأعمى إن وجد قائداً متبرعاً أو بأجرة المثل وهو واجدها لزمته الجمعة وإلا فلا تجب عليه.

وقال مالك(١٧) والشافعية(١٨) وأحمد(١٩): تلزمه إن أحسن المشي بالعصا بلا قائد وقالوا بوجوب الجمعة على الأعمى الذي يجد قائداً.

وقال أبو حنيفة(٢٠): لا تجب للمشقة.

وقال الشافعية: تجب الجمعة على الزمن إن وجد مركوباً ملكاً أو بإجارة أو إعارة ولم يشق عليه الركوب، وإلا فلا تلزمه والشيخ الهرم العاجز له حكم الزمن(٢١).

نرى أن الفقهاء يرون وجود المشقة، يرفع التكليف، ويؤتى منه قدر المستطاع

فإن وجد من يقود الأعمى ولو بالأجرة وهو مستطيع يجب عليه حضور الجمعة وإلا فلا، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

❖ الفرع السادس: الرخص في صلاة المريض:

أولاً: مشروعية صلاة المريض:

ثبتت مشروعية صلاة المريض بالقرآن والسنة والإجماع:

القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[٢٢] وقال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[٢٣].

السنة النبوية: عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت رسول الله ﷺ عن الصلاة؟ فقال: صلّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب"[٢٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "سقط النبي ﷺ عن فرس، فجحش[٢٥] شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعداً فصلينا وراءه قعوداً فلما قضى الصلاة قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين"[٢٦].

هذا الحديث يبين لنا أن النبي ﷺ لما جحش شقه الأيمن، صلى قاعداً والظاهر أنه لم يكن يعجز عن القيام بالكلية لكن لما شق عليه القيام سقط عنه، فلذلك يسقط عن غيره[٢٧].

الإجماع: أجمع العلماء على أن المريض مخاطب بأداء الصلاة ويسقط عنه فرض القيام إذا لم يستطعه ويصلي جالساً، وكذلك يسقط عنه فرض الركوع والسجود إذا لم يكن يستطعهما أو أحدهما ويومئ مكانهما[٢٨].

ثانياً: كيفية صلاة المريض:

اتفق العلماء على أن المريض يفارق الصحيح فيما هو عاجز عنه وأما ما هو قادر عليه، فهو والصحيح فيه سواء.

واختلف العلماء في تطبيق هذا المبدأ في حالات:

الحالة الأولى: إذا كان المريض قادراً على القيام يصلي قائماً، فإذا عجز عن القيام يصلي قاعداً بركوع وسجود فإذا

كـان المصلي يســتطيع الركــوع فليــركع وليـسـجـد وإذا لم يسـتطـع صلى إيماء مـا عـجـز عنه، ويكون إيماؤه للسـجـود أخـفض من إيمائه للركوع[٢٩].

ومعيار عدم الاستطاعة كما نص عليها الفقهاء هو:

أن يتــرتب على قـيـامـه أو ركـوعـه أو سجوده، حدوث مرض آخر أو زيادة مرضه أو تأخـر شـفـائه وكـذلك إذا قـام سـقط أو عـرض له مـرض أثناء القـيام، فـي كل ذلك يرخص له في القـعـود أو الجلوس حـسب الحاجة[٣٠].

جاء في المجموع: ولا يشـترط في العجز أن يتـأتى القيـام ولا يكفي أدنى مـشـقـة بل المعتبـر المشـقـة الظاهرة فـإذا خـاف مشـقـة شــديدة أو زيادة مــرض أو نـحــو ذلك، أو خاف راكب السـفينة الـغرق أو دوران الرأس صلى قاعداً ولا إعادة[٣١].

صفة الجلوس: يجوز للمصلي أن يصلي على أي صفة يستطيع، إما متربعاً واضعاً يديه على ركـبـتـيـه وإمـا كـقـعـود الـتـشـهـد، ويندب له أن يتـربع في مـحل القيـام ويغيـر جلسـتـه في التـشـهـد بين السـجـدتين، **وهذه الحـالة اتفق الـعلمـاء على كـيـفـيـتـهـا في الجملة**[٣٢].

الحـالـة الـثـانـيـة: إذا عـجـز المريض عن القيـام اسـتـقـلالاً ولكن يقـدر عليه مسـتنداً على حـائط أو عـصــا أو نحـو ذلك، تعين عليـه القيـام مسـتـنداً لأنه يعـتبـر في هذه الحــالـة مــســتـطيع الـقــيــام، وفي حــالة الاسـتطاعـة لا يسـقط عنه القيـام لأنه ركن من أركان الصلاة التي لا تصح إلا به وهذا مـا ذهب إلـيــه الحنـفـيــة والشــافـعـيــة والحنابلة[٣٣].

وقـيـل: يجــوز أن يجلس والأفـضـل له القيـام، لأنـه يعد في هذه الحـالة معـذوراً لعـدم قـدرته على القيـام، قـاله المالكيـة[٣٤]، ونقـول: إن القـيــام ركن، عليـه أن يأتـي به وهو يستطيعه ولكن بالاستعانة.

الحـالـة الـثـالـثـة: إذا عـجـز المريض عن القيام منتصباً بسـبب تقـوس ظهره لزمانة أو كـبـر أو غـيـرهمـا وصـار كـراكع، فـيلـزمـه الـقـيـام على حـسب اسـتطاعـتـه فـإذا أراد الركوع فعليه الانحناء حسب قدرته[٣٥].

يقول ابن عابدين: "فإن عجز عن القيام مستوياً قالوا: يقوم متكئاً لا يجزيه إلا ذلك وكذا لو عـجـز عن القـعـود مسـتـوياً قـالوا: يقعد متكئاً لا يجزيه إلا ذلك"[٣٦].

ويقول المرداوي: "لو قدر على القيام في صـورة راكـع لحـدب أو كـبــر أو مــرض أو

نحوه، لزمه ذلك بقدر ما أمكنه"[٣٧].

الحالة الرابعة: إذا عجز المريض عن القيام بسبب صوم رمضان، أو صلى قائماً لحقه سلس بول أو ريح قال العلماء: في جميع هذه الحالات يصلي قاعداً[٣٨].

يقول ابن عابدين: "وقد يتحتم القعود كمن يسيل جرحه إذا قام أو سلس بوله أو يبدو ربع عورته أو يضعف عن القراءة أصلاً أو عن صوم رمضان[٣٩].

ويقول الشربيني: "ومنها لو كان به سلس بول لو قام سال بوله وإن قعد لم يسل، فإنه يصلي من قعود على الأصح بلا إعادة[٤٠].

الحالة الخامسة: إذا كان المريض لا يمكنه أن يحول وجهه إلى القبلة كمربوط إلى خشبة، له أن يصلي إلى غير القبلة فإذا برأ أعاد الصلاة هذا ما قرره المالكية والشافعية[٤١].

وقال الحنفية والحنابلة: لا إعادة عليه بعد البرء لأنه لا تجب إعادة الصلاة بسبب العجز عن تحقيق الأركان، فلا تجب الإعادة بسبب العجز عن تحقيق الشروط من باب أولى[٤٢].

الحالة السادسة: إذا قدر المريض على القيام وعجز عن الركوع أو السجود هل يسقط عنه القيام في هذه الحالة أو يصلي قائما؟

اختلف العلماء في ذلك فذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنّ عليه أن يقوم ويصلي قائماً فيومئ بالجلوس[٤٣]، وذهب الحنفية إلى أن القيام يسقط عنه في هذه الحالة.

أدلة الجمهور:

أ- قوله تعالى: **﴿وقوموا لله قانتين﴾**[٤٤]، هذه الآية تدل على وجوب القيام في الصلاة لذا لا يسقط القيام إلا بعذر عدم القدرة عليه، والمريض في هذه الحالة يستطيع القيام فيجب عليه ذلك.

ب- عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "كانت بي بواسير فسألت رسول الله ﷺ عن الصلاة؟ فقال: "صلّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب"[٤٥].

هذا الحديث يدل على أنه يجب عليه القيام إن استطاع ذلك ولا يجوز له أن يصلي قاعداً إلا في حالة عدم الاستطاعة، والمريض يستطيع أن يقوم في هذه الحالة فيجب عليه ذلك وإن لم

يستطع الركوع والسجود، لأن القيام ركن والركوع ركن والسجود كذلك وكل شيء بحسبه[٤٦].

أدلة الحنفية:

١- إن القيام ركن من أركان الصلاة ولكنه في هذه الحالة ليس بركن، لأن القيام إنما شرع لافتتاح الركوع والسجود به فكل قيام لا يعقبه سجود لا يكون ركناً[٤٧].

٢- شرع الإيماء في الصلاة للتشبه بمن يركع ويسجد، ولا يتحقق ذلك غالباً إلا في القعود(٤٨).

الرأي الراجح: ان القيام ركن يجب أن لا يترك مع الاستطاعة وإلا بطلت الصلاة.

الحالة السابعة: الصلاة مستلقياً: اتفق الفقهاء على أن الذي لا يستطيع القيام أو الجلوس أن يصلي مستلقياً إن لم يمكنه إلا كذلك[٤٩].

ولكنهم اختلفوا في إعادة الصلاة: قال الجمهور[٥٠]: لا إعادة عليه، وذلك من باب التيسير، وقال النووي: "قال أصحابنا : إذا كان قادراً على القيام فأصابه رمد أو غيره من وجع العين أو غيره وقال له طبيب موثوق بدينه ومعرفته: إن صليت مستلقياً أو مضطجعاً أمكن مداواتك وإلا زاد عليك العمى، فليس للشافعي في المسألة نص ولأصحابنا فيها وجهان مشهوران أصحهما عند الجمهور، يجوز له الاستلقاء والاضطجاع ولا إعادة عليه"[٥١].

وقال المالكية[٥٢]: عليه الإعادة، وقد جاء في المدونة: "قال ابن القاسم في الذي يقدح الماء في عينيه فيؤمر بالاضطجاع على ظهره فيصلي بتلك الحال على ظهره فلا يزال كذلك اليومين ونحو ذلك قال : سئل عنه مالك فكرهه وقال: لا أحب لأحد أن يفعله"[٥٣].

ونرجح أن لا إعادة عليه، لأنه قد يكون في الإعادة مشقة، خاصة وأنه قد يمكث فترة طويلة وهو مستلق على ظهره.

الحالة الثامنة: أن يقدر المريض على الصلاة وحده قائماً ولا يقدر على ذلك مع الإمام لتطويله[٥٤]، يلزمه في هذه الحالة القيام ويصلي وحده لأن القيام آكد، لكونه ركناً في الصلاة لا تتم إلا به والجماعة تصح الصلاة بها، وهذا أمر متفق عليه عند جمهور الفقهاء[٥٥].

ويرى الحنابلة أن له أن يصلي مع الإمام قاعداً، لأن العجز يتضاعف بالجماعة أكثر من تضاعفه بالقيام[٥٦].

وأرى رأي الحنابلة لما في الجماعة من خير وسماع لكلمة طيبة.

الحالة التاسعة: إذا عجز المريض عن الصلاة قاعداً أيصلي على جنبه مستقبل القبلة بوجهه، أم يصلي مستلقياً ووجهه ورجلاه إلى القبلة؟.

اختلف العلماء في ذلك فذهب الجمهور وهم المالكية والشافعية والحنابلة، إلى أنه يصلي مستلقياً على ظهره ورجلاه نحو القبلة، غير أنه ينصب ركبتيه لكراهة مد الرجل إلى القبلة ويرفع رأسه يسيراً ليصير وجهه إليها.

استدل الجمهور على رأيهم بقول النبي ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه: "فإن لم تستطع فعلى جنب" ولم يقل: فإن لم تستطع فمستلقياً ولأنه يستقبل القبلة إذا كان على جنبه ولا يستقبلها إذا كان على ظهره وإنما يستقبل السماء، ولذلك يوضع الميت على جنبه في قبره من أجل أن يتوجه إلى القبلة.

وقال الحنفية[٥٧]: له أن يصلي مستلقياً على وجهه ورجلاه للقبلة، واستدل الحنفية على رأيهم بقولهم: إن المريض إذا استلقى على قفاه، كان أقرب إلى استقبال القبلة من المضطجع لأن المضطجع يقع منحرفاً عنها.

وأجابوا عن استدلال الجمهور[٥٨] بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه بأن مرضه كان باسوراً[٥٩] فلا يمكنه أن يستلقي بسببه على قفاه.

الرأي الراجح: بناء على حديث عمران ابن حصين، وهو حديث صحيح أن الرسول ﷺ وجده مستطيعاً أن يصلي على جنب، فقدم الصلاة على جنب باتجاه القبلة ولم يأمره أن يصلي مستلقياً، لذا فإن استطاع الصلاة على جنبه باتجاه القبلة فعليه فعل ذلك.

الحالة العاشرة: إذا افتتح الصلاة قائماً ثم عجز عن ذلك، قعد وأتم صلاته وإن افتتحها قاعداً ثم قدر على القيام قام وأتم صلاته، لأنه يجوز أن يؤدي جميع صلاته قاعداً عند العجز وجميعها قائماً عند القدرة، فجاز أن يؤدي بعضها قاعداً عند العجز وبعضها قائماً عند القدرة وهذا أمر متفق عليه عند الفقهاء[٦٠].

وإن افتتح الصلاة قاعداً ثم عجز اضطجع، وإن افتتحها مضطجعاً ثم قدر على القيام، وهو قول الحنابلة[٦١].

أما الحنفية فقالوا: إن المريض إذا

صلى بالإيماء مضطجعاً، ثم قدر على الركوع والسجود في آخر الصلاة يجب عليه أو القعود قام، أو قعد عند المالكية والشافعية أن يستقبل الصلاة ويبني آخر صلاته على أول صلاته كالمقتدي، يبني صلاته على صلاة الإمام في كل موضع يصح الاقتداء يصح البناء وإلا فلا، وخالف في هذه المسألة زفر رحمه الله قال: يبني على صلاته والسبب في ذلك أن زفر يقول: يصح أن يصلي الإمام بالإيماء مضطجعاً والمقتدي يصلي بركوع وسجود وجمهور الحنفية يقولون: لا يصح ذلك(٦٢).

الحالة الحادية عشرة: إذا عجز المريض عن السجود على جبهته أو أنفه لما فيه من الجراح، أومأ للسجود جالساً وله أن يسجد على الوسادة عند جمهور العلماء، ومنهم الحنفية والشافعية والحنابلة(٦٣)، وخالف في ذلك المالكية(٦٤).

يقول النووي: "ولو سجد على مخدة ونحوها وحصلت صفة السجود بأن نكس ورفع أعاليه إذا شرطنا ذلك، أو كان عاجزاً عن الزيادة على ذلك أجزأه(٦٥).

ويقول المرداوي: "ولو عجز المريض عن وضع جبهته على الأرض وقدر على وضع بقية أعضاء السجود، لم يلزمه وضع ذلك على الصحيح من المذهب(٦٦).

وجاء في المدونة: فإن كان لا يستطيع السجود على الأرض وهو إذا جعلت له وسادة استطاع أن يسجد عليها إذا رفع له عن الأرض شيء، قال: لا يسجد عليه في قول مالك ولا يرفع له شيء يسجد عليه إن استطاع أن يسجد على الأرض وإلا أومأ إيماءً(٦٧).

الحالة الثانية عشرة: إذا عجز المريض عن الإيماء برأسه، أومأ بطرفه ونوى بقلبه ولا تسقط الصلاة عنه ما دام عقله ثابتاً، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء ومنهم المالكية والشافعية والحنابلة(٦٨).

وذهب الحنابلة في رواية عن أحمد إلى أن الصلاة تسقط عنه إن عجز عن الإيماء برأسه(٦٩).

جاء في المجموع: فإن عجز عن الإشارة بالرأس أومأ بطرفه، وهذا كله واجب فإن عجز عن الإيماء بالطرف أجرى أفعال الصلاة على قلبه، فإن اعتقل لسانه وجب أن يجري القرآن والأذكار الواجبة على قلبه كما يجب أن يجري الأفعال(٧٠).

وجاء في الإنصاف: "ولا تسقط الصلاة ما دام عقله ثابتاً"(٧١).

استدل الجمهور بقولهم[٧٢]: إن المريض في هذه الحالة مكلف بما يقدر عليه وهو الإيماء لقوله سبحانه: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[٧٣].

واستدل الحنفية على رأيهم: "إن الإيماء عبارة عن الإشارة والإشارة إنما تكون بالرأس فأما العين يسمى إنحاء ولا يسمى إيماء وبالقلب يسمى نية وعزيمة وبمجرد النية لا تتأدى الصلاة[٧٤].

في هذه الحالة والله أعلم، الصلاة لأركانها المعروفة غير واجبة، ولكن له أن يذكر الله بقلبه ليكون على اتصال دائم مع الله، فمتى ما حضرت الصلاة صلى بقلبه، ويؤجر على نيته، فالأعمال بالنيات.

المطلب الثالث: الفطر في رمضان:

اتفق الفقهاء على أن العاجز عن الصوم له أن يفطر، والعجز يتمثل في المرض الذي يمنع الصوم أو الخوف من زيادة المرض بالصوم أو تأخر الشفاء، وكذلك إن ترتب على الصوم الهلاك فله الإفطار، وعليه بعد أن يصح القضاء، لأن الإسلام دين يسر ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وسأذكر أقوالاً للفقهاء تؤيد ما قلته سابقاً.

قال الحنفية: «من العوارض المبيحة للإفطار : مريض خاف زيادة المرض أو إبطاء البرء أو فساد عضو أو وجع العين أو غيره، وكذلك صحيح خاف المرض بغلبة الظن وعليه في هذه الحالات القضاء»[٧٥].

وقال المالكية: (المريض الذي لا يقدر على الصيام بأن خاف على نفسه هلاكاً أو شدة ضرر أو زيادته أو تأخر برء يفطر ويجب عليه القضاء)[٧٦].

وقال الشافعية: (المريض العاجز عن الصوم لمرض يرجى زواله، لا يلزمه الصوم في الحال ويلزمه القضاء هذا إذا لحقه مشقة ظاهرة بالصوم، ولا يشترط أن يصل إلى حالة لا يمكنه فيها الصوم؛ أما المرض اليسير الذي لا يلحقه فيه مشقة ظاهرة فلا يبيح له الإفطار[٧٧].

وقال الحنابلة: (يباح الفطر للمريض وعليه القضاء والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذي يزيد بالصوم أو يخشى تباطؤ برئه، والصحيح الذي يخشى المرض بالصيام كالمريض الذي يخاف زيادته)[٧٨].

الخلاصة: أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض في الجملة، وعليه القضاء اتفاقاً والمرض اليسير لا يبيح الإفطار اتفاقاً، والصحيح الذي يخشى المرض، له

الإفطار عند الحنفية والحنابلة[٧٩].

والمرجع في ذلك إلى خبرة وشهادة الطبيب المسلم العدل الحاذق.

❖ المطلب الرابع: الاستتابة في الحج:

الحج فريضة ثبتت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول، وهو فرض عين لا كفاية يجب في العمر مرة واحدة ومن شرائط فرضيته صحة البدن.

اتفق الفقهاء[٨٠] على أنه لا حج على الذي لا يستطيع استطاعة مالية أو بدنية، فلا حج على المريض والزمن والمقعد والمفلوج وأقطع اليدين وأشلهما وأقطع الرجلين وأشلهما والأعرج والأصم والشيخ الكبير الذي لا يثبت على راحلة، لذا إن وجدت الاستطاعة وعدم المشقة وجب عليهم واستدل على ذلك بما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾[٨١]: إن السبيل أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة.

٢- قال ﷺ: "من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانيا"[٨٢].

وضح ﷺ أن الحج واجب على جميع المسلمين إلا لعذر، كمرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر، فإن وجد هذا المانع، عذر في عدم حجه.

٣- سئل ﷺ عن السبيل فقال: "الزاد والراحلة"[٨٣].

٤- قال ابن عباس: (إن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، أما أحج عنه؟ قال: حجي عنه)[٨٤].

لأن الله عز وجل شرط الاستطاعة لوجوب الحج وهي سلامة الأسباب والآلات، ومن جملة الأسباب سلامة البدن لأن الحج عبادة بدنية، فلا بد من سلامة البدن من الآفات المانعة عن القيام بأعمال الحج[٨٥].

واختلف العلماء بالنسبة لاستتابة الأعمى والمقعد والزمن في الحج على الأقوال التالية:

القول الأول: لا حج عليهم بأنفسهم وإن وجد راحلة وزاداً وقائداً، وإنما يجب في ماله إن كان له مال، قاله الحنفية[٨٦].

القول الثاني: يجب الحج على الأعمى والزمن والمقعد بأنفسهم، قاله أبو حنيفة في رواية عنه[٨٧]، والمالكية[٨٨]، والشافعية[٨٩].

القول الثالث: يجب الحج على الأعمى بنفسه إن وجد زاداً وراحلة ومن يكفيه مؤنة السفر، ولا يجب على الزمن والمقعد، قاله الصاحبان[٩٠] وأحمد[٩١].

أدلة القول الأول:

١- إن الأعمى لا يقدر على أداء الحج بنفسه لأنه لا يهتدي إلى الطريق بنفسه، ولا يقدر على ما لا بد منه في الطريق بنفسه من ركوب ونزول وغير ذلك[٩٢].

٢- القادر بغيره غير قادر إطلاقاً[٩٣].

٣- إن في إيجاب الحج على هؤلاء حرجاً ومشقة والله تعالى يقول: **﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**[٩٤].

أدلة القول الثاني:

١- إن الأعمى والزمن والمقعد يقدرون بغيرهم إن كانوا لا يقدرون بأنفسهم، والقدرة بالغير كافية لوجوب الحج كالقدرة بالزاد والراحلة[٩٥].

٢- القياس على البصير بجامع أن كلاً منهما يثبت على الراحلة، وكذلك قيس الأعمى على الأصم والجاهل بجامع عدم معرفتهم للطريق ومع ذلك يلزمهم[٩٦].

أدلة القول الثالث:

١- روي أن رسول الله ﷺ سئل عن الاستطاعة فقال: (هي الزاد والراحلة)[٩٧].

فسر ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة وللأعمى هذه الاستطاعة فيجب عليه الحج.

٢- لأن الأعمى يجب عليه الحج بنفسه إلا أنه لا يهتدي إلى الطريق بنفسه، ويهتدي بالقائد فيجب عليه بخلاف الزمن والمقعد ومقطوع اليد والرجل لأن هؤلاء لا يقدرون على الأداء بأنفسهم.

القول الراجح:

يجب الحج على الأعمى والزمن والمقعد بأنفسهم إن استطاعوا، وإلا فإن لهم أن ينيبوا عنهم، وذلك لأن الاستطاعة الواردة في من استطاع إليه سبيلاً هي الاستطاعة البدنية والمالية، فإن أتت البدنية، يبقى المالية.

الهوامش:

١- مبارك المالكي، تسهيل المسالك، ٤٩٦/٢، النووي، المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع، ٧٠/٢ .

٢- النووي: المجموع، ١٦١/٤، ابن قدامة، المغني، ٨٥/٢، ابن مفلح، المبدع، ٧٠/٢ .

٣- النووي: المجموع، ٢٣١/٤، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

٤- السرخسي، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ٢١٥/١ .

٥-٦- السرخسي: المبسوط، ٢١٥/١ .

٧- الزيلعي: فخر الدين الزيلعي، تبيين الحقائق، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٣/١، الكاساني، البدائع، ٢٥٩/١ (ط٢٠٠٠م، دار المعرفة)، ابن جزئ القرطبي المالكي، القوانين الفقهية، مكتبة عباس الباز، مكة المكرمة، ص٤٨ .

٨- الكاساني: البدائع، ج٢٥٩/١ (دار المعرفة).

٩- ابن قدامة: ج٨٢/٢، ابن مفلح : المبدع : ٩٥/٢ .

١٠- ابن حبان: علاء الدين الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٩٨٧م، ٢٥٣/٢ .

١١- أبو داود: مختصر سنن أبي داود، رقم الحديث ٥١٩ .

١٢- أبو داود: مختصر السنن: ٢١٣/١، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.

١٣- أبو داود، مختصر السنن، ٢١٣/١، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم الحديث (٥٢٠).

١٤- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ٢٩٣/١ .

١٥- أبو داود، السنن ٦٤٤/١، كتاب الصلاة، باب الجمعة للمملوك والمرأة، باب رقم ٢٠٨-٢٠٩، رقم الحديث (١٠٦٧)، دار الحنون، ط٢، ١٩٩٢م.

١٦- النووي المجموع، ٣٤٩/٤ – ٣٥٢، أبو بكر الحسيني، كفاية الأخيار،١٤٢، ابن قدامة، المغني، ٨٢/٢ .

١٧- العبدري: محمد بن يوسف العبدري (ت ٨٩٧)، التاج والإكليل، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨، الطبعة الثانية، الجزء ٢، ص١٨٥ .

١٨- أبو بكر الدمياطي: إعانة الطالبين، دار الفكر، بيروت.

١٩- ابن قدامة: المغني: ٣/٢ .

٢٠- السعدي: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السعدي ت (٤٦١)، فتاوى السعدي، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م، الثانية، تحقيق د. صلاح الدين الناهي، ٩٤/١ .

٢١- النووي، المجموع، ٣٤٩/٤ – ٣٥٢، ابن قدامة، المغني، ٨٢/٢،ابن مفلح، المبدع، ٩٥/٢ .

٢٢- سورة آل عمران آية ١٩١ .

٢٣- سورة البقرة آية ٢٨٦ .

٢٤- البخاري: الصحيح، ٢٠٩، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يصلّ قاعداً صلى على جنب (ط ٢٠٠١، ١ دار الكتب العلمية).

٢٥- جحش: الخدش وجحش شقه انخدش جلده، ابن منظور: لسان العرب: ٢٧٠/٦ .

٢٦- البخاري: الصحيح، كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به رقم الحديث (٦٤٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٧- الكشناوي: أبو بكر، أسهل المدارك، ط٢، ٢٣٠/١، ويشار إليه فيما بعد بالكشناوي: أسهل المدارك

٢٨- ابن رشد: ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٩٧٨ .

٢٩- الرملي: شمس الدين محمد بن أحمد، نهاية المحتاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤٤٩/١ .

٣٠- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٧٨/١، (دار المعرفة - بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٠م) المرداوي، علاء الدين المرداوي، الإنصاف، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠ م، بيروت، ٣٥/٢ .

٣١- النووي: المجموع، ٩٢/٣ .

٣٢- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٠٦/١، النووي، المجموع، ٣٠٩/٤، المرداوي، الإنصاف، ٣٠٦/٢ .

٣٣- ابن عابدين: حاشية، ٩٧/٢، ابن قدامة، المغني، ١٤٢/٢، مغني المحتاج، ١٥٤/١، (دار إحياء التراث، بيروت).

٣٤- الدردير: أبو البركات أحمد بن محمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، ٣٦٠/١ .

٣٥- النووي: المجموع، ٣١٣/٣ .

٣٦- ابن عابدين: الحاشية، ٩٧/٢ .

٣٧- المرداوي: الأنصاف، ٣٠٥/٢ .

٣٨- محمد عليش، شرح منح الجليل على مختصر خليل وبهامشه حاشية منح الجليل، دار صادر، ٦٥١/١ .

٣٩- ابن عابدين: الحاشية، ٩٦/٢ .

٤٠- الشربيني: مغني المحتاج، ١٥٣/١ .

٤١- مالك: مالك بن أنس، المدونة ومعها مقدمات ابن رشد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ٧٧/١ .

٤٢- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، ١٩٨٦، ط٢، ٢١٦/١ .

٤٣- السرخسي: المبسوط، ٢١٣/١، الكاساني، البدائع، ١٠٦/١، محمد عليش، شرح منح الجليل، ١٦٦/١، الشربيني، مغني المحتاج، ١٥٤/١، ابن قدامة، المغني، ١٤٤/٢ .

٤٤- سورة البقرة آية ٢٣٨ .

٤٥- البخاري: الصحيح، ٢٠٩، كتاب تقصير الصلاة، رقم الباب ١٩ (طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م).

٤٦- ابن قدامة: المغني، ١٤٤/٢ .

٤٧- السرخسي: المبسوط، ٢١٣/١ ٠

٤٨- الكاساني: البدائع، ١٠٦/١ ٠

٤٩- ابن عابدين: الحاشية، ٩٩/٢، مالك، المدونة، ٧٩/١، النووي، المجموع، ٣١٣/٤، المرداوي، الإنصاف، ٣١/٢، نهاية المحتاج، ٤٤٦/١ ٠

٥٠- ابن عابدين: الحاشية، ٩٩/٢، مالك، المدونة، ٧٩/١، النووي، المجموع، ٣١٣/٤، المرداوي، الإنصاف، ٣١٠/٢، الرملي، نهاية المحتاج، ٤٤٦/١، السرخسي، المبسوط، ٢١٥/١ ٠

٥١- النووي: المجموع، ٣١٤/٤ ٠

٥٢-٥٣- مالك: المدونة الكبرى، ٧٩/١ ٠

٥٤- الرملي: نهاية المحتاج، ٤٧٧/١ ٠

٥٥- ابن عابدين: حاشية، ٩٦/٢، النووي، المجموع، ٣١٢/٤ .

٥٦- المرداوي: الإنصاف، ٢/ ٣٠٩، ابن قدامة، الكافي، ٢٠٥/١ .

٥٧- ابن جزئ: القوانين الفقهية، ص ٤٣، ابن قدامة، المغني، ١٤٦/٢ .

٥٨- السرخسي: المبسوط ج٢١٣/١، ابن عابدين، الحاشية ٢ /٩٩ .

٥٩- البخاري: الصحيح، ٢٠٩، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يصلّ قاعداً صلى على جنب، رقم الباب ١٩ (دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م).

٦٠- السرخسي: المبسوط ، ٢١٨/١ ابن قدامة، المغني، ١٤٩/٢، المرداوي، الإنصاف، ٣٠٩/٢ .

٦١- مالك: المدونة الكبرى، ٧٧/١ .

٦٢- الكاساني: البدائع، ١٠٨/١، السرخسي، المبسوط، ٢١٨/١ .

٦٣- السرخسي: المبسوط، ٢١٨/١ ، النووي، المجموع، ٣١٢/٤ .

٦٤- مالك: المدونة، ٧٨/١ .

٦٥- النووي: المجموع، ٣١٨/٤ .

٦٦- المرداوي: الإنصاف، ٣٠٨/٢ .

٦٧- مالك: المدونة، ٧٨/١ .

٦٨- محمد عليش: شرح منح الجليل، ١٦٨/١، الكشناوي، أسهل المدارك، ٢٣٢/١، النووي، المجموع، ٣١٧/٤، ابن قدامة، المغني، ١٤٩/٢-١٥٠ .

٦٩- السرخسي: المبسوط، ٢١٦/١ .

٧٠- النووي: المجموع، ٢١٦/١ .

٧١- المرداوي: الإنصاف، ٣٠٩/٢ .

٧٢- السرخسي: المبسوط، ٢١٦/١ .

٧٣- سورة البقرة آية ٢٨٦ .

٧٤- الكاساني: البدائع، ١٠٧/١ .

٧٥- الكاساني: بدائع الصنائع، ٩٤/٢، ابن عابدين، الحاشية، ٤٢٣/٢ .

٧٦- الكشناوي: أسهل المدارك، ٤١٩/١ .

٧٧- النووي: المجموع، ٢٥٨/٢ (دار الفكر).

٧٨- ابن قدامة: ٣٩٦/٤ - ٤٠٣-٤٠٤ .

٧٩- محمد عقلة، أحكام الصيام والاعتكاف، مكتبة الرسالة، عمان، طبعة ثانية، ص٢١ .

٨٠- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٩٥/٢-١٩٦، (دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٠م)، الحطاب، مواهب الجليل، ٤٤٨/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، النووي، المجموع، ٢٦/٧، ٨٥، المغني، ابن قدامة، ٩٥/٣ .

٨١- سورة آل عمران آية ٩٧ ٠

٨٢- الدارمي: أبو محمد بن عبدالرحمن الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق عبدالله هاشم، موسوعة السنة والكتب الستة وشروحها، ط٢، ١٩٩٢ م، دار سحنون، ٣٦٠/١ .

٨٣- الترمذي: السنن، ٦/٢، كتاب الحج، رقم الحديث (٨٥٠).

٨٤- البخاري: الصحيح، ٣٣٧، كتاب جزاء الصيد، باب الحج لمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة (دار الكتب العلمية) ط١، ٢٠٠١م.

٨٥-٨٧- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٩٥/٢ - ١٩٦، (دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٠م).

٨٨- الحطاب: مواهب الجليل، ٤٤٨/٣، (دار الكتب العلمية).

٨٩- النووي: المجموع، ٨٥/٧ .

٩٠- الكاساني: بدائع الصنائع، ٢١٩/٢ .

٩١- ابن قدامة: المغني، ٩٩/٣ .

٩٢-٩٤- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٩٥/٢-١٩٦ .

٩٥- سورة الحج آية ٧٨ ٠

٩٦- الكاساني: بدائع الصنائع، ١٩٥/٢-١٩٦ .

٩٧-٩٨- النووي: المجموع، ٨٥/٧ .

٩٩- الترمذي: سنن الترمذي، ٦/٢ .

١

مدونة سعيد بن جبير في التفسير
دراسة نقدية حديثية

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

لقد كان دافعي للكتابة عن مدونة التفسير المنسوبة لابن جبير، هو إثارة الانتباه إلى التفسير الثاني للقرآن الكريم الذي ربما يكون ظهر للوجود بين العقدين السابع والثامن من المائة الأولى للهجرة، وقد حفزني لهذا الموضوع ما اطلعت عليه من كتابات تتصل بابن جبير وتفسيره، بعضها- للأسف- رسائل أكاديمية تمنح بها درجات علمية في التفسير والدراسات القرآنية ينفق أصحابها أعمارهم ويبلون الأوراق لجمع ما عدوه تفسير ابن جبير اعتمادا على ما تضمنه " جامع البيان " لابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)[١].

ولا يعلم أصحاب هذه الكتابات أن تفسير هذا التابعي الجليل من أهم التفاسير في عصر التدوين، ولا يقل اهمية عن تفسير مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقد خلف سعيد بن جبير تفسيراً للقرآن الكريم وردت إشارات متفرقة إليه في تراجم رواته ضمن كتب الجرح والتعديل وكتب تاريخ الرواة.

وزاد من جهل الدارسين بهذه المدونة تأخر نشر كتاب "تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول والصحابة والتابعين" لحافظ الري وابن حافظها عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، فقد كان هذا المصدر بين مختلف أمهات التفاسير

المعروفة هو الوحيد الذي احتفظ لنا بمرويات هذه المدونة، ولم يكتب له أن يطبع ويتداوله الباحثون والقراء إلا في السنوات الأخيرة[٢].

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

تكلمت في المبحث الأول عن تطور علم التفسير من مرحلة الكتابة -في طور النشأة- إلى مرحلة التدوين.

وعرضت في المبحث الثاني لمدونة سعيد ابن جبير وطرق روايتها حتى وصلت إلى حافظ الري وابن حافظها عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ).

وخصصت المبحث الثالث لتقويم هذه المدونة وأحوال رجال إسنادها.

❖ المبحث الأول:

التفسير من مرحلة الكتابة إلى مرحلة التدوين

إن دراسة تاريخ نشأة العلوم الاسلامية وتطورها تظهر للباحث -بما لا يدع مجالا للشك- أن هذه العلوم من تفسير وحديث وفقه وما إلى ذلك قد تدرجت خلال فترة النشأة في مراحل ثلاث: مرحلة الكتابة ثم التدوين ثم التصنيف؛ وإذا كانت المرحلة الأولى قد استغرقت نصف القرن الأول الهجري، فإن مرحلة التدوين قد امتدت طوال النصف الثاني من القرن الأول وجل القرن الثاني لتبتدئ بعد ذلك مرحلة التصنيف أي التأليف الجامع.

● المطلب الأول:

التفسير في طور الكتابة

وتعني الكتابة مجرد التقييد والتسجيل، فقد اتخذ بعض كبار الصحابة وصغارهم- رضي الله عنهم- خلال هذه الفترة المبكرة صحفا كتبوا وسجلوا فيها بعض مرويات التفسير مما سمعوه منه ﷺ.

فكانت مرحلة الكتابة أول مرحلة في عملية نقل التفسير، وقد انطبعت بمميزات خاصة، سواء تعلق الأمر بأدوات الكتابة أو بالمرويات التي شملها التقييد أو بالأفراد الذين اهتموا بنقل التفسير في الكتب والصحف.

ففيما يتعلق بأدوات الكتابة ووسائلها، فقد وجدنا الصدر الأول يصطلحون بـ "الكتاب" على تقييداتهم، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم: "قيدوا العلم بالكتاب"[٣].

كما تردد عند الصدر الأول مصطلح

"الصحيفة"، ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من زعم أن عندنا شيئا نقرأه، ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة.."[٤].

كما تردد عند الصدر الأول أيضا مصطلح "الألواح" وكان ابن عباس يسأل أبا رافع عن أحداث عصر النبوة.." ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها"[٥].

كما كانوا يصطلحون على الصحف بـ "المجال"، فقد روي عن أنس بن مالك أنه كان يخرج "مجال" من كتب، ويقول: "هذه كتب سمعتها من رسول الله ﷺ وقرأناها عليه"[٦]؛ وفي رواية "جاء بسكاك فألقاها إليهم.."[٧].

وأشهر الصحابة الذين بلغنا أنهم كتبوا التفسير:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت٤٠هـ)

فعن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة..»[٨].

وفي السنن الصغرى للنسائي، قال علي رضي الله عنه: «.. لا إلا ما كان في كتابي هذا، فأخرج كتابا من قراب سيفه..»[٩].

قال ابن حجر في فتح الباري: "قوله: إلا كتاب الله" هو بالرفع، وقال ابن المنير: فيه دليل على أنه كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله، وهي المراد بقوله: «أو فهم أعطيه رجل» لأنه ذكره بالرفع.."[١٠].

٢- أبي بن كعب رضي الله عنه (ت٢١ هـ) فقد ذهب بعض المؤرخين ممن كتبوا عنه إلى القول بأنه له "نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه"[١١]، ونسبت هذه الصحيفة إلى أبي العالية رفيع بن مهران (ت٩٠هـ) الذي رواها عنه، ففي ترجمة أبي العالية ضمن "طبقات المفسرين" قال الداودي: ".. وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس"[١٢].

٣- ومن الصحابة الذين كتبوا التفسير عبد الله بن العباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ): وقد اعتبره محمد فؤاد سزكين أول من كتب التفسير هذا فضلا عن "أماليه" التي دونها تلاميذه، قال سزكين: "والمؤكد أن التفسير الذي رواه علي بن أبي طلحة الهاشمي (ت١٢٠هـ) منسوبا إلى ابن عباس هو من تدوين ابن عباس نفسه"[١٣].

وفي ترجمة كريب بن أبي مسلم مولى ابن عباس (ت٩٧هـ) عند ابن سعد في الطبقات ما يرجح ما ذهب إليه د. سزكين.

أخرج محمد بن سعد عن موسى بن عقبة (ت١٤١هـ) قال: "وضع عندنا كريب حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس. قال: فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إلي: ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا، قال: فينسخها فيبعث إليه بإحداهما"(١٤).

لكن صحف الصحابة وتسجيلاتهم ما كانت تتبع تفسير القرآن سورة سورة وآية آية، بل تقتصر على بعض القرآن، لقرب عهدهم من عصر النبوة ثم معرفتهم باللسان عامة، فقد كان تقييدهم يتوقف عند شرح غريب المفردات والاستشهاد لذلك(١٥).

● **المطلب الثاني:**

التفسير في طور التدوين

ويعني التدوين جمع التفسير مرتبا منظما مع الحرص على أن يكون الجمع شاملا لأغلب سور القرآن وظهر مع المدونات الأولى في التفسير:

- اتخاذ المسودات لجمع المرويات.
- ظاهرة استنساخ الكتب والصحف.
- كتابة الأمالي.

وقد امتد طور التدوين منذ عصر صغار الصحابة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري حتى آخر القرن الثاني، حيث ألفت خلال هذه الفترة الكثير من المدونات، بعضها لا زال محفوظا إلى اليوم. وبعضها تم استيعابه من قبل المصنفين الأوائل كابن جرير وابن أبي حاتم، وقليل من هذه المدونات لا نملك اليوم إلا بعض أخبارها نقلتها كتب تاريخ الرواة..

فأما اتخاذ المسوّدات فقد كان الدافع إلى ذلك الرغبة في تنقيح التحرير أو عدم وجود مواد الكتابة، وقد يكون الدافع أيضا أحوال الكتابة والتدوين كالكتابة في الليل أو في أثناء السفر، وكان المدونون الأوائل من مفسري طبقة كبار التابعين يحرصون على إجادة تحرير مدوناتهم لذلك لجأوا إلى المسوّدات.

أخرج الخطيب عن ابن جبير قال: "كان ابن عباس يملي علي في الصحيفة حتى أملأها، وأكتب في نعلي حتى أملأها"(١٦).

عنه أيضا قال: "كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي حتى أصبح و أنسخه"(١٧).

وأما الاستنساخ، فقد كان علماء التابعين يسمحون به لمن وثقوا في نقله وضبطه، أخرج الخطيب عن عبيد بن مهران المكتب قال: "رأيتهم يكتبون التفسير عند مجاهد"[١٨].

وعن أبي يحيى الكناسي قال: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته، فيخرج إليَّ كتبه، فأنسخ منها"[١٩].

أما الأمالي فقد أكثر منها التابعون.،، أخرج الطبري عن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس: أكتب.."[٢٠].

وأخرج الدارمي عن سليمان بن موسى: "أنه رأى نافعا مولى ابن عمر يملي علمه ويكتب بين يديه"[٢١].

وفي "جامع بيان العلم" قال ابن وهب: وأخبرني السدي عن يحيى عن الحسن أنه كان لا يرى بكتاب العلم بأسا، وقد كان أملى التفسير فكتب"[٢٢].

وأهم التفاسير في عصر التدوين:

- تفسير سعيد بن جبير الأسدي (ت٩٤هـ)؛ وهو موضوع الدراسة.
- تفسير مجاهد بن جبر المخزومي المكي (ت١٠٤هـ)[٢٣].
- تفسير الحسن البصري (ت ١٠٠هـ)[٢٤].
- تفسير عطية بن سعد (ت١١١هـ)[٢٥].
- تفسير قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨ هـ)[٢٦].
- تفسير محمد بن كعب القرظي (ت١١٨ هـ)[٢٧].
- تفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت١٢٨هـ)[٢٨].
- تفسير واصل بن عطاء المعتزلي (ت١٣١هـ)[٢٩].
- تفسير عطاء بن أبي مسلم الخرساني (ت ١٣٥هـ)[٣٠].
- تفسير الربيع بن أنس (ت١٣٩هـ)[٣١].
- تفسير علي بن أبي طلحة (ت١٤٣هـ)[٣٢].
- تفسير عبد الملك بن جريج (ت١٤٩هـ)[٣٣].
- تفسير عمرو بن عبيد المعتزلي (ت١٤٤هـ)[٣٤].
- تفسر مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)[٣٥].

- تفسير مقاتل بن حيان (ت١٥٠هـ)[٣٦].
- تفسير زيد بن أسلم (ت١٨٢هـ)[٣٧].
- تفسير يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ)[٣٨].

● **المطلب الثالث:**

مدونة سعيد بن جبير في التفسير

سبقت الإشارة إلى أن التدوين هو الجمع الشامل من غير أن يقصد صاحبه الاستيعاب، وكان التدوين في الصدر الأول يصطلح به على جمع ووضع الكتب التي يدون فيها العلم.

ففي "أساس البلاغة": "دون الكتب: جمعها"[٣٩].

وفي "بصائر ذوي التمييز": "والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها"[٤٠].

وفي قول ابن الأعرابي "الكاتب عندهم: العالم، وبه فسر قوله تعالى: **﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾**[٤١]"[٤٢].

١. كما نجد في السنة المشرفة ما يفيد بأن الديوان هو الكتاب، ففي حديث غزوة تبوك عن عبد الله بن كعب بن مالك «.. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ -يريد الديوان- ..»[٤٣].

ومن أوائل المدونات التي جمعت مرويات التفسير في النصف الثاني من القرن الأول الهجري مدونة سعيد بن جبير الأسدي (ت٩٤هـ) وقد وردت أخبارها في بعض كتب الجرح والتعديل، أما مروياتها فقد نقلها ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) ضمن تفسيره "تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين"، وعن هذا المصدر أخذها الذين جاءوا بعد ابن أبي حاتم من المفسرين خصوصا الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في "تفسير القرآن العظيم"، والحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) في "الدر المنثور".

وامتاز تفسير ابن أبي حاتم الرازي بأنه جمع بين دفتيه تفسير الكتاب بالسنة وآثار الصحابة والتابعين بالإسناد، وحفظ لنا هذا التفسير كثيرا من التفاسير المفقودة مثل تفسير سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وغيرهما.

وتأتي أهمية مدونة سعيد بن جبير في التفسير -موضوع البحث- من اعتبار ابن جبير رحمه الله أعلم التابعين بالتفسير، يقول الإمام السيوطي: (كان قتادة يرى أن سعيد بن جبير أعلم التابعين

بالتفسير)[٤٤].

وتتمثل أقدميته في كونه أول تفسير كتب للقرآن الكريم، فابن عباس لم يكتب تفسير القرآن. وتؤكد المصادر أن سعيد بن جبير أول من كتب التفسير، يقول ابن سعد: قال عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الواحد عن وقاء بن إياس قال: رأيت عزرة يختلف إلى سعيد بن جبير معه التفسير في كتاب ومعه الدواة يغير"[٤٥]. ويذكر ابن النديم أن لسعيد بن جبير كتابا في التفسير[٤٦].

ويذهب إلى تأييد هذا القول بعض الباحثين المحدثين. ففؤاد سزكين يقول: لقد كتب معاصرو ابن جبير أنه كان دائما يراجع تفسيره[٤٧].

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن عبد الملك بن جريج (ت ١٤٩هـ) هو أول من ألف في التفسير[٤٨]. ويرى غيره أن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ). أول من فسر القرآن تفسيرا كاملا[٤٩]. فإذا كانت المصادر تشير إلى أن ابن جبير دون التفسير. وتاريخ وفاته سنة (٩٤هـ). فهو أحق باحتلال مركز الصدارة في تاريخ تدوين التفسير للقرآن الكريم.

❖ المبحث الثاني:

مدونة ابن جبير في التفسير: رواياتها ورواتها بمصر:

ساهمت عدة عوامل في استمرار الجهل بهذه المدونة بين أكثر الدارسين المعاصرين، ولعل أهم هذه العوامل:

- تفرق أخبار هذه المدونة في بطون كتب التراجم.

- تأخر جمع وتحقيق ونشر تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

وما يُعرف عن مدونة سعيد بن جبير في التفسير أنها ظلت بعد تقديمها لعبد الملك بن مروان حبيسة خزانته الخاصة حتى ظفر بها عطاء بن دينار الهذلي (ت١٢٦ هـ)، فنقلها من الشام إلى مصر وهناك رواها وسمعها منه أهل الفسطاط[٥٠].

● المطلب الأول:

انتقال تفسير ابن جبير إلى مصر:

لم يعرف لعطاء بن دينار سماع من ابن جبير، لذلك أثبت مترجموه في كتب الرجال أنه إنما روى تفسير سعيد "وجادة"، فبعدما أخذ المدونة إلى مصر،

سكن الحمراء من أحياء مدينة الفسطاط حاضرة مصر إذ ذاك، وهناك تناقل مروياتها عنه علماء مصر حتى عصر ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، الذي أدخلها في تفسيره.

وبالرجوع إلى مختلف أمهات التفاسير نجد أن تفسير ابن جبير الذي رواه عطاء ظل يتناقله المصريون حتى القرن الثالث الهجري.

فالأسانيد التي روى بها ابن أبى حاتم هذا التفسير كلها تنتهي إلى أحد أعلام الرواة من أهل مصر.

والروايات القليلة التي تضمنها "جامع البيان" للطبري (ت ٣١٠ هـ)، كلها أيضا تنتهي إلى المصريين.

ومع شهرة هذا التفسير بين علماء مصر فإنه لم يكتب له البقاء كما أراده ابن جبير، إذ لا نكاد نجد أخباره إلا بعد القرن الثالث الهجري حين سمعه أبو زرعة الرازي (ت ٢٠٤هـ)، في رحلته إلى مصر والحجاز ما بين سنة سبع وعشرين ومائتين وسنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة[٥١].

وعن أبي زرعة وابن خالته أبي حاتم أخذه عبد الرحمن بن أبي حاتم فضمّنه تفسيره الذي يعدّ حتى اليوم -فيما أعلم- الأثر الوحيد الذي احتفظ لنا بمرويات مدونة سعيد بن جبير الأسدي في التفسير.

● المطلب الثاني:

رواة تفسير ابن جبير في الفسطاط:

بالرجوع إلى "تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين" لابن أبي حاتم الذي ابتدئ في طبعه عام ١٤٠٨ هـ، نجد بأن تفسير ابن جبير بعد أن وفد به عطاء بن دينار إلى مصر رواه عنه أهلها، وأشهر من روى هذا التفسير من المصريين عبد الله بن لهيعة ثم حيوة بن شريح وعن هذين اشتهر هذا التفسير كما يدل على ذلك الرسم البياني بعده.

● المطلب الثالث:

تراجم رواة تفسير ابن جبير[٥٢]:

راوي التفسير عن سعيد وجادة هو أبو الريان عطاء بن دينار الهذلي المصري[٥٣].

قال الذهبي: عطاء بن دينار بصري[٥٤].

و "الوجادة" هي أدنى مراتب التحمل

عند المحدثين[٥٥]، وقد رفض بعض الأئمة اعتبارها[٥٦].

وعن عطاء رواه حيوة بن شريح التجيبي المصري[٥٧]، وعبد الله بن لهيعة بن عقبة المصري من الطبقة الخامسة عند ابن سعد[٥٨].

وقد اشتهرت رواية التفسير عن حيوة ابن شريح من طريق عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، أحد الأعلام[٥٩]، وعن ابن المبارك أخذ التفسير يحيى بن آدم ابن سليمان أبو زكريا[٦٠] وعنه عبد الرحمن ابن أبي حاتم.

*** أما رواية ابن لهيعة فقد أخرجها ابن أبى حاتم من أربعة طرق:**

١- طريق يحيى بن عبد الله بن بكير المصري صاحب مالك بن أنس والليث بن سعد[٦١]، وعنه أخذ التفسير الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة الرازي القرشي[٦٢] وعنه عبد الرحمن بن أبى حاتم.

٢- طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم محمد المصري[٦٣]، وعنه أخذ التفسير الحسن بن علي بن محمد أبو علي الخلال الحلواني نزيل مكة[٦٤]، وعنه ابن أبي حاتم.

٣- طريق أبي هارون البكاء وعنه اخذ التفسير محمد بن إدريس المنذر أبو حاتم الرازي الحنظلي[٦٥]، وعنه ابنه عبد الرحمن.

٤- طريق عبد الله بن المبارك وعنه اخذ التفسير هشام بن عبد الله الرازي[٦٦]، الذي سمعه منه محمد بن ادريس ابو حاتم الرازي وعنه ابنه عبد الرحمن.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) انظر: تفسير سعيد بن جبير، ابراهيم النجار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ١٩٧٦م، وانظر مرويات سعيد بن جبير في التفسير: من أول سورة يونس إلى آخر القرآن الكريم، تحقيق ودراسة محمد ايوب محمد يوسف، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية ١٤٠٨هـ.

(٢) والطبعات المنشورة من الكتاب هي: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أحمد الزهراني، الطبعة الاولى، الرياض، ١٤٠٨هـ.

(٣) الخطيب البغدادي، تقييد العلم ص٨٨، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، دار إحياء السنة بتحقيق د.

العش؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج١) ص٧٢، دار الكتب العلمية بيروت مصورة عن الطبعة المنيرية.

(٤) تقييد العلم ص٨٨؛ وفي ترجمة مجاهد بن جبر عند ابن سعد أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كانت له صحيفة قيل بأن مجاهد يأخذ منها التفسير، الطبقات الكبرى (ج٥) ص٣١٩ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٥) تقييد العلم، ص٢٩.

(٦) "المجال" جمع مجلة وهي الصحيفة، تقييد العلم ص٩٥.

(٧) "صكاك" و "صكوك" جمع صك وهو الكتاب، ويصطلح به على ما يكتب للعهدة، الزبيدي تاج العروس مادة صك، وانظر الحديث في تقييد العلم ص٩٦، ومن المصطلحات التي استعملت للدلالة على وسائل الكتابة بعد عصر الصحابة "الكراريس" و "السبورة" و "القرطاس".. وقد استعملت هذه الوسائل من قبل التابعين، انظر سنن الدارمي، المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث، الحديث رقم٤٧٠؛ وباب رخص في كتابة العلم حديث رقم ٤٩٨، ٥١٦ .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب العلم باب كتابة العلم.

(٩) أخرجه النسائي في السنن، كتاب القسامة باب القود بين الأحرار والمماليك.

(١٠) انظر كلام ابن المنير وتعقيب ابن حجر عليه في فتح الباري (ج١) ص٢٠٤-٢٠٥. نشر دار الفكر بيروت مصورة عن الطبعة السلفية.

(١١) حاجي خليفة، كشف الظنون (ج١) ص عمود ٤٢٩ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ، والذهبي، التفسير والمفسرون (ج٢) ص٩٣و١١٥، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ دار الكتب الحديثة، القاهرة..

(١٢) طبقات المفسرين (ج١) ص١٧٩، دار الكتب العلمية بيروت.

- وانظر في الموضوع: هرماس، مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول الهجري، ضمن دورية "الدارة" الرياض العدد ٢٣ص١٤ وما بعدها.

(١٣) سزكين، تاريخ التراث العربي (ج١) ص٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتابة القاهرة.

(١٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٥) ص١٤٤.

(١٥) سزكين، تاريخ التراث (ج١) ص٤١ .

(١٦) تقييد العلم ص١٠٢؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم (ج١) ص٧٢؛ الدارمي، السنن (ج١) ص١٣٥ .

(١٧) تقييد العلم ص١٠٢ .

(١٨) المصدر السابق، ص١٠٥ .

(١٩) المصدر السابق، ص١٠٥ .

(٢٠) الطبري، جامع البيان (ج١) ص٩٠،طبعة دار المعارف القاهرة تحقيق محمود وأحمد شاكر ١٣٧٤ هـ.

(٢١) الدارمي، السنن، مقدمة، باب من رخص في كتابه العلم حديث رقم ٥١٣.

(٢٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم (ج١) ص٧٤.

(٢٣) حقق تفسير مجاهد مرتين الأولى بتحقيق عبد الرحمن السورتي ونشرته مديرية الشؤون الدينية بقطر عام ١٣٩٤هـ، وحقق ثانية من قبل د. عبد السلام أبو النيل وطبع من طرف لجنة التراث بدولة الإمارات.

(٢٤) قام د. محمد عبد الرحيم بجمع مرويات التفسير في مختلف كتب العلم ونشرته دار الحديث بالقاهرة في مجلدين.

(٢٥) محمد فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (ج١) ص٥٠ .

(٢٦) الداودي، طبقات المفسرين (ج٢) ص٤٧.

(٢٧) سزكين، تاريخ طبقات المفسرين (ج١) ص١١٠.

(٢٨) الداودي، طبقات المفسرين (ج١) ص١١٠.

(٢٩) الداودي، طبقات المفسرين (ج٢) ص٣٥٧.

(٣٠) الداودي، طبقات المفسرين(ج١) ص٣٨٥.

(٣١) سزكين، تاريخ التراث (ج١) ص٣٨٥

(٣٢) انظر ما كتبه عن هذا التفسير د. محمد كامل حسين ضمن معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد

عبد الباقي ص١٤-٢٧ طبعة دار الحديث القاهرة.

(٣٣) جمعه من كتب التفسير المتأخرة علي حسن عبد الغني، وطبعته مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة عام ١٤٠٣هـ.

(٣٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣) ص ٤٦٢ طبعة دار الثقافة بيروت.

(٣٥) حقق هذا التفسير د. عبد الله محمود شحاتة ونشره عام ١٩٦٩م بالقاهرة في جزئين.

(٣٦) سزكين، تاريخ التراث (ج١) ص٦٠ .

(٣٧) الداودي، طبقات المفسرين (ج١) ص١٨٢.

(٣٨) حقق هذا التفسير من قبل د. هند شلبي ونشر بتونس، وأعيد تحقيقه في رسالة بدار الحديث الحسنية بالرباط ولم تنشر فيما أعلم.

(٣٩) الزمخشري، أساس البلاغة مادة دون، (ج١) ص٢٨٩، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٤٠) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز (ج٤) ص٣٣٢، دار الكتب العلمية بيروت.

(٤١) سورة القلم، الآية ٤٧.

(٤٢) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز (ج٤) ص٣٣٠.

(٤٣) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي باب حديث كعب، حديث رقم ٤٤١٨.

- وانظر شرح الحديث عند ابن حجر في فتح الباري (ج٨) ص١١٧-١١٨، دار الفكر مصورة عن الطبعة السلفية.

(٤٤) الإتقان في علوم القرآن ٤/٢٤١.

(٤٥) الطبقات الكبرى ٦/٢٦٦.

(٤٦) الفهرست ص٥٠.

(٤٧) تاريخ التراث العربي ١/١٨٥.

(٤٨) إبراهيم النجار، تفسير سعيد بن جبير، ص٤٣ جامعة القاهرة ١٩٧٦م.

(٤٩) ابن نجيم الأشباه والنظائر ص٦٦.

(٥٠) انظر: هوماس، لمحات عن المدونات الأولى في التفسير.. مجلة الشريعة جامعة الكويت، العدد ٢٧ ص ٧١-٧٢.

(٥١) انظر الكلام عن هذه المرحلة في: ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل ج ١ ص ٣٤٠، طبعة مصورة عن الهندية.

(٥٢) كنت قد اشتغلت في هذا الموضوع مع الطالب محمد سعيد في بحث مشروع التخرج خلال الموسم الجامعي(٩٨-٩٩)في جامعة آل البيت في الأردن.

(٥٣) ابن حجر، لسان الميزان ج٧ ص٣٠٥، الطبعة الثانية مؤسسة الأعلمي بيروت ١٣٩٠هـ.

(٥٤) الذهبي، ميزان الاعتدال ج ٣ ص٦٩ ترجمة ٤٦٣٨.

(٥٥) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص١٥٧، المكتبة العلمية بيروت ١٤٠١بتحقيق د. نور الدين عتر.

(٥٦) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ، باب القول في الرواية عن الوصية بالكتب ص ٣٥٣،المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

(٥٧) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ٣ ص٣٠٦، ابن حبان مشاهير علماء الأمصار ص١٨٧، ابن سعد الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٥.

(٥٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٥١٦، ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل ج٦ ص٣٣٢، الذهبي، ميزان الاعتدال ج٣ ص٦٩-٧٠ .

(٥٩) البخاري، التاريخ الصغير ج٢ ص٢٠٥، الرازي، الجرح والتعديل ج٣ ص ٣٠٦ .

(٦٠) ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل، ج٩ ص ١٢٩ .

(٦١) ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل، ج٢ ص٣١٧.

(٦٢) ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج٩، ص ٣٣١.

(٦٣) المزي، تهذيب الكمال ج٧ ص١٦٨.

(٦٤) ابن حجر، تقريب التهذيب ج١، ص١٦٨ .

(٦٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج١ ص٣٤٩-٣٦٧ .

(٦٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٩ ص٦٧ .

قطوف دانية

اعداد الطالبة خيرية محمد

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينتـه عليـه وأيده بجنود لم تـروها وجـعل كلمـة الذين كـفـروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾.

التوبة: ٤٠

اعظم النتائج بأقل الخسائر

من الهجرة المباركة الى موت رسول الله ﷺ إحدى عشرة سنة، حقق خلالها وحدة العرب ونهضتهم، وسؤال يرد.. كم عدد القتلى حتى تحققت الوحدة؟؟

(٤٤٠) رجلاً من العرب مسلمين ومشركين، عشرات منهم قتلوا غدراً أو خطأً، و (٦٠٠) من اليهود قتلوا بعد الخندق بحكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه لغدرهم ونكثهم مواثيقهم وخيانتهم في ساعة غزوة الأحزاب الحرجة.. أعظم النتائج بأقل الخسائر.. فما قول أدعياء الحضارة اليوم؟!!

ما لهذا المتخشع؟!

نظرت السيدة عائشة رضي الله عنها الى رجل كاد يموت تخافتاً، فقالت: ما لهذا؟! قيل: انه من القراء، فقالت: كان عمر سيد القراء، وكان اذا مشى أسرع، واذا سمع قال، واذا ضرب أوجع.

من علامات الايمان

- قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال: الحب في الله والبغض في الله».

أبو داود ٤٥٩٩

- سُئل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان فقال: «ان تحب لله، وتبغض لله، وتُعمل لسانك في ذكر الله».

أحمد ٢١٦٢٥

- قال رسول الله ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ووضع لله، فقد استكمل الايمان».

ابو داود ٤٦٨١

الشعور بالآخرين

قيل لسيدنا يوسف عليه السلام: مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟! فقال عليه السلام: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع».

ورفع الى أبي شروان ان عامل الأهواز، جبى من المال ما يزيد على الواجب، فأمره برد المال على الضعفاء وكتب له: ان الملك اذا كثّر ماله بما يأخذ من رعيته، كان كمن يعمّر سطح بيته بما يقتلع من قواعد بنائه.

مراتب العطاء

- السخاء: وهو إعطاء الأقل وإمساك الأكثر.
- الجود: وهو إعطاء الأكثر وإمساك الأقل.
- الإيثار: وهو إعطاء الكل بلا إمساك، وهو أشرف المراتب في الكرم.

ما مفهوم مقولة:
«كلنا نخطئ»؟

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

تناقشت مع أحد الفضلاء، وهو استاذ فقه في جامعة في الأردن، فقلت: ان الإمام مالكاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عن ابن اسحق، عندما سُئل عنه: «دجّال من الدجاجلة»(١)، قال: وابن اسحاق يقول عن مالك: «إئتوني ببعض كتبه، حتى أبين عيوبه، انا بيطار كتبه»(٢)، ثم قال استاذ الفقه: «وكلنا نخطئ»!!.

ولي على هذا الكلام تعليقان: **الأول:** ان القول: بأننا كلنا نخطئ، هو حق، ولكنه «حق» يراد به باطل -احياناً- كما قال الامام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج، عندما قالوا: «لاحكم الا لله» فقال الإمام: «كلمة حق يراد بها باطل» ولا يراد به باطل أحياناً أخرى، ولكن، ينتهي الى باطل، كقولة استاذ الفقه الفاضل.

لماذا؟ لأن الاستدراك على هذه الحقيقة هو أكبر منها بكثير، فمع أننا كلنا نخطئ، غير اننا نتفاوت في نسبة الخطأ تفاوتاً هائلاً، فالإمام مالك مثلاً، لا يخطئ اكثر من واحد بالألف، بينما في البشر من يخطئ بنسبة خمسين بالمئة، اما ابن اسحق، فلا يستبعد ان يخطئ عشرين بالمئة، خاصة انه لم يوثق أخبار السيرة العطرة.

ومعنى ذلك، ان نسبة خطأ الامام مالك الى نسبة خطأ القصاص ابن اسحق، انما هي واحد الى مئتين، والحق ان الفقهاء الأربعة الكبار، لم يخلدوا هذا الخلود الا لصدقهم الرفيع.

❖ فرق هائل بين حكم وحكم:

أبعد هذا يسوى بين حكم يطلقه الامام مالك على ابن اسحق، بحكم يطلقه ابن اسحاق على الامام مالك؟ اللهم لا، ولكي تقرأ تأييداً لما نقول: اقرأ قول الذهبي مؤلف «سير اعلام النبلاء» هذا الذي اخذنا ترجمة ابن اسحق منه، لأنها أوفى ترجمة له.

يقول الذهبي: «وهذان الرجلان (يعني مالكاً وابن اسحق) كل منهما قد نال من صاحبه، لكن اثر كلام مالك في محمد (ابن اسحق) بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه (في مالك) ولا ذرة، وارتفع مالك وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، واما في أحاديث الاحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة الى رتبة الحسن، الا فيما شذّ فيه، فإنه يعد منكراً، هذا الذي عني في حاله والله أعلم»(٣).

فنلاحظ قول الذهبي: «فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير»، اي: في الأخبار غير الموثقة، اما في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه» ولذا لم يرو له في كتب الحديث الا حوالي ثلاثين حديثاً على علاتها، اما الامام البخاري فلم يرو له ولا حديثاً واحداً بدءاً، وانما روى له متابعات.

لماذا اثر كلام مالك في ابن اسحق بعض اللين، ولم يؤثر كلامه في مالك ولا ذرة؟ ذلك لأن مالكاً صادق الحديث، فهو رجل لا يُلقي الكلام على عواهنه، ولذلك فهو ثقة صدوق عند الناس، يحفظون اقواله وأحكامه، بنحو مما يحفظون به الحديث النبوي الشريف.

اما ابن اسحق، فهو غير موثوق عند كثير منهم، ولهذا لا يحملون كلامه على محمل الكلام الذي يعتد به، ولذا لم يؤثر كلامه في مالك، ولا ذرة، وعليه، اذا قال احد في صيف الاردن: ان الشمس لا تضيئ لي الطريق فاضطر ان احمل فانوساً، أيحمل الناس كلامه محمل الجد ام انهم يرونه يمزح ام يظنونه قد أصيب بلوثة عقلية؟

ان بعض اخبار ابن اسحق لا يصدقها عقل عبقري، مما دفع خلفه ابن هشام ان يذكر انه اطرح من سيرة ابن اسحق اخباراً (بعضها يشنُع الحديث به)(٤) لا تدقيقاً من ابن هشام هذا، وانما التقط التشنيع عليه من أفواه الناس.

ويخطر ببالي هنا المعركة التي أدارها العقاد ضد شوقي رحمهما الله، فالعقاد شن حملة عنيفة على شوقي، ووصفه بأنه شاعر القشور، لا اللباب، والعقاد كان يكتب الشعر، وترك ما لا يقل عن عشرة الآف بيت شعر في دواوين عشرة، ولكن

عندما انتقل كل من الرجلين الى الدار الاخرة، وانجلى غبار المعركة التي شنها العقاد «ولم يرد عليه فيها شوقي رداً مباشراً، وانما دفعه ذلك الى تحديه بكتابة مجموعة مسرحيات شعرية، ليثبت انه ليس مسجوناً بين جدران القديم الأربعة، وانما هو قادر على التجديد» بان لنقاد الشعر ان شوقياً شاعر عظيم، يطاول شعراء العربية الكبار، في عصور الازدهار، وان العقاد كاتب عظيم كطه حسين، او كأبي حيان التوحيدي، حاشا الجاحظ العملاق، الذي لا يطاوله أحد، لا في القديم ولا في الحديث، رحمهم الله جميعاً، ولكن العقاد ناظم للشعر، وليس بشاعر، اللهم الا في النذر اليسير!.

❖ التنظير يختلف عن التطبيق:

ومن هذا نخرج باستنتاج، وهو ان التنظير شيء والتطبيق شيء آخر، قد يلتقيان بدرجة كبيرة، وقد لا يلتقيان الا لماماً، لأن التنظير فكر محض، اي فكر احادي الجانب.

اما التطبيق فموهبة او قدرة فطرية، تستخدم العقل لإنارة الطريق غالباً، لأن الموهبة والفطرة استجابة وجدانية، والاستجابة الوجدانية اسرع في التعامل مع الاشياء من استجابة العقل.

اما ترى ان المتخصص في السياسة قد يكون فاشلاً في الفعل السياسي؟ وان المتخصص في الادارة قد يكون فاشلاً في الممارسة العملية الادارية؟ وهكذا.. في التربية، ونقد الأدب.. الخ، كل ذلك، عند بعض المتخصصين، وليس عند الجميع.

ولهذا السبب نفسه، فمعظم الساسة ليسوا هم الضلعاء في التنظير السياسي، ومعظم الضلعاء في التنظير السياسي، ليسوا هم الضلعاء في التطبيق السياسي.

❖ التطبيق مركب:

وثمة سبب آخر، وهو ان التنظير الفكري أحادي الجانب، كما سلف القول، اما التطبيق فكر مركب مثلاً، اذا كنت تريد ان تتحقق من خبر تاريخي، أصحيح هو أم مكذوب؟ لزم ان تعرف روح العصر، والفكر السائد فيه، وظروف الرجل الذي كان موضع الخبر، وطراز شخصيته، أهو انفعالي ام من النمط الهادئ من الرجال؟ أهو يحب العدل ام العدل والظلم عنده متقاربان؟ اهو شجاع ام جبان؟ أهو صدوق ام كذوب؟ أهو عالم ام جاهل؟.. الخ،

آلخبر في مستوى هذه الشخصية ام أكبر منها ام اصغر؟ آلخبر يتماشى مع فطرة الانسان وقوانين الاجتماع ام لا يتماشى؟ أيتماشى مع اصول الاسلام أم لا يتماشى؟.. الخ، وكل هذا يحتاج الى عقل

عبقري وفطرة غنية.

أمام هذا ترى انه يسهل على اصحاب العقول العادية ان يقول كل منهم: إنني سأحقق وأدقق ولن اتقبل خبراً الا اذا تماشى مع الآتي: «وكذا كل ما اوردناه سابقاً في تحقيق الخبر التاريخي وزاد عليه»، ولكن عند التطبيق، اذا لم يكن صاحب عقل عبقري مركب فإنه سيقبل اخباراً باطلة، وأقوالاً خرافية، شأنه شأن الأكثرية التي تنظر ثم تسقط عند التطبيق، والله تعالى اعلم.

❖ ونتيجتان اخريان:

الأولى: ان العقاد ومثله نسبة كبيرة من المنظرين، نظر في كلامه عن شوقي تنظيراً جيداً عن الشعر بشكل عام، بيد انه لم يحسن التطبيق من شعر شوقي ولو احسن التطبيق، والعقاد صاحب عقل عبقري، لما اتهم شوقياً بما اتهمه به من بعد عن حقيقة الشعر.

وأن وعيه.. اي العقاد، لحقيقة الشعر، لم يسعفه على ان يقول شعراً رفيعاً بمستوى افكار تنظيره، لأن التنظير في هذا السياق يأتي من العقل بالدرجة الأولى الى التاسعة، وكل دور العاطفة او الوجدان هو حفز العقل لكي يعمل ويفكر، اما الشعر، فهو نتاج الوجدان (العاطفة والمشاعر والأحاسيس) بنسبة تسع درجات من عشر، والدرجة العاشرة هي دور العقل الذي ينير للوجدان الطريق حتى لا يضل الوجدان.

والثانية: ان مقولة: «كلنا نخطئ» كما وضحناها آنفاً، تنطبق على كل جانب من جوانب الحياة، فمثلاً، اذا قلت لمدير ندوة يقول: «يوجه للمحاضرين اسئلة فحسب، ولا مجال للنقاش، وكنت من اصحاب العلم، والمحاضرون بمستوى تلاميذك، ثم همست له بذلك، وانك لا تقبل ان تسأل تلاميذك سؤال استعلام أجابك: «كلنا نتعلم»!، وهذا كلام صحيح على إطلاقه، ولكن هل عبقري كالجاحظ العظيم يتعلم، وابن الثانوية العامة يتعلم؟ أعني اعلم طالب الثانوية كعلم الجاحظ العظيم؟ ان هذه لقسمة ضيزى؟! ومثلها كلنا نفكر، كلنا عائشون، الغني والفقير.. كلنا ابناء آدم وحواء عليهما السلام، اي: كلنا في مستوى واحد، وامكانيات واحدة.. وهكذا.

ونتيجة كل هذا ان الامام العظيم مالكاً وقرناءه، قلما يخطئون في الحكم، اما من كانوا دونهم، فهم يخطئون في الحكم على تفاوت، وإلا فلماذا خلد الامام مالك وقرناؤه في العقول والقلوب والكتب، وفي حياة الناس، ولم يخلد الآلاف من الفقهاء ممن دونه الا في بطون الكتب.. جواب هذا ما حللناه آنفاً، والله تعالى أعلم.

نظام العقوبات في الاسلام
الجريمة السياسية مثلاً

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

شرعت العقوبات لزجر الناس عن الجرائم، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ اي شرع القصاص لكم، وهو قتل القاتل حكمة عظيمة، وهي بقاء المهج وصونها، والجريمة هي الفعل القبيح، والقبيح هو ما قبحه الشرع، وكذلك لا يعتبر الفعل جريمة إلا اذا نص الشرع على انه قبيح، فيعتبر حينئذ جريمة، وذلك بغض النظر عن درجة قبحه، وعن كون الجريمة كبيرة أو صغيرة، فقد جعل الشرع الفعل القبيح ذنباً يعاقب عليه، فالذنب هو الجريمة بعينها.

وفي السياسة يعد الاعتداء على قادة الفكر السياسي بشكل خاص -بالقول والفعل- بسبب آرائهم السياسية جريمة سياسية، وقد يكون الاعتداء على أي شخص سياسياً كان أو انساناً عادياً كالصحفي أو الكاتب أو الطالب، نتيجة فكر معين أو رأي خاص حول الحاكم أو نظام الحكم، فيلقى جزاءه من اي جهة، فإن الاعتداء يكون ذا صبغة سياسية.

❖ تعريف الجريمة السياسية:

أولاً: في الفقه الاسلامي:

عرف الشيخ محمد ابو زهرة الجريمة السياسية، بأنها الجريمة التي يكون فيها اعتداء على نظام الحكم، أو على أشخاص الحكام بوصف كونهم حكاماً، أو على قادة الفكر السياسي لآرائهم السياسية، ويمكن الاستعانة بهذا التعريف بعد التصرف والتهذيب بالقول: ان الجريمة السياسية

هي: «**الجريمة الماسة بنظام الحكم، او بالحكام انفسهم بوصفهم حكاماً، أو بأي شخص آخر، لقول أو فعل كان محله ذلك**» وواضح ان موضوع الجريمة السياسية هو الذي يحدد كونها سياسية، بغض النظر عن الشخص الذي ارتكبها.

ثانياً: في القانون:

يقول علماء القانون الجنائي: ان الجرائم بالنظر الى موضوعها أو طبيعتها تقسم الى جرائم سياسية وجرائم عادية[1]، وفي الواقع فإن الجريمة السياسية لا تختلف عن الجرائم الأخرى - او الجرائم العادية، كما يسميها البعض- في طبيعتها، فكلتاهما تتفق مع الأخرى في أركانها وعناصرها، فالجريمة هي الجريمة، الا أنها في هذا الجانب تختلف في موضوعها كونه سياسياً، وهذا ايضاً لا يؤثر على عقوباتها ان كانت عقوباتها محددة شرعاً، فلا يصح تغييرها أو الزيادة عليها أو العفو عنها أو استبدالها، وبالتالي، فقد تتوزع الجريمة السياسية الى أنواع الجرائم الثلاث بحسب عقوباتها ان كانت حدوداً أو قصاصاً او تعزيراً[2].

الأفعال التي يعاقب عليها الاسلام:

الأفعال التي يعاقب عليها هي: ترك الفرض، وارتكاب الحرام، ومخالفة ما أصدرته الدولة من أوامر ونواه جازمة، وما عدا هذه الثلاثة فلا يعاقب على أي فعل، ذلك أن الأحكام الشرعية المتصلة بأفعال العباد خمسة، هي: الفرض وهو الواجب، والمندوب وهو السنة والنافلة، والمباح والحرام وهو الخطر، والمكروه، والله تعالى إنما يعاقب على مخالفة طلب الفعل طلباً جازماً، وعلى مخالفة طلب الترك طلباً جازماً، أي على مخالفة الأمر الجازم، والنهي الجازم، ولا يعاقب على غير ذلك، كترك السنة، وفعل المكروه، وترك المباح، قال تعالى: **﴿ومن يعص الله فإن له نار جهنم خالداً فيها أبداً﴾**[3].

❖ أنواع العقوبات:

العقوبات في الاسلام أربعة أنواع هي: الحدود، والجنايات، والتعزير، والمخالفات، أما الحدود فلا يملك أحد لا حاكم، ولا معتدى عليه، أن يتنازل عنها، لأنها حق الله، ولا يمكن اسقاطه بأي حال من الأحوال، وأما الجنايات فإنها تطلق على التعدي على البدن، مما يوجب قصاصاً أو مالاً، وتشمل الاعتداء على النفس والاعتداء على أعضاء الجسم، والمراد منها العقوبات التي توضع على هذا التعدي،

وهذه العقوبات فيها حق العبد، وما دامت متعلقة بحق العبد فإنه يجوز لصاحب الحق ان يعفو وان يسقط حقه، قال تعالى: **﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾** بعد قوله: **﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾** ولا يقال: ان في هذه الجنايات حق عامة الرعية وهو الأحق، لأن وجود حق فيها لعامة المسلمين يحتاج الى دليل يدل عليه، ولا دليل على ذلك، ولأن المعمول به في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، أنه كان إذا عفي عن المعتدي من قبل صاحب الحق اسقطت عنه العقوبة لحديث الطبراني.. أن علياً رضي الله عنه أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت، قال: فلعلهم هددوك وفرقوك وقرّعوك؟ قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليّ أخي، وعرضوا لي ورضيت، قال: أنت أعلم، من كان له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا(٤).

❖ الجريمة السياسية في نظر الشريعة:

وينبغي ان أوضح هنا، ان عدم احتفال الشريعة بالجريمة السياسية، ليس معناه عدم اشتمالها على التشريع والأحكام، وإنما معناه أن الشريعة الاسلامية لم تهتم كثيراً بالناحية الشكلية في التشريعات الجنائية وغيرها من التشريعات، في حين أنها اهتمت بالجوهر والأصول العامة، مع تحديد بعض الأمور أحياناً -وبدقة اذا ترتب على ذلك فوائد أو داع للحسم والتمييز.

وبالطبع فإن مرونة الشريعة وشموليتها لا تمانع في إيراد مثل هذه التقسيمات او اي انظمة أخرى تتعارض مع مبادئها وقواعدها وإطارها العام، والى مثل ذلك ذهب الفقه الاسلامي، فلم ير حاجة الى تقسيم الجرائم الى سياسية وأخرى غير سياسية، والظاهر أن سبب ذلك يعود الى أمرين اثنين، هما:

الأول: عدم انفصال الناحية السياسية في التشريع الاسلامي عن غيرها من نواحي التشريع الأخرى، على عكس النظم الوضعية.

الثاني: ان القرآن الكريم قد ذكر جرائم مخصوصة لما لها من خطورة كبيرة، ومفسدة بالغة تهدد المصالح الكبرى الأساسية التي حددتها الشريعة، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال(٥).

❖ الجريمة السياسية في نظر القانون:

تختلف النظرة الى الجريمة السياسية في القانون عما هي عليه في الشريعة، لأسباب مختلفة، أهمها ان السياسة عموماً اعتبرت من اهم شؤون الحاكم وألصقها به، لأنها ببساطة تعني وجوده كزعيم لقومه وبلده، وهي منزلة عليا بمفهوم المجتمع، لأن الحاكم في غير الشرع الاسلامي تشريف «صعب المنال» وليس تكليفاً ومسؤولية يسأل عنها صاحبها كما قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» الحديث.

مع ان العرف الدولي الآن يذهب الى عدم اعتبار المساس بالحاكم جريمة سياسية[٦]، ولا يكون هناك بواعث شخصية كالحقد او الانتقام او الكراهية لأولئك الأشخاص الذين تقع عليهم الاعتداءات السياسية بسبب المهام السياسية التي يقومون بها، وتقع أغلب الجرائم السياسية أثناء الفتن والثورات والاضطرابات.

وقد أطلق الفقهاء اصطلاح «البُغاة» بضم الباء وفتح الغين، على من يرتكبون الجرائم السياسية، وهم الذين يخرجون على الإمام وعلى الدولة ويشكلون قوة ومنعة.

❖ الأسباب التي تؤدي الى وقوع الجريمة أو تحمل عليها:

أولاً: ما يتعلق بالحكم وإرادته.

ثانياً: ما يتعلق بسكان الدولة.

أثبتت البحوث العلمية في مجال العلوم الانسانية والجريمة، واستقراء الواقع والأحداث، أنه لا يمكن حصر أسباب محددة تفسر ظاهرة اللجوء الى العنف وارتكاب الجرائم -بشكل عام- ولذلك فإن الأظهر أن عوامل متعددة تدفع بالإنسان الى الجريمة وارتكاب المحرمات.

وهذه العوامل منها ما يرجع الى الجانب الذاتي في الفرد، ومنها ما يتعلق بالبيئة المحيطة به، وبمن حوله من الناس، على أساس ان الاتجاه الذاتي يشمل العوامل الجينية من أمراض وعاهات ونقص.. الخ.

والعوامل العقلية.. كالضعف والتخلف، والعوامل النفسية.. وهي الأمراض المتراكبة التي تسود لدى الأفراد الذين يعانون من مشاكل أسرية، أو اجتماعية أو حرمان، فتؤدي الى حدوث اضطرابات نفسية تظهر آثارها على التصرفات وأنماط السلوك، والتي تؤدي بصاحبها الى ارتكاب المحرمات والجرائم[٨].

❖ تأثير الصفة السياسية للجريمة على العقوبة:

ان وصف الجريمة بأنها سياسية لن يغير من طبيعة العقوبات المقدرة شيئاً، لا من ناحية النوع، ولا من ناحية الشدة والقدرة.. وهذا مغاير لما عليه حكم القانون الوضعي، اذ ان ثبوت أهداف سياسية للجريمة من شأنه ان يغير العقوبة اللازمة التطبيق، فتستبدل بأخرى أخف منها تعاطفاً مع القاتل، لأنه لم يقتل لأسباب شخصية، وإنما قتله كان لأسباب موضوعية عامة.

والخلاصة ان الجرائم السياسية اذا كانت من فروع التعازير لا الحدود والقصاص، فإنه قد يؤثر كونها سياسية على عقوبتها، وغالباً فإن الجرائم السياسية تكون اهدافها خطيرة وعواقبها وخيمة[٩].

الهوامش:

١- د. منذر عرفات زيتون، الجريمة السياسية في الشريعة الاسلامية والقانون، دار مجدلاوي، عمان - الأردن (٢٠٠٣-، ص١٩-٢٠).

٢- د. محمد علي السالم الحلبي، أسس التشريع الجنائي في الاسلام، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ٢٠٠٥، ص٣٨ .

٣- عبد الرحمن المالك: نظام العقوبات ط٢، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٠، ص١٧ .

٤- المرجع السابق، ص١٨٧ .

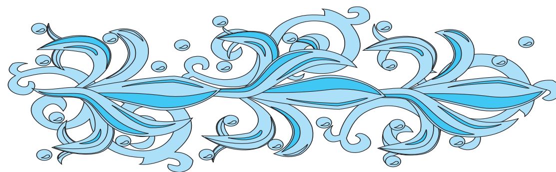
٥- د. منذر زيتون، مرجع سابق، ص٣٤-٣٦ .

٦- المرجع السابق، ص٣٧ .

٧- المرجع السابق، ص٣٩ .

٨- المرجع السابق، ص٨٤-٨٥ .

٩- المرجع السابق، ص٢٤٥-٢٤٧ .



الحمى عند الاطفال

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

تتناول هذه المقالة الحديث عن موضوع هام جداً وخطير للغاية، بقدر ما هو بسيط جداً بحيث انه يستحق القول: (السهل الممتنع) الا وهو علاج الحمى او السخونة وكيفية التعامل معها، وأود ان اشير منذ البداية ان الناس يخلطون بين السخونة والحرارة، اذ يحضرون اطفالهم الى الطبيب ويقولون له: ابننا عنده حرارة ويقصدون بذلك الحمى او السخونة، ذلك ان كل انسان سواء كان كبيراً او صغيراً رجلاً او امرأة عنده حرارة، و حرارته الطبيعية تتراوح ما بين ٣٦,٥ الى ٣٧,٥ ونادراً جداً ان تكون ٣٧م بالضبط، فهي اما ان ترتفع قليلاً لتصل الى درجة ٣٧,٥ م او تهبط قليلاً لتصل الى ٣٦,٥م، فاذا انخفضت اقل من ٣٦,٥ م فهي منخفضة بشكل غير طبيعي وقد تصل الى درجة الفتور، واذا زادت عن ٣٧,٥ م فيعني ذلك ان الطفل محموم، اي مصاب بالحمى او السخونة ولا نقول: عنده حرارة.

اذن الصواب ان نقول للطفل الذي ترتفع درجة حرارة جسمه عن ٣٧,٥ م: انه مصاب بالحمى او السخونة او نقول: ان درجة حرارة جسمه مرتفعة ولا نقول: عنده حرارة لأن كل انسان عادي عنده حرارة.

ما دفعنى للكتابة في هذا الموضوع، هو الأهمية الكبيرة التي يوليها الاطباء للسخونة ومدى خطورتها عند الطفل، وما قد تسببه من اضرار تلحق بمخه فتؤثر سلبا على مجرى حياته الى الابد، و كذلك ملاحظاتي لجل الناس حقيقة السخونة واضرارها وكيفية التعامل معها، ولهذا رأيت من المفيد ان اوضح للناس ما هي

الحمى او السخونة، ومدى خطورتها على الطفل، وما تؤثره على جسمه وتلحق به من الاختلاطات الخطيرة.

ما اسهل ان يصاب الطفل بسخونة مفاجئة فتطرحه الفراش وتنسيه اللعب والركض، والمهم ان نعرف ان ارتفاع درجة حرارة الجسم اكثر من ٣٩م يعد خطراً، لأنها قد تؤدي الى التشنج مما يلحق الضرر بمخ الطفل واحياناً يحس الطفل المحموم بالبرد، فيرتعش حتى وهو جالس في الشمس وهي ما تعرف "بالقشعريرة"، ويسميها الجزائريون: (الحمى الباردة) وهي علامة على ان جسم الطفل المحموم، ينتج حرارة وان حرارته ترتفع، وحين يحس بالسخونة ويعرق يفقد جسمه الحرارة فتهبط حرارة جسمه وحين يبرد الجسم من التعرق يمر مقدار اقل من الدم خلال الجلد فتبدو البشرة باردة وشاحبة، لكن الجسم يدخر الحرارة ليحتفظ بالدفء داخله.

ان ارتفاع درجة حرارة الطفل الذي يقل عمره عن ثلاث سنوات لما فوق ٣٩م لمدة ساعتين غالبا ما تؤثر على المخ، ويصاب الطفل بالتشنجات التي قد تتكرر مرات اخرى، وحينها تؤدي الى اصابته بالصرع وما ينتج عنه من مضاعفات، ولهذا فإن الأم وهي الأشد التصاقا بطفلها، والادرى والاعلم بحاله وما يمر به من تغيرات واعتلالات، مطالبة باكتشاف السخونة او الحمى بمجرد ظهورها على طفلها، وان تبادر بسرعة الى مكافحتها وان تعمل على خفضها قبل ان تؤثر سلباً على جسم طفلها.

فالأم اذا ما لاحظت شيئاً من الفتور على طفلها او تغيراً في سلوكه ونشاطه، عليها ان تقيس درجة حرارته وابسط الطرق ولكن اقلها دقة، هي اللمس باليد او وضع وجنتها (خدها) على جبين الطفل ووجهه، فيمكن للأم ان تعرف ولو تقريبياً الاجسام، فيجب على كل أم ان تقتني في منزلها ميزان حرارة.

ولكن الآن انتشرت موازين قياس الحرارة الزجاجي الزئبقي، لأنه اكثرها دقة وخاصة عن طريق الشرج، ويفضل تجنب قياس الحرارة للطفل الذي يقل عمره عن ٥ سنوات عن طريق الفم، وهناك الميزان الالكتروني وهو دقيق وسهل الاستعمال ولكنه غالي الثمن، والميزان الورقي الذي تتلون فيه الورقة ما بين اللونين الازرق والاخضر حسب مقدار ارتفاع درجة الحرارة، ولو انه غير دقيق الا انه يعطي قراءة جيدة.

❖ اشكال السخونة:

تظهر السخونة على اشكال مختلفة،

فمنها ما يأتي لفترة قصيرة ثم يختفي خلال ساعات من النهار، دون ان يعرف سببه وتعرف بالسخونة العرضية او العابرة، ومنها ما يظهر على شكل بطيء خلال ايام او اسابيع، يتطور بتطور شدة المرض المسبب للسخونة، ومن اشكالها ما يستمر اسبوعاً ثم يختفي ثم يعود ثانية بعد فترة اخرى وهذا في حالة السرطان، ومن السخونة ما تأتي يوماً وتختفي يوماً آخر ثم تظهر في اليوم الثالث ثم تختفي وهكذا دواليك وتظهر هذه السخونة في مرض الملاريا.

ومن أشكال السخونة ما يستمر الى فترة طويلة دون ان تنزل درجة الحرارة الى الحد الطبيعي، ومنها ما هو متأجج صعودا وهبوطا عدة مرات في اليوم وهي الحمى المتموجة.

❖ تأثيرات السخونة على الجسم:

إذا ظهرت السخونة على طفل لأي سبب كان، فإنها تحدث في جسده تغيرات كثيرة مثل: تسارع النبض (دقات القلب)، وتسارع التنفس الذي يصبح سطحياً وغير فعال، وكذلك شحوب اللون والبرودة في الجلد او ازرقاق، ثم التعرق الشديد ودفئ في الجلد، وقد تؤدي السخونة الى ان يفقد الطفل الوعي ويغمى عليه ويصاب بالتشنجات.

❖ أسباب السخونة:

من المهم جدا ان يعلم الأهل وخاصة الأم ان السخونة ليست مرضاً، وانما هي علامة على وجود مرض ما في جسم الطفل أدى الى ظهور السخونة، وان معرفة هذا السبب هامة جداً من أجل استخدام العلاج المناسب والفعال لهذا السبب، لأن اعطاء أدوية غير نوعية وغير مناسبة، لا يفيد شيئاً في العلاج فمثلاً لو اعطينا المحموم خافضات الحرارة مثل «الباراسيتامول» و «الاسبيرين» فإنها لن تنفع مطلقاً في حالة ما تكون السخونة ناتجة عن السرطان، وكذلك لن تشفي حالة من حالات الملاريا او السل ولهذا يجب معرفة السبب لإعطاء العلاج المناسب، **وهناك اسباب كثيرة تؤدي الى ظهور السخونة عند الاطفال واهمها:**

١- حالات الجفاف.

٢- لف الطفل بملابس كثيرة واغطية كثيرة عند اصابته ببعض امراض الطفولة كما في حالة الحصبة، حيث تلجأ الام الى الباس طفلها ملابس حمراء، ثقيلة لزعم خرافي يمنع الحصبة ان تخر الى عظامه.

٣- الالتهابات والانتانات الكثيرة مثل: الحصبة، الانفلونزا، الجدري، النكاف،

التهاب اللوزتين، التهاب الاذنين، التهاب المسالك البولية، التهاب الجهاز التنفسي، الملاريا، التفوئيد، الحمى الشوكية، داء القطط (التيكسوبلازما).

٤- زيادة افراز الغدة الدرقية.

٥- بعض انواع السرطان.

٦- التسمم.

٧- نزيف في الدماغ.

٨- ضربة الشمس.

٩- بعد التطعيم.

١٠-تكسر الدم الحاد.

١١-حساسية شديدة في الجلد.

❖ علاج الحمى:

ذكرت آنفاً ان الحمى ليست مرضاً تعالج بعلاج خاص بها فتشفى، وانما هي علامة لوجود مرض ادى الى ظهورها، فالعلاج الشافي الحقيقي هو علاج السبب، بمعنى انه يجب البحث عن المرض المسبب لها وعلاجه، فاذا شفي هذا المرض فإن السخونة تزول ودرجة حرارة الجسم تهبط الى الحد الطبيعي، وهذا العلاج يستوجب عرض الطفل المحموم على الطبيب الذي يقوم بإجراء الفحص السريري لجميع اعضاء الجسم بعينيه ويديه لاكتشاف اي مرض ظاهر، والا فإنه يجري فحوصاً مخبرية وشعاعية لتساعده في معرفة المرض المسبب، ومن ثم علاجه فتزول السخونة.

ولكن بانتظار الوصول الى الطبيب، وخاصة في المناطق النائية التي يصعب فيها الوصول اليه بسهولة، فإن على الام ان تعمل بسرعة فائقة على مكافحة ارتفاع درجة حرارة جسم طفلها، وتعمل على خفضها للوقاية من حدوث المضاعفات، فيجب عدم السماح للسخونة بالاستمرار لأكثر من بضع دقائق والا احدثت اضرارا للمخ، والجميع يلاحظون ان الانسان البالغ والكبير عندما يصاب بالسخونة يظهر عليه (الخراف) او ما يعرف (بالهتورة و التخريف) فما بالكم بالطفل الصغير؟!

وأفضل طريقة لمكافحة السخونة وخفض درجة حرارة الجسم المرتفعة، هي استخدام الماء البارد على جميع الجسم وخاصة البطن والرأس، وهي المستخدمة في المستشفيات الجامعية.

ان هذا الاجراء العملي الهام والسهل والنافع جدا، والذي اكتشفه اطباء الاختصاص في القرن العشرين، امر به رسول الله ﷺ قبل اربعة عشر قرناً فقد وجه ﷺ الناس لمكافحة السخونة او الحمى بالماء البارد، ففي الصحيحين عن

نافع بن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال: "انما الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" (متفق عليه واخرجه ايضاً النسائي وابن ماجة ومالك واحمد)، و انما قصد بقوله ﷺ: «من فيح جهنم» تشبيهها بلهيب النار.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: "الحمى من كير جهنم فنحوها عنكم بالماء البارد" (الحديث صحيح ورجاله ثقات) وقد مارس رسول الله ﷺ هو نفسه هذا العلاج الاولي فكان: "اذا حمي دعى بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل".

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه -يرفعه- "اذا اصاب احدكم الحمى فليطفئها بالماء البارد وليقل: بسم الله، اللهم اشف عبدك، وصدق رسولك"، وهذا توجيه من رسول الله ﷺ لاستخدام الرقية الشرعية لعلاج الحمى الى جانب استخدام الماء البارد، فلترقي الام او الاب او اي شخص آخر الطفل المحموم بالرقية التي كان الرسول ﷺ يرقي بها اهله: "أذهب البأس رب الناس، اشفه انت الشافي، لا شفاء الا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما" (رواه مسلم) وكذلك يرقي بالرقية التالية: "اللهم اذهب عنه حرها و بردها و وصبها".

والى جانب ذلك يمكن استعمال دواء «الباراسيتامول» شراب او تحاميل وهو على انواع منها «ريفانين وبانادول» وغيرهما، ولكن يجب تحذير الاهل من استخدام «الاسبرين» عند الاطفال الرضع، فلا ينصح باستخدامه لأنه قد يؤدي الى ظهور متلازمة ريي وهي عبارة عن اصابة الدماغ بمرض غير التهابي من اعراضه: التقيؤ، اضطراب الوعي، تضخم الكبد، والتشنجات.

كذلك يجب التقليل من الملابس التي يرتديها الطفل، لأن زيادة الملابس او الملابس الثقيلة والاغطية الزائدة، تعمل على ارتفاع درجة حرارة الطفل، ويمكن استخدام المروحة او المكيف لخفض درجة حرارة الغرفة، ومما يساعد على خفض درجة حرارة جسم الطفل المحموم، ويفضل المحافظة على درجة حرارة الغرفة ما بين ١٩-٢٠ درجة مئوية.

واخيراً اوصى مؤتمر اطباء الاطفال الذي عقد في مدينة باريس في اوائل الثمانينات من القرن الماضي، الامهات باقتناء علاج ديازيبان (فاليوم) واعطائه للطفل الذي يصاب بالحمى او السخونة وذلك منعا لحدوث التشنجات.

فعل القراءة
منظور اسلامي

■ بقلم الاستاذ معاذ محمد بني عامر

تتجلى إحدى المفارقات الكبرى في الدين الاسلامي، هو محاولة الوحي عليه السلام ساعة نزوله على سيدنا محمد ﷺ، استنطاق النبي ﷺ لمفردة ﴿إقرأ﴾ رغم علمه بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

وهنا تأتي الرؤية التأويلية لفعل القراءة، لناحية أنه فعل وجودي أساساً: ركيزة أساسية سيبنى عليها مجمل الفعل المادي والمعنوي: البعد الثقافي والحضاري لهذه الأمة، إذ يطرح السؤالان: كيف؟ النهائية، ولماذا؟ النهائية، وتتم الاجابة عليهما عبر مجموع الأمة.. كل الأمة.

وبما أننا نناقش هذه الاشكالية من منظور اسلامي، فالمعنى أساساً يطرح السؤالين والاجابة عليهما هي الأمة الاسلامية.

وقد تمثلت هذه الأمة في فترة عطائها الكبير لهذا الخيار، منطلقة اساساً من تأويل صحيح لفعل القراءة، على اعتبار انه فعل وجودي ابتداءً، اذ ما الذي يعنيه ان تكون أول مفردة في كتاب الله الخالد هي

مفردة ﴿إقرأ﴾، سيما ان الذي تلقاها اصلاً شخص الرسول العظيم ﷺ، وهو بالأساس نبي أمي؟

وجاء هذا التمثل كخيار مبدئي، يؤخذ به كواجب إلهي بدونه، لا يمكن ان تقوم قائمة لهذه الأمة أو يرتفع لها بنيان، لا سيما ان هذا النداء الخالد: ﴿إقرأ﴾، نزل على النبي العربي الأمي ﷺ، فكيف بمن يقرأون أصلاً؟ تزداد الوجوبية الوجودية

لهذا النداء الإلهي عبر تفعيله داخلياً، من خلال آليات ومكيترمات تتحيز لذهنية التأسيس الأولي والمبدئي لفعل القراءة - على اساس انه فعل وجودي اولاً وأخيراً- في أذهان المجموع الكلي للأمة الاسلامية، فالتكليف الإلهي بالبناء والتعمير على هذه الأرض، واجب كل فرد أساساً، وليس لشخص متواجد في النقطة «ق» ان يدّعي انه غير معني بالبناء والتعمير والخلافة هنا والآن، على أساس ان المتواجدين في النقطة «ف» هم المعنيون بالقضايا آنفة الذكر.

النص يؤخذ على إطلاقه، فكل فرد مكلف بالبناء والتعمير، وعليه فالفعل الأساس: ﴿إقرأ﴾ هو فعل تكليفي للكل، وليس لفئة معينة من الناس او لجماعة محددة على حساب غيرها، بل الكل مشمول، فإعمار الأرض والتواجد العياني والمعنوي عبرها ومن خلالها، مسؤولية المجموع، ومسألة اختصارها على مجموعة معينة دون غيرها، كان سبباً رئيسياً فيما وصلنا اليه من نتائج كارثية على مستوى النتاج الثقافي والحضاري.

فعموم الأمة تخلّت عن واجبها الوجودي الأساسي، فوصلنا الى ما وصلنا اليه الآن، فمنذ عدة قرون، نضب معين الأمة الاسلامية على العطاء والإعمار، فقد استشرت آفة الجهل بين العامة، واقتصر العلم والتعلم على فئة بعينها، لم يكن لها بحال -لهذه الفئة- من الأحوال ان تسند أمة مترامية الأطراف -كما وكيفا- على كتفيها.

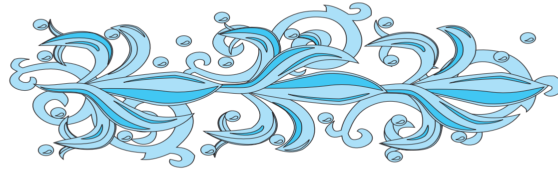
فالاعمار أساساً واجب جماعي تنتظم حبات عُقده من مجموع الأمة، فالنداء الباني: **﴿إقرأ﴾** نداء كلي، الجميع معنيون بالأخذ به وتطبيق نهجه الأساسي على اعتبار انه أساس نهوض هذه الأمة والركيزة الوجودية التي تبني عليه الأمة مجمل عطائها الحضاري والثقافي، لتكون نوراً يرشد بقية الأمم ويستلم قيادها، وهذا ما كان عشية تمثل مجموع الأمة - من ألفها الى يائها- لنداء: **﴿إقرأ﴾**.

فإقرأ أساساً فعل وجودي يستلهم العياني والمعنوي، ويستحضر البناء الوجودي -كخيار مبدئي بدونه يمكن ان يكون الطوفان الانحطاطي للأمة- عبر مكيانزيمات معرفية تستلهم بالبحث والتجريب والتمحيص مما تحت الذرة

وحتى العالم المافوقي، عالم الملكوت، ومن بدء الخلق وحتى العالم الماورائي/ الميتافيزيقي، اي تنشيط الذهنية الجمعية لحاصل الأمة تجاه كل شيء.

والنص القرآني واضح بهذا الخصوص، **﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق ❖ خلق الانسان من علق﴾** العلق: ١-٢، ثم جاء ليؤكد خيارية اقرأ كخيار وجودي ومبدئي بالنسبة لهذه الأمة «بصفة القرآن دستور هذه الأمة» **﴿اقرأ وربك الأكرم ❖ الذي علم بالقلم ❖ علم الانسان ما لم يعلم﴾** العلق: ٣-٥ .

ففعل القراءة فعل تأسيسي بالنسبة لهذه الأمة، بدونه لن تقوم لها قائمة، فعبر هذا الفعل الوجودي تتحدد خيارات الكائن البشري تجاه ذاته وعالمه وخالقه، فعبره - عبر هذا الفعل- تتوالد المعرفة الشاملة لهذا الكائن ليحسم أمره هنا.. والآن، في واحدة من عطاءاته الكبيرة على هذه الأرض، ليبنيها ويعمرها على أكمل وجه بحيث تكون قائدة لباقي الأمم لا مقودة، تتقاذفها -كما هو حالها اليوم- قيم العجز والدونية والانحطاط.



في ظلال الهجرة النبوية المباركة

■ بقلم الطالبة مجد اسماعيل

إن هجرة سيد الخلق والمرسلين ﷺ إلى المدينة التي نورت بدخوله إليها، والتي مضى عليها ١٤٣٠ عاماً لَهِي أعظم حدث سياسي في تاريخ البشر، ونقطة تحول بين حالين متناقضين من أحوال المسلمين أدى إليها العمل الدؤوب، الذي قام به صحابة رسول الله ﷺ -رضوان الله عليهم أجمعين- وهم على ما كانوا عليه من الضعف والهوان، والتعذيب بلغ فيهم ما بلغ.

فقد جاءت الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، بمثابة الخطوة الاولى لتأسيس دولة الاسلام، التي شعّ نورها من المدينة ليملأ الجزيرة العربية وبقية بقاع المعمورة، حاملاً كل قيم ومعاني العدل والمساواة والصدق والامانة، التي غرسها رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه الذين قطعوا عهداً على أنفسهم بنشر الدعوة في كل العالم شرقاً وغرباً حتى سادوا العالم وحكموه بتلك المبادئ والقيم.

ونحن الآن نستقبل عاماً هجرياً جديداً هو العام ١٤٣١هـ، فلا بد أن نعرج على تلك الهجرة وبعض من تفاصيلها ومعجزاتها ونأخذ منها الدروس والعبر، لتكون نبراساً لنا في حياتنا.

فسيرة المصطفى ﷺ لا تحد آثارها بحدود الزمان والمكان، وخاصة أنها سيرة القدوة الحسنة والقيادة الراشدة، قيادة رسول الله محمد ﷺ، الذي أرسله الله

رحمة للعالمين، وما نتج عن هذه الهجرة من أحكام ليست منسوخة ولكنها تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، ما دام حال المسلمين مشابهاً للحال التي كانت عليها حالهم أيام الهجرة إلى يثرب.

وتعتبر الهجرة فيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، هما المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ولقد كان لهذا الحدث آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله ﷺ، ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضاً، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة إنسانية، قدمت، ولا زالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة، التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان كإنسان بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو معتقداته.

فالهجرة تعني لغة: ترك شي إلى آخر، أو الانتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى بلد، يقول الله تعالى: **﴿والرجز فاهجر﴾** المزمل: ٥، وقال أيضاً: **﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾** المزمل: ١٠ .

وتعني بمعناها الاصطلاحي: الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وهذه هي الهجرة المادية.

أما الهجرة الشعورية فتعني: الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحيث تعتبر المرحلة الثانية أفضل من الأولى، كالانتقال من حالة التفرقة إلى حالة الوحدة، أو تعتبر مكملة لها كالانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

وعلى هذا فإن هذه الهجرة يمكن أن يأخذ بها المسلمون في زماننا هذا، بل إن الأخذ بها ضرورة حياتية، لأن الهجرة لم تكن انتقالاً مادياً من بلد إلى آخر فحسب، ولكنها كانت انتقالاً معنوياً من حال إلى حال، إذ نقلت الدعوة الإسلامية من حالة الضعف إلى القوة ومن حالة القلة إلى الكثرة، ومن حالة التفرقة إلى الوحدة، ومن حالة الجمود إلى الحركة.

فالهجرة المادية من بلد لا يحكم بالإسلام، إلى بلد تحكمه شريعة القرآن

ليست منسوخة، بل هي واجبة على جميع المسلمين إذا خشوا أن يفتنهم الذين كفروا في دينهم وعقيدتهم، لأن هدف المسلم في الحياة أن يعيش في مجتمع يساعده على طاعة الله والالتزام بأوامره وأحكامه، أو على الأقل لا يحارب بعقيدته، لأن الفتنة في الدين هي الفتنة الكبرى، فالله تبارك وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكن لا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه.

❖ من اهداف الهجرة:

قد يهاجر المسلم فراراً بدينه وعقيدته، حتى لا يرده الحكام الكافرون إلى الكفر، كما فعل بعض مسلمي الجمهوريات الإسلامية حينما هاجروا من بلادهم فراراً من الشيوعية الملحدة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**﴾ العنكبوت: ٥٦، ويقول رسول الله ﷺ: «من فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً منها وجبت له الجنة وكان رفيقاً لأبيه إبراهيم».

وقد يهاجر المسلم فراراً من ظلم اجتماعي أو اقتصادي لحق به، وخشي إن لم يهاجر أن يمتد ذلك الظلم إلى دينه، يقول تعالى: ﴿**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾ النحل: ٤١، وقال تعالى: ﴿**ومن يهاجر في سبيل الله يجدْ في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما**﴾ النساء: ١٠٠.

روى الإمام أحمد عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البلاد بلادُ الله والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم» وقد توعد القرآن الكريم المسلمين الذين لم يهاجروا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ، كما توعد الأعراب الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى المدينة حرصاً على أموالهم وديارهم، يقول تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً**﴾ النساء: ٩٧.

وكان نتيجة ذلك أن بعض هؤلاء فتن في دينه واضطر إلى إظهار التقية، ولكن

هذه التقية كانت جائزة يوم لم تكن للإسلام دولة، أما بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأقام فيها دولة الإسلام، فلم يعد لهؤلاء عذر، بل وجبت عليهم الهجرة، ولهذا نجد القرآن الكريم لا يفرض على المسلمين ولاية هؤلاء، لأنهم ليسوا أعضاء في المجتمع الإسلامي، وإذا كانت تربطهم بالمسلمين رابطة العقيدة، فإن نصرتهم تكون بناء على طلب منهم، يقول تعالى: **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** الأنفال: ٧٢.

ويتحتم على المسلم أن يهاجر من أرض الشرك إلى أرض الإسلام حينما تقوم الدولة الإسلامية ويتكون المجتمع الإسلامي، والهجرة هنا حسب مقتضيات الحال، إذ أن الهدف هنا تدعيم الدولة الإسلامية الجديدة بقوى بشرية وتقنية وعلمية، ولكن تقدير هذا كله متروك لقيادة هذه الدولة، لأن الهجرة العشوائية قد تترك آثاراً سلبية على هذه الدولة فتصبح عقبة في طريق قوتها وانطلاقها.

وأساس هذه الهجرة النية، ولهذا يقول المصطفى ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ومن هنا نرى الشارع الحكيم قد حدد نوعين من الهجرة لا ثالث لهما: هجرة إلى الله، وهجرة لغير الله، يقول رسول الله ﷺ: «الهجرة خصلتان، إحداهما أن تهجر السيئات، والآخرة أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة».

وهكذا إذا كانت الهجرة المادية تجب في بعض الأحوال، فإن الهجرة الشعورية واجبة على كل حال وفي كل حين، لأنها تتعلق بهجر ما لا يرضي الله تعالى، وهي قائمة إلى أن تقوم الساعة.

ورد في صحيح مسلم أن مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه قال: جئتُ بأخي أبي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله بايعه على الهجرة، فقال ﷺ: «قد مضت الهجرةُ بأهلها» قال مجاشع: فبأي شيء تبايعه؟ فقال رسول الله ﷺ:

«على الإسلام والجهاد والخير»، ويقول ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» أما قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» فالمراد بها هنا أن لا هجرة واجبة بعد الفتح، وقد زاد مسلم «وإذا استنفرتم فانفروا».

والمسلم مكلف بأن يهجر كل ما حرم الله، وأن يهاجر إلى ما أحل الله، لأن هذا هو الهدف من استخلافه في الأرض لقوله تعالى: **﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** الذاريات: ٥٦، وهل العبادة إلا طاعة الله فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر؟ ولهذا فتح رسول الله ﷺ باب الهجرة على مصراعيه أمام كل راغب فيه، فقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (رواه البخاري)، وفي رواية ابن حبان: «المهاجر من هجر السيئات، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

والمعنى الذي حدده المصطفى ﷺ للهجرة معنى عام، تمتد جذوره إلى أعماق الحياة البشرية، فتقيمها على أسس قويمة، أسس تقوم على أساس الإصلاح والصلاح للحياة الإنسانية، والأمن والاستقرار للنفس البشرية، ولهذا كانت كلمات الحديث الشريف متكاملة في تحديد معنى الهجرة، على أساس أنها عبادة ترتبط بعقيدة الإنسان وإيمانه، وعلى أساس أنها عملية بناء وإصلاح تأخذ بيد الإنسانية المعذبة إلى شاطئ الأمان والاطمئنان.

ولقد كان من أهداف هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة، إيجاد موطئ قدم للدعوة لكي تنعم بالأمن والاستقرار، حتى تستطيع أن تبني نفسها من الداخل وتنطلق لتحقيق أهدافها في الخارج، ولقد كان هذا الهدف أملاً يراود رسول الله ﷺ، فقال مرة لأصحابه: «رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب ظني إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب».

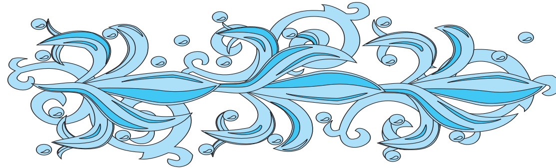
كما كان يهدف رسول الله ﷺ من الهجرة، الى تكثير الأنصار وإيجاد رأي عام مؤيد للدعوة، لأن وجود ذلك يوفر عليها الكثير من الجهود ويذلل في طريقها الكثير من الصعاب، والمجال الخصب الذي تتحقق فيه الأهداف، والمنطلق الذي تنبعث منه الطاقات، ولهذا حرص رسول الله ﷺ

أن يبعث قبل الهجرة، مصعب بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى المدينة ليعلم الأنصار الإسلام وينشر دعوة الله فيها.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ إلى وجود رأي عام مؤيد للدعوة في المدينة حثّ أصحابه إلى الهجرة إليها وقال لهم: «هاجروا إلى يثرب فقد جعل الله لكم فيها إخواناً وداراً تأمنون بها».

كما كان هدف رسول الله ﷺ من الهجرة استكمال البناء التنظيمي للدعوة الاسلامية، فقد كان واضحاً أن يكون الرسول القائد في مكة المكرمة، والأنصار والمهاجرون في المدينة المنورة، ولهذا هاجر رسول الله ﷺ ليكون بين ظهراني أتباعه، لأن الجماعة بدون قائد كالجسد بلا رأس، ولأن تحقيق أهداف الإسلام الكبرى لا يتم إلا بوجود جماعة مؤمنة منظمة، تغذ السير إلى أهدافها بخطى ثابتة حثيثة.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هجرة صادقة مع الله تعالى ورسوله ﷺ: هجرة إلى الله بالتمسك بحبله المتين وتحكيم شرعه القويم، وهجرة إلى رسوله ﷺ، باتباع سنته، والاقتداء بسيرته، فإن فعلوا ذلك فقد بدأوا السير في الطريق الصحيح، وبدأوا يأخذون بأسباب النصر، وما النصر إلا من عند الله.. ويسألونك متى هو؟ قل: عسى أن يكون قريباً!



مهارات تفعيل وتنظيم الوقت

■ بقلم الأستاذ بلال تيسير أبو الزيت

ختم الله سبحانه وتعالى رسالاته بالإسلام، هذا الدين الذي تمكن رسول الله ﷺ من نشره في ثلاث وعشرين سنه، وهو زمن قياسي مقارنة بما قضاه الأنبياء والمرسلون في تبليغ رسالاتهم، ومنهم نوح عليه السلام والإسلام نظم حياة الفرد، بما فيه من قيم أخلاقية وقواعد سلوكية، ولقد أمر الله الإنسان بالعمل والسعي وعدم التواكل، وبكسب الرزق وتعمير الكون، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الجمعة: ١٠ .

والله سبحانه تعالى: أقام الكون على نظام دقيق يحتل فيه الوقت مكانة هامة، قال تعالى: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** يونس: ٥ .

أي ليعلم الناس الأوقات، حيث تعرف بالشمس والأيام بالقمر والشهور والسنوات

وقد جعل الله الشهور اثني عشر شهراً منذ أن خلق السماوات والأرض، قال تعالى: **﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم﴾** التوبة: ٣٦ .

وجعل الله سبحانه وتعالى جملة من العبادات مرتبطة بزمن معين، قال تعالى: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما**

معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ البقرة: ٨٩ .

أي أن الأهلة وهي مطالع الشهور أوقات لعباداتكم ومعالم تعرفون بها مواعيد الصوم والحج والزكاة قال تعالى: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** البقرة: ١٨٩، فاحترام الوقت لأداء هذه العبادات أمر أساسي وضروري كما قال عز وجل: **﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** النساء: ١٠٣، وإلا ضاعت الحكمة من تلك العبادات.

فللوقت في حياة الإنسان، قيمة كبيرة لا تساويها ثروة، ونحن في حياتنا نعبر عن ذلك المعنى عندما نقول: «الوقت من ذهب أو الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك».

فمن منظومة الإسلام المتكاملة والشاملة التي تنظم حياة الفرد، عرفنا أهمية الوقت وكيفية استغلاله الاستغلال الأمثل، أليس هو مادة الحياة ومعنى الوجود؟ قال تعالى: **﴿والعصر ❁ ان الانسان لفي خسر ❁ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** سورة العصر.

ويذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم موضعين يندم فيهما الإنسان أشد الندم على ضياع الوقت حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار وفيه يقول الكافر كما أخبر القرآن الكريم: **﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ❁ لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾** المؤمنون: ٩٩-١٠٠ .

والموقف الثاني: في الآخرة، يقول الله تعالى: **﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾** يونس: ٤٥ .

ويقول الله تبارك وتعالى: **﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾** النازعات: ٦٤، ويقول عز وجل: **﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ❁ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادين❁ قال إن**

لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ المؤمنون: ١١٢-١١٤ .

هذا وقد بين رسول الله ﷺ أهمية الوقت في حياة الإنسان المسلم، حيث قال في الحديث الذي رواه مسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه مسلم، وحث ﷺ في حديث آخر على اغتنام الوقت بقوله: «اغتنم خمساً قبل خمس» وذكر منها «فراغك قبل شغلك»، وبين ﷺ في حديث آخر أنه: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع» وذكر منها «عن عمره فيما أفناه..» رواه الترمذي.

وقد كانت المفاهيم العظيمة السابقة عن الوقت وأهميته، ماثلة للعيان دوماً في حياة الناجحين من سلف هذه الأمة، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزدد عملي»، وروي عن الحسن البصري رحمه الله قوله: «ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة»، ويقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه «الجواب الكافي»: فالعارف لزم وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبداً.. فوقت الإنسان عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من مر السحاب. فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وان عاش فيه عاش عيشة البهائم فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته (ص١٥٧).

ومن الحكمة في الاستفادة من الوقت: أن نأخذ القسط اللازم فقط من الراحة، ويقابل ذلك التبكير إلى العمل، فقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» رواه أبو داود، فالإنسان لا يجني إلا ما زرع كما يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وأن ليس للإنسان الا ما سعى ❖ وأن سعيه سوف يرى ❖ ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾** النجم: ٣٩-٤١ .

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله».

فالآيات والأحاديث التي تشير إلى أهمية الوقت كثيرة، فالوقت هو الحياة ومن ضيع وقته كمن ضيع حياته، وانه لمن العجب أن نجد أناسا يستهينون بأوقاتهم ويضيعونها سدى.

وما سر قوه حضارة الغرب اليوم إلا في تحدي الزمن والسباق مع الساعة، والحركة الدائبة والعمل المتواصل الذي جاء نتيجة الوعي بقيمة الوقت، وإن من يسعى في اضاعته فهو عدو للوقت، وهو خارج حلقة الإنتاج في مجتمعه.

هذا وقد أولت وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، اهتماماً بالغاً في موضوع تطوير مهارة تنظيم الوقت لدى الموظفين، وبالذات الأئمة والوعاظ والمدرسين، من خلال عقد الملتقيات والندوات والمحاضرات، وحثهم على ضرورة توظيف الوقت لما يعود بالنفع، ومن ذلك الاهتمام بقراءة القرآن الكريم وتعليم احكامه، فالقرآن الكريم يشمل تعاليم الإسلام، فعلى الداعية ان يستغل الوقت ليحفظ من القرآن العظيم ما يستطيع، ليكون اقدر على إمامة الناس واستحضاره والاستشهاد به في كل مناسبة تستدعي ذلك، فالقرآن الكريم ذخيرة لا تنفذ ومعين لا ينضب، بالإضافة الى قراءة السنة النبوية وحفظ الأحاديث النبوية، فهي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي الحنيف، وهي شارحة للقرآن الكريم مبينة له مفصلة لما أجمل منه، وفيها يتمثل التفسير النظري والتطبيق العملي لكتاب الله تعالى.

ثم إن على الداعية تخصيص وقت لدراسة الفقه، فهو ملزم بالتفقه في الأحكام الشرعية التفصيلية، وهناك أمور يجب الإلمام بها، فهي تساعد في رفع مستوى الأداء الوظيفي، مثل الاهتمام باللغة العربية والتاريخ وعلم الجغرافيا وعلم الاجتماع واللغة الإنجليزية، التي يستطيع من خلالها إيصال الدعوة للآخر بصورة مباشرة، وما أحوجنا في هذا العصر للدعاة الذين يجمعون بين علوم الشريعة الإسلامية واللغة الانجليزية، لإيصال الفكر والخطاب الإسلامي مباشرة الى الجهات ذات العلاقة، حيث أن الدعاة

يقع على عاتقهم مهمة شرح الدين الإسلامي وبيانه للناس، هذا الدين الذي يتوافق مع الفطرة البشرية، التي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها.

وللإستفادة وتفعيلاً للوقت أبين ما يلي:

❖ ماذا نعني بالوقت:

هي الطريق والوسيلة التي تساعد الإنسان على الاستفادة من وقته في تحقيق أهدافه، وخلق التوازن في حياته، ما بين الواجبات والرغبات والأهداف، ولا بد ان نعلم ان الوقت -الزمن- غير مفصول عن الانسان، فهو مرآة نموه وتطوره الفكري، فالاستخدام السليم للوقت، يبين الفرق بين الانجاز والاخفاق، فعلينا ان نكون منجزين سباقين الى الاهتمام بأوقاتنا بما ينفع الأمة وينفعنا.

❖ أمور تساعدنا على تنظيم أوقاتنا:

● وجود خطة، فعندما نحدد لحياتنا مسبقا أهدافا واضحة وخططا منظمة، يصبح تنظيم الوقت سهلاً ميسراً ومبرراً، والعكس صحيح، نعم ان الأشخاص الناجحين في حياتهم هم الذين يتحدثون بوضوح وبساطة عن أهدافهم، واذا لم نخطط لحياتنا فتصبح مهمتنا في تنظيم الوقت صعبة المنال، وحالنا فيه عسر.

● لا بد من تدوين الأفكار والخطط والأهداف، ويفضل ان تكون مكتوبة، وما عدا ذلك يعتبر مجرد أفكار عابرة سننساها بسرعة.

● بعد الانتهاء من الخطة نتوقع بأننا سنحتاج إلى إدخال تعديلات كثيرة عليها، فهذا أمر طبيعي ولا حرج فيه.

● الفشل أو الإخفاق شيء طبيعي في حياتنا، علينا ان لا نيأس، وكما قيل: يتعلم المرء من أخطائه أكثر مما يتعلم من نجاحه.

● يجب أن نعود أنفسنا على الموازنة والمفاضلة بين الأولويات، لان الفرص والواجبات قد تأتينا في نفس الوقت، فأيهما سنختار، باختصار نختار ما نراه مفيداً لنا في مستقبلنا، وفي نفس الوقت غير مضر لغيرنا.

● الاستعانة بالتقنيات الحديثة في تنظيم اوقاتنا، مثل الانترنت والحاسوب.

● الاهتمام بتنظيم الغرفة، السيارة، وكل ما يساعدنا على عدم إضاعة الوقت، وعلينا الحرص على تنظيم كل شيء من حولنا.

● الخطط والجداول ليست هي التي تجعلنا منظمين أو ناجحين، فالمرونة مطلوبة أثناء التنفيذ، فالواجب ان نركز ولا نشتت أفكارنا في أكثر من اتجاه، وهذه النصيحة ان طبقت ستجد الكثير من الوقت لعمل الأمور الأخرى الأكثر أهمية والضرورية.

● النجاح ليس بمقدار الأعمال التي ننجزها، بل هو بمدى تأثير هذه الأعمال بشكل ايجابي على المحيطين بنا.

❖ معوقات تنظيم الوقت:

المعوقات لتنظيم الوقت كثيرة، علينا ان نتجنبها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ومن أهم هذه المعوقات ما يلي:

● عدم وجود أهداف أو خطط، لأن العمل الخالي من الهدف يذهب سدى، ولا تبنى عليه آثار أو نتائج.

● التكاسل والتأجيل من الأمراض التي تلحق ضررا بالغا بالأساليب التي يستخدمها الإنسان لإدارة وقته، وهي من اخطر الأمراض وأشدها تأثيراً على تنظيم الوقت، وتؤدي الى تراكم الأعمال وتحرم صاحبها من النجاح وهي من اشد المعوقات لتنظيم الوقت.

● النسيان، وهذا يحدث لان الشخص لا يدون ما يريد انجازه، فيضيع الكثير من الواجبات.

● مقاطعة الآخرين وإشغالهم بأمور قد لا تكون مهمة أو ملحة، فالأولى الاعتذار لهم بطريقة مرضية.

● سوء الفهم مع الغير يؤدي الى مشاكل تأخذ من الوقت الكثير.

❖ خطوات تنظيم الوقت:

هذه الخطوات من الممكن تغييرها اذ ان لكل منا طريقته في تنظيم وقته، فالمهم ان نتبع الأسس العامة لتنظيم الوقت:

● **التفكير في الأهداف فعلى كل منا ان يحدد رسالته في هذه الحياة،** فقد يكون الواحد منا أبا أو أما، وقد يكون أخا، وقد يكون ابنا، وقد يكون موظفاً أو مديراً، فكل دور من هذه الادوار بحاجة

الى مجموعة من الأعمال، فالأسرة بحاجة إلى ان تجلس معها ان كنت أباً جلسات عائلية، واذا كنت مديراً لمؤسسة فأنت بحاجة لأن تخطط حتى تتمكن من اتخاذ القرارات المناسبة.. الخ.

● **نحدد أهدافا لكل دور،** وليس من الضروري ان نضع لكل دور هدفاً معينا فعلينا ان ننظم أوقاتنا.

● **فالتنظيم هو ان نضع جدولاً أسبوعياً، ونضع الأهداف الضرورية فيه،** كأهداف تطوير النفس من خلال الدورات أو القراءة، أو الأهداف العائلية، كالخروج في رحلة أو الجلوس في جلسة عائلية للنقاش والتحدث، أو أهداف العمل، كعمل خطط للتسوق مثلا، أو نحدد أهدافا لعلاقاتنا مع الأصدقاء والآخرين.

● **ننفذ ما حدد،** وهنا نحاول ان نلتزم بما وضعنا من أهداف في الأسبوع، ونكون مرنين أثناء التنفيذ فقد نجد فرصا تخطر ببال الواحد منا أثناء التخطيط، فعلينا ان نستغلها ولا نخش مما حددنا في الجدول إذا لم ينفذ بشكل كامل.

● في نهاية الأسبوع نقيّم أعمالنا، وننظر الى جوانب التقصير فيها فنتداركها.

❖ كيف نستغل أوقاتنا بفاعلية:

● أثناء الانتظار، مثل أوقات انتظار مواعيد المستشفيات، أو الانتهاء من معاملات وغيرها من الأمور يمكن ان نقرأ كتاباً.

● نتصل لنتأكد من أي موعد قبل حلول الوقت بزمن كاف، ونحاول ان نستمتع بكل عمل نقوم به.

● علينا ان نكون ايجابيين.

● لا نضيع أوقاتنا ندماً على فشلنا.

● نحاول إيجاد طرق جديدة لتوفير أوقاتنا يومياً.

● ننظر لعاداتنا القديمة ونتخلى عن المضيع للوقت منها.

● نضعُ مفكرة صغيرة وقلما لتدوين الأفكار والملاحظات.

● نخطط لليوم من الليلة التي تسبقه، أو من الصباح الباكر، ونضع الأولويات حسب أهميتها ونبدأ بالأهم.

● نركز على إعمالنا ونجتهد لإكمالها، ولا

نشتت أفكارنا في أكثر من عمل.

- نتوقف عن أي نشاط غير مفيد.
- ننصت جيداً لكل نقاش حتى نفهم ما يقال، ونتجنب سوء الفهم الذي يؤدي إلى الإحراج وضياع الوقت.
- نرتب أنفسنا وكل ما حولنا سواء في الغرفة أو المنزل أو السيارة أو المكتب.
- نسأل أنفسنا دائما ما الذي نستطيع فعله لاستغلال أوقاتنا فوراً؟.
- يحمل الواحد منا معه كتيبات صغيرة للمطالعة في السيارة أو عندما نخرج لمكان ما أو عند أوقات الفراغ.
- نتعامل مع الورق بحزم، فلا نجعله يتكدس في المكتب أو المنزل، ونتخلص من كل ورقة قد لا نحتاج إليها خلال أسبوع، أو نحفظها في مكان واضح ومنظم.
- نقرأ أهدافنا وخططنا في كل فرصة ساعة يوميا.
- أن لا نقلق على عمل لم نستطع تنفيذه.
- لا نجعل من الجداول قيداً يقيدنا بل نجعلها في خدمتنا.
- في بعض الأوقات علينا ان نتخلى عن التنظيم قليلا، لنأخذ قسطاً من الراحة وهذا أمر مفضل في الرحلات والإجازات.

❖ فوائد تنظيم الوقت:

الفوائد كثيرة منها ما هو مباشر وتجد نتائجه في الحال، ومنها ما تجد نتائجه على المدى الطويل، لذا علينا ان لا نستعجل النتائج، **وتتبين لنا هذه الفوائد كما يلي:**

- الشعور بالتحسن بشكل عام في حياتك.
- الراحة البدنية والنفسية.
- تطوير الذات.
- تحقيق الرغبات والأهداف الشخصية.
- تحسين الإنتاج.
- التخفيف من الضغوط سواء في العمل أو ضغوط الحياة المختلفة.

وهكذا فإن سلفنا الصالح، كانوا يغتنمون كل جزء من أوقاتهم بما يعود عليهم بالنفع والخير من علم نافع أو عمل صالح، واهتموا بأن يقدروا أوقاتهم في اليوم والليلة، ليدركوا مقدار نعمة الله

عليهم بالوقت، وليقدروا مسؤوليتهم أمام الله عن إعمار الوقت بالعمل الصالح أو تضييعه في المعاصي، أو فيما لا ينفع فيه، **فكان شعارهم هو عمارة الوقت بدلاً من هدره وقتله، وكان المعيار الذي يزنون به إعمالهم في كل وقت من الأوقات، هو أن نكون بكل الأعمال على اختلاف أنواعها وأصنافها مما يُقرب إلى الله ويجلب رضاه، في طليعة ذلك القيام بفرائض الدين والأخذ من الدنيا بالنصيب الكافي إلى حين، وعمارة الدنيا بما يريده الله تعالى.**

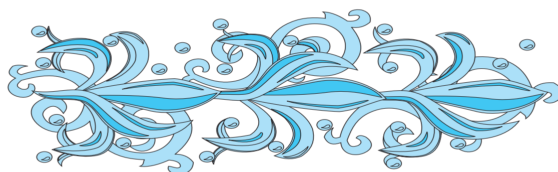
ويندرج تحت هذا المعنى كل عمل مشروع، تنتفع به الجماعة والأفراد والقيم وطريقة أداء حقوق الله وحقوق العباد، بما في ذلك الزراعة والصناعة والتجارة وتنمية الثروات، واستخراج ما في الأرض من كنوز وخبرات، والمهارات في مختلف الحرف والمهن والصناعات، وإعداد العدة ووسائل القوة لمواجهة التحديات، كما يندرج في ذلك البر بالوالدين وحسن العشرة مع الأهل والأولاد والاستمتاع بكل ما أحل الله من الطيبات، فمتى تناولها المؤمن بنية الإستعانة بها على أداء ما يحبه الله وتجنب ما يسخط مولاه، كانت من عمارة الوقت التي حض عليها الإسلام وأجزل عليها الثواب.

المراجع:

١- إدارة المكاتب والأنظمة الآلية، ترجمة محمد عبدالله جمعة.

٢- أفكار عظيمة في الإدارة، ترجمة محمد الحديدي.

٣- دع القلق وأبدأ الحياة، عبد المنعم الزيادي.



حب الوطن من الإيمان

■ بقلم الاستاذة وجيهة عبد الله القباني

تتعدد في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة نبيه محمد ﷺ، الإشارات الى القيم والمفاهيم الإيمانية، وأثرها في بناء شخصية متميزة للفرد المسلم، ولعل أهم سبب لذلك هو أن ديننا قائم على عقيدة توحيد الله جلت قدرته واستشعار عظمته، قال تعالى: ﴿الم ❖ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ❖ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ البقرة: ١-٣ .

ان مفهوم الإيمان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة، بحيث تراه يؤثر تأثيراً واضحاً في السلوك والأخلاق والتصرفات، لذلك نجد أن المولى عز وجل عندما يمدح عباده المؤمنين، إنما يذكر ويبين لهم صفات بشرية دنيوية ذات علاقة بالواقع، قال تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون ❖ الذين هم في صلاتهم خاشعون ❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون﴾** المؤمنون: ١-٤ .

لهذا نجد النصوص الشرعية تربط دوماً بين الإيمان وبين الفعل قال رسول الله ﷺ: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل» رواه ابو داود.

والإسلام دين الاخوة الإنسانية والحرية، والحوار، والبناء الحضاري، أركانه الأساسية القرآن الكريم، وسنة رسول الله ﷺ والاجتهاد العقلي المستنير بهديهما، المتفاعل مع المستجدات الإيجابية المختلفة فهماً وإستيعاباً، دعائمه الإيمان والعلم والعمل، حرر العقول من زيف

الأوهام والأساطير والأباطيل واستنهض الشعوب والأمم، لتتخلص من ضلال العادات والتقاليد ونزعات الإستعلاء والاعتداء.

والاسلام دين التعاطف والتعايش مع الغير، حتى ولو كان مخالفاً في الدين والعقيدة، وقد تجلى ذلك في سيرة رسول الله ﷺ مع اهل الكتاب، حيث كان يحاورهم ويلاطفهم امتثالاً لقول الله تعالى: **﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذي انزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** العنكبوت: ٤٦ .

ومن بين الدعائم المرتبطة بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، دعوة الإسلام إلى محبة الوطن والذود عنه وفدائه بكل غالٍ ونفيس، ففي الأثر «حب الوطن من الإيمان» وتذكر كتب السيرة أن النبي ﷺ لما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة قال: «ما أطيبَك من بلد! وما أحبَّك إليَّ! ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنتُ غيرَك» رواه الترمذي.

ما أروعَكِ من كلمات!

كلمات قالها الحبيب محمد ﷺ وهو يودِّع وطنه، إنها تكشف عن حبٍّ عميق، وتعلُّق كبير بالوطن، بمكة المكرمة، بحلِّها وحَرَمها، بجبالها ووديانها، برملها وصخورها، بمائها وهوائها، هواؤها عليل ولو كان محملا بالغبار، وماؤها زلال ولو خالطته الأكدار، وتربتُها دواء ولو كانت قفارًا.

والرسول ﷺ ما خرج من بلده مكة المكرمة، إلا بعد أن لاقى من المشركين أصنافَ العذاب والأذى، فصَبَر؛ لعله يلقى من قومه رقةً واستجابة، وأقام ورحل، وذهب وعاد، يريد من بلده أن يَحتضن دعوتَه، ولكن يريد الله -لحكمة عظيمة- أن يَخرُج، فما كان منه إلا أنْ هاجر استجابةً لأمر الله، فدِينُ الله أغلى وأعلى وهو مقدم على الاوطان.

ولكن عندما حانتْ ساعةُ الرَّحيل، فاض القلبُ بكلمات الوداع، وسَكبتِ العينُ دموعَ الحبِّ، وعبَّر اللسانُ عن الحزن.

أُخرج من وطنه، أَخرجه قومُه؛ كما قال تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾** التوبة: ٤٠ .

وعندما هاجر ﷺ إلى المدينة، كان يدعو اللهَ أن يرزقه حبَّها، فمكة وطنه، وحبُّها يملك قلبَه، وهواها فطرة فُطر عليها، كما هو الحال عند الناس؛ لذلك لا يمكن أن يكرهها، وإن أصابه فيها ما أصابه.

أما المدينة، فهي بلد جديد استقر به، وشاء الله أن يكون عاصمةَ دولةِ الإسلام الناشئة؛ لذلك كان يدعو الله أن يحبِّبَها إليه؛ كما في الصحيحين: «اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ»؛ رواه البخاري ومسلم.

إنه يدعو الله أن يحبِّب إليه المدينةَ أكثرَ من حبِّه لمكة؛ فحبُّ مكة فطرةٌ؛ لأنها وطنه، أما حبُّ المدينة فمنحةٌ وهبة، فسأل النبي ﷺ ربَّه أن يحبِّبها إليه حبًّا يفوق حبَّه لمكة؛ لما لها من الفضل في احتضان الدعوة، ونشر الرسالة.

وقد استجاب الله دعاءه، فكان يحبُّ المدينة حبًّا عظيمًا، وكان يُسرُّ عندما يرى معالمِها التي تدلُّ على قرب وصوله إليها؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله إذا قدم من سفر، فأبصر درجات المدينة، أوضع ناقتَه -أي: أسرع بها- وإن كانت دابة حرَّكَها"، قال أبو عبدالله: زاد الحارث بن عمير عن حميد: "حركها من حبِّها"؛ أخرجه البخاري.

ولقد أحبَّ الصحابةُ ديارَهم، ولكنهم آثروا دين الله عز وجل فقد أُخرجوا من مكة، فهاجَرَ مَن هاجر منهم إلى الحبشة، وهاجر البعض الآخر الى المدينة، حفاظاً على دينهم، ورغبةً في نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

وما أقساه من خروج وما أشدَّه على النفس والروح! لذلك وصف الله الصحابةَ الذين أُخرجوا من ديارهم بالمهاجرين، وجعل هذا الوصفَ مدحًا لهم على مدى الأيام، يُعلي قدرَهم، ويبيِّن فضلَهم؛ قال تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون**﴾ الحشر: ٨ .

ولما كان الخروج من الوطن يبعث على كل هذا الحزن، ويُسبِّب كلَّ هذا الألم، قرن الله عز وجل حبَّ الأرض في القرآن الكريم بحبِّ النفس؛ قال تعالى: ﴿**ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم**﴾ النساء: ٦٦

بل قرنه في موضع آخرَ بالدِّين، والدين أغلى من النفس، ومقدم عليها لمن يفقه؛ قال تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**﴾ الممتحنة: ٨.

لذلك كان من صفات المؤمن الحق ان يحب وطنه وان يعمل على رفعته و ازدهاره وإعلاء شأنه، وأن يضحي من أجله وفي سبيل النهوض به والذود عنه وحمايته من كل سوء، وحب الوطن ان تحب الناس الذين يعيشون فيه وأن تحب المقدسات التي اقيمت على ارضه، وأن تحب الجهاد وهو وسيلة لحمايته، وأن الله تعالى أمرنا بالجهاد من اجل الدفاع عن أوطاننا وتحريرها وطرد المستعمر والمحتل منها.

ان محبة الوطن اليوم لها أبعاد تتمثل أساسا في العمل المخلص في سبيل التقدم ونمائه، هذا العمل الذي جعله الإسلام عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل، وقد استخلفنا في هذه الأرض لنعمرها ونفيد منها قال تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**﴾ الملك: ١٥ .

وهو العمل الذي اشترط فيه النبي ﷺ الإتقان، فقال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً ان يتقنه» رواه البيهقي، لذلك يجب علينا ان نحب الوطن وان نغار عليه وأن نعمل ونبذل الجهد العقلي والبدني من اجل رقيه وازدهاره، فحب الوطن من الإيمان، وليس كما يتصور البعض ان حب الوطن من الإيمان مقولة غريبة عن ديننا وثقافتنا لقد رأينا رسول الله ﷺ يعبر عن ذلك بقوله: «ما أطيبك من بلد»، **ومن علامة محبة الوطن:**

١- **العمل على بنائه ورفعة شأنه** بالعمل الجاد والمخلص والمستمر، وتنمية موارده قال الله تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ التوبة: ١٠٥ .

٢- **المحافظة على ممتلكاته وصيانتها،** والمحافظة على الأموال العامة، وعدم إهدار طاقاته بغير وجه حق وسوء تصرف.

٣- **التحابب بين أفراده والتآلف والتكاتف،** ليكون المجتمع قوياً متماسكاً مترابطاً، فلا عصبية ولا عنصرية، لأنها دعوات جاهلية، لقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له

سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه البخاري.

٤- ترك الشحناء والبغضاء والبعد عن الرذيلة والفساد .

٥- الدفاع عن الوطن فرض على كل فرد من أفراد الأمة وذلك بالنفس والمال واللسان وبكل طاقة متاحة قال تعالى: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾** الحج: ٣٩-٤٠ .

٦- الموت في سبيل الدفاع عن الوطن شهادة، كما أكد الرسول ﷺ «فمن مات دون ماله فهو شهيد» والمال يشمل البيت والوطن الذي يعيش فيه، فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه الإمام احمد وابن حبان.

٧- جعل الإسلام السهر على حماية الوطن عبادة، وفيها أعظم الأجر ففي الحديث «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» رواه الترمذي.

٨- أما تنمية حب الوطن في الناشئة فهي مسؤولية الجميع لقوله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه مسلم.

❖ تجليات حب الوطن:

وحبُّ الوطن لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس؛ بل يتجلّى في الأقوال والأفعال، وأجمل ما يتجلى به حبُّ الوطن الدعاء، فالدعاءُ تعبيرٌ صادق عن مكنون الفؤاد، ولا يخالطه كذبٌ، أو مبالغة، أو نفاق؛ لأنه علاقة مباشرة مع الله إذ يقول عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام أنه دعا لمكة المكرمة بهذا الدعاء: **﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير﴾** البقرة: ١٢٦ .

ودعاء إبراهيم عليه السلام يُظهر ما يفيض به قلبُه، مِن حبٍّ لمستقر عبادته، وموطن أهله.

ولقد دعا لمكة بالأمن والرِّزق، وهما أهم عوامل البقاء، وإذا فُقِد أحدُهما أو كلاهما فُقدت مقوماتُ الحياة، فتُهجَر الأوطانُ، وتَعُود الديارُ خالية من مظاهر الحياة؛ ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى شدَّد في عقوبة مَن يُفسِد على الديارِ أمنها؛ بل جعل عقوبتَه أشدَّ عقوبة على الإطلاق؛ قال تعالى: **﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** المائدة: ٣٣، فهل بعد هذه العقوبة من عقوبة؟!

وقد دعا الإسلامُ إلى فِعل كلِّ ما يُقوِّي الروابطَ والصلات بين أبناء الوطن الواحد، ثم بين أبناء الأُمَّة، ثم بين بني الإنسان.

ومن معاني ومدلولات حب الوطن: الحفاظ على الحق العام والإلتزام بالقوانين والتعليمات الصادرة عن الجهات المسؤولة والتقيد بقواعد السير وأخلاقياته التي تؤدي الى حماية الأرواح والممتلكات من الهدر والضياع وفقدان أبناء الوطن نتيجة التهور وعدم المبالاة، بالإضافة الى ان حب الوطن يتطلب المحافظة على النظافة العامة فالنظافة من الإيمان وهذا من أجمل صور حب الوطن.

وإن الإبتعاد عن مظاهر الفوضى والإزعاج في المناسبات المختلفة والتي تؤذي الآخرين وتعمل على إحداث تلوث في البيئة هي من صور حب الوطن ايضاً، كما إن الإبداع والابتكار والإخلاص في العمل من الامور التي يجب التحلي بها ابتغاء لمرضاة الله تعالى اولا ثم خدمة الاوطان ثانيا.

حب الوطن في الإسلام: لا يعني: العصبيةَ، التي يُراد بها تقسيمُ الأمة إلى طوائفَ متناحرةٍ، متباغضة، متنافرة، يَكيد بعضها لبعض، وفي الحديث: «مَن قُتِل تحت راية عُمِّيَّة، ينصر العصبية، ويغضب للعصبية، فقتلتُه جاهليةٌ».

حب الوطن في الإسلام: لا يعني: اتِّباعَ القومِ أنَّى ساروا، ونصرَهم على كل حال؛ بل يعني: العدلَ والإنصاف، والحوار البناء الهادف.

وعن عبَّاد بن كثير الشامي، عن امرأةٍ منهم يقال لها: فسيلة، قالت: سمعت أبي يقول: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول

الله، أمِنَ العصبيةِ أن يحب الرجلُ قومَه؟ قال: «لا، ولكن من العصبية أن يُعِينَ الرجلُ قومَه على الظلم»؛ رواه أحمد وابن ماجة.

وحب الوطن في الإســـلام: لا يعني: الانفصال عن جسد الأمة الإسلامية، أو نسيان مبدأ الإنسانية، فلا ننصر مظلومًا، ولا نغيث ملهوفًا، ولا نعين مكروبًا، ما دام أنه ليس في حـــدود الوطن، والنبي ﷺ يقول: «مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم مثلُ الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعَى له سائر الجسد بالسهر والحمى»؛ متفق عليه.

إن حدود الوطن التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره، لا تقتصر على حدود قطعة الأرض التي يولد عليها المرء؛ بل إن الوطن يشمل القطر الخاص أولاً، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى.

◆ التربية الإيمانية السليمة تعزز حب الأوطان:

التربية الإيمانية هي التي تعزز حب الوطن في النفوس، فهناك ارتباط ما بين الدين وحب الوطن، فبلادنا بلاد مقدسة مباركة، نص الله تعالى على ذلك في كتابه العزيز وفيها مثوى الصحابة والصالحين في سلف هذه الأمة فكلما تمكن الدين في النفوس كلما ازداد تعلقنا ببلادنا ومقدساتنا.

ومن مظاهر حب الوطن عدم الإسراف من حيث استنزاف خيرات البلاد وثرواتها الطبيعية، تحقيقاً لمبدأ العدالة في الإستهلاك والإنفاق الذي ميز فيه الله المؤمنين في عباده قال الله تعالى: **﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾** الفرقان: ٦٧ .

وأن من مظاهر حب الوطن ايضاً يعني الحرص على الأخذ بأسباب العلوم والمعارف والعمل على اكتساب المهارات في مختلف الفنون وشتى أنواع العلوم عملاً بقول النبي ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها» رواه ابن ماجة، ولا نقصد بالعلوم هنا علوم الشريعة الإسلامية فحسب فهي على شرف وعظم منزلتها لا تغني عن علوم الطب والفيزياء والتكنولوجيا الحديثة وغير ذلك مما أضحى اليوم مقياس تقدم الأمم وتفوقها.

وهكذا فإن دور التربية الإسلامية يتمثل في تنمية الشعور بحب الوطن عند الإنسان في ما يلي:

١- تربية الإنسان على استشعار ما للوطن من أفضال سابقة ولاحقة عليه (بعد فضل الله سبحانه وتعالى) منذ نعومة أظفاره، ومن ثم تربيته على رد الجميل، ومجازاة الإحسان بالإحسان لا سيما أن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحث على ذلك وترشد إليه كما في قوله تعالى: ﴿**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**﴾ الرحمن: ٦٠ .

٢- الحرص على مد جسور المحبة والمودة مع أبناء الوطن في أي مكان لإيجاد جو من التآلف والتآخي والتآزر بين أعضائه الذين يمثلون في مجموعهم جسداً واحداً متماسكاً في مواجهة الظروف المختلفة .

٣- غرس قيم ومعاني الانتماء الإيجابي للوطن، وتوضيح معنى ذلك الحب، وبيان كيفيته المُثلى من خلال مختلف المؤسسات التربوية في المجتمع كالبيت، والمدرسة، والمسجد والنادي، ومكان العمل، وعبر وسائل الإعلام المختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

٤- العمل على أن تكون حياة الإنسان بخاصة والمجتمع بعامة كريمة على أرض الوطن، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عندما يدرك كل فرد فيه ما عليه من الواجبات وما له من حقوق فيقوم بها خير قيام.

٥- تربية أبناء الوطن على تقدير خيرات الوطن ومنجزاته والمحافظة على مرافقة ومكتسباته التي من حق الجميع أن ينعم بها وان يتمتع بحظه منها كاملاً غير منقوص.

٦- الإسهام الفاعل والإيجابي لخدمة الوطن ورفعة شأنه سواء كان ذلك الإسهام قولياً أو عملياً أو فكرياً، وفي أي مجال أو ميدان لأن ذلك واجب الجميع، وهو أمر يعود عليهم بالنفع والفائدة على المستوى الفردي والاجتماعي.

٧- التصدي لكل أمر يترتب عليه الإخلال بأمن وسلامة الوطن، والعمل على رد ذلك بمختلف الوسائل والإمكانات المتاحة.

٨- الدفاع عن الوطن والحفاظ على مكتسباته بالقول والفعل.

الهجرة النور

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

غـــــادرت مكة للمـــــدينة حـــــادياً	ركب الصـــحــابة في خطاك ترسمـوا
هاجـــرت في الأســـحـــار هجـــرة واثق	بالله يحــــدوك الكتـــــاب المحكم
فـاســتـقـبلوك على مـشارف يثـرب	اهل بتـــــرحـــــاب يجل ويعظم
فـــحللتـــهـــا مـــا بين اهلك وادعـاً	فـــإذا همـــو عـــقــــد لديك منظم
والتــفـت الأنصـــار حـــولك مـــثلما	يحظى بواثقـــه الســـوار المعـــصـم
ألفت بين المسلمين فــأصـــبــحـــوا	بين الخليـــقـــة عـــروة لا تفـصم

لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة ايذاناً بعهد جديد.. عهد منير.. عهد مديد.. عهد مجيد.. عهد يملك فيه المسلمون تصريف شؤونهم وممارسة حياتهم ونشاطهم، وان يكونوا قادة لأنفسهم وقادة لمجتمعهم منطلقون في الدعوة الى الله تعالى وعلى منهجه، ساعين الى إقامة حكمه في الأرض، وقد كانوا من قبل لا يستطيع الواحد منهم ان يدفع الأذى عن نفسه فضلاً عن غيره، لقد جابهوا وواجهوا ألواناً شتى من العذاب والظلم والسيطرة الطاغية من قريش، وكل ذلك بإخلاص النية لله تعالى والصبر والثبات، ومحبة عظيمة لحامل الرسالة الرسول الكريم محمد ﷺ، سيد الأولين والآخرين، والذي لاقى ما لاقاه أصحابه، وكان ﷺ قدوة في الصبر والثبات، ومثلاً يحتذى لما حمله من رسالة تحمل في طياتها ما هو نور ومجد وصدور وحضور للإسلام والمسلمين.

لم يترك الرسول ﷺ مكة مهاجراً الى

المدينة المنورة، فراراً من قريش وتعذيبها وصدّها، أو تجنباً لمحنة او طلباً للراحة والعيش الرغيد، بل هاجر ليتحدى الوثنية والشرك وأنصاره ويتصدى لهم، وليرسي قيم الحق والعدل والخير ويمكنها في الأرض لتكون حاكمة للناس ومحَكِمة لأمورهم، وان أحب البلاد اليه ﷺ كانت بحاجة ماسة وحتمية الي إزالة قسوة القلوب وتحجر العقول، التي لم تعد تتقبل الهداية وترى نور الحق والعدل.

هاجر النبي الأعظم ﷺ الى المدينة المنورة.. مدينة النور، حيث رأى أنها تصلح الى أن يبني دعائم الاسلام وأساساته ويسند مراحله، فكانت منطلقاً للدعوة الاسلامية وإقامة المجتمع المسلم.

فمنذ اللحظة الأولى التي خطت فيها قدماه الشريفتان على أرض المدينة.. شرع الهادي ﷺ في تنظيم علاقة الفرد المسلم بخالقه جل وعلا، فبنى المسجد النبوي الشريف، حيث شارك ﷺ في بناء هذا المسجد مع جميع المسلمين، ليكون مكاناً للعبادة، ومدرسة تربوية نبوية، وجامعة للمسلمين، ومكاناً للشورى والقضاء وفض النزاع، ومنظماً لعلاقة الفرد بأخيه المسلم، فجاءت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي لم يشهد لها مثيل، ومن ثم تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وكان لهذا المسجد النبوي من المكانة ما له في هذه الشؤون وغيرها من شؤون المسلمين.

وبهذا كانت الهجرة النبوية الشريفة، فاصلاً مهماً بين عهد الظلم والتعذيب والهوى وغياب العقول.. عهد الجاهلية الباطلة، الى عهد جديد مشرف مسلم قائم على مبادئ العدل والحق والمساواة.. سائراً في الدعوة الى دين الله عز وجل، وإقامة حدوده وأحكامه، فكان المجتمع المسلم مثالاً متميزاً لجميع المجتمعات، حيث لم يحظ أي فرد في المجتمعات الأخرى بما حظي به الفرد في المجتمع المسلم، والتاريخ شاهد على ذلك.

وفي الختام عسى ان تفي هذه الأبيات فيما يجوب في خاطري في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة، ولو بجزء بسيط جداً على لسان الشاعر هاشم صالح سلامة:

يا صاحب الذكرى ونفح عبيرها

صلى عليك العالمون وسلموا

ارسيت للإسلام أوثق شرعه

بصراطها وقويمها نستعصم

قد شاء ربك ان يفيك تمامه

وبه الرسالات السوابق تختم

أهلاً بذكرى نستظل ظلالها

قد زفها غر الشهور محرم

والحمد لله رب العالمين

فضيلة الصبر

■ بقلم الشيخ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

الصبر من أعظم الفضائل والصفات التي يتحلى بها المؤمن، وقد ذكر الله الصبر في كتابه الكريم في مواضع كثيرة وأثنى على فاعله، وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه، قال جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ البقرة: ١٥٣، فبدأ سبحانه وتعالى بالصبر قبل الصلاة، ثم جعل ذاته العلية، مع الصابرين دون المصلين.

وذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في نحو من تسعين موضعاً، وأضاف اليه اكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، فقال تعالى: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾** السجدة: ٢٤، وقال جل وعلا: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** الزمر: ١٠، وقال سبحانه: **﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾** الأعراف: ١٣٧، وأمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالصبر، فقال: **﴿واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾** الأحقاف: ٣٥، وقال تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾** الكهف: ٢٨ .

ووصف رسول الله ﷺ الصبر بأنه ضياء، فقال: «والصبر ضياء» رواه مسلم عن الحارث بن عاصم الأشعري، والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع من الحرارة كضياء الشمس، بخلاف القمر فإنه نور فقط وليس فيه حرارة وإحراق، قال جل جلاله: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾** يونس: ٥ .

ومن هنا وصف الله تعالى شريعة موسى عليه السلام بأنها ضياء، فقال سبحانه:

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾ الأنبياء: ٤٨، فالغالب على شريعة موسى عليه السلام الضياء، لما فيها من الآصار والأغلال والأثقال، بينما وصف شريعة سيدنا محمد ﷺ بأنها نور لما فيها من الحنيفية السمحة، فقال جل شأنه: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾** المائدة: ١٥، ولما كان الصبر شاقاً على النفوس، يحتاج الى مجاهدة النفس وحبسها وكفّها عما تهواه كان ضياء.

والصبر المحمود ثلاثة أقسام:

صبر على طاعة الله، وصبر على المعاصي، وصبر على المصائب والأقدار المؤلمة، وأفضل أنواع الصبر الصيام، فإنه يجمع الصبر بأنواعه الثلاثة السابقة، فهو صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر على المعاصي، لأن العبد يترك شهواته لله وكما جاء في الحديث الصحيح: «ان الله عز وجل يقول: كل عمل ابن آدم له الا الصوم فهو لي وانا اجزي به، يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي» متفق عليه.

وكذلك في الصوم صبر على الأقدار المؤلمة بما يحصل للصائم من جوع وعطش.

وللصبر آداب، منها:

استعماله في اول صدمة، وكما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي! ولم تعرفه، فقيل لها: انه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «انما الصبر عند الصدمة الأولى» متفق عليه.

ومن آداب الصبر الاسترجاع عند المصيبة مصداقاً لقوله تعالى: **﴿الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا: انا لله وإنا اليه راجعون﴾** البقرة: ١٥٥ .

ومن الآداب ايضاً سكون الجوارح واللسان، فأما البكاء فجائز وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ حيث بكى لفقدان ولده ابراهيم، حيث قال: «ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون» متفق عليه.

ومن حسن الصبر ان لا يظهر أثر المصيبة على المصاب، كما فعلت ام سليم زوجة أبي طلحة رضي الله عنه لما مات ابنها وكما جاء في الصحيحين عن انس رضي الله عنه قال: «كان ابن لابي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج ابو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع ابو طلحة، قال: ما فعل الصبي؟ قالت ام سليم -وهي ام الصبي-: هو أسكن ما كان، فقربت اليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما اصبح ابو طلحة

أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «أعرستم الليلة» قال: نعم، قال: اللهم بارك لهما»، فولدت غلاماً فقال ابو طلحة: أحمله حتى نأتي النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وبعثت معه تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم اخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسمّاه عبد الله» متفق عليه.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحث على الصبر وتشجع عليه، فقد جاء في الصحيحين عن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، الا كفر الله بها من خطاياه» متفق عليه.

وعن عطاء بن ابي رباح رضي الله عنه قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع واني اتكشف فادع الله تعالى لي، قال: «ان شئت صبرت ولك الجنة، وان شئت دعوت الله تعالى ان يعافيك، فقالت: اصبر، ثم قالت: اني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف، فدعا لها» متفق عليه.

وجاء في صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنهما، ان رسول الله ﷺ في بعض ايامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف» متفق عليه.

ومن الذين ضرب فيهم المثل الأعلى في الصبر، سيدنا أيوب عليه السلام، فقد ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك، وقصة ذلك ما روي ان ملكاً من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس، فنهاه جماعة من الأنبياء عن الظلم، وسكت عنه أيوب عليه السلام، فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له في مملكته، فأوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك، فقال ابليس لعنه الله: يا رب سلطني على أولاده وماله، فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعاً وقذفوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجناته فأحرقوها، وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولداً وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا، ثم خر ساجداً لله تعالى، وقال: **﴿رب اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين﴾**، فلما علم الله تعالى ثباته على بلواه كل هذه المدة التي قيل: انها ثمان عشرة سنة، وقيل غير ذلك، وانه

لم يشك امره لمخلوق وصبر، رحمه الله ولطف به فقال تعالى: ﴿**فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا**﴾ الأنبياء: ٨٤، وأفاض عليه من نعمه ما أنساه بلوى نقمه، وأكرمه ان افتاه في يمينه تحلة قسمه فقال تعالى: ﴿**وخذ بيمينك ضغثاً واضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب**﴾ ص: ٤٤.

وقال بعض الحكماء: من كنوز البر كتمان المصائب، وقد كانوا يقومون بالمصائب نظراً لثوابها، فقد روي انه لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دفنه عمر وسوّى عليه ثم استوى قائماً فأحاط به الناس، فقال: رحمك الله يا بني قد كنت براً بأبيك والله ما زلت مذ وهبك الله تعالى لي، مسروراً بك ولا والله ما كنت قط اشد بك سروراً ولا ارجى بحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله اليه.

فإن قيل: ان كان المراد من الصبر عدم كراهية المصائب فلا قدرة للآدمي على ذلك، وأما ذكر من فرح بعضهم فذلك فرح شرعي لا طبعي، اذ الطبع لا بد له من كراهية المصائب، ولكن الفرح لما يرجى من الثواب عليها، ومثال ذلك لو ان ملكاً قال لرجل فقير: كلما ضربتك بهذا العود اللطيف ضربة اعطيك ألف دينار، لأحب كثرة الضرب لا لأنه لا يؤلم، ولكن لما يرجو من عاقبته وان آلمه الضرب، وكذلك السلف الصالح تلمّحوا الثواب فهان عليهم البلاء.

والصبر على ضربين:

أحدهما: بدني لتحمل المشاق بالبدن لتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو من غيرها.

والثاني: الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

فإن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج، سمي عفة.

وان كان صبراً في القتال، سمي شجاعة.

وان كان في كظم الغيظ، سمي حلماً.

وان كان في نائبة مضجرة، سمي سعة صدر.

وان كان اخفاء أمر، سمي كتمان سر.

وان كان في فضول عيش، سمي زهداً.

وان كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ، سمي قناعة.

نسأل الله ان يكتبنا من الصابرين ويدخلنا الجنة بغير حساب، آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

فيا حزني اذا طال اكتئابي

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

ألا فاعمل الى يوم الحساب ... ولا تركن الى عمر التصابي
فقد خط المشيب له رسوماً ... بمفرق هامتي يا ويل ما بي
سنين العمر مرت لست ادري ... فهل سرنا على نهج الكتاب
سويعات الليالي قد تقضت ... وطال على عزيزتنا عتابي
انفسي هل هديت لخير رشد ... ام انك في ضحاضيح العذاب
فكيف اذا وقفت يوم حشر ... فيا حزني اذا طال اكتئابي
وهل اعددت من خير يرجى ... بيوم الحشر في شرخ الشباب
فيا حزني اذا ضيعت عمري ... الى الرحمن يا دنيا إيابي
سأُسأل عن صغير مع كبير ... ولا أدري أفي اليمنى كتابي
فإن تنعم بدار الخلد نفسي ... فيا سعدي اذا حطت ركابي
ويا ويلي ثم ويلي ... اذا شبت جهنم في ثيابي
أضعنا الفرض والأركان ضاعت ... الى الاسلام قد كان انتسابي
تقاعسنا لهونا واقترفنا ... ذنوباً رسمها وسط الكتاب
إلهي قد سألتك عتق نفسي ... بشهر الصوم خفف لي حسابي
فقد مرت ليالي الصوم فينا ... هلال الصوم يوشك للغياب
ولا ندري احققنا قبولاً ... ام ان القلب في شهري غدا بي
إلهي كن لنا دوماً معيناً ... واغفر حوبتي واشف مصابي
وشفع في أبي سفيان طه ... ابا الزهراء يا طول اغترابي



خطبة الجمعة

الهجرة ذكرى وأمل وعبرة

بقلم الدكتور محمد الحسين

كلما أطل شهر الله المحرم وبدأ العام الهجري الجديد، عادت الذكرى بالمسلمين إلى صدر الإسلام ونشأة المسلمين.. حقاً إنها لذكرى عظيمة في حياة الإسلام والمسلمين، تتطلع نفوسهم إلى ماضيهم التليد، وتهفو أفئدتهم إلى مجدهم وعزهم القديم، ذكريات عظيمة وآمال جسيمة وعبر قويمة.

يتذكر المسلمون كيف بدأ الرسول ﷺ دعوته إلى الله تعالى فآمن به من آمن وكفر من كفر.

يتذكر المسلمون كيف وقف المشركون وزعماء مكة في وجه الدعوة إلى الله تعالى، وكيف أرادوا أن يمنعوا نور الله من الظهور والإشراق، فصدوا عن سبيل الله وآذوا المسلمين والمؤمنين، ولم يكتفوا بذلك، بل وصل أذاهم وأيديهم الدنيئة إلى رسول الله ﷺ، فآذوه شخصياً ونفسياً، لا لشيء إلا لأنه دعاهم إلى الله تعالى، لأنه دعاهم إلى الإيمان بالله وحده لا

شريك له، وترك عبادة الحجارة التي صنعوها بأيديهم، لأنه ﷺ دعاهم إلى كلمة إذا قالوها سادوا العرب ودانت لهم العجم هي كلمة "لا إله إلا الله".

نعم معشر المسلمين يتذكر المسلمون المؤامرة الكبرى التي اجتمع فيها المكر السيئ من المشركين والكيد الآثم من الشياطين، ليضعوا حداً لمحمد ﷺ ودعوته، فيحبسوه أو ينفوه أو يقتلوه **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: ٣٠ .

يتذكر .. المسلمون تلك الليلة الآثمة التي اجتمع فيها شباب المشركين وفتيانهم الأقوياء حول بيت رسول الله ﷺ، ليقتلوه إذا خرج لصلاة الفجر بضربة رجل واحد، فيضيع دمه بين القبائل ويرضى أهله بالدية.

نعم اخوة الايمان، يتذكر المسلمون كيف خرج الرسول ﷺ من بيته وسط هذه الجموع التي جاءت تريد قتله - بنفوس يملؤها الحقد والكراهية- وهو يقرأ قوله تعالى: **﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾** يس: ٩.

يتذكر المسلمون كيف جن جنون قريش، لما علمت أن الرسول ﷺ قد خرج من بين من جاءوا يريدون قتله ولم يشعروا به.

يتذكر المسلمون كيف بلغ حقد قريش ذروته، إذ سارعوا في طلب الرسول ﷺ ووضعوا الجائزة "مائة ناقة" لمن يأتي به حياً أو ميتاً.

يتذكر المسلمون رسول الله ﷺ وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد وصل طلب المشركين إلى فم الغار وأصبح الصديق يرتجف خوفاً على رسول الله ﷺ وهو يقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيجيبه الرسول ﷺ قائلاً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، قال تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**

فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ التوبة: ٤٠ .

نعم أيها المؤمنون، يتذكر المسلمون طريق الهجرة بمشاقه ومصاعبه ومتاعبه وأهواله، وفيافيه وقفاره وحره وقسوته، يمخر عبابه الموكب الميمون رسول الله ﷺ وصاحبه ومعهما الدليل عبد الله بن أريقط، يعترضهم سراقة بن مالك طالباً لرسول الله ﷺ طامعاً في جائزة قريش فيصيبه ما أصابه من الهلع والخوف، فيطلب الأمان من رسول الله ﷺ بعد أن كان يريد أسره وتسليمه لقريش، ويبشره الرسول ﷺ بقوله: «كيف أنت يا سراقة إذا لبست سواري كسرى»، وتمر الأيام ويفتح الله بلاد فارس للمسلمين وتأتي الغنائم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيها سوارا كسرى فينظر إليهما عمر ويدعو سراقة ليلبسه سواري كسرى فكأنه استحلاهما، فأمره عمر بنزعهما وقال له: إنما فعلت ذلك لأصدق وعد رسول الله ﷺ.

يتذكر المسلمون أهل المدينة وقد خرجوا لاستقبال رسول الله ﷺ بالفرح والسرور والغبطة والسعادة، لأنه ﷺ اختارهم ليكونوا أنصاره وليقيم دولة الإسلام في المدينة المنورة.

يتذكر المسلمون أعمال الرسول ﷺ في المدينة عندما وصلها، حيث أسس مسجده، وآخى بين المسلمين المهاجرين والأنصار، وأمن المدينة بكتابة الصحيفة مع من كان فيها من اليهود.

يتذكر المسلمون بناء دولة الإسلام، وعقد ألوية الجهاد في سبيل الله لنشر دين الله ولنصرة المستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان.

يتذكر المسلمون دخول الناس في دين الله أفواجاً، بعد أن انتشرت الدعوة وعمت أطباق الأرض وإعزاز الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين، وكيف أظهر الله دينه على الدين كله.

يتذكر المسلمون ذلك كله ولكن عيونهم تنظر بخجل وحسرة وألم وأسى

وحزن إلى واقعهم الأليم، فيرون مجدهم قد انهار أو بدأ بالانهيار، ويرون حضارتهم كأنها تحتضر، يرون عزتهم وقوتهم بعيدة عنهم، يرون فرقتهم وضعفهم، يرون ذلهم وهوانهم على أعدائهم، يرون بعضاً من أرض الإسلام التي فتحها آباؤهم وأجدادهم بدمائهم وأرواحهم، يجدونها تنساب من أيديهم لتقع في يد أعدائهم وهم يتسلطون على إخوانهم في الدين، فيسومونهم الخسف ويمنعونهم النصف ويذيقونهم الذل والهوان، يرون أرض الإسراء وثالث الحرمين تعبث فيه أيدي اليهود الخبيثة فيدنسونه ويقتلون أهله وهم الذين أخرجهم الرسول ﷺ من المدينة، بعد نقضهم العهود والمواثيق وهم الذين نفاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض الجزيرة تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ.

وبين هذه الآلام وتلك الذكريات أيها المؤمنون، دروس وعبر وآمال وعظات يستفيدها المسلمون.

فمن هذه العبر:

١- أن يقف المسلمون وقفة محاسبة مع نفوسهم لتجديد العهد مع الله وفتح صفحة بيضاء نقية، ولتحديد المسار وتصحيح الأهداف وتدارك ما فات وإصلاح ما فسد وإعادة ما سلب وضاع.

٢- أن يذكر المسلمون أن الهجرة كانت حداً فاصلاً بين الباطل والحق وبين الضعف والقوة، وبين الذلة والعزة وبين الضياع والوجود.

٣- أن يذكر المسلمون أن الهجرة بناء دولة وأمة، وإقامة كيان وإثبات وجود فمنذ اليوم الأول للهجرة، أسس الرسول ﷺ قواعد دولة الإسلام، وقام للإسلام دولة ورجال يحسب لهم ألف حساب.

٤- أن يخلص المسلمون دعوتهم إلى الله تعالى وأن يصدقوا فيها، فلقد أخلص الرسول ﷺ دعوته إلى الله وبذل كل جهد في سبيل هذه الدعوة، ورفض كل المغريات التي عرضت عليه لترك الدعوة.

٥- عظيم أن يثق المسلمون بالله وأن يعتمدوا عليه، فلقد كان الرسول ﷺ كثير الثقة بالله، كثير الاعتماد عليه في كل أحواله لا يخشى في الله لومة لائم.

٦- أن يقدم المسلمون التضحية والفداء وقد كان للتضحية والفداء، التي قام بها الرسول ﷺ وأصحابه أكبر الأثر في بناء الأمة وإرساء الدولة الإسلامية.

ضحى المسلمون الأوائل بكل غال ونفيس وبالروح والمال والأهل والولد والوطن، وباعوا أرواحهم لله تعالى وهاجروا إلى الله ورسوله رجالاً ونساء شيباً وشباباً كباراً وصغاراً.

وضحى الأنصار في سبيل نصرة دين الله عز وجل وقاموا بحق الأخوة الإسلامية خير قيام، وضحى المسلمون من بعدهم بأرواحهم ودمائهم وأموالهم في سبيل الله، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله حتى انتشر الإسلام وانتصر، وعلا أمر هذا الدين وملأ طباق الأرض.

هذه هي الهجرة وهذه بعض معانيها ودروسها وعبرها.. نسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يعيد للمسلمين عزهم وكرامتهم ويمكِّن لهم في الأرض، وأن يجعلهم كما كانوا خير أمة أخرجت للناس، إنه سميع مجيب.. والحمد لله رب العالمين.

بحمد الله تم



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العـــدد الثاني - المجلــــد ٥٤
ربيع الأول ١٤٣١هـ - شباط ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثاني ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

في رحاب ذكرى

ونحن نعيش في رحاب ذكرى سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين، بل سيد الخلق والكائنات، حري بالمسلم ان يتعرف على أخلاق وشمائل وخصائص هذا النبي العظيم ﷺ، كي يتصف ويتجمل بهذه الأخلاق الرائدة، والشمائل الرفيعة، والخصائص السامية، ما استطاع الى ذلك سبيلاً.

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس عنهم، من غير ان يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويصوبه، ويقبّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يتجاوزه الى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده، أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة ومؤازرة».

كما جاء في أخلاق المصطفى ﷺ «انه كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا فاحش ولا عيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ويؤيس منه، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك ﷺ الناس عن ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عوراته، ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه.

وكان ﷺ اذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، واذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم انصتوا له، حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه.

مولد سيد الأنبياء ﷺ

وجاء في شمائله ﷺ ان سكوته كان على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكير، فأما تقديره ففي تسوية النظر، والاستماع من الناس، وأما تفكيره ففيما يبقى ولا يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه.

وجمع له الحذر في اربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليُنتهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما هو خير لهم، جمع لهم خير الدنيا والآخرة.

ونظراً لأهمية شهادات العلماء الغربيين المنصفين لنبي الاسلام ﷺ، اذ رب شهادة باحث او مستشرق غربي اوقع في قلوب قومه، من شواهد ونصوص اسلامية كثيرة، نقتصر على ذكر شهادتين فقط:

يقول الباحث البلجيكي «الفرد الفانز»: «شب محمد ﷺ حتى بلغ، فكان اعظم الناس مروءة وحلماً وأمانة، وأحسنهم جواباً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش، حتى عرف في قومه بالأمين».

ويتحدث الباحث الروسي «ارلونوف» عن نبي الرحمة ﷺ فيقول: «واشتهر بدماثة الأخلاق ولين العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس، قضى محمد ﷺ اربعين سنة مع الناس بسلام وطمأنينة، وكان جميع اقاربه يحبونه حباً جماً، وأهل مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً، لما عليه من المبادئ القويمة والأخلاق الكريمة، وشرف النفس والنزاهة».

فحري بالإنسانية الحائرة التائهة في بيداء الحضارة الزائفة، ان تثوب الى رشدها، وان تخلد الى اتباع هذا النبي العظيم الذي ما ارسله الله الا رحمة للعالمين، صلوات ربي وسلامه عليه الى يوم الدين.

أسرة التحرير

إعجاز القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم السلام، لهداية الناس الى معرفته وتوحيده والايمان به، وإرشادهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأيدهم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، الدالة على صدقهم فيما جاءوا به عن ربهم تبارك وتعالى.

والمعجزة هي: أمر خارق للعادة خارج عن حدود الاسباب المعروفة، يعجز البشر متفرقين ومجتمعين على الاتيان بمثلها، يجريها الله سبحانه وتعالى على يد رسول أو نبي، شاهدة على صدقه بأنه مبعوث من قبل الله الى خلقه لهدايتهم.

فالهدف من المعجزة، هو الدلالة على صدق النبي صاحب المعجزة، بأنه صادق في دعواه النبوة، وفيما يبلغ به الناس عن الله تبارك وتعالى.

وكان الله سبحانه يعطي كل رسول من المعجزات ما يناسب قومه وأهل عصره، فلما كان قوم فرعون اشتهروا فيما اشتهروا به السحر وصناعته، وبلغوا الذروة فيه، آتى الله رسوله موسى عليه السلام معجزة العصا التي تنقلب الى ثعبان، واليد التي تصبح بيضاء متلألئة من غير سوء، فكان السحرة المهرة أو من آمن به لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن العصا والحبال بالسحر لا تتغير عن حقيقتها وانما يخيل للناظر عن طريق الإيهام والخداع بأنها تسعى، وهم قد رأوا ان عصا موسى قد تحولت فعلاً الى ثعبان، وأنها كانت تسعى، وهذا لا



يكون من عند موسى عليه السلام، وانما من عند الله سبحانه وتعالى الذي أرسله، فآمنوا بالله بمجرد وقوع هذه المعجزة، وقالوا لفرعون عندما توعدهم بسبب ايمانهم بالله بالقتل: **﴿فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا ❖ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾**(١).

ولما كان الرومانيون اصحاب السلطان في البلاد التي نشأ فيها عيسى عليه السلام أهل علم واسع بالطب آتاه من المعجزات التي تناسبهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت بإذن الله.

ولما كانت العرب قد ارتفعت في لغتها فصاحة وبلاغة، الى درجة لم تتفق لغيرها من الأمم جعل الله معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى كتاباً معجزاً لهم، ولسائر الخلق، في نظمه واسلوبه وفصاحته وبلاغته ومعانيه، فقامت عليهم الحجة به بأقوى مما قامت معجزات موسى وعيسى على أقوامهم.

الفرق بين معجزة الرسول ﷺ ومعجزة باقي الرسل:

أولاً: ان معجزة الرسول ﷺ شاء الله ان تكون جوهر رسالته وحقائقها لا تنفصل عنها، وهو القرآن الكريم، بخلاف معجزات باقي الرسل والأنبياء والسابقين فهي غير الرسالات التي بشروا بها، فعصا موسى عليه السلام غير توراته، وطب عيسى عليه السلام غير انجيله.

ثانياً: ان معجزات الرسل الأولين وقعت في حياتهم وانقضت بموتهم، وهي حجة على من شاهد تلك المعجزة في عهد ذلك النبي او الرسول، ثم على من صدق المخبرين بها من بعدهم، ولكن معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قائمة تتكرر كل يوم وهي خالدة أبد الدهر، لأن الله قد تعهد بحفظها، لتبقى حجة على الناس في كل زمان ومكان، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾**(٢).

وقد اجمع المؤرخون في القديم والحديث على اشتهار العرب بقوة البيان، وذوق الكلام، والتفريق بين كريمه وسقيمه، وجميله وهجينه، وخاصة في الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم، حيث كان ذلك العصر أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، حيث كانوا يقيمون الأسواق الخطابية والشعرية في موسم الحج، كسوق عكاظ ومجنة وذي المجاز.

فتحشد الحشود في هذه الأسواق،

ويعرض الشعراء والخطباء أجود ما عندهم من الشعر والخطابة، ويستوي في ذلك الرجال والنساء، وقد ظهر ذلك في المعلقات التي كانت تعلق على أستار الكعبة أشرف مكان عندهم، وقد وصف القاضي عياض بيانهم في كتابه الشفاء، فمما قال في ذلك: «خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب، وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخِلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به الى كل سبب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن ويهجون الدمن..» الى آخر ما ذكره القاضي عياض في بيان بلاغة العرب، ومقدار ادارتهم لجمال الكلمات، ورنينها في آذانهم.

في هذه الفترة التي وصل بها العرب الى ارقى وأزهى عصور البيان العربي، نزل القرآن الكريم، على رجل عربي أمي، وهو محمد بن عبد الله ﷺ، من قريش، يعرف قومه كرامة أصله، وصدقه وأمانته، ومكارم أخلاقه، عاش بينهم من لدن صباه وطفولته، الى ان بلغ سن الأربعين، ففاجأهم وكلمهم بما لا عهد له به، في سالف حياته، وبما لم يتحدث الى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، قال الله تعالى مثبتاً ذلك: **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾**[٤]، وقال: **﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون﴾**[٥].

«وعندما شكّوا من ان القرآن منزل من عند الله وقالوا بأنه كلام بشر وأنه اختلقه ونسبه الى الله كذباً! تحداهم به وكرر هذا التحدي وتدرج معهم في التحدي من الأعلى الى الأدنى.

تحداهم أول مرة بأن يأتوا بكلام مثل القرآن ان كانوا صادقين في قولهم: ان محمداً ﷺ اختلقه ونسبه الى الله كذباً، قال تعالى: **﴿أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون ❁ فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾**[٦].

وعندما عجزوا عن ان يأتوا بمثله، تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، وان يستعينوا بما يمكن الاستعانة به من الإنس والجن، قال تعالى: **﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم**

صادقين﴾[٧].

وعندما عجزوا ان يأتوا بعشر سور مثله، تحداهم مرة ثالثة، بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، وأباح لهم ايضاً ان يستعينوا على ذلك بمن يشاؤون من دون الله ان كانوا صادقين في دعواهم بأن القرآن كلام بشر وانه من عند محمد ﷺ، والسورة كما نعلم قد لا تزيد على سطر كسورة الكوثر والإخلاص، قال تعالى مثبتاً هذا التحدي: **﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾**[٨].

وعندما عجزوا عن ان يأتوا بسورة مماثلة لسورة من القرآن الكريم تنازل معهم من طلب المماثل الى طلب شيء مما يماثل، فطلب سورة واحدة من مثله، فلم يكلفهم في المرة الرابعة وهي الأخيرة من التحدي بأن يأتوا بالمماثلة التامة بل طالبهم بأن يأتوا بما يكون مثلاً على التقريب لا التحديد، وهي أقصى ما يمكن من التنزل في التحدي، ولذا كان هو آخر صيغ التحدي قال تعالى: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ❖ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين﴾»**[٩].

فقد ألهب مشاعرهم بهذا التحدي واستفزهم وأجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله: **﴿ولن تفعلوا﴾** ثم هددهم بالنار وساوى بينهم وبين الحجارة ولكنهم مع ذلك لم يجدوا ثغرة ينفذون منها الى معارضته فصمتوا عن منافسته، مع ما عرف عنهم من إباء وعزة وفخار، بل ان بعضهم كالوليد بن المغيرة الذي كان من اكبر بلغاء قريش، ومن الذين عاندوا النبي ﷺ وعادوه وجاحدوه استعلاء واستكباراً قال لأبي جهل عندما طلب منه ان ينتقد القرآن: «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا رجزه ولا قصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وانه لمثمر أعلاه وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته».

و بين الله سبحانه بعد التحدي المتكرر الذي تنزل به معهم الى الأخف فالأخف، وثبوت عجزهم بأنه لو اجتمعت الانس والجن جاهدين على ان يأتوا بمثله لن

يستطيعوا الى ذلك سبيلاً، فرماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة فقال: **﴿لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**.

فالقرآن معجزة للخليقة كلها وفيه الدليل على أنه من عند الله للناس اجمعين، فهو ان جاء بلسان العرب وفيه أعلى درجات البيان العربي، فهو يشتمل على ما يعجز الناس اجمعين، فإذا كان قد أعجز العرب ببيانه فقد اعجز الناس أجمعين بمعانيه وشرائعه وما اشتمل عليه من علوم مغيبات.

ويرجع اعجاز القرآن الكريم الى ما يلي:

١- الاعجاز اللغوي: والمقصود بالاعجاز اللغوي الاعجاز من ناحية الفصاحة والبلاغة والأسلوب وطريقة التأليف، فالقرآن محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، متصل بعضه ببعض، في سوره وآياته وجمله، كأنه سبيكة واحدة، ولا يوجد بين أجزائه تفكك كأنه عقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته مع انه لم ينزل جملة واحدة بل نزل مفرقاً على ثلاث وعشرين سنة، حيث كان ينزل وفقاً للحوادث، وبياناً لحكم ما عرض من الوقائع، او جواباً لأسئلة واستفتاءات أو رداً على اعتراض من المشركين، ليكون ذلك اوقع في النفس وادعى للامتثال والقبول حيث نزل عند الحاجة، وقلما كان ينزل القرآن ابتداءً غير مسبوق بحادثة او استفتاء.

وكانت السورة الواحدة أحياناً تستغرق بضع سنين كسورة البقرة مثلاً، فقد استغرقت تسع سنوات، ولكنك اذا تلوت هذه السورة أو سمعتها تجدها مسبوكة سبكاً محكماً ومترابطاً، لا ترى فيها تفاوتاً ظاهراً ولو كتب احد فحول الكتاب كتاباً على فترات متباعدة لوجدت فيه اختلافاً بيناً وتفاوتاً ظاهراً في كتابته من حيث القوة والضعف في المعنى والمبنى، فما بالك بكتاب جاء مفرقاً مدة ثلاث وعشرين سنة لا يختلف انه لتنزيل من رب العالمين.

وهو يتناول جميع المواضيع التي تعرض لها من وعد ووعيد وأخبار وأحكام وقصص وأمثال، الى آخر ذلك من المواضيع التي تناولها على درجة واحدة من القوة، ويصور الأحداث الماضية

بألفاظ قليلة كأنها صور متحركة، يشاهدها السامع أو يتصورها كأنها تحدث لحظة سماعه لها، فالمتتبع مثلاً لقصص الأنبياء في القرآن كقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقصة عيسى عليه السلام مع قومه، وقصة يوسف عليه السلام وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، يرى العجب العجاب، وتترك في نفسه أجمل الأثر بالنسبة للهدف التي تسعى الى تحقيقه وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[١٠].

والقرآن عندما ذكر حكم القتل العمد عقب على ذلك بيان حكمة مشروعيته في منتهى البلاغة والايجاز من ذلك قوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾**، وقد كانت العرب في الجاهلية تقول: «القتل أنفى للقتل» والمتأمل في هذين النصين يجد تفاوتاً كبيراً بين اللفظ القرآني واللفظ الجاهلي في البلاغة والايجاز، فاللفظ القرآني أوجز وافي العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة، واكثر في الفائدة، فهو فيه إبانة للعدل لذكره القصاص، وإبانة للغرض المرغوب فيه لذكره الحياة.

وكذلك عندما يريد ان يقيم الحجة على الخصم بعرض رأيه وحجته ويرد عليها بمنتهى الايجاز وقوة البيان من ذلك قوله تعالى: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم ❖ قل يحييها الذي أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم﴾** فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان ان يأتي بأحسن من هذه الحجة أو مثلها بألفاظ في الايجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر على ذلك، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جواباً، فكان في قوله: **﴿ونسي خلقه﴾** فبهذين الكلمتين أقام الحجة وأزال الشبهة.

الا انه لما اراد تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: **﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾** .. الخ السورة[١١]، فقد أقام الحجج فيها والبراهين على قدرة الله تعالى على البعث، مما لا يدع لأي منكر حجة بعبارة موجزة وقوة في البرهان.

٢- إخباره عن أمور غيبية قبل حدوثها:

فقد أخبر القرآن الكريم عن أمور غيبية لا سبيل لأحد من البشر ان يدركها او يتوقعها الا عن طريق الوحي من ذلك:

انه عندما كان المسلمون في مكة قبل الهجرة، حصل قتال بين الروم والفرس وغلبت الروم في هذا القتال في عقر دارهم ونكل الفرس بهم، فلم يكن أحد يتوقع انها تقوم لهم بعد ذلك قائمة، فضلاً ان يحدد الوقت الذي سيكون فيه النصر لهم على الفرس، فنزلت اوائل سورة الروم وهي قوله تعالى: **﴿الم ❖ غلبت الروم ❖ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ❖ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾**.

فقد أخبرت هذه الآيات بثلاثة أمور وجميعها خارج عن متناول الظنون:

الأمر الأول: اخبارهم بأن الروم بعد هزيمتهم الساحقة سينتصرون على الفرس.

الأمر الثاني: ان هذا النصر كائن في وقت معين **﴿في بعض سنين﴾** والبضع من ثلاث الى تسع.

الأمر الثالث: ان اليوم الذي يكون فيه النصر هناك للروم على الفرس، سيقع فيه نصر للمسلمين على المشركين ولما كان كل من النصرين نصر الروم على الفرس ونصر المسلمين على المشركين مستبعداً عند الناس اشد الاستبعاد، اكده اعظم تأكيد بقوله: **﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾**.

ولقد صدق الله وعده فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين، وكان يوم نصر الروم على الفرس هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى كما رواه الترمذي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ورواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره.

وقد كذب المشركون الأمور التي وردت في البشارة قبل وقوعها وراهن ابو بكر الصديق رضي الله عنه بعض المشركين على صدق الخبر فربح الرهان، وهناك أمور غيبية كثيرة ذكرها القرآن قبل وقوعها يطول ذكرها وتفصيلها.

من ذلك: وعده تعالى بحفظ القرآن الكريم من النسيان والتغيير والتبديل، قال تعالى: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾**(١٢).

ومن ذلك اخباره بأن الله سيحرسه ويحميه من ايذاء الكافرين وقتلهم له، قال تعالى: **﴿والله يعصمك من الناس﴾**(١٣)،

فبعد نزول هذه الآية قال رسول الله ﷺ للحرس الذين كانوا يحرسون بيته في المدينة المنورة اثناء الليل: «اذهبوا فقد عصمني الله».

وفي سورة الفتح وحدها كثير من الاخبارات التي وقعت وتحققت بعد الإخبار بها، من ذلك قوله تعالى: ﴿**قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون**﴾[١٤]، فقد حصل ذلك في حروب الردة بعد وفاة الرسول ﷺ، حيث دعاهم ابو بكر الصديق لقتال بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وذلك لأن المرتدين هم الذين يقاتلون حتى يسلموا، ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف بخلاف غيرهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون**﴾[١٥]، وقد دخل الرسول ﷺ والمؤمنون بعد صلح الحديبية المسجد الحرام وذلك قبل فتح مكة.

٣- فيما قصه علينا القرآن الكريم من انباء ما قد سبق وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع من ذلك: سرده لقصة اصحاب الكهف عندما سئل الرسول ﷺ عنهم مع ذكره للمدة التي أقاموها في الكهف على الحساب الشمسي وعلى الحساب القمري قال تعالى: ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً**﴾[١٦] والسنين التسع هي الفرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية، فانظر الى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب.

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا الاعجاز عند سرده لبعض هذه القصص، فقال عند سرده قصة مريم عليها السلام في سورة آل عمران: ﴿**وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**﴾[١٧]، وقال عند سرده لقصة موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿**وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر**﴾[١٨]، وقال عند سرده لقصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف: ﴿**وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون**﴾[١٩].

كما قال سبحانه: ﴿**تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا**﴾[٢٠]، وقال: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون**﴾[٢١].

٤- الاعجاز العلمي:

هناك لفتات علمية في القرآن الكريم أصبح بإمكان العقل البشري ان يفهمها ويدرك حقيقتها من ذلك:

أ- قوله تعالى: **﴿أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾**(٢٢)، فقد بينت الآية الكريمة ان السموات والأرض كانتا قطعة واحدة ثم انفصلتا عن بعض، والعلم الحديث يقرر ان الأرض قطعة من الشمس انفصلت عنها منذ ملايين السنين، كما تقرر الآية ان الحياة مرتبط وجودها بالماء، وهذه حقيقة ايضاً يقررها العلم الحديث وقد قررها القرآن الكريم قبل ان يقررها العلماء بمئات السنين.

ب- قال تعالى: **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير عليم﴾**(٢٣)، ان هذه الآية تتحدث عن الجبال في الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى: **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾** وبدليل قوله تعالى عن الجبال يوم القيامة: **﴿ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفاً ❁ فيذرها قاعاً صفصفاً ❁ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾**(٢٤)، والعلم الحديث يقرر كما تقرر الآية ان الجبال التي يخيل للانسان انها ثابتة، وهي في الواقع والحقيقة تدور مع الأرض.

ج- قال تعالى: **﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾**(٢٥).

هذه الآية الكريمة توضح حالة الكافر الذي لا يريد الله ان يهديه بسبب فسقه وعصيانه وإعراضه عن الله، فقد شبهه سبحانه حينما يسمع كلام الله والدعوة اليه بالانسان الذي يصعد في السماء الى ارتفاعات عالية، حيث يصاب بضيق في نفسه بسبب قلة الاوكسجين، وحيث يكون الضغط داخل الجسم اكثر من الضغط خارجه، ولذلك يستعمل رواد الفضاء الذين يصعدون الى هذه الارتفاعات اجهزة للتنفس الصناعي حتى يتفادوا هذه الحالة، وهذه الحقيقة العلمية لم يكتشفها العلم الا في العصر الحاضر، بل ان الانسان كان يعتقد انه كلما صعد الى الفضاء ازداد انتعاشاً ونشاطاً.

د- يقول الله تبارك وتعالى مبيناً كمال قدرته على اعادة الانسان وبعثه بعد موته: **﴿أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ❁ بلى قادرين على ان نسوي بنانه﴾**(٢٦) فقد

خص الله سبحانه وتعالى بالذكر قدرته على تسوية البنان للفت نظر الانسان الى المعجزة الإلهية في دقة خلق هذا البنان، **وقد اثبت «علم تحقق الشخصية»** في العصر الحاضر ان أدق شيء وأبدعه في بناء الانسان تسوية البنان، حتى انه لا يمكن ان تجد بناناً لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، ولذلك حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث في اثبات الشخصية **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**.

٥- الاعجاز الروحي:

القران الكريم قوي في تأثيره على العقول والقلوب والنفوس البشرية، بحيث انه يسيطر على القارئ والمستمع اذا تدبر الواحد منهم في معانيه، فيكون تأثيره في أعماق القلوب، فلا تمجه النفوس مع كثرة تكراره، فالمسلم يقرأ سورة الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم والليلة اذا هو اقتصر على صلاة الفريضة، ومع ذلك يشعر بلذة وخشوع عند قراءتها وصدق الله العظيم: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾**(٢٧)

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- طه: ٧٢ -٧٣ .
٢- الحجر: ٩ .
٣- يونس: ١٦ .
٤- العنكبوت: ٤٨ .
٥- الطور: ٣٢-٣٤ .
٦- هود: ١٣ .
٧- يونس: ٣٨ .
٨- البقرة: ٢٣ .
٩- انظر مختصر ابن كثير، ج٣، ص٥٧٠، لمحمد علي الصابوني.
١٠- النساء: ٨٢ .
١١- يس: ٧٨-٨٣ .
١٢- الحجر: ٩ .
١٣- المائدة: ٢٧ .
١٤- الفتح: ١٦ .
١٥- الفتح: ٢٧ .
١٦- الكهف: ٢٥ .
١٧- آل عمران: ٤٤ .
١٨- القصص: ٤٤ .
١٩- يوسف: ١٠٢ .
٢٠- هود: ٤٩ .
٢١- العنكبوت: ٤٨ .
٢٢- الأنبياء: ٣٠ .
٢٣- النمل: ٨٧ .
٢٤- طه: ١٠٥ .
٢٥- الأنعام: ١٢٥ .
٢٦- القيامة: ٤٢٣ .
٢٧- الحشر: ٢١ .

٣

السؤال النبوي الشريف

دراسة حديثية تربوية تحليلية

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. مراد شحادة شكيب يوسف

❖ المبحث الثالث: من طُرق ومقاصِد الرسول ﷺ في سؤالاته:

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: من أساليب الرسول ﷺ في السؤالات:

تعريف الأساليب:

الأساليب لغةً: جمع أسلوب، وهو الطريق[١١٧].

يقال: سلكتُ أسلوبَ فلان في كذا، أي: طريقتَه ومذهبَه.

وطريقة الكاتب في كتابته.. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوِّعة[١١٨].

وفي الاصطلاح: هي طرق الرسول ﷺ التي استخدمها في سؤالاته، ومنها:

١: أسلوب التشبيه وضرب الأمثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إنّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟! قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فهل تمارون في الشمس ليسَ دونَها سحابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنَّكم ترونَه كذلك»[١١٩].

وفي هذا الحديث شبَّه رسول الله ﷺ للصحابة رؤية الله تبارك وتعالى برؤية

القمر ليلة البدر، وبالشمس ليس دونها سحاب، وهذان الوصفان يدلان على وضوح الرؤية، ويؤكدان حصولها كما وعد بذلك ربُّ العزَّة حين قال: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[١٢٠].

«وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علوِّ الله على خلقه»[١٢١].

مثال آخر: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أرأيتم لو أنّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسَ مرّات، هل يبقى مِن درنِه شيءٌ؟». قالوا: لا يبقى مِن درَنِه شيءٌ. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحُ الله بهنَّ الخطايَا»[١٢٢].

وكان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب ضرب المثل في كثير مِن الأحيان، ليستعينَ به على توضيح المعاني التي يريدُ بيانَها، بحيث يجعلُ العلمَ الذي يريد إبلاغَه قريبًا للسامعين.

فهو ﷺ يضرب المثل بما يشهَدُه الناس بأبصارهم، ويعايشونَه بحواسِّهم، وفي هذا الأسلوب تيسيرٌ للفهم على المتعلِّم، واستيفاءٌ تامٌّ سريعٌ لإيضاحِ ما يُعلِّمُه أو يحذرُ منه، ومِن ذلك:

ما رواه جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بالسُّوق، داخلاً مِن بعض العالية[١٢٣]، والنَّاس كنَفَتَيه[١٢٤]، فمرَّ بجدي أسكَّ[١٢٥]، فتناولَه فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهمٍ؟». قالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيءٍ، وما نصنع به؟! قال: «أتحبُّون أنَّه لكم؟». قالوا: واللهِ لو كانَ حيًّا كان هذا السَّكَكُ عَيبًا فيه» لأنَّه أسَكّ، فكيفَ وهو ميِّتٌ؟! فقال: «فوالله للدُّنيَا أهونُ على الله مِن هذا عليكم!»[١٢٦].

نَرى أنَّ رسول الله ﷺ انتهزَ مناسبة مشابهة لما يريد أن يعلِّمَه لأصحابه رضوان الله عليهم فربطَ بين ما رآه مع ما أرادَه، حيث ربطَ ﷺ بينَ حال ذَلك الجَدي الأسكّ وهوانِه على النَّاس، بحال الدنيا وهوانها على الله.

فظهر المُراد للمخاطبين من الصحابة بوضوح وبيان شديدين، ومفادُه ازهدوا في الدنيا زهدكُم بهذا الجَدي الأسك، فهي أهون على الله مِن هوان هذا الجَدي عليكم.

٢- أسلوب المقايسة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً أتى النبي

ﷺ فـقـال: يا رسـول الله وُلِدَ لي غُـلامٌ أسودُ، فقال: «هل لك مِن إبل؟، قال: نعم. قال: «ما ألوانُهَا؟». قال: حُمْرٌ، قال: «هل فيهَا مِن أورَق؟»، قال: نعم. قال: لعلَّه نزعَه عِــرْقٌ. قـــال: «فلعلَّ ابنكَ هـذا نـزعَــه عرقٌ»(١٢٧).

هذا منه ﷺ ربطٌ للعلم بخبرَة ومستوى المتعلِّم، حيث استخدم ﷺ القياس على ما اعتادَه المخاطَب من حياته وبيئته العمليَّة.

قال ابن حجر: «وفيه تشبيه المجهول بالمعلوم تقريبًا لفهم السائل، واستدل به لصحة العمل بالقياس»(١٢٨).

قايسَ رسول الله ﷺ ليبين أمرين:

أحدهما معلوم والآخر غير معلوم لدى المسؤول » كي يبيَّن له حكم ما سأل عنه، ففهم بذلك ما لم يكن معروفًا لديه، وفي هذا إجابة غـير مـباشـرة» لأن الجـواب المبـاشـر سـرعـان مـا يزول، أمَّا أسلوب المقايسة ففيه استمراريّة.

ولا شكَّ أن اتبـــاع النبي ﷺ أسلوب المقـايسـة في السؤال المطروح، يؤدي إلى تعليل الأحكام إذا اشتبهت على المسلمين، وغَمُضَ عليهم حكمها، فيتَّضح لهم ما اشتبه أمره، وخفيَ عليهم.

٣: أسلوب التعريض:

عن عـائشـة رضي الله عنها أنَّ بَريْرَةَ جـاءَت تستعينُهَا في كتابَتِهَا، ولم تَكن قضَت مِن كتابتِهَا شيئًا، قالت لها عائشة: ارجعي إلى أهلك، فإن أحبوا أنْ أقضيَ عنكِ كتابتَكِ ويَكُونَ ولاؤُكِ لي فعلتُ.

فـذَكَـرَت ذلكَ بريرَةُ لأهلِهَـا، فـأبَوْا، وقـالوا: إن شـاءَت أنْ تحـتَـسِبَ عليكِ، فلتفْعَل، ويَكونَ ولاؤُكِ لَنَا.

فـذكَـرَت ذلك لرسـول الله ﷺ فـقـال: «ابتَاعي، فأعتِقي، فإنَّمَا الولاءُ لِمَن أعتقَ».

قال: ثمَّ قام رسول الله ﷺ فَقال: «ما بالُ أُناس يشترطونَ شرطًا ليسَ في كتابِ الله؟! مَن اشترطَ شرطًا ليس في كتاب الله، فليسَ لَهُ، وإن شَـرَطَ مـائةَ شـرطٍ، شَرْطُ الله أحقُّ، وأوثَقُ»(١٢٩).

مثال آخر: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنَّا في غزاة، فكَسعَ رجلٌ مِن المهاجرينَ رجلاً مِن الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقالَ المهاجريُّ: يا للمهاجرينَ. فسَمعَ ذلكَ رسول الله ﷺ فقال: «ما بالُ دَعْوَى الجاهليَّة؟.. دَعُوهَا فإنَّها منتِنَةٌ»(١٣٠).

في الأمـثلة السـابقـة نرى أنَّه ﷺ

استخدم السؤالات تعريضًا، وأنَّها كُلُّهَا في باب الإنكار.

«وفي إبهامه ﷺ وعدم مصارحته ومواجهته بالزجر، إشعارٌ بأنَّ من دقائق صناعة التعليم: أن يزجرَ المعلِّم المتعلِّمَ عن سوء الأخلاق باللطف والتعريض ما أمكن، من غير تصريح وبطريق الرحمة من غير توبيخ، فإن التصريح يهتِكُ حجابَ الهيبَة، ويورثُ الجرأَةَ على الهجوم بالخلاف،ويهيِّجُ الحرصَ على الإصرار»[١٣١].

ولا شكّ أن من كان قصده تصحيح الخطأ لا يهمّه ذكر صاحبه» «لأن المقصد هو تعريف المخطئ أن فعله لا يحلّ ليقلع عنه ويتركه، وهذا يتحقق بنقد الأفعال الخاطئة دون ذكر أصحابها.

ولأن ذكر المخطئ بخطئه على ملأٍ من الناس تشهير به، مما قد يؤدي إلى الحقد على المشهِّر، أو إلى تحدثه بعيوب النّاس وأخطائهم. وفي ذلك تبرئة لنفسه أو تهويناً بخطئه.

ولأنّ مواجهة المربِّي المُربَّى بخطئه يخجل المربى ويُحرجه، وهذا أمر ليس مقصوداً بذاته في التربية، بل المقصود هو إصلاح الفرد، فلا حاجة إذن إلى الإحراج. ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب التنبيه على الأخطاء دون ذكر أهلها»[١٣٢].

٤- أسلوب الإتباع والتعقيب:

وقصدت بالاتباع، أن يتبَع رسول الله ﷺ السؤال الذي يطرحُه بيانًا له، أو يتبع العمل الذي قام به سؤالاً بقصد بيان هذا العمل:

فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأة المخزوميَّة التي سرقَت، فقالوا: ومَن يكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومَن يجترئُ عليه إلا أسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله؟! فكلَّمَه أسامَةُ فقال رسول الله ﷺ: «أتشفَعُ في حدٍّ مِن حدود الله؟». ثم قام فاختطَبَ ثم قال: «إنما أهلكَ الذين قبلكُم أنَّهم إذا سرقَ فيهم الشريف تركوهُ، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَت لقطعَ محمَّدٌ يدهَا»[١٣٣].

في إنكاره ﷺ بأسلوب السؤال، دلالة على حُرمَةِ التشفُّع في حدودِ الله تبارك وتعالى، ولخطورة هذا الأمر وأهمِّيته أتبعه رسول الله ﷺ بخُطبَة في النَّاس، وبيَّن لهم حُرمَة ذلك الفعل، وعاقبة أمره فيما لو استجابَ له من أنيطَ به تطبيق الحدود.

وهذا منه ﷺ بيانٌ لسبب النَّهي، وهو أنَّه من أسباب هلاك الأمم السابقة. ولا يقف الأمر عند ذلك فحسب، بل حزم رسول الله ﷺ الأمر، بأنَّه لو كان السارقُ فاطمة رضي الله عنها ابنتُه لأقامَ عليها الحدَّ» وهذا على سبيل التمثيل، إذ هيَ ابنة رسول الله ﷺ خير مؤدِّبٍ، وأزكى معلِّم.

وعن أبي سعيد الخدري «أنَّ النبي ﷺ غرزَ بين يديه غرزًا، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرزَ الثالث» فأبعدهُ ثم قال: «هل تدرونَ ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه، وهذا أملُه، يتعاطَى الأمل، والأجل يختلجُه دون ذلك»(١٣٤).

٥- أسلوب الجواب:

عن موسى بن عبد الله بن يزيد، عن امرأةٍ من بني عبد الأشهل، قالت: قلت: يا رسول الله! إنَّ لنَا طريقًا إلى المسجد مُنتِنَةٌ، فكيفَ نفعلُ إذا مُطرنَا؟

قال: «أليسَ بعدَهَا طريقٌ هيَ أطيبُ منهَا؟!». قلت: بلَى. قال: «فهذه بهذه!»(١٣٥).

أجاب رسول الله ﷺ السائلة بجوابٍ على صورة سؤالٍ، فهي رضي الله عنها كانت تسأل عن حكم الصلاة، وقد أصابَ الثيابَ النَّتَنُ من الطريق، وهذا مظنَّةُ النجاسة» فقال لها الرسول ﷺ سائلاً ومجيبًا: أليسَ بعدها طريقٌ هيَ أطيبُ منها؟! أي: أليست الأرض الجافَّة التي تأتي بعدَها والخاليةَ مِن النَّتن طاهِرةٌ؟! قالت: بلى.

فخلصُ رسول الله ﷺ إلى النتيجة بقوله: فهذه بهذه، أي: الأرض التالية مطهِّرٌ للسابقة!

مثال آخر: عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سألَ النبي ﷺ عن السَّاعة، فقال: متى السَّاعة؟ قال: «وماذا أعددتَ لهَا؟». قال: لا شيء، إلا أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، قال: «أنتَ مع مَن أحببتَ»(١٣٦).

«وهذا الأسلوب في لفت السائل يسمَّى أسلوب الحكيم، وهو تلقِّي السائل بغير ما يطلب، مما يهمُّه أو مما هو أهمُّ مما سأل عنه أو أنفع له»(١٣٧).

ويكون ذلك منه ﷺ للفت السائل عن السؤال، وإرشاده لما هو أهمُّ منه، ففي الحديث السابق مثلاً لفت رسول الله ﷺ السائل عن وقت قيام الساعة الذي اختصه الله -تعالى بعلمه، إلى شيءٍ آخر

وهو أحوج إليه، وأفضل نفعًا عليه، وهو إعداد عمل صالح للسَّاعة.

فقال: «ماذا أعددت لها؟» فقال: حبُّ الله ورسوله، فقال: «أنت مع مَن أحببت».

وزاده الرسول ﷺ أيضًا أنَّ الإنسان يحشر مع مَن يُصاحب ويحبُّ في الدنيا، وفي ذلك إرشادٌ للمسلمين وتحذير لهم من أن يتَّخذوا في الدنيا قرناء غير صالحين، فيكونوا معهم في الآخرة والعياذ بالله! وأسلوب هذا السؤال يدلّ على ضرورة فهم قاعدة فقه الأولويات في التربية والتعليم.

❖ المطلب الثاني: من غايات الرسول ﷺ من السؤالات:

١- التوضيح والبيان والتعليم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وجد شاةً ميتة أعطيتهَا مولاةٌ لميمونَة من الصدقة» فقال رسول الله ﷺ: «هلاّ انتفعتم بجلدها؟». قالوا: إنَّها ميتَة.فقال: «إنَّما حُرِّمَ أكلُهَا»(١٣٨).

يبيِّن النبي ﷺ أنَّه يمكن الاستفادة من جلد الميتة بعد دبغه في فرش أو لبس أو غطاء أو جعله وعاء للماء وغير ذلك من وجوه المنافع، لأن المحرَّم فقط أكل الميتة.

قال ابن حِبَّان في صحيحه: «ذكر الخبر الدالِّ على إباحة إلقاء العالم على تلاميذه المسائل التي يريد أن يعلِّمهم إيَّاها ابتداءً، وحَثُّه إيَّاهم على مثلها»(١٣٩).

ومن مثل ذلك أيضًا ما كان ﷺ يورده لبيان مفهوم جديد غير المفهوم السائد» نحو: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرونَ مَن المفلس؟». قالوا: المفلس فينا مَن لا درهمَ له لا متاع! فقال: «إنَّ المفلسَ من أمتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيعطى هذا مِن حسناته، وهذا مِن حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهُم فطرحت عليه، ثم طُرِحَ في النَّار»(١٤٠).

لقد كانت غاية النبي ﷺ من سؤالاته في هذا المثال هي: تعليم أصحابه ما ليس معلومًا لديهم، وهذا مِن كمال رحمته وشفقته ﷺ على أمته.

فقد سأل النبي ﷺ جمعًا مِن أصحابه عن شيءٍ ألفوا معنىً له غيرَ الذي سيقررُه عليهم، قال: «أتدرونَ مَا المفلس؟».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إما أن يتكلموا بعلم، وإما يسكتوا بحِلم.

فقد أجابوا عمَّا عرفوه، وتبادر إلى أذهانهم أنَّ رسول الله ﷺ يقصده ويريده، فقالوا: مَن لا درهم له ولا متاع.

فقوَّم رسول الله ﷺ إجابتهم، وصوَّبَ فكرَهم، بأن أخبرهم أنَّ المفلس مَن جاء يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ولكنَّه ضرب، وسفك، وشتَم، أي أنَّه أدَّى حقَّ اللهِ، وقصَّر في حقوق العباد، فكان الذي عناه ﷺ فقير الآخرة لا فقير الدنيا، حيث ضاعت حسناته، وزادت سيئاتُه، ثم طُرِحَ في نار جهنَّم -عياذًا بالله.

٢- الاستفسار والاستعلام.

عن عمرو بن العاص قال: احتلمتُ في ليلة باردةٍ في غزوة ذات السلاسل» فأشفقت إن اغتسلتُ أن أهلِك» فتيمَّمتُ ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ. فقال: «يا عمرو، صلَّيتَ بأصحابك وأنت جُنُب؟».

فأخبرتُه بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إنِّي سمعتُ الله يقول: **﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾**[١٤١]، فضحكَ رسول الله ﷺ ولَم يقل شيئًا»[١٤٢].

لا تنحصرُ غايات سؤالات رسول الله ﷺ فقط بالاستفسار والاستعلام، وإن كانت هي مرحلةً من المراحل، لأنَّ رسول الله ﷺ كان يبني على ذلك السؤال - والذي عادة ما يكون عن حَدَثٍ أو قول حصل أمامه- أحكامًا، كأن ينكرَ على المسؤول، كقوله ﷺ لأسامة بن زيد: «أقتلتَه بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»[١٤٣].

أو يقرر الفعل الذي حصل، كالحديث السابق، ففي تبسُّمه ﷺ دليل على جواز التيمم عند شدَّة البرد وتقرير لذلك، بل أنَّه ﷺ لم يسكت وحسب، مع أنَّ سكوته يكفي في التقرير، وإنما تبسَّم وهذا أقوى في الدلالة على الإقرار.

٣- التحفيز على العمل والالتزام:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لي بكعب بن الأشرف» فإنَّه قد آذى اللهَ ورسولَهُ؟» فقامَ محمّد بن مسلمَة، فقال: يا رسول الله: أتحبُّ أن أقتُلَه؟. قال: «نعم»[١٤٤].

مثال آخر:

عن عوف بن مالك قال: كنَّا سبعةً، أو ثمانيةً، أو تسعةً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟!» -وكنّا حديثي عهدٍ ببيعةٍ- قلنا: قد بايعناكَ، حتَّى قالَها

ثلاثًا، فبسطنَا أيدينَا فبايعنَاهُ. فقال قائلٌ: يا رسول الله، إنَّا قد بايعنَاكَ، فعلامَ نبايعُك؟! قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وتُصَلُّوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا»، وأسرَّ كلمةً خفيفةً. قال: «ولا تسألوا النّاس شيئًا». قال: فلقد كان بعض أولئك النّفر يسقطُ سَوطُه، فما يسأل أحدًا أن يناوِلَه إيَّاه»(١٤٥).

ورد في الحديثين السابقين سؤالان غايتهما التحفيز على العمل والالتزام، ففي الحديث الأول سأل رسول الله ﷺ أصحابَه محفزًا لهم بقوله: «مَن لكعب بن الأشرف؟!» مع بيان سبب هذا القول.

فكعب بن الأشرف من يهود، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ، ولذلك وجَّه رسول الله ﷺ هذا السؤال لينَدُبَ الصحابة رضوان الله عليهم للقيام بعمل تجاهه. فقال محمد بن مسلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أتحبُّ أن أقتُلَه؟ قال: «نعم».

وفي هذا دلالة على أنَّ القائد يوجِّه أوامره بصيغةٍ فيها تحفيزٌ وندبٌ، وفيه دلالة على عِظَم التربية في نفوس الصحابة، فهم مستعدّون للقيام بأي عمل فيه مرضاةٌ لله ولرسوله ﷺ.

أما الحديث الثاني فقد سأل ﷺ بصيغة فيها حضٌّ على المبايعة حيث قال ﷺ: «ألا تبايعون رسول الله؟». وذلك السؤال فيه تحبيبٌ للصحابة في مبايعته ﷺ، فهو لم يقل: بايعوني! ولم يقُل ألا تبايعونني؟!، ولكن قال قولَةً بصيغة سؤالٍ فيه حضٌّ.

واستخدم لفظة رسول الله، ليذكِّرَهم بعِظَم أجر ذلك العمل، فهم إذ يبادرون لطاعته يطيعون رسول الله، الذي بطاعته يُنَال رضا الله (عزَّ وجَلَّ).

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❖ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾(١٤٦).

وفي نفس الوقت يحضُّهم على القيام به بقوله: «ألا تبايعون رسول الله؟».

وليس هذا فحسب، بل يعيد ذلك السؤال ثلاث مرّات ليكون أكثرَ تأثيرًا عليهم في سرعة الإقبال للمبايعة.

٤- التودد والتلطُّف والطمأنَة:

عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلتُ للنبي ﷺ وأنَا في الغار: لو أنَّ أحدَهُم نظرَ تحتَ قَدَمَيْهِ لأبصَرَنَا. فقال: «ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ

باثنينِ الله ثالِثُهُمَا؟»[١٤٧].

مثال آخر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يدخلُ علينا، ولي أخٌ صغير يكنَّى أبا عُمير، وكان له نُغرٌ يَلعَبُ به، فمات، فدخلَ عليه ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا. فقال: «ما شأنُه؟». قالوا: مات نُغَرُه. فقال: «يا أبا عُمير ما فعلَ النُّغير؟»[١٤٨].

في الحديث الأول يطمئن رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق يومَ كان معه في الهجرة من مكّة إلى المدينة، حين اختبأ مع رسول الله ﷺ في الغار، ولحقه المشركون حتى وصلوا إلى الغار، ولو أنَّ أحدَهم نظر إلى تحت قدميه لرآهما، ففرق أبو بكر على رسول الله، فقال له النبي ﷺ مطمئنًا: «ما ظنُّكَ باثنين الله ثالِثُهُمَا؟!».

وفي الحديث دلالة على منزلة أبي بكر فقد «قوّى رسول الله ﷺ قلب أبي بكر ببشارة: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[١٤٩].

فظهرَ سرُّ ذلك الاقتران بالمعيَّةِ لفظًا، كما ظهرَ حكمًا ومعنًى، إذ يقال: رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله رضي الله عنه، فلمّا مات قيل: خليفة رسول الله»[١٥٠].

أما الحديث الثاني ففيه من الفوائد الكثيرَ الكثيرَ، حتَّى أنَّ أحدَ العلماء استنبط أربع مائة فائدة منه، قال العلاَّمة المؤرِّخ الأديب المَقرِّي عند ذكر لسان الدين ابن الخطيب في وصف مدينة (مكناسة -بالمغرب-: «أملى ابن الصَّبَّاغ بمجلس درسه بمكنَاسَة في حديث: «يا أبا عمير ما فعل النغَير؟!»، أربعمائة فائدة»[١٥١]، وما يهمني تلك الفوائد التي تتعلَّق بأسلوب التعليم عن طريق السؤال.

فقوله ﷺ: «يا أبا عُمير ما فعلَ النُّغير؟».

سؤال غايتُه التودد والملاطفة مع الصبيان الذين لم يُميِّزوا، وتتجلَّى هذه العشرة الحسنة بما يلي:

١- تكنيَة النبي ﷺ الصبي مَع أنَّه لم يولد له ولدٌ.

٢- تقريره ﷺ لعب الصغير بالطَّير دون تعذيب له.

٣- مخاطبته ﷺ الصبي على قدر عقلِه وإدراكِه» ليذهب عنه الحُزنَ.

٤- نداء الرسول ﷺ الصبي بكنية مصغَّرة، يدلُّ على عِظَم الملاطفة.

٥- سؤالُه ﷺ الصبيَّ عن أمرٍ يعلَمه، من غير أن يكون استهزاءً، فيه مِن مداعبة وتودد ورحمة لهذا الصبي الصغير.

٥- بيان العلَّة وإزالة الشبهة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يُسألُ عن شراء التَّمر بالرطب؟. فقال لِمن حولَه: «أينقصُ الرُّطبُ إذا يبُسَ؟». قالوا: نعم» فنهى عن ذلك(١٥٢).

لم يكن سؤال الرسول ﷺ سؤال تعلُّمٍ واستفسار، بل كان سؤال عالمٍ، إذ أنَّ من البداهة لكلِّ مَن يعيش في جزيرة العرب -بلاد التمر والرطب-: أنَّ الرُّطبَ تنقصُ إذا يَبَست، ولكنَّه ﷺ سألهم لينبِّهَهُم إلى أنَّ علَّةَ النَّهي عن بيع الرطب بالتمر، هي نقصُه عند يُبسه، فلا يجوز أن يباع هذا بهذا على سبيل التساوي بالكيل، فأشعرهم بعلَّة الحكم، فكان ذلك قاعدةً إلى آخر الزمان(١٥٣).

❖ الخاتمة:

بعد هذه الدراسة الموجزة التحليلية التربوية لسؤالات الرسول ﷺ في السنة، والتي أوردناها على سبيل الذكر والتنبيه لا على سبيل الاستقصاء والحصر، فلا غرابة أنَّ تعدَّ أفضل السؤالات أسلوبًا، ووسيلة، ومقصدًا، فقد حوت أكمل الخصائص، وتقيدّت بأدقِّ الضوابط.

لقد بيّنت هذه الدراسة مجموعة من الحقائق المهمة أبرزها:

١- أن سنّة نبيِّنا ﷺ نبعٌ سخيّ، ومصدرٌ ثريّ، للأمة الإسلامية، دائم العطاء، متجدد النفع، وليس ذلك من جهة الأحكام الشرعية وحسب، بل من حيث إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء الحضارة الإسلامية على أقوى الدعائم.

٢- لا تعارض بين السنّة والعلم، فهي ليست خصمه ولا ضدّه، ولم يعرف المسلمون منذ القرون الأولى، ما عرفته المجتمعات الأخرى من الصراع بين العلم والدين، فالحقيقة أن العلم عندنا دين، والدينُ عندنا علم، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" إنه لا تعارض بين صحيح المنقول، وصريح المعقول".

٣- سؤالات الرسول ﷺ المتمثِّلة بأساليبها ووسائلها، وخصائصها وضوابطها، مِن أهمِّ ما ينبغي أن يرجعَ لها الدارسون التربويون، فهي ليست محض نظريَّة غير مطبَّقة ولا مجرَّبة، بل هي واقعيَّة وشموليَّة، تحقق مصالح للفرد

والمجتمع، وهي بما تتمتَّع به من ضوابط تعطي الأمة منهجًا في كيفيّة السؤال الصحيح الذي يؤدي الغرض، ويحقق المقصود.

٤- وضعت هذه الدراسة سؤالات الرسول ﷺ في صورة مبادئ وأسس للتعلّم والتعليم، مراعية الفروق الفرديّة، والتدرّج، وتشجيع المحسن والثناء عليه، والتنبيه على الخطأ دون ذكر صاحبه.

٥- استخدم الرسول ﷺ في سؤالاته وسائل معينة، وهي وسائل معنوية، ووسائل حسيّة» مما يدل على أنّ تلك السؤالات تقدّم مثالاً حيًّا لأفضل ما يمكن أن تتوصل له الدراسات التربوية، فالدارسون التربويون، توصلوا في أواخر الستينات من القرن العشرين إلى أسلوب السؤال في التعليم، وبيّنوا أهميّته، كما ذكروا دور الوسائل المعينة. مع أنّ الإسلام بيّن ذلك قولاً وفعلاً قبل أكثر مِن ألف وأربعمائة سنة.

٦- إن سؤالات الرسول ﷺ قد آتت أكلها في تحقيق مقاصدها على صعيد الفرد، وعلى صعيد المجتمع المسلم » فنشأ في كنفها العقل المسلم المتميّز. وهي قادرةٌ على تحقيق ذلك في كل زمان إذا روعيت الثوابت والمتغيرات، والوقائع والمآلات.

٧- إنَّ على القاضي، والمفتي، والمعلم، وطالب العلم، والمناظر، أن يسترشدوا بسؤالات الرسول ﷺ، فيجعلوا لسؤالاتهم خصائص مطابقة لسؤالات الرسول ﷺ، وكذا متقيّدة بضوابطه، مستخدمة أساليبه ومقاصده.

٨- إنَّ مما يكسب سؤالات الرسول ﷺ واقعيتها وأهميتها، هو أنَّ أساليبها ووسائلها قابلة للزيادة، والإفادة مِن كل جديد لا يتعارض مع الشرع، فعلى سبيل المثال، كان رسول الله ﷺ يستخدم وسائل حسيّة كالتمثيل بالجدي الأسك أو السؤال عن فعل شخص ما بعينه، وهذا يمكن الزيادة عليه واستخدام وسائل غيره.

٩- السؤال ذو أهميّة بالغة، فهو نصف العلم، فإذا لم نحسن السؤال أضعنا نصف العلم،ولذلك ينبغي أن ندرس كيفية السؤال، ونتحلّى بآدابه، ونتخلّق بأخلاق السائل الأسوة ﷺ.

١٠- إن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كثيرة، ومنها الأنماط التربوية الدخيلة، والتي تعكس في أغلبها ثقافة الغير البعيدة عن ديننا الإسلامي، ولذلك ينبغي الرجوع إلى القرآن والسنّة ودراستها

مِن قبل أهل الاختصاص كل في موضوعه، ثم الخلوص باستنتاجات يفيد منها كل باحث إسلامي غير مختص في علوم الشرع، وذلك لتزويده بالمعين الذي يوافق شرعنا، وبالتالي نغلق على الثقافات الغربيّة باب الدخول علينا، بقصد تضليل أبناء أمتنا والتأثير على عقيدتهم الإسلاميّة.

وأخيراً نقول: هذا جهد المقل، فإن أصبنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، والله ورسوله بريئان مما قلنا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الهوامش:

(١١٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج١،ص١٧٩.

(١١٨) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج١، ص٤٤١.

(١١٩) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود رقم (٨٠٦). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢)، واللفظ للبخاري.

(١٢٠) سورة القيامة: آية ٢٢-٢٣.

(١٢١) أبو العز الحنفي، محمد بن علاء الدين (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تخريج الألباني محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٩٥.

(١٢٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم (٥٢٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، رقم (٦٦٧).

(١٢٣) العاليَة: قرى بظاهر المدينة النبويَّة. انظر كتاب ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ص٨١٤.

(١٢٤) كنفَتيه: أي جانبيه، انظر كتاب ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ص٨١٤.

(١٢٥) أسكَّ: أي مصطلم الأذنين أي مقطوعهما، المصدر ذاته، ص٤٣٧.

(١٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٥٧).

(١٢٧) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم (٥٣٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان، رقم (١٥٠٠). والاورق هو الاسمر، " انظر ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر ٥/٣٨٦ "

(١٢٨) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١٠، ص٦٣٧٩.

(١٢٩) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في

كتاب المكاتب: باب ما يجوز من شروط المكاتب، رقم (٢٥٦١).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العتق: باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم(١٥٠٤).

(١٣٠) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ رقم (٤٩٠٥). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا. رقم (٢٥٨٤). وكسع أي ضرب، " انظر ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ٣١٣/٤ " .

(١٣١) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، د.ت، ج٢، ص٥٧٣.

(١٣٢) محمد قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة، دار النفائس، بيروت لبنان، ٢٠٠١ م، ص ٢٩١.

(١٣٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسلّم، رقم (٣٢٨٨). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨).

(١٣٤) أخرجه أحمد في المسند، رقم (١١١٣٢)،ج١٧، ص٢١٢ .

(١٣٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة: باب في الأذى يصيبُ الذيل، رقم (٣٨٣). وإسناده صحيح.

(١٣٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم(٣٦٨٨)، واللفظ له. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة: باب المرء مع من أحب. رقم (٢٦٣٩).

(١٣٧) أبو غدة، الرسول المعلِّم ﷺ وأساليبه في التعليم، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(١٣٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي، رقم (١٤٩٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، رقم (٣٦٣).

(١٣٩) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط. مصدر سابق. ج١، (ص٣٠٦).

(١٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

(١٤١) سورة النساء: آية ٢٩.

(١٤٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب الجنبُ يتيمم. رقم (٣٣٤)، بإسناد صحيح.

(١٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة إلى الحرقات من جهينة، رقم (٤٢٦٩).

(١٤٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي: باب قتل كعب بن الأشرف، رقم (٤٠٣٧). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود. رقم (١٨٠١).

(١٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم (١٠٤٤)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة: باب كراهية المسألة، رقم (١٦٤٢).

(١٤٦) سورة آل عمران: آية ٣١-٣٢.

(١٤٧) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم(٣٦٥٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم (١٨٥٤).

(١٤٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب: باب الانبساط إلى الناس، وفي باب التكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب: باب جواز تكنية مَن لم يولد له وتكنية الصغير. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، وابن ماجه، كتاب الأدب. واللفظ لأبي داود.

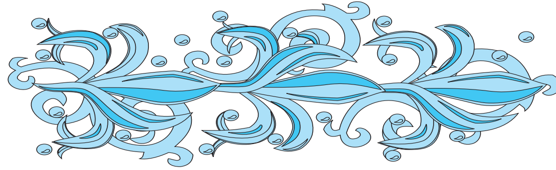
(١٤٩) سورة التوبة: جزء من آية: ٤٠.

(١٥٠) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، تحقيق د. ماهر منصور وكمال الجمل، مؤسسة الريان ودار اليقين، مصر، المنصورة، ١٩٩٩م، ص١٠٢.

(١٥١) أبو غدة، الرسول المعلِّم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، ص١٦٤، نقلاً عن كتاب «نفح الطِّيب» ج٦. ص٢١٥، في الباب الخامس منه.

(١٥٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في النهي عن المُحاقلة والمُزابَنة، رقم (١٢٢٥). وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب التجارات، باب بيع الرُّطب بالتمر، رقم (٢٢٦٤)، وإسناده صحيح. واللفظ للترمذي.

(١٥٣) انظر كتاب أبي غدة، الرسول المعلِّم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، (ص١١٢).



٢

المدينة المنورة في رحلة العياشي المغربي

المسماة «ماء الموارد»

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

يتناول العياشي الآبار التي شرب منها أو توضأ بمائها النبي ﷺ، مما أكسبها فضلاً عن غيرها، وانه سيذكر منها ما زاره هو، وهي سبعة:

أولها بئر «أريس» وعندها بشّر الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان بالجنة، وهي في مسجد «قباء» وهي تمد حديقته بالماء لري أشجارها وفاكهتها، وهي مقصد أهل المدينة للتفسح، وتتصل بعين الزرقاء، وتجري مياههما في قنوات الى المدينة المنورة، حيث بُني لسقايتها مبنى متقن واسع، ومنها يستقي اهل المدينة، فضلاً عما تسقيه خارجها من البشر والمزارع، ولها أمير وخدام يتولون رعايتها (ص١٤٩-١٥٢).

والبئر الثانية تسمى «البصة» الكبرى، وهي قريبة من البقيع، وبقربها بئر صغرى بني قربها مسجد، ولم يتفق الباحثون على عائدية وصف «الكبرى» هل هو للأولى ام للثانية؟.

والبئر الثالثة تسمى «بُضاعة» التي تقع قرب موضع يسمى «بيرحا» التي لم يحدد العياشي موضعها بالنسبة لأحياء المدينة، ولكن محقق الرحلة «أمحزون» يرجح أنها على بعد (٥٠٠) متر من الحرم المدني، وقد نضب ماؤها (ص١٥٥-حاشية ٥) وقيل: ان الرسول ﷺ كان يشرب من مائها، رغم ان

الناس كانوا يطرحون فيها بعض المكروهات، اذ قال ﷺ: «الماء لا ينجسه شيء» وكان المرضى يستشفون بمائها، وقد فعل مثلهم العياشي في مرضه، فشُفي حسبما يقول (ص١٥٤-١٥٧).

والبئر الرابعة «بَيْرُحا» كان الرسول ﷺ يدخلها ويشرب ماءها، وفي زمن العياشي كانت محاطة بحديقة، فدخلها وقطف شيئاً من زرعها.

والبئر الخامسة بئر «رومة» وتسمى «بئر عثمان» لأنه رضي الله عنه اشتراها وتصدق بها ويُروى فيها حديث يقول: «نعم الحفيرة حفيرة المزني» وحديث آخر يقول: «من يحفر رومة فله الجنة»، اذ يبدو انها احتاجت الى الحفر، وهذا ما فعله عثمان رضي الله عنه عندما اشتراها (ص١٥٧-١٥٩).

والبئر السادسة بئر «اليسيرة» وهو الاسم الذي اطلقه الرسول ﷺ عليها وباركها، وهي في منطقة «عوالي المدينة» قرب مسجد بني قريظة، وقد زارها العياشي وشاهد حديقتها التي يمتلكها احد المغاربة.

والبئر السابعة تسمى بئر «غَرْس» الواقعة شرقي قباء، وقد كان النبي ﷺ يشرب ماءها ويتوضأ به، أُقيم بجانبها مسجد، وزارها العياشي، وعلاوة على ذلك هناك بئران آخران يتبرك بهما الناس، أحدهما بئر «السقيا» وهي على طريق «ذي الحليفة» المسماة حالياً «أبيار علي» وكان حولها بركة عظيمة لورود الحجاج، حسب قول العياشي، والأخرى هي «زمزم» بالقرب من السقيا، وحولها حديقة وقربها بركة وبناء، وسميت بذلك الاسم تشبيهاً بزمزم المكية، وهي بملكية أحد المغاربة (ص١٥٩-١٦٢).

❖ سابعاً: أودية المدينة:

تناول العياشي الحديث عن أودية المدينة، فذكر منها «وادي العقيق» وهو - حسب قوله- من المواضع المباركة التي ينبغي زيارتها، اذ ورد في الحديث «العقيق واد مبارك» وقد سماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الاسم ايضاً، ويستمر سيلانه شهراً أو أكثر، وفيه «بئر عروة» المنسوبة لعروة بن الزبير، أحد فقهاء المدينة الكبار، وهو الذي حفرها، وسيل العقيق عند اهل المدينة من اعظم النزهات، وقد شهد العياشي ذلك، حيث خرج اهل المدينة اليه ونصبوا فيه الخيام، واقاموا بضعة ايام (ص١٦٥-١٦٩)، ومنها «وادي بطحان» الذي يمر قرب سور المدينة المنورة، بالقرب

من مساجد الفتح، حتى يلتقي بالعقيق، وقد روت عنه عائشة رضي الله عنها، حديثاً يقول: «بطحان على ترعة من ترع الجنة» وقد سال مراراً أيام إقامة العياشي في المدينة، فخرج الناس للتفرج عليه، ولكثير من أهلها منازل تطل عليه، وهو قلما يخلو من الماء (ص١٦٩).

ومن الأودية «وادي قناة» وهو اعظمها سيلاً كثير الماء، سال مراراً أيام اقامة العياشي في المدينة سيلاً عظيماً على حد قوله، وهو الوادي الوارد ذكره في «صحيح مسلم» عن استسقائه ﷺ منه، وانه سال شهراً كاملاً، وهذا يخرج اهل المدينة للتمتع برؤيته، بل يقيمون عنده اسبوعاً او اكثر، (ص١٧٠-١٧٢) ثم هناك عدة أودية أخرى، لكنها قليلة الأهمية قياساً على الأودية السابق ذكرها، ومنها أودية «رانوناء ومذينب ومهزور» وغيرها (ص١٧٢-١٧٣).

❖ ثامناً: الاقامة في المدينة:

ثم يتناول العياشي أحوال اقامته في المدينة المنورة البالغة سبعة أشهر ونصف، وقد تنقل فيها في عدة مساكن، كان اولها بمسكن مجاور لمشهد الامام اسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله عنهما، وقد مر ذكره وهو يثني على محاسن ذلك المكان الذي أنزله فيه القيم على المشهد المذكور، وهو من المغاربة المجاورين الذي يتولى رعاية المشهد وتأمين نظافته، ويتسلم الصدقات المقدمة اليه.

والغريب في الأمر ان الذي ولاه تلك الوظيفة هو مفتي المالكية، لأن ولاية المشهد اليه ولأخيه (وهما مالكيان طبعاً) في حين ان المشهد هو لإمام الطائفة الاسماعيلية من الشيعة!!، ويلفت العياشي النظر الى ان مشاهد المدينة صارت اماكن للجباية خاضعة لولاية القاضي!!.

ومما ذكره العياشي تردد شيعة المدينة ويسمون «النخاولة -لعملهم في النخيل» الى هذا المشهد بنسائهم وأولادهم، صبيحة ايام الخميس، فيطبخون الطعام، وفيه يتم ختان اولادهم. ثم ينتقل العياشي بين مساكن عدة، ومنها رباط منسوب للشيخ عبد القادر الكيلاني (١٧٥٢-١٧٩).

ومما وقع له في المدينة إقراؤه لعدد من أمهات الكتب في المسجد النبوي (ذات العلاقة بالسيرة النبوية والفقه المالكي، بل في النحو والأدب أيضاً)، وذلك بناء على إلحاح المالكية من سكان المدينة، ويبدو ان

عددهم (وهم مغاربة) كان كبيراً، وهم الذين اعتنوا به ايام مرضه الطويل، وقد ذكر اسماء عدد منهم.

والمقصود بالاقراء هنا، هو ان يقوم الشيخ بقراءة نصوص الكتب المعتمدة ويتولى شرحها والتعليق عليها، كالذي يفعله الاستاذ عند التدريس، وان الحاضرين يحق لهم الحصول على شهادة «اجازة» من الشيخ تؤيد حضورهم مجلس القراءة.

وفي هذا السياق يصف العياشي اساليب القراءة في المسجد النبوي، والطريف ان الكتب التي يتم اختيارها للقراءة يضم بعضها «التشريح والطب» ولكن العياشي توقف عندها، اذ لم يكن قد درس شيئاً عنها (رغم إلحاح حضار الجلسة) ان يتناولها فرفض (ص١٨١-١٨٧).

❖ تاسعاً: ركبان الحج:

يتناول العياشي ذكر ركبان الحج الرئيسة التي تمر بالمدينة، ومما ذكره في هذا الشأن وفيه شيء من الغرابة، وهو وصول الركب العراقي الى المدينة في منتصف صفر (١٠٧٣هـ)، ونزوله قرب مساجد الفتح، ويبدو انه قدم من مكة المكرمة (والمقصود هو ركب حجاج عراق العجم) ويفسر سبب تأخرهم في الوصول ان سفرتهم من مكة الى المدينة استغرقت (٤٥) يوماً، بسبب أداء المكوس المفروضة عليهم من قبل الأمراء، اذ دفعوا منذ خروجهم من «أصفهان» ما يزيد على (٥٠) ديناراً ذهباً عن كل حاج، كما ان عامل البصرة استوفى منهم (٣٠) ديناراً لأنه أشخص معهم عساكر ترافقهم في الذهاب والعودة، بزعم انهم ليسوا من رعاياه، وسلطانهم هو الشاه ملك اصفهان.

ولكن العياشي استهجن ذلك، لأن المسلمين امة واحدة (وان تعدد حكامهم) وحمايتهم واجبة على كل من هو قادر عليها (الأمير منهم والمأمور) وخاصة لحجاج البيت الحرام، مع الاعتراف بكونهم على غير عقيدة اهل السنة، ومع ذلك فإن انتظامهم كحجاج مسلمين يوجب لهم الحرمة في طريق الحج، ويقول: ان استيفاء المال منهم هو سياسة «كسروية» هدفها طلب المال.

ثم ينبه القارئ الى ان السلطات المصرية تسير على هذا المنوال ايضاً، بأخذ المكوس من حجاج المغرب الأقصى والأفارقة بحجة انهم ليسوا من رعايا

السلطان.

هذا وقد أبدى العياشي استياءه من ذلك الركب الايراني، لأن إبلهم دمرت الأشجار وصغار النخيل وأكلتها، كما انهم بإقامتهم مدة طويلة، استنفذت الاقوات المتوفرة في المدينة، وسببت زيادة في الاسعار.

ثم اشار الى دخوله في مناقشة مع احد أولئك الحجاج (باللغة العربية) في أمور العقائد، ورجح انه كان من المعتزلة، ودخل في مناقشات مع غيره من العلماء، برهنت على سوء عقيدتهم (ص١٨٧-١٩٥).

أقول: ان ما ورد في هذه النبذة، فيه بعض الاضطراب، اذ ليس واضحاً قدوم الركب الايراني الى المدينة عما اذا كان ذلك من بلادهم لأداء الفريضة، ام انهم قدموها من مكة المكرمة في طريق العودة الى بلادهم، لأن ما ذكره العياشي يتسم بالغموض، ويقبل هذين الاحتمالين معاً، مما يشكل تناقضاً في غاية الوضوح.

❖ عاشراً: عادات اهل المدينة:

ثم ينتقل العياشي الى فقرة تناول فيها عادات أهل المدينة، اذ قفز من شهر ربيع الأول الذي أنهى فيه حديثه في الفقرة السابقة، وفيه شيء عن فرش الحرم المدني بفاخر السجاد الوارد من سلاطين الهند، انتقل الى ذي القعدة، حين تُجمع البسط والمصاحف وتودع في مخازنها، واستعادة الكتب التي استعيرت من الخزائن، وفي هذا الشهر تنتهي آماد كراية البيوت تمهيداً لموسم الحج، وحلول موعد قبض اهل المدينة للأوقاف والجرايات، وينصرفون عن التدريس والعبادة «إلا ما ندر» اذ يتوجهون الى الكسب المادي، فلا يوجد سعر معلوم، ولا كيل واف، ولا ميزان صحيح، والناس أحرار فيما يفعلون، ولا يتدخل أحد من الولاة.

ويبدو ان ما حصل بالنسبة لجمع الأبسطة وخزنها هو لتنظيف أرضية المسجد، قبل اعادة فرشها، وهي مهمة يتبرك بها الكبير والصغير، وقد شاهد العياشي بنفسه الأمراء والكبراء يحملون الأبسطة على رؤوسهم من اجل فرشها.

ثم يقفز العياشي مرة أخرى بالعودة الى ربيع الأول، فيتحدث عن الاستعدادات التي تمت للاحتفال بالمولد النبوي، سواء من ناحية التنظيف ام المبالغة في الانارة وتلوين زجاج المصابيح وترتيب تعليقها

بشكل بديع غاية في الجمال.

ثم يصف تصفيف القناديل الكبار المطلية بالذهب، وهي بحجم جسم الانسان، وعليها الشموع (ما يزن كل منها نصف قنطار -على حد قوله-) ويوضع في وسطها قنديل من الفضة (زنته أكثر من قنطار) له خمسة أذرع يحمل كل منها شمعة كبيرة.

وترتب الأبسطة لجلوس الأمراء وأرباب المراتب والشعراء والمنشدين، وفي المساء توقد المشاعل في صحن المسجد، ويبدأ الاحتفال بعد صلاة العشاء، اذ يمتلئ المسجد بالناس، ويبدأ الانشاد، ويصدح الشعراء بغرر القصائد في مدح الرسول ﷺ، مما اعدوه خصيصاً لهذه المناسبة، ويرددوها بألحان جميلة تأخذ بالألباب، بينما تدار كؤوس الأشربة الحلوة لجميع الحاضرين على اختلاف مراتبهم، وتوزع الأزهار عليهم وتقدم اطباق الحلوى بأنواعها مع اللوز، كما ينثر كميات منها على سائر الناس، ويستمر الانشاد الى ما بعد منتصف الليل.

ومن هنا يستطرد العياشي الى ذكر عادة لأهل المدينة في الاجتماع في ليالي الجمعة في المسجد النبوي بعد صلاة العشاء، ومعهم المنشدون، فينشد كل منهم قصيدة بصوت رخيم، ولهم اتباع يرددون عليهم (ص١٩٧-٢٠٠).

ولا يفوتني ان اذكر: انه بعد اعادة فرش المسجد بالأبسطة كانت تنشر المصاحف وتفتح ابواب خزائن الكتب.

ومن عادات اهل المدينة، الخروج يوم الجمعة الى البقيع ووضع الأزهار على القبور، ولا سيما في المشاهد، علاوة على الحجرة الشريفة، حيث تتكدس فيها الزهور، وخاصة تلك التي تدفع خلال الشبابيك الى داخلها، ويتراكم من جفافها الكثير الذي يجمعه الأغوات مع بقايا الشمع، فيهدونها للأكابر، بل ويرسلون منها الى الآفاق، وقد حصل العياشي على نصيب منها.

ومن عاداتهم يوم الجمعة ايضاً تعليق قطع من الديباج الأسود المطرز بالذهب على أبواب المسجد وأبواب الحجرة الشريفة، ووضع رايتين سوداوتين على جانبي المنبر، وقبل الأذان بساعتين يرتقي المؤذنون الى مآذنهم، فيتناوبون تلاوة القرآن الكريم، وذكر الصلاة على النبي

ﷺ، ويستمرون الى ان يخرج الامام الى المصلى، وعندها يتولى مؤذن انشاد ما شاء من فوق منصة خاصة واذا رقي الامام المنبر، أذن المؤذنون جميعاً دفعة واحدة في نظام بديع ترديداً لأذان رئيسهم.

ثم يستطرد الى القول بأن الخطبة والإمامة موزعة بين فقهاء المدينة، وهي إما موروثة عن الآباء، او مشتراة من الولاة، كالقضاء والافتاء، ويعمم العياشي القول على الجميع، فيقول: ان الفساد تسرب الى القضاة، وان القاضي المجد العادل مهدد في حياته كالقاضي العثماني المرسل من استانبول الذي حاول قطع دابر الفساد، اغتيل على باب المسجد النبوي عند صلاة الفجر، واتجهت أصابع الاتهام الى أحد الأمراء، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

هذا ويسجل العياشي -باستغراب- على المدرسين في المدينة تعطيلهم الدراسة يومي الجمعة والثلاثاء، بخلاف المغرب، حيث تكون العطلة في يومي الخميس والجمعة، (أقول: لعل تعطيل الثلاثاء هو كونه في منتصف الاسبوع)، ثم ينوه العياشي بعادة اهل المدينة تبادل التهاني في اليوم الأول من كل شهر، فيذهب الصغير الى بيت الكبير «سناً أو مركزاً» لتهنئته بالشهر الجديد (ص٢٠٠-٢٠٤).

❖ حادي عشر: الإمامة في المسجد النبوي:

يتناول العياشي الامامة في المسجد النبوي التي يتناوب عليها الامامان الحنفي والشافعي، وربما صلى بالناس بعض المالكية، لكنه يصلي على هيئة الشوافع، من الابتداء بالبسملة وقبض اليدين، ورفعهما للركوع وللرفع عنه، وما الى ذلك، وكان بعض المالكية ينكر ذلك، غير ان العياشي يحاول التخفيف من هذا الخلاف، وقد كتب في ذلك عدة صفحات، يبرر فيها الاقتداء بالإمام، وان خالف مذهب المأموم، لأن ما يقع من خلاف لا يتعارض وجوهر الاسلام.

فإن البسملة مثلاً: ليس فيها ما يبطل الصلاة، وكذلك ضم اليدين، وما الى ذلك، وابدى اعجابه بأحد التقاة من الشافعية الذي ائتم بإمام مالكي التمس منه البدء بالبسملة، ولما لم يفعل، قال الرجل: «نويت الصلاة على مذهب مالك» فتحول عن مذهبه في أداء الصلاة، بدلاً من خسران ثواب صلاة الجماعة، ثم يقول: لو بسمل ذلك الامام المالكي لأغناه من الفرار

بالتحول عن مذهبه، ويقول مثل ذلك بالنسبة لقبض اليدين، بل انه يؤكد على اتباع المرونة، فالمالكي الذي لا يقبض يديه أسوة بالأغلبية التي حوله، قد يثير المشاكل لنفسه لدى أقوام لم يألفوا سدل اليدين، وكم حرياً به ان يساير من حوله، خاصة وليس في القبض ما يشين، ويقول: ان الأئمة قد جوّزوا ترك الكثير من السنن التي صارت شعاراً للمبتدعة، بل حبذوا تركها ثم ان القبض ورد فيه الكثير من الاخبار الصحيحة، وهي ربما تزيد على ما ورد من أحاديث في إرسال اليدين (ص٢٠٦-٢٠٩).

ومما له علاقة بهذا الموضوع، ما اشار اليه العياشي في نماذج ما كان يحصل في المسجد النبوي، عند قراءة الحديث النبوي الشريف، وتفسير ما فيه من الأحكام، فإن من يتولى مجلس القراء كان يعلق على مضامين ما يقرأ بكونها حجة لمقولة هذا المذهب، ودليلاً على خطأ مذهب آخر، ولكن القراءة والتعليقات كانت تثير النقاش بين القارئ وبين الحاضرين (وهم كثرة) وخاصة الذين يبدون آراءهم مما يغني النقاش، وكان العياشي يبذل جهده للبرهنة على صحة أحكام المذهب المالكي واعتمادها على احاديث صحيحة، ولكن دون التعصب لهذا المذهب او ذاك، بل هو يؤكد على ضرورة الأخذ بما ألفه الناس من الأحكام حرصاً على عدم التشويش بين العامة فيما ألفوا من أمور دينهم، والى جانب ذلك فإن العياشي، كان يدقق في الحجج التي يتمسك بها اهل المذاهب الأخرى في تأكيد صحة مذاهبهم، وكان يؤكد صحتها ايضاً الى جانب تأكيد صحة الحكم المالكي، وقد كان يناقش تلك الأمور بأسلوب علمي عال (ص٢٠٩-٢١٤).

❖ ثاني عشر: من تقاليد أهل المدينة:

في الواقع ان هذه الفقرة بالامكان إدماجها بالفقرة العاشرة عن عادات اهل المدينة، ولكنني كنت قد دونتها كفقرة مستقلة، ولم أر بأساً بإبقائها على حالها.

أشار العياشي الى ما اعتاد عليه اهل المدينة من عقد النكاح في المسجد النبوي قرب المنبر، حيث يجلس الشيخ المتولي لإجراء العقد، بينما يجلس الحضور في صفوف أمامه، ويتولى كبير خطباء المسجد قراءة خطبة بليغة بصوت جهوري، تتضمن الحمد لله والصلاة على رسوله ﷺ والمبالغة في وصف ذوي العلاقة، وهما

أمران ليس من اللائق الاتيان بهما في الروضة النبوية، ولذلك تمنى لو لم يحضره، وبعد ذلك جيء بالأزهار وبأطباق اللوز والسكر وتفريقها بين الحاضرين، ثم أنشد من انشد بعض القصائد في مدح الرسول ﷺ، واختتم الاجتماع بتهنئة المتعاقدين.

هذا بالنسبة لأهل الثراء، اما غيرهم فإنهم يأتون ليلة الزفاف بالرجل ومعه جماعة كبيرة معهم الشموع الى باب المسجد، بعد العشاء، فيدخل الرجل ويسلم على الرسول ﷺ، ثم يخرج فيزفونه الى بيت المرأة، عكس المعتاد في كثير من البلاد بزفاف المرأة الى بيت زوجها، (وهذا ما يحصل في العراق) (ص٢١٥-٢١٧).

هذا وقد ورد في الرحلة مناقشة فقهية تتعلق بالبيع والشراء، لا علاقة لها بما يحصل في المدينة، غطت اكثر من خمس صفحات (ص٢١٧-٢٢٣) ولعلها كانت مقدمة للفقرة الآتية، التي تحدث فيها العياشي عن شراء أهل المدينة الجبن واللبن والسمن والغنم، من الأعراب، وذلك عن طريق اشخاص معينين هم الذين يشترونها مباشرة من الأعراب، ثم يبيعونها للناس، وقد سماهم المؤلف «برغازين» اذ لا يبيع الاعراب منتوجاتهم الى الناس مباشرة، حتى ولو عرضوا عليهم سعراً اعلى، فقد استسهلوا بيعها الى أولئك الوسطاء، واعتاد الناس على شرائها منهم.

هذا وقد أثار عجبه كثرة «الهشيم» في ايام المواسم وغلاء سعره (ولعله يقصد فضلات النبات كالحلفاء والأحطاب والتبن) فيبلغ سعره (حمل الجمل بدينار ذهباً) كما يتناول اسلوب كراء الجمال، ويقول: ان في المدينة رجالاً يسمى الواحد منهم «المخرج» يعرفهم الجمالون، فمن يحتاج الى دابة، فهم الذين يقومون بذلك، ويتكفلون بما قد يصدر من الجمال من غدر في الطريق أو هرب، ولا ينعقد كراء الا بحضورهم، وهم يتقاضون عوضاً عن تلك الخدمة يسمى «حلاوة»، ثم يتناول العياشي اسعار المواد الغذائية أيام اقامته في المدينة، ويذكر انواعها، ولا سيما من التمور والخضر والفواكه (ص٢٢٣-٢٢٥).

❖ ثالث عشر: طقس المدينة والفيضانات:

اما بالنسبة لهواء المدينة، فيقول العياشي: انه (اي الطقس) قلما يوافق احداً من اهل الريف الخصيب في المغرب، وانما يوافق اهل الصحارى لفرط حرارته،

ولذلك ابتلى اكثر المغاربة ممن سكنها بالأمراض، ومما لاحظه تخوف اهل المدينة من بوادر البرد، رغم انه ليس برداً بالمعنى الصحيح، فكانوا يلبسون الثياب الكثيفة، اذ يتخوفون من البرد القليل، اكثر من تخوفهم من برد الشتاء القارص، وما يرتدونه في الخريف اكثر كثافة من ملبوسهم وسط الشتاء.

وقرن العياشي بين حركة الاسعار وبين هطول الأمطار وفيضان الوديان، فإن حصل ذلك اتجهت الأسعار الى الانخفاض، وكثر اللبن والجبن في الاسواق، وكذلك اللحم الذي لأهل المدينة ولع وغرام بأكله - على حد قوله- ثم يقول: ان اهل المدينة اهل رفاهية وتوسع في المعيشة، ومغالاة في الملابس، وقد تزيوا بزي الاعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم، لكثرة سكنى الاعاجم فيها من الاكراد والترك واطراف الشام، رغم ما وصفهم به الامام مالك من انهم اهل قناعة (ص٢٢٥-٢٢٨).

ومما وقع في المدينة أيام وجود العياشي فيها، هطول أمطار غزيرة سالت على أثرها الوديان، وغطت الطرق، وامتد فيضان المياه الى المسجد النبوي، وأغرقت ما فيه من أبسطة وحصران، حتى تعذرت الصلاة فيه، ولكن الناس تنادوا الى نقل الماء الى خارجه، وانقاذ فرشه، وهو امر لم يألفوا مثله -على حد قوله- مما حمل شيخ الحرم على بناء حاجز من الحجارة يحول دون تكرار دخول الماء الى صحن المسجد، الى جانب تحسين المجاري وحفر تجمع المياه القذرة، وما اليها.

وقد انتهز هذه الفرصة للتعريف بشيخ الحرم، وهو الذي يرأس الاغوات الموقوفين لخدمة المسجد النبوي، وعددهم (٨٠) عبداً مخصياً، ونفقاتهم هي من بيت المال ومن الأوقاف المرصودة لهم، وهم على درجات وأبرزهم هم المخصصون لخدمة الحجرة النبوية، ويحملون مفاتيحها، ومنهم من هو المسؤول عن خزائن الزيت والشمع، وغير ذلك من مصالح المسجد، وهم مرتبون في سلسلة الاقدمية، ويراهم العياشي اهل خير وبركة كلهم، ومنهم من هو على قدم صدق في العبادة، ولكنهم يبيتون في الحرم ونومهم ليس في المصلى، وانما في الصحن والأروقة، ومن وظائفهم إخلاء الحرم بعد صلاة العشاء، ولهم في ذلك أسلوب طريف، اذ يبدأ ثلاثة منهم (وهذه وظيفتهم) بإخلاء الاشخاص الذين هم في الصف الأول من المصلى، ثم

الصف الثاني، وهكذا حتى آخر الصفوف، وعند ذلك يغلقون الأبواب ويطفئون المصابيح كلها، الا ما هو في مواجهة (الوجه الشريف) وينامون.

ثم يذكر العياشي بعض واجباتهم في حراسة الحرم وتأديب من اساء الادب فيه بلغط أو رفع صوت أو نوم.. وما الى ذلك، ويؤكد بأن للأغوات ممتلكات وخدماً وخيلاً وضياعاً، بل ولبعضهم زوجات (ولكن بدون اتصال جنسي) ولكنهم لا تشغلهم الأمور عن واجباتهم في خدمة المسجد، واحكامهم بينهم منضبطة غاية الانضباط ولا يرث بيت المال شيئاً اذا مات أحدهم، انما يتوارثون فيما بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة منهم، فهم الذين يؤدبونه، وليس لأحد عليهم ولاية، ومن ظهرت عليه خيانة أو سرقة، وما الى ذلك، نفوه الى حيث يريد.

ويخلص العياشي الى القول: ان لخدم المسجد النبوي جلالة قدر، وعظم منصب، وسعة أرزاق، وكرم أخلاق، ولكبيرهم كلمة نافذة في المدينة، وهو أحد عظماء الولاة، –على حد قول العياشي– تنفذ أحكامه في القوي والضعيف .. الخ (ص٢٢٩–٢٣٥).

(وأنا –كاتب المقال– اضيف الى ما تقدم: بأن مشيخة الحرم التي كان يرأسها كبير الأغوات، يبدو ان تعديلاً طرأ عليها في العهد العثماني المتأخر، اذ صارت تسند الى كبار الشخصيات السياسية ممن لا يقل مستواهم عن مركز رئيس كبير الوزراء، اذ كان بعض هؤلاء يحرص على ان يكون ختام خدمته بل حياته، هو تولي مشيخة الحرم، وممن تولاها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي «داود باشا» والي العراق الذي طمح لإقامة دولة مستقلة فيه، وقد كان من العلماء والمصلحين، ومن أكفأ الاداريين، التمس بعد اخفاق حركته تعيينه لمشيخة الحرم، وبعد بضع سنوات عرض عليه تولي ولاية اليمن المهمة، فرفض، وآثر عليها مشيخة الحرم التي استمر فيها حتى وفاته رحمه الله).

ثم يعترف العياشي بأنه رغم اقامته الطويلة في المدينة، لا يعرف كيفية تصرف الولاة فيها، واذ هناك كبير الخدام كما اسلفت، وكبير العساكر في قلقها، ثم هناك ابن عم السلطان زيد «اي شريف مكة» ينوب عنه في النظر في مصالح البلاد، ثم هناك الحاكم (ولعله يقصد

القاضي المرسل من استانبول)، وهو الذي يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب، وأخيراً هناك الأمير وهو من الاشراف الحسينيين.

وهكذا فليس بالوسع تحديد نطاق واجبات كل واحد من هؤلاء، ولكن كان يدعى في خطبة الجمعة لثلاثة، هم السلطان الاعظم (اي العثماني) الذي ينعتونه بأوصاف لا ينبغي ان يعظم بها احد من الخلق، ويكفيه شرفاً تلقيبه **«خادم الحرمين الشريفين»، وقد كان صلاح الدين الأيوبي هو اول من تلقب بهذا اللقب،** وبعد ذلك يُدعى للسلطان زيد بن محسن الحسيني (اي الشريف بمكة) ووصفه بكونه حامي حمى الحرمين الشريفين، ثم يدعى لأمير المدينة «الحسين بن جماز» بوصفه حامي حمى المدينة وأميرها، وهو لا يملك من امارتها سوى الاسم، لأنه تحت امرة السلطان زيد -على حد قول العياشي- (ص٢٣٦-٢٣٧).

❖ رابع عشر: الزيارة الرجبية:

يسجل العياشي توارد الناس من انحاء الحجاز ونجد واليمن، الى المدينة المنورة من اول رجب ومنهم المجاورون بمكة، ويشير الى خروج الكثير من اهل المدينة الى أُحد، حيث يقضون فيه حوالي ستة أيام، ثم خروج العسكر لحماية الطرقات، وقد اجتمع الناس في المدينة بانتظار الرجبية، وهي ليلة المعراج في ٢٧ رجب، وامتلأت المدينة بالأعراب (الذين سماهم جفاة لا دين لهم ولا مذهب)، حتى انه يتهمهم بجهل اركان الصلاة (باستثناء عدد قليل منهم).

ثم يستطرد الى القول بازدحام المسجد بالناس من قبل صلاة العصر، ويستمر الحرم مفتوحاً طيلة الليل، ويبيت الناس فيه في ذكر وقراءة وصلاة حتى الصباح، ويُسمع صياح الأعراب في التوديع رافعين اصواتهم بالصلاة على النبي ﷺ، والاستغاثة به، فيرق قلب سامعهم، ويشفق لهم رغم جفائهم وجهلهم.

ثم يورد بعض النماذج عن نمط زيارتهم للقبر الشريف، وندائهم للرسول ﷺ مما يتسم بالسذاجة، ويذكّر العياشي القراء بأن النبي ﷺ كان يحتمل للأعراب الكثير من جفائهم، ويرفق بهم، ورحمة الله وسعت كل شيء.

ثم ينتقل الى بداية شعبان، عندما يغادر الزوار المدينة الى بلدانهم، ومنها

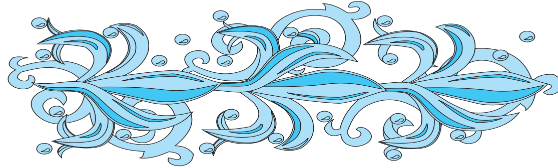
مكة، خاصة من يعتزم منهم صيام رمضان فيها، كالذي فعله العياشي الذي ختم حديثه عن المدينة بقصيدة اعرب فيها عن مشاعره نحوها، وقد اكرمه الله تعالى بتمكينه من زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ، ومنحه أداء الصلوات في الروضة الشريفة، وما الى ذلك من المكارم التي منّ الله بها عليه (ص٢٣٨-٢٤٤).

فهنيئاً له بذلك الكسب العظيم، وجزاه الله أحسن الجزاء على تجشمه الصعاب في سبيل الوصول الى الأرض المباركة الطاهرة، وتسجيل مشاهداته فيها، فترك للأجيال سجلاً حافلاً بدقائق الحياة، غنياً بصور الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم، وخاصة ممن رآهم رأي العين في «طيبة» الطيبة.

والحق فإن رحلته كنز لا غنى عنها لأي مسلم يتعطش لمعرفة شيء من تاريخها، وتفاصيل الحياة فيها قبل اربعة قرون، فيلمس مدى قوة إيمان المسلم الذي لا يعوقه عن ممارسة واجباته وفرائض دينه بُعد المسافة وعقبات الطريق، ولا صعوبات العيش ولا أخطار الطرق، بل وحتى المرض، فقد أعطانا السلف الصالح الدليل على ما يحدثه الايمان الصحيح في نفوس المؤمنين من قوة وعزم تهون دونه جميع المشقات، وتتهاوى أمامه كافة الصعوبات، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- والملاحظ ان العياشي لم يتناول الاحتفال بصوم رمضان،لأنه غادر المدينة في أواخر شعبان، اذ قرر صوم رمضان في مكة المكرمة.



رحمة النبي ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة

■ بقلم الاستاذ محمد مسعد

أخيراً التفت العالم المتحضر في هذا القرن، الى ذوي الاحتياجات الخاصة!! بعدما نحى جانباً نظريات عنصرية، فاسدة، تدعو الى إهمالهم، بزعم ان هؤلاء -امثال الصم والبكم والعمي والمعاقين ذهنياً- لا فائدة منهم ترتجى للمجتمع، ولقد قدرت منظمة العمل الدولية في تقرير لها عام ٢٠٠٠م، عدد ذوي الاحتياجات الخاصة بأكثر من ٦١٠ ملايين نسمة، منهم ٤٠٠ مليون في الدول النامية، وفي تقرير للبنك الدولي، تمثل هذه الفئة ١٥٪ من نسبة السكان في كل دولة من دول العالم.

◆ الفئات الخاصة في المجتمعات الجاهلية:

وإذا نظرنا -سريعاً- الى تاريخ الغرب مع ذوي الاحتياجات الخاصة، نجد مجتمعات أوروبا القديمة، كروما واسبرطا شهدت إهمالاً واضطهاداً صارخاً لهذه الفئة من البشر، فلقد كانت هذه المجتمعات -حكاماً وشعوباً- تقضي بإهمال أصحاب الإعاقات، وإعدام الأطفال المعاقين عقب ولادتهم، أو تركهم في الصحراء طعاماً للسباع والطيور!.

وكانت المعتقدات الخاطئة والخرافات، هي السبب الرئيسي في هذه الانتكاسة، فكانوا يعتقدون ان المعاقين عقلياً هم أفراد تقمصتهم الشياطين والأرواح الشريرة، وتبنّى الفلاسفة والعلماء الغربيون هذه الخرافات، فكانت قوانين «اليكورجوس» الاسبرطي و «سولون» الأثيني تسمح

بالتخلص ممن بهم إعاقة تمنعه عن العمل والحرب، وجاء الفيلسوف الشهير «أفلاطون» وأعلن ان ذوي الاحتياجات الخاصة، فئة خبيثة وتشكل عبئاً على المجتمع، بمنع شتى صور المساعدة لذوي الاحتياجات الخاصة، بزعم ان هذه الفئة تثقل كاهل المجتمع بكثير من الأعباء دون فائدة.

بيد ان العرب وان كانوا يقتلون البنات خشية العار، كانوا أخف وطأة وأكثر شفقة على أهل البلوى والزمنى، وان كانوا يتعففون عن مؤاكلتهم أو الجلوس معهم على مائدة طعام.

وفي الوقت الذي تخبط فيه العالم بين نظريات نادت بإعدام المتخلفين عقلياً، وأخرى نادت باستعمالهم في أعمال السخرة، اهتدى الشرق والغرب أخيراً الى «فكرة» الرعاية المتكاملة لذوي الاحتياجات الخاصة. **في ظل هذا كله نرى رسولنا المربي المعلم ﷺ كيف كانت رحمته لهذه الفئة من بني البشر، وهذا غيض من فيض رسول الله ﷺ نحو رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.**

❖ رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة:

فعن انس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ان امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله ان لي إليك حاجة! فقال: «يا أم فلان! انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها[1].

وهذا من حلمه وتواضعه ﷺ وصبره على قضاء حوائج ذوي الاحتياجات الخاصة.

وفي هذا ايضاً: «بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق الى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها -وهكذا ينبغي لولاة الأمور- وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأله حاجة»[2].

وفي هذا دلالة شرعية على وجوب تكفل الحاكم برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، صحياً واجتماعياً واقتصادياً، ونفسياً، والعمل على قضاء حوائجهم، وسد احتياجاتهم.

ومن صور هذه الرعاية لذوي

الاحتياجات الخاصة:

- توفير الحياة الكريمة لهم.
- العلاج والكشف الدوري لهم.
- تأهيلهم وتعليمهم بالقدر الذي تسمح به قدراتهم ومستوياتهم.
- توظيف من يقوم على رعايتهم وخدمتهم.

- **ولقد استجاب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لهذا المنهج النبوي السمح**، فاصدر قراراً الى الولايات: «ان ارفعوا الي كل اعمى في الديوان أو مُقعد، أو من به فالج أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة»، فرفعوا اليه، وأمر لكل كفيف بموظف يقوده ويرعاه، وأمر لكل اثنين من الزمنى -من ذوي الاحتياجات- بخادم يخدمهم ويرعاهم(٣).

وعلى نفس الدرب سار الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى، فهو صاحب فكرة انشاء معاهد او مراكز رعاية لذوي الاحتياجات الخاصة، فأنشأ عام ٧٠٧م ٨٨هـ، مؤسسة متخصصة في رعايتهم، وظّف فيها الأطباء والخدام وأجرى لهم الرواتب، ومنح راتباً دورياً لذوي الاحتياجات الخاصة، وقال لهم: «لا تسألوا الناس» وبذلك أغناهم عن سؤالهم، وعين موظفاً لخدمة كل مقعد أو كسيح أو ضرير(٤).

❖ الأولوية لهم في الرعاية وقضاء احتياجاتهم:

واذا كان الاسلام قد قرر الرعاية الكاملة لذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على قضاء حوائجهم، فقد قرر أيضاً أولوية هذه الفئة في التمتع بكافة هذه الحقوق، فقضاء حوائجهم مقدم على قضاء حوائج الأصحاء، ورعايتهم مقدمة على رعاية الأكفاء، ففي حادثة مشهورة ان سيدنا محمداً ﷺ عبس في وجه رجل أعمى -وهو الصحابي الفاضل عبد الله ابن ام مكتوم- جاءه يسأله عن أمر من أمور الشرع، وكان يجلس الى رجال من الوجهاء وعلية القوم، يستميلهم الى الاسلام، ورغم ان الأعمى لم ير عبوسه، ولم يفطن اليه، الا ان المولى عز وجل أبى إلا ان يضع الأمور في نصابها، والأولويات في محلها، فأنزل سبحانه آيات بينات تعاتب النبي الرحيم ﷺ: **﴿عبس وتولى ❖ ان جاءه الأعمى ❖ وما يدريك لعله يزكى**

﴿أو يذكر فتنفعه الذكرى ❖ أما من استغنى ❖ فأنت عنه تصدى ❖ وما عليك ألا يزكى ❖ وأما من جاءك يسعى ❖ وهو يخشى ❖ فأنت عنه تلهى ❖ كلا إنها تذكرة ❖ فمن شاء ذكره﴾ عبس: ١-١٢ .

يقول الباحث الانجليزي «لاتنر» معلقاً على هذا الحادث: «.. مرة، أوحى الله تعالى الى النبي (ﷺ) وحياً شديد المؤاخذة، لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان (ﷺ) كما يقول أغبياء النصارى بحقه (ﷺ) لما كان لذلك الوحي من وجود!»(٥).

وقد كان النبي ﷺ يقابل هذا الرجل الأعمى فيهش له ويبش، ويبسط له الفراش ويقول له: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»(٦).

ففي هذه القصة، نرى علة المعاتبة، لكونه ﷺ انشغل بدعوة الوجهاء عن قضاء حاجة هذا الكفيف، وكان الأولى ان تُقضى حاجته، وتقدم على حاجات من سواه من الناس.. وفي هذه القصة، دلالة شرعية على تقديم حاجات ذوي الاحتياجات الخاصة على حاجات من سواهم.

❖ عفوه ﷺ عن سفهائهم وجهلائهم:

وتجلت رحمة الحبيب ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة، في عفوه عن جاهلهم، وحلمه على سفيههم، ففي معركة أحد «شوال ٣هـ - ابريل ٦٢٤م» لما توجه الرسول ﷺ بجيشه صوب أُحد، وعزم على المرور بمزرعة لرجل منافق ضرير، أخذ هذا الأخير يسب النبي ﷺ وينال منه، وأخذ في يده حفنة من تراب وقال - في وقاحة- للنبي ﷺ: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها! حتى هم أصحاب النبي ﷺ بقتل هذا الأعمى المجرم، فأبى عليهم نبي الرحمة ﷺ، وقال: «دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر»(٧).

ولم ينتهز رسول الله ﷺ ضعف هذا الضرير، فلم يأمر بقتله أو حتى بأذيته، رغم ان الجيش الاسلامي في طريقه لقتال، والوضع متأزم، والأعصاب متوترة، ومع ذلك لما وقف هذا الضرير المنافق في طريق الجيش، وقال ما قال، وفعل ما فعل، أبى رسول الله ﷺ الا العفو عنه، والصفح له، فليس من شيم المقاتلين المسلمين الاعتداء على أصحاب العاهات أو النيل من اصحاب الاعاقات، بل كانت سنته

معهم الرفق بهم والاتعاظ بحالهم، وسؤال الله ان يشفيهم ويعافينا مما ابتلاهم.

❖ تكريمه ومواساته لهم:

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله عز وجل أوحى الي، انه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمتيه أَثَبْتُهُ عليهما الجنة..»[٨].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، عن رب العزة قال: «اذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين، لم ارض له ثواباً دون الجنة، اذا حمدني عليهما»[٩].

ويقول النبي ﷺ لكل أصحاب الإصابات والإعاقات: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة»[١٠].

ففي مثل هذه النصوص النبوية والأحاديث القدسية، مواساة وبشارة لكل صاحب إعاقة، ان اذا صبر على مصيبته، راضياً لله ببلوته، واحتسب على الله اعاقته، فلا جزاء له عند الله الا الجنة.

وقد كان النبي ﷺ يقول عن عمرو بن الجموح، تكريماً وتشريفاً له: «سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح»، وكان أعرج، وقد قال له النبي ﷺ ذات يوم: «كأني أنظر اليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» وكان رضي الله عنه يولم على رسول الله ﷺ اذا تزوج[١١].

وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ استخلف ابن ام مكتوم على المدينة مرتين يصلي بهم وهو أعمى[١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها ان ابن ام مكتوم رضي الله عنه كان مؤذناً لرسول الله ﷺ وهو أعمى[١٣]، وروى الزهري عن سعيد بن المسيب ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يسلمون إليهم مفاتيح ابوابهم، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا[١٤].

وعن الحسن بن محمد قال: دخلت على ابي زيد الانصاري فأذن وأقام وهو جالس قال: وتقدم رجل فصلى بنا، وكان أعرج أصيبت رجله في سبيل الله تعالى[١٥].

وهكذا كان المجتمع النبوي، يتضافر في مواساة ذوي الاحتياجات الخاصة، ويتعاون في تكريمهم، ويتحد في تشريفهم، وكل

ذلك اقتضاءً بمنهج نبي الرحمة ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

❖ **زيارته ﷺ لهم:**

شرع الاسلام عيادة المرضى عامة، وأصحاب الإعاقات خاصة، وذلك للتخفيف من معاناتهم، فالشخص المعاق أقرب الى الانطواء والعزلة والنظرة التشاؤمية، وأقرب من الأمراض النفسية مقارنة بالصحيح، ومن الخطأ إهمال المعاقين في المناسبات الاجتماعية، كالزيارات والزواج.

وقد كان رسول الله ﷺ يعود المرضى، فيدعو لهم، ويطيب خاطرهم، ويبث في نفوسهم الثقة، وينشر على قلوبهم الفرح، ويرسم على وجوههم البهجة، وتجده ذات مرة يذهب الى أحدهم في أطراف المدينة، خصيصاً، ليقضي له حاجة بسيطة، او ان يصلي ركعات في بيت المبتلى تلبية لرغبته، فهذا عتبان بن مالك وكان رجلاً كفيفاً من الأنصار، يقول للنبي ﷺ: انها تكون الظلمة والسيل وانا رجل ضرير البصر، وانا اصلي لقومي فإذا كانت الأمطار، سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم استطع ان آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، فوعده ﷺ بزيارة وصلاة في بيته قائلاً: «سأفعل ان شاء الله».

قال عتبان فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب ان أصلي في بيتك»، فأشرت الى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ، فكبر فقمنا، فصفنا، فصلى ركعتين، ثم سلم(١٦).

❖ **الدعاء لهم:**

وتتجلى رحمة النبي ﷺ بالفئات الخاصة من ذوي الاحتياجات، عندما شرع الدعاء لهم، تثبيتاً لهم، وتحميساً لهم على تحمل البلاء، ليصنع الارادة في نفوسهم، ويبني العزم في وجدانهم، فذات مرة، جاء رجل ضرير البصر الى حضرة النبي ﷺ فقال الضرير: ادع الله ان يعافيني، فقال رسول الله ﷺ: «ان شئت دعوت، وان شئت صبرت فهو خير لك»، قال: فادعه، فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم

فشفعه فيّ»[١٧].

وعن عطاء بن ابي رباح، قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: اني أصرع، وإني اتكشف، فادع الله لي!، فقال النبي ﷺ: «ان شئت صبرت ولك الجنة، وان شئت دعوت الله ان يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: اني اتكشف، فادع الله لي ان لا اتكشف، فدعا لها ﷺ[١٨].

هذا وقد كان رسول الله ﷺ يدعو للمرضى والزمنى عامة، فعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ، كان اذا أتى مريضاً أو أتي به قال: «اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»[١٩].

وهكذا المجتمع الاسلامي، يدعو عن بكرة أبيه، لأصحاب الاعاقات والعاهات وما رأينا مجتمعاً على وجه الارض يدعو بالشفاء والرحمة لأصحاب الاحتياجات الخاصة، غير مجتمع المسلمين، ممن تربوا على منهج نبي الاسلام ﷺ!.

❖ تحريم السخرية منهم:

كان ذوو الاحتياجات الخاصة في المجتمعات الأوروبية الجاهلية، مادة للسخرية والتسلية والفكاهة، فيجد المعاق نفسه بين نارين، نار الإقصاء والإبعاد، ونار السخرية والشماتة، ومن ثم يتحول المجتمع في وجدان اصحاب الاعاقات، الى دار غربة، واضطهاد وفرقة، فجاء الشرع الاسلامي السمح ليحرم السخرية من الناس عامة، ومن اصحاب البلوى خاصة، ورفع شعار **«لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»**.

وأنزل الله تعالى آيات بينات تؤكد تحريم هذه الخصلة الجاهلية، والتي نبتت من نتن العصبية، والنعرات القبائلية، فقال عز من قائل: **﴿يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾** الحجرات: ١١ .

كما ثبت عن النبي ﷺ انه قال: «الكِبر بطر الحق وغمط الناس»[٢٠]، «وغمط الناس»: احتقارهم والاستخفاف بهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المبتلى أعظم قدراً عند الله، أو أكبر فضلاً على الناس، علماً

وجهاداً، وتقوى وعفة وأدباً، ناهيك عن القاعدة النبوية العامة، الفاصلة: «فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم»[٢١].

ولقد حذر النبي ﷺ أشد التحذير، من تضليل الكفيف عن طريقه، أو إيذائه، عبساً وسخرية، فقال: «ملعون من كمه اعمى عن طريق»[٢٢]، وقال: «لعن الله من كمّه اعمى عن السبيل»[٢٣].

فهذا وعيد شديد، لمن اتخذ العيوب الخلقية سبباً للتندر او التلهي او السخرية، أو التقليل من شأن اصحابها، فصاحب الاعاقة هو أخ أو أب أو ابن امتحنه الله، ليكون فينا واعظاً، وشاهداً على قدرة الله، لا ان نجعله مادة للتلهي او التسلي.

❖ رفع العزلة والمقاطعة عنهم:

فقد كان المجتمع الجاهلي في القديم، سواء في الجزيرة العربية أو أوروبا الرومانية أو آسيا الفارسية، يقاطع ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعزلهم ويمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كحقهم في الزواج والاختلاط بالناس، وزيارتهم والأكل والشرب معهم.

فقد كان أهل المدينة قبل ان يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعرج ولا اعمى ولا مريض، وكان الناس يظنون بهم التقذر والتقزز، فأنزل الله تعالى: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً او أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾** النور: ٢٤ .

اي ليس عليكم حرج في مواكلة المريض والأعمى والأعرج، فهؤلاء بشر مثلكم، لهم كافة الحقوق مثلكم، فلا تقاطعوهم ولا تعزلوهم ولا تهجروهم، فأكرمكم عند الله اتقاكم، «والله لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم».

وهكذا نزل القرآن، رحمة لذوي الاحتياجات الخاصة، يواسيهم، ويساندهم نفسياً، ويخفف عنهم، وينقذهم من أخطر الأمراض النفسية التي تصيب المعاقين،

جرّاء عزلتهم او فصلهم عن الحياة الاجتماعية.

وبعكس ما فعلت الأمم الجاهلية، فلقد أحل الاسلام لذوي الاحتياجات الخاصة الزواج، فهم والله اصحاب قلوب مرهفة، ومشاعر جياشة، وأحاسيس نبيلة، فأقر لهم الحق في الزواج، ما داموا قادرين، وجعل لهم حقوقاً، وعليهم واجبات، ولم يستغل المسلمون ضعف ذوي الاحتياجات، فلم يأكلوا لهم حقاً، ولم يمنعوا عنهم مالاً، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: «أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون أو جذام أو برص فمسها، فلها صداقها كاملاً»[٢٥].

❖ التيسير على ذوي الاحتياجات الخاصة:

ومن الرحمة بذوي الاحتياجات الخاصة، مراعاة الشريعة لهم في كثير من الاحكام التكليفية، والتيسير عليهم ورفع الحرج عنهم، فعن زيد بن ثابت ان رسول الله ﷺ أملى عليه: **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾**، قال: فجاءه ابن ام مكتوم وهو يملها على علي رضي الله عنه لتدوينها، فقال: يا رسول الله، لو استطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، قال زيد بن ثابت: فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي «من ثقل الوحي» ثم سري عنه، فأنزل الله عز وجل: **﴿غير أولي الضرر﴾** النساء: ٩٥[٢٦].

وقال تعالى مخففاً عن ذوي الاحتياجات الخاصة: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً﴾** الفتح: ١٧ .

فرفع عنهم فريضة الجهاد في ساح القتال، فلم يكلفهم بحمل سلاح او الخروج الى نفير في سبيل الله، الا ان كان تطوعاً، ومثال ذلك، قصة عمرو بن الجموح رضي الله عنه في معركة أُحد، فقد كان رضي الله عنه رجلاً اعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه، وقالوا له: ان الله عز وجل قد عذرك! فأتى رسول الله ﷺ فقال: ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله اني لأرجو ان أطأ بعرجتي هذه في الجنة! فقال نبي الرحمة: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، ثم قال لبنيه: «ما عليكم

ان تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة» فخرج مع الجيش فقتل يوم أُحد[٢٧].

بيد ان هذا التخفيف الذي يتمتع به المعاق في الشرع الاسلامي، يتسم بالتوازن والاعتدال، فخفف عن كل صاحب إعاقة قدر اعاقته وكلفه قدر استطاعته، يقول القرطبي رحمه الله[٢٨]: «ان الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر المرض في اسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة واركانها، والجهاد ونحو ذلك»، ومثال ذلك الكفيف والمجنون، **فالأول:** مكلف بجل التكاليف الشرعية باستثناء بعض الواجبات والفرائض كالجهاد.

اما الثاني: فقد رفع عنه الشارع السمح كل التكاليف، فعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل»[٢٩].

فمهما أخطأ المجنون او ارتكب من الجرائم، فلا حد ولا حكم عليه، فعن ابن عباس قال: أتي عمر رضي الله عنه بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً فأمر بها عمر ان ترجم، فمر بها على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر ان ترجم، فقال: ارجعوا بها! ثم أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين أما علمت ان القلم قد رفع عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال علي: فأرسلها فأرسلها فجعل عمر يكبِّر[٣٠].

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، في وقت لم تعرف فيه الشعوب ولا الأنظمة حقاً لهذه الفئة، فقرر الشرع الاسلامي الرعاية الكاملة والشاملة لهم، وجعلهم في سلم أولويات المجتمع الاسلامي، وشرع العفو عن سفيههم وجاهلهم، وتكريم اصحاب البلاء منهم، لا سيما من كانت له موهبة او حرفة نافعة أو تجربة ناجحة، وحث على عيادتهم وزيارتهم، ورغب في الدعاء لهم، وحرّم السخرية منهم، ورفع العزلة والمقاطعة عنهم، ويسر عنهم في الأحكام ورفع عنهم الحرج، فالله الله في شريعة الاسلام ونبي الاسلام ﷺ!.

الهوامش:

١- رواه مسلم برقم ٤٢٩٣ .

٢- شرح النووي على مسلم (٨٢/١٥).

٣- ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز ص/ ١٣٠ .

٤- ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٦/٩، وتاريخ الطبري ٢٦٥/٢ .

٥- لايتنر، دين الاسلام ص١٢-١٣ .

٦- تفسير القرطبي ١٨٤/١٩ والبيضاوي ص/ ٤٥١ .

٧- ابن كثير، السيرة النبوية ج٢ ص٣٤٧ .

٨- رواه البيهقي في شعب الايمان وصححه الألباني في المشكاة، ج١ ص٥٥، برقم ٢٥٥ .

٩- رواه ابن حبان ح: ٢٩٩٣ .

١٠- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح: ٤٦٦٤ .

١١- ابو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة ١٥٥/١٤ .

١٢- رواه أحمد، ح: ١٣٠٢٣، وصححه الألباني في الإرواء ح: ٥٣٠ .

١٣- رواه مسلم، كتاب الصلاة، وباب جواز أذان الأعمى اذا كان معه بصير، ح: ٣٨١ .

١٤- تفسير الرازي، ج١١ ص٣٧٤ .

١٥- رواه البيهقي ٣٩٢/١، وقال الألباني: «وهذا اسناد حسن ان شاء الله تعالى»، الإرواء ح: ٢٢٥ .

١٦- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ح: ٤٠٧، وانظر ح: ٦٢٧، ومسلم، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح: ١٠٥٢ .

١٧- رواه الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، ح: ٣٥٧٨، وابن ماجة برقم ١٣٨٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

١٨- رواه البخاري برقم ٥٢٢٠، باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم، برقم ٤٦٧٣، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض او حزن او نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.

١٩- رواه البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، ح: ٥٢٤٣، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، ح: ٤٠٦١ .

٢٠- رواه مسلم، ح: ٩١ .

٢١- رواه البخاري ح: ٥٥٨٣ .

٢٢- رواه أحمد، ح: ١٧٧٩، وقال الألباني: «صحيح» انظر حديث رقم ٥٨٩١، في صحيح الجامع.

٢٣- رواه احمد، ح: ٢٧٦٣، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ح: ٣٤٦٢ .

٢٤- تفسير الطبري ١٩، ص٢١٩ .

٢٥- موطأ مالك، كتاب النكاح، باب ما جاء في الصداق والجباء ح: ٩٦٩، ومصنف ابن ابي شيبة ٣١٠/٣ .

٢٦- رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير.

٢٧- ابن هشام ٩٠/٢ .

٢٨- تفسير القرطبي ٣١٣/١٢ .

٢٩- صحيح، رواه ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ح: ٣٠٤١، وابن خزيمة في صحيحه ١٠٠٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، وفي الإرواء ح: ٢٩٧ .

٣٠- صحيح رواه ابو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسوق او يصيب حداً، ح: ٤٣٩٩، وصححه الألباني في صحيح سنن ابي داود، وفي الإرواء ٥/٢ .

المولد النبوي الشريف

▪ بقلم الدكتور سامي الصالح

ولد الهادي محمد ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، سنة ٥٧١م بمكة المكرمة، اي بعد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بستة قرون تقريباً وبمناسبة ذكرى مولده الشريف، احببت الحديث عن دلائل صدقه في دعوته، حيث أرى أهمية البحث في دلائل النبوة المحمدية، لاطلاع الآخرين عليها، وليزداد المؤمن ايماناً بنبيه ومحبة، اقتداء له في جميع مناحي الحياة، لأنه ﷺ القدوة الحسنة والنموذج الأكمل، فقد قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

وإذا تعرف الآخرون على هذه الدلائل، قد تكون سبباً بإيمانهم وتصديقهم به، وبرسالته العالمية، وبذلك تتحقق سعادة البشرية، ونجاتها في الدنيا والآخرة، ودلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها، ولكني اذكر بعضها بإيجاز، فإليك بعض هذه الدلائل على صدق دعوته ﷺ:

❖ أولاً: إخبار أهل الكتاب بمولده ﷺ:

فلقد جاءت البشارات بمولده في التوراة والإنجيل، يعلمها اتباعهما يقيناً، وقد جعل الله علم اهل الكتاب به علامة على صدقه ﷺ،بأنه نبي مرسل من عند الله عز وجل، فقال تعالى: **﴿أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل﴾** الشعراء.

ان علماء اهل الكتاب من الأحبار والرهبان، يعرفون زمان مولده ﷺ، ونعته في كتبهم وبعض خصائصه واسمه وبلده وبعثه ومهجره وما يلقى من قومه، ولقد

كانوا ينشرون هذه البشارات ويذيعون اخباره ﷺ، ويعلمونها لأولادهم، ويذكرون للعرب المشركين ذلك، اذ ان المشركين من العرب كانوا يرون ان اهل الكتاب اعلم بهذا الشأن، فقد كانوا يسألونهم وكان اهل الكتاب يخبرون بما عندهم.

وقد ذكر القرآن الكريم في صراحة قاطعة، ان محمداً ﷺ مكتوب في كتب اهل الكتاب بأخص أوصافه، يجدونه فيها باسمه «احمد» ويجدون أصول رسالته، ودعائم شريعته، قال تعالى: **﴿الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾** الأعراف.

فسيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي سليل اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهم السلام، هو النبي الأمي الذي يجده اهل الكتاب مكتوباً عندهم، وقد بين القرآن الكريم ان اهل الكتاب يعلمون هذا علم اليقين، فقال تعالى في سورة البقرة: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم﴾**.

كما نص القرآن الكريم ايضاً على ان عيسى عليه السلام بشر قومه برسالة سيدنا محمد ﷺ، وأنه يجيء من بعده رسول اسمه أحمد، ولم يزعم أحد قط ان اسم أحمد سُمي به رسول جاء بعد عيسى عليه السلام غير سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، قال تعالى في سورة الصف: **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾**.

فخلاصة القول: ان اهل الكتاب قد ورد في كتبهم التي يتلونها البشارة بنبوته، كما ان القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اثبت تلك البشارات والأخبار، ومن هنا فإن من الانصاف للعقل ألا يتجاهل تلك النصوص القاطعة بنبوته ﷺ، وانه خاتم الأنبياء والمرسلين وانه لا نبي بعده.

❖ ثانياً: معجزات الرسول ﷺ:

ان من دلائل نبوته ﷺ ونبوة إخوانه ممن سبقوه من الأنبياء، حصول المعجزات لهم، ومعجزات الأنبياء كثيرة، وقد ذكرها القرآن الكريم، والمعجزة هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهره الله لنبيه تأييداً له، ودليلاً على صدق أمره.

ومن أمثلة هذه المعجزات ناقة سيدنا صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وإحياء

الموتى بإذن الله لعيسى ﷺ، وأما معجزات سيدنا محمد ﷺ فهي كثيرة جداً وقد فاقت معجزات غيره من الأنبياء الى حد كبير منها:

١- القرآن الكريم، وهو أعظم المعجزات وهو كلام الله تعالى المعجز لكل المخلوقات، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو معجزة الى يوم القيامة، قال تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** الإسراء.

٢- انشقاق القمر ليلة البدر، حين طلب كفار قريش منه آية على صدق دعوته وأنه نبي مرسل، فدعا الله عز وجل فانشق القمر فلقتين، ورأى المشركون ذلك، قال تعالى: **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾** القمر، وفي هذا العصر عصر الصعود على سطح القمر رأى علماء الفضاء أخدوداً في القمر مما يثبت انشقاقه في زمن ما.

٣- حنين الجذع اليه، لما فارقه ﷺ الى المنبر، وصار يخطب على المنبر، بعدما كان يخطب وهو يمسك بالجذع، فلما فارقه وصعد على المنبر ولم يمسك به كعادته في كل خطبة، سمع للجذع حنيناً كحنين الطفل، فجاءه الرسول ﷺ وضمه واعتنقه فسكت الجذع.

٤- تسبيح الحصى والطعام بيده ﷺ: لقد سبح الحصى عندما وضعه في يده، كما سبح الطعام وهو يأكل، وسمع ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ونقل الخبر عنهم بإسناد صحيح.

٥- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة، حتى شرب عدد كثير من الصحابة، وزيادة الطعام ببركته ﷺ عدة مرات، فقد أطعم ما يقارب الألف في غزوة الخندق، من صاع شعير وعناق اي جدياً صغيراً، كما اطعم اهل الخندق من تمر يسير، وأطعم جماعة من قرص شعير قليل.

٦- رد البصر لمن فقده: فلقد جاء رجل ضرير الى رسول الله ﷺ، وطلب منه ان يدعو الله له ان يعيد له بصره، فعلمه الرسول ﷺ دعاء دعا به الضرير ربه فرد الله عليه بصره.

٧- الاسراء والمعراج الشريفين: وهما معجزتان حيث كان الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وكان المعراج من المسجد الأقصى الى السموات العلى، وقد نص الله على معجزة الاسراء فقال تعالى: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله﴾** كما نص الحديث

الصحيح في البخاري ومسلم على معراجه، فقد قال ﷺ: «عرج بي الى السموات العلى»، وأشار الله الى المعراج في سورة النجم.

ان هذه المعجزات هي بقدرة الله تعالى القادر على كل شيء، أيد بها نبيه محمداً ﷺ وشاهدها الناس، ونقلت الينا ولا أحد يملك ردها، وهي كثيرة ومن اراد ان يتوسع في هذه فليرجع الى كتاب «دلائل النبوة» للامام البيهقي، والى كتب السيرة النبوية الشريفة مثل كتاب «الشفاء» للقاضي عياض وغيرها من الكتب، وفي مقدمتها كتب الحديث الشريف.

❖ ثالثاً: إخباره ﷺ بأمور غيبية ستحصل، ثم وقعت كما أخبر وهي كثيرة ايضاً ومنها:

- اخبر بمصارع الكفار في غزوة بدر، وكان يقول: هذا مصرع فلان وفلان، ويضع يده على المكان الذي يصرع فيه الشخص، وبالفعل كان كما اخبر ﷺ، فقد قتل في غزوة بدر كل من ذكر انهم سيقتلون من الكفار.

- إخباره ان الحسن بن علي رضي الله عنهما ان الله سيصلح به بين المسلمين، فكان كما أخبر بأنه لما توفي ابوه علي رضي الله عنهما تنازل عن الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين.. قال ﷺ: «ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

- أخبر ﷺ باستشهاد الخليفتين عمر وعثمان حيث كانا معه، وأبو بكر على جبل أُحد فقال ﷺ: «اثبت أُحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان» فالصديق ابو بكر رضي الله عنه والشهيدان عمر وعثمان رضي الله عنهما اللذان كانا معه، وقد وقع الخبر كما أخبر فاستشهد عمر واستشهد عثمان رضي الله عنهما وعن الصحابة اجمعين.

- اخبر ﷺ بفتح القسطنطينية وقال: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها» وقد تم فتحها كما اخبر ﷺ.

- اخباره بالكاسيات العاريات من النساء، وظهور ذلك في آخر الزمان، فقال ﷺ: «صنفان من اهل النار -وذكر منهما- نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات..» الحديث، وهذه الأخبار بالمغيبات كثيرة جداً ذكرنا بعضها، وكلها حصلت وهناك أخبار عنه بأمور غيبية لم تحصل وستحصل كما أخبر ﷺ.

❖ رابعاً: سلامة وصحة المبادئ التي جاء بها ﷺ:

ان صحة وسلامة المبادئ التي يدعو

اليها صاحبها، دليل قاطع وبرهان ساطع على صدقه، فالرسول الكريم ﷺ جاء بهذه الرسالة العالمية، وهي رحمة للعالمين وفيها تشريعات سامية، ومبادئ عظيمة وجليلة، ثبت باليقين وتحقق صحتها وسلامتها، مما يدل على انه ﷺ يوحى اليه وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿وما ينطق عن الهوى ❁ ان هو الا وحي يوحى﴾** النجم، وأذكر باختصار ثلاثة أمور هامة كشف الواقع الذي تعيشه البشرية على سلامة وصحة هذه المبادئ، **وهذه الأمور الثلاثة في مجال الاقتصاد والطب والاجتماع.**

ففي مجال الاقتصاد بين القرآن الكريم خطر الربا، وان الله سيمحقه، اي سيصيب البشر في اقتصادهم القائم على الربا محق مادي ومعنوي، بضياعه والخسارة المالية المادية، وبقلة البركة، فقال تعالى: **﴿يمحق الله الربا﴾** البقرة، وها نحن اليوم نعيش الازمة المالية المعاصرة حيث الهزة الاقتصادية للعالم اجمع، وهي هزة لنظام ربوي حرمه الاسلام لخطورته على الناس افراد وجماعات، ولقد رأينا علماء وخبراء الاقتصاد العالمي حتى الذين لا يؤمنون بقوله تعالى: **﴿يمحق الله الربا﴾** ينادون بتخفيف الفائدة وراحوا يعملون على تخفيفها من اجل انعاش الاقتصاد العالمي، بل دعا بعضهم الى ان تكون الفائدة المالية وهي الربا صفراً، ونادى بعضهم بتغيير النظام الاقتصادي العالمي، الى اقتصاد اكثر اعتدالاً وبعداً عن الربا، **وهكذا ثبت صحة ما دعا الاسلام اليه.**

وفي مجال الصحة والطب، فإن الاسلام الحنيف جاء بمبادئ في مجال الصحة والمحافظة على سلامة عقل الانسان وبدنه، وذلك باجتناب المحرمات من الأطعمة والأشربة لضررها المباشر على عقل الانسان وصحته، مثل تحريم الخمور والمخدرات ونحوها، وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك، وتأتي الأيام لتكشف للعالم اجمع الحكمة التشريعية من تحريم اكل الخنزير، وانه شكل وباء عالمياً أقلق البشرية جمعاء، حتى توجهت البشرية الى عزل الخنازير عن البشر، بل واتلافها تخلصاً مما تسبب للناس من أوبئة مثل وباء انفلونزا الخنازير.

وفي مجال الاجتماع، دعا الاسلام الى الزواج الشرعي الصحيح والى تلبية الرغبة الجنسية بالضوابط الشرعية، فسن الزواج الشرعي، وحرم الفواحش واللواط، وهذا الزواج سبب في حماية الأسرة من التفكك والأمراض السارية وضياع النسل والأنساب، وظهر صحة هذا

المبدأ الراقي في الحياة الاجتماعية، وحمى بلاد المسلمين من امراض الايدز والزهري ونحوها من الأمراض الجنسية الفتاكة، وصدق الله العظيم عندما ذكر الفاحشة فقال: **﴿ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ اي الزنا واللواط والشذوذ الجنسي.**

ان كل امر جاء به الرسول ﷺ ثبت فيه تحقيق المصلحة الشرعية للفرد والمجتمع، مع المحافظة على التوازن بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع، وكل ما نهى عنه ثبت بطريق قاطع، ان فيه مفسدة للفرد والمجتمع، والأمثلة كثيرة وقد ذكرنا بعضها بإيجاز، وهذا يدل على ان هذا الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنما يوحى اليه من عند ربه.

اذ كيف لرجل امي يعرفه كل الناس في زمانه بأميته، يعيش في بلد لا علم فيه ولا حضارة ومع ذلك يخبر بمثل هذه الأمور، ويثبت العلم الحديث في هذا العصر صحتها وسلامتها، اللهم انها النبوة وصدق الله العظيم القائل: **﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾**.

❖ الخاتمة:

ان البشرية اليوم هي أمة الرسول ﷺ، لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده، وكل من لم يؤمن به بعد، عليه ان يراجع موقفه وعليه ان يعمل عقله بإنصاف وينظر في هذه الأدلة لتكون سبباً في سعادته الدنيوية والأخروية، قال تعالى: **﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾ وهذه الأدلة كثيرة أجملناها باختصار في أمور اربعة هي:**

١- اخبار اهل الكتاب بمولده في كتبهم وبشارة انبيائهم بنبوته كما أخبر القرآن الكريم.

٢- معجزاته الحسية والمعنوية واعظمها القرآن الكريم المحفوظ من التغيير لقوله تعالى: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾**.

٣- اخباره عن أمور غيبية ستحصل في المستقبل ثم حصلت كما أخبر.

٤- سلامة وصحة المبادئ التي جاءت بها رسالته العالمية.

نسأل الله تعالى الثبات على الهدى وزيادة المحبة للمصطفى ﷺ وهداية الناس اجمعين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

مولد الرسول ﷺ بشارة نصر للأمة المحمدية

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ❖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ❖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ❖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ❖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ الفيل: ١-٥ .

كان مولد الرسول ﷺ بشارة نصر للأمة المحمدية فكيف كان ذلك؟ سؤال ربما يحتاج منا إلى إجابة وتوضيح، ووقفة عامة مع الأحداث والمجريات التي حدثت إبان مولد الرسول الأكرم ﷺ، والتي تعطينا بشائر النصر والأمل بالمستقبل القادم.

كان مولد الرسول ﷺ في عام الفيل، وهذه الحادثة العظيمة تبعث الأمل في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتذكرهم بحقيقة لربما غائبة عن أذهانهم، حقيقة عظيمة وهي من سنن الله الثابتة في الكون، وهي أنهم إذا تخلوا عن نصرة دين الله فإن للدين رباً يحميه وينصره، قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** محمد: ٣٨ .

فقد كان مولده الشريف بشارة نصر للأمة التي أخرجت من الظلمات إلى النور بإذن الله جلّ وعلا، الأمة التي أرهقها المشي في التيه والضلال والظلام والجهل، شاء الله عز وجلّ لها أن تخرج من هذا

الظلام إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الضلال إلى الهدى، فبعث الله سيد المرسلين محمداً ﷺ.

أما معركة الفيل فالحديث عنها يطول ولكن ما يمكن أن نستقصيه منها، أن أبرهة الملك النصراني الظالم الذي كان يحكم اليمن من قبل الحبشة، أخذته الغيرة والحقد والعزة بالإثم والحسد، لماذا يتوجه الناس من شتى البلاد والبقاع إلى زيارة بيت الله الحرام في كل عام وتراودهم المشاعر بالعودة إليه مرة ثانية؟ لا بد أن يصرف الناس عن زيارة هذا البيت إلى صنعاء، فماذا يفعل؟ تبادرت له فكرة، وهي بناء كنيسة مزينة بالسجاد الفاخر؛ لصرف الناس عن زيارة البيت الحرام، ومع كل ذلك فلم يفلح بصرف الناس عن زيارة البيت الحرام، إن الذين يزورون بيت الله الحرام يذهبون تلبية لأمر الله لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما نادى: أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً فحجوه.

فهنا ماذا يفعل أبرهة؟ اشتد غضبه، وأقسم ليهدمن بيت الله الحرام ليستريح منه، فقاد بنفسه جيشاً عظيماً من الجنود الذين يركبون الفيلة وتحركوا بها إلى مكة، فعندما وصلت إلى أبواب مكة، وقفت الفيلة ولم تتحرك، فحولها أبرهة نحو اليمين فلم تتحرك، وحولها نحو الشمال فلم تتحرك، أراد أن يقودها إلى الإمام فلم تتحرك، ما الذي حصل يا هل ترى؟.

إن الذي أوقف الفيلة مكانها هو الله تعالى، ونقول: كيف تتحرك الفيلة لهدم بيت الله والله خالق هذه الفيلة، فنزل من على ظهرها ودخل مكة ماشياً، فعثر هؤلاء الجنود على مائتي ناقة لعبد المطلب، فأخذوها غنيمة فأرادوا التفاوض مع عبد المطلب جد رسول الله ﷺ على ذلك، فقال عبد المطلب: أريد جمالي، فقال أبرهة: عجبت لموقفك تطالبني بالإبل ولا تطالبني بالبيت الحرام! فقال بلسان الواثق بربه وبوعده وبنصره: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه، فما الذي حدث بعد ذلك؟

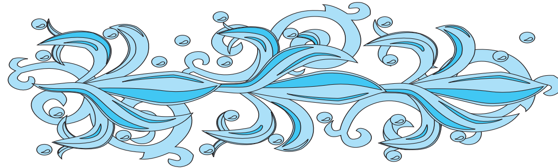
إن أبرهة ليس أمامه سوى خطوات إن خطاها دخل البيت الحرام، ولكنه لا يدري أن يد الله تعمل في الخفاء، فقد جعل الله كيد وتدبير هؤلاء في خسارة فجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل، أرسل عليهم جماعات من الطير، مع كل

طير ثلاثة أحجار، حجر بمنقاره، وحجران في رجليه، تشبه حبة الحمص أو العدس، ترمي هؤلاء الجنود بحجارة من طين فجعلهم بعد ذلك كأوراق الشجر اليابسة التي أكلتها الديدان فما أبقت منها شيئاً، وبذلك نجى الله بيته الحرام من كيد هؤلاء الظالمين وردهم في نحورهم خائبين.

هذه الحادثة حدثت في مولد رسول الله ﷺ، فقد كانت ولادته من بشائر النصر للأمة الإسلامية قديمها وحديثها، قديمها بأن رسول الله ﷺ رسم لها الطريق المستقيم لكي تسير عليه، وحديثها بالسير على هذا النهج والطريق المرسوم وعدم الحيد عنه واتباع السبل، فقد نصر الله بيته العتيق وأنقذه من كيد الظالمين، ووقفة يسيرة لنقارن بين ضخامة الجيش الذي يقاد ضد الإسلام، والسلاح الموجه من رب العالمين، فالجيش كان عظيماً وضخماً، وكان سلاح الله الفتاك المؤثر هو سلاح صغير، طير صغير بيده حجر صغير، ومع ذلك كان سلاحاً مدمراً بأمر الله الذي أمره بين الكاف والنون.

وأقول في نهاية المطاف: شاء الله وقدّر أن يُولد المصطفى ﷺ في عام الفيل بشرى للقلوب المؤمنة، وفرحة للأرواح، وبداية لإنقاذ هذه البشرية من هذه الرمضاء المحرقة، شاء الله وقدّر أن يخرج البشرية من ظلمات الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان بربّ البريّة بميلاد سيّد البشرية ﷺ، فكان هذا المولد بشارة من بشائر النصر لهذا الدين وأعوانه.

اللهم ثبتنا على دينك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، واحفظنا اللهم برعايتك وحفظك، وانصرنا على من ظلمنا إنك على كل شيء قدير.



٢

مدونة سعيد بن جبير في التفسير دراسة نقدية حديثية

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

تكلمت في الجزء الأول من هذه الدراسة عن تطور علم التفسير من مرحلة الكتابة إلى مرحلة التدوين، وعرضت لمدونة سعيد بن جبير وطرق روايتها حتى وصلت إلى حافظ الري وابن حافظها عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ).

وسأتعرض في الجزء الثاني من الدراسة لتقويم هذه المدونة وأحوال رجال إسنادها.

❖ المبحث الثالث:

مدونة ابن جبير في ميزان علم الرواية:

إن الدراسة الاستقرائية لموضوع هذه المدونة ولآثار ابن جبير في مختلف مصنفات العلم، تبين لنا بأن علماء السنة النبوية الشريفة حين صنفوا في صحيح الحديث، لم يعتمدوا رواية تفسير ابن جبير من طريق عطاء بن دينار، بل أخرجوا مروياته من طرق أخرى كما تشهد لذلك أحاديث التفسير التي أخرجها له البخاري وغيره من الأئمة.

لكن هذا لا يعني إطلاق الطعن في رواية هذا التفسير عنه لأن أكثر كتب الرجال أثبتت لعطاء بن دينار روايته عن ابن جبير من غير سماع، ومن ثم احتاط علماء السنة الذين صنفوا في الصحيح فحسب، فلم يخرجوا شيئا من هذه المدونة

التي ستجد طريقها إلى كتب التفسير.

- **المطلب الاول:**

رواية مدونة ابن جبير وجادة:

قال ابن أبي حاتم في ترجمة عطاء: "سئل أبي عن عطاء بن دينار، فقال: هو صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير.[١]

والوجادة تقال فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[٢]، والمتقدمون من أهل الرواية لا يعتبرون الوجادة شيئا وقد حرر مذهبهم القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، في "الإلماع"[٣] قال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، من المتأخرين: "مثال الوجادة: أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها، فله أن يقول: وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان... وهو من باب المنقطع والمرسل غير أنه أخذ شوبا من الاتصال بقوله: (وجدت بخط فلان).[٤]

أما بالنسبة للعمل بالوجادة اعتمادا على ما يوثق به منها فقد خلص ابن الصلاح بعد ذكر الخلاف في المسألة إلى القول: "... فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها على ما تقدم.."[٥]، قال محمد عجاج الخطيب بعد استعراض مختلف الأقوال في المسألة: ".. وأما ما يتعلق بالعمل فالصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم، انه يجب العمل بما يجده متى صح إسناده، والوجادة الموثوق بها التي يطمئن إليها أهل العلم.. لا تقل في قيمتها عن التحمل بالإجازة".[٦]

- **المطلب الثاني:**

أحوال رجال الإسناد:

بالنسبة لعطاء بن دينار فقد وثقه أحمد بن حنبل وابن حبان وأبو داود وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: هو صالح الحديث[٧]، قال البخاري في التاريخ الكبير: "عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد بن جبير روى عنه سعيد بن أبي

أيوب وعمرو بن الحارث.."[٨]

أما الرواة عن عطاء فأولهم حيوة بن شريح، وثقه ابن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازي وقال فيه ابن حجر: ثقة ثبت فقيه[٩].. وعن حيوة روى التفسير عبد الله ابن المبارك قال فيه أبو حاتم: ثقة إمام، وقال ابن حجر: ثقة ثبت، وهو ممن أجمع علماء الرجال على عدالته وعلمه وضبطه.[١٠]

وعن ابن المبارك أخذ التفسير يحيى بن آدم قال فيه أبو حاتم: كان يفقه وهو ثقة[١١] وقال يعقوب بن شيبة: ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: كان ثقة جامعا للعلم عاقلا ثبتا في الحديث.[١٢]

ورجال هذا الإسناد ثقات، إلا أن الراوي عن يحيى بن آدم لم يذكره ابن أبي حاتم في تفسيره حيث قال:" ذكر عن يحيى بن آدم ثنا ابن المبارك...".[١٣]

الإسناد الثاني عن عطاء بن دينار من طريق ابن لهيعة، وعبد الله بن لهيعة مجرح عند جمهور نقاد الحديث النبوي[١٤]، قال الدارقطني: يعتبر بما يروي عنه العبادلة ابن المبارك والمقري وابن وهب[١٥]، وقال غيره: يعتد برواية من كتب عنه قبل احتراق كتبه وقبل اختلاطه.[١٦]

وعن ابن لهيعة روى هذا التفسير يحيى ابن عبد الله بن بكير، ضعفه النسائي و أبو حاتم وقال الدارقطني: عندي ما به بأس وذكره الذهبي في " معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد"[١٧] وعن يحيى روى التفسير أبو زرعة الرازي أحد الجهابذة النقاد[١٨] وعنه ابن أبي حاتم.

الطريق الثاني عن ابن لهيعة فيه سعيد ابن أبي مريم وهو ممن يضبط روايته عن ابن لهيعة[١٩]، وثقه أبو حاتم قال فيه ابن حجر: ثقة ثبت فقيه[٢٠]، وعن سعيد روى التفسير الحسن الحلواني، قال عنه أبو حاتم: صدوق وكتب عنه[٢١]، وقال ابن حجر: ثقة حافظ[٢٢]، وهذا الإسناد منقطع لان ابن أبي حاتم لم يذكر الراوي عن الحسن الحلواني الذي سمع منه حيث قال: "ذكر عن الحسن بن علي الحلواني عن سعيد بن أبى مريم.."[٢٣].

الطريق الثالث عن ابن لهيعة فيه أبو هارون البكاء وهو موسى بن محمد، قال فيه: أبو حاتم الرازي منكر الحديث[٢٤]

وضعفه أحمد، وقال وحيد: ليس بشيء، وقال أحمد أيضا: ليس بثقة ولا أمين[٢٥]، وعن أبي هارون: روى التفسير حافظ الري أبو حاتم وعنه ابنه عبد الرحمن[٢٦].

الطريق الرابع عن ابن لهيعة فيه ابن المبارك وسبق الكلام في عدالته ومعرفته بما يرويه عن ابن لهيعة.. وعن ابن المبارك روى التفسير هشام بن عبيد الله قال فيه ابن أبي حاتم: ثقة يحتج بحديثه وقال فيه أبو حاتم الرازي: صدوق[٢٧]، وعن هشام روى التفسير حافظ الري وأحد الجهابذة النقاد أبو حاتم الرازي وعنه ابنه عبد الرحمن.[٢٨]

● المطلب الثالث:

تقويم رواية هذا التفسير:

لعله من الأنسب التنبيه مقدما إلى أن هذه الدراسة، اعتمدت في تتبعها لطرق رواية تفسير سعيد بن جبير على الأسانيد التي تضمنها الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم المطبوع كما سبق وصفه.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) هو أقدم مصدر أشار إلى مدونة سعيد بن جبير- فيما أعلم حتى الآن- وقد وقعت الإشارة إليها في ترجمة عطاء بن دينار (ت ١٢٦هـ) راوي المدونة.

من هنا تظهر أهمية اعتماد كتاب أبي حاتم "تفسير القرآن العظيم.." في معرفة أخبار هذه المدونة وطرق نقلها حتى عصور التصنيف، مع العلم أن بعض مروياتها جاءت عند غير ابن أبي حاتم مثل تفسير ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وتفسير محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت ٣١٨هـ).

وبالنظر إلى مختلف أسانيد هذا التفسير يظهر أن أصحها ما يرويه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هشام بن عبيد الله الرازي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء عن سعيد بن جبير،وبعض طرق هذا التفسير ترتقي إلى الحسن كرواية ابن أبي حاتم عن ابن خالة أبيه أبي زرعة عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن عطاء عن ابن جبير.

على أن الكثير من مرويات تفسير ابن جبير هذا هي في حكم الخبر المنقطع.

ولعل الوقوف على طرق روايته في بقية أجزاء تفسير ابن أبي حاتم تجبر بعض

أسباب الضعف في هذا التفسير[29]، كما أن الوقوف على أسانيده في التفاسير الأخرى- غير تفسير ابن أبي حاتم- قد توقفنا على طرق أخرى متصلة لرواية هذا الأثر.

❖ خاتمة الدراسة:

كانت هذه الدراسة عن"مدونة سعيد بن جبير في التفسير" محاولة لاستقراء وتتبع طرق وأسانيد التفسير الذي جمعه ابن جبير لعبد الملك بن مروان الأموي في أحد أهم كتب التفسير خلال عصور التصنيف.

على أن إثارة هذا الموضوع بحد ذاته تفرض على دارسي التفسير اليوم أمرين:

● **الأول:** تكثيف البحث فيما يخص التاريخ لعلم تفسير القرآن خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، فالعديد من آثار التفسير المرتبطة بهذه الفترة المبكرة لا زلنا نجهلها أو أن معرفتنا بها جد محدودة.

● **الثاني:** تعميق البحث التأصيلي في مجال دراسة التفسير عوض الركون إلى فهارس بعض أمهات التفاسير، التي اعتاد بعض المعاصرين انتقاء مادة بعض المدونات التفسيرية منها.

وإنّ المتتبع والدارس لهذا الموضوع لا بد أن يصل إلى الاقتناع بإمكانية الوقوف على "تفسير سعيد بن جبير" الذي رواه عنه وجادة عطاء بن دينار و أول سبيل يؤدي إلى ذلك هو البحث الاستقرائي المتأني للمادة العلمية التي جمعها ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره المسند بكامل أجزائه..

فإذا استطعنا الوصول إلى هذه الغاية سيكون بين أيدينا ثاني تفسير ظهر في البيئة الإسلامية- بعد تفسير مجاهد- خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، والله من وراء القصد وهو سبحانه أعلم وأحكم.

الهوامش:

(١) ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل، ج٦ ص٣٣٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤ ص١٢٨.

(٢) التبصرة والتذكرة، ج ٢ص١١١، طبعة فاس ١٣٥٤هـ.

(٣) القاضي عياض، الالماع ص١٢٠ تحقيق السيد احمد صقر، دار التراث القاهرة.

(٤) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص١٥٨.

(٥) المرجع السابق ص١٦٠، وانظر كذلك ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث،

ص١٢٢-١٢٣نشر دار الفكر.

(٦) محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص٢٤٦، طبعة دار الفكر.

(٧) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٦ ص٣٣٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٧ ص ١٧٩ .

(٨) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٦ ص٤٧٦، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٩) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج ٣ ص٣٠٧، ابن حجر، تقريب التهذيب ج١ ص٢٠٨.

(١٠) الجرح والتعديل، ج٩، ص١٨٠-١٨١، تقريب التهذيب ،ج١ ص٤٤٥.

(١١) الجرح والتعديل، ج٩ ص١٢٨.

(١٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦ ص١١٤.

(١٣) ابن أبي حاتم،تفسير القرآن العظيم،ج١ ص٣٣٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ الرياض بتحقيق أحمد الزهراني.

(١٤) الجوزجاني، أحوال الرجال ص١٥٥، البخاري، الضعفاء الصغير ص٦٩، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج٥ ص١٤٦-١٤٧ .

(١٥) الضعفاء والمتروكين ص١١٥ طبعة الرسالة بيروت بتحقيق السامرائي.

(١٦) الجرح والتعديل،ج٥ ص١٤٧.

(١٧) الذهبي، معرفة الرواة... ص ٨٨، دار المعرفة بيروت.

(١٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ،ج١ ص٣٣١-٣٤٩.

(١٩) المصدر السابق، ج٥ ص١٤٦.

(٢٠) الجرح والتعديل،ج٤ ص١٤، ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١ ص١٩٣.

(٢١) الجرح والتعديل،ج٣ ص٢١.

(٢٢) تقريب التهذيب، ج١ ص١٦٨.

(٢٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص١٤٦، تحقيق احمد الزهراني.

(٢٤) الجرح والتعديل، ج٩ ص٣٦٢.

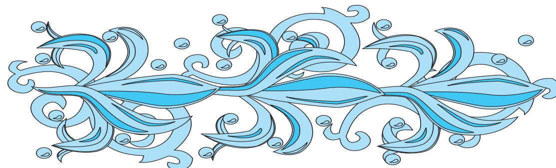
(٢٥) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٦ ص٥٦١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١، ١٩٩٥م، تحقيق علي معوض وعادل احمد.

(٢٦) ابن أبى حاتم،تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٩، تحقيق أسعد محمد الطيب.

(٢٧) الجرح والتعديل، ج٩ ص٦٧.

(٢٨) ابن أبي حاتم،تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٨١، تحقيق أسعد محمد الطيب.

(٢٩) اعتمدت على الجزء الأول منه فقط وبين يدي بقية الأجزاء حيث لم يتيسر لي الاستفادة منها، فلعله يتيسر لغيري والله الموفق.



قال الله تعالى:

﴿وإِنك لعلى خلق عظيم﴾

■ بقلم الاستاذ ابراهيم محمد الخالدي

هذه شهادة من الله بأنه أكمل الأخلاق وأتمها وأرفعها، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ وفي هذه الآية حث من الله لعباده للإقتداء برسوله ﷺ، الذي كمله خلقا وشرفه أصلا ورفعه منزلة وقدراً، ولذوي الأخلاق الفاضلة منزلة عالية، ففي الحديث الصحيح «أكمل المؤمنين أحسنهم أخلاقا، وان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا».

وهذه نماذج من الأخلاق المحمدية، فلننظر إليها ونحث النفس على التشبه والتحلي الصادق بها:

❖ الكرم المحمدي:

كان الكرم المحمدي مضرب الأمثال، وكان ﷺ لا يرد سائلا الا ويعطيه، فقد سأله رجل حلة كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها ثم خرج بها في يده وأعطاه اياها .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

❖ الحلم المحمدي:

وهو ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره قولا أو فعلا عند الغضب، وهذه الأحداث تدل على حلمه ﷺ:

- لما شجت وجنتاه وكسرت رباعيته ودخل المخفر في رأسه ﷺ يوم أُحد قال:

«اللهم اغفر لقومي انهم لا يعلمون».

- لما جذبه الاعرابي بردائه جذبة شديدة، حتى أثرت في صفحة عنقه ﷺ وقال له: أحمل لي بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ومال ابيك، فقال ﷺ: «المال مال الله وانا عبده ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي، فقال الاعرابي: لا، فقال النبي ﷺ: لم، قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة فضحك ﷺ وامر ان يحمل له على بعير شعير، وعلى آخر تمر».

- جاءه زيد بن سعنة أحد احبار اليهود يتقاضى دين له على النبي ﷺ، فجذب النبي من ثوبه وقال بصوت مغلظ: "انكم يا بني عبد المطلب مطل، فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي ﷺ يبتسم وقال: انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، وقال ﷺ: لقد "بقي من أجله ثلاث" وأمر عمر رضي الله عنه أن يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعا لما روعه" وكان ذلك سبب اسلامه.

❖ العفو المحمدي:

وقد أمر الله به رسوله الكريم ﷺ بقوله في سورة الأعراف: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**، وعندما سأل ﷺ جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال له: "ان الله يأمرك ان تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين امرين الا اختار أيسرهما، ما لم يكن اثما فإن كان اثما كان ابعد الناس عنه، وما انتقم ﷺ لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها".

- عندما دخل المسجد الحرام يوم الفتح، وكان أهالي قريش ينتظرون حكم رسول الله ﷺ فقال: "يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا: اخ كريم وابن اخ كريم فقال ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء فعفا عنهم".

❖ الشجاعة المحمدية:

● كان ﷺ أشجع الناس على الإطلاق، وأدلة ذلك تكليف الله تعالى له ان يقاتل وحده في سورة النساء: **﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين﴾**.

● وفي أُحد حيث فر الكماه والأبطال، وقف ﷺ وحده يدعو للقتال حتى التف حوله أصحابه وقاتلوا معه.

● وفي حنين انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو، نتيجة الكمائن التي نصبها وبقي وحده ﷺ في ميدان القتال، وهو على بغلته يقول: انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب، وما زال في المعركة وهو يقول: "الي عباد الله الي عباد الله"، حتى فاء أصحابه اليه وعادوا الكرة على العدو فهزموه.

❖ الصبر المحمدي:

لقد امر الله رسوله الكريم بالصبر في قوله تعالى: **﴿فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل﴾** الاحقاف: ٣٥، وفي قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** آل عمران: ٢٠٠ .

وقد صبر رسول الله ﷺ صبراً دام ثلاثاً وعشرين سنة، ولم يتخل عن دعوته حتى بلغ الرسالة ومن صبره ﷺ، صبره على أذى قريش، فقد ضربوه والقوا سلى الجزور على ظهره الشريف، وحاصروه ثلاث سنوات وحكموا عليه بالاعدام وبعثوا رجالهم لتنفيذه، ولكن الله سلمه وعصمه.

❖ العدل المحمدي:

من ذلك تحكيم قريش له في وضع الحجر الاسود بعد خلاف شديد بينهم، كاد يفضي بهم الى الاقتتال، فحكم ﷺ ان يوضع الحجر في ثوب وتأخذ كل قبيلة بطرف، ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكان من جدار البيت فحكم فعدل ﷺ.

❖ التواضع المحمدي:

اخبر ﷺ أنه قد خير بين أن يكون نبيا ملكا، أو نبيا عبدا، فاختار ﷺ ان يكون نبيا عبدا، وأخبر ان الله تعالى كافأه على اختياره العبودية بأن يكون سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع،فاختياره العبودية على الملوكية أكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي.

- حدث ابو امامة رضي الله عنه قال: خرج علينا ﷺ متوكئا على عصا فقمنا له، فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال: "انما انا عبد، آكل كما يأكل العبد، واجلس كما يجلس العبد"، وكان ﷺ يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم، حيث انتهى به المجلس جلس وهو القائل: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، انما انا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله".

– ومنتهى تواضعه ﷺ عندما دخل مكة ظافرا منتصرا، دخل راكبا على ناقته و لحيته الشريفة تكاد تمس قائم رحله، تواضعا لله عز وجل.

– دخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة، فقال له ﷺ: "هوّن على نفسك، فإني لست ملكا، وانما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد".

– ما أخبر به بعض نسائه وتحدثن، وهو انه ﷺ يكون في بيته في مهنة اهله فكان يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل البعير، ويعلف ناطحة ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته في السوق، وكل هذه المظاهر تدل على مدى تواضعه ﷺ.

❖ الحياء المحمدي:

كان ﷺ اشد حياء من البكر في خدرها، وكان اذا كره شيئا عرف ذلك من وجهه، وكان ﷺ من شدة حيائه لا يثبت بصره في وجه احد، ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره ولا يصرح به.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ اذا بلغه عن أحد ما يكره، لم يقل: ما بال فلان يقول كذا وكذا، ولكن يقول: "ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا".

❖ الرحمة المحمدية:

أرسل الله نبيه ﷺ رحيماً لسائر الخلق فقال تعالى: **﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الانبياء: ١٠٧ .

لما كذبه قومه اتاه جبريل وقال له: "ان الله تعالى قد سمع قول قومك اليك وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فقال له ملك الجبال: ان شئت اطبق عليهم الاخشبين فقال ﷺ: "لا بل ارجو الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا" فهذا من مظاهر الرحمة.

– ركبت عائشة رضي الله عنها جملا وكان فيه صعوبة، فأخذت تردده اي تذهب به وتجيء تروضه فاتعبته، فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق يا عائشة» وهذا مظهر من مظاهر الرحمة العامة التي شملت الحيوان.

- وقوله ﷺ: "دخلت امرأة النار في هرة حبستها، حتى ماتت فلا هي اطعمتها حين حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض".

- وقوله ﷺ: "لولا ان اشق على امتي، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة".

❖ الوفاء المحمدي:

كان ﷺ مضرب المثل في الوفاء، فهو سيد الأوفياء والأولياء والأوصياء والأنبياء من بني آدم.

● فعن عبدالله بن ابي الحمساء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل ان يبعث، وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم تذكرت بعد ثلاثة، فجئت فاذا هو في مكانه، فقال: "يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك".

● عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ اذا اتي بهدية قال: "اذهبوا بها الى بيت فلانة، فانها كانت صديقة لخديجة، انها كانت تحب خديجة" اي وفاء هذا يا حبيب الله!! انه كان يكرم أحباء خديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها.

● وحدثت عائشة رضي الله عنها فقالت: "ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، لما كنت اسمعه يذكرها، وانه يذبح الشاة فيهديها الى خلائلها، واستأذنت عليه اختها فارتاح لها، ودخلت عليه امرأة فأحسن السؤال عنها فلما خرجت، قال: "انها كانت تأتينا ايام خديجة، وان حسن العهد من الايمان".

❖ صلته لرحمه:

قوله ﷺ في ابي العاص بن امية، وكان مشركا ظالما قبل اسلامه، وعندما اسلم حسن خلقه فقال فيه وهو مشرك: "ان آل ابي فلان ليسوا بأوليائي غير ان لهم رحما سأصلها".

- قال ابو الطفيل: "رأيت النبي ﷺ وانا غلام، قد بسط رداءه لامرأة فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي ارضعته".

- كان ﷺ يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بكسوة، فلما ماتت سأل: "من بقي من قرابتها" فقيل: لا أحد، ولو قيل: بقي فلانة او فلان لوصلهما، قياما بواجب صلة الارحام، فصلى الله عليك وسلم يا حبيبي يا رسول الله.

قال الله تعالى :

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾

■ بقلم الاستاذة آلاء الاسعد

في لحظة ما كانت البشرية قد تعبت من اثقالها، واستنفدت طاقتها الروحية وانتظرت طويلا نور السماء، وبلغت رشدها الانساني لاستقبال النبوة من جديد، في تلك اللحظة الفاصلة، جاء الخبر اليقين بميلاد سيد الاولين والآخرين محمد ﷺ رسولا للعالمين ورحمة للناس اجمعين، فكان ميلاده ميلادا للانسان الجديد هذا الإنسان الذي لا يميزه عن غيره إلا على اساس التقوى.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** تنطوي هذه الآية القرآنية الكريمة على عطايا جزيلة، ونعم جليلة أسبغها ربنا عز وجل على نبينا محمد ﷺ.. وقد ذكرت آيات سورة الضحى التي أنزلها الله على قلب نبيه الطاهر، اشارات وبشارات تومئ الى الكرم الإلهي الغامر منذ كان النبي ﷺ يتيماً معدماً يقاسي حالة العيلة والفقر، وعلى ما عاناه من صد واستهزاء واستعداء وتمنح شعور الأمل العامر **﴿وللآخرة خير لك من الأولى ❖ ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**.

ان الله تعالى أعطى رضاه الأزلي الأبدي الواسع، لهذا النبي الخاتم الشافع ﷺ، وأكرمه بالنبوة والرسالة قبل ان يخلق أول البشر آدم عليه السلام، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى جُعلتَ نبياً؟ فقال ﷺ: «وآدم بين الروح والجسد»؛ رواه الترمذي في كتاب المناقب برقم ٣٦٠٩، والحاكم في المستدرك ٩٠٦/٢، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وان

آدم لمنجدل في طينته» رواه احمد في المسند ٤/ ١٢٧، والحاكم في المستدرك ٢ / ٤١٨ وأقره الذهبي.

فقد ادخره الله ليكون «خاتم النبيين»، ورحمته المهداة للعالمين فقال سبحانه: **﴿ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** الاحزاب: ٥٤، وقال النبي ﷺ: «أنا خاتم النبيين» رواه البخاري ومسلم، وهذا يدل على مزية عظيمة لم تكن لأحد من الانبياء والمرسلين غير النبي محمد ﷺ، فقال الله تعالى: **﴿قل إني أمرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾** الزمر: ١٢، وقال تعالى: **﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ❖ لا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين﴾** الانعام: ١٦٢-١٦٣ .

فإن الله تعالى سماه **﴿أول المسلمين﴾** وأخذ العهد له من جميع الانبياء بأن يتبعوه وينصروه إذا ظهر في حياة أحدهم، بل أخذ الله تعالى على الانبياء ايضاً بأن يأخذوا هذا العهد على جميع أممهم وشعوبهم بأن يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ، قال سبحانه: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾** آل عمران: ١٨ .

ولما ادعى اليهود والنصارى ان أبا الانبياء ابراهيم ﵇ منهم ردّ الله هذا الادعاء الكاذب، ونفى هذا الانتساب الباطل، ونسبه الى (الاسلام)، فقال تعالى: **﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾** آل عمران: ٧٦، وقرر الحق تبارك وتعالى في علمه الأزلي القديم ان النبي الأعظم ﷺ هو الأولى والاجدر والأحق بالانتماء إلى ابراهيم الخليل ﵇ فقال سبحانه: **﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾** آل عمران: ٨٦، لأن ابراهيم ﵇ بعد ان أكمل بناء الكعبة مع ابنه اسماعيل ﵇، دعوا ربهما بقولهما: **﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ❖ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾** البقرة: ١٢٨-١٢٩، ولذلك قال النبي ﷺ: «أنا دعوة أبي ابراهيم»

رواه احمد والحاكم وابن حبان.

بل ان سيدنا محمداً ﷺ هو أولى بموسى عليه السلام من بني اسرائيل، ويؤكد ذلك ماجاء في الحديث المتفق عليه: «أنا أولى بموسى منهم».

ونبينا العظيم هو الأولى والأجدر بالمسيح عيسى عليه السلام حيث قال في الحديث المتفق عليه: «أنا أولى بعيسى في الدنيا والآخرة» وقرآنه هو المهيمن على كتابيهما: التوراة والانجيل.. ولذلك يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي، إلاّ أدخله الله النار».

ولأنه رضي بعطاء النبوة والرسالة، وتحمل كافة تبعاتها، وبلغ مفردات مبادئها، وقام بواجب البشارة للمؤمنين والنذارة للكافرين، فقد أرسله الله (رحمة) لعموم العالمين.. فقال تعالى يخاطبه: **﴿وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾** سبأ: ٢٨، بل جعل الله هذه الرسالة المحمدية عامة وتامة وشاملة وكاملة، ورحمة لكل عوالم المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، فقال له: **﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾** الانبياء: ١٠٧ .

❖ عطاء الرضا بالشفاعة:

ومما يدل على تكريمه وفضله، وعلو مقامه، وعظيم شأنه، ورفعة قدره ﷺ، أنه صلى إماماً بالانبياء جميعاً في ليلة الاسراء والمعراج - كما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الايمان رقم ٨٧٢، ومن المعلوم أنه لا يؤم الناس إلاّ أفضلهم وأعلمهم وأكملهم.. قال ابن كثير (في السيرة النبوية ٢/٢٠١): «استفاد بعضهم من هذا أن الإمام يقدم على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلة الانبياء، ودار إقامتهم».. ولا شك ان في هذا رضا وقبول الانبياء عليهم السلام لإمامة محمد ﷺ لهم - في بيت المقدس أرض المحشر والمنشر - إرهاصاً وتقدمة وتهيئة له في الدنيا لكي يتسلم درجة الشفاعة العظمى يوم القيامة كما تقدم للإمامة العظمى في الدنيا.

وكتب الصحاح والمسانيد والسنن، مترعة بتفضيل وتقديم النبي الخاتم الأعظم محمد ﷺ.. وكيف لا يكون كذلك؟! وقد بلغ الأمر ذروته العليا من التقدير والتعظيم، والتفخيم والتكريم لهذا النبي الرؤوف الرحيم صاحب الخلق العظيم، وذلك حينما تولى ذو الجلال

والإكرام، والعطاء والانعام تقديم الشهادة الإلهية لمقامه النبوي، فقال له: **﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾** الأنعام: ١٩.

فقد شهد الله، وشهدت الملائكة بصدق المبلغ وأمانته ونزاهته ونباهته **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾** النساء: ١٦٦.

ولأن الله وملائكته يشهدون لهذا النبي الخاتم، فإن الانبياء يدركون ذلك تمام الادراك، فيتركون مقام الشفاعة العظمى وكلهم يقول: لست لها لست لها، بعد ان يطوف الناس بآدم ونوح وابراهيم وكل الانبياء، ثم يلوذون بالنبي الشفيع صاحب المقام الرفيع، الذي يوضح لنا هذا المشهد الرهيب المهيب في البيان النبوي المعجز المليء حباً للانسانية، وحناناً لكل مؤمن ومؤمنة، ووداً لكل الموحدين إذ يقول: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر» رواه أحمد في المسند ٢/٣، والترمذي في السنن رقم ٥١٦٣، ورواه ابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب الشفاعة.

وروى الحاكم في المستدرك ٢١/ ٣٠ واقره الذهبي أنه ﷺ قال: «أنا أمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي باب الجنة، فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر اليه»، وفي الحديث المتفق عليه، واللفظ هنا لمسلم برقم ٧٢٣ انه ﷺ يقول: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطى، اشفع تشفع».

❖ إرضاء النبي بالجنة:

جاء في صحيح مسلم -كتاب الايمان برقم ٦٤٣- أن النبي ﷺ رفع يديه يدعو فقال: اللهم أمتي.. أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب الى محمد - وربك أعلم- فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل اذهب الى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

ولكي يرضي الله نبيه محمداً ﷺ في

أمته ولا يسوأه فإنه جل وعلا يقول له يوم القيامة: «يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء فيما سوى ذلك» رواه مسلم في كتاب الايمان برقم ٧٢٣ وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة» رواه احمد في المسند ٥/٧٤٣ والحاكم في المستدرك ١/٢٨، والترمذي برقم ٦٤٥٢ وابن ماجة برقم ٩٨٢٤، وفي حديث ابي سعيد الخدري المتفق عليه «اني لأرجو ان تكونوا شطر أهل الجنة»، وروى الطبراني بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: «الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» (مجمع الزوائد ١٠/٩٦).

ومما خص الله به هذه الامة المحمدية انها تدخل الجنة كلها، ولا يخلد أحد من أتباع محمد ﷺ في نار جهنم، فمنهم من يدخل الجنة بلاحساب ولا عقاب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخلها، والقسم الآخر يدخلون الجنة بالشفاعة المحمدية، وبرحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء بعد ان يحط ما عليهم من الذنوب ويجعلها على اليهود والنصارى، فقد روى البخاري ان النبي ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى.. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

وفي رواية لمسلم -كتاب التوبة قال رسول الله ﷺ: «يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» وفي رواية: «لا يموت رجل مسلم إلاّ أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً»، وفي رواية ثالثة: «يدفع الله الى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار».

◆ المقام المحمود:

لقد خص الله سيدنا محمداً ﷺ بالمقام المحمود، الذي يحمده عليه جميع الخلائق ممن مضى وممن بقي، وقد وعده الله وعد الحق بهذا الرضا فيما مضى منذ الأزل فقال له: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** الاسراء: ٩٧، وروى كعب ابن مالك ان النبي الأعظم ﷺ قال: «يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلّ، فيكسوني ربي تبارك وتعالى حُلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن

أقول، فذاك المقام المحمود» رواه احمد في المسند ٦٥٤/٣، والحاكم في المستدرك ٣٦٣/٢ .

وفي الحديث المتفق عليه انه قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي» وعند احمد ٥٣٣/٥ والبيهقي ٧٤٢/٥ انه قال: «منبري على ترعة من ترع الجنة» وروى الحاكم ٨٦٥/٤ وأقره الذهبي أنه يكون للنبي ﷺ كرسي عن يمين العرش، وروى الترمذي مثله برقم ١١٦٣.

وروى البخاري في كتاب الرقاق -من حديث انس- ان النبي الأعظم ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة، اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف.. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه -أو طينه- مسك أذفر».

وقد قال النبي ﷺ لأنصاره: «يا معشر الأنصار موعدكم حوضي» (مجمع الزوائد ١٦٣/١٠).. وروى مسلم حديث «أنا فرطكم على الحوض، ومن ورد وشرب لم يظمأ أبداً» رواه مسلم برقم ٦٢.

وأما الوسيلة فهي مرتبة عالية رفيعة لا ينالها إلاّ شخص واحد وعده الله بأن يرضيه حينما قال له: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** وهذا الشخص هو النبي محمد ﷺ الذي قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول.. ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له شفاعتي» رواه مسلم في كتاب الصلاة برقم ١١.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء -الاذان-: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري في كتاب الأذان.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، واجعله اللهم لنا شفيعاً، واحشرنا معه إلى الجنة جميعاً.. آمين

الحسبة
ونشأتها في الحضارة الاسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

الحسبة في الإسلام، ولاية دينية يقوم ولي الأمر -الحاكم- بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى.

❖ العلاقة بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد أوجب الله تعالى على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب قدرته وعلمه، قال الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** وقال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وقد علمنا أن الحسبة ولاية دينية، أي أنها وظيفة رسمية من وظائف الدولة المسلمة تختص بأداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **وبهذا يتضح لنا أن الحسبة هي وسيلة رسمية للقيام بهذا الواجب.**

❖ تعريفها:

هي وظيفة دينية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية، كانت طبيعة وظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات

والفصل السريع والحازم بالأمور، فالمحتسب يسمى أيضا "صاحب السوق" لان عمله تركز في الأسواق ويهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي وظيفة مكملة للقضاء.

❖ نشأتها:

اختلف المؤرخون حول نشوء الحسبة لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية، فهناك من يؤكد بأنها نشأت زمن الرسول ﷺ، وبأن الرسول كان أول محتسب. ويقول آخرون بأن أول محتسب في الإسلام، كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أن الحسبة كمؤسسة محدده المعالم اكتسبت أهميتها في الفترة العباسية.

❖ صلاحيات المحتسب:

● **في المجال الديني:** مراقبه أداء العبادات مثل الصوم والصلاة.

● **المجال الأخلاقي - الاجتماعي:** مراقبة التصرفات والأخلاق العامة مثل: شرب الخمر، السحر، مضايقة النساء، معاملة السادة لعبيدهم معاملة جيدة، الرفق بالحيوان، مساعدة اللقطاء، مراقبة الطرقات.

● **المجال الاقتصادي:** يقوم نظام الحسبة في جوهره على حماية محارم الله تعالى أن تنتهك، وصيانة أعراض الناس، والمحافظة على المرافق العامة والأمن العام للمجتمع، إضافة إلى الإشراف العام على الأسواق وأصحاب الحرف والصناعات وإلزامهم بضوابط الشرع في أعمالهم، ومتابعة مدى التزامهم بمقاييس الجودة في إنتاجهم، وكل ذلك يتم بالتنسيق مع الجهات ذات الاختصاص من وزارات ومؤسسات وغيرها.

ومراقبه التجار والأسواق والأسعار والموازين والغش مثل التقليل أو زيادة في الميزان، والغش وكتمان عيب السلعة عن المشتري، والمماطلة في دفع الدين.

ويباشر المحتسب عمله لتنفيذ ذلك أولا إلى التوبيخ والتغريم والتجريح إذا عاود المخالف فعلته .

ومن العقوبات التي يفرضها المحتسب على المخالف: إتلاف البضاعة الفاسدة

ومنع التاجر الغشاش من ممارسة عمله، والضرب والحبس والتوبيخ والتجريح وما إلى ذلك.

❖ أهمية الحسبة في النظام الإسلامي:

يهدف الإسلام إلى خلق مجتمع آمن مستقر تسوده المحبة ويجتمع أفراده في التعاون على البر والتقوى، حتى يتمكن الجميع من القيام بواجب الخلافة في الأرض وتحقيق الغاية الأساسية من خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى، كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** ولأن الناس محتاجون دائما إلى نظام يسيرون على هديه، وسلطة تحرص على تحقيق هذا النظام في حياة الناس، لزم أن يكون هناك من يذكر الناس بذلك ويتابع التزامهم به، ومن هنا جاءت أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❖ غايات الحسبة:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين، وتدفع شر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدين باحتمال أدناهما. وقد أمر الله تعالى عباده بأن يبذلوا غاية وسعهم في التزام الأصلح فالأصلح، واجتناب الأفسد فالأفسد، وهذا هو الأساس الأكبر في التشريع الإسلامي: فإن مدار الشريعة على قوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** المفسر لقوله تعالى: **﴿اتقوا الله حق تقاته﴾** وعلى قول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدين مع احتمال أدناهما هو المشروع، ثم إن مقصد الولايات الشرعية من خلافة وقضاء وحسبة وغيرها:

أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فولاية الحسبة إنما جعلت لإصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، ولإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دينهم.

والشريعة إنما جاءت بأحكام تحفظ على الناس الكليات الخمس أو المصالح العليا الخمس وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

فكل الأحكام الشرعية في هذا الخصوص إنما هي أوامر ونواهي للحفاظ على هذه الكليات، والحسبة إنما تسعى للتحقق من تطبيق هذه الأوامر والالتزام بالنواهي.

ويمكن أن نفصل هذه الناحية للحسبة في أهداف أساسية فيما يلي:

١- حماية دين الله تعالى بضمان تطبيقه في حياة الناس الخاصة والعامة وصيانته من التعطيل أو التبديل أو التحريف، فقد وكل إلى المحتسب حث الناس على الالتزام بأداء عبادتهم بكيفياتها الشرعية ومنعهم من التبديل والتحريف فيها، كما أنه يمنع البدع في الدين ويحاربها ويوقع العقاب على مرتكبيها، فالمحتسب يهتم بكل ما يتعلق بالدين ويسعى لإحيائه وتمكينه.

٢- تهيئة المجتمع الصالح بتدعيم الفضائل وإنمائها، ومحاربة الرذائل وإخمادها، فالمحتسب يمنع المنكرات الظاهرة ويعاقب مرتكبيها إن كان مما يوكل إليه العقاب فيه، أو يرفعه إلى القضاء إن كان مما يختص القاضي بالفصل فيه، كما أنه يتتبع مواطن الريب والشبهة فيمنع وقوع المنكرات فيها مثل مواطن اختلاط الرجال بالنساء، والأماكن التي يرتادها أهل الشك والريب.

٣- إعداد المؤمن الصالح المهتم بقضايا مجتمعه، وحماية مصالحه، ذلك أن الإسلام جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً على كل مسلم، حتى لا يرى منكراً قد ارتكب فيسكت عنه، أو يرى معروفاً ترك فيتواطأ على الترك، فإذا قام بذلك كان أدعى إلى أن يأتي هو ذاته المعروف الذي أمر به وينتهي عن المنكر الذي نهى عنه غيره، لذا قال الله تعالى: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** ومن جانب آخر فإن الحسبة -وهي الحد الرسمي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- تؤمن لأفراد المجتمع المتابعة

الدائمة لأنشطتهم بتدعيم الصالح منهما وتعزيزه، ومحاربة الفاسد منها والزجر عنه.

٤- بناء الضمير الاجتماعي -الوازع الجماعي- الذي يحول دون هتك مبادئ المجتمع المسلم وقواعده وآدابه العامة وأعرافه، ذلك أن للبيئة الاجتماعية أهمية قصوى في سلوك أفراد المجتمع، فإذا كان للمجتمع قواعد مرعية وآداب محفوظة ومبادئ محمية من سلطاته، صعب على العصاة الخروج عليها، وتربي في أنفسهم الحياء من مخالفة المجتمع والخروج عليه، أما إن كانت هذه المبادئ والقواعد منتهكة من غالب أفراد المجتمع، ولم تكن هناك سلطة تسعى للحفاظ عليها، بحجة أن تلك الأمور من الشئون الخاصة، سهل على الأفراد الخوض في المنكرات، بل إن العصاة يغرون الصالحين بسلوك نهجهم، لأن الناس يحبون التشبه ببعضهم بعضاً، لذا قال الله تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**.

وأمر الله تعالى أن تكون العقوبات الشرعية علنية حتى يتعظ الناس بعذاب غيرهم، فقال بعد أن ذكر عقاب الزناة: **﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** كما أمر النساء بالحجاب وعدم إبداء الزينة لغير المحارم، بل وأمرهن بعدم التلين في الكلام بما يثير الرجال، ثم بعد ذلك كله أمر كلا من الرجال والنساء بغض البصر منعاً للفتنة المثيرة للشهوة.

٥- استقامة الموازين الاجتماعية واتزان المفاهيم واستقرارها، حتى لا ينقلب المنكر معروفاً والمعروف منكراً، لذا نجد أن من أشد الأمور خطورة انتشار المنكرات ثم تواطؤ المجتمع على السكوت عنها ثم قبولها أخيرا! فإذا بلغت المنكرات درجة القبول عند الناس، وذلك بأن يروها أموراً معتادة لا حاجة لاستنكارها فضلاً عن الإنكار على مرتكبيها، إذا بلغ الحال إلى هذا الحد، فإن المجتمع يفقد موازينه المستقيمة وتذوب مفاهيمه الصحيحة لكل القيم الفاضلة، وعندئذ يعجز كل قانون عن التأثير في الناس ولا سيما القوانين الوضعية التي تقوم على مبدأ عدم التدخل في الحريات الشخصية.

فلو نظرنا إلى كثير من المجتمعات الإباحية، نجد أن الأمور قد انفلتت من يد السلطات إذ أصبح المجتمع لا يستنكر سلوك الانحراف والشذوذ، والسلطة لا تقدر على محاربة الرذائل والمخدرات والجرائم التي يعتدى فيها على حرمات الناس. بينما نجد المجتمعات الإسلامية - على وجه العموم- لا تزال تحتفظ بأصولها ومبادئها، مما يجعل السلوك الانحرافي والشذوذ والخروج على قيم المجتمع، أموراً مستقبحة ومستنكرة من عامة الناس.

٦- دفع العقاب العام من الله تعالى، ومنع حالات الفساد الجماعي، ذلك أن فشو المنكرات وظهور الفساد يستحق العقاب من وجهين:

الأول: أن ارتكاب تلك المنكرات موجب للعقاب.

الثاني: أن السكوت عن هذه المنكرات من غير أصحابها موجب آخر للعقاب، لذا قال الله تعالى محذراً هذه الأمة أن تسكت عن المنكر: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** وذلك حتى لا يقع لهم مثل ما وقع لمن قبلهم، الذين حكى الله تعالى حالهم في قوله: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ❖ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾** وقال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب».

٧- تحقيق وصف الخيرية للأمة، كما قال الله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

وما تمت هذه الخيرية إلا بعد تحقيق الصفات المذكورة في الآية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، فمن اتصف بهذه الصفات من هذه الأمة دخل في هذا المدح، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها فرأى من الناس منكراً فقرأ **﴿كنتم خير أمة أخرجت**

للناس﴾ ثم قال: «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها».

❖ الحسبة في الإسلام نظام فعّال:

إن نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة الإسلامية، يعد وظيفة أساسية للرسول ﷺ ولجميع أفراد أمته من بعده، ذلك لما له من أهمية قصوى في الحفاظ على الكيان الاجتماعي للمسلمين، فهو الوسيلة الأولى لتحقيق خلافة الإنسان على الأرض وإصلاحها للبشرية جمعاء، **لذا فقد وضع له الإسلام أسساً تضمن فعاليته في المجتمع ويمكن أجمال تلك الأسس فيما يلي:**

١- إن الله تعالى جعل ذلك واجباً دينياً على كل فرد من أفراد المجتمع بحسب موقعه وقدرته، قال الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** وقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

٢- إضافة إلى كونه واجباً على الأفراد، فقد جعله الله تعالى واجباً دينياً ومهمة أساسية للدولة المسلمة، تتوقف صلاحيتها للاستمرار في قيادة الأمة على القيام بهذا الواجب، قال الله تعالى: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.**

٣- لكي تتحدد مسؤولية الدولة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد وضع له نظاماً محدداً وولاية خاصة هي ولاية الحسبة، يقوم عليها أشخاص يختارون لها اختياراً دقيقاً وفق شروط واضحة، حتى يتم الإشراف عليهم من قبل الدولة.

٤- حتى تزداد فعالية هذا الواجب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فقد ربط الشرع بين مهمته ورعاية مصالح الناس، حيث جعل الغاية منه تحقيق ما يصلح للناس معاشهم ومعادهم بالحفاظ على المنافع وتنميتها ومحاربة المضار وإخمادها، لذا قال الله تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾.**

٥- ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأفراد، وحتى يمتثل الأفراد لهذا الواجب، فقد ربطه الله تعالى بالوعد والوعيد، فوعد من قام به بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، كما وعد من تخلف عن القيام به بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى في صفات المؤمنين: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** وقال الله تعالى في صفات المنافقين: **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾** وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليضربن الله على قلوبكم ثم تدعوه فلا يستجيب لكم».

٦- إن الله تعالى جعل اهتمام المرء بنفسه وتزكيتها قبل أن يلتفت إلى الآخرين محوراً للإصلاح، حتى لا يكون الطعن في سلوكه سبيلاً وحجة للآخرين يتعذر بها عن عدم الانصياع للأمر أو النهي، لذا قال الله تعالى: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** وقال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.**

٧- وحتى لا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدعاة للارتكان إلى الغير والاعتذار بذلك فقد وزع الشرع المسؤوليات على كل فئات المجتمع، مراعياً في ذلك التدرج ليشمل الأفراد والأسرة والوالي الأعلى للدولة، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته» وقال تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾.**

٨- لأن الأسرة هي الخلية الأولى لبناء المجتمع الصالح، فقد اهتم بها الإسلام

اهتماماً كبيراً، لذا كان أول من أمر النبي ﷺ بإبلاغه الدعوة هم أقرب الناس إليه، قال الله تعالى: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** وقال تعالى: **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾**.

٩- وحتى لا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظياً دون أن تكون للقائم به سلطة أو نفوذ، فقد خول الإسلام للمحتسب بعض صلاحيات التنفيذ فيما يدخل في مكانته وقدرته، إلا أنه ميزه عن القاضي بأنه لا ينتظر أن يرفع إليه الأمر ليفصل فيه بل يقتحم الموضع الذي يظهر فيه المنكر أو يهجر فيه المعروف فيقوم بواجب الأمر والنهي تغييرا أو تعميرا، قال الله تعالى: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾**.

فبين الله تعالى أنه أنزل الكتاب وأنزل معه الحديد الذي هو القوة ليحمي الكتاب ودعاته ويعين على تطبيق أحكامه.

١٠- وأخيراً فإن الشارع الحكيم وضع ضمانات وضوابط عديدة لمن يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تصونه عن الانحراف وتحد من الآثار السالبة التي يمكن أن تقع من المحتسب، وأهم هذه الضوابط ما يلي:

أ- تقديم الأهم على المهم، وهذا يعني أن المحتسب عليه أن يدرك الأمور التي يريد الاحتساب فيها ثم يرتبها بحسب أهميتها فيبدأ بأولاها بالاهتمام ثم الذي يليه، لذا لما بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

ب- اتباع الوسائل المشروعة لمعرفة المنكر المرتكب أو المعروف المتروك، فالمحتسب ملزم بقواعد الشرع في ذلك، فلا يجوز له أن يتجسس بحجة الوصول إلى المنكر، كما لا يجوز له الغش والخداع

في سبيل ذلك، وإنما واجبه وعمله متعلق بالمنكرات الظاهرة فقط دون المستورة، قال الله تعالى: **﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾** وقال ﷺ: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم».

ج- إن ميزان الحكم على الشيء بأنه معروف أو منكر إنما هو بالشرع، فما ثبت الشرع بأنه معروف أمر به المحتسب، وما ثبت شرعاً بأنه منكر نهى عنه، أما ما سوى ذلك فلا يتدخل فيه.

د- قيام شروط الإنكار في الفعل وهي:

١- أن يثبت أن الفعل منكر شرعاً.

٢- أن يكون المنكر موجوداً في الحال.

٣- أن يكون ظاهراً بغير تجسس.

٤- أن يكون المنكر معلوماً بغير اجتهاد.

هـ- التدرج في الإنكار: يجب على المحتسب أن يتدرج في إنكار المنكر مبتدئاً بالدرجة الأخف، فيعرف صاحب المنكر بأن هذا الفعل منكر شرعاً وأنه لا يجوز اقترافه، ثم ينهاه عنه بالوعظ والتخويف من الله تعالى، فإن أبى فيغلظ في القول ثم بالتهديد والتخويف، فإن لم ينته -وكان الناهي محتسباً أو ذا سلطة- سعى إلى التغيير باليد، وذلك بناء على قول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» والمراد بتغيير اليد هنا إزالة المنكر فقط دون تجاوز ولا تعد على فاعله، فإن كان المنكر خمراً أزيلت، أو صنماً كسر، ونحو ذلك.

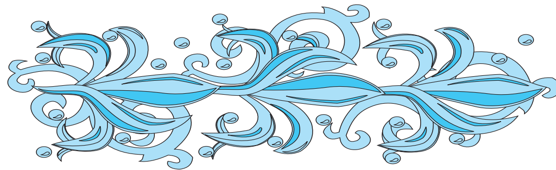
و- التثبت: على المحتسب أن يتبين الأمر حتى يتضح له قبل أن يحكم عليه بالإنكار رعاية لحقوق الغير وصوناً لحرمات الناس، فمتى ثبت له داعي الإنكار أقدم فأنكر، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**.

● **صفات المحتسب:** يشترط فيمن يختار الإمام لمنصب الحسبة أن تتوفر فيه صفات أساسية حتى يضمن حسن قيامه بواجبه، وتؤتي مهمته ثمارها في الحفاظ على المجتمع وصيانته من المنكرات وفشوها، **وأهم تلك الصفات هي:**

أولاً: الإخلاص والتجرد: فالمحتسب يقوم بواجبه امتثالاً لأمر الشارع له، فيجب أن لا تكون له مصلحة شخصية فيما يأمر أو ينهى عنه وإنما تكون غايته الإصلاح، كما قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: **﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب﴾.**

ثانياً: العلم والحكمة: ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي لذا يجب على من يقوم به أن يكون عالماً بمواضع الأمر والإنكار، وحكيماً في ذلك حتى لا يكون فعله للفساد أقرب منه للصلاح، قال الله تعالى آمرا رسوله ﷺ: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾** وقال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.**

ثالثاً: الرفق والحلم: فالمحتسب ليس منتقماً لنفسه، ولا قاصدا إيذاء فاعل المنكر، وإنما غايته حمله على ترك المنكر، لذا وجب عليه أن يأخذه بالرفق والحلم، قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» وقال تعالى واصفاً الرسول ﷺ: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** وقال تعالى آمراً موسى وهارون لما بعثهما إلى الطاغية فرعون: **﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾** فإذا كان الله تعالى قد أمر باللين مع فرعون -وهو قد ادعى الألوهية- فبغيره أولى وأحرى.



من أوصاف الرسول ﷺ في القرآن الكريم

■ بقلم الاستاذ المحامي شكري الحسن

ورد في كتاب الله عز وجل، الكثير من صفات وأخلاق رسول الله ﷺ، وكانت تلك الأخلاق المثل الأعلى لمن أراد التحلي بصفاته والتأسي بأخلاقه ﷺ، وكانت تلك الأخلاق عدة قوية لنجاح دعوته، وكيف لا يكون كذلك، وتلك كانت منحة الوهاب العظيم زين بها خير البشر، شهد بذلك قول الله تعالى في مدح رسوله ﷺ: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ والرسول ﷺ يقول عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وسنذكر تالياً بعض الأوصاف الجليلة التي وردت بالقرآن الكريم لرسول الله ﷺ.

١- قال تعالى: **﴿آمن الرسول بما انزل إليه من ربه﴾** وان هذا الوصف من أهم الأوصاف التي جعلت دعوته تنفذ إلى القلوب، فتخرجها من الظلمات إلى النور، ذلك لأنه ﷺ كان يؤمن بما انزله الله تعالى إليه، ويعتقد حقيقة ما يقول، ويرسم خطته عن عقيدة ثابته، ولذا قامت الدعوة على الايمان بالمبدأ والتمسك بالعقيدة، فإن صاحبها لا بد ان يصل الى اهدافه ولو كان الطريق محفوفاً بالمخاطر، وعلى هذا الايمان بالمبدأ والاستمساك بالعقيدة، سار رسول الله ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله تعالى عليهم وعنهم.

٢- قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** آل عمران، نزلت هذه الاية الكريمة بعد غزوة احد التي حدثت فيها شبه هزيمة للمسلمين، وذلك بعد ان ترك حماة الظهر مواقعهم التي امرهم الرسول ﷺ ان يلتزموها، فهجم الاعداء على المسلمين والحقوا الضرر بهم، ولكن هل عنفهم رسول الله ﷺ؟! لا لم يعنفهم،

ولم يؤاخذهم، بل رحمهم ولان لهم، وقبل اعتذارهم، وكانت تلك الرحمة منه ﷺ سياسة حكيمة، جعلت دين الاسلام يتمكن في قلوبهم، وزادت محبة نبيهم في نفوسهم، ودانوا له بالطاعة والخضوع.

وهكذا تكون حال رئيس القوم ان عفى عن المخطئ، فكل واحد من بني ادم يخطئ في الاجتهاد ويصيب، ويهتدي في الشؤون ويضل، ولا يكون الكمال الا لله وحده سبحانه وتعالى والمعنى الاجمالي للآية الكريمة اجمالا: بسبب رحمة عظيمة جعلها الله في قلبك، لنت لهؤلاء المخالفين من قومك، ولم تقابلهم بالتعنيف، ولو كنت يا محمد جاف الطبع، قاسي القلب لانفض القوم من حولك، ولم يتبعوك، لان الحلم يجمع القلوب حول الحليم.

واذا كان الامر كذلك فاعف عنهم وتجاوز عن مسيئهم، واطلب لهم من الله المغفرة، وشاورهم فيما يعرض من الامور، فإذا قام الرأي السليم وظهر، فامض لما تريد، وتوكل على الله.

٣- قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ المائده، وقد كان التبليغ الذي قام به النبي ﷺ دون توقف او تواكل، ودون كتمان او اخفاء، ودون خوف او جزع او وجل، وذلك دليل لا ريب فيه، على صدقه وامانته ودليل على ثباته وقوة ارادته، حيث نشر الرساله كما امر بين قلاع الكفر، ودون تهيب من الاخطار رغم صعوبتها وكثرتها، وقد لحق به ﷺ كل انواع وضروب الاذى، ولكنه مضى في طريقه وفي سبيل دعوته، وتبليغ رسالته، ولكنه كان يعتصم بالصبر والاحتمال، حتى اظهر الله تعالى دينه، وايده بروح منه، وكانت كلمة الله هي العليا.

٤- قال تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ التوبة، فهو ﷺ من انفس العرب، يعز عليه عنتهم، حريص عليهم، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم والمراد انه من أنفسهم ومعروف لديهم بحسن السيرة وصفاء السريرة، وعلو الهمة ونقاوة العرض، ومن كان كذلك لا تليق مخالفته ومحاربته، وعصيانه وإهانته، بل الواجب إطاعته ومسالمته، وتصديقه وتعظيمه، والإيمان بما جاء به عن ربه من أوامر ونواهي وأحكام.

وهكذا فإن زعيم القوم، إذا كان منهم كان ذلك أوعى إلى اتباعه، لما يجمعهم به من روابط في الدم واللغة، والحسب والنسب، تلك الصفات التي تحمله على

رعاية مصالحهم، والدفاع عنهم بصدق وإخلاص، على خلاف لو كان غريبا عنهم، لا تربطه بهم تلك الروابط، ولا تجمعهم صلات الحب والرعاية والعطف، فإنه يكون عليهم وبالاً وبلاء.

٥- قال تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ❖ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ❖ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾** الأحزاب، اشتملت هذه الآية الكريمة على شمائل كريمة عديدة لرسول الله ﷺ، فكونه شاهدا، المراد بذلك انه شاهد على من أرسل إليهم، يترقب أحوالهم، وشاهد على أعمالهم، وشهادته عبارة عن مراقبة أحوالهم في الدنيا، انه يبشر الطائعين برضا الله تعالى وثوابه، وجنته ونعيمها، وكونه نذيرا، يراد بذلك، انه ينذر الطاغين والمكذبين والعصاة بغضب الله تعالى ومقته، وأما كونه داعيا إلى الله تعالى بإذنه، فالمراد منه انه يدعو إلى الإقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وهذه الأوصاف الجليلة التي جمل الله تعالى بها رسول الله ﷺ هذه الأوصاف جاء نظيرها في التوراة، لكن بني إسرائيل أنكروها وكتموها، وأخفوها وجحدوها، حسدا من عند أنفسهم وبغضا!!

روى الإمام البخاري والإمام احمد عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت: اخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: «والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران الكريم **﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا﴾** وحرزا للمؤمنين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به العوجاء، ويفتح به اعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوب غلفاً) ويدل هذا على قوله تعالى في سورة الأعراف: **﴿الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون﴾**.

وبعد فهذه بعض صفاته ﷺ في التوراة والإنجيل والقران، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٧

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين:

الشريف حسن بن عجلان ابن رميثة بن أبي نمي

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

السيد الشريف، زين الدين، أبو زهير، بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نُمي محمد، من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، المكي الحسني(١).

كان مولد بركات بمكة سنة إحدى وثمانمائة، وقرأ القرآن مبكراً على يد علماء مكة، وكتب الخط الحسن، ونشأ شريف الهمة سني الأفعال، جميل الأخلاق، حتى أصبح رجلاً، عاقلاً، ساكناً، شجاعاً، مشكورَ السيرة، أهلاً للإمرة على عادة أشراف مكة المكرمة.

قال السخاوي في الضوء اللامع(٢): (وقد رأى من العز ما لم يسبقه إليه أحد من أهله، وذلك بعد أن اجتمعت به، وأخذت عنه عن بعض شيوخه بالإجازة شيئاً، وسمعت من نظمه ما أثبت في معجمي مما اختير منه عدة أبيات، وكان شهماً عارفاً بالأمور، فيه خير كثير، واحتمال زائد، وحياء ومروءة طائلة، مع حسن الشكل، والسياسة والشجاعة المفرطة والسكينة والوقار والثروة الزائدة، وله بمكة مآثر وقرب نافعة).

ولي إمرة مكة شريكاً لأبيه وأخيه أحمد سنة عشر وثمانمائة هجرية، ثم استقل بإمرة مكة في سنة تسع وعشرين وثمانمائة من قبل الملك الأشرف برسباي المتوفى سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م)، فدام على إمرة مكة إلى أن عزله الملك الظاهر جَقْمَق

- المتوفى سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وعزله بأخيه علي بن حسن في سنة خمس وأربعين وثمانمائة.

وزوجته هي فاطمة ابنة أمير مكة الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة، وكانت ذات حشمة ورياسة وعقار كثير، وابنته فاطمة هي التي كانت لجلالتها عند أخيها السيد محمد ينتسب إليها في الحروب، ويقول: أنا أخو فاطمة.

خرج بركات إلى البر من جهة اليمن، ووقع له أمور، ورحل إلى القاهرة، وكان لقدومه القاهرة يوم مشهود، إذ لما قدم الشريف بركات نزل الملك الظاهر جقمق إلى لقائه خارج القاهرة، وبالغ السلطان في إكرامه، وقام إليه، ومشى له خطوات، وأجلسه بجانبه، وأكرمه إلى أن أعاده إلى إمرة مكة(٣)، فوليها بمفرده فحسنت سيرته، وعم الناس في أيامه الأمن والرخاء، فدام بها إلى أن مات.

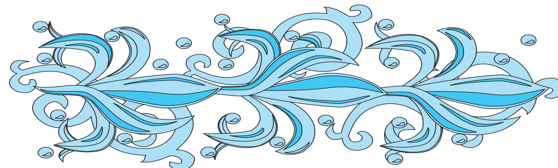
توفي يوم الاثنين تاسع شعبان سنة (٨٥٩هـ) خارج مكة، وحمل إلى مكة في سرير على أعناق الرجال، حتى دخلوا به مكة، فصلي عليه بالحرم، وطيف به حول الكعبة سبعاً على عادة أشراف مكة، ودفن بالمعلاة، وكان له مشهد عظيم إلى الغاية رحمه الله.

الهوامش:

١ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٤٣٢/٤، وفي نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي ١٠٠، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ٥٢/٢، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردي ٣٦٨/٢، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام لأحمد دحلان ١٠-٢٣، والتبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ١٨١، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٤٨٣/١، والأعلام للزركلي ٤٩/٢ .

٢ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٤٨٣/١ .

٣ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٢٨٦/٤ .



قطوف دانية

اعداد الطالبة هديل خليل هندم

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ❖ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

التوبة: ١٢٨-١٢٩

معاملته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس معاملة، وكان اذا استسلف سلفاً قضى خيراً منه، وكان اذا استسلف من رجل سلفاً قضاه اياه، ودعا له فقال:

«بارك الله لك في أهلك ومالك، انما جزاء السلف الحمد والثناء».

أكرم الأولين والآخرين ﷺ

قال رسول الله ﷺ:

«انا حبيب الله ولا فخر، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن دونه ولا فخر، وانا اول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وانا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر».

رحمته ﷺ

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال:

«إني لأدخل الصلاة وأنا أريد ان اطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، ما أعلم من وجد أمه عليه».

شجاعته ﷺ

كان الرسول ﷺ من أشجع الناس، وأصبر الناس وأجلدهم، ما فر قط من مصاف، ولو تولى عنه أصحابه.

حسن خلقه ﷺ

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خُلقاً.

مزاحه ﷺ

عن الحسن قال:

أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع لي ان يدخلني الله الجنة، فقال ﷺ:

يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز، فولت العجوز تبكي، فقال: اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز،

فإن الله تعالى يقول: ﴿انا أنشأناهن انشاءً فجعلناهن أبكارا﴾.

وقفة مع مولد الرسول الكريم ﷺ

شعر الاستاذ غازي حسن جلال التميمي

يا خـــاتم الرسل الكرام وصـــاحب الخلق العظيم
يا من بعــث مــبــشــراً للخلق بالدين القــويم

❖ ❖ ❖

إيوان كــســرى اهتــز يوم ولدت يا خــيــر البــشــر
وجـــبـــال مكة لألأت بالنور وانشق القـــمـــر

❖ ❖ ❖

في يوم مــــولدك اكــتــــست اعطاف مكة بالزهور
وســمــاؤها بالمسك فــاحت فــانتــشت منه الطيــور

❖ ❖ ❖

في يوم مــــولدكم يقـــام بكل بيت احــــتــــفـــال
ويشـــارك الأطفـــال والنســـوة فــيـــه والرجـــال
يســـتــــذكـــرون به مناقب خـــاتم الرسل الكرام
وبأنه الأول مــن بــين الــرجـــــــــالات العظام

❖ ❖ ❖

في يوم مــولدك المبـــارك يرتقى شــعـــري الســمـــاء
وأفـــاخـــر الدنيـــا بأنك خــيـــر من بالحق جـــاء

❖ ❖ ❖

من أعلام الأردن

العلامة إسماعيل العجلوني

(١٠٨٧ - ١١٦٢هـ)

▪ بقلم الدكتور أحمد مصطفى القضاة

يعد العلامة المحدث إسماعيل العجلوني من أبرز العلماء الذين ظهروا على الساحة الأردنية، والذين أنجبتهم جبال عجلون، وكان لها شرف النسبة به، فقد برع العلامة في علوم شتى، وحوى علوماً كثيرة، ومؤلفاته وتصانيفه دالة على غزارة علمه، واتساع ثقافته، وعمق اطلاعه، وقوة بيانه، وإنني أرى أن من الواجب إظهار جهود العلماء السابقين في كتاباتهم وتآليفهم، خاصة العلماء البارزين الذين قرنوا المعرفة بالتقوى، وكان لهم أثر بالغ كبير في الحركة الثقافية الوطنية على أرض الأردن الحبيب.

والعلامة العجلوني(١) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي العجلوني، إذ ولد بعجلون قرابة عام (١٠٨٧هـ)، وسماه والده أولاً باسم محمد مدة من الزمان لا تزيد على سنة، ثم غير اسمه إلى مصطفى نحو ستة أشهر، ثم غير اسمه بإسماعيل، واستقر الأمر بهذا الاسم.

وبقي في بلاده عجلون يقرأ في المكتب، ويتعلم مع أقرانه، ويرافق والده إلى مجالس العلم، ولما بلغ سن التمييز شرع في قراءة القرآن العظيم حتى حفظه غيباً عن ظهر قلب في مدة يسيرة، ذلك أن العجلوني امتاز بصفاء الذهن وقوة الذاكرة، وشغفه بالعلم وحبه للعلماء، حتى ظهرت فيه ملامح الذكاء منذ نعومة

أظفاره، ولما بلغ عمره نحو ثلاث عشرة سنة قدم إلى دمشق لطلب العلم، واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية وغير ذلك إلى أن تميز على أقرانه بالطلب.

ومن أسباب توجهه إلى طلب العلم أنه لما كان في بلاده -عجلون- وكان صغيراً يقرأ في الكتب رأى في عالم الرؤيا أن رجلاً ألبسه جوخة خضراء مركبة على فرو أبيض في غاية الجودة والبياض، وقد غمرته لكونها سابغة على يديه ورجليه، فأخبر والده بالمنام فحصل له بذلك السرور التام، وقال له: إن شاء الله يجعل لك يا ولدي من العلم الحظ الوافر، ودعا له بذلك.

وهكذا تشير الأخبار إلى أن الإمام العجلوني قد حفظ القرآن الكريم غيباً عن ظهر قلب وهو صغير بمنطقة عجلون قبل أن يرتحل إلى دمشق منارة العلم، وهي تدل على الكتاتيب المنتشرة يومئذٍ في البلاد الإسلامية، ومنها منطقة عجلون، وكان الإمام العالم أحد المنتسبين إليها، وحفظ القرآن الكريم فيها، وهي إشارة إلى نوعية العلم الذي دُرّس يومئذ، وإلى الحركة الثقافية بمنطقة عجلون أيام الحكم العثماني، وإلى الحياة العلمية التي عاشها العجلوني في أيامه الأولى وأثرت على سيرته العلمية في المستقبل تأثيراً بارزاً.

وقد دلّت الأخبار على وجود مدرسة في الجانب الشمالي الشرقي من ساحة مسجد عجلون الحالي، كانت تسمى بالمدرسة اليقينية أيام دولتي الأيوبيين والمماليك، وذلك على غرار المدارس الموجودة في القدس ودمشق وبغداد والقاهرة، ولعل في اكتشاف خانقاه مدينة عجلون إشارة إلى وجود مدرسة روحية فقهية أيام الأيوبيين الأولى في بلاد عجلون.

والنتيجة التي نخلص إليها أن الحياة في جبال عجلون لم تكن بمنأ عن الحركة العلمية الثقافية في البلاد الإسلامية عبر التاريخ العربي الإسلامي، لكن مراكز العلم الرئيسة كانت في بغداد ودمشق والقدس والقاهرة، ولذلك رحل الإمام العجلوني من بلاده إلى الشام ليزداد معرفة وينهل علماً، ويقابل العلماء ويجالس الصلحاء إلى أن تميز على غيره.

وفي عام (١١١٩هـ) ارتحل إلى بلاد الروم، فلما كان بها انحل تدريس قبة

النسر بالجامع الأموي عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته فأخذ التدريس العجلوني، إذ جاء إلى دمشق وكان واليها حينذاك الوزير يوسف باشا القبطان، وأراد أن يكون التدريس إلى شيخه الشيخ محمد الكاملي إلا أن الأمر عندما وصل إلى دار الخلافة بالقسطنطينية وجهوا التدريس للعجلوني، واستقام بالتدريس في قبة النسر بالجامع الأموي إلى أن مات، ومدة إقامته من ابتداء سنة (١١٢٠هـ) إلى سنة (١١٦٢هـ) أي أكثر من أربعين عاماً وهو في رئاسة التدريس بقبة النسر بالجامع الأموي، حتى لزمه جماعة كثيرون لا يحصون عدداً، وأصبح مبجلاً بين العال والدون، وفي توليه مشيخة التدريس في القبة إشارة إلى أنه درّس في أكثر من مكان، وأن علمه انتشر في كل البلاد، وتوزع تلاميذه في كل المناطق.

وقد وصفه العلماء بالشيخ الإمام العالم الهمام الحجة الرحالة العمدة الورع العلامة، وقالوا عنه بأنه كان عالماً بارعاً صالحاً مفيداً محدثاً مبجلاً قدوةً نسراً خاشعاً، له القدم الراسخة في العلوم، واليد الطولى في دقائق المنطوق والمفهوم.

وقد وصفه الشيخ سعيد السمان بترجمته فقال: خاتمة أئمة الحديث ومن ألقت إليه مقاليدها بالقديم والحديث، اقتدح زناده فيه فأضاء وشاع حتى ملأ الفضاء، آخذاً بطرفي العلم والعمل متسنماً ذروة عن غيره بعيدة الأمل، يقطع آناء الليل تضرعاً وعبادة ويوسع أطراف النهار قراءة وإفادة، لا يشغله عن ترداده النظر في دفاتره مرام، ولا عن نشر طيبها نقض ولا إبرام، مع ورع ليس للرياء عليه سبيل وغض بصر عما لا يعني من هذا القبيل، وهو وإن كانت عجلون تربة ميلاده، فإن الشام تشرفت بطارف فضله وتلاده، فقد طلع في جبهتها شامة وأرهف منصل فكرته بها وشامه، حتى صار هلاله بدراً ومنازله طرفاً وقلباً وصدراً، فاستحث عزمه نحو الروم وقصد بها انجاز ما يروم، فاحلته بين السمع والبصر وجني غصن أمانيه واهتضر، وعلى ما به قوام معاشه اقتصر، فآب ولم يخب مسعاه وطرف الدهر بمقلة الارتقاء يرعاه، فأظلته قبة النسر المنيفة وصار لمن سلفه خليفة وأي خليفة، فتغص حلقته بالخاص والعام، فيملي على فتح الباري ما يوضح خفايا البخاري، بناطقة تسحر العقول بأدائها وتسخر بالعقود ولألائها، ووجاهة ملء

البصيرة والبصر على مثلها الوقار اقتصر، وخلق ما شابه بأعراض انقباض وسجية لم تنقد باعراض، ولم يزل نسيج وحده تأليفاً وتقريراً وحديثاً حسناً تسطيراً وتحريراً، حتى شرب الكأس المورود وذوت من روض محاسنه تلك الورود، فتنفد عليه البصر والدمع وعمي البصر والسمع، بل الله بالرحمة ثراه، فهو ممن أخذت عنه الإسناد، وأمدني بقراءتي عليه بما ينفع إن شاء الله يوم التناد، وله شعر موزون يتسلى به الواله المحزون.

ولا يزال العلماء قديماً وحديثاً يعرفون بالتأليف وبكثرة الأساتذة والتلاميذ، ذلك أن كثرة الأساتذة وتنوع تخصصاتهم تعطي صورة مشرقة معطاءة للتلميذ، كما أن كثرة التلاميذ وتخصصهم تعطي صورة مشرقة معطاءة عن الأستاذ، ولذلك لا بدّ من ذكر بعض المشايخ الذين أخذ عنهم العجلوني، وبعض التلاميذ الذين أخذوا عنه.

فمشايخه الذين قرأ عليهم كثيرون

منهم: الشيخ أبو المواهب مفتي الحنابلة بدمشق، والشيخ محمد الكامل الدمشقي، والشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، والشيخ عبد الرحمن المجلد الدمشقي، والشيخ عبد الرحيم الكابلي الهندي نزيل دمشق، والشيخ أحمد الغزي الدمشقي، ومفتيها إسماعيل الحائك، والشيخ نور الدين الدسوقي الدمشقي، والشيخ عثمان القطان الدمشقي، والشيخ عثمان الشمعة الدمشقي، والشيخ عبد القادر التغلبي الحنبلي، والشيخ عبد الله العجلوني نزيل دمشق، ومن غير الدمشقيين الشيخ محمد الخليل المقدسي، والشيخ محمد شمس الدين الحنفي الرملي، وأجازه الشيخ عبد الله بن سالم المكي البصري، والشيخ محمد الوليدي، والشيخ محمد الضرير الإسكندراني المكي، والشيخ يونس الدمرداشي المصري ثم المكي، والشيخ أبو طاهر الكوراني المدني، والشيخ أبو الحسن السندي ثم المدني، والشيخ محمد بن عبد الرسول البرزنجي المدني، والشيخ أحمد النجلي المكي، والشيخ سليمان بن أحمد الرومي واعظ أيا صوفيا كما أنه قرأ على والده ولازمه وأجازه، ولما حج والده في سنة (١١٥٧هـ) كان هو أيضاً حاجاً في تلك السنة، فقرأ كتاب صحيح البخاري في الروضة، وأعاد والده الدرس، وقد أجازه نثراً ونظماً.

وأما تلاميذه الذين أخذوا عنه فكثيرون لا يحصون: منهم الشيخ الفقيه والعالم الفاضل عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرزاق بن عبد الحق المعروف بالبهنسي الحنفي الدمشقي، كان محققاً له اطلاع في التفسير والفقه والآداب وغير ذلك[٢]، والشريف الفاضل والورع الكامل الشيخ عبد الكافي بن حسين بن عبد الكريم الشهير بإبن حمودة الحلبي، كان من حفظة القرآن، وله قدم راسخ في العبادات والمجاهدات[٣]، والعالم الفاضل الصالح عبد الرحمن البعلي الدمشقي[٤]، والعلامة المحقق المدقق التقي الزاهد عبد الرحمن ابن جعفر الشافعي الكردي الذي حفظ الألسن العربية والتركية والفارسية والكردية[٥]، والنحوي اللغوي الفاضل حسن بن أحمد المعروف بالمغربل الذي حفظ القرآن غيباً في أربعة أشهر[٦]، والأديب البارع درويش بن عبد الله الحنفي الدمشقي الذي قرأ عليه شرح القطر للفاكهي[٧]، والأديب الحافظ سعيد الجعفري[٨].

وكان من أصدقائه العلماء الذين أخذ عنهم وأخذوا عنه: الأستاذ الكبير مصطفى البكري صاحب المؤلفات العديدة حيث بلغت مائتين واثنين وعشرين مؤلفاً ما بين مجلد وكراستين وأقل وأكثر، وقصائده قاربت اثني عشر ألف بيت[٩].

وأما الكتب التي قرأها العجلوني فهي لا تعد لكثرتها ما بين كلام وتفسير وحديث وفقه وأصول وقراءات وفرائض وحساب وعربية بأنواعها ومنطق وغير ذلك، **وقد ألف المؤلفات الباهرة المفيدة[١٠] منها:**

١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة، بعد مقابلته على أكثر من ثلاث نسخ من مخطوطته، إذ وجدت نسخة كتبت برسم فخر الأشراف السيد سعيد بن الحافظ الشيخ أحمد الحلبي العطار، ونسخة بخزانة آل العطار بدمشق، ونسخة بدار الكتب المصرية، ومن دور النشر التي تولت طباعته دار إحياء التراث العربي - بيروت، وهو جزآن بمجلد واحد، وكذلك مؤسسة الرسالة -بيروت- بتعليق الأستاذ أحمد القلاّش، ويتحدث الكتاب عن درجة الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس، من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف أو

الوضع مع تعليقات على الروايات والأحاديث المذكورة، وهي مرتبة حسب الحروف الهجائية، ويمتاز الكتاب بعدة مميزات أُثبتها بعد ذكر المؤلفات.

٢- الفوائد الدراري بترجمة الإمام البخاري.

وقد خصص للتحدث عن الإمام البخاري وصحيحه، واختصر هذا الكتاب بكتاب آخر اسمه "إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين" مع إضافة ترجمة لحياة مسلم وصحيحه.

٣- إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين.

والكتاب ترجمة لحياة الإمامين البخاري ومسلم، وأقوال العلماء فيهما مع المقارنة بين صحيحيهما، والكتاب عبارة عن اختصار لكتابه الفوائد الدراري، وقد أكرمني الله بتحقيق كتابه إضاءة البدرين وطباعته.

٤- نصيحة الإخوان فيما يتعلق برجب وشعبان ورمضان.

وهذه الرسالة تلخيص لكتاب "إتحاف أهل الإسلام في فضائل خصوصيات الصيام" للعلامة ابن حجر الهيتمي، وزاد على ذلك ما يسره الله له من كلام الأئمة الأعلام، وذكر فيه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان.

٥- تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة.

وهذا المخطوط في الزلازل التي تحدث كالزلزلة التي حدثت في الشام سنة (١١٥٤هـ)، ويشرح معنى الزلزلة وما يجب فعله وقت وقوعها وسبب وقوعها، ثم تعداد لبعض الزلازل التي وقعت.

٦- عقد الجوهر الثمين بشرح الحديث المسلسل بالدمشقيين.

٧- عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين.

وهذه الرسالة عبارة عن أربعين حديثاً من أوائل أربعين كتاباً وتسمى بالأربعين العجلونية، وقد شرحها الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في كتابه "الفضل المبين في شرح عقد الجوهر الثمين" تحقيق عاصم بهجت البيطار، وقد طبع هذا الشرح دار النفائس/ بيروت.

٨- أربعون حديثاً كل حديث من كتاب.

وهي عبارة عن أربعين حديثاً نبوياً أخذها من أربعين كتاباً مع كل حديث شيء من الشعر المشتمل على مواعظ انتخبها من مشيخة المرحوم العالم العلامة السيد محمد أبي البقاء كمال الدين بن حمزة الحسيني الشافعي، وهذه الرسالة غير الرسالة السابقة "عقد الجوهر الثمين"، ويمكن تسميتها أيضاً بالأربعين العجلونية.

٩- إسترشاد المسترشدين لفهم الفتح المبين على شرح الأربعين النووية لابن حجر المكي.

١٠- الكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة.

١١- أسنى الوسائل بشرح الشمائل.

١٢- الأجوبة المحققة عن الأسئلة المفرقة.

١٣- الفوائد المحررة بشرح مسوغات الإبتداء بالنكرة.

١٤- عرف الأرنب بترجمة سيدي مدرك والسيدة زينب.

١٥- عقد اللآلي بشرح منفرجة الغزالي.

١٦- تحفة أهل الإيمان في صوم رجب وشعبان ورمضان.

١٧- إسعاف الطالبين بتفسير كتاب الله المبين.

١٨- فتح المولى الجليل على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.

١٩- حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمّل الرجال.

٢٠- عقد اللآليء والمرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان.

٢١- الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري.

وقد أشار إلى كتابه هذا في كتابه المطبوع "كشف الخفاء"[١١]، وأشاد العلماء بهذا الشرح العظيم، فالمرادي يذكر بأنه لو كمل هذا الشرح لكان من نتائج الدهر، وهو من أجل كتبه، وقد كتب من مسوداته مائتين واثنتين وتسعين كراسة، وصل فيها إلى قول البخاري: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرتهم إياهم من المغازي.

وإذا كانت أكثر الكتب المكتملة نحو عشرين كراسة، فإنني أستطيع القول بأن الكراسة الواحدة تعدل أربعين صفحة تقريباً على اعتبار أن أكبر كتاب مطبوع للعجلوني هو كشف الخفاء الذي يعدل

عشرين كراسة، وإذا أحصيت صفحات كتابه كشف الخفاء حسب طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت وجدت (٨٩٠) صفحة، كل صفحة تحوي (٢٤) سطراً، وبذلك يكون عدد صفحات كتابه الفيض الجاري الذي لم يكتمل (١٢٠٠٠) صفحة تقريباً، ولا يزال في عالم المخطوطات، وقد ذكر الأستاذ خير الدين الزركلي[١٢] بأنه يوجد ثمانية مجلدات منه بخط المؤلف بمكتبة الأستاذ زهير الشاويش ببيروت كتبت سنة (١١٥٣هـ).

مميزات كتابه "كشف الخفاء ومزيل الإلباس":

يعد كتاب العلامة العجلوني "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" من أضخم الكتب وأجلها في مبحث الأحاديث المشتهرة، وهو أجلّ كتاب مطبوع له، يأتي في المنزلة الثانية بعد كتابه "الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري" الذي لم يكتمل.. **ولما لكتابه كشف الخفاء من أهمية وشأن في الدفاع عن السنة النبوية، فإنني أذكر بعض المميزات التي استخلصتها من كتابه القيّم الثمين.**

١- جمع العلامة العجلوني في كتابه أكبر قدر ممكن من الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس، وناقشها مناقشة علمية موضوعية، مبيناً فيها درجات الأحاديث الدائرة على الألسنة معتمداً على أقوال العلماء الثقات في هذا الشأن، وقد بلغت الأحاديث التي أوردها واحداً وثمانين ومائتين وثلاثة آلاف حديث ما بين صحيح وحسن وضعيف وموضوع، وقد أحب أن يكون كتابه جامعاً لما قيل، وملخصاً لما صنف، فقال في مقدمة الكتاب: إن الأحاديث المشتهرة على الألسنة قد كثرت فيها التصانيف، وقلما يخلو تصنيف منها عن فائدة لا توجد في غيره من التآليف، فأردت أن ألخص مما وقفت عليه منها مجموعاً تقر به عين المنصفين، ليكون مرجعاً لي ولمن يرغب في تحصيل المهمات من المستفيدين.

٢- المصادر التي اعتمدها في جمع الأحاديث ومناقشتها من أشهر أمهات كتب الحديث المتعلقة بهذا الموضوع، حتى تشعر وأنت تقرأ بأنه لم يدع كتاباً متعلقاً بالموضوع إلا وذكره أو اطلع عليه، **ومن الكتب التي اعتمدها إمامنا العجلوني والتي تتعلق بالأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس:**

أ- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

ب- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للحافظ جلال الدين السيوطي.

ج- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسنة، للعلامة محمد نجم الدين الغزي.

د- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، للشيخ ملا علي القاري.

٣- صاحب كشف الخفاء إمام من أئمة الحديث، وحافظ من حفاظه، برع في علوم الحديث وغيره من علوم الشريعة المختلفة، واتصف بالخلق والحلم والأدب، والتقوى والورع والعبادة، وهو صاحب أسلوب رائع جميل في عرضه للأحاديث.

٤- الكتاب مرتب ومبوب حسب حروف المعجم ليكون سهلاً في المراجعة والمذاكرة والبحث، ولذلك فهو يريح القارئ ويشد انتباهه ويولد فيه رغبة المتابعة، ويجذبه من حديث إلى حديث، وتلمس هذه الجاذبية حتى من اسم الكتاب.

٥- جمع الكتاب بين خاصتي الاختصار غير المخل، والتطويل غير الممل، فهو لا يكتفي بذكر درجة الحديث دون الإتيان بأقوال العلماء وآرائهم، ولم يرمز بحروف إلى المخرّجين بل يصرح بأسمائهم دفعاً للوهم واللبس، كما أنه لا يطيل في المناقشة إلا في موضوع يستدعي الإطالة، ولذلك حذف الأسانيد وترك إعادة المناقشة عند تكرار الحديث.

٦- يطعم المؤلف كتابه ببعض الأشعار التي تناسب الموضوع، ومن شعره.

٧- يفتح هذا الكتاب ذهن القارئ على طائفة كبيرة من عالم المطبوعات والمخطوطات منسوبة للمؤلفين أثناء سرده لمواطن رواية الحديث المشتهر.

٨- موضوع هذا الكتاب يعطيه أهمية كبرى في عالم التصنيف والتعليم، إذ أن موضوعه الحديث النبوي والدفاع عنه، وفي هذا حفظ للشريعة من الخلط والالتباس، كما يشكل حلقة من حلقات الدفاع عن السنة النبوية الشريفة، ومعلماً بارزاً من معالم حفظ الدين بحفظ الأحاديث.

٩- جاء الكتاب متأخراً عن غالبية كتب

الحديث، مما جعله يحوي أكبر قدر ممكن من الأحاديث،وهو ضروري لكل باحث في الحديث.

ولقد غلب على سلوكه وحياته الحلم والصبر، والعلم والعبادة، وصفاء السريرة وطيب النفس، فكان حليماً سليم الصدر، سالماً من الغش والمقت، صابراً على الفاقة والفقر، وملازماً للعبادات والتهجد والاشتغال بالدروس العامة والخاصة، وكافاً لسانه عما لا يعنيه، مع وجاهة نيّرة، ولم يزل مستقيماً على حالته الحسنة المرغوبة إلى أن مات بدمشق ودفن بتربة الشيخ أرسلان، وانتقل العجلوني إلى العالم الآخر ليترك وراءه علماً نافعاً وتراثاً ناصعاً، وآثاراً مجيدة، وأياماً أردنية، وطفولة عجلونية، وشيخوخة دمشقية.

الهوامش:

١- اعتمد في الترجمة على كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر- محمد خليل المرادي، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد، أربعة أجزاء بمجلدين، انظر سلك الدرر ١/ ٢٦٠.

٢- المرادي: سلك الدرر ٣/ ٢١.

٣- المرادي: سلك الدرر ٣/ ٨٠.

٤- المرادي: سلك الدرر ٢/ ٣٠٥.

٥- المرادي: سلك الدرر ٢/ ٢٩٢.

٦- المرادي: سلك الدرر ٢/ ٢٠.

٧- المرادي: سلك الدرر ٢/ ١٠٨.

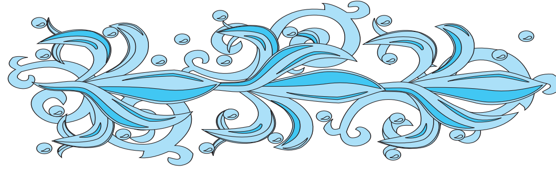
٨- المرادي: سلك الدرر ٢/ ١٣٣.

٩- المرادي: سلك الدرر ١/ ٢٦٠.

١٠- المرادي: سلك الدرر ١/ ٢٦٠. وانظر الزركلي: الاعلام ١/ ٣٢٥.

١١- العجلوني: كشف الخفاء ١/ ١٢.

١٢- الزركلي: الاعلام ١/ ٣٢٥.



رسـول اللـه ﷺ
قرآن يمشي على الأرض

■ بقلم الاستاذ محمد علي نور الدين

يا من أشرقت بنور وجهه الدروب، وتلألأت بيده الحصى فأصبحت كأنها لؤلؤاً منثوراً، يا من عزّ بوجوده دين الخلود، وذل له أُسد الجنود، يا من ذابت شوقاً اليه القلوب، وتاهت في مدحه قصائد الورى، حتى عجزت عن وصف سيد الخلق، سيد الأخلاق سيد الشمائل، كامل الوصوف ﷺ.

اي مدح يفي وصفك يا سيدي، يا من تصغر امام قدمه الشريف تلك الجبال الرواسي، وتتحدر له أصول القوافي، صلى عليك الله وسلم يا من بعثك الله تعالى رحمة للعالمين، هادياً ومبشراً ونذيراً، ناشراً فضائل الأخلاق ومحاسنها، معلماً للبشرية ومؤدبها، وآخذاً بيدها نحو العلا والرقي والحضارة والنقاء والصفاء، يا أعظم من سما بأخلاقه حتى أنارت نجوم السماء، وزادت خيوط الشمس وهجاً وتنويراً، فكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان قرآناً يمشي على الأرض»، أو «كان خلقه القرآن».

لقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أحسن الناس خُلقاً وخَلقاً، وألينهم كفاً وأطيبهم ريحاً، وأكملهم حجاً، وأحسنهم عشرة، وأشجعهم، وأعلمهم بالله، وأشدهم لله خشية، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل، فحينئذ يغضب ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق، واذا غضب

اعرض وأشاح، كان أكثر الناس تواضعا ﷺ، يقضي حاجة اهله ويخفض جناحه للضعفة، وما سئل شيئاً قط فقال: لا، وكان أحلم الناس، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، والقريب والبعيد والقوي والضعيف عنده في الحق سواء.

وما عاب طعاماً قط، ان اشتهاه اكله، والا تركه، ولا يأكل متكئاً، ولا على خِوان، ويأكل ما تيسر، ولا يمتنع من مباح ما، وكان يحب الحلواء والعسل، ويعجبه الدُّباء (اليقطين) وكان يأكل بأصابعه الثلاثة ويلعقهن، ويتنفس في الشراب ثلاثاً خارج الإناء.

وكان ﷺ يتكلم بجوامع الكلم، ويعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم، وكلامه بيّن يفهمه من سمعه، ولا يتكلم من غير حاجة، ولا يقعد ولا يقوم الا على ذكر الله تعالى، كان لا يدع أحداً يمشي خلفه، كان متقللاً من أمتعة الدنيا كلها.

وكان ﷺ كثير الذكر، دائم الفكر، جل ضحكه التبسم، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه، يحب الطيب، ويكره الريح الكريهة، ويمزح ولا يقول الا حقاً، ويقبل عذر المعتذر اليه، كان كما وصفه جل وعلا: **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** التوبة: ١٢٨ .

كانت معاتبته ﷺ تعريضاً: «.. ما بال أناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى» (رواه البخاري) يأمر بالرفق ويحث عليه، وينهى عن العنف ويحث على العفو والصلح، ومكارم الأخلاق.

كان مجلسه ﷺ مجلس حلم وحياء وأمانة وصيانة وصبر وسكينة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤنب فيه الحرم، يتفاضلون فيه بالتقوى، يتواضعون ويوقر الكبار ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلة على الخير.

ثبت في الصحيح ان أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين،فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا».

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على سيد الأخلاق سيد الخلائق حبيبنا وقرة أعيننا، هادينا سبل الرشاد، وملهمنا مكارم الأخلاق محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه، واقتفى سننه، وتمثل أخلاقه الى يوم الدين، وخذ بأيدينا يا رب العالمين لنكون من عبادك الصالحين.

العنف الأسري
من منظور اسلامي

■ بقلم الاستاذة اعتدال العبادي

لقد جاء الإسلام من أجل صناعة الإنسان الصالح، وتنظيم المجتمع الإنساني في جميع جوانبه بشكل يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة، فمن ضمن ما نظم أنه عرف المرأة مركزها ومهمتها في الحياة وعرفها حقيقة إسلامها، لتعرف واجبها الملقى على عاتقها تجاه ربها، وأنها ذات رسالة هامة في مجتمعها فتعمل جاهدة لتأديتها كاملة خالصة لوجه ربها عز وجل.

لقد أولى الإسلام المرأة غاية الأهمية والعناية حيث أنها نصف المجتمع بل أكثر من نصف المجتمع، بل إنها صانعة المجتمع، فلقد حث عليه الصلاة والسلام على العناية بتربية البنت وبذل غاية الوسع من الجهد والمال في سبيل ذلك قال ﷺ: «من يلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» متفق عليه.

ومن الواضح لمن نظر في حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام أن كفة حقوق المرأة ترجح رجحاناً عظيماً إذا وزنت بواجباتها، ولعلك تأخذ من مبايعة النبي ﷺ مبايعة مستقلة عن الرجال أن الإسلام يعتبرهن مسؤولات عن أنفسهن مسؤولية خاصة ومستقلة عن مسؤولية الرجل.

وإن غاية ما يجب على المرأة حسن رعاية زوجها وأولادها كي تهيء للمجتمع مواطنين صالحين، وأن المرأة عندما تفعل ذلك فإنما تمارس هواية طبعت على حبها، وغرست في كيانها، فكانت المرأة المسلمة أسعد نساء العالم حظاً وأوفاهن عيشاً أياً كانت طبقتها في بلادنا.

أما ما نشاهده في المجتمعات

الإسلامية من ممارسات خاطئة ضد المرأة وظاهرة العنف ضد النساء، فإنما تعود إلى ابتعاد الناس عن تعاليم الشريعة الإسلامية وإلى جهلهم فلا يجوز الخلط بين الإسلام وواقع المسلمين، ونلاحظ كيف رفع الإسلام المرأة وأعلى من مكانتها وحث على تعليمها وتكريمها، وأزال الظلم الواقع عليها من العقلية الجاهلية وأعطاها الحقوق الكثيرة، وإن تهميش المرأة كان في عصر الركود في عصر ابتعاد الناس عن دينهم.

◆ العنف الأسري:

من المعلوم أن العنف والظلم الأسري ظاهرة تدعو إلى الخجل خصوصاً في البيئات الإسلامية، لأنها بعيدة عن تعاليم الشريعة الإسلامية كما هو مخجل حقاً ضرب الزوجات، وإذا اشتكت أو تكلمت هددها زوجها بالطلاق، وهذا لا يجوز شرعاً وهذا عنف وإيذاء وإساءة، فهل يقبل هذا الرجل أن تضربه زوجته، عليه أن يتذكر مبدأ عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك قال تعالى: **﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾**.

والعنف الأسري هو سوء معاملة ولذلك فهو حرام فالعنف هو نوع من أنواع الظلم والاعتداء والنصوص كثيرة في تحريم الظلم والاعتداء قال تعالى: **﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾** التوبة: ٣٦، وقال أيضاً في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..» إلى آخر الحديث القدسي.

ويقول ﷺ: «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» ومن المعروف أن العنف والظلم والاعتداء في البيت، يؤدي بالمعنف إلى ترك البيت نهائياً أو إلى الانتحار إذا كانت القسوة أو الظلم الواقع عليه لا يطاق، ولذلك حرمت الشريعة الإسلامية العنف لبشاعته وصاحبه معرض للمسؤولية الدينية ويكفي ان الله لا يحب المعتدين.

◆ العنف والتأديب:

لا بد من التفريق بين التأديب والعنف، فالتأديب لا يسمى عنفاً لأن الله تعالى في كتابه العزيز ذكر مراحل لعلاج المشاكل الزوجية قال تعالى: **﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾** النساء: ٣٤، فحق للزوج تأديب الزوجة الناشز ومعنى النشوز الاستعلاء سواء على الزوج أو على من ترعى أو على أهله والناشز هي التي تُؤدب. **والمراحل التي يتم بها التأديب هي:**

● الوعظ بالتي هي احسن **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**.

● الهجر في المضجع: وليس ترك الكلام ، ولا ترك المكان غالبا.

● الضرب: بطرف السواك لمسة خفيفة تعبيرا عن عدم الرضا.

فأولاً الوعظ ثم الهجران ثم الضرب غير المبرح، ويكون الوعظ باللطف والحكمة ومن القرآن والسنة، قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** النحل: ١٢٥، على أن يلاحظ في ذلك طبيعة الزوجة فما يصلح لإمرأة لا يصلح لغيرها لاختلاف الطباع.

ويكون هذا الأمر وهو الوعظ سراً بينهما أي بين الزوجين، ويكون ليناً رقيقاً لأن المقصود من هذا العمل الإصلاح وليس التشهير، فكلما كان الحديث سراً كلما كانت إمكانية الإصلاح أقرب، وإذا لم يوفقا يأتي الهجر في المضجع قيل: هو هجر الجماع أو هجر المضاجعة فلا يباشرها، فيوليها ظهره ولا يلتفت إليها وقيل: هو هجر الفراش ولكنه لثلاثة أيام فقط قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» صحيح الجامع، حتى ترجع إلى الحق إذا كانت هي المعتدية وهي الظالمة لزوجها، إما إذا لم تبال في الهجران ينتقل إلى مرحلة الضرب، ويكون ضرباً غير مبرح بطرف السواك او المنشفة، لأنه ضرب تأديب وتعبير لا ضرب إيذاء والضرب مباح وتركه أفضل، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً) سنن ابن ماجة.

واستؤذن رسول الله ﷺ في ضرب النساء فقال: «اضربوا ولن يضرب خياركم» أخرجه مالك، وقال أيضاً: «لا يجلد أحد امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» رواه البخاري.

إذن وإن كان الضرب مباحاً لكن الإسلام لم يحببه بقول الرسول ﷺ: «ولن يضرب خياركم»، فلا يلجأ إلى الضرب إلا لجوء المضطر بعد نفاذ كل الوسائل للتأديب، ولكن الزوجة الحساسة المؤمنة المرهفة لا تحتاج أكثر من الوعظ والنصيحة، وعلى الرجل الحكيم أن يحاول أن يصبر عسى الله أن يصلح حالها فترجع إلى الحق دون اللجوء إلى الضرب،

كـمـا أن الضــرب هنا له ضــوابط قــال بعـضـهـم: بالمنديل أو بشـيء يلفـه لا يؤذي وإذا كان الضرب لا يؤدي إلى المصلحة فإنه لا يصار إليه.

فــالتــأديب مــشــروع والعنف ممنوع، والتـأديب وسـيلة تربوية والعنف مـفـسـدة والتـأديب إذا تجـاوز حـده المشـروع ينقلب عنفـاً ولا يجـوز أن يجـرد الزوج أو الأب من التأديب، لأنه وسـيلة إصـلاح سواء للزوجة أو الولـد وإذا ضـرب الـرجل زوجـتـه ظلمـاً وتعـسـفـاً وعـدواناً لهـا أن ترفع الأمــر إلى القـاضـي يحـقق في الأمـر، وإذا تكرر منه ذلك فلها طلب التـفـريق كـما أن القـاضي يعـاقب الزوج بجلده إذا ضــرب الزوجـة تعسفاً وظلماً.

إذن العنف قـسـوة ومـفـسـدة دينيـة واجـتـمـاعـيـة لا يقـره الشـرع ولا المنطق، فـالولـد الذي يرى من أبويه العنـف لا يمكن أن يتـعـلم الرفق واللـطف، وكـذلك الزوجـة شـأنهـا كـذلك وينعكس هذا على الأسـرة وينعكس ذلـك على المجتـمع، والعنف ممنوع قـانوناً وعند كل الشـرائع ويرجع كله إلى جـهل النـاس بالدين وسـوء تطبيـق أحكامـه فـحق الزوج والزوجـة والبنت والمرأة وأيضـاً الفتى والفتـاة فـي حيـاة خـالية من القسوة والعنف وسوء المعاملة ثابت وهذا ما يدعو إليه شرعنا وديننا الحنيف.

وظاهرة العنف عـامـة تهـدد المنجـزات التي حققها الإنسان، والأسوأ من ذلك كله عندمــا يتــعــدى ويمتــد هذا العنف إلى الفئات الضعيفة في المجتمع كالمرأة مثلاً.

فــالعنف ضــد المرأة من الأمــور التي تجلب انتبـاه المتصفح والمتتـبع للأحداث.. تقول الأرقام إن:

- ٥٢٪ من النسـاء الفلسطينيـات تعـرضن للضرب على الأقل مرة واحدة في العام ٢٠٠٠.
- ٤٧٪ من النسـاء يتـعـرضن للضـرب في الأردن بصورة دائمة.
- ٣٠٪ من النسـاء الأمـريكيـات يتـعـرضن للعنف الجسدي من قبل أزواجهن.
- ٩٥٪ من ضحايا العنف في فرنسا من النساء.
- ٨ نسـاء من عـشـر ضـحـايا العنف في الهند.
- ٦٠٪ من سكان الضـفـة الغـربيـة وغـزة دون ١٩ عـامـاً يتـعـرضـون للتـهـديد الجسدي واللفظي والمطاردة والتوقيف والاعتقال.

والمتمعن لهذه الإحصاءات يرى أن العنف الوارد على النساء لا يختص فئة معينة أو ثقافة خاصة أو جنساً محدداً، وإنما يشمل كافة الثقافات والدول المتقدمة منها أو ما تسمى بالدول النامية أو دول العالم الثالث.

والعنف يعني الأخذ بالشدة أو القوة، أو هو سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة، مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية، وحسب هذا التعريف فإن العنف يشمل السب والشتم والضرب والقتل والاعتداء والذي يأتي من طرف رجل أو مؤسسة أو نظام أو حتى من طرف امرأة من أجل إخضاع المرأة والتسلط عليها.

وهناك من يعتقد أن العنف هو لغة التخاطب الأخيرة، الممكن استعمالها مع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، ولكنه يأتي مع المرأة اللغة الأولى للتخاطب معها كما يستخدمه البعض وكان الآخر لا يملك لغة أخرى لاستعمالها، ليجعل من هذا العنف كابوساً يخيم على وجودها، ليشل حركتها وطاقاتها، ويجعلها أطلالاً من الكآبة والحزن والخضوع.

ونحاول هنا إلقاء الضوء على الأسباب الكامنة وراء العنف فنجد ما يلي:

١- تعتبر المرأة نفسها هي أحد العوامل الرئيسية لبعض أنواع العنف والاضطهاد، وذلك لتقبلها له واعتبار التسامح والخضوع أو السكوت عليه كرد فعل لذلك، مما يجعل الآخر يأخذ في التمادي والجرأة أكثر فأكثر. وقد تتجلى هذه الحالة أكثر عند فقد المرأة من تلتجأ إليه، ومن يقوم بحمايتها.

٢- الأسباب الثقافية؛ كالجهل وعدم معرفة كيفية التعامل مع الآخر وعدم احترامه، وما يتمتع به من حقوق وواجبات تعتبر كعامل أساسي للعنف. وهذا الجهل قد يكون من الطرفين المرأة والمعنّف لها، فجهل المرأة بحقوقها وواجباتها من طرف، وجهل الآخر بهذه الحقوق من طرف ثان مما قد يؤدي إلى التجاوز وتعدي الحدود.

بالإضافة إلى ذلك تدني المستوى الثقافي لدى الاسر والافراد، والاختلاف الثقافي الكبير بين الزوجين بالأخص إذا كانت الزوجة هي الأعلى مستوى ثقافياً مما يولد التوتر وعدم التوازن لدى الزوج

كردة فعل له، فيحاول تعويض هذا النقص باحثاً عن المناسبات التي يمكن انتقاصها واستصغارها بالشتم أو الإهانة أو حتى الضرب.

٣- **الأسباب التربوية:** قد تكون أسس التربية العنيفة التي نشأ عليها الفرد هي التي تولد لديه العنف، إذ تجعله ضحية له حيث تشكل لديه شخصية ضعيفة مضطربة وفي المستقبل يتستر بالعنف، بحيث يستقوي على الأضعف منه وهي المرأة، وكما هو المعروف أن العنف يولد العنف، ويشكل هذا القسم من العنف نحو ٨٣٪ من الحالات.

وقد يكون الفرد شاهد عيان للعنف كالذي يرد على الأمهات من قبل الآباء بحيث ينشأ على عدم احترام المرأة وتقديرها واستصغارها، فتجعله يتعامل بشكل عنيف معها، ويشغل هذا المورد ٣٩ بالمئة من الحالات.

٤- **العادات والتقاليد:** هناك أفكار وتقاليد متجذرة في ثقافات الكثيرين والتي تحمل في طياتها الرؤية الجاهلية بتفضيل الذكر على الأنثى مما يؤدي ذلك إلى تصغير الأنثى وتضئيل دورها، وفي المقابل تكريم وتحجيم الذكر وتعظيم دوره، حيث يعطى الحق دائماً للمجتمع الذكوري للهيمنة والسلطة وممارسة العنف على الأنثى منذ الصغر، وتعويد الأنثى على تقبل ذلك وتحمله والرضوخ إليه مع انها لا تحمل ذنباً سوى أنها ولدت أنثى.

كما أن الأقوال والأمثال والتعابير التي يتداولها الناس في المجتمع عامة بما في ذلك النساء أنفسهن والذي تبرز مدى تأصيل هذه الثقافة، بحيث تعطي للمجتمع الذكوري الحق في التمادي ضد الإناث مثل قول المرأة عند ضربها من قبل الرجل: (ظل رجل أحسن من ظل الحائط)، أو (المرأة مثل السجادة كلما دعست عليها بتجوهر) ولا يخفى ما لوسائل الإعلام من دور يساهم في تدعيم هذا التمييز وتقبل أنماط من العنف ضد المرأة في البرامج التي تبث واستغلالها بشكل غير سليم.

٥- **الأسباب البيئية:** فالمشكلات البيئية التي تضغط على الإنسان كالازدحام وضعف الخدمات ومشكلة السكن وزيادة السكان، ما تسببه البيئة في إحباط الفرد، حيث لا تساعده على تحقيق ذاته والنجاح فيها كتوفير العمل المناسب للشباب، فذلك يدفعه دفعاً نحو العنف ليؤدي إلى انفجاره إلى من هو أضعف منه المرأة والطفل.

٦- **الأسباب الاقتصادية:** فالخلل المادي الذي يواجهه الفرد أو الأسرة والتضخم الاقتصادي الذي ينعكس على المستوى المعيشي لكل من الفرد أو الجماعة، حيث يكون من الصعب الحصول على لقمة العيش، من المشكلات الاقتصادية التي تضغط على الآخر أن يكون عنيفاً ويصب جام غضبه على المرأة، أضف إلى ذلك النفقة الاقتصادية التي تكون على الرجل للمرأة، إذ أنه من يعول المرأة فلذا يرى انه يحق له تعنيفها وذلك بإذلالها وتصغيرها من هذه الناحية، ومن ناحية اخرى تقبّل المرأة لهذا العنف لأنها لا تتمكن من إعالة نفسها أو إعالة أولادها.

ويأخذ العامل الاقتصادي نسبة ٤٥٪ من حالات العنف ضد المرأة.

فمهما اختلفت الأسباب والمسببات تبقى ظاهرة العنف ضد المرأة ترصد نسبة ٧٪ من جميع النساء اللاتي يمتن ما بين سن الخامسة عشرة والرابعة والأربعين في جميع أنحاء العالم حسب التقرير الصادر عن منظمة الصحة العالمية.

❖ أين يكمن العلاج؟

بما أن ظاهرة العنف ضد المرأة ظاهرة قديمة وكبيرة الاتساع منذ أن كانت في العصر الجاهلي تباع المرأة وتشترى، وتوأد في التراب وهي حية، فلا نتوقع أن يكون حل هذه الظاهرة أو علاجها آنيا وبفترة قصيرة. وإنما لا بد من كونه جذرياً وتدريجياً من أجل القضاء عليها أو العمل على إنقاصها الى اقل قدر ممكن. وذلك عبر:

● الرجوع إلى القانون الإلهي والشريعة الإسلامية التي تعطي للمرأة كامل حقوقها وعزتها وكرامتها، كما وتقدّم لها الحماية والحصانة الكاملة. قال تعالى **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** البقرة: ٢٨٨، **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** النساء: ١٩، وينظر إليها كإنسانة لها ما للرجل وعليها ما عليه، وأنها مساوية له في جميع الأحكام إلا ما خرج بالدليل، **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾** النساء: ١ .

وقد أثبتت التجربة أن القوانين الوضعية لم تتمكن من إعطاء المرأة حقوقها وحمايتها، وإن كانت ترفع الشعارات لصالحها.

● تطبيق هذه القوانين الإسلامية من

قبل المسئولين كالحكومات والمؤسسات والمتصدين للأمور، ومعاقبة من يقوم بالعنف ضدها، كي تحس المرأة بالأمن والأمان سواء وهي قابعة في دارها، أو عاملة في محل عملها، أو سائرة في الطريق ليتنامى عطاؤها.

● التوعية الاجتماعية سواء كان ذلك في المجتمع الأنثوي أو في المجتمع العام، إذ لا بد من معرفة المرأة لحقوقها، وكيفية الدفاع عنها، وإيصال صوت ظلامتها إلى العالم بواسطة كافة وسائل الإعلام، وعدم التسامح والتهاون والسكوت عند سلب هذه الحقوق، وصناعة كيان واع ومستقل لوجودها.

ومن طرف آخر نشر هذه التوعية في المجتمع الذكوري أيضاً، عبر نشر ثقافة احترام وتقدير المرأة التي تشكل نصف المجتمع بل غالبيته.

● إن الدور التي تلعبه وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، في بث العديد من الثقافات إلى جميع المجتمعات سلباً أو إيجاباً واضحة للجميع، لذا من الضروري تعميم هذه التوعية لتصل إلى هذه الوسائل لتقوم بالتغطية اللازمة لذلك.

ولا بد من تضاعف هذه الجهود بالنسبة إلى وسائل التلفزة لحذف المشاهد والمقاطع التي تقضي من قريب أو بعيد إلى تدعيم ظاهرة العنف ضد المرأة.

● إنشاء المؤسسات التي تقوم بتعليم الأزواج الجدد على كيفية التعامل الصحيح مع بعضهم البعض، ومراعاة حقوقهما المتبادلة كل تجاه الآخر وكيفية تعامل الزوج مع زوجته ليكون مصداقاً لوصايا الرسول عليه الصلاة والسلام في حق المرأة.

وأخيراً فإن مشوار علاج العنف لا زال في بداياته، حتى تتغير العقلية والرؤية العامة تجاه المرأة، وتصبح المرأة إنساناً ذا كيان، وذا اعتبار ثابت لا يمكن في أي وقت التنازل عن حقوقه والتضحية بمكتسباته.

وإن أهم التحديات التي تواجه وقاية المرأة من العنف وتهددها، هو الفرق بين ما يقال وبين ما يمارس، فهناك كلام كثير يقال عن المرأة، لكن ما يمارس يختلف ويناقض ما يقال، فمن المهم إذن أن يتطابق القول والممارسة في معاملة المرأة، كما كان في عهد رسول الله ﷺ.

١

الصرع
بين الميثولوجيا والطب

■ الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

الصرع من الحالات المرضية التي تشغل بال الناس وتثير اهتمامهم، ليس بما يكتنف هذه الحالة من غموض في اسبابها واعراضها وعلاجها، وما تحاط بها من هالة وقدسية وما يحاك حولها من اساطير وخرافات فحسب، بل وبما يترتب عليها من مضاعفات ونتائج سلبية على المريض الى حد الرفض الاسري له، وعلى الاهل من عناء ومشقة ونفقات مالية وجهد حثيث في التعامل مع الابن المصاب بالصرع .

● **تعريف:** الصرع ليس مرضا بحد ذاته، بل هو عرض من اعراض امراض اخرى تصيب الدماغ (المخ)، ويمكن ان نعرفه على اساس فسيولوجي واساس سريري:

فسيولوجياً: الصرع عبارة عن عملية تفريغ كثيف (شديد) سريع مفاجئ، متناوب وموضعي للعصبونات (الخلايا العصبية) الموجودة في المادة السنجابية (الرمادية) في قشرة الدماغ، فموضع الخلل موجود في هذه المنطقة، ولا يوجد اي مبرر او دليل على وجوده في اي مكان آخر خارج المادة الرمادية للدماغ.

اما سريرياً: فالنوبة الصرعية عبارة عن اضطراب نمطي ومتقطع في المزاج والعواطف والوعي والوظائف الحركية والادراكية والحسية، ناجمة عن التفريغ العصبوني المذكور آنفا .

● **البدايات:** الصرع معروف منذ العصور القديمة، وكان يطلق عليه اسماء عديدة منها :

"داء هرقل" لان الامبراطور الروماني كان مصابا به، وكذلك اطلق عليه اسم "الداء الالهي" و "الداء المقدسي" و "الداء الهابط" ونظرا للدهشة المفزعة التي كانت تنتاب الشخص الذي يشاهد ما يجري للمصاب بنوبة الصرع، فقد اطلقوا عليه اسم إبلبسيا وهي كلمة اغريقية تعني "المسكة او الصرعة"، ومن الاسماء التي اطلقت على الصرع: ام الصبيان، النقطة القرينة، التكريزة والشمرة، واطلق عليه الرومان اسم "داء الكوميشيا" (والكوميشيا هي اجتماع شعبي واسع يتم فيه مناقشة امور الدولة السياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية، فهو يشبه مجلس الامة حاليا) وذلك بسبب انفضاض الاجتماع وهلع الحاضرين عند حدوث نوبة صرعية لاحد الحاضرين للاجتماع (الكوميشيا).

إن اول ذكر صريح ورد في قانون حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث نص على ان من اشترى عبدا وثبت انه مصاب بالصرع خلال شهر من شرائه، فيحق له ان يعيد العبد الى صاحبه ويسترد الثمن الذي دفعه، وكان الصرع يتصف بالاسطورية والخرافية، فيعزوه الناس لاسباب ميتافيزيقية (غيبية) وكانوا ينظرون للمصاب بالصرع نظرة تجمع بين التقدير والاحترام من ناحية، وبين الخشية منه من ناحية اخرى، بسبب اعتقادهم ان رأس المصاب استوطنته روح ذات قوة خارقة، وهي قد تكون روحا ربانية او روحا شيطانية، وهذا ما اعطى المصاب بالصرع الهيبة والخشية والقدسية.

وكانوا يعزونه مرة للاله وتارة للشيطان واحيانا للريح او الاشباح، ويقولون للمريض: مسكون او مركوب من جن او شيطان او روح شريرة دخلت الى المخ، حتى ان بعض المصادر العلمية تقرر ان الثقوب الموجودة في الجمجمة وجدت ليخرج منها الشيطان، وحتى القرن التاسع عشر الميلادي ظل الناس بمن فيهم الاطباء يعزونه لاسباب تتعلق بالنزوات والشهوات "كالاستنماء" (العادة السرية) والافراط في ممارسة العلاقات الجنسية وتعاطي الدخان، وعلى العموم القيام بأي عمل لا اخلاقي، ويعتبرونه نوبة عصبية ونوعا من "الجنون" ويصنفه الاطباء من ضمن الامراض العصابية وهي جزء من

الامـراض العـقليـة، **ومـا زال الخلط بين الصـرع والامـراض العـقليـة سـائدا في الاوسـاط الشـعبيـة حتى يومنا هذا**، ففي الجـزائر مـثـلا يصف الناس نوبة الصـرع حسب شدتها بأسماء تدل على هذا المعنى للصرع، فيقولون:

- يطيح: إذا كانت النوبة مجرد فقدان للوعي.

- يكرز: إذا كـانت النوبة فـقدانا للوعي مصحوبا بتشنجات.

- مقـرون (القرينـة): إذا صاحب فقدان الوعي اضطرابات في المزاج والسلوك.

وكان الطبيب والعـالم الاغريقي ابقـراط الملقب "ابو الطب" قـد نفى عن الصـرع صفة الالهية والقسية، فقال بأن الصرع لا يختلف عن الامـراض الاخرى في شيء وان الاسـباب التي تسببه هي اسباب طبيعية وليست روحية.

ثم جـاء الطبيب والعـالم المسلم ابو بكر الرازي ليقرر في كتابه "الحاوي" ان اسباب المرض إنما توجـد في المخ، فكتب يقـول: "الصـرع تشـنج يعرض في جمـيع البدن إلا انه ليس بدائم لان علتـه تنقـضي سـريعـا، وما ينال فيـه الاعضاء التي في الرأس من جـمـيع الجـسـد من المضـرة يدل علـى ان توالد العلة إنما هـي في الدماغ .

وبهـذا الـكلام الواضح يكون الرازي قـد حـدد سـبب المرض الحـقـيـقي وأنه سـبب مادي، طبيعي يصيب المخ، فيكون قـد سبق العـالم الاوروبي جـاكسـون الذي عـاش في أواخـر القرن التـاسع عـشر وافـترض وجـود بؤرة الصرع في الدماغ.

● **الوبائيـة:** الصـرع ينتـشـر عند جـمـيع الامم والاعـراق ويصـيب الناس في جـمـيع الاعـمـار بدءاً من الشـهـر الأول من العـمـر ومـرورا بـالطفـولة والشـبــاب والكهــولة والشـيـخـوخة، ولكنه ينتـشـر بين الأطفـال اكـثـر من الشـبـاب لأسـبـاب تتعلق بقـابليـة الوراثة وضـعف المناعـة وبالتـالي إصابـتهم بالأمـراض الفيـروسـيـة والجـرثومية وكذلك الإضطـرابات الإسـتـقـلابيـة والتـشـوهات الخلقـيـة، ونقص الاوكسـجين والشـد على الرأس او الشـفـط بسـبب عسـر الولادة، وكذلك تـأخـر نضوج الجـهـاز العـصـبي، ثم يزداد في مـرحلة الشـيـخـوخة بسـبب كـثـرة الامراض التي تصيب كبار السن مثل اورام الدمـاغ، والإحـتـشـاء الدمـاغي، وضـمـور

الدماغ وهو يصيب الذكور اكثر قليلا من الاناث.

وتشير الأدبيات الطبية ان ٥٠٪ من الحالات تظهر قبل سن العشرين من العمر، ولكن أظهرت دراسة أجريتها أنا شخصيا في المستشفى الجامعي في مدينة قسطنطينة بالجمهورية الجزائرية سنة ١٩٨١ على ٤٢ حالة أدخلت المستشفى، أن ما نسبته ٧٥٪ من الحالات هي لأشخاص تتراوح أعمارهم ما بين ١-٢٠ سنة، وجاءت هذه النتيجة متوافقة مع دراسات أجريت في فرنسا في تلك الفترة.

● **أنواع الصرع:** هناك تصنيفات عديدة لنوبات الصرع، ولكن حتى لا ندخل في تفاصيل لا تناسب غير ذوي الإختصاص، فإننا نرى أن نكتفي بذكر التصنيف المقبول عالميا والذي وضعته الجمعية العالمية لمكافحة الصرع، والذي يصنف النوبات حسب كونها موضعية أو منتشرة عامة، ويقسمها الى نوعين رئيسيين كل نوع منهما يشتمل على أنواع فرعية اخرى، وهما:

- **اولا: النوبة العامة:** وهي تشمل جميع الجسم وقد تكون كبيرة ومظاهرها شديدة ومتنوعة، وقد تكون أقل شدة وأهم علاماتها فقدان عميق للوعي إلى جانب علامات أخرى، وقد تكون مجرد فقدان بسيط للوعي، وهي تشمل جانبي الجسم ولا يوجد فيها أعراض بؤرية.

- **ثانيا: النوبة الجزئية:** وهي إما أن تكون بسيطة أو معقدة، والبسيطة يكون فيها الوعي سليما، وتظهر فقط علامات حركية أو حسية او عضوية او تلقائية فتكون مصحوبة بمزاج وسلوك مضطرب، وانخفاض في مستوى الوعي وتلقائية وعادة ما تظهر في الفص الصدغي.

انواع النوبة العامة:

١- الداء الكبير التوتري - الرجفاني (الرمعي)، عادة يظهر هذا الداء في العقد الثاني من العمر و ٩٠٪ من النوبات تحدث بعد الاستيقاظ من النوم في أي ساعة من اليوم، وكذلك وقت الاسترخاء مساء، وعادة تسبق النوبة مرحلة قبلية تدعى مرحلة الانذار، ولكنها هنا غير موجودة فلا يشعر المصاب بعلامات تنذره بدنو حدوث النوبة **وهي تمر بثلاث مراحل:**

أ- مرحلة التوتر او التصلب: تبدأ النوبة بصرخة شديدة تحدث بسبب

انقباض الحنجرة وعضلات التنفس والحجاب الحاجز وفتحة المزمار، ويفقد المريض الوعي، ويسقط بشدة بشكل مفاجئ على الارض، وتحدث التشنجات التي تنتشر الى كل الجهاز العضلي الإرادي، فتتمدد الاطراف وتتصلب ويتوقف التنفس ويزرق لون الوجه وتشخص العينان لأعلى، وتتسع الحدقتان ولا تستجيبان لأي منبه، ويصتك الفك السفلي على الفك العلوي، وغالبا ما يحدث عض اللسان والشفتين، ويمتلئ الفم باللعاب الذي يظهر على شكل زبد ورغوة، وكذلك يحدث التبول اللاإرادي بسبب انقباض المثانة وأحيانا يحدث التبرز وتستمر هذه المرحلة من ٢٥ –٣٠ ثانية.

ب- المرحلة الرجفانية او الاهتزازية (الرمعية): تبدأ هذه المرحلة بشهقة تشنجية، ويتغير لون الوجه من الأزرق الى المحتقن، ويكون معرضا لخطر الإختناق، وتحدث حركات إهتزازية في جميع أنحاء الجسم فتتحرك يداه ورجلاه، ويتقلب على ظهره وبطنه وجوانبه، ويحاول النهوض ولكنه يسقط ثانية وتستمر هذه الحالة من دقيقة ونصف الى دقيقتين تنتهي بالإرتخاء العضلي.

ج- مرحلة الغيبوبة: بعد انتهاء المرحلة الإهتزازية يحدث للمريض ارتخاء تام في جميع عضلاته فيسهل التنفس، ويدخل في غيبوبة عميقة تستمر من ١٠ – ١٥ دقيقة وقد تتحول الى نوم عميق لعدة ساعات ليسيقظ بعدها وهو لا يعلم ولا يشعر بأي شيء مما حدث له.

وفي بعض الحالات تظهر على المصاب حالات ذهانية، أهمها ما يظهر من آليات حركية بعد النوبة حيث يحاول النهوض ويتعلق بأي شيء في متناول يده، ويتفوه بكلمات متقطعة المفاصل غير مكتملة وغير مفهومة، ولا يتعرف على أحد ممن حوله وهي غيبوبة ذهولية تمتد من دقائق الى ساعات، ومن علاماتها كف الادراك وصعوبة الكلام والنسيان الرجعي.

٢- الداء الصغير او الغياب او السرحان: عبارة عن نوبة من فقدان الوعي البسيط غير مصحوب بتشنجات ولا رجفان وتبدأ بأن يصفن المريض فجأة، ويحدق ببصره للامام او الأعلى فيبدو على هيأة سرحان، او مشدوه ويتوقف عن اداء العمل الذي كان يؤديه، وقد يحتفظ

المصاب بهيئته التي هو عليها ويمكن أن يستمر أو يتابع العمل الذي كان يؤديه بصفة آلية ودون شعور، فمثلا قد ينتقل من الكلام الواضح الى التمتمة المفككة، وإذا كان يعزف موسيقى يستمر في دق لوحة مفاتيح الآلة الموسيقية بدون انتظام وتستمر هذه النوبة من ٥ - ١٥ ثانية، ويكون المريض في حالة تشبه الإغماء او الخفوت، وينهي النوبة بابتسامة سطحية لا معنى لها ولا يتذكر شيئا مما حدث معه، وفي بعض الحالات قد يشحب لون الوجه ويعلك ويتمتم بعبارات غريبة ويقوم بحركات عضعضة دون ان يشعر بشيء من ذلك.

وفي ٣٠ ٪ من هذه الحالات تختفي النوبات نهائيا عند عمر ١٥ سنة وقد يرافق هذه النوبات ما يعرف بالمتعادلات النفسية أو السبورات الصرعية، وتسمى المتعادلات لمفاجأتها وطابعها الاستطرادي، وشبهها للأعراض التحذيرية الشبيهة بالعرض الأولى للصرع، والسلوك الشديد العنف، فقد يرتكب المصاب جريمة قتل فظيعة ولا يعلم عنها شيئا سوى شعور غامض بأنه قد فعل شيئا ما، فمثلا أحد المرضى ركب أثناء النوبة سيارة أجرة وقتل سائقها وألقى الجثة داخل السيارة وقادها وعاد بها الى منزله، فدخله وترك السيارة أمامه، وعندما حضر رجال الشرطة كان يقف على الشرفة يبتسم كأنه يرشدهم على نفسه.

ومن أبسط المتعادلات النفسية أن يستمر المريض في أداء العمل الذي كان يعمله قبل بدء النوبة -رغم فقدانه للوعي- بطريقة غير صحيحة، فمثلا إذا كان يمشي فإنه يتابع سيره في نفس الاتجاه الذي يقصده لكنه لا يصل الى المكان المقصود، وإذا كان يكتب فإنه يستمر في الكتابة ولكن كلمات وألفاظ وعبارات غير مترابطة ولا تؤدي الغرض، ومن المتعادلات النفسية حالات الرؤى الشفقية التي منها غفوة الصرع، وهي آلية تجولية يقوم فيها المصاب بالسفر من مكان الى آخر، مع القيام بشراء تذاكر السفر والذهاب الى محطة القطار أو موقف الحافلات والتحدث الى المسافرين، ولما تنتهي النوبة ويجد نفسه في هذا المكان لا يعرف لماذا هو هنا.

٣- النوبة العامة التصلبية: وهي

حدوث الدور التصلبي دون ان يتبعه الدور الارتجاجي مع بقاء نفس المراحل المذكورة في النوبة التصلبية -الارتجاجية- وما بعد النوبة أخف من الأولى.

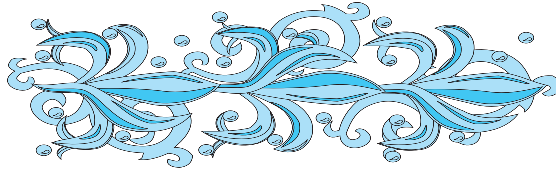
٤- النوبة العامة الارتجاجية: وفي بعض الحالات يحدث الدور الارتجاجي دون ان يحصل الدور التصلبي مع بقاء نفس المراحل، وكذلك ما بعد النوبة أخف وأقصر.

٥- النوبة الارتخائية أو اللاتصلبية: تتصف بارتخاء عضلات الجسم جميعها بشكل مفاجئ، بسبب تثبيط الحزم العصبية الحركية الشوكية -الشبكية- فلا يقوى المصاب على الوقوف فيسقط على الارض لفترة وجيزة جدا لا تتعدى بضع ثوان قد يحصل فيها فقدان للوعي.

٦- النوبة اللاحركية: وهي تشبه النوبة الارتخائية ولكن دون فقدان للوعي ودون اية حركات عضلية.

يتبع في الحلقة القادمة -ان شاء الله- متابعة الحديث عن النوبات الصرعية الجزئية البسيطة منها والمعقدة، وكذلك الحالة الصرعية العنيدة ثم نتحدث عن تفريق النوبة الصرعية عن غيرها من الامراض التي تتصف بفقدان الوعي أو السقوط على الارض، وكذلك نتحدث عن أسباب الصرع في مختلف مراحل العمر.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله



الاستشراق..
الى أين وصل؟

■ الاستاذ حسن محمد نجيب حسن

لا شك ان الاستشراق كان ولا يزال، يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذي عملية الصراع الفكري، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الاسلامي واخضاع شعوبه، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين وأدوات الغزو الفكري، بالمواد التي يسوقونها في العالم العربي، لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره.

لقد تطورت الوسائل، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة، ويكفي ان نشير الى ان مراكز البحوث والدراسات، سواء كانت مستقلة أم اقساماً للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية، تمثل الصور الأحدث في تطور الاستشراق، حيث تمكن اصحاب القرار من الاطلاع والرصد لما يجري في العالم يومياً.

لقد اكتفينا نحن العرب اليوم بمواقف الرفض والإدانة للاستشراق والتنصير، اكتفينا بالانحياز العاطفي للإسلام، وخطبنا كثيراً، وانفعلنا اكثر، ولم تعل اصواتنا، ولا نزال نحذر من الغارة على العالم العربي، القادمة من الغرب ومن المخططات الصهيونية الماكرة والصليبية الحاقدة.

اننا لا نزال في مرحلة العجز عن تمثيل تراثنا بشكل صحيح، ومن ثم القدرة على

غربلته وفحصه، والافادة من العقلية المنهجية التي انتجته، والقدرة على إنتاج فكري معاصر يوازيه.

والمظهر الآخر للعجز نفسه يتمثل في فريق آخر، يحاول القفز من فوق الفهوم السابقة، والتراث الفكري والفقهي، ضارباً عرض الحائط هكذا بحكم عام، وعامي في الوقت نفسه، بكل الانتاج الفكري، والحضاري، دون امتلاك القدرة على ذلك، فكيف يمكننا وهذا موقعنا وواقعنا، ان نمتلك الشوكة الفكرية، التي تمكننا من النزول الى معركة الصراع الحضاري والفكري، ونأمل ان نحقق فيها انتصارات للعرب اجمعين!!.

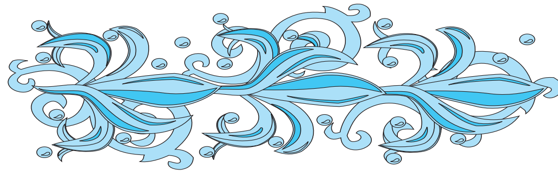
لقد دخلنا المعارك القديمة، ولا نزال ندخلها ونشغل بها، على حساب الحاضر وما يدور فيه، والمستقبل وما يخطط له، ويمكننا هنا ان نقول: بأننا سوّقنا لأفكار المستشرقين عن حسن نية، وعملقنا اشخاصهم، دون حسابات دقيقة للآثار السلبية على أكثر من صعيد، لما يترتب على ذلك، وكأننا لكثرة ما نبدي ونعيد في هذه الموضوعات، ونكتب ونخطب نوحي اننا ما زلنا دون مرحلة النصر، أو على أحسن الأحوال، لا نزال نعاني من آثار الهزيمة الفكرية التي تعيش في أعماقنا، الى جانب ما يمكن ان تورثه تلك المعارك من قدرة الخصم على التحكم بمسار تفكيرنا، ونشاطنا العقلي، لأنه يكفي ان يلقي الينا ببعض التشكيكات، ليستثيرنا ويحول جهودنا وطاقاتنا الى تلك المواقف الدفاعية، فينفرد هو بالتخطيط لتحقيق اهدافه، وكلما حاولنا ان ننتبه، ينتقل بنا من مشكلة الى أخرى، فنبقى دائماً في مجال رد الفعل، ونعجز دائماً عن الفعل، ذلك ان رد الفعل يملكنا، بينما نحن الذين نملك الفعل.

صحيح ان الماضي هو الذي يدعم التماسك الثقافي، ويشكل الجذور التي تحول دون الاقتلاع، الا ان هذا الماضي بالرغم ما قدم في اطار تحقيق الذات، وضمان تماسكها، كاد ينقلب الاقتصار عليه الى ظاهرة مرضية، تحبس الانسان في ملاجئها، وتحول بينه وبين النهوض، وذلك عندما يصبح الاستغراق في التشبث بالماضي صارفاً للانسان عن صناعة حاضره ومعالجة مشكلاته، والتفكير في مستقبله.

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري، والتبادل المعرفي، ونوقف فعلاً الغزو الفكري والاغراق الاستشراقي، لا بد لنا بدل البكاء على الأطلال، والاكتفاء بجرعات الفخر والاعتزاز بالماضي، ان نكون أيضاً قادرين على امتلاك الشوكة الفكرية، ان نكون قادرين على الانتاج الفعلي، لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا، وتأتي استجابة لها، وتغري الناس بها، وبذلك وحده نكون في مستوى الحوار، والتبادل المعرفي.

فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر الى الخارج دائماً، وانما تبدأ حقيقة من النظر الى الداخل أولاً، لملئ الفراغ بعمل بنائي مستمر، وتحصين الذات، وتسليحها بالمقاييس الثقافية السليمة وانتاج مناهج وآليات تأتي وليداً شرعياً لثقافتنا.

ذلك أن المناهج وآليات الفهم، التي تحكم الكثير من جامعاتنا ومعاهدنا، لا تزال من صناعة الفكر الغربي، انتهت الينا بسبب التخاذل الفكري الذي نعيشه، وتلك المناهج هي ثمرة لتشكيل ثقافي معين، تصنعه وتُصنع به، غير منفكة عنه، لذلك فمن الصعب نقلها واستخدامها في انتاج ثقافي آخر، والاطمئنان عندها الى نتائج الفكر.



خاتم المرسلين محمد ﷺ في كتابات الغرب

حقائق تدحض الريبة عند أهل الكفر والبهتان

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

البعض يتساءل: لماذا محمد ﷺ من بين الرسل والأنبياء عليهم السلام من أُعلن الحرب عليه؟! وأقاموا ضده هذه الحملة الشرسة في الفترة الماضية؟!

وللجواب عن هذا السؤال قصة نبي طهور كريم ولد يتيماً، وتجرع لوعة وأسى اليتم، كبر وكبرت معه غربته، مات عمه وماتت زوجته رضي الله عنها، وأوذي أشد الأذى، وكُذب أشد التكذيب، وقيل عنه: مجنون وشاعر، وكذّاب وكاهن وساحر، وأخرج من بلده ومسقط رأسه مكة المكرمة، فخرج منها وهو يقول: «والله انك أحب بلاد الله إلي، ولولا ان قومي أخرجوني منك ما خرجت».

وقف ﷺ في بدر في صف، ووقفت الدنيا كلها بخيلها وخيلائها وحدّتها وحديدها ضده، ويحضر أُحداً فيُشج رأسه وتكسر ثنيته، وتدمى قدماه، ويذبح عمه، ويُقتل بعض أصحابه، ويهزم جيشه، ومع هذا يقول لأصحابه: «صفوا ورائي لأثني على ربي».

لقد كان ﷺ شامة في جبين التاريخ، فما أشرقت الشمس ولا غربت على أطهر منه يداً، ولا أبر منه صلة، ولا أصدق منه

حديثاً، ولا أشرف منه نسباً، ولا أعلى منه مقاماً.

جمع الله تعالى له بين المحامد كلها، فكان «مُحمَّداً» ورفع ذِكره وقدره فكان «سيداً»، وشرح الله صدره ووضع عنه وزره وزكّاه في عقله فقال: **﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** وزكّاه في بصره فقال: **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾** وزكّاه في فؤاده فقال: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** وزكّاه في صدقه فقال: **﴿وما ينطق عن الهوى﴾** وزكّاه في جليسه فقال: **﴿علمه شديد القوى﴾** وزكّاه كله فقال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**.

◆ شهادات منصفة:

هذا هو محمد الحبيب ﷺ شهد له القاصي والداني ممن عرفوا الحق، انه خاتم الأنبياء والمرسلين، وانه أحب خلق الله الى الله، وانه حامل لواء الحمد يوم القيامة، وأول شافع ومشفع يوم القيامة، وان أُمته ﷺ هي الأمة المنصورة بإذن الله.

فإليكم لا أقول: شهادة المسلمين، بل شهادة غير المسلمين في رسول الله ﷺ، وهذا بعض منها:

يقول الانجليزي «برناردشو» في كتابه «محمد» ﷺ: «ان العالم أحوج ما يكون الى رجل في تفكير محمد ﷺ، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والاجلال، فإنه أقوى دين، وإني أرى كثيراً من بني قومي دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة -يعني أوروبا- وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفِّق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر اليها».

ويقول «مايكل هارت» في كتابه «مائة رجل في التاريخ»: «ان وضعي محمداً ليكون الأول بين أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي.

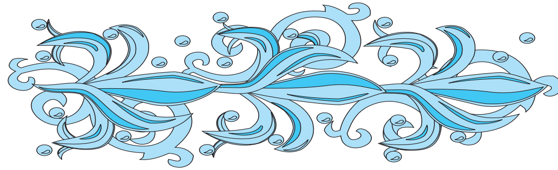
ويقول «المهاتما غاندي» في حديث لصحيفة هندية: «أردت ان أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الاسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ﷺ، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه

وأتباعه، وشجاعته ﷺ مع ثقته المطلقة بربه ورسالته، هذه الصفات التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب، وليس السيف».

ويقول المستشرق الفرنسي «جولد ستيهر»: «ما رأيت أحداً نقل عنه أحد كما نقل أصحاب محمد عنه»، وصدق جولد ستيهر والله في مقولته، فأصحابه وأنصاره ﷺ قد اصطفاهم له ربه عز وجل.

حوصروا في الشعب، وضُيِّق عليهم في الرزق، وأوذوا من القرابة، وحوربوا من الناس، وسحب بعضهم على الرمضاء، وآخرون في العراء، وعُرض صفوة شبابهم للسيوف المصلتة، فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة، وقدموا الى المعركة فكانوا كأنهم في نزهة أو في ليلة عيد، فكان لهم العز والتمجيد.

ابتلوا في سبيل ربهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وبلغت منهم القلوب الحناجر، ومع ذلك رضوا عن ربهم فرضي عنهم وأحبوا نبيهم ﷺ فأحبهم.



ذكرى مولد النبي الأعظم محمد ﷺ

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

يعجز القلم ان يعبر ان اعظم شخصية وجدت -ولن توجد في تاريخ البشرية جمعاء- أي قلم يحيط وصفه ببعض نواحي تلك العظمة النبوية، وأية كتابات تتسع لأقطار هذه العظمة التي شملت كل قطر، وأطاحت بكل عصر، وشاء لها العلي القدير الخلود أبد الدهر، وأي مقال يكشف عن أسرارها وإن كتب بحروف من النور، وكان مداده أشعة الشمس، ونعجب حين نرى هذه العظمة التي تعالت عن متناول الألسنة، والأقلام والعقول، والأفهام ماثلة في كل قلب، مستقرة في كل نفس، يستشعرها القريب والبعيد، ويعترف بها العدو والصديق، وتهتف بها وتهتز لها ذرائب المنابر.

لقد شاءت إرادة الله تعالى وحكمته البالغة، ان يأذن بظهور فجر جديد مشرق من وحي السماء، بعد ان أظلمت الأرض واكفهرت فساداً وجوراً، أذن مؤذن من جوار بيت الله الحرام، في بطاح مكة ان ولد الهدى فالكائنات ضياء.

لم يكن مولد رسول الله ﷺ مجرد حدث عادي في تاريخ مكة المكرمة، إنما هو الانطلاقة السماوية لرسالة الخير والهدى للبشرية، وما هو ميلاد محمد ﷺ الا نقطة البداية لطريق الاسلام، ميلاد الرسول ﷺ ميلاد أمة، ومبعثه هداية ودعوته رسالة، ودينه رحمة للإنسانية، لأنه ﷺ رحمة مهداة، ارسله الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ان ذكرى مولد الحبيب المصطفى ﷺ، تجدد في كل يوم من حياتنا، نستروح بها نسائم الخير في سيرته العطرة، ونستهدي بكتاب الله المنزّل عليه في استخراج أصول المنهج السليم، وطرائق التفكير القويم، وأساس القانون المستديم، نضبط بها الموازين ونحدد بها سلامة السير.

ان مولد الحبيب ﷺ ليس كمولد اي انسان، لأنه بمولده ﷺ ولدت أمة عرفت الحق فأقامته، وعرفت الصلاح فالتزمته، فكانت ذكرى مولده ﷺ، محطة لها أهميتها في مسار الدعوة الاسلامية، يتوقف عندها المتبعون للحبيب ﷺ ليجددوا البيعة والولاء، ويعلنوا ولاءهم لدين الله تعالى، وأنهم سائرون على الطريق الذي خطه لهم نبي الهدى محمد ﷺ، وهي دعوة للمراجعة ووقفة للتأمل، يقف عندها أحباب المصطفى ﷺ ليراجعوا أنفسهم في مدى التزامهم بدين الله تعالى واتباعهم لحبيبهم محمد ﷺ، ليتلافوا الخلل الذي وقع ويصححوا مسارهم، ليبقوا كالشامة بين الأمم.

فكم من مدع لحبه ﷺ، وأفعاله مخالفة لأقواله، فحري بأبناء أمة الحبيب ان يمتثلوا قوله تعالى: **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** آل عمران: ٣١ .

لقد كان رسول الله ﷺ رحمة لكافة الناس، رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً بهم، يمشي في حاجة ضعفائهم، مستجيباً لمطالب فقرائهم، ويشق على نفسه في سبيل اسعادهم في الدنيا والآخرة.

فمن كمال رحمته ﷺ بنا، أنه خبأ لنا دعوته المستجابة الى يوم القيامة، حتى يشفع لنا بها عند الله عز وجل، قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد ان أخبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» متفق عليه.

من هنا كان حقاً علينا ان نحب رسول الله ﷺ، أكثر من حبنا لآبائنا وأبنائنا وإخواننا وأنفسنا والناس اجمعين، لأنه ﷺ سبب سعادتنا الأبدية، ولأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الله اكبر تعلو من مآذننا

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

الحق يعلو ولا تعلو الأقاويل   حتى وإن جاء في الأقوال تعليل

يا أمة الغرب لا تخشون خالقكم   ان شاء أهلكم في قوله زولوا

مآذن الذكر تمنع في دياركم   الله أعلى وفي استفتائكم ميل

ان الفضاء إله الكون يملكه   فيه المآذن تسبيح وتهليل

ان المآذن ذكر الله يرفعها   فيها النداء وآيات وترتيل

الغرب زاغت بدنياهم بصائرهم   عن خالق الكون ما جلوه تجليل؟!

لله يدع منادي الحق وا أسفي!!   ممن أساؤوا لطه خير مرسول

يا أمة الكفر يكفي حقدكم كشفت   ان الاساءة من دحض الأباطيل

ان تمنعون منارات الهدى اعتبروا   للفيل جيش داسته الأبابيل

الله يمنع ديناً ارتضاه لنا   شريعة الله في القرآن تنزيل

هذي سويسرا بل من قبلها دنمرك   ساءوا الى الدين بالأقوال تضليل

سبوا النبي وهانوا اليوم أنفسهم   بل زاد ما اقترفوا من فعلهم كيل

والمسلمون غثاء لا وجود لهم   قد عاث فيهم رعا الأبقار تنكيل

ارض العروبة والاسلام يسكنها   خوف وظلم وإرهاب وتقتيل

ضاعت فلسطين والأقداس يقطنها   رهط اليهود لهم فيها أفاعيل

يا رب رد لنا عزاً نعيش به   يا من بعثت الى المختار جبريل



خطبة الجمعة

محبة رسول الله ﷺ وأثرها في عبادة المرء

بقلم الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢ .

عباد الله؛

إن هذه الأجساد التي نحملها والأعضاء التي نحركها، لا يمكن أن نسيرها إلا بحسب مشاعرها، فهي للمشاعر تبع، ولا يمكن أن تعرف محبًا لشيء ولا مبغضًا له إلا بفعله تجاهه وموقفه منه، لا بكلامه وإن كثره وزيَّنه وحلف عليه، ولكن ذلك الفعل والموقف محكوم بمشاعره نحوه، فإن أحبه أقبل عليه أيما إقبال، وإن أبغضه نفر منه كل نفور، وإن لم يجد له في قلبه حبًا ولا بغضًا، كان مستويًا عنده قربه وبعده، إن أمكن منه قرب اقترب وإن حال دونه حائل ابتعد، وقس على هذا التفصيل أعظم أمورك وأحقرها، فما أحببته منها فعلته راغبًا ومشتاقا غير متعتع ولا وانٍ، وما كرهته منها تركته غير مهتم ولا مبال مهما كانت دواعيه

وأسبابه، وما كان منها غير محبوب ولا مكروه، فليس له في قلبك دافع وليس له فيه مانع، فما تزال تجريه كيفما اتفق، إن تيسر فعلته غير محب ولا كاره، وإن تعسر تركته غير مبال ولا نادم.

وما من شك أن أعظم الأمور وأهمها الاستجابة لله ولرسوله ﷺ وهي ذات وجوه متعددة، من صلاة وزكاة وصيام وذكر وقراءة وترك محرّم، وغير ذلك من أعمال البر، وهو كما قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والملائكة وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّينَ وَءاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ البقرة: ١٧٧، ولكن تلك الأعمال كلها لا يمكن أن تباشرها الأعضاء وتنشط إليها الأجساد، إلا بعدما تكون مُحِبة لها حبا صادقا، ويجعلها في شوق إليها، ورغبة في ممارستها وتلذذ بصنيعها، وراحة بعد الفراغ منها، انظر إلى قول رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ نجاه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»، إن تلك المرتبة العالية -وهي أن يجد المرء حلاوة الإيمان بالله- لا بد لها من ثلاثة أمور.

أولها: أن لا يكون شيء مهما عظم أحب إليه من الله ورسوله ﷺ، حتى والده وولده والناس أجمعين كما ثبت عنه حين قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، بل حتى نفس المؤمن كما قال ﷺ لعمر رضي الله عنه حين قال له: يا رسول الله، إنك أحب إلي من كل أحد إلا نفسي، فقال: «لا يا عمر حتى نفسك»، فقال عمر رضي الله عنه: الآن -يا رسول الله- لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: «الآن يا عمر»، والله تعالى يقول: ﴿**قُلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ التوبة: ٢٤ .

والثانية: أن يحب المرء حبًا صادقا، لا

لأنه جلب له نفعًا ولا دفع عنه ضرًا ولا لسبب ولا نسب، ولكنه لا يحبه إلا لله أي لما يرى منه من عبادة وصلاح فيحبه لذلك والله تعالى يقول في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ»، وفي السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه».

والثالثة: أن يشعر بأهمية ما هو عليه من الدين والهدى والحق، وأن يكره الخروج منه إلى الكفر، كما يكره أن يقذف في النار، بل أعظم من ذلك، فإن المؤمنين الصادقين عرضوا على النار لتحرقهم أو يتحولوا عن دينهم، فاختاروا أن يرموا في النار ولا يرجعوا عن دينهم، كما فُعِل بأصحاب الأخدود وغيرهم.

ثم انظر لترى أن تلك الأمور الثلاثة، التي يجد المرء بها حلاوة الإيمان ليس فيها عمل بدني، وإنما هي كلها مشاعر في قلب العبد والأمة، فما معك منها؟! غير ان وجود تلك المشاعر ليس بالأمر الهين، بل دونه خرط القتاد وشيب الغراب، إلا لمن منَّ الله به عليه.

ثم إن المقصود من تلك المشاعر هو ما يتبعها من العمل بمقتضاها، والاستجابة التامة هو دليل وجودها في قلب العبد أو الأمة، أما الادعاء والكلام المجرد فمركب سهل وكلٌّ يركبه، وكم زعم المنافقون أنهم يحبون الله ورسوله ﷺ وكم حلفوا على ذلك، ولكن دليل الصدق هو العمل والاتباع كما قال تعالى في آية المحنة التي امتحن بها من يدّعون محبة الله: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❁ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾** آل عمران: ٣١-٣٢ .

وبقدر محبتك لله تعالى ورسوله ﷺ، تكون استجابتك ومحبتك لتنفيذ ما أمر به الله أو رسوله، وما تفريطك في بعض ما أمر به الله تعالى أو رسوله ﷺ، إلا لنقص في محبتك لله ورسوله علمت ذلك أو لم تعلم، فتلك هي الحقيقة دون أدنى نظر إلى ما تدّعيه من المحبة ادّعاءً، فمن أحب الله ورسوله أطاع الله ورسوله، ومن نقصت محبته نقصت طاعته، إن المحب لمن يحب مطيع.

نعم معشر المسلمين؛ فمن أحب الله ورسوله أحب الصلاة؛ لأن الله يحب منه أن يصلي، وأحب الاستغفار؛ لأن الله يحب

منه أن يستغفر، وأحب الذكر والقرآن؛ لأن الله يحب منه أن يذكر ويقرأ، ومن أحب الله ورسوله أبغض الزنا؛ لأن الله يبغضه، وأبغض الربا والفحش والمعازف والملاهي وسائر المحرمات؛ لأن هذا عبد محب، فهو ينظر ما يحبه مولاه فيحبه، وما يبغضه مولاه فيبغضه. وهكذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، لقد كانت محبتهم لرسول الله ﷺ ضربًا من العجب؛ لأنهم يعلمون ما خصه الله به من الفضائل العظام وما كان عليه من الخلق العظيم.

وحسبك أن تعلم وجهاً واحداً مما اختصه الله به من الفضائل: انظر إلى اجتماعات الناس الكبرى، حين يجتمعون في مناسباتهم وأعيادهم، وكل يرى في نفسه من الكبراء والوزراء والأمراء والزعماء أنه مهم، وأن حضوره ذو بال، وغيابه خسران على أهل الاحتفال، مع أنه في زمن محدود وجمع معدود، وهنيئا حين ذاك لمن لا يجد هذا في نفسه تواضعًا، ولكن رسول الله ﷺ في ذلك الموقف العظيم والجمع العميم يوم يجمع الله الأولين والآخرين سيكون الشافع المشفع، حين يقول أولياء الله المصطفون: نفسي نفسي، فيقول ﷺ: «أنا لها».

فأي شرف بعد هذا؟! وأي كرامة فوق هذا؟! ومع ذلك ومع أنه أعظم المخلوقين شرفا وأعلاهم منزلة، فهو أكثرهم تواضعًا وأشدهم حياءً، حتى كان يصغي الإناء للهرة لتشرب فلا يرفعه حتى تروي، وتستتبعه الأَمَةُ والمسكين فيتبعهما إلى حيث يريدان، وكان لا ينزع يده من يد من سلم عليه حتى يكون المُسَلِّم هو الذي ينزع يده، فانظر كيف جمع الله له المكارم من أطرافها، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن محبته تختلف باختلاف معرفة قدره وخُلُقِه، وقد عرف ذلك صحابته والتابعون فأحبوه أعظم الحب وأصدقه.

وإن الحديث عن محبتهم رسول الله وآحاده ضرب من العجب كما تقدم، وخليق أن يفرد بخطبة خاصة، ولكننا نكتفي بذكر مواقف معدودة لنرى كيف كانت محبتهم لرسول الله ﷺ:

هذا خبيب بن عدي مصلوبًا على خشبة القتل عند قريش، يقولون له: أتحب أنك سالم في أهلك وأن محمدًا مكانك؟ فيقول: والله، ما أحب أني سالم في أهلي وتصيب محمدًا شوكة. إنه لا يجعل قتله

كفاء لقتله، ولكنه يرى موته هو أهون عليه من أن يصاب رسول الله ﷺ بأدنى أذى حتى الشوكة.

وتلك أم سُلَيم حين قال عندها رسول الله ﷺ، فجعلت تسلت العرق عن جنبه الشريف في قارورة معها، فاستيقظ بفعلها فقال: «ما تصنعين يا أم سليم؟» قالت: عرقك -يا رسول الله- نجعله في طيبنا.

ويقول سهيل بن عمرو: لقد دخلت على الملوك وكسرى وقيصر فما رأيت أحدا يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

وقد كان هو يحبهم أيضًا، **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات منهم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** الفتح: ٢٩ .

عباد الله، إن محبة رسول الله ﷺ ليست نفلاً يتنفل به المسلم أو المسلمة، ولكنها شرط للإيمان، فلا إيمان للعبد إلا بها كما قال في الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وكلما زادت محبته في قلب عبد كان أتم لإيمانه، حتى يجد بذلك حلاوة الإيمان كما تقدم معنا من قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» الحديث.

غير أن القلوب غيوب، فلا يعلم ما بها إلا الله تعالى، ولا دليل عليه إلا بالعمل، فمن كان أكثر طاعة لله ورسوله فهو أكثر حبًا لله ولرسوله، حتى يصدق حبه فتكمل استجابته، ومن كان أقل طاعة فهو أقل حبًا، حتى تعدم المحبة فتعدم الاستجابة، وإن قال بلسانه ما قال وحلف على مزاعمه، فإن القول بلا عمل يصدّقه من أبطل الباطل، فكيف بقول يخالفه فعل قائله؟! إياك ثم إياك أن تغرك الأقوال وأنت ترى الأفعال، أمَا قال الحق تبارك وتعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخصام﴾** البقرة: ٢٠٤ .

فما دليل شدة خصومته وعداوته مع أن قوله معجب؟! الدليل أنه: **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحرث وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** البقرة:

٢٠٥، فالدليل على كذب قوله ما تراه من فعله، أنه يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، بل لا يقبل مجرد كلمة خير تقال له، فإذا قيل له: اتق الله اعتزّ بإثمه وباطله وأصر عليه، **﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ﴾** البقرة: ٢٠٦ .

إن الناس ربما اتفقت أقوالهم في الخير والجمال، ولكن العبرة في الأفعال، **﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾** العنكبوت: ١١، ألم يقل المنافقون: آمنا بالله وبالرسول؟! أوَلم يقولوا: سمعنا وأطعنا؟! أولم يقولوا: نشهد إنك لرسول الله؟! أتظن أن أولئك انتهوا وليس لهم في الناس أمثال؟! أوَ تظن أن المنافقين انقطعوا في هذا الزمان؟! **﴿وَيقُولُونَ امَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ❖ وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ❖ وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ❖ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون ❖ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ❖ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾** النور: ٤٧–٥٢ .

فأين محبة رسول الله ﷺ ممن يدعيها بلسانه، فإذا دعي إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أعرض وتثاقل، وإذا سمع: حي على الصلاة حي على الفلاح لم يجب بلسانه ولا ببدنه، وإذا قيل له: إن الله حرم هذا من قول أو فعل قال مستنكرا: كل شيء حرام؟! كل شيء حرام؟! لا تريدون أن نتكلم ولا نجلس ولا نفرح؟! فهل ترى ذلك صادقا فيما يدعيه؟! وما دليل صدقه من كذبه؟!

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا لعمري فِي القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لِمن يُحب مطيع

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

نفعني الله وإياكم بهذا الدين العظيم

بحمد الله تعالى



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العـدد العاشر - المجلـد ٥٤
ذو الحجة ١٤٣١هـ - تشرين الثاني ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيـــان دور المملكة الاردنيــة الهـاشـمـيـة الاسـلامي، تاريخـاً وحضارة ومعاصرة.
- العـمل على ربط الحـاضـر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسـيخ مـعـاني الوحـدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعـوة الاسـلاميـة في إطارها العــالمي، وإقــامــة الصــلات بين الشــعـوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العـمل على بناء جيل مـسلم قادر على الإسـهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتـمـام بالقـضـايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضـوء الفكر الاسلامي وقيـمـه العليا ورسالته الخالدة.
- توجـيـه الاسـرة المسلمـة للقـيـام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشـعـور بالثـقـة لدى المسلم للقيـام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- ■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- ■ التـركـيـز على دور وزارة الاوقـاف في نشـر الثـقـافة الاسـلامـيـة، وإحيـاء التـراث الاسـلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- ■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- ■ الاهتـمـام بجـمـيع المذاهـب الاسـلامـيـة، والبـعـد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- ■ اعـتـمـاد الدليل الشـرعي وما يهـدف اليـه من تحـقيق المصلحة العامة.
- ■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- ■ الانفـتـاح على الحـضـارة المعـاصـرة، ومـعـالجـة المسـتـجدات من خلال طرح النظرة الاسـلاميـة التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- ■ توثيق الصـلات بالمراكز الاسـلاميـة في انحاء العــالم وبخـاصــة المراكـز المعنيـة بالشـؤون الشبابية.

سنة المجلة

عـشـرة أعـداد تـتـضـمـن عـدداً ممـتـازاً كل عـام ومـلاحق وهدايا حسب المناسـبـات الاسـلامـيـة

المحتويات

العدد العاشر ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

﴿ولله على الناس حج

ليس لأمة من أمم الأرض كلها، أو ملة من ملل الدنيا جميعها، مثل ما للأمة الاسلامية من مواسم للطاعات والقربات، ومن ذلك المؤتمر العالمي والمشهد السنوي الكبير، الحافل بالخيرات والبركات ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ ليجتمع فيه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها على اختلاف جنسياتهم وطوائفهم، وتباين اشكالهم وألوانهم ولغاتهم، على هيئة واحدة لا يتميز فيها غنيهم عن فقيرهم، وكبيرهم عن صغيرهم، ورئيسهم عن مرؤوسهم، كل واحد منهم قد اتزر بأحد ثوبي الاحرام وارتدى بالآخر، ليلبي دعوة الله التي يدوي صداها عبر الاحقاب والأجيال من شيخ الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾.

مشهد عظيم آخذ بالألباب، تتعالى الأصوات وتبح الحناجر بالتلبيات بنداء الله الخالد.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وتنساب جموعهم الغفيرة، يسرعون بخطاهم يفرون الى الله رب الورى، وأرواحهم مشتاقة، وأفئدتهم خفاقة، ونفوسهم للقاء ربهم تواقة، فما ارحب القدوم وما اكرم المضيف.

انه ركن الحج العظيم، الذي يضم اروع الاسرار وتتلألأ منه الأنوار، ويقف المرء من جلال الموقف مشدوهاً وهو محتار لا يقوى على الكلام، كيف لا، اذ تسكب العبرات، وترتفع الآهات، وتعلو الأكف بالضراعة رحمة ساعة ومغفرة وشفاعة.

البيت من استطاع اليه سبيلاً

انها خاتمة فرائض وشعائر الاسلام، انها العبادة التي تختزل كل معاني الانسانية والرفعة والسمو، وتجرد الناس من كل عوائق الطين، ليغسل القلوب والعقول بخير معين، فها هم الرجال والنساء والأطفال يؤدون المناسك معاً دون حواجز فلا وجه المرأة يغري.. ولا جسد الرجال يلهي، فالأبصار والقلوب ترنو الى السماء، متأملة عظمة الخالق عز وجل، فما عادت الأرض وتوابعها تعنيها بشيء، وابليس مقيد هناك في المرمى، فأي أمن وأي طهر وأي رفعة.

ولو رمت وطفت العالم بأسره، ما رأيت اجتماعاً كهذا المؤتمر واللقاء، من كل الاعراق والألوان والألسنة، مزيج وخليط من خلق الله تعالى، ذكر وأنثى، أبيض وأسود، غني وفقير، شاب وصغير، سيد وعبد، متعلم وجاهل، عاص وطائع، موفق وتائه، والكل اكتسى البياض وصدح بـ «لا إله الا الله، ولبيك اللهم لبيك».

انه الحج الأكبر، فلاح وصلاح، قد افلح من اقامه ورفع بنيانه، كما امر الله عز وجل وشرع، وأدى النسك وعلَّم صلوات الله وسلامه عليه، وكانت الثمرة والنتيجة رضوان الله تعالى والفوز بالمغفرة، «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

فما أعظمها من منة، وما اروعها من مزية، جاد بها الكريم الرحيم عز وجل على خلقه ممن حج بيته واعتمر، فهنيئاً لنا معاشر المسلمين بهذا الركن العظيم، وبشرى لمن عقد العزم على أداء هذه الفريضة بالرضا والمغفرة من رب عظيم يحب العفو لأنه الغفور الرحيم.

أسرة التحرير

من مقاصد الحج

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

يتهيأ الحجاج بعد أيام للسفر للحج.. ولزيارة بيت الله الحرام، ونعيش هذه الأيام أشهر الحج.. وهي: شوال.. ذو القعدة.. النصف الاول من ذي الحجة.. قال الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾.

وأحرص في مثل هذه الايام الحديث عن الحج قبل سفر الحجاج ليتعرفوا على معاني الحج ومقاصده.. لماذا شرع الحج؟ إذ تغيب معاني الحج وفقهُ الحج وأهدافه وأسراره عن كثير من حجاج المسلمين، ورحم الله من قال: نريد حجيجا ولا نريد ضجيجا.

نريد من يفهم الحج فهما صحيحا شاملا.. ومن يدرك مراميه وغاياته.. ومن يعرف فلسفة الحج في الإسلام بتدبر واع وتأمل دقيق، والمقاصد في المناسك كما بين العلماء.. غالبية المسلمين يفتقر إلى معرفة هذه المقاصد.

وفي تقديري أن هذه المعاني بالنسبة للحاج كالروح للجسد، وإلا فما قيمة حج يرجع الإنسان منه كما جاء إليه، لم يغير في نفسه ولا سلوكه شيئاً..

الحديث عن الحج زماناً ومكاناً وأداء ليس حديثاً عابراً عن رحلة إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة فحسب، بل هو حديث عن مدرسة مؤصلة لها منحاها العقدي، وتشريعاتها الدينية،وقيمها الاجتماعية بأبعد ما تكون



تلك المعاني والمقاييس في العقيدة والشريعة والسلوك الاجتماعي بالأهداف والمقاصد.

لا بد من أن ندرك أن حركة الإنسان الجسمية في طريق تأدية فريضة الحج، لا بد أن تكون مسبوقة بحركة فكرية تعقد العزم على أن العودة من هذه الرحلة، يجب أن تتفوق على الذهاب إليها من حيث تقويم السلوك واستقامة اعوجاجها.

الحج ركن من أركان الاسلام تهفو إليه القلوب المسلمة، وتلبي له الأفئدة المؤمنة الموحدة على اختلاف أجناسها وتعدد ألوانها واختلاف قبائلها وأنسابها.

الحج مؤتمر اسلامي كبير وتجمع ضخم يلتقي فيه المسلمون من بقاع الأرض المختلفة.. الحج امتثال لأوامر الله.

ولو أحسن المسلمون الاستفادة من هذا اللقاء الكبير، لوجدوا فيه خير مكان تجتمع فيه وحدة المسلمين..يتشاورون ويخططون لتوحيد قوى العالم الإسلامي المترامي الأطراف ليعود إلى مركزه في قيادة الإنسانية على هدي شريعة الله.

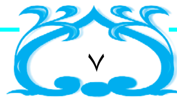
الحج يدعو إلى وحدة الأمة وتضامنها فالحجاج يجتمعون في صعيد واحد وفي مكان واحد، يعبدون الله، وهم من قبل قد اجتمعوا في صلاة واحدة وصاموا شهرًا واحدًا، وهم متراصون ومتقابلون، وكل تلك المظاهر الجماعية مؤذنة باجتماع هذه الأمة.

ومن معاني الحج أنه تجديد للإيمان وإصلاح للنفس، فالحج يعج بمظاهر التوحيد والعبادة، وكل ذلك ماحٍ للخطايا موفّر للحسنات، وفي الحديث: «من حج فلم يرفُث ولم يفسُق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

ما أجمل أن يعود الحاج وقد استشعر دروس الحج واستشعر معاني الحج.. المعاني العظيمة، التي من تأصلت في قلبه رجع شخصا آخر.

ومن معاني الحج أنه رسالة للعالم أجمع أن هذه الأمة لا تراهن على دينها، ولا تساوم على مبادئها، وأنها قوية بربها عزيزة بدينها.

ومن معاني الحج أنه ذكرى إلى الآخرة



وتنبيه إلى ذلك اليوم الشديد، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾، فيوم عرفة صورة مصغرة لمحشر الناس يوم القيامة، وفيه تذكير باجتماع الناس إلى ربهم وخضوعهم له، وقد أصابهم من الرهق والتعب ما أصابهم.

ومن معاني الحج أنه مظهر فريد في التدين والعبادة، لم يؤته لأمة من الأمم، يدل على شرف هذه الأمة، وأنها الأمة الباقية الخالدة، فمهما أصابها من ويلات وانتكاسات إلا أنها باقية ما اتجهت إلى ربها وقصدت بيته ، فلماذا اليأس وهذا الحج يجدد الوصال؟! ولماذا الحزن وهذا الحج يوثق الرابطة ويزيد في التآلف والمحبة؟!

إنَّ من يقصد هذا البيت يشعر بمزيد الفخر والاعتزاز، ويسطع عنده الإيمان وهو يرى هذا البيت ويشاهد ازدحام الناس عليه ويرى حرصهم على اقتفاء هدي النبي ﷺ، وقد أتوا من أماكن بعيدة وقطعوا مسافات شاسعة، ومن يتأمل هذا الحج يُدرك خيرية هذه الأمة، وأنها تمرض ولا تموت، وتضعف ولا تتلاشى، وأنها بحاجة لمن يوقظها ويهديها ويبصرها بما ينفعها ويصلح حالها.

قدم سليمان بن عبد الملك مكة حاجاً، فلما أخذ يطوف طواف القدوم أبصر سالم بن عبد الله يجلس قبالة الكعبة في خضوع، ويحرك لسانه بالقرآن في تبتل وخشوع ودموعه على خديه، فلما فرغ الخليفة من طوافه، وصلى ركعتين سنة الطواف، توجه إلى حيث يجلس سالم فأفسح الناس له الطريق حتى أخذ مكانه بجانبه، فلم ينتبه له سالم ولم يلتفت إليه، لأنه كان مستغرقاً بما هو فيه، مشغولاً بذكر الله عن كل شيء وطفق الخليفة يرقب سالماً بطرف خفي، ويلتمس فرصة يتوقف فيها عن التلاوة ويكف عن النحيب حتى يكلمه، فلما واتته الفرصة مال عليه وقال: السلام عليك يا أبا عمر، فقال: وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، فقال الخليفة بصوت خفيض: سلني حاجة أقضها لك يا أبا عمر؟، فلم يجبه سالم بشيء فظن الخليفة أنه لم يسمعه فمال عليه أكثر من ذي قبل وقال: رغبت بأن تسألني حاجة لأقضيها لك، فقال سالم:

والله إني لأستحي أن أكون في بيت الله عز وجل، ثم أسأل أحداً غيره، فخجل الخليفة وسكت، لكنه ظل جالساً في مكانه.

فلما قضيت الصلاة، نهض سالم يريد المضي إلى رحله فلحقت به جموع الناس، هذا يسأله عن حديث من أحاديث رسول الله ﷺ وذاك يستفتيه في أمر من أمور الدين، وثالث يستنصحه في شأن من شؤون الدنيا ورابع يطلب منه الدعاء.. وكان من جملة من لحق به خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك، فلما رآه الناس وسّعوا له حتى حاذى منكبه منكب سالم، فمال عليه وهمس في أذنه قائلاً: ها نحن أولاء قد غدونا خارج المسجد فسلني حاجة أقضها لك؟ فقال سالم: من حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟، فارتبك الخليفة وقال: بل من حوائج الدنيا، فقال له سالم: إنني لم أطلب حوائج الدنيا ممن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها؟.

هذا مقصد من مقاصد الحج نريد للمسلمين أن يعوه ويفقهوه.. على الحاج أن يكون خارجاً من ملاذ الدنيا، تاركاً ماله وأهله ووطنه، مقبلاً على ربه، استجابة له.

لا ينبغي أن تكون العبادات جسداً بلا روح.. وليست العبرة بكثرة الحج.. ولكن بأثر الحج في سلوكياتنا.

ومن مقاصد الحج تعظيم حرمات الله.. **﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾**، من يقصد البيت الحرام في موسم الحج لا تغيب عن ناظريه ظاهرتان سلبيتان، ليستا من خلق المسلم والحاج لبيت الله، ولا تمتان إلى أدب الإسلام بصلة؛ أولى هاتين الظاهرتين، ظاهرة عدم مراعاة قواعد النظافة في الأماكن المقدسة، وثانيهما ظاهرة الفوضى وعدم مراعاة النظام واحترام الآخرين.

وقفت على قصة رجل بريطاني دخل الإسلام عن طريق القراءة و المطالعة والبحث والتعمق في المقارنة بين الأديان، فقادته هذه الدراسة الى عالم الايمان والاهتداء بالله.. وأراد أن يوثق صلته بالمسلمين أكثر فعزم على اداء فريضة الحج.. ولما عاد كتب خواطره عن رحلته للحج.. قال: قرأت ان الاسلام دين المساواة.. فرأيت العنصرية عند كثير

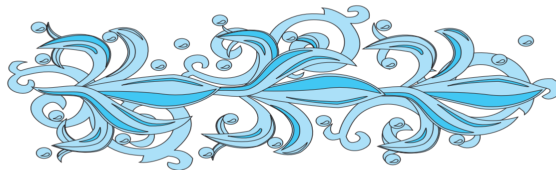
منهم.. قرأت ان الاسلام دين العدل فرأيت الظلم.. قرأت ان الإسلام دين النظافة فرأيت من بعضهم غير ذلك.. ثم قال: الحمد لله الذي عرفت الاسلام قبل ان اعرف المسلمين..

إن العديد من المؤدين لمناسك الحج، لا يكترثون كثيرًا بهذا الأدب الإسلامي، ولا يلقون له بالاً، مع أن المكان الذي هم فيه أولى وأجدر بمراعاة هذا الأدب، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قصور في الوعي وجهل في فهم الدين ومقاصده.

ونحسب أن الالتزام بقواعد وسلوكيات الدين الاسلامي في النظافة والتزام النظام، مقصدان أساسان من مقاصد الحج، وهما مظهران من مظاهر رقي الأمم، ومؤشران من مؤشرات وعيها الثقافي.

لا نريد أن نأخذ صورة العبادة ونغفل عن روحها.. لا نريد أن تغيب عنا معاني هذه العبادة المهمة ومقاصدها العظيمة.. لا بد من تمثل الأهداف البعيدة التي يرمي إليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته.

الآلاف من الحجاج الذين يتهيأون في هذه الأيام لـ "رحلة العمر"، يحتاجون عناية واهتماما أكبر بتعلم أحكام الحج ومعانيه.. وعلى الحجاج واجب شخصي أن يسارعوا بأنفسهم من الآن في إيجاد فرصة لتعلم مناسك ومقاصد الحج قبل سفرهم، وليتذكروا أن هذا من تعظيم شعائر الله والاهتمام بها، **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾**.



من نفحات خطبة الوداع

■ بقلم الدكتور نور الدين اسماعيل

من أجل التوحيد أقيمت شعيرة الحج، فكان شعارها تنزيه الله عالى والثناء عليه وشكره والاستجابة لأمره والصدع بتوحيده ونفي الشريك عنه سبحانه: "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"(١)، هكذا طفق الكون يردد مع الحجيج هذا النداء الصارخ لاقتلاع ثمالة الشرك العالقة بأرجاء المعمورة لتعود الفطر سليمة نقية كما كانت صافية من أوهام الوثنية تتوقد بوهج التوحيد وتشع بنور الوحي وتستقيم في عبوديتها للواحد الديان، نابذة كل الطواغيت والأوثان، مستمسكة بالتصور الإيماني فلا معبود يتجه إليه الخلائق بالطاعة والعبودية إلا الله وحده، ولا جهة يتلقون منها قواعد سلوكهم وأخلاقهم وأصول شرائعهم وقوانينهم إلا الله وحده، ولا منهج يصرف حياتهم ويدبر شؤونهم إلا هو جل شأنه: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ المائدة: ٣٧ .

في الثامن من ذي الحجة عام حجة الوداع انطلق من أحضان مكة المكرمة الموكب النبوي إلى منى فبات هناك، ليتحرك إلى عرفات يوم التاسع، حيث خاطب رسول الله ﷺ بعد زوال الشمس الجموع الغفيرة والآلاف المؤلفة التي تقاطرت من كل فج عميق بوصاة جامعة مانعة ملأت الآذان والقلوب حكمة وأحكاماً، وشفقة، وإيماناً، ورحمةً وإحساناً، لتصب في النفوس كل أسباب الصلاح وصنوف الهداية وتحصينات الوقاية من الأدواء التي أهلكت الأمم.

ولا غرو؛ فقد كانت فرصة لا تتكرر للتعبير عن كم هائل من مشاعر الفرحة الغامرة في لقاء لا نظير له مع إمام الأئمة، وهي في الوقت ذاته مناسبة لكل هواجس الحزن الدافقة في ظل آخر لقاء لرسول خاتم مع أمته الخاتمة (يا أيها الناس! اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً)[٢]. فجمعت وصاته ﷺ هذه لأمته أسس القضايا المنهجية والقواعد العامة إلى جانب كبريات العلامات المميزة للرسالة الخالدة.. وصاة سمعتها كل تلك الجموع من غير مكبرات صوت أو وسائل إعلام.

لقد تضمنت هذه الخطبة وقفات منهجية عقدية وسلوكية كانت بمنزلة المعالم الجوهرية فجمعت قواعد الإسلام وهدمت صروح الشرك وأقرت تحريم المحرمات التي اتفقت الرسالات على تحريمها، فكان مما جاء فيها:

١- حرمة الدماء والأموال:

(إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)، لقد كان الإعلان الأول الذي أرسته هذه الخطبة المباركة حرمة سفك الدماء، وصيانتها من الإراقة بغير حق حفظاً للنفوس، وإبقاء على الأرواح، قال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ الأنعام: ١٥١، وقال تعالى: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾ المائدة: ٢٣ .

وكما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٣]، بل لقد منع الشرع المطهر قتل المعاهدين من غير أهل ملة الإسلام، كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)[٤]، فإزهاق النفس البشرية خارج الحدود الشرعية من أعظم الآثام والكبائر، قال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ الإسراء: ٣٣، فالقتل لا يكون إلا من الله الذي هو واهب الحياة وليس لأحد غيره أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي شرعها.

كما نوهت الخطبة بحرمة الأموال التي تعود منفعتها لجماعة المسلمين ومنعت من

تداوله بين أيدي السفهاء، الذين لا يحسنون تدبيرها وتثميرها، فلا تسلم لهم للتصرف فيها ولا القيام عليها، وإن كان لهم حق الرزق والكسوة وحسن المعاملة، قال تعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾** النساء: ٥، وفي حفظا لتلك الأموال من عبث العابثين وصيانة لها من أيدي الغدر والخيانة فرض الله تعالى سياجاً قوياً عليها يحميها من هؤلاء وأولئك: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم﴾** المائدة: ٨٣ .

وبهذا أكدت الخطبة أنه لا بد من حفظ الدين الذي لا يكون إلا بإخلاص العبادة لله وحده، وحفظ البيضة بالجهاد، ولا بد من حفظ الأنفس التي لا يتأتى حفظها إلا بصيانتها من إراقة دمها وحفظها من القتل، ولا بد من حفظ المال الذي لا يحفظ إلا بالترشيد والتسديد والحذر من أيدي الفساد: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾** المائدة: ٣٣ .

وبهذه الشمولية والكمال شيد الشرع المطهر صرحاً قويماً يضمن حق الإنسان في حياة كريمة تحوطها الفضيلة ويرفرف عليها الأمن والاستقرار، وتتأسس على مبادئ تتقاصر دونها كل إعلانات حقوق الإنسان، وتتضاءل أمامها كل الأنظمة والقوانين الأرضية.

٢- وضع أمر الجاهلية كله:

(ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله)(٥)، وهذا نص شديد الصراحة بالغ الوضوح بأن كل أمر الجاهلية قد ولّى إلى أبد الآبدين، فإذا كان أمر الجاهلية مبنياً على الشرك واتباع الهوى والفوضى العارمة والظلم الصارخ؛ فإنه لا عودة إلى ذلك.

فقد أمر الإسلام الذي يعني الدينونة لله وحده بالتزام ما شرعه وإفراده سبحانه بالألوهية وتقرير ربوبيته وحده للخلائق والتزام نظام كامل شامل لكل أمور الحياة، وإذا كانت الجاهلية تعني الضلال في التصور والاعتقاد، والضلال في مفاهيم الحياة، والضلال في الغاية

والاتجاه، والضلال في العادات والسلوك، والضلال في الأنظمة والأخلاق؛ فإن ذلك قد أفل وجاء الإسلام ليغير الاهتمامات والعادات والواقع والتصورات والمنهج والاعتقاد ويقيم نظام حياة البشر على أساس من التكريم ببناء منهج فريد منقذ مخلص من هاوية الشقاء وذبذبة الحيرة وأتون الإفلاس وبؤس القلق.

نعم؛ جاء الإسلام لمقاومة الجاهلية في صورها العقدية والسياسية والأخلاقية، فنبذ جاهلية العقيدة: **﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله﴾** آل عمران: ١٥٤.

إن عقيدة الإسلام تربي أصحابها على أن ليس لهم في أنفسهم شيء فهم كلهم لله وحده، من أجله يجاهدون، وفي سبيله يتحركون وإلى منهجه يدعون، ولأمره مستجيبون، ولقضائه وقدره مستسلمون، وبأحكامه وتكاليفه راضون.

ونبذ جاهلية الحكم ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ المائدة: ٥٠، قال العلامة السعدي: أفيطلبون بقولهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله ﷺ؟! فلا ثَمَّ إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله إلى الجاهلية، أما حكم الله تعالى فمبني على العلم والعدل والقسط والنور والهدى[٦].

ونبذ جاهلية التبرج **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾** الأحزاب: ٣٣، قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية[٧]، وقال قتادة: تبرج الجاهلية: أن تخرج المرأة من بيتها ولها مشية وتكسر وتغنج[٨]؛ لأن ابتذال المرأة وتبرجها فيه ضياع للمروءة والدين؛ لما فيه من جعلها مائدة سائغة للخونة الغادرين، ولما يفضي إليه من إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا فينتكسوا إلى أفعال وعادات الجاهلية.

ونبذ جاهلية الحميّة ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حميّة الجاهلية﴾ الفتح: ٦٢، لقد جاء الإسلام لنقل الرابطة من العصبية العمياء إلى أخوة العقيدة والتألق في مدارج العبودية لله وحده انقياداً لأمره وطلباً لمرضاته.. رابطة لا تنبني على دم أو قومية أو جنس ولكنها قرابة إيمان وآصرة عقيدة.. إذ الإسلام

يريد استخلاص القلوب لله وحده وتجريدها من التعلق بغيره وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المجرد من كل ملابسة تاريخية أو شائبة أرضية أو لوثة عنصرية.

وقد شملت الخطبة نماذج مما يجب وضعه من أمور الجاهلية كما هو الشأن بالنسبة لعادة الثأر القبيحة وعادة الربا الجشعة، لقد كانت النفس في الجاهلية رخيصة هينة، وكان القتل مفخرة، وإقامة الحروب لأتفه الأسباب بطولة وإراقة الدماء كرامة.. فلم يكن هناك هدف للحياة ولا عقيدة موجهة فكانت الفوضى والجشع اللذان لا يعرفان حدوداً حتى أصبح جمع المال بأي طريق ومن أي وجه نجاحاً وسيادةً.

وقد جاء الإسلام لتغيير هذه الأسس وإبدالها بمبادئ تجد فيها النفس الإنسانية احترامها وحصانتها، فاجتث جذور العصبية الجاهلية ونقض عرى العنصرية، ومنع استغلال حاجة البشر ونبذ الفوارق والقيم الأرضية وحصر التفاضل والتفاوت في أمر واحد ألا وهو التقوى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: ٣١، وفي إطار التطبيق العملي لإبطال أسس الجاهلية تلك وحتى لا تكون القضايا مجردة عن الواقع بدأ رسول الله ﷺ بنفسه: (وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث[٩] وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله)(١٠)، حتى يعلم أهل الزيغ والهوى أن لا محاباة ولا أنانية ولا مجاملة في منهجه ﷺ، فلا استثناء للأقارب، ولا خصوصية للأهل، ولا انتقائية في التعامل.. بل البداءة بالنفس فالأدنى.

في ذلك يكون النبي ﷺ مناط القدوة ومحل الأسوة فأبطل دم ابن عمه قطعاً لدابر ثأر الجاهلية، كما بدأ بإسقاط ديون عمه المتراكمة؛ لقبول قوله ﷺ وتربية للأمة وهذا منهج رباني كرسه القرآن الكريم: **﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾** هود: ٨٨، وجسدته السنة الغراء (وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[١١].

لقد حذرت الشريعة الإسلامية من التناقض بين القول والفعل، ونفت العقل والبصيرة عمن كان ذلك ديدنه: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** البقرة: ٤٤، بل لقد أحل الله مقته بمن ينتهجون ذلك المسلك الذميم والخلق السّيء المقيت: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**

الصف: ٢-٣ .

إن الأمر بالخير وعدم فعله والدعوة إلى البر وإهماله وتحريف الكلم عن مواضعه وتأويل النصوص القاطعة ولي أعناقها خدمة للغرض الدنيوي والهوى المُطاع؛ لمن أعظم آفات المتدينين؛ لما يترتب عليه من إصابة الناس بالشك ليس في الدعاة والمتدينين وحدهم ولكن فيما يدينون به ويدعون إليه، فتهتز الثقة في الدين كما اهتزت في رجاله، لأن الكلمة إذا لم تنبعث من قلب يؤمن بها فإنها تخرج ميتة وتصل هامدة مهما كان جرسها وحماسها، ولن يكون الإنسان مؤمناً بما يقول إلا حين يتحول فعله ترجمة حية لقوله وتجسيماً واقعياً لمنطقه، (كان خلقه القرآن)[١٢].

إن الانسجام بين الأقوال والأفعال والعقيدة والسلوك يحتاج إلى ترويض للنفس يقوم على الصلة بالله تعالى والاستعانة به والاستمداد منه، فمعترك الحياة والاحتكاك بالواقع كثيراً ما ينأى بالفرد عما يدعو إليه غيره؛ للضعف البشري الجبلي وعوارض الشر المتناثرة وفي اصطحاب القرآن والتزام الهدي النبوي والاستعانة بالصبر والصلاة حصن منيع يحفظ صاحبه من مهاوي الاعتقاد ومهابط الرذيلة: **﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾** الإسراء: ٩ .

لقد كانت خطبة الوداع بياناً لوضع اللمسات الأخيرة وترسيخ المبادئ الكلية ورسم أسس النهج وأهداف الرسالة من النبي ﷺ في آخر فرصة قبل اللحاق بالرفيق الأعلى؛ اطمئناناً على الأمة وجلباً لأسباب سعادتها وإيذاناً بكمال الدين وتمام النعمة، لذلك نزل بعدها مباشرة قوله تعالى: **﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** المائدة: ٣ .

الهوامش:

١- أخرجه البخاري ٥٩١٥، ومسلم ١١٨٤ .

٢- السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٣ .

٣- اخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦ .

٤- اخرجه البخاري ٣١٦٦ .

٥- اخرجه مسلم ١٢١٨ .

٦- تفسير السعدي ٢٢٤ .

٧- الدر المنثور ٦/٦٠٢ .

٨- الطبري ٢٠/٢٥٩، مع تصرف يسير .

٩- الحارث بن عبد المطلب.

١٠- اخرجه مسلم ١٢١٨ .

١١- اخرجه البخاري ٦٧٨٧، ومسلم ١٦٨٨ .

١٢- اخرجه مسلم ٧٤٦ .

مقاصد الحج وغاياته

■ بقلم الاستاذ نور الدين الجاعوني

المسلم عظيم اليقين بعلم الله سبحانه بحقائق الأمور، وبأنه عز وجل يريد بعباده الخير، ويشرع لهم ما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن المسلم الحق يكون مستسلماً لأمر مولاه تعالى، فيفعل ما أمره ربه، دون تردد أو تأخر سواء أحبت نفسه ذلك أو كرهته، وسواء عرف سبب الأمر الشرعي وحكمة التشريع أو لم يعرف ذلك.

ولا يتحقق الإيمان دون هذا التسليم الكامل. مع الارتياح والرضا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً﴾ النساء: ٥٦ .

غير أن معرفة المقصد من الأمر والحكمة من التشريع تزيد المؤمن إيماناً، وتعينه على الثبات عليه، وتجعله يحتسب العبادة ساعياً في تحقيق مقاصدها، ولذا كان مناسباً أن نتعرف على بعض مقاصد الحج ومنافعه التي ينبغي للحاج أن يعرفها ويطلبها.

١- التربية على التسليم لله تعالى والانقياد لشرعه:

تنقل الحجاج بين المشاعر، وطوافهم حول البيت العتيق، وتقبيلهم للحجر الأسود، ورميهم الجمار.. كل ذلك أمثلة حية لتحقيق هذا الانقياد لشرع الله تعالى، وقبول حكمه عز وجل بكل انشراح صدر،



وطمــأنينة قلب، ورضي الله عن الفــاروق عمر إذ يقول عن الحجر الأسود: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك".

فكم نحتاج إلى ترويض عقولنا ونفوسنا كي تنقــاد لشــرع الله تعــالى بكل تسليم وخضوع ورضى.

٢- إقامة التوحيد:

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لإقامة التوحيد، وأمره بتطهيره من رجس الشــرك، **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقــائمين والركع الســجـود﴾** الحج: ٦٢، وجــاء الحج هاتفـاً بالتـوحيــد والكفـر بالطاغوت، فارتفعت حناجر الحجاج ملبية: "لبـيك اللهم لبـيك، لبـيك لا شـريك لك لبـيك، إن الحـمـد والنعـمـة لك والملك، لا شريك لك".

وحـول البـيت يقـرأ الحـاج في ركـعـتي الطواف بعـد الفـاتحـة بسـورتي الإخـلاص وقل يا أيهـا الكافـرون، وعلى الصـفـا يقـول الحـاج: "لا إله إلا الله، والله أكبـر، لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك لـه، لـه الملك، ولـه الحـمـد، يحـيي ويميت، وهو على كل شيء قـدير، لا إلـه إلا الله وحـده، أنجـز وعـده، ونصـر عبـده، وهزم الأحزاب وحده". وفي يوم عـرفـة يقـول: "لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له، له الملك، وله الحـمـد، يحـيي ويميت، وهو على كل شيء قـدير"، كما كان الرسول يفعل.

والحــاج يكثــر الدعــاء في الطواف والسـعي، ويم عـرفـة، وفي مـزدلفـة، وبعـد رمي جمـرتي العقبـة الصغـرى والوسطى، وهذه تربيـة لـلأمة على سـؤال الله وحـده، بالإكثار من دعائه. والرغبة إليه، والاعتماد عليه دون سواه.

إنّ قضـيـة التـوحيـد من أعظم قضـايا الدين وأجلها. وتحقيقه ظاهراً وباطناً هو مدار النجاة يوم القيـامة، قال الله تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقـاء ربه فليـعمل عـمـلاً صـالحــاً ولا يُشـرك بعـبــادة ربه أحـداً﴾** الكهف: ١١ .

وينبغي للحاج أن يستشعـر ذلك في كل المناسك: بل في حـيـاته كلهـا، قــال الله تعـالى: **﴿قل إنّ صـلاتي ونسكي ومحـيـاي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾** الأنعام: ٢٦١ .

٣- تعظيم الشعائر والحرمات:

ذكـر تعـالى بعض أعـمـال الحج، فـقـال: **﴿ثم ليـقـضـوا تفـثـهم وليـوفـوا نـذورهم**

وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ الحج: ٩٢، وسمّاها حرمات وشعائر، وحثّ على تعظيمها، فقال في الآية التالية: **﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾** الحج: ٣، وقال عز وجل: **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾** الحج: ٢٣ .

وتعظيم شعائر الله تعالى وحرماته يكون بإجلالها بالقلب ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، وفي الحديث: (لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة "يعني: الكعبة" حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا).

وينبغي للمسلم أن يحذر كل الحذر من الاستهانة بحرمات الله وشعائره، قال الله تعالى: **﴿إن الذي كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** الحج: ٥٢ .

ومما يحزن له الإنسان كثيراً أن بعض الحجاج غفر الله لهم قد يتهاون في ارتكاب بعض المعاصي والمحرمات حتى وهو محرم متوجه إلى ربه بالعبادة!

٤- الإكثار من ذكر الله تعالى:

أمر الله الحجاج بذكره تعالى فقال: **﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾** البقرة: ١٨٩، كما أمر بالإكثار من ذكره بعد قضاء المناسك فقال: **﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾** البقرة: ٢٠٠، فجاءت مناسك الحج إحياء للذكر، كما قال ﷺ: (إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله في الأرض).

وهكذا نجد أن الإكثار من ذكر الله تعالى من أبرز حكم الحج وغاياته، والسعيد كل السعادة من استثمر أيام الحج بالذكر ومناجاة الله عز وجل ودعائه وتلاوة القرآن العظيم.

٥- محبة الرسول ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ من أجل أعمال القلوب، وأفضل شعب الإيمان، ومحبة الرسول ﷺ تستوجب متابعته والتزام هديه، وامتثال أمره ونهيه. وقد أمر النبي ﷺ أصحابه الكرام بمتابعته والتأسي به في الحج فقال ﷺ: (خذوا عني مناسككم)، والتأسي يورث المودة وهو سبب لنيل المحبة.

وفي اتباع النبي ﷺ تحقيق لمحبة الله تعالى: كما قال سبحانه: **﴿قل إن كنتم**

تحبـون الله فـاتبـعـوني يحـبـبكم الله﴾ آل عمران: ١٣ .

٦- ربط الحجيج بأسلافهم:

تحمل أعمال الحج في طياتها ذكريات قديمة: من هجرة خليل الله إبراهيم وزوجه هاجر وابنه الرضيع إسماعيل عليهما السلام إلى الحجاز، وقصته حين أمر بذبح ابنه إسماعيل، وبنائه للبيت، وأذانه في الناس بالحج حتى مبعث نبينا محمد ﷺ، والتذكير بحجة الوداع معه ﷺ حيث حج معه ما يربو على مائة ألف صحابي، وقال لهم: (خذوا عني مناسككم).

ثم توالت العصور الإسلامية إلى وقتنا الحاضر وتضاعفت أعداد الحجيج حتى أربت على أكثر من مليونين من المسلمين كل عام، والعدد في ازدياد: وهو ما يجعل الحاج يتذكر تلك القرون التي شهد أهلها أرض المشاعر قبله، ويتأمل الصراع العقدي الذي جرى بين أهل التوحيد وأهل الشرك فيها. وما بذله المؤمنون من تضحية بالأنفس ومتع الحياة من أهل ومال وجاه. وما قام به المشركون من عناد وبغي ودفاع عن مصالح مزعومة وشهوات آنية.

وهذا كله يعين المسلم على إدراك أسباب هلاك من هلك ونجاة من نجا، فيحرص على الأخذ بأسباب النجاة، ويعد نفسه امتداداً للناجين من الأنبياء والصالحين، ويحذر من أسباب الهلاك، فيقيم في نفسه الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، والبراءة من المشركين، ويستيقن أن العاقبة للمتقين، ويرى بمضيّ من حجّ من أولئك الأقوام إلى ربهم أن مصير الجميع واحد. وأنهم كما رحلوا فسيرحل هو. فيعتصم بالمحجة البيضاء لكي ينجو ويسلم بين يدي الله تعالى.

٧- تعميق الأخوة الإيمانية، والبراءة من المشركين:

يجتمع الحجاج على اختلاف بينهم في الألسنة والألوان والأوطان والأعراق في مكان واحد، وزمان واحد، بمظهر واحد، وهتاف واحد، لهدف واحد، هو: الإيمان بالله تعالى، والامتثال لأمره، والاجتناب لمعصيته. فتتعمق بذلك المحبة بينهم، فيكون ذلك دافعاً لهم إلى التعارف، والتعاون، والتناصح، وتبادل الخبرات والتجارب، ومشجعاً لهم للقيام بأمر هذا الدين الذي جمعهم، والعمل على الدعوة إليه والرفع من شأنه.

وفي الحج أنواع من صور الولاء



للمؤمنين؛ بتعليم جاهل، أو هداية تائه، أو إطعام جائع، أو إرواء عطشان، أو مساعدة ملهوف أو إغاثة لهفان.

وفي المقابل: جاءت شعائر الحج معلنة مخالفة المشركين؛ إذ لبى النبي ﷺ بالتوحيد، خلافاً للمشركين في تلبيتهم الشركية، وأفاض من عرفات مخالفاً لقريش حيث كانوا يفيضون من طرف الحرم، كما أفاض من عرفات بعد غروب الشمس مخالفاً أهل الشرك الذين كانوا يدفعون قبل غروبها، ودفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس، وقد كانوا لا يدفعون إلا بعد طلوعها، وأبطل النبي ﷺ عوائد الجاهلية ورسومها كما في خطبته في حجة الوداع، حيث قال: (كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع).

والواجب عليك أخي الحاج وعلى الجميع السعي إلى أداء ما تستطيع من حقوق إخوانك، وأن تكون عامل جمع كلمة وتوحيد صف لا عامل تفريق ونفرة.

٨- تذكر اليوم الآخر واستحضاره:

يحسن بالحاج إذا فارق وطنه وتحمل عناء السفر أن يتذكر خروجه من الدنيا وفراقه لها بالموت إلى ملاقاة الآخرة وأهوالها، وإذا لبس المحرم ملابس الإحرام فعليه أن يتذكر لبس كفنه، وأنه سيلقى ربه على حال مخالف لأحوال أهل الدنيا.

وإذا وقف بعرفات فليتذكر حين يشاهد ازدحام الخلق وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم موقف القيامة واجتماع الأمم في ذلك الموطن، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه رضي الله عنهم على هذه المعاني العظيمة، فها هو ذا يقول قبل الغروب بعرفات: (يا أيها الناس! إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه).

٩- تحقيق التقوى:

الغاية من الحج تحقيق التقوى، ولذا نجد ارتباط التقوى بالحج وثيقاً كما هو بين في آيات الحج، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله واتقوا الله﴾** البقرة: ١٩٦، وقال تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾** البقرة: ١٩٧ .

١٠- التربية على الأخلاق الحسنة والعادات الجميلة، ومن ذلك:

أ- العفة والبعد عن الخنى: قال الله تعالى: **﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث..﴾** البقرة: ١٩٧،

والرفث: هو الجماع ودواعيه من القول والفعل.

ب - كظم الغيظ وترك الجدال والمخاصمة: قال الله عز وجل: **﴿ولا جدال في الحج﴾** البقرة: ١٩٧، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (والجدال: أن تجادل صاحبك حتى تغصبه ويغضبك)، والمنهي عنه هو: النزاع والمخاصمة في غير فائدة شرعية.

ج - الرفق واللين والسكينة: إذ قال ﷺ عندما سمع زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل في الدفع من مزدلفة: (أيها الناس! عليكم بالسكينة: فإن البر ليس بالإيضاع (يعني: بالإسراع)).

د- الشعور بالجماعة: فينبغي أن يتعلم العبد المسلم في الحج الإيثار، ويتجرد من الأنانية ومحبة النفس، ويندمج مع إخوانه الحجيج في اللباس والهتاف والتنقل والعمل والتآزر.

هـ- التربية على تحمل تبعة الخطأ: ويظهر ذلك جلياً في الفدية الواجبة على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام عمداً. أو أخلّ بشيء من واجبات الحج.

و- التربية على التواضع: إذ يتساوى المسلمون، وتزول آثار التميز المادي بينهم، وقد كان من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع: (يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى).

ز- التربية على الصبر بأنواعه: حيث يلجم العبد نفسه عن الشهوات، ويعرضها للضنك والتعب في سبيل امتثال أوامر الله بأداء النسك وإتمامه؛ فيكون ذلك دافعاً إلى ترك المعاصي، وامتثال الطاعات، وتحمل الأذى في سبيل ذلك بعد الحج..

ح - البذل والسخاء: وهذا واضح في تحمل العبد نفقات الحج، والإحسان إلى المنقطعين فيه.

ط- التعود على النظام والانضباط: ففي الحج قيود وحدود والتزامات لا يجوز للحاج الإخلال بها، فهي تعوّده المحافظة على النظام، وتربيه على الانضباط.

وفي الحج منافع أخرى دنيوية وأخروية، فردية وجماعية، تجل عن الحصر، يدل عليها تنكير المنافع وإبهامها في قوله عز وجل: **﴿ليشهدوا منافع لهم﴾** الحج: ٢٨ .

أوجه التيسير في رمي الجمرات

■ بقلم الدكتور أحمد مصطفى القضاة

الحج أحد أركان الإسلام، ورمي الجمرات واجب من واجباته، وفي كل عام يقوم الملايين للرمي، وعلى الرغم من الخدمات إلا أن الرمي لا يزال تكتنفه المشقة، وخاصة رمي جمرة العقبة الكبرى، لأسباب منها: الجهل وعدم معرفة الأحكام الشرعية على حقيقتها ومقصدها، ومنها: التمسك برأي فقهي واحد دون سواه من الآراء الفقهية الميسرة. ولذلك ينبغي معرفة أوجه التيسير في الرمي.

◆ الوجه الأول: الرمي واجب لا ركن:

ذهب الفقهاء إلى أن حكم رمي الجمرات واجب وليس ركناً، فهذا المنسك بني ابتداءً على التيسير، فمن تركه حتى فات وقته صح حجه ولزمه الدم، ولو كان الرمي ركناً لبطل حج من فاته، والدم مقدور على فعله وتداركه.

◆ الوجه الثاني: التخيير في أعمال يوم النحر:

يوم النحر هو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، وبدخوله يدخل الرمي والذبح والطواف والحلق، ويتمكن الحاج من فعلها في يوم النحر وما بعده، لكن الفقهاء اختلفوا في تقديم نسك على نسك على النحو الآتي:

عند الحنفية[١]: يرمي الحاج يوم النحر جمرة العقبة فإذا فرغ ينصرف إلى رحله، فإن كان منفرداً بالحج يحلق أو يقصر والحلق أفضل، وإن كان قارناً أو متمتعاً

يجب عليه أن يذبح ويحلق، ويقدم الذبح على الحلق، فإن حلق قبل الذبح من غير إحصار فعليه لحلقه قبل الذبح دم في قول أبي حنيفة، وفي قول أبي يوسف ومحمد لا شيء عليه.

وعند المالكية[٢]: الذي يفعل يوم النحر أربعة: الرمي فالنحر فالحلق فالإفاضة، وتقديم الرمي على الحلق وعلى الإفاضة واجب ينجبر بالدم، وتقديم الرمي على النحر وتقديم النحر على الحلق وتقديمهما على الإفاضة مندوب، فإن نحر قبل الرمي أو فاض قبل النحر أو قبل الحلق أو قبلهما معاً أو قدم الحلق على النحر فلا شيء عليه في الخمسة وهو محمل الحديث «ما سئل عن شيء قدم أو أخر يوم النحر إلا قال: افعل ولا حرج».

وعند الشافعية[٣]: الأعمال المشروعة للحاج يوم النحر بعد وصوله منى أربعة: وهي رمي جمرة العقبة ثم ذبح الهدي ثم الحلق ثم طواف الإفاضة، وترتيب هذه الأربعة هكذا سنة وليس بواجب، فلو طاف قبل أن يرمي أو ذبح في وقت الذبح قبل أن يرمي جاز ولا فدية عليه لكن فاته الأفضل.

وعند الحنابلة[٤]: في يوم النحر أربعة أشياء: الرمي، ثم النحر، ثم الحلق، ثم الطواف، والسنة ترتيبها هكذا، فإن أخل بترتيبها ناسياً أو جاهلاً بالسنة فيها فلا شيء عليه، وإن فعل عمداً عالماً بمخالفة السنة في ذلك ففيه روايتان: إحداهما: لا دم عليه. والثانية: عليه دم.

وقد استدل الفقهاء على التخيير في أعمال يوم النحر بما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال: يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر، فقال: "اذبح ولا حرج"، ثم جاءه رجل آخر فقال: يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، فقال: "ارم ولا حرج"، قال: فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: "افعل ولا حرج"[٥].

وقد عقب النووي على الروايات الواردة، مورداً رأيه وآراء العلماء في ذلك بقوله: إن أفعال يوم النحر أربعة: رمي جمرة العقبة ثم الذبح ثم الحلق ثم طواف الإفاضة، وأن السنة ترتيبها هكذا، فلو خالف وقدم بعضها على بعض جاز ولا فدية عليه لهذه الأحاديث، وبهذا قال جماعة من السلف.

وهكذا يساهم هذا الرأي الفقهي الوجيه المبني على الأدلة الصحيحة في أن أعمال يوم النحر الأربعة على التخيير، وهو رأي يوجه الحجاج إلى أماكن أربعة بدل أن يتجمعوا ملايين حول دائرة قطرها أمتار عدة، وأرى أن المسؤولية تقع على العلماء والرؤساء في طرح الرأي الميسر والمخفف على المسلمين، ونحن نرى في بعض السنوات الأعداد التي تموت تحت شعار العبادة.

وتدل الروايات الواردة بشأن السائل الذي سأل الرسول ﷺ عن التقديم والتأخير فأجابه: "افعل ولا حرج" أنه سأل يوم النحر بعد الزوال ففي رواية: "رميت بعدما أمسيت"[٦]، وهي كما قال الشوكاني: إنه قد اجتمع من الروايات أن ذلك كان في حجة الوداع يوم النحر بعد الزوال عند الجمرة، وفي ذلك تخفيف على المسلمين ودون أن يطلب من السائل كفارة فدل على وقوع الفعل أداءً لا قضاء، بهذا يجوز الرمي مساء يوم النحر وسواء تقدمه من أعمال أخرى أم لا وليس على من أخره دم[٧].

❖ الوجه الثالث: التعجل في يومين:

ذهب الفقهاء إلى أن الحاج إذا رمى الجمرات الثلاث في اليوم الثاني والثالث من أيام العيد أي اليوم الأول والثاني من أيام التشريق وأحب أن يتعجل في الانصراف من منى فإنه يسقط عنه رمي اليوم الأخير، واستدلوا بقوله تعالى: **﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن أتقى﴾**[٨]، وبحديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي: قال رسول الله ﷺ: "أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه"[٩].

والمعنى في الآية والحديث أن من تعجل من الحجاج في يومين من أيام منى صار مقامه بمنى ثلاثة أيام بيوم النحر، ويصير جميع رميه تسعاً وأربعين حصاة، ويسقط عنه رمي يوم الثالث، ومن لم ينفر منها إلا في آخر اليوم الثالث حصل له بمنى مقام أربعة أيام من أجل يوم النحر، واستوفى العدد في الرمي، وقد روي عن ابن عباس أن المعلومات العشر، والمعدودات أيام التشريق، وهو قول الجمهور، والمعدودات المذكورة في القرآن هي أيام التشريق، ولا يشك أحد أن المعدودات لا تتناول أيام العشر، لأن الله تعالى يقول: **﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾** وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث[١٠].

◆ الوجه الرابع: أوقات الرمي:

لقد شرع الرمي في أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده، والمدة الزمنية المخصصة للرمي كافية في أن تسع رمي الحجاج كلهم، وبين الفقهاء الوقت المسنون المستحب الرمي فيه، كما بينوا أول الوقت وآخره، وقد اتفقوا في أوقات واختلفوا في أخرى، فاتفقوا على أن الرمي يوم النحر من طلوع الفجر إلى غروب الشمس رمي مشروع، ويقع الرمي في هذا الوقت أداءً، وأفضلُه من طلوع الشمس إلى الزوال، وأن الرمي في أيام التشريق بعد الزوال إلى غروب الشمس، كما اتفقوا على أن الرمي ينتهي بغروب شمس اليوم الرابع من أيام العيد، ومن فاته الرمي بذلك لزمه الدم.

ذهب الشافعية[١١] والحنابلة[١٢] إلى أن رمي جمرة العقبة الكبرى يبدأ من منتصف ليلة يوم النحر، للقادر ولغيره، وللذكور والإناث، وحجتهم إرسال النبي ﷺ لأم سلمة يوم النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ومضت فأفاضت[١٣].

ولذلك جاز الرمي ليلاً قبل الفجر، وقيدوه بمنتصف الليل لأنه أقرب إلى الحقيقة مما قبل النصف، إذ لا يعقل أن يكون الرمي المأذون به لأم سلمة بعد العشاء من يوم التاسع فنزعم حينئذ أنها رمت قبل الفجر، وإلا لجاءت الرواية بأنها رمت ليلاً، والأقرب لحقيقة ما قبل الفجر من منتصف الليل إلى قبيل الفجر.

وذهب الحنفية[١٤] والمالكية[١٥] إلى أن الرمي يبدأ من طلوع فجر يوم النحر مستدلين بحديث ابن عباس الذي فيه: "لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس"[١٦]، وحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقدم ضعفة أهله[١٧]، حيث ثبت في حديث نبوي الوقت المسنون وهو بعد طلوع الشمس، وثبت في حديث آخر وقت الجواز وهو من الفجر.

وأما آخر وقت لرمي جمرة العقبة الكبرى فقد ذهب المالكية[١٨] إلى أن الوقت يمتد إلى الغروب أداءً وأن الليل قضاء على المشهور، وذهب الحنفية[١٩] وفريق من الشافعية[٢٠] إلى أنه يمتد إلى فجر اليوم التالي، وذهب الحنابلة[٢١] وفريق من الشافعية[٢٢] إلى أن آخر وقت الرمي بغروب شمس اليوم الرابع، والرمي المتدارك آداءً على القول الأصح، لأن أيام التشريق وقت للرمي.

وأول وقت الرمي في اليوم الأول والثاني من أيام التشريق بعد الزوال عند

جمهور الفقهاء منهم أبو يوسف ومحمد من الحنفية[٢٣] والمالكية[٢٤] والشافعية[٢٥] وأكثر الحنابلة[٢٦] وذلك اتباعاً للسنة، وروي عن أبي حنيفة[٢٧] وبعض الحنابلة[٢٨] جواز الرمي قبل الزوال، وذلك بقياس أيام التشريق على يوم النحر، ولأن الكل أيام نحر، وأما آراء الفقهاء في آخر وقت الرمي ليومي الأول والثاني من أيام التشريق فهي نفسها التي في آخر وقت رمي يوم النحر، فعند المالكية إلى الغروب، وعند الحنفية وفريق من الشافعية إلى طلوع الفجر التالي، وعند الحنابلة وفريق من الشافعية إلى غروب شمس اليوم الرابع.

ورمي اليوم الرابع لمن تأخر كرمي اليومين السابقين على الاختلاف المذكور عند الفقهاء آنفاً، وينتهي الرمي باتفاق الفقهاء بغروب شمس اليوم الرابع.

والرأي الذي نميل إليه جواز الرمي ليلاً، استدلالاً بفعل الصحابة المأذون لهم من النبي ﷺ وتيسيراً على الحجاج، وقد ثبت بحديث ابن عباس قال سئل النبي ﷺ فقال: «رميت بعدما أمسيت، فقال: لا حرج»[٢٩]. وأن رمي جمرة العقبة الكبرى يبدأ فجر يوم النحر، أخذاً برأي أبي حنيفة لأن اليوم يبدأ من الفجر، وإن رمى قبل الفجر قريباً منه جاز لرواية عائشة أن رسول الله ﷺ أرسل لأم سلمة يوم النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ومضت فأفاضت[٣٠].

وأرى أنه لا يتمكن خمسة ملايين حاج مثلاً أن يرموا خمسة وثلاثين مليوناً من الحصى في خمس أو ست ساعات من النهار الشديد الحرارة بعد سهر طويل وسفر شاق وزحام صعب ومسؤولية متداخلة، وصحة متقلبة وجماعات متفرقة، لتقف هذه الملايين حول دائرة قطرها أمتار عدة، مجموعة متجهة إليها، والأخرى مندفعة منها، وفيهم الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والقوي والضعيف، والصحيح والسقيم، والنشيط والمتعب، والشبع والجائع، وبذلك يتعذر أن يرمي الحجاج جميعهم في الوقت المسنون.

وبعملية حسابية فالساعة تساوي (٦٠) دقيقة، والدقيقة تساوي (٦٠) ثانية، والساعات الست يساوين (٢١٦٠٠) ثانية، ليرمي في الثانية الواحدة (٢٣٠) حاجاً تقريباً، على أن يرمي هؤلاء الحجاج دون زحام، وهذا أمر متعذر، وينبغي على الفقهاء والمسؤولين البحث عن أوجه

التيسير في الرمي ليتمكن هؤلاء الملايين من الرمي في الوقت المسنون، وإلا فالرمي في أوقات الجواز دون تضييق على الناس.

قال الشيرازي من الشافعية: إن ترك الرمي في اليوم الأول إلى اليوم الثاني، أو ترك الرمي في اليوم الثاني إلى الثالث، فالمشهور من المذهب أن الأيام الثلاثة كاليوم الواحد، فما تركه في الأول يرميه في اليوم الثاني، وما تركه في اليوم الثاني يرميه في اليوم الثالث، والدليل عليه أنه يجوز لرعاة الإبل أن يؤخروا رمي يوم إلى يوم بعده، فلو لم يكن اليوم الثاني وقتاً لرمي اليوم الأول لما جاز الرمي فيه(٣١).

وقد ثبت ذلك في حديث أبي البداح بن عاصم عن أبيه قال: رخص رسول الله ﷺ لرعاء الإبل في البيتوتة، أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمي يومين بعد النحر، فيرمونه في أحدهما(٣٢).

❖ الوجه الخامس: الإذن النبوي في الرمي المبكر للضعفة:

لقد ثبت بالروايات الصحيحة أن النبي ﷺ قد أذن للضعفة من النساء أن يذهبن إلى الرمي ليلاً قبل زحمة الناس، وبوّب مسلم في صحيحه باستحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة، ثم أورد مسلم تحت هذا الباب روايات عدة دالة على إذن النبي ﷺ بالدفع ليلاً وقبل زحمة الناس.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة تدفع قبله وقبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة، فأذن لها فخرجت قبل دفعه وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه، ولأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة فأكون أدفع بإذنه أحب إليّ من مفروح به(٣٣).

قال النووي: فيه دليل لجواز الدفع من مزدلفة قبل الفجر، قال الشافعي وأصحابه: يجوز قبل نصف الليل، ويجوز رمي جمرة العقبة بعد نصف الليل. واستدلوا بهذا الحديث(٣٤).

وعن عبد الله مولى أسماء قال: قالت لي أسماء وهي عند دار المزدلفة: هل غاب القمر؟ قلت: لا. فصلّت ساعة، ثم قالت: يا بني هل غاب القمر؟ قلت: نعم. قالت: ارحل بي. فارتحلنا حتى رمت الجمرة ثم صلّت في منزلها، فقلت لها: أي هنتاه لقد غلّسنا، قالت: كلا أي بني، إن النبي ﷺ

أذن للظّعن[٣٥]. وعن عطاء أن ابن شوال أخبره أنه دخل على أم حبيبة فأخبرته أن النبي ﷺ بعث بها من جمع بليل[٣٦].

وعن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس يقول: بعثني رسول الله ﷺ في الثقل أو قال: في الضعفة من جمع بليل[٣٧]. وفي رواية: أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أن ابن عباس قال: بعث بي رسول الله ﷺ بسحر من جمع في ثقل نبي الله ﷺ قلت: أبلغك أن ابن عباس قال: بعث بي بليل طويل قال: لا إلا كذلك بسحر. قلت له: فقال ابن عباس: رمينا الجمرة قبل الفجر، وأين صلّى الفجر؟ قال: لا إلا كذلك[٣٨].

وعن ابن شهاب أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقدم ضعفة أهله فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بالليل فيذكرون الله ما بدا لهم، ثم يدفعون قبل أن يقف الإمام وقبل أن يدفع، فمنهم من يقدم منى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قدموا رموا الجمرة، وكان ابن عمر يقول: أرخص في أولئك رسول الله ﷺ[٣٩].

وأخذاً بالأحاديث السالفة الذكر فقد أجاز الفقهاء الرمي قبل طلوع الشمس للضعفة ومن بهم عذر كما أجاز فريق من الفقهاء الرمي لهم ولأمثالهم قبل طلوع الفجر.

❖ الوجه السادس: النيابة في الرمي:

تعد النيابة في الرمي وجهاً من أوجه التيسير في رمي الجمرات، فقد يكون الحاج عاجزاً أو مريضاً أو محبوساً أو معذوراً فيجوز له أن ينيب غيره في الرمي عنه سواء في الجمرات كلها أو بعضها.

فعن جابر قال: حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم[٤٠].

وقد ذكر فقهاء الشافعية[٤١] الجواز في الاستنابة سواء كان النائب رجلاً أو امرأة، وسواء كان المرض مرجو الزوال أو غيره، وسواء استناب بأجرة أو بغيرها، وسواء كان المحبوس بحق أو بغيره، وهكذا في الصور الشبيهة بذلك.

وذكر الخرشي[٤٢] من المالكية في حاشيته لو أن الحاج رمى حصاة عن نفسه ثم رمى حصاة عمن معه ثم فعل كذلك في جميع الجمار الثلاث فإنه يجزئه، ولو رمى الجمرة بسبع حصيات عن نفسه ثم رمى بتلك الحصيات عن الصبي أو غيره ممن يرمي عنه، أو رمى عمن ذكر أولاً ثم رمى

بتلك الحصيات عن نفسه فإن ذلك يجزئ.

وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز أن يرمي النائب عن نفسه الجمرة ثم يرميها عن المستناب فقال: ويجوز للنائب أن يرمي عن نفسه ثم عن مستنيبه كل جمرة من الجمار الثلاث، وهو في موقف واحد، ولا يجب عليه أن يكمل رمي الجمار الثلاث عن نفسه ثم يرجع فيرمي عن مستنيبه في أصح قولي العلماء[٤٣].

❖ الوجه السابع: الكفارة في ترك الرمي:

لقد كان حكم رمي الجمار بكونه واجباً لا ركناً وجهاً من أوجه التيسير في فريضة الحج على الناس، كما كان الحكم في مشروعية إجزاء البدل في الكفارة عن ترك الرمي كله أو بعضه وجهاً آخر من أوجه التيسير على الحجاج، إذ قد يتعذر أن يرمي الحاج الجمرات كلها أو بعضها، فشرع التخفيف والتيسير، ويكون ترك الرمي على صور، الأولى: ترك الجمرات كلها، الثانية: ترك جمرة أو أكثر، الثالثة: ترك حصاة أو أكثر، وقد ذهب الفقهاء منهم الحنفية[٤٤] والمالكية[٤٥] والشافعية[٤٦] والحنابلة[٤٧] إلى أن ترك الجمرات كلها موجب للدم، فمن ترك رمي الجمرات عمداً أو سهواً، قاصداً أو ناسياً وجب عليه أن يذبح شاة، لأن الرمي واجب من واجبات الحج فمن تركه انجبر حجه بالدم، وبرئت ذمته من ذلك. فإن أبى فقد أثم وعصى، ويجب الدم لقوله ﷺ: "من ترك نسكاً فعليه دم"[٤٨].

وإن ترك جمرة أو أكثر فقد ذهب الحنفية[٤٩] إلى أن الحاج إن ترك رمي إحدى الجمار في اليوم الثاني فعليه صدقة لأن رمي الجمار الثلاث في اليوم الثاني نسك واحد فإذا ترك أحدها كان المتروك أقل فتكفيه الصدقة، وإذا كان المتروك أكثر من النصف فحينئذ يلزمه الدم، لأن ترك الأكثر كترك الكل، وبذلك فرمي كل يوم نسك، إن ترك أقله ففيه الصدقة، وإن ترك أكثره ففيه الدم، ولو ترك الأكثر في كل يوم فعليه دم واحد، لأن ترك الجمرات كلها فيه دم، فكذا ترك الأكثر في أيام الرمي.

وأما الصورة الثالثة لترك الرمي وهي ترك حصاة أو حصاتين فقد ذهب جمهور الفقهاء منهم الحنفية[٥٠] والشافعية[٥١] والحنابلة[٥٢] والظاهرية[٥٣] وطاووس[٥٤] إلى الصدقة خلافاً للمالكية[٥٥] الذين أوجبوا الدم بترك الحصاة، وخلافاً لما روي عن مجاهد[٥٦] أنه لا شيء على من

رمى بست.

وقد يستدل على عدم وجوب الكفارة في ترك الحصاة ما روي من حديث سعد ابن أبي وقاص قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجته، فبعضنا يقول: رميت بسبع، وبعضنا يقول: رميت بست فلم يعب بعضنا على بعض(٥٧). إلا أن الأخذ بالصدقة أولى وأحوط ، وهي مقدور عليها لدى الحجاج جميعاً.

❖ الوجه الثامن: الإجزاء في الرمي:

إن جزئيات الرمي كثيرة، ويمكن أية حالة في الرمي أن تشكل لدى الحاج تساؤلاً ثم تكبر حتى تصبح مشكلة تورقه ليبحث على حل لها، وينبغي على الحاج أن يتعرف على جميع الأحكام الفقهية حتى يستطيع إزالة أي إشكال يقع فيه، وإذا أجزأه فعل شيء ولو مع الكراهة فقد سقط عنه، وبرئت منه ذمته، ولا شك أن جزئيات الرمي ليست بمنزلة واحدة من حيث الأثر الشرعي.

ونبدأ ببيان صور الإجزاء في الرمي، وهي كثيرة، فترك مستحبات الرمي لا يبطله، وإن كان السعي لإتيان تلك المستحبات مستحب وفيه أجر وثواب، لكن ينبغي على الحاج أن يدرك فقه الأولويات، وأن يفاضل بين المستحب المراد إتيانه بمشقة وبين الأثر المترتب على الحجاج بسبب المشقة من فعل المستحب، ليقع الحاج بمخالفات ومحظورات شرعية نتيجة تمسكه برأي فقهي لفعل مستحب وقع الاختلاف فيه.

وتبدأ عملية رمي الجمار بأخذها من المزدلفة ولو أخذها من الطريق أو من أي موضع فهو جائز، كما يجزئ الرمي لو أخذها من موضع الجمرات، ولو رمى بما رُمي به من الجمرات فقد أجزأه على رأي فريق من الفقهاء(٥٨). وأن يكون الحجر مثل حصى الخذف فلو كان كبيراً أكبر من ذلك أو أصغر، فقد أجزأ لانطباق اسم الحجر عليه، كما يجزئ رمي الحجر النجس، ولو رمى بالطين أو التراب على شكل حجارة أجزأه على رأي الحنفية(٥٩)، لأنه من جنس الأرض التي أخذت منها الحجارة.

وعندما يصل الحاج جمرة العقبة الكبرى يقف في بطن الوادي جاعلاً الكعبة يساره ومنى يمينه، فيرميها سبع حصيات، واحدة فواحدة، يكبر مع كل حصاة ويدعو، ولا يشترط أن يكون مكان الرمي واحداً، فيرميها من أي جهة كانت،

ووقوف ابن عمر وغيره من الصحابة في بطن الوادي مستحب وليس واجباً، ولا يعني أن وقوف الآخرين في الجهات باطلاً، ولو ألزمنا الحجاج بالوقوف تجاه الجمرة كما وقف ابن عمر لما تمكن الحجاج جميعهم من الرمي ما بين طلوع الشمس إلى زوالها، وهذا يقودنا إلى التوسعة على الحجاج زماناً ومكاناً وكيفية وضمن شروط صحة الرمي، ثم يمكن للرامي أن يقف على أية مسافة وفي أي جهة يستطيع أن يرمي الجمرة منها، ولو رمى دون تكبير أو تهليل أو ذكر أو نحو ذلك أجزأه، وكيفما أمسك بالحصى ورمى فقد أجزأ دون التقييد بهيئة معينة.

وذهب الحنفية[٦٠] إلى أنه لو رمى الحصى فوقعت قريباً من الجمرة أجزأه، لأن هذا القدر مما لا يمكن الاحتراز عنه، وما قرب من ذلك المكان كان في حكمه لكونه تبعاً له، كما ذهب الحنفية[٦١] والحنابلة[٦٢] إلى أن طرح الحصيات مجزئ لأن الرمي وجد به، وحكى فريق من الشافعية منهم الرافعي وإمام الحرمين قولاً بالاعتداد بوضع الحجر في المرمى[٦٣]، وقد أشار الفقهاء إلى أنه لو رمى الحصاة فانصدمت بالأرض خارج الجمرة أو ثوب إنسان ثم ارتدت فوقعت في المرمى صح الرمي لوقوعها بفعله وقصده[٦٤]، ويقاس على هذه الحالة جواز استخدام الآلة في الرمي ما دام أنها توصل الحصى ويكون الرمي بها مقصوداً وهي تقوم مقام اليد.

ويجوز للرامي أن يستريح بين الجمرة والجمرة، وأن يتوقف في الرمي بين حصاة وأخرى، وقد ذكر الفقهاء أن الموالاة والتتابع بين الحصيات والجمرات مندوب[٦٥]، فلو رمى ثم استراح ثم رمى وهكذا فقد أجزأه، لكن جمهور الفقهاء منهم المالكية[٦٦] والشافعية[٦٧] والحنابلة[٦٨] وبعض الحنفية[٦٩] إلى أن الترتيب بين الجمرات شرط صحة فمن عكس الرمي وجب عليه الإعادة، وذهب أكثر الحنفية[٧٠] والحسن وعطاء[٧١] إلى أن الترتيب سنة، وبذلك يمكن للحاج الذي أخل بالترتيب ونسي وتعذر عليه الإعادة أو ربما يتمكن من الإعادة مع التضييق على نفسه وغيره أن يأخذ بالرأي الثاني.

❖ الوجه التاسع: السير دون تزاحم:

إن القيام بأعمال الحج ومناسكه قائم في أغلبه على الحركة والسير، والتنقل من شعيرة إلى أخرى، ويشكل السير المنضبط في حركة الحجيج وتنقلهم من منسك إلى

آخر وقيامهم بأداء النسك العنصر الأهم في تحقيق الهدف والوصول إلى المقصود دون مشقة وعنت، لأن الفوضى تربك العمل وتقتل الوقت وتضيع الشعيرة وتؤدي إلى نتائج سلبية، ولا شك أن الحركة المنضبطة ولو كانت بين الملايين تعطي نتيجة إيجابية، وأظن أن كثيراً من مشاكل الحجيج تحصل بسبب التزاحم والتدافع، وأن معرفة الحاج ما له وما عليه، ومتى يسير؟ وكيف يسير؟ يساهم مساهمة فعالة في حل مشكلة رمي الجمرات، كما يساهم في حل غيرها من المعضلات التي تواجه الحجاج.

وقد كان سير النبي ﷺ بهيبة ووقار بعيداً عن التدافع والتزاحم والفوضى، فإذا وجد فرجة أسرع، وهو يمشي بهدوء ووقار بما يتلاءم مع العمل وبما يتناسب مع الحال، فقد حدّث هشام عن أبيه قال: سئل أسامة وأنا شاهد، أو قال: سألت أسامة بن زيد وكان رسول الله ﷺ أردفه من عرفات قلت: كيف كان يسير رسول الله ﷺ حين أفاض من عرفة؟ قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نصّ[٧٢].

ومعنى الحديث أن النبي ﷺ كان يسير سيراً فيه إسراع لكن بوقار وسكينة بعيداً عن الفوضى والتدافع، فإذا وجد فرجة وفسحة أسرع أكثر مما كان عليه وبما لا يؤذي الناس، ولذلك قال النووي: وفيه من الفقه استحباب الرفق في السير في حال الزحام فإذا وجد فرجة استحب الإسراع، ليبادر إلى المناسك وليتسع له الوقت ليمكنه الرمي في حال الزحمة. وفسر معنى العنق والنص بأنهما نوعان من إسراع السير، وفي العنق نوع من الرفق، والنص فوق العنق، والفجوة: المكان المتسع[٧٣].

ولقد بعث النبي ﷺ أهله للرمي قبل الزحام كما جاء في رواية دفع النبي ﷺ ضعفة أهله قبل زحمة الناس[٧٤]، وهذا يدل على أن النبي ﷺ يرشد إلى التخفيف والتيسير والقيام بالشعائر بعيداً عن التزاحم، ولذلك ينبغي أن نؤدي النسك ما دام ممكناً، فإذا وجدنا ضيقاً انتظرنا، وإذا وجدنا فسحة بادرنا وأسرعنا ولكن دون تزاحم وتضييق على الحجاج.

وفي رواية ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس! عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع[٧٥].

ونزل النبي ﷺ بالمحصب أي الأبطح يوم النحر وصلى به الظهر، وكان بعض الصحابة يفعلانه، إلا أن عائشة وابن عباس كانا لا ينزلان به، وتقول عائشة: نزول الأبطح ليس بسنة إنما نزله رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح لخروجه إذا خرج(٧٦).

وقد رمى النبي ﷺ جمرة العقبة والجمرات بكل هدوء ويسر دون أن يصنع زحاماً أو يفتعل مشكلة أو يضيق على الناس، قال قدامة بن عبد الله: رأيت رسول الله ﷺ رمى الجمرة يوم النحر على ناقة له صهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك(٧٧).

الهوامش:

١. الكاساني: بدائع الصنائع ١٥٨/٢.

٢. الدردير: الشرح الصغير ٦١/٢، الصاوي: حاشية الصاوي ٥٩/٢، ابن رشد: بداية المجتهد ٣٤٧/٣.

٣. الشيرازي: المهذب ٧٩١/٢، النووي: المجموع ١٦٠/٨.

٤. ابن قدامة: المغني ٤٤٦/٣، المرداوي: الإنصاف ٤٣/٤، المهنا: مسائل الإمام أحمد٧٨٦/٢.

٥. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز تقديم الذبح على الرمي والحلق على الذبح وعلى الرمي وتقديم الطواف عليها كلها.

٦. البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الذبح.

٧. الشوكاني: نيل الأوطار ١٥٣/٥.

٨. سورة البقرة آية رقم ٢٠٣.

٩. ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع.

١٠. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣/٣.

١١. النووي: المجموع ١٥٣/٨و١٦٢ والإيضاح ص٣٥٤، الرملي: نهاية المحتاج ٤٢٩/٢، الشربيني: الإقناع ٢٣٦/١.

١٢. ابن قدامة: المغني ٤٢٩/٣، ابن مفلح: الفروع ٥١٣/٣.

١٣. أبو داود: سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب التعجيل من جمع.

١٤. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٧/٢، السرخسي: المبسوط ٦٤/٤، المرغيناني: الهداية ١٨٥/٢، الحلبي: ملتقى الأبحر٢١٦/١.

١٥. الخرشي: حاشية الخرشي ١٩٦/٣، الصاوي:حاشية الصاوي ٥٨/٢، الدردير: الشرح الكبير ٤٨/٢، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/٣، ابن رشد: بداية المجتهد ٣٤٤/٣.

١٦. ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب من من تقدم من جمع إلى منى لرمي الجمار. أبو داود: سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب التعجيل من جمع.

١٧. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة.

١٨. الصاوي: حاشية الصاوي ٥٨/٢، الخرشي: حاشية الخرشي ١٩٦/٣، الدردير: الشرح الكبير ٤٨/٢، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/٣، ابن رشد: بداية المجتهد٣٤٤/٣.

١٩. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٧/٢، السرخسي: المبسوط ٦٤/٤.
٢٠. النووي: المجموع ١٥٣/٨ والإيضاح ص٣٥٤، الرملي: نهاية المحتاج ٤٢٩/٢.
٢١. ابن قدامة: المغني ٤٢٩/٣، ابن مفلح: الفروع ٥١٣/٣.
٢٢. النووي: المجموع ١٥٣/٨.
٢٣. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٨/٢، الحلبي: ملتقى الأبحر ٢١٦/١.
٢٤. الدردير: الشرح الصغير ٦٥/٢، الصاوي: حاشية الصاوي ٦٥/٢، الخرشي: حاشية الخرشي ٢٠٧/٣، ابن رشد: بداية المجتهد ٣٥٢/٣، ابن جزيء: القوانين الفقهية ص٩٠.
٢٥. الشيرازي: المهذب ٧٩٦/٢، النووي: المجموع ٢٣٩/٨، الشربيني: الإقناع ٢٣٦/١.
٢٦. ابن قدامة: المغني ٤٢٩/٣، ابن مفلح: الفروع ٥١٣/٣، ابن ضويان: منار السبيل ٢٦٠/١، المرداوي: الإنصاف ٣٧/٤، ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية ١٤٠/٢٦، المقدسي: العدة ص١٩٨.
٢٧. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٧/٢، السرخسي: المبسوط ٦٨/٤، الحلبي: ملتقى الأبحر ٢١٦/١.
٢٨. ابن قدامة: المغني ٤٢٩/٣، ابن مفلح: الفروع ٥١٣/٣.
٢٩. البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الذبح.
٣٠. أبو داود: سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب التعجيل من جمع.
٣١. الشيرازي: المهذب ٧٩٧/٢.
٣٢. مالك: الموطأ، كتاب الحج، تقديم النساء والصبيان. السيوطي: تنوير الحوالك ٢٧٧/١.
٣٣. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة. ثبطة: ثقيلة الحركة. شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٩.
٣٤. النووي: شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٩.
٣٥- ٣٩- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة.
٤٠. ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الرمي عن الصبيان.
٤١. النووي: المجموع ٢٤٣/٨.
٤٢. الخرشي: حاشية الخرشي ١١١/٣.
٤٣. ابن باز: التحقيق والإيضاح ص٧٤.
٤٤. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٩/٢، السرخسي: المبسوط ٦٥/٤.
٤٥. الخرشي: حاشية الخرشي ٢٠٠/٣.
٤٦. النووي: المجموع ٢٤٠/٨.
٤٧. ابن قدامة: المغني ٤٩١/٣.
٤٨. مالك: الموطأ، كتاب الحج، باب ما يفعل من نسي من نسكه شيئاً.
٤٩. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٩/٢، السرخسي: المبسوط ٦٥/٤.
٥٠. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٩/٢، السرخسي: المبسوط ٦٥/٤.
٥١. النووي: المجموع ٢٤٠/٨، الشيرازي: المهذب ٧٩٨/٢.
٥٢. ابن قدامة: المغني ٤٩١/٣، المرداوي: الإنصاف ٤٧/٤.
٥٣. ابن حزم: المحلى ١٣١/١.

٥٤. الشوكاني: نيل الأوطار ١٤٥/٥.

٥٥. الخرشي: حاشية الخرشي ٢٠٠/٣.

٥٦. الشوكاني: نيل الأوطار ١٤٥/٥.

٥٧. النسائي: سنن النسائي، كتاب الحج، باب عدد الحصى التي يرمى بها الجمار. البيهقي: السنن الكبرى، كتاب الحج، باب من شك في عدد ما رمى.

٥٨. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١/٣، الحصني: كفاية الأخيار ١٣٨/١، الشيرازي: المهذب ٧٨٧/٢.

٥٩. الكاساني: بدائع الصنائع ١٥٧/٢، السرخسي: المبسوط ٦٦/٤.

٦٠. المرغيناني: الهداية ١٧٦/٢، ابن الهمام: فتح القدير ١٧٦/٢ ، الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٨/٢، السرخسي: المبسوط ٦٧/٤.

٦١. الكاساني: بدائع الصنائع ١٣٧/٢، السرخسي: المبسوط ٦٧/٤.

٦٢. المرداوي: الإنصاف ٣٣/٤.

٦٣. النووي: المجموع ١٧٣/٨.

٦٤. النووي: المجموع ٢٤٣/٨.

٦٥. الدردير: الشرح الصغير ٦٧/٢،الصاوي: حاشية الصاوي ٦٧/٢، النووي: المجموع٢٤٠/٨.

٦٦. الدردير: الشرح الصغير ٦٧/٢، الصاوي: حاشية الصاوي ٦٧/٢، الدردير: الشرح الكبير ٥١/٢، الدسوقي: حاشية الدسوقي ٥١/٢، الحطاب: مواهب الجليل ١٣٤/٣، ابن رشد: بداية المجتهد ٣٥١/٣، الخرشي: حاشية الخرشي ٢٠٩/٣، العدوي: حاشية العدوي ٢٠٩/٣، ابن جزيء: القوانين الفقهية ص٩٠، العك: موسوعة الفقه المالكي ٧٥/٣.

٦٧. الشيرازي: المهذب ٧٩٦/٢، النووي: المجموع ٢٣٩/٨ والإيضاح ص٤٠٥، الرملي: نهاية المحتاج ٤٣٣/٢، الحصني: كفاية الأخيار ١٣٧/١، الشربيني: الإقناع ٢٣٦/١.

٦٨. ابن قدامة: المغني ٤٥٢/٣، المرداوي: الإنصاف ٤٦/٤، ابن مفلح: الفروع ٥١٨/٣، ابن ضويان: منار السبيل ٢٦٠/١، المقدسي: العدة ص١٩٤.

٦٩. السرخسي: المبسوط ٦٥/٤.

٧٠. ابن الهمام: فتح القدير ١٨٣/٢، الكاساني: بدائع الصنائع ١٦٠/٢.

٧١. ابن قدامة: المغني ٤٥٢/٣، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣.

٧٢. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة واستحباب صلاتي المغرب والعشاء جمعاً بالمزدلفة في هذه الليلة. وانظر البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب السير إذا دفع من عرفة. مالك: الموطأ، كتاب الحج، السير في الدفعة

٧٣. النووي: شرح النووي على صحيح مسلم ٣٥/٩. العسقلاني: فتح الباري ٤٠٦/٣، السيوطي: تنوير الحوالك ٢٧٧/١.

٧٤. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة. ثبطة: ثقيلة الحركة. شرح النووي على صحيح مسلم٣٨/٩.

٧٥. البخاري: صحيح البخاري كتاب الحج، باب أمر النبي (بالسكينة وإشارته إليهم بالسوط. الإيضاع: السير السريع، العسقلاني: فتح الباري ٤١١/٣.

٧٦. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب نزول المحصب يوم النفر وصلاة الظهر وما بعدها فيه.

٧٧. ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب رمي الجمار راكباً.

الأيـام العشـرة المباركـات

■ بقلم الاستاذ أحمد زهران

خلق الله الزمان وفضّل بعضه على بعض، فخصّ بعض الشّهور والأيام والليالي بمزايا وفضائل يُعظم فيها الأجر، ويَكثر الفضل، رحمة منه بالعباد، وتجديد النشاط ليحظى المسلم بنصيب وافر من الثواب، فيتأهب للموت قبل قدومه ويتزود ليوم المعاد.

وهي مناسبات كثيرة من محض الجود، ومن بحر الكرم الممدود، من فاته واحدة منها كانت أمامه فرصة أخرى ليتدارك ما فاته، ويعوض ما ضاع منه. ومن هذه المناسبات العظيمة، عشر ذي الحجة، ويوم عرفة والحج.

ومن فوائد مواسم الطاعة سدّ الخلل واستدراك النقص وتعويضَ ما فات، وما من موسم من هذه المواسم الفاضلة، إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف الطاعة يتقرب بها العباد إليه، ولله تعالى فيها لطيفة من لطائف نفحاته، يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من طاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات؛. (ابن رجب في اللطائف ص٤٠).

❖ فضل العشرة من ذي الحجة:

١- أقسم الله تعالى بها: وإذا أقسم



الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى: **﴿والفجر ❖ وليال عشر﴾** الفجر: ١-٢، والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح.

٢- أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره: قال تعالى: **﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** الحج: ٢٨، وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

٣- أن رسول الله ﷺ شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا: فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فضل أيام الدنيا أيام العشر، يعني عشر ذي الحجة، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب» (رواه البزار وابن حبان وصححه الألباني).

٤- أن فيها يوم عرفة: ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً.

٥- أن فيها يوم النحر: وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء، قال ﷺ: «أعظم أيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر» (رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني، ويوم القر هو اليوم الذي يلي يوم النحر، لأن الناس يقرون فيه بمنى بعد أن فرغوا من الطواف والنحر واستراحوا).

٦- اجتماع أمهات العبادة فيها: قال الحافظ ابن حجر في الفتح: +والذي يظهر في السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكن اجتماع أمهات العبادةة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتي ذلك في غيره؛.

٧- هي الأيام التي أعطاها الله لموسى عليه السلام كي يتم ميقاته أربعين ليلة: قال تعالى: **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾** الأعراف: ١٤٢ .

وقد ورد هذا عن مجاهد ومسروق، فالحمد لله الذي هدانا لهذه الأيام وأضلهم عنها، فنحن أولى بموسى عليه السلام منهم.

٨- العمل فيها له منزلة عظيمة وفضل كبير عند الله تعالى:

٩- مضاعفة العمل الصالح: فعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أفضل عند الله، ولا العمل فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» (يعني من العشر) فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير وذِكر الله. وإن صيام يوم منها يُعدل بصيام سنة. والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف؛ (من الترغيب والترهيب للمنذري).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أحب إلى الله أن يُتعبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بسنة وكل ليلة منها بقيام ليلة القدر» (رواه ابن ماجة والترمذي).

❖ الأعمال الصالحة:

ومن الأعمال التي لا تغيب عن العاملين المسارعين للجنات:

١- التوبة الصادقة: فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** النور: ٣١.

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه» متفق عليه.

٢- العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام: فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهيأ له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** العنكبوت: ٦٩.

٣- الصلاة: يستحب التبكير إلى الفرائض والمسارعة إلى الصف الأول، والإكثار من النوافل، فإنها من أفضل القربات. فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة» (رواه مسلم) وهذا عام في كل وقت.

٤- الصيام: لدخوله في الأعمال الصالحة، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ، قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر» (رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي).

قال الإمام النووي عن صوم أيام العشر: «إنه مستحب استحباباً شديداً». وقال ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً» (متفق عليه).

٥- أداء الحج والعمرة: لقوله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه مسلم).

٦- الاعتكاف: ومن أبواب الخير المهجورة في هذه الأيام الفاضلة الاعتكاف، وهو اللبث في المسجد بنية الاعتكاف. وقد روى عبد الرزاق عن الصحابي يعلي بن أمية أنه قال: «إني لأمكث في المسجد الساعة وما أمكث إلا لأعتكف» وعلى هذا فمن تيسر له الجلوس في المسجد فليحرص على استحضار نية الاعتكاف بقدر ما يستطيع.

وللاعتكاف فوائد كثيرة، فهو يبعد النفس عن شغل الدنيا، وفيه يستغرق العبد وقته في الصلاة أو انتظار الصلاة، وفيه التشبه بالملائكة والتعرض لصلاتهم على المرء الذي يجلس في مصلاه ينتظر الصلاة.

٧- التكبير والتهليل والتحميد: فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد» (رواه أحمد). وقال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً.

ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به.

٨- الإكـثـار من الاعـمـال الصـالحـة عـمـومـاً: لقـولـه ﷺ: «مـا من أيام العـمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، يعنى أيام العشـر..» ومن الأعمال الصالحة التي غفل عنها بعض الناس: قـراءة القـرآن وكـثـرة الصـدقـة، والإنـفـاق على المسـاكين، والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والصـدقـة، وإغـاثة الملهـوف، وإطعـام الجـائع، وتفـريح المؤمن وإدخال السـرور على نفسـه وطرد الهم عنه مما يحبه الله تعالى، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رجـلاً سـأل رسـول الله ﷺ أي النـاس أحب إلى الله وأي الأعـمال أحب إلى الله فـقال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب العمل إلى الله، سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه ديناً أو أتطرد عنه جوعاً».

٩- الحــرص على أداء صــلاة العـيـد: فعلى المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى، وحضور الخطبة والاستفادة، وعليـه مـعـرفـة الحكمـة من شـرعـيـة هذا العيد، وأنه يوم شكر وعمل بر، فـلا يجعله يوم أشر وبطر ولا يجعله موسم معصية.

١٠- الأضـحية: والأضـحية شكر لنعمة الله تعـالى، وإحـيـاء لسنة خليله إبراهيم عليه السلام وفيـهـا تذكر مـعاني الصبـر، وتقـديم محبة الله تعالى على شهوة النفس، وفيها توسعة على الأهل والجار والفقير.

فـإن كنت ممن وسـع الله في رزقـه فاحـرص علي الأضحية، فقد ورد ذلك في الكتـاب والسنة، قال تعـالى: ﴿**فصل لربك وانحـر**﴾ الكوثر: ٢، المعنى صل العـيـد وانحـر البدن، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس أن رسـول الله ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر».

❖ قالوا عن الايام العشرة:

١- «لا تطفـئوا سـرجكم ليـالي العـشـر» كناية عن القـراءة والقيام (سعيد بن جبير رحمه الله).

٢- «السـبب في امـتـيـاز عـشـر ذي الحجة: لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصـلاة والصـيـام والصـدقـة والحج، ولا يأتي ذلك في غيره» (ابن حجر رحمه الله).

٣-«لما كـان الله سـبـحـانه قـد وضع في

نفوس عباده المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين» (ابن رجبرحمه الله).

٤- سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟ فأجاب: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة».

٥- قال المحققون من أهل العلم: أيام عشر ذي الحجة أفضل الأيام، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل الليالي.

٦- «كان يقال: أيام العشر بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم» (أنس بن مالك رحمه الله).

٧- «بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة يصام نهارها ويحرس ليلها إلا أن يختص امرؤ بشهادة» (الإمام الأوزاعي رحمه الله).

❖ يوم عرفة:

لقد شرف الله تعالى هذا اليوم وفضله بفضائل كثيرة نذكر منها:

١- **أنه أفضل الأيام:** لحديث جابر عن النبي ﷺ قال: «أفضل الأيام يوم عرفة» (رواه ابن حبان).

وروى ابن حبان أيضاً من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَومِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ» وفي رواية: «إِنَّ اللهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَةَ مَلاَئِكَتَهُ، فَيَقُولُ: يَا مَلاَئِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، قَدْ أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ».

٢- **أقسم الله به في القرآن:** قال الله تعالى: ﴿**والفجر ❖ وليال عشر**﴾ (الفجر: ١-٢). وأكثر المفسرين على أن الفجر فجر يوم عرفة، وقال السيوطي: هو فجر كل يوم. وقيل: هو فجر أول يوم من المحرم أو فجر يوم النحر أو فجر أول يوم من ذي الحجة، وأما الليالي العشر: فأكثر المفسرين على أنها عشر ذي الحجة. وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان وقيل هي العشر الأوائل من المحرم.

٣- أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة: روى البخاري بسنده: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت وأين كان رسول الله ﷺ حين أنزلت: نزلت يوم عرفة إنا والله بعرفة قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ المائدة: ٣.

وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله فلم يختلطِ بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد.

وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ الفتح: ٢ .

٤- إنه يوم عيد: فعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب» (رواه أبو داود).

٥- صيامه يكفر سنتين: قال النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده» (رواه مسلم) فيستحب صيامه لغير الحاج، أما الحاج فلا ينبغي أن يصومه حتى يتقوى على الوقوف وذكر الله تعالى.

٦- أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء» قال ابن عبد البر: وهو يدل على أنهم مغفور لهم لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا بعد التوبة والغفران.

❖ من أدعية يوم عرفة:

- قال ﷺ: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» (رواه الترمذي).

- وعن علي بن أبي طالب كـــرم الله وجهه، قال: أكثر ما دعا به النبي ﷺ يوم عرفة في الموقف: «اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي ولكربي تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح». (رواه الترمذي).

وبعد؛ فعلى المسلم أن يعرف قدر عمره وقيمة حياته، فيكثر من عبادة ربه، يواظب على فعل الخيرات إلى الممات، قال الله تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ الحجر: ٩٩، قال المفسرون اليقين: الموت.

ومن ثم يحرص على مواسم الخير فإنها سريعة الانقضاء، وليقدم لنفسه عملاً صالحاً يجد ثوابه أحوج ما يكون إليه: إن الثواب قليل، والرحيل قريب، والطريق مُخَوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمآب ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ❖ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾.

فالغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، فما منها عِوَضٌ ولا تُقدَّر بقيمة، المبادرةَ المبادرةَ بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، وقبل أن يندم المفرّط على ما فعل، وقبل أن يسأل الرّجعة فلا يُجاب إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمِّل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء محبوساً في حفرته بما قدَّم من عمل، فهيا يا من ظلمة قلبه كالليل إذا يسري، أما آن لقلبك أن يستنير أو يستلين، تعرّض لنفحات مولاك في هذه العشر، فإن لله فيها نفحات يصيب بها من يشاء، فمن أصابته سَعِد بها يوم الدّين.

ستندم أن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المنادي
فما لك ليس يعمل فيك وعظ
ولا زجر كأنك من جمادي
فتب عما جنيت وأنت حي
وكن متيقظاً قبل الرقاد
أترى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

آداب الحاج

■ بقلم الدكتور حبيب معلا اللويحق

ايها الحاج المبارك، هذه آداب الحج وانت على هبة المسير اليه، يحدو بك شوق ويُعمل رواحلك استجابة لنداء الخليل عليه السلام وهي ليست آداباً فحسب، بل تباشير قبول وعلامات رضا، فإليك هذه الآداب والتباشير:

❖ **الاخلاص:**

انك ايها الحاج المبارك مغادر الى بيت الله الحرام فاحرص على ان تريد وجه الله وتطلب ما عنده، وتلبي نداءه، واحذر ان تقطع هذه المسافات وتتكبد هذا العناء رغبة في مجد دنيوي او ربح مادي، او حرصاً على مدح او ثناء من أحد، اذ لو كنت كذلك فلن تكون في سجل المقبولين السعداء، لكن كيف تصل الى الاخلاص الصادق في هذه الشعيرة العظيمة؟

تصل الى الاخلاص الصادق بأن تجعل الله عز وجل نصب عينيك وملء قلبك منذ اللحظة الأولى التي تنوي فيها أداء هذا النسك العظيم، ولا تلتفت لأي مقصد دنيوي، بل كل ما في خُلدك تلبية نداء الله عز وجل، ورجاء ان يكون لك نصيب من قوله ﷺ: «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة» رواه مسلم، ومن قوله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه.

نعم.. يجب ان يكون هذا هو قصدك، وليس قصدك ان يقال لك: الحاج فلان، او يثني عليك احد، بل كل ما تريده القبول والرضوان.

❖ استشعار العبودية:

الحج توحيد كله من أول النية الى أوبة الحاج الى دياره، كل منسك فيه، وكل حركة وكل سكنة انما هي لإقامة شعائر الله، فإذا ملأت قلبك بهذا المعنى ايها الحاج الكريم، استشعرت معنى التذلل والخضوع لله تعالى، وتعبيد نفسك وجوارحك ومشاعرك وحياتك كلها له عز وجل، عندها يثمر الحج في فؤادك، وتكون من اهل القبول، أرأيت الحاج الذي يدخل في النسك خاشعاً ملبياً معظماً شعائر الله؟؟ هل يستوي هو ومن يلبي ويؤدي الشعائر كما يؤدي اي عمل دنيوي؟ لا يستويان أبداً، إنك لو استشعرت معنى العبودية والاستجابة لأوامر الله لاحتملك نصب الطريق وعناء الزحام ومشقة التكاليف.

❖ اختيار النفقة الحلال:

ايها الحاج الكريم؛ تأمل معي هذا الحديث العظيم عن النبي ﷺ: «اذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، واذا خرج بالنفقة الحرام الخبيثة، ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء، لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام وراحلتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور» رواه الطبراني.

نعم.. لماذا الأول فاز بالقبول، والثاني رد حجه على وجهه؟؟ الجواب: لأن الاول تجنب المال الحرام في حياته كلها، وفي نفقة حجه على وجه الخصوص، والثاني اكل المال الحرام من الربا والرشوة او الغصب او أثمان السلع المحرمة وأخذ منها نفقة حجه.. أرأيت خطورة النفقة في الحج؟! انها تجعل الحج مردوداً على صاحبه قبل ان يبدأ فيه اذا كانت من مصدر محرم.. فعليك ايها الحاج تجنب الحرام، واختيار النفقة الطيبة المباركة.

❖ التوبة:

أخي الحاج الكريم.. انت مقبل على تغيير كبير في حياتك، مقبل على الحج الذي ان قبلت فيه رجعت من ذنوبك كيوم

ولدتك أمك.. فما اجمل ان تستقبل هذا التحول الضخم في حياتك بتوبة نصوح تمحو ما قبلها من الذنوب، يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** المؤمن مأمور بالتوبة على كل حال، وهو مأمور بها في مثل هذه المقامات على وجه الخصوص، وذلك بالاقلاع عن جميع الذنوب والمعاصي وتركها والندم على كل ما مضى منها والعزم على عدم العودة اليها ورد مظالم الناس المالية والمتصلة بالأعراض والتحلل منها.

فإذا فعلت هذا ايها الحاج المبارك وأنت مقبل على هذا النسك العظيم فلن تحرم القبول بإذن الله عز وجل.

❖ اختيار الرفقة الصالحة:

من اعظم ما يبلغك بشائر القبول ان تختار رفقة صالحة تدلك على الخير وتعينك عليه، فإنهم من خيار الأعوان لك في سفر الحج المبرور، رفقة تسلك بك طريق السنة في كل مناسك الحج وترشدك فيها الى كل خير، رفقة لا يضيعون لحظات الحج الثمينة في اللغو والكلام الباطل واقتراف المحرمات، رفقة يحرصون على سلامة نسكهم من البدع والانحرافات، رفقة يعظمون شعائر الله ويقفون عند حدوده.. رفقة يلتزمون آداب السفر وأدعيته المعروفة ويعلمون أنهم وفد الله وضيوفه، فلا يخدشون هذا الشرف الباذخ باللهو الباطل، والفوضى الجارحة، رفقة يحجون حجاً يبلغ بهم رضوان الله تعالى.. نعم هؤلاء هم من يستحقون ان يحج المرء معهم سواء أكان ذلك في حملة أم في ما دون ذلك.

❖ معرفة أحكام المناسك:

أيها الحاج المبارك.. ان من اعظم ما يعينك على بلوغ الحج المبرور معرفة أحكام المناسك، حتى تعبد الله على بصيرة وعلم وحتى لا تقع في الأخطاء التي قد تفسد عليك حجك، ويكون ذلك بسؤال اهل العلم الموثوقين الذين عرفوا باتباعهم لسنة النبي ﷺ، كما يكون بالاطلاع على كتب احكام المناسك التي تجمع هدي النبي ﷺ في الحج وتستدل بالقرآن والسنة على أركان الحج وواجباته وسننه وتبتعد عن البدع والمنكرات وتنهى عنها.

❖ الصبر:

الصبر.. من اعظم صفات المؤمنين،

ولذلك قـــال الله تعـــالى: ﴿**انما يوفى الصـابرون أجرهم بغيـر حسـاب**﴾، واذا كان الصبـر يصحب المؤمن في حياته كلها فإنه يتجلى في الحج في اعظم صوره، فـالحاج المؤمن الصـادق يوطن نفسـه على تحـمل مشقة السفر وصعوبته، ويحتسب ذلك في ميـزان الحسنات عند الله عز وجل، فـلا يتأفف من حر او قلة طعام او طول طريق، ولا يبطل عمله بالمن والأذى وضيق الصدر ومدافعة المسلمين بيده ولسانه، ولا يتضايق من زحام الناس وتعاقب الاعمال ومشقة اداء المناسك، فهو لم يذهب لنزهة او ترفيه بل هو قاصد رضوان الله تعالى، ويعلم ان الصبـر على طاعة الله عز وجل، اعظم انواع الصبـر، ويعلم ايضاً ان الصبـر من اعظم دلائل احتساب الأجر والنظر الى موعود الله عز وجل في الدار الآخرة، فلذلك يصبر ويصبر.. والعاقبة للمتقين.

❖ تعظيم شعائر الله:

قال الله تعالى: ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فـإنهـا من تقـوى القلوب**﴾ ان تعظيم شعائر الله عز وجل من اعظم دلائل التقوى الصادقة، وأنت أيها الحاج الكريم وافـد بيت الله بكل شوق واجلال، وتعظم شعـائر الله باتباع سنة نبيه ﷺ فيها، وتعظم شعائر الله بتعظيم هيبتها في النفوس، وتعظم شعائر الله بغض البصر عما حرم الله عز وجل باتقائك محارمه وبحفظ لسانك وجوارحك عن كل ذنب، حتى لا يكون حجك أوزاراً وذنوباً تحملها على ظهرك، وتعظم شعـائر الله عز وجل بالنظافة الجسدية والحفاظ على نظافة المشاعر، وتعظم شعـائر الله عز وجل بحسن الخلق والاحسان الى المسلمين، وتعظم شعائر الله عز وجل بعدم إيذاء عباد الله حجاج بيته العتيق، وتعظم شعائر الله تعالى بالدعوة الى الله ونصح المسلمين وتعليمهم ما تستطيع من أمور دينهم في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم.

❖ حسن الخلق:

اخي الحـاج الكريم؛ وطن نفسك على هذه الخصلة العظيمة «حسن الخلق» فإنها سبب لرضوان الله تعالى وقبول الحج منك في رحلتك الميمونة هذه، حسن الخلق يحملك على الاحسان الى اخوانك حجاج بيت الله الحرام، تحسن اليهم بإعانة ضعيفهم وسد حاجة محتاجهم وإغاثة ملهوفهم ودلالة تائههم وإسعاف جريحهم

ورحمتهم والرفق بهم، وتحسن اليهم بكف أذاك عنهم وعدم مزاحمتهم والصبر على زلاتهم واحتمال الأذية من جاهلهم، وتحسن اليهم بالبسمة الرضية في وجهك والطلاقة في محياك.

حسن الخلق يشمل ابواب الخير كلها، ويتجلى حقاً في الهدوء وعدم الاستعجال والايثار وان تحب لأخيك ما تحبه لنفسك.

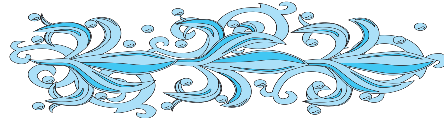
ان الحاج المستعجل الذي يزاحم الناس ويخالف الأنظمة ولا يرحم الضعيف وذا الحاجة، ليس له نصيب من حسن الخلق، وان الحاج الذي يجعل شعاره في الحج «نفسي نفسي» ليس له نصيب من حسن الخلق، والحج المبرور ثمرة لحسن الخلق فيه.

❖ العزم على بدء حياة جديدة:

من اعظم آداب الحاج وتباشير القبول فيه، ان يصحبك عزم مكين من اول لحظة تنوي فيها الحج الى أوبتك الى دارك، على بدء حياة جديدة بعد الحج وألا تكون حياتك بعد الحج كحياتك قبله، ان ذلك هو سر القبول وهو معنى الأثر التغييري الكبير الذي يحدثه الحج في نفوس من شرفهم الله تعالى بالقبول فيه.

فالحاج الذي كان يتخلف عن الصلاة قبل الحج لا تفوته صلاة الجماعة بعد الحج، والحاج الذي كان يتهاون بالحرام قبل الحج لا يقربه بعد الحج، والحاج الذي كان قاطعاً لرحمه عاقاً لوالديه، تجده بعد الحج من اهل صلة الأرحام ومن أبر الناس بوالديه، والحاج الذي يشاهد الحرام ويستمع للحرام، تجده بعد الحج بعيداً عنه كل البعد نافراً منه أشد النفور، والحاج الذي كان يكذب ويغش لا تجده كذلك بعد الحج.. وهكذا.

اما من عاد الى الحرام وارتكاب الموبقات وكأن شيئاً لم يكن فهو في حرمان عظيم، تقبل الله طاعتنا وتجاوز عن تقصيرنا وجعلنا من المقبولين عنده، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.



حــول ركن الحج وأعماله

■ بقلم الشيخ محمد عبد الله الخطيب

المنافع التي يشهدها المسلمون في الحج ليست قاصرةً على أمور قريبة، بل إنها وراءَ ذلك أكبر وأشمل، إنها اليقظةُ الضخمة التي يولدها ذلك الحُداء العظيم في الحج: «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك».

كتب أحد المبشِّرين عن العقبات التي تقف في طريقهم وتَحُول بينهم وبين الوصول إلى تضليل المسلمين، فقال: سيظل الإسلام صخرةً عاتيةً تتحطم عليها سفنُ التبشير النصراني ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربعة:

١- القرآن

٢- والأزهر

٣- واجتماع الجمعة الأسبوعي

٤- ومؤتمر الحج السنوي

لا أحد يستطيع أن ينكر الفوائد العظيمة التي تعود على هذه الأمة من اجتماعهم في مكان واحد، وقد سَعَوا إليه متجردين من كل شيء، تاركين المال والولد والأهل والوطن، إن المسلمين من القارات الخمس يتوجهون نحو الكعبة المقدسة؛ طاعةً لله وتلبيةً لأمره، ويلتقون في هذا المكان الطاهر فتنشأ بينهم صلاتُ الود وتربط بينهم معاني الأخوَّة والحب، فلا عجبَ إذا اعتبر المبشِّرون أن هذا العمل يشكِّل عقبةً كئوداً في طريقهم، ويحُول



بينهم وبين الهدف الخبيث الذي يسعَون إليه، وهو تشكيك المسلمين في دينهم وإسلامهم، بل ومحاولةُ إخراجِهم منه.

❖ شعائر ومسئوليات:

إن أعمالَ الحج وشعائرَه فرضها الحق سبحانه وتعالى في زمن محدودٍ ومكانٍ معيَّن، يتعلم منها المسلمون العبوديةَ الكاملة للخالق عز وجل على مستوى الفرد والأمة، وما تحمله هذه الشعائر من تعظيم لأول بيت وُضع للناس تهوي إليه أفئدتُهم من جميع أنحاء الدنيا، إنما يُشعر بوحدة المنبع ووحدة المصير والغاية.

❖ الحج من مظاهر وحدة الأمة:

شعائر الحج تربِّي في المسلم معاني العدالة والمساواة والعبرة والذكرى، واستحضار البطولات التي قام بها الغرُّ الميامين، سواء في ميدان الصبر والتحمل والمصابرة على المكاره، أو كان ذلك في ميادين الجهاد والهجرة.

إن هذه الشعائر وكل أعمال الحج -بما تحمله من معان وبما تهيِّئ من قدرة على استئناف العمل للإسلام- لَتضع المسلم الذي يبغي وجهَ الله والدارَ الآخرةَ، أمام مسئولياته بالنسبة لهذا الدين، فعلى مستوى الفرد لا بد أن تتحركَ إرادتُه ويَشعُرَ بحقٍّ أنه اللبنة الأولى في البناء، يجب عليه أن يُصلح نفسه ثم يدعو غيرَه إلى ما آمن به، وإن تاريخ الإسلام يقول لنا: إن بداية هذا الطريق كانت فرداً آمَنَ ثم ضحَّى في سبيل ما آمن به، وكانت حياتُه صورةً صادقةً لما يدعو إليه، لم يأبه لعاداتٍ ولم يرضخ لعُرف، ولم ينهزم أمام الشهوات، ولم يشرك مع الله أحداً.

إنه الفرد الذي تلقَّى الإسلام دعوةَ عمل وجهاد، حتى كان شعاره: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** التوبة: ١٠٥، يقول الشاعر المسلم:

لم يشربوا الدين أوراداً ومسبحةً
بل أشربوا الدين محراباً وميداناً
دفعوا ضريبتهم للدين من دمهم
والناس تزعم نصر الدين مجَّاناً

هذا على مستوى الفرد، أما على مستوى الأمة فلا بد من أن يمتد البصر،

وتتفتح القلوب، ويوجد الوعي، لنبصرَ مصدر العزة، ولنرى النورَ من جديد، ولتؤديَ الأمةُ دورَها من جديد.

لا بد من الإدراك الكامل حتى نعي ما يدبره أعداء الإسلام للإسلام، وأن نصغ إلى صوت النذير هنا وهناك، لتُدركَ الأمةُ المسلمة أيَّ دورٍ ينتظرُها، كل ذلك على أساس أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها، وأن الله جل جلاله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم.

ومجرد الشك في قدرة الإسلام على إيجاد المجتمع الفاضل، والمدنية الراقية تقف في طريقهم وتَحُول بينهم وبين العدالة الاجتماعية.. إنما هو استسلامٌ لما يقوله أعداء هذا الدين، وما تردده أجهزتهم من أجل تثبيت هذا المعنى في داخل المسلمين، إنهم ينفقون آلاف الملايين على بث روح الاستسلام للواقع المهين البائس الذي يعيشه المسلمون.

إن الإسلام هو الصخرة العتية التي عرف عنها الأعداء بعد دراسة مستفيضة الكثرة، وأدركوا مدى صلاحيتها للبقاء في شريعته الخالدة، ونظامه الدقيق، وعقيدته السمحة.

وهو اليوم يُخيفهم ويؤرِّقهم، ويخشون أن يُشغل في أبنائه نورَ الحياة من جديد، عندئذ تذوب كل الأوهام والأباطيل التي صنعوها، ويزول الركام من الطريق، هذه هي الطامة الكبرى في نظر أعداء الإسلام.. إن الفرد -مهما كانت قوته- ضعيفٌ بنفسه قويٌّ بأخيه، ويدُ الله مع الجماعة.

❖ الأمة الواحدة:

وفي الحج نرى معنى الأمة الواحدة واضحاً كالشمس، وحدتها في الشعائر، ووحدتها في الهدف، ووحدتها في العمل، ووحدتها في القول، لا عنصرية ولا عصبية ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠، إنهم جميعاً مسلمون مؤمنون برب واحد، يطوفون حول بيت واحد، ويقرأون كتاباً واحداً، ويتبعون رسولاً واحداً.. فأي وحدةٍ أعمقُ من هذه؟!

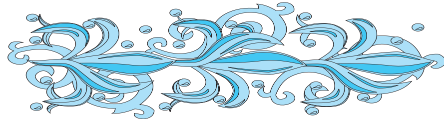
إن شعائرَ الحج جديرةٌ بأن توقظَ المسلمين من نومهم لكي يعتزُّوا بإسلامهم،

ويسخِّروا ما أعطاهم الله من قوة وجاه في سبيل هذا الدين العظيم، وإن الحج لو أدركنا معناه لخرجنا من المجال النظري الضيق إلى الميدان العملي الفسيح للإسلام، حتى ننجو من عواقب الوصول إلى تضليل المسلمين، فتنتظر إلى المسؤولية الكبرى أمام أحكم الحاكمين في ساعات الهول والتي قال الله تعالى عنها: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ على أفواههم وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** يس: ٦٥، **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾** الفرقان: ٢٧، ويقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿لِيشهدوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللهِ في أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾** الحج: ٢٨ ، ويقول جل جلاله: **﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** الحج: ٢٩ .

❖ الخلاصة من العبودية:

والحق أن حكمة الله البالغة تأبى أن تكون المنافع التي يشهدها المسلمون في الحج قاصرةً على أمور قريبة، بل إنها وراء ذلك أكبر وأشمل، إنها اليقظة الضخمة التي يولدها ذلك الحداء العظيم في الحج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك».

هي العتق والخلاص من كل عبودية لغير الله عز وجل، كما أن حكمة الله تأبى أن تكون إزالةُ التفث قاصرةً على إزالة ما علق بالجسم من أدران أو أوساخ، إنما هي إلى جانب هذا المعنى إزالة العقبات والركام الذي يقف في طريق الحق أيضاً. يقول القرطبي في تفسيره **﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾** أي الإسلام هو الصخرة العتية التي عرف عنها الأعداءُ الكثيرَ، وهواليومَ يُخيفهم ويؤرِّقهم، ويخشَون أن يشعل في أبنائه نورَ الحياة من جديد المناسك كعرفات، والمشعر الحرام، وقيل: المغفرة، وقيل: التجارة، وقيل: هو عموم، أي ليَحضُروا منافع لهم، أي ما يُرضِي الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة.



٢

عقوبة المعتدين على الآمنين

في ضوء آية الحرابة وحديث العرنيين

■ بقلم الدكتور محمد الرعود

والدكتور شحادة العمري

■ المبحث الثالث: الإفساد والمفسدون في آية الحِرابة، وفيه مطلبان:

● **المطلب الأول: معنى الإفساد في آية الحِرابة.**

جاءت جملة ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ معطوفة على أختها جملة ﴿يحاربون الله ورسوله﴾ بواو النسق، فظهرت بلاغة الوصل واضحة في هذا النسق القرآني المُعجِز، ذلك لأن عطف الجمل كعطف المفردات، يجب العطف إذا توافر الاشتراك والتغاير، وهو متحقق بين هاتين الجملتين الفعليتين، فقد بدئت الجملة الأولى بالفعل المضارع يحاربون لإفادة التجدد واستحضار الصورة، وكذلك الحال في الفعل المضارع ﴿يسعون﴾" وبه يتعلق قوله تعالى: ﴿في الأرض﴾.

والمتدبر صيغة الفعلين وما يدلان عليه من دلالات، يَشعُرُ بأن أهل الحِرابة قد شذوا عن الصراط المستقيم، واتبعوا سبل الشيطان فاعتدوا على العباد، وأفسدوا البلاد. ولله در العلامة ابن عاشور الذي تسمّع لحسيس السياق وبلاغة الوصل بين الجملتين فقال: "وعُطف **﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾** لبيان القصد من حربهم الله ورسوله، فصار الجزاء على مجموع الأمرين، فمجموعُ الأمرين سببٌ مركّب

للعقوبة، وكلّ واحد من الأمرين جزءُ سبب لا يقتضي هذه العقوبة بخصوصها"(٤٠)، وفي إعراب ﴿فساداً﴾ عدة وجوه، أصحها وجهان: "إما حال من فاعل ﴿يسعون﴾ بتأويله مفسدين.. وإما مفعول له، أي لأجل الفساد.."(٤١)، من إتلاف الأنفس بالقتل، ونهب الأموال بالسطو، فأهل الحرابة يقتلون الرجل لأجل دراهم معدودة يحملها، أو ثياب قشيبة يلبسها، والحوادث التي تقع في بلاد المسلمين شرقاً وغرباً مثال واضح على دقة الاستعمال القرآني لكلمة ﴿فساداً﴾ التي تحمل في مادتها وصيغتها إعجازاً بيانياً رائعاً، فقد جاءت الكلمة منكرة لتفيد أن فساد أهل الحِرابة في الأرض فسادٌ عظيم، فيه القتل، والسطو، والرعب، وهذه عوائق وعقبات تواجه الإنسان في الأرض، وتعيقه عن البناء والعطاء لنفسه وأهله، ومجتمعه، والإنسانية جمعاء.

● المطلب الثاني: المفسدون في آية الحِرابة هم المعتدون على الآمنين:

اختلف العلماء في بيان من يُطلق عليه اسم المُحارب، نظراً لاختلافهم في زمان ومكان وقوع الحِرابة، وحالة منْ يقوم بها، قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

"اختلف العلماء فيمن يستحق اسم المحاربة؛ فقال مالك: المحارب عندنا من حمل على الناس السلاح في مصر أو في بريّة وكابرهم عن أنفسهم وأموالهم دون نائرة ولا ذحل ولا عداوة(٤٢)؛ قال ابن المنذر: اختلف عن مالك في هذه المسألة، فأثبت المحاربة في المصر مرة، ونفى ذلك مرة".

ثم قال القرطبي: "وقالت طائفة: حكم ذلك في المصر أو في المنازل والطرق وديار أهل البادية والقرى سواء وحدودهم واحدة؛ وهذا قول الشافعي وأبي ثور؛ قال ابن المنذر: كذلك هو لأن كلا يقع عليه اسم المحاربة، والكتاب على العموم، وليس لأحد أن يُخرج من جملة الآية قوماً بغير حُجة".

ثم قال: "وقالت طائفة: لا تكون المحاربة في المصر إنما تكون خارجاً عن المصر؛ هذا قول سفيان الثوري وإسحاق والنعمان".

ثم ختم كلامه بقوله: "والمغتال كالمحارب وهو: الذي يحتال في قتل إنسان على أخذ ماله، وإن لم يُشهر السلاح لكن دخل عليه بيته أو صحبه في سفر فأطعمه سمّاً فقتله فيقتل حداً لا قَوَداً"(٤٣)، وهو ما

رجحه شيخ الاسلام ابن تيمية، قال في مسألة الغيلة: "قولان للفقهاء: أحدهما: أنهم كالمحاربين، لأن القتل بالحيلة كالقتل مكابرة، كلاهما لا يمكن الاحتراز منه، بل قد يكون ضرر هذا أشد لأنه لا يدري به. والثاني: أن المحارب هو المجاهر بالقتال، وأن هذا المغتال يكون أمره إلى ولي الدم".

ثم قال ابن تيمية في ترجيحه: "والأول: أشبه بأصول الشريعة، بل قد يكون ضرر هذا أشد لأنه لا يدري به.."[٤٤].

وأما القاضي ابن العربي فله كلام في هذه المسألة، يعد من عيون الكلام في دقة استنباطه واستنطاقه، قال رحمه الله تعالى: ".. وأما قول مَنْ قال: إنه سواء في المصر والبيداء فإنه أخذ بمطلق القرآن. وأما من فرق فإنه رأى أن الحِرابة في البيداء أفحش منها في المصر لبعد الغوث في البيداء وإمكانه في المصر".

ثم ختم القاضي ابن العربي كلامه باختيار القول الراجح الذي يتفق وظاهر سياق الآية الكريمة، فقال: "والذي نختاره أن الحِرابة عامة في المصر والقفر، وإن كان بعضها أفحش من بعض، ولكن اسم الحرابة يتناولها ومعنى الحرابة موجود فيها، ولو خرج بعضاً مَنْ في المصر لقُتل بالسيف ويؤخذ فيه بأشد ذلك لا بأيسره، فإنه سُلب غِيلة، وفعلُ الغِيلة أقبح من فعل الظاهرة، ولذلك دخل العفو في قتل المجاهرة، فكان قصاصاً، ولم يدخل في قتل الغِيلة، وكان حدّاً؛ فتحرر أن قطع السبيل موجب للقتل في أصح أقوالنا خلافاً للشافعي وغيره"[٤٥].

هذا، واشترط الفقهاء شروطاً رأوا وجوب توافرها في المحاربين حتى يحكم عليهم بحد الحرابة منها: الالتزام بأحكام الإسلام، والتكليف، والذكورة، وحمل السلاح، وأن يكون خارج العمران وغيرها مما تجدها في المطولات من كتب الفقه، هذه الشروط ارتأينا عدم الدخول في تفصيلاتها، وإنما اكتفينا بالنظم القرآني؛ لأن أغلب هذه الشروط من الممكن مناقشتها، فمن اشترط الذكورة نظر إلى هذا الشرط من زاوية معينة في زمن معين، لكن أليس من الممكن أن تكون المرأة ذات سطوة وقوة وحيلة ومن ثم تقتل وتأخذ المال، ألا تنطبق عليها شروط المحاربة عندئذ!.

ومن المفسرين المعاصرين الذين أجادوا وأفادوا في بيان معنى الآية الكريمة، وناقش أقوال الفقهاء في بعض شروطهم

التي اشترطوها الأستاذ محمد رشيد رضا، قال في تفسير المنار: ".. إن الآية تدل دلالة صريحة على أن هذا العقاب خاص بمن يفسدون في الأرض بالسلب والنهب أو القتل، أو إهلاك الحرث والنسل، ومثل ذلك أو منه الاعتداء على الأعراض، إذا كانوا محاربين لله ورسوله بقوة يمتنعون بها من الإذعان والخضوع لشرعه.. فمن اشترط حملهم السلاح أخذ شرطه من كون القوة التي يتم بها ذلك الأمر إنما هي قوة السلاح".

وقد تساءل الأستاذ رشيد عن اشتراط هذا الشرط بقوله: "وهو لو قيل له إنه يوجد أو سيوجد موادّ تفعل في الإفساد والإعدام وتخريب الدور، وكذا في الحماية والمقاومة أشد مما يفعل السلاح (كالديناميت المعروف الآن) ألا تراه في حكم السلاح؟ يقول: بلى.

ومن اشترط خارج المصر، راعى الأغلب، أو أخذ من حال زمنه أن المصر لا يكون فيه ذلك. وما اشترط أحد شرطاً غير صحيح أو غير مطرد إلاّ وله وجه انتزعه منه"[٤٦].

وخلاصة القول: إن حد الحِرابة ينسحب على كل منْ توافرت فيه الصفات التي نصت عليها الآية الكريمة من محاربة لله ورسوله، ونشر للفساد في الأرض، وهو ما فسره حديث العُرنيين بما صنعوا برعاة الإبل، وهو ما لا يحتاج إلى كثير من الآراء والتفريعات، وقد جزم بهذا المراد الشوكاني في فتح القدير، إذ يقول رحمه الله تعالى: "إذا تقرر لك ما قررناه من عموم الآية ومن معنى المحاربة والسعي في الأرض فساداً، فاعلم أن ذلك يصدق على كل من وقع منه ذلك، سواء كان مسلماً أو كافراً، في مصر وغير مصر، في كل قليل وكثير، وجليل وحقير، وأن حكم الله في ذلك هو ما ورد في هذه الآية من القتل أو الصلب، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، ولكن لا يكون هذا حكم من فعل أيّ ذنب من الذنوب، بل من كزان ذنبه هو التعدّي على دماء العباد وأموالهم فيما عدا ما قد ورد له حكم غير هذا الحكم في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ كالسرقة وما يجب فيه القصاص، لأنا نعلم أنه قد كان في زمنه ﷺ منْ تقع منه ذنوب ومعاص غير ذلك، ولا يجري عليه ﷺ هذا الحكم المذكور في هذه الآية، وبهذا تعرف ضعف ما روي عن مجاهد في تفسير المحاربة المذكورة في هذه الآية أنها الزنا والسرقة، ووجه ذلك

أن هذين الذنبين قد ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ لهما حكم غير هذا الحكم".

ثم يختم الشوكاني كلامه بقوله: "وإذا عرفت ما هو الظاهر من معنى هذه الآية على مقتضى لغة العرب التي أمرنا بأن نفسر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بها، فإياك أن تغتر بشيء من التفاصيل المروية، والمذاهب المحكية،إلا أن يأتيك الدليل الموجب لتخصيص هذا العموم أو تقييد هذا المعنى المفهوم من لغة العرب فأنت وذاك اعمل به وضعه في موضعه"(٤٧).

لقد جاء كلام الشوكاني جامعاً للتفسير وقواعده، والفقه وأصوله، يستحق التقدير والثناء، وهو كلام حريّ بالتقدير؛ لأن السرقة والزنا لها حدود مقدرة في الكتاب والسنة فلا يصار إلى أحكام أهل الحرابة التي جاءت نصاً صريح الدلالة.

■ المبحث الرابع: حماية الآمنين من المعتدين وترتيب عقوباتهم، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: حماية الآمنين من المعتدين:

حد الحِرابة نصت عليه هذه الآية الكريمة، ورتبت الأحكام الأربعة بدءاً بالأشد ثم الأخف، لأن عقوبة المحاربين مُؤكدة، والعفو عنهم لا يملكه أولياء الدم كالقتل العمد، ولذلك جاء نظم الآية يدل على هذا الوجوب، وهو ما بينه العلامة ابن عاشور بقوله: "وأياً ما كان سبب النزول فإن الآية تقتضي وجوب عقاب المحاربين بما ذكر الله فيها، لأن الحصر يفيد تأكيد النسبة.."(٤٨).

أما الأستاذ رشيد رضا فيوجب على الإمام أن يحارب أهل الحرابة حماية للمجتمع من غوائلهم ودواهيهم، قال رحمه الله تعالى: "يجب على الإمام، الذي يقيم العدل ويحفظ النظام، أن يقاتلهم على ذلك (كما فعل الصديق رضي الله عنه بمانعي الزكاة) حتى يفيئوا ويرجعوا إلى أمر الله، ومن رجع منهم في أي وقت يقبل منه ويكف عنه، ولكن إذا امتنعوا على إمام العدل المقيم للشرع، وعثوا إفساداً في الأرض، كان جزاؤهم ما بينه الله في هذه الآية، فقوله تعالى: **﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾** متمم لما قبله، أي يسعون فيها سعي فساد، أو مفسدين في سعيهم لما صلح من أمور الناس في نظام الاجتماع وأسباب المعاش"(٤٩).

والحق أن قتالهم لا يتوقف على وجود الإمام، وإنما تجب مقاتلتهم ومحاربتهم في

كل الأحوال ما داموا يحاربون أولياء الله، ويسعون في الأرض فساداً، وهو ما دلّت عليه صيغة الفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله (يقتلوا، أو يصلبوا).

ولك أن تسأل عن سر التعبير بالاسم الموصول ﴿**الذين**﴾، وعن صلته ﴿**يحاربون الله ورسوله**﴾؟

والجواب: أن الاسم الموصول ﴿**الذين**﴾ يدل على أن المخاطبين يعرفون ما في صلته، بخلاف (ما) - التي هي اسم موصول بمعنى الذي - فإنها موغلة في الابهام، يعرف بعض ما في صلتها، ولا يعرف الأكثر والأغلب.

وإذا نظرت في جملة ﴿**يحاربون الله ورسوله**﴾ وما عطف عليها ﴿**ويسعون في الأرض فساداً**﴾ تجد نفسك توجب معاقبة هؤلاء الذين تنكبوا الطريق المستقيم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، فصارت عقوبتهم واجبة التنفيذ، رحمة بالمجتمع وأهله، وحماية للبلاد والعباد من شرورهم.

المطلب الثاني: عقوبة المعتدين على الآمنين بين الترتيب والتخيير:

اختلف العلماء في عقوبة أهل الحِرابة، هل هذه العقوبة على الترتيب أم على التخيير؟

قبل عرض أقوال العلماء في عقوبة المحاربين هل هي على الترتيب أم على التخيير؟ نرى من المفيد أن نبين سبب اختلاف العلماء في شأن هذه العقوبة من حيث التطبيق والتنفيذ، لا من حيث الثبوت؛ لأن هذه العقوبات الأربع قد نزل بها قرآن يتلى، وهي أحكام مُحكمة لا يلحقها النسخ ألبتة.

لقد وقع الاختلاف بين العلماء بسبب حرف المعاني (أو)، هذا الحرف من حروف العطف جاء بين هذه الجمل الفعلية ظاهراً، الاسمية واقعاً؛ لأن كل فعل من الأفعال الثلاثة (يصلبوا، تقطّع، ينفوا) ينسبك مع (أنْ) المضمرة لتصبح مصدراً مؤولاً، والمصدر يعد من الأسماء لا من الأفعال.

وللعلماء في ﴿أو﴾ قولان:

القول الأول: أنّ ﴿**أو**﴾ للتخيير، قاله "سعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء والنخعي، ومالك، وداوود من أهل الظاهر: إنها وجبت على طريق التخيير في أن يفعل الإمام منها ما شاء، لقوله: ﴿**أنْ يقتلوا أو يصلبوا**﴾ و ﴿**أو**﴾ تدخل في الكلام للتخيير في الأوامر والشك في الأخبار، وهذا أمر فكانت للتخيير لهم ككفارة

اليمين"(٥٠).

وقد انتصر القاضي ابن العربي المالكي للإمام مالك، وناقش القائلين بأن ﴿أو﴾ للترتيب، قال رحمه الله تعالى في تأصيل حجة المخالفين: "قالوا: وأما قولكم: إنها على التخيير فإن التخيير يبدأ فيه بالأخف، ثم يُنتقل فيه إلى الأثقل، وها هنا بدأ بالأثقل، ثم انتقل إلى الأخف؛ فدلّ على أنه قرر ترتيب الجزاء على الأفعال، فترتب عليه المعنى، فمن قتل قُتل، فإن زاد وأخذ المال صلب؛ فإن الفعل جاء أفحش، فإن أخذ المال وحده قطع من خلاف، وإن أخاف نفي" هكذا قرر ابن العربي رأي المخالفين لمذهبه، ثم أجاب بجواب مقتضب، قال: "الجواب: الآية نصّ في التخيير، وصرفها إلى التعقيب والتفصيل تحكّم على الآية وتخصيص لها.."(٥١).

وهذا التخيير الذي ذهب إليه الإمام مالك ومن وافقه واتبع مذهبه إنما يقوم على الاجتهاد من الإمام ومشورته الفقهاء، "ومن كتاب ابن المواز، ونحوه في كتاب ابن سحنون قال الله تعالى: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾** ومن قول مالك وأصحابه: إنّ هذا التخيير الذي خيّر الله تعالى فيهم إنما هو على الاجتهاد من الإمام ومشورته الفقهاء بما يراه أتم للمصلحة وأدب عن الفساد، وهذا فيمن أخذ قبل أن يأتي تائباً، فمن أخذ منهم فلا بدّ من قتله إلاّ أنه مخير فيه أن يقتله ولا يصلبه، أو يصلبه ثم يطعنه، وهذا معنى الصلب ".

وأما من عظم فساده وطال أذاه وأخذ المال.. فقال مالك وابن القاسم: فليقتله الإمام، ولا يختار فيه غير القتل، وقال أشهب: هو مخير فيه في قتله أو صلبه أو قطعه من خلاف"(٥٢).

وفي ضوء ما سبق يتبين لنا أن المالكية خالفوا الجمهور في عدّ ﴿أو﴾ للتخيير، لكنهم ضبطوا هذا التخيير بضابطين اثنين:

الأول: أن هذا التخيير من حق الإمام أن يجتهد فيه.

والثاني: أن يكون هذا الإجتهاد بمشورة أهل الفقه وأصحاب الرأي.

القول الثاني: أنّ ﴿أو﴾ للترتيب، قاله ابن عباس والحسن وقتادة وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وجماعة(٥٣)، وهو مذهب الجمهور، قال الزمخشري الحنفي في كشافه: "أوحى الله إليه ـ أي إلى رسوله ﷺ ـ أن من جمع بين القتل وأخذ

المال قتل وصلب، ومن أفرد القتل قتل، ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل، ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض.."(٥٤).

وأما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فقرر معنى الترتيب الكامن في حرف العطف ﴿أو﴾ فيما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم وافق ابن عباس على ما ذهب إليه، قال الشافعي: "عن ابن عباس في قطاع الطريق، إذا قتلوا وأخذوا المال، قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا هربوا طلبوا حتى يوجدوا فتقام عليهم الحدود، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض".

قال الشافعي رضي الله عنه: "وبهذا نقول، وهو موافق معنى كتاب الله عز وجل وذلك أن الحدود إنما نزلت فيمن أسلم، فأما أهل الشرك فلا حدود لهم إلاّ القتل، والسبي، والجزية. واختلاف حدودهم باختلاف أفعالهم على ما قال ابن عباس إن شاء الله عز وجل .."(٥٥).

وما ذهب إليه الإمام الشافعي بسطه الإمام الماوردي ودافع عنه وردّ على القائلين بأن (أو) للتخيير، قال رحمه الله تعالى متحدثاً عن (أو) الترتيبية: "إنها وجبت على طريق الترتيب لثلاثة أمور:

أحدها: إن اختلاف العقوبات يوجب اختلاف أسبابها .

والثاني: إن التخيير مفضي إلى أن يعاقب من قل جرمه بأغلظ العقوبات، ومن كثر جرمه بأخف العقوبات، والترتيب يمنع من هذا التناقض، لأنه يعاقب في قلة الجرم بأخف العقوبات، وفي كثرة الجرم بأغلظها فكان أولى.

والثالث: أنه لما بدئ فيها بالأغلظ وجب أن يكون على الترتيب، مثل كفارة القتل والظهار، ولو كانت على التخيير لبدئ فيها بالأخف مثل كفارة اليمين"(٥٦).

أما مذهب الإمام أحمد فيرى: "أنهم - أي أهل الحِرابة - إذا قتلوا وأخذوا المال أو قتلوا ولم يأخذوا المال: قتلوا وصلبوا، وإن أخذوا المال ولم يقتلوا: قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال نفوا.."(٥٧).

وللدلالة على سعة أفق علمائنا، أساطين التفسير، وجهابذة الفقه، أذكر تالياً ما دبجه يراع الإمام ابن عطية في

المحرر الوجيز، قال رحمه الله تعالى: "والحرابة رتب أدناها إخافة الطريق فقط، لكنها توجب صفة الحرابة، ثم بعد ذلك أن يأخذ المال مع الإخافة ثم بعد ذلك أن يقتل مع الإخافة ثم بعد ذلك أن يجمع ذلك كله"[٥٨].

وإذا تأملت كلام ابن عطية ألفيته رتّب أفعال أهل الحِرابة ترتيباً تصاعديا، ذلك لأن الإنسان قد يجرب التخويف أولاً، ثم يزيد على هذا الشر شراً آخر فيجمع بين الإخافة وأخذ المال، حتى يصل في نهاية عدوانه إلى سفك الدم إذا عجز عن تحصيل مطلوبه بالإخافة.

ثم يذكر ابن عطية أقوال العلماء في ترتيب أو اختيار العقوبات للمحاربين، يقول: "قال مالك رحمه الله وجماعة من العلماء: في أي رتبة كان المحارب من هذه الرتب فالإمام مخير فيه في أن يعاقبه بما رأى من هذه العقوبات، واستحسن أن يأخذ في الذي لم يقتل بأيسر العقوبات، لا سيما إن كانت زلة ولم يكن صاحب شرور معروفة، وأما إن قتل فلا بد من قتله.."[٥٩].

وإذا وازنت بين الأقوال في معنى (أو) هل هي للتقسيم أو التخيير، أدركت أنها للتقسيم في قول الجمهور، وهو ما رجحه الإمام الشهاب في حاشيته على البيضاوي، قال رحمه الله تعالى: "و (أو) هي للتقسيم، واللف والنشر المقدر على الصحيح، ومن قال بتخيير الإمام جعلها تخييرية، والأول علم بالوحي وإلاّ فليس في اللفظ ما يدل عليه دون التخيير، ولأن فيها أجزية مختلفة غلظاً وخفة فيجب أن تقع في مقابلة جنايات مختلفة، ليكون جزاء كل سيئة سيئة مثلها، ولأنه ليس للتخيير بين الأغلظ، والأهون في جناية واحدة كبير معنى، والظاهر أنه أوحى إليه هذا التنويع والتفصيل، وما قيل: إنّ التخيير بالنسبة إلى الإمام والحاكم فإنه يفعل ما يريد منها مع ملاحظة الجنايات، واستحقاقها صلح من غير تراض للخصمين مع بعده"[٦٠].

■ المبحث الخامس: أنواع العقوبات القرآنية المقدرة في آية الحِرابة، وفيه أربعة مطالب:

● المطلب الأول: عقوبة المعتدين على الآمنين بالقتل وحده ﴿أن يُقتّلوا..﴾:

تضمنت آية الحرابة أربعة أحكام عادلة جعلها الله تعالى جزاء للمعتدين على أمن المجتمع **﴿الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً﴾**، وجاءت هذه

الأحكام قطعية الدلالة، صريحة العبارة ولقد بُدئت هذه الجزاءات بالجزاء الأول الذي تضمنته عبارة ﴿أن يقتلوا﴾ المؤلفة من ﴿أنْ﴾ المصدرية، والفعل المضارع ﴿يقتلوا﴾ المنصوب بأنّ، والمصدر المنسبك من ﴿أن﴾ والفعل ﴿يقتلوا﴾ في تأويل مصدر خبر المبتدأ ﴿جزاءُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إنما جزاء..﴾ في أول الآية الكريمة.

وأما بقية الجمل الفعلية ﴿أو يصلبوا﴾، ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾، ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ فمعطوفة على ﴿أنْ يقتلوا﴾.

ولك أن تسأل عن سر التضعيف في قوله تعالى: ﴿أن يقتّلوا أو يصلّبوا﴾؟.

والجواب: أن "الإتيان بصيغة التفعيل في ﴿أن يقتلوا﴾ لما فيه من الزيادة على القصاص من أنه لكونه حق الشرع لا يسقط بعفو الولي، وكذا التصليب في قوله سبحانه: ﴿أو يصلبوا﴾ لما فيه من القتل أي يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ.."[٦١] "وإنما ضم إليه القتل لأنه لا يكون جزاء القتل وأخذ المال أقل من القتل وحده.."[٦٢].

ومما يجب الإشارة إليه أن الإمام مالكاً يقول: إذا قتل المُحارب يقتل، وبناء عليه لا تخيير في مسألة القتل إذا حصلت من أهل الحِرابة، وإنما يكون التخيير في الأحكام الأخرى، وعندئذ انحسم الخلاف في مسألة أغلظ العقوبات التي هي القتل والتصليب.

● المطلب الثاني: عقوبة المعتدين على الآمنين بالقتل وسلب المال ﴿أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا﴾:

المعتدون على المجتمع قد يفرطون في الاعتداء فيقتلون الإنسان بعد اغتصاب ماله بالقوة، فعندئذ يرتكب هؤلاء الشاذون عن الحق جريمتين تستحقان العقوبة الرادعة: جريمة القتل، وجريمة أخذ المال بالعنوة والقوة، وهو ما يقع في كثير من حوادث الاعتداء التي يتمكن رجال الأمن في أغلب الأحيان من القبض على الفاعلين الآثمين، فهؤلاء يقتلون لقتلهم الآمنين، ويصلبون لاغتصاب مال الآمنين .

وقد بينت كتب الفقه والتفسير طريقة تنفيذ الجزاء،قال الإمام المفسر الفقيه ابن عطية رحمه الله تعالى: "وأما قتل المحارب فبالسيف ضربة العنق، وأما صلبه فجمهور من العلماء على أنه يصلب حياً، ويقتل بالطعن على الخشبة. وروي هذا عن

مالك وهو الأظهر من الآية وهو الأنكى في النكال"[٦٣].

هذا، وقد أطنب الفقهاء في بيان كيفية القتل والتصليب، وزمن كل منهما، والمدة التي يبقى فيها أهل الحِرابة مصلوبين، اتفقوا على بعضها، واختلفوا في أكثرها، وهي مدونة في مصنفات الفقه في مسائل وتفريعات، ولذلك اكتفينا بما كتبه الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى حتى لا أثقل البحث بأقوال وآراء لا تؤخذ من سياق الآية الكريمة.

● المطلب الثالث: عقوبة المعتدين على الآمنين بسلب المال ﴿أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾:

تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، لا خلاف فيه لمن اكتفى باغتصاب المال بالقوة، ذلك لأن يد المعتدي على أمن المجتمع بطشت وأخذت، ورجله مشت واعتدت، لكنّ العلماء اختلفوا في الحكمة من قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وما إلى ذلك من تفريعات. قال الإمام الآلوسي في تفسير قوله تعالى: **﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾**: أي تقطع مختلفة بأن تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن اقتصروا على أخذ المال من مسلم أو ذمي، إذ له ما لنا وعليه ما علينا.. وهذا في أول مرة، فإن عادوا قطع منهم الباقي، وقطع الأيدي لأخذ المال، وقطع الأرجل؛ لإخافة الطريق وتفويت أمنه"[٦٤].

والمتأمل في نظم هذه الجملة يدرك دقة الإيجاز، وروعة الإعجاز الكامن في مضامينها" لقد علم من قوله: **﴿من خلاف﴾** أنه لا يقطع من المحارب إلاّ يد واحدة أو رجل واحدة ولا يقطع يداه أو رجلاه ؛ لأنه لو كان كذلك لم يتصور معنى لكون القطع من خلاف.

فهذا التركيب من بديع الإيجاز، والظاهر أنّ كون القطع من خلاف تيسير ورحمة، لأن ذلك أمكن لحركة بقية الجهد بعد البرء وذلك بأن يتوكأ باليد الباقية على عود بجهة الرجل المقطوعة"[٦٥]، ذلكم لأن الشريعة جاءت لمراعاة مصالح العباد، فالعقوبة التي ينالها المحارب فيها مصلحة له بردعه وزجره عن انحرافه السلوكي، وفيها مصلحة للمجتمع بحمايته من الأيدي والأرجل المعتدية الآثمة.

● المطلب الرابع: عقوبة المعتدين على الآمنين بالإخافة ﴿أو ينفوا من الأرض﴾:

أما المرتبة الرابعة من مراتب أحكام

عقوبة أهل الحِرابة فهي النفي في قوله تعالى: ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ وهذه الحالة أخف حالات أهل الحِرابة، وقد عرض لها القاضي ابن العربي في أحكام القرآن، وبعد سرد أقوال الفقهاء، قال ابن العربي: "والحقُّ أن يسجن، فيكون السجن له نفياً من الأرض، وأما نفيه إلى بلد الشرك فعون له على الفتك، وأما نفيه من بلد إلى بلد، فشغل لا يدان به لأحد، وربما فرّ فقطع الطريق ثانية.."(٦٦).

وأما شيخ المفسرين الطبري فسرد الأقوال التي قيلت في معنى النفي، ثم قال رحمه الله تعالى: "وأولى الأقوال في ذلك عندي في قول من قال: معنى النفي من الأرض في هذا الموضع: هو نفيه من بلد إلى بلد غيره وحبسه في السجن في البلد الذي نفي إليه، حتى تظهر توبته من فسوقه ونزوعه عن معصيته ربه"(٦٧).

وعلى الرغم من صعوبة النفي على النفس والأهل إلاّ أنها أخف العقوبات الأربع، لأنها تتناسب والجُرم الذي ارتكبه هذا الإنسان المعتدي على أخيه الإنسان بصوت مرعب، أو بشكل مخيف، مما أدى إلى إرعابه وإخافته، وهو مما يتنافى وحقوق الإنسان التي دعا إليها القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة.

■ المبحث السادس: الجزاء الأخروي للمعتدين على الآمنين واستثناء الذين يتوبون، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: الجزاء الأخروي للمعتدين على الآمنين:

بعد أن ذكر الله عز وجل عقوبة أهل الحِرابة بأنواعها الأربعة، بدءاً بأغلظها وأشدها، ثم بالأخف فالأخف، أشار القرآن الكريم إلى عِظم هذه الذنوب فقال سبحانه: **﴿ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**.

لقد بُدئت هذه الجمل باسم الإشارة **﴿ذلك﴾** الذي يشير إلى ما سبق من الأحكام التي فصلتها الآية، قال الأستاذ رشيد رضا في تفسير هذه الجملة القرآنية: "أي ذلك الذي ذكر من العقاب خزي لأولئك المحاربين المفسدين، أي ذل وفضيحة ـ لهم ـ في الدنيا، ليكونوا عبرة لغيرهم من المفسدين، وقال: **﴿لهم خزي﴾** ولم يقل: "خزي لهم" ليفيد أنه خاص بهم دون الأفراد الذين يعملون مثل عملهم من غير أن يكونوا محاربين ومعتزين بالقوة والعصبية"(٦٨).

والحق أن جريمة أهل الحِرابة من اعظم الجرائم؛ لما فيها من إرعاب للفرد والمجتمع والإنسانية، ولذلك جاء ت العقوبات تتناسب وجرائم المحاربين في هذه الدنيا، ليلحقهم الذل والصّغار، كونهم بِسطوتهم أرعبوا وأذلوا الناس المسافرين والمقيمين، فأذاقهم الله وبال صنيعهم في الدنيا.

وأما في الآخرة فلهم عذاب عظيم هو أشد وأنكى من خزي الدنيا، والمتأمل في تراكيب جملة **﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** يدرك هذه المعاني، بدءاً بتقديم **﴿ولهم﴾**، ثم بتنكير كلمتي: **﴿عذاب عظيم﴾**، فقد دلّ التنكير في كلمة **﴿عذاب﴾** على عِظم هذا العذاب، وزاد هذا العذاب فظاعة مجيء كلمة **﴿عظيم﴾** صفة ل **﴿عذاب﴾** فاجتمع تعظيمان، أحدهما: ذاتي مستفاد من تنكير لفظة **﴿عذاب﴾**، والآخر: خارجي من وصفه بـ **﴿عظيم﴾**.

تلك بعض الأحكام في آية الحِرابة، هذه الآية التي بينت جزاء المعتدين على المجتمع في أي صورة من صور الإرهاب والإرعاب بدءاً بالإخافة أخف صوره، وانتهاء بالقتل وأخذ المال، وهي أفظع حالات الحِرابة لجمعها بين إهلاك النفس وإتلاف المال، وإذا علمنا أن العلاقة بين النفس والمال وطيدة ومتينة عرفنا سرّ تشديد العقوبة على مَنْ يرتكب هذه الكبيرة، أعاذنا الله تعالى من ظلم الظالمين من أهل الحِرابة في كل وقت وحين.

● المطلب الثاني: استثناء الذين يتوبون من المعتدين قبل أن يقدر عليهم ولي الأمر:

فتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة لكل عبد أوّاب، وسيظل هذا الباب مفتوحاً لكل عبد ما لم يغرغر عند الموت، أو تطلع الشمس من مغربها، وعندئذ يوصد هذا الباب لأن العبد انتقل من الغيب إلى الشهادة وحينئذ ولات حين مندم حيث لا ينفع الندم .

لقد بينت آية الحِرابة أحكام المحاربين أحسن بيان، هؤلاء المحاربون الذين لا تقبل الشفاعة في تطبيق الحد عليهم حال القدرة عليهم.

ولك أن تتساءل عن أحكامهم حال توبتهم قبل القدرة عليهم؟

تجيب عن هذه التساؤلات آية توبة أهل الحِرابة المبدوءة بحرف الاستثناء **﴿إلا﴾**، الذي اقترن به الاسم الموصول **﴿الذين﴾** للدلالة على أن أهل الحِرابة التائبين معروفون للمخاطبين قال تعالى: **﴿إلاّ**

الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أنّ الله غفور رحيم﴾.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى: "والعلماء على أن الآية في المؤمنين وأن المحارب إذا تاب قبل القدرة عليه فقد سقط عنه حكم الحِرابة ولا نظر للإمام فيه إلا كما ينظر في سائر المسلمين، فإن طلبه أحد بدم نظر فيه وأقاد منه إذا كان الطالب ولياً، وكذلك يتبع بما وجد عنده من مال الغير وبقيمة ما استهلك من الأموال، هذا قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي.."(٦٩).

إن توبة أهل الحِرابة تقبل إذا تابوا قبل القدرة عليهم، وهو ظاهر قوله تعالى: **﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾**، فإذا استسلم المحارب وأتى طائعاً من غير تضييق عليه، أو مطاردة، أو مقاتلة، فتوبته تجبّ ما قبلها عدا حقوق الآدميين.

وأما قوله تعالى: **﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾** ففيه " تذكير بعد تمام الكلام ودفع لعجب من يتعجب من سقوط العقاب عنهم، فالفاء فصيحة عمّا دلّ عليه الاستثناء من سقوط العقوبة مع عظم الجرم، والمعنى: إن عظم عندكم سقوط العقوبة عمن تاب قبل أن يقدر عليه فاعلموا أنّ الله غفور رحيم"(٧٠).

قال العلامة ابن عاشور: "وقد دلّ قوله: **﴿فاعلموا﴾** على تنزيل المخاطبين منزلة منْ لا يعلم ذلك؛ نظراً لاستعظامهم هذا العفو "(٧١).

لقد جاء تذييل الآية بقوله سبحانه: **﴿أن الله غفور رحيم﴾** لبيان أنّ عظائم الجرائم التي ارتكبها المحاربون يغفرها الله سبحانه بمغفرته الواسعة إذا تاب أهل الحِرابة توبة نصوحاً، وعادوا إلى رشدهم، كل ذلك رحمة من الله سبحانه الموصوف بالرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، ألا تلحظ سر التعبير بـ **﴿رحيم﴾** على وزن فعيل بمعنى فاعل، فإن صيغة فعيل من صيغ المبالغة الدالة على الديمومة.

وإذا كان ذلك كذلك وجب علينا أن نذكّر أنفسنا بالتوبة، ونذكّر الخارجين على المؤمنين، الذين يسعون في الأرض فساداً، ونقول لهم: أقبلوا على الله، وفروا إليه سبحانه يغفر لكم ما سلف من الكبائر، ويمحو عنكم الصغائر، والله الموفق والهادي إلى الحق.

❖ الخاتمة:

بعد هذا التطواف في رياض آية



الحِرابة في سورة المائدة نستخلص النتائج الآتية:

١. إن اتباع الشريعة غَناء، ومخالفتها شقاء، فقد حمت الشريعة الفرد والمجتمع من الإرعاب والإرهاب، وأعطته الأمن والأمان في النفس والمال.

٢. إن الذين وصفهم الله تعالى بقوله: **﴿الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا﴾** هم شرذمة عتت عن أمر ربها، واتبعت سبل الهوى فقتلت النفس، ونهبت المال، واغتصبت العرض؛ لإشباع شهواتهم ونزواتهم ؛ فاستحقوا الجزاء الأليم، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

٣- حديث العرنيين هو سبب نزول آية الحرابة .

٤- المسلمون المعتدون على مجتمعهم هم محاربون لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك يستحقون أشد العقوبات جزاء جرائمهم الفظيعة، وتصرفاتهم الدنيئة، فالقتل والتصليب لمن جمع بين القتل والمال في اعتدائه، والقطع لليد اليمنى والرجل اليسرى لمن اغتصب المال ولم يقتل، والنفي أو الحبس لمن أرهب وأرعب الآمنين من المسافرين والمقيمين، كل ذلك جزاء وفاقاً.

٥- إن منهج القرآن الكريم في عرض أحكامه إنما يقوم على مراعاة النفس البشرية التي خلقها ربها وهو أعلم بها، وبما يصلحها، فحذرها، وأنذرها، وعاقبها إن لم ترعو عن غيها، ومع ذلك فتح لها باب التوبة؛ لترجع إلى ربها تائبة مما اقترفته من الذنوب والآثام، فالمحاربون إذا تابوا وأنابوا قبل الله توبتهم وغفر لهم ما سلف من ذنبهم.

٦- حريٌّ بالمسلمين في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن والمحن والإحن أن يعيشوا مع بعضهم متآخين لا متنافرين، متحابين لا متخاصمين، لينالوا خيري الدنيا والآخرة.

الهوامش:

٤٠- ابن عاشور، التحرير والتنوير مرجع سابق، ١٨٢/٧ .

٤١- الالوسي، محمود روح المعاني، ١١٩/٦، دار احياء التراث العربي، ط/٤، ١٩٨٥ .

٤٢- النائرة: الهائجة، والذحل: الوتر وطلب المكافاة بجناية، والعداوة ايضا .

٤٣- القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لاحكام القران، ١٤٨/٦ مراجعة د. محمد الحفناوي،

ط٢/ ١٩٩٦.

٤٤- ابن تيمية، تقي الدين احمد، التفسير الكبير، ٧٤/٤، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت .

٤٥- ابن العربي، احكام القران، مرجع سابق، ٩٦/٢ .

٤٦-٤٧- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ٤٥/٢، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان .

٤٨- ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٨٢/٧ .

٤٩- رضا، محمد رشيد، تفسير القران الحكيم، ٢٩٧/٦، دار الكتب العلمية، بيروت .

٥٠- الماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير، ٢٣٦/١٧، دار الفكر، بيروت .

٥١- ابن العربي، احكام القران، مرجع سابق، ٩٨/٢ .

٥٢- انظر: القيرواني، ابن ابي زيد، محمد عبدالله، النوادر والزيادات ١٤/ ١٤٩، تحقيق: د. محمد حجي، دار الغرب الاسلامي. والشافعي، محمد ابن ادريس، احكام القران، ٣١٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، وابن العربي، احكام القران، ٩٧/٢، والقرطبي، الجامع لاحكام القران، ١٤٩/٦ .

٥٣- ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ٢٠٤/٢ .

٥٤- الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ٦٦١/١ .

٥٥- الشافعي، احكام القران، مرجع سابق، ٣١٣/١ .

٥٦- الماوردي، الحاوي، مرجع سابق، ١٧/ ٢٣٦ .

٥٧- انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٠٤/٢ .

٥٨-٥٩- انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ٨٨/٥ .

٦٠- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٤٦٥/٣ .

٦١- الالوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ١١٩/٦ .

٦٢- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٤٦٥/٣ .

٦٣- المرجع السابق، ٩٠/٥ .

٦٤- الالوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ١١٩/٦ .

٦٥- ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٧/ ١٨٣.

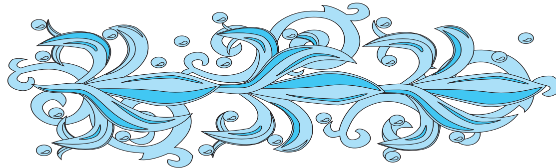
٦٦- ابن العربي، احكام القران، ٩٩/٢ .

٦٧- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٩٨/٥ .

٦٨- رضا، تفسير القران الحكيم، مرجع سابق، ٣٠٢/٦ .

٦٩- ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ٩٢/٥.

٧٠-٧١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٨٦/٧ .



على صعيد عرفات

■ **بقلم الاستاذ موسى علي مقدادي**

يقف الملايين من حجاج بيت الله الحرام، فى التاسع من شهر ذي الحجة من كل عام، على صعيد جبل عرفات فى خاتمة مناسك الحج، ذلك حتى كأنه الحج كله، إذ قال رسول الله ﷺ: "الحج عرفة" رواه الترمذى والنسائي، وكذلك ليكثروا الدعاء، إذ قال ﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة " رواه الترمذي.

ويجتمع الحجاج فى هذا اليوم، فيصلون الظهر والعصر قصراً وجمع تقديم، ويبقون هناك إلى غروب الشمس.

ومما ورد فى فضل هذا اليوم المبارك، ما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء"؟.

يقع صعيد عرفات خارج حدود الحرم، حيث يبعد عن مكة المكرمة ٢١ كيلو متراً تقريبا، وهو أحد حدود الحرم من الجهة الشرقية، وإجمالى مساحته ١٠,٤ كم٢.

ويحد عرفات من الجهة الغربية وادي عرنة، وبه مسجد نمرة الذي صارت

مؤخرته بعد التوسعة داخل عرفات، وبقيت مقدمة المسجد خارج عرفات، حيث لا يصح الوقوف فى مقدمته.

ويقف الحجاج هناك لينادوا بالنداء الذي يسلب الألباب: "لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك"، وهو نداء يرفعه نحو ثلاثة ملايين حاج سنويا جريا على سنة رسول الله ﷺ.

على صعيد عرفات يقف حجاج بيت الله الحرام من كل لون وجنس، فى ثياب واحدة وبهدف واحد وفى مكان واحد، على الرغم من تعدد جنسياتهم ولغاتهم وأعراقهم، وعلى الرغم من المشقة والعناء نتيجة ارتفاع جبل الرحمة وشاخصه الأبيض عن سطح الأرض. وكثير من الحجاج يصعدون الجبل معرضين أنفسهم لمخاطر السقوط، رغم ان صعود الجبل ليس فرضا ولا سنة على أية حال. فجبل الرحمة يصل طوله إلى ٣٠٠ متر وعدد درجات السلم المؤدية لقمته هى ١١٠ درجات، أما الشاخص الأبيض والذي جرى له العديد من الترميمات فيصل طوله إلى ٧ أمتار.

يقول الباحث فى الشأن الاسلامى هاني ماجد الفيروزى: ان هناك عددا من الروايات حول سبب تسمية الجبل بـ"عرفات"، منها انه سمي بذلك لتعارف آدم وحواء فيه. ومنها من اشار الى ان جبريل عليه السلام قد عرف فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام بمناسك الحج وسأله هل عرفت؟ فأجابه بنعم، ومنها من ذهب الى ان الناس فيها يعترفون بذنوبهم ويطلبون المغفرة من الله فيها خاصة وان الله سبحانه وتعالى ينزل فى هذا اليوم الى السماء الدنيا ويباهى بعباده ويغفر لهم.

ويميل الفيروزي الى ان الاصل فى تسمية عرفات بهذا الاسم، يعود الى دعاء سيدنا إبراهيم الخليل بعد انتهائه وولده سيدنا اسماعيل عليهما السلام من بناء الكعبة المشرفة فى قوله تعالى: ﴿**ربنا أرنا مناسكنا**﴾ فنزل جبريل عليه السلام وعلمه المناسك.

فالحج لم يفرض إلا بعد بناء إبراهيم: عليه السلام الكعبة المشرفة، وأن الأنبياء الذين حجوا البيت كانوا بعد إبراهيم عليه السلام وما قبل ذلك غير معروف ولا ثابت إنما هي

روايات أهل الكتاب والذي اشار اليها الحافظ ابن كثير.

ويشير الفيروزي الى ان الشاخص الموجود على جبل الرحمة قد أقيم للدلالة على أن هذا الموقع هو عرفات، فقد كانت الناس تصل إلى هذه الأودية المتشابهة من طرق عدة ومناطق مختلفة، موضحا انه لو كان فى الوقوف على هذا المكان ميزة عن غيره لكان رسول الله ﷺ قد وقف عليه أو مر به كما فعل عند "قزح" بالمزدلفة لما جاء فى ذلك من روايات، إذاً جبل الرحمة مثله مثل جبل عرفات الواقع فى الشمال الشرقى والتلال المحيطة به والشاخص للدلالة فقط.

وفى عرفات مسجد يسمى بمسجد الصخرات وهو يقع اسفل جبل الرحمة على يمين الصاعد إليه وهو مرتفع قليلا عن الأرض يحيط به جدار قصير وفيه صخرات كبار وقف عندها رسول الله ﷺ عشية عرفة وهو على ناقته القصواء.

وفى حديث لجابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر فى موضع مسجد نمرة ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وفى هذا الموقف نزل على رسول ﷺ.. قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**.

ويقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد: "لم أر من أفرد الكتابة عن "جبل إلال بعرفات" والذي اشتهر بعد باسم "جبل الرحمة" مع ما للكتابة عنه من أهمية لا تخفى، لما علق فى قلوب العامة من البدع والضلالات والخرافات..

ويضيف: "هذا الجبل لم يأت له ذكر قط فى السنة المشرفة، وبالتتبع حصل أن اسمه الذي سمته به العرب هو -إلال- على وزن -سحاب- وعليه الأكثر أو على وزن -هلال- كما فى كثير من أخبار العرب وأشعارها... وأقدم نص وقفت عليه فى ذكره باسم -جبل الرحمة- هو في رحلة ناصر خسرو المتوفى سنة ٤٤٤هـ، المسماة "سفرنامة" ثم هو منتشر بعد فى كتب الفقهاء والعلماء من أهل المذاهب

الأربعة وغيرهم".

ويؤكد الشيخ أبو زيد: أنه لا يثبت لهذا الجبل إلا اسمان هما -جبل إلال- وهو المعروف فى لسان العرب شعراً ونثراً، و- جبل عرفة- وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - وأن استعمال الفقهاء دائر بين هذين الاسمين -جبل عرفات- و-جبل الرحمة- وأن هذا الاسم: -جبل الرحمة- من جنس تعبيرهم عن -الحجر- من البيت باسم - حجر إسماعيل- بدعوى أن إسماعيل عليه السلام دفن فيه، وهو غلط لا تسنده رواية صحيحة البتة".

ويقول الشيخ أحمد المزروع القاضي: "إن الرسول ﷺ لم يصعد الجبل ولم ينقل عنه ﷺ انه صعد نهائيا، بل وقف بالقرب من الجبل ومن اعتقد ان صعود الجبل سنة فهو مبتدع، ويظهر ان تسلق الكثير من الحجاج هو نتيجة للجهل فيجب على من اراد الحج ان يتفقه فى دينه ويعرف أمور حجه. فعرفات كلها موقف ومن وقف فى أي مكان فى المشعر، فقد تم حجه والرسول الله ﷺ قال: "وقفت هاهنا وعرفات كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة"، ومن اعتقد أن الجبل هو المخصص بالوقوف فهو اعتقاد خاطئ وقد قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم» وبين الشيخ المزروع أن المقصود بـ"الحج عرفة" هو أنه من أدرك الوقوف بعرفات فى ساعة من ليل أو نهار قبل طلوع شمس يوم العيد فإنه يعتبر مدركاً للحج، ومن فاته الوقوف فقد فاته الحج، ويتحلل من إحرامه بعمرة.

أما الأستاذ الدكتور أحمد البنانى أستاذ العقيدة والأديان بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى فيقول: إن هذا الجبل فى الأصل لا يسمى جبل الرحمة وإنما هو جبل عرفات، وقد بين النبي المصطفى ﷺ أن الوقوف عند الجبل ليس فرضاً ولا واجباً إنما سنة لمن استطاع، وقد وقف عليه الصلاة والسلام أسفل الجبل ولا يشرع صعود الجبل مطلقا ، وليس فى تسلقه أي نسك. وكما هو معروف فإن نشأة مكة ترتبط بقصة سيدنا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام حيث أمر الله إبراهيم أن يذهب بابنه إسماعيل إلى الوادي الذي أقيمت فيه مكة، وأن يسكنه فيه، فامتثل

إبراهيم لأمر الله، وارتحل إلى ذلك الوادي، وكان قفرا خاليا من السكان، وترك زوجه هاجر وابنها الطفل إسماعيل فى هذا المكان الذي لم يكن فيه ماء ، وإنما نبع الماء من بين أصابع إسماعيل بعد أن يئست هاجر من وجوده وهي تسعى باحثة عنه بين صخرتي الصفا والمروة من أجل إنقاذ ولدها، وكان وجود الماء فى هذا المكان أمرا عجيبا، فجذب القبائل التي كانت تسكن بالقرب منه، حتى أن قبيلة جرهم طلبوا من هاجر أن ينتفعوا بماء زمزم، فأذنت لهم، وبدءوا يقيمون بيوتهم فى هذا المكان، ومن هنا كانت نشأة مكة، وفيها عاشت هاجر وإسماعيل بين قبيلة جرهم، وتزوج منهم إسماعيل، وبذلك زحف العمران على مكة واتسعت وذاعت شهرتها بين المدن خصوصا بعد بناء إبراهيم للبيت الحرام، وأصبحت مكة مكانا مقدسا، وزادها الله تشريفا بهذا البيت.

وقد قامت قبيلة جرهم بخدمة الكعبة ورعاية زوارها، حتى ضعفت وحل مكانها قبيلة خزاعة ثم قريش بعد ذلك بزعامة قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي ﷺ، والذي أسس دار الندوة بالقرب من الكعبة ليتشاور فيها زعماء قريش، وفى عام ٥٧١م. شهدت مكة حدثين عظيمين، أولهما هزيمة أبرهة ملك الحبشة الذي ساق جنوده يتقدمهم فيل ضخم يريد هدم الكعبة، والثانى مولد النبي ﷺ.

وكان لأهل مكة منزلة عظيمة عند العرب، والعرب ينظرون إليهم نظرة تقدير واحترام، ويرونهم قادة وسدنة المركز الديني بصفتها مشرفة على مصالح الوافدين إلى البيت الحرام، وظلت مكة تحتفظ بمكانتها حتى جاء الرسول ﷺ ودعاهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأوثان حتى خرج منها مهاجرا إلى المدينة بعد ثلاثة عشر عاما، ثم عاد فاتحا لها دون قتال، وطهر البيت الحرام من الأصنام التي كانت محيطة به، ومن هذا التاريخ أصبح لمكة المكرمة مكانة فى قلوب المسلمين فى أرجاء الأرض وذلك لأن بها البيت الحرام الذي يتوجه إليه الناس فى صلاتهم، ويقصدها الناس لحج بيت الله الحرام.

أسرار الحج

■ بقلم الاستاذ رشيد محمد مصطفى

لقد شرع الله الشعائر والعبادات لحكم عظيمة، ومصالح عديدة، لا ليضيق بها على الناس، ولا ليجعل عليهم في الدين من حرج.

ولكل عبادة في الإسلام حكم بالغة، يظهر بعضها بالنص عليها، أو بأدنى تدبر، وقد يخفى بعضها إلا على المتأملين الموفقين في الاستجلاء والاستنباط.

والحكمة الجامعة في العبادات هي تزكية النفوس، وتربيتها على الفضائل، وتطهيرها من النقائص، وتصفيتها من الكدرات، وتحريرها من رق الشهوات، وإعدادها للكمال الإنساني، وتقريبها للملأ الأعلى، ؛ لتكون رقاً للإنسان، بدلاً من أن تسترقه.

وفي كل فريضة من فرائض الإسلام امتحان لإيمان المسلم، وعقله، وإرادته وإن للحج أسراراً بديعة، وحكماً متنوعة، وبركات متعددة، ومنافع مشهودة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات او على مستوى الأمة.

❖ من أسرار الحج ومنافعه:

فكمال المخلوق في تحقيق العبودية لربه، وكلما ازداد العبد تحقيقاً لها؛ ازداد كماله، وعلت درجته وفي الحج يتجلى هذا المعنى غاية التجلي؛ ففي الحج تذلل لله، وخضوع وانكسار بين يديه؛ فالحاج يخرج



من ملاذ الدنيا مهاجراً إلى ربه، تاركاً ماله وأهله ووطنه، متجرداً من ثيابه، لابساً إحرامه، حاسراً عن رأسه، متواضعاً لربه، تاركاً الطّيب والنساء، متنقلاً بين المشاعر بقلب خاضع، وعين دامعة، ولسان ذاكر يرجو رحمة ربه، ويخشى عذابه.

ثم إن شعار الحاج منذ إحرامه إلى حين رمي جمرة العقبة والحلق: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

ومعنى ذلك: أنني خاضع لك، منقاد لأمرك، مستعد لما حملتني من الأمانات؛ طاعة لك، واستسلاماً، دونما إكراه أو تردد.

وهذه التلبية ترهف شعور الحاج، وتوحي إليه بأنه - منذ فارق أهله - مقبل على ربه، متجرد عن عاداته ونعيمه، منسلخ من مفاخره ومزاياه.

ولهذا التواضع والتذلل أعظم المنزلة عند الله - عز وجل - إذ هو كمال العبد وجماله، وهو مقصود العبودية الأعظم، وبسببه تمحى عن العبد آثار الذنوب وظلمتها؛ فيدخل في حياة جديدة ملؤها الخير، وحشوها السعادة.

وإذا غلبت هذه الحال على الحجاج، فملأت عبودية الله قلوبهم، وكانت هي المحرك لهم فيما يأتون وما يذرون؛ صنعوا للإنسانية الأعاجيب، وحرروها من الظلم، والشقاء .

فالذكر هو المقصود الأعظم للعبادات؛ فما شرعت العبادات إلا لأجله، وما تقرب المتقربون بمثله.

ويتجلى هذا المعنى في الحج غاية التجلي، فما شرع الطواف بالبيت العتيق، ولا السعي بين الصفا والمروة، ولا رمي الجمار، إلا لإقامة ذكر الله تعالى .

قال تعالى: **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾** الحج: ٢٨ . وقال سبحانه: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ❖ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❖ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ**

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة: ١٩٨-٢٠٠ .

ارتباط المسلمين بقبلتهم التي يولّون وجوههم شطرها في صلواتهم المفروضة خمس مرات في اليوم وفي هذا الارتباط سر بديع؛ إذ يصرف وجوههم عن التوجه إلى وجهة المسلمين وقبلتهم فتبقى لهم عزتهم وكرامتهم.

إذ يجتمع في الحج من العبادات ما لا يجتمع في غيره؛ فيشارك الحج غيره من الأوقات بالصلوات وغيرها من العبادات التي تفعل في الحج وغير الحج، وينفرد بالوقوف بعرفات، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، وإراقة الدماء، وغير ذلك من أعمال الحج، فالحج يهدم ما كان قبله.

قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله" رواه مسلم.

والحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "جهاد في سبيل الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور" رواه البخاري.

والحج أفضل الجهاد؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل الأعمال؛ أفلا نجاهد؟ قال: لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور) "رواه البخاري".

والحج المبرور جزاؤه الجنة، قال ﷺ: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" رواه مسلم.

والحاج يعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه إذا كان حجه مبروراً، قال النبي ﷺ: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" رواه البخاري ومسلم.

ففي الحج تهيج الذكريات الجميلة العزيزة على قلب كل مسلم، وما أكثر تلك الذكريات! وما أجمل ترددها على الذهن!

فالحاج -على سبيل المثال- يتذكر أبانا إبراهيم الخليل عليه السلام فيتذكر توحيده لربه،وهجرته في سبيله، وكمال عبوديته، وتقديمه محبة ربه على محبة نفسه.



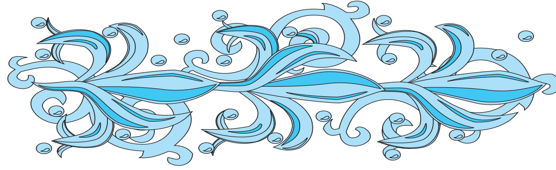
ويتــذكــر مــا جــرى له من الابتــلاءات العظيــمــة، ومــا حــصل له من الكرامــات والمقامات العالية.

ويتــذكــر أذانه في الحج، ودعــاءه لمكة المكرمــة، وبركــات تلك الدعــوات التي ترى آثارها إلى يومنا الحاضر.

ويتذكر الحاج ما كان من أمر أمنا هاجر - عليها السلام - فيتذكر سعيها بين الصفا والمروة بحثاً عن ماء تشربه، لتدر باللبن على وليدها إسـماعيل، ذلك السعي الذي أصبح سنة ماضية، وركنًا من أركان الحج.

ويتـذكـر أبانا إسـمـاعـيل عليه السلام فـيـمـر بخـاطره مـشـاركـة إسـمـاعـيل لأبيـه في بناء الكعبـة، ويتـذكـر مـا كـان من بر إسـمـاعـيل بأبيــه؛ إذ أطاعــه لما أخـبــره بأن الله يأمره بذبحه؛ فما كان من إسماعيل إلا أن قال: ﴿**افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ الصافات: ١٠٢ .

ويتـذكـر الحـاج أن مكة المكرمـة ، هـي مـوطن النبي صلى الله عليه وسلم فـفـيـهـا ولد وشب عن الطوق، وفيها تنزل عليه الوحي، ومنها شع نور الإسـلام الذي بدد دياجيـر الظلمـات، ويتذكـر من سـار على تلك البطاح المبـاركة من أنبــيــاء الله ورسله عليــهـم الصــلاة والسـلام، وعبـاده الصـالحين، فيشـعـر بأنه امتداد لتلك السلسلة المباركة، وذلك الركب الميـمـون، ويتـذكـر الصـحـابة - رضـي الله عنهم- وما لاقوه من البلاء في سبيل نشر هذا الدين، ويتذكر أن هذا البيت أول بيت وضع للناس، وأنه مبارك وهدى للعالمين.



حب آل البيت فرض عين

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ الأحزاب: ٣٣، هذه الآية الكريمة أنزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت ام سلمة رضي الله عنها، وعمن هم آل البيت وردت روايات كثيرة متشابهة في مضمونها.

نذكر منها ما أورده الإمام أحمد في مسنده مرفوعا الى زوج النبي ام سلمة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة (عصيدة) فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين رضي الله عنهم ودخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له، وكان تحته ﷺ كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى قوله: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**، فأخذ رسول الله ﷺ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج يده فألوا بها الى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت رضي الله عنها: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول

الله؟ فقال ﷺ: «إنك الى خير، إنك الى خير، وفي رواية إنك الى خير، إنك من أزواج النبي».

وقال مسلم في صحيحه: حدثني زهير ابن حرب وشجاع بن مخلد مرفوعا الى زيد ابن أرقم رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، وقال: "أما بعد ألا ايها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، أهل بيتي أذكركم الله في اهل بيتي" ثلاثا.

فقال حصين: ومن هم اهل بيته يا زيد؟ اليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، إن المرأة تكون مع الرجل العمر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال زيد: هم آل علي آل عقيل وآل جعفر ابناء أبي طالب وآل العباس رضي الله عنهم وقال: كل هؤلاء حرموا الصدقة بعده؟ قال: نعم.

وحصر آل البيت بهؤلاء لأنه ولد لعبد المطلب عشرة أبناء توفي منهم خمسة صغار، وواحد منهم لم يخلف ذرية، وأبو لهب خرج من العائلة وأنذره الله تعالى بأن مصيره جهنم هو وامرأته أم جميل، وأما حمزه فقد استشهد في معركة أحد، والعباس كانت له السيادة على مكة عندما ظهر الإسلام، وكان من أبنائه الصحابي الجليل الفضل، وأما عبد مناف المعروف باسم ابي طالب فقد كان له من الولد علي وعقيل وجعفر وثلاثتهم كانوا من الصحابة الأجلاء، فهؤلاء هم الذين قال عنهم الرسول ﷺ: إنهم آل بيته وأهله.

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية الكريمة: إن في هذا التعبير الإلهي إيحاءات كثيرة كلها رقاق، رقيق، حنون؛ فالله تعالى يسميهم أهل البيت بدون وصف للبيت ولا تعريف ولا إضافة أي شيء، كأنما هذا البيت هو البيت الوحيد في هذا العالم المستحق لهذه الصفة، فلا يشاركه فيها بيت آخر يمكن ان يتجه الفكر اليه، فإذا قيل: "البيت" عرف وحدد ووصف بأنه بيت رسول الله ﷺ، ومثل

هذا قيل في الكعبة بيت الله و "البيت الحرام"، فعند ذكر البيت الحرام يعرف مباشرة انه الكعبة وليس غيرها، فالتعبير الإلهي عن بيت رسول الله ﷺ كذلك: تكريم وتشريف واختصاص عظيم، وفي العبارة تلطف تبيان علة التكليف وغايته، تلطف يشير الى أن الله سبحانه يشعر آل البيت أنه بإرادته العالية يتولى تطهيره وإذهاب الرجس عنه، وهي عناية علوية مباشرة لأهل هذا البيت، وحين ندرك أن القائل هو رب الكون والذي **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون﴾** يس: ٨٢، **﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾** البقرة: ١١٧، ندرك مدى هذا التكريم العظيم لآل البيت، وهو تعالى يقول ذلك وينزله في كتابه العزيز الذي يتلى في الملأ الأعلى، ويتلى في هذه الأرض وفي كل بقعة عليها وفي كل وقت وزمان.

إنها سيرة السلالة الطيبة، الطاهرة، النقية، سيرة آل البيت الكرام، إنهم الهاشميون من نسل المصطفى ﷺ ونسل أعمامه أبي طالب وحمزة والعباس، من أشرف اسرة عربية وأعرق قبيلة في التاريخ، فهم خيار من خيار العرب واشرفهم وأعلاهم مكانة دينية ودنيوية؛ فالعز والفخار ينسب اليهم، وصنائعهم الطيبة معروفة، وأفعالهم الخيرة مدونة في كتب التاريخ وقد شبههم الرسول محمد ﷺ بسفينة تمخر عباب البحار، فمن تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك وغرق.

فقد أخرج الحاكم عن ابي ذر رضي الله عنه قال وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» ففي هذه الأحاديث الشريفة حث أكيد من رسول الله ﷺ على حب أهل البيت ومودتهم ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة..

فالخير للعرب بدأ فيهم ومنهم، والعطاء مستمر ودائم ولن ينقطع بأمر الله تعالى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالرسول ﷺ يوصينا جميعا أن نحب آل بيته ونتعهدهم، فيقول ﷺ: "أحبوا الله لما

يغدوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، واحبوا أهل بيتي لحبي"، وأمرنا أن ننضوي تحت رايتهم ونجتمع حولهم ونعلن طاعتنا وولاءنا لهم لأن في ذلك الخير الكثير لنا، فهم طاهرون صادقون مخلصون في خدمتهم للعرب والمسلمين، قال ﷺ: "إني تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي؛ أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"(رواه أحمد).

فحب آل البيت هو قدرنا وقدر كل مسلم، وهو واجب من واجبات الايمان لا ينكره الا جاهل أو حاقد أو ظالم، وحب آل البيت فطرة فطر الله عليها المسلمين، وواجب فرضه علينا الدين، كيف لا وقد تعهد الله تعالى بتطهيرهم وتنقيتهم من الدنس والرجس والكذب والخيانة؛ وقد قال رسول الله ﷺ عن أبي سعيد الخدري: "والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار" وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: "أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم، وقد جعل الصلاة على النبي وآل بيته من أركان الصلاة نقولها في كل صلاة نصليها فرضا كانت أم نفلا.

فقد روى الحاكم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: "ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ قلت: بلى فاهدها إلي، قال: سألنا رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

إن قيادة الهاشمية فريضة على المسلمين لقوله ﷺ: "إن الله اصطفى من ابراهيم اسماعيل ومن اسماعيل كنانة ومن كنانة قريش، ومن قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم، وانا خير ولد آدم ولا فخر" ولا تقوم للمسلمين قائمة حتى يكونوا وحدة صف ووحدة هدف ووحدة دين، ولن يكون لهم ذلك حتى يتمعنوا في دينهم ويفهموا معانيه جيدا ويقفون عند حدوده، ويطبقون شرعه في

حياتهم ويعملون بسنة رسولهم المصطفى ﷺ الفعلية والقولية وينفذون وصاياه، ومنها وصيته لهم بالتمسك بالقرآن الكريم وآل بيته الكرام واحترامهم والإلتفاف حولهم وحول قيادتهم للمسلمين.

فإنه لشرف عظيم لكل مسلم أن يروض نفسه لولاية وحب آل البيت، بني هاشم الكرام لأن الله تعالى زكاهم وطهرهم من كل رجس واصطفاهم من بين خلقه واصطفى منهم نبيه ورسوله محمدا ﷺ هاديا ورحمة للعالمين، قال تعالى: **﴿ثم آتينا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾** فاطر: ١٠٢ .

قال العلماء: المقصود بذلك أهل بيت رسول الله ﷺ، وهذا يجعلهم حملة المسؤولية لرسالة دين الإسلام، ومن أجل هذا الدين جعل الله قادتنا كمسلمين من أهل الصفوة، أهل البيت، وبناء على هذا تكون وحدة صف المسلمين فريضة على الهاشميين، قال تعالى: **﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾** الأنعام: ٨٩، وبذلك تصبح فريضة على المسلمين قيادة الهاشميين، حيث أنهم هم أهل الصفوة النصوص عليهم في كتاب الله تعالى انهم أهل الكتاب والحكم والنبوة، وفي حديث الرسول ﷺ بأن الله اصطفاه من بني هاشم واصطفاهم من ابراهيم عليه السلام، فهم أهل الصفوة.

ولقد علمنا رائد الإنسانية ومعلم البشرية ومنقذها رسول الله محمد العربي القرشي الهاشمي ﷺ، أن مفتاح عزة الأمة وسيادتها هو أن تكون كلها على قلب رجل واحد يقودهم نحو الخير ويوجههم نحو البر والتقوى، فقد تمكن هذا النبي ﷺ من ايقاظ الأمة من سبات عميق ورفعتها من ذلة واستكانة وتوحيدها بعد فرقة وتمزق وتناحر واقتتال دائم، وأخرجها من الظلمات الى النور، قال تعالى: **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** الأنبياء: ٩٢ .

فأصبحت أمة لها دين واحد وإله واحد بعد أن كانت تعبد مئات الأصنام، وأصبحت متراصة الصفوف متحدة بعد أن كانت تسودها الفرقة والإقتتال والتمزق، وأصبح هدفها واحد هو رفع راية الإسلام وكلمة التوحيد بعد أن لم يكن لها هدف معين، ووحدة الدين هي الوحدة

الأساسية التي تتحقق بها وحدة الصف ووحدة الهدف قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ آل عمران: ١٩ .

ولقد حمل آل البيت الأبرار من بعد رسول الله ﷺ هذه الأمانة، وأخذوا على عاتقهم السعي دائما الى المحافظة على وحدة العرب والمسلمين، وجمع كلمتهم على مر الأيام والسنين ولقد ضرب لنا صحابة رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده، أروع الأمثلة بالتمسك بنهجه وسيرته، والتسامي عن المصالح الشخصية أمام المصالح العامة للمسلمين، ولنا في سيرتهم العطرة الكثير من الصور الحية الكريمة، لاجتماعهم جميعا على" قيادة موحدة" دون خضوع للأهواء الذاتية أو الرغبات الشخصية أو الأطماع النفعية.

فهذا رسول الله ﷺ يولي أسامة بن زيد وهو شاب فتى قيادة الجيش المتجه لمحاربة الروم وفتح بلاد الشام، ويجمع حوله فطاحل الصحابة وكبارهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين، دون أن يشعر أحد منهم بغضاضة أو يظهر أحدهم أي ملل أو ضجر، وضرب قادة الفتح الإسلامي الأوائل أروع الأمثلة في الحرص على إنكار الذات وفي الإخلاص للقيادة الموحدة لصالح الإسلام والمسلمين.

فهذا أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، كان يقود جيش المسلمين لتحرير بلاد الشام عندما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنه ليقود الجيش بدلا من أبي عبيدة رضي الله عنه وكتب له: "لقد وليت خالدا لقتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره، فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك" ويمتثل أبو عبيدة للأمر ويعود القائد الى صفوف الجنود يجاهد صادقا مخلصا تحت قيادة خالد بكل إخلاص ووفاء وصدق.

وتمر الأيام ويلحق ابو بكر بربه ويجيء للخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيرى أن الناس يكادون يفتتون بخالد، فيعفيه من الخلافة ويولي مكانه أبا عبيدة ويكتب اليه: "قد وليتك على جند خالد فاقبض الجيش منه" وكانت المعركة دائرة فكتم

ابوعبيدة الكتاب حتى انتهت المعركة وتحقق النصر على يد خالد، فأخبره بالأمر وعاد خالد القائد بالأمس الى صفوف الجنود يجاهد صادقا مخلصا تحت قيادة أبي عبيدة دونما غضاضة أو ضجر أو تأثر.

وظلت الأسرة الهاشمية تشعر بالمسؤولية التي القيت على عاتقها، وبالأمانة التي كلفت بها، وظل أبناؤها يحملون الأمانة بكل حرص وصدق وتواضع من أجل الدين والوطن والأمة، معبرين عن الصورة المشرفة لآل البيت، والفضل ينسب لأهله، وآل هاشم هم أهله، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فآل هاشم كانوا منذ ما قبل الإسلام ينذرون أنفسهم لخدمة العرب وحماية أرضهم؛ فهذا الجد الخامس للنبي ﷺ وهو قصي بن كلاب بن مرة تقلد مقاليد السيادة على مكة ويصبح بمثابة الحاكم الأعلى لها، فأوجد ما يعرف بمقر الشورى أو البرلمان بالمفهوم الحديث حيث كان أول من أسس دار الندوة كمقر لاجتماع القبيلة ومكة بأسرها فكانت تناقش فيها جميع شؤون القبيلة وتتخذ القرارات الحاسمة التي تفصل مهام الأمور، وكان بيده الى جانب رئاسة دار الندوة "اللواء" فلا تعقد راية الحرب الا بيده، و "الحجابة" فلا يفتح باب الكعبة أحد الا هو، وسقاية الحجاج ورفادتهم فكان يصنع الطعام للحجاج على طريقة الضيافة وليس المهنة والتجارة.

ولما توفي خلفه في سيادة مكة حفيده عمرو بن عبد مناف، فسار على درب جده وأظهر مهارة فائقة ومقدرة عالية في تصريف الأمور، مما جعله يحوز على دعم وتأييد القبيلة جمعاء، وقد ساعده في ذلك أيضا سعة رزقه وكرمه وجوده؛ فقد كان موسرا، فكان أول من أطعم الثريد للحجاج وكان يهشم لهم الثريد هشما بيديه فسموه هاشما، فما سمي هاشماً الا لهشمه الثريد، وهو أول من سن لهم الرحلتين؛ رحلة الصيف ورحلة الشتاء.

وكان له أربعة أبناء هم: أسد وأبو الصفي ونضلة وشيبة الذي ولدته امه في يثرب بعد موت والده هاشم في غزة، فلما جاء عمه المطلب لاعادته الى مكة أردفه بعيره فلما رآه الناس أخذوا يقولون: هذا عبد المطلب وصار يقول لهم: ويحكم هذا ابن أخي هاشم واصبح يعرف بعبد المطلب

ولما توفي المطلب انتقلت سيادة قريش ومكة الى عبد المطلب الذي أصبح الزعيم الأوحد في مكة لا ينافسه مناقس ولا يحط من قدره خصم فكان لا يرد مستجيرا.

وكان من أهم ما قام به وشرفه وخلده هو اعادة حفر بئر زمزم ومواجهته لوقعة الفيل التي قادها أبرهة الحبشي لهدم الكعبة ونهب الأموال والجمال فوقف عبد المطلب في وجهه وقال له: أما هذه الجمال فإنها لي وانا أريد أن احميها وأما الكعبة فلها رب يحميها، **﴿وارسل عليهم طيرا أبابيل ❁ ترميهم بحجارة من سجيل ❁ فجعلهم كعصف مأكول﴾** الفيل.

وولد لعبد المطلب عشرة أبناء توفي منهم خمسة صغارا، وواحد منهم وهو مصعب لم يخلف ذرية، وأبو لهب تبرأ منه الرسول ﷺ، وأما حمزة فقد كان سيد الشهداء في معركة أحد، وأما العباس فقد كانت له السيادة على مكة عندما جاء الإسلام وقد كانوا يسمونه الفياض لسخائه وأما عبد مناف والملقب بأبي طالب، فقد كان له من الولد علي وعقيل وجعفر وكانوا من الصحابة الأجلاء المؤمنين برسالة محمد ﷺ، ولهذا هم الذين قال عنهم الرسول ﷺ: إنهم آل بيته وأهله.

قدر الهاشميين منذ أن شرفهم الله تعالى بحمل الرسالة السماوية، أن يحملوا هموم العرب والمسلمين جميعا، وأن يعملوا باستمرار على الذود عن بيضة الإسلام وحمى العروبة، وعلى توحيد العرب والمسلمين وجمع كلمتهم ورص صفوفهم؛ ولقد تحملوا في سبيل ذلك أشد الصعاب وضحوا بالغالي والنفيس حتى بالملك والعرش والمهج والأرواح، تجلى ذلك عندما تمكن الشريف الحسين بن علي طيب الله ثراه من توحيد العرب واجتماعهم حول قيادته الحكيمة الشجاعة، انتصارا للعرب والخلافة الإسلامية وخليفة المسلمين العثماني.

ولما طلبت منه حكومة بريطانيا العظمى إخراج فلسطين من مشروع الدولة العربية التي يسعى لتأسيسها رفض بإصرار، ورضي بالتخلي عن كرسي العرش وفقدان الملك وبالعيش في حياة المنفى، بعيدا عن الأرض التي ناضل من أجل حريتها وسيادتها على ان يخون امته أو يفرط بأي

حق من حقوقها، أو يتنازل عن أي شبر من أرضها ضاربا بذلك -كعادة الهاشميين- أروع الأمثلة لمن جاء بعده من الملوك والرؤساء كيف تكون التضحية بالمصالح الشخصية وبالعرش والملك والنفس في سبيل الأمة الإسلامية ومصالحها.

وقد سار المغفور له -بإذن الله تعالى- جلالة الملك الحسين بن طلال رحمه الله على نهج أسلافه في الذود عن حمى الإسلام والعروبة، والعمل على توحيد العرب والمسلمين وجمع كلمتهم، وما الجهود الخيرة التي بذلها طوال حياته من أجل المسلمين ووحدتهم وتوفير الحياة الفضلى لهم إلا من مظاهر اضطلاع الهاشميين بهموم العرب والمسلمين، فلم يأل رحمه الله جهدا ولم يتوان لحظة عن بذل كل ما بإمكانه من أجل وحدة العرب ولم شملهم ولو بإيجاد أي نوع من أنواع التضامن والوفاق، وأعلن أكثر من مرة أنه على استعداد للتخلي عن عرش الملك إذا كانت وحدة العرب ومصلحتهم تقتضي ذلك مؤمنا بقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾**.

فإنه من الواجب علينا أن نتذكره وندعوا له بالمغفرة والرحمة، ونذكره بما كان يتمتع به من خصال حميدة وأخلاق سامية، ذلك أنه من أشرف نسب عرفته البشرية ومن أفضل قوم عرفتهم الأرض ومن خير أمة أخرجت للناس، فهو من آل البيت الأبرار الذين أمرنا رسول الله ﷺ بحبهم واحترامهم والإنضواء تحت رايتهم والإلتفاف حولهم وإعلان الطاعة والولاء لهم، لأنهم طاهرون صادقون مخلصون في خدمتهم لدينهم وأمتهم ووطنهم، وحب آل البيت هو قدرنا وقدر كل مسلم وهو واجب من واجبات الإيمان لا ينكره الا جاهل أو حاقد أو ظالم. وقد كان يتمتع بكمال المروءة والشهامة والنخوة والعدل، وقد قال النبي ﷺ: "من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته" فوجبت لنا أخوته ومحبته وطاعته وحفظ عهده والسير على خطاه في خدمة الأمة وبناء الوطن والذود عنه في وجه أطماع الأعداء الحاقدين المتربصين المحدقين به.

فالحسين من الرجال والقادة الذين خلدهم التاريخ، إنه من تلك الفئة المتميزة من الناس الذين يتمتعون بالصفات القيادية، والمترفعين عن المطالب الدنية، هممهم عالية دائما، ومطالبهم غالية باستمرار يسعون لإسعاد شعوبهم وأممهم، وينشرون الأمن والطمأنينة في بلدهم، فتصبح حياتهم وجهادهم مشاعل مضيئة للأمة خاصة وللإنسانية عامة، وفيه يصدق قول الشاعر:

كم رجل يعد بألف رجل

وكم ألف يمر بلا عداد

وهذا كان شأن المغفور له الملك الحسين ابن طلال طيب الله ثراه، فكان الملك القائد الخلوق المتواضع ذا القلب الرقيق الطيب، أحب شعبه فأحبه شعبه، وكما قال النبي ﷺ: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم".

فقد ترك من خلفه ذرية صالحة طيبة مباركة، تقتفي خطاه وتسير على دربه وترتشف من سيرته وسيرة أجدادهم الهاشميين العطرة، فخلفه ابنه جلالة الملك عبدالله الثاني حفظه الله ورعاه، وهو الشبل الذي شمله الحسين برعايته وتربيته فتخرج من مدرسته التي نهل منها السياسة وفن الإدارة والحكم، وتعلم منها الحلم والحكمة ودعوة الخصوم -إن وجدوا- بالحكمة والموعظة الحسنة، يقوم بكل رجولة وشجاعة برفع الراية الهاشمية التي سلمها لها والده المغفور له جلالة الملك الحسين، وينهض بهمة عالية ليؤدي الأمانة الثقيلة التي آلت اليه كابرا عن كابر من أبناء بني هاشم بنفس المبادئ التي آمن بها الهاشميون منذ جدهم المصطفى ﷺ الذين اصطفاهم الله تعالى وجعلهم هداة للناس ومرشدين.

وسيبقى أبناء الهواشم سادة وقادة الى يوم الدين بإذن الله يرفعون الراية عالية شامخة عزيزة الى يوم الدين كما رفعها آباؤهم وأجدادهم من قبل، والأمة من خلفهم تردد قول المصطفى ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل البيت»**.

العنف المجتمعي

■ بقلم الاستاذ ابراهيم محمد الدهون

إننا قد ابتلينا بظاهرة خطيرة، بدأت تعود إلى مجتمعنا من جديد لتهدد وحدته وتماسكه، وتشوه طيبته وأخلاقه، و تسيء إلى سمعته وقيمه، ظاهرة انتشرت انتشار النار في الهشيم، وأصبحت ملفتة للإنتباه، ظاهرة أصبحت مصدر قلق لكل من يؤمن بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً، ولكل من ينتمي لهذا الوطن ويحبه ويغار عليه، ظاهرة يحتار الإنسان وهو يبحث عن أسبابها ودوافعها ومبرراتها، ظاهرة محزنة لما تخلفه من مآسي، ومخجلة لأننا صرنا نسمع أخبارها عبر وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء كل يوم تقريباً، ومقززة لأنها تعود بنا إلى الجاهلية الأولى، ظاهرة إنتشرت في بوادينا وقرانا ومدننا بل حتى في جامعاتنا، والتي يفترض أن تكون منارات علم وهدى وتقدم، ظاهرة تستدعي أن ندق ناقوس الخطر، وأن نحذر من نتائجها، وأن نسارع للعمل على معالجتها.

إنها ظاهرة ما يسمى بـ «**العنف المجتمعي**»، الذي يبدأ بشرارة صغيرة، وتكون بسبب تافه يخجل الإنسان من ذكره، ثم تتطور لتهلك الحرث والنسل، ويكون من نتيجتها ضحايا أبرياء لا ذنب لهم لا من قريب ولا من بعيد، تذكرنا بأيام الجاهلية، كيوم داحس والغبراء و يوم البسوس، تلك الحروب التي قامت عشرات السنين من أجل سباق فرس أو قتل ناقة.

إن الخصومة إذا نمت أوراقها، وضربت

في الأرض جذورها، وتفرعت أشواكها، أذوت زهرات الإيمان الغض، وأقصت ما أمر الله به من حنان وعطف ورحمة، وتطورت في النتيجة إلى حقد يأكل الأخضر واليابس، فتُحرَق البيوت، ويُؤذى الأطفال، وتُطلق النساء، وتُقتلع الأشجار، وتُحطَّم المركبات، وتُراق الدماء، وعلى ماذا يقتل الناس ويهلك بعضهم بعضاً؟

طفلٌ ضرب طفلاً آخر، فنفخ الشيطان في رأس والده غضباً، وامرأة قالت كلمة عن أخرى، فأشعل الشيطان في صدر زوجها حقداً، وشاة أكلت من طرف الزرع، ألا يتقي الناسُ الله في أرحامهم ودمائهم ؟! ألا يعلمون حرمة دم المسلم عند الله ؟! قال تعالى: **﴿مِنْ أجل ذَلكَ كَتَبْنَا عَلى بَنِي إسْرَائِيل أَنَّهُ مَنْ قَتَل نَفْساً بِغَيْرِ نَفْس أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْض فَكَأَنَّمَا قَتَل النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** المائدة: ٣٢، وقال ﷺ: (كُل المُسلم عَلى المُسلِم حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) رواه مسلم.

وإن من أهم أسباب هذه الظاهرة: العصبية القبلية الجاهلية التي حاربها الإسلام، لأنها تفتّ في عضد الأمة، وتضعف قوتها، وتفرّق كلمتها، فقد ذمها رسول الله ﷺ بقوله: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إلى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَل عَلى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلى عَصَبية) رواه أبو داود، ووصفها ﷺ وصفاً منفراً فقال: (دَعُوهَا فإنها مُنْتِنَة) رواه البخاري، وقال تعالى مبيناً الغاية من خلق الناس شعوباً وقبائل: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** الحجرات: ١٣، فالمقياس الذي يقاس به الناس هو مقياس الإيمان، والميزان الذي يوزن به الناس هو ميزان التقوى.

لقد عمل أعداء الإسلام منذ القِدَم على دق أسافين الفرقة، وزرع بذور الخلاف، وإشعال نار الفتنة، حتى تبقى الأمة ضعيفة ممزقة الأشلاء، وهيّنة كقشة في مهب الريح، وذليلة ليس فيها نخوة ولا إباء، ففرقوا ما بين العروبة والإسلام،

وقسموا الأمة إلى أقطار وأمصار، والقطر إلى اتجاهات وجهات، والقبيلة إلى عشائر، والعشيرة إلى فروع، بل حتى الأسرة الواحدة ربما تفرقت وقامت بينها العداوات.

وقد استخدم اليهود قديماً هذا السلاح ما بين الأوس والخزرج، الأعداء التقليديين قبل الإسلام، والإخوة المؤمنين بعد الإسلام، فراحوا يذكّرونهم بحروبهم الماضية حتى قاموا إلى السلاح، ولولا حكمة النبي ﷺ ومعرفته بطبائع النفس البشرية لحقق الأعداء مرادهم.

إن الشيطان له دور في كل ما يحصل، فلربما عجز الشيطان أن يجعل الإنسان العاقل عابد وثن أو صنم، ولكنه لن يعجز عن إبعاده عن ربه، وذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع برؤيتها وهي تحرق الناس وتدمرهم، قال ﷺ: (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم) رواه احمد.

ولعل من أسباب ظاهرة العنف المجتمعي: التهافت على الدنيا والطمع فيها، فصار الإبن يقتل أباه طمعاً في الميراث، والأخ يغدر بأخيه من أجل دراهم معدودة، فما هي الدنيا التي يتقاتل عليها الناس؟ إنها تافهة، يصفها الله تعالى بقوله: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا لعِبٌ ولهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُم وَتكاثُرٌ في الأَمْوال والأَوْلاد كَمَثل غَيث أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وفي الآخرَة عَذابٌ شَديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضْوانٌ وما الحَيَاة الدُّنيَا إلا مَتَاعُ الغُرُور﴾** الحديد: ٢٠، فهي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، قال ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذي، وقال ﷺ: (الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالما، أو متعلما) رواه ابن ماجة.

ومن أسباب هذه الظاهرة: أيضا الحقد الدفين، الذي يتراكم ويبقى يموج في الصدور كما يموج البركان، ولكن ليس أروح للإنسان، ولا أَطْرد لهمومه، ولا أقرَّ لعينه، ولا أهدى لباله، ولا اسعد لنفسه،

ولا أَرْيَحَ لقلبه، من أن يعيش سليم القلب، نظيف المشاعر، صافي النفس، مبرأً من وساوس الضغائن وثوران الأحقاد، فهي براكين نار تأكل صدر صاحبها، وتجعله يعيش مهموما لا يهنأ بنوم، ولا يتلذذ بطعام، ولا يستمتع بشيء، و من هنا قال ﷺ عن القلوب لما سئل: أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ: (كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد) رواه ابن ماجة.

ومن هنا فإن المجتمع المسلم هو الذي يقوم على عواطف الحب المشترك، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، ولا يقوم على الفردية والأنانية، بل يصفها الله تعالى بقوله: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم**﴾ الحشر: ١٠ وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) رواه مسلم، وحتى أهل الجاهلية إعتبروا الحقد من علامات الخسة والحقارة والصغار، وإعتبروه من صفات الطبقات الدنيا من الناس يقول شاعرهم:

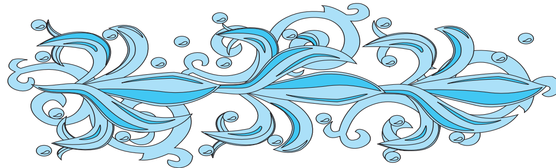
لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وأما صفاء القلب والتسامح فليس له ثواب إلا الجنة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته ماءً من وضوئه، معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه

عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت، فقال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاص، يحدث أنه بات معه ليلة، أو ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال كدت أحتقر عمله، فقلت: يا عبد الله!، أما أنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر عملك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق) رواه النسائي.

والحمد لله رب العالمين



قطوف دانية

بقلم الطالب زيد أحمد

قال سبحانه وعز في ملكوته:

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب﴾.

البقرة: ١٩٧

آية عظيمة

روى الإمام احمد: جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب ﵁ فقال: يا أمير المؤمنين انكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال عمر ﵁: وأي آية؟ قال: قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ فقال عمر ﵁: والله اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ، عشية عرفة في يوم جمعة.

أفضل الدعاء

قال رسول الله ﷺ: «افضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت انا والنبيون من قبلي: لا إله الا الله وحده لا شريك له».

امرأة في الطواف

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات، يا رب سبحانك، وعزتك، انك لأرحم الراحمين يا رب ما لك عقوبة الا النار!

فقالت صاحبة لها كانت معها: يا أخية انت في بيت ربك تعالى، فقالت: والله ما ارى هاتين القدمين اهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف اراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي عز وجل؟ وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا.

ألك حاجة؟

حج سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين، فبينما هو يطوف، رأى في الطواف سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وحذاؤه المقطعة في يده، وعليه ملابس لا تساوي ثلاثة دراهم، فاقترب منه وسلم عليه، ثم قال له: يا سالم ألك إلي حاجة؟ فقال له سالم: يا سليمان انا في بيت الله وتريد مني ان أرفع حاجتي الى غير الله؟!

شهادة مبشر

يقول احد المبشِّرين عن مدى جدوى التبشير في العالم الاسلامي: سيظل الاسلام صخرة عاتية، تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن، واجتماع الجمعة الاسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

وهذا البلد الأمين
لمحات عن سيدة المدائن

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

تقع المكرمة المشرفة المطهرة "مكة" في بطن واد من جبال السراة، وتأخذ المكرّمة في هذا الوادي شكل هلال طوله ضعف عرضه، ويتخلل هذا الهلال جبال ومرتفعات كثيرة تبلغ ٤٥ جبلاً ومرتفعاً، كما يبلغ عدد الثنايا والشرفات ١٦ ثنية، ويسمى قاعه باسم "البطاح" وفيه المسجد الحرام وكعبته المشرفة وبئر زمزم.

والمسافة التي تفصل "المكرمة" عن البحر الأحمر تبلغ ٧٣كم (كيلا كما يسميه شيخنا علي الطنطاوي رحمه الله) وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٢٨٠م، على خط طول يبلغ ٣٩ درجة و ٤٩ دقيقة شرقاً، وعلى خط عرض يبلغ ٢١ درجة و ٢٥ دقيقة شمالاً، والراجح أن اسماعيل بن ابراهيم (عليهما السلام) أول من اتخذها مقاماً وسكناً قبل عام / ٢٤٣٠/ ق.م. ثم نزلت بها قبائل من جرهم، وبقايا من الأمم الباقية، ونزلت بعدها قبيلة خزاعة مع من نزح من قبائل اليمن في أواخر القرن الثالث للميلاد.. لتسيطر على المحطة التجارية التي كانت تمر بها القوافل اليمنية إلى الشام محملة ببضائع اليمن والهند، وظلت خزاعة حتى تهدّم سد مأرب سنة ٤٥٠م لتضعف الدولة الحميرية.. ليظهر "قصي" (الجد الخامس للرسول الكريم ﷺ) مع قبيلة قريش في مكة، ويطرد خزاعة منها بعد تجبرهم على الحجاج

وغيرهم، حيث تولت قريش مذ ذاك سدانة الكعبة المشرفة واستأثرت بها.

❖ بناء مكة:

لم يكن في مكة بناء غير "الكعبة المشرفة" حيث كانت قبيلة خزاعة وجرهماً قبلها يسكنون في الحل.. إلى أن تولى "قصي" أمرها، فجمع قريشاً وأمرهم أن يبنوا بها، وابتدأ ببناء دار الندوة ليجتمع فيها كبراء رجالات مكة تحت إمرته للتشاور في امور بلدهم، بحيث لم يتم اتخاذ أمر ما دون موافقتهم، فكان بناء دورها -بأمر قصي- حول الكعبة المقدسة، حيث كانوا يتركون مكاناً للطائفين بالبيت، كما كانوا يتركون طريقاً بين كل دارين لينفذ منه إلى المطاف، وهكذا كانت زمزم بداية لنشأة قيام مكة المكرمة التي توسعت لتصبح مركزاً تجارياً هاماً، ومقاماً آمناً يسكن إليه الناس ويفدون مع قوافلهم من كافة انحاء الجزيرة بغية الإتجار والحج وكان عمران "مكة المكرمة" القديم محصوراً بين الأخشبين: جبل أبي قبيس (المشرف على الصفا) وبين الجبل الأحمر والأعراف (الذي يشرف على جبل قعيقعان).

❖ حرم مكة:

قال سبحانه وتعالى في حرمة مكة المكرمة: **﴿إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة التي حرمها﴾** النمل: ٩١، ولحرم مكة استعمالات لا بد من تحديد معناها ومعرفتها حيث استقصى ابن ظهيرة (صاحب الجامع اللطيف) هذه المعاني فقال: وأما المسجد الحرام فاعلم ان له اربعة استعمالات:

أحدها: الكعبة نفسها لقوله تعالى: **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** البقرة: ١٤٤، وما حولها من المسجد قاله النووي.

الثاني: المسجد الحرام واستدل بقوله تعالى: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾** الإسراء: ١، المراد به المسجد نفسه في قول انس بن مالك رضي الله عنه ورجّحه الطبري، وفي الصحيح ما يقويه.

الثالث: جميع مكة لقوله تعالى: **﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾** الفتح: ٢٧، قال ابن عطية: واعظم القصد هنا مكة.

الرابع: جميع الحرم الذي يحرم صيده ومنه قوله تعالى: **﴿إلا الذين عاهدتم من**

المشـركين عند المسجد الحرام﴾ التوبة: ٧، وعـهـدهم انما كـان بالحـديبـيـة وهـي من الحـرم، وكذا قوله تعالى: **﴿انما المشـركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام﴾** التوبة: ٢٨، وكذلك قوله تعالى: **﴿لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام﴾** البقرة: ١٩٦، قال ابن عباس: انه جميع الحرم.

❖ حرمة مكة:

ومما يدل على حرمتها وأمنها ما قاله رسول البشرية ﷺ: "إن مكة حرمها الله تعالى ولم يحرّمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دماً وأن يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخّص لقتال رسول الله فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لك، وإنما إذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلّغ الشاهد منكم الغائب" (متفق عليه).

ومما ثبت عنه ﷺ ايضاً أنه قال: "هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفّر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه، قال العباس: يا رسول الله إلا الاذخر فقال رسول الله ﷺ: إلا الاذخر" (متفق عليه).

فليس الأمن للإنسان فيها وحده بل حتى لحيواناتها، تنفيراً بل حتى لعشبها وزرعها وشوكها.. وهل بعد هذا أمان؟ كلا وربي، إن هذا إلا خصوصيّة وميّزة لهذا البلد الأمين.

❖ حدود الحرم المكي:

تبلغ المساحة المحددة لأرض الحرم المكي (٥٥٠٣٠٠)م٢ من ضمن مساحة المدينة، حيث تبلغ مساحة دائرة الحرم (١٢٧) كيلاً وليتمكن المرء من التمييز بين ارض الحرم وارض الحل، نصبت أعلام (اشارات) وكان عدد الأعلام المحيطة بمكة - التي تحدد حدود الحرم (٦٣٤٠) علماً تهدمت معظمها ولم يبق منها إلا احد عشر علماً وهي تحوط "مكة المكرمة" من جميع جهاتها : فمن جهة الشمال منطقة التنعيم والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو ٧ كيلاً، ومن الجنوب جهة عرفة عند مسجد نمرة والمسافة عن المسجد الحرام تبلغ نحو ٢٠ كيلاً، وشرقاً من جهة نجد عند المكان المسمى الجعرانة ويبعد عن المسجد الحرام ٥.١٤ كيلا اما

غـربـاً من جـهـة جـدة عند المكان المسـمـى "العلمين" أو "الحـديبـيـة" والمسـمـى حـاليـاً "الشـمـيـسي" ويـبـعـد عن المسـجـد الحـرام مسـافة ١٨ كيلاً وهو المكان الذي تمت فيه بيعة الرضوان ايضاً.

قـال محب الدين الطبـري عن الزهري، عن عـبـيـد الله بن عبد الله بن عتبة قال: نصب ابراهيم عليه السلام انصـاب الحـرم، يريه جـبـريل عليه السلام ذلك، ثم لم تحـرك حتى كـان "قـصي" فـجـدّدها، ثم لم تحـرك حـتى كـان النبي صلى الله عليه وسلم فـبعث عـام الفتح تميم بن اسـيـد الخـزاعي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان عـمـر رضي الله عنه، فبعث اربعـة من قـريش: حرمة ابن نوفل، وسعيد بن يربوع، ويطب بن عبد العـزى، وازهر بن عـبـد عـوف.. فـجـدّدوها، ثم جددها معـاوية، كمـا أمر عبـد الملك بن مروان بتجديدها.

❖ اسماء مكة المكرمة:

لمكة المشـرفـة اكـثـر من ثلاثين اسـمـاً، وذلك حسب مقـتضيات التسـمية كما قال الإمام النووي، ولا يخـفى ان كثرة الأسماء تدل على شـرف المسـمـى، بيـد أن الشـائع الذائع الغـالب على الألسنة اربعـة وهي مـا جـاء صـريحـا في القـرآن العظيم الذي لا يأتيـه البـاطل من بين يديه ولا من خلفـه.. تنزيل العزيز الحميد.

١- **مكة:** قـال تعـالى: **﴿وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعـد ان اظفـركم عليـهم﴾** الفـتح: ٢٤، حـيث خـاطبـهـا الله بأشـهـر اسـمـائـهـا وامـا في اشـتـقـاق مكة فـقد قيل: انها سمـيت بذلك لأنهـا تمك الذنوب (أي تزيلها كلها)، وقيل: سميت مكة لقلة مائها وخصبها، كأن ارضها امتكت ماءها (وهذا قبل زمزم واسماعيل)، وقيل: ان مكة وسط الأرض والعـيون والميـاه تنبع من تحت مكة، فـالأرض كلهـا تمك من مـاء مكة المكرمة، وقيل: سميت بذلك لأنها تمك المخ، وقيل: سميت مكة لأنها تمك من ظلم فيها (أي تهلكه وتنقصه) ومكه الله (أي استقصاه بالهلاك).

٢- **بكة:** قـال عـز شـأنه: **﴿إن اول بيت وضع للنـاس للذي ببكة مـبـاركـا وهـدى للعالمين﴾** آل عمران: ٩٦، ليرشد سبحانه الى مكانة البـيت الذي رفع ابراهيم وولده اسـمـاعـيل قـواعـده، وطهـراه للطائفين والعاكفين والركع السجود، ابن الزبير قال:

إنما سميت بكة لأنهم يأتونها حجاجاً، وقيل: مشتقة من البك وهو الازدحام وتباك القوم إذا ازدحموا وسميت بكة لازدحام الناس في موضع طوافهم، وعن قتادة قال: فإن الله بكّ به الناس (أي زحم به الناس) فيصلى النساء أمام الرجال ولا يصلح ببلد غيره، وسميت بكة: لأنه يبك بعضهم بعضاً، تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي، والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي لا بأس في ذلك في هذا المكان وعن محمد بن زيد بن مهاجر قال: انما سميت بكة لأنها كانت تبك الظلمة، والبك ايضاً: دقّ العنق، لأنها تدق رقاب الجبابرة إذا الحدوا فيها بظلم. قال ابن الزبير: لم يقصدها جبار قط بسوء إلا وقصه الله عز وجل (الوقص: دق العنق).

◆ الفرق بين مكة وبكة:

من الناس من فرق بين مكة وبكة فقال بعضهم: إن بكة اسم للمسجد خاصة وأما مكة فهو اسم لكل البلد والدليل عليه اشتقاق بكة من الإزدحام والمدافعة، وهذا انما يحصل في المسجد عند الطواف، لا في سائر المواضع، وعن مالك بن انس: بكة موضع البيت، ومكة سائر البلد، وقال محمد بن شهاب: بكة المسجد، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، وعن ابن عباس قال: مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، وبهذا يتبين: أن بكة غير مكة.. فبكة هي جزء من مكة وهي بطن مكة (أي المسجد الحرام والكعبة المشرفة وما حولها) أما مكة فيه كل المدينة من الكعبة المشرفة إلى البطحاء.

٣– **أم القرى:** قال عز وجل في كتابه الكريم: **﴿وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها﴾** الأنعام: ٩٢، وسميت بهذا الإسم لأنها اصل كل بلد، ومنها دحيت الأرض، ولهذا المعنى يزار ذلك الموضع من جميع نواحي الأرض، وسمى الله ام القرى وظاهر هذا يقتضي انها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل والشرف منذ كانت موجودة فهي الأم التي ترضع الأبناء.. لبن الحياة الصافي.

٤– **البلد الأمين:** قال جل جلاله: **﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد**

الأمين﴾ التين: ١-٣، وقال تعالى، حكاية عن المشركين: **﴿قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾** القصص: ٥٧، وسميت بالبلد الأمين: رمزاً تنفست عنه من مبادئ الأمن والاستقرار كما اقسم بها سبحانه ضمن منابت الهداية الإلهية توجيها للأنظار نحو خيرها وفضلها ونعمتها على العالم.

ومن الأسماء الأخرى التي نعتت بها تلك المدينة الطاهرة الجميلة: البيت الحرام، والبيت العتيق، وام رحم، وكويساء، والبشاشة، والحاطمة (تحطم من استخف بحرمتها)، والمقدسة والقادس (لأنها تطهر من الذنوب) والكعبة، والرأس، والبلدة، والبينة، وغيرها (وعندي انها سيدة المدائن، وعاصمة العواصم).

❖ فضل مكة المكرمة:

من الفضائل التي تميزت وامتازت بها المكرمة، ما قالته الصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنهما: "ما رأيت السماء في موضع اقرب منها إلى الأرض من مكة"

وعن عطاء بن كثير رفعه إلى النبي ﷺ: "المقام بمكة سعادة، والخروج منها شقوة" فهي مهوى افئدة الناس، وتولية وجوههم شطره في الصلاة، وجاء عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله: ﷺ "خلق الله مكة فوضعها على المكروهات والدرجات" وقيل لسعيد بن جبير: ما الدرجات؟ قال: الدرجات الجنة. وورد في الأثر عن رسول الله ﷺ انه قال: "خير بلدة على وجه الأرض، واحبها إلى الله عز وجل مكة، وقال: على من مات بمكة: "فكأنما مات في السماء الدنيا".

ومن فضائلها ايضاً: ما جاء في قوله تعالى حكاية عن دعاء ابي الأنبياء ابراهيم عليه السلام: **﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام﴾** إلى قوله سبحانه: **﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** ابراهيم: ٣٧، وقال تعالى مقسماً بها: **﴿لا اقسم بهذا البلد ❖ وأنت حل بهذا البلد﴾** وقال ايضاً: **﴿وهذا البلد الأمين﴾** التين: ٣، المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية

واسلاماً، وقال سبحانه: ﴿**إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها**﴾ النمل: ٩١، يعني مكة، وهي افضل المدن طرّا.

❖ بعض ما تمتاز به مكة المكرمة:

امتيازات مكة المكرمة عن سائر بقاع الأرض كثيرة، ومناقبها غزيرة حسبها انها بلد الله الحرام، وفيها المسجد الحرام والكعبة المعظمة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فهي مهبط الوحي، ومهوى افئدة المؤمنين، وبها كان نزول القرآن الكريم، وفيها ولد خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد البشر أجمعين إلى يوم الدين ﷺ وأن القادم إليها حاجاً أو معتمراً يجب عليه الإحرام وأنه لا يجتمع فيها دينان إلا دين الإسلام، ومنها يمنع شرعاً دخول الكافر أو دفنه فيها، وفيها تضاعف الحسنات إلى مائة الف ضعف، كما يحرم صيدها على جميع الناس سواء المحرم أو المحل، ولا يقطع شجرها ولا حتى شوكها إلى غير ذلك من الخصوصيات التي لا تعدّ، وهي موطن قائد البشرية وقدوتها ﷺ وبلد الصحابة والمهاجرين ذلك الجيل القرآني الفريد، وإليها يفد ضيوف الرحمن كل عام لأداء مناسكهم والتعرف على اخوانهم ومواطن قبلتهم، وهي قاهرة الجبابرة والمتكبرين وجميع المتغطرسين لأنها بلد الأمن والأمان والسلم والسلام لجميع المسلمين.

انها عاصمة العواصم لثقافة العالم والبشرية جمعاء، منذ ان التقت لأول مرة الأرض بالسماء عندما قضت المشيئة الإلهية بنبوة معلم البشرية الأمي، ليجعله ربه قائداً وقدوة لجميع الإنسانية ﷺ فأنزل عليه: ﴿**اقرأ**﴾ ثم إن كان للآخرة عاصمة لكانت تلك المقدسة المطهرة المشرفة المكرمة "مكة" فهي خير بقاع الدنيا أرضاً.. ومولد النور حرفاً.

حيث لم تنشأ هذه البلدة المقدسة إلا لعبادة الله وحده لا شريك له، ومن اجل ذلك ساغ ان تكون بواد غير ذي زرع، حينما جعلها مستقر بيته المحرم ومحجّاً للمؤمنين، وليجمع فيها ايضاً منافع الآخرة (للمناسك تأدية) والدنيا (تجارة) لأنها في سجل الاصطفاء من عهد ابراهيم عليه السلام.

لو لم تكن خير البقاع جميعها

ما كان بيت الله فوق ترابها

فضل المدينة وآداب الزيارة

■ بقلم الدكتور سليمان الغصن

المدينة هي المدينة النبوية، وهي دار هجرة المصطفى ﷺ، ومن أسمائها طابة وطيبة، ولها فضائل عديدة من اهمها ما يلي:

١- الاخبار عن خيرية الاقامة بها: قال رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» رواه البخاري ومسلم.

٢- انها تنفي الخبيث والفاسد من الناس: قال رسول الله ﷺ في المدينة انها: «تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» رواه البخاري ومسلم.

٣- ان الايمان يأرز اليها: فالايمان ينضم ويجتمع في المدينة كما قال رسول الله ﷺ: «ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها» رواه البخاري ومسلم، فكل مؤمن يجد في نفسه شوقاً الى المدينة لتحصيل فضائلها.

٤- حفظ المدينة من الطاعون والدجال: قال رسول الله ﷺ: «على انقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»، رواه البخاري ومسلم.

٥- بركة المدينة: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة» رواه البخاري ومسلم.

٦- فضيلة الصبر على شدائدها: قال رسول الله ﷺ: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» رواه مسلم.

٧– تحـريم المدينة: قـال رسـول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير الى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجـمـعين» رواه مسلم.

وقد اشـتملت احـاديث تحـريم المدينة على مـا يلي: تحـريم صـيـدها، وقطع شـجـرها، وحـمل السـلاح فيـهـا للقتـال وتحـريم الإحداث فيها وإيواء المحدث، اي تحـريم الأمور المنكرة المفسدة والدفاع عن اهلها.

٨– وعيد من اراد اهل المدينة بسوء: قال رسـول الله ﷺ: «لا يريد احـد اهل المدينة بسـوء، الا أذابه الله في النار ذوب الرصـاص او ذوب الملح» رواه مسلم.

٩– فضل الصلاة في المسجد النبوي: قال رسول الله ﷺ «صـلاة في مسـجـدي هذا افضل من الف صلاة فيمـا سواه الا المسجد الحرام» رواه البخاري.

١٠– فضل الروضة الشريفة: قال رسول الله ﷺ: «مـا بين بيـتي ومنبـري روضة من رياض الجنة» رواه البخاري ومسلم.

❖ ما تشرع زيارته في المدينة:

هناك امـاكن في المدينة النبـوية تشـرع زيارتها وقصدها وهـي:

١– المسجد النبوي: وهو اعظم مقصد في زيارة المدينة والسفر اليهـا، قال رسـول الله ﷺ: «لا تشـد الرحـال الا الـى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى» رواه البخاري ومسلم.

❖ آداب زيارة المسجد النبوي:

اذا وصل الزائر المسـجـد قـدم رجله اليـمنى في الدخـول وسلم على النبي ﷺ وقـال: اللهم افـتح لـي ابواب رحـمـتك، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد وبعدها يذهب للسلام على رسول الله ﷺ مستقبلاً القبر مستدبراً القبلة ويقول: السـلام عليك أيها النبي ورحـمة الله وبركاته، اشـهد انك قد بلغت الرسالة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، ثم يخطو خطوة عن يمينه، ويقـول: السـلام عليك يا ابا بكر الصـديق، يا خليـفـة رسـول الله رضي الله عنك وجزاك عن امة محمد خيراً، ثم يخطو عن يمينه ويقـول: السـلام عليك يا عـمـر رضي الله عنك وجزاك عن امة مـحـمـد خيـراً، وعليـه ان يراعـي الأدب في السـلام فـلا

يرفع صوته ولا يطيل الوقوف.

وينبغي للزائر اغتنام وقته بطول المكث في المسجد النبوي، وكثرة الدعاء والاستغفار والذكر، وتلاوة القرآن، وحضور حِلَق العلم وغير ذلك من الاعمال الصالحة.

٢- مسجد قباء: كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت مشياً وراكباً وقال: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد - يعني مسجد قباء- فيصلي فيه كان كعدل عمرة» رواه احمد وغيره بسند صحيح.

٣- مقبرة البقيع وشهداء أحد: فقد كان رسول الله ﷺ يأتي البقيع فيسلم على أصحابه المقبورين ويدعو لهم، كما في الحديث الذي رواه مسلم.

وخرج يوماً الى شهداء احد فدعا لهم كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم.

❖ تنبيهات للزائر الكريم:

١- ان النبي ﷺ امر أمته ان يصلوا عليه ويسلموا حيثما كانوا، وأخبر ان ذلك يبلغه، فليس ذلك خاصاً بالمجيء عند قبره، كما قال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني» رواه احمد وغيره بسند صحيح.

ولهذا فإن الصلاة والسلام عليه لا يحتاج فيهما الى السفر الى قبره، كما لا يشرع تحميل السلام لمن يبلغه للرسول ﷺ، لأن الملائكة تبلغه السلام عليه من اي مكان، وكل الاحاديث الواردة في فضل السفر الى قبره غير صحيحة.

٢- على الزائر ان يحذر من افعال الجهال واهل البدع في مسجد النبي ﷺ من التمسح بالمحراب، او المنبر، والسواري، او الابواب والاسوار والشبابيك، او تقبيلها.

٣- ينبغي لزائر قبور الصحابة رضي الله عنهم في البقيع وأُحد ان يستحضر حكمة الزيارة من تذكر الآخرة والدعاء للمزور، وان يحذر من اظهار الجزع والتسخط، ومن سائر الافعال المحظورة شرعاً، كالصلاة عندها وتحري الدعاء والقراءة عندها كما يحرم ايقاد الشموع، او وضع الرسائل المشتملة على الوصايا والتوسلات والدعوات وغير ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «ألا وان

من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني انهاكم عن ذلك» رواه مسلم.

❖ محبة النبي ﷺ:

رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ارسله الله تعالى الى جميع الناس، وختم به النبوات والرسالات كما قال تعالى: **﴿قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً﴾** الاعراف: ١٥٨ .

ارسله الله تعالى رحمة للعالمين كما قال عز وجل: **﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الانبياء: ١٠٧، بعثه الله تعالى هادياً ومبشراً ونذيراً كما قال تعالى: **﴿يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ❖ وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾** الاحزاب: ٤٥-٤٦، فقام بالرسالة خير قيام ونصح الأمة واقام الحجة.

ومحبة رسول الله ﷺ من اعظم واجبات الايمان، وهي اصل كل عمل من اعمال الايمان والدين، فيجب تقديم محبته على محبة كل مخلوق كما قال تعالى: **﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** التوبة: ٢٤ .

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين» رواه البخاري ومسلم.

ومن علامات صدق محبة رسول الله ﷺ وآثارها ما يلي:

١- توقيره وتعظيمه.

٢- طاعته والاقتداء بهديه والتمسك بسنته.

٣- تصديق اخباره.

٤- نصرته والدعوة الى التمسك بسنته وتعظيمها والدفاع عنها.

٥- عدم الابتداع في الدين.

٦- كثرة الصلاة عليه ﷺ.

٧- عدم الغلو فيه ﷺ.

❖ فضل الصحابة وحقوقهم:

الصحابة رضي الله عنهم هم افضل الامة وخير الناس بعد الأنبياء والمرسلين،

صلوات الله عليهم اجمعين، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فآمنوا به ونصروه، وصبروا على ما اصابهم في سبيل الله من الصدود والاعراض والمشقة والأذى، وقد رضي الله عنهم ووعدهم الجنة كما قال تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم﴾** التوبة: ١٠٠ .

وقال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» رواه البخاري ومسلم.

وللصحابة رضي الله عنهم حقوق يجب على المسلم رعايتها منها:

١- محبتهم والترضي عنهم.

٢- اعتقاد خيرتهم وفضلهم.

٣- اعتقاد عدالتهم.

٤- سلامة الصدور تجاههم والكف عن الخوض فيما حصل بينهم.

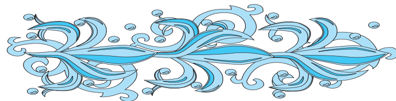
٥- عدم سبهم وتنقصهم او الحط من مقامهم.

فصحابة رسول الله ﷺ هم خير الناس، وحملة الدين فسبهم تكذيب ومخالفة لتزكية الله تعالى لهم ورضاه عنهم، وفيها ايذاء لرسول الله ﷺ ومخالفة لوصيته فيهم وتشكيك في الدين كله الذي لم يصلنا الا عن طريقهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه» رواه البخاري ومسلم.

٦- رعاية حق اهل بيت النبي ﷺ: «وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ويدخل في اهل بيته أزواجه امهات المؤمنين وقد قال ﷺ: «اذكركم الله في اهل بيتي» رواه مسلم.

فأهل بيت النبي ﷺ من الصحابة لهم حق الايمان والصحبة والقرابة، واهل بيته من غير الصحابة لهم حق الايمان وحق القرابة.



في ذكرى غزوة الأحزاب
(الخندق)

شعر الاستاذ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

حشدت يهود المشركين عياناً ضمت قريشاً والعدى غطفانا
وفزارة والمرة طاعوا غيهم وقبائل طاعت معاً شيطانا
وتجمع الاحزاب كي يقضوا على صحب النبي وينصروا الأوثانا
لكنهم لم يعلموا ان الصحابة يعشقون الموت والأكفانا
وعناية الباري ستكلأ دائماً شخص الرسول وصحبه الشجعانا
واحتار امر المسلمين بجمعهم وغدا اللبيب بحشدهم حيرانا
عشر من الآلاف جاوز حشدهم يبدون صوب المسلمين عيانا
زحفوا جميعاً مسلطين سيوفهم اعطوا لوائهمو ابا سفيانا
فإذا بسلمان يشير بفكرة نالت رضاء الجمع واستحسانا
قال احفروا حول المدينة خندقا فيصد جند الشرك والعدوانا
قام الجميع بحفره حتى النبي حفرت يداه الصخر والصوانا
حين استبدت صخرة في حفرهم وبدت كئوداً تعجز الفتيانا
أمر الرسول بمعول يؤتى به وهوى عليها ضربة وحدانا
فتصدعت وتثلمت وتشعشعت اضواء منها نورت اركانا
بقصور فارس ابرقت انوارها سبحان من اعطى الرسول ضمانا
قال النبي لصحبه استبشروا ان المدائن فتحها قد حانا
وبضربة اخرى تهاوت وانبرى منها وميض نوّر البلدان
قال النبي لصحبه ان كبّروا ان الهزيمة ألفت الرومانا
وهوى بثالثة اضاء وميضها بقصور صنعا منذراً قحطانا
قال النبي لصحبه ان كبروا نصراً بصنعاء اليمن ألفانا

وتفاجأ الاحزاب عند وصولهم ... بالخندق المحفور كيف وكانا
اذ لم يكن امراً بمعروف لهم ... سبحان من وهب التقاة امانا
كان الحصار هو الوحيد سلاحهم ... فرضوه ظلماً سافراً عدوانا
دام الحصار العشرتين ونيفاً ... لاقى النبي وصحبه طغيانا
فدعا رسول الله من ضيق به ... رباً رحيماً سرمداً رحمانا
فإذا بجندي الله يأتي مسرعاً ... ريح شديد أذهل العدوانا
قلبت قدور المشركين وأطفأت ... فوراً بأمر الله النيرانا
طفقت بأطناب الخيام تزيلها ... فغدا ابو سفيان جدّ جبانا
خطب الجموع وقال إني راحل ... هذي رياح دمرت بنيانا
ونعيم اذ جاء النبي مبلغاً ... أسلمت سراً فارتئي لي مكانا
فأجابه ان انت الا واحداً ... فإن استطعت اخذل لنا اعدانا
فأتى اليهود وقال اني ناصح ... أفلا طلبتم من قريش رهانا
وأتى قريشاً قال إني ناصح ... فيهود اهل مكيدة وخيانا
فسيطلبون رجالكم رهينة ... باسم التعهد منكمو وضمانا
وسيسلمون رهانكم لمحمد ... كي يكسبوا وداً له وأمانا
فتزعزعت ثقة الجميع ببعضهم ... وغدا التحالف بينهم عدمانا
وبذلك اندحر الغزاة بخزيهم ... وبدا النبي بدحرهم نشوانا
وكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وجنى العدو الذل والخذلانا
ما اشبه الحال الأليم بأمسنا ... فتجمع الكفار دار وكانا
دول التحالف سميت بزماننا ... بدلاً من الأحزاب زمانا
بدأت بأفغان فداست ارضهم ... وأذاقت الشعب الأسى ألوانا
ثم استبدت بالعراق وشعبه ... فرضت حصاراً ظالماً أزمانا
مرض وموت حل بعد حصارهم ... عانا الجميع الجوع والحرمانا
ثم احتلال للعراق وشعبه ... قتلوا العباد وهدّموا العمرانا
يا رب خلص قومنا من ظلمهم ... وامنحنا من بعد البلاء أمانا
وصلاة ربي على النبي وآله ... نرجو بها عند الإله جنانا

❖ ❖ ❖

المرأة في الحج

■ بقلم الاستاذة بتول علي ادريس

لقد حرص الإسلام على تطهير المشاعر واتقاء أسباب الفتنة، وسعى إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الغرائز، ولا تثار فيه الشهوات، بل يعمه الالتزام الديني ويحوطه السمت الحسن وتحصنه مكارم الأخلاق.. مجتمع تراعى فيه الفوارق الفطرية الجسدية والمعنوية بين الرجل والمرأة.

لقد جعلت هذه الشريعة المباركة الزواج تاج فضيلة وحرمت على كل من الرجل والمرأة دواعي الزنى وأسبابه: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** الإسراء: ٢٣، فأوجبت على المرأة الحجاب وأمرتها بالقرار في بيتها وحظرت عليها التبرج والسفور، وفرضت على المجتمع سياج الاستئذان؛ لأن الميل الفطري بين الجنسين ميل مركوز في الأنفس: لأن الله تعالى جعله مناط امتداد التكاثر السلالي، وبناء عليه كان لكل من الذكر والأنثى دور يناسب فطرته وجبلته ووظائفه الحيوية.

وإذا كان التجاذب بين الجنسين شديداً والدوافع بينهما عميقة داخل منظومة الكائنات الحية ومنها البشر؛ فإن الإسلام عمد إلى إخماد أوار ذلك الميل وإطفاء سعار تلك المنازع، وأبقاها مهذبة سليمة لتكون في مواضعها النظيفة المأمونة، فأوجب على المرأة التزام الحجاب الشرعي الساتر لجميع بدنها وزينتها الفطرية والمكتسبة عن كل رجل غير محرم لها؛ حفظاً لها من النظرات الخائنة، وحرم

عليها الحركات المثيرة، وأجلّها عن مستوى الأجسام العارية والزينة البادية؛ رفعاً لشأنها عن الوقوع في التهتك والإباحية وقذارة الاختلاط والصداقات المشبوهة والضحكات الوقحة والدعابات المسمومة، قال تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** الأحزاب: ٢٣-٣٣ .

فهذا خطاب من الله تعالى لنساء النبي ﷺ والمؤمنات لهن تبع .. إنه منهج الإسلام في إشاعة الستر والعفاف والحياء وغض البصر وحفظ الفروج وطهارة قلوب الرجال والنساء، وقطع الأطماع في المرأة. والابتعاد عن الريبة وأسباب الفساد والفتنة[١].

إن المرأة المؤمنة أهم مكونات المجتمع الإسلامي: لما تضطلع به من تربية الأجيال وحصانتهم ورعايتهم وتعليمهم، ولما عليها من مسؤولية تطهير مشاعرهم وصيانتها عن التلويث بالانفعالات الشهوية والارتفاع بهم عن الارتكاس الحيواني الهابط.. مساهمة في تطهير المجتمع وصون حرماته وأعراضه، وعملاً على نظافة بيئته.

وفي ذلك الإطار أمر الله تعالى المؤمنات بعد أن أناط بهن كل هذه المسؤوليات وشرفهن بها-أن يتعالين عن درك الخلاعة ودناءة النظرات المتلصصة الجائعة بحثاً عن إثارة الفتنة الكامنة لدى الرجال.

بل أمرهن الشرع المطهر بالابتعاد عن جعل أعراضهن كلأً مباحاً للآثمين. وحثهن على أن يحفظن فروجهن إلا من الحلال الطيب الذي يلبي داعي فطهرن في أنظف الأجواء.

لقد أحل الله تعالى للمؤمنة الكريمة أن تتزين، وفطرها على حب الجمال ككل امرأة لها رغبتها في استكمال الحسن وتحصيل الجمال.. والإسلام لا يعارض هذه الرغبة الفطرية ولكنه ينظمها ويضبطها لتتبلور في اتجاه الزوج وحده، فتكون وسيلة إلى تحصيل مرضاة الله تعالى وعملاً يثاب عليه صاحبه، (.. وفي بضع أحدكم صدقة)[٢].

لقد أمر الله تعالى المؤمنة بغض بصرها وحفظ فرجها وستر مفاتنها حتى لا يتعرض لها أصحاب العيون الخائنة والقلوب المريضة: قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النور: ٣١ .

إن المؤمنة بقلبها المشرق بنور الله تعالى لا تتلكأ في طاعة الله ورسوله ﷺ، ولا تتوانى في امتثال الأوامر واجتناب النواهي وإن عارضت رغبتها في إظهار الزينة وإبراز الجمال؛ لأن المؤمنة ذات القلب الحي لا تتأسى إلا بسلفها من المؤمنات، اللائي تقول عنهن عائشة رضي الله عنها: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول: لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِن﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها"(٣)، بل إن عائشة رضي الله عنها حين تصف حالهن في الحج تبين مستوى ما هن عليه من الحرص على الستر فتقول: "كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه(٤).

أيتها المؤمنة الكريمة! لقد شرفك الله تعالى وأعلى قدرك وهذب ذوقك وطهر إحساسك بالجمال؛ فلم تعد نفسك تهفو إلى الكشف الجسدي أو التعري البهيمي أيا كانت المغريات.

لقد أنعم عليك خالقك ومنحك جمال الحشمة وآثار الحياء، وجعل ذوقك لائقاً بك كمؤمنة تحوطها نظافة الحس وطهارة الخيال. رغم هبوط الذوق العام وغلبة الطابع الحيواني في الجنوح إلى التكشف والعري. فأنت أيتها المؤمنة الكريمة تسارعين طائعة وتبادرين مستجيبة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فأنت بالتزامك الديني وعبوديتك لله تعالى قد أوصدت سبل الغواية وطردت عوامل الفتنة وأزلت أسباب التهييج والإثارة وثبت على الفضيلة وتمسكت بالهدى وحرصت على الطهر والعفاف وتعبدت لله تعالى بحجابك وحفظ حيائك وحشمتك وأخلاقك. وتمثلت قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ النساء: ٤٣ .

لقد وعى قلبك أيتها المؤمنة الأبية أمر الله تعالى ورسوله بغض البصر وحفظ الفرج، واستوعبت نفسك الكريمة النهي عن الخضوع بالقول والضرب بالأرجل أو أي قول أو فعل يسوغه الشيطان لإثارة الفتنة.

لقد تعودت التأسي بأمهات المؤمنين والصحابيات والصالحات من نساء السلف وأصبح ذلك من سجاياك الراسخة.

لقد تحليت بذلك كله وأنت تعلمين يقيناً أنك تتقربين به على قيوم السموات والأرض. وأنه وعلى ما فيه من فضل وكرامة وجمال وعفة الذي لا اختيار فيه للمؤمنة: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾** الأحزاب: ٦٣ .

إنه شرف الطاعة الذي به تحفظ الأعراض وتطهر القلوب ويكون التحلي بمكارم الأخلاق والتشبث بمعالم العفة. إنها الطاعة التي تقطع بها أطماع الهابطين وخواطر الشياطين.

فقارني رعاك الله بين حال المتحجبة الحيية البعيدة عن مزاحمة الرجال؛ التي تصون نفسها عن الرذائل؛ انظري ما لها من الاحترام وشرف النفس وعلو المنزلة وقارني حالها بحال المتبرجة السافرة المبتذلة المتهتكة.

وتمثلي ما ذكره الله تعالى في قصة ابنتي شيخ مدين: **﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُنَّ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** القصص: ٥٢، فانظري هذا الأدب وهذه العفة والحياء! وتابعي القصة برؤية واستبصار؛ لتدركي مستوى التحفظ والتحرز الذي تتسم به الصالحات **﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾** القصص: ٥٢، فلا ريبة ولا تغنج ولا خضوع بالقول.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش:

١- انظر حراسة الفضيلة، ص٣٢-٣٣ .

٢- اخرجه مسلم، كتاب الزكاة باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح ٦٠٠١ .

٣- اخرجه البخاري كتاب التفسير، باب **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** ح ٨٥٧٤ .

٤- اخرجه ابو داود ٥٣٨١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٣٨٨، وضعفه الألباني.

المدرسة النظامية في بغداد
وهي ﴿أم المدارس﴾

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

❖ المقدمة:

من الأمور المتفق عليها أن الإسلام -حسبما أوحي- قد اتسم ببساطة تكاليفه الواردة في القرآن الكريم، علاوة على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وقد سمع المسلمون تلك الأقوال، وشاهدوا تلك الأفعال، وترسخت مفاهيمها في نفوسهم، خاصة وقد تصدى بعضهم لحفظ تلك الأقوال عن ظهر قلب، وتبليغها مع أفعاله ﷺ، لمن لم يسمع الأقوال، ولمن لم يشاهد الأفعال، وخاصة لمن يقيم في غير المدينة المنورة من الحجاز أو خارجها من بلدان الجزيرة العربية.

وكان أشهر من تصدى لحفظ الحديث النبوي، أبوهريرة والإمام علي وابن عباس (رضوان الله عليهم أجمعين)، كما كانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ممن حفظ شطراً كبيراً من أقوال الرسول ﷺ ووصف أفعاله ولكن سرعان ما فتحت الأمصار، وانتشر الصحابة في العديد من الأقطار، واعتنق أهل تلك الأقطار الإسلام، سواء أكانوا من العرب وغيرهم، وبدت الحاجة إلى تعريفهم بمبادئ الإسلام، كما دعت الحاجة إلى معرفة الأحكام الإسلامية التي ينبغي الأخذ بها في إدارة الأقاليم المفتوحة، علاوة على ما ينبغي مراعاته في العبادات والتصرفات،

بالنسبة للأفراد والجماعات. وكان الأمر سهلاً بالنسبة لمعرفة هذه الأمور، إذ كان يتم بالرجوع إلى الصحابة والاستفسار منهم. ولكن انفرط عقد الصحابة (رضوان الله عليهم)، ثم عقد التابعين من بعدهم، ثم تابعيهم، وذلك بانتشارهم في بقاع العالم الإسلامي الكبير، وصار المسلمون من غير العرب هم الأغلبية العددية، مما أوجب على المسلمين، والعرب خاصة، أن يؤدوا واجبهم في هذا الشأن.

وقد تصدى لهذه المهمة فئة مؤمنة، عمدت إلى الرحلة لمقابلة الأحياء من الصحابة، أو مقابلة من روى عنهم أحاديث الرسول ﷺ وأفعاله بالنسبة للأحكام الواردة في القرآن الكريم، فكان ذلك من بدايات علم التفسير وجمع الحديث وتحقيقه، كما أن فتح الأمصار استدعى أمراً آخر هو معرفة الأحكام التي تطبق على أراضي البلاد المفتوحة وسكانها. وهذه الحاجة بقيت عرضة لاجتهادات لا تخلو من التضارب، حتى أن الخليفة العباسي هارون الرشيد شعر بوجود تلك الحاجة بالنسبة لمعاملة أهل البلاد المفتوحة ممن اسلم أو ممن لم يسلم، ومعرفة الضرائب التي تجنى منهم خاصة بالنسبة لأراضيهم الزراعية.

ولهذا كلف قاضي قضاة أبا يوسف (رحمه الله) بتأليف كتاب (الخراج) المشهور، ليكون دستوراً للخلافة وعمالها خاصة، وكانت الحاجة في أواخر العهد الأموي قد أدت إلى ما يشبه البداية لعلم جديد باسم (الفقه) وظهر عدد من العلماء الأفذاذ فيه، وعلى رأسهم أبو حنيفة رضي الله عنه المتوفى سنة ١٥٠ هـ، الذي بقي حيا إلى العصر العباسي، وقد استعان به الخليفة المنصور. هذا وقد كان أبو يوسف سالف الذكر أبرز طلابه.

كما شهد العصر العباسي ظهور أئمة بقية المذاهب (من أهل السنة) وهم الإمام مالك (المتوفى سنة ١٧٩هـ)، والإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) والإمام أحمد بن حنبل (المتوفى سنة، ٢٤١هـ)، وذلك إلى جانب فقهاء الشيعة والخوارج الذين أطلقوا على انفسهم اسم الأباضية، وكذلك هناك فئة الظاهرية الذين يأخذون بالمعنى الظاهري من نصوص الأحكام الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ولكن مهمة نشر الأحكام وتطبيقها بقيت ضمن واجبات أئمة المساجد

والخطباء، الذين اعتادوا على تضمين خطبهم ومواعظهم، كثيراً من الأحكام التي يرون حاجة لإيرادها، أو إجابة على أسئلة المصلين مما يشمل العبادات والمعاملات التي اتسع نطاقها لتشمل ملايين البشر من أقوام مختلفة وسكان قارات متباينة، مما استوجب تكليف بعض العلماء بمهمة التدريس وتخريج فقهاء متخصصين بالعلوم الدينية واللغوية وبعض العلوم الطبيعية. وقد عاصر هذه الظاهرة تأسيس خزانات الكتب (أي المكتبات) في عدد من الأقطار الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس.

واختصت بعض المساجد بحلقات التعليم، سواء أكانت في العراق أم في غيره من الأقطار الإسلامية، لكن ما يهمنا هو ما يتعلق بالعراق الذي كان مركزاً للخلافة لخمسة قرون، ونخص من هذا الصدد، جامع المنصور ببغداد، وجامع الرصافة، وجامع أبي حنيفة، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، التي سبقت جميع المساجد في الأقطار المفتوحة. وهكذا كان الجو مهيئاً للخطوة التالية، وأعني بها البدء بإنشاء المدارس، إذ كان العراق مهيئا لهذه الخطوة لكثرة ما فيه من العلماء، ومنهم أئمة المذاهب، وفي مقدمتهم أبو حنيفة الذي ولد في العراق وتثقف فيها وعاصر أبا جعفر المنصور، ثم أنه مركز الخلافة، كما أن تلميذه أبا يوسف (رحمه الله) كان قاضي القضاة لجميع أقطار الخلافة العباسية (كما مر معنا).

ثم إن الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) قد ولد في العراق وتوفي فيه، وقاسى في أيام المأمون (من المحنة) التي تعرض لها العلماء حتى أيام المتوكل الذي وضع حدا لها. كما ينبغي أن نتذكر ان الإمام الشافعي (رحمه الله) قد زار بغداد مرتين، ثم إن العراق قد شهد ظهور المذاهب التي لم يكتب لها البقاء كالمذهب المنسوب إلى الإمام الطبري المؤرخ (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، وهو إمام المؤرخين وكبير المفسرين للقرآن الكريم، لذلك لم يكن غريباً أن يشهد العراق ولادة المدرسة كجهاز تعليمي إسلامي لم يسبق إليه، وقد تجلى ذلك في المدرسة النظامية التي أسست في بغداد من قبل نظام الملك (وزير السلاجقة -رحمه الله-)، وتخصصت بتدريس الفقه الشافعي، وسميت (أم المدارس).

وفي الوقت نفسه أسست مدرسة في

جامع أبي حنيفة (رحمه الله) في بغداد متخصصة بتدريس الفقه الحنفي، وسميت (مدرسة أبي حنيفة) أو (المدرسة الشرفية) باسم بانيها (شرف الملك) أبي سعد محمد ابن منصور العميد الخوارزمي، وهو من رجال السلطان السلجوقي (ألب أرسلان). ثم انتشرت مدارس المساجد في القرن الخامس، وهي تمثل المذاهب الفقهية الثلاثة، وقد بلغ عددها في بغداد (١٩) مدرسة، ولكن هذه المدارس لم تؤسس في عالم من الفراغ، إذ كان الحكام، ومنهم الخلفاء يرنون إلى وجود الظروف المواتية للنشاط العلمي، ومن ذلك ما فعله الخليفة العباسي المعتصم الذي ولي الخلافة سنة ٢٧٩هـ، حتى وفاته عام ٢٨٩هـ، قد بنى قطراً وزاد في مساحته؛ كي يبني فيها مساكن لأصحاب العلوم الذين قرر لهم رواتب (انظر مقال المؤرخ الإيراني سعيد نفيس بعنوان "المدرسة النظامية في مجلة (المجتمع الفارسية) لسنة ١٣١٢هـ/ ١٩٣٤م)، ولعل هذه هي البذرة الأولى للمدارس التي ظهرت بأبهى صورها في القرن الرابع، ومنها ما شيده الإمام الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٩٦هـ، من مدرستين للشافعية، إحداهما في بغداد، وقد خصصت للإمام الإسفرائيني الذي توفي سنة ٤١٨هـ، هذا وقد حفل القرن الرابع بتأسيس العديد من المدارس بشكل مبدئي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ولعل كان إنشاؤها كرد فعل لنشاط آل بويه الذين تمكنوا من السيطرة على الحكم في الخلافة العباسية في ذلك القرن، وقد عُرفوا بدعمهم للمذهب الشيعي في الأقاليم الخاضعة لحكمهم.

غير أن الأمر قد انقلب عندما بدأ السلجوقيون فترة حكمهم في العراق، حيث تمهد السبيل لنظام الملك وزير السلجوقيين أن يقلل الجهود لإقامة مدرسة للشافعية يتولى أمرها أبو إسحاق الشيرازي.

❖ تأسيس المدارس النظامية:

حرص نظام الملك، وهو أبو علي الحسن ابن علي بن إسحاق بن العباس، قوام الدين الطوسي، حرص على تأسيس سلسلة من المدارس التي عرفت باسمه، في كثير من المدن الإسلامية في المشرق (مثل: مرو وهراة وبلخ وأصفهان وآمل ونيسابور)، كما أنه خص العراق بعدد منها في كل من بغداد والموصل والبصرة، لكن مدرسة بغداد كانت هي الأم لجميع تلك المدارس بالنظر لأهميتها. لقد تولى

منصب الوزارة مدة (٢٩سنة)، كانت حافلة بإنجازاته العلمية، ولا سيما بناء المدارس والأربطة والخوانق التي انتشرت خاصة في المدن سالفة الذكر.

والمعروف أن نظام الملك المولود سنة ٤٠٨هـ، عُرف منذ صغره مولعاً بالعلم، وقد حفظ القرآن الكريم وهو صبي صغير، ثم طلب العلم الذي أحبه طيلة حياته، ولا سيما في عهد توليه الوزارة لسلاطين السلاجقة، وقد وصفت مجالسه بأنها غنية بمن يرتادها من العلماء بالدرجة الأولى، ممن فازوا بالاحترام والدعم منه، وخاصة بإنشاء المدارس لهم والتواضع حيالهم، وتيسير الأمور لهم. وقد بدأت حملة لإنشائها، بالعراق، وكانت مدرسة بغداد، وهي الأم -كما أسلفنا-، إذ خصها بأوقاف سخية، واختار لها أفضل العلماء للتدريس فيها، ليضمن لطلبة مدارسه أعلى المستويات، ليس في الأمور الدينية فقط، بل ولتولي القيام بواجبهم على أحسن وجه عندما يتولون وظائف التدريس والإدارة.

❖ المدرسة النظامية في بغداد:

لقد تكامل بناء هذه المدرسة في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، (تاريخ ابن الأثير، ووفيات ابن خلكان)، وقد احتفل بافتتاحها من قبل (الخليفة القائم بأمر الله)، أوكل أمر التدريس فيها إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي الذي تردد في أول الأمر بقبول هذه المهمة، لوجود شبهة بأن أرضها مغتصبة.

وفي ذلك يقول من أرّخ حياة الشيرازي: إنه رغم إقناعه بعدم صحة تلك الشبهة، فإنه لم يُصلّ في مدرسته، وإنما يصلي في مساجد غيرها. أما العماد الأصفهاني، فإنه أثنى على نظام الملك في كتابه (فريدة القصر - قسم العراق)، إذ قال بأنه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء، كان ناقداً بصيراً يختار لمهامه من هم أكفاء، ويتضح ذلك باختياره أبي إسحاق الشيرازي، وقد اقترن اسمه بسلسلة المدارس التي أقامها (أي نظام الملك) لنشر المبادئ الأشعرية في (الكلام) ومذهب الإمام الشافعي (رحمه الله) في الفقه.

وكانت إقامة عدد منها في مدن العراق والجزيرة، وفي بلده خراسان، لتقوم بدعم الاعتقادات التي آمن بها (نظام الملك) نفسه وتعارض (الاعتزال)، ومذاهب الشيعة التي لقيت رواجاً أثناء الحكم البويهي، وحكم الفاطميين في مصر،

وكذلك لتخريج كُتاب أكفاء لممارسة العمل في دواوين الدولة السلجوقية، أسوة بما فعل السلاجقة قبل ذلك، إذ جعلوا المدرسة لسكن الطلاب إلى جانب تعليمهم فيها، ومنهم أبو سعد المتوفى (سنة ٤٨٥هـ)، الذي أسس (المدرسة التاجية) في بغداد، لكنها لم تبلغ الأهمية التي حازتها (النظامية) التي رسخت الوجود السُّني ثقافيا وسياسيا وفكريا، في أوساط الشرق الإسلامي. غير أن المستشرق (بوزورث) يرى أن النظامية أخذت في الخمول خلال القرن السادس، عندما أخذت المؤسسات الحنبلية في الانتشار، وهذه أوهام، إذ بلغت (النظامية) في القرن المذكور، منتهى الروعة في النشاط العلمي، حسبما رآها الرحالة ابن جبير عندما زار بغداد في سنة ٥٨١هـ، إذ وجدها غنية بأوقافها التي يُصرف ريعها على الطلبة والمدرسين، وأعرب عن إعجابه بما يقوم به حكام المشرق من أجل المدارس.

كما أن أبا بكر بن العربي، العالم الأندلسي الكبير، والقاضي (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) قد زار بغداد، وأقام في رباط مجاور للنظامية، واجتمع فيها بالإمام الغزالي (رحمه الله) وقرأ عليه ما أراد قراءته، ولازمه مدة غير قصيرة.

❖ مدرسو النظامية:

من المعروف أن المدارس النظامية، ولا سيما مدرسة بغداد (وهي المدرسة الأم) قد حظيت بمدرسين أفذاذ من أمثال أبي إسحاق الشيرازي، مدرّسها الأول (على الأصح) وعميدها، كما حظيت بالفيلسوف الفذ الإمام الغزالي الذي تتلمذ عليه ابن تومرت، في المدرسة نفسها، والكيا الهراسي (وقد سبق لي أن نشرت مقالاً عنه في مجلتنا العزيزة "هدي الإسلام"، في عددها السابع لشهر تموز ٢٠٠٩م"، ومن المدرسين أيضاً ابن الصباغ، وأبو المعالي إمام الحرمين، وعبد الله بن الدبوسي، ويوسف بن رافع الأسدي وهو شيخ ابن خلفان، وكمال الدين بن الأنباري، وغيرهم كثير، وجميعهم من أكبر العلماء الذين تخرج على أيديهم كثير من العلماء الأفذاذ، وكلهم يستحق الذكر، ولكنني سأكتفي إن شاء الله بذكر كلمة مختصرة لأول هؤلاء المدرسين (وعميدها أيضاً)، **وهو: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي، صاحب المؤلفات القيمة،** وهو ينتمي إلى مدينة (شيراز) بإقليم فارس، وُلد فيها سنة ٣٩٣هـ، وأقام بمدينة (فيروز آباد)

حتى سنة ٤١٠هـ، وخرج منها إلى (شيراز) في طلب العلم، وانتقل بعدها إلى البصرة، حيث أقام وأخذ الفقه عن الشيخ (الجزري)، ثم انتقل إلى بغداد في سنة ٤١٥هـ، وبها بدأ شوطاً مهماً من حياته، حيث اتصل بشيخه القاضي الطبري، إمام الشافعية في بغداد، الذي برع في العلوم الشرعية، وأخذ عنه الكثير من العلم ولازمه حتى حصل على إجازة التدريس في مسجده، سنة ٤٣٠هـ.

غير أنه بدأ المرحلة الثانية من حياته في سنة ٤٥٩هـ، إذ عين في (النظامية) التي استمر يديرها ويدرس فيها حتى وفاته سنة ٤٧٦هـ، والمعروف عنه الزهد في المال، حتى أنه لم يكن يملك شيئاً من حطام الدنيا، إذ كان زاهداً حتى في القوت والملبس، ولكنه ترك قائمة من المؤلفات، لا تقل عن (١٤) مؤلفاً كثيرة الفائدة والمضمون، ومنها:

١- المهذب وهو من أهم الكتب في الفقه الشافعي.

٢- التنبيه، كتاب مختصر في الفقه، ويعتبر أحد الكتب الخمسة المتداولة في الفقه الشافعي.

٣- التبصرة، في أصول الفقه.

٤- اللمع وهو كذلك في أصول الفقه.

٥- الخلاف وهو كذلك في أصول الفقه، وغيرها كثير.

والشيرازي يعتبر شيخ الشافعية في القرن الخامس الهجري، بلا منازع، وقد ذكره السبكي في (طبقاته)، ونقل عنه قوله: "إنه خرج إلى خراسان ، فما دخل بلدة ولا قرية، إلا كان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها، كان من تلامذته أو من أصحابه، وحصل مثل ذلك بالنسبة لأبي بكر محمد ابن ثابت الخجندي (المتوفى سنة ٤٩٦هـ)، والذي سمعه نظام الملك يعظ في (مرو)، فعرف قدرته في الفقه، فأسند له التدريس (في نظامية) أصفهان، وتكرر مثل ذلك بالنسبة للشريف العلوي الدبوسي (المتوفى سنة ٤٨٣هـ) الذي عينه للتدريس في نظامية بغداد، بالنظر إلى براعته في الفقه والجدل.

كما استعان نظام الملك بما يشبه استخدام الأساتذة الزائرين، فعمد الى اختيار بعض أعلام الاتجاه الأشعري، من أمثال أبي نصر القشيري (ت: ٥١٤هـ)، والشريف أبي القاسم البكري (ت: ٤٧٦هـ)، فانتدبهما للوعظ والمناظرة في المدرسة النظامية، (وهذا أمر لا يدخل

ضمن فقرات هذا المقال).

❖ منهاج الدراسة في النظامية:

من المعروف أن منهاج الدراسة في نظامية بغداد (بل وفي جميع المدارس النظامية) يقتصر على التفسير والحديث وبقية العلوم النقلية، وفق مذهب الإمام الشافعي (رحمه الله)، علاوة على اللغة العربية بنحوها وصرفها وآدابها، ويشير ابن الجوزي (ت: ٥٩٣هـ) في كتابه (المنتظم) إلى وقفية نظام الملك الخاصة بهذه المدرسة، ويقول: إنها تنص على أن يكون في المدرسة نحوي يتولى تدريس اللغة العربية بنحوها وصرفها، كما نصت على شروط القبول في تلك المدرسة، بأن يكون جميع المقبولين للدراسة على المذهب الشافعي، وينطبق هذا الشرط على المدرسين والوعاظ ومن يتولى إدارة المكتبة، أو الطلاب.

وقد ترك لنا ابن جبير في رحلته، وصفا لمحاضرة ألقاها الشيخ رضي الدين القزويني، في أيام زيارته لبغداد، فقال: "كانت المحاضرة بعد صلاة العصر، وقد كان المدرس يقف على منصته، والتلاميذ يجلسون على مقاعدهم ولاحظ أنهم كانوا يسألون المحاضر حتى وقت صلاة المغرب.

هذا وقد ذكر سعيد نفيسي في مقاله آنف الذكر: "إن عدد الطلاب في النظامية بلغ سنة ٤٨٨هـ (٣٠٠) طالب يتلقون الدرس من الإمام أبي حامد الغزالي، ثم ذكر أن عدد الطلاب بلغ إلى وقت لم يحدده ستة آلاف طالب، يتلقون العلوم الدينية من تفسير وفقه وحديث، علاوة على النحو والصرف والأدب وغيرها، وإن حلقة المدرس نصير الدين النيسابوري، كانت تتألف من (٤٠٠) فقيه.

❖ الإنفاق على النظامية:

من المعروف أن نظام الملك (رحمه الله) قد خصص أوقافاً لكل مدرسة أنشأها، ومنها نظامية بغداد التي كان ينفق عليها بسخاء من إيرادات تلك الأوقاف، مما ذكره ابن الجوزي عن الضياع والأملاك الموقوفة عليها. والمعروف أنه فرض لكل مدرس فيها، والعاملين بها، مخصصات معلومة من تلك الأوقاف. كما أجرى للطلاب غذاء يومياً بكميات معروفة كافية.

ومما ورد في مقال سعيد نفيسي آنف الذكر، قوله: إن نظام الملك أنفق على بنائها (٢٠٠) ألف دينار، من ماله الخاص، كما أنه ابتنى أسواقاً أوقفها عليها،

وضياعاً وحمامات ودكاكين ومستودعات تدر إيراداً لا يقل عن (١٥) ألف دينار في السنة، وقد أشار الى ذلك الرحالة ابن جبير الذي زار المدرسة في سنة ٥٨١هـ، وقال عنها: إنها كان غنية بأوقافها التي تصرف إيراداتها على المدرسين والطلاب. وقد أعجب بما يصنعه حكام هذه البلاد وبشأن هذه المدرسة وأمثالها. وأشار سبط ابن الجوزي (في كتابه مرآة الزمان) إلى ما وقفه نظام الملك سنة ٤٦٢هـ، بحضور القضاة، واشتمل الوقف على سوق المدرسة وضياعاً وغيرها.

ويذكر القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى) وجود وقفية لنظامية بغداد تشير بأن المدرسة مخصصة للشوافع فقط، ويشمل ذلك وظائف التدريس والوعظ وتولي أمور الكتب، وفيها توقيع عن الخليفة الناصر لدين الله للقاضي محيى الدين محمد بن فضلان بتولي التدريس فيها، مؤرخ سنة ٦١٤هـ، ويذكر ابن الأثير في تاريخه أن الخليفة الناصر قد عمّر خزانة الكتب بالمدرسة في سنة ٥٨٩هـ، وجهزها بألوف من الكتب النفيسة ويذكر ذلك سبط ابن الجوزي أن عدد الكتب التي أمر الناصر بحملها للمكتبة لا يقل عن عشرة آلاف كتاب. ولذلك فلا غرابة أن تكون هذه المدرسة من معالم بغداد المهمة التي تجتذب العلماء والزوار لبغداد، ومنهم ابن جبير.

وقد كانت (نظامية بغداد) أطول عمراً من بقية المدارس النظامية التي اختفت تدريجيا بسبب الحروب الجارفة التي شنها المغول على شرق العالم الإسلامي.

❖ أهمية نظامية بغداد:

لقد حظيت هذه المدرسة باهتمام المؤرخين لوقوعها في بغداد عاصمة الخلافة، ولذلك اهتموا بنشاطها وبأخبارها، إذا ما قورنت بغيرها من المدارس، كما اهتموا بذكر أساتذتها، من أمثال الكيا الهراسي، المبارك بن عبد الجبار (ت: ٥٠٠هـ)، وأبي بكر الشاشي (ت: ٥٠٧هـ) الذي تولى رئاسة الشافعية بعد وفاة الشيرازي. ثم هناك من أساتذتها (الطرطوشي) الذي برز في موضوع السياسة الشرعية، وهو ممن ذكرهم ابن خلدون الذي أشار إلى دراسة الطالب المغربي ابن تومرت الذي درس فيها، وقد عاد إلى المغرب، ونشر على قدر المستطاع ما تعلمه في بغداد، بين الطلاب المغاربة، مما أحدث نهضة علمية ملحوظة في المغرب.

ولا يفوتنا أن نذكر مغربيا آخر هو أبو الحجاج يوسف بن عبدالعزيز اللخمي الميورقي الأندلسي الذي درس الفقه في نظامية بغداد، على أبي الحسن الطبري حتى تخرجه، وعندها اتجه إلى بلاده، لكنه توقف في الإسكندرية، وأقام بها، ودرّس الحديث والفقه الشافعي حتى وفاته في سنة ٥٢٣ هـ(رحمه الله).

ثم هناك ابن عساكر الدمشقي، علي بن الحسين، المؤرخ والمحدث الكبير، فإنه قد تفقه في نظامية بغداد، وعقب عودته إلى دمشق بنى له نور الدين محمود، سلطان الشام دار الحديث النورية في دمشق، وقد تولى التدريس فيها حتى وفاته ٥٧١هـ.

وممن تفقه في نظامية بغداد العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ، الذي تولى وظائف عالية في حكومة صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله). وقد درس على أبي منصور سعيد بن الرزاز. وقد كان في بادئ أمره كاتبا للوزير ابن هبيرة في بغداد، بعد ذلك انتقل إلى دمشق فتولى الإشراف على ديوان الإنشاء لسلطانها نور الدين، قبل توليه رئاسة ديوان صلاح الدين الأيوبي، وقد قام بالتدريس بالمدرسة النورية، وهي للشافعية.

في الحقيقة إن نظامية بغداد اجتذبت الكثير من العلماء الذين طمحوا للتدريس فيها، حتى أن بعضهم تخلى عن مذهبه وصار شافعيا لتسهيل حصوله على وظيفة التدريس فيها، مثل القاضي أبو بكر محمد ابن يحيى بن المظفر المتوفى سنة ٦٣٩هـ الذي كان حنبلياً، وقد تحول إلى المذهب الشافعي، وتمكن من الفوز بكرسي التدريس في النظامية. ومثله أبوجعفر الدباسي، وهو عمر بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٠١هـ الذي عُين مشرفاً على مكتبة النظامية.

هذا وقد استمر الاهتمام بنظامية بغداد حتى بعد اغتيال نظام الملك في سنة ٤٨٥هـ، من قبل كفار الباطنية، وقد تجلى ذلك بزيارة لها قام بها سعد الملك، وزير السلطان محمد السلجوقي، وحضر أحد الدروس الملقاة من قبل علي بن الحسين الطبري. وكذلك تجلى الاهتمام بها بظاهرة إقامة المدارس على غرارها في بلاد الشام ومصر، في عهد الأتابكة والأيوبيين والمماليك، وخاصة في مصر، فأحصاها المؤرخ المقريزي فبلغت في مصر (٦٣) مدرسة! كما يمكن القول: إنها مهدت السبيل إلى إقامة المدرسة المستنصرية في

بغداد في سنة ٦٣١هـ، وكانت هذه المرة لتدريس فقه المذاهب السنية الأربعة، وبذلك تفوقت على النظامية!!

ويطيب لي أن أختم هذه الفقرة بما قاله الدكتور حسن إبراهيم حسن أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة القاهرة في كتابه المسمى (تاريخ الإسلام)، م٤ ص ٥٣٢، عند حديثة عن المدارس الإسلامية، إذ قال بالنسبة للمدرسة النظامية في بغداد: "كانت هذه المدرسة تعد أعظم المعاهد العلمية العالية". رحم الله نظام الملك الذي أقامها وغفر له.

❖ الخاتمة - مباني المدرسة:

من المؤسف جدا أننا لا نعرف وصفاً حقيقياً لمباني هذه المدرسة، يتناول قاعاتها وغرفها، وما إلى ذلك، بسبب ما تعرضت له من تخريب وتدمير على أيدي المغول، وقد زار ابن بطوطة بغداد في أواسط القرن الثامن الهجري، ولم يجد أثراً لهذه المرسة العريقة في بغداد، إلا أنه يمكن الاسترشاد ببعض الشيء، بمباني المدرسة المستنصرية التي سلم مبناها المركزي من الزوال، وهو يتألف من ساحة واسعة محاطة بمبان على شكل أواوين، وهي الأماكن التي تعقد فيها المحاضرات في الطابق الأرضي من المبنى، أما الطابق الأعلى فيتألف من غرف صغيرة لسكنى الطلاب.

وهناك قاعات كبيرة تختفي خلف هذه المباني يرتفع سقفها إلى ارتفاع الطابقين ويبدو أنها معدة للاجتماعات، أو خزائن للكتب. ولكننا لم نجد أثراً لبرج الساعة المشهورة التي كانت تزين مدخل المدرسة، ولا للمكتبة والمستوصف، حيث يعالج صحياً منسوبو المدرسة، علاوة على كونه جزءاً من قسم الدراسات الطبية التي كانت تضم هذه المدرسة، كما لا نجد أثراً للمطابخ ومستودعات المواد الغذائية وقاعات تناول الطعام، ولا الصيدلية التي تعد الدواء للمرضى ، هذا بالنسبة للمستنصرية، أما بالنسبة لمدرستنا النظامية، فإن المؤرخ الإيراني السيد سعيد نفيسي قد ذكر في مقاله عنها، والمنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، فيقول: لم يسلم من مبانيها إلا إيوان بابها، وقد بقي إلى أيام الحرب العالمية الأولى (١٣٣٥هـ - ١٩١٨م)، ولكنه لم يبق له أثر في الوقت الحاضر، مع الأسف الشديد.

❖ كشف المصادر (غير مرتبة بشكل معين):

١- طبقات الشافعية للسبكي (ت: ٧٧١هـ).

٢- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ).

٣- شذرات الذهب لابن العماد (ت: ١٠٨٩هـ).

٤- مجلة المجمع العلمي العراقي (يؤسفني فاتتني تدوين تاريخ صدورها).

٥- الأعلام لخير الدين الزركلي (الذي توفي قبل بضعة عشر سنة - لا أتذكر عددها).

٦- كشف الفنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧).

٧- ذيل كشف الظنون (سابق الذكر) لاسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ).

٨- طبقات الحفاظ للسيوطي (ت: ٩١١هـ)

٩- رحلة ابن جبير (ت: ٦١٤هـ).

١٠- رحلة ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هت)

١١- ابن الأثير المؤرخ (تاريخ الكامل) توفي (٦٣٠هـ).

١٢- جريدة العصر (قسم العراق) للعماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ).

١٣- المنتظم (في التاريخ) لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

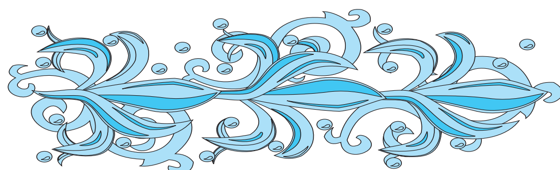
١٤- سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان) توفي (٦٥٤هـ).

١٥- صبح الأعشى للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ).

١٦- كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي (ت: ٨٤٥هـ).

١٧- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ).

كما تم الرجوع إلى المصادر التاريخية العامة، مما لا حاجة لإدراجها في هذا الكشف.



رسالة عمّان

شعر الاستاذ عبد الله بن علي العامري

ظمأً شربت الماء ما ارواني		وتعبت من ورد على الغدران
وعشقت كي اخفي عظيم صبابتي		وبقيت في ظمئي مدى الازمان
وتنقلت قدماي في كل الدنا		حتى لقيت الحب في عمان
قالوا جبال صعبة في وحشة		فأجبت مالي في هواه يدان
وسألت نفسي أن تكف عن الهوى		فجبالها محروسة بثمان
وعلى الجبال أشاوس من أمة		صنعت مفاخرها بحد سنان
الوارثون عن النبوة نورها		سننا تضيء جوانب الأكوان
الصامدون الشاهدون على الورى		الواصلون العفو بالاحسان
يا من اتيت وللصوارم رنة		وجيوش أهل البغي في الميدان
فوقفت وقفة هاشمي ماجد		حد ابي ثابت الاركان
ونسجت بردا احمديا للحمى		وجعلته بردا وامن امان
الأردن المعطاء دوح محبة		في ظل ملك ساد بالإيمان
لا هم باركهم فهم في دوحة		نبوية عظمت مدى الأزمان



خطبة الجمعة

فضل الحج والحرص عليه

بقلم الاستاذ رضا محمد

الدين الإسلامي الذي هدانا الله إلى اعتناقه أعم الأديان سعادة وهناء، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية، وأعظمها صلاحية للإنسان في كل زمان ومكان، فهو دين العقيدة والإيمان، دين الفضائل والأخلاق، يُحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره الكافرون، ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون﴾ الصف: ٩ .

وإن هذا الدين قد أسس على أركان قوية يشد بعضها بعضاً، وإن من أركانه العظيمة الحج، الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام **﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأنعام فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾** الحج: ٢٧-٣٠ .

والحج رحلة قدسية مباركة يقضي فيها المؤمن أوقاته في عبادة وذكر ودعاء، وتسمو فيها روحه في عالم من الطهر والصفاء

والنقاء، فيعود الحاج من هذا الركن، وقد تطهرت روحه، وهُذبت أخلاقه، وحسنت معاملته، وغُفرت ذنوبه يقول ﷺ: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، غُفر له ما تقدم من ذنبه)) الترمذي: ٨١١ .

وعندما تتحرك قوافل الحجاج ميممة وجهها شطر البيت الحرام لأداء مناسك الحج، فإنها تستجيب للنداء الخالد، الذي أعلنه أبو الأنبياء عليه السلام: **﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحج يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾** الحج: ٢٧ .

وتحقق ما أمرها به نبيها بقوله ﷺ: ((تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة)) الترمذي: ٨١٠ .

وتلهج في حجها بالدعاء الذي علمها نبيها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

والحج فريضة في العمر مرة، أخرج الترمذي: بسنده عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾** آل عمران: ٩٧، قالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله، في كل عام؟ قال: ((لا، ولو قلت: نعم لوجبت)).

والحج من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، أخرج البخاري: بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: ((إيمان بالله ورسوله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور)).

والحاج يعود بعد حجه وقد تطهر من الآثام، واغتسل من الذنوب والمعاصي إذا أدى حجه بشروطه وأركانه وآدابه، فيبدأ حياة جديدة، ويفتح صفحة ناصعة، ويشرع في أعمال البر والتقوى، ويزاول الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، أخرج

مسلم بسنده عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: ((تشترط بماذا))؟ قلت: أن يُغفر لي، قال: ((أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله)).

إخوة الإسلام: وإذا كان ثواب الحج كبيراً وأجره عظيماً، فلا ينبغي لمسلم أن يتقاعس عن أداء هذه الفريضة، ويسوف بها بذريعة أدائها فيما بعد من الأيام والأعوام، فهو لا يدري ما يحدث له، والمستقبل مجهول، والغد غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، بل الواجب عليه أن يتعجل الحج، وأن يبادر لأدائه، فهذا رسول الله ﷺ يقول: ((تعجلوا الحج -يعني الفريضة- فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له)) أحمد، وفي رواية لأحمد والبيهقي: ((من أراد الحج فليحج، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتكون الحاجة)).

فإذا هُيئت لك الأسباب فلا تتقاعس، فلربما أتتك ظروف ومشاغل حالت بينك وبين أداء هذه الفريضة، إذا كنت اليوم صحيح الجسم، خالياً من الارتباطات والمشاكل، تملك المال الذي تنفق، فاغنم هذه الفرصة، فقد لا تعوض، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة -سعة- فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية».

وعلى الحاج أن يلتزم في حجه بالأخلاق الإسلامية الفاضلة من الحلم والأناة وكظم الغيظ، وضبط الأعصاب، وتحمل هفوات الآخرين، وعدم التسبب في إيذاء الآخرين، وقضاء الأوقات في الذكر والعبادة، والابتعاد عن أحاديث اللغو والباطل، والكلام الفارغ، وذلك حتى يسلم له ثواب العبادة، ويكون حجه مبروراً.

سئل الحسن البصري رحمه الله: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

وعلى الإنسان أن يختار في حجه من ماله الطيب الذي لا شبهة فيه من الحرام، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمال الحرام يحول دون قبول العمل، ويجر الوبال على صاحبه، فالنفقة الحرام في الحج تضع صاحبها إلى أحط الدركات، وتحول بينه وبين إجابة الدعاء، أما النفقة الحلال فإنها ترفع صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتكون سبباً في قبول عمله.

والنفقة في الحج تعدل النفقة في سبيل الله، أخرج أحمد بإسناد حسن عن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف)).

فاحرصوا رحمكم الله على المال الحلال الذي تحجون فيه، واعلموا أن الحجاج وفد الله، إذا دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، فكونوا منهم، واسعدوا بلقائهم، واحرصوا على أن يدعوا لكم بالخير تفلحوا.

ذكر المنذري: بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم))، وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((يُغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج)).

فبادروا رحمكم الله إلى أداء هذا الركن العظيم، واحرصوا على ذلك، وتعجلوا، فإن السبل موفرة ولله الحمد والطرق آمنة، والخدمات اليوم قد يسرت على الحجاج الكثير من المتاعب، ويسرت لهم أداء هذه الفريضة، فتعجلوها يكتب لكم الخير في الدنيا والآخرة: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** آل عمران: ٩٧ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اللهم اجعل

حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً، وذنبنا مغفوراً، اللهم اغفر للحجاج، اللهم اغفر لأمة محمد أجمعين، واجمعهم على الحق يا رب العالمين، واجعلهم إخوة متحابين، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

إخوة الإسلام: الأيام ليست كلها سواء، والأوقات وساعات الليل والنهار ليست بمرتبة واحدة، فهناك أيام فاضلة وساعات كريمة تتنزل فيها الرحمة، ويعم فيها الفضل ويفيض الخير الإلهي، ومن هذه الأيام أيام العشر من ذي الحجة، يقول ﷺ: ((ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر - عشر ذي الحجة))، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال: ((ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء)).

وهذه الأيام المباركات الواجب على المسلم أن يشغلها بالأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى مولاه من الصلاة والصيام والدعاء وقراءة القرآن وإطعام الطعام وإغاثة الملهوف وإكرام الحاج والإحسان إليه وبذل المساعدة له، وكذلك التكبير، فقد كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم شديدي الحرص على هذه العشر، فهذا سعيد بن جبير رحمه الله كان إذا دخل أيام العشر، اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يقدر عليه.

فاتقوا الله عباد الله، وأروا الله من أنفسكم خيراً، فالسعيد من وفق لطاعة الله، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، فقد أمركم بذلك مولانا الكريم: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾** الأحزاب: ٥٦ .

فهرس عام المجلة
للمجلد الرابع والخمسين
١٤٣١هـ/٢٠١٠م

يشتمل على:

- **أولاً: عناوين الموضوعات**
- **ثانياً: أسماء السادة الكتّاب**

▪ إعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة

أولاً: عناويـــن المـوضـــوعـــات

ثانياً: أسماء السادة الكتّاب



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العـــدد الثالث - المجلـــد ٥٤
ربيع الثاني ١٤٣١هـ - آذار ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام

وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثالث ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

الإفتتاحية

قال الله عز في علاه: ﴿ان هذه أمتكم أمة

لا شك ان في تداول الليالي وتتابع الأيام، عبراً ومثلاً ينبغي استخلاصها والاستفادة منها للسير قدماً الى الامام ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر أو أراد شكوراً﴾.

فما من شك ان كل مسلم مدعو للتأمل في الماضي القريب والبعيد، تأملاً دقيقاً ويطالب بالنظر في الوضع الحاضر، نظراً فاحصاً وعميقاً، اذ بدون مراجعة للماضي ونظر في الحاضر، لا يمكن التطلع الى آفاق المستقبل، ولا استشراف ما يتوقع فيه من وقائع وأحداث، تنعكس آثارها على مسيرة الاسلام وحياة المسلمين، فمن وجد خيراً حمد الله وشكر، ومن وجد غيره تدبر واعتبر، واصلح ما فرط منه فيما مضى وغبر.

وامتثالاً لما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، من ان الدين النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم وان النصح لكل مسلم، شرط اساسي في صحة الانتماء للاسلام، وان من لم يهتم بأمر المسلمين ليس منهم، وان مسؤولية كل مسلم ان يتواصى مع اخوانه بالحق وان يتواصى معهم بالصبر، حتى يتجنب الجميع الوقوع في مزالق الباطل، وحتى نواجه بعزم وحزم جميع التحديات والأزمات التي تعترض أمتنا في مسيرتها عملاً بقول الله جل في علاه: ﴿والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

وان من فضل الله تعالى على هذه الأمة، ان جعل الاسلام دين الفطرة في مبادئه وأحكامه كافة، مستوعباً لجميع مراحل التطور،

واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾

مستجيباً لحاجات المجتمعات صالحاً للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة الى ادخال اي تغيير على مبادئه او تعديل، وكلما تقدمت البشرية خطوة الى الأمام، وجدت قيم الاسلام ومثله العليا سابقة لها متقدمة عليها، تضيء لها الطريق على الدوام.

ولا ريب ان هذا يتوقف على من يستوعب نصوصه الشريفة، ويدرك مقاصده، ويكون بإعداده اهلاً لاستنباط حكمه وأحكامه، واستخراج نفائسه وأسراره، ولا يتم هذا الا بالتعاون والتناصح ما بين جميع افراد وهيئات المجتمع الاسلامي، في الوقت الذي يتوجب على العلماء والدعاة أنفسهم ان يكونوا على بصيرة وان يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وان تكون دعوتهم خالصة لوجه الله عز وجل، يسودها طابع التعاون ويغمرها سمت الصفاء، لأن خيرية هذه الأمة المحمدية، لم تكن في يوم من الايام بسبب سمو في العرق أو الجنس والسلالة، اذ لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، وكلكم لآدم وآدم من تراب.

وإنما كانت خيرية هذه الأمة، بمقدار ما تبذله من النصح في إصلاح شؤون البلاد والعباد، وتطهير الأرض من الرجز والفساد، والتعاون على البر والتقوى، ونبذ الإثم والعدوان، وبذلك تقوم الحياة على أسس ومرتكزات من التوازن والانسجام.

أسرة التحرير

١

ابن السني ومنهجه في كتابه
«عمل اليوم والليلة»

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. علي حسين محمود عبد الله

❖ مقدمة:

صنف العلماء رضي الله عنهم في عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتبا كثيرة معلومة عند العارفين، تشحن همم الطالبين، وتسهل ذلك على الراغبين، وتقوي عزائم المعتنين والمتعبدين ـتيمنا بحديث النبي ﷺ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"(١).

وقد أمر الله تعالى بالذكر ورغب فيه بآيات كثيرة في كتابه فقال: **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشكروا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾**(٢)، وقال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجن وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**(٣)، وقال تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**(٤) وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**(٥) **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**(٦).

وفي الحديث كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ فَقَالَ: "سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ". قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ



قَالَ: "الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ"[٧].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أي يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوا وعشيا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى. وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضطجعا. وقال عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قول الله تعالى: **﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾**[٨].

وسئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله تعالى- عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا، وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات[٩].

والذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا، فمن لازم ذكر الله تعالى بلسانه مخلصا لله تعالى، وصلت بركة الذكر إلى قلبه فعاش قلبه بذكر الله تعالى. فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل فبه تسكن جميع جوارحه إلى ذكرالله تعالى فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر لله تعالى في المعنى.

وذكر الله تعالى لنا أكبر من ذكرنا لله، وذكر الله تعالى بالقلب ومراقبته، والحياء من نظر الله تعالى أكبر زجرا ونهيا عن المعاصي من جميع الطاعات مع الغفلة، قال تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾**[١٠].

وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسا في موضع استقبل القبلة وجلس متذللا متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه، لكن إن كان بغير عذر كان تاركا للأفضل والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**[١١].

وحديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ"[١٢].. وعنها قالت: "إني لأقرأ حزبي أو عامة حزبي

وأنا مضطجعة على فراشي"[١٣].

وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله، وقد تظافرت الأدلة على ذلك، منها أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر"[١٤] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس.

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّه مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ قَالُوا: وَاللَّه مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي وَإِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ". قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: "آللَّه مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ". قَالُوا: وَاللَّه مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: "أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ"[١٥].

وعَنِ الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"[١٦].

فعلم بهذا أن من أفضل حال العبد، حال ذكره رب العالمين، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ سيد المرسلين والذاكرين.

❖ أهمية هذا الموضوع:

إن دراسة مناهج المحدثين من المهام الأساسية التي تناط بعلماء الإسلام، والكتابة في مناهج المحدثين بخاصة من الصعوبة بمكان؛ لأن هذا يحتاج إلى معرفة وخبرة بعلوم الحديث عامة رواية ودراية، للنظر في الروايات متنا وإسنادا لسبر غورها وإستخراج ما وضعه وأودعه المصنف الخبير، من خلاصة خبرته ومعرفته بالصناعة الحديثية في مؤلفه خلال سنوات عمره في طلب العلم وتحصيله.

ودراسة منهج ابن السني في كتابه "عمل اليوم والليلة" ليست أقل أهمية عن غيرها من الدراسات المنهجية الحديثية التي تساهم في تذليل العقبات التي

تعترض طلاب الحديث في الإفادة من كتب المحدثين ببيان عبقرية المحدث، ودقة المنهج، وسداد الحكم، وعمق العلم، لا سيما وأن الإمام ابن السني لم يحظ بدراسة تهتم بتوضيح معالم منهجه في كتابه "عمل اليوم والليلة".

ولاختيار هذا الموضوع أسباب عدة نوجزها فيما يلي:

١- الرغبة الملحة في تقديم شيء ينفع، لا سيما في تلمس مناهج علماء الحديث، مع ما فيه من المشقة والغموض، ففيه حل لمقفل، أو توضيح لمبهم، أو استنباط لقاعدة، أو تفهم لمصطلح، أو تحرير مسألة، أو مناقشة رأي، أو استدراك يفتح الله به.

٢- أن الإمام ابن السني -رحمه الله تعالى- أحد الأئمة النقاد المقتدى بهم في الإسلام والمعتمد على أقوالهم وخاصة في علوم الحديث جرحا وتعديلا في الحكم على الرواة والمرويات، ودراسة واحد من كتبه ككتاب "عمل اليوم والليلة" وبيان منهجه فيه مهم جدا في الصناعة الحديثية رواية ودراية من جهة، ومن جهة أخرى بيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من المحافظة على الأذكار الشرعية خلال يومه وليلته.

٣- خلو المكتبة الإسلامية من كتاب جامع يتحدث عن ابن السني وكتابه "عمل اليوم والليلة" ولو بإيجاز فضلا عن الشمول والاستيعاب.

٤- الانتقاد الموجه لجملة من أحاديثه ورجاله في كتابه "عمل اليوم والليلة"، واستغلال ذلك ممن لا دراية له للطعن فيه.

٥- لم يحظ الإمام ابن السني بدراسة تهتم بتوضيح معالم منهجه في كتابه " عمل اليوم والليلة " .

٦- الرغبة الملحة في الكشف عن مناهج المحدثين في مصنفاتهم.

٧- فقدان بعض المصادر التي ترجمت لابن السني بتوسع وشمول.

٨- أن بعض من اعتنى بكتاب "عمل اليوم والليلة" لابن السني لم يضع للكتاب مقدمة ولا تمهيدا ولا ترجمة لابن السني ولا إطارا عاما يتحدث فيه عن الكتاب أستطيع معه التعرف على الكتاب ومؤلفه.

❖ أولا: اسمه وولادته:

الإمام الحافظ الثقة الرحال، أبو بكر،

أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بديح الهاشمي الجعفري مولاهم الدينوري - مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي -، المشهور بابن السني المحدث. قال السمعاني: "ولعل بديحا مولاه"، المولود سنة ثمانين ومائتين: ٢٨٠[١٧].

❖ ثانيا: نسبه:

اتفق المؤرخون على أن الإمام ابن السني هاشمي النسب، فهو بهذا عربي خالص النسب[١٨].

❖ ثالثا: نسبته:

نسب الإمام ابن السني إلى دينور، واشتهر بابن السني . وترجع هذه النسبة إلى أمرين اثنين:

أما الأول: فهو نسبة إلى دينور، قال السمعاني: "الدينوري: بكسر الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح النون والواو وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الدينور، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين، كان بها جماعة من العلماء المحدثين والمشايخ المشاهير، منهم: أبو بكر محمد بن علي بن الحسن الدينوري، وأبو أنس محمد بن أنس الكوفي الدينوري مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٩].

قال الحموي في معجم البلدان: "بين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا، وبين الدينور إلى شهروز أربع مراحل، والدينور بمقدار ثلثي همذان، وهي كثيرة الثمار والزروع، ونسب إلى دينور جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث"[٢٠].

وأما الثاني: فقال السمعاني: "هو بضم السين المهملة وتشديد النون المكسورة، وهذه النسبة إلى السنة التي هي ضد البدعة، ولما كثر أهل البدع خصّوا جماعة بهذا الانتساب"[٢١].

❖ رابعا: عصره:

أولا: الحركة العلمية في عصره:

عاش الإمام أبو بكر ابن السني رحمه الله في نهاية القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الرابع الهجري (٢٨٠هـ، ٣٦٤هـ) وشهد هذا القرن حركة علمية واسعة ونشيطة، فانتشرت الثقافة الإسلامية فيه انتشارا يدعو إلى الإعجاب بفضل تمسك المسلمين بدينهم وسعيهم لأن يمسكوا الناس به وتقديمه لهم بأجمل صورة وأبهى حلة، فنضجت ملكات المسلمين في البحث والتأليف، واتسعت

آفاق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لا سيما الأقطار الإسلامية، فإن الصلات بينها لم تنقطع على الرغم من أنها لم تكن تدين كلها لحاكم واحد، وعلى ما رغم ما بينها من تباعد وما في أطرافها من اتساع، إضافة إلى الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وتشجيع كثير من الخلفاء والأمراء وإعطائهم الأعطيات الجزيلة لأهل العلم مما ساهم في دفع عجلة الثقافة وإذكاء الفكر بتنوع المعارف والمشارب[٢٢].

ثانيا: أثر الحركة العلمية في ازدهار العلوم في عصره:

كان لهذه الحركة العلمية الواسعة الأثر الهام في ازدهار العلوم الإسلامية عامة وعلوم الحديث خاصة، فشهد هذا القرن "قمة ما بدأه الصحابة ومن بعدهم من الأئمة من أجل المحافظة على السنة من حيث التدوين والنقد والتأليف فيهما" فازدهر فيه الحديث وعلومه وبلغ الذروة ودون تدوينا كاملا حتى صار هذا العصر بحق "أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتآليفهم الخالدة" وهو عصر "كبار المحدثين، وحذاق الناقدين، ومهرة المؤلفين" من أمثال يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) والبخاري (ت٢٥٦هـ) وأبي زرعة الرازي (٢٦٤) وابن ماجة (ت ٢٧٥هـ) وأبي داوود (ت ٢٧٥هـ) وأبي حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ) وغيرهم[٢٣].

وقد تنوعت جهود المحدثين في هذا القرن في تدوين السنة وخدمتها، وصيانتها، وتمييز صحيحها من سقيمها، وتحديد اصطلاحاتها والكلام في ناقليها تجريحا وتعديلا، فمنهم من ارتأى إفراد حديث رسول الله ﷺ بالاقتصار في التصنيف على الحديث المرفوع دون ما أضيف إلى الصحابة والتابعين، وقصروا همتهم على تدوين الحديث مطلقا، وصنفوا المسانيد ورتبوا الأحاديث فيها على ترتيب الصحابة، وهي كثيرة جدا في هذا العصر ومما وصلنا منها مسند الحميدي (ت ٢١٩هـ) ومسند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ).

ومنهم من جرد الحديث الصحيح كالإمام البخاري ومسلم، ومنهم من وضع كتابا في السنن تشتمل على الصحيح وما دونه على اختلاف في مراتبها كسنن

الترمذي وأبي داوود والنسائي وابن ماجة، ومنهم من جمع أحاديث النبي ﷺ في باب من أبواب العلم ككتاب "عمل اليوم والليلة" للنسائي و "عمل اليوم والليلة" لابن السني، كما قال صاحب كشف الظنون: "وقد جمع العلماء جموعا من كلمات النبي ﷺ الجامعة كابن السني في (الإيجاز) جمع منه جوامع الكلم"[٢٤].

ثالثا: تعرض ابن السني لمحنة السلاطين وبلائهم كغيره من العلماء المخلصين العاملين:

ولا شك في أن تعرض أهل العلم للفتنة والابتلاء لا يكون عبثا وإنما لأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر، ولوقوفهم في وجه الطغاة الظالمين، ولطلبهم الحثيث في إقامة العدل، ونشر الحق، ودفع الظلم، ورد الحقوق إلى أصحابها، ولوقوفهم عند حدود الإسلام - عقيدة وشريعة ومنهج حياة - ولا غرو بأن نجد الإمام ابن السني قد تعرض للضرب أكثر من مرة، مما يدل على انه من العلماء العاملين الناصحين، وقد مر في سبب تسميته بابن السني كما يقول السمعاني: "ولما كثر أهل البدع خصوا جماعة بهذا الانتساب - أي إلى السنة - "مما يدل على أنه كان ملتزما بسنة الحبيب المصطفى ﷺ وقافا عندها لا يتعداها إلى غيرها من البدع، ولا يخاف في الدفاع عنها لومة لائم.

ومما يدل على تعرضه للضرب أكثر من مرة ما رواه الإمام ابن كثير - رحمه الله - في "البداية والنهاية" قال: "وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالاسكندرية في سابع رجب، وذلك أن رجلا من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج على باب البحر، فضرب أحدهما الآخر بنعل، فرفع الأمر إلى الوالي فأمر بغلق باب البلد بعد العصر، قال له الناس: إن لنا أموالا وعبيدا ظاهر البلد وقد أغلقت الباب قبل وقته، ففتحه وخرج الناس في زحمة عظيمة، وقتل منهم نحو عشرة، ونهبت عمائم وثياب وغير ذلك، كان ذلك ليلة الجمعة، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالي فأحرقوها وثلاث دور لبعض الظلمة، وجرت أحوال صعبة، وكسرت العامة باب سجن الوالي فخرج منه من فيه، فبلغ نائب السلطنة، فاعتقد النائب أنه السجن الذي فيه الأمراء، فأمر بوضع السيف في البلد وتخريبه، ثم إن الخبر بلغ السلطان فأرسل طيبغا الجمالي سريعا، فضرب وصادر، وضرب القاضي ونائبه

وعزلهم، وأهان خلقا من الأكابر، وصادرهم بأموال كثيرة جدا، وعزل المتولي ثم أعيد ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الإخنائي الشافعي الذي تولى دمشق فيما بعد، وعزل قضاة الاسكندرية المالكي ونائباه، ووضعت السلاسل في أعناقهم، وأهينوا وضرب ابن السني غير مرة"[٢٥].

❖ خامسا: وفاته:

قال يحيى بن عبد الوهاب بن منده: حدثنا عمي أبو القاسم، سمعت القاضي روح بن محمد الرازي سبط أبي بكر بن السني، سمعت عمي علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق يقول: كان أبي - رحمه الله تعالى - يكتب الأحاديث، فوضع القلم في أنبوبة المحبرة، ورفع يديه يدعو الله - عز وجل - فمات.

وسئل عن وفاته فقال: في آخر سنة: أربع وستين وثلاث مائة: ٣٦٤هـ، وعاش بضعا وثمانين سنة[٢٦].

❖ أولا: رحلاته:

ارتحل ابن السني وطوف في البلاد وأكثر الترحال، فرحل إلى مصر والشام والعراق والجزيرة، وكتب الكثير، وسمع خلالها جملة كبيرة من مرويات شيوخه وتخرج في مدرستهم الحديثية - التي كانت ابتداء من القرن الثالث أنشط مدارس الحديث رواية ونقدا وتدوينا - فنضج علمه وتوسعت مداركه واتجه إلى الرحلة الخارجية[٢٧].

❖ ثانيا: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

قال الإمام الذهبي: "الإمام الحافظ الثقة الرحال"، "كان دينا خيرا صدوقا"[٢٨].

وقال الحافظ عبد الغني الأزدي: "كان حمزة الكناني يرفع بابن السني"[٢٩].

❖ ثالثا: أمانته العلمية:

إن الدارس المتفحص لكتاب "عمل اليوم والليلة" لابن السني يجد أنه يحافظ دائما على صيغ التحديث: "حدثني وأخبرني" التي تفيد السماع من الشيخ وهذا ديدنه في سائر الكتاب، وإذا أخذ من كتاب صرح بذلك، وهذا ما يبينه قوله في حديث رقم (٦٠٣، ٨٢) ولم أجد غيرهما:

حديث رقم (٦٠٣): حدثني أحمد بن إبراهيم المديني بعمان، حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن

مسروق، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ مسرورا، فقال: "يا عائشة، إن الله عز وجل زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم في الجنة" قالت: قلت: بالرفاء والبنين يا رسول الله.

قال أبو بكر بن السني: كذا كتبت من كتابه[٣٠].

وقال في حديث رقم (٨٢): في كتابي عن محمد بن هارون الحضرمي، الحديث.

❖ رابعا: شيوخه:

واذكر هنا جماعة من الشيوخ الذين سمع منهم، وهم[٣١]:

أ . أبو خليفة الجمحي، وهو أكبر مشايخه.

ب . أبو عبد الرحمن النسائي، وأكثر عنه.

ج . أبو يعقوب إسحاق المنجنيقي.

د . عمر بن أبي غيلان البغدادي.

هـ . محمد بن محمد بن الباغندي.

و . زكريا الساجي.

ز . أبو القاسم البغوي.

ح . عبد الله بن زيدان البجلي.

ط . أبو عروبة الحراني.

ي . جماهر بن محمد الزملكاني.

ك . سعيد بن عبد العزيز.

ل . محمد بن خريم.

م . أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي.

وخلقا كثيرا .

❖ خامسا: التلاميذ:

كان للإمام ابن السني جمع من التلاميذ من أصقاع شتى وبلاد مختلفة، حملوا علمه، ونشروا مؤلفاته، فعم النفع بها، ومن هؤلاء[٣٢]:

أ . أبو علي أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

ب . أبو الحسن محمد بن علي القلوي.

ج . علي بن عمر الأسداباذي.

د . القاضي أبو نصر الكسار، وعدة غيرهم.

❖ سادسا: مؤلفاته:

١ . "عمل اليوم والليلة" يقول الإمام الذهبي: إن الإمام ابن السني جمع وصنف كتاب "عمل اليوم والليلة" وهو من المرويات الجيدة[٣٣].

٢ . "المجتبى" وهو اختصار لسنن النسائي[٣٤].

٣ . كتاب "القناعة"[٣٥].

٤ . كتاب "الإيجاز في الحديث"[٣٦].

٥ . كتاب "رياضة المتعلم"[٣٧].

٦ . كتاب "الإخوان"[٣٨].

٧ . "فضائل الأعمال"[٣٩].

٨ . "الطب النبوي"[٤٠].

٩ . "الصراط المستقيم"[٤١].

❖ سابعاً: اختلاف أهل العلم فيمن اختصر سنن الإمام النسائي؟! هل هو الإمام ابن السني أم شيخه النسائي؟

اختلف أهل العلم سلفا وخلفا فيمن اختصر سنن النسائي ـ السنن الكبرى ـ وإليك بيان ذلك:

قال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحافظ ابن السني: "كان دينا خيرا، صدوقا، اختصر السنن وسماه المجتبى"[٤٢].

وقد انتصر لرأي الحافظ الذهبي الشيخ شعيب الأرنؤوط فقال: "والمطبوع المتداول بين طلبة العلم هو المجتبى منه، وهو اختيار تلميذه – أبي بكر أحمد بن محمد بن السني صاحب كتاب "عمل اليوم والليلة" نص على ذلك الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ[٤٣].

وقال ابن الأثير صاحب "جامع الأصول" وهو يترجم للإمام النسائي: إن المجتبى من تأليف النسائي وانتقائه وأنه تحرى فيه الصحة[٤٤].

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي في ترجمة الإمام النسائي ما نصه: "وقد جمع السنن الكبرى وانتخب منه ما هو أقل حجما منه بمرات، وقع لي سماعها، وقد أبان في تصنيفه من حفظ واتقان، وصدق وإيمان، وعلم وعرفان"[٤٥].

وقد أيد بعضهم رأي الإمام الذهبي ومن وافقه بما رآه في باب النضح من الطهارة، (قال ابن السني: الحكم هو ابن سفيان الثقفي)، وفي باب صلاة الخوف (قال أبو بكر بن السني: الزهري سمع من ابن عمر حديثين ولم يسمع هذا منه)، وليس ذلك بشيء أما ترى كتاب السنن لابن ماجة ثم الصحيحين أدرج فيهما بعض ما وقع من المتابعات ونحوها لرواتها فكذا ههنا.

ويمكن حمل رأي الإمام الذهبي ومن وافقه على أن يكون ابن السني باشر اختصارها بأمر النسائي أو أعانه في ذلك وما أشبه هذا فلتحمل عليه.

وأيد هذا الرأي الدكتور عبد الرحمن كوثر فقال: فهذا هو أقرب إلى الصواب، بل هو الصواب لما أنه وقع في بداية كتاب الصيد والذبائح من المجتبى: (أخبرنا الإمام أبو عبد الرحمن النسائي بمصر قراءة عليه وأنا أسمع) فهذا صريح في أن "ابن السني" هو راو - للسنن الصغرى - المعروف "بالمجتبى" للإمام النسائي، وليس هو اختصر السنن الكبرى[٤٦].

فإن كان الإمام ابن السني - رحمه الله تعالى - هو الذي اختصر "السنن الكبرى" أو لم يختصرها وإنما باشر باختصارها بأمر النسائي، أو أعانه في ذلك، أو رواها عن شيخه النسائي - رحمه الله تعالى - فهذه منقبة عظيمة وكبيرة له، وقد انتفعت الأمة به انتفاعا كثيرا، قديما وحديثا، والله تعالى أعلم بالصواب.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١ . صحيح مسلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة: ١٧ / ٢٥٠، برقم (٦٩٨٠).

٢ . البقرة : ١٥٢

٣ . الذاريات : ٥٦

٤ . الجمعة: ١٠

٥ . الرعد: ٢٨

٦ . الأحزاب: ٣٥

٧ . صحيح مسلم، باب الحث على ذكر الله تعالى: ١٧ / ٢٥٦ ، برقم: (٦٩٨٤).

٨ . الأذكار للنووي ص ٩ .

٩ . المصدر السابق ص ٩ .

١٠ . طهارة القلوب لعبد العزيز الديري ص٣٢ .

١١ . آل عمران: ١٩٠ - ١٩١ .

١٢ . صحيح البخاري، باب قراءة الرجل في حجر زوجته: ٢ / ٢٠، برقم: (٢٩٧).

١٣ . مصنف ابن أبي شيبة، باب ما أمر به من تعاهد القرآن: ٢ / ٣٨٤، حديث (٤).

١٤ . سنن الترمذي، باب (٨٣)، ٥ / ٥٣٢، برقم: (٣٥١٠)

١٥ . صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على، ١٧ / ٣١٤، برقم: (٧٠٣٢).

١٦ . صحيح مسلم، فضل الاجتماع على، ١٧ / ٣١٢، برقم: (٧٠٣٠).

١٧ . سير أعلام النبلاء للذهبي١٦/ ٢٥٥، ط٢ مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرناؤط، تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٩٣٩، ط١١، دار إحياء التراث العربي، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤/ ٣٣٩، ط١دار ابن كثير، كشف الظنون

لحاجي خليفة ١/ ٢٠٦، ط وكالة المعارف ١٩٤٣م، هداية العارفين ١/ ٣٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٢١٥، تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٢٧١١، المنتظم لابن الجوزي ٨/ ٧٠، ط١ دار صادر، الوافي بالوفيات ١/ ٢١٦٧، الأنساب للسمعاني ٢/ ٥٣١ ط١، دار الجنان، تعليق: البارودي.

١٨ . المراجع السابقة.

١٩ . الأنساب للسمعاني ٢/ ٥٣١ .

٢٠ . معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٥٤٥، دار الفكر.

٢١ . الأنساب للسمعاني ٧/ ٢٧٨ .

٢٢ . تاريخ الإسلام ٣/ ٣٢٣ .

٢٣ . المدخل إلى توثيق السنة ٦٢، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي: ١٠٥ ـ ١٠٦، المكتب الإسلامي، ط٤، الحديث والمحدثون ٣٦٧ .

٢٤ . كشف الظنون ١/ ١، ١/ ٢٠٦ .

٢٥ . البداية والنهايه لابن كثير، مكتبة المعارف ١٤/ ١٢٨ .

٢٦ . الوافي بالوفيات ١/ ١٠٠٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١١٣، السير ١٦ / ٢٥٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٠، تاريخ دمشق ٥/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

هداية العارفين ١/ ٣٥ .

٢٧ . السير ١٦ / ٢٥٥، التذكرة ٣/ ٩٣٩، شذرات الذهب ٤/ ٣٣٩ .

٢٨ . التذكرة ٣/ ٩٤٠ .

٢٩ . السير ١٦/ ٢٥٦، تاريخ دمشق ٥/ ٢١٥ .

٣٠ . أخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال : قال ﷺ: "إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى" الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٤٦) .

٣١ . السير ١٦ / ٢٥٥، التذكرة ٣/ ٩٣٩، تاريخ دمشق ٥/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

٣٢ . السير ١٦/ ٢٥٥، تاريخ دمشق ٥/ ٢١٥، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

٣٣ . السير ١٦/ ٢٥٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٣٩، كشف الظنون ٢/ ١١٠٧٢، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

٣٤ . السير ١٦ / ٢٥٦، التذكرة ٣/ ٩٤٠، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

٣٥ . هداية العارفين ١/ ٣٥، تاريخ الإسلام ١/ ٢٧١١ .

٣٦ . هداية العارفين ١/ ٣٥ .

٣٧ . كشف الظنون ١/ ٩٣٨ .

٣٨ . معجم البلدان ٥/ ٢٢٢ .

٣٩ . الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٩، ط٣، بيروت ١٩٦٩م .

٤٠ . المرجع السابق .

٤١-٤٢ . المرجع السابق .

٤٢ . التذكرة ٣/ ٩٣٩ .

٤٣ . حاشية تهذيب الكمال ١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩، حاشية سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥٦ .

٤٤ . توضيح الأفكار للصنعاني ١ / ٢٢١، المكتبة السلفية ت: محمد محيى الدين عبد الحميد .

٤٥ . البداية والنهاية ١١/ ١٢٣، عمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٣ـ ١٤، ط١، دار الأرقم، ت: عبد الرحمن كوثر البرني.

٤٦ . عمل اليوم والليلة لابن السني، ت : عبد الرحمن كوثر، ص١٣ – ١٤ .

١

إدارة الاختلاف في الرؤية القرآنية

■ **بقلم الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي**

❖ مقدمة:

لقد تعددت جوانب البناء الدقيقة التي ميزت النظام الاسلامي وجعلته منهج حياة، وبرنامجاً حقيقياً لمعالجة أدواء البشر، وفطرهم التي خلقوا عليها، وكانت من أوائل الجوانب الحضارية التي جاء بها الوحي الإلهي، تشييداً للبناء المرصوص للدين الاسلامي امران: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

ففي كلمة التوحيد: تتوجه النفس نحو خالقها ليهيئ لها برنامج حياتها فهو الذي فطرها، ولذا كان الدين هو الفطرة **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾** الروم: ٣٠، وعار كما هو غباء على من يسير الآلة على برنامج صانعها، ان يأبى تسيير البشر على النظام الذي وضعه خالقهم.

وفي توحيد الكلمة: يتسق التكامل الديني والدنيوي، والتآزر العلمي والعملي، والتعاون النخبوي والعام، والترابط المجتمعي لإقامة الدين كله لله، وانشاء مؤسسات النهضة والتعبئة الثقافية العامة، ولإحراز النصر في مجالات الاعمار المختلفة، والتقدم العام الشامل لسعادة الدنيا والآخرة **﴿لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر﴾** المدثر: ٣٧ .

وقد جمع هذان الأمران في قوله عز وجل: **﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ❖ واعتصموا بحبل الله**

جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعــداءً فــألف بين قلوبكم﴾ آل عمران: ١٠٢-١٠٣ .

والجمع بين الأمرين بفقه واع يورث التطبيع النفسي لفقه الاختلاف، ويؤدي الى اشاعة التعددية في الرأي مع وحدة الموقف العام، ويوجد برامج جديدة في معالجة الواقع والتخلص من حالة الاستضعاف، واستثمار الفرص، وتحقيق المكاسب في المواقع المختلفة، او على الأقل تقليل الخسائر التراكمية.

❖ العلاقة بين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة:

والعلاقة بين الركيزتين واضحة فكما ان كلمة التوحيد تدعو الى الايمان بالله وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها فإن توحيد الكلمة دعوة الى عروة وثقى بين المسلمين لا انفصام لها، فالثانية «انعكاس عملي تام للأولى، فمن كان ربهم واحداً، لا بد بالضرورة ان تكون كلمتهم واحدة» وقبلتهم واحدة، وسبب خلقهم ومعاشهم واحداً، لا بد بالضرورة ان تكون كلمتهم واحدة[١] كما قال ربنا تعالى وهو يسن قانون وجود الأمة وبناء حضارتها: **﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** الأنبياء: ٩٢ .

وجعلت الشريعة من أهم وسائل التعاون العام، والأخوة الايمانية تربية أفرادها على الاستيعاب النفسي والعلمي لفقه الاختلاف، سواء من حيث الاعتراف الواقعي بوجوده، او من حيث كيفية التعامل معه أو الاعتراف بمشروعيته فيما هو مشروع فيه، أو بالتوقي من شروره حال تأديته الى ذلك، حتى أعلن الفقهاء قانوناً عاماً يضبط التعامل البيني، **وهو قانون «لا إنكار في مسائل الخلاف»** وهذا القانون يعكس «صورة الانفتاح الفقهي المنضبط على آراء الآخرين واختلافاتهم، ويضبطها بالنصوص الشرعية والمقاصد العامة للتشريع، ويستوعبها ضمن الأخوة الاسلامية، ووحدة جماعة المسلمين»[٢].

وبذا فإن الشريعة سبقت في استيعاب التباينات الفكرية والعلمية في حين تشهد الساحة العالمية في وقت متأخر ارتفاعاً لرايات الحوار «الهادئ» و «الموضوعي» وتشييداً لأعلام مبدأ «الرأي الآخر».

ويحاول الباحث في هذه الكلمات ان يبين الرؤية القرآنية لإدارة الاختلاف من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: المنهجية الدعوية تؤسس

ثقافة الاختلاف لا ثقافة المخالفة.

الفصل الثاني: ثمار نشر ثقافة الاختلاف في المنهجية الدعوية.

الفصل الثالث: الأطر الشرعية العامة التي تخضع لها مسائل الاختلاف.

على ان الباحث حين يحدد ذلك بالرؤية القرآنية لا يعني الاقتصار على الآيات ذات العلاقة، بل يعني ما يستلزم ذلك من البيان النبوي للقرآن الكريم، والمنتجات الحضارية للرؤية القرآنية في الفكر الاسلامي، والتاريخ الفقهي.

❖ الفصل الأول: المنهجية الدعوية تؤسس ثقافة الاختلاف لا ثقافة المخالفة:

أولاً: وحدة الغاية وصحتها من كلا الطرفين المختلفين، وليس مجرد الهوى في المخالفة.

ثانياً: وجود الحجة المقنعة، وليس مجرد المخالفة المحضة.

وبالرجوع الى المصطلح القرآني نجد بالتأمل ان استعمال «خالف» يكون في حالة العصيان الواقع عن قصد، كمن يخالف الأوامر، وعليه قوله تعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾** النور: ٦٣، ولم يقل: يختلفون في أمره.

واستعمال «اختلف» يكون في حالة المغايرة في الفهم الواقع من تفاوت وجهات النظر، وعليه قوله تعالى: **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾** النحل: ٦٤، ولم يقل: خالفوا فيه، وقوله تعالى: **﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾** البقرة: ٢١٣، فجعله اختلافاً لا مخالفة وعليه فإن سلف الأمة وجميع الأئمة لم يختلفوا ليخالف بعضهم بعضاً، أو يخطئ بعضهم بعضاً، وانما اختلفوا في سبيل الوصول الى الحق وتحقيق مقاصد الشرع بما يتوصلون اليه من فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[٣].

وأما تعبير الفقهاء في القاعدة الشهيرة: لا انكار في مسائل الخلاف، فإن معنى ذلك ان كلاً من طرفي الخلاف له وجهه وإلا وجد الإنكار، فجعلوا الخلاف هنا غير مذموم، ولم يقولوا: الاختلاف، فالجواب: هذا الفرق بين الخلاف والاختلاف غير معتبر أحياناً فقد وقع في كلام بعض الأصوليين والفقهاء عدم اعتبار هذا الفرق، بل يستعملون احياناً اللفظين بمعنى واحد، فكل أمرين خالف احدهما الآخر خلافاً، فقد اختلفا اختلافاً، وقد يقال: ان الخلاف أعم مطلقاً من الاختلاف، وينفرد الخلاف في

مخالفة الاجماع ونحوه، فيمكن ان يطلق الخلاف على الاختلاف(٤).

❖ العواصم الاخلاقية التي تنمي الاختلاف الايجابي المثمر:

هناك عاصمان أخلاقيان ضروريان لا بد من اصطحابهما عند الاجتهاد في ابداء الرأي حتى لا نقع في المخالفة والخلاف المذموم، وهذان العاصمان أخلاقيان لا يتعلقان بمجرد المفاكرة أو المباحثة العلمية:

أولهما: يتلخص في نبل الغاية، وإخلاص النية عند البحث العلمي، أو المطارحة الفكرية حول قضية من القضايا، فلا يكون الحادي للخلاف الهوى، ولا التعالي، وطلب المجادلة او المماراة أو الرغبة في الاشتهار والظهور، ولا إظهار المخالفة المحصنة، وقد ذكرالنبي ﷺ ذلك في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه فقال: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، او ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار»(٥).

والنبي ﷺ يربط البحث العلمي بالآخرة ليخلص البحث وجهه للهدف العلمي الأسمى وهو الوصول للحقيقة، ويزداد إخلاصاً عندما يذكر ان هذا الهدف الصادق يقربه من الله، فيخلص لله في بحثه، فكل الأغراض المذكورة لا تغني عن الانسان شيئاً يوم يفلح المخلصون.

وثانيهما: التطبيق الواقعي لمفهوم الرحمة: كخفض الجناح للمؤمنين، والرفق بهم، ولذا ذكر الله عز وجل ان اهم صفة عملية ظاهرة من صفات الأمة المنقذة التي يحبها الله وتحبه: **﴿أذلة على المؤمنين﴾** المائدة: ٥٤ .

❖ الفصل الثاني: ثمار نشر ثقافة الاختلاف في المنهجية الدعوية:

أولاً: رسالة الرحمة للعالمين تستوعب التعامل المتوازن مع الاختلاف وفق مفهوم الرحمة:

الهدف العام الذي اعلنته رسالة الاسلام الخاتمة الخالدة منذ ان أشرق سناها على العالمين هو هدف الرحمة للعالمين **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: ١٠٧، وهذه الغاية لرسالة الاسلام ترسي لنا دستوراً دائماً في التعامل مع ظاهرة الاختلاف، اذ تضبط التعامل بين المختلفين بضابط الرحمة وسيلة وهدفاً، سواء كان هذا الاختلاف واضحاً: من خلال التنوع في وسائل التفكير ونتائجه،

او من خلال العمل ضمن إطار الأمة الواحدة.

ومفهوم الرحمة في ميدان الاختلاف يتميز بالعموم في:

مدلولها الذي يشمل الرفق واللين وإحسان الظن والتعامل وفق ما يمليه الظاهر، وفي مداها ونطاقها الذي ينسحب على من اختلف معهم سواء ضمن إطار الدين الواحد أو ضمن بقية «العالمين» ومن الأمثلة التفصيلية لذلك: ضرورة الحفاظ على ما يؤدي الى الإحسان للجار الجنب كما في الآية ٣٦ من سورة النساء، مع ان الاختلاف معه اختلاف تضاد اذا أخذنا بأن تفسيره هو اليهودي والنصراني وغير المسلمين عموماً، في مقابل الجار ذي القربى الذي هو المسلم، وهو أحد الأقوال التفسيرية الوجيهة[٦].

وقد علق الإمام القرطبي رحمه الله على ذلك بقوله: «وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب اليها مسلماً كان أو كافراً وهو الصحيح» ثم يبين نوع الإحسان بقوله: «والاحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه»[٧]، مع ان اختلاف المسلم مع غير المسلم اختلاف تضاد لا تنوع من حيث الديانة كما هو معلوم استقر ذلك في كل منهما.

ثانياً: ثقافة الاختلاف في الاسلام تحافظ على السلم الاجتماعي في ظل التنوع:

فإن ما سبق يبين مدى التمتع بالظاهرة الحضارية، والنضج الاجتماعي، والايماني عند الأفراد والجماعات، وبموجب المبادئ القانونية التي وضعها الفقهاء لإدارة الحوار بينهم اصبح كل يعبر عن رأيه، ويحق للآخر ان ينتقده وفق أي قناعة فكرية، ولكن في ظل الثوابت، ولذا وجدت اربعة مذاهب تمثل المذاهب الأشهر في بلاد المسلمين، أما المذاهب الفقهية المشهورة فهي أكثر من هذا العدد بكثير.

عاش المسلمون في ظل هذه التعددية الثقافية ردحاً من الدهر مثّل قروناً متطاولة منذ جاء الاسلام، ولم يؤد هذا التنوع الفكري، او التعدد الثقافي في ظل الثوابت الى شيء من الاضطراب أو التنازع، ولم يكن الاختلاف في الرأي ليفسد قوة الإخوة في الايمان، كما لم يُحدث تعصباً لمدرسة فقهية من هذه المدارس المتنوعة والمتعددة إلا بشكل محدود وطارئ، كما حدث بين الشافعية

والحنفية في خراسان في القرن الرابع الهجري.

فالتعصب لم يكن في اصل هذه المدارس الفقهية، كما انه –عند حدوثه– لم يكن عاماً، بل كان أئمة هذه المدارس يستقون من بعض، وبعضهم أساتذة لبعض وهو ما يدل على مقدار الانفتاح على الرأي الآخر في الشريعة ضمن محيط المحكمات، نقرأ مثلاً قول الشافعي في أحمد «والشافعي شيخ لأحمد»:

قالوا: يزورك احمد وتزوره

قلت: الفضائل لا تغادر منزله

ان زارني فلفضله أو زرته

فلفضله فالفضل في الحالين له(٨)

وفي المقابل نقرأ قول أحمد في الشافعي: كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن فانظر هل لهذين من غناء؟(٩).

هذه التعددية في الرأي مع بقاء الوحدة القوية في الموقف، والأخوة بحقوقها وواجباتها في الدين، لا نجدها بهذه الهيئة من التسامح في الجماعات الفكرية والثقافية والأحزاب العاملة في الواقع المعاصر، اذ تكاد ترى التعصب مبدأ عملياً بل ونظرياً فيها، وتراه عاماً لا محدوداً ولا طارئاً.

ثالثاً: ثقافة الاختلاف تبقى حركة الاجتهاد متجددة وتؤدي الى التراكم المعرفي الايجابي، فإن أحكام الدين ترجع الى قسمين:

القسم الأول: المحكمات القطعية:

وهي التي يطلق عليها في الفكر الاسلامي: المحكمات او القطعيات او الثوابت او المعلوم من الدين بالضرورة، وهي التي تتعلق بأساس الدين سواء ما يتصل منها بالمسائل العقدية المجمع عليها كأركان الايمان اجمالاً، أو بالمسائل العملية المجمع عليها كأركان الاسلام اجمالاً، أو بالمسائل الأخلاقية كالصدق والرفق، وحسن الخلق، والاحسان.

وقد وردت هذه الثوابت الدينية في نصوص محكمة لا تحتمل التأويل، ولا تثير الاختلاف، لأن الله سبحانه وتعالى اراد ان تكون هذه الأمور ثابتة على مر العصور، ومنها غير ما سبق: أكثر احكام المواريث، وأصول احكام الأحوال الشخصية، وأصول الأحكام الحارسة للكليات الخمس، وبقية الأخلاق، ويقف على رأس الثوابت القطعية كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

وهذ الثوابت لا يجوز فيها الاجتهاد، وليس وجودها علامة تحجر، بل ميزة استقرار، مثلها كمثل المواد الدستورية في الدول المتحضرة التي تفتخر بعدم تغييرها، والشريعة الربانية أحق بذلك بدون مقارنة.. لكن مساحة اجتهاد المجتهدين تبقى واسعة في غير المحكمات.

القطعيات الاضافية، والحوادث التاريخية وتضييق نطاق المخالفة:

وهنا يجدر ان نذكر ان بعض المسائل تأخذ صفة القطعية الاضافية لا القطعية المطلقة، فنظراً لتفرق الأمة شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون فقد وضعت كل فئة بعض القضايا في مصاف القضايا القطعية عندهم، مع انها قد تكون قضايا محتملة، أو ظنية، وأبرز ما يدل على أنها محتملة ان الفئة الواحدة قد تختلف فيها، وبعض الطوائف اتخذ من الحوادث التاريخية مركزاً لبناء ثوابت في أذهان اتباعه تؤدي الى غرس الحقد والكراهية على بقية إخوانه المسلمين، ولذا يوصي الباحث ان يكون من المقترحات العملية التي يجتهد العلماء والدعاة على إخراجها الى حيز الوجود، انشاء مجلس للحوار بين التيارات الدينية للاتفاق على الثوابت التي لا تمس، ويسعى الجميع للحفاظ عليها، كما يتم من خلال عمل مجلس الحوار وضع الأحكام الظنية في موضعها، وعدم رفعها لتصبح مسلمات قطعية، ومحاولة الاتفاق على موقف موحد من الحوادث التاريخية، او الأحكام الظنية التي تستغلها بعض الفئات لنشر ثقافة الكراهية ضد غيرها.

القسم الثاني: المسائل الخلافية:

واليها تنتمي معظم احكام الفقه الفرعية، وبعض المسائل العقدية الموغلة في الدقة، وهي محل لاختلاف الأنظار بحسب مبلغ علم كل ناظر، وبحسب جهده في إعمال أدوات الاستنباط في كل مسألة، ووجودها حكمة العليم الخبير، وعلى هذا فاختلاف الانظار لا ضير فيه، اذا لم يكن مبنياً على الهوى والتشهي، وتنقسم هذه المسائل الى نوعين:

النوع الأول: مسائل التنوع:

وفي هذا النوع من المسائل، تكون كل الأقوال صحيحة، فحقيقتها اختيار كل فرد أو فئة من المسلمين لقول صحيح من مجموعة أقوال صحيحة، وانما يصيرها مسائل خلافية التعصب المحض، وذلك كقراءات القرآن المتعددة المتواترة، وعدد

التكبيرات في الأذان، وعدد تكبيرات الجنائز، وتسليماتها، وسنن الجمعة البعدية.

فروض الكفايات تفتح باباً واسعاً للتنوع في إقامتها:

ونلحظ هنا ان فرض الكفاية قائم على مدى تفاوت الأفهام، كما تتفاوت في حمله الطاقات والأجسام، فيميل البعض الى شيء من الدين من فروض الكفايات يخدمه ويوقف حياته عليه، ولا ضير في ذلك حيث يحدث التكامل من الجميع، وقد قال النبي ﷺ: «اربعون خصلة اعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها الا أدخله الله بها الجنة»، قال حسان: عددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام، وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق، ونحوه فما استطعنا ان نبلغ خمس عشرة خصلة[١٠] وهذا تدريب على التنوع، كما هو تدريب على تفاوت الإفهام.

قاعدة تعدد الصواب في اختلاف التنوع تفتح الباب للإختلاف بمعنى التكامل:

والصواب في هذا النوع مع كل فئة، لأن كل فئة تقوم بشيء جاء الشرع بإقراره، فلماذا توجد الجفوة بين التيارات المتنوعة وكل أعمالها تكاملية فضلاً عن أن يحدث بينهم الكيد لبعضهم؟

ومن الأمثلة التي تبين هذه القاعدة قوله تعالى: **﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾** الحشر: ٥، فكل من الطائفتين «من قطع ومن أنكر على من قطع» راعى مقصداً من مقاصد الاسلام، وقد أقر الله الطائفتين على اجتهادهما، مع ان الأمرين يبدوان للوهلة الأولى متناقضين، ومثل ذلك قول أنس بن مالك رضي الله عنه: «كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم»[١١]، ومن الأدلة القائمة على هذا التنوع قوله تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾** التوبة: ١٢٢، فإن حماية الثغور فرض كفاية لا ينبغي ان يقوم به جميع المسلمين، بل لا بد من توزيع الأعمال وتقاسم الاختصاصات فالبعض يحمي الثغور، وآخرون ينفرون للنهضة العلمية.. وهكذا.

ونحن نرجو ان تكون الثمرة المباشرة

لهذا الفقه، إشاعة العمل بعدة أقوال كلما كان ذلك ممكنا في المجامع العامة التي تضم مسلمين من نواح مختلفة، حتى يتم الاستيعاب النفسي لفقه الاختلاف في نفوس العامة.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- د. العلواني طه جابر فياض، ادب الاختلاف في الاسلام ص٨، المعهد العالمي للفكر الاسلامي سلسلة قضايا الفكر الاسلامي، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢- لا انكار في مسائل الخلاف ص٣٠ .

٣- موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١٦ .

٤- الموسوعة الفقهية ٢٩١/٢ .

٥- الترمذي ٣٢/٥، وقال: «هذا حديث لا نعرفه من هذا الوجه»، ونحوه عند ابن ماجة ٩٣/١، وقد صححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب ٢٥/١، وصحيح ابن ماجة ٤٨/١ .

٦- انظر في تفسيره بذلك، تفسير الطبري ٨٠/٥، تفسير القرطبي ١٨٤/٥، تفسير ابن كثير ٤٩٥/١ .

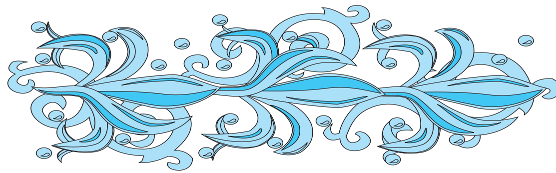
٧- تفسير القرطبي ١٨٤/٥ .

٨- شذرات الذهب ٩٨/١ .

٩- ابجد العلوم ١٢٣/١ .

١٠- البخاري ٩٢٧/٢، ابو داود ٥٢٧/١، احمد ١٩٤/٢ .

١١- البخاري ٦٨٧/٢، مسلم ٧٨٦/٢، الموطأ ٢٩٥/١، ابو داود ٧٣١/١، احمد ٤٥/٣ .



جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله يرعى احتفال وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف

١١ / ربيع الأول/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/٢/٢٥م

■ إعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة



مندوباً عن صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم حفظه الله، رعى صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف الاحتفال المهيب الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية احتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف، وذلك يوم الخميس ١١ /ربيع الأول/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥/٢/٢٠١٠م في قاعة المؤتمرات الكبرى التابعة لمسجد الشهيد الملك المؤسس -طيب الله ثراه-.



وقد بدءَ الاحتفال بآيات بينات من القرآن الكريم، ثم ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي الكلمة التالية بهذه المناسبة العطرة:

الحمد لله رب العالمين القائل سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والحكمة وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وأصلي وأسلم على النبي العربي الهاشمي الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين القائل فيما أخرجه الإمام البخاري ومسلم: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وعلى آله الغر الميامين وصحبه أجمعين ومن اقتدى به وسار على دربه إلى يوم الدين.

صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف المعظم مندوب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم حفيد صاحب الذكرى.

إسمحوا لي أن أرحب بكم أجمل ترحيب باسمي واسم اللجنة الوطنية للاحتفال بالمناسبات الاسلامية وباسم علماء وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية ودعاتها والعاملين فيها، راجيا ان ترفعوا لمقام حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم اسمى آيات التهنئة والتبريك بذكرى ميلاد جده الاعظم عليه صلوات الله وسلامه، ولسمو ولي عهده وللأسرة الهاشمية الماجدة، داعيا الله سبحانه وتعالى ان يعيد هذه الذكرى على جلالته وسمو ولي عهده والأسرة الهاشمية الماجدة،

باليمن والبركات وعلى الوطن بالتقدم والازدهار وعلى الامة وقد استعادت امجادها واستردت حقوقها وحررت اراضيها وأقصاها.

سيدي مندوب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم..

ها هي ذكرى ميلاد الحبيب محمد صلوات الله عليه وسلامه، تقبل لتتملك جوانب النفس وتأخذ بمجامع الفؤاد، فيفيضان بكل معاني الحب والاقبال على شخص المصطفى ﷺ اتساء واقتداء ورغبة في السير على خطاه والاهتداء بهديه والاتباع لمنهجه، طريقا ممهدا ليتحقق به الاقامة لدين الله تعالى والالتزام بشرعه سبحانه **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** وقال جل من قائل: **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**.

والمرء في ظلال هذه الذكرى تتزاحم في ذهنه الافكار، وتتفاعل في نفسه العواطف والمشاعر، وتجول في خاطره الرؤى والتطلعات، وهو ينظر الى واقع الامة واحوالها، ويتفكر في اوضاع البشرية ومشكلاتها، ويقف عندما يواجه المجتمع الانساني من قضايا وهموم مما يؤكد مسيس الحاجة لصوت يعلو يذكر بقواعد العدل والانصاف، ويدعو للسلام القائم على العدل، ويحفظ حقوق الانسان وكرامته، ويصون المجتمعات من الجريمة والانحراف والتفلت، ويحقق للناس الحياة الهانئة الكريمة، ويؤمن للانسان الامن والاستقرار وسعادتي الدنيا والآخرة.

والمجتمع الاسلامي بحاجة لمن يأخذ بيده للفهم الصحيح لهذا الدين، وعلى اساس من حقيقته الخالدة القائمة على الوسطية والاعتدال وتلبية حاجة الفطرة السوية السليمة: **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لخلق اللَّه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لتكونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** هذا الفهم للدين الذي يحرص على الخير والعدل والرحمة ويرفض العدوان والجور والظلم، ويخلص مجتمع المسلمين من كل محاسبة خاطئة ترتكب باسمه قال تعالى: **﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾** وقال

سبحانه: **﴿من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا﴾** وقال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما».

ومن هنا كانت رعاية صاحب الجلالة حفيد صاحب الذكرى والامر باصدار رسالة عمان لتعرّف بهذه الحقائق كلها، وتنبه المجتمع الانساني لخير هذا الدين وعطائه وتبرز صورته المشرقة.. فهي تقول: «إنّ هدي هذا الإسلام العظيم الذي نتشرف بالانتساب إليه، يدعونا إلى الانخراط والمشاركة في المجتمع الإنساني المعاصر والإسهام في رقيّه وتقدّمه، متعاونين مع كل قوى الخير والتعقّل ومحبّي العدل عند الشعوب كافةً، إبرازاً أميناً لحقيقتنا وتعبيراً صادقاً عن سلامة إيماننا وعقائدنا المبنية على دعوة الحق سبحانه وتعالى للتآلف والتقوى، وإلى أن نعمل على تجديد مشروعنا الحضاري القائم على هدي الدين، وفق خطط علمية عمليّة محكمة، يكون من أولوياتها تطوير مناهج إعداد الدعاة بهدف التأكد من إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانيّة، بالإضافة إلى اطلاعهم على الثقافات المعاصرة، ليكون تعاملهم مع مجتمعاتهم عن وعي وبصيرة، **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾**.

وتستمر الرسالة داعية الى ترسيخ البناء التربوي للفرد المسلم على أساس نظرة الإسلام المتميزة للكون والحياة والإنسان، والاستفادة من إنجازات العصر في مجالات العلوم والتكنولوجيا، وتبنّي المنهج الإسلامي في تحقيق التنمية الشّاملة الذي يقوم على العناية المتوازنة بالجوانب الروحيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، والاهتمام بحقوق الإنسان وحريّاته الأساسيّة، وتأكيد حقّه في الحياة والكرامة والأمن، وضمان حاجاته الأساسيّة، وإدارة شؤون المجتمعات وفق مبادئ العدل والشورى، والاستفادة مما قدّمه المجتمع الإنساني من صيغ وآليات لتطبيق الديمقراطيّة).

وقد جاءت هذه الرعاية من منطلق الارتباط الراسخ المبارك للقيادة الهاشمية الفذة بمشكاة النبوة والذي اوضحته رسالة عمان بقولها: (وقد تبنت المملكة الأردنيّة الهاشميّة نهجا يحرص على إبراز الصورة الحقيقيّة المشرقة للإسلام ووقف التجني عليه ورد الهجمات عنه، بحكم المسؤوليّة الروحيّة والتاريخيّة الموروثة التي تحملها قيادتها الهاشميّة بشرعيّة موصولة بالمصطفى ﷺ، صاحب الرّسالة).

وتأتي ذكرى المولد النبوي في كل عام لتعمق هذا التوجه وتثري مسيرته في آفاق الحياة كلها.

نعم ان هذه الذكرى الثرية بمعانيها، الغنية بفيوضها وتوجيهاتها، الحافلة بدروسها وعظاتها، تتطلب منا وقفات ووقفات من المراجعة والتعمق والدراسة، تسبر غور التحديات فهما وتحليلا، والمشكلات معرفة ومواجهة، والآمال تحقيقا وتلبية، انها ذكرى دافعة ومحفزة وموجهة، كيف لا وهي تقدم لنا رسالة الله الخاتمة وتطبيقها الامثل دعوة والتزاما، وتبليغا واداء وتحقيقا لخير الناس جميعا، دنيا وآخرة **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** اننا مطالبون بأن نستلهم من مشكاة النبوة ما فيه خيرنا وصلاحنا قال تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾** وكذلك خير البشرية جمعاء وصلاحها **﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ ﴿يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾**.

سيدي صاحب السمو الملكي.. ايها الحفل الكريم..

نعم ان شخصية محمد ﷺ هي الشخصية العظيمة التي انتدبها الله سبحانه وتعالى لأخطر مهمة، والتي قامت بأشرف دور وصنع اروع نموذج، مهمة حمل رسالة الله الخاتمة للناس كافة، ودور بناء المجتمع الانساني وفق هدي الله وشرعه، وصنع النموذج الامثل والتطبيق الاشمل، لما حمل من رسالة وبلغ من دعوة، فكان صلوات الله عليه وسلامه القدوة المثلى والاسوة الحسنة للالتزام بهذا الدين في واقع الحياة الخاصة والعامة، فكانت سيرة المصطفى ﷺ سيرة عمليه تغطي آفاق الحياة الانسانية كلها، وقد نقلت الينا النقل الصحيح الأمين، الذي يمكننا من العيش مع المصطفى ﷺ في حركاته وسكناته، في حله وترحاله في جهاده ودعوته، في تعامله مع اهله وفي ادارته لشؤون الدولة وبنائه للمجتمع الاسلامي الاول.

ففيها كل نماذج الاتساء والاقتداء المغطي لآفاق الحياة الانسانية ونواحيها المتعددة فهي سيرة شاملة واضحة صحيحة ثابتة، وهذا ما شد الباحثين من غير المسلمين واذهلهم، فعندما اراد العالم المؤرخ الفلكي الرياضي «مايكل هارت» ان يضع سجلا خالدا لأعظم مائة

شخص في تاريخ الانسانية، لم يجد غير محمد بن عبدالله ﷺ ليجعله في طليعتهم متقدما على سائر الانبياء والعظماء ويقول معللا اختياره هذا: «لقد اخترت محمدا في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن محمدا ﷺ هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي» ويقول ايضا: (وهو قد دعا للاسلام ونشره كواحد من اعظم الديانات واصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا وبعد ١٣ قرنا من وفاته فإن اثر محمد ما يزال قويا متجددا).

وبعد تحليل واسع ودقيق ختم كلامه بقوله: «فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمدا هو اعظم الشخصيات اثرا في تاريخ الانسانية كلها».

ومن هنا فإن احتفاء المسلمين واحتفالهم برسول الله ﷺ يختلف عن كل ما عرفت البشرية من نماذج الاحتفاء والاحتفال بالناس والزعماء، فالمسلمون ايامهم كلها عيش مع رسول الله ﷺ وترسم لخطاه وسير على نهجه وهديه ومعرفة لمنزلته عند ربه وتعظيم لذكره وفضله قال تعالى: **﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ والحكمة وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وكان فضل الله عليك عظيما﴾** وقال سبحانه: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**.

سيدي صاحب السمو الملكي حفظه الله.. أيها الحفل الكريم..

هنيئا للاردن بقيادته الهاشمية الفذة هذا الوعي، ونحن نتفيأ ظلال هذه الذكرى وهنيئا للقائد وشعبه وأمته حمل مسؤولية هذا الادراك، وتنسم ما تفيض به هذه الذكرى من معاني وأفكار وذلك باستمرار الوفاء لرسالة المصطفى والحرص على هديها وخيرها، والله سبحانه يأخذ بأيدينا جميعا لما يرضيه ويعلي منزلتنا عنده في الدنيا والآخرة.

وفي الختام أتوجه بخالص الدعاء أن يحفظ بلدنا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين ويوفق قائدنا الفذ لما يحبه ويرضاه، ويأخذ بيده لمزيد من العطاء والانجاز خدمة للوطن والامة.. انه سميع مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،



وألقى نائب رئيس جامعة العلوم الاسلامية العالمية الاستاذ الدكتور محمود السرطاوي كلمة بهذه المناسبة قال فيها:

سيدي مندوب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله واعزه وادام ملكه

اصحاب المعالي والسماحة والعطوفة والسعادة والفضيلة

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في جو مكفهر ومليء بالاضطراب والظلم، في جو هدرت فيه قيم الحق والفضيلة والعدل، حيث قامت حرب ضروس بين القبائل العربية لأتفه الاسباب، وبسط الاجنبي نفوذه على الدويلات العربية آنذك فالمناذرة موالون للفرس والغساسنة موالون للروم وداست فيلة الحبشة اقدس بقاع الأرض.

وما كان العرب لتنقصهم الفصاحة والبيان ولا الشهامة والكرم، ولكن كانت تنقصهم الارادة والكلمة الجامعة والرؤية السليمة، امام هذا الواقع المرير الذي صار الحليم فيه حيراناً تعبر عنه كلمة سيد قريش عندما رأى فيلة ابرهة تدوس ارض البيت الحرام: «للبيت رب يحميه».

في هذه الظروف ولد الحبيب المصطفى محمد ﷺ، فكان الرحمة المهداة والنعمة المزجاة للعرب خاصة وللانسانية عامة، كان رائداً وقائداً لأنه سطر للأمة والانسانية قيماً ومبادئ تحقق لها السعادة ما دامت مستظلة بظلها: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي».

لقد عرف العرب محمداً ﷺ بأنه الصادق الأمين، فكان موضع احترامهم وتقديرهم وحفظ أماناتهم، ما التقت بطون قريش على كلمة رجل كما التقت على محمد ﷺ عند

اختلافها على وضع الحجر الأسود في مكانه من البيت العتيق.

كان ابناً باراً بقومه رغم تسفيههم لدعوته ورجمهم له بالحجارة جاءه جبريل يقول له: «يا محمد ان الله عز وجل امرني ان اطيعك في قومك، فإن شئت أطبقت عليهم الاخشبين -جبلي مكة- فيدعو صلوات الله عليه لهم بالهداية قائلاً: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فقال جبريل: صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم».

لقد كان رسول الله ﷺ على خلق عظيم كما وصفه سبحانه وتعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** من خلقه الرفق، كيف لا وهو القائل: «يا عائشة ما كان الرفق في شيء الا زانه وما نزع من شيء الا شانه».

كان ﷺ متواضعاً لين الجانب، جاءه رجل ترتعد فرائصه مهابة منه، فقال له: «هون عليك، فإنما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»، وكان ﷺ نعم الأب ونعم الزوج، يحنو على ابنائه الحسن والحسين ويحملهما على ظهره ويمشي بهما على الأرض قائلاً: «نعم الجمل جملكما ونعم الحملان انتما».



اما حسن تعامله ﷺ مع زوجاته، فيدل له انه أمرهن بأن يتحدثن عنه في خصوصيات الحياة الزوجية وهذه ثقة لا يدانيها الآخرون، تقول السيدة عائشة: «ما كان رسول الله ﷺ سباباً ولا لعاناً، ولكن هادياً ورحمة».

لقد رفع الرسول ﷺ من شأن المرأة وجعلها شريكة للرجل في تحملها وظيفة الاستخلاف في الأرض، فالنساء شقائق الرجال، تقوم المرأة بواجباتها التكليفية بما ينسجم مع خصائصها التكوينية.

لقد ارسى رسول الله ﷺ مبادئ الانسانية التي تكفل حفظ الأنفس وعصمة الدماء وتجعل الاعتداء على النفس المعصومة، اعتداء على الانسانية كلها وقتلاً لها، قال تعالى: **﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾**.

فالتطرف والغلو والانحراف عن وسطية الاسلام بقتل الأبرياء، اعتداء على الانسانية وقتل لها، ومع هذا فقد جعل الاسلام الدفاع عن الاوطان وحمايتها وفق ما هو مقرر في الشرع ذروة سنام الاسلام.

ومن هذه المبادئ: الكرامة الانسانية والحريات العامة، كحرية الاعتقاد وحرية التعبير في اطار المسؤولية التي تفرضها مصلحة الأمة، قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾** وقال سبحانه: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**.

وعملاً بهذه المبادئ ارسى حقوق المواطنين على قدم المساواة بين المسلمين وإخوانهم من اهل الديانات الأخرى «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» وتعتبر وثيقة المدينة اول دستور ينظم العلاقة بين مواطني الدولة، ولم يكتف الاسلام بإرساء الحقوق وانما امر اتباعه بالبر مع غير المسلمين، قال تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم﴾**.

ان مبدأ التعاون على البر والدعوة الى كلمة سواء، من المبادئ العظيمة التي ارساها الاسلام والتي يجب ان تفهم سائر النصوص في ضوئها، عملاً بوحدة التشريع التي تقضي ان يفهم الدليل الجزئي في ضوء الدليل الكلي ومقاصد التشريع الاسلامي.



وفي هذا الصدد نذكر قول النبي ﷺ: «لقد حضرت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر النعم، ولو دعيت لمثله في الاسلام لأجبت».

ومما تجدر الاشارة اليه إرساء قواعد المسؤولية وجعلها مشتركة بين الحاكم والمحكوم، قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ومن لوازم هذا المبدأ إقرار مبدأ الشفافية من اجل المحافظة على الصالح والمال العام، جاء أحد عمال النبي ﷺ الذين عينهم على الصدقات، يقول: «هذا ما لكم وهذا هدية أهديت إلي» فغضب النبي ﷺ وقام خطيباً، فقال: «إني أستعمل الرجل منكم على الصدقة فيأتي فيقول: هذا ما لكم وهذا هدية أهديت إلي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته».

لقد حث النبي الكريم ﷺ على البناء والعمل والإعمار حيث يرتقي العمل في الاسلام الى مرتبة الفرائض في الدين، ويطلق علماء الشريعة عليها «فروض الكفاية» يقول ﷺ: «اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها فإن له بها أجراً»، ويقول الله تبارك

وتعالى: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**.

هذه مقتطفات من حياة المصطفى ﷺ وسيرته والمبادئ التي دعا اليها، واليوم ونحن نعيش في ذكرى مولده ﷺ، نذكر بشرف واعتزاز الذين يسيرون على دربه.. نذكر دور القيادة الهاشمية في هذا البلد التي عملت وتعمل على توضيح صورة الاسلام في ميادين كثيرة، من أبرزها رسالة عمان التي جاءت بتوجيه كريم من جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله، والتي وضحت الصورة المشرقة للاسلام في وقت حاول الكثيرون تشويه صورته وإلصاق تهم التطرف والغلو والعنف به وبنبي الانسانية ﷺ.

انه إيمان القيادة الهاشمية بقدرها في حمل اللواء والدفاع عن الاسلام رغم الأجواء والظروف الصعبة كما كان قدر جدهم المصطفى ﷺ في حمل اللواء، وتبليغ دعوة الحق للناس بالحكمة والموعظة الحسنة بوسطية واعتدال، قال تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**.

وألقت سعادة العين الدكتورة نوال الفاعوري كلمة جاء فيها:



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف مندوب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله

اصحاب المعالي والسعادة والفضيلة والعطوفة الاخوة والأخوات الضيوف الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انه ليوم طيب وشرف كبير ان نحتفل بحضوركم وتحت الرعاية الملكية السامية، بذكرى ميلاد سيدنا محمد ﷺ في هذا البلد الطيب المبارك.

ان هذه الذكرى العطرة تدفعنا نحن المسلمين، الى التدبر والتذكر لما أحدثته الرسالة

الاسلامية من تغيير في مسيرة الانسانية، حيث اخرجتها من الظلمات الى النور ومن عبادة الاوثان الى عبادة رب العباد، ومن دياجي الظلم الى رحاب العدل والحرية الانسانية.

لقد جاءت ولادة سيدنا محمد ﷺ في وقت كانت البشرية في أمس الحاجة الى التغيير الجذري والدائم، وكانت محتاجة بحق الى من يرسم لها معالم طريق هذا التحول التاريخي، فشع نور الاسلام بولادته ﷺ بداية، واكتمل تمام هذا النور ببعثه ﷺ، وكان اول خطاب تلقاه من ربه يدعو الى التعلم والقراءة، قال تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ❖ خلق الانسان من علق ❖ اقرأ وربك الأكرم ❖ الذي علم بالقلم ❖ علم الانسان ما لم يعلم﴾**.

فما اعظم هذا الشهر وما أبهى هذه الذكرى، وما اجمل هذه الأيام التي يحيي فيها المسلمون ذكرى ميلاد سيد البشرية وهاديها، كيف لا تكون كذلك وصاحبها هو امام الأنبياء والمرسلين، وهو المختار من رب العالمين لتمام دين الله وختام الرسالات السماوية والتعاليم الإلهية، وقد أعده الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة الجليلة، فأدبه وأحسن تأديبه، وملأ قلبه بالايمان والعلم والرحمة والحلم، وبث في طبعه الرفق واللين والرحمة، قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**.

ان هذا الخلق الكريم والرحيم كان المصدر الاساس، الذي اغترف منه الهاشميون وقدموا للاردن وللأمة العربية والاسلامية نموذجاً من الاخلاق الاسلامية الاصيلة ومن هذا المنطلق الثر، كان اعلان جلالة الملك عبد الله الثاني لرسالة عمان لتكون نبراساً ومعلماً حضارياً وعالمياً لمدى عدالة الاسلام ورحمته وحمايته لحقوق الانسان، بغض النظر عن الجنس والعرق او اللسان بعيداً عن كل اشكال التطرف والغلو، قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**.

ان المرء ليقف مع عظمة رسول الله ﷺ ومع السيرة النبوية العطرة، ليستشعر انه امام

الرحمة بعينها ويدرك معنى قوله ﷺ: «انما انا رحمة مهداة».

ومن علامات عطفه ورحمته بأمته، انه اختص هذه الأمة بالدعاء المستجاب الى يوم القيامة قال تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** التوبة: ١٢٨ .

ان الحب لرسول الله ﷺ يقتضي الاقتداء به وبأخلاقه وان نسير على نهجه، قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**.

فمحبة رسول الله ﷺ واجبة على كل مسلم قولاً وعملاً، لأن ذلك شرط للاحساس بحلاوة الايمان قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان: ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود الى الكفر كما يكره ان يقذف في النار».

لقد كان ميلاد سيدنا محمد ﷺ نقطة انطلاق للبشرية للانعتاق من الجهل والظلم والتخلف الى رحابة الايمان وسيادة الحق والعدل، اذ اهتمت الرسالة الاسلامية بجميع شؤون حياة الانسان وهيأت له سبل العلم والرقي والسعادة.

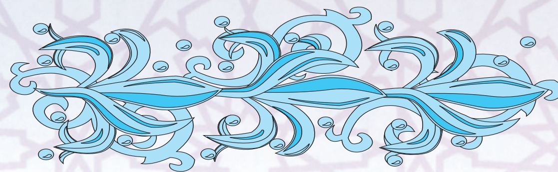
ما اعظم هذه الذكرى وما اجملها، فميلاد سيدنا محمد ﷺ كان ميلاداً للبشرية من جديد، متمتعة بالايمان وعارفة بحقائق الكون، ومدركة لعظمة الخالق عز وجل وسمو الرسالة النبوية الخاتمة وما قدمته للانسانية من معالم طريق الايمان بالله الواحد الأحد والرقي الانساني.

قال تعالى: **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ❖ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾** صدق الله العظيم.

وأدت فرقة انوار الهدى التابعة لوزارة الأوقاف وفرقة مدرسة أسد بن الفرات اناشيد دينية بهذه المناسبة العزيزة.



وحضر الاحتفال عدد من اصحاب المعالي الوزراء والسادة الأعيان واصحاب السماحة والفضيلة واعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاسلامي وعدد كبير من المسؤولين المدنيين والعسكريين وجمع من المدعوين.



حماية المدنيين في التشريع الاسلامي

■ بقلم الأستاذ عبد الحميد العلمي

معلوم ان حماية الناس مقدمة لا تنتج معمولها الا بعد التسليم بأصل التكريم الذي نص القرآن الكريم عليه في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[1].

ولفظ التكريم اسم جامع لمعاني العناية وضوابط الحماية، فهو من قبيل الخبر الذي لا يحتمل الا الصدق من قائله ومن خرج عنه خالف ما أخبر الله به، لأن الخبر عند أهل الميزان والعربية هو ما احتمل الصدق أو الكذب، أما اذا تعلق الأمر بالوحي، فالخبرية لا تقتضي الا الصدقية، فمن كذب بخبر التكريم خالف صدق الشارع الحكيم فعليه وزر تلك المخالفة.

لذا تضافرت نصوص الشريعة على تحقيق مضمون تلك الخبرية في كليات جامعة لمسمى الحماية الضامنة لأصل التكريم، ولقد اتى على الانسان حين من الدهر انساه تلك الموجبات، وأوقعه في جملة من التصرفات، عادت بالسلب على ما نطقت به البينات، فضاعت بسبب ذلك الحقوق وانتهكت الحرمات ووقع التعدي على المهج والحريات.

ولما كانت مبادئ الحماية والتكريم تشمل الناس في كل وقت وحين، فقد أقرها المؤالف والمخالف، وأسهم كل من له

انتساب للآدمية بسن قوانين وضعية لها أصول في شريعتنا الاسلامية، فأسفر ذلك عن اصطلاح جديد هو ما يعرف اليوم بـ: «القانون الدولي الانساني» الذي استمد مشروعيته من أعمال «لاهاي» و «جنيف».

ويشتمل قانون لاهاي، على مجموعة من القواعد القانونية التي أقرتها الاتفاقيات لسنتي ١٨٩٩م و ١٩٠٧م، كما يشتمل قانون جنيف على الاتفاقيات الأربع لسنة ١٩٤٩م، بالاضافة الى البروتوكولين الاضافيين اللذين أقرا عام ١٩٧٧م[٢].

هذا ولم يحظ القانون الدولي الانساني بالاحترام التام لعدد من مضامين تلك الاتفاقيات، لذا نشط القائمون عليها بعقد الندوات وتنظيم اللقاءات: ففي شهر أيلول من سنة ٢٠٠٣م، نظمت المائدة المستديرة «سان ريمو» بإيطاليا وهي السابعة والعشرون في موضوع «القانون الدولي الانساني والنظم القانونية الأخرى: التأثير المتبادل» وأسفرت أعمالها عن ضرورة احترام الحقوق المدنية التي أقرتها الأديان والتشريعات[٣].

والمتأمل في علاقة تشريعاتنا بالمنصوص عليه في النظم الوضعية، يجدها قائمة على توخي السلام، وضمان الأمان حتى لو تعلق الأمر بالنزاعات المسلحة التي اعتبرها الفقه الاسلامي ضرورة لا بد ان تقدر بقدرها.

ومن مشمولات ذلك التقدير: التصدي للأعمال العدائية، وكسر شوكة الحرابة، ومكافحة الفتن، والتمسك بمبدأ الدفاع عن النفس.

كما يدخل في مفهوم ما يقدر بقدره: الالتزام بالحرص على حياة الناس، إذ لا موجب للعدوان، ولا مسوغ للإيغال في انتهاك الحرمات، والتعدي على الجماعات.

وهذا ما نصت عليه المواد من ٤٠-٤٢ من البروتوكول الأول من اتفاقيات جنيف والخاص بحظر القتل الجماعي وكذا حظر قتل العاجز عن القتال.

وهو ما أكدته معاهدة لاهاي سنة ١٩٠٧، في المادة ٢٣ الفقرة «د» من اللائحة الملحقة بها.

ولقد كان لحذاق العلماء وخدام الشريعة الأوفياء التحقيق في دعوى سبق الاسلام الى حراسة الحريات وضمان الحمايات.

لذا اخترت ان اكتب في: **«حماية المدنيين في التشريع الاسلامي»** انطلاقاً

من قول الله تعالى: ﴿**ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**﴾[٤].

وبعد استيفاء الفكر في قيوده وجدته مؤسساً على قضية تحتها مسألتان، أما القضية فتصدق على دعوى إحاطة التشريع الاسلامي بحماية الحقوق المدنية، وسأعمل على تجلية تلك الدعوى بما يدل على ان ما توصل اليه القانون الدولي الانساني متفرع عما هو مؤصل في الفقه الاسلامي.

وأما المسألتان: فإحداهما لها تعلق بحقيقة حماية المدنيين، والثانية بالقواعد الضابطة لتلك الحماية، ولما كانت القضية جنساً في الموضوع، فإن القول بإحاطة تشريعاتنا بما يحقق حماية المدنيين دعوى بحاجة الى إقامة الحجة عليها صحة أو فساداً.

فنحن المسلمين قولاً واحداً وإجماعاً قائماً من غير قيام نكير، نعتقد اعتقاداً جازماً ان ما من نازلة تعن الا ولله تعالى فيها حكم خاص يدرك بالنص أو الاستدلال.

وجماع القول في صحة هذه الدعوى نقل وعقل، أما النقل فيكفي ان نتدبر آيتين هما: قوله تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[٦].

وأما العقل: فوجه الدلالة به ان خاتمية الشريعة الاسلامية مطلوب مقدمة لا تنتج معمولها الا بالتسليم باستمرار صلاحيتها لعدم فرض قيام الناسخ عقلاً وواقعاً، ولا معنى للصلاحية مع خرم اصل الاحاطة والاستمرار.

يقول الامام الشافعي: «ليست تنزل بأحد في الدين نازلة، الا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها»[٧].

ولا سبيل الى التحقق بذلك الدليل الا لمن بوأه الله شرف استنباط الأحكام لكل ما يعرض من قضايا الأعيان، وهذا ما يعبر عنه بعلم الفقه، يقول صاحب الرسالة: «جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، ونظيره قول جعفر الصادق: حديثي حديث أبي، حديث أبي حديث جدي، حديث جدي حديث الحسن، حديث الحسن حديث الحسين، حديث الحسين حديث علي عليه السلام، حديث علي حديث النبي ﷺ حديث النبي ﷺ قول الله عز وجل.

وفي هذه الاشارة الى ان الفقه الاسلامي له استمداد من الوحي ولو

بوجـه، وفي هـذا تأكـيـد على ان علمـاءنا احسنوا العلاقة بين فقهنا وأدلتنا وواقعنا.

يقول ابن قيم الجوزية: «فالواجب شيء، والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الفقه والواقع، لا من يلقي العداوة بينهما، فلكل زمان حكم، والناس بزمانهم أشبه منه بآبائهم»[٨].

والثابت ان المتقدمين من علمائنا احسنوا العلاقة بين فقههم وواقعهم حتى اصبح فقههم يمشي على وزان واقعهم، فهم اوجدوا فقهاً يصلح لواقعهم ولم يكونوا مسؤولين عن ايجاد فقه يغطي واقعنا.

فلا مجال لاصلاح ذات البين بين فقهنا وواقعنا، الا بالفهم الحقيقي لشرعنا والتزود بالمبادئ المرعية لديننا.

وقد صور خدام هذه الشريعة الفقهية الذي يفتي الناس بما يُحدث العداوة بين الفقه والواقع صوروه بصورتين:

الأولى: «ان الذي يفتي الناس من كتاب فقه واحد، كالطبيب الذي يطببهم من كتاب طب واحد، فمن فعل ذلك هلك وأهلك[٩].

الصورة الثانية: ان الذي يكتفي في الفتوى بحفظ الفقه الجاهز كالرجل الذي عنده احذية كثيرة على مقاس واحد يعرضها لكل الناس.

قال ابن رشد الحفيد: «سيأتيه إنسان بقدم لا يجد في خفافه ما يصلح لقدمه، فيلجأ الى صانع الخفاف ضرورة، فهذا هو مثال اكثر المتفقهة في هذا الوقت»[١٠] انتهى كلامه.

ولفظ صانع الخفاف له استمداد مما نقل عن الإمام الشافعي وهو يبين العلاقة بين حفّاظ الفقه ومستنبطيه مخاطباً الفقه بقوله: «انتم الصيادلة ونحن الأطباء» وقد كثر الصيادلة في هذا الوقت، وغاب الأطباء فصدق عليهم قول الشاعر:

لقد كثر الوعظ والواعظون

وقل البصير بأخبارهم

فلو قام محتسب بينهم

لعطل تسعة أعشارهم

لذا فعبارة ابن رشد وضعت للدلالة على ضرورة التمكن من صناعة الاجتهاد لمواجهة الأحداث والمستجدات، وهذا ما تواتر به العمل منذ الصدر الأول للإسلام، يقول امام الحرمين عبد المالك الجويني: «وهكذا سبيل التصرف في الوقائع

المستجدة.. فأصحاب المصطفى ﷺ لم يجدوا في الكتاب والسنة الا نصوصاً معدودة وأحكاماً محصورة ثم حكموا في كل واقعة عنَّت، فعلمونا ان أحكام الله تعالى لا تتناهى في الواقع»[11].

فلننظر الى ما آل اليه أمر فقهنا، ولنجعله يسير على ميزان واقعنا على هدي من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، وضبط الآليات التي من شأنها ان تجعل فقهنا يستجيب لواقعنا في ظل منهج قائم على رعاية المبادئ الشرعية، وحماية الحقوق المدنية.

ولما كان مسمى الاستجابة مرتبطاً بالبيان فقد ناسب ان أحرر بعض الكلام عن آية العدوان، فقوله تعالى: **﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾** تضمن اللطائف الآتية:

أولاً: ان حكم التعدي في الاسلام مبني على مقدمتين ونتيجة، يعبر عنها بكبرى لصغرى سهلة الحصول، أما الكبرى فمستفادة من قاعدة هي: النهي يفيد التحريم، واما الصغرى فمستفادة من قوله تعالى: **﴿ولا تعتدوا﴾** وقد صدرت بنهي، والنتيجة هي: تحريم التعدي ولو بوجه.

والتعدي والاعتداء والعدوان، كما في اللسان من الظلم وتجاوز الحد والحق، وكل من تلبس بهذه الصفة فقد عادى الله وجانب صف الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأعلى مراتب تلك العداوة ان تنتهك الحرمات الماسة بحياة الناس، فعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **﴿ولا تعتدوا﴾** اي: «لا تقتلوا النساء والصبيان ولا الشيخ الكبير.. فإن فعلتم فقد اعتديتم»[12].

وفي تفسير البيضاوي: «ويجوز ان يراد به: ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم الى ما حرم عليكم»[13]، ومعلوم ان الشريعة جاءت لتحد للمكلفين حدوداً في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم، وكل من تعدى تلك الحدود فقد ظلم نفسه قبل ان يظلم غيره.

ثانياً: قوله تعالى: **﴿ولا تعتدوا﴾** لا معمول له، والقاعدة ان حذف المعمول مشعر بالإطلاق، فكان النهي عن الاعتداء مطلقاً، يشمل كل الجزئيات والحالات، فتدخل في ذلك النهي عن كل أشكال الإذايات، سواء تعلق الأمر بالضروريات او بالعوارض الخادمات.

قال هشام بن حكيم: أشهد اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله يعذب الذين

يعذبون الناس في الدنيا».

ثالثاً: قوله سبحانه: **﴿ان الله لا يحب المعتدين﴾** تأكيد لذلك النهي، وهذه قرينة على ما تقدم تقريره من أن النهي يفيد التحريم.

ولفظ المعتدين جمع محلى بأل فيستغرق كل الأفراد الداخلة في مفهومه من غير حصر، ليشمل كل من قامت به صفة الاعتداء الموجب للخروج من محبة الله، لقوله تعالى: **﴿ان الله لا يحب المعتدين﴾**.

وبناء على ما يفهم من دلالة النهي القطعية، وصيغة المنهي عنه العمومية تتأسس أهم القواعد الخادمة لحقوق المدنيين كما أصلها التشريع الاسلامي ونصت عليه اتفاقيات لاهاي وبروتوكولات جنيف.

وهذا هو موضوع المسألة الأولى التي عنونتها بـ «ضمان الحماية في مسمى المدنيين»، وبابها ضرورة الحفاظ على حياة الناس وهو رأس الحقوق المدنية وسنامها، وسأعمل على تصويره من خلال حفظين وتعلّقين.

اما الحفظان: فأحدهما: وجودي، ويتحقق وجه الحفظ فيه بسن ما يقيم أوَدَ النفس وجوداً كتناول المأكولات، وتعاطي الملبوسات واتخاذ المسكونات، وضمان الحقوق الخادمات.

والثاني عدمي: ويتقوم ذلك الحفظ فيه بسن ما يدرأ عنها -اي النفس- الفناء عدماً كالإخلال بما يسم بالحق في الحياة، لذا شُرع لدفعها القصاص والديات.

قال ابو اسحق الشاطبي: «والحفظ لها -اي النفس- يكون بأمرين: احدهما: ما يقيم اركانها، ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع او المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»(١٤).

واما التعلقان: فأحدهما مادي: ويتعلق وجه الحفظ فيه بمنع ما يضر بالنفس خدشاً أو شجاً أو اتلافاً، والثاني معنوي: ويتعلق ذلك الحفظ فيه بمنع ما يؤثر فيها اهانة او تحقيراً، ففي الأثر: «ان من نظر الى أخيه نظرة شزراء في الدنيا عذبه الله بها يوم القيامة».

وباستيفاء النظر في الحفظين والتعلقين يتبين ان المقصود بحفظ النفس التحقق بماهيتها، وهذا مؤذن باحتواء

جزئياتها، فتدخل فيه حقوق الحياة والتغذية والحرية والتنقل، ويمنع كل ما يضر بها باحترام عزتها، وصون كرامتها، وغير ذلك مما لا يتناهى الى ان يرث الله الأرض ومن عليها،

فهذا هو الأصل الذي تتحقق به الحماية لمسمى المدنيين، وهو مما اتفقت عليه الشرائع، وانسدت بموجبه الذرائع، فكل من حاد عنه حاد عما تواتر به النقل في الأحكام التكليفية وخرج عن مقتضى الأدلة الشرعية.

ولا وجه للاعتراض بمسألة السفينة القاضية بإلقاء الآدمي في البحر حفاظاً على حياة الآخرين قياساً على قصة سيدنا يونس عليه السلام لأنها قضية عين تعلقت بنبي.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب عليهم، فيطرح بعضهم تخفيفاً، وهذا فاسد لأنها لا تخف برمي بعض الرجال، وانما ذلك في الأموال، ولكنهم يصبرون على قضاء الله»[١٥]، انتهى كلام القرطبي، ومن مقتضيات حكمة الله تعالى: تقرير حق الحياة، فلا معنى لاسقاطه الا بموجب شرعي، والقاعدة ان الناجي ليس أولى بالحق في الحياة بمن وقعت عليه القرعة.

ومما يجلي الحفاظ على حياة المدنيين في الفقه الاسلامي صور منها:

- ما ذهب اليه صاحب «الفواكه الدواني» اذ قال: «لا يجوز قتل النساء والصبيان، كذا يجب ان يتجنب قتل رهبان الكنائس والأحبار»، وفي بعض النسخ عدم جواز قتل الأجراء» وفي الشيخ زروق: «وكذا الفلاح والأجير والصانع وهو قول ابن حبيب»[١٦].

وفي البحر الرائق: «لا يجوز قتل امرأة وغير مكلف «الصبي» وشيخ فان، وأعمى ومقعد، «ذوو العاهات» ومقطوع اليمين، ومقطوع اليد والرجل، من خلاف، والراهب وأهل الكنائس، وحين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة مقتولة قال: «ما كانت هذه تقاتل فلم قُتلت؟»[١٧].

مما سبق يتبين ان مفهوم المدنيين في التشريع الاسلامي يشمل كل مهادن ومن ليس له رأي في القتال من الشيوخ والأطفال، والرجال والنساء والتجار والصناع والفلاحين والأجراء وأفراد البعثات الطبية والدينية، والقضاة وكذا المقعدين وذوي العاهات والأسرى

والموظفين، كما ورد في المادة ٥٠ من الفصل الثاني من البروتوكول الأول الاضافي الى اتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ آب ١٩٤٩م.

وبه يعلم ان الشرع والوضع تضافرا على منع قتل المدنيين والدعوة الى الحفاظ على حياتهم وهذا متأسس شرعاً على عدد من الشواهد والقواعد.

وهو ما ترجمته لكم بالقواعد الضابطة لحماية المدنيين وبابها نهوض الشواهد الدالة على ما نحن فيه، فمن ذلك: ما روي عن رسول الله ﷺ انه قال: «لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة»[١٨].

كما نهى ﷺ عن «قتل العسفاء والوصفاء»[١٩]، والعسفاء: هم المستخدمون، والوصفاء: هم المماليك.

روى البيهقي عن جابر قال: «كانوا لا يقتلون تجار المشركين»[٢٠] طبعاً لأنهم مدنيون، وفي رواية البخاري انه ورد النهي عن قتل من اعلن اسلامه، فعن المقداد قال: يا رسول الله أرأيت ان لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب احدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله بعد ان قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله».

وتأسيساً على ما تقدم يتضح ان مفهوم المدنيين في السنة النبوية اتسع ليدخل في الحماية الشرعية سواء تعلق الأمر بالظروف العادية او الحالات الاستثنائية الداخلة في الإيالة الشرعية القاضية بحماية شؤون الرعية.

فقد ذكر القاضي محمد بن الفلاق في كتابه تاج الملك، أنه: «متى أخل الموالف بشيء من صفات العبودية، وتجرد عن شيء من ملابس الإيمان أو تلبس بشيء من أفعال المخالفين، صار بينه وبين العدو مناسبة ما»[٢١].

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد ابن ابي وقاص قال: «اما بعد؛ فإني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال، وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراساً من المعاصي من احتراسكم من عدوكم»، ونبه الماوردي على انه ينبغي للأمير ان يأخذ جيشه بما أوجبه الله تعالى في حقوقه وأمر به من حدوده حتى لا يكون بينهم تجوز في دين، أو تحيف في حق، فإن من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام أحكامه، والفصل بين حلاله وحرامه»[٢٢].

ومسألة الفصل بين الحلال والحرام

في معاملة المدنيين يدخل فيها النهي عن مطلق الإذايات في كل الظروف والحالات، وبغض النظر عن اختلاف الأعراق والديانات.

لذا حث الفقه على ضرورة صيانة كافة الحقوق والواجبات، فعقد من التشريعات ما يحفظ الاموال والأبضاع، لذا وجدنا العمل بإقامة الحدود وفرض الديات وضمان المتلفات واحترام الملكيات، قال صاحب المبسوط: «يبقى المستأمن على ملكه ولو عاد الى دار الحرب، وهذا حكم متفق عليه بين الأئمة الأربعة والزيدية»[٢٣] انتهى كلامه.

كذلك وجدنا في تلك التشريعات ما يضفي الشرعية على المبادئ والغايات، وهذا له تعلق بذوي السوابق والجنايات، اذ لا تسقط عنهم العقوبات بالهروب خارج الحدود والإيالات، فقد ورد في بعض النقول «انه اذا وقعت الجريمة في دار الاسلام ثم هرب الشخص الى دار الحرب فلا تسقط عنه العقوبة بالهرب»[٢٤].

وهذا يلتقي مع ما سارت عليه التشريعات الوضعية المنبثقة عن العلاقات الدولية والاتفاقيات الجهوية.

كما يدخل في ما يخدم الحقوق العامة للمدنيين: تجريم من ثبتت ادانته مباشرة أو ساعد بالمشاركة او التستر او التواطؤ، يشهد له في القرآن قوله تعالى: **﴿فكذبوه فعقروها ❖ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾**[٢٥] ذلك ان عاقر الناقة شخص واحد هو قدّار بن الف[٢٦] بدليل قوله تعالى: **﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾**[٢٧] لكن العقاب شمل الجميع بحكم تمالئهم على ذلك الذنب.

قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: **﴿فسواها﴾**: «اي فجعل العقوبة نازلة عليهم بالسواء»[٢٨].

فتقرير العقوبة بمبدأ التواطؤ أمر جرى به العمل كذلك في التشريعات الوضعية والمساطر الجنائية، كل ذلك بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة الحقوق المدنية.

وقد نبه الفقه الاسلامي على ضرورة تلك الصيانة فاستحق شرف الإحاطة بكل ما يعين على ضمان الرعاية وتحقيق الحماية، لا أقول هذا على سبيل الانتصار، وانما أسوقه من باب الاستظهار، عسى ان يكون هدى للمتقين وان تصل مضامينه للناس اجمعين.

ان الناظر في فقهنا الاسلامي يجده

قائماً على احترام الشخصية البشرية عند التخوف او التحقق من زوال الذمة الحياتية.

مثال التخوف: ما يعرف في تشريعنا بمسألة التترس التي يعبر عنها في اللسان الوضعي بإقامة الدروع البشرية.

فإذا كانت الأعراف والقوانين الدولية تستنكر تلك الاقامة، فإن للفقه الاسلامي بحثاً أصيلاً يرقى الى اعلى مراتب الحماية، ذلك انه ميز بين حالين كلاهما يعبر عن سمو النظر الشرعي ازاء هذه المسألة:

فالحالة الأولى هي يتترّس بالمسلمين، والأصل فيها التمسك بقاعدة حرمة الدماء وصون المهج والأرواح، ووجهوا جواز خرمها بإجراء قانون الأولوية عند التقابل بالأرجحية.

ومن صور ذلك الإجراء مجانبة الاعتداء عند الاقتتال لقوله تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾**[٢٩]، جاء في المادة ٢٣ من اللائحة الملحقة باتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧م، واكدته المادة ٤١ من الملحق الأول والمادة الرابعة من الملحق الثاني، جاء فيها: «يمتنع المحارب عن ايذاء خصمه بالقتل او الجرح او التعذيب أو سوء المعاملة اذا ما اصبح ذلك الخصم عاجزاً عن القتال سواء بإلقاء سلاحه أو لأنه لا يملك وسيلة للدفاع عن نفسه أو لأنه أسلم نفسه»، والأصل في هذا وذاك قوله تعالى: **﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾**[٣٠].

ومن ذلك مجانبة التعدي على الأهداف المدنية واستعمال الاسلحة الكيماوية، ففي مختصر خليل: منع استعمال النبال المسممة، والقول بالمسممة يصدق على حظر كل أشكال المواد التي تشكل خطراً على حياة المدنيين.

والحالة الثانية ان يتترس بغير المسلمين من النساء والأطفال اذ لا موجب في الشرع الى اباحة دمائهم، بل يتوقى في ذلك الى أعلى مراتب الاحتياط كما عبر عنه صاحب الاحكام السلطانية(٣١)، وقد سئل مالك عن نساء العدو وصبيانه يكونون يرمون بالحجارة ويعيثون على المسلمين ايقتلون؟ فقال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان.

ومثال التحقق يتجلى في متابعة التشريع الاسلامي للحقوق الثابتة للانسان بعد الحياة، وما يستوجب ذلك من النهي

عن التمثيل به ووجوب اكرامه بدفنه، لا يميز في ذلك بين مقاتل ومهادن.

فقد ثبت ان رسول الله ﷺ كان «لا يمر بقتيل فيجاوزه حتى يأمر بدفنه لا يسأل أمسلم هو أم كافر»[٣٢].

كذلك ورد النهي عن تشويه الجثث او التمثيل بها، فمن وصايا علي كرم الله وجهه: «لا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً الا بإذن».

وهناك صنف آخر من المدنيين وهم الأسرى لنقف على مدى متابعة التشريع الاسلامي لأحوالهم واهتمامه بحقوقهم، وصون كرامتهم.

فقد مدح القرآن الكريم من يؤثر الأسير بالطعام في قوله تعالى: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾**[٣٣]، لا يميز في الأسرى بين أهل القبلة وغيرهم «يشهد لهذا ان رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر ان يكرموا الأسارى»[٣٤].

ولفظ الإكرام له استمداد من الصفة الحكمية القاضية باحترام الآدمية لقوله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾**[٣٥]، وفي بعض التفاسير ان قتادة قال: «ان الله أمر ان يحسن الى الأسرى»[٣٦]، فرسول الله ﷺ قال في أسرى بني قريظة عندما اشتد عليهم الحر: «لا تجمعوا عليهم حرّ هذا اليوم وحرّ السلاح قيلوهم حتى يبردوا».. وبلغ من مجاملة المسلمين لأسرى بدر انهم كانوا يطعمونهم التمر ويأكلونهم الخبز.

ولم تقتصر تلك التوجيهات على ضمان حق الأكل والايواء، بل دلت النصوص على منع كل أشكال الإذايات، كالمس بالكرامات، والكشف عن العورات، قال علي كرم الله وجهه لجنوده في حربه مع معاوية: «اذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً الا بإذن، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تعذبوا النساء بأذى وإن شتمنكم.. واذكروا الله لعلكم تعلمون» انتهى كلامه.

ومقتضى ما تدل عليه الأصول ان للأسرى موجبات تتعلق بحق الحياة والأكل واللباس والتطبيب وحسن المعاملة، فلا تخفر لهم ذمة ولا تكشف لهم عورة ولا يكلفون ما لا يطيقون.

وقد نبهت بعض التشريعات الوضعية على ضرورة احترام الكرامة الانسانية،

ومنها حظر الكشف عن العورات، والقاعدة ان من التـزم شيئاً لزمـه، فهل تحقق ذلك الالتزام؟ اكتفي بهذا التنبيه ولا أزيد، لأنه من زاد فعليه ما زاد.

كما دلت السنة على أشكال من تلك المعاملة، فقد كان رسول الله ﷺ يوزع اسراه على المسلمين للإقامة معهم في بيوتهم، فكانوا بهذا الوضع أقرب الى الضيوف وما يستدعيه المقام من كرم الوفادة وحسن الضيافة التي تصل احياناً الى حد الايثار.

وقد نصت النقول على أسماء الذين تكفلوا بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعلي والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله عنهم[٣٧].

واجمع الفقهاء على ضرورة احترام الحقوق المدنية للأسرى، فقد دلت الروايات على وجوب توفير ما يقيم أودهم، ويحقق أغراضهم ويضمن كرامتهم، حتى التفت بعضهم الى بحث مسألة الأمومة في الأسر، فقد ذكر صاحب المغني» «انه لا يفرق في السبايا بين الأم وولدها الصغير حتى وإن رضيت الأم بذلك»[٣٨].

ولفظ «حتى» مؤذن بحق الصغير في رعاية أمه جبراً لا اختياراً.

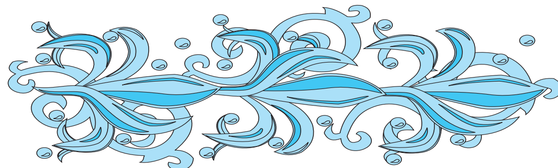
وهكذا يتبين ان الفقه الاسلامي احاط بالتشريعات الحامية للمدنيين، فالتقت في كثير من صورها بالقانون الدولي الانساني، وبرجوعنا الى القواعد الضابطة للحقوق المدنية في التشريع الاسلامي نجدها اصلاً لما تفرع عنها في القانوني الدولي الانساني.

انه نظام متكامل عين مفهوم المدنيين في كل مهادن وغير ذي رأي في القتال ليشمل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والصبيان وذوي العاهات والمرضى واعضاء البعثات والقضاة والصناع والأجراء والتجار والفلاحين والأسرى والموظفين، وشرع لهم ما يضمن حقوقهم ويحفظ دماءهم وأعراضهم ويصون عزتهم وكرامتهم سواء في حياتهم أو بعد مماتهم.

انها مبادئ عامة تقبلها العقول الراجحات وتتفق عليها الشرائع والديانات، والقاعدة ان كل من خرج عما حده الشرع في تلك الحماية فقد دخل في مسمى المعتدين غير المحبوبين الذين قال الله فيهم: ﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾[٣٩].

الهوامش:

١- الاسراء: ٧٠ .
٢- المجلة الدولية للصليب الأحمر، مارس - ابريل ١٩٨١ .
٣- المصدر السابق ٢٠٠٤ ص٨٥ .
٤- البقرة: ١٨٩ .
٥- النحل: ٨٩ .
٦- الأنعام: ٣٨ .
٧- الرسالة ٢٠ .
٨-٩- اعلام الموقعين ٢٢٠/٤ .
١٠- بداية المجتهد ١٤٧/٢ .
١١- الغياثي ص٢٠٠ .
١٢- الدر المنثور ٤٩٣/١ .
١٣- تفسير البيضاوي ٣٩٥/٢ .
١٤- الموافقات ٨/٢ .
١٥- الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/١٥ .
١٦- الفواكه الدواني ٣٩٩/١ .
١٧- البحر الرائق شرح الحقائق لابن نجيم الحنفي ٨٤/٥ .
١٨- سنن البيهقي ٩٠/٩ .
١٩- الاحكام السلطانية ٤٤ .
٢٠- سنن البيهقي ٩١/٩ .
٢١- تاج الملك ١٩٤ .
٢٢- الأحكام السلطانية ٤٦ .
٢٣- المبسوط ٩١/١٠ بتصرف.
٢٤- الرد على سير الأوزاعي ٨١ بتصرف.
٢٥- الشمس: ١٤ .
٢٦- تفسير ابن كثير ٥١٧/٤ .
٢٧- القمر: ٢٩ .
٢٨- تفسير ابن كثير ٥١٧/٤ .
٢٩- البقرة: ١٩٠ .
٣٠- النساء: ٩٠ .
٣١- الأحكام السلطانية ٤٤ .
٣٢- ينظر المغني ٤٧٠/١٠ .
٣٣- الانسان: ٨ .
٣٤- تفسير ابن كثير ٤٥٥/٤ .
٣٥- الاسراء: ٧٠ .
٣٦- تفسير القرطبي ٣٣٧/٣ .
٣٧- تفسير القرطبي ١٢٨/١٩ .
٣٨- المغني لابن قدامة ٤٦٧/١٠ .
٣٩- البقرة: ١٩٠ .



الأذكار الدينية
وعلاقتها بالصحة النفسيّة
لدى طلبة كلية الدراسات الفقهية

■ بقلم الدكتور محمد سليمان بني خالد

❖ الإطار النظري للدراسة:

تعدّ الصحة النفسيّة أساس نجاح الفرد في الحياة، وهي دليل الشخصية السوية الخالية من الاضطرابات النفسية، والاجتماعية، والجسمية، والعقلية، وكما يقال: العقل السليم في الجسم السليم، إن الفرد الذي يمتلك الصحة النفسيّة يوصف بأنه متكيف مع ذاته، ومتوافق مع مجتمعه الذي يتعايش فيه، ولا يعاني من أية أمراض نفسية، أو انحرافات سلوكية. إنه شخص يتفاعل بإيجابية مع المجتمع المحيط به بدءاً بالأسرة، وانتهاءً بالمجتمع الكبير.

وإن الصحة النفسيّة تحقق للفرد العيش في طمأنينة وسعادة، سواء أكان ذلك مع ذاته أم المجتمع الذي يعيش فيه، وتزيد من قدرته على مواجهة الأزمات والتغلب عليها بحكمة ورويّة، كما وتساعد الصحة النفسيّة الفرد على دقة الاختيار، وسرعة اتخاذ القرار دون جهد، إضافة إلى ذلك فان الشعور بالاطمئنان والهدوء النفسي يسهم في فهم النفس، ويزيد من قدرة الأفراد على التحكم في العواطف والانفعالات؛ وهذا من شأنه يبعد الإنسان عن التهوّر والاندفاع، والجري وراء الأحلام، والأوهام، والشائعات.

إن كل فرد يسعى لتحقيق الصحة النفسيّة؛ لأنها تعني السعادة، والسلامة من

الأمراض؛ وترتبط بنجاح الفرد في كل ميادين الحياة سواء في التفوق الدراسي، أو النجاح في العمل، كما وتحقق الترابط الأسري، والتماسك الاجتماعي، فهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الصالح، وعامل من عوامل التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ وإذا ما فشل الفرد في تحقيق التوازن النفسي؛ فانه سيقع فريسة للأمراض النفسية كالتوتر، والقلق، والإحباط، والصراع؛ مما سينعكس سلباً على صحته النفسيّة.

ولذلك فإن الصحة النفسية استرعت اهتمام الإنسان منذ القدم؛ حيث ربط أبقراط بين سوء الصحة النفسية للفرد واختلال السوائل الكيميائية في الجسم، وبظهور أفلاطون تم تحديد نمط العلاقة بين النفس والجسد؛ حيث أشار إلى صراع النفس الدائم للتحرر من الجسد، والعودة إلى عالم المثل العليا؛ بغية الوصول إلى السعادة المطلقة. أما أرسطوطاليس فأوضح بأن النفس تمثل مجموعة الوظائف الحيوية للإنسان من نمو، وإحساس، وتفكير؛ وبالتالي فإن مصادر القلق هي كل ما يعيق الأداء الأفضل لهذه الوظائف (محمد ومرسي، ١٩٨٦).

ولا بد من الإشارة إلى أن منظمة الصحة العالمية (WHO) قد أوصت بضرورة الاهتمام بالصحة النفسيّة للأفراد، بما يوازي اهتمام المجتمعات بالصحة الجسمية، ودعت إلى إنشاء قسم للوقاية من الأمراض النفسيّة والعقلية في وزارات الصحة، كما أولت أيضا أهمية تعليم الجمهور وتوعيته، وتغيير اتجاهاته نحو المصابين بالمرض النفسي والعقلي،(الميلادي، ٢٠٠٣). فالمجتمع الذي يعاني من الأمراض النفسية والاجتماعية، يسود فيه الجهل والتعصب والإحباط، وتكثر فيها المشكلات الأسرية، ويتدهور فيه النظام القيمي، وتكثر فيه الكوارث الاجتماعية، وتسوء فيه الأحوال الاقتصادية؛ وذلك مظهر من مظاهر فقدان الصحة النفسيّة، (Learner ١٩٩٣).

ولما كان من مقتضيات الإسلام الأساسية الحفاظ على النفس الإنسانية؛ فقد جاءت الرؤية الإسلامية للصحة النفسية تتوافق مع الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها؛ حيث تحدث القرآن الكريم عن أحوال النفس الإنسانية، واهتم بالجسد، والنفس، والروح، وحثّ للمحافظة عليها بالتداوي، والذكر، والدعاء، واعتبر سلامة الجسد من العلل

والأمراض، وسلامة النفس من الهموم، والإحزان، والعجز، والكسل، من الشروط الأساسية للصحة النفسية؛ فالإنسان كائن اجتماعي يجب أن يتفاعل بإيجابية مع الآخرين من خلال المشاركة بآمالهم وآلامهم؛ فذلك من أسباب الراحة والاطمئنان والمودة والرحمة.

وقد أوضح صبحي (٢٠٠٣) نظرة الإسلام الشمولية، والتكاملية إلى دور الإنسان ووظيفته، وبنائه النفسي؛ وذلك لتميّزه بالعقل الراجح، واللسان الناطق، والطاقات العقلية، والاستعدادات التي تمكنه من العيش باطمئنان؛ ليؤدي شعائره الدينية بتدّبر وسكينة، حتى يعيش برغد وهناء في الحياة الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن القرآن الكريم يهدف إلى خلق فرد يتمتع بشخصيّة سوية، خالية من الأمراض، والعلل والعقد؛ مما على سرعة الهداية، والالتزام بالقيم والأخلاق الفاضلة؛ وبالتالي الحصول على السعادة في الدنيا، والفوز بالآخرة. قال تعالى: **﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾** الإسراء: ٩ .

إن العصور الإسلامية - وعبر أجيالها المتعاقبة - تميّزت عن الحضارات القديمة؛ باعتمادها الدين الإسلامي مصدراً للهداية والتشريع، وإدارة شؤون الحياة؛ مما انعكس على شخصية الفرد المسلم؛ ليجمع بين الحياة المادية والروحية، وقد شكل هذا التمازج حياة مستقرة هنيئة، تتصف بالسكينة، والهدوء، والطمأنينة، **حتى إن القارئ للقرآن الكريم، والأحاديث النبوية ليجد اهتمام الإسلام في تربية النفس وتزكيتها، وإتباع الأساليب السوية في وقايتها من الانحراف، أوالسقوط في مهادي الفساد والضلال؛** فالله جل جلاله هو الذي خلق النفس البشرية، وهو الأعلم بما يصلحها، وما يضرها وينفعها (المليجي، ١٩٥٥، عودة، وزميله ١٩٨٦).

ونظرا لأهمية الصحة النفسيّة للفرد المسلم، فقد اهتم بدراستها الكثير من العلماء والفلاسفة المسلمين، ومنهم أبو حامد الغزالي، والذي يرى بأن دوافع الهوى من غضب وشهوات كالمال، والبنون، والخيل، والأنعام، والحرث، وتعمير الأرض، ضرورية لبقاء الإنسان، ولكنها قد تنقلب إلى الضد، عندما تصبح مقصودة لذاتها؛ مما يستغرق أفكار وهموم الإنسان.

وبذلك فهو يتفق مع أبي علي مسكويه،

والذي يشير بأن الوقاية من الاضطرابات النفسيّة، يكون بتهذيب النفس على الأخلاق الحميدة؛ بما يحفظ صحة النفس، ويبقيها سليمة طيبة بعيدة عن الأوهام والأسقام. **كما وأوضح ابن القيم الجوزية أحوال النفس الإنسانية، وهي:**

النفس المطمئنة؛ التي تخاف الله، وتمتثل لأوامره، وتجتنب نواهيه، وحالها الاطمئنان والرضا، ومآلها الجنة، وهي النموذج الذي يسعى إليه الإنسان المسلم.

والنفس اللوامة؛ التي تزجر صاحبها عن الوقوع بالآثام، وارتكاب الذنوب، وحالها التردد والرجوع إلى الله، والتوبة إليه حيناً بعد حين.

أما النفس الأمّارة بالسوء؛ فهي التي تزيّن لصاحبها الشهوات، والوقوع بالآثام، وارتكاب المعاصي.

وبنفس المنهج والأسلوب أشارت الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة للصحة النفسيّة، وسلامة الجسم من العلل والأمراض الجسدية والنفسيّة، فقد تعوّذ رسول الله ﷺ من الهم والحزن والعجز والكسل، وهذه من أساسيات وشروط صحة الفرد النفسيّة؛ مما يؤدي إلى العيش بأمن وسلامة واطمئنان؛ حيث الإيمان بالله والرضا بقضائه وقدره، والصبر على بلائه، والثقة بعونه ورحمته، والقناعة برزقه (الكيلاني،١٩٨٠، أذلي، ١٩٩٩).

وقد أشار الجبرين (١٤٢٢هـ) بأن الفرد المسلم يعمل على تحصين نفسه من الأمراض النفسيّة؛ من خلال الالتزام بآداب الإسلام فعلاً وقولاً، وفي كل النواحي التعبدية، والأخلاقية والاجتماعية؛ مما يعمل على إسعاد القلب، وتحصين النفس، ووقايتها من الوقوع بالأمراض النفسيّة، أو العضوية.

ومن الأعمال التي تساعد على ذلك: القيام بالصلوات، والابتعاد عن المعاصي، والتوبة إلى الله، والإنابة إليه، وقراءة القرآن الكريم، والمحافظة على الأذكار، والإكثار من النوافل.

ولقد أبرز الميلادي (٢٠٠٣) ضرورة اهتمام جميع الحلقات التربوية بالصحة النفسيّة للفرد بدءاً بالأسرة، ومروراً بالمدرسة والجامعة، ثم بالمجتمع الكبير؛ وذلك بأن الأسرة هي الحاضن الأساسي للطفل، وهي من أهم المراحل التي يمر بها الطفل؛ ولذلك فمن المهم أن تلبي الأسرة جميع متطلبات الطفل من طعام، وراحة،

وعطف، وحبّ من أجل غـــرس الراحـــة والطمـأنينة في نفسـه، وتبـعـده عن كل مظاهر الاضطراب من قلق، وعـدوان، أو شعور بالحرمان.

ومن الأمور المهمة التي يغفل عنها الآباء والأمهات عدم الاهتمام بالبعد الديني في التربية؛ حيث يتركّز الاهتمام على الطعام والشراب وحسب، ومع أهمية هذه الأمور إلا أن التـربيـة الدينيـة تقع في المقدمـة، ويكون ذلك من خـلال القـدوة الحـسنة، خـصـوصـا في المراحل المبكرة من حـيـاة الطفل؛ حـيث أغلب التعلم يتم بالتـقليـد والملاحظة؛ فالطفل الذي تغرس في نفسه مظاهر حب الله ورسوله، والقيم والأخلاق الطيبـة، ومظاهر الخير والمحبة؛ يتصف بحـالة من التـوازن والاسـتـقـرار، وعـدم الصراع النفسي.

وقد أشار الجسماني (٢٠٠٠) إلى أن النفس البـشـرية تشـعـر بالاطمـئنان، والسكينة، والرضا عندما تشعر بالانسجام مع الذات؛ إذْ تستشعر بموافقة سلوكها مع مطالب ربهـا؛ فـتـعـمـل بما يـرضي الله، وتجتنب عما نهى عنه، وخلاف ذلك فإن النفس سـتصـاب بالإحـبـاط، والذنب؛ مما يعني اضطراب السلوك، والإصـــــابة بالأمـراض النفسـيّة كـالقلق والاكـتـئاب، وتعذيب الضمير.

ولذلك فـــإن الواجب على المسلم أن يحافظ على النفس التي أودعها الله إياه، وذلك بشتى السبل المادية، والروحـانيـة؛ ولعل الذكر والدعاء من أهمّ سبل الحفاظ على النفس؛ من حيث الشـعـور بالسـعـادة والطمـأنينة. كـمـا على الفـرد المسلم أن يدرك شأن الأدعية الواردة في كتاب الله، وسنة رسـوله الكريم ﷺ ومـا فـيـهـا من فواتح الخيـر، وخـواتمه، وجوامعـه، وأوله وآخـره، وظاهره وباطنه، ومـا تحـويه من كمال، وجمال، وتحقيق للمطالب العالية، والمقـاصـد الجليلة، والخـيـر الكامل في الدنيـا والآخـرة، والسـلامـة من الخطأ؛ وذلك لأنهـا وحي الله وتنزيله. والله جل وعلا قد اختار لنبيه محمد ﷺ جوامع الأدعـيـة، وفـواتح الخـيـر، وتمام الأمـر، وكـمـــاله في الدنيـــا والآخـرة (البـــدر، ١٤٢٥هـ).

ولأهميـة الذكر في القـرآن الكريم فقد حث الله سبحانه وتعالى عباده لذكره في جميع أوقاتهم، وأحوالهم، ومعاملاتهم، في الليل والنهار، في الصباح والمساء، وعقب الصلوات، وعند الأفـــراح والأتراح، وفي

الشدة والفرج.

وقد رغب رسول الله ﷺ بالذكر؛ فهو صلة العبد بربه، والسبيل إلى تحقيق رضاه، والطريق المهد للجنة، والمنجي من النار؛ فالذكر يحيي القلوب، ويزيل قساوتها، ويسبغها بالأمن والسلامة، والاطمئنان، وبالمداومة عليها ينال المسلم الأجر والثواب، والسعادة في الدارين. (قطينة، ٢٠٠٣).

ومن المهمّ الإشارة إلى أن الباحثين الغربيين قد اهتموا بدراسة أثر الدين على الصحة النفسية للأفراد؛ ومنهم روربو وريتشارد (١٩٧٥)؛ حيث أكّدا على أهمية التدين لدى الشباب للوقاية من الاضطرابات النفسية، وقد وافقهما روس (١٩٩٠) عندما أوضح أهمية الدين في تحقيق طمأنينة النفس، والسمو بها إلى العالم المثالي، وكولمان عندما أكد على الاتجاه الديني من حيث ضعف الإنسان، واعتماده على الله، وأن الإنسان بفطرته السليمة يلجأ إلى الله، ويعتمد عليه؛ خاصة عند الشدائد والخطوب.

وقد قام العديد من العلماء والباحثين بتعريف مفهوم الصحة النفيسة؛ فقد عرّفتها منظمة الصحة العالمية الصحة النفسيّة: بأنها حالة من توافق الأفراد مع أنفسهم، ومع العالم عموماً بحد أقصى من النجاح، والرضي، والالتزام، والسلوك الاجتماعي السليم، والقدرة على مواجهة حقائق الحياة وقبولها (Heath World Organization,1990).

وعرف الميلادي (٢٠٠٣) الصحة النفسية بأنها: حالة من التوافق مع المجتمع في القيام بالمسؤولية، والإنتاج، والتوازن بين الغرائز، والرغبات الخاصة، والذات والضمير، مع امتلاك القدرة على العطاء، والحب دون انتظار مقابل. وعرّف القريطي (١٩٩٨) الصحة النفسيّة بأنها: حالة عقلية انفعالية إيجابية، مستقرة نسبياً، تعبّر عن تكامل طاقات الفرد، ووظائفه المختلفة، وتوازن قواه الداخلية والخارجية الموجهة لسلوكه في مجتمع مؤقت، ومرحلة معينة.

أما شريت وحلاوة (٢٠٠٣) فعرفا الصحة النفسية بأنها: حالة من الاستقرار والتوازن النفسي، والاجتماعي عقلياً، ونفسياً، واجتماعياً، لتحقيق الأهداف، والوصول إلى مصدر السعادة.

وتأتي أهمية الدراسة من كونها درست علاقة الأذكار الدينية بالصحة النفسية

للفرد المسلم، وقد مزجت بين المعرفة الدينية، وعلم النفس في حل المشكلات النفسية،كما واقترحت بعض الحلول المناسبة للحد من الاضطرابات النفسية، التي تؤثر على الصحة النفسية للأفراد، يضاف إلى ذلك إسهام الدراسة في بناء مقياسين من إعداد الباحث، أحدهما في الأذكار الدينية، والآخر في الصحة النفسية؛ حيث تم التأكد من خصائصهما السيكومترية.

وتكمن مشكلة الدراسة في معاناة بعض الطلبة من اضطرابات نفسية كالقلق، والاكتئاب، والضغط النفسي؛ وذلك ينعكس سلبا على صحتهم النفسية، وقدراتهم في العطاء، والإنتاج، ولعل هذه المعاناة ترتبط بعوامل كثيرة منها: ضعف الوازع الديني، وطغيان المادة؛ وظروف الحياة، ومتطلباتها المستمرة؛ إضافة إلى ما يشهده العالم من تطورات علمية، وتكنولوجية متسارعة، ولما كانت العوامل ذات الارتباط بالصحة النفسية كثيرة ومتعددة؛ فقد حاول الباحث دراسة العامل الذي يعتقد أنه أكثر أهمية بمشكلات الصحة النفسية؛ وبذا حاولت هذه الدراسة معرفة علاقة الأذكار الدينية بالصحة النفسية لدى الفرد المسلم؛ وبهذا حاولت الدراسة الإجابة عن التساؤلين التاليين:

- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأذكار الدينية، والصحة النفسية لأفراد عينة الدراسة؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصحة النفسية بين أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغيري الجنس والحالة الاقتصادية؟

أولا- نتائج التساؤل الأول ومناقشتها:

يلاحظ وجود ارتباط موجب بين الصحة النفسية والأذكار الدينية ككل، خاصة في كل من الصلاة، والقرآن الكريم؛ حيث هناك ارتباط موجب بين التدين عموما، والصحة النفسية، ويمكن أن تعزى العلاقة الموجبة بين الأذكار الدينية، والصحة النفسية إلى أهمية الأذكار بمختلف أنواعها في تحقيق الأمن والأمان للنفس المؤمنة؛ فكلما زادت الأذكار الدينية وتنوعت، كلما تحسنت الصحة النفسية لدى الأفراد؛ حيث يعيش الإنسان مستقراً في حياته هنيئاً في عيشه، آمناً في أسرته وجماعته؛ ولذلك فإن أشكال الذكر المتعددة كالصلاة، وقراءة القرآن، والدعاء، والذكر بعد الصلوات، والاستغفار، والاستعاذة تعمل مفردة، ومترابطة

ومتكاملة على تحقيق الشخصية المتوازنة السوية؛ وهذا يولّد الشعور بالأمن، والهدوء والاستقرار النفسي، والقدرة على مواجهة أعباء الحياة، بمرونة وحيوية واقتدار.

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة بين بعدي الصلاة، وقراءة القران الكريم والصحة النفسية، ولعل ذلك يعزى إلى أهمية الصلاة، وقراءة القرآن الكريم في تحقيق الأمن والطمأنينة للفرد المسلم، وتخليصه من كل مظاهر القلق، والاكتئاب، والضيق والشدة. قال رسول الله ﷺ: "يا بلال، أقم الصلاة فأرحنا بها": سنن أبي داوود رقم ٤٩٨٥، الآداب الشرعية:٣/٢١ .

فإن اتصال العبد بربه يكون من خلال الصلاة، وكما قيل: إذا أردت أن تخاطب الله وتناجيه، فقم إلى الصلاة، وإذا أردت أن يناجيك الله، فاقرأ القرآن، فالصلاة تنهى عن الفحشاء، والمنكر، والبغي، والظلم.

وتمثل الصلاة أهم مظاهر سلوكات الفرد المسلم الظاهرة، والتي من خلالها قد يحكم على الفرد بأنه من أهل الخير والصلاح، والفضل والإحسان.

أما القرآن فهو زاد المتقين وطعام الصالحين، وبالقرآن وتلاوته تطمئن النفوس، وتخشع القلوب، وتستقيم الجوارح. قال تعالى: **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** الرعد: ٢٨، ولذلك فإن المسلم يلجأ إلى تلاوة القرآن آناء الليل، وأطراف النهار؛ لعلمه الأكيد بعظم أجر تلاوته، وأنه السبيل إلى تحقيق الأمن والأمان، والاستقرار النفسي، وأنه البلسم الذي تشفى به الأمراض، وخاصة المتعلقة بالنفس والروح، فهو غذاء النفس والروح معاً.

ثانيا- نتائج التساؤل الثاني ومناقشتها:

أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق بين أداء أفراد عينة الدراسة تعزى إلى الجنس، والحالة الاقتصادية، ولعل ذلك يعود إلى أن كلاً من الذكور والإناث يتعرّض إلى نفس أسلوب التربية، كما أن كلا الجنسين يمر بنفس الظروف الحياتية؛ سواء أكانت سهلة، أم صعبة، إضافة إلى عدم التفريق في المعاملة، وفرص التعليم، فكل منهم يأخذ حقوقه الكاملة، خاصة أن الإسلام هو الذي حفظ حقوق المرأة، ولم يفرق في الحقوق بين ذكر وأنثى، إلا ما يتعلق بالناحية الفسيولوجية؛ إذ لكل من الذكر والأنثى

طبيعة فسيولوجية وتكوينية خاصة به.

أما ما يخص عدم وجود فروق في الصحة النفسية تعزى للحالة الاقتصادية؛ فلعل ذلك يعود إلى الإيمان والاعتقاد بأن الأرزاق مقدرة بين العباد، كما هو حال الأجل، وأن المطلوب من الإنسان السعي للرزق، والأخذ بالأسباب؛ فربما يكون الفرد فقيراً، أو غنياً، وكلتا الحالتين من الله، إن شاء أعطى، وإن شاء منع، وكل ذلك بعدله، وفضله؛ فالفرد المسلم مطمئن لرزقه، راض بما قسمه الله له؛ ولذلك فإن النفس المؤمنة لا تقلق بشأن الرزق، فالله يقدره حيث يشاء بحكمته وعلمه، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ النجم: ٣٩ .

❖ التوصيات:

- إبراز علاقة الأذكار الدينية بالصحة النفسية؛ من خلال إقامة البرامج التوعوية، والمحاضرات، والندوات الخاصة.

- عمل برامج إرشادية لمعالجة الاضطرابات النفسية كالقلق والخوف، بالاعتماد على الأذكار الدينية.

- الحث على الصلاة، وقراءة القران الكريم كأحد أهم أشكال الذكر؛ للوقاية والعلاج من الاضطرابات النفسية.

المراجع:

- أذلي، عبد الحميد (١٩٩٩)، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص٤٨-٤٩.

- البدر، عبد الرزاق (١٤٢٤هـ)، فقه الأدعية والأذكار، المدينة المنورة، ص٨.

- البنا، إسعاد (١٩٩٠)، دور الأدعية والأذكار في علاج القلق كأحد طرق العلاج النفسي الديني، المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، ص ٥١-٦٨.

- الجبرين، عبد الله (١٤٢٢هـ)، طريقك إلى الصحة النفسيّة والعضوية، ط٤، الرياض، ص٩-١٢.

- الجسماني، عبد العلي (٢٠٠٠)، نداء الفطرة الإيماني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص٩.

- الجوزية، ابن القيم. الروح، دار الفكر، بيروت، ص٢٧٥.

- حوالة، محمد. (١٩٩٠)، القلق الأخلاقي وعلاقته بالقيم والمفاهيم الدينية لدى شرائح من الشباب المصري الجامعي؛ دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.

- شريت، أشرف وحلاوة، محمد (٢٠٠٣م)، الصحة النفسية بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص٤٥-٤٦.

- صبحي، سيد (٢٠٠٣)، الإنسان وصحته النفسية، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص٧٦.

- صنيع، صالح (٢٠٠٢)، العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مجلة جامعة الملك سعود: العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ١٤ (١)، ص ٢٠٧-٢٣٤.

- عودة، محمد (١٩٨٣)، مؤشرات الصحة النفسيّة في المجتمع الكويتي، منشورات المؤتمر الخليجي الأول لعلم النفس، خدمة التنمية، الكويت.

- عودة، وزميله (١٩٨٦)، الصحة النفسيّة في ضوء علم النفس والإسلام، دار العلم، ص١٣.

- الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية، بيروت.

- القريطي، أمين (١٩٩٨)، في الصحة النفسيّة، دار الفكر العربي، القاهرة.

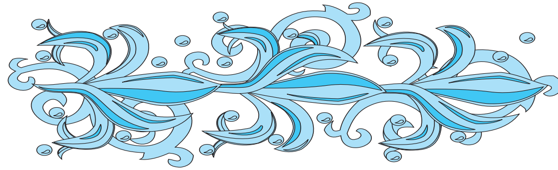
- قطينة، آمال (٢٠٠٣)، أمراض النفس وعلاجها بالذكر، دار ومكتبة الحامد، عمان.

- كاريل، الكسيس، (١٩٧٣)، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: عادل شفيق، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

- الكيلاني، عبد الله (١٩٨٠)، في رحاب الطب النبوي، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٢٣)، ص٥٠-٥٧.

- المليجي، عبد المنعم (١٩٥٥)، تطور الشعور الديني، دار المعارف، القاهرة، ص٣-١.

- مسكويه، أبو علي أحمد. (١٩٥٩)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٢١١ .



١

إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نموذجاً

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ تمهيد:

تطورت الكتابة التاريخية عند المسلمين تطوراً هائلاً، وشملت مناحي الحياة المختلفة وسجلت دقائقها، وترجمت لأعلامها، وكان من بين صور التأليف التاريخي التي شاعت منذ منتصف القرن الثالث الهجري ما يُعرف بالتاريخ المحلي؛ حيث يعمد المؤرخ إلى الكتابة عن مدينته، ويؤرخ لها دون غيرها من المدن؛ اعتزازاً بها، وتسجيلاً لحركتها الفكرية، وبدأت تظهر سلسلة من تواريخ المدن توافر على كتابتها عدد من أبنائها، حتى أضحت كتابة هذه التواريخ البلدانية تقليداً لدى العلماء تتوارثه الأجيال.

وتوالت الكتب التي تتناول المدن الكبيرة وحواضر الدول؛ مثل: بغداد، ودمشق، والقاهرة، ومكة، وحلب، وهي كتب تتناول تاريخ هذه المدن - لا على أساس أحداثها السياسية وخلفائها ووزرائها وولاتها-، ولكن على أساس رجالها وعلمائها الذين ملأوا مساجدها ومدارسها درساً وتأليفاً، وصار الإطار المكاني هو الذي يربط بين علمائها، وجرى تنظيم هذه المؤلفات على أساس الترتيب الألفبائي، وكان من شأن هذه الكتب أنها حفظت لنا الحركة الحضارية وفاعلياتها داخل تلك المدن، ولم تشغل نفسها بالأحداث السياسية وأدوار رجالها.

ولما دعيت للمشاركة في ورقة بحثية في مؤتمر بغداد مدينة السلام، اخترت تسليط الضوء على محور إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد، وكان أول ما انقدح في ذهني الكتابة عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. إذ كان رحمه الله ممن أسهموا في هذا الجانب التاريخي بكتابه الكبير "تاريخ بغداد" الذي جمع فيه خلاصة ترجمة العلماء الذين عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأصبح مثالاً احتذى به كل من تطرق إلى التاريخ للمدن مثل: ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب".

❖ ترجمة موجزة للخطيب البغدادي(١):

المولد والنشأة: في" غزية" من قرى الحجاز ولد أحمد بن علي بن ثابت في يوم الخميس الموافق (٢٤ من جمادى الآخرة ٣٩٢هـ الموافق ١ من ديسمبر ١٠٣٤م)، ونشأ في "درزيجان"، وهي قرية تقع جنوب غرب بغداد؛ حيث كان أبوه يتولى الخطابة والإمامة في جامعها لمدة عشرين عاماً، وعُني به أبوه عناية فائقة، فدفع به إلى من أدَّبه وحفظه القرآن، ولما اشتد عوده بدأ يتردد على حلقات العلم في بغداد، وكانت آنذاك تموج حركة ونشاطاً بعلمائها وفقهائها، فالتزم حلقة "أبي الحس بن رزقوية"، وكان محدثاً عظيماً، له حلقة في جامع المدينة ببغداد، وتردد على حلقة أبي بكر البرقاني، وكان مبرزاً في علم الحديث، فسمع منه وأجازه، واتصل بالفقيه الشافعي الكبير "أبي حامد الإسفرائيني"، وتتلمذ على يديّه، كما التقى بالعلماء الواردين على بغداد، وأخذ عنهم.

❖ الرحلة في طلب العلم:

كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد عند علماء المسلمين؛ فبعد أن ينهل الطالب من علماء بلدته والبلدان المحيطة، يبدأ في الاستعداد للرحلة إلى الحواضر الكبرى، وقد ألف الخطيب البغدادي رسالة في هذا الموضوع باسم "الرحلة في طلب الحديث"، أورد فيها الأحاديث والآثار التي جاءت في فضل الرحلة، وسجل رحلات الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، وبيَّن الغرض من الرحلة وهو تحصيل علو الإسناد، ولقاء الحفاظ والمذاكرة معهم.

كانت البصرة هي المدينة التي قصدها، وهو في العشرين من عمره في سنة (٤١٢ هـ= ١٠٢١م) والتقى بعلمائها الكبار وأخذ عنهم، ثم عاد إلى بغداد في السنة نفسها، وبدأ اسمه في الذيوع والانتشار، ثم عاود

الرحلة بعد مضي ثلاث سنوات على رحلته الأولى، واتجه إلى نيسان بمشورة شيخه أبي بكر البرقاني سنة (٤١٥هـ = ١٠٢٤م)، وفي طريقه إليها مر بمدن كثيرة كانت من مراكز الثقافة وحواضر العلم، فنزل بها وأخذ عن شيوخها، حتى إذا استقر بنيسابور بدأ في الاتصال بعلمائها وشيوخها، فأخذ عن أبي حازم عمر بن أحمد العبدوي، وأبي سعيد بن محمد بن موسى بن الفضل بن ساذان، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحرشي، وصاعد بن محمد الاستوائي وغيرهم، ثم عاد إلى بغداد.

ثم عاود الرحلة إلى أصبهان سنة (٤٢١ هـ = ١٠٣٠م)، واتصل بأبي نعيم الأصبهاني صاحب "حلية الأولياء"، فلازمه وروى عنه، كما روى عن عدد من العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم رواياتهم، وكرّ راجعاً إلى بغداد، واستقر بها مدة طويلة.

أصبح الخطيب البغدادي معقد الآمال في بغداد، ومقصد الطلاب من كل مكان، وموضع احترام الناس وتقديرهم، يلجأون إليه في الملمات، وحدث أن أظهر بعض اليهود في سنة (٤٤٧هـ = ١٠٥٥م) كتاباً ادعوا فيه أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وذكروا أن خط علي فيه، فلما أُرسل الكتاب إلى وزير الخليفة القائم بأمر الله عرضه على الخطيب البغدادي، فتأمله ثم قال: هذا مزوَّر؛ فلما قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال: من شهادة معاوية؛ فهو أسلم عام الفتح سنة (٨ هـ= ٦٢٩م)، وفُتحت خيبر في سنة (٧هـ= ٦٢٨م)، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين، فاستحسن الوزير ذلك من الخطيب، ولم يُجزهم الوزير على ما جاء في الكتاب، وأخذ منهم الجزية.

وما قام به الخطيب دليل على سعة علمه وتبحره في التاريخ، ومعرفته الدقيقة بالرجال والنقد التاريخي، والبصر الدقيق بالسند والمتن، وقد رفعت هذه الحادثة مكانته عند وزير الخليفة؛ فجعله مرجع الخطباء والوعاظ في الحديث؛ فلا يروون حديثاً حتى يعرضوه عليه؛ ليرى درجته ومبلغ صحته وضعفه؛ فإن كان صحيحاً أذاعوه، وإن كان ضعيفاً ردوه.

❖ معاودة الرحلة:

ظل الخطيب في بغداد حتى سنة (٤٥١هـ= ١٠٥٩م) عاكفاً على التأليف، مشتغلا بتدريس الحديث وإملائه بمسجد المنصور، ثم غادرها إلى "دمشق" تسبقه

شهرته الواسعة، وكان قد سبق له أن زارها كثيراً قبل هذه الرحلة، لكنه في هذه المرة طالت به فترة إقامته، وكان يعقد مجلسه في الجامع الأموي؛ يحدث بمصنفاته ومروياته وسط حشد هائل من تلاميذه وطلبة العلم ومحبيه، وكانت دمشق آنذاك تابعة للدولة الفاطمية، فسعى الوشاة إلى إحداث وقيعة بينه وبين الفاطميين، واستندوا إلى أنه يحدث بكتاب "فضائل الصحابة الأربعة" للإمام أحمد بن حنبل وفضائل العباس لأبي الحسن بن رزقويه، وكادت الوشاية تؤدي إلى قتله لولا تدخل بعض العارفين لقدر الإمام، فعملوا على إخراجه من دمشق، وتوجه إلى صور سنة (٤٥٩هـ =١٠٦٦ م) وكان يحدث بجامعها، ويزور القدس ويعود ثانية، ثم غادر "صور" بعد أن مكث بها فترة طويلة، وقصد "طرابلس" سنة (٤٦٢هـ= ١٠٦٩م)، ثم اتجه إلى حلب، ثم عاد في السنة نفسها إلى بغداد بعد غياب طويل عنها دام نحو أحد عشر عاماً، فوصلها في (ذي الحجة ٤٦٢هـ=١٠٦٩م)، واستأنف سيرته العلمية.

❖ أستاذ لشيوخه:

اشتهر الخطيب بكثرة مروياته وسعة علمه؛ فروى عنه كثيرون، بعضهم كان من شيوخه، مثل شيخه أحمد بن محمد البرقاني، وأبي القاسم الأزهري، وبعضهم من زملائه وأقرانه مثل أبي إسحاق الشيرازي، والحافظ ابن ماكولا، وأبي عبد الله الحميدي الأندلسي. أما طلابه وتلاميذه فكثيرون، منهم: عبد الكريم بن حمزة مسند الشام، وأبي بكر المرزقي، وهبة الله الأكفاني، وأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي، وأبي الوفاء علي بن عقيل الفقيه المعروف.

❖ منزلته في الحديث والتاريخ:

جمهور أهل العلم مطبق على إمامة الخطيب البغدادي في الحديث وعلومه وتحرّيه، وإتقانه وعلو منزلته في التاريخ والتراجم.

قال الحافظ ابن ماكولا: إن الخطيب البغدادي كان آخر الأعيان، ممّن شاهدناه معرفة، وإتقانا وحفظا وضبطا لحديث رسول الله ﷺ، وتفننا في علته وأسانيده، وخبرة برواته وناقليه، وعلما بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني من يجري مجراه، ولا قام بعده منهم بهذا الشأن سواه، وقد استفدنا كثيرا من هذا اليسير الذي نحسنه به وعنه، وتعلّمنا شطرا من هذا القليل الذي نعرفه بتنبيهه ومنه، فجزاه

الله عنا الخير، ولقّاه الحسنى.

- قال الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني مثل الخطيب.

قال شيخه أبو إسحاق الشيرازي الفقيه: أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه.

واتفقت كلمة المحدثين على توثيق الخطيب والثناء عليه، وأنه حجة ثبت في نقوله، بارع في مؤلفاته، متقن لرواياته(٢).

❖ مؤلفاته:

قضى الخطيب عمره في طلب العلم، والرحلة إلى شيوخه، يأخذ عنهم مصنفاتهم ومروياتهم، وعني بالحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والأدب والتاريخ والأخبار، وإن كانت شهرته باعتباره حافظاً قد غلبت عليه؛ لأن عنايته بالحديث وعلومه قد استأثرت بمعظم جهوده، ويتضح ذلك من قائمة مؤلفاته؛ حيث تحتل كتب الحديث وعلومه المرتبة الأولى من بينها، ويبلغ مجموع مؤلفاته ستة وثمانين كتاباً، سأورد المطبوع منها:

"الكفاية في علم الرواية"، وهو من أهم الكتب التي أُلفت في علم مصطلح الحديث؛ حيث اشتمل على فنون هذا العلم ومصطلحاته المستعملة في كتب الحديث وتحديد معانيها بدقة، وقد استفاد من الكتاب كل من تعرض لهذا العلم الجليل مثل القاضي عياض، وابن الصلاح.

وقد طبع الكتاب في الهند أولا عام ١٣٥٧هـ، ثم طبع في مصر في مطبعة السعادة عام ١٩٧٢م بعناية الأستاذين عبد الحليم محمد وعبد الرحمن حسن. ثم طبع بتحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

وله **"الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع"** تناول فيه آداب طالب علم الحديث، وهيئته وكيفية تعامله مع شيخه، وسلوكه في حضرة مجلسه، وتعرض لمظهره وكلامه ومشيه ومجلسه، وبيَّن آداب معاملة الشيخ لتلاميذه وتوقيره لهم، وتعرض لمظهره وكلامه ومشيه ومجلسه، وتحرِّيه الصدق، واختياره الرواية من أصل مكتوب، وما يلزمه معرفته من النحو والصرف؛ وذكر صفة مجلس المحدث ووقته وموضعه، وغير ذلك من مباحث الكتاب. طبع الكتاب بتحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد، ونشرته مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ثم طبع ثانية بتحقيق الدكتور محمود الطحان، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ثم طبع بتحقيق الدكتور

محمد عجاج الخطيب، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت عام١٤١٢هـ/١٩٩١م.

وله أيضاً **"شرف أصحاب الحديث"** تحقيق الدكتور محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، مطبعة جامعة أنقرة /تركيا، الطبعة الأولى ١٩٧١م. ثم طبع في عالم الكتب، بيروت ٢٠٠٣م.

و **"نصيحة أهل الحديث"**، طبع عدة طبعات آخرها عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م تحقيق زميلنا الدكتور عبد الكريم الوريكات، مكتبة المنار، الأردن.

وله **"الفقيه والمتفقه"** تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم، بغداد، ١٩٧٢م، وطبع أيضاً بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٩هـ/ بعناية إسماعيل الأنصاري. كما حققه عادل العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

و**"اقتضاء العلم العمل"** طبع بدمشق عام ١٣٨٥هـ بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

و**"البخلاء"** طبع في مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٤م بتحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي.

و**"التطفيل وحكاية الطفيلين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم"** نشره حسام الدين القدسي في دمشق عام ١٣٤٦هـ، وحققه عبدالله عبد الرحيم، دار المدني، جدة١٩٨٦م. وله طبعات أخرى.

و**"الإجازة للمعدوم والمجهول"** وهي رسالة صغيرة طبعت مع عدة رسائل بعناية صبحي السامرائي في مطابع المجد بالقاهرة عام ١٣٨٩هـ. وحققها الدكتور صالح يوسف معتوق، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي العدد ٦.

وله **"تقييد العلم"**، طبع بتحقيق الدكتور يوسف العش، ونشره المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٤٩م.

و**"الرحلة في طلب الحديث"**، طبع أولا في القاهرة عام ١٣٨٩هـ ضمن مجموعة رسائل بعناية صبحي السامرائي، ثم حققه الدكتور نور الدين عتر ونشره بدمشق عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

و**"المتفق والمفترق"** تحقيق محمد صادق الحامدي، دار القادري، بيروت ١٩٩٧م.

و**"موضح أوهام الجمع والتفريق"**، طبع في حيدر آباد الدكن بالهند عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م بتحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني.

و"**الفصل للوصل المدرج في النقل**" تحقيق زميلنا الدكتور عبد السميع الأنيس، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ومطبوع أيضا بتحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة، السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، وحققه محمود نصار، الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٣م.

و"**الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**" طبع في مطبعة المدني في مصر عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م بتحقيق عز الدين علي السيد وهو من منشورات مكتبة الخانجي.

و"**السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد**" نشرته دار طيبة في الرياض عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م بتحقيق محمد بن مطر الزهراني.

و"**تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم**" حققته سكينة الشهابي، مكتبة طلاس، دمشق١٩٨٥م، وحققه محمد إسماعيل دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٣م.

و"**تالي تلخيص المتشابه**" تحقيق مشهور حسن، دار الصميعي، ط١، الرياض ١٩٩٧.

وله "**القول في علم النجوم**" تحقيق يوسف السعيد، دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وله "**ذكر صلاة التسبيح**" تحقيق فراس مشعل، الدار الأثرية، عمان، الأردن. وحققته أيضا الدكتورة إيمان علي عبد الغني، دار البشائر، بيروت.

وله رسالة "**الصفات**" تحقيق أحمد فريد المزيدي، طبعت مفردة ضمن مجموع في دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ.

وله "**تاريخ الأنبياء**" تحقيق آسيا كليبان علي البارح، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.

و"**مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين لعظم جهلهم عليه**" تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢، ١٤٠٠هـ/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٩٨٠.

وله "**تاريخ بغداد**" الذي سأشير إلى طبعاته في خاتمة البحث، صنفه الخطيب البغدادي لخدمة الحديث كما أشرت من قبل.

هذه أهم الكتب والرسائل المطبوعة والمتداولة. وله مصنفات أخرى ذكرها

العلماء في العقائد والفقه وأصوله والزهد والرقائق والأدب.

❖ وفاته:

بعد عودة الخطيب البغدادي من الشام واستقراره سنة (٤٦٢هـ=١٠٦٩م) قام بالتدريس في حلقته بجامع المنصور، واجتمع حوله طلابه وأصحابه، غير أن حياته لم تطُل، فلقي ربه في (٧ من ذي الحجة ٤٦٣م).

❖ أهمية كتاب تاريخ بغداد:

موضوع كتاب "تاريخ بغداد" علم الرجال، وهو أحد فروع علم التاريخ.

يعد "تاريخ بغداد" من أهم واكبر مؤلفات الخطيب البغدادي احمد بن علي ابن ثابت (ت٤٦٣هـ-١٠٧٦م) وأكثرها شهرة على الإطلاق، وهو موسوعة علمية تاريخية في تراجم الرجال، ونال من أجله صاحب الكتاب صيتاً ذائعاً لما تميز به من ميزات عظيمة، وهو أوسع مصدر عن الحياة الفكرية في بغداد، ويعد أول كتاب وصل إلينا تناول تاريخ علماء بغداد منذ تأسيسها إلى عصر المؤلف منتصف القرن الخامس الهجري.

وتظهر أهمية الكتاب بما حواه من تراجم بلغت حوالي (٧٨٣١) ترجمة شملت هذه التراجم العلماء من فقهاء ومحدثين فضلا عن رجال الدولة من خلفاء ووزراء.

وكما تجلت أهميته في المقدمة التي وصف بها مدينة بغداد منذ تأسيسها حيث بين فيها مراحل بنائها من اختيار المكان وتخطيطه والعاملين فيها واعتمد في ذلك على الذين سبقوه مثل اليعقوبي والطبري وابن طيفور وغيرهم. ولقد وصف الدكتور العمري تاريخ بغداد (بتاريخ النخبة) لأن الخطيب تناول في كتابه العلماء البارزين وأصحاب الكفاءات وخاصة العلماء الذي ينتمي إلى طبقتهم[٣].

وتكمن أهمية هذا المؤلف في توضيح الجوانب الحضارية لمدينة بغداد، حيث بيّن في ثنايا كتابه مظاهر الحياة الثقافية والتعليمية، المتمثلة في بيان طرائق التدريس ومناهج العلماء ومقاييسهم، وعلاقتهم مع تلاميذهم ومعرفة المدارس التي ظهرت في بغداد وبيّن المناظرات العلمية بين العلماء والحلقات الدراسية في المساجد.

وأظهر الكتاب أهمية بغداد في العالم الإسلامي ومكانتها العلمية الكبيرة إذ وضح كثرة ورود الطلاب إلى بغداد لطلب

العلم من علمائها، كما بين الكتاب مدى الاتصال الفكري والتعاون بين بغداد ومدن العالم الإسلامي.

ورد في الأثر أن مناقشة دارت بين عالمين فسأل أحدهما الآخر هل زرت بغداد؟ فقال له: لا، فقال له: أنك لم تر الدنيا.

وتكمن أهمية كتاب تاريخ بغداد العظمى في اهتمامه بمجال الحديث الشريف إذ ترجم لحوالي خمسة آلاف محدث ويبدو انه وضعه في الدرجة الأولى لخدمة علم الحديث والسنّة النبوية من خلال تراجم رجال الحديث، وقد عني ببيان حالهم من الجرح والتعديل، وفي جانب رواية الحديث اشتمل على (٤٣٨٥) حديثا حسب إحصاء قام به الدكتور خلدون الأحدب وقد ساق الخطيب البغدادي الروايات كلها بأسانيده، وهو عدد يزيد على عدد أحاديث بعض الأصول الستة.

من هنا يتبين لنا جانب من جوانب أهمية كتاب "تاريخ بغداد" بوصفه مصدرا من مصادر الحديث الشريف[٤].

وتظهر أهميته كذلك بالتعريف بالكثير من الكتب المفقودة في مجالات مختلفة وذكر الكثير من الكتب التي لم يذكرها ابن النديم في الفهرست وتبلغ (٢٩٨) كتابا، ويبلغ مجموع الكتب التي ذكرها في كتابه حوالي (٤٤٦) كتابا، ألفت جميعاً خلال القرون: الثالث والرابع والخامس، وهي في موضوعات شتى هي: علوم القرآن والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والعقائد والفرق، والرقائق والتصوف، وكتب أخرى متفرقات.

وعند مقارنة هذه القائمة بكتاب الفهرست لابن النديم تبين أن الخطيب البغدادي ذكر (٢٩٨) كتاباً لم يذكرها ابن النديم، مما يدل على أهمية الإضافة التي قدمها الخطيب البغدادي بسبب ذكره مصنفات أصحاب التراجم[٥].

وأصبح تاريخ الخطيب مصدراً مهما لكثير من مؤرخي الإسلام الذين استفادوا منه كثيراً وأصبح لهم مرجعاً رئيساً في كتبهم، وهذا السبكي (ت٧٧١هـ) قال عنه: يعدّ من محاسن الكتب الإسلامية[٦].

وأثنى عليه طاش كبري زاده (ت ٩٦٥هـ) بقوله: "كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحّرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فإنه يدل على اطلاع عظيم"[٧].

ومما يدعو إلى اليقين أن اعتماد

المؤرخين في كتبهم على تاريخه يدل على ثقتهم به وبمادته، ومن المؤرخين من اعتمد على كتاب الخطيب البغدادي مثل:

ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) في كتابه "الإكمال".

وأبو يعلى (ت ٥٢٦هـ) في "طبقات الحنابلة".

والسمعاني (ت ٥٦٢هـ) في "الأنساب".

وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في "تاريخ دمشق".

وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" وأيضاً في كتابه "المصباح المضيء في أخبار المستضيء".

والحموي (ت ٦٢٦هـ) في كتابيه "معجم البلدان" و"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب".

وابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان".

والمزي (ت ٧٤٢هـ) في "تهذيب الكمال".

والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في جميع كتبه مثل "تذكرة الحفاظ" و"العبر" و"سير أعلام النبلاء" وغيرها.

والسبكي (ت ٧٧١هـ) في "طبقات الشافعية".

والصفدي (ت ٧٦٤هـ) في "الوافي".

وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في "البداية والنهاية" وغيرهم من المؤرخين(٨).

فكان الخطيب البغدادي ممن أسهموا في هذا الجانب التاريخي بكتابه الكبير "تاريخ بغداد" الذي جمع فيه خلاصة ترجمة العلماء الذين عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأصبح مثالا احتذى به كل من تطرق إلى التاريخ للمدن مثل ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب".

ويكفي هذا الكتاب أهمية في استخدام الخطيب لمئات المصادر في تأليف هذه الموسوعة التاريخية، واستعماله الإسناد ودقته في النقل منها مما حفظ لنا ثروة عظيمة من النصوص. وقد بينت الدراسة التي قام بها الدكتور أكرم العمري لموارد تاريخ الخطيب ضخامة الموارد التي استقى منها المؤلف مادته(٩).

❖ عنوان الكتاب ومضمونه:

عنوان الكتاب مفصلاً هو **"تاريخ بغداد أو مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها"**

هذا ما اتفقت عليه النسخ الأصلية.

وقد ألفه الخطيب البغدادي من رجال القرن الخامس الهجري وكان حافظاً للقرآن ومؤرخاً وفقيهاً وأديباً وقد عرف بغزارة مؤلفاته.

وعيّن المؤلف إطار بحثه المسهب في مقدمة موجزة لا تتجاوز صفحة واحدة قال فيها: "هذا كتاب تاريخ مدينة السلام وخبر بنائها وذكر كبراء نزّالها وذكر وارديها وتسمية علمائها"(١٠).

وواضح من عنوان الكتاب ومن هذه الكلمات الممهدة أن الكتاب تأريخ مسهب لعاصمة العباسيين.

وأن الشطر الأوفى منه تناول موضوع التراجم بصورتها العامة أي كما قال الخطيب: إنه في ذكر كبراء ونزّال بغداد وواردها وعلمائها. فالكتاب رغم عنوانه الذي يوحي أنه ينطوي على مادة تاريخية، هو في حقيقته كتاب تراجم في الدرجة الأولى.

وهو يشبه إلى حد ما كتاب نفح الطيب للمقرّي من حيث احتواؤه تاريخ البلد وجغرافيته ثم تراجم أعلامه.

وإذا علمنا مدى أهمية بغداد في القديم، وأنها أكبر حواضر العلم والفكر والسياسة في التاريخ العربي الإسلامي وما عاش خلاله من رجال أعلام على مر العصور حتى عهد المؤلف، أدركنا قيمة هذا الكتاب وفهمنا سبب ضخامته.

والكتاب في ظاهر اسمه مقصور على بغداد كما يوحي عنوانه ولكنه يتعدى هذا النطاق في الواقع لأنه رصد للحركة العلمية الشاملة في عهد العباسيين الزاهر وبخاصة في حاضرتهم بغداد، بل إنه موسوعة ضخمة تتناول كل ما يتعلق بدار السلام وحضارتها. وقد أحسن المؤلف صنعاً حين ترجم لمن وفدوا عليها وألموا بها من خارجها. وبهذا غدا طابع "تاريخ بغداد" عاماً شاملاً إذ قلما نبغ عالم أو شاعر أو أديب أو فقيه دون أن ينزل بمدينة السلام أو يلم بها.

ولهذا نجد تراجم العديد من غير البغداديين أصلاً كأبي الطيب المتنبي وسواه.

ومثل هذا الشمول في مادة الكتاب يتجلى في تراجم أعلام البغداديين والوافدين عليها من الخلفاء والملوك والوزراء والنحاة والصرفيين والبيانيين واللغويين والقراء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين والمنطقيين والفقهاء والقضاة

والزهاد والمتصوفة والقصاص والوعاظ والرياضيين والحسّاب والفلكيين والمنجمين والموسيقيين والأطباء والصيادلة والجراحين والكتّاب والخطاطين والشعراء والمؤرخين والمغنين وحذاق الصناع والرماة والفرسان والنابغين.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) درس حياته كل من يوسف العش في كتابه: "الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها"، وأكرم ضياء العمري في كتابه "موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد"، وبشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه ل"تاريخ مدينة السلام" للخطيب البغدادي، ومحمود الطحان في كتابه: "الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث"، وخلدون الأحدب في كتابه" زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة"، ويوسف السعيد في تحقيقه "القول في علم النجوم"وترجم له: ابن عساكر في تاريخ دمشق٢٢/٧ وابن الجوزي في المنتظم ٢٦٥/٨ وياقوت في معجم الأدباء٣٨٤/١ وابن الأثير في الكامل٦٨/١٠ وابن خلكان في وفيات الأعيان٩٢/١ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨ .

(٢) انظر في ثناء العلماء عليه وتوثيقه ومكانته عند العلماء: تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٣٧/٣، طبقات الشافعية للسبكي٣١/٤ ، الأنساب للسمعاني١٥١/٥، وفيات الأعيان لابن خلكان٧٦/١، المنتظم لابن الجوزي٢٦٧/٨.

(٣) الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ دار طيبة ـ الرياض ١٩٨٥/١٤٠٥، ص١٠٨ .

(٤) انظر زوائد تاريخ بغداد، ٨٢/١.

(٥) انظر أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ص٩١.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى٥٩/٣ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.

(٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣٣/٢، دار الكتب العلمية.

(٨) انظر أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ص٩٠.

(٩) انظر مقدمة بشار عواد في تحقيقه لـ " تاريخ مدينة السلام" للخطيب البغدادي ص١١١.

(١٠) تاريخ بغداد ج١ ص٣٠ تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

عقد الإجارة في الفقه الإسلامي

■ بقلم الدكتور سامي الصالح

التيسير ورفع الحرج مبدأ أساسي من مبادئ هذه الشريعة، قال الله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ البقرة: ١٨٥، ولقد حرصت على تيسير حياة الناس ورفع المشقة عنهم، في كل شأن من شؤون حياتهم، فشرعت عقوداً في معاملاتهم لتحقيق ذلك، ولقد تحدثت عن عقد القرض في حلقة سابقة، وهو من هذه العقود، وأحب ان أتحدث عن عقد آخر، وهو عقد الاجارة نظراً لأهميته وشيوعه بين الناس في مختلف الأوساط الزراعية والتجارية والصناعية.

وهذا يقتضي معرفة الأحكام الفقهية لهذا العقد، والحديث عن عقد الاجارة سيكون في النقاط التالية:

❖ أولاً: معنى الاجارة ومشروعيتها:

أ- معناها: لقد عرف الفقهاء الإجارة بتعريفات كثيرة، منها: قال الحنفية: «هي بيع المنفعة»(١)، وقال المالكية: «هي تمليك منفعة معلومة بعوض معلوم»(٢)، وقال الشافعية: «عقد على منفعة مقصودة معلومة، قابلة للبذل والإباحة بعوض معلوم»(٣)، وقال الحنابلة: «هي بيع المنافع»(٤).

أما القانون المدني الأردني فقد عرفها في المادة «٦٥٨»: «الإيجار تمليك المؤجر للمستأجر منفعة مقصودة من الشيء

المؤجر لمدة معينة لقاء عوض معلوم».

ونستنتج من هذه التعريفات بأن الإجارة هي: **بيع المنافع سواء أكانت منفعة عين كسكنى الدار، أو ركوب السيارة، أو منفعة عمل مثل عمل الخياط والبنّاء والعامل.**

ب- مشروعية الإجارة:

لقد ثبتت مشروعية الإجارة بالكتاب الكريم، والسنة الشريفة، والاجماع،[٥] فمن الكتاب قوله تعالى: **﴿فإن ارضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾** الطلاق: ٦، وقوله تعالى: **﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين﴾** القصص: ٢٦ .

وأما السنة: فخبر الصحيحين انه ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجرته، وخبر البخاري: انه ﷺ والصديق ابو بكر رضي الله عنه استأجرا رجلاً من بني الدليل، وقوله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل ان يجف عرقه» وقوله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل اعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره».

وأما الاجماع: فقد اجمعت الأمة على مشروعية الإجارة والتعامل بها، ولا عبرة بمن خالف هذا الاجماع وشذ عنه.

❖ ثانياً: الحكمة التشريعية من عقد الإجارة:

شرع الاسلام كثيراً من العقود تلبية لحاجات الناس، وتيسيراً عليهم شؤون حياتهم، ومن اجل تحقيق مصالح الناس، يمكن ابراز الحكمة التشريعية في النقاط التالية:

١- عقد الاجارة يلبي حاجات الناس، فهم يحتاجون الى الدور للسكن، وليس كل واحد عنده سكن، والى وسائط نقل كالدواب والسيارات ونحوها للركوب وحمل امتعتهم، وليس كل الناس عندهم الاكتفاء الذاتي بهذه الأمور، كما ان الناس يحتاج بعضهم الى خدمة بعض، كالبنّاء، والحداد، والصباغ وسائر المهن، وفي عقد الإجارة تلبية وتحقيق لهذه المصالح، فالحاجة داعية الى ذلك.

٢- عقد الاجارة وسيلة من وسائل كسب الرزق وتوفير المعاش، فهي ابتغاء من فضل الله تعالى، وهي وسيلة مشروعة.



٣- عقد الاجارة يحقق تعاوناً وتعارفاً وتواصلاً بين الناس، يتحقق من خلالها بناء الحياة ونهوض المجتمعات، ورفد الاقتصاد بهذه المهن وخبرات الآخرين.

❖ ثالثاً: اركان الإجارة وشروطها:

أ- اركانها:

للإجارة اركان وشروط ذكرها الفقهاء، وقد توسع الفقهاء في بحث الاجارة نظراً لأهميتها وتشعب المسائل فيها، فعند الحنفية، الاجارة لها ركن واحد وهو الايجاب والقبول بلفظ يدل عليه وهو لفظ الإجارة(٦).

أما الشافعية: فقالوا: ان اركان الاجارة اربعة: عاقدان، وصيغة، وأجرة، ومنفعة(٧).

فالعاقدان هما المؤجر الذي يملك الشيء، والمستأجر الذي يرغب بالاستئجار، وأما الصيغة: فهي الإيجاب والقبول، فأما الإيجاب فهو ما يصدر عن أحد المتعاقدين، يدل على رغبته في انشاء العقد، وأما القبول: فهو ما يصدر عن المتعاقد الثاني يدل على قبوله انشاء العقد، وأما الأجرة فهي المبلغ أو البدل الذي يدفعه المستأجر للمؤجر، وأما المنفعة فهي العين المؤجرة أو الخدمة المراد الانتفاع بها، كسكن البيت، وركوب الدابة، وحفر البئر ونحو ذلك.

ب- شروطها:

ذكر الفقهاء في كتبهم الفقهية شروطاً لصحة الإجارة، وهي:

١- اهلية المتعاقدين، بأن يكون كل واحد منهما عاقلاً فلا يصح من المجنون والصبي الذي لا يعقل قياساً على البيع، اما الصبي العاقل وغير البالغ فقد أجاز الحنفية عقد إجارته خلافاً للشافعية الذين يشترطون الرشد وهو البلوغ(٨).

٢- رضا العاقدين، فمن شروط صحة عقد الإجارة رضا العاقدين لقوله تعالى: **﴿إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم﴾** النساء: ٢٩، فلا يصح عقد المكره في ماله بغير حق، وهو شرط متفق عليه عند جميع الفقهاء، وقياساً على البيع، لأن الاجارة بيع المنافع والبيع بيع الأعيان(٩).

٣- أن تكون الإجارة على منفعة مشروعة، فلا تصح الاجارة على فعل معصية، كاستئجار امرأة مغنية للغناء، او

استئجار بيت لفعل معصية فيه، أو استئجار شخص لحمل خمر ونحو ذلك.

فالإجارة على المعاصي لا تجوز عند كل الفقهاء[١٠]، وأصل هذا الشرط قوله تعالى: **﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: ٢ .

ومن الملاحظ ان القانون المدني لم يشترط كون المنفعة مشروعة، فذكر شرطين للمنفعة في المادة ٦٥٨: ان تكون مقدرة الاستيفاء، وان تكون معلومة علماً كافياً لحسم النزاع.

٤- أن تكون المنفعة معلومة، فلا تصح الإجارة على المجهول، لأنه غرر ويؤدي الى الجهالة المفضية الى الخلاف والنزاع، وهذه الشروط رفعاً للخلاف بين الناس[١١].

٥- ان تكون المنفعة مقدورة الاستيفاء[١٢] اي ان المستأجر يقدر ويتمكن من استيفاء المنفعة، فلا يصح إجارة بيع لا يملكه المؤجر، قياساً على عدم صحة بيع ما لا يملك الانسان.

٦- ان تكون مدة الاجارة معلومة[١٣].

٧- يشترط في المأجور أو المستأجر بقاء عينه بعد الانتفاع به، فقد ذكر الفقهاء انه لا يجوز استئجار ما تبقى عينه، كشمعة للوقود، وكتفاحة للشم، ونحو ذلك[١٤].

٨- يشترط في عقد الإجارة ان يكون الأجر معلوماً، لأن الجهل بالأجرة يؤدي الى النزاع والاختلاف[١٥] لقوله ﷺ: «من استأجر أجيراً فليعلمه أجره»، وشرط الأجرة ان تكون معلومة قياساً على الثمن في عقد البيع، فإنه كما يشترط ان يكون الثمن معلوماً في البيع، كذلك الأجرة في الاجارة لأنها اشبه بالثمن في عقد البيع.

❖ رابعاً: بعض أحكام الإجارة في الفقه الاسلامي:

نظراً لشيوع هذا النوع من المعاملة بين الناس، فقد كثرت صور الاجارة واتسعت وكلما تقدم الزمن استجد كثير من احكام الاجارة لزيادة التعامل بها، ولذلك توسع الفقهاء في بحث الاجارة وأحكامها في كتبهم الفقهية، نذكر منها:

١- عقد الاجارة عقد لازم من الطرفين المؤجر والمستأجر، فليس لواحد منهما فسخه الا بعذر، وقد ذكر الفقهاء بعض

ذلك، كأن يستأجر داراً فتتهدم الدار، أو يستأجر دابة بعينها فتتلف، وقد سمى بعض الفقهاء ذلك العذر الطارئ[١٦]، ومن هذه الأحكام المتناثرة في باب الإجارة في العذر الطارئ، قيام بعض العلماء المعاصرين، باستكشاف نظرية الظروف الطارئة وهي نظرية مؤصلة في الفقه الاسلامي، وبهذا يكون الفقه الاسلامي قد سبق القوانين الغربية التي تحدثت عن الظروف الطارئة.

٢- يستحق المؤجر الأجرة باستيفاء المستأجر المنفعة او بالقدرة على استيفائها، كما يصح اشتراط تعجيلها أو تأجيلها او تقسيطها، وهذا ما أخذ به القانون المدني الأردني المعمول به في المادة «٦٥٨» من قانون الاجارة، وهو موافق لآراء الفقهاء، لأن المسألة تقوم على الشرط بين المتعاقدين في كيفية دفع الأجرة، فإذا تراضيا على تلك الكيفية وجب الالتزام به والمسلمون عند شروطهم، الا انه في اجارة الذمة، قال الفقهاء: لا بد من تعجيل الأجرة لئلا يكون من باب الدين بالدين، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك[١٧].

ومن صور اجارة الذمة ان يتعهد رجل حمل أو نقل آخر من مكان الى مكان بأجرة، ففي مثل هذه الحالة هي اجارة ذمة ولذلك يجب دفع الأجرة حالاً ولا يجوز تأجيلها.

٣- تبدأ الأجرة من الوقت المتفق عليه في العقد وهو المعمول به في القانون المدني كما نصت عليه المادة «٦٥٨» من قانون الإجارة، وهذا موافق لما قاله الفقهاء، فقد ذهب الحنفية والمالكية القائلون بأن الأجرة تجب بعد استيفاء المنفعة انه يجوز اشتراط تعجيلها، وكذلك ذهب الشافعية والحنابلة لأن مذهبهم ان الأجرة تجب بنفس العقد اذا لم يتم اشتراط تأجيلها[١٨].

٤- اذا أجره شيئاً ثم منعه من الانتفاع به مدة سقط من الأجرة بقدر مدة المنع، وان ترك المستأجر الانتفاع من نفسه، أي باختياره فعليه الأجرة كاملة[١٩].

٥- يجوز ان تكون الأجرة بشيء يحصل بعمل الأجير، وتوضيح هذا في مسألة عرفت عند بعض الفقهاء بقفيز الطحان، وهي ان يجعل أجرة الطحن للعامل قفيزاً

مطحوناً ونظيره اليوم، ان يجعل اجرة عاصر الزيت في معاصر الزيتون زيتاً اي يعطي الأجرة من الزيت الذي يعصره، وكذلك كمن يرعى الغنم بأجرة ربع أو ثلث مواليدها ويسمى عند الناس «بالفلاج».

وهذه المسألة منتشرة بين الناس، وقد منعها بعض العلماء، وأجازها بعضهم، ومن الذين أجازوها الإمام مالك، وكذلك أجازها الشافعية في القول الصحيح عندهم، لأنه استأجره على جزء من الطعام معلوم وأجرة الطحان ذلك الجزء وهو معلوم أيضاً، وكذلك الزيت الذي يعطى لعاصره أجرة معلومة ايضاً وهو تنكة على كل عشر تنكات مثلاً[٢٠].

اما الحنفية والحنابلة فقالوا بعدم جواز مسألة قفيز الطحان لورود النهي عنها في الحديث أنه ﷺ «نهى عن قفيز الطحان» ولأن الأجرة مجهولة في رأيهم[٢١].

والراجح والله اعلم جواز ذلك، لأن حديث النهي عن قفيز الطحان فيه مقال عند علماء الفقه والحديث ومنهم من رده، وقال: لا يحتج به، لأن اللفظ لم يكن معروفاً في زمنه ﷺ، وانما عرفت تلك المسألة فيما بعد، وكانت منتشرة في العراق، كما ان المتأمل الآن في معاصر الزيت وأجرة الطحان، فإن الأجرة معلومة وهي جزء معلوم بنسبة معلومة كما ان هذا من باب التيسير على الناس، فقد لا يجد الانسان مالاً يدفعه أجرة، فيضطر الى جعل الأجرة جزءاً من الزيت الذي يعصر، وجزءاً من الطحين الذي يطحن، حيث كان الناس يتعاملون بمسألة الطحين يوم كانت الزراعة والفلاحة منتشرة بين الناس، أما اليوم فقد انتهت وحل محلها أجرة المعصرة زيتاً من الزيتون الذي يعصر.

٦- من عالج أو داوى مريضاً بأجرة فكان جاهلاً في الطب او تعدى فأتلف شيئاً، فعليه ضمانه لقوله ﷺ: «من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن»[٢٢]، اما اذا عرف منه حذق الصنعة ولم يتعد فإنه لا يضمن[٢٣]، وقد عرف اليوم هذا الأمر بالخطأ الطبي وفيه قانون اردني يبين متى يسأل الطبيب عن فعله اذا حصل ضرر للمريض.

٧- لا ضمان على الأجير الا بالتعدي كأن حمل على دابة أو سيارة مستأجرة

فوق طاقتها فماتت الدابة او تلفت السيارة، لأن العين المستأجرة أمانة في يد المستأجر[٢٤] وفي مسألة الضمان تفصيل كبير توسع فيه الفقهاء ومسألة الضمان يحصل فيها خلاف ونزاع يعتمد جله على البينات حيث تتولى المحكمة فصل النزاع في ذلك.

٨- ينتهي عقد الاجارة بانتهاء المدة المحددة في العقد ما لم يتفق المتعاقدان على تجديده تلقائياً.

٩- يجب الوفاء بالعقود الشرعية فالعقد هو شريعة الله بين المتعاقدين، وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود، فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾** المائدة: ١، وقوله ﷺ: «المسلمون عند شروطهم»، والوفاء بالعقود يحقق الحكمة من تشريعها ومصالح الناس واستقرار المعاملات بين الناس وشيوع الثقة بينهم ويرفع الخلاف والمنازعات، كما انه سبيل لكسب رزق حلال، أما الاخلال بعقد الاجارة وعدم الوفاء بالالتزامات، وخاصة في شركات النقل للحجاج والمعتمرين في بعض الأحيان، فإنه يؤدي الى خلاف طويل وعريض ونزاعات تصل الى القضاء وهو لا داعي له، ومن لم يلتزم بالشروط فعليه الضمان، وان الرقابة الإلهية والسعي لأن يكون الكسب حلالاً طيباً والبعد عن الطمع، هي قيم توجه الجميع نحو المسؤولية بالالتزام والوفاء بالشروط التي يشترطها كل من المتعاقدين في عقد الاجارة.

أخيراً .. إن حل المشاكل بين المؤجرين والمستأجرين، وهي مشاكل تتزايد كل يوم لن تكون الا بتطبيق أحكام الاجارة كما وردت في الشريعة الاسلامية لأن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وهي تحقق العدالة للجميع.

الهوامش:

١- بدائع الصنائع ١٧٤/٤ .

٢- بداية المجتهد ١٧٩٥/٤ .

٣- مغني المحتاج ٤٢٧/٢ .

٤- المغني لابن قدامة ٣٢٢/٥ .

٥- بدائع الصنائع ١٧٣/٤، بداية المجتهد ١٧٩٦/٤، مغني المحتاج ٤٢٧/٢، المغني ٣٢١/٥ .

٦- بدائع الصنائع ١٧٤/٤ .

٧- مغني المحتاج ٤٢٥/٤ .

٨- بدائع الصنائع ١٧٦/٤، مغني المحتاج ١٢/٢ في باب احكام البيوع.

٩- بدائع الصنائع ١٧٩/٤ .

١٠- بدائع الصنائع ١٨٩/٤، مغني المحتاج ٤٣٤/٢، المغني ٤٠٧/٥ .

١١- بدائع الصنائع ١٧٩/٤، مغني المحتاج ٤٣٧/٢ .

١٢- بدائع الصنائع ١٩٠/٤، مغني المحتاج ٤٣٢/٢ .

١٣- المغني لابن قدامة ٣٢٣/٥ .

١٤- مغني المحتاج ٤٣١/٢ .

١٥- بدائع الصنائع ١٩٣/٤، بداية المجتهد ١٨٠٨/٤، مغني المحتاج ٤٣٠/٢، المغني ٣٢٦/٥ .

١٦- المغني ٣٣٢/٥ .

١٧- بداية المجتهد ١٨١٢/٤، مغني المحتاج ٤٣٠/٢ .

١٨- بداية المجتهد ١٨١٣/٤، مغني المحتاج ٤٣٠/٢، المغني ٣٢٩/٥ .

١٩- المغني ٣٣٣/٥، منهاج المسلم ٣٣٩ .

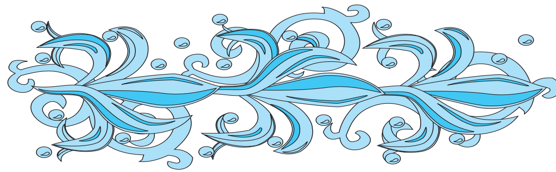
٢٠- بداية المجتهد ١٨٠٦/٤، مغني المحتاج ٤٣١/٢ .

٢١- بدائع الصنائع ١٩٢/٤، المغني ٣٢٨/٥ .

٢٢- بداية المجتهد ١٨٢٣/٤ .

٢٣- المغني ٣٩٨/٥ .

٢٤- بداية المجتهد ١٨٢٠/٤، المغني ٣٩٦/٥ .



قطوف دانية

بقلم الطالبة آيات نعيم

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾.

ابراهيم: ٢٤-٢٥

الدعاء المستجاب

عن أنس رضي الله عنه قال:

« دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله الا انت المنّان بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم».

فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا الرجل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي اذا دُعي به أجاب واذا سئل به أعطى».

افضل العبادة

قال رسول الله ﷺ:

«افضل العبادة انتظار الفرج».

وقال ﷺ في الدعاء:

«سلوا الله من فضله، فإن الله عز وجل يحب ان يُسأل، ومن لم يسأل الله يغضب».

شعر في الحث على العلم

تعلم ما استطعت بحيث تسعى

فإن العلم زين للرجـــــال

لأن العلم في الدنيـا جمــال

وفي العقبى تنال به المعالي

أربعة لا أقدر على مكافأتهم

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أربعة لا أقدر على مكافأتهم:

١- رجل بات ليلة وحاجته في صدره حتى أصبح فقصدني بها.

٢- ورجل فشى لي سرّه فوضعني مكان قلبه.

٣- ورجل ابتدأني بالسلام.

٤- ورجل دعوته فلبى.

مانع الزكاة

قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده ما من رجل يموت، ويترك غنماً أو إبلاً أو بقراً لم يؤد زكاتها، الا جاءت يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه، تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس، كلما نفذت أخراها عادت اليه أولاها».

١

من المؤلفات الأندلسية:

الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

كتاب فريد في نوعه، نشرته «دار الرفاعي» في الرياض سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م، بتحقيق الدكتور محمد التونجي، الاستاذ بجامعة حلب، الا ان الظروف لم تسمح لي بمطالعته الا الآن.

ويقع هذا الكتاب بجزئين مجموع صفحاتهما (١٠٤٠) من القطع المعتاد، وقد انتهزت حلول رمضان المبارك، فانكببت على قراءته، ووجدته كتاباً جليلاً بمحتوياته وفريداً في أسلوب تأليفه، لذلك عمدت الى التعريف به لقراء المجلة الجليلة «هدي الاسلام» وإليك البيان:

❖ مؤلف الكتاب:

هو محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبُري، وقد حرص على كتابته بيده وأتمه في ٨ ذي الحجة سنة ٦٤٥هـ بثغر «منورقة» من بلاد الأندلس، وكان الفراغ من كتابة مسودته في ٢٥ ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ، وكان الغرض من تأليفه ان يوضع في خزانة من سماه «الرئيس السيد الأكرم، الهمام الأمجد ابي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي»، وقد عاش المؤلف حتى سنة ٦٨٠هـ «الجوهرة ١/٧».

أما القرشي فهو من أهل «طلبيرة» الواقعة في غربي الأندلس، وقد ولي الاشراف على جزيرة «منورقة» القريبة من جزيرة «ميورقة» التي استولى عليها النصارى سنة ٦٢٧هـ، وامتد حكمهم الى «منورقة» وقد استطاع من مداراة الحكام «وقيل: انه دفع لهم اتاوة، فحفظوا عهده، مما ضمن لمسلمي «منورقة» الحياة بسلام له ولمؤلف هذا الكتاب والمسلمين القاطنين فيها.

والكتاب على ما يبدو انه الوحيد بنسخته، يقول «بروكلمان» في تاريخ الآداب العربية: ان للمؤلف كتاباً آخر في وصف مكة المكرمة والمدينة المنورة، كتبه حوالي سنة ٦٧٦هـ، اما كتاب «الجوهرة» فيقول محققه: انه كتبه في السجن، ولكنه لم يبين سبب إدخاله السجن، وله شيء في الشعر ذكر منه ابن سعيد المغربي في كتابه «المغرب ٤٦٩/٢» هذين البيتين:

همتي في هذه الدنيا
لبيب اصطفيه
وفساد لست ابقيه
وخير أقتفيه

والظاهر ان مخطوطة الكتاب قد اعتراها بعض الخلل، ولكنها من حيث العموم انها جيدة، وخطها مغربي واضح ومشكول، وقد وصفه محقق الكتاب بأنه موسوعة عربية في عصرها، ذلك انها تضم الرواية والأنساب وذكر الأعلام، والكثير من الأدب، لا سيما الشعر الذي يطغى على جزئها الأول، وكان دأبه عرض أسماء الأعلام عامة، ثم يعود الى كل علم على حدة فيذكر ترجمته وأبناءه وأحفاده، وعرّف بهم وبجدهم وبنشاطهم، سواء أكان في الرواية أم الأدب ام النسب.

أما المحقق فقد بذل جهده لضبط الألفاظ الواردة في الحالات التي تتطلب الضبط، وشرح في الحواشي ما يستلزم الشرح، ولكنه رغم عن ايراد العناوين، فإن الموجود منها قليل جداً بالنسبة لما حوته من أسماء وأحداث، مما غطى ما يزيد على ألف صفحة، ومع ذلك فإن فضله كبير، إذ أحيا كتاباً نادراً وبعث فيه الحياة، ولذلك استحق كل شكر وثناء.

وقد بدأ الكتاب بعد المقدمة بذكر نسب النبي ﷺ، وبدأه بذكر أولى المكارم والمأثرات وأمهات العقائل المحصنات، وذكر من اشترك معه في النسب من القبائل، وذكر البطون والأفخاذ والفصائل، وذكر

من آمن به، وصحبتهم مع ابنائهم، ومن اشتهر منهم بإيمان أو منقبة في الجاهلية، وذكر من قتله لكفره في الغزوات «ص/١/٥٣».

في الحقيقة ان اسلوبه في التأليف يكاد يكون فريداً، إذ يذكر مثلاً نسب النبي ﷺ حتى يصل به الى عدنان، ويقول: ان النبي ﷺ كان يقف عنده، وهذا هو النسب الصحيح الذي لا خلاف فيه، ثم يورد ما ذكره النسابون في هذا الصدد مثل ابن جريج الذي يثني عليه ويعده ثقة «١/٢٣».

وتناول المصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب، وفي مقدمتها: موطأ مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن الترمذي وكتابه في الشمائل، وسنن النسائي، وتاريخ الطبري، وسنن ابي داود، والاستيعاب لإبن عبد البر، والسيرة لإبن اسحق، وكتاب الكنى لمسلم بن الحجاج، وكتاب ابي نعيم، والشريعة للآجري، وصفين لهشام الكلبي، والطبقات لأبي اسحق الشيرازي، وكتاب النوادر لأبي علي البغدادي، والعقد لإبن عبد ربه، ونقائض جرير والفرزدق، وأشعار الهذليين «١/١٨-١٩».

وقد اعتاد المؤلف ان يضمن الكتاب فقرات هي في الغالب تبدأ بأسماء اشخاص ذوي علاقة بالشخص المترجم له، ولنأخذ –على سبيل المثال– بعض الفقرات الواردة في سيرة الرسول الكريم ﷺ، وقد ورد في الصفحة الأولى منها «١/٢٣»، وورد اسم ابن جريج الذي ترجم له بقوله: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وجريج هو مولى لآل خالد بن أسيد بن أمية، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة (١٥٠هـ) وكان ثقة عدلاً «١/٢٣».

ثم يتناول القاسم بن ابي بزة، ويقول: انه نسب الى جده، واسم ابيه نافع، والقاسم هو جد القارئ الذي أخذ القراءة عن كثير، أحد القراء السبعة الذي توفي سنة ٤٢٠هـ وجده ابو بزة، هو مولى السائب بن صيفي شريك رسول الله ﷺ، الا انه لم يقل: ما نوعية تلك الشراكة، ويستطرد الى ذكر أمور أخرى، سواء أكانت لها علاقة بالموضوع ام لا، وكثيراً ما يروي بعض الأشعار ذات العلاقة بعدنان «١/٢٤-٢٥».

وروى ابن لهيعة، وهو عبد الله الحضرمي، وهو ضعيف في الحديث، وتوفي بمصر سنة ١٧٤هـ، كما يروي ان اسم ابي الأسود هو محمد بن عبد الرحمن، من

نسل اسد القرشي، وهو من شيوخ مالك الذي يروي عنه اربعة أحاديث مسندة «٢٤/١»، وهذا نموذج من استطراداته التي تنم عن سعة علم المؤلف.

ثم يستطرد الى القول بأن ابا بكر بن سليمان بن ابي حتمة الذي روى عنه ابو الأسود يتيم عروة، روى عنه ابن شهاب الزهري في الموطأ، خبراً عن تفقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فافتقد سليمان بن ابي حتمة يوماً في صلاة الفجر، فمر على أمه، فاستفسر عنه.. الخ «٢٥/١».

ثم يستطرد الى ذكر أخباره، بل يترجم لأمه «الشفّاء» ويقول: انها من عقلاء النساء، وكان الرسول ﷺ يأتيها، وأقطعها داراً بالمدينة، وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويفضلها، وربما ولاّها شيئاً من امر السوق، وروى عنها حفيداها «٢٦/١».

وهذا نموذج لما ورد في الكتاب، ويعتبره المؤلف انه يفيد في معرفة الرواة ويزيدهم نباهة وفهماً، ومن هنا يمكن فهم السبب في تضخم الكتاب، وذلك بما فيه من استطرادات، ومنها الفقرة المعنونة عدنان ابن قصي، وهو والد هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل، وأمهم «عدا الولد الأخير» هي عاتكة بنت مرة، أما هاشم فلم يعقب من ولد غير عبد المطلب، ولذلك ليس من هاشمي في العالم الا هو من هاشم ولد عبد المطلب، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ وبنو هاشم تحرم عليهم الصدقة، لقول رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد، وهم بنو هاشم، ومنهم آل العباس وآل علي وآل عقيل وآل جعفر» «٢٧/١».

ويروي البخاري حديثاً، اذ قال الرسول ﷺ: «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم» «٢٨/١».

ويستطرد المؤلف الى الحديث عن عبد المطلب بن عبد مناف، فيذكر أولاده «٢٨/١-٢٩»، ويذكر نوفل وأولاده «١ / ٣٢-٣٣» ويواصل المؤلف الحديث حتى يصل الى مروان بن الحكم الذي يصفه المؤرخ بأنه من الفقهاء، وانه كان كاتب عثمان رضي الله عنه، وبسببه حوصر عثمان، ويذكر أمه، ثم ابنه عبد الملك، وهو من الفقهاء، وأيضاً ومن اهل الحزم والدهاء، وجعله معاوية على ديوان المدينة، وهو ابن ١٦ سنة، ثم يتطرق الى ابنه هشام الذي من ذريته، عبد الرحمن

الداخل الى الأندلس، المسمى «صقر قريش» وذكر بعض اولاده ويستأنف الحديث عن الأمويين الذين حكموا في الشام حتى آخرهم مروان بن محمد « ١ / ٣٤-٣٥».

هذه نماذج مما ورد في هذا الكتاب، وهو في بداية السيرة النبوية، فإذا به يتوغل حتى يصل الى نهاية الدولة الأموية، وفيما تقدم الدليل على سعة علم المؤلف وتعمقه في التاريخ الاسلامي، وإحاطته بالأدب العربي، إذ قلما تمر صفحة واحدة لا يزينها بالشعر « ١ / ٨٨» بل هناك صفحات ليس فيها غير الشعر.

واستمر المؤلف في حديثه عن بني أمية، ومنهم سعيد بن العاص، واسمه «قتيل علي» ويقول: انه كان أحد أجواد الإسلام، وكان فصيحاً شريفاً، وفيه يقول الفرزدق حين ولاه معاوية المدينة:

ترى الغر الجحاجح من قريش
اذا ما الأمر في الحدثان عالا
قياماً ينظرون الى سعيد
كأنهم يرون به هلالا

« ١ / ٣٦-٣٧»

ويبدو في تسميته «قتيل علي» بعض التناقض، وفي الوقت نفسه يرد القول عن توليه المدينة في عهد معاوية، اذ كيف يكون «قتيل علي» وهو احد اجواد الاسلام، ثم كيف يتسنى له ان يلي حكم المدينة في عهد معاوية، وانه قُتل على يد الإمام علي كرم الله وجهه، ثم غزا طبرستان وفتح جرجان في عهد عثمان، ثم لزم بيته واعتزل أيام صفين والجمل، وعندما استقر الوضع وبويع معاوية بالخلافة ولاه المدينة، والجدير بالذكر ان سعيد هذا كان النبي ﷺ قد كساه جبة وهو غلام سميت بالسعيدية « ١ / ٣٦-٣٧».

ويواصل المؤلف الحديث عن بني أمية، منذ القدم حتى يصل الى أبي سفيان ومعاوية رضي الله عنهما، بل يرجع الى الوراء، فيتحدث عن أمية بن عبد شمس « ١ / ٣٨-٤٠».

ويستمر في حديثه عنه، وذكر ما حدث لبعضهم، ويعود الى الوراء مرة أخرى، إذ يتحدث عن أمية الأصغر بن عبد شمس، وابنه حبيب، وأخيه عبد العزى بن أبي العاص بن الربيع وابن عبد العزى، زوج زينب بنت الرسول ﷺ، ويواصل الحديث عن هذا الزواج، ثم يتحدث عن ربيعة بن

عبد شمس الذي انجب ابا حذيفة الذي أسلم مبكراً، وهاجر الهجرتين واستشهد «يوم اليمامة» وهو ممن قال الرسول ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد، فبدأ به، ومن أُبي بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل» «١ / ٤١-٥٣».

ويواصل الكلام عن بني أمية حتى وفاة هند بنت عتبة في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت امرأة لها نفس وأنفة، وهي التي حاولت أكل كبد حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة أُحد، وأخوها ابو هاشم وهو رجل صالح وروي عن النبي ﷺ، سكن الشام وفيها توفي «١ / ٥٤-٥٦».

ثم ينتقل المؤلف الى «قصي بن كلاب» ويروي عن أحفاده ومن أبناء عبد الدار بن قصي، ومنهم صفية بنت شيبة، وقد روت عن عائشة رضي الله عنها، حدثاً مهماً، وهو: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: **﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** «١ / ٦٥»، وهذا دليل على حب آل البيت النبوي ومكانتهم الخاصة، وكذلك دليل على أمانة السيدة عائشة وصدقها رضي الله تعالى عنها.

وبعد ذلك انتقل المؤلف الى ذكر «كلاب ابن مرة» والى بني زُهرة، ومنهم الأرقم بن عبد يغوث، الذي كان كاتب الرسول ﷺ، ولأبي بكر من بعده، واستكتبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولاه بيت مال الخلافة، وكذلك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعطاه «٣٠٠» ألف درهم فأبى أن يأخذها «١ / ٧٢»، ومنهم ابن شهاب الزهري، وهو من العلماء، ومثله أخوه عبد الله بن مسلم «المصدر نفسه».

وهذا يكفي نموذجاً على الاستطراد وعلى نوع المادة التي تناولها المؤلف الذي اعتاد ان يستقصي أخبار من يكتب عنهم، ويذكر كثيراً مما يتصل بهم مثل «المذكور» فبعد ان ذكر ابناءه وممن روى عنه الحديث، ذكر بعض مواليه مثل «الماجشون ابن ابي سلمة» وكان فقيهاً، وهكذا «١ / ٧٤-٧٥».

ثم انتقل المؤلف الى كعب بن لؤي، وتناوله على مثال ما صنع بالنسبة الى كلاب بن مرة، آنف الذكر، «١ / ٩٢ وما بعدها»، وهذا ديدنه، وعندما تناول عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «١ / ٩٧-٩٩» ذكر ابنه

عبد الله الذي كان فاضلاً عاقلاً، وهو الذي استأذن الرسول ﷺ ان يكتب حديثه، فأذن له، ثم تناول ذريته «١ / ١٠٠و».

وممن تناولهم المؤلف لؤي بن غالب، وذريته «١ / ١١٢»، ومن اشتهر من قريش وبطونها، بل انه تجاوز عن الاخبار الواقعة في الجاهلية، وعمد الى ذكر نبذة عن هجرة الرسول ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه الى المدينة، وأخبار «سراقة» الذي تعقبهما، وما حصل له، والكتاب الذي كتبه له ابو بكر على لسان النبي ﷺ «١ / ١٦٥-١٦٦».

وحمله الاستطراد الى جرير والفرزدق وما بينهما من تنافس وعداء «١ / ١٧١-١٧٤» ثم أخذه الاستطراد الى ذكر أخبار نصر بن سيار، آخر ولاة الأمويين في خراسان «١ / ١٧٨».

ثم يتابع المؤلف على هذا المنوال حتى يصل الى مقتل عثمان رضي الله عنه ويواصل الحديث عن علي كرم الله وجهه، وواقعة صفين ثم النهروان «١ / ١٨٢-١٨٤».

ويروي المؤلف احياناً الأحاديث النبوية الشريفة بدون مناسبة ذات علاقة بها، من ذلك الحديث عن الرؤيا التي يراها الناس في منامهم، فقد قال عنها النبي ﷺ: فإذا كانت يحبها الانسان فهي من الله، وينبغي تحديث الناس عنها، وان كانت غير ذلك فإنها من الشيطان «١ / ١٩٨».

وكذلك يسمح لنفسه بتناول أحداث ترجع الى القرن الثالث الهجري، الى زمن الخليفة المتقي الذي ولي الخلافة سنة ٣٢٩هـ، في الوقت الذي كان يتحدث فيه عن أواخر العصر الجاهلي والعهد النبوي «١ / ٢١٦-٢١٧» ومثلها حينما يتحدث عن بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبنائه وأحفاده «١/٢٢٥-٢٢٦»، ويتبعه بأخيه عتبة وأبنائه «١ / ٢٢٦-٢٢٩».

ويستطرد الحديث عن قبيلة «هذيل» الى ذكر الشاعر ابي ذؤيب الهذلي، وينقل بعض قصائده، وأولها في رثاء النبي ﷺ «١ / ٢٢٩-٢٣٤»، ويتبعه بشاعر آخر من هذيل، هو ابو خراش «١ / ٢٣٤-٢٣٩» واتبعه بذكر عدد من شعراء هذيل ونماذج من شعرهم «١ / ٢٣٩-٢٥١»، وينتقل الى شعراء من قبائل أخرى بمن فيهم الشاعرة حليمة بنت الحارث الأعرج «١ / ٢٦٠»، ويكثر من أخبار الشعراء من أمثال كعب بن زهير وإخوانه، وينقل بعض القصائد في مدح الرسول ﷺ «١ / ٢٦٦-٢٧٢».

ومن الشعراء الأحنف بن قيس صاحب معاوية، وابنه بحر، وعمه صعصعة بن معاوية، «١ / ٢٨١-٢٨٤»، ويتطرق المؤلف الى المنذر بن ماء السماء، وقصة بناء قصة الخورق، وابنته المترهبة «١ / ٢٩١-٢٩٥»، ولم يفته ذكر الأخطل الشاعر، وذكر بعضاً من شعره «١ / ٣٠٦-٣٠٨، وممن تناولهم المؤلف جرير الشاعر ويروي من خلال حديثه في كثير من الأحيان أحاديث نبوية، من ذلك عن الصيام في السفر، قال النبي ﷺ لمن سأله عنه: «ان شئت فصم وان شئت فأفطر «١ / ٣٣٦».

وقد خصص فصلاً باسم مضر بن نزار «١ / ٣٤٠»، وهم شعب رسول الله ﷺ، وكان يفاخر بهم، وقد تناول المؤلف بطونهم مثل خندق وقيس وفهر، وأماكن سكناهم، مثل: ثقيف التي استوطنت الطائف، ثم يذكر من برز من تلك العشائر من اشخاص، مثل: تأبط شراً «١ / ٣٤٠-٣٤٣»، ومنهم الأصمعي.

ثم عقد فصلاً باسم عبس بن بغيض، ومن هذه القبيلة، الحطيئة الشاعر الذي حبسه عمر رضي الله عنه «١ / ٣٦٦»، واتبعه بفصل عنوانه «هوازن بن منصور» «١ / ٣٨٠» ومن هذه القبيلة مالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين والى جانب ذلك هناك فصل «١ / ٤١٩» بعنوان نزار بن معد بن عدنان، وهو جد مضر وربيعة واياد وأنمار، واتبعه «١ / ٤٥٤» بفصل عنوانه اياد بن نزار.

ومما يستخلص من هذا الكتاب «الجوهرة» ان مؤلفه يعارض القول بخلق القرآن، وقد اقتبس اقوال العلماء المؤيدين لرأيه، وأوسع الحديث فيه والنقل عن العلماء، ومنهم الشافعي رحمه الله «١ / ٤٦١-٤٦٣»، وأتبعه «١ / ٤٦٤» بفصل عنوانه معد بن عدنان، وفصل آخر «١ / ٤٧٦» بعنوان بطون قضاعة.

والجدير بالذكر ان في مدينة المقدادية وهي شهربان سابقاً، قبراً ينسب الى المقداد، واتخذ المسلمون مقبرة حوله، ويلفظون اسمه بالجيم «المجداد» مثلما يقولون لقاسم: «جاسم».

وفي ختام هذا الفصل «١ / ٤٨٥» يقول المؤلف بأنه وفّى بما اشترط على نفسه من ذكر جدود الرسول ﷺ من عبد المطلب الى عدنان، وإخوتهم ومن ولدوا، وما بهم من المآثر في الجاهلية والاسلام، وهكذا ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب القيم.

اما الجزء الثاني من «الجوهرة» فيبدأ بالسيرة النبوية الشريفة التي بدأها بذكر عبد المطلب جد المصطفى ﷺ، ويتناول أولاده العشرة وبناته، ويليهم ذكر أمه من بني النجار، لكن المؤلف يشمل في هذه الفقرة ذكر ام الأوس والخزرج، ثم يلحقها بذكر أمهات بني عبد المطلب وبناته، ويتبعهم بالحديث عن عمومة الرسول ﷺ، وبدأ بحمزة ثم العباس الذي يخصه بترجمة واسعة، ويفصل القول عن اولاده وأحفاده وصولاً الى الخلفاء العباسيين «٢ / ١-٣٦».

ثم يتناول ابا طالب بن عبد المطلب، ويذكر أولاده طالب وعقيل، وجعفر وأحفاده «٢ / ٣٧-٤٧»، ويتحدث بعد ذلك عن عمات رسول الله ﷺ «٢ / ٤٧-٥٠» وبعدها يتحول الى ذكر السيدة آمنة والدة رسول الله ﷺ، حتى وفاتها، وعند ذلك كفله جده عبد المطلب «٢ / ٥٣».

ومن الغريب ان يخلط المؤلف هذا الموضوع وهو «الاسراء» بما سبقه من مواضيع، ثم ينتقل الى هجرته الى المدينة المنورة وتأديته فريضة الجمعة في بني سالم بن عوف، ثم دخوله المدينة المنورة، وفي السنة الثانية تحولت القبلة الى مكة المكرمة، ويتناول بعض مزاياه «٢ / ٥٣-٥٩».

ويتناول المؤلف بعد ذلك أزواج النبي ﷺ، بدءاً بالسيدة خديجة رضي الله عنها، ومن تزوج بهن بعد وفاتها «٢ / ٥٩-٧٧»، كما يتناول خدم الرسول ﷺ ومواليه ومنهم سلمان الفارسي «٢ / ٧٧-٧٨»، وخصص فقرة لخيله ومراكبه وسلاحه، وأخرى لكُتّابه، وفقرة أخرى لشمائله وفضائله مرتبة حسب رواتها «٢ / ٨٩-٩٤»، وتليها فقرة عن حجة الوداع وخبر وفاته ﷺ «٢ / ٩٤-١٠٢».

وهذه المعلومات مقتبسة في معظمها من كتب الحديث، وقد شملت قصائد الرثاء، ومنها قصائد لحسّان بن ثابت وغيره، ويبلغ ما خصص للسيرة النبوية (١٠٢) صفحة، وربما يقول القارئ: ان كتاباً في السيرة تبلغ صفحاته (١٠٣٩) صفحة لم يتسع للسيرة النبوية الا في (١٠٢) صفحة!!

في الحقيقة ان الجزء الأول كان غنياً بالمعلومات المتعلقة بالسيرة، ولذلك فما ورد في هذا الكتاب بجزئه الأول من معلومات، أكثرها له علاقة بحياة الرسول

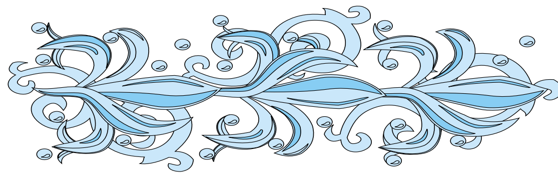
ﷺ، واعماله وأقواله.

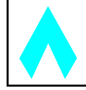
١- اما ما تبقى من هذا الجزء، فهو المخصص للصحابة العشرة المبشرين بالجنة، ممن يلحقون بالرسول ﷺ من حيث النسب، وأولهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول المسلمين، ومما يروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأقبل ابو بكر وعمر فقال: «يا علي هذان سيدا كهول اهل الجنة من الأولين والآخرين، الا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»، وقال علي رضي الله عنه: «فمن يفضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته حد المفتري» «٢ / ١٠٦».

وأبو بكر رضي الله عنه هو صاحب الرسول ﷺ في الغار، كما ورد في القرآن الكريم، وقد رضي المسلمون به خليفة لرسول الله ﷺ، وهو الذي تصدى لعرب الردة وبدأ الفتح «٢ / ١٠٧-١١٢» في زمانه.

ثم تناول المؤلف ذرية ابي بكر رضي الله عنه «٢ / ١١٢-١٢٠» ووالدي ابي بكر رضي الله عنه، وتحدث عن عتق ابي بكر لرقاب العديد من الرقيق والموالي «٢ / ١٢١- ١٢٤»، ولما توفي ابو بكر رضي الله عنه، جاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مسرعاً باكياً، وقال: رحمك الله ابا بكر كنت والله أول القوم اسلاماً وأكملهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفضلاً، وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الاسلام خيراً، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، فسمّاك الله في كتابه صديقاً، فقال تعالى: **﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون﴾** الزمر: ٣٣ «٢ / ١٢٦» ..الخ.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله





سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

محمد بن بركات بن حسن بن عجلان
(أخو فاطمة)

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

الشريف؛ محمد بن بركات بن حسن بن عجلان؛ الحسني؛ جمال الدين؛ أمير مكة وابن أمرائها، ينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[١].

تولّى إمرة مكة المكرمة؛ ذكر ذلك ابن تغري بردي - المتوفى سنة (٨٧٤هـ) في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ فقال: (ورد الخبر على السلطان من مكة بموت الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، فأقر السلطان ولده الشريف محمداً في إمرة مكة عوضه)[٢].

عاصره السخاوي - المتوفى سنة ٨٣١= ٩٠٢هـ- ووصفه أجمل وصف وأبْلَغه في كتابه الضوء اللامع؛ فقال: (مَلِكُ الحجاز وابنُ ملوكه، وسِلكُ النظامِ المرتبط بسلوكه، الطاهرُ الأصل والأحساب، والظاهرُ العدل والانتساب، ربيبُ مهد السعد والسعادة، ونسيبُ الأصل والحشمة والسيادة، السلالةُ النبوية رداؤهُ، والأصالةُ العلوية انتهاؤه وابتداؤه، اجتمعَ فيه من المحاسنِ الكثير، وارتفعَ ذكره بين الصغير والكبير، واندفعَ به المكروه عن أهل الحرمين، ومن إليهما يسيرُ آمنٌ الله -بفضله وعدله في أيامه- الطرقات، ومنّ على المسلمين بحفظهم وما حَووه، فكان من أعظمِ الصدقات، حبُّه للتنزيل غيرُ منكور، وحبُّه فضلاً عنه بالصفاء مأثورٌ مذكورٌ؛ شيمُه طاهرةٌ، وعلمُه غير مطويٌّ عن الفئةِ الفاجرة؛ لا يصرفُه عن إتلاف المفسدِ، ولا يحرفه عن ائتلاف المرشدِ تليدٌ؛ ولا طارفٌ[٣]، يجولُ

على الأعداءِ ويصولُ، ويقول لهم في مخاطباته ما يدهشُ به العقول، ويتطوّل ويتفضلُ، حتى انطاعت له عصياتُ الرؤوس وأبيّات النفوس، وارتاعت من فروسيته وشدة بأسه الحماة الكماة[٤]، فتخلخلت منهم الضروسُ، أسعدتُه درجُ الصعود فأصعدته لمراقي السعود؛ فكان له الظهور بالبرهان أبي السعود، بحيث دانت له ممالكُ الحجاز وما حولها، وزانت بحرمته تلك الجهات صعبُها وسهلُها، فلا يُجارَى ولا يُبارى، ولا يَجسرُ أحد لمقاومته في المدنِ والصحارى، اقتنصَ المخالفين بخيله ورَجْله[٥]، وخصصَ من تألفه لرجوليته منهم بتوالي إحسانه عليه وفضله.

فالرعايا ما بين راغب فيه ومنه راهبٌ، والمزايا الحسنة مقترنة معه وله تُصاحب، فهو شديدٌ بدون عنف، وفي اللين غيرُ ضعف، إليه يسعى الأمراءُ والكبراءُ، وعليه يعوّلُ الأغنياءُ والفقراءُ، كثيرُ المداراة والاحتمال، غير خبير بالمماراةِ المجانبةِ لكرام الرجال، بل هو صابرٌ غيرُ مكابر، متدبرٌ للعواقب المصاحبة لمن يخفِ الله وله يراقبُ، ولهذه الأوصاف والمآثر تشرفتْ بذكرِه المنابرُ، وخُطب بالتنويه باسمه على المنبرين[٦]، ونصب رسمه بذينك العَلمين؛ ليفوز في الدارينِ- إن شاء اللهُ- بالخيرين.

كيف لا؟ وقد اجتمع فيه - بدون لبس وتخمين وحدس - شرفُ النسب وعراقةُ الأصل في المملكة وعلى الرتب، وصباحُه الوجه ونوره، وفصاحة اللسان، وتأمله وتصويره البلد التي هي الوسيلة لمن أمَّ وقصدَ؛ فهو شريفٌ نسباً وأوصافاً، ولطيفُ الأدوات المشتملُ عليها توددًا واتصافاً، فالوصفُ الرضي لا يستغربُ من البيتِ الطيب، والعَرف الذكي غير مستبعدٍ من البلدِ الصيب؛ كم أنشأ من دور وقصور، وقُرَبٍ ترتفع بها الرتبُ؛ كرباط بمكة معدة، والرحمة والبركة وسبل عديدة؛ كجملةٍ بطريق جدةَ المفيدة، وبالمعلاة الذي شرّفه الله وأعلاه، وفي جهةِ اليمن، وآخر بطريق الوادي الحسن، وآبارٌ بأماكن شتى، يردُها من صيف أو شتا، أعظمها المستورةُ بين رابغ وبدر، المذكورةُ لنفع الحجيج والقوافلُ من الأعالي والأسافل، إلى غيرها مما لا ينحصرُ، لمطولّه ولا مختصرِه، واقتنى من حدائقَ وستور وإبل وخيول، وفروع وأصول، وأجرى من مياهٍ لأراضٍ منقطعة، وأسرَى فكان المشارَ إليه بالاتساعِ والسعَة، وكثرت كلفةٌ لعساكره وجنده، وانتشرت أتباعُه، فزاد على المرحومين والده وجده، له في

زيارة جده المصطفى ﷺ، وشرّف وكرّم، كل قليل حركات، وإلى عمارة جيرانه التفات، بالإنعام والبركات، ويزاد حينئذ من التواضع وخفض الرأس ما يحق لكل الاقتداء به فيه، ويكادُ الانفراد به بدون تمويه، وكذا له في الطواف الوصفُ الشريفُ الواف، ويحق لنا أن نَنشدَ مما نرويه ولقائه نُسنِد:

يا أهل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم

من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وأسأل الله أنا وسامعُ كريم نعته، طولَ بقائه ومدته، في نعمةٍ سابغة عليه، وإحسان من ربنا إليه، وأن يمنَّ عليه بكل محبوبٍ في نفسه وجماعته وبنيه، خصوصاً قسيمةً(٧) المنطويةُ على محبته القلوبُ، ويصرفَ عنهم كل مكروه، ويلطفَ بهم في سائر ما يحذروه ويرجوه، ويرحمَ سلفهم رحمة واسعة، وينفعنا بمحبتهم التي للخيرات جامعة)(٨).

ولد في رمضان سنة أربعين وثمانمائة (٨٤٠هـ) بمكة، وأجاز له خلق من الأعيان كإمام الجامع الأموي والعالم البُلقيني والجلال بن المُلقن؛ ونشأ في كنف أبيه، أكرمه الظاهر جقمق(٩) سنة ثمانمائة وخمسين (٨٥٠)، وأعاد الإمرة لأبيه واشترك معه، واستقل بها بعد وفاة والده سنة تسع وخمسين وثمانمائة (٨٥٩هـ)، حمدت سيرته جداً، وأكثر من زيارة النبي ﷺ مصاحباً ذلك بالإحسان إلى أهل المدينة، والقاطنين بها والوافدين إليها على قدر مراتبهم، وتفقد أهل مكة سيما الغرباء.

قال السخاوي: (كنت ممن وصله بره في الموضعين، ودخل المدينة في أواخر جمادى الثانية سنة ثمان وتسعين وثمانمائة للزيارة وأنا بها، ومعه أولاده وعياله؛ فالذكور من أولاده: السيد بركات، وهزاع، وشرف الدين، وجازان، وحميضة، وقايتباي، وناهض، وهم في الترتيب هكذا.. واطمأن الناس في أيامه كثيراً.. وأضيفت إليه سائر بلاد الحجاز؛ ليستنيب فيها من يختار، ودعي له على المنبرين كما سمعته في المسجدين؛ بل كنت أول وقوعه على منبر المدينة بجانبه في الروضة وفرحت له بذلك بما أعجبني من شدة تواضعه، ومزيد أدبه بتلك الحضرة)(١٠).

وُصف بأنه أخو فاطمة؛ قال السخاوي:

(أخو فاطمة) وهي فاطمة ابنة السيد بركات بن حسن بن عجلان الحسني، تزوجها ابن عمها إدريس بن أبي القسم بن حسن بن عجلان، كانت لجلالتها عند أخيها السيد محمد ينتسب إليها في الحروب، ويقول: أنا أخو فاطمة)[١١].

وذكره العصامي المتوفى سنة ١١١١هـ في كتابه (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) ، وذكر أن مدة ولايته خمس وأربعون سنة، وأنه حمدت سيرته في البلاد، واطمأن بوجوده العباد، وأنه كان والله حسنة من حسنات الزمان، في حسن الشكل ووضاءة الصورة والمواظبة على الطواف والجماعة، ومزيد الوقار، والسكون والعدل، وكف جماعته عن أذى الرعية، ومسايسة للتجار وعدم الطمع والتطلع لما في أيديهم ومجاملتهم والذب عنهم، وفعل الخير الذي يحصل به الثواب[١٢]، استمر على ولايته حتى مات سنة ٩٠٣هـ[١٣].

الهوامش:

١- نسبه إلى النبي ﷺ عدة مؤرخين منهم: السخاوي، والشوكاني، والزركلي وأحمد عبد الغني، الضوء اللامع للسخاوي ج٣ ص٤٥٥، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج٢ ص٥٧، الأعلام للزركلي ج٢ ص١٣٢، تاريخ أمراء المدينة المنورة لعارف أحمد عبد الغني ص٣١٠-٣١١.

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٤ ص٣٩٠.

٣- التليد: القديم، والطارف: الجديد، والمراد هنا المال الموروث والمستحدث المكتسب؛ قال ابن منظور: الطارفُ والطريفُ: ما اسْتَحْدَثْت من المال واسْتَطْرفته، والتِّلادُ والتليدُ ما ورِثْته عن الآباء قديماً.

٤- الكماة: الشجعان.

٥- ورجاله.

٦- المراد منبر المسجد الحرام ومنبر المسجد النبوي.

٧- الشريف قسيمة هو ابن الشريف محمد بن بركات.

٨- الضوء اللامع للسخاوي ج٣، ص٤٥٥.

٩- الظاهر جقمق من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز توفي ٨٥٧هـ = ١٤٥٣م، الأعلام للزركلي ج٢، ص١٣٢.

١٠- الضوء اللامع للسخاوي ج٣، ص٤٥٦، وانظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي ج٣ ص٥٣٠ .

١١- الضوء اللامع للسخاوي ج٥، ص٤٣٩.

١٢- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج٢، ص٤٢٧.

١٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج٢ ص٥٧ .

توبة أبي نواس

■ بقلم الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي

❖ تعريف:

ابو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي، احد كبار شعراء العصر العباسي الأول، الذين لا يمكن لأي باحث في كل عصر ان يتناساهم، او يقلل من آثارهم في الشعر والابداع فيه، عاش نحواً من ستين عاماً (١٣٩-١٩٩هـ) واستطاع فيها ان يكون له حضور مميز، وتمكن من فرض شخصية شاعر بمواصفات فردية متميزة.

ابوه من اصل يمني، كان يعمل في جيش مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وأمه من اصل فارسي، نشأ في البصرة، توفي ابوه وعمره ست سنوات، وكفلته أمه، ثم ما لبثت ان تزوجت، فعاش بلا رقيب، ووقع تحت تأثير واحد من العصب اللاهية السادرة في غيها، وهو والبة بن الحباب الأسدي، فأخذ عنه الجري وراء الخمرة واللهو والمجون، وكان من افراد هذه المجموعة اللاهية مطيع بن إياس وحماد عجرد وخلف الأحمر.

❖ حياة جادة:

تنقل من البصرة والكوفة الى بغداد، واتصل في عهد الرشيد بالبرامكة ومدحهم وبالخصيب والي الرشيد على مصر ومدحه، وبعد الرشيد اتصل بولده الأمين ومدحه، وهذا كله من حياته الشعرية الجادة المتصلة بالممدوحين، وقد تهيأت له من خروجه الى بادية السماوة لمدة عام وهو في سن الفتوة، ومن جلوسه الى رجال اللغة والفقه والفكر، وحصل منها قدراً مناسباً من الجدية والذكر المناسب.



❖ حياة لاهية:

وقد كان له حياة أخرى غير هذه في مضطربه بين الناس عامة وندمائه ورجال اللهو والمجون خاصة.

أ- في الخمريات:

وقد عرف عنه انه في حياته مع هؤلاء، قد اكثر من شعره في الخمر ووصفه ووصف ندمائه ومعاقريه وناقليه وحامليه، ووصف الرحلة في نقله من كرم العنب الى أزقة الخمر، ووصف مجالسه وكؤوسه، وعرض قصص البحث عنه في الحانات في الليل خوفاً من رجال العسس، وفي كل هذا يصف سائل الخمر وصف العاشق في مثل قوله:

أثن على الخمر بآلائها

وسمها أحسن اسمائها

وما زال يعجب بها ويصفها حتى زاد عن شعراء الخمر المعروفين في تاريخ الشعر العربي، وعلى رأسهم الأعشى الكبير في الجاهلية والأخطل والوليد بن يزيد في عصري بني أمية وبني العباس، حتى انه أصبح شاعر الخمرية في الأدب العربي كله، كما ذكر الدكتور شوقي ضيف، رحمه الله.

ب- في الشعوبية:

ومن موضوعات ابن نواس الشعرية، بعد الخمريات، ما قاله في الشعوبية، وهي تفضيل العنصر الفارسي على العنصر العربي، متهماً العرب بالتخلف الحضاري عن الفرس، وذلك في مثل قوله:

عاج الشقي على رسم يسائله

وعجبت أسأل عن خمارة البلد

وهو ايضاً يعيب على شعراء العصر الجاهلي وشعراء عصره، أن يبدأوا قصائدهم بذكر الأطلال ويرى ان يبدأوا بدلاً منها بذكر الخمر، ثم يضيف:

يبكي على طلل الماضين من أسد

لا درّ درّك قل لي من بنو أسد؟

يتساءل عن بني أسد تساؤل المستحقر المستخف، ثم يستخف ايضاً بغيرها:

ومن تميم ومن قيس ولفهما؟

ليس الأعاريب عند الله من أحد!

الى هذا الحد يستهين بالقبائل العربية، ثم يستقر على انها جميعاً ليست شيئاً.

ج- أشعار في الزندقة:

والزندقة هي الخروج عن الدين وعلى العقيدة بمستويات أدناها مغالبة الناس

على ما اتفقوا عليه، كقوله:

ما لي وللناس، كم يلحونني سفهاً

ديني لنفسي ودين الناس للناس

واعلاها الشك في اليقين الذي جاء به الدين الاسلامي، كقوله:

وأيسر ما أبثك انه قلبي

بتصديق القيامة غير صاف

انه لم يستطع ان يصدق بيوم القيامة، وهي جزء من العقيدة.

وأخيراً، نذكر من أشعار ابي نواس ما كان مشاركاً في المجون، ونعني بالمجون: مقارفة المحرمات والفخر بمقارفتها امام الناس بلا مبالاة ولا مراعاة لأي نواهٍ دينية، وذلك مثل قوله:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر

وقوله:

ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر

يا من يلوم على حمراء صافية

صرّ في الجنان ودعني أسكن النارا

ويذكر أن لأبي نواس اشعاراً في مدح رجال الحكم في عصره كالأمين وغيره، وأخرى في الطرديات وهي وصف الصيد في البر وأدواته وكلابه، وله أيضاً في التغزل بالغلمان.

❖ التوبة في شعره:

ونصل في النهاية الى ذكر خبر توبته بعد هذه التوطئة، التي ربما كانت اطول مما يلزم، حيث تذكر كتب تاريخ الأدب ان ابا نواس قد أخذ يقول في التفكر في النهايات للذين لم يكونوا قد استووا على إيمانهم، وذلك في الأعوام الأخيرة من عمره، إنه أخذ يذكر الله تعالى بالدعاء والغفران، وذلك في مثل قوله:

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

وقوله:

يا طالب الدنيا ليجمعها

جمحت بك الآمال فاقتصد

والقصد احسن ما عملت له

فاسلك سبيل الخير واجتهد

واعمل لدار انت جاعلها

دار المقامة آخر الأمد

وفي مقطوعة أخرى يقول:

دب الفناء سفلاً وعلواً

وأراني اموت عضواً فعضوا

وفي نهايتها يرجو الله تعالى ان يعفو عنه ويغفر له.

❖ هل تقبل توبته؟

ويلح على النفس منذ الصغر سؤال نسأله نحن ويسأله آخرون، هل يا ترى يقبل الله تعالى توبته؟

وعلى الرغم من ان البشر من مخلوقات الله تعالى لا يستطيعون جميعاً ان يقطعوا بالاجابة على السؤال بالايجاب أو السلب، اذ الأمر بيد الله تعالى لا غير، الا اننا نحاول ان نجتهد في الأمر، فنغير السؤال الى: هل يستحق ان يتفضل الله تعالى عليه بالتوبة؟ ام لا؟ وهنا نحاول ان نجيل الفكر في هذا الأمر، ويظل الأمر بيد الله تعالى، ان شاء قبله وان شاء رفضه.

❖ هل يستحق ان تقبل توبته؟

ان أبا نواس كانت تخطر في باله بعض بدوات إدراك ما حصل اليه من سوء وشك وتجديف على الدين وذلك في مثل قوله:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم
وأسمت سرح الجاهلين حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فإذا عصارة كل ذلك آثام

انه يقر ويعترف بأنه قد زاول في شبابه كل المحرمات، ولكنه اكتشف في النهاية انه قد ولغ في الحرام حتى أذنيه!.

ان الشاعر لم يترجم تجربته في الندم على ما فرط منه كثيراً، في مثل هذين البيتين، اللذين يبدو فيهما صادقاً في رسم ملامحه النفسية، وهنا نذهب مع الدكتور شوقي ضيف رحمه الله، من ان ابا نواس لم يتعمق في رسم ملامح تجربته هذه، كما فعل عمر الخيام فيما بعد، ولو قد فعلها لكان الأمر اهون «العصر العباسي الأول، ص٢٣٧».

ونعود للسؤال نفسه: هل يستحق ان تقبل توبته؟.. اننا نبحث عن الجواب في آيتين كريمتين في القرآن الكريم، حددتا حدود قبول التوبة، يقول الله تبارك وتعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ❖ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾** النساء: ١٧-١٨.

فما يمكن ان نفهمه من هاتين الآيتين، ان الله تعالى يقبل توبة من يقع في الخطأ وهو لا يدري انه قد وقع فيه، وفي النهاية يتوب عنه ويندم ويطلب من الله الغفران، أما الذين يقعون في الأخطاء وهم يعرفون انها كذلك، ثم يتوبون في أواخر اعمارهم، وقبل وفاتهم، وهو ما يسمى بوقت الغرغرة، فهؤلاء لا يقبل الله تعالى توبتهم.

إنني ارى ان شاعرنا قد يوجه اليه اللوم في الحالتين اللتين تشير اليهما الآيتان الكريمتان، فمن الأولى انه قد كان يجدف على الدين ويفجر عليه، وهو يعرف ماذا يقول ويفعل، والثانية انه قد تأخرت توبته الى مرحلة ما أحس انه قد قربت وفاته، وهو ما يشكك في ان توبتهم فيه قد قبلت.

ومما يدل على ان شاعرنا كان يعصي الله تعالى في عدوانه على حرمات الله سبحانه، ما قدمنا من ابيات في شعره الزندقة والمجون، ونضيف اليها قوله لأحد ندمائه:

يا أحمد المرتجي في كل نائبة

قم سيدي نعص جبار السموات!!

أليس هذا اعلان العصيان الصريح على الله تعالى، مع علمه الأكيد بأنه الجبار في السموات والأرض؟!

وتأمل قوله:

ترى عندنا ما يسخط الله كله

من العمل المردي الفتى ما عدا الشركا

ان لديه وعياً تاماً بما يسخط الله تعالى مما لا يصل الى مستوى الشرك، أفلا يعلم بما يفعل؟.. انه ليس من الذين يعملون السوء بجهالة، انما يعمله وهو بتمام قواه العقلية، فكيف يقبل الله تعالى توبته؟

هذا ما نرى، لكن الله سبحانه وتعالى غافر الذنب وقابل التوب، وهو الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين، وهو الذي يقول: **﴿ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم﴾** التوبة: ١٠٤ ويقول سبحانه: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر: ٥٣ .**

هذا ما نرى؛ ويظل الأمر أولاً وآخراً بيد الله سبحانه وتعالى

٢

الصرع
بين الميثولوجيا والطب

■ الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

تحدثنا في الحلقة الاولى عن تعريف الصرع وبدايات التعرف عليه ونظرة المجتمعات القديمة له، وتطور هذه النظرة من اعتباره مرضاً الهيا او شيطانياً الى التوصل الى حقيقته من انه عبارة عن علامة وظاهرة لمرض يصيب الدماغ، ثم تحدثنا عن انواع الصرع وفصلنا الحديث عن النوبات الصرعية العامة الشاملة بانواعها المختلفة، وفي هذه الحلقة نتابع الحديث عن النوبات الصرعية الجزئية وعن الحالة الصرعية.

ثانياً: النوبات الجزئية: وهي كما ذكرنا سابقاً اما ان تكون بسيطة او معقدة، وهي بؤرية اي انها ناتجة بسبب اصابة بؤرة او جزء محدد من الدماغ فتكون اعراضها غير عامة وغير شاملة لجميع اجزاء الجسم، وانما تظهر على جزء محدد من الجسم حسب البؤرة المصابة في الدماغ وتختلف النوبة الصرعية الجزئية البسيطة عن المعقدة، ان الاولى تظهر على شكل حركات عضلية فقط ولا تترافق بفقدان الوعي، بينما المعقدة يرافقها اضطراب في السلوك والمزاج وهلوسات بصرية او سمعية او شمية حسب موقع بؤرة الاصابة الدماغية.

١- **النوبة الجزئية البسيطة** وهي نوبة صرع بؤرية تحدث في جزء محدد من الدماغ، فهي موضعية تصيب وظيفة واحدة دون ان يصاحبها فقدان الوعي مثل حركة ارتجاجية (رجفانية) في احد الاطراف، او نبض حسي غير طبيعي بشكل وخز و من انواعها:

أ- **نوبة صرع جاكسون:** نسبة الى

العالم الذي حددها، وتحدث بسبب اصابة قشرة الدماغ في المنطقة الحركية، حيث تكون عملية تفريغ الشحنات الكهربائية للعصبونات (الخلايا العصبية) محددة في المنطقة الحركية لقشرة المخ، ولهذا تظهر على شكل حركات في احد الاطراف، فإذا اصيبت المنطقة الحركية برجفان الابهام والشاهد ثم يمتد الارتجاف الى الذراع فالكتف وقد يصل الى الفم، واحيانا يتبع هذه الحركة ضعف في الذراع او الطرف المصاب وهو ما يعرف بشلل تود، ولكن يبقى الوعي سليماً وكذلك المزاج والسلوك والفكر لا تصاب بأي اضطراب اي ان النوبات تقتصر على رجفان واهتزاز الذراع.

ب- النوبة الجزئية البسيطة الحسية:

تكون الاصابة في المنطقة الحسية من قشرة الدماغ، و في بعض الحالات قد تظهر هلوسة سمعية او حسية او ذوقية او شمية، فقد يشم المصاب رائحة غريبة غير موجودة اصلاً وغير مألوفة مطلقاً، وقد يحرك فمه وشفتيه ويعلك كمن يتذوق شيئاً ما، وقد يقوم بحركات تلقائية (آلية) مثل كثرة العبث بأصابعه او شواربه، او يمارس المشي القهري ومن الهلوسات البصرية انه قد يرى الشيء اصغر او اكبر من حجمه الحقيقي.

ت- نوبة صرع رولاندو: وفيها ايضا تكون بؤرة الاصابة ايضا في المنطقة الامامية لقشرة الدماغ، ويكون فيها الوعي سليماً ولكن العلامات التي تظهر تكون حركية او حسية او تلقائية، وهي عبارة عن احساس بخدران بجهة واحدة من الوجه والشفتين والخد (الوجنة) والحنجرة مصحوبا برجفان او توتر (تصلب) هذا الجانب مما يسبب عدم القدرة على الكلام، وهذه النوبة تكثر عند الذكور، وهي اكثر انواع النوبات انتشاراً، اذ ان نسبة انتشارها تتراوح ما بين ١٥-٢٠ ٪ من نوبات الصرع.

ث- النوبات الجزئية البسيطة الذاتية:

تنشأ عن اصابة المنطقة المحيطة بوظائف الجهاز العصبي الذاتي وبالتالي، يحدث اضطراب في وظائف الاعصاب اللاإرادية مثل تغير اللون او التعرق او ألم في البطن او الصدر او فقدان السيطرة على المثانة والامعاء، فيحدث التبول والتبرز اللاإرادي.

٢- النوبات الجزئية المعقدة، وتدعى بالنوبات الصدغية لانها تظهر بسبب اصابة الفص الصدغي من الدماغ، وهي نفسية حركية، تتصف باضطراب جزئي في الوعي مصحوب بأعراض فكرية ومزاجية وحركية آلية، وكثيراً ما تبدأ هذه النوبة بالهلوسة الشمية اذا كانت الاصابة في المنطقة الانسية (الداخلية من الفص الصدغي وعلوسة تذوقية، ثم ينخفض مستوى الوعي ولكنه لا يفقد كلياً، ثم تحدث حركات اوتوماتيكية التي قد تصيب الفم على شكل حركات مضغية، او تصيب الاطراف على شكل حركات متكررة ورتيبة وعلى شكل مشي متكرر، وتستمر بضع دقائق ويعود المصاب بعدها الى وضعه الطبيعي، مع نسيان تام لما حصل له ثم يعاني من الصداع لفترة قصيرة.

وفي هذا النوع من النوبات تحدث اعراض حركية كثيرة كحركة الفم والشفتين واللسان لا ارادياً كمن يتذوق، وحركات بلع وحركات تلقائية اخرى مثل العبث بالاصابع او الشوارب او المشي القهري والتبول احياناً، وقد تحدث اعراض نفسية كثيرة كالخوف والقلق والاحساس بقرب الموت، وكذلك يحدث ادراك اشياء على انها معروفة ومألوفة له في حين انه لم يسبق ان رآها وعلى العكس قد يرى اشياء مألوفةعلى أنه لم يرها من قبل.

التشخيص التفريقي: هناك العديد من الامراض التي تسبب فقدان الوعي والتشنجات، ولهذا لكي نؤكد ان الحالة هي نوبة صرع لا بد من تمييزها عن هذه الامراض وهي:

١- نوبة فقدان الوعي او الاغماء او الغشيان بسبب نقص الاكسجين الناجم عن عملية اختناق وضيق التنفس او بسبب عدم تروية الدماغ بالدم مما يؤدي الى عدم وصول الاكسجين فيختنق الدماغ ويحدث الاغماء وفقدان الوعي ولكن بدون تشنجات، وينخفض ضغط الدم الشرياني بينما في الصرع قد يرتفع ضغط الدم، والمريض يشعر انه سيفقد الوعي فيتجنب السقوط المباشر على الارض والاصابة بالاذى.

٢- فقدان الوعي بسبب امراض القلب وضعف الدورة الدموية وبالتالي انخفاض كمية الاكسجين والعناصر الغذائية الواصلة للدماغ بمختلف خلايا الجسم،

وفي هذه الحالة يكون المريض في حالة انحطاط القوى وشحوب اللون.

٣- الاغماء بسبب نقصان بعض الاملاح المعدنية مثل الكلس او انخفاض السكر بالدم، وفي هذه الحالة يشعر المريض بالجوع والصداع والتعرق وتسارع في دقات القلب وزغللة البصر واختلاط ذهني.

٤- فقدان الوعي بسبب عدم كفاية الدهليز في الاذن: و هذا الاضطراب يختلف عن نوبة الصرع بحدوث دوخة وغثيان وقيء وكذلك حدوث ازدواجية الرؤية والعمى المؤقت وطنين الاذن وصعوبة الكلام والبلع، ويصاب بالضعف العام وخدران الاطراف وهذه الاعراض غير موجودة في نوبة الصرع.

٥- النوبات الاحتشائية: يمكن ان يكون من الصعب التفريق بين هذه النوبات والنوبات الصرعية، ولكن المبدأ العام للتفريق هو سلبية الاعراض في الاحتشائية وايجابية الاعراض في الصرعية، فمثلاً نوبة صرعية في القشرة الحركية اليسرى تتسبب في رجفان عضلات الوجه والذراع والرجل اليمنى بينما في الهجمات الاحتشائية تسبب الشلل.

٦- اللازمات: و هي اكثر تعقيداً من رجفان العضلات البسيط والمصاحب لنوبة الصرع، اذ هي عبارة عن حركات متتالية ارتجاجية لا ارادية لعضو ما تحدث بشكل مستمر وأقل شدة من رجفان الصرع.

٧- النوب العصبية - النفسية الناجمة عن اضطراب نفسي وليس عصبياً مثل الهستيريا، وتختلف هذه النوبات عن النوبات الصرعية انها تبدأ ببطء ويدرك الشخص بدنو حدوثها فلا يسقط على الارض بشدة وفجأة، والمصاب لا يؤذي نفسه فلا يعض لسانه ولا يتبول ويكون مدركاً لما حوله ولكنه لا يتفاعل معه.

٨- نوبات المشي خلال النوم: فهناك من الاشخاص من ينهضون من فراشهم اثناء الحلم، ويمشون مسافات بعيدة ويعودون الى فراشهم وهم نائمون دون ان يدركوا ذلك.

٩- نوبات الخور: وهي حالة انحطاط القوى تصيب الانسان عند تعرضه لموقف عاطفي مفاجئ، سواء كان محزناً او مفرحاً مثل سماعه خبر وفاة عزيز او

رسوب او نجاح في امتحان.

❖ اسباب الصرع:

يجب التأكيد على ان الصرع ليس مرضاً بحد ذاته، وإنما هو عرض من اعراض امراض اخرى تصيب الدماغ، وقد تكون هذه الاصابات بؤرية محدودة في مناطق معينة من الدماغ وقد تكون الاصابة عامة وشاملة لنصفي كرة الدماغ، وبناء على ذلك يتحدد نوع النوبة الصرعية والاعراض المرضية المصاحبة لها.

وهناك اسباب مشتركة لجميع الاعمار واخرى تختص بفئة عمرية دون اخرى او تكثر في عمر اكثر من عمر آخر، وفي ما يلي نبين الاسباب حسب الفئات العمرية:

اولاً: الاسباب عند حديثي الولادة خلال الشهر الاول من العمر:

١- التشوهات الخلقية مثل ضمور المخ او استسقاء دماغي.

٢- اضطرابات الاملاح المعدنية مثل انخفاض الصوديوم والكالسيوم والمغنيسيوم في الدم، وكذلك انخفاض فيتامين (ب) وزيادة حموضة (ب هـ) او قلويته.

٣- انخفاض سكر الدم.

٤- امراض فايروسية وبكتيرية وفطرية مثل مرض القطط التي تنتقل اليه العدوى من أمه عبر المشيمة او اثناء الولادة، التهاب السحايا الجرثومي، التهاب الدماغ الحلائي ودمل دماغي وغيرها من الالتهابات الانتانية.

٥- الاضطرابات الاستقلابية مثل اضطراب استقلاب الاحماض الامينية والكربوهيدراتية والدهنيات.

٦- الاصابات والرضوض اثناء الولادة مثل شد الرأس او شفط الجنين بالشفاط او بالملقط او نزف الدماغ او الاختناق بسبب نقص الاكسجين اثناء الولادة العسرة.

٧- الاحتشاء الدماغي او الاورام الدماغية الخلقية.

ثانياً: الاسباب عند الاطفال: يضاف الى الاسباب آنفة الذكر اسباب اخرى تكثر بين الاطفال مثل:

١- ارتفاع درجة حرارة الجسم لاكثر من ٣٩ م وخاصة اذا تكرر ذلك اكثر من مرة، لان ارتفاع درجة حرارة الجسم

يصيب خلايا الدماغ بالتلف فيؤدي ذلك الى حدوث نوبات الصرع.

٢- حوادث السقوط والسيارات وهي ايضا تخص الاطفال اكثر من حديثي الولادة بسبب نشاطهم الزائد وكثرة اللعب والتسلق والركض والصعود الى المرتفعات والاسطح والشرفات وكذلك اللعب بالشوارع دون انتباه.

ثالثاً: الاسباب عند الشباب ووسط العمر:

١- التشوهات الخلقية التي تظهر بعد عدة سنوات من الولادة.

٢- اسباب وراثية.

٣- اورام دماغية تظهر خاصة في سن ٣٠-٤٠ سنة.

٤- التوقف المفاجئ عن تناول الادوية المضادة للصرع.

٥- التسمم الحملي عند النساء.

رابعاً : الاسباب في مرحلة الشيخوخة:

١- الاورام الدماغية حيث تكثر في السنوات المتقدمة من العمر.

٢- الاحتشاء والنزف الدماغيين بسبب تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم الشرياني وحدوث الجلطات.

٣- حوادث السيارات والسقوط لضعف القوة الجسمانية.

٤- امراض ضمور الدماغ مثل مرض زهايمر.

٥- امتداد نوبات صرعية سابقة او عودة نوبات اختفت ثم عادت.

٦- التوقف المفاجئ عن تناول الأدوية المضادة للصرع او عدم الانتظام في تناولها.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله الحلقة الثالثة والأخيرة من الحديث عن الصرع و التي سنتحدث فيها عن علاج النوبات الصرعية وتطور هذا العلاج من استخدام الوسائل الخرافية واساليب الشعوذة الى النهج النبوي في العلاج، واخيراً استخدام الادوية والعقاقير ونبين اهم الأسس والمبادئ التي يرتكز عليها العلاج الحديث للصرع وكذلك ما يجب على الحاضرين ان يفعلوه للمصاب بالنوبة الصرعية.

قراءة في كتاب:
المنبر

■ تأليف الدكتور محيى الدين كحالة

عرض الاستاذ فوزي الخطبا

المنبر في الإسلام له غايات واهداف جليلة وكبيرة، وهو رسالة عظيمة ووسيلة ناجحة وفعالة بالتأثير وتوجيه المجتمع نحو الحياة الفضلى، ويقوم بالدعوة والتوجيه والارشاد ومواجهة التحديات المعاصرة، ومواكبة التطور السريع والمذهل في شتى مناحي الحياة، لان (الامام هو الداعية الذي سيقوم بحمل هذه الرسالة المهمة الضخمة، التي يؤديها المسجد للمجتمع في العصر الحديث، وهو الذي يشرف على هذه المؤسسة ويتابع اعمالها الضخمة، وبالتالي فلا بد ان تتوفر فيه شروط خاصة، وان يكون على قدر كبير من الاستعدادات، حتى يمكنه مباشرة هذه المهمة التي باشرها النبي ﷺ بنفسه، مستعينا فيها بتوجيهات الوحي، وحسن استجابة المسلمين وتعاونهم معه على خلق المجتمع الفاضل الجديد.

فالداعية في هذا الموقع موقفه حساس، ووظيفته عظيمة، وهو طبيب يعالج اخطر انواع الامراض، وهي امراض القلوب والنفوس، ويضع الحلول لكل المشاكل، ويحاول بلباقته وحنكته ان يثبت للناس مدى ما يمكن ان يقدمه الدين للمجتمع، وليؤكد لهم بذلك الصلة الوثيقة بين الدعوة الاسلامية والمجتمع، فالمسجد ليس كما يتصور كثير من الناس، مجرد خطبة ومنبر، وإنما المسجد هو المجتمع نفسه، والإمام هو الرابطة بين الجمهور وبين هذا المجتمع، وإذا ما أحس المصلي بالانقطاع الفكري بينه وبين المسجد، تراخت صلته به، لأن الاعتماد المطلق على الصلة القلبية والعاطفية لا يمكن على المدى الطويل أن يصون هذا الرباط بين

المسجد والمجتمع، فلا بد من صلات روحية وفكرية وترابط عضوي، يضع المسجد في مكانه الطبيعي في الحياة الإسلامية)[١].

يقول المصلح الكبير الشيخ محمد عبده عن الدعاة: «انه لا بد ان يكون من اطول الناس باعاً بالفنون الادبية الشرعية، واوسعهم علما بعلل الاخلاق وامراض النفوس، واقدرهم على التماس منافذ القلوب للدخول عليها بما يصلحها، ثم يكونوا اقوم الناس سيرة، لا يخالف عملهم قولهم، فيكونوا للناس مثالا يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها، ثم لا بد ان يكونوا في كل قوم بلغتهم، بل يجب ان يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان، وجودة المنطق، بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاستماع»[٢].

فالإسلام نظام شامل متكامل لجميع نواحي الحياة، فهو عقيدة وجهاد، وعبادة ومصحف، ونظام وتشريع، وفكر وسلوك، وأخلاق ودين، ودولة ونظام، حياة وسعادة في الدارين.

فالخطيب المتفوق المثقف يدرك ذلك كله، لأنه يعرف هذه الأبعاد فهو يعبر عن ضمير الأمة ووجدانها، واشجانها وشجونها، واحلامها وامالها، ورغباتها الحية الانسانية، الملتزمة بكتاب الله عز وجل وسنة رسولنا الكريم ﷺ.

فالخطبة هي رسالة وسلاح وفكر، الخطيب الملتزم بعقيدة الأمة رسالة ورؤية وشكلاً ومضموناً يدرك كل هذه الأبعاد وضخامة وثقل الأمانة والمسؤولية والرسالة.

فالخطبة كلمات تخرج من فؤاد الخطيب، فتحرك في النفوس الاحاسيس والمشاعر فتثيرها او تهدهدها، ولها في النفس والقلب وقع وجرس وتأثير، ولها في القلب تزكية فتهديه سواء السبيل ان كانت قبس هداية، وترديه اذا الهبت غرائزه وميوله، ولها في المجتمع فعل النار في الهشيم تحرق وتدمر، او فعل الماء في الظامئ ترديه فتحييه، **ولهذا كله جاء كتاب الدكتور محيى الدين كحالة (المنبر) يستقصي الخطبة وابعادها، معناها، مبناها، مدلولاتها، اثرها وتأثيرها في الأمة ورسالتها في بناء المجتمع.**

يقع الكتاب في (٥٠٣) صفحات من الحجم الكبير، يتناول فيه الخطبة منذ عهد رسولنا الكريم ﷺ والصحابة والتابعين إلى وقتنا الحاضر، ويبين في

المقدمة أن المنبر في الإسلام مكان لتعظيم الله ولذكر وتعزيز كلمة الله، لتكون هي العليا وأحكامه هي العليا المطاعة.

والخطبة هي فرصة ذهبية لاجتماع المسلمين في المسجد، لتعلم حقائق الإسلام ونقل المجتمع من غفلته إلى يقظته وهي رسالة كبيرة وعظيمة، أصلها وجوهرها ومبدؤها الدعوة إلى الله عز وجل، وهي رسالة الأنبياء والمرسلين جميعا، وهي مهمة ورسالة العلماء ورثة الأنبياء وأصحاب الرسالات الكبيرة، الذين يذيبون حياتهم في سبيل الإصلاح والتغيير البنّاء الهادف، ويتصلون بالآخرين ويتحملون المسؤولية بكل قوة وعزم وصدق وأمانة، لأنهم يؤمنون بما يقولون وبما يفعلون، وهذا المكان نفسه الذي تضع الإنسانية فيه أصحاب الرسالات العظيمة، أمام فكرة المسؤولية أو فكرة الواجب، هدفهم وغايتهم إسعاد البشرية وتنوير العقول، وتوجيه السلوك وشحذ الهمم والعزائم الى البناء الايجابي الفعال، للوصول بالبشرية الى قيم الخير والعدل والحق والجمال.

يقف الكاتب وقفة متأنية عند صفات الخطيب الناجح، ومدى تأثيره على المصلين والمستمعين، وهو يربطهم بالثوابت الاربعة، وهي العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، ويذكرهم بالهدف الذي خلقنا لأجله وهو عبادة الله، حبا وطاعة وفضلا ورضوانا وعمارة الكون وخلافة الارض، ويبين ان على الخطيب المراعاة في خطبته التنوع في تناول المواضيع واستغلال المناسبات الاسلامية، كحادثة الاسراء والمعراج، وشهر رمضان والعشر الاواخر وعاشوراء والعشر من ذي الحجة.

والخطيب يجب ان يكون ملتزما في سلوكه وافعاله واعماله، فهو القدوة الحسنة والنموذج الرفيع للمصلين، حسن صمت، حسن الهندام منظره كخطبته تفوح عطرا وتعبق احلاما تفرض على المتلقين التقدير والاحترام، وتكون لغته مفهومة واضحة يراعي فيها الفروق الفردية ويبتعد عن التعقيدات اللفظية والكلمات الصعبة حتى يصل ما يطرحه الى أذهان المستمعين بكل يسر وسهولة ويخرج من القلب الى القلب، يطفح وجه الخطيب البشر والابتسامة المشرقة فكل الانظار متجهة له، وكل حركة وسكنة وكلمة واشارة محسوبة عليه، صوته يعلو ويخفض حسب الكلمة ومدلولها، ولا يكون كلامه على وتيرة واحدة حتى لا يمل ولا ينام السامع، فالخطبة عنده يجب أن يكون فيها بشارة

وأمل وعلاج.

فالله تعالى بعث رسولنا الكريم ﷺ هاديا ومبشرا ونذيرا، فمهما ادلهمت المصائب والخطوب والنكسات في الامة الاسلامية فإن مع العسر يسرا، لأننا في معسكر القوي العزيز الذي يحفظنا من كل مكر وسوء.

ويجب على الخطيب ان يكون مثقفا ومطلعا على أقوال العلماء والفقهاء ورجال الفكر والرجوع الى كتبهم والى مشورتهم، وتكون خطبته محفوظة في الصدر قبل السطر، فغالباً عندما تكون الخطبة تقرأ من الورقة ينشغل وينام السامع والرائي لذلك.

كما يجب ان تكون لديه قدرة فائقة على الاقناع والإتيان بالبراهين والحجج وهذا الأمر لا يتأتى الا عندما يكون الخطيب قارئا ومطلعا على التاريخ والعقائد والاديان والنظريات السياسية والاقتصادية، متسلحا بالفكر والثقافة الاسلامية والثقافة العامة، ومواكبا لتطور العصر والمستجدات والتحديات، ويعالج قضايا المجتمع والناس ويبين حكم الاسلام في ذلك مركزا على الايجابيات، ومحذرا من السلبيات بالحكمة والموعظة الحسنة.

يقف عند المسائل المتفق عليها، ويترك القضايا الخلافية يهتم بالقضايا التي يحتاجها الناس في حياتهم، ولا يسير وراء القضايا الجزئية والفرعية، التي تحدث جدلاً وبلبلة وفرقة بين الناس.

وبين الكاتب في كتابه القيم، الدور الفعال والكبير الذي يلعبه الخطباء في حياة الناس والمجتمع، ودورهم في رسالة المسجد، ولا سيما اننا نعيش مرحلة صعبة، والأمة الاسلامية تواجه تحديات الغزو بكل اشكاله وانواعه، الفكري والاعلامي والتكنولوجي والحضاري والاقتصادي والسياسي بكل شراسة وعنف.

فالخطباء هم من مصلحي الامة، يملكون الاحساس الكبير بما يجري للأمة من التحديات، فهم يملكون وسائل التوجيه والارشاد، وباستطاعتهم تقديم الكثير من الحد من التحديات الهدامة، والحفاظ على عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها ولغتها وهويتها الاسلامية.

وقبل ان نختم الحديث عن هذا الكتاب الغني في معناه ومبناه وموضوعاته الكبيرة في قضايا العقيدة والتوحيد والعبادات والاخلاق الاسلامية والمعاملات، **لا بد أن نقف عند خمس قضايا اساسية طرحها الكتاب بكل جرأة وصراحة:**

أولا: اللغـة: يقـدم الكاتب افكاره بلغـة عـربيـة فصيـحـة واضـحـة، وبأسلوب ادبي مـشـوق وممتع، يخلق بينه وبين المتلقي علاقة توحد وانسجام، وابتعد الكاتب عن الكلمات الصعبة التي تحتاج الى معجم أو قاموس، وانما جاءت كتابته سلسة تقرأ وتفهم بكل يسر وسهولة.

ثانيـا: يدخل هذا الكـتـاب تحت باب الكتب الموسوعية، فهو يغني عن العديد من الكتب والدراسات التي تحدثت عن هذا الموضوع، فالكتاب يقدم خلاصة قراءات الكاتب العميقة المتنوعة من امهات الكتب القديمة والحديثة، بأسلوب رؤيته الخاصة وقلمه الملتزم وتعليقاته اللطيفة والصائبة.

ثالثـا: الايجـاز في الشكل والمضـمـون، على الرغم أن الكاتب يطرح ويثير عناوين وموضوعات عديدة، فإنه يقدم فصول كتابه بإيجاز شامل مانع، ويبسط رأيه وفكره بأقل الكلمات وأدل المعاني.

رابعاً: المواضيع المعالجة: يملك الكاتب قدرة فائقة في محاورة القضايا والمواضيع التي يطرحها، ويبسط رأيه فيها بكل ثقة واقتدار برؤية الباحث المتعمق، وبقلب المصلح المثقف الغيور على هذه الامة، يستنهض الهمم ويثير العزائم، ويزرع في النفوس والقلب الثقة والامل، بأن النصر آت، وبخبرات الطبيب المعالج، يكشف عن كوامن النفس البشرية.

خـامـسـاً: ان هذا الكتاب بطرحه وشـمـوليـتـه، يسد فراغا في المكتبة الاسلامية، فهذه النوعية من الكتب تعيد الثقة لما يكتب في هذا الموضوع، وتكشف عن صورة الاسلام الناصعة، فيقدم الاسلام بصورته المعتدلة الشمولية، موظفاً ثقافته الطبية والعلمية لتأييد القضايا التي طرحها بكل امانة وصدق، بحيث يرجع ويسند كل مقولة ورأي وقصة وحادثة الى صاحبها وراويها وسندها.

وخاتمة القول:

إن هذا الكتاب يحتاجه الباحث والدارس والفقيه والمعلم والخطيب والمفكر والاديب، لأنه يخاطب جميع المستويات على اختلاف افكارهم واتجاهاتهم الفكرية، ويطرح القضايا التي تثير فينا الاسئلة والبحث والاستقصاء في عوالم الكون والانسان.

الهوامش:

١- مجلة هدى الاسلام العدد الثاني مجلد ٤٢ لسنة ١٤١٩ هجري، الموافق ١٩٩٨م، الدكتور عبد الغفار محمد عزيز.

٢- تاريخ الامام، ج١ ص٥٢ (رشيد رضا).

سوسيولوجيا التصوف والتغير الاجتماعي

■ بقلم الدكتور ناصر قاسيمي

اذا ألقينا نظرة على تاريخ ممارسة الانسان للطقوس التعبدية والشعائر الدينية، للاحظنا بأنه في كل مرة كان يبحث عن شيء يعبده مهما كانت طبيعة المعبودات التي كان يتخذها، وهدفه في ذلك كان إشباع حاجة روحية ملحة في نفسه تماماً كما كان وما زال يلبي حاجاته الجسمية والنفسية والفكرية، بغض النظر عن خطئه وإصابته في المعبودات التي يتخذها وطرق العبادة التي يمارسها، وقد كان بين الحين والآخر يبحث عن شتى السبل ليرقى بروحه الى أعلى درجات الكمال في العبادة من خلال التفرغ لها احياناً والزهد والانقطاع عن الدنيا وربط الروح مباشرة بعالم الغيب.

وتعتبر شتى انواع الطقوس السحرية وعبادة الكواكب والأصنام وبعض الحيوانات كأشكال من هذه العبادات التي يحاول من خلالها الانسان توحيد روحه مع عالم الغيب ومع الإله الذي يؤمن به إمعاناً ورغبة في إرضائه.

وتندرج الكثير من الممارسات الدينية في المجتمعات البدائية ضمن هذا الهدف الانساني، ونذكر على سبيل المثال تعذيب النفس بالنار والزجاج والوسائل الحادة

وطقوس أكل لحوم البشر، بحيث ان الشخص لا يصل الى هذه الدرجة من الممارسة الا اذا فاق باقي البشر في تحويل روحه الى طبيعة تفوق طبيعة البشر العاديين بحيث تصبح تعيش عالماً آخر غير عالم الحياة التي نلمسها يومياً.

وقد تحدثت الكثير من الدراسات الانثروبولوجية خاصة عند مالينوفسكي وليفي ستروس ورادكليف براون عن الديانات البدائية خاصة الطوطمية التي كانت متوغلة في حياة الانسان البدائي، وقد فسروا هذه الديانات تفسيراً نفعياً ووجدانياً فالحيوانات والنباتات التي كانت موضوعاً للعبادة كانت في نفس الوقت تزود الانسان بالطعام اي بالحياة في نظرهم.

وقد تحددت العلاقة مع هذه الأشياء من خلال ذلك حتى اصبح البدائي يبحث عن حالة التوحد مع هذه المعبودات بعد ان استشعر حالة الاحترام والرهبة والخوف والحب والتقديس تجاهها، وفي نفس الوقت تدخلت هذه المعبودات في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، خاصة العلاقات القرابية وعلاقات الزواج، واعتبرت عاملاً هاماً من عوامل التماسك الاجتماعي، وموجها للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع القبائل الأخرى.

وهكذا ايضاً مارس البوذيون والهندوس افعالهم التعبدية للوصول الى حياة النرفانا او موت الذات كما يعتقدون بشتى اشكال التقرب خاصة منها رياضة النفس والروح والخلوة مع الذات والتركيز الذهني والتخلي عن التفكير في كل هموم الدنيا، ويحكى في انجيل بوذا بأن رجلاً رغب في البحث عن طريق الصلاح، فظفر بخمسة فقراء قد انقطعوا في البرية مذلين حياتهم محافظين على فضيلة التقشف، متحملين قهر الجسد واذلال النفس فأعجب بهم وبتقواهم واحب جوارهم، واستسلم الى قمع جسده والى حياة التأمل والزهد والتقشف فلا يأكل من الطعام الا الكفاف مرة في اليوم حتى ضعف جسده، فبلغ منهم مرتبة الاحترام والاعجاب فأقاموه معلماً وسيداً عليهم[1].

اما اذا القينا نظرة الى الديانات السماوية، فهي ايضاً منحت فسحة كبيرة للإنسان كي يعبر عن حاجته الروحية اللامتناهية، ويحاول ان يلبي رغباتها في البحث عن الكمال وإرضاء الله سبحانه

وتعالى، ومن ذلك فقد لجأ المسيحيون الى ممارسة حياة الرهبنة التي تلزم صاحبها الكثير من الشروط تقوم على الزهد في الدنيا والانقطاع من ملذاتها وعدم الزواج مدى الحياة تشبهاً بمريم العذراء عليها السلام، بل وان بعضه لم يلمس جسمه الماء طوال حياته، ظناً منه انه يسمو بروحه ويتقرب الى خالقه!.

اما في العالم الاسلامي فقد اخذت هذه الرغبة في السمو بالروح الى الدرجات العليا من الكمال اسم الصوفية، ورغم ان هذه الممارسة غائصة في التاريخ الانساني بغض النظر عن تسميتها، ومارسها الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم، حتى ان منهم من قرر ان يصوم طول الدهر ولا يفطر أبداً، وان هناك من قرر اعتزال النساء، وهناك من قرر التفرغ للصلاة وحدها، هذا الفكر موجود وهذه الفكرة موجودة في نفوس المؤمنين، الا ان هناك من يعتقد بأن الصوفية تأخر ظهورها في الاسلام بعض التأخر، وهي لم تبلغ درجة النضج الا حين قيام المذاهب الكبرى، اي في أواخر القرن الثاني من الهجرة حتى ان اسمها لا يرجع الى أوائل الاسلام.

ففي بدء هذا الدين كان الناس الذين يتبتلون بأعمال الورع والتقوى يدعون زهاداً او عباداً او رهباناً في بعض الأحيان، وكانت هذه الأسماء تنم عن طراز عيش لا على مذهب او معتقد معين[٢].

وكلمة صوفي تعني في اليونانية سوفوس التي تعني الحكيم وفعل صفا صفواً نقيض كدر كدراً[٣] والايمان هو البداية وان الزهد هو الواسطة بين البداية والنهاية[٤] ثم ان من معانيه التواضع الذي هو التخلي والذي هو من ألفاظ تربية الزهد وهو التوكل والتواضع والخشوع والقيام بين يدي الله والخوف الدائم منه[٥].

والزهد له عدة معاني أهمها الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من الله ويعني ايضاً قناعة الانسان بما قسم الله له[٦].

وأصل الصوفية العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، وهو اسم مشتق من الصف او الصفة[٧]، وتعني محاسبة النفس على الأفعال

والتروك ومجاهدة النفس[٨].

ويستند التصوف الى نظرية وجود العالمين عالم ظاهر وآخر خفي، فالظاهر تدركه الحواس والخفي تدركه النفس بالعيان الروحاني ولا تقوم النفس بممارسة هذه الخاصية بسبب قيود الجسم.

لكن اذا ما خرجت من قيودها الجسدية حررت قواها الادراكية وغشيت معاينة امور الروح، وغاية العمل الروحاني هو تعديل الأهواء لا تقويضها بحمل الأعضاء على انجاز أعمال ملائمة للفضيلة التي يراد اكتسابها، اي تعويد النفس على فعل الخير[٩].

وعلى المريد ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، ويتبع اشارته في مجاهدة نفسه، من خلال التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والتوحيد والتوكل، ربما تصل الى حد الشخصية الكارزماتية من خلال مبدأ الإمامة وهو الذي عبر عنه الغزالي باسم القطب ونظرية القطب تعني وجود في جميع أدوار البشر أناس لهم شعور بخوافي الأمور وموهبة في معرفة أسرارها والآخرون مساعدون لهم ويجب ان يكون القطب رئيساً للمجتمع البشري وإماماً للعالم[١٠].

والتصوف في الاسلام ينطوي على الأخلاق الدينية علماً وعملاً ولا يعني الانعزال عن الحياة اليومية، إنما هو تحلي بالقيم الروحية لمواجهة الحياة المادية وتحقيق التوازن النفس لمواجهة مصاعبها ومشاكلها.

وتهدف الصوفية الى بناء الانسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والدينية والأخلاقية المتواصلة، بحيث يتعود المريدون من خلال التواجد في الزوايا والمدارس القرآنية على الحياة الجماعية بما تتضمنه من تعاون وتضحية وتآزر ورقابة الضمير الجمعي والتنافس على العبادة والأعمال الصالحة وانكار الذات والتحلي بكل القيم الدينية وأخلاق الأنبياء التي منها الصبر والتراحم والتضحية ومساعدة الغير.

ان الانتشار الواسع للصوفية كفعل وسلوك ديني، اسهم بعمق في التغيير الاجتماعي للمجتمعات الاسلامية، من خلال التأثير في سلوك الأفراد من خلال الطرق العملية، ومن خلال التأثير في الحياة اليومية للأفراد في افريقيا وجنوب

الصحراء الى السودان وآسيا وغيرها، بحيث لم تتمكن فئة أخرى من بلوغ هذا التأثير وهذا التوسع الجغرافي.

وتتم طرق الصوفية بالعلم والعمل وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها الذميمة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها عن تخلية القلب عن غير الله(١١).

ومن أخلاق الصوفية مساعدة الضعفاء والمحتاجين وهذا يعني الدخول في الحياة الاجتماعية بتدعيم من الله من خلال كل اشكال التضامن وهداية الناس وارشادهم وحثهم على التوبة، واقلها ان يكون هؤلاء قدوة لغيرهم من خلال الأخلاق التي يحملونها والقيم التي يؤمنون بها، والورع والتقوى والحكمة التي يتمتعون بها والابتعاد عن المعاصي قدر الامكان، وترك الشهوات وملذات الدنيا والترفع عن مطالبها.

ونلاحظ من خلال ذلك بأن جوهر الصوفية البحث عن التغيير وتحقيقه بالطرق العملية تبدأ من تغيير النفس وتوفير المعلمين الذين يعملون على إحياء القيم الروحية والاجتماعية في نفوس البشر وفي علاقاتهم اليومية.

وكما لاحظنا في المعتقدات القديمة فإن اي فكرة دينية انما تنطوي على أهداف نفعية للإنسان شخصية ودينية ودنيوية وأخروية، ومن ذلك تبدو الوظائف المختلفة للتصوف والتي منها الوظائف الباطنة والظاهرة، فالتصوف له عدة ابعاد دينية دنوية أخروية، نفسية وروحية وعقلية واجتماعية وخلقية.

فإذا لاحظناه من الظاهر فهو ممارسات تعبدية يلجأ اليها اصحابها لإرضاء خالقهم والتقرب منه اقصى ما يتقرب مخلوق لخالقه، وفي باطنها وظائف كثيرة قد نغفل عن وصف بعضها الآن، فهي تلبي حاجة روحية ونفسية من خلال التوازن النفسي الذي تحقق لصاحبه والصفاء الروحي من خلال رسوخ المعتقد وعدم التيه في البحث عن شيء للعبادة وعقيدة يتشبث بها، وهي تؤدي وظيفة خلقية من خلال تربية النفس على القناعة وعدم التنافس على الدنيا ومباهجها، وهو اغلب ما يسبب الصراع والتقاتل بين بني البشر، اي التنافس على الدنيا، ثم انها ما دامت تشتغل في العالم الداخلي للأفراد فتنقي الأنفس من أمراضها فإن ذلك سينعكس حتماً على العلاقات الاجتماعية

والقرابية والعائلية من خلال الأخلاق العالية التي تدعو اليها، وهي اخلاق التسامح والتضحية والتعاون والبذل من اجل الآخرين وعدم الظلم والاعتداء، وهذا مقدمة هامة بل قانون أساسي من قوانين التغيير الاجتماعي، اذ ان التغير الاجتماعي يبدأ من تربية الأفراد وتنقية نفوسهم، **ولا يحدث التغير الاجتماعي حتى يغير الأفراد ما بأنفسهم، ويعتبر التصوف أحد المدارس الفعالة في تغيير نفوس الأفراد.**

ان هجمات الحضارة المادية المعاصرة على نفوس البشر لم تزد حياة الانسان الا سوء وتدهوراً لنمط حياته اليومية، حتى انه احتار في كيفية التخلص من اشكال الجريمة والانحراف والتخلي عن الأسرة وزيادة الابناء غير الشرعيين وتناول الخمور والمخدرات والانتحار وممارسة شتى انواع الانحراف، ذلك ان العلاقة بين الحياة الروحية والمادية فقدت توازنها، حتى ان إنسان هذه الحضارة اصبح يتشبث بأي فكرة روحية مهما كانت مشوهة، آملاً ان يجد خلاصه فيها، فالأغاني التي تحمل نغمة وكلمات روحية اصبحت ملاذاً لهؤلاء، يبحثون عنها لتغذية روحهم، والفنون الأخرى التي تتطرق الى الروح ومشاغلها اصبحت ملجأ لهم، هذا يستدعي التفكير، ان الصوفية كممارسة عملية تغير النفس تغييراً عميقاً تكون مقدمة هامة نحو التغيير الاجتماعي.

لقد كانت الصوفية بطرقها المختلفة في العالم الاسلامي، ممارسة تمتد الى الحياة الاجتماعية وتهتم بمشاكل الأمة كلها وأداة هامة من أدوات التغيير الاجتماعي، فمنذ القرن السادس الهجري استمرت في الظهور وقاومت الاستعمار وقاومت البدع والخرافات وسياسة التفرقة العرقية، ومختلف اشكال التحطيم الاجتماعي والعقيدي التي حملها الاستعمار.

وفي القرن الرابع عشر، كانت أداة هامة من أدوات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فقد كانت الطرق الصوفية من خلال الهياكل التي تتوفر عليها ومن خلال القيم التي تحملها والمكانة التي تحظى بها، والمصداقية التي تتمتع بها وسيلة هامة من وسائل تسيير المؤسسات المختلفة في العالم الاسلامي، ومن ذلك ما كان يدعى في تسيير الورشات الصناعية بنظام الفتية الزكية بحيث كان يقام على

كل نشاط اقتصادي وكل ورشة صناعية شيخ من شيوخ الصوفية يشرف على تسييرها ومراقبتها ومراقبة احترام قواعد المعاملات لتجنب الغش، وعدم اتقان العمل والاحتكار وكل ما يبتعد عن أخلاق المعاملات، **وما زال هذا النظام في الكثير من المجتمعات الاسلامية الى ايامنا هذه ومنها منطقة غرداية في الجنوب الجزائري اذ تشرف جماعة المسجد او «العزابة» على الحياة اليومية للمواطنين الاجتماعية والاقتصادية ولها من الصلاحيات ما يسمح لها بتطبيق نظام صارم من الجزاء والعقاب على كل المواطنين في اقليمها ومن ذلك العقاب على التدخين والغش في التجارة واهمال الزوجة والأبناء، كما ان مختلف الزوايا في القطر الجزائري كانت أداة هامة لقيادة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي من خلال القيادات الروحية التي تخرجت منها وأداة هامة لتكسير كل السياساات التي جاء بها.**

ومن خلال هذه الأمثلة، نحاول ان نثير الانتباه الى ضرورة التوجه او تعميق الصوفية ليس كفكرة فقط انما كممارسة عملية نفعية في الدنيا والآخرة، تتدخل في الحياة اليومية للأفراد وتغييرها باستمرار.

كما نريد ان نذهب ابعد من ذلك الى مواكبة التغيرات في المجتمعات الانسانية، فالمجتمعات المعاصرة تتوجه نحو العالمية والانسانية من حيث البناء ونحو الاحسان والتعاون من حيث العلاقة، ويبقى على الصوفية ان تواكب هذه التغيرات فتتكيف معها لتضيف الى الانسانية اشياء نوعية ربما تخفف عنها حيرتها وحالة التيه التي تعيشها من خلال طغيان الحياة المادية وفقدان القيم الايجابية في العلاقات الاجتماعية.

المراجع:

١- انجيل بوذا، ت: عيسى ميخائيل سابا، مكتبة صادر، بيروت ١٩٥٣، ص٤١ .
٢- البارون كارادوفو، الغزالي، ت: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ ١٩٨٤، ص١٥٩ .
٣-٤-٥-٦- المرجع نفسه الصفحات: ١٦٠، ١٦٦، ١٦٩، ١٦٨ .
٧- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٦ .
٨- نفس المرجع، ص٨٦٥ .
٩- البارون كارادفو، مرجع سابق، ص١٨٩-١٨٢ .
١٠- المرجع نفسه، ص٢٠٢ .
١١- ابو حامد، الغزالي، المنقذ من الضلال، دار الاندلس، بيروت ص١٣٠ .

كيف نستثمر أوقاتنا؟

■ بقلم الاستاذة مجد اسعد

من تتبع أخبار الناس وتأمل أحوالهم، وعرف كيف يقضون أوقاتهم، وكيف يمضون أعمارهم، عَلِمَ أن أكثر الخلق مضيِّعون لأوقاتهم، محرومون من نعمة استغلال العمر واغتنام الوقت، ولذا نراهم ينفقون أوقاتهم ويهدرون أعمارهم فيما لا يعود عليهم بالنفع . وإن المرء ليعجب من فرح هؤلاء بمرور الأيام، وسرورهم بانقضائها، ناسين أن كل دقيقة بل كل لحظة تمضي من عمرهم تقربهم من القبر والآخرة، وتباعدهم عن الدنيا .

إنَّا لنفرحُ بالأيـام نقطعهـا
وكل يوم مضى جزءٌ من العمر

ولما كان الوقت هو الحياة وهو العمر الحقيقي للإنسان، وأن حفظه أصل كل خير، وضياعه منشأ كل شر، **كان لا بد من وقفة تبين قيمة الوقت في حياة المسلم، وما هو واجب المسلم نحو وقته**، وما هي الأسباب التي تعين على حفظ الوقت، وبأي شيء يستثمر المسلم وقته.

❖ قيمة الوقت وأهميته:

إذا عرف الإنسان قيمة شيء ما وأهميته، حرص عليه وعزَّ عليه ضياعه وفواته، وهذا شيء بديهي، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه، وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يبين هذه الحقيقة بقوله: "وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مرَّ السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره،

وغير ذلك ليس محسوباً من حياته.. فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير من حياته".

ويقول ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل".

ولقد عني القرآن والسنة بالوقت من نواحٍ شتى وبصور عديدة، فقد أقسم الله به في مطالع سور عديدة بأجزاء منه مثل الليل، والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، كما في قوله تعالى: ﴿**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى**﴾، ﴿**والفجر وليال عشر**﴾ ﴿**والضحى والليل**﴾، ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر**﴾ ومعروف أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه دلَّ ذلك على أهميته وعظمته، وليلفت الأنظار إليه وينبه على جليل منفعته. وجاءت السنة لتؤكد على أهمية الوقت وقيمة الزمن، وتقرر أن الإنسان مسئول عنه يوم القيامة، فعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، و عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه" رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وأخبر النبي ﷺ أن الوقت نعمة من نعم الله على خلقه ولا بد للعبد من شكر النعمة وإلا سُلبت وذهبت، وشكر نعمة الوقت يكون باستعمالها في الطاعات، واستثمارها في الباقيات الصالحات، يقول ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ" رواه البخاري.

◆ واجب المسلم نحو وقته:

لما كان للوقت كل هذه الأهمية حتى إنه ليعد هو الحياة حقاً، كان على المسلم واجبات نحو وقته، ينبغي عليه أن يدركها، ويضعها نصب عينيه، ومن هذه الواجبات:

◆ الحرص على الاستفادة من الوقت:

إذا كان الإنسان شديد الحرص على المال، شديد المحافظة عليه والاستفادة منه، وهو يعلم أن المال يأتي ويروح، فلا بد أن يكون حرصه على وقته والاستفادة منه كله فيما ينفعه في دينه ودنياه، وما يعود عليه بالخير والسعادة أكبر، خاصة إذا علم

أن ما يذهب منه لا يعود، ولقد كان السلف الصالح أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها، وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت دون أن يتزودوا منها بعلم نافع أو عمل صالح أو مجاهدة للنفس أو إسداء نفع إلى الغير، يقول الحسن: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.

❖ تنظيم الوقت:

من الواجبات على المسلم نحو وقته تنظيمه بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، يقول أحد الصالحين: "أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية: فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنَّة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر".

❖ اغتنام وقت فراغه:

الفراغ نعمة يغفل عنها كثير من الناس فنراهم لا يؤدون شكرها، ولا يقدرونها حق قدرها، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ" رواه البخاري، وقد حث النبي ﷺ على اغتنامها فقال: "اغتنم خمساً قبل خمس.." وذكر منها: "..وفراغك قبل شغلك" رواه الحاكم.

يقول أحد الصالحين: "فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى، وانجرَّ في قِياد الشهوات، شوَّش الله عليه نعمة قلبه، وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه"، فلا بد للعاقل أن يشغل وقت فراغه بالخير وإلا انقلبت نعمة الفراغ نقمة على صاحبها، ولهذا قيل: "الفراغ للرجال غفلة، وللنساء غُلْمة" أي محرك للشهوة.

❖ أسباب تعين على حفظ الوقت:

محاسبة النفس: وهي من أعظم الوسائل التي تعين المسلم على اغتنام وقته في طاعة الله، وهي دأب الصالحين

وطريق المتقين، فحاسب نفسك أخي المسلم واسألها ماذا عملت في يومها الذي انقضى؟ وأين أنفقت وقتك؟ وفي أي شيء أمضيت ساعات يومك؟ هل ازددت فيه من الحسنات أم ازددت فيه من السيئات؟.

تربية النفس على علو الهمة: فمن ربَّى نفسه على التعلق بمعالي الأمور والتباعد عن سفسافها، كان أحرص على اغتنام وقته، ومن علت همته لم يقنع بالدون، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم:

إذا ما عَلا المرءُ رام العلا

ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُونَا

صحبة الأشخاص المحافظين على أوقاتهم: فإن صحبة هؤلاء ومخالطتهم، والحرص على القرب منهم والتأسي بهم، تعين على اغتنام الوقت، وتقوي النفس على استغلال ساعات العمر في طاعة الله، ورحم الله من قال:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحِب خِيارَهم

ولا تصحبِ الأردى فتردى مع الرَّدِي

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينهِ

فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدِي

معرفة حال السلف مع الوقت: فإن معرفة أحوالهم وقراءة سيرهم لأَكبر عون للمسلم على حسن استغلال وقته، فهم خير من أدرك قيمة الوقت وأهمية العمر، وهم أروع الأمثلة في اغتنام دقائق العمر واستغلال أنفاسه في طاعة الله.

تنويع ما يُستغل به الوقت: فإن النفس بطبيعتها سريعة الملل، وتنفر من الشيء المكرر، وتنويع الأعمال يساعد النفس على استغلال أكبر قدر ممكن من الوقت.

إدراك أن ما مضى من الوقت لا يعود ولا يُعوَّض: فكل يوم يمضي، وكل ساعة تنقضي، وكل لحظة تمر، ليس في الإمكان استعادتها، وبالتالي لا يمكن تعويضها، وهذا معنى ما قاله الحسن: "ما من يوم يمرُّ على ابن آدم إلا وهو يقول: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدِّم ما شئت تجده بين يديك، وأخِّر ما شئت فلن يعود إليك أبداً".

تذكُّر الموت وساعة الاحتضار: حين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، ليصلح ما أفسد، ويتدارك ما فات، ولكن هيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل وحان زمن

الحساب والجزاء، فتذكُّر الإنسان لهذا يجعله حريصاً على اغتنام وقته في مرضاة الله تعالى.

الابتعاد عن صحبة مضيعي الأوقات:

فإن مصاحبة الكسالى ومخالطة مضيعي الأوقات، مهدرة لطاقات الإنسان، مضيعة لأوقاته، والمرء يقاس بجليسه وقرينه، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب الرجل من هو مثله".

تذكُّر السؤال عن الوقت يوم القيامة:

حين يقف الإنسان أمام ربه في ذلك اليوم العصيب فيسأله عن وقته وعمره، كيف قضاه؟ وأين أنفقه؟ وفيم استغله؟ وبأي شيء ملأه؟ يقول ﷺ: "لن تزول قدما عبد حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟.." رواه الترمذي وحسنه الألباني، تذكرُ هذا يعين المسلم على حفظ وقته، واغتنامه في مرضاة الله.

❖ من أحوال السلف مع الوقت:

قال الحسن البصري: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يوم ذهب بعضك"، وقال: "يا ابن آدم، نهارك ضيفك فأحسِن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمِّك، وكذلك ليلتك"، وقال: "الدنيا ثلاثة أيام: أما الأمس فقد ذهب بما فيه، وأما غداً فلعلّك لا تدركه، وأما اليوم فلك فاعمل فيه"، وقال ابن مسعود: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي"، وقال ابن القيم: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها"، وقال السري بن المفلس: "إن اغتممت بما ينقص من مالك، فابكِ على ما ينقص من عمرك".

❖ بم نستثمر أوقاتنا؟

إن مجالات استثمار الوقت كثيرة، وللمسلم أن يختار منها ما هو أنسب له وأصلح، ومن هذه المجالات:

حفظ كتاب الله تعالى وتعلُّمه: وهذا خير ما يستغل به المسلم وقته، وقد حثَّ النبي ﷺ على تعلم كتاب الله فقال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري.

طلب العلم: فقد كان السلف الصالح

أكثر حرصاً على استثمار أوقاتهم في طلب العلم وتحصيله؛ ذلك لأنهم أدركوا أنهم في حاجة إليه أكبر من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

ذكر الله تعالى: فليس في الأعمال شيء يسع الأوقات كلها مثل الذكر، وهو مجال خصب وسهل لا يكلف المسلم مالاً ولا جهداً، وقد أوصى النبي ﷺ أحد أصحابه فقال له: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله" رواه أحمد وصححه الألباني.

الإكثار من النوافل: وهو مجال مهم لاغتنام أوقات العمر في طاعة الله، وتربية النفس وتزكيتها، علاوة على أنه فرصة لتعويض النقص الذي يقع عند أداء الفرائض، وأكبر من ذلك كله أنه سبب لحصول محبة الله للعبد "ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه" رواه البخاري.

الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين: هذه كلها مجالات خصبة لاستثمار ساعات العمر، والدعوة إلى الله تعالى مهمة الرسل ورسالة الأنبياء، وقد قال الله تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** يوسف: ١٠٨ .

◆ آفات تقتل الوقت:

هناك آفات وعوائق كثيرة تضيِّع على المسلم وقته، وتكاد تذهب بعمره كله إذا لم يفطن إليها ويحاول التخلص منها، ومن هذه العوائق الآفات:

الغفلة: وهي مرض خطير ابتلي به معظم المسلمين حتى أفقدهم الحسَّ الواعي بالأوقات، وقد حذَّر القرآن من الغفلة أشد التحذير حتى إنه ليجعل أهلها حطب جهنم، يقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** الأعراف: ١٧٩ .

التسويف: وهو آفة تدمر الوقت وتقتل العمر، وللأسف فقد أصبحت كلمة "سوف" شعاراً لكثير من المسلمين وطابعاً لهم، يقول الحسن: "إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك".

والحمد لله رب العالمين

الخط العربي

■ **بقلم الطالبة هديل خليل هندم**

يمثل الخط العربي، عنصراً هاماً من التراث العربي، فهو في تنوع اشكاله وفي مجالات استعماله يتجاوز الحاجات الثقافية الى الآفاق الفنية، ليصبح من أبرز الفنون الزخرفية.

ويتصل ظهور الخط العربي بقيام الاسلام وانتشاره، وباتساع الرقعة الاسلامية، فكتابة المصحف اكسبت الخط العربي حرفة وانتشاراً، كما تطلبت تطوير هذا الخط لضمان القراءة الصحيحة، وأدى تكوين الدولة التي استخدمت الخط للوثائق الرسمية وللكتابة على النقود وعلى الابنية، اضافة للاغراض الثقافية التي تنوعت بنشأة الثقافة العربية الاسلامية وتطورها.

وكان لمواد الكتابة اثرها في تطور الخط العربي وتنوع اشكاله، وجاء التعرف الى الورق وصناعته منذ القرن الثاني للهجرة، ليسهم في تطوير الخط واغنائه، كما كان لاتساع رقعة الاسلام الى بيئات ثقافية وبشرية متنوعة، أثر كبير في حلول الخط العربي محل خطوط محلية، وهذا اثر بدوره على تطور الخط.

واذا كانت فترة التكوين للخط العربي امتدت عبر اربعة قرون، فإن تطوير الخط في الاستعمال استمر بعد ذلك، ولا يغفل اثر ادخال الطباعة عليه.

ومع ذلك تبقى لفترة صدر الاسلام اهمية خاصة في نشأة الخط العربي، اذ ان تكوين الدولة وبداية الثقافة فتحت آفاقاً جديدة لاستعماله، واستوجبت

تطويره السريع.

فلا بد للمتتبع لتاريخ الخط العربي منذ نشأته على الأرض العربية ان يدرك أمرين هامين، اولهما: الأصول القديمة لهذا الخط، وثانيهما: تطور هذه الأصول في الفترة الاسلامية.

❖ الكتابات في عهد الرسول الكريم ﷺ:

لقد ذكرت بعض المصادر العربية ان الكتابة العربية، قد بدأت تنسجم مع متطلبات الدين الاسلامي، عندما طلب الرسول الكريم ﷺ كتابة الآيات التي تنزل عليه بواسطة الوحي جبريل عليه السلام، الى كتّاب الوحي، وكان القرآن الكريم منسوخاً آنذاك على جريد النخل والجلود، وعلى ألواح من الحجارة الرقيقة البيضاء وألواح من العظام.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، طلب ابو بكر رضي الله عنه الى زيد بن ثابت رضي الله عنه ان يجمع القرآن من هذه الرقاع والمخطوطات المتنوعة، وفي سنة ٦٥١م، عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الى لجنة برئاسة زيد ابن ثابت لكي يجمع المصاحف والمخطوطات المكتوبة لآيات القرآن الكريم، وان يقارنها بالنصوص الأصلية.

❖ الكتابات على الفسيفساء:

تعتبر الكتابات بالفسيفساء الزجاجي الدقيق، من اهم انجازات الكتابة في القرن الهجري الأول، وقد خلد الخليفة عبد الملك بن مروان بناء قبة الصخرة في القدس الشريف بشريط كتابي يحيط بقمة الجدران الداخلية، وفوق اللواحات الفسيفسائية الزجاجية المذهبة ذات الطابع العربي الاصيل.

كما ان الخطوط في بناء قبة الصخرة، تمثل اسلوباً راقياً وجذاباً من حيث اشكال الحروف، وتوزيع الكلمات داخل الشريط، حيث استمرت هذه الخطوط رغم طولها، كي تحافظ على رتابتها واتزانها الايقاعي بشكل يلفت النظر ويجلب للعين المسرة.

ان الخطوط هنا تمثل الخطوط الكوفية البسيطة، التي شاع استعمالها في المصاحف الشريفة والمسكوكات التي تعود الى النصف الأول من القرن الهجري، وهي بداية جادة في ضبط الخط الكوفي غير المنقط.

❖ الكتابات على المسكوكات الاسلامية:

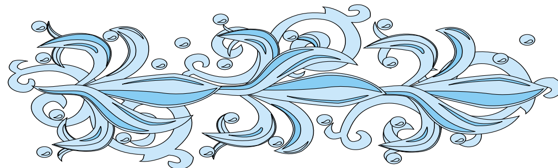
واكبت النقود الاسلامية المبكرة تطور الخط العربي منذ ايام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وقد تم ضرب النقود من معادن الذهب والفضة والنحاس، وقد تم استعمال الخط الكوفي البسيط على الدراهم الرسمية، التي ضربها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ويعتبر الدرهم المعرب الذي ضربه في مدينة دمشق، من افضل النماذج لهذه الكتابات.

❖ كتابة المصاحف الأولى:

يذكر القلقشندي ان المصاحف الشريفة التي تمت كتابتها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، كانت مكتوبة بخط الطومار الذي وصفه ابن مقلة «ان قلم الطومار قلمٌ مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير» وعلى جميع الأحوال، من المتعذر، ان نجد في يومنا هذا أياً من المصاحف العثمانية المشار اليها، اما المصحف المنسوب الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو يمثل اسلوباً كوفياً مبكراً ومناسباً من خطوط العهد الراشدي.

❖ انواع الخطوط العربية:

الثلث، النسخ، الرقعة، الديواني، الديواني الجلي، الكوفي، نستعليق، الريحاني، الطومار، الفارسي، الكوفي المغربي.



شبهات حول نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية

■ بقلم الأستاذ عبد الله محمد أبو زيد

إن من الشبهات الموجهة إلى نظام الطلاق في الاسلام ما يلي:

أولا: إن الطلاق يشتت شمل الأسرة، ويمزق المجتمع ويؤدي إلى زيادة مشكلة التشرد والانحطاط والجريمة.

ثانيا : إن الإسلام ظلم المرأة وهي عنصر ضعيف، لأنه ملَّك الطلاق للرجل وجعله من اختصاصاته.

بناء عليه يمكننا الإجابة على هذه الشبهات بما يلي:

إن الإسلام لا يرغب في فك الرابطة الزوجية عن طريق الطلاق، وذلك لما فيه من هدم للأسرة، وقد وضع الإسلام جملة من الوسائل الوقائية التي تهدف إلى إصلاح الحياة الزوجية قبل وقوع الطلاق هذا جانب.

أما إذا فشلت كل الوسائل الوقائية في إنقاذ الحياة الزوجية وتعذر استمرار هذه الرابطة، فحينئذ يسلك الزوج سبيل الطلاق سعيا لتفادي الأزمات التي تصبح معها الحياة الزوجية جحيما لا يطاق، وإذا كان الطلاق ابغض الحلال عند الله، ولا يلجأ إليه إلا عند تعذر جميع الوسائل الإصلاحية الأخرى، فإن الإسلام رتب جملة من المسؤوليات والواجبات على الزوج المطلِّق من هذه المسؤوليات:

وجوب النفقة على الزوجة مدة عدتها، ودفع المهر المؤجل، والالتزام بنفقة حضانة

الأولاد، وهي واجبات تشكل بمجموعها ضوابط احترازية تصون الطلاق عن مجاوزة حكمته، وإذا ذهبنا جدلا إلى إلغاء الطلاق بالكلية، فإننا سنصل إلى نتيجة مفادها: التقليل من الزواج وإغلاق الأبواب أمام الزواج المشروع، لأن من يعرف أن الزواج المشروع سجن إذا دخل بابه أغلق عليه ولا يستطيع أن يخرج منه أبدا مهما كانت النتائج، والادعاء بأن الطلاق يساعد في زيادة نسبة التشرد، ادعاء لا يقوم على برهان علمي سليم، وإنما الذي يزيد نسبة التشرد وضع الزوجين تحت وطأة الإكراه على الاستمرار والبقاء في ظل أسرة لا يرى فيها الزوجان إلا مظهرا من مظاهر القهر والقلق والتوتر.

ثم إن الطلاق حاجة إنسانية، عرفتها البشرية منذ القدم، إن الواقع الإنساني يثبت يوما بعد يوم أن حظر الطلاق من حيث المبدأ، إجراء تعسفي لا تسعه الحياة البشرية، ولا يحقق المصالح الاجتماعية، ولا يقيم الأمن الأسري بل هو على النقيض والصد من ذلك كله.

إن الشريعة الاسلامية، إذ جعلت الطلاق بيد الرجل في عموم الأحوال وغالب الصور، فإنما ذلك لسبب يتمثل في أن الرجل احرص على بقاء الزوجية التي انفق في سبيلها من المال الشيء الكثير، ثم إن في إعطاء الزوجة مطلق الحق في تطليق نفسها زيادة لفرص الطلاق حيث يصبح للطلاق مصدران بدلا من مصدر واحد.

ومن ذلك تبين أن الإسلام قدر بعض الحالات التي يجوز للمرأة فيها أن تطلب تطليق نفسها، من ذلك:

التفويض بالتطليق: إذا فوضها الزوج بتطليق نفسها وهو المعروف بطلاق التفويض ويقصد به: أن يملك الزوج زوجته حق تطليق نفسها منه، وللمرأة أن تطلب هذا الحق من زوجها.

الطلاق للضرر: مثل حبس الزوج مدة تتضرر منها الزوجة أو غيبته عنها غيبة تخشى فيها على نفسها.

الطلاق للشقاق: ويكون عندما يقع على الزوجة من زوجها إيذاء بالقول أو الفعل كأن يضربها ضربا مبرحا، وإذا ساءت العشرة بينهما فتستطيع المرأة أن تطلب طلاقها من زوجها مبينة مسوغات هذا الطلب.

الطلاق للعلل: وذلك عندما يكون في الزوج عيب لم تعرفه الزوجة أثناء العقد، **فللزوجة في هذه الحالات كافة أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها قضاء، حماية لمصلحتها المتعلقة بحقها في حياة زوجية تسلم فيها نفسها ونفسيتها.**

المخالعة: للمرأة إذا كرهت زوجها لسبب وجيه ونفرت من عشرته فلها أن تتفق معه على خلاصها من زوجيتها بالطلاق نظير بدل مالي تفتدي به نفسها.

بناء على ذلك كله تبطل دعوى القائلين بأن الإسلام جحد إنسانية المرأة حينما سلبها حق تطليق نفسها، فإن للمرأة كما تقدم حقا في أن تطلق نفسها أو تطلب طلاق نفسها في الحدود التي يراها الإسلام متناسبة مع مصلحتها المتداخلة بمصلحة الأسرة عموما (فلسفة نظام الأسرة، د. احمد الكبيسي ط١ ص٢١٨).

وأخيرا نختم بكلام الإمام الكسائي الحنفي رحمه الله تعالى وهو يظهر الحكمة من الطلاق وفلسفته فيقول: «شرع الطلاق في الأصل لمكان المصالحة، لأن الزوجين قد تختلف أخلاقهما، وعند اختلاف الأخلاق لا يبقى وسيلة إلى المقاصد، فتنقلب المصلحة إلى الطلاق، ليصل كل واحد منهما إلى زوج يوافقه، فيستوفي مصالح النكاح منه، إلا أن المخالفة قد تكون من جهة الزوج، وقد تكون من جهة المرأة، فالشرع شرع الطلاق وفوض طريق المخالفة والإعادة إلى الموافقة إلى الزوج لاختصاصه بكمال العقل والرأي، فينظر في حال نفسه فإن كانت المخالفة من جهته، يطلقها طلاقا واحدا رجعيا، أو ثلاثا في ثلاثة أطهار، ويجرب نفسه في هذه المدة فإن كان يمكنه الصبر عنها راجعها، وان كانت المخالفة من جهتها تقع الحاجة إلى أن تتوب وتعود إلى الموافقة، وذلك لا يحصل بالطلاق الرجعي لأنها إذا علمت أن النكاح بينهما قائم لا تتوب، فيحتاج إلى الابانه التي بها يزول الحل والملك لتذوق مرارة الفراق، فتعود إلى الموافقة (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع/ علاء الدين الكاساني ط١).

وبعد: فيبدو أن الشبهات الموجهة إلى نظام الطلاق في الإسلام صادرة من جهات بعيدة عن حقيقة الإسلام، وغائبة عن إدراك فلسفته وحكمته وكأنها بذلك تريد أن تحكم هواها لا مصالح الزوجين في ضبط شؤون الأسرة وتنظيم أمور المجتمع، وما عهد في الهوى والشهوة معيارا قويما يضبط شؤون المجتمعات ويحقق سعادة الإنسانية، وصدق الله تعالى: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾** المؤمنون: ٧١ .

وفي الختام اسأل الله العلي القدير أن يسلكنا وإياكم سبل الهداية والرشاد والسداد انه نعم المولى والنصير.

الزلازل..
عبرة وعظة

■ بقلم الاستاذة اميرة عبد الله

لا تزال نذر الله تعالى على عباده تتتابع، تلك النذر والآيات التي تأتي بصور عديدة وأشكال متنوعة فتارة عبر رياح مدمرة، وتارة عبر فيضانات مهلكة، وتارة عبر حروب طاحنة، وتارة عبر زلازل مروعة.. زلزال عظيم دمر الكثير من العمران، فكم من عمارة شاهقة سقطت على من فيها؟! وكم من منازل تهدمت على أصحابها؟! هلك فيه ألوف من البشر، وشرد فيه خلق كثير، وذلك كله في دقائق!! ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

إن هذه الزلازل ما هي إلا عقوبة من الجبار جل جلاله على ما يرتكبه العباد من الإعراض عنه سبحانه وعن العمل بدينه وارتكاب محارمه والمجاهرة بها بدون حياء من الجبار ولا وجل من القهّار ..إنها آيات لأولي الألباب ودلالة على قدرة الله الباهرة، حيث يأذن الله جل جلاله لهذه الأرض أن تتحرك بضع ثوان أو دقائق فينتج عن ذلك هذا الدمار العظيم، وهذا الهلاك الفاجع،الذي قد يروح ضحيته أكثر من ثمانمائة ألف قتيل كما حدث في شانكي بالصين في عام ١٥٥٦م.. إن هذا كله وما يحدث من الرعب المجلجل للقلوب لعل الناس يعودون إلى ربهم ويتوبون إليه ويستغفرونه ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾.

إن عقوبة الله إذا نزلت شملت الصالح والطالح، الصغير والكبير، الذكر والأنثى على حد سواء ثم يبعثون على نياتهم روى

الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى، قلت: كيف يصنع بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان).

من يتأمل وضع بعض البلاد يجد ما يندى له الجبين من البعد عن الدين وتعاليمه فأحكام الشرع مستبعدة عن تطبيقها على واقع الناس.

يقول الله جل جلاله مبينا أن هذه المصائب التي تحل بالعباد ما هي إلا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** وقال جل شأنه: **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾** وقال جل شأنه عن الأمم الماضية: **﴿فكلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وقد يأذن الله سبحانه للأرض في بعض الأحيان فتحدث فيها الزلازل العظام فيحدث من ذلك الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه والندم، كما قال بعض السلف وقد زلزلت الأرض..: (إن ربكم يستعتبكم) وذكر الإمام أحمد عن صفية قالت: (زلزلت المدينة على عهد عمر فقال: أيها الناس، ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا تجدوني فيها) و ذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنه دخل على عائشة رضي الله عنها هو ورجل آخر، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة؟ فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف، غار الله عز وجل في سمائه، فقال للأرض: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلا أهدمها عليهم، قال: يا أم المؤمنين، أعذابا لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذاباً وسخطاً على الكافرين..).

ولقد وضح رسول الله ﷺ أسباب هذه الزلازل فقال فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا اتخذ الفيء دولا، والأمانة مغنما، والزكاة

مغرما، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع) رواه الترمذي.

إذن هذه الزلازل من أشراط الساعة التي أخبر النبي ﷺ عن كثرتها في آخر الزمان فقال فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويتقارب الزمان وتكثر الزلازل، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج" قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: (القتل القتل). وها أنتم ترون بأم أعينكم كثرتها وتتابعها في هذا الزمن مصداقاً لقول نبينا ﷺ.

وتأبى نفوس أعرضت عن الله تعالى أن تأخذ من هذه الزلازل آية وعبرة، وعظة ومدكر وتنسب هذه الزلازل إلى ظواهر طبيعية ولها أسباب معروفة ولا علاقة لها بأفعال الناس ومعاصيهم ويقولون كما قال من سار على دربهم ممن سبقهم: **﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾** فيعتبرون ذلك حالة طبيعية وليست عقوبة إلهية، مما يجعلهم يتمادون في غيهم وفجورهم ويستمرون في عصيانهم وفسقهم فلا يتوبون إلى الله ولا يستغفرونه.

ونقول لهؤلاء: إن الله جل جلاله بين أن هذه الزلازل كغيرها من آيات الله يخوف الله بها عباده ليقلعوا عن ذنوبهم ويرجعوا إلى ربهم، وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدرة من الله تعالى على العباد لذنوبهم فهو مسبب الأسباب، وخالق السبب والمسبّب **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** الزمر:٦٢ فإذا أراد الله شيئا أوجد سببه ورتب عليه نتيجته، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾** الاسراء: ١٦ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: (أما بعد فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به العباد، وقد كتبت إلى سائر الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا، فمن كان عنده شيء فليتصدق به فإن الله عز وجل قال: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ❖ وَذَكَرَ**

اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وقولوا كما قال آدم عليه السلام: **﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** وقولوا كما قال نوح عليه السلام: **﴿وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾** وقولوا كما قال يونس عليه السلام: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾**.

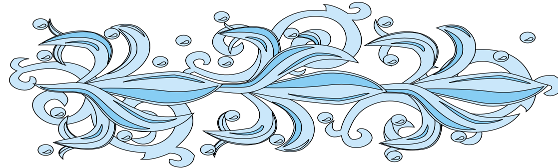
إن ما وقع بالناس مما يكرهون فإنما هو من جراء ذنوبهم كما قال تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** الروم :٤١ .

نعم إن ما يحدث في الأرض اليوم من الزلازل المدمرة، والحروب الطاحنة والفيضانات المهلكة التي يذهب فيها الأعداد الضخمة من البشر.. كل ذلك يحدث بسبب الذنوب والمعاصي كما قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** وقال سبحانه: **﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**.

إن من يتأمل في مجريات حياتنا، وفي واقعنا ومعاشنا فإنه سيصاب بالرعب الرهيب والفزع الشديد بسبب ما نراه من انتهاك حرمات الله وحدوده، وتضييع وتفريط في أوامر الله تعالى وواجباته.. انظر إلى حال الناس في الصلاة؟ كيف حالهم فيها؟ وما مدى محافظتهم على الصلاة جماعة؟ وكم الذين يواظبون على صلاة الفجر وصلاة العصر؟

وانظر إلى حال الناس مع أكل الربا والمبادرة إليه وحرصهم على المشاركة فيه؟ ألم تنتشر بنوك الربا؟

فبادر يا رعاك الله إلى إعتاق نفسك من النار، وأعلنها توبة صادقة من الآن، وتأكد أنك لن تندم على ذلك أبدا، بل إنك سوف تسعد بإذن الله، وإياك إياك من التردد أو التأخر في ذلك فإني ورب الكعبة لك ناصح وعليك مشفق.



قيـــام الليــــل

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

الحمد لله الذي جعل الصلاة راحة للمؤمنين ومفزعاً للخائفين، ونوراً للمستوحشين، والصلاة والسلام على إمام المصلين والمتهجدين، وسيد الراكعين والساجدين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين وبعد.

فإن قيام الليل هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون الى خالقهم وبارئهم، فيشكون اليه أحوالهم، ويسألونه من فضله تعالى، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع الى عظيم العطايا والهبات.

❖ قيام الليل في القرآن الكريم:

ورد في كتاب الله تعالى العزيز الكثير من الآيات تتحدث عن القيام وأهميته والأجر المترتب عند القيام بهذه العبادة الروحية العظيمة، ومن هذه الآيات:

١- قول الله تبارك وتعالى: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾** السجدة: ١٦-١٧، قال مجاهد والحسين: «يعني قيام الليل، وقال ابن كثير في تفسيره: يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة»، وقال عبد الحق الاشبيلي: «اي تنبو جنوبهم عن المضاجع، فلا تستقر عليها، ولا تثبت فيها الخوف الوعيد ورجاء الموعود».

٢- قوله تعالى: **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾**

الذاريات: ١٧-١٨ .

٣- قوله تعالى: **﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة..﴾** الزمر: ٩، فمن قام الليل لا يستوي هو وغيره ممن ينام ليله الطويل لا يؤدي الا الفرائض بل يزيد أجره وثوابه عند الله عز وجل.

٤- قوله تعالى: **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** الاسراء: ٧٩ .

٥- قوله تعالى: **﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾** ق: ٤٠ .

هذه الآيات الكريمة، وغيرها ورد فيها الحديث عن قيام الليل، وهذه العبادة العظيمة التي غابت عن كثير من الناس، وشغلهم عنها السهر واللهو في هذه الدنيا ومغرياتها الكثيرة، والتي يجب ان نتوخى الحذر منها ولا ننسى مثل هذه العبادة التي تعود علينا بعظيم الأجر والثواب.

❖ قيام الليل في السنة النبوية الشريفة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أنما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فهذا نبينا العظيم ﷺ وهو من غفر الله تعالى ما تقدم له من ذنبه وما تأخر، لا يترك هذه العبادة ويؤديها ويعلمنا بعلمه ﷺ، وقد ذكر ﷺ في أحاديثه الشريفة قيام الليل وفضله وأهميته وثوابه وأجره ويحث أصحابه على هذه الفضيلة، ومن الأحاديث التي وردت في ذلك:

١- عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه/ من يستغفرني فأغفر له؟ (فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)» متفق عليه.

٢- عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه، وذلك كل ليلة» رواه مسلم.

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد الا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه

الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» رواه مسلم.

❖ قيام الليل في حياة السلف:

قال الحسن البصري: لم أجد شيئاً مثل العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل، وكان شداد بن أوس اذا أوى الى فراشه كأنه حبة في مقلى، ثم يقول: «اللهم ان جهنم لا تدعني أنام فيقوم الى مصلاه».

وكان طاووس يثب من على فراشه، ثم يتطهر ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم العابدين!!.

وكان زمعة العابد يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السّحر نادى بأعلى صوته: يا أيها الركب المعرسون، أكلّ هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون فترحلون!! فيسمع من ههنا باك، ومن ههنا داع، ومن ههنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى: عند الصباح يحمد القوم السرى!!.

❖ طبقات السلف في قيام الليل:

قال ابن الجوزي: واعلم ان السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:

الطبقة الأولى: كانوا يحيون الليل كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح في وضوء العشاء.

الطبقة الثانية: كانوا يقومون شطر الليل.

الطبقة الثالثة: كانوا يقومون ثلث الليل، قال النبي ﷺ: «أحب الصلاة الى الله عز وجل صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام الى الله صيام داود، فكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى» متفق عليه.

الطبقة الرابعة: كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه.

الطبقة الخامسة: كانوا لا يراعون التقدير، وانما كان أحدهم يقوم الى ان يغلبه النوم فينام واذا انتبه قام.

الطبقة السادسة: قوم كانوا يصلون من الليل اربع ركعات أو ركعتين.

الطبقة السابعة: قوم يحيون ما بين العشاءين ويغسلون في السحر فيجمعون بين الطرفين وفي صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال: «ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً الا آتاه وذلك كل ليلة»... فترى ايها المسلم اين انت من هذه الطبقات؟

والحمد لله رب العالمين

مجـد بـلادي

شعر الاستاذ حسين مصطفى أبو عجمية

مـــا أُحـــيــــلاها بلادي! مـــــشـــــرق الـنـور المبين
خـــصــــهــــا الله بمجـــد عـــابق بالـيـــاســـمـين
ســــــرة الـدنيـــــا بـلادي مـــهـــبـط الوحـي الأمـين

ما أُحيلاها بلادي

رزقــــــهـــــا منّ وسـلوى لـــــذة لـــــلآكــــلـــــين
مـــاؤها عـــــذب نميــــر ســــــائغ للـشــــاربـين
روضـــهـــا، غض نضـــيـــد بـهـــــجــــــة للنـاظرين
روحـــــهــــــا، روح الجنـان جلـوة القـلـب الحـــــزيـن

ما أُحيلاها بلادي

انهـــــــا ثـغـــــــر رباط دون زحــف الـــظـــالمـين
أهلـهــــا، قـــــوم كـــرام نجـــدة المســـتنجـــدين
يـــا رعـــى الـلـــه بـــلادي! ظئـــر قـــومي الأكـــرمين

ما أُحيلاها بلادي

حــــبـــذا مـــجــد بلادي! مــسك مــجــد العــالمين
لـيـــتني فـــيــهـــا قــرين[1]! لـيـــتني فـــيـــهـــا طعين![2]
لـيـــتني فـــيـهـــا شــهــيـد! يوم تطـهـــيـــر العـــرين!

ما أُحيلاها بلادي

(١) قرين: أسير.
(٢) طعين: جريح.

خطبة الجمعة

من أسباب الرزق

بقلم الشيخ ناصر الأحمد

إن من الهموم التي تسيطر على كثير من الناس، مسألة الرزق والبحث عن لقمة العيش، فترى بعض الناس قد تغرب عن أهله ووطنه، وآخرين قد ظهر على وجوههم التعب والاجهاد من آثار السعي في جمع المال، وعلى صعيد آخر يعيش مجموعات من الموظفين والعمال تحت رحمة أرباب الأعمال.

فنذكر إخواننا المسلمين على اختلاف طبقاتهم من غني وفقير ورئيس ومرؤوس، نذكرهم جميعاً بأنهم لن يصلهم من الدنيا إلا ما قدّر الله لهم، فقد كتب الله جل جلاله رزقك يا ابن آدم وأنت في بطن أمك.

أيها المسلمون: يوجد هناك من يعتقد أن التمسك بالإسلام والالتزام بأوامر الله، لا تجتمع مع الغنى، وهذا سوء ظن بالله عز وجل.

إنك أخي المسلم تدعو ربك في كل صلاة فتقول: **﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾** فهل تدرك معنى هذه الدعوة؟ لقد كان هذا أكثر ما يدعو به المصطفى ﷺ إنه سؤال الرب عز وجل أن يؤتيك من الدنيا ما تتعفف به عن الآخرين، وتكتمل لك السعادتان سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

إذن شرع الله لا يهمل مسألة الرزق وكسب العيش، بل إن التمسك بشرع الله حقاً من أعظم أسباب الرزق، وذلك أن تعمل بما جاء به النبي ﷺ.

أيها الأحبة: سأذكر لكم في هذه الخطبة بعض ما جاء في شرع الله من أسباب كسب الرزق وزيادته ونمائه، لكن قبل ذلك ينبغي أن نعلم

جيداً بأن ما يُذكر لا ينتفع به صاحبه وإن فعله وطبقه إذا ضعف يقينه بالله، هذا إن فعل فكيف بالذي لا يفعل ما يذكر به، فاحذر أخي المسلم وأنت تسمع نصوص الكتاب والسنة أن يضعف يقينك في كلام الله وفي كلام رسوله ﷺ، فرقٌ بين من يعمل العمل وهو يستيقن أن الله عز وجل وعده صدق وكلامه حق، وبين من يقرؤه وهو متردد في ذلك.

إن من أعظم أسباب الرزق أيها المسلمون المؤمنون: التوبة إلى الله، والرجوع إليه واستغفاره، قال الله تعالى: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾.**

نعم يوجد فئات كثيرة من المستغفرين، ربما يستغفرون كثيراً لكنهم لا يزدادون إلا فقراً، فتسأل وتعجب من ذلك؟ الجواب: إنه استغفار اللسان فقط، هذا الاستغفار الذي ربما أنت تستغفره كل يوم وبعد كل صلاة قد يكون نوعاً من العبث، بل إن استغفارك أخي المسلم دون وعي ودون عمل، ربما يكون ذنباً يجب عليك أن تقلع منه، ولذلك قال أحدهم: استغفر الله، من استغفر الله من كلمة قلتها لا أدري معناها، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآيات السابقة: أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وسقاكم ربكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدرّ لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها.

قل لي بربك أيها المؤمن: هل في يوم من الأيام لما ضاقت بك السبل وضاق عليك أمر المعاش، لجأت إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة؟

شكى رجل إلى الحسن البصري شدة الجدب ونقص الماء فقال له: استغفر الله.. وشكى آخر الفقر فقال له: استغفر الله.. وقال ثالث: يا أبا سعيد أدع الله أن يرزقني الولد فإني عقيم، فقال له: استغفر الله.. وشكى رابع جفاف بستانه فقال له: استغفر الله.. فقال أحد الجالسين: أتاك رجال يشكون أنواعاً فأمرتهم جميعاً بالاستغفار، فقال الحسن رحمه الله: إن الله تعالى يقول: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾.**

أيها المسلمون: وممن تفطن لثمرة الاستغفار وأنه من أسباب الرزق نبي الله

هود عليه السلام حيث قال: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾.

فيا أيها الأحبة إن كلام الله حق وصدق، فإذا ما استغفرت يا عبد الله ولم تجد نتيجة، فاعلم أن الخلل فيك أنت لا في غيرك، وأن استغفارك لم يتجاوز اللسان، فابحث في حالك وفتش في نفسك، لعلك واقع في ذنب عظيم حرمك الله بسببه أثر الاستغفار.

ومن أسباب الرزق، بل ومن أعظم أسباب الرزق الشرعية: تقوى الله عز وجل في السر والعلن والخوف منه وامتثال أمره واجتناب نهيه والبعد عن المعاصي قال الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال ابن كثير رحمه الله: أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي من جهة لا يخطر بباله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أكبر آية في القرآن فرجاً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أين نحن أيها المسلمون المؤمنون بنصوص الكتاب والسنة من هذه الآيات، أين الذين يخافون على أرزاقهم إذا تركوا العمل المحرم، أين الذين يظنون أنه لن يتقدم اقتصاد المسلمين إلا إذا ربط باقتصاد الغرب من يهود ونصارى، ألا يقرؤون هذه الآية: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ إنه ليس رزقاً بسيطاً تحصل به الكفاية، كلا، لكنه فتح من الأرض وفتح من السماء، ولو فتح الله باب السماء للعبد والمجتمع والأمة فمن الذي سيمنعه أو يوقفه أو حتى ينقصه ويقلله، فلماذا يربطون اقتصادهم بالكفار؟ ولماذا يخافون من أزمات اقتصادية كما يقال وبين أيدينا إن كنا مسلمين حقاً هذه الآيات الواضحات البينات. قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ وقال جل جلاله: ﴿وألّوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ وقال سبحانه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

كثير من المسلمين من أصحاب الشركات والمؤسسات بل وبعض الموظفين يعلمون أنهم يقعون في مخالفات شرعية، بغض النظر عما يظهرون من القول، هم

يعلمون قبل غيرهم جيداً أنهم يقعون في محرمات كالربا والقمار والعقود المحرمة والتعاون على الإثم، وبعضهم يعلم يقيناً أنه قد تورط، لكن حب المال والخوف من الفقر يجعلهم يتمسكون بالحرام، وأحسن منهم حالاً من يقول لك: أعطني إذا سمحت البديل حتى أترك ما أنا فيه من المحرمات!!.

فيا سبحان الله كيف تريد البديل من الله وأنت لم تترك المحرم ابتداءً من أجله، ثم أنت وحدك المسؤول عن المحرم الذي فعلته، والبديل هو الترك أولاً.

وثانياً: ينبغي أن تعلم أنت وغيرك بأن الفتح من الله لن يحصل إلا إذا صدق اعتماد العبد عليه وكمل يقينه بموعود الله.

ولبعض الصالحين تجارب كثيرة مع هذه الآيات، وكيف أن تقوى الله عز وجل والخوف منه مع الصبر يفتح أسباباً من الرزق لم تدر في خاطره يوماً من الدهر.

نعم عباد الله..

إن القضية تحتاج منا إلى جرأة وعزيمة إيمانية يعاهد العبد ربه على التقوى وترك المحرم، وبعد ذلك ينتظر الفرج من رب كريم رحيم لا تنقص خزائنه ولا ينقطع خيره.

- **وأيضاً من الأسباب المؤدية إلى كثرة المال والرزق في الدنيا: صلة الرحم،** نعم صلة الرحم، والمقصود بالرحم هم الأقارب، وهم كل من بينك وبينهم نسب من جهة الولادة سواءً كان ذلك من طريق الأب أو الأم.

وصلة الرحم معناها تقديم الإحسان بكل أنواعه حسية ومعنوية، وسواءً كانوا صغاراً أو كباراً نساءً أو رجالاً يسكنون في بلدك أو بعيدون عنك، روى الامام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» ولهذا بوب البخاري رحمه الله فقال: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

لعلك أخي المسلم تستغرب إذا وجدت بعض المسلمين قد فتح الله لهم أبواباً تلو أبواب من الرزق، وهم قليلو النشاط وضعيفو الخبرة، قياساً بغيرهم من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، ولكنك إذا فتشت عن حاله وجدته ممن يصل رحمه، بل لا تستغرب أخي الحبيب إذا أخبرتك بأن بعض العصاة والفساق بل وبعض الفجرة، قد تنمو أموالهم بسبب صلة الرحم، استمع لما رواه ابن حبان في صحيحه بسند جيد عن أبي بكرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في

الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة له من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

إن هذا الحديث يفسر لنا ظاهرة ربما كانت موضع استغراب عند كثيرين، نعم أيها الأحبة: «إن اهل البيت ليكونوا فجرة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

- **ومن أسباب فتح أبواب الرزق:** الإنفاق في سبيل الله، فمتى ما أنفقت من مالك يا عبد الله كان ذلك سبباً لكثرته، وهذه قاعدة صحيحة في باب الرزق، كلما أخرجت زاد المال لا كما يظن الماديون أنه ينقص إذا أخرج زكاته أو تصدق، قال الله تعالى: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي مهما أنفقتم من شيء مما أمركم الله به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، ولذا لما أمر الله عز وجل بالإنفاق في سبيل الله قال بعد ذلك: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**﴾ قال ابن القيم رحمه الله: إن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه وليس نصيحة له، وأما الله عز وجل فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه، وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك»، «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: أللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا» رواه البخاري وقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنفق يا بلال ولا تخش من ذا العرش إقلالا» رواه البيهقي.

بعض المسلمين لا يتصور نفسه من المنفقين، ولا يمكن أن يتخيل أن يكون في يوم من الأيام من الذين ينفقون في سبيل الله، إلا إذا كان من أصحاب الملايين وهذا خطأ، لأن كلاً يمكنه أن ينفق بحسبه ووضعه وإمكانياته، فقد يكون الدرهم الواحد الذي تنفقه في سبيل الله بصدق وإخلاص، أعظم من المليون الذي ينفقه غيرك لأنه أراد الشهرة مثلاً، والله أعلم بالنيات قال الله تعالى: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ❖ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما**

صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ واعلم بأن هذا الأمر وهو العناية بالضعفاء والمحتاجين من أعظم أسباب الرزق لأن المصطفى ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

- ومن الأسباب الشرعية لكسب الرزق في الدنيا: التعبد الحق لله عز وجل وذلك أن تعبد الله بقلب فارغ عما سواه، لا تعبد ربك وأنت تفكر في غيره، روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم: تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك» حديث صحيح. والتفرغ المطلوب أيها الأحبة لا يعني ترك كسب الرزق فيصير العبد عالةً على غيره، بل ذلك بأن يفرغ العبد قلبه أثناء العبادة عما سواه، فمثلاً الصلاة، لا تكن من الذين يصلون بأجسادهم وقلوبهم تحلق يميناً وشمالاً. نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا.

وأيضاً من الأسباب في زيادة الرزق في الدنيا: المتابعة بين الحج والعمرة، وذلك بزيارة البيت الحرام كلما سنحت الفرصة سواء كان ذلك لحج أو عمرة، وهذا أمر قد لا يتفطن له كثيرون: أنهم إذا ذهبوا إلى الحج والعمرة كان ذلك سبباً بإذن الله لزيادة الرزق والمال، والله على كل شيء قدير وفضله واسع، روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ وسلم أنه قال: «تابعوا بين الحج والعمرة» وفي رواية: «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة».

أيها المسلمون: لا شك أن الرزق في الدنيا والسعي فيها أمر يحرص عليه كل مسلم بلا استثناء، ولا شك أيضاً بأن العاقل من سلك هذه الأسباب الشرعية التي مر ذكرها، وخير من ذلك كله أن ترتفع همة الصبر عند العبد، فينظر ببصيرته إلى نعيم الآخرة، إلى تلك الدار التي لا يلحقها فناء ولا يكدر صفوها موت أو مرض، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه واتباع سنة نبيه محمد ﷺ، أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تمت بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العدد الرابع - المجلد ٥٤
جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - أيار ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الرابع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

هذه هي

ان الأمة الاسلامية بأفرادها ومجموعاتها ومكوناتها، لا تكون أمة فاعلة قوية، عصية على الأعداء، تسري فيها روح وتدب حياة، الا اذا كان كل عضو في هذه الأمة، يعمل بجد وإخلاص لمنفعة بقية الأعضاء.

وكذلك الحال اذا اتحدت عناصر هذه الأمة ودعاتها وقادتها في الدين والتصورات والمشاعر والغايات، وأحست بروح المحبة والتعاضد، وعلم كل فرد فيها، ان بقاءه وسعادته مرهونة ببقاء المجموع وسعادته، وان هلاك المجموع وشقاءه، هلاك وشقاء له.

لهذا كان من أهم مرتكزات ومبادئ الدعوة الاسلامية، منذ بزوغ فجرها وسطوع شمسها، أن تسعى لجمع المسلمين على الحق والخير، وتوحيد مشاريهم وغاياتهم بوحدة الاسلام العظيم، فألف الله عز وجل بينهم، وأزال من بينهم العداوة والبغضاء، حتى غدت الأمة الاسلامية بحق، جسماً نابضاً بالحياة، وجميع اعضائه وجوارحه، عناصر فاعلة، تشيد أركانه وتعزز بنيانه.

وكان الاسلام هو الروح في ذلك الجسم، ومبعث الحياة فيه، وبه غده وبقاؤه، وقد ذكر الله تعالى المسلمين بهذه المنة العظيمة، والفضل العميم، التي يكمن فيها سر قوة الاسلام، فقال سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران: ١٠٣.

وفي الحديث الصحيح يقول رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في

الدعوة الاسلامية

تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» فجعلهم بذلك أمة واحدة، لا يريدها أحد بسوء، الا خذل، وكانوا كالجبل الأشم، لا تنال منه الحوادث، ولا تزعزه العواصف.

وفي الوقت نفسه، علم الاسلام ان الأمم قد تصاب بأمراض اجتماعية، تجعلها في اجتماعها كأنقاض ملقاة، ان اجتمعت لا تزال انقاضاً، وان تفرقت كذلك هي انقاض، ليس بينها وحدة ولا تماسك ولا قوة، بل لا يفيدها الاجتماع اي خير، ولا تزيد باجتماعها على انفرادها، وانها تكون كذلك اذا ضعفت رابطتها، وانحلت عرى التعاون بين أفرادها، وتبددت أواصر الأخوة في اركانها، وبليت بالتعاون على الإثم والعدوان، والحسد والبغضاء، والتهافت على الدنيا، فحذر الاسلام من هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة، الماحقة للاجتماع، والمقوضة للأمة، قال رسول الله ﷺ: «يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله وما هو الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

هذه هي الدعوة الاسلامية، وان دعوة تجمع الحق والخير والقوة، لهي دعوة محقق لها الفوز والبقاء بإذن الله الواحد القهار.

أسرة التحرير

٢

إدارة الاختلاف في الرؤية القرآنية

■ بقلم الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

يعتبر تعدد الصواب في هذا النوع من قضايا الخلاف: منهجية دعوية نبوية، وفي هذا النوع من الخلاف يقعِّد لنا النبي ﷺ القاعدة الذهبية باللفظ الصريح في بيان صواب الفعلين حيث يقول: «كلاكما محسن» ثم يبين بعدها ان التعصب او البغي في مثل هذا النوع هو الذي يجعل الخلاف هلكة.. اسمعه ﷺ يقول: «كلاكما محسن.. لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(١٢).

فهذا النوع من الاختلاف ليس مذموماً لكن ان اقترن به البغي والظلم مع الجهل صار مذموماً(١٣)، وحديث الصلاة في بني قريظة مشهور(١٤)، وقصته تطبيق نبوي حي، ومثال عملي من واقع الصحابة رضي الله عنهم تدل على استيعابهم قاعدة تعدد الصواب، ويعلق ابن كثير عليه قائلاً: «ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها، وقال: وقد اختلف العلماء في المصيب يومئذ من هو، بل الإجماع على ان كلاً من الفريقين مأجور ومعذور، غير معنف(١٦).

النوع الثاني: مسائل الاجتهاد:

وهذا النوع يشمل مساحة واسعة من الأحكام التي تدور حولها انظار الفقهاء، ويدخل فيها بعض التفصيلات التي تتكلم عنها كتب علم الكلام، وتختلف العقول في بيان الراجح منها، وبناء عليه أُلفت الموسوعات الفقهية المذهبية التي تحاول جمع الأقوال التي ذكرت في المسألة الواحدة كالمبسوط وفتح القدير في الفقه



الحنفي، والمجموع في الفقه الشافعي، والمغني في الفقه الحنبلي، وبداية المجتهد في الفقه المالكي، والانتماء المذهبي هنا بيان لمذهب المؤلف، ولأساس المؤلف، ولا يعني بالضرورة ترجيح قول المذهب فقد يخرج المؤلف عنه، اذ تذكر هذه الكتب أقوال المذاهب المختلفة وأدلتها، ولما ألف الإمام المهدي الزيدي كتابه الكبير «البحر الزخار في مذاهب علماء الأمصار» وذكر فيه أقوال اكثر من ستة مذاهب معروفة بالاضافة الى أقوال أهل العلم ممن انقرضت مذاهبهم.. مدحه ابن الوزير لأنه سمى الجميع علماء، وأنصف في ذكر اقوالهم، وبيان أدلتهم فقال:

غرق الضلال ببحرك الزخار

فافخر على الأقران اي فخار

أوتيت من بين الأئمة آية

تبقى مع الأقران والأعصار[١٦]

وأمثلة هذا النوع لا تحصى لأن تفصيلات المحكمات كلها تخضع لاجتهاد من يملك أدوات الاجتهاد وهو الكثرة الكاثرة المبثوثة في أكثر تراث المسلمين، ووجود هذا النوع من المسائل يدل على مدى قصد الشارع في الحث على الاجتهاد ممن يملك أدواته، وان وقع الاختلاف في النتائج بين هؤلاء المجتهدين[١٧]، ولنذكر ها هنا مثالاً لطرافته، حيث اختلف فقهاء الكوفة فقط فيه على ثلاث فرق، وكل من رسول الله ملتمس.. فقد حكي عن عبد الوارث بن سعيد قال: حججت فدخلت بمكة على ابي حنيفة وسألته عن البيع بالشرط، فقال: باطل، فخرجت من عنده ودخلت على ابن ابي ليلى وسألته عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط باطل، فدخلت على ابن شبرمة وسألته عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط جائز، فقلت: هؤلاء من فقهاء الكوفة وقد اختلفوا علي في هذه المسألة كل الاختلاف، فعجزني ان اسأل كل واحد منهم عن حجته فدخلت على أبي حنيفة فأعدت السؤال عليه فأعاد جوابه فقلت: ان صاحبيك يخالفانك، فقال: لا أدري ما قالا.

حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي ﷺ نهى عن بيع وشرط[١٨]، فدخلت على ابن ابي ليلى فقلت له مثل ذلك، فقال: لا أدري ما قالا، حدثني هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة انها لما ارادت ان تشتري بريرة رضي الله عنها أبى مواليها الا بشرط ان يكون الولاء لهم

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: اشتري واشترطي لهم الولاء فإن الولاء لمن اعتق، ثم خطب رسول الله ﷺ فقال: «ما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق والولاء لمن اعتق»[١٩]، فدخلت على ابن شبرمة وقلت له مثل ذلك فقال: لا أدري ما قالا.

حدثني محارب بن دثار عن ابي الزبير ابن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهم «ان النبي ﷺ اشترى منه ناقة في بعض الغزوات وشرط له ظهرها الى المدينة»[٢٠].

❖ الفصل الثالث: الأطر العامة التي تخضع لها مسائل الاختلاف:

بما ان المسائل الخلافية والآراء المتعددة اجتهادية في غالبها ظنية في مصادرها، فينبغي أن تخضع الى المحكمات الأساسية التي تعتبر اصولاً ضامنة للاختلاف الايجابي المثمر لا للمخالفة المذمومة، وهذه الأطر والأصول تحفظ وحدة الأمة، وسلامة أمنها الاجتماعي، كما تضمن في الوقت ذاته بقاء حركة الاختلاف المثمر التي تؤدي الى التجدد والعطاء المعرفي فيها، وتنمي الحرية في التفكير، والتكامل في العمل، وبجوارها تؤمن بقاء سلامة الصدور وديمومة الحب، ونبذ التعصب والاستبداد الفكري ويمكن تلخيص هذه المحكمات التي تضمن تحقيق ذلك في الأصول التالية -وان اختلفت تعبيرات مفكري المدارس الاسلامية المختلفة عنها-:

الأصل الأول: الاستسلام لله رب العالمين، والجمع بين عبودية المرء له وحريته عن عبادة غيره.

الأصل الثاني: الأخوة الاسلامية العامة لكل المسلمين.

الأصل الثالث: استيعاب ان الاختلاف فطرة إلهية وضرورة بشرية.

الأصل الرابع: الاجتهاد في طلب الهدى الشرعي «النصيحة مع التزام الآداب القطعية».

القبول بظاهرة التعددية في الرأي، وتربية الناس على عدم تقديس آراء الرجال هي منهجية راشدة:

فقد وصلت الى حد راق في العهد

الراشدي، الى درجة تجعل الخليفة يتنازل عن رأيه مع شعوره برجحانه، فعن عمر رضي الله عنه انه مر به رجلان فقال: من اين أقبلتما؟ فقالا: من عند فلان في قضية وذكراها، فقال: وماذا حكم بينكما؟ فذكرا له الحكم، فقال: لو كنت أنا الذي حكمت لحكمت بغير ذلك، فقالا: وماذا يمنعك وأنت الخليفة؟ فقال لهما: لو كنت اردكما الى كتاب او سنة فعلت، ولكنه الرأي وليس رأي بأولى من رأي[٢١].

حقوق من اختُلف معه في الرأي:

ينبغي مصاحبة الحقوق الواجبة لمن يختلف معهم فكرياً بل لمن اختلف معهم في أصول الديانات كما بين المسلمين وأهل الكتاب مثلاً فضلاً عن أن تكون هذه الحقوق لمن هم ضمن اطار الدين الواحد:

وأول هذه الحقوق: حق الرحمة: الواردة ضمن قوله تعالى: **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: ١٠٧، فالرحمة اصل في وسيلة المحاورة كما هي اصل في الهدف من المحاورة، والتطبيق العملي لها ان يظهر الرفق واللين في التعامل مع المخالف، بالاضافة الى الحرص على حب الخير له، وعدم الغلظة او الجفاء او التشنج او الانفعال في التعامل معه.

الحق الثاني: حق الجدال بالحسنى: وهذا حق ثابت لكل مختلفين في رأي ولو كانا مختلفي الديانة كما قال تعالى: **﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن﴾** العنكبوت: ٤٦ .

الحق الثالث: حق الانسان في التفكير الحر: وذلك عندما يتجه تفكيره الى البحث عن الحقيقة، وطلب الأهدى سبيلاً، الأقوم طريقاً فيما يؤدي الى سعادة الدارين، والتقدم في اعمار الحياتين، وهذا الحق، من آكد الحقوق التي كفلتها للإنسان بوصفه انساناً كافة الشرائع السماوية، وظاهرتها على ذلك كافة الأنظمة الوضعية، ولقد كان للإسلام القدح المعلى في ذلك عندما ارتقى هذا الأمر من دائرة الحق الى دائرة الواجب، وجعل من التفكير الحر فريضة دينية وضرورة عقلية، وتوجه بآياته الى أولي الأبصار وأولي الألباب وأولي النهى، والى الذين يتفكرون ويتدبرون ويعقلون ويوقنون[٢٢].

وصاحب مخاطبة الانسانية بالفكر الحر الرفق في الأسلوب، واللين في

الخطاب، والموضوعية في بحث القضايا حتى لو كان المخاطب مشركاً وثنياً، يظهر هذا في العديد من النصوص القرآنية كقوله عز شأنه: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**﴾ سبأ: ٤٦، وكهذه الآية العجيبة: ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ سبأ: ٢٤.

وفي الآية الأولى تنبيه على ضرورة التفكير الحر المنصف بعيداً عن ضغط الجهات الداخلية والخارجية كضغط الجماعات أو ضغط الجماهير، فكثيراً ما يكون ضغط العامة على الخاصة، أو ضغط الجماهير على أهل العلم، والفكر أشد خطراً من ضغط الحكومات.

الحق الرابع: حق الموضوعية في النقد، مما يورث حقاً آخر للمخالف هو حق العدل: كما قال الله تعالى: ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا**﴾ الأنعام: ١٢٥، وقال تعالى: ﴿**وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا**﴾ النساء: ٥٨، وكما قال تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا**﴾ المائدة: ٨.

الحق الخامس: عدم استهداف الشخص: فيكون انصباب النقد على القول لا على القائل اجمالاً، وكم يورث استهداف الأشخاص من الجفاء والنزاع والعواقب الوخيمة.

الحق السادس: حق البر والتعامل بالقسط مع الآخر سواء وافق في الدين ام لا: فإن الله تعالى أسس للمسلمين قاعدة في التعاون الدولي، وفي العلاقات العالمية تسبق مواثيق الانسانية المعاصرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ❁ انما ينهاكم الله عن الذين يقاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم**﴾ المتحنة ٨-٩.

وقد كان التطبيق العملي من النبي ﷺ لذلك واضحاً فقد روى أنس رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: اذهبوا بنا اليه نعوده فأتوه..» ثم ذكر الحديث في دعوة النبي ﷺ للإسلام على فراش الموت وأمر أبيه له بطاعة أبي القاسم ﷺ ومحل الشاهد خدمة الشاب للنبي ﷺ، وعيادة

النبي ﷺ له..»[٢٣].

الحق السابع: الدعاء له بإخلاص:

فالنبي ﷺ دعا لقوم مشركين -والخلاف معهم من اقسى انواع الخلاف- مع شدة ما ظهر من إيذائهم وعنادهم واستكبارهم، فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»[٢٤] «اللهم اهد ام ابي هريرة»[٢٥] وقال ايضاً: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[٢٦].

ولا ننسى ان الدعاء بالهداية هنا لظهور خطأ المخالف من قبل المعصوم ﷺ، اما غيره فقد يكون الخطأ من الداعي لا من المدعو له ان كانا مسلمين، اذ لا يوجد من يملك مبدأ احتكار الحقيقة الواحدة، والمقصود ان الدعاء علامة حرص وحب لا بغض وشدة.

وقد اكتفى الباحث بالتمثيل لحقوق المختلفين، اذ هناك حقوق اخرى كحق النصيحة وحق الدعوة، وحق التبليغ، وبقاء الحقوق الثابتة للتوافق في اصل الدين او الموطن او الجوار، وحق الموضوعية في النقاش والتثبت من نسبة الأقوال، وحق عدم التسرع في الاتهام، وحق الاطلاع على كامل كلامه دون حجب للآخرين، ونلحظ ان هذه الحقوق ثابتة للانسان بغض النظر عن اختلاف الديانة، فكيف لا تثبت مثل هذه الحقوق لمن هم متفقون في الاسلام متآخون فيه برباط وثيق عقده الله جل شأنه لا غيره؟

إدارة الاختلاف:

بالاستيعاب النفسي والفكري لثقافة الاختلاف، يهون علينا تقبل اختلافاتنا وادارتها بشكل مثمر، ويعود الاختلاف اداة بناء ورحمة، لا اداة هدم وعذاب، ونضمن بذلك الانتاجية الثقافية المثمرة والمتجددة في اطار المحكمات بدلاً من الانشغال الدائم بالآخر، وهنا ينبغي التفرقة بين الاختلاف المثمر البناء، والخلاف السلبي، اي ارادة الخلاف لمجرد الخلاف، فإن بعض الناس عنده شغف بالمخالفة في كل شيء في المحكمات والبينات الواضحات، فإنه يؤدي الى التنازع والتفرق، وتسويد صفحة المجتمع في الدنيا والآخرة، والخلاف بهذا المعنى شر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، اما الاختلاف المثمر فتعارف وتكامل، وهو سمة الخلق الكوني **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾** الذاريات: ٤٩ .

وعند الجمع بين هذين الاطارين، او الاصلين: اصل الاختلاف المثمر، واصل

الأخوة نصل الى قاعدة الامام الشافعي: ألا يستقيم ان نكون إخواناً وان لم نتفق في مسألة[٢٧].

وفي أثناء النقاش في مسألة مختلف فيها قد يشتد الجدال ويحتدم ولا يفسد ود الأخوة كما قال ابن الوزير المتوفى ٨٤٠هـ وليس بضائر ان شاء الله ان يعرض في ذلك من الجدال، مهما وزن بميزان الاعتدال، لأنه حينئذ يدخل في السنن، ويتناوله امر: ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ النحل: ١٢٥، وقد اجاد من قال وأحسن:

وجدال اهل العلم ليس بضائر

ما بين غالبهم الى المغلوب[٢٨]

ولتضييق نطاق الخلاف المردود، وتنمية التعددية في الرأي في الخلاف المقبول يمكننا تقسيم الخلاف الى الأنواع التالية:

الأول: خلاف الفضول:

ويمكن تسميته خلاف الترف العلمي، وهو الخلاف الذي يكون في المسائل التي لا يترتب على الاختلاف فيها عمل نحو: جنة آدم عليه السلام هي جنة الخلد ام غيرها، وعدد اصحاب الكهف، فهذا لا يترتب عليه عمل، والخوض فيه ان لم يؤد الى محظور لا مانع منه، وفي نظري فإن الخلاف في بعض جزئيات العقائد التفصيلية التي لا يترتب عليها عمل، ولسنا بمسؤولين عنها، ولن نستطيع ان نحيط بها علماً يدخل في هذا النوع، وكم أثار هذا النوع من فتن وحرك من ضغائن مع ان المسلم حسبه ان يؤمن ان الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ويعتقد تنزيه الله عن الشبه والنظير وانه كما ذكر عن نفسه في كتابه سبحانه.

الثاني: خلاف التنوع:

الثالث: خلاف الاجتهاد:

وهو الخلاف في المسائل الاجتهادية عندما يكون الاجتهاد صادراً من أهله، وهو مصدر حيوية الدين، ومرونته واستيعابه، اذ يكون في غير المحكمات.

وهذا النوع تمتلئ به الكتب ليس بين المذاهب المعتبرة، بل بين مجتهدي المذاهب المعتبرة انفسهم، وعلى سبيل المثال: كتب ابن عبد البر، رسالة فيما خالف فيه اصحاب مالك مالكاً، وهي مخطوطة تقع في حوالي خمسين ورقة، وذكر فيها العديد من أبواب الفقه، وفي كل باب يذكر

العـــديد من المســائل، بلغت في هذه المخطوطة ١٢٥ مسألة، ولم تتعد كتاب الصلاة، وآخرها فيمن صلى بقوم جنباً، فلم يكن هذا الاختلاف موجباً فرقة ولا نزاعاً، ولم يجلب خصومة ولا شحناء، لأنها كلها عبارة عن وجهات نظر في مسائل اجتهادية.

الرابع: خلاف المخالفة:

وهو المنهي عنه في النصوص القرآنية والنبوية، وهو المؤدي الى التنازع والتفرق والتشرذم، وداعيه الهوى او المصلحة الذاتية، او الشك في الدين، ومعرفة هذا النوع تضيق نطاق النزاع والفرقة ومن أمثلته:

المخالفة في المحكمات القطعية وهي ما علم من الدين بالضرورة وانعقد عليه الاجماع، وفيه يقول الله جل شأنه: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** الشورى: ١٣ .

ومن أمثلته: الخلاف الذي منبعه التحاسد والتقاطع والتدابر المخالف لقطعيات النصوص القرآنية والنبوية، كقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم﴾**.. الآيتين، وكقوله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً»[٢٩].

ومن أمثلته التخطئة في الفروع والتبري فيها: اذ ينبغي ان يترك ذلك وليمض كل أحد على اجتهاده، فإن الكل بحبل الله معتصم، وبدليله عامل[٣٠] يقول ابن العربي في كلام يجمل القول: «والحكمة في ذلك ان الاختلاف والتفرق المنهي عنه، انما هو المؤدي الى الفتنة والتعصب وتشتيت الجماعة، فأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة»[٣١].

وهذه الأمثلة لخلاف المخالفة تؤدي الى التحريش والتنازع، والاستقطاب الجماهيري لهذه الكتلة ضد تلك ضمن المجتمع الواحد، فيكون الفشل التاريخي والاقتصادي والسياسي هو المحصلة النهائية، مع ان صاحب الشريعة ﷺ ينادي: «ان الشيطان قد أيس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[٣٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١٢- البخاري ٨٤٩/٢، احمد ٣٩٣/١، ابو يعلى ١٧١/٩ .

١٣- الاختلاف في اصول الدين ص٨ .

١٤- البخاري٣٢١/١ .

١٥- البداية والنهاية ١١٨/٤، وانظر المسألة في كتب الأصوليين كالموافقات ١٤٥/٣، عقد الجيد في احكام الاجتهاد والتقليد، ص١١، الإحكام في اصول الأحكام لابن حزم ٦٩/٥، ارشاد الفحول ٣٨٣/١ .

١٦- انظر مقدمة البحر الزخار ص١٣ .

١٧- الموسوعة الفقهية ١٩/١-٣٣،٢٠ .

١٨- الحديث رواه الطبراني في الأوسط ٣٣٥/٤، وتوسع في الكلام عليه ابن حجر في تلخيص الحبير ١٢/٣ .

١٩- الحديث في البخاري ١٧٤/١، مسلم ١١٤١/٢ الترمذي ٤٣٦/٤، النسائي ١٦٤/٦ .

٢٠- الحديث الأخير رواه البخاري ٨١٠/٢، مسلم ١٢١٩/٣، احمد ٣٢٥/٣، واما القصة فقد اوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢/٤، وأومأ الى مقال فيها، وكذا اوردها صاحب المبسوط ١٤/١٣ .

٢١- نقله في موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص٣٨ .

٢٢- المحاورة ص٣ .

٢٣- البخاري ٤٥٥/١، الحاكم ٥١٦/١، والنسائي في الكبرى ٣٥٦/٤ .

٢٤- البخاري ١٠٧٣/٣، مسلم ١٩٥٧/٤، احمد ٣٤٣/٢ .

٢٥- مسلم ١٩٣٨/٤، احمد ٣١٩/٢ .

٢٦- الأحاديث المختارة ١٤/١٠، وعند مسلم ١٤١٧/٣، واحمد ٣٨٠/١، ما يقاربه بلفظ: اللهم اغفر لقومي..

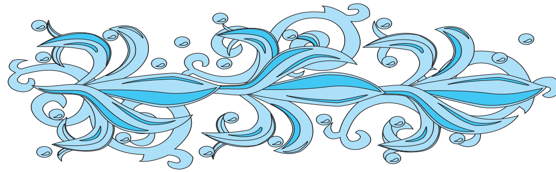
٢٧- سير اعلام النبلاء ١٦/١٠ .

٢٨- انظر العواصم ٢٢٢/١ .

٢٩- البخاري ٢٢٥٣/٥، مسلم ١٩٨٣/٤ .

٣٠-٣١- احكام القرآن لابن العربي ٣٨٢/١ .

٣٢- مسلم ٢١٦٦/٤، وانظر نماذج لذلك: عبد الفتاح ابو غدة، نماذج من رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي أبي حنيفة ومالك بن انس والليث بن سعد، وطائفة من أخبار السلف في أدب الخلاف وفي الحفاظ على المودة عند الاختلاف ص٢٩، دار البشائر الاسلامية، ط١، ١٩٩٦م.



٢

ابن السني ومنهجه في كتابه
«عمل اليوم والليلة»

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود
و أ. علي حسين محمود عبد الله

◆ أولا: اسم الكتاب وما اشتهر به: "عمل اليوم والليلة".

◆ ثانيا: مصدر تسمية الكتاب:

ولعل هذا الاسم للكتاب، أخذه من شيخه الإمام النسائي - رحمه الله تعالى - الذي سبقه إلى تأليف كتاب في الأذكار والدعوات وسماه: "عمل اليوم والليلة"[٤٧].

ولعله أخذه من قوله ﷺ: "فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مائة سيئة؟"[٤٨] وإن كانت الآيات في هذا المعنى كثيرة.

◆ ثالثا: دقة التسمية للكتاب بـ "عمل اليوم والليلة":

وأما تسمية الكتاب فهي بغاية الدقة:

فاليوم لغة: أوله من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

والليلة واحدة الليالي وهي: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

والليل واحد بمعنى: جمع واحدته ليلة مثل، تمر وتمرة[٤٩].

وقد يستعمل اليوم بمعنى الوقت مطلقا لا يختص بليل ولا نهار، ومنه الحديث الشريف: "تلك أيام الهرج"[٥٠] أي وقته.

وكأن المصنف أراد التأكيد على أن كتابه يشمل وظائف ساعات اليوم والليل بدقة وتفصيل، وقد حقق المصنف ـ رحمه الله ـ ما هدف إليه.

❖ رابعا: الباعث على تصنيفه والغرض منه:

اذا رجعنا الى كتاب "عمل اليوم والليلة" لا نجد مقدمة للكتاب ولا تمهيدا نستطيع معه أن نعرف مقصد المؤلف وغرضه من تصنيفه للكتاب، ولكن الدارس والمتفحص للكتاب بإمعان وروية يستطيع أن يقول:

إن المتأمل لكتاب "عمل اليوم والليلة" للإمام ابن السني يجد من خلاله أنه قد قصد أن يكون كتابه هذا جامعا لكل الأوراد والأذكار التي صحت عن رسول الله ﷺ ليمارسها الإنسان ويؤديها في ليله ونهاره، حله وترحاله، صحته وسقمه، وفي كل شأن من شؤونه، ولهذا سماه "عمل اليوم والليلة"؛ لأن الحياة أو العمر الإنساني ما هو إلا صفحات من ليل ونهار.

فكان النبي ﷺ "يذكر ربه عز وجل في كل أحيانه"[٥١] كما جاء في الصحيحين ـ وكان لا يدع عملا من نوم واضطجاع، وجلوس وقعود وخروج وولوج، وركوب الدابة، ونزول في المنزل إلا وقد بدأ بدعاء، كما كان يهتم بأدعية صباحا ومساء، ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، وبعد الصلوات وفي أعمال الحج، وعند إفطار الصائم، وغير ذلك مما لا يكاد يحصر، ولا يتأتى تحت عد عاد وإحصاء محص من الناس.

❖ خامسا: المرفوع والموقوف في الكتاب:

هل التزم ابن السني في "عمل اليوم والليلة" روايته للحديث المرفوع؟ أم فيه الموقوف على الصحابة كذلك؟

إن الغالب الأعم على أحاديث "عمل اليوم والليلة" أنها مرفوعة إلى النبي ﷺ وهذا واضح جلي لكل من طالع الكتاب، ولكن نجد أن ابن السني قد ضمنه بعض الموقوفات على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وبعض المراسيل:

١ ـ أما الموقوفات فبلغت عشرين (٢٠) حديثا، انظر حديث رقم: (١، ٤٢٢، ١٠٤، ٧٤٣، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢،٧٦٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٦٥٦، ٥٢٩، ٣٥٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٨٣).

٢ـ وأما المراسيل فبلغت (خمسة) أحاديث مرسلة من طريق: مجاهد بن جبر

وقتادة بن دعامة وعمرو بن قيس الملائي ومعاذ بن زهرة وعطاء بن أبي رباح، أنظر حديث رقم: (١٣٠، ١٧٥، ٣٧٦، ٤٧٩، ٥٨٣).

❖ سادسا: عدد أبواب الكتاب، وعدد الأحاديث في الكتاب:

أما مجموع عدد الأبواب فقد بلغت: (٤٤٠) بابا، وأما مجموع عدد الأحاديث في الكتاب: فبلغت: (٧٧٣) حديثا.

❖ موضوع الكتاب وشموليته:

كتاب "عمل اليوم والليلة" كتاب عظيم في موضوعه، جمع فيه ابن السني أدعية النبي ﷺ وآدابه وأذكاره في اليوم والليلة وفي كل شأن من شؤونه.

وقد استهل كتابه بأذكار حفظ اللسان، وأتبعها بأذكار الاستيقاظ من النوم، وإذا أردنا أن نتمعن في العلاقة ما بين استهلاله في الكتاب بأذكار حفظ اللسان وأذكار الاستيقاظ من النوم فإننا نجد أن العلاقة حميمة وقوية، فإن المسلم إذا ما حفظ لسانه عن الوقوع فيما حرم الله عز وجل عليه وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ، وداوم على ذكر الله تعالى بلسان متصل بقلب قد ملأه الإيمان والتوحيد، فسرعان ما تسري بركة الذكر من القلب إلى جميع الجوارح حتى تصبح ذاكرة لله تبارك وتعالى في المعنى.

وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب"[٥٢]. فهذا المسلم الذي داوم على ذكر الله تعالى - قد فتح قلبه كصفحة بيضاء جديدة ليغمرها بالإيمان وكأنه قد بعث من جديد بعد موته كقول الله تبارك وتعالى: **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾**[٥٣] **﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**[٥٤].

ثم نجد الإمام ابن السني يتناول بعد ذلك جزئيات الحياة اليومية:

من أذكار لبس الثياب وخلعها، ودخول الخلاء، والخروج منه، والوضوء، والصلاة، والأذان ودخول البيت وخروجه، ودخول المسجد وخروجه، والنظر في المرآة، ودخول السوق وخروجه منه، وإفشاء السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى، وآداب المجلس، وآداب الطعام والشراب، وآداب السفر، وآداب الزواج والمعاشرة الزوجية، كل ذلك وغيره مما وصل إلى

المصنف أن النبي ﷺ قال فيه شيئا، أو علم أصحابه رضي الله عنهم.

ونجده يتعرض بدقائق وتفصيلات الحياة اليومية، الفردية والاجتماعية والأسرية وإنه بهذا العمل، وبجمعه أطراف هذا الموضوع، قد جسد لنا منهاج النبوة في تعامله مع الحياة وتفاعله مع الواقع وممارسته للإنسانية التي تسير على الأرض، وتتطلع إلى رحاب السماء.

إنه في الواقع منهج المثل والقيم الإسلامية الشامل الذي أحاط بالجزئيات العظيمة ليربي مجتمعا وينشئ أمة قوية سليمة.

❖ أهمية الكتاب في حياة المسلم:

إن مجموع هذه الأدعية التي أثرت عن النبي ﷺ هي بمثابة تجديد لعهد الإيمان بالله تعالى في أوقات مختلفة، حيث يقترن بكل عمل يعمله الإنسان دعاء يناسبه في تلك الحال، مع ما فيها من اعتراف بنعم الله تعالى، وشكر للمنعم الحقيقي عند كل حركة بألفاظ تليق بالمقام، كما أن فيها استعاذات بالله تعالى من شرور النفس ونزغات الشيطان، ومن شر كل شيء خلقه الله تعالى، واستعاذات من كل نقمة ومصيبة تعتري الإنسان من البلاء والوباء، والأمراض والأوجاع والآلام والأسقام.

وفي دعاء الخير في الأوقات المختلفة، والاستعاذة من الشرور تعليم بليغ بأسلوب بديع لتوحيد الله تعالى، وبراءة من الشرك، واقرار بربوبيته تعالى وألوهيته عز وجل باللسان والجنان، فمن يهتم بأدعية النبي ﷺ يبوء ويعترف كرات ومرات بأن الله تعالى هو الذي أمات وأحيا، وأطعم وسقى، وألبس وكسى، ووقى شرور الحساد ودواهي العدى.

يكسب الإنسان أموالا كثيرة بجهد وعناء لقضاء حاجاته، ثم هو ينسب انجاح الحاجات إلى الله تبارك وتعالى علما منه بأن هذا الكسب ليس بشيء، فقد يتحمل العبد المشاق لأجل تحصيل الأموال ثم لا يفوز بها، وهذا نراه كثيرا في أحوال الناس، ثم إذا حصل المال فليس من الضروري أن يسد به الفاقة وينجح به الحاجة إلا أن يشاء الله تعالى، فإنا نرى كثيرا من الناس عندهم القناطير المقنطرة من الأموال لكن لا يهنأ لهم مأكلهم ولا تقبل معدتهم شيئا من الأطعمة، ومن الناس من يأكل ولا يشبع وآخر لا يندفع به ظمأه، وبعضهم لهم أبنية مرتفعة وأثاث بهيج وفراش ناعم ومع ذلك لا يأخذهم

النوم، فعامة الناس نائمون وهم يعدون الكواكب او ينظرون إلى عقارب الساعة كم بقي من الليل ومتى يتنفس الصبح.

فكان من اللازم على كل إنسان ان يعترف بأن الله تعالى هو الخالق المالك وهو الرزاق والمطعم والكاسي، وهو الذي يشبع ويروي، وهو الذي يدفع الأمراض ويشفي الأسقام.

ويكرر الرجل المسلم ذكر ما أنعم الله تعالى عليه من نعمة الإسلام والآلاء التي تتعلق بالأجسام من هناء الطعام، ومروءة الشراب، ودفع الأسقام والحفظ عن الأوجاع والآلام.

ولم يكتف النبي ﷺ بتعليم الأدعية فقط بل كان يعلم آداب المعاشرة وحقوق الصحبة أيضا، فعلم آداب المجلس، وآداب السفر، وحقوق الرفيق، وحقوق الأقارب والجيران، وحقوق من صاحب في امور المعيشة، ولم يهتم بأخلاقه الكريمة وآدابه العظيمة خارج عن حظيرة الإنسانية، وذلك لأن من لم يهتم بالآداب النبوية والأخلاق المرضية والأعمال الجليلة، فإن عيشه كمثل الحيوانات، وذلك ظاهر لمن سافر إلى أوروبا أو أمريكا، فإنهم مع رقيهم في الأمور الدنيوية لا هم لهم إلا التمشي بأهواء الأنفس والتلذذ بالرجال والنساء من غير التفات إلى الحلال والحرام، ومن غير تقيد بشريعة الله تعالى التي تهدي الإنسان إلى شكر من منحه الله عز وجل من إكرام وخصه بإحسان وإنعام[٥٥].

❖ ثناء العلماء على الكتاب وانتفاعهم به:

قال الإمام النووي: "اعلم أنه قد صنف في عمل اليوم والليلة جماعة من الأئمة كتبا نفيسة، رووا فيها ما ذكروه بأسانيدهم المتصلة، وطرقوها من طرق كثيرة ومن أحسنها: "عمل اليوم والليلة" للنسائي أبي عبد الرحمن، وأحسن منه وأنفس وأكثر فوائد : كتاب " عمل اليوم والليلة " لصاحبه أبي بكر ابن السني، وقد سمعت أنا جميع كتاب ابن السني على شيخنا الغمام الحافظ أبي البقاء خالد بن يوسف"[٥٦].

وقال صاحب كشف الظنون: "أنيس القلوب وغاية المطلوب في الدعوات والذكار" لإسماعيل بن أحمد بن محمد البدوي الأردبيلي، لخص فيه الأذكار للنووي، وما في الكتب المشهورة الثمانية الصحيحة والسنن الأربعة وابن السني والدارمي"[٥٧].

وقال الإمام الذهبي في ترجمته لابن السني: "وجمع وصنف كتاب" عمل اليوم والليلة" وهو من المرويات الجيدة".

وقال العلامة الكبير المحدث الشهير حبيب الرحمن الأعظمي: "وكان الإمام الثقة الحجة أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري المتوفى سنة ٣٦٤ هـ راوي سنن النسائي قد صنف كتابا عظيم القدر، وكثير النفع في الأدعية والآداب، وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس، وكتابه هذا معروف بـ "عمل اليوم والليلة"[٥٨].

وقال الدكتور: عبد الرحمن كوثر البرني: "عمل اليوم والليلة" من أشهر كتب ابن السني، وقد أكثر النقل منه الهمام النووي في كتاب الأذكار ثم الحافظ شمس الدين الجزري في الحصن الحصين "، كما اقتبس منه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وهو كتاب مفيد نافع جدا لمن يريد أن يسلك سلوك النبي - صلى الله عليه وسلم - في العبادات والأدعية والأذكار، وفي الأخلاق والآداب، وقد جمع ابن السني في كتابه هذا منهاجا للرجل المسلم يسلكه طول عمره، وجمع فيه ما لا يوجد في غيره مرتبا في مجموع واحد[٥٩].

❖ المؤلفات في هذا الموضوع:(٦٠)

المؤلفات في موضوع "عمل اليوم والليلة" والأدعية والأذكار كثيرة ومتنوعة، ويمكن تقسيم المؤلفات في هذا الموضوع إلى قسمين: أصول وفروع.

فالأصول هي التي يخرج أصحابها الأحاديث بسندهم إلى النبي ﷺ، ومؤلفات الفروع هي التي يجمع أصحابها مؤلفاتهم من كتب السابقين مع حذف الأسانيد أو بعضها أو اختصار لتلك الكتب، أو ينتقون منها ويجمعون.

وأول من وجدنا لهم مؤلفات في هذا الموضوع هم:

١. محمد بن الفضيل بن غزوان الضبي، أبو عبد الرحمن الكوفي من الشيعة الثقات الأثبات (ت١٩٥هـ) له كتاب اسمه "الدعاء".

٢. ومنهم الإمام أبو داوود السجستاني سليمان بن الأشعث صاحب السنن الإمام العلامة (ت٢٧٥هـ) وله كتاب اسمه "الدعاء".

٣. ومنهم المحدث العالم الصدوق أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد الله بن سفيان القرشي بن أبي الدنيا (ت

٢٨١هـ) له كتاب "الدعاء".

ومنهم ابن أبي عاصم الحافظ الكبير قاضي أصفهان، وكتابه اسمه "الدعاء".

٤. ومنهم الحافظ العلامة البارع الحسن ابن علي بن شبيب المعمري (ت ٢٩٥هـ) له كتاب "عمل اليوم والليلة".

٥. ومنهم الإمام الحافظ يوسف القاضي صاحب السنن (ت ٢٩٧هـ) وكتابه اسمه "الذكر".

٦. الحافظ العلامة أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت ٣٠١هـ) وكتابه "الذكر".

٧. الحافظ أبو عبد الله محمد بن فطيس الأندلسي الألبيري (ت٣١٩هـ) وكتابه اسمه "الدعاء".

٨. الإمام العلامة الحافظ الثقة أبو عبد الله الحسين بن اسماعيب بن محمد الضبي المحاملي (ت ٣٣٠ هـ) له كتاب "الدعاء".

٩. الإمام النحوي أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار صاحب المبرد له "جزء في الدعاء".

١٠. أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين ابن المنادي (ت ٣٣٦هـ) له كتاب "دعاء أنواع الإستعاذات من سائر الآفات والعاهات".

١١. الإمام العلامة المحدث أبو عبد الرحمن النسائي صاحب السنن (ت ٣٠٣هـ) له كتاب اسمه "عمل اليوم والليلة".

١٢. الإمام الحافظ العلامة الحجة أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد ابن أيوب مسند الدنيا (ت ٣٦٠هـ) له كتاب "الدعاء".

١٣. الإمام الحافظ العلامة أبو سليمان الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب البستي (ت٣٨٨هـ) له كتاب شرح فيه بعض الدعوات والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ.

١٤. شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٩هـ) له كتاب "الدعاء".

١٥. الحافظ الثبت العلامة أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (ت ٤١٠هـ) له كتاب "الأدعية".

١٦. أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ) له كتاب "يوم وليلة".

١٧. الحافظ الكبير المحدث العلامة أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) له كتاب "عمل اليوم والليلة".

١٨. الحافظ العلامة المحدث أبو العباس جعفر بن المعتز المستغفري (ت ٤٣٢هـ) له كتاب "الدعوات".

١٩. الحافظ العلامة أبو ذر الهروي شيخ الحرم عبد بن أحمد الأنصاري المالكي (ت٤٣٤هـ) له كتاب "الدعاء".

٢٠. الحافظ الإمام الجليل الشافعي الكبير أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) له كتاب "الدعوات".

٢١. الإمام المفسر أبو الحسن علي بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) له كتاب "الدعوات".

هذه هي أهم المصنفات الأصول في الموضوع.

أما المصنفات في الفروع، والتي كان عمل أصحابها يقتصر على الانتقاء من كتب الأقدمين، وضم الشبيه إلى شبيهه، والمثيل إلى مثيله، فهي أكثر من أن تحصى وأوسع من أن تستقصى، **ومن أهمها وأبرزها:**

١. كتاب "عمل اليوم والليلة" للإمام المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القويم (ت ٦٥٦هـ).

٢. "التبتل في العبادات، وما لا غنى عنه من الدعوات" لعبد الغفور بن عبد الله بن محمد النضري أبو القاسم.

٣. "عمل اليوم والليلة" لجمال الدين أحمد ابن موسى بن جعفر من الشيعة الإمامية (ت ٦٧٣هـ).

٤. "الأذكار" للإمام العلامة أبي زكريا محيى الدين النووي شيخ الإسلام (ت ٦٧٦هـ).

٥. "الدعوات"، "الأذكار المستخرجة من صحيح الأخبار" لمحمد بن أحمد بن حرب (ت ٧٤٠هـ).

٦. "سلام المؤمن" للإمام المحدث تقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام (ت ٧٤٥هـ).

٧. "الأذكار" للشيخ الفقيه أبي جعفر أحمد ابن يوسف الفهري اللبلي.

٨. "الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين"، "عدة الحصن الحصين"، "جنة الحصن الحصين"، "مفتاح الحصن الحصين" للإمام الحافظ ابن الجزري محمد بن محمد بن علي

العمري الدمشقي (ت٨٣٣هـ).

٩. "عمل اليوم والليلة" للعلامة الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٨هـ).

١٠. "عمل اليوم والليلة" لصديق بن إدريس ابن محمد المذحجي أبو بكر اليمني (ت ٨٩٠هـ).

١١. "عمل اليوم والليلة" للإمام العلامة الحبر الفهامة جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

١٢. "الكلم الطيب" للإمام العلامة ابن تيمية الحراني الدمشقي.

١٣. "الفتوحات الربانية على الأذكار النبوية" شرح للعلامة الشيخ محمد ابن علان الصديقي الشافعي المكي (ت ١٠٥٧هـ).

❖ منهجه في الكتاب:

من خلال استقرائنا لجميع الأحاديث التي أخرجها في: "عمل اليوم والليلة" نجد أنه:

أ ـ يحافظ دائما في أول الإسناد على قوله: حدثنا، أخبرنا، وهي أعلى وجوه الأخذ والتحمل عن الشيوخ، ويكون مستعمل هذه الصيغة قد سمع الحديث من لفظ الشيخ من حفظه أو من كتابه، ويندر أن يشذ عن ذلك، وهذا غاية في الضبط والتحري والدقة[٦١].

ب ـ لم يعول على الكتب والإجازات؛ لأنها دون ضبط وسماع من الشيوخ مظنة التصحيف والتحريف، ومزالق خطر. وهذا المسلك ينفي كذلك التدليس، وهو صفة قادحة من صفات الجرح في الرواة[٦٢].

ج ـ وإذا كتب من كتاب نبه على ذلك، وقد وجدت له موضعين اثنين فقط، نبه فيهما على أنه كتبهما من كتاب، راجع صفحة (٨) حديث رقم (٨٢، ٦٠٣).

د ـ ونادر جدا ما يبين المكان الذي تحمل فيه الرواية، كقوله: حديث رقم (٦٠٣): حدثني أحمد بن إبراهيم المديني (بعمان).

❖ أهمية اصطلاحات الأداء:

إن قضية هذه الاصطلاحات ليست مجرد ألفاظ تشرح، وقد مضى زمانها كما يتوهم، حتى إن بعض الناس قد يغفلها ويتركها في زاوية الإهمال، بل إن لهذه الاصطلاحات صلة قوية بالهدف الأساسي لهذا العلم ـ أي معرفة المقبول والمردود، ومن أوجه ذلك:

١. أنها تعرفنا الطريقة التي حمل بها

الراوي حديثه الذي نبحثه، فنعلم هل هي صحيحة أو فاسدة؟ وإذا كانت فاسدة فقد اختل أحد شروط القبول في الحديث.

٢. أن الراوي إذا تحمل الحديث بطريقة دنيا من طرق التحمل ثم استعمل فيه عبارة أعلى كأن يستعمل في ما تحمله بالإجازة : حدثنا أو أخبرنا كان مدلسا، وربما اتهمه بعض العلماء بالكذب بسبب ذلك.

مثاله: أحمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: اتهم في أحاديثه الكثيرة عن محمد بن نصر المروزي، وإنما هو تدليس؛ حصل على إجازة منه وصار يستعمل صيغة: حدثنا ونحوها، وهذا تدليس.

وكذا: إسحق بن راشد الجزري، كان يطلق: حدثنا في الوجادة، فسلكوه في عداد المدلسين[٦٣].

❖ طبقات الرواة الذين أخرج لهم في الكتاب:

قلنا فيما سبق: لم يضع ابن السني للكتاب مقدمة ولا تمهيدا يتضح فيهما الإطار العام لكتاب: "عمل اليوم والليلة" لمعرفة منهجه فيه، ومن هنا فإننا نستطيع أن نحدد طبقات الرواة التي اعتمدها الإمام ابن السني في كتابه من خلال دراسة الأسانيد ومعرفة مراتب الرواة الذين خرج لهم في هذا الكتاب من حيث الجرح والتعديل والحفظ والإتقان وغيرها:

أ. خرج قسما من الأحاديث هي أسلم من العيوب وأنقى من غيرها؛ لأن ناقليها هم أهل استقامة في الحديث، واتقان لما نقلوا، وأكد مدحهم كثقة ثقة، أو ثقة حافظ، أو أفرد بصفة : كثقة، أو متقن، أو ثبت.

انظر حديث رقم (٨) وقد أخرجه الامام البخاري في صحيحه. وحديث رقم (١٧) وهو في الصحيحين، وحديث رقم: ٣٦، ٣٧، ٩٠، ٩٣، ٤٤٠، ٥١٢، وغيرها مما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما - رحمهما الله تعالى-.

ب. وأخرج قسما من الأحاديث يقع في أسانيدها بعض من ليس موصوفا بالحفظ والإتقان كالصنف المتقدم، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم، فإن اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يشملهم، كسعيد بن محمد الجرمي، وعباد بن عباد بن علقمة، وزيد بن الحباب، وغيرهم[٦٤].

انظر حديث رقم: ١١، ١٥، ٢٨، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٧٢، ٨٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥ ١٢٣،

١٣٠، وغيرها، وقد بلغت ثلاثة وعشرين موضعا.

ج. وأخرج قسما من الأحاديث يقع في أسانيدها قوم حكم عليهم بالضعف اليسير والشديد، كأبي بكر بن أبي مريم، وموسى بن عبيد، والأغلب بن تميم وغيرهم[٦٥].

انظر حديث رقم: ٤، ٩٦، ١١٢، ١٦٢، ١٧٣، ١٨٧، ٦٠٦، ٦٨٤، ٧١٨، وغيرها من المواضع وقد بلغت مائة وسبعة وأربعين حديثا.

د - وأخرج قسما من الأحاديث يقع في أسانيدها قوم ممن عرف عنهم التدليس:

والمدلس لا يحتج بحديثه إلا إذا قال: حدثنا أو غيرها من الألفاظ المبينة لسماعه[٦٦]، ورأيت أن ابن السني يخرج الحديث بإسناده ومتنه من رواية أحد المدلسين:

١ - بطريق العنعنة، وهي الغالبة والأكثر بالنسبة لرواية المدلسين، ولا يأتي بحديث آخر يصرح فيها المدلس بالسماع، ومن هذه صفته لا يفرح بروايته المعنعنة ولا يحتج بها، ومثاله: حديث رقم (١٧٥، ١٨٠، ٢١٦، ٣٩٤، ٥٤٩، ٦٣٢، ٦٨٢) وفي أسانيدها بقية بن الوليد، وأبو جناب الكلبي (يحيى بن أبي حية) ولم يصرحوا بالتحديث[٦٧].

٢ - بطريق التصريح بالسماع، وهي قليلة جدا، وبهذه الطريقة يصح الإسناد ويعرف اتصاله ويحتج به، ومثاله: حديث رقم (٢١٤، ٣٠٣) وفي أسانيدها بقية بن الوليد وحجاج بن أرطأة[٦٨] وقد صرحا بالسماع.

هـ. وأخرج قسما من الأحاديث وقع في أسانيدها قوم ممن قيل فيه: متروك، أو متروك الحديث، كأصرم بن حوشب، يحيى بن العلاء، وعبد الله بن محمد العدوي، وفائد أبو الورقاء وغيرهم[٦٩].

انظر حديث رقم: ٢١، ٢٤، ٣٨، ٣٩، ٥٠، ٨٩، ٩٢، ١٢٠، ١٤٣، وغيرها وقد بلغت تسعة وعشرين موضعا.

و. وأخرج قسما من الأحاديث وقع في أسانيدها قوم مجهولون.

انظر حديث رقم: (٥، ٥١، ٥٨، ٦٧، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٨، ١٧٠)، وغيرها من المواضع وقد بلغت تسعة وعشرين موضعا.

ز. وأخرج قسما من الأحاديث في أسانيدها قوم متهمون بالوضع والكذب، كعبد الله بن أيوب بن أبي العلاج الموصلي،

ويحيى بن العلاء،٧٠ وغيرهم.

انظر حديث رقم: (٤١٧، ٤٧٥، ٦٢٣، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢)، وغيرها من المواضع وقد بلغت ثمانية مواضع.

ح. وأخرج قسما من الأحاديث وقع في أسانيدها قوم ممن قيل فيه: كذاب، أو نسب الى الكذب، مثل: كادح بن رحمة الزاهد وكثير بن عبد الله بن عمرو المزني[٧١].

انظر حديث رقم: (١٠، ٥٣، ٢٩٠، ٦٥٠، ٦٥١).

ط . وأخرج قسما من الأحاديث في أسانيدها قوم ممن قيل فيهم: يضع الحديث كأصرم بن حوشب، غياث بن إبراهيم، وعنبسة بن عبد الرحمن، وغيرهم[٧٢]، انظر حديث رقم: (٢١، ٢٤، ١٦٤، ١٦٩، ٢٨٤، ٦٢٠، ٦٢٣).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله تعالى

الهوامش:

٤٧ . توضيح الأفكار ١ / ٢٢١، عمل اليوم والليلة للنسائي: ص١٠٣، ط٢، مؤسسة الرسالة ت: فاروق حمادة.

٤٨ . الترمذي، باب ما جاء في التسبيح والتكبير عند المنام: ٥/ ٤٧٨، برقم (٣٤١٠)، دار الفكر ط ١٩٩٤م، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر: ٢/ ١٦٠ برقم (٦٤٩٨).

٤٩. لسان العرب لابن منظور، دار صادر ط١، مادة ليل: ١١/ ٦٠٧، يوم: ١٢/ ٦٤٩، القاموس المحيط للفيروز آبادي: باب اللام ١/ ١٣٦٤، مختار الصحاح للرازي: باب الياء ١/ ٧٤٥، مكتبة لبنان، ط ١٩٩٥م.

٥٠. سنن أبي داود، باب الفتن ودلائلها، ٤/ ٩٩ برقم (٤٢٥٨)، نيل الأوطار للشوكاني، باب أن الدفع لا يلزم المصول ٦/ ٧٨ الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

٥١ . صحيح البخاري، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ١/ ١١٦ برقم (٢٩٨)، مسلم باب: ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ١/ ٢٨٢، برقم (٣٧٣).

٥٢ . صحيح البخاري، باب: فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ برقم (٥٢)، مسلم باب: أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩ برقم (١٥٩٩).

٥٣ . الأنعام: ٦٠ .

٥٤ . الأنعام: ١٢٢ .

٥٥ . أنظر ما كتبه فضيلة الشيخ محمد عاشق المدني في التقريب في "عمل اليوم والليلة" لابن السني: ٥ - ٧ .

٥٦ . الأذكار للنووي ١ / ٢٦ .

٥٧ . كشف الظنون ١ / ١٩٨ .

٥٨ . "عمل اليوم والليلة" لابن السني ت: د. عبد

الرحمن كوثر ص٨ .

٥٩ . "عمل اليوم والليلة" لابن السني ت: د. عبد الرحمن كوثر ص١٣ .

٦٠ . انظر ما كتبه د. فاروق حمادة في دراسته وتحقيقه لكتاب "عمل اليوم والليلة للنسائي" ص١٠٣ ـ ١١٦ .

٦١ . تدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٨ ـ ٩، دار الكتب العلمية ط٣، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٢٨٤، المكتبة العلمية، ت: السورقي، علوم الحديث لابن الصلاح ١١٩ ـ ١٢١، مكتبة الفارابي، ط١ .

٦٢ . انظر ما قاله د. فاروق حمادة في تحقيقه لكتاب "عمل اليوم واالليلة" للنسائي.

٦٣ . منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر ص٢٢٦، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٥م .

٦٤ . انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١/ ٣٠٤، ٢٣٣، ١ / ٢٧٣، مؤسسة الرسالة، ط١، بعناية: عادل مرشد.

٦٥ . انظر التقريب رقم (٧٩٧٤)، ورقم (٦٩٨٩)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (١٠ / ١١٥).

٦٦ . علوم الحديث لابن الصلاح ص٦٧، تدريب الراوي ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، للأنباسي، ط١ ت: صلاح هلل ١ / ١٧٨ .

٦٧ . الكامل في الضعفاء للحافظ ابن عدي ٣/ ٩١٧، مجمع الزوائد ٥ / ١١٥ .

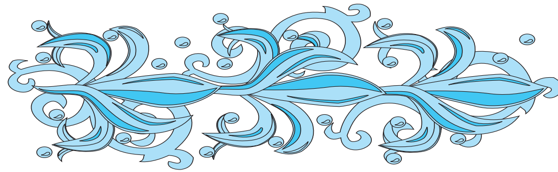
٦٨ . التقريب ١/ ١٥٢ .

٦٩ . ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٢٧٢، ٢/ ٣٩٧، التقريب ١/ ٤٤٨، مجمع الزوائد ١٠/ ١١٥ .

٧٠ . الكامل ٤/ ١٥٢٧ .

٧١ . ميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٧، التقريب ٢/ ١٣٢ .

٧٢ . ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٢، الميزان ٣/ ٣٣٧، الميزان ٣/ ٣٠٢ .



٢

من المؤلفات الأندلسية:

الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

٢- أمير المؤمنين ابو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله ابن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن عدي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي، وهو عدوي.

أسلم عمر رضي الله عنه قبل خروج رسول الله ﷺ من دار الأرقم مستخفياً، وقد اتم به عدد المسلمين، فأصبحوا (٤٠) شخصاً، وكان رضي الله عنه رجلاً ذا شكيمة، وقد أصبح المسلمون بانضمامه قوة في مواجهة قريش، وقد اعتبر إسلامه فتحاً، وان هجرته كانت نصراً، وان امارته كانت رحمة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قول النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر»، وعن الفضل بن العباس قال الرسول ﷺ: «عمر معي وانا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان».

وفي أيام عمر رضي الله عنه تتابعت الفتوحات في العراق والشام، ومصّرت الأمصار، ودوّنت الدواوين ورتب الناس على سوابقهم، وأُرِّخ التاريخ بالهجرة، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين، وتوفي الرسول ﷺ وهو عنه راض، كما انه جمع أحكام القضاء في رسالته الى أبي موسى الأشعري، وفيها جميع الأحكام، واتخذها الناس بعده

قاعدة للقضاء وممارسة الحقوق، ولا محيص عن حدودها «٢ ص١٢٩-١٣٨».

وعُرف سيدنا عمر رضي الله عنه بالتقشف والتواضع، حتى كان ليرقّع كساءه، وهو أمير المؤمنين، وحمله للقربة التي كانت المرأة تحملها لتسقي أولادها الصغار «٢ ص١٣٨-١٣٩»، ثم ذكر المؤلف ذريته «٢ ص١٤٢-١٥٤».

وقد تزوج عمر رضي الله عنه أم كلثوم بنت علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه، وأمها فاطمة «٢ ص١٥٤-١٥٦»، وعندما اغتيل رضي الله عنه وقبل وفاته، قال: «لو اختار المسلمون علياً للخلافة، يسلك بهم الطريق المستقيم، وشهد علي كرم الله وجهه، بالنسبة لعمر، فترحم عليه، وقال: «ما خلّفت أحداً أحب الي ان القى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن ان يجعلك مع صاحبيك، ولذلك كنت أكثر وأسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت انا وأبو بكر وعمر وأدخلت أنا وأبو بكر وعمر» «٢ ص١٥٧-١٦٠»، ثم أورد ما قيل في حقه، ثم أورد قضاته وذريته «٢ ص١٦١-١٦٥».

٣- أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقد تزوج بنتي رسول الله ﷺ، وقال له الرسول ﷺ: «لو كان عندي غيرهما لزوجتكها» «٢ ص١٦٩»، وكانت بسببه بيعة الرضوان، اذ قيل للنبي ﷺ: ان عثمان قد قتل بمكة، فقرر الرسول ﷺ قتال قريش -ان صح الخبر- وتابعه المسلمون على ذلك «٢ ص١٧٠»، وعثمان رضي الله عنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو مجهز جيش العُسرة، وجامع القرآن «٢ ص١٧٣».

أما مقتله رضي الله عنه فيروي المؤلف خبراً انفرد به من ان قاتله هو رجل من مصر يسمى «جبلة بن الأيهم» «٢ ص١٧٩» وهو اسم اشتهر في التاريخ بأنه من ملوك الغساسنة، وقد أسلم ولكنه عندما زار الكعبة أيام الحج وازدحام الطائفين حولها، داس أحدهم على طرف ردائه، فلطمه، غير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاقبه على هذه الفعلة، فما كان منه ان عاد الى الشام والتحق بالروم وارتد.

كما ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه تبرأ من دم عثمان رضي الله عنه، وقال: «والله ما أعنت على قتله، ولا أمرت ولا رضيت» «٢ ص١٧٨»، وزاد على ذلك ان أحد الصحابة سأل الإمام علياً بعد يوم الجمل قائلاً: «اي منزلة وسعتك، اذ قتل عثمان ولم تنصره!! فأجاب: ان عثمان كان إماماً، فلو قاتلنا دونه عصيان، لأنه نهى

عن القـتـال، وقـال: من سلّ سـيـفـه، فليس منـي» «٢ ص١٧٩»، ثم بدأ المؤلف بذكـــر قضاة عثمان ومواليه «٢ ص١٨٤-١٨٨».

٤- أمـيــر المؤمنين علي بن ابي طالب كـرم الله وجـهـه، الذي أسلم وهو ابن (١٢) سنـة، وكـــان من أوائل الذين آمنوا، وهو يقـول: «أنا الصديق الأكبـر، آمنت قـبل ان يؤمن أبو بكر، وأسلمت قـبل ان يسلم» «٢ ص١٩٢»، وهذا صـحـيح ولكن آمن كطفل بالتبعية لرسول الله ﷺ، وليس بالاختيار، ويجمع الرواة على ان علياً كرم الله وجهه صلى القبلتين وشهد بدراً والحديبية وسائر المشـاهد، وانه أبلى ببدر والخندق وخيبـر بلاءً عظيـمـاً، وكان معه لواء النبي ﷺ في تلك المشـاهد «٢ ص١٩٥»، ولم يتخلف عن مـشـهـد حـضـره الرسـول ﷺ، ويُروى ان الرسـول ﷺ قـال لعلي: «انت مني بمنزلة هارون من مـوسى الا انه لا نبي بعدي» «٢ ص١٩٦».

ويُروى عن عائشة رضي الله عنها، أنها سُـئلت عن اي الناس أحب الى رسـول الله ﷺ؟ قالت: أحب الناس اليه فاطمة، ومن الرجـال زوجها، اذ كـان ما علمته صـوامـاً قوّاماً «٢ ص١٩٨»، ويوم قُتل كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر «٢ ص٢٧٥».

ثم تناول المؤلف أبناءه وأولهم الحـسن رضي الله عنه، الذي ولي الخـلافـة سـتـة أشـهـر «٢ ص٢٠٠-٢٠٤»، وانه تنازل عنهـا حـقـناً لدمـاء المسلمين «٢ ص٢٠٧»، ثم الحـسين رضي الله عنه وكـان من الفـقـهـاء العـاملين بالكتـاب والسنة، وكـان كـثـيـر الصـلاة والصـيـام والحج، اذ حج عشرين حجة «٢ ص٢١٣»، وقـد روى التـرمـذي ذكـر مـقـتل الحـسين رضي الله عنه، من قـبل شـمــر بن ذي الجــوشن، وقرنه بقوله: «لعنه الله» وهو يستحقها «٢ ص٢١٧».

ثم قـال المؤلف: «وبكى الناس فـأكـثـروا وأحسنوا» ثم روى الشـعـر الذي قيل بهـذه المنـاسـبـة «٢ ص٢١٩-٢٢٣»، وتنـاول ذرية الحـسين رضي الله عنه وخـاصـة الأئمـة، ثم ذرية الامام علي وبناته «٢ ص٢٢٣-٢٣١»، وعقد فـصـلاً عن فـضـائل الامـام علي كـرم الله وجهه، وأقواله وخطبه، وأورد بهذه المناسبة قـولاً لعـمـر رضي الله عنه، مـفـاده: «لولا علي هلك عمـر» «ص٢٣٢-٢٣٢»، وكان معاوية يسأل الإمام علياً فيما يشكل عليه من أمر الفقه، حتى انه قـال -عندما بلغه مـقـتل الإمـام علي-: «ذهب الفـقـه والعلم بموت ابن ابي طـالب»، وانه بكى وقـــال: «رحم اللـه ابا حسن» «٢ ص٢٣٢-٢٥٣».

وكتب المؤلف فصلاً آخر عن تقشفه في ملبسه ومطعمه، وذكر ضمنه أقوال الإمام علي كرم الله وجهه عن بيعته لكل من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعترف بأن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اخرج نفسه وولده من مسؤولية اختيار الخليفة بعده، ولو كانت محاباة لآثر عمر بها ولده، وان عبد الرحمن اخذ المواثيق من المرشحين ان يؤيدوا من يختاره، فاختار عثمان عملاً بالميثاق، فبايع علي عثمان، وقال: فأديت له حقه وطاعته، وغزوت مع جيوشه، ولما قضى عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فبايعه هو واهل الحرمين واهل المصرين، ويعني اهل العراق ومصر.

ثم تناول الخلاف الذي نشأ بين المسلمين، مما أدى الى وقعتي صفين والجمل، الى آخر ما قال «٢ ص٢٥٦-٢٦٢»، وتناول حوادث الخوارج وقتالهم، ومقتل الامام علي كرم الله وجهه «٢ ص٢٦٢-٢٧٧»، وختم الفصل بذكر قضاته، ثم بنعت الامام علي «٢ ص٢٧٧».

والجدير بالذكر ان المؤلف قد خص الامام علياً كرم الله وجهه وأسرته ب «٨٧» صفحة، بينما خصص لخلافة ابي بكر بما فيها حروب الردة (٢٤) صفحة وخلافته سنتان وثلاثة أشهر، أما خلافة عمر التي اشتملت على اكبر الفتوحات، واستمرت عشر سنين ونصف السنة، فقد كان نصيبها (٣٧) صفحة، ثم خلافة عثمان التي استمرت اكثر من ١٢ سنة استكملت خلالها الفتوحات فكانت حصتها (٢٠) صفحة فقط، فالخلفاء الثلاثة الأولين نالوا (٨١) صفحة، في حين ان خلافة علي وهي خمس سنين الا ثلاثة أشهر نالت (٨٧) صفحة، وهذا دليل على ان العالم الاسلامي بشرقه وغربه واندلسه، يخصون البيت النبوي بالاحترام والمحبة، وهم في اغلبيتهم من اهل السنة والجماعة.

٥- الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خامس المبشرين بالجنة، أسلم وعمره خمس سنين، وهو حواري رسول الله ﷺ، وقد مدحه حسان بن ثابت بقصيدة عصماء «٢ ص٢٨٢-٢٨٣»، شارك بالفتوحات الاسلامية، ومنها معركة اليرموك وفتح مصر، اذ كان يقود مدداً لعمرو بن العاص، وقد ذكر المؤلف قصة مقتله في البصرة، الأمر الذي استنكره الإمام علي كرم الله وجهه.

وذكر المؤلف طرفاً من اخبار يوم الجمل «٢ ص٢٨٢-٢٩٢» ومن اهم المعلومات التي

أوردها في هذا الفصل رواية عن السيدة عائشة رضي الله عنها، انها عندما لقيت ابن عمر عاتبته لأنه لم ينهها عن المسير الى البصرة وتشارك في واقعة الجمل «٢ ص٢٩٤»، وعلاوة على يوم الجمل، ألحق المؤلف بها نبذة من أخبار عبد الله بن الزبير وإمرته، وقتله «٢ ص٢٩٧».

وتضمن الكتاب معلومات عن تعليق جثته في مقبرة المدينة، ثم ذكر انها عُلقت بمكة وهو الأصح لأنه ثار بمكة وجرى القتال فيها مع الجيش الأموي وبقي معلقاً حتى مرت به أمه أسماء بنت أبي بكر وطالبت بإنزالها «٢ ص٢٩٧-٣٠٠»، وتناول المؤلف في هذا الفصل ذرية الزبير رضي الله عنه ومواليه «٢ ص٣٠١-٣١١».

٦- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، سادس المبشرين بالجنة، ويسمى «طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض» وابدى الرسول ﷺ سروره بما كان من طلحة في يوم أُحد وسماه شهيداً وهو حي، وهناك الحديث القائل: «الزبير وطلحة جاران في الجنة»، وتناول ذرية طلحة ومواليه، ومن ذريته ابنه محمد بن طلحة، وكان اعلم الناس بالنسب والمغازي «٢ ص٣١٥-٣٢٣».

٧- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو أحد المبشرين بالجنة، ونسبه ونسب سعد ابن ابي وقاص واحد، وهو من المهاجرين الأولين، وجمع بين الهجرتين الى ارض الحبشة، وكان كريماً كثير المعروف والصدقة وقد قدم المال الى زوجات الرسول ﷺ ومقداره «٤٠» ألف درهم، وهو من الستة أصحاب الشورى بعد مقتل عمر رضي الله عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «ان عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الأرض» «٢ ص٣٢٧-٣٣٠».

وكان أمين النبي ﷺ على نسائه وكان غنياً أعتق في يوم واحد (٣٠) عبداً، وكان يخشى ان تؤثر ثروته الكبيرة على مصيره في الآخرة «٢ ص٣٢٧-٣٣٠» ثم تناول المؤلف ذريته، وأبرزهم ابنه ابراهيم الذي تزوج سكينة بنت الحسين وقتل معه «٢ ص٣٣٢» ثم تناول ذريته وأقاربه ومنهم أخوه «الأسود بن عوف» الذي له صحبة، وشهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها «٢ ص٣٣٦».

٨- وثامن المبشرين بالجنة هو سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه، وهو قرشي، وكان سابع سبعة اعتنقوا الاسلام، وكان عمره ١٩ سنة، وشهد جميع المشاهد مع الرسول ﷺ، وكان مجاب الدعوة، اذ دعا له النبي

ﷺ بذلك، وكان من فرسان قريش، وقال له الرسول ﷺ: «ارم فداك ابي وامي» «٢ ص٣٣٩»، وكان النبي ﷺ يعتبره خالاً له ويفخر به، وهو الذي قاد المسلمين في وقعة القادسية وتولى قتال الفرس، وبنى مدينة الكوفة، وقد كان واليها، وكان احد الستة الذين اختارهم عمر لاختيار خليفة يعقبه، وكان في الفتنة ممن قعد ولزم بيته، وتوفي بالمدينة سنة ٥٥ هـ، «٢ ص٣٤٠-٣٤١»، ثم تناول ذريته «٢ ص٣٤٢-٣٤٦»، وقد طاله أحد أولاد أخيه بترشيح نفسه للخلافة فامتنع «٢ ص٣٤١».

٩- سعيد بن زيد رضي الله عنه، تاسع المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يشهد بدراً، لغيابه في الشام، فضرب له الرسول ﷺ بسهمه وأجره، وكان زوجاً لأخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أسلم قبله، وقد هاجر معها الى المدينة، ومما قاله النبي ﷺ: «انه يبعث يوم القيامة أمة وحده» «٢ ص٣٥٠» وكان مستجاب الدعوة وكانت وفاته في سنة ٥١هـ «٢ ص٣٥٥-٣٥٨».

١٠- ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، عاشر المبشرين بالجنة، واسمه عامر بن عبد الله، ويجتمع نسبه مع نسب الرسول ﷺ في فهر، وهو من اصحابه ﷺ، وهو امين هذه الأمة، اذ قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ان لكل امة أميناً وان امينا أيتها الأمة ابو عبيدة بن الجراح»، وقد بعثه رسول الله ﷺ الى نجران بهذه الصفة، وكان يدعى في الصحابة «القوي الأمين» وقد رشحه ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة، لخلافة الرسول ﷺ باعتباره «أمين هذه الأمة» «٢ ص٣٥٥»، وكان على رأس قادة الجيوش الموكل اليها فتح الشام، وهو واليها الى ان توفي في طاعون عمواس «٢ ص٣٥٦» وذلك سنة ١٨هـ.

اما كون هؤلاء العشرة من اصحاب الجنة، فقد ورد ذكرهم في كتب الحديث، ومنها سنن الترمذي الذي روى اسماء هؤلاء الذين مر ذكرهم «٢/٣٥٧».

❖ فوائد وملاحظات:

أولاً: ان المؤلف قد بخل على كتابه بعناوين المباحث التي تطرق اليها، ولكنه استثنى بعض هذه العناوين، وقد رأيت من المفيد ذكرها مع موضعها من الكتاب المطبوع، وذلك لمساعدة القارئ في العثور عليها في الكتاب بجزئيه وقد زادت صفحاتها على ألف صفحة، والغريب ان العناوين في الجزء الأول الذي يقع في

«٦١٦» صـفـحـة لم تـزد على (١٥) عنواناً، في حين زاد عدد العناوين في الجزء الثاني الذي عـدد صـفـحـاته لا تزيد على (٤٢٠) صفحة كان عدد العناوين فيه (٢٨) واليك البيان:

اما الجزء الثاني، ففيه بقية السيرة النبوية الشريفة والعناوين الآتية:

نسب العشرة الكرام البررة، ص١٠٣:

بفاطمة وخلافته ص١٩١، ١٩٧ و ٢٠٤، الحسن بن علي رضي الله عنه ص٢٠٠، الحسين ابن علي رضي الله عنه ص٢١٣، بقية اولاد علي وذريته ص٢٢٣، فضائل علي رضي الله عنه ص٢٣٢، خطب علي وتقشفه ص٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٣، مقتل علي رضي الله عنه وما الى ذلك ص٢٧٩ .

٥- الزبير بن العوام رضي الله عنه ص٢٨١، واخبار ابنه عبد الله ص٢٩٧ .

٦- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ص٣١٥ .

٧- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ص٣٢٧ .

٨- سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ص٣٣٩ .

٩- سعيد بن زيد رضي الله عنه ص٣٤٩ .

١٠- ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ص٣٥٥-٣٥٨ .

ثانياً: ملاحظات فاتت على المؤلف والمحقق:

١- ورد في الصفحة «٤١١/١» ان ابا عبيد استشهد في واقعة الجسر، وجاء في الحاشية القول: وبعد خراب الجسر اصلحه ابو عبيد بعد خرابه، وهو الخراب الذي وقع بسبب القتال، ولا بد ان الذي اصلحه هو شخص آخر. وقد سبقت الاشارة الى هذا الجسر «٢٧٧/١» ولكن الذي شهد واقعة الجسر هو غير ابي عبيدة «بالتأنيث» اذ كان ابو عبيدة في بلاد الشام، وهذا الجسر في العراق، قرب الحيرة، ولذا فإن الصحيح هو ابو عبيدة، انظر كتاب «الخلفاء الراشدون» للذهبي ط بيروت ١٩٩٠، ص٨١-٢٠٠ .

٢- يستفاد مما ورد في «٢٢٥/١» ان عبد الله بن مسعود اشار الى مقتل عثمان، وهذا يناقض ما ورد في الصفحة ٢٢٦، من انه توفي قبل مقتل عثمان، وان عثمان رضي الله عنه صلى على جنازته.

٣- ورد في «١٩٤/١» ان «الدور» موضع ببغداد، ولم ينتبه المحقق الى هذا الخطأ لأن «الدور» هو موضع في «سامراء» حوالي «١٥٠» كيلو متراً شمالي بغداد، وورد في الصفحة نفسها شرح لمعنى «القوصرة» في الحاشية، بأنها وعاء من قصب يرفع فيها التمر، غير انها كيس مصنوع من خوص النخيل، ولا زالت معروفة باسمها هذا في العراق، ويوضع فيها التمر كذلك.

٤- لا يتردد المؤلف في اقتباس بعض

الألفاظ التي لا يصح اقتباسها في كتاب قيم كهذا الكتاب، لأنها مخلة بالأدب، ومن ذلك ما ورد في «١/٤٥٠» وهو بيت من الشعر ورد فيه:

فلو شاء ربي لكان «....» أبيكم

طويلاً ك «....» الحارث بن سدوس

٥- ذكر المؤلف في «١/٣٦٣» ان امرأة سماها كانت زوجة لشخص اسمه «زبان» فمات عنها، وتزوجها ابن زبان، وكان حرياً بالمحقق ان يلفت الأنظار بأن ذلك محرم في الاسلام.

٦- القول برافدي العراقي قول قديم، كما يتضح من «١/٣٦٠» في قول الشاعر:

أأطمت العراق ورافديه

فزاريا أحزّ يد القميص؟

المقصود بالرافدين، دجلة والفرات، ولذا تسمى من قبل القدماء والمحدثين «بلاد ما بين النهرين».

٧- ورد في «١/٢٤٨» اسم وكيع بن ابي الأسود التميمي، بينما ورد الاسم في الصفحة التالية بشكل مخالف وهو «وكيع بن الدورقية السعدي» مما يشوش القارئ.

٨- وجاء في «١/٣٦١» قول لابن هبيرة: ما رأيت اشرف من الفرزدق «هجاني أسيراً ومدحني أميراً»، ولعل العكس هو الصحيح «هجاني أميراً ومدحني أسيرا» ليستقيم السياق، ويستحق الفرزدق الشرف.

٩- وفي ص «١/٣٠٤» بأن بني دارم ذكروا في مجلس عبد الملك بن مروان، فقال الحاضرون: انهم محظوظون، فقال عبد الملك: تقولون ذلك وتنسون ان لقيط بن زرارة لا عقب له، ومحمد بن عمير لا عقب له، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً، بينما ان المذكورين هم اثنان لا ثلاثة، فلم ينتبه المؤلف ولا المحقق الى ذلك!.

١٠- في حديث المؤلف عن الأصمعي، ورد في نسبه في (٣٤٦) شخص باسم «مظهر» بالظاء المعجمة وفي آخر سطر من هذه الصفحة ورد الاسم بصيغة «مطهر» بالطاء المهملة بدلاً من المعجمة، ولم يتنبه المؤلف ولا المحقق الى ذلك.

١١- ورد في ص (١/٣٤٧) خبر عن غزوة «بلنجر» وعلق عليها المحقق بقوله، بأنها مدينة من بلاد الخزر، بينما

وردت في (٣٤٨/١) في صلب الكتاب بأنها في «ارمينيا» ولم يتنبه الى ذلك المحقق.

١٢- اعتاد المؤلف على كتابة اسم «العاص» بصيغة «العاصي» بإضافة «ياء» بما فيه اسم عمرو بن العاص، أو غيره مثلما ورد في «٣٣/١ و ٣٦ و ١٠٠ و ٢١٦» ولم يتنبه الى ذلك المحقق.

١٣- ومما يستحق الاهتمام قول المؤلف في (٢١٦/١): ان شخصين احدهما كان «عثمانياً» والآخر «علوياً»، كان مصلاهما في مسجد واحد ولا يتحد احدهما مع الآخر، ولكنني أجد في هذا الخبر ما يؤكد ان مثل هذا الخلاف لا يستند الى سبب ديني، وإلا ما صليا في مسجد واحد، ولا وراء إمام واحد!!.

١٤- ورد في (١٩٨/٢) خبر عن سؤال وُجه للسيدة عائشة رضي الله عنها، عن أحب الناس لرسول الله ﷺ، فقالت: فاطمة، ومن الرجال: زوجها «ان كان ما علمته صواماً قواماً» والصحيح «إذ» بدلاً من «إن» ليستقيم الكلام ولكن المحقق لم يتنبه اليه.

١٥- جاء قول الشاعر في (٣٥/٢) «واجعل لهم ذكراً وأنم الثمرة» ولعل الصحيح هو «الشجرة بدلاً من الثمرة» لأن النماء هو للأشجار وليس للثمار، ولم يتنبه المحقق.

١٦- ورد في (١١٥/٢) اسم الحسن بن علي، مشفوعاً بعبارة «عليه السلام» مما يدل على ان أهل الأندلس رغم كون حكامهم من الأمويين، فإنهم يكنون الاحترام والتبجيل لآل الرسول ﷺ بقولهم: «عليه السلام» وهذه ليست الوحيدة، بل يحتوي الكتاب أمثلة أخرى في (٢٠٩/٢) وغيرها.

١٧- وفي صفحة (١٩٤/٢) اسم صعصعة ابن «صومان» ولعل الصحيح هو «صوحان» والله اعلم.

١٨- وقع في السطر الثالث من (١٤٠/٢) عبارة «لا يؤوب الى رحلة» ولعل الصحيح «الى رحله».

١٩- ورد في صفحة (١٩٤/٢) خبر عن دار الندوة، وما دبرته قريش في مواجهة النبي ﷺ وارادوا المكر به فجاءوا اليه ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي، مما يدل على عمق العداء بين نجد والحجاز.

٢٠- ذكر المؤلف موقعاً في (٢٠٥/٢)

بأرض الكوفة اسمه «مسكن» وعرّف به المحقق في الهامش، وقال: انه موقع قريب من «اوانا على نهر دجيل» وهذا خطأ، اذ ليس «دجيل» من ارض الكوفة التي تقع في حوض الفرات، بينما دجيل في حوض دجلة واسمها تصغير «دجلة».

٢١- عندما توفي «الحسن بن علي» رضي الله عنهما، ذكر المؤلف في (٢٠٩/٢) أدخله في قبره اخواه الحسين ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن العباس رضوان الله عليهم، وقال المؤلف: «ثم وقف على قبره واغرورقت عيناه.. الخ»، ولكنه لم يحدد هوية الواقف من بين هؤلاء الثلاثة ولم ينبه الى هذه النقطة المحقق والراجح انه يقصد «الحسين» رضي الله عنه.

٢٢- ورد ذكر ادريس بن عبد الله العلوي في (٢١١/٢) وذكر المحقق في الهامش، انه هرب من العباسيين بعد مقتل الحسين بن علي في المدينة، ونزل مصر ثم المغرب سنة ١٧٢هـ الخ، وواضح ان المقصود هربه الى المغرب في تلك السنة، ولكن هذه الأحداث لا علاقة لها بمقتل الحسين رضي الله عنه، والذي لم يقتل في المدينة، ولم يكن قتله في سنة ١٧٢هـ، وكان استشهاده في محرم سنة ٦١هـ وفقاً لما جاء في الكتاب نفسه (٢١٧/٢).

٢٣- ورد في (٢٧٤/٢) ان «راذويه» هو الذي ذهب الى مصر لاغتيال عمرو بن العاص، ولكن الحاشية في (٢٧٥/٢) تقول: ان القاتل هو عمرو بن بكر، ولم يبين المحقق موقفه من هذين الاسمين.

٢٤- وبالنسبة لمعركة الجمل، قال المؤلف (٢٨٤/٢): ان طلحة والزبير سارا من «الفرضة» يريدان علياً، وقد عرف المحقق الفرضة المقصودة على انها موقع بين البصرة واليمامة «اي نجد الخالية» بينما الفرضة ذات العلاقة تقع بما لا شك فيه في البصرة، ومعناها ينسجم مع البصرة، لأن الفرضة تعني «مرفأ» يشرف على نهر أو بحر، كميناء لشحن الحمولات في السفن أو تفريغها، وأخذنا بالمعنى الذي ذكره المحقق لكانت نقطة في الصحراء تبعد عن البصرة مئات الكيلومترات.

٢٥- المعروف ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قد قتل وصلب في مكة (٢٩٩/٢) وان أمه أسماء بنت أبي بكر

رضوان الله تعالى عليهما، هي التي أجبرت الحجاج الثقفي على إنزال جثته، ولكن ما ورد في (٢/٢٩٨) من ان جثته قد صلبت على ثنية اهل المدينة عند المقابر، وعندما أنزلت ألقيت في قبور اليهود (٢/٢٩٩) لا صحة لها.

❖ المصادر التي رجع اليها المؤلف:

موطأ مالك، صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند الترمذي، كتاب الشمائل للترمذي، المنتقى لابن الجارود، السنن للنسائي، تاريخ الطبري، سنن ابي داود، السيرة لابن اسحق، الاستيعاب لابن عبد البر، التقصي لابن عبد البر، الإنباء لابن عبد البر، الأسامي والكنى لمسلم، رياضة المتعلمين لأبي نعيم الاصفهاني، الشريعة للآجري، صفين لهشام الكلبي، الأمثال لهشام الكلبي، طبقات الفقهاء لأبي اسحق الشيرازي، الكامل للمبرد، النوادر لأبي علي البغدادي، كتاب المعارف، معجم ما استعجم، العقد الفريد لابن عبد ربه، منتخب نقائض جرير والفرزدق للنجيري، اشعار الهذليين، تاريخ بغداد، الكافي، الهدية.

❖ الفهارس:

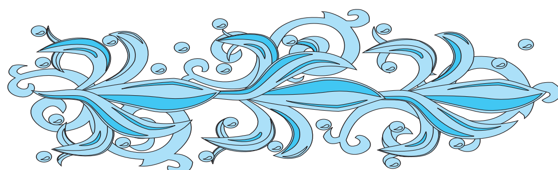
والجدير بالذكر ان المحقق زود كل جزء بمختلف الفهارس التي غطت ١٩٠ صفحة من الجزئين وهي:

١- فهرس الأعلام.

٢- فهرس المواضع والمعارك.

٣- فهرس الاشعار والقوافي.

٤- فهرس الكتب الواردة في المتن.



صنائع المعروف تقي مصارع السوء

■ بقلم الاستاذ نور الدين الخالدي

المعروف المقصود هنا هو فعل الخير كله للعباد، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه، أو علماً، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وعيادة المرضى، ونصرة المجاهدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار.. الخ.

والمعروف هو جملة أفعال الخير التي أمر الله بها في كتابه العزيز، ومن النصوص التي أشارت إلى تنوع هذه العبادة قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾** الحج: ٧٧، فقوله تعالى: **﴿وافعلوا الخير﴾** أمر يشمل كل خير، وقال تعالى: **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾** النساء: ١١٤، وقال سبحانه: **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾** البقرة: ١٩٥ .

ومن الاحاديث النبوية الشريفة التي أكدت ذلك: عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «على كل مسلم صدقة فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا: فإن لم يجد قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فإن لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة» البخاري



ح١٤٤٥، مسلم ح١٠٠٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل سلامى عليه صدقة كل يوم، يعين الرجل في دابته يحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ودل الطريق صدقة» البخاري ح٢٨٩١، مسلم ح١٠٠٩،

كثير من الناس يطلق معنى العبادة على مايتعلق بحقوق الله فحسب، ويغفل عن باب آخر عظيم، وهو حسن المعاملة مع العباد والإحسان إليهم، ولقد أمرنا الرسول ﷺ بفعل الخير.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»، ابن ماجة ح٢٣٧ .

وعن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله، ونصف الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً (في مسجد المدينة) ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له، ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام».

❖ صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

والصدقة خفية تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة.. وأول من يدخل الجنة أهل المعروف، قال ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه.

يذكر أن رجلاً يسمّى ابن جدعان.. قال: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سماناً.. يكاد الربيع أن يفجّر الحليب من ثديه، وكلما اقترب الحوار (ابن الناقة) من أمه درّت عليه.. وانهال الحليب منها لكثرة الخير والبركة.. فنظرت إلى ناقة

من نياقي ابنها خلفها.. وتذكّرت جاراً لي له بنيّات سبع.. فقير الحال.. فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري والله يقول: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** آل عمران: ٩٢ .

وأحب حلالي هذه الناقة.. يقول: فأخذتها وابنها.. وطرقت الباب على الجار.. وقلت: خذها هدية مني لك، فرأيت الفرح في وجهه لا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهره، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم.

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء في الدحول (والدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية أو أقبية مائية تحت الأرض، له فتحات فوق الأرض يعرفها البدو) يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب (وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون).. فتاه تحت الأرض.. ولم يعرف الخروج.. وانتظر أبناؤه يوماً ويومين وثلاثة حتى يئسوا.. قالوا: لعل ثعباناً لدغه ومات.. أو لعله تاه تحت الأرض وهلك.. وكانوا (عياذاً بالله) ينتظرون هلاكه طمعاً في تقسيم المال والحلال.. فذهبوا إلى البيت وقسّموه.. وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيراً لك، وخذ هذا الجمل مكانه، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئاً، قال: أشتكيكم إلى أبيكمو قالوا: اشتك إليه، فإنه قد مات!!.

قال: مات!! كيف مات؟ وأين مات؟ ولِم لم أعلم بذلك؟ قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج، قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل.. ثم خذوا الناقة.. وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم، فذهبوا به.. فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفيّ، ذهب وأحضر حبل.. وأشعل شمعة، ثم ربط نفسه خارج الدحل، ونزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبوا، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يزحف تجاه الأنين في الظلام، ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطين، ثم وقعت يده على الرجل، فوضع يده على أنفاسه، فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجرّه، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، ومرس له التمر وسقاه، وحمله

على ظهره، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد (وأولاده لا يعلمون) فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت الأرض ولم تمت! قال: سأحدثك حديثاً عجباً، لما نزلت ضعت، وتشعّبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي، يقول: وبعد ثلاثة أيام.. وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفاي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي، يقول: فاعتدلت في جلستي.. وإذا بإناء في الظلام لا أراه، يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي، ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه؟، يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظنّ أولادك أنك مِت، وجاءوا إلي وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.

❖ الأنبياء وصناعة المعروف:

الأنبياء عليهم السلام هم أسرع الناس إلى طاعة الله، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف.

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام، بلغ هذه المنزلة بصناعته للمعروف، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل لِم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام يا محمد» الدر المنثور ٧٠٦/٢ .

وهذا موسى عليه السلام **﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾** القصص: ٢٣-٢٤ .

وقال الله حكاية عن عيسى عليه السلام **﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾** مريم: ٣١، روى أبو نعيم وغيره بسنده عن النبي ﷺ أنه قال في تفسيره للآية: «جعلني نفاعاً للناس أين اتجهت» الدر المنثور٥/٥٠٩ .

وكذا كان نبينا محمد ﷺ، قيل للسيدة عائشة: هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم مسلم ح٧٣٢ .

❖ **الآداب المتعلقة بصانع المعروف:**

١- إخلاصه وإسراره بالعمل وعدم انتظار العوض من الناس، قال تعالى: **﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾** الإنسان: ٩ .

٢- أن يبذله لمن يستحقه ويحتاج إليه من إنسان أو حيوان، وأن يبذله للبر والفاجر، بل والكافر.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا طائر ولا شيء إلا كان له أجر» رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ٣/١٣٤ .

٣- أن يعلم أن معروفه نوع من المعاملة مع الله قبل أن يكون معاملة مع الخلق، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي» مسلم ح٢٥٦٩ .

٤- أنه يقع عند الله بمكان مهما صغر شأنه عند الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس» البخاري ح٢٤٧٢، مسلم ح١٩١٤ .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار» مسلم ح٢٦٣٠ .

٥- أن يبادر إلى حاجة أخيه ولو لم يطلبها منه، جاء مديون إلى سفيان بن عيينة يسأله العون على قضاء حاجته، فأعانه ثم بكى، فقالت له زوجته: ما

يبكيك؟ فقال: أبكي إن أحتاج أخي فلم أشعر بحاجته حتى سألني.

٦- المسارعة بالخير والمسابقة إليه ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ البقرة: ١٤٨، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا أو موقوفا «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة» أبو داود ح٤٨١٠ .

٧- أن يستصغر معروفه ولا يمنّ به ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ البقرة: ٢٦٤ .

❖ من ثمرات صناعة المعروف:

١- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» ابن ماجة ح٢٤١٧ .

ولما عرض جبريل للنبي ﷺ في غار حراء: رجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب» البخاري ح٤، مسلم ح١٦٠ .

وقال ﷺ فيما رواه عنه أبو أمامة: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب» رواه الطبراني في معجمه الكبير ح٨٠١٤، وقال الهيثمي: إسناده حسن ٣/١١٥ .

٢- دخول الجنة، روي عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف» رواه الطبراني في الكبير ح٨٠١٥ .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس» مسلم ح١٩١٤ .

٣- مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه».

١

منهج الاسلام في الحفاظ على وحدة المجتمع وصيانته من عوامل التمزق والخلاف

■ بقلم الاستاذ ابراهيم بدر شهاب

الاسلام دين الله الكامل الذي ارتضاه تعالى رحمة للعالمين، هداية لهم الى الحق والخير، وإنقاذاً لهم من التيه والضلال، لذلك كان من مقاصده انه يسعى الى إقامة المجتمع النقي الطاهر، الذي يخلو من الأحقاد والضغائن والفتن والقيم الهابطة، والأمراض الاجتماعية التي تصيب المجتمعات البعيدة عن منهج الله، وتسوده علاقات المحبة والتعاون والتكافل والتضامن، وتشيع فيه المودة والدفء والأمن والطمأنينة، يحرص كل فرد فيه على مصلحة الآخرين ومنفعتهم، كما يحرص على مصلحته الشخصية سواء بسواء، يحس بأوجاعهم وآلامهم، ويفرح لفرحهم ويحزن لمصابهم، وكأنهم جميعاً «كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)].

ومن طبيعة المنهج الاسلامي انه يهيئ الظروف المجتمعية الملائمة لتطبيق أحكامه، فلا يفرض أحكاماً جزافاً لا تتوافر لها ظروف التطبيق والنجاح، وإلا بدت مثالية حالمة، اتخذها المتربصون بالاسلام الحاقدون عليه مطعناً ينفثون من خلاله سمومهم وأحقادهم.

ولذلك فإنه تحقيقاً لمقصده المشار اليه، فهو يهيئ الظروف الاجتماعية الصالحة لإقامة مجتمع الحق والعدل المتراحم

المترابط، الذي تسري فيه روح الاسلام على كل صعيد، وتطبق فيه أحكامه دون عناء أو مشقة، وبذلك تضيق فيه منافذ الخلاف والنزاع بين أفراد المجتمع وفئاته، وذلك من خلال تشريعاته العملية الملزمة التي من شأنها -اذا ما طبقت بحذافيرها- سد الذرائع المفضية الى الفساد، وإزالة دواعي الشر ومسببات النزاع وبواعث الخلاف والشقاق.

وبذلك تنمو في هذه البيئة الصالحة، بذور الخير التي يزرعها الاسلام ويرعاها في الفكر والسلوك، وتورق وتزهر وتتفتح عن ثمار خير جديدة، لا تلبث ان تصير يانعة تنتج بذوراً جديدة تدور معها الحياة دورتها الهادئة السعيدة.

ذلك ان الاسلام يبدأ بناء المجتمع من ضمائر الأفراد ووجدانهم، فهناك في أعماق الروح يغرس بذرة الحب وينسم نسمة الرحمة، ويرسم للمسلمين أهدافهم العليا ويكلفهم التطلع الدائم اليها، وما يرفع نفوسهم وأهدافهم، ويطلق طاقاتهم الكامنة في مجال الانسانية، لا في مجال الفردية، يرفع نفوسهم واهدافهم، ويطلق طاقاتهم الكامنة في مجال الانسانية لا في مجال الفردية، وما من شك ان هذا الانطلاق يشغلهم عن العداوات الصغيرة في المجتمع، والشحناء التي تثيرها المطامع والمطامح.

والاسلام اذ ينظم العلاقة بين الأفراد في إطار المجتمع الاسلامي، يقرر ان العلاقة بينهم هي علاقة الود والرحمة، وعلاقة التضامن والتعاون، وعلاقة الأمن والسلام، ويقرر ان القاعدة التي تقوم عليها حياتهم، هي قاعدة التناسق بين الحقوق والواجبات، والتعادل بين المغانم والمغارم، والتوازن بين الجهد والجزاء، ويقرر ان الغاية المقدرة لهم جميعاً هي امتداد الحياة وانماء الحياة، وترقية الحياة، والتوجه بكل نشاط فيها وبكل نية وعمل الى الله تعالى خالق الكون والحياة، ومن ثم ينتهي كل نشاط فردي، وكل نشاط اجتماعي، كما ينتهي كل تنظيم وكل انتاج الى السلام الكلي الذي ينسق بين مختلف النوازع والاتجاهات، ومختلف القوى والطاقات، ومختلف الأفراد والجماعات، لأن هناك أفقاً أعلى من أفق المصالح

الوقـتـيـة التي تثـيـر الشـحناء وتؤجج العداوات.

وفي جو كهذا يستطيع الفرد ان يحقق ذاته ويحـقق رغبـتـه في الاسـتـعـلاء على نفـسـه دون ان يضطر في ذلك النزاع الفـردي والشـحناء، الى العـراك الداخلي والبغضاء، ففي المجال متسع للجميع، وفي الأرض مندوحـة عن صـراع الديكة على فتات الحياة(٢).

والاسـلام في نظمه المتكاملة المتاسقة المتاغمة، وفي تشريعاته الموجهة الهادية، يوفق بين حقـوق الافراد والجماعات، فلا يغفل حق الفرد لصالح الجماعة ولا يغفل حق الجماعة لصالح الأفراد، ولا يستعدي فئة على أخرى، أو يستثير فريقاً ضد فريق، فيقـوم التعـاون مكان التبـاغض، والتلاحم مكان التمزق، والتوازن مكان الاختلال، والإيثار مكان الإثارة، والتكامل مكان التبدد، وتصبح علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الأفراد بالمجتمع علاقة محبة ومـودة وتراحم وتعاون، لا صـراعـاً بين طبقات، ولا إيثاراً للأقلية الجشعة على حساب الأكثرية المحرومة، ولا تفضيلاً مزاجياً لشخص على شخص، أو مجموعة على مجموعة، بل الكل سواء في الحقوق والواجبات(٣).

وقـد رسم الاسـلام خطوطاً عـريضـة تتفرع عنها خطوط أخرى دقيقة توضح اجمالاً وتفصيلاً، طبيعة العلاقات بين الناس وأساليب التعامل فيما بينهم، وذلك في كـافـة مناحي الحـيـاة، بحيث لا تدع مجالاً لنشوء خلاف أو إثارة نزاع أو إساءة ظن بينهم، أو نمو الشكوك والأوهام في طريقهم، وفوق ذلك جعل في كل نفس مؤمنة حارساً يقظاً يراقب تصرفاتها، ويحصي عليها الفاظها وحركاتها وسكناتها، يذكرها بالله تعالى ويخوفها من عقابه، ويرغب اليها التنازل عن بعض مالها لصالح إخوانها المسلمين، فما عند الله خـيـر وأبقى، وبذلك يمنع نشـوب الخلافات بين الناس، واذا ظهرت بوادرها يسارع الى وأدها في مهدها ولا يتركها دون استئصال، وبذلك يعيش المجتمع آمناً مطمئناً، لا تعكر صفوه أنانية ولا طمع، ولا دنيا مـؤثرة ولا هوى متـبـع، ولا نفـوس مريضة ولا أحقاد ولا ضغائن متى التزم

المسلمـون بنهج الاسـلام وارتضـوه فكراً ومنهـاجاً وحكمـوه فيمـا شجـر بينهم، واتخذوه دستوراً ينظم حياتهم، ونبراساً يستهدون بنوره، ومركباً آمناً يستقلونه.

ففي مجال علاقات العمل والمصالح التجارية حدد الاسلام الحلال والحرام، وبين ما يجوز وما لا يجوز من الأعمال والمعاملات، وأتبع كل توجيه في هذا الباب بتذكير المسلمين بتقوى الله تعالى، وطلب من كل مسلم ان يكون في المعاملة الواحدة مكان أخيه، يؤثره على نفسه أو يساويه بها، لأنه انما يبيع لنفسه ويشتري لأخيه، ويفاوض أخاه من أجله وينسب نفسه وكيلاً عنه، وبالتالي فلا مكان للشح والأنانية والطمع، وإنما إيثار وحب وتعاون، وقلوب طاهرة ونفوس مطمئنة، فقد حبب اليهم ما عند الله الباقي، ليهون ما بين أيديهم من متاع الدنيا الفاني، وبالتالي فلا حرص عندهم، ولا أثرة لأنفسهم ولا شحناء بينهم ولا خصومة ولا جدال ولا شقاق ولا نفاق، قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٤)، ذلك ان المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً.

وقد جاءت توجيهات الاسلام في هذا المجال صريحة واضحة شفافة، بهدف قطع الذرائع الى الحرام وتضييق السبل الى الفساد ورفع أسباب الخلاف والنزاع.

وأكثر ما شدد الاسلام في تحريمه «الربا» بكافة أشكاله وصوره، وتوعد المرابين بالحرب والعذاب، لأن الربا يقتضي أخذ أموال الناس من غير عوض، ويفضي الى انقطاع المعروف بين الناس، وتمكين الأغنياء من أخذ أموال الفقراء دون وجه حق، ومعنى هذا: ان الربا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي، ونتيجته ان يزداد الغني غنىً والفقير فقراً، مما يفضي الى تضخم طبقة على حساب طبقة أو طبقات أخرى، ويخلق الأحقاد والضغائن، ويورث نار الصراع بين أبناء المجتمع الواحد، ويؤدي الى الثورات المترفة والمبادئ الهدامة، كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرابين على السياسة والحكم والأمن المحلي والدولي جميعاً، ولهذا جاء قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ﴾**

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون﴾[٥]، وطلب مقابل ذلك تعاون رأس المال والعمل واشتراكهما معاً في المغنم والمغرم، ورغب في القرض الحسن والتعاون بين الميسورين والمعوزين[٦].

وكذلك فقد حرم الاسلام الاحتكار الذي يقوم على خزن السلعة الضرورية ليبيعها بثمن غالٍ عند حاجة الناس اليها، ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ الله منه»[٧]، وقال ﷺ: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله تبارك وتعالى ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة»[٨].

ونهى كذلك عن الأساليب الخبيثة في التعامل التجاري بين الناس، كالغش والتدليس والنجش والحلف الكاذب لإنفاق السلعة، والرشوة والبيع على بيع الآخرين، وغيرها من الأساليب التي تثير الشحناء والبغضاء وتبعث كوامن الشر وتؤجج العداوات، قال تعالى: **﴿ويل للمطففين ❖ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ❖ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾**[٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناجشوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً»[١٠]، وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا»[١١]، وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[١٢].

وحذر ﷺ من المماطلة في سداد الديون لما تثيره من حنق الدائنين وغضبهم، ولما تبذره من شكوك تفقد المتعاملين الثقة فيما بينهم، ورغب في تعجيل الوفاء بها قبل الموت، فقال ﷺ: «مطل الغني ظلم»[١٣].

وكان ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدّين، فقيل له: انك تستعيذ من الدين (الغرم) كثيراً يا رسول الله، فقال: ان الرجل اذا غرم (استدان) حدث فكذب ووعد فأخلف»[١٤] فبين ﷺ ما في الاستدانة من خطر على الأخلاق نفسها.

وفي المقابل فقد رغب الاسلام في انظار المعسر المدين، بل بإعفائه من الدين متى وجد الى ذلك سبيلاً، قال تعالى: **﴿وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾**[١٥].

ولأن اختلاف الليل والنهار وتباعد الأزمان ينسي المتعاملين حقوقهم وواجباتهم بموجب العقود التي يبرمونها فيما بينهم، فقد أمر الاسلام بتوثيق العقود والمعاملات وتوضيح بنودها وشروطها بما لا يدع مجالاً للبس والغموض، وأن يدعم ذلك بإشهاد الشهود، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمىً فاكتبوه﴾**[١٦] وقال تعالى: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى﴾**[١٧]، وقال جل وعلا: **﴿ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا﴾**[١٨].

وبذلك تحفظ الحقوق صغيرة كانت أم كبيرة، وتمنع اسباب النزاع بين المتعاملين، حيث لا يكفي في التعامل بين الناس سلامة النية وحسن الظن من جانب واحد، فعل الجانب الآخر لا تكون نيته سليمة، وظنه ليس حسناً، وذاكرته ضعيفة، فينكر الاتفاق او يغير بعض بنوده تحت ذرائع شتى، فتثور عند ذلك المشكلات ويقع التنازع والخصام، والقضاء في مثل هذه الحالة يتطلب البينة والدليل، حيث لا تكفي فيه القناعة الذاتية.

وليس هذا فحسب، بل يدعو الاسلام الى السماحة في المعاملة بيعاً وشراءً، وقضاءً واقتضاءً، قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً اذا باع، سمحاً اذا اشترى، سمحاً اذا قضى، سمحاً اذا اقتضى»[١٩]، والى الأمانة في التبادل والشراكة، قال ﷺ: «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته»[٢٠]، والى النصح في التجارة، قال ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[٢١].

كما نظم العلاقة بين أرباب العمل، بحيث يمنع استغلال أرباب العمل لجهود العاملين دون رحمة ودون مقابل لا يعادل الجهود المبذولة أو حبات العرق المتساقطة من جباه العاملين: قال رسول الله ﷺ: «من استأجر أجيراً فليعلمه أجره»[٢٢]، وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره، ورجل باع حراً فأكل ثمنه»[٢٣].

وفي المجال الاجتماعي كذلك، جاءت التوجيهات الاسلامية صريحة واضحة آمرة ناهية مرغبة زاجرة، لتحقق الهدف الذي جاءت من أجله التوجيهات السابقة، وهو صيانة المجتمع المسلم من عوامل التمزق والخلاف، بل لتغرس فيه بذور الفضيلة والحب، وتوطد فيه وشائج القربى والتعاون، وتوثق فيه روابط الدين والأخلاق، وتعزز فيه عوامل التجانس الفكري والتماسك الاجتماعي، لذلك كانت الأوامر والنواهي في هذا المجال كثيرة ودقيقة وشفافة حتى لتصل الى أدق الأمور التي تبرز أثناء تفاعل الناس مع بعضهم البعض.

ومن أهم ما نهى عنه الاسلام في هذا الجانب: احتقار الآخرين والسخرية منهم والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس: وهو تتبع عورات الناس بما يفضي الى إفساد ذات البين وإثارة الفتن والنعرات والأحقاد فيما بينهم، لأن الاسلام الحنيف يريد ان يقيم مجتمعه على صفاء النفوس وتبادل الثقة، لا على الريب والشكوك والتهم والظنون، ولهذا جاء النهي صريحاً واضحاً في قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ❖ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم**﴾[٢٤].

وطلب التريث في قبول الأخبار المختلفة، ولا سيما التي تصدر عن الفاسقين والمارقين من الدين، كي لا يقع ما تحمد عقباه، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**(٢٥).

وكذلك فقد شدد النكير على مثيري الفتن والنمامين والمرجفين ومروجي الاشاعات المغرضة التي من شأنها تفتيت وحدة المجتمع، وزعزعة اركانه وإضعاف تماسكه وقطع روابطه، وبث بذور الشك والريبة بين أفراده، بهدف نزع الثقة فيما بينهم وإيغار صدور بعضهم على بعض، فتوعد بالويل والثبور كل هماز مشاء بنميم، قال جل وعلا: **﴿ويل لكل همزة لمزة﴾**(٢٦)، وقال رسول الله ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»(٢٧) وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات (نمام)»(٢٨)، وقال ﷺ: «شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة بين الأحبة، الباغون للبراء العيب»(٢٩).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- رواه البخاري.
٢- سيد قطب، السلام العالمي والاسلام، ص١٠٤ .
٣- سعد جمعة، الله او الدمار، ١٩٠ .
٤- متفق عليه.
٥- البقرة: ٢٧٨-٢٧٩ .
٦- انظر يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الاسلام، ص٢٥٦ .
٧-٨- أخرجه أحمد.
٩- المطففين: ١-٣ .
١٠- رواه البخاري.
١١- رواه مسلم.
١٢-١٣- متفق عليه.
١٤- متفق عليه.
١٥- البقرة: ٢٨٠ .
١٦-١٧-١٨- البقرة: ٢٨٦ .
١٩- رواه ابن ماجة.
٢٠- البقرة: ٢٨٣ .
٢١- متفق عليه.
٢٢- رواه البخاري.
٢٣- متفق عليه.
٢٤- الحجرات: ١١-١٢ .
٢٥- الحجرات: ٦ .
٢٦- الهمزة: ١ .
٢٧- اخرجه الرافعي.
٢٨- متفق عليه.
٢٩- رواه أحمد.

تطور النظم المالية والاقتصادية في الاسلام

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

مقدمة:

أصبحت الأمور الاقتصادية في عالمنا المعاصر، الشغل الشاغل للإنسان في الشرق والغرب، بسبب تقدم الحضارة، وتوالي الاختراعات المادية، وكثرة المطالب المعيشية، بعد ان تعقدت الحياة، وتعددت مطالبها.

والنظام المالي في الاسلام واضح المعالم، مستقل كل الاستقلال عن جميع النظم المالية العالمية، واكثر مبادئ هذا النظام قواعد كلية كبرى أقرها القرآن الكريم، ووضحها النبي ﷺ، وجرى بها العمل في العهد النبوي الشريف.

وعلى هذه القواعد الكبرى تقاس الفروع الجزئية الصغرى المستجدة تبعاً لتطور الظروف والأحداث، ولا بد في جميع الأحوال من تحقيق التوازن الاجتماعي من خلال كل قاعدة كبرى وكل مسألة فرعية، ولا بد لنا ان نعود الى ماضي هذه الأمة المجيد حيث العلماء الأفذاذ الذين تركوا لنا إرثاً علمياً اسلامياً يحتذى.

❖ كتاب الخراج لأبي يوسف:

نستطيع هنا ان نأخذ عصر ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي الذي عاصر أواخر الدولة الأموية، ثم قيام الدولة العباسية نموذجاً، حيث

اجتازت الدولة الأموية حين مولده فترة خلافة عمر بن عبد العزيز، التي اتصفت بمحاولات ناجحة للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ورد المظالم.

وقد كان تلميذاً لأبي حنيفة الذي كان أسلوبه التعليمي يضاهي الأسلوب التعليمي في أحدث الجامعات من حيث التحليل والتعليل، وتأصيل الأصول، وترتيب النتائج مع التجرد العلمي، تجري فيه «الأسلوب» التطبيقات العملية على وقائع حية تنطبع في الذهن، وتنضبط في الوصف، لأن العمل وحده هو الذي يثبّت العلم ويثبته[1].

وكتاب الخراج هذا كتاب فقه واقتصاد، يهتم بالتنظيمات المالية والاقتصادية، على أسس فقهية، فأبو يوسف فقيه مجدد، لا يلتزم بفقه استاذه ابي حنيفة، ولا بسياسة الخلفاء السابقين، وهو يتبع سنة التطور، ويدرك ظروف الزمان والمكان، وهو في هذا المنهج يسير مع مسار الفقه الاسلامي، ويصور كتابه هذا العصر العباسي الأول، والمدرسة الفكرية المعاصرة، ويقدم لنا صوراً متتابعة لتطور النظم المالية والاقتصادية منذ عصر الرسول ﷺ حتى عصر الخليفة هارون الرشيد[2].

❖ النظم المالية والاقتصادية في كتاب الخراج لأبي يوسف:

اشتملت هذه النظم عند ابي يوسف على ما يلي:

١- باب الغنائم: يوجه الحديث هنا الى الخليفة هارون الرشيد فيذكر احكام قسمة الغنائم كما جاء في القرآن الكريم، وما فعله الرسول الكريم ﷺ في معركة بدر وغيرها من الغزوات، ثم يذكر رأي استاذه ابي حنيفة، ويتحدث عن تطبيق هذه القواعد في الدولة الاسلامية.

وتقسم الغنائم على اربعة أقسام، هي: أسرى وسبي وأرض، وأموال، حسب تقسيم الماوردي في الأحكام السلطانية[3].

٢- الفيء والخراج: ويكاد هذا الفصل من كتاب الخراج يكون دراسة عن موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من فيء العراق والشام، والفيء والخراج عند ابي يوسف شيء واحد.

ويرد على استفسار الخليفة هارون الرشيد، فيقول: «اما الفيء أمير المؤمنين فهو الخراج عندنا، خراج الأرض، والله اعلم»[4] ويستشهد بالآية الكريمة: **﴿وما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين**

وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ الحشر: ٧ .

٣- أرض السواد بالعراق: وقد عقد ابو يوسف فصلاً عنوانه: «ما عمل به في السواد»، وفيه لخص الحديث عن الفتوحات التي تمت في عهد عمر رضي الله عنه وسياسته، وكيف رفض عمر رضي الله عنه تقسيم ارض السواد، قائلاً: «فما يكون لمن جاء من المسلمين» فترك الأرض لأهلها وضرب عليهم الجزية وأخذ الخراج من الأرض.

٤- الأرض: وهي ارض الشام والجزيرة، وقطائع العراق، وهي ما كان لكسرى ومرازبته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد، وهي ارض الصوافي وقد استصفاها عمر رضي الله عنه لبيت مال المسلمين، كما سميت بالقطائع لأنها اقتطعت فيما بعد لمن يتعهدونها، وارض البصرة وخراسان والحجاز واليمن، وقد اعتبرها ابو يوسف في كتابه «الخراج» ارض السواد.

٥- الأرض الموات: وقد كتب عنها نحو سبع صفحات بعنوان: «في موات الأرض في الصلح والصفوة وغيرهما»، وقال: «كل من احيا ارضاً مواتاً فهي له» وهي التي لم تكن ملك أحد أو فيها اي منفعة للمسلمين كالمقبرة وغيرها.

٦- الكلأ والمروج: تناول فيها عدة مسائل، أولها: الرعي والاحتطاب في المروج.

٧- القني والآبار والأنهار: تناول في ذلك بيع الماء وطم الأنهار والقنوات إذا كان في ذلك ضرورة وفيه أذى للناس، وكل ذلك في اربعة فصول، اما الخامس فهو: عمال الخراج وطرائق الجباية، ورفض فيه نظام «القبالة» اي الكفالة لغة، واصطلاحاً هي التعهد والإلتزام والإجارة، كما تناول في الفصل السادس من كتابه «الصدقات والعشور»، وقد رأى ابو يوسف عدم تحصيل العشور إلا مرة واحدة في السنة، إذا أقر التاجر بنفس المال لأن جبايتها في كل مرة تتعدد الضريبة على نفس الوعاء، ولأن عمر رضي الله عنه أمر عماله بعدم ازدواج الضريبة، اما الفصل السابع من كتابه فقد عقده على «الجزية»(٥).

ومن الكتب القديمة التي تناولت موضوع الأموال في الدولة الاسلامية، كتاب «الأموال» لأحمد بن نصر الداودي المالكي الذي تناول في الجزء الأول منه أموراً مالية كثيرة، مثل: أموال الأمراء التي يلونها للناس، والخمس، وغنائم بدر، والأسهم كسهم الفرس في الغزو، وسهم

البراذين في القتال، والأنفال، وخمس النبي ﷺ بعد وفاته، وكيفية التصرف به، وغنائمه ﷺ وأرض السواد، وتمصير الأمصار، وإقطاع الأرضين، وإحياء الموات.

ويتناول في الجزء الثاني: الديوان وأخذ العطاء، وموت الزبير بن العوام، وعليه مئة ألف درهم ديناً أديت عنه من رباعه، والزكاة، وفي الأموال حقوق غير الزكاة، كما يتناول في الجزء الثالث: الأرض المغصوبة وقد زرعها الغاصب، زماناً ووجد أهلها فيها زرعاً قائماً، قال: «أما ما وجدوه في إبان الزراعة، فلهم أخذه بغير شيء يعطونه المغتصب»[٦].

❖ علم المالية العامة الإسلامية:

تعريفه في الاقتصاد الوضعي: هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تعالج الإيرادات العامة للدولة ونفقاتها او الموازنة فيها، أو هو العلم الذي يتخصص في دراسة كيفية تنظيم النفقات العامة والإيرادات العامة والميزانية العامة، بحيث تعمل على تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المستوحاة من الفلسفة التي تتبناها الدولة.

تعريفه في الاقتصاد الاسلامي: هو مجموعة الأصول والمبادئ المالية العامة المستمدة من النصوص الشرعية الاسلامية في القرآن الكريم والسنة المطهرة واجماع العلماء، التي تحكم وتنظم النشاط المالي العام للدولة الاسلامية.

وما يتوصل اليه المجتهدون من علماء الأمة من حلول لهذه الأصول والمبادئ العامة بما يتلاءم مع كل عصر وبيئة، ومن هذه الأصول الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: ١٠٣، وقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس..» منها إيتاء الزكاة، صحيح البخاري، الايمان، باب ٢ - ٢٤٩/١ ج٨ .

ومن الأمثلة على ذلك: فرض الخراج على الأرض المفتوحة من الكفار مع انها كانت توزع على الفاتحين على عهد رسول الله ﷺ.

والخراج مورد مالي عام يترك فرضه وتقديره لاجتهاد علماء الأمة وولاة الأمور، وينطبق هذا على موردي الخراج والعشور اللذين يعتمدان على رأي الإمام في تقدير المبلغ المطلوب دفعه وأين يصرف ومن يعطى منه[٧].

❖ الانفاق العام في الاقتصاد الاسلامي:

تعريفه في الاقتصاد الوضعي: هو مبلغ

من المال يقوم بإنفاقه شخص معنوي عام بهدف تحقيق نفع عام، أو هو مبلغ من النقود تقوم الدولة او السلطات الادارية المختصة بإنفاقه بهدف اشباع حاجة عامة، أما في الفكر الاقتصادي الاسلامي، فإن مصطلح النفقة عند الفقهاء، هو الادرار على الشيء بما يقوم بقاؤه به، وقيل: هي ما يتوقف عليه بقاء شيء من المأكول والملبوس والسكنى.

أما مفهوم النفقات العامة الدارج الآن فهو أصيل عند الفقهاء، فقد كان يستخدم لنفس المصارف..»[٨].

❖ القواعد والضوابط الفقهية في المعاملات المالية:

معنى القاعدة لغة: وتستعمل بمعنى الأس، فقاعدة كل شيء هي أساسه، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾** البقرة: ١٢٧ .

وتطلق القاعدة على الأمور الحسية والمعنوية، فالحسية كما مر في الآية الكريمة، وأما المعنوية فكقواعد الدين والعلوم، (ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ٥/٢٩١، ١٩٩٣).

اما القاعدة في الاصطلاح: فقد سلك العلماء طريقين في تعريفها، الأول: هي حكمي كلي، أو قضية كلية، لذلك عرف القاعدة بأنها «حكم كلي او قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها» والثاني: هي حكم أكثري، أو قضية أكثرية، ولذا يعرفها بأنها «حكم اكثري، او قضية اكثرية تنطبق على أكثر جزئياتها لتعرف أحكامها منها.

أما الضابط لغة: فهو مأخوذ من الضبط، وهو لزوم الشيء وحبسه، ويقال: ضبط الشيء أي حبسه بقوة، ورجل ضابط، اي قوي شديد.

واصطلاحاً: اتفق العلماء على انه حكم يندرج تحته فروع فقهية من باب واحد، ومثاله: «الجزء المنفصل من الحي كميتته كالأذن المقطوعة» اي ان هذا الحكم يختص في باب واحد، وهو الطهارة، فيكون ضابطاً، ويعني ان ما انفصل عن جسم حي، وذلك مثل الأذن، فإنها تكون كالميتة في عدم وجوب الطهارة فيها، وهناك قواعد فقهية، وأخرى أصولية يختص علمها بأصول الفقه.

أما القواعد في المعاملات المالية، فالقاعدة هنا تفيد ان النية معتبرة في كل عمل يقوم به المكلف، ويدور العمل مع النية، فتجعل الشيء حلالاً أو حراماً،

وصحيحاً أو فاسداً، أو صحيحاً من وجه وفاسداً من وجه آخر، وأدلة القاعدة من القرآن قوله تعالى: **﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحاً﴾** البقرة: ٢٢٨، ومن السنة قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: «من أخذ من أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله».

ويندرج تحت هذه القاعدة ما لا يحصى من المسائل الجزئية، مثل المسائل الخاصة بالمعاملات المالية مثل:

بيع العينة: وهو بيع السلعة بثمن مؤجل ثم يشتريها منه بأقل من الثمن حالاً، وهذا هو الربا عند ابن تيمية رحمه الله.

بيع التورق: وهو ان يشتري سلعة بثمن مؤجل ثم يبيعها لغير البائع بأقل من قيمتها من اجل النقد، ورأي الإمام أحمد ان ذلك فيه وجهان: الجواز والكراهية، إلا انه يرى ان ذلك يأخذ حكم العينة.

بيع الأمانة: وهو ان يبيع شخص عيناً لشخص معين الى اجل، على انه متى رد الثمن على المشتري، لزم المشتري رد المبيع اليه، وسماها الشافعية رهنا معاداً، وسمي بمصر بيع الأمانة، ويسمى ايضاً بيع الوفاء، الا ان ابن تيمية رحمه الله يحرمه.

وهناك صورة من صور الحيل، وهو ان يقرض شخص شخصاً آخر ثم يبيعه، واذا قصد الاحتيال في هذا على الربا فلا يجوز ذلك (ابن تيمية: الفتاوى)[٩].

❖ عجز الموازنة:

ويقصد بهذا المفهوم عند علماء الفكر المالي: قصور الايرادات العامة المقدرة للدولة، عن سداد النفقات العامة المقدرة، أو بمعنى آخر: زيادة النفقات عن الايرادات في الموازنة العامة.

أما أسباب العجز فهي:

١- زيادة النفقات حسب الزيادة الطبيعية للسكان، وزيادة نفقات الخدمة العامة خصوصاً بند الرواتب والأجور، وزيادة الأعباء الدفاعية والأمنية، وتزايد اعباء خدمة الدين العام والظروف الطارئة كالكوارث الطبيعية والإنفاق التبذيري والترف من ذوي النفوذ والسلطة والجاه وكبار المسؤولين.

٢- قلة الايرادات بسبب انخفاض حصيلة الضريبة في حالات الركود الاقتصادي، وعدم كفاءة وفعالية الجهات

المسؤولة عن جمع وتحصيل المال العام.

ولذلك فمن واجبات الدولة الاسلامية رعاية مصالح الأمة في كل شؤونها وأهمها الاقتصاد، ولذلك تسن تشريعات تكفل التخفيف عن بيت مال المسلمين، منها: الزكاة والوقف والتكافل الاجتماعي(١٠).

❖ المصارف الاسلامية:

تعريفها: هي مؤسسات مصرفية تلتزم في جميع معاملاتها ونشاطاتها الاستثمارية وإدارتها لجميع اعمالها بالشريعة الاسلامية ومقاصدها، وكذلك بأهداف المجتمع الاسلامي، داخلياً وخارجياً، أو هي: مؤسسات مالية مصرفية تتقبل الأموال على اساس قاعدة «الخراج بالضمان، و «الغنم بالغرم» للاتجار بها واستثمارها وفق مقاصد الشريعة وأحكامها التفصيلية(١١).

❖ الأسس الحاكمة لأعمال المصارف الاسلامية:

١- المنهج الاسلامي هو أساس التعامل.

٢- اقتران رأس المال بالعمل.

٣- التجارة والاستثمار هما محور نشاط المصارف الاسلامية.

٤- جميع عمليات المصارف الاسلامية، سواء كانت تمويلاً بالمرابحة، او مساهمة دائمة، أو متناقصة او مضاربات، أو مشاركات، أو متاجرات بالاشتراك مع الغير.

وبالطبع فإن الاستثمار الاسلامي تحكمه الضوابط والمبادئ الاسلامية التي تدور في اطار القواعد الاسلامية، وأنه من أهمها قاعدة «الغنم بالغرم» اي ان من ينال نفع الشيء يجب ان يتحمل ضرره، وقاعدة «لا ضرر ولا ضرار» وغيرها من القواعد ذات الصلة(١٢).

❖ دوافع تحول المصارف التقليدية للعمل وفق احكام الشريعة الاسلامية:

١- السعي نحو تعظيم الأرباح، مثل: المحافظة على العملاء الحاليين للمصرف التقليدي، بتنويع مجالات معاملاتهم المصرفية، والمنافسة في جذب عملاء جدد، يفضلون العمل وفق الشريعة الاسلامية، وارتفاع معدلات عائد الاستثمارات المصرفية المتوافقة مع احكام الشريعة مقارنة بمعدلات العائد في الصيغ المصرفية التقليدية.

٢- الالتزام بأحكام الشريعة الاسلامية:

أثبتت نتائج دراسة ميدانية لابراهيم محمد مصطفى: «تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الاسلامية»، رسالة ماجستير غير منشورة، ان ٦٢٪ من المصارف التي تحولت للعمل وفق احكام الشريعة الاسلامية، كان الدافع الأساسي لها على التحول هو الرغبة في الالتزام بأحكام الشريعة الاسلامية، والتوبة من كل الأعمال المخالفة لها، وأولها التعامل الربوي[١٣].

الهوامش:

١- محمد محمد مرعي، النظم المالية والاقتصادية على ضوء كتاب الخراج لأبي يوسف، دار الثقافة، الدوحة، قطر ١٩٨٧، ص١٧-٣٧ .

٢- م. س، ص١٤ .

٣- م. س، ص١٠١-١٠٢ .

٤- م. س، ص٢٢٥ .

٥- م. س، ص٩٣-١٨٧ .

٦- أحمد بن نصر الداودي المالكي، الأموال «تحقيق د. محمد حسن الشلبي» دار الحامد، مكة المكرمة، السعودية ٢٠٠١، ص٢٧٠-٢٧١ .

٧- د. وليد خالد الشابجي، المدخل الى المالية العامة الاسلامية، دار النفائس، عمان - الأردن، ٢٠٠٥، ص٢٠٧-٢٠٩ .

٨- م. س، ص٢٠٧-٢٠٩ .

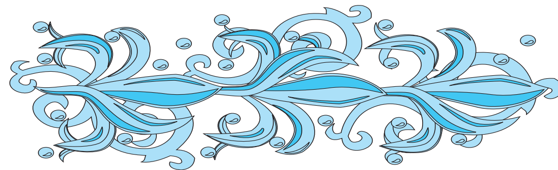
٩- ابن تيمية، القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في المعاملات المالية، اعداد ابراهيم علي الشال، دار النفائس، عمان- الأردن، ٢٠٠٢، ص٤٨-٧١ .

١٠- د. حسين راتب ريان، عجز الموازنة، علاجه في الفقه الاسلامي، دار النفائس، عمان- الأردن، ١٩٩٩، ص٩٥-١١٣ .

١١- د. زيد خلف سالم العطيات، تحول المصارف التقليدية للعمل وفق احكام الشريعة الاسلامية، دار النفائس، عمان - الأردن ٢٠٠٧، ص٥٤ .

١٢- م. س، ص٦٠-٦٣ .

١٣- م. س، ص٧٠-٧١ .



٢

إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نموذجاً

■ **بقلم الدكتور محمد مختار المفتي**

عرضت في الحلقة الأولى من هذا البحث لترجمة موجزة للخطيب البغدادي ومنزلته في علم الحديث والتاريخ والتراجم، وعن مؤلفاته ورسائله المطبوعة والمتداولة وبينت أهمية كتابه تاريخ بغداد ومضمونه، وسأعرض في هذه الحلقة تتمة الموضوع عن ترتيبه للكتاب ومنهجه في عرض تراجمه وأقواله في الجرح والتعديل وقيمة رواياته ومنزلتها وأهم ذيول الكتاب ومختصراته وذكرت أخيرا ملحقا بمصنفات الخطيب البغدادي التي جاءت في رسائل وأطروحات علمية.

❖ ترتيب الكتاب:

المنهج الذي آثر الخطيب البغدادي اتباعه في عرض تراجمه، لم يكن وفقاً للتسلسل الزمني كما قد يوحي بذلك عنوان الكتاب "تاريخ بغداد" ولكنه جنح إلى الترتيب المعجمي وهذا المنهج أجدى في مثل هذه الكثرة البالغة في عدد التراجم وأيسر تناولاً على الباحث.

وقد تكلم المؤلف في الجزء الأول من كتابه على إنشاء بغداد أيام أبي جعفر واصل تسميتها وعلى أسواقها وجسورها ومساجدها ومساحتها.

وبعد ذلك شرع في الترجمة لأعلام أهلها جاعلاً القسم الأول من ذلك في

الترجمة للوافدين على المدائن القريبة منها وهم من الصحابة وفي رأسهم علي والحسن والحسين وسعد وابن مسعود وابن ياسر وأبو أيوب الأنصاري وسلمان الفارسي وعبد الله بن عمر ومعاوية والمغيرة أيام الفتح وبعده رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ينتقل المؤلف إلى التراجم العامة مقدماً أسماء المحمدين على غرار كتاب بغية الوعاة للسيوطي.

كذلك نلاحظ أن الخطيب أيضاً لا يراعي الدقة في ثواني حروف الأسماء فهو مثلاً يبدأ من اسمه محمد واسم أبيه اسحق ثم من اسم أبيه أحمد ثم من اسم أبيه إبراهيم على حين كان ينبغي له أن يفعل العكس.

ويبدو أن أكثر المؤلفين حتى هذا القرن الخامس عصر المؤلف لم يكونوا يعبؤون بهذه الناحية التفصيلية في الترتيب المعجمي[(١)] ولكن نستطيع القول بأنه كان يقدم تراجم المتقدمين على المتأخرين دائماً.

قلنا: إن الخطيب رتب تاريخه على أساس الحروف وبدأ كتابه باسم محمد تكريما لرسول الله ﷺ وبدأ بمحمد بن إسحاق وقال معتذراً: انه بدأ به لأنه لم يجد اكبر سناً وأعلى إسناداً منه. ولم يلتزم أحيانا بالترتيب المعجمي، ويبدو أنه راعى نظام الطبقات ضمن الحرف الواحد فراعى في تقديمه الصحابة والتابعين الذين نزلوا بغداد.

ويظهر لنا من تاريخه تكرار بعض التراجم وسبب ذلك انه ترجم لرجل بإسمه ثم يعيده حسب اللقب المشهور به أو يكون له اسمان.

أما بالنسبة لتكرار الروايات فإن الخطيب كان يتفادى ذلك بالإحالة إلى موضع الرواية التي سبق إيرادها، وكذلك كان يحيل إلى مؤلفاته إن احتاج الأمر إلى التفصيل مثل الجامع وموضح أوهام الجمع والتفريق ومناقب احمد بن حنبل[(٢)].

❖ منهج الخطيب في تاريخه:

عمد الخطيب في تاريخه أن يترجم لجميع علماء بغداد سواء من كان سكنها أم زارها منذ بداية تأسيسها حتى عصره، أوضح ذلك في مقدمة الكتاب أن تاريخه يشمل ما يأتي: (تسمية الخلفاء والأشراف والكبراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والقراء والزهاد والصلحاء والمتأدبين

والشـعـراء من أهل مـدينة السـلام الذين ولدوا بهـا وبسـواها من البلدان ونزلوها، وذكر من انتقل عنها ومات ببلدة غيرها ومن كان بالنواحي القريبة منها ومن قدمها من غير أهلها)[٣].

وبذلك نفـهم أن الخطيب ترجم لعلمـاء بغـداد الذين ولدوا بهـا، وتوفـوا بهـا وأيضـا العلمـاء الذين أتوا من مـدن مـختلفـة وسكنوا بغـداد او حـتى توفـوا بهـا والعلمـاء الذين ولدوا فـيـهـا ثم رحلوا عنهـا وكـذلك تـرجم لأهل المناطق القـريبـة منهـا مـثل سـامـراء وغيـرها، وأيضاً العلماء الذين قدموا بغداد ثم رحلوا عنها.

ولـم يـذكـر الخطيب في تاريخـه من محـدثي الغرباء الذين قدموا إلى بغداد ولم يحـدثوا بها ويرووا العلم، فإنه أهملهم وذلك لكثرة أسمائهم وتعذر إحصاء عددهم.

واعتمـد الخطيب في مـادة تاريخـه على المؤلفات التي سـبقت تأليفه، وخاصة كتب تراجم المحـدثين وكـتب تـراجم الخلفـاء والأدباء والشعراء وكتب الحوليات.

وعـمل الخطيب الانتقـاء من هذه الكتب لأنه وجد لديه مـادة واسعة وكان الغرض من هذا الانتقـاء هو الحـذر من تضـخم كتـابه، وكذلك عـمل الخطيب على تخريج أحاديث المترجمين فـاستخدم كتب الحـديث ومعاجم الشيوخ.

حـاول الخطيب أن يقـدم ترجمـة كاملة ومختصرة لمن ترجم لهم تتضمن الترجمة: اسـمـه ونسـبـه والشـهـرة التي يعـرف بهـا وشيـوخه وتلاميذه وأراء العلماء فيه ويبين رأيه فيه ويذكر إن كان عنده شعر أو رواية، وبيّن مكان وسنة ولادته ومكان وسنة وفاته وفي أي مقبرة دفن.

وعـمل الخطيب على نقـد وتمحـيص الـروايات الـتي بين يديه وبـيـان أوهـام العلمـاء والمصنفين السـابقين وترجـيح بين الروايات المتعـارضة التي تتعلق مثـلا بتاريخ الولادة والـوفـاة ومكانـهـمـا وغـيـرهـا من الأمور.

وتميـز الخطيب بدقـة نقله إذ ينقل النص كما وجده وبعدها يعقب على النص ويصـحـحـه. وقـد اسـتـدرك على عـدد من العلمـاء وبيّن أخطاءهم، وقـد ضـبـط على كـبـار المصنفين مـا شـذوا فـيـه من روايات خـالفوا فيـهـا مـا اتفق عليه العلماء. وكان يعتني بضـبط الأسـماء ويميز بين الأسـمـاء المتشـابهة ويصـوب الأسـمـاء التي وقع فيها خطأ أو تصـحـيـف، وكان أبو بكر الخطيب

البغدادي يحيل أحيانا على مؤلفاته الأخرى، وترجم الخطيب للنساء في آخر كتابه، وبعض من ذكرهن كنّ شيخاته وقد سجل سماعه منهنّ، ويعتمد الخطيب في بيان أحوال الرواة المترجمين على أقوال أئمة الجرح والتعديل، وكان يوازن بينها وينقدها ويرد بعضها[٤].

ولم يترجم في تاريخه للمهندسين والأطباء والحساب والصيادلة والفلكيين والفلاسفة والحكماء، ، ولم يستوعب تراجم رجالات السياسة والإدارة والحرب ولا الأدباء والشعراء والمغنين، بل لم يستوعب تراجم غير المحدثين الذين فاته ذكر بعضهم فاستدركهم عليه ابن النجار وغيره من أصحاب الذيول على "تاريخ بغداد" وذلك لان الخطيب أراد أن يجعله فقط لعلماء الدين وذلك بسبب تكوين شخصيته الغالب عليها الأثر الديني، وخاف من تضخم كتابه أيضا ولذلك لم يذكرهم[٥].

❖ الحافظ الخطيب وأقواله في الجرح والتعديل:

ولما كان الخطيب واحدا من جهابذة المحدثين في المائة الخامسة للهجرة، فإن أقواله في الجرح والتعديل قد اعتبرت أقصى حدود الاعتبار لا سيما تلك التي أطلقها فيمن أدركهم من الشيوخ، أو عاصرهم من الأقران، فصارت معينا لا ينضب لمن ألف بعده وعُني ببيان أحوال الرواة، لا سيما الإمام الذهبي في كتبه فحق له أن يقول فيه: "الحافظ الناقد.. صحح وعلل وجرح وعدل"[٦].

وكان الخطيب ناقدا ماهرا في علم الجرح والتعديل، وكان يوازن بين الأقوال وبين رأيه ويتعقب كبار النقاد ويصوب أخطاءهم في الأسماء والكنى والألقاب والمواليد والوفيات وما وقع لهم من تصحيف وتحريف في الأسانيد أو المتون[٧].

❖ قيمة روايات الخطيب البغدادي ومنزلتها:

استعمل الخطيب الإسناد عند إيراده الروايات وحرص على توثيق المعلومات التي ينقلها بدقة.. وساق أسانيد الأحاديث للتراجم التي ذكرها.

وأشار الدكتور خلدون الأحدب في مقدمة كتابه "زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة" أن الأحاديث التي تفرد الخطيب بروايتها ولم يشاركه فيها أحد من الأئمة الذين سبقوه روايتها أو هو مما

شاركهم في روايته، ولكنه رواها بأسانيد معلولة، إنما مردها في الأغلب الأعم إلى حرصه على أن تقع هذه الأحاديث من طرق من ترجم لهم بغض النظر عما تمثله من قيمة، حيث إن هذا مقصوده دون النظر إلى اعتبار آخر.

وأضاف ان عدد أحاديث تاريخ بغداد (٤٣٨٥) حديثا وجدت منها (٢١٣٢) حديثا رواها أصحاب الأصول الستة أو بعضهم، أي ما يعادل نصف عدد أحاديث التاريخ تقريبا، والأحاديث التي تفرد بها الخطيب البغدادي والتي غالبيتها من الموضوعات والمناكير والضعيفة ضعفا شديدا، قليلة بالنسبة لعدد ما خرجه. والمرتع الخصب لها في المناقب والرقائق ونادرة في أحاديث الأحكام.

وأشار الدكتور الأحدب أن الحافظ الخطيب له إضافات وتنبيهات قيمة أتى بها عقب الأحاديث التي رواها وذكر الطرق التي وردت منها ومن تفرد بها من الرواة وكشف عن المتابعات والشواهد وتعقب رجال أسانيدها ببيان حالهم من الجرح والتعديل وحكم على بعض الأحاديث بالوضع أو النكارة أو الغرابة.. وجماع القول في ذلك: إن قيمة ما يرويه الخطيب وغيره من أمثاله قيمة سنده ولا يصح التعميم بضعف ووضع ونكارة ما يروونه بمجرد العزو إليهم[٨].

وذكر الدكتور بشار عواد في مقدمة تحقيقه لـ "تاريخ مدينة السلام" أن الخطيب البغدادي أخذ في كثير من المواضع عند الحكم على الرجال بقاعدة سبر حديث المترجَم ليصدر حكما عليه، لا سيما حينما لا يجد جرحا أو تعديلا، أو وجد شيئا من ذلك ثم وجد أن سبر حديثه يدل على غير ذلك.

وأضاف قائلا: إن إيراد الحديث في كتب الرجال كان لغايات محددة تهدف في الأغلب الأعم إلى تقويم حال الراوي جرحا أو تعديلا. وقد ألف البخاري تاريخه الكبير ليكون مظنة لأحوال رجال الحديث جرحا وتعديلا وبيانا لما أخطأوا فيه أو أصابوا، ولم يكن هدفه جمع الحديث أو بيان منزلة كل حديث. وإذا كان الأمر كذلك تبيّن أن لا يستغرب من رواية الأحاديث الواهية والموضوعة في كتب الرجال والتراجم لأن سياقة هذه الأحاديث التالفة في تراجمهم هي المنبئة في كثير من الأحيان عن أحوالهم[٩].

❖ ذيوله ومختصراته[١٠]:

اختصر تاريخ بغداد العديد من

المؤرخين ومن أبرز من ذيل عليه: السمعاني (ت ٥٦٢هـ) وسماه الذيل على تاريخ بغداد.

ثم جاء بعده ذيل أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ)، وسماه (ذيل بغداد) وقد لخصه الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وسماه "المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي" ثم كتب محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار ذيلا على تاريخ الخطيب وسماه (التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من الأعلام) طبعته دار الكتب العلمية، وعنوان الكتاب يشير إلى ما استجد من تراجم بعد تاريخ الخطيب.

وذيل على ابن النجار أيضاً كل من: تاج الدين علي البغدادي (ت ٦٧٤هـ) وتقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ) وسماه (الذيل على ذيل ابن النجار) وذيل عليه أيضاً أبو الحسن محمد ابن احمد القطيفي (ت ٦٣٤هـ) وأيضاً أحمد بن صالح بن شافع الجبلي (ت ٥٦٥هـ)، وهناك ذيل هبة الله بن المبارك السقطي وذيل شجاع بن أبي شجاع الذهلي، أما من اختصره فهما كل من ابن مكرم والإمام الذهبي[١١].

❖ أشهر طبعات الكتاب[١٢]:

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، عدد الأجزاء: ١٤، سنة النشر: ١٩٣١، الناشر: مكتبة الخانجي: القاهرة، المكتبة العربية: بغداد، مطبعة السعادة: القاهرة. استغرق الكتاب نحو خمسة آلاف صفحة.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق وطبع أوفست، عدد الأجزاء ١٨، سنة النشر ١٩٨٣، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء، ٢٤، سنة النشر ١٩٩٧، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

تاريخ مدينة السلام بغداد، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي تحقيق: بشار عواد معروف عدد الأجزاء: ١٧، سنة النشر: ٢٠٠١، الطبعة الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت[١٣].

وهي أفضل طبعات الكتاب، إذ يتميز تحقيق الدكتور بشار باستيعاب مخطوطات تاريخ بغداد ومقابلة النسخ وضبط النص

والتعليق عليه وتخريج الحديث والحكم عليه تصحيحاً أو تضعيفاً، ووضع الفهارس اللازمة لتيسير مادة الكتاب.

❖ أهم المصادر والمراجع:

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ١٤، سنة النشر ١٩٩٧، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

تاريخ مدينة السلام بغداد، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي تحقيق: بشار عواد معروف عدد الأجزاء: ١٧، سنة النشر: ٢٠٠١، الطبعة الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ـ مؤسسة الرسالة – بيروت–١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت، ١٩٨٧م.

ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ تحقيق أحمد فريد الرفاعي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٨٧م.

الدكتور يوسف العش، "الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها"، مطبعة الترقي– دمشق ١٣٦٦هـ/١٩٤٥م.

الدكتور أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار القلم دمشق – بيروت ١٩٧٥م الطبعة الأولى.

الدكتور أكرم ضياء العمري، الكتب التي أوردها الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد مرتبة حسب مواضيعها، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الخامس، ١٩٧٣م.

الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، دار الشروق، بيروت.

الدكتور محمود الطحان، الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ). دار القرآن، بيروت.

الدكتور خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٠ أجزاء، ١٩٩٦م.

الدكتور محمود السيد الدغيم، الخطيب البغدادي علم من أعلام العلم والأدب، مقال منشور بجريدة الحياة، العدد: ١٥٢٨٥ الصفحة: ١٥، يوم السبت ٥ / ٢/ ٢٠٠٥م.

ملحق مصنفات الخطيب البغدادي في رسائل علمية.

علي عبدالله الجمعة، الأحاديث والآثار الواردة في تاريخ بغداد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود.

عبدالله بن صالح بن حجر، أقوال الخطيب البغدادي في الجرح والتعديل من خلال تاريخ بغداد مقارنة بأحكام المتقدمين والمتأخرين، رسالة دكتوراه غير منشورة.

بابكر حمد الترابي، الخطيب البغدادي وجهوده في علم الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

محمد الفهيد، الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود /١٤٠٠هـ.

فضل الرحمن عبد العليم الأفغاني، تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف، دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ

محمد مطر الزهراني، السابق واللاحق، ماجستير - الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠١هـ، طبعت، دار طيبة في الرياض عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

عبد الرحمن محمد الشريف، غنية الملتمس وإيضاح الملتبس، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٣ هـ.

محمد مطر الزهراني، الفصل للوصل المدرج في النقل، دكتوراه، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٧هـ، طبعت، دار الهجرة، السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

محمد صادق الحامدي، المتفق والمفترق/ النصف الأول/ دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ١٤٠٨هـ. طبع بدار القادري ١٩٩٧م.

عبد الرزاق موسى أبو البصل، الفقيه والمتفقه، دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.

محمد خالد عبيد، الكفاية لمعرفة أصول الرواية/من أوله حتى آخر باب ذكر الحجة في إجازة رواية الحديث على المفتي/ دراسة وتخريج، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٦هـ.

منهج الخطيب البغدادي في الجرح

والتعديل من خلال كتابه الكفاية، رسالة ماجستير، جامعة عبد القادر الجزائري، قسنطينة.

عبد السميع الأنيس، الفصل للوصل المدرج في النقل" رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٦م. طبع في دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، نشرته دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٠ أجزاء، ١٩٩٦م.

محمود الطحان، الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، رسالة دكتوراه، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ). دار القرآن، بيروت.

أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، رسالة دكتوراه، طبعت بدار القلم دمشق-بيروت ١٩٧٥م الطبعة الأولى. وبدار طيبة، الرياض ١٩٨٥=١٤٠٥.

محمد رأفت سعيد، "الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع" رسالة دكتوراه، نشرته مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٤٠١هـ.

الهوامش:

(١) مصطفى عطا، مقدمة التحقيق ٢٨/١.

(٢) الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ص٣٠١-٣٠٤، دار الشروق، بيروت، وانظر موارد الخطيب البغدادي ص١٠٣، طبعة دار القلم.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ج١ ص٦٥، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

(٤) الدكتور أكرم ضياء العمري. موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. دار القلم. دمشق١٩٧٥، ص٩٨.

(٥) الدكتور أكرم ضياء العمري. موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. دار القلم. دمشق١٩٧٥، ص٩١ بتصرف.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨.

(٧) انظر مقدمة تحقيق بشار عواد ل كتاب "تاريخ مدينة السلام" ١١٢/١.

(٨) ٨٧/١ بتصرف.

(٢) ١٦٨/١ بتصرف

(١٠) أصبح تاريخ الخطيب أصلا لتاريخ بغداد ولم يؤلف أحد بعده في تراجم علماء بغداد في الفترة

التي تناولها، بل صار أساسا يبنى عليه فيتمم كلما استجدت فترة زمنية بعده وهو ما يعرف في تاريخ الحركة التأليفية عند المؤرخين بالتذييل. انظر مقدمة بشار عواد في تحقيق "بغداد مدينة السلام" ١/١٢٤دار الغرب الإسلامي.

(١١) الدكتور أكرم ضياء العمري - موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد - دار القلم - دمشق١٩٧٥، ص٩٤ بتصرف.

(١٢) علمت أنه يوجد لدى ورثة احد العلماء بتونس وهو العلامة الشاذلي النيفر رحمه الله نسخة أصلية من كتاب تاريخ بغداد بخط الخطيب البغدادي، وهي بهذا الاعتبار من نوادر المخطوطات في العالم.

(١٣) أشير إلى أن أحد طلبة العلم في المدينة المنورة وهو دكتور في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية عاكف منذ سنوات على تحقيق كتاب تاريخ بغداد، ويقابل على جميع النسخ التي أشار إليها د. بشار عواد في تحقيقه، مع نسخ أخرى لم يعثر عليها د. بشار، وتحقيقه كما علمت مركز على: ضبط النص وتخريج التراجم بتوسع.



شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام والرد عليها

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

لله در القائل[1]:

وليسَ يصحُ في الإفهام شيءٌ ... إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وهل تحتاج الشمس إلى دليل حقاً!؟ في زماننا هذا نعم، حيث وُضع تشريع الله العزيز الحكيم على طاولة البحث، هل يصلح للتطبيق أم لا!؟ وحيث انتقد الإسلام في أعظم أحكامه وأعدلها وأسماها. وقبل أن نخوض في شبهاتنا هذه حول مكانة المرأة في الإسلام، يجدر بنا أن نطوف سريعاً حول أوضاع المرأة في أوروبا قديماً وحديثاً، لتعلم كيف ظلم الإسلام المرأة!؟

كانت النساء في أوروبا وفي العالم كله هملاً لا يحسب لهنّ أي حساب، فقد عقد في فرنسا اجتماع سنة ١٥٨٦ ليبحث شأن المرأة، وما إذا كانت تعدّ إنساناً أو لا تعد إنساناً، وبعد النقاش قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل[2].

وفي إنجلترا بقيت النساء حتى ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين، وظلت المرأة حتى سنة (١٨٨٢) ليس لها حقوق شخصية كالتملك، وإنما كانت ذائبة في أبيها وزوجها، ولم تسوِّ جامعة أكسفورد



بين الطلاب والطالبات في الحقوق (في الأندية اتحاد الطلبة) إلا بقرار صدر في ٢٦ تموز ١٩٦٤[٣].

ثم جاءت الثورة الصناعة فكانت الكارثة التي لم تُصب المرأة بشرّ منها في تاريخها الطويل. فقد قلبت الأوضاع كلها في الريف والمدينة على السواء، وحطمت كيان الأسرة وحلت روابطها بتشغيل النساء والأطفال في المصانع، واستدرجتهم إلى المدينة التي لا يعرف فيها أحدٌ أحداً، ولا يعول أحد أحداً، وإنما يستقل كل إنسان بعمله ومتعته، وحيث يسهل الحصول على المتعة الجنسية من طريقها المحرم، فتهبط الرغبة في الزواج وكفالة الأسرة، أو تتأخر سنوات طويلة في أحسن الظروف، والحق أن المرأة هي التي دفعت أفدح الثمن من جهدها وكرامتها وعرضها، وحاجاتها النفسية والمادية.

فقد أعرض الرجل عن إعالتها من ناحية، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى لو كانت زوجة وأماً!؟ واستغلّتها المصانع أسوأ استغلال من ناحية أخرى، فشغّلتها ساعات طويلة من العمل، وأعطتها أجراً أقل من الرجل الذي يقوم معها بنفس العمل في نفس المصنع، وإذا كان النساء والأطفال ضعافاً، فما الذي يمنع من استغلالهما إلى أقص حد؟ إن الذي يمنع شيء واحد فقط، هو الضمير، ومتى كان لأوروبا وأمريكا ضمير!؟.

ثم جاءت الحروب العالمية الأولى والثانية، وقتل عشرات الملايين من الرجال والشباب الأوروبيين والأمريكيين، ووجدت ملايين من النساء بلا عائل، ثم لم تكن هناك أيد عاملة من الرجال تكفي لإعادة تشغيل المصانع لتعمير ما خربته الحرب، فكان حتماً على المرأة أن تعمل، وإلا تعرضت للجوع هي ومن تعول من العجائز والأطفال، وكان حتماً عليها كذلك أن تتنازل عن أخلاقها، ولم تكن المسألة مسألة الحاجة إلى الطعام فحسب.

فالجنس حاجة بشرية طبيعية لا بد لها من إشباع. ولم يكن في وسع الفتيات أن يشبعن حاجتهن الطبيعية ولو تزوج كل من بقي حياً من الرجال، بسبب النقص الهائل في عدد الرجال نتيجة الحرب.

ولم تكن عقائد أوروبا وديانتها تسمح بالحل الإسلامي، وهو تعدد الزوجات، لذلك لم يكن بُدٌّ للمرأة أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام وحاجة الجنس.

تلك هي قصة (كفاح المرأة لنيل

حـقـوقـهـا) في أوروبا وأمـريكا، قـصـة متسلسلة، كل خطوة فيها لا بد أن تؤدي إلى الخطوة التالية.

ترى.. أين هي الانتصارات التي حققتها المرأة في الغرب اليوم؟ ومن خلال أي منظار علمي سليم يمكن رؤيتها والعثور عليها في القرن العشرين؟!.

قـد يخـيل إلى ذوي النظرة السـطحيـة السـاذجة الحمقاء، أن المجتمع الغربي فتح أبواب العـمل أمـام المرأة كـالرجل سـواء بسـواء، وإذاً فهو قـد منحـها أهم حـقوقـها المنشودة، وحـقق لها المسـاواة مع الرجل، إلا أن المجتـمع الغـربي لم يـفعل هـذا في واقع الأمر من أجل المرأة، ولا كانت حقوقها واردة منه على بال بل لم يكن للمجتمع الغربي في ذلك اختيار.

ذلـك لأن اشـتـراك المرأة مع الرجل - اليوم- في مجالات العمل والكسب، إنما كان استجابة حتمية لعاملين اثنين لا ثالث لهما:

العـامل الأول: دافع الشح والتكالب الماديين، فـرب الأسـرة لا يرى -تحت وطأة هذا الدافع- مـا يدعـوه للإنفـاق على ابنتـه، بعد أن أصـبحـت قـادرة على أن تكسب المال من أي طـريق، وكـذلك الـزوج لا يرى مـا يدعوه للإنفاق عل زوجته التي بوسـعـها أن تنطلق فـتـأتي هي الأخـرى بالمال من أي مكان، لأن أعـباء الحـياة والملذات كبـيـرة، تتطلب المزيد من النفـقـات والوقت ثمين!!

ولـقـد كـانت المرأة أولى ضـحـايا هـذه المعـادلة، ونظرة واحـدة منك إلى تلك النسـاء اللائي يقـبعـن تحت أقدام الرجـال لمسح أحذيتهم، أو اللائي يكسـحن القمامة في داخل أنفـاق المترو بعد منتـصف الليل، أو اللائي يمارسن حـراسـة المنشـآت تحت وابل الأمطار وفـي قرّ الشـتـاء -يقطع دابر كل جدل أو تجاهل في هذا الأمر.

العامل الثاني: تفاقم سلطان الإباحية والمتعة الجنسية، حتى لم يعد يصبر الرجل عن المرأة والعكس، في أي طور من أطوار العمل أو شأن من شؤون الحياة.

لا ريب أن هـذين العـاملين يوضـحـان بشكل واضح أن المسـألة ليست رعـاية من المجتـمع الغـربي لكرامـة المرأة وحـقـوقـها، وإنما هـي منزلق خـطر تورط فـيـه كل من الرجل والمرأة، على طريق السـباق والأناني إلى اقـتطـاف مـزيد من المتـعـة السـريعـة بقطع النظر عن كل النتائج.

❖ المرأة في الإسلام[٤]:

ونعـود إلى وضع المرأة في الإسـلام، لنعرف.. هل فعلاً كانت ظروفنا الجغرافية

والاقتصادية والتاريخية والتشريعية، تجعل للمرأة (قضية) تكافح من أجلها، كما كان للمرأة الغربية قضية؟! أم أنها شهوة التقليد الأعمى، والعبودية الخفية للغرب!؟.

من البديهيات الغنيّة عن التعريف في الإسلام أن المرأة كائن إنساني، له روح إنسانية من نفس النوع الذي منه روح الرجل، وتتمتع بالمساواة الكاملة في الكيان البشري، يترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان، فحرمة الدم والعرض والمال، والكرامة التي لا يجوز أن تمس بحال من الأحوال، كلها حقوق مشتركة لا تمييز فيها بين جنس وجنس، والأوامر والتشريعات فيها عامة للجميع، والجزاء في الآخرة واحد للجنسين، وتحقيق الكيان البشري في الأرض متاح للجنسين (الأهلية للتملك والتصرف الحر) وهنا يحق للإسلام أن يفخر بما أعطى المرأة من كيان اقتصادي مستقل، فصارت تملك وتتصرف وتنتفع، بشخصها مباشرة بلا وكالة.

ولم يكتف الإسلام بذلك، بل حقق كيانها في أخطر المسائل المتعلقة بحياتها، وهي مسألة الزواج فلا يتم العقد إلا برضاها، ويصبح العقد باطلاً إذا أعلنت أنها لم توافق عليه.

ويبلغ من تقدير الإسلام لمقومات الكيان البشري في عصور كان يغشاها الجهل والظلام، أن اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية، وهنا كذلك يحق لنا أن نفخر بديننا، أنه أول نظام في التاريخ نظر إلى المرأة على أنها كائن بشري لا يستكمل مقومات بشريته حتى يتعلم، شأنها شأن الرجل سواء بسواء، فجعل العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل، بينما ظلت أوروبا تنكر هذا الحق إلى عهد قريب، ولم تستجب إليه إلا خضوعاً للضرورات.

ولكن الإسلام بعد هذا الذي أوضحنا من تقرير المساواة الكاملة في الإنسانية، يفرّق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق وبعض الواجبات، وهنا الضجة الكبرى التي يثيرها أعداء الحق وتثيرها معهم نساء المؤتمرات.

وقبل الدخول في تفصيل هذه المواضع التي يفرّق فيها الإسلام بين الرجل والمرأة، ينبغي أولاً أن نرد المسألة إلى جوهرها الحقيقي، إلى أصولها الجسمية والنفسية والوظيفية.

هل هما جنس واحد أو جنسان؟ وهل هي وظيفة واحدة أم وظيفتان؟ تلك هي

عقدة الموضوع فإن أرادوا أن يقولوا: ليس بين المرأة والرجل خلاف في التكوين الجسدي والكيان الوجداني ووظائف الحياة البيولوجية، فماذا عسى أن نرد عليهم؟!.

وإن أقروا بوجود هذا الخلاف فهناك إذن أساس صالح لمناقشة الموضوع.

هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة أن تبدل طبائع الأشياء، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع؟ وهل اختصاص أحد الجنسين بالحمل والرضاعة، لا يستتبعه أن تكون مشاعر هذا الجنس وعواطفه وأفكاره مهيأة بطريقة خاصة لاستقبال هذا الحادث الضخم، والتمشي مع مطالبه الدائمة؟.

إن الأمومة بكل ما تحويه من مشاعر نبيلة، وأعمال رفيعة وصبر على الجهد المتواصل.. هي التكييف النفسي والعصبي والفكري الذي يقابل التكييف الجسدي للحمل والإرضاع.

وهذه الرقة اللطيفة في العاطفة، والانفعال السريع في الوجدان والثورة القوية في المشاعر التي تجعل الجانب العاطفي، لا الفكري هو النبع المستعد أبداً بالفيض.

فهذا كله هو الوضع الصحيح للمرأة حين تلبي وظيفتها الأصلية وهدفها المرسوم.

والرجل من جانب آخر مكلف بوظيفة أخرى، ومهيأ لها على طريقة أخرى، مكلف بصراع الحياة في الخارج، سواء كان الصراع هو مجابهة الوحوش في الغابة، وظروف الطبيعة ، أو نظام الحكومة وقوانين الاقتصاد.. كل ذلك لاستخلاص القوت ولحماية ذاته وزوجته وأولاده من العدوان.

هذه الوظيفة لا تحتاج أن تكون العاطفة هي المنبع المستجاش، بل ذلك يضرها ولا ينفعها، والآن.. وقد استعرضنا حقيقة الخلاف بين طبيعة الرجل والمرأة، نعود إلى مواضع التفرقة بينهما في الإسلام.

● المبحث الأول، الشهادة:

ومعروف أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل كما نص القرآن الكريم[٥]، واتفق أئمة المذاهب الأربعة على عدم قبول شهادة المرأة في الحدود والقصاص خلافاً لابن حزم[٦].

والحقيقة أن أعداء الإسلام رأوا في

ذلك نقيصة في حق المرأة وشبهة طالما رددوها.. وقبل بيان الحكمة الراقية من هذا الحكم التشريعي، يحسن بنا أن نسأل السؤال التالي: هل تحمّل الشهادة تكليف أم تشريف؟.

والإجابة واضحة بينة، فلا يخفى أن تحمل الشهادة تكليف لا تشريف، فما يضير المرأة أن تجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل أو تردّ حتى بالكلية؟ وماذا خسرت من عدم تكليفها أعباء هذه الشهادة؟! إلا أن تكون من عشاق ارتياد أماكن الشبهة والترداد أمام القضاة والمثول أمام المحققين في مراكز الأمن والمحاكم!!.

وعلاوة على ذلك نقول -عطفاً على ما قررناه في المقدمة من اختلاف واقعي بين الجنسين:

علل القرآن الكريم لذلك (شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل) بأن المرأة قد تنسى أو تحار أو يشتبه عليها وجه الحق، وعندما تكون معها امرأة أخرى فسوف يتعاونان على الإدلاء بالحقيقة كاملة..

وقد بحث العلماء في هذا الموضوع[٦] فأدركوا أن المرأة في (دورتها الشهرية) تكون شبه مريضة، وأن اضطراب الحيوية يصيبها ببعض الارتباك، والتثبت في أداء الشهادة واجب، والاحتياط في القضاء كذلك، وهو أمر يحرص عليه كل تشريع عادل، فيضع من القيود على وسائل الإثبات ما يكفل قوتها وسلامتها، فحرصاً من التشريع الإسلام على نصاعة الحجة وقوة الشهادة، طلب تأييد شهادة الواحدة بشهادة أخرى.

ثم إن طبيعتها الأنثوية تجعل المرأة أقل ممارسة لشؤون الحياة العامة، أضف إلى ذلك أنها تغلّب العاطفة على العقل غالباً، والشهادة لا تتطلب هذا.

ومما يؤكد أن الملحظ في الأمر ملحظ قضائي لمراعاة مبادئ العدالة والاحتياط في الحكم، أن الإسلام قبل شهادة المرأة وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها أو فيما تطلع عليه هي دون الرجال غالباً مثل:

(إثبات الولادة والثيوبة والبكارة والرضاع وعيوب النساء) فالنساء بأمراض النساء أعرف، ولو كانت المرأة غير أهل للشهادة ابتداء لما قبلت شهادتها مطلقاً، فليست المسألة إكرام أو إهانة وإنما تثبّت واحتياط، أما عدم قبول شهادة النساء في الحدود كالزنا مثلاً، فذلك من باب التكريم لهن وإبعادهن عن الفواحش.

● المبحث الثاني، الميراث:

أثيرت حول نظام توزيع التركة في



التشريع الإسلامي شبهات متعددة، وهو منها بريء، وهي تُهم حاول أصحابها عن جهل منهم أو سوء قصد النيل من التشريع الإسلامي، وما دروا أنه صرح شامخ وصخرة راسخة لا تؤثر فيها التهم الواهية، ورحم الله الشاعر حيث قال:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإن لم يكن المقام يتسع للرد على كل الشبهات، لحقارتها من ناحية، ولانكشاف ضعفها وكذبها من ناحية أخرى، فإنه لا مانع من الرد على واحدة منها، ربما كانت هي الأوسع انتشاراً، وأكثرها ثباتاً في نظر أصحابها.

وهي: أن الإسلام فارق في توزيع الميراث بين الأنثى والذكر على أساس الجنس، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وهو جور وظلم -على حد تعبير أصحاب هذه الشبهة- وسوف نرد عليه -بعونه تعالى- رداً موضوعياً من صميم أحكام الإرث في التشريع الإسلامي.

فالإسلام برئ من هذه التهمة بالكلية، وهو لم يفرّق في الإرث بين ذكر وأنثى على أساس الجنس مطلقاً، نعم إن الإسلام فاضل بين الورثة في الإرث أحياناً، وسوى بينهم فيه أحياناً أخرى، بل إنه أعطى بعضهم أحياناً، وحرم بعضهم منه بالكلية أحياناً أخرى، فأعطى الرجال أحياناً وحرم النساء، وأعطى النساء أحياناً وحرم الرجال، وأعطى النساء أكثر من الرجال أحياناً، كما أعطى الرجال أكثر من النساء أحياناً.

ولكنه في ذلك كله كان منطلقاً من أسباب موضوعية لا علاقة لها بالجنس مطلقاً، مثله في ذلك مثل الدولة تحابي الأطباء في أوقات الحرب، تشجيعاً لهم على بذل قصارى جهدهم في خدمة الجرحى، وتحابي المهندسين في أوقات السلم ليبذلوا كل طاقاتهم في بناء الوطن.. وليس معنى ذلك أنها تحب الأطباء أكثر من غيرهم، أو تحب المهندسين أكثر من غيرهم، ولكن هذه المحاباة سببها أمر خارج عن طبيعة ذلك ومرتبط بالحاجة إليهم. ونحن هنا بصدد نفي تهمة محاباة الرجل على حساب المرأة فقط.

لذا فإننا نورد أمثلة (٧) تطبيقية نثبت فيها أن الإسلام أعطى المرأة وحرم الرجل أحياناً، وأعطى الرجل وحرم المرأة أحياناً،

وأنه أعطى المرأة أكثر من الرجل أحياناً، وأعطى الرجل أكثر من المرأة أحياناً، كما سنورد أمثلة أعطى الإسلام فيها المرأة مثل الرجل تماماً، **موضحاً أن القاعدة العامة في الإرث هي المساواة بين المرأة والرجل، وأن التفضيل بينهما طارئ، ومبني على أسباب موضوعية خارجة تماماً عن طبيعة الجنس.**

١- توفي رجل عن: أم، وأب، وزوج، وبنت، وبنت ابن.. التركة هنا تقسم إلى (١٥) سهماً، لبنت الابن منها سهمان، ولو كانت بنت الابن هنا ذكراً (ابن ابن) لما استحق شيئاً بإجماع الفقهاء، بمعنى أنه أعطى الأنثى هنا ومنع الذكر.

٢- توفي رجل عن: أم ، وبنتين، وبنت ابن.. التركة هنا تقسم إلى خمسة أسهم، ليس لبنت الابن فيها حظ مطلقاً، ولو كانت ذكراً (ابن ابن) لكانت التركة من ستة أسهم، وكان لابن الابن فيها سهم واحد بالاجماع.

٣- توفيت امرأة عن: زوج، أخ لأم، أخت لأم.. التركة هنا من سهمين، الأول للزوج، والثاني للأخ والأخت من الأم بينهما مناصفة، الذكر والأنثى فيه سواء.

٤- توفيت امرأة عن: أب، وأم، وابن.. التركة من ستة أسهم، للأب منها سهم واحد، وللأم سهم واحد أيضاً، كالأب، لا فارق بينها وبينه في ذلك، رغم اختلافها في الجنس ذكورة وأنوثة.

٥- توفي رجل عن: أب، وأم، وبنتين، وزوجة.. التركة من (٢٧) سهماً، للبنتين منها (١٦) سهماً، ولو كانا ذكرين (ابنين) لكانت التركة من (٢٤) سهماً، للابنين منها (١٣) سهماً، وهو أقل من حظ الانثيين[٨].

من ذلك ننتهي إلى أن التهمة الموجهة للتشريع الإسلامي من تفضيل الذكر على الأنثى في الإرث باطلة من أصلها وأن الأصل في الإرث المساواة بين المرأة والرجل، وربما حصلت المفاضلة بينهما، إلا أنها قائمة على أسباب موضوعية لا علاقة لها بالجنس، وهي مرة لصالح المرأة ومرة لصالح الرجل على سواء.

ولكننا علاوة على ذلك نقول: إن من الحكم التي تجلت لنا في بعض الحالات التي كانت المفاضلة لصالح الذكر، أن المرأة معفاة من التكاليف المالية قبل الزواج وبعده، ذلك أن نفقتها إما على الأب أو الزوج، حتى ليرى بعض الباحثين أن المرأة أوفر حظاً في الميراث من الرجل، فلئن تأخذ المرأة خمسة وتدخرها، خير من أن يأخذ الرجل عشرة لينفق منها أو كلّها[٩].

● **المبحث الثالث، الدِّيَـة:**

تعـريف الدية: هي في الشـرع[١٠] المال الواجب بالجناية على النفس أو ما في حكمها.

اتفق الفقهاء على أن دية المرأة نصف دية الرجل، عملاً بأحاديث وآثار وبالمعقول، أما الأحاديث فمنها قوله عليه الصلاة والسلام مرفوعاً عن معاذ: "دية المرأة نصف دية الرجل"[١١].

قد يرد على الأذهان -ما يروّج أصحاب هذه الشبهة- أنه إذا كانت المرأة متساوية مع الرجل في الكرامة والإنسانية، فلماذا هذا التفاوت في الدية عند قتل المرأة خطأً؟!

وللإجابة على ذلك نقول: اعلم أن الأمر لا علاقة له بمكان المرأة ولا كرامتها، بدليل أن القتل ولو كان عمداً لوجب القصاص من القاتل سواء أكان المقتول رجلاً أو امرأة، فلو كانت المرأة أدنى من الرجل لما قتل الرجل بها عند قتلها عمداً!.

أما الدية التي يلزم القاتل بدفعها في حال القتل الخطأ، فهي ليست ثمناً وتقديراً لقيمة المقتول، لأن الإنسان أعظم من أن يقدر بثمن، وإنما هي تعويض مالي - أوجبه الله تعالى[١٢]- للخسارة المالية التي نجمت عن وفاة القتيل؛ وبما أن الرجل هو الذي يعيل الأسرة وهو المكلف بالإنفاق على الزوجة والأولاد عادة، فمن البداهة بمكان أن تكون الخسارة المادية عند فقد الرجل أكثر، ونظراً للتفاوت في الضرر كان التفاوت في مقدار التعويض، وعليه.. فالدية ليست تقديراً لقيمة الإنسان المقتول، وإنما تقديراً لقيمة الخسارة المادية التي لحقت بأسرته[١٣].

● **المبحث الرابع، رئاسة الدولة:**

اجمع الفقهاء[١٤] على كون الإمام ذكراً، لأن عبء المنصب يتطلب قدرة كبيرة لا تتحملها المرأة عادة، ولا تتحمل المسؤولية المترتبة على هذه الوظيفة في السلم والحرب والظروف الخطيرة، قال رسول الله ﷺ: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"[١٥].

وبعد أن أعلن الإسلام موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها، نظر إلى طبيعتها وما تصلح له من أعمال الحياة بكل واقعية، فأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة.

ومن المعلوم أن الحاكم في الإسلام، ليس صورة رمزية للاستعراضات

والزيارات والتوقيع، وإنما هو قائد للمجتمع، وله صلاحيات واسعة خطيرة الآثار والنتائج، لا تتفق مع تكوين المرأة النفسي والعاطفي، ولا مع وظيفتها الأساسية، وتحتاج هذه الوظيفة إلى تفرغ كامل لها بينما يعتري المرأة حالات لا بد وأن تلتزم البيت فيها، كالحمل مثلاً، حيث لا تستطيع قوى المرأة إبان حملها أن تتحمل مشقة الجهد البدني أو العقلي، ثم الولادة والنفاس.. الأمر الذي يعطل مصالح الدولة فترة طويلة.

كما أن عاطفتها الغلابة ستجنح بها غالباً إلى جانب الرفق والرحمة حتى بالجناة، وهذا لا يحقق المصلحة العامة، وعليه.. تبين أن حرمان المرأة من الإمامة العظمى ورئاسة الدولة، ليس لقلة شأنها وإنما لخطر المهمة المناطة بها[١٦].

الهوامش:

١- البيت للمتنبي، أنظر: الأمثال والحكم للرازي، ص(٥١).

٢- أنظر : الإسلام في قفص الاتهام، شوقي ابو خليل، ص(٢٢٦).

٣- المرجع السابق.

٤- شبهات حول الإسلام، محمد قطب.

٥- الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

٦- أنظر، أصول المحاكمات الشرعية والدينية، محمد الزحيلي، ص(١٥٦).

٧- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، للشيخ محمد الغزالي، ص٥٨.

٨- الأحوال الشخصية، أحمد الحجي الكردي ص (٢٥٧).

٩- الأحوال الشخصية، د. الكردي، ص (٢٥٨).

١٠- الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٢٣٨، الإسلام دين الفطرة، عبد العزيز جاويش، ص(٨٦).

١١- الفقه الإسلامي، وهبه الزحيلي، جامعة دمشق ١٩٨٧، ص (٢٣٦).

١٢- رواه البيهقي عن معاذ بن جبل مرفوعاً، نصب الراية (٤/٣٦٣)، نيل الأوطار (٧/٦٧).

١٣- الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ص (٢٣٧).

١٤- المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص (٣٨).

١٥- موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي (٦/٦٩٣).

١٦- أخرجه البخاري (٤٤٢٥)، والترمذي (٢٢٦٢).

١٧- دراسات في الثقافة الإسلامية، علي السالوس ورفاقه، ص (٣٠٠) نظرات في الثقافة الإسلامية، للتميمي ورفاقه، ص (١٦٣).

ازدواج المعايير في مسألة التغيير

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

❖ تمهيد:

مسألة التغيير مسألة جوهرية تمس واقعنا، وربما تكون من أسباب تخلفنا وتأخرنا عن الركب المجاور لنا، هناك ثوابت لا تقبل التغيير ولكنها قابلة لتطوير الفهم لها، فلو قلنا مثلاً: أركان الايمان وأركان الاسلام، من الثوابت التي لا تقبل التغيير حسب عقيدتنا الاسلامية، الا ان فهمنا يتطور بتطور العصر، فعظمة الخالق سبحانه وتعالى من خلال مخلوقاته تتطور مع اكتشافات العلم، فلو ان الأرض مالت عن محورها نصف درجة، لتعذرت الحياة عليها من شدة الحرارة أو قسوة البرودة التي لا يطيقها الأحياء، وقل مثل ذلك عن الشمس في مدارها والنجوم التي تسبح في الفضاء.

ومثل هذا التطور يتماشى مع نصوص القرآن الكريم، وأن فهمها يتطور ويتسع مع اتساع الفهم لادراكها، قال تعالى: **﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❖ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ❖ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** يس: ٣٨-٤٠ .

فاتساع الادراك للمعاني السامية للآيات الكريمة، يتطور مع اتساع المعرفة واكتشاف بعض عجائب الكون بالطرق

العلمية، وهو يتناسب طردياً مع قوة الايمان بعظمة الخالق سبحانه من خلال خلقه، ومن هنا كانت خشية العلماء لله وتقواه والإقرار بالعبودية له سبحانه حيث يقول جل وعلا: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** فاطر: ٢٨، اي أن اكثر الناس خشية لله تعالى هم العلماء.

وقوله جل وعلا: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾** المجادلة: ١١، وقوله سبحانه: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** الزمر: ٩، ولو أخذنا مثلاً آخر من أركان الاسلام الخمس التي تقبل التطوير، ولا تقبل التغيير.. الصلاة، فهي ليست مجرد حركات رياضية -كما يتوهم البعض- انها علاقة صلة بالخالق سبحانه وتعالى، وهذه العلاقة تزداد صلة بالخشوع لله تعالى والإكثار من النوافل والصدقات على الفقراء والمساكين.

فأي زيادة في هذه الصلة فهي تطوير - بالخشوع والنوافل والصدقات- وهذه الزيادة لا تغني عن الفرائض الخمس للصلوات يومياً بأوقاتها وأحكامها وعدد ركعاتها، ولنأخذ مثلاً آخر من الثوابت الوضعية لأي منهاج تربوي، منها:

- **البعد الوطني.**
- **البعد القومي.**
- **البعد الانساني.**
- **البعد المعرفي.**

اي أن اي منهاج لا بد وان يحتوي على الأبعاد الأربعة، وأكثر هذه الأبعاد في ضرورة التطوير هو البعد المعرفي ليواكب تطور العلم ويتماشى مع آخر مكتشفاته ولكن تبقى المعرفة بركنيها:

- المعرفة الانسانية الآتية عن طريق العلم.
- المعرفة الانسانية الآتية من الأنبياء والرسل عليهم السلام، من الثوابت التي لا يجوز تغييرها في اي منهاج مع امكانية تطويرها.

وقل مثل ذلك على البعد الوطني، دستور وقوانين وتشريعات البلد الذي به هذا المنهاج والبعد القومي الاقليمي وهو بالنسبة لنا بلدان العام العربي جميعها في المشرق والمغرب العربي.

والبعد الانساني العالمي، حقوق الانسان، حقوق المرأة، حقوق الأقليات، على ان يكون التطوير لا يمس الثوابت الإلهية المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ان حاجتنا المستمرة للتطوير ملحة، ويجب ان تكون مستمرة مع عجلة الزمان والكون دونما مساس بجوهر الثوابت.

❖ المحافظون والمتجددون:

المحافظون على الثوابت قد يسميهم البعض بالمتشددين، وقد تبلغ المغالاة في وصفهم بالإرهابيين، وفي هذا المقام لا يجوز التعميم، فبعض المحافظين يفهمون الثوابت على أصولها، ويؤمنون بسعة الادراك الى تطويرها تمشياً مع مستجدات العلم ومقتضيات العصر، دونما مساس بجوهرها، فهؤلاء ربما يكونوا أطول باعاً في حجتهم وأوسع ثقافة وصدراً بما يُقال عنهم من أولئك المتجددين الذين يغالون بالتجديد الى حد طمس الهوية الوطنية وإلغاء الثوابت الإلهية، نحو أركان الايمان والاسلام لنا كمسلمين.

الأحياء الجامدون في هذا الزمن متواجدون في أماكن كثيرة من العالم شعارهم «لا للتغيير» والعالم يتغير من حولهم والقوانين والتشريعات الأرضية الانسانية تتغير على الدوام، وهم لا يدرون حتى في محيطهم الضيق الذي يعيشونه باعتقادهم بماضيهم ومسايرته بنفس الوتيرة، فيديروا الأحداث والقضايا المعاصرة بنفس التفكير والعقلية التي كانت في العصور الوسطى.

ومثل ذلك على المغالين بالتجديد والتغيير، فقد بهرتهم الحياة المادية وأفرغوا تفكيرهم من الارتقاء بالروح والجوهر، فتراهم يلهثون وراء مطالب جسدية وشهوات آنية والتي لا يمكن ان تنتهي، فتقودهم الى الاكتئات والأمراض النفسية وعدم الرضا والقناعة، والتهافت على الكماليات والملذات الدنيوية، وتناسوا ان الانسان جسم وروح وان الله تعالى لم يخلقه عبثاً، وان التفكر بخلق السموات والأرض جزء من حياة الانسان الفكرية، قال تعالى: **﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض..﴾** آل عمران: ١٩١، وقوله جل

وعلا: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** يونس: ٥ ، وقوله سبحانه: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾** الاسراء: ١٢ .

❖ طلب العلم فريضة:

سواء كان هذا العنوان حديثاً نبوياً أو قولاً مأثوراً، فالمحصلة واحدة، هي ان طلب العلم ضرورة لكل فرد، وسواء كان العلم دنيوياً في ألوان المعرفة الانسانية، أو شرعياً في الفقه والتفسير وعلوم التشريع الاسلامي - بالنسبة للمسلمين، ومنزلة العلماء عند الله تعالى ارفع درجات من غيرهم، قال تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** المجادلة: ١١، وقوله جل وعلا: **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** الزمر: ٩ .

والاستزادة من العلم عملية مستمرة مدى الحياة، ولا تنتهي بدرجة علمية مثل درجة الدكتوراة والاستاذية في الجامعة، بل ان الانسان مهما بلغت معرفته وعلمه، فما أوتي من العلم الا قليلاً، قال تعالى: **﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلاً﴾** الاسراء: ٨٥ .

وهو خطاب موجه للانسانية جميعها على كل مستوياتها وفي كل عصورها، فمهما بلغت درجات العلم تقدماً، فهي مما علمه الله تعالى للانسان قال سبحانه: **﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾** القلم: ٥، وان هذا العلم لا يساوي شيئاً قياساً الى علمه تعالى.

وضرب لنا الامثال لتقريب الفهم وشرح المضامين لنصوص القرآن الكريم، مع وضوح المعاني والمقاصد من هذه الأمثال، الا ان الانسان كان اكثر شيء جدلاً: قال تعالى: **﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلاً﴾** الكهف: ٥٤ .

بقي ان أذكر ان التساؤل لمعرفة الحقيقة، هو غير الجدل الذي يطمس الحقائق وينحرف بها لخدمة غرض

سياسي او اجتماعي او اقتصادي، فالمبادئ تبقى أدوم وألصق بالرؤية الموضوعية للأشياء من منافع ومصالح تتغير باستمرار.

❖ الخلاصة:

١- التغيير في المعرفة الانسانية قائم ومصاحب لتغير الزمان والمكان، ورفد المعرفة الانسانية بمكتشفات العلم، يتسارع مع تسارع هذه الاكتشافات.

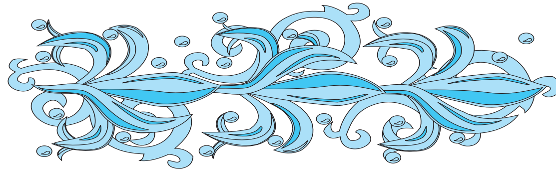
٢- التطور ممكن في الثوابت بتوسيع الفهم والمدركات العقلية لهذه المبادئ دون مساس بجوهرها، وقد ضربت الأمثلة في المقدمة على ذلك.

٣- طلب العلم والمعرفة فريضة على كل من ينشدها، ولا تتوقف عند أعلى درجة علمية PH.D ولا بكرسي الاستاذية ، هي عملية مستمرة مدى الحياة.

٤- تقوية الوازع الديني والأخلاقي وسعة العلم والمعرفة، تساعد على الخروج من شرنقة التعصب وتناول المواضيع والقضايا تناولاً موضوعياً.

٥- ليس كل ما هو جديد بنافع، ولا كل قديم بالي عديم النفع ويتبع ذلك عدم التعميم على المحافظين والأصوليين بأنهم متخلفون.

ونفس الكلام على المتجددين.. فبعض الأشياء تحتاج الى تطور لتماشي روح العصر، والتغير قائم.. والتطور يتسارع بتسارع العلم ومكتشفاته.



أحــوال الـوقــف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر

■ بقلم الاستاذ منذر عبد الكريم القضاة

يعتبر الوقف مؤسسة ذات نفع عام، عرفها المسلمون منذ بداية ظهور الدولة الإسلامية، ويعود الفضل في وجودها إلى تعاليم الإسلام وأحكام شريعته الغراء.

وللوقف دور فعّال في عمليّة التطور والنمو الاقتصادي والاجتماعي، في مختلف العصور الإسلامية، وهو يتضمن جوانب تعبدية، وفيه نواحي تشريعية وأحكام فقهية، ويتضمن أيضاً جوانب تربوية، كما يوجد فيه جوانب اقتصادية، من حيث طرق الاستثمار لأملاك الوقف زراعية أو صناعية أو تجارية وقد ساهم الوقف في هذه الجوانب أكثر من مساهمة بيت المال الذي كان مخصصاً للإنفاق العام.

ويرجع تطور نظام الوقف في الإسلام، إلى اجتهادات الفقهاء أثناء شرحهم لأحكام الوقف، وبذلك جاءت أحكام الوقف في أغلبها اجتهادية كون أحكامه أصلاً لم تثبت في القرآن الكريم وإنما ثبتت في السنة النبوية الشريفة بشكل إجمالي، ومع تطور الوقف أصبحت تلك الاجتهادات والأحكام التنظيمية بمنزلة القانون الذي يحكم علاقات الوقف مع غيره من المؤسسات والجهات والأفراد والجماعات، وقد ظهر لنا من خلال هذا البحث أنّ معظم البلاد العربية ومنها المملكة الأردنية الهاشمية قد



وضعت مجموعة من الأحكام القانونية، والإدارية، والقضائية لتنظيم أعمال وشؤون الوقف في تعاملاتها، بالرغم من وجود قصور قانوني في التعامل مع شؤون الوقف وتنمية أمواله.

آملاً أن تغطي هذه الدراسة النقص الموجود في المكتبة القانونية والإسلامية وان تثري المكتبة الأردنية بموضوع على جانب كبير من الأهمية.. وان تكون بداية لاهتمام اكبر بمسائل الوقف وان يكون بحثي هذا دافعا لغيري للكتابة في هذا الموضوع الهام من موضوعات الوقف.

❖ التدرج التاريخي للوقف في الإسلام:

تخوض الأُمّة الإسلامية -منذ نحو قرن من الزمن- معركة كبيرة للحاق بركب التقدم والنهضة والتنمية، بعد الانحطاط والتخلف اللذين لحقا بها، والمحزن في هذا أنَّ الكثير من المفكرين والفقهاء القانونيين والعلماء، ينظرون إلى أنَّ النهضة والتنمية والتقدم أمور لا تأتى إلا من الغرب؛ إلا أنَّ الواقع يقول: إنّ أبرز مظاهر الضعف والتخبط التي لحقت هذه الأُمّة، هو العجز والفشل والأزمات العميقة في جميع المجالات ممّا لم تفلح في علاجها المذاهب والحلول المستوردة التي نادى بها هؤلاء المفكرون والمثقفون.

وقد ذهب د. أحمد الريسوني في هذا الصدد إلى القول: "فما أقلَّ ما تمَّ اللجوء إلى ديننا وتراثنا الحضاري لحلِّ مثل هذه المعضلات، والأخذ بالتجارب والنظم التي أثبتت فاعليتها قديماً وحديثاً، مثل نظام الزكاة، ونظام الوقف"[١].

إنَّ هذا المبحث يلفت الانتباه بصفة خاصة، إلى نظام الوقف الذي ظلَّ لقرون طويلة، الركيزة الكبرى لحمل الكثير من الأعباء والمتطلبات الاجتماعية في حياة المسلمين التي تنوء اليوم بحملها الدوائر والقطاعات المعنية في تقديم الخدمة الاجتماعية للمواطنين، ويعرض هذا الفصل في مبحثين:

❖ أُصول الوقف التاريخية:

لقد عرفت البشرية قبل الإسلام شيئاً عن الوقف، فقد ورد أنَّ الوقف قد عُرف عند الفراعنة في مصر، حيث ذكر بعض المؤرخين أنه قد عثر على صورة وثيقة تبيّن أنَّ والدا وهب ولده الأكبر أعياناً

وأمره بصرف غلالها على إخوانه على أن تكون تلك الأعيان غير قابلة للتصرف فيها[٢].

كما عرف الرومان الوقف إذ ينسب "لجستنيان" إمبراطور الرومان أنّه قال: " إنَّ الأشياء المقدسة كالمعابد، والنذور، والهدايا، وممّا يخصص لإقامة الشعائر الدينية لا يجوز أن تباع أو ترهن ولا يجوز أن يمتلكها أحد"[٣].

أمّا في العصر المتأخر فقد انتشر عند الألمان فكرة الوقف على المعابد والكنائس، وحسب الإحصاءات التي نشرت فإنَّ مدخرات الكنيسة في ألمانيا وميزانيتها في ازدياد، بل انها تمثل أرقاماً عالية، فالأصل في الوقف عندهم أنه لا يباع ولا يوهب ولا تورّث عينه وليس للمستحق فيه سوى المنفعة التي يتلقاها حسب ترتيب درجته في الاستحقاق[٤].

وقد شهدت فرنسا انتشارا في الأوقاف على دور العبادة والملاجئ والمدارس والمستشفيات، حتى أنها شملت في القرن السادس عشر حوالي ثلث مساحة فرنسا، وهذا ممّا مكّنها من غزو معظم دول العالم ونشر نشاطها التبشيري[٥] أمّا في النظام الأمريكي فإنَّ الوقف يتبع نوعاً من التصرفات يسمى (Trust The) وهو بمعنى إقامة أمانة خاصة بمال معين لاستغلاله لفائدة أخرى[٦].

❖ نشأة الوقف في الإسلام:

تطورت الأوقاف لدى المسلمين في صورة لا نظير لها في أُمم الأرض، فقد شهدت نمواً كبيراً، إلى أن باتت ذات أثر رئيسي في كفاية ذوي الحاجات، وتنوعت مجالاتها، فلم تدع فئة من المجتمع تفتقر إلى العون إلا وشملتها بالعناية، يستوي في ذلك الأيتام والفقراء والمساكين والأرامل والمرضى والعجزة والمسنون والمعاقون وطلبة العلم وعابرو السبيل وغيرهم.

كان الوقف وما يزال يمثل صفحة مشرقة في تاريخ المسلمين، انتشر العمل به منذ فجر الإسلام وتبارى الناس فيه، مع أنّه لم يرد فيه نص صريح في القرآن الكريم، وإنما وجدت فيه المجتمعات الإسلامية الأولى والمتأخرة استجابة لدعوة الله سبحانه وتعالى لفعل الخير والإنفاق

في سبيله، وتفسيراً مباشراً لمعنى "الصدقة الجارية" التي يذكر رسول الله ﷺ أنَّ عمل الإنسان لا ينقطع بها قال رسول الله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[٧].

إن الوقف لم يشتهر في الأمم السابقة، ولم ينتشر العمل به إلا في هذه الأُمّة المُحمدية، وقد ذكر بعض العلماء أن الوقف من خصوصيات هذه الأُمّة، وقد ذكر الشافعي رحمه الله أنه لا يُعرف في الجاهلية فقال: "ما علمنا جاهلياً حبس داراً على ولد، ولا في سبيل الله، ولا على المساكين"[٨] وذكر في موضع آخر: "ولم يحبس أهل الجاهلية داراً ولا أرضاً تبرراً بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام.

والظاهر من كلام الشافعي رحمه الله أنه يقصد وقف الأراضي والعقار لأنه عُرف عن المشركين حبس الأشياء الأُخرى مثل السائبة، كما أنَّ مراد الشافعي عدم وجود الوقف في مشركي العرب وليس نفي ذلك عن باقي الأُمم[٩].

ولا بدّ حتى يأخذ هذا المبحث حقّه في البحث من إيراد بعض النماذج الوقفية التي تبيّن نشأة الوقف في الإسلام:

١- العصر النبوي:

يروى أنَّ أول وقف في الإسلام كان صدقة الرسول ﷺ، التي تمثلت في أراضي مخيريق اليهودي، الذي أعلن قبل معركة أحد أنَّه إذا أُصيب فإنَّ أمواله - وكانت سبعة بساتين بالمدينة- لمحمد ﷺ يضعها حيث أراه الله، وقتل مخيريق في غزوة أحد، فأصبحت أمواله في عامة صدقات الرسول ﷺ فأوقفها[١٠].

٢- عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

حبس أبو بكر الصديق رضي الله عنه رباعاً له بمكة المكرمة ، وأوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأرض التي أصابها بخيبر ، وأوقف عثمان رضي الله عنه البئر التي اشتراها وأوقفها للسقيا، وأوقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بستاناً على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل والقريب والبعيد في السلم والحرب، وتوالت أوقاف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وسار على نهجهم المسلمون في كل زمان ومكان، ينفقون

أموالهم تقربا لله تعالى راجين رحمته وغفرانه والجنة[١١].

٣- عهد الأمويين:

أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بإنشاء إدارة للأوقاف بمصر[١٢].

٤- عهد المماليك:

نتيجة لكثرة الأوقاف والأحباس في العهد المملوكي اضطرّت الدولة إلى إنشاء دواوين للأوقاف منها ديوان أحباس المساجد ، ديوان الأوقاف الأهلية[١٣].

٥- عهد العثمانيين:

اتسع نطاق الوقف في عهد الدولة العثمانية بسبب إقبال السلاطين وولاة الأمور وأسرهم والمحسنين على الوقف وأقاموا لها إدارات خاصة لتنظيمها وضبط مصارفها[١٤].

وبالرغم من استمرار العمل بالوقف بعد انحسار الدولة العثمانية في معظم الدول الإسلامية ،إلا أني أرى وكما يظهر بشكل واضح ان الاهتمام قد ضعف في معظم البلاد الإسلامية ومرد ذلك إلى قلّة الوازع الديني، وعدم وجود توعية إرشادية من الدول الإسلامية عن أهمية الوقف، وخوف الناس من عمل وقفيات تستولي عليها السلطات الإدارية وتقوم بالتصرف فيها بحجّة مصلحة الوقف.

❖ دور الوقف في المجتمع الإسلامي المعاصر:

عُرّف الوقف بأنّه: تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة، وهو صدقة جارية في الحياة وبعد الممات، لذا كان له أهمية كبرى، ومكانة عظمى، وآثار جُلى في حياة المسلمين، وقد كان محل عناية الفقهاء الذين اجتهدوا في بيان أحكامه، وإيضاح أهدافه وغاياته وإبراز مكانته، لأنّه من خير الأعمال الصالحة التي رغّب الإسلام فيها وحثّ الناس عليها.

إن المتتبع لأحوال الوقف وشؤونه يجد أنّ الوقف يمر الآن بأحوال ضعف أدت إلى تقهقره وعدم الاهتمام به، مما أفقده أهميته العظيمة جنباً إلى جنب مع الزكاة، ولعلّ من أهم أسباب ضعف الوقف نهب أمواله والاعتداء على العقارات الوقفية واستبدالها ممّا قلل من انصراف الناس إلى الوقف.

❖ **العـــوامل التي أدت إلى تراجع دور الوقف عبر التاريخ الإسلامي:**

بدأ الاعتداء على الوقف بعد انهيار دولة العباسيين، وظهور دولة المماليك وغيرهم، وقد ذكرت المصادر التاريخية عن طمع السلاطين وولاة الأمور بأموال وأراضي الوقف وقد عنون الشيخ أبو زهرة رحمه الله ذلك بقوله: «طمع الولاة في الأوقاف»[١٥].

وقد استغل أصحاب السلطة قانون الاستبدال ليختاروا أملاكاً وقفية معينة ويستولوا عليها باسم الاستبدال، مما جعل معظم الأوقاف الممتازة ذات النفع الكبير تخرج من الوقف إلى أصحاب الملكية الخاصة، مستخدمين بذلك سلطانهم ومستغلين ضعف القضاء للوصول إلى ذلك[١٦].

وقد تصدى العلماء منهم الإمام النووي للملك الظاهر بيبرس عندما استولى على ملكيات لم يستطع أصحابها إثبات ملكيتها لهم، وحجته في ذلك أن من في يده شيء فهو ملكه لا يحلُّ لأحد الاعتراض عليه، و لا يكلف إثباته فاليد دليل الملك ظاهراً[١٧].

ومن العوامل التي أدت إلى تدهور الوقف إعراض الناس عن الوقف وانحساره في الوقت الحاضر، بالإضافة إلى طغيان النزعة المادية في المجتمع المعاصر عند عموم المسلمين.

ومن ذلك أيضا قيام أصحاب السلطة وأصحاب الأموال باستئجار العقارات والأراضي بأجور بخسة واستمرار ذلك سنين طويلة[١٨].

ويرى الباحث أن من أهم الأسباب التي أدت إلى تدهور الوقف في تاريخنا المعاصر عدم وجود تشريع قانوني في البلاد العربية والإسلامية يمنح متولي الوقف صفة المحافظة على مال الوقف وإعطاؤه الحرية في إنماء الوقف وإخراجه من حالة الركود والضياع.

❖ **الوقف ودوره التاريخي في المجتمع الإسلامي:**

قال الخصاف عن وقوف الصحابة: "فمنهم من جعلها جارية في أبواب البر، ومنهم من قال: لذوي قرابته أبدا، وفي أبواب البر والمساكين.."[١٩] **ونلمس من هذا القول ان دور الوقف في المجتمع هو:**

١- دور الوقف في الحياة الاجتماعية:

للوقف دور في رعاية الفقراء والمساكين وابن السبيل والأيتام والأرامل والمنقطعين وأرباب العاهات، وإنشاء دور لرعاية الشيوخ والضعفاء من الفقراء وهذا من أهم الأدوار وأعظمها جنبا إلى جنب الزكاة.

٢- دور الوقف في الحياة الثقافية: استندت المدارس الأهلية قبل مؤسسات التعليم إلى الأوقاف وخصصت ريع الأوقاف للعلماء والفقهاء لتدريس الفقه والحديث وسائر العلوم حيث كان مئات الطلاب يحلقون حول أساتذتهم الذين يلقنوهم أنواع المعارف من فوق الكراسي[٢٠].

٣- الوقف والبحث العلمي: مارس الوقف دور الاهتمام بالبحث العلمي، ووجد أن معظم المشروعات -العلمية- التي أُنشئت بدعم أموال الأوقاف استمرت في أداء رسالتها ودورها دون توقف[٢١].

٤- التعليم الطبي: امتد اهتمام الواقفين من الخلفاء والسلاطين والأثرياء إلى تأسيس المستشفيات الموقوفة بالإضافة إلى تدريس طلبة الطب ورعاية شؤونهم.

٥- المساجد ودور العبادة: كان الوقف الإسلامي ولا يزال المصدر الأول والرئيس لبناء المساجد، وقد كان يوقف على كُلِّ مسجد ما يقوم عليه من أراض ومحلات ودور ويلحق في وقف المساجد كل ما يعين المصلين على أداء فروضهم، من الواضح انَّ إسهامات الوقف ودوره في المجالات الكثيرة التي يحتاجها المجتمع الإسلامي لم تجد أي عائق من المشرع الأردني، بل إن المشرع الأردني بين معظم الأسس الفقهية والقانونية التي يقوم عليها الوقف الإسلامي وقد تطور التشريع القانوني الأردني منذ بدايات تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية، فيما يتعلق بالوقف وأنواعه وأقسامه وشروطه وحالاته إلى إخراج قانون الأوقاف الجديد الذي قنن أحكام الوقف، بما يتناسب مع أحوال وأوضاع المملكة الأردنية الهاشمية بالرغم من بعض القصور التشريعي في أحكام هذا القانون[٢٢].

وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدد من الاقتراحات نوجزها بما يلي:

١. ضمان عدم عزل الواقفين، أو من ينصُّ الواقف على منحهم ولاية النظارة على الوقف من نظارتهم إلا بموجب أحكام قضائية نهائية.

٢. توحيد جميع قوانين الوقف في الأردن في قانون واحد قدر الإمكان، أو دمجها في عدد محدد من القوانين لضمان عدم التضارب بينهما، بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

٣. توسيع دائرة صيغ الاستثمار الخارجي في مؤسسة تنمية أموال الأوقاف لأملاك الأوقاف كالمشاركة والمضاربة والاستصناع والمزارعة والمساقاة، ما دام أن قاعدة الاستثمار في الأملاك الوقفية قائمة على أساس عدم تعطيل الوقف وظهور المصلحة المعتبرة.

٤. المشرع الأردني وافق الحكم الشرعي بأنه لا شفعة في الوقف ولا له بالرغم من تباين الآراء في الفقه الإسلامي بخصوص ذلك.

الهوامش:

١. انظر : د. أحمد الريسوني، الوقف في الإسلام، بحث مقدم إلى ندوة: نحو دور تنموي للوقف/ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والتي عقدت برعاية وزارة الأوقاف الكويتية ١٩٩٣م/ منشورات الأمانة العامة للأوقاف، ص(٤).

٢. انظر: زهدي يكن: الوقف في الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨، ط١، ص(١٨٣).

٣. انظر: د. محمد عبيد الكبيسي: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، الجزء الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧م، ط١، ص(٢٥).

٤. انظر: محمد سلام مدكور: الوقف من الناحية الفقهية والتطبيقية، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص(٧).

٥. انظر: الكبيسي، أحكام الوقف، مرجع سابق ص٢٦-٢٧.

٦. انظر : الكبيسي، أحكام الوقف، مرجع سابق ص٣٠-٣٢.

٧. رواه مسلم رقم الحديث (١٦٣١).

٨. انظر: محمد بن إدريس الشافعي، الأم مع مختصر المزني، باب الوقف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ١٩٨٣م، ط٢، ج٣ ص(٢٨٠).

٩. الأُم للشافعي، (٣/٢٧٥).

١٠. انظر: بحث د. جيلان خضر غمدا، بحث عن الوقف الإسلامي وواقعه في أثيوبيا (الحبشة) المقدم لمؤتمر الأوقاف الأول/ السعودية/ إشراف جامعة أم القرى/ مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ، ص (٢٠).

١١. انظر : الشوكاني، نيل الأوطار، من أحاديث سيد الأخيار، الجزء السادس، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، القاهرة، ص(٦/٢٢).

١٢. انظر: د٠ طارق بن عبدالله حجار بحث عن "المدارس الوقفية في المدينة المنورة" المقدم لمؤتمر الأوقاف الأول/ السعودية/ إشراف جامعة أم القرى - مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ ص ٩٨-٩٩ .

١٣. انظر: محمد أبو زهرة: مجموعة محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، ١٩٧١، ط/٢ ص(٨).

١٤. انظر: محمد أبو زهرة، مرجع سابق ص١٤ .

١٥. انظر: زهدي يكن، الوقف في الشريعة والقانون، ص(١٨٥).

١٦. انظر: أبو زهرة، محاضرات في الوقف، مرجع سابق، ص١٣-١٤ .

١٧. انظر: أ.د. عبد القهار داود المعاني، أحكام الوصايا والأوقاف في الشريعة والقانون، مكتبة الجيل، صنعاء، ١٩٩٤م، ص(١٦١).

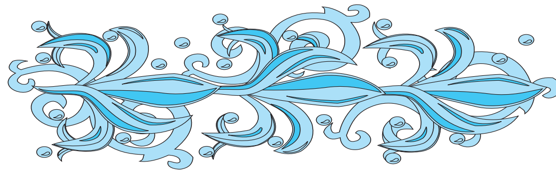
١٨. انظر: أبو زهرة، محاضرات في الوقف، مرجع سابق، ص١٦ .

١٩. انظر: زهدي يكن، الوقف في الشريعة والقانون، ص (٩٣-٩٧).

٢٠. انظر: أبو بكر أحمد الشيباني، أحكام الأوقاف، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، مصر ١٩٠٤م، ط١، ص(١٩).

٢١. انظر : د. السعيد بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، الجزء الثاني، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٦، ص (١٥) والكراسي أو الكرسي هو مصطلح مغربي ويسمّى الأستاذ هناك، أستاذ كرسي.

٢٢. انظر: د. ناصر سعد الرشيد، تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها بحث مقدم إلى ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ، ص(٩).



قطوف دانية

بقلم الطالبة آلاء ناظم الكسواني

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾.

لقمان: ٣٣

اتق دعوة المظلوم

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

ان استطعت أن تأكل التراب فكل منه، ولا تكونن أميراً على اثنين، واتق دعوة المظلوم والمضطر، فإنها لا تحجب.

شر وخير

شر العمى عمى القلوب، وشر الضلالة، الضلالة بعد الهدى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عواقبها، وخير القصص القرآن، وخير الهدي هدي الأنبياء عليهم السلام، وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام، وأحسن السنن سنة نبينا محمد ﷺ.

أفضل الدعاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة».

أقوال مأثورة

قال الحسن البصري: لقد صحبت أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قرة عين، وجلاء صدر، ولقد رأيت أقواماً كانوا من حسناتهم، أشفق من ان ترد عليهم منكم من سيئاتكم، أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها، لو تكاشفتم ما تدافنتم، تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح.

قصر الأمل

جلس نفر من الصالحين يتذاكرون، ويتساءلون حول قصر الأمل، فقيل لأحدهم: ما بلغ منك قصر الأمل؟

فقال: بلغ مني قصر الأمل أنني اذا رفعت اللقمة الى فمي، لا أدري هل أتمكن من أكلها ام لا؟

وسئل آخر ذات السؤال، فقال: بلغ مني قصر الأمل، اني اذا خرج مني النفس، لا أدري أيرجع أم لا؟.

وعظ الواعظ

يا واعظ الناس قد اصبحت متهماً

اذ عبت منهم أموراً وأنت تأتيها

اصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً

الموبقات لعمري انت جانيها

تعيب دنيا وناساً راغبين لها

وأنت أكثر منهم رغبة فيها

9

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

التابعي الجليل عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب

﴿٧٠-١٤٥هـ = ٦٩٠-٧٦٢م﴾

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الهاشمي القرشي[١]، ابو محمد، تابعي من اهل المدينة، قال الطبري: «كان من العباد، وكان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت الخلفاء من بني أمية تكرمه، وتعرف له شرفه، ووفد على أبي العباس «السفاح» في دولة بني العباس بالأنبار، فأكرمه وحباه وقربه وأدناه، وصنع به شيئاً لم يصنعه بأحد، وكان يسمر معه الليل، فسمر معه ليلة الى نصف الليل، وحادثه، فدعا ابو العباس بسفط جوهر ففتحه، فقال: هذا والله يا أبا محمد ما وصل الي من الجوهر الذي كان في أيدي بني أمية، ثم قاسمه إياه فأعطاه نصفه»[٢].

كان أبو العباس السفاح قد سأله عن ابنيه محمد وابراهيم، فقال: بالبادية، حبب اليهما الخلوة، فلما ولي أبو جعفر المنصور ألح في طلبهما، فطلبا بالبادية واغتم ابو جعفر بتغيبهما فكتب الى عامله على المدينة رباح بن عثمان ان يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته، فأخذوا فقدم بهم الى الهاشمية، ونقله الى الكوفة، فحبسوا بها، فمات عبد الله بن الحسن في الحبس، وهو يوم مات ابن اثنتين وسبعين سنة، وكانت وفاته سنة (١٤٥هـ)[٣].

روى أحاديث النبي ﷺ عن أبيه وأمه

فاطمة بنت الحسين، وعبد الله بن جعفر ابن ابي طالب، وعكرمة مولى ابن عباس، روى عنه وسفيان الثوري وابن علية، ووفد على سليمان بن عبد الملك وعلى عمر بن عبد العزيز وعلى هشام بن عبد الملك(٤).

قال ابن عساكر(٥): «اخذ ابو جعفر أمير المؤمنين عبد الله بن حسن بن حسن، فقيّده وحبسه في داره، فلما أراد المنصور الخروج الى الحج جلست له ابنة لعبد الله بن حسن يقال لها: فاطمة فلما ان مر بها أنشأت تقول:

ارحم كبيراً سنه متهرماً
في السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار بني يزيد إنهم
يتموا لفقدك لا لفقد يزيد(٦)
ان جدت بالرحم القريبة بيننا
ما جدنا من جدكم ببعيد

فقال ابو جعفر: أذكرتنيه ثم أمر به فحدر الى المطبق فكان آخر العهد به».

وذكر الخطيب البغدادي(٧) أنه كانت وفاته بالكوفة في حبس أبي جعفر وهو ابن خمس وسبعين سنة.

الهوامش:

١- انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٣٦٤/٢٧، والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ١٣٦/١، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٣١/٩، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني ٥٤/١، الأعلام للزركلي ٧٨/٤ .

٢- المنتخب من ذيل المذيل للطبري ١٣٦/١ .

٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٣١/٩ .

٤-٥- تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦٤/٢٧ .

٦- يزيد اخ لعبد الله توفي قبله، او هو يزيد بن معاوية.

٧- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٣١/٩، وانظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني ٥٤/١ .

٣

الصــرع
بين الميثالوجيا والطـب

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

تحدثنا في الحلقة السابقة عن النوبات الصرعية الجزئية البسيطة منها والمعقدة، وعن الحالة الصرعية العنيدة، ثم ذكرنا ضرورة تفريق نوبة الصرع من الامراض التي لها اعراض تشنجية وفقدان للوعي، واخيراً تحدثنا عن اسباب الصرع في مختلف مراحل العمر، وفي هذه الحلقة سنتحدث عن علاج الصرع وتطور هذا العلاج عبر العصور.

الاجراءات التشخيصية: قبل البدء بعلاج النوبات الصرعية، يجب تشخيصها بدقة والتأكد من ان الحالة هي نوبة صرع وليست مرضاً آخر، وبعد ذلك يجب تحديد نوع النوبة ليتم اختيار الدواء المناسب لها، وهذا كله يتطلب القيام بما يلي:

١- ملاحظة الاعراض والعلامات الظاهرة على المصاب مثل: الصداع، اضطراب المزاج، والخبل ورجفان عضلي وكذلك مرحلة الانذار التي تسبق النوبة بمدة قصيرة، وتمييزها عن تلك التي تظهر في الامراض الاخرى، التي سبق ذكرها في الحلقة السابقة عند الحديث عن التشخيص التفريقي.

٢- اجراء التخطيط الدماغي الكهربائي وخاصة اثناء النوبة ان كان ذلك ممكناً لأنه يبين الموجات الكهربائية للتفريغ العصبوني، ويحدد انواعها وبالتالي يؤكد التشخيص، ولكن عدم ظهور الموجات غير الطبيعية خارج اوقات النوبة، لا ينفي الاصابة بها.

٣- اجراء الصور الشعاعية وخاصة

الصور الطبقية والرنين المغناطيسي، فهي ذات اهمية بالغة بالمرضى الذين يظهرون اعراضاً عصبية بؤرية.

٤- **التحاليل المخبرية:** كل مصاب يزيد عمره على ١٠ سنوات، يجب اجراء تحاليل مخبرية له تشمل تحليل مكونات الدم ومعدل سكر الدم وكذلك الكلس والشوارد المعدنية الاخرى في الدم وكذلك قياس وظيفة الكلية والكبد.

❖ العلاج:

ارتبط علاج الصرع بنظرة المجتمع واعتقاده بأسبابه وطبيعته، ففي العصور القديمة وحتى ايامنا هذه عند بعض المجتمعات، حيث النظرة للصرع نظرة ميتافيزيقية (غيبية) تربط الصرع بأسباب فوقية روحية شريرة اوغير شريرة، والى ظواهر طبيعية كالريح جعلتهم يلجأوون في علاجه الى وسائل غير علمية تقوم في معظمها او كلها على اساس الشعوذة، وكانوا يقومون بضربه ضرباً مبرحاً لاخراج الجن او الشيطان من داخله، وكانوا يكبلونه بالسلاسل الحديدية خشية منه، وقد شاهدت هذا التقييد بالسلاسل في بداية النصف الثاني من القرن الماضي لأحد المصابين بالصرع من اهل قريتنا، وكانوا يسارعون لعرضه على المشعوذين والدجالين الذين يستغلون جهل الناس، فيبتزون اموالهم ويخدعونهم ويكذبونهم ويدجلون عليهم، بوصف علاجات خرافية وغريبة توهم الاهل بنجاعتها في شفاء مريضهم.

فمثلا يصفون له ان يأكل (حرباء) بعد قتلها وتجفيفها وطحنها وسحقها، ليتخلص من السحر الذي سبب له هذا المرض، وبعضهم يوهمهم بأن علاجه في كلام متقطع غير مفهوم او خطوط متعرجة وتشكل على شكل حرز او حجاب، او في تعليق تميمة في عنق المريض، وهذه التمائم حرمها الاسلام، قال رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا اتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» (رواه احمد في المسند ٤-١٥٤).

وان الرسول ﷺ امر بالتداوي، وان التداوي لا ينافي التوكل على الله، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها.

اخرج الشيخان من حديث عطاء بن ابي رباح قال: قال ابن عباس: الا اريك امرأة من اهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة

السوداء اتت النبي ﷺ فقالت: اني اصرع وإني انكشف فادعو الله لي فقال: ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت: اصبر، ثم قالت: فإني انكشف فادع الله لي ان لا انكشف فدعا لها".

فقوله ﷺ: «ان شئت صبرت ولك الجنة» دليل على ان صرعها مما يحتاج الى الادوية الطبيعية، فخيرها بين الصبر والجنة وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والجنة ولكنها طلبت منه ان يدعو لها بأن لا تنكشف فدعا لها.

❖ **ومن أفضل الرقى التي يرقى بها**، ما كانت من كلام الله تعالى او من كلام رسوله ﷺ، واعظم الرقى هي: سورة الفاتحة وقراءة الآية الكريمة: **﴿افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون﴾** وكذلك المعوذتان والاخلاص، ومن الرقى ايضا الرقية التي رقى بها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ: "بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك، بسم الله ارقيك" وكذلك: "اللهم رب الناس اذهب البأس، اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما" وكذلك: "اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة"، فتقرأ هذه الرقى بخشوع ويقين وقبول وتكرر فتنفع بمشيئة الله.

❖ العلاج الدوائي:

ان علاج نوبات الصرع بالادوية المضادة للصرع، امر عظيم تترتب عليه امور كبيرة للمريض واهله، وتؤثر على مجرى حياته، ولذلك يجب بذل الجهود للوصول الى تشخيص دقيق للتشنجات وليس هناك ما يبرر استخدام "العلاج بالتجربة" وعلى العموم لا يجوز البدء بالعلاج من اول نوبة تشنجات، وانما يجب الانتظار حتى تتكرر النوبة ويتم اجراء الفحوصات المخبرية والشعاعية، ويبدأ العلاج اذا حدثت نوبتان خلال سنة ويجب الاخذ بعين الاعتبار بين علاج نوبات التشنج على انها صرع وبين التأثيرات الجانبية لأدوية الصرع.

وعند اتخاذ القرار ببدء المعالجة، يجب استخدام علاج واحد فقط من علاجات الخط الاول، ولا مجال للمعالجة لاول مرة باستخدام دوائين او اكثر او بعلاج من علاجات الخط الثاني، ويجب البدء بجرعة بسيطة تزداد تدريجياً تحت المتابعة

والمراقبة، حتى الوصول الى اقل جرعة كافية للسيطرة سيطرة تامة على النوبات بدون ظهور التأثيرات الجانبية، وقد يتساءل الكثيرون هل يمكن ايقاف العلاج ام انه لا بد من الاستمرار عليه مدى الحياة؟ وهل يمكن الشفاء من المرض؟.

والجواب على ذلك انه من الصعب الاجابة على هذين السؤالين بدقة، لانه لا يمكن ضمان الامان وعدم الانتكاسة بعد وقف العلاج لاسباب، لعل اهمها دقة عملية وقف العلاج ووقتها ومع ذلك فنقول: ان بعض المرضى يحتاجون الى الاستمرار في العلاج مدى الحياة.

ولكن هناك رأي يقول: انه اذا لم تحدث ولا نوبة لمدة ٣ سنوات متتالية فإنه يمكن ايقاف العلاج وخاصة اذا توفرت العوامل المساعدة مثل: بداية المرض في سن الطفولة، واذا كانت البداية نوبة عامة وليست جزئية وعدم وجود آفات دماغية، وقصر المدة التي تستغرقها المعالجة واذا كان تخطيط الدماغ طبيعياً، غير ان بعض الدراسات وجدت ان نسبة الانتكاس وعودة النوبات عند المرضى الذين اوقفوا العلاج بعد توقف النوبات مدة ٢ - ٣ سنوات بلغت حوالي ٣٠٪، بينما اظهرت دراسات اخرى ان ٦٠ - ٧٠ ٪ من المرضى لم تعد اليهم النوبات بعد ايقاف العلاج بعد ١٥ سنة من التداوي، وهذا ما يرشدنا الى انه كلما طالت مدة التداوي كلما كان احتمال الانتكاسة وعودة النوبات اقل واحتمالية الشفاء اكبر.

ومع كل ذلك فإنه يجب توعية الاهل وتثقيفهم وتحذيرهم من خطورة ايقاف العلاج قبل ٣ سنوات من تاريخ اخر نوبة وكذلك ايقاف الدواء فجأة لأنه سيؤدي الى انتكاسة عنيفة، غالباً ما تكون "الحالة الصرعية المتواصلة" ولهذا يجب ان يكون ايقاف الدواء تدريجياً وبطيئا جداً خلال مدة قد تصل الى العام وتحت اشراف الطبيب الاخصائي المعالج، وقد لا يكفي دواء واحد للسيطرة على النوبات، فعندها يجب اعطاء المصاب دواء ثان او اكثر حسب قاعدة ادوية الخط الاول والخط الثاني حسب نوع النوبة وفي ما يلي بيان بأدوية الخط الاول والخط الثاني.

ادوية الخط الاول: يلاحظ ان دواء «فالبروات» هو من أدوية الخط الاول المناسب لجميع انواع النوبات، ودواء «كاربما زيبين» مناسب للسنوية العامة والجزئية ومثله دواء «فينتوين» ودواء

«فينوباربيتون» بينما الداء الصغير فيناسبه «إيثوسكسمايد».

أما أدوية الخط الثاني: فإن دواء «كلوبزام» يناسب الداء الكبير والنوبات الاهتزازية والنوبات الجزئية ثم دواء «كلونازيبام» الذي يناسب جميع انواع النوبات.

وهناك ادوية حديثة اضيفت الى هذه الادوية الكلاسيكية القديمة مثل: «جابابنتين» و «لوموتريجين» و «توبايرامات» و «فيجابترين».. وغيرها.

ويجب التذكر ان جميع الأدوية المضادة للصرع لها تأثيرات جانبية سلبية كبيرة وهذا ما يفرض على الطبيب المعالج ادارة عملية العلاج بأقل السلبيات، وهناك قواعد هامة يجب اخذها بالاعتبار بالمعالجة الدوائية وهي:

١- اختيار الدواء الافضل لنوع النوبة حسب قاعدة الخط الاول والخط الثاني.

٢- اختيار دواء واحد وعدم البدء بدوائين من المرة الاولى.

٣- الاخذ بعين الاعتبار التأثيرات الجانبية السلبية لكل علاج عند اختياره.

٤- يجب تحديد الجرعة حسب وزن الجسم وتوزيعها على ساعات اليوم حسب مدة مفعول الدواء ونصف عمره، ويفضل الدواء الذي يستمر مفعوله ٢٤ ساعة او ١٢ ساعة لسهولة تناوله مرة واحدة او مرتين يومياً.

٥- اذا لم تتم السيطرة التامة على النوبة، فيضاف دواء آخر، واذا تمت السيطرة يسحب الدواء الاول تدريجياً وببطء اذا ثبت انه ليس له أهمية.

٦- في بعض الحالات يحتاج المصاب الى اكثر من دوائين للسيطرة على النوبات، فيجب اختيار الادوية التي لا تتداخل مع بعضها البعض ولا تتفاعل فيما بينها فيبطل مفعولها جميعها.

٧- عند الحاجة الى اضافة دواء او اكثر، يجب قياس مستوى الدواء المستعمل في الدم للتأكد من ان المصاب يتناول العلاج الاول او العلاجين الاول والثاني حسب ما هو محدد، لانه احيانا يكون عدم السيطرة على النوبات، راجع اما الى قلة الجرعة او عدم تناول العلاج او عدم الانتظام بتناوله.

٨- يجب التنبيه على الاهل انه لا يجوز ايقاف العلاج فجأة او عدم الانتظام

بتناوله، لان ذلك سيؤدي الى حدوث نوبات متواصلة.

٩- لا يجوز بأي حال من الاحوال ايقاف العلاج قبل مرور ٣ سنوات على توقف النوبات توقفاً تاماً وعلى ان يتم سحبه تدريجياً وببطء على سنة كاملة.

١٠- يجب ان يكون اي تغيير او تعديل او ايقاف للدواء تحت اشراف مباشر للطبيب الاخصائي المعالج، وبالتنسيق التام والتعاون ما بين الطبيب والمريض والاهل.

❖ علاج الحالة الصرعية المتواصلة:

اذا حدثت الحالة الصرعية المتواصلة فيجب اعطاء المصاب فاليوم بمعدل ١٠-٢٠ ملغم عن طريق الوريد لايقاف التشنجات وارخاء العضلات، وبعد اعطائه الفاليوم يعطى دواء نوبة الصرع عن طريق الوريد ايضاً، وقد اثبت علاج فالبروات فاعلية جيدة وانه افضل العلاجات لمعالجة النوبات المتواصلة، ويأتي بعده في الفعالية علاج ايبانوتين واذا لم تتم السيطرة على النوبة باستعمال دواء واحد يضاف دواء ثاني، وبعد استقرار الحالة وتوقف النوبة يتم سحب العلاج الثاني تدريجياً.

دور الاهل والمحيطين بالمصاب عند حدوث الداء الكبير التصلبي الارتجاجي او الحالة الصرعية المتواصلة: ان الهدف من تدخل الاهل والطبيب والمحيطين بالمصاب، هو حمايته من الحاق الاذى والضرر بنفسه وهو أذى لا ارادي، وذلك يتطلب منهم ما يلي:

١- متابعة حالة المصاب ومراقبته المستمرة، للانتباه للنوبة قبيل حدوثها حتى يتمكنوا من مساعدته وحمايته.

٢- حماية المصاب من السقوط الشديد والمفاجئ على الارض، وفي الاماكن الخطرة، وذلك بدعمه وامساكه وبسط فرشة على الارض ان امكن.

٣- التأكد من سلامة المسالك التنفسية وانها مفتوحة والابقاء عليها مفتوحة وان التنفس طبيعي.

٤- وضع المصاب في وضعية الاستفاقة، وهي تمديده على جانبه الايمن وادارة رأسه باتجاه الارض حتى لا يرجع لسانه الى الخلف فيغلق مجرى التنفس، وكذلك حتى يسهل خروج الافرازات والقيء من الفم فلا يختنق.

٥- تنظيف فم المصاب ومسح او شفط الزبد والرغوة من فمه.

٦- وضع انبوب تنفسي بلاستيكي في فمه ليمنع اصطكاك الفكين والاسنان فيقي لسانه وشفتيه من العض، ويبقي على فمه مفتوحاً فيسمح للهواء بالدخول الى الرئتين فلا يختنق، ولا يجوز محاولة فتح الفك بالقوة حتى لا ينكسر.

٧- لا يجوز وضع اي شيء صلب او قطعة قماش في فمه، لان ذلك يعيق دخول الهواء ويسبب نقص الاكسيجين فيحدث الاختناق والازرقاق.

٨- يجب عدم محاولة ايقاف التشنجات بالقوة او ضرب المريض او وضعه مستلقياً على ظهره او الضغط على بطنه، لان ذلك يزيد من خطورة الاذى للمصاب.

٩- اذا كانت النوبة متواصلة، فيجب نقله بسرعة الى اقرب مستشفى لاعطائه الادوية الخاصة بالحالة الصرعية عن طريق الوريد.

وختاما نقول للمجتمع: إن داء الصرع هو مثل جميع الامراض التي تصيب الانسان في اسبابه ومخاطره، وفي كونه خارج عن إرادة المصاب الذي ليس له اي دور في اصابته به، وان هذا الداء ليس عيباً ولا عاراً يلحق بالمصاب او بأهله.

وقد اثبتت الدراسات ان المصابين بالصرع غير قادرين على اقامة علاقة زوجية ناجحة وبناء اسرة، وان المجتمع يلعب دوراً مهماً في هذا العجز عن اقامة هذه العلاقة الانسانية، بل وان ٢٦ ٪ من المصابين بالصرع تم رفضهم اسرياً، إما رفضاً تاما ادى الى التشرد والضياع، وإما رفضاً جزئياً بحيث تعتبر الاسرة ابنها المصاب بالصرع عاراً وعيباً، فتحجبه عن الناس وتمنعه من ممارسة حياته بشكل عادي!!.

وبذلك يكون المجتمع بما فيه الاسرة من خلال نظرته الدونية للمصاب ورد فعله تجاهه، والرفض العائلي الذي من صوره الحماية الزائدة له، الى جانب تفاعل المصاب مع حالته وتناول الأدوية المضادة للصرع بتأثيراتها السلبية، وبتوليد إحساس لدى المصاب بأنه شخص غير طبيعي، كل هذه العوامل أدت الى تحطيم شخصية المصاب اكثر من تحطيم الصرع نفسه لشخصيته، **وعليه فالمطلوب من المجتمع ان يغير نظرته الى المصاب بالصرع ويقدم له العون والاحترام، ويعمل على إدماجه في الحياة المجتمعية كإنسان عادي غير موبوء.**

العلاج بالعبادات

■ بقلم الواعظة رغداء بكور الياقتي

ثبت العلاج بالعبادات المختلفة من الناحية الروحية والجسدية في الشريعة الاسلامية، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يؤكد على هذه المعاني كما في الوضوء: قال ﷺ: «الوضوء على الوضوء نور على نور»، وقال: «إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنشق خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من أشفار عينيه، فإذا غسل يديه، خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له»(١).

وأكد الطب البديل في العصر الحالي أن دلك أعضاء الوضوء، يجدد الدورة الدموية، ويعطي الطاقة الايجابية للجسد وينظف الظاهر من الفضلات والباطن لأن بالكفين والقدمين والأذنين، مراكز لكل عضو داخلي كالقلب والكبد والرئتين وهكذا، فعندما تدلك أعضاء الوضوء تتنشط الأعضاء الداخلية وتتعافى.

❖ العلاج بالصلاة:

كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويقول: «أرحنا بها يا بلال» وكان يقول: «جعلت قرة عيني بالصلاة..» وقد «رأى ﷺ أبا هريرة يتلوى من وجع بطنه فأمره بالصلاة»(٢)، وثبت عنه ﷺ قوله: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»(٣).

ولا تخفى الفوائد الصحية للعظام والمفاصل من خلال الركوع والسجود وجميع حركات الصلاة واكتساب الطاقة

الايجابية في ذلك.

قال في كتاب البركة: الصلاة شفاء وهي تبرئ من وجع الفؤاد والمعدة والأمعاء وتبرئ الأورام، وكثرة الصلاة والتهجد تحفظ الصحة لأنها تشتمل على وقوف وركوع وسجود، فيتحرك معهما أكثر الأعضاء لا سيما الأمعاء والمعدة، والسجود الطويل ينفع صاحب النزلة والزكام ويمنع انصباب النزلة إلى الحلق، ويعين على فتح سدد المنخرين في الزكام ويعين على حدر الطعام إلى الأمعاء، وتحرك الجسم والصلاة تعود الجسم على الحركة مما يكسب الجسم نشاطا وقوة وإحساساً بالشبع.

◆ العلاج بالصيام:

قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحوا»[٤]، قال الامام المناوي في شرحه لهذا الحديث: والصوم غذاء القلب كما يغذي الطعام الجسم، وذلك أجمع مجرّبة أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه على أن الهدى والصحة الجوع، لأن الأعضاء إذا وهنت لله نوّر الله القلب، وصفى النفس وقوي الجسم ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة من جديد وهي عادة لأوليائه أجل في القوى من عادته في الدنيا لعامة خلقه[٥].

◆ العلاج بالصدقة:

قال رسول الله ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[٦]، وفي رواية السيدة عائشة رضي الله عنها: «داووا مرضاكم بالصدقة فإنها تدفع عنكم الأمراض والأعراض»[٧].

قال في سفر السعادة: كان المصطفى ﷺ يعالج الأمراض بثلاثة أنواع: بالأدوية الطبيعية، والأدوية الإلهية، وهذا منها وبالأدوية المركبة منهما، وقال في سلك الجواهر: الصدقة أمام الحاجة سنة مطلوبة مؤكدة والخواص يقدمونها أمام حاجاتهم إلى الله كحاجتهم إلى شفاء مريضهم، لكن على قدر البلية في عظمها وخفتها حتى إنهم إذا أرادوا كشف غامض بذلوا شيئا لا يطلع عليه أحد، وكان ذوو الفهم عن الله، إذا كان لهم حاجة يريدون سرعة حصولها كشفاء مريض، يأمرون باصطناع طعام حسن بلحم كبش كامل، ثم يدعون له ذوي القلوب المنكسرة قاصدين فداء رأس برأس، وكان بعضهم يرى أن يخرج من أعز ما يملكه، فإذا مرض له من يعز عليه تصدق بأعز ما يملكه من نحو جارية أو عبد أو فرس يتصدق بثمنه على

الفقراء من أهل العفاف[٨].

❖ العلاج بالحج والعمرة:

قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفي الذنوب من بني آدم كما ينفي الكير خبث الحديد»[٩].

والفائدة من الحج والعمرة، لما فيهما من المعاني الجامعة لأنواع الرياضة من إنفاق المال والجوع والظمأ واقتحام المهالك ومفارقة الوطن والإخوان والمشي وكثرة الحركة للأعضاء، فتؤثر في القلب والجسد فتوهبه الصحة والعافية والنشاط والقوة والجراءة وبالتالي يزيد العمر.

❖ العلاج بالسواك:

قال رسول الله ﷺ: «السواك من الفطرة»[١٠]، وقال ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[١١]، وفي رواية ابن عباس للطبراني «وجلاء للبصر»، وقد ذكر العلماء للسواك سبعين فائدة صحية أهمها: يطهر الفم ويرضي الرب وينقي الأسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويصفي الحلق عن البلغم والأكدار، ويزكي الفطنة ويقطع الرطوبة ويحد البصر ويبطئ الشيب ويسوّي الظهر ويضاعف الأجر ويسهل النزع، ويذكر الشهادة عند الموت، ويرهب العدو ويهضم الطعام، ويغذي الجائع، ويرغم الشيطان، ويورث السعة والغنى ويسكن الصداع وعروق الرأس حتى لا يضرب عرق ساكن ولا يسكن عرق ضارب، ويذهب وجع الضرس والبلغم والحفر، ويصحح المعدة ويقويها، ويزيد في الفصاحة والعقل، ويطهر القلب، ويبيض الوجه ويوسع الرزق، ويقوي البدن، وينمي المال والولد وغير ذلك[١٢].

❖ العلاج بتسبيل الماء:

عن علي بن الحسن بن شفيق قال: سمعت ابن المبارك وقد سأله رجل يا أبا عبد الرحمن: قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين وقد عالجت أنواع العلاج وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال: اذهب فانظر موضعا يحتاج الناس الماء فاحفر هناك بئرا، فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ[١٣].

وحكي عن الإمام الحاكم رحمه الله أنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب، وبقي فيه قريبا من سنة فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها

عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله ﷺ كأنه يقول لها: قولي لأبي عبد الله: يوزع الماء على المسلمين، فجئت بالرقعة إلى الحاكم، فأمر بسقاية بنيت على باب داره، وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد (الثلج) في الماء، وأخذ الناس في الشرب، فما مرّ عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين(١٤).

❖ العلاج بالطيب (العطر):

كان ﷺ يحب التطيب كثيرا وكان له سكة يتطيب منها، مع أنه كان خلقةً وطبيعةً طيب الرائحة وإذا عرض عليه طيب لا يرده، وقد ثبتت منافعه بأنه يزيد في قوة البدن ويفرح القلب ويسرّ النفس ويبسط الروح، ويبهج الحياة ويبعث على النشاط والتفاؤل وينفع الدماغ والقلب.

❖ العلاج بالطعام:

قال رسول الله ﷺ: «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

الطعام المعتدل هو قوام البدن واعتداله وقوة بقائه، وبقدر ما يكون الطعام متوازنا في الكمية والكيفية، يكون انتفاع البدن به فالإسراف فيه والتقتير كلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، ولذلك أمر الله تعالى بقانون حفظ الصحة وقوامها بقوله: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾**، فيكون حفظ صحة الإنسان قائم على حسن تدبير الطعام على الوجه المعتدل الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، فلا ينبغي الإقتصار على نوع من الطعام والغذاء لأنه مضر بالطبيعة بل ينوّع ويأكل ما جرت عادة أهل بلده وزمانه من اللحوم والخبز والفاكهة والحبوب والخضار، بما يناسب الإعتدال في عدد الوجبات والكميات واتباع الهدي النبوي في ما صحّ عنه من الجلوس الطبيعي بدون إتكاء ولا إضطجاع ولا وقوف ومن كيفية أكله بأصابعه الثلاث، وعدم إدخال الطعام على الطعام ولا أن يجمع بين غذائين متناقضين، ولا يأكل الطعام العفن والشديد الملوحة وكثرة الحموضة فكان ﷺ يأكل التمر الرطب بالقثاء، والبطيخ بالرطب ويقول: «يُكسر حر هذا ببرد هذا وبَردُ هذا بحرّ هذا».

قال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل: إذا ذكر إسم الله قي أوله

وحمد الله في آخره وكثرت عليه الأيادي وكان من حلّ.

❖ العلاج بالماء:

قال الله تعالى: **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾**، وقال تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾**.

فالماء ضروري جدا لحياة الإنسان وحفظ صحته، والماء البارد منه يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوبته الأصلية ويرد عليه بدل ما تحلل منها ويرافق الغذاء وينفذه في العروق، منه يحصل الري والقوة والنشاط والحركة، وربما يصبر الإنسان عن الطعام ولا يصبر عن الماء لأنه ينفذ إلى أجزاء البدن وجميع الأعضاء.

وكان ﷺ يفضل الماء البارد والبائت فقد ورد في البخاري قال: «هل من ماء بائت في شنه؟ فأتاه به أبو الهيثم بن التيهان فشرب منه»، وقال الأطباء عن ذلك الماء البائت بمنزلة العجين والذي يُشرب فور أخذه بمنزلة الفطير.

وقالوا: إن الأجزاء الترابية والأرضية تترسب في قاع الإناء ويتصفى ويبقى نقيا بعيدا عن الشوائب، وكانوا يختارون الفخار والقرب المتخذة من الجلود لما فيها من المسام المنفتحة التي يرشح منها الماء وينبغي إتباع الهدي النبوي في شرابه ﷺ واتباع القواعد الصحيحة ليأمن من ضرر الماء والآفات المتعلقة به.

فكان من هديه ﷺ الشرب قاعدا ويتنفس خارج الإناء ثلاثا، ويقرب الإناء من الفم ويمصه مصا ولا يعبه عبا وكان يقول: «إنه أروى وأمرأ وأبرأ» وأن يذكر اسم الله في أوله ويحمده في آخره ليتم له نفعه واستمراؤه ودفع مضرته، ويكره أن يشرب من ثلمة الإناء وينفخ فيه لما فيه من إدخال نَفَسه فيه ويكسبه زهومة فمه ورائحته فيسبب القرف منه.

❖ العلاج بالنوم:

قال الله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾**[١٥]، وكان رسول الله ﷺ «ينام أول الليل ويحيي آخره»[١٦]، فالنوم أحد مقومات حفظ الصحة والأعضاء إذا أخذ البدن حظه من النوم والراحة، يسترخي معه البدن وتتوقف الإحساسات والحركة الإرادية.

والنوم هو توقف الحواس عن الحركة وسكون النفس الحاسة، وانقباضها مع الحرارة الغريزية من الدماغ إلى داخل الجوف وبخارات معتدلة تصعد من

الجوف إلى الدماغ، وقالوا: إن النوم ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ.

وللنوم فائدتان: إحداهما، إستراحة الأعضاء بما يلاقي من التكالب على الهموم؛ والثانية، إن الحرارة الغريزية تدخل إلى داخل الجوف وقت النوم، أما القدر الكافي للنوم الطبيعي ست أو ثمان ساعات من الليل أو النهار.

وكيفيته: الإضطجاع على الجنب الأيمن فترة وعلى الأيسر فترة، ولا ينام إلا وذكر الله على لسانه وقلبه، وأفضل النوم نوم الليل على اليمين، وكثرة النوم ترطب الجسم وترخيه وتطفئ حرارته.

وقيل: إن النوم في أول النهار حمق وفي وسطه خلق وفي آخره خرق.

جاء في الأثر: الصبحة تمنع الرزق، وهي نوم أول النهار بعد صلاة الفجر.

وقال علقمة بن قيس: بلغنا أن الأرض تعج إلى الله تعالى من نوم العالم بعد صلاة الصبح، وقال عمر رضي الله عنه: إياكم ونومة الغداة فإنها مبخرة تورث البخر وتيبس الطبيعة وتقطع النكاح.

❖ العلاج بالهواء:

يحتاج الجسم إلى استنشاق الهواء الطلق فهو مادة الحياة وغذاؤها، وأصح الهواء الهواء الشرقي وهو الصبا المعتدل، خصوصا إن كان مصاحبا للروائح الطيبة ففيه راحة عظيمة ومنفعة للروح والجسد، وبعد ذلك الجنوبي والشمالي المعتدل منها، ولا خير في الريح العاصفة والدخان المعتكر والروائح المنتنة وما خرج عن حد الإعتدال.

❖ العلاج بالراحة النفسية:

أعظم علاج للروح والقلب والجسم معا، هو التخلص من العوارض النفسية من الهم والغم والحزن لأنه ينحل الجسم ويوهن القوة.

وراحة الإنسان بالفرح والسرور والتفاؤل بشكل معتدل لا إفراط ولا تفريط لأن كثرة الفرح والبسط ينقلب إلى بطر وغفلة.

وأكبر سبب للهم والغم والحزن: الفراغ والفكر فيما لا يقدر عليه والإبتعاد عن ذكر الله وكثرة السهر والغيظ والغضب والحقد والحسد ومتابعة أحوال الناس وهذا الذي يولد الكآبة وسائر الأمراض النفسية.

وللتخلص من هذه العوارض وتحقيق

الراحة النفسية إتباع ما يلي:

١. المحافظة على العبادات والفرائض منها والنوافل بأوقاتها.

٢. إشغال عقله وقلبه ولسانه بما يُرضي الله من ذكره ودعائه.

٣. أن يصرف الفكر الذي لا يقدر على تحقيقه وإشغاله باللهو الحلال.

٤. الإلحاح بالدعاء لله عز وجل والتسبيح خاصة هذا الدعاء: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري وشفاء صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانها فرحا وسرورا»(١٧).

٥. أن لا يهتم بما لا يحصل ولا يفرح كثيرا بما حصل، ويحمد الله على كل حال بهذه الوصايا تتعافى النفس ويخصب البدن وتنتشر الطاقة في الجسد.

❖ العلاج بالنظافة:

تعاهد الجسد بالنظافة وتدبير أعضاء البدن شيء ضروري جدا لصحة الإنسان ونشاطه وقوته وعافيته، وتصفو نفسيته وتتحسن أخلاقه ويكون ذلك بالنظافة العامة للشعر والبدن والملبس والأسنان، فيزيل الوسخ والدرن والعرق والغبار عن جسده خاصة لو كان عمله يستدعي ذلك، على الأقل يغسل شعره وجسده في الأسبوع مرة والسنة كونه يوم الجمعة لقوله ﷺ: «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده»(١٨).

ويتعاهد دهن شعره وخضابه وتمشيطه وترتيبه وتسريح اللحية إن كان رجلا، وقد ورد على أن الإدهان والتسريح يذهب البؤس. وقال إبن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تسريح الرأس واللحية يسلّ الداء من الجسد وقص الشارب وتهذيبه ويتعاهد عينيه بالكحل بالإثمد ليقوي البصر ويزيد في الجمال والشباب وقص الأظفار وحلق العانة ونتف الإبط.

ومما ينفع أيضا شمّ الطيب والنظر إلى الخضرة والنظر إلى الوجه الحسن وسماع الكلام الطيب.

ونظافة الثياب وطهارتها، تمكن المسلم من أداء العبادات من صلاة وطواف وقراءة

القرآن ويكون منظره داعيا للثقة والطمأنينة، ويختار الكتان والقطن بالصيف لأنهما صحيان للجسد معتدلان بين الحرارة واليبوسة وينعمان البدن، والصوف والشعر يسخن ويجفف البدن ويقوي الأعضاء ويرقق القلب ويورث الفكر والتفكر والحكمة.

وتنوع الألوان في اللباس يجدد النشاط والهمة ويبعث على الفرح والسرور فقد لبس ﷺ البياض والسواد والأحمر والأخضر والمقلم المخطط وغير ذلك.

❖ العلاج بالزواج:

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١٩].

فهو سنة الحياة وسنة الأنبياء والمرسلين، يسكن النفس ويورث العفة وغض البصر وحفظ الفرج ويعمر الكون ويكثر النسل، ويؤلف العائلات والأسرة المسلمة، وتتعارف أصناف الناس بالمصاهرة وتتقارب بالمودة والرحمة، ويغيظ الشيطان لأن الشاب المتزوج صار في حصن حصين من وسوسته وإغوائه وإضلاله بسبب الشهوة وفتنة النساء.

الهوامش:

(١) رواه أبو داود و ابن ماجة والنسائي بسند صحيح ولمسلم نحوه مختصرا.
(٢) مر ذكره سابقا.
(٣) رواه أحمد و الحاكم على شرط البخاري.
(٤) رواه أبو نعيم و ابن السني.
(٥) فيض القدير (٢١٣/٤).
(٦) رواه أبو الشيخ والبيهقي والطبراني.
(٧) رواه الديلمي.
(٨) ذكره المناوي في فيضه (٥١٥/٣).
(٩) رواه الدارقطني وابن ماجة وأحمد وغيرهم.
(١٠) رواه أبو نعيم.
(١١) ذكره البخاري تعليقا وابن خزيمة في صحيحه.
(١٢) انظر طهارتك أختي المسلمة للكاتبة (٧٧).
(١٣) رواه الترمذي.
(١٤) الترغيب والترهيب (٧٤/٢ و ٧٥).
(١٥) سورة النبأ.
(١٦) رواه إبن ماجة.
(١٧) رواه أحمد.
(١٨) رواه مسلم ١٣٣/٦ .
(١٩) متفق عليه.

الأدب الاسلامي المصطلح*

■ بقلم الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي

منذ أن طرح هذا المصطلح عام ١٩٨١، في لقاء لكنهؤ بالهند، وفي مؤتمر الحوار حول الأدب الاسلامي في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة عام ١٩٨٢، وجد معارضة وتساؤلات بين العاملين في الجامعة، حتى ان بعض الزملاء، من اعضاء هيئة التدريس في الجامعة المذكورة قد استغرب هذا المصطلح، ورأى فيه بديلاً عن الأدب العربي أو عدواناً عليه، متعللاً بأنه اذا كان ثمة أدب إسلامي فهذا يستلزم بأن يكون هناك أدب غير إسلامي أيضاً، ومنهم من تساءل عن أدب صدر الاسلام، ماذا نسميه إذن؟

وفي عام ١٩٩٦، تساءل رئيس الاتحاد العام للأدباء العرب، على ملإ من الصحافة اليومية في عمان[١] هل هناك ادب اسلامي؟ وعن امكانية ان يكون عند الناس أدب مسيحي وأدب روسي وأدب هندي؟ كما تقدم عند الحديث عن النشأة.

ومن الأهمية بمكان كبير ضرورة الوضوح في المصطلح، فهو يتعلق بفهم الذات في الماضي وخطاب الذات في الحاضر، وبناء الذات في المستقبل، كما يقول أحد الباحثين في هذا المجال[٢]، ويتوقف على هذا الوضوح سلامة مسيرة الأدب فيما بعد، وفي ذلك يقول الشيخ ابو الحسن الندوي رحمه الله: «ان المصطلحات كالخارطة للسفن والمراكب والطائرات، فأدنى خطأ في خطوطها قد يكون سبباً لضياع هذه البواخر والطائرات وانحرافها عن الغاية المطلوبة»[٣].

وقد وضح الدكتور نجيب الكيلاني رحمه الله تعالى في حديثه عن إشكالية

المصطلح، وما ينبغي ان يخرج به منها فيقول: «علينا ان نجد في البحث عن مصطلحات جديدة، بدلاً من الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وغيرها، لأن البحث عن شخصية مستقلة ليس أمراً هيناً»[٤].

وثمة اتجاه آخر يرى الانفتاح على المصطلحات الاجنبية دون إخلال بالاستقلالية، ويرى ان مستقبل الأدب الاسلامي وتقدمه رهين بذلك الانفتاح، ومشروط بتطوير مصطلحاته النقدية وفق الروافد السابقة[٥].

ان ما يفهم من مصطلح الادب الاسلامي، كما اصبح معروفاً منذ ان كتب فيه سيد قطب ومحمد قطب في الستينات من القرن الماضي «التجربة الشعورية الموحية التي افرغت في القوالب الشعرية والنثر الفني، وصدرت في أفكارها عن التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة»[٦].

إنه إذن أدب فكرة لا أدب فترة، كما يفهمها، د. مأمون جرار[٧]، ود. حسن الامراني[٨]، وبهذا تصوب تسمية الاستاذ أحمد حسن الزيات لأدب عصر صدر الاسلام بالأدب الاسلامي، من حيث هو يريدها تسمية زمنية، ولكن مصطلح الأدب الاسلامي منذ الخمسينات والستينات من القرن العشرين، يريدها تسمية عقدية، مما يمكن ان نسميه ايضاً: بالأدب الديني أو الأدب الأخلاقي، أو أدب المسلم أو ادب الاتجاه الاسلامي[٩]، أو أدب الدعوة الاسلامية، كما اسماه أحمد الجدع وحسني جرار، حينما أصدرا سلسلتهما عن الشعراء الاسلاميين الموجهين أواسط السبعينات، وصدرت به كتب كثيرة[١٠].

أما ما يوافق أدب الدعوة الاسلامية، أو الأدب الاسلامي في الصدور عن التصور الاسلامي للكون والإنسان والحياة أو ما شابهه من فعل أدباء غير مسلمين، كشعر أمية بن أبي الصلت مثلاً، فقد سمي أدب الفطرة، التي فطر الله الناس عليها»[١١].

ان الادب الاسلامي، كما يقول الدكتور عبده زايد[١٢]: «ليس أدباً لغوياً أو أدباً قومياً، ولا أدباً وطنياً، ولا أدب موضوع إسلامي صرف، كالقرآن الكريم أو الوحي والهجرة، أو غير إسلامي، وليس أدب زمان بعينه ولا طائفة معينة ولا أدباً أيديولوجياً، على اعتبار ان الايديولوجيا نظام وضعي كامل، إنه يجمع بين هذه الأوصاف كلها، تحت مضمون مصطلح الأدب الاسلامي.

الهوامش:

* من كتاب «معالم الادب الاسلامي» د. عمر عبد الرحمن الساريسي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

١- جريدة الدستور الاردنية، يوم ١٩٩٦/٧/٢٨ .

٢- الدكتور الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين، دار القلم، المغرب ص٧ .

٣- نظرات في الأدب ص٧١ .

٤- مدخل الى الأدب الاسلامي ص٢٢٩ .

٥- جمالية الأدب الاسلامي، محمد جمال عروي ص٣٢ .

٦- او «هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان، من خلال تصور الاسلام للكون والحياة والانسان، او هو الذي يرسم الوجود من زاوية التصور الاسلامي لهذا الوجود»، منهج الفن الاسلامي، محمد قطب، ص٦ .

٧- الاتجاه الاسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث.

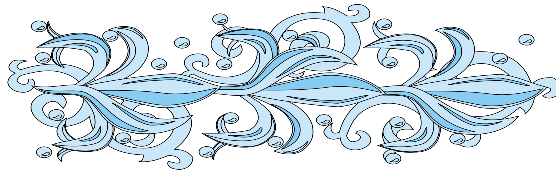
٨- بحث في سيمياء الأدب الاسلامي، القاه في المؤتمر الثاني لكلية الآداب في جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، (٤-١٩٩٩/٥/٦م).

٩- مجلة الأدب الاسلامي، عدد ٨ .

١٠- مثل دراسات في ادب الدعوة الاسلامية، للدكتور محمود حسين زيني، ومن ادب الدعوة الاسلامية، د. عباس الجراري، وأدب الدعوة الاسلامية، لبدر الحسن القاسمي.

١١- جمالية الأدب الاسلامي، محمد جمال عروي، ص٣٢ .

١٢- عبده زايد، الأدب الاسلامي، ضرورة، ص٦٢-٦٣ .



جهاد المرأة المسلمة

■ بقلم الطالبة هديل هندم

ليس بخـاف على أحـد، أنه يوجـد فـروق بين الرجل والمرأة في التكوين البـيـولوجي والنفسي، مما يدل على ان لكل منهما وظيفة في الحياة، وان كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر، وما بينهما لا يتعدى كونه تكاملاً وليس تفاضلاً.

❖ التكوين النفسي للمرأة:

فمن الناحية النفسية، نجد ان العاطفة عند المرأة قد بلغت حداً ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرها الرجل، وهذه هبة من عند الله عز وجل، الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره.

اذن الوظيفة الرئيسة للمرأة، هي تربية الأطفال وتنشئة الأجيال، وهذا الدور اثمن من دور الرجال وهذا يتطلب كثيراً من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيره لأولاده، ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها اكثر حساسية وأكثر تأثراً بالظواهر الطبيعية، فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه، ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتغلب الرأي والعزيمة، وهذا التكوين يساعد المرأة على أداء وظيفتها التي اعدت لها في هذه الحياة.

❖ جهاد المرأة المسلمة:

كتب الله عز وجل على المسلمين الجهاد دفاعاً عن دينهم وانفسهم، فقام به السلف الصالح على خير وجه، ولم يقتصر الجهاد على الرجل فقط بل شاركت المرأة فيه بقدر طاقتها.

ومن حكمة الله تعالى انه لم يفرض على المرأة القتال، لأن تكوينها الجسمي لا يمكنها من ذلك، ولأن النساء مأمورات بالستر والسكون، والقتال ينافي ذلك، لما فيه من مخالطة الأقران والمبارزة والكر والفر والتعرض للأسر، وكذلك فإن النساء سريعات التأثر بالمناظر الرهيبة التي تنتج عن القتال، والحرب تحتاج كذلك الى جلادة غير متوافرة غالباً في المرأة.

❖ من ميادين جهاد المرأة:

بما ان الجهاد فرض على كل مسلم ومسلمة، كل يجاهد بقدر طاقته وبكل ما يملك، حيث يكون الجهاد اما بالنفس وإما بالمال وإما بهما معاً لمن يستطيع ذلك، فإن للمرأة دوراً في الجهاد الاسلامي، دوراً يناسب طبيعتها ويتلاءم معها، والاسلام لم يحرمها من الجهاد، بل اتاح لها الفرصة لتقدم ما في وسعها وطاقتها، وقد أدت المرأة المسلمة ادوارها في الجهاد خير أداء، والجهاد للمرأة يتجلى في ميادين مناسبة لها.

❖ أمثلة على جهاد المرأة من التاريخ الاسلامي:

تقول الربيع بنت معوذ: كنا نغزو مع الرسول ﷺ، فنسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى ونرد القتلى والجرحى الى المدينة.

وقالت ام عطية رضي الله عنها: (غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى) «رواه مسلم».

وما يروى كذلك ان امرأة ابا ذر الغفاري رضي الله عنه جاءت مع وفد من نساء غفار للمشاركة في إحدى الغزوات، فقمن بنقل الجرحى وسقي العطشى، والتحريض على القتال ومساعدة الجيوش بما يستطعن، وبعد انتصار المسلمين اشركهن النبي ﷺ في الغنائم التي غنمها الجيش.

وكذلك موقف اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما، مع ابنها عبد الله بن الزبير وتشجيعها له على قتال اعدائه، اذ كانت تدفعه للفداء وهي تعلم تمام العلم انه لن يستطيع الانتصار لكثرة أعدائه، ولكنها بثت فيه روح الفداء والتضحية ودفعته الى الثبات في المعركة حتى استشهد فيها رضي الله عنه.

إتقان العمل ثمرة الإحسان

■ بقلم الشيخ محمد ياسر الشوابكة

الإتقان في المفهوم الإسلامي، ليس هدفاً سلوكياً فحسب، بل هو ظاهرة حضارية تؤدي إلى رقي الجنس البشري، وعليه تقوم الحضارات، ويعمر الكون، وتثرى الحياة، وتنعش، ثم هو قبل ذلك كله، هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به في مرضاة الله والإخلاص له، لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه.

وتتمثل عملية الإتقان في تعلُّم المسلم للصلاة وأدائها بأركانها وشروطها التي تدرّب المسلم على الإتقان المادي الظاهري، بل على الإتقان الداخلي النفسي المتمثل في مراقبة الله عز وجل والخوف منه.

فالإنسان المسلم يفترض فيه أن تكون شخصيته إيجابية، مقبلة على الحياة، متفاعلة معها، لأن الإنسان المسلم مطالب باستيفاء شروط الخلافة في الأرض والسعي في مناكبها عبادةً لله، وإعماراً للأرض، واستفادة مما فيها من ثروات وخيرات لا يصل إليها إلا بالعلم والعمل الجاد، لذلك كانت مطالبة الرسول ﷺ أن يتقن الإنسان عمله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

فالإتقان سمة أساسية في الشخصية

المسلمة يربيها الإسلام فيه منذ ان يدخل فيه، وهي التي تحدث التغيير في سلوكه ونشاطه، فالمسلم مطالب بالإتقان في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو معاشي؛ لأن كل عمل مخلص يقوم به المسلم بنيّة العبادة، هو عمل مقبول عند الله يُجازى عليه، سواء كان عمل دنيا أم آخرة.

وهناك علاقة متداخلة بين الإتقان والإحسان، غير أن الإتقان عمل يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان بينما الإحسان قوة داخلية تتربى في كيان المسلم، وتتعلق في ضميره وتترجم إلى مهارة يدوية أيضاً، فالإحسان أشمل وأعم دلالة من الإتقان، ولذلك كان هو المصطلح الذي ركز عليه القرآن الكريم والسنة، وقد وردت كلمة الإحسان بمشتقاتها المختلفة مرات كثيرة في القرآن الكريم، منها ما ورد بصيغة المصدر اثنتي عشرة مرة، بينما وردت كلمة المحسنين ثلاثاً وثلاثين مرة، وبصيغ اسم الفاعل أربع مرات، واللافت للنظر أنها لم ترد بصيغة الأمر إلا مرة واحدة للجماعة: **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾** البقرة ١٩٥ .

وكما ذكر الأستاذ سعيد حوى في كتابه جند الله ثقافة وأخلاقاً: إن الإحسان ذو جانبين، عمل الحسن أو الأحسن ثم الشعور أثناء العمل بأن الله يرانا أو كأننا نراه، وهذا هو تعريف الرسول ﷺ للإحسان بأن «تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فالإحسان مراقبة دائمة لله، وإحساس بقيمة العمل، وعلى هذا تندرج كل عبادة شرعية، أو سلوكية أو عائلية تحت مصطلح الإحسان الذي يعني انتقاء الأحسن في كل شيء، فالشخصية المسلمة تتميز بالإحسان الذي يرتبط بالتقوى وعبر عنه كمرحلة سامية من مراحل الإيمان المصاحب للعمل، يقول تعالى: **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾** المائدة: ٩٣ .

وعادة الإتقان تكسب الأمة المسلمة الإخلاص في العمل، لارتباطه بالمراقبة الداخلية، كما أنها تجرد العمل من مظاهر

النفاق والرياء، فكثير من الناس يتقن عمله ويجوّده إن كان مراقباً من رئيس له، أو قصد به تحقيق غايات له أو سعى إلى السمعة والشهرة، لأنه يفتقد المراقبة الداخلية التي تجعله يؤدي عمله بإتقان في كل الحالات دون النظر إلى الاعتبارات التي اعتاد بعضهم عليها.

فإذا كان المسلم مطالباً بالعبادة، والعمل المترجم للإيمان فإنه مطالب دائماً بالإحسان في العمل والحياة، غير أن هناك تفاوتاً في مجالات الإحسان حيث ركز القرآن الكريم، في طلب الإحسان في أمور منها: الإحسان إلى الوالدين، مع دوام الإحسان في كل شيء، يقول الله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا﴾** النساء: ٣٦ .

فالإحسان بنص هذه الآية انفتاح على قطاعات كثيرة في المجتمع، يطالب المسلم بالتعامل معها والتفاعل على أساس من التقوى والحرص على الجماعة حتى يكون الجهد المبذول في سبيل الإحسان إليها، ذا قيمة اجتماعية يراعى فيها رضاء المولى عز وجل لقوله تعالى: **﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾** النساء: ١٢٨ .

والرسول ﷺ يربط بين الإتقان والإحسان فيقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»، فالإحسان هنا مرادف لكلمة الإتقان، وقد أراد الرسول ﷺ أن يزرع بذلك الرحمة في قلب المسلم، ويكسبه عادة الإتقان في العمل حتى ولو لم يكن للعمل آثار اجتماعية، كالذبح الذي ينتهي بإتمام العمل كيفما كان.

والشباب المسلم يتعرض للكثير من المخاطر بفقدان هدف الإتقان في النشاطات المتعلقة به، بينما كان المسلمون الأوائل يحرصون على تعليم الشباب إتقان العمل، حتى كان طالب الطب مطالباً بتحسين خطه وإتقانه قبل أن يتعلم مهنة الطب، ليكون الإتقان سمة خلقية سلوكية،

وقيمة إنسانية.

وأول عمل يتطلب الإتقان في حياة المسلم هو الصلاة حيث يطالب بها في السابعة ويضرب عليها في العاشرة، فإذا وصل مرحلة الشباب والتكليف كان متقناً للصلاة مجوداً لها محسناً أداءها، فالمسلم في الصلاة يتقن عدداً من المهارات المادية والمعنوية، فإقامة الصلاة و ما يطلب فيها من خشوع واستحضار لعظمة الخالق، وطمأنينة الجوارح، وتسوية الصفوف، ومتابعة الإمام، ثم ممارسة الصلاة خمس مرات في اليوم كل هذه من الممارسات التي تتطلب التعود على الإتقان حتى تنتقل هذه العادة من الصلاة إلى سائر أعمال المسلم اليومية دنيوية أو أخروية.

إن الإحسان دعوة إلى إيجاد الشخصية المثلى، الشخصية التي اتجهت حركة المجتمع وجهود التربية إلى إيجادها، هذه الشخصية تمثل المثالية التي تحققت في واقع المجتمع المسلم في الماضي، ويمكن أن تتحقق في واقعنا إذا توافرت الشروط الموضوعية لتحقيقها.

وقد اختصر القرآن الكريم الصورة الإنسانية المثالية في آية واحدة؛ يقول تعالى: **﴿وقولوا للناس حسنا﴾** البقرة:٨٣، وللوصول إلى شخصية المسلم التي تحققت فيه معاني الإحسان نرى أن الأمر يحتاج إلى مجاهدة شديدة للنفس تتحقق فيها كثير من الصفات، منها قول الله تعالى: **﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** آل عمران: ١٣٤ .

ولأن الإحسان مجاهدة وجهاد يقول سبحانه وتعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** العنكبوت: ٦٩، فقد وصف الله سبحانه الأنبياء جميعاً عليهم السلام بأنهم من المحسنين، الذين يستحقون حسن الجزاء عند الله لأنهم كانوا يجاهدون أنفسهم خوفاً من الله وتقوى، يقول الله تعالى: **﴿إن المتقين في جنات وعيون ❖ آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ❖ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ❖ وبالأسحار هم يستغفرون ❖ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾** الذاريات ١٥-١٩ .

والحمد لله رب العالمين

الأمــن في الاســلام

■ بقلم الشيخ محمد خالد البريزات

الأمن هو اطمئنان النفس وزوال الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿وآمنهم من خوف﴾ قريش: ٥، ومنه كذلك الإيمان والأمانة، وضده الخوف وقد وصف الله تعالى نفسه بالمؤمن في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين مرة، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ الحشر: ٢٣ .

والمراد بقوله تعالى: ﴿المؤمن﴾ اي معطي الأمان لعباده من العذاب في الدنيا والآخرة.

وقد منح الله تعالى هذا الاسم لعباده المصدقين بكتبه ورسله، فمن هم المؤمنون؟

عن رسول الله ﷺ انه قال: «نزل علي جبريل فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول: اشتققت للمؤمن اسماً من أسمائي فسميته مؤمناً فالمؤمن مني وأنا منه».

وقد ذكر علماء الاجتماع والنفس دوافع الانسان وحصرها بأربعة ومنها الأمن، فما من حركة او عمل ألا وهو يعتقد أنه سيعود عليه بالأمن عاجلاً ام آجلاً، وان الخوف هو الذي يدفع الانسان الى البحث عن الأمن، فقد قال الإمام علي كرم الله وجهه: «نعمة مطية الأمن الخوف» وقال: «حلاوة الأمن تنكدها مرارة الخوف والحذر».

وقد أنزل الله تعالى النعاس على أهل بدر أمناً لهم من الخوف ومن الهزيمة والانكسار والإذلال، قال تعالى: ﴿اذ

يغشيكم النعاس أمنة منه وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ الأنفال: ١١ .

ولهذا فإن المجتمع الانساني بحاجة الى ثلاثة أشياء الأمن والعدل والخصب، فالأمن يطمئن النفوس وتستقر البلاد وبالعدل تصان الحقوق وبالخصب يقضى على الفقر.

ولهذا شر البلاد وكما يقال: بلد لا أمان فيه ولا خصب، ومن دعاء الصالحين: «اللهم اعطني السعة في الرزق والأمن في الوطن وقرة العين في الأهل والمال والولد والصحة في الجسم والقوة في البدن».

❖ أهمية الأمن:

ان الأمن ضروري للحياة الدنيوية والأخروية، فلا يمكن ان تكون ثمة حياة طبيعية فيها انتعاش ورخاء اذا لم يكن فيها أمن واستقرار، ولهذا نجد ان الاسلام نهى ان ينتشر بين الناس من الأعمال السلبية التي تنشر الذعر والخوف بين الناس مثل الايذاء والتجسس وشهر السلاح وسوء الظن والقتل.

ولهذا يحذر الرسول ﷺ ويوجه أمته الى هذه المعاني بقوله ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» «والسلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا» «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه».

وعندما فتح رسول الله ﷺ مكة وقد أوذي من أهلها أشد الأذى، نشر بين أهلها الأمان، فقال: من دخل دار ابي سفيان فهو آمن، وقد أخذ ﷺ مفاتيح الكعبة وردها في بني شيبة تحقيقاً للأمانة، وذلك حين نزل قوله تعالى: **﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾** النساء: ٥٨ .

فإذا انتشر الأمن في مجتمع الأمة، زادت الحركة الاجتماعية والاقتصادية بين أفراده، ولهذا يقول أحد الخلفاء الراشدين: «رفاهية العيش في الأمن».

وان الصراع الدائر الآن بين أمم الأرض لا يبطله ويوقفه الا الأمن الكامل من جميع جوانبه، ومن هنا تنشأ اهمية الأمن العالمي وهذا سيحقق بإذن الله على يد من يقيم شريعة الله، حيث يقول تبارك وتعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا**

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ النور: ٥٥ .

❖ جوانب الأمن المختلفة:

ان متطلبات عيش الانسان مختلفة، وكل مطلب من هذه الضروريات الفردية والاجتماعية يحتاج الى الأمن الخاص به، وان الحياة كل لا تتجزأ، فكل مطلب بحاجة الى الآخر، وبالتالي لا بد من رابط الأمن بينها حتى يتحقق المراد منها في منظومتها النهائية، وإليك **الجوانب المختلفة للأمن:**

أولاً: الأمن السياسي:

ان المراد بالسياسة هنا السياسة الشرعية، وهي علاقة الانسان بالانسان، وقد حدد الاسلام بصورة قاطعة لا تقبل الشك بأن مزاولة الحاكمية لله وحده هي التي تحدد الأمن السياسي الكامل والسبب في ذلك ان البشر عاجز أن يضع لنفسه نظاماً يكون قوام عيشه به، فالخبير سبحانه وتعالى بطبيعة هذا المخلوق، هو الذي يضع النظم التي تكفل له العيش بهناء.

وإليك طائفة من الآيات التي تثبت ذلك وتؤيده، حيث يقول الله سبحانه: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾** الأنعام: ٨٢ .

الظلم هنا الشرك، وهو ان يكون مع الله آلهة أخرى تطاع في معصية الله، فينتج الظلم الذي هو ضد العدل، ويؤدي ذلك الى انعدام الأمن **﴿وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمّا يعظكم به﴾** النساء: ٥٨ .

فعلاقة الانسان الحاكم مع الانسان المحكوم يحددها الشارع الحكيم سبحانه، ولهذا عندما يظهر المسيح عليه السلام في آخر الزمان تعود للأرض بركتها ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح مبشراً بنزول المسيح: «وتقع الأمنة في الأرض».

ويقول سبحانه وتعالى: **﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** الصف: ٩، فإذا ساد الايمان طبق العدل والانصاف في كل مجالات الحياة، حتى انه لا يحتاج

أحد الى الزكاة.

ولهذا.. وأنت تقرأ قول الله عز وجل: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾** البقرة: ١٧٩، تدرك ان الحياة الآمنة تكون في تطبيق الحدود الشرعية، وهذا الذي جعل الرسول الكريم ﷺ يقول: «وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وأعداء الأمة يسفهون الشريعة الغراء في تطبيقها للحدود تحت مظلة حقوق الانسان التي تهدف على -حد تعبيرهم- الى فتح باب الحريات فيصفون الحدود بالسفه أو الغلظة أو الحطة.

ولهذا جاءت الآية الكريمة تقول بصراحة: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** النور: ٦٣ .

وما صور البشر اليوم من قتل لا مبرر له وتدمير للممتلكات وإشاعة الخوف الا مظهر من مظاهر العذاب الأليم التي ترزح تحته أمم الأرض وما شفع لها تقدمها العلمي التقني في مختلف جوانب الحياة.

ثانياً: الأمن الاقتصادي:

وهذا النوع من الأمن مرتبط ارتباطاً مباشراً بالأمن السياسي، ولهذا تشير الآية الكريمة: **﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾** قريش: ٥ .

وتحت عنوان: «كيف نلبي الأمن الاقتصادي» يذكر الدكتور محمد شريف بشير فيقول: «وخلاصة القول: ان التصور الاسلامي للأمن الاقتصادي المؤدي للأمان والراحة النفسية للمجتمعات، **ينتظم في ثلاث دوائر أولها تبدأ من الفرد،** حيث مجّد الاسلام قيمة العمل وجعلها أساس التقويم وضرب لنا مثلاً، الأنبياء وفي مقدمتهم رسولنا الكريم ﷺ المثل الأعلى في مزاولة المهن الشريفة والسعي للعمل.

اما الدائرة الثانية فهي دائرة المجتمع، اذ حث الإسلام جميع الأفراد على التعاون والتكافل فيما بينهم، ويتم ذلك عن طريق جبري كالزكاة أو طوعي كالصدقات.

والدائرة الثالثة هي الدولة والتي يفترض فيها ان ترعى شؤون سكانها بغض النظر عن النوع والعرق والدين.

ومن خلال هذه الدوائر الثلاث توضع الوسائل والأساليب المفضية الى تحقيق

الأمن الاقتصادي، الذي هو جزء مما يعين الانسان على القيام بمهمته وأداء رسالته في الحياة، لذلك امتن المولى عز وجل على الناس بنعمتي الأمن من الجوع والأمن من الخوف حين دعاهم الى عبادته، فقال عز وجل: **﴿فليعبدوا رب هذا البيت ❖ الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾** قريش: ٤-٥ .

ومما تجدر الاشارة اليه ان اركان الاقتصاد الاسلامي هما ركنان أساسيان أولهما رأس المال وثانيهما التقنية التي تدير هذا المال بشكل يجعل الفائض كفيل بحياة كريمة رشيدة.

وهذان الركنان هما ركيزتا الاقتصاد الآمن، ودول الشعوب الاسلامية تمتلك أحد الركنين، وهو رأس المال، حيث يوجد الكثير من مصادره ولكن الاستعمار الذي خلف وراءه بعض القوانين والأنظمة الاقتصادية التي لا تساعد على انتاج التقنية التي تدير هذا المال المكدس في دول الغرب، بيد أن الشريعة الاسلامية هي الوحيدة من خلال انتظام الأمة الاسلامية بقوانينها وتشريعاتها هي التي تمحو آثار هذه التبعية البغيضة.

يقول الدكتور عبد العزيز الخياط، وزير الأوقاف الأسبق: «اذا نظرنا الى مسيرة التقدم الحضاري العالمي، وجدنا ان المسلمين كانوا يمتلكون على الدوام زمام الريادة والقيادة في هذا المجال كما ان بلدان العالم الاسلامي زاخرة بكل ما يلزم لدفع مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي، وتحقيق التكامل الاقتصادي، كما ندرك ان الأمة الاسلامية تغلبت عليها اطماع الطامعين، فتم تقسيم العالم الاسلامي الى كيانات متفرقة تمكن خلالها خصوم الأمة من إحالة الخصوبة الاسلامية في معظم المجالات الى جدب واضح، ولا شك ان الدور المأمول لاسترداد امجادنا، ان يعمل كل مسلم في موقعه وفي موطنه على تعزيز اقتصادات وطنه، وان نسعى دائماً لتعزيز التعاون بين الدول الاسلامية في المجالات التنكولوجية والاقتصادية مرتكزين على هدايات وتعاليم ديننا الحنيف».

ومما تجدر الاشارة اليه ان الدول الاسلامية مقيدة بقوانين وانظمة تبعية لا يمكنها معها ان تقدم العون والمساعدة للدول الاسلامية الفقيرة، وهذا يتطلب

جهاداً مريراً يتم بموجبه التحرر من القيود الاقتصادية الاجنبية التي تؤدي في النهايات الى الحرمان والجوع والفقر المؤدي الى عدم الأمن، فالمشكلات ذات صلة ترابطية، فزعزعة الأمن الاقتصادي يؤدي الى زعزعة الأمن السياسي، وهذا وذاك يؤديان الى زعزعة الأمن الاجتماعي، وبموجبه يؤدي الى تفكك الأسرة وتشرد الفرد، وبالتالي انعدام الأمن.

علاوة على ما سبق في شأن الأمن الاقتصادي، فإن طريقة إدارة المال العالمي بطريق غير شرعي يعتمد على قاعدة الربا الذي حرّمته الشريعة الاسلامية، مما يؤدي الى طرد مركزي للمال، بحيث يوجد بأيدي حفنة من البشر تتحكم بمصائر البشر وهذا معنى قول الله تعالى في شأن الربا: **﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ❖ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلِمون ولا تظلَمون﴾** البقرة: ٢٧٨-٢٧٩ .

ولا يختلف اثنان ان الحروب العالمية والتشرد الذي أصاب الكثير من أمم الأرض لهو عنوان واضح بيّن على الحرب الربانية إشارة الى قوله سبحانه: **﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾**.

تقول الدكتورة نعمت مشهور، الاستاذة في جامعة الأزهر، كلية التجارة: «تمر الأمة الاسلامية في وقتنا المعاصر بمحنة عدم اكتمال هويتها الاقتصادية للأسف الشديد، مما يجعلنا نفكر في كيفية الافادة من نظام الزكاة لمواجهة النقص الذي قد يعتري جانب الموارد الاسلامية، حيث طرحت في الساحة فكرة انتشار مصرف تنمية اسلامي تجمع فيه أموال المسلمين، ويتم تشغيلها واستثمارها وفق المبادئ الاسلامية، وانشاء صندوق الزكاة من اموال هذا المصرف فيتكون رأسمال تجاري، فالزكاة تعمل على مواجهة الفقر في ديار المسلمين بعلاج أسبابه، علاجاً جذرياً وليس بمجرد مسكن وقتي محدود النطاق والمفعول».

ويقول الدكتور نصر فريد واصل، مفتي مصر السابق: «ان الغرب يركز على القيم المادية والاقتصادية ويهمل القيم الدينية والمعنوية، فضعفت مكانة الدين، كما ضعف تأثيره في حياة الناس في المجتمعات الغربية، ولا شك ان نقل هذه

الأفكار الى البلاد الاسلامية يعتبر من التيارات الفاسدة الوافدة التي يجب التصدي لها بكل حزم وقوة، لأن الاسلام يحتفظ بنقاء الايمان وصفاء العبادة وقوة التأثير، فلا تزال الفضائل التي دعى اليها الاسلام فضائل مقدسة، والرذائل التي نهى عنها الاسلام اعمالاً بغيضة ينفر منها الانسان المسلم.

ففي مجال الاقتصاد في ديار المسلمين، يجب على علماء المسلمين ان يوصّلوا موقف الاسلام من الاقتصاد بما ييسر على المسلمين معاملتهم ويفتح لهم طرق الاستثمار المشروع لأموالهم، وان تتوسع الأمة الاسلامية وموسساتها في مباشرة تجميع أموال الزكاة، ولا شك ان تعزيز التضامن الاقتصادي والتكنولوجي بين المسلمين ضرورة ملحة من أجل الارتقاء بالمسلمين».

وفي نهاية الشوط عن الاقتصاد الآمن الذي يبعث على روح الألفة الصادقة بين بني البشر، فإن الرزاق لم يهمل أحداً من الرزق، ولكن التغول على البشر بقوة النفوذ هو الذي يجعل هذا الخلل المفضي الى عدم الأمن أو انعدامه، فالله هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، فهو سبحانه المسؤول وحده ان تعود الأمة المسلمة الى قيادة البشرية ضمن منهج الله، لتعود الى الأرض خيراتها وأمنها.

ج- الأمن الاجتماعي:

ان المجتمع الذي هو مجموع الأفراد، يحتاج الى الأمن كحاجته الى الغذاء والدواء، بل أشد، والسبب ان حاجات الانسان لا تلبى الا في جو من الأمن، وبالحركة الدائبة يتحقق السبب في العيش الهانئ، ولا ثمة حركة لتنشيط الاقتصاد وتحسين سبل العيش الا في ظل أجواء آمنة، وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث يقول: «من اصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» حديث صحيح.

وبغياب الايمان الذي يقوّم السلوك ويجعل للانسان أمنه وطمأنينته، تظهر آثار إغواء الشيطان ومكائده ووساوسه، فإذا انعدم الايمان انعدم الأمان، قال تعالى حكاية عن الشيطان: **﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ❖ ثم**

لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ اكثرهم شاكرين﴾ الأعراف: ١٦-١٧ .

والشكر على نعم الله يكون سبباً في إدامتها وبقائها، والمعنى المحدد للشكر، هو استخدام هذه النعمة بما يعود عليها بالطاعات والقربات، والايمان شكر وصبر وبه يكون الاستخلاف في الارض، فيكون الأمن الفردي والأسري والاجتماعي متحققاً عند إقامة منهج الله في الأرض، قال تعالى: **﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾** النور: ٥٥ .

بداية الطريق إيمان وعمل صالح، ونهاية المطاف أمن من الخوف والجوع، والطريق بينهما الاستخلاف في الارض، اي تحقيق العبودية لله في الارض فيكون المجتمع ءامناً مطمئناً.

وعند انعدام الإيمان تكون الحياة مظلمة ومعتمة وفيها كل أسباب الشر والفجور، قال تعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** النور: ٦٣ .

فبمخالفة أوامر الله عز وجل، يكون العذاب الأليم بالقتل وبالتشرد والضياع والشرك، فالفتنة هنا معناها كما يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ان الفتنة هنا هي الشرك»، والتوحيد هو سبب للأمن كما ان الشرك سبب للخوف.

ومن الاسباب الاجتماعية التي تضفي الأمن على الأمة، قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن إشاعة المعروف بين الناس تؤدي الى التكافل بينهم وإشاعة المنكر تؤدي الى إشاعة البغضاء والحسد والكره، يقول مولانا عز وجل: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: ١٠٤ .

فالفلاح أو الفوز يكون بإقامة المعروف على خير وجه، والنهي عن المنكر المؤدي الى الفاحشة المؤدية بدورها الى زعزعة الأمن.

ويروى في الصحيح: ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قام خطيباً فقال بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه: «أيها الناس

انكم تقرأون هذه الآية ﴿**يا أيها الذين ءامنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**﴾ المائدة: ١٠٥، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعمهم الله بعذاب» والعذاب ضد الأمن، فالأمر بالمعروف نهايته الأمن التام لجميع أفراد الأمة، وإشاعة المنكر تعني ضياع الأمن في المجتمعات.

❖ كيف يتحقق الأمن:

لقد مرت حقب من الأزمان تحقق فيها الأمن وسارت فيها الظعينة غير خائفة، حتى جاءت الى البيت الحرام، ولقد فاض المال حتى لم يجد من يأخذه، ولقد نُصِّب قاضي أو والي على المدينة ومرّت سنة كاملة لم يأته متخاصمان، ولقد مرت على الأمة المسلمة قرون كانت فيها هي الآخذة بزمام القيادة للبشرية فعاشت افضل الحياة وأكرمها، فلا يتحقق الأمن الشامل بكل جوانبه الا ضمن ما يلي:

١- الايمان بالله وحده لا شريك له، وذلك للآية الصريحة التي يقول فيها المولى عز وجل: ﴿**الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ الأنعام: ٨٢ .

٢- التحاكم الى شريعة الله عز وجل لقوله: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ❖ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ❖ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ❖ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه**﴾ طه: ١٢٤-١٢٧ .

٣- العدل في توزيع الثروات واصدار الأحكام والقضاء، ذلك ان الله تعالى خلق الخلق وجعلهم متساوين في الحقوق والواجبات، وهذا يؤخذ من قوله جل وعلا: ﴿**ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً**﴾ النساء: ٥٨ .

فإقامة العدل باب من أبواب الأمانات عظيم، فإذا تحقق بين الناس أدى الى الأمن الشامل التام.

٤- اقامة لواء الجهاد في سبيل الله، ان الله لم يأمر بشيء الا وفيه مصلحة متحققة للعباد، وان المصالح تبنى بعضها

على بعض، فمن أسباب استتباب الأمن ردع المتجبرين في الأرض الذين يعيثون الفساد بين الناس، قال الله سبحانه: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً ❖ فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾** النساء: ٨٣-٨٤ .

وأخيراً، فإن الله تعالى يبسط أمنه على عباده بمقدار ما يحققوا من عبوديته، ويأخذ البشر بالتنكيل بمقدار ما ينكلوا عن شريعته.

فنسأل الله العلي القدير ان يجعل هذا البلد وسائر بلاد المسلمين سخاءً رخاءً آمناً مطمئناً إنه مولانا وحده لا شريك له، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

❖ المراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- رياض الصالحين، النووي.

٣- في ظلال القرآن، سيد قطب.

٤- اطروحة الأمان الاقتصادي، د. محمد شريف البشير استاذ كلية الاقتصاد في جامعة العلوم الاسلامية بماليزيا.

٥- اطروحة للدكتور نصر فريد واصل.

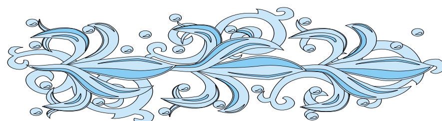
٦- اطروحة محمد شوقي الفنجري استاذ الاقتصاد في الجامعات المصرية.

٧- اطروحة للدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الاسبق.

٨- اطروحة الدكتور جعفر عبد السلام، استاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر، أمين عام رابطة الجامعات الاسلامية.

٩- اطروحة للدكتورة نعمت مشهور، الاستاذة بكلية التجارة، بنات، جامعة الأزهر.

١٠- خطبة الشيخ سعود الشريم في المسجد الحرام.



٢

قيـــام الليـــل

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن منزلة قيام الليل، وأنه دأب الصالحين وتجارة المؤمنين وعمل الفائزين برضوان الله عز وجل، واستعرضنا الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن اهمية القيام في حياة المسلم، والثواب العظيم المترتب على ذلك، وفي هذه الحلقة نتكلم فيها عن:

❖ فضل قيام الليل:

قال تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ الاسراء، وقال تعالى مادحاً عباده المؤمنين: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ الفرقان، وقال سبحانه يصف قيام الليل: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾ المزمل.

قال الطبري: «أشد وطئاً هي أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة»، هذا وان للتهجد في نظر الشرع أهمية كبيرة في حياة المسلم، لذا فقد حذر رسول الله ﷺ من ترك قيام الليل لمن اعتاده، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم من الليل فترك قيام الليل» رواه البخاري.

ولكن.. ألا تتعارض أهمية النوم للإنسان وضرورته له، مع ما يرغّب به رب العزة سبحانه وتعالى أولياءه الصالحين من عباده على قيام الليل؟!

يجيب الدكتور سمير الحلو على هذا

التسـاؤل، بأن الانسـان ليس جسـداً فـقط يعـمل نهـاره ثم يطلب الراحـة في الليل، مع مـا يتـخلل ذلك من طعـام ولهـو، بل ان له ملكات أخرى لها أثرها الكبير في نشاطه وحيويته، انها القوة الروحية الهـائلة التي تجعل منه ولياً من أولياء الله، ثم ان دراسة علمـية قـامت بها الدكـتورة سلوى مـحـمـد رشدي، أثبتت ان المعتادين على قيـام الليل، يتـمـتـعـون بمسـتـوى أداء أعلى بالنسـبـة لفـقـرات ظهـورهم مـقـارنة مع الذين لا يقومون الليل.

كـما أثبـتت الدراسـات الطبـيـة ان الذي ينـام على وتيـرة واحـدة سـاعـات طويلة، يتـعـرض للإصـابة بأمـراض القلب بنسـبـة عـاليـة، ذلك ان هذا السكون الطويل، يؤدي الى تصلب الشـرايين وتضـيـق في لمـتـهـا لتـترسـب الشـحـوم في بطانتـهـا، وتنصح الدراسـة ان يقـوم النائم بعـد أربع سـاعـات من نومه، ليقـوم ببعض الحـركات الرياضية أو المشي لـربع سـاعـة من الزمـن، للحـفـاظ على مرونة شـرايينه ووقايتها من الترسبات الدهنـيـة، ومـا يليـهـا من إصـابات وعـائيـة قلبيـة، وفي دعوة الاسـلام أتبـاعـه الى قيـام الليل، سـبـق طبي رائع لوقـايـتـهـم من الاصابات المذكورة.

كل هذا يعـتبـر من دون شك جـانبـاً من المنافع الصحية، التي أشار اليها النبي ﷺ حين قـال: «عليكم بقيـام الليل فـإنه دأب الصـالحـين قـبلكم، قـربة الـى الله تعـالى ومنهـاة عن الإثم وتكفـيـر عن السـيـئـات ومطردة للداء عن الجسم».

❖ من آداب قيام الليل:

١- ينوي عند نومه قيـام الليل وينوي بنومه التـقـوي على الطاعـة ليـحـصل على الثواب في نومه.

٢- يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ ويذكـر الله، ويتـوسل ويقـول: «لا إله الا الله وحـده لا شـريك له، له الملك وله الحـمـد وهو على كل شـيء قـديـر، سبحان الله والحمد لله، ولا إله الا الله والله اكـبـر، ولا حـول ولا قـوة الا بالله العلي العظيم رب اغفر لي».

٣- يفتتح تهجده بركعتين خفيفتين.

٤- يستحب ان يكون تهجده في بيته.

٥- المداومة على قيام الليل وعدم قطعه.

٦- اذا غلبـه النعـاس ينبـغي له ان يتـرك الصلاة وينام حتى يذهب عنه النوم.

٧- يستحب له ان يوقظ اهله.

٨- يقرأ المتهجد جزءاً من القرآن أو أكثر.

٩- جواز التطوع جماعة أحياناً في قيام الليل.

١٠- يختم تهجده بوتر.

❖ الأسباب المعينة على قيام الليل:

١- معرفة فضل قيام الليل ومنزلة اهله عند الله تعالى.

٢- قصر الأمل وتذكر الموت.

٣- اغتنام الصحة والفراغ.

٤- الحرص على النوم مبكراً.

٥- الحرص على آداب النوم وذلك بأن ينام على طهارة، ويفعل ما كان رسول الله ﷺ يحرص على فعله.

وقد ذكر ابو حامد الغزالي اسباباً ظاهرة وأخرى باطنة ميسرة لقيام الليل:

فأما الظاهرة:

١- ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب، فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام.

٢- ألا يتعب نفسه بالنهار بما لا فائدة فيه.

٣- ألا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على القيام.

٤- ألا يرتكب الأوزار في النهار فيحرم القيام بالليل.

وأما الأسباب الباطنة:

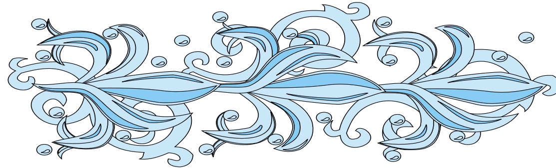
١- سلامة القلب من الحقد على المسلمين ومن البدع وفضول الدنيا.

٢- خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

٣- أن يعرف فضل قيام الليل.

٤- وهو أشرف البواعث: الحب لله وقوة الايمان بالله عز وجل، بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج لربه.

والحمد لله رب العالمين



وحي الجنوب

شعر الاستاذ حلمي محمد شقير

وقــفت أســأل عن رم وســاكنهــا ... اين الحــيــاة ومــاذا حل يا إرم
ذات العــمــاد اتاها حــادث جلل ... لم يبق منها سوى الأحجار ترتطم
فــالآي تتــرى على رم وتفــزعــهــا ... مرأى الصواعق والأنفاس تضطرم
لا عــاصم اليــوم يا رم على قــدر ... فالله يحكم فـهـو الشــرع والحكم
تلك الحـضــارة اضـحـت دونما اثر ... حم القــضــاء ولما تنفع القــمـم
سلوا عــتــيــداً ومــاذا حل يا إرم ... وهل يجيب سؤالي من به صمم؟
قــد كــان في إرم للناس مـوعظة ... وأذرح عندمـا الاســلام يحــتكم
جـيش الخـلافـة يأبى ان يراق دم ... فــالحكم لله لا جــور ولا ظلم
هذا ابو موسى أسيف من مشاحنة ... فـخـصـمـه عـمـر وبالمكر يتـسم
لا هم ان حـمى الاســلام في خطر ... فـالسـيف يحكم لا صـبـر ولا حلم
فـيم التـنـاحـر يا قـومي على ملك ... للشرع عـودوا وللاسلام فاحتكموا
يا قــوم ان كـتــاب الله شـرعـتكم ... ان ينفذ الصبر قد تسحقكم الأمم
تلك الحضارة شاخت بعدما ظفروا ... وضــاع عــزهم بل شــابهم قـتم
والراشــدون مـضـوا والحق رائدهم ... واقبلت دنيـا بني مـروان تبـتـسم
لكنـه الدهـر لا يبــقي على أحــد ... جيش الحـمـيـمة يا مروان يلتحم
جاست جيوش بني العباس وانطفأت ... دنيــا أمـيــة اذ عــزوا واذ نقــمـوا
إيه بني العـبـاس ان الظلم مظلمة ... فــالظم نار وللمظلوم منتــقم
سـل المـزار ان يـنـبــــــــئـكـم ... هـذا المزار وبالتــــاريخ يـزدحم

جحافل الفتح حلت في مرابعه | وكان جعفر للروم يقتحم
لا ترفع الصوت اجلالاً لمرقدهم | فهم اباة فما وصموا وما وهنوا
اما صلاح فهذا مارد علم | سل ارض شيحان فهي الجاه والشمم
خليفة الله والدنيا بقبضته | فما غوته وما زاغت به القيم
عرج على ضانا وما ضمت مرابعها | من الصحابة ما ذلوا وان عدموا
هذي الطفيلة مهد الصحب من زمن | فيها كرائم لا تحصيهم الأمم
عن سالع قد حباها الله منزلة | من العمارة والانباط ما وصموا
هذي ذرى البتراء في الأذهان عالقة | تحكي شموخ رجال فيهم الكرم
والراشدية نبع الخير ملهمتي | وهل لغيرك غنى الشيخ والسلم
وفي القويرة نعم الصحب من زمن | لهم تحايا من الاعماق لا عدموا
أما معان نواة الحكم في بلدي | جاء الشريف فزال الفقر والعدم
والهاشميون أتوا والجود رائدهم | هش الربيع لهم والشيح والرتم
وأبو الحسين سليل المجد سيدنا | فهو العزيمة فيه الشمل يلتئم
ففي فلسطين يرنو الأهل في شغف | نحو المليك ليحمي الأهل والحرم
وفي العراق هموم لا تفارقه | يأسو الجرح فلا زلت به قدم
وفي فلسطين آهات مجلجلة | وفي العراق جراح لفها ألم
هذا المليك نصير الحق تحرسه | عناية الله نعم الحارس العلم
بالركب يمضي بجهد لا مثيل له | زين الشباب عليه الود يرتسم
وفي الختام صلاة الله سابغة | على النبي وخير الخلق كلهم
على محمد رسول الله رائدنا | يزهو به العرش والقرطاس والقلم



خطبة الجمعة

منزلة المرأة في الاسلام

بقلم الأستاذ سميح أحمد عثامنة

لقد كثر الحديث هذه الأيام عن المرأة، وجعلوا لها يوماً عالمياً، وجعلوا للأم كذلك يوماً واحداً في السنة، يذكرونها فيه ويحتفون بها، والحديث عن المرأة هذه الأيام يتسم بدفع تهمة للإسلام باطلة، ورفع ملامة عن المسلمين ظالمة، وذلك في مواجهة هجمة جديدة على الاسلام والمسلمين، كانت همساً بين المفكرين، فصارت صراخاً بين السياسيين، وهؤلاء وهؤلاء، يصدرون عن مصدر واحد، باتجاه هدف واحد، هو العداء التاريخي للاسلام الذي يتصاعد جيلاً بعد جيل، ويتفاقم دولة عن دولة في الغرب.

والحديث معشر المسلمين عن المرأة في الاسلام، ليس جديداً على الأسماع ولا غريباً عن الأفهام، ولا هو من نافلة القول أو ترف العقول، فقضية المرأة في الاسلام هي قضية الرجل لا يزهر بدونها شبابه، ولا تزدهر بالتخلي عنها مواهبه، ولا تستقيم بعيداً عنها حياته، وجعلها الله تعالى الى جانب الرجل، دليلاً على سنن الفطرة وعنواناً على هدي الخليقة، وبرهاناً على صنع الله جل وعلا.

وليس كالاسلام دين وضع المرأة موضعها الصحيح، ودفعها الى حيث ينبغي ان تكون، وأقامها في المقام الذي خلقها من أجله، واعطاها ما أعطى الرجل من تكريم وتقديم وتعظيم، واذا رمت أخي المؤمن، ان تعرف نظرة الاسلام في المرأة

عموماً، فما عليك الا ان تتصفح آيات كريمات من القرآن العزيز، لتدرك من اول وهلة مدى رقي تلك النظرة، من خلال احتفاء هذا الكتاب العظيم بشخصيات نسوية، تتحدث عنهن حديثاً يتسم بالاحترام والتقدير والإكبار الى أبعد ما يتصوره انسان أو ترمي اليه العقول.

فقد وقف القرآن الكريم، وقفة إعزاز وتقدير وهو يتحدث عن دور أم موسى عليهما السلام، وبسالتها ورباطة جأشها، في أوج حنوها وشفقتها على الوليد الحبيب، **﴿وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾** ثم موقف اخته الشجاع، وهي تخوض غمار خطر مؤكد في سبيل الاطمئنان على أخيها **﴿وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾**.

ثم ما كان منها من جرأة اذ تحدثت في قصر فرعون بين قوم بأيديهم السكاكين للقتل، **﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾** فلما لم يتنبهوا اليها كررت السؤال بصيغة أخرى **﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾**.

نعم أيها الإخوة المؤمنون، هذا موقف أم موسى وأخته مع جبروت فرعون وقومه، فكم من الرجال يستطيع ان يفعل ما فعلته أم موسى وأخته؟!.

ولم يكن دور مريم بنت عمران عليها السلام في حياة سيدنا عيسى عليه السلام بأقل من ذلك، حين أتت به قومها تحمله، فواجهت الخوف والرعب بكل طمأنينة وثقة بالله عز وجل، بعد ان قالت من شدة المحنة وعظم المصيبة: **﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾**.

وتأمل أخي المسلم، في موقف ابنة شعيب عليه السلام، وهي ترعى غنمها وتسقي وسط الرعاء متسربلة بالحياء والقوة معاً **﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾**.

وتتجدد وقفة القرآن الكريم الثابتة مع آسيا امرأة فرعون، من فرعون ودينه الوثني، **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك**

بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾.

وانظر الى ملكة سبأ، كيف درست رسائل سليمان عليه السلام بعناية وجدية، حتى أوصلها ذلك الى الاسلام، فقالت مؤمنة موحدة لله عز وجل: **﴿رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾**، وتنازلت عن ملك عظيم، ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى.

ثم تأمل أخي المسلم، في مدى احترام القرآن الكريم للمرأة حين قال: **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما﴾** تلك هي المؤمنة الصالحة، الصحابية الجليلة، خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، التي كانت سبباً في انزال حكم الظهار، الذي كان يُثقل كاهل الناس، فخفف الله الحكم لصالحهم.

نعم عباد الله؛ ان ديناً عظيماً يحتفي بالمرأة الصالحة، كل هذه الحفاوة، لهو جدير بأن يسود ويقود ويعود ليتوسط ناصية الحياة.

والحديث عن المرأة في الاسلام متشعب المسالك، ومتفرع المشاكل والمسائل، ومتنوع الجهات والوجهات، ومتعدد الأصول والفروع، والثابت والمتغير من واجبات الدين المستقرة، وموجبات العرف المتغير دائماً.

فالله عز وجل جعل المرأة والرجل، على طريق واحد يشتركان في جدية المنطلق، ووحدة الغاية، من اجل عمارة الكون، وهما كالرئتين للجسد، أو هما جناحان لطائر واحد، لا يطير ولا يحلق عالياً الا بسلامة جناحيه من الأذى، يقول الله عز وجل: **﴿وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾.**

لهذا ساوى الله عز وجل المرأة بالرجل في وحدة التكليف **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾** ومن ذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل مساهمة المرأة في صنع الحياة الطيبة، مساوية لمساهمة الرجل **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة**

طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

بل نرى الله عز وجل وقد وعد بقبول عمل المرأة، بنفس القرار الذي وعد به الرجل سواء بسواء **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**، بل ذهب القرآن الكريم الى أبعد من ذلك، حيث ثبت علمياً أن المرأة أثبت من الرجل على طاعة الله عز وجل، وهنا ما يؤيده الكتاب العزيز، حيث وجه الله اللوم الى آدم دون حواء عليهما السلام، في قصة الأكل من الشجرة، وفي ذلك إشارة لا تخفى، فإن حواء كانت تابعة لآدم في الخطيئة، فآدم عصى ربه أصالة، من حيث ان ابليس وسوس لآدم أولاً ولحواء تبعاً **﴿فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾** لذا قال تعالى: **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾** ولم يوجه تهمة العصيان لحواء، ثم ان الله عز وجل طلب التوبة من آدم وليس من حواء **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾**.

لهذا كانت الأنثى اعظم أثراً في حياة الأب، حيث جعل الله البنات أعظم أثر في حياة الآباء من الأبناء الذكور، فهن في الدنيا بركة وفي الآخرة شفاعة، وليس الأبناء كذلك، لذا قدمهن الله عز وجل في قائمة الهبات والعطايا الربانية العظيمة فقال: **﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾**.

من هنا، فإن المرأة المسلمة هي حجر الزاوية في تكوين الأسرة ابتداءً، وتماسك الأمة انتهاءً، وذلك لأن الأمة حلقة أخيرة في سلسلة من الحلقات، تتحد لتكون الحلقة التي بعدها، صعوداً باتجاه تكوين الأمة، وهي الحلقة العظيمة التي يقول الله فيها: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** إنها هي التي تصنع الأجيال، ويعمر الكون بهم.

نعم ايها الإخوة الموحدون؛ ولعظم حرمة المرأة في الاسلام، فقد أضفى عليها قدسية خطيرة، فجعل من الحرمات المقدسة ان تحافظ المرأة على محاسنها من التدنيس، فقال تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن..﴾** ولما قرر قدسية محاسن المرأة

شرع حماية هذه المحاسن، فقال تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾** وقال سبحانه: **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾**.

نعم معشر المسلمين، هذه بعض نظرة الاسلام للمرأة، وكيف حافظ على عفتها وخلقها وكرامتها، وقد وصل اليوم الأمر في العالم، الى جعل محاسن المرأة سلعة تباع وتشترى، وتستغل للدعاية والإعلان وترويج البضائع وعمل السياحة ودور الفساد، حتى امتهنت المرأة امتهاناً جعلها سلعة في الأسواق، أو جارية في سوق الرقيق، من قوم يزعمون انهم يدافعون عن حقوق المرأة وكرامتها، وفي الوقت نفسه، وفي آن معاً يهدرون عفتها وأخلاقها، ويجردونها من دينها وشرفها.

عباد الله؛ لقد تميز هذا الدين، بل تفرد بإنصاف المرأة وتكريمها باعتبارها انساناً، وباعتبارها زوجة، وباعتبارها ابنة وأماً وعضواً بانياً في المجتمع، وبوأها مكانة عالية رفيعة، لم يسبق اليها اي دين أو مذهب أو اعتقاد، ولا أدل على ذلك من هذه الشواهد المشرقة من تاريخ الاسلام.

فأول قلب آمن بدين الله ورسالة نبيه ﷺ، قلب امرأة، هي زوجه أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها التي آزرته وناصرته بمالها ومواقفها.

وآخر عهده ﷺ بالدنيا صدر امرأة وهي زوجه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، التي مات ورأسه بين سحرها ونحرها.

وأول من نال شرف الشهادة في الاسلام امرأة، هي سمية رضي الله عنها التي سجلت ثباتها امام طغاة الشرك والوثنية، فلم يستطع أحدهم الصمود أمام صلابتها، فانقض عليها بسلاحه وأهداها أرفع الأوسمة في الدنيا قبل الآخرة.

نعم أمة الاسلام، هذه هي منزلة المرأة في الاسلام، هذه هي مكانتها واهتمامه العظيم بها، حتى كانت آخر وصية للنبي ﷺ قبل وفاته «اوصيكم بالنساء خيراً».

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين إنتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العدد الخامس - المجلد ٥٤
رجب ١٤٣١هـ - حزيران ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

أهداف المجلة

● بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.

● العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.

● ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.

● ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.

● العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.

● إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.

● توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.

● التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.

● تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام

وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الخامس ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

التربيــة الاســلاميــة ..

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يمثلان المرجعين الأساسيين، لمرتكزات التربية الاسلامية ووسائلها وخصائصها وأهدافها، بل ان كثيراً من النظريات التربوية والنفسية، التي يعتقد انها اكتشفت في العصور المتأخرة، هي في الحقيقة لها امتداد وجذور عند المسلمين، لأن التربية الاسلامية، تربية متميزة لها نظرياتها الخاصة، وسماتها المميزة، التي تجعلها تتباين عن غيرها، ومع هذا فإنه لا يمنع ان تكون هناك بعض الحقائق التربوية المشتركة بينها وبين غيرها من النظريات الحديثة.

والتربية في الاسلام، تقوم على تقرير وجود حقائق مادية، واخرى روحية في الوجود، وفي طبيعة الانسان، مما جعل هذه التربية مبنية على أساس من الواقعين المادي والروحي للانسان، تنتظم حياته على اساسهما، لأن الانسان ليس ملكاً يعيش في السماء بروحه وليس مادياً للدرجة التي تجعله يعيش منغمساً في الحياة الارضية، بل له عالمه الروحي الواسع المتعمق في كيانه.

التربية الاسلامية، تقوم على تحقيق التوازن بين الجانبين الروحي والمادي في الحياة الدنيا أولاً، والحياة الأبدية في الآخرة ثانياً، وهنا نجد اختلاف التربية الاسلامية عن غيرها من النظم التربوية في اعدادها للانسان، لا للحياة الدنيا فحسب، بل للحياة الأخرى ايضاً.

فالتربية في الاسلام، تعمل على تكوين أجيال مهذبة راقية قوية

بين الواقعية والتطبيق

صادقة، تقوم بواجبها في الحياة، وتتحمل مسؤوليتها الانسانية وتعمل على تسخير علمها وحياتها في الفضيلة والخير، وتتجنب الرذيلة وتراقب الله في السر والعلن والعلانية، حتى تظفر بالسعادة والأمن والاستقرار في الحياة الدنيا، والثواب والجنة في الحياة الأخرى.

نعم.. التربية الاسلامية تعمل لتحقيق الهدف من وجود الانسان على الأرض، وهو عبادة الله عز وجل وتزكية النفوس، وجعل مستوى العبادة في مستوى الاستحقاق، الى جانب تحقيق معنى الأخوة والمودة والمحبة بين المسلمين، والعمل على تكوين اجيال مؤمنة بالله سبحانه، متمسكة بقيم الاسلام وتعاليمه، مسايرة لروح العصر، صامدة للتحديات التي تواجه المجتمعات، التي تعج بالمخالفات الشرعية.

ولكن في الوقت ذاته، فإن الاسلام يقرر ان الانسان كثيراً ما ينحرف عن فطرته، ولكن التربية الصحيحة، هي الوسيلة لارجاعه الى فطرته وتوافقه معها، وما ارسال الرسل عليهم السلام للناس، الا وسيلة لهداية الانسان الى فطرته وتوجيهه اليها، والقرآن العزيز يذكر ان الله ألهم النفس تقواها وفجورها، وان الانسان قد يفلح بتزكيتها ويخيب بدسها.

وهكذا فالاسلام يقرر ان مهمة التربية، هي توجيه الطاقات الى الخير والى وجهتها التي خلقت من اجلها.

اسرة التحرير

من وجوه الاعجاز في القرآن الكريم

■ بقلم الاستاذ المحامي شكري الحسن

جرت السنة الالهية، في إرسال الرسل الكرام، ان يظهر على أيديهم معجزات خارقة للعادة، تأييداً لهم، وقد شاءت إرادة الله تعالى، ان تكون معجزة سيدنا محمد ﷺ «القرآن الكريم» معجزة معنوية خالدة، لا كبقية معجزات الرسل الآخرين، وذلك لو ان معجزته ﷺ، كانت كما معجزات الاخرين، لانتهت واقتصرت على من شاهدها، لكن ارادة الله عز وجل شاءت ان يكون هذا القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة.

❖ **ومن وجوه اعجاز القرآن الكريم ما يلي:**

اولاً: ان قارئ القرآن الكريم لا يمله ولا يمجه، لان روعة القرآن الكريم التي تلحق بقلوب سامعيه واسماعهم، باقية ما بقي الدهر.. اسمع مقالة الوليد بن المغيرة، ذلك الذي كان من صناديد الكفر وأئمة الشرك، فقد ذهب الى النبي ﷺ، ليعارضه فيما يقول، ويثنيه عن الرسالة الشريفة ان استطاع، فقرأ ﷺ القرآن الكريم، فكأنه رق له، وقال لقومه حين رجع لهم: والله ان لقوله لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وانه ليحطم ما تحته وان أصله لعذق (والعذق يعني النخلة لجمالها، يشبهه بالنخلة التي ثبت اصلها وقوي عرقها وطاب ثمرها) فقال ابو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى افكر فيه، فلما فكر قال: ان هذا إلا سحر يؤثر، فنزل فيه قوله تعالى: **﴿ذرني ومن خلقت**



وحيدا ❖ وجعلت له مالاً ممدودا ❖ وبنين شهودا ❖ ومهدت له تمهيدا ❖ ثم يطمع ان أزيد ❖ كلا انه كان لآياتنا عنيدا ❖ سأرهقه صعودا ❖ إنه فكر وقدر ❖ ثم قتل كيف قدر ❖ ثم نظر ❖ ثم عبس وبسر ❖ ثم ادبر واستكبر ❖ فقال ان هذا الا سحر يؤثر﴾.

ثانياً: لقد تحدى به الله تعالى الناس جميعاً على ان يأتوا بسورة واحدة من مثله، وقد عجزوا، رغم ما عرف عن العرب من فصاحة اللسان، والبيان، فكان ذلك دليلاً قاطعاً وقطعياً على أنه كلام الله تعالى، وليس من كلام البشر.

ثالثاً: اشتماله على علوم كونية وحقائق إنسانية، لا يمكن ان تكون لرجل أُمي لم يعرف القراءة والكتابة ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.**

كذلك وضح القرآن الكريم حقيقة التكوين الإنساني فقال: **﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ❖ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ❖ ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ❖ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ❖ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾** المؤمنون: ١٢-١٦ .

وكذلك تحدث القرآن الكريم عن الرياح والسحاب والفلك التي تجري في البحر، والنجوم والشمس، وانها تجري لمستقر لها، قال تعالى: **﴿لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** يس: ٤٠ .

رابعاً: بلاغة القرآن الكريم وارتفاعها الى درجة لم تعرف في كلام البشر قط، ونظمه المحكم الذي ليس على منهاج الشعر الموزون المقفى المعروف لدى العرب، ولا هو على منهاج النثر المسجوع، وهو الكلام المتقارب الفواصل كما تتقارب قوافي الشعر، لكن بلا وزن، انما القرآن الكريم منهاج قائم بذاته.

خامساً: الإخبار عن أمور المستقبل ووقعت كما قررها القرآن الكريم، ومن ذلك الإخبار عن هزيمة الفرس بعد انهزام الروم، قال تعالى: **﴿الم ❖ غلبت الروم في**

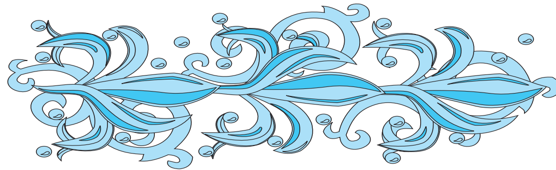
ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ❁ في بضع سنين❁ الروم: ١-٣، والبضع ما بين الثلاث الى العشرة.

كذلك فقد وعد الله تعالى نبيه الكريم ﷺ، بفتح مكة المكرمة والنصر المؤزر فقال تعالى: **❁لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخُلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون❁** الفتح: ٢٧، وقد تحقق وعد الله تعالى، نصراً مؤزراً وفتحاً مبيناً ودخل مكة آمناً.

وقد وعد الله تعالى المؤمنين ان يستخلفهم في الارض، وقد تحقق ذلك الوعد الالهي في حياة النبي ﷺ وعلى يد اصحابه رضوان الله عليهم من بعده.

سادساً: إخبار القرآن الكريم بأحوال الأمم السابقة، فقد أخبر بأخبار أُمم اندثرت مثل عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وقوم ابراهيم وأخبار موسى عليه السلام وقومه وأخبار السيدة مريم عليها السلام وولادتها المسيح عليه السلام وقد أخبر بذلك، فلو كان من عند رسول الله ﷺ، فكيف يتأتى له ذلك وهو الرجل الأُمي الذي لم يتعلم ولم يقرأ ولم يتلق العلم من معلم؟ ولم تكن بيئته بيئة علم وكتاب، ولذلك جاء قول الله تعالى: **❁وما كنت تتلو قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون❁** وهذا دليل قطعي، لا يأتيه الباطل، على انه كلام الله سبحانه وتعالى وليس من قول البشر.

هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وان العقول العاجزة عن إدراك نواحي إعجازه كلها، ومقرها في وجوه معدودات، ولسوف يظهر الكشف العلمي كما هو الحال الواقع من أسرار الكون وعجائبه ما يجلي نواح عديدة من إعجاز القرآن الكريم، لأنها لا تفنى على الدهر ومدى الأيام وعجائبه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



٣

ابن السني ومنهجه في كتابه
« عمل اليوم والليلة »

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. علي حسين محمود عبد الله

نهج المحدثون - ممن سبق ابن السني - على ايراد الأحاديث بأسانيدها، وجعلوا الإسناد من الدين، وشددوا النكير على من يورد الأحاديث من غير أسانيد؛ لأن ذلك مدعاة إلى التزيد والكذب على رسول الله ﷺ.

وسار ابن السني على هذا المنهج فأورد أحاديث كتابه بأسانيدها، وتفنن في عرضها، وقد أسند ابن السني من طريق شيخه النسائي - ١٣٣ حديثا - وهي موجودة في كتابه "عمل اليوم والليلة" بنصها إسنادا ومتنا.

وباقي الأحاديث أسند أكثرها من طريق: أبي يعلى الموصلي، وأبي خليفة الجمحي، وأبي عروبة الحراني، وأبي محمد بن صاعد.

ويمكن حصر منهجه في ذلك بالطرق التالية:

الأولى: أن يفرد كل إسناد مع متنه بالرواية.

الثانية: أن يعدد أسانيد الحديث، ويجمعها في قالب إسناد واحد، ويسوق المتن عقبها.

الطريقة الأولى: إفراد كل إسناد مع



متنه بالرواية:

أ . وذلك بأن يروي ابن السني الحديث بإسناد واحد أو بأسانيد متعددة، ويلحق كل إسناد بلفظ المتن الذي روي به . وهذه الطريقة هي الأكثر في الكتاب، ومن أمثلته:

حديث رقم (١): حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، حدثنا مسدد، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي الصهباء، عن سعيد ابن جبير، عن أبي سعيد الخدري، أظنه رفعه قال: "إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء تكفر اللسان وتقول: اتق الله فينا، فإن استقمت استقمنا، وان اعوججت اعوججنا"(٧٣).

ب. وقد يذكر المتن من جديد مع كل إسناد، إما لزيادة ألفاظ فيه، وإما لاختلاف بين الرواة في سياقه، أو لغير ذلك، ومن أمثلته:

حديث رقم (١٧): أخبرنا أبو يعلى، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة وحماد ابن سلمة وهشيم، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث"(٧٤).

حديث رقم (١٨): أخبرنا أبو عروبة، حدثنا علي بن سعيد بن مسروق، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن وقتادة ن عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الغائط قال: "اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم"(٧٥).

والشواهد على ذلك كثيرة وانظر حديث رقم: (١٩ و ٢٠ و ٢١)، وحديث رقم: (٣١ و٣٢ و٣٣)، وحديث رقم: (٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧) وحديث رقم: (٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٢).

الطريقة الثانية: تعداد أسانيد الحديث، وجمعها في قالب إسناد واحد، وسياق المتن عقبها.

وذلك بأن يجمع ابن السني الأسانيد المتعددة للحديث، ويسوقها في قالب إسناد واحد بثلاث طرق:

١ . إما بالعطف بين الشيوخ.

٢ . وإما بالتحويل بين الأسانيد.

٣ . وإما بهما معا.

الأولى: العطف بين الشيوخ ومنهجه فيه:

بأن يروي الحديث الواحد عن شيخين



من شيوخه أو أكثر، ويجمع بينهم في سياق واحد عاطفا بينهم بالواو في حالتي الاتفاق في السند والمتن، والاختلاف فيهما.

وقد أحصينا عدد الأحاديث التي تم فيها العطف فبلغت: واحدا و أربعين حديثا منها ثلاثة وثلاثون حديثا تم العطف فيها بين شيخين، والثمانية الباقية تم العطف فيها بين ثلاثة وأربعة من الشيوخ.

أ. العطف بين الشيوخ عند الاتفاق في المتن، مثاله: حديث رقم (٣): حدثني الحسين بن عبد الله القطان، حدثنا عبد الله بن ذكوان ومحمود بن خالد قالا: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا أبو خالد يزيد بن يحيى القرشي، حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها"[٧٦].

ب. وأحيانا يعطف بين الشيوخ و يعين صاحب اللفظ مع اتفاقهم فيه، مثاله:

حديث رقم (٦٠٥) أخبرنا أبو عبد الرحمن، أنبأنا عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى وأحمد بن سليمان ـ واللفظ له ـ قالا: ثنا مالك بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن حميد الرواسي، ثنا عبد الكريم بن سليط، عن ابن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه أن نفرا من الأنصار قالوا لعلي: عندك فاطمة، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: "ما حاجة ابن أبي طالب"؟ قال: ذكرت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ قال: "مرحبا وأهلا"، ولم يزده عليها، فخرج إلى الرهط من الأنصار ينظرونه، فقالوا: ما ذاك، ما قال لك؟ قال: لا أدري غير أنه قال: "مرحبا وأهلا"، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ أحدهما، فقد أعطاك الأهل والرحب[٧٧].

ج. العطف بين الشيوخ عند الاختلاف في المتن، مثاله:

حديث رقم (٤٨): أخبرنا ابن منيع، ثنا هارون بن عبد الله، قالا: حدثنا زيد بن الحباب، ثنا عثمان بن موهب مولى بني هاشم، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ـ رضي الله عنها: "ما يمنعك أن تستمعيني ما أوصيتك، تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" ـ زاد هارون ـ " وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا"[٧٨].

د . العطف بين الشيوخ عند الاختلاف في السند دون المتن، كقوله: حديث رقم (٧٣٨): أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا أحمد بن صالح، وجعفر بن مسافر، قالا: ثنا ابن أبي فديك، أخبرني عبد الرحمن بن عبد المجيد ـ قال جعفر: عبد الحميد ـ عن هشام بن الغاز بن ربيعة، عن مكحول الدمشقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يصبح أو يمسي: "اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك "أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعا أعتقه الله ـ عز وجل ـ من النار"(٧٩).

هـ . وإذا كان هناك شك من أحد الرواة في السند بينه ونص عليه، كقوله:

حديث رقم (٥٧٠): أخبرني أبو عروبة، حدثنا علي بن الحسين الدرهمي، ويحيى ابن حكيم، قالا: ثنا أبو بحر البكراوي، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد، أو جابر ـ شك داود ـ قال: الحديث.

و . إذا كان هناك شك من أحد الرواة في المتن بينه ونص عليه، مثاله:

حديث رقم (٧٢٢): قال في نهاية المتن: "غفرت له ذنوبه أو خطاياه –شك مسعر– وإن كانت مثل زبد البحر أو أكثر من زبد البحر".

الثانية: التحويل بين الأسانيد ومنهجه فيه:

بأن يجمع ابن السني الأسانيد المتعددة للحديث الواحد ويخرجها في قالب إسناد واحد، عاطفا بين هذه الأسانيد على نقطة الالتقاء بينها، مستعملا في ذلك الحاء المهملة (ح) للدلالة على الانتقال والتحول من إسناد إلى إسناد آخر. وقد أحصينا عدد المواضع ـ الأحاديث ـ التي تمت فيها التحويلات في "عمل اليوم والليلة" فكانت: تسعة عشر موضعا (١٩)، التحويلة الواحدة في الإسناد كانت في ستة عشر موضعا، والثلاث تحويلات في ثلاثة مواضع فقط، **وله في ذلك مسالك:**

الأولى: التحويلة الواحدة في الإسناد، ومنهجه فيها، كقوله: حديث رقم (٢١٧): أخبرنا أبو عبد الرحمن، أنا وهب بن بيان، ثنا ابن وهب، (ح) وأخبرنا أبو يعلى، ثنا أحمد بن عيسى المصري، ثنا ابن

وهب، أخبرني أبو هانئ حميد بن هانئ، عن عمرو بن مالك، عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "يسلم الفارس على الماشي، والماشي على القائم، ويسلم القليل على الكثير"[٨٠].

أ ـ وإذا كان اللفظ لواحد بعينه نص على ذلك، كقوله:

حديث رقم (٧): أخبرنا أبو يعلى، ثنا موسى بن محمد بن حيان (ح) وأخبرني أبو أحمد الصيرفي، ثنا محمد بن إشكاب، قال: أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اطلع على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: إن هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: "ليس شيئ من الجسد إلا وهو يشكو ذرب اللسان" وقال ابن إشكاب: "إلا وهو يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته"[٨١].

ب ـ وإذا كان بين الرواة اختلاف في السند أبان عنه، ومن أمثلته: حديث رقم (٢٨٤): أخبرنا أبو عروبة، حدثنا عمرو بن عثمان (ح) وأخبرنا أبو يعلى، ثنا داود بن رشيد، قالا: ثنا الوليد بن مسلم، عن عنبسة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال داود ابن رشيد: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا وقعت كبيرة، أو هاجت ريح مظلمة، فعليكم بالتكبير، فإنه يجلي العجاج الأسود"[٨٢]، وانظر حديث رقم (٢٨٦).

ج ـ وإذا كان بينهم اختلاف في المتن فإنه يبينه ويفصح عنه أيضا، كقوله: حديث رقم (٨٦): أخبرنا عبد الرحمن النسائي، حدثنا محمد بن بشار، ثنا أبو بكر الحنفي، (ح) وأنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم، ثنا عمرو بن علي، ثنا أبو بكر الحنفي، ثنا الضحاك بن عثمان، حدثني سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أحدكم المسجد، أو أتى المسجد، فليسلم على النبي ﷺ وليقل: "اللهم افتح لي أبواب رحمتك" وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: "اللهم أعذني من الشيطان الرجيم"، وقال ابن مكرم في حديثه: "واعصمني"[٨٣]، وانظر كذلك حديث رقم (٢٤١).

د ـ وإذا كان هناك زيادة في المتن لأحد الرواة يبينها ويفصح عنها، مثاله: حديث رقم (٦٧٠): حدثنا ابن صاعد، حدثنا

لوين، حدثنا حماد بن يزيد، (ح) وأخبرنا ابو يعلى، ثنا أبو الربيع الزهراني وخلف ابن هشام، قالا: حدثنا حماد بن زيد، ثنا المعلى بن زياد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل"، وزاد لوين: كان أنس إذا حدث بهذا الحديث أقبل علي فقال: والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك، ولكنهم قوم يتحلقون الحلق"[٨٤]، وانظر كذلك حديث رقم (٤٨).

الثانية: التحويلة المتعددة في الإسناد، ومنهجه فيها، وهي في ثلاثة مواضع من الكتاب فقط، ومثالها: حديث رقم (٢٧٤): أخبرنا أبو عروبة، حدثنا علي بن ميمون الرقي، (ح) وأنبأنا أبو يحيى الساجي، ثنا عبد الله بن حبيب (ح) وأنبأنا ابن منيع، ثنا داود بن رشيد (ح) وحدثني جعفر بن عبد السلام، ثنا محمد بن غالب، قالوا: ثنا سعيد بن مسلمة، عن الأعمش، عن زيد العمي، عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا نزع أحدهم ثوبه أن يقول: "بسم الله"[٨٥].

أ - إذا كان اللفظ لواحد بعينه أو لأكثر نص على ذلك، كقوله:

حديث رقم (٣٣): حدثنا ابن منيع، ثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا الحسين ابن علي الجعفي، عن عمرو بن عبد الله ابن وهب أبي معاوية النخعي، حدثنا أبو الحواري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه (ح) وحدثنا عبد الرحيم بن محمد بن عمرو، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبو نعيم، حثنا عمرو بن عبد الله النخعي أبو معاوية، قال: حدثني زيد العمي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه (ح) وأخبرنا ابن منيع، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا زيد بن الحباب، عن عمرو بن عبد الله بن وهب النخعي، عن زيد العمي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه (ح) وأخبرني محمد بن أحمد بن عثمان، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا عبد الله ابن رجاء، حدثنا زائدة، عن عبد الله بن وهب، عن زيد العمي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثلاث مرات، إلا فتح الله له ثمانية أبواب الجنة من أيها شاء دخل"[٨٦]، لفظ حسين الجعفي وأبي نعيم.

ب ـ وإذا كـــان عنده شـك في الإسناد في إحـدى التـحـويـلات بين ذلك، ومـثـاله: حــديث رقم (٧٥٦): أخــبــرنا أبو يحــيـى السـاجي، حدثنا هـارون بن سـعـيـد، ثنا ابن وهب (ح) وثنا أبو عـبـد الرحمـن، أنا عمرو ابن سـواد، ثنا ابن وهب، حدثـني سـعيـد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن الوليد، (ح) قال أبو عـبـد الرحـمـن: أخبـرني عـبـيـد الله بن فضـالة، ثنا عبـد الله بن يزيد، ثنا سـعيـد، حـدثني عـبـد الله بن الوليد، (ح) وحـدثني علي بن أحـمـد بن سليـمـان، ثنا أحـمـد بن سـعـيـد الـهـمـداني، ثنا ابن وهـب، أخـبـرنا يحيى بن أيوب (كذا قال) عن عبد الله بن الوليد، عن سعيد بن المسيب، عن عـائشة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ كان إذا اسـتـيـقـظ من الليل قـال: "لا إلـه إلا أنت سـبـحـانك، اللهم إني أسـتـغـفـرك لذنبي وأسـألك رحمتك، اللهم وزدني علما ولا تزغ قلبي بـعـد إذ هـديتـني، وهب لـي من لـدنك رحمة إنك أنت الوهـاب"[٨٧].

الطريقة الثالثة: الجمع بين العطف بين الشـيـوخ والتـحـويل فـي الأسـانيـد، ومنهـجـه فيـهـا، ومن أمثلة ذلك: حديث رقم (٧٤٣): أخبـرني إبـراهيم بن مـحـمـد، حـدثنا يونس ابن عـبــد الأعلى، ثنا ابن وهـب، ثنا الليث ابن سعد وجابر بن إسمـاعيل و ابن لهيعة، عن عقيل (ح) وحـدثني بكر بن أحـمـد، ثنا إسماعيل الترمذي، ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب، ثنا عقيل بن خـالد عن ابن شـهـاب أن عـروة بن الزبيـر أخـبـره عن عـائشـة رضي الله عنهـا أنهـا كـانت إذا أرادت النوم تقـول: "اللهم إني أسـألك رؤيا صـالحـة صـادقـة غـيـر كـاذبة نـافـعـة غـيـر ضـارة" وكـانت إذا قـالت هذا عـرفـوا أنهـا غير متكلمة بشيء حتى تصبح أو تستيقظ من الليل[٨٨].

أ ـ إيراد الإسناد تاما، وذكر المتن عقبه، ثم الإحـالـة عليه بقوله: بمثله، ومن أمثلته: حــديث رقم (٤٢٢): حــدثـنـا ابن منيـع، ثنا الزبيــر بن بكار، ثنا سـعـيـد بن عـمـرو بن الزبيــر، حــدثني عــبــد الرحــمـن بن أبي الزناد، عن هشـام بن عـروة، عن أبيـه رضي الله عنه قال: كنت أتعلق بشعـر في ظهر أبي الزبير وهو يرتجز ويقول:

أبيض من آل أبي عتيق، مبارك من ولد الصديق، ألذه كما ألذ ريقي.

قال الزبير: وحدثني مصعب، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن هشـام بن عـروة، عن أبيه (بمثله)[٨٩].

منهـجــه في علوم السـند من حـيـث الاتصال والانفصال:

أولا: من حيث الاتصال:

نجد أن ابن السني في إخراجه للأحاديث في "عمل اليوم والليلة" حافظ على أن تكون أسانيدها متصلة وهذه هي السمة العامة والغالبة في كتابه، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن هناك أحاديث في الكتاب قد فقدت شرط الاتصال، وهذا ما نبينه في النقطة الثانية مباشرة (من حيث الانفصال) وكذلك بينّا أن هناك أحاديث قد فقدت شرط الاتصال عند الحديث فيما سبق عن موضوع التدليس.

ثانيا: من حيث الانفصال:

أ - وبعد استعراض أحاديث الكتاب وجدنا أنه قد علق حديثين اثنين بعد أن أسند قبلهما حديثا برقم (١٧١)، مثاله: قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: أهل المدينة يعجبون من حسن بيت أبي العتاهية:

وتخدر بعض الأحايين رجله

فإنه لم يقل : يا عتب لم يذهب الخدر

ب - وأما الأحاديث المنقطعة فبلغت: عشرة أحاديث (١٠) برقم: (٢٥، ٢٦١، ٥١٠، ٥٥٧، ٦٣٨، ٦٧٣، ٦٧٩، ٦٨١، ٧٦٣، ٧٦٦)، ومثاله:

حديث رقم: (٦٧٩): أخبرنا أبو يعلى، حدثنا يحيى بن أيوب العابد، ثنا مصعب ابن المقدام حدثني أبو المقدام، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له"[٩٠]، يقول الإمام الترمذي: ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد.

ج - وأما المراسيل فبلغت (خمسة) أحاديث مرسلة من طريق: مجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة وعمرو بن قيس الملائي ومعاذ بن زهرة وعطاء بن أبي رباح. مثاله: حديث رقم: (٥٨٣): حدثنا محمد بن حريم بن مروان، ثنا هشام بن عمار، ثنا حاتم بن إسماعيل، ثنا فطر بن خليفة، عن عطاء بن أبي رباح، قال : قال رسول الله ﷺ: "من أصابته منكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب"[٩١]، وانظر حديث رقم: (١٣٠، ١٧٥، ٣٧٦، ٤٧٩، ٥٨٣).

منهجه في العلل والجرح والتعديل في هذا الكتاب:

عند استقرائنا لكتاب "عمل اليوم والليلة" لابن السني نجده لا يتكلم عن

علل الأسانيد، ولا عن الرجال جرحا وتعديلا، وخاصة أنه قد روى كثيرا من الأحاديث وفي أسانيدها قوم لا يحتج بأحاديثهم، وقد سبق الحديث عن ذلك عند الحديث على الطبقات التي أخرجها في كتابه.

وقد وجدنا له موضعين فقط في الكتاب، حديث رقم (٣٥٩، ٦٣٥) وستأتي الإشارة إليهما، وحديثان بتقدير كل دارس ومطلع على الكتاب في جنب سبع مائة وثلاثة وسبعين حديثا نسبة لا تكاد تذكر.

منهجه من ناحية العناوين والأبواب:

أما من ناحية العناوين والأبواب فهو كالتالي:

أ - فإن المصنف - رحمه الله تعالى - في سياقه لفقرات موضوعه نجده يعنون له ويبوبه بعناوين دقيقة فيها الوعي التام والفهم الدقيق كقوله مثلا:

باب (ما يقول إذا دخل الخلاء) ثم يردفه بقوله: باب (التسمية عند دخول الخلاء) ثم يردفه بقوله: باب (التسمية عند الجلوس على الخلاء) ثم يردفه بقوله: باب (ما يقول إذا خرج من الخلاء).

ويورد في هذه الأبواب الأربعة تسعة أحاديث كلها تصب في موضوع واحد.

وكقوله: باب (التسمية على الوضوء) ثم أردفه بقوله: باب (كيفية التسمية على الوضوء) ثم أردفه بقوله: باب (ما يقول بين ظهراني وضوئه) ثم أردفه بقوله: باب (ما يقول إذا فرغ من وضوئه).

ويورد في هذه الأبواب الأربعة سبعة أحاديث تصب كلها في موضوع واحد.

ب - ثم نلاحظ ان تقسيم الموضوع أو بلغة المحدثين والفقهاء - تبويب الموضوع - قد كان عند المصنف بطريقة منظمة، وتأتي أبوابه أحيانا متداخلة بعضها ببعض، ولا تنفصل بطريقة موضوعية.

فقد بدأ كتابه: باب (في حفظ اللسان واشتغاله بذكر الله تعالى)، ولا شك أن كل من أراد أن يقتفي أثر النبي ﷺ في الأذكار والدعوات في اليوم والليلة عليه أن يحفظ لسانه من كل ما نهى عنه النبي ﷺ حتى يبقى لسانه رطبا بذكر الله تعالى، لا تفوته ساعة من ساعات يومه وليلته إلا وهو ذاكر لله تعالى.

ثم قال بعد ذلك: باب (ما يقول إذا استيقظ من نومه) وكأن هذا الذاكر قد اسيقظ من غفوته وسهوته، واستفاق من غفلته، فلا بد له أن يحمد الله تعالى على

هذه اليقظة ـ اشتغاله بذكر الله تعالى ـ التي وفق إليها.

ج ـ ونجده يكرر أحيانا أحاديث، لكنه يضعها تحت عناوين وأبواب جديدة مستنبطا منها دلالات أخرى، ولا غرابة في ذلك لمن عرف المنهج العلمي في عصر المؤلف، ومثاله:

قوله: باب (المخاطبة بالسؤدد للرؤساء) حديث رقم (٣٨٦)، وفيه قال رسول الله ﷺ: "مروا أبا ثابت فليتعوذ، فقلت: يا سيدي، الحديث[٩٢].

فهذه مقولة سهل بن حنيف لرسول الله ﷺ، ففيه بيان جواز أن يقول الرجل لرئيسه: يا سيدي، وقد أخرج المصنف هذا الحديث هنا لهذا الغرض.

ثم يأتي المصنف بباب آخر بعد هذا الباب بقوله: باب (كراهة ذلك على التكبر) حديث رقم (٣٨٧): جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت سيد قريش، فقال: "السيد الله عز وجل"[٩٣]، لبيان أن المخاطبة بالسؤدد للرؤساء ليست على إطلاقها، وأن ذلك مكروه إذا كان على جهة التكبر والافتخار والخيلاء.

وهذا يدل على فقه ابن السني ودقته في استخراج الأحكام من النصوص التي يرويها في هذا الكتاب، ووضع عناوين للأبواب تتوافق مع الدلالات المستنبطة الجديدة.

وانظر كذلك عناوين الأبواب في رد السلام، حديث رقم (٢٠٩، ٢١٠، ٢١١) كيف بين حق المسلم على أخيه المسلم في رد السلام، ثم أردف ذلك بباب (ما يجب على الرجل من رد السلام) بأن ذلك واجب ومن حقوق المسلم على اخيه المسلم، ثم أردف ذلك بباب (التغليظ في ترك رد السلام) وأن من تركه فيشمله قوله ﷺ: "ومن لم يجب السلام فليس منا" كما جاء في حديث رقم (٢١١)[٩٤].

خصائص المنهج النقدي لابن السني في عرض أسانيده ورواية أحاديثه:

ومنهج ابن السني في عرض أسانيده لم يكن تجميعيا تراكميا بل كان منهجيا نقديا، له أبعاده ومراميه، وذلك للأسباب التالية:

أولا: التنبيه على علل الأسانيد وهذا نادر جدا ولا يكاد يذكر في جانب ما روى، ومثال ذلك: حديث رقم (٦٣٥): أخبرني علي بن محمد بن عامر، حدثنا محمد بن عبد الغفار الزرقاني، ثنا عمرو بن علي، ثنا أبو عاصم، حدثني ابن جريج، حدثني

عمرو بن يحيى بن عمارة، عن مريم بنت أبي كثير (كذا قال، وإنما هو عمرو بن يحيى بن عمارة عن مريم بنت إياس بن البكير) عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد خرج من أصبعي بثرة، فقال: "عندك ذريرة؟ فوضعها عليها وقال: قولي: "اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بي" فطفئت"(٩٥).

ففي هذا الحديث قام ابن السني بتصحيح السند كما هو ظاهر.

وانظر كذلك حديث رقم (٣٥٩): قال: وربما قال شعبة: ابن أسماء.

ثانيا: التنبيه على اختلاف الرواة في ألفاظ المتون:

أ - أن يعين صاحب اللفظ وينسبه إليه، كقوله:

حديث رقم (٦٣٦): حدثني أحمد بن يحيى بن زهير، حدثنا يوسف بن موسى، ثنا جرير وأبو معاوية الضرير - واللفظ له - عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية ثلاثين راكبا، فمررنا بالناس من الأعراب، فسألناهم أن يضيفونا فأبوا، فلدغ سيدهم فأتونا، فقالوا: أفيكم أحد يرقي من العقرب؟ قال: قلت: نعم أنا، ولكن لا أرقيه يعني إلا على أن تعطونا غنما، فأعطونا ثلاثين شاة، فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين - سبع مرات - فبرأ، فقبضنا المغنم، فعرض في أنفسنا منها، فكففنا عنها حتى أتينا النبي ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: "وما علمت أنها رقية، اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم"(٩٦)، فبين في هذا الحديث أن اللفظ: لأبي معاوية الضرير.

انظر كذلك حديث رقم (٦٠٥) فبين أن اللفظ فيه: لأحمد بن سليمان.

ب - أن يذكر لفظ كل واحد من الرواة بعينه:

راجع حديث رقم (٧)، فبعد أن ذكر الحديث بمتنه قال: "وقال ابن إشكاب: "إلا وهو يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته"، وانظر حديث رقم (٥٤٣).

ج - أن يبين الزيادة عند بعض الرواة، كقوله:

حديث رقم (٦٢١): بعد أن ذكر السند وأتبعه بمتنه، قال في نهايته: "قال المنتجع (وهو أبو الحكم العبدي أحد رواة الحديث): وأظن أن ربيعة قال في هذا

الحديث: إن المرأة غيرى".

ثالثا: التنبيه على مسائل تتعلق برجال الإسناد، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ حديث رقم (٧٦): أخبرنا أبو عروبة، نا يحيى بن الحسين، حدثني يحيى بن المغيرة، ثنا ابن أبي فديك، (هو محمد بن إسماعيل).

ب ـ حديث رقم (١٨٩): أخبرنا أبو عبد الرحمن، ثنا أحمد بن سليمان، ثنا سعد ابن مروان الأزدي، من أهل الرها، ثنا عاصم بن بشير، حدثني أبي، الحديث.

ج ـ حديث رقم (١٩٢): أخبرنا أبو يعلى، حدثنا هارون بن معروف، ثنا سفيان، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، قال: أتيت ابن عسال ـ هو صفوان ـ المرادي رضي الله عنه الحديث.

د ـ حديث رقم (٢٠٨): حدثنا سلم بن معاذ، ثنا عبد الحميد بن محمد الحراني الإمام، ثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن أبي رزين الأسدي (مسعود)، قال: سمعت حزام بن حكيم بن حزام، الحديث.

هـ ـ حديث رقم (٢٨٦): أخبرنا أبو يعلى، أنبأنا إسحاق بن أبي إسرائيل، (ح) وأنبأنا أبو بكر النيسابوري، ثنا يوسف القلوسي، ثنا علي بن بحر، حدثني هشام ابن يوسف، عن ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز).

و ـ حديث رقم (٣٨٦): أخبرنا أبو عبد الرحمن ثنا إبراهيم بن يعقوب (الجوزجاني السعدي الحافظ)، ثنا عبد الواحد بن زياد، الحديث.

ز ـ حديث رقم (٥٠٦): حدثني أحمد ابن يحيى بن زهير، ثنا الحسن بن يحيى الرازي، ثنا عاصم بن مهجع، ثنا ابن سالم الجهني (إمام مسجد بني دارم).

ح ـ حديث رقم (٦٠٣): حدثني أحمد ابن إبراهيم (بعمان).

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها يعطينا ابن السني فوائد عن رجال السند من حيث: أسماؤهم وأسماء آبائهم وأجدادهم وكناهم وألقابهم وما يعرفون به من الشهرة والحرفة والبلد التي ينتسبون إليها وغيرها ومكان التلقي والتحمل.

رابعا: بيان تأويل بعض الرواة لمعنى جاء مبهما، ومثاله:

حديث رقم (٥٢٩): حدثنا عبدان وأبو عروبة، قالا: ثنا عمرو بن عثمان، ثنا بقية

ابن الوليد، قال: قال شعبة: حدثني قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: كنا إذا نزلنا منزلا سبحنا حتى نحل الرحال، قال شعبة: يعني سبحنا باللسان[٩٧]، وانظر كذلك حديث رقم (٤٣٤).

خامسا: الإختصار في إيراد الأسانيد والمتون:

سلك ابن السني الإختصار في إيراد الأسانيد وتلخيصها والتحويل بينها، والعطف على المتون، والإحالة عليها، وهذا واضح في كتابه "عمل اليوم والليلة" ودليل ذلك:

أ ـ الاختصار في الأسانيد، ويلحظ ذلك في:

١. العطف بين الشيوخ.

٢. التحويل بين الأسانيد.

٣. الجمع بين العطف والتحويل بين الأسانيد معا.

ب ـ اختصار ابن السني لأسماء شيوخه

ـ وليس معنى هذا أنه لا يسميهم ـ فهو يسميهم أحيانا، ولكنه لكثرة تكرارهم يختصر أسماءهم، وله في ذلك مسالك، منها:

١. أن يذكرهم بكناهم: كأبي يعلى وأبي خليفة وأبي عبد الرحمن، بدلا من: أحمد ابن علي بن المثنى، والفضل بن الحباب، وأحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي.

٢. أن يذكرهم بكناهم مع الشهرة : كأبي صالح السمان، ويقال له: الزيات، اسمه ذكوان.

٣. أن ينسبهم إلى آبائهم: كابن لهيعة وابن هبيرة، بدل عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي وعبد الله بن هبيرة بن أسعد السبي الحضرمي.

٤. أن ينسب الراوي إلى جده: كعباد بن علقمة، وهو عباد بن عباد بن علقمة.

٥. أن يذكرهم بألقابهم: كالثوري والأعمش وغندر، بدل سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري وسليمان بن مهران الأعمش ومحمد بن جعفر الهذلي البصري.

٦. أن يذكر الاسم الأول مع الشهرة: كخالد الحذاء بدل خالد بن مهران أبي المنازل الحذاء.

وهذا الاختصار يحرك ذهن الطالب، وينشطه ويشد انتباهه، ويبعده عن السآمة والملل؛ لما فيه من التنويع والتغيير.

❖ **الخاتمة:**

في نهاية هذا البحث تم التوصل إلى النتائج التالية:

١. كشف النقاب عن حياة ابن السني - رحمه الله تعالى.

٢. بيان المكانة العلمية التي تبوأها ومساهمته الفعالة من خلال آثاره العلمية.

٣. بيان القيمة العلمية لكتاب "عمل اليوم والليلة" وما يتعلق به من منهج ابن السني فيه.

٤. بيان المقاصد والنكات القيمة من منهجه في الكتاب وخاصة في موضوع تعداد الأسانيد التي نلخصها فيما يلي:

أ - الدلالة على دقة المصنف وسعة علمه.

ب - يتبين من خلال الأسانيد الكثيرة والطرق المختلفة اختلاف الرواة فيما بينهم، وعلى من يختلفون، وبهذا يظهر لنا الأحفظ والأضبط للحديث.

ج - يتبين كذلك الواهم سواء بالنسبة للتلاميذ مع شيخهم، أو للرواة عن الصحابة - رضوان الله عليهم -.

د - وهذا الاختلاف له قيمته في الجرح والتعديل، وبه يتم تفضيل الرواة بعضهم على بعض وتجريح من جرح بحجة وبينة.

هـ . كذلك هذه الطرق تعطينا بعض النكات في الحديث، أو لإظهار فائدة إسنادية أو متنية.

ز - كذلك تفيدنا في الترجيح عند التعارض.

٥ . بروز مكانة ابن السني العلمية في الصناعة الحديثية.

٦ . أن ابن السني قد أخرج لجميع طبقات الرواة في كتابه هذا كما بينت في البحث .

فأخرج لأمثال (الوازع بن نافع) وهو متروك بل قيل فيه أكثر من ذلك. و (لعبد الله بن محمد بن جعفر القزويني) وهو متهم بوضع الأحاديث. وأخرج للكثير من الضعفاء. فالكتاب فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، فيجب ان يحتاط عند دراسته والأخذ منه.

٧ . أن ابن السني قد سار في هذا الكتاب على منهج نقدي صامت في عمومه، ناطق أحيانا، وقد جليت ذلك بوضوح

في علوم السند والمتن.

ونستطيع القول: إن كتاب "عمل اليوم والليلة" كتاب عظيم في بابه، وذلك من نواحي كثيرة، فمؤلفه من الحفاظ الجهابذة، وهو من حيث السبق الزمني بعد كتاب شيخه النسائي، وألف في عصر هو أكثر العصور نشاطا وحيوية في جمع الأحاديث واستقصائها وتنقيتها، فتيسر كثير من الأمور التي لم تتيسر لغيره.

وقدم فيه مصنفه إضافات معرفية في الحديث وعلومه من حيث موضوعه وأبوابه وأسانيده ومتونه، وهو بشكل عام جزء من السنن التي جمعت الأذكار والدعوات وحازت القبول والرضى من العلماء المسلمين وأصبحت مرجعا معتمدا في موضوعها.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد ﷺ وعلى آله واصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش:

٧٣ . أخرجه الترمذي في الزهد باب: ما جاء في حفظ اللسان ٤/ ١٨٣ برقم (٢٤١٥).

٧٤ . أخرجه البخاري باب : ما يقول عند الخلاء ١/ ٦٦ برقم (١٤٢)، ومسلم باب: ما يقول عند الخلاء ١/ ٢٨٣ برقم (٣٧٥).

٧٥ . ابن ماجة باب : ما يقول إذا دخل الخلاء ١/ ١٠٩ برقم (٢٩٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الطهارة ١/ ٢٩٧ برقم (٦٦٨).

٧٦ . أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب باب: الذكر والدعاء ٢/ ٢٥٨ برقم (٢٣١٢)، دار الفكر، ط١٩٩٣م، ت: سعيد اللحام، مسند الشاميين ١/ ٢٥٨ برقم (٤٤٦) ، مؤسسة الرسالة، ط١، ت: حمدي السلفي.

٧٧ . أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٢٥٨)، وأحمد في المسند مختصرا ٥/ ٣٥٩ .

٧٨ . مجمع الزوائد ١٠/ ١١٧ .

٧٩ . أخرجه أبو داود في الأدب برقم (٥٠٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٠٦).

٨٠ . أخرجه الترمذي في الاستئذان برقم (٢٧٠٥)، وقال: حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد ص١٤٧ .

٨١ . العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد باب: في اللحن ٢/ ١٣٢ برقم (١٧٨٥)، المكتب الإسلامي ط١ .

٨٢ . فيه عنبسة بن عبد الرحمن رمي بالوضع (الميزان ٣/ ٣٠٢) وقال المحقق: لم أجده عند غير المصنف.

٨٣ . أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٠٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن ماجة في المساجد والجماعات برقم (٧٧٣).

٨٤ . مسند أبي يعلى في مسند أنس بن مالك ٧/ ١٥٤ برقم (٤١٢٦).

٨٥ . سنن الترمذي باب: ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ٢/ ٥٠٤ برقم (٦٠٦).

٨٦ . أخرجه ابن ماجة برقم (٤٦٩) .

٨٧ . أخرجه أبو داود في الأدب برقم (٥٠٦١).

٨٨-٨٩ . قال المحقق: لم أجده عند غير المصنف.

٩٠ . أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم (٢٨٨٩)، باب : ما جاء في فضل (حم) الدخان.

٩١ . سنن الدارمي باب: في وفاة النبي ﷺ ١/ ٥٣ برقم (٨٤)، دار الفكر، ط١٤١٤هـ، شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٣٩ برقم (١٠١٥٣)، مكتبة دار الباز، ت: محمد عبد القادر عطا.

٩٢ . أخرجه أبو داود في الطب باب: ما جاء في الرقى برقم (٣٨٨٨)، وأحمد في مسنده ٣/ ٤٨٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤١٣ وقال: صحيح الإسناد.

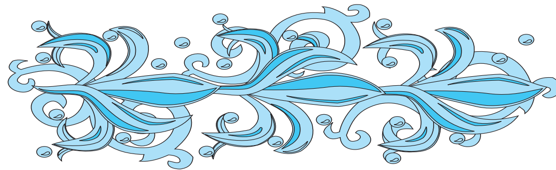
٩٣ . أخرجه أبو داود في الأدب باب: كراهية التمادح برقم (٤٨٠٦)، وأحمد في مسنده ٤/ ٢٥ .

٩٤ . أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص١٤٦، وعبد الرزاق في المصنف ١٠ / ٣٨٧ .

٩٥ . أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٣٧٠، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٠٧، وقال: صحيح الإسناد.

٩٦ . أخرجه مسلم باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار برقم (٢٢٠١)، وأبو داود في الإجارة باب: في كسب الأطباء برقم (٣٤١٨).

٩٧ . المعجم الأوسط للطبراني باب: من اسمه إبراهيم ٢/ ٩٨ برقم (١٣٧٦)، دار الحرمين، ت: طارق بن عوض الله، مجمع الزوائد باب: ما يقول إذا نزل منزلا ١٠ / ١٣٣ .



١

موقف ابن عبد البر القرطبي من مسائل حول الصحابة

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ مقدمة:

لقد كان الإمام ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) حافظ المغرب، من مشاهير علماء الأندلس وله كتب قيّمة منها (التمهيد) و(الاستذكار) و(جامع بيان العلم وفضله) و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، حيث ترك ابن عبد البر بصماته جليّة في آثار الأجيال التي تلته من العلماء بدءاً بتلامذته في الأندلس ومن لحقهم أو أتى من بعدهم، وفي المشرق كذلك وعلى رأسهم الإمام ابن الصلاح في "مقدّمته" الرائعة التي طبقت الآفاق شهرة وصيتاً، فقد اتخذ مؤلفات ابن عبد البر مصادر أساسيّة له فيها، وكان يصرّح بنقله عنها.

هذا ويعدّ ابن عبد البر أحد أبرز روّاد عصره، إذ دشن في الأندلس عهداً جديداً في مجال النقد الحديثي، تميّز بالاجتهاد ونبذ التقليد والجمود، فاجتهد وأفاد وأبدع وجدّد وناقش ما تلقّاه، وقبل ما يستحق القبول ورفض ما يستحق الرّفض، فكان له إسهام ودور أساسي في إغناء وإثراء العلوم الإسلامية قاطبة، وعلم الحديث على وجه الخصوص.

هذا ومن تتبعي لآثار الإمام أبي عمر ابن عبد البر في الحديث وعلومه، وخصوصاً كتابيه (الاستيعاب في معرفة

الأصحاب) و (التمهيد) استخلصت آراءه في بعض القضايا حول الصحابة، كما تتبعتُ انتقادات بعض العلماء للإمام ابن عبد البر، حيثُ نسبوا له أوهاماً في كتابه (الاستيعاب) فبيّنتُ أنَّ هذه الأوهام لا أساس لها من الصحة ولا تستند في الغالب إلى دليل أو برهان، واتضح لي بعد التدقيق أن الإمام ابن عبد البر كان ذا منهج نقدي رصين يتسم بالموضوعية في مواقفه وآرائه، فقد كان يأتي بكل ما قيل في المسألة من آراء مختلفة -بأدلتها الصحيحة والضعيفة- ثم يناقشها جميعاً، فيقبل عن علم ما يستحق القبول ويرفض ما هو أهل للرفض، مبرزاً بعد ذلك موقفه في المسألة مدعماً له بالحجج والبراهين التي تعضده وتؤكده.

وقسمت بحثي هذا إلى تمهيد وخمسة مطالب على النحو الآتي:

- **تمهيد وفيه: معرفة الصحابة، أهميتها وضرورتها وتأليف ابن عبد البر فيها.**
- **المطلب الأول: رأي ابن عبد البر في عدالة الصحابة.**
- **المطلب الثاني: رأيه في معنى تكذيب الصحابة بعضهم بعضاً.**
- **المطلب الثالث: موقفه من المفاضلة بين الصحابة.**
- **المطلب الرابع: موقفه من تدوين ما حدث بين الصحابة.**
- **المطلب الخامس: ملاحظات على ابن عبد البر في قضايا تتعلق بالصحابة.**

أسأل الله أن يتقبل مني هذا الجهد ويجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

❖ تمهيد:

معرفة الصحابة: أهميتها وضرورتها وتأليف ابن عبد البر فيها:

تعدّ معرفة الصحابة من العلوم الشرعية التي لا تعذر الأمة بجهلها، وينالها من الإثم والخسران بقدر تقصيرها وتفريطها فيها، ومن الثواب والفوز بقدر عنايتها بها. قال ابن الأثير: "لا علم أشرف من علم الشريعة فإنه يحصل به شرف الدنيا والآخرة، فمن تحلى به فقد فاز بالصفقة الرابحة، والمنزلة الرفيعة الفاخرة، ومن عري منه فقد حظي بالكرة الخاسرة"(1).

هذا، وإذا كان الأصل الأول لهذه العلوم قد جاءنا متواتراً مجمعاً عليه، غير محتاج

إلى ذكر أحوال ناقليه فإن الأصل الثاني - وهو سنة النبي ﷺ- هو الذي يحتاج إلى شرح أحوال رواته وأخبارهم لعدم تحقق شرط التواتر والإجماع عليه كله، وأول رواة هذا الأصل هم صحابة رسول الله ﷺ، لذلك كانت معرفتهم ومعرفة أمورهم وأحوالهم وأنسابهم وسيرتهم مهمة في الدين[٢].

وقد تحدث الإمام ابن عبد البر في مقدمة كتابه "الاستيعاب" عن أهمية معرفة الصحابة وضرورتها في الدين، ويمكن أن نبرز ما ذكره بهذا الصدد في النقاط الآتية:

أولاً: إن معرفة الصحابة تعين على معرفة سنن رسول الله ﷺ، التي هي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم، صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى، وولاه الله ما تولى. قال أبو عمر: ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها، ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين[٣] ثبتت الحجة لا بأقوالهم فحسب بل بأعمالهم أيضا وتصرفاتهم وأحوالهم في جميع شؤون الحياة على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع، فهم القدوة لمن جاء بعدهم والنجوم التي يستضاء بها في ظلمات الحياة، قال أبو عمر: "ونحن -وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول- فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم ليهتدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله واقتدى به"[٤].

ثانياً: إن معرفة الصحابة من علم الخاصة، وبه تنال السيادة والرفعة. قال أبو عمر: "لا خلاف علمته بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكد علم الخاصة، وأرفع علم أهل الخبر، وبه ساد أهل السير، وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤهم معنيون بمعرفة أصحاب أنبيائهم لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته"[٥].

ثالثاً: إنه بمعرفة الصحابة يمكن

التمييز بين المرسل والمسند، وهو علم جسيم كما قال أبو عمر، لا يعذر أحد ينسب إلى علم الحديث بجهله(٦).

ولما كانت معرفة الصحابة بهذه الأهمية، فقد تسابق العلماء إلى دراسة هذا العلم والبحث فيه وتأليف الكتب حوله. وعلى رأس من تجشم عناء ذلك الإمام ابن عبد البر الذي صنف كتابه المشهور في هذا المجال **"الاستيعاب في معرفة الأصحاب"**، ورغم أن أبا عمر قد سبق بذلك ومنذ وقت مبكر من لدن علماء كبار في الحديث والمغازي والسير، لاحظ على مؤلفات هؤلاء السابقين ملاحظات كانت حافزاً له وداعياً إلى التأليف من جديد في هذا الموضوع، لتلافي عيوب ونواقص هذه المؤلفات السابقة. قال أبو عمر -متحدثاً عن صنيعه في مقدمة "الاستيعاب"-: "وقد جمع قوم من العلماء في ذلك -يعني في معرفة الصحابة- كتباً صنفوها، ونظرت إلى كثير مما صنفوه في ذلك وتأملت ما ألفوه، فرأيتهم- رحمة الله عليهم- قد طولوا في بعض ذلك وأكثروا من تكرار الرفع في الأنساب ومخارج الروايات. وهذا -وإن كان له وجه -فهو تطويل على من أحب علم ما يعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم، وهم مع ذلك قد أضربوا على التنبيه على عيون أخبارهم التي يوقف بها على مراتبهم، ورأيت كل واحد منهم قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه، فرأيت أن أجمع ذلك واختصره، وأقربه على من أراده، واعتمد في ذلك على النكت التي هي البغية، من المعرفة بهم، وأشير إلى ذلك ألطف ما يمكن، وأذكر عيون فضائل ذي الفضل منهم وسابقته ومنزلته، وأبين مراتبهم بأوجز ما يتيسر وأبلغه، ليستغني اللبيب بذلك ويكفيه عن قراءة التصنيف الطويل فيه. وجعلته على حروف المعجم ليسهل على من ابتغاه، ويقرب تناوله على طالب ما أحب منه، رجاء ثواب الله عز وجل، وإلى الله أرغب في سلامة النية وحسن العون على ما يرضاه، فإن ذلك به لا شريك له"(٧).

هكذا بيّن الإمام ابن عبد البر منهجه في تأليف "الاستيعاب" وذلك في مقدمة الكتاب التي تخصص عادة لذلك.

وكتابه هذا يعد بحق من أروع ما كتب في هذا المجال. فقد اعتمده كل من جاء بعده من المصنفين في الموضوع نفسه. فلا تجد مؤلفاً إلا وقد استوعب كلام ابن عبد

البر معظم صفحاته، كما تنوع اهتمام العلماء به على اختلاف تخصصاتهم بين مطالع مستفيد أو دارس مختصر، أو منتقد مبين لبعض أوهامه. ومنهم من استدرك عليه، ومنهم من هذبه أو ذيل عليه إلى غير ذلك من أنواع الدراسات التي تدل على مدى عناية العلماء بهذا المؤلف النفيس في بابه.

المطلب الأول: رأيه في عدالة الصحابة

يرى الإمام ابن عبد البر أن جيل الصحابة يعدّ خير القرون وثبتت عدالة جميعهم لكونهم معدّلين على الإطلاق في نصوص الكتاب والسنة، قال: "فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم، وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك،ولا تعديل أفضل منه"[٨].

وهذا نفس ما أشار إليه الحافظ ابن حجر أيضاً فقال: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"[٩]، ولما كان الأمر كذلك "فكل حديث الصحابة مقبول عند جماعة العلماء على كل حال"[١٠]، قال أبو عمر: "لا فرق بين أن يسمى التابع الصاحب الذي حدثه أو لا يسميه في وجوب العمل بحديثه، لأن الصحابة كلهم عدول.."[١١]، وقال أيضاً: "وليس حكم الصاحب إذا لم يسمَّ كحكم من دونه إذا لم يسم عند العلماء، لارتفاع الجرحة عن جميعهم، وثبوت العدالة لهم"[١٢].

المطلب الثاني: رأيه في معنى تكذيب الصحابة بعضهم بعضاً

ورد في بعض الروايات عن الصحابة رضوان الله عليهم تكذيب بعضهم، بعضاً فيقول أحدهم: "كذب فلان"، فيرى أبو عمر أن ذلك معناه: أخطأ وليس الكذب الذي هو ضد الصدق، لأن العرب تطلق الكذب وتقصد به الخطأ، وقد ورد هذا في كلامهم وأشعارهم، ومثال هذا ما أورده أبو عمر عن أبي حسان أن رجلين دخلا على عائشة، وقالا: إن أبا هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال: إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، ثم قالت: كذب -والذي أنزل الفرقان- على أبي القاسم، من حدث عنه بهذا؟ ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: "كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة"، ثم قرأت عائشة: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض**

ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾، قال أبو عمر بعد ذلك: "أما قول عائشة في أبي هريرة: كذب والذي أنزل الفرقان، فإن العرب تقول: كذبت، بمعنى غلطت فيما قدرت وأوهمت فيما قلت ولم تظن حقاً ونحو هذا. وذلك معروف من كلامهم موجود في أشعارهم كثيراً..."[١٣]، ومن الأشعار التي استدل بها على هذه المسألة قول أبي طالب:

كذبتم وبيت الله نترك مكة
ونظعن إلا أمركم في بلابلِ
كذبتم وبيت الله نبزا محمداً
ولما نطاعن دونه ونناضلِ
ونسمله حتى نصرّع حولَــــه
ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

قال أبو عمر: ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق، وإنما هو من باب الغلط وظن ما ليس بصحيح، وذلك أن قريشاً زعموا أنهم يخرجون بني هاشم من مكة إن لم يتركوا جوار محمد ﷺ، فقال لهم أبو طالب: كذبتم، أي غلطتم فيما قلتم وظننتم[١٤].

المطلب الثالث: موقفه من المفاضلة بين الصحابة

ينطلق أبو عمر في موقفه من المفاضلة بين الصحابة من نصوص حديثية، ومجمل رأيه في هذه المسألة:

أولاً: أن الصحابة أفضل القرون بالنسبة للمجموع لا الأفراد ويستند في هذا إلى حديثين شريفين: حديث "أمتي كالمطر لا تدري أوله خير أم آخره"[١٥]، وحديث: "خير الناس من طال عمره وحسن عمله"[١٦]، ولما كان هذان الحديثان يعارضان ظاهراً حديثاً آخر هو حديث: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.."[١٧]، فإن أبا عمر حاول أن يدفع هذا التعارض فقال: "والذي يصح عندي والله أعلم في قوله: "خير الناس قرني" أنه خرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، بالدلائل الواضحة فيه أن قرنه -والله أعلم- فيه الكفار والفجار كما كان فيه الأخيار والأشرار، وكان المنافقون والفساق، والزناة والسراق، كما كان فيه الصديقون والشهداء والفضلاء والعلماء، فالمعنى على هذا كله عندنا، أن قوله ﷺ: "خير الناس قرني" أي: خير الناس في قرني، كما قال الله تعالى: **﴿الحج أشهر معلومات﴾**[١٨]، أي في أشهر معلومات،

فيكون خير الناس في قرنه: أهل بدر والحديبية ومن شهد لهم بالجنة خير الناس إن شاء الله"[19].

ثانياً: أن من مات من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، واستدل على هذا بقوله- ﷺ- في شهداء أحد: "هؤلاء أشهد عليهم" أو: "أنا شهيد على هؤلاء"، وبقوله ﷺ: "لا أدري ما تحدثون بعدي"[20]، وبحديث الحوض: "وليردن أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم"[21].

ثالثاً: أما في أفضل الصحابة فيقول أبو عمر: "لم يأت عنه ﷺ أنه فضل منهم واحداً على صاحبه بعينه من وجه يصح، ولكنه ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم، وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة، وأعلم بمحاسن الأخلاق، ومن أن يواجه فاضلاً منهم بأن غيره أفضل منه، فيجد ذلك في نفسه بل فضل السابقين منهم أهل الاختصاص به، على من لم ينل منازلهم"[22]، وفي هذا المضمار يقول الحافظ ابن حجر: "لا خفاء في رجحان رتبة من لازمه ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، وقاتل معه، أو قتل تحت رايته، على من لم يلازمه، أو لم يحضر معه مشهداً، وعلى من كلمه يسيراً، أو ماشاه قليلاً، أو رآه على بعد أو في حالة الطفولية، وإن كان شرف الصحبة حاصلاً للجميع"[23].

رابعاً: أما فيما يخص ترتيب أفضلية الخلفاء الراشدين فذلك حسب ترتيبهم في الخلافة.

أورد أبو عمر في هذه المسألة عدة نصوص تفيد هذا عن بعض الأئمة، ومنها ما رواه عن أبي علي الحسن بن أحمد بن الليث الرازي، قال: سألت أحمد بن حنبل، فقال[24]: يا أبا عبد الله من تفضل؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء. فقال: يا أبا عبد الله إنما أسألك عن التفضيل من تفضل؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء المهديون الراشدون، وردّ الباب في وجهي"[25]. ونحو هذا عن الشافعي أيضاً[26]. وروى بسنده عن سفيان الثوري يقول: الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهم مُنتَزُون (أي متغلبون)[27].

وقال أبو عمر أيضاً: "قد روي عن مالك وطائفة نحو قول سفيان هذا، وتأبى جماعة من أهل العلم أن تفضل عمر بن

عبد العزيز على معاوية لمكان صحبته، ولكلا القولين آثار صحاح مرفوعة يحتج بها الفريقان"(٢٨).

المطلب الرابع: موقف ابن عبد البر من تدوين ما حدث بين الصحابة

الموقف الذي تبناه جمهور أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بما حدث للصحابة من خصومات وفتن خصوصاً بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه هو عدم الخوض في ذلك، وترك أمر ذلك إلى الله. وقد قصدوا بموقفهم هذا سد الذريعة على ذوي النيات السيئة وممن لا يحسنون التعامل مع الأخبار من الولوغ في أعراض الصحابة رضوان الله عليهم، هذا الجيل القرآني الفريد(٢٩).

فالتزم الجمهور بشعار ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾(٣٠). وشعار "تلك دماء عصم الله منها سيوفنا فلنعصم منها ألسنتنا"(٣١).

لكن أبا عمر ابن عبد البر آثر أن يقتحم هذا الباب ويغامر فيما تهيب منه غيره، ليبحث ويحلل ويستنتج ويعطينا نظرة متكاملة، عن خير القرون على الإطلاق معتمداً في ذلك حسه النقدي وخبرته بعلم الحديث والتاريخ والسير. فكان هذا في نظره أفضل وسيلة لقطع الطريق على من يركب هذه المسألة وهو ليس أهلاً لها فيشوه أحداث التاريخ ويزيف الحقائق ويحمل الأمور ما لا تحتمل.

وقد كان أبو عمر يتحرى الدقة في سرد الأحاديث ونقدها ونسبة الأخبار إلى مصادرها، والحكم على اجتهاد بعض الصحابة بالصواب أو الخطأ، كما يلجأ إلى الترجيح بين الروايات المختلفة والمتضاربة فيبين الراجح من المرجوح. تارة كان يحمل بعض الشخصيات مسؤولية بعض الأحداث التي كانوا وراء وقوعها أمثال: مروان بن الحكم وبسر بن أرطأة. وسأسوق هذا الأخير نموذجاً لبيان كيفية تعامل ابن عبد البر مع الأخبار عن تلك المرحلة. (فبعد أن ذكر نسب بسر بن أرطاة كاملاً قال أبو عمر: "يقال: إنه لم يسمع من النبي ﷺ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو صغير. هذا قول الواقدي وابن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم. وقالوا: خرف في آخر عمره. وأما أهل الشام فيقولون: إنه سمع من النبي ﷺ وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر،

على اختلاف فيه أيضاً فيمن ذكره فيهم قال: كانوا أربعة: الزبير وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطأة، والأكثرون يقولون: الزبير والمقداد وعمير ابن وهب، وخارجة بن حذافة، وهو أولى بالصواب إن شاء الله تعالى.

وكان يحيى بن معين يقول: لا تصح له صحبة، وكان يقول فيه: رجل سوء. حدثنا عبد الرحمن بن يحيى قال: حدثنا أحمد ابن سعيد، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال حدثنا عباس الدوري، قال: سمعت يحيى ابن معين يقول: كان بسر بن أرطأة رجل سوء. وبهذا الإسناد عندنا تاريخ يحيى بن معين كله من رواية عباس عنه".

قال أبو عمر رحمه الله: ذلك لأمور عظام ركبها في الإسلام فيما نقله أهل الأخبار والحديث أيضاً من ذبحه ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما، وكان معاوية قد استعمله على اليمن أيام صفين، وكان عليها عبيد الله بن العباس لعلي رضي الله عنه، فهرب حين أحس ببسر بن أرطأة، ونزلها بسر فقضى فيها هذه القضية الشنعاء، والله أعلم، وقد قيل: إنه إنما قتلهما بالمدينة، والأكثر على أن ذلك منه باليمن.

قال أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني: بسر بن أرطأة أبو عبد الرحمن له صحبه، ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ، وهو الذي قتل طفلين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب باليمن في خلافة معاوية، وهما عبد الرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن عباس. وذكر ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد عن هشام بن محمد عن أبي مخنف، قال: لما توجه بسر بن أرطأة إلى اليمن أخبر عبيد الله بن العباس بذلك وهو عامل لعلي رضي الله عنه عليها فهرب ودخل بسر اليمن، فأتي بابني عبيد الله ابن العباس وهما صغيران، فذبحهما، فنال أمهما عائشة بنت عبد المدان من ذلك أمر عظيم، فأنشأت تقول:

ها من أحس بنيّ اللذين هما
كالدرتين تشظّى عنهما الصدفُ
ها من أحس بني اللذين هما
سمعي وعقلي فقلبي اليوم مزدهفُ
حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا
من قيلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
أنحى على ودجيّ ابني مرهفة
مشحوذة وكذاك الإثم يقترفُ

ثم وســـوست فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر ويهتم على وجهها، وذكر تمام الخبر وذكر المبرد أيضاً نحوه..

ذكـر ابن الكلبي فـي كـتـابه في أخـبـار صـفين أن بسـر بن أرطـأة بارز علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صـفين، فطعنه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـصـرعـه فانكشف لـه فكف عنه. كما عـرض له فيما ذكـروا مع عـمـرو بن العـاص، ولهم فـيـهـا أشـعـار مـذكـورة في مـوضـعـهـا من ذلك الكتاب[٣٢].

هذا أهم مـا جـاء في تـرجـمـة بسـر بن أرطأة في "الاستيعاب"، وقد تحاشيت ذكر بعض الأمـور التي تـخـرج بنـا عن قـصـدنا هنا كالأشعـار وغيرها مخافة الإطالة، وقد سقت هذا النموذج لبيان كيفية تعامل ابن عـبـد البـر مع الأخبـار خـصـوصـاً في هذا المجـال الذي نـحن بصــدده، وليكون ذلك خيـر شـاهـد على سـلامـة ورشـد منهج أبي عـمـــر، وأن مـــا فـعـله إنما يعـتـبـــر من مستلزمات المنهج العلمي الصحيح.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١-٢) ابن الأثيـر، علي بن مـحـمـد (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، ٩/١.

(٣) ابن عـبـد البـر، يوسف بن عـبـد الله (ت ٤٦٣هـ) الاستيعـاب في معـرفة الأصحـاب، تحـقيق علي محـمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، مصر، ٢١/١.

(٤) ابن عـبـد البـر، يوسف بن عـبـد الله (ت ٤٦٣هـ) الاستيعـاب في معـرفة الأصحـاب، تحـقيق علي محـمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، مصر، ١٩/١.

(٥-٦) ابن عبد البر، مقدمة الاستيعاب، ١٩/١.

(٧) المصدر السابق، ١٩/١-٢٠.

(٨) ابن عـبـد البـر، يوسف بن عـبـد الله (ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، نشر وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ١٩٦٧م، ٤٧/٢٢.

(٩) ابن حجـر، أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييـز الصـحـابة، تحـقيق علي مـحـمـد البيجاوي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ١٠/١.

(١٠) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣هـ)، الاستـذكـار، الجـامع لمذاهب فـقـهـاء الأمـصـار، تحقيق: علي النجدي ناصف، القاهرة، ٣٢٩/٤.

(١١) ابن عبد البر، التمهيد، ٤٧/٢٢.

(١٢) المصدر السابق، ٩٣/٤-٩٤.

(١٣-١٤) ابن عبد البر، التمهيد، ٢٨٩/٩-٢٩٠. انظر أمثلة أخرى في ٤٩/٢٣ وأيضاً ابن عـبـد البـر، (يوسف بن عـبـد الله (ت ٤٦٣هـ)، جـامع بيـان

العلم وفضله، طبعة دار الكتب العلمية، ٢/١٥٤-١٥٥ وغير ذلك.

(١٥) ابن عبد البر، التمهيد، ج٢٠، ص٢٥٢، وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة. انظر ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، بالقاهرة،ط١، ١٩٦٠م، ٦/٧، كتاب فضائل الصحابة.

(١٦) ابن عبد البر، التمهيد، ج٢٠، ص٢٥٢، والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٥٠)، انظر فتح الباري، ٣/٧.

(١٨) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(١٩) ابن عبد البر، الاستذكار، ١/٢٣٩-٢٤٠، تحقيق علي النجدي ناصف.

(٢٠) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣هـ)، التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك، مكتبة القدسي، القاهرة، ص٦٥، والحديث أخرجه الإمام مالك في "الموطأ" رقم (١٠٠٤) طبعة دار إحياء العلوم العربية،١٤١٤هـ/١٩٩٤.

(٢١) ابن عبد البر، الاستذكار، ١/٢٤٠ والحديث أخرجه "البخاري"رقم (٦٠٩٧).

(٢٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/١٧-١٨.

(٢٣) ابن حجر، أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ)، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، دار الكتب العلمية، بيروت ص٨٩.

(٢٤) ولعلها "فقلت".

(٢٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٢/١٨٤.

(٢٦) المصدر السابق، ٢/١٨٦.

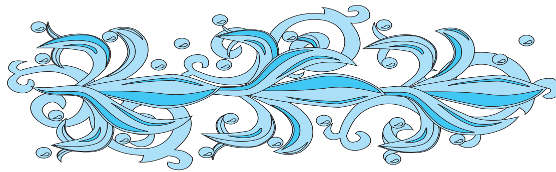
(٢٧-٢٨) المصدر السابق، ٢/١٨٥. والمعنى: أنهم متفاضلون، بينهم تفاضل.

(٢٩) سيد قطب، (ت ١٩٦٦م) معالم في الطريق، دار الشروق، ط١٧، ١٩٩٣، ص١١.

(٣٠) الآية ١٣٣، سورة البقرة.

(٣١) الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، دار الكتب المصرية، ج٤، ص٣٣١.

(٣٢) ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ،علوم الحديث، دار الفكر،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤،ص١٧ .



مكارم الأخلاق في الاسلام

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

❖ تعريف الخُلق:

لغة: يطلق الخلق في اللغة على «الدين والطبع والسجية» ويمكن القول: ان العرب تطلقه على تلك الصفات الراسخة في أعماق النفس الإنسانية، بحيث يصبح طبعاً وسجية يصعب على المرء مخالفتها أو تغييرها، يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب عن الخلق: «وحقيقة الخلق انه لصورة الانسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختفية بها بمنزلة الخَلق «بفتح الخاء» لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة»[1].

اصطلاحاً: ولا يبعد المعنى في الاصطلاح عنه في اللغة، فالعلماء يريدون بها تلك الصفات التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، ويستحق الموصوف بها المدح او الذم، كما ورد في حديث أشج عبد القيس حيث قال الرسول ﷺ: «ان فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة»[2].

❖ المجاهدة في إصلاح الأخلاق وتقويمها:

ذهب بعض الباحثين والفلاسفة، الى ان الأخلاق غرائز في النفس الانسانية لا تقبل تقويماً ولا تعديلاً، وقد استغل هذه

المقالة من ثقلت عليهم مجاهدة نفوسهم، وذهبوا يبررون ما أقاموا عليه من ذميم الأخلاق بأنه ليس في وسعهم تغيير ما غرس فيهم من الأخلاق الذميمة، والصواب من القول: ان من الأخلاق الكريمة ما يطبع عليه صاحبه، فهذا يحمد الله على ما آتاه من فضله، ومن الأخلاق الكريمة ما ينال بالاكتساب والمجاهدة.

وقد وقع في حديث اشج عبد القيس عند احمد والنسائي والبخاري في «الادب المفرد» وصححه ابن حبان ان النبي ﷺ قال: «ان فيك لخصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة، قال: يا رسول الله، قديماً كانا فيّ أو حديثاً؟ قال: قديماً، قال: الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما»(٣).

❖ الأخلاق بين الطبع والتطبع:

اختلف العلماء في حقيقة الأخلاق، فذهب بعضهم الى أنها طبائع جبل الانسان على التحلي بها، وذهب آخرون الى انها اكتساب، ليكسبها الانسان بالممارسة، والدربة، والمرونة، والصواب ان منها ما هو طبع، يتفضل به الله عز وجل على بعض خلقه، فيجبلهم عليها، ويطبعهم بها، من غير كسب منهم، ولا جهد، ومن لم يؤته الخلق فهو مكلف بمجاهدة نفسه وحملها على مكارم الأخلاق، فإن النفس قابلة لذلك، قال ابو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة اذا رغّبتها

واذا ترد الى قليل تقنع(٤)

❖ أهمية الأخلاق:

تكمن أهمية الأخلاق في أنها: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، وأنها طاعة لرسول الله ﷺ، وأنها سبب لمحبة الله تعالى، وسبب لمحبة رسوله ﷺ، وهي سبب عظيم لدخول الجنة بعد تقوى الله تعالى، كما انها أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، وتعد عبادة عظيمة، وبها يحصل الخير والخيرية، وهي من خير أعمال العباد، وسبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار، كما انها من اعمال اهل الجنة، ومجلبة لتأييد الله تعالى ونصره(٥).

وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، وذكر ليلة فزع اهل المدينة وكان ﷺ اسبقهم الى الصوت»(٦).

❖ الأخلاق الاسلامية:

وهي ما يظهر على المسلم من آثار وصفات نتيجة تقيده بالأحكام الشرعية، أو هي تلك الصفات الايمانية التي يتحلى

بها المسلم طاعة لله تبارك وتعالى، وابتغاء مرضاته، وهي ثمرة من ثمرات الايمان، والالتزام بها واجب شرعي، كالالتزام ببقية الأحكام، فالأمة لا تتحقق بها الاخلاق الاسلامية الا اذا التزمت بأحكام الاسلام، وكذلك الفرد لا تحكم عليه بحسن الخلق وان حظي بثناء الناس عليه واعجابهم به، الا اذا التزم بأحكام دينه الاسلامي ومبادئه[٧]، والأخلاق الاسلامية تدخل في مفهوم العبادات بالمعنى العام، لأنها أقوال وأفعال يبتغي المسلم بها وجه الله تعالى، فهو في ممارساته للأخلاق الاسلامية يبتغي الأجر والثواب، ويخشى العقاب والعذاب، تماماً كما يمارس العبادات بالمعنى الخاص، من صلاة وصيام وحج ونحو ذلك، قال تعالى: **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** البقرة: ٢٥[٨].

❖ مصادر الأخلاق في الاسلام:

أولاً: القرآن الكريم، ومن ابرز السور التي عنيت بالأخلاق: «الأنعام، الاسراء، النور، والفرقان».

ثانياً: السنة النبوية الشريفة: قال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: ٤، وكان خلقه ﷺ القرآن كما تقول أم المؤمنين رضي الله عنها عائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثالثاً: السلف الصالح: فهم النموذج الذي يحتذى في كل فضيلة بعد رسول الله ﷺ.

❖ الآثار الايجابية للأخلاق الاسلامية:

أولاً: تزيد ايمان المسلم وترفع درجته في الجنة، قال تعالى: **﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** آل عمران: ١٣٣-١٣٤، وقد أكد رسول الله ﷺ هذه الحقيقة بقوله: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة، من حسن الخلق وان الله ليبغض الفاحش البذيء» أخرجه الإمام أحمد وابو داود بسند صحيح انظر صحيح الجامع الصغير حديث (٥٧٢)، وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً» أخرجه الامام احمد وابو داود وابن حبان بسند صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير حديث (١٢٣٠).

كما قال ﷺ: «ان من احبكم اليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً» أخرجه الترمذي بسند حسن، انظر صحيح الجامع الصغير، حديث (٢٢٠١) و «ان المؤمن ليدرك بحسن

خلقه درجة الصائم القائم» أخرجه ابو داود وابن حبان بسند صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير، حديث (١٩٣٢).

❖ مباحث تحسن الأخلاق عند الغزالي:

١- الخير والشر:

العمل الذي يجب ان يعمل، او يحسن ان يعمل، هو الخير، والعمل الذي يجب ان لا يعمل او ينبغي ان لا يعمل هو الشر، فللخير درجات، وللشر درجات.. هذه لغة اليوم، أما الغزالي فكان تارة يسمي ما يجب ان يعمل واجباً، وما يحسن ان يعمل مستحباً، وما يجب ان لا يعمل حراماً، وما ينبغي ان لا يعمل مكروهاً، وما عدا ذلك فهو مباح.

❖ الحسن والقبح:

وربما قسم العمل الى حسن وقبيح ومباح، واليك اجمال ما فصّله في كتابه «المستصفى في الأصول» وهناك اصطلاحات ثلاثة مختلفة في إطلاق لفظ الحسن والقبيح.

الأول: ان الافعال تنقسم الى ما يوافق غرض الفاعل، والى ما يخالفه، فالموافق يسمى حسناً، والمخالف يسمى قبيحاً، والثالث يسمى عبثاً.

والاصطلاح الثاني: الحسن ما حسنه الشرع بالثناء على فاعله، ويقول الغزالي: «يكون المأمور به شرعاً ندباً او استحباباً، حسناً، والمباح لا يكون حسناً.

والثالث: الحسن ما لفاعله ان يفعله فيكون المباح حسناً مع المأمورات، والمقصود بهذه الاصطلاحات ما حسنه الشرع او قبحه.

❖ الأخلاق عند الغزالي:

عرف العرب قبل الغزالي كتاباً لارسطو اليوناني يتحدث عن «الأخلاق» ووضع ابن مسكويه كتاباً في «صناعة تهذيب الأخلاق» ولم يساير الغزالي من تقدمه من مجددي الفلسفة اليونانية، وانما يفهم من علم الأخلاق شرح طرائق السلوك وفقاً لما سنته الشريعة السمحة، ورسمه الصوفية، ومن نحا نحوهم من الفقهاء، وهو يعرف الخلق الحسن في كتابه «الميزان» بأنه صلاح القوى الثلاث: قوة التفكير، وقوة الشهوة، وقوة الغضب.

❖ كيف يربى الخلق عن الغزالي:

يرى ان من الناس من ولد حسن الخلق لفطرته، بحيث لا يحتاج الى تعليم، ولا الى تأديب، كعيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام، ولا يبعد فيما يرى، ان يكون في الطبع والفطرة، ما

قد ينال بالاكتساب، فرب صبي خلق صادق اللهجة، سخياً جريئاً، ويرى ان تغيير الخلق ممكن، ويقول في ذلك تعليقاً على قوله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم» لو لم يكن ممكناً لما أمر به، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب، فإن الأفعال نتائج الأخلاق، كما ان الهوى الى أسفل نتيجة الثقل الطبيعي، بل كيف ينكر تهذيب الانسان مع استيلاء عقله، وتغيير خلق البهائم ممكن لو ينتقل الصيد من التوحش الى التأنس، والفرس من الجماح الى السلاسة(١٠).

وقد بنى صاحب كتاب «زاد المتعلم والعالم من الأخلاق والمكارم» كتابه على الفضائل الآتية: الصدق والأمانة في أمور الدنيا والدين، والوفاء ومكارمه، والإخلاص لله عز وجل، والصبر في البأساء والضراء، والشكر وأثره في حياة المسلم، والحلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس، ومنزلة الحياء من الإيمان، والخوف والرجاء، ومراقبة النفس ومحاسبتها، وعلو الهمة، والأخوة والصداقة وحسن الصحبة، والعفاف والغنى، والتواضع لله عز وجل، والرحمة والسخاء والجود والكرم وميزان العدل في الاسلام.

يقول في الحلم: «وليس الحلم والعفو والصفح وما الى ذلك من المترادفات، صادراً عن ضعف ووهن أو تهاون في الحقوق، كما يظن كثير من الدهماء، ولكنه بطولة نادرة وشجاعة فذة، وقدرة خارقة، وعدل محفوف بالرحمة، وتقوى قد ملأت شغاف القلوب، خالصة من الأدواء والعلل، سليمة مستنيرة بنور الله تعالى، لا تحمل حقداً ولا حسداً ولا ضغينة ولا بغضاء لأحد من المسلمين.

وهناك من لا يزيدهم الحلم الا جهلاً وعدواناً، فيكون عقابهم أولى من الصفح عنهم، على حد قول الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس احياناً على من يرحم

أو قول الآخر:

لا يحسن الحلم الا في مواضعه

ولا يليق الندى الا لمن شكراً(١١)

وعن التوكل يقول: «ان حقيقة التوكل لا تنافي الأخذ بالأسباب التي قدّرها الله عز وجل لوقوع المسببات، وتحقيق المقاصد وبلوغ الآمال، فالسعي في طلب الحاجات بالطرق المشروعة، مع تفويض الأمر الى الله هو التوكل بعينه، فقد قال عز وجل: **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور﴾**

الملك: ١٥ .

ومن الناس من يفهم التوكل على غير وجهه، فلا يأخذ الحيطة والحذر في بعض شأنه، فإن قلت له: خذ حذرك، قال: اني متوكل على الله، مع ان التوكل لا يتنافى مع هذا الفهم وهذه الفوضى، فهو -كما ذكرنا- الاعتماد على الله تعالى والثقة بفضله مع الأخذ بالأسباب، فمن لم يأخذ بالأسباب فهو متواكل، ويضرب لذلك مثلاً حديث «اعقل وتوكل»[١٢].

❖ أخلاق العالم ومعاشرته لمن عاشره من سائر الخلق:

قال محمد بن الحسن: «من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكرنا له، فمن أخلاقه -والله اعلم- ان يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع الذنوب عن غيره، ولا يقطع بالبلاغات، ولا يفشي سر من عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو ويصفح عنه، ذليل للحق، عزيز عند الباطل، كاظم للغيظ عمن آذاه، شديد البغض لمن عصى مولاه، يجيب السفيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مداهن ولا مشاحن، ولا مراء ولا مختال، ولا حسود ولا حقود، ولا سفيه ولا جاف، ولا فظ ولا غليظ، ولا طعّان ولا لعّان، ولا مغتاب ولا سبّاب، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه، ونهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره، إبقاء على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما امكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن احد من العباد، يداري جهل من عامله برفقه، اذا عجب من جهل غيره، ذكر ان جهله اكثر فيما بينه وبين ربه عز وجل، لا يتوقع له بائقة ولا يخاف منه غائلة، الناس منه في راحة ونفسه منه في جهد.

❖ أخلاق العالم وأوصافه فيما بينه وبين ربه عز وجل:

قال محمد بن الحسن: «جميع ما تقدم ذكرنا له، مما ينبغي للعالم ان يستعمل من الأخلاق الشريفة، كلها تجري له بتوفيق من مولاه الكريم، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا، كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه عز وجل، اعظم شأناً مما ذكرت مما قد اوصله مولاه الكريم الى قلبه يمتعه بها، شرفاً له بما خصه من علمه، اذ جعله وارث علم الأنبياء وقرة عين الأولياء، وطبيباً لقلوب اهل الجفاء، فمن صفته ان يكون لله شاكراً، وله ذاكراً، دائم الذكر بحلاوة حب المذكور، منعم قلبه بمناجاة الرحمن، يعد نفسه مع اجتهاده

خـاطئـاً مـذنبـاً، ومع الدؤوب على حـسن العـمل مـقـصـراً، لجـأ الى الله عـز وجل فـقوى ظهـره، ووثق بالله فلم يخف غيـره، مستغن بالله عن كل شيء، ومفتقر الى الله في كل شيء، أُنسه بالله وحده، ووحشته بمن يشغله عن ربه، يذكر الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين، عالم بداء نفسه، ومتهم لها في كل حالة[١٣].

❖ أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه:

قـال مـحـمـد بن الحـسن: «قـد تقـدمت الأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين رحمهم الله، بصفة علماء في الظاهر، لم ينفعهم الله بالعلم ممن طلبه للفخر والرياء، والجدل والمراء، وتأكَّل به الأغنياء، وجالس به الملوك، وأبناء الملوك لينال به الدنيا، فهو ينسب نفسه الى أنه من العلماء، وأخلاقه أخلاق اهل الجهل والجفاء، فتنة كل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء، ثم يروي حديثاً عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار»[١٤].

الهوامش:

١- لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٨٨٩ .

٢- رواه احمد والنسائي والبخاري في الادب المفرد.

٣- د. عمر الاشقر، نحو ثقافة اسلامية اصيلة، دار النفائس، عمان - الأردن ٢٠٠٠، ص١٦٢ .

٤- ابو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي، الاخلاق بين الطبع والتطبع، دار القمة ودار الايمان، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص٩ .

٥- المرجع السابق ص١١ .

٦- مصطفى عمارة: جواهر البخاري وشرح القسطلاني ٧٠٠ حديث مشروحة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلا ص٤٦٧ .

٧- د. محمد سالم ملحم: سلوكيات اسلامية في ضوء القرآن والسنة، دار النفائس، عمان الاردن ٢٠٠٤، ص١١ .

٨- المرجع السابق ص١٢ .

٩- المرجع السابق، ص١٣ .

١٠- زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، ص٨٩-١١٨ .

١١- محمد بكر اسماعيل، زاد المتعلم والعالم من الأخلاق والمكارم، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٥٢ .

١٢- المرجع نفسه، ص١٧٤-١٧٥ .

١٣- ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، أخلاق العلماء اعتنى به عادل مرشد، دار الاعلام، الاردن، ٢٠٠٣، ص٤٠-٤٢ .

١٤- المرجع السابق ص٥٣-٥٤ .

٢

منهج الاسلام في الحفاظ على وحدة المجتمع وصيانته من عوامل التمزق والخلاف

■ **بقلم الاستاذ ابراهيم بدر شهاب**

مما اهتمت به شريعة الاسلام، سد الذرائع المفضية الى المنكر والفساد وإثارة العداوة والبغضاء، فأمرت بحفظ اللسان والعين والأذن، ونهت عن الاختلاط والتبرج لما يجره ذلك من عوامل الهدم والخراب، ولأنه ذريعة الى الزنا وما يجره من اختلاط الأنساب وانهيار للأسر والمجتمعات وانتشار الأمراض وطغيان الرذائل واندثار الفضائل، وتخريب ظاهر للمجتمع.

فجاء التوجيه القرآني بحفظ العين في قوله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾**[٣٠]، وبحفظ الأذن، قال تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**[٣١]، والتوجيه النبوي بحفظ اللسان، حيث قال ﷺ: «كف عليك هذا» وأشار الى لسانه، وقال ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم»[٣٢]، وفي شأن التبرج وإظهار الزينة جاء قوله تعالى: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**[٣٣].

ومثلما نهت الشريعة الاسلامية عن البيع على البيع، فقد حرمت ايضاً ان

يخطب الرجل على خطبة أخيه، وكافة اشكال التزاحم والتنافس على الدنيا، سواء أكانت الدنيا امرأة أو مالاً أو سلعة أو جاهاً او غير ذلك مما يعد محل طمع وتنافس، لأن في ذلك ذريعة الى التباغض والتعادي والعراك، لما يحمله من أنانية وأثرة لا تنسجم مع ما جاء في الاسلام وروح السماحة التي دعا اليها، قال تعالى: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**[٣٤]، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣٥].

وصيانة لحرمة البيوت من عبث الأعين وقالة السوء، فقد أمر الاسلام بالاستئذان لئلا تقتحم البيوت بدون إذن أصحابها أو ساكنيها، فذلك أليق بالآدمية وأحفظ للعورات وأطهر للمجتمع، كي لا تقع العين على قبيح أو على ما لا يحب ساكنو البيوت ان يطلع عليه الناس مما يعد من خصوصياتهم وأساس حشمتهم، فلا أحد يحب ان تنكشف عورته أو ينتهك ستره أو تقتحم عليه خلوته، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون ❁ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾**[٣٦].

ولما كان الجيران متقاربين روحاً ومكاناً، ولما كانت العلاقة بينهم أو يجب ان تكون قائمة على الحب والدفء والثقة والتعاون وفق منهج الاسلام، فقد رتب الاسلام لهم على بعضهم البعض حقوقاً وواجبات ليست للآخرين من غير الجيران، لخصوصية العلاقة بين الجيران وتقارب الروح والمكان وضرورة المصلحة، وهي حقوق وواجبات تليق بالمجتمع الفاضل المترابط، ومن شأنها إذكاء روح التعاون والمودة بين أفراده، وإقصاء مثيرات العداوة والبغضاء بينهم، حيث أغلظ في النهي عن الخصومة بين الجيران، بل حرم كل ما من شأنه تخريب العلاقة المقدسة بينهم.

ومما يروى عن الرسول الكريم ﷺ في هذا الأمر انه قال: «أتدرون ما حق الجار؟ ان استعان بك أعنته، وان استنصرك نصرته، وان مرض عدته، وان افتقر عدت عليه، وان مات تبعت جنازته، وان أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا بإذنه، وان اشتريت فاكهة فاهد اليه، فإن لم تفعل فلا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا ان تغرف له

منها، وان دعاك فأجبه».

أما التحذير من إيذاء الجار فقد جاء بقوله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[٣٧]، ذلك ان الجار أقرب من الأخ البعيد والصديق القاصي، والحاجة اليه أكبر من الحاجة اليهم، ولهذا ما زال جبريل عليه السلام يوصي النبي ﷺ بالجار حتى ظن انه سيورثه.

ونهى الاسلام الحنيف بصورة مباشرة عن التنازع والجدال المفضي الى الخصام، قال تعالى: **﴿فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**[٣٨]، والى مقابلة السيئة بالحسنة قال تعالى: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**[٣٩].

ولكن عند التصدع ونشوب الخلاف، وهو لا شك لا بد ان يكون خلافاً يسيراً في مجتمع هذه صفاته، وتلك شريعته فلا بد من ترجيح العقل ونبذ العنف واستيعاب الخصم وكظم الغيظ والتنازل بقدر ما يحفظ ماء الوجه والكرامة الانسانية، ويقرب الى الله جل وعلا حيث يقول: **﴿الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾**[٤٠] وقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد السلام فقد اشتركا في الأجر، وان لم يرد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلِّم من الهجرة»[٤١].

فإن لم تفلح جهود الطرفين الذاتية في رأب الصدع وتسوية الخلاف وإحلال الوئام محل الخصام، فلا بد ان تتحرك جهود الجماعة للاصلاح بينهما، فإن استجاب الطرفان لتلك الجهود وقبلا شروط الصلح، فبفضل الله وعلى بركته، وإن أبى أحدهما أو إحدى الجماعتين فلا بد من تهديدها وقتالها ان لزم الأمر، قال جل شأنه: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ❖ إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾**[٤٢].

وفي مجال الأسرة نجد روح الاسلام ترفرف فوق عش الزوجية الآمن الدافئ، تنشر فوقه الحب والسلام، وتحتضنه بالرفق والحنان، وترعاه بيد العطف

والسلام، فجاءت الرغائب والأوامر في هذا الأمر كثيرة، والزواجر الحافظة له صارمة، شديدة، صيانةً لهذا العش الدافئ من العبث والتصدع والخراب، فرغبت ابتداءً بالمبادرة الى الزواج، لئلا يؤدي تأخيره دون مبرر الى افراغ الطاقة الجنسية في الحرام، ولما يتمخض عنه حرمان الشباب من الزواج من مفاسد اجتماعية خطيرة قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..»[٤٣]، وأوصى ﷺ الرجال بحسن عشرة النساء والصبر عليهن فقال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وان اعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج»[٤٤].

قال رجل من الصحابة: يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه؟ قال ﷺ: «ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر الا في البيت»[٤٥]، وقال ﷺ: «رفقاً بالقوارير»[٤٦]، وقال ايضاً ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، ان كره منها خلقاً رضي منها آخر»[٤٧]، وأمرت بحفظ اسرار الزوجية، والإنفاق على قدر الاستطاعة، قال تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾**[٤٨] وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «ما اكرمهن الا كريم وما أهانهن الا لئيم خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٤٩]، وبالمقابل قال ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة ان تسجد لزوجها»[٥٠]، قال تعالى: **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾**[٥١].

وكذلك فقد شدد الاسلام الحنيف في أمر رعاية الأولاد في المأكل والمشرب والملبس والتربية والإعداد والتوجيه، وأمر بالعدل بينهم، فلا تفضيل لولد على آخر أو للولد على البنت، لكي لا يثير التمييز بينهم في العطاء والرعاية العداوة والبغضاء.

وعلى الصعيد الشخصي ينهى الاسلام عن كل ما يمكن ان يؤدي الى الفاسد ويضر بالفرد والمجتمع، فحرم بعض المشروبات والعادات الضارة، كالخمر والميسر (القمار) وما اليهما، لما فيها من أضرار على النفس والمجتمع وحتى لا تحصل العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ذلك ان الفرد اذا تناول الخمر سكر، ثم يصير الى حالة من فقدان العقل والهذيان، حيث لا ضابط للتصرفات والأفعال، وكذلك الميسر فقد يؤدي الى

أضرار مماثلة، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ❖ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون**﴾(٥٢).

ونهى الاسلام عن الانتصار للقوم او العشيرة او القبيلة أو الحزب او العنصر، فقال ﷺ: «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»(٥٣) وقال ﷺ: «ليس منا من دعا الى جاهلية، دعوها فإنها منتنة»(٥٤)، وقال ﷺ: «الناس لآدم وآدم من تراب»(٥٥)، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾(٥٦).

ونبذ الاسلام كل الدعوات والروابط التي تقوم على غير العقيدة والتي تجعل افراد المجتمع مزعاً وأشتاتاً وجعل رابطة العقيدة هي حبل الله المتين، وهي الرابطة التي يلتقي عليها جميع المسلمين، قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾(٥٧).

ويقوم الاسلام على حفظ الحقوق في الاسلام بنظام قضائي عادل، المتهم فيه بريء حتى تثبت ادانته، يطلب البينة على الدعوى واليمين عند الانكار، «ذلك انه لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس اموال قوم ودمائهم، ولكن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»(٥٨)، والشهادة على الأمر الواضح البين الذي لا ظن فيه ولا وهم ولا احتمال «على مثل الشمس فاشهد»(٥٩)، وحرم شهادة الزور والإكراه على شهادة الزور، أو الضغط على الشاهد لتغيير إفادته يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**ولا يضار كاتب ولا شهيد**﴾(٦٠)، وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس ثم قال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(٦١).

وأمر بالعدل في الرضا والغضب، قال تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾(٦٢)، وحرم الظلم بكافة أشكاله وصوره، قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..»(٦٣)، وحرم كتمان

الشهادة، فقال تعالى: **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**(٦٤)، وقال جل وعلا: **﴿ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا..﴾**(٦٥).

وقد ضمن الاسلام ألا يؤخذ أحد بالظنة، وأنه لا بد من عدالة الشاهد ووضوح الدليل، وان الشبهة تدرأ بالحد» قال ﷺ: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»(٦٦) ورغب الى المسلمين جميعاً السماحة في القضاء والاقتضاء، وحبب اليهم العفو، قال تعالى: **﴿وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾**(٦٧).

وفي أمر الأخلاق، يقف الاسلام عند جملة من الصفات القبيحة والأخلاق الذميمة، فتدور نواهيه حولها تقبيحاً وتنفيراً وتحريماً لما يترتب عليها من مفاسد شخصية يمتد أثرها على المجتمع، سواء بصورة مباشرة كالحسد والكبر والرياء والتفاخر والغضب واللغو والشح والغدر والعجب وإخلاف الوعد.. «ولا تحاسدوا»(٦٨)، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»(٦٩) وقال ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٧٠) وقال تعالى: **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾**(٧١) وقال ﷺ: «لا تغضب وكررها مراراً»(٧٢)، وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٧٣)، وقال ﷺ: «اربعة من كن فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من نفاق، اذا اؤتمن خان، واذا حدث كذب واذا عاهد غدر، واذا خاصم فجر»(٧٤).

واذا كان الاسلام قد نهى عن بعض تلك الصفات والأخلاق وحرم بعضها الآخر، لخطرها وأثرها السلبي المباشر وغير المباشر على النفس والمجتمع، فإنه لم يهمل امر الصفات والأخلاق والمناظرة لها اعتماداً على مفهوم المخالفة، بل أكد عليها وأمر بها حتى يكتمل التوجيه، ويزول اللبس والغموض، فليس كل نهي يفهم منه طلب عكسه، وليس كل الناس على درجة واحدة من الفهم والوعي بحيث يدركون ما يراد، او يفهمون ما وراء النصوص، وقد اثنى على المتخلقين بالأخلاق الفاضلة وقربهم من مكان النبوة، قال ﷺ: «اقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»(٧٥)، فأمر ﷺ بصدق الحديث والوفاء بالوعد وأداء الأمانة والتواضع والغبطة والإخلاص في السر والعلن

والنصح لكل مسلم ومسلمة، والسكينة والرفق والجود والنظافة «نظافة القلب واليد واللسان والثياب والإناء والمكان» وأمر بإفشاء السلام ورد السلام وصلة الأرحام وإطعام الطعام والكلمة الطيبة التي تنمي خيراً أو تدفع شراً، وأمر بطلاقة الوجه ورسم البسمة على الشفاه لتعكس صفاء القلوب ونقاء السرائر وسلامة الصدور، قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[٧٦]، وقال ايضاً ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق»[٧٧].

كذلك يلحظ الاسلام جملة من انماط السلوك الفردي الخبيث، ذات الأثر الاجتماعي المباشر وغير المباشر التي من شأنها بث الفتنة بين الناس، ودق اسافين الفرقة بين أفراد المجتمع وفئاته، وتأجيج العداوات وإثارة النزاعات بين الأفراد والجماعات، وتصنف بجملتها في باب آفات اللسان، كالغيبة والنميمة والسباب واحتقار الآخرين والسخرية منهم، والتنابز بالألقاب وقذف المؤمنات المحصنات الغافلات، والكذب وشهادة الزور واتباع الظن ومختلف صنوف الايذاء باليد واللسان.

فجاءت الآيات الصريحة والأحاديث الشريفة الصحيحة بالنهي والتحريم وطلب الاجتناب، بل ورتب الاسلام عقوبات دنيوية عاجلة على بعضها في حين رتب عقاباً آجلاً على بعضها الآخر، قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[٧٨].

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٧٩] وقال ايضاً ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، وأكل الربا، واكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المؤمنات المحصنات الغافلات»[٨٠].

هذا ولا تقف الشريعة الاسلامية عند حد تقديم النصح والإرشاد او الأمر والنهي على اختلاف درجات الأمر والنهي، بل رتبت عقوبات دنيوية وأخروية على

مختلف الأعمال التي يخالف فيها بعض أفراد المجتمع تلك التوجيهات عن المارقين على الحق المتجاوزين لحدود الله، تمثل بجملتها ضمانات للمحافظة على أمن المجتمع واستقراره، فقررت لضمان حق الحياة حد القتل قال تعالى: **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق﴾**(٨١) وذلك لصيانة الحياة من الاعتداء، فإن وصل الاعتداء الى القتل، كان الجزاء القتل، واذا وقف عند الجرح كان القصاص مثله بحسبه، قال تعالى: **﴿وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾**(٨٢).

وقرر لضمان حفظ العِرض عقوبات الزنا وعقوبات القذف قال تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**(٨٣).

وقرر لضمان المال حد السرقة، قال تعالى: **﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾**(٨٤).

كما ضمن للجماعة المسلمة، ان تأمن من العصابات التي تعيث في الأرض فساداً بتقرير عقوبات قاسية عليها، فقرر حد الحرابة، قال تعالى: **﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**(٨٥).

كما قرر عقوبة البغي وهي القتل للخارجين على الحاكم أو نظام الحكم كي لا يتزعزع الأمن والاستقرار، وقد سبق الحديث عن ضمان الحرية الشخصية فلا تفرض عليها رقابة الجاسوسية، ومن الغيبة والكرامة في الحضور فلا يسخر منها أو يهزأ بها، ولا تنال بالهمز والتنابز بالألقاب، وكذلك الحديث عن ضمان حرية المسكين فلا تقتحم على أحد داره بغير إذنه، ولا يتسور عليه أحد نافذة أو حائطاً، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ❖ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾**(٨٦).

وإذا كانت الأرض لا تخلو من الشر، والمجتمع لا يخلو من الشذوذ والانحراف، واذا كانت قيم الوحدة والتماسك والتعاون يمكن ان تتهدد بين حين وحين، كان لا بد من مقاومة الشر ومحاربة الشذوذ، اينما وجد وحينما يظهر، دونما مماطلة أو تسويف أو التماس الأعذار، لأن المنكر اذا ظهر واستشرى دون مقاومة فورية، تظهر معه منكرات وتتبعه مفاسد، وتنتشر بسببه مخالفات كثيرة، ويتجاسر الناس على القيم، وتعم الفوضى، وذلك ما لا يستقيم مع بقاء الجماعة واستقرارها.

لذا مطلوب من القادرين على إزالة المنكر وتغييره باليد واللسان والقلب، كل في بيته وفي مكان عمله، وفي حيه وفي بلدته، وفي كل مكان وزمان، فهي مسؤولية تضامنية يكلف بها الجميع، كل واحد منهم على ثغرة من ثغور الاسلام، يمنع دخول الأعداء منها ويمنع مرور الفساد فيها، وقد جعل الله هلاك بني اسرائيل واستحقاقهم اللعنة بسبب عدم قيامهم بهذا الواجب، قال تعالى: **﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ❖ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾**[٨٧].

وعندما يكون افراد المجتمع كلهم حراساً يقظين متسلحين بالوعي والإخلاص، متربصين بكل منكر يظهر او فساد يطل برأسه، وعندما يصبح المنكر او الفساد خائفاً ذليلاً صعب الظهور والانتشار، ويصبح الجزاء على المنكر رادعاً وجماعياً، تقف الجماعة كلها دونه، وتوقع العقوبة الرادعة عليه، عندئذ ينزوي الشر وتنحسر دوافعه، وبذلك يستديم للمجتمع أمنه واستقراره وتماسكه، فلا تنحل عراه ولا تتفسخ روابطه، بل تتحرك الفضيلة في أرجائه، ويصوغ الحب والوفاء كافة العلاقات الاجتماعية فيه.

كل ذلك في ظل نظام من الحكم والسياسة يقوم على قواعد الشورى والمساواة، يتساوى فيه الجميع، وتتكافأ فيه الفرص للجميع، لا مكان فيه لمودة أو محسوبية أو قرابة أو تفضيل فئة على أخرى، أو جنس على آخر، بل الكل سواسية كأسنان المشط، وانما يتفاضلون بالعلم والعمل والتقوى، يحق للجميع فيه انتخاب الحاكم ومبايعته، وله عليه حق الشورى وإقامة العدل، وله عليهم حق الطاعة في المعروف، وعليهم ان يراقبوه

ويسألوه ويقوموه ان أخطأ أو انحرف، ويعزلوه ان طغى أو استبد.

تلكم هي البيئة الصالحة والظروف الملائمة التي يهيئها الاسلام لإقامة المجتمع النقي الطاهر الشفاف، مجتمع الرحمة والتضامن والتكافل والوئام.

الهوامش:

٣٠- النور: ٣٠ .
٣١- الاسراء: ٣٦ .
٣٢- رواه الطبراني.
٣٣- الأحزاب: ٣٣ .
٣٤- الحشر: ٩ .
٣٥- أخرجه البخاري.
٣٦- النور: ٢٧-٢٨ .
٣٧- متفق عليه.
٣٨- الأنفال: ٤٦ .
٣٩- فصلت: ٣٤ .
٤٠- آل عمران: ١٣٤ .
٤١- رواه ابو داود.
٤٢- الحجرات: ٩-١٠ .
٤٣-٤٤- رواه البخاري ومسلم.
٤٥- رواه ابو داود.
٤٦- رواه البخاري ومسلم.
٤٧- رواه مسلم.
٤٨- النساء: ١٩ .
٤٩-٥٠- رواه الترمذي.
٥١- البقرة: ٢٢٨ .
٥٢- المائدة: ٩٠-٩١ .
٥٣- رواه ابو داود.
٥٤- رواه البخاري.
٥٥- رواه ابو داود.
٥٦- الحجرات: ١٣ .
٥٧- آل عمران: ١٠٣ .
٥٨- أخرجه البيهقي.
٥٩- رواه اصحاب السنن.
٦٠- البقرة: ٢٨٣ .
٦١- رواه البخاري.
٦٢- المائدة: ٨ .
٦٣- رواه مسلم.
٦٤- البقرة: ٢٨٣ .
٦٥- البقرة: ٢٨٢ .
٦٦- مسند ابي حنيفة للحارثي.
٦٧- التغابن: ١٤ .
٦٨- رواه البخاري.
٦٩-٧٠- رواه مسلم.
٧١- آل عمران: ١٣٤ .
٧٢-٧٣- رواه البخاري.
٧٤-٧٥- رواه الترمذي.
٧٦- رواه أحمد.
٧٧- رواه مسلم.
٧٨-٧٩- رواه البخاري.
٨٠- متفق عليه.
٨١- الاسراء: ٣٣ .
٨٢- سيد قطب، السلام العالمي والاسلام ص١٣٧، والآية ٤٥ من المائدة.
٨٣- النور: ٢ .
٨٤- المائدة: ٣٨ .
٨٥- المائدة: ٣٣ .
٨٦- النور: ٢٧-٢٨ .
٨٧- المائدة: ٧٨-٧٩ .

الاسراء والمعراج
معجزة خارج نطاق مألوف البشر

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾ الاسراء: ١ .

هذه الاية الكريمة تتحدث عن أمر خارق للعادة، وفوق قدرة البشر وأعلى من مستوى العقل الإنساني والفكر البشري وتتجاوز جميع الأعراف المعتادة والقوانين الطبيعية ونواميسها، فهي لا تخضع لأي عرف أو عادة، وغير قابلة لأن تطبق عليها القوانين الطبيعية والفيزيائية، لاننا مهما استخدمنا من وسائل النقل التكنولوجية العابرة للقارات، فلا يمكن السفر من مكة المكرمة الى بيت المقدس ثم الى السموات العلى ذهابا وايابا في جزء يسير غير محسوب من الزمن.

فما بالك اذا حدث هذا في وقت كان اسرع وسائل النقل فيه، تحتاج لشهر ذهابا وشهر ايابا بين مكة المكرمة وبيت المقدس، وكان مجرد التفكير في الصعود الى الفضاء ضربا من الخيال ونوعا من الجنون، ولكن ارادة الله لا يحدها زمان ولا مكان، فلما أراد الله تعالى تكريم حبيبه وخليله ورسوله محمد ﷺ وتزويده بمعجزة خارقة، حقق له هذه الرحلة الطويلة عبر مسافات طويلة جدا على الارض ثم عبر الفضاء مجتازا السموات السبع ليصل الى سدرة المنتهى، وهيأ له وسائل النقل

المناسبة لهذه الرحلة.

وهذا كله دليل على ان هذه المعجزة، ليست من صنع بشر، وتدل على صدق الرسول الكريم ﷺ في رسالته السماوية، وأنه يتلقى التوجيه والدعم والتأييد من الله سبحانه و تعالى، الذي أراد تأكيد صدقه للبشر بأن اجرى له هذه المعجزة التي تخرج عن نطاق قدرة الانسان وتتجاوز مستوى تفكيره وعقله، وبذلك تتجلى عظمة الرسالة التي ارسلها الله سبحانه وتعالى على يدي رسوله محمد ﷺ.

إن محمدا ﷺ هو رسول الله وخاتم الأنبياء والرسل، وهم أخيار البشر والمصطفون من بينهم لحمل الامانة وتبليغ الرسالة وهداية البشرية جمعاء، فكان من الطبيعي ان يخصهم الله تعالى بمواهب عقلية وروحية، ويمدهم بفضائل خلقية ونفسية عالية تؤهلهم لتحمل اعباء الرسالة، والنهوض بأهدافها التي جعل الله فيها كل الخير للبشرية جمعاء، وهم بشر مثل غيرهم من البشر يأكلون ويشربون ويمشون في الاسواق، قال تعالى: ﴿**إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**﴾ الكهف: ١١٠ .

وبحكم بشريتهم فليس لهم اي تصرف في هذا الكون، ولا يستطيعون إجراء أي تعديل او تغيير على إرادة الله سبحانه وتعالى، ولا على نواميس هذا الكون التي أوجدها الله سبحانه وتعالى، ولا أن يؤثروا في قدر الله وما كتبه من خير او ضر لأي كان من البشر وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أراده الله لهم بما يمكنهم من إقناع البشر لقبول الرسالة وتثبيت أقدامهم، وشحذ هممهم لتحمل أعباء الامانة التي شرفهم بها رب العالمين.

ولأن محمدا ﷺ رسول من هؤلاء الرسل، وهو أفضلهم وأقربهم صلة برب العالمين، ولأن الله سبحانه وتعالى كان يرعاه منذ نعومة أظفاره ويعده بالتأييد والدعم والنصر في كل عمل يقدم على فعله: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ البقرة: ٢٥٣ .

ونظرا لما كابده الرسول ﷺ من أهل بلده من عناد وتنكر وإساءة واضطهاد واعتداء وتكذيب، فقد اراد الله سبحانه وتعالى ان يكرمه بهذه المعجزة، ليطمئنه

بأن الله سبحانه وتعالى معه يثبت اقدامه، ويشحذ همته ليروح عن نفسه استعدادا لبدء مرحلة جديدة من نشر الدعوة الاسلامية وإقامة الدولة الاسلامية، التي تعتمد على الايمان بالله ويسودها العدل والمساواة والرفاه الاجتماعي، لأن الايمان قد تم بالاسلام وقد كان ﷺ يلاقي من قومه مدة اثنتي عشرة سنة، كل إعراض وتكذيب واستهتار وعناد واستكبار، وقد تفننوا في اساليب إيذائه هو وأصحابه رضوان الله عليهم، فاشتد عليه البلاء وخاصة بعد وفاة عمه ابي طالب فخرج من مكة الى الطائف رفقة مولاه زيد بن حارثة، آملا ان يلقى عند اهلها استجابة لدعوته ونصرة للحق الذي يرشد اليه، لكن ما وجده من أهل الطائف لم يكن اقل سوءا واستنكارا من اهل مكة، فلم يجد احدا يؤويه وينصره ويؤيده ولم يجد من يمنعه ويؤازره في نشر دعوته بل أخذوا يحرضون عليه سفهاءهم واطفالهم لرميه بالحجارة، حتى ادموا قدميه فاضطر الى العودة الى مكة، وفي طريق عودته كان يردد هذا الدعاء الخاشع: **"اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس.. انت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي..".**

فرجع الى مكة وليس فيها من يحميه أو يمنعه من الشدة والايذاء، وفي خضم هذه الظروف القاسية التي كان يمر بها ﷺ جاءت هذه الرحلة المعجزة، رحلة الاسراء والمعراج تكريما خالصا لرسول الله ﷺ، وشعر أنه دائما في كنف الله وفي جزيل فضله وجليل نعمه وفيض عطائه وكرمه، يؤيده بما يثبته ويقويه، ويمسح عن قلبه الاحزان ويسليه ويرفعه الى خير مقام يسعده ويرضيه، وفي ذلك ما يشعره بجلال مهمته وعظم دعوته وأعباء رسالته، فمضى بعزم قوي وصبر طويل وثبات دائم في طريق الهداية والتبليغ، لا توهن عزيمته الشدائد، ولا تصده عن رسالته الاهوال.

وتحضيرا وتهيئة للرسول ﷺ وإعدادا له ليتحمل اعباء هذه الرحلة الطويلة، أتاه آت فشق صدره وأخرج قلبه وغسله بماء زمزم، ثم حشي ايمانا ويقينا ثم أعيد إلى

مكانه ثم أرسل الله تعالى، وسائل السفر المناسبة لقطع هذه المسافة الطويلة بين مكة المكرمة وبيت المقدس، ثم بين الارض والسموات العلى عند سدرة المنتهى والبيت المعمور.

وأنجز الله تعالى هذه الرحلة المعجزة، فأسرى بعبده ﷺ الى بيت المقدس فنزل هناك وصلى بالانبياء إماما، وربط البراق بحلقة باب المسجد الاقصى، ثم عرج إلى السموات العلى بواسطة المعراج، مخترقا أجواء الفضاء ما بين الارض والسماء محتملا كل ما فيها من تغيرات بيئية ومناخية، بفضل الإعداد الذي هيئه الله تعالى له بشق الصدر وغسل القلب وحشوه ايمانا ويقينا.. ويرجع رسول الله ﷺ من رحلته المعجزة إلى مكة قبل ان يبزغ فجر الصباح.

إن رحلة الاسراء والمعراج الخارقة التي أكرم الله تعالى بها رسوله ﷺ لم تكن استجابة لمطالب القوم وإلحاحهم عليه بأن يأتي لهم بالمعجزات والخوارق لكي يصدقوه ويؤمنوا به، بل كانت تكريما للرسول ﷺ وترويحا عن نفسه وتثبيتا لأقدامه، وإعدادا للرسول ﷺ لتحمل أعباء الهجرة من مكة الى المدينة، والصبر على الجهد الشاق الطويل في سبيل الله، وخوض المعارك الطاحنة الدامية مع أعداء الله استئصالا لجذور الفساد، وإنقاذا للبشر من ظلام الكفر وتطهيرا للنفوس من ضلال الأهواء، وإحياء للقلوب بنور الاسلام: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ❖ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا إلى الله تصير الامور﴾** الشورى: ٥٢ .

وما نود التركيز عليه وبيانه، هو أن هذه الرحلة المعجزة كانت بالجسد والروح معا، وكانت رؤية لا رؤيا في المنام، لأن الأحلام والرؤى في المنام يمكن ان تحدث مع جميع البشر حتى المشركين، ولا يمكن ان يعظم الله تعالى نفسه لحلم رآه رسوله في المنام، بل إن استعظام الله تعالى لنفسه بسبب الإسراء والمعراج، دليل على ان الأمر غير معهود ولا مقدور لأحد من البشر، ولو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط لم يكن ثمة

ما يقتضي هذا الإستعظام وذلك التعجب، وإنما يظهر وجه الإستعظام والتعجب في كون الإسراء والمعراج بالجسد والروح معا، والآيات الكريمة التي تدل دلالة واضحة على أن هذه الرحلة المعجزة حدثت بالجسد والروح معا، منها قوله تعالى: **﴿أفتمارونه على مايرى ❖ ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى ❖ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❖ ما زاغ البصر وما طغى﴾** النجم: ١٢-٨ .

فالمراء والجدال لا يكون في رؤيا منامية لأنها ممكنة لكل إنسان، وإنما كانا في الرؤية الحقيقية بالعين وهي أداة الإبصار وهي جزء مادي محسوس من الجسم، وكذلك في الآية التالية يقول رب العزة: **﴿ولقد رآه﴾** وكما أسلفنا فالرؤية والإبصار لا تكون إلا بالعين وقوله تعالى: **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾** النجم: ١٧، يدل دلالة واضحة ان الرؤية كانت رؤية بالعين فعبر عنها بقوله: **﴿البصر﴾** الذي يعني الرؤية ولا يعني الرؤيا المنامية، وهذا كله يؤكد ان رحلة الاسراء والمعراج قد حدثت بالجسد والروح معا، وليس كما يحلو للبعض بأن يدعي أنها حدثت بالروح فقط فهي رؤيا روحية رآها الرسول ﷺ في منامه استنادا الى الأدلة التي اوردناها سابقا!.

وختاما نقول: إن رحلة الاسراء والمعراج، لو كانت حلما في المنام ما كانت فيها آية ولا معجزة، ولا استعظام الله لنفسه ولا استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء الايمان ممن كان قد أسلم، إذ أن مثل هذه الاحلام لا ينكرها أحد، وإذن ما كان إنكار الكفار واستبعادهم وتكذيبهم واستغرابهم لهذه الرحلة، إلا لأنهم أدركوا وفهموا أنها تمت بالجسد والروح.

وهذه الرحلة المعجزة فيها الكثير من الآيات والخوارق، لا يتسع المقام للحديث عنها، واكتفينا بتوضيح أمر واحد وهو أنها كانت بالجسد والروح ولم تكن بالروح فقط على شكل حلم في المنام، خاصة وان الرسول ﷺ لم ينسب أمر الرحلة ومجرياتها لنفسه، بل هي إرادة الله تعالى أجراها على عبده ونبيه وخليله وحبيبه محمد ﷺ.

الإسـراء والمعـراج.. دروس وعبر

■ بقلم الاستاذ هاشم محمد علي

يقول رب العزة سبحانه: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

شاء الله الذي لا راد لمشيئته سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيء، أن يمن على حبيبه المصطفى ﷺ برحلة مباركة طيبة هي الإسراء والمعراج.

فما الإسراء والمعراج؟ وما صفته؟ وما الدروس المستفادة منه؟

أما الإسراء: فهي رحلة أرضية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج: فهي رحلة سماوية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله ﷺ من بيت المقدس إلى السموات العلا ثم إلى سدرة المنتهى ثم اللقاء بجبار السموات والأرض سبحانه.

وينبغي العلم أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح معاً، واستدل العلماء على ذلك بقول رب العزة سبحانه: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** والتسبيح هو تنزيه الله عن النقص والعجز وهذا لا يتأتى إلا بالعظائم، ولو كان الأمر مناما لما كان

مستعظما ثم بقوله تعالى : بعبده والعبد يطلق على مجموع الجسد والروح .

إن المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء، وهو مؤمن بقدرة الله القادر المقتدر: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾** المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء والمعراج وهو يقرأ في كتاب الله عز وجل، أن الله تعالى أنزل عبدين من عباده من السماء إلى الأرض ورفع عبدا من عبيده من الأرض إلى السماء أنزل آدم وزوجه: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾** البقرة: ٣٨، ورفع عيسى عليه السلام: **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾** آل عمران: ٥٥، فكيف نستكثر على رسول الله ﷺ أن يعرج به مولاه؟

المؤمن يقرأ في كتاب الله عز وجل، أن الله تعالى وهب عبدا من عباده القدرة على نقل عرش ملكة سبأ من جنوب اليمن إلى أرض فلسطين في رمشة عين: **﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ❖ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ❖ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾** النمل: ٣٨-٤٠، فإذا كانت هذه قدرة عبد، فكيف بخالقه؟ وإذا كانت هذه إمكانية موهوب، فكيف بالواهب سبحانه؟.

إن من الحقائق العلمية أن القوة تتناسب تناسبا عكسيا مع الزمن، فكلما زادت القوة قل الزمن فكيف إذا كانت القوة هنا هي قوة الحق سبحانه؟ لذا جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ أسري به وعرج وعاد وفراشه لم يزل دافئا ﷺ.

❖ أما صفة الإسراء والمعراج:

فآلة الركوب كانت هي البراق، ((أتاه به جبريل فكانت تضع حافرها عند منتهى طرفها، صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماما في بيت المقدس، ثم صعد إلى السموات العلا واطلع على أهل الجنة واطلع على أهل النار، اطلع على أهل الجنة فأري رجالا يزرعون يوما ويحصدون يوما كلما حصدوا عاد الزرع كما كان قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يخلف الله عليهم ما أنفقوا)) **﴿وما**

أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ سبأ: ٣٩، ((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: ((اللهم أعط ممسكا تلفا))، ويقول الآخر: ((اللهم أعط منفقا خلفا)).

((رأى النبي ﷺ رجالا وأقواما ترضخ رؤوسهم بالحجارة قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة)).

العقول والرؤوس التي كانت تحترم كل لقاء وموعد بشري يزيد من رصيدها ويزيد من مالها تخرج مبكرة وتعود في آخر ساعات الليل ولكنها تنسى موعدها مع الله عز وجل في موقف بين يديه في خمس صلوات مثل هذه الرؤوس لا وزن لها ولا كرامة عند الله وتستحق يوم القيامة الرمي بالحجارة ((ورأى النبي ﷺ أقواما يسرحون كما تسرح الأنعام، طعامهم الضريح (نبت ذو شوك) قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم))، وأي درك حيواني يبلغه الغني المسلم عندما يفتقد مشاعر الأخوة، مشاعر الرحمة والرأفة بالضعيف الفقير، ومثل هذا يستحق أن يحشر يوم القيامة على صورة الحيوان،

((ورأى النبي ﷺ رجالا يأكلون لحما نتنا خبيثا وبين أيديهم اللحم الطيب النضج قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء رجال من أمتك تكون عند أحدهم المرأة بالحلال، فيدعها ويبيت عند امرأة خبيثة حتى يصبح))، المؤمن ينأى بمائه أن يضعه إلا في الموضع الكريم الطاهر.

وتجتنب الأسود ورود ماء

إذا كان الكلاب ولغن فيه

أما النفس الهابطة أما النفوس العفنة فإنها لا تبالي أن يكون الفراش طاهرا أم نجسا: ((ورأى النبي ﷺ نساءا معلقات من أثدائهن قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللواتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهن)) أجمل ما في الرجل غيرته وأجمل ما في المرأة حياؤها ولكن من علامات قرب الساعة زوال ذلك كما جاء في الأثر: (إذا كان آخر الزمان رفع الله أربعة أشياء من الأرض رفع البركة من الأرض والعدل من الحكام والحياء من النساء والغيرة من رؤوس الرجال).

و ((عندما بايع النبي ﷺ نساء مكة، على ألا يزنين ولا يسرقن غطت هند بنت

عتبة وجهها وقالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟))، استكثرت أن تبايع على هذا الأمر الذي تستقبحه المرأة الحرة فضلا عن أن تكون امرأة مسلمة.

❖ الدروس المستفادة من حادثة الإسراء والمعراج:

● **درس في النبوات،** صلاة النبي ﷺ بالأنبياء إماما له دلالتان.. هي وحدة الأنبياء في دعوتهم فالكل جاء بالتوحيد الخالص من عند الله عز وجل، الأنبياء إخوة ودينهم واحد: **﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** الأنبياء: ٢٥، وما جرى في اليهودية والنصرانية من الانحراف إنما هو بفعل أيديهم: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾** التوبة: ٣٠ .

صلاة النبي ﷺ بالأنبياء إماما لها دليل ولها دلالة أن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبوة بعد رسول الله ﷺ ولا رسالة: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** الأحزاب: ٤٠ .

● **درس للدعاة إلى الله تعالى،** عاد النبي ﷺ من رحلته الميمونة المباركة أراد أن يخرج للناس حتى يبلغهم فتشبثت به أم هانئ بنت أبي طالب تقول له: يا رسول الله إني أخشى أن يكذبك قومك فقال ﷺ: ((والله لأحدثنهموه))، (سأخبرهم وإن كذبوني) درس للدعاة إلى الله عز وجل أن يبلغوا أمانة الله تعالى رضي الناس أم غضبوا، رسول الله ﷺ يقول: ((ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه واسخط عليه الناس))، وإذا كان أنبياء الله عز وجل يتهمون بالكذب والسحر والجنون، فليس في ذلك غرابة بعد أن يتهم الدعاة إلى الله في واقعنا بالتطرف والإرهاب والرجعية والتأخر.

● **درس في بناء الرجال،** والرجال لا يمكن بناؤهم إلا من خلال المواقف. عندما تحدث النبي ﷺ بأمر الإسراء والمعراج طفق القوم بين مصفق وبين واضع يده على رأسه تعجبا يقول ابن كثير: ((وارتد ناس ممن آمن بالنبي ﷺ)) فالأمر يحتاج إلى يقين بقدرة الله، ويقين بصدق المصطفى ﷺ فالمحنة تفرز حقائق الرجال



أفـرزت هذا النمـوذج الذي لم يسـتطع أن يسـتوعب الأمـر لضـعف إيمانه، وأفـرزت رجـالا كـأبي بكر الصديق: (جـاءته قـريش يقولون له: انظر ما قاله صاحبك إنه يدعي أنه أتى في بيت المقـدس وعـاد في ليلة، ونحن نضـرب إليه أكباد الإبل شهـرا ذهابا وشهـرا إيابا فـقال أبو بكر: وهو قـال ذلك، قالوا: نعم، قال: إن كان قد قال فقد صدق) إيمان ثابت لا تعـبث به الدنيـا ولا تزلزله الجبال، إيمان قد استقام على حقيقة منهج الله عز وجل.

● **درس في معـية الله عـز وجل لأنبـيائه وأوليــائه،** طلبت قـريش من النبي ﷺ أن يصف لها بيت المقدس، ورسول الله ﷺ قد جاءه ليلا ولم يكن قد رآه من قبل يقول ﷺ: ((فـأصابني كـرب لم أصب بمثله قط))، أي أن الأمـر سيفضح أي النبي ﷺ سوف يتهم بالكذب، ولكن حـاشـا لله أن يتـرك أوليـاءه يقـول ﷺ: فـجلى الله لي بيت المقـدس فـصـرت أنظر إليـه وأصـفـه لهم باباً بابا وموضعاً موضعا، **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: ٥١ .

● **درس لكل صـاحب هم صـاحب قلب مكلوم،** ألا يلتفت قلبه إلا إلى الله عـز وجل رسول الله ﷺ رجل واحد يحمل هم الدنيا كلها، رجل واحـد يحـمل أمـانة تنوء بهـا الجبال، ماتت زوجه السيدة خديجة رضي الله عنهـا التي كان يأوي إليـها عند تعبه، مـات عمه أبو طالب الذي كان يحميه كان يبحث عن رجـال صـدق يعينونه في تبليغ أمـر دعـوة الله عـز وجل، ذهب إلى ثقيف ولكنها ردته رداً سيئـا وأغرت به السفهاء فـضـربوه بالحـجارة، حـتى أدميت قـدماه الشـريفـتـان، لجـأ النبي ﷺ إلى حـائط وأخـذ يناجي رب العـزة سـبحـانه: **((اللهم إليك أشكو ضـعف قـوتي وقلة حـيلتي وهـواني عـلـى الـنـاس، إلـهـي أنـت رب المستضعفين، أنت ربي إلـى من تكلني، إلى بعيد يتـجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، أعـوذ بنـور وجـهـك الذي أضـاءت له الظلمات، وصلح عليه أمـر الدنيا والآخرة من أن ينزل علي غـضـبك أو أن تحل بي عقوبتك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله)).**

يبـرأ النبي ﷺ من حـوله وقـوته إلى حـول الله وقـوته ويأتي حـادث الإسـراء والمعراج إيناسا وتكريماً للمصطفى ﷺ.

● **درس في الجهاد،** رأى النبي ﷺ البيت المعمور وهو بمنزلة الكعبة في السماء، تحجه الملائكة هناك ((رأى النبي ﷺ جند الله عز وجل من الملائكة يدخلون البيت المعمور في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة)) ﴿**ولله جنود السموات والأرض ولا يعلم جنود ربك إلا هو**﴾.

فلماذا إذاً فرض الله علينا الجهاد؟ وهو القادر بكلمة كن فيمكن أن يبدل الحال غير الحال ولله عز وجل جنود الأرض والسماء؟ يريد الله تعالى ألا يتنزل نصره على كسالى يبخلون على الله بأنفسهم، إن الله تعالى يحب أن يرى الدماء تراق لأجله ويحب الله تعالى أن يرى الأموال تبذل لأجله وهذا عبد الله بن جحش في غزوة أحد رفع يده بدعاء، وتأمل في دعائه يقول: ((اللهم إنك تعلم أنه حضر ما أرى (أي من التقاء الجيشين) فأسألك ربي أن تبعث إلي رجلا كافرا صنديدا قويا يقتلني ويجدع أنفي وأذني ويضعها في خيط (زيادة في النكال والتمثيل) ثم آتيك ربي بدمي فتقول: فيما ذاك يا عبد الله؟ فأقول: فيك يا رب، فيك يا رب قد تمزق جسدي وسال دمي))، أمنية يتمناها المسلم عند الله عز وجل: ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)).

● **درس في الصحوة الإسلامية،** تأمل العلماء الربط بين إسراء النبي ﷺ من البيت الحرام إلى بيت المقدس، فذكروا أن مكة هي رمز للإسلام لدين الله عز وجل وبيت المقدس هو رمز لحال المسلمين، فما يجري في تلك الأرض هو علامة صحوة المسلمين أو غفلتهم، وجذوة الجهاد التي انطلقت من هناك دليل على أن أمر الغيرة ما زال في الأمة وأنه ما زال فيها جيل وأنه ما زالت فيها الرغبة في أن تعود إلى الله عز وجل، أن تعود إلى زعامة محمد ابن عبد الله ﷺ وبيت الله عز وجل لا يتحرر إلا على أيد متوضأة طاهرة كريمة، أما الأيدي التي يحمل أصحابها أفكارا منحرفة وعقائد فاسدة وعلمانية كافرة، مثل هذه الأيدي لا يبارك الله فيها وحاشى لله أن يكتب لها النصر والتأييد مصداقا لقول النبي ﷺ: ((لتقاتلن اليهود فيختبأ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله)).

في رحاب
المسجد الأقصى المبارك

■ **بقلم الدكتور عمر الساريسي**

وربما كانت الوقفة الأولى، التي أقف فيها على بلاط المسجد، تعود إلى أوائل الأربعينيات من القرن الماضي، حينما كان والدي، رحمه الله تعالى، يصطحبني معه إلى الصلاة في المسجد الأقصى، فلم أستطع أن أستوعب كيف أن المصلي يفقد الاتصال بمن معه من الأطفال، عند الشروع في الصلاة، ويصير اتصاله بشيء لا يدركه الطفل، حيث يحس بالوحدة والغربة، قبل أن يعود إليه والده، من الصلاة.

وكان الكبار فينا يأخذوننا إلى عمودين حجريين، أقيما داخل المسجد في غرفة صغيرة على يمين المحراب، ليقولوا لنا: انظروا هذه (مصارين) الكذاب! فتأخذنا الرهبة من الوقوع في زلة الكذب، فالعمودان مصنوعان على شكل جديلتين من الحجر، بمهارة النقش والحفر، فيفهم الصغير أن أمعاءه تتلوى وتعصر عصراً شديداً، إذا وقع في هذه الآفة، بعد اليوم، إنه توجيه أخلاقي ذكي.

وعلى مبعدة قصيرة من هذين العمودين، يأخذك الكبار في المسجد الأقصى، إلى عمود ثالث ليقال لك: انظر إلى صورة صلاح الدين الأيوبي، الذي حرر هذا المسجد من الاحتلال الصليبي، أين الصورة؟ ليس على العمود صورة، حدِّق

في القشر الرخامي، ثم حدقّ أكثر لتجتمع لديك صورة واضحة لصلاح الدين، بلحية كثة وشاربين، في وجه تطفح منه التقوى والحزم والعزم، إن ذلك مرسوم بيد صناع، على وجه الرخام ويخفى ويدق عليهن حتى لكأنك تراه من فوق سطح مائي شفيف صفيق! إنها المهارة الهندسية الفائقة.

أمر ثالث أذكره هناك، ولكن على الصخرة التي أقيم عليها مسجد قبة الصخرة. إن الناس كانوا يحدثوننا أن الصخرة التي عَرَجَ عليها رسولنا الكريم ﷺ، غير مستقرة على الأرض، ملتصقة بها مثل سائر الصخور، ولكنها منذ زمن المعراج إلى اليوم طائرة في الهواء، تعلقاً به ﷺ وتعشقاً، بالله! كيف يمكن لصخرة كبيرة أن تنفصل عن الأرض التي هي جزء منها، وترتفع عنها وتهم بالطيران إلى الأعلى؟ وعندما شاهدناها، ومن جهاتها الأربع، ومن غرفة في أسلفها، قيل: إنها مبتدأ العروج، وجدنا أنها مطمئنة إلى أرضها راسية عليها مثل سائر الصخور.

إن الذهنية الشعبية تميل إلى التجسيم وجعل المتخيل في صورة محسوسة. ولا أنسى المزولة المثبتة على درجات الصعود إلى مسجد قبة الصخرة من كأس المتوضأ بين يدي المسجد الأقصى، وقد ثبتت لمعرفة أوقات الصلاة في النهار، من انعكاس نور الشمس وما يكون في ظل قضيب معدني تحيط به أرقام الساعة.

السباحة على بلاط المسجد الأقصى:

لم أعرف في حياتي، حتى الآن، لحظات من السعادة والحبور، سعدت بها نفسي وغمرت بها روحي، أكثر من تلك اللحظات التي كنت أعيشها، إذا تمشيت على بلاط ساحات المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، خارج المسجدين وداخل المسجدين.

في التوجه للصلاة في الحرم القدسي:

فإذا اقترب موعد الصلاة، وأخذ الشيخ عبد الله يوسف، رحمه الله تعالى، يتلو من كتاب الله العزيز آيات بينات، واتجهت نحو باب الحرم الشريف أحسست أن للرخام من تحت قدميك، زهوا يكاد يكون مسموعاً، وفرحاً يكاد يكون منظورا! وأن لحفيف أشجار الحرم غناء سماوياً يتجاوب مع ما تسمع من آي القرآن الكريم جذلاً ورواء، وتسمع للطيور من على أفنان الأشجار زقزقة وحبورا وانتعاشاً، فيجتمع

لك من كل هذه اللوحات المرئية والصور والأحداث المسموعة، والروائح ينفح شذاها الأروقة، يجتمع لك من كل هذا وذاك تسبيح لله تعالى واستغفار وعبادات، وإذا أنت وكأنك في عالم روحاني، يرتقي عن عوالم الناس، وإذا أنت على الأرض وكأنك تسبح في بحر متلاطم، يسير بك في موكب روحاني، يتجه نحو بيت من أكبر بيوت الله تعالى على الأرض، حتى إذا ما أظلتك أروقة الحرم من الداخل واستمعت للشيخ القزاز، رحمه الله تعالى، يرفع الأذان لله تعالى، وارتقى الشيخ جميل الخطيب، رحمه الله تعالى المنبر بطيلسانه المهيب وبيده الصولجان الرهيب، فإذا أنت ترتقي بروحك، في أجواء روحانية عليا، تعاهد الله تعالى فيها، أن تعمل على الحفاظ على هذا المسجد، بكل ما لديك ولدى الأمة من قوة، المسجد الذي هو قبلة المسلمين الأولى وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

في شرف المجاورة:

ولا يحس بما أحسستُ من السعادة في ولوج المسجد الأقصى للصلاة إلا من عاشها وسعد بها، وقد قيل: "لا يعرف الشوق إلا من يكابده"، وإني لأشكر الله تعالى شكراً كثيراً أن أتاح لي فوق ذلك، أن أجاور المسجد الأقصى وأعيش في أكنافه سنوات الدراسة في المرحلة الثانوية، في المدرسة الرشيدية، خارج سور القدس القديم.

إن القدس الشريف كان محط رحال الحجاج والمعتمرين، تكملة لحجهم وعمرتهم، وكذلك علماء المسلمين ورحالتهم، فقد جاور فيها الليث بن سعد، وأبو الدرداء، وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تعالى. وقد سكن فيها الصحابي عبادة ابن الصامت وأبو ريحانة. وممن زارها من الصحابة أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب وبلال بن رباح وأبو ذر وأبو هريرة وسلمان الفارسي وكعب الأحبار.

وقد أتيح لي أن أنال شرف مجاورة المسجد الأقصى، كما قلت، فيما بين عامي ١٩٥٢- ١٩٥٦م، وأسكن في حي باب السلسلة، أحد الأبواب الداخلية للحرم من الجهة الغربية، في بيت من بيوت آل سرندح الكرام، من المقادسة الطيبين. وسكنت أيضاً في باب حُطة، أحد أبواب الحرم الداخلية، التي تفضي لها من الجهة الشمالية من باب الساهرة. وذلك بحكم تلقي العلم في المدرسة المذكورة الثانوية

مقابل باب الساهرة من أبواب سور القدس، من جهة الشمال.

علال الفاسي:

وفي باب حطة سكنت أيضاً مجاوراً للحرم من الناحية الشمالية، وفي الغرف الشمالية للحرم كانت تنعقد دروس في الدعوة الإسلامية، أذكر من علمائها الداعية المغربي المشهور علال الفاسي، رحمه الله تعالى، ومن عمان يأتي للدعوة إلى الله تعالى محمد نمر وهبة ومنصور الحياري رحمهم الله.

ولله در الشاعر القائل:

فتلك ربوع الأنس في زمن الصبا

أُهيم بساح القدس ما هبت الصبا

سلامي على تلك المعاهد والربى!

وما زلت في شوقي إليها مواصلا

المدرسة الرشيدية (الساهرة على باب الساهرة)

ومن الذاكرة استخرج أياماً لا تنسى قضيتها في طلب العلم في المرحلة الاعدادية والثانوية فيما بين عامي ١٩٥٢-١٩٥٦م في المدرسة الرشيدية في القدس.

لقد بنيت المدرسة هذه عام ١٩٠٨م، في عهد الخليفة العثماني محمد رشاد، ولذلك عرفت بالرشادية ولا أدري كيف تحول الأسم إلى الرشيدية. بنيت خارج سور الحرم القدسي، قبالة أحد أبوابه المشهورة، من جهة الشمال، وهو باب الساهرة.

يتألف البناء الأول من طابقين كبيرين، في كل طابق ثماني غرف صفية متقابلة، تتسع الواحدة لخمسين طالباً، ثم أضيف إليها بعد عام ١٩٤٨ مبنيان أخران، على الجانبين، أحدهما غرف صفية والأخر للمختبرات العلمية ولتدريس المواد المهنية التطبيقية.

وكانت المدرسة الثانوية الكبرى في مدينة القدس فضلاً عن مدارس رام الله وأريحا. ويرشح للدراسة فيها من كان متفوقاً من الطلاب في الصف السابع الابتدائي، من القدس، ومن القرى المحيطة بمدينة القدس.

ولقد كانت هذه المدرسة تعج ممثلي الحياة الحزبية النشيطة بمختلف انتماءاتها، من معلمين وطلاب، كما هو معروف في الخمسينات في الأردن

وفلسطين.

من التراث في فضائل بيت المقدس:

نعدد أولاً أبرز ما كتب حول فضائل المسجد الأقصى، في كتب التراث، على الرغم من أننا لا نريد أن يكون بحثنا هذا أكاديمياً تاريخياً بحتاً:

١) فضائل بيت المقدس- ابن الجوزي

٢) الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى - ابن عساكر.

٣) كتاب الأنس في فضائل القدس- ابن هبة الله الشافعي.

٤) باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس- ابن الفركاح.

٥) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام- أحمد بن محمد المقدسي.

٦) الروض المغرس في فضائل بيت المقدس- الحسين بن أحمد الحسيني.

٧) الأنس الجليل بتاريخ القدس الخليل- مجير الدين العلمي الحنبلي.

وقد قامت النية على أن ينعقد الحديث عن المسجد الأقصى في هذا البحث على واقعه المعاصر، وما يستوحى من مستقبله المجهول، الذي لا يعلم إلا الله متى سينهض المسلمون لاسترداده وتحريره، كما حرره المجاهدون من الفرنجة وصلاح الدين الأيوبي بعد احتلال دام واحداً وتسعين عاماً.

اختيار رباني خاص:

ورأس ما يقال في هذه المدينة المقدسة: إنها من اختيار الله تعالى، شرّفها بالمسجد الأقصى، كما شرف مكة المكرمة بالبيت الحرام، فكما أوحى إلى إبراهيم، عليه السلام، أن يقيم الكعبة على أساس قديم كذلك أوحى لداود وسليمان أن يقيما المسجد الأقصى - الأبعد- على أساس قديم.

ومن إرادته تعالى أن جعل يوم تحريرها على يد صلاح الدين وجنده في السابع والعشرين من شهر رجب عام ٥٨٣م. والمعروف أن حادث الإسراء والمعراج قد تم أولاً في ٢٧ رجب (من السنة التاسعة لبعثته ﷺ)! أليس ذلك تذكيراً من الله تعالى للمسلمين بأن تظل القدس إسلامية؟.

في حديث رسول الله ﷺ:

وفي حديث رسول الله ﷺ، ما ينبيء

بذلك، قال ﷺ: «أن أول ما بني من المساجد المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون عاما» صحيح مسلم ٣٧٠/١ الحديث ٥٢٠.

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله، افتنا في بيت المقدس، قال: «ارض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه» (سنن ابن ماجة ٤٥١/١ الحديث ١٤٠٧).

وعما أصاب المسجد الأقصى ونصيبه من كيد الأعداء يقول ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

بل إن حديثاً آخر عن رسول الله ﷺ، يؤكد حتمية هزيمة اليهود في فلسطين في نهاية الأمر، قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعالى فاقتله". وقال عن شجر الغرقد شيء يشبه هذا الحديث.

المرجعية الأولى:

ويمكن اعتبار أحاديث الرسول، ﷺ هذه، بما فيها حديث الإسراء المعراج، هي المرجعية الثانية في تثبيت منزلة بيت المقدس في التاريخ وفي الإسلام. أما المرجعية الأولى فهي التي قدمت بها هذه الفقرة من البحث، من أن الله تعالى هو الذي اختارها فكانت في هذا المكان.

وقد كان سيدنا يعقوب، عليه السلام، أول من أقام هذا المسجد الأبعد عن مكة- ولذلك سمي الأقصى- كما ورد في حديث رسول الله ﷺ، وربما مرت عليه أقوام آخرون فلم يعتنوا به، وربما ألقوا عليه القاذورات، لكن الرسول ﷺ، قد أعاد إليه الإحترام، حينما ذكر أن فيه صلى بالأنبياء، قبل رحلة المعراج، ووصفه لهم بعد العودة إلى مكة، وحينما تسلم عمر رضي الله عنه، مفتاح القدس من الأب صفرونيوس، بحث عنه وتعرف عليه من حديث المصطفى ﷺ.

إن فيها قوماً جبارين:

ورد في القرآن الكريم أن قوم موسى عليه السلام، تأبوا عليه، فرفضوا دخول الأرض المقدسة (فلسطين)، وقالوا: "إن فيها قوماً جبارين، وإنا لن ندخلها ما داموا فيها"، كما ورد في القرآن الكريم.

وتروي كتب التاريخ أن الإثني عشر نقيباً الذين أرسلهم موسى عليه السلام، إلى الأرض المقدسة لقيهم عوج بن عنق فيها، فجعلهم في حجزته، حول وسطه، وعلى رأسه حمل حطب، وانطلق بهم إلى امرأته وقال لها: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتلنا، فطرحهم بين يديه فقال: ألا أطحنهم بقدمي؟ قالت: لا، بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا".

وكانت العصابة منهم تجتمع على عنق الرجل من الجبابرة حتى يستطيعوا قطعها، فلما خرجوا قال بعضهم لبعض: إن أخبرتم قومكم بما رأيتم فإنهم سيرجعون عن نبي الله، ولكن اكتموا وأخبروا النبي فقط، فانطلق عشرة منهم فأخبروا الناس، وكتم الخبر رجلان، ثم قام يوشع خليفة موسى باقتحام فلسطين، عن طريق امرأة في أريحا، وهدم البيوت على رؤوس أصحابها، وأحرقها عليهم.

في وصف بيت المقدس

جاء في كتاب "أحسن التقاسيم" للمقدسي الذي كتبه عام ٣٧٥هـ: "بيت المقدس ليس في مدائن الكورة (المنطقة) أكبر منها، لا شديدة البرد وليس بها حر، وقلما يقع بها ثلج، وسألني قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت: سجسج، لا حر ولا برد، قال: هذه صفة الجنة، بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائها ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مساجدها، ولا أكثر من مشاهدها، عنبها خضير وليس لمعتقها نظير، ومنها كل حاذق وطبيب، وإليها قلب كل لبيب، ولا تخلو كل يوم من غريب".

في صفة الجنة:

وقال: كنت يوماً في مجلس القاضي، ابن يحيى بن مهران بالبصرة، فجرى ذكر مصر، إلى أن سئلت أي بلد أجل؟ قلت: بلدنا، قيل: فأيهما أفضل؟ قلت: بلدنا. قيل: فأيهما أحسن؟ فقلت: بلدنا. فتعجب أهل المجلس من ذلك، فقلت: أما قولي أجل فلأنها جمعت الدنيا والأخرة، فمن كان من أنباء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها، وأما طيب الهواء فإنه لا سم لبردها ولا أذى لحرها. أما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها. وأما

كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال، والأشياء المتضادة كالاترجَ واللوز والرطب والجوز والتين والموز، وأما الفضل فلأنها عرصة يوم القيامة، وفيها المحشر والمنشر، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي ﷺ، ويوم القيامة تزفان إليها فتحوي الفضل كله. "وإما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون بها" فأي أرض أوسع منها. (المقدسي ص ١٧٢).

على قمة جبل:

القدس مشيدة على قمة جبل، وإنها محاطة بسور، وعليها بوابات حديدية، زراعتها بعلية، وميزاتها كثيرة وخاصة زيت الزيتون حيث يملك أرباب عائلتها خمسين ألف مَنٍّ من زيت الزيتون (والمنَ يقدر بأربعة لترات) الذي يحفظ في الآبار ويصدر إلى الخارج، إن بها أسواقاً جميلة وأبنية عالية وعدد سكانها، عام ٤٣٨هـ، عشرون ألف رجل، وبها مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة (ناصر خسرو- سرنامة ص١٨).

وجاء في كتاب "فلسطين في العهد الإسلامي"على الرغم من أن الرملة كانت عاصمة المنطقة الجنوبية من بلاد الشام ودمشق عاصمة المنطقة الشمالية، إلا أنها كانت أشهر من الرملة، وتضاهيها لعظمتها وجمالها".

أخصب بقاع الأرض:

كانت القدس من أخصب بقاع فلسطين وبنيانها من الحجر، ولا يوجد اجمل منها، ولا يوجد أطيب من أهلها، ولا شيء أحلى من مأكولاتها، ومسجدها من أكبر المساجد ولا يوجد مكان إلا الأماكن المقدسة أكثر منها، عنبها كثير، والسفرجل لا مثيل له، وفيها جميع أنواع العلماء والأطباء، لذا تهفو إليها قلوب الأذكياء، لا تخلو شوارعها من الغرباء على مدار العام، ويقول المثل عن القدس: فريدة من نوعها في المدن، هي المدينة التي تجمع بين محاسن هذا العالم والعالم الآخر. كل واحد من أبناء هذا العالم تواق للعالم الآخر، يجد فيها سوقاً رائجة بضاعته، وكل من يبغي العالم الآخر بينما روحه متعلقة بمتاع هذا العالم، يجد في القدس أيضاً ما تصبو إليه نفسه. وهي من ألطف الأماكن مناخاً، فلا يقرص بردها ولا يلفح حرها، حليبها متوفر وعسلها وسكرها، يكفيها عظمة أنها ستكون أرض الميعاد ليوم الحساب،

حيث يجمع الخلق وينصب الميزان. نعم لمكة والمدينة مركزهما الديني السامي بسبب الكعبة والنبي، ولكن في الحقيقة سيأتي سكان المدينة إلى القدس يوم الحساب. والقدس من أوسع المدن حظاً لما تستجمع فيها جميع المخلوقات. فأي مكان على الأرض يمكن أن يكون أوسع منها؟!.

ويقول ناصر خسرو الذي زارها عام ١٠٤٧هـ إذا لم يستطع سكان المناطق التي حولها أن يذهبوا إلى مكة فإنهم يزورون القدس في وقت معين.

تتبع للقدس الأراضي التي حولها ضمن دائرة نصف قطرها أربعون ميلاً من القدس. وبذا يتبعها كثير من القرى، وعلى بعد اثني عشر ميلاً إلى الشرق تربض شواطئ البحر الميت، وعلى بعد خمسة أميال جنوباً توجد الصحراء، وفي الشمال تتصل بحدود منطقة نابلس. هذه هي الأرض التي باركها الله، جل جلاله. الأرض التي تكثر الأشجار على تلالها والتي لا تحتاج سهولها إلى إرواء أو إلى ماء الأنهار، موقع القدس على قمم التلال يحيط بها الأودية العميقة من جهات ثلاث. القدس مدينة عظيمة.

عشرون ألفا عام ١٠٤٧م:

وحين زيارة (ناصر خسرو ١٠٤٧هـ) كان عدد سكانها عشرين ألف نسمة، جميع شوارعها مبلطة بقطع الحجارة التي يقطعها السكان ويجعلونها مستوية يجري المطر إليها بسرعة وتغتسل أرضها وتتركها نظيفة. وبهذه المناسبة- أقول أنا كاتب هذه الأسطر: إنني عشت فيها أربع سنوات ولم أجد أن نقطة مطر قد بقيت في فصل الشتاء على سطح أرضها، فماء المطر يتسرب إلى القنوات التحتية فيها.

عروبة بيت المقدس: ليست مدينة داود

١) يزعم اليهود أن داود عليه السلام، هو من بنى مدينة القدس فصاروا يسمونها مدينة داود، إنها بنيت منذ ثلاثة آلاف سنة، بناها اليبوسيون - نسبة إلى يبوس- واليبوسيون كنعانيون اتخذوها عاصمة لهم، حتى أن نبي الله، إبراهيم عليه السلام، عرّج على ملكهم وهو مارّ بفلسطين، وكان ملكهم هذا موحدا كسائر الموحدين، واسمه ملكي صادق، من أهل البلاد الأصليين، والكنعانيون موجة من الموجات العربية المهاجرة من الجزيرة العربية، واليبوسيون فرع منهم.



فلما احتل داود القدس وأقام فيها دولة وخلفه عليها ولده سليمان، وكانت لهم في نابلس ولاية ثانية لم تدم أكثر من سبعة عقود، ولم يكن يتبع حكمهم غير مدينتي القدس ونابلس، وهنا يقول أستاذ الانثروبولوجيا الشهير حسن ظاظا في كتيب عن القدس، يقول: هي مدينة الله وليست مدينة داود فحسب.

٢) **حائط البراق** - يزعم اليهود أن النبي سليمان عليه السلام، قد بنى لهم هيكلاً للعبادة وقد هدم وخرب. ولم يثبت ذلك في التاريخ. وما هي إلا اختلاقات وتزييف على التاريخ. وحينما استعر الجدال حول هذا الجدار أعربي هو أم يهودي، كلفت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين عام ١٩٢٩م، على أثر مذبحة صارت هناك كلفت لجنة شو، ولجنة عصبة الأمم عام ١٩٣٠م بدراسة الأمر بشكل علمي، فكان رأي اللجنة أن الجدار إسلامي ليس لليهود فيه حق.

واليهود أصلا ليسوا من تركيبة القدس بل هم دخلاء، والغريب أن المعاهدة التي عقدت بين اليهود والعهد الأردني عام ١٩٤٩م قضت بأن يهيأ لمن يرغب أن يصل إلى هذا الجدار من اليهود وألا يمنع من ذلك، لكنهم استطاعوا أن يمتعوا من ذلك العام إلى عام ١٩٦٧م حينما احتلوا الضفة الغربية ومنها بيت المقدس، إن أهدافهم فيه سياسية وليست دينية، فضلا عن أتباع ناطوري كارتا اليهودية لا ترتاده أبدا.

٣) **عكف اليهود على الحفر تحت المسجد الأقصى، منذ احتلاله عام ١٩٦٧م**، بإشراف كاتلين كيونن وموشي دايان، لكنهم بعد الحفر الشاق الطويل لم يعثروا إلا على آثار الأمويين!.

الخلافة الأموية وعمارة المسجد الأقصى:

وقد كشف الحفر الذي أجهد فيه اليهود أنفسهم عن وجود قناة هيرودوس، بما فيها من أنفاق لنقل الماء إلى الجهة الجنوبية من الحرم، بواقع أن الوليد بن عبد الملك قد بنى القصور الأموية ودار الحكمة ودار الضيافة في تلك الجهة الغربية الجنوبية من الحرم.

واليوم في ٢٠٠٩/٤/٦م يختطف اليهود ثلاثة حجارة ضخمة من الآثار الأموية ويضعونها أمام الكنيست الإسرائيلي- في القدس الغربية- وذلك في حكومة نتنياهو

الجديدة.

وفي عــام ١٩٦٧م هدم اليــهــود حــارة المغــاربة وهي وقف إســلامي منذ زمـن الملك الأفضل.

والحق أن عهد الخلافة الأموية ينسب له الفـخـر في الآثار الإسـلامـيـة في فلسطين. فعبـد الملك بن مـروان وابنه الوليـد بن عبد الملك هـمـا اللذان شـيـدا المسـجـد الأقـصـى وقبة الصخرة المشرفة كما هي الآن.

وعندما قام البناءان لم يكن في القدس كنيس واحد لليهود، وربما كان ممن ساعد في بنائهمـا بعض عـمـال اليهـود، لكنهم لم تســمـح لهم بالبـــقـــاء في بيت المقـــدس، باســتــثناء مـن بقي للتكنيس والتنظيف في المسجدين.

وكان اليهود قد حـرمـوا من الإقامة في هذا المكان منذ دخــول عــمــر بن الخطاب رضي الله عنه، بيت المقدس وإجراء العهدة العمرية.

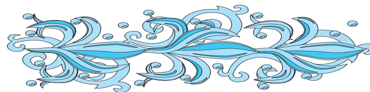
وتذكـر كـتب التــاريخ أن مـعــاوية بن أبي سـفيـان أول الخلفاء الأمـويين طلب البـيـعـة إليه من القدس، وبنى مسجدا يتسع لثلاثة آلاف مــــصـل، ولـكن لـيس مـن الـبنـاء الحـجـري، بل من الدعـامـات الخـشـبـيـة، وسك قطعـة نقـدية بهـذه المناسـبـة بإسم (فلسطين) عــام ٤١هـ وخــصص للقـدس أموالا.

وعـبـد الملك بن مـروان كـان يرسـل إبنه الوليـــد للإشـــراف على تزيين مـــداخل المسـجـد النبـوي في المدينة المنورة، أمـا المسـجـد الأقـصى فكان هو يشـرف على بنائه مباشرة.

وسليمـان بن عبـد الملك ترك أخاه في عـرين الخــلافـة في دمــشق، وجــاء إلى القـدس، وكـان يريد أن يجـعلها عـاصـمـة الخلافة الإسلامية في عهد بني أمية.

ومــا زال الوليـد بن عـبـد الملك يحث المهندسين والبناة على تجميل مسجد قبة الصـخـرة حتى غـدت مـفـخـرة الهندسـة المعمارية الأولى في العالم الإسلامي.

وأذكـر أنني قـرأت عن أحـد خلفـاء بني أمـيـة أنه كـان يرى الرملة ليـست أحق من بيت المقـدس بالمركـز الذي كـانت تتمـتـع به المدينة الساحلية في ذلك الوقت.



في ظلال
رحلة الاسراء والمعراج الشريفين

■ بقلم الاستاذة مجد الاسعد

قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الذي أسرى بِعَبْدِهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصا الذي باركنا حَولَهُ لِنُريَهُ من ءاياتِنَا إنَّهُ هوَ السميع البصير﴾ الإسراء: ١ .

من المعجزات التى اكرم الله بها نبيه محمداً ﷺ، معجزة الإسراء وهو إنتقاله من مكة المكرمة الى بيت المقدس، ومن ثم عروجه الى الملأ الأعلى ووصوله الى الجنة، والمقصود من هذه الرحلة المعجزة تكريم النبي ﷺ وإطلاعه على عجائب خلق الله.

ومعجزة الإسراء ثابتةٌ بنص القرءان الكريم والحديث الصحيح، فيجب الإيمان بأن الله تعالى أسرى بالنبي ليلاً من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وقد ذهب جمهور أهل الحق من سلف وخلف ومحدثين ومتكلمين ومفسرين وعلماء وفقهاء على أنّ الإسراء كان بالروح والجسد.

وحتى يتهيأ ﷺ لهذه الرحلة المباركة، جاءه جبريل كما روى البخاري ليلة أسري به، فشق صدره الشريف وغسله من ماء زمزم، ثم أفرغ فيه إيمانا وحكمة، وكانت وسيلة الإسراء البراق، وهو دابة، أبيض، يضع حافره عند منتهى طرفه، وعندما وصل إلى بيت المقدس بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام، فأمّهم كما في رواية ابن جرير والبيهقي، وبعد صلاة ركعتين، قال ﷺ: "فأتاني جبريل بإناء من

خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة ثم عرج بي" أخرجه أحمد.

لقد أراد تعالى أن يزيد في إكرامه ﷺ، فهيأ له بقدرته رحلة ثانية في ملكوت السماء هي رحلة المعراج، حيث صعد إلى السماء يستفتح جبريل ثم يسأل ومن معك؟ فيقول: محمد، فيرحب به، فرأى في السماء الدنيا آدم، وفي الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى، وفرض الله عليه خمسين صلاة، فلما نزل انتهى إلى موسى حيث سأله ما فرض ربك على أمتك، فأخبره، فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فخفف الله عنه خمسا، ثم ما زال بين موسى وبين ربه حتى كانت خمس صلوات، ورأى الآيات الكبرى التي بيّنها للناس في السنة النبوية المطهرة.

وقد أجمل القرآن الكريم هذه الرحلة في قوله تعالى من سورة النجم: **﴿والنجم إذا هوى ❖ ما ضل صاحبكم وما غوى ❖ وما ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى ❖ علّمه شديد القوى ❖ ذو مِرة فاستوى ❖ وهو بالأفق الأعلى ❖ ثم دنا فتدلى ❖ فكان قاب قوسين أو أدنى ❖ فأوحى إلى عبده ما أوحى ❖ ما كذب الفؤاد ما رأى ❖ أفتمارونه على ما يرى ❖ ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى ❖ إذ يغشى السدرة ما يغشى ❖ ما زاغ البصر وما طغى ❖ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.**

❖ من عجائب ما رأى الرسول ﷺ في إسرائه:

١- **الدنيا:** رءاها بصورة عجوز (وذلك علامة على أنها تفتن المتعلقين بها وهي ليست على شيء).

٢- **إبليس:** رآه متنحياً عن الطريق.

٣- **قبر ماشطة بنت فرعون** وشمَّ منه رائحة طيبة، (وهي كانت عند فرعون وكانت على دين موسى الإسلام، وعلم فرعون بها وعذبها العذاب الشديد، والرسول مر على قبرها وشم الريح الطيبة منه وأخبره جبريل بأمرها).

٤- **المجاهدون في سبيل الله:** رآهم بصورة قوم يزرعون ويحصدون في يومين.



٥- **خطباء الفتنة:** رآهم بصورة أناس تُقْرَضُ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار (وهم الذين يخطبون بين الناس بالفتنة والكذب والغش).

٦- **الذي يتكلم بالكلمة الفاسدة:** رآه بصورة ثور يخرج من منفذ ضيق ثم يريد أن يعود فلا يستطيع.

٧- **الذين لا يؤدّون الزكاة:** رآهم بصورة أناس يَسْرَحون كالأنعام على عوراتهم رقاع.

٨- **تاركو الصلاة:** رأى قوماً ترضخ رءوسهم ثم تعود كما كانت، فقال جبريل: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن تأدية الصلاة.

٩- **الزناة:** رآهم بصورة أناس يتنافسون على اللحم المنتن ويتركون الجيد.

١٠- **شاربو الخمر:** رآهم بصورة أناس يشربون من الصديد (وهو ماء كريه الريح).

١١- **الذين يمشون بالغيبة:** رآهم بصورة قوم يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفار نحاسية.

أما المعراج فهو ثابت بنص الأحاديث الصحيحة، أما القرءان فلم ينص عليه نصاً صريحا.

❖ من عجائب ما رأى الرسول ﷺ في المعراج:

١- **مالك خازن النار.**

٢- **البيت المعمور:** وهو بيت مشرف في السماء السابعة وهو لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض، كل يوم يدخُلُهُ سبعون ألف ملكٍ يصلون فيه ثم يخرجون ولا يعودون أبداً.

٣- **سدرة المنتهى:** وهي شجرة عظيمة بها من الحسن ما لا يصفه أحد من خلق الله، يغشاها فَراشٌ من ذهب، وأصلها في السماء السادسة وتصل إلى السابعة، ورآها رسول الله ﷺ في السماء السابعة.

٤- **الجنة:** وهي فوق السموات السبع فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر، مما أعدّه الله للمسلمين الأتقياء خاصة، ولغيرهم ممن يدخل الجنة نعيم يشتركون فيه معهم.

٥- **العرش:** وهو أعظم المخلوقات، وحوله



ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، وله قوائم كقوائم السرير يحمله أربعة من أعظم الملائكة، ويوم القيامة يكونون ثمانية، والعرش هو سقف الجنة وهو مكان مشرف عند الله قال الأمام علي كرم الله وجه: إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته.

٦- وصوله ﷺ إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقلام: انفرد رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام بعد سدرة المنتهى حتى وصل إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقلام، التي تنسخ بها الملائكة في صحفها من اللوح المحفوظ.

٧- سماعه ﷺ كلام الله تعالى الذاتي الأزلي الأبدي الذي لا يشبه كلام البشر.

٨- رؤيته ﷺ لله عزّ وجلّ بفؤاده لا بعينه: مما أكرم الله به نبيه في المعراج، أن أزال عن قلبه الحجاب المعنوي، فرأى الله بفؤاده، أي جعل الله له قوة الرؤية في قلبه لا بعينه، لأن الله لا يرى بالعين الفانية في الدنيا، فقد قال الرسول ﷺ: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا».

ومن اهم العبر في هذه الليلة العظيمة

عبرة هي الصلاة، فمعروف أن الصلاة فُرِضت في تلك الليلة العظيمة، والنبي ﷺ هو سفير الله إلى خلقه ولله المثل الأعلى، فالله استدعى سفيره إلى خلقه وأُسري به ثم عُرِج به إلى سدرة المنتهى، وهناك فُرِضت عليه هذه الصلوات الخمس.

فكل العبادات فُرِضت في الأرض والصلوات فرضت في السماء، هذا دليل على أهمية هذه العبادة وهذه الفريضة أو هذا الركن من أركان الإسلام، وهو بقية البقية العملية الباقية لهذه الرحلة، يعني هو معراج كل إنسان مسلم، المعراج الروحي أو الإيماني ليرقى به إلى الله تبارك وتعالى، كأن الرسول ﷺ جاء معه بهدية من تلك الرحلة العظيمة، هذه الهدية لكل مسلم هي الصلاة ليعبد بها الله تبارك وتعالى.

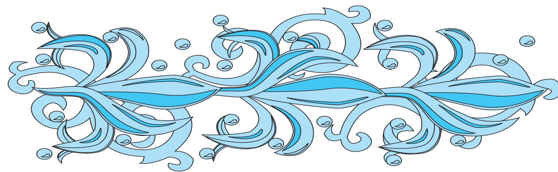
ولذلك ينبغي التذكير بهذه الصلاة خصوصاً أن لها ارتباطاً بالمسجد الأقصى لأنه عندما فرضت الصلاة ظل المسلمون بعدها إلى الهجرة يصلون إلى المسجد الأقصى، الذي كان القبلة الأولى للمسلمين، إذا كان القول الراجح أن

الإسراء كان في السنة العاشرة من البعثة فقد ظل المسلمون ثلاث سنوات يصلون إلى القدس، وبعد الهجرة ظلوا ستة عشر شهراً يصلون أيضاً إلى القدس، وهي القبلة الأولى ثم أمر الله أن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام **﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**.

وقد أثار اليهود في المدينة ضجة حول هذا الأمر **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾** وأشاعوا أن صلاة المسلمين في تلك المدة كانت باطلة وضاع أجرها وضاع أثرها ورد الله عليهم ذلك وقال: **﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾**.

(إيمانكم): أي صلاتكم، عبر عن الصلاة بالإيمان.

فالصلاة هي معراج لكل مسلم، فإذا كان النبي ﷺ قد عرج به إلى السموات العلا، فلديك يا أخي المسلم معراج روحي تستطيع أن ترقى به ما شاء الله عز وجل، من خلال الصلاة التي يقول الله تبارك وتعالى فيها في الحديث القدسي: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال عبدي: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال تعالى: أثنى علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله تعالى: مجّدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر الفاتحة، قال الله تعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».



رجـــب..
الشهر الحرام الفرد
فضله وأهميته

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين﴾ التوبة: ٣٦ .

ان الله سبحانه وتعالى فضّل بعض الشهور على بعض، كما فضل بعض الاماكن على بعض، فقد ورد في الأثر: ان لله خواصاً في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، لذلك اتخذ بعض الناس فضل رجب ذريعة للصيام والقيام وزيارة المقابر، واوردوا في ذلك أحاديث كثيرة، هذا ولا يثبت فضل لزمان او مكان الا بدليل قطعي، اذ لا بد من التثبت في ذلك، وكثير من الأحاديث وردت في فضل رجب ما بين ضعيف وموضوع.

لقد وضع الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني رسالة بعنوان: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» جمع فيها جمهرة الأحاديث الواردة في فضائل شهر رجب وصيامه والصلاة فيه وقسمها الى ضعيفة وموضوعة، وذكر له ثمانية عشر اسماً من أشهرها:

الأصم: لعدم سماع قعقعة السلاح فيه، لأنه من الأشهر الحرم التي حرّم فيها القتال.

الأصب: لانصباب الرحمة فيه.



ومفصل الألسنة: كما ذكره البخاري عن ابي رجاء العطاردي قال: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو خيراً منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا الشاء (الشياه) فحلبنا عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: مفصل الألسنة، فلم ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة الا نزعناه فألقيناه.

وفضل رجب داخل في عموم فضل الاشهر الحرم التي قال الله فيها: ﴿**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم**﴾ التوبة: ٣٦، وحددها حديث الصحيحين في حجة الوداع بأنها: ثلاثة سرد متتالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب «مضر» الذي بين جمادى الآخرة وشعبان، وليس رجب «ربيعة» وهو رمضان ومن عدم الظلم فيه «عدم القتال» وذلك لتأمين الطريق لزائري المسجد الحرام ومن عدم الظلم فيه ايضاً عدم معصيته.

ومن مظاهر تفضيل الاشهر الحرم بما فيها رجب، ندب الصيام فيها كما جاء في حديث رواه ابو داود عن مجيبة الباهلية عن ابيها، ان النبي ﷺ قال له بعد كلام طويل: «صم من الحُرُم واترك ثلاث مرات» وأشار باصابعه الثلاثة حيث ضمها وارسلها، والظاهر ان الاشارة كانت لعدد المرات لا لعدد الأيام، يستوي في ذلك أول يوم مع آخره، وقد قال ابن حجر: ان شهر رجب لم يرد حديث خاص بفضل الصيام فيه، لا حسن ولا صحيح.

من أشهر الأحاديث الضعيفة في صيامه: «ان في الجنة نهراً يقال له: رجب، ماؤها اشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر».

وحديث: «من صام من رجب يوماً كان كصيام شهر، ومن صام منه سبعة ايام غلقت عنه ابواب الجحيم السبعة، ومن صام منه ثمانية ايام فتحت ابواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدلت سيئاته حسنات».

ومنها حديث طويل جاء فيه: «رجب شهر الله وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، (وقيل: انه موضوع)، وجاء في الجامع الكبير للسيوطي انه من رواية ابي الفتح بن ابي الفوارس في أماليه عن الحسن مرسلاً، اما من الاحاديث غير

المقبولة في فضل صلاة مخصوصة فيه: «من صلى المغرب في أول ليلة من رجب ثم صلى بعدها عشرين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد مرة، ويسلم فيهن عشر تسليمات، حفظه الله في نفسه واهله وماله وولده، وأجير من عذاب القبر، وجاز على الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب» وهو حديث موضوع، وكذلك صلاة الرغائب.

وقد عقد ابن حجر في هذه الرسالة فصلاً ذكر فيه أحاديث تتضمن النهي عن صوم رجب كله، ثم قال: هذا النهي منصرف الى من يصومه معظماً لأمر الجاهلية، اما من صامه لمقصد الصوم في الجملة من غير ان يجعله حتماً، أو يخص منه اياماً معينة يواظب على صومها، أو ليالي معينة فهذا من فعله مع السلامة، مما استثني فلا بأس به، فإن خص ذلك او جعله حتماً لهذا محظور وهو في المنع بمعنى قوله ﷺ: «ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام ولا ليلتها بقيام» «رواه مسلم» وان صامه معتقداً ان صيامه او صيام شيء منه افضل من صيام غيره، ففي هذا نظر ومال الامام ابن حجر الى المنع، ونقل عن ابي بكر الطرطوشي في كتاب البدع والحوادث ان صوم رجب يكره على ثلاثة اوجه، احدها: انه اذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام، اما انه فرض كشهر رمضان، واما سنة ثابتة كالسنن الثابتة، واما لأن الصوم فيه، مخصوص بفضل ثواب على صيام باقي الشهور، ولو كان من هذا شيء لبيّنه النبي ﷺ قال ابن دحية: الصيام عمل بر، لا لفضل صوم شهر رجب.

وحرص الناس والنساء بوجه خاص على زيارة القبور في اول جمعة من شهر رجب، ليس له اصل من الدين، ولا ثواب لها اكثر من ثواب الزيارة في غير هذا اليوم.

وليُعلم ان فعل الخيرات من صلاة وصيام وصدقات وغيرها، مطلوب في جميع الأوقات، وكذلك عدم تخصيص شهر رجب الحرام بعبادة مخصصة لم ترد عن رسول البشرة وقائدها ﷺ قولاً وفعلاً، وعلينا تذكر الأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الشهر الفضيل ونأخذ منها العبرة اللازمة، ونستفيد ونعمل ما يلزم تجاهها، ومنها: غزوة تبوك، ومعجزة الاسراء والمعراج وتحرير الاقصى في رجب ٥٨٣هـ ١١٨٧م من السابقين، والعمل المخلص والجاد لتخليصه من المغتصبين اللاحقين بوحدة المسلمين بعد التمسك بكتاب رب العالمين وسنة رسوله الأمين ﷺ.

١٠

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين
موسى بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
(١٨٠هـ = ٧٩٦م)

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

الشريف العلوي، موسى بن عبد الله[١] بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، أبو الحسن، وهو أخو محمد وابراهيم ابني عبد الله، قتلهما ابو جعفر المنصور، وظفر به فضربه وعفا عنه، فقد ذكر الزبيري في نسب قريش:[٢] انه ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وأنه «اختفى بالبصرة، فأخذه فأرسله الى المنصور فعفا عنه».

وفي مقاتل الطالبيين[٣]، قال ابو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ: «يكنى أبا الحسن، وأمه هند بنت ابي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى، ولدته هند ولها ستون سنة».

له رواية قليلة للحديث النبوي الشريف، وسكن المدينة وبغداد، قال البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣[٤]: «روى عن ابيه شيئاً يسيراً، حدث عنه عبد العزيز بن محمد وغيره، اختفى بالبصرة، فأخذه المنصور وعفا عنه، وكان يقول شيئاً من الشعر، كتب من العراق الى زوجته ام سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر أم ابنه عبد الله بن موسى يستدعيها الى الخروج اليه، فلم تفعل، فكتب اليها:

لا تتركيني بالعراق فإنها
بلاد بها أس الخيانة والغدر

فإني زعيم أن أجيء بضرة

مقابلة الأجداد طيبة النشر

تكرم مولاها وترضي حليلها

وتقطع من اقصى مناط الحناجر

فقال له مولى ابراهيم بن عبد الله بن حسن:

أبنت ابي بكر تكيد بضرة

لعمري لقد حاولت إحدى الكبائر

ودخل موسى بن عبد الله يوماً على الرشيد، ثم خرج من عنده، فعثر بالبساط فسقط فضحك الخدم، وضحك الجند فلما قام التفت الى هارون، فقال: «يا أمير المؤمنين انه ضعف صوم لا ضعف سكر».

وهو من شعراء الطالبيين، فقد ذكره المرزباني في معجم الشعراء[٥]، وقال: أخذه المنصور بعد اختفائه بالبصرة فضربه يقال: ألف سوط، ويقال دونها ثم أطلقه، وله وهو في حبس المنصور:

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما

تكرهت منه طال عتبي على الدهر

وذكر من شعره:

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق

وخان الناس كلهم فما ادري بمن أثق

رأيت معالم الخيرات سدت دونها الطرق

فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلق

قال الفخر الرازي[٦]: «أبو عبد الله موسى الجون، هو أكثر أولاد عبد الله بن الحسن المثنى عقباً، وله من الأولاد المعقبين اثنان: عبد الله الرضا، وابراهيم امهما ام سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ادريس، وعقب عبد الله اكثر من عقب ابراهيم، أما عبد الله، فله من الأولاد المعقبين خمسة: موسى الثاني، وأحمد الأحمدي، ويقال له: المسور، ويحيى السويقي الفقيه، وصالح وسليمان، وهؤلاء الخمسة فيهم نسل كثير، وموسى الثاني وسليمان أكثرهم عقباً».

الهوامش:

١- ترجمته في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني ١/١٠٤، وتاريخ بغداد ٥/٤٦٢، الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية للفخر الرازي ١/١، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٦/١٢٣، معجم الشعراء للمرزباني ١/٩٠، ونسب قريش لمصعب الزبيري ١/٢٠، الأعلام للزركلي ٧/٣٢٤ .

٢- في نسب قريش لمصعب الزبيري ١/٢٠ .

٣- الاصبهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين ١/١٠٤ .

٤- تاريخ بغداد ٥/٤٦٢ .

٥- معجم الشعراء للمرزباني ١/٩٠ .

٦- الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية للفخر الرازي ١/١ .

صفات المنافقين

كما يراها العلامة الامام ابن قيم الجوزية

■ بقلم الاستاذ سميح احمد عثامنة

يقول الله تعالى: ﴿أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويحسبون انهم يحسنون صنعاً﴾، ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾، ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾، ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾، ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه..﴾، ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون﴾، ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ❖ يخادعون الله والذين آمنوا..﴾.

.. وغيرها كثير من الآيات الكريمات البينات، وحشد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة، وآثار لا تحصى عدداً عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، تتحدث عن صفة من أخس النعوت وأسفلها، وعن شيمة يترفع الانسان السوي فضلاً عن المؤمن التقي، ان تنسب اليه او يعيش في فلكها الآسن.

انها صفة ذميمة ليست بحاجة الى عناء فكر ليتوصل المرء الى معرفتها، لأنها تصم الآذان، وتزكم رائحتها النتنة الأنوف، التي لا تعرف سوى الانفاس الزكية الطاهرة.

انه النفاق.. وما أدراك ما النفاق، وقد اوضح العزيز الجبار خطر هذا الخلق الذميم وفضح من يتصفون به على مر العصور وكر الدهور، لأنه لا يخلو منهم عصر أو جيل، ولسهولة تكونهم وتغيير جلودهم ولبوسهم كلما استدعى الأمر ذلك، وما أهون ذلك عليهم.

ترى الواحد منهم يعجبك لسانه ويسوؤك



مـخبـره، تراه يتـحـدث وكـأنه مـلاك نـزل من السـمـاء، من حـيث الـطهـر والنقـاء والاخـلاص والخير، ولكنه في حقيقته وجوهره، من أشـر الخلق وأفسدهم نعتاً وخُلقاً.

لهذا عـد الاسـلام النفاق، خطراً كـبيراً، كـونهُ هو عـبارة عن قـواعـد تتـحـرك وقـلاع تشـيـد، وهو انـحـراف خلقي يودي بحـيـاة الافراد والأسر والمجتمعات والأمم، اذ مكمن الخطر فـيـه، انه يسـعى لتـدمـيـر الأمـة من الداخل وتقــويض صــرحــهـا، وهـو آمن لا تراقـبـه العـيـون، ويتـسـمى بأسـمـاء المؤمنين ويتكلم بـألسنتهم، وقد خـاض علمـاء السلف والخلف في بيـان خطورة ومزالق هذه الآفة المدمـرة، ولعل ابرز من كتب فيـهـا وحقق في دلالاتهـا الامـام العـلامـة ابن قـيم الجـوزية رحمه الله تعالى حيث قال:

أما النفـاق: فهو الداء العضال الـباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خـفي على النـاس، وكـثـيـراً مـا يخـفى على من تلبس به فيزعم انه مصلح وهو مفسد.

وهو نوعـان: اكبر وأصغر، فالأكبر يوجب الخلود في النـار في دركهـا الأسـفل، وهو ان يظهر للـمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر، وهو في الباطن منسلخ مـن ذلـك كـلـه مكـذب بـه، لا يـؤمـن بـأن الـلـه تكلم بـكلام أنزلـه على بشـر جـعـلـه رسـولاً للنـاس، يهـــديهم بإذنـه، ويـنـذرهـم بأسـه ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله سبـحـانه وتعـالى أسـتار المنـافـقين، وكـشـف اسـرارهم في القـرآن الكريم، وجلّى لعـباده أمـورهم ليكونوا منهـا ومن أهلهـا علـى حـذر، وذكـر طوائف العـالم الثــلاثة في أول ســورة البــقــرة: المؤمنين والكفـار والمنافقين، فـذكـر في المؤمنين أربع آيات، وفـي الكفــار آيتـين، وفي المنـافــقـين ثلاث عشـرة آية، لكثـرتهم وعـمـوم الابتـلاء بهم، وشدة فتنتهم على الاسـلام وأهله، فإن بليــة الاســلام بهم شــديدة جــداً، لأنهم منسـوبون اليـه، والـى نصرته وموالاته، وهم اعداؤه فـي الحقيـقة، يخـرجون عـداوته في كل قـالـب، يظن الجـاهل انه علم واصـلاح وهـو غاية الجهل والافساد.

فلله كم من معقل للاسـلام قد هدموه؟! وكم من حــصن لـه قــد قلعـوا أســاســه وخربوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعـاول الشــبــه فـي أصــول غــراســه ليقلعوها؟! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!.

فلا يزال الاسـلام وأهله منهم في محنة وبليـة، ولا يزال يطرقـه من شبـههم سـرية بعد سـرية، ويزعـمون انـهم بذلك مصلحون

﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ البقرة: ١٢، **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** الصف: ٨ .

اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون **﴿وتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾** المؤمنون: ٥٣، **﴿يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً﴾** الأنعام: ١١٢، ولأجل ذلك **﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾** فاطر: ٣٠.

درست معالم الايمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحيونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها، لم يقبلوا هدى الله الذي ارسل به رسوله، ولم يرفعوا به رأساً ولم يروا بالاعراض عنه الى سلطنة الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فقابلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والاكرام، وتلقوها من بعيد، ولكن بالدفع في الصدور منها والاعجاز، وقالوا: مالك عندنا من عبور - وان كان لا بد- فعلى سبيل الاجتياز.

اعدوا لدفعها اصناف العدد وضروب القوانين، وقالوا -لما حلت بساحتهم-: ما لنا ولظواهر لفظية لا تفيدنا شيئاً من اليقين، وعوامهم قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين، فإنهم أعلم بها من السلف الماضين، وأقوم بطرائق الحجج والبراهين.

وأولئك غلبت عليهم السذاجة وسلامة الصدور، ولم يتفرغوا لتمهيد قواعد النظر، ولكن صرفوا هممهم الى فعل المأمور وترك المحظور، فطريقة المتأخرين: اعلم وأحكم وطريقة السلف الماضين: أجهل لكنها أسلم.

أنزلوا نصوص السنة والقرآن منزلة الخليفة في هذا الزمان، اسمه على السكة، وفي الخطبة فوق المنابر مرفوع، والحكم النافذ لغيره، فحكمه غير مقبول ولا مسموع، لبسوا ثياب اهل الايمان على قلوب اهل الزيغ والخسران، والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الانصار، والبواطن قد تحيزت الى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاربين، ويقولون: **﴿آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾** البقرة: ٨.

رأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والختر، وعندهم العقل المعيشي: ان الفريقين عنهم راضون، وهم بينهم آمنون **﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون﴾** البقرة: ٩.

قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصود السيئة على إرادتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى الى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون، **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾** البقرة: ١٠.

من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق، ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق، ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق، ففسادهم في الأرض كثير وأكثر الناس عنه غافلون **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ❖ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** البقرة: ١١-١٢ .

المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفاراً، فهمه في حمل المنقول، وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة، وما هو عندهم بمقبول وأهل الاتباع عندهم سفهاء، فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون **﴿واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾** البقرة: ١٣ .

لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به الى إخوانه الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يترجم به عن سره المكنون: **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزءون﴾** البقرة: ١٤ .

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاء بأهلهما واستحقاراً، وأبوا ان ينقادوا لحكم الوحيين فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه الا أشراً واستكباراً، فتراهم ابداً بالمتمسكين بصريح الوحي يستهزءون **﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾** البقرة: ١٥ .

خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات، فركبوا مراكب الشبه والشكوك تجري بهم في موج الخيالات، فلعبت بسفنهم الريح العاصف، فألقتها بين سفن الهالكين **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما**

كانوا مهتدين﴾ البقرة: ١٦ .

أضاءت لهم نار الايمان فأبصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال، ثم طفئ ذلك النور، وبقيت ناراً تأجج ذات لهب واشتعال، فهم بتلك النار معذبون، وفي تلك الظلمات يعمهون **﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾** البقرة: ١٧ .

أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى، فهي لا تبصر حقائق القرآن الكريم، وألسنتهم بها خَرَس عن الحق، فهم به لا ينطقون **﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾** البقرة: ١٨ .

صاب عليهم صيب الوحي، وفيه حياة القلوب والأرواح، فلم يسمعوا منه إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظفت عليهم في المساء والصباح، فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، وجدّوا في الهرب، والطلب في آثارهم والصياح، فنودي عليهم على رؤوس الأشهاد، وكشفت حالهم للمستبصرين، وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم: المناظرين والمقلدين، فقيل: **﴿أو كصيب من السماء فيه رعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾** البقرة: ١٩ .

ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيب من بروق أنواره وضياء معانيه، وعجزت اسماعهم عن تلقي رعود وعوده وأوامره ونواهيه، فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه، لا ينتفع بسمعه السامع، ولا يهتدي ببصره البصير، **﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير﴾** البقرة: ٢٠ .

لهم علامات يُعرفون بها مبينة في السنة والقرآن، بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان، قام بهم -والله- الرياء، وهو أقبح مقام قامه الانسان، وقعد بهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الاخلاص عليهم لذلك ثقيلاً **﴿واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً﴾** النساء: ١٤٣ .

أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين، تيعر الى هذه مرة والى هذه مرة، ولا تستقر مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلاً، **﴿مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾**

النساء: ١٤٣ .

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن، فإن كان لهم فتح من الله، قالوا: ألم نكن معكم؟ وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم، وان كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب، قالوا: ألم تعلموا ان عقد الإخاء بيننا محكم، وأن النسب بيننا قريب؟ فيا من يريد معرفتهم، خذ صفاتهم من كلام رب العالمين.

فلا تحتاج بعده دليلاً **﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** النساء: ١٤١ .

يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه، ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه ومينه، فتراه عند الحق نائماً، وفي الباطل على الاقدام، فخذ وصفهم من قول القدوس السلام: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾** البقرة: ٢٠٤ .

أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد **﴿واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** البقرة: ٢٠٥ .

فهم جنس بعضه يشبه بعضاً، يأمرون بالمنكر بعد ان يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد ان يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته ان ينفقوه، كم ذكّرهم الله بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه؟ وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليجتنوبه؟ فاسمعوا ايها المؤمنون: **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾** التوبة: ٦٧ .

ان حاكمتهم الى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وان دعوتهم الى حكم كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمداً بعيداً، ورأيتها معرضة عن الوحي اعراضاً شديداً **﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾** النساء: ٦١ .

فكيف لهم بالفلاح والهدى! بعدما

اصيبوا في عقولهم وأديانهم وأنى لهم التخلص من الضلال والردى؟ وقد اشتروا الكفر بإيمانهم؟ فما أخسر تجارتهم البائرة! وقد استبدلوا بالرحيق المختوم حريقاً **﴿فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احساناً وتوفيقاً﴾** النساء: ٦٢ .

نشب زقوم الشبه والشكوك في قلوبهم، فلا يجيدون له مسيغاً **﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾** النساء: ٦٣ .

تباً لهم، ما أبعدهم عن حقيقة الإيمان! وما أكذب دعواهم للتحقيق والعرفان، فالقوم في شأن وأتباع الرسول ﷺ في شأن.

لقد اقسم الله جل جلاله في كتابه بنفسه المقدسة، قسماً عظيماً يعرف مضمونه أولو البصائر، فقلوبهم منه الى حذر إجلالاً له وتعظيماً، فقال تعالى تحذيراً لأوليائه وتنبيهاً على حال هؤلاء وتفهيماً: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** النساء: ٦٥ .

تسبق يمين أحدهم كلامه من غير ان يعترض عليه لعلمه ان قلوب اهل الايمان لا تطمئن اليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه، وكذلك اهل الريبة يكذبون، ويحلفون ليحسب السامع انهم صادقون قد **﴿اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون﴾** المنافقون: ٢ .

تباً لهم، برزوا الى البيداء مع ركب الإيمان، فلما رأوا طول الطريق وبعد الشقة نكصوا على اعقابهم ورجعوا، وظنوا انهم يتمتعون بطيب العيش ولذة المنام في ديارهم، فما متعوا به ولا بتلك الهجعة انتفعوا، فما هو الا ان صاح بهم الصائح فقاموا عن موائد أطعمتهم والقوم جياع ما شبعوا، فكيف حالهم عند اللقاء، وقد عرفوا ثم انكروا، وعموا بعد ما عاينوا الحق وأبصروا **﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾** المنافقون: ٣ .

أحسن الناس اجساماً وأخلبهم لساناً وألطفهم بياناً وأخبثهم قلوباً وأضعفهم جناناً، فهم كالخشب المسندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها فتساندت الى حائط يقيمها، لئلا يطأها السالكون **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل**

صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون﴾ المنافقون: ٤ .

يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول الى شرَق الموتى، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب، اذ هي صلاة الابدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفاتة الثعلب، اذ يتيقن انه مطرود مطلوب، ولا يشهدون الجماعة، بل ان صلى أحدهم ففي البيت أو الدكان، واذا خاصم فجر، واذا عاهد غدر واذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا أئتمن خان، هذه معاملتهم للخلق، وتلك معاملتهم للخالق، فخذ وصفهم من أول «المطففين» وآخر **﴿والسماء والطارق﴾** فلا ينبئك عن أوصافهم مثل خبير **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾** التوبة: ٧٣ .

فما أكثرهم! وهم الأقلون، وما أجبرهم، وهم الأذلون، وما أجهلهم وهم المتعالمون، وما أغرهم بالله! اذ هم بعظمته جاهلون **﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾** التوبة: ٥٦ .

ان أصاب اهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور، ساءهم ذلك وغمّهم، وان أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفّر عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرّهم، وهذا يحقق إرثهم وإرث من عداهم، ولا يستوي من موروثه الرسول ﷺ ومن موروثهم المنافقون **﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ❖ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** التوبة: ٥٠-٥١، وقال تعالى في شأن السلفين المختلفين، والحق لا يندفع بمكابرة أهل الزيغ والتخليط: **﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط﴾** آل عمران: ١٢٠ .

كره الله طاعاتهم لخبث قلوبهم وفساد نياتهم، فثبطهم عنها وأقعدهم، وأبغض قربهم منه وجواره، لميلهم الى اعدائه، فطردهم عنه وأبعدهم، واعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم، وأشقاهم وما أسعدهم، وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده الا ان يكونوا من التائبين، فقال تعالى: **﴿ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾** التوبة: ٤٦، ثم ذكر حكمته في تثبيطهم واقعادهم، وطردهم عن بابه

وابعادهم، وان ذلك من لطفه بأوليائه واسعادهم، فقال وهو احكم الحاكمين: **﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين﴾** التوبة: ٤٧ .

ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها، وتفلتت منهم السنن ان يحفظوها فأهملوها، وصالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين ردوها بها ودفعوها، ولقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وضرب لعباده أمثالهم، واعلم انه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم امثالهم، فذكر اوصافهم لأوليائه ليكونوا منها على حذر، وبينها لهم فقال: **﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾** محمد: ٩ .

هذا شأن من ثقلت عليه النصوص، فرآها حائلة بينه وبين بدعته وهواه، فهي في وجهه كالبنيان المرصوص، فباعها بمحصل من الكلام الباطل، واستبدل منها بالفصوص، فأعقبهم ذلك ان أفسد عليهم إعلانهم وإسرارهم: **﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ❖ فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ❖ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾** محمد ٢٦-٢٨ .

أسروا سرائر النفاق، فأظهرها الله على صفحات الوجوه منهم، وفلتات اللسان، ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على اهل البصائر والإيمان، وظنوا انهم اذ كتموا كفرهم وأظهروا ايمانهم راجوا على الصيارف والنقاد، كيف؟ والناقد البصير قد كشفها لكم **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يُخرج الله أضغانهم ❖ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ❖ ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم﴾** محمد: ٢٩-٣٠ .

فكيف اذا جمعوا ليوم التلاق، وتجلى الله جل وعلا للعباد وقد كشف عن ساق؟ ودعوا الى السجود فلا يستطيعون: **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون﴾** القلم: ٤٣ .

أم كيف بهم اذا حشروا الى جسر جهنم؟ وهو أدق من الشعرة وأحد من الحسام، وهو دحض مزلة، مظلم لا يقطعه أحد الا بنور يبصر به مواطئ الأقدام، فقسمت بين الناس الأنوار، وهم على قدر تفاوتها في المرور والذهاب، وأعطوا نوراً ظاهراً مع أهل الاسلام، كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتون بالصلاة والزكاة

والحج والصيام، فلما توسطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق، فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح، فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين اهل الايمان بسور له باب، ولكن قد حيل بين القوم وبين المفاتيح، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وما يليهم من قبلهم العذاب والنقمة، ينادون من تقدمهم من وفد الايمان، ومشاعل الركب تلوح على بعد كالنجوم تبدو لناظر الانسان: **﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾** الحديد: ١٣، لنتمكن في هذا المضيق من العبور، فقد طفئت أنوارنا، ولا جواز اليوم الا بمصباح من النور **﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾** الحدد: ١٣، حيث قسمت الأنوار.

فهيهات الوقوف لأحد في مثل هذا المضمار! كيف نلتمس الوقوف في هذا المضيق؟ فهل يلوي اليوم أحد على أحد في هذا الطريق؟ وهل يلتفت اليوم رفيق الى رفيق؟ فذكروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذه الدار، كما يذكر الغريب صاحب الوطن بصحبته له في الأسفار، **﴿ألم نكن معكم﴾** نصوم كما تصومون ونصلي كما تصلون، ونقرأ كما تقرأون، ونتصدق كما تصدّقون، ونحج كما تحجون، فما الذي فرق بيننا اليوم حتى انفردتم دوننا بالمرور؟ قالوا: بلى ولكنكم كانت ظواهركم معنا وبواطنكم مع كل ملحد، وكل ظلوم كفور **﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾** الحديد: ١٤-١٥، لا تستطل أوصاف القوم، فالمتروك والله اكثر من المذكور، كاد القرآن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: «يا ابن اخي، لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك».

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم بدقه وجله، وتفصيله وجمله، ساءت ظنونهم بنفوسهم، حتى خشوا ان يكونوا من جملة المنافقين، قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: «يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا،

ولا أزكي بعدك احداً» وقال ابن ابي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: ان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل» ذكره البخاري.

وذكر عن الحسن البصري «ما أمنه الا منافق، وما خافه الا مؤمن» ولقد ذكر عن بعض الصحابة: انه كان يقول في دعائه: «اللهم اني اعوذ بك من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق: قال: ان يرى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع».

تالله لقد ملئت قلوب القوم ايماناً ويقيناً، وخوفهم من النفاق شديد وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، وهم يدّعون ان ايمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

زرع النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربعة، استحكم نبات النفاق وبنيانه، ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر وكشف المستور، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، تبين حينئذ لمن كانت بضاعته النفاق، ان حواصله التي حصلها كانت كالسراب **﴿يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾** النور: ٣٩ .

قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادهم اليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، واذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، واذا حضروا الباطل وشهدوا الزور، انفتحت ابصار قلوبهم وكانت آذانهم واعية.

فهذه والله امارات النفاق، فاحذرها ايها الرجل قبل ان تنزل بك القاضية، اذا عاهدوا لم يفوا، وان وعدوا اخلفوا، وان قالوا لم ينصفوا، وان دعوا الى الطاعة وقفوا، واذا قيل لهم: تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول صدفوا، واذا دعتهم اهواؤهم الى أغراضهم أسرعوا اليها وانصرفوا، فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من الهوان، والخزي والخسران، فلا تثق بعهودهم، ولا تطمئن الى وعودهم، فإنهم فيها كاذبون، وهم لما سواها مخالفون **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ❖ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ❖ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾** التوبة: ٧٥-٧٧ .

قطوف دانية

بقلم الطالبة أنوار سمير طه

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ❖ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ❖ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار﴾.

ابراهيم: ٤٠-٤٢

دعوة المكروب

عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «اني لأعلم كلمة ما قالها المكروب الا فرج الله كربه عنه، ولا دعا بها عبد مسلم الا استجيب له.. دعوة أخي يونس ﴿لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾.

معرفة الله

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه:

«سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً الى معرفته، الا بالعجز عن معرفته».

التأديب بالسيرة

يقول الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:

«من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه».

أطفأ الكانون بالدموع

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز وبين يديه كانون فيه نار، فقال له عمر: عظني، قال: يا امير المؤمنين ما ينفعك من دخل الجنة اذا دخلت انت النار، وما يضرك من دخل النار اذا انت دخلت الجنة، قال: فبكى عمر حتى كاد يطفئ الكانون الذي بين يديه من دموعه.

نوم العصاة

قال ابن عباس رضي الله عنه:

لا شيء اشد على ابليس من نوم العاصي، فإذا نام العاصي يقول ابليس: متى ينتبه ويقوم ويعصي الله؟

الخير يطفئ الشر

قال لقمان لإبنه: كذب من قال: ان الشر يطفئ الشر، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً الى جنب نار، فلينظر هل تطفئ احداهما الأخرى؟ وإلا فإن الخير يطفئ الشر كما يطفئ الماء النار.

اجابات القاضي

سأل رجل القاضي يحيى بن اكثم: كم آكل؟ فقال: فوق الجوع ودون الشبع، قال الرجل: فكم اضحك؟ اجاب القاضي: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك، قال الرجل: فكم أبكي؟ اجاب القاضي: لا تمل البكاء من خشية الله.

من كلمات العرب

أصل العلم، الرغبة وثمرته العبادة.

وأصل الزهد، الرهبة، وثمرته السعادة.

واصل المروءة، الحياء، وثمرتها العفة.

شيخ كهل يغلق باب الاجتهاد في تصحيح الحديث الشريف او تضعيفه وشيخ شاب يجزم بأننا لا نستطيع تصحيح الحديث الشريف أو تضعيفه بعقولنا (١)

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

في هذه المقالة سأُعلق على رأي الشيخ الكهل، على رأي الشيخ الشاب، ولكن انت وأنا نرى من الآن ان الشيخين: الكهل والشاب يلتقيان على موقف واحد، ويؤمنان بمنهج واحد، وهو ان السابقين قالوا كلمة الفصل في الحديث الشريف صحة، وتضعيفاً، فليس لنا الا ان نتبعهم وأبصارنا وبصائرنا معصوبة بقماش ثخين.

❖ نتفق أولاً:

أن شيخاً فاضلاً صديقاً قال لي: «حتى نتحاور.. نتفق اولاً» قلت: ماذا تطلب؟ قال: ان نتفق على ان ما اعتبرته كتب الحديث صحيحاً، نعتبره صحيحاً ولا نناقشه! فلم أوافقه طبعاً، لأن طلبه هذا إغلاق لباب الاجتهاد، ولذا فهو يرغب ان نجتر ما قاله السابقون، فنقدم للناس كلاماً مكروراً، لا جدة ولا ابداع فيه، مع ان القدامى انفسهم اجتهدوا، فالإمام ابو حنيفة يقول: «اذا صح الحديث فهو مذهبي» هذا يعني انه كان يجتهد فيما يرد اليه من الحديث، فلا يستشهد الا بما صح عنده والإمامان البخاري ومسلم، كان كل منهما يحفظ عشرات الآلاف من الأحاديث المنسوبة الى الرسول العظيم ﷺ، ولكن لم يدون كل

منهما الا ما صح عنده بعد الاجتهاد، وهكذا غيرهما، حتى يوم الناس هذا، فالشيخ الألباني المعاصر (ت-٢٠٠١م) رحمه الله استخرج من كتب السنن الستة خمسة آلاف حديث ما بين ضعيف وموضوع، وباطل، واستخرج قرابة ثمانين حديثاً ضعيفاً من كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، على صدق البخاري، وصحة نيته.

فلماذا يسمح لكل مشتغل بالحديث ان يجتهد، ولا يسمح لي، وأنا في عصر أصبحت الحضارة فيه حضارة عالمية، وأصبحت أدوات البحث، وكشف الصحيح من الضعيف من الحديث والأخبار، اكثر وأوضح، بل ان اعظم ستة أئمة اجتهدوا، قبلوا احاديث واطرحوا اخرى وهم الفقهاء الأربعة والبخاري ومسلم.

هذا وفضلاً عنه فإني اتبعت امرين في التخطئة والتصحيح، لم ينتبه لهما السابقون او حادوا عنهما الأول اني كنت ابدأ بالمتن ثم انتقل الى السند، والثاني اني كنت افضل الادلة والعلل التي تجعلني اصحح حديثاً، او خبراً او أضعفه، والسابقون من قدامى ومحدثين كانوا يحكمون بالصحة او الضعف من دون تفصيل في الأدلة والعلل، غالباً لأنهم اذا صح عندهم السند غالباً صح المتن وهذا(٢) خلل لأن السند لا تفصيل في الحكم على رجاله، بل هي عبارات مقتضبة.

❖ هات أدلة نقلية:

وفي يوم ١١/٨/٢٠٠٥م، تناقشت في قضية التهمة التي ألصقت بالرسول ﷺ - الاشجع والأحزم- مع أحد الفضلاء المختصين، فقلت: هل يعقل ان يجرؤ عقبة ابن ابي معيط على البصق في وجه رسول الله -حاشاه- ﷺ وان يبطحه ويطأ على رقبته (ولتبين الكذبة، زعم ان ذلك كان في دار الندوة، والرسول الاتقى ﷺ ليس من رواد دار الندوة) ثم يترك عقبة هذا الرسول في حالة خور فلا يحرك الرسول ﷺ ساكناً! ان فطرة النبوة تأبى ذلك.

ليعد كل منا الى نفسه والى تجاربه في الحياة، أيقبل بهذا الوضع المزري إلا ضعيف مسكين متهالك جبان؟ وحاشا الرسول ﷺ الاشجع والأحزم والأشهم ان تتطاول اعناق هذه الصفات الدنية، ناظر الى مقامه السامي الذي انزله فيه ربه تعالى وعصمه من الناس، والذي يحرسه عمه ابو طالب وعشيرته بنو هاشم وبنو

عبد مناف.

فقال لي مناقشي: نحن لا نريد حججاً عقلية عاطفية، وانما لا نقبل الا ما يقوله الحديث الصحيح في هذه المسائل!!

أيها الاخوة القراء، نحن أمة سيطر على عقولنا منهج التلقين الذي لا يعنى الا بالحفظ والتذكر، وتفسير الموجود، ولهذا فنحن نقدس النصوص غير المقدسة، مع ان ما نسب الى الرسول الكريم ﷺ من سنة لا يصح ان نقدس منه الا ما ثبت على التمحيص -تمحيص القدامى- وتمحيصنا نحن.

وهذا يعني ان كل حديث يتناقض مع «العقل» ولا يمكن التوفيق بينه وبين العقل هو حديث مردود متناً وان كان صحيح السند، تبعاً لما اجتهد به رجال الحديث حول صحة السند، لأن رجال الحديث لا يعرفون كل محدِّث معرفة شخصية، وإنما رويت له أوصاف عنه، وما أكثر الأسباب التي تجعل كثير من يوثقون من لا يستحق التوثيق، ويضعفون من هو أهل للتوثيق ولهذا تفصيل في مكان آخر من كتابي «العصمتان»(٣).

ولكنني اريد ان اقف عند قول مناقشي: نحن لا نريد حججاً عقلية عاطفية، أقول:

لعله واضح ان حجتي السابقة ليست عاطفية، ولا علاقة لها بالانفعال وانما هي حجة عقلية، لأن الحجة العقلية لا تعني التفكير في فراغ (ما عدا الرياضيات، فالتعامل بها بأرقام لا بواقع مادي) بل تعني: ملاحظة مفردات البيئة، وقوانين الاجتماع وقوانين النفس البشرية، والخروج من ذلك بنتائج علمية، عن طريق المقارنة او الاستقراء او الاستنتاج.

❖ الكون يقوم على قوانين:

واذا كانت مفردات الكون تقوم على قوانين أودعها الله تعالى فيها، فإن الفطرة البشرية تقوم على قوانين كذلك، كل ما في الأمر ان قوانين الفطرة البشرية، هي قوانين تعلم بالضرورة ومن غير تعلم -غالباً- وان كان التعلم يزيد الوعي تنبهاً ولهذا فقوانين الفطرة شبيهة ببديهيات العلم، ولهذا قال تعالى: **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾** الروم: ٣٠ .

هذا يعني ان الفطرة ثابتة لا تتبدل، ولأنها ثابتة لا تتبدل فهي تقوم على قوانين أو حقائق، يجب ان نأخذها بعين الاعتبار، ونحن نناقش اي موضوع يتعلق بالانسان والمجتمع.

اذن عندما نقول الكلام السابق، ليعد كل منا الى نفسه.. الى آخر الفقرة، فنحن لا نقول حججاً عاطفية، وانما نقول حجة عقلية، نحس بوجود مضمونها في كياننا، كما نحس بتحولات المادة الخارجية، فإذا قلنا: ان الحديد يتمدد بالحرارة، ويتقلص بالبرودة، فنحن نقول حقيقة علمية تقوم على قانون ثابت، وهكذا ما نحس به في فطرتنا فهو يقوم على حقائق ثابتة(٤).

ان علينا ان نعتقد اعتقاداً راسخاً، بما قاله الامام العظيم ابن تيمية في القرن الثامن الهجري (ت٧٢٨) بأن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل السليم، والعكس صحيح، ان العقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح(٥) ولا يقع التعارض الا اذا كان العقل سليماً والنص النقلي غير صحيح، أو كان النص النقلي صحيحاً، ولكن العقل مصاب بآفة نقص او مرض، او بآفة اتباع الهوى!، وقد كانت لي رؤية أخرى في مقولة «العقل والنقل» اراها تلغي هذه الثنائية وتحل محلها «التكاملية»، فرأيت ان النقل هو «العقل الكلي» والعقل البشري هو «العقل الجزئي» ولهذا فالعقل والعقل لا يتعارضان(٦).

❖ العقل الصحيح لا يخالف العقل المركب:

وأقول: نحن نعتبر ان كل حديث يخالف العقل المركب مردود، خاصة اذا لم يكن في القرآن الكريم ما يؤيد الخبر «الحديث» بشكل مفهوم واضح، ولهذا ترانا لا نقول (معاذ الله): ان الآية القرآنية التي تخالف ادلة العقل مردودة، لأن ادلة العقل مهما تنوعت فأتت من الظروف الاجتماعية، والفطرة الانسانية والبديهيات العقلية، يستحيل ان تختلف مع القرآن، الا اذا لم نحسن فهم موضع الشاهد من القرآن.. فالقرآن الكريم هو العقل الكامل والعقل البشري هو العقل الذي يعتريه بعض النقص.

اما اذا تضافرت ادلة العقل من مصادرها المتنوعة، ولكن تناقضت مع حديث «حكم» بأنه صحيح، ولم يكن التوفيق ممكنا، وليس للحديث ما يؤيده من ايات القرآن، اصبح لا بد من ان نحكم على ان الحديث مردود وانه ليس بحديث على الحقيقة.

بل كيف نحكم على حديث انه مردود متناً، اذا لم نستعمل أدلة العقل المتنوعة او نستعمل بعضها حسب ما يقتضيه المقام، كما استعمل أدلة العقل الأئمة الأربعة

العظام، والامامان صاحبا الصحيحين؟

ان عمى البصيرة وحده، هو الذي يحرم ان نرد خبراً كاذباً لا يؤيده شيء من القرآن، ويتناقض مع ادلة العقل لمجرد ان احد اصحاب كتب الحديث حتى وان كان البخاري أو مسلماً، عده صحيحاً، في حدود معرفته «الناقصة» برجال السند، اذ يستحيل التحقق اليقيني من رجال السند وتحرجه من تسليط ادلة العقل عليه، لأنه اكتسب في الأذهان قدسية بإضافته الى الرسول الكريم ﷺ(٧).

ان حقائق القرآن الكريم وأحكامه وحقائق الحديث النبوي الشريف واحكامه، لا تختلف مع العقل العبقري (والعقول اربعة مستويات)، ولا يختلف معها هذا العقل العبقري، بل ان القرآن الكريم والحديث الشريف والعقل العبقري لا تختلف مع نظام الكون ارضاً وسماءً وقوانينه، ولا يختلف نظام الكون وقوانينه مع القرآن والحديث والعقل العبقري لأن هذه كلها تقوم على نظام واحد، لكي لا تتضارب ولا تتناقض والله تعالى اعلم.

❖ الامام علي رضي الله عنه احجى من هذا القول:

لقد استشهد هذا الشيخ على اننا لا نستطيع ان نحكم على الأحاديث المختلفة الظاهر مع القرآن -أنها غير صحيحة- بعقولنا يستشهد بقول منسوب الى الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، وهو: «لو كان الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخفين، لا على ظاهرهما» أقول: الامام العظيم علي احجى من قول ذلك، ما السبب؟

ذلك لسببين اثنين: الأول: ان العقل يقول: المسح على ظاهر الخف اقرب الى الصحة من المسح على باطنه، لأن لابس الخف يلبسه داخل حذاء، ولا يمشي به على الأرض، والحذاء -كل حذاء- مغلق باطنه، ولكن قد يكون مكشوفاً ظاهره، وإذن، اذا طال الخف غبار فسيكون على ظاهره، لا على باطنه، وهذا أمر يشهد به الحس، وفضلاً عن هذا، فالمسح على الخفين هو رمز شرعي، وليس للنظافة.

ويشبه هذا من حديث ان الأمر -رمز- شرعي، قوله تعالى: **﴿انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾** التوبة: ٢٨، فالنجاسة هنا ليست نجاسة مادية، وانما هي نجاسة شرعية اعتبارية «او معنوية».

اذن الامام علي اعقل واحجى، وأكبر ادراكاً للمحسوس، وللمعنوي ايضاً من ان

يصدر منه مثل هذا القول الذي يغفل عن ما يحكم به الحس، اما قال الشريف الرضي -وهو من سلالة الامام:

هم انطقوني بالذي لم أفه به

وما آفة الأخبار الا رواتها؟

والسبب الثاني: ان القرآن الكريم حثنا وحضنا وارشدنا، لنستعمل عقولنا في ادراك الأوضاع والظروف والمعاني، لكي نميز بين صحة ما في القرآن وما في اقوال الناس وعقائدهم الفاسدة، فقال تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾** مرتين، وقال تعالى: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** البقرة : ٤٤، وقد وردت **﴿أفلا تعقلون﴾** اربعاً وعشرين مرة، وهذا حث على استعمال العقل، واستغراب من الذين لا يستعملون عقولهم.

وقال تعالى: **﴿أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾** البقرة: ١٧٠، وقد وردت هذه العبارة وأمثالها اربع عشرة مرة، وهذا استنكار على الذين يتبعون آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون، وهذا ابعاد لقول الآباء الذين لا يعقلون.

ووردت عبارة: **﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾** النحل: ٦٧، ثماني مرات، ووردت عبارة: **﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** وأمثالها سبع عشرة مرة، فكانت عبارة **﴿يتفكرون﴾** مدحاً للذين يستعملون عقولهم، وهذا بأسلوب غير مباشر، حث على التفكر، ووردت كلمة **﴿الألباب﴾** في القرآن ست عشرة مرة، قال تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾** البقرة: ١٧٩، والألباب هي العقول، ولم ترد مفردة، لم ترد «يا ذا اللب» لأن الغالب ان القرآن يخاطب الجماعة.

❖ النتيجة الأولى:

مادة «**التعقل**» ومشتقاتها، وما يقاربها في المعنى، مثل: «**يتدبرون، يتفكرون، الألباب**» وردت خمساً وتسعين مرة، وفيها كلها حث وحض وارشاد على استعمال العقل، ووردت كلمة «**برهان**» خمس مرات وكلمة «**دليل**» مرة وبذا تكون الكلمات التي وردت حاثة على التفكر حاضة عليه، مئة كلمة وكلمة.

أيجوز لعاقل بعد هذا ان يقول: نحن لا نستطيع ان نحكم بعقولنا على الحديث الذي يخالف ظاهره القرآن بأنه باطل، ولو لم نستطع ان نوفق بين تأويل هذا الحديث وبين القرآن؟!.

وهب الإمام علياً –حاشاه– انه صاحب مقولة الخفين التي بينا بطلانها في ذاتها، أيصح اتخاذ هذا برهاناً على اننا لا نستطيع ان نحكم على ما يسمى حديثاً –بالبطلان– بعقولنا مقابل حث القرآن الكريم، وحضه لنا وارشاده لنا على ان نستعمل عقولنا في فهم كل شيء، وتفهمه وان ما لا يوافق العقل المهتدي بنور الشرع، والمؤمن بأن الشرع هو الهدى: **﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾** البقرة: ١٢٠، هو خرافة أو مكذوب او باطل؟

وما وزن كلام البشر، اذا تعارض مع القرآن، بل ان ما يسمى حديثاً، ولكنه يتعارض في ظاهره وتأويله مع القرآن، في حكم العقول القادرة «عقول العباقرة كالأئمة الأربعة» هو كذب، ومين وباطل، ولم يخرج من بين شفتي الرسول الشريفتين ﷺ لم يخرج من بينهما على الجزم والتعين، بل ان مقولة: «ظاهر للحديث وباطن» هي من تبريرات عصور الانحطاط، التي اغلق أو وورب فيها باب الاجتهاد، لأن اغلاق باب الاجتهاد يحول بين الناس وبين الشك والتدبر والتفكر، والنقد والتمييز بين الصواب والخطأ، والصحة والدخل، في كل امر وفي كل ميدان.

الهوامش:

١– تفصيل ذلك في كتابي «العصمتان» تحت عنوان «لماذا تنبهنا الى ما هو موضوع من السيرة؟».

٢– ان تفصيل ذلك في الجزء الثاني التمهيدي من كتابي (العصمتان) تحت عنوان «دراسة السند قبل المتن خلل».

٣– نجد اسباب الوضع والاختلاف والتوهم، الجزء الثالث من كتابنا السابق.

٤– تفصيل الخلل في توثيق الرواة، في الجزء الأول والثالث من كتابنا السابق.

٥– درء التناقض بين العقل والنقل للامام ابن تيمية.

٦– تجد تفصيل ذلك تحت عنوان «تأصيل للعلاقة بين العقل الكلي والعقل الجزئي» اذ خرجنا من تحليل العقل الكلي والعقل الجزئي وقوانين الكون، ان هذه الثلاثة لا يختلف بعضها مع بعض، بل هي تكون ثلاثة دوائر متقاطعة، والمساحة المشتركة بين العقلين هي ٩٠٪ وكل من العقلين لا يستقل الا بـ ١٠٪، اما قوانين الكون فلا تختلف مع العقل الكلي، ولا مع العقل العبقري ولا بدرجة واحدة، لأن النظام الذي اودعه الله تعالى في هذه الثلاثة واحد.

٧– تفصيل الحديث عن رجال السند، الجزء الثالث من كتابي السابق وعن اسباب وضع الحديث والكذب في توثيق الرجال الجزءان الأول والثالث من كتابي السابق.

فاق الملوك بجوده وحنانه

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

فـــاق الملوك بجــــوده وحنـانه
ملك الهــواشم أكــرمــوا بزمـانه

ملك له في الخـيـر سـبق فـعـائل
شــبلٌ لـه ســبق على أقــرانه

ســبط الهــواشم في البــرايا أول
نجم تعلّى يعـــتلي في شــــأنه

يا سـيـدي حـزت الكمـال مـفـاخراً
فـغـدوت تُمـسك سـيـدي بعنانه

يا سـيـدي من كـان مـثلك في الورى
مُـــــدّت لـه الأيدي مـن خــــلانه

ان شــحت الأيام يا ملك الحـمـى
الســعــد انت بعــمــرنا وأوانه

كـــالغــيث في تهـــاطله عم الورى
كـالبحـر فاض الخيـر من شطآنه

كـالشـمـس يشــرق حـبــه بقلوبنا
كـالزهر يشـذ الطيب من ريحـانه

مــثل الربيع كـســا البــلاد بثــوبه
مـثل الشـتـاء يفـيـض من غـدرانه

يا ســيــدي أنت الســحــاب لموطن
أردن عمّ الخـــيـــــر في أوطانه

انعم بعــبــد اللـه مـــا طال المدى
هـو أول الأشـــبــال من إخــوانه

فـي كـل يـوم لـلـمـلـيـك مـكـارم
عمّ البـــــلاد بجــــوده وحنـانه

فـي كـل ارض لـلـمـلـيـك مـنـابـر
شــأن الكرام ممجـد فـي شــأنه

في كل يـوم لـلمـليك مـــــواقـف
يا رب مـد الـعــمــر في أزمـانه

وابقــيــه مــا طال المدى يا منعـمـاً
واجـعل لـه التـوفـيق في سلطانه



جهاد المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي في مواجهة العدوان الأوروبي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

لا شك ان التاريخ ليفخر بحركة الجهاد الاسلامي بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، الذي حرر المسجد الاقصى من الاحتلال الاوروبي، الذي اتخذ اتجاهاً صليبياً، ولم يعترف بتقديس المسلمين للسيد المسيح عليه السلام، وأمه مريم العذراء، مما تجلى برعاية دولة الاسلام لأهل الكتاب وحمايتهم وحماية معابدهم، وجعل مصالحهم في ذمة المسلمين وذمة دولتهم لقوله ﷺ: «من ظلم معاهداً أو انتقصه، وأخذ منه شيئاً أو كلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه يوم القيامة» «كتاب الخراج لأبي يوسف ص١٥٠».

وقد كنت أظن ان الجهاد في مواجهة الصليبيين أمر يحرص المسلمون على معرفته، ولم يخطر ببالي ان يقعوا في خطأ تحديد زمانه، حتى وجدت ذلك في التقويم العربي الهاشمي الصادر في عمان، في الورقة التي تحمل تاريخ ٢٦ ربيع الثاني لسنة ١٤٢٩هـ، التي وجدت فيها عبارة «ذكرى معركة حطين» وهو صحيح بالنسبة لليوم والشهر، ولكنه اخطأ في جعله في سنة (٨٥٣هـ)، اي بعد وقوع المعركة بحوالي ثلاثة قرون، حيث ان تلك المعركة قد وقعت في عام ٥٨٣هـ، غير انني توقعت ان ينتبه احد لهذا الخطأ فيبادر الى تصحيحه في تقويم العام الهجري (١٤٣٠) ولكنه تكرر هذا الخطأ الجسيم في ذلك العام.

أقول صراحة: ان ذلك الخطأ وتكرره قد ارعبني، خصوصاً وانه وقع في الأردن

الذي كان احد ميادين الجهاد ضد الصليبيين، وقد سُجلت فيه عدة انتصارات للمجاهدين المسلمين، ولذلك رأيت من واجبي كتابة شيء عن حركة الجهاد هذه، وتوجيه الأنظار الى معركة حطين وأهميتها وتحديد تاريخها بدقة بالرجوع الى المصادر التي تخصصت بموضوع الجهاد ضد العدوان الأوروبي، خاصة وقد تصدى له مؤلفون أكفاء وكان أكثرهم ممن شارك في الجهاد بنفسه وسجل تفاصيله ومنهم:

١- عماد الدين محمد بن محمد الكاتب القرشي الاصفهاني، وكان من كتاب صلاح الدين، له كتاب ضخم بعنوان «الفتح القسي في الفتح القدسي».

٢- القاضي بهاء الدين بن شداد الذي رافق صلاح الدين في جهاده، وصنف كتاباً في سيرته وهو بعنوان «سيرة صلاح الدين المسماة «السيرة اليوسفية».

٣- ابو شامة، وهو عبد الرحمن بن اسماعيل الذي صنف كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين الزنكية والأيوبية» وذيله، وهو تراجم الرجال.

٤- جمال الدين محمد بن سالم بن واصل وكتابه «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب».

وسوف اخصهم -بإذن الله تعالى- بمقال مستقل والتعريف بمؤلفاتهم، وجهودهم في تسجيل وقائع حركة الجهاد الاسلامي في مواجهة القوات الأوروبية المعتدية.

❖ معركة حطين:

ولعل خير من كتب عنها هو ابن واصل في تاريخه «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» اذ قال «ج٢/١٨٨ - ١٩٥ و ص٢٤٠-٢٤١»: انها تعتبر مفتاح الفتوحات الاسلامية بما فيها فتح القدس، اذ تهيأ الفرنج للقتال بخمسين الف مقاتل ومعهم «صليب الصلبوت» وذلك يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر من سنة ٥٨٣هـ، عندما منعهم المسلمون من الحصول على ماء بحيرة طبرية، وعند ذلك التجأوا الى جبل حطين ليأمنوا جانب المسلمين، ولكن المسلمين احاطوهم وضايقوهم واشعلوا حولهم النيران في الحلفاء، واشتد القتال وكادوا يظفرون وينهزم المسلمون، ولكن الله ثبت اقدامهم فانتصروا عليهم، وقُتل منهم جمع كبير، واسر جمع آخر، واستولى المجاهدون

على الصليب المقـدس وكـان أولاد صـلاح الدين في مقدمة المقاتلين.

ووقع عـدد كـبيـر من قـادة العـدو في الاسـر، وقال عـماد الـدين الكاتب: بأنه منذ ملك الافرنج البـلاد لم يقع عليهم يوم كيوم حطين، خاصـة بعد ان استـولى التتر على مـعظم المشـرق الاسـلامي ويئس الناس من انتـعـاش الملة، فـجـاء هذا النصـر المبين وعندها نزل صـلاح الدين من مقر قيادته، وأدى صـلاة الشكر على هـذه النعـمـة، وأحـضـر الاسـرى من ملوك الفـرنجـة، فـأجلسـهم الى جانبـه بما فـيـهم البـرنس «ارناط» صـاحب الكرك الذي أقسم صـلاح على قـتله ان ظفـر به، لأنه غـدر بقـافلة مصرية كانت متوجهة الى الشام وقتل من فيها، وقال لهم: «قولوا لمحمدكم يخلصكم» فـقـال له صـلاح الدين: «ها انا انتـصـر لمحمد ﷺ».

ثم عـرض عليـه الاسـلام فلم يسـتـجب وعندها عاجله بضربة من سيفه وأتم عليه من حـضـر من الخـدم، مما افـزع ملك الافـرنج، ولكن صـلاح الدين طمنه بقوله: «لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك، واما هذا فتجاوز حده فجرى عليه ما جرى»، ثم امـر بنقل الملوك والقـواد والاسـرى الى دمشق، وقد كان هذا النصر مقدمة لفتح عكا يوم الجـمـعـة ٢ جـمادى الأولى ٥٨٣هـ (مفرج الكروب ج٢/٢٠١-٢٠٢).

وبذلك تهـيـأت الظروف لفـتـح عـدة حصون وفتحت نابلس وكتب صـلاح الدين الى الخليـفـة الناصـر بهـذه الانتـصـارات «بإنشـاء عـماد الكاتب» كما فتحت صيدا وبيروت وجبيل وعسقلان وغزة(١).

وبلغ عدد الاسرى في هذه الوقائع ما لا يقل عن (١٠٠) ألف أسير «المصدر السابق ص٢٠٧-٢١٠» وقد توجت هذه الانتصارات بفتح القدس «المصدر السابق ص١١» التي كـانت الشـغل الشـاغل لصـلاح الدين ويضيف ابن شداد «في سيرة صلاح الدين ص٧٥-٧٩»: ان الافرنج كانوا قد اعتصموا قبل حطين وهي قرية عندها قبر شعيب النبي عليه السلام «مفرج الكروب ج ٢/١٩٠».

في الحقيقة ان أهم ما كان يشغل بال صلاح الدين هي «القدس» التي كان يتفقد احوالها وما يحصل بها من اسوار وقلاع، وكـان يتـصـدى للموجات الفـرنجيـة التي تغادرها بهدف قتال المسلمين، فيلقون على ايدي جـيـوشـه الهـزيمة تلو الهـزيمة، لما

ادركوا انهم لا يقدرون على صدهم، كما ادركوا انهم مشرفون على الهلاك، وان من مصلحتهم طلب الامان وتسليم القدس لصلاح الدين، الذي امتنع عن اجابتهم للأمان، وقال لموفديهم: «انا لا افعل الا كما فعلتموه بأهل القدس من المسلمين في سنة ٤٩١هـ من القتل والسبي، وجزاء السيئة بمثلها» ويرجع الموفدون خائبين وقد ارسلوا وفوداً اخرى تسترحم صلاح الدين بمنح الأمان، ويقولون له: «ان في المدينة خلق كثير وهم يرغبون في عدم القتال، ورجاء الأمان وهم يكرهون الموت، اما اذا رأينا الرفض فلا بد لنا ان نقتل ابناءنا ونساءنا، ونحرق جميع ما نملك ولا نمكنكم تغنمون منا شيئاً ولا تأسرون أحداً ثم نخرب الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها من الأماكن المقدسة، ثم نقتل اسرانا وهم (٥٠٠) أسير، ولا نترك دابة ولا حيواناً الا قتلناه، وبعدها نخرج لقتالكم ونموت اعزاء كراماً.

فاستشار صلاح الدين اصحابه فأجمعوا على اجابتهم الى الأمان، فأجابهم اليه، واشترط عليهم ان يدفع كل رجل عشرة دنانير، والمرأة خمسة دنانير، والطفل دينارين، على ان يتم الدفع خلال (٤٠) يوماً، والا صار من في المدينة مماليك للمسلمين، وهكذا استسلمت القدس يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ «مفرج الكروب ج٢/٢٠٧-٢٤١».

ثم نعود الى الحديث عن واقعة حطين، فقد لاحظت ان ابن شداد في كتابه «سيرة صلاح الدين ص٧٥» يعتبر حدوث معركة حطين يوم السبت بدلاً من يوم الجمعة، ولكنه يبقي على تاريخها في يوم ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ اما العماد الاصفهاني فيرى في كتابه «الفتح القسي في الفتح القدسي» ان الواقعة حدثت في يوم الجمعة الموافق ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣هـ وان النصر فيها اسفر عن احراز النصر في طبرية والى فتح عكا، التي فتحت يوم الأربعاء من الشهر نفسه والسنة نفسها «الفتح القسي ص٢٤-٢٦».

وفي هذا السياق، كان قد وصل الى المنطقة ملك الانكليز وهو المعروف بلقبه «قلب الأسد» الذي حاصر قبرص واحتلها ثم انتقل الى فلسطين، وعندها ابدى رغبته في لقاء صلاح الدين، لكنه رفض الا بعد معرفة المراد، وفوض الأمر لأخيه الملك

العادل، وقد جرى حينذاك الحديث عن المهاداة بين السلاطين، وان دامت الحرب وكان الانكليزي مريضاً وطلب شيئاً من الفواكه والثلج، وطالب ان يسمح لرسله بالتجوال في الأسواق فسمح لهم، وكان غرضه تفتير العزائم، اذ استمر بالرمي من المنجنيقات على عكا مما اجهد اهلها المحصورين فيها، وقد اصابهم اليأس، خاصة بعد انهيار اجزاء من سورها، فعمدوا الى الاتصال بالفرنج وقد تضمن كتاب صلاح الدين المرسل الى صاحب إربل، خلاصة الموقف حسبما ما ورد في كتاب «سيرة صلاح الدين» ابن شداد وادى ذلك الى فشل الجهود المبذولة للوصول الى حل سلمي، فقرر القادة المحليون في عكا، عقد اتفاق مع العدو للخروج من عكا وتسليمها الى الافرنج مع دفع (٢٠٠) الف دينار و (٥٠٠) من الاسرى الصليبيين، و «صليب الصلبوت» مما كان مفاجأة لصلاح الدين وجيوشه، اذ فوجئوا برايات الصليبيين فوق سور عكا، مما اثر في معنويات المسلمين الذين كانوا يعدون العدة الى مواصلة القتال، وقد كلف عماد الدين الكاتب بإعداد رسالة توجه الى مختلف بلدان المسلمين تصف الحال «الفتح القسي ٣٥٢-٣٦٩».

وقد تضمنت الرسالة اتهام بعض القادة بالتخوف مما ادى الى عرض تسليم المدينة الى الكفار، لقصد سلامتهم، بخلاف المخلصين المؤمنين الذين يبذلون الغالي والرخيص في سبيل احراز النصر على العدو، ومنها رسالة الى قطب الدين بن نور الدين بن قره ارسلان، تثير همته للاشتراك في الحرب، ورسالة مماثلة لاستدعاء مظفر الدين حاكم اربل، واعلامه بسقوط عكا التي دافع عنها المسلمون اكثر من عامين تكبدوا خلالها (٥٠) ألف شهيد، وحاول الفرنجة الاستفادة من دخول عكا فحاولوا التعرض للمسلمين خارجها، ولكن لم يتخل صلاح الدين عن الشروط التي قبلها القادة الذين سلموا عكا لقاء خروجهم والمسلمين منها، ومن تلك الشروط دفع (١٠٠) الف دينار، واطلاق الاسرى من الصليبيين واعادة «صليب الصلبوت» الذي سبق ارساله الى دار الخلافة «فأحضر منها» ولكن ملك الانكليز لم يوف بتعهداته اذ قتل المسلمين الذين اسروا في عكا، مما حمل صلاح الدين على الامتناع عن الوفاء بتلك

التعهدات ومنها دفع المبلغ المذكور، وعدم اطلاق سراح اسرى الفرنجة، وعدم اعادة الصليب الذي اعيد الى الخزانة لاهانتهم، علماً بأن الروم ثم الكرج قد بذلوا جهودهم للفوز بذلك الصليب، وانفذوا عدة رسل فلم يلقوا غير الرفض «الفتح القسي ص٣٧٠-٣٧٣».

هذه خلاصة الأحوال التي مرت بعد معركة حطين، اما ما يتعلق باستمرار الجهاد ضد الصليبيين فله مناسبة اخرى ان شاء الله، لكن هناك بعض الاحداث مما لها صلة بما سبق الحديث عنه، نلخصها فيما يأتي، وهي احداث منوعة ندرجها بمشيئة الله تحت العناوين التالية:

أولاً: تحرير القدس:

جاء في «مفرج الكروب ج٢/٢١٣-٢١٤» انه كان فيها قبل تحريرها ما لا يقل عن (٦٠) ألف مقاتل من الافرنج، وفيها تجمع كبراؤهم من الملوك والأمراء ورجال الدين، كما ان فيها اهم مقدساتهم بما فيها كنيسة القيامة، لذلك كانوا يقاتلون عنها كفريضة دينية، اذا ما رفض الجانب الاسلامي منحهم الامان، وفي ذلك تضحية بأرواح المسلمين، مما حمل صلاح الدين على قبول وقف القتال مقابل الأمان، وكان في القدس بعض نساء ملوك الروم اللاتي ترهبن وسكن فيها، ولهن جمع من الخدم والأموال والجواهر النفيسة، فطلبن الأمان لأنفسهن ومن معهن فوافق صلاح الدين على ذلك، فأمنهن وسيرهن الى الجهات اللاتي اردنها، وكانت احدى زوجات الملك المأسور مقيمة في القدس، واستأذنت صلاح الدين ان يسمح لها بالاجتماع بزوجها المحجوز في نابلس فأذن لها، بل وحتى زوجة أرناط، الذي قتله صلاح الدين في حطين، وقد تم ذكره، فشفعت لولدها المأسور، فوافق على شرط تسليم الكرك للمسلمين، فحاولت ولم توفق، ولكن صلاح الدين اطلق لها اموالها وأتباعها، كما سمح للبطرك الافرنجي الكبير ومعه اموال الكنائس فقيل لصلاح الدين بأن يأخذ ما معه من اموال ليتقوى بها المسلمون، فقال: لا أغدر به، ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير كفرد عادي، وسيّر مع الذين سبق ذكرهم حرساً يوصلونهم الى مدينة صور.

وكان الافرنج قد أساؤوا لقدسية المسجد الاقصى، اذ وضعوا على رأس قبة الصخرة صليباً كبيراً من ذهب، فاقتلعه

المسلمون، ودنسوا محرابها فجعلوه مكاناً للخنازير وما اليها مما استوجب ازالته كما بنوا في المسجد بعض المساكن لهم بما فيها المواضع الصحية «المستراح» ومستودعات للحبوب وما الى ذلك، مما وجبت ازالته، كما اقاموا على الصخرة المقدسة كنيسة، وملؤوها بالصور، ووضعوا نقوشاً فيها قوامها صور «الخنازير» علاوة على مذبح وأماكن للرهبان وقد تطلبت ازالتها بعض الوقت، ولذلك لم يكن ممكناً يوم الفتح اقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، ولكنها أقيمت فيه في الجمعة الثانية من تحريره، حيث امتلأ الاقصى بالمصلين، وقد كلف صلاح الدين القاضي محيى الدين بن زكي الدين، بإلقاء خطبة الجمعة التي استهلها بقوله تعالى: **﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾** الأنعام: ٤٥، وشفعها بما يناسب المقام والنصر، وكنا نود اقتطاف بعض فقراتها، ولكنها طويلة، ويكفينا ان نقول: ان الملك المظفر ابن صلاح الدين وهو تقي الدين، قد طهر الصخرة بنفسه وغسلها بماء الورد، وكنس ساحاتها وحيطانها وبخرها حتى تطهرت «مفرج الكروب ص٢١٩-٢٢٧».

والجدير بالذكر ان نقل المنبر الذي امر بصنعه السلطان نور الدين محمود رحمه الله لينصب في المسجد عند تحريره ولكنه لم يتسن له ذلك هو المنبر الذي احرقه اليهود ضمن خطتهم لتدمير المسجد، وأقاموا مكانه معبدهم لا سمح الله.

وخطرت على بال بعض المعنيين آنذاك، فكرة وهي من باب الانتقام، ان تهدم كنيسة القيامة، ولكنهم استبعدوها، اذ ذكروا ان فتح القدس في صدر الاسلام كان من جانب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اقر بقاءها في هذا الموقع، ولم يأمر بهدمها ولذلك قرر صلاح الدين استبعاد فكرة الهدم «مفرج الكروب ج٢/٢١٩-٢٣١» وانا اضيف على ما تقدم وليس من حق أحد ان يزايد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكتب صلاح الدين عن هذا النصر رسالة الى الخليفة الناصر، وكذلك الى ملوك الاطراف وبعض اعضاء الاسرة الايوبية وتضمنت رسائله الحديث عن المعارك التي خاضها وخاصة «معركة حطين» وأهميتها بالنسبة لفتح القدس،

واغلب تلك الرسائل كانت بقلم الكاتب عماد الدين، وتضمنت بعض رسائله الحديث عن المعارك التي خاضها وخاصة «معركة حطين» ودورها في تعبيد الطريق الى فتح القدس «مفرج الكروب ج٢/٢٣٨-٢٤٢».

❖ ثانياً: صلاح الدين وملك الروم:

كانت لصلاح الدين مراسلات مع ملك الروم في القسطنطينية حول بعض الأمور، ومنها اقامة الخطبة في جامع عاصمة الروم، وهو الجامع الذي بني في العهد الأموي، واقامتها كانت ضمن مهمات الرسول الذي اوفده صلاح الدين الى هناك، وقد حظي الرسول باحترام كبير واكرام ملحوظ، وكان برفقته الخطيب والمنبر، وجمع من المؤذنين، وكثير من تجار المسلمين، واشترك هؤلاء بأداء الصلاة، ودعوا للخليفة العباسي، وعاد الرسول ومعه رسول ملك الروم وكتاب الى صلاح الدين مختوم بالذهب، يتضمن القول بتنفيذ ما طلبه صلاح الدين واستعطافه وإظهار المودة له، والاعتذار عما حصل من عبور ملك الألمان ببلاد الروم، «مفرج الكروب ج٢/٣٢٨-٣٤٩» مما سيأتي ذكره بإذن الله.

❖ ثالثاً: صلاح الدين وملك الانكليز:

وفي هذه الظروف وصلت رسالة من ملك الانجليز الى الملك العادل تطلب المصافاة والموالاة، والأخذ بالمهاداة وتردد الرسل اياماً واستقرت الأمور على زواج العادل بأخت الملك الانجليزي، وقبول بعض الشروط من جانب صلاح الدين، ويكون مستقر ملكها بالقدس، وان اخاها يعطيها بلاد الساحل الفلسطيني، ويجعلها ملكة الساحل من عكا الى يافا وعسقلان ويعطي صلاح الدين لأخيه جميع ما بيده من ساحل فلسطين مضافاً الى ما في يده من البلاد والاقطاع، ويسلم اليه صليب الصلبوت، وقد تولى شداد إبلاغ هذا الموضوع الى صلاح الدين، نيابة عن الملك العادل، فأقره صلاح الدين، وعندما علمت أخت الملك بما تم من قبل أخيها رفضت الزواج الا اذا انتصر العادل، وهكذا فشلت محاولة ملك الانجليز لإنهاء الحروب «ابن شداد ص١٩٥-١٩٦، والفتح القسي ص٣٩٣-٣٩٥».

ثم انصرف صلاح الدين الى عمارة القدس وأسوارها وكان يحمل الأحجار على قربوس حصانه، فيتابعه الأمراء

والأكابر، وعمّق الخندق وأعلى الأبراج «الفتح القسي ص٤٠٠-٤٠١ ، ٤١٦-٤١٩».

كما فتح مدينة يافا، وعندها ادرك ملك الانجليز ان التشدد لا ينفع فطالب هدنة عامة، بحجة عزمه على العودة الى بلاده، وكان رأي صلاح الدين رفض الهدنة، الا ان رؤساء الاجناد مع استعدادهم لمواصلة القتال، كانوا يرون ان برفضها يزيد الموقف سوءاً، فكانت الهدنة «الفتح القسي ص٤٢٩-٤٣١ و ٤٣٤-٤٤٠» وفي ظل الهدنة سمح صلاح الدين لملك الانجليز بزيارة كنيسة القيامة «المصدر السابق ص٤٤١-٤٤٦».

◆ رابعاً: صلاح الدين وحاكم انطاكية:

ثم ان البرنس حاكم انطاكية، قدم لزيارة صلاح الدين، وكان طامعاً بالذمة لأداء الخدمة لصلاح الدين الذي أحسن لقاءه، وسكّن من روعه وأكرمه ومن معه من الفرسان، وأجزل لهم العطاء، والجدير بالذكر ان زوجة هذا البرنس كانت تهادي صلاح الدين، وتطلعه على أسرار الافرنج، وكان صلاح الدين يكرمها، ويهدي اليها أنفس الهدايا، وكانت اختها قد اسرت يوم فتح القدس، وقد حرص صلاح الدين في البحث عنها حتى وجدها واعادها الى أسرتها وزوجها، فأكرمهم جميعاً وسيّرهم الى انطاكية اكراماً لزوجة البرنس «مفرج الكروب ص٢٦٧».

◆ خامساً: قدوم ملك الألمان:

وقد علم بمقدمه الى الشرق، الملك الظاهر صاحب حلب، وهو ابن صلاح الدين، فأخبر والده بذلك، وقد قيل: ان في قيادته (٢٦٠) الف مقاتل، فانتدب صلاح الدين القاضي ابن شداد لينقل هذا الخبر الى الخليفة الناصر، كما سير القاضي ضياء الدين الشهرزوري بتلك المهمة ايضاً، وكان ذلك في سنة ٥٨٦هـ بما في ذلك ابلاغ الخبر الى ملوك الاطراف، وسبب قدوم ملك الألمان بهذا الجيش الكثيف، وأخبار هزيمة الفرنج في حطين، ثم تحرير القدس، فحملته العصبية الدينية على جمع هذا الجيش الحاشد وقيادته باتجاه القدس، ولكن ملك الروم وهو على علاقة طيبة مع صلاح الدين، لم يسانده ولم يسعف جيشه، فاضطر الى الانتقال باتجاه بلاد الشام، مما ادى الى تشريد هذا الجيش في الطريق، اذ لم يكونوا يعرفون جغرافية المنطقة، وفعلت الثلوج

فـعلهـا في إفنائهم، حـتى اكلوا دوابهم، وتخطفـهـم التـركـمـان، ومع ذلك وصل بعـضـهـم الى ديار الأرمن الذين دخلوا في طاعة الملك الألماني وقدموا لهم الطعام.

والجـديـر بالذكـر ان هذا الملك غـرق اثناء عـبوره لأحد الأنهار ولكن ابنه جمع حـوله (١٥) ألف مـقـاتل، وانطلق من انطاكية الى اللاذقية ثم سلك طريق البحر بقـصـد عكا، لكن الافـرنج لم يرحـبـوا به، خاصة وأنه طلب منهم ممارسة القتال الى جانبـه، وحـاول التسـرب الى المنطقـة التي تحيط بقواتهم التي تضرب الحصار حول عكا، فما كان من صلاح الدين الا الركوب اليهم فأحبط خططهم.

وهكذا فشلت الحملة الألمانية، خاصة بعد فـشل مـحـاولات ارسـال السـفـن التي تحمل احطاباً محترقة لحرق برج اسلامي قـائم في الميناء مما يؤدي الى حـرق سـفـن اسـلامـيـة، بل عكا نفسـهـا «مفـرج الكروب ج٢/٣٢٩-٣٣٠».

هذا وقـد اعـتـذر صـاحب قلعـة الروم الارمني الى صلاح الدين، وخاطبه بعبارة «مـالكنـا السلطان الملك النـاصـر صـلاح الدين والدنيـا»، ومـا الى ذلك من القـاب «مـفـرج الكروب ص٣١٧-٣٢٠ و ٣٢٩-٣٣٠»، وعلى كل فإن قدوم الملك الألماني ما كان الا كرد فعل لمعركة حطين، التي كانت تحولاً مهماً في مصير الحروب الصليبية، اذ اثارت قلقـاً بـالغـاً في اوروبا مما تجلى بصـراحـة في هذه الحـملة الألمانيـة التي قـادهـا الملك بنفـسـه، ولكن الله سـبـحـانه وتعالى خذله في مختلف المراحل، وانتهى به الى الغرق، وكان ذلك سنة ٥٨٦هـ.

❖ سـادسـاً: ورود المسـاعـدات من الخليفة وبعض حكام الأقاليم العراقية:

ذكر ابن واصل «مفرج الكروب ج٢/٣١٤» وغيـره من المؤرخين، وصـول وفـد برئاسـة الشريف فخر الدين نقيب المشهد الكاظمي في بغـداد، ومعه احمال من النفط ومبلغ من المال، وعـدد من الـزراقين، اي رمـاة النفط المتقنين لصناعة الاحراق، فاحتفى صـلاح الدين بالوفـد، وقـد وصلت هذه الشـحنة الى معسكر جيش صـلاح الدين المحيط بعكا، كما ذكر العماد الاصفهاني «الفتح القسي ص٢٤٢-٢٤٣ و ٢٤٩-٢٥٢» اسـتـخـدام قـدور النفط التي قـذف بهـا المسلمون ابراج الفـرنجة في حصـار عكا، مما حسم المعركة لصالح المسلمين، مما

استوجب زف البشرى الى الخليفة والى مختلف الاقطار الاسلامية.

ويبدو ان النفط من العراق، كان يصل الى المقاتلين كما ذكر ابو شامة في كتابه «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص١٤٨و٢٠٣ - ٢١١ و ٢٣١-٢٣٢ و ٢٤٢-٢٤٣» حيث ان صاحب الموصل مسعود بن مودود بن زنكي كان يرسل كميات من النفط الابيض ومجموعات من الرماح والتروس الى الجيش الاسلامي المحاصر بعكا، علماً بأن النفط كان قليلاً لدى قوات العدو.

❖ مصادر المقال الأساسية:

١- «الفتح القسي في الفتح القدسي» مؤلفه عماد الدين محمد بن محمد الكاتب القرشي الاصفهاني المتوفى سنة ٥٦٧هـ وهو كتاب ضخم نشر لأول مرة بتحقيق الكونت «كارفودي لاندنبرغ» وطبع في لايدن بهولندا وله طبعة ثانية في القاهرة سنة ١٩٠٥م وكان المؤلف من كتاب صلاح الدين الأيوبي وقسط كبير من رسائله -ان لم تكن كلها- من انشاء العماد.

٢- «سيرة صلاح الدين» المسماة «السيرة اليوسفية» للقاضي بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ، وقد نشرت بتحقيق جمال الدين الشيال، وطبعت في القاهرة سنة ١٩٦٢م وكان المؤلف قريباً جداً من صلاح الدين وكثير من رسائله كانت بقلمه، وكان يرسله الى الخليفة لابلاغ رسائله.

٣- كتاب «الروضتين في اخبار الدولتين الزنكية والأيوبية» المنشور بالقاهرة سنة ١٨٧٠م.

٤- و «ذيل الروضتين» وهو في التراجم المنشورة في دمشق سنة ١٩٤٧م، وكلاهما لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ.

٥- كتاب «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» مؤلفه محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ وقد نشر الكتاب بتحقيق د. جمال الدين الشيال في القاهرة سنة ١٩٥٧م.

الهوامش:

١- يرى ابن شداد «ص١٠٣-١٠٩» ان معركة حطين كانت مقدمة لأخذ قلعة طبرية ومدينة عكا.

إلى من ينتمي حزب شاس الصهيوني؟

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

من هو شاس الذي ينتسب إليه أحد الأحزاب التي تتألف منها الحكومة الإسرائيلية؟

كان لليهود في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام جاليات كثيرة تقيم أكثرها في اليمن، وفي يثرب التي أصبح اسمها المدينة المنورة، وفي خيبر، فكان في يثرب وحدها ثلاث قبائل يهودية تقيم مع الأوس والخزرج، هي بني قينقاع الذين كانوا يسكنون وسط يثرب، وبني النضير الذين كانوا يسكنون في جنوب المدينة قرب قباء، وبني قريظة الذين كانوا يسكنون قرب جبل أحد في شمال شرق يثرب. وكان لليهود الغلبة على يثرب، فحاربهم الأوس والخزرج حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوة، فما كان من اليهود إلا أن أوقفوا بينهم العداوة والبغضاء.

وحصل بين الأوس والخزرج قتال شديد في معارك عدَّة، مع أنهم أبناء عمومة، فالأوس من ولد أوس، والخزرج من ولد خزرج وهما أخوان، وكان آخر ما وقع بينهما من قتال يوم بعاث، وقتل فيه أكثر رؤسائهم، ولم يبق إلا عبد الله بن أُبي بن سلول من الخزرج، وأبو عامر الراهب من الأوس، فحالف الخزرج بني قينقاع وبني النضير، وحالف الأوس بني قريظة.

وكان اليهود إذا حصل قتال بينهم وبين الأوس والخزرج، يطلبون من الله الفتح والنصر عليهم، باسم النبي الذي قد قرب زمانه. قال الله تعالى في كتابه مذكراً لهم في ذلك عندما أعرضوا عن الإيمان

بالقرآن وبرسول الله ﷺ: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** البقرة: ٨٩ .

وقد كانوا يذكرون قرب ظهور هذا النبي أمام الأوس والخزرج، عندما يحصل بينهم صراع أو جدال. وكان هذا من أسباب إسلام الأوس والخزرج، وتصديقهم لرسول الله ﷺ.

وآخى رسول الله ﷺ بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين، وعقد مع اليهود حلفاً مقتضاه تقرير حرية العقيدة، وحرمة المدينة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجريمة، وترك الحرب والأذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً، وإن داهمه بالمدينة عدو ينصرونه، وأقرهم على دينهم وأموالهم.

إلاَّ أن اليهود لما رأوا المحبة والوفاق بين المهاجرين والأنصار وبين الأوس والخزرج، بسبب إخوة الإسلام، غاظهم ذلك، وأخذوا يحاولون الوقيعة بهم فقد لجئوا إلى كل وسيلة للدَّس بين المسلمين ولإثارة البغضاء بين المهاجرين والأنصار، ولإيقاظ الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج بذكر يوم بعاث الذي اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، **ومن بين قادة اليهود الذين أخذوا يحاولون إشعال نار الفتنة بينهم "شاس بن قيس"، وهو أحد علمائهم، وكان شيخاً عظيم الكفر، شديد الحقد على المسلمين، شديد الحسد عليهم.**

فمرَّ على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة(١) - أي الأوس والخزرج - بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتىً شاباً من يهود كان معهم، فقال: إعمد إليهم، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قيل فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى وثب منهم رجلان من الحيين على الرُّكب، أوس بن قَيْظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدُهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة -

أي رددنا الآخــــر إلى أوله - فـــغـــضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظّاهرة - الحرَّة - السِّلاح السِّلاح.

فـخـرجـوا إليـهـا، فـبلغ ذلك رسـول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: (يا معشر المسلمين، الله، الله، أبدعوى الجاهليَّة وأنا بَيْن أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واسـتـنقـذكم به من الكُفـر، وألّف بين قلوبكم)، فـعـرف القـومُ أنهـا نَزغـة من الشيطان، وكَيدٌ من عدوِّهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصـرفـوا مع رسـول الله ﷺ سـامـعين مطيعين قد أطفأ الله عليهم كَيْدَ عدو الله "شـاس بن قـيس" فـأنزل الله تعـالى في شـاس بن قـيس ومـا صنع: ﴿**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ❖ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من ءامن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون**﴾ آل عـمـران: ٩٨-٩٩، وأنزل الله في أَوْسِ بن قَيْظي، وجَبَّار بن صخْر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين ❖ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ❖ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ❖ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ❖ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ❖ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ آل عـمـران: ١٠٠-١٠٥(٢).

واجتمع أحبار اليهود ليكيدوا لرسول الله ﷺ وكان فيهم شاس بن قيس، وكعب ابن أسد، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا له: يا محمد إنك قد عرفت أننا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وإنا إن اتبعناك اتبعك يهود، ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين بعض قـومنا خـصـومـة

أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى ذلك رسول الله فأنزل الله فيهم: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتتوك عن بعض ما أنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون ❖ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** المائدة: ٤٩-٥٠(٣).

وأتى رسول الله ﷺ شاس بن قيس وبعض أحبار اليهود فقالوا له: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ❖ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون ❖ يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾** التوبة: ٣٠-٣٢(٤).

وبينما كان رسول الله ﷺ في ديار بني النضير إذ ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو، فأطلع الله تعالى رسوله ﷺ على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم: اخرجوا من بلادي فقد هممتم بما هممتم به من الغدر، فامتنعوا بحصونهم فحاصرهم الرسول ﷺ عشرين ليلة ثم وافقوا على الجلاء فنزل بعضهم بخيبر ومنهم من سار إلى أذرعات بالشام.

إلا أن بعض قادتهم الذين جلوا إلى خيبر ومنهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس، فكروا في تأليب العرب على رسول الله ﷺ والمسلمين، فذهبوا إلى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ واستئصال الإسلام وأهله، فسألوا حيياً عن قومه فقال: تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم فتسيروا معهم إلى محمد وأصحابه، وسألوه عن قريظة فقال: أقاموا بالمدينة مكراً بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم، وقالت قريش لليهود: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالت اليهود: بل دينكم خير من دينه وإنكم أولى

بالحق منه، ففضلوا الوثنية على الإسلام، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ❖ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾** النساء: ٥١-٥٢ .

وخرجوا إلى قبيلة غطفان وبني مرة وبني فزارة وبني أشجع وبني سليم وبني أسد وإلى كل من لهم عند المسلمين ثأر من المشركين، وحرضوهم على قتال المسلمين، وأخبروهم بمتابعة قريش لهم على الحرب، وخرجت الأحزاب التي جمعها اليهود، وكان عندهم عشرة آلاف، قائدهم العام أبو سفيان، ولما بلغه ﷺ أخبار هذا الجيش استشار أصحابه فيما يصنع فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بعمل الخندق شمالي المدينة من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية، وهذه هي الجهة التي كانت عادة تؤتى المدينة من قبلها، أما باقي حدودها فمشيكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو في الحرب من الدخول منها.

وعندما وصل جيش المشركين فوجئوا بالخندق، فصاروا يترامون بالنبال مع المسلمين، كما اقتحم بعض فرسانهم مكانا ضيقا من الخندق، وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من الصحابة فتصدوا لهم وقتل علي كرم الله وجهه عمرو بن ود العامري وهرب إخوانه.

ثم ذهب حيي بن أخطب إلى بني قريظة وقال لكعب بن أسد زعيمهم حاضاً له على نقض العهد مع رسول الله ﷺ: "ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه"، ولم يزل به حتى وافق هو وأحبار اليهود ومنهم (شاس بن قيس) على نقض العهد والموافقة على انضمامهم إلى المشركين في قتال المسلمين والسماح لهم بدخول المدينة من غير ناحية الخندق.

فعلم رسول الله ﷺ بانضمام بني قريظة للأحزاب ونقضهم العهد، فبعث إليهم سعد بن معاذ زعيم الأوس وحليفهم في الجاهلية وسعد بن عبادة زعيم الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ليقفوا على جلية الأمر فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، وأراد سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يقنع قريظة حليفته في الجاهلية، بعدم نقض العهد

مخافة أن يحل بها ما حلَّ ببني النضير أو ما هو شر منه، فانطلقت اليهود ووقعوا في محمد ﷺ، وقال كعب: "من رسول الله!!! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه.

ورجع سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومن معهم فأخبروا رسول الله ﷺ بما رأوا منهم من غدر وخيانة للعهد، ثم أن نعيم بن مسعود ذهب بأمر رسول الله ﷺ إلى قريظة وإلى قريش وإلى غطفان، وكانوا لا يعلمون إسلامه، فأوقع بينهم العداوة بدسيسة حبكها فصدقوه، وأرسل الله على الأعداء ريحاً شديدة باردة في ليلة مظلمة وهطل المطر غزيراً، وقصف الرعد ولمع البرق، واشتدت العاصفة، فاقتلعت الخيام وأدخلت الخوف والرعب في نفوسهم، فخافوا أن تتفق اليهود مع المسلمين، فرحلوا قبل أن يصبح الصباح، فأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الأحزاب من عرب ويهود على المسلمين، وأنزل الله تعالى في أمر غزوة الخندق في سورة الأحزاب.

ولما كان يهود بني قريظة على أهبة الاستعداد لمهاجمة المدينة والفتك بالمسلمين والمعاونة على استئصالهم، لولا ما أوقع بهم نعيم بن مسعود من شقاق وخلاف بينهم وبين الأحزاب، وإرسال الرياح عليهم، لذلك أمر رسول الله باللحاق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود، ولا تربطهم المواثيق. ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدَّة، فقال ﷺ لأصحابه: "لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة، وكان حامل اللواء سيدنا علي رضي الله عنه، فزحف المسلمون فرحين وراءه حتى أتوا بني قريظة، فإذا بهم ومعهم حيي بن أخطب الذي جمع جموع الأحزاب يقعون في محمد بأقبح مقالة، يكذبونه ويطعنون عليه وينالون من أعراض نسائه، وحاصرهم الرسول ﷺ خمساً وعشرين ليلة لم يقع خلالها إلا بعض التراشق بالنبل والحجارة، ولم يجرؤ بنو قريظة على الخروج من حصونهم طوال مدة الحصار.

فلما جهدوا وأيقنوا أنهم لا بد أن يقعوا في قبضة المسلمين وإن طال أمد الحصار، أنزلوا أحد أحبارهم وهو (شاس بن قيس) وطلب من رسول الله ﷺ على أن ينزلوا على ما أنزل عليه بنو النضير أن يتركوا الأموال والسلاح والخروج بالنساء

والذراري وما حملت الإبل إلا السلاح، فأبى الرسول الكريم ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد إليهم شاس بذلك، فاتفقوا أن يحكم فيهم حليفهم سعد بن معاذ ونسوا تحذيره لهم من البداية من نقضهم العهد وسبهم للمسلمين، وما حصل بينهم من مشاتمة، فحكم سعد أن يقتل المقاتلة منهم، **وكان من ضمنهم حيي بن أخطب وحبرهم شاس بن قيس الذي سمى بعض اليهود حزبهم باسمه، والذي هو من الائتلاف الحكومي لدولة إسرائيل في الوقت الحاضر.**

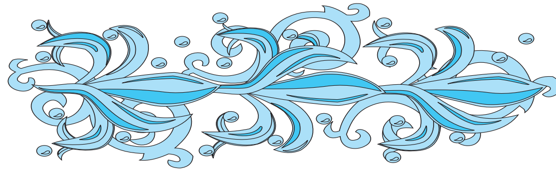
الهوامش:

(١) أي أشراف الأوس والخزرج وقيل: جماعتهم، وبني قيلة يطلق على الأوس والخزرج وهو يجمعهم من حيث النسب.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج٢ الصفحات من ٢٠٤-٢٠٦. ط دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ج٢ الصفحة ٢١٦. ط دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان.

(٤) المصدر السابق صفحة ٢١٩. ومعنى كلمة يضاهئون: أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا.



الوسائل المعينة على المحافظة على صلاة الفجر وخطورة التخلف عنها

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

❖ مقدمة:

الحمد لله الذي جعل من صلى الصبح في ذمة الله، الحمد لله الذي جعل من صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله، والصلاة والسلام على القائل: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين كانوا يتعاهدون على المحافظة على صلاة الفجر ويتفقدون بعضهم البعض في هذه الصلاة، وكانوا يعزون من يتخلف عن هذه الصلاة ولو كان لعذر قاهر، فما بالك بمن يتخلف عن صلاة الفجر بدون عذر مشروع، أو ضرورة قاهرة، أو ظرف طارئ، فهذا مصيبته أعظم وأشد.

فكثير من الناس في زماننا الحاضر، أيقظت المواعظ فيهم وجعلتهم يصحون من سباتهم العميق، ويدركون فضل المحافظة على صلاة الفجر، وعدم التخلف عنها، فالتخلف عن صلاة الفجر يجعل الأمة واهنة ضعيفة لا تستطيع أن تواجه الأعداء، ولا تستطيع أن تدافع عن دينها ببسالة وشجاعة، وبدأ كثير من الناس يشكون من أن صلاة الفجر تفوته فلا يصليها في وقتها إلا نادراً في كثير من الأيام، وإذا صلاها فيصليها في بيته لتأخره عن الحضور مبكراً للمسجد، فكان لزاماً علينا نحن الدعاة أن نضع الدواء لهذا الداء، وأن نضع عدداً من الوسائل المعينة على ضرورة المحافظة على صلاة الفجر، ليعمل بها الناس فيفوزوا وينجوا

من النفاق، ويكونوا في ذمة الله إذا خرجوا إلى أعمالهم في الصباح الباكر.

❖ مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في حاجة الناس إلى معرفة الوسائل المعينة على المحافظة عليها، والتعرف على الأجور العظيمة والثمرة اليانعة المترتبة على المحافظة عليها، والتركيز على النظرة المستقبلية التي يمكن أن تسهم في المحافظة عليها جماعة وفي بيوت الله، من توثيق الصلات فيما بينهم، والتعاون المشترك، والمحبة والألفة والتواد، والصداقة المشتركة في المحافظة على هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام.

❖ فضل المحافظة على صلاة الفجر وخطورة التخلف عنها:

إن المحافظة على صلاة الفجر لها فضائل عظيمة، فالمسلم الحق هو الذي يدرك ذلك ويسارع إلى المحافظة على صلاة الفجر جماعة وفي المسجد، قال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله"، وقال ﷺ: "أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً"، وقال ﷺ: "من صلى البردين دخل الجنة» والبردان الفجر والعصر، وقال ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله»، وقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون".

وقال ابن عمر رضي الله عنه: "كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن".

هذه بعض الأحاديث الجامعة لبيان فضيلة المحافظة على صلاة الفجر، وأن من أشرف الأعمال وأجل الأعمال التي يقوم بها المسلم في الصباح المبادرة لأداء صلاة الفجر، فالمحافظة على ذلك يعتبر معياراً لمعرفة صدق الرجل وإيمانه، ومعياراً يقاس به إخلاصه، والتخلف عن هذه الصلاة المشهودة تورث الضعف في المسلمين وتزرع الفرقة والتفكك في وحدتهم، وتشتت شملهم.

ويلاحظ اليوم أن بعض المساجد تخلو من كثير من المصلين في صلاة الفجر إلا من رحم ربي، فتجد في كل مسجد مع الإمام عدداً محدوداً من المصلين الذين يحافظون على أداء الصلاة جماعة، والباقون في نومهم العميق، لا يستيقظون إلا من أجل الذهاب للعمل، وكل ذلك بسبب تلاعب الشيطان بالإنسان، فعندما ينام الإنسان يأتيه الشيطان ويقول له: نم وارقد ليلك طويل، ولكن إذا استيقظ وأيقظ أهله للصلاة، انحلت عقد الشيطان التي عقدها عليه في الليل، واستيقظ نشيطاً، مبارك له في جهده وعمله.

ولنتفكر قليلاً في أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن، كان ذلك في صلاة الفجر، ولم يكن ذلك في الصلوات الأخرى؛ لان العدو يعرف متى يتصيد المسلمين، في الصلاة التي يتخلفون عنها، والعدو يدرك تماماً أن المسلمين تتثاقل رؤوسهم عن صلاة الفجر، فيترصد لهم ويوقعهم في الكمائن التي ينصبها لهم، فلا بد من الحرص على المحافظة على أداء صلاة الفجر جماعة، فعندما يؤدي المسلمون تلك الصلاة جماعة، تجد عناصر القوة منبعثة فيهم، وتجد الأنس والأخوة بينهم، وتجدهم في توادهم وتعاونهم ومحافظتهم على تلكم الصلاة كأنهم جسد واحد، يشعر بعضهم ببعض، يشعر من أدى الصلاة بشعور أخيه المسلم الذي تخلف عن أداء الصلاة لظرف طارئ، فتجده يبادر بالسؤال عنه والاطمئنان على سلامته وأنه لم يصبه مكروه، فالمحافظة على صلاة الفجر جماعة، تعمق هذا الشعور، وتزرع التقوى في نفوسهم، وتجدهم يقفون بين يدي الله لا فرق بينهم، فقيرهم وغنيهم، كبيرهم وصغيرهم، شريفهم ووضيعهم، يسألون الله ويرجون رحمته، خائفين متذللين، يعودون بعد أداء الصلاة إلى بيوتهم وهم في ذمة الله، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، يكفى أن معية الله معهم أينما ذهبوا وأينما رحلوا وارتحلوا، والله وليهم في الدنيا والآخرة.

❖ الوسائل المعينة على المحافظة على صلاة الفجر جماعة:

وضعت الشريعة الإسلامية عدداً من الوسائل التي إذا التزم بها المسلم، كان من شأنها مساعدته على المحافظة على صلاة

الفجر، ولا بد من المواظبة عليها باستمرار ومنها:

١- أن يبكر في النوم، فينبغي للمسلم أن ينام بعد صلاة العشاء ولا سمر بعد العشاء إلا بمدارسة العلم ومحادثة الضيف ومؤانسة الزوجة والأولاد، ولكن اليوم بعض الناس يسهر على المسلسلات والأغاني وفي المقاهي الليلية، ثم ينامون متأخرين، وبالتالي أنى لهم الاستيقاظ لصلاة الفجر، فلا بد من التبكير في النوم من اجل الاستيقاظ لصلاة الفجر بنشاط وحيوية، ولا بد من الحرص على أن يكون المسلم صادقاً في نيته على العزم عند النوم على القيام لصلاة الفجر، فالذي يصدق الله ييسر له سبل الاستيقاظ لصلاة الفجر، والله يعلم نيات الناس فلا بد من صدق النية وإخلاصها لرب العالمين.

٢- الحرص على النوم على الطهارة والوضوء وقراءة الأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ قبل النوم، فإنها تعين المسلم على الاستيقاظ مبكراً لأداء صلاة الفجر.

٣- إذا استيقظ المسلم من النوم قبيل صلاة الفجر فعليه أن يذكر الله، ولا يعاود النوم مرة أخرى، بل يبادر الى الوضوء وصلاة ركعتي سنة الوضوء، والذهاب للمسجد وقراءة ما تيسر من القرآن فيه، فإن قرآن الفجر كان مشهوداً.

٤- الاستعانة بالأهل والتواصي في ذلك، بأن يوصي زوجته بأن توقظه لصلاة الفجر، ويشدد على ذلك، والأولاد يستعينون بأبيهم وأمهم في ذلك، والتواصي بين الأصدقاء والجيران من اجل إيقاظهم لطاعة الله.

٥- استخدام الوسائل المعينة اليوم كالساعة المنبهة، ووضعها في موضع مناسب بحيث إذا أطفأها لم يعد للنوم مرة أخرى، واستخدام الهاتف الناطق بالأذان وقت الأذان.

٦- عدم الانفراد في النوم وسبب ذلك يعود لغلبة النوم عليه، فلا يكون عنده من يوقظه فيخرج وقت الصلاة وهو لا يدري.

٧- عدم الإكثار من الأكل قبل النوم،

فالأكل الكثير من الأسباب الداعية إلى النوم الثقيل، فينبغي للمسلم أن يقلل من الأكل قبل النوم.

٨- عدم النوم بعد العصر ولا بعد المغرب ؛ لان ذلك مدعاة إلى القلق في الليل والأرق، والتأخر في النوم، وبالتالي التأخر في الاستيقاظ لصلاة الفجر، والاستعانة بنوم القيلولة، فإنها تساعده على الاستيقاظ مبكراً لصلاة الفجر.

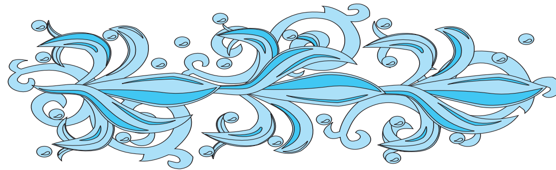
٩- نضح الماء في وجه النائم وخصوصاً بين الزوجين فهي طريقة لتيسر الاستيقاظ لصلاة الفجر.

١٠- أن يدعو المسلم ربه أن يوقظه لصلاة الفجر بقلب خاشع ويلح في الدعاء، فالله يستجيب دعاء العبد اللحوح الصادق في الدعاء، والعزم على الاستيقاظ لصلاة الفجر والإخلاص في ذلك.

١١- عدم جعل القيام من النوم على مراحل بل دفعة واحدة، بحيث يهب من أول مرة، فلو تأخر قليلاً لعاد اليه الشيطان ووسوس له وثبط عزيمته وعاد إلى النوم، فلا بد من النشاط عند الاستيقاظ من النوم.

١٢- إيضاء البيت عند الاستيقاظ، فالنور والإضاءة تساعد على مواصلة الاستيقاظ، وعدم الرجوع للنوم مرة أخرى.

هذه بعض الوسائل التي تعين على الاستيقاظ لصلاة الفجر، على المسلم أن يعمل بها ويخلص النية في ذلك، حتى تكون دافعاً له على الاستيقاظ لصلاة الفجر في وقتها، جعلنا الله وإياكم من المبادرين للمحافظة على صلاة الفجر جماعة، اللهم علق قلوبنا بالمساجد، واجعلنا من أهل قرآن الفجر، وارزقنا الإخلاص في ذلك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

■ بقلم الاستاذة عائشة احمد لافي

قال الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ آل عمران: ١٠٤، وقال الله جل وعلا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة﴾ التوبة: ٧١، ووصف الله تعالى أمة الاسلام بالخيرية فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران: ١١٠ .

من خلال هذه الآيات الكريمة، يتبين لنا أمر في غاية الأهمية ذكره الله عز وجل في كثير من آياته، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الواجب العظيم الذي حث عليه الخالق جل وعلا في كتابه العزيز، وذكره نبيه الكريم ﷺ في سنته الشريفة، فما معناه؟ ولماذا جاء الحث عليه؟ وكيف نؤديه على النحو الذي يرضى الله تعالى عنا؟ وأمور أخرى متعلقة به.

المعروف: يطلق المعروف على كل ما تعرفه النفس من الخير، وتطمئن اليه، فهو معروف بين الناس لا ينكرونه، وقيل: هو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً.

أما المنكر: فهو ضد المعروف، وهو ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً وسمي منكراً، لأن أهل الايمان ينكرونه ويستعظمون فعله.

والمعروف يدخل فيه كل ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ من الأمور الظاهرة والباطنة، مثل: شرائع الاسلام والايمان بالله والصلوات الخمس والزكاة والحج والاحسان في عبادة الله وإخلاص الدين لله، والتوكل عليه تعالى ومحبته ورجاؤه،

وغيرها من أعمال القلوب، وصدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الأمانات وبر الوالدين وصلة الأرحام والاحسان الى الجار واليتيم ومكارم الأخلاق.

والمنكر يدخل فيه كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ مثل: الشرك بالله صغيره وكبيره، وكبائر الذنوب كالزنا والقتل وشرب الخمر والسحر، وأكل أموال الناس بالباطل والمعاملات المحرمة كالربا والميسر والقمار، وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين وسائر البدع الاعتقادية والعملية، وغير ذلك.

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، – وقد عرّفنا كلاً منهما– أهمية كبيرة وعظيمة تعود على الفرد والأسرة والمجتمع، وقد ذكر الاستاذ محمود عبد المطلب في كتابه اهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهمية هذا الواجب العظيم وفضله ومما ذكره:

١– ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب شرعي عظيم يحمي امتنا الاسلامية من ان يغشاها الفساد وان يتسلط عليها الظالمون.

٢– ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة عظيمة من الفرائض يستقيم بها الأمر كله.

٣– انه صدقة من الصدقات يرفع الله بها الدرجات، ويزيد بها الحسنات ويحط بها كثيراً من السيئات.

٤– ورغم أهمية هذا الواجب الا ان المسلمين تخلوا عنه، وبعدوا عنه بسبب صعوبته ومشقته وتعارضه مع شهوات الناس وأهوائهم، هذا فضلاً عن بعدهم عن خالقهم ومولاهم واسترسالهم في مداهنة الخلق، ولا حول ولا قوة الا بالله.

أما مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد وردت في حديث الرسول المصطفى ﷺ في قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

فالمرتبة الأولى: الإنكار باليد مع القدرة على ذلك، وهذا خاص بمن له ولاية من مسؤول أو محتسب ممن يقدر على ذلك.

والمرتبة الثانية: ان عجز عن الانكار باليد انتقل الى الانكار باللسان، فيعظهم ويذكرهم ويعاملهم بالأسلوب الحسن مع الرفق.

والمرتبة الثالثة: الانكار بالقلب وهي آخر المراتب ولا رخصة لأحد في تركها البتة، بل يجب ترك المنكر وبغضه بغضاً تاماً مستمراً، وهذا يقتضي مفارقة اهل المعصية ومجانبتهم حال معصيتهم.

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائل وأساليب، وللقائم به آداب يجب ان يتحلى بها حتى لا يذهب عمله سدى، قال

تعالى: ﴿**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ النحل: ١٢٥ .

فالدعوة بالحكمة تكون بحسب حال المدعو وفهمه وقبوله، ومن الحكمة: العلم والحلم والرفق واللين والصبر على ذلك، **والموعظة الحسنة:** تكون مقرونة بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمجادلة بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى للاستجابة عقلاً ونقلاً، لغة وعرفاً.

وجاء في موعظة المؤمنين لمحمد جمال الدين الدمشقي: ان آداب القائم بالمعروف والنهي عن المنكر جملتها ثلاث صفات: **العلم والورع وحسن الخلق.**

أما العلم: فليعلم مواقع الأمر والنهي ليقتصر على حد الشرع فيه.

وأما الورع: فليردعه عن مخالفة معموله، ولا يحمله على مجاوزة الحد المأذون شرعاً كغرض من الأغراض وليكون كلامه مقبولاً، فإن الفاسق يهزأ به اذا أمر أو نهى ويورث ذلك جراءة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه.

وأخيراً فإن هناك كثيراً من المنكرات التي انتشرت بين الناس انتشاراً كبيراً، وأصبحت بينهم وكأنها شيئاً عادياً، لا تتكره قلوبهم ولا تبغضه نفوسهم، أورد بعضها هنا لنحاول جادين التخلص منها، والعمل على هدمها بشكل كامل من مجتمعاتنا، ولنكون حذرين منها ونتوقاها، منها:

١- شرب الخمور وتعاطي المخدرات: وبالرغم من أنها محرمة الا انها أصبحت عادة بين كثير من الناس.

٢- الاختلاط: وقد انتشر كثيراً بين الرجال والنساء، في الأسواق والمطاعم والطرقات والحفلات ودور العلم وغيرها من الأماكن، وهو من الأسباب العظيمة في فساد المجتمع.

٣- أماكن اللهو والملاهي والحفلات الموسيقية: نسأل الله العفو والعافية.

٤- المحلات والأماكن التي يتم فيها بيع أفلام الإباحية الخليعة وأشرطة الكاسيت الماجنة.

٥- الملابس التي تخالف نهجنا وشريعتنا والتي أفسدت أخلاق شبابنا وبناتنا.

هذه المنكرات وغيرها مما اعتدنا على مشاهدتها وسماعها، يجب ان تتغير وان نغيرها ونمحوها من صفحات قلوبنا وعقولنا ومجتمعاتنا، ونبذل كل ما في وسعنا لتحقيق ذلك، والله عز وجل هو المستعان، ولا حول ولا قوة الا به.

والحمد لله رب العالمين

الإمام
أبو حنيفة النعمان

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

❖ تمهيد:

في عصر الاجتهاد وجد كثير من الفقهاء والمجتهدين من أهل السنة تخصصوا في الفقه الاسلامي، ووقفوا حياتهم عليه استنباطاً وتدريساً، والتف حول كل واحد منهم تلاميذ يتلقون عنه فقهه، ويرجعون اليه فيما أشكل عليهم، وقد خلف هؤلاء الفقهاء وراءهم مجموعات اجتهاداتهم، إما مدونة في كتب أو أمانة في أيدي التلاميذ، عرفت هذه المجموعات فيما بعد بالمذاهب الفقهية منسوبة الى أصحابها، وكان منها مذاهب سعدت بالبقاء الى يومنا هذا لوجود تلاميذ أوفياء وأتباع يعملون بها، ويدعون الناس اليها، مثل المذاهب الفقهية الاسلامية الأربعة: المالكي، والحنفي والشافعي، والحنبلي.

ومذاهب أخرى تفرق عنها أتباعها مثل: مذهب داود الظاهري، والأوزاعي إمام أهل الشام، وطائفة ثالثة ماتت بموت أصحابها ولكنها بقيت موزعة بين سطور الكتب، تناقلتها كتب المذاهب والفقه المقارن عند المناسبات، مثل: مذهب الليث بن سعد، فقيه مصر، وسفيان الثوري.. وغيرهما.

وأتحدث في هذا الموضوع عن الإمام ابي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

❖ نشأته وحياته:

الإمام ابو حنيفة النعمان بن ثابت



الفارسي الاصل ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ، وتفقه فيها، ثم انتقل الى بغداد بعد ان بناها المنصور العباسي لتكون عاصمة الدولة العباسية، واستقدم اليها العلماء والفقهاء، فبقي فيها حتى توفي سنة ١٥٠هـ، كما يقول بعض المؤرخين.

تلقى العلم على أيدي طائفة من العلماء، واشتغل أولاً بعلم الكلام وبعد ان وصل فيه الى درجة كبيرة، انتقل الى الاشتغال بالفقه، ولازم شيخه حمّاد بن أبي سليمان المتوفى سنة ١٢٠هـ، مدة ثماني عشرة سنة حتى صار إماماً فيه، ولقب بالإمام الأعظم.

❖ مذهبه:

كوّن ابو حنيفة مذهبه بطريقة الشورى مع اصحابه، فقد روى ابن البزاري في مناقب ابي حنيفة ج٢، ص١٢٥، انه قال في أصحابه الذين لازموه مرة: «هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، وستة يصلحون للفتوى، واثنان يصلحان لتأديب القضاة، وأرباب الفتوى وهما أبو يوسف وزفر..».

وكان ابو حنيفة يعرض على تلاميذه المسألة فيختلفون فيها، فهذا يأتي بجواب، وذاك يأتي بغيره، ثم يرفعونها اليه، فينتهي فيها معهم الى رأي ثم يأمرهم بكتابتها، وكان ينهاهم عن كتابة المسائل قبل تمحيصها، ولم يكتب بالاجتهاد في أحكام الحوادث التي تعرض عليه، بل فرض المسائل وقدر لها أحكامها، فلما اعترض عليه بعض العلماء في ذلك، قال: انا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا نزل عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

ومع هذا لم يكن ابو حنيفة متعصباً لرأيه أو لرأي قبله ورجحه من غيره، فقد قيل له: يا أبا حنيفة، هذا الذي تفتي به هو الحق الذي لا شك فيه؟ فقال: «والله لا أدري.. ربما انه الحقيقة التي اجتهدت بها.. ولكنه يقيناً.. بعيداً عن الباطل، فإن اصبت لي أجران، وإن أخطأت فلي أجر الاجتهاد، والله من وراء القصد».

❖ طريقته في الاستنباط وترتيب مصادر الأدلة:

كان ابو حنيفة يأخذ بكتاب الله تعالى اذا وجد فيه المسألة، فإن لم يجد أخذ

بسنة رسول الله ﷺ قولاً أو عملاً أو إقراراً، كما وردت بالآثار الصحاح، والتي رواها الثقات، فإن لم يجد مسألته بكتاب الله وبسنة نبيه محمد ﷺ، أخذ بقول أصحابه الميامين، وخاصة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فإن انتهى الأمر الى فقهاء آخرين أمثال ابراهيم والشعبي وابن سيرين وسعيد بن المسيب، وعد رجالاً من التابعين، فلي أن اجتهد كما اجتهدوا.

وهذا المسلك فيه رد قاطع على من ادعى انه كان يترك الحديث ويعمل بالرأي، وانه كان يتشدد في قبول الحديث والعمل، به، بعد ان كثر في العراق رواة الحديث، فوضع شروطاً لقبول الحديث لم يسلم فيها الا القليل من الرواة الثقاة، ومع ذلك لم يطعن أحد من معاصريه الأئمة الأعلام في دينه أو أخلاقه وسعة علمه، بل كلهم أثنوا عليه ثناء جميلاً.

فهذا سفيان الثوري، وابن المبارك يقولان: ابو حنيفة أفقه الناس، وقال الإمام مالك: انه لفقيه وقال عنه الإمام الشافعي: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة..».

كان ابو حنيفة ورعاً زاهداً في الدنيا، ذكياً يحسن التخلص من المآزق، أما ورعه وزهده فيدل عليه انه امتنع عن تولي القضاء وقد طلب منه مرتان: الأولى أيام الأمويين، والثانية في عهد العباسيين في خلافة ابي جعفر المنصور، فأبى وامتنع، ولم يثنه عن رأيه ضربه في الأولى، وحبسه في الثانية. ومن هنا كان جريئاً في الحق لا يجامل أحداً على حساب دينه حتى لو كان الخليفة نفسه.

يروى ان أهل الموصل نقضوا عهد المنصور الذي أخذه عليهم وقد كانوا قد شرطوا ان فعلوا ذلك تحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم ابو حنيفة، فقال: ألم يصح ان رسول الله ﷺ قال: «المؤمنون عند شروطهم»، وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي، وقد خرجوا على عاملي، وقد حلّت لي دماؤهم، فقال رجل: يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل للعفو، وان عاقبت فإنهم يستحقون ذلك، فقال لأبي حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ، ألسنا في خلافة

نبوة وبيت أمان؟ قال ابو حنيفة: انهم شرطوا لك ما لا يملكونه، وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم على المسلم حرام، لا يحل الا بأحد معان ثلاثة، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل، وشرط الله أحق ان توفي به، فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا ثم دعاه، وقال: يا شيخ القول ما قلت، انصرف الى بلادك ولا تفت الناس بما هو شيء على الامام فتبسط أيدي الخوارج.

❖ ذكاء أبي حنيفة ونقاء بديهته:

كان ابو حنيفة يتوقد ذكاءً حاضر البديهية نقي السريرة نافذ البصيرة، سريع الجواب فيما يعرض عليه، قال الليث بن سعد -فقيه مصر- المتوفى سنة ١٧٥هـ: «انه شهد مجلس ابي حنيفة بمكة، وقد سئل في ابن يزوجه ابوه وليس له غيره، يصرف مالاً كثيراً فيطلقها ويشتري له جارية فيعتقها، فأوصى أبو حنيفة السائل ان يشتري لنفسه جارية تقع عليها عين الابن «أي تعجبه» ثم يزوجها إياه، فإن طلقها رجعت مملوكة، وان اعتقها لم يجز عتقه، قال الليث: والله ما اعجبني صوابه كما اعجبني سرعة جوابه.

وبعد ذلك كله كانت له حيل لطيفة للخروج من مآزق الايّمان الملتوية، التي تفنن فيها أهل العراق، منها ما جاء في إعلام الموقعين لابن القيم في بحث الحيل، ان رجلاً أتاه بالليل، فقال: أدركني قبل الفجر وإلا طلقت امرأتي فقال: وما ذاك؟ قال: «تركت الليلة كلامي، فقلت لها: ان طلع الفجر ولم تكلميني فأنت طالق ثلاثاً، وقد توسلت اليها بكل أمر ان تكلمني فلم تفعل، فقال له: اذهب فأمر مؤذن المسجد ان ينزل فيؤذن قبل الفجر، فعلها اذا سمعته تكلمك، واذهب اليها وناشدها ان تكلمك قبل ان يؤذن المؤذن ففعل الرجل وجلس يناشدها، وأذن المؤذن فقالت: قد طلع الفجر وتخلصت منك، فقال لها: قد كلمتني قبل الفجر، وتخلصت من اليمين، قال ابن القيم: فلما سمعت أذان الفجر في وقته قالت: هذا من أحسن الحيل للفقيه ابي حنيفة».

❖ أصول مذهب ابي حنيفة:

سبق ان بينا طريقة ابي حنيفة في الاستنباط وترتيب مصادر الأدلة، وهي أنه

كان يأخذ بكتاب الله ثم بسنة نبيه ﷺ ثم بأقوال صحابته الميامين، فإذا لم يجد شيئاً من ذلك اجتهد.

وفي هذا إجمال للمصادر التي يستند اليها، وتفصيلها كما في كتب اصحابه، انه كان يأخذ بالكتاب، ما كان يقدم عليه شيئاً ثم بالسنة التي توفر فيها ما شرطه من الشهرة والرواة الثقاة، وان كان المروي عنه من الفروع يفيد أنه أخذ بأحاديث لم يترفر فيها الشهرة، بل هي من أخبار الآحاد، والأحاديث المرسلة «مرسل الصحابي او التابعين» والاجماع متى وجد ونقل صحيحاً، وقول الصحابي فيما ليس للاجتهاد فيه مجال، لأنه يظنه أثراً رواه الصحابي عن الرسول ﷺ ولم يسنده اليه.

وهذا يقدمه على القياس، وأما ما فيه مجال للاجتهاد فما كان يقدمه على القياس الا اذا وجد معه دليلاً آخر يرجحه، ومن هنا تحمل العبارة الواردة عنه مطلقة في العمل بقول الصحابي، على أنها مقيدة بما اذا لم يعارضه قياس أو دليل آخر.

وبعد هذا يعمل بالقياس والاستحسان والعرف، ويلاحظ ان بعض أنواع الاستحسان تتفق مع ما أخذ به غيره من المصالح المرسلة، فيكون من أصول مذهبه المصالح المرسلة، وان لم يأخذ بها بهذا العنوان.

ومما يلاحظ ان ابا حنيفة لم يدون مذهبه بنفسه كما فعل غيره من الأئمة، وانما دونه تلاميذه، اللهم الا اذا اعتبرنا أمره لتلاميذه بتدوين المسائل بعد تمحيصها تدويناً، وفي الحق ان التدوين في هذا الموضوع لا يقصد به الا التدوين المرتب المبوّب، وهو ما لم يفعله ابو حنيفة.

❖أشهر تلاميذه:

كان لأبي حنيفة كثير من التلاميذ، أشهرهم ثلاثة كانت لهم آراء تخالف آراءه وهم: زفر بن الهذيل، وأبو يوسف، ومحمد ابن الحسن.

أما تلميذه «زفر» بن الهذيل بن قيس الكوفي، عربي من تميم، كان ابوه والياً على البصرة واصفهان، وأمه أمة فارسية، ولد سنة ١١٠هـ، ولما كبر طلب الحديث، وتفقه على ابي حنيفة حتى كان من أبرز

تلاميذه، وأخذ بالقياس، ومن كلماته: «نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثراً، وإذا وجد الأثر تركنا الرأي، وكان بعيد اللسان فصيحاً، ناظر ابا يوسف فغلبه».

زهد في الدنيا حتى انه أكره على القضاء فاختفى، فهدم منزله، ثم خرج وأصلحه، ثم أكد عليه مرة أخرى، فأبى فهدم منزله مرة ثانية، فلم يؤثر ذلك في امتناعه وآثر ان يشتغل بالعلم والتعليم حتى توفي سنة ١٥٨هـ بالبصرة بعد وفاة إمامه بثماني سنوات، ويذكر اسمه في كتب الحنفية كثيراً غير منسوب للصحبة.

أما ابو يوسف، فهو يعقوب بن ابراهيم الأنصاري، عربي الأصل، ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ، نشأ فقيراً معدماً، فلما وصل سن التمييز سمع الحديث، ثم اشتغل بروايته، حتى عد من المحدثين، وتفقه أولاً على ابن ابي ليلى المتوفى سنة ١٤٨هـ، فتعلم بين يديه تسع سنين، ثم انتقل الى ابي حنيفة، لما رأى فيه من سعة الأفق وكثرة العلم، فتعلم عليه تسعاً أخرى، فكان من أكبر تلاميذه، وأعانه ابو حنيفة لفقر والديه، فكان يمده بالمال بين الحين والآخر -كما حدث عنه نفسه-.

تولى القضاء لثلاثة من خلفاء العباسيين، المهدي والهادي والرشيد، من سنة ١٦٦هـ، الى أن توفي سنة ١٨٣هـ وكان أول من تولى منصب قاضي القضاة في عهد الرشيد، وهو منصب خطير، لأنه جزء من حقوق الخلافة الاسلامية، اذ كان الخليفة يباشره بنفسه، فلما أسند اليه وأصبحت تولية القضاء راجعة اليه في ولايات الدولة لم يكن يستعمل على القضاء الا من كان حنفياً، وهذا ساعد على انتشار مذهب الحنفية.

وربما يرجع قبوله القضاء لحاجته وفقره، وهو على العموم لم يمالئ الخلفاء على حساب الحق، وابو يوسف أول من صنف في مذهب امامه، ألف كتباً كثيرة لم يصلنا منها الا القليل، كتاب في الخراج، وكتاب الرد على سير الأوزاعي.

أما تلميذه محمد بن الحسن الشيباني، فكان ابوه من الشام، وفد الى العراق فولد له محمد بواسط سنة ١٣٢هـ، وهو من الموالي، ونسبته الى شيبان بالولاء، نشأ بالكوفة وطلب الحديث وصحب أبا حنيفة،

وأخذ عنه الفقه، ولكن وفاة الإمام وهو صغير جعلته ينتقل الى ابي يوسف ويتتلمذ عليه، ونبغ في ذلك حتى سبق شيخه ابا يوسف.

رحل الى المدينة، وأخذ عن الإمام مالك ثلاث سنين، وروى الموطأ عنه وأخذ عنه الشافعي، وقد أثر في فقهه لقاؤه مع مالك والشافعي، واليه يرجع الفضل في تدوين مذهب ابي حنيفة، بما ألفه من كتب كثيرة.

تولى القضاء في عهد الرشيد بالرقة، ثم عزل سنة ١٨٧هـ ورجع الى بغداد وتوفي وهو في رحلة مع الرشيد سنة ١٨٩هـ.

هؤلاء هم أشهر تلامذة ابي حنيفة، أخذوا عنه الفقه، واجتهدوا وخالفوه في بعض المسائل الفقهية.

ومذهب ابي حنيفة هو الآن المذهب الغالب في العراق وسوريا والباكستان وتركيا.

هذا وبالله التوفيق

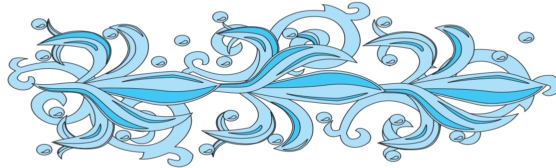
❖ المراجع:

١- اصول الدين الاسلامي، أ. د. قحطان الدوري، جامعة آل البيت.

٢- بنية التفكير الديني، أ. د. عادل العوا، جامعة دمشق.

٣- الثقافة الاسلامية، د. صالح الهندي.

٤- المدخل الى الفقه الاسلامي، أ. د. محمد مصطفى شلبي، جامعة الاسكندرية.



بيــوت العـــزاء

■ بقلم الشيخ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

التعزية هي تصبير أهل الميت وذويه من رجال ونساء وحملهم على الصبر، بذكر ما يهوّن عليهم مصيبتهم ويخفف من حزنهم على فقيدهم، وهي مستحبة لكونها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها داخلة في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ المائدة: ٢ .

وقال رسول الله ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» رواه مسلم وروى ابن ماجة والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته، إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة».

والتعزية مستحبة سواء قبل الدفن أو بعده ولمدة ثلاثة أيام، فهي لتسكين قلب المصاب والغالب ان يسكن قلبه بعد ثلاثة أيام، وتكره التعزية بعد ذلك الا اذا كان المعزي أو صاحب العزاء غائباً وقت الدفن، وعاد بعد مرور الثلاثة أيام من الدفن فلا بأس في تعزيته عند لقائه بعدها، قال يحيى بن خالد: التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن، والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح.

وتؤدى التعزية بأي لفظ، يخفف المصيبة ويحمل على الصبر، وأفضل لفظ في ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ اليه ان ابناً لي قُبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «ان لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده

بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب».

وروي ان النبي ﷺ فقد بعض أصحابه فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه، فقال: يا رسول الله: هلك، فعزاه فيه ثم قال: «يا فلان أيما كان أحب اليك ان تتمتع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك»؟ فقال: يا رسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الي من التمتع به في دار الدنيا، قال ﷺ: «ذلك لك» رواه النسائي وصححه الألباني.

واستحب أصحاب الشافعي ان يقول في تعزية المسلم بالمسلم: «عظّم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك» وفي المسلم بالكافر: «أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك» وفي الكافر بالكافر: «أخلف الله عليك ولا نقص لك عدد».

وكتب بعض السلف يعزي أحداً بوفاة ولده فقال: «من فلان لفلان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله الا هو، أما بعد: فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة، متّعك الله به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كبير، الصلاة والرحمة والهدى احتسبته، فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم ان الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً وما هو نازل فكأن قد والسلام».

وعزى الشافعي صديقاً له فقال:

إنا نعزيك لا أنا على ثقة

من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته

ولا المعزي ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه: «ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل، وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الملك، وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر، فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجباً من فضلك، وحاجزاً من عقلك ودافعاً من دينك ومانعاً من يقينك، فإن المحن اذا لم تعالج بالصبر، كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر، فصبراً صبراً، ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها، كما ان متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها، وقدر الله هو المقدر، وأجل الله اذا جاء لا يؤخر..».

وكان لعلي بن الحسين رضي الله عنهما جليس مات له ابن فجزع عليه جزعاً شديداً، فعزاه علي بن الحسين ووعظه فقال: يا ابن رسول الله ﷺ: «ان ابني كان مسرفاً على نفسه، فقال: لا تجزع فإن من ورائه ثلاث خلال: أولهن: شهادة ان لا إله الا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله، والثانية: شفاعة جدي ﷺ، والثالثة: رحمة الله التي وسعت كل شيء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال؟.

وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة: ان في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة، فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر، فنظر الى رجاء كالمستريح الى مشورته، فقال رجاء: أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس، لقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه ابراهيم، وقال: «ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون» فأرسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال: لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها.

وسُئل الأصمعي عن قول الخنساء في نعيها لأخيها صخر حين قتل ونعته فقالت:

يذكرني طلوع الشمس صخراً
وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له: لماذا خصت الشمس دون القمر والكواكب؟، فقال: لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات، وعند غروبها يجلس مع الضيفان، فذكرته بهذا مدحاً لأنه كان يغير على أعدائه ويتقي بضيفه، وقد رثته بعد البيت الأول بأبيات منها:

ألا يا نفس لا تنسيه حتى
أُفارق عيشتي وأزور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي
على أمواتهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن
أسلي النفس عنه بالتأسي

وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل: اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي اهل بلدك واعدي لهم طعاماً ووكلي بالأبواب من يمنع من اصابته مصيبة في أم أو أخ أو أخت أو ولد، ففعلت، فلم يدخل اليها أحد فعلمت ان الاسكندر عزّاها في نفسه.

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم في والدهم فقال:

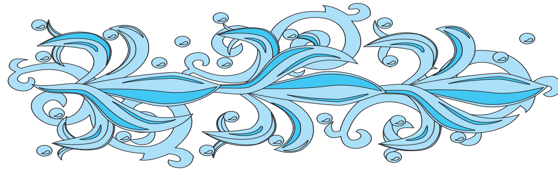
فلو كان فيض الدمع ينفع باكياً
لعلّمت غرب الدمع كيف يسيل
فإن غاب بدر فالنجوم طوالع
ثوابت لا يقضى لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر
ويسري عليها بالرفاق دليل

ويستحب صنع الطعام لأهل الميت، ويقوم بذلك الأقارب والجيران يوم الوفاة لقوله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم» رواه احمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح الاسناد.

اما ان يصنع أهل الميت أنفسهم الطعام لغيرهم كما يفعل معظم الناس في هذه الأيام، فهذا مكروه لا ينبغي لما فيه من مضاعفة المصيبة عليهم وان حضر غريب الدفن ممن تجب ضيافته قام به الأقارب أو الجيران وليس أهل الميت.

وان ما يفعله بعض الناس اليوم من الاجتماع للتعزية وإقامة السرادقات «الصواوين» الفخمة وفرشها بالسجاد والكراسي الفخمة من اجل المباهاة والمفاخرة، هي من الأمور المحدثة والبدع المنكرة التي يجب على المسلمين تجنبها لما يقع فيها من أمور تخالف السنة، حيث يكون هناك من يقرأ القرآن وآخر يدخن وثالث منشغل بالحديث والضحك.

وهناك من يجدد العزاء بما يسمى بالأربعين، أو بعد مرور عام من الوفاة، كل ذلك لم يرد في كتاب ولا سنة، نسأل الله تعالى ان يهدي الجميع للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ القائل: «تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي»، والحمد لله رب العالمين.



بركان أيسلندا
وتأثيره على مناخ الشرق الأوسط

■ بقلم الفلكي الاستاذ عماد مجاهد

تضاربت الأنباء في الفترة الأخيرة حول مدى تأثير بركان أيسلندا الأخير على مناخ الدول الأوروبية بشكل خاص، وعلى مناخ الكرة الأرضية بشكل عام، حيث تناقلت وسائل الإعلام أخبارا على لسان احد خبراء الطقس بالقول: إن ثوران بركان أيسلندا، لن تكون له تأثيرات على مناخ أوروبا، في الوقت ذاته انتشرت أخبار دولية أيضا تقول بأن صيف أوروبا هذا العام، سيكون حارا نتيجة الغازات التي نفثها البركان المذكور.

حقيقة الأمر انه من خلال الدراسات والبحوث التي أجريت منذ عقود طويلة من الزمن، تبين وتؤكد مما لا يدعو للشك بان الغازات والمواد الصلبة التي تطلقها البراكين مثل ثاني أكسيد الكربون (غازات الدفيئة) والمواد الصلبة مثل السليكا وبعض المعادن الأخرى، تؤدي إلى تغيرات واضحة على المناخ، حيث تعمل على حفظ الطاقة داخل الغلاف الغازي الأرضي، بشكل مخالف للمستويات الطبيعية فتزداد معدلات درجات الحرارة عن المستويات الطبيعية، وهذه الحالة تسمى "**تأثير البيت الزجاجي**" وهو البيت المألوف لدى الأردنيين، حيث تستخدم البيوت البلاستيكية في الزراعة لحفظ الحرارة داخلها وتوفيرها للنباتات الزراعية الموجودة داخلها، ومن ثم زراعة المحاصيل على مدار العام دون انتظار الفصل

المطلوب لنمو هذه النباتات.

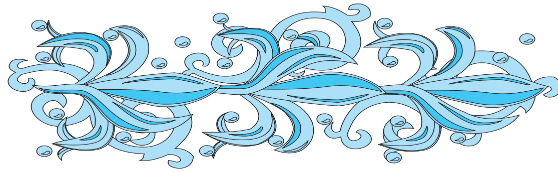
ومن الأمثلة الواضحة على تأثير البراكين على المناخ والطقس، ثوران البركان الأيسلندي "لاكي" بين عامي ١٧٨٣-١٧٨٤ الذي أدى إلى تغير معدل درجة حرارة الأرض بمعدل درجة مئوية واحدة، وهي نسبة تعتبر كبيرة في المنطق العلمي للمناخ، وشهدت أوروبا نتيجة لذلك آنذاك صيفا غير طبيعي، حيث كان الصيف حارا بشكل غير مألوف، وظهرت السماء محمرة بشكل لم يسبق له مثيل في شمال أوروبا وأمريكا، وأدت الغازات السامة المنبعثة من البركان إلى مقتل حوالي ٢٥ بالمائة من سكان أيسلندا لوحدها.

كما أدى البركان إلى حدوث برد قارص في شتاء عام ١٧٨٤ في أوروبا وشمال أمريكا، حيث أدى البرد الشديد إلى مقتل عدد كبير من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، كما ظهرت على أشجار الصنوبر أمراض واضحة نتيجة البرد الشديد، وقدر الخبراء أن معدل درجات الحرارة في تلك الفترة، كان اقل بحوالي ٤ درجات مئوية، ولم تتعرض لها المنطقة منذ ٤٠٠ عام وهي نسبة لا يمكن الاستهانة بها.

تعرضت منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، لظروف مناخية مشابهة لما حصل في أوروبا عند ثوران البركان "لاكي" نتيجة لاحتراق آبار النفط في الكويت أثناء حرب الخليج الأولى، وانسحاب الجيش العراقي من الكويت، حيث أدى احتراق آبار النفط إلى انبعاث كميات هائلة من الغازات السامة وغازات الدفيئة، مما اثر على توازن الغازات في الغلاف الجوي للمنطقة، وشاهد سكان الشرق الأوسط ومن ضمنها العاصمة عمان، تغيرا في لون السماء المائل إلى الاحمرار، وكانت من نتيجة ذلك حصول تدني في درجات الحرارة بشكل غير معتاد، وتولدت في المنطقة منخفضات جوية عميقة وتساقطت كميات كبيرة من الثلوج وغير اعتيادية في جميع مناطق الشرق الأوسط من ضمنها المملكة.

هذه التغيرات في طقس الشرق الأوسط والخليج العربي، أظهرتها دراسات قام بها المدير السابق لدائرة الأرصاد الجوية الأردنية الدكتور علي عبندة، حيث اظهر لنا في ندوة في مؤسسة شومان - كنت مشاركا فيها- الصور الجوية والتحاليل العالمية لمنطقتنا التي تبين التغيرات الواضحة على الطقس والمناخ في الشرق الأوسط، الناتجة عن احتراق آبار النفط بعد حرب الخليج الأولى.

إذن فالغازات المنبعثة من البراكين، واحتراق آبار النفط والغازات العادمة المنبعثة من المصانع والسيارات في العالم، تؤدي إلى تغيرات مناخية واضحة خاصة خلال السنوات المقبلة، وهذا يدل على أن أوروبا ربما تشهد تغيرات مناخية مهمة في المستقبل، وقد يتغير المناخ أيضا في الشرق الأوسط وأمريكا الشمالية، وهذا ما ستبينه السنوات المقبلة إن شاء الله.



جمال الله عزو جل

■ بقلم الطالبة آيات نعيم عبد الجبار

من أعز أنواع المعرفة معرفة، الرب سبحانه وتعالى بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء في سائر صفاته.

ولو فرضت الخلق كلهم على اجملهم صورة وكلهم على تلك الصورة، ونسبت جمالهم الظاهر والباطن الى جمال الرب سبحانه وتعالى، لكان أقل من نسبة سراج ضعيف الى قرص الشمس.

ويكفي في جماله تعالى، انه لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم، لاحرقت سبحاته «انواره» ما انتهى اليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله ان كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته عز وجل، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال.

ويكفي في جماله سبحانه انه له العزة جميعاً، والقوة جميعاً والجود كله والاحسان كله، والعلم كله والفضل كله، ولنور وجهه الكريم أشرقت الظلمات، كما قال النبي ﷺ في دعاء الطائف: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه، فهو سبحانه وتعالى نور السموات والأرض، ويوم القيامة اذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره، ومن أسمائه الحسنى

«الجميل»، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: «ان الله جميل يحب الجمال».

وجماله سبحانه وتعالى على اربع مراتب:

- **❖ جمال الذات.**
- **❖ وجمال الصفات.**
- **❖ وجمال الأفعال.**
- **❖ وجمال الأسماء.**

فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها صفات الكمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الذات وما هو عليه، فأمر لا يدركه أحد سواه ولا يعلمه أحد غيره سبحانه، وليس عند المخلوقين منه الا تعريفات تعرف بها الى من أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار كما قال رسول الله ﷺ فيما يحكي عنه في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري».

ولما كانت الكبرياء اعظم وأوسع كانت أحق باسم الرداء، فإنه سبحانه الكبير المتعال فهو سبحانه العلي العظيم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال، وستر بنعوت العظمة والجلال».

ومن ههنا يتبين انه سبحانه وتعالى، له الحمد كله وان احداً من خلقه لا يُحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وأنه يستحق ان يعبد لذاته ويشكر لذاته، وأنه سبحانه يحب نفسه ويثني على نفسه ويحمد نفسه، وان محبته لنفسه وحمده لنفسه وثناءه على نفسه وتوحيده لنفسه هو في الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد، فهو سبحانه وتعالى كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه خلقه، وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله فكل أفعاله حسن محبوب وان كان في مفعولاته (مخلوقاته) ما يبغضه ويكرهه، فليس في أفعاله ما هو مكروه مسخوط، وليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته الا هو سبحانه وتعالى.

وكل ما يحب سواه فإن كانت محبة تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله، فمحبته صحيحة والا فهي محبة باطلة.. وهذا هو حقيقة الإلهية، فإن الإله الحق هو الذي يحب لذاته ويحمد لذاته، فكيف اذا انضاف الى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته!؟؟

فتبارك الله وجل ثناؤه وتقدست أسماؤه

خطبة الجمعة

منحة الإسراء والمعراج

بقلم الشيخ صالح عبد الله

أما بعد: أيها المؤمنون، حادثة الإسراء والمعراج لنبينا محمد ﷺ تواترت بها الروايات عن خمس وعشرين صحابيًا نقلوها عن نبيهم، وإنها نعمة انفرد بها، وتكريم خصه الله تعالى به من بين سائر رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجاء هذا التكريم للنبي الكريم ﷺ ونال هذه المنحة من مولاه بعد أن بلغت الدعوة أصعب مراحلها وأقسى أيامها، ووصلت عداوة المناوئين له الذروة في إلحاق الأذى به وأصحابه حتى كاد الأمر يتجاوز قوة احتماله.

عمُّه الذي كان يحميه ويدافع عنه مات، وزوجته الرؤوم خديجة رضي الله عنها التي كانت تواسيه وتسلّيه وتسرّي عنه ماتت، ففقد الحماية وفقد المؤانسة والقوم في طغيانهم يعمهون، فتحتم عليه البحث عن بدائل؛ فذهب إلى الطائف يعرض دعوته على ثقيف، إلا أن الرد جاء قاسيًا ومؤيِّسًا؛ رفضوا دعوته، وطردوه، وأغروا به سفهاءهم، وعاد طريدًا وحيدًا إلى بلدٍ أُخرج منها، ليقبل عليها خائفًا يترقب، ولم يستطع دخول مكة إلا بجوار رجل كافر هو المطعم بن عدي.

في هذه الأثناء وجو الدعوة ملبدٌ بسحب من الأذى كثيفة، وعلاماتُ وقرائن قحط الإجابة بادية على أهل مكة، هنا تفيض رحمة الله على عبده وأحبِّ خلقه إليه وأفضل الأنبياء كافة، تأتي منحة الإسراء والمعراج، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة من البعثة.

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ كان في بيته، فجاءه جبريل عليه السلام، فأخذه إلى المسجد الحرام، وفي الحجر - وهو جزء من الكعبة - فرج صدره، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئٍ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدره، ثم أطبقه، ثم أسرى به إلى بيت المقدس على البراق، وهناك صلى بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، وتنقل من سماءٍ إلى التي تليها، وأثناء تنقله في السموات التقى بالأنبياء: آدم في السماء الدنيا، وعيسى ويحيى بن زكريا في السماء الثانية، ويوسف في السماء الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة عليهم الصلاة والسلام، وسمع صريف أقلام الملائكة، وهناك فرض الله عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، فراجع ربه بمشورة من أخيه موسى عليه السلام حتى خُففت إلى خمس صلوات. ثم انطلق به جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وهي شجرة عظيمة جدًا فوق السماء السابعة، ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله تعالى من الوحي وغيره.

أيها المؤمنون، لئن كان الرسول منح معراجًا في جسده وروحه إلى السماء وكشف الله له معاينة كثير من الآيات وعجائب الأرض والسموات، فإن غيره من المسلمين لهم أيضًا حظ من هذا المعراج كلَّ يوم خمس مرات، لكنه معراج بالروح فقط، إنها الصلوات الخمس؛

يقف المسلم فيها بين يدي ربه. أخرج الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح عن النبي ﷺ قال: ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن))، فذكر منها: ((وآمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا))، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه: ((خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي، وما استقلت به قدمي))، وفي صحيح مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))، ولا زال نبينا يأمر بالصلاة ويعلمها أصحابه، حتى كانت آخر وصاياه قبل أن يفارق الدنيا، فقد أوصى الناس فقال: ((الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)) كرر ذلك مرارًا. رواه البخاري.

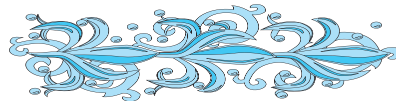
إذا وقفت - أيها المسلم - بين يدي مولاك في الصلاة، فتحقق أنه سبحانه مقبل بوجهه عليك، يسمعك ويراك، فاعبده بالإحسان كأنك تراه، ولا تلتفت عنه بعينك أو قلبك فينصرف وجهه عنك، تفكر وتدبر أن الصلاة شرعت وفرضت على نبينا ﷺ حين عرج به إلى السماء، وتذكر أن الله تعالى خالقُ الدنيا والآخرة وما فيها، وعالم الغيب والشهادة، وأنه على كل شيء قدير، فاعرج بنفسك لمولاها، وأشغلها بتملقه ودعائه؛ لأن النفس لا بد أن تنشغل، فالصلاة أقوال وأفعال، فللأقوال معنى، وللأفعال مغزى، ولا تحرم نفسك من فيوضات الجليل الرحيم سبحانه ونعمه التي أودعها في الصلاة، ومن أعظمها وأجلها المناجاة بينك وبين السميع البصير وأنت تقرأ سورة الفاتحة، ليست الصلاة طقوسًا ولا حركاتٍ آلية لا يعقل لها معنى، وإنما هي مدرسة تربي المؤمنين على أنبل معاني الخير والحب والفضيلة في زحمة الحياة وصخبها وشرورها، إنها معراج الروح إلى الله

تعالى في اليوم خمس مرات.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ❖ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة: ٤٥-٤٦ .

معاشر المسلمين، يا أمة محمد، تضافرت الروايات أن نبينا محمدًا ﷺ صلى بالأنبياء إمامًا في بيت المقدس ليلة أسري به قبل عروجه إلى السماء، وجاء في خبر صححه الحافظ ابن كثير، أنه صلى بهم بعد أن هبط من السماء؛ هبطوا معه تكريما له وتعظيمًا عند رجوعه من الحضرة الإلهية الجليلة، وإمامته بالأنبياء دليل على جلالة قدره وعلو مرتبته وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم، وهو دليل على دخول جميع الرسالات السماوية تحت رسالته، وانضواء الرسل كلهم بأقوامهم تحت لوائه، قال الله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ من الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ (أي: بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله) فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** آل عمران: ٨١-٨٢.

وهذا أبلغ بيان، ومن أقوى الأدلة على أن اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم والأقوام الأخرى، إن لم يتبعوا دين محمد ولم يؤمنوا به ويدخلوا فيه، استحقوا الفسق الموجب للخلود في النار، **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسرين﴾** آل عمران: ٨٥ .



تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد السادس - المجلد ٥٤

شعبان ١٤٣١هـ - آب ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- ■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- ■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- ■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- ■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- ■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- ■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- ■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- ■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد السادس ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

الاســـــلام..و

ان الاسـلام لا يناهض أي فكرة أو دعـوة تدعـو للحفـاظ على حـقوق الانسـان، أو تعطي للانسـان حقـه البشـري الذي أوجده الله تعالى مع فطرته، ولا أدل على ذلك من حلف الفضول الذي كان في الجاهلية، والذي دعى الى الانتصاف للمظلوم حيث قال فيه رسول الله ﷺ: (لو دعيت لمثله في الاسلام لأجبت) لما فيه من حفاظ على حق الانسان وانصاف للمظلوم وهو جوهر دعوة الاسلام.

ولا ريب ان الايمان بالله وحده يحافظ على حقوق الانسان، ويوفر له الكرامه حيث انه هو السبيل الوحيد، لتوفير كرامة الانسان وتحقيق انسانيته ومساواته بالاخرين، اذ ان الجميع تحت هذا المفهوم سواء، وبخاصة اذا علمنا ان التوحيد يعني التحرر من كل قيد أو سلطان سوى الله سبحانه وتعالى.

ان أهم قيمة في حقوق الانسان التي دعى اليها الاسلام هي (عدم الإكراه) قال الله تعالى: ﴿لا اكراه في الدين﴾ البقرة: ٢٥٦، وقال ايضا: ﴿وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد﴾ ق: ٤٥، هذه القيمة التي احترمها الاسلام، لأن الاكراه بكل المعايير هو اسقاط للعقل وإلغاء للارادة والاختيار، وما أعظم المقولة الخالدة التي رفعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ومن هنا ينبغي ان يبقى هذا الشعار مرفوعاً في حياة المسلمين (لا إكراه) مهما تعرض واقع المسلمين للضغوط وحملات الاضطهاد والتشويه، فالإنسان له حق التدين والاعتقاد.

إننا ينبغي عند الحديث عن حقوق الانسان، ان نتحدث عن البعد

حقوق الإنسان

الروحي والخلقي والديني لحقوق الانسان، علاوة عن تناول الجانب المادي والجسدي لحقوقه، ذلك لان الانسان فطري بطبعه ولا بد من اشباع هذا الجانب فيه، كما ان اساس حقوق الانسان تحقيق المصالح الضرورية له، والتي جاءت الشريعة الاسلامية لحفظها تحقيقاً لمصالح العباد، ليعيشوا نعمة الحياة التي وهبها لهم ربهم سبحانه وتعالى.

وإن أهم دعوة لحقوق الانسان تعلو الصيحات بها في هذا الزمان، هي الدعوة الى الحرية الكاملة للانسان، وهنا ينبغي ان يشار الى ان للانسان حريته التي ينادي بها، والتي تمكنه من العيش بطمأنينة وسلام.. فله حق الاعتقاد والعبادة والتملك والتصرف، إلا ان هذه الحرية ليست مطلقة ولكنها مقيدة بقيود، كأن تتوقف حرية الشخص عند حرية الاخرين، وتقييد حرية التفكير الى حدود العقل وامكانياته المادية دون الغيبية، كذلك تقييد حريته بالانظمة والقوانين العادلة التي ترعى المصالح العامة للانسان.

وحديث الرسول ﷺ يوضح المقصود من هذه القيود، حيث روى البخاري في صحيحه عن النعمان بن البشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم اسفلها، فكان الذين في اسفلها اذا استسقوا من الماء، مروا على من فوقهم فقالوا: لو انا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعاً، وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

أسرة التحرير

تطور كتابة مصاحف القراءات

■ بقلم الشيخ توفيق ابراهيم ضمرة

لم يحظ كتاب من الكتب، بما حظي به كتاب الله تعالى حفظًا وتدريسًا وكتابةً، وهو ما سنتكلم عنه في هذه العجالة حيث تمت كتابة المصحف الشريف على ثلاث مراحل، نقدم خلالها بمقدمة مختصرة نوضح فيها علم القراءات منذ نشأته حتى نضوجه واستقراره:

❖ أولاً: كتابة المصحف الشريف أمام الرسول ﷺ:

وذلك من بعثة النبي ﷺ إلى وفاته، إذ كان القرآن الكريم محفوظًا في الصدور مكتوبًا في الوسائل المعروفة في ذلك الوقت كما في التفصيل التالي:

● نزول القرآن على سبعة أحرف:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ في الفترة المكية على حرفٍ واحد، لأن الدعوة الإسلامية كانت محصورة في مكة وعدد المسلمين قليل،وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ودخول القبائل العربية التي كانت تختلف في لهجاتها في دين الله أفواجاً، سأل النبي ﷺ اللهَ عز وجل أن يخفف على أمته، فأنزل اللهُ تعالى القرآن على سبعة أحرف، كما جاء في حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، مما سهل تلاوة القرآن الكريم وفهمه، لا سيما في القبائل التي



لها لهجات مختلفة وفيها الشيخ العجوز والمرأة والضعيف الذين ألف لسانهم لهجتهم ولا يستطيعون الرحلة إلى الرسول ﷺ للاستماع منه، كما في حديث أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».

هذا وقد أقرأ النبي ﷺ صحابته الكرام وفق هذه الأحرف السبعة، وقد لاحظ الصحابة الكرام الاختلاف بينها في حياة النبي ﷺ، وقد صوب النبي ﷺ قراءتهم على اختلافها وأمر كل واحد منهم أن يقرأ كما عُلِّم. فعن عُمَرَ بْنَ الخطاب رضي الله عنه قال: «سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

والأحرف السبعة موجودة إلى الآن ولم تنسخ، وأنها نزلت بلهجات العرب المختلفة، وأن هذا الاختلاف في اللهجات هو في طريقة نطق الكلمات، وقد عرفنا هذه الأحرف من خلال آثارها الباقية في القراءات العشر.

● كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ:

وعندما كانت تنزل الآيات على النبي ﷺ كان يأمر كتبة الوحي بكتابتها، فتكتب أمامه ﷺ، قال زيد: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي علي فإذا فرغ قال: اقرأه علي فأقرأه فإذا كان

فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس. حتى تُظَاهِر الكتابة في السطور ما حفظ في الصدور، وقبض النبي ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور مكتوب بالأحرف السبعة، على اللخاف والعسب والرقاع والأكتاف مفرق بين الصحابة ما عند صحابي ليس عند آخر.

● كتابة القرآن في عهد الصديق رضي الله عنه:

وفي حروب المرتدين استحر القتل بالقراء في معركة اليمامة حتى قتل منهم سبعون، عندئذ خاف عمر الفاروق رضي الله عنه ضياع القرآن بمقتل حفاظه فأشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف واحد، قال زَيْدُ بْنُ ثَابت رضي الله عنه: (أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخطاب عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تكتب الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ - فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجبال مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ - فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾**.. حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً مكتوباً إلا إذا شهد شاهدان أنه كتب أمام رسول الله ﷺ.

وجمع القرآن الكريم كاملاً في صحف مشتملاً على الأحرف السبعة وفق العرضة الأخيرة، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، هو أول من جمع كتاب الله).

❖ ثانياً: مرحلة نسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه، وإرسال القراء إلى الأمصار:

● كتابة القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان الصحابة يُقرِئون القرآن وفق ما تعلموا من النبي ﷺ من هذه الأحرف، ولا شك أن هناك فرقاً بين تعليم أحدهم وتعليم الآخر كل حسب ما تلقاه من النبي ﷺ، فجعل تلاميذهم يلتقون فيختلفون ويُخَطِّئُ بعضهم بعضاً في القرآن، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كَفَّرَ بعضهم بعضاً، وجعلوا يفاضلون بين قراءات الصحابة، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: (أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافًا)، فجمع الصحابة واستشارهم وقال: (لقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرًا)، قالوا: فما ترى؟ قال: (أرى أن نجمع الناس على مصحف واحدٍ فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف). قالوا: نِعْمَ ما رأيت.

وهذا ما حدث عندما اجتمع أَهْلُ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أيها الناس إياكم والغلو في عثمان وتقولوا: حرَّاق المصاحف فوالله ما فعل الذي فعل إلا عن ملأٍ منا).

فَنَسَخَ القرآن وفق ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، وبعث مع كل

مصحف قارئاً يقرئ الناس وفق ما كتب في هذه المصاحف، مع العلم أنها لم تكن منقطة أو مشكلة في ذلك الوقت. وأمر عثمان بحرق جميع المصاحف التي كانت مكتوبة عند بقية الصحابة حيث إن بعض هذه المصاحف لم يكن كاملاً بسبب النقص في بعض الآيات والسور، وبعضها كان في حواشيه كلمات تفسيرية قد يحسبها بعضهم من القرآن .

وقد كتب عثمان ستة مصاحف وأرسل واحدًا منها إلى مكة مع عبد الله بن السائب، وواحداً إلى الشام مع المغيرة بن شهاب، وواحداً إلى الكوفة مع أبي عبدالرحمن السلمي، وآخر إلى البصرة مع عامر بن عبد القيس، وأبقى واحداً في المدينة مع زيد بن ثابت وواحدًا لنفسه.

وأمر كل قارئ أن يُقرِئ الناس وفق مصحفه، فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول مصحفهم إليهم مما يوافق خط المصحف، وسقط العمل بالقراءة التي تخالف خط المصحف، ومن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار في قراءة بعض الحروف بناءً على كتابتها في المصحف أو لا.

❖ ثالثاً: مرحلة كتابة المصاحف بالقراءات:

وفي هذه المرحلة تم ضبط القراءات وظهرت مصطلحات ضبط المصحف الشريف وذلك على مراحل أهمها:

أ- وضع نقاط الإعراب:

فبعد أن كثرت الفتوحات الإسلامية، ودخل كثير من الأعاجم في الإسلام واختلط اللسان العربي بالعجمي، وفشا اللحن على الألسنة قام أبو الأسود الدؤلي بتنقيط المصحف نقط إعراب، فوضع نقطة فوق الحرف لتدل على الفتح، ونقطة أمام الحرف لتدل على الضم، ونقطة تحت الحرف لتدل على الكسر ونقطتين لتدل على التنوين، وذلك بمداد يخالف لونه لون مداد المصحف.

ب- وضع نقاط الإعجام:

ولما صعب على كثير من المسلمين التمييز بين الحروف المتشابهة طلب الحجاج ابن يوسف من نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، أن يعملا على إبعاد التحريف عن ساحة القرآن، فوضعا نقاط الإعجام لتمييز الحروف المتشابهة رسماً

من بعضها بلون مداد كتابة المصحف، فالباء نقطة واحدة تحت والتاء بالمثناة الفوقية والثاء بالمثلثة الفوقية.

ج - طور الخليل بن أحمد الفراهيدي نقاط الإعراب إلى حركات الإعراب

فجعل الضمة واوًا صغيرة فوق الحرف، والفتحة ألفًا صغيرة مبطوحة فوق الحرف، والكسرة ألفًا مبطوحة تحت الحرف، والتنوين حركتين والشدة رأس الشين والسكون رأس خاء والهمزة رأس عين، ووضع علامة المد الزائد عن المد الطبيعي، بلون مداد الكتابة.

ثم وضعت أرقام الآيات وأسماء السور وقسم إلى أجزاء وأحزاب وأرباع، وعلامات الوقف والتسهيل والإشمام والإمالة والتقليل، وهكذا تنامى علم مصطلحات ضبط المصحف حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.

د- ظهور الطباعة:

واستمرت كتابة المصحف يدوياً حتى عام ١٨٩٠م عندما قامت المطبعة البهية بالقاهرة بطباعة المصحف الذي كتبه الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي.

ثم تشكلت لجنة من الأزهر لطباعة المصحف الشريف على قواعد الرسم العثماني وَضُبِطَ على ما يوافق رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بخط الشيخ محمد علي خلف الحسيني وطبع سنة ١٩٢٣م وتلقاها العالم الإسلامي بالرضى والقبول.

ثم طبع المصحف الشريف برواية ورش عن نافع المدني بالجزائر والمغرب العربي، وطبع برواية قالون عن نافع بتونس وليبيا، وطبع برواية الدوري عن أبي عمرو البصري بالسودان، ثم طبع بالروايات الأربع السابقة بمجمع الملك فهد بالمدينة النبوية.

هـ- عملنا في مصاحف القراءات:

تمت كتابة وطباعة المصاحف التالية:

١. مصحف شعبة بن عياش عن عاصم بن النَّجود من طريق الشاطبية.

٢. مصحف خلف العاشر من طريق الدرة.

٣. مصحف هشام بن عمار وبالهامش رواية ابن ذكوان من طريق الشاطبية.

٤. مصحف الليث بن خالد وبالهامش رواية الدوري من طريق الشاطبية.

٥. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش

رواية شعبة من طريق الشاطبية.

٦. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش رواية قالون من طريق الشاطبية .

٧. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش رواية الدوري من طريق الشاطبية.

٨. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش قراءة ابن عامر من طريق الشاطبية

٩. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش قراءة خلف من طريق الدرة.

١٠. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش قراءة أبي جعفر من طريق الدرة .

علماً بأن كل المصاحف السابقة تمت مراجعتها وإجازتها من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية.

وهناك مصاحف في مرحلة التدقيق قبل تسليمها لوزارة الأوقاف:

١. مصحف برواية هشام بن عمار لقراءة ابن عامر الشامي من طريق الشاطبية.

٢. مصحف برواية عبد الله بن ذكوان لقراءة ابن عامر من طريق الشاطبية.

٣. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش رواية السوسي من طريق الشاطبية.

٤. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش قراءة يعقوب من طريق الدرة.

٥. مصحف حفص بن سليمان وبالهامش قراءة ابن كثير من طريق الشاطبية.

ونأمل في هذا المشروع من العمل على إكمال كتابة المصحف بالقراءات العشر وإليك أسماء هؤلاء القراء ورواتهم:

١- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم.

وراوياه:

أ- قالون: عيسى بن مينا بن وردان.

ب- ورش: عثمان بن سعيد بن عبد الله.

٢- عبد الله بن كثير أبو معبد المكي الداري العطار.

وراوياه:

أ- البزي: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة.

ب- قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي.

٣- زبان بن العلاء بن العريان التميمي المازني البصري.

وراوياه:

أ- الدوري: حفص بن عمر بن عبد

العزيز.

ب- السوسي: صالح بن زياد بن عبد الله الرستبي.

٤- عبد الله بن عامر الشامي، أبو عمران.

وراوياه:

أ- هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة.

ب- ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان.

٥- عاصم بن أبي النَّجود الأسدي الكوفي الحناط.

وراوياه:

أ- شعبة: أبو بكر شعبة بن عياش.

ب- حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر الأسدي.

٦- حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي أبو عمارة.

وراوياه:

أ- خلف بن هشام بن ثعلب البزار.

ب- خلاد بن خالد أبو عيسى الشيباني.

٧- علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ابن فيروز الأسدي.

وراوياه:

أ- أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي.

ب- حفص بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمر الدوري.

٨- يزيد بن القعقاع المخزومي أبو جعفر المدني.

وراوياه:

أ- عيسى بن وردان المدني.

ب- ابن جماز: سليمان بن مسلم بن جماز.

٩- يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري.

وراوياه:

أ- رويس: محمد بن المتوكل اللؤلؤي.

ب- روح بن عبد المؤمن.

١٠- خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي البزار.

وراوياه:

أ- إسحاق بن إبراهيم بن عثمان.

ب- إدريس بن عبد الكريم الحداد.

نسأل الله أن ييسر إكمال هذا المشروع وهو ولي التوفيق

العمل في القرآن الكريم

■ بقلم الشيخ زيدان محمود العقرباوي

وردت مادة العمل بكل مشتقاتها في القرآن الكريم، اكثر من ثلاثمائة وخمسين مرة، وورودت مادة الكسب بمعنى العمل اكثر من ستين مرة، ومنها نفهم ان الله تعالى خلق الموت والحياة، ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً، واستخلفهم في الأرض لينظر كيف يعملون، وبحكم هذا الاستخلاف، ولأن الغاية منه الاصلاح في الأرض، فإن العمل المقبول هو العمل الصالح، وان كان الناس ينتفعون فالله تعالى يخرجهم به من الظلمات الى النور، ويهديهم ويحييهم حياة طيبة ويؤمنهم من الخوف، ويبدل سيئاتهم حسنات، ويعدهم بأن يكونوا من المفلحين.

ولا يفوت المتدبر لآيات العمل الصالح، ان يرى التفاعل الموجود بين الايمان والعمل، فتارة يدرك ان الايمان هو الذي يهدي الى العمل، وتارة يفهم منه ان العمل يرفع صاحبه ويقوي ايمانه ويفتح بصيرته.

اما بعد الموت فالناس يُسألون عما كانوا يعملون، اذ تجد كل نفس ما عملت محضراً وتوفى كل نفس ما عملت، لا تخاف ظلماً ولا هضماً، ولا كفران لسعيه ذكراً كان أم أنثى، فالعاملون موعودون في الآخرة بالمغفرة، وبالدرجات العلى واجرهم غير ممنون، يفرحون بلقاء الله تعالى وأي شيء أعظم من ان يجعل لهم الرحمن وداً، ويزيدهم من فضله، بل انه تعالى يرزقهم بغير حساب فطوبى لهم وحسن مآب.

ومن إشفاق الله تعالى على عباده

العاملين، ان حذرهم من ابطال العمل في ميزانه الذي هو ميزان الحق، والإبطال والإحباط يكون بالشرك والكفران.

ان اقتران العمل بالايمان في القرآن الكريم، وشرط العمل بالصلاح وجعل العمل الصالح المبني على الايمان هو وحده المفضي الى الفلاح.

هذه المنظومة تجعل سورة العصر جامعة قوية التقرير جوهرية الموضوع، شاملة النسق، انها تقدم الجواب عن السؤال الفلسفي المتعلق بالحياة في الدنيا، ثم الجواب عن السؤال الديني المتعلق بالنجاح في الحياة الدنيا والآخرة، حياة منطلقها العقيدة تحققها بالعمل المستند الى منهج الحق، ويستعلي الممارس عن الاكراهات بنفسية صابرة، لا تستسلم للحزن ولا للوهن، ليس بخيلاً يقف عند بعض اعمال العبادة المقصود بها خلاص نفسه وليس انساناً آلياً ينتج لغيره، ولا يأخذ الحياة مأخذ العبث، وليس محايداً لا يهمه ان ينتصر للحق وليس متطرفاً في المثالية حتى يستعجل او يغرق في اليأس.

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى: «لو تدبر الناس هذه السورة، (يعني سورة العصر)، لوسعتهم»، وينسب اليه ايضاً انه قال: «لو لم ينزل من القرآن غير هذه السورة، لكفت لأنها شملت جميع القرآن» انها سورة جامعة في تحديد شروط نجاح الانسان.

ان الله سبحانه وتعالى ذكر الحشر، وهو لا يريده لعباده تحذيراً لهم واشفاقاً عليهم منه، وان الايمان لا يربط العمل بأصله فحسب، بل الايمان يخلق الاستعداد للعمل، قال البوصيري رحمه الله:

واذا حلت الهداية قلباً

نشطت للعبادة الاعضاء

فالعمل يعرف على انه جهد تقابله، متعة سواء كان عملاً عقلياً أو عملاً عضلياً، فالعمل الذي يتغير به الانسان في نفسه نحو الاحسن تتصدره في الاسلام اركان الدين في مقدمتها الصلاة التي هي عماد الدين، ويدخل في هذا العمل ترك المحرمات، فالنوع الأول يهيء الانسان للنوع الثاني الذي نقيضه العيش في المجتمع الانساني العام والخاص، فأعمال العبادة بالأركان فيها اعمال روحية باطنية، واعمال ظاهرية والناس ميالون الى ايلاء أهمية اكبر لعبادة الظاهر، كما انهم ميالون الى التقليل من قدر اعمال خدمة الآخرين واعمال بناء قوة الأمة كأعمال تقرب الى الله جل وعلا.

ان الحاسم في هذا الأمر هو النية والمقصد، وإلا فلا عمل صالحاً في جانب من الجانبين الا ويؤثر على الجانب الآخر، فأعمال التعبد الشخصي هي ايضاً ضرورية لعمارة الأرض بقيمتها التأهيلية لفضائل أخرى تدخل كلها في نفع عيال الله.

ولا شك ان الصحة الايمانية تكون أقوى عند من يعمل لنفع الناس منها عند الذي ينكفئ على نفسه، فالمنكفئ يعرض نفسه لمرض الاستعلاء على الآخرين وتحقيرهم، على اعتبار انه أحسن منهم عبادة.

فإلى أي حد استوعب المسلمون في تاريخهم التوجيه القرآني في العمل فكراً وسلوكاً.

التوازن بين اعمال التعبد بالأركان وبين اعمال التعبد بعمارة الأرض التي تدور على بناء الحضارة.

فالقرآن الكريم يضع اطاراً شاملاً لعمل الانسان، يخاطب أولي الألباب، ويستنهض الرشد، ويمدح العزم، وينتقد الإخلاد الى الأرض، ويشيد بالمسابقة بالخيرات، والقرآن الكريم يقدم للناس من جهة أخرى نماذج سلوكية راقية من انفسهم، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، حتى لا يظن العامل ان السقف المرسوم له في عمل الفلاح والصلاح أعلى من امكاناته البشرية العادية.

لقد تصرف عموم المسلمين في التاريخ على أساس أنهم أحرار مسؤولون، لذلك تنافسوا في ما دعاهم اليه القرآن الكريم من أعمال البر وفضائل الاحسان، واقترن هذا الشعور بالاعتقاد بأن الاسلام لا يحذر من الحياة، وانما يحذر من فتنة الدنيا، وقد عرف المؤمنون ان ذلك التحذير لا يهدف الى ان يثنيهم عن التعبد بالعمل، وان التوكل على الله تعالى لا يعني التواكل، فقد قال الإمام الغزالي: «قد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبر بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وكاللحم على العظم، وهذا ظن الجهّال، فإن ذلك حرام في الشرع».

وقد سُئل بعض الفقهاء عمن أحب اليه: التاجر الصدوق أم المتفرغ للعبادة؟ فقال: التاجر الصدوق لأنه في تجارته يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهدهم.

وهكذا فإن الاسلام الحنيف لا يعاكس

الاتجاه الطبيعي عند الانسان في سعيه للحصول على اكبر المكاسب، داخل حدود المعروف، بل شجعه، وقد استند هذا التوجيه الى عقلانية الاسلام في تيسير العمل، كما تبين ذلك من عدد من احكام الدين مثل: سنة الكون في السعي وهي سنة ثابتة، وتوقف الكسب على العمل بالأسباب، وعدم انتظار المعجزات باعتبار انها خاصة بالأنبياء والرسل عليهم السلام، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، واعتبار ان الدنيا مزرعة الآخرة.

أما مجال الصناعة، فهو مجال ممتاز عند المسلمين، من خلال القرآن حيث وردت فيه عدة صنائع كالنحت والفلك والخبازة والنسيج والتعدين وصياغة المعادن النفيسة، وصناعة الجلد، وصناعة الزجاج وصناعة الفخار، والملاحة والصيد، والبناء والزراعة.. وغيرها، وتاريخ الصناعة عند المسلمين تشهد عليه اختراعاتهم المستندة الى العلم والتكنولوجيا، وفي ميدان التجارة كان المسلمون لعدة قرون المراقبين لتجارة البحرين المتوسط والهندي، وعلى الصعيد المغربي واعماق الصحراء وموانئ البحر المتوسط تجار كبار مندمجون في التجارة الدولية.

وكانت لهم ابتكارات في ميادين التجهيزات المنزلية والمدرسية والزراعية والمالية والمعدنية والكيماوية، والصناعات الطبية والابتكارات المتعلقة بالعمران الحضري والصناعات والكشوفات الكونية وغيرها.

ان الهوية التي نريد ان نرى في مرآتها قدر العمل في التدين من خلال تقوية الاقتصاد وخلق الثروات، فوجوب قيام الجميع بالانخراط في عمل البناء وجوباً شرعياً، على انه أولوية التدين الصحيح، وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فالقرآن الكريم يقدم الحق على انه من ربك، وبه نزل الكتاب ونطق وأرسل الرسل، وبه خلق السموات والأرض، وبه هداية الأمم وهو وعد الله تعالى الذي لا يغني عنه الظن ولا يلتبس بالباطل، اما الصبر في القرآن الكريم فليس هواناً ولا ضعفاً، اذ هو مقترن بالعزم فهو خلق الرسل الكرام عليهم السلام وأئمة الهدى، اي قادة الناس وهو ايضاً خلق المتوكلين، وهو سلاح المؤمنين ضد الفتنة، وهو موقف عقلاني إرادي في جميع الأحوال.

والله الموفق

٢

موقف ابن عبد البر القرطبي من مسائل حول الصحابة

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

المطلب الخامس: ملاحظات على ابن عبد البر في قضايا تتعلق بالصحابة

أ - ملاحظة ابن الصلاح

أثنى الحافظ ابن الصلاح على كتاب "الاستيعاب" لكنه عاب على صاحبه في الوقت نفسه نقله عن الإخباريين. قال الحافظ: "ومن أجلّها وأكثرها فوائد " كتاب الاستيعاب " لابن عبد البر، لولا ما شانه به من إيراده كثيراً مما شجر بين الصحابة، وحكاياته عن الإخباريين لا المحدثين، وغالب على الإخباريين الإكثار والتخليط فيما يروونه.."[٣٣].

ومن خلال تتبعنا لأقوال ابن عبد البر في كتابه "الاستيعاب" نستطيع دفع الانتقادات والأوهام التي وجهت إليه بما ياتي:

اولاً: أن ابن عبد البر لم يكن يروي الأخبار عن كبار المحدثين أنفسهم بل الأخباريين، هكذا دون انتقاد أو تصحيح بل كان يرد عليهم وينتقدهم، وقد يرجح بين الروايات، وأحياناً يؤيد بعضها وأخرى قد يعارضها إذا اقتضى الأمر، ومثال هذا مخالفته للبخاري ومن تابعه من أهل الحديث في الرواية التي تقول: إن المراجعة الكلامية التي حدثت في غزوة المريسيع بشأن الإفك كانت بين سعد بن معاذ وسعد

ابن عبادة فرجح البخاري[٣٤] ومن تابعه هذه الرواية. قال أبو عمر -في رده على ذلك-: "ورواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في ذلك سعد بن عبادة وهم وخطأ وإنما تراجع في ذلك سعد بن عبادة مع أسيد بن حضير.

كذلك ذكر ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره وهو الصحيح، لأن سعد بن معاذ مات في منصرف رسول الله ﷺ من بني قريظة لا يختلفون في ذلك، ولم يدرك غزوة المريسيغ ولا حضرها"[٣٥].

ومن ذلك أيضاً رده على ابن إسحاق قائلاً: وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أن رسول الله ﷺ دفن ابنه إبراهيم ولم يصل عليه، وهذا غير صحيح والله أعلم، لأن الجمهور قد أجمعوا على الصلاة على الأطفال إذا استهلوا، وراثة وعملاً مستفيضاً عن السلف والخلف"[٣٦].

وكذلك ترجيحه لرواية يعقوب بن شيبة على رواية الدار قطني، حيث ذكر الأول -يعني يعقوب ابن شيبة- بسنده عن حميد ابن عبد الرحمن، قال: دخلنا على أسير رجل من أصحاب النبي ﷺ... ثم قال: قال رسول الله ﷺ: لا يأتيك من الحياء إلا خير. قال أبو عمر: قال أبو يوسف يعقوب ابن شيبة، وهو أسير بن عمرو بن جابر، وجعل الدار قطني هذا الذي روى حديث الحياء غير أسير بن عمرو بن جابر، والقول عندي ما قاله يعقوب بن شيبة، والله أعلم"[٣٧].

ثانيا- أن منهج ابن عبد البر من مزاياه الإحاطة والشمول لكل ما يذكر في أي مسألة، ثم تحليل ذلك ومناقشته حتى يتميز الغث من السمين والسقيم من الصحيح. كيف وهو الذي روى بسنده عن سفيان الثوري يقول: إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث أكتبه أريد أن اتخذه ديناً، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به"[٣٨]. وعن الأوزاعي أيضاً قال: تعلم ما لا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به"[٣٩].

بل إن الأساس في العلم هو مدى الاستفادة مما يروى ومدى مطابقته للحقيقة بغض النظر عن مصدره، محدثاً كان أو إخبارياً، فقد يحالف الصواب أحياناً الإخباري ويفوت المحدث وليس كل ما ينقل عن المحدثين صحيحاً وكل ما ينقل عن الإخباريين خطأ، ولذلك فالعالم عليه أن يلتمس الصواب والحكمة من أي كان.

وفي هذا السياق قال أبو عمر: "روينا عن علي رحمه الله أنه قال في كلام له: العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه". وعنه أيضاً أنه قال: "الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أيدي الشرط"(٤٠).

ثالثاً: إن طبيعة المنهج العلمي الدقيق تقتضي الرواية حتى عن الإخباريين للرد على رواياتهم وبيان هفواتها وأخطائها حتى يحتاط الناس منها وينتبهوا إليها. وهذا ما كان يفعله أبو عمر ويقصده بروايته عن الإخباريين. قال رحمه الله عند حديثه عن حسان بن ثابت: "وقال أكثر أهل الأخبار والسير: إن حساناً كان من أجبن الناس، وذكروا من جبنه أشياء مستشنعة أوردوها عن الزبير أنه حكاها عنه، كرهت ذكرها لنكارتها، ومن ذكرها قال: إن حساناً لم يشهد مع رسول الله ﷺ شيئاً من مشاهده لجبنه، وأنكر بعض أهل العلم بالخبر ذلك وقالوا: لو كان حقاً لهجي به..."(٤١).

فمن كلامه هذا يتبين أيضاً أنه لم يكن يورد كل شيء يحكيه الإخباريون،فقد كان يكره ذكر أشياء مستشنعة لنكارتها، وإذا ذكر بعضها فإنما ليرد عليها ويفندها، وهكذا ومن كل ما ذكر، يبدو أن ملاحظة الإمام ابن الصلاح كان الأليق أن تقدم على أنها ميزة امتاز بها منهج أبي عمرو حسنة تضاف إلى سائر حسناته، بدلاً من أن تقدم عيباً يشين عمله وينقص قدره.

ب - ملاحظات الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي:

أورد شيخ الإسلام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى" ملاحظات للحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي على ابن عبد البر في قضايا تتعلق بالصحابة ومنها:

أولاً: في أثناء ترجمته له أورد شيخ الإسلام تاج الدين السبكي سؤالاً من الشيخ شرف الدين أبي الحسين اليونيني من بعلبك إلى الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي يطلب منه جواباً حاسماً حول مسألة شهود هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بدراً(٤٢). والتي وقع خلاف بين العلماء فيها، قال الإمام: "فأجابه عبد المؤمن بأن قال: لم يشهد مرارة ولا هلال بدراً ولا أحُداً أيضاً وإن ذكرهما الإمام أحمد والبخاري ومسلم وابن عبد البر وغيرهم، لأن بعضهم قلد بعضاً فزل، والمقلد الأصلي الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن

عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب ومنه أتى الوهم، ومن ذكرهما في الطبقة الثانية ممن شهد أحداً فلقدم إسلامهما لا لشهودهما الوقعة"[43].

وفي كلام الحافظ عبد المؤمن هذا نظر. وملاحظته غير مسلم بها عند العلماء، بل إن الحافظ ابن حجر رجح عكس هذه الملاحظة فقال - عند ترجمة مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي-: "صحابي مشهور، شهد بدراً على الصحيح، هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، أخرجاه في "الصحيحين من حديث كعب بن مالك في قصة توبته: فقلت: هل لقي أحد مثل ما لقيت؟ قالوا: هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً. وفي حديث جابر عند قول الله تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾**. قال: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية وكلهم من الأنصار"[44].

كما أكد رأي ابن عبد البر[45] أيضاً الإمام عز الدين بن الأثير في كتابه "أسد الغابة" حيث قال في ترجمة مرارة بن الربيع: "شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فنزل القرآن في شأنهم **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا..﴾** الآية(٤٦). وذكر بسنده عن جابر في قوله تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾** قال: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، كلهم من الأنصار"[47].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأي دليل اعتمده الحافظ الدمياطي في الادعاء بأن الإمام أحمد والبخاري ومسلماً وابن عبد البر وغيرهم قلد بعضهم بعضاً وأن مقلدهم الأصلي هو الإمام ابن شهاب؟ وما حجته التي يستند إليها في نسبة الوهم لهم والاعتقاد بأن ما يراه هو الصواب؟ لم يرد أي شيء من هذا فيما ساقه الإمام السبكي من جواب الدمياطي، لذلك يبقى كلامه مردوداً ما دام يفتقر إلى الحجة والدليل، بل إن الراجح عكسه، لأنه صادر عن علماء مشهود لهم بالسبق في هذا الميدان، وأخذ به علماء كبار أيضاً ممن جاءوا بعدهم.

ثانياً: ومن هذه الأوهام كما زعم: أن ابن عبد البر ذكر عثمان بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب التيمي في الصحابة ولا تعرف له صحبة ولا إسلام، بل الصحبة لولده عبد الرحمن بن عثمان ابن أخي طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي، أسلم عام الفتح وله صحبة ورواية، قتل مع

ابن الزبير بمكة[٤٨].

وهذا نفس ما ذهب إليه الإمام الذهبي. ويمكن الرد على هذا الزعم وتأييد كلام ابن عبد البر بما أورده الحافظ ابن حجر في ترجمة عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمي (هذا) أخي طلحة قال: "قال ابن حبان: له صحبة. وقال أبو عمر: أسلم وهاجر، ولا أعرف له رواية، ومن ولده محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الرحمن ابن غنم بن عبد الله، كان عالماً بالنسب، وقال الذهبي: لا صحبة له ولا إسلام، بل الصحبة لولده عبد الرحمن. قلت: وهو رد بغير دليل"[٤٩].

وقد اعتمد أيضاً كلام ابن عبد البر الإمام عز الدين بن الأثير وقال -في ترجمة عثمان بن عبيد الله التيمي هذا-: "وهو قرشي من بني تميم، أسلم وهاجر، وصحب النبي ﷺ... أخرجه أبو عمر"[٥٠][٥١].

ثالثاً: ومنها أن ابن عبد البر ذكر زيد ابن عاصم بن كعب بن منذر بن عمرو بن عوف بن مبذول المازني ولا صحبة له، وإنما الصحبة لولديه حبيب وعبد الله صاحب حديث الوضوء وغيره، ولأمهما أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف ابن مبذول صحبة ومشاهد ورواية..[٥٢]

وهذا الوهم أيضاً لا مستند للحافظ الدمياطي عليه.

وقد اعتمد الحافظ ابن حجر والإمام عز الدين بن الأثير كلام ابن عبد البر ولم يشر أحد منهما إلى هذا الوهم كما زعم الحافظ الدمياطي. قال الحافظ ابن حجر -في ترجمة زيد بن عاصم بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار الأنصاري المازني-: "ذكر أبو عمر أنه شهد العقبة وبدراً، ويقال: إن كنيته أبو الحسن، وزاد أبو عمر في نسبه بين عاصم وعمرو بن عوف بن كعب بن منذر، فالله أعلم"[٥٣].

وقال الإمام عز الدين بن الأثير في زيد ابن عاصم بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري: "كذا ساق نسبه أبو موسى وابن الكلبي... وقال أبو عمر: شهد العقبة وبدراً، ثم شهد أحداً مع زوجته أم عمارة ومع ابنيه حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، قال: أظنه يكنى أبا الحسن. فإن كانت كنيته أبا الحسن فقد أخرجه ابن منده ولم يكن لاستدراك أبي موسى عليه وجه، أخرجه أبو عمر وأبو موسى"[٥٤].

رابعاً: وقال الحافظ الدمياطي: "وذكر

أيضاً إمام الشرق والغرب حاجباً وخبيباً وخباباً أولاد زيد بن تهيم[٥٥] بن أمية بن خفاف بن بياضة بن سعيد، وقال ابن الكلبي: بياضة بن خفاف بن سعيد بن مرة ابن مالك بن الأوس، فقال: في كل واحد منهم الأنصاري البياضي وليسوا ببياضيين، لأنهم من الأوس وبياضة من الخزرج، وبياضة الذي في نسبهم ليس هو ببطن ينسبون إليه والذي ينسب إليه هو بياضة أخو زريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن صعب بن جشم بن الخزرج وحاجب وأخواه من الأوس"[٥٦].

(وهذه ملاحظة لا أساس لها أيضاً من الصحة. فما نسبه لابن عبد البر من قوله: "في كل واحد منهم الأنصاري البياضي وليسوا ببياضيين لأنهم من الأوس..." لم يرد عنه ذلك في كتابه "الاستيعاب" في ترجمة حاجب وإنما الذي ورد هو قوله بالحرف: "حاجب بن زيد بن تيم بن أمية ابن خفاف بن بياضة، شهد أحداً رضي الله عنه، ذكره الطبري. انتهى"[٥٧].

أما خباب وخبيب فلم ترد لهما ترجمة لا عند ابن عبد البر في "الاستيعاب" ولا في "أسد الغابة" ولا في "الإصابة"، فلست أدري من أين أتى الحافظ عبد المؤمن بكلام ابن عبد البر عنهما كما زعم، هذا وقد تابع الإمام ابن الأثير والحافظ ابن حجر أبا عمر فيما أورده في ترجمة حاجب وقالا جميعاً: أخرجه أبو عمر وأبو موسى[٥٨].

خامساً: ومما لاحظه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي على ابن عبد البر من وهم كما زعم - أنه: "ذكر في كتابه -يعني الاستيعاب- حليمة بنت أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن شعنة ابن جابر بن ناصر فُضية -بضم الفاء تصغير فضاةٌ وهي النواة- وزوجها الحارث ابن عبد العزيز بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فضية بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن أخي سليم ومازن أولاد منصور ابن عكرمة بن جعفر بن قيس عيلان، ولا يعرف لها صحبة ولا إسلام وذكر أنها أتت النبي ﷺ يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر، وهذا كله لا يصح ورواية ابن جعفر عنها منقطعة لم يدركها والتي أتته يوم حنين هي بنتها الشيماء واسمها جذامة وقيل: حذافة، وكانت تحضن النبي ﷺ مع أمها وتوركه، وإنما جاءته حليمة بمكة قديماً قبل النبوة وقد تزوج خديجة فأعطتها خديجة أربعين شاة وجملاً موقَّعاً للظعينة ثم انصرفت إلى أهلها"[٥٩].

والحافظ في هذا الكلام أيضاً كسابقه لم يذكر مستنده ولم يقدم حجة ولا دليلاً يثبت صحة ما يدعيه ويبطل ما قاله ابن عبد البر هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن ما أورده الحافظ ابن حجر في "الإصابة" يزكي ويؤيد قول ابن عبد البر(٦٠)، ويفند في نفس الوقت ما زعمه الحافظ الدمياطي ويرد عليه. قال الحافظ ابن حجر: "حليمة السعدية، مرضعة النبي ﷺ، هي بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن رزام ابن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن. قال أبو عمر: أرضعت النبي ﷺ ورأت له برهاناً تركنا ذكره لشهرته.

وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، قال:جاءت حليمة ابنة عبد الله أم النبي ﷺ من الرضاعة إلى رسول الله ﷺ فقام إليها وبسط لها رداءه، فجلست عليه وروى عنها عبد الله بن جعفر. قلت: حديثه عنها بقصة إرضاعها أخرجه أبو يعلى وابن حبان في "صحيحه"، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة، ووقع في السيرة الكبرى لابن إسحاق بسنده إلى عبد الله ابن جعفر، قال: حدثت عن حليمة، والنسب الذي ساقه ذكره ابن إسحاق في أول السيرة النبوية، وفيه: ثم التمس له الرضعاء واسترضع له من حليمة فساق نسبها. وأخرج أبو داود، وأبو يعلى وغيرهما من طريق عمارة بن ثوبان عن أبي الطفيل، أن النبي ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحماً فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: هذه أمه التي أرضعته. ونسبها ابن منده إلى جدها فقال: حليمة بنت الحارث السعدية، وساق الحديث من طريق نوح بن أبي مريم عن ابن إسحاق بسنده، فقال فيه: عن عبد الله بن جعفر عن حليمة بنت الحارث السعدية"(٦١).

وأكد أيضاً كلام ابن عبد البر الإمام ابن الأثير في "أسد الغابة" فقال في آخر ترجمة حليمة بنت أبي ذؤيب: أخرجها الثلاثة(٦٢) يعني ابن منده وأبا نعيم وأبا عمر.

هذه بعض الأوهام التي زعم الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنه لاحظها على الإمام ابن عبد البر، وهي في الحقيقة محض ادعاءات تفتقر إلى المستند والحجة والدليل كما بينا ذلك. ولست أدري ما الذي كان يدفعه في إبراز هذه الأوهام أهو البحث العلمي والأمانة العلمية؟ أم هي الغيرة التي تحدث بين

العلماء؟ خصوصاً وأنه صرح بنوع من الاحتجاج والاعتراض على السائل الشيخ اليونيني في تلقيبه ابن عبد البر بإمام المغرب والمشرق أيضاً. فقال: "وأما قول الإمام شرف الدين -أبقاه الله- لصاحب "الاستيعاب": إمام الغرب والشرق فقد عثرت له على عدة أوهام كثيرة في كتابه منها.."[٦٣] وذكر بعض هذه الأوهام التي لاحظها ثم قال في ختام كلامه: "وفي كتاب إمام الشرق والغرب أوهام أخر تركت ذكرها اختصاراً وكنت عزمت على جمعها في كتاب، فإن يسر الله فعلت"[٦٤].

فكان الحافظ الدمياطي كلما أراد أن يذكر وهماً لابن عبد البر لا يذكر اسمه وإنما يقول: "وذكر إمام الغرب والشرق..." فكأن هذا اللقب في نظره فوق ما يستحقه ابن عبد البر. ونفس الشيء أيضاً فعله مع الإمام البخاري حين أطلق السائل عليه لقب "إمام الدنيا"[٦٥]. فحاول كما فعل مع ابن عبد البر أن يذكر أوهاماً للبخاري فقال: "وأما إمام الدنيا أبو عبد الله البخاري ففي جامعه الصحيح أوهام منها.."[٦٦] وذكر بعض هذه الأوهام كما بدت له، هذا مع أن المقام لم يكن يتطلب كل ما ذكره الحافظ وأن السائل إنما طلب الجواب الحاسم في مسألة خاصة وهي كون مرارة بن الربيع وهلال بن أمية شهدا بدراً أو لم يشهداها.

❖ الخاتمة:

١ - تعدّ معرفة الصحابة -رضي الله عنهم- من العلوم الشرعية الضرورية، وتعدُّ فناً هاماً من فنون علوم الحديث، وقد اعتنى به العلماء في القديم والحديث، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهي: معرفة الحديث المتصل من المرسل.

٢ - يعدُّ كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر القرطبي من أشهر الكتب في معرفة الصحابة، فقد اعتمده الإمام ابن حجر في مؤلفاته خصوصاً (الإصابة في تمييز الصحابة) الذي لا تكاد تخلو صفحة فيه من ذكر اسم ابن عبد البر، وكذا في كتابه (تهذيب التهذيب)، ومثل ذلك الإمام ابن الأثير الذي جعل كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر أساساً لمؤلفه في الصحابة (أسد الغابة) وكذلك الإمام الذهبي وغيرهم من فحول العلماء.

٣ - يرى ابن عبد البر أن معنى تكذيب الصحابة بعضهم بعضاً ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق وإنما من باب الغلط، لأن العرب تطلق الكذب

وتقصد به الخطأ، وقد ورد هذا في كلامهم وأشعارهم.

٤- يرى ابن عبد البر أن الصحابة أفضل القرون بالنسبة للمجموع لا الأفراد، وأن من مات من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، أما رأيه في أفضل الصحابة فإنه لم يأت عنه ﷺ أنه فضل واحداً على صاحبه بعينه.

٥- آثر الإمام ابن عبد البر أن يقتحم باب الخلاف والفتنة التي دارت بين الصحابة ليبحث ويحلل ويستنتج ويعطينا نظرة متكاملة معتمداً على حسه النقدي وخبرته بعلم الحديث والتاريخ فكان هذا أفضل وسيلة لقطع الطريق على من يركب هذه المسألة وهو ليس أهلاً لها، فيشوه أحداث التاريخ ويزيف الحقائق ويحمل الأمور ما لا تحتمل.

٦- كان انتقاد ابن الصلاح للإمام ابن عبد البر -كونه ينقل عن الإخباريين- غير وجيه، فأبو عمر كان ينقل عن الإخباريين وعن المحدثين جميعاً، وقصده في ذلك أن يستوفي كل ما قيل في المسألة غثاً أو سميناً، صحيحاً أو سقيماً قبل أن يناقشها وهذه قمة الموضوعية في المنهج العلمي المعتبر.

٧- كان انتقاد الحافظ الدمياطي للإمام ابن عبد البر والأوهام التي عثر عليها في كتابه (الاستيعاب) هي أوهام في الحقيقة لا أساس لها من الصحة في معظمها، ولا تستند إلى دليل أو حجة.

٨- لقد ترك الحافظ ابن عبد البر إمام أهل المغرب والمشرق بصماته جلية في آثار الأجيال التي تلته من العلماء بدءاً بتلامذته في الأندلس ومن لحقهم أو أتى بعدهم وفي المشرق أيضاً، وعلى رأس هؤلاء الذين نهلوا من معين ابن عبد البر الزاخر في شتى العلوم الإمام ابن الصلاح في "مقدمته" الرائعة التي طبقت شهرتها الآفاق، فقد كانت مؤلفات ابن عبد البر مصادر أساسية له فيها، وكان يصرح بنقله عنها.

٩- الإمام ابن عبد البر دشن في الأندلس عهداً جديداً في حقل النقد الحديثي تميز بالاجتهاد ونبذ التقليد والجمود، فاجتهد وأبدع وجدد وناقش ما تلقاه، وقبل ما يستحق القبول، ورفض ما يستحق الرفض، فكان له إسهامات ودور أساسي في إغناء العلوم الإسلامية بوجه عام وإثراء علم الحديث بشكل خاص.

الهوامش:

(٣٣) ابن حجر، فتح الباري، ٤٣٠/٧.

(٣٤) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)، الدرر في اختصار المغازي والسير، طبعة شوقي ضيف، دار المعارف، ص (٢٠٢-٢٠٣).

(٣٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٨/١.

(٣٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٠١/١.

(٣٧-٣٨) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٧٦/١.

(٣٩) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١٠١/١.

(٤٠) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٤٧/١-٣٤٨.

(٤١) قال الحافظ اليونيني: "وقد ذكرهما في أهل بدر الإمام الحافظ إمام أهل المغرب والمشرق أيضاً أبو عمر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب". انظر السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت ٧١١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب المصرية.

(٤٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٤/٦-١٣٥.

(٤٣) ابن حجر، الإصابة، ٦٥/٦-٦٦.

(٤٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ترجمة مرارة بن الربيع، ١٣٨٢/٣. وترجمة هلال بن أمية، ١٥٤٢/٤.

(٤٥) سورة التوبة، الآية ١١٨.

(٤٦) ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٥٨/٤.

(٤٧) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٥/٦.

(٤٨) ابن حجر، الإصابة، ٤٥٥/٤.

(٤٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، الترجمة، (١٧٧٦) في ١٠٧٣/٣.

(٥٠) ابن الأثير، أسد الغابة، ١٤٩/٣.

(٥١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٣٥.

(٥٢) ابن حجر، الإصابة، ٦١٠/٢.

(٥٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ١٤٠/٢.

(٥٤) المذكور في "الاستيعاب"، تيم وليس تهيم بالهاء.

(٥٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٣٦.

(٥٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢٨١/١.

(٥٧) ابن الأثير، "أسد الغابة" ٣٧٦/١، وابن حجر، "الإصابة"، ٥٦١/١.

(٥٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٣٧. والجمل الموقع: الذي يظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب.

(٥٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٢/٤-١٨١٣.

(٦٠) ابن حجر، الإصابة، ٥٨٤/٧-٥٨٥.

(٦١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٢٥٢.

(٦٢-٦٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٥/٦.

(٦٤-٦٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ١٣٤/٦ .

الشـــورى
ودعائم الحكم
في الدولة الإسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

❖ تعريف الشورى:

تعريفها اللغوي: «الشورى اسم من المشاورة. وتشاور أي استخرج ما عنده من رأي»، ويقول أهل اللغة: «والاستشارة مأخوذة من قول العرب: شرت الدابة وشورتها إذا علمت خبرها يجرى أو غيرها».

تعريفها الاصطلاحي: تعريفات السلف للشورى تكاد تكون متوافقة وإن اختلفت تعبيراتهم.

فقد عرفها الأصفهاني بأنها: «استخراج الرأي لمراجعة البعض للبعض» وعرفها ابن العربي بأنها هي: الاجتماع على الرأي ليستشير كل واحد صاحبه ويستخرج ما عنده، وقد عرفها أحد المعاصرين بقوله: «استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق» وقد تعرض هذا التعريف للنقد على أساس: «أنه يصدق على نوعية خاصة في الشورى هي «الشورى الفنية» الخاصة باستشارة أهل الرأي والخبرة في المسائل الفنية، ولكن الشورى كنظام للحكم أعم من هذا التعريف».

فالرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من

بعده، كانوا يستشيرون عامة الناس في الأمور المتعلقة بهم، كما كانوا يستشيرون أهل الرأي والخبرة في بعض المسائل الخاصة، كما كانوا يستشيرون كبار القوم الذين يمثلون جماعاتهم في أمور أخرى ثم يعرفها بقوله: «إنها استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور المتعلقة بها».

وهذا الاعتراض لا مبرر له ولا يقوم على دليل، فلم يثبت عن الرسول ﷺ ولا الخلفاء من بعده أنهم قسموا المسلمين إلى فئات معينة وحددوا اختصاص كل فئة فيما تستشار فيه، وعلماء السلف والخلف، عندما تكلموا عن رجال الشورى قالوا: إنهم أهل الحل والعقد، وإنهم الذين يعرفون في الأمة بكمال الاختصاص والأوصاف.. إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه تفصيلا عند الكلام عن أهل الشورى.

ويمكن أن نعرف الشورى بأنها: النظر في الأمور من أرباب الاختصاص والتخصص لاستجلاء المصلحة المفقودة شرعاً وإقرارها، وهذا التعريف يعم وينسحب عل كل أمر تجري بشأنه مشاورة سواء على مستوى الأسرة، أو الدولة، أو المنظمات الداخلية، أو المنظمات الدولية التي النظام العام الإسلامي نبراساً لها، مثل المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، وجامعة الشعوب الإسلامية إلى غير ذلك د. زكريا عبد المنعم إبراهيم الخطيب، نظام الشورى في الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة، مطبعة السعادة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م،ص١٦-١٨ .

لقد جعل الاسلام حياة المسلمين تقوم على الشورى بينهم، فالشورى واجبة على المسؤول عند المسلمين، قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾** آل عمران: ١٥٩، وقد مثل القرآن الكريم على الشورى بقصة بلقيس، قال تعالى: **﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون﴾** النمل: ٣٢ .

الشورى أساس متين من أسس الحكم فى دولة الإسلام أرشدنا القرآن إليها، وأمر بها وأوجبها وجعلها سمة لجماعة المؤمنين، ومنهج حياة **﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون ❖ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثم وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ❖ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا**

الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون ❁ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى: ٣٦ - ٣٩ .

وقد منع الاسلام الاستبداد: قال تعالى: **﴿لست عليهم بمصيطر﴾** الغاشية: ٢٢، وقد أمر الله الرسول ان يشاور اصحابه في جميع الظروف والاحوال، وحين خرج النبي ﷺ من المدينة للقاء المشركين في غزوة أحد، وذلك بناءً على مشورة أصحابه، ثم كانت الهزيمة، ونزلت آيات القرآن بإيجاب المشاورة حتى لا يظن البعض أنها كانت من أسباب الهزيمة، فيكون ذلك ذريعة لنبذها **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** آل عمران ١٥٩، وقد حفلت السنة النبوية بكثير من النصوص التى تحث على التزام منهج الشورى قولاً وعملاً على كل المستويات، وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل فى ذلك حتى ليقول عنه أصحابه: ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

وهذا حكم أساسي من احكام الاسلام، وعلى المسلمين الاقتداء به. وقد حصر الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فوائد الشورى في: استنباط الصواب، واكتساب الرأي والتحصن عن السقطة، وتحرر من الملامة، ونجاة من الندامة، وألفة القلوب، واتباع الاثر، وقد كان الرسول محمد ﷺ اكثر الناس استشارة لاصحابه، وأحياناً كان يستشير في قضاياه الخاصة وشؤون أهل بيته.

وقد مارس الصحابة الشورى في الحياة السياسية، كما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما تشاوروا في امر خليفة المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ، وبعد المناقشة اتفقوا ان يكون ابو بكر خليفة للرسول فبايعوه وولوه امرهم. وكان ابو بكر يشاور الصحابة في امور الدولة، كما حدث عند وقوع الردة، حيث استمع إلى اراء الصحابة وقرر محاربة المرتدين.

وقد كان عمر وعلي مستشارين لأبي بكر، وقد مارس عمر بن الخطاب الشورى ايضاً، كما مارسها قادة الجيوش الاسلامية، حيث كانوا يستشيرون جنودهم قبل دخول المعركة، ففي اثناء الفتح الاسلامي لارض فارس، طلب قائد جيش الفرس الالتقاء بالقائد العربي قبل المعركة

للتفاوض معه حقنا للدماء. وبعد ان عرض الفارسي مقالته قال العربي: أمهلني حتى استشير القوم. فدهش الفارسي وقال: ألست أمير الجند، قال: بلا، قال الفارسي: إننا لا نأمر علينا من يشاور فقال العربي: ولهذا نحن نهزمكم دائماً، اما نحن لا نؤمر علينا من لا يشاور (الفنجري: ١٨٨).

فالشورى ضرورة من ضرورات الحياة، لا يستغني عنها مسلم ولا يبخل بها مسلم، فالمستشار مؤتمن لا يفضى لأخيه سراً، ولكن يدله على سبيل الرشد "إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه ".

والشورى في اللغة من شاور، أي طلب المشورة وشاورته واستئمرته، راجعته لأرى رأيه فيه، وأشار علي، أي اراني ما عنده فيه المصلحة، فكانت اشارة حسنة (لسان العرب: ٦٩٠ ١٠٣-١٠٦)." من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشد فقد خانه ".

والشورى بركة، فما شقى قط عبدٌ بمشورة، وما سعد باستغناء رأي، وما خاب من استخار ولا ندم من استشار.

والمرأة تستشار، وقد أشارت السيدة أم سلمة على النبى ﷺ فى صلح الحديبية، وأهم ما تستشار فيه المرأة أمر زواجها، فالبكر تستأمر والثيب تشاور.

و لا يجوز أن يولى على المسلمين والٍ أو يستخلف خليفة بغير مشورة، وفى الحديث "لو كنت مؤمراً" -وفى رواية- مستخلفاً أحداً من غير مشورة لاستخلفت ابن أم عبد".

وقد كان رسول الله ﷺ لا يدع المشاورة فى أمره كله، وكان يكثر أن يقول: "أشيروا عليّ أيها الناس واستشار أصحابه فى بدر قبل القتال"، وشاورهم فى مصير الأسرى، واستشارهم قبل الخروج فى غزوة الخندق، وشاور علياً وأسامة فى حادثة الإفك، ولو تتبعنا حوادث الشورى فى عصره لطال بنا المقام.

وقد اتسع مجال العمل بالشورى في عهد الخلفاء الراشدين، وذلك لظهور حوادث لم تكن تعرف على عهد رسول الله ﷺ من ذلك اختيار خليفة المسلمين وحاكمهم.

وكذلك لجأ الخلفاء الراشدون إلى أسلوب المشاورة فى استنباط الأحكام الشرعية والاجتهاد فى الأقضية، فكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب

الله فـإن وجـد فـيـه مـا يقـضي به قـضى بينهم، وإن علمـه من سنة رسـول الله ﷺ قضي به، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة، فـإن أعـيـاه ذلك دعـا رؤوس المسلمين وعلمـاءهم فـاسـتـشـارهـم وبمثل ذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم كانت الشـورى سبيلهم في كل مـا جد من الأمـور، ولو اسـتـقـصـينا ذلك لطال بنا المقام جداً.

❖ حكم الشورى:

اختلف أهل العلم قديماً فى ذلك فمنهم من قال: الشورى مندوبة، فما أمر الله نبيه ﷺ بالمشـاورة لحـاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما فى المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده.

ومنهم من قـال: الشـورى واجـبة لأن الله تعـالى أمـر بها نبيـه، والأصل فى الأمـر أنه للوجـوب مـا لم تصـرفه عن الوجوب قـرينة وهو عـام فى جـمـيع الأمـة مـا لم يثـبت خـصـوصـيـة النبى ﷺ به، وليس أدل على وجـوب الشـورى من التـزام النبـى ﷺ منهج المشـاورة وهو المعـصـوم بوحي السـمـاء، وكـذلك التـزام الخلفـاء الراشـدين لهـذا المنهج واجب الاتبـاع لقـول النبـى ﷺ "فـعليكم بسنتي وسنة الخلفـاء الراشـدين من بعـــدي" بل إن الـذين ذهبـــوا إلـى اسـتـحـبـاب المشـاورة ربطوا الأمـر بشـخص النبـى ﷺ وهو المعـصـوم بالوحي، ولكن غيـره من الخلفـاء والأمـراء لا يملكون مـثل هذه العصـمـة فوجب عليهم أن يعـتـصـموا بمنهج الشورى.

وهذا هو الذى يرجحه أكثر المتأخرين، لأن النصـوص تـدل عليـه دلالة صـريحـة، ومنـهج النبـي ﷺ ومنهج خلفـائه من بعـده تجعل الشورى أصـلاً وأسـاساً متيناً للحكم فى الدولة الإسلامية. جمال المراكبي.

❖ موضوع الشورى وحدودها:

وهي الـدائرة التى يبـاشـر فـيـهـا أهل الشـورى اختـصـاصـهـم ولقـد حـاول البعض التضـييق مـن مـجـال الشـورى، فـزعـمـوا أن الشـورى لا تكون إلا في الحـروب لأن اللام فى لفظة "الأمر" ليست للإستغراق لخروج مـا نـزل فيـه الوحي باتفـاق، وليس ذلك إلا ما جرى من أمر الحرب فى غزوة أحد.

والـراجـح أن الـشـــورى تـكـون فـى كل الأمور التى لم ينزل فيها وحي من السماء، لأن لفظ "الأمـر" لفظ عـام خُص بما نزل فيه وحي، فيبقى حجة في الباقي.

إن وقائع الشورى في صدر الإسلام لم تكن قاصرة على أمور الحرب، فكان النبي ﷺ يستشير فى أمور عامة كثيرة كتعيين الولاة، بل كان يستشير في بعض الأمور الخاصة كما استشار علياً وأسامة في حادثة الإفك.

وكذلك لجأ الراشدون إلى أسلوب الشورى في الكثير من الوقائع التى تتعلق بمصالح الأمة كجمع القرآن وتدوين الدواوين.

وتجارب الشورى تبين بوضوح أن الصحابة قد فهموا أن الشورى لا تكون إلا في الأمور التى لم ينزل فيها وحي من السماء، لأن ما كان فيه نص قاطع فلا مجال للرأي فيه لوجوب طاعة الله ورسوله **﴿وَمَا كَانَ لِمؤمن وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخيرة من أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾** الأحزاب: ٣٦ .

أما ما نزل فيه وحي السماء ولم يكن قاطعاً فى دلالته، فهو محل للإجتهاد والاستنباط، ولهذا فإنه يدخل فى مجال الشورى من هذه الناحية، وقد حدث هذا فى عصر النبوة حين نزل قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ المجادلة: ١٢ .

فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: ما ترى؟ دينار؟ قال: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قال: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قال: شعيرة، فقال النبي ﷺ: إنك لزهيد، فنزلت **﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** المجادلة: ١٣ .

قال علي: فبي خفف الله عن هذه الأمة.

قال ابن حجر: ففي هذا الحديث المشاورة فى بعض الأحكام .

وفي هذا بيان أن الشورى تجوز فى الأحكام الظنية، وفي كل ما يجوز فيه الاجتهاد، وهذا تخصيص للقول بأنها لا تكون في المنصوص عليه من الأحكام.

❖ أهل الشورى:

لم تبين لنا النصوص من هم أهل الشورى ولا صفاتهم ولا عددهم، وجاءت السوابق التاريخية واسعة فضفاضة، فتارة يكون المستشار واحداً بعينه منتدباً أو

متطوعاً، وتارة يكون أهل الشورى عدداً غير محصور وقد يكونون جماهير المسلمين، وقد يكون أهل الشورى جماعة منتخبة تمثل المسلمين، وهم الذين يطلق عليهم النقباء أو العرفاء، وقد يكون المستشار رجلاً أو امرأة، أو يكون شاباً أو كهلاً، وقد كان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً.

ونتيجة لهذه المرونة في تشريع الإسلام للشورى، اختلف أهل العلم في تحديد أهل الشورى وتحديد صفاتهم كماً وكيفاً، فذهب البعض إلى أنهم أهل الحل والعقد وإن اختلفوا في تحديد هذه الفئة، وذهب البعض إلى أنهم جميع أبناء الأمة ولكن لاستحالة جمعهم يختار من بينهم من يمثلهم لأداء هذه المهمة.

والذي ينبغي أن نقرره أن الشورى في منهاج الإسلام، تتسع لكل فكرة وكل نظام يحقق المشاورة عملاً، فمن الجائز أن تقوم الأمة باختيار أهل الشورى على أن يشترط في المرشح أن يكون أهلاً لهذه المكانة، ويجوز لولي الأمر أن يشاور أهل الاختصاص. د. زكريا عبد المنعم إبراهيم الخطيب، نظام الشورى في الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة. مطبعة السعادة، ١٤٠٥- ١٩٨٥ م، ص١٦-١٨ .

❖ حجية الشورى:

إن ما نقصد بحجية الشورى، هو مدى ثبوت النص عليها في الشريعة الإسلامية ولذلك فيجب عند بحثنا عن أدلة الحجية، أن نرجع إلى المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي وهي مصدران: القرآن الكريم والسنة الشريفة.

❖ حجية الشورى في القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم حجة يجب العمل بما ورد فيه من أحكام، وتتفق آراء المسلمين على انه قانون واجب الإتباع والدليل على ذلك: أنه نزل من عند الله تعالى وانه قد نقل إليهم من عند ربهم بطريق قطعي لا شك في صحته.

فإذا نحن بحثنا عن أدلة حجية الشورى في القران، أي عن الآيات التي نصت على الشورى فإننا نجد مثل ذلك النصوص السابقة.

❖ الشورى في السنة:

إذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي بلا خلاف، فإن الحديث الشريف أو السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن وهي

التي جاءت مفسرة ومتممة له.

فالسنة حجة على جميع المسلمين وأصل من أصول تشريعهم ودليل من الأدلة الشرعية، التي يجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وهي بمعناها المعروف مآثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، وتشتمل على نوعين من الأحكام: الأول: الأحكام البيانية المبينة لما ورد في القرآن والثاني الأحكام المؤسسة التي وردت فيما لم ينزل به نص قرآني، وبالنسبة لمبدأ الشورى فإن السنة الشريفة ليست مقررة أو مؤسسة له ابتداء، بل جاءت مثبتة ومؤكدة لما ورد عنه بالقرآن الكريم.

وسوف نذكر ما يثبت حجية الشورى من السنة الشريفة مبتدئين أولا بالسنة الفعلية ثم نعقب ذلك بما ورد في السنة القولية.

١. السنة الفعلية:

حفلت السنة الفعلية بما يثبت أن رسول الله ﷺ شاور أصحابه في عدة أمور وفي جملة المواقف، ونجد الكثير من الأمثلة على ذلك في كتب التاريخ والتفسير والحديث، وقد عبر عن ذلك أبو هريرة بقوله: «لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ» فكان يستشيرهم في الحرب وفي السلم بل وفي خاصة أمره فقد روى عنه في حادثة الإفك قوله ﷺ: «أشيروا علي يا معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي ورموهم»، واستشار علياً وأسامة بن زيد في فراق عائشة رضي الله عنها ونورد بعض الأمثلة على أخذ الرسول ﷺ بالشورى.

١. غزوة بدر:

كان عدد الذين خرجوا مع الرسول ﷺ في بدر ٣١٣ رجلاً، منهم ٢٠٧ من الأنصار و١٠٦ من المهاجرين وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه في ثلاثة مواقف بغزوة بدر: الأول قبل أن تبدأ المعركة والثاني أثناءها والثالث بعد انتهائها - فلم يصدر إليهم الأمر بالحرب دون مشاورتهم، ولو فعل لوجد منهم الطاعة والإذعان التامين، ولكنه استشارهم قبل الإقدام على القتال وقد استشار المهاجرين فقام أبو بكر الصديق فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن ولم يفته استشارة الأنصار أيضاً، لأنهم كانوا قد تعاهدوا معه على الدفاع عنه وحمايته في المدينة فحسب. ولذلك حرص على ألا يورطهم في حرب قد لا

يريدونها، ولذلك فعندما طلب الرأي قال سعد بن معاذ سيد الأوس بل سيد الأنصار (وكان فيهم كالصديق في المهاجرين): كأنك تريدنا يا رسول الله، ثم أعلن تأييد الأنصار ومبايعتهم على القتال.

وعند المعركة وعلى أرضها برزت صورة أخرى للشورى إذ تقدم المنذر بن الحباب يعرض مشورته على الرسول ﷺ فيما يتعلق باختيار المكان المناسب للنزول فيه وقد أقره الرسول على مشورته وعمل المسلمون برأيه.

وبعد انتصار المسلمين في بدر وحصولهم على الأنفال والأسرى من الكفار احتاجوا إلى المشورة مرة ثالثة: وقد استشار الرسول ﷺ أبا بكر وعمر فأشار أبو بكر بقبول الفداء من الأسرى، ووافق ذلك حكم الرسول ﷺ أيضاً وخالفهما فيه عمر "، أما علي بن أبي طالب فلم يعلن رأيه في هذا الأمر مع أنه أحد الثلاثة المستشارين ولعله آثر التريث حين رأى هذا الخلاف، وقد نزل بعد ذلك الوحي بعدم أخذ الفداء.

٢. في غزوة أحد:

حين علم الرسول ﷺ بقدوم قريش للقتال، استشار أصحابه فيما يفعل فأشار قوم منهم بلقاء قريش خارج المدينة وكان هذا رأي الشباب، ومن لم يشهد بدراً وهم أكثر أهل المدينة وعلى رأس هذا الفريق حمزة بن عبد المطلب (عم النبي ﷺ) وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك .

أما الرسول ﷺ فكان رأيه البقاء في المدينة وذلك لحصانتها الطبيعية ومناعتها وسهولة الإحاطة بالأعداء المهاجمين في أزقتها والانتفاع بمساعدة النساء والصبيان وقد رأى البقاء بالمدينة كذلك أكابر المهاجرين والأنصار وأرسل الرسول ﷺ إلى عبدالله بن أبي بن سلول يستشيره ولم يكن استشاره من قبل ذلك، فكان رأيه أيضاً البقاء بالمدينة وانتظار قدوم قريش إليهم، وقد حدث أن قبل الرسول ﷺ الرأي الأول رأي الكثرة من الشباب والمتحمسين للاستشهاد في المعركة وفي سبيل الله، وقرر الخروج من المدينة وكانت موقعة أحد حيث فات المسلمين الانتصار ومع ذلك فإن الله تعالى أمر الرسول ﷺ في عقبها بأن يعفو عن المسلمين وأن يستغفر لهم وأن يشاورهم في الأمر حتى لا تكون هزيمة أحد سبباً مؤثراً في إغفال الشورى بعد ذلك.

٣. صلح الحديبية:

كذلك شاور الرسول ﷺ يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ويقتلهم فقال له أبو بكر الصديق: انا لم نجئ لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين فوافقه الرسول ﷺ على رأيه هذا وعدل عما كان يراه.

٢. السنة القولية:

روي عن الرسول الله ﷺ عدة أحاديث يأمر بالشورى ويحث المسلمين على الأخذ بها ومن تلك الأحاديث ما يأتي:

١. روى الترمذي عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «إذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

٢. وقال ﷺ: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم».

٣. وقال ﷺ: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار».

٤. وروي عن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله ﷺ قوله: «ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي».

٥. وقال ﷺ: «المستشار مؤتمن».

٦. وقال ﷺ: «استعينوا على أموركم بالشورى».

كذلك جاءت السنة الشريفة من -حيث الحجية- مؤكدة ومقررة لما ورد عن الشورى في القرآن الكريم، وينبغي أن ننبه هنا إلى أمر هام هو أن السنة الشريفة ليست في اصطلاح الفقهاء من الأدلة الشرعية، بل هي حكم من الأحكام الشرعية تقابل الفرض والواجب، فهي صفة شرعية للفعل كالفريضة والوجوب، والنصوص التي وردت عن الشورى سواء في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة، هي نصوص قطعية الدلالة لا تحتمل تأويلاً، لأنها نصوص دلت على معنى يتعين فهمه منها ولا مجال لفهم معنى آخر منها.

وإذا انعقد الإجماع على أن القرآن الكريم حجة واجب العمل بما ورد فيه من أحكام وأنه قانون واجب الاتباع، فإن السنة هي أيضاً حجة على جميع المسلمين وأصل من أصول تشريعهم وهي المصدر الثاني المتفق عليه بعد القرآن الكريم، د. يعقوب محمد المليجي، مبدأ الشورى في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ص ٨٣-٩٣ .

صدق الالتجاء إلى الله عز وجل

■ بقلم الدكتور أحمد محمد شريف

كان النبي ﷺ كلما مررنا بسيرته، رأينا صدق اعتماده وتوكله على الله، وعظيم تضرعه والتجائه إلى مولاه. أرأيته وهو قافل من الطائف بعد أن لقي ما لقي من الأذى ما الذي صنعه؟ ما الذي أراد به تفريج همه؟ ما الذي سعى إليه لينفس من كربه؟ من الذي توجه إليه ليذهب حزنه؟ أليس قد لجأ النبي ﷺ إلى الله عز وجل وهو يناديه في تضرع خاشع: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلا من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي..»، فينزاح الهم والكرب، ويزول الحزن، ويقوى اليقين، ويعظم الإيمان، وتنقشع الغمة، وتعلو العزيمة، ويكون المرء مع كل ضعفه المادي، أعظم قوة من كل قوى الأرض بإذن الله عز وجل.

ويوم واجه النبي ﷺ أضعاف من معه من المؤمنين في جيش قريش، في يوم بدر توجه ﷺ إلى الله جل وعلا: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض..» فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك».

أليس هذا التجاء في أعظم وقت، وفي

أحرج موقف، وعند التقاء الصفوف، وعند مواجهة الخطوب، وعند كثرة الأعداء، وفي مواجهة قوى الأرض.. يستعين النبي ﷺ برب الأرض والسماء، أما رأيناه في الأحزاب يوم تجمع الأعداء من كل حدب وصوب.. اختلفت نواياهم، وتنوعت مقاصدهم، لكنهم أحاطوا برسول الله ﷺ وبأهل الإسلام، في مدينة المصطفى ﷺ.

وذكر أهل السير أن عدتهم كانت عشرة آلاف رجل، وذكر بعضهم أن هذا العدد كان بعدد أهل المدينة كلها رجالاً ونساء وأطفالاً، فأي شيء كان؟ وأي خطب نال من يقين القلوب، أو نال من ثبات الأقدام، أو نال من همة وعزيمة أهل الإيمان؟ كلا! لقد كبّر النبي ﷺ وبشّر، في شدة المحنة وفي عزّ تلك المصيبة.. وماذا كانت النتيجة؟ **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾**.

ويوم توجه النبي ﷺ إلى خيبر لقتال فلول اليهود المجتمعة فيها، إنما سار باسم الله، وإنما استعان بقوة الله، وإنما صاح وهو مقدم عليهم، ومقبل على ديارهم.. (الله أكبر.. الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).

هكذا يستصحب المؤمن قوة الله، هكذا يكون معه دائماً صدق الالتجاء إلى الله، هكذا يواجه كل خطب، ينتصر بإذن الله سبحانه وتعالى.

في كل مواجهة الصبر زاد المؤمنين، والنصر عقبى الصابرين، والقادر الجبار نعم العون إن عز المعين، كم عبرة في الأولين وعبرة في الآخرين لقيت عناد معاندين، وغفلة غافلين؛ فإذا علا صوت النذير فساء صباح المنذرين.

وفي حديث أسماء بنت عميس عند أبي داود بسند حسن، أن رسول الله ﷺ خاطبها فقال: ألا أعلمكِ كلمات تقوليهن عند الكرب! قالت: بلى يا رسول الله، فقال لها: قولي: الله ربي ولا أشرك به شيئا».

ومعنى هذه النصوص العظيمة، والأقوال والأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ ظاهر بيّن؛ لأن الالتجاء إنما يكون للملتجئ الحقيقي النافع، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا العظيم الحليم، وهو رب العرش العظيم، وهو رب السموات والأرض، هو الذي بيده كل شيء، وهو التي تنفذ مشيئته في كل شيء، وهو الذي تتصر قدرته على كل شيء سبحانه وتعالى، ولذلك ينبغي لنا أن نحرر هذا الأمر في واقع حياتنا، وهو صدق التجائنا

إلى ربنا، ولا يكون ذلك كاملاً، ولا يكون عظيماً، ولا يكون دائماً، إلا بصدق اليقين بالله سبحانه وتعالى، والإيمان به جل وعلا، والإيمان بقضائه وقدره، ثم الرضا والتسليم لما يجري به قضاؤه وقدره جل وعلا.

ينبغي أن نكون على يقين أن الأمر كله بيد الله، وينبغي أن نكون على يقين أن النصر من عند الله، وينبغي أن نعظم يقيننا بأن القوة كلها لله، وأن العزة كلها لله.. ينبغي ألا يخالط نفوسنا شيء من ريب أو شك، أو ضعف أو خذلان، أو ذل لغير الله سبحانه وتعالى، ولقد كان ابن عباس رديف الرسول ﷺ في الحديث المشهور العظيم، حينما بيّن له كيف ينبغي أن تكون حياته في ظلال الإيمان؟ وكيف ينبغي أن يواجه الخطوب مستنداً إلى اليقين بالله سبحانه وتعالى: «يا بني إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك.. تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

وكما بيّن ﷺ في هذه الوصية العظيمة: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك).

وكما بيّن ﷺ في رواية أخرى لهذا الحديث: «وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك».

من كان هذا يقينه، فأي شيء يرهبه؟ ومن كان هذا إيمانه، فأي شيء يخيفه؟ من كان هذا هو معتقده، فأي قوة تقف في وجهه؟ إنها مزايا أكرمنا الله عز وجل بها، وآتانا إياها، ولكننا نغفل عنها، ولا نرجع إليها، ولا نستوثق منها، ولا نعيدها عظيمة كاملة كما ينبغي أن تكون في النفوس والقلوب، ومن ثم تضطرب أحوالنا، وتتعارض آراؤنا، وتضعف وتجبن نفوسنا، وتتراجع وتتقهقر صفوفنا، وقد نعطي الدنية في ديننا، وقد يكون لنا من أحوالنا ومواقفنا ما لا يتطابق مع إيماننا ومعتقدنا، وذلك كله من أسباب الضعف والذل والهوان.

عندما لا يكون اليقين بالله عظيماً، ولا يكون الالتجاء إليه صادقاً، يدرك ذلك أن من ملئ قلبه بالإيمان واليقين، وصار دائم الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى لم يكن عنده من حاله ما يسوؤه أو يضره، أو يضعفه، ويكون به الخذلان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غِنىً وأمناً وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه".

ولذلك قال بعض الصالحين كلاماً نفيساً نحن في أمسّ الحاجة إليه: "ارض عن الله في جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه فتسقط من عينه".

ولا يكون نوع من الثبات، ولا ظهور للشجاعة، ولا بروز للحمية، إلا إذا ملأ الإيمان القلب وانسكب اليقين في النفس وكان الرضا بقضاء الله وقدره والإيمان به عظيماً فإن ذلك هو أعظم قوة، لا يكون معها خوف ولا يخالطها جبن بحال من الأحوال، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في بيان ذلك: "الذي يحسم مادة الخوف هو التسليم لله، فمن سلّم لله واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع؛ فإن نفسه التي يخاف عليها سلّمها إلى وليّها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها، وأن ما كتب لها لا بد أن يصيبها، فلا معنى للخوف من غير الله بوجه".

وفي التسليم أيضاً لطيفة أخرى، وهي أنه إذا سلّم لله فقد أودع نفسه عنده وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه لا تنالها يد عدو عاد، ولا بغي باغٍ عاتٍ، وكما قال الشجاع علي رضي الله عنه:

أي يومي من الموت أفر
يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجي الحذر

وكما كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في مواجهة ما أحاط به من الخطوب وفي موقفه إزاء ما حل به من الكروب: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحلت فهي معي.. أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وخروجي من بلدي سياحة".

من ملك هذا اليقين واجه الدنيا كلها غير عابئ بها بإذن الله لا يكون عنده خوف إلا من الله عز وجل.

أحكام عامة في بيع الثمار على أصولها

■ بقلم الدكتور أحمد مصطفى القضاة

لقد وردت كلمة الصلاح في عدة روايات، كما أوردها الفقهاء في آرائهم عند بيان الأحكام المتعلقة ببيع الثمار على أصولها، وتكاد تنحصر المسألة حول بدو الصلاح أو عدمه، ولذلك ينبغي بيان معنى بدو الصلاح الذي ورد في الأحاديث وأورده الفقهاء، حيث اختلفوا في معناه على عدة آراء[١]:

الرأي الأول: وهو رأي جمهور الفقهاء من المالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] في معنى بدو الصلاح أو الإزهاء: **هو ظهور الصفرة أو الحمرة في ثمر النخيل وظهور الحلاوة في نحو العنب والتين وظهور مبادئ النضج في غير ما ذكر**، أي أن العبرة ظهور الحمرة أو السواد أو الصفرة فيما يتلون، والتهيؤ للنضج وظهور الحلاوة فيما لا يتلون، واستدل أصحاب هذا الرأي بما روى أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ «نهى عن بيع ثمر التمر حتى يزهو، فقلنا لأنس: ما زهوها؟ قال: تحمر أو تصفر»[٥]، وفي رواية أخرى: ان رسول الله ﷺ «نهى عن بيع الثمرة حتى تزهو، وعن بيع العنب حتى يسود، وعن بيع الحب حتى يشتد»[٦].

الرأي الثاني: وهو رأي الحنفية[٧] ان بدو الصلاح في الثمار أن تؤمن العاهة والفساد، وأن المعتبر مجرد ظهور الثمر، وقد استدلوا بأن النبي ﷺ قد نهى عن بيع الثمار حتى تنجو من العاهات.

وقد ذكر الخميني رأي الشيعة

الإمامية، الذي يجمع بين الرأي الاول والرأي الثاني فقال: إن بدو الصلاح في التمر احمراره أو إصفراره، وفي غير انعقاد حبه بعد تناثر ورده وصيرورته مأمونا من الآفة[٨].

الرأي الثالث: وهو رأي عطاء وابن عمر وابن عباس، أنه لا يباع الثمر حتى يؤكل منه قليلا كان أو كثيرا، قال ابن قدامة من الحنابلة: ولعلهم ارادوا صلاحه للأكل، فيرجع معناه الى ما قلنا[٩]، ورد النووي على هذا الرأي بقوله: اعتباره بالأكل لا يصح لأن ثمار النخيل تؤكل طلعا وبلحا والكرم يؤكل حصرما، وليس ذلك صلاحا له[١٠].

الرأي الرابع: وهو رأي زيد بن ثابت وابن عمر ايضا، أن الثمر لا يباع حتى تطلع الثريا، قال ابن عمر عندما سئل عن نهي النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى تنجو من العاهات: «ذلك وقت طلوع الثريا»[١١].

وقد رد النووي على هذا الرأي بقوله: قال الاصحاب: ولا يصح ضبطه بطلوع الثريا لأن من البلاد ما يتأخر فيه صلاح الثمر أو ينعدم، بل البلد الواحد قد يتعجل في عام لاشتداد الحر ودوامه، ويتأخر في آخر لاشتداد البرد ودوامه، وطلوع الثريا لا يختلف[١٢].

وقسم الماوردي من الشافعية بدو الصلاح ثمانية أقسام[١٣]:

الاول: اللون كصفرة المشمش وحمرة العناب وسواد الأجاص وبياض التفاح ونحو ذلك.

الثاني: الطعم كحلاوة قصب السكر وحموضة الرمان إذا زالت المرارة.

الثالث: النضج في التين والبطيخ ونحوهما وذلك بأن تلين صلابته.

الرابع: القوة والاشتداد كالقمح والشعير.

الخامس: الطول والامتلاء كالعلف والبقول.

السادس: الكبر كالقثاء.

السابع: الانشقاق لكمامه كالقطن والجوز.

الثامن: الانفتاح كالوردة وورق التوت.

والرأي المختار من الآراء الواردة هو أن بدو الصلاح فيما يتلون يكون بظهور الحمرة او الصفرة او السواد، وفيما لا يتلون يكون بالتهيؤ والنضج والحلاوة او فيما يتعلق بالفساد وأمن العاهة، فيمكن ان يعوض بوضع الحوائج، ولذلك فإن مجرد ظهور الثمرة كما ذهبت الحنفية قد

يؤدي إلى ظهور العاهة فيما بعد، واشتراط أمن العاهة بعد ظهور الثمرة ونضجها قد يؤدي إلى التأخر في البيع وفساد الثمر، أو ربما تحصل العاهة بعد البيع، ولذلك تتم مراعاة ما اشترطه الحنفية بوضع الجائحة، ويمكن أن تفسر نجاة الثمرة من العاهة ببدو الصلاح المفسر عند الجمهور.

كما يمكن الأخذ برأي النووي(١٤) بأن تغير الصفة في الثمرة راجع إلى شيء واحد مشترك وهو طيب الأكل، جمعا بين حديث أنس الذي اعتبر الإسوداد في العنب والزهو في الثمرة، وحديث جابر الذي دل على اعتبار الطعم في الثمرة، وهي تشمل العنب وغيره، فيكون اعتبار الإسوداد وشبهه لأنه وقت للطعم لا لعينه، ولذلك قال جابر: «نهى النبي ﷺ عن بيع الثمر حتى يطيب»(١٥).

مسألة: وإذا بدا صلاح نوع من الثمار فهل يكون صلاحا لنوع آخر أم أنه صلاح لنوعه فقط؟ لقد اتفق الفقهاء على أن بدو الصلاح في بعض الشجرة صلاح لجميعها لكنهم اختلفوا في بدو صلاح بعض النوع الواحد، **كما اختلفوا في بدو صلاح النوع الواحد من بستان إلى آخر، وذلك على عدة آراء:**

الرأي الأول: وهو رأي المالكية(١٦) أن بدو الصلاح ينظر فيه إلى كل نوع على حدة، وإذا بدا في صنف من الأصناف جاز بيع جميع ما في البساتين المجاورة من الأصناف، ولا يجوز بيع صنف لم يبد صلاحه لبدو صلاح صنف آخر.

الرأي الثاني: وهو رأي الشافعية(١٧) وأظهر الروايتين عن الحنابلة(١٨)، حيث ينظر إلى كل نوع على حدة وفي بستان واحد لأن صلاح نوع لا يكون صلاحا لنوع آخر، ولأن البساتين تختلف في ظهور نضوجها، ولذلك إذا بدا الصلاح في نوع من الأنواع من البساتين الذي هو فيه جاز بيع جميعه كالشجرة الواحدة، ولأن اعتبار بدو الصلاح في الجميع يشعر ويؤدي إلى الإشتراك واختلاف الأيدي، قال الغزالي: ثم اتفقوا على أن وقت بدو الصلاح كاف كما في التأبير، ولكن بشرط اتحاد الجنس، وكذلك ينبغي أن يتحد النوع والبستان الملك والصفقة فلو اختلف شيء من ذلك ففيه خلاف(١٩).

الرأي الثالث: وهو رأي محمد بن الحسن من الحنفية، أنه لا يجوز إلا بيع ما بدا صلاحه، لأنه ما لم يبد صلاحه داخل في عموم النهي، ولأنه لم يبد صلاحه، فلم

يجز بيعه من غير شرط القطع كالجنس الآخر، وكذلك في البستان الآخر.

الرأي الرابع: وهو رأي الظاهرية[٢٠]، جواز بيع كل ما ظهر من أصناف ثمار ذلك الحائط وإن كان لم يطب بعد إذا بيع كل ذلك صفقة واحدة، وإن أراد بيعه صفقتين لم يجز بيع ما لم يبد فيه شيء من الصلاح، واستثنى من ذلك ثمر النخل، والعنب، لورود نص خاص بهما، فلا يجوز حتى يزهو ثمر النخل، ويبدأ سواد العنب أو طيبه.

الرأي الخامس: وهو رأي الليث بن سعد والشيعة الإمامية[٢١] إذا بدا الصلاح في جنس من الثمرة في البستان جاز بيع جميع أجناس الثمار في ذلك البستان[٢٢].

والرأي المختار.. أنه إذا بدا الصلاح في صنف من الأصناف جاز بيع جميع ما في البساتين المجاورة من أصنافها، لأن البساتين المجاورة كالبستان الواحد، ولأن ثمرة الأصناف الواحدة كالشجرة الواحدة، وبدو الصلاح، ولا يعقل أن يظهر الصلاح كله دفعة واحدة، ولأنه كما قال الرملي[٢٣]: إن اللّه تعالى امتن علينا بطيب الثمار على التدريج إطالة لزمن التفكه، فلو شرط طيب جميعه لأدى إلى أن لا يباع شيء، لأن السابق قد يتلف أو تباع الحبة بعد الحبة وفي كل حرج شديد، ويشير بعض الفقهاء إلى مسألة باكورة الثمرة فهل تكون صلاحا؟ والجواب إن كان سبق طيبها على غيرها بزمن طويل لم يجز بيع الباقي لطيبها وكفى فيها فقط[٢٤].

كما أنهم أشاروا إلى أن بعض الثمار له أكثر من كمام، كالجوز واللوز في أنه يجوز بيعه في القشر الأعلى قبل انعقاد الأسفل، لأنه مأكول كله كالتفاح، ولذلك كل ما في معناه يأخذ حكمه وهو الجواز[٢٥]، سواء من الحبوب او الثمار لأن النبي ﷺ نهى عن بيع الحب حتى يشتد، فمفهومه جواز بيع المشتد، ولأنه مستور بما خلق فيه، فجاز بيعه كالذي مأكوله في جوفه، ولأن قشره الأعلى من مصلحته، لأنه يحفظ رطوبته[٢٦].

❖ حكم بيع الثمار بجنسها:

اتفق الفقهاء على جواز بيع الثمار على أصولها بالنقود بعد بدو صلاحها، وهذا هو الظاهر من أقوالهم وآرائهم في الحديث عن بيع الثمار على أصولها أو بدونه على أنه بيع بالنقد، وأنه بغير الطعام، لكن لا بد من معرفة الحكم الشرعي في بيع الثمار على أصولها بثمار

أو نحوه من الطعام الذي يعد كيلا أو وزنا، بموضوعي الربا والعرايا، وكذا السلم.

والحكم في ذلك عدم جواز بيع الثمار على أصولها بجنسها أو بطعام آخر، وجواز البيع في حالة كونه عرية، والدليل على عدم الجواز بأن البيع في هذه الصورة بيع مزابنة[٢٧]، وقد ورد النهي عن النبي ﷺ فعن ابن عمر رضي الله عنه «أن رسول اللّه ﷺ نهى عن المزابنة» والمزابنة: بيع الثمر بالثمر كيلاً وبيع الزبيب بالكرم كيلاً[٢٨].

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه «ان رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة والمحاقلة» والمزابنة: اشتراء الثمر بالتمر على رؤوس النخل[٢٩]، وقال أنس رضي الله عنه: «نهى النبي ﷺ عن المزابنة والمحاقلة»[٣٠].

وقد عرّف فريق من فقهاء المالكية المزابنة بأنها بيع مجهول وزنه أو كيله أو عدده، بمعلوم قدره من جنسه كجزاف او بمجهول من جنسه ويكون في الطعام وغيره[٣١]، وعرفها آخرون بأنها بيع الثمر على النخل بتمر على الأرض مثله كيلاً حزراً[٣٢]، وبعضهم خص التعريف ببيع الرطب على النخل بتمر، وسمي بذلك لبناء المزابنة على التخمين الموجب للتدافع والتخاصم، ولذلك سميت صورة البيع بالمزابنة اي المدافعة، وهي من الزبن، ومعناه الدفع، وأوضح صور المزابنة البيع على الأصول، وأما بيع الثمار ببعضها على الأرض، فتلك مسألة أخرى لها صورها، وللفقهاء فيها آراء واختلافات لا نريد البحث فيها، وكذا مسألة بيع الجزاف* وغيرها.

قال الشافعي: وجماع المزابنة أن ينظر كل ما عقد بيعه مما الفضل في بعضه على بعض يداً بيد ربا، فلا يجوز منه شيء يعرف بشيء منه جزافاً ولا جزافاً بجزاف من صنفه[٣٣].

وقد صرح الفقهاء بعد صحة بيع المزابنة أنه بيع فاسد لورود النهي عنه، بالحديث، ولأنه بيع الكيل بجنسه مجازفة فلا يجوز، ولأن تأجيل الأعيان باطل إذ لا فائدة فيه، ولأن التأجيل شرع في الأثمان ترفها عليه، وليتمكن من تحصيله وأنه معدوم في الأعيان[٣٤]، وإذا أجزنا بيع الثمار على أصولها في الطعام، لزم حينئذ ربا الفضل والنساء إن كان الثمن من جنسها وربا النساء فقط إن لم يكن من جنسها[٣٥]، كما أن في حالة البيع انتفاء الرؤية[٣٦] في الثمر على الأصول.

وإذا بيع مطعوم بمطعوم من جنسه كبرّ

ببر اشترط ثلاثة أمور: المماثلة في القدر، والتقايض قبل التفرق، والحلول، وإن كان من غير جنسه كبر بشعير اشترط شرطان: الحلول، والتقايض قبل التفرق، وجاز التفاضل، وإن باع مطعوما بنقد صح مطلقاً[٣٧].

والحديث الوارد في الربا وأصنافه هو عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد»[٣٨].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا الا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء»[٣٩].

وعلى الإختلاف الحاصل[٤٠] في علة تحريم التفاضل بالطعمية، أو بالإقتيات والإدخار أو بالكيل والوزن فإن الامر متحقق في بيع الثمار على أصولها، ولذلك ذهب الفقهاء الى عدم جواز بيع الثمار على أصولها بجنسها أو بغيره من الثمار للنهي الوارد في الحديث وللتفاضل وللغرور، لكنهم أجازوا كما قلنا بيع العرايا مع ما فيه من ربا الفضل والنساء لورود الرخصة فيه في الحديث النبوي، وقيدوا الرخصة بالعرايا بجملة من الاحكام.

فعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رخص النبي ﷺ أن تباع العرايا بخرصها تمرا»[٤١]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رخص النبي ﷺ في بيع العرايا بخرصها من التمر فيما دون خمسة أوسق أو في خمسة أوسق»[٤٢].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نهى النبي ﷺ عن المخابرة والمحاقلة وعن المزابنة وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها وأن لا تباع إلا بالدينار والدرهم إلا العرايا»[٤٣].

وأما عن بيع الثمار بالثمار يدا بيد فهو جائز، فإن كان من صنفه فيه المساواة والتقابض، وإن كان من غير صنفه فيه التقابض، أخذاً بحديث عبادة بن الصامت، وقد جاء في المدونة الكبرى: ان جد ما في رؤوس النخل مكانه وقبضه قبل أن يتفرقا بحضرة ذلك، فلا بأس به عند مالك وإن لم يجده بحضرتهما قبل أن يتفرقا فلا يصلح ذلك لأنه بيع الطعام بالطعام مستأجراً فلا يصلح إلا يدا بيد[٤٤].

وقال مالك: كل شيء من الطعام يدخر

ويؤكل ويشرب، فلا يصلح منه اثنان بواحد من صنفه يداً بيد، وأما ما لا يدخر ولا يؤكل ولا يشرب فلا بأس به واحد بإثنين من صنفه يداً بيد من جميع الأشياء[٤٥].

وعند الشيعة الإمامية: يجوز بيع الثمر على النخيل والشجر بكل شيء يصح أن يجعل ثمناً في أنواع البيوع من النقود والأمتعة وغيرهما، بل المنافع والأعمال ونحوهما، نعم، لا يجوز بيع التمر على النخيل بالتمر سواء كان من ثمرها أو تمر آخر على النخيل أو موضوعاً على الارض، وهذا يسمى بالمزابنة، والأحوط الحاق ثمره ما عدا النخيل من الاشجار بها فلا تباع بجنسها، وإن كان الأقوى عدم الإلحاق، نعم لا يجوز بيعها بمقدار منها على الأقوى[٤٦].

وعند الظاهرية: ولا يحل بيع شيء من ثمر النخل بعضه ببعض من صنفه، أو من صنف آخر منه، ولا بالثمر، ولا متفاضلا، ولا نقدا، ولا نسيئة، ولا في رؤوس النخل ولا موضوعا في الأرض، ويجوز بيع الزهور والرطب بكل شيء يحل بيعه، حاشا ما ذكرنا نقدا وبالدراهم والدنانير نقدا ونسيئة، حاشا العرايا في الرطب وحده فإن كان ثمر ما عدا ثمر النخل جاز أن يباع بيابس ورطب من صنفه، ومن غير صنفه بأكثر منه، وبأقل ومثله، وان يسلمه في جنسه وغير جنسه ما لم يكن بخرصه، وما لم يكن زبيبا كيلا بعنب[٤٧].

وقد اختلف الفقهاء[٤٨] في العرية والرخصة التي أتت بها في السنة، فبعضهم اعتبرها هبة، وبعضهم جعلها بيعاً، وبعضهم جعلها استثناء من بيع البستان، وبعضهم خصها بالنخل، وعلى كل فنذكر بعض الأقوال، منها قول مالك: بأنها النخلة يهب الرجل ثمرها للمحتاج يعريها اياه فيأتي المعرى وهو الموهوب له الى نخلته تلك ليجتنيها فيشق على المعري وهو الواهب دخوله عليه لمكان أهله في النخل، فجاءت الرخصة للواهب خاصة ان يشتري ثمرة تلك النخلة من الموهوبة له بخرصها ثمراً[٤٩].

وعرفت العرية أيضاً بأنها النخلة يستثنيها الرجل من حائطه اذا باع فلا يدخلها في البيع، ولكنه يبقيها لنفسه وعياله فتلك الثنيا، لا تخرص عليه، وسميت بذلك لأنها اعريت من ان تباع او تخرص في الصدقة[٥٠].

وقد اشترط الفقهاء[٥١] لإجازة العرية عدة شروط -على اختلاف بينهم- هي ان تكون الثمرة الموهوبة مما ييبس ويدخر، وان

يكون الشراء بخرصها ونوعها، وان يكون الخرص* في الذمة، وان يرد لفظ العرية، وان تكون في خمسة أوسق* فما دون، وان يكون القصد المؤنة أو دفع الضرر أو نحو ذلك لا أن يقصد التجارة ونحوها، وكذلك بدو صلاح الثمرة، وان يتم التقابض قبل التفرق فيقبض فيما على الشجر بالتخلية، وفيما على الأرض بالاكتيال، وان تكون العرية في ثمار النخيل والكروم دون غيرها، وان تكون الثمرة معلومة.

واذا استثنى شجرة بعينها جاز البيع والاستثناء[٥٢] لأن الاستثناء معلوم ولا يؤدي الى جهالة المستثنى منه، وان استثنى شجرة معينة لم يجز، لأن الاستثناء غير معلوم فصار المبيع والمستثنى مجهولين، وان باع ثمرة بستان واستثنى صاعاً ففيه خلاف بين الفقهاء حيث ذهب فريق الى الجواز، والآخر الى عدمه.

قال مالك: الأمر المجمع عليه عندنا ان الرجل اذا باع ثمر حائطه ان له ان يستثني من ثمر حائطه ما بينه وبين ثلث الثمر، لا يجاوز ذلك وما كان دون الثلث فلا بأس بذلك، وقال مالك: فأما الرجل يبيع ثمرة حائطه ويستثني من ثمر حائطه ثمر نخلة أو نخلات يختارها ويسمى عددها فلا أرى بذلك بأساً لأن رب الحائط إنما استثنى شيئاً من ثمر حائط نفسه وإنما ذلك شيء احتبسه من حائطه وأمسكه لم يبعه وباع من حائطه ما سوى ذلك[٥٣].

وعند الشيعة الإمامية: يجوز ان يستثني البائع لنفسه حصة مشاعة من الثمر كالثلث والربع أو مقداراً معيناً كمن أو منين، كما ان له ان يستثني ثمرة نخيل أو شجر معين[٥٤].

والذي نميل اليه ونراه صواباً هو عدم جواز بيع الثمار على أصولها بجنسها أو بطعام آخر الا في حالة كونها عرية وبالشروط المعتبرة عند الفقهاء، وذلك للنهي عن بيع المزابنة، ونظراً للجهالة والغرر، ولوجود الربا، ما لم يقطع الثمر فيباع بغيره من الثمار المقطوعة، فتلك تجري فيها أحكام البيوع المختلفة، ولذلك لا يجوز بيع الثمار بعصيرها كبيع زيتون بزيته، لأنه لا يتحقق التماثل بين العصير وما في أصله منه كما قال ابن قدامة[٥٥].

وجاء في المبسوط: وكل شيء اشتراه من الثمار على رأس الشجر بصنف من غيره يداً بيد، فلا بأس به[٥٦].

واذا بيع الثمر بالثمر من جنسه، فإنه يشترط المماثلة في القدر والقبض قبل

التفرق من المجلس لقوله ﷺ: «مثلاً بمثل سواء بسواء، يداً بيد»[٥٧]، واذا بيع الثمر بالثمر من غير جنسة فإنه يشترط القبض قبل التفرق من المجلس وجاز الفضل لقوله ﷺ: «فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد»[٥٨]، وبهذا أخذ الفقهاء كما قال البيجوري[٥٩].

◆ وضع الجوائح:

والجوائح جمع مفردها جائحة، والجائحة مأخوذة من الجوح، وهو الهلاك، والجائحة ما اتلف من معجوز عن دفعه عادة قدراً من ثمر أو نبات بعد بيعه، او هي كل شيء لا يستطاع دفعه عادة من أمر سماوي كبرد وثلج وغبار ونحو ذلك او جيش، وفي السارق خلاف[٦٠].

حكم وضع الجوائح:

اختلف العلماء في وضع الجوائح في الثمار على رأيين[٦١]:

الرأي الأول: ذهب المالكية[٦٢] والحنابلة[٦٣]، والشافعي في قوله القديم[٦٤] والشيعة الإمامية[٦٥] والظاهرية[٦٦] وابو عبيد واكثر اهل المدينة منهم يحيى بن سعيد الأنصاري وجماعة من اهل الحديث كما قال ابن قدامة الحنبلي الى وضع الجوائح، واستدلوا بما يلي:

١- حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ان رسول الله ﷺ قال: «لو بعت من أخيك ثمراً فأصابته جائحة فلا يحل لك ان تأخذ منه شيئاً، بم تأخذ مال أخيك بغير حق»[٦٧].

٢- قياس الشبه حيث انه مبيع بقي على البائع فيه حق توفية بدليل ما عليه من سقيه الى ان يكمل، فوجب ان يكون ضمانة منه.

الرأي الثاني: ذهب الشافعي[٦٨] في قوله الجديد والليث والثوري الى منع الوضع، واستدلوا بما يلي:

١- حديث ابي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا عليه، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك»[٦٩]، ووجه الاستدلال ان النبي ﷺ لم يحكم بالجائحة.

٢- عن عمرة بنت عبد الرحمن رضي الله عنها، قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: «سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، واذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في

شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما، فقال: أين المتألي* على الله لا يفعل المعروف؟ قال: انا يا رسول الله فله اي ذلك أحب»[٧٠].

٣- تشبيه هذا البيع بسائر المبيعات، وأن التخلية في هذا المبيع هو القبض، والمتفق عليه ان ضمان المبيعات بعد القبض من المشتري، ولأن التخلية يتعلق بها جواز التصرف، فتعلق بها الضمان كالنقل والتحويل، ولأنه لا يضمنه اذا أتلفه آدمي كذلك لا يضمنه بإتلاف غيره.

ووجه الاستدلال ان لو كان واجباً لأجبره النبي ﷺ عليه، وسبب الخلاف في هذه المسألة هو تعارض الآثار فيها وتعارض المقاييس، وقد رام كل واحد من الفريقين صرف الحديث المعارض للحديث الذي هو الأصل عنده بالتأويل، فقال من منع الجائحة: يشبه ان يكون الأمر بها انما ورد من قبل النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، قالوا: ويشهد لذلك انه لما كثر شكواهم بالجوائح، أمروا ان لا يبيعوا الثمر الا بعد بدو صلاحه، وذلك في حديث زيد المشهور، وقال من أجازها في حديث ابي سعيد: يمكن ان يكون البائع عديماً فلم يقض عليه بجائحة أو ان يكون المقدار الذي أصيب من الثمر مقداراً لا يلزم فيه جائحة، او ان يكون أصيب في غير الوقت الذي تجب فيه الجائحة، مثل ان يصاب بعد الجذاذ او بعد الطيب[٧١].

وعند الشافعية[٧٢]: انه لم يثبت ان رسول الله ﷺ امر بوضع الجوائح والرأي عندهم ان وجود المهلك بعد التخلية من غير ترك سقي واجب هو ضمان المشتري، والنبي ﷺ أمر بالتصديق على من أصيب في ثمر اشتراه ولم يسقط ما لحقه من ثمنها، فدل على ان الأمر بوضع الجوائح محمود على الندب او نحوه او على ما قبل القبض.

وعند الظاهرية[٧٣]: ان الجائحة وهي العاهة، تكون في الثمر قبل بدو صلاحه، وانه لا عاهة ولا جائحة بعد بدو صلاح الثمر.

وأما الحنابلة، فقد أجابوا على استدلال الفريق القائل بمنع الجوائح بأن الحديث ثابت وقد رواه الأئمة المعتبرون في الحديث، ولذلك لا حجة لهم في قولهم، وان فعل الواجب خير فإذا تآلى ان لا يفعل الواجب، فقد تآلى أن لا يفعل خيراً، وأما الإجبار -فلا يفعله- النبي ﷺ بمجرد قول المدعي من غير إقرار من البائع ولا

حضور، ولأن التخلية ليست بقبض تام بدليل ما لو تلفت بعطش عند بعضهم، ولا يلزم من إباحة التصرف تمام القبض بدليل المنافع في الإجارة[٧٤].

والرأي المختار الذي نميل اليه هو الأخذ بوضع الجوائح لحديث جابر المروي في صحيح مسلم ولغيره من الروايات، ولأنها الأقرب الى روح الشريعة الاسلامية في تحقيق التكافل والتضامن بين المسلمين، وفيه تراحم وتعاون وتيسير وتخفيف، وخاصة ان وضع الجائحة يقع في ثلث المبيع وأن الجائحة لا إرادة للمشتري فيها ولا للبائع أيضاً.

❖ الأسباب الفاعلة للجوائح[٧٥]:

اتفق الفقهاء القائلون بوضع الجوائح بوضعها بالعطش وما أصاب الثمرة بأمر سماوي كالبرد والقحط، ولكنهم اختلفوا فيما أصيب من صنع آدمي، فرأى بعضهم أنها لا توضع معتمدين على ظاهر قول النبي ﷺ: «أرأيت اذا منع الله الثمرة» ورأى بعضهم انها فيما كان غالباً كالجيش لا كالسرقة، وبعضهم جعل كل ما يصيب الثمرة من جهة الآدميين جائحة بأي وجه كان، قياساً على جعلها بالأمور السماوية، والحق ان الجائحة ما كانت بأمر سماوي ونحوه مما لا إرادة ولا قدرة للإنسان عليه.

❖ مقدار ما يوضع في الجوائح:

ذهب جمهور الفقهاء[٧٦] القائلون بوضع الجوائح بأن المقدار الذي تجب فيه هو الثلث، فإذا ذهب من الثمر ثلثه فأكثر بجائحة، فقد وضع عنه الثلث من الثمر، لكن اختلف أصحاب هذا الرأي في الثلث المعتبر، فقال بعضهم: يعتبر بالكل، كما قال بعضهم: يعتبر بالقيمة، وقال آخرون: المعتبر ثلث المبلغ، وقد اعتمد الثلث لأن الجائحة التي علق الحكم بها تقتضي الفرق بين القليل والكثير، واذا وجب الفرق وجب ان يعتبر فيه الثلث لأن الشرع اعتبره في مواضع كثيرة، وهو الفاصل بين حد الكثرة.

وظاهر مذهب الحنابلة[٧٧] انه لا فرق بين قليل الجائحة وكثيرها الا ما جرت العادة بتلف مثله، كالشيء اليسير الذي لا ينضبط فلا يلتفت اليه، ووجهة نظر هذه الرواية الثانية عند الحنابلة هو عموم الأحاديث، فإن النبي ﷺ امر بوضع الجوائح، وما دون الثلث داخل فيه، فيجب وضعه، ولأن هذه الثمرة لم يتم قبضها فكان ما تلف منها من مال البائع وان كان قليلاً كالتي على وجه الأرض، وما أكله وما

سقط لا يؤثر في العادة ولا يسمى جائحة، فلا يدخل في الخبر ولا يمكن التحرز منه، فهو معلوم الوجود بحكم العادة فكأنه مشروط، واذا ثبت هذا فإنه اذا تلف شيء له قدر خارج عن العادة، وضع من الثمن بقدر الذاهب، فإن تلف الجميع بطل العقد، ويرجع المشتري بجميع الثمن.

واذا وضع من الثمار ما قل وما كثر لزم المشتري الباقي بعد الجائحة وان قل، وليس له فسخ البيع وحله عن نفسه، الا ان القاضي من الحنابلة[٧٨] قال: اذا كان بفعل آدمي فالمشتري بالخيار بين فسخ العقد ومطالبة البائع بالثمن، وبين البقاء عليه ومطالبة الجاني بالقيمة، لأنه أمكن الرجوع ببدله بخلاف التالف بالجائحة.

واذا اختلف البائع والمشتري في الجائحة فالقول قول البائع، لأن الأصل السلامة، ولأنه غارم والقول في الاصول قول الغارم، وان اختلفا في قدر المجاح فالقول للبائع عند الحنابلة[٧٩] وللمشتري عند المالكية[٨٠].

❖ الوقت الذي توضع فيه الجائحة:

ان زمان القضاء بالجائحة هو الزمان الذي يحتاج الى تبقية الثمر على رؤوس الشجر حيث يستوفي طيبه، واختلف الفقهاء[٨١] كما قال ابن رشد فيما اذا أبقاه المشتري في الثمار ليبيعه على النضارة شيئاً فشيئاً، فقيل: فيه الجائحة تشبيهاً بالزمان المتفق عليه، وقيل: ليس فيه جائحة تفريقاً بينه وبين الزمان المتفق على وجوب القضاء بالجائحة فيه، وهذا ما ذهب اليه فقهاء المالكية[٨٢]، وعند الحنابلة[٨٣] ان الثمرة اذا بلغت أوان الجزاز فلم يجزها حتى اجتيحت، فلا يوضع عنه لأن المشتري مفرط بترك القطع في وقت مع قدرته، وكذلك لو اشتراها قبل بدوها بشرط القطع ما امكنه قطعها فلم يقطعها حتى تلفت فهي من ضمانه لأن تلفها بتفريطه.

وعند الشافعية[٨٤]: أنه اذا تعرض مهلك أو تعيب بعد أوان الجذاذ بزمن، يعد التأخير فيه تضييعاً فهو من ضمان المشتري واما ما قبلها فمن ضمان البائع، فإن تلف البعض انفسخ فيه فقط، وان تعيب بترك البائع السقي الواجب عليه فللمشتري الخيار لأن الشرع ألزم البائع التنمية في السقي، فالتعييب بتركه كالتعييب قبل القبض، ولو بيع نحو ثمر قبل أو بعد بدو صلاحه بشرط قطعه ولم يقطع حتى هلك بجائحة فأولى بكونه من ضمان المشتري، وقطع بعضهم بكونه من

ضمان البائع.

وعند الشيعة الإمامية[٨٥]: لو باع الثمرة بعد بدو صلاحها، فأصيبت بآفة سماوية او أرضية قبل قبضها -وهو التخلية- كان من مال بائعها، والظاهر الحاق النهب والسرقة ونحوهما بالآفة، نعم لو كان المتلف شخصاً معيناً كان المشتري بالخيار بين الفسخ والإمضاء ومطالبة المتلف بالبدل، ولو كان التلف بعد القبض كان من مال المشتري ولم يرجع الى البائع.

الهوامش:

١- الدمشقي، رحمة الأمة ص١٧٧، الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة ٢/٢٩٤ .

٢- الدردير، الشرح الصغير ٣/٢٣٦، ابن رشد، بداية المجتهد ٢/١٥١ .

٣- الرملي، نهاية المحتاج ٤/١٤٨، النووي، المجموع ١١/٤٤٤، الشربيني، مغني المحتاج ٢/٥٠٠ .

٤- ابن قدامة، المغني ٤/١٠٢، والكافي ٢/٥٦، البهوتي، كشاف القناع ٢/٢٨٧ .

٥- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المخاضرة.

٦- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب النهي عن بيع الثمار قبل ان يبدو صلاحها ٢/٧٤٧ .

٧- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/٥٥٥ .

٨- الخميني، تحرير الوسيلة ١/٤٩٧ .

٩- ابن قدامة، المغني ٤/١٠٢ .

١٠- النووي، المجموع ١١/٤٤١، الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٤ .

١١- مالك، الموطأ بشرح الزرقاني ٣/٣١٠، والموطأ بشرح السيوطي ٢/٥١ .

١٢- النووي، المجموع، ١١/٤٤١، الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٥ .

١٣- الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٥، الرملي، نهاية المحتاج، ٤/١٤٨، النووي، المجموع ١١/٤٤١ .

١٤- النووي، المجموع ١١/٤٤٠ .

١٥- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الثمر على رؤوس النخل بالذهب او الفضة.

١٦- ابن رشد، بداية المجتهد ٢/١٢٥، الخرشي، حاشية الخرشي ٣/١٨٦، الكشناوي، اسهل المدارك ٢/٣٠٠ .

١٧- الرملي، نهاية المحتاج ٤/١٤٨، النووي، المجموع ١١/٤٤٤، الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٤ .

١٨- ابن قدامة، المغني ٤/٩٩، والكافي ٢/٥٧، ابن مفلح الفروع ٤/٧٧ .

١٩- الغزالي، الوجيز، ١/١٥٠ .

٢٠- ابن حزم، المحلى ٧/٣٨٦ .

٢١- الخميني، تحرير الوسيلة ١/٤٩٧ .

٢٢- الدمشقي، رحمة الأمة، ص١٧٧، الماوردي، الحاوي الكبير ٥/١٩٤، ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية ٢٩/٤٨٢ .

٢٣- الرملي، نهاية المحتاج ١٤٨/٤، الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ ٣٠٩/٣ .

٢٤- الدردير، الشرح الصغير ٢٣٥/٣، الخرشي، حاشية الخرشي ١٨٥/٣ .

٢٥- الرملي، نهاية المحتاج ١٤٧/٤، النووي، المجموع ٣٠٥/٩، الشيرازي، المهذب ٣٩/٣ .

٢٦- ابن قدامة، الكافي ١٢/٢ .

٢٧- السرخسي، المبسوط ١٩٢/١٢، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٥٥٩/٤، الموصلي، الاختيار ٢٤/٢ .

٢٨- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الزبيب بالزبيب والطعام بالطعام.

٢٩- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المزابنة، العسقلاني، فتح الباري ٣٠٧/٤ .

٣٠- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المزابنة، العسقلاني، فتح الباري ٣٠٥/٤ .

٣١- الدردير، الشرح الصغير ٩٠/٣، ابن عبد البر، الكافي ص٣١٤ .

٣٢- الموصلي، الاختيار ٢٤/٢ .

* الجزاف: البيع بلا كيل ولا وزن ولا تقدير، النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣١/١٠ .

٣٣- المزني، مختصر المزني ص٨١، الماوردي، الحاوي الكبير ٢١١/٥ .

٣٤- الموصلي، الاختيار ٢٤/٢ .

٣٥- الدردير، الشرح الصغير ٢٣٧/٣ .

٣٦- الرملي، نهاية المحتاج ١٥٣/٤ .

٣٧- ابن النقيب، عمدة السالك ص١١٤ .

٣٨- صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، النووي، المنهاج ١٩٨/١١ .

٣٩- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما يذكر في بيع الطعام والحكرة، العسقلاني، فتح الباري ٢٧٧/٤ .

٤٠- السرخسي، المبسوط، ١١٣/١٢، ابن قدامة، الكافي ٥٠/٢، ابو الخير، الواضح ٢٥٢ .

٤١-٤٢-٤٣- صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو نخل.

٤٤- مالك، المدونة الكبرى ١٤٥/٣ .

٤٥- مالك المدونة الكبرى ١٥٧/٣ .

٤٦- الخميني، تحرير الوسيلة ٤٩٨/١ .

٤٧- ابن حزم، المحلى ٣٩٨/٧ .

٤٨- السرخسي، المبسوط ١٩٢/١٢، ابن رشد، بداية المجتهد ٢١٦/٢، الكشناوي، اسهل المدارك ٣٠٦/٢ .

٤٩- ابو عبيد، الأموال ص٥٨٧، وانظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب تفسير العرايا .

٥٠- ابو عبيد، الأموال ص٥٨٧ .

٥١- ابن رشد، بداية المجتهد ١٦/٢، مالك، المدونة الكبرى ٢٨٤/٣، الدردير، الشرح الصغير ٢٣٩/٣ .

* التخمين والحدس، العسقلاني، فتح الباري ٣٠٩/٤ .

* الوسق: آلة كيل تساوي ستين صاعاً، العسقلاني، فتح الباري ٣٠٨/٤ .

٥٢- حاشية ابن عابدين، ٥٥٩/٤، الميداني، اللباب

١٠/٢، ملتقى الأبحر ٩/٢ .

٥٣- مالك الموطأ، بشرح السيوطي ٥٣/٢، وبشرح الزرقاني ٣١٥/٣ .

٥٤- الخميني، تحرير الوسيلة ٤٩٨/١ .

٥٥- ابن قدامة، الكافي ٤٦/٢، ابو الخير الواضح ص٢٥٣ .

٥٦- السرخسي، المبسوط ١٩٥/١٢ .

٥٧-٥٨- سبق تخريجه.

٥٩- حاشية البيجوري، ٦٧٤/١، ابو الخير، الواضح ص٢٥٢ .

٦٠- الدردير، الشرح الصغير ٢٤٤/٣، الصاوي، حاشية الصاوي ٢٤١/٣ .

٦١- الشعراني، الميزان الكبير ٧٢/٢، ابن شداد، دلائل الأحكام ١١٤/٢ .

٦٢- الدردير، الشرح الصغير، ٢٤١/٣، الصاوي، حاشية الصاوي ٢٤١/٣ .

٦٣- ابن قدامة، المغني، ١١٨/٤، والكافي ٥٨/٢، البهوتي، كشاف القناع، ٢٨٥/٣، ابن مفلح، الفروع ٧٨/٤ .

٦٤- الماوردي، الحاوي الكبير ٢٠٥/٥، الغزالي، الوجيز ١٥١/١ .

٦٥- الخميني، تحرير الوسيلة ٤٩٨/١ .

٦٦- ابن حزم، المحلى ٢٨٣/٧ .

٦٧- صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب وضع الجوائح.

٦٨- مختصر المزني، ص٨١، الرملي، نهاية المحتاج ١٥٠/٤، الشبراملسي، ١٥٠/٤ .

٦٩- صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب وضع الجوائح، النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦٨/١٠ .

* المتألي: الحالف، النووي، المنهاج ١٦٩/١٠ .

٧٠- صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب وضع الجوائح، النووي، المنهاج ١٦٩/١٠ .

٧١- ابن رشد، بداية المجتهد ١٨٧/٢ .

٧٢- الرملي، نهاية المحتاج ١٥٠/٤ .

٧٣- ابن حزم، المحلى ٢٨٣/٧ .

٧٤- ابن قدامة، المغني ١١٨/٤، البهوتي، كشاف القناع ٢٨٥/٣ .

٧٥-٧٦- ابن رشد، بداية المجتهد ١٨٧/٢، ابن جزي، القوانين الفقهية ص١٧٣، الكشناوي، اسهل المدارك ٣٠٩/٢ .

٧٧-٧٨-٧٩- ابن قدامة، المغني ١١٩/٤، والكافي ٥٨/٢ .

٨٠- الدردير، الشرح الصغير ٢٤٦/٣، حاشية الخرشي ١٩٥/٣ .

٨١-٨٢- بداية المجتهد ١٨٩/٢، ابن جزي القوانين الفقهية ص١٧٣ .

٨٣- ابن قدامة، المغني ١٢٠/٤ .

٨٤- الرملي، نهاية المحتاج ١٥٠/٤، الشبراملسي، ١٥٠/٤ .

٨٥- الخميني، تحرير الوسيلة ٤٩٨/١ .

١

معالم الخطاب الاسلامي الجديد

■ بقلم الاستاذ سعيد الكرواني

يميل بعضنا الى تصوير الخطاب الاسلامي خطاباً أحادياً، اي ذا بعد واحد، والدين الاسلامي هو عقيدة التوحيد، لكن التوحيد لا يعني الواحدية، فالتوحيد يعني ان الله الواحد مفارق للانسان والكون منزه عنهما، وهو ما يعني ان الواحد هو الله وحده، وما عدا ذلك فكثير، والخطاب الاسلامي ليس كلام الله عز وجل فحسب، وانما هو ايضاً اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان، ومن ثم فهذا الجزء منه -ايضاً- متعدد وكثير، وتاريخ المسلمين تعبير عن هذه الكثرة والتعددية.

ما الافكار الاساسية لهذا الخطاب؟ وما أسسه الفكرية؟ هذا ما سنصل اليه بعد قراءة المحاور التالية:

❖ مستويات الخطاب الاسلامي:

نميل الى تصنيف مستويات الخطاب الاسلامي على النحو التالي:

خطاب اسلامي ظهر مع دخول الاستعمار العالم الاسلامي، وحاول ان يقدم استجابة اسلامية لظاهرتي التحديث والاستعمار، وقد ظل هو الخطاب المهيمن حتى منتصف العقد السادس من القرن الماضي، وهو ما نشير اليه بالخطاب الاسلامي القديم.



ظهر خطاب آخر كان هامشياً، ولكن معالمه بدأت تتضح تدريجياً في منتصف العقد السادس، وهو ما نشير اليه بالخطاب الاسلامي الجديد، ونقطة الاختلاف بين الخطابين هي الموقف من الحداثة الغربية.

ولكن الى جانب هذا التصنيف الثنائي على أساس المرحلة التاريخية، قد يكون من المفيد ان نشير الى تصنيف ثلاثي على أساس حملة الخطاب:

● **الخطاب الجماهيري:** وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير الاسلامية التي شعرت بفطرتها ان التحديث والعلمنة والعولمة، لم يكن فيها خير ولا صلاح لها، كما لاحظت انها في جوهرها تغريب سلبها موروثها الديني والثقافي، ولم يعطها شيئاً في المقابل، بل ادى الى مزيد من الهيمنة الاستعمارية والاستقطاب الطبقي في الداخل، هذه الجماهير تحاول التمسك والتشبث بالاسلام «فهي تعرفه جيداً» الى ان يأتي الله بالفرج، فهي تتحرك بموروثها الاسلامي، وتستغيث في الوقت نفسه من خلال هبّات تلقائية غاضبة ضد اشكال التغريب المتطرف والغزو الاستعماري تارة، واخرى من خلال «فعل الخير» الفردي «اعطاء الصدقات» والاجتماعي «تأسيس مساجد ومستشفيات ومدارس وموائد الرحمن.. الخ» ويعبر الخطاب الجماهيري -احياناً- عن نفسه من خلال اعمال العنف الاجتماعي، وهذا الخطاب الجماهيري يضم الفقراء بالدرجة الأولى، ولكنه يضم في صفوفه الاثرياء ممن يشعرون بأهمية الموروث القيمي والحضاري، وممن ادركوا ان في ضياعه ضياعاً لكل شيء.

● **الخطاب السياسي:** وهو خطاب بعض اعضاء الطبقة المتوسطة من المهنيين والأكاديميين وطلبة الجامعات والتجار ممن شعروا -ايضاً- بالحاجة الى عمل اسلامي يحمي هذه الأمة، وقد ادركوا ان العمل السياسي هو السبيل الى هذا فقاموا بتنظيم انفسهم على هيئة تنظيمات سياسية لا تلجأ الى العنف، تتبعها تنظيمات شبابية ومؤسسات تربوية، وقد يميل بعض حملة الخطاب السياسي الى محاولة استعمال القوة، اما بعد العقد السابع من القرن العشرين، فيلاحظ ان

ثمة اتجاهاً عاماً نحو العمل من خلال القنوات الشرعية القائمة، واهتمام حملة هذا الخطاب يكاد ينحصر في المجال السياسي والتربوي.

● **الخطاب الفكري:** هو الخطاب الذي يتعامل اساساً مع الجانب التنظيري الفكري داخل الحركة الاسلامية، وهذا التقسيم لا يعني انفصال مستويات الخطاب الثلاثة، فالخطاب الجماهيري والسياسي متداخلان، وقل الشيء نفسه عن الخطابين السياسي والفكري، ورغم انفصال الشيء نفسه عن الخطابين السياسي والفكري، ورغم انفصال الخطاب الجماهيري عن الخطاب الفكري، الا ان تداخلاً يحدث بينهما من خلال الخطاب السياسي وهكذا، ولكن رغم تأكيد هذه الوحدة الاساس بين مستويات الخطاب الثلاثة، نجد انه من المفيد من الناحية الأساس بين مستويات الخطاب الثلاثة، نجد انه من المفيد من الناحية التحليلية ان نفترض استقلالها الواحد عن الآخر، وسنركز بالدرجة الأولى على الخطاب الفكري الاسلامي، وبدرجة اقل على الخطاب السياسي مستهدفين التمييز بين الخطاب الاسلامي القديم والخطاب الاسلامي الجديد، املاً في تحديد بعض معالم الخطاب الجديد، فأي حركة فكرية وسياسية يجب ان تتوقف من آونة لأخرى للتأمل في ذاتها وتجرد بعض الملامح والخطوط العامة لحركتها، حتى تتمكن من تطوير نفسها وتعميق اطروحاتها.

❖ الموقف من الحداثة الغربية:

ولنبدأ محاولة التمييز هذه من نقطة محورية، وهي موقف كل من الخطاب الاسلامي القديم والجديد من الحضارة الغربية، فهذا الموقف هو الذي حدد كثيراً من ملامحهما وتوجههما واطاريحهما، ويجب ان ندرك ان دعاة الاصلاح الأول، كانوا يتعاملون مع الحضارة الغربية في مرحلة مختلفة عن المرحلة التي نتعامل نحن فيها مع هذه الحضارة، فرغم ان الانموذج العلماني «الشامل» هو الانموذج الأساس في التشكيل الحضاري الغربي الحديث منذ بدايته، ورغم انه يشغل المركز في وجدان الانسان الغربي الحديث ويشكل رؤيته الى الكون، ورغم ان

الحضارة الغربية الحديثة كانت قد اتضحت هويتها باعتبارها حضارة امبريالية شرسة، الا انها مع هذا، كانت تحتوي على قدر كبير من الثبات والايمان بالقيم المطلقة، على مستوى الرؤية ان لم يكن -ايضاً- على مستوى الممارسة.

كما كانت هذه الحضارة تدعي انها حضارة انسانية متمركزة حول الانسان، وكانت المجتمعات الغربية مجتمعات لا تزال متماسكة من الناحية الاجتماعية والأسرية، ولم يكن كثير من الظواهر المرضية التي أصابت المجتمعات الغربية في الوقت الحاضر قد ظهر بعد، وقد يكون من المستحسن ان نتصور العلمانية الشاملة لا باعتبارها انموذجاً ثابتاً، وانما باعتبارها متتالية آخذة في التحقق تدريجياً في الزمان والمكان، فالحياة الخاصة كانت لا تزال بمعزل عن العلمنة وكان الانسان الغربي علمانياً شاملاً في حياته العامة متدنياً ملتزماً بأهداب الفضيلة وبالمنظومة الدينية المسيحية في حياته الخاصة، ولذا فالحضارة الغربية لم تكن حضارة علمانية مادية تماماً، فالقيم «الدينية والانسانية» كانت تلعب فيها دوراً واضحاً ايجابياً منحها قدراً من التماسك والغائية.

وحينما احتك المصلحون الاسلاميون الأُول بهذه الحضارة لم يحتكوا بها حالة كونها علمانية بالمعنى الشامل، وانما احتكوا بحضارة علمانية بشكل جزئي حيث تمت علمنة بعض جوانب الحياة العامة فقط، ولم تكن الحلقات الأخيرة من متتالية العلمانية الشاملة قد تحققت بعد، اي ان كثيراً من الظواهر السلبية التي نلاحظها بأنفسنا ونقرأ عنها في كتبهم وصحفهم ومجلاتهم، وقد اصبحت نمطاً ثابتاً وظاهرة محددة، كانت مجرد حوادث متفرقة ولم تكن ظواهر دالة، ومن ثم كان من السهل تهميشها، وعلاوة على هذا لم يكن الخطاب النقدي الغربي للحداثة والاستنارة قد تبلور بعد، وذلك على الرغم من تعالي بعض الاصوات، فبعض الوان الأدب الغربي على سبيل المثال في جوهرها احتجاج على كثير من جوانب الحداثة الغربية، وكتابات المفكر الانجليزي ادموند بيرك وبعض المفكرين المحافظين، تحتوي على اشارات الى كثير من

الموضوعات التي طورها الخطاب النقدي الغربي فيما بعد، الا ان مثالب الحضارة الغربية سواء على مستوى النظرية ام على مستوى الممارسة، لم تكن مسألة واضحة بعد لدارسي ومراقبي هذه الحضارة.

اما بالنسبة الى حملة الخطاب الاسلامي الجديد فالوضع جد مختلف، لأن معظمهم قد تشكل فكرياً في العقد الخامس، واحتك بالحضارة الغربية في العقد السادس من القرن الماضي، ونحن نذهب الى ان الحضارة الغربية دخلت مرحلة الأزمة في تلك الآونة، وادرك كثير من مفكريها ابعاد الازمة والطريق المسدود الذي دخلته منظومة الحداثة الغربية، ان حملة الخطاب الجديد ادركوا من البداية الجوانب المظلمة للحضارة الغربية الحديثة، التي ادخلت العالم في حربين غربيتين ينعتان بال «عالميتين» لأنهما جرتا العالم بأسره الى حلبة الصراع وأتون الحرب، وتزايد انتاج بناء قبر يكفي لدفن العالم «على حد قول رجاء جارودي».

وتزايد توغل الدولة القومية المركزية وتمكنت من الوصول الى الجميع والتحكم فيهم من خلال اجهزتها الأمنية والتربوية، وتزايد تغلغل الاعلام في الحياة الخاصة للبشر، وهو الأمر الذي زاد من تنميطهم، وتزايدت هيمنة قطاع اللذة على الجماهير مما ادى الى تزايد الاباحية ومعدلات الطلاق بشكل لم يسبق له مثيل، وظهرت ازمة المعنى والأزمة المعرفية والأزمة البيئية، ولم يعد الاقتصاد الحر ناجحاً كما كان في الماضي، وفقدت التجربة الاشتراكية مصداقيتها، وظهرت الاتجاهات الفكرية المعادية للانسان مثل الفاشية والنازية والصهيونية والبنيوية، وهي اتجاهات وصلت الى ذروتها في فكر ما بعد الحداثة.

ومع منتصف العقد السادس تبلور الخطاب النقدي الغربي واصبحت اعمال مدرسة فرانكفورت متداولة بين الكثيرين، فظهرت دراسات كثيرة في نقد فكر عصر التنوير في الغرب، وكان «ماركوز» بحديثه عن تنميط الحضارة الغربية والانسان ذي البعد الواحد، يبين ان ثمة خللاً بنيوياً في صميم الحضارة الغربية يتجاوز التقسيم التقليدي المتبع الذي يقسمها الى

حضارتين: واحدة اشتراكية وأخرى رأسمالية، واعاد كثير من المؤرخين المراجعين كتابة تاريخ الحضارة الغربية، ليبينوا حجم جرائمها ضد شعوب آسيا وافريقيا وحجم النهب الاستعماري، وظهرت كذلك كثير من الدراسات التي توجه سهام النقد الجذري الى نظريات التنمية، وكان لحركة اليسار الجديد اسهام في هذا المضمار، ولذا فسواء على مستوى الممارسة ام على مستوى الفكر، لم يكن من الصعب على حملة الخطاب الاسلامي الجديد، من دارسي الحضارة الغربية في منتصف القرن العشرين ان يعرفوا مثالبها، كما لم يعد بوسعهم ان يمارسوا ذلك الاعجاب الساذج بها، وهو الذي مارسه الكثير من اعضاء الجيل الأول، فالحضارة الغربية التي عرفوها وخبروها مختلفة في كثير من جوانبها عن تلك الحضارة الغربية التي عرفها وخبرها ودرسها جيل الرواد، وشتان ما بين الخبرتين!

❖ استجابات الخطاب الاسلامي لتحدي الحداثة الغربية:

يجب ان نؤكد ان كلا الجيلين -القديم والجديد- لم يؤسس منظومته الفكرية انطلاقاً من المنظومة الاسلامية فحسب، وانما نتيجة تفاعله مع الحضارة الغربية في الوقت ذاته، وهذا امر طبيعي للغاية، فهي الحضارة التي فرضت سيطرتها على العالم، واكتسبت مركزية بحكم الانتصارات العسكرية التي حققت، وطرحت رؤيتها في كل المجتمعات، وفرضت نفسها باعتبارها مستقبل البشرية جمعاء، وألقت بالتحدي الذي كان على الجميع الاستجابة له رضوا ام أبوا.

وباختلاف نوع التحدي وحدته اختلفت الاستجابة، وقد وجد المصلحون الأوائل جوانب ايجابية كثيرة في هذه الحضارة الغربية، بل أكاد أقول: انهم انبهروا بها، وهذا ما عبر عنه الشيخ محمد عبده، في عبارته الشهيرة: «لقد وجدت هناك مسلمين بلا إسلام، ووجدت هنا اسلاماً بلا مسلمين»، ولذا كانت استجابة الجيل الأول للتحدي الغربي هي: كيف يمكن ان نلحق بالغرب؟ وكيف يمكن ان ننقل تلك المنظومة الرائعة الى حضارتنا مع الاحتفاظ بقيمنا وبشيء من هويتنا؟ ولكن

لو كانت خبرة الشيخ محمد عبده مع الحضارة الغربية مثل خبرتنا، لتردد كثيراً قبل ان يقول قولته تلك، وقبل ان يطرح معالم مشروعه.

واصبحت القضية بالنسبة الى كثير من حملة الخطاب القديم «كما اسلفنا» هي كيفية التصالح مع الحداثة الغربية واللحاق بها والتكيف معها، وكيفية المزاوجة بين الاسلام والحداثة، هذا هو جوهر مشروع محمد عبده الذي ساد حتى منتصف العقد السادس من القرن الماضي، وهو ما نشير اليه بوصفه الخطاب الاسلامي القديم، وهكذا اصبحت المنظومة الاسلامية جزءاً من المنظومة العامة التي سادت العالم الثالث منذ بداية القرن الحالي، حين كان الجميع يبذلون قصارى جهدهم في اللحاق بالغرب والتنافس معه على ارضيته.

وقد نادى الليبراليون في بلادنا بتبني المنظومة الغربية الحديثة بحلوها ومرها، وتمرد الماركسيون قليلاً وطرحوا امكان ندخل الحداثة الغربية من خلال الماركسية والدفاع عن مثل العدالة الاجتماعية.

اما الاسلاميون فقد تصوروا امكان تبني منظومة الحداثة الغربية ومزجها بالاسلام، ولكن الجميع -رغم اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم- قد حوّل الغرب الى المرجعية الشاملة الصامتة (وهذه هي رؤية الكون الكامنة وراء معظم المذهبيات العلمانية والدينية في العالم العربي والاسلامي)، وبطبيعة الحال تراجعت المنظومة الاسلامية وتقلصت أبعادها وقدت شمولها باعتبارها رؤية كونية، وبدلاً من طرح تصورات اسلامية لكل مجالات الحياة، اصبحت القضية هي «اسلامية» بعض جوانب الحداثة، وكانت هذه الاسلامية تأخذ في معظم الوقت شكل «حذف» المحرمات بلا اضافة ولا ابداع، وتأكيد الجوانب «الحلال» في الحضارة الغربية او البحث عن تلك الجوانب في المنظومة الاسلامية التي لها ما يقابلها في تلك الحضارة الغربية (وهو الأمر الذي يعني ضمور الجوانب الأخرى التي تشكل صميم خصوصية المنظومة الاسلامية).

حملة الخطاب الاسلامي الجديد لا يشعرون بالاعجاب نفسه تجاه الحداثة

الغـربيـة، ولذا نجـد ان خطابهم ينبع من نقد جـذري لهـا، وهم في هذا لا يـختـلفـون عن كثيـر من المفكرين والحـركات السـياسـية في العـالم الثـالث والعـالم الغـربي في الوقت الحـاضـر، فـالماركسيـة شكل من اشكال نقد الحداثة، نبعت من مدرسـة فرانكفورت التي عـمـقـت هذا النقـد، وبعض الأدب -كـمـا اسلفنا- كان احتجاجاً على الحداثة الغربية، ولكن احتجاج الأدب الحداثي كان اكثر عمقاً وتجـذراً، فـهـو الذي يصـور عـالم الحـداثة المتـشيء، حـيث يتـحـول الانسـان الـى شـيء وتفقد الأشياء معناها وتتكسر حلقة السلبية تماماً.

ومسـرح العبث جـزء من هذا الاحـتـجـاج الغـربي على الطريق المسـدود الذي اوردتنا اياه الحـضـارة الغـربيـة، وقـد ظهـرت أخـيـراً الأصوليـة الدينية كامتـداد جماهيري شـعبي لهـذا الاتجـاه الفكري، وفي العـالم الثـالث نجـد ان الفكر القـومي في جـوهره مـحـاولة لدخول عالم الحـداثة من ابواب غيـر غربيـة ودون فقـدان الخصوصيـة، اي أن ثمة ادراكاً ضـمنيـاً مـفـاده ان الحـداثة الغـربيـة تنزع الخـصـوصـيـة عن الانسـان وتفـرغـه من مضمونه الانساني.

والخطاب الاسـلامـي الجـديد جـزء من هذا التيـار العـالمي الاكبـر، وليس مـقصـوراً علينا بأية حـال، فـثـمـة احـسـاس بأزمـة الحـداثة الغـربيـة أخذ أشكالاً مـختلفة في ارجـاء العـالم وأخـذ شـكلاً إسـلاميـاً في العالم الاسلامي.

ومـع هـذا يمكـن القــول بـأن النـقــد الاسلامي للحداثة، يختلف عن اشكال نقد الحـداثة في بقـيـة العـالم، اذ يدرك مـدى ارتبــاط منظومــة الحــداثة الغــربيــة بالامبـريالية الغربيـة، كـما يدرك صـعـوبة فصل الواحـد عن الآخر (والامبـريالية على اي حـــال كـــانـت هـي اول تجـــربـة لنـا مـع الحــداثة، والاســتـعــمــار الاســتـيطاني الصهيوني هو آخرها).

كـما ان النقـد الاسلامي للحداثة يتسم بأنه مـتفـائل، لأنه يطرح حلولاً علـى عكس النقـد الغـربي للحـداثة نظراً الى تشـاؤمـه وعدميته.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

نفحات من التنزيل العزيز

قال تعالى: ﴿وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾

■ بقلم الطالبة هديل هندم

يقول الله عز وجل: ﴿وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.. في هذه الآية الكريمة عدة حِكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد اذا علم المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن ان توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم يأمن ان تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب.

فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، وأوجب عليه في ذلك أموراً لا بد من الاعتقاد والإتيان بها، منها: انه لا أنفع له من امتثال الأمر، وان شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وان كرهته نفسه، فهو خير له وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب المنهي عنه، وان هوته نفسه ومالت اليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل.

فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ الى غايتها، والعاقل الكيس دائماً ينظر الى

الغايات من وراء ستور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سم قاتل، فكلما دعته لذته الى تناوله، نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض الى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله امره نفعه بالتناول.

ولكن هذا يحتاج الى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر، تعذر عليه ذلك واذا قوي يقينه وصبره، هان عليه كل متعة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

ومن اسرار هذه الآية الكريمة انها تقتضي من العبد، التفويض الى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: انه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم فلا يختار على ربه شيئاً، بل يسأله حسن الاختيار له وان يرضيه بما يختاره فلا أنفع له من ذلك.

ومنها، انه اذا فوض الى ربه ورضي بما يختاره له، أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه وأراه من حسن عواقب اختياره له، ما لم يكن ليصل الى بعضه، بما يختاره هو لنفسه.

ومنها انه يريحه من الافكار المتعبة في انواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينزل في اخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله اصابه القدر، وهو محمود مشكور مع اختياره لنفسه، ومتى صح تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدور العطف عليه واللطف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه مما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره، اذا نفذ القدر في الصبر، كان من اعظم اسباب نفوذه تحيله في رده، فلا انفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحاً كالميتة، فإن السبع لا يرضى بأكل الجيف.

الشــورى

■ اعداد أسرة التحرير

الشـورى فـي اللغـة مـشتقـة من الفعل شـور، يقـال: (أشـار) اليـه باليـد أومـأ وأشـار عليه بالرأي و (شار) العسل اجتناها، و (الشوار) متاع البيت والرحل، و (الشارة) اللباس والهيئة و (المشوار) المكان الذي تعرض فيه الدواب للبيع و (المشورة) (الشورى) وكذا (المشورة) تقول: (شاوره) في الامر و (استشاره) بمعنى واحد[١].

وعليه فإن الشورى تعني استخراج وجوه الرأي، وتغليب وجـهـات النظر في الامـور والقـضـايا، التي لم يرد فـيـهـا نص شـرعي لمعـرفـة الصـواب فـيـهـا والموافق منها لروح الشريعة[٢].

ان من اهم مـقـومـات الحـيـاة الاسـلامـيـة مـبـدأ الشورى، فـالشـورى من اقـوى الاسس في بناء المجتـمـعـات السـعـيـدة حيث تجلب الامن والاسـتـقـرار والفـلاح والنجـاح، وتعـود بالخـيـر والنفع على العـبـاد وتدفع عنهم الضـرر، تحـقـيـقـا لصـالح المجـتـمع العـام، ولينعم بالحياة الآمنة المطمئنة.

والنـاس كلهم يتـوجـهـون الى الشـورى وبخاصة في هذا العصر، ويأخذون بها في جميع مـجـالات الحـيـاة، وهي من القـواعد الكبـرى فـي الدين الاسـلامي التي امـر الله تعـالى نبـيـه ﷺ لـلأخـذ بهـا ومـشـاورة اصحابه بشـأنها، كما ان امـر الله لنبيه ﷺ

هو امر لأمته أن تأخذ بهذا التشريع الراقي وتقيم عليه حياتها، قال الله تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾** آل عمران: ١٥٩ .

ان في الشورى تآلفا للقلوب وتطييبا للنفوس، وما امر الله رسوله بالمشاورة الا لتكون فيه القدوة الصالحة لأمته فهي طريق الرشد والصواب تتلاقح فيها الآراء ويستبين على ضوئها طريق الحق، فالشورى خلاصة ما في القلوب من خير، ومنخول ما في العقول من رأي، يتوصل من خلالها اصحاب العقول والأفكار الى احسن النتائج، انها تعاون وتناصح وعزم وتوكل على الله تعالى ثم سلوك وتطبيق.

وفي تسمية القرآن الكريم احدى سوره بسورة الشورى، لدلالة واضحة على هذه الاهمية والخصوصية للشورى في الاسلام، ولقد مدح الله تعالى المؤمنين الذين يأخذون بالشورى، كما رفع الله تعالى من شأن المشورة وجعل العمل بها بعد اقامة الصلاة قال تعالى: **﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾** وهذه الآية الكريمة نزلت في وقت مبكر من نزول الوحي في مكة المكرمة، لتدلل على اهتمام الاسلام بالشورى وجعلها من اقوم المبادىء في بناء الحياة الفضلى ومجابهة المشكلات والمعضلات.

وقد ذكر القرآن الكريم ملكة سبأ في الرد على الكتاب الذي جاءها من سليمان عليه السلام على استشارة الملأ من قومها، ولم تنفرد برأيها قال الله تعالى حكاية عنها: **﴿قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون﴾** النمل: ٣٢ .

وبين ﷺ ان تقديم المشورة واسداء النصح، حق من حقوق الانسان كحقه في العبادة والمساواة والعمل، ففي الحديث الشريف: (حق المسلم على المسلم ست، ومنها: اذا استنصحك فانصحه) وقال ﷺ: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) رواه البيهقي.

وقــــــال علـي بـن ابـي طـالـب رضي الله عنه: الاسـتـشـارة عين الهداية، وقـد خـاطر من اسـتـغنى برأيه وقـال ايضـا: (نعم المؤازرة المشـاورة) وقـال احد خلفاء بني اميـه: (اذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنها تفتح مغاليق الامور المبهمة، واعلم ان لك نصف الرأي ولأخيك النصف ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وقال بعض الحكماء: لان تسأل وتسلم خير من ان تستبد وتندم، وقد قـيل: مـا خـاب من اسـتـخـار ولا ندم من استشار[٣].

ولقـد زخـرت السنة النبـوية الشـريفـة بشـواهد عملية على مبدأ تطبيق الشـورى للرسـول ﷺ مع اصحابه، فيما لا نص فيه ليعلم المسلمين مـا في الشـورى من الخيـر، ولتـقـتـدي به الامـة من بعده فـهـا هو ﷺ يشاور اصحابه في الامور المتعلقة بمصالح الحروب وذلك كثيـر وقد تابعه اصحـابه من بعده على ذلك، حتى اصبحت الشورى معلما اسلاميا بارزا في حياة الأمة دون ان تقتصر على الجانب السياسي وحده بل في جميع مجالات الحياة.

فقد استشار الرسـول ﷺ اصحابه في اول غـزوة، وهي غـزوة بدر بشـأن مـسـيـر قريش لقتال المسلمين، فقد قال المهاجرون وأحـسنوا، وقـال الانصـار، حـيث اشـاروا عليـه بما يريده عندما قـال لهم: (اشيـروا علي ايهـا الناس) وخـرجـوا مـعـه لقـتـال المشـركين، كـما استـشـار ﷺ اصحـابه في اتخـاذ الموقع المناسب الذي ينزلون به يوم بدر، فـأشـار عليه الحـبـاب بن المنذر واخذ برأيه عندما قال: يا رسـول الله، نجعل ماء بدر وراء ظهـورنا فنشـرب ونمنع القـوم من الشـرب فقـال ﷺ: (لقـد أشـرت بالرأي)[٤] كما انه ﷺ استـشـار اصـحـابه في قضية اسرى بدر انقتلهم ام نفاديهم بالمال؟[٥].

كـمـا اسـتـشـار النبـي ﷺ اصـحـابه في غزوة أُحد، لما علم نزول قريش بالقرب من جـبـل احـد أَنخـرج اليـهـم ام نبـقـى في المدينة؟[٦].

ولا يخفى علينا استشارته اصحابه في غـزوة الاحـزاب ومـا اشـار عليـه سلمـان الفـارسي رضي الله عنه من حـفـر الخندق[٧]، وكـذلك قتـال الاحـابيش الذين

ساعدوا قريشا على منع الرسول ﷺ واصحابه عام الحديبية من زيارة البيت الحرام[٨].

كما ان الرسول ﷺ كان يستشير اصحابه في بعض القضايا التي ليس فيها نص شرعي، فاستشارهم في بعض قضايا الحرب والاسرى وتأبير النخل.

ولقد مارس الصحابه رضوان الله عليهم الشورى في الامور الاجتهادية، ويستنبطون الاحكام من الكتاب والسنة، فكانت قضية دفنه ﷺ مما تشاوروا فيه، أين يدفن؟ ومسألة من يخلف رسول الله ﷺ حيث استقر رأيهم على خلافة ابي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واذا تمت الشورى واتفق في قضية من القضايا الشورية على امر ما، فلا بد من العزم على التنفيذ، ولذلك جاءت الآية الكريمة: **﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾** آل عمران: ١٥٩، بعد الأمر بالمشاورة في قوله تعالى: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** آل عمران: ١٥٩.

فما أجمل قول الشاعر:

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأي ان تترددا

ان اهل الشورى هم اهل العلم والاختصاص، وكانوا يسمون بأهل الحل والعقد، فالمستشار يجب ان يكون سليم الفكر بعيد النظر ناصحا ودودا عاقلا مجربا لبيبا حازما، ذا دين يوثق بدينه وذا علم يركن اليه، كاتما للاسرار امينا فلا يشير الا عن علم وخبرة لا عن جهل وتخمين[٩].

قال ﷺ: (المستشار مؤتمن) رواه اصحاب السنن، أي مؤتمن في تحري النصح وحفظ الاسرار فقد قال الرسول ﷺ: (الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم.

كما يجب ان يكون المستشار من العلماء واهل الدراية من علماء الامة ومفكريها ومن ذوي الاختصاص قال تعالى: **﴿فسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾** الانبياء: ٧.

يسأل اهل كل علم فيما يخصهم لتدبير مصالح العباد والبلاد، ولتطوير نهضتها

وحضارتها ورفع مكانتها وحفظ حدودها وحقوقها على ضوء المستجدات العصرية.

لذلك حذر النبي ﷺ اهل الرأي من الخيانة في بذل النصح او اخفاء الحق، وحكم عليهم بالاثم عند القول بما لا يعلمون فقال ﷺ: (من استشاره اخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانه) رواه احمد، وفي رواية اخرى قال ﷺ: «من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على اخيه برأي يعلم ان الرشد في غيره فقد خانه» وجاء هذا التحذير النبوي لبيان عظم الاستشارة وما لها من خطر في حياة المجتمع.

ان الشورى تقي المستشير العثرات وتجنبه الزلات وتدفع عنه العناء، وتبعده عن الشقاء فاذا كانت الشورى في حياة الفرد كذلك، فإن اثرها في حياة الامة أكبر وأعظم، فخطأ الفرد في حق نفسه لا يجاوز شخصه ولا يتعدى أسرته، اما الخطأ في حق الامة فيكون قاضيا.

لذا فإنه لا بد من الاستعانة بأهل العقول الراجحة والالباب النيرة والأبصار المتفتحة والاراء السديدة، للافادة من خبرتهم والاسترشاد بآرائهم.

ان الشورى ضرورة عقلية لان كثرة الاراء وتباينها، طبيعة بشرية وفق تفاوت العقول البشرية، ولذلك كان الخروج برأي واحد امرا ضروريا، ولن يتم ذلك الا عن طريق التشاور.

كما ان الشورى تجنب الفرد والامة الوقوع في الخطأ والاستبداد، وفي الشورى اتحاد الناس على مسعى واحد وهدف واحد، وفيها تحقيق الالفة بين افراد المجتمع، وما تشاور قوم الا هدوا الى رشدهم وما خاب من استشار وما افلح من استبد.

والاسلام حين يدعو الى الشورى، انما يهدف من دعوته هذه الى تحقيق الصالح العام للفرد والمجتمع وعدم الاستبداد بالرأي، لان الفرد غالبا لا يستطيع ان يلم بنفسه بجميع جوانب القضية التي هو بصددها مهما اوتي من سداد في الرأي وسعة في الاطلاع وذكاء الاجتهاد والاستنباط، فمن الحكمة ان لا يبرم المرء

امرا هاما الا بمشورة اولى الالباب، فان كانوا على رأي اخذ برأيهم وان اختلفوا، قارن بين الاراء واخذ بما اطمأن اليه قلبه، ومن الحكمة ان يضيف العاقل الى رأيه آراء العقلاء، فمن لم يشاور احدا كان بعيدا عن الصواب، قال احد الحكماء: (من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل).

ان الشورى تشمل جوانب الحياة في جميع مجالاتها المتعددة، سواء في النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو العلمي أو التربوي أو الصحي ونحو ذلك، فليست الشورى مقتصرة على الجانب السياسي فقط بل في جميع المجالات، فهي مبدأ شامل لجميع ميادين الحياة، فالعلماء يتشاورون في القضايا العلمية من فقه ونحوه، ويتشاور المربون على القضايا التربوية للوصول الى احسن النتائج وافضل السبل التربوية، ويتشاور اهل السياسة لاتخاذ احكم القرارات التي تحقق مصالح الامة، حتى ان الرجل والمرأة في حياتهما الاسرية يشتركان في هذه المسؤولية مسؤولية الشورى، فيتبادلان الرأي الاصوب في حياتهما الزوجية من اجل سعادة الاسرة وتماسكها وتحقيق المودة بينهما.

كما ان مجال المشاركة في العملية الشورية، مفتوح للجميع الذكر والانثى على حد سواء، فالرجل والمرأة مخاطبان بالتكليف الشرعي بقوله تعالى: **﴿وامرهم شورى بينهم﴾** الشورى: ٣٨، وقال ﷺ: (النساء شقائق الرجال) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة.

والنهضة في الحياة لا تقوم الا على اساس المشاركة بين الجنسين الذكر والانثى، والله تعالى قد كرم ابن آدم ذكرا كان او انثى فقال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾** الاسراء: ٧٠ .

ولقد رأينا الرسول ﷺ يستشير بعض زوجاته وهي ام سلمة عندما امر الصحابة في العمرة ان يحلقوا رؤوسهم فلم يحلقوا، فذكر الامر امام ام سلمه فأشارت عليه بان يحلق امامهم اولا، فأخذ برأيها فحلق فلما رأوه قد حلق رأسه حلقوا وانتهى الخلاف الذي كاد يعصف بهم.

كما ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستشيرون، فهذا عمر يستشير ابنته

حفصة في قضية من اهم القضايا التي واجهته اثناء الفتوحات، عندما قال لها: كم تستطيع ان تمكث المرأة صابرة على غياب زوجها؟ فأجابته اربعة او ستة اشهر، فبنى على ذلك حكماً، وهو انه لا يسمح بغياب الجندي عن زوجته لأكثر من هذه المدة.

وهناك وقائع كثيرة من الشواهد على استشارة المرأة واشارتها بالسداد والصواب، تثبت انها اهل لاعطاء الرأي والمشاركة فيه، وهكذا يفتح الاسلام باب الشورى للمرأة كما فتحها للرجل من غير انقاص او احتقار لها.

هذه هي تعاليم ديننا الحنيف التي جعلت الشورى اساساً في الحياة، فعلى المستشارين ان لا يبذلوا مشورتهم الا بخير يقدمونها خالصة لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، ولتكن مفتاح خير وفلاح، وسرا للتقدم والنجاح وللظفر بها في الدنيا وللحصول على فضلها في الاخرة، وصدق الله العظيم: **﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** الاحزاب: ٢٩ .

الهوامش:

(١) محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص (١٤٧) مكتبة لبنان ١٩٨٥م .

(٢) د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص (٢١٨) دار الفكر ط٨ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ص (٢٦) دار صادر بيروت ١٩٦٦م.

(٤) محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص (١١٤) ط٣ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مكتبة الغزالي - دمشق.

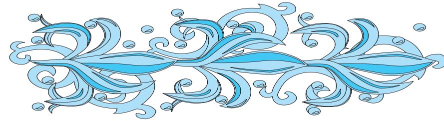
(٥) المرجع ذاته، ص (١٢٠).

(٦) المرجع ذاته ص (١٣٣).

(٧) المرجع ذاته ص (١٥٨).

(٨) المرجع ذاته ص (١٨٢).

(٩) د. محمود احمد غازي بحث بعنوان (مؤسسة اهل الحل والعقد) من كتاب (الشورى في الاسلام) ج٣ ص (١٠٢٦ - ١٠٣٥) من منشورات مؤسسة آل البيت.



تخبط مجلة امريكية كبرى في مزاعم عن وضع غير المسلمين في ظل الحكم الاسلامي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

لقد لفت نظري العنوان الذي حمله العدد الأخير لشهر حزيران ٢٠٠٩م، من المجلة الامريكية المسماة «المجلة الجغرافية الوطنية» وهي مجلة علمية تحظى بالاحترام، وقد مر على صدورها أكثر من مئة سنة، وهذا العنوان هو «هجرة النصارى الجماعية في الأرض المقدسة»، وهذه الهجرة في الواقع اتخذت خطاً سياسياً عنصرياً، منذ أقرت الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين، الذي اعطى اليهود -بدون وجه حق- معظم الاراضي الفلسطينية، بما فيها من مدن وبقاع زراعية، وكثافات سكانية كبيرة، علاوة ما فيها من ثروات زراعية ضخمة.

لذلك حرص اليهود «في ظل الاستعمار البريطاني» على حشد أعداد ضخمة من يهود العالم في تلك البقاع بما فيها القدس الشريف، فبدأوا بمهاجمة المواطنين الفلسطينيين في المدن والقرى، لدفعهم على الهجرة، فارتكبوا مجزرة «دير ياسين» المشهورة، وغيرها الكثير من المجازر.

فمدينة حيفا مثلاً تعرضت في الأشهر الأخيرة من حكم الانتداب الى هجمات يهودية بهدف الاستيلاء على مينائها الذي يعد من أهم موانئ الشرق الأوسط، خاصة لأن فيه نهاية خطي الأنابيب اللذين

يحملان النفط العراقي المصدر، فاضطر عدد كبير من سكانها الى مغادرتها الى لبنان وسوريا، ومنهم عائلة رئيس بلديتها السيد «قرمان» وقد وجدت بعض أفراد العائلة مقيمين في عمان.

وتوالت هجمات الصهاينة في ظل أواخر أيام الحكم البريطاني على القرى خاصة لتفريغها، واشتدت هجماتهم عند بداية الجلاء البريطاني، مما هو معروف لدى الجميع، وكان الهدف هو تفريغ البلاد من سكانها، بصرف النظر عن انتمائهم الديني، اذ لم يميزوا بين مسلم ونصراني.

وأنا اعرف جيداً عوائل نصرانية عريقة في يافا، وقد وجدتهم في عمان، ولم يشفع لهم كونهم على دين الحاكم البريطاني، لذلك أخذني العجب عندما رأيت العنوان المشار اليه، وقد زاد من عجبي العنوان الذي حملته الصفحتان الأولى والثانية من المجلة (ص٧٩-٨٠) ومفاده «العرب هم المؤمنون النصارى المنسيون» وقد اقترن هذا العنوان بعبارة تصفهم بأنهم «اتباع السيد المسيح من ألفي سنة، النصارى المواطنون الذين يتضاءل وجودهم في ارض بلادهم، الأرض التي شهدت ولادة دينهم»!!.

ان هذه الأقوال -كما لا يخفى- تعطي الانطباع بأن النصارى هم وحدهم الذين تعرضوا للهجرة القسرية ومغادرة موطنهم الديني، وان بقية السكان من غيرهم «وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين الذين تتجاوز نسبتهم ٨٠٪ من مجموع السكان» لم يتعرضوا الى الاضطهاد والتشريد!!

ثم يضيف كاتب المقال قائلاً: «ان النصارى العرب الذين كانوا اكثرية السكان، اصبحوا أقلية مهملة في الغالب، رغم ان المنطقة بما فيها سوريا، كانت تزخر بمئات الكنائس والأديرة، ثم ينقل الكاتب تصريحاً لأحد الرهبان مفاده: «انهم الآن يهدفون الى السلام، وتشجيع الحوار بين المسلمين والنصارى!!، وكأن هناك مشكلة قائمة بين المسلمين والنصارى» لكنه لم يبين نوعها!! «المجلة ص٨٤».

ويبدو ان الكاتب يتجاهل وجود فلسطين قبل ظهور المسيح عليه السلام بل قبل ان تمس ارضها أقدام اليهود الذين وصلوها بعد التيه أربعين سنة، منذ خروجهم من

مصر، وقد احتلوها بالعنف، كما يحتلونها الآن، ويضطهدون أهلها الذين انحدروا من سكانها الأصليين قبل العدوان اليهودي عليها بعدة قرون.

ثم يقول الكاتب: فتحها المسلمون في سنة ٦٣٨م «١٧هـ» ولكن بقي سكانها أغلبية نصرانية «ص٨٤ من المجلة» ولكنه لم يذكر المرجع الذي أخبره بذلك، ثم نسي أو تناسى ان الاسلام دين يستوعب جميع الأديان السماوية، بل تقبل المسلمون ان تضم دولتهم، عبدة النيران من الفرس وأتباع الأديان الوثنية الهندية في أواسط آسيا.

وقد قال الرسول ﷺ بالنسبة للمجوس من الفرس ان: «يعاملوا معاملة أهل الكتاب، الا ان المسلم لا يتزوج بنسائهم، ولا يأكل ذبيحتهم»، ولكن الفرس دخلوا كلهم في الاسلام، وحوالي ٥٠٪ من الهنود فعلوا مثلهم، رغم ان بقاءهم على أديانهم فيه ما يؤمن مصلحتهم المادية، فهم يعفون من الخدمة العسكرية، وبالتالي لا يحرجون في قتال أناس هم على دينهم، وذلك في حالة وقوع قتال بين المسلمين والبيزنطيين.

ويكفي لغير المسلم «اي الرجل لا المرأة» ان يدفع الجزية السنوية ومقدارها اربعة دنانير للغني، وديناران لمن هو دونه، ودينار واحد لمن يعمل بيده، في حين يعفى من دفعها العاجز عن العمل، بل تتكفل الدولة الاسلامية بإعالته ومن هو من اهل بيته، بالانفاق عليهم من بيت مال المسلمين، كما لا تؤخذ الجزية من الأعمى والمقعد والمبتلى بمرض مزمن والرهبان وأهل الصوامع «الخراج ص١٤٥-١٤٦»، في حين ان المسلم مكلف بدفع الزكاة بنسبة ٢,٥٪ من دخله السنوي ولا يعفى من الخدمة العسكرية.

وبالنظر لعدالة الاسلام، وكونه يستوعب جميع الأديان السماوية، فإن أهل البلاد المفتوحة أقبلوا عليه، رغم التكاليف التي أشرنا اليها آنفاً، وهي على عاتق المسلمين وحدهم، «انظر كتاب الخراج لأبي يوسف قاضي قضاة الدولة الاسلامية في عهد هارون الرشيد»، ثم ان الاسلام اعتبر أهل البلاد المفتوحة، ممن بقي على دينه «اهل الذمة» اي انهم في ذمة المسلمين ودولتهم التي عليها ان تحميهم من اي عدوان، وتحترم انتماءهم

الديني بحماية معابدهم وكنائسهم «بما فيها معابد النيران في فارس ومعابد الأوثان في الهند» وكان العلماء المسلمون يذكرون الحكام بهذه الواجبات، ومن يقرأ «كتاب الخراج» آنف الذكر يجد مثلاً صريحاً لهذا التذكير.

في الحقيقة ان الرشيد هو الذي طلب من ابي يوسف تأليف ذلك الكتاب، وحري بنا ان نشير الى اهل البلاد المفتوحة ممن كانوا من النصارى، ان نتذكر وصية الخليفة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لقواده عند خروجهم للفتوحات التي يوصيهم فيها خيراً بأهل البلاد، وعدم الاعتداء على مزارعهم وأموالهم، ويوصيهم خاصة بالكنائس والأديرة، ومن فيها من قسيسين ورهبان، اذ يصفهم بأنهم آثروا حياة العزلة والتوجه الى الله تعالى.

ومن هنا يتضح لنا بكل تأكيد، بأن الفاتحين المسلمين لم يضغطوا على أحد ليدخل في الاسلام، إذ هم حصلوا على حماية اسلامية، بل على الامتيازات مع حرية العبادة، والاستقلال التام في أمور دينهم، والكثير من أمور دنياهم، حتى فتحت لهم مناصب الدولة العليا، ووصل بعضهم الى منصب الوزارة، وهو أعلى المناصب في الدولة «وهي وزارة التنفيذ» اي ما يقوم الوزير بكل ما يلزم في هذه الوظيفة، ما عدا الأمور الدينية، لأن الوزير عادة ما يمثل الخليفة في الصلاة، أو في إمارة الحج، وهي أمور اسلامية صرفة، لذلك يكلف بها اذا كان الوزير مسلماً، وهكذا ما جاء في مقال المجلة الامريكية من قول: إن النصارى قد دخلوا في الاسلام هرباً من دفع الأموال التي طولبوا بدفعها الى خزينة الدولة الاسلامية، فهو قول غير صحيح على الاطلاق.

ومن يراجع أقوال الرسول ﷺ، يجد حديثاً صريحاً، اذ يقول: «من ظلم معاهداً أو انتقصه وأخذ منه شيئاً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة» «الخراج ص١٥٠».

وقد أطلق الاسلام على المعاهدين اسم «اهل الذمة» وقد أوصى الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قادة جيوش الفتح بقوله: «لا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله، فيطالبك الله بذمته فيكبك الله على

وجهك في النار».

كما أمرهم عندما توجهوا الى الشام والعراق «ان لا يقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة ولا يعقروا نخلاً، ولا يقطعوا شجرة مثمرة، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة، الا لمأكلة»، كذلك أوصاهم خيراً بالرهبان المنقطعين لعبادة الله.

ثم هناك الرأفة التي ابداها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تجاه أهل الذمة ونهيه عن إيذاء من يعتذر عن دفع الجزية بدافع الفقر، وقصته معروفة مع اليهودي الضرير الذي كان يستجدي الناس، وكيف فرض له رزقاً من بيت مال المسلمين، كما رفع عنه الجزية، ويروي مؤرخ الشام ابن عساكر عن عمر أنه قال لعماله: «من لم يطق دفع الجزية فخففوا عنه، ومن عجز فأعينوه».

ثم أوصى عمر رضي الله عنه الخليفة الذي سيخلفه بأهل الذمة خيراً، وان يوفي لهم بعهدهم، وان يقاتل من ورائهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم (كتاب الخراج ص١٦ و ٤٤).

كما ان عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي، عامل أهل الذمة بالحسنى فيما يتعلق بالجزية والخراج، مما أدى الى تحسن اوضاعهم المالية «الخراج ص١٦».

في الواقع ان تلك الوصايا بأهل الكتاب، ما هي الا استجابة لما ورد في القرآن الكريم من آيات بينات، واكتفي الآن بإيراد بعض تلك الآيات، وقد ساوى القرآن الكريم في بعضها بين المسلمين وأهل الكتاب، كما ان الله سبحانه منح النصارى مكانة متميزة، وإليك أيها القارئ تلك الآيات مرتبة حسب ورودها في سور المصحف الشريف، بما فيها سورة الروم التي أعلن القرآن الكريم انحيازه فيها الى الروم لكونهم من اهل الكتاب، في مواجهة الفرس عباد النار، وبشرهم بالنصر عليهم بعد بضع سنين، وهو ما تم فعلا، ونبدأ بهذه السورة خلافاً لترتيبها في المصحف لأهميتها وهي بعد البسملة: **﴿الم ❖ غلبت الروم ❖ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون❖ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ❖ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾**.

١- ثم ان القرآن الكريم خص أهل الكتاب «اي اليهود والنصارى بالدرجة الأولى» ودعاهم الى الوصول الى كلمة سواء بينهم وبين المسلمين، فقال عز من قائل: **﴿يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** آل عمران: ٦٤ .

٢- وفي هذه السورة «آل عمران» قال سبحانه وتعالى: **﴿ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ❖ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾**١١٣-١١٤ .

٣- وقال تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** العنكبوت: ٤٦ .

٤- وجاء في سورة المائدة قوله تعالى: **﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** ٦٩، وقال تعالى: **﴿ولتجدن أكثر الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾** ٨٢ .

ويمكن تلخيص المعاملة التي تلقاها أهل الكتاب ممن فقدت بلادهم من قبل المسلمين بما يأتي:

أولاً: عندما فتحت العراق والشام وغيرهما من الاقطار، اقترح بعض القادة، قسمة الأراضي المحتلة بين من قام بفتحها من المقاتلين، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رفض ذلك، وقرر ابقاءها بأيدي أصحابها الذين يزرعونها، وبالاستمرار في جباية الخراج على ما كانوا يؤدونه قبل الفتح ومنهم أهل السواد في العراق «كتاب الخراج ص١١، ٢٩، ٧٨» كما ان الخليفة ليس في سلطته قطع ما هو حق للمسلم في حقه، كما انه ليس من حقه قطع حق المعاهد في حقه، اي ساوى بين المسلم

والمعاهد «كتاب الخراج ص٧٢».

ثانياً: استمر أبو بكر رضي الله عنه على سنة رسول الله ﷺ، في تطمين أهل الذمة على أنفسهم وأموالهم وتمكينهم في أداء عباداتهم، والسماح لأساقفتهم ورهبانهم بأداء واجباتهم الدينية في كنائسهم بدون تغيير، ومن حق الاسقف تمكينه من ممارسة عمله في اسقفيته والراهب في صومعته «كتاب الخراج ص٨٧»، اي حرية العبادة في الكنائس، ولا يمنعون من ضرب النواقيس، واخراج الصلبان في اعيادهم والعجزة من النصارى واليهود معفوون من الجزية، ويتولى بيت مال المسلمين بإعالتهم وعوائلهم عند العجز «الخراج ص١٧١-١٧٢».

ثالثاً: ان الجزية المفروضة على اهل الكتاب، تؤخذ من رجالهم دون النساء والصبيان والمسنين العاجزين عن العمل، اما بالنسبة لنصارى بني تغلب وأهل نجران، فقد صالحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن لا يأخذ منهم الجزية والخراج لأنهم أرادوا تمييزهم عن بقية أهل الذمة لمكانة قبائلهم، فعرض عليهم قبول ضعف ما يجب على المسلم دفعه من الزكاة فوافقوا، أما مقدار الجزية المفروضة على أهل الكتاب فهي ٤٨ درهماً للموسرين وبمقدار ٢٤ درهماً لمن يليهم و ١٢ درهماً للعامل بيده، وتجبى مرة واحدة في السنة «الخراج ص٨٧، ١٤٣-١٤٧».

رابعاً: أما بالنسبة لعبدة الأوثان وعبدة النيران كالمجوس، فقد عوملوا كأهل الكتاب بأمر من النبي ﷺ، ولكن لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم «كتاب الخراج ص١٥٤-١٥٥».

خامساً: ما بالنسبة لمكاسب اهل الذمة من ايراد ممارسة الزراعة والصناعة، فيؤخذ منهم الخراج الذي يقدر بعشر الغلة، وقيل: نصف العشر «كتاب الخراج ص٨٢-١٦١».

وأعود الآن الى مقال المجلة الأمريكية التي اعترفت بأن التعايش السلمي بين المسلمين وطوائف الأديان الأخرى يعود الى زمن مبكر الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما فتح الشام سنة ٦٣٦م ١٥هـ، وكانت خاضعة للبيزنطيين، ولكنه سمح للنصارى أن يبقوا على كنائسهم، ويتعبدوا حسب طقوسهم،

ولكن كثيراً من النصارى دخلوا في الاسلام الذي يؤكد على العلاقة الخاصة بين العبد وربه، بخلاف سياسة البطش التي اتبعتها الدولة البيزنطية حيال الطوائف الأخرى، والمعروف ان القديس يوحنا الدمشقي، كان ينصت باهتمام للقادمين الجدد «أي المسلمين» عندما يتحدثون عن دينهم واعترافه بالتوراة والانجيل، وقدسيتهما لديهم، وقدسية انبياء بني اسرائيل، علاوة تقديسهم لعيسى عليه السلام وأمه مريم العذراء، وكان يقارن هذا الموقف بسياسة البيزنطيين الذين يقبعون في استانبول. في الحقيقة انه لم يكن يعتقد بوجود خلاف بين النصرانية والاسلام «المجلة ص٩٤».

وهذا ما سبق لي قوله في اكثر من موضع من هذا المقال، ان الاسلام يستوعب جميع الاديان السماوية، وهو ما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾** البقرة: ١٣٦، صدق الله العظيم.

لكن على الرغم مما ورد من اطراء صريح للاسلام، فإن كاتب المقال ما لبث ان وقع في خطأ فاحش بقوله بأن الخلفاء المسلمين بعد ذلك «اي بعد عمر رضي الله عنه» قرروا على النصارى ضرائب ثقيلة، مما حمل الكثير منهم ولا سيما من فلاحي القرى على الدخول في الاسلام، خاصة ولم يعتقدوا بأن اعتناقهم للاسلام يبعدهم عن النصرانية، وقد نقل عن كاهن نصراني من عرب المنطقة المحاذية لحمص قوله: «ان المسلمين هم نحن وان على الغرب ان يدرك هذه الحقيقة» «المجلة ص٩٤».

ويقول كاتب المقال: ان هناك درساً ينبغي ان تدركه الدول النصرانية، وهو ان نصارى العرب هم الصلة بين الدول الغربية والعالم الاسلامي، وانه ليس من مصلحة تلك الدول غياب اولئك النصارى، اذ سيؤدي غيابهم الى اتساع الشقة بين العرب والدول الغربية التي ستحرم بغيابهم من أناس مؤهلين لإدامة تلك الصلة، وهو ما يدركه نصارى فلسطين قبل غيرهم «ص٩٤ من المجلة».

قطوف دانية

بقلم الطالبة بيان عواد

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾.

الحشر: ٢١

اتق دعوة المظلوم

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

ان استطعت ان تأكل من التراب فكل منه، ولا تكونن أميراً على اثنين، واتق دعوة المظلوم والمضطر، فإنها لا تحجب.

اتباع الهوى وطول الأمل

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

اخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى وطول الأمل، فإن اتباع الهوى، يصد عن الحق، وان طول الأمل ينسي الآخرة.

أول من يبعث يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ:

«انا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم.

من مات وعليه صوم

قال رسول الله ﷺ:

«من مات وعليه صوم صام عنه وليه» متفق عليه.

احذر الكذوب

قال الشاعر:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً
ان الكذوب ليس حراً يصحب
يلقاك يقسم انه بـك واثـــق
واذا توارى عنك فهو العقرب
يسقيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

فضل قيام ليلة القدر

عن أبي هريرة ﵁، ان النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري.

فضل صوم يوم الاثنين

عن ابي قتادة ﵁ قال: «اوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وان اوتر قبل ان انام» متفق عليه.

دعاء

اللهم اغفر لي ذنبي وجهلي واسرافي في أمري، وما انت اعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، اللهم انت المقدم وانت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير يا واسع المغفرة اغفر لي».

حول ترجمة ماكبث

«عودة القضاة»

■ بقلم الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي

❖ مقدمة عامة:

يقع الشاعر المسرحي وليم شكسبير (١٥٦٤م) في مناهج الأداء الغربي، بين أدباء المنهج الكلاسيكي الذي بدأ في القرن الخامس عشر الميلادي، وأدباء المنهج الرومانسي الذي ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي.

وعلى الرغم من انه اختط لنفسه منهجاً خاصاً بذاته، إلا انه قد تأثر –الى حد ما– ببعض مناهج الكلاسيكيين في مسرحياته الشعرية المعروفة، يوليوس قيصر، ملك لير، مكبث، هاملت، كليو بترا، فقد دارت التراجيدية الشعرية، في هذه الأعمال الأدبية، حول رجالات الملوك الكبار الذين كانوا أعيان المجتمعات التي عاشوا فيها، كما أنها قد انتهت غالباً بالدم، وقد وقعت احداثها بقدر من الجدية والصرامة المعروفة في فن التراجيدية الكلاسيكي، الذي عرف منذ زمن ارسطو وسار عليها الغربيون فيما بعد.

❖ هذه الترجمة:

يشكل المترجمون لابداع الفكر والثقافة والأدب بين اللغات، قناطر خيرية بين الأمم، تعبر على جسورها الى الحضارات الأخرى، ومن جهودهم في نقل نتاجات العقول النيرة، تنشأ قيم فنية ومستويات علمية مشتركة بين الشعوب، فالمترجم يطل بأهل لغته على مساحات واسعة من حقول



العلم والمعرفة، التي لدى اهالي اللغات الأخرى، ولذلك فنحن نذكر بالخير قافلة عادل زعيتر ومنير البعلبكي وخيري حماد وجبرا ابراهيم جبرا وعيسى الناعوري وأمثالهم.

ويلحق اليوم بقافلة هؤلاء المترجمين، مترجم اردني ترجم من اللغة الانجليزية مجموعة قصصية من الأدب العالمي، اطلق عليها اسم «الطارة» وفيها قدرة طيبة على نقل جميع أبعاد فن السرد من آداب عالمية كلاسيكية، ولقد اذكرتني هذه المجموعة «بعشر قصص عالمية» ترجمها الاستاذ عبد الحميد ياسين، رحمه الله، عن الانجليزية فأجاد في نقلها الى العربية قبل عدة عقود.

وحينما قرأت مجموعة الطارة الصادرة عن وزارة الثقافة عام ٢٠٠٥م، قلت للصديق القضاة: ارجو ان تستمر، فمن كانت له هذه القدرة على الترجمة الناجحة، فعليه ألا يتوقف عندها على الاطلاق.

وللمترجم القضاة بحث وضعه بالانجليزية عن الشعر الاردني الحديث، صدر عن أمانة عمان عام ٢٠٠٢م، وصدرت عن أمانة العاصمة ايضاً ٢٠٠٨م، ترجمة لكتاب «عمان خلال العصور» الذي وضعته الدكتورة هند ابو الشعر ٢٠٠٨م، قام بها ايضاً هذا المترجم الجاد، ثم الكتاب الذي بين أيدينا اليوم، وهو ترجمة المسرحية العالمية للكتاب المسرحي العالمي «شكسبير- مكبث» وقد أصدرتها أمانة عمان الكبرى بالتعاون مع مكتبة اليازوري عام ٢٠٠٨م.

❖ تعريف بمكبث:

مكبث قائد عسكري من أقارب «دَنكَنْ» ملك اسكتلندة، وكان دنكن يتصف بطيبة القلب في التعامل مع الناس، حتى كثر بينهم النهب والفوضى في المجتمع، مما حمل القائد مكبث على التشدد في معاملتهم والتضييق عليهم، وقد أصاب النجاح والظفر على بعض رجال الملك، مما جعله يفكر في نفسه وفي شهوة الحكم، وما زالت هذه الأفكار تراوده، وقد اعانته عليها رغبة زوجته حتى أقدم على قتل

الملك، لينصب نفسه مكانه ملكاً على اسكتلندة، ولكن هذه الفعلة أوقعته في مخاوف شديدة من عدم اخلاص اقارب الملك الأول له، وظنه بتآمرهم عليه، فجعل يسيء الظن ويخشاهم على نفسه، فأقدم على قتل النبلاء الصغار، حتى زميله القائد مالكولم لم يسلم من بطشه، وقتل احد ابناء الملك دنكن وهرب الابن الآخر الى الخارج، فاستغل الفرصة ملك الانجليز، فأرسل جنده لنصرة ابن الملك، واعادته الى ملك ابيه الشرعي، فلاحقوا مكبث وظفروا به وقتلوه.

ان هذه الأحداث الدامية يصورها الشاعر تصويراً رائعاً، ويصور المشاعر والأحاسيس التي كانت تغتلي فتؤدي اليها، وفي هذا التصوير للأحاسيس بلغ شكسبير ما بلغ من القدرة الأدبية، التي أهلته لهذه المكانة العالمية بين الشعراء والأدباء في العالم.

❖ الانسيابية في النص المنقول:

ولقد يلاحظ القارئ لهذه الترجمة كما لو انه يقرأ نصاً وضعه صاحبه بالعربية اصلاً، وليس منقولاً عن لغة أخرى، ذلك انه لا يتتأتأ في النقل ولا يعسر في السرد، ولا يغمض في الوصف، كالذي قيل في ابن المقفع: انه فيما ترجم يقع احياناً في بعض مواطن الاغماض، ولكنه فيما صنف يكون واضحاً في كل ما يكتب، وآية ذلك انه قد أتيح الي ان انظر في ترجمة عربية أخرى لمسرحية مكبث، واعني ما انجزه صلاح نيازي وثانية وهي ترجمة جبرا ابراهيم جبرا وأضرب مثالاً واحداً: ففي الأصل الانجليزي يقول شكسبير ص١٣: There is no art to find the minds construction in the face فبينما يترجمه نيازي بقوله: «لا يوجد علم لمعرفة ما يدور في العقل من الوجه» (ص٤٥) ينقله عودة على النحو التالي: «ليس هناك من وسيلة يستطيع المرء بها الكشف عن نوايا امرئ آخر من النظر الى قسمات وجهه» (ص٦٨) ولدي ايضاً مثالان آخران على ذلك.

وأحسب ان هذه الافاضة في الترجمة التي نلاحظها في ترجمة صاحبنا، كأنها

الى الشـرح أقـرب ولكنهـا من أجل تجليـة المعنـى المراد فـي اصـل النـص، ولـيس أدل على ذلك من ان المتـرجم الآخـر قـد وضع مكان كلمـة «Art» في الانجليـزية في مثـال سـابق «علم» في العـربية، ويتـرجمـها جبـرا ابراهيم جبرا على النحـو التالي: «ليس ثمة فن به نكتشف بنية العقل في ملامح الوجه» ص٨١ .

أفهل يوصلنا هذا الحديث الى ان الأول، تقترب ترجمته من الترجمة الحـرفيـة، وان عـودة القـضـاة ترجـمـتـه تعنى بـالمعنى؟ قـد يكون الأمـر كـذلك، فـالترجـمـة ليـست نقـلاً للجسد اللغوي في الأصل بقـدر مـا هـي نقل للفـحـوى المعنـوي، المراد ايصـالـه منـه، وفـي ذلك فليتنافس المترجمون.

على ان هذا الأمـر ينقلنا الى محـذور، لا بـد من التـنبـيــه لـه ألا وهو الأمــانة في الترجمة والمحافظة على الأصل.

ولقــد كنت قــرأت من قــبل ان عــادل زعـيتـر، الذي نقل عن إمـيل لودفـيج وعن غيره من كبار الكتاب الغربيين، حينما نظر في ترجمـة طه حسين، لبعض ما ترجم عن الفـرنسـيـة، لم تعجبـه هذه الترجمة لما كان من تصرف في الكم والكيف.

واذا رجــعـنا الى مــا نـحن بصــدده من الترجمة عـودة القضاة لمكبث، أحسب انني قد فـرغت من قراءة التـرجمـة ولم اصطدم بجـملة تعسـرت علي في الفهم، أو مـصطلح ظل غـامـضـاً، وذلك مـا قـد يضطـر المتـرجم في بعض الضرورات من الالتجـاء للتوضيح في الهوامش.

وقـد ينهض اعـتـراض واحـسـب ان له قدراً من الـوجاهة، وهو مقدار نصيبي من قـراءة الأصل بلغـتـه، اعـتـرف ان حظي من هذا الأمر قليل، اعترف ان حكم من قدرته على فـهـم النص باللغــتـين لا بد ان يكون أقـرب الى الصــواب، ولكنـنـي أصــدر عن حكم أمــثــالي، من عــدم القــدرة قــراءة النصـوص الأجنبيـة باللغـات الاصليـة، ومـا اكثرهم.

❖ الكنايات العربية:

يلحظ القـارئ لهذه الترجمة ان المترجم يحلو له غير مرة، ان يفرغ معاني ما يترجم عن الاصل في كنـايات مــعــــروفــة في

النصوص الأدبية العربية، فهو يقول في ص١٦٨ عن مكبث: «مكبث أينعت رأسه وحان قطافها» وعلى ص١٧٤ يقول: «ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر» وعلى ص١٩٠ يقول: «ما انت الا حاطب ليل» وعلى ص١٩١ يقول: «لنجعلن منك ناراً على علم» وعلى الصفحتين ١٩٢-١٩٣ يقول: «من قبل».

أفهل تقوي هذه الكنايات النقل عن لغة أم تضعفه؟ نخشى ان يكون فيها ما يمكن ان يسمى لي العنق حتى نصل الى ما نريد، وربما كان الأصوب ان نظل مع الاصل الاجنبي، ونضع له ما يقابله من النص العربي، بشكل مباشر، فربما كان ذلك أقرب الى الدقة العلمية في الترجمة.

❖ ما يضيفه المترجم في الهوامش:

أغلب ما يريد في هوامش الصفحات التي يضيفها الاستاذ المترجم عودة القضاة، نحس انه ضروري لتوضيح الأسماء الواردة في الاصل، وقد يصوب فيها ما يراه غير الصواب لدى غيره من المترجمين، كما يحدث في هامش ص٧١، فجبرا ابراهيم جبرا يذكر في ترجمته لمكبث ص٦٨ و ص٨١ .

يذكر ان العلاقة بين مكبث والملك دنكن انها ابناء عمومة، وهما في الحقيقة أبناء خؤولة، فأماهما أختان ص٧١، ومع ذلك فربما نقع على توضيحات هامشية غير ضرورية «ص٩٥-٩٦».

❖ أمر يلفت الانتباه في فكر شكسبير:

يحس القارئ عن هذا الشاعر المسرحي الكبير، الذي ذكر العطور العربية بالاسم، كأنه يؤمن بالجنة والنار، وبالأجل وبقيام الساعة وبالقدر، والدنيا والآخرة، وبالسحر والساحرات، والتطير، وبالحكمة السفلى تحت الأرض، وبأن الأشجار قد تتحدث والحجارة قد تتنقل، وان الصغير يجب ان يحترم الكبير في السن، التفريق بين قدرات الرجال وقدرات النساء، وهذه امور يقف عندها القارئ طويلاً.

❖ عبقرية شكسبير:

ولست بصدد الكشف عن مواطن الاجادة في شعر شكسبير، فأنا لست مؤهلاً في اللغة الأخرى لذلك، ولكنني أُلم

بأمثلة قليلة من أحاديث ماكبث مع نفسه، مما يسمى بالمونولوج لإظهار مدى ما يريد ان يبرز الصراع الداخلي الذي يعانيه والتمزق النفسي الذي يلجأ اليه.

استمع اليه وهو يتحدث الى خنجر يتوهم انه يراه امامه وهو يهم بقتل دم دنكن: «هلم الي دعني المسك بيدي، يا للعجب انني اراك، غير انني لا اقدر ان المسك، هل انت خنجر حقيقي؟ ام محض طيف من صنع الخيال المتخم بالحقد والبغض؟ ما زلت اراك امام ناظري، انك شديد الشبه بهذا الخنجر (ويستل خنجره الحقيقي من جانبه) ان عيني تسخران من بقية جوارحي، وبقية جوارحي تسخر من عيني، فعيناني تبصرانك، غير ان يدي لا تقدران على لمسك.. ص٨٦-٨٧». **فهذا هو التردد والتمزق والشك والقلق.**

واستمع اليه مرة أخرى يتحدث مع نفسه، بعد ان اقترف جريمة قتل مليكه ليتبوأ مكانه: «ما هذه الطراقات؟ ما الذي حل بي؟ ما هذه الرعدة التي تعتريني كلما سمعت صوتاً، ما هاتان اليدان؟ آه آه انهما تقتلعان عيني ترى هل تكفي «البحار» لإزالة هذه الدماء عن هاتين اليدين؟ كلا كلا، فهذه اليد الملوثة وحدها قادرة على صبغ مياه كل البحار باللون الأحمر القاني» ص٩٢ .. انه الندم الفظيع الذي يملأ القلب ويقطع الطريق.

وكل هذا وذاك قطفان من قطوف هذه المسرحية التي نقلها الى العربية الأديب عودة القضاة، ليستمتع بها كل من لم يؤت حظاً بالاطلاع عليها في لغتها الأصلية، دون ان يتعسر عليه فهمها والنظر في أسرارها.

وأخيراً: فإنني أعتذر مرة أخرى عن اقتحامي لميدان جديد في القراءة والنظر، فهو بمؤهل في فهم اللغتين أولى وأحق، ولكنني لا أنكر قد استمتعت أيما استمتاع بقراءة هذا النص الأدبي المتميز، الى حد بعيد، الذي بدا وكأنه أفرغ اصلاً بالعربية، اما الهنات الطباعية التي وقعت عفواً في الترجمة، فهي لا تقلل من قدرها الفني واللغوي والفكري.

دحض الافتراءات في خلافة الصديق رضي الله عنه

■ بقلم الاستاذة عبير الزيادنة

بعد أن قبض الرسول عليه واله الصلاة والسلام، واختاره الرفيق الاعلى ﴿مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا﴾، ثبت انه لم يترك قولا فصلا في امر من سيخلفه، وكان من الطبيعي ان يكون هناك من يتولى الامر بعده ليقوم على حماية الدين وانفاذ اوامره ونواهيه، وتدبير امور هذه الدولة الاسلامية دينيا ودنيويا، ويثور تساؤل، لماذا لم يعين رسول الله ﷺ خليفة له؟

يعلل الباحث الاوروبي (اوليفر كرمويل) الامر قائلا: ان اشتداد مرض رسول الله ﷺ حال دون معالجة هذا الامر!! ويعلل السير توماس ارنولد ذلك قائلا: ان محمدا (ﷺ) كان كأهل عصره أدرك ان الشعور القبائلي عند العرب يأبى نظام التوارث في الحياة السياسية!!

الدكتور احمد شلبي رد على ذينيك الزعمين بقوله: اما الزعم الاول فإن مرض رسول الله ﷺ لم يكن شديدا الى حد عدم التفكير في امر الخلافة، وقد فكر في اقامة الصلاة، وان الخلافة عنده في امور المسلمين اهم من الصلاة وتركها لا بد ان يكون قد حدث قصدا واما عن الزعم الثاني فعلى فرض صحته فلماذا لم يعين رسول الله ﷺ خلفا له من غير اسرته طالما انه يحترم قواعد النظام القبلي من حيث عدم التوارث في الرياسة ؟!!

والصحيح في ذلك ان الرسول ﷺ، قد ترك الامر قصدا، اذ انه لو اختار للمسلمين خليفة لتردد الناس في خلعه او الخروج عليه ان جاوز الصواب وتعداه، على ان تعيين الخليفة لو تم لما كان حلا حاسما لمشكلة الخلافة، إذ انها ستتجدد عند موت كل خليفة.

ولأهمية امر الخلافة نرى ان الانصار لم ينتظروا حتى يتم تجهيز رسول الله ﷺ ويدفن، وانما خفوا الى السقيفة يتشاورون في الامر، وكان ابو بكر رضي الله عنه خارج المدينة، وحين بلغه وفاة رسول الله ﷺ جاء الى داره مسرعا، فوجد جمعا من المسلمين بين مصدق ومكذب حتى قيل: ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يصدق الخبر وظن ان ذلك اشاعة اشاعها المنافقون، فوقف يخطب الناس متوعدا اصحاب تلك المقالة، فدخل ابو بكر رضي الله عنه الدار ووجد رسول الله ﷺ مسجى ومغطى ببردته فقام بالكشف عن وجهه الشريف الطاهر وقبله وقال رضي الله عنه: «بأبي انت وامي يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا!! اما الموتة التي كتبها ربك عليك فقد ذقتها ولن تذوق بعدها موتة ابدا» وكان في الدار الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يعد الجهاز والكفن ومعه العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما وخرج ابو بكر رضي الله عنه فأسكت عمر ووقف يخطب الناس قائلاً: «من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات» وقرأ الاية الشريفة: **﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾** حينها قال عمر رضي الله عنه: كأني لم اسمع هذه الاية من قبل حتى تلاها ابو بكر فعرفنا ان رسول الله ﷺ مات.

وجاء رجل الى عمر وابي بكر رضي الله عنهما فقال: ان هذا الحي من الانصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوه، فانطلقا الى السقيفة وتبعهما اخرون ووجدوا هناك جمعا من الانصار ومعهم سعد بن عبادة مزملا، لانه كان مريضا في داره فنقلوه الى السقيفة .

ومعلوم في كتب السيرة ان سعد بن عبادة كان سيد قومه الخزرج وانه رغم المرض الذي يعانيه، افتتح خطبة في السقيفة قال فيها: «يا معشر الانصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب، وان محمدا ﷺ لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعو الى عبادة الله وحده وخلع الانداد والاوثان، فما آمن به من قومه الا قليل، وما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله ﷺ، ولا ان ينصروا دينه ولا ان يدفعوا عن انفسهم ضيما حتى اذا اراد الله تعالى بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة فرزقكم الايمان بالله ورسوله والمنع له ولاصحابه، والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه، فكنتم اشد الناس واثقلهم على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب بأمر الله وحتى اثخن الله عز وجل لرسوله بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب، فتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير العين، فاستبدوا بهذا الامر من دون الناس فإنه لكم» يبدو ان الانصار، كانوا قد تشاوروا في الامر ورشح بعضهم سعد بن عبادة للخلافة، فلما قدم عليهم رهط المهاجرين ومعهم عمر وابو بكر وقف واحد من الانصار خطيبا، وقال بعد ان حمد الله تعالى:

«نحن انصار الله وكتيبة الاسلام واهل بلد الهجرة، وانتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم -يعني جاءت جماعة منكم الان- يريدون ان يحتازونا من اصلنا ويغصبونا الامر»، يقول عمر رضي الله عنه: فأعددت ما اقول ردا على الانصار فأسكتني ابو بكر وقام فقال خيرا مما مر في خاطري، وكان مما قاله مخاطبا الانصار: «اما ما ذكرتم فيكم من خبر فأنتم اهل له، اما نحن المهاجرون فأول من عبد الله تعالى في الارض، ونحن اولياء الرسول وعشيرته الذين صبروا معه على شدة اذى قومه وتكذيبهم اياه، وكل الناس مخالف فلم يستوحشوا لقلة عددهم واجماع قومهم عليهم... الى ان قال: ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش، فهم اوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ان شئتم واشار الى عمر وابي عبيدة» فقام واحد من الانصار وهو الحباب بن المنذر

فقال: «منا امير ومنكم امير» وتداركا للأمر وحسما للموقف وقف عمر رضي الله عنه وقال: «هيهات ان يجتمع اثنان في قرن».

ومما يذكره المؤرخون والطبري ان الخزرج ارادت ان تؤمر سعد بن عبادة لكن الاوس عارضوهم وآزروا المهاجرين ويضيف.. انه حين وصل الامر الى هذا الحد ارتفعت الاصوات فوقف عمر واتجه لابي بكر قائلا: «الم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن تصلي بالناس؟ افيأمنك على ديننا ولا نأمنك على دنيانا؟! ابسط يدك ابايعك» فبسطها فبايعه وتبعه المهاجرون ثم الانصار، وكان اسبقهم للمبايعة بشير بن سعد من الاوس ويطلق الفقهاء على هذه البيعة الخاصة.

وفي اليوم التالي اجتمع بقية الصحابة بالمسجد، واجتمع عامة الناس وارتقى ابو بكر المنبر، فاستأذنه عمر ان يتكلم، ثم وقف فاعتذر عما بدر منه في اليوم السابق قائلا: «كنت اظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم باق فينا يدبر امرنا الى اخرنا، وان الله قد ابقى فيكم كتابه الذي ان اعتصمتم به هديتم كما هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان الله قد جمع رأيكم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين اذ هما في الغار.. فقوموا وبايعوه» فبايع الناس ابا بكر رضي الله عنه البيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

بعدها وقف ابو بكر رضي الله عنه على المنبر فقال: «ايها الناس اما بعد فإني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن احسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني، الصدق امانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله».

❖ مزاعم المستشرقين عن خلافة ابي بكر رضي الله عنه:

لقد وردت مزاعم كثيرة من المستشرقين عن تبييت النية لتعيين ابي بكر خليفة، وكما هو حال الكثيرين من اهل الزيغ والباطل، وكثير من اهل الافك والنفاق ومحبي نشر الفتنة في الصف الاسلامي، ونحن نذكر هنا بعض تلك المزاعم والرد عليها بإذن الله تعالى.

يقول توماس ارنولد في كتابه الخلافة ص١٩: «عندما وصلت اخبار موت الرسول الى خيرة اتباعه من السابقين في الاسلام ابي بكر وعمر وابي عبيدة، اتخذوا في الحال عملا حاسما ليضمنوا اسناد الخلافة الى ابي بكر تبعا لخطة لا شك انهم بيتوها عندما توقعوا قرب وفاة الرسول».

وردنا انه بلا ادنى شك هذا الزعم باطل داحض اذ لم يكن موت رسول الله ﷺ واردا او متوقعا عن قريب ولما حدث ذلك كانت صدمة لم يتوقعها المسلمون حتى ان عمر رضي الله عنه الذي يُفترى عليه بأنه احد الثلاثة المتآمرين وقف وسط المحتشدين وهزه الخبر وصدمه، ومما قاله كما جاء في كتاب السيرة لابن هشام: «ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله ﷺ قد توفي وان رسول الله ﷺ والله ما مات، بل ذهب الى ربه كما ذهب موسى ابن عمران، والله ليرجعن رسول الله ولتقطعن ايدي رجال زعموا انه مات» ويقول الشاعر حافظ ابراهيم في قصيدته العمرية بهذا المعنى على لسان عمر رضي الله عنه:

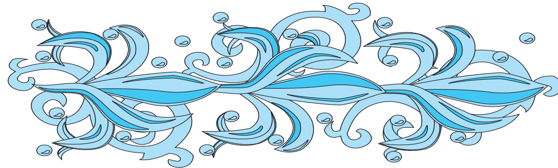
من قال روح المصطفى قبضت

قطعتَ هامته بالسيف أبريها

واما ابو بكر رضي الله عنه فلو كان يتوقع وفاة رسول الله ﷺ وانه بيت الامر مع الاخرين، ما كان يترك بيته الى خارج المدينة، اذ انه حين علم بالخبر سارع الى بيت ابنته ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها!!

لكن ومهما زعم الزاعمون وقال الكاذبون وافترى المفترون، فإن الشمس تسطع رغم انف الكارهين!!

حمى الله الاسلام وأُمة الاسلام وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



١١

سلسلة الأمراء من الهاشميين

بركات الثاني ابن محمد بن بركات الأول

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

الأمير بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، شريف حسني؛ ولد بمكة المكرمة عام ٨٦١هـ / ١٤٥٧م، وقيل[١]: ولد عام ٨٥٨هـ.

قال السخاوي –المتوفى سنة ٩٠٢هـ–: (بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ابن رميثة، السيد زين الدين؛ الحسني المكي، أجلُّ بني أبيه، وأقربهم إلى خلافته، ولد في سنة إحدى وستين وثمانمائة (٨٦١هـ)، وأمه شريفة، ودخل القاهرة في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، وأشركه مع أبيه، ورجع متزايد العز، واستمر يتزايد في الترقي، حتى صار مرجعاً في حل الأمور، وربما سافر لدفع العدو ويرجع مسروراً محبوراً، وقد رأيته غير مرة ومنها في زيارتي – أي لمكة– سنة ثمان وتسعين وثمانمائة (٨٩٨هـ)، وقصدني بمجلس جلوسي، فسلّم عليّ بأدب وسكون، وكان معه حينئذ عجلان وأبو القاسم وعلي من بنيه؛ جمّلهم الله بحياته وحياة أبيه)[٢].

وقال العيدروس –المتوفى سنة ١٠٣٨هـ–: (أمه الشريفة عمرة بنت محمد ابن علي ثقبة، وكنيته أبو زهير، ونشأ في رعاية أبيه أمير الحجاز محمد بن بركات، وتلقى تعليمه على يد عشرات العلماء في مختلف العلوم والفنون، وكان أبوه يشركه في ولاية الحجاز، وينيبه عنه في حالة أسفاره وحروبه، ويرجع إليه في شتى

أموره؛ لما لمس فيه من مخايل الذكاء، وكان مهاباً جليلاً فاضلاً حسن التدبير، ممدوحاً من الشعراء، وخاصة بعد توليه إمرة الحجاز، منهم قاضي القضاة النويري في قصيدة يقول فيها:

السعد جاء إلى الأعيان ينتدب

يا ابن الكرام الذي تسمو به الرتب

يا زينة العقد قد وافتك أربعة

النصر والبشر والإسعاد والأدب

بركات سلطاننا الميمون طالعه

الألمعي الذي ينجح به الطلب[٣].

وقال العصامي -المتوفى ١١١١هـ-: (لم يزل الشريف بركات يتزايد حتى استقل بالملك بعد وفاة والده الشريف محمد سنة ٩٠٣ ثلاث وتسعمائة، وكان السلطان يومئذ محمد بن قايتباي[٤]، وتزايد في الترقي في العلوم والفضائل حتى صار مرجعاً في حل الأمور المشكلات ودفع العدو، كم سافر للأعداء فرجع مسروراً، وبالظفر محبوراً، وقد ترجم له العلامة الشيخ عبد العزيز بن فهد الهاشمي في مؤلف له سماه غاية المرام، بأخبار سلطان البلد الحرام، وساق نسبه في ديباجته، وختمه باستيفاء أخباره وما مدح به.

وملخصه: أنه سمع الحديث بالقاهرة في رحلته الأولى في السنة المذكورة وهي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة (٨٧٨هـ)، وأجازه من عدة من البلدان جملة من المشايخ منهم البرهان البقاعي، والجلال ابن الملقن، وإبراهيم ابن قاضي عجلون، والسخاوي، وخلق كثير، وخرّج له أحد العلماء أربعين حديثاً في فضل أهل البيت النبوي سماها: (غاية الأماني والمسرات بعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات)، وذلك في سنة ست عشرة وتسعمائة (٩١٦هـ)، وكانت الحرب بين هزاع وأخيه بركات سجالاً)[٥].

ولما توفي هزاع نشبت حروب بينه وبين أخيه جازان سنة سبع وتسعمائة (٩٠٧هـ)، وقتل ولده إبراهيم مع جماعة من عسكره، وعاد بركات إلى مكة مريضاً، ثم مات بها ولده عجلان، وفي سنة ثمان وتسعمائة (٩٠٨هـ) توجّه إلى جهة اليمن، وعاد إلى مكة في غيبة جازان عنها، ففرح به أهلها؛ لظلم أخيه جازان فيها، وبذلوا الهمة في مساعدته ونصرته، وحفروا خنادق علو مكة وأسفلها وحاربوا أعداءه من خلفها، وهزم جازان، وتركهم ولم يتبع منهم أحداً، وقتل جماعة من الفريقين وجرح آخرون،

ثم عاد جازان إلى مكة، فتوجه بركات إلى اليمن، فدخل الأعداء مكة وأهانوا أهلها، وآذوهم لمساعدتهم الشريف بركات وحبهم له، فبينما هم كذلك إذ وصلت جماعة من مصر فخرج الأعداء هاربين، فعاد الشريف بركات إلى مكة في شهر ذي القعدة من عام ثمان وتسعمائة (٩٠٨هـ)، ولكنهم قبضوا على الشريف بركات، ووضع في الحديد مع بعض إخوته وجماعة، وانهزم الباقون وحج بهم كذلك، ثم ذهب بهم إلى مصر، فأنكر السلطان الغوري[٦] ترك مكة في أيدي العصاة، وفي ذلك يقول الشاعر يسلي بها الشريف بركات ويحثه على الصبر:

عزيزٌ على بيتِ النبوَّة والمُلك
مقام على ذُل المهانةِ والفَتْكِ

وأعظَم ما يلقَى الكريمُ من الأذَى
على النفْس ما يلقى من الضيْمِ والضنْكِ

وتلكَ لعَمرُ اللهِ أدهَى مصيبةٍ
أصم بها الحاكي عن الحادثِ المحْكِي

لحا الله دهراً لا يدوم سرورهُ
على حالة إلا استحالَت على وشْك

رحَلْتُم فربعُ الأنس ما زال موحشاً
خلياً وستر العزِ أصبَحَ في هتكِ

وغادرتم في الكَربِ جيرانَ طيبةٍ
كذا جيرة البَطحَاءِ والحرم المكي

وأسلمتُمُ كل القلوبِ إلى الأسَى
فهذا الورَى ما بينَ باكٍ ومستبْكِي

ولما استقلت للمسيرِ جمالُكم
وحادى النَّوى يَشكي إلينا بما يشكِي

وسرتُمْ وسار الجودُ يمشي أمامَكُم
وظلت بنو الآمال منْ خلفِكُمْ تبكْي

فصبراً أبا عجلانَ للحادثِ الذي
يَؤُولُ إلى عقبى السلامَةِ والفكَ

وأنت أبا عجلانَ ملء عُيُونِهم
كمالاً وأَهدَاهم إلى الرشدِ والنسكِ

فليسَ لها إلاك كُفءٌ وصاحبٌ
وما زالَتِ العلياءُ مانعةَ الشرك

وإن نالتِ الأعداءُ منكَ بزَعمها
فيا طالما كانَت بما نِلتَه تَحكِي

ورب ابتسام جاءَ من جانبِ البكا
ورُب بكاء جاء من جانبِ الضحكِ

أما في رَسُولِ اللهِ يوسف أسوة
لمثلِكَ محبوساً على الظلمِ والإفكِ

أقام جميلَ الصبرِ في السجنِ بُرهة
فآلَ به الصبرُ الجميلُ إلى الملكِ

فعما قريب يورقُ العودُ بالمنى
وتعبقُ أرجاءُ العلا منكَ بالمسكِ
ويرجعُ باقي العيش حلواً كما مضَى
وتأوي إلى سامِي سَريرك والملكِ

ثم إن الغوري أطلق الشريف بركات من الغل، ورتب له مع جماعته النفقات، ورجع إلى مكة في أواخر سنة تسع وتسعمائة (٩٠٩هـ)، فظفر في طريقه بقاصد أعدائه، وقتل جماعة من الأتراك الشريف جازان، وتولى أمر مكة حميضة، ووصل الشريف بركات وقد وقف الناس بعرفات، وهرب حميضة ودخل بركات مكة، ثم توجه إلى زيارة جده المصطفى ﷺ، ثم قصد جهة الشرق فتزوج بالشريفة غُبيَة بنت حميدان بن شامان الحسيني، وأنجبت السيد الجليل في المجد الأثيل ذي العز والسعد أبي نمي محمد سنة إحدى عشرة وتسعمائة (٩١١هـ).

وارتفع بولادته كل شر منذ ظهر، وتوالت على والده البشائر، وصفت منه عن الأكدار السرائر، وكان والده يمسح على ناصيته ويقول: كنت في أكدار وكروب متوالية، حتى ظهرت لي هذه الناصية، ولم يزل أبو نمي راقياً معارج المجد، مستخدماً للإقبال والعز والسعد، ثم إن الشريف بركات أرسل ولده الشريف أبا نمي إلى القاهرة وصحبته القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي، والقاضي نجم الدين بن يعقوب المالكي وذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة (٩١٨هـ)، فأكرمهم السلطان الغوري وقابلهم بكل جميل، وحكي أن السلطان الغوري وضع أبا نمي في حجره وقال: ما سورتك؟ فأجابه: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾**[٧]، فأعجب الغوري ذلك وتفاءل به، وأشركه مع والده الشريف بركات في نصف ولاية مكة، وهو بذلك السن، فصار يخطب له مع أبيه على منابر الحرمين الشريفين.

وكان رحمه الله شهماً عند الوفاء وحفظ العهود، وإكرام الشعراء والوفود، مع العفة والصيانة، وملازمة الخير والديانة، وإظهار الخيرات، ومواصلة المبرات، أوقف بعض الجهات على أنواع الصلات، وأسكنه الفقراء في حياته، وأقر الله عينه بمشاركة ولده أبي نمي له في الولاية كما شارك هو والده، ثم لما قدر الله

تعالى زوال دولة الغوري، وأفضى ملك مصر والحرمين إلى مولانا السلطان سليم خان، وذلك في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة (٩٢٢هـ) أقر الشريف بركات على ما كان عليه من الولاية، وأبقى أبا نمي على مشاركة والده، فعاد أبو نمي قرير العين، واستمر الشريف بركات مشاركاً له ولده أبو نمي حتى قضى نحبه سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة بمكة الشريفة على فراشه، قال العيردوس - المتوفى سنة ١٠٣٨هـ-: (الشريف بركات والياً على الحجاز حتى وفاته عام ٩٣١هـ[٨] وله من العمر إحدى وسبعين سنة)[٩]، وفي شذرات الذهب أنه توفي سنة ٩٣٠هـ[١٠].

الهوامش:

١ . الأعلام للزركلي ج ٢ / ص ٤٩.

٢ . الضوء اللامع ج ١ / ص ٤٨٤.

٣ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر ج١ /ص ٧٩.

٤ . محمد بن قايتباي الملك الناصر ولد ٨٨٧ هـ/١٤٨٢م وتوفي ٩٠٤ هـ /١٤٩٨م من ملوك دولة الجراكسة في مصر والشام والحجاز، بويع بمصر وأبوه على فراش الموت (سنة ٩٠١ هـ).

٥ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢ / ص ٤٢٩.

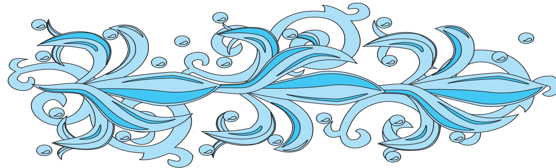
٦ . قانصوه الغوري: الملك الأشرف ولد٨٥٠ هـ/١٤٤٦ وتوفي ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م.

٧ . الفتح ١.

٨ . ٩٣١ هـ- ١٥٢٥ م، أنظر الأعلام للزركلي ج٢ / ص ٤٩.

٩ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيردوس ج ١ / ص ٧٩.

١٠ . شذرات الذهب ابن العماد ٨/ ١٦٤ .



أهمية الأمن والاستقرار في بناء المجتمع السليم في الإسلام

■ بقلم الأستاذ عبدالله محمد أبو زيد

لقد اعتنى الإسلام بأمن الإنسان واطمئنانه وسعادته، فردا وجماعة حيث أقامت الشريعة الإسلامية العدل والمساواة واحترام حقوق الإنسان، فأخرجت هذه الشريعة الغراء خير امة أخرجت للناس.

والأمن نقيض الخوف؛ وهو اطمئنان في القلب يظهر أثره على الجوارح من الاستقرار والسكينة.

إن الذي يمعن النظر في شريعتنا الإسلامية يجد أنها رسخت مبادئ ومستلزمات الأمن بمفهومه الشامل، فحققت للإنسان سعادته ضمن إطار الأمن والاستقرار لتحقيق العبودية لخالقه، وليس غريبا أن يرد في كتاب الله تعالى ما يزيد عن خمسين آية تتحدث عن قضية الأمن.

يقول الإمام الغزالي(1): إن مقصود الشرع من الخلق خمسة؛ فكل ما يتضمن هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة، وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي اقوى المراتب في المصالح، وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها، يستحيل ان لا تشتمل عليه ملة من الملل، و شريعة من الشرائع؛ التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم

الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر.

ان المجتمع الذي يقيم دين الله تعالى، ويفتح أبواب الخير، ويغلق أبواب الإثم والعدوان، إنه مجتمع فاضل، مؤمن بالله تعالى، شاكر لأنعمه، مستقيم في سلوكه ونهجه.

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا أيام أبي بكر رضي الله عنه، وبعد مدة طلب إعفاءه من القضاء، قائلاً: ليس لي حاجة بالقضاء عند قوم مؤمنين، لقد عرف كل منهم ما له؛ فلم يطلب أكثر منه، وعرف كل منهم ما عليه؛ فلم يقصر في أدائه، إذا مرض احدهم زاروه، وإذا غاب احدهم تفقدوه، واذا احتاج احدهم أعانوه، وإذا أصيب واسوه، دينهم النصيحة، خلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيم يختصمون؟ فالإيمان الصادق ثمرته الأمن الفردي والجماعي، والسلام الدولي الذي تتمناه البشرية كلها هذه الأيام.

إن المجتمع الذي لا يأمن الإنسان فيه على نفسه وبيته وأولاده ومصدر رزقه، لا تستطيع الكلمات أن تصف ما عليه ذلك المجتمع؛ من معاناة وخوف، وقلق، ورعب.

لقد كرم الله تعالى الإنسان، وجعل لماله وممتلكاته حرمة، بل أكد رب العزة والجلال في كتابه الكريم الملكية الفردية لهذا الإنسان؛ لتحقيق الاقتصاد الآمن، وليبقى المال ناميا مثمرا نافعا للأجيال المتعاقبة؛ قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾**(٢) وقال تعالى: **﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾**(٣)، وزيادة على هذه الملكية وحرمتها هناك تشريعات لحفظها، فقد حرمت شريعة الإسلام السرقة والسلب والاحتيال والحرابة، وجميع أشكال الكسب الحرام؛ التي تفسد بنيان المجتمع الاقتصادي، وتهدد كيانه، كما أن الشريعة الإسلامية فتحت السبل لكسب الحلال؛ واجتناب المال الحرام: وذلك للأفعال الآتية:

الحرص على اكتساب الحلال: لقد حذرنا الرسول ﷺ من الوقوع في سبل الكسب المحرم، فقال ﷺ: «من غشنا فليس منا»(٤)، ويقول ابن القيم: «يأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة، وأداء

الأمـانة، والصـدق، والنصح في الأقـوال والأعـمال، وينهى عن الخـيانة، وتطفيف المكيـال والميـزان، والغش في الصناعـات والبـيـاعـات، ويتـفـقـد أحـوال المكاييل والموازين، وأحـوال الصناع الذين يصنعـون الأطعـمـة والملابس فـيـمنعـهم من صناعـة المحرم على الإطلاق.

تشجيع العمل والإنتاج: اوجب الإسلام العـمل وشـجـع عليـه، وهو من أهم وسـائل الكسب والأمن الاجـتـمـاعـي، يقـول الله تعـالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾**[٥].

اسـتـغـلال الأرض: تضم الأرض مـسـتلزمـات الإنتـاج الزراعي والصناعي والثـروات الطبـيـعـيـة، فـالزراعـة مـجـالها الإنتـاج الغـذائي والخـيـرات الكثـيـرة، قـال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ❖ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٦].

❖ الأمن والتنمية الاجتماعية:

الأمن الاجـتـمـاعـي هـو الأمن المتـعـلق بالإنسـان، فـردا وجـمـاعـة، ولقـد اهتم الإسـلام بتـحـقيق الأمن الاجتمـاعي ليقـوم الإنسان بخـدمة مجتـمعه، بأقـصى جهد ممكن، حـيث تتكامل جـهـود أفـراده في جميع المجـالات، فيؤدي كل فـرد منهم دورا متميزا مبدعا.

إن الأمن الاجتمـاعي لا يمكن تحـقيقه من خـلال الفـرد فقـط، بل لا بد مـن تعـاون الجـمـيع، والمسـاهـمـة الفـاعلة في جـمـيع الميـادين، ولا بد من وجـود منهج سليم، يحـقق الأمن الاجـتمـاعي، ويصـونه من كل ضلال.

ولقد سعت الشـريعة الإسـلامية لتـحقيق الأمن الاجتماعي من خلال ما يلي:

١. حماية الإنسان وتحريم الاعتداء عليه.

٢. تحرير عقل الإنسان وفتح الآفاق أمامه للتفكر.

٣. إرشاد الإنسان لما يحقق أمنه الشامل.

٤. إقامة التوازن بين المادة والروح.

❖ آثار الأمن والاستقرار في معالجة التطرف:

إن الإيمان بالله تعالى النابع من العقيدة السليمة، يثمر امنا ينعم المجتمع به، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٧)، والحياة الطيبة هي حياة آمنة مستقرة، تتحقق في ظل الإيمان، حيث ينعم المجتمع بالمحبة والسلام والأمان، بعيدا عن التطرف والغلو والإيذاء، ولا شك أن الحرية المسؤولة تمنع القهر والكبت، وان تشجيع التسامح والمحبة يورث المودة والأخوة، ويفتح مجالات للحوار والتعددية، وحل المشكلات فيسود العدل والمساواة، ويزول شبح الظلم والاستبداد وأشكال الفساد، التي تدفع المجتمع إلى الغلو والانهيار والهلاك، والإيمان يورث الصبر وتحمل الشدائد، وعدم اليأس، ويجعل الإنسان بعيدا عن الشطط والانحراف.

ويحكى عن يزدجرد بن شهريار آخر ملوك العجم انه بعث رسولا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمره أن ينظر في شماله، فلما دخل المدينة، فقال: أين ملككم؟ فقالوا: ليس لنا ملك لنا أمير، خرج برا! فخرج له الرجل في أثره، فوجده نائما في الشمس، والدرة تحت رأسه، وقد عرق جنبه، حتى ابتلت منه الأرض ! فلما رآه على حالته، قال: «عدلت فأمنت، فنمت، وصاحبنا جار، فخاف فسهر، اشهد ان الدين دينكم، ولولا اني رسول لأسلمت، وسأعود بإذن الله تعالى» لقد صارت كلمته حديث الألسنة، وأصبحت شعرا يردده الناس:

أمنت لما أقمت العدل بينهم

فنمت نوم قرير العين هانيها

❖ الأردن ونعمة الاستقرار:

يموج غالب العالم بالفتن والاضطرابات وتجتاحه الحروب والمجاعات، وتتهدد الإنسانية فيه مخاوف الجوع واليأس والقلق، بينما تعيش المملكة الأردنية الهاشمية في امن واستقرار وتقدم والحمد الله، يشهد به كل منصف، ولكن يبقى السؤال الكبير، وهو: كيف نحافظ على نعمة الأمن والاستقرار التي نعيشها؟ والتي

يحاول الحاقدون والحاسدون سلبنا إياها؟

هناك متطلبات لا بد منها للمحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في هذا البلد المبارك والتي من أهمها:

أولا: السمع والطاعة لولي الأمر في المعروف، فقد تواترت النصوص القطعية من الكتاب والسنة على تأكيد وضرورة طاعة ولي الأمر في المعروف ولزومها، والسبب في ذلك كما يقول الإمام النووي(٨): اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(٩).

ولا شك أن هذا الامتثال لأوامر الله من أعظم الأدلة على عبودية الإنسان لله وخضوعه وإيمانه به ربا وإلها واحدا، فبطاعة ولي الأمر في المعروف تنتظم أمور الدولة وأحوالها كلها، وبالطاعة لولي الأمر تتماسك الأمة، وتتحد كلمتها، وتقوى الصلة بين أفرادها وبطاعة ولي الأمر يعم الأمن والاستقرار في ربوع الوطن، وتتفرغ الأمة للبناء والتعمير، وتحقق أهدافها التنموية لبناء الإنسان.

ثانيا: قيام الأسرة بواجبها في تربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة وتوجيههم التوجيه السليم.

ثالثا: التماسك والتعاون على البر والتقوى بين المواطنين، والابتعاد عن النزاع والتمزق والانقسام.

رابعا: شكر النعمة فبالشكر تدوم النعم، ويتمثل ذلك في شكر المنعم جل وعلا ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ**﴾(١٠) ثم شكر ولي الأمر الذي وفقه الله وحقق تلك النعم على يديه، والنعمة تستوجب أن نتحدث بالشكر عنها، ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾(١١)، ومن لم يشكر على القليل لم يشكر على الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر.

خامسا: قيام العلماء والمثقفين بواجبهم في ملء الفراغ الذهني لدى بعض الشباب، بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير.

سادسا: قيام المواطنين بواجبهم في المحافظة على الأمن، على الوجه الأكمل، فنعمة الأمن التي نعيشها ليست لمواطن،

إنما هي نعمة للجميع، ومن هنا وجب على كل مواطن أن يؤدي واجبه، ويبذل جهده للمحافظة على استقرار بلده وتقدمه ورخائه، فعلى الفلاح في مزرعته، وعلى التاجر في تجارته، وعلى المعلم في مدرسته وعلى الطالب في جامعته أو مدرسته أن يكون كل منهم رجل امن.

سابعا: سد وقت الفراغ لدى الطلاب، ومحاربة انتشار البطالة بين أفراد المجتمع.

ثامنا: تعميق الانتماء الوطني لدى المواطن الأردني، وتبصيره بواجباته الوطنية، والتحلي بمقومات المواطنة الصالحة في ضوء تعاليم الإسلام.

تاسعا: المحافظة على طهر مجتمعنا وصيانته من انتشار الأخلاق الذميمة فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١- المستصفى من علم الأصول للغزالي ٢٨٧/١ - ٢٨٨ بتصرف يسير.

٢- سورة المنافقون ٩ .

٣- سورة البقرة ١٨٨ .

٤- مسلم: كتاب الايمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا».

٥- سورة الملك ١٥ .

٦- سورة النحل ١٠-١١ .

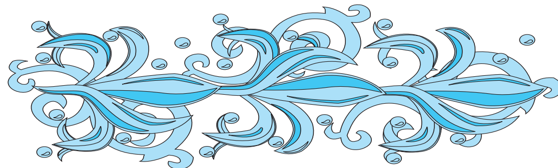
٧- سورة النحل.

٨- شرح صحيح مسلم ٢٢٥/١٢ .

٩- سورة النساء ٥٩ .

١٠ سورة النحل ٥٣ .

١١- سورة الضحى ١١ .



رفاعة الطهطاوي وجذور التغريب

■ بقلم الاستاذ سمير أحمد الشريف

يمثل رفاعة الطهطاوي الذي عاش في باريس بين ١٨٢٦-١٨٣١رسولا للنهضة الغربية التي نقلها من مظانها في أوروبا وسربها للفكر الإسلامي المعاصر، على اعتبار انه واحد من أوائل المبعوثين لتحقيق شروط النهضة وتجسير الهوة بين الحضارة العربية والغربية، يبرز ذلك بوضوح فيما أحدثته عودة الطهطاوي إلى مصر ومباشرته لكثير من التغييرات التي ظنها توصل العالم العربي بقيادة مصر لشطآن الحضارة الغربية، من خلال المراكز القيادية التي احتلها، والكتب التي ألفها وترجمها.

بعد عودته من باريس، نسمع وللمرة الأولى كلاما عن الوطنية الضيقة، وعن تاريخ مصر قبل الإسلام وتأكيدا على شخصيتها الاعتبارية المستقلة !! كما نقرأ وللمرة الأولى على لسان رفاعة كلاما عن الحرية، ونتعرف على النظم الاقتصادية الغربية مكتوبة بلغة تنضح إعجابا.

يؤلف الطهطاوي كتابا في باريس سماه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، يعرضه على أستاذه الفرنسي قبل نشره!!، ويؤلف كتابا سماه "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" وكتاب "المرشد الأمين للبنات والبنين"، وهو في هذه الكتب جميعا، يعكس إعجابه بالحضارة الغربية وعمله على ضرورة اقتداء المسلمين بها.

يتحدث عن الأحكام والمعاملات العصرية بقوله: ".. إن الحالة الراهنة اقتضت أن تكون الأقضية والأحكام على

وفق معاملات العصر، بما حدث فيها من المتفرعات، بتنوع الأخذ والعطاء من أمم الأنام" ص٣٨٧، مناهج الألباب.

كما أورد كلاما خطيرا في كتابه "المرشد الأمين.." ضمن حديثه عن تمدن الوطن، فذهب إلى أن المدنية الأوروبية الحديثة، تقوم على العقل، ولهذا حققت نفس النتائج التي تهدي إليها مدنية الدين، يقول ص١٢٤: "ومن زاول علم أصول الفقه، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التي وصلت عقول أهالي باقي الأمم المتمدنة إليها، وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم، قلَّ أن تخرج عن تلك الأصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية التي عليها مدار المعاملات فيما يسمى عندنا بعلم أصول الفقه، يشبه ما يسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية، وهو عبارة عن قواعد عقلية تحسينا وتقبيحا، يؤسسون عليها أحكام المدنية وما نسميه بالعدل والإحسان، يعبّرون عنه بالحرية والتسوية وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين، مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة، يسمونه محبة الوطن".

ألا تعتبر هذه الاقتباسات وغيرها مما حوته كتب "رفاعة"، تمهيدا منه لتقبل التشريعات الوضعية التي تستند للعقل وتلمح إلى إدارة الظهر لكل ما هو روحي؟

ها هو يبدي إعجابه بالمسرح الفرنسي الذي لم يوفق بإيجاد تسمية عربية له، فأعطاه نفس لفظه الفرنسي (التياترو)، لاحظ شدة إعجابه بهذا المسرح الذي أفاض في وصفه في كتابه "تلخيص" ص١٦٦: ".. ومن العجائب أنهم يقولون مسائل في العلوم الغربية والمسائل المشكلة، ويتعمقون في ذلك وقت اللعب.. وبالجملة (فالتياترو) عندهم كالمدرسة العامة، يتعلم فيها العالم والجاهل".

ليس هذا حسب، بل نراه في مصدره السابق يضع بذور الفكر الذي تبناه "قاسم أمين"!! بدعوى تحرير المرأة، مؤكدا أن الطلاق لدى الفرنسيين، لا يتم إلا بإقامة دعوى الزنى أمام المحاكم، وأن اختلاط

الرجال بالنساء، لن يكون مدعاة للفساد أو ترخصا في العرض، يقول ص١٢٢": ولا يُظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا غرض لهم في ذلك لأنهم وإن فقدوا الغيرة، لكنهم إذا علموا عليهن شيئا، كانوا شرّ الناس عليهن وعلى أنفسهم وعلى من خانهم في نسائهم، غاية الأمر أن يخطئون في تسليم القياد للنساء، وان كانت المحصنات لا يُخشى عليهن شيء.. إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء، لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره"!!

وللطهطاوي رأي في مراقصة الرجال للنساء، وهو يدافع عن "الباليه" معتبرا أن الرقص فن من الفنون، وليس بخارج عن قوانين الحياء، هذا الرقص نمط مخصوص لا يُشتمّ منه رائحة العهر، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها" ص١٦٨.

يشيد "الطهطاوي" بفضل الخديوي "إسماعيل" الذي ساوى بين الأولاد والبنات في التعليم، ولم يجعل العلم كالإرث، للذكر مثل حظ الانثيين!! وبهذا يكون من مزايا تعليم المرأة انه يمكّنها أن تتعاطى الأشغال والأعمال، مما يتعاطاه الرجال، على قدر طاقتها وقوتها، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، حيث إن فراغ أيديهن عن العمل، يُشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل إذا يصون المرأة عما لا يليق بها، ويقربها من الفضيلة" ص٦٦ "المرشد الأمين".

نترك للنصوص أن تترجم فضاءاتها ونتساءل، إن كان إبتعاث الطهطاوي سببا رئيسا في زعزعة قيمه التي نشأ عليها وتفضيله للجانب التحرري العقلي على الجوانب التي تلتزم الوسطية والمصلحة العامة والعقلانية الناضجة التي تلبي نداء الفطرة؟ هل يمكن اعتبار "الطهطاوي" رسولا للتغريب، وأنه مكّن للحضارة العربية الإسلامية أن تدخل في طور عقلاني تنويري جديد، مهد الطريق لكل التغييرات التي أحدثها فيما بعد "محمد عبده، وجمال الدين، واحمد لطفي السيد، وطه حسين" وغيرهم كثير؟ هل نعتبر هذه

البدايات ركائز، اعتمد عليها المستشرقون أمثال "جب وكرومر" لهندسة ما ستؤول إليه قابلات الأيام ممن نشهد إرهاصاته حاليا؟.

لنترك جانبا ما خطه "الطهطاوي" ونتوقف أمام ما كتبه المستشرق الأمريكي اليهودي المعاصر "برنارد لويس" الذي كتب أقواله عام ١٩٦٦، ولنر كم كان الرجل منصفا، وهو الذي ما قصّر في طعنه وتشويهه، لحضارتنا، خادما في أغلب ما كتب لنصرة قضايا عدونا.

في كتابه "الغرب والشرق الأوسط" ترجمة "نبيل صبحي" يقول "برنارد لويس": ظهرت فكرة، الفكرة الوطنية في مصر على يد "الطهطاوي"، بعدما عاش خمس سنوات في باريس، وكان ذلك في أواسط القرن التاسع عشر ص١١٦، إن حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨، كانت أول شرارة في طريق التغريب ص٤٤، في فترة قرن ونصف القرن من السيطرة الأنجلو - فرنسية في الشرق الأوسط، مضافة إلى الفترة الأطول من تأثير التغريب في تركيا، احدث هذا التأثير والسيطرة تغييرات واسعة عميقة،غير قابلة للعودة إلى الوراء، على مختلف مستويات الوجود الاجتماعي، ومن الطبيعي أن تكون أسباب هذه التغييرات نتيجة لأعمال الحكام الغربيين الذين كان أكثرهم يمثلون المحافظة والحذر في سياستهم، إلا أن أكثر التغييرات الجذرية العنيفة التي حدثت، قام بها متغربو الشرق الأوسط من حكامه الشرقيين، بعزم وشجاعة ص٤٨ .

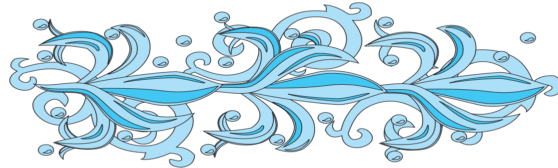
والتغريب الذي كان من عمل الغربيين، بل كان أكثره من عمل المتغربين من أبناء الشرق، جاء بتغييرات يُشك كثيرا في قيمتها، أول هذه التغييرات، الانحلال السياسي الذي أدى إلى تفتيت المنطقة وتجزئتها، وبضياع الشرعية والولاء، خسر أهل الشرق الأوسط هويتهم الواحدة، وصاحب نسف وانهيار النظام السياسي، انحلال اجتماعي وثقافي مواز له، ثم دُمرت الأساليب القديمة وسُخر منها ومن القيم القديمة، وقام محلها مجموعة من المؤسسات والقوانين والمقاييس الوضعية

المستوردة، والتي بقيت لمدة طويلة،غريبة عن أحاسيس وآمال المسلمين في الشرق الأوسط، بالإضافة لكونها تافهة!!! بالنسبة لحاجتهم ص٦١-٦٢ .

أما مَن نشر فكرة الوطنية بعد أن التقطها من "رفاعة الطهطاوي" فهو"سليم النقاش" الذي أطلق شعار "مصر للمصريين"، ثم عممها من بعده اليهودي "أبو نظارة" وتوسع في نشرها من بعد "بطرس البستاني" وكان هناك المثقفون العرب النصارى في بيروت وجبل لبنان، حيث لاقت فكرة الوطنية لديه صدى وردة فعل ص١٢٠-١٢٢.

حديثا تتوقف الكاتبة الأمريكية "فرانسيس ستونر" في كتابها "الحرب الباردة" معلقة على الثقافة وأهميتها في تغيير السلوك بقولها: ص١٧، "المستشرق الفرنسي ورجل الحرب "بونابرت" كان متنبها لأهمية الثقافة في تغيير السلوك، إذ نراه بعد أن يغادر مصر في العام التالي للحملة الفرنسية، يرسل إلى خليفته "كليبر" يطلب منه انتقاء حوالي خمسمئة من الصفوة الاجتماعية في مصر وإرسالهم إلى باريس للبقاء فترة، يتعرفون خلالها على الحياة الثقافية في فرنسا، يعودون بعدها محملين بهذه الثقافة، ويعملون على نشرها، فكرا وسلوكا فيتم الاستيعاب والتوحد، وتزول مشاعر الغربة والاغتراب.

ما رأي من يعتقدون بأهمية الحملة الفرنسية للعالم العربي ودورها التنويري، بل ما قول من يرون في الطهطاوي رسولا للنهضة؟



بين الإعجاز العلمي في القران بشكل واضح

زلزال تشيلي يغير اتجاه محور دوران الأرض ويقصر مدة اليوم الأرضي

■ بقلم الفلكي الاستاذ عماد مجاهد

توصل علماء الفلك في وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" إلى أن زلزال تشيلي الأخير الذي وقع مؤخراً وحصد أرواح مئات الآلاف وبلغت قوته ٨.٨ درجة بحسب مقياس ريختر، قد أدى إلى تغير اتجاه محور دوران الأرض وهو الخط الوهمي الذي تدور حوله الأرض أثناء دورانها حول نفسها وينشأ عنها تعاقب الليل والنهار، حيث انتقل اتجاهه في السماء عن موقعه السابق مقدار ثمانية سنتمترات، وتقصير مدة اليوم الأرضي المعروفة مدته وهي حوالي ٢٤ ساعة إلا أربعة دقائق وبضع ثوان وكسور الثانية؛ بسبب تغير موقع الصخور في باطن الأرض.

لذلك أصبح لزاما على الجهات الفلكية العالمية أن تعمل على تقصير مدة اليوم الأرضي بما يعادل ٢٦.١ ميكروثانية منذ وقوع الزلزال، وللعلم فإن الميكروثانية تعادل جزء من مليون جزء من الثانية الواحدة،

ومع ان العامة يرون أن هذه المدة الزمنية القصيرة جدا غير مهمة، لكن الفلكيين وأجهزة القياس الفلكية تعتبرها مهمة للغاية خاصة مع تعدد حدوث الزلازل الكبيرة على مدار العام، والتي يصل

عددها إلى عشرة زلازل كل قرن تقريبا بحسب إحصاءات مراكز الرصد الزلزالي العالمية.

وكانت الأرض قد تعرضت لزلزال مدمر في المحيط الهندي سنة ٢٠٠٤ وأدى إلى حدوث مد عالي في المحيط -تسونامي- أدى إلى مقتل أكثر من نصف مليون شخص وتدمير عدد كبير من المدن والقرى في السواحل الجنوبية الشرقية من آسيا وتحديدا اندونيسيا. وكانت نتيجته تقصير مدة دوران الأرض آنذاك ٨.٦ مايكرو ثانية.

وكان الفلكيون قد عملوا على تقصير مدة اليوم الأرضي ٢٤ مرة منذ سنة ١٩٧٢ وحتى ٢٠٠٨ حتى وصل الفارق إلى ثانية واحدة، وبحسب هذه الآلية فان الفارق يصل إلى ساعة واحدة أي سيكون مدة اليوم الأرضي ٢٣ ساعة بعد ٥٠٤٠ سنة من الآن!

إن المراصد الفلكية العالمية تحدد الوقت بدقة بالغة في السماء من خلال حركة النجوم الظاهرة في السماء وشروقها وغروبها، ويعتبر مرصد جرينتش الوطني في بريطانيا المرجع الدولي في تحديد الوقت، وأي تغير في مدة اليوم لأي سبب كان يمكنه رصدها وتحديدها بدقة متناهية، وعلى الرغم من أن التكنولوجيا الحديثة قد صنعت ساعات فائقة الدقة مثل الساعة الهيدروجينية والساعة الذرية، حيث تصل نسبة الخطأ فيها إلى حوالي جزء من ألف جزء من الثانية في العام الواحد فقط.

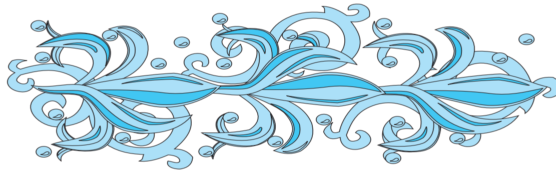
إن كل الساعات المتقدمة والحديثة رغم دقتها العالية، إلا انه لا يمكن اعتبارها مرجعا لعلماء الفلك في قياس الزمن والوقت، خاصة مع التطور العلمي والتكنولوجي الذي تشهده البشرية في العصر الحالي، لذلك فإن البشر بحاجة ماسة لرصد نجوم السماء بشكل دائم لتحديد الزمن والوقت مهما تطورنا علميا وتكنولوجيا.

وردت في القران الكريم آيات عدة تشير إلى أهمية النجوم في الاهتداء وقياس الزمن، حيث يقول تعالى: **﴿وهو**

الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ الأنعام: ٩٧، ويقول تعالى: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾** النحل: ١٦.

إن هذه الآيات الكريمة تدل بشكل لا يدعو للشك أبدا، أن الله خلق النجوم -وكذلك جميع الأجرام السماوية- للاهتداء بها وتحديد الوقت بغض النظر عن التطور العلمي والتكنولوجي، إذ يحتاجها الإنسان لمعرفة وتحديد الأوقات في كل العصور والأزمان، فقد استخدم الفراعنة النجوم لتحديد وقت فيضان نهر النيل، واستخدمها العرب لتحديد مواعيد الزراعة والحصاد والتنقل والسفر في البر والبحر وغير ذلك من الأمور.

إن هذا يدل على إعجاز هذه الآيات القرآنية وان البشر بحاجة للنجوم في كل الأزمان وبغض النظر عن تطورهم العلمي والتكنولوجي، وهذا رد واضح على أولئك الذين يعتقدون أننا لم نعد بحاجة للنجوم، وان المقصود بالآيات يخص فترة نزول القران الكريم، وهو اعتقاد خاطئ ولا يمت لحقيقة القران وعظمته بصلة.



أهل الفجر
في ذمة الله وجواره

■ بقلم الاستاذ نور الدين محمد الخالدي

إن النظرة المادية للحياة لتعطي صورًا عظيمة لكل معنى تتحدث عنه، وتحيط بصاحبها في أفق ضيّق لم يتجاوز الخلود إلى هذه الأرض واتباع الهوى.

وفي سؤال يعرض على أهل تلك النظرات: بأي شيء يبدأ المرء يومه الجديد، بعد أن ودع أمسه الماضي؟ فإذا الجواب يأتيك وقد حاول أن يستوعب كل ما للدنيا من مطالب، بأن يبدأ يومه بموعد جديد مع العمل الدؤوب والجهد المضاعف في وظيفته أو تجارته.. وبأن يبدأه بابتسامة عريضة أمام هذه الدنيا ومطالبها، وبأن يبدأه بتسريح شعره، وتنميق هندامه، وتنظيم مركبه ومكتبه.

وهكذا تسمعه متجاوزًا ذلك الجواب أسمى المعاني، وأعلى المطالب، متجاوزًا تلك الدقائق الغالية، التي يقفها المؤمن بين يدي ربه عز وجل، وقد فزع إليها أول ما استيقظ في يومه الجديد.

ولا عجب، أن تنسى أو تتناسى تلك النظرات المادية هذه الدقائق الثمينة، وتحذفها من سجل الأعمال اليومية؛ لأنها لم تعش حلاوتها، ولم تتذوق لذتها، ورضيت أن تعيش مختومة السمع والفؤاد.

أما أولئك رجال الفجر، وأهل صلاة الفجر، أولئك الذين ما إن سمعوا النداء يدوي، الله أكبر، الله أكبر، الصلاة خير من النوم، فهم الذين هبّوا وفزعوا وإن

طاب المنام، وتركوا الفرش وإن كانت وثيرًا، ملبين النداء، فخرج الواحد منهم إلى بيت من بيوت الله تعالى وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا» فما ظنكم بمن خرج لله في ذلك الوقت، لم تخرجه دنيا يصيبها، ولا أموال يجنيها، أليس هو أقرب إلى الإجابة، في السعادة يعيشها حين لا ينفك النور عنه طرفة عين.

إن أهل الفجر لهم ثناء جميل، ولكنه ثناء أعظم وأجل، مسطر في رق منشور، ثناء تكلم به الجبار جل جلاله، وحسبك بثناء من عند الله تعالى، الذي لا يزين مدحه إلا هو، ولا يشين ذمه إلا هو، قال تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾**، وقال سبحانه: **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾**، وقرآن الفجر: صلاة الفجر.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «تجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر»، وفي الصحيحين أن النبي قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون».

وإن أهل الفجر تكون صلاتهم لهم ستارًا من النار، وسبيلاً إلى جنات نعيم.. ففي صحيح مسلم من حديث عمار بن رؤيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من صلى البَرْدين دخل الجنة»، والبردان: الفجر والعصر.

وأهل الفجر لهم وعد صادق بأن يروا ربهم عز وجل، ففي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» يعني صلاة العصر والفجر ثم قرأ: **﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾**.

وأهل الفجر تضاعف لهم أجورهم بأن يكونوا كمن قام الليل كله، ففي صحيح

مسلم من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله».

وأهل الفجر في ذمة الله تعالى وجواره، فما ظنكم بمن كان في جوار الله تعالى، وأنتم ترون الناس يطمئنون ويأمنون أشد الأمن حين يكون أحدهم في جوار عظيم من عظماء الدنيا، فمن كان في جوار الله لهو أشد أمانًا واطمئنانًا.

ففي صحيح مسلم من حديث جُندَب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم».

وإن أهل الفجر لما لم تمنعهم ظلمة الليل من أن يمشوا فيها إلى بيوت الله تعالى كان من جزائهم أن يسيروا في نور تام يوم القيامة، فعند أبي داود والترمذي من حديث بريدة الأسلمي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

وعند الدارمي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من مشى في ظلمة ليل إلى صلاة آتاه الله نورًا يوم القيامة».

صلاة الفجر لا يشهدها إلا صفوة الناس، لذلك كانت أشدّ صلاة على المنافقين، كما قال ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا» رواه البخاري.

وعند الدارمي من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صلى صلاة الصبح ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا، فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا -لنفر من المنافقين لم يشهدوا الصلاة- فقال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلاة على المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا».

ولذلك كانت صلاة الفجر عند الصحابة مقياساً يزنون به الناس، ففي صحيح ابن خزيمة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن».

وبعد هذا، فماذا يقول ذلك الذي آثر فراشه معرضًا عن نداء ربه عز وجل؟! ماذا يقول وقد فوّت على نفسه ذلك الفضل العظيم؟!.

فهلا عزمت من ساعة هذه أن تكون ضمن الركب المبارك، أهل الفجر، لتحظى بفضائلهم، ولتنال رضى الله الكريم.

سلبيات بعض العادات الاجتماعية

■ بقلم الاستاذ حسن ابراهيم كريرة

السعادة والفرح والسرور شيء جميل في حياة الإنسان.. ذلك انه ما من سعادة وفرح وسرور، إلا بفضل من الله سبحانه تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾، استذكر في هذا المقام كيف عبر الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه عن فرحته بتوبة الله تعالى عليه، وهو من الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، إذ فور سماعه بتوبة الله تعالى عليه خر ساجدا شكرا لله عز وجل، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ وجلس بين يديه، فقال كعب معبرا ومحتفلا بفرحته الكبرى تلك: يا نبي الله إن من توبتي أن لا أُحدِّث إلا صدقا وإني أتخلَّع من مالي كلِه صدقة لله سبحانه وتعالى والى رسوله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «امسك بعض مالك..».

إن الفرح والاحتفال بحدوث نعمة وتحقيق بُغية مشروع في ديننا الحنيف، والأصل أن يعبر الإنسان عن فرحه وسروره ضمن ضوابط الشرع، دون إحداث معصية أو إيذاء للآخرين، مراعين ما أوجبت الشريعة الغراء حفظه من الضرورات الخمس: «الدين، النفس، العقل، العرض، المال»، دون مخيلة ولا إسراف ولا تبذير، إلا أننا نعيش أمام ممارسات وتصرفات ترافق بعض المناسبات والأفراح وحفلات الزواج أو التخرج الجامعي أو نتائج الثانوية العامة تضر بالآخرين، فضلا عن أنها تضر بالمصلحة العامة، ولنذكر بعضا منها ليس من باب ذكر السلبيات، وإنما من اجل أن نعالج واقعنا، وحتى نرقى بأنفسنا وننال السعادة في الدارين.

نجد في بعض الأفراح ذلك «الصيوان» الذي بنيَ في الطريق العام وأغلقه، ولا يأبه من بناه بنتائج ذلك باعتبار أن هذا الطريق طريق عام يستخدمه الآخرون حتى وان كان فرعياً، فيغلق الطريق ليوم أو ليومين أو لثلاثة، فرحاً بالعريس أو حزنا على المتوفى! ولكن كيف يفرح الناس على حساب إغلاق طريق عام دون وصول الخدمة لمن يقطن فيه؟ وهل يرضى ذلك المتوفى بما فعله أهله؟ ألم يسمع هؤلاء بحديث النبي ﷺ: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم».

والأغرب من ذلك ما يتم وضعه في بعض حفلات الأعراس وفي تلك «الصواوين» من مكبرات صوت تستمر إلى ما بعد منتصف الليل بل إلى قريب الفجر أحيانا، دون مراعاة لطفل صغير أو مريض يتألم أو شيخ كبير، كل منهم ينشد الراحة ويبحث عن إغفاءة فلا يجدها، ألم يسمع هؤلاء قولَ الله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾**.

والعجيب ما يتم في أفراح وأعراس ومناسبات التخرج الجامعي وعند نتائج الثانوية العامة من إطلاق للعيارات النارية، غيرُ آبه ذلك الذي يطلق تلك الرصاصات من سلاح فتاك وغيرُ مدرك أن هذه الرصاصةَ العمياء التي أطلقت في السماء، ستعود إلى الأرض ولكن عند عودتها على من ستعود وعلى من ستجني؟ وكم من فرح تحول إلى ترح وعزاء نتيجة تلك التصرفات الطائشة غير المسؤولة؟ الم يدرك هؤلاء الحكمة من وراء نهي وتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من أن يشير الإنسان إلى أخيه الإنسان بحديدة كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها وان كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم والترمذي.

وكما أننا نعيش هذه الأيام أمام ممارسة جديدة في مناسبات الأفراح وحفلات الأعراس وهي الألعاب النارية التي يطلقها البعض وبذلك الصوت الذي يروع الصغار والكبار وفي أوقات متأخرة من الليل.

وكم هو محزن ذلك الموقف في إحدى المستشفيات، إذ بطفل صغير قد أحرقته الألعاب النارية التي أطلقها عمه فشوهت وجهه وكادت تعميَ عينيه، والطفل لا ينفك عن البكاء والصياح وبمرارة، وعندما حضر عم ذلك الطفل لزيارة ابن أخيه والاطمئنان عليه، فإذا بالطفل الصغير المشوه يقول لعمه: لماذا فعلت هذا بي يا

عم وما الذي فعلته لك يا عم؟ أرجع لي الرؤيا في عينيّ ولن احضر ذلك العرس وسأبقى جالساً في البيت..

إنها أحوال مؤلمة نعيشها في حياتنا نتيجة عدم التمعن او التفكر فيما نتصرف، يا حبذا لو وعينا قول النبي ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يروع مسلما» وفي رواية «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلماً» رواه الطبراني.

وفي عادة سلبية وأمام تصرف شائع بعيد كل البعد عن آداب الطريق، حيث مواكب الأفراح أو التخرج الجامعي أو النجاح حيث تغلق المركبات الطرق غير آبهة بمن على الطريق من سيارة إسعاف، أو مسافر يريد أن يدرك موعد الطائرة أو مريض يتألم يريد الوصول إلى الطبيب، أو صاحب حاجة يريد قضاء حاجته، وما زال موكب العروسين يسد الطريق ولا يأخذ ناحية منه، عدا تلك الاصوات المرتفعة الصادرة عن أبواق المركبات التي تعبر عن فرحها للعروسين، وقد تجاهلت ما حولها وتجاهلت ما تحدثه من إيذاء للآخرين سعياً وراء فرح العروسين، وهل يرضى العروسان بهذه التصرفات على حساب فرحهما، وكم هو مشين ذلك المشهد في أحد مواكب الأعراس حيث يخرج بعض الأشخاص والأطفال من نوافذ المركبات، وهي تسير في الطريق وكلهم بين تصفيق وصفير وقد غابت العقول في غمرة الفرحة عن ما يحيط ذلك الفعل من أخطار جسيمة لا تحمد عقباها، وأين هم من قوله تعالى: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾**.

وبمناسبة تناول الحديث عن مواكب المركبات نقف أمام حالة أخرى ليست في فرح ولكنها في موضوع آخر محزن ألا وهي مواكب تشييع الجنائز، ورغم ما يعيشه جميع المشاركين من حزن على المتوفى، إلا أن ثمة تصرف قد يصدر من موكب الجنازة، حيث يغلق الطريق ويسير بطيئا رويداً رويداً وقد أنسى الحزن جموع المشيعين أن الطريق التي تسير عليها الجنازة هو طريق عام وهناك أصحاب حاجات يريدون قضاء حوائجهم والنفاذ من هذه الطريق.

وفي عادات ترافق طقوس العزاء نجد تصرفات وممارسات غير مدروسة يقوم بها البعض بهذه المناسبة ألا وهي وضع وإلصاق أوراق على اللوحات الإرشادية أو التحذيرية المرورية التي توضع على جنبات الطريق، فيلصق عليها ورقة كتب عليها (عزاء آل

فلان) غير مدركين لما يترتب من أخطار، وكم من حادث مروع نجم عن ورقة وضعت على لوحة من اللوحات المرورية، ونتج عنه هلاك للنفوس وتضييع وهدر للأموال، وما ذلك إلا نتيجة تصرف غير المدروس.

وفي هذا المقام أتوجه بالنصح لكل من يعي المسؤولية أن لا يجعل من أفراحه أكدارا وأتراحا وأحزاناً وآلاما عند الآخرين، بل يحرص على أن يفرح الجميع بفرحه، وذلك بحسن التصرف والتدبير، وإحياء هذا الفرح بطريقة حضارية لا تعرض حياة الآخرين للخطر.

وديننا الحنيف لا يمنع من أن يجد الانسان لنفسه متنفسا له ولأسرته، إلا انه ينبغي التنبيه إلى الاهتمام بالنظافة والمحافظة على البيئة، ونتألم كثيرا أمام بعض التصرفات غير المسؤولة في أماكن التنزه ما يقوم به بعض المتنزهين من ترك بقايا الطعام والنفايات في مكان جلوس الناس وظلهم، وعدم المحافظة على الأشجار بتقطيعها أو أجزاء منها بغية الحصول على الحطب أو التسبب بإحراقها، وإيذاء الجالسين بتصرفات طائشة أو أصوات مرتفعة..

وأمام ذلك ينبغي أن لا يغيب عنا أن الأذى والفساد مرفوض شرعاً وعقلاً وعرفاً، يقول الله تعالى: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ❁ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** البقرة: ٢٠٢-٢٠٣، ويقول الرسول ﷺ: «من ضارّ ضارّ الله به» وفي رواية «ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به» والنبي ﷺ في تأكيد منه على عدم جواز التعرض للآخرين بالإيذاء ولو كان ذلك بقصد المزاح نهى عن الخذف وقال: «انه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وانه يفقأ العين ويكسر السن» رواه البخاري.

كما أن الإسلام جعل من التزام أدب الطريق شعبة من شعب الإيمان، ونهى عن إيذاء الناس في طرقهم فقال ﷺ: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وفي ختام هذا المقال فهذه دعوة للجميع على أنه يجب علينا بأن نعي هذه الآداب وأن نحصن مجتمعنا من كل سلبية قد تضر به أو بأحد أفراده، تحقيقا للمصلحة العامة وحفاظا على أنفسنا وأموالنا مصداقا لقول الله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**.

الحياء..
بين الوجه الكالح
وأخلاق المؤمنين

■ **بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل**

«ان لم تستح فافعل ما شئت».. حديث نبوي شريف، وهو مقولة شهيرة ترددها الألسن كلما اقتضى الموقف التدليل على ان من ينقصه الحياء، ينقصه الرادع عن فعل اي شيء، فالحياء يتحكم في النفس البشرية ويحول دون انزلاقها فيما يتنافى مع الخلق الاسلامي.

الحياء اذاً هو صفة المؤمنين.. رجالاً ونساءً، وقد كان رسول الله ﷺ القدوة في ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه».

والحياء خلق جميل اذا ما التزم به المرء يمنعه من ارتكاب المعاصي أو التقصير في حق المولى عز وجل، وهو بمثابة الرادع الداخلي الذي يتحكم في سلوكياته، ويوجهها الى المسار الصحيح، ولذلك قال علماء المسلمين عن حقيقة الحياء: بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

فالإنسان الحيي يظهر على وجهه كل ما يعتري نفسه من أحاسيس، وبالتالي فالوجه مرآة حياء النفس.. والأمر نفسه ينطبق على من يفتقد الحياء، فهو صاحب وجه «كالح» كما يقال، يعرفه الناس من قلة حيائه، وغياب روادعه، ولكننا هنا يجب ان نوضح ان الحياء لا يعني التقاعس في الدفاع عن الحق، ولا يحول من دون قول الصدق مهما كلف ذلك.

فالمؤمن القوي لا يمنعه حياؤه القوي من الثبات في قول الحق، بل ان ذلك يؤكد شدة إيمانه بالله عز وجل، وهو سبحانه يأمرنا ألا نستحيي من الحق.

والحياء بمفهومة الشامل لا يقتصر فقط على جانب بعينه، ولكنه يمتد الى مجمل العلاقات، ففي علاقة العبد بربه لا بد وأن يستحيي المسلم من الله، ويتجسد ذلك في الابتعاد عن كل ما يغضبه سبحانه وتعالى.

ومع الناس لا بد ان يستحيي المرء ايضاً، لأن هذا الحياء يحول من دون تجاوز الحدود اللائقة دينياً وأخلاقياً.

ويجب على المرء ايضاً ان يستحيي من نفسه وأن يحاسبها دوماً على كل فعل يراه مشيناً في حقها.

ومن هنا كان الحياء مطلباً شرعياً، لأنه كما وصفه رسول الله ﷺ: «كله خير»، وفي موضع آخر بأنه «شعبة من شعب الايمان» فعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «الايمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، أفضلها قول: لا إله الا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شُعب الإيمان».

الحياء ايضاً لا يعني الانزواء بعيداً عن الناس وبعيداً عن التفاعل معهم، ولكنه على العكس من ذلك، يجب ان يكون دافعاً لكون الانسان فاعلاً نافعاً لنفسه ولأهله ولمجتمعه، من دون الخوض فيما يغضب الله تعالى ولا يرتضيه المجتمع.

فالانسان الحيي هو انسان خلوق ينسج بسلوكياته نسقاً قيمياً، يسير على دربه الآخرون ويعتبرونه قدوة وانموذجاً يحتذى.

في محيط كل منا نصادف -وللأسف- اناساً يفتقدون الحياء، وبالتالي تجدهم دوماً مدفوعين الى سلوكيات تثير حنق واستنكار الآخرين، وهم يتجاوزون بشكل لافت من دون أي مراعاة لأصول التعامل الراقي مع الناس.

وذلك التجاوز لا يقف عند حدود معينة، بل انه يتحول الى طريقة حياة تبدأ من الفجاجة في الكلام، وتعمد جرح وإحراج من شاء حظه العاثر ان يتداخل معهم في موقف ما، وتمر عبر مسالك كثيرة أخرى، ينعدم فيها التهذيب فعلاً وقولاً، ولا ينتهي عند ارتكاب ذنوب ومعاص، ذلك لأن السلوك السيء هو بالطبع سلوك يتناقض تماماً مع كل الأوامر الإلهية والتعاليم الدينية.

دعونا نلتزم بالحياء خلقاً، ونتبع الحكمة القائلة: «من كسا الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه».

والحمد لله رب العالمين

آداب الطريق

■ بقلم الاستاذ بلال تيسير أبو الزيت

لقد جاء الإسلام بجملة من الآداب والأخلاقيات من أجل تهذيب سلوك الإنسان، والارتقاء بمشاعره وعواطفه وأحاسيسه، والتي كان من أبرزها صور احترام مشاعر الآخرين، والحفاظ على سلوكيات الإنسان في الطريق العام.

فعندما يضبط كل إنسان سلوكه وتصرفاته بالقيم والضوابط والأخلاقيات الإسلامية السمحة، تقوى العلاقة بين الناس وتتماسك، ويعمّ التفاهم والترابط والتعاون والمحبة، وفي الوقت نفسه تختفي صور الخلاف والنزاع بين الناس.

من هنا جاءت توجيهات الإسلام وأحكام الشريعة الإسلامية، التي شملها ديننا الحنيف لتنظيم المجتمع الإسلامي، القائم على حب الخير للناس ومساعدة المحتاجين ونصرة المظلومين، قال تعالى في آداب الطريق ومجالس الأسواق وحقوق المارة وآداب الجماعة: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾** الفرقان: ٦٣.

وقال تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ﴾** القصص: ٥٥.

وقال تعالى: **﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ❖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾** الإسراء: ٣٧ و ٣٨.

❖ في السنّة المُطهّرة:

يوجّه النبي الكريم خاتم الرسل رسول

الله ﷺ المسلمين من خلال السنة النبوية المطهرة إلى الأخلاق والآداب التي تنظم حياة الإنسان، وتُحقّق رضا الله سبحانه وتعالى وتؤدي إلى خيري الدنيا والآخرة، من خلال التحلّي بالأخلاق الحميدة والآداب الإسلامية الرفيعة.

فقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إياكم والجلوس في الطرقات) قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها؟ قال رسول ﷺ (فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه) قالوا: وما حقه؟ قال: (غض البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) رواه مسلم. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

❖ غض البصر:

المسلم الحق يغضّ بصره عن المحرمات بكافة أنواعها وأشكالها، امتثالاً لأمر الله تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ❖ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** النور: ٣٠ و ٣١.

وإنّ غضّ البصر مطلوب من الرجال والنساء على حدّ سواء، وذلك لأن الفرد حين يُطلق البصر فيما يُحرّم الله يجلب عذاب القلب وألمه، لأنه يتنافى مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهو يظن واهماً بأنه يروّح عن نفسه ويبهج قلبه، ولكن هيهات هيهات، فإن أكثر الناس تعاسة وشقاءً من يطلق العنان لبصره دون وازع أو رادع إلى ما حرّم الله، ومن حرص الإسلام على الفصل بين النساء والرجال، ولقطع كل طريق يؤدي إلى الفتنة بهن، جعل حافّة الطريق للنساء وأوسطه للرجال، حتى لا يختلط الرجال بالنساء وتعظم الفتنة، وسير النساء بمحاذاة جوانب الطريق أستر لهن واقرب للحياء.

❖ إماطة الأذى:

حثّ الإسلام ورغّب في إزالة الأذى عن الطريق، وجعله من أعمال الطاعات والقربات التي تدخل صاحبها الجنة، فعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحيّن هذا عن طريق المسلمين حتى لا يؤذيهم فأدخل الجنة) رواه مسلم، رقم ١٩١٤.

وقال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول: لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان) رواه البخاري، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعلى المسلم أن يتجنّب قضاء الحاجة في الطريق حتى لا يؤذي أحداً، ويتجنب اللعب والمزاح غير المقبول، ولا يسخر ممن يسير في الطريق كبيراً كان أم صغيراً، ولا يستهزئ بهم، ولا يُضيّق على المارّة وإنما يفسح لهم الطريق، وان كان يحمل عصا أو مظلة أو شيئاً يمكن أن يؤذي المسلمين فعليه توخي الحذر، بالإضافة إلى إماطة الأذى عن الطريق، كالقشور والزجاج والمسامير والحجارة وغيرها لئلا يتعثر بها احد المارة.

❖ رد السلام:

المسلم عندما يسير في الطريق يلقي السلام على من يقابله ويرد السلام بأحسن مما سمع، فهذا أدب كريم يتخلّق به المسلمون، وحق يحفظونه لإخوانهم، يغرس المحبة، ويمحو الأحقاد ويزيلها.

قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾** النساء: ٨٦.

وروي أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي السلام خير؟ قال ﷺ: (تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من تعرف ومن لم تعرف) أخرجه البخاري، وهو حديث صحيح وقد قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: افشوا السلام بينكم) رواه أبو داود رقم ٥١٩٤.

وقال تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ**

الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠.

❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

فالمسلم مدعوّ دائماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استجابة لأمر الشريعة، ليحقق الأمن في المجتمع المسلم، وليكون المجتمع كله كالجسد الواحد إذا تداعى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. كما أن المسلم دائما يتجه نحو الإصلاح بين الأفراد لتسود المحبة أفراد المجتمع، ولينال هو الرضا من الله سبحانه وتعالى.

ومن آداب الطريق أن نهدي ابن السبيل الضال بعبارة ملؤها الأدب أو إشارة كلها لطف ورقة من غير فظاظة ولا ملل، فإن البشاشة في وجه أخيك من الصدقات والكلمة الطيبة صدقة.

ومن آداب الطريق أيضاً أن تُعين صاحب المتاع في رفعه ووضعه، وإن كنت تحمل شيئا فاحذر أن تصيب أحداً بأذى، وان تؤدي الحقوق إلى أصحابها وترفع لسانك عن أعراض المسلمين، ولا تتعرض لأحد بمكروه، ولا تذكر أحداً بسوء.

هناك آداب ما أحوجنا إليها في وقت نجد فيه بعض الشباب يتسكعون في الطرقات ويجتمعون في الشوارع والمنعطفات وعلى أبواب المدارس وفي الساحات، لا عمل لهم سوى إيذاء الناس بفاحش القول وتصيد العثرات والزلات ومراقبة العورات.

وخلاصة الآداب التي يجب أن يتحلى بها الفرد المسلم:

- غض البصر عن المحرمات وعن مراقبة المارين من الناس في أعمالهم أو تصرفاتهم أو لباسهم.
- تجنب الجلوس في الطرقات أو الوقوف في المنعطفات أو على واجهات الحوانيت والمحلات.
- بذل السلام وإلقاؤه على الآخرين، وخاصة على الصالحين منهم، ورد السلام على من يُلقيه بأحسن منه سواء ممن اعرفه أو لا اعرفه.

- المحافظة على نظافة الطريق، وتجنب إلقاء النفايات والأوساخ والنجاسات في الممرات.
- إماطة الأذى عن الطريق بكل أشكاله كالزجاج والمسامير والحجارة وغيرها تلافياً لتعثر المارّة.
- مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين وإرشاد الضالين وإعانة أبناء السبيل.
- تجنب الطرق المزدحمة والأسواق المكتظة وخاصة التي تنتشر فيها المنكرات والمحرمات، وإذا دخلت الأسواق فادعُ بما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة) حديث صحيح، صححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٢٣١.
- تجنب عبور الشارع إلا بعد التأكد من خلوه من السيارات والحافلات والعربات والدراجات.
- المرور ضمن الممرات المحددة للمشاة أثناء عبور الشارع ضماناً للأمن والسلامة.
- القصد في المشي، بعدم الإسراع والركض في الطرقات.
- تجنب الأكل في الطرقات والتحلي بالأدب والمروءة.
- تجنب اللعب في الطرقات وجعلها أماكن للهو والتسلية وإضاعة الوقت.
- تجنب رفع الأصوات أثناء التعامل بالبيع والشراء.

ومن صور الأذى وسوء استخدام الطريق العام التي شاعت وأصبحت ممارسة يومية في مجتمعاتنا العربية، عدم الالتزام بالقواعد والقوانين الخاصة بقواعد السير، فتجد شاباً تبدو عليه مظاهر التمدن يستخدم السيارة بشكل مزعج وغير مبال، ومنهم من يلقي بكيس القمامة أو فضلات طعام في الطريق العام أو في الحدائق والمنتزهات كل هذه الممارسات نهى عنها الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

النافلة والسنن الرواتب

■ بقلم الاستاذة هبة العجرمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، الحمد لله الذي منَّ علينا بجوده وفضله ورحمته فشرع لنا التطوع، وجعل لكل عبادة واجبة تطوعاً من جنسها، ليكون جبراً لما قد يقع في الفرائض من نقص.

ومن عظمة الاسلام انه أمر على سبيل الوجوب بالحد الأدنى الذي لا بد منه، وهو مقدار الفرض من كل عبادة، ثم شجّع على النوافل، وترك الباب مفتوحاً للاستزادة منها من غير ان يضع حداً، أو يقدر مقداراً، فالباب مفتوح للتسامي، والأجواء طليقة للتحليق، فأين المؤمنون الطامحون؟!.

ان في النوافل من المعاني والدلالات العظيمة، ما لا يدركه الا من فتح الله عين بصيرته، وأزاح الران عن قلبه، ولكل نافلة من الأنوار والتجليات ما يطمس بقوته نور الشمس، غير انه استقر في الأزمان الأخيرة في عقول بعض المسلمين، التهاون بالنوافل، فإذا طلبت من أحد هؤلاء ان يصلي ركعتين بعد فرض الظهر مثلاً قال: انها سنة!! واذا قلت له: صم يوم عرفة، قال: انه سنة!!، فهل السنة طلب للترك أم طلب للفعل؟!!.

«ان ما عدا الفرائض من الصلوات يسمى نافلة وتطوعاً، فمنه ما يتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء، ومنه ما يتعلق بأوقات كرواتب الصلاة ونحوها، فمن الرواتب راتبة الصبح «سنة الفجر»

وراتبة الظهر «سنة الظهر» اربع قبل وأربع بعد، ويمكن الاقتصار على ركعتين قبل وبعد، وراتبة العصر، وهي اربع ركعات قبلها ولم تكن مواظبته ﷺ عليها كمواظبته على نافلة الظهر وراتبة المغرب، وهما ركعتان بعد الفريضة، وراتبة العشاء بعدها ركعتان او اربع، أما الوتر فوقته بعد العشاء، واما صلاة الضحى فأكثر ما نقل في عدد ركعاتها ثمان وأقله ركعتان، ووقتها بعد شروق الشمس وارتفاعها، وهناك صلاة العيدين وصلاة التراويح وصلاة الخسوف والكسوف وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنائز وتحية المسجد، وصلاة الاستخارة»* كل هذه من النوافل والتطوعات التي غاب عن الكثير من المسلمين فضل التمسك بها، وحرص المداومة عليها.

وللتشجيع على هذه السنن والرواتب والنوافل أذكر بعض الفوائد وأهم الاسرار المتعلقة بها منها:

١- ان النوافل أولاً سور منيع، وسياج يحمي الفرائض من تسرب الضعف اليها، فمن حافظ عليها أولى به ان يحافظ على الفرائض.

٢- النوافل جوابر، يجبر بها يوم القيامة ما قد يكون في الفرائض من نقص أو خلل غير مبطل.

٣- النوافل دليل العبودية الحقة لله تعالى، لأن اي فعل لا بد له من دافع يدعو اليه ويحض عليه.

٤- النوافل علامة على ان العبد يرغب بالتقرب الى الله سبحانه، ويبتغي التقرب اليه عز وجل طمعاً في رضاه، وأملاً بدخول الجنة.

٥- ومن أسرار النوافل أنها باب واسع مفتوح للربح وجني الأجر والثواب من غير حدود.

٦- ومن أسرار النوافل وفوائدها أنها وسيلة للصلة الدائمة بالله عز وجل.

فيا من قصّر في هذه النوافل، هيا الى الاستزادة والإكثار منها، لعل الله عز وجل يتقبل منها ويزيدنا من فضله ورحمته، ولنعمل لآخرتنا قبل ان يفوت الأوان، والباب مفتوح لمن يحب الاستزادة والله تعالى أكرم وأعظم هيبة وخشية على دوام الطاعة والعبادة.

والحمد لله رب العالمين

* موعظة المؤمنين، محمد جمال الدين الدمشقي ٤٤-٤٥.

فارس الفرسان

شعر الواعظة بسمة محمد ابو عياش

قف بالمدرج واسأل الأزمانا ... واستحضر الإغريق والرومانا
تنبيك ان جيوشنا عربية ... نطق المدرج واستحال لسانا
وانظر الى التاريخ من ابوابه ... عمّان تبقى دائماً عمّانا
دمنا غني ان عدو اعتدى ... يغدو رخيصاً في سبيل حمانا
كل العدو ولم تكل سيوفنا ... مرفوعة في وجه من عادانا
واذا تجاهل أمرنا ووجودنا ... فليسأل التاريخ عن منشانا
ويل له ان مس ذرة تربة ... تغدو لهيباً حارقاً نيرانا
واذا العدو تكشرت انيابه ... تلق الكتائب اصبحت بركانا
الأمن في أرجائنا متوفر ... غمر الجميع سلامة وامانا
وأبو الحسين يجول في ميدانه ... أخلوا المكان وغادروا الميدانا
خفر السواحل لم يزالوا قوة ... تحمي الحدود وتحرس الشطآنا
جيش تسلح بالوفاء لقائد ... ارسى القواعد، وطد الأركانا
والضفتان محبة وتلاحم ... والقدس حيث أختها عمانا
لو ان مكلوماً بغزة هاشم ... أنّت له الأعضاء في عمانا

وإذا الخليل تعـذبت بجـراحـهـا ... تلق الشـفـاء بمادبا ومـعـانا

الهـاشـمـيـون تربعـوا بمحـبـة ... عـرش القلوب وشيـدوا البنيـانا

وتراهمـوا اسـداً تهب جـمـوعـهـم ... شـيـبـاً خطاهم تسـبق الولـدانا

قوم اذا ما اسختصموا كانوا لظى ... يومـاً وإمـا حكمـوا مـيـزانا

الثـورة الكبـرى ضـيـاء سـاطع ... اعطت ضـيـاء للورى برهانا

ابواب هاشم لم تكن مـسـدودة ... يومـاً وكـانت دائمـاً ديوانا

ديوان سـيـدنا عـرين شـاهق ... وأبو الحـسين يعـمـر الديوانا

يا فـارس الفرسـان صرحك قـائم ... سـتظل انت تطاول الفـرسـانا

في الحـرب سيدها وموقد نارها ... وفي السلم تعطي أمنة وأمـانا

واذا عـزمت فـإن عـزمك نافـذ ... صلب حـديد يقـهـر الصـوانا

ملك اذا مـا جـئـتـه في مطلب ... مـا صـد يومـاً -طالبـاً- انسـانا

قـد وحـد الشعـبين في أهدافـهم ... فـغـدوا وفي أهدافـهم إخـوانا

شـعـب تسلح بالوفـاء ولم يزل ... شـعـبـاً وفـيـاً يحـفظ الأيمانا

ان جئت باب أبي الحسين بمطلب ... تلق الحـبـور بوجـهـه قـد بـانا

أدعـوك طول العـمـر ان تبقـى لنا ... فـاسلم طويل العـمـر يا مـولانا



خطبة الجمعة

قال الله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه..﴾

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

أما بعد؛ فيا أيها الاخوة المسلمون، ان الله سبحانه وتعالى أكرم الأمة المحمدية بدين الاسلام وأنعم عليها بهداية الإيمان، وأمرها بالقيام بصالح الأعمال، ودعاها الى البر والتقوى والخير والاحسان، والى التعاون على كل ما يكون فيه صلاح أفرادها وشعوبها، ودولها، ويحقق سعادتهم دنيا وأخرى، فقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وما من شك لدى كل مسلم ومسلمة، في ان احسن ميادين التعاون على الخير والصلاح وأفضل مجالاته، واجمل مظاهره وصوره، هو العمل على بناء المساجد، والتعاون على إقامة بيوت الله وعمارتها، وعلى رفعها وتشييد صرحها، والاسهام المادي والمعنوي في اي أمر من أمورها، أو شأن من شؤونها المادية والروحية.

وكيف لا يكون بناء المساجد بهذه المنزلة العالية، والتعاون عليه بهذه المثابة الرفيعة، وللمسجد في الاسلام

قدسيته الكبيرة وحرمته العظيمة عند الله تعالى، وله رسالته الهامة الخالدة، ومكانته الجليلة الراسخة في قلوب المؤمنين ونفوس جميع المسلمين، فالمسجد بيت الله ومحل عبادته وذكره، يضاف اليه سبحانه اضافة تشريف وتكريم وتعظيم، وهو محل اجتماع المسلمين، ومكان التقائهم على الصلاة جماعة، وعلى تسبيح الله وتحميده وتهليله وتكبيره وشكره واستغفاره، وعلى تدارس كتابه العزيز وسنة رسوله ﷺ، والتفقه في الدين، والتعرف على أحكام شريعته، وهو منطلق صلاح المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة مصداقاً لقول الله تعالى: **﴿في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**.

نعم أيها الإخوة المؤمنون؛ ان رسالة المسجد في الاسلام، رسالة شاملة مستمدة من رسالة الاسلام نفسه، وقد ظل المسجد وسيظل دعامة اساسية يقوم عليها تكوين الفرد المسلم، وبناء المجتمع المسلم عبر التاريخ الطويل، فالوظيفة الحقيقية للمسجد في الاسلام، هي اعداد المسلم المتكامل البناء في خُلقه وسلوكه، في عمله وعبادته، في علاقته بربه وبنفسه وبالناس اجمعين، فالمسجد يُكمل بناء المجتمع، ويدعمه ويقوي اركانه، ويعمق في النفوس الاحساس بالفضائل التي غرستها الأسرة المؤمنة، بل يغذيه وينميه ويتعاون معها في بناء المجتمع الراشد، المتجه نحو الصلاح والفلاح بهداية من الله تعالى.

نعم أمة الاسلام، ان رسالة المسجد تتسع وتتسع حتى تشمل الدنيا والآخرة، ويتحول الى أداة لتكوين مجتمع الخير المترفع عن الرذيلة، المتسامي عن الانحراف والشذوذ، ذلك ان هذه المساجد هي بيوت الله تبارك وتعالى، تغمر قلوب قاصديها بالايمان وتذكرهم بجلال الله، وتطهر الصدور من الأحقاد، وتملؤها حباً وطهراً وعفافاً، وتبدّل جهلهم علماً، وسفههم حلماً، وتغرس في الناشئة حب الخير والرغبة في البر.

نعم أيها الإخوة المؤمنون؛ هذه منزلة المسجد في الاسلام، فبدون المسجد لا يمكن للمسلم ان يتربى روحياً وخُلقياً واجتماعياً، وبدون المسجد لا يسمع الفرد

صوت الحق، صوت النداء الخالد (الله اكبر) يجلجل في سماء الدنيا، فيهز المشاعر ويحرك أوتار القلوب.. وبدون المسجد لا ينصت المسلم الى سماع الموعظة والحق، تتفاعل بها روحه ونفسه، وتتأجج بتأثيرها مشاعره وأحاسيسه.

نعم، بدون المسجد لا يتعلم المسلم احكام الدين، وتنظيم الدنيا وأمور الحلال والحرام، ومناهج الحياة ودقائق الشرع.

عباد الله: ان مما يبين لكم اهمية المسجد ومكانته الجليلة ورسالته العظيمة في الاسلام، وينبغي التذكير به في هذا المقام، هو ان اول عمل اسلامي عمله الرسول ﷺ، وقام به لما وصل الى المدينة المنورة مهاجراً اليها من مكة المكرمة، هو تأسيسه وبناؤه لأول مسجد بني في الاسلام، وأسس على تقوى من الله ورضوان، وهو مسجد قباء، الذي انزل الله فيه قوله الكريم: **﴿لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين﴾**.

ثم تأسيسه وبناؤه ﷺ بعد ذلك لمسجده النبوي بالمدينة المنورة اثر وصوله اليها واستقراره فيها، وكان ﷺ يعمل في بنائه ويشارك فيه بنفسه، ويحمل الحجارة على كتفيه وبيديه الشريفتين، الى جانب صحابته الكرام رضوان الله عليهم اجمعين، تواضعاً منه لله تعالى، ورغبة في زيادة الرفعة وعلو الدرجة والمكانة له عند الله عز وجل، وترغيباً لأمته المسلمة في التسابق الى هذا الخير، والتعاون على هذا العمل الاسلامي الجليل في كل عصر وجيل، وفي كل مكان وحين.

ايها الاخوة المؤمنون: ان السلف الصالح والخلف الصالح من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين في كل زمان، ومن عامة المؤمنين في كل جيل ومكان، عرفوا قديماً وحديثاً للمسجد مكانته ورسالته في الاسلام، وادركوا فضله على المسلم والمسلمة في دلالته على الله وفي هدايته الى الخير والصلاح، وحفظ دينه وعقيدته، وصيانة اخلاقه وسلوكه، وسلامة شخصيته من الوقوع في اي فساد وانحراف، او زيغ او ضلال.

فسار السلف الصالح والخلف الصالح من هذه الأمة المحمدية على نهج نبيهم المصطفى ﷺ، وعلى نهج صحابته الكرام، فكانوا يعملون باستمرار في كل جيل من الاجيال، على المزيد من بناء المساجد وانشائها وصيانتها، وينفقون اموالهم على

تشييدها وعمارتها في المدن والقرى، ويصرفونها على القيام بشؤونها وأمورها، ايماناً منهم بأن امكنة المساجد وبقاعها، هي خير بقاع الدنيا وافضلها، وانها رياض الجنة وبساتينها في هذه الحياة الدنيا، كما صح عن نبينا الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ويقيناً منهم بأن أية مساهمة او إعانة على بناء المسجد بالمال، او الخبرة او العمل، يعتبر عملاً صالحاً في هذا الطريق القويم، وبأن أي درهم ينفقه المسلم والمسلمة في هذا السبيل، سواء بالقليل او الكثير، انما هو في الحقيقة، درهم يحتفظ به ويستثمره احسن استثمار، وينميه افضل نماء، ويعود بالخير والبركة على صاحبه في الدنيا ويدخره للآخرة، ليجده عند الله هو خيراً وأعظم اجراً، ويكون له من تلك الصدقة الجارية الدائمة، التي يبقى ثوابها واجرها مستمراً للانسان بعد وفاته، وانتقاله الى الدار الآخرة بجوار الله، والتي ينال بها صاحبها عند الله بيتاً وقصراً في الجنة، مصداقاً لقول الله تعالى: **﴿واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم﴾**.

إخوة الايمان: ان نظافة المساجد، محل عناية واهتمام عظيم في الاسلام، وقد امر الله بتطهيرها فقال: **﴿وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾**.

حتى ان الاسلام، منع من علقت به روائح كريهة، كمن اكل ثوماً أو بصلاً او اي شيء، له رائحة كريهة، حرّم عليه الاسلام دخول بيوت الله تعالى، لأن في ذلك ايذاءاً للمساجد والمصلين والملائكة الذين يتأذون من تلك الرائحة الكريهة.

بل نرى ان الاسلام اوجب على المسلم ان يتزين كلما غدا وتوجه الى المساجد، وان يغتسل يوم الجمعة، ويتطيب ويلبس احسن ثيابه، تكريماً لحرمة المساجد، وتعظيماً لحرمة المسلمين، وصدق الله العظيم اذ يقول: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**.

وقد رغب رسول الله ﷺ في احاديث كثيرة بالعناية بالمسجد، لأنها احب البقاع في الارض الى الله تعالى، ومن ذلك قوله ﷺ: «ان الحصاة تناشد الذي يخرجها من المسجد» اي تطالب وتقول للمسلم: ناشدتك الله وسألتك بالله وأقسمت عليك ان تخرجني من هذا المكان.

وجاء في الصحيحين ان امرأة سوداء

كانت تقمُّ المسجد، فافتقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد ايام فقيل له: انها ماتت، فقال: فهلا آذنتموني «اي اخبرتموني واعلمتموني بذلك» فأتى قبرها فصلى عليها.

ونرى ما هو اعظم من ذلك، ان رسول الله ﷺ كان يبادر بيده الطاهرة الشريفة، بإزالة الأذى من المسجد، ولو كان مما تتأذى وتعافه النفوس.

فقد جاء في الصحيحين انه ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد، فغضب حتى احمر وجهه وقام وحكها بيده ﷺ، لهذا كان سلف وخلف هذه الأمة والى وقت قريب، يتسابقون ويتنافسون في خدمة بيوت الله تعالى، بل كانوا يتزاحمون على ذلك، ويقتسمون أيام الاسبوع بينهم ليقوموا واهل بيوتهم بنيل شرف خدمة أحب البقاع الى الله عز وجل.

أيها الإخوة المؤمنون، يجب ان نتذكر وان نستحضر دائماً، انه لا يصلح آخر هذه الأمة الاسلامية في معاشها واحوالها وفي واقعها، وفي شوؤنها وأمور دينها ودنياها، الا بما صلح به السلف الصالح في أولها من التمسك بالدين، والعمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، والاعتصام والعمل بهما في كل الأمور قولاً وعملاً، اعتقاداً وسلوكاً، منهجاً وتطبيقاً، وانه لن يتحقق ذلك الا في مساجد الله ورحابها الفسيحة، وفي بيوته الآمنة المطمئنة، التي لها من القدسية والنورانية والتعظيم والجلال والأثر، والاعتبار والوقار والاحترام، ما ليس لغيرها من أي بقعة أو مكان.

اذ لا يكاد يقبل على المسجد ويدخل اليه لأداء الصلاة مع الجماعة، والاستماع لتلاوة القرآن والتفقه في الدين، حتى يحس بانشراح في صدره، وانفتاح في قلبه، وسكينة وطمأنينة تسري في نفسه، ويشعر بروحانية الاسلام والايمان تغمره وتتجلى عليه، ويتأكد بحق ويقين انه في روضة من رياض الجنان في الدنيا والآخرة.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه..

بحمد الله تم



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد السابع - المجلـــد ٥٤

رمضان ١٤٣١هـ - أيلول ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد السابع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

مرحباً بك يا

ها هي مواسم العطر جاءت بشذاها تنشره بين الناس، مواسم لجني الحسنات، والتخفيف من السيئات، فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أدبر، يقول رسول الله ﷺ: «اذا كانت أول ليلة من رمضان، فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب، وصفدت الشياطين».

ويقول ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه برحمته، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم رحمة الله».

ان بلوغ شهر رمضان المبارك، من اجل النعم والمنن لأهل الإيمان والتقوى، حتى كان من دعاء السلف الصالح من هذه الأمة، اللهم سلمنا الى رمضان وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلاً يا ذا الجلال والإكرام.

فبشرى لنا بأشرف الشهور، وكيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة، كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب جهنم، كيف لا يبشر العاقل بوقت تصفد فيه الشياطين.

انه شهر لا تحصى فضائله، ولا يحاط بفوائده، فحري بالمسلمين ان يستقبلوا هذا الشهر الكريم المبارك، بتهيئة القلوب وتصفية النفوس وتطهير الأموال والتفرغ لتلاوة القرآن الكريم.

لأن المؤمنين يجدون في نهار رمضان لذة الصابرين، ويجدون في مسائه وفي ليله لذة المناجاة، هم الذي تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة بالبشر والسلام، هؤلاء المؤمنون هم الذين ينسلخ عنهم هذا الشهر الكريم مغفورة ذنوبهم، مكفرة سيئاتهم، مجلوة قلوبهم، مجددة بقوة الايمان واليقين عزائمهم.

شهر البر والاحسان

ففي الحديث النبوي الشريف يؤكد رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: اي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان».

ولقد كان السلف يجنون من الصيام، ثماراً يانعة، لذلك كان نهارهم نشاطاً وانتاجاً واتقاناً، وكان ليلهم تهجداً وقرآناً، وكان شهرهم كله تعلماً وتعبداً وإحساناً، وكانت السنتهم صائمة، فلا تلغوا برفث او جهل، وعيونهم صائمة، فلا تنظر الى حرام أو فحش، وقلوبهم صائمة، فلا تعزم على خطيئة أو إثم، وأيديهم صائمة، فلا تمتد بسوء أو أذى لأحد من خلق الله عز وجل.

حقاً ان هذا السلوك الراقي، هو ثمرة الصيام الخالص لله رب العالمين، هذه المدرسة التربوية التي تتكرر كل عام، انها اعظم فرصة لتجديد الايمان، وتبصرة السلوك والسير على الصراط السوي.

لهذا حينما يستقبل المسلم موسماً يرجو غنيمته، فإنه يجب عليه تفقد نفسه ومراجعة عمله، حتى لا يتلبس بشيء من الموانع، التي تحول بينه وبين قبول الأعمال، أو تلحق النقص فيه، اذ ما الفائدة من فعل مهدور أجره، وعمل يرجى ثوابه فيلحق وزره، من هنا كان هدي المصطفى ﷺ «كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش»!.

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي: «واعلم انه لا يتم التقرب الى الله بترك هذه الشهوات المباحة اصلاً في غير حال الصيام، الا بعد التقرب اليه بترك ما حرم الله في كل حال، كالكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم»!.

اسرة التحرير

ابن دقيق العيد
وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود
والاستاذ ابراهيم احمد الشردوب

❖ المقدمة:

إن الله لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل خلقه لعبادته، وجعل العبادة وظيفة لا تقوم الحياة إلا بها، ولمكانة هذه الوظيفة وأهميتها، استحقت كل ذلك الحشد الكريم من رسل الله وأنبيائه، ومن أجل بيانها وتفصيل أحكامها ومقوماتها، تنزلت الكتب المطهرة، التي كان آخرها القرآن الكريم الذي انزل على نبي الإنسانية ورسول الله إلى العالمين محمد ﷺ وجعل الله لكتابه خصائص يختص بها منها أنه معجز بلفظه ومعناه، وأنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها.

وحتى لا يكون للناس على الله حجة، أمر الله الرسول ﷺ أن يبين كتابه فقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**(١) وهو بيان الصادق المطاع، الذي أمر الله بمحبته، والتزام طاعته وحذر من مخالفته وعصيان أمره، فقال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**(٢).

وقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**(٣)، وأمرهم بسنته لأنها الترجمة العملية لكتاب الله والتطبيق المعصوم لأحكامه، إلى جانب ما فيها من البيان الواضح، والمنهاج القويم والأمان من الزيغ والضلال.



● ومن نعم الله تعالى علينا العلماء العاملون؛ فهم حجة الله في أرضه وبهم يعرف الخطأ من الصواب والهدى من الغي والضلال.

● وتاريخنا الإسلامي "بحمد الله" حافل بالعلماء العاملين، الذين تحلوا بصفة العلم والعمل والتقي والزهد والجرأة في قول الحق والمحافظة على حدود الشرع.

● وكان قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد، أحد هؤلاء العلماء العاملين، ومن أساطين الفكر وأئمة الدين، وممن يبتغون بعلمهم وجه الله والدار الآخرة، ويخشون الله في أقوالهم وأفعالهم، من أجل ذلك وغيره، أردنا في هذا البحث أن نتناول سيرة هذا العالم الكبير ونتعرف على جهوده في الحديث و علومه، وارتأينا تسمية بحثنا بـ **"ابن دقيق العيد وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث"** وجعلنا بحثنا هذا في مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بابن دقيق العيد، وفيه اربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه العلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساتذته ومن روى عنهم.

المطلب الثاني: صبره وجلده في طلب العلم.

المبحث الرابع: تصديه للقضاء والتدريس وثناء العلماء عليه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصديه للتدريس.

المطلب الثاني: تصديه للقضاء.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه.

المطلب الرابع: وفاته.

الفصل الثاني: جهود ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رواية الحديث عند ابن دقيق العيد.

المبحث الثاني: جهود ومؤلفات ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه ثلاثة مطالب:

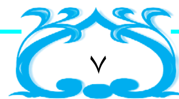
المطلب الأول: كتبه في علم الحديث رواية.

أولا: كتاب الإلمام في أحاديث الأحكام.

ثانياً: كتاب شرح الأربعين النووية.

ثالثاً: كتاب الإمام في معرفة الأحكام .

رابعاً: كتاب أربعون حديثاً تساعية الإسناد.



خامساً: كتاب الأربعون حديثا في الرواية عن رب العالمين.

المطلب الثاني: كتبه في علم الحديث دراية.

أولاً: كتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح.

ثانياً: كتاب طبقات الحفاظ .

المطلب الثالث: مؤلفاته في العلوم عامة .

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث .

❖ الفصل الأول: التعريف بإبن دقيق العيد، وفيه ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: اسمه و نسبه و لقبه:

هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي الصعيدي القوصي المشهور بابن دقيق العيد: ابن الشيخ القدوة العالم مجد الدين المنفلوطي المصري[٤].

ولا خلاف بين من ترجموا له في اسمه و كنيته ولقبه، ولا في اسم أبيه واسم جده الأول واسم جده الثاني ولا في اسم جده الثالث، إلا أن بعضهم اقتصر على ذكر اسمه واسم أبيه واسم جده الأول، وعلى لقبه وبعضهم فصّل وذكر كنيته و اسم جده الثاني واسم جده الثالث، كالأدفوني[٥] وابن عماد الحنبلي[٦].

وسبب تسميته بابن دقيق العيد، هو أن جده الثاني مطيعاً كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد فلقب به رحمه الله تعالى[٧].

أما تسميته بالقشيري، فلأنه من أحفاد المحدث بهرز بن حكيم القشيري كما ذكر ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة[٨]، وبهرز بن حكيم هذا من قبيلة قشير.

أما نسبته إلى منفلوط، فلأن أباه علي ابن وهب ولد فيها ونشأ وترعرع بين ربوعها، حتى ولي الحكم فيها.

أما نسبته إلى قوص فلأن أباه رحل إلى قوص في صعيد مصر، فنشأ الشيخ تقي الدين فيها وأخذ باكورة علمه من علمائها، كما ولي التدريس و القضاء فيها.[٩]

وأما بالنسبة إلى نسبه من جهة أمه، فالصحيح هو ما ذكره الأدفوني والأسنوي وهو وهو أنها بنت الشيخ المقترح فأصله كريمان وأبواه عظيمان.

وكنية جده وهب أبو العطايا وهو أول

من عرف بابن دقيق العيد ولقب أبيه مجد الدين وكنيته أبو الحسن وذلك باتفاق جميع من ترجموا له.

● **المطلب الثاني مولده ونشأته:**

ولد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يوم السبت الخامس و العشرين من شعبان سنة ٦٢٥ هجري في سفينة شراعية كانت تمخر مياه البحر الأحمر، على مقربة من ثغر ينبع، وأبواه في طريقهما إلى الحجاز متوجهان لأداء فريضة الحج.

وهي مناسبة طيبة وعلامة فارقة تلك التي تحدث للإنسان عند مولده، فهي مؤشر صلاح و علامة رضىً إن شاء الله تعالى.

وطاف به والده حول الكعبة ودعا له أن يجعله الله من علماء الأمة العاملين[١٠]، وهذا الذي ذكرناه هو محل اتفاق بين معظم الذين ترجموا له، وذلك بالنسبة للسنة التي ولد فيها وأنه ولد على ظهر سفينة شراعية قريباً من ساحل ينبع وأبواه متوجهان للحج **وغنما** حصل خلاف في أمرين:

الأول: بالنسبة للشهر الذي ولد فيه.

الثاني: بالنسبة لتاريخ ذلك اليوم من ذلك الشهر.

وهنا نود أن نذكر الراجح من هذه الأقوال فهو ما يعنينا، ونترك التفصيلات والآراء الأخرى لمن أراد الرجوع إليها من مصادرها.

فالصحيح هو ما ذكره جمهور المؤرخين ممن ترجموا لابن دقيق العيد، وهو أنه كان في شهر شعبان وفي الخامس والعشرين منه.

ونشأ ابن دقيق العيد في قوص بين أسرة كريمة، تعد من أشرف بيوتات الصعيد وأكرمها حسباً ونسباً، وأشهرها علماً وأدباً.

بدأ ابن دقيق العيد طريق العلم بحفظ القرآن الكريم، ثم تردد على حلقات العلماء في قوص فدرس الفقه المالكي على أبيه، والفقه الشافعي على تلميذ أبيه البهاء القفطي ودرس علوم العربية على محمد أبي الفضل المرسي، ثم ارتحل إلى القاهرة واتصل بالعز بن عبد السلام فأخذ منه الفقه الشافعي والأصول ولازمه حتى سنة ٦٦٠ هـ وسمع من علمائها ثم عاد إلى مصر[١١].

■ **المبحث الثاني: طلبه للعلم:**

كان ابن دقيق العيد مكباً على طلب



العلم منذ نشأ في قوص في صعيد مصر، وكانت قوص آنذاك لا تقل كثيراً عن مصر القديمة أو القاهرة من حيث وفرة رجال العلوم الدينية واللغوية، وقد كثرت فيها المدارس، فكان فيها ستة عشر مكاناً للتدريس، ومن بينها دار الحديث التي كانت في بيت ابن دقيق العيد، فقد كانت منبع العلم والعلماء.

وأول ما بدأ علمه بقراءة كتاب الله الحكيم على والده، ومنه تلقى مبادئ العلوم الشرعية و العربية، ودرس عليه فقه المالكية، كما سمع منه الحديث وقرأ عليه الأصول، ودرس فقه الشافعية على تلميذ أبيه القاضي بهاء الدين هبة الله بن عبد الله العذري القفطي، وحضر عند القاضي شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني كما كان حاكماً بقوص، ودرس عليه علم الأصول، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي وغيره.

ثم رحل إلى القاهرة، فقرأ على شيخ الإسلام أبي محمد العز بن عبد السلام فقه الشافعية، ورحل إلى الإسكندرية والشام والحجاز وغيرها طلباً للفقه والحديث.

وقد سمع الحديث من والده كما سمع الحديث من علي بن الحسن البغدادي المعروف بابن المقير، وعلي بن هبة بن سلامة الشافعي المعروف بابن الجميزي، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الإسكندري المعروف بابن رواج، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن الحباب ومحمد بن محمد التيمي البكري وغيرهم.

وممن سمع منه في دمشق أحمد بن عبد الدايم المقدسي مسند الشام و فقيهها ومحدثها و خالد بن يوسف النابلسي.

وأكثر من تأثر به من الفقهاء الذي كان الأب الروحي له العز بن عبد السلام، حيث ورث عنه علمه واجتهاده وتقواه وجرأته في الحق، وكان أنبه تلاميذه ومن المعجبين به، وهو الذي لقبه (بسلطان العلماء)[١٢].

إن في صبر ابن دقيق العيد و جلده في طلب العلم، عظة و قدوة لطلبة العلم و العلماء في زماننا الحاضر حيث ضعفت الهمم وتقاصرت وركنت النفوس إلى الراحة والدعة.

كان الشيخ تقي الدين رحمه الله منقطعاً للعلم والعبادة، فكان لا ينام الليل إلا قليلاً فكانت أوقاته معمورة بالدرس والمطالعة والتحصيل أو الإملاء والتأليف ورواية الحديث، فإن أراح نفسه من بعض ذلك العناء فلا يرى إلا قائماً يصلي في المحراب، أو جالساً يتلو كلام الله أو ماشياً يتفكر في خلق الله، متدبراً صنعه، مستدلاً بذلك على قدرة الله ووحدانيته، فهو منصرف بجسمه وفكره، سواد ليله و بياض نهاره إلى البحث والتدقيق والاستنباط والتحقيق أو الصلاة والقيام، وتقديس الملك العلام.(١٣)

قال السبكي(١٤): أما دأبه في الليل علماً وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليل فطالع مجلداً أو مجلدين، وربما تلا آيةً فكررها إلى مطلع الفجر.

وقال أحمد أحمد بدوي بعد أن ذكر درجته العلمية ما نصه(١٥): وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلوم ذكاء ممتاز، ودأب على التحصيل، وسهر بالليل للدرس، وشره في القراءة، وغرام بالإطلاع، وحافظة قوية.

وقال ابن حجر(١٦): قرأت بيد الشيخ الحافظ أبي الحسين بن أيبك المصري وسمعت الصاحب شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين رحمه الله تعالى قال: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إما مصليا وإما ماشيا في جوانب البيت وهو مفكر إلى طلوع الفجر.

فإذا صلى الفجر إضطجع إلى صحوه، قال الصاحب شرف الدين: وسمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن إدريس العراقي المالكي يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح إضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار.

وهكذا على طلاب العلم في هذه الأيام عليهم أن لا يضيعوا أوقاتهم إلا فيما يرضي الله عز وجل وأن يجعلوا تقوى الله نصب أعينهم فلا يكفي الانشغال بطلب العلم عن العبادة و التوجه الصادق إلا لله لأنه المسدد والمعين والهادي إلى الطريق المبين.

■ المبحث الثالث: تصديه للتدريس والقضاء وثناء العلماء عليه ووفاته: وفيه

اربعة مطالب:

● المطلب الأول: تصديه للتدريس:

نستوحي في هذا المطلب لمهمة التدريس التي قام بها الشيخ ابن دقيق العيد وأهم المدارس التي درس فيها وذلك لما في وظيفة التدريس من أهمية في صقل شخصية الإنسان وزيادة مهاراته وقدراته وكذلك فهي دليل عطاء وبذل و اجتهاد ومثابرة .

بدأ التدريس في مدينة قوص في المدرسة النجيبية[١٧]، كما درس في دار الحديث التي بنيت له وصارت تعرف بالمدرسة السابقية، وقصده طلاب العلم من أقاصي الصعيد ومن كل مكان، وظفر بشهرة واسعة وتقدير عميق، وبعد أن عم النفع به في قوص خاصة، والصعيد عامة، رحل إلى القاهرة مركز السلطنة وذلك لنشر علمه وتنمية مواهبه.

حيث كانت القاهرة تغص بدور العلم والمدارس وطلبة العلم و الكتب العلمية، ولقد كان لتلك المدارس جوها الخاص الذي يساعد الطلبة على الانتظام فيها دون تبعات مالية أو عقبات أو ما شابه ذلك، بل كان الجو فيها مهيئا للتحصيل والمثابرة والإبداع.

ومن مزايا هذا التعليم وأساليبه أنه كان يترك للطالب أن يختار شيخه وكتابه تبعاً لميله الخاص، وقدرته الشخصية وكفاءته العلمية، فإذا سلك السبيل وبلغ الغاية سما قدره وبزغ نجمه، وإلا نكص على عقبيه، فعاد وطلب العلم أو انحرف إلى حرفة.

وكان ثم ما يشبه الشهادات الدراسية الحديثة وهي (الإجازات العلمية) وهي شهادة شخصية يمنحها أحد أعلام العلماء إلى أحد طلابه، ويشهد فيها أن الطالب المذكور قرأ عليه كتاب (كذا) قراءة فهم وتدبر ومعرفة، أو أنه مهر بالفقه مثلاً وأصبح أهلاً للإفتاء، أو أنه أجازه به، أي صرح له بمزاولته، أو أنه بزغ بالأدب وأصبح كفءً راوية كتاب فيه، أو ديوان، أو أنه سمع عنه جملة من أحاديث الرسول ﷺ ورواها عنه بسندها، وحفظها بهذا السند أو أنه أجاز له روايتها عنه، باعتباره حافظا جديدا من حفاظها[١٨].

أما أشهر المدارس التي كانت موجودة في عصره في الفسطاط والقاهرة فهي: الجامع الأزهر، المدرسة الصالحية،

المدرسة الفاضلية، المدرسة الصلاحية، وجامع عمرو بن العاص، المدرسة الكاملية، المدرسة الناصرية بالقرافة، المدرسة الظاهرية والمدرسة المنصورية وقد درس ابن دقيق العيد في ستة منها وهي:

١. **المدرسة الفاضلية:** وكان ابن دقيق العيد يدرس فيها المذهب الشافعي والمالكي[١٩].

٢. **المدرسة الكاملية:** وكانت تعرف بدار الحديث والتي بناها وأنشأها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي، وكان ابن دقيق العيد يسكن فيها وقد تولى مشيختها[٢٠].

وقد ظلت المدرسة الكاملية عامرة بكبار العلماء المشتغلين في علم الحديث الشريف حتى عام(٨٠٦) للهجرة ثم ولي أمرها من لم يحسن القيام بها فأخذت في الزوال.

٣. **المدرسة الناصرية بالقرافة:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي و أوقف عليها عدة أوقاف وأقام عليها دروساً للشافعية[٢١].

٠٤ **المدرسة الصلاحية:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام (٥٧٢)هـ بجوار قبة الشافعي وتولى التدريس فيها شيخنا ابن دقيق العيد، كما تولى التدريس فيها فيما بعد ابن حجر العسقلاني وغيره من كبار العلماء.[٢٢].

٠٥ **المدرسة الصالحية:** أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام (٦٣٩)هـ وكانت تتكون من أربع مدارس معاً، واحدة لكل مذهب من المذاهب الأربعة وهي أول مدرسة أنشئت على هذا النمط[٢٣].

٦. **المدرسة المنصورية:** وأنشأها الملك المنصور قلاوون ورتب فيها دروساً بالمذاهب الأربعة ودرساً في الطب، كما رتب بقبته المجاورة لهذه المدرسة درساً في الحديث ودرساً في التفسير، وميعاداً للوعظ، وعني باختيار مدرسيها عناية تامة وكان ابن دقيق العيد يدرس في القبة[٢٤].

وأما أشهر تلاميذه: فقد تتلمذ على الشيخ خلق كثير في قوص والقاهرة وكان من أشهر تلاميذه، القاضي عماد الدين ابن الأثير الحلبي الشافعي الذي استملى منه كتاب إحكام الأحكام، والشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، وقطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي، وقاضي القضاة علاء الدين القوني، وقاضي

القضاة علاء الدين الأخنائي وغيرهم.

● **المطلب الثاني: تصديه للقضاء:**

لاحظنا من خلال ما سبق أن العالم الجليل ابن دقيق العيد قضى معظم حياته منشغلاً بطلب العلم والتدريس والإفتاء، متنقلاً بين المدارس العلمية بين شيوخ وتلاميذ إلا أنه وفي أواخر حياته وفي السبعين من عمره تولى القضاء، حيث عين قاضياً للقضاة الشافعية في عهد السلطان كتبغا، وكان ذلك سنة ستمائة وخمس وستين هجرية (٦٦٥ هـ).

وقد ولي القضاء قبل ذلك في قوص، وباشره فيها عن المالكية مدة، أثناء إقامته وتدريسه فيها، وذلك بعد تعدد منصب قاضي القضاة، وفق تعدد مذاهب أهل السنة، وهي المذاهب الأربعة[٢٥].

وكان منصب قاضي القضاة في ذلك الوقت بمثابة وزير العدل، بل أشرف منزلة وأعظم خطراً، إذا كان السلطان إذا أراد أن يستنفر الناس للجهاد، أو شاء أن يأخذ منهم أموالهم لتجهيز الجيش والتقوي على العدو، لا يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، حتى يقره على ذلك قاضي القضاة، كما كان يجلس مع السلطان لقضاء المظالم، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين القضاة والسلاطين والأمراء.

وقد اعتبر بعض تلاميذ ابن دقيق العيد وبعض من أرخوا له، أن قبوله لهذا المنصب زلة من زلاته، فقد نقل ابن حجر[٢٦] عن تلميذه ابن سيد الناس فتح الدين اليعمري قوله : لو لم يدخل في القضاء لكان ثوري زمانه وأوزاعي أوانه.

ونقدهم هذا في توليه القضاء فيه نظر كما سيظهر، فقد تولى القضاء بعد إباء شديد كما ذكر ذلك السبكي في طبقاته و الصلاح الصفدي في أعيان العصر والأسنوي وغيرهم من الثقات[٢٧].

قال الأسنوي في توليه القضاء: فلما مات القاضي تقي الدين بن بنت الأغر سألوه في القضاء فامتنع، فتحيلوا عليه فقالوا له عن شخصين لا يصلحان عنده للقضاء: إن فلاناً وفلاناً قد انحصر الأمر فيهما إن لم تفعل، والظاهر أنه كان كذلك، فرأى أنه قد وجب عليه القبول، فقبل حينئذ.

ومن هنا نعلم أن ابن دقيق العيد ما قبل منصب قاضي القضاة إلا بعد أن علم بأنه سيؤول إلى من لا يستحقه، ولا تتوفر

فيه شروط منصب القاضي العادل، فوجد الأمر لازماً عليه أن يقبله، لتعينه عليه بحيث لو رفض لوقع في الإثم، فأصبح قبوله واجباً دينياً لا مناص من القيام به.

وكان رحمه الله متبرماً بمنصب قاضي القضاة، فقد نقل الأدفوني[٢٨] نفسه عن الشيخ شمس الدين بن عدلان أنه قال له مرة: والله ما أخار الله لمن يلي بالقضاء، ثم قال له: يا فقيه، لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال و الحساب لكفى، ثم عزل نفسه مرة بعد مرة إلا أنه كان يسأل فيعاد إليه[٢٩].

وكم خدعت الرياسة كثيرا من العلماء، فساروا وراء المظاهر والأبّهة والخيلاء، فباعوا دينهم بدنياهم، فنقص قدرهم، وأسقطت قيمتهم في نظر العامّة والخاصّة أما ابن دقيق العيد فكان مثال الصرامة والحزم، فلم يدار ولم يجار في سبيل المحافظة على المنصب، كما لم تأخذه في دين الله والحق لومة لائم، ثمّ كان إذا سمع ما يكره عزل نفسه، فرفع منصب القضاء قدره، كما رفع هو منصب القضاء.

وكان له مواقف حسنة وشجاعة وحازمة تدلّ على تمسكه بالحق ودفاعه عنه وتأثره بشيخه العز بن عبد السلام؛ فهو أبطل بدعة خلع ملابس الحرير على القضاة وغيّرها للصوف، وأستاذه العز أبطل بدعة حمل السيف على المنبر و لبس السواد أثناء الخطبة وأبطل صلاتيّ الرّغائب و نصف شعبان، و منع منهما لعدم صحّة ذلك عنده.

وإسقاطه لشهادة نائب السلطنة وإنشاده للرسول ذلك البيت الذي يدلّ على عدم اعتبار شهادة المماليك، يشبه إفتاء الشيخ العز بن عبد السلام بإسقاطه شهادة المماليك لعدم ثبات حريتهم عنده، هذه المواقف وغيرها الكثير تظهر أثر شخصيّة العز بن عبد السّلام على شيخنا ابن دقيق العيد، من إخلاص للعلم، ونزاهة في القضاء، وشجاعة في الجنان، وجرأة في الحق وعدم تعلّق بالدنيا وزينتها[٣٠].

● المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه:

لقد وصفه كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوني وغيرهم، بأنه لم يزل حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه، وقف

نفسه على العلوم وقصدها، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة أو التحصيل والإملاء.

قال عنه ابن سيد الناس: "لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه فيما رأيت ورويت، وكان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً، مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه، بصيراً بذلك شديد النظر في تلك المسالك وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب مبرزاً في النقلية والعقلية"[٣١].

وقال عن الأدفوني في طالعه السعيد: كان له قدرة على المطالعة، رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب من جملتها عيون الأدلة لابن القماز في نحو ثلاثين مجلدة وعليها علامات له، وكذلك رأيت في المدرسة السابقية السنن الكبرى للبيهقي على كل مجلدة علامة له أيضاً[٣٢].

يحكى أن ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها، ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق بقوص.

كان "رحمه الله" -مع غزارة علمه- ظريفاً، له أشعار، وملح وأخبار[٣٣].

قال الذهبي في معجمه[٣٤]: قاضي القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها، الإمام العلامة، الحافظ القدوة الورع، شيخ العصر، كان علامة في المذهبين، عارفاً بالحديث وفنونه، سار بمصنفاته الركبان.

قال السبكي في الطبقات الكبرى[٣٥]: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد العالم المبعوث على رأس السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً.

قال ابن كثير في طبقاته[٣٦]: أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكثرهم علماً وديناً، وورعاً وتقشفاً، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر سنه وشغله بالحكم وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه أقرانه، وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق.

ومن مآثره: يقال: إنه طالع كتب المدرسة الفاضلية بالقاهرة عن آخرها، وقد كان دأبه أن يقضي الليل في المطالعة

والعبادة، فكان يطالع في الليلة الواحدة المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة من القرآن الكريم فكررها حتى مطلع الفجر.

استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** قال: فما زال يكررها إلى طلوع الفجر، من أقواله: "ما تعلمت كلمة ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل".

من سماته: كان "رحمه الله" مغرماً بالقراءة، كثير النقد والتحري والتدقيق فيما يقرأ، لا يقبل الشيء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه.

وكان "رحمه الله" في قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق والعدالة والنزاهة، لا يخشى في الحق لومة لائم أو بطش سلطان، فما كان يراه حقاً يطمئن عليه الشرع ينفذه ولو كان في ذلك غضباً للحكام والسلاطين.

وقد كان "رحمه الله" كريماً جواداً بجانب غيرته على الحق لا يخشى فيه لومة لائم(٣٧)، ومن أهم ميزاته عدم التعصب المذهبي ودعواته المتكررة إلى إتباع النص إن ثبت وصح.

من هذا نرى أن العلماء متفقون على سعة علمه وتقواه وورعه، وأنه أستاذ عصره علماً وديناً وورعاً، بل إنهم يكادون أن يكونوا مجمعين على أنه هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث المصطفوي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه ابو داود.

● **المطلب الرابع: وفاته:**

بعد أن أنهى ابن دقيق العيد حياته العلمية والعملية، وأدى رسالة العلم التي حملها بأمانة وصدق، توفي رحمه الله يوم الجمعة الحادي عشر لصفر (٧٠٢) هـ، ولم يذكر أحد ممن كتبوا عنه الظروف والملابسات التي اكتنفت وفاته، وإنما اختصروا على ذكر الزمان الذي مات فيه، والمكان الذي دفن فيه ووصف جنازته ورثائه(٣٨).

قال الأدفوني(٣٩): توفي يوم الجمعة حادي عشر صفر عام اثنين وسبعمائة ودفن في يوم السبت بسفح المقطم، وكان ذلك

يوماً مشهوداً عزيزاً مثله في الوجود، سارع الناس إليه ووقف جيش ينتظر الصلاة عليه، رحمه الله تعالى، وهو ممن تألمت على فوات رؤيته والتحلي بفوائده وبركته.

ثم قال: ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص، منهم شعيب بن أبي شعيب والأمير محمد مجد الدين بن اللمطي، وشرف الدين النصيبي.

ولم يذكر أي خلاف بين المؤرخين في تاريخ وفاته أو مكانها، وكانت وفاته عن سبعة وسبعين عاماً قضاها في التعليم والتعلم والتحصيل والإملاء والعبادة، وقضى منها سبع سنوات في القضاء، إلا أنه لم يترك التدريس أثناءها كما وضَحنا ذلك سابقاً.

عاش "رحمه الله" معظماً مبجلاً ومات معظماً معززاً مكرماً، وقد أنجب من الأولاد الذكور عشرة، سماهم بأسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.

رحم الله تعالى العالم الجليل تقي الدين بن دقيق العيد وأسكنه فسيح جناته ونفعنا بعلمه النافع الغزير، وجعلنا ممن يلتقي معه في الفردوس الأعلى يوم القيامة إنه تعالى سميع مجيب.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (٧) من سورة الحشر.

(٤) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ ص ٢- ٢٣ الطبقة .

الحسينية (١٣٢٤هجري) بتصرف مختصر الذهبي: شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، ج٤ ص٤٨١-٤٨٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبقة الرابعة.

(٥) الادفوني: كمال الدين جعفر بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.

ص٥٦٧ -٦٠٢ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، تحقيق سعيد محمد حسن.

(٦) الحنبلي، عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦ ص٥-٦ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٧) الادفوني: "الطالع السعيد" ص٤٣٥، المرجع السابق.

(٨) ابن حجر، احمد بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٦ ص٢-٢٣ مطبعة المدني، القاهرة بتصرف واختصار.

(٩) الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن حسن: طبقات الشافعية ج٢ ص٢٢٧ .

(١٠) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٣ تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد (١٣٩١هـ).

(١١) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبعتها، الطبقة الثانية ج٢، المجلد الثالث ص٦٧ .

(١٢) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: ابن دقيق العيد -عصره -حياته-علمه وأثره في الفقه ص٥٧-٥٩ دار البشير، عمان.

(١٣) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: المصدر السابق ص٧٠ .

(١٤) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٤ .

(١٥) احمد احمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية مصر والشام ص١٦٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢م.

(١٦) ابن حجر العسقلاني: "الدرر الكامنة " ج٤ ص٢١٢ .

(١٧) الاسنوي: "طبقات الشافعية" ج٢ ص١٢٢٩ .

(١٨) محمود رزق سليم: "عصر سلاطين المماليك " ج٢، مجلد ٣ ص٢٩ (بتصرف).

(١٩) ابن رشيد، محمد بن عمر الفهري السبتي: ملئ الغيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة (رحلة ابن رشيد) مخطوط وموجود الجزء الثالث منه في الجامعة الإسلامية في المدينه المنورة.

(٢٠) النجيبي: القاسم بن يوسف: مستفاد الرحلة و الاغتراب ص٢٠، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الناشر الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

(٢١) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥ .

(٢٢) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة" ٩٠٩/١٧

(٢٣) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥

(٢٤) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة" ١٧/ ٩٠٩ .

(٢٥) الاسنوي: "طبقات الشافعية "ج٢ ص٢٢٩ .

(٢٦) ابن حجر العسقلاني: " الدرر الكامنة " ج٢ ص٢١٧ .

(٢٧) انظر الطبقات للسبكي ج٦ ص٤، وطبقات الشافعية للاسنوي ج٢ ص٢٢٩

(٢٨) الادفوني: "الطالع السعيد " ص٥٩٦ .

(٢٩) السبكي: " طبقات الشافعية " ج٦،ص٤

(٣٠) راجع تفصيل هذه المواقف من كتاب" ابن دقيق " محمد رامز العزيزي ص ٩٣ - ٩٨ .

(٣١) السبكي: "طبقات الشافعية " ج٦، ص٢-٣ .

(٣٢) الادفوني: " الطالع السعيد " ص٥٩٨ .

(٣٣)، (٣٤)، (٣٥)، (٣٦): شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٢١ .

تحقيق محمد عوض هيكل، دار السلام للطباعة و النشر- القاهرة.

(٣٧) سيد يوسف: مقال منشور على الانترنت (.www com.gogle)

(٣٨) العزيزي: ابن دقيق العيد ص ١١٧ .

(٣٩) الادفوني: الطالع السعيد ص٥٩٩ .

بحث في نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الدكتور احمد العوضي

نزلت الآيات المدنية تؤكد فرضية الزكاة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ البقرة: ١١٠، وكانت سورة التوبة من آخر ما أنزل من القرآن الكريم، وجاءت بعض آياتها متعلقة بتحديد العلاقة الدولية بين الدولة الإسلامية وسائر الجماعات غير الإسلامية والدول غير الإسلامية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ التوبة: ٥.

وكان الله قد أمر قبل ذلك الدولة الإسلامية أن تمهل مشركي العرب الذين ليس بينها وبينهم عهد، أربعة أشهر وأن تمهل مشركي العرب الذين بينها وبينهم عهد إلى انتهاء مدة العهد، ثم أوجب عليها قتال من انتهى عهده من النوعين ولم يدخل في الإسلام، وشرط الله تعالى على الدولة الإسلامية ثلاثة شروط للكف عن قتال مشركي العرب هي: التوبة عن الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن اجتمعت فيه هذه الشروط الثلاثة، وجب على الدولة المسلمة الكف عن قتاله لأنه صار مسلما. وتدل هذه الشروط على أن من امتنع من مشركي العرب عن الإيمان أو عن إقام الصلاة، أو عن إيتاء الزكاة ففرض على الدولة المسلمة قتاله حتى يتوب.

ويستنبط من الآية السابقة أن من دخل

في الإسلام، لا يحل له الامتناع عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن امتنع عن الصلاة أو عن الزكاة عزر على ترك الصلاة وأخذت الزكاة منه عنوة، وإذا كان الممتنع جماعة متفقة على الاجتماع ولكنها لم تخرج من الإسلام، فهي جماعة مسلمة باغية تقاتل حتى تتوب عما امتنعت عنه، ومثالها مانعو الزكاة في زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فإن امتنع فرد عن إقام الصلاة أو إيتاء الزكاة امتناع ردة، استتيب فإن تاب وجب على الدولة إطلاق سبيله، فإن أبى التوبة وجب ضرب عنقه، وإن امتنعت جماعة عن إقام الصلاة أو إيتاء الزكاة امتناع ردة، فهي جماعة كفر فتحل دماؤهم وأموالهم وفَرْضٌ على الدولة المسلمة قتالهم حتى يدخلوا في الإسلام من جديد ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

وورد ذكر الشروط السابقة نفسها في موضع آخر في سورة التوبة، قال تعالى: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** التوبة: ١١. فوصف من اجتمعت فيه الشروط الثلاثة المذكورة بأنه أخ للمؤمنين **﴿فإخوانكم في الدين﴾**.

ويستنبط من آيتي سورة التوبة السابقتين أنه لا يجوز للدولة المسلمة أن تقبل من فرد ولا من جماعة إقامة الصلاة دون إيتاء الزكاة ولا إيتاء الزكاة دون إقامة الصلاة، ولذلك لما قدم بعض الوفود على الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يعفيهم من الصلاة ليدخلوا في الإسلام رفض طلبهم ذلك، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه قاتل من منعوا الزكاة على الرغم من أنهم كانوا مسلمين يقيمون الصلاة.

وفي الحديث: (الصلاة نور والصدقة برهان) ومما تعنيه العبارة أن الصلاة نور لصاحبها ونور على صاحبها، لأنها تكشف للمؤمنين عن حقيقة صاحبها أنه مؤمن، وكذلك إيتاء الزكاة برهان على أن صاحبها مؤمن، وبرهان إيمانه أنه يؤتي الزكاة، ويدل ذلك دلالة مفهوم على أن من ترك إقامة الصلاة أو امتنع عن إيتاء الزكاة فالإيمان عنده معدوم أو ضعيف، فإذا وجد الإيمان في القلب وجد العمل، وعلى قدر قوة الإيمان تكون المحافظة على الأعمال.

ومما ورد في سورة التوبة من النصوص المتعلقة بالزكاة، وهي من آخر سور القرآن نزولا قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل**

عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ التوبة: ١٠٣. معنى **﴿وصل عليهم﴾**: ادع لهم.

وكلمة **﴿خذ﴾** في الآية خطاب للنبي ﷺ بوصفه رئيس الدولة وليس بوصفه نبيا، فيكون الخطاب موجها لكل خليفة بعده ﷺ، فالخطاب موجه للدولة وهي شخصية اعتبارية ينوب عنها في التنفيذ رئيسها، وهو رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده، ففرض على الدولة الإسلامية ممثلة بالخليفة أن تأخذ الزكاة ممن تجب عليهم، يدل على ذلك أن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة حتى أخذها منهم عنوة فتابوا بعد ذلك عن منعها.

وحرف الجر **﴿من﴾** في الآية للتبعيض، أي خذ جزءا من أموالهم ويدل التبعيض دلالة مفهوم على عدم جواز أخذ جميع المال، وهذا الجزء الذي يجب أخذه زكاة من مال المسلم ورد مجملا في هذه الآية، وقد بينته نصوص السنة النبوية فبينت كم النسبة التي تجب في كل نوع من الأموال، وهي في النقد ربع العشر، وفي المعادن والركاز الخمس، وفي الزروع والثمار المسقية من مؤنة العشر وفي المسقية بمؤنة نصف العشر، وهي في النقود أي الذهب والفضة ربع العشر.

وضمير الجمع في قوله: **﴿من أموالهم﴾** يدل على فرض الزكاة على كل مسلم. ومن ذهب إلى أن ضمير الجمع هنا يراد به النفر الثلاثة، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ثم تابوا فتاب الله عليهم، وأن الصدقة في هذه الآية يقصد بها صدقة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذها منهم تكفيرا لذنبهم، واستدل هؤلاء لرأيهم بأن سياق الآية ورد في هؤلاء النفر، وقالوا: إن قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) لا تنطبق على هذه الآية، فالمأمور به هو صدقة التطوع وليس الزكاة المفروضة، والمأمور بأخذ الصدقة المذكورة هنا منهم هم هؤلاء النفر وليس جميع المسلمين.

والجواب: إن مانعي الزكاة لما استدلوا بهذه الآية على منعهم الزكاة، لم يرد عليهم أبو بكر والصحابة بأن هذه الآية خاصة بالنفر الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فدل ذلك على أن المقصود بالصدقة في هذه الآية، هي الزكاة المفروضة وليس صدقة التطوع ولا صدقة أخذت من أولئك النفر للتكفير عن ذنبهم.

ومما يدل على ذلك أيضا ما رواه عبد

الله بن أبي أوفى: (أن رسول الله ﷺ كان إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى) أخرجه مسلم، فالحديث يفسر الآية ويمثل التطبيق العملي لها، فيدل ذلك على أن الصدقة المذكورة فيها هي الزكاة المفروضة.

❖ زمن فرض الزكاة المفصلة:

عن قيس بن سعد بن عبادة قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تَنْزِل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة) أخرجه أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسناده صحيح. هذا الحديث يدل على أن صدقة الفطر وصوم رمضان فرضا قبل أن تفرض الزكاة. وصوم رمضان فرض بالإجماع بعد الهجرة لأن آية الصيام مدنية، وصيام رمضان فرض في السنة الثانية.

وعن أنس في قصة إسلام ضمام بن ثعلبة، فقال ضمام لرسول الله ﷺ: (أنشدك الله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ قال: نعم) أخرجه البخاري ومسلم، وقدوم ضمام وإسلامه كان في السنة الخامسة، فيدل ذلك على أن الزكاة فرضت قبل السنة الخامسة.

فيكون فرض الزكاة قد شرع بعد السنة الثانية للهجرة وقبل السنة الخامسة للهجرة.

ويؤخذ من استقراء تاريخ تشريع الصلاة والصيام والزكاة والحج، أن أول ما فرض الصلاة وكان ذلك في العهد المكي، ثم الصيام في العهد المدني في السنة الثانية، ثم الزكاة فيما بين السنة الثانية والسنة الخامسة، ثم الحج.

❖ مكانة الزكاة بين فرائض الإسلام:

الزكاة في الإسلام هي أخت الصلاة، وقد ذكرت الزكاة (معرفة) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ذكرت في سبع وعشرين مرة منها مقترنة بالصلاة في آية واحدة، وذكرت في موضع واحد منها مقترنة بالصلاة في سياق واحد ولكن كل واحدة منهما في آية، وهو قوله تعالى: **﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون ❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون﴾** المؤمنون: ٢-٤.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، من لم يؤمن بها لم يدخل في الإسلام، وأركان الإسلام خمسة: بينها رسول الله ﷺ

بقوله: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) متفق عليه. ويدل على أن كل واحد من هذه الخمسة ركن من الإسلام يعني جزء من حقيقته حديث جبريل عليه السلام عندما سأل رسول الله ﷺ: (ما الإسلام؟ فأجابه رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) متفق عليه.

يستنبط من هذين الحديثين، أن من فرط في واحد من هذه الخمسة، فقد فرط في ركن من أركان الإسلام، فمن فرط بواحدة منها لعدم إيمانه به فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام فورا، ولكن يجب على الدولة أن تستتيبه في جلسة قضائية، بعد أن تكرر مجادلته وتتحقق من أسباب ردته وترد جميع شبهاته، من قبل أشخاص ذوي فكر وعلم وحجة وسرعة بديهة، واحد أو أكثر حتى تقام عليه الحجة التي لا لبس فيها كقيام الشمس في وسط السماء الصافية وقت الظهيرة.

فإن تاب وجب إخلاء سبيله، وإن أبى التوبة وجب الحكم بقطع عنقه ووجب تنفيذه على الفور، وإن كان التفريط تفريطا عمليا في واحد من الأركان الأربعة العملية وليس ناشئا عن عدم إيمان وإنما نشأ عن ضعف في الإيمان فيصير بذلك عاصيا ومرتكبا لذنب عظيم وكبيرة من الموبقات، ويجب على دولة الإسلام معاقبته بالعقوبة الشرعية.

ومن منع الزكاة لا عن عدم الإيمان، يجب على دولة الإسلام أن تأخذها منه عنوة، كل ذلك لأن الدولة في الإسلام مأمورة بتطبيق نظام الإسلام، فإن الغاية الشرعية من فرض إقامة دولة الإسلام هي حفظ الدين بتطبيق نظامه وحفظ الإيمان وحمل نظام الإسلام وفرضه على الناس جميعاً، وحمل الإيمان وعرضه على الناس جميعا دون فرضه.

وليس من أحكام الشريعة الإسلامية إكراه غير مسلم على الإيمان، إلا مشركو العرب في زمن النبوة، قال رسول الله ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)، وكلمة الناس هنا

لفظ عام ولكنه عام أريد به الخصوص وهم العرب دون من سواهم من الناس، فلم يقبل من مشركي العرب في زمن النبوة إلا الدخول في الإسلام أو القتل.

وهذا الحكم الذي جاء في حق مشركي العرب في زمن النبوة بخصوصهم، فيه في الظاهر قسوة عليهم، ولكن الله حكيم عليم، فلا يفعل إلا لحكمة، فمشركو العرب في زمن النبوة ليسوا على دين ينسب إلى الله ولا أتباع نبي ينسب إلى الله ولا أهل كتاب ينسب الى الله، ولكنهم أهل لسان هيأه الله ليُنْزِل به كتابه وأهل خصائص هيأها الله فيهم ليبعث منهم رسوله وليحملوا دينه إلى العالمين. فجاء الحكم قاسيا عليهم في الظاهر ولكنه في الحقيقة على قدر فضلهم على الناس، فهو حكم إكرام وليس حكم غضب وإهانة، وقد ظهرت نتائج ذلك الحكم بعد ذلك فإن العرب قد حسن إسلامهم ورسخ الإيمان في قلوبهم ففهموا الدين وانطلقوا به فاتحين، فأعزهم الله بدينه وأعز دينه بهم، قال تعالى: **﴿والله عليم حكيم﴾** وقال تعالى: **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** فاختار لرسالته محمدا ﷺ واختار أن يكون محمد ﷺ من العرب، وأن يكون القرآن بلسان العرب، وهو إكرام ليس فوقه إكرام.

❖ حكم الكافر بفرضية الزكاة:

إن كل ما ثبت بدليل قطعي الثبوت والدلالة، فالإيمان به فرض، ولا يصح إيمان الشخص متى علمه حتى يؤمن به، فإن لم يؤمن به بعد العلم بوجوب الإيمان به بطل إيمانه كله، لأن الإيمان كل لا يتجزأ.

وفرضية الزكاة ثابتة بأدلة قطعية الثبوت والدلالة، فالإيمان بفرضيته فرض، فمن لم يؤمن بفرضيتها بعد علمه بذلك يبطل إيمانه كله، ويخرج من ملة الإسلام.

ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى: **﴿.. ويل للمشركين ❖ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾** فصلت: ٦-٧، وصف الله تعالى للمشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة ويكفرون بالآخرة، يدل على أن من لم يؤمن بالزكاة كمن لا يؤمن بالآخرة.

قال تعالى: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** التوبة: ١١. اشترط الله تعالى لدخول المشركين في أخوة الإيمان أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، والمقصود إقام الصلاة المبني على الإيمان بفرضيتها، وإيتاء الزكاة المبني على الإيمان بفرضيتها، فمن لم يؤمن بفرضية الصلاة فهو كافر، ومن لم يؤمن بفرضية الزكاة فهو كافر.

رمضان كله خير

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

لقد فضل الله تعالى الناس بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ الأنعام: ١٦٥، وفضل بعض الرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ البقرة: ٢٥٣، وكان رسول الله محمد ﷺ المصطفى من بين الرسل والبشر أجمعين، وفضل بعض الأماكن على بعض، فقد جعل مكة المكرمة أفضل البلدان، والكعبة المشرفة أفضل البيوت فجعل الحج اليها فرضا واجبا على جميع الناس، فقال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾ آل عمران: ٩٧ .

وأقسم الله تعالى بمكة المكرمة، والله لا يقسم إلا بعظيم، قال تعالى: **﴿والتين والزيتون ❖ وطور سينين ❖ وهذا البلد الأمين﴾** التين: ١ - ٣، وفضل بعض الأمم على بعض، فقد جعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** آل عمران: ١١٠، وفضل بعض الأيام على بعض، فجعل يوم الجمعة أفضل الأيام وأمر المسلمين جميعا أن يتركوا أعمالهم ليسعوا الى أداء صلاة الجمعة، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** الجمعة: ٩، وجعل فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء.



وفضل تعالى بعض الليالي على بعض فجعل ليلة القدر أفضل الليالي وجعلها تساوي في فضلها وخيرها ألف شهر أي ثلاثين ألف ليلة، وفضل بعض الشهور على بعض فخص شهر رمضان بالبركة والخير وفضله على سائر الشهور وجعله شهر العبادة بأنواعها وشهر القرآن وشهر الجهاد وشهر الصدقة والإحسان، وشهر الفتوحات والإنتصارات قال تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** البقرة: ١٨٥ .

فالله تعالى لم يذكر في كتابه العزيز اسم أي شهر سوى شهر رمضان وربطه بالقرآن نزولا وتلاوة وسلوكا، تماما كما أنه لم يذكر في كتابه العزيز أي مسجد سوى المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وربط بينهما في المباركة والقدسية فجعلهما مكان انطلاق رحلة الإسراء ووجهتها ومكان انطلاق رحلة المعراج والعودة منها، قال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** الأسراء: ١ .

ولم يذكر سبحانه اسم ليلة سوى ليلة القدر، مؤكدا على أنها أفضل من ألف شهر، ونركز هنا على أن الله تعالى عندما ذكر شهر رمضان في محكم التنزيل، فإنما ذكره بصيغة التعظيم والتبجيل والتكريم، ليظهره على سائر الشهور والسنين، ولعل أول إشارة ربانية الى عظمة شهر رمضان، أنه جعله شهر الصيام، وما يرتبط به من قيام وزكاة وصدقة وإحسان، وبذلك جعله شهر التقوى فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: ١٨٣، فجعل الحكمة من الصيام في هذا الشهر الكريم التقوى، والتقوى تجعل الإنسان المتقي يفوز بالمعية الإلهية، ومن فاز بالمعية الإلهية فاز بالجهة المنتصرة، التي لا تغلب وهي الله سبحانه وتعالى.

وكذلك فإن الصيام الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين في شهر رمضان جعله جنة ووقاية من العذاب ومن نار جهنم وقد جعل الله تعالى الصيام فريضة ثابتة باقية في قرآنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي أبدية أبدية الحياة، لا تزول مع تقلب الليالي والأيام ولا تنتهي مع مرور الدهور والأزمان.

وتظهر عظمة هذه الفريضة وعظمة

الشهر الذي فرضت فيه عندما ننظر إلى شهر رمضان لا يأتي في وقت ثابت معين من أيام السنة في نفس الظروف الجوية من اعتدال الطقس، أو قصر النهار، وإنما هو يدور على أيام السنة كلها في مختلف الأحوال الجوية وطول النهار وقصره، فهو يصادف في بعض السنوات أياما تتصف بالحر الشديد وبأشعة الشمس اللهيبة، وبطول النهار وساعات الصوم التي قد تصل في بعض السنوات الى ١٦ ساعة في درجة حرارة تراوح الأربعين درجة مئوية وتزيد في بعض الأقطار الإسلامية، ومع ذلك نجد أن المسلمين حتى الأطفال يؤدون فريضة الصوم امتثالا لأمر الله تعالى وطاعة له طلبا لرضاه وأملا في الثواب العظيم الواسع الذي أعده للصائمين، لما للصوم من خصوصية السرية والداخلية التي لا توجد في أية عبادة غير الصوم.

فيمكن للمسلم أن يتظاهر بأداء العبادات كالصلاة والحج والزكاة، فيؤديها ليقال عنه: إنه مصلي أو حاج أو متصدق، أما الصوم فلا يستطيع التظاهر به لأنه بينه وبين ربه.

ونظرا لهذه الداخلية والباطنية للصوم والتي لا يطلع أحد عليها غير المطلع على ما في القلوب وما تخفي الصدور وهو الله تعالى، فقد رتب عليه ثوابا عظيما، فقال جل وعلا في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وانا اجزي به والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني اُمرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

وفي رواية: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي».

بل إن الله تعالى أكرم الصائمين أيما تكريم ورفع منزلتهم في عليين وميزهم على غيرهم من الخلق أجمعين، حيث أفرد لهم بابا خاصا بهم يدخلون منه الى الجنة لا يدخل منه أحد غير الصائمين، فعن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان لا يدخله إلا الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون فيدخلون

منه، فإذا دخل آخرهم غلق فلم يدخل منه أحد» رواه الشيخان والنسائي.

❖ رمضان كله خير:

رمضان شهر اصطفاه الله تعالى بالذكر الذي لا يزول والمنحة التي لا تبيد وجعله خيرا وبركة للمسلمين فأوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، يضاعف الله فيه الأجور للصائمين ويرفع الدرجات، خصه الله تعالى بليلة عظيمة مباركة أنزل الله تعالى فيها سورة كاملة في قرآنه الكريم وهي ليلة القدر، جعل صيامها وقيامها يعدل أكثر من صيام وقيام ألف شهر وجعلها ليلة رحمة وسلام على المسلمين، والدعاء فيها مستجاب، يخصها المسلمون بالتقدير والتقديس فيحيونها في كل عام بالصلاة والقيام حتى مطلع الفجر ويتحرونها في العشر الأواخر من رمضان فقال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر ❖ وما أدراك ما ليلة القدر ❖ ليلة القدر خير من ألف شهر ❖ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ❖ سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾ القدر.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا (بمعنى طاعة لله وطلبا لوجهه الكريم وثوابه العظيم) غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الشيخان وأبو داود والنسائي.

ومن دلائل الخير لشهر رمضان أن من تقرب فيه بخصلة من الخير كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وأن من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير ان ينقص من أجره شيء.

وتظهر عظمة هذا الشهر على المسلمين أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله ما كلنا يجد ما يفطر الصائم أي لا يقدر ولا يجد ما يفطر الصائم من قلة المال عندهم، فأوضح لهم رسول الله ﷺ أن إفطار الصائم لا يستوجب عشاءه وتقديم مختلف أنواع الطعام له، بل جعله في أقل ما يمكن، وفيما لا يصعب على أحد أن يجده، فقال لهم ﷺ: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن، وأكد ﷺ على عظمة أمر تفطير الصائم وعظمة أجره وثوابه فقال لهم: «من سقى صائما سقاه

الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» رواه أبو خزيمه في صحيحه ثم قال: صح الخبر.

وفي هذا حض للمسلمين لإطعام الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، والتصدق عليهم بما تيسر لهم مهما كان ذلك قليلا، فالعبرة في التصدق والإحسان وليس في كمية الصدقة والإطعام، ومن الخيرات والنعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده في هذا الشهر المبارك العظيم، أنه يفتح فيه أبواب الجنة لاستقبال الوافدين المستحقين لرحمة الله تعالى ورضوانه ويغلق أبواب النار أمام الصائمين لأن الصوم جعله الله تعالى جنة ووقاية وسدا منيعا لهم من النار، عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين» فهل هناك أعظم من هذه النعم التي أنعمها الله تعالى على الصائمين من عباده؟ وهل هناك أعظم من رحمة الله تعالى في عباده في شهر رمضان المبارك؟ وهل هناك أيسر من هذه الأفعال التي أوجب الله تعالى بها الجنة لعباده؟ وهل هناك عتاب وتذمر ممن لم يستطع أن يدخل الجنة من أبوابها المفتوحة ويقحم نفسه من أبواب جهنم المغلقة؟ وأن يجنب نفسه ارتكاب الآثام والمعاصي، والإفلات من قبضة الشياطين وتأثيرهم ومحاولاتهم تضليله وإغواءه وقد ربطوا بالسلاسل وصفدت أيديهم وأرجلهم حتى لا يتمكنوا من إغواء المسلمين وتضليلهم؟

ويقول التوربشتي رحمه الله: الفتح كناية عن تنزيل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، والغلق كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتملص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات ويقول الطيبي رحمه الله: صفدت الشياطين أو سلسلت قيدت بالسلاسل حقيقة فلا يصلون الى إفساد المسلمين وإغوائهم الى ما يصلون اليه في غير رمضان، والملاحظ للعيان أن وقوع المسلمين في المعاصي والشرور في رمضان أقل من غيره بكثير وأن ما يقع منهم من شرور ومعاصي في هذا الشهر المبارك لا يكون كله من الشياطين، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة التي توسوس لصاحبها باقتراف المنكرات.

وهناك العادات القبيحة التي اعتادها بعض المسلمين في حياتهم وأصبحت خاصية من خصائص سلوكهم وحياتهم،

وهناك الشياطين من الإنس الذين يفوقون في قوة تأثيرهم على الشخص قوة تأثير شياطين الجن، والذين أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يستعيذ منهم وأن يقتدي المسلمون بنبيهم في الإستعاذة منهم، قال تعالى: **﴿قل أعوذ برب الناس ❖ ملك الناس ❖ إله الناس ❖ من شر الوسواس الخناس ❖ الذي يوسوس في صدور الناس ❖ من الجنة والناس﴾**.. فالوسواس من الشيطان والشيطان من الجن والإنس.

إن فضائل شهر رمضان كثيرة وعظيمة يصعب حصرها وعددها، وأن ما ذكرنا منها ما هو إلا غيض من فيض ويكفي أن نذكر هذا الحديث عن رسول الله ﷺ لنأخذ منه صورة ناصعة وحقيقة واقعة عن عظمة هذا الشهر وعظمة خيره وتنوعه وفيض نعمه والذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر الى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم» رواه البيهقي بإسناد مقارب.

والحديث عن شهر رمضان وشمائله وما أحاط الله به من التكريم والتعظيم طويل ولا يمكن أن نحصره في بضع صفحات، فما لم أذكره من الفضائل فليس من باب التقصير أو النسيان، بل لأن المجال لا يتسع لذلك.

وأختم حديثي هذا بقول رسولنا وحبيبنا ومعلمنا ورائدنا وشفيعنا محمد ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان" وأن للصائم دعوة عند فطره لا ترد.

كيف نستقبل رمضــــان

■ بقلم الاستاذ زياد الصلاحات

ما أشبه الليلة بالبارحة هذه الأيام تمر بسرعة وكأنها لحظات، لقد استقبلنا رمضان ثم ودعناه، وما هي إلا فترة من الزمن وإذا نحن نستقبل رمضان مرة أخرى.

ولو نظرنا حولنا لوجدنا أن بعضاً ممن أدرك رمضان الماضي، أصبح من أهل القبور وربما البعض منا في هذا العام ممن يقدر الله له أن يصوم رمضان كاملاً، فيقدر الله ألا يكون من أهل الدنيا بعده فيكون آخر رمضان يصومه ويقومه، ولو استشعر كل منا هذا الأمر واستعد للموت بعد رمضان أو في أثنائه، وصام رمضان إيماناً واحتساباً وقامه أيضاً إيماناً واحتساباً لنال السعادة والفوز بالجنة، فرغم أنف ثم رغم أنف من أدرك رمضان ولم يغفر له.

إن الاستعداد في رمضان يكون بمحاسبة النفس على تقصيرها سواء بالتقصير في تحقيق الشهادتين أو التقصير في الواجبات أو التقصير في عدم ترك ما نقع فيه من الشهوات أو الشبهات .. فيقوم العبد سلوكه ليكون في رمضان على درجة عالية من الإيمان.. فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فأول طاعة يحققها العبد هي تحقيق العبودية لله وحده وينعقد في نفسه ألا معبود بحق إلا الله فيصرف جميع أنواع العبادة لله لا يشرك معه أحداً

في عبادته، ولا يرائي بعبادته، ومنها العبادات القلبية من خشية ورهبة وخوف ورجاء وتوكل وإنابة وإخبات ورغبة واستعانة واستغاثة وأيضاً وكل أنواع العبادة الظاهرة، ويستيقن كل منا أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن كل شيء بقدر.

ونمتنع عن كل ما يناقض تحقيق الشهادتين وذلك بالابتعاد عن البدع والإحداث في الدين. وبتحقيق الولاء والبراء، بأن نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين والمنافقين، ونفرح بانتصار المسلمين على أعدائهم، ونقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونستن بسنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ونحبها ونحب من يتمسك بها ويدافع عنها في أي أرض وبأي لون وجنسية كان.

بعد ذلك أيها الإخوة القرّاء نحاسب أنفسنا على التقصير في فعل الطاعات كالتقصير في أداء الصلوات جماعة وذكر الله عز وجل وأداء الحقوق للجار وللأرحام وللمسلمين وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق، والصبر على ذلك، وبالصبر عن فعل المنكرات، أو بالصبر على فعل الطاعات، أو بالصبر على أقدار الله عز وجل.

ثم تكون المحاسبة على فعل المعاصي واتباع الشهوات بمنع أنفسنا من الاستمرار عليها، أي معصية كانت صغيرة أو كبيرة، سواء كانت معصية بالعين، بالنظر إلى ما حرم الله أو بالسماع للمعازف أو بالمشي فيما لا يرضي الله عز وجل، أو بالبطش باليدين في ما لا يرضي الله، أو بأكل ما حرم الله من الربا أو الرشوة أو غير ذلك مما يدخل في أكل أموال الناس بالباطل.

ويكون نصب أعيننا أن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وقد قال سبحانه وتعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ❖ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله**

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ❁ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين❁.

وقال تعالى: **❁قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم❁** وقال تعالى: **❁ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً❁**.

بهذه المحاسبة وبالتوبة والاستغفار يجب علينا أن نستقبل رمضان، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

حقاً إن شهر رمضان شهر مغنم وأرباح والتاجر الحاذق يغتنم المواسم ليزيد من أرباحه فليغنم المسلم هذا الشهر بالعبادة وكثرة الصلاة وقراءة القرآن والعفو عن الناس والإحسان للغير والتصدق على الفقراء.

ففي شهر رمضان تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادي منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أقبل هلم، ويا باغي، الشر أقصر.

فكونوا أيها السادة القرّاء من أهل الخير متبعين في ذلك سلفكم الصالح مهتدين بسنة نبيكم ﷺ حتى نخرج من رمضان بذنب مغفور وعمل صالح مقبول، وأخلصوا النية لله في صيامكم وقيامكم، وبيتوا النية بالصيام، ويصح أن تنووا صيام الشهر كله إذا لم تخرموه بإفطار بعذر. لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» ولقوله ﷺ: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له» فمن أفطر بعذر لسفر أو لمرض أو لغيره فعليه تجديد النية.

وعلى المسلم أن يتحلى بالصبر حتى وإن سابه أحد أو شاتمه كما جاء في الحديث الصحيح: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم».

ومن سنة النبي ﷺ تأخير السحور وتعجيل الإفطار، ويكون تأخير السحور

إلى ما قبل الفجر بما يقدر بقراءة خمسين آية، وعلى المسلم أن يتسحر ولو بقليل من الماء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تسحروا فإن في السحور بركة».

وإذا أصبح الصائم وهو جنب من الليل فليغتسل ولا شيء عليه، وكذلك من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه، كما قال النبي ﷺ، والمسافر مخير بين الصوم والإفطار أثناء سفره كما جاء في صحيح مسلم عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه». هذا في السفر المباح أما من سافر بقصد الإفطار أو سافر في معصية فأفطر فهو آثم وعليه وزر وعليه القضاء مع التوبة والاستغفار.

وقد شرع في رمضان الاعتكاف في العشر الأواخر منه استعداداً وتحرياً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم أسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا ممن يحظون بالقيام والدعاء والاستغفار في ليلة القدر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أنه يشرع قيام رمضان وأن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.. فلله الحمد والمنة، يقوم المصلي ساعة من الليل مع الإمام فكأنما قام الليل كله.

ولا ننسى الاهتمام بالفرائض أولاً والمواظبة عليها في المساجد جماعة، فالله عز وجل يحب التقرب إليه بالفرائض .فلا ننسى الأصل والفرض ونهتم بالنوافل والمستحب.

وصلاة القيام ليس لها أذان ولا إقامة، وقد سئلت أمنا عائشة رضي الله عنها عن صلاة النبي ﷺ في رمضان فقالت: لم يزد رسول الله ﷺ في رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة.

والنبي ﷺ قال: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة» إذاً الأفضل أن تكون صلاة الليل إحدى عشرة ركعة بقراءة مرتلة وخشوع واطمئنان في جميع الأركان ومن زاد على إحدى عشرة ركعة فلا بأس لقول النبي ﷺ:

«صلاة الليل مثنى مثنى»، سواء صلى المصلي ثلاثاً وعشرين أو ثلاثاً وثلاثين أو غير ذلك المهم أن تكون الصلاة بقراءة مرتلة وخشوع واطمئنان وسواء صلاها المسلم مع الإمام في المساجد أو صلاها منفرداً في بيته.

أما دعاء القنوت في الوتر فلم يثبت فعله عن النبي ﷺ لا في رمضان ولا في غيره، لا منفرداً ولا في جماعة حيث قد صلى النبي ﷺ بالصحابة في رمضان في عدة رمضانات وفي ليالي متفرقة من كل رمضان صلى النبي ﷺ بالصحابة ولم ينقل عنه أنه قنت في الوتر، ولذلك أخذ المالكية بهذا الأمر فهم لا يقنتون لا في رمضان ولا في غيره وأهل بلاد المغرب يتمسكون بعدم القنوت طوال العام.

ولكن حيث ثبت أن الصحابة قد قنتوا في النصف الأخير من رمضان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلذلك رأى بعض أهل العلم أن القنوت في الوتر لا يشرع طوال العام إلا في النصف الأخير من رمضان، وبهذا أخذ الشافعية فهم لا يقنتون في الوتر طوال العام إلا في النصف الأخير من رمضان ودليلهم قوي لإجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

وأما من يقنت في الوتر طوال العام بحجة الحديث الذي يروى عن تعليم النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه دعاء القنوت المشهور، فقد قال بعض أهل العلم: لا بأس بذلك. إذاً فمن قنت أو ترك. أو اقتصر على النصف الأخير من رمضان فلا بأس. ولا ينكر على أحد منهم، فالأمر واسع والحمد لله.

ولكن الأرجح هو أن يكون دعاء القنوت في النصف الأخير من رمضان، والدعاء في القنوت ينبغي أن يكون موافقاً لما ثبت عن إجماع الصحابة، مع البعد عن التعدي في الأقوال والبعد عن الإطالة والتنغيم تشبهاً بقراءة القرآن والأولى إخشاع القلوب بالقرآن وبحسن التلاوة مع تطبيق السنن في الصلاة من خشوع وطمأنينة، وقراءة دعاء الاستفتاح الذي يتهاون به كثير من أئمة التراويح هذه الأيام، نسأل الله لنا ولهم الهداية والإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب.

فضائل شهر رمضان

■ بقلم الاستاذ أحمد فريد

قال الله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ البقرة: ١٨٥ .

يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة.

يا من دامت خسارته، قد أقبلت أيام التجارة الرابحة.

من لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح.

من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

لقد هبت على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، سعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق.

لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل ،فلم يبق للعاصي عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك

واركعي، ويا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء النفوس اقلعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، قد مدت في هذه الأيام، موائد الإنعام للصوام، فما منكم إلا من دعى: **﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾** الأحقاف: ٣١ .

فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعى.

قال المعلّى بن الفضل: كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان، وتسلمه مني متقبلا، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنة».

وله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»، وفي رواية عند مسلم «فتحت أبواب الرحمة».

قال عياض: يحتمل أنه على ظاهره، وحقيقته أن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر، وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن إعجازهم عن الإغواء وتزيين الشهوات.

وهذا الشهر الكريم مدرسة ربانية رحمانية تفتح أبوابها كل سنة شهرا كاملا يتدرب فيه العباد على طاعة الله عز وجل والإمساك عن معاصيه، فهو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن والصدقة والعمرة وسائر الطاعات.

روى البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح

بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه».

والصيام في اللغة هو الإمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، فهو إمساك المكلف بالنية عن الطعام والشراب والشهوة من الفجر إلى المغرب.

وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:

منها كسر النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسي القلب ويعميه، وخلو البطن من الطعام والشراب، ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للفكر والذكر.

ومنها أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بامتناعه عن هذه الشهوات في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك بتذكر من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي الصوم وجاءً؛ لقطعه عن شهوة النكاح.

ولا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك الشهوات المباحة في غير حالة الصيام، إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل حال، من الكذب والظلم والاعتداء على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه».

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام، وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء، وكان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدا.

والصائمون على طبقتين: أحدهما من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد

تاجر مع الله وعامله والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح، فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء، قال الله تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ الحاقة: ٢٤ . قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم»، وفي رواية: «فإذا دخلوا أغلق» وفي رواية: «من دخل شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا».

والطبقة الثانية من الصائمين من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم
صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الأنس صومهم
صون القلوب عن الأغيار والحجب
العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم
قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر همهم أجلّ من ذلك، ومن صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت**﴾ العنكبوت: ٥ .

وقوله عز وجل في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» معناه أن الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة، بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ الزمر: ١٠ .

وقيل: الحكمة في إضافة الصيام إلى الله عز وجل، أن الصيام هو ترك حظوظ النفوس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها، من الطعام والشراب والنكاح، ولا يوجد ذلك في غيره من العبادات.

قال بعض السلف: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره، وقيل: لأن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع

عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها دائما، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، والله عز وجل يحب من عباده أن يعاملوه سرا.

وشهر رمضان له خصوصية بالقران كما قال الله تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾** البقرة: ١٨٥ .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** القدر: ١ .

كان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام، قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

والشهر مجاهدة بالليل والنهار، فكما أن العبد يجاهد نفسه بالصيام ويلزمها بأخلاق الصائمين، يجاهد نفسه كذلك بالقيام تشبها بالصالحين، قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميما الداري أن يؤما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا قرب الفجر.

والشهر كذلك تدريب على الإنفاق وكثرة الجود، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

فقد كان النبي أجود الناس وكان جوده لله وفي ابتغاء مرضاته، وكان جوده يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة.

ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم

الأخلاق، فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود.

وفي تضاعف جوده في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، فإن العمل يشرف ويزداد ثوابه لشرف الزمان، أو المكان، أو لشرف العامل وكثرة تقواه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم الجنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة».

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وقد قال ﷺ: «الصيام جنة» وقال ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطيئة»، وقال أبو الدرداء: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث.

ومنها: ما قاله الشافعي رحمه الله: أَحِبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم عن مكاسبهم، اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا.

خلاصة الأحكام في شرعة الصيام

■ بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله جل وعز: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، لا يخفى ان صوم شهر رمضان المبارك، ركن عظيم من أركان هذا الدين، فهو شهر كريم على الله تعالى، إختص صيامه لنفسه دون سائر الأعمال، لأنه نبع فياض يتدفق بأكرم المعاني، ومدرسة راقية لتطهير الروح، وإعلان سلطان الإرادة وهو شهر منابع الخير، وعوارف الفضل، ومرابع النور، ونفحات الرب العظيم جل جلاله.

وحتى يحظى المسلم ببركات ونفحات هذا الشهر الكريم، وكي يكون صومه كاملاً مقبولاً بإذن الله تعالى، تأتي هذه الرسالة المختصرة، بأسلوب عرضها السهل الميسر، خلاصة لأحكام الصيام الضرورية، ولأهم المسائل المستحدثة فيه، التي يكثر فيها السؤال، مساهمة في بناء الشخصية المثلى، وتبصير المسلمين بأمور دينهم، كي يعبدوا الله تعالى على علم وفهم.

وقد توخيت فيها ارجح الآراء الفقهية، وأكثرها يسراً وقبولاً وشمولاً -في نظري القاصر- مراعاة لمصالح الناس الحقيقية في أمور الدين والدنيا، دون ذكر الأدلة، أو نسبة المذاهب لأصحابها، وما ذلك الا من قبيل الاختصار، وحتى يسهل فهمها وحفظها، والله تعالى وحده من وراء القصد.

❖ أركان الصوم:

١- النية بالقلب كل يوم، ويشترط تبييتها

قبل الفجر.

٢- الامساك عن جميع المفطرات، من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

❖ شروط وجوب وصحة الصوم:

١- الاسلام.

٢- العقل، فلا يجب على مجنون حتى يعقل.

٣- البلوغ، فلا يجب على صغير حتى يبلغ، لكنه يؤمر به كي تعتاد نفسه عليه.

٤- القدرة على الصوم، فلا يجب على العاجز لكبر أو مرض مزمن.

٥- انقطاع دم الحيض والنفاس، فلا يصح الصوم من الحائض أو النفساء.

❖ سنن الصوم:

١- تأخير السحور الى آخر جزء من الليل، ما لم يخش طلوع الفجر.

٢- تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس.

٣- الدعاء عند الفطر: **«اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى».**

٤- ان يفطر الصائم على رطب ان تيسر، وإلا فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى الماء.

٥- ثم يشرع في أداء صلاة الغرب قبل تناول طعامه.

٦- ان يحفظ صومه بكثرة الطاعات، والإقبال على الله تعالى بالاستغفار، وكثرة الانفاق في وجوه الخير، والدعاء، وتلاوة القرآن الكريم، والاجتهاد في العبادة، سيما العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك، وترك المعاصي وتحمل الإساءة من الغير.

❖ الأعذار التي توجب الفطر:

١- اذا عطش الصائم عطشاً شديداً، وصل به الى حد الهلاك.

٢- المريض الذي لا يرجى برؤه، ويخشى على نفسه الهلاك.

٣- المضطر المفطر، من اجل انقاذ شخص أوشك على الموت، لغرق أو حريق او نحوه.

٤- الحائض والنفساء.

ويجب بحق هؤلاء جميعاً القضاء.

❖ الاعذار المبيحة للفطر:

١- المرض الشديد الذي يؤخر الصوم بسببه الشفاء، أو تحصل به المشقة

الشديدة، **عليه القضاء.**

٢- الشيخ الكبير «الهرم» الذي لا يقوى على الصيام، **وعليه الفدية إطعام مسكين عن كل يوم.**

٣- السفر في طاع قبل طلوع الفجر، لمسافة لا تقل عن ستة عشر فرسخاً فأزيد، اي ما يعادل (٩٠) كم، **عليه القضاء.**

٤- الحمل والإرضاع، اذا شق الصوم على الحامل أو المرضع، أو خافتا على ولديهما، **عليهما القضاء.**

٥- الجوع والعطش الشديدان، اللذان يخشى منهما المرض أو الهلاك، **عليه القضاء.**

❖ ما يكره في الصوم:

١- تأخير الفطر عن غروب الشمس.

٢- المبالغة في المضمضة أو الاستنشاق.

٣- تذوق الطعام من المرأة أو الطاهي، لغير الضرورة، شريطة ان لايدخل الحلق.

٤- مضغ العلك «اللبان» الأبيض الملتئم والخالي من السكر، والمأمون تحلله او تجزأته أو ابتلاعه، وإلا فهو مفطر.

٥- القُبلة، وان لم تحرك الشهوة، أو مداعبة الزوجة.

٦- تمتع النفس بالشهوات، سواء بالنظر، أو السمع أو الفكر.

❖ ما لا يفطر الصائم:

١- اذا تناول الصائم شيئاً من المفطرات ناسياً أو مكرهاً، فإنه لا يفطر.

٢- اذا تمضمض او استنشق دون مبالغة، ودخل الماء حلقه دون قصد.

٣- اذا احتلم الصائم في نومه.

٤- اذا غلبه القيء دون قصد.

٥- بلع الريق او دخول بخار الطبخ، أو غبار الطريق، او دخان المصانع والحرائق للحلق، لتعذر الاحتراز منه.

٦- الأكل أو الشرب بعد الأذان الأول، وهو ما يعرف بالإمساك.

٧- استعمال معجون الاسنان، شريطة ان لا يبقى له أثر في الفم.

٨- وضع القطرة في الأذن، وذلك لأن الأذن ليست منفذاً طبيعياً.

٩- حقن الأبر الطبية، سواء كان في العضل أو الوريد.

١٠- استعمال الاوكسجين الصناعي للمسافر بالطائرة أو المريض.

١١- عمليات المنظار التي يدخل طرفها الى الجوف، ويبقى طرفها الآخر خارجاً.

١٢- الفحص الطبي للمرأة «المعاينة الطبية» بآلة او غيرها، شريطة ان يبقى طرفها خارجاً.

❖ **مبطلات الصوم:**

١- اذا أكل أو شرب ظاناً بقاء الليل، أو غروب الشمس ثم ظهر له خلاف ذلك، **عليه القضاء.**

٢- الجماع اذا وقع في نهار رمضان، **عليه الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة، فإن لم يستطع، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً.**

٣- إنزال المني في اليقظة باستمناء، أو تقبيل، أو شهوة، أو نحو ذلك، **عليه القضاء.**

٤- الأكل أو الشرب، سواء كان مما يتغذى به أم غير ذلك، كالدخان والسعوط ونحوه، **عليه القضاء.**

٥- الجنون أو الاغماء، ان استمر طول النهار، **عليه القضاء.**

٦- حقن الإبر المغذية كالجلوكوز، والتي عادة يستغنى بها عن الطعام، لأنها بمعنى الأكل والشرب، **عليه القضاء.**

٧- استعمال المريض بضيق التنفس «الربو» ما يعرف بالبخاخة، اذا كان ما بداخلها سائلاً وله طعم أو رائحة، لأن السائل يجاوز الحلق، **عليه القضاء.**

٨- وضع القطرة في الفم أو الأنف، لأنها تدخل من منفذ طبيعي، كذلك الكحل والقطرة في العين، ان وجد طعمها في حلقه، **عليه القضاء.**

٩- غسيل الدم لمرضى الكلى، علماً أن هذه الحالة تعتبر من الأمراض المزمنة، والواجب على المبتلى بذلك عدم الصيام، **عليه الفدية.**

١٠- استخدام الحقن الشرجية أو التحاميل، في القبل أو الدبر، **وعليه القضاء.**

١١- وضع الماء أو الدواء ونحوه، اثناء الفحص الداخلي للمرأة «المعاينة الطبية» **عليها القضاء.**

١٢- القيء عمداً، **عليه القضاء.**

١٣- الردة عن الاسلام، ولو كانت بسب الرب أو الدين -والعياذ بالله تعالى- **«ومن فعل ذلك عليه ان يتشهد ويتوب ثم يقضي».**

١٤- خروج دم الحيض أو النفاس، **عليها القضاء.**

❖ فوائد مهمة:

١- يجوز للصائم ان يبل بالماء شفتيه اذا جفتا، أو يتمضمض دون مبالغة.

٢- يجوز للصائم استخدام السواك والطيب في اي وقت من النهار.

٣- اصحاب الأعمال الشاقة، ان أجهدهم الصوم وأوصلهم الى حد المشقة، ولا مندوحة بتركه، فلهم ان يفطروا، **عليهم القضاء.**

٤- الطالب الذي يجد المشقة والإرهاق بسبب الامتحان، ولا يستطيع مواصلة الصوم، يجوز له الفطر، شريطة ان يبدأ نهاره بالصوم، **عليه القضاء.**

٥- يجوز للصائم ان يفعل ما يخفف عنه شدة الحر والعطش، كالاغتسال او السباحة، أو التبرد بالماء.

٦- يجوز للصائم قلع ضرسه، أو سنه ومداواة جرحه.

٧- يجوز للصائم ان ينوي الصيام وهو جنب، ثم يغتسل بعد طلوع الفجر.

٨- يجوز سحب الدم من الصائم، أو حقن المريض به، دون اضافة اي مواد اليه، أو الحجامة، شريطة ان لا يلحق الضرر بالصائم.

٩- السائق الذي يتنقل داخل المدينة، ويقطع مسافة أكثر من مسافة القصر، لا يجوز له ان يفطر، لأنه ليس بمسافر.

١٠- يجب على المرأة اذا طهرت في رمضان، من الحيض او النفاس قبل الفجر ان تصوم، وان لم تغتسل الا بعد طلوع الفجر.

١١- من مات وعليه صوم، فوليه بالخيار بين: الصوم أو الفدية «اطعام مسكين عن كل يوم».

١٢- تجب صدقة الفطر على كل مسلم ذكر أو أنثى صغير أو كبير، يخرجها المسلم عن نفسه ومن تلزمه نفقته في شهر رمضان، وينتهي وقتها بصلاة العيد، ومقدارها صاع (٢,٥ كغم) من قوت البلد كالقمح أو الأرز، ويجوز إخراج القيمة ولعله الأولى والأكثر تحقيقاً لمصلحة الفقير في هذه الأيام.

والحمد لله رب العالمين



غــزوة بـــدر .. دواعيها وآثارها

■ بقلم الدكتور مصطفى محمد الحديدي

مكث النبي الكريم ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو المشركين بها الى نبذ عبادة الأوثان، والإيمان بخالق الأكوان، والاتجاه بعبادتهم الى الإله الواحد القهار، بدلاً من عبادة أرباب متفرقة زائفة، وكان يقيم لهم من الأدلة ما فيه راحة القلوب وطمأنينة النفوس، كقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ الأنبياء: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ الحج: ٣٣ .. الى غير ذلك من الآيات البينات.

وقد عرف اهل مكة النبي ﷺ منذ صباه صادقاً أميناً، كما عرفوه عالي الهمة، بعيداً عن سفاسف الأمور، عزوفاً عن الدنايا وهنات الأخلاق، ولهذا أمره الله سبحانه وتعالى ان يذكرهم بماضيه المشرق بقوله سبحانه: **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ❖ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾** يونس: ١٦-١٧ .

وكان ﷺ يقول لهم: «ان الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله الا هو إني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة،

والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وانها لجنة أبداً أو لنار أبداً».

وقد أيده الله تعالى بالقرآن العظيم، الذي أعجز الإنس والجن ان يأتوا بمثله، كما أيده سبحانه وتعالى بكثير من المعجزات الكونية وما ازداد قومه بذلك الا نفوراً وعلواً واستكباراً، ثم عمدوا الى إيذائه ﷺ ومن آمن معه، ومات بعضهم من أثر التعذيب، ولم يجدوا أمامهم سوى الصبر، والمصابرة امتثالاً لأمره سبحانه: **﴿واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** النحل: ١٢٧، وقوله جل وعلا: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** آل عمران: ٢٠٠ .

❖ الهجرة الى المدينة:

وأخيراً تآمروا على قتله ﷺ، فهاجر الى المدينة وسبقه اليها المؤمنون، فآواه أهلها واتبعوا النور الذي أنزل معه، دون حرب ولا قتال، وكان فريق من زعمائهم قد آمنوا به في مواسم الحج بمكة، وبايعوه على نصرته ان قصده المشركون بسوء، ولما عادوا نشروا الاسلام بين ذويهم، فخافت قريش ان ينتقم منهم، فوطنوا أنفسهم على قتاله حينما تحين الفرصة.

فلهذا أذن الله للنبي ﷺ والمؤمنين بالقتال، فقال تعالى: **﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ❖ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ❖ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾** الحج: ٣٨-٤٠ .

❖ لإعلاء كلمة الله:

فأنت ترى من هذا النص ان الرسول ﷺ أمره الله تعالى بالقتال دفاعاً عن النفس، وانتقاماً من اعدائه الذين أخرجوه وآذوه، وكسراً لشوكة الشرك والوثنية لتعلوا كلمة الله، وينجوا اهل الحق من اهل الباطل، فإنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله، بأيدي أعداء الأديان ولم يؤمر النبي ﷺ بقتال

المشركين من غير أهل مكة، الا بعد ان اعانوهم على قتاله، وفي ذلك يقول الله جل وعلا: **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾** التوبة: ٣٦ .

ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام انه يأمر المؤمنين ان يجيروا من استجار بهم ولو مشركاً، ثم يبلغوه مأمنه ان رفض ما عرضوا عليه من الاسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾** التوبة: ٦ .

كما يأمرهم بالكف عن إكراه أحد على الدين، قال تعالى: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾** البقرة: ٢٥٦، وقال سبحانه مسلياً نبيه الكريم ﷺ بعد اعراض قومه: **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** يونس: ٩٩، وقوله تعالى: **﴿انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾** القصص: ٥٦، وقال في حق أهل الكتاب: **﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم﴾** العنكبوت: ٤٦، وأمر سبحانه باحترام العهود والمواثيق فقال: **﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً﴾** الاسراء: ٣٤ ، ونهى جل شأنه عن قتل المعاهد، وتوعد بعقاب قاتله، قال ﷺ: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح ريح الجنة» وقال ﷺ في أهل الذمة: «من آذى ذمياً فقد آذاني» وقال ﷺ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ومع ان الاسلام دين السلام، فقد أوجب على اهله ان يعدوا أنفسهم لرد العدوان من أهل البغي أو لتخويفهم، قال تعالى: **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾** الأنفال: ٦٠ .

كما اباح لهم نقض الميثاق مع قوم يخافون خيانتهم بعد تأكدهم من الأمارات الدالة على تبييتهم نية الخيانة، قال تعالى: **﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين﴾** الأنفال: ٥٨ .

والحرب الدفاعية تقرها المواثيق الدولية والأديان السماوية، ففي سفر التثنية «اصحاح ٢٠» «واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها، فادعها اولاً الى السلم فإذا أجابتك الى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون تحت الجزية»..

الخ، وفي انجيل متى يقول المسيح: «لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً».

فأنت ترى ان الأديان مجمعة على ان الحرب ضرورة وقائية ضد الذين لا يحفلون بالبرهان ويبادرون بالعدوان.

وبعد فقد تبين مما سبق ان الحرب الدفاعية مشروعة في المواثيق الدولية والأديان السماوية، وان المسلمين ممنوعون من العدوان على سواهم، فلا يقاتلون الا من يقاتلهم أو يخون مواثيقه معهم او يستعد لقتالهم، وان الاسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم الزاعمون، بل انتشر بمبادئه الرشيدة، وما قاتلوا إلا لرد العدوان أو الوقاية منه، ومن ذلك ما حدثنا به التاريخ عن التتار من أنهم فعلوا الأفاعيل الرهيبة في البلاد الاسلامية على يد هولاكو، وأراقوا دماءهم انهاراً، وأحدثوا من المنكرات ما يندى له جبين الانسانية، ثم اعان الله المسلمين عليهم فهزموهم في معركة عين جالوت، هزيمة منكرة ذهبت بها شوكتهم، فاختلطوا بالمسلمين، وعرفوا منهم سماحة الاسلام، فأسلم منهم كثيرون، واصبحوا من رجال الاسلام ودعاته وناشريه في الصين والهند وكثير من الأقاليم الآسيوية، بعد ان كانوا حرباً عليه وعلى أهله.

❖ السبب المباشر لغزوة بدر:

في السنة الثانية للهجرة، خرجت قريش بأعظم عير لها، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية الا بعث بماله فيها، وكان فيها تسعة وعشرون رجلاً على رأسهم أبو سفيان، فعلم النبي ﷺ بخروجهم، فرأى ان يعاقبهم وينتقم منهم ويضعف قدرتهم المالية والنفسية بالاستيلاء على عيرهم، ليشعروا بقوته وضعفهم، فلا يتكالبوا على القضاء على دين ربه، فلما علم الرسول ﷺ بعودتها من الشام في طريقها الى مكة وفيها أموالهم الكثيرة، قال لأصحابه: اخرجوا اليها لعلها تكون نفلاً لكم، فخف بعضهم وثقل البعض الآخر، لأنهم ظنوا ان النبي ﷺ لا يلقى حرباً، فخرج النبي بمن خف معه لثماني ليال خلون من رمضان، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة منه، ثم عسكر بمكان على بعد ميل من المدينة يسمى بئر عنبة، وعرض الجنود فرد من لا يصلح للقتال منهم، وعد الباقي فوجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر وانتصروا على أعدائهم ففرح النبي ﷺ بذلك.

وسار ﷺ بهم حتى وصل الى وادي ذفران فنزل به، فجاءه خبر مسير قريش لحماية عيرهم، فقد بلغ ابا سفيان ان النبي ﷺ يريده، فاستأجر ضمضم بن غفار بعشرين مثقالاً ليستنفر قريشاً، فلما بلغ مكة جعل يصرخ من فوق بعيره، وقد شق قميصه وجدع أنف البعير، وكان يقول في صراخه: يا معشر قريش.. اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع ابي سفيان عرض لها محمد في اصحابه.. الغوث الغوث، فتجهز الناس سراعاً.

وكان عدة من خرج منهم تسعمائة وخمسين أمامهم القينات يغنين ويحرضنهم على القتال، وكان معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وقد اغتروا بعددهم وعدتهم، وزين لهم الشيطان اعمالهم **﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾** وكان غرورهم سبب هلاكهم، قال حسّان:

سرنا وساروا الى بدر لحينهموا[١]

لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهموا بغرور ثم أسلمهم

ان الخبيث لمن والاه غرّار

لما كان النبي ﷺ بوادي ذفران علم بمسير قريش لحماية عيرها، فقال لأصحابه: «ان الله وعدني إحدى الطائفتين العير او النفير» وكان التوجه الى العير أحب الى بعضهم، ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح، فقالوا: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتباً لهم: **﴿وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم..﴾** الأنفال: ٧ .

وتكلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا الكلام، وقال المقداد بن الأسود: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فوالله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: **﴿اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون﴾** ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد[٢] لجالدنا معك من دونه، حتى نبلغه، فدعا له بخير وأثنى عليه.

وكان الأنصار قد قالوا في بيعتهم بالعقبة: يا رسول الله انا برآء من ذمتك حتى تصل الينا، فخاف النبي ﷺ ان لا يروا وجوب القتال خارج المدينة، فلهذا خاطبهم قائلاً: أشيروا علي ايها الناس:

فقال سعد بن معاذ سيد الأوس: كأنك تريدنا يا رسول الله، قال: اجل، قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق، واعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى، فسر النبي ﷺ ونشط وقال: «سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني احدى الطائفتين، والله لكأني انظر الى مصارع القوم» ثم ارتحل ونزل قريباً من بدر.

لما نزل النبي ﷺ بالقرب من بدر علم أبو سفيان بذلك، فاتجه بعيره نحو الساحل حذراً من لقاء رسول الله ﷺ واصحابه، وكان جيش قريش قد نزل بالجحفة، فبعث اليهم ابو سفيان، لقد نجوت بعيركم وأموالكم فارجعوا، فقال ابو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتتسامع بنا العرب فيها بوننا، فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: هذا بغي والبغي وخيم العاقبة، ثم سار جيش المشركين حتى نزلوا بعدوة بدر القصوى من المدينة، فعلم النبي ﷺ بما كان من أمرهم، فأقبل على جيشه قائلاً: هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها، ثم سار بهم حتى نزلوا بعدة بدر الدنيا من المدينة، بعيداً عن الماء في ارض سبخة في غير مصلحتهم، وقد اصبحوا عطاشاً، فوسوس اليهم الشيطان أنهم سيموتون عطشاً، وسيتمكن المشركون منهم، ولكن الله ثبتهم بفضله، وغشاهم بالنعاس ثم انزل عليهم مطراً سال به الوادي، فشربوا وملأوا حياضهم وأسقيتهم، وتلبدت الأرض حتى ثبتت عليها الاقدام، وكان الأمر بالعكس على المشركين، حتى لم يعودوا قادرين على الارتحال، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾** الأنفال: ١١ .

بات النبي ﷺ بأصحابه حيث نزلوا، ولما أصبح بهم الصبح، ثم سار بهم حتى نزل بأدنى ماء من بدر، فقال الحباب بن المنذر الانصاري -وكان معروفاً بجودة الرأي في الحرب-: أرأيت هذا المنزل

أنزلكه الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله؛ ليس هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى ادنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون، فاستحسن النبي ﷺ رأيه، ونفذ ما أشار به الحباب.

ثم بنى للرسول عريشاً فوق تل مشرف على المعركة، فكان فيه مع ابي بكر، وقام سعد بن معاذ متوشحاً بالسيف على باب العريش.

بعد ان نزلت قريش بالعدوة القصوى باتوا بها ثم اصبحوا، فأقبلوا على وادي بدر في خيلاء وفخر، فلما رآهم النبي ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني».

ولما اطمأنت قريش في وادي بدر، بعثوا عميراً بن وهب الجمحي ليقدر جيش المسلمين، فلما عاد أخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً او ينقصون، ولكني رأيت نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، يتلمظون تلمظ الأفاعي، لا يريدون العودة الى أهليهم، ليس لهم ملجأ الا سيوفهم، الى آخر ما قال، فنضحهم حكيم بن حزام بالعودة دون قتال، ولكن ابا جهل أصر على المواجهة قائلاً: «لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وقال آخرون: غر هؤلاء دينهم وتعبئوا للقتال، وكما أراهم الله للمشركين قليلين، أرى الكافرين للمؤمنين قليلين، ليقبلوا على لقائهم في ثقة وطمأنينة، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وإذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾** الأنفال: ٤٤ .

في اليوم السابع عشر من رمضان خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، ودعا الى المبارزة، فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: انتم أكفاء كرام، ونحن نريد قومنا -يقصدون المهاجرين- فأمر النبي ﷺ برجوعهم الى مصافهم، وان يخرج اليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن ابي طالب، فبارز عبيدة عتبة وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد، فقتل حمزة وعلي غريميهما فوراً، وأصاب كل من عبيدة وعتبة صاحبه ولم يقتله، فحمل علي وحمزة على عتبة فأجهزا عليه، وحملا

صاحبهما الى النبي ﷺ فأفرشه قدمه، وبشره بالشهادة.

وبعد هذه المبارزة تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، فجعل النبي ﷺ يعدل صفوف أصحابه، ثم رجع الى عريشه، وقال: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد» ثم قال: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وأخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه ونضحهم بها، فكان لها شأنها في هزيمتهم، حيث جعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وجعل كل منهم ينكب على وجهه لا يدري اين يتوجه، يعالج التراب ينزعه عن عينيه، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾**.

❖ الامداد بالملائكة وهدفه:

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم انجز لي ما وعدتني، وفيه انزل الله: **﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾** فأمده الله بالملائكة، وهذه الرواية تخالف الرواية الأولى في عدد جيش المسلمين والمشركين، لأنه تقريبي ولم يكن الغرض الأساسي من إمدادهم بالملائكة ان يقاتلوا دونهم، بل تثبيتهم وإلقاء الرعب في قلوب المشركين بتكثير عدد المؤمنين وقت المعركة، بعد ان قدروهم قليلين قبلها، ولهذا قال تعالى: **﴿وما جعله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم﴾** ولو كان نزولهم لغرض القتال، لكان ملك واحد كافياً في إبادة المشركين، كما حدث لقوم صالح، ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾**.

ولهذا استطاع المؤمنون ان يحرزوا النصر في جو من الطمأنينة، واستحقوا ان يقول الرسول ﷺ فيهم «لعل الله اطلع على اهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

الهوامش:

١- الحين: الهلاك.

٢- اسم مكان بعيد، وقال ابن عليم في الباهر: هو اقصى معمور الأرض، انظر القاموس في مادة الغمد.

مرحباً بك يا شهر الصيام

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر﴾ البقرة: ١٨٣-١٨٤ .

وقال عز من قائل: ﴿شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه..﴾ البقرة: ١٨٥ .

ها هو شهر الرحمة قادم الينا، وقد شارف ان يطرق الأبواب ليعلن عن قدوم الرحمة والمغفرة والمحبة، وها قد عاد هذا العام وقد عانقه رجل بكى أسفاً على فراقه في الماضي، عاد الى شاب أخذته الدنيا ذلك العام وزينت له المعاصي وها هو ذاك الشاب جثا على ركبتيه يبكي لفراقه ويحزن لفواته.

عاد شهر الرحمة ولا زالت في ذكرياتي تلك المساجد التي تصدح بأصوات المسلمين يصلون ويتهجدون ويبكون، ونسمع أنين المحبين على فراقه في آخر لياليه من العام الماضي.

وفي هذه الايام ننتظر بشغف ودموع فرح لاستقبال اغلى الشهور واكرم الشهور على قلوبنا، ننتظر الأيام المباركة، أيام

النقاء والصفاء، حيث تسموا النفوس وتصفوا القلوب، وترقى الأرواح، وتصفد الشياطين لتفتح ابواب الجنان وتغلق أبواب النيران، ويعتق فيها الرحمن رقاباً من بني الانسان، ويفيض القلب ويذوب وينساب مع آيات القرآن.

فأهلاً ومرحباً بك ايها الضيف الكريم والشهر العظيم، مرحباً بك يا شهر الإحسان يا نبع الغفران، يا حبيب الرحمن.

❖ كيف نستقبل رمضان؟

ينبغي للمسلم ان لا يفرط في مواسم الطاعات وان يكون من السابقين اليها ومن المتنافسين فيها، قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** فاحرص أخي المسلم على استقبال رمضان بالطرق السليمة التالية:

١- الدعاء ان يبلغك الله شهر رمضان وأنت في صحة وعافية، حتى تنشط في عبادة الله تعالى، صياماً وقياماً وذكراً، فقد كان النبي ﷺ يقول اذا دخل رجب: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

٢- الحمد والشكر على بلوغه، قال الإمام النووي رحمه الله: «إعلم انه يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة او اندفعت عنه نقمة ظاهرة ان يسجد شكراً لله تعالى، أو يثني بما هو أهل له، وان من اكبر نعم الله على العبد توفيقه للطاعة والعبادة».

٣- عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال تعالى: **﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾** محمد: ٢١ .

٤- علينا ان نستقبله بالعزم على ترك الآثام والسيئات والتوبة الصادقة من جميع الذنوب، والاقلاع عنها وعدم العودة اليها، فهو شهر التوبة فمن لم يتب فيه فمتى يتوب؟!، قال تعالى: **﴿وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** النور: ٣١ .

٥- التهيئة النفسية والروحية من خلال القراءة والاطلاع على الكتب والرسائل وسماع الأشرطة الاسلامية والمحاضرات والدروس، التي تبين فضائل الصوم وأحكامه حتى تتهيأ النفس للطاعة فيه، فكان النبي ﷺ يهيئ نفوس اصحابه رضوان الله عليهم لاستغلال هذا الشهر.

٦- نستقبل شهر رمضان بصفحة جددة بيضاء مشرقة مع:

أ- الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة.

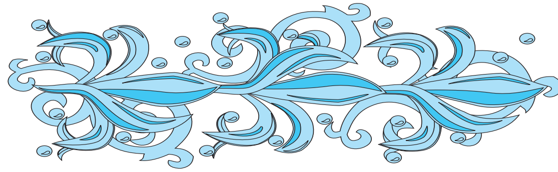
ب- الرسول ﷺ في طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

ج- مع الوالدين والأقارب والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة.

د- مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبداً صالحاً ونافعاً.

قال رسول الله ﷺ: «افضل الناس انفعهم للناس».. هكذا يستقبل المسلم رمضان استقبال الأرض العطشى للمطر، واستقبال المريض للطبيب المداوي، واستقبال الحبيب للغائب المنتظر، فاللهم بلغنا رمضان وأنت راضٍ عنا وتقبل منا إنك انت السميع العليم.

والحمد لله رب العالمين



فتح مكة

في ٢٠ رمضان

■ **بقلم الدكتور ماجد احمد المومني**

خرج الرسول الكريم ﷺ في السنة السادسة للهجرة، ومعه بعض المسلمين ليؤدوا العمرة، ولم يكن معهم الا سلاح المسافر، وقد ساق الهدي وأحرم للعمرة، حتى يأمن المشركون ويتيقنوا أن قصده البيت الحرام وأداء مناسك العمرة.

فلما علمت قريش بمسيرة المسلمين، ظنت ظن السوء وأن المسلمين جاءوا لقتالهم، فتأهبوا لملاقاتهم وقتالهم، فأمر الرسول ﷺ المسلمين ان يسلكوا طريقاً غير الطريق الذي سلكته قريش وقال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها».

وكان الرسول ﷺ وقتئذ يعتزم الخير بقريش في حين كانت قريش تضمر الشر للمسلمين، حيث بعثت ما بين الأربعين والخمسين فارساً ليطوقوا المسلمين وينالوا منهم مقتلاً، ولكن المسلمين أسروا معظم المقاتلين، وعفا الرسول ﷺ عنهم وخلى سبيلهم.

وجرت عندئذ مفاوضات بين الرسول الكريم ﷺ وقريش، انتهت بصلح الحديبية وقد رضي الرسول الكريم ﷺ بعقد صلح الحديبية وأهم بنوده:

- ان يرجع الرسول ﷺ واصحابه في ذلك العام، فلا يدخلوا مكة وان يكون حجهم في العام القادم من غير سلاح.

- ان تقوم بين الرسول ﷺ واصحابه وبين قريش هدنة، مدتها عشر سنوات لا تقع فيها خيانة ولا غدر.

- من أحب ان يدخل في عهد محمد ﷺ - من غير إذن وليه- ردّه عليهم، وأن من أحب من أصحاب محمد ﷺ ان يدخل في عهد قريش فلا يرده.

وبنود هذا الاتفاق قد تبدو قاسية على المسلمين، ولكن بصيرة الرسول الكريم ﷺ بعيدة المدى، فقد ضمن بهذا الصلح دخول مكة بدون قتال، مع حقيقة ان المسلم المؤمن لا يرتد عن دينه مهما كانت الظروف، سواء كان هذا المؤمن تحت لواء محمد ﷺ أم في وطن المشركين.

ولم تنقض سنتان على هذه المعاهدة حتى نقضتها قريش، حيث ان قبيلة خزاعة قد دخلت في عهد محمد ﷺ، ودخلت قبيلة بني بكر في عهد قريش، وكانت بين خزاعة وبكر ثارات قديمة سكنت بعد صلح الحديبية.

فلما كانت واقعة مؤتة، خيل الى قريش ان المسلمين ضعف شأنهم، وظن فريق من بكر ان الفرصة سانحة لهم ليصيبوا من خزاعة ما يشفي غليلهم، فمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعض القرشيين معهم ضد خزاعة، وبذلك نقضت قريش ما كان بينها وبين الرسول ﷺ في صلح الحديبية لاعتدائها على حلفائه، واستنجدت خزاعة بالرسول ﷺ وأصحابه، فوعدهم الرسول ﷺ بنصرته، ورأى ان هذا النقل لا مقابل له الا فتح مكة.

وأدرك بعض حكماء قريش سوء فعلتهم، فأوفدوا أبا سفيان الى المدينة لتلافي غلطتهم، ولكن الرسول ﷺ ارجعه الى مكة خائباً نتيجة لغدر قريش وخيانتهم، ولم يترك الرسول ﷺ الفرصة لقريش بالاستعداد لحربه، وتحركت جيوش المسلمين الى مكة لفتحها وتطهير البيت الحرام من رجس الأصنام والأوثان، وقسّم الرسول ﷺ جيشه الى أربعة أقسام، وأمرهم بألا يقاتلوا الا من قاتلهم، وألا يسفكوا دماءً مسالمة، فلما أقبلوا على مكة ودخلوها، أمر الرسول ﷺ منادياً ينادي: «من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ودخلت الجيوش الاسلامية مكة ولم تلق مقاومة تذكر، سوى بعض الحوادث البسيطة التي لقيها خالد بن الوليد رضي الله عنه وفرقته بدخوله حي قبيلة بكر ناقضة عهد الحديبية، فأمطرها خالد وجيشه بنبالهم وفقدوا عشرين رجلاً من رجالهم بينما لم يفقد المسلمون سوى شهيدين ضلا الطريق.

وقد أمر الرسول ﷺ بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة، كانوا قد اشتدوا في إيذائه وعداوته ومقاومة دعوته، الا انه لم يقتل منهم بالفعل الا اربعة، اثنان أسلما ثم ارتدا عن الاسلام وارتكبا جريمة القتل، وآخران بقيا على شركهما مع الامعان على مقاومة المسلمين.

وممن امر بقتله صفوان بن امية بن خلف، وكان من سادة الكفر فتوسل عمير بن وهب الجمحي الى الرسول ﷺ وطلب له الأمان، فأجابه الرسول ﷺ، فلما علم صفوان بذلك قدم الى الرسول ﷺ وقال له: «ان عميراً يزعم أنك أمنتني! فقال الرسول ﷺ: صدق، فقال صفوان: اجعلني بالخيار شهرين، فقال له الرسول ﷺ: انت بالخيار اربعة أشهر، فأقام معه على دينه وشهد معه حنيناً، فلما قنعت نفسه بالاسلام أعلن اسلامه وحسن إسلامه».

وفتح ﷺ مكة الفتح الأعظم بدون خسائر تذكر، وكان هذا الفتح الأعظم أكبر دليل على ان المسلمين في فتوحاتهم انما مقصدهم نشر الدعوة الاسلامية، ولم تكن الحرب هدفاً لهم، وأن من اراد البقاء على دينه فله ذلك، على ان يدفع الجزية مقابل توفير الحماية له من الأخطار والحروب الخارجية.

ولما تم الفتح الأعظم نزل الرسول ﷺ بأصحابه في اعالي مكة، وضربت له قبة على مقربة من قبري عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها، وصلى صلاة شكر لله تعالى بأن أعاده الى وطنه منتصراً عزيزاً.

ولم يقم طويلاً بالقبة ونزل حتى بلغ الكعبة، وكان ذلك في العشرين من رمضان، فطاف بالبيت العتيق ثم بدأ بتطهيره من الأوثان والأصنام، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل ﷺ يحطمها بمحجنه ويعاونه أصحابه رضي الله عنهم حتى قضى عليها جميعاً، وكان ﷺ يتلو: **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ان**

الباطل كان زهوقاً﴾ وبذا طهر البيت الحرام من الرجس والأوثان.

فلمى قضى طوافه وقف على باب الكعبة وتلا قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس انا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** الحجرات: ١٣، ثم قال ﷺ: «لا إله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فكانت هذه الكلمات بمثابة العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعاً، وضرب الرسول ﷺ بعفوه هذا للعالم مثلاً سامياً في سمو النفس وكرمها، حتى مع أكثر اعدائه وخصومه.

ثم جلس الرسول ﷺ على الصفا واجتمع الناس لمبايعته على الاسلام، فبايع أولاً الرجال ثم النساء، ودخلوا في الاسلام أفواجاً أفواجاً، قال تعالى: **﴿اذا جاء نصر الله والفتح ❖ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ❖ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً﴾** النصر: ١-٣ .

هذا هو خلق الاسلام والمسلمين.. العفو عند المقدرة، والتسامح عند الظفر، والشكر عند النصر.

ومع ان الرسول ﷺ خرج لفتح مكة بكتائب الاسلام وجنود الرحمن، مما لا قبل للعدو على مجابهته، فقد حرص على ألا تهدر الدماء، ولا تزهق الأرواح، وان يتعاملوا باللطف والتسامح حتى مع أكثر أعداء الاسلام، وأكبر دليل على ذلك ان كرّم أبا سفيان -زعيم المشركين قبل إسلامه- بأن من يدخل بيته فهو آمن، تكريماً له وإبقاء لمكانته وعلو شأنه، ويكفي انه عفا عن آكلة كبد عمه حمزة «هند بنت عتبة»، وعفا عنها.

حوادث كثيرة تشهد للاسلام سماحته وعلو شأنه، وأتم الله نعمته على رسوله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بهذا الفتح العظيم، قال تعالى: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ❖ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ❖ وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾** الفتح: ١- ٣ .

موعد إمساك الصائم وإفطاره

دراسة حديثية فقهية مقارنة

■ **بقلم الاستاذ محمد ابو صعيليك**

هذه دراسة لمسألتين هامتين تشغلان المسلم أيام شهر رمضان المبارك، وسأبحثهما كما يلي:

المسألة الأولى: وقت إمساك الصائم، وقد اختلف اهل العلم في امساك الصائم على قولين.. الأول: يبدأ وقت الامساك بالنسبة للصائم بطلوع الفجر الثاني المستطير الأبيض، وهذا قول الحنفية، قال المرغيناني في الهداية: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس[١].

وقال الميداني في اللباب: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الذي يقال له: الصادق، الى غروب الشمس[٢].

والمالكية: قال ابن جزي في القوانين الفقهية: وأوله طلوع الفجر الصادق الابيض عند الفجر[٣]، والحنابلة: قال البهوتي في شرح منتهى الارادات: وهو من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس[٥].

وبه قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم، وعلماء الأمصار(٦)، وبه قال عطاء وعوام اهل العلم[٧]، وهو مذهب اسحق بن راهويه، يقول ابن المنذر: وقد كان اسحق يميل الى القول الأول من غير ان يطعن على الآخرين[٨].

وقال الحافظ ابن حجر: وذهب جماعة من الصحابة وقال به الأعمش من التابعين وصاحبه ابو بكر بن عياش، الى جواز

السحور الى ان يتضح الفجر[٩]، وقال اسحق: وبالقول الأول أقول: ولكن لا أطعن على من تأول الرخصة كالقول الثاني، ولا أرى عليه قضاء ولا كفارة[١٠].

وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله: وهذا اجماع لم يخالف فيه الا الأعمش وحده، فشذ، ولم يعرج أحد على قوله[١١].

ثانياً: القول الثاني: ان اول الإمساك هو طلوع الفجر الأحمر، الذي يكون بعد الأبيض، وهو نظير الشفق الأحمر[١٢] وهذا قول:

أ- جماعة من الصحابة، وهم: علي بن ابي طالب، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن مسعود، وابو بكر الصديق، وابو هريرة، وابن عباس، سعد بن ابي وقاص، وعمر بن الخطاب، وخبيب عم حذيفة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، رضي الله عنهم أجمعين[١٣].

وفي هذا يقول ابن حزم: فهؤلاء أحد عشر من الصحابة لا يُعرف لهم مخالف من الصحابة رضي الله عنهم[١٤].

ب- جماعة من التابعين:

فقد رواه ابن حزم في المحلى عن: محمد ابن علي، وأبي مجلز، وابراهيم ومسلم واصحاب ابن مسعود، وعطاء، والحسن، والحكم بن عتيبة، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وجابر بن زيد[١٥]، **وممن بعدهم:** معمر، والأعمش[١٦].

ج- وهو مذهب اهل الظاهر:

وفي هذا يقول ابن حزم الظاهري عليه رحمه الله: ولا يلزم صوم في رمضان ولا في غيره الا بتبين طلوع الفجر الثاني، وأما ما لم يتبين، فالأكل والشرب والجماع مباح كل ذلك[١٧].

سبب الخلاف: وعن سبب خلافهم في هذه المسألة يقول الامام ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد: وسبب هذا الخلاف هو اختلاف الآثار في ذلك، واشتراك اسم الفجر، واعني انه يُقال على الأبيض والأحمر[١٨].

❖ الأدلة:

وبعد هذا العرض لمذاهب العلماء في هذه المسألة نعرض لأدلة الفريقين كما يلي:

أدلة الجمهور: استدل الجمهور القائلون ان اول الامساك هو طلوع الفجر الثاني بالأدلة التالية:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿.. حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[١٩]، قال ابن قدامة: يعني بياض الليل من سواد النهار، وهذا يحصل بطلوع الفجر[٢٠].

٢- حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قلت: يا رسول الله، اني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقال ابيض وعقال اسود، اعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «ان وسادك لعريض، انما هو سواد الليل وبياض النهار».[٢١]

٣- وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنزلت: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ ولم ينزل من الفجر، فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى ﴿من الفجر﴾ فعلموا انه يعني به الليل والنهار[٢٢].

٤- عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغرنكم أذان بلال، ولا هذا العارض لعمود الصبح حتى يستطير»[٢٣].

٥- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: لا يمنعن أحدكم أو أحداً منكم أذان بلال من سحوره، فإنه يؤذن أو ينادي بليل، ليرجع قائمكم، ولينبه نائمكم، وليس ان يقول الفجر أو الصبح، وقال بإصبعه ورفعها الى فوق، وطأطأ الى أسفل حتى يقول هكذا، وقال بسبابتيه، إحداهما فوق الأخرى، ثم مدهما عن يمينه وشماله»[٢٤].

قلت: فهذه أهم أدلة الجمهور، ونكتفي بما ذكرناه هنا والله اعلم.

❖ أدلة القائلين ان اول الامساك يكون بتبين طلوع الفجر:

استدل القائلون ان أول الإمساك يكون بتبين طلوع الفجر بالأدلة التالية:

١- الآية السابقة التي استدل بها الجمهور، وفي هذا يقول الامام ابو محمد بن حزم رحمه الله تعالى: برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا

الصيام الى الليل﴾ وهذا نص ما قلناه لأن الله تعالى أباح الوطء والأكل والشرب الى ان يتبين لنا الفجر، ولم يقل تعالى: حتى طلوع الفجر، ولا قال: حتى تشكوا في الفجر، فلا يحل لأحد ان يقول، ولا ان يوجب صوماً بطلوعه ما لم يتبين للمرء[٢٥].

٢- عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما: كان بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤذن بليل، فقال رسول الله ﷺ: «ان بلال يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»[٢٦].

٣- حديث سمرة الذي سبق ذكره في أدلة الجمهور.

٤- حديث عدي بن حاتم المار ذكره سابقاً.

٥- حديث سهل بن سعد آنف الذكر.

وحول استدلاله بالأحاديث هذه يقول الإمام ابن حزم: فنص ﷺ على ان ابن ام مكتوم لا يؤذن حتى يطلع الفجر، وأباح الأكل الى أذانه، فقد صح ان الأكل مباح ما لم يتبين لمريد الصوم طلوعه[٢٧].

٦- عن زر قال: قلت لحذيفة: اي وقت تسحرتم مع النبي ﷺ؟ قال: هو النهار الا ان الشمس لم تطلع[٢٨].

٧- عن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «اذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»[٢٩].

٨- عن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انه رأى رسول الله ﷺ قد تسحر هو وزيد بن ثابت، وهو ﷺ يريد الصوم، ثم صلى ركعتين، ثم خرج الى المسجد، فأقيمت الصلاة[٣٠] قال ابو محمد بن حزم: هذا كله على انه لم يكن يتبين لهم الفجر بعد فبهذا تتفق السنن مع القرآن[٣١].

٩- فعل الصحابة: فقد روى ابن حزم عليه رحمة الله عن عدة من الصحابة: انهم بقوا يتسحرون حتى تبين الفجر، وهؤلاء الصحابة هم: حذيفة بن اليمان، سالم بن عبيد الاشجعي، ابو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، ابو هريرة، ابن عباس، ابن عمر، سعد بن ابي وقاص، علي بن ابي طالب، عبد الله بن مسعود، خبيب عم حذيفة.

وبعد؛ فهذه في تصوري واطلاعي ادلة القائلين انه لا بد من تبين طلوع الفجر.

الرد على الجمهور:

هذا وقد رد ابن حزم على أدلة الجمهور، وكان رده كما يلي:

١- قال ابن حزم: وقد ادعى قوم ان قوله تعالى: ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ وقول رسول الله ﷺ: «حتى يطلع الفجر»، «وحتى يُقال له: اصبحت، اصبحت» ان ذلك محمود على المقاربة، مثل قوله تعالى: ﴿**فإذا بلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف**﴾[٣٢]، انما معناه: فإذا قاربن بلوغ اجلهن، قال ابو محمد: وقائل هذا مستحل للكذب على القرآن وعلى رسول الله ﷺ، أول ذلك انه دعوى بلا برهان، وإحالة لكلام الله تعالى عن واضعه، ولكلام رسول الله ﷺ وقول عليه بما لم يقل، ولو كان ما قالوا لكان بلال وابن أم مكتوم معاً لا يؤذنان الا قبل الفجر، وهذا باطل، ولا يقوله احد، لا هم ولا غيرهم[٣٣].

٢- وقال ابن حزم رحمه الله: وقال بعضهم: قول النبي ﷺ لبلال: «إكلأ لنا الفجر» موجب لصحة قولهم، قال ابو محمد: وهذا باطل من وجهين:

احدهما: انه ﷺ لم يأمر بذلك الا للصلاة لا للصوم.

والثاني: انه حتى لو أمره بذلك للصوم، لكان حجة لنا لا لهم، لأن الأكل والجماع مباحان الى ان ينذرهم بلال بطلوع الفجر، وإنذاره إياهم بطلوع الفجر لا يكون الا بعد طلوع الفجر بلا شك، فالأكل والشرب والجماع مباح كل ذلك، ولو طلع الفجر، وانما يحرم كل ذلك بإنذار بلال بعد طلوع الفجر، هذا ما لا حيلة لهم فيه، وقولهم هذا هو قولهم هنا مخالف للقرآن الكريم ولجميع السنن[٣٤].

قلت: هذه ردود ابي محمد بن حزم على أدلة الجمهور، ونفيد هنا أننا لسنا معه في قسوة ألفاظه، في رده على إخوانه من مخالفيه، فسامحه الله تعالى وغفر لنا وله، ولمخالفيه من أهل العلم، وجزى الكل عنا خير الجزاء.

رد الجمهور على المخالفين:

هذا وقد رد جمهور اهل العلم على الظاهرية ومن وافقهم وكان ردهم كما يلي:

١- قوله في الحديث: «اصبحت اصبحت»، يقول ابن العربي المالكي في معناه: وتأوله علماؤنا قاربت الصباح، وقاربت تبين الخيط، وهو الأشبه بوضع الشريعة، وحرمته العبادة، لقوله ﷺ:

«يوشك من يرعى حول الحمى ان يقع فيه»[٣٥].

واذا جاء الليل فأكلت لم تخف مواقعة المحظور، واذا دنا الصباح لم يحل لك الأكل لأنه ربما أوقعك في المحظور غالباً[٣٦].

١- ان النهار يعرف عند اهل اللغة بأنه طلوع الفجر الى غروب الشمس، كما قاله العلامة ابن فارس في كتابه «مجمل اللغة»[٣٧]، وهذا ما فهم من حديث عدي آنف الذكر، ويُعقب على هذا الإمام القرطبي بقوله: فهذا الحديث يقضي ان النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الأيمان، وبه ترتبط الأحكام، فمن حلف ان لا يكلم فلاناً نهاراً، فكلمه قبل طلوع الفجر[٣٨] حنث، وعلى الأول لا يحنث، وقول النبي ﷺ في ذلك هو الفيصل والحكم[٣٩].

٢- وأما بالنسبة لحديث ابي هريرة، فيجاب عنه بما يلي:

أ- قال الخطابي: هذا على قوله: ان بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم» أو يكون معناه ان يسمع الأذان، وهو يشك في الصبح، مثل ان تكون السماء متغيمة(٤٠) فلا يقع له العلم بأذانه ان الفجر قد طلع لعلمه ان دلائل الفجر معه معدومة، ولو ظهرت للمؤذن لظهرت له ايضاً[٤١].

ب- وقال البيهقي رحمه الله: وهذا ان صح فهو محمول عند عوام اهل العلم على انه ﷺ علم ان المنادي كان ينادي قبل طلوع الفجر، بحيث يقع شربه قبيل طلوع الفجر، وقول الراوي: وكان المؤذنون يؤذنون اذا بزغ، يحتمل ان يكون خبراً منقطعاً ممن دون ابي هريرة، او يكون خبراً عن الأذان الثاني[٤٢].

ج- وقال ابو حاتم، الرازي رحمه الله تعالى عن حديث ابي هريرة هذا وحديثه الآخر، وفيه: وكان المؤذن يؤذن اذا بزغ الفجر، هذان الحديثان ليسا بصحيحين، أما حديث عمارة فعن ابي هريرة فموقوف وعمار ثقة، والحديث الآخر ليس بصحيح[٤٣].

د- كما نقل ابن القيم عن ابن القطان، انه مشكوك في اتصاله[٤٤].

هـ- وأما بالنسبة لحديث حذيفة،

فيقول فيه الامام الطحاوي رحمه الله تعالى: وقد يحتمل حديث حذيفة عندنا والله اعلم، ان يكون قبل نزول قوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل﴾**(٤٥).

ويقول أيضاً: ففي هذا الحديث عن حذيفة انه أكل بعد طلوع الفجر وهو يريد الصوم، ويحكى مثل ذلك عن رسول الله ﷺ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ خلاف ذلك(٤٦)، يقول العلامة ابن القيم بخصوص حديث حذيفة: قالوا: وأما حديث حذيفة فمعلول، وعلته الوقف، وان زراً هو الذي تسحر مع حذيفة(٤٧).

وقال ابو بكر الرازي ما ملخصه: لا يثبت ذلك عن حذيفة، ومع ذلك فهو(٤٨) من أخبار الآحاد، فلا يجوز الاعتراض به على القرآن(٤٩).

و- واما ما نُقل عن الصحابة، فيمكن ان يجاب عنه: بأن هذا مذهب صحابي، ومذهب الصحابي مختلف في الاحتجاج به، بل ان ابن حزم نفسه لا يقبل الاحتجاج به، فكيف له ان يستدل به على غيره، وهذا لو سلم من مخالفة النصوص الأخرى التي هي أقوى منه.

ويقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله: وقع بعض المؤلفين، وبعض العلماء السابقين، في خطأ كبير اذ أجازوا الأكل بعد طلوع الفجر، إما بفهم خاطئ للتبين من الآية، وإما لحمل بعض الآثار على غير محملها، وإما بسبب عدم النظر الدقيق الى عامة النصوص، وإما بفهم خاطئ للنصوص، ومهما كان الأمر فالذي عليه إجماع العلماء خلال العصور المتطاولة هو عدم جواز الأكل بعد الفجر(٥٠).

وبعد؛ فهذا ما وقفت عليه من ردود الجمهور على الظاهرية، ومن وافقهم في هذه المسألة، وقد تحريت في ذلك الأمانة والموضوعية ومن الله ارجو التوفيق.

❖ القول الراجح في هذه المسألة:

وبعد هذه الجولة في رحاب كتب اهل العلم لاستعراض ادلة الجمهور، ثم ادلة المخالفين، ثم رد كل من الفريقين على صاحبه، فإن القول الراجح عندي في هذه المسألة هو قول جمهور اهل العلم، وذلك لقوة أدلتهم على ما يرون في هذه المسألة والله أعلم.

❖ المسألة الثانية: وقت افطار الصائم:

بعد ان عرضنا للخلاف في وقت إمساك الصائم، لا بد لنا من ان نعرض لوقت افطار الصائم، فقد اتفق الفقهاء على ان وقت فطر الصائم هو غروب الشمس، وإليك تفصيل المذاهب في ذلك لما يلي:

١- الحنفية: قال صاحب الهداية: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس[٥١].

٢- المالكية: قال ابن جزي: وآخره غروب الشمس إجماعاً[٥٢].

٣- الشافعية: قال النووي في شرح المهذب: ويتم بغروب الشمس بإجماع المسلمين[٥٣].

٤- الحنابلة: قال في المغني: الى غروب الشمس[٥٤].

هذا وقد حكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة الأربعة على ذلك بقوله: «واتفقوا على ان وجوب الصوم ووقته من أول طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس»[٥٥].

قلت: وقد ادعى الاجماع في هذه المسألة كل من ابن جزي والنووي عليهما رحمة الله.

● الأدلة:

استدل اهل العلم على القول ان وقت فطر الصائم هو غروب الشمس بالأدلة التالية:

١- **الكتاب:** في قوله تعالى: **﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾**[٥٦]، وفي هذا يقول العلامة ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: «فشرط ربنا إتمام الصوم حتى يتبين الليل، كما جوّز الأكل حتى يتبين النهار»[٥٧]، ويقول: الحافظ ابن كثير في تفسيره وان قوله: **﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾** يقتضي الإفطار عند الغروب حكماً شرعياً[٥٨].

٢- **السنة:** وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث أشهرها ما يلي:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»[٥٩].

٢- عن عبد الله بن ابي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس، قال لبعض القوم: «يا فلان قم

فاجدح لنا، فقال: يا رسول الله لو أمسيت، قال: «انزل فاجدح لنا» قال: ان عليك نهاراً، قال: «انزل فاجدح لنا» فنزل فجدح لهم، فشرب النبي ﷺ ثم قال: اذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم»[٦٠].

● **فوائد:**

١- معنى اجدح لنا: المراد هنا هو خلط السويق بالماء، وتحريكه حتى يستوي[٦١].

٢- قال الامام تقي الدين بن دقيق العيد: الاقبال والادبار متلازمان، اعني اقبال الليل وادبار النهار، وقد يكون احدهما اظهر للعين في بعض المواضع، فيستدل بالظاهر على الخفي، كما لو كان في جهة المغرب ما يستر البصر عن إدراك الغروب، وكان المشرق ظاهراً بارزاً، فيستدل بطلوع الليل على غروب الشمس[٦٢].

٣- قال النووي: قال العلماء: كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما، وإنما جمع بينهما، لأنه قد يكون في واد ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد اقبال الظلام وإدبار الضياء[٦٣].

٤- في حديث عبد الله بن ابي أوفى تفرد الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني بزيادة: «ولو تراءاها أحد على بعيره لرآها يعني الشمس»[٦٤] وهذه الزيادة قد يُرتب عليها حكم بجواز الإفطار قبل الغروب، ولكن يمكن الرد عليها لأنها مردودة لأمور:

أ- مخالفة ظاهر الآية الى الليل، وحيث ان الشمس يمكن ان يتراءاها الناس فهذا ليس بليل.

ب- تفرد عبد الرزاق دون غيره يومئ الى احتمال شذوذها، فإنه يكون قد خالف فيها مجموع الحفاظ الذين نُقل الحديث عنهم، كما يُعلم من التخريج الذي تقدم، والشذوذ في الاصطلاح هو: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منها.

٥- قال العلامة العيني: وفيه بيان انتهاء وقت الصوم، وهو امر مجمع عليه، وقال ابو عمر بن عبد البر في الاستذكار: اجمع العلماء على انه اذا حلت صلاة المغرب، فقد حل الفطر للصائم فرضاً وتطوعاً[٦٥].

٦- روى ابن ابي شيبة في المصنف عن سعيد بن المسيب انه قال: اذا رأيت

العصر قد فاتك فاشرب[٦٦]، وهذا يُجاب عليه بأمور:

أ- هو قول تابعي، ولا يلزمنا به حجة على فرض ثبوته.

ب- يحمل على غروب الشمس، وإقبال الليل وإدبار النهار، لأن فوتان العصر هو الغروب.

٧- روى الامام مالك في الموطأ عن حميد ابن عبد الرحمن: ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا يصليان حين ينظران الى الليل الأسود قبل ان يفطرا، ثم يفطران بعد الصلاة، وذلك في رمضان[٦٧].

ونقل الماوردي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما كانا يؤخران الافطار[٦٨] وقد علل ذلك الإمام الشافعي بقوله: كأنما يريان تأخير ذلك واسعاً لا أنهما يعمدان الفضل لتركه بعد ان أبيح لهما، وصارا مفطرين بغير اكل ولا شرب، لأن الصوم لا يصلح في الليل، ولا يكون به صاحبه صائماً وان نواه[٦٩].

وقد اجاب الماوردي عما نقله عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما ارادا بيان جواز ذلك لئلا يظن وجوب التعجيل[٧٠].

وقال النووي عن تأويله هذا: وهذا تأويل ظاهر[٧١].

وبعد؛ فهذا ما تيسر لي بحثه في موضوع وقت فطر الصائم، وأرجو من الله التوفيق والسداد انه على ما يشاء قدير.

الهوامش:

١- الهداية ٢/١٢٢ .
٢- اللباب ١/١٦٤-١٦٥ .
٣- القوانين الفقهية ٨١ .
٤- المجموع ٦/٣٠٤ .
٥- شرح منتهى الارادات ١/٤٣٧ .
٦- المجموع ٦/٣٠٥ .
٧- المغني ٣/٣ .
٨- المجموع ٦/٣٠٥ .
٩- فتح الباري ١/١٣٦ .
١٠- فتح الباري ٤/١٣٧ .
١١- المغني ٣/٤ .
١٢- بداية المجتهد ١/٢٨٨ .
١٣- المحلى ٦/٢٣١-٢٣٤ .
١٤-١٥-١٦- المحلى ٦/٢٣٤ .
١٧- المحلى ٦/٢٢٩ .
١٨- بداية المجتهد ١/٢٨٨ .
١٩- البقرة: ١٨٧ .
٢٠- المغني ٣/٤ .



٢١- رواه البخاري ١٩١٦ .

٢٢- رواه البخاري ١٩١٧ .

٢٣- رواه مسلم في صحيحه ٢٠٥/٧ .

٢٤- رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣/٧-٢٠٤ .

٢٥- المحلى ٣٢٠/٦ .

٢٦- صحيح مسلم ٢٠٣/٧ .

٢٧- المحلى ٢٣٠/٦-٢٣١ .

٢٨- مصنف عبد الرزاق برقم ٧٦٠٦ .

٢٩- سنن ابي داود برقم ٢٣٥٠، وسنن الدارقطني ١٦٥/٢ .

٣٠- رواه البخاري برقم ١٩٢١ .

٣١- المحلى ٢٣٢/٦ .

٣٢- الطلاق: ٢ .

٣٣-٣٤- المحلى ٢٣١/٦ .

٣٥- رواه البخاري برقم ٥٢ .

٣٦- احكام القرآن، لابن العربي ٩٣/١ .

٣٧- مجمل اللغة ج.

٣٨- في الأصل الشمس، ولعله خطأ.

٣٩- تفسير القرطبي ١٩٤/٢ .

٤٠- في الأصل متغمة، ولعله تصحيف.

٤١- معالم السنن ١٠٦/٢ .

٤٢- السنن الكبرى ٢١٨/٤ .

٤٣- العلل لابن ابي حاتم ٢٥٧/١ .

٤٤- تهذيب السنن ٢٣٣/٣ .

٤٥- شرح معاني الآثار ٥٣/٢ .

٤٦- شرح معاني الآثار ٥٢/٢ .

٤٧- تهذيب السنن ٢٣٤/٣ .

٤٨- ليست في الأصل، واضفتها ليتم الكلام.

٤٩- عمدة القارئ ٢٩٩/١٠ .

٥٠- الاساس في التفسير ٤٢٥/١ .

٥١- الهداية ١٢٢/١ .

٥٢- القوانين الفقهية ٨١ .

٥٣- المجموع ٣٠٤/٦ .

٥٤- المغني ٣/٣ .

٥٥- الافصاح ٢٤٤/١ .

٥٦- البقرة: ١٨٥ .

٥٧- احكام القرآن ٩٢/١ .

٥٨- تفسير ابن كثير ٢٢٣/١ .

٥٩- رواه البخاري برقم ١٩٥٤، ومسلم برقم ٨١ .

٦٠- رواه البخاري برقم ١٩٥٥، ومسلم برقم ١١٠١، وابو داود برقم ٢٣٥٢، واحمد في مسنده ٣٨٠/٤، وعبد الرزاق في المصنف برقم ٧٥٩٤، وابن ابي شيبة في المصنف ١١/٣-١٢، وابن حبان ٣٥٠/٢، والبغوي في شرح السنة رقم ١٧٣٤، والبيهقي برقم ٢١٦/٤ .

٦١- شرح صحيح مسلم ٢٠٩/٧ .

٦٢- احكام الاحكام ٢٣٢/٢ .

٦٣- شرح صحيح مسلم ٢٠٩/٧ .

٦٤- المصنف ٢٢٦/٤ .

٦٥- عمدة القارئ ٤٤/١١ .

٦٦- المصنف ١٣/٣ .

٦٧- الموطأ ١٥٨/٢، مع شرح الزرقاني.

٦٨- المجموع ٣٦١/٦-٣٦٢ .

٦٩- الأم ٩٧/٢ .

٧٠-٧١- المجموع ٣٦٢/٦ .

١

الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين في الكتابة عن الرسول ﷺ والسيرة النبوية

المستشرقة الإيطالية ريتا دي ميليو نموذجا

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ تعريف موجز بالكاتبة الإيطالية الدكتورة ريتا دي ميليو:

ولدت المفكرة الإيطالية ريتا دي ميليو في جزيرة اسيكا بخليج نابولي في إيطاليا، وتخرجت من كلية الآداب بجامعة روما، درست اللغة العربية قصد التعرف على الإسلام ومبادئه والقرآن وأحكامه، وأصبحت أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة روما، ثم متخصصة في الشؤون الإسلامية والعربية، وتعمل الآن أستاذة لدراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بجامعة روما، كما عملت لفترة طويلة خبيرة في الشؤون الإسلامية بوزارة الخارجية الإيطالية، وتشارك الدكتورة ريتا ميليو أيضا في العديد من الأعمال الخيرية بدولة إريتريا، وهي تعدّ مستشرقة منصفة للإسلام والمسلمين.

ألفت كتابا خاصا عن الإسلام بعنوان: "الإسلام ذلك المجهول في الغرب"ولها كتاب حديث عن دور المسلمين في إثراء الحضارة الغربية، وتنقل الدكتورة ريتا دي ميليو إلى طلابها في الجامعة، رسالة الإسلام الحقيقي ومساهمات الفكر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية.

وعندما بدأت تقدم وجهة نظرها

المحايدة والمنصفة للدين الإسلامي وللمسلمين، تفاجأت بحالة الاندهاش التي انتابت الكثيرين ممن قرأوا عن كتاباتها أو استمعوا لشهاداتها حول الإسلام، فالطلبة الذين درّستهم، أعربوا عن دهشتهم الشديدة ولم يصدقوا في بداية الأمر، أن المسلمين سبقوا الغرب في الكثير من الاكتشافات الطبية والهندسية، وحتى في علوم الاجتماع والنفس، وبعض طلبتها أبدوا انزعاجا شديدا بسبب رؤيتها الجديدة للإسلام، وسرعان ما تسرب الخبر للقائمين على أمر الجامعة، قبل أن يصل للتيارات الصهيونية والشيوعية التي رفضت وجود أي صوت محايد للدين الإسلامي، وبدأوا في التحرش بها بشكل مباشر،فرضوا عليها ابتداء تدريس مناهج محددة مسبقا، ثم أجبرت على تقديم الرؤية الغربية التي تدين الإسلام، وعندما رفضت تدريس تلك المزاعم ضغطوا عليها حتى نجحوا في استفزازها لتقدم استقالتها، وفوجئت بقبولها بأسرع ما يمكن، فجأة دون مورد رزق لها، وهو ما دفعها للسفر إلى المملكة العربية السعودية، وافتتحت محلا لحياكة ملابس النساء، رغم ذلك لم تقطع صلتها بالعمل الأكاديمي،حيث قامت باغتنام تلك الفترة التي قضتها في المنطقة العربية لدراسة طبيعة الإنسان العربي المسلم وطبيعة الحياة في المجتمعات الإسلامية، واكتشفت أن المسلمين ما زالوا يحتفظون بالكثير من القيم الإسلامية، ومن أبرزها قيم الحياء وتحريم العلاقات غير المشروعة.(أنظر: صحيفة الشرق القطرية ٢٠٠٩/٣/١٦).

❖ مضمون كتابها:

في كتابها **"الإسلام ذلك المجهول في الغرب: الدين الإسلامي في ضوء القرآن والسنة"**، هذا الكتاب في مجمله جديد على الثقافة الأوروبية، فهو صادر من أوساطها ويتكلم بإحدى لغاتها، ورغم أنه بدا محايدا في عرض الإسلام كحضارة وثقافة، إلا أنه ربما للمرة الأولى يقدمه على أنه دين سماوي يقف على قدم المساواة مع الأديان السماوية الأخرى، بعد أن كان الغرب والمستشرقون على وجه خاص، يعتبرون أن الإسلام في أفضل الظروف طائفة منشقة عن المسيحية وخارجة عليها. أما في هذا الكتاب فإن ريتا دي ميليو تعلن منذ بداية سطوره أنها سوف تكتب عن الدين الذي تحبه وتحترمه، وتعمل على تبليغ محتواه لمن لم يعرف، ليس لأنها تعمل في مجال الدعوة بل لما ترى من تعرض الإسلام إلى ظلم

كبير من جانب من لم يعرفه.

وفي أول فصل منه بدأت بعرض لحياة الرسول ﷺ وأبرزت فيه المؤلفة الخصال التي اشتهر بها قبل البعثة النبوية مثل الصدق والأمانة، كما عرضت لحال المجتمع العربي قبل نزول الإسلام، وكيف جاء هذا الدين لكي يصلح الكثير من الأمور التي كانت تضرب في أساس هذا المجتمع، وليحوله من مجتمع بدوي بدائي إلى واحد من أعظم الحضارات التي شهدها التاريخ.وأكدت أن محمدا ﷺ هو نبي الله ورسوله وأن رسالته منزلة من السماء، وألمحت إلى أن أول من اعترف بنبوة محمد ﷺ كان مسيحيا، وهو ما استغله مفكرون آخرون، ليقدحوا في النبوة ويشككوا فيها عندما اعتبروا أن محمدا ﷺ لم يكن إلا قسا متمردا «وبينت في مقدمة كتابها أنها أقدمت على تأليف هذا الكتاب كشهادة محبة من قبل إنسانة مسيحية لكل مسلم، وذلك بتقديم فكرة شاملة عن العقيدة الإسلامية كما يمارسها معظم المسلمين، وحرصت في فصل الجهاد من الكتاب التأكيد للقارئ الأوروبي أن القرآن الكريم يقول فيما معناه: إنه لا ينبغي أبداً قتل الأطفال والأبرياء والنساء والشيوخ كبار السن. ووجهت سؤالا استنكاريا قائلة: هل دين يقدم مثل هذه التوصيات لأتباعه يستحق منا أن نربطه بالإرهاب؟

❖ كيف تفهم ريتا دي ميليو الإسلام؟

صحيفة الشرق القطرية التقتها على هامش مشاركتها في مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي عقد بالقاهرة، وأجرت معها حوارا مطولا، جاء فيه: **لماذا درست اللغة العربية وكيف تعرفت على الإسلام؟** قالت ريتا دي ميليو: درست اللغة العربية لأنني أردت أن أتعرف على الإسلام عن قرب عن طريق قراءة تراثه باللغة الأصلية التي كتب بها، وقد تعرفت إلى الإسلام في بداية حياتي التي قضيت جزءا كبيرا منها في العديد من الدول العربية، حيث عمل والدي طبيبا في عدة مستشفيات بالدول العربية، وأعجبت بالإسلام كدين قويم يحث على الفضيلة والأخلاق والتعايش السلمي بين كل الناس، لا فرق بين أبيض وأسود، وعلى الرغم من أنني لم اعتنق هذا الدين العظيم، إلا أنه دخل إلى قلبي بشدة، ولعل هذا ما دفعني إلى تأليف كتاب خاص عن الإسلام، حاولت من خلاله أن أعلم تلاميذي في الجامعة الكثير عن الإسلام الحقيقي ومساهماته في بناء الحضارة الإنسانية،

وقد أقدمت على كتابة هذا الكتاب كشهادة محبة من قبل إنسانة مسيحية لكل مسلم وذلك بتقديم فكرة شاملة عن العقيدة الإسلامية كما يمارسها معظم المسلمين. **سألتها الصحيفة: كثير من الغربيين يعترضون على مسألة الحدود الإسلامية ويعتبرونها دليلا على عنف الإسلام فكيف تنظرين أنت للأمر؟** قالت: للأسف الشديد فإن الغرب تعود على التسامح مع الجناة أكثر من اللازم وهو ما أدى إلى انتشار جرائم الشذوذ وزنا المحارم وكل فنون العري والإباحية،أضف إلى ذلك جرائم القتل.

فمثلا مؤخرا قتلت إحدى السيدات بسيارتها فتاة تونسية عمرها ١٣ عاما، ولم تدخل السجن إلا لمدة يومين، خرجت بعدهما تقود السيارة لتقتل وتصيب آخرين، وهناك فتاة قتلت أمها وأخاها ودخلت السجن لمدة ست سنوات قضتها في لعب الرياضة، وخرجت بعدها وكأنها لم تزهق روحين بريئين، وهكذا فإن الغرب تعود على مسامحة الجاني وهو ما أدى إلى نشر الجريمة، ولهذا يستغربون أيضا موضوع الحدود في الإسلام، ولكنني شخصيا أفضل العقوبات الإسلامية، فلو أن قاتلا واحدا حكم عليه بالقتل، فسوف تختفي على الفور كل جرائم القتل حتى الخطأ منها،لأن الجميع سيفكر ألف مرة قبل التساهل في التعامل مع أرواح الناس، فالعقاب الشديد مهم في بعض الأحيان.

سألتها الصحيفة كسيدة مسيحية تعيش في إيطاليا، كيف ترين العلاقة بين المسيحية والإسلام في الدولة التي تحتضن الفاتيكان رمز الكنيسة الكاثوليكية في العالم؟ أجابت: الإسلام هو الدين الثاني من حيث الانتشار في إيطاليا، فهناك أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم، ويجب ونحن نناقش أبعاد العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الإيطاليين أن نفرق بين المثقفين وغير المثقفين.

فالمثقف الإيطالي مثل غيره من المثقفين في الغرب من القارئين الجيدين لمختلف الثقافات العالمية، ومنها الثقافة الإسلامية، وهؤلاء يتعاملون معاملة راقية مع المسلمين، أما الجهلاء المتأثرون بالدعاية العالمية السلبية التي يتعرض لها الإسلام في الفترة الأخيرة، فبالطبع يكون تعاملهم مع المسلمين تعاملا غير إنساني وغير حضاري، فهم يرون أن كل مسلم هو إرهابي أو مشروع إرهابي على أقل تقدير، وللأسف فإن معظم الإيطاليين ليس لديهم أي معلومات كافية عن حقيقة الإسلام،

ومعظم الإيطاليين بل معظم الغربيين لا دينيين، ولهذا لا يقبلون بوجود متدينين بأي دين بجانبهم.

والسؤال الذي أحرص على طرحه على كل المنتديات الغربية التي أشارك فيها: ألا يعد استهدافنا للمقدسات والرموز الدينية الإسلامية بالسخرية نوعا من أشرس أنواع الإرهاب؟ وألا يعد حرص الغرب على نشر الإباحية والفواحش في العالم الإسلامي نوعا من أنواع التطرف الفكري المرفوض؟ فلماذا نثير اشمئزاز المسلمين الذين ما زالوا متعودين على العفة والحياء؟ على الجانب الآخر فإنني أدعو كل مسلم إلى التمسك بدينه والعمل على نشر حقيقة الإسلام السمح، حتى يدرك العالم كله أن المسلمين لا يمكن أن يكونوا أشرارا، وأن وجود عدد قليل من المسلمين المتشددين أو المتطرفين، لا يجب أن يسيء إلى هذا الدين العظيم.

سألتها الصحيفة: كيف تنظرين إلى الخلط الواضح من قبل الغرب بين الجهاد كفريضة إسلامية وبين الإرهاب والعنف؟

قالت المستشرقة الايطالية الدكتورة ريتا دي ميايو: يجب أن ندرك أن أحد أهم أسباب انتشار ذلك الخلط يعود إلى إحجام الحكومات الإسلامية عن نشر حقيقة الجهاد في الإسلام باللغات غير العربية، وأنا شخصيا رغم أنني غير مسلمة وجدت عند قراءتي المتعمقة أن هناك اختلافات جذرية بين الجهاد والإرهاب، فالجهاد يبدأ من جهاد النفس وصرفها عن فعل السوء، كما أن الجهاد المسلح كأمر مسموح به في الإسلام له شروط عديدة، لعل أبسطها هو ضرورة أن يدعو له الحاكم المسلم وليس أي شخص آخر، ولو نظر كل إنسان في العالم إلى مسوغات الجهاد في الإسلام لعرف أن الجهاد لا يعني الإرهاب بحال من الأحوال.

فالجهاد مثلا هو حق من حقوق كل من احتلت أرضه من قبل شعب آخر أو دولة أخرى، فلماذا يصفون في الغرب المقاومة الفلسطينية بأنها إرهابية؟ وإذا كان ما يقولونه صحيحاً، فلماذا اعتبروا العمليات التي شنها الفرنسيون ضد جيش ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية مقاومة فرنسية؟ ولماذا خصصوا لها صفحات عديدة في التاريخ الأوروبي ليبرزوا عظمة تلك المقاومة؟ الحقيقة أن إصرار الغرب على وصف العمليات الاستشهادية الفلسطينية بأنها إرهاب، لهو من قبيل التناقض الذي أرفضه، فالفلسطينيون لا يملكون السلاح اللازم لمواجهة العدوان

الإسرائيلي، ولهذا فإن لجوءهم إلى تفجير أنفسهم في المحتل الصهيوني، هو عمل عسكري شريف يحث عليه الإسلام، ولا يستطيع أي عاقل أن يصفه بالإرهاب.

فطالما أن الفلسطيني لا يملك سوى هذا العمل، فهو أمر يدخل تحت نطاق الجهاد الذي أباحه الإسلام، وحتى لو مات أبرياء نتيجة العمليات الاستشهادية، فهذا جزء من طبيعة الحرب، والحال نفسه بالنسبة للمحتل الأمريكي في العراق، وقد حرصت في فصل الجهاد في كتابي على التأكيد للقارئ الأوروبي أن القرآن الكريم يقول فيما معناه: إنه لا ينبغي أبداً قتل الأطفال والأبرياء والنساء والشيوخ وكبار السن، فهل دين يقدم مثل هذه التوصيات لأتباعه يستحق منا أن نربطه بالإرهاب؟والغريب أن اليهود ظلوا دائما يلقون معاملة حسنة طوال فترة عيشهم تحت الحكم الإسلامي، ولكنهم لا يردون هذه المعاملة بمثلها اليوم، وإنما كان أسلوبهم دائما الغدر ونقض العهود، ومن المسؤول عن إثارة البغضاء والكراهية بين الغرب المسيحي والشرق المسلم؟

بلا جدال فإن الصهيونية العالمية لعبت دورا كبيرا في إثارة الحقد والبغضاء بين الغرب والعالم الإسلامي، من أجل تحقيق مصلحة إسرائيل في التوسع والتمدد والبقاء، ويمكن للمسلمين والمسيحيين التغلب على تلك المخططات من خلال تفعيل إرادات الشعوب وإرادات القيادات السياسية من أجل دعم جهود الحوار وإزالة البغضاء والكراهية.

سألتها الصحيفة: كمستشرقة معاصرة هل ترين أن الاستشراق لعب دوراً سلبياً في تشويه علاقة الغرب بالإسلام؟ أجابت ريتا دي ميليو: يجب أن نتعامل مع قضية الاستشراق بإنصاف شديد، فنقول: إنه كان هناك في الماضي مستشرقون من الغرب نظروا إلى الإسلام نظرة محايدة ووصفوا الإسلام بحيادية شديدة، ولكن على الجانب الآخر كان هناك مستشرقون أساءوا للإسلام وأساءوا لعلاقته بالغرب، وساهموا بلا شك في الأزمة الكبرى التي نعاني منها اليوم بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، فهؤلاء المستشرقون لم يقدموا الإسلام بصورته الحقيقية، ومثلما كان الحال في الماضي فإن الموقف اليوم لم يتغير، فهناك مستشرق محايد ومستشرق غير محايد، ولكن بشكل عام فإن الواقع يؤكد ضرورة أن يدلي المسلمون بدلوهم في هذا الأمر، من أجل أن يساهموا في دعم جهود المستشرقين المحايدين، ولا مانع من أن يمد العالم الإسلامي هؤلاء بالمواد

العلمية والأكاديمية التي تساعدهم في التغلب على أصحاب النظرية التصادمية من خلال تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، ولا مانع من أن يقيم المسلمون في الشرق المؤتمرات العلمية التي يدعون إليها المستشرقين المحايدين ويمنحونهم الفرصة لدراسة الإسلام عن قرب.

سألتها الصحيفة: كيف تلقى الأوروبيون كتاباتك ورؤيتك المنصفة عن الدين الإسلامي؟

قالت الدكتورة دي ميليو: أولا لا بد أن نعرف أن معظم الأوروبيين يجهلون حقيقة الدين الإسلامي ودوره العظيم في إثراء الحضارات الإنسانية، بل ودوره العظيم في وصول أوروبا لهذه النهضة الحضارية الكبيرة، ولكن للأسف فإن الإعلام الغربي الذي يدين معظمه بالولاء لجهات غير محايدة، نجح في تصوير الإسلام على عكس حقيقته، وفي ظل عجز الإعلام العربي والإسلامي عن تقديم الصورة الحقيقية للإسلام بالطريقة وباللغات التي يفهمها الأوروبيون، توطن في اعتقاد الكثير من أبناء أوروبا أن المسلم إنسان همجي وإرهابي يجب الابتعاد عنه كثيرا، وأنا شخصيا عندما بدأت أعلن وجهة نظري المحايدة والمنصفة للدين الإسلامي وللمسلمين، فوجئت بحالة الاندهاش التي انتابت الكثيرين ممن قرأوا كتاباتي أو استمعوا لشهاداتي حول الإسلام.

فالطلبة الذين أقوم بتدريسهم، أعربوا عن دهشتهم الشديدة ولم يصدقوا في بداية الأمر أن المسلمين سبقوا الغرب في الكثير من الاكتشافات الطبية والهندسية، وحتى في علوم الاجتماع والنفس، وبعض طلبتي أبدوا انزعاجا شديدا بسبب رؤيتي الجديدة للإسلام، وسرعان ما تسرب الخبر للقائمين على أمر الجامعة، قبل أن يصل للتيارات الصهيونية والشيوعية التي رفضت وجود أي صوت محايد للدين الإسلامي، وبدأوا في التحرش بي بشكل مباشر، ففي البداية بدأوا يفرضون عليّ تدريس مناهج محددة مسبقا، بحيث أجبر على تقديم رؤيتهم التي تدين الإسلام، وعندما رفضت تدريس تلك المزاعم ضغطوا علي حتى نجحوا في استفزازي لأقدم استقالتي، وفوجئت بقبولها بأسرع مما كنت أتخيل لأجد نفسي فجأة دون مورد رزق وهو ما دفعني إلى السفر إلى منطقة الخليج حيث أقمت في المملكة العربية السعودية وافتتحت محلا لحياكة ملابس النساء، وسبحان الله فقد فوجئت بإقبال المرأة الخليجية على التعامل معي وكلما عرفت سيدة من سيدات المجتمع بحكايتي، أفاجأ بها تأتي لي بمزيد من

السيدات ليس هذا فحسب بل كن يجزلن لي في العطاء، لدرجة أنني كسبت من مهنة الحياكة في سنوات قليلة أضعاف أضعاف ما كسبته من عملي في الجامعات الإيطالية لسنوات طويلة، ولكنني رغم ذلك لم أقطع صلتي بالعمل الأكاديمي حيث قمت باستغلال تلك الفترة التي قضيتها في المنطقة العربية لدراسة طبيعة الإنسان العربي المسلم وطبيعة الحياة في المجتمعات الإسلامية، واكتشفت أن المسلمين ما زالوا يحتفظون بالكثير من القيم الإسلامية، ومن أبرزها قيم الحياء وتجريم العلاقات المحرمة ولعل هذا هو ما ساهم في حماية كافة المجتمعات الإسلامية من تفشي الكثير من الأمراض المعدية والخطيرة كما هي الحال في أوروبا.

ثم سئلت: كيف وجدت المرأة المسلمة عندما تعاملت معها مباشرة في المجتمعات الخليجية؟ أجابت الدكتورة ميليو: لقد وجدت امرأة تختلف تماما عما يتم الترويج له عبر وسائل الإعلام الغربية التي تقدم المرأة العربية المسلمة مجرد كيان جسدي للرجل العربي المسلم وقتما يحتاج، ولا وظيفة لها سوى التزين انتظارا لرجل يدور على نسائه الأربع، والأمر الذي قد يثير الكثيرين أنني جئت إلى المنطقة العربية وأنا في ذهني تلك الرؤية حول المرأة المسلمة، ولهذا دهشت للغاية عندما فوجئت بصورة أخرى غير التي رسمتها، فقد وجدت المرأة العاملة المثقفة والجميلة والقادرة على التواصل مع الآخرين بسهولة، وكذلك وجدت المرأة سيدة البيت التي تحمل قدرا كبيرا من الثقافة، فلا يعني أبداً وجودها في المنزل أنها جاهلة أو ما شابه، بل وجدت أن هناك الكثيرات يحملن شهادات عالية، وبعضهن يحملن الماجستير والدكتوراه، بل إنني وجدت من تناقشني حول التاريخ الإسلامي ودور الإسلام في تنوير أوروبا، وسمعت من النساء العربيات اللاتي قابلتهن معلومات مدهشة حول التاريخ الأوروبي، قد لا تكون الكثير من نساء أوروبا يعرفن عنها شيئا وهو ما يعني أن المرأة العربية، تعرضت لظلم بيّن وواضح في الإعلام الغربي الذي لم يعطها حقها.

سئلت الدكتورة دي ميليو: كيف يساهم المسلمون في تقديم الصورة الحقيقية للمرأة في الإسلام؟ قالت: أولا لا بد أن يعي المسلمون أن تعامل الإعلام العربي تجاه المرأة وقضاياها كان سلبيا، وهو ما ساهم في نشر المغالطات الغربية، علما بأن هناك عدة محاور يمكن للإعلام

الخوض فيها وإظهار الصورة الحقيقية لمساهمة المرأة العربية المسلمة من خلال مشاركتها في شتى الجوانب وخاصة الحياة الاقتصادية، والتي تعتبر مشاركة المرأة العربية فيها إنجازا كبيراً لتحسين ظروفها المعيشية ولزيادة مساهمتها في عملية التنمية عامة، كما كان للإعلام العربي مواد غنية تجاهها ولم يعمد إلى بثها أو عمل الدعاية الإعلامية لها، ومن هنا فعلى الإعلام العربي أن يلعب دورا واقعيا في نقل الصورة الحقيقية لمساهمة المرأة العربية في مناحي الحياة على الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي، حيث إن الغزو الإعلامي الغربي ساهم كثيرا في تقديم صورة باهتة.

سألتها الصحيفة: من وجهة نظرك ما السبب في انتشار المعلومات المضللة عن الإسلام والمسلمين في الغرب؟ أجابت: دعنا في البداية نعترف أن المسلمين قصروا كثيرا في حق أنفسهم عندما تركوا الساحة للإعلام المضلل ينشر المعلومات المضللة عن الإسلام، دون أن يحاولوا كبح جماح ذلك التضليل، وعندما انتبه المسلمون لذلك كان السيف قد سبق العذل، وأصبحت المجتمعات الغربية أرضا خصبة لنشر كل المفاهيم المغلوطة عن الدين الإسلامي، وأصبح المواطن الغربي لديه حصانة خاصة ضد أي محاولات لتصحيح الصورة، وبالطبع نحن نعرف جيدا أن الصهيونية العالمية هي أهم طرف من الأطراف التي عملت وتعمل على تشويه صورة الإسلام، لإدراكها أن تحسن العلاقة بين الغرب والمسلمين لن يصب في صالح إسرائيل، حتى وإن كان سيصب في صالح الإنسانية كلها، وأنا شخصيا كثيرا ما ناديت وسائل الإعلام الغربية، بأن تكون صحافة سلام، تعنى بنشر الأخبار التي تبشر بالسلام لا بالحرب، وتعمل على إعادة ربط الأخبار وتقييمها بصورة فاعلة، فللأسف الشديد أن وسائل الإعلام الغربية تكاد تهتم فقط بأعمال العنف، ولا تعير أعمال السلام اهتماما، ورغم أنه من الضروري بالطبع فضح كل ما هو سيئ، لا يكاد المرء يسمع شيئا عن الإيجابيات في وسائل الإعلام الغربي.

ومن الأسئلة التي وجهتها الصحيفة للدكتورة دي ميليو: كيف يواجه المسلمون هذه المغالطات بصورة إيجابية؟ قالت: مشكلة العرب والمسلمين أن تصرفاتهم بطيئة للغاية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمواجهة الثقافية، فعلى سبيل المثال لي كتاب حديث عن دور المسلمين في إثراء

الحضارة الغربية.

ورغم أنني سلمت كل فصول الكتاب للناشر منذ فترة ليست بالبسيطة، فإن الناشر وحتى هذه اللحظة لم يقدم على طبع الكتاب رغم أنه استعجلني كثيرا قبل أن أسلمه الكتاب، لدرجة أنني تخيلت أن المطبعة في الانتظار، ورغم أنني تسلمت كل مستحقاتي عن تأليف هذا الكتاب إلا أنني حزينة لأن البطء العربي في مواجهة السرعة الغربية يعني نشر مزيد من المعلومات المغلوطة عن الإسلام في الغرب، ولهذا لا بد أن يتخلص المسلمون من الروتين الذي سيطر على كل تصرفاتهم ولا بد أيضا أن يواجهوا المغالطات الغربية بنفس الطريقة وهي الإعلام، لأن الإعلام هو السلاح الوحيد الذي يملك العرب والمسلمون استخدامه اليوم لتحسين صورتهم ونشر حقيقة الدين الإسلامي السمح، فالعرب في حاجة فعلية للتخلي عن استخدام المصطلحات الضخمة، والبدء فورا في مخاطبة الغرب عبر سلسلة تحقيقات واقعية تستخدم اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها، وتقدم كل ما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية بحيث يشعر الغرب بأن المجتمعات الإسلامية لا تختلف في شيء عن المجتمعات الغربية إن لم يكن تتفوق عليها في خلوها من الكثير من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الغرب بسبب الحرية المطلقة.

سئلت المستشرقة ريتا دي ميليو: في رأيك من صاحب المصلحة في تشويه العلاقة بين الغرب المسيحي والشرق المسلم؟ أجابت: بلا جدال فإن الصهيونية العالمية لعبت دورا كبيرا في إثارة الحقد والبغضاء بين الشعوب المسيحية والمسلمين من أجل تحقيق مصلحة إسرائيل في التوسع والتمدد والبقاء، ويمكن للمسلمين والمسيحيين التغلب على تلك المخططات من خلال تفعيل إرادات الشعوب وإرادات القيادات السياسية، من أجل دعم جهود الحوار وإزالة البغضاء والكراهية، ولا بد للغرب أن يرى حقيقة الممارسات "الإسرائيلية" التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني الأعزل، ولن يحدث ذلك إلا إذا تفوق العرب في استخدام الآلة الإعلامية وأصبح لديهم خبراء في تحديد الطريقة المثلى لمخاطبة الغرب بلغة إعلامية صحيحة وقادرة على الوصول لعقلية المواطن الغربي. (الشرق القطرية ٢٠٠٩/٣/١٦)

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

قطوف دانية

بقلم الطالبة آيات عبد الجبار

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾.

البقرة: ١٨٣-١٨٤

دعاء رؤية هلال رمضان

كان النبي ﷺ اذا رأى الهلال قال:

«اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والاسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله».

الاعتكاف في رمضان

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها انها قالت:

«ان النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

فضل قيام ليلة القدر

عن ابي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله ﷺ قال:

«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

الخوف من الحساب

قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها:

«وددت اني كنت نسـيـاً منسـيـا» وقـالـت: «وددت اني شـجـرة اعضـد»، وقالت: «وددت اني لم أخلق»، وقـالت عندما مرت بشـجـرة: «ياليـتـي كنت ورقـة من ورق هذه الشـجـرة»، وكـان هذا لخـوفـهـا الشديد رضي الله عنها من الحساب.

اثقل شيء في الميزان

عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال:

سـمـعت رسـول الله ﷺ يقـول: «مـا من شيء يوضع في الميـزان اثقل من حسن الخلق، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة».

تعهد نفسك

تعهد نفسك في ثلاثة مواضع:

اذا عـملـت فـاذكـر نظـر الـلـه الـيـك

واذا تـكـلـمـت فـاذكـر سـمـع الـلـه الـيـك

واذا سـكـت فـاذكـر علـم الـلـه فـيـك

ايهما أولى بالعاصي

قال رجل للإمام ابن الجوزي رحمه الله:

أيهما أولى بالعاصي.. التسبيح أم الاستغفار؟

فقال: الثوب الوسخ أحوج الى الصابون منه الى البخور.

سلسلة الأمراء من الهاشميين

صاحب القانون الشريف محمد

أبـــو نمـــي الثانـــي بن بركـــات
أمير مكة نحو ثلاث وسبعين سنة

■ **بقلم الدكتور نوح الفقير**

محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، أبو نمي، نجم الدين، شريف حسني، ولد في مكة سنة (٩١١ هـ= ١٥٠٦م)، وقال العيردوس: (كان مولده سنة عشر وتسعمائة)[١]، يُعرف عند أشراف مكة بصاحب القانون؛ لأنه جمع أنسابهم، وجعل لهم فيها قانوناً.

في سنة ثمان عشرة وتسعمائة (٩١٨هـ) وكان سنه إذا ذاك ثمان سنين، حصلت معه قصة عجيبة؛ إذ توجه الشريف أبو نمي بن بركات إلى مصر، ومعه من أعيان مكة، قاصداً منصب آبائه الكرام من السلطان الغوري، فلما وصلت أخبار خروجه من مكة، برزت الأوامر السلطانية لملاقاتهم على أحسن أسلوب، فلما وصلوا ضُرب لهم مخيم عظيم سلطاني، ثم نزل الشريف أبو نمي في أعظم خيمة من الخيم السلطانية، ثم دخل الشريف على السلطان الغوري وهو في الملابس الحسنة الحسنية، والأنوار النبوية مشرقة عليه، والعناية الصمدانية ناظرة إليه، تعجب من هيئته الباهرة، وامتلأت عينه بمهابته، وطلعته الطاهرة، فأمر أن ينصب له كرسي بمفرده.

فلما دخل الديوان قام له وقبل جبينه الشريف وقد زاده الله شرفاً، وأراد

الشـــريف تقـبـيل يد السلطان، فـامـتنع السلطان من ذلك أدباً مع المقــام النبــوي والجناب العلوي، فـغلب على ذلك مــولانا الشــريف فـاحـتـضنه، وسلّم عليـه، وقـربه لجانبه، وأقبل عليه بالمحادثة، ثم أجلس من مـعــه من القـضـــاة والأشــراف، وجـابـرهم بخطابه العذب، وأنصفهم في الجلوس غاية الإنصـاف، ثم أقبل على الشـريف أبي نمي ووضـعـه في حـجـره، وقـال له: مـا اسـمك؟ فـقـال: مـحـمـد أبو نمي الغوري! فـحـصل للغـوري ســرور عظيم بذلك، فـقــال له: أنت أشطر من أبيك، وقـــال لـه: مـــا ســـورتك؟ فقـال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾(٢)، فأعجب السلطان ذلك وتفاءل به واستبشر، وهذا يدل على مـزيد الحـذق والذكـاء، ولا عـجب إذا صـدر من سـلالة المصطفى ﷺ، ثم اسـتـأذن في التوجه إلى الحـجـاز، وبرز من مـصــر على صــورة جـمـيلة مع إظهـار الإنعامات السلطانية.

ولما وصل الخـبـر بقدومـه زينت البـلاد، وانشـرحت صـدور العـبـاد، وخـرج لملاقـاته الأعيان من مكة، فدخلها رافلاً في نعم الله تعـالى التي تفـضل بهـا عليـه، وعلى آبائه وأجــــداده، فــــلا زالت في أولاده ثم في أحـفـاده، فطاف بالبـيت الحـرام، ودعي له على زمـزم أســوة آبائه الكرام، وقـيل في ذلك:

جاء تال وفي السباقِ إمامُ
فرعُ غرسٍ ينمي إلى خير أصلٍ
وبنى المكرماتِ وهو فطامُ
سيدٌ أدركَ السيادَةَ طفلاً
ولك المدحُ مبدأ وختـــامُ
فابْقَ للملكِ والممالكِ عزّاً
وتغنت على الغصونِ حمامُ
ما توالَتْ عليك غُرٌّ القوافي
وصحابٍ تحيــةٌ وســـــلامُ
وعلى المصطفَى وآلٍ كـــرامٍ

أفضى ملك مصـر والحرمين إلى مولانا السلطان سـليم خـان، وذلك في سنـة اثنتين وعـشـرين وتسـعـمـائة (٩٢٢هـ)، وذلك بعـد مـعــركـة مـرج دابق بـين الغـوري والسـلطان سليم، وفـيـهـا قـتل الغوري، وكان السلطان سليم كـثـيـر المحـبـة لأهل الحــرمين، وقـد أبقى ولاية مكة للشـــريف بـركـــات وولـده

الشريف أبي نمي، كذا قال زيني دحلان[٣]، وقال العصامي: (وجهه أبوه الشريف بركات إلى السلطان الأعظم والخاقان الأكرم السلطان سليم خان.. فدخل مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (٩٢٣هـ)، فقابله بالعناية والرعاية، وأقر الشريف بركات على ما كان عليه من الولاية، وأبقى أبا نمي على مشاركة والده، فعاد أبو نمي قرير العين، وهي أول ولاية صدرت من العثامنة[٤]، استقل بأعباء السلطنة بعد موت أبيه، وكان استقلاله بها في سن عشرين سنة، فوصلت إليه المراسيم السلطانية السليمانية، فخمدت بولايته الفتن، وابتهج بملكه وجه الزمن، ولم يزل ممتعاً بمكارم الشيم، متقلباً في صنوف النعم، وقد رزق الذرية الصالحة، ودانت له رقاب الأمم)[٥].

وفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة (٩٣١هـ) توفي الشريف بركات، فاستقل الشريف أبو نمي بإمارة البيت الحرام، وعمره عشرون سنة[٦].

وقال العصامي: (لما كان موسم خمس وأربعين وتسعمائة (٩٤٥هـ) أرسل الشريف أبو نمي ولده السيد أحمد بن أبي نمي لمواجهة السلطان سليمان بن سليم خان، فوصل بالسلامة والعز والكرامة، واجتمع بالسلطان سليمان وجلس على يساره، فقابله بالإكرام، وعامله بالاحترام، وأشركه مع والده أبي نمي في ولاية مكة، وذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة، وعاد بعد ذلك على أكمل هيئة فاخرة)[٧].

وفي سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١هـ) كان أمير الحاج فاجراً، فسولت له نفسه الهجوم على أبي نمي يوم عيد النحر، ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة، فظفروا به وأرادوا قتله، وجميع جنوده، لكن أبا نمي أشفق على الحجاج، فأمسك عن قتاله، ثم ذهب إلى مكة والناس في أمر مريج، فلم يزد ذلك الجبار إلا طغياناً، فنادى أن الشريف معزول، فلما سمعت الأعراب ذلك سقطوا على الحاج، ونهبوا منهم أموالاً لا تُعدُّ، وعزموا على نهب مكة بأسرها، واستئصال الحجاج، فركب الشريف واثخن في العرب الجراح، وقتل

البعض فخمدوا، واستمر ذلك الجبار بمكة حتى بطلت أكثر مناسك الحج، وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسمع بمثله، ثم رحل ذلك الجبار إذ أمر السلطان بعزله وقتله؛ قال بعض الصالحين من أهل اليمن: فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جدة، وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين، فلما قربت من جدة قبل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يفتح سورها، فرأيت في النوم النبي ﷺ ومعه علي كرم الله وجهه، وفي يده عصى معوجة الرأس، وكان يضرب عن الشريف أبي نمي، ويقول: أخبره أنه لا يبالي هؤلاء، وان الله تعالى ينصره عليهم، فما مضت إلا مدة يسيرة وإذا الخبر يأتي من باب السلطان بغاية الإجلال والتعظيم للشريف؛ فنصره الله تعالى على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك، وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوا من الأمن الذي لم يعهد في غير ولايته.

قال العيردوس: (في سنة ثمان وثمانين وتسعمائة (٩٨٨هـ) بعد التسعمائة أجريت العين إلى مكة المشرفة، وكان قد سعى في ذلك الشريف أبو نمي والقاضي حسين- شكر الله سعيهما وجزاهما عن المسلمين خيراً- وبذلا في ذلك مالاً جزيلاً، وسبب ذلك أن عين مكة كانت انقطعت عنهم، ومكثوا كذلك مدة من الزمان، وتضرر أهلها بسبب ذلك جداً، وكان الرمل هو الذي سد مجرى الماء إليها، فتوجه الشريف القاضي إلى أصلاحها حتى عادت أحسن مما كانت)[٨].

وفي يوم النحر سنة خمس وخمسين وتسعمائة (٩٥٥هـ) وقعت فتنة بمنى بين أبي نمي، وبين أمير الحاج المصري المسمى محمود، وكان الشريف أحمد إذ ذاك قائماً بأمر المملكة عن والده بتفويض من السلطان سليمان، ونفر الأمير وجميع الحجاج من منى يوم النفر الأول قبل الزوال، فأراد بعض الحجاج العود إلى منى للرمي قبل فواته، فتعذر عليه ذلك، لانتشار الأعراب في الطرق ورءوس الجبال.

وكان الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، طاهر

السـريرة، قطب زمانه بلا خلاف، عادل وقته فلا سبيل في زمنه إلى الاعتساف، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق، وصفاته جامعة شتات كل فضيلة، وخصاله محمودة جميلة، وما زال منعم البال، ممتعاً بالأولاد والآل، مجتمع الشمل في سائر الأحوال، مكفي الأمور، دائم السرور، بقيام ولده الشريف حسن بأعباء الملك والخلافة، مظهراً في الرعايا عدله وإنصافه، سالمة ممالكه من المخافة، وكان صاحب خيرات متواترة، ومبرّات كثيرة متكاثرة، أسس لأبنائه معالم الكرم، وحثهم على شريف المناقب والشيم، نسج بينهم المودة على منوال الصفا، وحملهم على الصدق فيما بينهم والوفا.

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة (٩٧٤هـ) طلب الشريف من السلطان تفويض الأمر إلى ابنه الشريف حسن، وأراد هو العكوف على العبادة، فجاء الأمر بالتفويض، وعكف الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم.

توفي يوم عاشوراء سنة (٩٩٢ هـ–١٥٨٤م) في وادي البيار من جهة اليمن، فحمل إلى مكة، وجهز وصلى عليه بعد صلاة العصر في المسجد الحرام عند باب الكعبة، وعمر الشريف أبي نمي ثمانون سنة وشهر واحد ويوم واحد، ومدة ولايته مشاركاً لأبيه ولولديه الشريف أحمد والشريف حسن، ومستقلاً نحو ثلاث وسبعين سنة.

وكان له جملة من الأولاد، منهم: أحمد والحسن وثقبة وبركات وبشير وراجح ومنصور وسرور وناصر وصالحة وشمسية وراية وغيرهم.

الهوامش:

١ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيردوس ج ١ ص١٢٤.
٢ . الفتح: ١.
١ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٣.
٢ . الدولة العثمانية.
٣ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢، ص٤٣٦.
٤ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٥.
٥ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢، ص٤٣٦ .
٦ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيردوس ج١ ص١٢٤.
٧ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر ج١ ص١٧٩ .
٨ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٩ .

التراث العربي الاسلامي ليس ناقصاً ولغة القرآن الكريم لن تموت بإذن اللـه

■ **بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار**

تصدر في لندن جريدة عربية بعنوان «الشرق الأوسط» وفيها زاوية لكاتب عراقي اسمه خالد القشطيني، تحمل احياناً عناوين غريبة مثل: «اسماء عربية تثير الامتعاض»، المنشور في شهر أيلول ٢٠٠٧م، وآخر بعنوان «تراث ناقص» والمقصود به التراث العربي الاسلامي، وقد نشر في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٩م، وقد فوجئت مؤخراً بمقال بعنوان: «هل ستموت اللغة العربية؟؟» المنشور يوم ٢٠١٠/٦/١٣م، وهو عنوان منقول عن جريدة انجليزية روّج له بعض الكتاب البريطانيين، واتخذه السيد خالد عنواناً لزاويته.

وإنني اعترف بأنه دافع عن اللغة العربية، لكنه أخذ بالرأي الأجنبي القائل: بأن اللغة العربية بحاجة الى تبسيط قواعدها، وضرب لذلك مثلاً بضرورة إلغاء «نون النسوة» والتخلي عن حرف الألف في صيغة المثنى، وردد الاتهام الاجنبي في قول القائل: «استطيع ان أتصور رجلاً يعتنق الاسلام، ثم يواجه صعوبات اللغة، فهجره الى دين آخر»!!.

في الواقع ان هذا القول خيال، لا يحلم به الا من يضمر العداء للاسلام وللغة العربية، لا شك ان الاسلام، وقد بلغ عدد

المؤمنين به أكثر من «مليار مسلم» ومع ذلك لم نسمع ان أحداً من معتنقيه، ارتد عن دين الله القويم بسبب اللغة «بل ولأي سبب آخر» ومع ذلك فلن يضر الاسلام ان يهجره من يهجره لهذا السبب التافه، فجميع المسلمين يقرأون القرآن الكريم بحروفه العربية، حتى الأتراك الذين كتبوه في زمن أتاتورك، بحروف لاتينية واقتصر ذلك على المؤسسات الحكومية، وأما المواطن التركي، ويعد منهم ٩٩٪ من الأتراك، فيصرون على قراءته بحروفه العربية، وتواصل المطابع التركية بطباعته بتلك الحروف، وتتفنن بإخراجه بأحسن صورة.

ومن الغريب ان الكاتب القشطيني، لم يقل كلمة واحدة عن الصعوبات في اللغة الانجليزية، رغم انها «لغة الشذوذ» لكثرة ما فيها من خلافات في النطق عما هو مكتوب بالحروف، وأذكر أننا في العراق كنا نبدأ بتعلم اللغة الانجليزية في الصف الخامس الابتدائي «ويبدأ تعليمها في المدارس الأهلية في الصف الثالث» وكان المدرسون يبدأون درسهم بقولهم: إن هذه اللغة هي لغة الشذوذ» وعلى المتعلم ان يتوقع ذلك في كل سطر منها، خاصة وأنها ليس فيها قواعد في «التصريف» وأمثاله، من ذلك مثلا اذا اردت ان تكتب «فعلاً ماضياً أو مضارعاً» فليس لديك قاعدة واحدة تطبق على جميع الأفعال، فمثلاً في فعلي «القراءة والكتابة» فإن فعل المضارع فيهما هو « Read و Write» اما في الفعل الماضي فإن الأول يبقى على حاله «Read» اما في الفعل الثاني فيصبح «Wrote» في كلتا الحالتين لا ينطبق حرف «W» وهناك تركيبة «ion» فهي تلفظ أحياناً «شن» في مثل كلمة «Action» بينما تلفظ في كلمة «Division» بصوت «جن» ولا أريد الاستطراد ولكن على المتعلم ان يتوقع ذلك في كل سطر منها، خاصة وليس هناك قاعدة تتبع في مثل هذه الأحوال.

كما ان هناك كلمات تتفق في اللفظ، وتختلف في التهجئة، مثل كلمة «Low» ومعناها الواطئ وكلمة «Law» بمعنى القانون، وهناك ايضاً كلمة «Right» وتعني اليمين عكس اليسار، ولها معنى آخر هو «الحق» من الحقوق، وهناك كلمة «Let» بمعنى السماح لفعل شيء، وما أشبه، وكلمة «Late» بمعنى التأخر عن الموعد

وما أشبه، ثم هناك اختلاف النطق بحرف واحد هو «G» بصوتين مختلفين في بعض الكلمات مثل «Large» اذ يلفظ بالجيم، لكنه في كلمة «Great» يلفظ بصيغة الكاف الفارسية «ڱ» ولو أردت ان استطرد بذكر الأمثلة لكان في وسعي ان اورد مئات الأمثلة لهذا الشذوذ في لغة الانجليز، لذلك كان حرياً ان يقال عن تلك اللغة: «هل ستموت اللغة الانجليزية؟».

اما بالنسبة لقول القائل: ان العربية الفصحى بشكلها الحالي لم تعد لغة عملية، والزعم بأنها قد نبذها العلماء والأطباء، اذ لم يعودوا قادرين على استعمالها الذي لا يتسنى لغير المتخصصين بها، والذين اصبحوا كالسحرة والكهان!! ولا شك ان هذا القول باطل، لأن اللغة العربية بقواعدها «من نحو وصرف» هي المستعملة في الكتابة سواء في الميادين الرسمية، أم في المكتبات الخاصة، وهي لغة التعليم، والصحافة والاذاعة والتلفزيون، وكلها تقوم بلا شك على اتباع القواعد النحوية والصرفية وليس هذا بدعة، وانما هناك لغات اوروبية فيها أحكام مماثلة بتغيير حركة الحرف الأخير في الكلمات تبعاً لموقعها الاعرابي.

وقد اكتشفت ذلك بنفسي، وذلك عندما عينت في أوائل الستينات من القرن الماضي سفيراً للعراق في يوغسلافيا وبلغاريا في آن واحد، اذ وجدت اسماً بصيغة «تيتو» وهو اسم رئيس الدولة في يوغسلافيا السابقة، كما وجدت صيغة «تيتا» الى جانب صيغة أخرى هي «تيتم»، فظننت ان هناك ثلاثة اشخاص هذه اسماؤهم، ولكنني ما لبثت ان اكتشفت انهم شخص واحد، هو المارشال «تيتو» ولكن الصيغة تختلف باختلاف موضع الاسم في الجملة، فعلمت انهم يسمون الشارع الرئيسي في العاصمة بلغراد «مارشالا تيتا اولسة» وهنا قد حور الاسم بسبب موضعه الاعرابي، فصار «تيتا» كمضاف اليه، ثم صيغة «تيتم» اذا كان مفعولاً به، وهكذا.

وعلى اي حال، اود ان أقول للقارئ الكريم: ان مسيرتي الثقافية الطويلة التي بدأت في عام ١٩٣٩م، عندما اختارتني الحكومة العراقية، ضمن طلاب البعثات، وارسلتني الى الجامعة الامريكية في

بيروت، وقد اندهشت اذ رأيت الاساتذة الامريكان وعوائلهم كلهم يتكلمون العربية بطلاقة، «رغم ان لغة التدريس هي الانجليزية» وعلى رأسهم رئيس الجامعة «الدكتور بيارد دوج» الذي لم يكتف بالحديث والقراءة باللغة العربية فاختار تحقيق كتاب «الفهرست» الموسوعي لمؤلفه ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ-٩٩٠م، بل كثيرين من الدبلوماسيين الامريكان يحسنون العربية تكلماً وكتابة، واذكر منهم السفير الامريكي في قبرص «وقد سبق ان عمل في العراق» وقد قتله الارهابيون من القبارصة اليونانيين، لأنه قد تعاطف مع الاتراك «المؤسف انني نسيت اسمه بحكم تقدمي في السن».

كما ان عدداً من السفراء الامريكان الذين خدموا في السعودية، كانوا يجيدون الحديث بالعربية، كما رئيس جمهورية البوسنة من هذا القبيل، اما المسلمون الايرانيون والأفغان والباكستانيون والهنود، والاندونيسيون، والعناصر التركية في اواسط آسيا، وأهل البوسنة، فقد واصل علماؤهم التأليف باللغة العربية، والتحدث بها في المؤتمرات الاسلامية والعربية.

والجدير بالذكر ان اقليم «كاشغر» الذي فتحه القائد العربي قتيبة بن مسلم، سنة ٩٥هـ ٧١٣م، وقد احتلته الصين لسعته، اذ هو اكبر الاقاليم التابعة لها، وأغناها بالثروة المعدنية، وبالأخص الزراعي، أقول: هذا الاقليم لا يزال مصراً على كتابة لغته، «وهي من العائلة التركية» بالحروف العربية، رغم ان جميع الاقاليم الاخرى التي كانت تابعة لروسيا تكتبها بالحروف الروسية!.

هذا وهناك حقيقة أخرى ينبغي الالتفات اليها، وهي ان مسلمي الهند قد أنشأوا برئاسة سلطان «حيدر آباد» منذ اكثر من مائة عام، «دائرة المعارف العثمانية» التي نذرت جهودها لنشر أمهات الكتب العربية التراثية، «ليس الكتب الدينية فقط» وانما كتب التاريخ والأدب ايضاً.

واتذكر في هذه اللحظة نشر كتاب «تاريخ البخاري الكبير» وكتب البيروني العلمية وكتاب «المنتظم» في التاريخ الاسلامي، لابن الجوزي، بأجزائه الكثيرة، وكتابه الآخر المسمى «صفوة الصفوة» وكتاب «لسان الميزان» لابن حجر، وكتابه

الآخر المسمى «الدرر الكامنة» و «تاريخ جرجان» لحمزة السهمي، و «جمهرة اللغة» لابن دريد و «تاريخ دول الاسلام» للذهبي، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، ولو اردت الاستمرار في سرد هذه الانجازات، لطال هذا المقال كما انني لم اتعرض لنشر كتب كثيرة أخرى، نشرت في الهند في غير سلطنة حيدر آباد، وهي كثيرة.

كما ان العلماء الهنود كثيراً ما عقدوا المؤتمرات المخصصة لبحث موضوعات اسلامية، سواء في الهند أو في الباكستان، وتكون العربية هي لغة البحوث والمناقشات، وقد سبق لي ان نشرت في مجلة «هدي الاسلام» مقالاً عن «دور مسلمي الهند في النشاط العلمي الاسلامي»، وذلك في العدد التاسع من المجلد رقم (٤٩)، هذا وينبغي ان لا ننسى جهود رؤساء علمائهم وعلى رأسهم أبو الأعلى المودودي.

وأعود الى زاوية السيد القشطيني، وما حوته من انتقادات للغة العربية بالنسبة لنحوها وصرفها، وهي انتقادات تعسفية مرتجلة، ولقد لمست غنى العربية من خلال سيرتي الدراسية في جامعات ثلاث مختلفة الجنسية، ومختلفة المشارب، وهي جامعة بيروت الامريكية سالفة الذكر، وجامعة القاهرة، حيث درست الحقوق، ثم جامعة كمبرج البريطانية، حيث حصلت على الدكتوراة، ولم يصادفني أحد في هذه الجامعات الثلاث، من ينتقد اللغة العربية بالشكل الوارد في زاوية القشطيني.

وانني اذكر جيداً في عهد تلمذتي على الدكتور شارل مالك، استاذ الفلسفة في الجامعة الامريكية، وكان يحسن خمس لغات على الاقل يحسنها قراءة وكتابة ونحواً وصرفاً، وعُرف عنه الحماس والإعجاب بنحو اللغة اليونانية وفلسفتها، ويكتب في مقالاته ما يفيد ان الفلسفة الاسلامية اذا ما قيست بالفلسفة اليونانية، فتبدو مثل طفل يعبث على شاطئ المحيط!! ولكنه عند الحديث عن اللغات، فإنه يؤكد ان اللغة العربية هي الوحيدة التي تقوم قواعدها النحوية على صيغ منطقية، وذلك بوجود «المسند والمسند اليه» وآلة الجمع بينهما سواء كانت منطوقة أو مقدرة، مما لا مثيل له في اللغات الأخرى، وكذلك فإن الحروف

العربية كلها منطوقة، والتصريف يجري في مختلف الكلمات، وفق قواعد مضطردة، مما نفتقده في اللغة الانجليزية كما أسلفنا.

والآن أعود الى السيد القشطيني وعنوان زاويته «هل ستموت اللغة العربية؟» وأقول له: انها لغة القرآن وموتها لا سمح الله معناه موت القرآن الذي قال فيه سبحانه وتعالى: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾** الحجر: ٩، والذكر هو القرآن الكريم، وقد ورد الذكر بهذا المعنى في نحو عشرين موضعاً من القرآن الكريم، مما يدل على جلال الذكر وأهميته، وهو في الأساس كلام الله عز وجل، ولغته ليست عرضة للموت والزوال، ويكفي انه رغم نزوله قبل ما يزيد على (١٤) قرناً يتسم دائماً بالجدة والحداثة وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان، ولذا فإن العنوان الذي اقتبسه الكاتب من مجلة «الايكونومست» البريطانية اقل ما يقال فيه: انه يجرح مشاعر المسلمين في طول العالم وعرضه، وكان الأجدر بالسيد القشطيني ان يتصدى للدفاع عن اللغة العربية، خاصة وأن استاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد ينفي أفول اللغة العربية بحالتها الحاضرة، بل يدل حالها على حيويتها، وقدرتها على التطور والتعامل مع جميع الظروف الجديدة، وهو ما يؤيده مبدئياً السيد القشطيني، لكنه مع ذلك سرعان ما يتهم المثقف العربي برفض التطور، ويقول عنه: «يتردد في تطويع لغته وتبسيط قواعدها، فيبقى متمسكاً بنون النسوة ورفع المثنى بالألف» على حد قوله، ثم انه لم يدلنا على الأسلوب الذي يقترحه هو للتطور والتطويع، غير أنه سرعان ما يكشف عما سبق ذكره بالغاء «نون النسوة ورفع المثنى بالألف» كما أسلفنا، وينسى ان القرآن الكريم حافل بهذه النون، وبالتثنية بالألف والظاهر أنه يريدنا إلغاء «سورة الرحمن» الزاخرة بهذا المثنى، سواء بالأفعال والأسماء في قوله تعالى: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** التي تكرر ذكرها في هذه السورة أكثر من ٣٠ مرة.

اما بالنسبة لنون النسوة، فلا أدري كيف سيقرأ ما ورد في سورة النساء التي تضم المفردات من أمثال: «كنَّ ولهنَّ» وقوله تعالى: **﴿.. يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن..﴾**، وما اليها من

كلمات مثل (يتوفاهن، وتعضلوهن، وكرهتموهن، واحداهن، وبهن) وغيرها من تعابير مماثلة، وكأن الأمر مجرد لغوي، وينسى ان هذه اللغة هي لغة القرآن الكريم، ولغة المسلمين الذين يبلغون المليار عدداً، ومع ذلك لم نسمع ان احداً منهم قد تخلى عن دين الله القويم، بسبب اللغة أو لأي سبب آخر، حتى لو وجد أحد قد تخلى عن الاسلام، لهذا السبب أو لغيره، فلن يضير الاسلام هجر من يهجره، لذلك السبب التافه.

فجميع المسلمين بحمد الله يتلون القرآن الكريم بحروفه العربية، وحتى الأتراك الذين كتبوه بحروف لاتينية، واقتصر ذلك على المؤسسات الحكومية، اما المواطن التركي فيصر على قراءته بحروفه العربية، وتواصل المطابع التركية على طباعته بنصه الأصلي، وتتفنن في إخراجه بأجمل صورة وأبهاها، كما اسلفنا.

ثم ان اللغة العربية بمنطوقها في العصر الجاهلي، قد وفّت بحاجات المجتمع الجاهلي، كما وفت بعد ذلك بحاجات المجتمع الاسلامي خلال (١٤) قرناً، وهي من المرونة قادرة على الوفاء بحاجات العصر الحاضر المستجدة، وخير مثال على ذلك هو تدريس العلوم الطبية في جامعة دمشق باللغة العربية.

والتراث العلمي العربي، قادر على تزويدنا بمخزون علمي لا حدود له وبالمصطلحات العلمية، ويضع في أيدينا القواعد لاستحداث المفاهيم الجديدة بالاشتقاق الذي قد تتفرد به لغة الضاد، وكان حرياً بالسيد القشطيني ان يسفه القائلين بإمكان «موت» اللغة العربية، وتذكيرهم بلغاتهم التي خلت مما في اللغة العربية من خصائص التصريف بالاشتقاق، بدلاً من اقتباسه قول الأعداء عن هذه اللغة المقدسة، وكان حرياً به الدفاع عنها وبيان مزاياها في زاويته اليومية في جريدة «الشرق الأوسط».

ان من واجب كل عربي ومسلم ان ينافح عن هذه اللغة التي تشرفت بنزول الوحي بها، وانها لقيت من اجدادنا الطيبين كل عناية واهتمام، وخير دليل على ذلك ما صنفوه فيها من معاجم ضخمة تتألف من عشرات المجلدات، مما يؤكد غناها وقدرتها على الوفاء بحاجة الانسان، والله من وراء القصد.

٢

المشروع الشامل للخطاب المنشود

■ بقلم الاستاذ سعيد الكرواني

الخطاب الاسلامي الجديد ليس اعتذارياً، ولا يحاول ان يقول: نحن سبقنا الغرب في كذا وكذا، ولا يتحدث عن الأمجاد الغابرة، ولا يبذل دعاته مجهوداً كبيراً في محاولة تحسين صورة الاسلام في الخارج، ومع هذا لا يرفض حملة الخطاب الجديد الغرب بشكل قاطع، ولا يصورونه باعتباره مصدراً لكل الشرور.

فموقف الرفض الكامل للغرب، شأنه شأن القبول الكامل له يفترض الغرب مرجعية صامتة.

كل ما يرفضه الخطاب الاسلامي الجديد في واقع الأمر، هو المركزية والعالمية التي يضفيها الغرب على نفسه «ويضفيها الآخرون عليه» كما يرفض الخطاب الاسلامي الجديد الامبريالية الغربية «المرتبطة بادعائه المركزية» واعمال النهب والقمع التي قام بها في الماضي، وتأخذ أشكالاً جديدة في الحاضر، لا تقل ضراوة عن سابقتها، وهو يرفض الجوانب السلبية في الحداثة الغربية ويدرك أزمتها تمام الادراك.

❖ الرؤية المتكاملة والانفتاح النقدي:

رغم ان الخطاب الاسلامي الجديد، يدرك ازمة الحداثة الغربية ويدرك انه لا يوجد اي مسوغ لارتكاب أخطاء الآخرين، وسلوك الطريق المسدود الذي أدى الى

أزمــتــهـم، الا اننا نرى شــيــئــاً آخــر في الحضارة الغربية الحديثة، نعم.. لقد قرأنا الأرض الخــراب لإليـوت، ومــســرحــيــات بيكيت، وروايات كـامي العـبـثـيـة، وكـتـابات دريدا العـدمية، ونعـرف ان الغرب قـد بنى بنيته التحتية من خلال اعمال النهب «التي ادت الى التــراكم الامــبــريالي وليس الى التــراكم الرأســمـالي كـمـا يقـولون» ولكننا نعـرف -ايضـاً- نظـريات المعـمـار الغـربيـة، وكـيـفـيـة اسـتـخـدام الحـاسـوب، ونظـريات الادارة المخـتـلفـة، والآفـاق الـواسـعــة التي فتحتها الحداثة الغربية، فنحن نعرف مزايا هذه الحداثة تماماً، مثلما نعرف انها يمكن ان توردنا مــوارد الـتــهلكة، وندرك انهـــا منظومة طرحت أسئلة محددة على العالم لا مناص من الاجابة عليها، فعقولنا ليست صفحة بيضاء، والبداية الاسلامية لا يمكن ان تكون من نقطة الصفر الافتراضية، ومن هنا تـأتي ضـرورة بل حـتـمـيـة الاشـتـبـاك والتفـاعل مع الحداثة الغربية واستيـعاب ثمـراتها، دون ان نُسـتـوعب في منظومـتـهـا القيمية.

باخـتـصـار شـديد الخطاب الاسـلامي الجــديد، لا يرى اي مــســوغ لاســتــيــراد الحـداثة الغـربيـة بحلوها ومـرها، كـمـا لا يدعو الى رفضها بحلوها ومرها، فهو يقف على ارضـيـتـه الاسـلامـيـة ويطور رؤيتـه ومـوقـفـه من الحـداثة الغـربيـة ثم ينفـتح عليها ويوجه النقد اليها ويتفاعل معها، وهذا مـا يمكن تـسمـيته بالانفـتاح النقدي التـفـاعلي، (على عكس الانفـتـاح السلبي المتلقي او الرفض الشـامل المصـمت الذي يتأرجح بينهما الخطاب القديم).

❖ خطاب جذري توليدي استكشافي:

الخطاب الاســلامي القــديم، خطاب توفيقي تراكمي، وهذا نابع من تقبله لكثير من جـوانب الحداثة الـغربيـة، حيث يـأخذ أجزاء جاهزة من المنظومة الاسلامية (دون ان يدرك ان الاســلام يقـدم رؤية شــاملة للـكون) ثم يضــيـف هذا الـى ذاك، امـــا الخطاب الجـديد، فـهـو خطاب جـذري توليـدي استكشـافي، لا يحـاول التوفيق بين الحداثة الغربية والاسـلام، ولا يشغل باله بالبـحـث عن نقط التـقـابل بين المنظومـة الغربيـة الحـديثة والمنظومة الاسلاميـة، فهو يبـدأ من نقـد جـذري للحـضـارة الغـربيـة الحديثة ويحاول اكتشـاف معالم المنظومة الغربيـة الحـديثـة، (باعتـبـارها رؤية كـاملة للكون) والامسـاك بمفاتيحـها مع الاحتفاظ

بمسافة بينه وبينها، وهو يعود الى المنظومة الاسلامية بكل قيمها وخصوصياتها الدينية والأخلاقية والحضارية، ويستنبطها ويستكشفها ويحاول تجريد انموذج معرفي منها، يمكنه من خلاله توليد اجابات على الاشكالات التي تثيرها الحداثة الغربية، وعلى اي اشكالات اخرى جديدة، ويرتبط بهذا المنهج التوليدي المحاولات الحديثة الرامية الى تجديد الفقه من الداخل، فهي لا تنبع من محاولة فرض المقولات التحليلية الغربية على المنظومة الاسلامية، وانما تحاول ان تكشف المقولات الأساس لهذه المنظومة، ويتم التجديد من خلال التوليد منها هي ذاتها، باختصار شديد: الخطاب الجديد - انطلاقاً من ارضية اسلامية- يفتح باب الاجتهاد بالنسبة للمنظومة الغربية والموروث الثقافي الاسلامي.

❖ خطاب يصدر عن رؤية معرفية شاملة:

الخطاب الاسلامي الجديد، لا يقنع باستيراد الاجابات الغربية الجاهزة على الاسئلة التي يطرحها عليه الواقع، ويتسم بأنه خطاب شامل بالضرورة، فهو على المستوى الجماهيري يطرح شعار «شمولية الاسلام» ولكن على المستوى الفلسفي، يطرح شعار «رؤية الاسلام للكون» وهو يتعامل مع كل من اليومي والمباشر والسياسي والكلي والنهائي، اي ان الخطاب الاسلامي الجديد، يصدر عن رؤية معرفية شاملة يولد منها منظومات فرعية مختلفة: اخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية، فهو منظومة اسلامية شاملة تفكر في المعمار والحب والزواج، والاقتصاد وبناء المدن والقانون وفي كيفية التحلي والتفكير، وفي توليد مقولات تحليلية مستقلة، **ولذلك فالخطاب الاسلامي الجديد لا يقدم خطاباً للمسلمين فحسب وانما لكل الناس، حلاً لمشكلات العالم الحديث، تماماً مثلما كان الخطاب الاسلامي أيام رسول الله ﷺ.**

❖ القدرة على الاستفادة من الحداثة الغربية:

بسبب انفتاح الخطاب الجديد بشكل نقدي تفاعلي على الحداثة الغربية، نجده قادراً على الاستفادة بشكل خلاق منها دون ان يستوعب فيها، فمقولات مثل: الصراع الطبقي، وضرورة التوزيع العادل للثروة، وقضية المرأة، وأثر البيئة على تشكيل

شخصية الانسان، قضايا كانت مطروحة داخل المنظومة الاسلامية، ولكن حساسية الخطاب الجديد وادراكه المتعمق لها، ازداد من خلال احتكاكه بالحداثة الغربية، كما انه لا مانع عند حملة الخطاب الجديد، من الاستفادة في اكتشاف آليات الحلول او حتى الحلول ذاتها، طالما انها لا تتناقض مع الأنموذج الاسلامي.

❖ القدرة على ادراك ابعاد انسانية جديدة:

لا شك ان الانفتاح على المنظومة الغربية، والتفاعل النقدي معها يجعل الخطاب الجديد مدركاً لأبعاد، كان من الصعب ادراكها دون هذا التفاعل، فمسائل مثل: العلاقات الدولية، والكوكبة والبعد الكوني في الظواهر المحلية، وخطورة الاعلام، وزيادة وقت الفراغ، واعمال التنميط التي تسمى الحداثة الغربية، أمور لم تكن مطروحة على الانسان من قبل، ومن ثم لم يطرحها الخطاب الاسلامي القديم.

❖ القدرة على اكتشاف الامكانات الخلاقة للمنظومة الاسلامية:

وقد اكتشف الخطاب الاسلامي الجديد، ان الانفتاح على الحداثة الغربية ودراستها بشكل نقدي خلاق، قد يفيد في تنمية الوعي النقدي، فمن خلال معرفة الآخر والتعمق في معرفته، سندرك الطريق المسدود الذي دخله، وحجم الكارثة التي يعاني منها، فنزداد معرفة وثقة بأنفسنا، وإدراكاً لذاتنا بكل ابعادها، وسيساعدنا هذا الموقف المنفتح النقدي التفاعلي، على اكتشاف الامكانات التوليدية الخلاقة داخل المنظومة الاسلامية.

❖ اسلامية المعرفة الانسانية:

كما يدرك الخطاب الاسلامي الجديد، ان العلوم الانسانية ليست علوماً دقيقة عالمية محايدة «كما يدعي البعض» وانها تحتوي على تحيزات انسانية عديدة تختلف بشكل جوهري عن العلوم الطبيعية، وانها لا تفقد قيمتها لذلك، بل انها تزداد مقدرة على التعامل مع ظاهرة الانسان، وينبع الاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية، من ان الموضوع الأساس للعلوم الانسانية وهو الانسان في عالم الطبيعة/ المادة، ولذا فالخطاب الاسلامي الجديد يحاول ان يؤسس علوماً

انسانية لا تستبعد الانسان، ومن ثم فهي مختلفة في منطلقاتها وطموحاتها ومعاييرها عن العلوم الطبيعية، ولا نزعم انها محايدة منفصلة عن القيمة، بل تعبر عن المنظومة القيمية الاسلامية (وهذه هي اسلامية المعرفة).

ويدرك حملة الخطاب الجديد ما يسمى «العلم في منظوره الجديد» وهو علم يحتوي على مفاهيم مثل: اللامحدود، ولا يتحرك داخل اطار المفاهيم السببية الصلبة التي كان يتحرك العلم القديم في إطارها.

❖ تأسيس معجم حضاري متكامل ومستقل:

ويدرك الخطاب الاسلامي الجديد، ان مفردات المعجم الغربي ليست جزءاً من معجم لغوي فحسب، وانما هي جزء من معجم حضاري متكامل، فكلمة مثل «التقدم» تجسد مفاهيم، وتوجد داخل سياق حضاري مركب يحدد مضمونها ومعناها.

ومن أهم ثمرات الانفتاح النقدي على الغرب، ادراك تركيبة مقولة العقل والتناقضات الكامنة فيه، فكلمة «العقل» في المنظومة الاسلامية تحمل معنى محدداً، وقد تصور الجيل السابق «بسبب اعجابه بالحضارة الغربية ولعدم تملكه لناصية خطابها الحضاري» ان كلمة «عقل» في المعجم الفلسفي الغربي الحديث، مترادفة مع كلمة «عقل» في المعجم الاسلامي، ولذا كان هناك اعجاب عميق بالعقلانية الغربية وبفكر حركة التنوير الغربية، ولكن الخطاب الجديد على علم بالدراسات النقدية الغربية، في قضية العقل التي قامت بتقسيمه الى عشرات العقول: العقل الأداتي والعقل النقدي والعقل الوظيفي والعقل الامبريالي والعقل المجرد.. الخ، كما تتحدث هذه الدراسات عن «نفي العقل» و «تدمير العقل، و «تفكيك العقل» و «ازاحة العقل عن المركز»، ولذلك لم يعد من الممكن افتراض ان كلمة «عقل» وردت في المعجم الاسلامي مرادفة لكلمة «عقل» كما وردت في المعجم الغربي الحديث، ومع ظهور النزعات اللاعقلانية والعبثية في الغرب، اصبحت المسألة أكثر وضوحاً وتبلوراً.

❖ التمييز والفصل بين انجازات الغرب وبين رؤيته القيمية:

يدرك الخطاب الاسلامي الجديد، قضية انفصال العلم والتكنولوجيا والاجراءات الديموقراطية عن القيمة والغائية الانسانية، ويحاول هذا الخطاب حل هذه الاشكالات، فمثلاً في حالة انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيمة، يحاول الخطاب الاسلامي الجديد الاستفادة من العلم والتكنولوجيا وكل ثمرات الحضارة الغربية، دون ان يتبنى رؤيتها للكون، بحيث يمكن مزاوجة الرؤية العلمية التي تدعي الحياد والمنظومة القيمية الاسلامية، بل ويسري الشيء نفسه على الديمقراطية، فمحاولة التمييز بين الديمقراطية والشورى، محاولة لاستيعاب الاجراءات الديمقراطية داخل المنظومة القيمية الاسلامية، بحيث لا تصبح الاجراءات الديموقراطية المتجردة من القيمة هي المرجعية، وحتى تظل الاجراءات وسيلة لا غاية.

❖ إدراك المكوِّن والبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة:

يدرك الخطاب الجديد المكون الحضاري في الظواهر، فالخطاب القديم يقف عند حدود التمييز بين الحلال والحرام، فالسيارة والهامبرغر لا شك حلال، واللحم المعلب ان كان لا يحتوي على مكونات الخنزير حلال.. وهكذا، اما البعد الحضاري الكامن في السيارة، وانها وما حولها هي رؤية كاملة للكون، فهذا ما لم يدركه الرواد «وهذا ما لم يكن يدركه الانسان الغربي نفسه آنذاك» انظر الى السيارة على سبيل المثال حينما يدير المرء مفتاح سيارته، فهو لا يتعامل مع مجرد آلة توصله من مكان لآخر، بل يتعامل مع رؤية كاملة للكون يتطلب تسييرها البحث عن البترول، وشق بطن الارض وحمل البترول عبر البحار، وهو الأمر الذي يترتب عنه تلويث الجو والبر والبحر، ثم تؤسس مدن على اساس ضرورة تعظيم سرعة السيارة، فتهدم الأحياء التقليدية والمباني التراثية، وتصبح السرعة هي المعيار الوحيد للحكم على مدى صلاحية المدينة أو فسادها.. هكذا، وقل الشيء نفسه عن ساندوتش الهامبرغر والتيك آواي، فالمكون الحضاري الكامن في هذه السلع التي تبدو بريئة تماماً، وحلالاً بشكل قاطع، ولا غبار عليها من الناحية الدينية المباشرة، مرتبط برؤية للكون تقف على طرف النقيض من رؤية الكون الاسلامية، وهذا ما يدركه دعاة الخطاب الاسلامي

الجديد.

كما يتضح ادراك الخطاب الاسلامي الجديد، لأهمية المكون الحضاري في تقبله لفكر القومية، فحملة هذا الخطاب لا يجدون اي مسوغ للمواجهة مع الحركات القومية ذات التوجه العلماني، فالخطاب الاسلامي الجديد، يقبل التنوع الحضاري داخل اطار الوحدة الاسلامية العالمية، كما انه يدرك اهمية التحالف مع العناصر القومية في المواجهة العامة مع الامبريالية العالمية والنظام العالمي الجديد.

❖ من التنظير الى الممارسة:

تأسيس رؤية اسلامية مستقلة في التنمية:

الخطاب الاسلامي الجديد، مدرك تماماً لمشكلة لبيئة، وان مفاهيم مثل التقدم الدائم وغير المتناهي «وهي مفاهيم محورية في الحداثة الغربية»، معادية للطبيعة والانسان والحديد، وفي نهاية الأمر لله سبحانه، فهي مفاهيم كافرة، ومن هنا بحث الخطاب الجديد الدائب عن مناهج جديدة في الادارة وفي تطوير الدولة «وهي تعبير عن اهتمام الخطاب الجديد بالخصوصية».

ولعل من أهم القضايا التي تشغل الخطاب الجديد نظرية التنمية، ذلك بأنه يرى ان نظريات التنمية الاسلامية لا بد ان تكون مختلفة جذرياً عن نظريات التنمية الغربية، التي تروج لها المنظمات التي يقال لها: دولة، من حيث أثبتت فشلها في الممارسة، وهو الأمر الذي أدى الى الأزمة البيئية، ويرتبط بذلك نقد الخطاب الجديد للدعوة المستمرة الى الاستهلاك المتصاعد «ثورة التوقعات المتزايدة» وإدراكه لمدى خطورته على البيئة والمصادر الطبيعية وكيان الانسان النفسي.

❖ طرح النسبية الاسلامية بدل النسبية المطلقة:

كما ان الخطاب الاسلامي الجديد مدرك للقضية الفلسفية الأساس في العالم الحديث، وهي قضية النسبية المعرفية التي تؤدي الى العدمية، وهو يطرح في مقابلها ما أسماه «النسبية الاسلامية» التي تذهب الى ان ثمة مطلقاً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، ولكن بسبب وجود الإله المطلق خارج الزمان والمكان والبشر، يصبح مركز الكون الذي

يمنحه الهدف والغاية والمعنى، وهو ما يعني ان العالم لا يسقط في النسبية المطلقة ومن ثم اللامعنى، فالنسبية الاسلامية - وهي نسبية نسبية- انطلاقاً من هذا- ثمة ادراك لتركيبتها الحقيقية ونسبية كثير من جوانبها وتغيرها وحركيتها، وثمة ادراك لما يوجد من تداخل بين المطلق والنسبي، وان الخطاب الانساني -اولاً وأخيراً- اجتهادات يقوم بها بشر داخل الزمان والمكان في محاولة دائبة لفهم كلام الله تبارك وتعالى.

❖ الايمان بالحركة والتدافع في الحياة:

كل ذلك يعني الايمان بفكرة التدافع وان العالم ليس في حالة جمود، وانما هو في حالة حركة، وليس التدافع صراعاً بالضرورة، حتى ان اخذ هذا الشكل احياناً، وثمة ايمان -ايضاً- بفكرة التداول، فالثابت لله جل جلاله وحده، ونحن لسنا بمفردنا في هذا العالم، كل هذا يعني في واقع الأمر قبول التعايش مع الآخر، واكتشاف الرقعة المشتركة معه، ومن هنا ظهر فقه الأقليات الحديث، سواء الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الاسلامية أم الأقليات المسلمة في المجتمعات غير المسلمة، ويصدر هذا الفقه عن مفاهيم العدل والمساواة في الاسلام.

❖ إدراك مشكلات ما بعد الحداثة:

كما نجد في الخطاب الاسلام -ايضاً- ادراكاً لمشكلات ما بعد الحداثة، التي تتبدى في شكل الهجوم على كل النصوص الانسانية والمقدسة، بحيث يتحول القرآن الكريم «على سبيل المثال» الى نص تاريخي او تاريخاني كما يقولون، اي يمكن تفسيره بالعودة الى الظروف والمواضعات الزمنية.

ومن هنا يظهر ان اوجه الاختلاف بين الفقهاء في كثير من الأحيان، لا ينبع من تفسيرهم للنص، وانما من فهمهم للواقعة الانسانية التي يريدون اصدار الفتوى بخصوصها، هذه مسألة هامة لأنه في إطار ما بعد الحداثة ثمة هجوم على أي ثبات وأي معيارية لأن هناك إنكاراً لأي ركيزة نهائية.

❖ تجاوز الاطلاقات المتناقضة والسماح بالتعددية:

هناك محاولة لاكتشاف مقولات تحليلية وسطية، تميز الخطاب الاسلامي عن الخطاب الحداثي الغربي، الذي يتسم بالتأرجح الشديد بين قبضتين متنافرتين، فالخطاب الحداثي الغربي يطلب من المرء اما اليقين الكامل واما الشك الكامل، اما

ان يكون هناك عقل مطلق او اللاعقل على الاطلاق، اما ان يهيمن العقل تماماً أو يفكك العقل تماماً، اما ان تكون العقلانية المادية او اللاعقلانية المادية، على حين يحتوي الخطاب الاسلامي الجديد على امكان وجود فراغات او امكان التعددية وامكان الا يكون اليقين مطلقاً وألا يكون الشك نهائياً فهناك ما بينهما، اذ ليس مطلوباً من المرء ان يأتي ببراهين قاطعة مائة بالمائة، وان ترتبط حلقات السببية بشكل كامل شامل صارم، (وهو ما يسمى «السببية الصلبة» في الحداثة الغربية).

اذ يكفي ان يأتي الانسان بقدر معقول من البراهين والأسباب والقرائن، وان يربط الاسباب بالنتائج بشكل كاف وليس مطلوباً أن يكون بالضرورة صارماً، (وهذا ما سماه الدكتور عبد الوهاب المسيري «السببية الفضفاضة») وكلمة الفضفاضة يصعب ترجمتها، اذ ان المفردة التي تقابلها في الانجليزية هي Loose التي تعني منحلة او متفككة او كلمة Wide بمعنى عريض او فسيح، في حين تحمل فضفاضة في العربية معنى السماحة وعدم الترابط الذي يسمح بالحرية دون ان يسقط في التفكك بالضرورة.

والسببية الفضفاضة هي جوهر الرؤية المعرفية الاسلامية، التي تبين ان الألف لن تؤدي الى الباء حتماً مائة بالمائة، وعلى كل حال ولكنها ستؤدي الى ما تؤدي اليه بإذن الله، ذلك بأن «بإذن الله» هي المسافة التي تفصل بين الخالق والمخلوق، ولكنها هي التي تنشئ مجالاً يمارس فيه الانسان حريته، ومن ثم يصبح كائناً مسؤولاً حاملاً للأمانة، انها تأكيد لما يسمى في الفقه الاسلامي بـ «البينية».

❖ انزال الرؤية المتكاملة للشريعة على الواقع المعاصر:

ان الخطاب الاسلامي في المجتمعات الاسلامية التقليدية هو الشريعة، فالشريعة لا تزال هي الخطاب الاسلامي القديم والجديد، ولكن الخطاب الجديد يحاول ان يحل مشكلة ما يسمى بـ «ثنائية المصطلح» لأن الشريعة قادرة على توليد اجابات للأسئلة الكلية والنهائية التي يطرحها الواقع على الانسان المسلم عبر تاريخه، ولكن مصطلحات الشريعة «بسبب ظروف الانقطاع التاريخي والحضاري الذي سببه الغزو الاستعماري» اصبحت مغلقة بالنسبة الى الكثيرين، وما يحاوله

الخطاب الاسلامي الجديد هو فك شيفرة هذا المصطلح، بحيث يمكن استخلاص الحكمة الكامنة فيه وإنزالها الى الواقع المعاصر.

خذ على سبيل المثال قضية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» حين تصير المصطلح الاسلامي للتعبير عن مشكلة المشاركة في السلطة، مما لا يعني ان هناك ترادفاً بين المفهوم الغربي والمفهوم الاسلامي للقضية، كل ما في الأمر ان هذه القضية الحديثة التي يعبر عنها بطريقة حديثة، هي ذاتها القضية التي توجهت اليها المنظومة الاسلامية من خلال مصطلحها الخاص، مثلها في ذلك كمثل الاجتهاد بما يساعدنا على زيادة المقدرة التوليدية للمنظومة الفقهية، كما سيساعد المسلمين على ترسيخ اقدامهم على ارضيتهم العقائدية.

❖ القدرة على صياغة انموذج معرفي اسلامي للاحتكام اليه:

ونظراً الى عزل الشريعة عن واقعنا السياسي والاجتماعي، اصبحنا نرى كما لو انها مجموعة من الأحكام والآراء غير المترابطة، ولكن توليد الاجابات يتطلب إدراكاً لترابط اجزاء الشريعة وتكاملها وكيف انها تعبر عن رؤية شاملة للكون، وهو الشيء الذي يحاول ان ينجزه الخطاب الجديد، ولا شك في ان مبحث المقاصد التقليدي يتعامل مع هذه القضية، ومن خلاله تكمن التفرقة بين الكلي والجزئي، والنهائي والمؤقت، والجوهري والعرضي، والثابت والمتغير، والمطلق والنسبي، وهذا ما نحتاج الى تطويره وتعميمه لنصل الى انموذج معرفي اسلامي نابع من القرآن والسنة، يأخذ شكل هرم على قمته شهادة ان لا إله الا الله، تليها القيم القطب مثل العدالة والمساواة، ثم تأتي بعد ذلك الأحكام الجزئية المختلفة، ومن ثم يمكن توسيع نطاق الاجتهاد دون خوف كبير من الزلل، اذ ان الاجتهاد سيتم في اطار الانموذج المعرفي الهرمي الذي تم استخلاصه «عبر الاتجاهات المستمرة» من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وسيكون هذا الانموذج وحده المعيار الذي يتم من خلاله اصدار الأحكام.

❖ تطوير رؤية شاملة للفنون الاسلامية:

الخطاب الاسلامي الجديد -نظراً-

الى شموله واهتمامه بالجانب الحضاري، وبرؤيته للكون يولي اهتماماً كبيراً للعنصر الجمالي والفني، فلا يكتفي بمقولتي: «حلال وحرام» على اهميتها، وانما يحاول ان يطور رؤية شاملة للفنون الاسلامية تستند الى الرؤية الاسلامية للكون، ومن هنا ظهرت المحاولات النظرية والتطبيقية الجديدة في مجال المعمار ومختلف الفنون، وهذا الجانب في الخطاب الاسلامي الجديد، تعبير عن الانفتاح النقدي الأخلاقي، فكثير من الفنانين الاسلاميين او المهتمين بالفن الاسلامي في العصر الحديث، تعلموا في الغرب او في الشرق على أسس غربية، ومع هذا فإنهم ينسلخون عن المنظومة الغربية، ويوجهون اليها النقد، ويستفيدون من المعرفة التي اكتسبوا في محاولة توليد رؤى فنية، تترجم الى مبان على طراز اسلامي تستجيب لمتطلبات العصر الحديث.

ويلاحظ ان هؤلاء الفنانين يدرسون التراث الفني الاسلامي من زوايا جديدة، ويعيدون اكتشافه واكتشاف أسسه النظرية، مستفيدين من آليات التحليل التي تعلموا في الغرب، كما طفقوا يهتمون بالكتابات الاسلامية التراثية في هذا المضمار.

❖ تجاوز المنظور الغربي في قراءة التاريخ:

ومن أهم جوانب الخطاب الاسلامي الجديد قراءة التاريخ، اذ ان هناك رفضاً لفكرة التقدم الخطي اللانهائي، ورفضاً للمفاهيم الخطية الواحدة unilinear التي تفترض وجود نقطة نهائية واحدة، وهدف واحد يتحرك نحوه التاريخ البشري بأسره، وهو الأمر الذي يفترض ضرورة رؤية تواريخ البشر من خلال منظار عالمي كما يدعى، وانما هو منظار الحضارة الغربية والمعيار هو معيارها.

وحتى ننتقل الى مستوى الممارسة والتنفيذ، ينبغي للمتخصصين والمهتمين ان يقدموا قراءة التاريخ الاسلامي من الداخل، دون استيراد مقولات تحليلية من خارج النسق، والقراءة هاهنا متعاطفة تفسيرية، ولكنها -ايضا- نقدية مما يمكن من قراءة وثائق لم يقرأها المؤرخون الغربيون، أو تراهم قرأوها وقاموا باستبعادها اما لعدم اهميتها في نظرهم، وإما لحاجة في انفسهم، ولذا فقد ينجح عمل الفريق في تقديم رؤى جديدة.

الــزكـــاة
ودورها في معالجة مشكلة الفقر

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

الزكاة من أهم أركان الإسلام وفرائضه العظيمة، التي تسهم إسهاماً كبيراً في حل كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المسلمة؛ بسبب مصارفها المتعددة والمتنوعة والتي تشمل غالبية طبقات المجتمع، هذه المصارف التي لها دور بارز في القضاء على الجرائم المتعلقة بالاعتداء على المال، والقضاء على العديد من المشاكل كالفقر والتشرد والبطالة والتسول، هذه المصارف التي لم تخرج عن كونها مظهراً من مظاهر التعاون والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠ .

فدور الزكاة في القضاء على الفقر غائب عن الكثير من أفراد المجتمع المعاصر، بسبب انشغال الناس عن التفكر في حكم مشروعية الزكاة وآثارها العظيمة في حياتنا، فهي قادرة على محاربة كل صور الحاجة والفقر والحرمان على مستوى العالم الإسلامي.

وإبراز الدور الايجابي للزكاة في القضاء على مشكلة الفقر مسألة تحتل مكاناً أصيلاً بين الموضوعات العملية الفقهية، إذ هو من مباحث فقه العبادات وما يترتب على القيام بفريضة الزكاة من أحكام وتشريعات وآثار، والتي احتلت مكانة مرموقة في أبحاث العلماء قديماً وحديثاً،

وقد تناولوها بشمول وسعة لا يتركان مجالاً للإضافة، إلا محاولة حسن العرض والترتيب.

وفي هذه الدراسة سأتناول هذا الدور العظيم للزكاة وما يلازمه من مشاكل اجتماعية واقتصادية، والتي غفل الناس عن تمثل هذا الدور المهم في واقعهم العملي، بسبب انشغال الناس في تحصيل الدنيا والسعي فيها، والتغافل عن الآخرة والعمل الصالح لها، والقيام بجميع ما أوجبه الله على العباد، ولأن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت لإسعاد البشرية وتحريرها من الظلمات إلى النور، والزكاة هي النور الإلهي للناس جميعاً، وهي البرهان على صدق الإيمان، وهي وسيلة من وسائل حفظ الدين الإسلامي وإرضاء رب العالمين، كما أنها من ناحية أخرى وسيلة من وسائل تماسك المجتمع، وتعميق معاني وأواصر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع، والتي بدورها تحقق قوة وبنيان الأمة، وهذا الجهد في حقيقته ما هو إلا محاولة متواضعة يكتنفها كثير من النقص الناتج من عمل الباحث نفسه بصفته بشراً خطاءً ناقصاً.

◆ مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في حاجة الناس إلى إبراز دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية عانت منها كثير من المجتمعات المعاصرة، باعتبار أن الزكاة نظام مالي يؤدي إلى خلق توازن بين طبقات المجتمع، والإسهام في تعميق المعرفة العلمية المنظمة للزكاة كعبادة وقربة إلى الله تعالى، وأجر ومثوبة عنده يوم القيامة، وتزكية للنفس وتطهيرها من آثار الحقد والحسد للعباد، وتجديد الوعي بها وبأهميتها المعاصرة في علاج كثير من الجرائم المتعلقة بالاعتداء على المال الذي يعتبر من الضرورات الخمس التي يجب المحافظة عليها، والتعرّف على الأدوار الحقيقية التي يمكن للإنسان القيام بها من خلال القيام بما فرضه الله عليه من زكاة وإخراجها إلى مستحقيها شرعاً لتحقيق المعاني العظمى والمقاصد السامية للزكاة.

◆ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان ما يلي:

١- إبراز الدور الايجابي للزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية، ليصار إلى العدالة في توزيع الزكاة على مستحقيها.

٢- بيان مدى إسهام الزكاة في توثيق الصلة بالخالق، وتطهير النفس من إتباع الهوى والشهوات، والميل عن طريق الهدى، وتحقيق أعلى درجات التقوى والإحسان، والتكافل الاجتماعي، والقضاء على مشكلة الفقر والجرائم المتعلقة بالمال وحفظه.

٣- الكتابة في موضوع له مساس بالواقع وحياة الناس وتنظيم صلتهم بالخالق المنعم عليهم والمستحق للعبادة.

٤- تطبيق العبادة وإخلاصها إلى رب العزة يقوي جانب التقوى في حياة الناس، ويمنعهم من ارتكاب الجرائم، والإصرار على الصغائر، ويعيد للأمة الإسلامية هيبتها وكرامتها وتميزها على سائر الأمم، بالدعوة إلى الله، والعبادة الخالصة.

❖ أسئلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها؟

٢- دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر؟

❖ الدراسات السابقة:

ذكرت بعض الكتب الإسلامية التي تناولت العبادات، الكثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالزكاة، ولكنها غفلت عن إظهار الدور العظيم للزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية، ومن خلال الإطلاع على هذه الأحكام يمكن لنا ملاحظة واستخراج هذا الدور البارز بعد القيام بهذه العبادة حق القيام، وتلمسه يكون حقيقة عند من ذاق طعم الإيمان، وكانت حياته في صلة دائمة مع ربه لا تنقطع، كان في عبادة وتواصل مع رب العزة تبارك وتعالى.

❖ المنهجية المتبعة في هذه الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي للأحكام الشرعية المتعلقة بالزكاة ومعرفة الأدلة الجزئية والإجمالية والتفصيلية، ثم من خلالها يمكن إبراز دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر، وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية.

اشتملت الدراسة على: مقدمة تم من خلالها بيان مشكلة الدراسة وأهدافها وأسئلتها والدراسات السابقة والمنهجية المتبعة فيها ومطلبين: المطلب الأول: المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها، والمطلب الثاني: دور الزكاة

في معالجة مشكلة الفقر، وخاتمة هي ما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات.

❖ المطلب الأول: المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها:

الزكاة لغة: من زكا يزكو زكاءً بفتح الزاي بمعنى النماء، وبضم الزاي تعني ما أخرجه الله من الثمر، وتأتي الزكاة بمعنى البركة والطهارة والصلاح والنماء(١).

عرفت الزكاة بتعريفات عدة من أهمها ما يلي:

١- أنها "اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة"(٢).

٢- أنها "حق يجب في المال"(٣).

٣- أنها "اسم لجزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصاباً"(٤).

٤- أنها "تمليك جزء مال عينه الشارع من مسلم فقير غير هاشمي ولا موالاة مع قطع المنفعة عن الملك من كل وجه لله تعالى"(٥).

من خلال هذه التعريفات يمكن القول: إن الزكاة قدر معلوم من المال الخالي من تعلق الديون به، المعد للنماء والبالغ النصاب تعطى للأصناف المستحقة لها في وقت معلوم، وتسمى كذلك بالصدقة وهي الزكاة المفروضة وليست صدقة التطوع، يقول الماوردي في ذلك: "الصدقة زكاة، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمّى"(٦).

خلق الله العباد وقسم الرزق بينهم، فجعل منهم الغني والفقير، وابتلاهم في ذلك، وأمر الغني بشكر النعمة بأداء حق المال بالزكاة، ووجه الفقير إلى الصبر على بلاء الفقر، وعدم اللجوء إلى الطرق غير المشروعة في الحصول على المال والتعدي على أموال الآخرين.

من هنا برزت حاجة الناس إلى تشريع الزكاة، والحث على إخراجها، وتوزيعها بعدالة على مستحقيها، فهي قبل كل شيء ركن من أركان الإسلام يجب على المسلم أداؤها، لينال رضى الله ودخول الجنة، والنجاة من العذاب الشديد الذي أعده الله لمانع الزكاة في الدنيا والآخرة، في الدنيا بأخذها منه جبراً، وبالآخرة بالعذاب الشديد في نار جهنم.

فالزكاة عون للفقراء والمحتاجين وسد لحاجتهم الأساسية وإغناؤهم عن الطلب والاستجداء، لان الاستجداء لا يليق بكرامة

المسلم الذي كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات، وفيها استغناء عن مد اليد إلى أموال الغير بالطرق غير المشروعة، وفي الزكاة تقريب بين طبقتين من طبقات المجتمع طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، فإن الأبعاد التشريعية والاجتماعية للزكاة كبيرة في حياة الأفراد والجماعات.

والزكاة فيها تربية للمشاعر النبيلة المتمثلة في مشاركة الفقراء المحتاجين والغارمين وابن السبيل مشاركة فعلية، وتخفيف ما تعانيه من هموم وأوجاع ومتاعب من جراء الغرم وانقطاع السبل عن الوصول إلى الوطن.

والزكاة تحقق أعلى درجات التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي، ووسيلة من وسائل تماسك المجتمع، فتجد المجتمع كله وحدة واحدة من خلالها يعطف الغني على الفقير فتسود أروع معاني التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

والزكاة تطهر المجتمع من ظاهرة التسول، وتحفز الناس على الحب والتواد والسعي للعمل الصالح، والعلم بأن اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والزكاة تحرر الإنسان من عبودية المال وتحرره من التعلقات المادية، فتدفعه إلى أداء الزكاة رغبة في فعل الخير وطلباً للأجر العظيم من الله تعالى.

والزكاة تقضي على العديد من المشاكل ومن أهمها: مشكلة الفقر التي تدفع الناس إلى ارتكاب عدد من الجرائم من أجل تحصيل المال كالسرقة والسلب والنهب والغصب.

فالزكاة من خلال معالجتها لمشكلة الفقر تربي النفوس على الحب والخير والبعد عن الشر والمعاصي، وتوجد في النفس رقابة ذاتية مبعثها الخوف من الله وخشيته ومراقبته في السر والعلن، والزكاة حاجتها في تطهير نفوس الأغنياء من الشح والبخل وتطهير نفوس الفقراء من الحقد والحسد.

❖ المطلب الثاني: دور الزكاة في معالجة الفقر:

الزكاة تسهم إسهاماً كبيراً في محاربة مشكلة الفقر، وتعاونها في ذلك وسائل أخرى مثل الصدقات التطوعية، والكفارات، وتحريم للربا والميسر

والتطفيف والاحتكار والغرر، والزكاة من خلال توزيع مصارفها توزيعاً عادلاً يتم القضاء على الفقر، وقيام توازن بين فئات المجتمع المسلم، واستمرارية الزكاة يضمن لها دوراً بارزاً في القضاء على الفقر، والتخلص منه كلياً على مرور السنوات لا جزئياً، والزكاة لها دور في بناء الموارد البشرية؛ لأنها حرب على البطالة والتسول، فمن خلال مصارفها يمكن إعطاء القادر العاطل ما يساعده على العمل.

والفقير كما نعلم هو الذي لا يملك قوت يومه، وتظهر حاجته للناس والمسكين الذي يملك قوت يومه، ولكنه لا يكفيه، ولا تظهر حاجته للناس، بسبب تعففه ومسكنته.

وظاهرة الفقر تترك آثاراً سلبية على المجتمع منها آثار اجتماعية تتمثل بالتسول، وعدم القدرة على الزواج واللجوء إلى ارتكاب الفواحش، والبطالة بالقعود عن البحث عن العمل وإيجاده، واللجوء إلى توفير المال بالطرق غير المشروعة، والاعتداء على أموال الناس بالباطل وبالسلب والنهب والغصب، وآثار ثقافية تتمثل بالجهل والتخلف، وشيوع الفوضى والفساد وفقدان الأمن والأمان، وانتشار الخوف والقلق والاضطراب في المجتمع، وبالتالي تفككه، والسيطرة عليه.

والزكاة مصدر مهم في استقرار أفراد المجتمع، وتحقيق التوازن بين الفقراء والأغنياء، وكما نعلم فالإسلام أعلن الحرب على الفقر منذ البداية بكل صوره وأشكاله، من خلال العديد من التشريعات الربانية والنبوية التي تقضي عليه، والفقر أمر خطير على المجتمع، وهو ابتلاء من الله.

إن حل مشكلة الفقر لها دور بارز في القضاء على عدد من المشكلات المجاورة له من مثل: مشكلة التخلف، والجهل، والأمية، من خلال إعطاء طالب العلم الفقير لكي يتعلم ما ينفعه ويدفع عنه الجهل، والمشاكل الصحية من خلال معالجة المرضى وتوفير العلاج لهم، ومشكلة التشرد والضياع من خلال توفير مساكن آمنة لهم، ومشكلة العنوسة من خلال مساعدة المقبلين على الزواج لتحصين أنفسهم ضد الوقوع في الفواحش، ومشكلة البطالة من خلال توفير فرص العمل حتى يتم القضاء على البطالة وزيادة الإنتاج، وبالتالي البعد عن

أسباب الانحراف نحو البحث عن المال بالسبل غير المشروعة.

فالزكاة أعظم وسيلة للتضامن والتكافل الاجتماعي، والزكاة تقضي على الفقر بكافة أشكاله، وتجعل العباد يسيرون في الطريق المستقيم، والابتعاد عما يغضب رب العالمين، كما أن الفقر يساعد الناس على التسول، وطلب اليد للناس وتحمل الاهانة من أجل جمع المال، والزكاة بدورها العظيم تدفع سبل الانحراف في المجتمع المسلم من: سرقة، ونهب، وغصب، وقطع للطريق، وتسول.

الاسلام يعتبر الفقر آفة اجتماعية خطيرة تؤثر على سلامة المجتمع، وتعمل على تفكيكه، وتنتشر فيه الجرائم، ويعم الفساد ويستشري، فكان لا بد من علاج ناجع له، والإسلام وضع له العلاج المناسب من خلال تشريع الزكاة، وتوزيع مصارفها توزيعاً عادلاً بين الأفراد المستحقين لها، وإشباع حاجاتهم الأساسية، وهذه الحاجة هي التي تدفعهم دائماً إلى التسول، واتباع الطرق غير المشروعة للحصول على المال، والذل والهوان للغير.

وظاهرة الفقر لم تستطع الأنظمة الاقتصادية المعاصرة من القضاء عليها، ولكن الشريعة الإسلامية التي جاءت لإسعاد البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وبسبب مواكبتها للمستجدات المعاصرة، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، استطاعت إيجاد علاج مناسب للفقر، وشرعت وسائل عديدة من شأنها الحد منه، كالأمر بالوسطية في الإنفاق، والابتعاد عن مظاهر الإسراف، وتشريع الصدقات التطوعية للقضاء عليه.

ولأن الشريعة الإسلامية تعتبر المجتمعات الفقيرة في حاجة إلى غيرها، وهذه الحاجة هي التي تورثها المذلة والهوان، والمسلم عزيز بعزة الله، والفقير ذليل لأنه في انقياد لغيره، فالإسلام حرص على تمييز المسلم عن غيره بالعزة والقوة اللتين تدفعانه نحو العمل الصالح والكسب المبارك.

ولقد أثبتت الزكاة فاعليتها في علاج مشكلة الفقر في تاريخ السلف الصالح؛ إذ كانت تؤخذ بتمام حقها وتصرف إلى مستحقيها، فأدت إلى القضاء على الفقر في وقت وجيز، وتواترت قصص وأخبار صحيحة عن أن بعض ديار المسلمين خلت من الفقراء، من هذه الأخبار: ما رواه البيهقي عن عمر بن أسيد أن عمر بن

عبد العزيز قد أغنى الناس حتى لا يجدون من يأخذ منهم مال الصدقة، وشهد بذلك يحيى بن سعيد حين قال: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية (منطقة تونس)، فجمعتها وطلبت الفقراء أعطيها لهم، فلم أجد فقيراً يقبل أن يأخذ مني صدقة بيت المال، فاشتريت بها رقاباً وأعتقتهم بعد أن جعلت ولاءهم للمسلمين(٧).

❖ الخاتمة: خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- الزكاة هي البركة، والطهارة، والصلاح، والنماء، وهي اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة.

٢- الناس بحاجة ماسة إلى إخراج الزكاة، وتوزيعها على مستحقيها بعدالة، فهي تحقق غايات نبيلة، ومقاصد سامية كريمة في مجتمع الإسلام.

٣- مصارف الزكاة تسهم في تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي.

٤- الزكاة تعالج مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية مجاورة لها، كالتشرد والضياع، والبطالة، والجهل، والعنوسة، والمرض، والانحراف، ولا بد من وضع علاج ناجع للفقر، حتى لا يستفحل خطره في المجتمع، وبالتالي لا يمكن القضاء عليه، ويعتبر الفقر آفة اجتماعية خطيرة تؤثر على سلامة المجتمع، وتعمل على تفكيك أركانه، فكان لا بد من علاج ناجع له، والإسلام وضع له العلاج المناسب من خلال تشريع الزكاة، وتوزيع مصارفها توزيعاً عادلاً بين الأفراد المستحقين لها، هذا وبالله التوفيق.

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٨/١٣-٣٥٩، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٦٦٧.

(٢) الشربيني، مغني المحتاج، ٣٦٨/١.

(٣) ابن قدامة، المغني، ٥/٤.

(٤) ابن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٣/٢.

(٥) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار ٢/٢-٤.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ١١٣.

(٧) السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، قطب إبراهيم ٢٣٤.

الصيام.. صحة أم تخمة

■ بقلم الاستاذة سهام ابو جودة

ها هو شهر رمضان حل علينا ببركاته ونعمائه، والناس إزاءه أنواع، فمنهم من لا يرى فيه الا جوعاً لا تتحمله أعصاب معدته، وعطشاً لا تقوى عليه مجاري عروقه، ومنهم من يرى في رمضان موسماً سنوياً للموائد الزاخرة بألوان الطعام والشراب، وفرصة جميلة للسهر واللهو الممتد الى بزوغ الفجر، والنوم العميق في النهار حتى غروب الشمس، فإذا كان ذا معاملة ساءت معاملته، واذا كان موظفاً ثقل عليه أداء واجبه.

ومنهم -وهم الفائزون- من يرون في رمضان شهراً غير هذا كله، يرون فيه دورة تدريبية لتجديد معان في نفوس الناس من الخلق النبيل، والإيثار الجميل والصبر الكريم.

وقد يحمل شهر رمضان الراحة الصحية لكثير من المرضى.. الا انه قد يبعث من جديد شكوى مرضية عند من لم يحسن الاستفادة من الصيام.

فقد قام بعض الباحثين بدراسة ميدانية لمن يعانون من سوء الهضم في رمضان، فقاموا باختبار (١٨٦٠) شخصاً من البالغين من الرجال والنساء، وبدأت الدراسة في آخر شعبان، وكان يشترط ان يكون هؤلاء أصحاء، لا يشكون من أعراض سوء الهضم المذكورة أعلاه، وقد ذهل الباحثون عندما وجدوا ان (١٢,٤٪) كانوا يعانون من سوء الهضم في الاسبوع الأول من شهر رمضان الكريم.

فما السبب في ذلك رغم ما نعرف من ان الصيام هو خير علاج لسوء الهضم؟!!

الحقيقة ان مرد ذلك هو العادات الشائعة في بلاد المسلمين، حيث يأكلون في رمضان اضعاف ما يأكلونه في غير رمضان! حيث تعمل السيدات جاهدات طوال الشهر الكريم لإرضاء شهوات الطعام لدى أفراد أسرهن، حيث يتفنن في صناعة أنواع الأطعمة والحلويات.

ومن الناس من يفرط في طعامه وشرابه، لا لسبب الا لإخماد لهيب القلق او الهم الذي يعيشه.. وهؤلاء يسببون لأنفسهم عسراً في الهضم وتلبكاً في الأمعاء، وهم بذلك يصرفون اهتمام جهازهم العصبي عن مشاكل الحياة اليومية، الى ما يعيشونه من متاعب الأمعاء والقولون، فيتعطل تفكيرهم، وينشغل بالهم بعملية الهضم، وهذا مصداق الحكمة القائلة: «البطنة تذهب الفطنة».

واذا كانت البطنة تذهب بالفطنة، فإن الصوم يقوي الفطنة ويحسن نشاطها، فلقد كان المفكر اليوناني سقراط يصف بالوحشية او بالهمجية الذين كانوا يتناولون أكثر من وجبتين غذائيتين في اليوم.. ترى ما عساه ان يصف متمدني العصر الحديث الذين يأكلون لذائذ الطعام في وجبات ثلاث وما بين الوجبات، وما تشتهيه الأنفس من مقبلات ومشهيات، ثم يخلدون للنوم على ضجيج المعدة والأمعاء، تتقلب على بعضها البعض مثقلة بما فيها من مأكولات، وما ان يستيقظوا في الصباح حتى يعودوا لتناول الطعام من جديد!!.

❖ الصوم وجهاز الهضم:

وقد تبدو فائدة رمضان من الناحية الطبية، لدى المصابين بالإلتهابات الهضمية المزمنة، وفي طليعتها الالتهاب المعدي المزمن، وهو أول من يستفيد من هذا الفرض الديني.. اذ ان الطعام يؤدي للإلتهاب ويزيده في شتى الحالات، والصوم يحمل الى هذه الشكوى راحة تمتد طيلة ايام الشهر، وتكون ذات أثر كبير في شفاء الالتهاب.

كما ان التهاب الأمعاء المزمن والتهاب القولون المزمن، يستفيدان من الصوم كثيراً، فإبعاد الغشاء المخاطي للأمعاء عن تماس الطعام مدة طويلة، يرمم الخلايا الملتهبة، ويقلل من افرازاتها المرضية الكثيرة، ويخفف سوائلها المخاطية، ويقدم معونة أساسية في شفاء هذه الإصابات المعوية المزمنة.

واذا كان الصوم يفيد في حالات الإلتهاب فإنه قد يزيد في آلام المصابين بالقرحة المعدية او الاثني عشر، فيثيرها اذا كانت هاجعة، اذ ان بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة لساعات طويلة، يجعل الإفراز المعدي الحامضي يتراكم في جوف المعدة الفارغة، وهذا الافراز يحتاج الى معدِّل يبدد فعله وأذاه، وقد اعتاد المريض ان يستخدم الأطعمة في فترات متعددة من اليوم لتعديل الحموضة الزائدة لمعدته.

واذا ما تتابع الافراز المعدي الحامضي في معدة فارغة، ازدادت آلام البطن واشتدت وعادت نوبة القرحة الهضمية في أخذ شكلها المعروف.

وللأسف فإن جهاز الهضم عند كثير من المسلمين، معرض لنوع من التعب الخاص، حيث يختص الطعام الشرقي بصعوبة الهضم لثقله وكثرة الدسم فيه، وتعقد أصول طبخه وتعدد أجزائه المخلوطة، وثقل هذا الطعام يحمل الى جهاز الهضم عبئاً شديداً خلال فترة مديدة من السنة، حتى يأتي شهر رمضان فيقدم راحة ضرورية لجهاز متعب.

❖ الصوم رحلة استجمام للمعدة:

الصوم يجلب الراحة للمعدة، ويتيح لها فرصة إصلاح ما أُتلف منها، والمعدة التي طالما تمددت أثناء عملها المفرط، تستعيد حجمها العادي، وتنكمش عندما تكون فارغة خلال فترة الصوم، ويسيِّر ما أصاب المعدة من متاعب والتهاب الى الشفاء بإذن الله.

ولا شيء يمكن ان يعيد النشاط لجهاز هضمي متعب، ولأمعاء منهكة وغدد مرهقة.. مثل الصوم الصحي، حيث انه

يعتبر بمثابة راحة استشفائية تهيئ جميع الظروف اللازمة للشفاء.. حيث ان المعدة العليلة او الضعيفة، تستفيد من فترة الراحة التي يتيحها لها الصوم، فتحسن من مستوى وظيفتها، وترفع من نشاط الغدد في جدارها، وتعود بعد الصوم الى العمل بحيوية أكثر.

❖ وصايا صحية:

غذاؤنا في رمضان ينبغي ألا يختلف كثيراً عما هو عليه في الأشهر الأخرى، بل ربما ينبغي ان يكون أبسط في مكوناته، وعلى الصائم ان يحرص على ألا يزداد وزنه في رمضان، بل ربما وجد البدين في رمضان فرصة ذهبية للتخلص من بعض وزنه.

وينصح الأطباء بمضغ الطعام مدة كافية، فهي الطريقة الوحيدة التي تمكن من الاستمتاع الحقيقي بالأكل وتذوق لذته، عملاً بالنصيحة المشهورة: «امضغ اللقمة الواحدة ثلاثين مرة، افضل من ان تبتلع ثلاثين لقمة».

وينبغي الحرص على تناول غذاء متوازن يحتوي على الخضروات واللحم وخاصة الدجاج والسمك، اما الأغذية المقلية فهي غير صحية، وينبغي تحديد تناولها، فقد تسبب عسر الهضم والحرقة وحموضة المعدة وازدياد الوزن.

والله تعالى من وراء القصد.



خصائص ومميزات الصيام وشهر رمضان

■ بقلم الاستاذ محمود طالب ابو سنينة

إن لكل مادة ونوع وجنس خصائص تميزه عن غيره مما شابهه، فتاجر السيارات مثلا يبين سنة صنعها وقوتها ومميزاتها وما تحتويه من إضافات وما توفره من وقود إلى غير ذلك وكذا أيام و ليالي وأشهر وفصول السنة، يتميز كل منها عن غيره بعدة مميزات.

وشهر رمضان المبارك اختصه الله تعالى على غيره من أشهر السنة كلها بفضائل عديدة، فلا عجب أن ينتظر المسلمون قدومه، بقلوب يملؤها الشوق والحب العظيم لهذا الشهر الجليل الذي خصّه الله ورسوله بمزايا لم تُعطَ لشهر غيره من أشهر السنة، حيث يزداد الصالحون صلاحاً والمحسنون إحساناً وبراً وعطاءً، والمذنبون توبة وندما.

❖ ومن أهم مزاياه:

● أن الله تعالى ذكره صراحة في محكم **التنزيل**، وميزه بنزول القران العظيم فيه، وشرع ركن الصيام فيه، وهو هدى لمن أراد الهداية، ونجاة لمن أراد الفوز والسعادة، وقد أمر الله تعالى من أدركه من أهل الوجوب بصيامه، فقال جل شأنه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ١٨٥ .

ورمضان مأخوذ من الرمضاء، والتي تعني: الأرض أو الحجارة إذا حميت من شدة وقوع حرارة الشمس عليها، وهي أيضا بمعنى بقايا نار الحطب التي يعلوها السكن، وقد قيل في الأمثال: (كالمستجير من الرمضاء بالنار) وهذا يضرب لمن كان في شدة فطلب النجاة منها فوقع في شدة أشد وأبلغ من الأولى، وأيا ما كانت، فان الرمضاء تحرق الأجساد، وشهر رمضان يحرق ذنوب الصائمين حرقا، ولا عجب فشهر رمضان هو شهر القرآن، وقد اعترفت الجن وأقرت أن الله تعالى ملأ السماء بحراس أشداء أقوياء، وبشهب حارقة خارقة منعا للجن من استراق السمع يوم نزول القرآن العظيم، وسجل مقولة الجن بقوله: **﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ❖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾** الجن: ٨-٩ .

فإذا اجتمع الصيام والقران لدى إنسان كانا أعظم قربة إلى الله تعالى في قبول التوبة والأعمال الصالحة، وغفران الذنوب، ومضاعفة الأجر وحسن الثواب.

● **والصيام الخالص لله تعالى،** يورث التقوى، وهذه هي الحكمة من مشروعية الصيام، لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** البقرة: ١٨٣ .

فالصائم عندما يخلو بالمفطرات التي يحبها ويشتهيها واعتادها في أيام الإفطار، ويدعها أثناء الصيام طاعة لأمر الله، وهو يعلم أنه لا رقيب عليه إلا الله، يكون بذلك الصيام قد ملك غرائزه، وسيطر على رغباته، وكبح نزعاته، واستعلى على شهواته، وتحرر من سلطان عاداته، وتخلى عن ذنوبه وسيئاته، في هذه الحالة، يمكننا القول بأن الصيام حقق صدق العبودية الكاملة وصدق الإخلاص لله تعالى، والتقوى المطلقة من الصيام.

● **ومن خصائص الصيام:** أن الله تعالى أضاف الصوم والثواب عليه إلى نفسه تعظيما لشأن الصيام، ففي الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله محمد ﷺ: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم

الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري ج٤ ص ١١٨ .

ورغم أن جميع العبادات التي يؤديها المسلم ينوي بها مرضاة الله تعالى، إلا أنه ميز الصوم عنها لسر عظيم، وهو أنه لم يتقرب أحد من البشر لمن عُبد من دون الله بالصيام له، فكان الصوم في جميع العصور والأزمان لله وحده، بينما وجدنا من ركع وسجد، ودعا وأعطى، وذبح لغير الله.

وقيل إن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله عز وجل، فالصائم يتقرب إلى الله تعالى بما يحب الله من صفاته.

وأياً ما كان، فإن الحديث السابق يدل على عظم فضل الصيام، وكثرة ثوابه، لأن الله تعالى هو نفسه الذي يتولى الإثابة على الصيام، وعطاء العظيم لا بد وأن يكون عظيماً.

● **ومن خصائصه: أن الصوم يحفظ الصائم من الوقوع في المعاصي والآثام،** ويمنعه من ارتكابها، ويستره عن النار، وهو أدعى إلى التوبة والطاعة والانقياد لله تعالى، قال رسول الله محمد ﷺ في الحديث السابق: (الصيام جُنة)، وفي رواية أخرى لابن خزيمة في صحيحه (الصيام جُنة من النار كجُنة أحدكم من القتال) أي أنه ساتر ومانع من النار.

● **ومن خصائصه: أنه يحمل النفس على التحلي بالفضائل ويمنعها من اقتراف الرذائل،** كما أنه يحمل الجوارح على بذل المعروف، والتجرد من فعل أي إثم من الآثام صغيراً كان أم كبيراً، لعلمه بقول رسول الله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه النسائي وابن ماجة، ولقوله: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

● **ومن خصائصه أنه يخفف من حدة الشهوة الجنسية،** التي غالباً ما توقع الشباب والشابات في الإثم والمعصية من هنا قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري ج٤ ص ١١٩ .

● **ومن خصائص الصيام:** أنه دليل على الولاء والانقياد والطاعة والحب لله، لذا كان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، تبعاً لطيب الصوم الذي هو عبادة من أجلّ العبادات، وأعظم القربات إلى الله تعالى، والتي خلقنا من أجلها.

وإذا كان بعض الناس يتطيبون بما طاب ريحه من أصناف البخور، ويزرعون ما حسن أريجه من الورود والزهور، ويتهادون بما غلا ثمنه من أنواع العطور، فإن خلوف فم الصائم عند الله من أفضل الروائح لكونه في طاعة وعبادة له سبحانه وتعالى.

● **ومن خصائصه: إنه سبب لفرح الصائم في الدنيا والآخرة،** «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وهذا في الدنيا، أما في الآخرة فحين يلقى ربه يفرح بصومه، لما له من أجر عظيم وثواب جزيل على الصيام، حيث يضاعف الله عز وجل أجر وثواب العمل الصالح في شهر رمضان أضعافا كثيرة زيادة عن أجره في باقي أيام السنة الأخرى.

● فلا أحد يعلم ثواب الصيام إلا الله عز وجل، لقول الرسول محمد ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عزّ وجل: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي» مسلم ج ٤ ص ٢٨٦ .

● **ومن خصائصه: أن الصيام يكفر الذنوب السابقة،** لقول رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه» أخرجه البخاري ومسلم، ولقوله ﷺ: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفّظ مما ينبغي أن يتحفّظ كفّر ما قبله» أخرجه ابن حبان في صحيحه.

وهكذا كل العبادات تُكفر ما بينها من ذنوب صغيرة، أما الذنوب الكبيرة فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة، لقوله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» أخرجه مسلم.

● **ومن خصائص شهر رمضان المبارك أن فيه ليلة عظيمة ذكرها الله في محكم كتابه** بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

﴿الْقَدْرِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❖ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ❖ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ إنها ليلة موعودة مشهودة يشهدها الملائكة المقربون، ليلة اتصال خالق السموات بالأرض، ليلة الفرح والحبور والسرور، ليلة تفيض بالنور المبين، ليلة القدر والشرف، ليلة عظيمة تفوق عظمتها إدراك البشر، ليلة عظيمة باختيار الله لها، ليلة عظيمة بنزول القرآن المبين فيها، ليلة خير من ألف شهر في حياة البشر.

● **ومنها: أن الصائم يدخل الجنة من باب خاص يميزه الله به يسمى باب الريان،** قال ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، أغلق فلم يدخل منه أحد» أخرجه البخاري ومسلم ج٤ ص٢٨٦ وزاد الترمذي (ومن دخله لم يظمأ أبداً).

والريان ضد العطشان، وهو باب في الجنة يجري فيه أنهار عذبة لذة للشاربين، يدعى الصائم للدخول من هذا الباب، لأنه أعطش نفسه لله تعالى في الدنيا، فيجازى في الآخرة بالدخول من هذا الباب الخاص بالصائمين، للشرب من أي أنهاره التي تجري فيه تكريماً له وحفاوة به، فالجزاء من جنس العمل، بل إنّ الجزاء يتضاعف ثوابه ومن عطش نهاراً في صيامه، شرب في الجنة من باب الريان شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

● **ومن خصائصه: أنه سبب في الصحة والعافية،** لقوله ﷺ: «صوموا تصحوا» أخرجه الطبراني، ويؤكد الأطباء في العصر الحاضر قول الحارث بن كلدة طبيب العرب (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء)، وقول رسول الله ﷺ: «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام» أخرجه ابن ماجة ج١ ص٥٥٥ وكما هو معلوم فإن الزكاة تعني النماء والطهارة، فالصيام ينمي الجسم ويطهره من الأمراض والعلل.

● **ومنها: أن الصيام والقرآن يشفعان للصائم يوم القيامة،** بمعنى أن الصوم يطلب للصائم المغفرة والرضوان، والتجاوز عن المعاصي والآثام، فيكون سبباً في دخول الصائم الجنة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته

الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان» أخرجه أحمد والطبراني.

● **ومن خصائصه: أن الصيام يعود الصائم على الصبر واحتمال المكاره والمشاق،** ويذكره بفقره وحاجته إلى الله، ويحفظ نفسه ويردعها عن شهواتها ومفارقة ملذاتها والامتناع عنها فترة من الزمن، فتنمو فيه الصفات الحميدة ويتحلى بمكارم الأخلاق، وتكون لديه المناعة التي تحفظه من الهلاك، ويعودها على البر والإحسان، والمودة والإخاء، وصفاء القلوب و النفوس، والذكر والطاعة والاستغفار، وهذه كلها تحتاج إلى ممارسة قوية وصبر وحزم، ومن هنا قال النبي محمد ﷺ: «والصيام نصف الصبر» أخرجه ابن ماجة.. والصبر ثوابه الجنة.

عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» أخرجه ابن خزيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»

متفق عليه.

● **ومن خصائصه: شعور المرء بعظم نعم الله عليه، وتذكيره به،** فلا يشعر بقيمة الصحة إلا من أصيب بالمرض، لذا قيل: الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى، وكذا كل النّعم لا يشعر بقيمتها ولا يتذكر أهميتها إلا من حُرم منها، وإنّ توالي النّعم واستمرارها على المرء يقلل من إحساسه بقيمتها، وفي الصيام انقطاع عن الاستمتاع بالماء والغذاء والجماع، فيشعر المرء بعظم هذه النّعم عليه، مما يدعوه إلى التضرع لله تعالى بحفظها ودوامها، وتوافرها عليه .

لذا قال رسول الله ﷺ: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يوماً، وأجوع يوماً فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

● **ومن خصائصه: إجابة دعوة الصائمين،** فدعوة الصائم لا تردّ، إكراماً لهذا الشهر العظيم، بدليل قوله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزّتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» وفي رواية: «الصائم حتى يفطر» أخرجه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان والبزار.

● **ومنها أن الإخلاص بصيام شهر رمضان سبب في غفران الذنوب وما تقدم منها،** بدليل ما رواه عمر من الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب» أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي.

● **ومنها أن الله يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة.**

● **وأن حيتان البحر تستغفر للصائمين.**

● **ومنها أن الله عزّ وجل ينظر إلى الصائمين ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً** «وأن الملائكة تستغفر للصائمين في كل يوم وليلة وتدعو لهم بالرحمة والمغفرة وأن الله عزّ وجل يأمر جنته بالاستعداد والتزين للصائمين».

● **أن أبواب السماء تفتح فلا يغلق منها باب،** فتتزل منها الرحمات، وتُصفّد الشياطين ومردة الجن بالسلاسل، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» رواه الترمذي.

● **ومنها أن الله عزّ وجل يتوب تفضلاً منه كل يوم وليلة على عدد من الصائمين إكراماً لهذا الشهر المبارك**، قال ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة (يعني في رمضان) وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة» أخرجه البزار.

● **ومنها أنه من صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.**

● **ومنها: فضل الله عزّ وجل قبول التوبة وغفران الذنوب**، وعفوه غير المحدود عن المسيئين ورحمته الواسعة في إبعاد الصائمين والمسلمين من أصحاب الأعذار عن نار جهنم إكراماً لشهر رمضان المبارك.

● فمن أدى صيامه على الوجه الأكمل، وتهجد في ليالي رمضان وأطاع الله وأكثر من ذكره وحمده، ملأ الله صحيفته بالحسنات، ومحا عنه السيئات، وأعطاه كتابه بيمينه، وأضاء له وجهه نوراً، ونقى جسمه وطهره من الدنس وعفا الله عنه وغفر له ذنوبه.

● **وأن الصائم يتمتع بنعيم مقيم ليس له مثيل يوم القيامة** منها: القصر الواسع الرحب المزخرف بأنواع الزينات والمطرز بأبهى الحلل، والمفروش بأجمل الأثاث وأغلى الرياش.

● **سمو الروح المتحلية بالفضائل،** وتخلق المؤمن بالأخلاق الفاضلة الكريمة وتشبهه بالملائكة المقربين المنزهين عن جميع الشهوات، فهم لا يأكلون ولا يشربون بل هم في طاعة لله رب العالمين.

❖ ومن الآثار:

- غض البصر عن النظر إلى ما حرّم الله وإلى كل ما يلهي عن ذكر الله.

- حفظ اللسان عن الكذب والغيبة

والنميمة والفحش والجفاء، وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن العظيم.

- كف الأذنين عن سماع كل مكروه ومحرم، وتعويدهما على الإصغاء لمجالس العلم والذكر وتلاوة القرآن الكريم ولما فيه طمأنينة للقلب وراحة للنفس وإشراق للروح.

- حفظ بقية الأعضاء كاليدين والرجلين عن المكاره والمعاصي وتعويدهما السعي والعمل والعطاء لله في سبيل الله.

- تحري الطعام والمال الحلال والبعد كل البعد عن المال الحرام، فكل جسم نما من حرام فالنار أولى به.

- تعلق القلب بالله والأمل والرجاء في أن يقبل الله صيامه.

- الصيام يقمع الشيطان ويسد عليه مسالكه ويضيق عليه مجاريه.

وشهر رمضان شهر خير وبركة، وبذل وعطاء، وتهذيب للنفس، وسمو للروح، يصبّ الله فيه الخير صباً، وهو شهرٌ عظيم للبرّ والصلة، ومعينٌ لا ينضب للأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، وينبوعٌ للرحمة وحبلٌ للمودة، من صامه رقّت روحه، وصفت نفسه، وجاشت مشاعره، ورهُفت أحاسيسه، والصيام مفتاحٌ لكل خير، مغلاقٌ لكلّ شر، وداعٍ للمعروف وناهٍ عن المنكر، وشهرٌ للانتصارات الحاسمة.

وأخيراً فإن هذا الشهر يأتي كلّ عام ليجدد في الصائمين دورة تدريبية على أعمال الخير والبرّ، وتجسيد العبودية الكاملة لله عزّ وجلّ، وغرس الأخلاق الفاضلة الحميدة، وحمل النفس على ما يزينها، وإحجامها عن الرذائل وما يشينها، وكبح جماحها وتزكيتها، وضبط تصرفاتها وأفعالها، وتحقيق التكافل بين أفراد المجتمع، وتقوية أواصر المحبة والأخوة والصلة، وتجسيد روحها بين أبنائه، وبث روح العزم والتصميم وقوة الإرادة في طلب العزة والمنعة، ودعامة قوية لسلامة الجسم وزيادة الحيوية والنشاط، والبذل والعطاء، إنه موسم الطاعات، وتفريج الكربات، وعلوّ الدرجات.

جعلنا الله وإياكم ممن قُبل صيامه، وقيامه، وبذله وعطاؤه، وزاد صبره، ووصل رحمه، وحسُن عمله وخلُقُه، وممن علا مقامه، وحسُن ذكره، ورضي عنه ربّه.

رمضان ضيف كريم أقبل..

■ بقلم الاستاذ أحمد الأسعد

نحن مقبلون على شهر عظيم، ألا وهو شهر رمضان وما أدراك ما شهر رمضان شهر البر والإحسان.. شهر أوله رحمة.. وأوسطه مغفرة.. وآخره عتق من النيران.

شهر تمنى النبي ﷺ لقاءَه إذ قال في دعائه: (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) فهكذا تهب نسمات الإيمان على المؤمنين.. نسمات بها عبق الروحانية.وشذا الإخلاص.. وفوح العبادة.. وأريج الصدق.. نسمات تستقبل شهر القرآن وشهر الصيام وشهر القيام وشهر الجود وشهر والغفران.. من بلغه الله هذا الشهر فهو من المغبوطين قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلك لعلكم تتقون﴾.

وعن النبي ﷺ أنه قال: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين و مردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

فقبل لقائه هو في شوق وحنين إلى لقائه كيف ذلك.. وهو شهر الصبر.. شهر الطاعة.. شهر الإنابة والذكر، لذلك والله ما ودعه مؤمن إلاّ وقلبه يحترق لفراقه، وما انصرف شهر رمضان عن عبدٍ صالحٍ

قام بحقه وقدره، إلاّ وكان انصرافه في قلبه حزناً وشوقاً وحنيناً لا يعلمه إلا الله عز وجل.

ها قد جاء ضيف كريم يطرق باب القلوب والجوارح من جديد، ليعلقها برب البرّيات ويزهدها في الدنيا وما فيها من شهوات ، ضيف جاء ومعه من الماء النقي ليغسل الأوزار والمعاصي والذنوب، التي بها فسدت الجوارح وقتلت القلوب، ضيف من تركه بدون تكريم ولا حسن ضيافة، خسر وخاب وندم وظل في غياهب الظلم والظلمات، ومن أحسن لقاءَه فلح وأدرك النجاح وسار على درب الصالحين واشعل نوراً في قلبه.

هذا الضيف هو رمضان

أتى رمضان مزرعة العباد

لتطهير القلوب من الفساد

فأدِّ حقوقه قولا وفعلا

وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها

تأوه نادما يوم الحصاد

يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، من لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح، من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يربح.

خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها: إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للفصل بين عباده فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرتها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله، قد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب، غنيا عما خلف فقيرا إلى ما أسلف فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وإني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه. ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدها

حتى مات رحمة الله عليه.

في رمضان.. أغلق مدن أحقادك واطرق أبواب الرحمة والمودة، فارحم القريب وود البعيد وازرع المساحات البيضاء في حناياك، وتخلص من المساحات السوداء في داخلك.

في رمضان.. أعد ترتيب نفسك اكتشف مواطن الخير في داخلك، واهزم نفسك الأمّارة بالسوء.

في رمضان.. جاهد نفسك قدر استطاعتك، واغسل قلبك قبل جسدك ولسانك قبل يديك، وأفسد كل محاولاتهم لإفساد صيامك، واحذر أن تكون من أولئك الذين لا ينالهم من صيامهم سوى العطش والجوع.

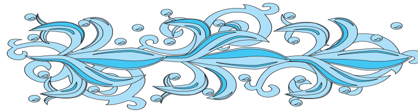
في رمضان.. سارع للخيرات وتجنب الحرام واخف أمر يمينك عن يسارك وامتنع عن الغيبة كي لا تفطر على لحم أخيك ميتاً.

في رمضان.. احذر الظن السيئ أو الإساءة لأحد من الخلق، وإياك والظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة.

في رمضان.. افتح قلبك المغلق بمفاتيح التسامح، واطرق الأبواب المغلقة بينك وبينهم، وضع باقات زهورك على عتباتهم، واحرص على أن تبقى المساحات بينك وبينهم بلون الثلج النقي.

في رمضان.. تذكر أولئك الذين كانوا معك في رمضان يملئون عالمك، ثم غيبتهم الأيام عنك ورحلوا كالأحلام.. تاركين خلفهم البقايا الحزينة تملأك بالحزن كلما مررت بها أو مرت ذات ذكرى بك.

في رمضان.. افقد ذاكرتك الحزينة قدر استطاعتك، فلا تتحسس طعنات الغدر في ظهرك ولا تحص عدد هزائمك معهم، ولا تسجن نفسك في زنزانة الألم ولا تجلد نفسك بسياط الندم، واغفر للذين خذلوك والذين ضيعوك والذين شوهوك والذين قتلوك والذين اغتابوك وأكلوا لحمك ميتاً على غفلة منك.



التوبة ورمضان

■ بقلم الشيخ محمد عبد الكريم

يقول الله سبحانه وتعالى مناديا عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ ويعلنها ربنا محبة للتائبين والمنيبين والمستغفرين فيقول عز وجل: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

ويذكر لنا الرسول ﷺ قصة حدثت في غابر الأزمان عن رجل بلغ في الإجرام مبلغا عظيما، عظيما قتل تسعة وتسعين نفسًا فتُعرض عليه التوبة ويحنّ إلى الله عز وجل، فيبحث عن الذي يدله على طريق الله، يبحث عن الذي يقول له: هذا هو الدرب إلى الله، وكثير من الناس يحن إلى التوبة فيخطىء الطريق، فيقع بين يدي رجل لا علم له ولا فقه، إمّا أن يقنّطه من رحمة الله فيقفل باب التوبة أمام عينيه، وإمّا أن يسوف له في التوبة ويرجئ له حتى لا يتوب فيقعون فيمن لا علم لهم ولا بصيرة بالله.

وها هو ذا الرجل المسكين دُلّ على راهب لا حظ له من العلم فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فسأله هل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، وهكذا وبعد تكميل المائة إذا بهذا الرجل المجرم يعاوده الحنين إلى كنف الله الرحيم، فيسأل مرة أخرى نفس السؤال عن أعلم أهل الأرض، ولكنه هذه المرة يصيب الهدف فيأتي إلى عالم رباني،

يعامل المذنبين الراجعين إلى ربهم معاملة الطبيب الماهر للمرضى الملهوفين، فدُل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال له العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، وهذا العالم الرباني ما قال نعم هكذا من تلقاء نفسه بل لعلمه بسعة غفران ربه.

ولكنه لا يكفي لمثل هذا الذي تأصلت الجريمة في كيانه أن يقول: تُبت دون أن يتحرك أو يعمل، فلا بد من الحركة بعد التوبة كما قال عز وجل: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا﴾**، ولا بد لمن أراد التوبة أن يبتعد عن الوسط الفاسد الذي يُذكي نار المعصية في النفس، لا بد أن تكون هناك عملية تبديل جذرية لحياة التائب إلى الله عز وجل، فأصحاب السوء يستبدلهم بأصحاب التُقى والخير، بأصحاب القرآن وأحاديث النبي ﷺ، ومجالس الغيبة والنميمة يستبدلها بمجالس الذكر والكلمة الطيبة والنصيحة.

ولهذا لم يكتفِ العالم الرباني بقول: نعم، بل قال: انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق، والفاء هنا في قوله: "انطلق" يدل على سرعة الإجابة على تلبية النداء والصدق في التوبة، فالرجل ما وقف مترددًا بالإجابة مقدمًا لرجل ومؤخرًا لأخرى ولا قال في نفسه: لا، غدًا أتوب أو بعد أن استمتع فترة أخرى من الزمان أو من بعد أن أتزوج واستقر أو بعد أن يصير لي حظٌ طيب من المال فأترك الربا، أو أتوب وأبقى مع رفاقي الأولين فإنهم هم الذُخر، هُم السند، لا، وإنما حصل عنده ردةُ فعل عجيبة تُذكرنا بقوة الفاروق عمر رضي الله عنه عندما أسلم مباشرة، فخرج يجمع المسلمين ليجهروا بإسلامهم أمام المشركين فانطلق الرجل إلى أرض المؤمنين، إلى مجالس الصالحين، حتى إذا نَصَفَ الطريق آتاه الموت **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** فناء بصدره نحوها ـ ناء بصدره توجه بصدره نحو البلدة الطيبة ـ فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه على الله.

وتفكر أخي المسلم في حجة ملائكة الرحمة حجتهم أن هذا جاء منطلقا، تائبا، إنهم يعتبرون تلك الانطلاقة المباركة لهذا

الرجل من بلده وتركه لرفقاء السوء يرون ذلك كفيلاً بأن يجعله من أهل الجنان، وأن إقباله على أرض الطاعة وتوجهه بصدره نحو البلدة الطيبة والمؤمنين يعد إقبالاً منه بقلبه على الله ـ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم مَلك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال الحكم ـ المَلك الذي في صورة آدمي ـ: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: "فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوُجد إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له.

انظروا إلى الكلاءة الربانية بالراجعين وإلى العناية الرحمانية بالتائبين، إنه تاب ولذلك وحيٌ خاص إلى الأرض من أجل عبد من عبيده ما فعل خيرًا سوى أنه تاب، وإنقلاب كوني هائلٌ بامتداد أرض وتقلص أخرى من أجل رجل هجر المعاصي وأهلها وقصد المؤمنين وبلدتهم فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا فعسى أن يكون من المفلحين، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا.

كل الذنوب فإن الله يغفرها
إن شيَّع المرء إخلاص وإيمانُ
وكل كسر فإن الله يجبُره
وما لكسر قناة الدين جُبرانُ

فيا عجبًا! بعد هذا من الذين لا يتوبون إلى الله عز وجل، من الذين يتركون طريق التوبة والتي هي طريقها قديم، قديمٌ قدم الأولين والآخرين فيقسمون فيها إلى قسمين: إلى تائب أو ظالم ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، تاب الله عز وجل على الفجّار كما تاب الله عز وجل على الأبرار، أما تاب آدم عليه السلام أبو البشر، أبو الأنبياء والمرسلين؟ أما تاب فتاب الله عز وجل عليه حين أكل من الشجرة وناداهما ربهما **﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌّ مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**.

وقال عز وجل عنه أيضًا: **﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾** وأمر الله عز وجل نبيه بالتوبة،

أمره عز وجل بالتوبة فقال سبحانه وتعالى: **﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾**، وأمر صحابة نبيه فقال: **﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**، وهم الصابرون، وهم المجاهدون، تاب موسى عليه السلام فما بالنا لا نتوب، تاب موسى عليه السلام حين ضرب ذلك القبطي فوكزه وقضى عليه، فقال موسى عليه السلام: إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، وأعلنها توبة حين عاين رحمة الله وعظمته فقال: **﴿إني تُبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾**.

وتاب سليمان عليه السلام قال عز وجل عنه: **﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب ❖ قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ❖ فغفرنا له﴾** غفر الله عز وجل له وغفر من قبل ذلك لأبيه داود حين استغفر ربه وخر راكعا وأناب وغفر الله عز وجل للمهاجرين والأنصار حين تلبسوا بالطاعة وخرجوا في جيش العسرة فقال الله عز وجل: **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾**.

والله عز وجل يفرح بتوبتك أيها العبد يفرح فرحا عظيما ـ تخيل نفسك أعرابيا بدويا تسير في صحراء قاحلة لا شجر ولا ماء وبين يديك معقل الأمل في الحياة بعد الله عز وجل راحلة عليها طعام وشراب، فضجرت هذه الناقة وانقلبت وانفلتت فأخذت تجري وراءها وتمشي ذات اليمين وذات الشمال تسير وتسير حتى أخذ منك الجوع والعطش مأخذا عظيما، حتى أيست وقنطت من وجود الراحلة التي عليها الطعام والشراب ولاح لك من على بعد شجرة لها ظل فذهبت إلى الشجرة وانطرحت تحتها لتنام النومة الأخيرة التي ليس بعدها استيقاظ، لأن الممات قاب قوسين أو أدنى منك فبينما أنت نائم متوقع الممات إذا بالراحلة بين يديك يسوقها الله عز وجل إليك فتأخذ بخطامها وتفرح فرحًا عظيمًا، وإذا كنت لا تستطيع أن تتخيل الحياة البدوية فتخيل رجلاً متقدماً إلى عملية جراحية نسبة الفشل فيها أكبر من نسبة النجاح فدخل العملية وخرج ناجحًا، وخرج صحيحًا

سليمًا؛ كم يفرح هذا المرء! وكم يفرح أهله به.

فرح الرجل فرحا عظيما وأخذ بخطام الناقة وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح يقول: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته عليها طعامه وشرابه فانفلتت منه فآيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد آيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده عليها طعامه وشرابه فأخذ بخطامها وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» أخرجه مسلم عن أنس.

وفي رواية عند أحمد والبخاري وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال: ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله عز وجل أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»، فأنت إذا أحدثت توبة فرح الله عز وجل أكثر من فرحك بالحياة بعد استيقانك بالوفاة والممات، يفرح الله عز وجل ولذلك يحب الصالحين التائبين المنيبين ويرضى عنهم فهل من توبة قبل الممات؟ وهل من إجابة لما دعا إليه رب الأرض والسموات: **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾**.

يقول الرحمن جل في علاه: **﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾** ويقول سبحانه وتعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾**.

فيا أخي المسلم: تب إلى الله توبة نصوحًا، وحدثني بالله عليك متى التوبة إن لم تكن في هذه الأيام ومتى دفع المهور للحور العين في الجنان إذا لم تكن في هذه الأيام، أما تشتاق إلى جنة عرضها السموات والأرض؟ ألا تحب أن تمتلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!.

إن أبواب الجنة قد فتحت لك أيها التائب الصائم المطيع فلماذا هذا الجفاء لمن يقابلك بالإحسان؟ لماذا هذا الإعراض لمن يقابلك بالغفران؟ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم؟ لماذا هذا الإصرار على متاع الدنيا الزائل في ظل المعاصي؟! فاترك عنك الأماني الكاذبة وأخلص إلى ربك التوبة؛ فإن الأجل قصيرٌ قصير مهما اغتررت بطول الأمل **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يُجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا﴾**.

ورمضان كالغرة المحجلة في شهور السنة فوا أسفا عليك إن خرجت من رمضان وأنت لم تتغير ولم ينقلب منك شيء ولم يرفع منك توبة إلى الله عز وجل: **﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾**، ولكن متى الفرار إلى الله إن لم يكن في هذه الأيام، إن لم يكن في هذا الشهر؟!

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

فيا أيها السامع لما أقول دع عنك الغفلة والغرور، واجعل من شهر الصوم هذا بداية لحياة مليئة بالطاعة مفعمة بالخير اجعل من هذا اليوم نقطة البداية للحفاظ على الصلاة في بيوت الله، اعزم من الآن على أن لا تترك صلاةً واحدة تفوتك، انس من اليوم أنك ذلك الشخص الذي لا يستطيع أن يستيقظ لصلاة الفجر في جماعة، زكِ قلبك بالقرآن، اسكب الدموع والعبرات على ما جنت يداك في الأيام الماضية فعسى الله أن يبدل سيئاتك حسنات ولا مقارنة بين ما ارتكبت من المعاصي وسعة رحمة الله عز وجل، فرحمته وسعت كل شيء، وأقلع عن الذنوب ولا تخش في تركها لومة لائم ولا تهديد مهدد، ولا تقل: هذا الذنب صغير، اترك حلق اللحية واترك الدخان واترك المسكرات.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ
واشدد يديك بحبل الله معتصمًا
فإنه الركن إن خانتك أركانُ
من يتق الله يُحمد في عواقبه
ويكفه شر من عزّوا ومن هانوا

إن كنت ممن يشرب الخمر فاهجرها واتركها، فإنها حرام، وعشرة ملعونون في

الخمر، وإن كنت ممن يأكل الربا فذرها، إن كنت ممن يأخذ الرشوة فاتركها واكتف بالحلال فإنه خير لك وأبر لك من ورائك بأولادك، ونق مالك من الحرام ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً فإنه سيعوضك خيرًا منها: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز، وإن كنت منّاعًا للخير صادًا عن سبيل الله فتب إلى الله عز وجل من الصد عن سبيله، فلا يكن أحدنا شيطانًا يصرف الناس عن الخير وعن السير في ركب المستقيم بعد أن صفدت مردة الشياطين وروض نفسك في هذا الشهر على المسابقة إلى الخيرات، فما أجمل أن تتصف بصفات الأنبياء الذين قال الله عز وجل فيهم: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾**.

ولا تلتفت أخي الحبيب المسلم إلى الذين يحبونك أن تبقى أبدًا على غير هدى من الله فإن أكلة الربا ممن لم يمن الله عليهم بالتوبة يحبون أن يأكل الناس جميعًا الربا، وإن الزناة يحبون من الناس أن يزنوا جميعًا، فانتبه أن يحجبوك عن التوبة، وانتبه أن يمنعوك عن الخير فإن الله يحب أن تتوب ويحب الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا.

فريق من الناس يريدون منّا أن نكون أعوانًا لهم في الشر والصد عن سبيل الله، استمع ماذا يقول الله عز وجل عنهم: **﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما ❖ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾**، وصدق من قال:

من كان للخير منّاعًا فليس له
على الحقيقة إخوان وأخدان
من استعان بغير الله في طلب
فإن ناصره عجز وخذلان

ويا أيها الشاب الذي أنت مغتر بشبابك رفقًا ثم رفقًا بنفسك وصونًا لدينك وعرضك، أخي الشاب كفاك إضاعة لعمرك في غير طاعة لخالقك ومولاك، أما تفكرت في سؤال الله لك يوم القيامة عن شبابك فيما أبليته لماذا هذا التخلف والرجعية عن أن تكون ممن يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، لماذا هذا التقهقر عن التأسي برسولك وأصحابه

الذين كانوا شبابًا سريعة إلى الخير أنفسهم، بطيئة عن الباطل أرجلهم، فهذه نصيحة مِنّي أهديها إليك أرجو أن تكون لها من المنفذين.

فإن كنت أخي من المتهاونين عن الصلاة فعاهد ربك أن لا تفرط فيها بعد اليوم وتربى على المساجد، ربّي نفسك على أن تكون حمامة المسجد فإن الفلاح كل الفلاح والمستقبل الباهر كل المستقبل هو هناك، هناك في مقعد صدق عند مليك مقتدر في جنات ونهر حيث الحور العين المقصورات في الخيام يخطبن ودّك ولا يعصينك أبدًا، **﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾** فلا تنظرن إلى ما حرم الله في التلفاز والأسواق وغيرها **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**، وإن كنت ممن تعق والديك فابدأ معهما من اليوم صفحة جديدة شعارك فيه التودد إليهما والحب والدعاء لهما وتنفيذ أمرهما في غير معصية الله.

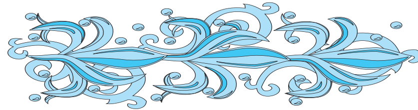
لا تغتر بشباب رائق خضرٍ

فكم تقدم قبل الشيب شبانُ

لا تحسبن سرورٌ دائم أبدًا

من سره زمن ساءته أزمانُ

وأنت أيتها الأخت المسلمة عليك بطاعة الله ورسوله ثم عليك بطاعة زوجك في غير معصية الله وافتحي صفحة جديدة مع ربك الرحمن، كوني عونًا لزوجك على الطاعة وإياك أن تكوني عونًا له على المعصية، واعلمي بأن توبتك في الحقيقة هو الحجاب الحجاب فتمسكي بالحجاب وعضي عليه بالنواجذ، وإياك والتبرج في الأسواق والشوارع ولا تصافحي أو تلمسي رجلاً غير محارمك.



معركة عين جالوت

■ بقلم الاستاذ محمد الجاعوني

تظل معركة عين جالوت احدى روائع الانتصار الاسلامي، حين يكون الاسلام ملاذ هذه الامة وحين تتوافر ادوات النصر التي يأتي في مقدمتها الانتصار للحق، ورد الظلم وكف الاعتلاء والاستكبار وحين تلتقي العقيدة مع الارادة وتتولد في هذه الامة طاقات جبارة، تمحي من الذاكرة فترات الضعف والهوان عن النفس.

ولان الاسلام ليس دين سيف وقتال وفرض ارادة على ارادة الاخرين، فإن القتال في الاسلام دائما يكون لدفع الظلم ورد المستكبر واشاعة العدل، ولان صوت المنبر علا في مصر ليكون مرشدا لصوت الحكم وهي معركة فاصلة في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ العالم حدثت في صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٥٨هـ.

فقد أوقفت هذه المعركة المد المغولي المكتسح الذي انهارت أمامه الجيوش الإسلامية وتهاوت أمامه الكثير من دول ومدن الإسلام، وأسقط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ودمر بغداد وقتل فيها وحدها نحو مليون قتيل.

وتعد هذه المعركة من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي التي انتصر فيها المسلمون ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يهزم فيها التتار الذي تغلغل عميقًا، واخترقوا ميسرة قطز، فانكسرت تلك الميسرة كسرة شنيعة،

فألقى السلطان قطز عند ذلك خوذته على الأرض، وصرخ بأعلى صوت: واإسلاماه! واإسلاماه!، و حمل بنفسه في طائفة من جنده، وأسرع لنجدة الميسرة، حتى استعادت مواقعها في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان.

وكانت مصر مهددة بغزو وشيك لها من التتار، وأدت المعركة لانحسار نفوذ التتار في بلاد الشام وخروجهم منها ، كما وأدت المعركة لتعزيز موقع دولة المماليك كأقوى دولة إسلامية في ذاك الوقت لمدة قرنين من الزمان إلى أن قامت الدولة العثمانية، وكانت هذه المعركة واحدة من أكثر المعارك حسماً في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

قال تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ وهناك سؤالان قد يخطران على بال المحلل للأحداث، والمتدبر في مجريات الأمور.. وللسؤالين إجابة واحدة..

- **السؤال الأول هو:** كيف سُلّط جيش التتار الفاسد المفسد على أمة الإسلام وهي خير منه مهما خالفت المنهج، ومهما قصّرت في واجباتها؟!

- **السؤال الثاني هو:** جيش التتار الذي انتصر على المسلمين في كل المواقع السابقة، هو نفس جيش التتار الذي هُزم في عين جالوت.. لماذا انتصر في السابق؟ وما الذي حدث حتى يهلك الجيش بكامله بهذه الصورة العجيبة؟!

والإجابة على السؤالين نجدها في جزء من خطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي العظيم الملهم، وكان قد أرسل خطاباً إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي كان يقود الجيوش الإسلامية المتجهة لحرب الفرس في موقعة القادسية..

يقول الصحابي الحكيم عمر رضي الله عنه يخاطب سعداً رضي الله عنه: "فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية،

كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نُنصرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدوّنا شر منا، فلن يُسلَّط علينا، فرب قوم سُلِّط عليهم مَن هو شر منهم، كما سُلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفارُ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً.."

هذا جزء من رسالة الفاروق عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والتي تُعد من أنفس ما قال، ومن أعظم الرسائل على وجه الأرض.. والرسالة طويلة.. ودراستها في غاية الأهمية لبناء الأمة.. في هذا الجزء الذي ذكرناه يتضح لنا أن الله عز وجل أحياناً يسلط الكفار والمفسدين على المسلمين إذا عمل المسلمون بمعاصي الله، فإذا التزم المسلمون بتقوى الله عز وجل وساروا على منهج ربهم ومنهج رسوله ﷺ، انتصروا على الجيوش التي طالما انتصرت عليهم.. لم ينتصروا عليها لقوة جسد أو لكثرة عَدد أو لكفاءة عُدد، وإنما ينتصرون لارتباطهم بربهم، وبُعد أعدائهم عنه سبحانه.. من هنا نفهم لماذا سُلّط التتار أربعين سنة على المسلمين في الأرض.. ومن هنا نفهم لماذا انتصر المسلمون في عين جالوت على الجيش الذي دوّخ بلاد المسلمين عشرات الأعوام.. ومن هنا أيضاً نفهم أحداثاً كثيرة في التاريخ، وأحداثاً كثيرة في الواقع.

فإذا رأينا ضعفاً وخوراً وجبناً واستكانة في جيوش المسلمين.. وإذا رأينا تبعية لغرب أحياناً، ولشرق أحياناً أخرى.. وهواناً في الرأي، وسقوطاً للهيبة.. أهذا شيء يدعو إلى الإحباط واليأس؟ أبداً.. إنه يدعو إلى التفكر والتدبر والاستفادة من التاريخ والعمل.. وعين جالوت بين أيدينا.. وإلا فلماذا ندرس هذه الأحداث التاريخية التي مرّ عليها قرون وقرون؟!! العودة إلى الله عز وجل ليست صعبة!! مهما غرقت الأمة في معاصيها، ومهما ابتعدت عن كتاب ربها، ومهما ضلت طريقها، فإنها تعود إلى الله عز وجل في لحظة واحدة.. هذا إذا أرادت أن تعود.. هذا إذا أرادت أن تعيش.. بل هذا إذا أرادت أن تسود وتقود وترفع رأسها وتُعزّ شأنها.

مهما ابتعدنا عن الله فإنه يقبلنا بل يفرح بنا - سبحانه وتعالى - إذا عدنا إليه.. روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ

فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ".. فقط علينا أن نعود إلى الله.. وسنرى عين جالوت.. وألف عين جالوت.. هذا وحده إذن هو التفسير الشرعي للانتصار والهزيمة في الإسلام.. ينتصر المسلمون بارتباطهم بربهم، ويُهزمون ببُعدهم عن الشرع.. والله عز وجل لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون..

❖ الدروس والعبر:

أولاً– امة الاسلام أمة الفوز والنصر والظفر والعزة والتمكين متى ما أرضت الله وتوجهت نحو ما يريده بصدق وعزيمة.

ثانياً– تَغَلُّب الأمة على أعدائها –ولو فاقوها في العدة والعتاد والقوة– يمكن أن يتمَّ بإذن الله في فترة قصيرة لا يتصورها العقل البشري.. وذلك متى ما حققت الأمة أسباب النصر.

ثالثاً– أهمية التوبة من الذنوب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بأوامر الدين في تقريب وتحقيق نصر الأمة وإبعاد أسباب الذل عنها.

رابعاً– الأفعال المخلصة والكلمات الصادقة المؤثرة، تبقى تتردد في ضمير الأمم على مدى التاريخ، فلا زالت كلمة واإسلاماه منذ أن قالها سيف الدين قطز وحتى أيامنا هذه رمزاً يحرك القلوب ويحفز الهمم.

خامساً– كم في تاريخ أمتنا من أحداث مشرقة وصفحات منيرة، فلنخبر ولنُذكِّر بها الأجيال الصاعدة من أبنائنا، ليزداد تعلقهم بدينهم وحرصهم على خدمته خاصة وسط ما يعيشونه من فتن وأوضاع تبهرهم بواقع الأمم الأخرى.

سادساً– معركة عين جالوت التاريخية الحاسمة وغيرها من انتصارات الأمة الكثيرة التي حدثت في رمضان، تؤكد أن شهر رمضان المبارك لم يكن في تاريخ الأمة شهر ضعف وكسل وخمول، بل كان شهرا يحفز الأمة ويهيئها للبذل والمثابرة والجد والتضحيات.

سابعاً: وكأن التاريخ يعيد نفسه.. فكم مما حصل في أزمنة سابقة من تقلب الأحداث وكيد الأعداء ترى الأمة مثله مرات ومرات عديدة، وتكون نفس الأسباب والمسببات، وطريق عزة الأمة واحد لا يتغير.

أول أيام شهر رمضان وفقاً للحسابات الفلكية

■ بقلم الاستاذ الفلكي عماد مجاهد

تشير الحسابات الفلكية، إلى أن هلال شهر رمضان للعام الهجري ١٤٣١ الجاري سيتولد بإذن الله صباح يوم الثلاثاء، الموافق للعاشر من شهر آب الجاري، وذلك في تمام الساعة (٦) و (٩) دقائق و (١٥) ثانية بالتوقيت الصيفي للمملكة، ويمكث الهلال بعد غروب الشمس في غرب العاصمة عمان، مدة (٥) دقائق وهي مدة غير كافية لرؤية الهلال على الإطلاق.

بينما يمكن رؤية الهلال بوضوح مساء يوم الأربعاء الموافق للحادي عشر من آب، حيث يمكث الهلال بعد غروب الشمس في عمان مدة (٤٤) دقيقة، ويكون عمر الهلال عند الأفق لحظة غروب الشمس (٣٧) ساعة و (٢٢) دقيقة، ويغيب الهلال في زاوية تقع إلى جنوب زاوية غروب الشمس بمقدار (٢٠) درجة و (٢١) دقيقة و (٨) ثوان، ويكون ارتفاع الهلال عن الأفق لحظة غروب قرص الشمس في عمان (٧) درجات و (٥٨) دقيقة و (٣٥) ثانية، وستكون فتحة الهلال متجهة كثيرا جهة الجنوب أي إلى يسار الراصد.

وبحسب المعايير الفلكية الحديثة، فان رؤية الهلال ستكون مستحيلة في روسيا وشمال آسيا وشمال أوروبا، كما ستكون الرؤية غير ممكنة مساء الثلاثاء في استراليا وأواسط آسيا والشرق الأوسط

وشمال إفريقيا وأمريكا الشمالية، بينما يتوقع أن يشاهد الهلال من خلال التلسكوبات الفلكية في النصف الجنوبي من قارة إفريقيا وجنوب المحيط الأطلسي، ويتوقع أن يشاهد بالعين المجردة يوم الثلاثاء في غرب أمريكا الشمالية والمحيط الهادئ.

إن هذه المعلومات الفلكية تبين انه سيتعذر على المسلمين رؤية هلال رمضان مساء الثلاثاء العاشر من شهر آب، ويتوقع بناء على ذلك أن يكون هنالك إكمال عدة، ويكون يوم الأربعاء هو المتمم لشهر شعبان، ويكون يوم الخميس الموافق للثاني عشر من شهر آب هو أول أيام شهر رمضان الفضيل بإذن الله تعالى.

◆ القمر الصناعي الخاص برصد الأهلة:

اخبرنا مسؤولون في الأردن بأن منظمة المؤتمر الإسلامي، تحضر لإطلاق قمر صناعي خاص بالعالم الإسلامي، يخدم المسلمين في مجالات مختلفة مثل الاتصال والاستشعار عن بعد وأهداف أخرى، ومن ضمن هذه الأهداف رصد هلال أوائل الشهور القمرية ومن ثم تحديد موعد العبادات والمناسبات الإسلامية المختلفة، مثل تحديد بداية شهر رمضان المبارك وشهر شوال وموسم الحج، والشهور القمرية الأخرى بحيث يتم اعتماد طريقة موحدة في العالم الإسلامي، وبالتالي عمل تقويم هجري موحد في بلاد المسلمين، بحيث لا يكون هنالك اختلاف في التقويم الهجري بين دولة وأخرى، خاصة الدول القريبة من بعضها البعض جغرافيا ولا اقصد السياسية منها!

والحقيقة أن الفكرة إذا ما كتب لها النجاح وتحقق وجود قمر صناعي إسلامي لهذا الغرض، فهو في حقيقة الأمر عمل رائع يستحق الإشادة ولا شك انه يدخل العالم الإسلامي عصر الفضاء من أوسع أبوابه، ولكن السؤال الهام الذي يطرح نفسه الآن وهو: هل سيحل القمر الصناعي مشكلة تحديد بداية الشهور القمرية، بحيث لا تختلف الدول الإسلامية فيما بينها أم أن المشكلة ستبقى قائمة؟

من خلال تجربتي المتواضعة والطويلة في هذا المجال، أرى أنني غير متفائل من

أن القمر سيحل هذه المشكلة، بل أظن بصراحة أن المشكلة ستبقى قائمة، والسبب بكل بساطة انه ليس العامل الفلكي هو مشكلة تحديد أوائل الشهور القمرية، فخبراء الفلك لديهم مؤلفات وبرامج حاسوب منذ عشرات السنين، تستطيع حساب بداية جميع الشهور القمرية حتى آلاف السنين القادمة، وبدقة بالغة ليس فيها أي شك، وهذه الكتب والبرامج الفلكية موجودة بين متناول أيدي علماء الاسلام، الذين هم أصحاب العلاقة في تحديد موعد بداية الشهور القمرية، ومع ذلك فالاختلاف موجود في تحديد بداية الشهور القمرية، ونجد ان لكل دولة تقويم هجري يختلف عن الدولة الأخرى، مع انه في الأصل يجب أن لا يكون هذا الاختلاف موجودا، بل يجب أن يكون هنالك تقويم هجري موحد في العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من أن بعض الدول الإسلامية، عقدت العديد من المؤتمرات من اجل الاتفاق على وضع سياسة خاصة موحدة في تحديد بداية الشهور القمرية، جمعت علماء الفلك والشرع من مختلف الدول الإسلامية، وتم الاتفاق على نقاط هامة للغاية إذا ما اتبعت بالفعل، فلن يكون هنالك اختلاف في تحديد بداية رمضان وعيد الفطر والشهور الأخرى.

لكن وللأسف الشديد كل قرارات هذه المؤتمرات بقيت حبرا على ورق، حيث لم يلتزم بهذه القرارات مما يعني أن ثمة أسباباً أخرى غريبة تدخل في الموضوع، من أهمها عدم الاعتراف بالعلم أصلا! حيث يظن بعض علماء الشرع أن الحسابات الفلكية، هي تنجيم ولا يجوز الاعتماد عليها، لذلك عندما لا يتمكن خبراء الفلك من رصد الهلال بالمراصد الفلكية الضخمة والمتطورة وتؤكد عدم رؤية الهلال، نرى انه يتم إثبات رؤية الهلال حسب الشريعة الإسلامية!

لهذه الأسباب ولهذه الحقيقة المرة التي نعيشها، جعلتني غير متفائل من أن القمر الصناعي سيحل مشكلة رؤية الهلال لأنه لن يعتمد عليه مهما كان دقيقا وسنجد من علماء الدين من يحرم الاعتماد على هذا القمر، وعليه فإنني اقترح أن يتم استغلال الأموال المخصصة للقمر في أماكن أخرى.

طريقان لمعرفة الله تعالى

■ بقلم الطالبة هديل هندم

ان الله تعالى يدعو عباده في كتابه الكريم الى التعرف عليه من طريقين: أولهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبر معانيها.

النوع الأول، كقوله تعالى: ﴿ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس..﴾.. الى آخرها.

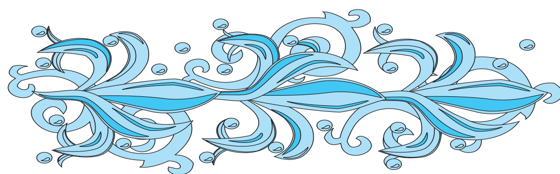
والنوع الثاني: كقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فالمفعولات إنما هي المشيرة او الدالة على الأفعال والأفعال تشير على الصفات وذلك يستلزم وجوده ومشيئته وعلمه لمعرفة الفعل الاختياري من معدوم او موجود لا قدرة له ولا حياة له ولا علم ولا ارادة.

ثم ما في الأفعال من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وان فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحداً غير متكرر، وما منها من النفع والاحسان والخير الدال على رحمته، وما فيها من الانتقام والتجبر والعقوبة دال على غضبه، اما ما فيها من الاكرام والعناية فهو دال على محبته، وما كان فيها من الاهانة والابعاد والخذلان دال على بغضه ومقته.

وما فيها من ابتداء الشيء في هدف

النقص والضعف دال على وقوع المعاد، وما منها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دال على صحة النبوات، وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على ان معطي تلك الكمالات أحق بها من سواه.

فمفعولاته دليل على صفاته، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعة، الآيات المصنوعة كقوله تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ اي ان القرآن الكريم حق وأنه لا بد ان يريهم آياته المشهودة حتى يبين ان آياته المتلوة حق، فآياته شاهدة على صدقه وهو شاهد بصدق رسوله بآياته، فهو الشاهد والمشهود له، وهو الدليل والمدلول عليه، فهو الدليل بنفسه على نفسه كما قال بعض العارفين: كيف اطلب الدليل على من هو دليل لي على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه.



العشر الأواخر من رمضان

■ بقلم الاستاذ ناصر بن محمد الأحمد

فها هي أيام رمضان تسارع مؤذنة بالانصراف والرحيل، وها هي أيام العشر تحل لتكون الفرصة الأخيرة لمن فرط في أول الشهر، أو لتكون التاج الخاتم لمن أصلح ووفى فيما مضى.

العشر الأخيرة من شهر رمضان سوق عظيم يتنافس فيه العاكفون وموسم يضيق فيه المفرّطون، وامتحان تبتلى فيها الهمم، ويتميز أهل الآخرة من أهل الدنيا، طالما تحدث الخطباء وأطنب الوعاظ وأفاض الناصحون بذكر فضائل هذه الليالي، ويستجيب لهذا النداء الحاني قلوب من خالط الإيمان بشاشتها، فسلكت هذه الفئة المستجيبة طريق المؤمنين، وانضمت إلى قافلة الراكعين الساجدين، واختلطت دموع أصحابها بدعائهم في جنح الظلام، وربك يسمع ويجيب، وما ربك بظلام للعبيد.

أما الفئة الأخرى فتسمع النداء وكأنه لا يعنيها، وتسمع المؤمنين وهم يصلون في القيام لخالقهم وكأنه ليس لهم حاجة بل كأنهم قد ضمنوا الجنة.

فهل يتأمل الشاردون؟ وهل يعيد الحساب المفرطون؟

أيها القراء، هذه أيام شهركم تتقلص، ولياليه الشريفة تتقضَّى، شاهدة بما عملتم، وحافظة لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة،



تدعون يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ آل عمران: ٣٠ ، ينادي ربكم: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

هذا هو شهركم، وهذه هي نهاياته، كم من مستقبل له لم يستكمله؟ وكم من مؤمل يعود إليه لم يدركه. هلا تأملتم الأجل ومسيره، وهلا تبينتم خداع الأمل وغروره.

إن كان في النفوس زاجر، وإن كان في القلوب واعظ، فقد بقيت من أيامه بقية، بقيةٌ وأي بقية، إنها عشره الأخيرة، بقية كان يحتفي بها نبيكم محمد ﷺ أيما احتفاء، في العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم فإذا دخلت العشر شمر وجد وشد المئزر، هجر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على فاطمة وعلي رضي الله عنهما قائلاً: «ألا تقومان فتصليان» يطرق الباب وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طه: ١٣٢، ويتجه إلى حجرات نسائه آمراً وقائلاً: «أيقظوا صواحب الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»، كان النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام لا يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه.

أيها المسلمون، اعرفوا شرف زمانكم، واقدروا أفضل أوقاتكم، وقدموا لأنفسكم، لا تضيعوا فرصة في غير قربة.

إحسان الظن ليس بالتمني، ولكن إحسان الظن بحسن العمل، والرجاء في رحمة مع العصيان ضرب من الحمق والخذلان، والخوف ليس بالبكاء ومسح الدموع ولكن الخوف بترك ما يخاف منه العقوبة.

أيها السادة، قدموا لأنفسكم وجدوا وتضرعوا، تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ماذا أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

نعم، الدعاء الدعاء. عُجُّوا في عشركم هذه بالدعاء. فقد قال ربكم عز شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦،

من هم هؤلاء العباد؟ الخلائق كلهم عباد الله. ولكن هؤلاء عباد مخصوصون إنهم العباد من أهل الدعاء، عباد ينتظرون الإجابة، إنهم السائلون المتضرعون، سائلون مع عظم رجاء ومتضرعون في رغبة وإلحاح: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

إن للدعاء من القلب المخلص، شأناً عجيباً، وأثراً عظيماً في حسن العاقبة، وصلاح الحال والمآل والتوفيق في الأعمال والبركة في الأرزاق.

هذا الموفق الذي أدركه حظه من الدعاء ونال نصيبه من التضرع والالتجاء، يلجأ إلى الله في كل حالاته، ويفزع إليه في جميع حاجاته، يدعو ويدعى له، نال حظه من الدعاء بنفسه وبغيره، والداه الشغوفان، وأبناؤه البررة والناس من حوله كلهم يحيطونه بدعواتهم، أحبه مولاه فوضع له القبول، فحَسُن منه الخلق وزان منه العمل، فامتدت له الأيدي وارتفعت له الألسُن تدعو له وتحوطه، ملحوظ من الله بالعناية والتسديد، وبإصلاح الشأن مع التوفيق.

أين هذا من محروم مخذول لم يذق حلاوة المناجاة، يستنكف عن عبادة ربه، ويستكبر عن دعاء مولاه. محروم سد على نفسه باب الرحمة، واكتسى بحجب الغفلة.

إن نزع حلاوة المناجاة من القلب أشد ألوان العقوبات والحرمان، ألم يستعذ النبي ﷺ من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ودعاء لا يسمع؟.

إن أهل الدعاء الموفقين حين يعُجُّون إلى ربهم بالدعاء، يعلمون أن جميع الأبواب قد توصد في وجوههم إلا باباً واحداً هو باب السماء. باب مفتوح لا يغلق أبداً، فتحه من لا يرد داعياً ولا يخيب راجياً، فهو غياث المستغيثين، وناصر المستنصرين، ومجيب الداعين.

أيها المجتهدون، يجتمع في هذه الأيام أوقات فاضلة وأحوال شريفة، العشر الأخيرة، جوف الليل من رمضان، والأسحار من رمضان، دبر الأذان والصلوات المكتوبات، أحوال السجود، وتلاوة القرآن، مجامع المسلمين في مجالس الخير والذكر، كلها تجتمع في أيامكم هذه. فأين المتنافسون؟ فاجتهدوا

بالدعاء سلوا ولا تعجزوا ولا تستبطئوا الإجابة.

فيعقوب عليه السلام فَقَدَ ولده الأول ثم فقد الثاني في مدد متطاولة، ما زاده ذلك بربه إلا تعلقاً: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ٨٣، ونبي الله زكريا عليه السلام؛ كبر سنه واشتعل بالشيب رأسه ولم يزل عظيم الرجاء في ربه حتى قال محققاً: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ مريم: ٤، لا تستبطئ الإجابة أخي القارئ فربك يحب تضرعك، ويحب صبرك، ويحب رضاك بأقداره، رضاً بلا قنوط، يبتليك بالتأخير لتدفع وساوس الشيطان، وتصرف هاجس النفس الأمارة بالسوء، وقد قال نبيك محمد ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي».

كما يجمل الدعاء وتتوافر أسباب الخير ويعظم الرجاء، حين يقترن بالاعتكاف، فقد اعتكف رسول الله ﷺ هذه الأيام حتى توفاه الله.

عجيب هذا الاعتكاف في أسراره ودروسه؟ المعتكف، ذكرُ الله أنيسه، والقرآن جليسه، والصلاة راحته، ومناجات الحبيب متعته، والدعاء والتضرع لذته.

إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم لازم هذا المعتكف بيت ربه وحبس من أجله نفسَه، ويقف عند أعتابه يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يطلق لسانه في لغو ولا يفتح عينه لفحش ولا تتصنت أذنه لبذاء، سلم من الغيبة والنميمة، جانب التنابز بالألقاب، والقدح في الأعراض، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة، استغنى عن الناس وانقطع عن الأطماع، علم واستيقن أن رضا الناس غاية لا تدرك.

في درس الاعتكاف انصرف المتعبد إلى التفكير في زاد الرحيل وأسباب السلامة، السلامة من فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول المخالطة.

في مدرسة الاعتكاف يتبين للعابد أن الوقت أغلى من الذهب فلا يبذله في غير حق، ولا يشتري به ما ليس بحمد، يحفظه عن مجامع سيئة، بضاعتها أقوال لا خير

في سماعها، ويتباعد به عن لقاء وجوه لا يسر لقاؤها.

أيها المسلمون، أوقاتكم فاضلة تشغل بالدعاء والاعتكاف، وتستغل فيها فرص الخير وإن من أعظم ما يرجى فيها ويتحرى ليلة القدر: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾**، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

ليلة خير من ألف شهر، خفي تعينها اختباراً وابتلاء، ليتبين العاملون وينكشف المقصرون، فمن حرص على شيء جدّ في طلبه، وهان عليه ما يلقى من عظيم تعبه. إنها ليلة تجري فيها أقلام القضاء بإسعاد السعداء وشقاء الأشقياء: **﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾** الدخان: ٤، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هذه الأيام، أعظم الأيام فضلاً وأكثرها أجراً، تصفو فيها لذيذ المناجاة، وتسكب فيها غزير العبرات، كم لله فيها من عتيق من النار؟ وكم فيها من منقطع قد وصلته توبته؟ المغبون من انصرف عن طاعة الله، والمحروم من حرم رحمة الله، والمأسوف عليه من فاتت فرص الشهر، وفرط في فضل العشر، وخاب رجاؤه في ليلة القدر، مغبون من لم يرفع يديه بدعوة، ولم تذرف عينه بدمعة، ولم يخشع قلبه لله لحظة.

ويحه ثم ويحه أدرك الشهر. ألم يحظ بمغفرة؟ ألم ينل رحمة؟ يا بؤسه ألم تقل له عثرة؟ ساءت خليقته وأحاطت به خطيئته، قطع شهره في البطالة وكأنه لم يبق للصلاح عنده موضع، ولا لحب الخير في قلبه منزع. طال رقاده حين قام الناس؟ هذا والله غاية الإفلاس. عصى رب العالمين، واتبع غير سبيل المؤمنين؟ أُمر بالصلاة فضيعها، ووجبت عليه الزكاة فانتقصها ومنعها؟ دعته دواعي الخير فأعرض عنها، مسئولياته قصّر فيها، وقصّر فيمن تحت يديه من بنين وبنات يفرط في مسئولياته وقد علم أن من سنة رسول الله ﷺ أنه يوقظ أهله. أما هذا فقد اشتغل بالملهيات وقطع أوقاته في الجلبة في الأسواق والتعرض للفتن.

اللهم رحمة اهد بها قلوبنا..

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال..

خطبة الجمعة

قال الله تعالى:

﴿وأن تصوموا خير لكم..﴾

بقلم الأستاذ محمد السعدي

ها قد جاءكم شهر رمضان، شهر الصوم، شهر الطاعة والعبادة، شهر التوبة والمغفرة، شهر البر والاحسان، شهر الذكر والقرآن، شهر التضحية والجهاد.

ها قد جاءكم شهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد الشياطين.. أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.. فيه ليلة خير من ألف شهر.

ها قد جاءكم شهر فيه ينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فأروا الله من أنفسكم خيراً.

ها قد هل عليكم هلال رمضان الذي جعله الله عز وجل موسماً للتوبة، وفرصة لنيل المغفرة وتكفير الخطايا ومحو الذنوب.

فاغتنموا هذه الفرصة -اخوة الاسلام- بالطاعة والعبادة والعمل

الصالح و **﴿توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير﴾**.

صوموا هذا الشهر، وأحسنوا الصيام، وأحيوا ليله بالذكر والقيام، وابتغوا وجه الواحد الديان ليتحقق فيكم قول رسولكم محمد ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

صوموا مخلصين، واقرءوا القرآن متدبرين، ليشفع لكم الصيام والقرآن **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾**، فالصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة: «يقول الصيام: اي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» كما قال حبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ.

إخوة الإيمان؛

ان الله عز وجل أنزل القرآن الكريم في شهر رمضان: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** وانها لنعمة عظيمة، ومنة كبيرة، وشرف عظيم لهذه الأمة التي كرمها الله عز وجل بحمل رسالته ونشر دينه **﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾**.

وانها لنعمة عظيمة ان ينزل الله للمسلمين كتاباً يهديهم الى الصراط المستقيم والمنهج القويم، وينظم أمور حياتهم، ويقيم العدل بينهم، ويحل مشاكلهم، ويحقق لهم العزة والسعادة **﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً﴾**.

انها لنعمة عظيمة أنعم الله بها على المسلمين، وإنها لتستأهل الشكر وتستحق الثناء والحمد، والله عز وجل شرع لنا الصيام في شهر رمضان،

لنقوم بتلك العبادة شكراً لله عز وجل على نعمة القرآن الذي نزل في شهر رمضان.

عباد الله؛

ان الله عز وجل لم يشرع الصوم ليعذبنا أو ينتقم منا **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾**.

وانما شرع الله الصوم لحكمة بالغة، ومصالح عظيمة تعود على المسلم بالخير والسعادة، ففي الصوم تتحقق الطاعة لله تعالى **﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** وفي الصوم تتحقق العبودية لله، هذه العبودية التي خلق الله الجن والانس لأجلها **﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ❖ ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ❖ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**.

وفي الصوم ينعم المؤمن بقرب الله عز وجل فيشعر بالطمأنينة وينعم بالسكينة **﴿الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**.

وبما ان الصوم مظهر من مظاهر العبودية الحقيقية لله عز وعلا، فقد فرضه تعالى على كل الأنبياء عليهم السلام، وجعله ركناً من أركان الرسالات السماوية **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** ولأن الصوم تتحقق فيه العبودية والتضحية، فقد نسبه الله تبارك وتعالى لنفسه وتولى تقدير ثوابه بذاته، يقول سيدنا محمد ﷺ: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي».

وفي الصوم سمو بالروح، وتحرر من سلطان الغرائز والشهوات، ومن أسر المادة والعادات، حيث يصبح الصائم كالملاك يقف نفسه على عبادة الله وشكره وذكره.

والصـوم مـدرسـة تعلمنا الأمـانة والإخـلاص حيث نمسك عن المفطرات في السـر والعلن، لأن الله عليهـا رقيب حسـيب، والذي يتـعلم كـيف يكون أمـيناً مع الله خـلال شـهـر كـامل، فـإنه يكون أميناً في سلوكه ومعـاملاته، فـلا يسـرق من وقت العمل، ولا يقصر فيه ولا يأخذ ما ليس له بحق.

والصوم مـدرسـة تعلمنا الصـبـر على الشـدائد والمكاره، وتدربنا على تحـمل الصعاب، وتعدنا للجهاد في سبيل الله، والذي يجـاهد نفسـه وينتـصـر على شهواته ويضحي بملذاته في سبيل الله، قـادر على ان يضـحي بروحه ومـاله حين يدعو داعي الجهاد.

والصـوم يزرع التـقـوى في القلوب، والحـيـاة في الضـمـائر، وهذه هي غـاية الصـوم **﴿لعلكم تتـقـون﴾** لعل قلوبكم تمتلئ بخـشـيـة الله فـتـفـعلوا مـا أمـر وتجتنبوا ما نهى عنه وزجر.

وبالصوم يعـرف الانسان قيمة النعمة فـيشكر الله عليـها، ولا يسـرف ولا يبـذر ولا يضيع.

والصوم تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البـائسين، يجعل المؤمن يسـارع لمد يد العـون لكل مـحتـاج، والتنفيس عن كل مكروب، والتيسير على كل معسر.

والصـوم مظهـر من مظاهر الـوحـدة والمسـاواة بين الشـعـوب الاسلامـيـة حيث يصـومـون في شـهـر واحـد فـتـتـوحـد مشـاعـرهم وتتنـاغم أحاسيسهم.

أيها المؤمنون؛

ان الصـوم قـد شـرع ليـصلح نفـوسنا، ويهذب أخـلاقنا، ويصحح مسار حياتنا، ويعــيـدنا الى جـادة الحق وطـريق الصواب.

والصــوم الذي يريده الله هو الذي يكف فـيــه المسلم عن المفطرات وعن المحـرمـات، إنه الصـوم الذي يكف فـيـه اللسـان عن الكذب والـغـيـبـة والنمـيـمـة، وتصـوم فـيـه الأذن عن سـمـاع الحـرام، وتمسك فـيـه العين عن رؤية المحـرمـات، ويمتنع فيـه القلب عن الحقـد والحـسـد، يقول الرسول الكريم ﷺ: «الصـوم جُنَّة»

اي وقاية من المعاصي «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: اني صائم، اني صائم»، ويقول ايضاً ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه»، فامتنعوا عباد الله عن المحرمات والموبقات حتى تفوزوا بأجر الصوم وتحققوا غاياته وأهدافه.

أيها الأحبة؛

ان شهر رمضان هو شهر القوة وشهر الجهاد فشمروا عن ساعد الجد والعمل، واذكروا ان اعظم معارك الاسلام قد وقعت في شهر رمضان.

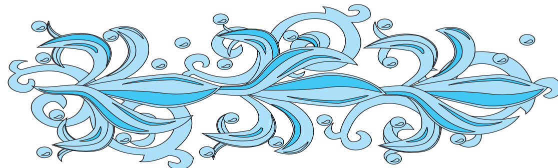
ان الصوم نشاط، واظهار الكسل والعجز، اساءة الى رمضان.

وان الصوم نظافة، واهمال المظهر والهندام، إساءة الى رمضان.

وان الصوم أخلاق وفضائل، وسوء المعاملة إساءة الى رمضان.

أيها المسلمون؛

ان في شهركم هذا ليلة عظيمة انزل فيها الله القرآن، وضاعف فيها اجر العبادة، حتى انها لتعدل عبادة ألف شهر، فالتمسوها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، واحيوا ليلها بالصلاة وقراءة القرآن والذكر حتى تفوزوا بمغفرة الله ونعيم الجنة **﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾** الأحزاب: ٣٥.



تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الثامن - المجلد ٥٤

شوال ١٤٣١هـ - أيلول ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

● بيـــان دور المملكة الاردنيـــة الهاشـمـيـة الاسـلامي، تاريخـاً وحضارة ومعاصرة.

● العـمل على ربط الحـاضـر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.

● ترسـيخ مـعـاني الوحـدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.

● ابراز الدعـوة الاسـلاميـة في إطارها العـالمي، وإقـامـة الصـلات بين الشـعـوب على اساس من الاحترام المتبادل.

● العـمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسـهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.

● إثارة الاهتـمـام بالقـضـايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضـوء الفكر الاسـلامي وقيـمـه العليا ورسالته الخالدة.

● توجـيـه الاسـرة المسلمـة للقـيـام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.

● التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشـعـور بالثـقـة لدى المسلم للقيـام بدوره المسؤول.

● تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التـركـيـز على دور وزارة الاوقـاف في نشـر الثـقـافـة الاسـلامـيـة، وإحـيـاء التـراث الاسـلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتـمـام بجـمـيع المذاهب الاسـلامـيـة، والبـعـد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعـتـمـاد الدليل الشـرعي وما يهـدف اليـه من تحـقـيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفـتـاح على الحـضـارة المعـاصـرة، ومـعـالجـة المسـتجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العـالم وبخـاصـة المراكـز المعنيـة بالشـؤون الشبابية.

سنة المجلة

عـشـرة أعداد تـتـضـمـن عـدداً ممـتـازاً كل عـام وملاحق وهدايا حـسب المناسـبـات الاسلاميـة

المحتويات

العدد الثامن ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

أثر الأخوة الاسلامية في

ان تعميق أواصر الأخوة في المجتمعات الاسلامية، يعتبر مسؤولية اجتماعية هامة، والأخوة قيمة ومبدأ من القيم والمبادئ الاسلامية والاجتماعية الكبيرة، اذ ان متانة وقوة الاخوة داخل الأمة الاسلامية، مثلها كمثل بنيان متين قوي محكم، يشد بعضه بعضاً، وكل جزء فيه يكمل الآخر.

ومن المرتكزات التي تتفاعل بينها حتى تتحقق قوة ومكانة الأخوة في المجتمع الاسلامي، أمور كثيرة منها توحيد الرؤى في الموقف والفكر والنظر والهدف، واذا ازدادت النسبة في ذلك، لا شك انها تنعكس على قوة الأخوة، وقد ارشد القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، الى الخطوات العميقة للمحافظة على معاني الأخوة الايمانية في الأمة الاسلامية والاخوة الانسانية بين الناس كافة.

وهذا يحتم على الأمة ان نسعى جاهدين في توثيق عرى الأخوة الصادقة، لخلق جو من الأمن والطمأنينة بين اعضاء الجسم الواحد «المجتمع» بل على كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي ان يؤدي دوره الفاعل للتغلب على اي سبب من اسباب الفرقة والانقسام، كما ان اي تصرف سيء يؤدي الى الاخلال بالأخوة وسوف ينعكس ويسبب فساداً

اقامة المجتمعات الفاضلة

للأمن الاجتماعي واضعافاً لمكانة الدين في نفوس اتباعه.

لهذا كان رسول الله ﷺ قد وفق في التآخي بين المهاجرين والأنصار بعد هجرته ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، ومن حصيلة هذه الأخوة المعززة، نشأ المجتمع الاسلامي القادر على مواجهة كل التحديات، بل انه نجح في تأسيس مدينة فريدة وحضارة متميزة، لم يكن لها مثيل في تاريخ الانسانية كلها.

ان الأمة الاسلامية قد حملت مسؤولية خلافة الله في ارضه، وادارة العالم والأمم كلها، ولهذا فجميع الأمة الاسلامية لا بد ان تكون على وعي راشد، وتسعى جاهدة للنهوض نحو التقدم والرخاء وتحقيق السعادة للجميع، وهذا يتطلب الالمام بشتى الوان العلوم والمعارف والمهارات، كما ان القدرة على التشريع والتخطيط ومواكبة الحياة المعاصرة، كل ذلك لا يقل اهمية عن رفع قواعد ومرتكزات المجتمعات الفاضلة، والتي بالتالي تستنهض الأمة الاسلامية، نحو قيادة الأمم البشرية الأخرى نحو السعادة في الدارين، نحو الرخاء والطمأنينة والاستقرار والعدل المبني على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أسرة التحرير

اشراقات في تعامل الأمة مع القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور عبد القدوس السامرائي

لا شك ان من اعظم نعم الله تعالى علينا هي نعمة الاسلام، ونعمة القرآن ونعمة سيدنا محمد ﷺ، فالاسلام أخرجنا الله تعالى به من الظلمات الى النور، والقرآن علمنا الله تعالى به كيف نوحده، وكيف نفهم عنه تعاليمه السامية، وكيف نجمع بين عزّي الدنيا والآخرة، وهو المصدر المقروء. وسيدنا محمد ﷺ رسول الله ونبيه الخاتم هو الذات المجسدة لصلاحية التعاليم الواردة في القرآن الكريم،وهو القرآن العملي، فهو ﷺ الجامع بين المنظور والمحسوس، وهو واسطة الهداية الموحى اليه من الله عز وجل، والمجسد لنور القرآن الكريم بسلوكه وهديه ﷺ، ومرجع الشفاء لما في الصدور وبركته(١).

وهو نور القرآن الساعي به، ومشكاته في الخلائق بأمر الله عز وجل، وباعتبار جمعه بين المنظور والمحسوس في شخصه ﷺ، وكونه الشمس المنيرة في بث روح الوحي ولفظه في الأمة، وبعثها على النهوض بالحس والمعنى، نلحظ انتشار شعاع شمسه في سائر العصور وتأثيرها على الأجيال منذ مبعثه ﷺ الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، كما نلحظ ان ثلة الصادقين في الأمة تحتفظ ببركات ارثه، وتقتبس لنفسها وللأجيال اللاحقة بركبها شيئاً من شعاع نوره، ويظهر أثر ذلك من خلال سلوك الأمة وعلمائها وصالحيها في التعامل العام مع غيرها أو الخاص فيما بين أبنائها، ويمكننا ان نتعرف على ذلك من خلال: حث السابقين على تعلم القرآن وإكرامهم لأهله، وتدبرهم لآياته، والعيش في ظلاله، ومباشرتهم الدعوة الى الله



تعالى على ضوئه، وعملهم بأحكامه، وإظهارهم لقيمه الايمانية والتربوية والعلمية الحضارية.

فكان ﷺ كما حدّث الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه: «لا يحجزه عن قراءة القرآن الا الجنابة»(٢).

وكان السابقون رحمة الله عليهم على أثره، ومن أشد الناس تمسكاً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفي الوقت نفسه من اشدهم على المدّعين، وكان فهمهم ينبع من عظمة هذا الدين واختيار الله تعالى لهم في حمل رسالته الى الناس كافة، وتحمل اعباء تأسيس دولة الاسلام، فرسول الله ﷺ انما ارسل الى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ولا شك ان الصالحين من أمته، والراسخين بما جاء به عن الله تعالى من تعاليم وقيم إيمانية وخلقية، انما هم شعع عنه ﷺ الى سائر الخليقة، ويمكنك ان تلحظ هذا المعنى من خلال قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**(٣)، وبهذا الفضل لأمة الرسول الخاتم ﷺ، وكونها الحكم على الناس، ولا سيما في ارساله تعالى للرسل، وانزاله الكتب وما فيها من الهداية والنور والحكمة، والشهادة على سائر الأمم الأخرى في اقامة حجج الله تعالى عليهم الى يوم القيامة، تظهر مكانتها الحقيقية بين الأمم، وهو فضل سار فيها الى يوم الدين.

ولا شك ان تحكيم أمة الرسالة الخاتمة، وجرأتها في البلاغ والمراقبة هو سير في قضاء الله، وتمكين لسنته، وان اقامة ما اراده الله تعالى من الحجج والبراهين على غيرها انما سيكون من خلالها، وان معرفة ذلك كله، يرجع الى فهم صحيح وعميق للقرآن الكريم -رسالة الله الخالدة-، ووضوح قواعده، فهو الميثاق الذي أضاء للبشرية طريقها، والحَكَم على سائر أقوالها وأفعالها، والقاضي بما لها وما عليها.

ولا شك ان أعرف الناس بالله تعالى، أعرفهم بمضامين كلامه، وأهل المعرفة بالله سبحانه هم اهل القرآن، وهم اهل المحبة لله تعالى، والتقرب اليه، والقرب منه، بما فهموه من كلام الله تعالى، وأيقنته قلوبهم من الحق، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انه كان يقول: «من كان يحب ان يعلم انه يحب الله عز

وجل فليعرض نفسه على القرآن، فإنما القرآن كلام الله عز وجل، فمن أحب القرآن فهو يحب الله عز وجل.. لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن، فإن كان يحب القرآن ويعجبه، فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ، وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله»(٤).

وبهذا يبين رضي الله عنه ان أهم شيء في منهج الحياة، ان تعرض عملك على شرع الله تعالى، وتجعل القرآن حكماً على أقوالك وأفعالك وأحوالك، وميزاناً في الحق والخير، ليسلم لك دينك، وتسلم نفسك ويسلم منك الناس، وتنجو وأهلك من عذاب الله تعالى وعقابه ووعيده.

وقد جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون﴾** انه قال: الا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً(٥) وسُئل رويم بن أحمد (ت٣٠٣هـ) رحمه الله تعالى عن اول فرض فرضه الله عز وجل على خلقه، فقال: «المعرفة، لقوله جل ذكره: **﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾**(٦)، واهل القرآن -اهل المعرفة- هم أولى الناس بالتسليم لله تعالى، والرضا عنه، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: «احق الناس بالرضا عن الله، اهل المعرفة بالله عز وجل»(٧).

ويقول ابو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار رحمه الله في بيانه لمعنى هذه المعرفة: «المعرفة صحة العلم بالله، واليقين بالنظر بعين القلب الى ما عند الله تعالى، مما وعده وادخره.. المعرفة تحقق القلب بوحدانية الله تعالى»(٨).

ويقول ابو الحسين محمد بن سعد الورّاق النيسابوري رحمه الله: «انفع العلم، العلم بأمر الله ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، واعلى العلوم العلم بالله وصفاته واسمائه» ولا شك ان كتاب الله تعالى فيه جوامع هذه العلوم، وان الوقوف على معانيه وفهم حكمته من الاعمال التي تنتهي الى ارقى الفهوم، وان كل علم متعلق به من حيث التوضيح والبيان، وكان مرجع ثمرته القرآن، وكذلك تراث المسلمين، ونتاجهم المنضبط وما يعد ثمرة لمعرفة القرآن وما فيه، فإن نتيجته المعرفة التي بها تتحقق السعادة والنجاح والفلاح.

وعلى المسلم ان يخضع للحق، وينقاد له، ويقبله من كل طريق صحيح وصل به اليه، وكذلك ممن سمعه منه اذا كان فيه ما يوصل الى معرفة الله تعالى، وكان وفق



شـروط النقل والسـماع المعتـبرة عند أمـة الاسلام الخاتمة.

والملاحظ من سـيـر الأولين رضي الله عنهم، انهم جـعلوا انطلاقـتـهم في طريق مـعـرفـة الله تعـالى قـائمـة على المعـرفـة بأصول الدين المعتمدة، المبينة لأحكام الله تعـالى، والمبـينة على رسـالتـه الخـالدة - القرآن الكريم- فتعاملوا مع القرآن منهجاً للحياة منه العلم، واليه المحتكم في القول والعـمل، وبه السـمـو، وفـيـه الرقي الى الدرجات العليا التي اسـتحث الله تعـالى عباده على الرغبة فيها، وطلبها والتسابق في نيلها، ومن ذلك ما جاء في سيرة أبي الدرداء، عـويمر الانصـاري «ت٣٢هـ» رضي الله عنه[٩]، وحرصه على اتقان التعليم لآيات القرآن الكريم، والتزامه التدقيق، وتقسيمه المعلمين الى مجموعات منتظمة، وحلقات منظمـة في التلقي، فكان رضي الله عنه اذا صلى الغداة في جامع دمشق -اذ كان قاضيـاً فيـها- اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشـرة عشـرة، وعلى كل عشـرة عـريفـاً، ويقف هو في المحراب يرمقـهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع الى عريفه، فـإذا غلط عـريفـهم رجع الى ابي الدرداء يسأله عن ذلك.

وقـد اوعـز أحـد طلابه وهو مـسلم بن مـشكم بـأن يعـد له من يقـرأ عنده القـرآن في حلقاته، يقـول مسلم: «فعـددتهم ألفـاً وست مئـة ونيفـا، وكـان لكل عـشـرة منهم مقرئ، فـإذا أحكم الرجل منهم تحول الى ابي الدرداء رضي الله عنه».

وفي طبـيـعـة ما كـانوا عليـه من مناهج التلقي للقرآن، والتفقه في آياته والتعامل مع ألفـاظه ومـعـانيـه وأحكامـه ولطـائفـه، يقـول ابو عـبـد الرحـمن السلمي «ت٧٤هـ» رحـمـه الله: «انا اخذنا القرآن عن قـوم - كعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم اجـمـعين- اخـبرونا انهم كـانوا اذا تعلمـوا عـشــر آيات لم يجـاوزوهن الى العـشـر الأُخر، حـتى يعملوا ما فيـهن، فكنا نتعلم القـرآن والعـمل به، وإنه سـيـرث القـرآن بعـدنا قـوم يشـربونه شـرب الماء لا يجـاوز تراقـيـهم، بل لا يجـاوز هاهنا، ووضع يده على حلقه».

وكان ابو عـبد الرحـمن رحمـه الله في عهده قد فضّل تعليم الناس القرآن خمس آيات خمس ايات، فانظر يا رعاك الله الى الفـارق في الكم والنـوع والأسلوب والمنهج، وتغـيـره مع اخـتـلاف الـزمـان، واتسـاع الأمصار، وقلة الادراك الشائعة في الناس،

والى دقة التحري في الاساتذة، وعظيم حرصهم على إتقان تلامذتهم فهم النص الكريم، وتمكنهم من تطبيقه، والعمل بمقتضاه، وان طالت مرحلة تعلمه وتعليمه، فالمهم عندهم ان لا يكون الجيل ممن يشرب لفظ القرآن كشرب الماء وليس لهم منه الا اللفظ وضبطه، دون المعنى والعمل والأثر والسلوك.

وكذلك يظهر سلوك السابقين في التعامل مع القرآن وأثره فيهم، من خلال تكرار مراجعته، ومعاودة قراءته على المختصين بالإقراء ومعرفة المعاني، وان ذلك من سنة الأولين في الأمة، فمنذ نزول القرآن الكريم ابتدأ جبريل عليه السلام بعرضه على رسول الله ﷺ حتى تبادلا عرضه على بعضهما بعضاً اكثر من مرة في سنة وفاته ﷺ، ودرجت آلية التعامل مع القرآن بمثل هذا الاسلوب سنّة في الأمة لاتقانه وتثبيت معانيه، ودرج الناس على ذلك منذ عهد الصحابة الى يومنا، وستبقى هذه السنة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، تصديقاً لما قاله الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾**(١٠).

ومن الاشراقات التاريخية في تعامل الأمة مع القرآن، وسعي رجالها في طلب أثره ومعايشة آثاره، والاستنارة بأنواره، ما جاء في سيرة الإمام المقرئ المفسر مجاهد بن جبر (ت١٠٣هـ) رحمه الله، أنه قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة، ومما صح عنه أنه قال: «عرضت القرآن على ابن عباس، ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟»، ولما صدق ابن جبر في تلقيه القرآن وعلومه، وصبر على شدة ذلك، شهدت الأمة له بأنه رحمه الله كان ممن يريد بعلمه وجه الله تعالى، فليتنبه الى الغاية من القراءة التي نبه اليها السلف في سلوكهم، اذ لا بد من معرفة اسباب نزول الآية، والأحكام المتعلقة بها، مع تعلم كيفية قراءة آيات القرآن الكريم، وضبطها، واختيار من يؤخذ ذلك عنه من اهل العلم والخبرة، دون اهل الادعاء والمن والغل والشهرة.

ولا شك ان أهل القرآن هم اهل الاخلاص لله تعالى، والمعرفة بالضرورات وعلاجات المراحل الحياتية والايمانية التي يعيشونها، ويعيشها ابناء الأمة، وهم اصحاب الاقدام على نفع انفسهم والناس بخيرات القرآن ومعارفه، والانتفاع ممن



تظهر عليهم بركات العلم وأنواره في سائر الأمصار، يقول الحسن البصري (ت١١٠هـ) رحمه الله: «ان من كان قبلكم رآها -اي آيات القرآن الكريم- رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»(١١).

وكذلك فإنهم جعلوا هدي الرسول الخاتم ﷺ منار هديهم، فهو ﷺ الذي يصحح مسار فهمهم لأوامر الله جل شأنه، ويوضح متطلبات طاعته عز وجل، ممتثلين لقول الحق جل جلاله: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**(١٢)، وموقنين بآثار قوله تبارك اسمه: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وان تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾**(١٣).

يقول ابو عمرو محمد بن ابرهيم الزجاجي (ت٣٤٨هـ) رحمه الله تعالى: «كان الناس -في الجاهلية- يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبي ﷺ فردهم الى الشريعة والاتباع، فالعقل الصحيح هو الذي يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما تستقبحه»(١٤)، واعتمد السلف رحمهم الله تعالى على هذين الاصلين -الكتاب والسنة- مع التعقل والتفكر في خوض غمار الحياة، والحرص على تخطي صعابها، وعبور اختبارها بكل نجاح، واستنبطوا ما يليق بفهم الكتاب والسنة ليؤسسوا القواعد التي تبين للناس على اختلاف مداركهم، وتنوع ألوانهم ورسومهم، وانتماءاتهم ما المراد بشريعة الله تعالى، وكيف يصل العبد الى ربه، وصول المتقرب المتبتل المنيب، وكان الامام الحسين بن عبد الله ابن بكر الصبيحي رحمه الله يُسأل عن أصول الدين، فيجيب: «اثبات صدق الافتقار الى الله تعالى، وحسن الاقتداء برسول الله ﷺ، اما فروعه فأربعة أشياء: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود»(١٥).

واتسعت دائرة الفهم لكتاب الله تعالى ومضامينه لتشمل علوماً كثيرة، ومعارف عديدة، كلها لو أمعن الناظر فيها والمتأمل بأسسها لأعادها الى كتاب الله تعالى وهدي رسوله ﷺ، ونتاج فهمها ما تناقله العلماء، وتوصل الى فهمه الإدراك السليم، وهذه السعة وهذا التيسير مبني على

أساس ما رخّصه الله تعالى للأمة الخاتمة، فهو سبحانه الذي يسر القرآن للفهم والتلاوة والاستنباط، وبهذا الفتح والتيسير استطاع عقلاء الأمة ان يفقهوا دروس الوحي المتلاحقة في بناء مجتمعهم الحضاري، وكما قال مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) رحمه الله: «لولا ان الله تعالى يسره ما استطاع أحد ان يتكلم بكلام الرحمن»[١٦].

وهذا التيسير يفهم من قوله تعالى: **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾**[١٧] وقوله عز وجل لرسوله ﷺ: **﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾**[١٨] وقوله تعالى: **﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾**[١٩].

ولو تأمل المتأمل بأحوال السابقين الأولين رضي الله عنهم في ضوء هذا الفهم لوقف على حقيقة ما وقفوا عليه: السعي من اجل معرفة الله تعالى والاكتفاء به، يقول محمد بن الفضل البلخي(ت٣١٩هـ) رحمه الله، بعد قول الله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾**[٢٠] «من عرف الله اكتفى به»[٢١].

الهوامش:

١- وقد جاءت الآثار تبين بركة ذاته ﷺ كنبي ورسول حتى على جسده الشريف، منها ما اخرجه الامام احمد في مسنده ١٠٤/٦ برقم ٢٤٧٧٢ .

٢- اخرجه ابو يعلى الموصلي في مسنده ٤٣٦/١، برقم ٥٩٧، وهذا ما عليه جمهور العلماء ينظر شرح الزرقاني ٣٥٦/١ .

٣- البقرة: ١٤٣ .

٤- اخرجه ابن سمعون في أماليه ٣٨/١، برقم ١٧١ .

٥- ينظر تفسير الطبري ٤٤٤/٢٢، وروح المعاني للآلوسي ٥٠/١٥ .

٦- الذاريات: ٥٦ .

٧- طبقات السلمي، ص١٠ .

٨- المصدر السابق ص٤٠٩ .

٩- طبقات ابن سعد ٣٩١/٣-٣٩٣، وسير اعلام النبلاء ٣٣٥/٢-٣٥٣، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ٤٠/١-٤٢، برقم ٧، والاستيعاب ١٥/٣-١٨ .

١٠- الحجر: ٩ .

١١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي ٣٨/١، «تحقيق عبد السلام عبد الشافي».

١٢- الأحزاب: ٣٦ .

١٣- النساء: ١٧٠ .

١٤- طبقات السلمي، ص٤٣٣، حلية الاولياء ٣٧٦/١٠ .

١٥- طبقات السلمي ص٣٣٠، وطبقات ابن الملقن ٥٦/١ «فصل في طبقات أخرى».

١٦- مقدمة فضائل القرآن وتلاوته للرازي، ص٤٥، وأشار محققه الدكتور عامر حسن صبري انه رواه ابن ابي حاتم في التفسير عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٧٦/٧، وذكره البيهقي في الاسماء والصفات ٣٣٩/١، والتهذيب ٢٧٩/١٠ .

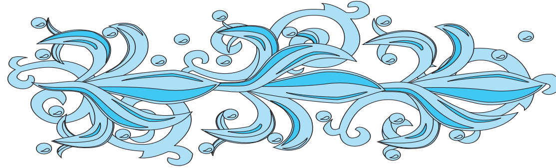
١٧- القمر: ١٧ .

١٨- مريم: ٩٧ .

١٩- الدخان: ٥٨ .

٢٠- فصلت: ٥٣ .

٢١- طبقات السلمي ٢١٥، حلية الأولياء ٢٣٢/١٠-٢٣٣، وصفة الصفوة ١٣٨/٤، وشذرات الذهب ٢٨٢/٢، ومرآة الجنان ٢٧٨/٢، وسير اعلام النبلاء ٥٢٥/١٤-٥٢٤ .



٢

ابن دقيق العيد

وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

والاستاذ ابراهيم احمد الشردوب

لقد اتفق جميع من ترجم أو أرخ لابن دقيق العيد، على غزارة علمه وسعة اطلاعه وتمكنه من مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية.

قال إبن كثير في طبقاته: أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكثرهم علما ودينا، وورعا وتقشفا، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم، وله التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث وفاق على اقرانه فيه، وبرز على اهل زمانه، رحلت اليه الطلبة من الافاق ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق.[٤٠]

يعتبر ابن دقيق العيد من كبار الحفاظ لعلم الحديث والمحققين له ولا غرو في ذلك، فقد تهيأ له في اول مراحل تعليمه سماع الحديث من والده ومن الشيخ بهاء الدين القنطي، ومن خالته ام ابراهيم مريم بنت الشيخ المقترح.[٤١]

وعندما انتقل الى القاهرة والاسكندرية سمع الحديث من الجميزي، وابن رواج، وابن الحباب، وابن المقير وابن المحاسب، وعبد العظيم المنذري، ويحيى القرشي، والعز بن عبد السلام، وابي حامد المحمودي، وابي العلي الحسن بن محمد

البكري، ومحمد الانجب الصوفي البغدادي، وعلي بن المبارك البغدادي، وابي المعالي بن المظفر وغيرهم كثير.[٤٢]

وعندما رحل الى الشام سمع الحديث من مسند الشام وفقيهها ابن عبد الدايم، وزين الدين خالد النابلسي، وعبد اللطيف ابن الحسين الدمشقي وغيرهم .

واجازه جمع كثير من المحدثين منهم حافظ الشام ومسنده ابو الحجاج يوسف ابن خليل بن عبد الله الدمشقي نزيل حلب، ومسموعاته كثيرة غير انه لا يرى التحدث بكل ما سمع، بل ينتقي منه ما يحدث به، ويضرب عن الباقي تشديدا منه في ذلك، وكذلك ايضا لا يجيز كل ما سمع بل يستثني ويقول: ما حدثت به من مسموعاتي، وكان متثبتا في الرواية الى ابعد الحدود.

فقد روى الصفدي والذهبي وابن حجر عن الحافظ قطب الدين الحلبي، انه امتحنه بجزء سمعه من ابن رواج والطبعة بخطه فقال: حتى انظر فيه، ثم عاد اليه فقال الشيخ تقي الدين: هو خطي ولكن لم احقق سماعي له ولا اذكره، ولم أحدث به.

وقد اجمع علماء الحديث ممن ارخوا له على تقدمه في معرفة علل الحديث على اقرانه، وانه كان احد الحفاظ الثقات، من ذلك قول تلميذه الحافظ فتح الدين بن سيد الناس اليعمري[٤٣]: لم ار مثله فيمن رأيت، ولا حلمت عن اجل منه فيما رأيت ورويت، الى ان قال: مقدما في معرفة علل الحديث على اقرانه، منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه، بصيرا بذلك، سديد النظر في تلك المسالك لا يشق له غبار ولا يجري معه سواه في مضمار.

وقال تلميذه قطب الدين الحلبي عنه[٤٤]: «كان الشيخ تقي الدين حافظا متقنا في الحديث وعلومه يضرب به المثل في ذلك، وكان آية في الحفظ والاتقان والتحري".

وقد اشتغل في رواية الحديث في اول حياته العلمية، وبدأ بتدريسه للحديث التي انشأها بقوص حيث اسند السابق والي قوص اليه التدريس بدار الحديث التي انشأها خصيصا له[٤٥].

وعندما انتقل الى القاهرة درس الحديث في المدرسة الكاملية، التي كانت تعرف بدار الحديث، ثم اصبح شيخا لها، وكان يسكن فيها كما درس الحديث بغيرها من المدارس، وكان الحديث سماعا

بإسناده من مسموعاته، وقد روى عنه الكثير من الحفاظ.

قال التجيبي[٤٦]: اخبرنا "ابن الدقيق العيد" قراءة عليه وانا اسمع بدار الحديث الكاملية من القاهرة المعزية، حاضرة الديار المصرية. قال قراءة على ابي الحسن الانجب البغدادي عن ابي المعالي عن المنعم بن عبد الغراوي، قال: اخبرني ابو بكر الحيري، قال: حدثنا ابو العباس الاصم قال: حدثني ابو سفيان بن عيينة عن ابي اسحق سمع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ اذا اخذ مضجعه يقول: «اللهم اليك اسلمت نفسي، واليك وجهت وجهي، واليك فوضت امري، واليك الجأت ظهري، رغبة ورهبة، لا ملجأ منك إلا اليك، آمنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت، فاذا مات مات على الفطرة».

وروي الحديث عنه بعدة طرق بإسناده وكلها تنتهي بأبي اسحاق عن البراء بن عازب. ثم قال ابن دقيق العيد: هذا حديث صحيح عال الاسناد متفق على صحته وثبوته من حديث ابي عمار -اي البراء بن عازب- ثم اخذ يذكر نسبه، ثم قال: حديث ابي اسحق هذا الذي اوردته، اخرجه الائمة الاربعة البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث شعبة وابي الاحوص عنه، والترمذي في جامعه والنسائي في سننه، فرواه الترمذي في الدعوات عن محمد بن يحيى بن ابي عمر العدني، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن قتيبة بن سعيد كلاهما عن الامام ابي محمد سفيان بن عيينة عن ابي اسحق، فوقع لنا عاليا لهما.

كما روى التجيبي عنه بسنده حديثا لانس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الرجل: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما اعددت لها؟ فلم يذكر شيئا الا انه يحب الله ورسوله، فقال: انت مع من احببت.

وروي الحديث بعدة طرق عن انس بن مالك رضي الله عنه وفي بعض طرقه زيادة في آخره قال انس: فما فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد من قول النبي ﷺ: "فإنك مع من احببت " قال انس: فأنا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر، فأرجو ان اكون معهم وان لم اعمل بأعمالهم.

وروى حديثاً آخر بسنده عن انس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت ام حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل

رسول الله ﷺ فأطعمته، ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر، ملوك على الاسرة "او مثل الملوك على الاسرة" يشك ايها قال قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله عز وجل ان يجعلني منهم قال: انت من الاولين. فركبت ام حرام بنت ملحان البحر زمن معاوية بن ابي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت. روي الحديث عنه بعدة طرق عن انس بن مالك.(٤٧)

■ المبحث الثاني: جهود ومؤلفات ابن دقيق العيد في الحديث الشريف وعلومه:

لقد كانت لابن دقيق جهود كثيرة في خدمة السنة النبوية وعلومها، على الرغم من ان العلماء كثيرا ما يصنفون ابن دقيق بأنه عالم من علماء الفقه، لما له من مؤلفات كثيرة في هذا المجال تنطق بعلو كعبه فيه، منها: «احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام» للعلامة الحافظ عبد الغني النابلسي، وكتاب العمدة يحتوي على مجموعة من الاحاديث مبوب على ابواب الفقه، مثل باب الطهارة وباب الوضوء وباب التيمم، وقد قام ابن دقيق العيد بشرح الكتاب، فتصدى لبيان معاني الحديث وما به من بيان، واستنبط ما فيه من احكام، واقوال الفقهاء فيه واختلافاتهم، وقد املى ابن دقيق العيد هذا الشرح على تلميذه عماد الدين بن الاثير، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤م واعتنى بنشره محمد منير الدمشقي.

والى جانب هذا الشرح له شرح مقدمة المطرزي في اصول الفقه، وشرح مختصر الزبيدي في فقه الشافعية وشرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية، غير ان هذه الكتب فقدت ولم يصل الينا منها شيء.

وله جملة من الفتاوي والمباحث الفقهية والاصولية لا يجمعها كتاب، وقد اورد السبكي في طبقات الشافعية نماذج منها، وقد صدرها بقوله: "فوائد الشيخ تقي الدين ومباحثه اكثر من ان تحصى، ولكنها غالبا متعلقة بالعلم من حيث هو، حديثا واصولا وقواعد كلية"(٤٨).

وقد كان ابن دقيق وعلى الرغم من انشغاله بالفقه والحديث، اديبا بارعا وخطيبا مفوها وشاعرا مجيدا ولو انصرف الى الادب لكان له منزلة ومكانة،

ويجمع معاصروه على براعته في الخطابة وتفوقه فيها، فكان يملك افئدة الناس بإسلوبه المؤثر ونبراته الصادقة وعظاته الصادقه البالغة، وذكر السبكي ان لابن دقيق العيد "ديوان خطب" وله ايضا "ديوان شعر" جمعه صلاح الدين الصفدي المؤرخ المعروف ونشر بالقاهرة(٤٩).

وسنركز في هذا المبحث ان شاء الله على جهود ابن دقيق في ميدان السنة النبوية، محاولين التعرف على ابرز هذه الجهود والمؤلفات، حتى نكون على علم ودراية بأهم اثاره في هذا المجال وحتى نكون فكرة موجزة عن اهم مؤلفاته وما احتوت عليه من مواضيع وفوائد مع تعريف موجز بكل كتاب ومؤلف منها .

وقد قسمنا هذا المبحث الى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

- **المطلب الاول: كتبه في علم الحديث رواية:**

اولا : كتاب الالمام في احاديث الاحكام:

وهذا من اهم كتبه وقد جاء في المقدمة التي كتبها ابن دقيق العيد في اول الكتاب: "فهذا مختصر في علم الحديث، تأملت مقصده تأملا، ولم ادع الاحاديث اليه الجفلا، ولا آلوت في وصفه محررا، ولا ابرزته كيف اتفق تهورا فمن فهم مغزاه شد عليه يد الضنانة، وانزله من قلبه وتعظيمه الاعزين مكانا ومكانة وسميته كتاب الالمام بأحاديث الاحكام وشرطي فيه الا اورد الا احاديث من وثقه امام من مزكي رواة الاخبار وكان صحيحا على طريقة أهل الحديث الحفاظ أئمة الفقه النظار، فإن لكل منهم مغزى قصده وسلكه، وطريقا أعرض عنه وتركه وفي كل خير والله ينفع فيه دنيا و دينا ويجعله نورا يسعى بين أيدينا و يفتح لدارسيه حفظا وفهما، ويبلغنا إياهم ببركته منزلة من كرامته عظمى إنه الفتاح العليم الغني الكريم .

لقد طبع هذا الكتاب بعد أن راجعه وعلق عليه الكاتب محمد سعيد المولوي وقامت بنشره دار الثقافة الإسلامية في الرياض .

ومن مميزات هذا الكتاب أنه ذكر الأحاديث محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الإنتفاع بها، ومعلوم أن الأسانيد فيه فوائد عظيمة لأصحاب الإختصاص و الدارسين لها ولكنها لعامة الناس لا فائدة منها بعد أن علمت صحتها وهو ما نشجع عليه طلاب العلم و عامة

الناس من غير المتخصصين تسهيلا واختصارا و دقة أكثر في فهم النصوص وإستيعابها .

ولقد اكتفى بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ ومن أخرجه من أصحاب كتب الحديث المعتبرة، وذكر من صححه منهم ولا يخفى ما في هذه المعلومات من فائدة لقارئ الكتاب، بل هي لب ما يأمله الدارس والمطالع والذي يريد قطف الثمرة بأقصر طريق و أيسره.

يبلغ عدد أحاديث هذا الكتاب ألف وأربعمائة وواحد وسبعون حديثا وقد قسمه حسب موضوعاته لعدة كتب .

وقسم كل كتاب إلى عدة أبواب و أحيانا يقسم بعض أبوابه إلى عدة فصول حسب الضرورة و الحاجة .

- يبدأ الكتاب بمقدمة ضافية شرح فيها خطته ومنهجه وأهم ما اشتمل عليه كتابه، ثم بدأ بعد المقدمة بكتاب الطهارة ثم بكتاب الصلاة ثم بكتاب الزكاة ثم بكتاب الصيام ثم بكتاب الحج ثم بكتاب البيوع ثم بكتاب الفرائض ثم بكتاب النكاح ثم بكتاب الجراح ثم بكتاب الجهاد والسير ثم بكتاب جامع.

وقد حوت هذه الكتب أحاديث كثيرة ذات فوائد عظيمة، لا يستغني عنها طالب علم ولا عالم يتصدى للإفتاء أو التدريس أو الوعظ والإرشاد.

فهذا وصف لأهم ما اشتمل عليه الكتاب، نكتفي به لنحيل القارئ الكريم إلى الكتاب نفسه فهو الميدان الصحيح لمعرفته عن قرب والإستزادة منه والتوسع(٥٠).

ثانيا: كتاب شرح الأربعين النووية:

لقد جمع الإمام النووي -رحمه الله تعالى- اثنين وأربعين حديثا، وذلك عملا بالحديث الشريف "من حفظ على امتي اربعين حديثا من آخر دينها بعثه الله فقيهاً عالما" وفي رواية ابي الدرداء: "وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا"(٥١).

وقد قال الامام النووي في مقدمة تصنيفه لهذا الكتاب(٥٢): واتفق الحفاظ على انه حديث ضعيف وان كثرت طرقه، وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات.

وقد استخرت الله تعالى في جمع اربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام وحفاظ الاسلام، ثم ان العلماء من جمع الاربعين في اصول الدين، وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد وبعضهم في

الزهد، وبعضهم في الاداب، وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها .

وقد رأيت جمع اربعين اهم من هذا كله، وهي اربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، قد وصفه العلماء بأن مراد الاسلام عليه، او هو نصف الاسلام او ثلثه، او نحو ذلك، ثم التزم في هذه الاربعين ان تكون صحيحة، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، واذكرها محذوفة الاسانيد، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها ان شاء الله.. الى اخر الكلام -رحمه الله-.

ولأهمية هذه الاحاديث قام الامام ابن دقيق العيد بشرحها وتوضيحها وذلك ليسهل استيعابها وفقهها ومعرفتها وفهمها وتعم الفائدة منها، وقد امتاز شرحه لهذه الاربعين بالسهولة والبساطة تناسب مختلف الناس على تمدد ثقافاتهم وعلومهم واهتماماتهم .

ومع اتسامه بالبساطة والسهولة الا انه حوى وانطوى على الكثير من الفوائد والنكت المختلفة، والتي تنوعت لتشمل جميع العلوم من عربية الى فقهية الى حديثية[٥٣].

ويعتبر الامام النووي من معاصريه حيث توفي سنة (٦٧٦هـ)، واطلاع ابن دقيق العيد على هذا المختصر في الحديث وشرحه له مع حداثة ظهوره في بلاد الشام، يدل على اهتمامه وشغفه بعلم الحديث وتعلقه به.

واننا ننصح كل الزملاء "طلاب الحديث وغيرهم" قراءة هذا الكتاب والاطلاع عليه والافادة منه لهم الخير الكثير في الدنيا والاخرة.

ثالثا: كتاب الإلمام في معرفة أحاديث الاحكام:

هذا كتاب عظيم يدل على طول باع ابن دقيق في هذا العلم وشغفه به، وقد تكلم عنه ابن دقيق العيد فقال: وما وقفت على كتاب من كتب الحديث والعلوم المتعلقة به سبقت بتأليفه وانتهى الي الا واوردت منه فائدة في هذا الكتاب. كذا نقل عنه تلميذه ابن رشيد في وصف هذا الكتاب، وقال عنه ابن رشيد: انه في نحو سبعة مجلدات[٥٤].

وقال عنه الاسنوي[٥٥]: وقد اكمل كتابه الكبير العظيم الشأن المسمى ب"الامام" وهو الذي استخرج منه كتابه المسمى

بـ"الالمام" وقال: "وقد حسده عليه بعض كبار هذا الشأن ممن في نفسه منه عداوة، فدس من سرق اكثر هذه الاجزاء واعدمها، وبقي منها الموجود عند الناس اليوم نحو اربعة اجزاء فلا حول ولا قوة الا بالله، كذا سمعته من شيخ شمس الدين بن عدلان رحمه الله وكان عارفا بحاله".

وكتاب الامام يعتبر بحق كتابا عظيم الشأن في احاديث الاحكام كما ذكر ذلك الاسنوي، كتب فيه جميع احاديث الاحكام التي وردت في الكتب الستة وغيرها، كما كتب فيه احاديث الاحكام التي رواها هو بسنده، لانه يتذكر الاحاديث بجميع رواياته، وقد اثنى على هذا الكتاب العلماء وطلاب العلم وكل من اطلع عليه وافاد منه حتى قال ابن تيمية رحمه الله: انه كتاب الاسلام، قال بانه ما عمل احد مثله ولا الحافظ الضياء ولا جده(٥٦).

رابعا: اربعون حديثا تساعية الاسناد:

هذا الكتاب موجود في دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو كتاب صغير الحجم يحتوي اربعين حديثا خرجها ابن دقيق العيد لنفسه من موسوعاته كاتبها محمد بن محمد بن علي الاسمداني، وقال في آخرها: انه قد انتهى منها ثاني عيد الاضحى سنة (٦٩٨هـ) وذلك في المدرسة الكاملية، وعدد صفحاتها ٢٤ صفحة، وقد ذكر هذا الكتاب كل من الذهبي، ومحمد محمد مخلوف والصفدي(٥٧).

وقال التجيبي(٥٨) عند ذكر موسوعاته من الشيخ من ذلك: اربعون حديثا تساعية الاسناد من تخريجه، من موسوعاته، سمعتها عليه بدار الحديث الكاملية في القاهرة العربية، بقراءة صاحبنا الفاضل نور الدين المكي الهاشمي المعروف باليمني. وهي تحت رقم (٤٢٢) قسم وصلح الحديث، والحديث مكتبته تيمور وهي بخط مغربي صغير رديء يصعب قرائتها(٥٩).

خامسا: اربعون حديثا في الرواية عن رب العالمين:

وهو كتاب اشتمل على اربعين حديثا قدسيا كما يشعر ذلك من عنوانه، ذكره كل من الصفدي والذهبي ولم نستطع معرفة او الاطلاع على المزيد من الشرح والتوضيح حول هذا الكتاب، لان معظم من كتب عن ابن دقيق العيد لم يتوخ لاكثر من ذلك حول هذا الكتاب، وكذلك لم نجد المزيد على الشبكة العنكبوتية ولعل الايام كفيلة للعثور على المزيد فيه -والله الموفق.

وبهذا الكتاب نختم مؤلفات ابن دقيق العيد في علم الاحاديث رواية وسننتقل بعد ذلك الى جهوده في علم الحديث دراية.

● **المطلب الثاني: كتبه في علم الحديث دراية:**

أولاً: كتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح:

لابن دقيق العيد كتاب عمدة في علم مصطلح الحديث سماه (الاقتراح في معرفة الاصطلاح) والكتاب مطبوع نشرته وزارة الاوقاف بالعراق.

- وقد جاء في مقدمته ما نصه: ربِّ يسر وأعن يا كريم، الحمد لله رب العالمين، وبسموه نستعين، وبهدايته نعرف الحق و نستبين، و اياه نسأل ان يصلي على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله واصحابه أجمعين.

هذه نبذ من فنون مهمة في علوم الحديث، يستعان بها على فهم مصطلحات أهله ومقاصدهم ومراتبهم على سبيل الاختصار والايجاز، لتكون كالمدخل الى التوسع في هذا الفن ان شاء الله تعالى وهو مرتب على أبواب(٦٠).

وقد قسم الكتاب الى تسعة أقسام:

الباب الاول: في ألفاظ متداولة تتعلق بهذه الصناعة، ذكر فيه أقسام الحديث وقد قسمه الى اثنين وعشرين قسماً وتكلم فيه بالتفصيل عن كل قسم.

الباب الثاني: في كيفية السماع والتحري وضبط الرواية وآدابها.

الباب الثالث: في آداب المحدث وآداب كتابة الحديث.

الباب الرابع: في آداب كتابة الحديث .

الباب الخامس: في معرفة العالي والنازل .

الباب السادس: في معرفة بقايا من الاصطلاح سوى ما تقدم في الباب الأول.

الباب السابع: في معرفة الثقات من الرواة.

الباب الثامن: في معرفة الضعفاء.

الباب التاسع: في ذكر طرف من الأسماء المختلفة و المؤتلفة.

- ثم ختم الكتاب بذكر سبعة أقسام من الأحاديث، وذكر من كل قسم منها أربعين حديثاً وهي كما يلي:

القسم الأول: المتفق على اخراجه في

صحيحي البخاري ومسلم .

القسم الثاني: فيما انفرد به البخاري عن مسلم .

القسم الثالث: فيما انفرد به مسلم عن البخاري.

القسم الرابع: ما كان على شرطهما ولم يخرجاه .

القسم الخامس: ما كان على شرط البخاري ولم يخرجه مسلم .

القسم السادس: أخرج مسلم عن رجالها في صحيحه ولم يحتج برجالها البخاري .

القسم السابع: في أحاديث يصححها بعض الأئمة ليست على شرط الشيخين واللفظ فيها لأبي داود الا ما بين[٦١].

- ونلاحظ من خلال استعراض محتويات الكتاب على مقدار الجهد الكبير المبذول من قبل ابن دقيق العيد -رحمه الله- ومقدار الفائدة التي يجنيها قارئه.

- وكما نلاحظ من خلال قراءة هذا الكتاب و الاطلاع عليه على تمكن ابن دقيق العيد من هذا العلم واحاطته بمعظم أقوال النقاد الأوائل واطلاعه عليها وتمييزها والمفاضلة بينها وتوجيه النقد لها و بيان ما لها وما عليها، مما يدل على الملكة النقدية عنده.

- ونضرب لذلك مثلاً من كتابه ليتبين القارىء الكريم هذا ويستوعبه بشكل جيد.

- يقول في معرض كلامه حول موضوع الصحيح[٦٢]: ومداره بمقتضى أصول الفقهاء و الأصوليين على صفة عدالة الراوي العدالة المشترطة في قبول الشهادة على ما قرر في الفقه .

فمن لم يقبل المرسل منهم زاد في ذلك أن يكون مسنداً، وزاد أصحاب الحديث أن لا يكون شاذاً ولا معللاً، وفي هذين الشرطين نظر على مقتضى مذهب الفقهاء، فإن كثيراً من العلل التي يعلل بها المحدثون الحديث، لا تجري على أصول الفقهاء.

و بمقتضى ذلك حدَّ الحديث الصحيح بأنه (الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً، ولو قيل في هذا: الحديث الصحيح المجمع على صحته هو كذا وكذا الى آخره، لكان حسنا.

لأن من لا يشترط مثل هذه الشروط،

لا يحصر الصحيح في هذه الأوصاف. ومن شرط الحدِّ أن يكون جامعاً مانعاً. فتأمل هذه الدقة وهذا الاستيعاب من دون اطالة مملة أو اختصار مخل .

ثانياً : كتاب طبقات الحفاظ:

وهو كتاب خاص في رواة الحديث على حسب طبقاتهم، كما يشعر ذلك اسمه، وقد ذكره تلميذه التجيبي وقال: ذكر لي الشيخ ابن دقيق العيد في مجلدين، كما ذكره تلميذه ابن رشيد نقلاً عن ابي حيان الغرناطي، ولم أعثر له على أثر.

وبعد؛ فهذه أبرز المؤلفات لابن دقيق العيد في الحديث النبوي الشريف و علومه وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على علو كعبه وسعة علمه واطلاعه على هذا العلم الجليل ولم تقتصر مؤلفاته على جانب واحد بل شملت معظم ما يتعلق بهذا العلم من جوانب ذلك انه كان عالماً متبحراً شاملاً غواصاً ناقداً.

وهو كما رأينا قد ألف في علم الحديث رواية وفي علم الحديث دراية، ولقد أضاف اضافات هامة وحيوية ومفيدة الى كل جانب من هذه الجوانب، وكان على تبحره في علوم الحديث يتسدد في روايته، فلا يروي حديثاً الا عن تحر واحتراز، ومن ثم كان قليل التحديث لا عن قلة ما يحفظه ولكن مبالغة في التحري والدقة.

- ويصف ابن سيد الناس مكانة شيخه ابن دقيق العيد في هذا الفن بقوله: "وكان للعلوم جامعاً وفي الفنون بارعاً مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه.

- وكان أبرز وأكثر ما امتاز به -رحمه الله- هو فقهه للأحاديث وحسن فهمه واستنباطه، فقد كان حسن الاستنباط للأحكام و المعاني من السنة النبوية والكتاب، بلب يسحر الألباب و فكر يستفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب، مستعيناً على ذلك بما رواه من العلوم، مستبيناً ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم، مبرزاً في العلوم النقلية والعقلية، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية.

- قال السبكي[٦٣]: "فوائد الشيخ تقي الدين ومباحثه أكثر من أن تحصى ولكنها غالباً متعلقة بالعلم من حيث هو، حديثاً وأصولا وقواعد كلية كما يراها الناظر في مصنفاته، ولا سيما فقه الحديث والاستنباط منه، كان امام الدنيا في ذلك.

● **المطلب الثالث: مؤلفاته في العلوم العامة:**

كان إبن دقيق العيد -رحمه الله- عالما موسوعيا، فلم يكن علمه أو نتاجه قاصرا على جانب محدد من العلوم الشرعية وإنما برع وألف في العلوم المختلفة، وكان له اثار واضحة في الحديث والفقه والأدب والعقيدة وسنحاول ونحن نستعد لأنهاء هذا البحث المتواضع عن أبرز ملامح شخصيته، أن نستعرض لأبرز مؤلفاته في العلوم عامة وذلك حتى يكون للقارئ ومن خلال هذا الاستعراض فكرة موجزة عن هذا العالم الموسوعي لعله يستفيد منها في مرحلة ما أو يكون له جولة مع هذه الكتب و المؤلفات.

وسنكتفي هنا بسرد هذه المؤلفات سردا سريعا، فليس مرادنا التعريف بها كاملا كما عرفنا بالمؤلفات السابقة وذلك لإنها كانت ألصق بموضوع بحثنا.

١- كتاب إحكام الاحكام، شرح عمدة الاحكام، وهو مطبوع وقد وضع عليه الصفاني حاشية سماها بالعدة على العمدة .

٢- كتاب الإلمام في أحاديث الأحكام وهو مطبوع تحقيق السيد محمد سعيد مولوي .

٣- شرح الأربعين وهو مطبوع .

٤- كتاب الإلمام في معرفة أحاديث الأحكام.

٥- كتاب الإقتراح في بيان الاصطلاح.

٦- كتاب طبقات الحفاظ.

٧- الأربعين حديثا في الرواية من رب العالمين.

٨- أربعون حديثا تساعية الاسناد.

٩- شرح كتاب الجامع بين الامهات، المشهور بمختصر ابن الحاجب في الفقه، وصل فيه الى باب الحج.

١٠- شرح مختصر أبي شجاع في فقه الشافعية.

١١- شرح العمدة في فروع الشافعية.

١٢- شرح عيون المسائل في نصوص الشافعي لأبي بكر أحمد بن سهل الفارسي.

١٣- كتاب شرح مختصر التبريزي في فقه الشافعية.

١٤- شرح بعض مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه.

١٥- شرح العنوان في أسلوب الفقه.

١٦- شرح كتاب مقدمة المطرزي في أصول الفقه.

١٧- شرح كتاب المحصول للامام فخر الدين بن عمر الرازي.

١٨- إملاء على مقدمة كتاب عبد الحق، وهو كتاب الأحكام الشرعية الصغرى لأبي محمد عبد الحق الغرناطي المعروف بإبن عطية الأوفوني في الطالع السعيد ص ٥٧٦ كما ذكره إبن رشيد في رحلته ج٣ ص٦٣ .

١٩- تحفة اللبيب في شرح التقريب «ذكره خير الدين الزركلي بالاعلام» ج٧ ص٧ .

٢٠- كتاب الأمالي، كتاب أملاه بدار الحديث بقوص ذكره التجيبي: مستفادة الرحلة والاغتراب ص٢٠ .

٢١- إقناص النواسخ فوائد ومباحث مختلفة .

٢٢- كتاب عقيدة ابن دقيق العيد وقد شرحه برهان الدين ابراهيم بن شريف المقدسي المتوفى سنة ٩٢٣هـ.

٢٣- التشديد في الرد على غلاة التقليد .

٢٤- ديوان خطب «ذكره كل من السبكي في طبقاته ج٦ص والتجيبي في مستفاد الرحلة والاغتراب ص٢٠ وصاحب الشجرة الزكية ص١٨٩ .

٢٥- ديوان الشعر جمعه له السيد علي صافي حسين «طبعته دار المعارف بالقاهرة».

وانظر للمزيد كتاب الدكتور محمد رامز العزيزي عن ابن دقيق العيد(٦٤).

❖ الخاتمة:

وبعد هذه العجالة السريعة والتي تميزت بالاختصار والايجاز، وبعد هذه الجولة الخاطفة في سيرة ومسيرة العالم الجليل الامام محمد بن علي بن دقيق - رحمه الله- نستطيع أن نسجل النقاط التالية:

- نشأ ابن دقيق العيد في أسرة علمية وفي مدينة عرفت بالعلم، فقد كانت قوص من أهم المراكز العلمية، فحفظ القرآن و درس الفقه و سمع الحديث ورواه فيها، ثم رحل الى الأمصار المختلفة طلباً للعلم.
- تأثر بأستاذه العز بن عبد السلام حيث ورث عنه علمه واجتهاده وتقواه وجرأته في الحق.
- يعتبر عصر ابن دقيق العيد عصر

ازدهار للحركة العلمية فظهر في عصره كثير من العلماء مثل: العز بن عبد السلام والنووي وابن الصلاح وابن تيمية والذهبي وغيرهم كثير.

● كان رحمه الله تقياً ورعاً، عزيز النفس، كريماً، جواداً، متسامحاً.

● لم يقبل منصب القضاء الا بعد اباء شديد، وعندما علم أنه الأصلح لهذا المكان والأجدر به من غيره، وكان ذلك في آخر حياته وقد ترك له في القضاء بصمات واضحة وآثاراً حسنة.

● كان ابن دقيق العيد فقيهاً ومحدثاً وأديباً وشاعراً، مبرزاً في جميع العلوم الدينية وكان له اطلاع أيضاً على الكثير من العلوم الدنيوية.

● كان صاحب اطلاع واسع وكثير التحري والتدقيق فيما يقرأ ولا يقبل الشيء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه.

● برع ابن دقيق العيد في فقه الأحاديث النبوية و استنباط الأدلة منها .

● كان لابن دقيق العيد جهودا جبارة في خدمة الأحاديث النبوية سواء ما تعلق منها في الحديث رواية ودراية .

● ضرورة البحث والتنقيب عن كتب ابن دقيق العيد غير المطبوعة وطباعتها والاستفادة منها.

● ضرورة تدريس سير هؤلاء الاعلام لطلاب المراحل المتقدمة و ذلك لتحفيزهم على الاقتداء بهم والافادة من خبراتهم وعلومهم.

الهوامش:

(٤٠) شرح الاربعين النووية لابن دقيق العيد ص٢٢ .

(٤١) قاسم بن يوسف التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب. ص١٩ .

(٤٢) الادفوني: "الطالع السعيد" ص٥٧١-٥٧٢

(٤٣) التجيبي: "مستفاد الرحلة والاغتراب ص ١٩.

(٤٤) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٢-٣.

(٤٥) ابن حجر: "الدرر الكامنة " ج٤ ص٢١١.

(٤٦) علي مبارك: "الخطط الجديدة لمصر والقاهرة، طبعة بولاق ج١٣، ص٣٦.

(٤٧) التجيبي: "مستفاد الرحلة والاغتراب" ص٢١-٣٤ بتصرف واختصار.

(٤٩) محمد رامز العزيزي: ابن دقيق العيد ص١٣٩، باختصار شديد .

(٤٩) (٥٠) السبكي: طبقات الشافعية (مرجع سابق)٠

(٥١) انظر كتاب: الإلمام في أحاديث الأحكام"لابن

دقيق العيد "مراجعة وتعليق محمد سعيد المولوي، دار الثقافة الإسلامية بالرياض.

(٥٢) رواه من حديث الإمام مالك وغيره وقال: أسانيد هذا الحديث كلها صحيحة.

(٥٣) كتاب الاربعين النووية للإمام النووي، شرح ومراجعة وتعليق الدكتور مصطفى البغا ومحيى الدين مستو (بتصرف).

(٥٤) ابن دقيق العيد "شرح الاربعين النووية " ص٥-١٠ تحقيق محمد عوض هيكل . دار السلام.

(٥٥) ابن رشيد: "رحلة ابن رشيد " ص٦٢ / ب مخطوط، مكتبة الجامعة الإسلامية .

(٥٦) العزيزي : ابن دقيق العيد ص١٤٣ -١٤٧ بتصرف و اختصار.

(٥٧) المصدر السابق ص١٤٨ .

(٥٨) التجيبي: "مستفاد الرحلة والاغتراب" ص٢١.

(٥٩) نقل عن كتاب العزيزي: ابن دقيق العيد ص١٤٨ .

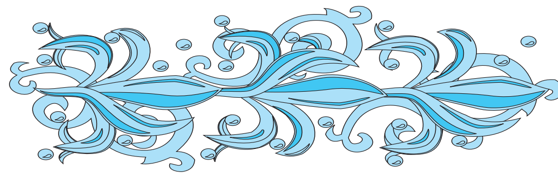
(٦٠) تقي الدين بن دقيق العيد : "الاقتراح في بيان الاصطلاح" ص٤ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦١) المصدر السابق (بتصرف).

(٦٢) المصدر السابق، ص٥+٦.

(٦٣) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص١٩.

(٦٤) نقلاً من كتاب العزيزي (ابن دقيق العيد) ص١٥٧-١٥٨ .



﴿كنتم خير أمة﴾

■ **بقلم الدكتور حكمت فريحات**

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران: ١١٠ .

يذكر السيد حسين فضل الله في أسباب نزول هذه الآية أنها أنزلت في ابن مسعود وأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (من وحي القرآن ج٦، ص٢١٢، ص٣٠٩).

من هي خير أمة أخرجت للناس؟ المسلمون.. أم العرب؟

يقول ابن كثير في تفسير القرآن الكريم: يخبر الله تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنها خير أمة، وقال البخاري مرفوعا لأبي هريرة رضي الله عنه، قال: خير الناس للناس، وقال بهذا القول أيضا ابن عباس ومجاهد وعطية والعوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس،

وقد قيل في تفسير هذه الآية عدة أقوال: فالقول الأول: إن الآية نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة فهي خاصة بهم، وأما القول الثاني فقيل: إنها خاصة بأصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم.

والقول الثالث: ان هذه الآية نزلت في الصحابة الذين هاجروا مع النبي ﷺ (عن

ابن عباس بإسناد حسن) وهناك قول بأن معنى الآية على الشرائط المذكورة فيها، فهي خاصة بكل من حاز هذه الشرائط، **والقول الصحيح هو: إن هذه الآية عامة شاملة تنطبق على عموم الأمة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، والأمة المعنية بالآية هي أمة الإسلام،** لا أمة العرب، فأمة العرب قبل الإسلام لم تكن خير أمة بل كانت أمة ممزقة، متناحرة، يسودها المنكر ولا تعرف الأمر بالمعروف، ولا الإيمان بالله، بل كانت أمة مشركة بالله تعالى؛ فلم تكن حائزة على شرائط الآية التي تقرر الخيرية لهذه الأمة؛ بينما أمة الإسلام حازت قصب السبق الى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فهو أشرف خلق الله وأكرم الرسل وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعط لنبي قبله، وما دام نبيها محمد ﷺ هو أشرف الخلق أجمعين، فقد اصطفاه الله تعالى من دون البشرية لحمل أمانة الرسالة في هداية البشرية جمعاء، وتمكن من إخراج أمته التي كانت في ضلال وغواية وجهل وجهالة الى الإيمان الراسخ والهداية العامة، وأصبحت تدعو الى الخير والمعروف وتنهى عن المنكر، فقد أهلها لكي تصبح خير أمة فتحوز بذلك شرف هذه الخيرية.

إذن أصبحت أمة الإسلام وليس أمة العرب خير أمة لأنها خاتمة الأمم ونبيها ﷺ خاتم الأنبياء وأشرفهم، ودينها خاتم الأديان وأفضلها، وشريعتها خاتمة الشرائع وأكملها، ولأن هذه الأمة مهما شذت واختلفت فإنها لم تكفر بالله تعالى ولم تشرك كما أشرك اليهود حين عبدوا العجل، وكما كفر النصارى حين قالوا: **﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** المائدة: ٧٢، وأشركوا حين قالوا: **﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾** المائدة: ٧٣، بمعنى أن هذه الخيرية ليست للأمة العربية منذ بدايتها ولم تولد معها، وإنما اكتسبتها بعد أن اصطفى الله تعالى منها محمدا ﷺ، فأصبح أشرف الخلق أجمعين، واكتسبوا صفة الخيرية به وبما أضفاه عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولولا هذه الصفات العليا لما استحقوا هذه الخيرية ولما جعلهم الله تعالى خير أمة.

وهذه الخيرية شاملة في الطاعة لله، وإذا كان فيها أفراد عصاة ليسوا على مستوى عال يؤهلهم للخيرية فالأمة في مجموعها مصطفاة كما قال الله تعالى: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾** فاطر: ٣٢ .

والأمة الإسلامية خير الأمم في الفضائل التي أنعم الله بها عليها، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** البقرة: ١٤٣ .

❖ شرائط الخيرية:

الآية صريحة وواضحة فهي لم تجعل الخيرية للأمة الإسلامية بصفة مطلقة، دون قيد أو شرط أو استحقاقات، بل ربطت هذه الخيرية بشروط ثلاثة هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وهل هذه الشروط تكفي حقيقة لتقرير صفة الخيرية على الأمة التي تتوفر فيها؟ والجواب على ذلك هو بالإقرار القطعي، ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الرئيسية في صلاح الأمة ووحدتها وبناء المجتمع المتراص المتكافل والمتضامن، وقد دعا اليها الله تعالى في أكثر من آية فقال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: ١٠٤، وقال تعالى: **﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** التوبة: ٧١ .

ولولا الأهمية التي تتصف بها عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما دعا اليها الله تعالى في أكثر من آية؛ بل إنه جل وعلا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الصلاة والزكاة كما في الآية السابقة وكذلك قدمها على الإيمان بالله، فقال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** آل عمران: ١١٠ .

والإيمان هو رأس الأمر كله، ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر بدون الإيمان وإنما هذا التقديم دلالة على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس تفضيلهما على الإيمان بالله، ذلك لتوضيح كونهما شروط الفوز بالخيرية التي هي ذات مكانة عالية، وهي شرف وأمانة الدعوة إلى الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذه المهمة السامية بحاجة الى همة عالية وصبر على المكاره، والهمة عمل قلبي، والقلب لا سلطان عليه لغير صاحبه، وعالي الهمة لا ينقص عزمه: **﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾** آل عمران: ١٥٩، وعالي الهمة لا يرضى بالدون ولا يرضيه إلا معالي الأمور، لذلك لا يرضى بما دون الجنة، وعالي الهمة يجود

بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته وتحقيق بغيته العالية، قال الشاعر عن هذه النفوس الكريمة وذات الهمة العالية:

إذا رامت النفــوس أمــرا

فلا ترضى بما دون السماء

ذلك أن عــالي الهـــمــة يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره والصـعـاب، وعـالي الهـمـة شريف النفس يعرف قدر نفسه في غير كبر ولا عـجب ولا غـرور، وإذا عـرف المرء قـدر نفسـه صـانهـا عن الرذائل وحـفظهـا من أن تهان ونزهها عن دنايا الأمور وسفاسفها في الســر والعلن، وجنبــهـا مــواطن الذل بأن يحملها ما لا تطيق، وعـالي الهمة عصامي لا عظامي، يبـني نفسه بشـرف نفسـه لا اتكالا على حسبه ونسبه.

❖ أهمـيـة الأمــر بالمعـروف والنهي عن المنكر وفضلهما:

لماذا أولى الله تعـالى الأمـــر بالمعــروف والنهي عن المنكر هذه الأهمية ووضعـها في هذه الدرجـة العـالية، وقـدمها على الصـلاة والزكاة والإيمـان بالله؟ لعلنا نستطيع القـول بأن ذلك مـرتبط بما لـهمـا من فضـائل يمكن إجمالها بما يلي:

١. أن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أعــمــال الرسل والمهــمــات الملقــاة على عاتقهم.

٢. أنهما من صفات المؤمنين والمؤمنات كما ورد في الآية الكريمة السابقة في سورة التوبة.

٣. أنهما من خصال عباد الله الصالحين.

٤. أنهما من شرائط خيرية الأمة الإسلامية كـــمـــا هو واضح في الآية ١١٠ من آل عـــمـــران والتي ورد ذكــرها في مطلع المقال.

٥. أنهما من أسباب التمكين في الأرض.

٦. أن العـمل بهـمـا وتطبـيـقـهـمـا في حيـاة المسلمين اليومية من أسباب النصر.

٧. أنهما من أسباب تكفير الذنوب.

ويترتب على ترك الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر أمور عظيمة منها:

١. وقوع الهلاك والعذاب للامة، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفـسـي بيـده لتـأمـرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبـــعـث عليكم عـــقـــابا منه ثم تدعونه فـلا يستجاب لكم" (متفق عليه عن حذيفة مرفوعا).

٢. عـــدم إجـابة الدعـــاء، قـــال ﷺ: "مـــروا

بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم" (رواه أحمد).

٣. انتقاء خيرية الأمة على غيرها من الأمم، لأن من شروط الخيرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤. تسلط الفساق والفجار والكفار وتزيين المعاصي.

٥. ظهور الجهل واندثار العلم وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر فيها.

❖ هل خيرية الأمة الإسلامية للتكليف أم للتشريف؟

لقد أتم الله تعالى نعمته على هذه الأمة المحمدية، وأكمل لها دينها الذي ارتضاه لها وتكفل بحفظه وجعلها خير أمة، فكان هذا تشريفا لها وتعظيما، وجعل لهذا التشريف العظيم شروطا من أتى بها واتصف بها نال هذا الشرف، كما قال الخليفة الفاروق عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تفسيره هذه الآية: "من سره ان يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها" وشرطه فيها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهي ليست كل ما كانت بهذه الأمة التي جعلتها خير أمة أخرجت للناس، بل هناك أمور وخلال كثيرة أهلت هذه الأمة لهذه الخيرية، ولكن هذه الشروط الثلاثة أهمها وأعظمها.

وهذا التشريف يحمل بنفس الوقت أوامر التكليف الرباني بوجوب تبليغ الهدى للعالمين، إذن فهما للتشريف والتكليف معا، وهذا التشريف والتكليف مبعث الخيرية لهذه الأمة، وهذا يعني أن الأمة الإسلامية تضع على عاتقها مسؤولية الريادة والترشيد للبشرية جمعاء، كيف لا؟ وقد منحت كل مقومات الريادة والإرشاد، وعلى رأس هذه المقومات وأهمها ومبعث خيريتها هو كتاب الله وسنة نبيه، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

ولنا أن نتساءل هل أثبت المسلمون أنهم أهل لهذه الخيرية؟ والجواب هو أن المسلمين الأوائل أثبتوا أنهم كانوا أهلا لهذه الخيرية، ونجحوا في تحقيق مضمونها ومهامها على مدار قرون عديدة فسعدت بهم أمتهم وسعدت بهم البشرية جمعاء في ظل خيرية عطائهم وحميد سيرتهم، فقد كانوا متمسكين بتعاليم دينهم الحنيف، ملتزمين بتطبيق أمر الله تعالى لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منفذين لواجبات الأخوة الايمانية، رضاء الله هدفهم وطاعة رسول الله ﷺ سجيتهم، والمساواة طبعهم، والعدل دينهم وبذلك

تمكنوا من أن يصبحوا سادة العالم، وأن يؤسسوا دولة اسلامية مترامية الأطراف امتدت حدودها الى بلاد الصين شرقا وبلاد الغال غربا.

ولكن مع مرور الأيام والسنون فقدت أمة الإسلام، أمة محمد ﷺ التي كرمها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس هذه الأفضلية والخيرية، وأصبح وضعها بالداخل والخارج يرثى له، فأصبحت تهتم بالقشور وتترك جواهر الأمور، تعبد الله في الليل والنهار ولكننا لا نعمل ولا نطبق أثر العبادة في أعمالنا، نصوم ونصلي ولكننا لا نحب لأخواننا كما نحب لأنفسنا وهو شرط الإيمان، نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف ونظلم الناس ولا نوف بالعهود، فأضحى الواقع الذي نعيش فيه لا يتطابق ولو بشكل جزئي مع قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة، وأصبحنا هدفا مستساغا لاعداء الله ولا نحرك ساكنا، نرى الظلم والاعتداء والتنكيل والضرب والقتل وهتك العرض لإخواننا المسلمين في بعض الديار الاسلامية ولا يتحرك لنا ضمير، ولا تهيج لنا نخوة، ولا تستثار لنا همة.

وبسبب عدم استحقاق أمة الإسلام في هذه العصور للخيرية التي منحها إياها الله تعالى مشروطة بشروط ثلاثة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، فهي أفضل الأمم وخيرها ما دامت عاملة بهذه الأمور الثلاثة، وإذا تخلت عنها فقدت خيريتها وأفضليتها، وأصبح اليهود يتطاولون علينا مع أن الله تعالى أخبرنا بأنه لن يصلنا منهم إلا الأذى باللسان، فقال تعالى: **﴿لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾** آل عمران: ١١١.

ولكن هذا لن يحدث إلا إذا رجعنا الى ديننا، وعدنا الى الله تعالى وحافظنا على الشروط الثلاثة الموجبة للخيرية، أما إذا بقينا على ما نحن عليه من تخل عن هذه الشروط، فلن تتحقق لنا الخيرية على غيرنا من الأمم ولن نتمكن من التغلب عليهم لأن غلبتنا عليهم مقترنة بمعصيتهم لله وأفضليتنا وتقوانا ودعوتنا للخير وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وإيماننا بالله، وهذا ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة والعدد، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا وتقوانا لم نغلبهم بقوتنا".

الرسول ﷺ الأسوة الأسرية

■ بقلم الأستاذ أحمد صقر السويدي

ان النبي ﷺ الأسوة العالية والقدوة الحسنة، التي يقتفي أثرها المهتدون، من الذين آمنوا به وصدقوه وعزروه، واتبعوا النور الذي انزل معه، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ الأحزاب: ٢١ .

ولقد كان أصحاب الرسول ﷺ أول المقتدين به، والسائرين على طريقته وأسلوب حياته.

وليست هذه الصفحات للحديث عن القدوة والأسوة وفضلها، فإنه لا يخفى ما لفضل هذا الإتباع للنبي ﷺ من خير الدنيا والآخرة للمسلمين، ولكن الحديث يدور هنا عن الأسوة والاقتداء في المعاملات الأسرية في البيت النبوي، وقد اقتفت بعض الصحابيات فعل زوجات النبي ﷺ، من غير ان يكلمنه[1]، وهذا من باب التمتع وإظهار المنزلة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (فتغضبت يوما على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت ان تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أرجعك فو الله إن أزواج النبي ﷺ يراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم والليل)[٢].

فهذا مثل من تتبع ما يحدث في بيت النبي ﷺ من قبل الصحابيات، وتلقي ذلك على سبيل الاقتداء والتأسي، ثم يتمثلن بعض أفعال زوجاته، وسبب ذلك يتبين من حديث عمر رضي الله عنه أنه لم تكن المرأة تراجع زوجها، وبسبب أعراف الجاهلية وعادات

العرب، فلما رأت النساء أن زوجات النبي ﷺ يراجعنه القول، علمت النساء أن تغيرا في مكانة المرأة من زوجها يخلقه الخلق النبوي الكريم، فبادرن الى مثل ما كان يحدث في بيت النبي ﷺ.

❖ وأنا خيركم:

ولعل الصورة الأوضح للتأسي والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: (خيركم خيركم لأهله[٣]، وأنا خيركم لأهلي)[٤] .

والذي نعنيه من هذا الحديث أن النبي ﷺ حين يضفي الخيرية على مسلم من المسلمين، فإنه يعطي المثل من نفسه صلوات الله وسلامه عليه بهذا الفضل والخير في العلاقات الأسريه.

وحتى يحقق المسلم هذه الخيرية التي يجتهد فيها، فإن عليه اقتفاء هدي النبي ﷺ، فهو خير الأمة لأهله خلقا ومعاملة. وربما عليه أن يجتهد في البحث والقراءة في حسن خلقه وجميل معاملته ﷺ مع جميع أفراد أسرته المتشعبة.

وتعدد قرابات النبي ﷺ مماثلة لأمر الناس جميعا، فعموم الناس وتعدد وتنوع قراباتهم، فيأتي هذا الاعتناء ليضرب لنا النبي ﷺ أروع المثل وأرقى القيم.

❖ البيت المصطفى:

ندخل في هذا البيت الكريم، هذا البيت الذي رفع الله قدره، وحماه من كل سوء واصطفاه لنبيه.

وكما نعلم أن الله عز وجل يصطفي لأنبيائه أصحابهم، كذلك اصطفى الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أصحابه الذين آمنوا به، واتبعوا النور الذي أنزل معه، ورأى أن الله اصطفى لنبيه ﷺ زوجاته لما بين يدي من الشواهد التالية:

أولا: عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها: «أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ، فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»[٥].

ثانيا: إن الله عز وجل زوج رسوله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنهما من فوق سبع سموات، قال تعالى: **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾** الأحزاب: ٧٣ .

فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات»[٦].

ثالثا: الثناء العظيم عليهن في مواطن متعددة من القرآن الكريم كقوله تعالى: **﴿لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾** الأحزاب: ٣٢ .

كما أثنى عليهن ثناء عظيما على لسان نبيه ﷺ، وقراءة سريعة لأحاديث فضائل أمهات المؤمنين تنبئ الخبر.

فنقول هنا: إن الله سبحانه وتعالى اصطفى للنبي ﷺ نساءه كما اصطفى له أصحابه، فهن صاحبات الفضل والستر والعفاف والدين والأخلاق والمثل الكريمة.

رابعا: إن الله عز وجل لعظيم مكانتهن ولعظيم دينهن ولعظيم قربهن من الله سبحانه وتعالى ولرضى الله سبحانه عنهن، لما اكتمل العدد الذي اراد الله عز وجل لرسوله ﷺ أن يتزوجه فكن أهل الفضل والمكانة قال الله لنبيه ﷺ: **﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾** الأحزاب: ٥٢ .

وفي هذا دليل واضح على أن نساء النبي ﷺ قد اكتمل فضلهن، واكتمل عددهن فجعل الله عز وجل لهن هذه المنزلة أن لا يجمع رسول الله ﷺ ضرائر أخرى **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾** ومنع الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من طلاقهن **﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾** أي حتى هؤلاء لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن[٧].

فهذا اكتمال الخيرية لهذا البيت، اكتمال الخيرية لزوجات النبي ﷺ، ويكفينا في هذا فضلا وإشارة الى عظيم مكانتهن أن الله عز وجل قال: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وءاتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** الأحزاب: ٣٣ .

ولئن أفاض العلماء الافاضل في تفسير أهل البيت، فمنهم من يجعلها في أبناء عمومة النبي ﷺ، ومنهم من يجعلها في زوجاته ﷺ، وكلا القولين لهما دليله، ولكن سياق الآيات يدل على أنها خاصة بزوجات النبي ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنه: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**

ويطهركم تطهيرا﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ، ثم قال عكرمة: من شاء باهلته[٨] أنها نزلت في نساء النبي خاصة[٩]، إن أهل بيت النبي ﷺ نساؤه وكذلك بنو عمومته الذين حرموا الصدقة ومنعوا من الصدقة، كما بين يدينا من الأحاديث العظيمة فمنها:

عن زيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمر بن مسلم الى زيد ابن أرقم. فلما جلسنا اليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خُمّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا يا أيها الناس فإنما انا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، ثم أذكركم الله في أهل بيتي، ثم أذكركم الله في أهل بيتي) فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[١٠].

فدل هذا الحديث على أنه يجمع بين الأمرين من آل بيت النبي ﷺ.

خامسا: وإن الله سبحانه وتعالى أعظم لزوجات النبي ﷺ أجرهن ومثوبتهن فقال سبحانه: **﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾** الأحزاب: ٣١ .

فدل هذا على أنهن موضع القدوة والأسوة، ومن أجل ذلك أعظم الله لهن أجرا، ولو جاء منهن خطأ لكان عليهن الوزر مضاعفا، لماذا؟ لانهن في بيت النبي ﷺ يرين الوحي ينزل على النبي ﷺ، وزوجات النبي ﷺ يتلى عليهن آيات الله والحكمة، وكان عطاء الله عز وجل لهن أن الله سبحانه عظم لهن الأجر والمثوبة، وآتاهن أجرا ضعف ما يؤتي غيرهن من

النساء ومن الرجال.

ولأجل الأسوة والقدوة الحسنة كذلك جاء الوعيد والتهديد والزجر فقال: **﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾** الأحزاب: ٣٠ .

لأنهن محل القدوة، وحتى تتضح هذه الصورة في عظيم الأجر وعظيم العقوبة، فإن الله سبحانه وتعالى قد ذم زوجتين من أزواج أنبياء قد اقترفوا إثما عظيما، فإن الله عز وجل قد قال: **﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾** التحريم: ١٠ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين) ويشرح في رواية أخرى: (ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه)(١١)، فدل ذلك على أن هذا الأمر وهذا الإثم من زوجتي هذين النبيين، أن الله جعلهما من أهل النار، ولم يغن عنهما نوح ولا لوط عليهما السلام شيئا، لأنهما قد خانتا الله ورسوله.

النبي ﷺ ليس كباقي البشر، ممن يضربون في الأسواق، أو ممن يعيشون حياة لعمارة الدنيا فقط، وإنما مهمة النبي ﷺ مهمة الدين، مهمة الإسلام، مهمة صلاح الدنيا والآخرة، المهمة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى لها، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من سأل عني، أو سره أن ينظر إلي، فلينظر إلى أشعث شاحب لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار وغدا السباق، والغاية الجنة أو النار)(١٢).

فلا بد أن يكون الذين من حوله عونا له على طاعة الله، عونا له على مرضاة الله سبحانه وتعالى، ومن أعظم من أعان النبي ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، صاحبة الحكمة والعقل الراجح، والمنطق السليم والقوة في الدين والثبات على الحق.

فهي الشخصية الوحيدة الثابتة العظيمة التي كانت في حياة النبي ﷺ، وكان لها في حياته الأثر الواضح، ووقوفها

معه في أشد ساعات الدعوة صعوبة على النبي ﷺ، كانت تقف معه وتؤازره، وتبذل معه من نفسها ووقتها ومالها رضي الله عنها، فكانت عونا على الدين، ومن جاء بعدها من أزواجه فإنما هن تبع لها رضي الله عنهن أجمعين.

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ أول مرة جاء النبي ﷺ خائفا مما رآه أول مرة، وقفت معه السيدة خديجة رضي الله عنها ثلاثة مواقف عظيمة:

الأول: القيام بواجبها تجاه من يصيبه أذى من مرض أو خوف أو ضيق من أهل بيت عادة، فتقف موقف المعالج والمطبب، الذي يوفر لصاحب الأمر ما يعينه على تجاوز المحنة.

جاء في الحديث بعد نزول الآيات الأولى من صدر سورة العلق: (فرجع بها - أي الآيات- رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع)[١٣].

الثاني: التأييد القولي والتثبيت والتطمين لرسوله الله ﷺ بقول خديجة رضي الله عنها له: (فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[١٤] وتكسب المعدوم[١٥]، وتقري(١٦) الضيف، وتعين على نوائب[١٧] الحق). فهذا القول من خديجة رضي الله عنها يدلنا على أمرين:

١- أنها تصف زوجها رسول الله ﷺ بصفات كريمة عرفتها منه خلال الحياة معا.

٢- عرفت رضي الله عنها أن من يقوم بهذه الأمور فإنه لا يمكن أن يخزيه الله تعالى.

الثالث: انطلقت برسول الله ﷺ لمن تعتقد أنه يفسر له ما هو فيه حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرؤ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن

يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

فدل هذا على أن خديجة رضي الله عنها كانت نعم العون لرسول الله ﷺ، حتى أثنى عليها رسول الله ﷺ ثناء عظيما جليلا كبيرا فقال ﷺ: (والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس)[١٨].

فلما ماتت خديجة رضي الله عنها، وجد رسول الله ﷺ عليها وجدا كثيرا، لما كان لها من المكانه في تثبيته وعونه والبذل معه، فكان هذا العون في بيته ﷺ على الدين.

ومن أمثلة العون على الدين ما بين أيدينا من بعض الأمور التي قامت بها زوجات رسول الله ﷺ فيما بين يديه من مهام الدعوة، ومهام الرسالة.

فمن ذلك تجهيز هدي النبي ﷺ للحج، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنا فتلت قلائد هدي رسول الله ﷺ بيدي، ثم بعث بها مع أبي[١٩]، فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيء أحله الله له، حتى نحر الهدي[٢٠].

فهي تفتل بيدها القلائد، وهي الحبال التي تربط وتعلق على الهدي، فكانت عبارة عن خيوط مفتولة وهي علامة تعلق على الهدي، فتعرف أنها هدي إلى بيت الله سبحانه وتعالى بالغ الكعبة، فكانت عائشة رضي الله عنها تفتل هذا بيدها، وهذا عون على دين الله تعالى.

ومن صور العون أيضا: دخل أبو بكر رضي الله عنه قبل فتح مكة على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ أي ما يحتاجه للقتال فقال: أي بنية أمركن رسول الله ﷺ بتجهيزه فقالت: نعم فتجهز أي تجهز أنت أيضا، قال: فأين ترينه يريد؟ فقالت: والله ما أدري[٢١].

كما يهمنا هنا أن زوجات رسول الله ﷺ كن عونا له على شؤون دينه، وأمر دعوته ورسالته، وحتى أمر عبادته، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت أصنع لرسول الله ﷺ ثلاثة آنية من الليل مخمرة: إناء لطهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه[٢٢].

فهذا العون على دين الله وطاعته أن يجد رسول الله ﷺ ما يحتاجه لقيام الليل مجهزا من أهل بيته، فانظروا كيف كانوا يعينونه على طاعة الله ومرضاته.

وهذا من حبهم للأجر والمثوبة أنهم يشاركون بعضهما لبعض عونا على طاعة الله تعالى وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[٢٣].

وذلك من العون على طاعة الله سبحانه وتعالى، والقيام بمهام الدين، فالإنسان بحاجة إلى من يعينه على طاعة الله سبحانه وتعالى، فهذا رسول الله ﷺ يجد العون من أقرب الناس إليه، من أزواجه اللاتي هن معه، يعرفن متى سيقوم ليله وماذا يحتاجه لقيام الليل، فيجهزون له حوائجه؟

الهوامش:

(١) سيأتي تفصيل في معالجة المشاكل الأسرية.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٣٧/٧ (١٣٠٤٦) جزء من حديث طويل سنتعرض له للشرح لاحقا إن شاء الله.

(٣) قال الشوكاني: (في ذلك تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير، وأحقهم بالاتصاف به، وهو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحق بالبشر وحسن الخلق والإحسان، وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيرا ما يقع الناس في هذه الورطة، فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقا، وأشحهم نفسا، وأقلهم خيرا، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته، وانبسطت أخلاقه، وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق، زائغ عن سواء الطريق نسأل الله السلامة) نيل الأوطار:٣٦٠/٦ طبعة دار الجليل١٩٧٣م.

(٤) سنن ابن ماجة ٦٣٦/١ ورقمه (١٩٧٧). وسنن الترمذي ٧٠٩/٥ ورقمه (٣٨٩٥) وقال: حديث حسن غريب وصحيح، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ورقمه (١٦٠٨).

(٥) سنن الترمذي ٧٠٤/٥ ورقمه (٣٨٨٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، صححه الألباني: صحيح الترمذي ورقمه(٣٠٤١).

(٦) أخرجه البخاري ٢٦٩٩/٦ ورقمه (٦٩٨٤).

(٧) اختلف أهل الكتاب في هذه الآية على أنها منسوخة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب أم هانئ بعد فتح مكة، وبعض أهل العلم يجعلها غير منسوخة والأمر أنه وقت نزولها كان يحتمل هذا التأويل الذي أشرت إليه والله أعلم.

(٨) المباهلة أن يختلف اثنان على أمر فيدعوان الله أن يجعل لعنته على الكاذب منهما، وصورة ذلك ما حدث بين النبي ﷺ ووفد نجران فدعاهما النبي ﷺ الى المباهلة بعد رفضهم الإيمان به ولكنهم خافوا العاقبة، انظر قصة المباهلة في تفسير الآية (٦١) من سورة آل عمران.

(٩) سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٢ وتفسير ابن كثير ٤٨٤/٣ وفتح القدير ٢٧٩/٤.

(١٠) أخرجه مسلم ١٨٣٧/٤ ورقمه (٢٤٠٨).

(١١) تفسير ابن كثير ٤/٣٩٤.

(١٢) مجمع الزوائد ١٠/٢٦١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب ورقمه (١٨٩٦).

(١٣) الحديث بتمامه أخرجه البخاري ١/٤ ورقمه (٣) في كتاب بدء الوحي.

(١٤) الكل: العاجز الفقير الذي يحتاج لمن يعوله.

(١٥) المعدوم: المفلس أو الفقير.

(١٦) الضيافة وحسن الوفادة.

(١٧) النوائب: المصائب.

(١٨) وفي الزوائد ج ٩/٢٢٧ عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرا منها. قال: (ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادها، وحرمني أولاد الناس).

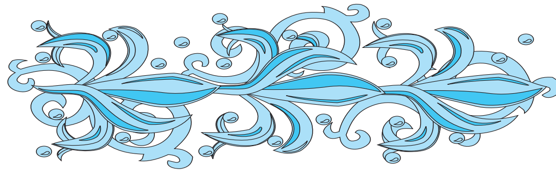
(١٩) تعني حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس حجة الإسلام الأولى وهو الحج الأكبر المذكور في القرآن، وهي الحجة التي نزلت فيها سورة براءة فأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأها على الناس في الحج.

(٢٠) أخرجه مسلم ٢/٩٥٩ ورقمه (١٣٢١).

(٢١) انظر الخبر في الرحيق المختوم ٤٠٤.

(٢٢) سنن ابن ماجة ١/١٢٩ ورقمه (٣٦١) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة ورقمه (٧٤٢).

(٢٣) سنن البيهقي ٢/٥٠١ ورقمه (٤٤١٩). وسنن أبي داود ٢/٣٣ ورقمه (١٣٠٨)، وقال الألباني: حسن صحيح انظر صحيح ابن ماجة برقم (١٢٨٧).



الاخلاص في طلب العلم وتعلمه

■ بقلم الدكتور أنس كرزون

الركيزة الأولى للعالم والمتعلم توطين النفس على الإخلاص وضرورة التسلح به في كل عمل صالح، وبخاصة في مجال تعلم القرآن الكريم وتعليمه، فهو العروة الوثقى والأساس في قبول الأعمال عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[١].

ولذلك كان الرسول ﷺ يربي اصحابه على التوحيد الخالص لله عز وجل، ويحذرهم من النفاق والرياء وحب المباهاة في تعلم القرآن الكريم وتعليمه، وقد ضرب لذلك أمثلة بديعة لتأكيد هذه الحقيقة المهمة وترسيخها في النفوس.

عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة[٢] ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة[٣] ليس لها ريح وطعمها مر»[٤].

فما أعظم الفارق بين المؤمن الصادق الذي يقرأ القرآن ويتعلمه، والمنافق الذي يتخذ القرآن مطية للدنيا ليظهر امام الناس بالصلاح، وباطنه خبيث شديد المرارة، قد خلا من جوهرة الايمان، فقد يغتر الجاهل بظاهره فيراه يقرأ القرآن كما يغتر بالريحانة التي يعجبه منظرها

فيظنها طيبة الطعم، فإذا اكل منها ذاق مرارتها وكشف حقيقتها(٥).

فانظر الى دقة هذا المثل النبوي وروعته في بيان منزلة المخلص الصادق في تعلم القرآن الكريم، والتتفير ممن زاغت نيته وساءت طويته.

وتتوالى توجيهات الهادي الأمين ﷺ في التأكيد على الاخلاص، والتحذير ممن يتعلم القرآن ويقرؤه رياء واتباعاً لأهواء النفوس.

وإليك هذا الحديث الذي تقشعر له الجلود وتضطرب له القلوب خوفاً وحذراً: روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة..» وذكر منهم: «ورجل تعلم القرآن وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكن تعلمت ليقال: قارئ، فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي به في النار»(٦).

وفي رواية للترمذي عن عقبة بن مسلم ان شفياً الاصبحي حدثه انه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: ابو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: انشدك بحق وحق لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمتَه، فقال ابو هريرة رضي الله عنه: أفعل، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ(٧) ابو هريرة نشغة، فمكث قليلاً ثم أفاق، فقال مثل قوله، ثم نشغ المرة الثانية والثالثة ثم أفاق ومسح وجهه فقال: افعل لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري، ثم نشغ ابو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خاراً على وجهه فأسندته علي طويلاً، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أُعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علّمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت ان يقال: أن فلاناً قارئ، فقد قيل ذلك، ثم ذكر صاحب المال والذي قتل..

يقول ابو هريرة: «ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم

القيامة».

قال عقبة بن مسلم: ان شفيا دخل على معاوية رضي الله عنه فأخبره بهذا عن ابي هريرة رضي الله عنه، فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء كذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديداً حتى ظننا انه هالك.. ثم أفاق ومسح على وجهه، وقال: صدق الله العظيم: **﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ❁ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾**(٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع النبي ﷺ يقول: «تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة، قبل ان يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به(٩) ورجل يقرؤه لله»(١٠).

وعن عمران بن حصين انه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل(١١) فاسترجع(١٢) ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس»(١٣)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»(١٤).

فما أعظم خسارة من يبادر الى تعلم القرآن وتعليمه رياء ونفاقاً، أو طلباً للمكاسب الدنيوية الفانية، فيصبح القرآن حجة عليه يوم القيامة، ولهذا كان السلف الصالح يحرصون أشد الحرص على تربية نفوس تلاميذهم وتحليتها بالإخلاص وتخليتها من شوائب الرياء.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل»، وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تُصغره النية».

واذا لاحظ القارئ او المعلم ميلاً في نفسه الى الرياء وحب المباهاة فينبغي عليه الاشتغال بتصحيح النية، ومجاهدة نفسه على الإخلاص، وطرد وساوس الشيطان والاستعاذة من شره حتى تعود النية الى نقائها، وسد على الشيطان مداخله التي ينفذ من خلالها الى النفس الانسانية.

روى الخطيب البغدادي بسنده عن ابن السماك انه قال: سمعت سفيان الثوري يقول: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي، انها تقلب علي»(١٥).

وروى ايضاً عن بشر بن الحارث انه كان يحدّث فذكر الاسناد ثم قال: «استغفر الله، ان لذكر الاسناد في القلب خيلاء»، فقد خشي ان يدخل الخيلاء والمباهاة الى قلبه، وهو يذكر الاسناد بما فيه من شيوخ يروي عنهم فيكون ذلك طريقاً للرياء،

فراقب خواطر نفسه فاستغفر ربه.

قال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى: «الاخلاص ان لا يمازج عمله بما يشوبه من شوائب ارادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، او طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو غير ذلك من العلل والشوائب»[١٦].

ومن اخطر الأمراض التي تصيب نفوس الحفاظ والمعلمين، ان يجدوا لأنفسهم ميزة ومكانة وينظروا الى الآخرين بازدراء واستهانة.

وقد حذر الامام ابن الجوزي من ذلك فقال: «هذه خصلة مهلكة.. والعجب كل العجب ممن يرى نفسه -اي يُعجب بها- أتراه بماذا رآها! ان كان بالعلم فقد سبقه العلماء وان كان بالتعبد فقد سبقه العبَّاد، فإن قال: قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني قيل له: ما نأمرك يا حافظ القرآن ان ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف، ولا يا فقيه ان ترى نفسك في العلم كالعامي، وانما نحذر عليك ان ترى نفسك خيراً من ذلك، الشخص المؤمن وان قل علمه، فإن الخيرية بالمعاني لا بصور العلم والعبادة»[١٧].

فما أحوج العاملين لخدمة كتاب الله عز وجل وتعليمه ان يتحلوا بالاخلاص، ويحذروا من العجب والرياء ويغرسوا في قلوب الناشئة منذ نعومة أظفارهم صدق التوجه، والاقبال على تعلم القرآن ابتغاء مرضاة الرحمن.

ومن بدائع شعر الإمام ابن القيم رحمه الله في قصيدته الميمية المشهورة عتبه وتوبيخه لكل من يقدم الخير للناس، ويعلمهم ويدلهم على طريق نجاتهم، ولكنه لا يحرص على نجاة نفسه يوم القيامة فإخلاصه النية لله تعالى، يقول رحمه الله[١٨]:

ويا موقداً ناراً لغيرك ضوءها
وحر لظاها بين جنبيك يضرم[١٩]

أهذا جنى العلم الذي قد غرسته
وذا الذي قد كنت ترجوه يطعم[٢٠]

وهذا هو الحظ الذي قد رضيته
لنفسك في الدارين جاه ودرهم[٢١]

وهذا هو الربح الذي قد كسبته
لعمرك لا ربح ولا الاصل يسلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

الى ان قال رحمه الله:

وان ضاقت الدنيا عليك بأسرها
ولم يك فيها منزل لك يُعلم

فحي على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود الى أوطاننا ونسلم[٢٢]
فبالله ما عذر امرئ هو مؤمن
بهذا ولا يسعى لـه ويقـدم
وحي على روضاتها وخيامها
وحي على عيش بها ليس يسأم[٢٣]
فيا بائعاً هذا ببخس معجل
كأنك لا تدري، بلى سوف تعلم[٢٤]

الهوامش:

١- البينة: ٥ .

٢- الاترجة: نوع من الفاكهة لذيذ الطعم طيب الرائحة.

٣- الحنظلة: نبات شديد المرارة بشع المنظر.

٤- رواه البخاري رقم ٤٧٣٢، ومسلم رقم ٧٩٧ .

٥- انظر شرح هذا الحديث النبوي في كتاب دروس من الهدي النبوي للكاتب ص٢٦ «المستوى الاول».

٦- رواه مسلم رقم ١٩٠٥ .

٧- نشغ: اي شهق حتى كاد يغمى عليه.

٨- هود: ١٥-١٦، والحديث رواه الترمذي رقم ٢٣٨٢ وحسنه.

٩- اي يجعل هدفه من تعلمه وتعليمه طلب الرزق والمال، فهو كأي موظف ان اعطي اجرته قام بالتعليم، وان توقفت الأجرة ترك تعليم القرآن، فما اعظم خسارته.

١٠- رواه البغوي في شرح السنة رقم ١١٨٢، والحاكم ٥٤٧/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني رقم ٢٥٨ .

١١- اي: سأل الناس مالاً.

١٢- اي قال: انا لله وانا اليه راجعون، كأنها مصيبة وشر مستطير.

١٣- رواه الترمذي رقم ٢٩١٧، وقال: حديث حسن.

١٤- رواه الامام أحمد ١٧٥/٢، وابن المبارك في الزهد، ص٤٥١، وغيرهما، وله طرق اخرى عن عقبة بن عامر وعبد الله بن عباس «انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٧٥٠».

١٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٣١٧/١ .

١٦- مدارج السالكين ٩٢/٢ .

١٧- صيد الخاطر ص٢٥٦ .

١٨- القصيدة الميمية للإمام ابن القيم، شرح سعد المزعل ص٤٧ .

١٩- لظاها: لهبها، يضرم: يشتعل.

٢٠- جنى: ما يلتقط من الثمر.

٢١- الحظ: النصيب الدارين: الدنيا والآخرة، جاه: القدر والمنزلة.

٢٢- السبي: الأسر.

٢٣- يسأم: يمل.

٢٤- بخس: الناقص القليل، العاجل: نقيض الآجل «القاموس».

خلاف الصحابة رضوان الله عليهم في تقسيم الأرض المغنومة «السواد»

■ بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

بعد ان توفي رسول الله ﷺ، واجه المسلمون مشاكل وأحداثاً كانت على جانب كبير من الأهمية والخطورة، وكان لا بد من معرفة حكم الله فيها، وكان منهجهم في الاجتهاد لحل ما يعرض لهم من القضايا، يقوم على أساس البحث عن الحكم في كتاب الله عز وجل، ثم في السنة النبوية المطهرة، واذا لم يجدوا فيها ما يطلبون، دعا الخليفة اولي الرأي والفقه وطرح عليهم المسألة، وتناقشوا فيها، فإذا انقضت كلمتهم على حكم، قضى بما اتفقوا عليه، وان اختلفوا أخذ بما يراه أقرب الى الكتاب والسنة، وأكثر ملائمة لمصالح المسلمين.

وهذا ما ذكره ابن القيم في طريقة الاستنباط في عهد ابي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما، وفيما كتبه عمر الى القاضي شريح صورة واضحة لذلك «اعلام الموقعين ١/٦٢».

روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم ص٣١٤» بسنده عن شريح ان عمر رضي الله عنه كتب اليه: «اذا اتاك امر فاقض فيه بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله، فاقض بما سن فيه رسول الله ﷺ، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسن فيه رسول الله ﷺ، فاقض بما اجمع عليه الناس، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله

ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم فيه أحد، فأي الأمرين شئت فخذ»اهـ.

وكان موقف الصحابة من الرأي ورجوعهم اليه في معرفة المسائل التي لم يجدوا حكمها في الكتاب والسنة، **لم يكن احد منهم يعطي لرأيه قيمة خاصة عند اختلاف غيره معه، فلم يكن يقطع بأن ما وصل اليه هو حكم الله في هذه المسألة، أو ان يعتبر مخالفه آثماً، بل كان رأيه يراه رأياً فردياً يحتمل الخطأ والصواب.**

فقد روي ان ابا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان اذا نزلت به قضية ولم يجد حكمها في كتاب الله تعالى ولا في السنة اجتهد رأيه ويقول: «هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وان يكن خطأ فمني واستغفر الله» «رواه البيهقي، تلخيص الحبير ٨٩/٣».

كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المفوضة لما قضى فيها باجتهاده: «اقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه» «ابو داود ٥٨٨/٢».

ولم يكن واحد منهم يلزم الآخر برأيه اذا خالفه في الحكم، غير انه كان يلتزم بالعمل بما رآه صواباً، وذلك لأن الشارع يوجب على المجتهد ان يعمل بما أدى اليه اجتهاده وغلب على ظنه صوابه «الاحكام للآمدي ٢٠٤/٤».

ولا شك ان هذا الخلاف بين المجتهدين يعتبر امراً طبيعياً، لأن العقول متباينة، والملكة الاجتهادية متفاوتة لدى كل مجتهد عما عند الآخر، ودلالات الألفاظ متعددة، ومدارك الناس مختلفة، لهذه الاسباب وغيرها كان لا بد من الاختلاف في الرأي باختلاف الناظرين ولكل وجهة هو موليها، سيما وان منهم من يقف عند ظاهر النص، فلا يبادر الى البحث عن علل الأحكام والقول بالرأي، بل ويمتنع عن الفتوى عند عدم وجود النص، بينما منهم من فطر على درك اسرار التشريع وحكمه، وفهم النصوص وتفسيرها في اطار مقاصد الشريعة، لأنه يعلم ان الشريعة تقوم على أساس جلب المصالح للعباد ودفع المضار والمفاسد عنهم في معاشهم ومعادهم، كما نص على ذلك «الامام الشاطبي في الموافقات» و «ابن القيم في اعلام الموقعين ٣/٣» حتى نهج بعض الصحابة هذا المنهج العظيم في اجتهاداتهم، ونظروا هذا النظر الرشيد والفهم السديد فيما استنبطوا من

الاحكام.

وكان في طليعة هؤلاء العظام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهم اجمعين، الذي جعل الله الحق على لسانه بشهادة النبي ﷺ، «تحفة الأحوذي ٣١٥/٤» والذي جاء الوحي موافقاً لاجتهاده في مواقف كثيرة كمسألة الحجاب وحرمة الخمر وأسارى بدر وغير ذلك.. «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص٤٢».

❖ الاراضي المغنومة «ارض السواد»:

بعد ان كثرت الفتوحات في عصر عمر رضي الله عنه وقويت شوكة الاسلام، وحدثت تغييرات كبيرة في الأحوال والأعراف، وظهرت حاجات جديدة، ونشأت مصالح لم يكن له عهد بها من ذي قبل، استخدم رأيه السديد في حلها، واجتهد في تعرف احكامها على ضوء ما عرفه من مقاصد الشريعة ومبادئ الاسلام العامة.

وكانت مسألة الأراضي المغنومة من أهم المسائل التي واجهته ايام خلافته، ولذلك كان رأي كثير من الصحابة الكرام والفاتحين ان تقسم هذه الأراضي بينهم، وكان الجمهور معهم في هذا الرأي، لأن الله تعالى يقول: **﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** الانفال: ٤١ ،

فظاهر هذه الآية ان الاشياء المغنومة تقسم خمسة اقسام، قسم منها يبقى بيد الدولة تصرفه في الأمور التي ذكرها القرآن الكريم، وتقسم الاخماس الاربعة الباقية بين الغانمين الفاتحين، ولذلك طلب الفاتحون تقسيم الاراضي بينهم.

ولكن سيدنا عمر رضي الله عنه ومعه آخرون، رأوا ان لا يسلك بهذه الاراضي مسلك الغنائم، بل تبقى على ملكية الدولة وتترك بأيدي اصحابها ويفرض عليهم فيها خراج معلوم يدفعونه للدولة، فيكون مادة للمسلمين، تصد به الثغور، ويرزق منها القضاة والعمال والجند، وفيها نفقة الارامل واليتامى والمحتاجين وينتفع بها اول المسلمين وآخرهم.

وفي كتاب الخراج لأبي يوسف صورة واضحة لما رآه عمر رضي الله عنه ولما جرى من خلاف بينه وبين غيره من الصحابة الكرام، في شأن هذه المسألة: قال القاضي ابو يوسف رحمه الله في كتابه «الخراج ص٢٦»: لما قدم على عمر رضي الله عنه قادة

الجـيـش العـراقي من قـبل سـعـد بن ابي وقـاص رضي الله عنه شـاور الصـحـابة في قـسـمـة الارضين التي افـاء الله على المسلمين من ارض العراق والشـام، فتكلم قوم فيها، واراد ان يقسـم لهم حقـوقهم ومـا فـتحـوا، فـقـال عـمـر رضي الله عنه: فكيف بمن يأتي من المسلمين، فيـجدون الارض بعلوجها «العجل هو الرجل القوي الضخم. النهاية لابن الاثير ٣/٢٨٦» قـد اقـتـسـمـت وورثت عن الآبـاء؟ مـا هذا برأي، فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ مـا الارض والعلوج الا مما افـاء الله عليهم!.

فقال عمر: ما هو الا كما تقول: ولست ارى ذلك، فـوالله لا يفـتح بعـدي بلد فـيكون فـيـه كـبـيـر نيل، بل عـسى ان يكون كـلاّ للـمـسلمين، فـإذا قـسـمت ارض العـراق بعلوجها، وارش الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق؟!.

فـأكثروا على عمـر وقالوا: تقف ما افاء الله علينا بأسيـافنا، على قـوم لم يحضـروا ولم يشـهـدوا، ولأبناء قـوم وأبنـاء ابنائهم ولم يحضروا؟

فكان عـمـر لا يزيد على ان يقـول: هذا رأيي.

قـالوا: فـاسـتـشـر، فـاسـتـشـار المهاجـرين الأولين فـاختلفـوا، فـأمـا عـبـد الرحـمن بن عـوف فكان رأيه ان تقـسم لهم حـقـوقـهم، ورأى عـثمـان وعلي وابن عـمـر، رأي عمـر وكـذلك مـعـاذ بن جبل رضـوان الله عليـهم «نيل الأوطار ٨/١٦٢».

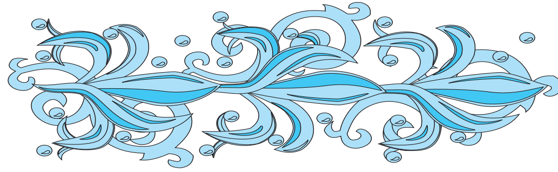
فـأرسل الى عـشرة من الانصـار خمسـة من الأوس وخـمـسـة من الخــزرج، من كبرائهم وأشرافهم، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنـى عليــه بمـا هو أهله ثم قــال: انـي لم ازعـجكم الا لاشـركـكم في أمـانـتـي، وفـيـهـا حـملت من أمـوركم، فـإني واحد كـأحـدكم، وأنتم اليــوم تقــرون بالحق، خــالفـني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولست اريد ان تتبـعـوا هذا الرأي، معكم من الله كتـاب ينطق بالحق، فـوالله لإن كنت نطقت بأمـر اريده، مـا اريد الا الحق.. قـالوا: قل نـسـمـع يا أمير المؤمنين.

قـال: قـد سـمـعـتم لكلام هؤلاء القـوم الذين زعـموا اني اظلـمهم حقوقهم، وانني اعوذ بالله ان اركب ظلماً، لأن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم، واعطيتـه غيرهم، لقد شقيت ولكن رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض

كسرى، وقد اغنمنا الله ارضهم وأموالهم وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين اهله، واخرجت الخمس فوجهته على وجهه، واني في توجيهه وقد رأيت ان احبس الأرض بعلوجها واضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها، فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم.

أرأيتم هذه الثغور، لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لا بد لها من الشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم، فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون والعلوج؟ فقالوا جميعاً: الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت، ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال، ويجري عليهم ما يتقوون به، رجع اهل الكفر الى مدنهم»اهـ.

فيظهر من هذا الاثر ان سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتخذ هذا القرار، الا بعد ان استشار عدداً كبيراً من كبار الصحابة الأجلاء، رضوان الله عليهم، واشار اليه كثير منهم بعدم التقسيم، منهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: دعه يكون مادة للمسلمين، وقال معاذ: ان قسمت صار ريع عظيم في ايدي القوم يبيدون فيصير الى الرجل الواحد أو المرأة «نيل الأوطار ٨/٢٦٠».



خلق البحار والأنهار

■ بقلم الاستاذة ندى ابو غوش

قال الخلاق العليم سبحانه وتعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ النحل، ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ فاطر، ﴿مرج البحرين يلتقيان ❖ بينهما برزخ لا يبغيان﴾ الرحمن.

ويقول تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون﴾ النمل، **﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾** الشورى، **﴿والبحر المسجور﴾** الطور، **﴿ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾** لقمان، **﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾** المائدة، **﴿أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وانفسهم أفلا يبصرون﴾** السجدة.

ان البحار والمحيطات في سائر الأرض -حيث تمثل ارباعها- جميعها «مالح الطعم

مر» **وفي هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء ونقائه، اذ لو كان حلواً منها لأنتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من المخلوقات البحرية، فكان يؤدي الى فناء بني آدم، الا ان حكمة الخلاق العليم الإلهية البالغة الاتقان، ان تكون هذه البحار والمحيطات على هذه الصفة من المصلحة، لهذا لمّا سئل رسول الله ﷺ عن البحر قال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».**

أما الأنهار، فماؤها عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك، وقد جعلها الخالق سبحانه وتعالى جارية سارحة، ينبعها في أرض، ويسوقها الى ارض أخرى رزقاً لعباده وأنعامهم، وهي مختلفة الأحجام والأطوال بحسب الحاجة والمصلحة التي يعلمها خالقها ومسيرها.

وقد تكلم علماء التفسير والهيئة عن تعداد المجار والأنهار الكبار واصول منابعها، والى اين ينتهي سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق العظيم، وانه فاعل بالاختيار والحكمة، وفي هذا «البحر» قولان:

الأول: ان المراد به «البحر» الذي تحت العرش المذكور في حديث «الأوعال» وانه فوق السموات السبع، بين اسفله واعلاه ما بين سماء الى سماء، وهو الذي ينزل منه المطر قبل «البعث» فتحيا منه الأجساد من قبورها، وهذا القول من اختيار الربيع بن أنس.

الثاني: ان «البحر» جنس يعم سائر البحار التي في الأرض، وهو قول الجمهور، هذا وقد اختلفوا في معنى «المسجور»: فقيل: هو المملوء، وقيل: يصير يوم القيامة «ناراً تؤجج» فيحيط بأهل الموقف.

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ انه قال: «ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل ان يتفصح عنهم، فيكفه الله عز وجل» اخرجه الامام احمد في مسنده ج٢، ص٢٦٠ .

كما قال الامام احمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير ويزيد انبأنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فجرت اربعة أنهار من الجنة: الفرات، النيل، سيحان، وجيحان» صحيح على شرط الامام مسلم من كتاب «الله خلق كل شيء».

سلسلة الأمراء من الهاشميين

حسن بن محمد أبي نمي الثاني أمير مكة المكرمة

■ **بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير**

الشريف حسن بن أبي نمي الثاني، الحسني، الهاشمي؛ ولد عام (٩٣٢ هجرية الموافق ١٦٠١ ميلادية)، وأمه الشريفة الحسيبة، السيدة النسيبة فاطمة بنت بساط، حملت به سنة وفاة جده بركات، وهو من أشراف مكة، وكانت له ولاية العهد بعد أخيه الشريف أحمد، إلى أن توفي أخوه في عام ٩٦١هـ.

فكانت له ولاية العهد في إمارة مكة بعد والده، ثم انفرد بها بعد وفاته سنة ٩٩٢ هـ ، واستمر ضابطاً شؤونها، مؤدياً حقها، واستقل بالملك وأعبائه، وشد أزره بالتدبير من سائر جهاته وأنحائه، واستخدم الحزم في شدائد الأمور الشاسعة، وسلك في محجته الطريق الواضحة الواسعة، فصير ولاية الحرمين خلافة، ومهد القواعد السلطانية والقوانين الحسنية بدون مخافة، وجلس على سرير الملك جلوس متمكن، وبذل الهمة في إصلاح الرعايا بكل وجه ممكن، واستصحب الإقدام في صعائب الأمور، وثبت الأقدام في المواقف التي تهب له بالقبول، وظهر به شأن أهل بيت النبوة من الشجاعة والقوة.

نشأ في كفالة والده، سعيداً رئيساً حميداً، وكان جواداً شجاعاً، أثنى عليه أكثر المؤرخين، فقالوا فيه: استقل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن قيام، وضبط

الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد، واطمأنت العباد، وقطع دابر أهل الفساد، فكانت القوافل والأحمال تسير بكثرة الأموال مع آحاد الرجال، ولو في المخاوف والمهالك، وخافه كل مقدام فاتك.

وكان عظيم القدر مفرط السخاء، وكان بصيراً بفصل الأمور، شجاعاً مقداماً حاذقاً صاحب فراسة عجيبة وكان صاحب فضل باهر، وأدب غض، ومحاضرة فائقة، واستحضار غريب، وكان خليفة الحرمين، شريف الطرفين، ينشر على العالم لواء عدله، ويسبغ عليهم جلباب كرمه وفضله، ويحيى مآثر جده المصطفى، ويُذكّر بأقضيته ما اندرس من أخبار عدول الخلفاء، ويظهر سر حكمته، وخفي قدرته، في افتتاح هذا الدين الأقوم بمحمد ﷺ، وختمه بأهل بيته المخصوصين من بين الناس، بتولي الله تعالى تطهيرهم من الأرجاس، متلمحاً فيه خصال الغر الصيد، مترقباً منه أن يكون في البسالة صاد الصناديد، وما برح وهو في حجر والده مؤدياً له الحقوق، باذلاً له الطاعة، ساعياً في مرضاته بحسب الاستطاعة، ممتثلاً ما يصدر من الأوامر المطاعة.

قال العصامي: مدحه ابنه أبو طالب فقال:

ملك تدرع بالبسالةِ فاغتنَى
يوم الوغَى عَنْ سابغٍ وَسَنَوَّرِ
ملك تتوجَ بالمهابةِ فاكتفي
عند الطعانِ لفرقه عن مغفرِ
ملك إذا ما جالَ يَومَ كريهةٍ
لم تلق غَيرَ مجدَّلٍ ومعفرِ
ملك يجهزُ من جحافلِ رأيهِ
قبل الوقيعةِ جحفلاً لم ينظرِ
ملك تسنم ذروةَ المجدِ التي
من دونها المريخ بل والمشتري
ملك تذكرنا مواقعُ عضبه
في الهامِ وقعةَ جدهِ في خيبرِ
ملكٌ إذا ما جادَ حدث مسنداً
عن جودهِ جودُ الغمامِ الممطرِ
ملك سما عن أن أُصَرَّحَ باسمه
لسموِّه عن كُل وصفٍ مشعرِ
ملكٌ قفا سَنَناً سنياً سنه
للمجّدِ والده الزكي العنصرِ
ألأكثرُ المفضال مِنْ إحسانه
أربَى على كسرى الملوكِ وقيصرِ
ذو الهمةِ العليا الذي قد نَالَ ما
عنه تقصرُ همةُ الإسكندرِ
شرفاً تقاعَسَتِ الثوابتُ دونه
لو لم تُمدَ بنوره لم تُزهرِ

وقال الإمام عبد القادر بن محمد الطبري مادحاً أباه ومتخلصاً إلى مدحه:

النصْرُ في أعلامِهِ والسعدُ في
إقدامِهِ والرعبُ مدة أشهرِ
وبوجهِهِ نورُ النبوة ساطع
يغنيه عن ظَهْر الطرازِ الأخضرِ
يلقى العدُوَّ مشهراً بعلامة
والغيرُ إنْ لاقَى فغير مشهرِ
يأيها المولَى الإمام المرتضَى
أنتَ الخليفةُ وارثُ المدَثرِ
قد قمتَ فينا منذراً ولربكَ
الأعْلَى نراكَ سموتَ كل مكبرِ
وثيابُكَ الحسنى غدوّتَ مطهراً
وهجرتَ رُجزاً لا أقولُ لك اهجُرِ
ومنحتَنا مَنناً تطوِّقُ جيدناً
عقيانُها لا منَّة المستكثرِ
يا بن الخلائف من قريش هذه
غُرَرُ الخلائقِ من أبيكَ الأطهر
أوتيتَهاً فبذلْتَ واجبَ حقها
وحميتَها من أصعَرِ أو أصغرِ
والله قد أعطَاكَ ما لَمْ يعطِهِ
مَنْ قد مضَى فاحمَدْ إلهَكَ واشكُرِ

توفي الشريف حسن عام ١٠١٠ هـ الموافق١٦٠١م، مات وله من العمر تسع وسبعون سنة، ومدة ولايته مشاركاً لأبيه أبي نمي، وولده أبي طالب، ومستقلاً نحو خمسين سنة.

وفي هذه السنة توفي السيد عبد المطلب بن حسن، كان على غاية من الكمال، ومن مشاهير الأبطال، وكان والده يعتمد عليه في الأمور العظام، ويفتخر به في كل محفل ومقام -رحمه الله تعالى.

رزق الشريف حسن من الأولاد نحو خمسة وعشرين ذكراً، منهم: سالم وعلي وأبو القاسم وحسين ومسعود وباز وأبو طالب وعقيل وعبد المطلب وعبد الله وعبد الكريم وعبد المحسن وعدنان وإدريس وفهد وشنبر وعبد المنعم والمرتضى وهزاع وعبد العزيز وعبيد الله وجود الله وبركات وقايتباي ومحمد حارث وآدم، ومن الإناث نحو اثنتين وعشرين؛ شمسية وروضة وصمدة وياقوتة وفاطمة وعزيزية وزين وريمة وزين الشرف وسلامة وكثيرة وفاطمة وعزيزية ومنى ومزنة وحريملة وهيفاء وراية، ومات منهم جملة من الذكور والإناث في حياته، وورثه سبعة عشر ذكراً وأربع عشرة أنثى.

ثم ولي مكة بعده الشريف أبو طالب وظهر بالمظاهر الجميلة، ووطئ بأخمصه تاج المجد وإكليله.

التوحيد غاية الخلق

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

تعد العقيدة اصلاً من الأصول الاعتقادية التي اثبتتها النصوص القرآنية، وهي ستة: الله جل جلاله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وهذا الاصل عليه مبنى العقيدة والشريعة، فهو اصل الأصول، وقاعدة الإيمان، وجذر الاسلام، ومتى فقد هذا الاصل، انمحت معالم الاسلام، وتقطعت عرا الايمان، وهذا الاصل قائم على الايمان بأن الله تعالى واحد في ربوبيته وفي ألوهيته، واحد في اسمائه وصفاته، ﴿قل هو الله احد ❖ الله الصمد ❖ لم يلد ولم يولد ❖ ولم يكن له كفواً أحد﴾ الاخلاص.

وقال تعالى: **﴿وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم﴾** البقرة: ١٦٣، ومبنى هذا الاصل هو التوحيد، وتوحيد الله، له ثلاثة جوانب: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

❖ تعريف التوحيد:

هو إفراد الله تبارك وتعالى بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات[1]، وهو الحقيقة الكبرى في الكون، وفيما يلي ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته:

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه اياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس اول الخلق بأهون علي من إعادته، واما شتمه اياي:

فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»، رواه البخاري عن ابي مغيرة ورواه شعيب بن ابي حمزة عن ابن ابي حسين، عن نافع بن جبير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ ان الله عز وجل..» «البخاري: في التفسير(٤٤٨٢) والطبراني في الكبير (١٠٧٥١)»[٢].

❖ لا إله الا الله نفي وإثبات:

ومعنى «لا إله الا الله» لا معبود بحق الا الله، فهي مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله **﴿من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾** البقرة: ٢٥٦، فإنك لما نفيت الالوهية وأثبت الايمان بالله سبحانه وتعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله، ولذا يقول ابن القيم: والنفي المحض ليس توحيداً، وكذلك الاثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد الا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد[٣].

❖ أقسام كلمة التوحيد:

أولاً: توحيد الربوبية، وهي إفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والأمر كما قال تعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** فالخلق والأمر -وهو التدبير- هو الربوبية وهو مختص بالله عز وجل، فلا خالق الا الله ولا آمر ولا مدبر الا الله عز وجل»، ولهذا أدلة نقلية منها قوله تعالى: **﴿ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ❖ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾** الطور: ٣٥-٣٦، وهي كثيرة في القرآن الكريم لمن كان له لب او ألقى السمع وهو شهيد.

ومن أدلة التوحيد من أحاديث الرسول ﷺ، حديث «سيد الاستغفار»: «اللهم أنت ربي لا إله الا أنت، خلقتني وانا عبدك، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت» .. الخ الحديث، رواه البخاري (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، باب افضل الاستغفار، وباب: ما يقول اذا اصبح (٦٣٢٣).

اما الادلة العقلية فهي كثيرة جداً، ومن اجمل هذه الادلة ما استشهد به الامام احمد بن حنبل رحمه الله حينما سئل عن ذلك فقال: «ها هنا حصن حصين املس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك اذا انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح»[٤].

وقد قرن الله جل وعلا الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه، وهو الشرك في العبادة، قال تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** النساء: ٣٦، والند: المثل والنظير والمناوئ والشبيه، وكلمة التوحيد «لا إله الا الله» نفي لاتخاذ الانداد مع الله تعالى وإفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: **﴿فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون﴾** البقرة: ٢٢، والشرك نوعان: شرك أصغر، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، عن الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو ان يقول: والله وحياتك يا فلان، ولولا الله وفلان.. الخ، وهذا من الشرك الأصغر.

اما الشرك الأكبر: وهو اتخاذ ند لله في العبادة، فمن حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٢٩٧).

قال ابن القيم رحمه الله: والشرك فاحذروه، فشر ظاهر: ذا القسم ليس بقابل الغفران، وهو اتخاذ الند للرحمن اياً كان من حجر ومن إنسان يدعوه او يرجوه ثم يخافه، ويحبه كمحبة الديّان(٥).

❖ أسس التوحيد:

يذكر الدكتور عدنان النحوي في كتابه «التوحيد وواقعنا المعاصر» سبعة أسس للتوحيد هي:

١- لا رجعة للدنيا بعد الموت، ولا فسحة للتوبة بعده.

٢- التوحيد هو الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، والذي جاء به النبيون والمرسلون **﴿والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾** الأعراف" ٦٥ .

٣- لا يغفر الله ان يشرك به **﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾** النساء: ٤٨ .

٤- يجب ان لا يطغى على قضية التوحيد اي قضية أخرى.

٥- تاريخ الأمم كلها يكشف جذور قضية التوحيد في حياة الانسان، كما بينتها لنا الآثار المتروكة، والعلوم المكتوبة عند السومريين والكلدانيين والبابليين

والفراعنة الذين كانوا جميعاً يؤمنون بالبعث فيضعون مع الميت زاداً وزينة وأشياء أخرى يظنون أنها تنفعه حين البعث.

٦- وهناك خطوة أمام الداعية يجب ان يسلكها مثل: إيقاظ الناس، وتحريك الوعي والاهتمام لدى من تدعوه، ورفع الغفلة المسيطرة عليه، وأهم ما يحركه الداعية لدى الناس، طاقتان عظيمتان اودعهما الله سبحانه في نفس الانسان، هما العاطفة والفكر **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** النحل: ١٢٥[٦].

❖ مظاهر الانحراف عن التوحيد:

يقول المؤلف عدنان النحوي: انه حاول ان يعدد صور هذا الانحراف ومظاهره ما استطاع آخذاً قبسات من منهاج الله سبحانه، ومنها:

أولاً: الهوى: قال تعالى: **﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾** الفرقان: ٤٣، وقال تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾** البقرة: ١٦٥ .

ثانياً: عبادة الاصنام والأوثان من الحجارة وغيرها، قال تعالى: **﴿اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ❖ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ❖ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾** الأنبياء: ٥٢-٥٤ .

ثالثاً: أنداداً من دون الله: قال تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون﴾** التوبة: ٣١ .

رابعاً: عبادة رجل ذي سلطان، قال تعالى: **﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾** الزخرف: ٥١، ثم قال تعالى: **﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾** الزخرف: ٥٤ .

خامساً: انحراف في تصور الربوبية والألوهية، قال تعالى: **﴿ولئن سألتهم من**

خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة منه هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ الزمر: ٣٨.

سادساً: عبادة الشيطان، قال تعالى: **﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ❖ إلا عبادك منهم المخلصين﴾** الحجر: ٣٩-٤٠، وقال تعالى: **﴿ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ❖ وان اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾** يس: ٦٠-٦١.

ويقول المؤلف: «يستطيع الداعية الى الله ان يربط هذه النماذج من الانحراف بانحراف فطرة الانسان ليمهد لعرض التوحيد المغروس في الفطرة، لعرض قضية عهد الانسان مع ربه، ولعرض سنن الله في الكون، وفي حياة الانسان، ليصل الى ان مظاهر الانحراف عن التوحيد في حياة الانسان دليل على ان الدين أصله واحد وهو التوحيد»(٧).

❖ تصور الكافرين الخاطئ لمعرفة الله سبحانه:

يحدد القرآن الكريم أسباب طلب هؤلاء الكفرة واشتراطهم للإيمان ان يحسوا بالله سبحانه عن طريق السمع او الرؤية، وهذه الأسباب هي: الجهل، والكبر، والانحراف، والظلم.

١- **الجهل:** قال تعالى: **﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾** البقرة: ١١٨، وهذا قول اناس ليسوا عالمين بل جهالاً.

٢- الكبر: قال تعالى: **﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتواً كبيرا ❖ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾** الفرقان: ٢١-٢٢.

٣- الانحراف: قال تعالى عن أحد فراعنة مصر: **﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الأسباب ❖ أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ❖ وكذلك زين لفرعون سوء عمله**

وصد عن السبيل﴾ غافر: ١٦-٣٧ .

٤- **الظلم:** وقد طلب اليهود هذا الطلب ظلماً: قال تعالى: **﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون﴾** البقرة: ٥٥[٨].

وينقل سعيد حوّى عن العقاد من كتابه «حقائق الاسلام وأباطيل خصومه» قوله عن العقيدة الإلهية: «العقيدة في الإله رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها، من عرف عقيدة قوم في إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان، ومن صحة المقاييس التي يقاس بها الخير والشر، وتقدر بها الحسنات والسيئات، فلا يهبط دين وعقيدته في الإله عالية، ولا يعلو دين وعقيدته في الإله هابطة ليست مما يناسب صفات الموجود الأول الذي تتبعه جميع الموجودات.

وجاء الاسلام من جوف الصحراء العربية بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد، صححت فكرة الفلسفة النظرية، كما صححت فكرة العقائد الدينية، فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين -في جانب النقص منهما- أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف البديهة الصادقة أنه وحي من عند الله»[٩].

❖ بين الفلسفة والدين:

يقول د. راجح الكردي في كتابه «علاقة صفات الله تعالى بذاته»: «.. انهم فلاسفة وانهم مسلمون، فأيهما يؤخذ، الدين أم الفلسفة؟ وأيهما يضحى به: الدين ام الفلسفة؟ والأولى ان يؤخذ بكليهما معا ولا يضحي بأي منهما، بل هما يمثلان حقيقة واحدة..» ويمثل هذا الاتجاه الجديد القبول بالفلسفة الاغريقية والتسليم الواضح لها بل المبالغة في الحرص عليها والاسترسال في توضيحها وشرحها وتأييدها، ومن هؤلاء الفلاسفة: الكندي والفارابي، وابن سينا وإخوان الصفا، وابن رشد فيما بعد وغيرهم[١٠].

❖ وحدانية الله بين الاعتقاد الديني والفكر الاغريقي:

لقد آمن هؤلاء الفلاسفة بوحدانية الله تعالى، ولما قرأوا كتب الفلاسفة الاقدمين، بدا لهم فهم لمفهوم هذه الوحدانية، لم يكن مثاراً في الفكر الاسلامي في مرحلته السابقة، فإلى أي مدى بلغ هؤلاء

الفلاسفة التأثر بهذا المفهوم الاغريقي للألوهية الواحدة، والى أي مدى كان الانضباط بالوحدانية في المفهوم الاسلامي؟ قبل هؤلاء الفلاسفة رأي أرسطو في وحدة واجب الوجود، وهذا القبول المبدئي لا يتعارض مع الدين الذي يقول بوحدانية الله تعالى، مما جعلهم ينقلون حتى هذا الاصطلاح «واجب الوجود» ليعبروا به عن الله تعالى.

واما اخص خصائص واجب الوجود في الفلسفة الاغريقية، انه واحد في كل وجه، فهو واحد بسيط في التصور الذهني، وفي واقع الأمر، هو واحد لا شريك له، وليس له ند ولا ضد، وهو واحد بسيط في التصور الذهني بمعنى انه يمنع العقل تعدده بأي وجه من الوجوه، وينفي عنه الكثرة من وجه.

فالعقل ينفي عنه:

١- تركبه من اجزاء، هي اجزاء الواجب.

٢- تركبه من واجب.

٣- مشاركته لغيره في الماهية والقول الشارح، يقول الفارابي مبيناً وحدة واجب الوجود في واقع الأمر: «وجوب الوجود لا ينقسم بالحمل على كثيرين مختلفين بالعدد والا لكان معلولاً»، وهو ينفي عنه الكثرة بمعنى الند ايضاً.

❖ مفهوم الاسلام:

تميز الاسلام عن غيره بوضوح فكرة الخلق أو حقيقة الخلق، المبنية على تصور اعتقادي، ان الله سبحانه هو الخالق وحده، وهو وحده المتصرف بمخلوقاته، وحقيقة الخلق والتصرف والهيمنة والتدبير، تقود الى ان الله الخالق، موصوف بصفات توضح الخلق والايجاد، والابداع والرقابة، وقد اشار الله تعالى الى هذه الصفات في القرآن الكريم، كما وضح النبي ﷺ هذه الصفات، وجاءت احياناً صريحة كما في قوله تعالى: **﴿وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه﴾** فاطر: ١٩، وفصلت: ٤٧ .

وجاءت احياناً اخرى اسماء قابلة لاشتقاق الصفات منها، كالرحمن والرحيم والحي والقيوم والعليم والسميع والبصير، مشيرة الى الحياة والعلم والسمع والبصر والارادة والقدرة الى غير ذلك من الصفات[١١].

❖ **خاتمة:**

يعرض المنهج القرآني خطته الألوهية، ذاتاً وصفات، مما يؤكد صلة الله تعالى بالعالم، فهو الخالق لكل شيء، العليم بكل شيء، المدبر لكل شيء، له الأمر من قبل ومن بعد، يقرر مبدأ إثبات الوجود وإثبات الصفات، بمنهج متسق متوازن، يخاطب فيه الفطرة البشرية في أعلى درجات وعيها، ويبين الصفات لغرض تثبيت الإيمان، وزيادة اليقين، وبيان التصور الواضح الذي يقيم عليه المجتمع كيانه بالعبودية لله عز وجل وحده لا شريك له، وأدلته على ذلك سهلة ميسورة للعامة والخاصة.

والناظر الى هذه المشكلة «دخول الآراء الفلسفية الإغريقية على التفكير الاسلامي، ونشوء الخلاف والجدل بين الاشاعرة والمعتزلة حول قضية الصفات وعلاقتها بالذات، هل هي هو او غيره؟ هل هي عين الذات ام امر زائد عليها؟ وآراء المدارس الاسلامية فيها ضرورة الرجوع الى المنهج القرآني في إثبات العقيدة وفهم التصور العقدي على اساسه بكل ما يتميز به هذا المنهج من الخصائص والمقومات، ويدرك كذلك سلامة طريق السلف الصالح الذي لم يكن ليخوض في المنهي عنه، ورحم الله الصديق اذ يقول: «العجز عن درك الادراك ادراك» ورحم الله الامام مالكاً اذ يقول ايضاً: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[١٢].

الهوامش:

١- الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسحق بن منده الاصفهاني: التوحيد ومعرفة اسماء الله عز وجل وصفاته على الاتقان والتفرد، «تحقيق الشحات احمد الطحان، مراجعة ابي عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، المنصورة، مصر، ٢٠٠٧، ص٨ .

٢- المرجع السابق، ص١٩-٢٠ .

٣- محمد حسان، حقيقة التوحيد، مكتبة فياض، المنصورة، مصر ١٤١٤هـ، ص٢١ .

٤- المرجع السابق، ص٤٦-٥٢ .

٥- المرجع السابق، ص٢٧-٣٠ .

٦- عدنان علي رضا النحوي، التوحيد وواقعنا المعاصر ط٢، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٩٩٣، ص١٧-٢٩ .

٧- المرجع السابق، ص٣٨-٥١ .

٨- سعيد حوى، الله جل جلاله ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧-١٠ .

٩- المرجع السابق، ص١٦٠-١٦١ .

١٠- د. راجح عبد الحميد الكردي، علاقة صفات الله تعالى بذاته ط٢، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٩، ص٩٧ .

١١- المرجع السابق، ص٩٨-١٠٣ .

١٢- المرجع السابق، ص١٩٠-١٩٣ .

وحدة الأمة.. حقيقتها وسبل تحقيقها

■ بقلم الاستاذ عبادة توفيق بهنسي

❖ مقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ الأنبياء: ٩٢، والصلاة والسلام على نبينا المختار وعلى آله وصحبه الأخيار وبعد.

فقضية الوحدة الاسلامية هي قضية القضايا، وهي القضية القديمة التي يتجدد الحديث عنها والاهتمام بها كلما حل بالأمة مكروه، وهي قضية تلتمس حلاً منا جميعاً، أفراداً وجماعات، حكاماً وشعوباً، فالكل مسؤول أمام الله عز وجل عن تقصيره في حل هذه القضية، والوصول لهذا الهدف الذي تهفو الى تحقيقه كل نفس مؤمنة مخلصة لدينها ولأمتها، خاصة في هذه الظروف الحالكة التي تمر بها الأمة بسبب غياب تلك الوحدة، وتمكن الاختلاف والافتراق من أمتنا حتى أصبحت أشلاءً وأوصالاً على جميع المستويات، داخل القطر الواحد والمجتمع الواحد وحتى القبيلة الواحدة.

❖ أهمية وحدة وتضامن الأمة في الاسلام:

ان الأخوة الاسلامية واجب يفرضه الاسلام على جميع أفراد الأمة الاسلامية في شتى نواحي الأرض، وقد قرر ذلك القرآن الكريم، حيث قال الله جل وعلا: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ الحجرات: ١٠، وقال ايضاً: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ آل عمران: ١٠٣، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الذي



رواه النعمان بن بشير: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

❖ مقومات الوحدة الاسلامية:

ان أهم ما يقوم عليه التضامن والتكافل الاسلامي هو مبدأ الوحدة، ومما يضاده وينقضه الفرقة، فالمجتمع المسلم المتآخي المتضامن مجتمع واحد في عقائده الايمانية، وفي شعائره التعبدية، وفي مفاهيمه الفكرية، وفي فضائله الأخلاقية وفي اتجاهاته النفسية، وآدابه السلوكية، وفي تقاليده الاجتماعية، وفي قيمه الانسانية، وفي أسسه التشريعية.

وهو واحد في أهدافه التي تصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة، والخلق بالخالق، وفي أسس مناهجه التي تجمع بين المثالية والواقعية، وتوازن بين الثبات والتطور، وبين استلهام التراث والاستفادة من العصر.

وهو واحد في مصادره التي يستمد منها هدايته، وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفي المثل الأعلى الذي يستمد منه الأسوة الحسنة، وهو الرسول العظيم ﷺ[٢].

فهو مجتمع يؤمن برب واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، ويتجه الى قبلة واحدة بشعائر واحدة، ويحتكم في كل أموره الى شريعة واحدة، وولاؤه -حيث كان- ولاء واحد لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأمة الاسلام.. في الله يحب وفيه يبغض، وفيه يصل وفيه يقطع، عملاً بقوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾** المجادلة: ٢٢ .

❖ الأخطار التي تهدد الوحدة والتضامن الاسلامي:

ان أخطر شيء يهدد وحدة وتضامن هذه الأمة، هو التعصب للجنس او اللون أو الوطن أو اللغة او الطبقة أو المذهب، أو غير ذلك مما يمزق الجماعات والأمم الأخرى.

فالأخوة الاسلامية فوق كل العصبيات أياً كان اسمها ونوعها، والرسول الكريم ﷺ بريء من كل العصبيات، فهو القائل: «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[٣].

والقرآن الكريم يحذر من دسائس غير المسلمين الذين يكيدون لهم ليفرقوا كلمتهم ويمزقوا وحدتهم، كما فعل ذلك اليهود في الايقاع بين الأوس والخزرج بعد ان جمعهم الله على الاسلام، فقال جل وعلا: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ❖ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ❖ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ❖ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** آل عمران: ١٠٠-١٠٣ .

وفي هذا السياق حذر من التفرق والاختلاف فقال جل وعلا: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾** آل عمران: ١٠٥ .

❖ استراتيجية بناء الوحدة والتضامن الاسلامي الحقيقي:

ان استراتيجية بناء تضامن إسلامي قوي ومتين، يجب ان تقوم على وجود منهج موحد تعتصم به الأمة وترجع اليه، وهو حبل الله بالإضافة الى وجود رسالة مشتركة تشتغل بها، وتجعلها أكبر همها، وهي هنا الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الأمة اذا قعدت عن هذه الرسالة، أو فقدت المنهج، فإن السبل ستتفرق بها عن يمين وشمال، والشياطين ستتجاذبها من شرق وغرب، وهو ما حذر منه القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** الأنعام: ١٥٣ .

❖ الوحدة الاسلامية لا تنافي التميز والتنوع:

فالوحدة المفروضة في الأمة المسلمة، لا تعارض التنوع الذي يقتضيه اختلاف البيئات والأعراف بتأثير الحضارات المختلفة، والمواريث الثقافية المتعددة، فهو تنوع في إطار الوحدة، الجامعة، وهو أشبه بتنوع المواهب والميول والأفكار والتخصصات داخل الأسرة الواحد او تنوع الأزهار والثمار داخل الحديقة الواحدة.

ومن أهم ما جاء به الاسلام في هذا



الصدد: شرعية تعدد الاجتهادات في إطار القواعد الكلية والنصوص القطعية المتفق عليها، فلا يجوز ان ينكر مجتهد على مجتهد، وان اختلف معه في المشرب، ولكل وجهته، ولكل أجره، أصاب أم أخطأ، ما دام من أهل الاجتهاد، واختلاف الآراء لا يجوز ان يكون سبب تفرق أو عداوة، فقد اختلف الصحابة وتابعوهم بإحسان في قضايا كثيرة، ولم يؤد بهم ذلك الى التفرق، بل وسع بعضهم بعضاً، وصلى بعضهم وراء بعض، ومما يضيق الخلاف ان أمر الإمام أو حكم الحاكم في المسائل الخلافية يرفع الخلاف، ويحسم النزاع من الناحية العملية(٤).

❖ واقع الأمة وكيفية تغييره:

ان واقع المسلمين عموماً في العصور الأخيرة ضعيف وخطير، وذلك لعدة أسباب، منها:

١- عدم توفر العدد الكافي والمستوى اللازم من علماء الاسلام، الذين يتحملون واجب التعريف بالاسلام الصحيح، مما أدى الى قصور في فهم الاسلام، وتخلف في واقع المسلمين.

٢- التركيز الشديد على بعض أجزاء الفقه الاسلامي، والتقصير الكبير في العمل بالأجزاء الأخرى، ومنها فقه : ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ البقرة: ٢٠١ .

٣- بعد المسلمين عن دينهم عامة، وضعف علاقتهم بالله عز وجل.

٤- تعصب فئة من جهلة المسلمين لفئات وجماعات منحرفة.

٥- تفاقم الحسد والبغضاء والتشاحن بين المسلمين وغير ذلك من الأخلاق المذمومة.

٦- اعجاب كل ذي رأي برأيه مع تقليده لشخص معين او جماعة بعينها لا يحيد عنها.

٧- التنافس على الدنيا ومتاعها ومراكزها الفانية.

قد أدى هذا كله الى تخلف العالم الاسلامي، وتحوله الى مستعمرات للدول الكبرى، التي استنزفت خيراته، وقسمته الى دول ودويلات، ومارست عليه كل أنواع الظلم والاحتلال والاضطهاد، وعملت على جعله عالماً جاهلاً متخلفاً، تتنازعه الأهواء والخلافات المذهبية والعرقية، وتسيطر عليه مشكلات خاصة وعامة، مع ان الاسلام أراد للمسلمين ان يعيشوا أقوياء

حسب قول رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف»(٥)، وحسب الأمر القرآني: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** الأنفال: ٦٠ .

والقوة في عصرنا الحاضر كما يطلق عليه عصر العولمة، هي قوة العلم والصناعة والاقتصاد والتجمع والتكتل، لذلك دعا الاسلام الى التكافل العلمي، فقال الرسول الكريم ﷺ: «ليس مني الا عالم أو متعلم»(٦).

ودعا الى التكافل الاجتماعي، فقال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به»(٧)، ودعا ايضاً الى الاتحاد، لأن في الاتحاد قوة، وفي التنازع الفشل والضياع، فقال الله تبارك وتعالى: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾** الأنفال: ٤٦ .

ودعا الى الغنى والثروة، لتسخيرها في خدمة الصالح العام، فقال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(٨)، وقد امتن الله تعالى على نبيه ﷺ بالغنى فقال: **﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾** الضحى: ٨ .

وامتن رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي»(٩).

والغريب ان المسلمين عزلوا انفسهم عن فقه الحياة، بل صار هناك دعوة الى الفقر والزهد وترك العمل للدنيا، مع انها تحريف وجهالة، وهي ليست من الاسلام في شيء، فالزهد لا يكون في المفقود، ولكنه يكون في الموجود، اي انه توجد عزة وثروة ثم لا يتعلق بهما الانسان، بل يسخرهما في الصالح العام، بعيداً عن الأنانية.

ان ضعف المسلمين في فقه الأمور الحياتية أدى الى تخلفهم، مع ان النهضة الأوروبية تأسست على الثقافة الاسلامية في الأندلس وغيرها، والمسلمون من طريق راحة الكسول، ومن طريق التعليم الناقص، وباسم الزهد كانوا يدعون الى ترك الدنيا وباسم التوكل اهملوا العقل، وباسم القدر اهملوا العمل، فما اشد حاجتنا الى الفهم الصحيح لتعاليم ديننا!!.

ان نقص التربية الاسلامية والقصور في التعليم الاسلامي الحياتي، على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية، هو أحد

أسباب الخلاف، اضافة الى ان الاستعمار الثقافي الصليبي سيطر على عقول اجيال كثيرة من أبنائنا، وزرع فيها الفكر والثقافة التي يريدها، وهو يعمل جاهداً على زرع بذور الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، وهناك من يرعى ويسقي هذه البذور، ويجني منها الكثير انطلاقاً من مصالحه الذاتية والأنانية، ففي بعض جوانب فطرة الانسان حب للذات والأنانية، والاسلام يسعى ليخرجه من روح الأنا الى روح الجماعة، واذا وقع الاختلاف فالقرآن الكريم يقول: ﴿**فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم**﴾ الأنفال: ١ .

ان الشعور بإصلاح ذات البين ضعيف بين المسلمين، وهو نقص في إسلامهم والاسلام علم وعمل، وليس مجرد قول وادعاء، وعموماً، يوجد نقص في بناء هذه المعاني في شخصية الانسان المسلم، ويجب إعادة الثقافة الاسلامية على قواعدها الصحيحة، بدءاً من الفرد الى الأسرة الى المجتمع الاسلامي.

❖ لماذا يفشل المسلمون في تضامنهم وينجح غيرهم؟!.

من المحير والغريب انه في العصور الأخيرة، تخلف المسلمون عن الفقه الحياتي الاسلامي، بينما تقدم العالم الغربي ورفع من شأن الانسان بالرغم من انه لا يوجد في تعاليم دينهم ما يدفعهم لتحقيق هذه المعاني، اما الاسلام، فقد وفر للمسلمين معاني التقدم، ورخاء الانسان، وكل ما يرفع من شأنه، وجعل هذا من الدين.

وهناك حديث نبوي يحث المسلمين على التقدم الدائم في كل مجالات الحياة، يقول رسول الله ﷺ: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه، فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموت خير له»[١٠].

ان الأمم المتقدمة تسير على هذه المعاني، ولكن ليس على أساس أنها دين، وانما بدافع العزة والكرامة في الحياة، والانسان المسلم مسؤول عن هذه الواجبات في الدنيا ومحاسب عليها في الآخرة، لأنها مما أمر به الدين الاسلامي[١١]، ويجب علينا كمسلمين ان نكون على قدر المسؤولية والأمانة التي خصنا الله تعالى بها في قوله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت**

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران: ١١٠ .

كما يجب علينا ان نأخذ العبرة من تاريخنا الاسلامي المليء بالنماذج الناجحة في التضامن والتكافل والأخوة الاسلامية، حيث كان رباط الأخوة هو الأساس المتين الذي يتجمع حوله المسلمون دون اعتبار، لما كان بين العرب في الاسلام من روابط تقوم على الأنساب والأجناس والتعصب لها، ففي الاسلام لا تفاخر بالأنساب ولا اعتبار للجنس، فالاسلام يرفض ان يفترق الناس اجناساً مختلفة، وان تفصل بينهم فواصل من صنع ايديهم.

ولهذا فقد احتضن المجتمع الاسلامي الأول المسلمين من كل جنس ومن كل لون، ولم يجد الفارسي او الرومي أو الحبشي حائلاً يمنعه من الانتساب لهذا المجتمع بل والتصدر فيه.

ان تحقيق الوحدة والتضامن بين المسلمين من أبسط الأمور بالمقارنة بما تم تحقيقه من اتحادات وتكتلات غير اسلامية، نقول هذا واثقين في ظل هذه الصحوة الاسلامية المتنامية والمترامية على جميع بقاع العالم الاسلامي، هل فكرنا كيف تم انشاء الاتحاد الأوروبي وهو الآن يضم بين اعضائه دولاً وعرقيات كانت متناحرة في الماضي، أفكارهم شتى وعاداتهم وثقافاتهم وأهواؤهم ولغاتهم شتى، ولكنهم عندما رأوا مصالحهم وأهدافهم مشتركة، هبوا لإنشاء اتحادهم، بل ووضعوا له دستوراً موحداً احتاجوا لوضعه لأكثر من ٩٠٠ مترجم. لكي يترجموا من والى اللغات المختلفة للاتحاد، او اتحاد دول الآسيان او الولايات المتحدة الامريكية، هل فكرنا كيف تم هذا!؟.

لقد تم كل هذا على مبادئ ديننا نحن المسلمين، فهم أقاموا اتحاداً أي وحدة «Unity» اما نحن فما زلنا نكرر تضامن «Joint Liability» مع ان الله تعالى يقول لنا: **﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** المؤمنون: ٥٢ .

ولم يقل: امة متضامنة، فالوحدة اقوى من التضامن، هم أنشأوا مصانع وبنوا قوتهم واعدوا عدتهم وكأن قول الله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** الأنفال: ٦٠، نزل لهم وليس لنا، هم اعتصموا وتجمعوا وتكتلوا وتوحدوا

وتآلفوا وكأن قول الله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ آل عمران: ١٠٣، قد نزل فيهم وليس فينا، أما آن لنا ان نفيق ونفهم ديننا ونطبق مبادئه التي اهملناها فتخلفنا وطبقها الآخرون، فنجحوا وسادوا وتقدموا وازدهروا.

ان اتحادنا لو قررنا إنشاءه فلن يحتاج لكل هذا لأن الله تعالى هو الذي وحدنا على دين واحد وهدف واحد وكتاب واحد ولغة واحدة، فلنعمل مخلصين جاهدين، كل في مجاله، على استعادة هذه الوحدة التي لن يكون للمسلمين شأن وقوة وعزة واحترام بين الأمم الا بها.

ومن سبل تحقيق الوحدة الاجتماعية والوطنية طبقاً لمبادئ وتعاليم الاسلام بمعناها الواسع الشمولي، ان يحتوي المجتمع المسلم غير المسلمين وذلك بتطبيق منهج اسلامي عصري يناغم فهمهم وينسجم مع فكرهم تجاه الحياة في دولة متعددة الديانات والثقافات حيث يمكنهم ممارسة شعائرهم الدينية في أمن واطمئنان، كما يسمح لهم بالمشاركة في الثروة والسلطة من خلال نظام ديمقراطي نزيه وشفاف.

◆ مظاهر الوحدة وانواع التضامن المنشود في الأمة[١٢]:

ان الوحدة والتكافل والتضامن المنشود بين افراد واطراف الأمة الاسلامية أنواعه متعددة ومظاهره مختلفة، فمنها:

١- التضامن في البناء والاستقرار، وهو ما يؤدي الى حياة جماعية مستقرة ومزدهرة وهو ما يأمرنا به الله تعالى في قوله: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾ المائدة: ٢.

وقد بين الله جل وعلا معنى البر في آية أخرى في قوله: ﴿**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ البقرة: ١٧٧.

فالبر المطلوب من المسلمين ان يتكافلوا ويتعاونوا من اجله، هو عقيدة وعبادة حسن معاملة وتحمل في الشدائد ومنح

وإعطاء في الرخاء.

ب- التضامن في المحافظة على البقاء:

من اجل الدفاع عن وجود الأمة والمحافظة على كيانها وهويتها وبقائها كما أمر الله به في قوله تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾** البقرة: ١٩٠ .

ت- التضامن في المحافظة على الولاء:

اي ولاء جماعة المؤمنين بعضهم لبعض، بسبب اشتراكهم في الايمان والهدف النزيه الذي يسعى الجميع لتحقيقه بعيداً عن دناءات الدنيا ومتع الحياة الزائلة، وهو ما يعنيه قوله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾** التوبة: ٧١ .

ث- التضامن من اجل المحافظة على ولاء المسلمين بعضهم لبعض، من اجل التوفيق بين المتنازعين والمتخاصمين منهم، للحفاظ على روح السلام والمحبة التي تتحلى بها الجماعة المؤمنة وهذا المقصود من قوله تعالى: **﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ❖ انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾** الحجرات: ٩ -١٠ .

ونلاحظ هنا ان الله تعالى وصف الطائفتين المتقاتلتين بأنهما إخوة، أي ان حالة القتال والنزاع هذه حالة مؤقتة، والأصل في المؤمنين أنهم إخوة ويجب ان يعودوا لرشدهم في اسرع وقت.

❖ خاتمة:

وفي ختام هذا المقال المتواضع نقترح عدة خطط مستقبلية لتنفيذها لبناء وحدة او تضامن اسلامي نوجزها في الآتي:

- توعية الشعوب الاسلامية بأهمية الأخوة والتضامن وبأن كل مسلم يجب ان يكون عمقاً استراتيجياً لأخيه المسلم.

- التحلي بأدب الخلاف والتناظر طبقاً لقول المرحوم الاستاذ محمد رشيد رضا: «لنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

- استصحاب فقه الأولويات: فقد يكون رأيي صواباً ولكن هناك ما هو أولى منه في مرحلة ما، فإذا عرفنا ذلك عذرنا بعضنا بعضاً، وقوينا من أخوتنا وأعنا بعضنا بعضاً على المهام الموكلة لكل منا.

- الاخلاص وحسن الظن ببعضنا البعض وتضييق دائرة الخلاف الى أقصى حد، وان تتسع صدورنا للنقد البناء، وتغليب روح الأخوة.

- التحلي بأدب الحوار واختيار الكلام الطيب وعدم الابتذال فيه، مع مراعاة الفوارق العلمية والاجتماعية، فلا بد من ان نرقى بأسلوب حوارنا، وان يحترم كل منا الآخر عملاً بقول رسول الله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»(١٣).

وقوله أيضاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»(١٤).

- الاستعانة بوسائل الاعلام المختلفة لنشر ثقافة التضامن بين الشعوب الاسلامية.

- تخصيص بعض الدروس في المراحل التعليمية المختلفة لغرس قيم التعايش والتضامن.

- مواصلة عقد المؤتمرات والمجالس التي توضح صورة الاسلام والمسلمين الحقيقية.

- تنظيم الزيارات الودية والعلمية والندوات الثقافية والفنية والرياضية بين اقطار العالم الاسلامي لرفع روح الأخوة والتضامن بينهم.

هذا ونرجو الله ان يوفق امتنا حكاماً ومحكومين لتحقيق الوحدة المرجوة التي أمرنا بها ديننا الحنيف، وان يهيئ لنا جميعاً من امرنا رشداً فهو الموفق والمستعان والهادي الى سواء السبيل.

الهوامش:

١- مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم نشر دار احياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي جزء ٤، ص١٩٩٩ .

٢- من فتوى تحت عنوان لوازم الأخوة الاسلامية المنشورة في بنك الفتاوى على موقع اسلام: http://www.islamonline.net/tatwa/arabic/fatwadisplay.asp?hfatwaid=18410 بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٨ .

٣- محمد شمس الحق العظيم آبادي ابو الطيب، عون المعبود شرح سنن ابي داود، دار الكتب العلمية،

بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ جزء١٤، ص١٩ .

٤- من فتوى لاوازم الأخوة الاسلامية «مصدر سابق».

٥- مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم مصدر سابق جزء ٤ ص٢٠٥٢ .

٦- علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩، الجزء ١٠ حديث رقم ٢٨٨٠٤ .

٧- نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ، الجزء ٨، ص٣٠٥ .

٨- محمود الألوسي ابو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراث العربي، بيروت الجزء ٤، ص٤٧ .

٩- المتقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، الجزء ١٤ حديث رقم ٣٧٩٤٥ .

١٠- رواه الديلمي بسند ضعيف عن علي مرفوعاً، انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للإمام اسماعيل الشافعي العجلوني، الجزء ٢، حديث رقم ٢٤٠٦ .

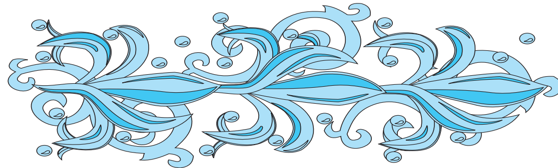
١١- من حوار مع المرحوم الشيخ احمد كفتارو مفتي الجمهورية السورية السابق اجراه معه مراسل مجلة منار الاسلام، الصادرة في ابو ظبي عن وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف، دمشق في ١٩٩٦/١٢/١٧، منشور على موقعه

/http://www.kuftaro.net/arabic.

١٢- للمزيد راجع الدكتور محمد البهي، الاسلام في حياة المسلم، ص ٢٧٣ وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٣ الطبعة الثانية.

١٣- محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، تحقيق د. مصطفى ديب البغا استاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق، الجزء ٥، ص٢٢٤١ .

١٤- محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح «سنن الترمذي» دار احياء التراث العربي، بيروت تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون الجزء ٤، ص٣٢١ .



فضل
صيام الست من شوال

■ بقلم الاستاذ أمجد محمد الاسعد

شرع الاسلام صيام ستة أيام من شوال، لما في ذلك من فضل عظيم وأجر كبير، كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي ﷺ قال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر).. وإنما كان صيام الست من شوال مع صيام رمضان كصيام الدهر، لأن رمضان عن عشرة أشهر حيث أن الحسنة بعشر أمثالها والست من شوال عن ستين يوماً (شهرين) أيضاً لأن الحسنة بعشر أمثالها وعشرة أشهر مع شهرين حولٌ كامل.. قال ﷺ: (صيام شهر رمضان بعشر أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة) رواه النسائي.

فصيام الست من شوال سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر" خرجه الإمام مسلم في الصحيح.

وهذه الأيام ليست معينة من الشهر، بل يختارها المؤمن من جميع أيامه، فإذا شاء صامها في أوله أو في أثنائه أو في آخره وإن شاء فرقها وإن شاء تابعها فالأمر واسع بحمد الله، وإن بادر إليها وتابعها في أول الشهر كان ذلك أفضل لأن ذلك من باب المسارعة إلى الخير، ولا تكون بذلك فرضًا عليه بل يجوز له تركها في أي سنة لكن الاستمرار على صومها الأفضل والأكمل لقول النبي ﷺ: "أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل" وتستحب المبادرة بصيام الست من شوال بحيث يبدأ بها من اليوم الثاني من الشهر ولا حرج في عدم المبادرة، فلو أخّرها إلى وسط الشهر أو آخره فلا بأس.

وقد ذكر أهل العلم عدة فوائد ومعان لصيام هذه الأيام الست: منها أن العبد يستكمل بصيامها أجر صيام الدهر كله، ومنها أن صيام النفل قبل وبعد الفريضة يكمل به ما يحصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر وتكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من وجوه متعددة.

ومن الفوائد أيضاً أن معاودة الصيام بعد رمضان من علامات القبول، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى.

ومنها أن معاودة الصيام بعد الفطر فيه شكر لله جل وعلا على نعمته بإتمام صيام رمضان ومغفرة الذنوب والعتق من النار، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يشكروه على هذه النعم العظيمة فقال سبحانه: **﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾** البقرة: ١٨٥، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان، وإعانته عليه، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له عز وجل عقب ذلك.

إن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، وإن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي ﷺ يقوم حتى تتورّم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكورا».

ومن الفوائد كذلك المداومة على فعل الخيرات، وعدم انقطاع الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في رمضان بانقضاء الشهر، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها ، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله ﷺ فقالت: (كان عمله ديمة).

ومن أجل هذا المعنى ذم السلف من انقطع عن العمل الصالح بعد رمضان، قيل لبشر الحافي رحمه الله: إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان، فقال: (بئس القوم قوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان، إن الصالح، الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها).

فعودُ المؤمن إلى الصيام بعد فطره، دليل على مداومته على فعل الخير، وعدم انقطاعه عن العمل الصالح ، إلى غير ذلك من الفوائد والمعاني العظيمة.

قطوف دانية

بقلم الطالبة ليندا زكي احمد

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ❖ والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾.

الرعد: ٢٠-٢١

الصدقة بعشر امثالها

قال رسول الله ﷺ:

«رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر امثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة».

خير الخلق أجمعين

قال رسول الله ﷺ:

«انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً».

اول من يبعث يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ:

«انا سيد ولد آدم يوم القيامة، واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع».

اتباع الهوى وطول الأمل

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

«أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى وطول الأمل، فإن اتباع الهوى، يصد عن الحق، وان طول الأمل ينسي الآخرة».

العلم والحلم

قال ابراهيم بن أدهم:

ما من شيء اشد على الشيطان من عالم حليم، ان تكلم تكلم بعلم، وان سكت سكت بعلم، يقول الشيطان: انظروا الى كلامه اشد عليّ من سكوته.

معرفة الرازق

قال محمد اقبال:

«اذا لم تعرف رازقك، كنت فقيراً الى الملوك، واذا عرفته افتقر اليك الملوك، ان الاستغناء ملوكية، وعبادة البطن قتل للروح، وانت مخير بينهما، اذا شئت اخترت القلب، واذا شئت اخترت البطن».

مزاعــم غريبــة عن التراث العربي الاسلامي ووجود النقص فيه!!

■ **بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار**

وقـعت في يدي نسـخة من جـريدة «الشـرق الأوسط» التي تصـدرها في لندن «دار السـعودية للأبحاث والتسـويق» وهي بتـاريخ ٢٠٠٩/١١/٢٩م، ولفت نظري فيهـا الكلمة اليومية التي يكتبها الأديب العـراقي السيد خالد القشطيني، وهي بعنوان «تراث ناقص» وبصفتي من طلبة التاريخ الاسلامي، أقبلت على قراءة تلك الكلمة بكل اهتمام.

ولـلأسف وجــدت الكاتب يركــز على مـزاعم لا يشاركه فيها أحد (وانا منهم) اذ يزعم السـيد القشطيني ان التراث العربي (الاســلامي) خـال من ذكــر الوطن ولزوم محبته والدفاع عنه، ويتهم العرب «ويقصد المسلمين» بأنهم كـــانوا يقـــاتلون (في الجاهلية) دفـاعاً عن قـبيلتهم، ثم صـاروا يقـاتلون تحت راية الدين الاسـلامي، وكـأن تلك الراية هي المشـبوهة، وكـأن القـبيلة العربية (وغيـر العربية) تعيش في (المريخ) وليست على هذه الأرض، وينسى أنها هي (الديار) التي يعتـز بها كل عـربي ومسلم، ويدافع عنها بروحه، وبكل ما يملك، أو كأن الاسلام جاء لأناس ليسوا على هذه الأرض بما فيها من صالح وطالح.

هذا وقــد فــات الكاتب مــا يُروى في الأثر: «ان حب الوطن من الايمان» وأذكــر جـيـداً مـا كنا ننشـده -كـأطفـال- ضـمن الاناشيد المدرسية من قول: «وصيـة النبي الهــادي... حب الوطن من الايمان» ثم ان العــرب قـبل الاســلام، دخلوا في حــروب

دامت عدة سنين دفاعاً عن أرضهم، ومنها معركة يوم ذي قار» وقد تصدى ملك الحيرة «النعمان بن المنذر» للقوات الفارسية التي اعتدت على ارض بلاده، وانتصر عليها، ولا شك ان الاستاذ خالد يتذكر الهتاف القبلي العراقي «ويسمى الهوسة» وهو هتاف مشهور في العراق بمختلف ربوعه، ومفاده «هذي القاع لا ننطيها، سبع سنين نحارب فيها» ومعنى «القاع» في اللهجة العراقية هي الأرض، ومعنى «لا ننطيها» اي لا نتنازل عنها ونعطيها للعدو.

وكم من مرة دخل العرب -قبل الاسلام- في حروب مع إخوانهم من العرب، وكان سبب القتال هو الخلاف على ملكية الأرض، وحصل ذلك بالنسبة للمسلمين، عندما تهاونوا في أمور الدين الحنيف، وفضلوا مكاسب الدنيا على روابط الاسلام ومبادئه، ولا شك ان ما حصل لا يمكن بحال اعتباره قتالاً تحت راية الدين، وأقرب مثال لذلك القتال، هي الحرب التي دارت ثماني سنوات بين العراق وايران، وذلك بسبب الخلاف على ملكية شط العرب وبعض قرى الحدود.

وعلى اي حال فإن الارض لها اهمية خاصة في الاسلام، اذ ورد ذكرها في القرآن الكريم مقرونة بالسماء عشرات المرات، وسأذكر بعضها مع الإشارة الى موضعها في المصحف الشريف ومنها:

١- **﴿ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾** البقرة: ١٦٤، وواضح ان الآية الكريمة تركز على أهمية الأرض وخيراتها التي تنفع الناس، وهي وطن الانسان الذي ينبغي عليه صيانتها والدفاع عنها، وهذا ما يوجبه عليه الدين والعقل والمنطق، لقوله تعالى: **﴿لقوم يعقلون﴾**.

ولا شك ان هذا الوصف القرآني للأرض، دليل على اهميتها في الاسلام، وان الدفاع عنها هو فرض على المسلمين في جميع ديارهم في مختلف العصور، وان التهاون بشأنها وعدم حمايتها، يعتبر ذنباً ما دامت السماء والأرض.

وهذا كاف لتكذيب العنوان الذي اتخذته زاوية القشطيني عنواناً لها، أي «تراث ناقص» ولا شك ان بقية الآيات ستعزز هذا المعنى بأساليب قرآنية هي في غاية البلاغة والحكمة، ومنها:

٢- **﴿الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾** البقرة: ٢٥٥ وفي هذا تشريف للأرض ليس فقط بالعطف على السموات فحسب، بل لأن الكرسي الإلهي حل فيها كما حل في السموات، وهكذا فالأرض التي يحيا عليها الانسان، فهي تتسع للكرسي الرباني كما أسلفنا.

٣- **﴿ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾** آل عمران: ٥ .

٤- **﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير﴾** آل عمران: ١٨٨ .

٥- **﴿أولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ❖ وجعلنا الأرض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون ❖ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾** الأنبياء: ٣٠-٣٢، ولا يخفى ان هذه الآيات تتضمن حقائق فلكية ووصفاً للأرض والسماء، وما فيهما من مزايا لخدمة الإنسان.

٦- **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار﴾** ابراهيم: ٤٨، وفيها اشارة ليوم القيامة، حيث تبدل الأرض والسموات.

٧- **﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾** الأحزاب: ٧٢، وهي عن ثقل الأمانة.

٨- **﴿رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾** الصافات: ٥، وهي عن شمول الربوبية.

٩- **﴿رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾** الدخان: ٧، وهي ايضاً عن شمول الربوبية.

١٠- ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾ النبأ: ٣٧.

١١- ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾ الفتح: ٤، وفيها تأكيدات عن وجود جنود لله في كل مكان.

١٢- ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ الزمر: ٥، وهي تأكيد لاقتران السموات والأرض.

١٣- ﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾ التغابن: ٣، وفيها تأكيد لخلق السموات والأرض وخلق الانسان في أحسن صورة.

١٤- ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ❖ الرحمن على العرش استوى ❖ له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ طه: ٤-٦، وهي تأكيد لتنزيل القرآن وخلق الأرض والسموات وما بينهما وان لله عرشاً، وله كل شيء في السماء والأرض.

ثانياً: الديار كما وردت في القرآن الكريم:

لقد بينا فيما سبق ما تتمتع به الأرض من اهمية خاصة بنص القرآن الكريم، ولكن القرآن حفل ايضاً بذكر الديار التي يقيم فيها المسلمون، وهي الوطن الذي اتهم السيد القشطيني المسلمين بإهماله، وسنحاول استقراء بعض الآيات التي حفلت بذكر الديار التي يقطنها المسلمون والتي خُصت بأهمية خاصة، واعتبر القرآن الكريم اخراج اهلها منها ذنباً لا يغتفر، ويوجب على المسلمين كافة الحيلولة دون ذلك، وسوف نستعرض ما ورد بهذا الشأن من الآيات البينات بإذن الله تعالى.

١- وقد ورد في سورة البقرة الآيتان الموجهتان اصلاً الى بني اسرائيل، ولكنها تنطبق على المسلمين، وهما الآية (٤٨) في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون﴾ ثم الآية (٨٥) ونصها:

﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ وهذا الوحي الإلهي واضح في أهمية الديار وتحريم اخراج أهلها منها، مما سوف نراه -بإذن الله- في آيات أخرى.

٢- وفي سورة آل عمران الآية (١٩٥) التي وردت في حق من يدعو ربه ليحقق له عدم خزيه يوم القيامة فقال تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾**، وهي واضحة في حق من أخرجوا من ديارهم وقاتلوا وقتلوا، فيكفر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عنده.

٣- وفي سورة الحج، الآيات (٣٩-٤٠) ونصها: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ❖ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾**، وهذه الآية الآخيرة واضحة بالنسبة لمن أخرجوا من ديارهم بغير حق.

٤- أما في سورة الحشر الآية (٨) فقد ورد فيها قوله تعالى: **﴿للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾**.

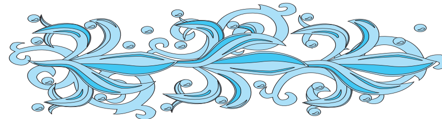
٥- وفي سورة الممتحنة، ورد في الآيات (٨-٩) ذكر الاخراج من الديار وان من يتولاه يكون في عداد الظالمين، اذ قال تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم**

يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ❖ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾.

٦- وكذلك وردت احكام مشابهة لما أسلفت في سورة الأحزاب في الآيات (٢٥-٢٧) اذ قال تعالى: **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ❖ وأنزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ❖ وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾**.

وهكذا فإن الاسلام اعطى الأرض اهمية خاصة، وأعطى الديار التي يقطنها المسلمون مكانة مهمة واعتبر إخراج أهلها ذنباً لا يغتفر، ويوجب على المسلمين كافة الحيلولة دون وقوعها -كما رأينا في الآيات السابقة- في أيدي العدو، ويؤكد القرآن الكريم على هذا المعنى.

ولذا فإن ما زعمه السيد القشطيني باطل من أساسه، ويدل على جهل بأحكام الاسلام الذي منح الأرض قدسية خاصة ليست موجودة في المبادئ التي روجها الغربيون، وتلقاها عنهم بعض المسلمين بالقبول، وكأنها حقائق مسلم بها ومما يؤسف له ان بعض المسلمين تنطلي عليهم تلك الأكاذيب، وإلا لما أقدمت جريدة مسلمة «وسعودية خاصة» على نشرها في زاوية الكاتب المشار اليه، اي يفترض في جريدة «الشرق الأوسط» ان تلتزم بما ورد في القرآن الكريم عملاً بالشريعة الاسلامية التي هي الدستور للدولة السعودية، وتطبقها في جميع الشؤون، سواء أكانت في أمور الدين او الدنيا على السواء.



٢

الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين في الكتابة عن الرسول ﷺ والسيرة النبوية

المستشرقة الإيطالية ريتا دي ميليو نموذجا

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ نظرتها للسيرة النبوية:

المؤلفة الإيطالية التي عاشت وتجولت في مدن العالم الإسلامي، ولم تكتب عن الإسلام إلا بعد أن قرأته ودرسته وعاشته. كتبت مؤلفها "الإسلام ذلك المجهول في الغرب: الدين الإسلامي في ضوء القرآن والسنة" هذا الكتاب يسلط الضوء على عظمة الإسلام وسماحته، وجاء الكتاب في فصول سريعة بدأت بعرض لحياة الرسول ﷺ، أبرزت فيها المؤلفة الخصال التي اشتهر بها قبل البعثة النبوية مثل الصدق والأمانة، كما عرضت لحال المجتمع العربي قبل نزول الإسلام، وكيف جاء هذا الدين لكي يصلح الكثير من الأمور التي كانت تضرب في أساس هذا المجتمع، وليحوله من مجتمع بدوي بدائي، إلى واحد من أعظم الحضارات التي شهدها التاريخ.

وربما كان أهم ما في هذا الجزء من عرض الحياة الأولى للرسول ﷺ هو أنه ابتعد عن الطروحات التي سادت في كتب وأفكار عدد غير قليل من المستشرقين، بل ردت عليهم المؤلفة وأكدت أن محمدا ﷺ هو نبي الله ورسوله، وأن رسالته منزلة من

السماء. ولمحت إلى أن أول من اعترف بنبوة محمد ﷺ كان مسيحيا، وهو ما استغله مفكرون آخرون ليقدحوا في النبوة ويشككوا فيها، عندما اعتبروا أن محمدا لم يكن إلا قسا متمردا وناقما!! والمؤلفة تطرح أفكارها بقوة وترد عليها بقوة أيضا، من دون خوف أو تردد، بل لا تتردد في اتهام كتّاب بني جلدتها بالغرور حينا وبالجهل دائما.

وضعت ريتا دي ميليو مقدمة لكتابها تعبر فيها عما يجيش في وجدانها من حب وتأثر بالدين الإسلامي، إلى الحد الذي يجعلك تتصور أنها اعتنقت الإسلام بالفعل. في مقدمة الكتاب تشير الكاتبة إلى أن الإسلام لا يمكن أن يحيط به أي كتاب مهما تضخمت صفحاته، فهو يستحق الكثير من الكتب، لكي تلم بجوانبه المتعددة، وهو كالماسة لها ألف بريق، وليس من الإنصاف اختصاره في كتاب واحد. وفي هذا إشارة إلى القضايا الكثيرة التي يمكن الكلام فيها عن الإسلام والسيرة النبوية والجوانب المتعددة له. ورغم نص الكاتبة على أنها تأخذ بمنهج التبليغ الإسلامي، فقد تعرضت في فصول كتابها المختلفة إلى كثير من القضايا الخلافية، قالت فيها رأيها بصراحة وجرأة، خاصة قضية الجهاد، التي قدمت فيها مسوغات منطقية عقلانية للجهاد الإسلامي، بعيدا عن استغلال هذا الفرض الديني لأهداف سياسية وإرهابية. وفصلها في الجهاد، رغم أنه يتحدث عن الجهاد بوصفه "الحرب المقدسة"، وهو التعبير الذي لم يعرفه الإسلام، ولكنه منقول عن الغربيين في حروبهم الصليبية، ولكنها استخدمت المصطلح الغربي لكي تقرب إلى أذهان الغربيين هذا المفهوم، هذا الفصل عن الجهاد يعتبر من أجمل ما كتبه قلم غربي منصف ومحايد في هذه القضية.

فهي ترى فيه فرضا على كل مسلم، ولكنها تقول: إن الحرب في الإسلام دفاعية، لأن القرآن ينهى صراحة عن الاعتداء على الغير، ويأمر المسلمين بالدفاع عن أنفسهم، وعن أموالهم، وبالتعاضد لنصر المستضعفين من المسلمين. تأخذ ريتا دي ميليو بالمنهج العزيز على الغرب، وهو النقدي التاريخي، الذي يحاول أن يتناول الأحداث في الجزيرة العربية، من خلال الترتيب الزمني لحدوثها، وتفسيرها ضمن السياق التاريخي لهذه العصور، من دون أن تعطي للبعد الغيبي ثقلا كبيرا في التفسير، ورغم هذا فهي تصل إلى نفس النتائج التي يمكن

أن يصل إليها علماء الدين، اعتمادا على النصوص المقدسة وحدها، من دون تحليلها نقديا وضمن السياق الاجتماعي والإنساني والتاريخي لها.

ولهذا فإنه ليس من المبالغة أن نعترف لها بفضل الاجتهاد في تفسير بعض أحداث التاريخ، التي تخص مسيرة الدين والحضارة الإسلامية. هكذا تبدأ ريتا دي ميليو بعرض حياة العرب قبل الإسلام وترسم خريطة للمعتقدات الدينية، التي كانت سائدة في هذه المنطقة، والتي تجاورت فيها الوثنية إلى جانب عبادات غريبة للنباتات والأشجار والأشياء المختلفة، كما كان هناك انتشار محدود، وفي مواضع بعينها للمسيحية واليهودية، خاصة في اليمن وفي شمال الجزيرة العربية.في شبه الجزيرة العربية، وبخلاف تقديس الأشجار والنباتات، كانت هناك عبادات للأحجار المقدسة، وهي أحجار متحركة أو متساقطة أو صخور بارزة أو معلقة، تحمل الملامح البشرية، ولم يكونوا يعبدونها لذاتها، وإنما باعتبارها حاملة للألوهية أو رمزا لها. فكانوا يقيمون إلى جوارها الاحتفالات الدينية التي تشتمل على القرابين وأعمال الحج والمهرجانات.

أما البدو الرحل فكان لديهم على العكس محراب متنقل، يسمى القبة، وهو نوع من المراكب المقدسة، كانت ترافق القبائل في تنقلاتها السلمية أو الحربية.والكاهن، وهو شخصية بين القس والساحر، كان له تأثير كبير، وكانوا يستشيرونه في الأمور المهمة. وفضلا عن الأصنام كان العرب يؤمنون بالجن، وهي مخلوقات غير مرئية، يمكن أن تكون طيبة أو تكون شريرة، ويمكنها أن تؤثر سلبا أو إيجابا على حياة البشر.

وتشير ريتا دي ميليو إلى النظام السياسي السائد في الجزيرة العربية قبل الإسلام وهو تنظيم سياسي واحد هو القبيلة. كانت الصلة الوثيقة بين أبناء القبيلة الواحدة ناشئة عن وعي أبنائها بأنهم سلالة جد واحد مشترك. وهذا الجد، طبقا للتراث العربي، سليل جد آخر، وهو زعيم مجموعة من القبائل، وهكذا من جد إلى جد نصل إلى شخصيتين رئيسيتين، تعتبران الأصل في أهل شبه الجزيرة كلها. هاتان المجموعتان الكبيرتان يمكن تقسيمهما إلى مجموعة الشمال ومجموعة الجنوب.

المجموعة الجنوبية هي القحطانية التي

تنتسب إلى جدهم قحطان، والمجموعة الشمالية تحمل اسم العدنانيين وتنتسب إلى عدنان، ويسمون كذلك بالإسماعيليين، لأنهم يعتبرون عدنان سليلا لإسماعيل بن إبراهيم. وكان أهل مكة يسيرون على سنة باقي أهل شبه الجزيرة، ويعتمدون نظاما اجتماعيا قائما على القبلية. وأكبر قبائل مكة التي كانت تضم معظم السكان، وبصفة خاصة الأغنياء وكبار القوم، هي قريش، ومنها الكلمة المعروفة في الإيطالية، القرشيين Quraishiti.

كان لمجلس القبيلة مقر، وله رئيس هو الذي يدير شؤون المدينة. وقد تكونت وتشكلت مهام توزعت على القبيلة، منها خدمة وصيانة الكعبة، ووفادة وسقاية وإطعام الحجيج، وهكذا دواليك. وقد وصلت الحياة الاجتماعية في هذه المدينة إلى مستويات أكثر رقيا من تلك التي شهدتها المراكز الحضرية الأخرى، خاصة مجتمعات البداوة. هذا هو باختصار حال البيئة الدينية والاجتماعية التي ولد محمد ﷺ وعاش فيها حتى نزول الوحي، وما تبعه من انتشار للإسلام.

تعرض المؤلفة مولد وحياة الرسول محمد ﷺ بنفس الطريقة والمنهج التاريخي النقدي الذي يقبله الغرب، ولكنها تأخذ في الاعتبار في نفس الوقت أن المسلمين يعتبرون أن حياة محمد ﷺ وأقواله وأفعاله جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، التي تقوم على القرآن والسنة. كما تعرضت لزواجه ﷺ من السيدة خديجة، التي جذبت استقامته انتباهها، فكلفته بتجارتها وأرسلت معه ميسرة، الذي حكى لها بعد عودته عن المعجزات التي أتى بها الرسول ﷺ في رحلته، واستشارت فيها قريبا لها هو ورقة بن نوفل، الذي أكد لها أن هذه الصفات تنطبق على النبي، الذي بشرت به الكتب المقدسة، والذي سوف يظهر في بلاد العرب. فرحت خديجة بهذا وعرضت الزواج على محمد ﷺ فقبل وأنجب منها أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وولدين ماتا.

كان يسر الحال الذي جاءه من زواجه بخديجة، سببا في أن يستطيع محمد ﷺ التفرغ لحياة تلائم ميوله الطبيعية: الخلوة والتأمل، ثم تحكي المؤلفة كيف هبط الوحي على النبي في غار حراء، كما ترويه الروايات العربية، وقد جاءت في هذا السياق التاريخي متسقة ومتوافقة، والأهم أنها لم تبذر أي بذرة شك في بعثة الرسول

ﷺ، وفي نزول الوحي عليه، وفي أن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل للعالمين. وقدمت المؤلفة للهجرة النبوية وهجرة المسلمين الأولى والثانية، ووصفت محمدا ﷺ في المدينة بأنه كان نبيا وكان زعيما سياسيا عبقريا، استطاع أن يقود الأمة منطلقا من المدينة، رغم كل مشاكلها، ورافعا شأن الأمة إلى عنان السماء.

كما أشارت إلى أول ميثاق للتعامل مع الآخر في التاريخ، وهو "صحيفة المدينة" التي رتبت حقوق المسلمين وغير المسلمين في دولة الإسلام الجديدة. ورغم هذا فقد عرضت الوضع في المدينة كما يلي: "في المدينة اعتنق الوثنيون الإسلام وأظهر المسيحيون تعاطفهم مع النبي، أما اليهود فظلوا متصلفين ومعادين رغم العهد الذي أشرنا إليه". وفي الكتاب كله نلمح حرص المؤلفة على إظهار أن اليهود ظلوا دائما يلقون معاملة حسنة من الإسلام، ولكنهم لا يردون هذه المعاملة بمثلها، وإنما كان ديدنهم دائما الغدر ونقض العهود، وهو بالتأكيد من المواقف الشجاعة، التي يقل من يقررها في الغرب، خوفا من التهمة الشائعة بمعاداة السامية، التي أصبحت تخيف الأقلام جميعها هناك.

الرأي الوحيد الذي تأثر بما يكتبه المستشرقون هو ما روته المؤلفة عن فترة صدر الإسلام، وبالتحديد غزوة بدر، فقد قالت: "ودفعت ضرورة توفير احتياجات الجماعات محمدا إلى مهاجمة قافلة ثرية لمكة، كانت متجهة إليها من الشام. وعندما علمت قريش أرسلت جيشا يغيثها مكونا من ألف رجل..". فالمستشرقون عادة يرون أن محمدا والمسلمين كانوا يهاجمون القوافل ويقطعون الطريق لتوفير الطعام والشراب للمهاجرين، وهو ما لم يكن صحيحا، وإنما كانت هناك أسباب أخرى يرغب عن ذكرها هؤلاء ولم تذكرها المؤلفة أيضا.

رغم أنها بعد ذلك تروي معركة بدر من الوجهة الإسلامية، وأن الله عزز فيها المسلمين بجند من عنده، كما يؤكد القرآن الكريم، ليس هذا فحسب، بل إنها عندما تعرضت إلى قضية الجهاد في الفصل العاشر من الكتاب، نفت عن غزوة بدر أن تكون بهدف قطع الطريق على قوافل مكة، وإنما كانت حربا للدفاع عن النفس والمال.

تفرد المؤلفة جزءا خاصا بمحمد ﷺ النبي والإنسان، وتقرر فيه إن شخصية محمد هي إحدى الشخصيات الأكثر تفردا

من بين أعظم الشخصيات التي صنعت تاريخ البشرية. ومعجزاته، بالنسبة لمن يؤمن به وبالنسبة لمن لا يؤمن، تعد من الأحداث المذهلة. ولكنه كان هو نفسه المعجزة الأكبر، شخصيته وحياته. ولأن ما تقوله ريتا دي ميليو في هذا الموضوع يستحق أن يعرض بالكامل، فهو ممتع كتابة وأسلوبا، فسوف نعرض له في ما يلي مع بعض الاختصار غير المخل بالمعنى والسياق. في مكة كان رجلا وديعا، يكاد يكون زاهدا في تعبده وفي عزلته الروحية. وكان رب بيت مثاليا طوال عشرته التي دامت خمسة وعشرين عاما من الحب مع زوجته التي كانت تكبره، خديجة.

ورغم ما تعرض له من عداوة واستهزاء، فإنه ظل واثقا من نفسه ومن النصر النهائي لربه، ويجيب بهدوء ليهزأ من الكفار بآيات من القرآن وهو يهددهم بنار السعير. وفي المدينة تحول إلى رجل سياسي محنك، حتى أصبح رئيس دولة ومحاربا لا يشق له غبار. من ذا الذي يستطيع أن يتعرف في هذا الواعظ الوديع الذي كان في مكة على الفارس المقدام الذي يقود جيشه لفتح الجزيرة العربية وما خلفها؟ يحكى أن النبي كان يمكن التعرف عليه من بين جميع المحاربين، رغم وجهه المغطى، وذلك من خلال ومضات بريق في عينيه.من يريد أن يشوه هذه الشخصية العظيمة فهو يضعه عادة في مقارنة بالمسيح. ولكن الشخصية الزاهدة للمسيح ليس لها أي علاقة بإنسانية محمد ﷺ.

فنبي الإسلام الذي كان يخوض الحروب، ويشن الغارات ويمارس القصاص، يجب النظر إليه داخل البيئة التي وجد فيها، والذي كانت طريقة حياته فيها هي القاعدة. فقد كان "رجلا مثل جميع الرجال"، رجلا مصطفى ولكنه في جميع الأحوال رجل، وقد أكد القرآن على هذا المفهوم مرتين. المرة الأولى في سورة الكهف الآية ١١٠: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾** والمرة الثانية في سورة الإسراء الآية ٩٣: **﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلا بَشَرًا رَّسُولا﴾**.

والفارق بينه وبين الآخرين من البشر هو أن الله اصطفاه وكلفه بتبليغ رسالته. وجعل منه خاتم الأنبياء! وهناك من لا يزال يرى في القرآن مجموعة من القواعد الدينية من أصول مسيحية ويهودية، تعلمها محمد ﷺ من خلال اتصالاته مع شخصيات كبيرة تنتمي إلى هذين الدينين،

قابلهم في مكة وفي المدينة. ومنها لفق محمد قرآنه. أي أن هؤلاء يرمون محمداً بالانتحال.

وفي هذا المجال فإنني أطرح الأسئلة التالية. لماذا كان عليه أن يخترع كذبة ضخمة مهولة مثل تلك؟ لجنون العظمة، حبا بالسلطة؟ في مكة، حيث لم يحقق الكثير من النجاح وواجه العديد من الآلام، لم يكن ليلتزم بهذا الصراع الذي كان يبدو بلا مخرج، إلا مقتنعا بصحة رسالته. كيف استطاع أن يفحم بآيات القرآن اللاذعة الكاذبين والمنافقين إذا كان هو نفسه كاذبا؟ وإذا كان هو الذي ابتدع هذا الإسلام من بنات أفكاره فلماذا لم يجعله بسيطا سهلا مقبولا من غالبية قومه؟ هؤلاء القوم الذين كانوا مشركين وثنيين وأتى لهم بدين توحيدي؟ بالإضافة إلى الديانة التوحيدية لماذا فرض عليهم صيام رمضان وهو أمر شاق جدا في شبه الجزيرة العربية حارقة الحرارة؟ وكيف أمكن أن يصبح من أصدقائه أشخاص من نبلاء الروح ومن الموهوبين بالذكاء الراقي إذا لم يكونوا يعتبرونه من الصادقين؟ وكيف استطاع وهو الأمي أن ينتج عملا على قدر كبير من القيمة أدبيا ولغويا؟ كم من الأسئلة التي يمكن طرحها وكم من الإجابات!

ولكن هذا العرض هو عرض إسلامي وليس دراسة نقدية. وبالنسبة للمسلمين فإن محمدا ﷺ هو نبي شديد النقاء والصدق، رسول الله، قدوة للمؤمنين، وخاتم للنبيين. على اتهامه بالقسوة يمكن الرد ببساطة: لقد عاقب محمد ﷺ بقسوة أفرادا ارتكبوا جرائم، أو أعداء عنيدين مثل القلائل (ستة) من القرشيين عند فتح مكة، واليهود الذين خانوه.. واستعمل كل الوسائل التي أتاحها له المجتمع آنذاك للدفاع عن جماعته ودعمها. حارب بإمكانيات متواضعة وبمعاونة قليلة حتى لا يسقط أمام الأعداء والمنافقين الذين كانوا يريدون له الخراب.

ولكي يواجه احتياجات جماعته لجأ إلى شن الغارات، التي كانت تعتبر مشروعة في شبه الجزيرة العربية منذ أزمنة بعيدة وليست قابلة للحكم عليها بمقاييس أفكارنا الغربية. والحروب التي قام بها، سواء دفاعية أو هجومية، كانت لنشر دعوته. ولكن هذا العمل الوحشي في حياة الإنسانية حاول هو أن يجعله أقل وحشية. فقد أمر جنوده: "لا تقتلوا شيخاً

فانياً لا تقتلوا امرأة لا تقتلوا صغيراً رضيعاً لا تهدموا بناءً لا تحرقوا شجراً لا تقطعوا نخلاً وأحسنوا".

كم هو فارق كبير بين هذا وقلة من المتطرفين في إحدى دول شمال أفريقيا الذين لم يتورعوا ولا يتورعون عن قتل البشر من جميع الأعمار والملل. لقد قتلوا طفلا في مقبرة! ولكني لا أزيد على هذا. ولكن هل يكون "المتطرفون" هم فعلا من يرتكبون مثل هذه الجرائم البشعة؟ أم كما يرى البعض، هم "آخرون" لهم مصلحة في إظهار المسلمين في زي القتلة السفاحين؟ من يدري! ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأن التطرف يؤدي إلى كثير من التجاوزات التي لا تخطر على البال! يحلو لبعض الكتاب الغربيين على غير علم أن يتندروا بالزيجات المتعددة، التي عقدها محمد ﷺ في المدينة ويركزون على الجانب الشهواني فيها.

أولئك الكتاب لا يضعون في حسبانهم، أو لا يعرفون، العادات السارية في زمن النبي، حيث كان الزواج يتم بسهولة فائقة وينفسخ من دون قيود، وتعدد الزوجات كان هو القاعدة العامة. والإسلام الذي كان يدعو إليه محمد ﷺ وضع للزواج قواعد لم تكن موجودة قبله. وينبغي التأكيد مع ذلك على أنه تقدم في العمر، وحتى الخمسين من عمره، كان مخلصا لخديجة. وبعد أن ماتت عقد عددا من الزيجات الكثير منها كان لأهداف سياسية. فجميع زوجاته (ومن بينهن التاسعة وهي يهودية) كن جميعهن أرامل، وواحدة فقط هي التي كانت صغيرة السن، وهي عائشة بنت أبي بكر، وقد تزوجها عذراء.

وكانت بعض الزيجات أيضا بدافع انجاب ولد ذكر، لأن من أنجبهم من خديجة وماريا القبطية ماتوا. ومن ثم فقد تحمل مسؤولية وأعباء أسرية ضخمة، رغم قلة موارده المالية، ومع ذلك لم يستخدم الحق في الطلاق. وعلى أي حال فإن الإسلام لا يحبذ الطلاق. وهناك كثير من الآيات القرآنية التي تدين الطلاق ضمنيا، وكثير من الأحاديث تؤكد على هذا المعنى، مثل: "تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش".. "أبغض الحلال إلى الله الطلاق، ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق".

ولم يختلف سلوك محمد في هذا عن سلوك الأنبياء القدامى، مثل داوود

وموسى، الذين لم يفكر أحد مطلقا في إدانتهم بسبب تعدد الزوجات، بنفس القدر الذي حدث مع نبي الإسلام! رغم السلطة التي اكتسبها في المدينة لم يكن محمد ﷺ أبدا رجلا ثريا، أو سيدا عظيما، أو ملكا له قصور مشيدة وثياب فاخرة، لا لنفسه ولا لمن يعول. كان رجلا معتدلا مقتصدا. يحكي التراث أن طعامه اليومي كان يتكون معظمه من بضع ثمرات تمر وكوب من الحليب. وذات يوم دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أصبح ثاني الخلفاء المسلمين، وسأله: أما أنا فاشهد أنك رسول الله ولأنت أكرم على الله من قيصر وكسرى وهما فيما هما فيه من الدنيا وأنت على الحصير قد أثر في جنبك!! فقال الرسول ﷺ: أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟! وقد بنى لنفسه في المدينة في بداية هجرته إليها مسكنا واسعا بسيطا له فناء كبير، حيث كان يعقد الاجتماعات مع المؤمنين لإبلاغهم بالوحي الإلهي، ولإقامة صلاة الجماعة، ولإعطاء الأوامر من كل نوع سواء ذات الطابع الديني أو المدني أو الحربي، حيث كان محمد يستقبل السفارات التي تأتي للتعرف عليه وتقديم الهدايا له، حيث كانت تعيش زوجاته. أما عن الثروات فكان يستطيع الحصول على الكثير منها ولكنه لم يكن يريد. حذره ربه من هذا في كثير من سور القرآن. كان حب النبي للضعفاء حبا يضرب به المثل، سواء من الرجال أو الأطفال، من الفقراء واليتامى.

فقد كان هو فقيرا يتيما. وفي هذا المجال يكفي أن نذكر أقواله التالية: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، ويشير بأصبعيه". "من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات" "لكل أمر مفتاح، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء، وهم جلساء الله يوم القيامة". أما حبه وعطفه على الحيوان فيمكن أن نلخصه في القصة التالية: ذات يوم نام النبي وعندما استيقظ وجد قطا قد تسلل إلى كم ثوبه الواسع ونام هو الآخر، فتركه ولم يتحرك حتى لا يزعجه، إلى أن استيقظ القط وانصرف من نفسه.

محمد ﷺ، النبي والإنسان، بضعف أي كائن بشري، وبالقوة التي أمده بها الإيمان العميق برسالة الرسول الذي بعثه الله، كان بلا شك، وهو ما أؤكده وأشدد عليه لأنني

مؤمنة به، من أعظم الشخصيات في التاريخ الإنساني. فهو لم يكن وحسب صاحب دعوة لديانة توحيدية، وإنما كان مناديا بالأخلاق السامية. نصر الضعيف على القوي، والفقير على الغني وحماية المعدمين وأشار إلى أن الغاية الأخيرة هي الحياة الخالدة. ووصل إلى أرقى مراتب الأخلاق عندما راح يبلغ ما أرسله إليه ربه. وكان يدعو: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣، د.حسين محمود، الشرق الأوسط،٢٠/٩/٢٠٠٩ .

❖ جهاد النبي محمد ﷺ في كتاب ريتا دي ميليو:

أما عن حروب الرسول ﷺ خلال المرحلة المدنية، فليس من شرح أفضل من ذلك الذي قدمته ريتا دي ميليو" الكاتبة المستشرقة المسيحية الكاثوليكية الملتزمة، في آخر كتبها المعنون "الإسلام.. ذلك المجهول في الغرب"، حيث تقول هذه الباحثة الموضوعية في سيرة محمد عليه السلام ما يلي: "في مكة كان رجلا وديعا، يكاد يكون زاهدا في تعبده وفي عزلته الروحية.

وكان رب بيت مثاليا طوال عشرته التي دامت خمسة وعشرين عاما من الحب مع زوجته التي تكبره، خديجة، ورغم ما تعرض له من عداوة واستهزاء فإنه ظل واثقا من نفسه ومن النصر النهائي لربه، فنبي الإسلام الذي كان يخوض الحروب، ويشن الغارات ويمارس القصاص، يجب النظر إليه داخل البيئة التي وجد فيها، والذي كانت طريقة حياته فيها هي القاعدة، فقد كان رجلا مثل جميع الرجال، رجلا مصطفى ولكنه رجل في كل الأحوال، وقد أكد القرآن على هذا المفهوم مرتين..".

وتضيف "دي ميليو" في موضوع اتهام نبي الإسلام ﷺ بالقسوة:" لقد عاقب محمد بقسوة أفرادا ارتكبوا جرائم، أو أعداء عنيدين مثل القلائل (ستة) من القرشيين عند فتح مكة، واليهود الذين خانوه.. واستعمل كافة الوسائل التي أتاحها له المجتمع آنذاك للدفاع عن جماعته ودعمها.. حارب بإمكانيات متواضعة وبمعاونة قليلة حتى لا يسقط أمام الأعداء والمنافقين الذين كانوا يريدون له الخراب.

ولكي يواجه احتياجات جماعته لجأ لشن الغارات، التي كانت تعتبر مشروعة

في شبه الجزيرة العربية منذ أزمنة أبعد، وليست قابلة للحكم عليها بمقاييس أفكارنا الغربية. والحروب التي قام بها، سواء الدفاعية أو الهجومية، كانت لنشر دعوته، ولكن هذا العمل الوحشي في حياة الإنسانية، حاول هو أن يجعله أقل وحشية، فقد أمر جنوده بقوله: "لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا إمرأة، ولا صغيرا رضيعا، ولا تهدموا بناء، ولا تحرقوا شجرا، ولا تقطعوا نخلا، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم".

❖ عقدت فصلا في كتابها بعنوان: محمد النبي والإنسان:

تقول المستشرقة الإيطالية في فصل عقدته في كتابها بعنوان: محمد النبي والإنسان:"بضعف أي كائن بشري، وبالقوة التي أمده بها الإيمان العميق برسالة الرسول الذي بعثه الله، كان بلا شك، وهو ما أؤكده لأنني مؤمنة به، من أعظم الشخصيات في التاريخ الإنساني. فهو لم يكن وحسب صاحب دعوة لديانة توحيدية، وإنما كان مناديا بالأخلاق السامية، نصر الضعيف على القوي، والفقير على الغني، وحماية المعدمين.. ومن يريد أن يشوه هذه الشخصية العظيمة فهو يضعه عادة في مقارنة بالمسيح، ولكن الشخصية الزاهدة للمسيح ليس لها أي علاقة بإنسانية محمد".

إن ما يمليه الإيمان التوحيدي الحق، اليهودي أو المسيحي أو الإسلامي، هو احترام عقائد البشر الدينية والروحية، التي تلتقي لدى كل منصف في روحها الإنسانية وخطابها المتسامح، وهي عند كل متعمق متألق ومتنور، طرق إلى الله، إذ ليس معقولا أن يكون للخلق الواحد مئات الآلاف من المسارات الموصلة إليه، ولا يكون لخالق الخلق طرق بعدد مخلوقاته على قول المتصوفة، أما المتعصبون من ذوي العقل الضيق والرؤية السطحية، فإيمانهم من طينة عقلهم ورؤيتهم، ظاهري يظلم المعتقد حقه وجوهره.

ومن العلمانية ما يعلم المرء شديد الاحترام للعقائد الروحية والدينية على السواء، فالخلاف ليس مع الأديان، إنما مع من يريد تطويعها لمصالحه وأهوائه الدنيوية ويحرفها عن مساراتها الأصلية، كما من الليبرالية ما يرشد المرء إلى أن من الحرية المقدسة، حرية المعتقد، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن حدث نفسه باحترام الحق في الكفر، فلا ريب في أنه

قرنه باحترام الحق في الإيمان.ثمة من المسلمين السابقين، من يدخل في علاقة مع الغرب موطنه الجديد، بشكل مختل ومرضي، قائم على الانبهار المبالغ به بالآخر وقيمه، في مقابل احتقار الذات الشديد والخجل منها، والانبهار المتطرف كما احتقار الذات المتشدد كلاهما مفض إلى طريق واحد ضيق ودائري يجعل صاحبه يلف حول نفسه غير قادر على النظر إلى أبعد من أرنبة أنفه، وقد كان يفترض بالداخل إلى معتقد أن لا يثير جلبة كما الخارج منه، فلا أحد يمكنه الوثوق بالحالة الإيمانية، في تقلبها وضعفها وقابليتها الدائمة للمراجعة، ولهذا فإن مجرد تحويلها إلى حالة إعلامية، سينفي عنها كل مصداقية.

وأعود فأقول، بأن من حق الجميع أن ينقد السلوك البشري، لكن المبادئ التي تزكيها الفطرة البشرية، تجعل المس بالعقائد والأديان والأنبياء والرسل والقادة الروحانيين الذين نالوا حظوة ورمزية لدى أتباعهم، سلوكا غير مقبول ومستهجنا لا يمكن نسبته لأي خطاب إنساني حقيقي، دينيا كان أو علمانيا. أنظر "جريدة السياسة الكويتية ١٣/٤/٢٠٠٨".

❖ توصيات البحث:

بما أنَّ العالمَ الغربيَ معنيٌّ بعالمِنا حيثُ صدرَ في العام ٢٠٠٨م خمسةُ الآفِ كتابٍ عن العالمِ الإسلامي والعربي- كما ذكرَ د.باسم خفاجي- غيرَ المقالاتِ والنَّدواتِ والأبحاثِ العلميةِ، ونظراً لتأثرِّنا بنظرةِ هذا العالمِ الغالبِ إلينا فلا محيدَ عن محاولةِ كسبِ منصفيهِ وعقلاءِ مفكريه وكتَّابه، وهو أمرٌ تكادُ تخلو منه جوائزُ المسلمينَ التي تلتفتُ للبارعينَ في العلوم التطبيقيةِ وتنسى المنصفينَ من المفكرينَ والكتَّابِ مع عظمِ أثرهم على القرارِ في بلدانِهم، ومن المقترحاتِ الممكنةِ لردمِ هذه الفجوة:

١- تخصيصُ جائزةٍ سنويةٍ مستقلةٍ بعدَّةِ فروعٍ لِمَنْ ينصفُ الإسلامَ ديناً ومقدَّساتٍ وقضايا ورجالات؛ وتمنحُ لكتَّابٍ أوْ باحثينَ غربيين، وما أحرانا بإكرامِ عقلاءِ الغربِ المتعاطفين.

٢- إضافةُ فرعٍ إلى الجوائزِ الإسلاميةِ القائمةِ لِمَنْ ينصفُنا منْ مفكري الغرب؛ كجائزةِ الملكِ فيصل والشيخ زايد والعويس والبابطين وجائزةِ الدَّولةِ في مصر والأردن وغيرِها؛ ولو اقتضى ذلكَ تعديلَ لوائحِها.

٣- استضافةُ المنصفينَ من الغربِ في المهرجاناتِ الثقافيةِ ومعارضِ الكتابِ والجامعاتِ والنَّوادي الأدبيةِ؛ وكمْ هو جميلٌ أنْ تكونَ الاستضافةُ ذاتَ طابعين: رسمي وشعبي.

٤- ترجمةُ كتبِ ومقالاتِ ومواقعِ هؤلاءِ الكتَّابِ إلى اللغةِ العربيةِ وغيرِها منْ لغاتِ المسلمين.

٥- إهداءُ نتاجِهم الفكري إلى مراكزِ البحثِ الغربيةِ.

٦- الإفادة منْ هؤلاءِ المنصفينَ في مراكزِ الدِّراساتِ والبحوث.

٧- إشراكُ الكتَّابِ والمفكرينَ العقلاءِ في حلقِ النِّقاشِ الخاصَّةِ باستشرافِ مستقبلِ أمتِنا أوْ التخطيطِ للعملِ المثمرِ في الغرب.

٨- طلبُ رأي المنصفينَ في القضايا الإسلاميةِ التي يثيرُها الإعلامُ الغربي.

٩- تخصيصُ أوراقِ عملٍ لهم في المؤتمراتِ والحواراتِ التي ترعَاها بلادُ المسلمينَ في الغربِ أوْ معه.

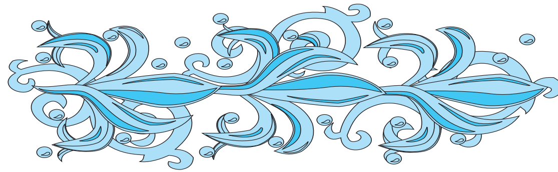
١٠- عقدُ لقاءاتٍ معهم ضمنَ جدولِ أعمالِ الوفودِ الإسلاميةِ الزَّائرةِ على مستوى الرؤوساءِ فما دون.

١١- تيسيرُ زيارةِ الباحثينَ المعتدلينَ للبلادِ الإسلاميةِ لتوثيقِ العلاقةِ معهم.

١٢- تمويلُ المراكزِ ووسائلِ الإعلامِ التي يمتلكُها أيُّ منصفٍ لأمتنا.

١٣- إشهارُ جوائزنا الخاصَّةِ بمفكري وكتَّابِ الغربِ إعلامياً حتى تكونَ حافزاً للبحثِ المنصف.

١٤- التغاضي عنْ بعضِ المواقفِ لهؤلاءِ المنصفين، فالكمالُ منتفٍ مع المسلم فكيفَ بغيره؛ وهذهِ المسألةُ تحتاجُ ضبطاً شرعياً لهُ أهلهُ الذينَ يقدِّرونَ المصلحةَ الشرعية.



الصدقة حلية المال

■ بقلم الشيخ عبد الوهاب عبدالله

قال الله تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾ إبراهيم:٣١ .

ومن الأحاديث الدالة على فضل الصدقة قول رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) في الصحيحين.

والمتأمل للنصوص التي جاءت آمرة بالصدقة مرغبة فيها، يدرك ما للصدقة من الفضل الذي قد لا يصل إلى مثله غيرها من الأعمال، حتى قال عمر رضي الله عنه: (ذكر لي أن الأعمال تباهي، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم) صحيح الترغيب.

وبينما الصحابة جلوس حول رسول الله ﷺ في صدر النهار، كأنه البدر، بل أبهى، أحاطت به نجوم السماء، ينهلون من فيض خُلقه وعلمه، قد سعدوا، وحق لهم ذلك، فكيف لا يسعد من تكحلت عيناه برؤية خير البشر، وتشنفت أذناه بسماع خطاب أفضل الأنبياء والمرسلين؟! كيف لا يسعد من يجلس بين يدي إمام الأئمة وقدوة الخليقة؟! كيف لا يسعد من يستقي تعاليم الإسلام من معينه الصافي، ومنهله

العذب؟!

بينما هم على هذه الحال -وما أطيبها من حال!- إذ دخل عليهم قوم حفاة عراة، مجتابي النمار أو العباء، فعباءة أحدهم لا تكاد تستر بعض جسده، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، بهم من الفاقة ما لا يعلمه إلا الله، قد تناوشهم العوز والحاجة، دفعهم الجوع والفقر حتى ساقتهم أقدامهم إلى أكرم الخلق، وأرحم الناس بالناس، جاءوا إلى من عاش هَمَّ أمته هماً واحداً ضاقت معه نفسه، حتى ما عادت تنشغل بغير الإسلام وأهل الإسلام، جاءوا وقد أحسنوا المجيء، وأفلحوا في الاختيار.

كيف لا؟ وقد قصدوا من يلهج إلى مولاه سبحانه أن يرزقه حب المساكين فامتلأ قلبه بحبهم، فغدا أبا المساكين، وملاذ الفقراء والمُعْوزين، «فلما رآهم ﷺ تَمَعَّر وجهه، ثم دخل بيته وخرج مضطرب الحال منشغل التفكير، مهموماً مغموماً، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء: ١، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحشر: ١٨، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره - حتى قال: - ولو بشق تمرة» قال جرير: (فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة).

هنا انفرجت أساريره ﷺ، وزال همه وانزاح غمه، وهو يرى أبناء أمته يشعرون بحاجة إخوانهم، ويهتمون لهمهم ويرسمون في صورة رائعة، شعور الجسد الواحد والأمة الواحدة بأشجار الإخاء وزهور المحبة، فقال ﷺ مبيناً قاعدة مهمة في هذا الدين تدل على سموه وعلوه وعظمته ويسره: ((من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)) رواه مسلم.

إنها الصدقة شعار المتقين، ولواء

الصالحين المصلحين، زكاة للنفوس، ونماء في المال، وطهرة للبدن، مرضاة للرب، بها تدفع عن الأمة البلايا والرزايا، تطهّر القلوب من أدران التعلق بهذه الدنيا وأوضارها وشهواتها وملذاتها.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة: ١٠٣ .

وفي أعظم مضمار سباق شهدته الدنيا، قال عمر رضي الله عنه يوماً: لأسبقن أبا بكر اليوم، فخرج بنصف ماله، ((يا عمر ما تركتَ لأهلك؟)) تركتُ لهم مثله، فجاء الصديق بماله كله، ((يا أبا بكر ما تركتَ لأهلك؟)) تركتُ لهم الله ورسوله.

إنه عمق الإيمان، وصدق اليقين بالله، وإخلاص التوكل عليه، والشعور بجسد الأمة الواحد.. وإلا ما الذي يدفع الصديق أن يخرج بماله كله، وعمر بنصف ماله؟!

روى الترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ وأحمد وبعضه في مسلم، عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ثلاثة أُقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ـ قال: ـ ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.. وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ـ قال: ـ إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله عز وجل مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله عز وجل فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.. وعبد رزقه الله عز وجل علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت به بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء.. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه عز وجل ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل.. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما فيه سواء)).

وهكذا يبقى أهل البذل والإنفاق هم الموفقون بأفضل المنازل وأعلاها، ويبقى المسكون المتخاذلون البخلاء على نفوسهم وذواتهم بأخبث المنازل.. **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** البقرة: ٢٧٦ .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) وذكر

منهم: ((ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)).

ولهما عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ أو قَلُوصَهُ، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)).

ومع هذه المدنية الزائفة وتعلق القلوب بها، ولهث الناس وراء الدنيا وانشغالهم بها، تعلو القلوب غشاوة، وتلفها غبرة، فيستحكم الشيطان على النفوس، ليلقي بوساوسه كلما هم المسلم بالصدقة: أنت أحوج إلى جمع المال، والأيام تتقلب، وأنت اليوم غني وغداً فقير، فأمسك المال ليوم تحتاجه فيه، ثم أنت صاحب المال، أنت الذي جمعته بكدك وعرق جبينك، فلماذا يستحوذ عليه ذلك الفقير بلا عناء أو تعب؟ فتنطلي تلكم الخدع والوساوس على المسكين؛ ليرد ماله في جيبه، ويمضي لا يلوي على شيء.

أو ما درى أحدنا أن المال مال الله؟! وكم من غني ما عرف حق الله في ماله، أمسى معدماً فقيراً! وارقبوا الناس من حولكم، فأحوالهم صور وعبر، تشهد على أن الصدقة ثمرة للمال وزيادة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء، ونحن ننظر إلى أُحد، فقال لي رسول الله ﷺ: ((يا أبا ذر)) قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ((ما أحب أن أحداً ذاك عندي ذهب، أمسي ثالثة عندي منه دينار، إلا ديناراً أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا ـ فحثا بين يديه ـ وهكذا ـ عن يمينه ـ وهكذا ـ عن شماله ـ)).

وفي مسلم كذلك عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده قال: ((ما يكن عندي من خير، فلن أدخره عنكم)).. وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة: أنا أفضلكم).

وكم دعينا إلى الصدقة في مشروع إغاثي أو دعوي أو نصرة لإخواننا هنا أو هناك، فيجلس أحدنا يقلب الأعذار، فقراء البلد أحوج، وما أدري أتصل أم لا؟

ومنا من يرمي سائلاً أو غيره بالكذب وعدم الحاجة والاحتيال، ولا شك أن التثبت في وضع الصدقة في محلها مهم وهو من الدين، ولكن الأمّر الأمَرّ أن تكون تلك الأعذار حاجزةً لنا عن التصدق والبذل، فكلما رأى سائلاً تجنبه، وكلما ألقي عليه باب من أبواب البذل تعلل وتهرب، فتمضي الأيام وتتعاقب الشهور وتتوالى السنون، ولم يخرج ولو شيئاً يسيراً في سبيل الله.. أليس هذا هو الحرمان؟ بلى ورب الكعبة.

قال يحيى بن معاذ: "ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة".. وقال الشعبي: "مَن لم يرَ نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه".

فأنت المحتاج إلى صدقتك، كيف لا؟ وأنت في ظلها يوم القيامة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، إذاً فاختر لنفسك اليوم ما تستظل بها غداً، ولقد بلغ مِنْ تعلقنا بهذه الدنيا أن لا نفكر بالصدقة إلا بعد فراقها. والوصية لا شك خير، ولكن أين هذا يوم كان صحيحاً معافاً؟

روى ابن ماجة - وأصله في الصحيحين - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: نبئني يا رسول الله عن مالي، كيف أتصدق فيه؟ قال: ((نعم والله لتنبأن، أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تُمهِل حتى إذا بلغت نفسك هاهنا قلت: مالي لفلان ومالي لفلان. وهو لهم وإن كرهت)).

قال عبد العزيز بن عمير: "الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه".. وقال ابن أبي الجعد: "إن الصدقة تدفع سبعين باباً من السوء".

واسمع إلى هذا المثل العجيب الذي قصه الله سبحانه في كتابه عن صاحب الجنة وأبنائه، حين كان يؤدي حق الله فيها ويتصدق شكراً لله على ما وهبه، فلما مات كان من خبر أبنائه ما قص الله: **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجنة إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ❖ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ❖ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ❖ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ❖ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ❖ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ❖ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ❖ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ❖ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ❖ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ❖**

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ ❖ قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ❖ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ❖ قَالُواْ ياوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ❖ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا راغِبُونَ ❖ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يس: ١٧-٣٣ .

❖ فوائد الصدقة:

١. الضمان على أن الصدقة تغير الحياة إلى الأفضل برهان على صحة الإيمان: قال ﷺ: "والصدقة برهان".

٢. سبب في شفاء الأمراض: قال ﷺ: "داووا مرضاكم بالصدقة".

٣. تظلل صاحبها يوم القيامة: قال ﷺ: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس".

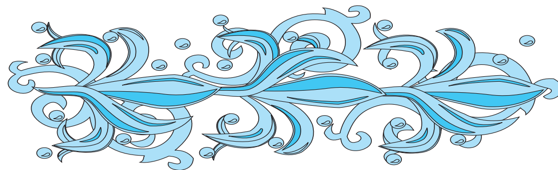
٤. تطفىء غضب الرب: قال ﷺ: "صدقة السر تطفىء غضب الرب".

٥. محبة الله عز وجل: قال ﷺ: "أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد شهراً".

٦. الرزق ونزول البركات: قال الله تعالى: **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**.

٧. البر والتقوى: قال الله تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾**.

٨ . تفتح لك أبواب الرحمة: قال ﷺ: "الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".



١

في فقه اللغة

في نحو اللغة وتراكيبها بين العربية والانجليزية

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

تناولنا من هذا الكتاب «في نحو اللغة وتراكيبها» القسم الذي يعرض نظرية «تشكومسكي» في اللغة في مقالتين سابقتين، حللنا فيها هذه النظرية وبينا ان جوهر نظرية تشوم قد سبقه اليه عالمان عربيان، الأول هو: الإمام عبد القادر الجرجاني «ت ٤٧١هـ» اللغوي والناقد الشهير، والثاني هو المفكر الشهير عبد الرحمن بن خلدون «ت٨٠٨هـ» والفرق بينه وبينهما انما هو في التفصيلات.

وفي هذه المقالة نتناول بعض آراء كتاب الدكتور خليل احمد عمايرة المبثوثة في الكتاب كله، التي لم نوافقه عليها، مدعمين رأينا بالتحليل والتعليل والدليل.

يقول المؤلف الدكتور عمايرة: «ولعل الترتيب بين النعت والمنعوت في العربية، وعدم مراعاته هو الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يعتورها الغموض، فنقول: بقالة الجماعة الجديدة، مدرسة جامعة اليرموك النموذجية، فينصرف ذهن السامع في الأول هو البقالة، وفي الثانية هو المدرسة، وقد يذهب الى ان المقصود بالنعت هو الجامعة في الأولى، وانه جامعة اليرموك في الثانية، اي: ان النعت تابع للنكرة التي اصبحت معرفة بالإضافة، أو أنه تابع للمعرفة مع بقاء النكرة، نكرة في الذهن وفي المعنى الذي توحي بها الكلمة.

أقول أولاً: قوله: «وعدم مراعاته» جملة

ناقصــة، ويفـضل ان يكمل الكلام كـالآتي: للكلمة المنعوتة: أهي مضاف «=بقالة» ام المضافة اليه «=الجامعة» يؤدي الى شيء من الغموض.

ثانياً: قوله: «فينصرف الذهن» يوهم القارئ ان عبارة: «المقصود في الأولى هو البقالة» هو الاحتمال الوحيد، مع ان الكاتب يعرض احتمالاً آخر، ولهذا فحق العبارة هو ان تكون: «فقد ينصرف الذهن» ليدرك القارئ بدءاً أن ثمة احتمالاً آخر.

وثالثاً: الدكتور خليل يتحدث عن العربية، وكأنها لغة غير مشكولة كالإنجليزية التي لا شكل فيها، ولهذا يرى ان القارئ يحار بين ان يكون النعت للمضاف ام للمضاف اليه، والحق ان القارئ لا يحار في العربية كثيراً، لأنها مشكولة، فإذا اردنا ان نجعل النعت للبقالة مرفوعاً بعلامة الضم، ضممنا «الجديدة» واذا اردنا ان نجعله للجامعة المكسورة بعلامة الكسر كسرنا «الجديدة» فيزول اللبس زوالاً تاماً في مثل هذا التركيب، اذن لا يحسن ان تقيس العربية على الانجليزية، لأنهما لغتان مختلفتان كل منهما لها نهجها وطريقتها في التعبير.

رابعاً: اضيف شيئاً آخر يوفره – الترقيم- الحديث، وهو عندما تكون الصفة للمضاف نضع بينها وبين المضاف اليه خط (–) لكن، عندما تكون للمضاف اليه لا نضع خطاً.

ويقول: «فقد كان الشعراء يدركون ان هناك اختلافات في اللهجات بين القبائل، وكان احدهم اذا أراد ان ينظم شعراً للمنافسة به في الأسواق، نظمه باللغة الأدبية المشتركة بين القبائل، واذا ما قال شعراً في قبيلته جاء به متفقاً مع لهجتهم وعاداتهم اللغوية، فتناقلوه «اي: الشعر» الى ان وصل الى النحاة الذين حكموا عليه بالشذوذ، لأنه مخالف لما عندهم من قواعد، ولأنه كان قليلاً، ولكن النحاة اسقطوا كثيراً من الأشعار التي وردتهم مخالفة في تراكيبها أو حركات الإعراب فيها، لما كانت عليه قواعدهم التي أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها» ص٣١.

◆ الفروق ضئيلة:

أقول: ان الشعر للقبائل السبع التي اختيرت لهجاتها لتمثل الفصحى، تكاد لهجاتها تخلو من الفروق الكبيرة التي تجعلها لهجات متباينة، بل كانت متقاربة جداً، بينها فروق طفيفة هي التي نجدها

في المعاجم وفي كتب النحو: مثلاً.. عندما نجد معجم لسان العرب يقول: «رجل عزب ومعزابة: لا أهل له، ولا يقال: رجل أعزب، وأجازه بعضهم» فإننا ندرك ان عزباً «لهجة قبيلة «لعلها قريش» وأن أعزب لهجة قبيلة أخرى «اما ان «ما» في لغة بني تميم لا تعمل شيئاً، فيقول بنو تميم: «ما زيد قائم» ولغة أهل الحجاز تعلمها كعمل «ليس» لشبهها بها في انها لنفي الحال عندما «ما زيد قائماً»، شرح ابن عقيل ١/٣٠٢، فهذه فروق طفيفة، لا تباعد بين اللهجتين.

اما ان اللغة أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها، فهو عين الصواب وهي سبع قبائل على رأسها قريش، «وأكثر اللغة من لهجتها» لأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف كما قال رسولنا الكريم ﷺ، اي: وردت بعض الكلمات بلهجة، ووردت أخرى بلهجة أخرى، أو ورد في الكلمة قراءتان أو ثلاث، اي: لهجتان أو ثلاث، وهي قليلة على الإجمال، فإن قراءً يقرأون في الفاتحة **﴿ملك يوم الدين﴾**، وآخرين **﴿مالك يوم الدين﴾** مثلاً، وقراءً يقرأون **﴿الحمدُ لله﴾** بضم الدال وآخرون يقرأون **﴿الحمدِ لله﴾** بكسر الدال، على الاتباع، اي اتباع حركة الدال لحركة اللام في لفظ الجلالة، وهكذا.. وهذا لا يباعد بين اللهجات.

ولولا حصر جمع اللغة في لغة قريش وست قبائل أخرى، لأصبحت اللغة العربية مباينة كثيراً للغة القرآن، وبهذا لا تكون اللغة خادمة للقرآن بل تضحي مباينة له، وعندئذ لا يكون اللغويون والنحاة قد خدموا القرآن الكريم الذي به الابتباء وبه الانتهاء، فلولا هذا لانفصل الناس شيئاً فشيئاً عن القرآن لانفصال لغتهم عنه، ومن هنا، فالمخلصون للقرآن ينكرون على الذين يتحدثون في الدين باللهجة العامية بها، وهم قادرون على الفصحى ولو مسكّنة، المخلصون في القديم قصروا جمع اللغة على اللهجات التي بها يفسر القرآن الكريم، فأحسنوا، والمخلصون اليوم ينكرون على القادرين على الحديث بالفصحى ان يتحدثوا عن الدين بالعامية، والله تعالى يقول: **﴿وانه لتنزيل رب العالمين ❖ نزل به الروح الأمين ❖ على قلبك لتكون من المنذرين ❖ بلسان عربي مبين﴾** الشعراء: ١٩٢-١٩٥ .

فاللسان العربي المبين مطلوب من العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء، وقول الكاتب: «فتناقلوه -اي ابناء اللهجة التي قيل فيها

الشعر المفارق للفصحى- الى ان وصل الى النحاة الذين حكموا عليه بالشذوذ، لأنه مخالف لما عندهم من قواعد» قوله هذا غير دقيق، لأنه يصور لك ان هناك مرحلتين، مرحلة جُمعت فيها الفصحى، ومرحلة تالية، ورد على اللغويين والنحويين فيها الشعر المخالف للفصحى، لارتباطه بلهجات القبائل، وهذا تصور غير دقيق، لأن القبائل السبع التي أخذت الفصحى من لهجاتها، والقبائل الكثيرة الأخرى التي لم يؤخذ من لهجاتها شيء لتأثرها بلغات الأعاجم، في الشمال والشرق والجنوب، شذوذ كان يجب ان يطرح في وقت واحد معاً، لكن اللغويين والنحويين اطرحوا تلك اللهجات البعيدة عن لغة القرآن، بدءاً، ولم تَرِد عليهم متأخرة ولم يرد شعر بلهجات القبائل السبع، قيل في كل قبيلة للقبيلة نفسها، لا للأسواق الأدبية، فما حكموا عليه بالشذوذ -اذن- لم يكن من لهجات القبائل المطروحة لهجاتها بدءاً وانما كان خطأ او شذوذاً على جمهرة اللغة في اللهجات السبع المختارة، وما قول الشاعر:

ان اباها وأبا أباها

قد بلغا في الفخر غاياتها

الا من الشذوذ الذي وقع في مادة اللهجات السبع المختارة، اما من باب التظرف او تغليب الموسيقى على التركيب اللغوي، مثل قولهم: «أوضح كلام وأخصره» فبنوا «أخصره» على وزن «أوضح» مع ان الأصل فيها «أكثر اختصاراً» لأنها من فعل خماسي والعرب تجيز في الصرف ما لا تجيز مثله في النحو، ولهذا قبلت «أخصر» ولم تقبل «وأبا أباها» ألا تراهم يقولون في الصرف: «ويُلُمِّه» فيجعلون من كلمتين كلمة واحدة، ولكنهم لا يدمجون بين حركتين اعرابيتين، مكونين منهما حركة جديدة؟ ذلك لأن الحركة اذا تغيرت غيّرت المعنى، أما التغير الصرفي، مثل الذي سبق، فلا يغير المعنى.

❖ الخطأ في جمع اللغة كان خطأ مركباً:

بل ليس الأمر امر تظرف فحسب وانما وقعت اخطاء في الاعراب، مثل البيت السابق «ان اباها» بعضها كان متعمداً من الأعراب الذين كانوا يردون البصرة والكوفة، فيتلقاهم النحاة، ليأخذوا منهم مقابل مكافأة يعطيها النحاة لهؤلاء الأعراب، فإذا نفدت بضاعة بعض الأعراب.. كذب بل ويفعل ذلك بعض النحاة الأوائل، ليؤيد رأيه، أو يظهر تعالمه

وتفوقه على غيره.

والحق ان الاسطورة التي آمن بها اللغويون، والنحويون، وهي ان الأعراب ذوو فصاحة مطلقة أضرت باللغة، وعقّدت حركات الاعراب خاصة، لأن اللغويين، والنحويين، جمعوا كل ما سمعوه من الأعراب، سواء عندما يرحل للبادية اللغويون والنحويون، أو عندما يرد الأعراب الى البصرة او الكوفة.

ولهذا.. فقد قبلوا قول بني تميم: «ما سعيدٌ الا تاجرٌ» برفع آخر تاجر، الى جانب قول قريش: «التي وافقت لغتها لغة القرآن» تقول قريش: «ما سعيدٌ الا تاجراً» بنصب آخر تاجر.

وكان قبولهم هذا ومثله مصيبة فادحة حلت باللغة، اذ كثر التعارض في حركات الإعراب بين قبيلة وأخرى، فكثر التعليل المتكلف الذي لا يقنع حتى الذين أتوا به، وأضحى النحو علماً معقداً عقيماً، وليس النحو في حقيقته هكذا.

وكان الواجب الذي يفي بغايتي اللغة العربية وهما: القدرة على تفهم القرآن الكريم، وتفسيره، ثم التعبير عن حاجات المجتمع العربي جميعها» يقتضي «اطراح» كل ما خالف إعرابه اعراب القرآن، الذي كان على مثاله إعراب لغة قريش.

ولكن القيمة العليا -لمطلق الجمع- صحيحاً او خاطئاً، واسطورة فصاحة الأعراب المطلقة حالتا دون اطراح كل اعراب يتقاطع مع إعراب القرآن، ولو كان ذلك لاستوت اللغة لغة ذات نظام واحد، لا صعوبة فيها ولا تعقيد، وان هذا الاطراح هو واجبنا اليوم وغداً.

❖ هل صحيح ان القبيلة كان لها لغتان؟

هذا القول الذي يقوله الدكتور عمايرة لا تدعمه النصوص، بل الحق ان القبائل كلاً منها كان يتكلم لهجة وليس لهجتين، احداهما للأسواق الأدبية، والأخرى لبيئة القبيلة المحلية، وما هناك من فروق ليست كبيرة قد ظهرت في الشعر، وسببت التعقيد في الإعراب.

اللهم إلا نطقاً خاصاً لبعض الحروف عند بعض القبائل، كالكشكشة كأن يقول للمرأة: «كتابش» بدل «كتابك» وهذا قليل وليس له تأثير على عامة اللغة الفصحى، اذ كانوا يتجنبونه عند كتابة الشعر مثلاً، وعند الخطابة وان كانت -اسطورة- فصاحة كل الأعراب غير دقيقة.

ويقول الدكتور العمايرة: «ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة في ضوء ما يراه الجرجاني لقلنا: ضرب موسى عيسى صباحاً أمام المسجد تأديباً له».

عيسى: هو الشخص الذي وقع الضرب عليه، موسى: هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى، الضرب: هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى، صباحاً: هو الزمان الذي أوقع موسى فيه الضرب على عيسى، أمام المسجد: هو المكان الذي اوقع موسى فيه الضرب على عيسى، تأديباً له: هو الغرض الذي أوقع موسى الضرب له على عيسى» ص٣٤ .

هذا كلام لا يصح، وأقول: هذا كلام لا يسلم به، بل هو فهم خاص لمقصد الجرجاني من النظم ومعاني النحو: وقد اغراه بهذا الكلام كلام الجرجاني عن معاني النحو.

اما عبد القاهر الجرجاني فلم يعد النظر في النحو، ولم يغيّر مصطلحاته أو يفكر في ذلك، بل لم يكن من اصحاب النحو، أصلاً وانما استخدم مصطلحات النحو التي وضعها النحاة قبله كمصطلحات يعبر من خلالها عن اعجاز النظم في القرآن الكريم، وعن جمال النظم في القول البليغ، وتعلق الكلم بعضها ببعض، لا يعني إلغاء الإعراب، وإنه لغريب ان يفهم رجل يكتب في اللغة هذا الفهم، وإنما يعني أنه لا يقع تعلق بين الكلم يعقل او يكون جميلاً، الا اذا رتب الكلام في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس (ص٥٦) خذ توضيح الجرجاني لقوله تعالى عن اليهود: ﴿**ولتجدنهم أحرص الناس على حياة**﴾ البقرة: ٩٦ .

يقول: «اذا انت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وان قيل: «على حياة»، ولم يقل: على الحياة حسناً وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والأنس الى خلافهما» (ص٢٨٨).

فأنت ترى ان الجرجاني استعان بمصطلحين نحويين هما: التنكير والتعريف لكي يوضح بهما الجمال في هذا النظم، فلم يكن جمال (=اعجاز) في هذا التعبير لولا ورود لفظ الحياة منكراً، أي «حياة»، وليس الحياة.

أهذا الذي ذكره الجرجاني من التعريف والتنكير، تغيير لمصطلحات النحو، ام تأكيد لها؟، ولكن تأخذ الألباب منه على قدر القرائح والفهوم.

اما توضيح الكاتب لجملة «ضرب موسى عيسى، صباحاً أمام المسجد تأديباً له»، فهو توضيح للمعنى وليس إعراباً، لأن الإعراب يجب ان يتضمن الاشارة الى الحركات، رفعاً ونصباً وجراً وجزماً، والا فكيف نعرف ان ها هنا كلمة مرفوعة وكلمة منصوبة وكلمة مجرورة وكلمة مجزومة؟.

وثانياً.. لأن الله تعالى أضاف النصر الى نفسه، مما أعطى الكلام شرفاً ليس له لو قيل: «اذا جاء النصر والفتح» ولأنه تعالى لم يضف «الفتح» الى نفسه مباشرة، مما يؤدي الى تكرار غير ضروري، فليس مما يحسن ان يقال: «اذا جاء نصر الله وفتح الله» بل ان العظمة جاءت من إيراد الألف واللام في كلمة «الفتح» التي سدّت مسد الإضافة، أي: الفتح المعهود الذين تشاهدونه عن طريق انثيال الوفود الراغبة في الاسلام الى المدنية المنورة انثيالاً، ثم كانت العظمة تأخير الجواب، فقد فصل بين جملة «اذا جاء..» والجواب جملة أخرى معطوفة عليها وهي **﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾** ثم جاء الجواب: **﴿فسبح..﴾**.

وتكون البلاغة ايضاً في الكلام المركب، ولكن قال تعالى: **﴿ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب﴾** البقرة: ١٣٢، فأخر يعقوب عليه السلام وهو فاعل كإبراهيم عليه السلام أخره بعد المفعول (=بنيه) فبذلك بانت مزية النظم، اذ لو قيل: «ووصى بها ابراهيم ويعقوب بنيهما» لكان في التعبير غمط لحق ابراهيم عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، ويعقوب عليه السلام حفيده، فليس من حفظ المقامات ان يتبع يعقوب ابراهيم مباشرة، وانما من حفظ المقامات ان يؤخذ الحفيد بعد المفعول(١)، وبعد ان يتم المعنى، وان يقدم الجد قبل المفعول، وهكذا يكون التعبير عادلاً، لأنه وضع كلاً من الرجلين في موضعه، ومن هنا جاء جمال التعبير، لأنه اتبع منهج العدل، والعدل جمال لا يعلوه جمال، أرأيت ان التزام التعبير البسيط في سورة النصر كان سبب الجمال والروعة، وان التقديم والتأخير وهو كلام مركب في آية البقرة، كان سبب الجمال والروعة، لأن كلاً من التعبيرين وقع موقعه الملائم، والله تعالى اعلم.

الهامش (١): فضلت ان اكتفي بكلمة «المفعول» من غير ان يلحقها «به» لأن اصطلاح النحاة هذا ليس دقيقاً (فالمفعول به) هو الذي يُفعل به، فإذا قيل: «سفد ذكر الحمام الحمامة» كانت الحمامة «مفعولاً به» حقاً، اما اذا قيل: قطف المزارع الثمر (فالثمر) ليس مفعولاً به، وانما هو «مفعول» فحسب.

قراءة في كتاب:

صحابة مجاهدون في الأردن وفلسطين

من تأليف الاستاذ حسني ادهم جرار

■ **عرض وتقديم الاستاذ حلمي محمد شقير**

كانت بلاد الشام شاهدة على أحداث التاريخ، فكم من حضارة سادت على ارضها ثم بادت، كانت الشام عصية على الغزاة، وقد لقنت الغزاة دروساً قاسية سرعان ما غادرها الغزاة.

كما ان بلاد الشام شهدت الكثير من الأنبياء والرسل، وقد حمل هؤلاء الأنبياء والرسل رسالات السماء، فبلغوا شرع الله على أحسن وجه، وظلت بذور الإيمان راسخة في ارض الشام، وقد احتل بيت المقدس واكناف بيت المقدس مكاناً مرموقاً عند المؤرخين.

أما الأردن وفلسطين فقد ظلتا كالرئتين للجسم الواحد، فكم من نبي عاش على ارض فلسطين ثم رجع الى الأردن واتخذها دار قرار، فهذا نبي الله أيوب عليه السلام عاش في الطفيلة وما جاورها، وجاء هود ولوط وشعيب ويحيى وزكريا وعيسى وموسى عليهم السلام الى الأردن، تباركت الأرض الأردنية بنفحات هؤلاء الأنبياء الكرام وبنور رسالاتهم.

والكتاب الذي بين أيدينا، يقع في مائة واثتين وعشرين صفحة، وهو على صغر حجمه كتاب عظيم الفائدة حيث يؤرخ للصحابة الذين شهدوا المعارك على ارض الشام في صدر الاسلام، وظل هؤلاء الصحابة الكرام مخلصين لما عاهدوا الله عليه، ولما يقف هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم موقف المتفرج من فتنة الردة وما تلاها من فتن، حيث رووا ثرى الشام بدمائهم الزكية، وكانوا مشعل حضارة أنارت للسائرين في ظلام الجهل نور الايمان، حتى ان القرآن الكريم قد أشاد بفضل هؤلاء الأخيار، قال تعالى: **﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾** التوبة: ٨٨ .

وقوله تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾** التوبة: ١٠٠ .

وقد حرص الكتاب على التثبت من المعلومات والأحداث والوقائع قبل تدوينها، وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة التي تناولت هذا الموضوع، وفي مقدمتها القرآن الكريم ومجموعة من كتب المؤرخين القدامى ومجموعة من كتب المعاصرين.

والكتاب يقع في ثلاثة فصول يتقدمها باب شرح فيه مفهوم الجهاد لغة وشرعاً وبين ان الجهاد في الاسلام شرع لتأمين الدعوة وحماية الدولة، وهو ذروة سنام الاسلام، فهو عطاء النفس والمال معاً.

قال تعالى: **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾** التوبة: ٤١، ومن ضمن شرح المصطلحات تحدث الكاتب عن مفهوم الصحابي ومفهوم الشهادة، وقد قسم الشهادة الى ثلاثة أقسام:

الأول: شهيد الدنيا والآخرة فهو من استشهد مقاتلاً الكفار وهو مقبل غير مدبر، لتبقى كلمة الله هي العليا.

الثاني: شهيد الدنيا وهو من قتل في قتال الكفار لغرض من اغراض الدنيا.

الثالث: شهيد الآخرة وهو المقتول ظلماً من غير قتال ومنه الغرق وميت الغربة.

فعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق، وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» فتح الباري ج٦، ص٥٠، حديث رقم(٢٨٢٩)، ومن القسم الأول والثالث استشهد على ارض الأردن وفلسطين عدد من الصحابة الكرام،و حيث افرد الكاتب ثلاثة فصول تحدث فيه عن جهاد الصحابة.

والفصل الأول: تناول جهاد الصحابة في بلاد الشام، وتحدث عن مكانة ارض الاسراء عند المسلمين ثم افرد مقدمة عن الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام، وعن معارك وشهداء على ثرى الأردن، وفي مقدمة هؤلاء شهداء معركة ذات اطلاح، وعلى رأسهم الشهيد كعب بن عمير الغفاري وكذلك السفير الشهيد، الحارث ابن عمير الأسدي، وشهداء غزوة مؤتة وقد ذكر منهم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر الطيار رضوان الله تعالى عليهم، وكذلك شهيد عفرا فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنه، وقد افرد الكاتب ترجمة لأربعة عشر شهيداً من شهداء مؤتة.

اما الفصل الثاني: فقد تناول الكاتب الفتح الاسلامي لبلاد الشام في عهد ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حيث افرد مقدمة عن معركة اجنادين وفحل وفتح طبرية ومعركة اليرموك وفتح بيت المقدس وفتح قيسارية وعسقلان، كما افرد الكاتب باباً عن قادة الفتح وترجم لحياتهم ومنهم: اسامة بن زيد، وفاتح القدس عمر بن الخطاب، وفاتح الشام ابو عبيدة عامر بن الجراح، وقائد اليرموك خالد بن الوليد، وفاتح لبنان يزيد بن ابي سفيان وفاتح فلسطين عمرو بن العاص، وفاتح الأردن شرحبيل ابن حسنة.. وغيرهم، وقد ترجم لسيرة سبعة عشر صحابياً شهيداً وقد ختم الكاتب هذا الفصل بالعهدة العمرية، وهي وثيقة الأمان التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب لأهل القدس.

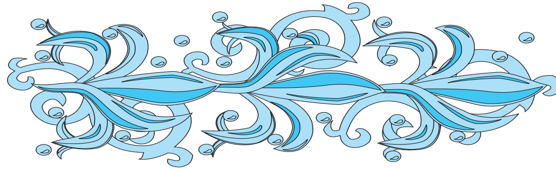
اما الفصل الثالث: فقد ترجم الكاتب لسبعة وثلاثين صحابياً شهيداً، استشهدوا على ارض الأردن وفلسطين، منهم ضرار

ابن الأزور وهشام بن العاص والطفيل بن عمرو رضي الله عنهم جميعاً، وقد ختم الكتاب بفهرس المصادر والمراجع وكانت تزيد على الثلاثين مصدراً ومرجعاً.

ان المكتبة العربية والاسلامية بحاجة الى هذه الكتب التي تدون سير اعلام الرجال ليقتدي بها الناشئة وتكون نبراساً للأجيال الصاعدة.

لقد ظلت أضرحة الصحابة رضي الله تعالى عنهم منارة يقتدي بها السائرون على شرع الله، وظلت اضرحتهم شاهدة على ان الأردن، هو ارض الحشد والرباط منذ انبلج فجر الاسلام.

ولا يفوتني في هذا المقام الا ان أزجي اسمى آيات التقدير لوزارة الأوقاف لاهتمامها بمقامات الصحابة لتحكي للاجيال عظمة الأردن على مر التاريخ، ليظل تاريخ الأمس موصولاً بتاريخ الحاضر والمستقبل، وان الاردن يستحق ان يحتل مكانه اللائق تحت الشمس الى جانب ماض مجيد، الزمان امامه مطأطئ الرأس اجلالاً وإكباراً والله ولي التوفيق.



المـــروءة وأهميتها للفرد والمجتمع

■ **بقلم الدكتور طلال حمزة عبيدات**

تعريف: المروءة تعني الإنسانية بكل معانيها، فهي مشتقة من المرء وهو الإنسان، وعليه يكون معناها ما يتوافق والقيم الإنسانية السامية وهي تعاطي ما يستحسن وتجنب ما يسترذل ويستقبح، وحد المروءة رعي مساعي البر، ورفع دواعي الضر، والطهارة من جميع الأدناس، والتخلص من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلق بحاملها لوم ولا يلحق به ذم.

❖ حقيقة المروءة:

قال بعض العلماء في المروءة: إنها كلمة لفظها كمعناها حلو جميل، إن قرعت السمع فعظمة وجلال، وان نفذت إلى القلب فنبل وسمو وشعور بالكرامة والكمال، ولست اعدل عن الحق إن قلت: إن المروءة هي جماع الفضائل ورأس المكارم، وعنوان الشرف، بها يسمو المرء، ويرتفع ذكره، وبفقدها يفقد كل كرامة وفضل .فهي ميزان الرجال واصل الجمال.

وحد المروءة تجميل النفس بما يزينها، وتحصينها مما يشينها بحيث تكون للمحامد أهلا، وعن المذام بمنأى، ولا يكون ذلك إلا لمن راض نفسه عن التخلق بالخلق الحسن من الصفات، والتجمل بجميل العادات.

والمروءة صفة خلقية تدفع الإنسان إلى فعل الخير، وتبعده عن فعل الشر، فهي خلق إنساني كريم يحمل صاحبه على جلب الخير للناس ودفع الأذى عنهم،

والمروءة بهذا المعنى هي حب الخير لجميع الناس، فإذا أحب الإنسان الخير لأخيه الإنسان عاش الناس جميعا في امن وسلام ورخاء ومحبة، فكان المجتمع متماسكا متضامنا متكاتفا، يتصف بالمنعة والقوة، ويتبوأ مكانة مرموقة بين الأمم والشعوب الأخرى.

سئل احد الحكماء عن الفرق بين العقل والحكمة، فقال: العقل يأمر الإنسان بالأنفع والأسلم ، والمروءة تأمر الإنسان بالأجمل والأكرم، وقال بعض العلماء: ليس من المروءة أن تكون أواني الإنسان من الفضة، ويكون جاره في الوقت نفسه جائعا لا يجد ما يسد به رمقه، وعار لا يملك ما يكسو به جسده .إن صاحب المروءة يبادر إلى فعل الخير لمن يعرف ولمن لا يعرف، ولا ينتظر أن يأتي إليه المتحاجون يطلبون مساعدته، بل انه يسارع إليهم مادا لهم يد العون والمساعدة عملا بالمثل القائل: **(خير النوال ما وصل قبل السؤال)** ويقول احد الأدباء: (المروءة من دواعي الألفة ودوام المحبة، يرنو صاحبها دائما إلى الكمال، ويرغب في التمسك بأجمل الخصال، فمن تجرد من المروءة فقد شغلت نفسه وانحطت أخلاقه وقل إخوانه، فلا يجد من يعطف عليه إذا أصيب بمكروه، أو يتودد إليه إذا نزلت به نازلة، فيقضي أيامه مبغوضا، ويضيع حياته وهو بعين الاحتقار مرموق)، وقد جاء في الأثر: (تجاوزوا عن عثرات ذوي المروءات، فإن أحدهم يعثر ويده في يد الله تعالى).

❖ صفات أهل المروءة:

روي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته وحرمت غيبته».

فصاحب المروءة يتحلى بأطيب الأخلاق وأفضلها، ويحرص دائما على التمسك بأجمل الخصال، ويتطلع بصفة مستمرة إلى الكمال، فلا يقول إلا كلاما طيبا، ولا يتحدث إلا بحديث حسن خير، ولا يعمل إلا أعمال الخير والبر، فهو دائما يسعى لخير الناس ومعاونتهم في أزماتهم، فهو يعين المحتاج، ويغيث الملهوف، ويحسن للفقراء والأرامل، ويمسح على رؤوس

الأيتام ليدخل البهجة والسرور إلى قلوبهم، ويصل رحمه، ويؤدي حقوق والديه وأبنائه وجيرانه، ويعفو ويصفح عمن أساء إليه فلا يقابل السيئة بالسيئة، بل يدرأ بالحسنة السيئة، فهو ممن قال فيهم الله تعالى: **﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾** الرعد: ٢٢، وقال الله تعالى في وصف أهل المروءة: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** الحشر: ٩ .

قال بعض الحكماء: أفضل المروءة، أن يكون صادقا في قوله، وفيا في عهده، باذلا لنفعه، وقيل لبعض الحكماء: ما المروءة؟ قالوا: باب مفتوح، وطعام مبذول وإزار مشدود (يعني بالقيام في حوائج الناس)، ومن المروءة أن يبذل الإنسان ماله لأخيه المسلم عند الحاجة، ويبذل نفسه عند الشدائد والمحن، ويحفظه عند غيابه فلا يدع لضعاف النفوس فرصة لاغتيابه والنيل منه، «فالمؤمن -كما يقول ﷺ- للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» الترمذي في السنة ج٣، ص٢١٨، وقال الحسن البصري: من مروءة الرجل أربعة: صدق لسانه، واحتمال عثرات إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن أباعده وجيرانه.

❖ عناصر المروءة:

يقدم لنا العلماء والحكماء مجموعة كبيرة من عناصر المروءة وأعمالها، منها:

- صدق اللسان ومواساة الإخوان، وذكر الله تعالى في كل مكان.
- مساعدة المحتاج ومواساة المحزون وتفريج كربة المكروب وإنصاف المظلوم باليد والمال واللسان.
- أن لا يعمل الإنسان في السر عملا يستحي منه في العلانية.
- حسن العشرة، وحفظ الفرج واللسان، وترك المرء ما يعيبه.
- سخاوة النفس وحسن الخلق.
- مراعاة العهود والوفاء بالعقود.
- إذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا قدرت غفرت وإذا وعدت أنجزت.

❖ درجات المروءة:

تتدرج المروءة في ثلاث درجات هي:

١- مروءة الإنسان مع نفسه: وهي أن

يحملها على ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين في السر والعلانية، بمعنى ان لا يفعل وهو وحيد في خلوته فعلا يستحي أن يفعله في حضرة من الناس، فمثلا لا يكشف عن عورته في خلوته، ولا يجشع وينهم في الأكل إذا كان وحيدا.

٢- **المروءة مع الناس:** وذلك بأن يعاملهم في أسلوب لين ومؤدب ويتحلى معهم بالحياء والخلق الجميل، فلا يفعل معهم أي فعل أو قول يكرهه وينفر منه، ولا يصدر منه تجاههم إلا ما استحسن من قول أو فعل، وبعبارة مختصرة: أن يعاملهم بمثل ما يحب إن يعاملوه به، حتى وإن أساءوا إليه أحسن إليهم، فيقابل الإساءة بالحسنة ولا يقابلها بالسيئة، يحذر مساوئ الأخلاق من شرارهم فيتجنبها ويعمل ضدها وهي مكارم الأخلاق، قال الشاعر:

عداتي لهم فضل علي ومنة
فلا اذهب الرحمن عني الأعاديا
همو بحثوا عن زلتي فأجتنبها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

٣- **المروءة مع الخالق سبحانه وتعالى:**

وهي الاستحياء من نظر الله تعالى إلى العبد واطلاعه عليه في كل هنيهة، فيعمل على إصلاح عيوبه جهد الإمكان، وهي أن يعلم الإنسان أنه مهما كانت عنده من خصلة سيئة، ومهما حاول إخفاءها عن الناس فان الله تعالى يعلمها ويطلع عليها، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو يراها وان كان يفعلها في خلوة مطلقة في الليالي الداجنة وفي القلاع المحصنة.

❖ شروط المروءة:

للمروءة شروط في نفس المرء وشروط في حق غيره، وشروطها في حق نفسه بعد التزام ما أوجبه الشرع من أحكامه، **فهي ثلاثة شروط هي العفة والنزاهة والصيانة.**

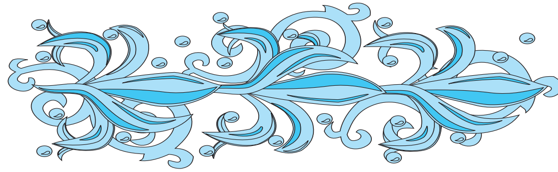
- **أما العفة فهي نوعان:** احدهما العفة عن المحارم، وثانيهما العفة عن المآثم، والعفة عن المحارم نوعان: أما الأول فهو ضبط الفرج عن الحرام كالزنا واللواط، أما الثاني فكف اللسان عن الأعراض كالقذف والسعاية والنميمة والغيبة والاستهزاء ونحو ذلك، وأما العفة عن المآثم فنوعان: أولهما الكف عن المجاهرة

بالظلم فهو عتو مهلك وطغيان متلف للمجاهر، وأما ثانيهما فزجر النفس عن الإسرار بالخيانة لأنه دناءة ولآمة.

- **أما النزاهة فنوعان:** احدهما النزاهة عن المطامع الدينية، لان فيها قتل للنفس وإماتة للقلب، وثانيهما تحري العدل وتجنب الانحياز والميل الجائر لان ذلك يولد الفتنة والأحقاد ويثير في النفوس البغضاء والكراهية.

وأما الصيانة فهي نوعان: صيانة حقوق الخالق وحدوده، وهي أن نفعل ما أمر به الله، وننتهي عما نهيا عنه، ففي ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما شأنه انتشار الفضائل وزوال الرذائل، وثانيهما صيانة حقوق الخلق، فيحفظ الأمانة ويردها لأصحابها، ولا يؤتى احد من قبله.

ولهذا يجب على كل مسلم أن يكون ذا مروءة فيسارع إلى مساعدة المحتاجين، ومواساة المحزونين، وإنصاف المظلومين كما قال ﷺ: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) الترمذي، السنة، ج٣، ص٢١٩ .



علم الجرافولوجي

■ بقلم الطالبة رنا يوسف

يعتبر علماء الجرافولوجي ان الخط هو عبارة عن «قراءة المخ» او قراءة للجهاز العصبي والحركي على الورق لدى الانسان، والمتمرس في هذا العلم يطلق عليه «جرافولوجست» اي الخبير في تحليل الرسم والشكل.

◆ ماهية الشخصية:

هو كل جسم له ارتفاع وظهور، انساناً كان او غير انسان، اما الانسان فلفظ الشخصية يمثل الجانب المادي فيه، اما الجانب الروحي فقد استخدم العرب الفاظاً أخرى للتعبير عنه، وعليه فإن معنى كلمة شخصية ليس المفهوم الذي نعرفه ونتكلم عنه، بل هي ما يشمل باطن وظاهر الانسان.

وقد عرّف علماء النفس الشخصية بأنها: مجموعة ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، وكذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مختلفة مكتسبة.

ويمكن لمحلل الخط ان يكتشف النظام التمثيلي للشخص «بصري، سمعي، حسي» من خلال نظرة واحدة فقط الى الخط، هل الشخص «مزاجي، قائد، يحب المؤانسة، ذو طاقة عالية، يحترم الذات، تلقائي، عدواني، اجتماعي، ناضج، دبلوماسي، عصبي، واعي، حماسي، عاطفي.. الخ»، كل هذه العوامل وغيرها يمكن ان يعكسها، وبسبب قدرة هذا العلم في كشف وتحليل دقيق جداً للشخصية،

فإنه يُدرس في ارقى الجامعات.

وقد ظهر علم التحليل للشخصية «الفراسة» من خلال الخط في بداية القرن التاسع عشر، وكان للغرب دور كبير في وضع قواعده وأصوله وخاصة في فرنسا، كما وللألمان دور كبير في تطوير هذا العلم، وقد برع بعض العرب في الفراسة.

❖ الرسومات العفوية التي تصدر من الشخص وعلاقتها بالشخصية:

وهنا لا بد من معرفة أمور مهمة قبل معرفة نوع وشكل الرسومات العفوية ففي وسط الصفحة، تعني ان الشخص بحاجة للانتباه، لا يحب الغموض، له حاجة للحرية، وفي يمين الصفحة، تفكيره مركز على الماضي -سريع الفهم- حساس، يخاف من كشف حقيقته، وفي يسار الصفحة، تفكيره مركز على المستقبل، محب للحياة، منجز في عمله، وفي اعلى الصفحة، متحمس، روحاني، له نظرة غير عملية، له خيال واسع، وفي اسفل الصفحة، عنده نظرة مرحة للحياة، احياناً كآبة. كما ان تظليل الحروف احياناً مجرد تعبير عن الملل ويمكن ان يشير الى القلق، قلة الثقة بالنفس والتوتر.

❖ الأشكال وعلاقتها بالشخصية:

الدائرة، وتعني: كريم متعاون يحب السلام مسامح سلمي كتوم وينتقم بقوة اذا غضب، صبور متفتح، حليم، هادئ عند التحدث.

المربع، ويعني ممدود في التعامل، طاقته محبوسة، هدوء ظاهر، مقتصد، حذر، متوتر نوعاً ما من الداخل، يستجيب للضغوط الخارجية.

النجمة، وتعني: متزن منضبط يجيد الحكم على الاشياء، منتظم الطاقة، مرن حساس، هادئ موضوعي، مثالي في التعامل.

المثلث، ويعني: حكمه سريع على الاشياء، طاقته عالية، يتعرض للضغوط بسرعة، سريع الانفعال، حاسم ومندفع، عجول ذو شخصية قوية ومزاجي.

الخطوط والأشكال المتكررة توحي عن شخص صبور مثابر منهجي حكيم مبدع ذو تفكير واضح.

الورود والأزهار، اجتماعي، حساس، يحب الدفء، متفتح، شخصيته ناعمة.

رسم الحيوانات والاسماك والطيور، يحب الدفاع وحماية الآخرين، حساس معبر، يحب المؤانسة، لطيف.

الفرق بين التوكل والعجز

■ بقلم الاستاذة شيماء عواد

التوكل هو: عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله عز وجل والثقة به تعالى والالتجاء اليه في جميع الأحوال والتفويض اليه، ورضا المؤمن بما يقتضيه له لعلمه بكفايته سبحانه، فقد كان الرسول ﷺ اعظم المتوكلين، ومن امثلة توكله اختفاءه بالغار ثلاثة أيام فكان متوكلاً في السبب لا على السبب.

اما العجز فهو تعطيل احد الأمرين او الأمرين كلاهما، فإما ان يعطل السبب عجزاً منه ويزعم ان ذلك توكل، ولعمر الله انه لعجز وتفريط، وإما ان يقوم بالسبب ناظراً اليه معتمداً عليه غافلاً عن المسبب معرضاً عنه، وهذا الوضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطاً.

فأحد الطرفين: عطل الأسباب محافظة على التوكل، والثاني: عطل التوكل محافظة على السبب، والوسط علم ان حقيقة التوكل لا يتم الا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في نفس السبب، واما من عطل السبب وزعم انه متوكل، فهو مغرور ممنوع متمن، كمن عطل النكاح والسرى وتوكل في حصول الولد وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول الزرع، وعطل الاكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والري، فالتوكل نظير الرجاء والعجز نظير التمني.

❖ حقيقة التوكل:

ان يتخذ العبد ربه وكيلاً له ويفوض الأمر اليه، كما يفوض الموكل الى وكيله العالم بكفايته ونهضته ونصحه وامانته

وخبرته وحسن اختياره، والرب سبحانه قد امر عبده بالعمل وتكفل له ان يستخرج له ما يصلحه، فأمره ان يحرث ويبذر ويسعى، وأمره أن لا يتعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته به وتوكله عليه.

فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره، وقعد كسلاناً طالباً للراحة مؤثراً للدعة، يقول: الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، وسيأتيني ما قدر لي على ضعفي، ولن انال ما لم يقدر لي مع قوتي، ولو اني هربت من رزقي كما اهرب من الموت للحقني، فيقال له: نعم، هذا كله حق، وقد علمت ان الرزق مقدر، فما يدريك كيف قدر لك بسعيك ام بسعي غيرك، واذا كان بسعيك فبأي سبب، ومن اي وجه، واذا خفي عليك هذا كله فمن اين علمت انه يقدر لك اتيانه عفواً بلا سعي ولا كد؟

فكم من شيء سعيت فيه فقدر لغيرك! وكم من شيء سعى فيه غيرك وقدر لك رزقاً، فإذا رأيت هذا عياناً فكيف علمت ان رزقك كله بسعي غيرك، وايضاً فهذا الذي اوردته عليك النفس التي يجب عليك طرده في جميع الاسباب مع مسبباتها، حتى في اسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل يعطلها اعتماداً على التوكل ام يقوم لها مع التوكل؟ بلى لن تخلو الأرض من متوكل صبر نفسه لله، وملأ قلبه من الثقة به ورجائه وحسن الظن به، فضاق قلبه مع ذلك مباشرة بعض الاسباب، فسكن قلبه الى الله تعالى واطمأن اليه، ووثق به، وكان هذا من اقوى الاسباب لحصول رزقه، فلم يعطل السبب، وانما رغب عن سبب الى سبب اقوى منه، فكان توكله اوثق الاسباب عنده، فكان اشتغال القلب بالله وسكونه اليه وتضرعه اليه احب اليه من اشتغاله بسبب منه من ذلك، او من كماله فلم يتسع قلبه للأمرين فأعرض عن احدهما الى الآخر.

ولا ريب ان هذا اكمل حالاً ممن امتلأ قلبه بالسبب، واشتغل به عن ربه، واكمل منهما من جميع الامرين، وهي حال الرسل والصحابة، فقد كان زكرياً نجاراً وقد امر الله نوحاً ان يصنع السفينة، ولم يكن في الصحابة من يعطل السبب اعتماداً على التوكل، بل كانوا اقوم الناس بالأمرين، ألا ترى انهم بذلوا جهدهم في محاربة اعداء الدين بأيديهم وألسنتهم، وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا أموالهم واصلحوها، واعدوا لأهليهم كفايتهم من القوت، اقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه وآله.

من علامات الايمان.. محبة الله عز وجل

■ بقلم الاستاذ عبد المنان اسماعيل

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

وروى الطبراني في الكبير عن أمامة: يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وعقله الذي يعقل به، فإذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته، وإن استنصرني نصرته، وأحب ما تعبدني به النصح لي).

لا شك أن كل مسلم في هذه الحياة يتمنى محبة الله جل وعلا له، ويطمح إلى أن يكون أحد المقربين من الله سبحانه، والنصوص في القرآن والسنة الدالة على محبة الله لعباده المؤمنين كثيرة جدا منها قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾**.

فالحب الإلهي الحنين المتجدد والشوق المستمر، من لم يذقه ما عرفه متجدد مع الانفاس، أي مرتبة تسمو الى هذه المرتبة طوبى لمن رزقه.

والمحبون هم الذين انار حب الله لهم آفاق السماء، فأمطرت عليهم سحب الأشجان وصحبتهم العبرات وزفرات المشتاق، ارتضوا حبهم لله منهجا وشرعة، هم في واد والناس من غيرهم في واد آخر.

محبة الله عز وجل هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون واليها شمر المشمرون وعليها تفانى المحبون، وهي اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام واحزان.. ومن الضروري لكل من طلب محبة الله جل وعلا، أن يعرف معنى هذه المحبة وما يترتب عليها وبعض العلامات الدالة عليها، قال العلماء: إن محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته.

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فابغضه قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض" .

❖ فعلامات حب الله لعبده أن يتولى الله تعالى أمره: ظاهره وباطنه، سره وجهره، فيكون هو المشير عليه، والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه، والمستعمل لجوارحه، والمسدد لظاهره وباطنه، والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته.

وقد روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة رضي الله عنها "إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه، وزاجراً من قلبه، يأمره وينهاه" .

ومن علامات حب الله تعالى لعبده، أن يضع له القبول والحب من أهل السماء وأهل الأرض- كما تقدم في الحديث الذي رواه مسلم- فيكرمونه وترتفع منزلته عندهم، كما صنع الله تعالى مع موسى عليه السلام حيث جعل عدوه يحبه، فقال تعالى ممتناً على موسى: **﴿وألقيت عليك محبة مني﴾**.

❖ معنى الحب:

جرت مسألة المحبة في مكة أيام المواسم - فتكلم فيها الشيوخ وكان الجنيد أصغرهم سناً . فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه ثم قال: (عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر

ربه ثم قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من استار غيبته، فان تكلم فبالله وان نطق فعن الله، وان تحرك فبأمر الله وان سكت فمع الله فهو بالله ولله ومع الله) فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جزاك الله خيراً يا تاج العارفين .

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها
كأنكم في بقاع الارض امطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسناً
كأنكم من عيون الناس اقمار
لا أوحش الله ربعا من زيارتكم
يا من لهم في الحشا والقلب تذكار

❖ أسباب الحصول على محبة الله عز وجل التي يطلبها كل عاقل مؤمن:

- أن ينظر الإنسان من الذي خلقه ومن الذي أمده بالنعم منذ أن كان في بطن أمه.
- محبة ما يحب الله من الأعمال القولية والفعلية والقلبية.
- كثرة ذكر الله بحيث يكون اللسان دائما رطباً بذكره تعالى.
- الإحسان **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾**.
- العدل **﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**.
- التوبة **﴿إن الله يحب التوابين﴾**.
- التطهر من الذنوب والنجاسات **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾**.
- إتباع الرسول ﷺ **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾**.
- الحذر من الردة والانتكاس **﴿.. من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾**.
- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم.
- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته.
- انكسار القلب بكليته بين يدي الله عز وجل.
- مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب الكلام.
- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله..كالشهوات والنظرات الحرام والبدع والمنكرات.. أو أي شيء غيرها.

في وداع شهر رمضان المبارك

■ بقلم الاستاذة هبة عليان

نعم.. ها هو رمضان قد رحل عنا.. فهل أخلصنا الأقوال فيما مضى منه وهل أحسنا الأعمال..

نودع رمضان وفي القلب غصة، وفي العين دمعة وفي النفس رجاء بأن نكون من عواده..

أيُّ شهرٍ قد تولّى يا عباد الله عنا
حق أن نبكي عليه بدماءٍ لو عقلنا
ثم لا نعلم أنا قد قبلنا أم حرمنا
ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا
كيف لا نبكي لشهرٍ مرّ بالغفلة عنا

فها هي أيام رمضان قد انقضت، ولياليه قد تولت، انقضى رمضان و ذهب ليعود في عام قادم، انقضى رمضان شهر الصيام و القيام، شهر المغفرة و الرحمة.

انقضى رمضان وكأنه ما كان، انتهى رمضان ماذا أودعت فيه فيك من صالحات، وماذا كتبت فيه من رحمات، كم من صحائف بيضت، وكم من رقاب عتقت، وكم من حسنات كتبت، انقضى رمضان وفي قلوب الصالحين لوعة، وفي نفوس

الأبرار حرقة، وكيف لا يكون ذلك؛ وها هي أبواب الجنان تغلق، وأبواب النار تفتح، ومردة الجن تطلق بعد رمضان.

انقضى رمضان: فيا ليت شعري من المقبول فنهنيه ومن المطرود فنعزيه؟!.

انقضى رمضان فماذا بعد رمضان؟

لقد كان سلف هذه الأمة يعيشون بين الخوف و الرجاء.

كانوا يجتهدون في العمل فإذا ما انقضى وقع الهم على أحدهم: أقبل الله منه ذلك أم رده عليه.

هذا حال سلف هذه الأمة فما هو حالنا؟

فيا أخي عليك أن تعيش بين الخوف والرجاء، إذا تذكرت تقصيرك في صيامك وقيامك؛ خفت أن يرد الله عليك ذلك، وإذا نظرت إلى سعة رحمة الله، وأن الله يقبل القليل ويعطي عليه الكثير، رجوت أن يتقبلك الله في المقبولين، ان لكل شيء علامة، وقد ذكر العلماء أن من علامة قبول الحسنة أن يتبعها العبد بحسنة أخرى، فما هو حالك بعد رمضان؟ هل تخرجت من مدرسة التقوى في رمضان فأصبحت من المتقين، هل تخرجت من رمضان وعندك عزم الاستمرار على التوبة والاستقامة؟ هل أنت أحسن حالا بعد رمضان منك قبل رمضان؟ ان كنت كذلك فاحمد الله، وإن كنت غير ذلك فابك على نفسك يا مسكين، فربما أن أعمالك لم تقبل منك، وربما أنك من المحرومين وأنت لا تشعر.

❖ أقسام الناس بعد رمضان:

لقد انقسم الناس بعد رمضان إلى أقسام:

١- **الصنف الأول:** قوم كانوا على خير وطاعة، فلما جاء رمضان شمروا عن سواعدهم، وضاعفوا من جهدهم وجعلوا رمضان غنيمة ربانية، ومنحة إلاهية، استكثروا من الخيرات، وتعرضوا للرحمات، وتداركوا ما فات، فلعله أن تكون قد أصابتهم نفحة من النفحات، فما انقضى رمضان إلا وقد حصلوا زادا عظيما، علت رتبتهم عند الله، وزادت درجتهم في الجنات، وابتعدوا عن النيران.

علموا أن لا مستراح لهم إلا تحت شجرة طوبى، فاتعبوا هذه النفوس في الطاعات.

علموا أن الصالحات ليست حكرا على رمضان، فلا تراهم إلا صواما قواما.

حافظوا على صيام الست في شوال، حافظوا على صيام الاثنين والخميس والأيام البيض، دمعتهم على خدودهم في جوف الليل، وعند الأسحار استغفارهم أشد من استغفار أهل الأوزار، يعيشون بين الخوف والرجاء، حالهم كما قال الله: **﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾**.

وفي السنن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، فقلت يا رسول الله: أهم الذي يسرقون و يزنون و يشربون الخمر و يخافون من الله؟.

فقال رسول الله ﷺ: لا يا ابنة الصديق، ولكنهم أقوام يصلون ويصومون ويتصدقون ويخافون أن يرد الله عليهم ذلك) فهؤلاء هم المقبولون، هؤلاء هم السابقون، هؤلاء هم الذين عتقت رقابهم، وبيضت صحائفهم.. فطوبى ثم طوبى لهم.

٢- الصنف الثاني: قوم كانوا قبل رمضان في غفلة وسهو ولعب، فلما أقبل رمضان أقبلوا على الطاعة والعبادة، صاموا وقاموا، قرأوا القران وتصدقوا ودمعت عيونهم وخشعت قلوبهم، ولكن ما أن ولى رمضان حتى عادوا إلى ما كانوا عليه،عادوا إلى غفلتهم، عادوا إلى ذنوبهم.

فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مضى، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، فالذي أمر بالعبادة في رمضان هو الذي أمر بها في غير رمضان.

٣- الصنف الثالث: قوم دخل رمضان و خرج رمضان، وحالهم كحالهم، لم يتغير منهم شيء، ولم يتبدل من أمرهم شيء، بل ربما زادت آثامهم، وعظمت ذنوبهم، واسودت صحائفهم، وزادت رقابهم إلى النار غلا، هؤلاء هم الخاسرون حقا، لم يعرفوا لماذا خلقوا عوضا أن يعرفوا قدر رمضان وحرمة رمضان، فهؤلاء ليس أمام حيلة معهم إلا أن ندعوهم إلى التوبة النصوح، التوبة الصادقة، ومن تاب، تاب الله عليه.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لو أن أحدكم أراد سفرا، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه؟ قالوا: بلى، قال: سفر يوم القيامة أبعد، فخذوا ما يصلحكم؛ حجوا لعظائم الأمور، صوموا يوما شديداً حره لحر يوم النشور، صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، تصدقوا بالسر، ليوم قد عسر).

وقال الحسن البصري: (إن الله جعل رمضان مضماراً لخلقه؛ يتسابقون فيه

بطاعته فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا .. فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون و يخسر المبطلون) اللهم اجعل ما نقول حجة لنا لا علينا

❖ نصائح للصمود والمداومة على العمل الصالح بعد رمضان:

١- أولاً وقبل كل شي طلب العون من الله عز وجل على الهداية والثبات وقد أثنى الله على دعاء الراسخين في العلم **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾**.

٢- الإكثار من مُجالسة الصالحين والحرص على مجالس الذكر العامة كالمحاضرات والخاصة كالزيارات.

٣- التعرف على سير الصالحين من خلال القراءة للكتب أو استماع الأشرطة، وخاصة الاهتمام بسير الصحابة فإنها تبعث في النفس الهمة والعزيمة.

٤- الإكثار من سماع الأشرطة الإسلامية المؤثرة، كالخطب والمواعظ.

٥- الحرص على الفرائض كالصلوات الخمس وقضاء رمضان فإن في الفرائض خيراً عظيماً.

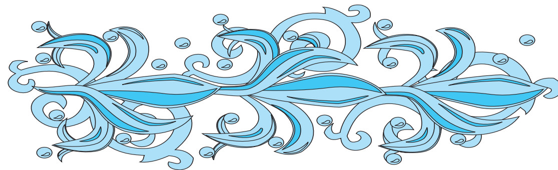
٦- الحرص على النوافل ولو القليل المُحبب للنفس، فإن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل.

٧- البدء بحفظ كتاب الله والمداومة على تلاوته، وأن تقرأ ما تحفظ في الصلوات والنوافل.

٨- الإكثار من ذكر الله والاستغفار فإنه عمل يسير ونفعه كبير، يزيد الإيمان ويُقوي القلب.

٩- البعد كل البعد عن مفسدات القلب من أصحاب السوء.

١٠- وأخيرا التوبة العاجلة.. التوبة النصوح التي ليس فيها رجوع بإذن الله فإن الله يفرح بعبده إذا تاب أشد الفرح.



قيام الليل.. دأب الصالحين ومطردة للداء

■ بقلم الدكتور ابراهيم الراوي

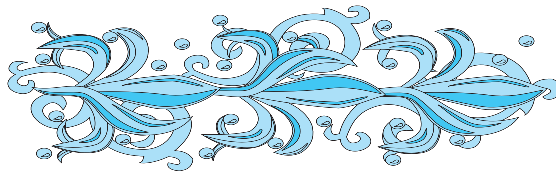
صرح رسول الله محمد ﷺ قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، عن ظاهرة علمية عجيبة ابهرت العالم اليوم بكافة علمائه وباحثيه في ميادين العلوم الطبية البشرية، حيث قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين ومطردة للداء عن الجسد».

استناداً الى أحدث البحوث الطبية العالمية اليوم، فقد أقر جميع علماء الطب الحديث في العالم مؤخراً، الاكتشاف العلمي الجديد الذي أظهر ان النوم العميق ولساعات طويلة، يسبب ترسب المادة الخطيرة «الكوليسترول» في جدران شرايين عضلة القلب وشرايين تلافيف المخ والمراكز العصبية، مسببة تصلب وتلف جدران الشرايين ومؤدية الى الاصابة بالذبحة او السكتة القلبية، نتيجة تلف انسجة العضلة القلبية، والامراض الدماغية الخطيرة، مثل انفجار شرايين المخ وحدوث النزيف الدموي الدماغي، المؤدي الى الجلطة الدماغية الذي يعقبه إما الموت الدماغي او الشلل النصفي.

ويوصي علماء الطب الحديث اليوم بقطع النوم العميق بعد منتصف الليل، والنهوض بنشاط لإيقاف سلسلة الرحلة السباتية وهجر الفراش، والخروج لأداء أية ممارسات للحركات الرياضية، كصعود

السلالم أو الجري الموقعي او التمارين السويدية ثم العودة الى النوم ثانية، اما «قيام الليل» فإنه يتمثل بالنهوض من الفراش وهجر النوم واعادة النشاط الجسدي والنفسي والروحي، بإسباغ الوضوء الذي يطرد النعاس ويجدد نشاط الدورة الدموية والتنفس، ثم القيام بصلاة الليل ركوعاً وسجوداً ونهوضاً، حيث ان الصلاة تنشط ٣٦٠ مفصلاً في الجسم البشري، و ٣٠٠٠ عضلة جسدية موضحة هذا الاجراء الطبي الرائع، في جو هادئ من الصفاء الذهني والجسماني ونيل اعلى رتب الايمان، مما يبين الفارق بين انسان الدنيا الباحث عن الفوائد المادية للجسم، وانسان الدنيا والآخرة الذي يسعى للفوز بالصحة في الدنيا ورضاء الله في الآخرة: **﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾**.

حينما يتباهى الخالق العظيم بالانسان المسلم، الذي يعيش في رحاب الايمان «الذين يصلون والناس نيام» والذي يقف علماء العصر الحديث بكل اعجاب واجلال امام «قيام الليل» الذي يعد اليوم في قواميس الطب الحديث، كأروع اجراء وقائي لحماية الشرايين القلبية والدماغية من خطر السبات **﴿وجعلنا الليل سباتاً﴾** ومن مخاطر النوم العميق لساعات طويلة **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**.



خطبة الجمعة

قال الله تعالى:

﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾

بقلم الأستاذ محمد السعدي

الله اكبر ما كبر المكبرون، الله اكبر ما ذكر الذاكرون، الله اكبر ما صام الصائمون، الله اكبر ما قام القائمون، الله اكبر ما زكى المزكون، الله اكبر ما جاهد المجاهدون، الله اكبر، الله اكبر، ولله الحمد.

الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً، واشهد ان لا إله الا الله وحده ولي المتقين، ومجازي المحسنين بأحسن الذي كانوا يعملون واشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى اتباعه الى يوم الدين.

أيها المسلمون؛

ها قد انقضى رمضان المبارك، وفارقنا حاملاً معه صحائف اعمالنا التي نرجو ان تكون قد حفلت بالطاعات وازدحمت بالحسنات، وارضت عنا رب الكائنات.

وها قد اقبل علينا عيد الفطر المبارك، عيد الجائزة، عيد الأجر،

عيد الثواب، عيد المغفرة، عيد الرضوان، عيد الرحمة، عيد النعيم، عيد الصائمين، عيد القائمين، عيد المزكين، عيد الطائعين.

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ❖ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين﴾ الزمر: ٧٣-٧٤ .

يقول الرسول ﷺ: «اذا كان يوم عيد الفطر، وقفت الملائكة على ابواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين الى ربك كريم، يمن بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بصيام النهار فصمتم، وأمرتم بقيام الليل فقمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: الا ان ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم، فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة».

الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، هذا يوم الفرح بالقيام بالواجب، ويوم الفرح براحة الضمير، ويوم الفرح بالشعور برضوان الله، هذا الفرح بقوة الارادة، وشدة العزيمة، ومجاهدة الشهوة، هذا يوم الفرح بانتصار الطاعة على المعصية، والحسنة على السيئة، والبر على الخطيئة، هذا يوم الفرح بانتصار الجود على الشح، والعفو على حب الانتقام، والصلة على القطيعة، والحب على الكراهية.

هذا يوم الفرح بانتصار النفس على الشيطان، وانتصار الروح على قبضة الطين، هذا يوم الفرح بحسن الجزاء الذي يدخره الله للصائمين الطائعين، يقول الرسول ﷺ: «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه».

فيا هناءة من صام رمضان، ويا سعادة من قام لياليه، ويا هناءة من أكثر فيه من تلاوة القرآن وذكر الرحمن، ويا سعادة من ضاعف فيه العمل الصالح، وضاعف فيه الصلة والصدقة، وضاعف فيه البر والاحسان.

يقول الرسول الكريم ﷺ: «من صام

رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» فهنيئاً لكم ايها المؤمنون مغفرة الله وهنيئاً لكم رضوان الله.

الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، هذا يوم الصلة، يوم المحبة، يوم المودة، يوم التكافل، يوم التراحم، يوم العفو، يوم الصلح، يوم التزاور، وحري بنا في هذا اليوم ان ننسى احقادنا، وننسى خلافنا، ونصفي قلوبنا، ونتصافح مع اخواننا واقربائنا، ونزور جيراننا وارحامنا، ونتبادل معهم التهاني، وندخل البهجة الى قلوب الناس، وننشر الفرح في كل مكان.

وجدير بنا في هذا اليوم ان نتفقد الارامل، ونغدق المحبة والعطف على الأيتام وابناء الشهداء، ونوسع على الفقراء والمساكين حتى يتمتعوا بالعيد ويشعروا بفرحة العيد، وخليق بنا في هذا اليوم ان نمسح دموع المحزونين، ونواسي المصابين ونعود المرضى، ونزور المساجين، ونفرج كربة المكروبين.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى»، ويقول ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه».

الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، هذا يوم الحمد، هذا يوم الشكر، هذا يوم الذكر، وجدير بنا في هذا اليوم ان نشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: **﴿وءاتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** ابراهيم: ٣٤ .

خليق بنا في هذا اليوم ان نحمد الله على نعمة الاسلام، ونعمة الايمان، ونعمة بعثة محمد ﷺ، ونعمة تنزيل القرآن، حري بنا في هذا اليوم ان نشكر الله على شرعة الصيام التي جعلها فرصة للتطهر من الذنوب والآثام، والفوز بالمغفرة ودار السلام.

جدير بنا في هذا اليوم ان نحمد الله

تعالى الذي اعاننا على الصيام وقوانا على القيام وأغنانا لنؤدي الزكاة واعاننا على الطاعات، ووعدنا عليها اعظم الجزاء، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وما كنا لنصوم لولا ان اعاننا الله، وما كنا لنزكي لولا ان أغنانا الله.

يقول الله عز وجل بعد ان ذكر الصيام واوجبه على أمة الاسلام: **﴿.. ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾** البقرة: ١٨٥ .

اللهم انا اصبحنا منك في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك علينا وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، اللهم ما اصبح بنا من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، اللهم انت ربنا لا اله الا انت، خلقتنا ونحن عبيدك ونحن على عهد ووعدك ما استطعنا، نعوذ بك من شر ما صنعنا، نبوء لك بنعمتك علينا، ونبوء بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب الا انت.

اللهم ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، هذا يوم التكبير، يوم التمجيد، يوم التسبيح.. ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يهتفون بالنداء الخالد: الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، ومعهم تكبر الملائكة، ومعهم تكبر الكائنات، ومعهم يكبر الوجود: **﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفورا﴾** الاسراء: ٤٤ .

ملايين المسلمين.. اسودهم وابيضهم، عربهم وعجمهم، اصفرهم واحمرهم، صغيرهم وكبيرهم يهتفون بنداء الاسلام: الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، مؤكدين ان أمة الاسلام واحدة: ربها واحد، ودينها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة وغايتها واحدة: **﴿ان هذه**

أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾ الأنبياء: ٩٢ .

الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، لقد انقضى رمضان، وليس معنى ذلك ان نتفلت من فرائض الدين وندع الصلاة والعبادة، ونعود الى المعاصي والموبقات، وكأن الله حاضر في رمضان غائب فيما سواه!! ان رب رمضان هو رب شوال، ورب سائر الشهور، ونحن عبيد الله في رمضان وغيره، والله في كل حين يستحق ان يطاع فلا يعصى، ويستأهل ان يذكر فلا ينسى، ويستحق ان يُشكر فلا يُكفر.

ولا يليق بنا ان نطيع الله في رمضان ونعصيه في بقية الشهور، بينما نعمه تتدفق علينا آناء الليل واطراف النهار، **﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان ❖ فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** الرحمن ٦٠-٦١ .

لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر، ان الهدف من الصيام هو زرع التقوى في القلوب، وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، والتوبة عن المعاصي، والاستقامة على الطاعة، وابتداء عهد جديد في حياة المسلم، ولذلك فإننا ينبغي ان نحافظ على تقوى رمضان، وروحانية رمضان، وعبادة رمضان، وصدقة رمضان، وصلة رمضان، واحسان رمضان، وأخلاق رمضان.

والله عز وجل يريد منا الاستقامة على العبادات، والمداومة على الطاعات، والمسارعة في الخيرات، وبهذه الاستقامة نسعد في الدنيا ونفوز في الآخرة: **﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ❖ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون ❖ نزلاً من غفور رحيم﴾** فصلت: ٣٠-٣٢ .

بحمد الله تم



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد التاسع - المجلد ٥٤

ذو القعدة ١٤٣١هـ - تشرين الأول ٢٠١٠م





المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد التاسع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

الافتتاحية

دعوة الاسلام الى وحدة

ان من حكمة الله تعالى في خلقه، تنوعات الانسان الى سلالات وعشائر وأقوام، وهذا التنوع يجب ان لا يخل بأساس الوحدة الانسانية، التي تصبغ الجميع بطوابع معينة من خصائص الانسانية ومقوماتها، بل ان هذا التنوع في البشر هو الطريق الصحيح لوحدة انسانية عامة.

والاسلام الحنيف هو الدين القيم للانسان في كل عصر وجيل، ليعالج كل انحراف من انحرافات الانسانية عبر تاريخها الطويل، والاسلام يصف المسلمين بأنهم أولئك ﴿الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

وعندما اشرقت الارض والسماء بنور ربها، وأذن الله للاسلام أن ينبلج ضياؤه، كانت تعاليمه وتوجيهاته اكبر مقنع للمسلم بالأخوة الانسانية، مع الاعتراف بالتنوع القبلي والقومي، اذ ان معاملة التنوع القومي بروح التسوية والعدالة، يقوي الأخوة والوحدة من خلال هذا التنوع، فالمسلمون على اختلاف شعوبهم وأقوامهم هم وسائر الشعوب والأقوام الآخرين، ليسوا الا خلق إله واحد، وبني أب واحد، وقد جعلهم الله شعوباً وقبائل ﴿ليتعارفوا﴾ وبذلك اصبحت نظرتهم الى الشعوب والقوميات المتناثرة، ليست نظرة السيطرة لأحداها على الأخرى، ولا نظرة تحالف شعوب وقوميات على ابتلاع غيرهم، بل كانت نظرة الأخوة الانسانية، هي التي تقتضي المساواة والعدل والكف عن الاعتداء، والكل عيال الله تعالى.

لهذا كان من ابرز خصائص دعوة النبي ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا ابيض على اسود .. الا بالتقوى» فالشعوب والقبائل والقوميات والعصبيات،

وأخوة إنسانية عامة

لا ميزة لها على اخرى الا بما تحققه من قرب لخالقها، واقامة الحق والعدالة والمساواة بين ابناء الانسانية جميعاً، دون محاباة او اضطهاد او الكيل بمكاييل عدة، كما هو شعار الدول والمنظمات الكبرى في هذه الايام!.

والذين يتدبرون القرآن العزيز ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ والذين يقرؤون التاريخ الاسلامي، عبر عصوره التليدة، يدركون حكمة الله تعالى في هذا «الجَعْل» والخَلْق القويم، ويعتقدون انه كلما تنكر الناس لهذا الخلق الإلهي المحكم، او الواقع الاجتماعي القومي، كان رد الفعل هو القومية الأممية او الشعوبية او القبلية المقيتة، وبالمثل والمقابل، كلما كان هناك اعتراف بهذا الواقع وعدل ومساواة بين امم الأرض وشعوبها كان لواء الإخاء بينها معقوداً.

لأن الاسلام في جوهره ودعوته، لا يضيق ذرعاً باختلاف الناس بألوانهم واجناسهم أو دياناتهم، حتى لو كان هذا الاختلاف في المنهج والعقيدة، بل يعتبر هذا ضرورة من ضروريات الواقع المعاش، قال عز وجل: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة..﴾ سيما وان الاسلام لا يتخذ القهر والاكراه وسيلة لحمل الناس على اعتناقه ﴿لا اكراه في الدين﴾ ﴿لكم دينكم ولي دين﴾.

وهكذا يتقرر انه لا يوجد دين ولا مذهب ولا فكر مهما أوتي من تأييد وانتماء وسلطات، دعى الى الوحدة والأخوة الانسانية، كمثل دين الاسلام الذي جاء به خير الخلق أجمعين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

أسرة التحرير

علاج القلق في القرآن الكريم

■ بقلم الأستاذ فهد الرومي

وردت في القرآن الكريم نصوص كثيرة جدا، تؤكد على أن شفاء الأمراض النفسية وعلى رأسها القلق، هو في الإيمان بالله وذكره وتلاوة كتابه القرآن الكريم، وأن الأمن والأمان والطمأنينة وانشراح الصدر والسكينة، كل ذلك لا يعدو الإيمان الصادق ولا يفارقه.

فالقلوب إنما تطمئن بذكر الله تعالى: **﴿الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**(١)، في الطمأنينة انشراح للصدر وزوال للضيق والقلق: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾**(٢)، ومن شرح الله صدره بالإيمان هدأت سريرته ونزلت عليه السكينة، واطمأنت نفسه وزال قلقه فيشعر بالرضا ويبتعد عن الآثام والمعاصي: **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا﴾**(٣).

فينعم بالأمن والطمأنينة: **﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾**(٤)، ولا يخاف من شيء في هذه الدنيا إلا الله ولا يحزن: **﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**(٥) فينعمون بالرضا بما قسمه الله وقدره ورضا الله عنهم لإيمانهم: **﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾**(٦)، فينعم الله عليهم بالحياة الطيبة: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**(٧)، وتتم النعمة



بدخول الجنة وما فيها من النعم: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[٨].

قل لي بربك: ما الذي يبقى من القلق في قلب من ذكر الله فاطمأن قلبه بالإيمان، وانشرح صدره بالإسلام ونزلت عليه السكينة وزال خوفه وحزنه، ورضي الله عنه وأرضاه؟ وما الذي يفتقده مثل هذا المؤمن؟ وما الذي يحتاجه من أمور الدنيا الزائلة الزائفة؟ هل يمكن أن يقدم على عمل يعلم أنه يهدم أمامه ويحطم آماله؟ هل يمكن أن يرتكب جريمة أو شبهها وهو يرجو ما عند الله؟ هل يمكن أن يأخذ حق غيره وهو يعلم أنه سيحرمه رضا الله؟! كيف والنصوص صريحة أن الإيمان يمنع من ذلك: **﴿قد أفلح المؤمنون ❖ الذين هم في صلاتهم خاشعون ❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون ❖ والذين هم لفروجهم حافظون ❖ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ❖ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ❖ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**[٩].

وفي الحديث: «الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن»[١٠] وفيه: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: (ولا يقتل وهو مؤمن) قال عكرمة: قلت لابن عباس: (كيف ينزع منه الإيمان؟ قال: هكذا -وشبك أصابعه ثم أخرجها- فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه)[١١].

وفي الحديث: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)[١٢]، وحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١٣]، والأحاديث أكثر من أن أستوعبها في هذا المقام أو أحصيها، فأي حصانة للنفس وأي حصانة للمجتمع أكثر من إيمان يمنع صاحبه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويمنعه من إيذاء المسلمين بأي نوع من الإيذاء بل يتجاوز منعه من الإيذاء إلى أنه لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، أي مجتمع

هذا المجتمع إذا سادت فيه هذه المعاني وانتشرت فيه هذه القيم والتزمت هذه المبادئ، فلا مكان للجريمة ولا مكان للانحراف والاعتداء.

❖ والقرآن شفاء:

قال تعالى: **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾**[١٤]، وقال عز شأنه: **﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾**[١٥]، وقال سبحانه: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**[١٦]، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء كما قال في الآية المتقدمة يعني: **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾**[١٧] فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاء قط، أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجح في إزالة الداء من القرآن[١٨].

وينبغي أن نعلم أن في القرآن نوعين من الشفاء[١٩]:

الأول: وصفي بمعنى أن القرآن فيه وصف للأدوية وعلاج الأمراض البدنية والنفسية في وقت لم يكن الناس أبدا يدركون هذا أو بعضه، فحرم الخنزير والدم والميتة والمنخنقة والخمر والزنا واللواط وإتيان النساء في المحيض، ولا شك أن مثل هذه الأشياء من مصادر الأمراض الخطيرة، ووصف العسل وأخبر أن فيه شفاء: **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾**[٢٠] تلك أمور تجلب الأمراض البدنية حرمها وذلك دواء يدفع أمراضا أخرى وحرم أيضا اتباع الشهوات والحسد والحقد والغضب واليأس والقنوط وغير ذلك، لما تجلبه لصاحبها من أمراض نفسية ووصف علاجها بما ذكرناه سابقا من الإيمان بالله تعالى، والاستعانة على ذلك بالصبر والصلاة، فتلك أمور تجلب الأمراض النفسية وذلك دواء بإذن الله يدفعها.

أما الثاني: فهو أن القرآن نفسه شفاء كما دلت عليه الآيات الكريمات، فهو نفسه شفاء للأمراض البدنية والنفسية.

فمن صور التداوي بالقرآن، نفث الرسول ﷺ على نفسه في مرضه بالقرآن واقتداء عائشة رضي الله عنها به في ذلك وما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا نبي

الله إن لي أخا وبه وجع، قال: وما وجعه؟ قال: به لمم قال: فائتني به، فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين: **﴿وإلهكم إله واحد﴾**[٢١] وآية آل عمران: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾**[٢٢] وآية من الأعراف: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾**[٢٣] وآخر سورة المؤمنون: **﴿فتعالى الله الملك الحق﴾**[٢٤] وآية من سورة الجن: **﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾**[٢٥] وعشر آيات من أول سورة الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر و **﴿قل هو الله أحد﴾**[٢٦] والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشتك قط)[٢٧]، والقرآن شفاء للأمراض النفسية وأحسب أن الأمراض النفسية أخطر من الأمراض الجسدية، أذ يجد الانسان من يداويه من مرض الأبدان من الأطباء المختصين بكل عضو من أعضاء جسده.

أما المرض النفسي فليس من السهل أن يجد العلاج المناسب في وقت قصير، وقد يصبح نهبا للوساوس والأوهام، ولن يستمتع بحياته كما يستمتع بها المريض في جسده، ولذا فقد يشعر الانسان بسعادة غامرة، رغم فقره بل ومرضه الجسدي ولكنه لن يكون كذلك إذا ما كان يعاني مرضا نفسيا[٢٨].

ونعتقد أن في القرآن شفاء لهذه الأمراض النفسية، وإنما تحدث تلك الأمراض حين يعرض الإنسان عن القرآن وعن ذكر الله: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾**[٢٩] **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾**[٣٠] وعلاج ذلك كله قريب: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**[٣١] نعم تطمئن القلوب المضطربة والقلوب القلقة والقلوب الموسوسة، وروي عن جعفر الصادق رحمه الله تعالى أنه قال: (عجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قوله تعالى: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾**[٣٢] دعوة ذي النون عليه السلام فإني سمعت الله يعقبها بقوله: **﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾**[٣٣] وعجبت لمن أصابه الحزن ولم يفزع إلى قوله تعالى: **﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**[٣٤] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: **﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾**[٣٥]

وعجبت لمن دبرت له المكائد ولم يفزع إلى قوله: ﴿**وأفوض أمري إلى الله**﴾[٣٦] فإني سمعت الله يعقبها بقوله: ﴿**فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾[٣٧] وأصرح من قول رسول الله ﷺ (دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾[٣٨] لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا أستجيب له)[٣٩].

فكم من مسلم إذا تكالبت عليه الهموم، توضأ وتطهر ثم انتحى زاوية في بيته وأخذ المصحف يتلوه فتزاح عنه الهموم وتنجلي فيقوم وكأنما نشط من عقال.. وكم من مسلم اضطجع على جنبه الأيمن عند نومه، وقرأ على نفسه بضع آيات كأنما يمد بها طريقا إلى ربه ويبتغي بها رضاه، فنام قرير العين آمنا بحفظ الله ورعايته.. وكم من مسلم أصابته الوحشة واستولى عليه الخوف فآنس بآيات فوجدها نعم الأنيس، أزالت وحشته وأذهبت خوفه... وكم من مسلم اضطرب وارتعد فتلا آيات فأنزل الله عليه سكينته وآمن روعته.. وكم من مسلم التمس الشيطان إلى قلبه سبيلا وألقى إليه بالشبهات والشكوك، فما تكاد تنقدح شرارتها حتى يدعوه داعي الإيمان إلى ترتيل آيات من القرآن فتقضي على كل شبه وتقطع كل شك فيعود قلبه مطمئنا.. وكم من مسلم ناله الفقر ومسه الجوع فوجد في القرآن غناه وفي تلاوته غذاءه.. وكم من مسلم كاد يطغيه غناه وتذهب به بهجته، فأنقذه الله بالقرآن يتلوه فانكشف له الستار وتذكر نعمة ربه فابتغى ما عند الله بما عنده.

فإن جرب أحد شيئا من هذا فوجده، فليحمد الله فإنها نعمة عظمى أنعمها الله عليه، وإن جرب أحد مثل هذا فاستعصى عليه أو لم يجد، فلينظر في حاله وليفتش عن العلة في نفسه فإنه من قِبَلِه هو أُتي[٤٠].

فلا بد من كمال اليقين وقوة الاعتقاد، فذلكم رسول الله ﷺ جاءه رجل فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال: (اسقه عسلا) فسقاه فقال: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا، فقال ﷺ: (صدق الله وكذب بطن أخيك) وفي رواية فقال: (اسقه

عسلا) ثم أتى إليه الثانية فقال: (اسقه عسلا) ثم أتى إليه الثالثة فقال: (اسقه عسلا) ثم أتى إليه فقال: فعلت فقال: (صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا) فسقاه فبرأ[٤١].

فانظر إلى قوة اليقين بالقرآن الكريم، كيف كان أثرها ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، هو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها، ويرقى بها، هي في نفسها وان كانت نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه[٤٢]، وقال الزركشي عن الإستشفاء بالقرآن الكريم: (لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره وتمسك به وتدبره)[٤٣].

الهوامش:

(١) الرعد: ٢٨ .

(٢) الزمر: ٢٢ .

(٣) الفتح: ٤ .

(٤) الأنعام: ٨٢ .

(٥) البقرة: ٣٨ .

(٦) البينة: ٨ .

(٧) النحل: ٩٧ .

(٨) الفجر: ٢٧-٣٠ .

(٩) المؤمنون: ١-٨ .

(١٠) رواه أبو داود كتاب الجهاد باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم ج٣ ص٨٧ .

(١١) رواه البخاري كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه رقم ٢٤٧٥ ورقم ٦٨٠٩ .

(١٢) رواه البخاري كتاب الأدب إثم من لا يأمن جاره بوائقه رقم ٦٠١٦ .

(١٣) رواه البخاري باب كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه رقم ١٣ .

(١٤) فصلت: ٤٤ .

(١٥) يونس: ٥٧ .

(١٦) الإسراء: ٨٢ .

(١٧) فصلت: ٤٤ .

(١٨) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم ص٨ .

(١٩) انظر كتاب خصائص القرآن الكريم ص ١١٠ .

(٢٠) النحل: ٦٩ .

(٢١) البقرة: ١٦٣، سورة العنكبوت: ٤٦ .

(٢٢) آل عمران: ١٨ .

(٢٣) الأعراف: ٥٤ .

(٢٤) المؤمنون: ١١٦ .

(٢٥) الجن: ٣ .

(٢٦) الإخلاص: ١ .

(٢٧) مسند الإمام أحمد ج٥ ص١٨٢ .

(٢٨) انظر كتاب خصائص القرآن الكريم: ص١١٣-١١٤ .

(٢٩) طه: ١٢٤ .

(٣٠) الزخرف: ٣٦ .

(٣١) الرعد: ٢٨ .

(٣٢) الأنبياء: ٨٨ .

(٣٣) آل عمران: ١٧٣ .

(٣٤) آل عمران: ١٧٤ .

(٣٥) غافر: ٤٤ .

(٣٦) غافر: ٤٥-٤٦ .

(٣٧) الأنبياء: ٨٧ .

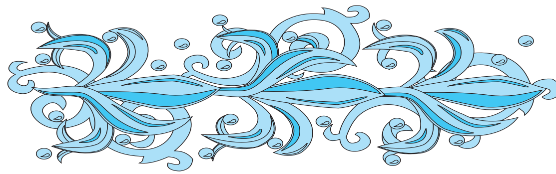
(٣٨) مسند الإمام أحمد ج١ ص١٧٠ وسنن الترمذي ج٥ ص٥٢٩ .

(٣٩) خصائص القرآن الكريم: ص١١٥-١١٦ .

(٤٠) صحيح البخاري ج٥ ص١٨ الرواية الأخرى ص١٢-١٣ ج٥ .

(٤١) الجواب الكافي: لابن القيم ص٨ .

(٤٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج١ ص٤٣٦ .



١

عقوبة المعتدين على الآمنين

في ضوء آية الحرابة وحديث العرنيين

■ بقلم الدكتور محمد الرعود

والدكتور شحادة العمري

يسر البَاحِثَيْن أن يتقدما بهذا البحث الوجيز ليتحدث عن عقوبة قرآنية نبوية رادعة، تحمي الإنسان من غوائل المعتدين من أهل الحِرابة وقطاع الطريق ومنْ يتشبه بهم من الشاذين عن مهيع الطريق، وجاء البحث موسوماً بـ (عقوبة المعتدين على الآمنين في ضوء آية الحِرابة وحديث العُرنيين) لما بين هذه الآية الكريمة، وقصة عُكل وعُرينة في صحيح البخاري من ارتباط وطيد؛ إذ السنة صنو الكتاب، وهما وحي إلهي، فالكتاب وحي متلو، والسنة وحي غير متلو، ولذلك ارتأينا تسليط الأضواء على عقوبة المعتدين على الآمنين؛ لبيان أن الإسلام بتشريع هذه العقوبة على شرذمة من الناس، إنما يرحم بهذا التشريع الإنسان من ظلم أخيه الإنسان في كل زمان ومكان.

أما العقوبة القرآنية فعرضت لها آية كريمة في سورة المائدة عُرفت بآية الحِرابة: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**(١).

وأما العقوبة النبوية في شأن أهل الحِرابة فجاءت قطعية الدلالة، واضحة الأحكام في حديث العُرنيين الذي أخرجه

الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رهطاً من عُكل ثمانية قدموا على النبي ﷺ فاجْتَوَوُا المدينةَ، فقالوا: يا رسول الله أبْغنا رسلاً، قال: ما أجد لكم إلاّ أن تلحقوا بالذّود، فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحُّوا وسَمِنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذّود، وكفروا بعد إسلامهم، فأتى الصريخ النبيَّ ﷺ، فبعث الطلب، فما ترجّلَ النهارُ حتى أُتيَ بهم فقطعَ أيديهم وأرجلهم ثم أمرَ بمساميرَ فأُحميتْ فكَحَلَهم بها وطرَحهم بالحرّة يَستَسقون فما يُسقونَ حتى ماتوا)، قال أبو قِلابةَ: قَتلوا وَسَرقوا وحاربوا الله ورسوله ﷺ وسَعوا في الأرض فساداً[٢].

ومنْ أمعن نظره في نظم الآية الكريمة، وفي ألفاظ الحديث الشريف يجد أنهما بيّنا عقوبة المعتدين على الآمنين أحسن بيان؛ حماية للإنسان من عدوان أخيه الإنسان، ولعِظم هذه الجرائم جعل الله تعالى هؤلاء المعتدين محاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ فضلاً عن إفسادهم في الأرض.

ونظراً لكثرة اعتداءات هذه الفئة الباغية المجرمة على الآمنين من المسافرين والمقيمين، في الحِل والحرم بقوة السلاح، أو بتفجير الحافلات أو بالعبوات الناسفة أو بنشر الخوف والرعب في قلوب الرجال والنساء، والكبار والصغار؛ جاء اختيار هذا البحث بعنوان: (عقوبة المعتدين على الآمنين في ضوء آية الحِرابة وحديث العُرنيين) ليبين حكم الله تعالى في هؤلاء المعتدين الذين يقتلون الأنفس المعصومة، وينهبون الأموال المصونة، ويفسدون في الأرض، وما علم هؤلاء أنهم يحاربون الله ورسوله ﷺ؛ لأنهم معتدون على أولياء الله تعالى في أرض الله سبحانه، ولذلك كان الجزاء من جنس العمل.

والحق أن المسلمين في عصرنا لو استمدوا أحكام حياتهم من كلام أحكم الحاكمين، لما غشيتهم الفتن، وركبتهم المحن، وأصابهم الوهن، واضطرب الأمن، وما ذلك إلاّ بمعاقبة أهل الحِرابة بغير ما حكم الله تعالى عليهم من أحكام حكيمة تردع الظالمين عن ظلمهم، وتحمي الآمنين من جورهم.

هذا، وجاء البحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: حديث العُرنيين سبب نزول آية الحِرابة وبيان صلة الآية بما قبلها، وفيه مطلبان:

■ **المبحث الأول: حديث العُرنيين سبب نزول آية الحِرابة وبيان صلتها بما قبلها:**

نرى من المناسب والمفيد أن نعرض لحديث العُرنيين ـ الذي عدّه الحافظ ابن حجر سبب نزول آية الحِرابة ـ من حيث غريبُ ألفاظه، وأقوال العلماء في عده سبب نزول آية الحِرابة، ثم نعرض لصلة آية الحِرابة بما قبلها قبل بيان العقوبات التي يستحقها المعتدون على المجتمع وأمنه من أهل الحِرابة وقطاع الطريق ومن يتشبه بهم في كل عصر ومصر، وزمان ومكان، وفيه مطلبان:

● **المطلب الأول: حديث العُرنيين سبب نزول آية الحِرابة:**

اختلفت أنظار العلماء في سبب نزول آية الحرابة، وتعددت أقوالهم، ونظراً لأهمية معرفة سبب نزولها على التحقيق لفهم معنى الآية وما فيها أعطافها من الأحكام الأربعة، ومنْ هم الذين تتحدث عنهم الآية، وخاصة أنها جاءت في سياق آيات بني إسرائيل رأيت من الواجب جمع روايات سبب نزولها للوقوف على أرجحها من جهة، وما يعين على تفسيرها من جهة أخرى؛ لما يتبع ذلك من تطبيق الأحكام الرادعة التي تضمنتها هذه الآية الفذة، وقد أطنب شيخ المفسرين الإمام الطبري في سرد روايات سبب نزولها، قال رحمه الله تعالى في جامع البيان: "اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية".

"قال بعضهم: نزلت في قوم من أهل الكتاب، كانوا أهل موادعة لرسول الله ﷺ، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فعرّف الله نبيه ﷺ الحكم فيهم.. قاله ابن عباس والضحاك"[٣].

"وقال آخرون: نزلت في قوم من المشركين.. قاله عكرمة والحسن البصري"[٤]، "وقال آخرون: بل نزلت في قوم من عُرَينة وعُكل ارتدّوا عن الإسلام، وحاربوا الله ورسوله ﷺ". ثم روى الإمام الطبري بسنده عن أنس: (أن رهطاً من عُكل وعرينة[٥] أتوا النبي ﷺ، فقالوا: يارسول الله إنّا أهل ضَرع[٦] ولم نكن أهل ريف[٧]، وإنّا استوخمنا[٨] المدينة، فأمر لهم النبيّ ﷺ بذود[٩] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فأتِيَ بهم النبي ﷺ، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل[١٠] أعينهم، وتركهم في الحرة[١١] حتى ماتوا، فذكر لنا أن هذه الآية نزلت

فيهم: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**﴾[١٢]". وبعد أن روى الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير، وهشام ابن عروة، والسدي[١٣] وهو ما يؤيد رواية أنس رضي الله عنه.

قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي ان يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ معرّفة حكمه على من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، بعد الذي كان من فعل رسول الله ﷺ بالعرنيين ما فعل"[١٤].

ثم بيّن الإمام الطبري سبب الترجيح بقوله:" وإنّما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن القصص التي قصها الله جلّ وعزّ قبل هذه الآية وبعدها من قصص بني إسرائيل وأنبيائهم ، فأن يكون ذلك متوسطاً منه يعرف الحكم فيهم وفي نظرائهم، أولى وأحق.."[١٥].

ثم قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله تعالى: " فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن تكون الآية نزلت في الحال التي ذكرت من حال نقض كافر من بني إسرائيل عهده، ومن قولك: إن حكم هذه الآية حكم من الله في أهل الإسلام دون أهل الحرب من المشركين ؟ قيل: جاز أن يكون ذلك كذلك؛ حكم من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً من أهل ذمتنا وملتنا واحد، والذين عُنُوا بالآية كانوا أهل عهد وذمّة ، وإن كان داخلاً في حكمها كل ذمّي وملِيٍّ، وليس يبطل بدخول من دخل في حكم الآية من الناس أن يكون صحيحاً نزولها فيمن نزلت فيه.."[١٦].

أما القاضي ابن العربي المالكي فأفرد سبب نزول الآية في مسألة مستقلة، وقال رحمه الله تعالى بعد عرضه الأقوال الخمسة التي قيلت في سبب النزول .

قال ابن العربي: "لو ثبت أن هذه الآية نزلت في شأن عُكل وعرينة لكان غرضا ثابتاً، ونصا صريحا، واختار الطبري أنها نزلت في يهود، ودخل تحتها كل ذمّي ومِليّ. وهذا ما لم يصحّ، فإنه لم يبلغنا أنّ أحدا من اليهود حارب، ولا أنه جُوزي بهذا الجزاء."

ثم قال ابن العربي: "ومنْ قال: إنها نزلت في المشركين أقرب إلى الصواب ؛ لأن عكلا وعرينة ارتدوا وقتلوا وأفسدوا، ولكن يبعد؛ لأن الكفار لا يختلف حكمهم في زوال العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة، كما يسقط قبلها، وقد قيل للكفار: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما**

قد سلف﴾[١٧]، وقال في المحاربين: **﴿إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾**[١٨]، وكذلك المرتد يقتل بالردة دون المحاربة، وفي الآية النفي لمن لم يتب قبل القدرة، والمرتد لا ينفى، وفيها قطع اليد والرجل، والمرتد لا تقطع له يد ولا رجل، فثبت أنها لا يُراد بها المشركون ولا المرتدّون"[١٩].

ثم أجاب القاضي ابن العربي عن عدة تساؤلات طرحها ليسدّ الطريق على من يرى أن الآية نزلت في حق أهل الكتاب، أو المشركين، أو المرتدين، ولا تشمل أهل الحِرابة من المسلمين، قال رحمه الله تعالى: "فإن قيل: وكيف يصح أنّ يقال: إنها في شأن العُرنيين أقوى؛ ولا يمكن أن يحكم فيهم بحكم العُرنيين من سَمل الأعين، وقطع الأيدي؟

قلنا: ذلك ممكن؛ لأن الحربي إذا قطع الأيدي وسمل الأعين فُعل به مثل ذلك إذا تعيّن فاعل ذلك.

فإن قيل: لم يكن هؤلاء حربيين، وإنما كانوا مرتدين، والمرتدّ يلزم استتابته، وعند اصراره على الكفر يُقتل.

قلنا: فيه روايتان: إحداهما: أنه يُستتاب، والأخرى: لا يستتاب، وقد اختلف العلماء على القولين، فقيل: لا يستتاب؛ لأن النبي ﷺ قتل هؤلاء ولم يستتبهم.

وقيل: يُستتاب المرتد، وهو مشهور المذهب، وإنما ترك النبي ﷺ استتابة هؤلاء لما أحدثوا من القتل والمُثلة والحرب؛ وإنما يستتاب المرتد الذي يرتاب فيسترِيب به ويرشد، ويبين له المشكل، وتجليله الشبهة "[٢٠].

ثم كرّ الحافظ ابن العربي على شبهة الذين يرون أنّ الآية تتحدث عن الكفار؛ لأنهم محاربون، والمسلمون لا يتصفون بصفات الكفار . فقال: "فإن قيل: فكيف يقال: إنّ هذه الآية تناولت المسلمين، وقد قال: **﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾**؛ وتلك صفة الكفار؟.

قلنا: الحرابة تكون بالاعتقاد الفاسد، وقد تكون بالمعصية ، فيجازى بمثلها، وقد قال تعالى: **﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾**[٢١]، فإن قيل: ذلك فيمن يستحل الربا، قلنا: نعم، وفيمن فعله.."[٢٢].

وهكذا نجد القاضي ابن العربي قد خلص إلى القول، بأن آية الحرابة إنمّا هي في حق المسلمين الذين يشهرون السلاح على إخوانهم من المسلمين؛ لإرهابهم

وإرعابهم، أو لقتلهم وأخذ أموالهم عنوة مستدلا بسياق الآية، وحديث العرنيين.

ومنْ تأمل روايات سبب نزول هذه الآية، أدرك أنّها نزلت في عُكل وعرينة، لما أخرجه البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا، فاجتووا المدينة، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحّوا، فارتدّوا، فقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث في آثارهم فأُتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، ثم لم يحسمهم حتى ماتوا)[٢٣]. ولو جاء الحديث نصاً في السببية لانقطع النزاع، وانحسم الخلاف، وهو مؤدى كلام القاضي ابن العربي حين قال: " لو ثبت أن هذه الآية نزلت في شأن عُكل وعُرينة لكان غرضاً ثابتاً، ونصاً صريحاً".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: "والمعتمد أن الآية نزلت أولاً فيهم - أي في عُكل وعُرينة - وهي تتناول بعمومها من حارب من المسلمين بقطع الطريق.."[٢٤] وقد جزم العلامة ابن عاشور بأن هذه الآية نزلت في العرنيين، قال رحمه الله تعالى: "نزلت هذه الآية في شأن حكم النبي ﷺ في العُرنيين، وبه يشعر صنيع البخاري إذ ترجم بهذه الآية في كتاب التفسير"[٢٥] وهو ما رجحه العلامة المحقق الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان، قال: "وأشهر الأقوال هو ما تضافرت به الروايات في الصحاح، وغيرها أنها نزلت في قوم عرينة وعكل.."[٢٦].

وفي ضوء ما تقدم من الروايات، وأقوال العلماء في سبب نزول آية الحرابة، يظهر لي أن الآية نزلت في العُرنيين، أما أحكامها فتتعلق بالمسلمين، قال القاضي إسماعيل القاضي: "إن ظاهر القرآن وما مضى عليه عمل المسلمين، يدل على أن الحدود المذكورة في هذه الآية نزلت في المسلمين"[٢٧]. وقال الإمام ابن عطية: "ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام، واختلفوا فيمن هو الذي يستحق اسم الحرابة"[٢٨] وهذا الاختلاف سنعرض له لاحقاً إن شاء الله تعالى.

● المطلب الثاني: بيان صلة آية الحرابة بما قبلها:

منْ تأمل آية **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس**

جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾، ثم أنعم نظره في نظم آية الحِرابة **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً..﴾** أدرك أن "مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، فإنه لما ذكر في الآية قبلها تغليظ الإثم في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الأرض، أتبعه ببيان الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو، فان بعض ما يكون فسادا في الأرض لا يوجب القتل"(٣٠).

وقد نظم الإمام البقاعي صاحب نظم الدرر الصلة بين الآيتين بقوله: "ولما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانع محاربة للناهي عنه، وكان تارة يكون بالقتل وتارة بغيره، وكان ربما ظن أن عذاب القاتل يكون بأكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعاً، وصل به سبحانه قوله على طريق الحصر: **﴿إنما جزاء﴾**، وكان الأصل: جزاؤهم، ولكن أريد تعليق الحكم بالوصف والتعميم"(٣١).

ومن بلاغة الفصل والوصل في الآية أنها لم تأت معطوفة على ما قبلها بواو النسق؛ وإنما جاءت بأسلوب الفصل كونها "كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من أنواع القتل، وما يتعلق به من الفساد بأخذ المال ونظائره، وتعيين موجبه العاجل والآجل إثر بيان عظم شأن القتل بغير حق.."(٣٢).

ويرى العلامة ابن عاشور أنه لا علاقة بين الآيتين فقد فصلت الآية عمّا قبلها من باب التخلّص: ".. إلى تشريع عقاب المحاربين، وهم ضرب من الجُناة بجناية القتل، ولا علاقة لهذه الآية ولا التي بعدها بأخبار بني اسرائيل"(٣٣)، وهذا هو السر البياني بفصل الآية عن آيات بني اسرائيل ؛ إذ لو جاءت متصلة بما قبلها بواو العطف لأفادت الاشتراك والتغاير، وعندئذ ربما يظن بعض الناس أن آية الحرابة تنتظم مع سباق الآيات التي عرضت لبني إسرائيل، وتتبعها في أحكامها.

والحق أن سبب نزولها الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، قد بيّن معناها أحسن بيان، و أظهر أن أحكامها خاصة بأهل الحِرابة من المسلمين، ويدخل غيرهم في الحكم دخولاً أولياً.

■ المبحث الثاني: دلالة القصر في آية



الحِرابة وبيان معنى المحاربة، وفيه مطلبان:

● المطلب الأول: دلالة القصر في آية الحِرابة:

بدئت آية الحِرابة بـ ﴿إنما﴾ الدالة على القصر لتكون براعة استهلال؛ لبيان جزاء الذين يحاربون أولياء الله تعالى، وأولياء رسوله ﷺ ويسعون في الأرض فساداً، ولذلك رأينا من المفيد أن نعرض لهذه الجمل القرآنية الفذة قبل بيان عقوبة المعتدين على الآمنين؛ ليعلم الناس أن هؤلاء المعتدين إنما يعتدون على حكم الله تعالى، وحكم رسوله ﷺ في حفظ النفس والمال.

ومَنْ أنعم نظره في هذه الجمل القرآنية أدرك بديع نظمها، وروعة إعجازها، فقد بدئت الجملة الأولى من الآية الكريمة بأداة ﴿إنّما﴾ الدّالة على القصر، والتي تكون في سياق ما يعرفه المخاطب ولا يجهله بخلاف القصر بـ (ما و إلا) التي ليست كذلك ـ كما معلوم في علم المعاني ـ، وقد عرض العلامة ابن عاشور لنوع القصر في هذا السياق، قال رحمه الله تعالى: " فالحصر بـ ﴿إنّما﴾ في قوله: ﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..﴾ حصر إضافي، وهو قصر قلب لإبطال ـ أي لنسخ العقاب الذي أمر به الرسول ﷺ على العُرنيين.. وقد يكون الحصر لردّ اعتقاد مقدّر وهو اعتقاد من يستعظم هذا الجزاء، ويميل إلى التخفيف منه"(٣٤).

ويظهر لنا أن جعل ".. الحصر لردّ اعتقاد مقدّر وهو اعتقاد من يستعظم هذا الجزاء، ويميل إلى التخفيف منه" هو المناسب؛ لأن بعض دعاة التنوير من بني جلدتنا في هذا العصر يستعظم حد الحِرابة بأنواعه الأربعة، ويرى أن القوانين المعاصرة جاءت بأحكام أسهل وبموادّ أخف، وما علم هؤلاء أن القوانين الوضعية مهما بلغت في صياغتها فإنها ستظل قوانين بشرية قاصرة لأنها صادرة عن الإنسان الضعيف، ولن ترتقي إلى الأحكام القرآنية والنبوية الصادرة عن الوحيين أبداً، ولن تحمي القوانين البشرية المجتمع الإنساني، والإنسانية من غوائل جرائم أهل الحِرابة وقطاع الطريق من أهل الإرعاب والإرهاب الذين يظهرون في كل زمان ومكان، وما نراه في الواقع الذي يعيشه العالم خير شاهد على ذلك.

● المطلب الثاني: معنى المحاربة في آية



الحِرابة:

اختلفت أنظار المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿**يحاربون الله ورسوله**﴾، وتباينت أقوالهم، ذلكم لأنه يستحيل محاربة الله عز وجل على الحقيقة، فحمل الإمام الزمخشري المعنى على محاربة رسول الله ﷺ، قال في الكشاف: "﴿**يحاربون الله ورسوله**﴾: يحاربون رسول الله ﷺ، ومحاربة المسلمين في حكم محاربته"[٣٥]، وأما ابن الجوزي فحمل المعنى على المجاز، قال في زاد المسير: "واعلم أن ذكر المحاربة لله عز وجل في الآية مجاز، **وفي معناها للعلماء قولان:**

أحدهما: أنه سماهم محاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب وإن لم يحارب فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي.

الثاني: أن المراد يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله ﷺ"[٣٦].

وأما الكيا الهراسي الشافعي فيقول في كتابه أحكام القرآن: ".. يجوز أن يكون معناه يحاربون أولياء الله ورسوله، وهذا أولى، فإن الذي يحارب رسول الله ﷺ كافر، وقاطع الطريق ليس بكافر، وكأنه يريد بهذه الإضافة تعظيم المخالفة، وإكبار قدر المعصية، وقد ورد في التهديد ألفاظ تشاكل ذلك قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عادى لي أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة)[٣٧]"[٣٨]، ثم قال الكيا الهراسي: "وإنما حملنا على هذا التأويل، علمنا بأن الآية وردت في حق قطاع الطريق من المسلمين"[٣٩] .

وأياً ما كان المعنى فإن ظاهر النظم الكريم يشعر بِعظم الذنب لمن يفعل هذه الأفعال الشائنة فيؤذي الناس في أنفسهم وأموالهم، وحفظ النفس والمال من الكليات الخمس التي قامت الشريعة لتحقيق مصالح العباد بالمحافظة عليها.

وليعلم أن المُحارب إذا اعتدى على أهل الذمة والمستأمنين في ديار الإسلام يلحقه حكم الحرابة كاعتدائه على المسلمين، ذلك لأن المسلم معصوم الدم والمال بإسلامه، وغير المسلم إذا كان من المستأمن ينسحب عليه الحكم لأنه دخل في ذمة المسلمين، فعصم دمه وماله من هذه الحيثية بخلاف الحربي الذي له أحكام خاصة به.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- سورة المائدة لآية ٣٣ .

٢- حديث صحيح، اخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب اذا حرّق المشرك المسلم هل يحرق؟ (ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ١٧٧، حديث رقم ٣٠١٨). ومسلم في القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين، (مسلم بشرح النووي، ١١/١٥٤) .

٣-٤-٥- ابن جرير الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ٥/٢٨٠، طبعة دار المعارف، بيروت .

٦- كناية عن أهل الابل والشاة .

٧- كناية عن اهل الزرع والحرث .

٨- استثقلوها ولم يوافق هواؤها ابدانهم، (ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/١٦٤) المكتبة الاسلامية .

٩- القطيع من الابل من الثلاث الى التسع (المرجع السابق، ٢/١٧١).

١٠- أي فقأها بحديدة محماة أو غيرها (المرجع السابق،٢/٤٠٣) .

١١- ارض ذات حجارة سود، المرجع السابق، (١/٣٦٥).

١٢- سورة المائدة، آية ٣٣ .

١٣-١٤-١٥- تفسير الطبري، مرجع سابق، ٥/٢٨٣ .

١٦- المرجع السابق، ٥/٢٨٤ .

١٧- سورة الانفال، آية ٣٨ .

١٨- سورة المائدة، آية ٣٤ .

١٩-٢٠- ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبدالله، احكام القرآن، ٢/٩٢-٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٨٨ .

٢١- سورة البقرة، آية ٢٧٩ .

٢٢- ابن العربي، احكام القران، مرجع سابق، ٢/٩٤ .

٢٣- اخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب المحاربين من اهل الكفر والردة، (ابن حجر، فتح الباري ١٢/١١١ حديث رقم ٦٨٠٢ .

٢٤- ابن حجر، فتح الباري، ١٢/١١٢ .

٢٥- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ٧/١٨٠، الدار التونسية، ١٩٨٤ .

٢٦- الشنقيطي، محمد الامين بن المختار، ٢/٩٥، عالم الكتب، بيروت .

٢٧- ابن حجر، الفتح، ١٢/١١٢ .

٢٨- ابن عطية، عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥/٨٧، تحقيق المجلس العلمي بفاس .

٢٩- سورة المائدة، آية ٣٢ .

٣٠- ابو حيان الاندلسي، البحر المحيط، ٣/٤٧٠، دار الفكر، بيروت، ط٢ ١٩٨٣ .

٣١- البقاعي، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الايات والسور، ٦/ ١٢٩، (مصورة) عن الطبعة الاولى، الهند.

٣٢- ابو السعود، محمد بن محمد العمادي، ارشاد العقل السليم، ٢/٢٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٧/١٨٠ .

٣٤- المرجع السابق، ٧/١٨١ .

٣٥- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، ١/٦٦١، دار احياء التراث العربي، بيروت .

٣٦- ابن الجوزي، ابو الفرج، عبدالرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٩٤ .

٣٧- حديث ضعيف الاسناد، اخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب من ترجى له السلامة من الفتن، ٢/١٣٢٠، حديث رقم ٣٩٨٩ .

٣٨-٣٩- الكيا الهراسي، محمد الطبري، احكام القران ٣/٦٣، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٩٨٥ .

التأثيرات الثقافية في عملية التفسير

دراسة في تفسير مُراح لَبيد

■ بقلم الدكتور عدنان محمد يوسف

والدكتور عبد الرحمن عبيد حسين

يعد تفسير مراح لبيد من جملة التفاسير المختصرة والمفيدة، التي يعكف عليها طلبة العلوم، خاصة في البلدان التي ينتشر فيها المذهب الشافعي، فقد كان مؤلف هذا التفسير الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي رحمه الله شافعياً، عالماً بعلوم الحديث ومن الاساتذة المشهورين في الحرم المكي الشريف (توفي في مكة المكرمة سنة ١٣١٦هـ) وقد اهتم الشيخ الجاوي في تفسيره بشرح المعاني اللغوية ومسائل البلاغة، وايراد القراءات ووجوه تخريجها إعرابياً، وأسباب النزول وما يتصل بذلك من تفسير الآيات والسور الى مكية ومدنية، والآراء الفقهية المتعددة حول آيات الأحكام.

واعتمد في تفسيره على أمهات كتب التفسير مثل: مفاتيح الغيب او التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، وارشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، وتفسير السراج المنير للخطيب الشربيني، والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس المنسوب الى محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الذي نقله بالسند عن ابن عباس وغيرها.

وعلى الرغم من ان صاحب التفسير أدرك الحركة الاصلاحية التي بدأها جمال



الدين الأفغاني ومحمد عبده، الا ان تفسيره بقي بعيداً عن تأثيراتها ربما لبعده عن موطنه الأصلي اندونيسيا، التي تأثر مفكروها ومفسروها حينها بشرارات الحركة الاصلاحية، وعلى العكس من ذلك تأثر الى حد ما بالبيئة الثقافية التي تميزت بها بلاد نجد، وتركت بصماتها في بعض اجتهادات الشيخ الجاوي خاصة فيما ذهب اليه حول قضية زينة المرأة.

ويعنى هذا البحث بدراسة الجانب العملي من حركة التفسير من خلال دراسة التأثيرات الثقافية التي أحاطت بصاحب تفسير مراح لبيد، والبيئة التي نشأ فيها وهاجر اليها، ومدى تجاوب الشيخ الجاوي مع نداءات الاصلاح، ومدى اطلاعه على العلوم الحديثة ونتائج الدراسات التاريخية التي عاصرها بعرض نماذج متعددة من تفسيره تظهر هذه المؤثرات ونتائجها الفعلية على عملية التأويل، وبناء على ما تقدم فإن البحث مقسم الى:

المبحث الأول: حياة الشيخ الجاوي والبيئة التي نشأ فيها وحصل فيها علومه الدينية.

المبحث الثاني: تأثيرات الحركة السلفية المعاصرة في نجد على تفسير مراح لبيد.

المبحث الثالث: البعد الصوفي وثقافة المؤرخ في تفسير مراح لبيد.

خاتمة البحث ونتائجه.

❖ المبحث الأول: حياة الشيخ الجاوي والبيئة التي نشأ فيها وحصل فيها علومه الدينية:

نبذة مختصرة عن حياة الشيخ نووي رحمه الله

هو محمد بن عمر بن عربي بن علي، وكناه اهله بأبي عبد المعطي[١] وذكر الباحث الحاج رفيع الدين في بحثه عن حياة نووي وسلسلة نسبه ان سلسلة نسبه من جهة والده تصل الى رسول الله ﷺ من جهة السيد الحسين رحمه الله[٢] وعرفه الاندونيسيون بلقب «K.H. Nawawi Putera Banten» (العلامة الحاج نووي امير بنتن)[٣]، وبنتن اسم لمديرية تقع فيها قرية ولد فيها الشيخ.

وكان مولده في ١٢٣٠هـ/ ١٨١٣م، في قرية من قرى اندونيسيا، اسمها تنارا بنتن، بولاية الجاوة الغربية لذا عرف في بعض المصادر بلقب «نووي تنارا»، نسبة الى قريته[٤]، وهو الابن الأول لسبعة إخوة، وهم: نووي، واحمد شهاب الدين، وسعيد، وتميم، وعبد الله، وشاكلة، وشهرية[٥]،

وكـان والده احـد أعـيـان العلمـاء في اندونيسيا، وكان يعرف بالعلامة الحاج عمر، وعين لفترة رئيساً على قريته تنارا، وكانت والدته زبيدة من مواليد هذه القرية، واشتهرت بين اهالي القرية بأم متدينة حنون شديدة الحرص على تربية أبنائها وبناتها، وعلى هذا فقد نشأ الشيخ في بيئة علمية دينية خصبة أثرت على تفوقه وتميزه في الحياة(٦).

وقد تلقى تربيته الاساسية في العلوم الدينية والعربية على يدي والده العلامة عمر رحمه الله ثم درس على أيدي اعيان العلماء في بنتن والمناطق المجاورة له، وفي سن الخامسة عشر من عمره رحل مع أخويه تميم واحمد الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وأقاموا بها لمدة ثلاث سنوات، وقد تعلق قلبه بما رأى من حركة علمية في مكة، ونشاط علمائها وطلاب العلم في المسجد الحرام وغيره، وقرر العودة اليها بعد رجوعه منها ولم يزل يعيش فيها ينهل من معين علمها ويخدم طلبة العلم بمختلف نشاطه العلمي من تدريس وتأليف الى آخر حياته، وقد نشط الشيخ في التحصيل العلمي في فترة ما بين عام ١٨٣٠ الى ١٨٦٠، ومن اعلام العلماء الذين تتلمذ الشيخ النووي على ايديهم بمكة: السيد احمد الدمياطي، والسيد احمد زيني دحلان، وعبد الحميد الداغستاني، كما تلقى العلم على ايدي علماء المدينة المنورة منهم الشيخ محمد الخطيب الحنبلي وكذلك على اعيان العلماء في مصر والشام خلال رحلاته العلمية الى تلك البلاد(٧).

وبعد رحلة علمية استغرقت ثلاثين عاماً شغل الشيخ بتدريس الطلبة في حلقات علمية عقدت في رحاب المسجد الحرام لمدة خمس عشرة سنة، وسجلت بعض المصادر ان عدد الحضور في كل حلقة عقدها، لا يقل عن مائتي طالب اكثرهم من اندونيسيا وجنوب شرق اسيا، ولم يقتصر نشاطه في خدمة العلم وأهله على التدريس فحسب، بل تعدى الى التأليف والمشاركة في المؤتمرات، ففي عام ١٨٧٠ تلقى الدعوة من جامعة الأزهر الشريف ليقدم ورقة علمية في مؤتمر عقده طلاب الأزهر، وذكرت بعض المصادر انه شارك في مؤتمرات بسبعة عشر بلداً غير الذي في الأزهر(٨)، وكان معروفاً بين تلاميذه برحابة الصدر والحرص على تلقي آراء الآخرين، وكان يحث طلابه على

النقاش والنقد[٩].

ومن أشهر تلاميذه مؤسس نهضة العلماء الأندونيسية هاشم أشعري من جاوة الغربية، والشيخ الحاج خليل من مادورا، والشيخ الحاج رادن اسنوي من جاوة الوسطى، والشيخ توباغوس محمد اسنوي من جاوة الغربية، والشيخ الحاج الياس من بنتن وغيرهم كثير[١٠].

يعرف الشيخ نووي رحمه الله بين علماء عصره بكثرة تآليفه خلافاً لأغلبيتهم الذين برزوا في مجال التدريس والوعظ ولم يخلفوا لتلامذته غير صفحات قليلة من مذكرات او رسائل، ولم تكن مؤلفات الشيخ متداولة بين اهل العلم في بلاد الملايو فقط، بل انتشرت مؤلفاته واعتمدت في سائر البلاد الاسلامية، وبشكل اخص البلاد التي شاع فيها المذهب الشافعي، وذكرت المصادر عن عدد مؤلفاته ما بين تسعة وتسعين مؤلفاً ومائة وخمسة عشر مؤلفاً، وعلى رأس هذه المؤلفات تفسيره الذي هو موضوع دراستنا هذا البحث «التفسير المنير لمعالم التنزيل» ومن اشهر مؤلفاته الأخرى:

١- تنقيح القول شرح كتاب لباب الحديث للإمام السيوطي.

٢- نور الظلام، وهو شرح لنظم عقيدة العوام للسيد احمد المرزوقي المالكي.

٣- مراقي العبودية، وهو شرح لكتاب بداية الهداية للإمام الغزالي.

٤- سلم المناجاة، وهو شرح لكتاب سفينة الصلاح للشيخ يحيى عبد الله الحضرمي.

٥- فتح المجيب، وهو شرح لكتاب مناسك الحج للخطيب الشربيني[١١].

ولم يقتصر نشاط الشيخ نووي على الأعمال العلمية من تدريس وتأليف، فقد شارك في اعمال دعوية وسياسية لمقاومة الاستعمار في اندونيسيا، ففي عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣١م، رجع الى بلده وأنشأ مدرسة واشتغل بالتدريس ونال الإقبال الشديد من ابناء بلده والمجاورين لهم، حتى لفت انتباه الاستعمار الهولندي وساوموه على ترك نشاطه ولم يزل يستمر في ذلك لمدة ما يقارب ثلاث سنوات، ورأى خطورة الموقف على الشعب الاندونيسي ان استمر على حاله ففارق بلده ورجع الى مكة، وكان يتابع أحوال بلده السياسية، وأسهم في نهضة مجتمعه وبناء قوته من خلال رابطة انشأها مع مجموعة من المجتمع الاندونيسي في مكة، فكان موقفه من

الاستعمار واضحاً وان لم يكن مشاركاً في الأعمال السياسية بشكل مباشر، وكان ضد اي مساومة او اي تعاون معهم في اي صورة كانت[١٢].

وقد توفي الشيخ رحمه الله رحمة واسعة في ٢٤ شوال ١٣١٤هـ ١٨٧٩م في منزله الأخير في شعب علي بمكة المكرمة، ودفن في مقبرة المعلاه بالقرب من مدفن الامام ابن حجر العسقلاني، وكان يشتغل بكتابة شرح لكتاب منهاج الطالبين للإمام ابي زكريا يحيى ابن شرف الدين النووي رحمهما الله[١٣].

❖ المبحث الثاني: تأثيرات الحركة السلفية المعاصرة في نجد على تفسير مراح لبيد:

من المعروف تاريخياً ان الحركة الوهابية انتشرت في شبه الجزيرة العربية بالتزامن مع انتشار سيادة آل سعود في المنطقة، ففي بدايات القرن الثامن عشر ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأعلن تحالفه مع محمد بن عبد العزيز حاكم الدرعية لنشر الدعوة في ربوع نجد، وفي سنة ١٧٨٨م، سيطر آل سعود في فترة حكمهم الأولى على كل نجد، ومنحوا الدعوة الوهابية عونهم ورعايتهم، وخافت السلطة العثمانية من امتداد نفوذهم فكانت نهاية الدولة السعودية الأولى على يدهم، وما لبث آل سعود ان استردوا سيطرتهم على نجد سنة ١٨٢٤م معلنين قيام الدولة السعودية الثانية، وانتزعها منهم آل الرشيد زمن ولاية عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود سنة ١٨٦٥م، واستعاد عبد العزيز آل سعود الحكم للمرة الثالثة سنة ١٩٠٢م، معلناً قيام الدولة السعودية الحديثة[١٤].

وقد عاش الشيخ نووي الجاوي رحمه الله في الفترة ما بين عام ١٨١٣-١٨٧٩م، اي كان نشاطه العلمي لخمس عشرة سنة بعيداً عن نفوذ الحركة الوهابية وسيطرة آل سعود، وهي السنوات الأخيرة من عمره وقمة نشاطه العلمي، وهذه النقطة مهمة للغاية، وتعيننا على تفهم انحسار نفوذ الآراء السلفية في تفسير مراح لبيد، وبقاء شيء من التصورات العامة لهذه الحركة في مؤلفات نووي على الرغم من تراجع نفوذها السياسي، مما يشير الى تشبع منطقة الحجاز خاصة وشبه الجزيرة عامة بتعاليم الحركة الوهابية.

❖ نبذة مختصرة عن كتاب التفسير المنير:

وقد سمي المؤلف كتابه بـ **مراح لبيد**

لكشف معنى قرآن مجيد[١٥]، وظهر ان له اسماً آخر وهو **التفسير المنير لمعالم التنزيل**، وعلى هذا اشتهر فيما بعد عن الباحثين بأسماء مختصرة عدة منها تفسير النووي، وتفسير مراح لبيد، والتفسير المنير وهو أكثرها استعمالاً[١٦].

وقد ألف هذا الكتاب بناء على طلب من بعض الأعزة(١٧) ويحتمل ان يكون هؤلاء الأعزة هم أقرب المريدين اليه الذين حرصوا على الاستزادة من علمه والاستفادة من فضله، ويحتمل ان يكونوا من جماعته وأصحابه المشتغلين بالعلم في المسجد الحرام لما يرون منه من خبرة في التأليف وتقدمه فيه[١٨].

وقد كان غرضه من هذا التأليف كما ذكره في مقدمته على حد قوله هو: «ليكون عوناً لي وللقاصرين مثلي» في فهم القرآن والعمل به في الحياة اليومية[١٩] واستغرقت كتابته لهذا التفسير مدة اربع وعشرين سنة، من عام ١٨٦٠-١٨٨٤، وكان انتهاؤه كما سجله في آخر تفسيره من كتابته في يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٠٥هـ[٢٠].

وذكر الشيخ نووي في مقدمته خمسة كتب من امهات المصادر التفسيرية التي اعتمد عليها في تفسيره، وهي:

١- الفتوحات الالهية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي.

٢- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي.

٣- السراج المنير للشيخ محمد الخطيب الشربيني.

٤- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم للإمام ابي السعود.

٥- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للعلامة الفيروز آبادي[٢١].

وهناك مصادر اخرى كثيرة استفاد منها نووي في تفسيره يستطيع القارئ ان يدركها خلال اطلاعه على هذا التفسير، ومن أهمها:

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة محمود بن عمر الزمخشري.

٣- الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد ابن أحمد القرطبي.

٤- البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف

ابي حيان الاندلسي.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي[٢٢].

والذي يلحظه القارئ لتفسير نووي وبصورة مباشرة، هو التزام الشيخ نووي بخط الأقدمين في التفسير، فعلى الرغم من ان الشيخ عاصر نشأة وتطور الحركة الاصلاحية للأفغاني ومحمد عبده، الا ان تأثيرات هذه الحركة غائبة تماماً عن تفسيره، فهو يولي اهتماماً كبيراً للتخريجات البلاغية واللغوية عند المفسرين القدامى، وبالآراء الفقهية المستقاة من الآيات الكريمة، ويعطي اهتماماً بالغاً للقصص التي أوردها السيوطي خاصة في الدر المنثور ويثبتها في تفسيره.

والأغرب من ذلك هو غياب تأثيرات التعاليم الوهابية عن هذا التفسير، ففي قضية الصفات مثلاً، يلتزم الشيخ نووي بآراء المدرسة الاشعرية، ففي تفسيره لقوله تعالى: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** قال: اي الرحمن أوجد الكائنات، ودبر امرها فالاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان، متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير، يقال: استوى فلان على سرير الملك، ويراد بهذا القول صار فلان ملكاً، وان لم يقعد على السرير أصلاً، والمراد هنا بيان تعلق ارادته تعالى بإيجاد الكائنات وتدبير امرها[٢٣].

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى من سورة الرحمن: **﴿ويبقى وجه ربك﴾** قال الشيخ نووي: ايها السامع، اي ذاته عز وجل **﴿ذو الجلال﴾** اي العظمة التي لا يسعها عقل **﴿والاكرام﴾** اي الفضل التام، فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى، والإكرام مرتب على بقائه تعالى، وقد قال رسول الله ﷺ: «الظوا بيا ذا الجلال والإكرام» اي الزموا في الدعاء ذلك[٢٤].

ولكن بقيت بعض تأثيرات التعاليم الوهابية متمثلة في انتصار الشيخ نووي لقضية نقاب المرأة، فقد ذهب الى ان المرأة كلها عورة بالنسبة للأجنبي حتى وجهها وكفّيها، وهذا الرأي وان كان بعض متأخري فقهاء الشافعية كالدمياطي وغيره، قد ذهبوا اليه الا انه غريب عن ارخبيل الملايو، ولم يرد الى هذه البلاد الا عن طريق تعاليم السلفية، وربما كان وجود الشيخ نووي لفترة زمنية طويلة في بلاد الحجاز كالشيخ الألباني الذي صرح بأن نقاب المرأة لا دليل على فرضيته ووجوبه،

ولكن النقاب في بلاد الحجاز تقليد صارم، ومن اولويات الدعوة السلفية.

وذهب الى تنقب المرأة حتى في الصلاة بوجود أجنبي!! قال: ويكره ان يصلي في ثوب فيه صورة، وان يصلي الرجل متلثماً والمرأة متنقبة، الا ان تكون في مكان وهناك اجانب لا يحترزون من النظر اليها فلا يجوز لها رفع النقاب، الا اذا سترت وجهها بشيء آخر(٢٥).

ومعلوم ان المرأة عندما تصلي في المساجد تكون على مرأى من الرجال الاجانب، وقد كانت المرأة ترتاد المسجد في عهد النبي ﷺ وتصلي في الصفوف الأخيرة، ولم يثبت في الروايات انها كانت تتنقب، فمن اي جاء الشيخ بهذا الرأي؟

وتابع قائلاً: وحاصل القول فيما يتعلق بالعورة: ان الرجل له ثلاث عورات، إحداها ما بين سرته وركبته، وهي عورته في الصلاة، ولو في الخلوة، وعند الذكور، وعند النساء المحارم، ثانيتها: السوءتان، اي القبل والدبر وهي عورته في الخلوة.

ثالثتها: جميع بدنه وشعره حتى قلامة ظفره وهي عورة عند النساء الأجانب فيحرم على المرأة الأجنبية النظر الى شيء من ذلك، ولو علم الشخص ان الاجنبية تنظر الى شيء من ذلك وجب حجبه عنها.

ولسنا نقول: ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا، اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات، ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب، او منعوا من الخروج الا لضرورة.

والحرة لها اربع عورات: احداها: جميع بدنها الا وجهها وكفيها ظهراً وبطناً، وهو عورتها في الصلاة فيجب عليها ستر ذلك في الصلاة حتى الذراعين والشعر وباطن القدمين، ثانيتها: ما بين سرتها وركبتها وهي عورتها في الخلوة وعند الرجال المحارم وعند النساء المؤمنات، ثالثتها: جميع البدن الا ما يظهر عند المهنة وهي عورتها عند النساء الكافرات، رابعتها: جميع بدنها حتى قلامة ظفرها وهي عورتها عند الرجال الاجانب، فيحرم على الرجل الاجنبي النظر الى شيء من ذلك، ويجب على المرأة ستر ذلك عنه، والمراهق في ذلك كالرجل فيلزم وليه منعه من النظر الى الاجنبية، ويلزمها الاحتجاب

منه، ومثل المرأة في ذلك الأمرد الجميل الوجه، والخنثى كالأنثى في جميع ما ذكر(٢٦).

واكد مذهبه في كتابه الآخر «كاشفة السجا» الا انه في تفسيره لم يصرح بهذا القول، ففي تفسيره لقوله تعالى من سورة النور: **﴿ولا يبدين زينتهن﴾** قال: وهي ثلاثة أمور، أحدها الثياب، وثانيها: الحلي كالخاتم والسوار والخلخال، والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط، وثالثها: الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها، والغمزة في خديها، والحناء في كفيها وقدميها **﴿الا ما ظهر منها﴾** عند مزاولة الأمور التي لا بد منها عادة، كالخاتم والكحل والخضاب في اليدين والغمزة والثياب، والسبب في تجويز النظر اليها ان في سترها حرجاً بيناً، لأن المرأة لا بد لها من مناولة الأشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها في الشهادة، والمحاكمة والنكاح، وفي ذلك مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها كما لا يخفى.

ولا يعرف السبب في عدم تصريح الشيخ نووي رحمه الله بمذهبه في تنقب المرأة في تفسيره، ربما لأن التفسير ليس ميداناً للخلافات الفقهية كما في تفاسير أحكام القرآن، فمن باب الاختصار لم يطل الكلام، وربما التزاماً بأقوال ارباب التفسير القدامى بالرأي الذي ذكره في تفسيره ولم يحد عنه، ووجد في كتبه الفقهية متسعاً وبسطة من القول ليتحدث بقوة ووضوح عن نقاب المرأة.

ومهما يكن الأمر فإن هذه القضية تشير الى مدى تأثير التعاليم السلفية على قاطني بلاد الحجاز، سواء أكانوا من سكانها الأصليين او من الوافدين اليها من البلاد الاسلامية الأخرى، ويعثر المرء على طرف من هذا التأثير في أيامنا هذه، فكثير ممن لم يعتقدوا بوجوب النقاب على المرأة سكنوا في بلاد الحجاز زمناً تغيرت معه وجهة نظرهم الى هذه القضية بالكامل!.

وثمة قضية أخرى تدل على تأثر الشيخ نووي «الى حد ما» بتعاليم الوهابية، فمعلوم ان الحركة الوهابية ومنذ ايامها الأولى، أعلنت حرباً لا هوادة فيها على الانحرافات الصوفية وعلى التصوف بصورة عامة دون تفريق بين المتصوفة الملتزمين بأدبي العقل والنقل وبين المتصوفة الذين حادوا عن النهج القويم وادخلوا في الدين من ليس منه من قبيل

الحلول ووحدة الوجود وغير ذلك.

ومن المعلوم كذلك ان الفرق الصوفية تؤمن بالمعرفة الصوفية المباشرة، وتتخذها شعاراً لها، وحدا الأمر ببعضهم الى اسقاط الفرائض من الحسبان، وقد شن الشيخ نووي بدوره حرباً على هؤلاء، فقال عنهم: ولو زعم زاعم ان بينه وبين الله حالة اسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر كما زعمه بعض أدعياء الصوفية، فلا شك في وجوب قتله، وان كان في خلوده في النار نظر، وقتل مثله افضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر!![٢٧].

ولا شك ان في مثل هذا الحكم ضرباً من القسوة، فهؤلاء لا يشكلون الا حالات فردية من الارتداد، وقد فرق العلماء بين المرتدين حسب خطورتهم وخطورة أولئك المتصوفة ظاهرة للمسلمين عموماً، ولا يتبع مثل هذا الرأي حول اسقاط العبادات من الحسبان الا افراد لا يؤبه لهم، والله اعلم.

❖ المبحث الثالث: البعد الصوفي وثقافة المؤرخ في تفسير مراح لبيد:

من الملاحظ ان مؤلفات الشيخ نووي الجاوي رحمه الله تشمل ميادين شتى في مجال الدراسات الاسلامية من تفسير وحديث وعقيدة وفقه ولغة وتجويد وسيرة نبوية وتصوف، واغلب ما قدمه في مؤلفاته عبارة عن شرح لأهم الكتب التي اعتمدها العلماء والشيوخ في مدارسهم ومباحثهم، مما يلفت انظار الباحثين هو ان اكثر مؤلفاته كتبت باللغة العربية وعلى مستوى عال في اللغة وبأسلوب مناسب للقراء الذين وجه اليهم هذه المؤلفات.

وهذا إنما يدل على علو مكانته وغزارة علمه وسعة اطلاعه على ما كتبه السابقون وكثرة ممارسته وخبرته في مهنته.

ولا يبدو ان الشيخ نووي يميل للآراء والإشارات الصوفية في تفسيره، اذ لم يلاحظ اعتماده على تفاسير الصوفية كتفسير ابن عربي «او الكاشاني» او تفسير السهل التستري، كما لم يلاحظ اعتماده على بعض الكتب التي راجت فيها بعض المفاهيم والتصورات الصوفية كإحياء علوم الدين ودواوين الحلاج وابن الفارض الشعرية، بل على العكس من ذلك كان اكثر اعتماده على التفاسير التي يمكن تصنيفها بصورة عامة في مدرسة التفسير بالرأي واعتمد بصورة اقل على تفاسير المأثور.

وظهر في الفصل السابق كيف ان العلامة نووي رحمه الله انتقد بقوة دعوات

بعض المتصوفة الى اسقاط العبادات والتكاليف الشرعية بحجة اطلاعهم على عالم الغيب وورودهم نبع المعارف الربانية!! ويظهر اكثر مدى معارضته للمعرفة الصوفية وعدها مصدراً من مصادر المعرفة البشرية والدينية في تفسيره لآيات سورة الكهف والمتعلقة بقصة النبي موسى عليه السلام مع الخضر او العبد الصالح.

فعادة ما يتخذ الصوفية من هذه القصة سنداً ودليلاً على ثبوت المعرفة الصوفية، اذ يزعمون ان الخضر من الأولياء الصالحين الذين كشف الله لهم الغيب بمجاهداتهم الصوفية وسلوكهم مدارج التصوف، وحسب مزاعمهم فإن الخضر من اهل الكرامات وصوفي بلغ الرتبة العليا في مقامات الصوفية الى درجة جعلته يعرف من الأمور الغيبية ما لم يعرفه النبي موسى عليه السلام نفسه!!، ولكن الشيخ نووي يرفض هذه الفكرة تماماً وينتصر لقول من قال: ان الخضر او العبد الصالح نبي من الأنبياء، فقطع الطريق أمام كل افتراض آخر يقود الى تأويلات الصوفية، فقال في تفسير قوله تعالى: **﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾**.. وهو الخضر، واسمه: بليابن ملكان، وكنيته ابو العباس، وهو من نسل نوح عليه السلام، وكان ابوه من الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا، وروي انهما وجدا الخضر وهو نائم على وجه الماء وهو مغطى بثوب ابيض او اخضر، طرفه تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى عليه السلام فرفع رأسه واستوى جالساً، وقال: وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى عليه السلام: ومن أخبرك اني نبي بني اسرائيل؟ فقال: الذي ادراك ودلّك علي، **والصحيح ان الخضر نبي**، وذهب الجمهور الى انه حي الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة[٢٨].

صحيح ان الشيخ نووي رحمه الله احاط قوله حول حقيقة شخصية الخضر بمجموعة من الأقاصيص والحكايات حول اسمه وكنيته وطريقة نومه الا ان ما اثبته من كونه نبياً هو محل الشاهد، وهو دليل قوي على ان الشيخ لا ينتصر للمعرفة الصوفية التي تأتي عن طريق المجاهدة، فإدراك الغيب ومعرفة ما تؤول اليه الأشياء في المستقبل، هبة من الله لا يمنحها الا الى الأنبياء والمرسلين.

ولكن الاشارات او اللمحات الصوفية تظهر بين الحين والآخر في تفسير نووي الجاوي، وهي شبيهة بما يورده الرازي في

تفسيره الكبير، فعلى سبيل المثال في تفسيره لـ «بسم الله الرحمن الرحيم» اول الفاتحة، قال: الباء: بهاء الله والسين سناؤه فلا شيء اعلى منه، والميم: ملكه وهو على كل شيء قدير، والباء ابتداء اسمه بارئ بصير، والسين: ابتداء اسمه سميع، والميم: ابتداء اسمه مجيد مليك، والألف: ابتداء اسمه الله، واللام: ابتداء اسمه لطيف، والهاء: ابتداء اسمه الهادي، والراء: ابتداء اسمه رزاق، والحاء: ابتداء اسمه حليم، والنون: ابتداء اسمه نافع ونور[٢٩].

ولعل كثرة القصص الخرافية التي يسوقها الشيخ في تفسيره، مؤشر على البيئة الصوفية التي عاشها واختزن ذكرياتها في خياله ووجدانه، فالنملة في قصة سليمان لها اسم ومواصفات: **﴿قالت نملة﴾** قولاً مشتملاً على حروف وأصوات، وكانت عرجاء، ذات جناحين، وهي من الحيوانات التي تدخل الجنة، فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال؛ ويقال لها: منذرة، وقيل: اسمها حرمياً، وقيل: ظاخية، وقيل: عيجلوف[٣٠].

وأما بلقيس فإنها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة، مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل، ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر ألف قائد، مع كل قائد مائة ألف مقاتل[٣١]، وبناء عليه فإن عدد الجنود الذين كانوا تحت إمرتها بالضبط مليار ومائتا ألف وكلهم في اليمن! وهو رقم خرافي هائل!

وحتى كبش الفداء الذي فدي به اسماعيل عليه السلام له اسم وقصة: **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** اي وفدينا اسماعيل بكبش سمين اسمه جرير، وهو الكبش الذي تقرب به هابيل الى الله تعالى، فقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسماعيل عليه السلام[٣٢].

وإلمام الشيخ بمسائل التاريخ مرتبط الى حد بعيد بمطالعاته في كتب التفسير القديمة، وبناء على ما ورد فيها يوافق أحداث التاريخ وحقائقه أو يخالفها، فحديثه عن الحرب بين فارس والروم في تفسيره لسورة الروم، يتفق مع الأحداث التاريخية لأن العرب في ذلك الوقت عاشوا أصداء تلك الحروب عن كثب واكتووا بنارها حيناً، فقال: وسبب نزول هذه الآية: **﴿الم ❖ غلبت الروم في أدنى الأرض﴾** انه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم، لأن فارس كانوا مجوساً أميين

والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل الكتاب.

فبعث كسرى جيشاً الى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له: شهريار، وجعل قيصر جيشاً، واستعمل عليهم رجلاً يدعى: بخنس، فالتقيا باذراعات وبصرى وهي اقرب الشام الى ارض العرب، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، ثم اقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي الى الفرس، وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين من مناحبتهم، ومات كسرى وذلك يوم الحديبية[٣٣].

وكذلك حديثه عن الكوارث والنكبات التي حلت ببني اسرائيل على يد بختنصر وتيتس الروماني يوافق في أغلبه الحقائق التاريخية، فقال في معرض تفسيره لقوله تعالى: **﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾**: أولى مرتي الفساد **﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس﴾** اي قتال **﴿شديد﴾** عن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر، فقال رسول الله ﷺ: «هو من اجلّ البيوت ابتناه الله تعالى لسليمان بن داود عليهم السلام من ذهب وفضة، ودرّ وياقوت وزمرد» وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخّر له الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخر له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف، قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله كيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ان بني اسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر، وهو من المجوس.. **﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾** اي الدولة **﴿عليهم﴾** اي على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم عن ذنوبكم ورجعتم عن الإفساد بظهور كورش الهمداني على بختنصر **﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾** اي وعد المرة الآخرة بعثنا تطوس ابن اسبيانوس الرومي مع جنوده **﴿ليسوءوا وجوهكم﴾** اي ليجعلوا آثار الحزن ظاهرة في وجوهكم[٣٤].

فكثير من الأحداث والأسماء في هذه الرواية تتفق مع الروايات التاريخية، الا ان بختنصر ليس مجوسياً، أما كورش فهو فعلاً منقذ اليهود الذي أخرجهم من الذل والهوان واعادهم الى فلسطين، معززين مكرمين، وكان تيتوس «تطوس» هو من دمر بيت المقدس وسواها بالتراب سنة سبعين

ميلادية.

اما حديثه عن ذي القرنين فمحاط بطائفة من الحكايات، والأهم من ذلك انه حسب رأي الشيخ هو الاسكندر الكبير ملك اليونان وابن فيليب الثاني المكدوني، ومعروف تاريخياً انه لم يكن من الصالحين والعابدين ابداً وان كان على درجة من الثقافة والتعليم، اذ تلقى تعليمه على يد الفيلسوف الشهير ارسطو ثم استهوته الحروب وكان قائداً عسكرياً لا يشق له غبار، ولكنه في الوقت نفسه غارقاً في شهواته الى درجة مفرطة، الا ان هذه المعلومات لم تصل الى الشيخ لأنه اعتمد على ما ورد في الكتب القديمة، فقال رحمه الله: **﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾** اي يسألك يا أشرف الخلق اهل مكة عن خبر ذي القرنين: اسمه اسكندر بن فيلفوس اليوناني، كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض واعطاه العلم والحكم، وألبسه الهيبة، وكان وزيره الخضر، والصحيح انه لم يكن نبياً وانما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم، ودانت له البلاد وكان داعياً الى الله!![٣٥]، الا أننا في نهاية الأمر لا نستطيع ان نحاكم الشيخ بناء على المعلومات التاريخية المتاحة امامنا الآن، فعصره غير عصرنا ولم تتوفر له الكتب والأقراص المدمجة وشبكة المعلومات الهائلة التي نمتلكها اليوم، ومصادره التي استقى منها معلوماته كانت معتمدة ولا زالت في جزء كبير منها.

❖ خاتمة البحث ونتائجه:

تبين مما سبق ان الشيخ نووي الجاوي من العلماء التقليديين الذين التزموا بمناهج الأقدمين من المفسرين، واتبع طرائقهم في التفسير اللغوي والفقهي والعقدي، وكانت اصداء الحركة الاصلاحية للأفغاني ومحمد عبده التي عصفت بمصر خاصة، بعيدة عن مسامع الشيخ، وكانت تعاليم الحركة الوهابية التي انتشرت في بلاد الحج كذلك ضعيفة الحضور في تفسيره القيم.

ولعل السبب الأول لضعف تأثير تعاليم السلفية في توجهات الشيخ نووي هو انحسار نفوذ آل سعود مناصري الحركة الوهابية في العقدين الأخيرين من عمره وسيطرة آل الرشيد مؤقتاً على منطقة الحجاز، مما أفسح المجال أمام العلماء والفقهاء التقليديين لتدريس مناهجهم ومذاهبهم في حلقات المسجد الحرام

والمسجد النبوي، فكانت فرصة طيبة للشيخ نووي كذلك لتدريس المئات من تلاميذه وأتباعه وفق المدرستين الشافعية في الفقه والأشعرية في العقائد، والتأليف على نهجهما كذلك.

وبدت تعاليم الوهابية في انتصار الشيخ لقضية نقاب المرأة التي لم يعرفها أرخبيل الملايو الا من خلال الحركة السلفية، ومع انه لم يظهر انتصاره لقضية نقاب المرأة بوضوح في تفسيره، الا انه اعلنها بقوة في مؤلفاته الفقهية خاصة كتابه نهاية الزين شرح قرة العين.

واما موقف الشيخ رحمه الله من التصوف فيظهر في معارضته لاتخاذ المعرفة الصوفية وسيلة من وسائل المعرفة الشرعية، واهتمامه بالتصوف لا يتجاوز جانب الحكايات والأقاصيص التي يتداولها الصوفية في مجالسهم والتي تستند في جمهرة كبيرة منها الى اسرائيليات مبثوثة في بعض كتب التفسير.

وثقافته التاريخية تقليدية في مجملها لاعتمادها على المصادر القديمة، ولم تتوفر للشيخ المصادر التي كان بإمكانه من خلالها توثيق كثير من المعلومات واعادة النظر في قسم آخر منها، وقد بذل ما في وسعه وما وصلت اليه يداه من المدونات التاريخية فوافق في بعض مروياته التاريخية حقائق ثابتة تذكرها الوثائق التاريخة، وجانب الصواب في بعضها الآخر وكان اعتماده فيها على ما سبقه من المفسرين والمؤرخين.

الهوامش:

١- شركس، يوسف عليان. د.ت معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، ج١، ص١٨٨١ .

٢- انظر اتابيك لطفي Metodologi Kitab (tafsir al-munir) (satu Kajian Menurut Perspektif Ilmu Tafsir dan Imu al-Quran) رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن والسنة، كلية الدراسات الاسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية ص٥ .

٣- المرجع نفسه، ص٢ .

٤- المرجع نفسه، ص٣ .

٥- المرجع نفسه، ص٤ .

٦- المرجع نفسه، ص٣ .

٧- المرجع نفسه، ص٦-٧ .

٨- المرجع نفسه، ص٧-٨ .

٩- المرجع نفسه، ص٩ .

١٠- المرجع نفسه، ص٨ .

١١- المرجع نفسه، ص١٠-١٢ .

١٢- المرجع نفسه، ص١٤-١٥ .

١٣- المرجع نفسه، ص٣-٤ .

١٤- مداوي الرشيد، تاريخ السعودية، مطبعة جامعة كامبرج ٢٠٠٢ .

١٥- نووي، محمد بن عمر، د.ت، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج١، ص٢ .

١٦- انظر اتابيك لطفي Metodologi Kitab (tafsir al-munir) (satu Kajian Menurut Perspektif Ilmu Tafsir dan Imu al- Quran) ص٢٣-٢٤ .

١٧- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٢ .

١٨- انظر اتابيك لطفي Metodologi Kitab (tafsir al-munir) (satu Kajian Menurut Perspektif Ilmu Tafsir dan Imu al- Quran) ص٢٨-٢٩ .

١٩- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٢ .

٢٠- المرجع نفسه، ج٢، ص٤٧٥ .

٢١- المرجع نفسه، ج١، ص٢ .

٢٢- انظر اتابيك لطفي Metodologi Kitab (tafsir al-munir) (satu Kajian Menurut Perspektif Ilmu Tafsir dan Imu al- Quran) ص٣٦-٣٧ .

٢٣- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص١٨-١٩ .

٢٤- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص٢٧-٢٨ .

٢٥- نووي، نهاية الزين شرح قرة العين، ص٥٩ .

٢٦- نووي، نهاية الزين شرح قرة العين، ص٥٩-٦٠ .

٢٧- نووي، نهاية الزين شرح قرة العين، ص٩ .

٢٨- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٣٤٠ .

٢٩- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٣ .

٣٠- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص١٥٠ .

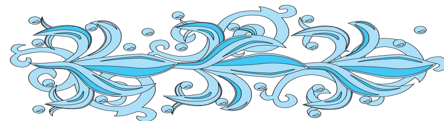
٣١- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص١٥٣ .

٣٢- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص٣٠٢ .

٣٣- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج٢، ص٢٢١ .

٣٤- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٤٢٨ .

٣٥- نووي، مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ج١، ص٤٥٣ .



١

موقف النقاد الإجمالي
من كتاب السنن لأبي داود السجستاني

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

عند الحديث عن موقف النقاد من أي كتاب من كتب السنة، يتجلى لنا أمر منهجي هو في غاية الأهمية، وهو أن المنطلق في مثل هذا البحث يتم من التسليم بأنه كان للنقاد موقف ما من هذا الكتاب أو ذاك، وذلك يعني أن مصنفات السنة بمجرد ما أن انتهى أصحابها من إعدادها، تلقفها النقاد بالدراسة والبحث والتفحص ليخلصوا إلى أحكام تقويمية لها، تضع كلاً منها في الخانة التي تناسبه، وإنما كان هذا العمل في غاية الأهمية لكونه متمماً ومكملاً لعملية التصنيف في السنة النبوية، وذلك لأن الغرض الأساسي من هذه العملية كان هو إعداد مراجع مدققة للسنة تكشف عن صحيحها في قسم وعن ضعيفها في قسم آخر، ولهذا كان لا بد بعد وضع التصانيف من عملية الفرز والتعيين، أي تعيين ما يقع من هذه التصانيف في قسم المقبول وما يقع منها في قسم المردود وما يتضمن كلا القسمين وهكذا.

ومعلوم أن هذه المواقف كان لها قبول وتداول في أوساط العلماء، حتى غدت قيمة هذه المؤلفات مؤسسة على ما قيل عنها، وليس ذلك في الحقيقة إلا بسبب ما انبنت عليه هذه المواقف من فحص دقيق وتأمل وبحث واستقراء، وإلا لما استحقت أن تذكر أو تروى فضلاً عن أن يعول عليها أو يعتمد.

والحقيقة التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن مواقف المحدثين من المصنفات



الحديثية كانت بذلك أبعد ما تكون عن العاطفة والذاتية والتسرع، وأنها تأسست على الموضوعية والدقة والروية.

ولئن كنا لا ننفي مع ذلك تفاوت هذه المصنفات من حيث خضوعها للدراسة النقدية أو عدمه، أي بمعنى أنها لم تخضع كلها لذلك وأن ما خضع منها لم يكن جميعه على درجة واحدة لتفاوت هذه المصنفات نفسها في القيمة والأهمية والمحتوى، فإن كتاب السنن يأتي في طليعة الكتب التي تمت العناية بها من هذه الناحية، بل هو لأسباب ومعطيات متعددة لا نتعجل بذكرها، أول كتاب بعد الصحيحين عني العلماء ببحث مادته ونقد مضمونه وتقويمه، حسبما تدل على ذلك كثرة النقول والتصريحات التي تصب في تأكيد حقيقة واحدة، هي أن كتاب السنن جليلة مرتبته رفيع قدره عظيمة قيمته، وهي ما يسلم إلى حقيقة أخرى مفادها أن كتاب السنن أصبح بمجرد تصنيفه أحد المؤلفات الأساسية في السنة النبوية التي لا يمكن الاستغناء عنها بحال.

وما يجعلنا نعتقد رسوخ هذه التصريحات ومصداقيتها ليس فقط هو كونها تُعزى إلى نقاد كبار عاشوا في العصور المتقدمة أو بالضبط في عصور التأسيس والتأصيل بل وأيضاً لكون بعضها قيل في نفس زمن تأليف الكتاب، فهذا الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ) يُنسب إليه موقف في الإطار المذكور نقله عنه الخطيب في تاريخه فقال: "ويُقال: إنه (أي أبو داود) صنفه قديماً وعرضه على أحمد ابن حنبل فاستجاده واستحسنه"[١].

وجاء عن أبي سعيد أحمد بن محمد ابن زياد الأعرابي (ت ٣٤٠هـ) وهو أحد الرواة لسنن أبي داود قوله: "لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله عز وجل ثم هذا الكتاب (أي السنن) لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة"[٢].

وروي عن محمد بن مخلد في نفس هذا السياق كلام يؤكد الحقيقة السابقة ويدعمها نقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الحاكم النيسابوري قال: سمعت الزبير بن عبدالله بن موسى قال: سمعت محمد بن مخلد يقول: "كان أبو داود يفي بمذاكرة مائة ألف حديث ولما صنف كتاب السنن وقرأه على الناس، صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه وأقر له أهل زمانه بالحفظ

والتقدم فيه"[٣].

وكشف الإمام الخطابي- الذي اختار من كل الكتب الحديثية كتاب البخاري وكتاب أبي داود لشرحهما وتقريب معانيهما- عن رتبة كتاب السنن وأهميته وموقف الأئمة منه بقوله: "واعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين مثله وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكل فيه ورد ومنه شرب وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مدن وأقطار الأرض"[٤].

وقد كان معول العلماء بعد هذه المراحل على ما قاله هؤلاء، لم يخرجوا عنه ولم يخالفوه، فجعلوا ما يتلو الصحيحين مباشرة كتاب أبي داود رحمه الله، على هذا نصّ الخطيب البغدادي الذي هو أحد الرواد في تصنيف المصطلح الحديثي بقوله: "ومما يتلو الصحيحين سنن أبي داود السجستاني"[٥].

وربما كان هذا أحد المسلمات التي اتفق جمهور المحدثين بشأنها واعتبروا ان تعريف طالب العلم به، أحد الامور المنهجية الأساسية حسبما يدل على ذلك قول الإمام النووي في التقريب وما شرحه به السيوطي في التدريب فقال: "فإذا تميز الطالب بفهم الحديث ومعرفته تعجّل بركة ذلك في شبيبته فليتعرف صحته وحسنه وضعفه وفقهه ومعانيه ولغته وإعرابه وأسماء رجاله محققاً كل ذلك معتنياً بإتقان مشكلها حفظاً وكتابة مقدماً في السماع والضبط والتفهم والمعرفة الصحيحين ثم سنن أبي داود..."[٦].

وعند قراءة كتاب ابن الصلاح الذي هو أصل كتاب النووي نجد أنه في جميع المواضع يقدم سنن أبي داود على غيره.

وهذا هو ما نجده عند العلامة الكتاني رحمه الله في الرسالة المستطرفة وغيره من العلماء.

وإذا كان ابن حزم (ت ٥٤٨هـ) يبدو مخالفاً إلى حد ما لهذا الترتيب بقوله: "أولى الكتب الصحيحان ثم صحيح ابن السكن والمنتقى لابن الجارود والمنتقى لقاسم بن اصبغ ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود.."[٧]، فإنه قد انفرد بذلك عند الجمهور، ثم هو لم يجعل بعد الصحيحين إلا ما جرد فيه الصحيح خاصة، أما السنن الأربعة المشهورة فأبو داود عنده على رأسها كما عند الجمهور.

نعم كان ابن رشيد (ت ٧٢١هـ) يتبنى موقفاً آخر صريحاً في مخالفة الجمهور قدم بموجبه سنن النسائي على أبي داود وهو ما عبر عنه بقوله: "كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفاً وأحسنها ترصيفاً وكان كتابه بين جامع البخاري ومسلم مع حظ كثير من بيان العلل، وفي الجملة فهو أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ورجلاً مجروحاً ويقاربه كتاب أبي داود وكتاب الترمذي ويقابله من الطرف الآخر كتاب ابن ماجة"[٨].

غير أن هذا الكلام اشتمل على دعاوى لا يتأتى التسليم بها بسهولة فقوله بأنه أقل الكتب بعد الصحيحين رجلاً مجروحاً، ليس طعناً في الأحاديث في شيء لأنه لا يلزم من كون الراوي مجروحاً أن يكون حديثه ضعيفاً كما هو معلوم.

وأما بيان العلل فليس ميزة توجب تفضيل كتاب النسائي على أبي داود، لأنه ليس من شرط قبول الكتاب أن يكون فيه بيان العلل وهاهو صحيح الإمام البخاري أصح كتاب على الإطلاق بالاتفاق ليس فيه من ذلك شيء بشكل صريح.

على أننا نعتقد أنه لم يكن يخلو كتاب من كتب أئمة الحديث من بيان العلل لكن كان لكل طريقته ومنهجه، فلم يكونوا جميعهم يسلكون طريقة واحدة وإنما لهم في ذلك طرائق شتى متنوعة فالبخاري نفسه أبان عن علل بعض الأحاديث، لكن من غير تصريح وذلك بإيراده للحديث بطريقة مميزة عن الذي يصححه على شرطه حيث يورده معلقاً أو غير ذلك، ومسلم جعل الأحاديث المعللة في آخر الباب وهكذا سائر الأئمة.

فليس عدم التصريح ببيان العلل دليلاً على أن المحدث لم يعبأ بذلك وإنما القضية تتطلب البحث عن منهجه في الكتاب وطريقته في الإشارة إلى العلة ليس إلا، اللهم إلا إذا كان ابن رشيد يريد أن بيان العلل بشكل صريح أفضل من الإشارة والتلميح وليس هو بملزم لأنه يقتضي أن كتاب النسائي أفضل من الصحيحين.

والجمهور الذي قدّم سنن أبي داود على غيرها من السنن بل وسائر المصنفات الحديثية، إنما بنى موقفه هذا على معطيات وميزات اختص بها كتاب السنن لا تتعلق بالجانب المنهجي فقط ولا بقضية المحتوى، وإنما بجوانب أخرى بالإضافة إليهما، نبينها في المبحث الآتي:

❖ مرتكزات تلقي السنن بالقبول:

١- لا يخالجنا الشك في أن من أهم المرتكزات التي استند إليها النقاد في هذا الباب هو سبق أبي داود إلى تأليف السنن أو بعبارة أصح سبقه إلى جمع السنن على سبيل الاستقصاء وليس مجرد التأليف في حد ذاته، لأنه سبق أبا داود إليه غيره بمدة طويلة كابن جريج عبدالملك بن عبدالعزيز (ت١٥٠هـ) وأبي مرة موسى بن طارق اليماني الزبيدي القاضي، والإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) وأبي عثمان سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ) وأبي عمرو سهل بن أبي سهل زنجلة (ت٢٤٠هـ) وأبي علي الحسن بن علي الخلال (ت٢٤٢هـ) وأبي جعفر الدولابي (ت٢٢٧هـ) والدارمي عبدالله بن عبدالرحمن (ت٢٥٥هـ) وأبي بكر الأثرم (ت ٢٧٣هـ).

وعلى هذا بنى العلامة الكتاني قوله: "قيل: وهو (أي أبو داود) أول من صنف في السنن وفيه نظر يتبين مما يأتي"[٩].

والظاهر أن هذه الأولية لا نظر فيها إذا كانت بالمعنى المذكور أي أولية الاستقصاء وهي التي كانت أساس قبول الكتاب وتعويل الناس عليه، وبسبب ذلك كان تركيز العلماء في بيان قيمة سنن أبي داود على هذه الخاصية بشكل كبير، فالخطابي رحمه الله يقول: "وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه"[١٠].

وهو بهذا الكلام لا يبين قضية الاستقصاء فقط بل نوعيته كذلك، فأبو داود رحمه الله وفق حسب رأي هؤلاء النقاد في جمع الأحاديث الأصول في مجال الأحكام الشرعية ولذلك كان كتابه السنن أم الأحكام حسب رأي الحافظ ابن حجر وتعبيره[١١].

٢- ولئن كان الإمام أبو داود باستقصائه هذا قد مارس في كتابه بحق جهداً عظيما هو استيعاب مادة المصادر المتقدمة وتوفير محتواها للأجيال اللاحقة، فإنه قرنه بجهد آخر لا يقل عنه في القيمة والأهمية ويتمثل في كونه استطاع تلافي طولها وتكرارها، وهو بذلك استطاع أن يضمن لكتابه الإقبال الذي حرمته تلك المصادر، وإلى هذا المعنى يشير الخطابي بقوله: "وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامع

والمسانيد ونحوهما فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود".

وهو يقرن بين هذا وبين إقبال أئمة الحديث على الكتاب اعتباراً منه بأن ذلك هو السبب الرئيس في هذا الإقبال فيقول: "ولذلك حلّ هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محلّ العجب فضربت فيه أكباد الإبل ودامت إليه الرحل"[١٢].

٣- ولعل من أهم ميزات الكتاب وأسباب قبوله مما يجب ذكره عقب ما تقدم الميزة المتعلقة بالإسناد، فأبو داود لم يطور في مجال العرض والتقديم فقط حيث حرص على الاختصار وتلافي أسلوب المصنفات السابقة القائم على التطويل والتكرار وذلك في إطار مقصده الأساسي الذي هو الاستيعاب والاستقصاء وإنما طور على مستوى الإسناد بشكل أساسي، وعمل على إنضاجه في الكتاب من خلال الأحاديث التي يسوقها فيه وذلك بسوقها مسندة أي متصلة مرفوعة فكان ذلك هو الضامن لقبول الكتاب، ونحن من خلال دراسة سابقة لنا لرسالة أبي داود إلى أهل مكة يتجلى لنا أن الهاجس لدى الأئمة والنقاد في تلك الفترة ومنهم أبو داود هو الإسناد، والذي ينظر في مسيرة التأليف في السنة النبوية يجد أن ما حصل فيه التطور فعلاً هو قضية "الأسانيد" بالدرجة الأولى وأن الكتب الستة بصفة خاصة إنما حازت ما حازته من القبول بفضل عنايتها بوصل الأسانيد بشكل خاص وما يرتبط بها من التصحيح والقبول، ثم جودة التبويب كذلك.

وسندنا في هذه القضية ما تقدم نقله عن ابن حزم في كلامه الذي سبق إيراده حول ترتيب كتب الحديث، فهو حينما جعل أولى الكتب الصحيحين ثم صحيح ابن السكن والمنتقى لابن الجارود والمنتقى لقاسم بن أصبغ ثم بعدها كتاب أبي داود وكتاب النسائي وجعل بعد ذلك بدرجات كثيرة موطأ مالك.. إنما بنى ذلك على أساس الإسناد لا غير، كما نص على ذلك الذهبي في سياق لومه له على جعله موطأ مالك في المراتب المتأخرة فقال: "ما أنصف ابن حزم بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبي داود والنسائي

ولكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرفة وإن للموطأ لوقعاً في النفوس ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء"[١٣].

وبهذا يظهر أن موطأ مالك إنما تأخرت رتبته عن الصحيحين بسبب قضية الإسناد وكان يمكن أن تتخلف رتبته حتى عن غيرهما من الكتب كالسنن الأربعة لولا أصحية الأحاديث التي اشتمل عليها في ذاتها، ومهما يكن من أمر فإن الذهبي هنا وإن ناقش ابن حزم في قضية الترتيب فإنه أقره في اعتبار مسألة "الإسناد" في الترتيب وهو ما يدل على أن ذلك هو مذهب الجمهور عامة وأنه معولهم في قبول كتاب سنن أبي داود.

٤- ولكن لا ينبغي تصور أن الإسناد وحده كان هو المقياس للتعامل مع كتب السنة ومنها سنن أبي داود بذلك الشكل، وإلا لكانت كل الكتب المسندة محل قبول من الأئمة حتى تلك التي تضم الضعيف والموضوع وما بهذا يقول أحد، فالإسناد إذن نعني به إيراد ما توفرت فيه شروط الصحة من الأحاديث مسندة موصولة، فهذا هو الذي يضمن للكتاب القبول وهذا بالضبط هو ما توافر لسنن أبي داود. أي بعبارة أخرى اتصال الأسانيد مع نظافتها.

٥- بل لا يقف عند ذلك الحد وإنما توخّى أبو داود شهرة الأحاديث التي أخرجها وهو قيد إضافي مرتبط بمدى تدقيقه وتشديده وضيق شروطه ليس إلا، ولكنه على كل حال أحد الخواص التي عملت على توفير القبول للكتاب، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه القضية كانت ملحظاً أساسياً تمت مراعاته بجد من لدن أصحاب الكتب الستة جميعهم وليس أبا داود وحده، وكانت عليه أحد المرتكزات الأساسية لقبولها، ومعنى ذلك أن الكتب الستة إنما تلقيت بالقبول وأحيطت بالعناية الكاملة من شتى النواحي سواء منها ما يتعلق بشروطها أو رجالها أو متونها بالشرح والاستنباط والاعتماد والاختصار وغير ذلك بناء على أن ما اشتملت عليه من الأحاديث هو من المشهور المتداول والمعمول به وليس الغريب أو الشاذ أو المهجور، وقد دأب العلماء على اعتبار الاعتماد على الكتب الستة عملاً منهجياً صائباً يلزم به طلبة العلم بكل صرامة لكيلا تزل أقدامهم باعتماد غيرها من المصادر التي لم يراع فيها هذا الملحظ، فقد كان أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) يقول: "عجبت لمن ترك الأصول وطلب الفصول"[١٤]، وهو يعني بالاصول

الأمهات من كتب الحديث التي في طليعتها الكتب الستة حسب السياق الذي ورد فيه النص من كتاب الجامع.

وكان الخطيب البغدادي أحد الذين نبهوا على هذه القضية في كتابه الكفاية فقال: "وأكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب على إرادتهم كتب الغريب دون المشهور وسماع المنكر دون المعروف والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من روايات المجروحين والضعفاء حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنباً والثابت مصروفاً عنه مطرحاً وذلك كله لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم ونقصان علمهم بالتمييز وزهدهم في تعلمه وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين والأعلام من أسلافنا الماضين"[١٥].

وقد عقب الحافظ ابن رجب على قول الخطيب هذا بكلام يزيده وضوحاً ويؤكد الملحظ الذي اختصت به الكتب الستة حيث قال: "وهذا الذي ذكره الخطيب حق ونجد كثيراً ممن ينتسب إلى الحديث لا يعتني بالأصول الصحاح كالكتب الستة ونحوها، يعني بالأجزاء الغريبة وبمثل مسند البزار ومعاجم الطبراني وأفراد الدارقطني وهي مجمع الغرائب والمناكير"[١٦].

٦- والميزة السادسة لكتاب أبي داود في هذا المجال هي توخيه لتأصيل مذاهب فقهاء الأمصار أي أنه بجعله الكتاب دليلاً للفقه المتداول إلى وقته دفع به إلى أحضان الفقهاء الذين اعتبروه مصدراً لا يمكن الاستغناء عنه البتة وهو ما تدل عليه نصوص كثيرة تقدم إيراد بعضها ونسوق منها هنا ما صرح به الساجي أبو يحيى (ت ٣٠٧هـ) حيث قال: "كتاب الله عز وجل أصل الإسلام وكتاب السنن عهد الإسلام"[١٧].

وتوضيحاً لهذه الميزة يقول العلامة ولي الله الدهلوي: "...وثالثهم أبو داود السجستاني وكان همته جمع الأحاديث التي استدل بها الفقهاء ودارت فيهم وبنى عليها الأحكام علماء الأمصار، فصنف سننه وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل، قال أبو داود: (ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه)، وما كان فيها ضعيفاً صرح بضعفه وما كان فيه علة بينها بوجه يعرفه الخائض في هذا الشأن وترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب ولذلك صرح الغزالي وغيره بأن كتابه كاف للمجتهد[١٨].

٧- غير أن الإمام أبا داود لم يرض بهذه الميزات -على أهميتها- فقط وإنما أضاف إليها ميزة أخرى أضفت على الكتاب رونقاً وجمالاً خاصاً وفرضت على

النقاد احتضانه بالقوة والتشبث به بشغف، وهي تتمثل في كونه أبدع إلى درجة كبيرة في حسن وضعه وإجادة تبويبه وترتيبه وتوخي الدقة وكثير من التفصيل في تراجمه، حتى غدا كأنه كتاب فقه بالشكل الذي عليه كتب الفقهاء، وما حققه أبو داود بذلك الكتاب لا ينحصر فقط في قبوله في أوساط الفقهاء والمحدثين معاً، وإنما تفضيله وترجيحه حتى على كتابيّ البخاري ومسلم عند البعض وذلك كما هو الحال عند الخطابي الذي نص على ذلك تنصيصاً في شرحه للسنن فقال: "فأما أهل خُراسان فقد أولع أكثرهم بكتابي محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقال، إلا أن كتاب أبي داود أحسن رصفاً وأكثر فقهاً"(١٩).

إن توافر هذه الميزات في سنن الإمام أبي داود رحمه الله في مقابل اشتمال غيرها على البعض منها لا كلها، جعلها تحتل المكانة الموصوفة والتي عبرنا عنها بمصطلح "التلقي بالقبول"، فما معنى هذا المصطلح؟ وهل فعلاً يجوز وصف موقف النقاد من السنن بذلك؟

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) تاريخ بغداد: ٥٦. وانظر طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١.

(٢) معالم السنن: ١٢. وانظر طبقات الحنابلة ١: ١٦٢. سير اعلام النبلاء ١٧: ٢٦. وتذكرة الحفاظ ٣: ١٠١٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ٢١٢.

(٤) معالم السنن ١: ١٠:١١.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ٥١٨٥.

(٦) تدريب الراوي ٢: ١٥٠.

(٧) ص٩.

(٨) تدريب الراوي ١: ١١٠.

(٩) انظر: النكت لابن حجر ص٧٥.

(١٠) الرسالة المتطرفة: ٩.

(١١) معالم السنن: ج١: ١٣.

(١٢) التلخيص الحبير ٢:١٩.

(١٣) معالم السنن ١: ١١.

(١٤) سير أعلام النبلاء ١٨:٢٠٣.

(١٥) انظر كتاب الجامع للخطيب ٢:١٨٥.

(١٦) الكفاية في علم الرواية ص ١٧٢.

(١٧) شرح علل الترمذي ص٢٣٥.

(١٨) شروط الأئمة الستة: ١٠٣.

(١٩) قواعد التحديث: ٣٤٢.

أسرار علمية في القرآن الكريم تظهر لأول مرة

الوباء العالمي

(انفلونزا الطيور)

■ بقلم الدكتور ابراهيم الراوي

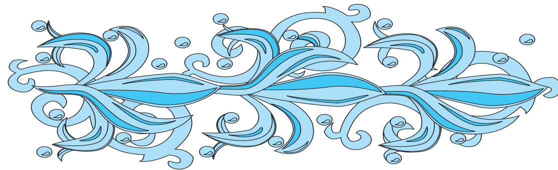
اعلنت جميع دول العالم قبل سنوات، بكافة قواتها البرية والجوية عن ضعفها وفشلها وعجزها، عن ايقاف خطر هجرة الطيور بين القارات والمحيطات حيث تغزو العالم البشري وهي تحمل اليه فايروس (H5N1) الذي يسبب وباء انفلونزا الطيور القاتل لملايين البشر عندما يتفشى في المجتمعات الانسانية في خلال يومين الى سبعة عشر يوماً، وهي مدة حضانة المرض الذي ينتشر بين الأمم، بواسطة القوات الجوية المهاجمة لبني الانسان، وهي أفواج الطيور المهاجرة والتي تقدر بعشرات الملايين في العالم قاطعة آلاف الأميال في فترات وجيزة.

وتمتاز الطيور المهاجرة بكبر حجمها وطيرانها جواً بارتفاعات شاهقة، وحسب أنظمة البوصلات المغناطيسية وخطوط الطول والعرض للكرة الارضية في تحديد اتجاهات السير بشكل دقيق ومنظم، من حيث الزمن والبقع الجغرافية ولكل فصيل قيادة توجهه في تحركاته وفي تغيير اتجاهات سيره، وتمتاز هذه الطيور في حركة طيرانها حيث يوجد تنسيق في حركات بسط وضم اجنحتها وبسرعات محددة، وان عجز الانسان عن السيطرة على هذه الكارثة في العصر الحاضر رغم

تقدم العلوم الحديثة والاسلحة المتطورة والاجهزة الالكترونية والقوات الجوية المتعددة والهائلة، تتجلى عظمة الخالق العظيم في بروز آياته السماوية التي تتحدى البشر وكل قوى الطبيعة ﴿**أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن**﴾؟!.

وتظهر على المصابين اعراض المرض القاتل الذي عجز الطب الحديث عالمياً اليوم عن ايجاد علاج للمرضى او لقاح للأصحاء أو أساليب دولية للوقاية، حيث ترتفع اولاً درجة حرارة الجسم قبل موت المصاب، ثم يحدث ضيق في التنفس بدرجة شديدة وحادة في المنطقة السفلى من الجهاز التنفسي والتي يغزوها الفايروس (H5N1) بدرجة خاصة، مع التهاب واحمرار العينين، ثم اسهال شديد غير دموي تعقبه آلام في البطن مع تقيؤ شديد، وأخيراً وقبل لحظات سكرات الموت، يحدث النزيف الدموي من الأنف واللثة تعقبه مفارقة الحياة.

ويفاجئ علماء وباحثو الطب عالمياً بهذا الوباء الرهيب ولأول مرة في تاريخ البشرية، حيث لم تسجله كتب ومؤلفات وقواميس الطب في العالم، لا قديماً ولا حديثاً وهو يعبر عن غضب الإله على بني الانسان عندما اخبر الوحي من فوق سبع سموات قبل اربعة عشر قرناً نبي الاسلام محمداً ﷺ، ان الغضب الإلهي سيرسل لكم جواً من فوق رؤوسكم طيراً أبابيل، أو فرق الموت من تحت ارجلكم اذا عم طغيان البشر على الأرض، وبلغ الانهيار السلوكي ذروته وهو يردد: اللهم هل بلغت فاشهد، اللهم هل بلغت فاشهد، اللهم هل بلغت فاشهد «اذا ظهر الفساد في الارض سلط الله على البشر أمراضاً لم تكن في اسلافهم» صدق رسول الله ﷺ.



بيان الحكمة في حمد الله تعالى لنفسه

■ بقلم المحامي شكري الحسن

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ وبعد ذلك نجد انه سبحانه وتعالى، حمد نفسه العلية وأثنى عليها، وذلك لحكمة بالغة، ويمكن القول: ان الحكمة من ذلك الحمد، تكون في ثمانية أشياء والله تعالى أعلم:

● **اولاً:** انه تعالى قدر أن الخلق لا يهتدون الى ثنائه بالاستحقاق، فعلمهم، وكأنه يخبرهم انكم إذا اردتم حمدي وثنائي فقولوا: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**.

● **الثاني:** ان الله تعالى علم ان العباد يهابون ذكره بالحمد والثناء، ولا يجترئ كل واحد ان يذكر الملك ويمدحه، ولهذا ابتدأ الله تعالى بنفسه، حتى يقتدي به العبد، فيكون ثوابهم اكبر وأكثر.

● **الثالث:** ان الخلق عيبهم اكثر من صلاحهم، فلا يجوز ان يحمدوا انفسهم ويزكوها، والله تعالى سبحانه، منزه من العيوب والآفات والفساد، ويجوز له ان يحمد نفسه بنفسه، ويثني على نفسه.

● **الرابع:** انه لا يجوز لأحد ان يزكي نفسه ويحمدها بلا بيان المعنى، ولا يجوز الدعوى بلا معنى، اما بعد المعنى فيجوز الدعوى، والله تعالى لما مدح نفسه بعد اتيان افعال، لا يمكن لأحد

من العـالمين الاتيـان بهـا، كـمـا فـي خلق السـمـوات والارض وعـجـائبـهـا، والليل والنهـار واختـلافـهـمـا فـقـال سبـحـانه: ﴿**الحـمـد لله الذي خلق السـمـوات والأرض**﴾ وما شابه ذلك.

● **الخامس:** المعلوم ان مادح نفسه بحلية غيره يكون أحمق، فقد نهانا الله تعالى عن صفة الحماقة تلك فقال: ﴿**لا تزكوا انفسكم**﴾ لأنه يقول: إن اطعتموني فبتوفيقي، وان تركتم المعصية فبعصمتي فلا تزكوا انفسكم، لأن كل نعمة هي مني.

● **السادس:** ويا أيها البشر، بما ان صفاتكم ناقصة، والناقصة لا تستحق المدح وهو مثل العلم وانتم لا تعلمون الا قليلاً، والقدرة ولا تقدرون الا قليلاً، ولا تنصرون الا قليلاً، وكذا غيرها من الصفات، اما الذات الإلهية الشريفة فكاملة الصفات، ولذا تستحق المدح والثناء.

● **السابع:** وحيث ايها البشر صفاتكم تنتهي الى الزوال، لأن الحياة حتماً تنتهي الى الموت، فلا تزكوا انفسكم، ولا يحق لكم ان تحمدوها.

● **الثامن:** ان ذكر الحمد، اي ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، تعني ان الأمر كله لله تعالى، كما قال: ﴿**يدعون فيستجيبون بحمده**﴾، يعني بأمره وقوله تعالى: ﴿**فسبح بحمد ربك**﴾ اي بأمر ربك.

وقد يقال: وما الحكمة في ان الله تعالى، أمرنا أول شيء بالحمد بقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قبل سائر الطاعات، فإن الاجابة يقال فيها: ان الأمر لوجوه عدة منها:

١- لأن اول شيء منّ الله تعالى علينا به بالنعمة، مثل الخلق السوي والغذاء الهني، والحياة الطيبة، والقدرة والعلم وغيرها، لذا أمرنا سبحانه بالحمد حتى يحفظها علينا ويزيدنا من فضله.

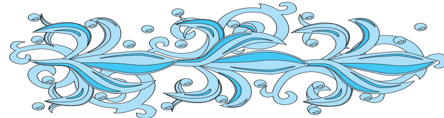
٢- لأن الحمد أهون الطاعات، فأمرنا أولاً بها كي لا يشق علينا بالابتداء لنتعود بعد ذلك على سائر الطاعات، وحكي عن احد الصالحين انه كان يقول دائماً: «الحمد لله أبداً بها واستغفر الله» وكان

لا يزيد على هذا القليل، فقيل له في ذلك فقال: لأن الحال لا يخلو من وجهين اما نعمة وافرة وإما معصية كثيرة مني، وقد امرنا بالحمد لأجل النعمة والاستغفار لأجل معصية منها».

٣- امرنا الله تعالى اولاً بالحمد، لأنه أول كلام تكلم به ابونا آدم عليه السلام حين عطس فقال: الحمد لله، فأمرنا أولاً بالحمد، يكون لنا الأجر مثل ما كان لأبينا آدم عليه السلام ويكون الاقتداء منا به.

ومن الممكن القول كذلك: ان الحكمة في ان الله تعالى، أجرى أول الكلام، على لسان آدم عليه السلام «الحمد لله»، يقال: ان الله تعالى علم ان منته على آدم وبنيه نعماً كثيرة، وعلم ان من اولاد آدم عليه السلام زلات كثيرة، فأجرى اول شيء على لسانه «الحمد لله» ليكون مكافأة للنعم الكثيرة، فسبق الحمد واتبعه اول كلام منه.

وأما الحكمة في انه تعالى اضاف الحمد لنفسه، دون سائر الطاعات، فمعلوم ان الطاعات جميعها لله تعالى، يقول جعفر الصادق رضي الله عنه: انما اضاف الحمد لنفسه بقوله: ﴿**الحمد لله**﴾ لأن الحمد خاصية دون سائر الطاعات، وهو ان لا يدخل الجنة الا بثلاث: التوحيد لله تعالى والحمد لله تعالى والحب لله تعالى، وقد اضاف هذه الثلاث الى نفسه فقال: ﴿**شهد الله انه لا إله الا هو**﴾ وقال: ﴿**الحمد لله**﴾ وقال: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾، والثاني ذكر الحمد لنفسه، لأن جميع النعمة منه علينا فإذا كانت النعمة منه فالمكافأة تكون له لأن ثمن البضاعة لصاحب البضاعة، فإن قيل: كيف ساوى الحمد مع النعمة، والنعمة مع الحمد، والحمد فعل العباد، يقال له: الحمد والنعمة تكون لله تعالى ومن الله تعالى.. والحمد لله من قبل ومن بعد. وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والرد عليها

شبهة تعدد الزوجات

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

يعتبر الغزو الفكري الغربي، تعبيراً دقيقاً لمعركة لا نسمع فيها صليل السيوف، ولا أزيز الرصاص ولا أنين الجرحى؛ معركة صامتة، تريد أن تصرع الأمة فكرياً، فيسهل انهيارها بعد أن تتحرف عن أصالتها.

حرب مبرمجة، كتب ومؤلفات ونشرات كاذبة ، قادرة على تزوير الحقائق، لأن الفكر الأصيل يعاني أبناؤه إما عجز الإمكانات، أو سطحية الأبناء وجهلهم.

حرب شمّرت عن ساقها، أخذت على عاتقها تحقيق ما أراده مؤتمر التبشير الذي عقد في القاهرة برئاسة صموئيل زويمر(١) سنة ١٩٠٦م : "لا بد للشجرة من أن يقطعها أحد أعضائها"(٢). ومن خلال تصفح سريع (لبروتوكولات حكماء صهيون) يلفت النظر بعض هذه البروتوكولات:

البروتوكول (٩): "ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علّمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن الملقّنون لها"(٣).

البروتوكول (١٤): "يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هو إثمار ملحدين"(٤).

أما الهدف الأكبر من ذلك كله -ولا أخال أحداً من المسلمين جاهلاً ولو بطرف منه، اللهم إلا أن يكون هذا المسلم قد



انتهى من انحطاط وعيه الفكري إلى درك سحيق، ومع ذلك فإني أقول-: إنه تحطيم الإسلام من داخله عن طريق تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيهم وتراثهم، حتى يتم فصلهم عن دينهم، وتفتيت وحدتهم، لأن في تمسكهم بهذا الدين وحده، وقوة من شأنها أن تهدد الكيان الغربي، ولأن في تمسكهم بهذا الدين رقيّاً وحضارة مادية ومعنوية من شأنها أن تؤثر في مجرى حضارة الغرب المادية التائهة.

وهذا التخوف والحذر من العقيدة الإسلامية لم يعد سراً، بل أعلن عنه كثير من المستشرقين في مؤتمراتهم وبحوثهم ومجلاتهم، وها هي (مجلة العالم الإسلامي) تقول: "إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائم في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إنَّ من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً"(٥).

سيبقى الإسلام هاجسهم اليوم وغداً، إنه العقيدة البديلة للفراغ الروحي الذي يعيشونه، بعد أن نبذت العقل الخرافات والأسرار والإله المصلوب، الذي لم يحمِ نفسه وقتلها صلباً ليفتدي خطايا البشر، وهو الذي يملك العفو -إن كان إلهاً- دون صلب أو فداء!!؟

أما آن لنا -نحن المسلمين- أن نترك موقف الدفاع الذي نقفه لردّ شبهات الاستشراق وافتراءاته، ونقف موقف الطارح في ساح البحث عيوبهم ومخازيهم حباً للحقيقة من ناحية، وإشغالاً لهم بترقيع ما عندهم وترميمه من ناحية ثانية.

وإفهاماً لهم أننا نعلم تماماً ما عندهم من عقائد باطلة وأفكار متهافتة من ناحية ثالثة، عقائد لن تتلاءم مع حقائق العلم الحديث، مهما حرصوا على المواربة في تفسيرها،وهذه هي أوروبا تتخلى عن دينها إلى العلمانية، والكنائس تباع بالمزادات، ومع ذلك فالتبشير قائم خارجها على قدم وساق، في إفريقية، وجنوب شرقي آسيا!؟؟.

هل سمعنا بما يعرف في علم النفس (بالإسقاط)؟، الذي هو بمدلوله الأساس يعني ميل الفرد أن ينسب عيوبه وأخطاءه ورغباته المستكرهة المكبوتة إلى غيره من الناس والأشياء؟

فالبخيل لا يفطن أنه بخيل وينسب البخل إلى غيره ... وكذلك صاحب العقيدة المزيّفة المحرّفة الباطلة!!، يكيدون لنا كيداً، بما يحاولوا أن يثبتوا في نفوسنا من أسباب الضعف والتخاذل باختراع الأكاذيب، وتلفيق الدعاوى، وتزييف التاريخ، وتشويه سيرة نبيّ الإسلام ﷺ، وطعن أعلامه، وبما يكررون من الحديث عن نقصنا وكمالهم، وضعفنا وقوتهم، وتخلفنا وسبقهم، وانحلالنا وتماسكهم، وفي بعض ما نعرض إن شاء الله برهان يدفع هذا الباطل، ويوضح ضعفهم وقوتنا، وانحلالهم وتماسكنا.

لقد استطاع أعداء الله والحق، في غفلة من أن ينفذوا بشبهاتهم وحقدهم من فوق أسوار البناء الإسلامي المكين، تحت أعين الغافلين عن حراسته في العصور الأخيرة، حينما صار أمر الدين في أيدي ناس جعلوه صلاة وعبادة فقط، وتركوا ميادين الحياة لغيرهم، واليوم تحقق للمستشرقين الصليبيين ما أرادوا بشيوع أفكارهم، ولا عجب أن يجني المسلمون ثمار ما فرطوا في جنب أنفسهم حينما فرطوا في جنب الله.

❖ شبهة تعدد الزوجات:

وكالعادة يقول أصحاب هذه الشبهة: إن الإسلام: (هضم حق المرأة، وجعل الرجل يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع، وفي ذلك تجاوز على كرامتها، ليحقق الرجل متعته!؟).

وإن كان لا يهمنا مستشرق حاقد بقدر ما يهمنا مستغرب أحمق جاهل من أبناء جلدتنا، جعل من جهله الدليل على امتهان الإسلام للمرأة وهضم حقوقها، ولكنه الزمن الذي ينطق فيه الرويبضة: (الرجل أو المرأة التافهة التي تتحدث في شؤون العامة) كما أخبرنا سيدنا رسول الله ﷺ.

ولهؤلاء نذكر بعض شهادات القوم من الغربيين المنصفين، الذين ساقتهم عقولهم الحرّة إلى الحق أو إلى جوانب منه، وأدركوا بعض الحكم التشريعية لهذه التشريعات السامية، وإذا كان هذا يشكل بالنسبة لنا مادة للفخر والسرور، فإنه يزيد اعتزازنا بهذا الدين، ويلقي علينا مسئولية كبيرة، وهي أن ننهض بواجب البلاغ وأداء الأمانة.

يقول عبد الله كويليام (اسمه الجديد بعد اعتناق الإسلام) نقلاً عن (كانن اسحق تيلر في خطبته بمؤتمر الكنيسة الإنكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر ١٨٨٧، نشرت بجريدة التايمز في اليوم التالي: أما تعدد

الزوجات فإن موسى لم يحرمها وداود أتاها وقال بها ولم تحرم في العهد الجديد (أي الإنجيل) إلا من عهد غير بعيد، ولقد أوقف محمد (ﷺ) الغلوّ فيها عند حد معلوم.. وتعدد الزوجات في البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية، فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولاً، ثم نخرج القذى من أعين غيرنا.. وجاء في القرآن: **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾**(٦) فيما يتعلق بمسألة التعدد التي تنتقدون فيها على المسلمين ظلماً وعدواناً.. على أن القرآن لم يأمر بتعدد الزوجات، بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل في الآية المتقدمة، ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين إلا القليل لا يتزوجون إلا واحدة.. وإذا سلّمنا على العموم بأن عدم التعدد أوفق للمعاشرة من تكررهن، فلا نسلّم بالاعتراف بذلك الوجه المتعارف اليوم بأوروبا من حصر الزواج في امرأة واحدة إذعاناً للقانون واتخاذ عدة أزواج غير شرعيات من وراء الجدر(٧).

ويقول (اميل درمنغم) في كتابه (حياة محمد): "مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسّن حالها.. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل.. وأباح تعدد الزوجات، ولم يوص به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات.. وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟.. إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر"(٨).

❖ حكمة مشروعية التعدد:

إن تعدد الزوجات شرعة قديمة وضرورة اجتماعية لا بد منها، وهو من أسرار حتمية تطبيق هذا التشريع وخلوده، **فقد دلت الإحصاءات في جميع دول العالم وعلى مر العصور أن عدد الإناث دائما أكثر من عدد الذكور لسببين:**

(أ) إن الله تعالى قد شاءت حكمته أن تكون المواليد من الإناث أكثر من الذكور.

(ب) إن الرجال بحكم وظائفهم في الحياة، يقومون بالأعمال الشاقة التي تعرضهم للتناقص كالحروب(٩)، والعمل في المناجم وإطفاء الحرائق واكتساح الألغام وتحت الأنقاض والحوادث، فلمصلحة النساء قبل الرجال شرع التعدد كي تجد الأرامل

والفتيات -الذين زاد عددهن على الذكور- من يحميهن حتى لا يتركن نصب الفساد والإفساد، وتكون إعالتهم وحمايتهن على نحو يعود بالخير عليهن وعلى المجتمع، وقد تعمل المرأة لتعول نفسها وأهلها، نعم، ولكن حاجتها إلى الزوج كيف تشبعها؟ ثم حاجتها إلى الأولاد كيف تقضيها؟.

فقد أباح الله تعالى -والشرائع السابقة- التعدد، حتى المسيحية؛ فالاقتصار على زوجة واحدة لم يكن إلا من عهد الملك شارلمان[١٠] الذي كان متزوجاً بأكثر من واحدة ثم أشار القساوسة في ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة، ان يختار الواحد منهم واحدة زوجة، والأخريات يسمين أخدان أو خليلات!؟! فتأمّل!.

موقف الشريعة الإسلامية من التعدد:

لما جاءت الشريعة الإسلامية، وجدت الناس فريقين:

- فريق يعدد بلا قيود وبلا مراعاة لحقوق الزوجة والأبناء.

- وفريق يقتصر على واحدة (ظاهرياً) وإن كان في الواقع يعدد بطريقة حيوانية تثير الاشمئزاز.. فماذا كان من شريعة الإسلام؟

الحق أنها هذّبت هذا الوضع، حيث أوقفت التعدد عند أربع، مراعية في ذلك قدرة الرجل وتحمّل المرأة ، وشرطت على من يعدد أن يكون قادراً بحيث لا يضيّع حقوق زوجاته، وأن يأمن على نفسه أنه لن يجور فيميل إلى زوجة ويدع الأخرى كالمعلّقة ، كما أوجبت عليه العدل والمساواة بين أبنائه.

وبهذا التشريع الراقي سايرت الشريعة الفطرة، وحمت المرأة من أن تكون غرضاً ممتهناً لقضاء الشهوات، دون تحمّل تبعات ذلك، وحفظت المجتمع من آلاف اللقطاء والأبناء غير الشرعيين، وأوجدت أسرة مترابطة متماسكة تسهم بفاعلية في بناء المجتمع.

وأما ما يدّعيه المبطلون من أن في تعدد الزوجات امتهاناً للمرأة واحتقاراً لها، ومزيداً للرجل واستجابة لنزواته وشهواته، فلا حجة لهم فيه.

فهل الإكرام للمرأة أن تكون خدناً وخليلة لمجرد قضاء الشهوة، ليس لها أي حقوق، ودون أن يتحمل الفاعل تبعات فعله ومسئولياته؟ أو تكون زوجة وأماً عفيفة طاهرة لها الزوج المسؤول عن حمايتها

ونفقتها، لها ولأولادها كل الحق في حياة سعيدة كريمة طاهرة؟!

وأما ما يدّعونه ثانياً من أن تعدد الزوجات يؤدي إلى كثرة النسل التي تزيد أعباء الدولة، وتوجد العاطلين وتكثر البطالة مما ينجم عنه وجود المنحرفين، فتلك حجة أوهن من أختها؛ لأن المعلوم لدى كافة العقلاء وعلى مر العصور، **أن كثرة النسل مع حسن التربية والإعداد من اعظم عوامل قوة الأمة وازدهارها**، وأوضح الأمثلة على ذلك اليوم، اليابان، ثم إن العالم الغربي اليوم يشجع شعوبه على زيادة النسل، في الوقت الذي تتعالى فيه صيحات الحكومات غير المخلصة على ضرورة تحديد النسل وقطعه بالكلية إن أمكن!! وها هي فرنسا اليوم[١١] تمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين مجاناً لعلمهم أن العرب يرغبوا بزيادة النسل!؟

فما يزعمونه، منشؤه سوء التربية وليس كثرة النسل، فالبطالة موجودة في دولنا العربية، مع أن أراضيها واسعة ومواردها كثيرة جداً، بل هي من أغنى دول العالم، ولو أحسن استغلالها لاستوعبت أضعاف من يعيشون فيها[١٢].

أما العداوة التي قد تنشأ بين الضرائر، فسببها الغيرة، وهذا أمر طبيعي، فلا تلغى الأحكام الشرعية متعددة المصالح لمظنة غيرة محتملة أو مؤكدة!؟

وهناك حالات فردية[١٣] معروفة لدى الفقهاء يكون تعدد الزوجات فيها ضرورة، منها الطاقة الجنسية الحادة التي لا تكتفي بواحدة ولا يمكن لصاحبها الصبر عليها. فهذه إما أن تأخذ طريقها المشروع إلى زوجة ثانية، وإما أن تتخذ الخليلات في السر -كما هو حال من منع التعدد- وهو وضع لا يسمح المجتمع النظيف بوجوده البتة.

ومنها حالات عقم الزوجة، والنسل رغبة بشرية عميقة، وهي رغبة رفيعة لا حطّة فيها ولا عيب في اشتهائها، وصحيح أنه لا ذنب للزوجة العقيم في عقمها، ولكن من يقول: إنه من العدالة حرمان الزوج كرهاً عنه من حقه المشروع في إنجاب الأطفال ؟ فإذا رضيت الزوجة الأولى الاشتراك مع غيرها كان بها، وإلا فأمامها طريق الانفصال بالمعروف.

أو حالات المرض الدائم الذي يمنع الاتصال بين الزوجين. ولا يقولن أحد: إن

الرغبة الجنسية دنيئة في ذاتها ولا يجوز أن تكون سبباً في هدم سعادة الزوجة، فليست المسألة مسألة دناءة أو ارتفاع، إنها ضرورة لا حيلة لأحد فيها، فإذا ارتفع الرجل عليها وتسامى تطوعاً، ومراعاة لخاطر زوجته فذلك نبل مشكور، ولكن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والاعتراف بالأمر الواقع خير من التظاهر بالنبل مع الخيانة في الظلام كما يحدث في الدول التي لا تبيح التعدد.

مع ضرورة الملاحظة في جميع الحالات، أن الزوج يبقي على الزوجة الأولى كراهة منه أن يطلقها، ووفاء لعشرته الطويلة معها أن تنتهي بالطلاق، وهو شعور كريم بلا شك، أما إذا كان يمسك بها ضرراً ومكايدة، فذلك حرام عند الله، وسبب موجب للطلاق حين تطلبه الزوجة.

الهوامش:

١- صموئيل زويمر مبشر أمريكي حاقد، رئيس بعثات التبشير في المشرق، حرر مجلة (العالم الإسلامي) والتي عرفت بعدائها السافر للإسلام والمسلمين.

٢- الغارة على العالم الإسلامي ص٤٦.

٣- بروتوكولات حكماء صهيون ص١٥٩.

٤- المرجع السابق ، ص١٨٤.

٥- أنظر : كتاب (أجنحة المر الثلاثة) أ. عبد الرحمن الميداني.

٦- سورة النساء (٣).

٧- قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل - منشورات الندوة العالمية ص (٤٢٦).

٨- قالوا عن الإسلام ، ص (٤١٠).

٩- كتب هذا البحث إبان قيام أهلنا في الأرض المحتلة (فلسطين) بانتفاضتهم على عدو الله وعدوهم من بني إسرائيل، ونعلم جميعاً أن وسائل الإعلام والصحف تطالعنا يومياً بسقوط أعداد من الشهداء (الذكور) - نسأل الله تعالى لهم حسن القبول - في حين أننا لم نسمع إلا نادراً بالشهداء من الإناث.

١٠- الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ محمود شلتوت ص (١٩٩).

١١- كان ذلك في مطلع عام (٢٠٠٠) أو قبل ذلك بقليل.

١٢- ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، خذ مثلاً ليبيا: إحصائية سنة ١٩٩٠ - عدد السكان : (٤.٢٨٠.٠٠٠) نسمة، والمساحة (١٧٥٩٥٤٠ كم٢)، وكثافة السكان (٢.٤ نسمة /كم٢) وهي دولة غنية جداً بالثروات المعدنية، واحتياط البترول الخام (٢٢ مليار برميل).

١٣- اعتمدنا في هذه الحالات على كتاب (شبهات حول الإسلام) محمد قطب. ط٢ دار الشروق ص(١٣٦).

عصمة حصينة لسيد الأولين والآخرين ﷺ

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

ان العصمة هي الصون عن الخطأ والإثم، حال القدرة على ارتكاب الإثم، وإنها من مقولة العلم، إذ ليست هي إلا انكشاف حقائق الأمور، يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك اذاً لمن الظالمين﴾ البقرة: ١٤٥، فرسول الله ﷺ لم يتبع أهواءهم بسبب العلم الذي جاءه، وذلك العلم هو الذي عصمه عن متابعتهم، فهو معصوم عن الذنب والزلل وعن الخطأ والإثم.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** النساء: ١١٣ .

تبين هذه الآية الكريمة بأن فضل الله ورحمته على رسوله ﷺ انه عصمه وأنه تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم، وذلك من فضل الله العظيم عليه، فقد وقاه الله تعالى من الذنوب والخطيئات بالعلم الذي علمه إياه، ولم يكن يعلم، وهذا العلم يحرسه ويعصمه ﷺ عن التفكير في الإثم، فضلاً عن الدنو منه.

ان رسول الله ﷺ معصوم بشهادة القرآن الكريم.. لا زلة له أبداً، كما صدع القرآن به بقوله تعالى: **﴿وما يضرونك من شيء﴾** فهو إذن في حصن حصين وجُنة واقية.

وقد جعل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أسوة لكافة البشرية المؤمنة: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** الأحزاب: ٢١ .

وذلك بمثابة إخبار عن عصمته من الذنب والخطأ والزلل ومساوئ الأخلاق، وعن عصمته في أفكاره وأقواله وأفعاله، وإلا للزم ان يجعل الله الخطأ أو الذنب أو الزلل أو سوء الأخلاق أسوة!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وتشهد أيضاً لعصمة الرسول ﷺ آية التطهير، تلك التي حكم فيها بذهاب الرجس عن أهل البيت ومنهم رسول الله ﷺ، فهم مطهرون عن كل رجس بتطهير الله تعالى لهم، انهم معصومون لا يفكرون في ذنب، والذنب فعل نفسي، ورجس روحي، ليس فيه لله رضى، وقد طهرهم الله عنه،

وقد تبلور بذلك ان صفة العصمة تفترق عن صفة العدالة، بأن صفة العصمة من مقولة العلم الذي يجب ان يؤخذ من المعلم، وان العدالة صفة نفسية تمنع صاحبها عن الدنو الى الإثم لا عن التفكير فيه.

ويتاح الوصول الى العدالة بالمجاهدة وإتعاب النفس، ولكن العصمة عطية إلهية، ومنحة ربانية، وهي العلم بقيم الطاعات، وبمفاسد المعاصي وبمصالح الأحكام الفردية والاجتماعية وبمنافع الأفعال ومضارها للفرد وللمجتمع.

وان العدالة ملكة قدسية لصون صاحبها عن صدور فعل يوجب سخط الله تعالى، وكان رسول الله ﷺ في أعلى درجات العدالة وأشرفها، وهو مع ذلك معصوم، عصمه الله من الزلل وأمنه من الخطأ.

ومما يجدر بالذكر ان ملكة العصمة، لا تجعل المعصوم عاجزاً عن ارتكاب الإثم، فإنها العلم دون سواه، والعالِم يستطيع الجري على خلاف علمه، لأن دور العلم هو الارشاد، وان المسترشد مخير في

الارشاد بعلمه وليس بمجبر على العمل برشاده.

ان رسول الله ﷺ كبشر قادر على الدنو من الآثام، ولكنه كمعصوم لا يفكر في ذلك من أجل علمه بحقائق الذنوب، كما ان العاقل لا يفكر في تقبيل فم الحية، أو إلقاء نفسه من شاهق، أو إحراق جسمه بالنار، وان لم يكن عاجزاً عن إحدى تلك الأمور، نعم إذا حصلت للعلم مكانة في قلب العالم، وصدَّق بعلمه وأذعن اليه، فإنه لا يجري على خلافه.

ان المعصوم مصون عن الخطأ والزلل، اذ الخطأ ميزة العلوم البشرية ويختص بها، وأما العلوم الإلهية، فلا يتطرق اليها الخطأ، إذ العلم الإلهي هو العلم بواقعيات الاشياء وحقائقها، إذ الواقعيات والحقائق منكشفة لدى باريها، فإن الصانع خبير غاية الخبرة بكيفية صنع مصنوعه، ولعل قوله تعالى: **﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** يشير الى جميع ذلك.

وبذلك تبين افتراق ثان بين العصمة والعدالة، فإن العادل يخطئ.. إنه انسان، والانسان معرض للخطأ والنسيان، لكن المعصوم لا يخطئ فإنه المتعلم بتعليم إلهي، ومثله لا يخطئ وقوله تعالى: **﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** يفيد اختصاص هذا العلم بالمعصوم، وانه شخص معين وان غيره لا تجعل له هذه الفضيلة، بخلاف العدالة، فإن كل مؤمن له قابلية حصول هذه الفضيلة، وبذلك تبين اشتراط صفة العصمة ولي الأمر الذي نصّبه الله تعالى ولياً للبشرية وأمر بإطاعته في قوله تعالى: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** وإلا لزم ان تكون اطاعة الخطأ واجبة من قبله تعالى!!.

أضف الى ذلك ان ولي الأمر لو لم يكن معصوماً، للزم من هذه الآية وجوب إطاعة الضدين، فإن الله تعالى والرسول ﷺ يأمران بالصواب، وولي الأمر غير المعصوم قد يأمر بالخطأ، وذلك خلاف ما به أمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ونجيب هنا عن سؤال قد خلد ببال كثيرين: وهو ان رسول الله ﷺ لو كان معصوماً لكان بريئاً من الذنب، فما معنى قوله تعالى: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من**

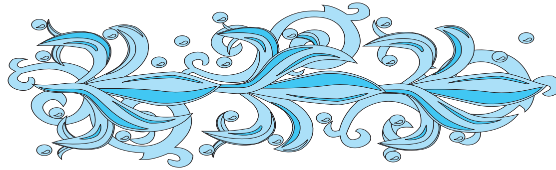
ذنبك وما تأخر﴾؟!

الجـواب: إن ذلك من قـبـيل البطاقـة البيضاء التي يعطيها الرجل الى أوثق الناس لديه، وأعـزهم عليه وأحـبـهم اليـه، ثقـة به، وقد أعطى الله تعالى ذلك لأوثق الخلق لديه وأعزهم عليه وأحبهم إليه ثقة من الله تعالى برسوله الكريم ﷺ.

وان الآية الكريمة بمثـــابة صك أبيض مـوقع بتـوقـيع الله تعـالى، أعطاه لرسـوله محمد ﷺ دلالة له على عظمة مكانته عنده وثقـته تعـالى به، ويشـهد لذلك مجيء فعل الغفـران بلفظ المضـارع لا بصيغـة الماضي الدالة على وقوع الغفـران، كـمـا يشـهـد له ايضـاً قـوله تعـالى: **﴿ومـا تأخــر﴾** على الاطلاق، من دون ذكـر قـيـد، وقـوله تعـالى عـقب هذه الآية الكريمة: **﴿وليـتم نعـمـتـه عليك﴾** وهذه المنزلة هي إتمام النعمة عليه ﷺ، وقـد وصل رسـول الله ﷺ الى هذا المقـام عند ربه تعـالى، وبلغ تلك المنزلة بعناية من الله وبإطاعـتـه له، والقـرآن الكريم مليء من أنباء ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد

والحمد لله رب العالمين



التغيير
سنة ربانية وسمة بشرية وضرورة اجتماعية

■ بقلم الشيخ محمود طالب

كثيرون اتخذوا التغيير شعاراً لهم في حملاتهم الانتخابية، على مستوى الأفراد والجماعات والأحزاب، وفي شتّى الأقطار والبلاد، وعلى كافّة المستويات، الرئاسية، البرلمانية، البلدية، الحزبية، الطلابية، ووضع كلٌّ منهم خطة له ضَمّنها مبادئه في السير عليها، وطلب من الناخبين مؤازرته وترشيحه ليحقق لهم ما وعدهم به.

فهل التغيير ضروري ومطلب شرعي واجتماعي وحضاري في حياة المسلمين؟ أم أنه ترف لا فائدة مرجوة منه؟ وإذا كان ضرورياً، فما هو التغيير المطلوب وما هي أسبابه ودوافعه ؟ وكيف يكون؟ ومتى؟ وأين؟ وما هي آثاره ونتائجه؟

إنّ التغيير سنة إلهية، وسمة بشرية، وضرورة اجتماعية كونية مستمرة لا تتوقف، نتفاعل معها في كلّ لحظة من لحظات حياتنا، مثلاً تعاقب الليل والنهار، الصيف والشتاء، الربيع والخريف، ضعف أمم وانكسارها، بسبب ظلمها وعدوانها وفسادها، وعلو أمم وانتصارها، بسبب عدلها والتزامها بمبادئها، أليست هذه سنة إلهية؟

وتغيير المأكل والملبس، والمطعم

والمسكن، وأثاث البيت والمركب، والحرف والمهن، والأحباب والأعداء، أليست هذه فطرة بشرية، وسمة إنسانية، نسعى إليها على الدوام؟ أليس التغيير تجديد حياة؟ وتغيير شخصية؟ وتغيير نفس، وراحة بال، واطمئنان حال؟.

وللتغيير أشكال كثيرة، وأنواع عديدة، على كافة الأصعدة والمستويات، في القيم والمعتقدات، والسلوك والأفعال، والحالة الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها، حتى أصبحنا نلمس تغييراً في بعض المنتوجات الحيوانية والزراعية.

وتغيير هادف مسؤول نحو الأصلح والأفضل، كوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وتغيير آخر غير مسؤول، كتقريب الأقارب، وتمكينهم من أعلى المراتب، وتغيير من أجل الجمال، لإظهار زينة مشروعة، وآخر للمباهاة والمفاخرة المذمومة، وتغيير جماعي لأجل مصلحة عامة، وآخر فردي لأجل منفعة خاصة، أخي الحبيب.. فكر في الواقع الذي تعيشه، والذي تسعى إلى تغييره، وحدد الهدف المراد منه، وطرق الوصول إليه، والخطوات الواجب اتباعها والسير عليها، ونقاط القوة والضعف التي يمكن أن تسلكها، والمفاجآت التي قد تصادفها.

فكر بالتغيير نحو الأفضل والأحسن، أقنع نفسك بجدواه، أشغل عزيمتك بمقتضاه، فأنت المسؤول عما تختاره وترضاه، ولا تفكر بالبقاء في ما أنت عليه، أو الرضا في ما هو أدنى منه، أو التغيير للأسوأ، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

إن تفكيرك بالتغيير نحو الأفضل والأحسن، دليل على طموحك للوصول إلى معالي الأمور، لتحقيق الأهداف السامية، والغايات النبيلة، والأماني العظيمة.

من نوى التغيير للأحسن وبدأ به كان في معية الله، إعانة وتثبيتاً وتأييداً ونصرة، وكان محسناً، كما أخبر ربّ العالمين بقوله: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** العنكبوت: ٦٩ .

أيها الحاكم العادل، والجندي الباسل، والداعي الحكيم، والموظف الأمين، والعامل

الوفي، والطالب الذكي، والتاجر الصادق، والمعلم الناصح، والطبيب الماهر، والمواطن الثائر، أيها الذاكر الشاكر، يا رجل الأمن الساهر، أيها الصائم القائم: إن التغيير للأفضل ليس أمراً سهلاً ميسوراً على الجميع، بل هو أمر شاقّ وصعب، والتغيير غير مستحيل، لكنه بحاجة إلى همّة عالية، ونيّة صادقة، وإرادة قوية، لا تضعف ولا تلين، إنه بحاجة إلى عزم وإصرار، وعمل دؤوب باستمرار، بعدها يشعر الفرد بحلاوة تغييره، ويسعد المجتمع بلذة إنجازه، ويشعر بقيمته وكيانه.

ودواعي التغيير ومتطلباته كثيرة، منها: الشعور بالحاجة إلى التغيير والدعوة إليه، ووجود المطالبين به، والطموح للأفضل، وترك اللامبالاة والإحباط، والتغلب على الهزيمة النفسية والأنانية، والعنصرية والتقليد، وتجنب الصراع المذهبي والفكري، والبدء بالتغيير بنفسك، وعدم انتظار غيرك للقيام به، واختيار الوقت المناسب، ومعرفة التغيير المطلوب، والمعوقات.

إن قوة التغيير تبعٌ لقوة الإرادة، الكامنة في أعماق النفوس الأبيّة، التي ليست بحاجة إلى من يوقظها، إنها قوة تدفع بصاحبها إلى مدارج الرقي والسمو.

وقد يحصل التغيير دفعة واحدة، كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام، ففي قصة إيمان سحرة فرعون، تغييرات عديدة:

أولها: السحرة الذين طمعوا بالفوز والغلبة، وهتفوا بعزة فرعون، للحصول على الأموال الطائلة، والقرب من فرعون، ينتقلون بمجرد رؤية المعجزة من الكفر إلى الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع، زاهدين فيما وعدهم به فرعون، وغير مبالين بما توعدهم به، إنه تغيير إيجابي رائع.

ثانيها: فرعون الذي وعد السحرة بالعطايا والمنح، والقرب منه في مجلسه، ينقلب عليهم بعد دقائق معدودة، واصفاً إياهم بالمكر والخديعة، ويتوعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب على جذوع الشجر لمزيد من الإهانة والذل، إنه تغيير سلبي وقع من سيء إلى أسوأ.

ثالثها: الطغمة الفاسدة من قوم فرعون التي أحاطت به، وهيجته على اللحاق بموسى والفئة المؤمنة القليلة، للقضاء

عليهم، لئلا يعظم أمرهم. وتفاصيل هذه القصة بينها الله تعالى في سور الأعراف وطه والشعراء.

وقد يحصل التغيير تدريجياً، تبعاً لقوة الإيمان والإرادة لما يدعو إليه، كما حصل في قضية تحريم الخمر، واستمرار سيدنا محمد ﷺ بالدعوة حتى كثر أصحابه المؤمنون به، فكانت لهم فيما بعد قوة التغيير.

ويقاس نجاح التغيير بما ينعكس على سلوك أفراده من أعمال، وبما حققه من نتائج وآثار، إنّ الدعوة إلى التغيير في وسائل الإعلام المقروءة، والمشاهدَة، والمسموعة، من خلال الكتب والمحاضرات والندوات، وخطب الجمعة، كلها جيدة إلا أنها صرخة في وادٍ إذا لم يتبعها عمل هادف، وإرادة قوية نابعة من نفس أبية، ومحور التغيير هي النفس وردعها عن شهواتها الآثمة، من هنا ينبع التغيير الحقيقي المطلوب ويبتدئ، وهي الخطوة الأولى والأهم في التغيير، نبدأ بالاعتراف بوجود مشكلة، وتقصيرنا في جانبها، وشعورنا بالحاجة إلى التغيير، ونحن قادرون على ذلك، ولسنا من المتخاذلين.

هذا أمر ضروري لمن أراد التغيير، لأن معظم الناس لا يُدركون ما هم عليه من تقصير، أو يتخاذلون في معالجته، ويعتبرون أن التفكير فيه أو العمل به، يقلل من شأنهم ومكانتهم أو يصفهم بالضعف وعدم الكفاءة، وهذا فهم خاطئ.

والإسلام قرر مبدأ التغيير في حياة الفرد والمجتمع نحو الأفضل والأحسن، من الجهل إلى العلم، ومن الذلة إلى العزة، ومن النقمة إلى النعمة، وجعله مبنياً على قوة إرادة الإنسان في تغيير ما في نفسه، ولن يتغير حال مجتمع، إلا إذا غيروا نواياهم وما في أنفسهم، ساعتها يُغير الله واقع عيشهم ومجريات حياتهم، ويوكل ملائكة تحفظهم، وهو القائل جلّ جلاله : **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** الرعد: ١١.

وكل آيات القرآن العظيم، التي تحث على التوبة والإصلاح وإعداد القوة، هي في

الواقع تدعو إلى التغيير للأفضل والأحسن.

وهذه الآيات العظيمة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❖ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ❖ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ❖ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ❖ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ❖ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ❖ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الزمر: ٥٣-٦١.

إنها دعوةٌ إلى التوبة، إلى التغيير، إلى عدم القنوط من رحمة الله، فمن تاب، تاب الله عليه، ومن غيّر، غيّر الله عليه، وفتح له أبواب رحمته، وعزته، وقدرته الواسعة المشرّعة على مصارعها، التي لا يقف أمامها ولا خلفها حاجبٌ ولا حارس يمنع من أراد التوبة أو سعى للتغيير من الدخول.

هذه دعوة من العليم الخبير الرؤوف الرحيم، الذي يمهل ولا يُهمل، العالم بضعف وعجز النفوس، وما يعتريها من إغراءات وشهوات، وما يقع عليها من ضغوط، وما يمنيهم الشيطان به ويعدهم، فلا يقنّطهم الله من رحمته، ولا ييئسهم من كرمه، فليس بين المذنب أو المسرف أو المتقاعس، وبين الجنة إلا التوبة والتغيير للأفضل والأحسن.

وقد رُوي فيما مضى أن رجلاً أطاع ربه عشرين عاماً، ثم عصاه أخرى، ثم وقف مضطرباً متحيراً، فسمع نداءً يقول له : **«يا عبدنا أطعتنا فأكرمناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك».**

وفي هذه الدعوة حثٌّ على الإسراع والمبادرة بالتوبة، والتغيير دون تأخير أو تسويف، فلا يدري المرء هل يطول به العمر وتبقى الفرصة سانحة للتغيير، أم

يحول بينه وبين التغيير شيء، فيندم على التسويف وعدم التغيير، ويلقي المعاذير الواهية، أو يتمنى العودة من جديد للتوبة والتغيير .

وفي الختام، يعقد الله مقارنة بين من تاب وغيّر وتزكى، وما له من أجر عظيم، وفضل كبير، وما أعده الله من جنات النعيم، والمقام الكريم، والسعادة التي لا ينغصها شيء للتائبين والمُغيرين.

بينما نرى الذين أصروا على الذنوب ولم يبدلوا أو يتوبوا، وجوههم مسودة كالحة، يعتريهم الذّل والخزي، إضافة إلى ما ينتظرهم من عذاب أليم .

والتغيير لا ينبغي أن ينحصر بفرد واحد أو مجموعة معينة، بل يجب أن يكون شاملاً لنفوس أفراد الأمة كلها، كما دلّ عليه قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾**، وكلمة قوم تشمل جميع أفراد الأمة كما هو معلوم.

فإذا تغيرت النفوس، اندفعت إلى ما تصبو إليه بهمة وعزيمة قوية، وحققت ما تريد، قال الشاعر:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر

والكافر الذي لا يريد أن يتحول، لا يعذبه الله إلا بعد إقامة الحجة عليه، لقوله تعالى: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** الإسراء: ١٥ .

فقوم فرعون كانوا كفرة ابتداءً، ومع ذلك لم يعذبهم الله حينها، بل أنعم عليهم بنعمه، ورزقهم من فضله، ومكنهم في الأرض، وجعلهم خلائف فيها، بعد ذلك كله، أرسل إليهم رسولاً مؤيداً بالبينات، وحضهم على فعل الخيرات، وترك المنكرات، والإيمان بالله تعالى وشكره، إلا أنهم ازدادوا كفراً وفجوراً، ولم يشكروا أو يحمدوا، بل طغوا وبغوا، فأخذهم الله بظلمهم، لأن نفوسهم تغيرت للأسوأ، قال تعالى : **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ**

﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال: ٥٢-٥٣ .

والله عادلٌ في ثوابه وعقابه، فلا يسلب نعمة أنعمها على قوم، إلا بعد أن يجحدوها، ويكفروها نية وعملاً.

فالتغيير تبع للنية، والسلوك والعمل، وإن الذين بدّلوا نعمة الله عليهم كفراً وأحلوا قومهم دار البوار، سيكون عقابهم من جنس عملهم يوم القيامة، كما يتضح في قوله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ النساء: ٥٦ .

فغيروا ما في أنفسكم للأحسن والأفضل، تأمنوا من أن تتغير جلودكم لمزيد من العذاب، والجلد مركز الإحساس، من هنا قال تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لبيان شدة العذاب واستمراره.

وكل إنسان قادر على التغيير، إذا وُجدت لديه الإرادة والعزم والتصميم، وخير دليل هو التغيير الحاصل في شهر رمضان المبارك، كالامتناع عن الشراب والطعام والجماع إلا في أوقات محددة، وزيادة الإنفاق فيه على الفقراء والمحتاجين، وصلة الأرحام، وتلاوة القرآن، والقيام ليلاً، ولا تتسوا ما كان عليه العرب قبل الإسلام من حروب واختلاف وفرقة، وارتكاب للموبقات والآثام، ثم تغيرت حالهم إلى الوحدة والقوة، والعز والنصر، وفعل الطاعات، حتى أصبحوا سادة وقادة، وحكماء وعلماء للأمم والشعوب، بعد أن كانوا ضعفاء جُهلاء، يطمع فيهم القوي والضعيف.

وإذا لم يستطع المرء أن يقوم بالتغيير بنفسه، فلا بأس أن يستعين بمن يثق به ويساعده على التغيير، إذا كان قادراً عليه، ولم يكن لديه مطامع استعمارية يسعى إلى تحقيقها، إلا نشر العدل ورفع الظلم، كما فعل أهل السدين الضعفاء حينما استعانوا بالملك الصالح ذي القرنين على يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ❖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف ٩٤- ٩٥ .

ابدأ بالتغيير بنفسك، واعرف مشكلتك لوحدك، وفكر في حلها، وتخلى عن الأعذار الواهية، واشغل فكرك وعقلك بحلها، وكن متفائلاً لا متشائماً، وتمسك بالقيم العليا، ولا تلتفت إلى صغائر الدنيا، ولا تنتظر أن يغير غيرك قبلك، ابدأ بنفسك وساعد من حولك ولا تتوقع المساعدة منهم، قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

إن التغيير يسرع في بناء المسلم المستقيم الفاعل، وبناء المجتمع والأمة، وينمي المشاريع التي تعود على العباد والبلاد بالخير العميم، ويبرز طاقات مميزة ومواهب فاعلة في خدمة الأمة، ويقضي على مشاكل عصيّة، وعادات وتقاليد خاطئة، أما عدمه فيؤدي إلى الركود والاحتقان، كترك الماء في بركة محصورة دون تغيير الماء فيها، ساعتها تنمو فيه الطحالب والفطريات، أما تغييره فيجدد فيها الصفاء والحياة.

إن التغيير الشامل المطلوب في حياة المسلمين واجب أساسي، وحتمية لا مفرّ منها في جميع الميادين، حتى يعود الدم الإسلامي جديداً نقياً صافياً، يغذي أجزاء الجسم الواحد، ويجدد فيهم نشاطهم وحيويتهم ويعيد إليهم مجدهم وعزتهم.

تغيير شامل يعتمد على الذات، على نفس المسلم، ساعتها يسعى بخطى ثابتة، حاملاً عقيدة راسخة، وعلماً وفكراً يهدي به إلى الحق، ومنهاجاً تطبيقياً تسعد البشرية به، ويخلصها من ألم المعاناة، ويحقق لأنفسهم ولمجتمعهم الخير والسعادة، والعزة والرفعة، ليكون بحق مسلماً، في إيمانه ووجدانه، وتصوره واعتقاده، وقوله وفعله، وفكره ومنهجه، يؤجج فيه القدرة الفاعلة، والطاقة المتجددة، ويدفع إلى مزيد من الإبداع والعطاء، ويوظفه بكل طاقاته أينما كان موقعه إلى عمل الخير.

إن معرفة المسلم لحقيقة إسلامه ومتطلباته، هي الدعامة الأساس التي لا مفر منها للخروج من دوامة الصراعات والتناقضات، ومن حالة التيه والتردي، أمم

كثيرة ضلت وكبت، إلا أنها أفاقت من غفلتها، فغيرت نفسها وعادت إلى سابق عزها ومجدها، وتاريخ الأمة الإسلامية يشهد بذلك، وهو حافل بكثير من الدروس والعبر، كما أن كثيراً من الأشخاص غيّروا وبدّلوا فحققوا مكانة مرموقة، ومنزلة سامية في المجتمع.

إن الدعوة إلى التغيير هي رسالة رسل الله أجمعين، ولا يقوم بالتغيير إلا أولو الهمم العالية، والعزائم القوية، فقد يصادف الداعي إلى التغيير، فساداً مستشرياً، ويصطدم بجبارين متغطرسين، ويواجه أهواءً فاسدة، وشهوات جامحة، وأناساً لا حول لهم ولا قوة، ولكنه لا يستسلم، بل يزداد إصراراً على التغيير والتبديل.

وإن سعة الرزق والعلو في الأرض، لا تدل على رضا الله، كما أن ضيق العيش، ووقوع القهر والظلم، لا يدل على غضب الله أو سخطه.

ومن أجل التغيير نحو الأفضل والأحسن، أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب السماوية، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور - من الظلم والقهر إلى العدل والإنصاف، ومن القسوة والشدة إلى الرأفة والرحمة، ومن الفرقة والضعف إلى القوة والوحدة -.

ورسول الله محمد ﷺ الذي غيّر مجتمعاً جاهلياً، غير معتقداتهم وأخلاقهم حتى الأسماء القبيحة غيّرها لأسماء جميلة، وأوصى بقوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» مسلم جـ١ ص٢٩٧ .

والتغيير باليد للحاكم في رعيته، ومن أوكله، ولرب الأسرة مع أهله وأولاده، أما التغيير باللسان فهو للعلماء والدعاة والمعلمين، أما المرحلة الثالثة فهي الدعاء بالقلب لإصلاح ما فسد، وهذه لمن لا يقدر على التغيير باليد أو اللسان، وهذه المراحل تعني ألا يقف المسلم أمام المنكرات موقفاً صامتاً سلبياً، كأنه راض بها.

ومجالات التغيير واسعة كثيرة، الإقلاع عن الكذب إلى الصدق تغيير للأفضل والأحسن، ترك التسول والنهوض للعمل تغيير إيجابي، واجتناب المنكرات والسيئات وفعل الخيرات والحسنات تغيير رائع حسن، وزيادة الطاعات والقربات تغيير من حسن إلى أحسن.

العولمة وأثرها على الأمن النفسي للفرد والمجتمع

■ الدكتور محمد سليمان بني خالد

ظهر مفهوم العولمة في الربع الأخير من القرن العشرين، وكان الرائد في الدعوة إلى العولمة أمريكا وأوروبا ومن دار في فلكهما؛ حيث ارتبط المفهوم بالدعوة إلى الحرية، والديمقراطية والاقتصاد الحر، وحقوق الإنسان، والمرأة، والطفل، وتقارب الحضارات، ولعل الأمم والشعوب اختلفت في قراءة هذا المفهوم وما انبثق عنه من اتجاهات وأفكار؛ فكانوا بين مؤيد بالمطلق، أو رافض بالمطلق، وهناك من جاء بين الرأيين.

وما زال الموقف من العولمة بين أخذ ورد، أو قبول ورفض على مستوى المفكرين، أو الباحثين، أو الأمم والشعوب، وكل له مسوغاته ومبرراته سواء اقتنع بها الآخرون، أم لم يقتنعوا. ويجب الإيمان بأن العولمة - ومنذ ظهورها- قد أثرت في المجتمعات على مستوى الدول، أو الأفراد سواء على المستوى الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الأخلاقي، أو السياسي، أو النفسي.

ولقد ظهرت الكثير من الدراسات في العالم الغربي والعربي، التي درست آثار العولمة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً في الدول والمجتمعات الإنسانية، لكن قلما وجدت دراسة تبحث في آثارها النفسية على الفرد والجماعة، خاصة إذا رأينا أن دولاً تعاني وما زالت تعاني من العولمة؛ حيث القلق الدائم، وعدم الشعور بالأمن سواء على مستوى القيادة، أو الشعوب.



ولكن لا بد من الإشارة إلى أن تعرض النظام القيمي، والاجتماعي والاقتصادي لرياح العولمة -خاصة في الجانب السلبي- سيؤثر على أمن النفس وشعورها بالاطمئنان نحو رياح التغيير غير المألوفة؛ وبذلك فإن المجتمع الذي يحمل معرفة تابعة لمجتمع المعرفة العالمي، ليس هو أمام خيار العلم والجهل، وإنما أمام مشروع لتبعية جديدة يراد لنا أن نذهب إليها بأقدامنا ونحن نظن أننا نخرج من الجهل إلى المعرفة.

لقد استأثرت العولمة اهتمام المفكرين والتربويين، وعلماء النفس والاجتماع، وقد انقسمت الآراء وتناقضت إزاءها، بما قد يترتب بسببها من آثار تشمل العمل، وتنظيم الحياة، والزمن؛ مما يؤثر في حياة الناس بغض النظر عن الجغرافيا، أو العرق، أو اللغة، خاصة أن التفاعلات العالمية المصاحبة لها، قد أصبحت وقائع فعلية وملموسة على أرض الواقع؛ وذلك يتطلب البحث الجاد في كيفية التعامل معها بتفكير نقدي، يعتمد على استراتيجيات وخطوات واضحة المعالم، وبالتالي نضمن وصولاً آمناً، وتفاعلاً إيجابياً مع العولمة، خاصة بما تحمله من مظاهر تتعلق بالمعرفة والتطور.

وهناك الكثير من الهواجس والشكوك بشأن مستقبل الثقافة العربية في ظل عصر العولمة؛ ولذلك لا بد من بذل الجهود للحفاظ على الثقافة العربية في ظل هذا التيار الجارف سواء على المستوى الإعلامي، أو الفكري، ولا يكون ذلك إلا من خلال القيام بإجراءات، ومنها تحسين حالة حقوق الإنسان، وبث روح الشورى والديمقراطية، والاهتمام بحقوق المرأة، وخلاصة ذلك بث الوعي بأدوات التعامل الناجع مع العولمة الثقافية.

وقد تحدث الكثيرون عن مخاطر العولمة سواء أكان ذلك في المجال الثقافي، أو الاقتصادي، أو الأمني، أو ما يتعلق بالهوية، وأنماط العيش، والقيم، ولعل أخطرها المتعلق بالثقافة، وفقدان الهوية، وتهديد المنظومة القيمية للمجتمع. (عليون، ١٩٩٨). **بل إن العولمة جاءت بقائمة من الاضطرابات والأمراض النفسية، التي انتشرت في ثقافات بعينها، حتى أننا لا نجد لها أثراً في ثقافات أخرى، ومن هذه الاضطرابات:**

- **تناذر أموك:** اضطرابات المجنون الراكض، ويمتاز صاحبه بنوبات عدوانية تؤدي إلى الفتك بالآخرين، وقتلهم قبل

أن ينهك المريض نتيجة الركض والعراك.

- **تناذر كورو:** ويصاب صاحبه بالذعر، والخوف الحاد والمفاجئ من الموت.

- **تناذر لانا:** ويصيب السيدات في أواسط العمر، وتظهر المريضة في حالة من التفكك الفكري؛ بحيث تخضع لأي أمر يوجه إليها، وكأنها واقعة تحت التنويم المغناطيسي.

- **تناذر فريغو:** وهو خوف غير مبرر من الرياح.

- **تناذر دهات:** حالة من الخوف الشديد يترافق مع مظاهر جسدية عصبية.

وبسبب الاضطرابات الناجمة عن العولمة على مستوى الفرد، أو المجموعة نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً؛ فلا بد من المواجهة البناءة بأخذ المفيد وترك الضار؛ ولذلك فإن المطلوب من الأسرة والمدرسة بذل الجهد لحماية الأمن الثقافي للفرد والمجتمع؛ بما يحقق الأمن النفسي، والتوازن المعرفي. (الجابري، ١٩٩٨). ولربما الحديث عن حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والمساواة، وقضايا التنمية البشرية والاقتصادية **يقصد منه إثارة البلبلة والفتنة، والأزمات الداخلية، وانفصام الهوية سواء على مستوى الفرد، أو المجتمع، أو الدولة؛ مما تسبب في زرع الخوف، وبث التفرقة، واحترام الأمن النفسي لدى الأفراد والجماعات، وبالتالي تتحقق أهداف كان يخطط لها بالظلام.**

والحقيقة أن العولمة تؤدي إما إلى الثراء الفاحش، أو الفقر المدقع، وقد أشارت دراسات بأن النظام الاقتصادي المعتمد على العولمة سيؤمن ٢٠٪ من البشر الحصول للعيش برغد وسلام في القرن الحادي والعشرين، أما الباقي فلن يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان، والتبرعات، والأعمال الخيرية.

ومن الآثار السلبية للعولمة الخلل في توزيع الثروة بين دول وشعوب العالم كافة؛ حيث كشف تقرير بريطاني عن النمو العالمي بأن الأموال التي يملكها (٣) أغنياء في أمريكا تزيد عن ميزانية (٤٨) دولة فقيرة، وأن ربع بالمائة من أموال (٢٢٥) غنياً قادرة على تأمين الغذاء، والماء والصحة، والتعليم لسكان الأرض جميعا.

ومن المهم الإشارة إلى آثار العولمة على الأمن سواء الأمن الفردي، أو الجماعي أو حتى على مستوى الدولة، فالهيمنة الثقافية، والاقتصادية تعني بالضرورة

حدوث تغيرات اجتماعية ونفسية؛ وذلك يؤثر على منظومة القيم، ويهدد التلاحم والترابط المجتمعي، ويعمل على اضطراب الطمأنينة بين أفراده في كل الأبعاد سواء أكانت ثقافية، أم اجتماعية، **فمجرد شعور الفرد بهيمنة الآخرين وسيطرتهم عليه؛ سيحس بعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي.**

وقد تؤدي التنشئة العالمية إلى وجود نوع من الانتماء الخارجي؛ وذلك على حساب الولاء والانتماء الوطني؛ وهذا سيؤثر بدرجة كبيرة على وحدة المجتمع وتماسكه واستقراره.

ومن آثار العولمة أنها تزيد التباعد الاجتماعي، والتفاوت الاقتصادي، والتباين المعرفي. وهذه عوامل تساعد على احتدام الصراع، وتمزق المجتمع، وتضعف الروابط، وتؤدي إلى إثارة المشكلات، والاضطرابات النفسية.

وأشار زايجومنت باومن إلى العواقب الثقافية للتحولات السياسية، والاقتصادية للعولمة، بما تؤثره في التجربة الإنسانية من صراع ومعاناة، وخوف وقلق، وتذبذب في الرأي، وعدم رضا بالواقع، وذلك ما أوضحه فرويد عندما اعتبر المتاعب النفسية وآلامها في عصر الحضارة الحديثة، نتيجة لمبادلة جزء كبير من الحرية الشخصية في سبيل تحقيق الأمن المضمون جماعياً، أما في عصر ما بعد الحداثة فإن الاتجاه المعاكس هو السائد، حيث النزعة في مبادلة قدر كبير من الأمن مقابل إزالة المعوقات التي تزول دون الاختيار الحر؛ مما يولد مشاعر القلق والخوف، وعدم الاتزان النفسي، والشعور بالإحباط والفشل، وعدم القدرة على المواجهة.

ومن الجدير ذكره أن الجامعات العربية تعاني من أزمة، ولعل ذلك يعود إلى وقوع هذه الجامعات تحت تأثير قوى خارجية؛ حيث ساهمت العولمة في تحويلها من مؤسسات أكاديمية إلى مؤسسات مهنية، تهتم بالجانب التقني والعملي على حساب الجانب العلمي والنظري؛ بمعنى هناك اختراق سياسي وأيديولوجي جعل الجامعات العربية مهيأة للوقوع تحت طائلة العولمة، وتأثيراتها المختلفة؛ وذلك حتما ينعكس على أداء الطلبة، وطرق تفكيرهم، وقدراتهم في مواجهة المشكلات، وحلها.



وتشير وقائع الحياة اليومية إلى زيادة تبني الشباب العربي كثيراً من الأفكار والقيم الوافدة من الخارج دون تحليل، أو نقد، كما أن هناك زيادة في مظاهر الانحراف عن قيم المجتمع، وعاداته وتقاليده، وأخلاقياته، كما أن طائفة من الشباب هي في حالة من الصراع، وعدم التوازن بين ما تشاهده في الفضائيات، وشبكات الانترنت، وما يتحلون به من قيم، وسلوكات اجتماعية، وأخلاقية؛ وذلك له تبعاته على النفس الإنسانية، وما يجب أن تتسم به من أمن وأمان، وطمأنينة وسلام..

ولعل بعض الشباب العربي يحمل صورة مشوهة ومتناقضة، وربما يعود ذلك إلى أساليب التربية، وضعف استقلالية التفكير، والتناقض الاجتماعي، وعدم التوافق مع البيئة، واليأس، والإحباط من الحاضر والمستقبل؛ أي أن الشباب العربي يمر بحالة من الاضطراب النفسي، وعدم الشعور بالأمن؛ نتيجة للمتغيرات في العصر الحالي، وخاصة فيما يتعلق بالإعلام المرئي، وهذا يتطلب التوجيه المستمر، وبذل كل جهد إعلامي مستطاع من أجل التصحيح والتقويم، وتحقيق الحاجات والرغبات، واحترام الإرادة؛ للوصول بالفرد إلى حالة من الاستقرار، والشعور بالأمن.

إن الثقافة العربية والهوية الوطنية تتعرض للخطر بفعل ظاهرة العولمة، وهذه الخطورة لا تتأتى عن الهيمنة الثقافية، بقدر ما تأتي من الانعكاسات و ردود الأفعال التي تصاحب العولمة، فالعولمة ظاهرة تتجاوز الوطن والأمة، وتعمل على إضعافها؛ وذلك قد يؤدي إلى النكوص نحو القبلية والطائفية، والتعصب المذهبي؛ مما سيؤدي حتماً إلى تمزيق المجتمع، والقضاء على هويته، وبث الفوضى والاضطراب؛ حيث ينعدم الأمن والطمأنينة سواء على مستوى الفرد، أو الجماعة.

وبالتالي فإن الناس إما مؤيد للعولمة، أو رافض لها أو واقع بينهما، فالمؤيد يرى بالعولمة ظاهرة إنسانية إيجابية، تجعل العالم كقرية واحدة، تسمح بحرية التقليد، والتواصل مع الآخر بغض النظر عن اللون والجنس والعقيدة، وتعمل على تحقيق الديمقراطية، والرفاهية الاجتماعية، واحترام حقوق الإنسان، والتعايش السلمي (العراقي، ١٩٩٨). بينما يرى المعارضون للعولمة بأنها صورة من الاستعمار، وابتلاع مقدرات العالم، وتهديد الثقافة، والهوية

الوطنية (الفقي، ١٩٩٩). والبعض الآخر يرى بأنه كما للعولمة سلبيات فإن لها إيجابيات، وعلينا التعامل معها بمرونة؛ بما يحقق إيجابياتها ويتجاوز سلبياتها.

ومما سرع في الاتجاه نحو العولمة، هذه الإنجازات الهائلة التي حدثت في الربع الأخير من القرن العشرين، وذلك في مجال الاتصالات، والمعلومات، والإنترنت، والبحوث في مجال الاستنساخ والتجارة الالكترونية، وأسواق المال، واقتصاد المعرفة، ونشاط الشركات المتعددة الجنسيات، ومؤسسات التمويل الدولي، وعمليات التكامل الاقتصادي، وتحرير التجارة العالمية، وإلغاء العوائق الجمركية.

ويؤكد مور، بأن المجتمع الغربي هو النموذج المثالي الذي سوف تصل إليه الدول النامية في مسيرتها التنموية، ولا يمكن التطور إلا من خلال الأخذ بنمط الثقافة الغربية في المجالات المادية والفكرية.

ولذلك -وحتى يتم الاندماج في العولمة- فلا بد من إجادة اللغة الأجنبية، والتكيف مع أنماط وطرق تفكير المجتمع الغربي، واكتساب المهارات والاتجاهات المرتبطة بها كتعلم الحاسوب، وتصميم البرامج، والعمل في شبكة الانترنت؛ **أي الاندماج في المنظومة الثقافية الغربية، والتعامل معها.**

ويعتبر البعض بأن ظاهرة العولمة حقيقة واقعة، وأنه لا بد من التعامل معها من تهيئة الظروف التربوية السليمة لمواجهتها، وما تفرزه من تحديات، ومعطيات كالعنف، وتعزيز الفردية، والأنانية، والتهاون مع القيم، والأخلاق، وتشجيع الاستهلاك، والكماليات.

فهي تسعى (العولمة) إلى خلق نوع من التشابه والتجانس في الثقافات، وأنماط التفكير، ونماذج الاستهلاك البشري بغض النظر عن التباعد الجغرافي أو المادي، كما تسهم في التحرر من القيود الاجتماعية، والتمركز حول الذات، والعمل على إشباع الرغبات غير المحدودة، وهذا قد يسهم في تفاقم المشكلات الاجتماعية، والتمرد على أمراض المجتمع وقيمه، ويضعف الانتماء والارتباط بالمجتمع وثقافته، مما يؤدي إلى الشعور بالغربة عن المجتمع الذي يعيش فيه، وعن نبذ المجتمع لهذا الفرد بسلوكه، وأسلوب حياته؛ مما يقود إلى الاضطراب، والوقوع في المشكلات النفسية المعقدة.

ولا بد من الإشارة إلى أن العولمة لا تعتبر مرادفاً للثورة العلمية، والتقدم التكنولوجي الذي يشهدها العالم في العصر الحديث، مع أن التقدم العلمي السريع، والنهضة التكنولوجية المتسارعة في مجال الاتصالات، والالكترونيات، والذكاء الصناعي ظهرت متزامنة مع عصر العولمة.

فالعولمة تعمل على اختراق جدران الهويات المغلقة، وترسخ مفهوم الإنسان العالمي، ومواطن الانترنت، الذي يتصف بكونه متحررا من انتماءاته اللغوية، والثقافية، والدينية؛ فالإنسان أصبح يجول عبر العالم من خلال الشبكات الالكترونية، وكأن العالم بين يديه.

وهناك فرق بين العولمة والعالمية، وتعني العولمة الهيمنة؛ أي قمع وإقصاء للخصوصية، والذاتية معاً، فهي احتواء للعالم. أما العالمية فهي الطموح إلى الارتقاء بالخصوصية إلى المستوى العالمي والانفتاح إلى كل ما هو كوني وعالمي.

وتواجه التربية في عصر العولمة تحديات ومصاعب كبيرة في توجيه النشء وإرشادهم، فبعد أن كانت تقتصر على الأسرة والمدرسة، دخلت عوامل جديدة بسبب المحطات الفضائية، والاتصالات والانترنت؛ مما سيهدد الشخصية، والهوية الذاتية، والقيم، والاتجاهات، والعادات الموروثة.

ففي زمن العولمة يجب أن نعمل التفكير والعقل، بحيث نأخذ المفيد الذي يعزز بناء المجتمع، ونرفض الضار الذي يدمر المجتمع، وهذا يعني عدم الانكفاء للخلف، أو الجمود في المكان والزمان، وعدم النظر إلى المستقبل المشرق؛ وإلا سنقع في أزمة عدم الثقة، والتخبط والانفلات غير الواعي.

المراجع:

- غرايبة، منير (٢٠٠٤). تنمية إنسانية أم عولمة، ط١، دار الطليعة، بيروت.

- الأزعر، محمد (٢٠٠٢). التكامل الثقافي العربي في عصر العولمة، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ص٣٨٩.

- كيكسو، وداد (٢٠٠٢). العولمة والتنمية الاقتصادية: نشأتها ، تأثيرها، تطورها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٦٣.

- أمين، جلال (١٩٨٨). العولمة والدولة، المستقبل

العربي، العدد (٢٢٨).

- حرب، علي (١٩٨٨). الثقافة والعولمة، العدد ١٥٩.

- غليون، برهان .(١٩٩٨). العولمة وأوهام المجتمع المعلوماتي. شؤون الأوسط، العدد ٧٧، ص٥٠.

- الجابري، محمد (١٩٩٨). المستقبل العربي، العدد ٣.

- أبو حلاوة، كريم (٢٠٠١). الآثار الثقافية للعولمة: حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة، دار الفكر، ٢٩(٣) ص ١٧١-٢٠٢.

- أبو هيف، عبد الله (٢٠٠٥). الحرية والمجتمع المدني والعولمة، شؤون عربية، (١٢٢)، ص ١٢٩-١٣٩.

- الجابري، محمد (١٩٩٨). العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربي، ٢٠ (٢٢٨)، ص ١٤-٢٢.

- أحمد، مهيوب (٢٠٠٠). العرب والعولمة، مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل، ١ (٢٥٦)، ص ٥٨-٧٠.

- البيتاتي، ياس (٢٠٠٥). الإعلام العربي وتحديات العولمة، شؤون عربية، ١(١٢١) ص١٣٤-١٥٩.

- العدوي، مصطفى (٢٠٠٠). فخ العولمة، الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية (مترجم) هانس، بيترمان وشومان، هارولد، المستقبل العربي، ١(٢٦١)، ص ٢٠٠-٢٠٦.

- كارتون، مايكل وطويل، صبحي (١٩٩٧). مدخل إلى الملف المفتوح. مستقبليات، عدد (١) ٢١-٢٧.

- أمين، جلال (١٩٩٨). العولمة والدولة، المستقبل العربي، عدد ٢٢٨، ص ٢٣-٣٦.

- العامري، عصام (١٩٩٨). مكانة الدولة ومستقبلها في خضم عصر المعلوماتية، العدد ٧٧.

- ثابت، أحمد (١٩٩٩). العولمة والخيارات المستقبلية، المستقبل العربي، ٢٤٠، ص٨-٢٢.

- عبد الله، حميد (٢٠٠٣). الدولة والعولمة والجامعة: الأبعاد السياسية والاقتصادية لأزمة الجامعة العربية المعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية، (٤٢)، ص ٤٥-٧٥.

- خضور، يوسف (٢٠٠٤). العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، ٢٦ (١٠)، ص ٢٦٧-٣٠٦.

- المهدي، مجدي (٢٠٠١). المصاحبات الثقافية لظاهرة العولمة وانعكاساتها في الواقع التربوي العربي، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، جامعة حلوان ٧(١). ص٤٢-٦٣.

- العراقي، عاطف (١٩٩٨). التنوير وثقافة العولمة، مؤتمر العولمة وثقافة العولمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

- الفقي، إسماعيل (١٩٩٩). إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء، مؤتمر العولمة ومناهج التعليم، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة.

- بلقزيز، عبد الإله (٢٠٠٢). العولمة والممانعة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا.

- خضور، يوسف (٢٠٠٥). المثقفون العرب بين العولمة والهوية، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية (٢٧)، ص ١٨٩-٢١١.

- زكريا، فؤاد (١٩٨٥). خطاب إلى العقل العربي، الكويت، ص٤٣-٤٨ .

سلسلة الأمراء من الهاشميين

الشريف عبد الله ابن حسن بن أبي نمي الثاني

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

عميد كلية الأمير الحسن للعلوم الاسلامية

الشريف عبد الله بن الحسن بن أبي نمي الثاني، شريف حسني، لا يعرف تاريخ ولادته لكنه على الأرجح ولد بعد عام ٩٤٧ هجرية؛ لأن والده الحسن ولد عام ٩٣٢ هجرية، وهو ضمن خمسة وعشرين ذكراً، ولا يعرف ترتيبه بين إخوته.

وهو جد العبادلة -جمع عبدالله- من أشرف الحجاز، ومن عقبه الشريف عون-، قال زيني دحلان: (-هو جدّ ساداتنا آل عون أمراء مكة حالاً إلى آخر الدوران، اجتمع السادة الأشراف واتفقوا على تولية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي، وهذا الشريف عبد الله هو جدّ سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة، فإنه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله ابن حسن بن أبي نمي).

من أمراء مكة، وليها سنة ١٠٤٠ هـ، بعد أخيه مسعود، وهو إذ ذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الأشراف وأمراء السلطان، وكان ممتنعاً من الولاية، وتخلّف عن جنازة الشريف مسعود لذلك، فألزموه

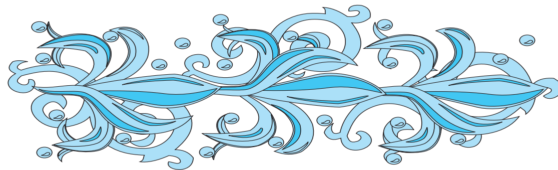


بذلك ؛ وقد ذكره العصامي في كتابه (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) فقال: (ولي مكة الشريف عبد الله ابن حسن، أكبر آل أبي نمي -إذ ذاك- ملوك البلد الحرام، ومدينة جدهم عليه أفضل الصلاة والسلام، دعاه قاضي مكة، وشيخ حرمها، فحضر ومعه من أولاده السيد محمد والسيد حسين، فامتنع من قبول ذلك أول الأمر، فألزموه بذلك حقناً لدماء العالم، وما زالوا به حتى رضي، فألبسه الأمير القفطان، وحصل بولايته الأمن والأمان).

اشتهر بعمارة المسجد الحرام؛ إذ في سنة ١٠٣٩هـ وفي عهد الشريف مسعود بالتحديد كان قد سقط البيت العتيق، وسببه أنه وقع مطر شديد، ودخل السيل المسجد، وغرق فيه نحو ألف إنسان ، فلما ولي الشريف عبدالله حضر بالحطيم ومعه السادة الأشراف، والعلماء فدار بينهم الكلام في إقامة جدران الكعبة، فاتفقوا على الإشراف على ذلك، ونصب المهندسون الميزان في الجدار اليماني، واتفقوا على إتمام هدمه، رفع سؤال إلى علماء مكة؛ هل يجوز هدم الجدار اليماني إذا شهد المهندسون بوهنه وسقوطه إن لم يهدم؟ فأجابوا بالجواز، فاعتمد الولاة على ذلك، وشرع المهندسون في هدم بقية الجدران، وكان ابتداء الهدم في يوم العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وألف، ثم لم يزالوا كذلك إلى أن أتموا الهدم، وشرعوا في البناء، وحضر في أثناء العمارة الشريف عبد الله، وحمل مكتلاً، وفعل فعله جماعة من الحاضرين، فلما أن كان غرة شعبان من السنة المذكورة سنة أربعين وألف رفعت الأستار التي حول البيت الشريف، وتكامل بناء الجدران كلها، وفي ثالث شعبان يوم الخميس رُكّب الميزاب، وبعد النصف من شعبان شرعوا في تنظيف الكعبة المشرفة، وفي يوم الجمعة غرة شهر رمضان ألبست الكعبة الشريفة ثوبها ولله الحمد والشكر، وكان ذلك في عهد السلطان العثماني السلطان مراد خان بن أحمد خان.

واستمر الشريف عبد الله بن حسن

متولياً إلى أن حج بالناس موسم سنة أربعين بعد الألف، ثم استهل هلال محرم افتتاح سنة إحدى وأربعين وألف، فأخذ منها شهر محرم، ثم بدا له خلع نفسه من ولاية مكة، فلما كان يوم الجمعة غرة صفر من السنة المذكورة قلد إمرة مكة لولده الشريف محمد ابن عبد الله بن حسن، وللشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن، وكان قد استدعاه قبل ذلك من نواحي اليمن؛ لأنهُ فر إلى تلك الجهة زمن ولاية مسعود، فنودي بالبلاد لهما، وتخلى الشريف عبد الله بن حسن للتوجه إلى عبادة ربه إلى أن أتاه الأمر المحتوم بأمر الحي القيوم ليلة الجمعة عاشر جمادى الأخرى من السنة المذكورة، فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام ، ومات الشريف عبد الله بعد خمسة أشهر؛ أي عام ١٠٤١ هـ الموافق ١٦٣٢م ، وأعقب جملة من الأولاد الذكور، وهم محمد وأحمد وحمود وحسين وهاشم وثَقبَه وزامل ومبارك وزين العابدين.



﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾

▪ بقلم الاستاذ جبريل علي الهباهبة

الى من لا يعرف طريق المسجد، ولا سبيل الصيام، ولا يستوعب صوم الهواجر، ولا يهتدي لدروب الزكاة والاحسان وصلة الأرحام، وصلاة الضحى، وصلاة الليل والناس نيام، الى من ضل عن طريق الخير رشده، واحتار في الخير فعله، من ضل الطريق ولم يرشده للآخرة رفيق، فما عرف درب الصالحين، ولا طاعة رب العالمين، قال تعالى: ﴿يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ❖ الذي خلقك فسواك فعدلك ❖ في أي صورة ما شاء ركبك﴾ الانفطار.

فهذه موعظة في الأشهر الحرم فتدبر أمرك واعتبر

وانظر لنفسك واتعظ مما جرى

وارجع لطاعة خالق سواك

عل المليك يتوب ان حل الدجى

من شق سمعك للهدى أحياك

اليك يا من تعتبر بعظيم صنع الله سموات وارضين، شمس تشرق وليل دامس، وارض تنبث ومياه تجري، واجرام تدور، وعمر يمتد بين الولادة والقبور.

والله لم يُخلق أباك لغاية

الا لطاعة مبدع الدنيا ارى

في كل يـوم مـن زمانـك عبـرة

هلا اعتبرت بذي الحياة وما جرى

ايها الغافل الراتع في نعيم دنياه الفانية، نعيم لا محالة مفارقة كل يوم تشرق شمسه عليك يبعدك عن الدنيا ويقربك من الآخرة، ايها الغافل المتغافل، ما الحياة الا حلم نائم، تنقضي ايام هذا العمر بعد حين فالعود العود لطاعة مولاك، الذي احسن خلقك وسواك، وانظر كم انعم عليك خالقك بنعم لا تُحصى عدها، ولا تشكر مدها، أفلا نظرت لمن حولك، وانت تسلك طريق المعاصي فتعتبر قبل جسمك ينقبر.

كم من ضرير فقد نعمة البصر وانت ترى، وكم من مريض يعاني الألم وانت في بدنك معافى، وكم من مشلول لا يحرك ساكناً وانت تمشي مشافى، وكم من جائع يتلوى من الجوع وانت تلذ بأكل الطيبات ترعى، وكم من ظمآن وانت تشرب ما لذ وطاب من الشراب وأحلى، وكم من عريان لا يجد ما يلبس وانت تكتسي بجديد الثياب لا تبلى، وكم من حافي القدمين يمشي وانت تركب المآثر «السيارات» اغلى، وكم من محروم من نعم وانت مولاك اعطى، وكم من مريض لا تنام عيناه من الألم وانت في بدنك معافى، وكم من ضال عن الايمان وانت اعطاك الله الهدى، وكم من غارق في ظلمات الجهل وانت حباك الله بالعلم وجعلك من اهل النهى، وكم من كافر وانت من أمة محمد ﷺ تنعم بالهدى، وكم من محروم لا يجد سكناً يقيه حر الصيف وبرد الشتاء وانت اعطاك الله المأوى، وكم من فاقد للعقل مسلوب الارادة، وانت تنعم بكامل العقل من خالق على العرش استوى، وكم من امرئ حرم لذة النوم وعافيته وانت تنعم به وتغفى، وكم من أبكم اخرس حرم من نعمة النطق وانت تتكلم كما تهوى، وكم من محروم من الوالدين يتيماً وانت تنعم بحنان والديك ما ذقت طعم البلوى، وكم من غارق في ذل المعصية يرتع في الحرام، وانت تنعم بعز الطاعة من خالق مولى..

فكم كم وكم كم ثم كم كم وكم وكم

بدنيا محروم وانت في غامر النعم

وكم من صديق مات من غير علة

فعد للذي سوّاك يا صاح واستقم

عد يا اخي لطاعة مولاك، وحافظ على فرائض من خلقك وسوّاك، واعمل لحياة الخلود، واترك دنياك التي الهتك واخذت وقتك، سترحل عنها وتحاسب على ما فعلت على ظهرها يا مسكين، هلا اعتبرت بغيرك ممن انقطعت دنياه بمرض اقعده، وشيب ابعده، كم حي جاءه الموت على غفلة من امره، ولو استطاع الكلام لقال لمن حضر دفنه: اعتبروا يا أولي الأبصار، فالدار الدنيا ليست بدار قرار، فاعملوا لعقبى الدار.

من يشتغل للآخرة

يلقى المقابر عامرة

اما الذي لا يهتدي

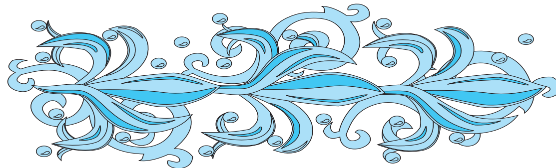
فالروح روح كافرة

فاعمل لنفسك واجتهد

اياك تشقى الطاهرة

الموت قادم لا محالة، فلا تكن عند قبض الروح نادم، لا تكن ممن عن مصيره قد غفل، وعن طاعة ربه قد جهل، وانظر لمن حل بالقبور واعتبر، عليك بالصلاة فإنها من سنن الهدى، الجماعة الجماعة، وحياة القناعة، واعلم ان يوم امس مر، استوى فيه من جاع وشبع، وغداً في علم الغيب لا تدري هل انت من ابنائه، واعمل بيومك الذي انت فيه، فهو يومك، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله اليك.

وأختم بالذي هو خير قوله تعالى: **﴿وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور﴾** صدق الله العظيم.



في رحاب المسجد الأقصى

نور الدين زنكي ومنبر المسجد الأقصى

■ بقلم الدكتور عمر الساريسي

تجمع مصادر دراسة الأسرة الزنكية والأسرة الأيوبية، في الذب عن بلاد الشام ومصر، زمن الحروب الصليبية، على أن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي لم يكتف بإعداد منبر يليق بالمسجد الأقصى، ولكنه كان يرمي في تخطيطه وجهاده لتخليص هذا المكان المقدس من يد الأعداء أولا، إنه لم يكتف بعمارة المسجد وإعداده لصلاة المصلين، ولكن لم يكن تحريره من يد المحتلين ليغيب عن عينه وفؤاده لحظة واحدة من صحو أو رقاد.

فأما المنبر فيحدثنا صاحب "مفرّج الكروب" فيقول: لما فتح السلطان" ويريد صلاح الدين الأيوبي" أمر بعمارة المحراب الغربي القديم وترخيمه ووضع منبر رسمي ليقام عليه الفرض. واحتيج بعد ذلك إلى منبر حسن فائق لائق بذلك. وكان نور الدين محمود، رحمه الله، قد أنشأ منبرا برسم الأقصى قبل فتح القدس بنيف وعشرين سنة. لأنه رحمه الله، كانت أطماعه متعلقة بفتح القدس، وأمانيه لم تزل تحدث به، وكان بحلب رجل نجار يقال له: "الأختريني" من ضيعة تعرف بأخترين، ولم يكن له نظير في صناعته، فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت المقدس، فقال له: "أجتهد أن تأتي به على أحسن نعت يمكن، وأحكمه".

فجمع الصناع وبالغ في إتقانه



وصناعته وأتمه في سنتين.. فلما منّ الله سبحانه على السلطان، الملك الناصر، بفتح بيت المقدس تقدم بحمل المنبر من حلب، فحمل ونصب بالمسجد الأقصى، وهو الآن منصوب".

ولم يكن هذا المؤرخ، ابن واصل، المتوفى في القرن الثامن الهجري يعلم أن هذا المنبر سيتعرض لكيد الصهاينة، بعد سبعة قرون من نصبه في مكانه!

وكما أرخ، ابن واصل لنور الدين زنكي وبنائه لمنبر المسجد الأقصى، كذلك أرخ ابن كثير في البداية والنهاية. يقول:"وأرسل (أي صلاح الدين) إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه، صلاح الدين، بعد وفاته". أجل لقد كان نور الدين يؤمل أن يكون فتح الأقصى على يديه، وليس هذا الحديث جزافا أو إدعاء ولكن تقوم عليه إشارات كتب التاريخ الأخرى.

ويورد أبو شامة القدسي في كتابه الرائع "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" يورد رسالة يرسلها نور الدين إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، يحملها إليه القاضي كمال الدين الشهرزوري، وفيها نص يقول:"وقسطنطينية والقدس يجريان إلى أمد الفتوح في مضمار المنافسة.. والله تعالى بكرمه يدني قطاف الفتحين لأهل الإسلام ويوفق الخادم لحيازة مراضي الإمام". إن فتح القدس والقسطنطينية غايتان من غايات هذا السلطان المجاهد، فهو يدعو الله تقريب فتحهما على المسلمين.

بل إن خروج صلاح الدين إلى مصر بأمر نور الدين، كان اتفاقا عسكريا وتخطيطا مسبقا، للإطاحة بالأعداء المحتلين من جميع الجهات، يقول أبو شامة:"لم يكن سبب خروج الملوك (صلاح الدين) من بيته إلا وعدا انعقد بينه وبين نور الدين، رحمه الله تعالى، في أن يتجاذبا طرفي الغزاة من مصر والشام الملوك بعسكره وبره وبحره، ونور الدين من جانب سهل الشام وغيره".

أجل، كان نور الدين زنكي يعمل من جهة لعمارة المسجد الأقصى، ومن جهة أخرى يعمل على تحريره من قبضة

الأعداء، بكل ما أوتي من قوة وإخلاص، وهكذا ينبغي أن نفعل نحن المسلمين اليوم في كل أقطار الأرض من أجل تحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى من أيدي صهاينة الاحتلال البغيض، الذي يعمل، بكل قواه، على تهويدهما.

❖ قصة رؤيا:

حينما ينصر الله تعالى المسلمين، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، على الفرنجة الذين كانوا يحتلون قلعة حلب، في شهر صفر من عام ٥٧٩هـ، حينئذ يرى بعض الصالحين من المسلمين رؤيا في الليل، فتملك عليه قلبه سرورا وغبطة، ويحدث بها أصفياءه، ويخطر بباله أن يرويه على مسامع السلطان صلاح الدين، ولكنه يتردد في ذلك، فهو لا يدري ماذا سيقول له السلطان، إذا هو ذكر له إنه رأى رؤيا في المنام، تقضي بأن الله سيفتح القدس على يد صلاح الدين، في شهر رجب، كما فتح على يده حلب في شهر صفر!! كما أنه لا يعرف، على وجه التحقيق، متى يأتي نصر الله، إلا الله وحده!

وظل على هذا الحال فترة من الزمن حتى اقترح عليه بعض أصحابه أن يحدث برؤياه قاضي دمشق، محي الدين ابن الزكي الشافعي، فلعله يجد في منزلته وقربه من السلطان جسارة تفضي به إلى انفاذ هذه الرؤيا إلى مسامعه.

وتداعب هذه الرؤيا أملا عزيزا على قلب القاضي الشافعي، وعلى قلب كل مسلم، فتقترن بالدعاء إلى الله العلي القدير، أن يحققها في وقت قريب، ولم ترهب قلب هذا القاضي فيعمل على إخفائها، لئلا يكذبه الناس، ولكنه يديرها في ذهنه، فتستحيل إلى قصيدة غراء، ظاهرة التهنئة بانتصار المسلمين على المشركين في حلب، في شهر صفر، وباطنها التنبؤ بانتصارهم عليهم في بيت المقدس، في شهر رجب! فيقول له منها في أحد الأبيات:

قضى لكم بافتتاح القدس في رجب!

وفتحكم حلبا في الصيف في صفر

وتمس هذه الكلمات من قلب صلاح الدين الشفاف، وتاقت لها نفسه، على حد تعبير ابن كثير في "البداية والنهاية". وكأني به بعد سماعه لها يرفع يديه عاليا إلى السماء وهو يقول: "يا رب!".

وتمضي الأيام على المسلمين، وهم يجاهدون المشركين لإخراجهم من بلاد

الشام ومصر، وهم يتنقلون بقيادة صلاح الدين، من ظفر إلى ظفر، إلى أن يشاء الله تعالى أن يحقق أمل صلاح الدين والمسلمين، بتجميع الأعداء في مكان وزمان يريده، فيلقي بهم في معركة فاصلة قاصمة هي معركة حطين، في شهر ربيع الثاني في عام ٥٨٣هـ. وما هي إلا اشهر ثلاثة بعدها، حتى يفتح الله على المسلمين، وعلى صلاح الدين، بيت المقدس، في السابع والعشرين من رجب الخير، من العام نفسه!!.

"... ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح، وهو الرابع من شعبان، حضر المسلمون الحرم الشريف فغصّ بالزحام... فلما أذن للظهر من يوم هذه الجمعة المباركة، حضر السلطان بقبة الصخرة المقدسة، وهو في غاية السرور والفرح.. وكان جماعة من الأكابر والعلماء، قد رشحوا أنفسهم للخطبة في هذا المسجد المعظم، وأخذوا لذلك أهبته، وألفوا ما يخطبون به، ومنهم من عرض للسلطان بطلب ذلك، ومنهم من صرح، والسلطان ساكت لا يبدي سره، فلما حان وقت الخطبة نص على القاضي محيى الدين بن زكي الدين، وقدمه لهذا الأمر الجليل، فرقي المنبر بالأهبة السوداء العباسية، وخطب خطبة بديعة بليغة" أ هـ، وقد عرفت هذه الخطبة بخطبة القدس، وظل القاضي محيى الدين خطيب الجمعة في المسجد الأقصى ردحا من الزمن.

ولقد تعد هذه الخطبة من عيون الخطب في الأدب العربي بعصوره المختلفة؛ ففي مقدمتها حمد الله تعالى وأثنى عليه ثماني مرات، ثم أثنى على رسوله الكريم، وعلى صحابته الأطهار، وذكر المجاهدين المسلمين، وأبان لهم كثيرا من واجباتهم، التي لم تزل تنتظرهم في الجهاد في الدنيا، وأفاض في الثواب الذي يعد به الله تعالى المجاهدين الصادقين في الآخرة، كما بين منزلة بيت المقدس من قلوب المسلمين ومنزلة المسجد الأقصى، إلى غير ذلك من الموضوعات التي يستمتع بها من يطالعها في مظان أدب الحروب الصليبية.

❖ خطبة القدس الأولى بعد التحرير:

بهذه الآيات القرآنية الكريمة من سورة الروم، كان الفقيه مجد الدين بن جهبل يتلو ويتأمل، في أحد مساجد دمشق، في يوم من أيام عام ٥٧٩ هـ الموافق لعام ١١٨٣م، ففي الآيات ما يحفز على الوقوف

على معانيها وأسرارها، فيها صراع وحروب يغلب فيها الروم أولا ثم إنهم من بعد سنين قليلة، يتغلبون على أعدائهم. وإن سبب نزول الآيات وما راهن عليه المسلمون، في حياة الرسول ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، خاصة، في فوز الروم، أهل الكتاب، على المجوس الفرس، أن هذا كله ليخطر في بال هذا الفقيه الشافعي، ولكنه يجد من هذه الآيات إغراء بمتابعة البحث، في وقت أصبح الروم أعداء للمسلمين، فقد استشرى خطر غزوهم الصليبي لبلاد الشام ومصر، منذ نيف وثمانين عاما، حتى احتلوا بقاعا كثيرة من هذه البلاد واستوطنوها، وهذه مدينة بيت المقدس ومسجدها الأقصى يرزحان تحت حكمهم البغيض.

لذا فقد قلب هذا الفقيه غير كتاب من كتب التفسير، حتى وصل إلى تفسير أبي الحكم الأندلسي- ابن برجان- لسورة الروم. وما إن وقع نظره على تفسير هذه الآيات فيه حتى قرأ شيئا لم تصدقه عيناه لأول مرة، ثم قرأ ثانية وثالثة، حتى تثبت لديه أنها ليست خيالات وآمالا تتهيأ له، ولكنها حقائق أثبتها هذا المفسر العظيم! بكل ما يقنع القارئ من الثقة واليقين!

أطبق ابن جهبل دفتي التفسير وخرج لا يكاد يتسع لخطواته طريق، ولا يكاد يحتويه بيت وجدران! فلقي في طريقه صديقه وصفيه الفقيه عيسى الهكاري، قاضي دمشق منذ سنوات قليلة مضت. فلم يطق أن يطوي عنه ما يعتمل في نفسه من أفراح وآمال، وكيف يطويه وهو أمل يراود كل مسلم، في ذلك العصر، وأمره يتصل ببيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؟

أفضى بما لديه لصفيه الهكاري، فطار هذا فرحا وتضرع إلى الله أن يحقق هذه الآمال، ثم انقلب إلى صاحبه يسأله أن ينفذ هذه النبوءة إلى السلطان الناصر، صلاح الدين، فلعلها تقوي الآمال وتضاعف من العدة والاستعداد للقاء الأعداء. خشي ابن جهبل، على الرغم مما يعمر قلبه من الأمل، من عدم تطابق الأحداث في المستقبل مع ما قرأ من نبوءة كريمة، فاقترح هو بدوره على صاحبه أن يتولى القيام بهذه المهمة. فهز قاضي دمشق السابق رأسه وقال: "يصنع الله الخير، إنه على كل شيء قدير".

وفي اليوم التالي كان الفقيه الهكاري

في بيت القضاء في دمشق يحدث قاضي دمشق، في هذه الأيام، القاضي محيى الدين بن الزكي الشافعي، عما قرأ صديقهم ابن جهبل في أحد كتب التفاسير، مما يتصل بعودة القدس لأيدي المسلمين، في بضع سنين، وأخذ الفقيه الهكاري يزين لقاضي دمشق أن ينهي البشرى للسلطان، فهو قريب إليه في مركزه وفي قضائه، ومقرب إليه في حاشيته، وإن قاضي دمشق محيى الدين ليذهب بنظره بعيدا في مستقبل الزمان، ومن حوله يحسب أن يحدق في أسرار المكان، وأنه ليستخير الله في التصديق ويتمم بكلمات غير مسموعة، ويعد صديقه بأن يجهد في البحث عن وسيلة ينهي بهذه البشرى إلى السلطان، فمن يدري؟ لعل الله أن يحقق الآمال، ولعل ولعل..

وما أسرع ما أسعف الله سبحانه، بالفرصة السانحة! فقد أعان صلاح الدين وجنده على أن يضموا مدينة حلب إلى سائر ما تحت يده من بلاد المسلمين، فقد كان فيها أحد الأمراء الضعاف الخارجين على الوحدة الإسلامية، وكان فرح صلاح الدين بدخول قلعة حلب فرحا عظيما، لما فيها من منعة وتحصين، وكان ذلك في يوم من أيام شهر صفر الخير! حقا لقد أمكنت الفرصة، وهب القاضي محيى الدين ينظم قصيدة يمجد فيها هذا العمل الإسلامي الكبير، وما أكثر ما نظم في مثل هذه المناسبات، ولعله يوصل فيها ما يعتمل في صدره وصدور إخوانه من الآمال بفتح القدس، فيكون في القصيدة لهذا البيت:

مبشر بافتتاح بيت القدس في رجب!

وفتحكم حلباً في الصيف في صفر

وإن القاضي لينهي قصيدته، وإن السلطان ليستدعيه عما ورد في قصيدته من أخبار فتح القدس وتحديده في شهر رجب، فيفضي القاضي بما عنده من قراءة التفاسير التي تنبأت بهذا الفتح في عام ثلاثة وثمانية وخمسمائة، وأنه أضاف من نفسه نبوءة الفتح في شهر رجب! وأن السلطان ليغمض عينيه على هذه الآمال، وكأني به يقول في نجواه: يا رب!

يقول "ابن كثير" في "البداية والنهاية": "فتاقت نفسه إلى ذلك".

"فلما أذن للظهر من يوم الجمعة المباركة التالية ليوم تحرير بيت المقدس، حضر السلطان بقبة الصخرة المقدسة وهو في غاية السرور والفرح، إذ جعله الله

تعالى، في هذا الفتح، ثانيا لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الفاتح الأول، وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك من ملوك الإسلام".

"وامتلأت عراص المسجد وحصونه بالخلائق، واستعبرت من شدة الفرح وخشعت الأصوات ووجلت القلوب".

"وكان جماعة من الأكابر والعلماء قد رشحوا أنفسهم للخطبة في هذا المسجد المعظم، وأخذوا لذلك أهبته، وألفوا ما يخطبون به. ومنهم من عرض للسلطان بطلب ذلك، ومنهم من صرح. والسلطان ساكت لا يبدي سره. فلما حان وقت الخطبة نص على القاضي محيى الدين ابن الزكي الشافعي، وقدمه لهذا الأمر الجليل، فرقي المنبر بالأهبة السوداء العباسية، وخطب خِطبة بديعة بليغة" عرفت بخطبة القدس، ورد ذكرها في الكلمات السابقة لهذه الكلمات.

لماذا اختار السلطان الناصر صلاح الدين هذا الخطيب بعينه دون الخطباء الذين طلبوا منه طلبا مباشرا أو غير مباشر، وألحوا في الطلب؟! هل يذكر القارئ الكريم السبب؟ إن لم يذكر فليعد إلى أوائل هذه الكلمة ليعيد إلى الذهن قاضي دمشق في تلك الأيام، والمقرب من السلطان الذي استنشده قصيدة بعد ضم حلب وقلعتها إلى الوحدة الإسلامية. هل يذكر هو الذي تنبأ بفتح القدس في رجب! وهو الذي نقل إليه نبوءة فتح القدس في ذاك العام (٥٨٣)، من قبل أربع سنوات من الفتح؟؟

لقد صدق الله تعالى رجاله الرؤيا بالحق، ولقد فتح على المسلمين القدس في رجب من ذاك العام المبارك. فأنعم على القاضي محيى الدين بأن يكون أول خطيب في المسجد الأقصى بعد تحريره! وأنه لشرف عظيم ونعمة غامرة استمر على أدائها هذا الخطيب فترة من الزمن.

وفي تتمة الخبر يقول ابن كثير: "ثم بلغ السلطان بعد ذلك أن ابن جهبل هو الذي قال ذلك أولا.(ولا أظن أن القارئ قد نسي من هو ابن جهبل؟) فأمره فدرس على نفس الصخرة درسا عظيما، فأجزل له العطاء وأحسن عليه الثناء".

ولا يعني ذلك أن القاضي محيي الدين قد انتحل شيئا ليس له، بل إنه اندفع بإبلاغ ما لم يستطع أن يبلغه غيره.

على أن السؤال الأعظم إثارة للتساؤل

هو تحديد عام ٥٨٣ تاريخا لفتح القدس قبل أربع سنوات منه!! وكيف توصل إلى ذلك أبو الحكم الأندلسي في تفسيره؟

يقول السخاوي: لم أره أخذ ذلك من علم الحروف، و إنما أخذه من الآيات الأولى في سورة الروم، فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون(بفتح الياء) في سنة كذا وكذا، ويغلبون (بضمها) في سنة كذا وكذا، على ما تقتضيه الدوائر لا من باب الكرامات والمكاشفات".

وتمضي الأيام والشهور على المسلمين، في بلاد الشام ومصر، وهم ينتقلون من ظفر إلى ظفر. فقد توحدت كلمتهم وصدق، سبيل الله، جهادهم، فنصرهم وهو الواعد بحق، ولم يغب عن أنظار صلاح الدين لحظة، ولا أنظار المسلمين هدف، كانوا يطمحون للوصول إليه بكل جد وإخلاص، وطالما سعى إليه من قبلهم من المسلمين، ألا وهو تحرير بيت المقدس، مسرى النبي ﷺ ومعراجه.

ويظل هذا الهدف مدار تفكير القائد المؤمن طيلة هذه الأيام والسنين، وإذ كان يخطط للانقضاض على مملكة بيت المقدس، وهي قصبة حكم الفرنجة حينئذ وعاصمتهم، فلا بد أن يستدرجهم لمعركة عسكرية فاصلة، يحدد هو زمانها ومكانها، ليؤثر بها على ثباتهم وعلى معنوياتهم. وكان هذا اللقاء الفاصل في تلال حول مدينة طبرية بفلسطين يقال لها: حطين، حيث جمع قواه، وتوكل على الله، فنصره الله في الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ٥٨٣ هجرية الموافق للرابع من تموز-يوليو عام ١١٨٧ميلادية.

وكانت معركة حطين الفاصلة هذه قد فتحت الطريق إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى. فما هي إلا ثلاثة اشهر (٢٧رجب ٥٨٣هـ، ٢تشرين أول-أكتوبر ١١٨٧م) حتى اخترقت منجنيقات صلاح الدين أسوار القدس المنيعة، فارتفعت تكبيرات المسلمين في قبة الصخرة المشرفة، وفي ثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

وعلى أن هذه الطريق لم تكن مفروشة بالورود والرياحين، لا في الأولى ولا في الثانية، ولم يكن المسلمون ليصيبوا ما أصابوا من نصر إلا بعون الله وتأييده وجهادهم في الله حق جهاده، في الأولى والثانية، كما حدثنا القاضي الفاضل في رسالة أرسلها السلطان الناصر صلاح الدين إلى الخليفة العباسي بعد فتح القدس.

قطوف دانية

بقلم الواعظة عالية عبد السلام البطوش

يقول الله تبارك وتعالى حكاية عن لقمان عليه السلام:

﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ❖ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور ❖ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير﴾.

لقمان: ١٧-١٩

موعظة للمتكبرين

قال احد الصالحين:

رأيت فتى مترفاً يطوف بالكعبة المشرفة، وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لا يزاحمه أحد، ثم مرت سنون فرأيته على جسر الرصافة يسأل الناس، فسألته ما الذي جرى؟

قال: تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس، فأذلني الله في موضع يتكبر الناس فيه.

من يبكي عليك بعد موتك

يبكي عليك ولد صالح أدبته، وأب وأم كنت باراً بهما، ويتيم جائع سددت جوعته، وفقير كسوته، وملهوف أغثته، ومحتاج سددت حاجته، وأخ في الله أحببته.

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغير بطيب العيش انسان
دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

ثلاثة.. ثلاثة

ثلاثة يجب ضبطها: اللسان والنفس والأعصاب.

ثلاثة يجب التخلص منها: التملق والوشاية والتبذير.

ثلاثة يجب حمايتها: الدين والشرف والوطن.

ثلاثة يجب اجتنابها: الحسد والغرور وكثرة المزاح.

ثلاثة لا بد منها: الموت والهواء والماء.

ثلاثة محبوبة: التقوى والشجاعة والصراحة.

ثلاثة ممقوتة: الكذب والنفاق والكبر.

رؤية ابن خلدون ومنهجيته في تصحيح الخبر التاريخي، والحديث الشريف

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

كلمة:

شُهر عبدالرحمن ابن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) بمقدمة تاريخه، الذي جعل عنوانه: (العِبر في أخبار من عَبَر، من العرب والبربر) لأن هذه المقدمة تعرض أفكاراً، وآراءً قيمة، في مجال العمران، وتكوين الدول، وتفويضها، وفي مجال العمران، وفي مجال التأكد من صحة الخبر التاريخي[١].

بيد أنه تابع المُحدثين في (منهجهم) في الجرح والتعديل لتصحيح الأحاديث، أو تضعيفها، ولم يأخذ لنفس الأفكار التي قدّمها، من أجل تصحيح الخبر التاريخي، ومنهج المحدّثين هذا.. فيه نظر.

- فإلى التفصيل:

كيف تصحح أو تضعف أخبار التاريخ؟

- رأى ابن خلدون أن يرتفع بأخبار التاريخ من مجرد سردٍ (أخبار عن الأيام والدول من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتضرب بها الأمثال) وبذلك يكون شأن التاريخ أنه (فن أصيل في الحكمة، عريق، وجدير بأن يعد في علومها، وخليق[٢]). فلا بد من تمحيص الأخبار، ويكون ذلك بعرضها على طبائع العمران (أي على قوانين الاجتماع البشري) فما

وافقها.. قُبل، وما ناقضها رُفض فذلك هو (أحسن الوجوه، وأوثقها، في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها. وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة، ولا يُرجع لتعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن، أو ممتنع، أما إذا كان مستحيلاً . فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح، وقد عَدَّ أهل النظر أن من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ، وتأويله بما لا يقبله العقل).

تعليق:

- العجيب أن ابن خلدون الذي جاء بهذا الرأي الصحيح، في تصديق أخبار التاريخ وتكذيبها.. لم يُطبق رأيه هذا.. على أخبار تاريخه الكبير (العِبر)، بل جاء بطامّات وشناعات كما وردت عند سابقيه، لأن التطبيق عادة أصعب من التنظير كثيراً، لأن التنظير.. فكر أحادي الجانب، أما التطبيق.. ففكر مركب.

رأي ابن خلدون في منهج تصحيح الحديث النبوي الشريف:

الغريب أن ابن خلدون الذي جاء برأي سديد للتحقق من صحة الخبر التاريخي أو كَذِبه.. قد قبل منهج المحدثين في (التعديل والتجريح) مع أنه أقلّ دقّة من منهجه في تمحيص الخبر التاريخي، فهو يعرض رأيه في الفرق بين تصحيح الأحاديث التي يكفي فيها في رأيه صحة السند، ويُعلل لذلك تعليلاً يدابر واقعية ابن خلدون.

يقول ابن خلدون موضحا الفرق بين الأخبار الشرعية (الحديث) التي يكفي فيها التعديل والتجريح وبين الأخبار التاريخية التي لا يكفي فيها ذلك، فيقول: "وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية (أوامر ونواه) أوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها. وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة. فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه، وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر -مقتبسة- منه ومن الخارج بالمطابقة".

والنتيجة هي أنه إذا كان ذلك كذلك "فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الإخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميّز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه

برهاني لا مدخل للشك فيه.. وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه"، ثم يضيف مباشرة: "وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا"[٣].

تعليق:

إن قول ابن خلدون: (وسبيل صحة الظن.. الثقة بالرواة بالعدالة والضبط) قول جانبه الصواب، لأن صحة الظن بالحديث.. لا تأتي بالدرجة الأولى إلا (من اعتبار المطابقة) كما يرى ابن خلدون ذلك للتاريخ.

ذلك.. لأن الإسلام كله بنصوصه وأصوله لم يأت ليخالف الطبيعة البشرية المنسقة بشكل عام مع نظام الكون بل .. جاء لكي (ينظمها)، ومعنى ذلك.. أن الأحاديث الصحيحة لا بد من أن تتسق مع تنظيم هذه الطبيعة البشرية، وإلا فإنها ليست صحيحة، بل هي موضوعة (مكذوبة).

وإذن.. فكل خبر عن الرسول العظيم، أو عليه لا يتفق مع تنظيم هذه الطبيعة.. هو خبر مكذوب، ولا قيمة بعد هذا للسند، ولا موجب للنظر فيه، كما قال ابن خلدون، سابقاً بصدد التعديل والتجريح، في ميدان التاريخ.

ما ينطبق على شروط الصحة في التاريخ .. ينطبق على شروط الصحة في الحديث:

إن الذي أراه أن ما ينطبق على التاريخ، في منهج التوثيق ينطبق على الحديث النبوي الشريف، مع فرق واحد لصالح الحديث وهو، في نفس الوقت، جوهري، وهو أن خبر التاريخ الموافق لنظام الطبيعة البشرية، يمكن عده صحيحاً، ولو كان منحرفا عن جادة الصواب، لأن الإنسان.. في ذاته الخير، وفي ذاته الشر.

أما الحديث فلا تصح نسبته إلى الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إلا إذا وافق الطبيعة البشرية ووافق قوانين الاجتماع (طبائع العمران كما قال ابن خلدون) وقوانين الحياة والكون وإلى جانب هذا صح سنده، ولكن البدء بالمتن (النص) هو المنهج الصحيح كما بينت، في متن البحث آنفاً خلافاً لمنهج المحدثين، ولكن، إذا لم يصح المتن فلا قيمة للنظر في السند (تعديلاً وتجريحاً) بل لا قيمة للنظر في السند حتى لو صححه رجال الحديث.

لأن الحديث.. دين، والدين في التشريع لا بد من صحة خبره ولو على مستوى غلبة الظن (أمّا العقيدة فلا يصح فيها إلا الخبر اليقين).

قول ليس بسديد:

ومن هنا.. يبدو قول ابن خلدون السابق: "وإنما كان التعديل والتجريح، هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية، لأن معظمها تكاليف إنشائية" ليس سديداً ويقصد بأنها إنشائية.. أنها ليست تعبيراً عن وقائع وقعت، وإنما هي أوامر، ونواهٍ، أقول: إن الحديث هو أوامر، ونواهٍ جاءت من أجل إحداث وقائع تقع، وطلب إحداث وقائع لا يكون في الدين إلا وهو مماش لطبائع العمران على أمثل وجوهها، لأن الدين يأتي لكي يدعو الناس إلى الاستقامة مع (نظام) الكون، مع طبائع العمران، ولهذا.. فكل ما خالف نظام الكون وطبائع العمران، مما نُسب إلى الحديث الشريف.. فليس حديثاً.

أمّا التاريخ.. فلا بد من أن يوافق طبائع العمران حقّاً، ولكن طبائع العمران منها الصالح، ومنها الفاسد (الذي يشذ على نظام الكون)، ولهذا فما يشذ على نظام الكون يدوم فترة، ثم يزول، أما قال تعالى: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس، فيمكث في الأرض﴾** الرعد: ١٧، ولهذا عاش فكر القرامطة قليلاً ثم انمحى وعاش نظام الخوارج، ثم اضمحل، وعاش فكر المعتزلة، فترة أطول، ثم أمسى تاريخاً في بطون الكتب، وعاشت الشيوعية ثلاثاً وسبعين في العصر ثم انهارت. وإن الرأسمالية ستنهار يوماً ما.. لأن كل هذه الأنظمة والأفكار هي من طبيعة نظام العمران ولكنها شاذة على نظام الكون.

أما الحديث الصحيح.. فهو من طبيعة نظام العمران (غير الفاسد المنحرف) ومتسق مع نظام الكون.

وإذن.. فالتاريخ قد يقع فيه أحداث تشذ على العمران القويم، وعلى نظام الكون، أمّا الحديث، فليس فيه شيء يدعو إلى شذوذ على العمران القويم، أو على نظام الكون، أو يؤدي إلى ذلك عند التطبيق[٤].

الهوامش:

١- غير انه لم يكن كذلك عندما تناول اللغة والنقد الأدبي، ففي مجال اللغة رأى ان كل لغة لها بلاغتها، وابلغ اللغات «ويقصد ابن خلدون اللهجات» هي لغة مضر، بيد انه لم يدع الناس الى اطراح لغاتهم «=لهجاتهم» لصالح لغة مضر «= اللغة الفصحى» من اجل انها لغة القران، وانها ابلغ اللغات، وعندما مارس النقد كبا كما كبا في نظره للغة، لأنه ليس فقيه لغة محترفاً، ولا ناقداً محترفاً كذلك «تفصيل ذلك في كتاب لي مخطوط عنوانه «اللغة بين ابن خلدون وعبد القاهر الجرجاني، وبين تشو مسكي».

٢- ابن خلدون المقدمة ٣٥١ .

٣- ابن خلدون، المقدمة، وتعليق د. محمد عابد الجابري في كتابه «بنية العقل العربي ٥٤٩».

٤- انظر الى رأيي في ابن خلدون في كتابي «كرامات شفيفة» تحت عنوان «مراحل التعلم والشك والنقد» ٢٧-٣١ .

كيف نشكر نعم الله

■ بقلم الاستاذ امين عامر

إن الله جل وعلا أغدق على عباده النعم، ظاهرة وباطنة، وقليل من الناس من يدرك تلك الحقيقة فيرعاها حق رعايتها، رجاء حفظها، وأداءً لواجبها، ولكن أكثر الناس ربما غفلوا عن تلك الحقيقة، فأساءوا إلى ربهم، وأسرف بعضهم في الطغيان، ويجسد القرآن الكريم هذه الحقيقة، وهي حقيقة جحود النعم، فيقول سبحانه : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ سبأ: ١٣، ويقول سبحانه : ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾، وقال تعالى : ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ لقمان: ٣٢ .

قال ابن كثير رحمه الله: "الختار: هو الغدار، وهو أتم الغدر وأبلغه، قال عمرو بن معد يكرب: وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر، وقوله: "كفور" أي: جحود للنعم لا يشكرها، بل يتناساها ولا يذكرها (تفسير القرآن العظيم ١٠٦٩).

فشروط سعادة العبد ثلاثة:

١- أن يكون العبد ممن إذا أنعم الله عليه شكر.

٢- وإذا ابتلى صبر .

٣- وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة، عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة.

فنعم الله تعالى تترادف على عبده، وقيدها الشكر، وهو مبني على ثلاثة أركان:

١- الاعتراف بها باطناً.

٢- التحدث بها ظاهراً.

٣- تصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها، مع تقصيره في شكرها.

ومن حكمة الله تعالى الخبير الحكيم، أنه خلق الخلق في دار الدنيا، وهي دار الابتلاء والامتحان، ليجزيهم أيهم أحسن عملاً، فالله تعالى يبتلي عباده بشتى صنوف الفتن والمصائب، وفرض العبد في تلك المحن والفتن الصبر والتسلي، وأركان الصبر ثلاثة:

١- حبس النفس عن التسخط بالمقدور.

٢- وحبس اللسان عن الشكوى.

٣- وحبس الجوارح عن المعصية، كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية (الوابل الصيب بتصرف)، **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾**.

إذا كان لديك بيت يؤويك، ومكان تنام فيه، وطعام في بيتك، ولباس على جسمك، فأنت أغنى من ٧٥٪ من سكان العالم.

إذا كان لديك مال في جيبك، واستطعت أن توفر شيئاً منه لوقت الشدة فأنت واحد ممن يشكلون ٨٪ من أغنياء العالم.

إذا كنت قد اصبحت في عافية هذا اليوم فأنت في نعمة عظيمة، فهناك مليون إنسان في العالم لن يستطيعوا أن يعيشوا لأكثر من أسبوع بسبب مرضهم.

إذا لم تتجرع خطر الحروب، ولم تذق طعم وحدة السجن، ولم تتعرض لروعة التعذيب فأنت أفضل من ٥٠٠ مليون إنسان على سطح الأرض.

إذا كنت تصلي في المسجد دون خوف من التنكيل أو التعذيب أو الاعتقال أو

الموت، فأنت في نعمة لا يعرفها ثلاثة مليارات من البشر.

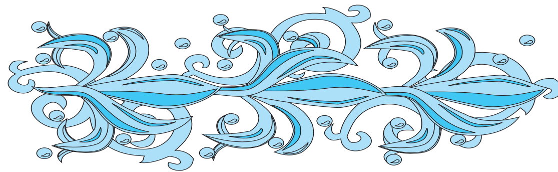
إذا كان أبواك على قيد الحياة ويعيشان معاً غير مطلقين فأنت نادر في هذا الوجود.

إذا كنت تبتسم وتشكر المولى عز وجل فأنت في نعمة، فكثيرون يستطيعون ذلك ولكن لا يفعلون.

إذا وصلتك هذه الكلمات وقرأتها فأنت في نعمتين عظيمتين: أولاهما: أن هناك من يفكر فيك، والثانية أنك أفضل من مليارين من البشر الذين لا يحسنون القراءة في هذه الدنيا.

لكي تكون أسعد مما أنت عليه، احمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وليكن لسانك رطباً بذكر الله، وكن كما قال المصطفى ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «لا تدعنّ بعد كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ومن تمام الحمد أن تذكّر الآخرين بنعم الله عليهم، فالذكرى تنفع المؤمنين، فهلا ذكرت هذه الكلمات إلى أصحابك وأحبابك لتلهج ألسنتهم بذكر الله وشكره، وتحصل أنت على الأجر.



السجـــون بين الشريعة والقانون

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

❖ تمهيد:

لكي تنتظم حياة النّاس ويشعروا بالأمن والاطمئنان جاءت الشرائع السماوية بما يكفل لهم ذلك الأمان والاطمئنان. وهي من العدالة والشمول ما يجعل تطبيقها صالح لكل زمان ومكان.

فاشتملت الشريعة الإسلامية على الخصوص باعتبارها: رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وباعتبارها شاملة للأمم والشعوب وفي كل ناحية أو زاوية من هذا الكون قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الّذِي نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ الفرقان: ١، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا مُبَشِّرًا وَنَذِيراً﴾ الفرقان: ٥٦ .

وباعتبارها صالحة لكلّ زَمان ومكان قال تعالى: **﴿صبغة اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾** البقرة: ١٣٨ .

أقول: اشتملت الشريعة الإسلامية باعتبارها للعالمين كافة على أحكام وتشريعات تنظم حياة الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان.. وهذه الأحكام والشرائع كانت مرجعاً في القوانين الدولية وفي أحكام الميراث والزواج والطلاق أو الانفصال بمفهوم الغرب

المعاصر ومن هذه الأحكام والشرائع.. قانون العقوبات.. فجعل الحدود.. في القتل العمد، والقتل الخطأ والزّنا والسّرقة وقذف المحصنات الغافلات وشرب الخمر والتولي يوم الزحف.. والرّدة عن الإسلام.. إلى غير ذلك من وقائع وأحداث جعل البت فيها للقضاة وولاة المسلمين.

وما يهمنا بهذا الموضوع هو القصاص.. ومن ألوان هذا القصاص السّجون، فالله جعل القصاص لأنّ به حياة الناس.. بأمان واطمئنان، قال تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾** البقرة: ١٧٩ .

وأباح السّجون باعتبارها وسيلة لدرء المفاسد والشّرور لمن تُخول له نفسه إيقاع الأذى والضّرر بالناس.. قال تعالى: **﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾** يوسف: ٣٢ .

وكان جواب يوسف عليه السلام: أن اختار السجن واستعصم عن الوقوع بالفاحشة، قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** يوسف: ٣٣ .

وحتى ينتظم البحث لا بدّ من تناول المواضيع التاليه:

- تعريف السجن لغة واصطلاحاً
- مشروعية السجن في تعاليم الإسلام
- السجن في القوانين الوضعية
- مقارنة العقوبة به.. طبقاً للشريعة والقوانين
- توصيات

❖ أوّلاً: تعريف السّجن:

لغة واصطلاحاً: معنى السّجن في اللغة هو مكان الحبس.. والحبس يعني حجز المتّهم في مكان مُحكم لمدّة يقرّرها القضاء الشّرعي أو المدني بسبب ارتكاب المتهم جريمة أو جنحة أو مخالفة للقوانين أو الشّرائع. وهذا الحجز يعني عقوبة.. ومدّة هذا الحجز يفصّله قرار الحكم الصّادر عن المحاكم النظامية والشرعية أو الدّولية.

ولقد ورد لفظ السجن في كثير من

الآيات القرآنية الكريمة والتي أشرنا إلى بعضها في المُقدمة.

أما معنى السجن في الاصطلاح الشّرعي، فقد عرّفه "ابن القيم" بأنه مكان الحبس الشرعي المُحصّن لمنع وحجز الشخص المُتهم بمخالفة أو جنحة أو جريمة من الفرار.. ومدة هذا الحجز والحب تقرّره المحاكمة الشرعية يُصدرها القضاة الشرعيون طبقاً للشريعة الإسلامية.

وهذه العقوبة عادة تكون.. إما لدرء المفاسد والشرور ممن تخول له نفسه إيقاع الأذى بالآخرين.. أو تكون لمن ارتكب أذى سبب جروحاً في الآخرين.

قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾ المائدة: ٤٥ .

والحبس كان في عهد الرسول ﷺ وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على طريقة المنع من التّصرف، حيث لم يكن في عهدهما مكان معد لحبس المُدان، ولكن عندما اتسعت رقعة الإسلام ودخلت به شعوب وأقوام وأمم مختلفة في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، أصبحت الحاجة ماسة إلى تحقيق أماكن بالسّجون وإلى تعيين ولاة وقضاة لتنظيم حياة المسلمين.. وكان أوّل سجن في المدينة المنورة في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عندما اشترى داراً من صفوان بن أميّة، وجعلها حبساً.

❖ ثانياً: مشروعية السّجن:

في تعاليم الإسلام: أكثر العلماء وفقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، قالوا: إنّ السّجن عقوبة مشروعة في الإسلام.. واستدلّوا على ذلك بما ورد بالقرآن الكريم في كثير من الآيات المحكمات.. ومنها قوله تعالى: ﴿**كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾ المطففين: ٧، ﴿**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ الانفطار: ١٤، ﴿**قَالَ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ يوسف: ٣٣ .

والسّجن لون من ألوان العقوبة.. ووسيلة لدرء المفاسد والشرور والأذى، ولكنه ليس باللون الفريد فقد ورد بالقرآن الكريم ألوان أخرى منها ما فصّلته الآية الكريمة التالية: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ**

الذينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: ٣٣ .

كما ويوجد ألوان أخرى من ألوان العقوبة التي أقرتها الشريعة الإسلامية منها: التعزير/ لشهادة الزّور، وقذف المحصنات الغافلات.

- والجلد مائة جلدة للزاني والزانية وثمانين جلدة لقذف المحصنات الغافلات.

- والدّية المسلمة لأهل المقتول/ عن طريق الخطأ..

- وألوان أخرى من العقوبات حددتها الحدود/ مثل قطع يد السارق والرّجم للزاني المتزوج والقتل للمرتد عن الإسلام، أو الشرك بالله واللعان للمتزوجين/ بغير شهود.. وهكذا.

فالقصاص والعقوبة بألوانها التي أسلفنا مباحة في تعاليم الإسلام.

❖ ثالثاً: السجن في القوانين الوضعية:

السجن في القوانين الوضعية موجود في جميع أنحاء العالم، وهو حسب تشريعات وقوانين كل بلد.. وهذه القوانين وإن اختلفت في النّصوص والتشريعات فمدّة العقوبة بالسّجن لها سقف هو السّجن المؤبد، ثم تتراوح المدّة طبقاً لهذه القوانين ونوع الجرائم.

وبعض القوانين في بعض البلدان تصدر أحكاماً لا تتفق مع منطق العقل كأن يكون الحُكم / ثلاث أو أربع مؤبّدات/ أو أن يصل الحكم إلى مئات السنين مع أن متوسط ما يعيشه الإنسان في أرقى أمم الأرض لا يتجاوز السّبعين أو الثمانين على أبعد تقدير.

ومفارقة أخرى في القوانين الوضعية أنّ بها استثناءات كعقوبة حمل السّلاح، مباحة لليهودي من مواطني إسرائيل بينما تجرّم حامل السّلاح إن كان عربيا حتى ولو كان من مواطنيها قبل إنشائها.

وكذلك ما فرضته الولايات المتحدة على المحكمة الدولية لجرائم الحرب باستثناء الجنود الأمريكيين من الأحكام.. واستعمال المكاييل المختلفة والمعايير المتباينة بإصدار الأحكام.. فهدم البيوت

على رؤوس أصحابها وجرائم الاغتيالات والقتل والحصار والتشريد الذي تمارسه إسرائيل في الأراضي المحتلة في القطاع والضفة والجولان وجنوب لبنان تعتبره دفاعاً عن النفس، بينما مقاومة الاحتلال يُعدّ في نظرها إرهاباً.

إنها شريعة الغاب، يمتلكون جميع أنواع أسلحة الدّمار الشامل ويطوّرونها وعسكروا الفضاء بها، ويحرّمون على غيرهم امتلاكها.. قال تعالى: **﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** المائدة: ٦٤ .

وعلى العموم فالقوانين الوضعيّة لا ترقى إلى التشريعات السماوية في سموِّها ونزاهتها وعدلها مع وحدة المعيار.. قال تعالى: **﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾** المائدة: ٤٩ .

❖ رابعاً: توصيات:

أ- المساواة أمام القانون فلا يوجد استثناءات مهما كانت الشهرة والحسب والنسب وأصحاب المال والأعمال والمراكز.

ب- العدل أساس المُلك.. وهذا العدل واجب حتى مع أولئك الذين بينهم وبين الحاكم خصومة أو اختلاف.. قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا اليك الْكِتَابَ بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾** النساء: ١٠٥ .

ومن العدل قول الحق ولو كان على النفس أو الوالدين أو الأقربين.. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُونَوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا، فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا، وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرا﴾** النساء: ١٣٥ .

جـ- الأحكام الصّادرة، حسب تشريعات الطوارئ أو حفظ الأمن أو مكافحة الإرهاب جميعاً وبدون استثناء أحكام ظالمة وجائرة ولا تتفق مع أحكام الشرائع السماوية.. وأفرزتها غطرسة قوّة أمريكا وظلم الاحتلال الإسرائيلي.. قال تعالى: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾** المائدة: ٣٢ .

المـــال
في وظيفته الفردية والاجتماعية ونظرة الإسلام إليه

■ بقلم الاستاذ محمد ابو سنينة

ورد ذكر المال في القرآن العظيم في ستة وثمانين موضعاً، وهذا دليل واضح على اهتمام الإسلام بالمال، واعتباره شريان الحياة النابض، وحث على اكتسابه وتنميته، ووجه الأنظار إلى طرق كسبه، ووسائله المشروعة الحلال، في البيوع والتجارة، والصناعة والزراعة، والثروة المائية والمعدنية والحيوانية، والجيولوجية.

وشجع على العمل والإنتاج، واعتبر ذلك قربة إلى الله تعالى، يؤجر فاعله ويثاب عليه في الدنيا والآخرة، وبيّن الغني الحميد أن ملكية الإنسان للمال ملكية مقيدة، فالمال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، ينفقه حيث أمره الله سبحانه.

وعمل على إزالة الفوارق الاجتماعية، والتقريب بين الطبقات، بحيث لا تعيش جماعة في سرف وترف، وأخرى في ضيق وشظف، فجعل للفقير والمسكين وغيرهما حقاً في مال الأغنياء، وتوعد الله البخلاء من الأغنياء بقوله: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ◆ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ**

مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة: ٣٤-٣٥ .

وحذر رسول الله ﷺ الأغنياء من البخل، في قوله: (أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤٌ جائعاً، فقد برئت منهم ذمة الله) البخاري جـ٢ ص٢١٥ .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، فيقول الله تعالى: (وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأباعدنهم) .

وعن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال: (إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً) الطبراني.

فلم يحتقر الإسلام المال الحلال، وإنما حرم المال الحرام، وحذر من الحصول عليه بالطرق غير المشروعة، كالسرقة والربا والزنا والقمار، والرشوة والنصب والاحتيال والاحتكار، و التسول والتكاسل عن العمل، قال ﷺ: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) ابن ماجة مناسك ص ٧٦ .

وبالمال يستطيع الإنسان أن يعيش حياة آمنة سعيدة، وبفقده تتعسر الأمور، وتسوء الأحوال، وتغل النفس، قال الشاعر:

وإذا رأيت صعوبة في مطلب

فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فإنه

حجرٌ يلين قسوة الأحجار

من هنا حث الله تعالى على إنفاق المال في الأوجه المشروعة، ليعيش المجتمع في أمن وأمان، واطمئنان وسلام، قال تعالى: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** الحديد: ٧ .

وهذه الآية تتضمن ثلاثة أوامر:

الأول: الإيمان بالله ورسوله.

الثاني: الإنفاق مما جعلنا مستخلفين فيه.



الثالث: ثواب من آمن وأنفق.

وقضية اقتران الإيمان بالإنفاق لها مدلول عظيم، فالمؤمن لا بد وأن يكون كريماً سخياً، ولا يقتصر إنفاقه على الزكاة المعلومة، بل يتعداها إلى الصدقات غير المحددة، متى احتاجها الناس.

وفي أمره جل وعلا **﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** دليل على أن المال الذي بين أيدينا ليس ملكاً لنا، بل هو ملك لله الغني الحميد، وما نحن إلا مستخلفين فيه، لينظر إنفاقنا فيه حسب أمره، وهذه حقيقة واضحة، فهل أخذ آباؤنا وأجدادنا ما جمعوه من مال أم تركوه؟ ونحن هل سنأخذه بعد الرحيل أم نتركه؟ والحقيقة التي لا جدال فيها أن المال الذي بين أيدينا ما هو إلا وديعة، ونحن مستخلفون فيه، لنعمل فيه كما أمر الله تعالى إلى حلول الأجل، وبعدها لا شيء لنا من أموالنا.

إن هذا المال الذي بين أيدينا ينبغي أن نوظفه لصالح المجتمع الإسلامي ولأنفسنا، لا لنستأثر به دون غيرنا، لأن الاستئثار به يؤدي إلى الفساد كما أخبر الله تعالى في قصة قارون.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن المال فقال: (يقول ابن آدم: مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) مسند أحمد جـ٤ ص٣٢ .

ويقول أيضاً: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) البخاري.

فيا من تجمع هذه الأموال الطائلة، لا تجعلها همك تقودك إلى مهاوي الردى، وسبباً في الأحقاد بين ورثتك، فلم لا تعتق نفسك من حسابها يوم تُعرض على ربك؟ قال الشاعر:

إذا المرء لم يُعتق من المال نفسه

تملكه المال الذي هو مالكه

ألا إنما مالي الذي أنا منفقٌ

وليس ليَ المال الذي أنا تاركه

وقال آخر:

المال يفرّق بين الأمّ والولدِ
فذاك أدنى نسيب عند كلّ يدِ
عهدي به خادماً كالعبد تملكه
فما لعيني تراهُ سيد البلــدِ

فلمن تترك هذه الأموال؟ لورثتك الذين ربما لن ينفعوك، بل قد يتخاصمون عليها بعد موتك، ويكونوا لك أعداءً فيما تركت؟ والله يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾** التغابن: ١٤ .

وهل تنفق أموالك على من تظنهم أصدقاء أم على الفقراء؟ كما طلب الله تعالى منك، كم من مرة انقلبت نعمة المال نقمة على صاحبها، وكم أغرى المال الطامعين به على الدمار والهلاك، وإزهاق الأرواح البريئة، وإشعال الحروب والفتن، رغم ادعائهم المزيف بعدم الحاجة إليه.

وقد جمع الله تعالى بين المال وحبه في آيات عديدة منها قوله تعالى: **﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** الفجر: ٢٠، وقوله: **﴿وَإِنَّهُ لحب الخير لَشَدِيدٌ﴾** العاديات: ٨، وقوله: **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾** البقرة: ١٧٧ وقوله: **﴿كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾** القيامة: ٢٠ وقوله: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ والخيل الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ والحرث ذَلِكَ مَتَاعُ الحياة الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**.

ومن الناس من يجري لاهثاً وراء أصحاب الأموال، سواءٌ أكانوا من الصالحين، أم من الفاسقين، لا طمعاً في صحبتهم وصداقتهم، وقرابتهم له، وإنما طمعاً في أموالهم، وفي ذلك يقول الله تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: **﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا﴾** نوح: ٢٠ .

فمعظم الناس يميلون للغني، ويتركون أهل الحكمة والعلم، ويتحاشون الفقير المعدم، وهكذا انقلبت نظرة بعض الناس إلى الرجال، فالرجل عندهم من كان يملك المال الوفير، وإن كان سفيهاً، حتى قال بعضهم عبارة خاطئة: قيمتك على قدر ما

تملك، فمن ملك مليوناً فهو يساوي المليون في نظرهم، أما العلم والأدب والخلق والصدق والإنفاق، فليس بمقياس عندهم، وقد ضرب الله مثلاً في ذلك في سورة الكهف، بأحد الرجلين الذي يملك مزرعتين مثمرتين من العنب والنخل والزروع، يسقيهما نهر قال تعالى: **﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾** الكهف: ٣٤ .

وآخرون يطلبون الزواج من صاحبة المال، لا من صاحبة الخلق والدين، كما بيّن رسول الله ﷺ، في قوله: (تُنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها وَلدينها: فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ) البخاري جـ٩ ص١٣٢ .

ومن المؤسف أن بعض الناس درجوا على تقديم الغني في صدر المجلس، والإنصات له، وتصديقه ولو كان كاذباً، أما الفقير فلا يأبهون به، ويُجلسونه إلى جوار الباب، وإن تكلم استهزأوا به أو كذبوه.

ويهود الذين يحبون المال ويعبدونه، يرون أن الغني أحق بالزعامة والرئاسة من صاحب العلم والحكمة والقوة، قال الله تعالى فيهم: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحق بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والجسم وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** البقرة: ٢٤٧ .

وعلى الرغم من حب الإنسان للمال، وبذله قصارى جهده في جمعه وتحصيله، ومعادلته للروح عند كثير منهم، متى تعرض للاعتداء عليه، فقد يعرض نفسه للهلاك في سبيل المحافظة عليه قال ﷺ: (من قتل دون ماله فهو شهيد) احمد جـ ٢ ص ٢٢١ .

من هنا كان الإنفاق منه من أعظم أعمال البر التي يتقرب بها المرء إلى خالقه ورازقه، وبذا يستحق المنفق صفتين عظيمتين كريمتين عند الله تعالى، وهما : صفة الصدق مع الله، وصفة التقوى، قال تعالى: **﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ**

وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧ .

وما حقيقة المال إلا زينة، والزينة تزول، أما الواقع فهو الأصل الباقي والله تعالى يقول: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحياة الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصالحات خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ الكهف: ٤٦ .

وما التكاثر فيه إلا من قبيل اللهو واللعب والزينة، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحياة الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحياة الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد: ٢٠ .

وهو فتنة كما صرح الله تعالى بذلك بقوله: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال: ٢٨، وزاد على الفتنة، العداوة من بعض الأزواج والأولاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❁ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن: ١٤-١٥ .

وتأكيد رسول الله ﷺ بقوله: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال» أحمد جـ ٤ ص ٢٤٢

والمال والنفس والولد موضع اختبار وابتلاء، كما صرح الله تعالى بقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ آل عمران: ١٨٦، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الخوف وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾ البقرة: ١٥٤ .

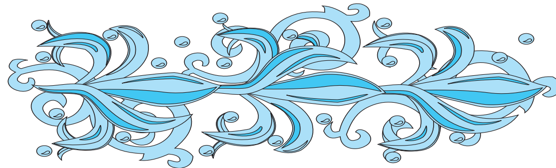
فالواجب يقتضي ألا تشغلنا أموالنا وأولادنا عما فرضه الله عنا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا

أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ❁ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ❁ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون: ٩-١١ .

ولن ينفع الإنسان، ولن ينجيه إلا ما قدّمه من مال لآخرته، قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ❁ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ❁ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ❁ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ❁ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ❁ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** الليل: ٥-١٠، وقوله: **﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ❁ لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى ❁ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❁ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ❁ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾** الليل: ١٤-١٨ .

ورسل الله جميعاً لم يكن هدفهم من دعوتهم المال، بل كان هدفهم إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة مجتمع متكافل، وكانوا يقولون على لسان واحد: **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾** يونس: ٧٢، هود ٢٩، سبأ: ٤٧ **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** الشعراء: ١٠٩، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ .

وعندما طلب سيدنا سليمان من بلقيس ملكة اليمن الإسلام، أرسلت له بهدية قيّمة عظيمة، تطلب بها مودته، لعله يغض الطرف عن مطلبه، فلما رأى الهدية، ذكر الله مقولته بقوله: **﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾** النمل: ٣٦ .



الانتخابات النيابية..
بين أمانة الترشيح والتصويت

■ بقلم الدكتور رضوان محمد العناتي

يعيش الأردن في نهاية الثلث الأول من الشهر القادم، عرساً انتخابياً وذلك لاختيار أعضاء مجلس النواب السادس عشر ولمدة أربع سنوات قادمة،فهذا البلد العربي المسلم يريده عرساً يفاخر به الدنيا وبكافة مراحله من ترشيح واقتراع وفرز وإعلان للنتائج بمنتهى الصدق والأمانة والنزاهة والشفافية.

❖ أولاً: التنافس الشريف بين المرشحين ومؤازريهم:

يقصد بالتنافس الشريف التحلي بالأخلاق وآكدها الصبر والرضا بالنتيجة التي ستسفر عنها الانتخابات، من فوز أو خسارة من قبل المرشح ومؤازريه، فالتنافس الشريف أساس حضاري للتعامل إذ لا يعقل مثلاً في دائرة انتخابية يترشح فيها (٤٣) مرشحاً ولها سبعة مقاعد أن يفوز الجميع فلا بد من فائزين وعددهم سبعة وخاسرين وعددهم (٣٦) بعدم حصولهم على المقعد الذي يشتهون ولكنهم جميعاً فائزون بتنافسهم الشريف وأخلاقهم النبيلة وحبهم للوطن الذي ينتمون إليه ويقطنون فيه.

إن لعدم التنافس الشريف آثاراً سلبية

لا تحمد عقباها إذ يحول الأردن -لا قدّر الله- إلى ساحة لمعركة انتخابية تفسخ المجتمع ونسيجه الاجتماعي ناهيك عما يعرض الأرواح والممتلكات العامة والخاصة لما يدمي القلب ويفرح العدو فعلينا جميعا تقع المسؤولية للحيلولة دون وقوع ذلك أو جزء منه.

❖ ثانياً: الايجابية في الانتخابات وعدم السلبية:

إن عدم ممارستك -أخي المسلم- حقك الانتخابي يعني السلبية والإسلام يدعو المسلم أن يكون ايجابياً كيف لا؟ ومعلوم أن من أهم سمات عقيدتنا الإسلامية الغراء الإيجابية،وبما أن العملية الإنتخابية ممارسة وطنية ومساهمة في صنع القرارات المستقبلية، ولأغراض الحصول على مجلس نيابي قادم يمتاز بالكفاءة والفاعلية، قادر على قياس أداء الحكومة ومراقبته وسن التشريعات المستقبلية لذا لا بد من الذهاب إلى صناديق الاقتراع وممارسة حقك الانتخابي على هدى من الله وبصيرة لأن عدم القيام بذلك يوصل من لا يستحق إلى ذلك المجلس والله المستعان وعليه التكلان.

❖ ثالثاً: النائب الذي نريد القوي الأمين:

على كل مسلم مؤمن منا أن يتق الله عند اختياره النائب الذي يمثله، فيختار الأقوى والأقدر والأشد أمانة،واعلم -يرحمك الله- أن الصوت أمانة ستسأل عنه أمام الله تبارك وتعالى القائل: **﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾** وقد حث القرآن الكريم على اختيار القوي الأمين في موضعين هما:

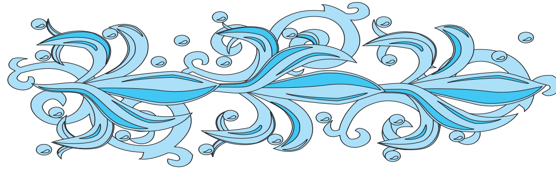
١. قول الله تبارك وتعالى عندما قدم العفريت من الجن نفسه لسليمان عليه السلام لإحضار عرش بلقيس فقال: **﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾ النمل: ٣٩.**

٢. قول الله تبارك وتعالى عندما زكّت ابنة شعيب موسى عليه السلام بعد أن سقى لها ولأختها الغنم ورأت ما به من قوة وأمانة بقولها: **﴿قالت يا أبت استأجره إن خير**

من استأجرت القوي الأمين﴾ القصص: ٢٦ .

ونعني القوة في النائب توفر القدرات الذهنية والجسمية والمؤهلات العلمية والخبرات العملية التي تمكنه من القيام بمتطلبات وأعباء النيابة،أما الأمانة فهي عكس الخيانة وتعني في النيابة عدم استغلال منصبه لمصالح شخصية أو فئوية أو عشائرية على حساب المصلحة العليا للوطن مما يشيع الظلم والخيانة وعدم العدل، هادينا في ذلك قول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها﴾.**

وإنني أرى كما أن الأمانة لا بد من توافرها في نائب المستقبل،فإنني أرى أيضا لزام توافرها عند كل مواطن عند اختياره النائب الذي يمثل، فيختار الأقوى والأقدر والأشد أمانة، فإن فعلنا ذلك جميعا حصلنا على مجلس نيابي كفؤ يقوم بمتطلبات الرقابة والمتابعة وسن القوانين التي تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما يؤدي إلى رفعة الوطن وسعادة أبنائه مع التأكيد على أن من يخون الأمانة باختيار من هناك أكفأ منه لهذا المنصب فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين كما أكد حبيبنا سيد المرسلين ﷺ، والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الكون الواسع

■ بقلم الفلكي عماد مجاهد

كانت السماء مدار اهتمام متواصل من قبل الإنسان القديم، فالسماء الصافية والأجواء المعتمة وجمال السماء بنجومها المتلألئة والكواكب المتحركة وتغير أوجه القمر، إضافة للأحداث الفلكية المختلفة مثل خسوف القمر وكسوف الشمس، كل هذه العوامل دفعت الإنسان منذ أقدم العصور للتفكر في السماء ومحاولة تفسيرها.

ولان الإنسان القديم كان قد ظن أن هذه الأجرام السماوية العالية في السماء هي الآلهة التي خلقته، إلا أن الكتب السماوية كانت قد أهدت الإنسان إلى وجود الخالق عز وجل وان الأجرام السماوية مخلوقه من قبل الله عز وجل وليست الآلهة كما كان يظن، مما غير صورة الكون لدى الإنسان عبر العصور المختلفة.

يعتبر فلاسفة اليونان أول من حاول وضع نموذج للكون على اعتبار أن الأجرام السماوية ليست آلهة، فلقد بين (طاليس) أن الماء هو أساس الكون وان الكون على صورة كرة هوائية نصف دائرية في وسط كتلة لا نهائية ، أما السطح المقعر في هذه الدائرة فهو السماء والجزء المسطح فهو الأرض التي تشبه الاسطوانة المسطحة، أما الكواكب فتعوم فوق المياه العليا، بينما ترتكز الأرض كلها على الماء الموجود أسفلها.

أما الفيلسوف اليوناني (اناكسيماندر) فقد قال أن النجوم عبارة عن دوائر ضخمة من الهواء المملوء بالنار، وتحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات لذلك تظهر

النجوم في جميع أرجاء القبة السماوية. كما بين «اناكسيماندر» أن الأرض محدبة السطح وليست منبسطة، وربما توصل إلى هذه النتيجة العلمية من خلال تغير طول الظل الشمسي من فصل لآخر.

ثم بين الفيلسوف اليوناني (بارمينيدس) أن الأرض كروية الشكل مثل الشمس والقمر اللذين يشاهدان بوضوح في السماء على شكل قرصين كبيرين،وان الأجرام السماوية كلها مثل الشمس والقمر والنجوم تدور حول الأرض، التي هي مركز الكون كله حسب معتقداته.

بقيت الأرض في مركز الكون حسب رأي الفلاسفة الإغريق، وجاءت هذه المعلومات من الموسوعة الفلكية الضخمة (الماجسطي) أو كما سماه علماء المسلمين (المجموع الأكبر) التي ألفها بطليموس المتوفى سنة ١٥٠ بعد الميلاد الذي بين في هذه الموسوعة أن الأرض في مركز الكون، وان القمر والشمس والنجوم الجوالة (الكواكب السيارة) والنجوم الثابتة كلها تدور حول الأرض وجاءت فكرة مركزية الأرض بشكل مخادع للفلاسفة اليونان، حيث تظهر الأجرام السماوية تتحرك في السماء وكأنها تدور حول الأرض، وهذه الحركة ناتجة عن دوران الأرض اليومية حول محورها لذلك تبدو وكأن الأجرام السماوية هي التي تدور حول الأرض.

اعتقد بطليموس حسب الماجسطي أن القبة السماوية على شكل كرة ضخمة تدور حول محور ثابت، وجعل الكرة الأرضية في مركز الكون أي في مركز القبة السماوية، والنجوم والأجرام السماوية الأخرى تدور حولها، وأكد بطليموس على كروية القبة السماوية ودورانها حول محور ثابت من خلال دوران النجوم في دوائر اصغر، كلما اقتربت من القطب الشمالي بينما تكبر الدائرة بالنسبة للنجوم الواقعة بالقرب من خط الاستواء .

بقيت صورة مركزية الأرض هي السائدة منذ عهد بطليموس حتى مجيء عصر الفلكي البولندي الشهير (نيكولاوس كوبرنيكوس) الذي توفي سنة ١٥٤٣ م وهي نفس السنة التي نشر فيها أبحاثه العلمية وطبع كتابه (المدارات) قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة **خوفا من تسلط الكنيسة الكاثوليكية آنذاك والتي كانت تفرض عقوبة الإعدام على كل من يغير صورة الكون وان الأرض هي مركز الكون**، لان نظاما يقول بمركزية الشمس وليست

الأرض فيه تقليل لأهمية الإنسان ومكانته في الكون ! و توصل كوبرنيكوس من خلال الحسابات الرياضية إلى أن الشمس هي في مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض، **وهو بذلك يكون أول من قال بمركزية الشمس، علما أن كوبرنيكوس اعتمد كثيرا على دراسات وتجارب العالم المسلم (ابن الشاطر) الذي عاش في دمشق سنة ١٣٧٥م** والذي كان قد توصل إلى حقيقة مركزية الشمس من خلال دراساته وأبحاثه الرياضية، ويؤكد هذا القول المستشرق الإنجليزي ديفيد كنج في قاموس الشخصيات العلمية حيث يقول: **انه ثبت في سنة ١٩٥٠م أن الكثير من النظريات الفلكية المنسوبة لكوبرنيكوس قد أخذها هذا الأخير من العالم المسلم ابن الشاطر. وفي سنة ١٩٧٣م عثر على مخطوطات عربية في بولندا مسقط رأس كوبرنيكوس، اتضح منها انه كان ينقل تلك المخطوطات العربية وينتحلها لنفسه.**

على العموم فقد تطور علم الفلك بشكل متسارع بعد عهد كوبرنيكوس، فقد اثبت الفلكي الإيطالي غاليليو غاليلي سنة ١٦١٠م نظرية كوبرنيكوس أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض بعد أن رصد القمر والكواكب السيارة من خلال التلسكوب، فقد رأى الجبال والأودية والفوهات على سطح القمر،وخالف بذلك التصورات القديمة التي كانت تقول: إن سطح القمر أملس مثل المرآة،وتوصل غاليليو إلى أن القمر جرم سماوي يشبه الأرض وليس كتلة من الهواء، كما عرف أن كوكب الزهرة تدور حول الشمس وليس حول الأرض من خلال تغير اوجه كوكب الزهرة التي تشبه اوجه القمر كالهلال والمحدب والمكتمل، كما شاهد أيضا أقمار كوكب المشتري التي تدور حول الكوكب وكأنه نظام شمسي مصغر.

بعد عصر غاليليو تطورت صناعة التلسكوبات الفلكية بشكل متسارع، مما فتح المجال لدراسة الكواكب السيارة بشكل أفضل، حتى تمكن هاوي الفلك الألماني (وليم هيرشل) سنة ١٧٨١م من اكتشاف الكوكب (أورانوس) سابع الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية، وبذلك اتسعت حدود المجموعة الشمسية،ثم تم اكتشاف الكوكب (نبتون) من قبل الفلكي جوهان جالي سنة ١٨٤٦م،وأخيرا اكتشف الكوكب (بلوتو) من قبل هاوي الفلك الأمريكي (كلايد تومبوف) سنة١٩٣٠ م، وتم اكتشاف

الكوكب العاشر في المجموعة الشمسية (زينا) سنة ٢٠٠٥م .

ثم شيد الإنسان المراصد الفلكية الضخمة فوق القمم الجبلية العالية، واخذ يرى النجوم الهائلة البعد عن الأرض، فقد وجد الفلكيون أن الشمس التي تدور حولها الكواكب السيارة هي إحدى النجوم في الكون تنتمي لمجموعة ضخمة من النجوم أطلق عليها (المجرة) ومجرتنا التي نعيش فيها تسمى (درب التبانة)، **وتقع الشمس في أحد أطراف مجرتنا التي تحتوي على حوالي ٤٠٠ ألف مليون نجم،** كما تبين أن مجرتنا ليست الوحيدة في الكون بل تم تصوير عدد هائل من المجرات في الكون، حتى أن هنالك مجرات لا يمكن مشاهدتها بسبب بعدها، ويتوقع الفلكيون أن عدد المجرات التي يمكن مشاهدتها من خلال المراصد الفلكية يصل إلى حوالي ١٠٠ ألف مجرة!

من هذا التعريف المختصر لشكل الكون يتبين لنا أن الأرض ليست مركز الكون كما كان الإنسان يعتقد سابقا، وهو الاعتقاد الذي كان يدخل الغرور في نفس الإنسان القديم، وعندما ظن الإنسان أن الأرض أهم كوكب في المجموعة الشمسية اكتشف أن الأرض ما هي إلا كوكب صغير الحجم من ضمن عشرة كواكب سيارة في المجموعة الشمسية، ثم ظن أن الشمس في مركز المجرة، لكن تبين أن الشمس ما هي سوى نجم عادي من ضمن ٤٠٠ ألف مليون نجم في المجرة، وان الشمس لا تقع في مركز المجرة بل تقع في أحد أطراف المجرة ثم اكتشف أن مجرتنا ليست مركز الكون أيضا بل هي مجرة من ضمن عدد هائل من المجرات.

كل هذا جعل الإنسان يشعر بأنه ليس وحده بالموضوع الهام في الكون، وإنما هو مخلوق عادي لا يشكل سوى ذرة غبار في الكون الهائل الأبعاد، ومن ثم ألا يجدر بالإنسان الذي يعرف حقيقة وجوده في الكون أن يتعلم التواضع والتفكر بعظمة خالق الكون عز وجل؟ وفي هذا يقول عز وجل في الآية ٥٣ من سورة فصلت: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء قدير﴾** .

ولقد حاول الفلكيون قياس حجم الكون منذ القدم، وكانت وحدة القياس المستخدمة لقياس بعد الأجرام السماوية هي وحدة الكيلو متر، وعندما قاس

الفلكيون بعد القمر عن الأرض توصلوا إلى انه يبعد عن الأرض ٣٨٤ ألف كيلو متر، وتبعد الأرض عن الشمس ١٥٠ مليون كيلو متر، لكن عندما قاس الفلكيون بعد النجوم عنا فإن أرقاما هائلة فيها عدد كبير من الأصفار تظهر لدينا، بحيث يتعذر حتى قراءتها، لذلك استخدم الفلكيون وحدة قياس أخرى وهي (السنة الضوئية) وهي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة شمسية واحدة وتساوي ٤٥،٩ مليون مليون كيلو متر، علما بأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة مسافة ٣٠٠ ألف كيلو، أي يدور الضوء حول الأرض ٨ مرات تقريبا خلال الثانية الواحدة أو خلال نبضة القلب الواحدة، ويقطع الضوء المسافة بين الأرض والقمر خلال ١,٥ ثانية، ويقطع المسافة بين الشمس والأرض خلال ٨,٢٥ ثانية، واقرب نجم إلى الشمس هو ألفا قنطورس ويبعد ٤,٤ سنة ضوئية ، ويبعد نجم الشعرى اليمانية ٨,٨ سنة ضوئية، ويبلغ قطر مجرتنا درب التبانة ١٠٠ ألف سنة ضوئية، واقرب مجرة إلى مجرتنا هي مجرة المرأة المسلسلة وتبعد عنا ٥.٢ مليون سنة ضوئية، بينما يصل قطر الكون المنظور أي الذي يمكن أن تراه عيوننا من خلال اضخم تلسكوب فلكي يصل إلى ٣٠٠ مليون سنة ضوئية !

وعندما أطلق تلسكوب الفضاء هابل ليدور حول الأرض خارج غلافها الغازي لتلافي مشاكله في رصد الأجرام السماوية الباهتة، ظن بعض الفلكيين انهم سيشاهدون من خلال هذا التلسكوب المتطور حدود الكون، وعندما التقط التلسكوب الصور الأولى للسماء، **بينت الصور وجود مجرات هائلة البعد بحيث ظهرت كبقعة ضوئية صغيرة لا يتجاوز حجمها رأس الدبوس، وإذا بهذا الكون أوسع حتى من قدرة كل المراصد الفلكية الحديثة**، وأمام حجم هذا الكون الهائل لا يسعنا إلا أن نقول: سبحان الله العظيم الذي بنى هذا الكون ولا يستطيع أي مخلوق أن يكشف أسرار الكون كله!

والان بعد أن عرف العلماء حجم الكون الذي لا نعرف له حدوداً، اخذ العلماء يتساءلون: ماذا يوجد خلف هذه المجرات البعيدة في أعماق الكون؟ والى أين يمتد هذا الكون؟ وأين هي حدود الكون؟ تبقى هذه الأسئلة مطروحة حتى الآن دون إجابة، لكنها تدل بلا شك على عظمة الخالق عز وجل!

كيف يقبض العلم؟

■ **بقلم الشيخ زيدان محمود سلامة**

ان مجالس العلم روضة من رياض الجنة، بشرنا رسول الله ﷺ فقال: «اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها»، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «مجالس العلم» واختص الله رسوله بجوامع الكلم فكان يسوق المعنى الجامع الحكيم في ألفاظ محدودة قليلة.

ومن جوامع كلامه ﷺ ما جاء في الصحيحين عن سيدنا عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما، ان رسول الله ﷺ قال: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب العباد، ولكن بقبض العلم بقبض العلماء، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وقد عرف بعض العلماء العلم بأنه نور يقذفه الله عز وجل في قلب من يحب من عباده، فيجعله هذا النور موفقاً في قوله وفي فعله، مسدداً في سلوكه وفي فكره، مهتدياً الى الصواب في كل الوان حياته، وصدق الله العظيم اذ يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن العلم والعلماء، فتارة يبين ان فضيلة العلم على رأس الفضائل التي أمر الله عز وجل رسوله ان يسأله المزيد منها: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ وتارة ينفي المساواة بين من

يعلم الحق وبين من يجحده، فيقول رب العزة: ﴿**فمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب**﴾.

ويضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، لا يفهم مقاصدها إلا من رسخ في العلم وتفتح عقله فقال عز وجل: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون**﴾، وتارة يخبرنا عز وجل ان اكثر الناس خشية له الذين شغلوا حياتهم بالعلم النافع، يبشرهم برفع الدرجات فيقول تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾، وتارة يمدحهم بأنهم هم الذين شهدوا لذاته بالوحدانية بعد ملائكته الكرام، فيقول سبحانه: ﴿**شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم**﴾.

وفي السنة الشريفة عشرات الأحاديث التي تمدح العلم وتكرم العلماء، مثل قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» -اي يفهمه أمور دينه- وإنما انا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذا الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي الله بأمره».

وعندما نتحدث عن العلم والتحلي به نقصد كل علم نافع، سواء أكان من العلوم الدينية كعلوم القرآن والسنة وعلوم الفقه وأصوله، أم كان من العلوم الدنيوية كعلوم الزراعة والصناعة وعلوم الطب والهندسة، وعلوم الحاسبات والاتصالات، وعلوم البر والبحر والجو والفضاء والسلم والحرب.. وغير ذلك من العلوم التي تقوم على البحث المتواصل، لأننا في عصر تتنافس فيه الأمم وتتباهى وتتفاخر بكثرة عدد علمائها في كل مجال، وكل علم راسخ ديني أو دنيوي، متى كانت فطرته تقية حسنت صلته بخالقه، ووقف عند حدوده وكان من الصالحين لعمارة هذا الكون.

وكان ﷺ يأمر بعض أصحابه بالذهاب الى البلاد غير الاسلامية، ليتعلم من اهلها فنون الأسلحة التي يستعملونها في حروبهم، ويتعلم منهم ما يعود بالخير، وأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم اللغتين: السريانية والعبرية، فتعلمها في مدة يسيرة لكي يترجم للرسول ﷺ، وفي مجال الطب أمر ﷺ بالتداوي فقال: «ان الله لم يخلق داء الا وجعل له دواء فتداووا يا عباد الله».

وفي مجال الزراعة قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو انسان أو حيوان الا كان له به صدقة»، والعلم نافع لصاحبه متى استعمله في الخير لا في الشر، في الاصلاح لا في الفساد، في تعمير الأرض لا في تخريبها، في نشر الأمان والرخاء، يطوي لصاحبه الزمان والمكان، يقرب البعيد ويلين الحديد، ويذلل المصاعب ويقلل المتاعب، **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**.

❖ ولكن متى يقبض العلم:

يقبض العلم ويقل عندما يرحل العلماء الأعلام عن دنياهم، ويأتي من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» لا يمحوه من صدورهم ولا يرفعه من بين ايديهم، بل بقبضه لأرواح العلماء وبسبب موت حملته.

وفي الحديث الشريف عن ابي أمامة رضي الله عنه قال: لما كان النبي ﷺ في حجة الوداع قال: «خذوا العلم قبل ان يقبض أو يرفع، فقال رجل: يا رسول الله، وكيف يقبض العلم أو يرفع؟ فقال ﷺ -ثلاث مرات-: ألا ان ذهاب العلم يكون بذهاب حملته» اي بموت حملة هذا العلم دون ان يوجد من يرثهم في علمهم.

ولذا قال بعض العلماء: «ان الله لا ينزع العلم من الناس بعد ان تفضل به عليهم، وانما يكون انتزاعه من صدورهم تضييعهم للعلم، وبسبب انصرافهم عن تحصيله، وبسبب عدم اهتمام اللاحقين لنشر العلم اهتماماً يشبه السابقين، وينشر العلم ويؤتي ثماره الطيبة عندما يعشق أهل الخبرة كتابته وصيانته من التحريف والتبديل أو التأويل السقيم.

فإن العلم يزول عندما يكون سراً، ويقبض العلم ويندثر عندما يُهمل ويترك، ويستخف به وبحملته، وعندما تمتد اليه الأيدي الخبيثة والأفكار الرديئة والاتجاهات السيئة، وعندما يكثر الجهل بقيمة العلم وبأثره الطيب في سعادة الناس، سعادة تنفعهم في حياتهم، وهذا شأن الأمم التي يكثر فيها العلماء الأمناء في نقل العلم وتبليغه وتثبيته، وفي وقوفهم عند حدود تخصصهم، ويرتفع العلم

الصحيح ويكثر الجهل عندما يأخذ بعض الناس فتاواهم ممن ينطقون بالباطل من القول، وممن يؤولون ما هو حق تأويلاً سقيماً، وهؤلاء هم الذين أشار اليهم سيدنا رسول الله ﷺ في قوله: «حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وأما الذين يستعملون علمهم في القتل والبغي والتدمير والتخريب، فهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾ اعطيناه علماً نافعاً فأعرض عنه وانسلخ منه فأصبح الشيطان تلميذاً وتابعاً له كما قال الشاعر:

وكان فتى من جند ابليس فارتقى
به الحال حتى صار ابليس من جنده

وهكذا العلم اذا استعمل في الخير نفع وأفاد، واذا استعمل في الشر اهلك وأباد، ان الحياة بغير علم صحيح نافع، تعد حياة ينقصها الخير الكثير، وان ضياع العلم وزواله دليل على قرب قيام الساعة.

فمن علامات قرب قيام الساعة ان يرفع العلم، وان يفشوا الجهل، وان الناس في نظر الاسلام هم احد رجلين، اما متعلم يطلب الرزق، واما عالم يطلب المزيد من العلم، والعالم والمتعلم شريكان في طلب الخير.

ومن أقوال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه لأحد تلاميذه، وهو كميل بن زياد: «العلم خير من المال، والعلم يحرسك وانت تحرس المال، العلم يزيد بالنفقة، والمال ينقص بالانفاق، العلم حاكم والمال محكوم عليه».

ومن أقوال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وان طلبه عبادة، وان مذاكرته تسبيح، وان تعليمه لمن لا يعلمه صدقة، هو الأنيس في الوحشة، وهو الصاحب في الغربة، وهو الدليل في السراء والضراء، وهو السلاح على الأعداء، يرفع الله تعالى بالعلم أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بأقوالهم وأفعالهم».

والحمد لله رب العالمين

حقائق مثيرة عن الموت الأصغر

■ بقلم الاستاذة مجد اسعد

النوم آية من آيات الله، له قيمة حيوية في حياتنا فهو عملية جسمية نفسية ضرورية، لتحقيق الصحة النفسية والجسمية، إننا نقضي ثلث عمرنا نائمين قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً﴾.

- نرى النوم راحة للجسم المتعب، وقيل: إنه راحة للعقل والجهاز العصبي ولكن المخ يظل نشطا أثناء النوم ومن فعالياته الأحلام، وتقلصات العضلات واسترخاؤها، وحركات العين السريعة وتغير الهرمونات في الدم وهناك اكثر من ذلك، بل ان النوم اشبه ما يكون بحالة موت، يقول الله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾.

- ان النوم ما يزال محتفظاً بأكثر أسراره، والعلم ما يزال يكتشف جديدا كل يوم وتخفى عنه اشياء، فقد كانت حالة الجندي المجري الذي اصيب برصاصة نفذت من مقدمة المخ، وذلك اثناء الحرب العالمية الأولى وبعد شفاء ذلك الجندي لم يعد ينام بالرغم من المحاولات التي استخدمت فيها حتى الأدوية، وتوقع المختصون من العلماء موته بعد وقت طويل وانه لن يعمر، وعلى الرغم من ذلك فقد واصل الجندي حياته بطريقة طبيعية ولم يستطع أحد معرفة اسباب ذلك.. ويبدو أن التوتر الذي يقترن بعدم النوم أخطر من عدم النوم ذاته.

❖ تعريف النوم:

هو حالة طبيعية متكررة يكون فيها الكائن الحي في حالة الهدوء وتكون فيها

الحواس في حالة عزلة نسبية عن المحيط الخارجي، والنوم أساساً حالة من حالات سلوك الفرد ولكن هناك التغيرات الفسيولوجية الجسمية تصاحب النوم وتجعل إمكان التعرف على حالة النوم وتميزها من خلال التغيرات. مثل التغيرات التي تطرأ على موجات المخ الكهربائية أثناء النوم.

❖ مراحل النوم:

عندما يبدأ الإنسان بالنوم يدخل في مراحل متعددة تعرف بالمرحلة الأولى – الثانية– الثالثة – الرابعة.

ففي حالة اليقظة يتميز تخطيط المخ الكهربائي بموجات منتظمة ذات ذبذبة تتراوح من ٨ – ١٢ دورة في الثانية تسمى موجات – الفا– + أ، وعندما يشعر الإنسان بالنعاس تبدأ هذه التموجات المنتظمة بالزوال تدريجياً وتبدأ مرحلة النوم الأولى.

❖ المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى من النوم هي مرحلة النوم الخفيف أو حالة النعاس الشديد، وبها تختفي موجات + الفا، ويتميز تخطيط المخ بموجات ضعيفة + قليلة الفولتية؛، وغير منتظمة وذات ذبذبة أقل تردداً. تستمر هذه المرحلة وقتاً قليلاً يتراوح بين عدة ثوان إلى عدة دقائق وبعدها تبدأ المرحلة الثانية.

❖ المرحلة الثانية:

وتتميز هذه المرحلة بموجات كهربائية مخية تشبه المرحلة الأولى بالإضافة إلى ظهور اشكال موجية على شكل مغزل تسمى + مغازل النوم، وموجات أخرى تسمى بموجات + ك؛ وبعد ذلك بوقت قصير + دقائق قليلة، تبدأ مرحلة النوم الثالثة.

❖ المرحلة الثالثة:

يكون النائم في هذه المرحلة في نوم عميق تبدأ فيه موجات المخ بالتباطؤ الشديد ولكنها ذات + فولتية عالية قوية، أي ان الموجة تكون كبيرة الحجم ولكنها بطيئة بحوالي موجة واحدة إلى ٤ موجات في الثانية وعندما تبدأ هذه الموجات البطيئة بالتكاثر بحيث تشغل اكثر من نصف موجات المخ الاعتيادية تبدأ عندئذ المرحلة الرابعة من النوم.

❖ المرحلة الرابعة:

تعتبر هذه المرحلة امتداداً للمرحلة الثالثة ويكون عندها النائم في مرحلة نوم أعمق من سابقتها.

- ويستغرق النائم في مراحل النوم الاربع السابقة حوالي ٩٠ دقيقة.

- يكون الجسم عادة فيها مسترخياً بلا حراك.

- يكون فيها التنفس بطيئاً ومنتظماً.

- ودقات القلب والضغط واطئة ومنتظمة. أي يكون فيها الجسم في حالة سكون وأعضاء الجسم بصورة عامة تعمل على أبطأ مستوى. ولهذا يسمى النوم خلال المراحل الأربع: النوم الهادئ أو النوم المنتظم، بعد انتهاء المرحلة الرابعة يبدأ النائم مرحلة جديدة مختلفة جداً عن سير المرحلة الرابعة السابقة حيث يبدأ الجسم فيها بعمل تغيرات مفاجأة في وظائفه:

- تبدأ دقات القلب بالازدياد بطريقة غير منتظمة.

- كذلك عملية التنفس تزداد وبطريقة غير منتظمة أيضاً.

- يرتفع قليلاً خلالها ضغط الدم.

- يبدأ الجسم بالحركة، والنائم يتقلب من ناحية إلى أخرى بالرغم من ارتخاء العضلات.

- تميز عين النائم هنا بحركات عشوائية سريعة ومستمرة بدون إنقطاع إلى حين انتهاء هذه المرحلة من النوم.

ولا يُعرف إلى الآن سببٌ لهذه التغيرات النشيطة في الجسم عندما يكون النوم في اعمق مراحله.

- واكثر ما يميز هذه المرحلة من النوم ظهور الأحلام، ولا يوجد شخص يمر بهذه المرحلة دون أن يحلم، ولكن كثيراً ما ينسى هذه الأحلام بمجرد يقظته، وتسمى بمرحلة + النوم النشط، ويستمر هذا النوع من النوم حوالي ٢٠ دقيقة يبدأ معها النوم يخف تدريجياً وربما وصل إلى مرحلة الاستيقاظ ولكن النائم لا يذكر حتى لو وصل فعلاً إلى مرحلة الاستيقاظ لأنه سوف يرجع النوم مباشرة ويبدأ بالمرحلة الأولى فالثانية فالثالثة والرابعة أي مرحلة النوم الهادئ ولمدة ساعة ونصف الساعة + ٩٠ دقيقة، ثم يدخل مرحلة النوم النشط وتبدأ الأحلام ثم يعيد الدورة مرة أخرى وهكذا إلى الصباح وتكون عادة كمية النوم النشط أو الحالم مجموع ٢٠ - ٢٥٪ من مجموع النوم كله ويزداد تركيزه عند اقتراب الصباح إلى آخر النوم.

منهج الإمام برهان الدين الزرنوجي

■ بقلم الاستاذ بسام بندق

لقد اهتم الإسلام منذ أول شأنه بالعلم والتعليم، فكان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الانسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: ١-٥ .

واهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه وقامت رسالته ﷺ على العلم والتعلم، وكان ﷺ المعلم الأول، ومن ذلك قوله ﷺ: "إنَّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً"[(١)].

واهتم الصحابة والتابعون من بعده بنشر العلم وتعليمه، وانتشر أصحابه في الأمصار يعلمون الناس، فأخذ عنهم التابعون.

وقد طور المسلمون لأنفسهم نظريات في التعليم كانت الرائدة في هذا المجال، وظهر علماء منهم كتبوا في هذا الموضوع مثل بدر الدين بن جماعة في كتابه: "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم"، والخطيب البغدادي في كتابه: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، والغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين" ورسالة "أيها الولد المحب"، وكذلك الزرنوجي في كتابه: "تعليم المتعلم طريق التعلم" والذي أقدم له بدراسة مختصرة، ولكن للأسف لا تسعفنا المصادر المتوفرة في التراجم والأعلام عن سيرة هذا العالم بشيء ذي بال، إلا إشارة إلى

العصر الذي عاش فيه.

❖ **المؤلف في سطور:**

● **اسمه:** برهان الدين الزرنوجي.

● **سنة ومكان ولادته:** لا تعرف سنة ولادته تحديدا لعدم ذكر المصادر لها، ولكن من خلال النظر في شيوخه الذين سيرد ذكرهم لاحقا، نستطيع الاشارة الى أنه عاش بين القرنين السادس والسابع الهجريين، **أما مكان ولادته** فهي زرنوج التي ينسب إليها وهي بلد مشهور مما وراء النهر بعد (خوجند) من أعمال تركستان(٢).

● **سيرته العلمية:**

أخذ العلم عن مشايخ الحنفية وتأثر بهم، ويظهر ذلك واضحا من خلال إكثاره في النقل عن بعضهم والإشارة كذلك إلى مؤلفاتهم، فقد أكثر النقل عن المرغيناني صاحب كتاب "الهداية" المتوفى سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، وقال عنه في أحد المواضع: "وكان أستاذنا برهان الدين صاحب الهداية.."(٣).

ومن شيوخه أيضا، وهم من فقهاء الحنفية، فخر الدين الكاساني صاحب كتاب "بدائع الصنائع" المتوفى سنة ٥٨٧ هـ /١١٩١م، وكذلك ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بجواهرزاد، المتوفى عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م.

أما من أخذ عنه العلم من تلامذته فلا يعرف منهم أحد، ولم يعرف من مؤلفاته إلا كتابه المعروف باسم "تعليم المتعلم طريق التعلم" كما سماه بنفسه(٤).

● **وفاته:**

لم تعرف وفاته على وجه التحديد، ولكن الظاهر أنها في حدود سنة ٦٤٠هـ أو ما قبلها أو ما بعدها، لأنه عرف من طبقته النعمان بن إبراهيم الزرنوجي المتوفى سنة ٦٤٠هـ، كما ذكر محقق الكتاب نفسه(٥).

❖ **وصف الكتاب:**

● **التحقيق**

حقق الكتاب الدكتور الشيخ مروان قباني ونشره وطبعه المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، والكتاب يقع في جزء واحد فقط، عدد صفحاته مع مقدمات التحقيق والفهارس (١٤٢) صفحة، واعتمد المحقق على ثلاث نسخ مخطوطة في تحقيقه للكتاب،

محفوظة في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش، تاريخ نسخ الأولى يعود إلى سنة (١١٥١)هـ، والثانية يرجع تاريخها إلى سنة (١١١١)هـ، والثالثة متن ضمن شرح للكتاب كتبت عام (٩٨٦)هـ.

واعتمد المحقق أيضا على نسختين مطبوعتين: الأولى طبعت في دار إحياء التراث العربية بالقاهرة بدون تاريخ، والثانية غير معروفة الدار والتاريخ.

وقد وجدت طبعة أخرى للكتاب بتحقيق عبد الجليل العطا "البكري" صادرة عن دار النعمان للعلوم - دمشق/الطبعة الأولى (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ومعها وصية أبي حنيفة.

● **وصف أبواب الكتاب وفصوله:**

احتوى الكتاب على ثلاثة عشر فصلا، تدور معظمها حول آداب طالب العلم، وما يجب عليه من توقير حق العلم والعلماء، والجد والنشاط في طلب العلم وتحصيله، ومراتب العلوم، ووقت التحصيل، والتحذير من النسيان، والحث على الحفظ وذكر أسبابه وما يعين عليه.

● **أهمية الكتاب:**

١. إن الاهتمام المتزايد في هذا العصر، بعملية التعليم والتعلم والسعي وراء البحث عن طرق حديثة لتحصيله، وظهور ما يسمى بعلم النفس التربوي، وطرائق التدريس الحديثة؛ يجعل لهذا الكتاب أهميته الخاصة، حيث قدم فيه المؤلف خلاصة وافية عن طرق التعلم التي كانت سائدة في زمانه، وما يمكن الاستفادة منه في هذا العصر.

٢. الزرنوجي يقدم لنا في هذا المؤلف المختصر: السمات العملية لتطبيق النظرية التربوية الإسلامية سماه: "تعليم المتعلم طريق التعلم" .

٣. واهتم الزرنوجي بعرض أهم الملامح لهذا الباب أو جزء منه باختصار في:

أ. بيان ماهية التعلم وفضله، وذكر العلوم النافعة والعلوم الضارة.

ب. التأكيد على دور النية في طلب العلم وأثر الإخلاص في المحافظة عليه.

ج. احتياج العلم إلى النشاط والاستعدادات.

د. تقديم البرامج المفيدة في كيفية التلقي والمذاكرة والحفظ.

هـ. تعظيم العلم والعلماء وإنزالهم منازلهم.

و. التأكيد على الأخلاقيات المسلكية والعملية في طلب العلوم والتلقي عن المشايخ.

ز. عدم إضاعة الوقت واستثماره والإفادة منه في تلقي العلوم وطلبها.

● **أثره على العلم والعلماء:**

ذكر هذا الكتاب مجموعة من العلماء وأثنوا عليه خيرا، ولقد ظهرت دراسات حديثة عن حياة الزرنوجي وفكره التربوي واهتم بشرح هذا وتقديمه للناس.

يقول عنه العلامة اللكنوي: "طالعت كتاب تعليم المتعلم، وهو كتاب قليل الحجم، كثير المنافع، وهو نفيس مفيد"[٦] وشرحه الشيخ إبراهيم بن إسماعيل سنة ٩٩٦هـ، وممن كتب عنه الدكتور سيد عثمان في كتابه المسمى: "التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي"، وقد أكثر المعاصرون النقل من هذا الكتاب[٧].

● **شروح الكتاب:**

شرح الكتاب الشيخ إبراهيم بن إسماعيل عام ٩٩٦هـ /١٥٨٨م، وطبع هذا الشرح في القاهرة سنة ١٣١١هـ، وكذلك قام الدكتور سيد عثمان بنشر دراسته حول الزرنوجي وآرائه التربوية سنة ١٩٧٧م، وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب سنة ١٩٣٨م إلى الفرنسية، مع عرض لبعض آرائه في التربية على يد إبراهيم سلامة، وشرح الكتاب كذلك باللغة التركية تحت عنوان "إرشاد الطالبين في تعليم المتعلمين" للشيخ عبد المجيد بن نصوح بن إسرائيل.

❖ **منهج المؤلف في الكتاب:**

● **سبب التأليف:**

أورد المؤلف في المقدمة سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: لما رأيت كثيرا من طلاب العلم في زماننا يجدّون إلى العلم ولا يصلون؛ لما أنهم أخطأوا طريقه وتركوا شرائطه، وكل من أخطأ الطريق ضل ولا ينال المقصود قل أو جل، فأردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم"[٨].

قلت: من هذا النص نجد أن سبب التأليف يرجع إلى الممارسات الخاطئة في كيفية تحصيل العلم وطلبه، والتي ظهرت في عصر المؤلف.

● المنهج في جمع المعلومات والإجراءات:

١. ما أخذه من الكتب.

٢. ما سمعه من شيوخه.

٣. خبرته الشخصية.

وقد أوضح منهجه في ذلك بقوله: "وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتب، وسمعت من أساتذتي أولي العلم والحكم"(٩).

● الضوابط:

١. نسبة الأقوال إلى أصحابها، وذكر مصادرها التي وردت فيها في بعض الأحيان، كما في الصفحات: (٥٧، ٧٧، ٨٤، ٩٦)، وغيرها كثير.

٢. أما الضوابط الخلقية فهي كثيرة، وقد عقد فصولا في بيانها، وهي الورع في التعلم، وفي التوكل وفيما يجلب الرزق ويمنعه،وما يزيد في العمر وما ينقصه.

❖ سمات مناهج البحث:

رتب الشيخ أفكاره ترتيبا منطقيا، وصاغها بأسلوب واضح وسهل، وبعبارة قليلة جامعة، تؤدي بنفسها المعاني الكثيرة، وكان ينسب الأقوال إلى أصحابها دائما وأحيانا اسم المؤلَف الذي وردت فيه العبارة، ولا يغمط أحدا حقه، حتى في الأبيات الشعرية، ويميز بين ما ينسبه لنفسه وما هو لغيره.

ورتب المؤلف الكتاب حسب فصوله ترتيبا حسب طريق السلف، فابتدأه بعقد فصل حول العلم وفضيلته، ثم تحدث عن الآداب التي ينبغي لطالب العلم الاتصاف والتحلي بها؛ حيث بدأ بإخلاص النية في طلب العلم، وختمه بفصل يبحث في كمال الأدب والعلم لطالب العلم في نفسه.

أما عن موقفه من العلماء السابقين، فهو يجلهم ويحترمهم ويذكرهم بألقابهم، انظر على سبيل المثال لا الحصر الصفحات (٦٤، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٢)، ولقد فصل في كتابه حول تعظيم العلماء وتوقيرهم تحت عنوان "تعظيم العلم وأهله".

❖ الخاتمة:

من مطالعتي للكتاب، وجدت أن المؤلف يستخدم أسلوب التدرج في عرض المعلومة، ويبسطها قدر الإمكان بعيدا عن

الإيغال والتعقيد، وهذا منهج ملائم -في نظري- لعصرنا الذي كثرت فيه العلوم، وتعقدت فيه الاختصاصات، وكثرت مصادر المعلومات كثرة لا إحاطة بها؛ لذلك ينبغي الأخذ بهذا الأسلوب لما فيه من تحقق النشاط والجد في طلب العلم وارتياده والإقبال عليه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن المؤلف يهتم بإبراز طرائق التدريس، وهذه أيضا سمة من سمات العصر الحاضر، أكد عليها المؤتمر الوطني لتطوير المناهج في الأردن وحتى على مستوى العالم كله، من خلال المبادرة التي أطلقها الأردن لتوظيف التقنيات الحديثة، وإعداد المعلمين المؤهلين للتعامل مع مقتضيات العصر وتطور المعرفة، وتنوع مصادرها.

وأكد المؤلف من جهة ثالثة على أهمية وجود العالم القدوة والنموذج الأمثل، الذي يقدم خلاصة معارفه لطلابه ومريديه، وهذا أمر نفتقده في عصرنا الحاضر، عصر طغت فيه المادية وأصبح فيه طلب العلم لتحقيق الشهادات والشهرة وجلب الكسب المادي، وهذا ما عبرت عنه بعض وسائل الإعلام "بحمى الدال"، أي التسابق للحصول على شهادات الدكتوراه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❖ الهوامش:

١- رواه مسلم في كتاب الطلاق .

٢- معجم البلدان ٣٨٧/٤.

٣- تعليم المتعلم طريق التعلم ص٧٤.

٤- المصدر السابق ص٥٣.

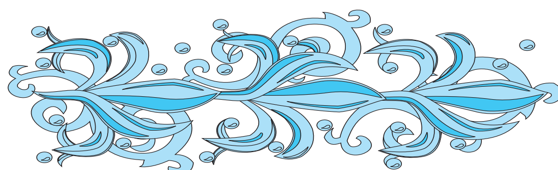
٥- المصدر السابق ص٢١.

٦- تعليم المتعلم طريق التعلم ص٣٥

٧- المرجع في تدريس علوم الشريعة/القسم الثاني ص٥٩، تحرير عبد الرحمن صالح عبد الله.

٨- تعليم المتعلم طريق التعلم ص٣٥.

٩- المصدر السابق.



أهميــة الاســرة في الإســلام

■ بقلم: الاستاذ عبد الله محمد ابو زيد

❖ مفهوم الاسرة:

معنى الاسرة في اللغة: الدرع الحصينة، واسرة الرجل: عشيرته ورهطه الادنون، لأنه يتقوى بهم[1].

أما في المعنى الاصطلاحي "فيبدو ان معرفة المقصود بالاسرة بصورة محددة قاطعة ليس بالامر اليسير، رغم ان مدلول الاسرة معروف لدى جميع الناس، وموجود في كل مكان، ولعل مرد هذه الصعوبة الى عاملين:

١- خلو القران الكريم والسنة النبوية المطهرة من اصطلاح الاسرة او ما يعادله تماما، ولعل لفظ "أهل" الذي تردد ذكره فيهما هو أنسب الالفاظ للدلالة على معنى الاسرة.

٢- غموض مدلول كلمة اسرة وكونه مطاطا، ولكن هذا لا يمنع من وجود محاولات لتعريف الاسرة وتحديد المقصود منها في الاصطلاح الشرعي والاستماعي، واما المفهوم الشرعي للاسرة هو الوحدة الاولى للمجتمع، واولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكتسب منها

الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه "أما في مفهوم علم الاجتماع فهي : رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة واطفالهما، وتشمل الجدود والاحفاد، وبعض الاقارب، على ان يكونوا مشتركين في معيشة واحدة[٢]" **ويمكننا ان نعرف نظام الاسرة بأنه** " تلك الاحكام والمبادئ والقواعد التي تتناول الاسرة بالتنظيم، بدءاً من تكوينها، ومرورا بقيامها واستقرارها، وانتهاء بتفرقها، وما يترتب على كل ذلك من اثار، قصداً الى ارسائها على اسس متينة تكفل ديمومتها، واعطاءها الثمرات الخيرة المرجوة منها "[٣].

❖ أهمية الاسرة:

من المعلوم ان الاسرة لبنة من لبنات الامة، وهذه الامة تتكون من مجموعة اسر، يرتبط بعضها ببعض، ومن الامور البدهية ان البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة او ضعف، فكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنات اضعف وانحلال كانت كذلك الامة[٤].

ومن هنا كان اعتناء الاسلام بالاسرة، فجاءت النصوص القرانية والاحاديث النبوية الشريفة، مبينة الاحكام المتعلقة بالاسرة بصورة تفصيلية شاملة، لانشاء الاسرة الطيبة التي تكون نواة المجتمع الطيب الذي يقوم على اسس قوية من الايمان والتواد والتراحم والتكافل، وبيان دورها الكبير في التربية وبناء القيم، ذلك ان الاسرة هي التي تقوم بغرس القيم الايمانية والروحية والاخلاقية، وهذه تعتبر من اسمى واهم مجالات تربية الطفل . وهي التي تربي الطفل تربية اجتماعية تقوم على التزام الاداب الاجتماعية والاصول النفسية النبيلة النابعة من العقيدة الاسلامية، وهي بالتالي تلبي الحاجات الفطرية في الانسان بأن يكون له نسل وذرية مما يسهم في حفظ النوع الانساني واستمرار الحياة[٥].

❖ مظاهر اهتمام الاسلام بالاسرة:

نظرا لاهمية الاسرة في حياة الفرد والمجتمع، ولمكانتها العظيمة في قوة الامة،

اولى الاسلام الاسرة اهتماما بالغا، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما ياتي:

١- وضع الاحكام والضوابط والاداب التي تحكم الاسرة بصورة مفصلة تكفل نجاحها وتحقق اغراضها.

٢- الاعلاء من شأن الرابطة الزوجية بما نجده من حث للزوجين على الوفاق وحسن المعاشرة حتى سماها القران الكريم ميثاقا غليظا، قال تعالى: **﴿وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً اتأخذونه بهتانا واثما مبينا * وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا﴾**[٦] أي اخذن منكم عهدا شديدا موثقا يربطكم بهن اقوى الربط واحكمه، ان هذا الميثاق الذي اخذه النساء من الرجال لا بد ان يكون مناسبا لمعنى الافضاء، في كون كل منهما من شؤون الفطرة السليمة، وهو ما اشارت اليه الآية الكريمة **﴿ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[٧] فهذه آية من آيات الفطرة الالهية هي اقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك ابويها واخوتها وسائر اهلها، والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء، فمن ايات الله تعالى في هذا الانسان ان تقبل المرأة بالانفصال من اهلها ذوي الغيرة عليها، لأجل الاتصال بالغريب تكون زوجا له ويكون زوجا لها تسكن اليه ويسكن اليها، ويكون بينهما من المودة والرحمة اقوى مما يكون بين ذوي القربى، فكأنه يقول: ان المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع انصارها واحبائها لأجل زوجها، الا وهي واثقة بأن تكون صلتها به اقوى من كل صلة، وعيشتها معه اهنأ من كل عيشة، وهذا ميثاق فطري من اغلظ المواثيق واشدها احكاما[٨].

٣-حث الاسلام على الزواج والترغيب فيه، والتحذير من العزوبة والنهي عنها.

٤- اختصاص عقد الزواج - اصل الاسرة - وتفرده ببعض الاحكام دون سائر العقود، وذلك صيانة له، وحرصا على دوامه واستقراره، كوضع مقدمات له،

واشتراط الاشهاد عليه، ومنع التأقيت فيه[٩].. ومن هنا نرى ان الزواج في الاسلام يأخذ نفس العناية التي تأخذها الاسرة ان لم تكن اقوى واشد، ولا نعرف ديناً من الاديان الا وكان للزواج فيه المكان الاول مما يستدعي العناية والاحترام، وكذلك لا نعرف امة من الامم التي تعرف قيمة الحياة، الا كان بالزواج لديها آخذاً تلك المكانة من العناية والاهتمام، وليس ذلك فقط لان الزواج اصل الاسرة، بل لانه ايضاً مما تدعو اليه الفطرة وتقضي به الطبيعة[١٠].

واخيرا اختم اقوالي بعد هذا كله عن الاسرة واهميتها: انه حريٌّ بنا كمسلمين ومؤمنين بمنهج الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، الاهتمام بالاسرة والعناية بها وان نحافظ عليها بأن تبقى متماسكة ومتينة، تقوم على اساس من الحب والوئام وتورث ذلك لاعضائها وبالتالي تقل وتضعف المشاكل بين الزوجين اللذين هم اساس الاسرة وقوامها ولا يمكن مهما تعددت الاسباب، ان يصلا الى هذه المشاكل مما يؤدي الى انهيار بيت الزوجية، سائلاً المولى العزيز ان يحفظ اسرنا وازواجنا وذرياتنا وان يصونها من الانحلال والضياع.

الهوامش:

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الطبعة الاولى،١٩٩٦، ص ١٦، مادة اسر، لسان العرب، مادة اسر ٤/١٨ .

(٢) نظام الاسرة في الاسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الاردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص ١٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٩ .

(٤) الاسلام عقيدة وشريعة، شلتوت، مرجع سابق، ص١٥٩ .

(٥) نظام الاسلام ، د. محمود السرطاوي ورفاقه، الوحدة الخامسة، د. ذياب عقل المركز العربي للخدمات الطلابية، عمان، الطبعة الاولى ١٩٩٦، ص ١٤٩، ١٥٠ .

(٦) سورة النساء، اية ٢٠ .

(٧) سورة الروم، اية ٢١ .

(٨) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٤/٤٦٠ .

(٩) نظام الاسرة في الاسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ج١، ص ٦٧-٧٧، الاحوال الشخصية، د. محمود السرطاوي، ورفاقه، وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، مركز تأهيل الوعاظ والأئمة، عمان، ١٩٩٠، ص١٦، ١٧ .

(١٠) الاسلام عقيدة وشريعة، ص ١٥٩، ١٦٠ .

ملكةُ الملكات

من ديوان (زخاَت مطر)

شعر الواعظة/ بسمة محمد أبوعياش

شمسٌ تُضيء على الجهات الأربع ... رمز المعالي والمقام الأرفع
(أم الحسين) مليكة في قدرها ... ترعى وترشد بالقرار الأشجع
في كل ميدان تراها قائداً ... تبدو بحسن الشكل حسن المطلع
إن المليكة تاجها أفعالها ... خير عطاء بالسخاء المبدع
أنا إن مدحت مليكتي بقصيدة ... لكن مقامك كالنجوم اللمع
القول في فمك البليغ قصيدة ... عصماء في لحن بديع مسجع
وهبت وأعطت رأيها برجاحة ... تعطي وترشد بالحديث الممتع
لو تسعفيني كي أقول قصيدتي ... كيما أقدم للمقام الأرفع
أنت القيادة والصحيح برأيها ... إن جد جدٌّ في كريم الموقع
يا ملكة الملكات تاجك ناصع ... أصفى وأنقى من صفاء المنبع
يا ملكة الملكات أنت مضيئة ... ليلاً ونهاراً في الوجود الأوسع
يا ملكة الملكات يكفي أنكم ... فوق العروش مليكتي تتربعي
يا ملكة الملكات عزا وعلا ... الشمس شمسٌ لا تسد ببرقع
لو تسعفيني كي أقول قصيدتي ... في ذكر قدرك والمقام الأرفع
في العلم والتعليم أنت منارة ... دوماً تشع وبالثقافة والوعي
ما بين مدرسة وجامعة وما ... إلا تراها في حضور الموقع
وعنيت دوما بالشباب وحالهم ... رمز العطاء إلى الشباب المبدع
ومن الشمال إلى الجنوب ضياؤها ... غربا وشرقاً بالشعاع الألمع
زهت الأماكن بالزيارة عندما ... أغدقت خيراً بالعطاء تتبرعي
ليلاً نهاراً في عطاء دائم ... قلب كريم في حنايا الأضلع

إن جـد أمـرٌ في مكان كـائن   فورا نراك إلى التلاقي تسرعي
والقدس تضحك من سخاء دائم   يا شمس بالإشعاع لما تُسطعي
(القدس) تزهو إذ تُنيرُ دروبها   نوراً مُشعاً بالعطاء الطّيع
القدس تضحك إذ رأتك بقربها   عوناً عزيزاً بالقرار الأشجع
ومدارس الأقصى رعيت شؤونها   بالخير والإحسان إذ تتبرعي
(الضفتان) تبسمت أفواهها   إما رأتك في بهاء المطلع
خجلت قصيدتي التي أرسلتها   عند انبثاق الضوء ما عدت أعي
الضوء في عيني أصبح ساطعاً   من فيض نورك من شعاع المنبع
أنت الحماية والوقاية للذي   فقد القرابة والمريض الموجع
ونراك في كلّ الأمور مجيبة   بالرأي والرأي السديد المُقنع
شمس تُنير بنورها وضيائها   كل الأماكن في شعاع أنصع
يا من بسطت الخير في كل الحمى   بوركت من خير حميم تصنعي
كفاك خير دائم متواصل   كرم عطوف بالعطاء الأينع
بركات سعيك أزهرت بسنابل   ذهب أصيل من أصيل المصنع
أفواه شعبك بالدعاء لواهج   ليلا نهارا بالدعاء المشفع
يا ملكة الملكات أنت رصيدنا   عند الخطوب وفي الزمان المفجع
يا ملكة الملكات أنت حماية   ووقاية من كل خطب مفزع
سلمت يداك مليكتي فابقي لنا   ذخرا عزيزاً دائما تترفّعي
الكل في نظر المليكة واحد   أهل كرام في احتضان الأذرع
دور اليتامى في عدا عطائها   حتى الثكالى والصغار الرضع
بالخير والبركات جدت تسامياً   في كل يوم بالعطاء الأنفع
فخرٌ وعزٌّ كبرياء وسناً   كل تجمع في الصفات اللمع
إن عجزت عن المقال ولم أعد   أُفضي وأرسل أو أقول وأدعي
(أم الحسين) مكارمٌ وفضائلٌ   شمسٌ تضيء على الجهات الأربع

الحوافز والرضى الوظيفي

■ بقلم الاستاذ بلال ابو الزيت

تعتبر الحوافز من المؤثرات الاساسية، التي تلعب دورا ايجابيا هاما وحيويا في تحسين سلوك الافراد، ومن خلالها تظهر الرغبة لديهم في تطوير الاداء وتفعيله، الامر الذي يمكن معه القول: ان قدرة المؤسسات على تحقيق اهدافها تتوقف الى حد كبير على نجاح الادارة في توفير القدر الكافي من الدافعية لدى الافراد، ووضع نظام فعال للحافز الذي يوجه الاثارة نحو الدوافع التي بدورها تدفع العاملين للانتاج وتحقق لهم الرضا عن ذلك العمل، مما يؤدي الى رفع الروح المعنويه وتحسين الاداء وزيادة معدلات الانتاج.

هذا وقد حث الاسلام على تحفيز الافراد لتأدية الاعمال على افضل وجه وهناك ادلة كثيرة في القرآن الكريم والسنه النبوية المطهرة تؤكد على ذلك.

❖ الحوافز في القران الكريم:

قال تعالى: ﴿ **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع اجر من احسن عملاً**﴾ الكهف: ٣٠، والاجر هنا يشمل سائر المزايا التي كتبها الله لعباده الصالحين سواء اكانت في الدنيا او الاخرة، ويمنح الله تعالى الحوافز للعاملين في صورتها الايجابية (الثواب) والسلبية (العقاب) فالله يعد الذين يفعلون الخير بأن لهم ثوابا كبيراً وتوعد الذين يعملون الشر بأن لهم عذابا عظيما قال تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون**﴾ الانعام: ١٦٠ .

ان الثواب الذي يمن الله به على عباده والعقاب الذي يتوعد به المخالف منهم، يعطي الحياة معنى ويوفر لهم الانضباط والجدية لقوله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً**

ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين﴾ فصلت: ٣٣ .

ان الاسلام يجمع بين الجانبين الروحي والمادي ويجري بينهما توازنا محكما يشير الى ذلك قوله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾** القصص: ٧٧ .

ويقص لنا القرآن الكريم قصة موسى وفرعون قال تعالى: **﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين ❖ قال نعم وانكم اذاً لمن المقربين﴾** الشعراء: ٤١-٤٢ .

حيث دعا فرعون السحرة وحفزهم بالاجر وادخالهم في خاصته ان انتصر على موسى عليه السلام تشجيعا لهم لبذل اقصى ما لديهم من جهد في محاجة موسى عليه السلام.

ان الحافز الالهي اساس لفرض القيم الفاضلة في النفوس، فالله يدعو الى الخير لقوله تعالى: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** البقرة: ٣٨ .

❖ الحوافز في السنة النبوية المطهرة:

يحث الاسلام على دفع اجر الاجير قبل الانتهاء من العمل المكلف به، خوفا من الوقوع في الجدل المذموم مع وجوب الوفاء الفوري به حتى يصبح مفعولا، حافزا على مواصلة العامل لعمله بكفاءة وامانة واخلاص ، فعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه) (سنن ابن ماجة)، وقال ابو سعيد: «اذا استأجرت اجيرا فأعطه اجره» (سنن النسائي).

هذا ويدعو الاسلام الى توفير الحوافز الاجتماعية للعاملين بتحديد ساعات للراحة تخصص لهم، للتخفيف عنهم عناء العمل وكذلك بتوفير الخدمات اللازمة لهم.

عن تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (صحيح مسلم).

وفي هذا تحفيز على الشورى والنصيحة على ان يقدم العاملون ما لديهم من افكار واقتراحات لدعم المؤسسة التي يعملون بها، وان يقول كل شخص رأيه بثقة وحرية لأنه يشعر بأن المسؤول سيسمع اليه جيداً، ومن الممكن ان يأخذ برأيه ان كان سليما ويصب بالتالي في مصلحة العمل ويؤدي الى تحقيق المؤسسة لأهدافها التي تسعى للوصول اليها.

ولقد استخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التحفيز في جميع مجالات الحياة وفي مختلف الظروف، لاستثارة الافراد لتحسين ادائهم واتقانه والفوز بالدنيا والاخرة ومن ذلك تحفيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤلفة قلوبهم بأن اعطاهم من

الغنائم ومن عطايا بيت مـــال المسلمين، تحفيزا لقلوبهم للثبات على دين الاسلام.

ان عملية تحفيز العاملين في القطاعين العام والخاص كان على سلم اولويات جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه، ومن هنا جاءت جائزة الملك عبد الله الثاني لتميز الاداء الحكومي والشفافية لتجذير ثقافة التميز لدى المؤسسات الحكوميــة في الاردن، وحث المؤسسات والافراد على التميز في ادائهم للوصول الى الممارسات المثلى او التفوق عليها، ومن ابرز مرتكزات هذه الجائزة توفير بيئة تساعد على خلق ثقافة التميز ونشرها في المؤسسات ووضع معايير ترسي اسس التميز وتدعم السياسات والبرامج والحوافز التي تؤدي الى احداث نقلة نوعية ، وتطوير اداء الافراد والدوائر والمؤسسات الحكومية لخدمة المواطنين الاردنيين.

ولقد اولت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية اهتماما بالغا في موضوع الحوافز، وحرصت على عدم هجرة ذوي الكفاءات للعمل في الخارج، اضافة الى وجود اطار قانوني في نظام الخدمة المدنية رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٧م وتعديلاته اكد على ترسيخ المفاهيم الحديثة في تقييم الاداء وادارته، واكد على ربط الاداء الفردي بالاداء المؤسسي واعتماد نتيجة التقييم كأداة حفز مادية تسهم في التقدم الوظيفي، وقد عملت الوزارة على تطبيق المادة (٣٠) من نظام الخدمة المدنية رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٧م وتعديلاته بحيث يمنح الموظف مكافأة مالية تقررها لجنة المكافآت في الوزارة في الحالات المنصوص عليها في نظام الخدمة المدنية وهي:

١- اذا قدم براءة اختراع وكان الاختراع ذا فائدة للجهة التي يعمل فيها او المجتمع وتم وضعها موضع التطبيق على ان تتوافر في الاختراع صفة الابتكار والتجديد وعدم النقل.

٢-اذا قدم مؤلفا او بحثا او دراسة تحقق فائدة مهمة ومؤكدة للجهة التي يعمل لديها او للمجتمع.

٣-اذا قام بخدمة متميزة او بعمل ابداعي او حقق انجازاً ترتب عليه وفر في النفقات العامة، ادى الى رفع مستوى الاداء في الدائرة بعد تطبيقه.

ويجوز منح الموظف أي حافز او مكافأة مادية او معنوية او كليهما وتحدد أسس وشروط وحالات منح أي منهما بمقتضى تعليمات يصدرها مجلس الوزراء بناء على تنسيب المجلس.

وللحديث عن هذا الموضوع والذي يخص كل موظف، سواء اكان يعمل في القطاع الحكومي او الخاص فإنه لا بد من التطرق الى بعض الامور مثل تعريف

الحوافز ومفهومها واهدافها وانواعها والمعوقات التي تواجهها.

❖ واقع الحوافز المقدمة للعاملين في وزارة الاوقاف:

تنفذ الوزارة جملة من الاجراءات التي من شأنها ان تزيد من دافعية العاملين في الوزارة لتحفيزهم للعمل بكفاءة وفاعلية منها:

- المكرمة الملكية السامية لموظفي دائرة اوقاف القدس البالغة ٢٨٠٪ منحة صمود و١٠٠ دينار شهريا.
- المكرمة الملكية السامية الخاصة بتمكين الأئمة من الزواج.
- علاوة ٣٠٪ لمدير الاوقاف بالاضافة الى العلاوة الاشرافية ٢٠٪ وعلاوة مراقب التوجيه الاسلامي ٥٠٪وعلاوة الائمة٣٠٪ والمؤذنين١٠٪.
- ايفاد الموظفين في دورات اللغة الانجليزية والحاسوب المجانية.
- ايفاد عدد من الائمة والوعاظ المميزين لبعض الدول الاوربية خلال شهر رمضان المبارك.
- السماح للموظف باتمام دراسته للحصول على مؤهلات علمية اعلى خارج اوقات الدوام الرسمي.
- مشروع رتب الائمة والوعاظ.
- منح العاملين العلاوات المرتبطة بالاداء بموجب نظام الخدمة المدنية فيما يتعلق بالموظف المثالي والموظف المتميز.
- منح الموظف فرص الاعارة داخل المملكة وخارجها.
- منح الموظف الاجازات الدراسية والاجازات المرضية والحج بموجب نظام الخدمة المدنية رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٧م وتعديلاته.

❖ تعريف الحوافز:

كما ورد في نظام الخدمة المدنية رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٧م وتعديلاته.. بأنه بدل معنوي او مادي سواء كان نقدا او تقدماً وظيفياً يمنح كأداة تحفيزية من قبل المرجع المختص لقاء جهد او سلوك او القيام بعمل متميز او اداء اعمال خلال الدوام الرسمي وخارجه، تسهم في تطوير واقع العمل في الدائرة وتحسن صورتها وترفع من مستوى الخدمات المقدمة لمتلقي هذه الخدمة.

❖ مفهوم الحوافز:

تعد سياسات الموارد البشرية في أي مؤسسة، تعبيراً مادياً عن فلسفة الادارة والمبادئ التي تؤمن بها ، والغرض من وضع هذه السياسة، هو الاستخدام الامثل للموارد البشرية المتاحة.

ويعتبر التشجيع والتحفيز من المبادئ التي تحكم قواعد واحكام تلك السياسات حيث اصبحت الحوافز المتنوعة عنصرا اساسيا من عناصر الاجر، يرتبط ارتباطا وثيقا بدفع

وتحريك الدوافع الانسانية نحو الانتاج والعمل سواء اكانت حوافز مادية او معنوية.

ولعل الهدف الاساسي من وضع نظام متكامل لحفز الموارد البشرية، يتمثل في ترغيب الافراد العاملين في العمل والاستمرار فيه والولاء له لغاية خلق مؤسسة تسودها المحبة والتعاون والرغبة الصادقة في تحقيق الاهداف.

❖ اهداف الحوافز:

لقد اثبتت الدراسات والبحوث المختصة في مجال الحوافز والمكافآت، ان هناك اختلافات فردية بين الاشخاص في قدرتهم ورغبتهم، حيث تختلف دوافع الناس باختلاف الاهداف او الاغراض التي يسعون الى تحقيقها، فالدوافع عبارة عن عوامل داخلية (داخل الفرد ذاته) اما الاهداف فهي عوامل خارجية (خارج الفرد) وعلى ذلك نجد ان تحفيز الافراد ينبغي ان يراعي دوافعهم الشخصية ودرجة قوة تحملها ثم استخدامها لتنشيط السلوك وتحقيق الاهداف المرجوة.

❖ ومن اهداف الحوافز ايضا:

- تشجيع المنافسة بين افراد المؤسسة.
- تحسين الانتاجية.
- ابراز انشطة المؤسسة.
- رفع الروح المعنوية لدى افراد المؤسسة.
- الاحتفاظ بالموارد البشرية داخل المؤسسة (عندما يشعر الموظف بأن حقه مهضوم وانه يفكر دوما بترك العمل والبحث عن فرصة اخرى خارج المؤسسة تحقق له اهدافه).
- حفز ذوي الاداء المتوسط الى التقدم والارتقاء الى مستوى افضل من الاداء.

❖ شروط تحقق التحفيز الفعال:

١- ان تكون الحوافز متناسبة مع الجهد المبذول، فليس من العدل منح مكافأة كبيرة نظير عمل عادي، او دفع مكافأة ضئيلة تجاه عمل كبير او ابداع متميز.

٢- الاسراع في تقديم المكافاة وبعد الانتهاء من العمل المنجز.

٣- التنوع في تقديم المكافأة حتى لا يمل الموظف من الحصول على نفس الحافز وحتى لا يفقده قيمته، فمن الضروري الجمع بين الحوافز المادية والمعنوية.

❖ التحفيز عن طريق المكافآت:

بما ان الحوافز من الامور الهامة التي تستخدمها الادارة الناجحة للحصول على تعاون الموظفين، فمن الضروري ايجاد برنامج منظم للحوافز التشجيعية يدفع الموظفين ويشجعهم على اداء العمل بصورة جيدة كما يعمل على تحسين مستوى الاداء، وتستخدم معظم المؤسسات انواعا مختلفة من الحوافز يمكن الاشارة الى بعض منها:

١- **الحـــوافـــز المادية:** والتي تتناسب مع طبـيـعـة الانجـاز وان تعطى في الوقت المناسب دون تأخير.

٢- **الحـوافـز المعنوية:** وهي التي تقدم من المسؤول في المؤسسة عن طريق توجيه كتاب شكر او غيره يحفظ في ملفه.

٣- **الحـوافـز الرادعـة:** وهي التي تتضمن نوعا من العقاب يساعد ذلك في تجنب الاخلال بالعمل.

❖ معوقات التحفيز:

- عدم تشجيع المسؤول للموظفين.
- سوء معاملة المسؤول للموظفين.
- عدم وضوح الاهداف في المؤسسات.
- حاجة المسؤول الى التحفيز.
- عـدم وجـود قنوات اتصـال بين المسـؤول والموظف.
- كثرة القيادات وتضارب اوامرها.
- كثرة التغيير في القيادات خاصة اذا كان لكل مـستخدم اسلوب في العمل يختلف عن سابقه.
- الاخطاء الادارية كتعدد القرارات وتضاربها.
- قلة التدريب وقلة التـوجيـه لتـصـحـيح الاخطاء.
- عدم المتابعة فلا تعرف احيانا المحسن من المسيء.

وهكذا فـــإن الحــــوافـــز من المؤثرات الاسـاسـيـة التي تلعب دوراً هاما في سلوك الافراد داخل المؤسسات، والتي من خلالها يمكن خلق الرغبة لديهم في اداء اعمالهم، الامـــر الذي يمكن القـــول: (ان قـــدرة المنظمـات والمؤســســات على تحـقـيق اهدافها، تتوقف الى حد كبير على نجاح الادارة في توفـــيـــر القـــدر الكافي من الدافعية لدى الافراد، ووضع نظام فعال للحـافــز الذي يوجـــه لاثارة السلوك الانســاني)، وبدورها تدفع الموظفين الى الانتاج وتحقق لهم الرضا عن العمل (مما يـؤدي الـى رفـع الـروح المـعـنـويـة وزيـادة معدلات الاداء).

وبالتالي فإن الحـوافز من الموضوعات المهـمة المطروحة في كثير من الادبيات الاقـتـصـادية على المسـتـويين النظري والتطبيقي في مجالات الاعمال المؤسسية، وقد اكتـسـبت مـوضـوعـات هـذا الجـانب اهميتها وقوتها العلمية بسبب النمو الكبير في القطاعـات المخـتلفـة والتـوسـع في عـمليـاتهـا الانتـاجـيـة وتشـعـب انشطتـهـا وازدياد العاملين فيها.

❖ المراجع والمصادر:

- السلمي علي (٢٠٠٢) ادارة الموارد البــشــرية الاستراتيجية، دار غريب القاهرة.
- الحـسـيني فـلاح حـسن عـدادي (٢٠٠٠) الادارة الاستراتيجية -دار وائل للنشر- عمان.
- الشرقاوي علي، ادارة النشاط الانتاجي في المشروعات.
- بدر الفاعوري ملف عام ٢٠١٠ .

خطبة الجمعة

آثار الذنوب والمعاصي

بقلم الشيخ زياد محمد صغير

الناس مُذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط رحالهم إلا في الجنة أو في النار.. والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال ـ عادة ـ أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر.

وكل منا ينبغي أن يكون على الحال التي يحب أن يكون المسافر عليها، من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير.

يقول تعالى مبيناً حقيقة الدنيا: **﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الحياة الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الحياة الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** الحديد: ٢٠ .

ويقول ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها» قال: أي نام وقت الظهيرة، ونحن في سفرنا إلى الله تعالى نحتاج إلى معية الله تعالى وحفظه، والله تعالى يقول: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** النحل: ١٢٨ .

ورســول الله ﷺ يقــول: «احــفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»، ولكن كـيف نتـقي الله تعـالى؟ وكـيف نحـفظه سبحانه في وسط هذا الخضم الهائل من الفتن؟

إن الأمـر يحـتـاج إلى الصبـر الجـمـيل والعـمل المتـواصل، فكل هذه الفتن اختبـار من الله تعالى لعبـاده المؤمنين ليرى أنثبت أم ننهــار.. يقــول الله تعــالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: ٦٩ .

لقـد علق الله تعـالى الهـداية بالجـهـاد، فـأكـمل الناس هـداية أعظمـهـم جـهـادًا، وأفـرض الجـهـاد جـهـاد النفس، وجـهـاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا.

فـمن جاهد هـذه الأربعة في الله، هداه الله الى سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجـهـاد فـاته من الهـدى بحـسب مـا عطل من الجهاد.

إن الفتن من حـولنا، ولا نجـاة لنا منهـا إلا بفـضل الله تعـالى، ولا ينجـو إلا العـاقل المستـعصم بالله عز وجل، الذي ينظر إلى الشـهوات نظـرة صحـيحـة، فـمـا عند الله خيـر وأبقى، وأي شهوة في الدنيا -تختلط بالألم، ويعقبها ندم- فهي مهما كانت تمل مع الدوام.

أما جنة الخلد، ففيـها ما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطـر على قلب بشـر، نعـيم مقـيم لا يفنى ولا يُمَل، والعـاقل يعلم أن الصــبــر عن الشــهــوة أســهل من ألم عـقـوبتـهـا، نعم الصـبـر عليـهـا أيسـر من عقوبتها.

فـالشـهوة إمـا أن توجب ألماً وعـقـوبة، أيا كانت هـذه العـقـوبة، ولو كـانت بحمل غـيـر متوقع أو بمشاجرات على الفتيات، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، مثلاً، لذة العقل خير من لـذة إذهابه بالخـمـر، والمتـعـة الحـلال أكمل من الزنا بالحرام، وإما أن تضيع وقتاً يكون عليك حـسـرة ونـدامـة، وانظروا إلى العـصـاة كيف يبـعثـرون أوقـاتهم في المبـاح والحـرام، ويوم القـيـامـة الكل سـوف يندم، المحسن والمسيء، وإما أن تثلم عرضا - أي تكسـره وتنتهكه - توفيـره أنفع للعـبـد من ثلمه، وكما تدين تدان.

وإمـا أن تذهب مــالاً بقــاؤه خـيــر من ذهابه، وكم رأينا دفع الأمـوال في الحـرام

ثم حينما يشح المال يندم المفلس.. وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، **﴿ذلكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** الأنفال: ٥٣ .

وإما أن تجلب هما وغما وحزنا وخوفا أضعاف لذة الشهوة وإن ضحك بملء فيه، فالسعادة محلها القلب.. وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة «وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»، فماذا بقي للعاقل؟

نعم.. العاقل يعلم أن ألم مقارفة المعصية أضعاف ألم مفارقتها، وأنه من شؤم المعصية المعصية بعدها، ومن يمن الطاعة الطاعة بعدها، المؤمن يعلم أن الله مطلع عليه يستحي أن يبارزه بالمعاصي.

جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل فقال له: إني سمعت أبياتًا قالها إمام مسجد الحي أريد أن تعطيني فيها رأياً، فقال: وما هي؟ قال الرجل: قال إمام المسجد:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب
لهونا لعمرو الله حتى تتابعت
ذنوب على آثارهن ذنوب

فقام الإمام أحمد بن حنبل من مجلسه ولم ينطق بكلمة حتى دخل داره وأغلق عليه بابه، وسُمع من وراء الباب نحيبه وبكاؤه وهو يردد الابيات، فمن منّا إذا ما خلا يقول ذلك فلا يعصي الله؟

فعلينا جميعًا أن نستشعر شهود الله لأعمالنا نستحي منه، وأن نترك كل ما ألِفناه من أعمال سيئة لله تعالى، فالذي يترك الحرام لإرضاء الله تعالى صادقا مخلصا من قلبه فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في توجهه لله أم كاذب؟

فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة، فمن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه.. فالتائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وفقنا الله جميعًا لما يحبه ويرضاه

والحمد لله



إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الأول - المجلد ٥٥

محرم ١٤٣٢هـ - كانون الثاني ٢٠١١م



ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الأول ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

إلا تنصروه فقد نصره

لا ريب ان ذكرى الهجرة النبوية الشريفة، من أجل الذكريات وأرفعها قدراً، اذ يقف المرء عندها مشدوهاً وقفات طويلة، حتى يأخذ منها العظة والعبرة، لأنها حدث عظيم بارز في تاريخ الدعوة الاسلامية، اذ كانت الخطوة الأولى والكبرى لإقامة قواعد ومرتكزات الدولة الاسلامية، وتحويل المبادئ العظيمة التي جاء بها الاسلام الحنيف الى واقع معاش.

وكلما هل هلال شهر المحرم من كل عام، يقطف المسلمون من رياض هذه الذكرى العطرة، باقات ورد يفوح عطرها، ويعبق شذاها في ارجاء حياتنا، مؤكدة الدروس والعبر التي لا تنقضي، والعظات التي لا تنتهي.

نعم انها الهجرة المباركة، التي لم تكن حركة جسدية، انتقل بها رسول الله ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، ولكنها كانت حركة دعوية، ومرحلة إيمانية، لا بد ان يمر بها كل من تضعه مشيئة الله تعالى على طريق الأنبياء والصالحين، كما ان الهجرة الشريفة، لم تكن طلباً للعافية وبحثاً عن السلامة، وإيثاراً للعاجلة على الآجلة، ولكنها كانت ريادة الى محضن آمن لهذا الدين القويم.

حقيقة ان في حادثة الهجرة دروساً وعبراً يتعذر حصرها، فكل شخص اشترك في هذه الرحلة المباركة، كان نموذجاً رائعاً وقدوة حسنة، فثقة رسول الله ﷺ ويقينه بربه عز وجل، وحرص ابي بكر الصديق رضي الله عنه وتضحية علي ابن ابي طالب، ورباطة جأش عبد الله بن ابي بكر وأخته أسماء رضوان الله عليهم، وحب أهل المدينة وشوقهم لمقدمه ﷺ، والايثار الذي أظهروه، كل ذلك فيه من الدروس والعبر ما ينير الدرب ويقوم المسير، مهما تعاقبت الأزمان والدهور.

وليس بخاف ان الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة، كانت ديناً بلا دولة،

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا..﴾

وحقاً بلا مدافع، وكان رسول الله ﷺ، ومعه صحبه الكرام، يواجهون اكبر التحديات واعتى الشدائد، بعد ان أحكم المشركون اعداء الله ورسوله الحصار، ولم يعد الاسلام يكسب انصاراً جدداً، بل صار يخشى عليه يوماً أثر يوم، ان يفقد اتباعه وانصاره، امام بطش وجبروت كفار مكة.

ويتبين لنا اثر الهجرة الشريفة على هذا الدين العظيم، مع التأمل البصير لآيات الكتاب العزيز التي ذكرت هذه الحادثة الفذة في قوله عز وجل: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾.

فالهجرة معركة فاصلة بين الحق والباطل، حيث نصر الله تعالى نبيه وصفيه ﷺ رغم قلة الناصر والمعين، وسط حال من الذهول والاحباط في صفوف الكافرين والمشركين، وهم يرون مكرهم وكيدهم في خيبة وتباب.

وان الظروف التي تحدق بالأمة الاسلامية اليوم، والتحديات التي تواجهها والمؤامرات التي تعصف بها، والمكائد التي تحاك ضدها.. لا شك في ضراوتها ومرارتها ولكنها تبشر بانبلاج الفرج وطلوع الفجر، وهذا يزيد الاعباء على المسلمين اليوم أفراداً وجماعات ودول وأقاليم، ان يصدقوا الله في انتمائهم لهذا الدين العظيم، وان لا يكون لهم ملجأ الا الله عز وجل، والثقة به سبحانه، ومطلوب من الأمة اليوم، ان لا تثنيها اللحظة العارضة عن اليقين بموعود الله تعالى، اذ من سنته انه لا بد من الامتحان والابتلاء والتمحيص ﴿حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾.

وما ذلك على الله بعزيز

الهجـرة
تعلمنا فن صناعة الأمل

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

في كل عام وبعد موسم الحج المبارك، موسم المغفرة والرحمات، يبدأ العام الهجري الجديد، ويتجدد معه تذكر هجرة النبي ﷺ، تلك الهجرة التي أنجبت دولة حضارية في زمن قياسي في تاريخ الأمم، وسادت قوانين السماء الربانية أرجاء المعمورة، وأينع البناء الحضاري في كل روضة وربوة من فيحاء هذه الدنيا.. الهجرة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية.. بالهجرة تكون أول كيان سياسي للأمة الإسلامية.. بالهجرة ولدت دولة الإسلام على أرض المدينة المنورة.. الهجرة نقلة من الدعوة إلى الدولة.

ولأهمية الهجرة كان التاريخ بها ولم يكن بغيرها.. ولم يؤرّخ المسلمون بتاريخ غيرهم حفاظا على استقلالية الأمة وتميزها.. وهذا هو سر توفيق الله تعالى لسيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بأن اختار الهجرة النبوية عنوانا للتاريخ الإسلامي، وكان أمامه عدة مناسبات عظيمة يمكن أن يستخدمها للتأريخ مثل غزوة بدر أو فتح مكة أو ميلاد أو بعثة الرسول ﷺ ولكن كان توفيق الله تعالى لاختيار الهجرة حتى تكون محطة للتغيير الدائم لأمة الإسلام عبر السنين.

فالهجرة هي الحدث الاوسط زمنا بين احداث السيرة.. حيث شكلت الهجرة المفصل الاهم بين وقائع السيرة.. الهجرة نقلة نوعية ومنعطف كبير في تاريخ المسلمين.. الهجرة نقلة من الدعوة إلى

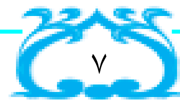


عالمية الإسلام.. الهجرة فيصل بين مرحلتين: مرحلة الدعوة ومرحلة الدولة.. مرحلة الاستضعاف ومرحلة القوة.. الهجرة نقلة من التأسيس إلى البناء.. الهجرة معلم بارز في قانون التدافع بين الحق والباطل والخير والشر والإصلاح والفساد.. الهجرة فرّقت بين عهدين عهد الفوضى والظلم والاستبداد، وعهد الحرية والنظام والعدل وحق الإنسان.. بالهجرة انتهى عهد وبدأ عهد.. الهجرة حدث خطير لم تشهد الإنسانية مثله من قبل أن يكون، ولا يُنتظر أن تشهد الإنسانية مثله بعد أن كان.

والحديث عن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة ليس بالذي يُكتفى فيه بكلمة سريعة، وما أحسب أن واحدا من المفكرين والعلماء والخطباء -مهما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب- قادر على أن يحيط بأحداث السيرة من جميع جوانبها لِفْنا أن يتنزل القرآن تعليقًا على ما يكون من أحداث.. لقد نزلت سورة الأنفال في أعقاب غزوة بدر، ونزلت سورة الأحزاب في أعقاب الخندق، ونزل النصف الأخير من سورة آل عمران في أعقاب أحد.. فهل نزلت في أعقاب الهجرة سورة.. لا سيما بعد نجاح رحلتها كما حدث في أعقاب الغزوات؟ لم يقع هذا، ولكن وقع ما هو أخطر وأهم، كأن الله سبحانه وتعالى حكم بأن قصة الهجرة أكبر من أن تعلق عليها سورة واحدة، وأن تمر مناسبتها بهذا التعقيب وينتهي الأمر؛ فحكم -جل شأنه- بأن تكون ذكرى الهجرة قصة تؤخذ العبرة منها على امتداد الأيام، وتُذكر في أمور كثيرة وفي مناسبات مختلفة".

لم تُذكر الهجرة في سورة واحدة مثل المعارك؛ لأن "هذه المعارك استغرقت أيامًا قليلة، أما الهجرة فشأن آخر.. لقد ظلت أفواج المهاجرين متصلة سنين عددًا، وتطلَّب التعليق عليها مواضع عديدة.. ومن ثم ذُكرت الهجرة في سور: البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والنحل والحج والممتحنة والتغابن والحشر.. وكان التعليق في كل سورة هو إبراز لمعنى مقصود.

الهجرة حدث أكبر من أن تعلق عليه سورة واحدة، ليس المقصود من الهجرة



إقامة الاحتفالات وإلقاء الكلمات والخطابات وعقد الندوات والمحاضرات. وليس الهجرة هي ذلك البعد الجغرافي والانتقال المكاني، بل الهجرة هي ترك المعاصي والذنوب والآثام وهجرة ما نهى الله عنه، قال ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»، قال الله تعالى: ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما**﴾.. هذه دعوة من حدث الهجرة إلى هجرة الرذائل في الأخلاق والسلوك والضمائر والنفوس.

سئل رسول الله ﷺ: «أي الهجرة أفضل؟ قال: أن تهجر ما كره ربك..» وفي رواية ابن حبان: «المهاجر من هجر السيئات، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» تعالوا لنهجر السيئات.. تعالوا لنهجر كل ما نهى الله عنه في كل الميادين وعلى كل المستويات بدءاً بالفرد وانتهاءً بالأمة فيهجر الفرد ذنبه وتهجر الأمة معاصيها الكبيرة فلنهاجر من دنيانا الضالّة إلى آخرتنا.. ولنهاجر من العبثية والضلال إلى ديننا وربنا.. فإلى الصعود نحو الهجرة وإلى هجرة القلوب إلى الله تعالى.

تطلّ علينا السنة الهجرية اليوم والعالم الاسلامي في أسوأ أوضاعه!! الشارع الاسلامي بين غليان في بعض جوانبه.. واستباحة في بعضها الاخر.. مضى من عمر الزمن عام كامل بالآمه ونوازله ومصائبه على أمتنا العربية والإسلامية.. لكن الهجرة تعلّم المؤمنين فنّ صناعة الأمل.. الأمل في وعد الله.. الأمل في نصر الله.. الأمل في مستقبل مشرق.. الأمل في الفرج بعد الشدّة، والعزّة بعد الذلّة، والنصر بعد الهزيمة.. لقد ضاقت مكة برسول الله ﷺ ومكرت به وبأصحابه وتآمرت عليه وعلى دعوته.. فجعل الله نصره وتمكينه بالهجرة، وأوجفت قبائل العرب على أبي بكر رضي الله عنه مرتدة، وظن الظانون أن الإسلام زائل لا محالة، فإذا به يمتد من بعد.. ليعم أرجاء الأرض.

وهاجت الفتن في الأمة بعد عثمان رضي الله عنه حتى قيل: لا قرار لها.. ثم عادت المياه إلى مجراها، وأطبق التتار على أمة

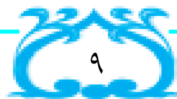
الإسلام حتى أبادوا حاضرتها بغداد (منتصف القرن السابع الهجري) وقتلوا في بغداد وحدها مليوني مسلم وقيل: ذهبت ريح الإسلام.. فكسر الله أعداءه في عين جالوت (عهد المماليك) وعاد للأمة مجدها.

ومع إدراك فقه الهجرة ومعاني الهجرة وأبعادها، يُطوى اليأس ويبعث في النفس الأمل والنصر والتمكين. بالهجرة نتعلّم كيف نصنع الأمل، ونترقّب ولادة النّور من رحم الظلام، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات.

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج. هذا الليل لن يطول وهذا الهوان والذل لن يستمر وهذا الاحتلال سيرحل عنا آجلا أم عاجلا. هذه الأمة لن تستسلم ما دام فيها طفل يرضع أو نبض مصحف يسري في دمائه وعروقه.. مهما اشتد ظلام الليل وخيم.. مهما النصر تأخر.. مهما ساءت أوضاع الأمة ومهما القلب تحجر.. فسيبزغ فجر قدسي ينصر فيه الإسلام ويظهر.. هذه الأمة لن تستسلم لأعداء الله ولن تقهر.. لن تستسلم ما دام فيها خالد وصلاح الدين والقعقاع وعمرو.. وسيبعث فيها ابن الجراح وسعد وعمر..

فلسطين والعراق وأفغانستان لم تنته من قلوب أصحابها.. الهجرة تسكب في عقول المسلمين ان النجاح مع الصبر وانّ العسر يأتي بعده اليسر وان الضيق يأتي بعد الفرج وان الشرّ في هذا العالم له نهاية فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله.. الهجرة تعلّمنا أنّ الحياة إنجاز لا يتوقف.

ما أحوجنا ونحن في هذا الزمن، زمن الهزائم والانكسارات والجراحات إلى تعلم فن صناعة الأمل.. إن الذي أهلك فرعون وعادا وثمود وأصحاب الأيكة وإن الذي نصر رسوله ﷺ بالهجرة والذي رد التتار ودحر الصليبيين قادر على أن يمزق شمل الأعداء ويبدد غطرسة الصهيونية ويحطم أصنام الوثنية المعاصرة.. هذه هي الهجرة، وهذه نظرتنا إليها، لها انتسب التاريخ، ولها انتسب المسلمون، ولها انتسبت سور القرآن، ولها انتسب



الهجرة وتجليات الصحبة فيها

■ بقلم الدكتور حكمت عبدالكريم فريحات

في هذه الحياة هناك رجال عظام، وعباقرة أفذاذ غيروا مجرى التاريخ كل في مجاله، بإحداث حركات إصلاحية أو إحراز انتصارات عسكرية متتالية وحاسمة، أو ادخال تطور أو تغيير في نمط ما من أنماط الحياة، أو اختراع حضاري أفاد الانسانية في التقدم والرقي، ونبينا محمد ﷺ إذا ما جاز لنا أن نقارنه بهؤلاء العباقرة والعظماء، فهو لا شك أعظم رجل غير مجرى التاريخ ليس لأمته العربية فحسب، بل للبشرية جمعاء.

ولم يكن ذلك بإحداث ثورة ثقافية أو سياسية، ولا باختراع أداة للفلاحة واستصلاح الأرض، ولا في تغيير بعض العادات السيئة التي كانت تسود المجتمع، بل كان ذلك في تبليغ رسالة سماوية انسانية سمحة، أخرجت البشرية من الظلام الى النور، ومن الجهل الى العلم، ومن الشرك والإلحاد وعبادة فسيفساء من الآلهة المصنوعة من الحجر والشجر أو التمر أو غيره إلى عبادة إله واحد أحد، فكان هذا دين التوحيد الذي قلب حياة العرب خاصة وحياة العالم عامة في جميع مجالاتها: الثقافية والسياسية والإجتماعية وخاصة الدينية.

ولما جهر بالدين الذي يقوم على نصرة المستضعفين والمظلومين كان أول من آمن به هؤلاء المستضعفون والمظلومون إلى جانب بعض من أقربائه وأصحابه، وتصدى له جهابذة مشركي مكة وعتاولة الكفر فيها، واخذوا يضيقون عليه وعلى أصحابه



الخناق، وينزلون بهم أشد أنواع التنكيل والتعذيب حتى بلغ بهم الطغيان أن كانوا يجلدون الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه ويضربونه بالسياط وهو يردد قائلا: أحد، أحد، وتفننوا في أساليب الفتك والتنكيل، وأخذوا يلقونه تحت أشعة الشمس الحارقة على الرمضاء ويضعون على بطنه صخرة كبيرة لينطق بكلمة الكفر والشرك، إلا انه لم يتوقف عن القول: أحد، أحد .

وكان هؤلاء الطغاة والعتاولة يعذبون عمار بن ياسر وأُمه، ويمر بهم رسول الله ﷺ دون أن يقدر على تخليصهم من تلك الأيادي اللئيمة، وليس لديه ما يقدمه لهم سوى عبارات التطمين والتبشير بالجنة، فيقول لهم: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

وهناك حوادث حدثت عملت على تغيير مجراه تغييرا جذريا، والهجرة النبوية المباركة أهم حدث دنيوي تشهده الإنسانية، فقد جاءت في وقت كانت أشد ما تكون الحاجة اليها، إذ كانت بداية انطلاقة جديدة قوية للدين الإسلامي، وإيجاد نقطة ارتكاز صلبة في المدينة المنورة تكون هي مركز هذه الإنطلاقة، ومصدرا لإشعاع هذا الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس دينا، بل إنه أكد على أنه الدين الوحيد، ولن يقبل أي دين غيره، قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** آل عمران: ٨٥، وقال تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** آل عمران: ١٩ .

وكانت نقطة التحول في تاريخ البشرية، وبداية الإنتقال من الضعف الى القوة، ومن الحيرة والبلبلة الى الإستقرار والإستعلاء وكانت فصلا بين عهدين: عهد مكة الذي لم يكن للمسلمين فيه كيان ولا سلطان ولا مجتمع، وكل نصيبهم من الجبابرة هو العذاب والإبتلاء، وعهد المدينة؛ دار النصرة ومركز القيادة، وفيه صار للمسلمين دولة ومجتمع وكيان .

وما أن أوحى الله تعالى إليه ﷺ بحمل أمانة تبليغ الرسالة، وأمره أن يصدع بها، بقوله تعالى: **﴿يا أيها المدثر ❖ قم فأنذر ❖ وربك فكبر ❖ وثيابك فطهر ❖ والرجز فاهجر﴾** المدثر ١- ٥، حتى شمر عن ساعد الجد والعمل انصياعا لأمر الله تعالى، وأخذ يدعو أقرباءه وأصدقاءه المقربين، ثم بدأ ينادي الى الدين القويم

بأعلى صوت، فكان أول من صدقه وآمن بدعوته المقربون من أهله وفي مقدمتهم زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي آست وواست، وأيدت ودعمت وشحذت الهمة، ورفعت المعنويات منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي، بقولها له: أبشر فوالله لن يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتقري الضيف، وأبو بكر الذي كان يؤيد الرسول ﷺ ويصدقه في كل ما يقول، حتى أنه عندما جاءه جهابذة قريش وزعماء الكفر فيها وقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه زار بيت المقدس وعاد منها في جزء من الليلة؛ وإبلنا تقضي شهرا ذهابا وشهرا إيابا! فقال لهم: إن كان قال ذلك فقد صدق فمن حينها لقبه الرسول ﷺ بالصديق، وعلي بن أبي طالب؛ الفتى اليافع الذي كان ما زال لم يسجد لصنم ولم يتردد لحظة واحدة في افتداء الرسول بنفسه، عندما قررت قبائل مكة أن تقتله مجتمعة، فنام علي في فراشه، والكفار واقفون باب المنزل ينتظرون خروجه لينهالوا عليه ضربة واحدة ليضيع دمه هدرا بين القبائل العربية وهم ينظرون من ثقوب الباب فيرون فراش الرسول ﷺ ينام فيه، وكم كانت دهشتهم وحسرتهم عندما وجدوا أن الذي ينام في فراش الرسول ﷺ هو علي بن أبي طالب، وان الرسول ﷺ كان قد خرج من بينهم وهو يسفهم التراب دون أن يروه، وبذلك يكون أول فدائي في الإسلام .

وظل ثلاثة عشر عاما يدعو الناس في مكة، فلم تكن تزيدهم دعوته الا نفورا، وتملأ قلوبهم حقدا وضغينة، ولم يجد منهم الا التنكر والعداوة، والإشتطات في الإضطهاد والإساءة القولية والعملية بالضرب والقتل، ولم يستطع أن يجمع حوله إلا العدد القليل ممن آمن به وبرسالته، مما حدا به أن ينصح أصحابه بالهجرة من مكة الى المدينة، وبدأوا بالهجرة من مكة الى المدينة، وقد لاقوا ما لاقوا من آلام وأحزان وتضحية بالنفس وتخل عن المال والولد والأهل في سبيل الحفاظ على دينهم الذي ارتضاه الله تعالى لهم.

ومن هذه المواقف تؤكد مكانة رسوخ الدين في نفوسهم، موقف الصحابي الفقير الضعيف أبو سلمة الذي كان من أول المسارعين للهجرة مع زوجته وولده، فيهجم عليه الكافرون من أهل زوجته وينتزعوها منه بالقوة ثم ينتزع أقاربه

الولد من أمه، ويمضي عام كامل والزوج أبو سلمة في المدينة وأم سلمة معذبة في مكة، وابنها عند أعمامه بعيدا عنها وعن أبيه، وبعد عام افتدت نفسها من أهلها ولحقت بزوجها رفقة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون، وهذا صهيب الرومي يحاول الهجرة فيمنعه الطغاة من كفار مكة ويقولون له: اتيتنا صعلوقا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فقال: فإني قد جعلت لكم مالي، وترك لهم كل ما يملك ومضى مهاجرا الى الله ورسوله، ولما بلغ الخبر رسول الله ﷺ قال: ربح صهيب، ربح صهيب، وكم هو اعجابي عظيم بموقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عندما أراد الهجرة جمع معه ما يربو على الخمسين مسلما من المستضعفين، وأمرهم أن يسيروا في طريق الهجرة الى أن يلحق بهم، ووقف في صحن الكعبة أمام كبار الطغاة من أرباب الكفر والشرك وصاح فيهم قائلا : يا معشر قريش من أراد منكم أن ييتم أولاده أو يرمل امرأته وأن تثكله أمه فليلحقني وراء ذلك الوادي، فهبوا جميعا، وأخذوا ينظرون الى بعضهم البعض دون أن ينبسوا ببنت شفة .

ويظهر الثبات على المذهب والتضحية في سبيل المعتقد أن هؤلاء المسلمين لم يكونوا يجدون من يساعدهم ويحاول تخليصهم من اضطهاد الكفار وابتزازهم، حتى رسول الله ﷺ لم يستطع أن يقدم لهم سوى التطمين والتبشير بالجنة، والإرتحال عن مكة - مسقط رؤوسهم وموطنهم الحقيقي- على أن يلحق بهم عندما يأتيه أمر ربه، ولهذا عندما أراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة قال له رسول الله ﷺ: على مهلك يا أبا بكر، لعل الله يجعل لك صاحبا في سفرك، ففهم أبو بكر ان الرسول ﷺ يقصد نفسه. فما الذي جعلهم يحتملون كل هذه الصعاب ويصبرون على عذاب التنكيل والإضطهاد، ويرضون بالتخلي عن أموالهم وترك أهلهم وذويهم، ويقبلون بمرارة ترك الدار والوطن والسير الى المجهول ؟ لا شك أن وراء ذلك كله صدق الإيمان بالله والثبات على الدين والثقة والطاعة لرسول الله ﷺ، ولا شك أنهم أهل لأن ينصر الله رسوله ودينه بهؤلاء المهاجرين الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء بالنفس والنفيس في سبيل الله وفي سبيل رسول

الله ﷺ وفي سبيل دين الله .

ولما تلقى الرسول ﷺ أمر الله تعالى بالهجرة جاء الى أبي بكر وقت الظهيرة - والناس في قيلولة الظهر -وهاجر الإثنان معا، وفي هذه الصحبة يخطر خاطر عظيم يتعلق بالصداقة والصحبة، فالإنسان مهما علا شأنه وكثر ماله وعظم مركزه فهو بحاجة دائما الى صديق يناجيه ويواسيه ويشاطره مسراته وضرائه .

والسفر هو محك الصداقة، وكاشف حقيقتها، فإذا كانت الصداقة نقية صادقة فإنها تتجلى في متانة الرابطة العميقة بين الصديقين وإيثار كل منهما لصديقه على نفسه، وتجلت صداقة أبي بكر في قبوله مرافقة الرسول ﷺ في رحلته المحفوفة بالأهوال والمخاطر، وتسخيره جميع أبنائه وبناته وأهل بيته للإعداد لهذه الرحلة وتركه لهم وراءه في مكة بعد أن أخذ معه ماله كله لينفقه على الهجرة ومقاصد الدعوة، ليس هذا فحسب بل إنهما اختبئا في غار ثور حيث تجلى أثر الصداقة ووفاء الصديق، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يستمهل الرسول قبل الدخول الى الغار ليستبرئه له ويتأكد من صلاحيته للإختباء فيه خشية أن تكون هناك حشرات أو هوام أو غير ذلك، ولما وقف الكفار على باب الغار ولو نظر بعضهم الى موقع قدميه لرآهما، ويلاحظ أبو بكر ذلك فيخاف على حياة صديقه رسول الله ﷺ ويخشى عليه لأنه يحمل الرسالة فيلتصق به ويهمس في أذنه قائلا : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى موقع قدميه لرآنا، فقال له النبي ﷺ مثبتا ومطمئنا : يا أبا بكر. ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا .

ويضل الله المشركين ويبطل سعيهم، فيعودون خائبين، ويأمن الصاحبان فيخرجان من الغار ويواصلان الرحلة، ولكن يا للعجب من شأن أبي بكر فهو تارة يمشي أمام النبي وتارة خلفه وتارة عن يمينه وتارة عن شماله، ويسأله الرسول ﷺ عن ذلك فيقول : يا رسول الله أذكر الطلب (الذين يلاحقوننا) فأكون وراءك، وأذكر الصد (الكمائن) فأكون أمامك ثم أخاف عليك فأمشي تارة عن يمينك وتارة عن شمالك لأفديك بنفسي، فينشرح صدر رسول الله ﷺ بذلك ويدعو له، ولما وصلا المدينة وخرجت الجموع للقائهما وأكثرهم لم يسبق له أن رأى النبي ﷺ من قبل، ولذلك لم يستطيعوا التمييز بينه

وبين صاحبه، فيقف الصاحب الوفي ويظلل النبي ﷺ حتى يقيه حرارة الشمس فيعرف الناس جميعا من منهما النبي ﷺ ومن هو صاحبه النبيل .

فيما تقدم ذكرنا الخواطر التي تؤكد على وفاء أبي بكر لصديقه رسول الله ﷺ ولكن ماذا كانت حقيقة مشاعر الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر بالمقابل؟ لم يفت الرسول أن يقدر هذه الصحبة حق قدرها، وأن يمجد هذه الصداقة بما يستحق من الثناء والتقدير، فحدث ذات يوم أن وقع خلاف بين عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، فانتهز الرسول هذا الموقف لينوه بصداقة ابي بكر ومكانته فقال: إن الله بعثني اليكم فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدق، وواساني بنفسه وماله أفأنتم تاركون لي صاحبي ؟ وفي مرة ثانية قال : " ما لأحد عندنا إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر، فإن له يدا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط كما نفعني مال أبي بكر "وقال ايضا: "لو وزن ايمان هذه الأمة بإيمان أبي بكر لرجح ايمان ابي بكر على ايمان هذه الأمة" .

وقد يتساءل متسائل وما الذي حمل محمدا ﷺ أن يخرج من بيته، ويترك موطنه ومسقط رأسه الى مكان بعيد لم يعرفه من قبل أبدا، وما كانت الرحلة يومذاك سفرا قاصدا ولا رحلة هينة بل كانت محفوفة بالمخاطر والأهوال، وأن يعرض نفسه للقتل وأن يركب متن الصحراء ويتعرض لحرها وسمومها وأهوالها وأخطارها وهو في فقر من ماله وقلة من رجاله وضعف من عدته وكبر في سنه، وقد كان في استطاعته أن يفوز برغد العيش وطيب المقام وسعة الرزق والنعيم، فقد عرضوا عليه المال والجمال والرياسة والجاه في سبيل أن يترك الدعوة التي يدعو بها، أو يقابلهم في منتصف الطريق فيحترم دينهم ويحترمون دينه، ولكنه أبى واستعصم وهتف فيهم قائلا: ﴿**يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين**﴾ والجواب على هذا التساؤل هو ما قاله الرسول ﷺ لعمه أبي طالب: «يا عماه، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهر الله دينه أو أقضي دونه" اذن هو إظهار دين الله لأن صاحب العقيدة أو الدين يجب أن يضحي في سبيلها ويشقى من أجلها،

الأخوة الإسلامية من دعائم إقامة الدين

■ بقلم الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

أعظم النعم التي امتن الله بها على المسلمين الأخوة الإسلامية، في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ❖ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٠٣-١٠٥ .

أعظم النعم التي امتن بها الله على النبي ﷺ في قول جل جلاله: **﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ❖ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** الأنفال: ٦٢-٦٣، وذكر النبي ﷺ بالمعنى ذاته فئة من المسلمين فقال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي)(١).

- **من أسباب إقامة أمر الدين:** ذلك أن الاجتماع على إقامة الدين هو وصية الله

جل جلاله لهذه الأمة ومن سبقها من أمم الأنبياء كما قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣ .. "لقد بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة"(٢)، كما أن في ذلك توجيهاً بأن لا تتفرقوا" عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً"(٣).

- وذكر النبي ﷺ نعمة الاجتماع والألفة والأخوة في أظهر ما يجتمع عليه المسلمون فقال: (واقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه)(٤)،" أي اقرءوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه، وقاد إليه فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة تقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة"(٥)، ولا يعني هذا سد باب المباحثة، والمناظرة الموضوعية كما قال الزمخشري: "فإنه سدٌّ لباب الاجتهاد، وإطفاء لنور العلم، وصد عما تواطأت العقول والآثار الصحيحة على ارتضائه، والحث عليه، ولم يزل الموثوق بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل، ويستثيرون دقائقه، ويغوصون على لطائفه وهو ذو الوجوه.. ومن ثم تكاثرت الأقاويل واتسم كل من المجتهدين بمذهب في التأويل"(٦).

- ينبني على هذه القطيعة العظيمة مفاهيم كبرى في إنشاء المجتمع المسلم وحماية كيانه من التصدع، والحفاظ على دينه من أن يتخذ عضين، أو يصير أبناؤه عزين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.. وحسبنا هنا أن هذا المعلم قطعي الثبوت قطعي الدلالة في الشريعة وهو وصية الأنبياء من أولي العزم كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣ .

- أركان الحقوق والواجبات البينية في

البنية الأخوية المجتمعية التي تؤدي إلى الصفاء الاجتماعي العام بل تضمن ما هو أكبر من مجرد السلم الاجتماعي كالتكامل الوثيق، والتناصر التام، والحب المتبادل، وهذه الأركان مثل:

- **ركن المحبة:** فهو حق لكل فرد كما هو واجب مطلوب من كل فرد، والوجوب هنا ليس وجوباً صناعياً فنياً، وليس وجوباً اقتضته ضرورة التعاون بل هو وجوب شرعي، وانعدامه من فرد لآخر ضمن المجتمع مهما اختلف انتماؤهما المذهبي أو الفكري يقدح في الإيمان كما قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٧].

- ومن ذلك ركن التعاون والتآزر وحسن الظن، والتكافل والنصرة، والنصح.. وفي المقابل فهناك الأركان السلبية التي ينبغي سلبها ومنع تسربها مثل: غيبة المسلمين أيا كانت انتماءاتهم، تحريم الكذب، تحريم البهتان، تحريم احتقار المسلم، تحريم خذلان المسلم.. وفي هذا النوع حسبنا حديثاً واحداً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول": (ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط من الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال)[٨].

- وعند حدوث التنازع، أو التباغض أو التدابر أو التقاطع مع النهي عن ذلك كله يذكر لنا النبي ﷺ هذا الحديث العجيب: (ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)[٩]، وفي الصفح الجميل ملاذ من إيذاء بعض الجاهلين، وقد قال النبي ﷺ: (المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[١٠].

الأخوة في الدين حقيقة قطعية ترد إليها كل مسألة ظنية محتملة: فالإسلام آخى بين المسلمين ووحدهم، فهو "بمعنى تحالف شامل لكل المسلمين يقتضي التناصر والتعاون بينهم على من قصد

بعضهم بظلم"[11] لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٧١، وقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[12]، وقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه)[13]، وقوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)[14]، وعن عقبة بن عامر قال: "إن رسول الله ﷺ قال: (المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر)(١٥)، وقوله ﷺ: (المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم)[16].

فمن توفرت فيه هذه الصفة الإيمان بحسب ظاهره كان أخا لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاص، فإن الله ورسوله قد عقد الأخوة بينهما بما سبق.. والمؤمن الذي تثبت له أخوة الإيمان هو الذي وصفه النبي ﷺ: (من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته)[17]، ففي هذا الحديث المحكم: "أن أمور الناس محمولةٌ على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك"[18].

ويتفرع عن هذا الأساس أسس أخرى منها:

١) النصوص من الآيات والأحاديث التي وردت في الأخوة الإيمانية أو تحدثت عن الجماعة، ولزومها إنما وردت في الأخوة العامة: ولا يحل لأحد أن ينزلها على الأخوة الخاصة مع مصادرة مدلولها العام، أو أن يستدل بها على أخوة لحزب أو تنظيم أو جماعة إسلامية، أو مذهب فكري، أو فقهي.

٢) مشروعية الأخوة الخاصة بحيث تحكمها الأخوة العامة: فالأخوة الإسلامية العامة مقدمة على كل إخاء جزئي، أو عقد تحالفٍ خاص في حال التعارض، والأصل أن الأخوة الخاصة إنما تكون لزيادة التثبيت على مبادئ الإسلام والقيام بها،

وعلى رأس المبادئ الاسلامية التي يلزم القيام بها النصح للمسلمين والقيام بحقوقهم، فإذا كانت هذه الحقيقة مستقرة فلا بأس من الإخاء الخاص في ضوء ذلك كما قال النووي: "المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق، هذا باقٍ لم ينسخ.. وهذا معنى قوله ﷺ: (لا حلف في الإسلام) فالمراد به حلق التوارث والحلف على ما منع الشرع منه"[١٩].

٣) الأخوة الإسلامية العامة ثابتة بحقوقها وواجباتها مهما ظهر من اختلاف فرعي بين المسلمين: فالأخوة الإسلامية ولزوم جماعة المسلمين، والحرص على بقاء ذات البين متسامية عاليةً يهيمن عليها الحب، وتطغى عليها الألفة ركيزةٌ من ركائز الدين، وشعيرةٌ عامةٌ من شعائره، قال تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللهَ وأصلحوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** الأنفال: ١، ولذا قال النبي ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٢٠]، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢١].

تأمل في النصوص.. قلّب صفحاتها.. لا تجد إلا وصفاً واحدا لكل ذلك هو المسلم.. لم يقيد بأنه أخ من هذا التيار أو ذاك.. ولذا فإن ربنا جل شأنه يقول: **﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾** الحج: ٧٨، فالتسمية منه لا منا.. هو ولستم أنتم.. إن فقه أصل الأخوة الإسلامية واستيعابه يضمن ما هو أكثر من السلم الاجتماعي، والائتلاف الوطني.. إنه يضمن التعاون والتآزر والتحاب بين سائر الفئات التي تشكل المجتمع الواحد.. وبالتالي فالأمر ليس في أن نختلف بل أن نختلف ونبقى إخواناً وهذا يعود إلى تزكية النفس..

ومن ثم فإن حقوق المسلم على المسلم ثابتة مهما اختلف معه في وجهة نظر، أو مسألة فرعية، ومن حقوقه عليه أن ينصحه مع اصطحاب الرفق والحب واللين والحكمة والموعظة الحسنة حال خلافه في مسألة فيها دليل شرعي على خلاف

ما ذهب إليه.

وعند حدوث اجتهادات في مسألة محتملة تتفاوت فيها المدارك، وتتجاذبها الأدلة فلزوم الجماعة حقيقة قاطعة تقدم على ما قد يثيره الاختلاف الطبعي بين المسلمين، فلا يثير الاختلاف رغبة تفرق، وإرادة بغض: ومن الحوادث التي تنسحب عليها هذه القاعدة ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمننا. فأوثق لهم فأسلموا. قال: "فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وامرنا أن نغير على حي من بين كنانة إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جهينة. فمنعونا، وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام. فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله ﷺ فنخبره. وقال قومٌ: لا! بل نقيم ههنا. وقلت أنا في أناسٍ معي: لا! بل نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقنا إلى العير، وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له. فانطلقنا إلى العير، وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ: فأخبروه الخبر فقام غضباناً محمر الوجه فقال: (أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرقين؟ إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش)، فبعث علينا عبدالله بن جحش الأسدي فكان أول أميرٍ أُمِّر في الإسلام[٢٢].

فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم هنا على ثلاثة اجتهادات، ولكن النبي ﷺ كره تفرقهم، وعدم اجتماعهم.

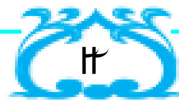
الأخوة الخاصة توثق القيام بواجبات الإسلام القطعية ومنها أخوة المسلمين العامة:

ذلك أن الأصل في عقد الأخوة الخاصة وهي التي كان يسلكها أتباع المذاهب قديماً، وأتباع الجماعات والأحزاب حديثاً، وأصحاب الصداقات الخاصة عموماً أن تكون أول أبجدياتها القيام بواجبات الإسلام وعلى رأسها التزام حقوق المسلمين عموماً، وهي

الحقوق التي وجبت بمقتضى الأخوة الإيمانية التي اثبتها الله جل جلاله بين المؤمنين عموماً، "فهذه الحقوق واجبةٌ بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله وهذه ثابتةٌ لكل مؤمن على كل مؤمن وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة"[٢٣]، "فمن كان قائما بواجب الإيمان كان أخاً لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن ان يقوم بحقوقه وان لم يجر بينهما عقد خاص فإن الله ورسوله قد عقدا الأخوة بينهما"[٢٤]، واجتماع بعض المسلمين على طاعة الله ضمن إطارٍ خاص لا يُسقط حقوق الأخوة العامة، ولا يسوِّل لهم "التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق أو الباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمراً بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان"[٢٥].

الأخوة الإسلامية تنادي بالأمة الواحدة التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنبياء والمؤمنين، وتحرم التهور الذي أصاب بعض المسلمين بداء التعصب فكفروا وفسقوا تصريحاً أو تأويلاً:

وعلى سبيل المثال فقد وقف الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى أمام قول بعض علماء المذاهب الإسلامية المتأثرين بشيء من التعصب الطارئ: "والمتأول كالمرتد وقيل: كالذمي وقيل: كالمسلم" فبين الشوكاني خطل هذا القول وخطورته، وذكر بالمحكمة العظيمة التي تكرر التأكيد عليها القرآن وهي: الأمة الإسلامية الواحدة، وحذر من الكوارث التي جلبها التعصب على الأمة، وقال رحمه الله تعالى في حرقة ظاهرة، وإدراك مبكر لخطورة التعصب المذهبي والحزبي: "أقول: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعةٍ من



الصحابة «أن من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما» هكذا في الصحيح، وفي لفظٍ آخر في الصحيحين وغيرهما (من دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) أي رجع، وفي لفظ في الصحيح (فقد كفر أحدهما)، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير، وقد قال الله عز وجل: ﴿إلا مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فلا بد من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه؛ فإن قلت: قد ورد في السنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة الإسلام، وورد في السنة المطهرة ما يدل على كفر من كفّر مسلماً، وورد في السنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلاً يخالف الشرع كما في حديث (ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، ونحوه مما ورد مورده، وكل ذلك يفيد أن صدور شيء من هذه الأمور يوجب الكفر، وإن لم يرد قائله أو فاعله الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر. قلت: إذا ضاقت عليك سبل التأويل، ولم تجد طريقاً تسلكها في مثل هذه الأحاديث فعليك أن تقرها كما وردت، وتقول: من أطلق عليه رسول الله ﷺ اسم الكفر فهو كما قال ولا يجوز إطلاقه على غير من سماه رسول الله ﷺ من المسلمين كافراً إلا من شرح بالكفر صدراً، فحينئذ تنجو من معرة الخطر، وتسلم من الوقوع في المحنة؛ فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه؛ ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه؛ ولا عائدة فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله ﷺ كافراً، فهذا يقود إليه العقل فضلاً عن الشرع ومع هذا فالجمع بين أدلة الكتاب والسنة واجب وقد أمكن هنا بما ذكرناه فتعين المصير إليه فحتم على كل مسلم أن لا يطلق كلمة الكفر إلا على من شرح بالكفر صدراً، ويقصر ما ورد مما تقدم

الهوامش:

(١) البخاري ٤ / ١٥٧٤ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١٢٢ .

(٣) تفسير النسفي ١ / ١٧٠ .

(٤) البخاري ٦ / ٢٦٨٠ ، مسلم ٤ / ٢٠٥٣ .

(٥) فتح الباري ١٠١/٩ وهو ضمن كلام نقله عن القاضي عياض.

(٦) فيض القدير ٢ / ٦٣ .

(٧) البخاري ١/ ١٤، مسلم ٦٧/١، الترمذي ٦٦٧/٤ .

(٨) أبو داود ٣/ ٣٠٥، ابن ماجة ٢/ ١١٢٠، أحمد ٨٢/٢، وصححه الألباني في تعليقه على أبي داود والأرناؤوط في تعليقه على أحمد، وردغة الخبال هي عصارة أهل النار.

(٩) أبو داود ٤/ ٢٨٠، الترمذي ٦٦٣/٤، وقال: "هذا حديث صحيح"، وصححه الألباني في تعليقه، ورواه دون توضيح معنى الحلق أحمد ٦/ ٤٤٤، وكذا ابن حبان ١١/ ٤٨٩، وصححه الأرناؤوط في تعليقه عليهما.

(١٠) الترمذي ٦٦٢/٤، ابن ماجة ١٣٣٨/٢، وصححه الألباني في تعليقه عليهما، ورواه أحمد ٢/ ٤٣، وصححه الأرناؤوط على شرط الشيخين.

(١١) الموسوعة الفقهية ١٨/ ٨٩ .

(١٢) البخاري ١/ ١٨٢، مسلم ٤/ ١٩٩٩.

(١٣) البخاري ١/ ١٤، مسلم ٦٧/١.

(١٤) البخاري ٢/ ٨٦٢، مسلم ٤/ ١٩٨٦ .

(١٥) مسلم ٢/ ١٠٣٤ .

(١٦) الموسوعة الفقهية ١٨/ ٨٩ .

(١٧) البخاري ١/ ١٥٣ .

(١٨) فتح الباري ١/ ٤٩٦ .

(١٩) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٨٢ .

(٢٠) سبق تخريجه.

(٢١) مسلم ٤/ ١٩٩٩ .

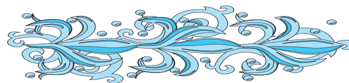
(٢٢) أحمد ١/ ١٧٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤٨٢/٢: "وفيه المجالد بن سعيد وهو ضعيف عند الجمهور ووثقه النسائي في رواية، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح"، قال الشيخ الجديع -ثبته الله-:" إسناده ضعيف لعلتين: ضعف مجالد بن سعيد وانقطاعه بين زيد ابن علاقة وسعد؛ فإنه لم يدركه أحسب أنه يمكن إبقاء النص مع التنبيه على درجته، ويذكر في الأصل: (روي عن سعد) بدل (جاء عن سعد)؛ وذلك لصحة المعنى الذي من أجله استشهد به الشيخ، وهو أن لا عيب في اختلاف الاجتهاد، إنما العيب في التفرق بسبب الخلاف".

(٢٣) مجموع الفتاوى ١١/ ١٠٠ .

(٢٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٩٣ .

(٢٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٩٢ .

(٢٦) السيل الجرار ٥٧٨/٤ .



دروس الهجرة النبوية منارات في حياة المسلم

■ بقلم الدكتور رضوان محمــد العناتي

يطيب لي ونحن نتفيء ظلال ذكرى هجرة رسولنا محمد ﷺ، أن نتزود من دروس وعبر هجرته المباركة ما ينير لنا ظلمات حياتنا في هذه الأيام، مما يخفف من ضنك حياة هذه الأيام ويجعلنا بحول الله وقوته من الأتقياء الموحدين له المستعدين للقائه حين يأتينا

❖ أولاً، الهجرة: معنى وضرورة:

يقصد بالهجرة أن يترك الإنسان بلده الأصلي إلى بلد غيره، وقد تكون قسرية (جبرية) أو اختيارية، فهذا رسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ لم يهاجر من مكة المكرمة أحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليه إلى المدينة المنورة إلا بعد ما:

١ . اشتد به وبصحابته الكرام أذى قريش ووضعوا خطة لقتله مع الملاحظة أنه ﷺ أقام ثلاث عشرة سنة في مكة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة.

٢ . أذن له ربه وذلك لإقامة الدولة الإسلامية حتى يكون للمسلمين كيانهم المستقل ويحققوا مقصد وجودهم وأن يسود حكم الله في الأرض وأن يدعى إلى الله ويؤمر بالمعروف وينه عن المنكر.

وعليه فلا يجوز الهجرة الاختيارية إلا للضرورة كأن يكون في بلد يمنع فيها من عبادة الله مصداقاً لقول الله تبارك



وتعالى: ﴿**إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾ النساء: ٩٧، أو لا يجد عملاً يعيل به نفسه وأهله في بلده الأصلي مع بذل شتى المحاولات في ذلك مع مراعاة عدم هجرته إلى بلد قد تفتنه عن دينه فيخسر عندئذ -لا قدّر الله- دنياه وآخرته.

❖ ثانياً: الهجرة رمز للتضحية بالغالي والنفيس لإعلاء دين الله:

على كل مسلم مؤمن منا أن يعلم أننا خلقنا للآخرة التي هي دار المقر وأن هذه الدنيا هي دار ممر وبالتالي فالعاقل من يضحي بدنياه من أجل آخرته ونصرة دين الله الذي هو الأغلى والأعز **ويتضح هذا الأمر جليا من الهجرة وعلى النحو التالي:**

١ . الهجرة رمز للفداء: فهذا علي بن أبي طالب يضحي بنفسه وينام مكان رسول الله ﷺ في فراشه ليلة الهجرة وهو يعلم أنه قد يقتل، وكذلك أبو بكر الصديق يفدي رسول الله ﷺ بنفسه عندما لدغته الأفعى فلم يظهر ألمه حتى لا يوقظ رسول الله ﷺ.

٢ . الهجرة رمز للتضحية: فهذه أسماء ابنة الصديق ذات النطاقين تخرج لترسل الطعام والشراب لرسول الله ﷺ وأبيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكذا عبد الله بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرسل أخبار قريش ليلاً وهذا ما يعرف بالإدارة المعاصرة بالدعم اللوجستي.

❖ ثالثاً: اليقين بنصر الله وتأييده:

وتتجلى قوة إيمان الداعية بثقته بنصر الله وتأييده في أحلك الظروف فهذا رسولنا الكريم عندما اقترب المشركون من غار ثور يرد على إبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القائل: "لو نظر أحدهم إلى أسفل قدميه لرآنا بقوله: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا"، وتكرر ذلك عند لحاق سراقة بن مالك المدلجي بالرسول وصاحبه فطمئن رسول الله أبا بكر بقوله أيضا: لا تحزن إن الله معنا.

فعلى كل مسلم منا أن يحرص على معية الله تبارك وتعالى في كافة شؤون حياته ويتأتى ذلك بالتقوى والإحسان مصداقاً لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿**إنّ الله**

مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا لم يكن الله معك فمن معك؟!

❖ رابعاً: الأخذ بالأسباب ضرورة مع التوكل على الله:

وحتى لا يتحول الإنسان إلى متواكل فعليه أن يجد بالأخذ بالأسباب في جميع شؤون حياته مع يقينه وتوكله على رب الأرباب ويتضح ذلك جلياً من أحداث الهجرة النبوية ومن ذلك اختفاء الرسول ﷺ وخليفته في الغار ثلاثة أيام للتخفية عن الأعداء إضافة لما قام به كل من علي وأسماء وعبد الله وحتى الراعي يأتي بالغنم يمسح الأثر.

❖ خامساً: محبة الأتباع سر من أسرار نجاح القائد:

تتضح محبة قدوتنا رسول الله ﷺ من جميع الصحابة الذين شاركوا في أحداث الهجرة ومن ذلك خروج الأنصار لاستقباله وكذلك أخذ كل واحد منهم زمام الناقة لينزل عنده، وبعدما بركت الناقة في مكان لغلامين يتيمين وأراد أن يقيم الرسول عليها مسجده، عرض الأنصار على الرسول أن يقبلها هدية إلا أنه أصر ﷺ على شراء الأرض ليعلمنا درساً ضابطاً نحتاجه في حياتنا بشأن التريث في قبول الهدايا حتى ولم تكن بسبب وجود الشخص في السلطة أو المنصب.

وإذا كان للآباء والأمهات والمعلمين والدعاة من درس وعبرة فإن مفاده: "كن - يرحمك الله- رحيماً بأتباعك واغرس محبتك في قلوبهم وابتعد عن أسلوب الأمر المباشر الفض الذي فيه غلظة يكن تأثيرك أكبر وفرص نجاحك لا بل تميزك بإذن أعلى،واجعل غضبك فقط عندما تنتهك حرمة من محارم الله".

وإنني أرى أن القوة بالمقياس الدنيوي ليست دليلاً على أن صاحبها على الحق أو أن الضعيف على البطل فهذا رسولنا محمد ﷺ وصحابته الكرام كانوا مستضعفين في مكة وقريش قوية، فهل كان مشركو قريش بقوتهم على الحق ومحمد ﷺ وصحبه على البطل؟! حاش وكلا، والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

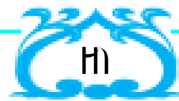
معاني الهجرة وأسبابها

■ بقلم الدكتور طلال حمزة عبيدات

معنى الهجرة: الهجرة لغة تعني ترك شيء إلى آخر أو الانتقال من حال إلى حال أو من بلد إلى بلد، يقول تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ المدثر: ٥، وقال تعالى: ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾،

واصطلاحا هي الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام وهذه هي الهجرة المادية، أما الهجرة الشعورية فتعني الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى أفضل من الأولى كالانتقال من مرحلة الفرقة إلى مرحلة الوحدة، أو كالانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة .

والهجرة هي الانتقال من المكان الأصلي للإنسان وهو موطنه ومسقط رأسه إلى مكان آخر، أو كما يقول بعض العلماء: هي الانتقال من حال إلى أحسن منه، ولهذا كان من دعاء الصالحين :" اللهم غير حالنا إلى أحسن حال " ويتسع معناها ليشمل ترك الرذائل والمنكرات والابتعاد عنها وهجرها والانتقال إلى مكارم الأخلاق، فتكون في هجر الرذائل سواء في الأخلاق أو هجر العشوائية في أعمالنا إلى التخطيط، وهجر الجدال الذي لا طائل منه إلى المجادلة العلمية القائمة على الحقائق، وهجر عدم إتقان العمل والغش إلى العمل الصحيح المنتج الخالي من الغش والتدليس.



ويقول الرسول محمد ﷺ في تعريف الهجرة: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" ولو في ذلك هجر المكان والموطن، فهي تكون البعد عن كل ما نهى الله تعالى عنه من الرذائل والمعاصي والمنكرات حتى ولو صاحب ذلك البعد عن الوطن، بمعنى أن الهجرة يجب أن تكون لله وهذا ما صرح به القران الكريم حكاية عن نبي الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿**وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم**﴾ العنكبوت: ٢٦، وفي هذه الآية الكريمة معنى غاية في الأهمية للهجرة، فهي تكون لله تعالى وأنها لم تكن إلى مكان بحد ذاته، فقال: ﴿**إني مهاجر إلى ربي**﴾، فليس المكان مقصود بحد ذاته، فهجرة نبينا محمد ﷺ إلى المدينة هي تعريف بالمكان فقط، ولكنها كانت هجرة الرسول إلى ربه في المدينة.

وبهذا المعنى ورد عن رسول الله ﷺ قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا واستفتى أعبد أهل الأرض: أله توبة ؟ فجهل وأضله بإفتائه ألا توبة له. فقتله وأكمل به المائة، ثم استفتى عالما آخر فدله على الهجرة إلى مكان أهله صالحون سبيلا للتوبة والحفاظ على الدين، فهاجر، ثم مات في الطريق، فاختصمت الملائكة حوله، وقاموا بقياس بعده عن المكان الذي هجره، وعن المكان المهاجر إليه، فكان لهذا اقرب فأخذته ملائكة الرحمة ليكون من عباد الله المرحومين بعد أن سلك طريق الهجرة .إذن الهجرة يجب أن تكون حفاظا على الدين ونجاة به.

وحين تكون الهجرة كذلك تتصاغر أمامها شهوات النفس كلها،من المال والجاه والأرض وغير ذلك، وهذا ما حدث مع صهيب الرومي رضي الله عنه، فعندما أراد الهجرة إلى المدينة اعترضه أهل مكة، وقد كان قبل إسلامه عبدا ثم أصبح ذا ثروة كبيرة وتجارة واسعة، فلم يسمح له كفار مكة بالهجرة ومنعوه، واشترطوا للسماح له بالهجرة بالتنازل عن ثروته وتجارته، فتركها لهم متخليا عن عرض الدنيا ومتاعها لينال رضا الله تعالى، ولما بلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ قال :"ربح البيع أبا يحيى".

❖ هجرة الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ:

لا شك أن الهجرة إحدى وسائل الوقاية

من اضطهاد الكفر للإيمان في بداية الدعوة، ولم تكن هجرة النبي محمد ﷺ خاصة به دون غيره، بل كانت سنة الأنبياء، حملة الرسالات السماوية، ودعاة البشر للتخلص مما هم فيه من الحاد وشرك وجهل لحقيقة الله، والانتقال إلى عبادة الله الذي خلق الكون وما فيه، فقد هاجر قبله سيدنا إبراهيم عليه السلام حين وقف قومه ضده وعادوه،بل كان اقرب الناس إليه وهو أبوه على رأس من يعادونه وقد ذكر ذلك الموقف القران الكريم فقال: **﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ❁ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾** مريم: ٤١، فكان جواب أبوه له بقوله: **﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا، قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ❁ واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾** مريم: ٤٦ .

وهاجر مع إبراهيم عليه السلام ابن أخيه نبي الله لوط، وكذلك فإن نبي الله موسى هاجر من موطنه وأهله إلى مدين فرارا من اضطهاد فرعون وخشية أن يقتله، وقد حكاها القران الكريم بقوله: **﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ❁ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾** القصص: ٢٠ .

وهنا يمكن القول: إن هجرة نبينا محمد ﷺ كانت لنفس الأسباب والظروف التي هاجر بسببها إبراهيم عليه السلام، وهي معاداة أهله وأقربائه له، ووقوفهم في طريق دعوته، فبينما يقول والد إبراهيم عليه السلام له: لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا وهذا تهديد ووعيد بالقتل وطرد من بين الأهل، فهذا ما حدث مع الرسول محمد ﷺ حين وقف قومه ضده وعادوه، بل إن اقرب الناس إليه كان اشد الناس عداوة له وهو عمه أبو لهب الذي كان يدور مع الرسول في الأسواق، فعندما ينتهي الرسول من التبشير بالدعوة ويطلب من الناس أن يقولوا: "لا اله إلا الله"، فيتبعه أبو لهب قائلا لهم: لا تصدقوه انه كذاب! فيسأل من لا يعرف من هذا؟ فيقول الناس :هذا محمد يدعو إلى دين جديد وهذا عمه أبو لهب يكذبه.

وكذلك فإن ما حدث مع النبي موسى عليه السلام حدث مع النبي محمد ﷺ، فقد هاجر ﷺ حين تآمر المشركون عليه واجتمعوا في دار الندوة واتفقوا على قتله، قال تعالى: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: ٣٠ .

وهذا نفسه ما حدث مع موسى إذ قال الله تعالى: **﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ❖ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾** القصص: ٢٠ .

❖ أسباب الهجرة:

إن الأسباب التي تدعو إلى الهجرة عديدة منها:

١- الهجرة فرار بالدين وخشية عليه وذلك حتى لا يرغمه الحكام الكافرون أو الطغاة المتجبرون على ترك دينه والارتداد إلى الكفر، وقد حدث ذلك في عهد الريكونكستا في بلاد الأندلس حين اخذ المسلمون يفرون من الأندلس إلى بلاد المغرب العربي نجاة بدينهم، وتذكر كتب التاريخ أن النصارى في اسبانيا لم يكونوا يسمحون للمسلمين بالهجرة وترك الوطن إلى بلاد إسلامية، بل كانوا يخيرونهم بين أمرين لا ثالث لهما وهما إما القتل وإما الارتداد إلى دين الكفر.

٢- الهجرة فرار من الظلم الاجتماعي والاقتصادي: فإذا لحق بالإنسان المسلم ظلم اجتماعي أو اقتصادي وخشي إن لم يهاجر أن يمتد ذلك الظلم إلى دينه فواجب عليه أن يهاجر من هذا البلد إلى بلد آخر يجد فيه العدل والمساواة، قال تعالى: **﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون﴾** النحل: ٤١، وقال تعالى: **﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾** النساء: ١٠٠ .

٣- الهجرة من ارض الفساد وانتشار الرذائل وهتك العرض أو المساس به، فإذا كانت ارض ينتشر فيها الفساد، وعدم

الالتزام بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه، وخشي الإنسان أن يطاله من ذلك ما يدنس عرضه وشرفه وجب عليه الانتقال إلى مكان تسوده الأخلاق الحميدة، ويتمسك أهله بمبادئ الدين وتعاليمه، وهذا ما نلاحظه بين بعض وأقوال بعض وليس كل أو جل المسلمين المهاجرين في بلاد غير الإسلام حيث الإباحية والانحلال والعري، فيقوم هؤلاء الغيورون على أعراضهم وبناتهم وأبنائهم بترك بلاد الهجرة والعودة إلى مواطنهم الأصلية الإسلامية حفاظا على الشرف وهروبا من اللاأخلاقية واللادينية.

٤- واجب على المسلم أن يهاجر من ارض الشرك إلى ارض الإسلام عندما تقوم الدولة الإسلامية ويتكون المجتمع الإسلامي وذلك بهدف تدعيم الدولة الإسلامية بقوى بشرية وتقنية وعلمية.

٥- أما الهجرة الشعورية فهي معاداة وإنكار كل ما لا يرضي الله أو يخالف شريعة الله، ويظهر المسلم هذه المعاداة بكل الوسائل المتاحة كالجوارح والقلب واللسان، ويعمل على تغييرها بكل الإمكانات المتاحة، لقوله ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

والمسلم مكلف بأن يهجر كل ما حرم الله، وأن يهاجر إلى ما أحل الله، ولهذا فتح رسول الله ﷺ باب الهجرة على مصراعيه أمام كل راغب فيه، فقال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (البخاري)، وفي رواية ابن حيان: "المهاجر من هجر السيئات...".

وهذا المعنى الذي حدده المصطفى ﷺ للهجرة معنى عام تمتد جذوره إلى أعماق الحياة البشرية، فتقيمها على أسس قويمة تقوم على أساس الإصلاح والصلاح للحياة الإنسانية، والأمن والاستقرار للنفس البشرية، ولهذا كانت كلمات الحديث الشريف متكاملة في تحديد معنى الهجرة على أساس أنها عبادة ترتبط بعقيدة الإنسان وإيمانه، وعلى أساس أنها عملية بناء وإصلاح تأخذ بيد الإنسانية المتعبة إلى شاطئ الأمان والاطمئنان،

فهجر ما نهى الله عنه يعني هجر السيئات والمعاصي والمفاسد القولية والفعلية، وأكد الحديث على كف اليد واللسان إذ إنهما الأعضاء التي تصدر عنهما المفاسد القولية والفعلية.

٦- وكان هدف الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة هو الانتقال بالرسالة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، والمؤرخون يقسمون سيرة الدعوة الإسلامية إلى مرحلتين متميزتين: العهد المكي الذي يمثل مرحلة الدعوة، والعهد المدني الذي يمثل مرحلة الدولة.

لقد كان هدف الرسول ﷺ من هجرته إلى المدينة إيجاد موطئ قدم للدعوة تنعم فيه بالأمن والاستقرار حتى تستطيع أن تبني نفسها من الداخل وتنطلق لتحقيق أهدافها في الخارج، ولطالما راود هذا الهدف رسول الله ﷺ فقال مرة لأصحابه: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى ارض بها نخل، فذهب ظني إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب".

ولهذا هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة والمسلمون معه ليقيموا دولة الإسلام ولما فتحت مكة أصبحت دار إسلام بعد أن كانت دار الكفر والشرك، قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد" وعندما اسلم أهل مكة أرادوا أن يهاجروا فقال ﷺ: "مضت الهجرة لأهلها " أي الهجرة المفضلة التي بين الله تعالى منزلة أهلها بقوله: **﴿للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾** الحشر: ٨، فتلك الهجرة هي التي كانت قبل الفتح، أما بعد الفتح فلا هجرة من تلك الدار المفتوحة لأنها دار السلام .

٧- وكان من أهداف الرسول ﷺ في هجرته تكثير الأنصار، وإيجاد رأي عام مؤيد للدعوة، لأن ذلك يوفر عليها الكثير من الجهود ويذلل في طريقها الكثير من الصعاب، ويوجد المجال الخصب الذي تتحقق فيه الأهداف، والمنطلق الذي تنطلق منه الطاقات، ولهذا حرص الرسول ﷺ أن يبعث مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم الأنصار الإسلام وينشر دعوة الله فيها، ولما تيقن الرسول ﷺ إلى تكون رأي عام مؤيد للدعوة في المدينة حث أصحابه إلى الهجرة إليها وقال لهم: "هاجروا إلى

يثرب فقد جعل الله لكم فيها إخوانا ودارا تأمنون بها ".

وبعد أن هاجر أصحابه في ظروف قاسية اضطرت بعضهم للتخلي عن ماله كله، وترك الأهل والولد، لحق بهم رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة ليكون بين ظهرانيهم، لأن الجماعة بدون قائد كالجسد بدون رأس، فلا بد أن يلحق بهم ليعمل على تمتين أواصر الأخوة بين الأنصار من أهل المدينة والمهاجرين من أهل مكة، ويجمعهم تحت قيادته ويرسي بذلك أسس بناء المجتمع الإسلامي المتآخي الذي يشكل العمود أو الركن الأساسي لبناء الدولة الإسلامية، وهذا ما قام به عليه الصلاة والسلام بمجرد أن وطئت قدماه ارض المدينة، فكان أول ما عمله هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد،وهما العنصران الرئيسيان في بناء الدولة الإسلامية.

٨- هجرة المسلم لصاحب المعصية، المصر على ارتكاب الآثام والمنكرات القولية منها والفعلية، والذي من شأنه إمكانية التأثير المباشر أو غير المباشر على المسلم، ولو من باب المشاهدة أو المحادثة أو المخالطة، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾** الأنعام: ٦٨، وقال تعالى: **﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** النساء: ١٤٠ .

٩- عدم قدرة المسلم على إظهار دينه علانية، وإقامة شعائر هذا الدين بكل حرية كالصوم والصلاة جماعة وفي الأعياد وأيام الجمع وارتداء الزي الإسلامي المحتشم، فإذا كان لا يستطيع ممارسة هذه الشعائر فإنه يكون في بلاد معادية للإسلام، فيجب عليه تركها والهجرة منها إلى بلد مسلم يستطيع أن يقيم فيه جميع شعائر الدين بكل حرية.

وإذا ظل المسلم في دار الكفر لا يقيم شعائر دينه ولا يستطيع إظهارها ولم يهاجر مع قدرته على الهجرة فإن الملائكة ستوبخهم على عدم هجرتهم الى ارض الله

الواسعة، أما العاجزون من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، قال تعالى بخصوص هؤلاء: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾** النساء: ٩٧ .

❖ لماذا كانت المدينة دار الهجرة:

لقد كانت الهجرة معركة من معارك الخلاص بالحق إلى المكان الحصين الأمين، ووقع اختيار الرسول ﷺ على المدينة المنورة لتكون دار الهجرة، ويعود هذا الاختيار إلى عدة أسباب، منها:

١- بيئة المدينة الزراعية التي يغلب على أهلها التفكر في ملكوت السموات والأرض، والتدبر لقدرة الله تعالى على الإبداع والخلق لأنهم يرون أمامهم الأرض الهامدة الخالية، يوضع فيها البذر ويسقى بالماء فإذا قدرة الله العلي الكبير تحيل هذا البذر شجرا وثمرا، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: **﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾** الحج: ٥، فأهل المدينة أكثر استعدادا لتقبل الدعوة إلى الله الخالق، وهم يرون الآيات الدالة على وجوده وعظمته في حياتهم اليومية، أكثر من أهل مكة الذين يعيشون على التجارة التي تتطلب الانشغال الدائم والسعي في مختلف أنحاء الأرض من أجل الكسب والربح وكنز المال.

٢- تهيئة الجو في المدينة لاستقبال الدعوة الفاتحة بالهدى والنور،حيث أن بيعات العقبة الثلاث التي كان قد بايع فيها الرسول ﷺ أشخاصا من أهل المدينة في مواسم الحج، أوجدت للإسلام ركنا وللإسلام أتباعا وللمسلمين أنصارا، وتردد في بيوتها صوت القران وكلمة الإيمان، وخاصة بعد أن عاد المسلمون من الأنصار الذين بايعوا الرسول عند العقبة في مكة، وبذلوا جهودا في سبيل دعوة إخوانهم وذويهم من أهل المدينة للإسلام، وكذلك بفضل الجهود التي بذلها السفير الأول الذي بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة وهو مصعب بن عمير رضي الله عنه، فصار

هؤلاء المسلمون الأوائل ركيزة تستند إليها الهجرة.

٣- وجود أخوال الرسول ﷺ من بني النجار في المدينة، فلن تكون هجرته إليها غريبة ولا عجيبة، لأن التواصل بين الأرحام والتعاطف بين الأقارب مما لا تستنكره الإنسانية العاقلة، فحتى لو لم يكونوا بأجمعهم من أهل الدعوة الجديدة فإنهم لم يجحدوا حق القرابة والرحم في حسن الاستقبال وإكرام الضيافة على الأقل، بدليل أن طائفة من بنات بني النجار خرجن لاستقبال الرسول المهاجر على أبواب المدينة وهن يرددن نشيد التحية والاحتفال بهذا القادم العظيم .

٤- وجود قبر والد الرسول ﷺ وهو عبد الله بن عبد المطلب الذي لم يره الرسول، حيث أدركه الموت وهو في رحلة تجارة إلى غزة هاشم في المدينة حيث دفن فيها والرسول ما زال جنينها في بطن أمه، فكان من الطبيعي أن تتعلق ذاكرة الرسول بموت أبيه ومثواه، وأن يهفو قلبه إلى البقعة التي ضمته للأبد، ويضاف إلى هذا أن أم الرسول آمنة بنت وهب التي كانت في زيارة لأهلها في المدينة مصطحبة معها ابنها الطفل الناشئ، وفي طريق عودتها إلى مكة وافاها الأجل فدفنت هناك بين مكة والمدينة، فظل قلب الوليد النقي الزكي معلقا بهذه الذكرى التي ترتبط بالطريق الممتد بين مكة والمدينة.

٥- توسط المدينة الطريق بين مكة والشام، ولأهل مكة ارتباط وثيق بالشام، فإليها رحلتهم كل عام، وفيها تدور تجارتهم ونشاطهم الاقتصادي، فالمدينة ذات موقع استراتيجي مهم جدا يستطيع المسلمون فيه أن يقطعوا الطريق على المشركين ويهددوهم في رحلاتهم وتجارتهم مع الشام.

٦- وأخيرا اختار الرسول ﷺ المدينة دار هجرة لأنه كان يتطلع حوله فيجد ثلاثة بلاد :مكة والطائف والمدينة، أما مكة فقد ضاقت بالدعوة، ولم تبق صالحة للمقام، وأما الطائف فرفضوا نصرة الرسول واعتدوا عليه وأدموا قدميه، فلم يبق إلا المدينة فوجههم الله تبارك وتعالى إليها، ويؤيده بنصره وهداه حتى يتحقق النصر

صحيح قصة هجرة النبي ﷺ

■ بقلم الشيخ عصام هادي

لقد رأيت البخاري -رحمه الله- قد خرج سياق قصة هجرة النبي ﷺ في صحيحه في موطن واحد، ثم خرج أجزاء منها في مواطن أخر، فوقع في خلدي أن أجمع ما تفرق من روايات البخاري ثم أضم إليها سائر الروايات من كتب السنة معتمداً على ما صح منها مما صححه المحققون من أئمة الحديث، جاعلاً السياق الأتم أصلاً، ثم أضم ما تفرق من الروايات وما كان في غير الصحيح إليها بين معكوفين، عازياً كل رواية إلى مخرجها من أئمة السنة؛ حتى يتسنى للقارئ الوقوف على أحداث هذا الحدث العظيم في تاريخ أمة الإسلام، وكذا يتسنى للباحث وطالب العلم استخراج الدروس والعبر والعظات من هجرة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي(١) قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون(٢) خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد(٣) لقيه ابن الدغنة(٤) وهو سيد القارة(٥).

فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري

الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق ! فلم تكذب(٦) قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف(٧) عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم.

فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك(٨)، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل(٩).

والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» -وهما الحرتان(١٠)- فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة(١١)، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه(١٢) على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق

السمر وهو الخبط[١٣] أربعة أشهر.

قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة[١٤] قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا - في ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله.

قال: «فإني قد أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «نعم». قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

قالت عائشة: فجهزناهما أحدث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق[١٥] -قالت: - ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خريتًا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث.

قال أبو بكر: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما[١٦] وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[١٧].

قال أبو بكر: أسرينا ليلتنا، ومن الغد

حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة، لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده، وسويت للنبي ﷺ مكانًا بيدي ينام عليه، وبسطت فيه فروة، وقلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك. فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سماه فعرفته. قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: أفتحلب؟ قال: نعم. فأخذ شاة. فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى.

فحلب في قعب كثبة من لبن، ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب، حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأن للرحيل». قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس[١٨].

قال سراقة بن مالك: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما، من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل - أراها محمدًا وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم[١٩].

قال أبو بكر: فقلت: أتينا يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال: «لا تحزن، إن الله معنا».

قال أبو بكر:حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت : يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. وبكيت، قال: " لم تبكي؟ " قال: قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك[٢٠].

فدعا عليه النبي ﷺ " اللهم اكفناه بما شئت "[٢١] قال سراقة: فعثرت بي فرسي،

فخررت عنها فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له: إني أراكما قد دعوتما علي فادعوا لي، فدعا له النبي ﷺ(٢٢).

قال سراقة: فالله لكما أن أرد عنكما الطلب(٢٣) وإن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ(٢٤).

قال أبو بكر: فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتكم ما هنا. فلا يلقى أحدًا إلا رده. قال: ووفى لنا رضي الله عنه(٢٥).

قال قيس بن النعمان: مروا بعبد يرعى غنمًا، فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقًا حملت أول الشتاء، وقد أخرجت وما بقي لها لبن، فقال: ادع بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، قال: وجاء أبو بكر بمجن، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط، قال: " أوتراك تكتم علي حتى أخبرك؟" قال: نعم، قال: "فإني محمد رسول الله" فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال: "إنهم ليقولون ذلك " قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: "إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا"(٢٦).

قال: عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ

من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول[٢٧].

قال البراء بن عازب: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ[٢٨] واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد[٢٩] فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك[٣٠].

قال أنس بن مالك: فاستقبلهما زهاء خمس مائة من الأنصار، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم[٣١] وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال : فقال رسول الله ﷺ: "أنزل الليلة على بني النجار، أخوال عبد المطلب، لأكرمهم بذلك"رضي الله عنه[٣٢].

قال أنس: إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه[٣٣] قال عبد الله بن سلام: فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أن قال: أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام[٣٤] قال أنس: فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله[٣٥] قال أنس: فأقبل النبي يسير حتى جاء إلى جانب دار أبي أيوب، فقال نبي الله ﷺ: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي، قال: فانطلق فهيئ لنا مقيلا رضي الله عنه[٣٦] قال: فذهب فهيأ لهما مقيلا، ثم جاء فقال: يا نبي الله قد هيأت لكما

مقيلا فقوما على بركة الله فقيلا[٣٧].

قال أنس: جاء عبد الله بن سلام فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي[٣٨] قال: "سل"[٣٩] قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرني بهن آنفًا جبريل. قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله[٤٠] وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في، فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق فأسلموا. قالوا: ما نعلمه، قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم! قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم! قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم! قال: يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا[٤١] وتنقصوه قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله!(٤٢) قد أخبرتك يا رسول الله أن اليهود قوم بهت[٤٣] فأخرجهم رسول الله ﷺ[٤٤].

قال أبو أيوب: نزل رسول الله في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة(٤٥) في العلو قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ فتنحوا فباتوا في جانب[٤٦] قال أبو أيوب: فأهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء شفقة أن يخلص الماء إلى رسول الله ﷺ، فنزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق، فقلت: يا رسول الله، إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة رضي الله عنه[٤٧] فقال النبي ﷺ: السفل أرفق. فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها رضي الله عنه[٤٨]

فأمر النبي ﷺ بمتاعه فنقل، ومتاعه قليل[٤٩].

فلبث رسول الله ﷺ بقباء[٥٠] في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ[٥١] حتى إذا كان يوم الجمعة خرج على ناقته القصواء، وقد اجتمع الناس، فأدركته الصلاة في بني سالم، فصلاها بمن معه في المسجد الذي ببطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة[٥٢].

ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن: «هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر» ويقول: «اللهم إن الأجر أجر الآخره فارحم الأنصار والمهاجرة»[٥٣].

الهوامش:

(١) يعني: أبا بكر وأم رومان.

(٢) أي: بأذى المشركين.

(٣) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.

(٤) هكذا ضبطه المحدثون وضبطه أهل اللغة بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون.

(٥) قبيلة مشهورة وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش ويضرب بهم المثل في قوة الرمي.

(٦) أي: لم ترد عليه قوله في أمان أبي بكر.

(٧) أي: يتدافعون فيقذف بعضهم بعضاً.

(٨) أي: نغدر بك.

(٩) أي: أمانه وحمايته.

(١٠) وهو من تفسير الزهري، والحرة أرض حجارتها سود.

(١١) أي: معظمهم لا جميعهم، لأن جعفراً ومن معه تخلفوا في الحبشة.

(١٢) أي: منعها من الهجرة.

(١٣) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر.

(١٤) أي: أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار.

(١٥) وفي رواية: ((النطاقين)).

(١٦) رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

(١٧) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(١٨) رواه البخاري (٣٦١٥).

(١٩) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢٠) رواه أحمد في المسند (٣).

(٢١) رواه أحمد (٣).

(٢٢) رواه البخاري (٣٦١٥).

(٢٣) رواه البخاري (٣٦١٥).

(٢٤) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢٥) رواه البخاري (٣٦١٥).

(٢٦) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٩٧/٢) وصححه ابن حجر.

(٢٧) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢٨) رواه البخاري (٣٩٢٥).

(٢٩) رواه أحمد في المسند (٣).

(٣٠) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٣١) رواه أحمد (١٣٣١٨).

(٣٢) رواه أحمد (٣).

(٣٣) رواه البخاري (٣٩١١).

(٣٤) رواه الترمذي (٢٤٨٥).

(٣٥) رواه البخاري (٣٩١١).

(٣٦) رواه البخاري (٣٩١١).

(٣٧) رواه أحمد (١٣٢٠٥).

(٣٨) رواه البخاري (٣٣٢٩).

(٣٩) رواه أحمد (١٢٠٥٧).

(٤٠) رواه البخاري (٣٣٢٩).

(٤١) رواه أحمد(١٢٠٥٧).

(٤٢) رواه البخاري (٣٩١١و٣٩٣٨).

(٤٣) رواه أحمد (١٣٨٦٨).

(٤٤) رواه البخاري (٣٩١١).

(٤٥) رواه أحمد (٢٣٥٧٠).

(٤٦) رواه مسلم (٢٠٥٣).

(٤٧) رواه أحمد (٢٣٥٧٠).

(٤٨) رواه مسلم (٢٠٥٣).

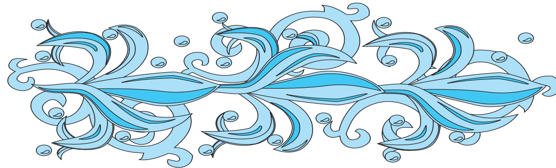
(٤٩) رواه أحمد (٢٣٥٧٣).

(٥٠) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥١٢/٢).

(٥١) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٥٢) رواه البيهقي دلائل النبوة (٥١٢/٢).

(٥٣) رواه البخاري (٣٩٠٦).



الهجرة النبوية
معناها وأهدافها

■ بقلم الأستاذ ابراهيم الدهون

تعتبر حادثة الهجرة فيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، هما المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ولقد كان لهذا الحدث آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضاً، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة إنسانية، قدمت ولا زالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة، التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان كإنسان بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو

فسيرة المصطفى ﷺ لا تحد آثارها بحدود الزمان والمكان، وخاصة أنها سيرة القدوة الحسنة والقيادة الراشدة قيادة محمد ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وما نتج عن هذه الهجرة من أحكام ليست منسوخة ولكنها تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ما دام حال المسلمين مشابهاً للحال التي كانت عليها حالهم أيام الهجرة إلى يثرب.

وعلى هذا فإن من معاني الهجرة يمكن أن يأخذ بها المسلمون في زماننا هذا، بل عن الأخذ بها ضرورة حياتية، لأن الهجرة لم تكن إنتقالاً مادياً من بلد لآخر فحسب، ولكنها كانت إنتقالاً معنوياً من حال إلى حال، إذ نقلت الدعوة الإسلامية من حالة الضعف إلى القوة ومن حالة القلة إلى

الكثرة، ومن حالة التفرقة إلى الوحدة، ومن حالة الجمود إلى الحركة

فالهجرة تعني لغة ترك شي إلى آخر، أو الإنتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى آخر، يقول الله تعالى: **﴿والرجز فاهجر﴾** المدثر: ٥، وقال ايضاً : **﴿وأهجرهم هجرا جميلا﴾** المزمل:١٠، وتعني بمعناها الإصطلاحي الإنتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وهذه الهجرة المادية، أما الهجرة الشعورية فتعني الإنتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى أخرى بحيث تعتبر المرحلة الثانية أفضل من الاولى كالإنتقال من حالة التفرقة إلى الوحدة، أو تعتبر مكملة لها كالإنتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

فالهجرة المادية من بلد لا يحكم بالإسلام إلى بلد تحكمه شريعة القرآن ليست منسوخة، بل هي واجبة على جميع المسلمين إذا خشوا أن يفتنهم الذين كفروا في دينهم وعقيدتهم، لأن هدف المسلم في الحياة أن يعيش في مجتمع يساعده على طاعة الله والالتزام بأوامره وأحكامه، أو على الأقل لا يحارب بعقيدته، لأن الفتنة في الدين هي الفتنة الكبرى، فالله تبارك وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكن لا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، وتتم هجرة المسلم من بلد إلى آخر لعدة أهداف:

فقد يهاجر المسلم فراراً بدينه وعقيدته، حتى لا يرده الحكام الكافرون إلى الكفر، كما فعل بعض مسلمي الجمهوريات الإسلامية حينما هاجروا من بلادهم فراراً من الشيوعية الملحدة . يقول الله تعالى: **﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾** العنكبوت: ٥٦ .

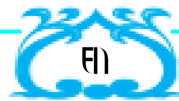
وقد يهاجر المسلم من ظلم اجتماعي أو اقتصادي لحق به وخشي ان لم يهاجر أن يمتد ذلك الظلم إلى دينه، يقول الله تعالى: **﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾** النحل: ١٤، وقال الله تعالى: **﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة**

ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ النساء: ١٠٠ .

وروى الإمام أحمد عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ: (البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم). وقد توعد القرآن الكريم المسلمين الذين لم يهاجروا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ، كما توعد الأعراب الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى المدينة حرصاً على أموالهم وديارهم، فقال الله تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾** النساء: ٩٧، وكانت نتيجة ذلك أن بعض هؤلاء فتن في دينه واضطر إلى إظهار التقية، ولكن هذه التقية كانت جائزة يوم ان لم تكن للإسلام دولة، أما بعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقام فيها دولة الإسلام، فلم يعد لهؤلاء عذر، بل وجبت عليهم الهجرة، ولهذا نجد القرآن الكريم لا يفرض على المسلمين ولاية هؤلاء، لأنهم ليسوا أعضاء المجتمع المحلي، وإذا كانت تربطهم بالمسلمين رابطة عقيدة، فإن نصرتهم تكون بناء على طلب منهم، يقول الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾** الأنفال: ٧٢ .

ويتحتم على المسلم أن يهاجر من ارض الشرك إلى أرض الإسلام حينما تقوم الدولة الإسلامية ويتكون المجتمع الإسلامي، والهجرة هنا حسب مقتضيات الحال، إذ أن الهدف هنا تدعيم الدولة الإسلامية الجديدة بقوى بشرية وتقنية وعلمية، ولكن تقدير هذا كله متروك لقادة هذه الدولة، لأن الهجرة العشوائية قد تترك آثارا سلبية على هذه الدولة فتصبح عقبة في طريق قوتها وإنطلاقها.

أما الهجرة الشعورية، فتعني إصطلاحاً



إنكار ومعاداة كل ما لا يرضي الله أو يخالف شريعة الله، ويظهر المسلم هذا العداء بكل الوسائل الممكنة، بالجوارح أو باللسان أو بالقلب، ويعمل على تغييرها بكل الإمكانيات المتاحة، فالرسول ﷺ يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم.

وأساس هذه الهجرة النية، ولهذا يقول المصطفى ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل إمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه ابن ماجة، حديث صحيح.

ومن هذا نرى أن الشارع الحكيم قد حدد نوعين من الهجرة لا ثالث لهما: هجرة إلى الله، وهجرة لغير الله، يقول رسول الله ﷺ: (إن الهجرة خصلتان إحداهما أن تهجر السيئات والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل) رواه ابن ماجة، حديث حسن، إذا كانت الهجرة المادية تجب في بعض الأحوال، فإن الهجرة الشعورية واجبة على كل حال وفي كل حين، لأنها تتعلق بهجر ما لا يرضي الله تعالى، وهي قائمة إلى أن تقوم الساعة، ورد في صحيح مسلم أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: (جئت بأخي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فقلت يا رسول الله: بايعه على الهجرة قال: قد مضت الهجرة بأهلها، قلت: فبأي شي تبايعه؟ قال: على الإسلام والجهاد والخير).

قال أبو عثمان: فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع، فقال: صدق. أما قوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية) فالمراد بها هنا أن لا هجرة واجبة بعد الفتح، وقد زاد مسلم «وإذا استنفرتم فانفروا».

والمسلم مكلف بأن يهجر كل ما حرم الله، وأن يهاجر إلى ما أحل الله، لأن هذا هو الهدف من استخلافه في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ

ليعبدون﴾ الذاريات: ٥٦، وهل العبادة إلا طاعة الله فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر؟ ولهذا فتح رسول الله ﷺ باب الهجرة على مصراعيه أمام كل راغب فيه، فقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخاري، وفي رواية ابن حبان: (المهاجر من هجر السيئات، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

والمعنى الذي حدده المصطفى ﷺ للهجرة معنى عام، تمتد جذوره إلى أعماق الحياة البشرية، فتقيمها على أسس قويمة، أسس تقوم على أساس الإصلاح والصلاح للحياة الإنسانية، والأمن والاستقرار للنفس البشرية، ولهذا كانت كلمات الحديث الشريف متكاملة في تحديد معنى الهجرة على أساس أنها عبادة ترتبط بعقيدة الإنسان وإيمانه، وعلى أساس أنها عملية بناء وإصلاح تأخذ بيد الإنسانية المعذبة إلى شاطئ الأمان والاطمئنان. فهجر ما نهى الله عنه يعني هجر السيئات والمعاصي والمفاسد القولية منها والفعلية، والتي هي الأساس في فساد البلاد والعباد، ولهذا أكد الحديث على (كف اللسان واليد) إذ أنهما الأعضاء التي تصدر عنها المفاسد القولية والفعلية، وإذا كانت هذه الأعضاء سلاحاً ذا حدين يمكن أن يصدر عنها الخير كما يمكن أن يصدر عنها الشر، فإن إمكانية صدور الشر عنها أرجح من صدور الخير، ولهذا يقول المصطفى ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) متفق عليه.

واللسان اسم العضو الذي يصدر عنه الكلام، وعبر الحديث باللسان عن الكلام ليندرج تحته كل أنواع الكلام، وقدم الحديث اللسان على اليد لأن الإيذاء باللسان أسهل وأشد تأثيراً على النفس من الإيذاء باليد . ولهذا كان النبي ﷺ يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه: (اهجُ المشركين فإن جبريل معك) رواه البخاري، ورحم الله من قال:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتئم ما جرح اللســـان

وصدق رسول الله ﷺ: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما

كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب اللهُ تعالى بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه) رواه الإمام مالك والترمذي.

واليد اسم العضو الذي تصدر عنه الأفعال، حسية كانت أم كانت معنوية، فالحسية: كالضرب والسرقة والكتابة والإشارة، والمعنوية: كأكل مال الناس بالباطل، والاستيلاء على حقوق الآخرين بغير حق، واليد مظهر السلطة الفعلية، ففيها يحدث الأخذ والمنع، والبطش والقهر، فإذا أضفنا إلى هذين العضوين عضواً ثالثاً هو (الفرج) نجد أن الإسلام أقام الحياة الإنسانية على دعائم قوية من تقوى الله والخلق الحسن والأمان والاطمئنان.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تقوى الله وحسن الخلق)، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: (الفم والفرج) رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي.

وكان الهدف من الهجرة هدفاً عظيماً، وهو الانتقال بالرسالة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، والمؤرخون يقسمون سيرة الدعوة الإسلامية إلى مرحلتين متميزتين: العهد المكي الذي يمثل مرحلة الدعوة، والعهد المدني الذي يمثل مرحلة الدولة. ولكنني أرى أن بين هاتين المرحلتين مرحلة انتقالية تمثل مرحلة الثورة، لأنها نقلت الدعوة الإسلامية نقلة هائلة سريعة من مرحلة كان هدفها تربية الفرد المسلم إلى مرحلة أصبح هدفها تكوين المجتمع المسلم، ومن دعوة كانت مجرد عقيدة وفكرة إلى دعوة أصبحت شريعة ودولة، ومن حركة محدودة الآثار إلى حركة عالمية الأهداف، ومن دعوة أتباعها قلة مستضعفون إلى دعوة أتباعها سادة فاتحون. ولهذا كانت ثورة عقائدية، بكل ما تحمله هذه العبارة من معان إيجابية، لأنها غيرت أحوال المسلمين تغييراً جذرياً، فنقلتهم من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الانحصار إلى الانتشار، ومن الاندحار إلى الانتصار، ولم تقف

آثارها عند هذا الحد بل كانت ثورة على كل ما يخالف شريعة السماء وفطرة الإنسان السليمة، فشملت آثارها النواحي العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لقد كان هدف المصطفى ﷺ من هجرته إلى المدينة إيجاد موطئ قدم للدعوة لكي تنعم بالأمن والاستقرار حتى تستطيع أن تبني نفسها من الداخل وتنطلق لتحقيق أهدافها في الخارج، ولقد كان هذا الهدف أملاً يراود رسول ﷺ، فقال مرة لأصحابه: (رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب ظني إلى اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب).

كما كان هدف الرسول ﷺ من الهجرة تكثير الأنصار وإيجاد رأي عام مؤيد للدعوة، لأن وجود ذلك يوفر الكثير من الجهود ويذلل في طريقها الكثير من الصعاب، والمجال الخصب الذي تتحقق فيه الأهداف، والمنطلق الذي تنطلق منه الطاقات، ولهذا حرص رسول ﷺ أن يبعث (مصعب بن عمير) إلى المدينة ليعلم الأنصار الإسلام وينشر دعوة الله فيها. ولما اطمأن رسول ﷺ إلى وجود رأي عام مؤيد للدعوة في المدينة، حثّ أصحابه إلى الهجرة إليها وقال لهم: (هاجروا إلى يثرب فقد جعل الله لكم فيها إخواناً وداراً تأمنون بها).

كما كان هدف رسول ﷺ من الهجرة استكمال الهيكل التنظيمي للدعوة، فقد كان صعباً أن يكون الرسول القائد في مكة , والأنصار والمهاجرون في المدينة، ولهذا هاجر رسول ﷺ ليكون بين ظهراني أتباعه، لأن الجماعة بدون قائد كالجسد بلا رأس، ولأن تحقيق أهداف الإسلام الكبرى لا يتم إلا بوجود جماعة مؤمنة منظمة، تغذ السير إلى أهدافها بخطى وئيدة.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هجرة إلى الله ورسوله: هجرة إلى الله بالتمسك بحبله المتين وتحكيم شرعه القويم، وهجرة إلى رسوله ﷺ باتباع سنته، والإقتداء بسيرته، فإن فعلوا ذلك فقد بدأوا السير في الطريق الصحيح، وبدأوا يأخذون بأسباب النصر، وما النصر إلا من عند الله. ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً، والحمد لله رب العالمين.

الهجرة النبوية شعلة التوحيد والنصر

■ بقلم الاستاذ مصطفى محمد هديب

تقف واقعة الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة معلماً في مسيرة الاسلام منذ ان بعث به رسول الله ﷺ الى ان عمت دعوته ارجاء الأرض ترفع راية التوحيد وتقيم عبادة الله وحده لا شريك له.

ونظراً لعظيم آثارها وتأثيرها في الناس، وفي احداث التاريخ، فإنها ظلت نبعاً ثراً للباحثين يردون اليه ويصدرون عنه، المرة تلو المرة، ليكتشفوا ما في هذه الواقعة من دروس وعبر لأهل الايمان، تمدهم بالصبر والعزة والمضاء في الدعوة الى توحيد الله عز وجل وعبادته على ما أمر وشرع!.

وما لقيه رسول الاسلام محمد بن عبد الله ﷺ في دعوته الى عبادة الله واقامة الاسلام في الارض، كان الاشد فيما لقيه الرسل عليهم السلام من اقوامهم!

ويدهش الناظر في أحوال المجتمعات وسلوكها مع الرسل الداعين الى عبادة الله وحده واقامة شريعته في الأرض، على مر التاريخ من ظاهرة المقاومة الشديدة للرسل وهم ينبعثون الى الدعوة الى الله تعالى واحداً لا شريك له؟!.

والرسل الكرام عليهم السلام لا يسألون العباد مالاً ولا أجراً على ذلك، ولا ملكاً ولا رئاسة! وانما هم مصلحون ومبلغون عن ربهم يدلون على الخير

ويصلحون عقائد الناس ويهدونهم سواء السبيل!

ولكن الناس -وكما كان الامر مع كل الرسل- يرفضون ذلك، ويقاومون بكل طاقاتهم ويعطلون مبادئ التوحيد والايمان ويصرون على ما هم فيه من الشك وعبادة ما لا يضرهم ولا ينفعهم!

دعا رسول الله ﷺ اهله وعشيرته ومن حوله من اهل مكة الى عبادة الله ونبذ عبادة الاصنام والالتزام بعقائد الاسلام وشريعته التي ارتضاها الله تعالى لهم لينقذهم من النار، ويدخلهم الجنة على وعد الله وارادته، فرفضوا كل ذلك بإصرار وعناد، وآذوه ﷺ في نفسه!.

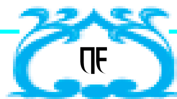
كانت ام جميل بنت أمية بن حرب تضع الاشواك في طريقه! ووضع «سلا الجزور» على رقبته الشريفة وهو يصلي!! وكان النضر بن الحارث يقعد مقعد رسول الله ﷺ من الناس اذا قام، ويحدثهم بأحاديث ملوك فارس، ويقول: ان حديثه افضل من حديث محمد!!

وسخروا منه ومما يدعو اليه.. قالوا عنه: ساحر كذاب! وقالوا: ان هذا القرآن الذي يأتي به يعلمه اياه رجل من اليمامة! وقالوا: مجنون، ورموه بكل النقائص، وهو ﷺ قبل ذلك كان يلقب بالصادق الأمين!

ولقي أتباع الدين الجديد العذاب والأذى والعنت والفتنة، فكان بلال الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُخرَج من الظهيرة ويُلقى على الرمال الملتهبة في شدة الحر ويلوح له بالماء، ويقال له: «اكفر بدين محمد، فلا يزيد عن ان يعلن على اسماعهم تمجيد الخالق العظيم: «أحد.. أحد».

وتفتقت اذهان قريش عن مقاطعة اتباع الدين الجديد، لعل ذلك يفت في عضدهم او يوهن عزيمتهم، ويبعدهم عن الاسلام وعن متابعة رسوله ﷺ، وألجؤوهم الى شعب ابي طالب يفترشون الارض ويتلحفون السماء لا يباع اليهم ولا يبتاع منهم، ولا يتزوجون منهم ولا يزوجوهم.

هذه المقاطعة كانت اختراعاً من مشركي مكة لم يسبقهم احد الى هذا السلاح في مواجهة اتباع الرسل عليهم السلام.. وصمدوا ثلاث سنوات الى ان



وجد من يشفق عليهم ويعيدهم الى مكة ليكونوا كما هم أهلها.

ويشتد الاذى في هذا الجسد المؤمن، ولا يجدون لهم خلاصاً الا في الهجرة، ومفارقة الوطن، فأمرهم رسول الله ﷺ ان يهاجروا الى الحبشة على الضفة الأخرى من البحر، ويهاجرون مرتين ولا تتركهم قريش وانما تحاول استرجاعهم وتفشل في مسعاها، ويجرب مشركو مكة اسلوب الاغراء!! ويعرضون على رسول الله ﷺ المال يأخذ منه ما يشاء! ويعرضون عليه النساء يتزوج منهن ما يريد! وهيهات!!

ويقول رسول الله ﷺ لعمه رداً على تلك العروض: «والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الأمر ما تركته او اهلك دونه»!!

وتُذهل قريش لهذا الجواب ويمزقها الغيظ.. ماذا نحن فاعلون؟

ويرى رسول الله ﷺ انه قد استنفذ مكة مكاناً وناساً في دعوته فينطلق الى مكان آخر، وييمم شرقاً الى الطائف في رحلة جبلية صعبة!! ويصل الى ثلاثة من كبارها ويعرض عليهم أمره فلا يجد منهم الا الاستهزاء والرفض، ويطلب منهم ان يكتموا أمره لكنهم يفضحوه ويغروا به سفهاءهم فيتبعوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين وارهقوه وشمتوا به أعداءه!.

ويلجأ الى بستان مسور يسند اليه ظهره، وقد بلغ من التعب والألم والحزن مبلغاً شديداً، ويرفع يديه الى ربه مناجياً: «اللهم ان اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس! يا ارحم الراحمين، انت رب المستضعفين وانت ربي.. الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني، ام الى عدو ملكته أمري؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك» إيمان راسخ عميق.. ومناجاة يتفطر لها القلب.

وبينما هو كذلك اذ يرسل اهل البستان عبد لهم يقطف عنب ويمد رسول الله ﷺ يده «بسم الله الرحمن الرحيم» ويعجب العبد، ويقول: ان هذا الكلام لا يقوله اهل

هذه البلاد! ويسأله رسول الله ﷺ: ومن اي البلاد أنت؟ قال: من نينوى بالعراق، من بلد الرجل الصالح يونس بن متى، وما أدراك ما يونس بن متى؟ ويجيب رسول الله ﷺ: ذاك أخي، انه نبي وأنا نبي! وينكب عداس على رأس رسول الله ﷺ يقبله ويقبل يديه وقدميه ويسلم عداس لهذا البرهان الذي لقيه في ارض العرب!.

ويعود رسول الله ﷺ الى مكة ويقرر ان يتصل بالعرب وهم يحجون الى مكة! ويلقى بعض أهل يثرب ويقبلوا منه ما يدعو اليه، ويجيء الموسم القادم وقد جاءوا بوفد كبير اجتمعوا به بحضور عمه العباس ويتعهدوا بنصرته وان يحموه مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم.

ويبدأ المسلمون في الهجرة الى يثرب، وتعلم قريش ويجن جنونها وتدرك ما تنطوي عليه هذه الأخبار من خطر محدق قادم!! على مكانتها بين العرب وعلى تجارتها وعلى سيادتها.

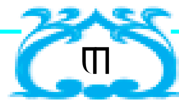
وبعد ان صار أصحاب رسول الله ﷺ في يثرب، ولم يبق أحد في مكة، أذن له ربه سبحانه وتعالى ان يهاجر، وأبقى علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فراشه حتى يرد ودائع اهل مكة اليهم! ويعجب الناظر الى ذلك الأمر: كيف تؤمن قريش محمداً على مالها وهي تحاربه وتتهمه بالكذب!!

وانهم يعلمون علم اليقين: ان محمداً ﷺ صادق وأمين، يستحق الثقة، وهو أهل لحفظ الأمانات وردها!! مفارقة محيرة فعلاً.

وعندما علمت قريش بنية رسول الله ﷺ بالهجرة وترك مكة، اتخذت قراراً ان تقتل رسول الله ﷺ حتى ينتهي هذا النزاع المرير الذي طال أمده، ويحيط فرسانها ببيت رسول الله ﷺ ينتظرون خروجه، ويخرج وهم ينظرون ولا يرونه، ولم ينتبهوا من غفلتهم الا وقومهم يزيلون ما جعل عليهم من التراب!!

وينظرون داخل البيت فلا يجدون رسول الله ﷺ، ويسرعون بخيولهم يبحثون وينظرون في الطرق والمنافذ ليجدوه، وما ظفروا به ولا بأحد ممن معه!

لقد حفظه الله تعالى من عيونهم،



وأفلت الركب من المتربصين حتى يتم أمره في ابلاغ رسالته.

وتنهزم جحافل الشرك، وعبادة الاصنام في ارجاء الأرض! وفي طريقهم يعرفهم سراقة بن مالك وقد علم ان قريشاً جعلت مائة ناقة جائزة لمن يأتي بمحمد!!

ويلحق بهم وتغوص قدما حصانه في الرمل، ويتعثر، ويلقيه مرات من ظهره، ويدرك سراقة ان رسول الله ﷺ ممنوع منه! ويدنو سراقة ويأمره رسول الله ﷺ ان يرجع وله سواري كسرى اعظم ملوك الارض يومها!! وأين نحن من كسرى وإيوانه العظيم ودونه الاهوال! ولكن سراقة يرجع وفي أذنيه وعد رسول الله ﷺ وجاء السواران الى المدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد معركة القادسية، ونودي على سراقة ووضع السوارين في يديه تحقيقاً لوعد رسول الله ﷺ.

ويصل رسول الله ﷺ الى المدينة المنورة ويجد المسلمين في انتظاره، وتبرك ناقته عند بيت ابي ايوب الانصاري! ويبدأ رسول الله ﷺ ببناء مسجده أولاً، ويشارك ﷺ المسلمين في بناء المسجد كأحدهم.

وعندما استراح قليلاً اتخذ عدداً من القرارات تأكيداً لإدارته هذا المجتمع الجديد، على مبادئ الاسلام، واعلاناً عن لحمة المجتمع وحمايته من الأخطار، وتنظيم علاقته بالآخرين من سكان المدينة من غير المسلمين، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكان احصاء المسلمين، وإقرار صحيفة المدينة.

أمر رسول الله ﷺ بإحصاء المسلمين في المدينة ليعرف عددهم، فمجتمع المدينة به يهود، وبه كثيرون من مشركي العرب، ولا تزال قريش العدوة الأولى ولا بد من معرفة القوة المسلمة التي يقع عليها عبء الدفاع عن الاسلام ومواصلة الدعوة والتصدي للأخطار وقد وجد المسلمين (١٤٠٠) مسلماً.

ومثل هذا العمل في تلك المرحلة المبكرة امر يحسب من أسباب الحزم ومن الخطوات الحضارية في المجتمع.

ثم جاءت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي من ألوان السلوك النادر في المجتمعات الانسانية وكانت المؤاخاة ثمرة من ثمار مبادئ الاسلام **﴿انما المؤمنون إخوة﴾**.

ولقد جاء المهاجرون من مكة سراً الى المدينة، وتركوا خلفهم بيوتهم وأموالهم وأسرهم، فكيف يعيشون؟!

ولقد ضم رسول الله ﷺ حوالي (٥٠) من المهاجرين الى (٥٠) من الأنصار من اهل المدينة المسلمين، وبهذا توفر للمهاجرين من مكة المسكن والمأكل والرعاية الاجتماعية وقد أبدى بعض الأنصار رغبة في تقاسم الأموال مع إخوانهم المهاجرين، وأقر التوارث بينهم حتى جاءت الآية التي تبطل ذلك، فقال سبحانه وتعالى: **﴿أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾**.

وهكذا كان الاسلام هو العامل الحاسم في إقرار هذا السلوك الانساني الرفيع.. الذي يمثل التضحية والمواساة والأخوة الايمانية في امتثال رائع، لتوجيه رسول الله ﷺ على مبادئ الاسلام التي أحدثت هذا التغيير في العقلية العربية والتي بالأمس كانت على الجاهلية.

❖ وثيقة المدينة:

كان من ثمار مبادئ هذا الاسلام.. هذا الدين الجديد في البيئة العربية: اشاعة النظام والطاعة والأمن والالتزام بعقائد الاسلام وأحكام شريعته.. وتغيرت الحياة العربية.. بل انقلبت رأساً على عقب! واحترمت الملكية الفردية والحياة الانسانية، واختفت من الحياة مظاهر الربا والفساد الأخلاقي والنهب والسطو، وسمت العقيدة الى التوحيد وعبادة الله واختفت مظاهر الشرك.. ذلك أمر أشبه بالحلم ان تختفي كل تلك الظواهر السلبية.

وكانت المدينة المنورة هي النموذج والمثال لتطبيق الاسلام في حياة العرب، وكتب رسول الله ﷺ «صحيفة المدينة» وهي عهد مكتوب ينظم العلاقة في هذه البلدة بين سكانها من المسلمين وغيرهم! وكان بعض هذه الوثيقة إداريا بحتاً، وكان



بعضها سياسياً، وكان بعضها تنظيمياً، وارجع امر قيادة هذا المجتمع الى رسول الله ﷺ.

ومن أهم ما جاء فيها:

١- المسلمون أمة واحدة من دون الناس!.

٢- المسلمون يد واحدة على من ظلم او اعتدى او أراد فساداً بين المؤمنين.

٣- من تبع المسلمين من يهود له النصرة والمساواة في المعاملة.

٤- كل من أقر بهذه الوثيقة فليس له ان ينصر محدثاً او يؤويه.

٥- ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٦- ان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٧- لا تُجار قريش ولا يجار من نصرها.

٨- ان بين اهلها النصر اذا دهمها أحد.

٩- ان هذا الكتاب لا يحول دون ظالم أو آثم، وان من خرج آمن، ومن قعد آمن، الا من ظلم وأثم.

لقد نظمت هذه الوثيقة علاقة سكان المدينة وهم من المسلمين ويهود وبعض المشركين، وقررت ان المسلمين أمة واحدة، وبذلك اتضح ان الاسلام فوق العصبيات القبلية، «تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم على يد من سواهم» كما قال رسول الله ﷺ.

ولقد جعلت هذه الوثيقة من النصرة بين اهلها في مواجهة العدوان الخارجي وتحمل الكتاليف المادية في ذلك أمراً مقرراً وضرورياً، وانه لأول مرة تجد المدينة المنورة نفسها مجتمعاً يسوده النظام والتكاتف ووحدة القيادة الدينية والسياسية وقد تولى ذلك رسول الله ﷺ.

وهكذا ساد الأمن الداخلي مجتمع المدينة، وصار لها مرجعية تبت في أمورها كلها على شريعة الدين الاسلامي، وعرف العدو الخارجي وهو كل من يحاول الاعتداء على هذا المجتمع الجديد وعلى رأسه قريش.

وهكذا ودعت يثرب عهد الفوضى وقلعت نفوذ اليهود على اهلها وتغلغل الدين الجديد في نسيجها ليهذب سلوكها

الهجرة النبوية الشريفة.. الاستحقاق الحضاري

■ بقلم الاستاذ معاذ محمد بني عامر

كانت الفترة المكِّية –بالنسبة للدين الإسلامي– بمثابة تكدٌّس للشرط الحضاري وتراكمه، ليأتي أُكُلَهُ بعد حين في المدينة المنوَرة. وما هجرة النبي محمد ﷺ إلا كتأكيدٍ على هذا المسار الحضاري، فالثمرة التي زرع شجرتها النبي ﷺ في مكة المكرمة بتبليغ رسالة الله جلَّ جلاله ونشر رسالته السمحة، آنَ لها أنْ تُؤكل. والسؤال الملح هَهُنا هو: لماذا المدينة المنورة لأكل ثمرة هذا الدين الجديد، وليس مكة المكرمة؟!.

سأبسط الأمر على النحو التالي لكي تتوضح الأمور وتُؤتي غرضها هي الأخرى، ولكي أُمنهج ما أنا بصدده سأعودُ إلى النقطة الأساسية التي انطلقتُ منها؛ أعني نقطة تكدِّس الشرط الحضاري وتراكمه طيلة الفترة المكيِّة، فأساسات الشرط الحضاري كانت تتكدس في الذهنية الإسلامية الجديدة طيلة الحقبة المكيِّة، وقد أتى القرآن الكريم بجملة من السور القرآنية تُعورف عليها وتمَّ تبويبها لاحقاً ضمن السور المكية، وعبر هذا العطاء القرآني تمَّ العصف أولاً بالشوائب الجاهلية التي علقت بالذهنية الجمعية تجاه الذات الإلهية والعالَم والذات البشرية وعلاقتها بالذات الإلهية أولاً وبالعالَم ثانياً.

فالسواد الأعظم كانَ خاضعاً لذهنيةٍ جمعية محكومة لحزمةٍ من الأساسات

الوجودية تجاه الله والعالَم والذات، تفترضُ إشراكاً بالله بالأساس مما ينعكسُ على رؤية الذات للعالَم أولاً على أساس أنهُ مخلوق من قبل مجموعة من الآلهة، مما يُحتِّم نظرة مُعينة تجاه الذات البشرية في نظرتها الكُلية للذات الإلهية بالدرجة الأولى وللعالَم بالدرجة الثانية.

ولقد أتى الدين الإسلامي ليعمل أولاً على تطهير الذهنية الجمعية مما شابها طيلة الفترة السابقة من لغطٍ وغلطٍ وجودي تجاه أساسات الوجود الرئيسية. ومن هنا بدأ الشرط الحضاري بالتكدّس في الذهنية الجمعية، فالأذهان بدأت تأخذ مداها في فهم ثلاثية : «الله، العالَم، الذات»، ومقدرة الكائن البشري على استحداث شرط حضاري يتجاوز به شروطاً حضارية أخرى.

وعلى مدى ثلاثة عشر عاماً ترسخ هذا التوجه، وبدأ الإنسان العربي الذي يسكن مكة المكرمة يعي أن لديه أهم شرط لصنع حضارة عريقة، ألا وهو الشرط الروحي المُتجسّد بالقرآن الكريم، فذاكَ الإنسان المُتصاغر أمام آلهة مُتعددة صار ولأولِ مرة كائناً حُرّاً. فذهنيته بدأت بالتحوّل الكبير ناحية الكوني والعالَمي والإلهي بعدَ أن كانت محصورة في منطقة محددة وبزمن دائري.

وأنا هنا أرى أنَّ تلكَ البقعة من الأرض؛ أعني مكة المكرمة، والزمن؛ أعني الزمن الدائري الذي يُمسرح في صحراء دائرية، كانا من الأسباب المفصلية في هجرة النبي محمد ﷺ، فالحضارة بحاجةٍ إلى زمن غير دائري، مفتوح، غير مُغلق؛ وإلى مكان مبسوط هو الآخر مفتوح، لكي تُطبِّق شرطها الحضاري وتحوِّله من "الأذهان" إلى "الأعيان".

ومن هنا كانت الهجرة النبوية الشريفة بمثابة دفع حضاري ناحية العالَمية والكونية بالأساس، ففترة التأسيس روحياً وذهنياً ونفسياً في التصور الإسلامي الجديد كانت قد نضجت مع اكتمال تأسيس البُعد العقدي من الدين الإسلامي، وصارَ لزاماً التطبيق العملي لهذا الشرط الحضاري، وأكل ثمرة تكدّس مُدخلاته، لهذا أتت الهجرة النبوية الشريفة كنقطة تحول كُبرى في تاريخ الدين الجديد، ولن يمضي عقدان من الزمن إلا والدولة الإسلامية تبسط سيطرتها على مساحة واسعة من كوكب الأرض بفعل تحويل تكدسات الشرط الحضاري إلى نشاط فعلي وتطبيق عملي.

ولكم كان النبي ﷺ حريصاً على أنْ لا يُهاجر إلا بعد أن تنضج كل الظروف التي تدفع باتجاه قيام حاضنة متينة تحتضن الدين الجديد، وبالفعل فلم تحدث الهجرة إلى المدينة المنورة إلا بعد أن اكتملت معالم الصورة ذهنياً ونفسياً، وصار لزاما وجودياً التطبيق العملي لهذا الشرط الحضاري الذي نضج على مدار ثلاثة عشر عاماً من التكدسات والتراكمات.

وأنا هُنا بصدد أن أطرح السؤال التالي: هل كانَ من الممكن أن تقوم معالم الدولة الإسلامية في مكة المكرمة بدلاً من المدينة المنورة، حتى بعدم وجود ظلم وعسف من قبل قريش تجاه المسلمين؟.

أعتقدُ أن إمكانية قيام دولة إسلامية في مكة المكرمة كانت شبه معدومة، حتى في حال عدم وجود ظلم وعسف من قبل قريش تجاه المسلمين، وإنِّي أُعيدُ عدم الإمكانية هذه إلى عدَّة أسباب أهمها:

اتخاذ الدين الجديد طابعاً عالمياً وجبَ له أن يتمدد في زمن أفقي كزمن المدينة المنورة وليس في زمن دائري كزمن مكة المكرمة، ليأخذ مداه في الزمن والمكان، بعيداً عن زمن مكة ومكانها الدائري.

الخروج من (الدائرة) إلى (التربيع)، حيث تأكيد قيم العقل في بناء الحضارة الجديدة، عوضاً عن الروح التي تمَّ تأكيدها في مكة على مدار حوالي العقد والنصف من الزمان. فتلكَ المعطيات الروحية الخالدة كانَ قد آن أوان تطبيقها عملياً على أرض الواقع عبر آليات عقلية تعمل على إعمار الأرض وفقاً للتوجيهات الإلهية، وعندَ حدٍّ مُعين أخذ النبي محمد ﷺ على عاتقه مسألة الخروج بالدين الجديد من إطاره الدائري في مكة المكرمة إلى إطاره الحضاري في المدينة المنورة. وبعدها سيأخذ هذا الدين الجديد بالتمدد أفقياً عبر المكان وعموديا (تراكمياً) عبر الزمان، ولن يمر وقت طويل حتى يتأكد هذا الدين الجديد كمحرِّك أساسي لعجلة التاريخ البشري برمته.

تأكيد القيم المدنية للدين الجديد بعدَ أن عاين وعايش القيم البدوية المرتكزة أساساً على زمن ومكان دائريين.

لهذه الأسباب ولغيرها أتت الهجرة النبوية الشريفة كحدٍّ فاصل بين زمنين ومكانين؛ زمنين أحدهما دائري وثانيهما مُربَّع، وبين مكانين أحدهما بدوي يُعزِّزُ عبر تمثّلاته قيم الزمن الدائري، وثانيهما مدني وأفقي يُعزِّز من قيم المكان المُرَبَّع بكل محموله الحضاري.

التداوي بالقرآن الكريم

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

مقدمة:

في سورة الرحمن ترتيب رباني لا سابق له، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الرحمن ❖ علم القرآن ❖ خلق الانسان﴾ الرحمن: ١-٣، فقد بدأ تعالى بتعليم القرآن موصولاً به سبحانه وتعالى، ثم جاء خلق الانسان بعد تعليم القرآن، ويوصلنا هذا الى ان القرآن الكريم بحقائقه سابق ليس بمخلوق ولا مسبوق، فهو كلام الله المشتمل على صفات الخالق وحكمة الخلق وغاية الوجود.

وهذه الحقائق ثابتة قبل خلق الانسان، وقد نزل القرآن الكريم بها، **﴿انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: ٩، ومن هنا نعرف شأن القرآن بالنسبة للإنسان، وأنه الحبل الممتد بينه وبين الرحمن.

❖ القرآن والإنسان:

ان الإخبار عن عزة الله وقدرته وعلمه، بلاغ للإنسان لتبصرته بما يجب ان يكون عليه من معرفة به والاهتداء بهديه، فالقرآن الكريم في جميع آياته هدى للناس، وحديث القرآن عن ايات الله في الأرض وفي السموات، فيّاض بالعطاء لأولي الالباب الذين يذكرون الله ويتفكرون بآياته، بل ربما رأينا القرآن يخاطب الانسان في نفسه ليعرف قدرة الله في خلقه وبعثه، قال تعالى: **﴿ويقول الانسان إإذا ما مت لسوف أخرج حياً ❖ أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك**

شيئاً﴾ مريم: ٦٦-٦٧[١].

وهناك ثماني حقائق ترينا مدى التوافق بين ما يوحي به الكون، وما يدعو اليه القرآن الكريم، وهي:

١- الربوبية في قوله تعالى: **﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾** الأعراف: ٥٤ .

٢- ان هذه الربوبية تدبر أمر هذا الكون بصورة نافعة للإنسان، **﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾** الأعراف: ٥٤ .

٣- ان الشمس والقمر والنجوم وهي ما هي من عظم شأنها وبعد مكانتها وقوتها مسخرة بأمر ربها **﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾** الأعراف: ٥٤ .

٤- هذا الشمول في الربوبية في قوله تعالى: **﴿ألا له الأمر﴾** الأعراف: ٥٤ .

٥- قوله تعالى: **﴿تبارك الله رب العالمين﴾** الأعراف: ٥٤، اي كثرت بركته واتسعت.

٦- التوجه بالأمر الى عباده في قوله تعالى: **﴿وادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾** الأعراف: ٥٥، وقد أمر الله تعالى عباده بالدعاء، وقيد ذلك ليكون الداعي متضرعاً بدعائه مخفياً له، والتضرع من الضراعة، وهي الذلة والخشية والاستكانة والخفية: الاسرار بها، فذلك أدعى للإخلاص والبعد عن الرياء.

٧- عدم الافساد في الأرض، قال تعالى: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾** الأعراف: ٥٤ .

٨- ما يجب ان يكون عليه الانسان من الخوف والطمع والرجاء ليُحسن ولا يسيء، قال تعالى: **﴿وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾** الأعراف: ٥٦[٢].

❖ التداوي بالقرآن:

ذكر الخالق عز وجل لكلمة «شفاء» في أكثر من موضع وآية في القرآن الكريم، فما المراد منها؟ هذا هو شفاء خاص لما في الصدور والأبدان؟ قال تعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** يونس: ٥٧، وقال تعالى: **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾** النحل: ٦٩، وقال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** الاسراء: ٨٢، وقال تعالى: **﴿قل هو للذين**

آمنوا هدى وشفاء﴾ فصلت: ٤٤ .

ومن الواضح ان كلمة **﴿شفاء﴾** في سورة النحل تعني العسل، وقد جمع بينهما رسول الله ﷺ في قوله: «عليكم بالشفائين: العسل والقرآن»، فالقرآن شفاء لما في الصدور من الشك والريب، والعسل شفاء من الأمراض.

وقد قال العلماء: ان كون القرآن شفاء يعني:

أولاً: انه شفاء للقلوب من الجهل والشك ووسوسة الشيطان والهوى والدنس والحيرة والقلق والطمع والحسد، وكل ما يؤدي الى تدمير المجتمع وأمنه وسلامته.

ثانياً: انه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ، كما فعل احد اصحاب النبي ﷺ، حين رقى رجلاً لديغاً بالفاتحة، كما جاء في صحيح البخاري.

ولا يعني ذلك عدم التداوي والعلاج بالطرق الحديثة كالأدوية الطبية، فقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل داء دواء وأمر بالتداوي، والحديث النبوي الشريف: «تداووا عباد الله..» الخ، معروف مشهور[٣].

❖ السحر والحسد ومس الجان:

السحر: هو تخييل وتزيين وتزييغ للبصر وتغيير للحقائق، وهو سلاح فتاك خفي يستخدمه الساحر ضد من شاء ومتى شاء، دون ان يراه احد، ومكوناته هي:

١- ما تتلته الشياطين قديماً على ملك سليمان.

٢- وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، قال تعالى: **﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾** البقرة: ١٠٢ .

ومعلوم ان الشياطين كانوا يسترقون السمع قبل بعثة النبي ﷺ، وقبل نزول القرآن الكريم، قال تعالى حكاية عنهم: **﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾** الحج: ٩ .

وقد أثبت القرآن الكريم محاولاتهم بعد نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ حين قال تعالى: **﴿وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾** الجن: ٨[٤].

❖ الفرق بين الجان والشيطان:

الجان: اسم جنس يندرج تحته كل نوع من الشياطين، والجان والشيطان هما

اسمان لمسمى واحد، الا ان الشياطين جميعها من سلالة ابليس عليه اللعنة، ومعنى إبليس هو: إفليس، والمعنى انه كان يملك رصيداً ضخماً من الطاعة والعمل الصالح، وفجأة أفلس حينما تكبّر وتمرد على أمر ربه ففسق بعصيانه، فنال مرتبة الشيطنة، وهي إطراق الأعمال الصالحة لنفسه أولاً، ولمن يستطيع غوايته وإضلاله.

❖ نشأة السحر:

تبدأ نشأة السحر وتاريخه منذ نزول الملكين ببابل، ومنذ ان تلته الشياطين على ملك سليمان، فيما قرره القرآن الكريم ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين..**﴾ البقرة: ١٠٢، ويعد البابليون من الكلدان هم اول من اشتغل بالسحر ممن كانوا يعبدون الكواكب ويعتقدون انها تدير شؤون هذا العالم، فيتقربون اليها ويستميلونها اليهم، او يصرفون ضررها عنهم بالرقى والدخن، وكل ما يناسب الكواكب، واخطر ما في سحرهم انه يستخدمونه تمائم وطلاسم لا تفهم، ويسمي العرب السحر بالسر الساقم: اي الذي يصيب البدن دون ان يرى، وقد نهى الرسول ﷺ عنه بقوله: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر..» الخ الحديث، وقد جعله ثاني الذنوب المهلكة[٦].

❖ انواع السحر:

١- سحر الشر وأضرابه كثيرة منها، التفريق بين الزوج وزوجته والأب وولده والأخ وأخيه، وهو اول ما تعلمه البابليون.

٢- سحر المرض، ويشكو المريض من اعراض مختلفة في آن واحد، ويعجز الأطباء عن علاجها، بل ويتحيرون بها.

٣- سحر التريف: الاستحاضة.

٤- سحر العداوة والبغضاء،

٥- سحر البهتة وعقد اللسان.

٦- سحر التصفيح.

٧- سحر التغوير.

٨- سحر تعطيل الزواج للرجل والمرأة «الوقف».

٩- سحر التخييل.

١٠- سحر التزييغ والرهبة.

١١- سحر الوساوس، ويشك المسحور في كل شيء، ولا يثق بمن حوله.

١٢- سحر ارسال الهواتف.

١٣- سحر الصرع، يصرع المسحور كلية او تشل بعض اعضائه.

١٤- رجم بيت العدو والترحيل.

١٥- الربط، عقد الزوج عن الزوجة والعكس.

١٦- إسقاط الجنين اما بتعويمه بالنزيف او بمس الجن للرحم.

١٧- التنويم[٧].

والنوع الثاني من السحر هو سحر المزيج: وهو ما يجمع الشر في صورة الخير والعكس، كسحر المحبة، وسلوّ العشق، وحل المربوط، وحل عقدة البائر: المعطل عن الزواج، وكذلك تسخير الجان في قضاء الحاجات، كأن يسحر شاب للزواج من فتاة لا يرغبها أصلاً والعكس.

❖ أسباب عمل السحر:

لا يقع السحر الا لأربعة أسباب هي:

١- الحسد.

٢- تثبيت ملك الحاكم.

٣- تحقيق غرض مادي.

٤- تحقيق غرض معنوي[٨].

❖ تعريف النشرة:

النشرة هي ابطال سحر المسحور وهو نوعان:

١- علاج السحر بسحر مثله، ويسمى علاج الداء بالداء، اي ان ساحراً يبطل عمل ساحر مثله، وهما درجة واحدة في القرب من الشيطان.

٢- علاج بالرقية والتعوذات: والدعاء والتضرع الى الله تعالى، بخالص الرجاء ثقة في أنه وحده الشافي الذي يملك كشف الضر كما هو الحال في سيدنا ايوب عليه السلام، ومن **انواع الرقية:** التعوذ، وهو الاحتماء بالله عز شأنه والالتجاء اليه بكثرة الذكر، وقراءة القرآن، والاستماع اليه دائماً.

❖ آيات الشفاء من السحر:

روي ان أبا حاتم قال: بلغني ان هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى: تقرأ على إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور، وهي:

١- قول الله تعالى: **﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ❖ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾** يونس: ٨١-٨٢ .

٢- قول الله تعالى: **﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ❖ فغلبوا هنالك وانقلبوا**

صاغرين..﴾ الأعراف الآيات: ١١٨-١٢٥ .

٣- قول الله تعالى: **﴿وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾** طه: ٦٩ .

وبعد القراءة على الماء، يشرب المسحور بعضاً منه ويغتسل بالباقي(٩).

❖ في الكلام عن الحسد:

عرّف ابن منظور في معجمه «لسان العرب» الحسد مادة (ح س د)، بأنه تمني زوال نعمة الغير، وأن تكون له هو دونه، وهو انفعال نفسي إزاء نعمة الله تعالى على بعض عباده مع تمني زوالها، والانسان المتمني لزوال النعمة عن أخيه المسلم آثم، والحسد ما يطلق على الاصابة بالعين او العين او النظرة او النفس، وأحياناً يطلق عليه «الغيرة».

ورغم ان العلماء الدارسين قد وقفوا امام الحسد عاجزين عن تفسيره، الا انهم اتفقوا على أنه أذية الآخرين عن طريق موجات كهرومغناطيسية شريرة تسري من الحاسد الى المحسود.

يقول رسول الله ﷺ عن العين: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين» رواه مسلم ٢١٨٨، والترمذي ٢٠٢٦، وابن حبان ٦٠٧٥، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

❖ التحصين من العين:

يمكن للمعاين ان يدعو الله بقوله: «حصّنت كذا وكذا بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً، ودفعت عنه السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» وقال ﷺ: «اتقوا سم الأعين، فإن العين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر»(١٠).

❖ موقف العبد من النائبات والمصائب:

وهذا له ثلاثة أضرب هي:

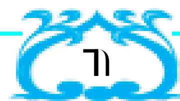
١- السخط والاعتراض على القدر، وهذا غاية في السوء، وبعد عن الأدب مع الله تعالى.

٢- الصبر والرضا على المصيبة واحتسابها عند الله تعالى، «عجباً لأمر المؤمن..» الخ الحديث، أخرجه مسلم ٢٩٩٩ .

٣- مقام الموحدين وهذا ارفع المراتب وأعلاها شأناً وشرفاً(١١).

❖ أدعية الرقية من السنة والأدعية العامة:

١- بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك،



ومن شر حاسد اذا حسد، وشر كل ذي عين.

٢- بسم الله ارقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس او عين حاسد، الله يشفيك بسم الله ارقيك.

٣- اللهم رب الناس اذهب الباس، اشفه انت الشافي، لا شفاء الا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً.

٤- «اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك «سبعاً».

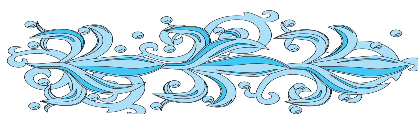
٥- «بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربنا» «اخرجه البخاري: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، حديث ٥٧٤٥ عن عائشة رضي الله عنها».

٦- وللمسلم ان يدعو بما يفتح الله عليه مؤمناً بقوله تعالى: **﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾** النمل: ٦٢، وقوله تبارك وتعالى: **﴿واذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾** البقرة: ١٨٦، وقوله عز وجل: **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾** غافر: ٦٠ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

المراجع:

١- الشيخ محمد الراوي: القرآن والانسان، مطبوعات اخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٧م ص٧-١٠ .
٢- المرجع السابق ص١٢-١٥ .
٣- المرجع السابق ص١١٥-١١٨ .
٤- د. محمد محمود عبد الله، عالج نفسك من السحر والحسد ومن الجان، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن ٢٠٠٣، ص٥-١٠ .
٥- المرجع السابق، ص١٠-١٥ .
٦-٧- المرجع السابق، ص١٥-١٨ .
٨-٩- المرجع السابق، ص٣٧-٤٢ .
٩- المرجع السابق، ٤٢-٤٤ .
١٠- د. خليل كنس البدوي، الحسد والاصابة بالعين، دار عالم الثقافة، عمان - الاردن ١٩٩٩، ص٧-١٢٤ .
١١- محمد بن يوسف الجوزي، الرقية الشرعية من الكتاب والسنة النبوية، دار النفائس، عمان - الأردن، ٢٠٠٥، ص٥٤-٥٥ .
١٢- المرجع السابق، ص٢١٩-٢٢٢ .



قطوف دانية

اعداد الطالبة خلود حسام لافي

قال الله تعالى:

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ❖ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ❖ الذين ءامنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾.

الزخرف: ٦٧-٦٩ .

الثواب الجنة

قال رسول الله ﷺ:

«ان الله لا يرضى لعبده المؤمن اذا ذهب بصفيه من اهل الارض، فصبر واحتسب بثواب دون الجنة».

وجبت محبتي

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: (وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ)».

أبر البر

قال رسول الله ﷺ:

«ان من أبر البر، صلة الولد أهل ود أبيه».

أحب الأواني الى الله

قال رسول الله ﷺ:

«ان لله عز وجل في الأرض أواني الا وهي القلوب.. وأحب الأواني الى الله أصلبها وأصفاها وأرقها.. أصلبها في الدين، وأصفاها من الذنوب، وأرقها على الإخوان».

عبدين تحابا في الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو ان عبدين تحابا في الله، واحد في الشرق وآخر في الغرب، لجمع الله بينهما يوم القيامة، يقول: هذا الذي كنت تحبه فيّ».

التفرقة بين اثنين

قال رسول الله ﷺ:

«لا يحل لرجل ان يفرق بين اثنين الا بإذنهما».

البدء بالسلام

قال رسول الله ﷺ:

«لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

الفتح الاسلامي لشمال افريقيا وتحوله الى منطقة اسلامية العقيدة عربية الانتماء واللسان

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

❖ مقدمة:

من المعروف لدى المؤرخين ان الدولة الأموية، صنفت تقسيماتها الادارية في خمس ولايات، هي: أ- الحجاز واليمن واواسط الجزيرة العربية. ب- مصر بقسميها الاعلى والاسفل. ج- العراقان اللذان يشملان العراق وبلدان الخليج العربي وكرمان وسكستان وافغانستان وما وراء النهر والسند، ويتولى حكمها والي العراق في الكوفة، وهو الذي يعين الولاة على مختلف الاقطار السالف ذكرها. د- بلاد الجزيرة «في شمال العراق» وارمينية واذربيجان واقاليم اسيا الصغرى. هـ- الولايات الاخرى وتشمل افريقيا الشمالية «عدا مصر» والاندلس وجزر صقلية وسردينيا والبليار، ومركزها القيروان، ويعين واليها نواباً عنه لحكم طنجة وبلاد الاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط، وهذه الفقرة هي التي تعنينا في هذا المقال، علاوة على مصر لأنها هي المفتاح للمواضيع المتعلقة بالمقال.

وكانت البداية لفتح مصر، بزيارة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى الشام سنة ١٨هـ، للبحث مع القادة الذين عينهم أبو بكر رضي الله عنه لفتح الاقطار الشامية، ومن بينهم عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي انتهى من فتح فلسطين، وطالب الاذن له بالتوجه لفتح مصر، لأهميتها وغناها، وبعد تردد سمح له عمر رضي الله عنه بالتوجه لفتح مصر، لأن بقاءها بأيدي الروم يمثل خطراً مستديماً على الاقطار الشامية.

والجدير بالذكر ان مصر كانت معروفة لدى اهل الحجاز، حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم

عندما وجّه رسائله في السنة السادسة للهجرة، الى حكام الاقطار المجاورة لجزيرة العرب، خصّ المقوقس ملك القبط برسالة منها، وقد تعامل هذا الملك مع الرسالة النبوية بالاهتمام والتقدير، واهدى اليه «مارية واختها سيرين» مع غلام لخدمتهما، فتزوج الرسول ﷺ بمارية، وهي التي ولدت ابراهيم ابنه الذي توفي طفلاً. والمعروف ان المقوقس قد أثار غضب ملك الروم، لأنه دخل في صلح مع المسلمين، فنفاه[1].

وهكذا فإن عرب الحجاز كانوا يعرفون مصر حق المعرفة، ولهم تجارة معها، خاصة وقد اوصاهم النبي ﷺ خيراً بأهلها، اذ اصبحوا اصهاراً للمسلمين، وقال: «ان الله سيفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً، فإن لهم فيكم صهراً وذمة» وقد تم بالفعل فتحها من قبل عمرو بن العاص وقد شارك في عملية الفتح اربعة من كبار الصحابة، هم: الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم.

وتم النصر للمسلمين، ووافق المقوقس على شروط الصلح وذلك سنة ٢٠هـ، رغم تمسك الامبراطور البيزنطي بمواصلة الحرب، لا سيما في الدفاع عن الاسكندرية التي سرعان ما سقطت بأيدي المسلمين الذين اطلقوا الحرية للقبط بعيداً عن تعسف الروم، واعترفوا بزعامة «بطريق الكنيسة القبطية» كما ان المسلمين اعادوا الامن والنظام الى البلاد، وقاموا بإصلاحات كثيرة في جميع النواحي، مما ادى الى تحسن احوال القبط.

٢- بداية فتح الشمال الافريقي وولاية عقبة بن نافع:

في ولاية عمرو بن العاص على مصر، اندفع المسلمون الى ناحية الغرب، ففتحوا برقة وطرابلس سنة ٢١هـ وكذلك توجهت قوة منهم الى بلاد النوبة، ولما تولى مصر عبد الله بن ابي سرح سنة ٢٧هـ عمد الى غزو افريقيا، وقد ارسل له الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه جيشاً يضم أعيان الصحابة، كما ارسل عبد الله بن الزبير الذي عمد الى خطة أدت الى هزيمة الاعداء واستيلاء المسلمين على بعض اقاليم برقة.

كما ان المسلمين واصلوا التوغل في بلاد النوبة، وحققوا نصراً مبيناً، وعلاوة على ذلك نشب القتال في البحر على مقربة من الاسكندرية سنة ٣٤هـ، وكان النصر للمسلمين في معركة «ذات الصواري» التي استولى فيها المسلمون على مئات السفن، مما ألف اسطولاً لهم، كان له دور كبير في منازلة البيزنطيين، غير ان الامر قد اختلف بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وخلافة الامام علي كرم الله وجهه اذ

اضطرب الحال في مصر، مما أثر على حملات المسلمين على افريقيا.

وأخيراً استطاع معاوية رحمه الله وبقيادة عمرو بن العاص الذي اعاده الى حكم مصر، ان يوطد حكم المسلمين في اراضيها، والسير في سياسة من شأنها رعاية مصالح الاهلين، ولا سيما القبط، كما يعزز قواته في البحر الابيض، اذ أنشأ اسطولاً كبيراً فيه قوامه (١٧٠٠) سفينة، فتح بها المسلمون عدة مواقع مثل «رودس» وبعض الجزر اليونانية.

وفي سنة ٤٨هـ اعد معاوية جيشاً ضخماً لغزو القسطنطينية براً وبحراً، كما انه ارسل في سنة ٥٠هـ عقبة بن نافع من برقة لفتح الشمال الافريقي، وقد نجح وأسلم على يديه كثير من البربر الذين كونوا نواة الجيوش التي فتحت بلاد المغرب والاندلس بعدها.

وهكذا اصبح عقبة والياً على افريقيا تابعاً للخليفة «وليس تابعاً لوالي مصر» وقد بنى مدينة «القيروان» ومسجدها الجامع، ثم حل محله ابو المهاجر دينار في حكم افريقيا، وقد زحف باتجاه الغرب، حتى حاصر قرطاجنة «وهي في تونس الحالية» وقد طلب أهلوها الصلح، مما أتاح الفرصة لمواصلة الزحف لإكمال فتح المغرب الأوسط، وقد قاتله البربر بقيادة «كسيلة» الذي تم أسره، لكنه لقي معاملة حسنة من جانب المسلمين، مما أدى الى فسخ التعاون بين البربر والبيزنطيين، وقد استمر ابو المهاجر في مقارعة الاعداء رغم جميع المضاعفات التي صادفته، حتى استشهد مع عقبة، كما سنرى ان شاء الله.

٣- عودة عقبة بن نافع الى ولاية افريقيا:

عندما تولى أبو المهاجر ولاية افريقيا، أساء معاملة عقبة واستخف به وسجنه ولم يطلقه الا بعد ورود كتاب من معاوية بإطلاقه، ولذلك عندما عاد الحكم لعقبة، قبض على أبي المهاجر وسجنه، وحمله معه مقيداً أثناء حملاته العسكرية على قائد البربر «كسيلة» الذي كثيراً ما اهانه عقبة رغم تحذيرات ابي المهاجر، مما ادى بالنهاية الى عودة القتال بين المسلمين وكسيلة.

وعلى اي حال فإن عودة عقبة الى ولاية افريقيا، كانت جهوده هذه المرة منصبة على فتح بقية اقطار افريقيا الشمالية، حتى وصل الى المحيط الأطلسي، وخاض فيه بفرسه، وضرع الى السماء قائلاً: «اللهم لو كنت اعلم ان وراء هذا البحر ارض لخضته اليها في سبيلك».

ويبدو قبل رجوعه الى مقر قيادته في

القيروان، بعث قواته الى القيروان وبقي في عدد قليل من المحاربين، مما اغرى به البربر بقيادة كسيلة، فانقضوا عليه وقتلوه، كما قتلوا ابا المهاجر دينار الذي كان معتقلاً -كما اسلفنا-، وكان قتلهما سنة ٦٣هـ في خلافة يزيد بن معاوية، وقد كان كسيلة قد نكث اتفاقه مع المسلمين مما ادى الى إخلاء القيروان من القوات الاسلامية، حتى ضاعت ثمرات تغلغل عقبة في عمق الشمال الافريقي المطل على المحيط الاطلسي، كما اسلفنا.

٤- زهير بن قيس البلوي حاكم افريقيا:

والجدير بالذكر ان ولاة مصر كانوا يدعون بأن سلطاتهم تشمل جميع الاقطار الافريقية، ولكن خلفاء بني امية وخاصة معاوية كانوا يتولون الاشراف بأنفسهم على شؤون افريقيا، بما في ذلك تعيين الولاة فيها، واستمر ذلك الى ايام عبد الملك بن مروان، وقد تجلى ذلك في تعيينه زهير بن قيس البلوي، احد اصحاب عقبة بن نافع، وكانوا من البداية يختارون لحكمها شخصيات بارزة، مثل عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي السرح ومسلمة بن مخلد الانصاري الذين تولوها في ايام معاوية، اما بالنسبة لعبد الملك فقد عين أخاه «وهو ولي عهده» عبد العزيز بن مروان والياً على مصر، ويمتد حكمه الى شمال افريقيا، حتى انه عندما وجد حسان بن النعمان ذا قوة شخصية ونفوذ كبير بادر الى عزله وولى بداله موسى بن نصير، ولكن هناك من يقول «كابن الاثير»: ان عبد الملك هو الذي عين موسى بن نصير والياً لافريقيا، وارسل معه جيشاً قوامه اربعون الف جندي، وذلك سنة ٧٤هـ.

اما الآن فأعود الى زهير بن قيس البلوي الذي يتوج اسمه هذه الفقرة، ولكن الموضوع استدعى الخروج عن الصدد لمعالجة مسألة اساسية استدعاها السياق، اما زهير فإن له سابقة وهي شهوده فتح مصر من قبل عمرو بن العاص، وعقب استشهاد عقبة بن نافع، امر عبد الملك بن مروان بتعيينه خلفاً لعقبة، اذ كان في القيروان والياً عليها من قبل عقبة، لكنه فضّل الانسحاب الى برقة عندما قصد كسيلة القيروان، بسبب قلة عساكره، ولكن ما لبث بعد تعيينه والياً ان عاد بجيش كثيف يقصد القيروان، مما ادى بكسيلة الى اخلائها، ولكنه تتبع كسيلة وجيشه واستطاع قتل كسيلة وهزيمة عسكره.

وبعد هذا الانتصار فضل الرجوع الى قاعدته في برقة، اذ استشعر ان الروم يبيتون له هجمة كبيرة، وبالفعل كان الروم قد هاجموا برقة وأخذوا كثيراً من الأسرى من حاميتها، وعند وصوله اليها، وجد الاسرى قد نقلوا الى السفن، وقد عمد الى

تخليصهم بالقوة فشن هجوماً على القوات الرومية واستشهد رحمه الله وكثير من اصحابه، وكان استشهادهم حافزاً جديداً على مواصلة الجهود لاستكمال تحرير الشمال الافريقي.

٥- دور حسان بن النعمان الغساني في تحرير الشمال الافريقي:

الاحداث المأساوية التي أدت الى استشهاد زهير، دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان لإعداد العدة لاستئناف الجهاد، خصوصاً بعد ان فرغ من معالجة ما تعرضت له الخلافة من حركات الانتقاض عليها، كثورة عبد الله بن الزبير، والمختار الثقفي، فاختار حسان بن النعمان الغساني لمعالجة الموقف الافريقي، وكان نعم القائد، اذ لم يكتف بمن معه من العرب، إنما فتح باب التجنيد لمسلمي البربر، بمن فيهم أبناء الكاهنة البربرية.

والجدير بالذكر ان حسان هذا كان من التابعين الذين رووا الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفاز بمكانة مرموقة لدى بني امية حتى صار يعرف بالشيخ الأمين، وقد انجز المهمة المسندة اليه بنجاح، اذ فتح أكثر بلاد المغرب، وقد استاء العرب والبربر عندما قام والي مصر بعزله، وتولية موسى ابن نصير مكانه، اذ هو الذي قضى على الكاهنة وطرد الروم من قرطاجنة، كما انه ساوى بين العرب والبربر في القيادة والادارة، وكان جديراً بهذه المهمة، وخاصة في مواجهة خطط البيزنطيين الهادفة الى استرداد السيادة على شمالي افريقيا، وخاصة مقتل زهير وأصحابه على أيدي الروم، ونشوء الفتن، وجيوب المقاومة المحلية، وافتراق أمر البربر، وانتشار الردة بينهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن حساناً قد تصدى للكاهنة التي أحرقت المزارع، وأخربت البلاد ظناً بأن المسلمين يقصدون بغزواتهم كسب ثروات المغرب، وقد قام حسان نفسه بتكذيب ذلك، اذ عمد الى تخريب مماثل، الامر الذي كذب ادعاءات الكاهنة.

وعلى أي حال فقد استهدف حسان القضاء على الوجود البيزنطي في افريقيا أولاً، وقبل كل شيء، ولا يرتكب الخطأ الذي ارتكبه زهير قبله، فكان القضاء عليه، كما ان قرطاجنة وهي مستقر الروم وكان موقعها الاستراتيجي واشرافها على البحر، حيث ترد اليها الامدادات بسهولة وعلاوة على ذلك، دأب حسان على مواجهة الروم والبربر كلاً على حدة.

كما انه برهن على تقديره للبربر ومعاملتهم بالمساواة مع العرب، حتى انه اسند اليهم قيادات عسكرية، وبعض اهل

البلاد تطوعوا ليدلوه في مسيره ويقاتلون في صفه، مما مكنه من الوصول الى القيروان بدون اذى، وكذلك وصل الى قرطاجنة التي كانت قاعدة بحرية للروم، وهي تبعد عن القيروان ١٦٠ كيلو متراً، فحاصرها ودارت الحرب بينه وبين الروم، وانتهت باستسلامها.

كما هزم حسان الروم في مواقع اخرى، مثل صطفورة وبنزرت وبونة، ولكن ذلك انقلب رأساً على عقب عندما انهزم حسان امام الكاهنة، والتجأ الى برقة، اذ عاد الروم الى المنطقة فاستعادوا قرطاجنة، وأخرجوا المسلمين منها، وقسوا في معاملتهم للمسلمين، علاوة على ما سبق من نصر للكاهنة في جنوب تونس، وكان على اسطوله الذي جهزه به الخليفة عبد الملك ان يوطد به الحكم الاسلامي في أقطار المغرب المتعددة على اتساعها، كما يستخدم الفرسان لإكمال فتح الشمال الافريقي كلها، وهذا ما حصل، خاصة وانه اتجه الى نشر الاسلام بين السكان، وأنشأ مدينة جديدة تحمل محل قرطاجنة سماها «تونس» وهي مدينة بحرية اتخذها قاعدة لأسطوله الذي اتجه به الى الجزر المتصلة بساحل افريقيا ففتحها.

❖ حسان والكاهنة:

اما الآن فألقي بعض الضوء على حملات حسان تجاه الكاهنة، وهي بربرية احترفت السحر والكهانة، وكان لها سلطانها على البربر بواسطة ذلك السحر، حتى ملكت «جبال الأوراس» وهيمنت على عقول الناس حتى صار الروم يهابونها، وقد استغلوها ضد المسلمين، وعندما قُتل كسيلة، رجع اليها البربر الذين كانوا ينتمون الى قبيلة يهودية، اما حسان فعمد الى شن الغارات عليها اكثر من مرة وكانت أولها الحملة التي استهدفت مقر تحالفها القبلي في جبال الأوراس، ولكنه أخفق في تلك الحملة، وأخذت الكاهنة بعض الأسرى من المسلمين الذين خسروا عدداً غير قليل من القتلى، وعاد حسان الى برقة حيث أمره الخليفة بذلك، وقضى فيها خمس سنوات في انتظار أوامر الخليفة حتى صارت الكاهنة سيدة الموقف في المغرب، ومع ذلك فقد اعتنق الاسلام عدد كبير من البربر، وفي الوقت نفسه انتهز الروم الفرصة فشنوا حملة بحرية على قرطاجنة، مما ادى الى تسرب اليأس الى قلوب بعض المسلمين، وبقرب الفراغ من هذه المهمة.

لكن وجودهم في القيروان كان مبعث الأمل كما ان الخليفة تمكن من ارسال قوات جديدة الى افريقيا بعد ان تعزز مركزه في الشام، فأذن لحسان في سنة ٨١هـ بمقاتلة الكاهنة، التي ظنت ان

المسلمين مجرد طامعين بخيرات افريقيا، كما اسلفنا، ولكن السكان رأوا كذب تلك الفرية، مما حملهم على الترحيب بالمسلمين، ولهذا منيت الكاهنة بهزيمة ساحقة عندما هاجمها المسلمون عند جبال الاطلس، وقتلوها، وقد رحب بهم الاهلون نكاية بما فعلت الكاهنة ببلادهم، كما رحب بهم النصارى الذين قاسوا من تصرفاتها والجدير بالذكر ان ابني الكاهنة قد اسلما وانضما الى جيش المسلمين، مما ساعد على تحقيق انتصارات عاجلة، وهكذا عادت السلطة الى حسان لحكم البلاد الافريقية.

هذا وقد صرف حسان من ولاية المغرب، من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان، اخي الخليفة وقد توفي سنة ٨٥هـ، ومن انجازاته بناء مدينة تونس لتخلف قرطاجنة، وتأسيس دار الصناعة فيها لبناء السفن لحماية افريقيا من غارات الروم والافرنج، كما فرض حسان على البربر ان يمدوه بـ ١٢ ألف مقاتل من اسلم منهم، كما اعتبر بلادهم قد فتحت صلحاً، فأقر البربر على ما في ايديهم من ارض ووزع على الفلاحين الاراضي الشاسعة التي كانت مملوكة للبيزنطيين، وساوى في العطاء بين العرب والبربر فازدادوا ثقة بالمسلمين والاسلام.

وقد عمد حسان الى نشر اللغة العربية التي دونت بها الدواوين الى جانب نشر المبادئ الاسلامية، وشجع المواطنين على تعلم لغة القرآن حتى أصبحت لغة المواطنين الافارقة وتوسع بناء المساجد لإقبال البربر على اعتناق الاسلام، وعزز القوات البحرية، لتنطلق الى صقلية وسردينية، ومن بعد ذلك لغزو الأندلس.

٦- ولاية موسى بن نصير:

لقد صُرف حسان كما اسلفنا في عام ٨٥هـ ويبدو ان والي مصر آنذاك وهو عبد العزيز بن مروان شقيق الخليفة وولي عهده، نجح في صرف حسان، وحصل على جعل ولاية افريقيا تحت ادارته، اذ لم يكتف راضياً بتولية حسان ولاية المغرب من قبل الخليفة نفسه، دون ان يمر التعيين عن طريق والي مصر، وقد ادى ذلك الى تعيين وال جديد لافريقيا هو موسى بن نصير، اذ سبق ان وقعت مشادة بين عبد العزيز والي مصر وحسان نفسه حول عائدية برقة، اذ يعتبرها والي مصر انها تابعة له، بينما اعتبرها حسان انها تابعة له، حسب وثيقة تعينه على البر الافريقي، وعلى اي حال فإن والي مصر قد نجح في النهاية من عزل حسان وتعيين صديقه موسى بن نصير في سنة ٨٨هـ وتمكينه من جني ثمرات جهود حسان في مواصلة فتح الشمال الافريقي، وتذليل الصعوبات التي اكتنفته، ولا ينكر احد ان موسى بن نصير

قد كانت له اعمال جليلة في ارض المغرب الاقصى والاندلس.

والمعروف انه خرج من مصر على رأس جيش كبير انضم اليه جيش آخر بقيادة مولاه طارق بن زياد وانهما اكملا فتح شمال افريقيا وفتحا طنجة، عاصمة المغرب الاقصى، وانهما نشرا الاسلام في تلك البقعة النائية، حتى صار المغرب كله مسلماً، وانهما اعدا العدة للعبور الى البر الاوروبي لا سيما وكانت هناك كتلة سياسية اسبانية تعادي الحكومة شجعت القادة المسلمين على غزو شبه الجزيرة الاسبانية، خاصة بعد نجاح طريف بن مالك في غزو جزيرة صغيرة سميت بعدئذ جزيرة طريف، وكان ذلك سنة ٩١هـ. وقد كان ذلك مشجعاً لموسى بن نصير وطارق ابن زياد على غزو بلاد الاندلس في سنة ٩٢هـ، هكذا كانت البداية للحكم الاسلامي للأندلس، الذي استمر سبعة قرون.

٧- نشوء دول مهمة في شمال افريقيا:

من الحقائق المهمة ان اهل الشمال الافريقي، ما لبثوا ان أقاموا دولاً لهم في المنطقة، ما لبثت ان توسع نفوذها، أو نقلت عاصمتها الى خارج هذه المنطقة وسنكتفي بذكر مدى اتساعها وهي:

أولاً: دويلة الاغالبة التي أسسها القائد العربي ابراهيم بن الأغلب في تونس سنة ١٨٤هـ، واستمرت في الحكم حتى عام ٢٩٦هـ، وقد تمتعت بالحكم الذاتي التابع للدولة العباسية، وقد تمكنت هذه الدويلة من احتلال جزيرة صقلية، وكانت هذه الجزيرة عرضة للغارات من جانب المسلمين في السنوات ١٠٩، ١٢٤، ١٣٠هـ ولكن استعصى على المسلمين فتحها حتى فتحها الاغالبة وقد تلقوا مساعدة مهمة من السفن الاندلسية. والمعروف انهم تصدوا للأدارسة الذين عاصروهم وحاولوا توسيع دولتهم على حساب الأغالبة.

ثانياً: ثم تمكنت اسرة عربية ايضاً من تأسيس حكم في المنطقة مستقل عن الخلافة العباسية، هي دولة الادارسة العلويين التي قامت في مراكش عام ١٧٢هـ، واستمرت في الوجود حتى سنة ٣١٣هـ وقد اهتمت هذه الدولة بنشر الاسلام في اقطار المغرب.

ثالثا: ثم هناك الدولة الفاطمية التي تأسست في المغرب في مدينة رفادة سنة ٢٩٦هـ، وهي دولة شيعية عاشت حتى سنة ٥٦٧هـ اذ قد تمكن عبيد الله المهدي إمام الاسماعيلية من تأسيس جيش له بفريق من المغاربة من قبيلة كتامة البربرية، ثم اتجه شرقاً فاحتل مدينة القيروان التي اتخذها عاصمة له، ثم امتدت مطامعه الى مصر، ولكنه اصطدم بقوات الدولة العباسية التي هزمته، كما هزمت محاولاته

الأخرى.

ولكن لما تولى المعز رئاسة هذه الدولة، تمكن من احتلال مصر، وقد استمرت هذه الدولة في حكم مصر حتى سنة ٥٦٧هـ عندما اسقطها صلاح الدين الأيوبي، ولكنها تمكنت خلال حكمها ان تحتل بعض الاقطار كبلاد الشام والحجاز واليمن، وكانت مصدر قلق للعباسيين.

رابعاً: المرابطون، وهم بربر ولكن قيل: انهم من قبيلة يمنية الاصل، شديدة التمسك بالاسلام، ولكنهم ظهروا في بلاد المغرب سنة ٤٤٨هـ واستمروا في الحكم الى سنة ٥٤١هـ وقد امتد حكمهم الى جميع بلاد المغرب وبلاد الاندلس، وبلغت هذه الدولة أوجها في عهد يوسف بن تاشفين الذي حكمها سنة ٤٧٠هـ، وحتى عام ٥٠٠هـ، في عهد بلغ فيه ضعف المسلمين في الاندلس اوجه، وكاد يخرج الامر من ايديهم فعبر المرابطون الى الاندلس وسيطروا عليها حتى جبال «البرانس» في الشمال وقد تصدى يوسف ابن تاشفين للافرنج وانتصر عليهم في موقعة الزلاقة، حيث استنجد به بعض حكام الاندلس من المسلمين فاستجاب لهم، وانزل بالقوات الاسبانية هزيمة ساحقة، وذلك في سنة ٤٧٩هـ، حتى قال بعض المؤرخين الاوروبيين: لو ان تاشفين اراد استغلال تلك الهزيمة، لكان في وسعه ادخال جميع اوروبا في دين الاسلام.

ولقد عبر تاشفين المضيق الى الاندلس عدة مرات، استجابة لنداءات المسلمين حتى عام ٤٨٣هـ، وورث عنه ابنه علي شجاعته وتفانيه في حماية المسلمين في الاندلس، لكن دولة المرابطين انتهت في سنة ٥٣٩هـ على أيدي الموحدين، وقبل سنة ٥٤١هـ.

خامساً: الموحدون وقد ظهروا في بلاد المغرب ايضاً، وهم من اصل عربي، وكان اول حكامهم عبد المؤمن بن علي الفقيه العالم الذي بويع سنة ٥٢٤هـ وسمي خليفة ليحل محل المرابطين الذين ضعف شأنهم وكانت وفاته سنة ٥٥٨هـ، فخلفه ابنه يوسف في هذه الخلافة، وفي سنة ٥٦٥هـ امر أخاه بالعبور الى الاندلس، والتصدي للنصارى، لكنهم قتلوه غيلة فخلفه ابنه يعقوب الذي عبر ايضاً الى الاندلس لمواجهة القوات النصرانية في سنة ٥٩١هـ وقد انتصر عليهم في واقعة الأرك، وكان آخر الحكام الموحدين الناصر لدين الله الذي غزا الاندلس في سنة ٦٠٩هـ ولكن النتيجة هي الفشل في الوقعة المسماة وقعة العقاب، مما ادى الى سقوط دولة الموحدين، ولو بعد حين، اذ سقطت في عام ٦٦٧هـ، اي بعد عشر سنين من سقوط

بغداد في ايدي التتار.

٧- خاتمة:

نستطيع القول بأن الخطة التي اتخذها الحكام المسلمون بفتح شمال افريقيا وبنشر الاسلام فيها، قد اثمرت احسن الثمار، اذ جعلت من هذه البقعة حصناً اسلامياً، وارضاً عربية الى الأبد، «ان شاء الله» وقوة أساسية لنشر الاسلام في القارة الافريقية، الا انه مما يؤسف له ان غزو الاندلس وتحويلها الى قطر اسلامي لسبعة قرون، انتهت بفقدانها رغم اهميتها وجبروتها خلال تلك المدة الطويلة، قطراً اسلامياً عربياً رائعاً ليس بجمالها الطبيعي فحسب، بل برقيها العلمي والأدبي، وبمؤلفات اهلها القيمة التي خلفها لنا الاشقاء من اهل تلك الجوهرة الثمينة المفقودة، ومما يؤلمنا حقاً أننا في عصرنا هذا قد فقدنا -أو على الأقل قاربنا نفقد- قطراً مقدساً عزيزاً خاصة في هذه الأيام، حيث تجرأت اسرائيل على إغلاق المسجد الاقصى المبارك وتعطيل الصلوات فيه، كمقدمة لهدمه لا سمح الله، ونبتهل اليه سبحانه وتعالى ان لا يكون مصيره مصير الأندلس التي نسيناها عبر القرون.

ولكننا والحمد لله نتذكر بكل فخر الجهود الاسلامية التي بذلت في سبيل تعزيز مكانة الدين الاسلامي في شمال افريقيا مقرونة باللغة العربية لغة القرآن الكريم، بعد القضاء على أخطار البيزنطيين والافرنج وكفار البربر، وصيرورته قاعدة راسخة لنشر الاسلام في القارة الافريقية، حتى صار دين الاغلبية لسكان نيجيريا وبلاد النيجر، والسنغال، وغانا وغينيا مما هو معروف، ولا يزال يتقدم الاسلام في اعماق القارة الافريقية والحمد لله، ولعلنا نقترب من اليوم الذي نشاهد فيه اكثرية مسلمة في جميع أقطارها وما ذلك على الله بعزيز.

❖ كشف المصادر:

١- ابن الاثير، علي بن محمد الجرزي، الكامل في التاريخ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

٢- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

٣- البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان، القاهرة ١٩٣٢ .

٤- الجنحاني، د. حبيب، القيروان عبر العصور، بيروت.

٥- حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، الجزء الأول، القاهرة.

٦- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، طبعة صادر، بيروت.

٧- خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، طبعة دار الفكر، بيروت.

٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ العبر، بيروت.

٩- ابن خياط، خليفة، تاريخ ابن خياط، بيروت.

١٠- الدباغ، عبد الرحمن الانصاري، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، القاهرة.

١١- دحلان، احمد بن زيني، الفتوحات الاسلامية، القاهرة.

١٢- ابن ابي دينار، محمد بن ابي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار افريقيا، تونس.

١٣- الذهبي، محمد بن احمد، سير اعلام النبلاء، القاهرة.

١٤- الريّس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الاموية، بيروت.

١٥- الزاوي، الطاهر، تاريخ الفتح العربي في ليبيا.

١٦- سالم، د. عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، الاسكندرية، تاريخ البحرية الاسلامية للمؤلف نفسه.

١٧- السراج، محمد الاندلسي، الحلل السندسية، تونس.

١٨- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة.

١٩- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح افريقيا والأندلس، بيروت، وفتوح مصر للمؤلف نفسه.

٢٠- العدوي، د. ابراهيم احمد، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربية، بيروت.

٢١- ابن عذاري، احمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت.

٢٢- ابن العماد، عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت.

٢٣- فيصل، د. شكري، حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول، بيروت.

٢٤- القيرواني، ابراهيم بن القاسم، تاريخ افريقيا والمغرب، تونس.

٢٥- اللميلم، د. عبد العزيز، حسان بن النعمان الغساني، بيروت.

٢٦- المالكي، عبد الله بن ابي عبد الله، كتاب في طبقات علماء القيروان، القاهرة.

٢٧- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في أخبار المغرب، القاهرة.

٢٨- مؤنس، د. حسين، فتح العرب للمغرب، القاهرة.

٢٩- الناصري، احمد بن مخلد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء.

٣٠- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت.

صلح الحديبية وآثاره الاستراتيجية

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

❖ تمهيد:

كان الرسول الكريم ﷺ في المدينة بعد الهجرة يصلي الى بيت المقدس، وكان ﷺ يتطلع الى نزول الوحي عليه بالتوجه في الصلاة الى بيت الله الحرام، فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ البقرة: ١٤٤ .

وكان ذلك في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ الى المدينة.

وكان المسلمون منذ هجرتهم الى المدينة يحنون لرؤية وطنهم في مكة، ولكن قريشاً كانت تمنعهم من ذلك ويستأثرون بخدمة الكعبة والبيت العتيق.. يقول الله تعالى في محكم كتابه: **﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾** الأنفال: ٣٤ .

وفي ذي القعدة عام ٦هـ خرج رسول الله ﷺ معتمراً لا يريد حرباً، ودعا العرب من غير المسلمين الى الاشتراك معه، وقد بلغ عدد المسلمين معه ألفاً وأربعمائة، لكن قريشاً لما بلغها خروج المسلمين دفعت خالد ابن الوليد على رأس قوة بلغ عدد فرسانها مائتين، عسكرت بذي طوى قرب مكة لمنع المسلمين من دخولها.

❖ رسول الله ﷺ يتجنب الاصطدام:

علم رسول الله ﷺ بخروج قوة خالد بن



الوليد وكان قد وصل الى عسفان، فغير طريقه واتخذ طريقاً وعراً غير مطروق لكي يتجنب الاصطدام بها حتى وصل الى ثنية المرار عند بئر الحديبية، ومن هنا جرى تبادل الرسل بين الطرفين على النحو التالي:

١- رسل قريش:

كان اول من بعثته قريش بديل من ورقاء الخزاعي في رجال من خزاعة فسألوا الرسول ﷺ ما الذي جاء به؟ فأخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائراً للبيت العتيق ومعظماً لحرمته.

- ثم بعثت مكرز بن حفص بن الأخيف فسمع ما قيل لصاحبه.

- ثم بعثت الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فأمر الرسول ﷺ بإطلاق الهدي حتى يراه فتأثر الحليس بما رأى، ولم يصل الى الرسول ﷺ اقتناعاً منه بأنه جاء معتمراً، بل عاد ليخبر قريشاً بذلك، فقالوا: اجلس فإنما انت اعرابي لا علم لك، فغضب وقال: والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله معظماً له.

- ثم بعثت عروة بن مسعود الثقفي فأخبره الرسول ﷺ انه لم يأت محارباً وانما قاصداً زيارة البيت العتيق والطواف به، وقد لمس حب اصحاب محمد لرسولهم ﷺ، فرجع الى قريش وقال: اني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء ابداً.

٢- رسول النبي محمد ﷺ الى قريش:

بعث النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي الى قريش وحمله على بعير له، لكن قريشاً عقرت البعير وأرادت قتل خراش، لولا ان منعتهم الأحابيش فخلوا سبيله.

ثم بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فبلغهم رسالة رسول الله ﷺ فقالوا له: ان شئت ان تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها فبلغ الرسول ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا الى البيعة.

❖ بيعة الرضوان:

عن يزيد بن ابي عبيد قال: «قلت لسلمة بن الأكوع: على اي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت في سبيل الله» رواه البخاري.

وانهم لكذلك اذا ترامى الى المسلمين ان عثمان لم يقتل، ثم جاء عثمان بنفسه اليهم فأبلغ رسول الله ﷺ بأنه لم يبق لدى قريش اي ريبة في أنه وأصحابه انما جاءوا لزيارة البيت العتيق.

❖ المفاوضات المباشرة وتوقيع الصلح:

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ وقالوا له: «إئت محمداً صالحه، ولا يكن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة ابداً».

وقد أثارت شروط الصلح وما جرى عند كتابتها غضب المسلمين وغيظهم، حتى لقد قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله.. ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: اوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «انا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني».

ودعا الرسول ﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه لكتابة العهد وقال له: اكتب باسم الرحمن الرحيم، فقال سهيل: امسك لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال الرسول ﷺ: اكتب هذا ما صالح به محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض:

- من اتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم.
- ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.
- وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال.
- وانه من احب ان يدخل في عقر محمد وعهده دخل فيه، ومن احب ان يدخل في عقر قريش وعهدهم دخل فيه.
- وان يرجع محمد ﷺ واصحابه هذا العام فلا يدخل مكة، وانه اذا كان عام قابل، خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها.

فلما فرغ الرسول ﷺ قدم الى هديه

فنحره ثم جلس فحلق رأسه وتبعه في ذلك المسلمون ثم عاد بهم الى المدينة.

❖ الدروس المستفادة والآثار الاستراتيجية لهذا الصلح:

أولاً: مبدأ المحافظة على الهدف، لقد كان هدف الرسول ﷺ زيارة البيت ولم يكن يريد قتالاً وقد ظهر من سير الحوادث انه لم يسمح لأعمال المشركين اخراجه عن هدفه.

- خرج محرماً في شهر حرام والسيوف في أغمادها.
- أشرك معه العرب غير المسلمين ليبين لقريش انه يريد أداء العمرة ولا يريد الحرب.
- تجنب الاصطدام بقوة خالد بن الوليد.
- ولما اغارت قوة اخرى على معسكر المسلمين وتم اسرهم اطلق سراحهم.

❖ ثانياً: الحديبية فتح مبين:

في طريق عودة المسلمين الى المدينة، «نزل الوحي عليه السلام على رسول الله ﷺ بسورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى آخرها فقال: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: نعم» رواه الشيخان.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدون انتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية» رواه البخاري.

وقد حظي اهل الحديبية بأعظم تكريم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «انتم خير اهل الارض وكنا ألفاً واربعمائة» رواه البخاري.

والحق ان الايام اثبتت ان عهد الحديبية حكمة سياسية وعسكرية كان لها اكبر الاثر في مستقبل الاسلام والمسلمين.

ثالثاً: الآثار الاستراتيجية للحديبية:

١- اعتراف قريش لأول مرة في تاريخ الصراع بالمسلمين طرفاً مساوياً لها وبالدولة الاسلامية وقيامها.

٢- اقرار قريش لأول مرة للمسلمين بحق زيارة البيت الحرام واقامة شعائر العمرة وهذا اقرار بأن الاسلام دين مقرر معترف به.

٣- اصبحت المنطقة التي تقع جنوب المدينة منطقة أمينة، وكانت قبل ذلك من أخطر الأماكن على المسلمين.

٤- انحصر بذلك الخطر في المنطقة الشمالية حيث يسكن اليهود في خيبر وما حولها.

٥- ومن نتائج الصلح التفريق بين قريش وحلفائها الطبيعيين -يهود خيبر- الذين كانوا على الدوام يحرضون قريشاً على المسلمين.

٦- فتح المجال لعقد محالفات مع القبائل فدخلت خزاعة عهد المسلمين.

٧- في ظل مناخ الهدنة استقر المسلمون فزادت قوتهم واستعداداتهم واصبح جيش المسلمين في السنة الثامنة للهجرة حوالي عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة بينما كانوا في غزوة الخندق حوالي ثلاثة آلاف مقاتل.

٨- كسب المسلمون عطف كثير من القبائل العربية، بل ان زعيم الأحابيش الحليس ابن علقمة قد هدد قريشاً بأن ينفر برجاله نفرة رجل واحد اذا اعترضت زيارة المسلمين للبيت العتيق.

٩- عودة المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة الى المدينة المنورة بعد أقل من شهرين من عهد الحديبية.

١٠- مهد هذا الصلح الى الرسول ﷺ مخاطبة ملوك الروم يدعوهم الى الاسلام.

رابعاً: التزام المسلمين بالعهد:

التزم المسلمون بالعهد، ولكن قريشاً طالبت بتسليم رجلين، دخلا في ذمة المسلمين دون اذن منها، فطلب الرسول ﷺ اليهما الرجوع، ولكن ذا الحليفة اعتدى على أحدهما وقتله، وهرب الآخر «أبا بعير ابن أسيد الثقفي» ورجع الى المدينة وأخبر الرسول ﷺ أنه أوفى بالعهد، ثم خرج مع سبعين مجاهداً من المسلمين لاعتراض قوافل قريش التجارية من الشام، وبذا نقضت قريش عهد الحديبية بينما أوفى المسلمون بعهدهم.

خامساً: الهدنة ثمرة لامتلاك المبادرة:

اتاح صلح الحديبية للمسلمين التقاط انفاسهم والتفرغ لليهود الذين قاوموا الدعوة للاسلام بأساليبهم الخبيثة، وتحريض قبائل العرب على معاداة المسلمين، ولكن هذا الصلح قطع على اليهود اتصالهم بهذه القبائل، وتفرغ المسلمون لإجلاء بني النضير وغزو خيبر واجلاء اليهود عن الجزيرة العربية،

﴿إن الله يحب التوابين﴾

■ بقلم الدكتور نور الدين الجاعوني

التوبة: هي الرجوع إلى الله، وفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، بقلب مخبت منيب، وليست التوبة من فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الناس، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها لا تقل أهمية عن التوبة من فعل السيئات المنهي عنها.

❖ **منزلتها:**

ورد العديد من النصوص التي تبين فضل التوبة وعظم منزلتها، ومن ذلك أنها:

١- سبب لنيل محبة الله عز وجل:

قال تعالى: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** البقرة: ٢٢٢، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها. قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ بها قائمة عنده. فأخذ بخطامها، ثم قال -من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح)[1].

٢- سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال الله عز وجل: **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تُفلحون﴾** النور: ١٣.

٣- سبب لتكفير السيئات ودخول الجنات:

قال عز وجل: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله**

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ❖ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦،

وقال ﷺ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[٢].

وقال ﷺ: (اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٣].

٤- سبب لتبديل السيئات حسنات:

قال الله عز وجل: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾** الفرقان: ٧٠ .

وقد رغّب الله ورسوله ﷺ فيها: فعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[٤].

❖ شروطها:

إذا استجمعت التوبة الشروط اللازمة لها فإنها تكون مقبولة ماحية للذنوب والمعاصي بإذن الله عز وجل، وشروط التوبة هي:

١- أن تكون خالصة لله تعالى، واقعة لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والهيبة مما عنده سبحانه.

٢- أن يقلع الإنسان عن الذنب الذي تاب منه.

٣- أن يندم على فعل الذنوب، فإن من لم يندم على فعل الذنب، كان ذلك دالاً على رضاه به وإصراره عليه، وقد جاء أن النبي ﷺ قال: (الندم توبة)(٥)، والنادم: هو الذي يتمنى لو عاد به الزمان، واستقبل من أمره ما استدبر، ما فعل الذنب، ولاستقام على أمر الله عز وجل وطاعته ولم يفارقها.

٤- أن يعزم على ألا يعود إلى الذنب أبداً، والعزم: هو التصميم على عدم العودة إلى اقتراف الذنب مرة أخرى، فمتى انضاف ذلك إلى الشروط الأخرى صحت توبته وقبلت، فمن أزلّه الشيطان بعد ذلك فوقع في الذنب مرة أخرى فإنه يحتاج إلى توبة صادقة أخرى، ولا علاقة لهذه التوبة الثانية بالتوبة الأولى، وتوبته الأولى صحيحة

غير باطلة.

٥- إرجاع الحقوق إلى أصحابها: إذا كان الذنب متعلقاً بحق آدمي كسرقة أو غش ونحو ذلك فلا بد أن يرد الحق إلى صاحبه إلا أن يسامح صاحب الحق ويعفو.

أما إذا كان الذنب سباً أو شتماً أو غيبة أو نميمة فالواجب أن يطلب من صاحب الحق مسامحته، إلا إذا كان طلب المسامحة منه يؤدي إلى نفرة وعداوة بينهما، فالمطلوب منه أن يدعو له في ظهر الغيب، ويذكره بخير في المجالس التي ذكره فيها بشر.

٦- أن تقع التوبة في وقتها المناسب، بحيث تكون قبل وقوع أحد أمرين:

أ- الغرغرة: لقوله ﷺ: (إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)(٦).

والمراد بالغرغرة: بلوغ الروح الحلقوم، ووصول العبد في النزع مرحلة يوقن فيها بحضور الموت دون شك؛ كفرعون الذي قال حين أدركه الغرق: **﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾** يونس: ٩٠، فلم يقبل الله توبته قال عز وجل: **﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ❖ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾** يونس: ٩١ - ٩٢.

ب- طلوع الشمس من مغربها: لقوله ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)(٧).

❖ من أساليب الشيطان في إبعاد الإنسان عن التوبة:

١- **التزيين:** بحيث يزين الشيطان للعبد المعاصي، ويحببها إليه، وينفره من الطاعة، ويظهر له صعوبتها.

٢- **التلبيس:** بحيث يلبس الشيطان على العبد ويخدعه في كون الحرام حلالاً، والمنكر معروفاً، والباطل حقاً، حتى تأنس نفسه إلى فعل ما لا يرضي الله، ويزول ما في نفسه من تحرج من إتيان المعصية.

٣- **التسويف:** حين لا يجدي تزيين الشيطان وتلبيسه على العبد: يقود الشيطان العبد إلى التسويف وتأخير التوبة، فيقول له حين يراه مصمماً على التوبة؛ لا بأس أن تتوب، ولكن لماذا العجلة وأنت في مرحلة الشباب؟ لماذا تتوب؟.. حتى تكمل الدراسة، فإذا أكمل الدراسة قال له: حتى تجد عملاً، فإذا

وجد قال: حتى تتزوج، فإذا تزوج قال له: حتى تؤمن المستقبل، وهكذا يتدرج معه في التسويف حتى يضعف إقباله على التوبة، أو حتى يفاجئه الموت قبلها.

وعلاج التسويف يكون بتذكر الموت والبلى، وأن الصغير قد يموت قبل الكبير والصحيح قبل المريض، قال ﷺ حاضاً على تذكره: (أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت)(٨).

٤- تهوين المعصية: حين يحرص العبد على التوبة مستعظماً ذنبه وما اقترفه؛ يأتيه الشيطان ويقول له: ماذا فعلت حتى تتوب؟ أنت من خيار الناس، والتوبة يحتاجها أصحاب المعاصي الكثيرة الكبيرة، فأنت لست منهم فلا تشغل نفسك بذلك، وحتى لو تضاعفت ذنوبك فهي صغير قليلة بالنسبة لغيرك، والله غفور رحيم؛ لا يؤاخذ الناس بمثل ذلك، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به أبو شهاب: هكذا بيده فوق أنفه"(٩).

٥- تصعيب الاستمرار على الطاعة بعد التوبة:

التوبة تحتاج إلى استقامة على الطاعة، والاستقامة شاقة على النفس، وقد تجلب عداوة أصدقاء السوء، فيأتيه الشيطان ويقول له: لماذا تتعب وتحمل نفسك مشقة الطاعة وعداوة من حولك من المنحرفين القريبين والبعيدين؟

٦- التيئيس:

يسرف بعض العباد في اقتراف المعاصي، ويذنبون فيطمعون في التوبة، وحين يقدمون عليها يستعظمون ذنوبهم - وهي عظيمة- فيغلب عندهم جانب الخوف على جانب الرجاء، فيدخل الشيطان عليهم من هذا السبيل، ويقذف في نفوسهم أن الله لا يقبل توبتهم لأن ذنوبهم عظيمة وكثيرة، لذا يصاب الإنسان بالقنوط من رحمة الله.

وهذا القنوط ذنب آخر يضاف إلى الذنوب الأخرى التي تحتاج إلى توبة منها، وعلاجه بتذكر سعة رحمة الله جل شأنه وعظيم مغفرته، قال الله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾** الزمر: ٣٥.

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: ((يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي. يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض (ملؤها: أو ما يقارب ملأها) خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة))(١٠).

وقال ﷺ عن المرأة الغامدية التي زنت: (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى).

واعلم أن التوبة من أعلى منازل العبودية، وقد غفر لرسول الله ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا فقد كان ﷺ يقول: (يا أيها الناس! توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة)(١١)، ويقول: (إني لأستغفر الله وأتوب

الهوامش:

١- أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التوبة، ح (٦٣٠٨) ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، ح(٢٧٤٧)، واللفظ لمسلم.

٢- سنن ابن ماجة (٤٢٥٠) ، والكبير للطبراني (٤٢٥٠)، والشعب للبيهقي (٧٠٤٠)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٣٠٠٨).

٣- أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٩٢)، والدارمي (٢٧٩١)، وحسنه الألباني: انظر: صحيح الجامع(٩٧).

٤- أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ح (٢٧٥٩).

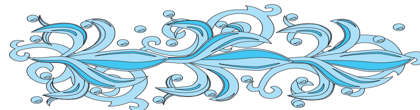
٥- أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٢)، وأحمد (٣٥٦٨)، وابن حبان (٦١٢)، وصححه الألباني، وانظر: صحيح الجامع (٦٨٠١).

٦- أخرجه ابن ماجة (٣٥٢٤)، والترمذي (٧٣٥٣)، وأحمد (٠٦١٦)، وحسنه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٣٠٩١).

٧- أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح (٣٠٧٢).

٨- أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجة (٤٢٥٨)، وقال عنه الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح الجامع (١٢١٠).

٩- أخرجه البخاري: كتاب: الدعوات، باب: التوبة ح (٦٣٠٨)، ومسلم كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، ح (٢٧٤٤).



الإستقامة والإتقان في طلب العلم والحكمة

■ بقلم الدكتور أنس كرزون

عرّف الإمام النووي الاستقامة بأنها لزوم طاعة الله عز وجل[١]، وعرّفها الإمام ابن كثير بأنها إخلاص العمل وطاعة الله بما شرع[٢].

وقد أثنى المولى عز وجل على أهل الاستقامة وبشرهم بعظيم الكرامة، فقال سبحانه: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ❖ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ❖ نزلا من غفور رحيم﴾ فصلت: ٣٠-٣٢ .

وروى مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: "يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: **﴿قل آمنت بالله ثم استقم﴾**[٣].

فقد طلب هذا الصحابي الجليل قولاً جامعاً لمعاني الدين واضحاً في نفسه يعمل عليه ويكتفي به فأمره الرسول ﷺ بتقوية إيمانه تذكراً بقلبه ذاكراً بلسانه: **﴿قل آمنت بالله﴾** كما أمره بالاستقامة على عمل الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات[٤].

وقد تلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية على المنبر، ثم قال: "استقاموا لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب".

وكان الحسن يقول: "اللهم أنت ربنا

فارزقنا الاستقامة"[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "الاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد".

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أعظم الكرامة لزوم الاستقامة"[٦].

فما أحوج المسلم إلى الاستقامة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والخشية من الله عز وجل، والتقرب إليه بالعمل الصالح.

ومن أكرمه الله بشرف تعلم القرآن وتعليمه والدعوة إلى دينه فهو أحوج إلى التمسك بالاستقامة والتخلق بأخلاق القرآن والحذر من المعاصي والآثام.

روى مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه)[٧].

وهذه عقوبة من لا يعمل بما آتاه الله من علم، ولا ينتفع به، وإنما يكتفي بأمر الناس ونهيهم، ويترك نفسه لتنساق وراء المعاصي في غفلة عن أعين الناس، فإن الله الذي لا تخفى عليه خافية، والذي ستره في الدنيا حتى ظن الناس به الصلاح، يفضحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم مع تقواهم وتمسكهم بالكتاب والسنة يخشون هذا الموقف العصيب يوم القيامة.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: "إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت. أو جهلت؟، فأقول: علمت، فلا تبقى آية من كتاب الله عز وجل آمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضته، فتسألني الآمرة هل ائتمرت، والزاجرة هل ازدجرت، فأعوذ بالله من علم لا ينفع"[٨].

❖ الإتقان:

حضّ الإسلام على الجودة والإتقان،

وأداء الأعمال دون تفريط أو تقصير، وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[٩] (إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن).

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: "كان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان"[١٠].

وقد أبدع الله عز وجل خلق كل شيء وأتقنه فقال تعالى: **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾**[١١]، وحث عباده على إتقان العمل.

بل إن الإسلام يحث على أن يترقّى العبد في درجات الإتقان حتى يبلغ الإحسان، فمن فعل ذلك استوجب رضى الله ومحبته، وقد تحدث الإمام الفيروز آبادي عن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**[١١].

فقال[١٢]: "الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، والإحسان زائد عليه، أكرم أهل الإحسان بمحبته، فقال تعالى: **﴿إنّ الله يحب المحسنين﴾**[١٣].

ولا شك أن أعظم غاية يطمح لها المسلم أن يظفر بمحبة الله له ورضاه عنه، فهو دائم التقرب إليه بالعمل الصالح والإحسان في أداء عمله، مع الحذر من التقاعس أو الكسل أو العجز والتفريط.

ومن التوجيهات النبوية البديعة ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)[١٤].

والعجز ضد القدرة، وهو ضعف الهمة والتقاعس عن العمل، وعدم أدائه على الوجه المطلوب.

وقد حاز الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- درجات السبق في تعليم القرآن ونشر الإسلام، والهمة العالية والتضحية والفداء، والأمة جيلاً بعد جيل تتأسى بأعمالهم وآثار علمهم وبذلهم وتفخر بمآثرهم.

ولا شك أن الاهتمام بالجودة والإتقان

كان رائدهم في جميع أعمالهم اقتداءً بالرسول ﷺ، وبخاصة في مجال العلم والتعليم، ونكتفي ببعض النماذج في هذا المجال: فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يؤكد على أن العبرة ليست بكثرة تلاوة القرآن، وإنما بالإتقان والتفكر في المعاني، وقد جاءه رجل فقال له: إني لأقرأ المفصّل(١٥) في ركعة، فقال عبدالله: "هذّ كهذّ الشعر(١٧)؟ إن اقواماً يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم(١٨)، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع"(١٩).

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة إلى الشام معلماً مع معاذ وعبادة رضي الله عنهما، فكانت مجالسه في تعليم القرآن حافلة مزدحمة بالدارسين، الذين بلغ عددهم أكثر من ألف وستمائة، ومع ذلك كان يحرص بشدة على الإتقان والتمكين، فإذا صلى الصبح قرأ جزءاً أمامهم فيحدقون به ويسمعون ألفاظه، ثم قسمهم لكل عشرة منهم مقرئ، وهو يقف في المحراب يرمقهم ببصره، ويطوف عليهم قائماً يستفتونه، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء رضي الله عنه، وإذا أحكم الرجل التلاوة تحوّل إلى أبي الدرداء يتعلم منه ويقرأ عليه؛ ليضمن مزيداً من الإتقان.

وهكذا تعلم الآلاف من التابعين القرآن الكريم وأتقنوا تلاوته وحفظه وتدبر آياته.

وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاهتمام بالتفرغ والتخصص، ولهذا اشتهر بعضهم بتعليم القرآن، وسُموا قراء الصحابة، ونذروا أوقاتهم لهذه المهمة حتى برعوا بها، ومن هؤلاء زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي أصبح في عهد الخلفاء الراشدين من أبرز علماء الصحابة وقرائهم، وكان عمر رضي الله عنه يوجّه الصحابة إلى مختلف البلدان ويكلفهم بما تحتاج إليه الخلافة من مهام، فإذا ذُكر له زيد بن ثابت يقول: "لم يسقط عليّ مكان زيد -أي: لم أغفل عنه- ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده مما لا يجدون عند غيره"(٢٠).

وكان عثمان رضي الله عنه يرسل إلى زيد من يأتيه لتعلّم القرآن الكريم، ومن أبرزهم أبو عبد الرحمن السلمي الذي تلقى كثيراً من القرآن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال له عثمان: "إنك إذن تشغلني عن النظر في أمور الناس، فامضِ إلى زيد فإنه أفرغ لهذا الأمر، فاقرأ عليه"(٢١).

وهكذا أثمر التفرغ مزيداً من الاهتمام

الهوامش:

١- رياض الصالحين - باب الاستقامة-ص/٥٧.

٢- تفسير ابن كثير ٤/٩٨.

٣- رواه مسلم رقم / ٣٨.

٤- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان الصديقي ١/ ٢٨٤.

٥- تفسير ابن كثير ٤/ ٩٨.

٦- مدارج السالكين ٢/ ١٠٥.

٧- رواه مسلم في الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله رقم/ ٢٩٨٩.

٨- أخلاق العلماء، للإمام الآجري، ص٥٧.

٩- رواه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد (٤/ ٩٨) وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم / ١١١٣.

١٠- انظر رسالة: (شرح حديث شداد بن أوس) للإمام ابن رجب الحنبلي ص/ ٣٤.

١١- سورة النمل / آية ٨٨.

١٢- سورة النحل / آية ٩٠.

١٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ٢/ ٤٦٥.

١٤- سورة البقرة / آية ١٩٥.

١٥- رواه مسلم رقم / ٢٦٦٤.

١٦- المفصل: من سورة الحجرات إلى سورة الناس، وسمي المفصل لكثرة انفصال بعضه عن بعض لأن سوره قصيرة.

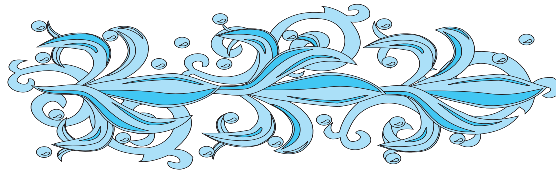
١٧- أي: أتهذُّ القرآن هذّا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، والهذّ: شدة الإسراع والإفراط في العجلة.

١٨- التراقي جمع ترقوة، وهي العظم الذي بين النحر والعاتق، والمقصود: لا يصل إلى قلوبهم وليس حظهم إلا مروره على ألسنتهم.

١٩- رواه البخاري رقم/ ٧٤٢ باب صفة الصلاة، ومسلم رقم / ٨٢٢.

٢٠- طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٠.

٢١- حياة الصحابة للكاندهلوي ٣/ ١٩٣ .



كتاب
شخصية الأديب المسلم

■ تأليف الدكتور أحمد عطية السعودي
عــرض الاستــاذ فــــوزي الخطبـــــا

الأدب الإسلامي أدب أصيل رفيع، أصله ثابت وفرعه في السماء، أثبت وجوده على الساحة الفكرية والثقافية الاسلامية في العصر الحديث، يسير على قواعد مستقرة ومطمئنة ينطلق من تصوره الصحيح للاسلام، ونظرته الشاملة للخالق والكون والإنسان ويملك مقومات الثبات والاستقرار والتجديد والاصالة والمعاصرة، يعمق الرؤية الجمالية ويرسخ القيم الفاضلة ويرقى بالذوق وينير العقل ويشرق الروح ويسمو بالجسد، رؤيته ممتدة وبعده انساني سام هادف، آفاقه رحبة وينابيعه ثرة معطاءة، متجدد لا ينضب متدفق له هدف وغاية ورسالة، يرسم معالم الطريق المستنير، فرسانه أصحاب الأقلام النظيفة والأيدي المتوضئة والقلوب العامرة بالإيمان والتقوى.

ومن هذه الأبعاد جاء كتاب الدكتور احمد السعودي ليقف عند معالم ومضمون ورؤية الأدب الإسلامي وشخصية الأديب المسلم، من خلال مرآة الاسلام التي تستضاء من القرآن الكريم والسيرة العطرة وهما أساس التصور الإسلامي ويشكلان القاعدة المتينة للأدب الأصيل. فالأديب الإسلامي يحمل رسالة ومسؤولية وأمانة لأنه ملتزم بالعقيدة ورسالتها العظيمة، وبضمير الأمة روحاً

وطموحاً ورؤية وخطاباً وفكراً وسلوكاً وانتماءً.

يقع الكتاب في أربعة فصول ومقدمة وتقديم وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع.

الفصل الأول: يقف عند مفهوم الشخصية الأدبية وأصالتها والحاجة إلى الأدب الأصيل وأصالة الشخصية الأدبية المبدعة.

الفصل الثاني: يقف عند مصادر شخصية الأديب المسلم، وهي القرآن الكريم والسيرة النبوية وسيرة الصحابة والصالحين واللغة العربية وآدابها والتجارب العالمية الإنسانية.

الفصل الثالث: يتحدث عن البناء الأدبي لشخصية الأديب المسلم، هوية الأديب المسلم ووعيه وثقافته.

الفصل الرابع: يقف عند الأديب المسلم وقضايا الابداع المعاصر، حرية وسمتا وتوظيف الشكل والمضمون بابداعات الأديب المسلم في الشعر والقصة والرواية والخاطرة والمقالة.

ويقول المؤلف في مقدمته: (جاء هذا الكتاب ليجلي شخصية الأديب المسلم ويقدم صورته النموذجية الفذة التي تحقق مرضاة الله سبحانه وتعالى، وتكفل له أن ينتج النماذج الأدبية عالية البيان، من خلال الرؤية الأدبية الإسلامية التي تستند إلى التذوق الجمالي والإبداعي الفني الذي يميز العربية من غيرها من لغات العالم).

كما يرى المؤلف أن القرآن الكريم، حدد المعالم الرئيسية لشخصية الأديب المسلم التي تحقق له التميز الأدبي والاستعلاء الإيماني والانتماء الحقيقي للأمة المسلمة، والالتزام بمعالجة قضايا وهموم الأمة مبيناً أن مصادر شخصية الأديب المسلم في بنائها وتكوينها ورؤيتها ونبوغها وأصالتها وتفردها وتميزها، هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الكتاب الخالد المعجز على مر العهود والعصور إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فهو منبع الحكمة والقول الفصل وسحر البيان ومورد عذب عميق في معانيه، أخاذ في أسلوبه وألفاظه قوي في حجته باهر في

أسلوبه مكتمل في معانيه ومبانيه؛ فعلى الأديب المسلم أن يستمد مداد قلمه من معانيه ومنابعه وموارده العذبة ومناهله الثرة، مؤمنا أن هذا الكون له هدف وغاية ومسخراً لخدمته، والأديب المسلم له تصوره القويم عن الكون والخالق والإنسان تصوراً واضحاً، فيتميز عن الفلاسفة والمفكرين الذين يلهثون خلف نظريات عقيمة قروناً وأحقاباً.

أما المصدر الثاني من مصادر شخصية الأديب المسلم السيرة النبوية الشريفة وهي نموذج أدبي فريد يفوق صاحبها أصحاب البلاغة والفصاحة والبيان بما أوتي من جوامع الكلم وروائع البيان ولطائف اللسان، فهي مورد ثر وغيث سخي مثمر وروض مزدهر يستسقي الأديب المسلم منه ألطف الكلام وأروع البيان وأصدق المعاني كما بين المؤلف.

أما المصدر الثالث في استلهام الأديب المسلم طرق تفكيره ومعالم أدبه وإبداعه ومقومات شخصيته هي سيرة الصحابة والصالحين وهم مدرسة فريدة وفذة في التاريخ صنعوا أروع حضارة وأرقى مدنية عرفها التاريخ، استمدوا من الإسلام تصورهم وفكرهم وبيانهم وشخصيتهم المتوازنة، فجاءت شخصيتهم مثمرة بالأصالة والإبداع والإشراق فعلى الأديب المسلم أن يقتفي آثارهم وأفكارهم وتصوراتهم وممارساتهم في كتاباته وإبداعاته المتنوعة.

وتأتي اللغة العربية مصدراً هاماً وخصبة تساهم في تميز شخصية الأديب المسلم ان ينهل من معين اللغة العربية ومواردها وآدابها وكنوزها القديمة والحديثة فهي تنشط الذهن وتقوي الذوق وتوسع الأفق وتصقل التجربة الابداعية، فاللغة العربية وآدابها هي مفتاح الكتاب والسنة منها يستمد الأديب المسلم الملتزم أصدق الكلام وأعمق المعاني وأجمل البيان كما أن اطلاعه على الآداب العالمية يعزز صلته الإنسانية ويعمق تجربته العالمية ويسمو بذوقه ووجدانه.

ويقف المؤلف وقفة متأنية عند البناء الأدبي لشخصية الأديب المسلم، كاشفا فيه أن أهم ركائز بناء الشخصية للمبدع المسلم، هي في انضاج شخصيته وصقلها

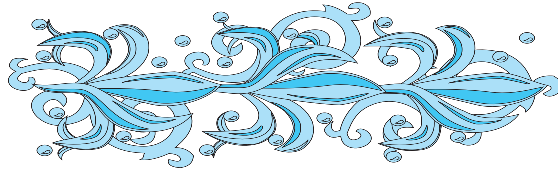
واخراجها بصورة نموذجية رفيعة المستوى في الفكر والسلوك والابداع، فعلى الأديب المسلم ان تكون له هوية متميزة وأهداف سامية ولغة رفيعة، ويكون صاحب فكر واع وثقافة عميقة ورؤية ممتدة، وان يكون في الصفوف الأمامية من قضايا أمته المصيرية، فالأديب المسلم وارث تاريخ وحضارة وفكر عظيم وكبير، لا يقف عند ذاته ومنفعته وإنما ملتزم بقضايا مجتمعه وأمته الإسلامية وملتزم بحرية إنسانه وحقوقه، يرى أن الثقافة إبداع وفعل تحول نحو كل ما هو حضاري مرتبط بالعقيدة النقية ومتمسكاً بالأمة الإسلامية وبمثلها وقيمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها رافضاً الظلم والطغيان وكل ما يمس الإنسان ويهدد أمنه ووجوده ورغيف أطفاله وأحلامهم وأمانيهم.

ويقف الباحث الناقد في دراسته القيمة عند الأديب المسلم وعلاقته بالشكل والمضمون وهذه القضية قتلها الدارسون والباحثون والنقاد قديما وحديثاً وأفردوا لها دراسات متخصصة وأصبحت قضية جدلية على مدى العهود والعصور الإسلامية منذ ابن سلام الجمحي وابن قتيبة والجاحظ والقاضي الجرجاني إلى عصرنا الحديث، والناقد كان موفقا في طرحه لهذه القضية يرى أن البناء الفني يعبر عن التميز الجمالي في شخصية الأديب، ويجب أن يتكامل الشكل مع المضمون فعلى الأديب المسلم أن يولي الشكل الفني عناية فائقة وأن يولي عناصر الأبعاد الجمالية اهتماماً خاصاً لأن ابداعه رفيع وأصيل فهو يغترف من بحر زاخر بالدرر واللآلئ ويخرج أغلى وأنفس العقود والجمان، تأسر القلوب وتشرح الصدور وتخلب الألباب فالأديب المسلم صياد ماهر في اصطياد كلامه وبيانه.

هذه هي مضامين وفصول الكتاب كما طرحها الناقد في كتابه، يؤصل ويقعد القواعد للأدب الإسلامي الحديث ويضع الثوابت والمرتكزات لشخصية الأديب المسلم التي تحفظه من الذوبان والضياع والانصهار، من عوالم أدب الضياع والهوان الذي ابتلي به العديد من كتاب العصر الحديث الذين لا يملكون الوعي المستنير

ولا الرؤية الممتدة ولا الثقافة العميقة.

هذا الكتاب كبير في طرحه ومضمونه ومعناه ومبناه، وهو كتاب الموسم ولو كان لي من الأمر شيء، لجعلته مقررا يدرس في الجامعات العربية والإسلامية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية لما يحمل من عمق في الأفكار وإشراقة في الأسلوب وجرأة في الطرح ومهارات في التقنيات الإبداعية وتأصيل في الرؤى الفكرية والأدبية، كتبه الأديب الناقد الدكتور أحمد السعودي برؤية الأديب المتيقظ والناقد المتفحص والباحث المتعمق، فهو حصيلة تجربة طويلة في القراءة والبحث والاستقراء والمحاورة لنفائس وذخائر الكتب العربية والعالمية، فصاغها صياغة إسلامية فجاء وفقا للتصور الإسلامي فهو يغني عن عشرات من الكتب التي تحدثت في بابه وموضوعه، يرضي أصحاب الذوق الخاص والعام، فهو إضافة جديدة متميزة للمكتبة الإسلامية في تقديمه مدرسة ومنهاجاً نقدياً إسلامياً أصيلاً، يصحح العديد من القضايا النقدية والفنية والأدبية ويقدم طروحات ومفاهيم نقدية جديدة في النقد والأدب، متمنين من الناقد الباحث الدكتور أحمد السعودي أن يرفد مكتبتنا الإسلامية بمزيد من الدراسات التطبيقية في الشعر والرواية والقصة والمقالة والخاطرة، لتكتمل الرؤية النقدية الإسلامية في مجال الإبداع الإسلامي الحديث.



الجرأة على الفتوى وسبيل الخروج منها

■ بقلم الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

نطالع في واقعنا جرأة على دين الله جل جلاله لا مثيل لها، فكلّ يتكلم بما شاء فيما شاء من أحكام شرع الله وكأن أحكام الدين مشاعة ومباحة ومبتذلة لكل أحد من غير ضبط ولا قيد.

فيقول أحدهم: من وجهة نظري كذا، ويقول آخر: من وجهة نظري كذا، هكذا، فسبحان الله عز وجل أتبدل الدين الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ في القرآن والسنة وصار عبارة عن وجهات نظر!!.

أما علم من يقول هذا أنه نصب نفسه مشرعا بدل الحق جل جلاله، أما قرع سمعه ما تواتر عن رسول الله ﷺ: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[1]، وغيره، وأي كذب أعظم على الله جل جلاله ورسوله ﷺ من الكلام في دين الله عز وجل بغير علم.

وها هنا أودّ لفت الانتباه على عظم أمر الفتوى في دين الله جل جلاله وخطورته؛ لتعلق فلاح المسلم في دنياه وأخراه به؛ لأن انتظام الحياة البشرية بطريقة سوية مترتب على التزام المرء بأحكام ربّه عز وجل، وكذا تحقيق رضا الله جل جلاله ودخول جنته.

ولما يتعلق بها من المخاطر الجسيمة من ضياع الدين والعرض والنفس؛ إذ

بتخبط الناس في الفتيا وولوجها ممن ليس أهلاً لها أُحل الحرام وحُرم الحلال حتى أباحَ بعضهم صوراً من الزنا، وآخر صوراً من الربا، وأجاز آخرون قتل النفس وأخذ المال لأدنى سبب.

فعسى أن يكون فيما نورد من القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة هذه الأمة عبرة للمعتبرين للكفّ عن التلاعب بهذا الدين، فنقول:

الفتوى لغة: من الإفتاء، يقال : أفتيته فتوى إذا أجبته عن مسألته، **واصطلاحاً:** بيان الحكم الشرعي عند السؤال، وقد يكون بغير سؤال ببيان حكم النازلة لتصحيح أوضاع الناس وتصرفاتهم[٢].

والجرأة على الفتوى بمعنى الإقدام على إجابة السائل عن حكم شرعي من غير تثبت وتدبّر[٣].

وفي القرآن الكريم نهي عن الجرأة على الفتوى ترشد إليها الآيات الدالة على أن علم الإنسان قليل ومحدود كقوله جل جلاله: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**[٤]، وقوله عز وجل: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[٥]، وقوله جل جلاله: **﴿وقل ربّ زدني علماً﴾**[٦].

فطالما أن علم الإنسان قليل يجب عليه أن لا يتكلّم فيما لا يعلم؛ لا سيما أنّ الله جل جلاله أمره بالسؤال والرجوع إلى أهل الاختصاص في كل علم وفنّ فقال عز وجل: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[٧].

فلم يعد مستحسناً عند ذوي العقول الخوض فيما لا يعلم، لا سيما في دين الله جل جلاله؛ لأنه افتراء على الله عز وجل؛ لقوله: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾**[٨]، وقوله عز وجل: **﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾**[٩].

قال الإمام الزمخشري[١٠]: "كفى بهذه الآية زاجرةً زجراً بليغاً عن التجوّز فيما يسأل من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيها، وأن لا يقول أحد في شيء: جائز أو غير جائز إلا بعد إتقان وإيقان، ومَن لم يوقن فليتق الله عز وجل وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله تعالى".

والتجرؤ على الفتوى يكون إفتاء بغير علم، وهذا من الكبائر؛ لأنه يتضمن الكذب على الله جل جلاله ورسوله ﷺ، ويتضمن إضلال الناس، قال جل جلاله: **﴿قل إنما**

حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[١١]؛ إذ قرنه بالفواحش والبغي والشرك[١٢].

ولم يقف النهي عند هذا التجرؤ على نصوص القرآن، بل إن السنّة النبوية مشحونة بالعديد من الأحاديث المرشدة الى ذلك منها قوله ﷺ: (من أفتى بفتيا غير ثبت، فإنما إثمه على الذي أفتاه)(١٣)، وقوله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا)[١٤].

وروي عنه ﷺ: (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)[١٥]: أي أقدمكم على دخولها؛ لأن المفتي مبين عن الله جل جلاله حكمه، فإذا أفتى على جهل أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره أو استنباطه فقد تسبب في إدخال نفسه النار لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار[١٦].

وبيّن ﷺ أن طريق العلم السؤال لا التهجم عليه، فقال ﷺ: (ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال)[١٧]، قال الشيخ عطية صقر[١٨]: "هذه بعض النصوص التي تدلّ على أن الإنسان مهما بلغ من العلم فلن يحيط بكلّ شيء علماً، وأن الجاهل بالحكم يجب عليه أن يسأل المختصّين، ومن أفتى بغير علم فقد كذب على الله جل جلاله وعلى الرسول ﷺ، ضلّ في نفسه طريق الحق، وأضل غيره عنه... ولهذا لا يجوز لأحد أن يفتي بغير علم.

والنبي ﷺ سئل عن الروح وعن أهل الكهف وعن ذي القرنين، فلم يجب حتى نزل عليه الوحي، غير عابئ بما يقوله المشركون والأعداء عندما تأخّر الوحي عن الإجابة، ولمّا سُئل عن خير البقاع وشرها قال: حتى أسأل جبريل.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي البقاع شر؟ قال: (لا أدري حتى أسأل جبريل، فسأل جبريل فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال: خير البقاع المساجد وشرها الأسواق)[١٩]، وهو بهذا يقف عند حدّ علمه، ويرسم للناس من بعده الطريق الأمثل لنشر العلم والإجابة على الأسئلة..".

ومن أراد سلوك طريق السلف من الصحابة وتابعيهم رضي الله عنهم في هذا الباب فسيجد أن فعلهم وقولهم يدلّ على اجتناب الخوض في أمر دون علم فيه، والتهيب من أمر الفتوى، قال البراء ابن عازب رضي الله عنه: "لقد رأيت ثلاثمئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحبّ أن يكفيه صاحبه الفتوى"(٢٠).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه، قال: "أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول". وفي رواية " أدركت عشرين ومئة من أصحاب النبي ﷺ فما كان منهم محدّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا"(٢١).

فانظر إلى من رباه خير الخلق سيدنا محمد ﷺ، كيف أنهم ينظرون إلى خطورة أمر الفتوى، ويحترزون عنه مع أهليتهم له خشية الخطأ، وخوفاً من الله جل جلاله بالتكلّم في دينه بغير علم، وقارن حالهم بحال أهل زماننا كما فعل الإمام الكوثري رضي الله عنه(٢٢): "ولولا خوف السلف من إثم كتم العلم لما كانوا يتصدّون للإفتاء بالمرّة ، وفي هذا الصدد روايات كثيرة عن رجال الصدر الأول تدلّ على مبلغ احترازهم من تبعة الإفتاء.

ولكن نرى الناس اليوم على خلاف ذلك يتزاحمون على الفتيا ويتسابقون في حمل التبعة، فما من مجلة أو صحيفة في البلد إلا وفيها فتاوى عن مسائل، وكذلك ليس لطائفة اللامذهبية مجلس وعظ وتذكير إلا وفيه افتئات على الفتوى في التوحيد والفقه، حتى أن الكاتب البسيط لا يرى بأساً أن يفتي الناس في أعوص المسائل وأكثرها تشعّباً..".

وقول هؤلاء العظام من السلف كفعلهم من التحذير في التجرؤ على دين الله جل جلاله، فعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: "من أفتى عن كلّ ما سئل فهو مجنون"(٢٣)، هذا الجنون نابعٌ من أنه سيهلك نفسه وغيره بفتاواه؛ لأن الرشيد من يُنزل الأمور منزلتها، ومن ذلك عدم كلامه إلا عن علم، فحال من يتكلم بغير علم كحال من فقد عقله وجن.

قال الحكماء: "من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم فحسبك خجلاً من نفسك وعقلك أن تنطق بما لا تفهم، وإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم من سبيل

فلا عار أن تجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار فلا تستحي أن تقول: لا أعلم فيما لا تعلم"[٢٤].

وهذه المكانة العظيمة للإفتاء والخطر الجسيم في حمل عبئها بوصفها بياناً لحكم الله جل جلاله في أمور الدين والدنيا جعلت أهل الفتوى يتحرّجون كلّ التحرّج عند استفتائهم مخافة تبعات الفتوى الثقيلة، ويتدافعونها عن أنفسهم؛ لما مرَّ من التحذير الشديد في القرآن والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم من القول على الله جل جلاله بغير علم، وهذه بعض عباراتهم الدالة على ذلك:

فعن أبي يوسف رضي الله عنه سمعت أبا حنيفة رضي الله عنه يقول: "لولا الخوف من الله جل جلاله ما أفتيت أحداً لكون المهنأ لهم والوزر علينا"[٢٥].

وقال ابن المنكدر رضي الله عنه: "المفتي يدخل بين الله جل جلاله وبين خلقه، فلينظر كيف يفعل فعليه التوقّف والتحرز لعظم الخطر". وقال: "يريدون أن يجعلونا جسراً يمرون علينا على جهنم، فمن سُئل عن فتوى فينبغي أن يصمتَ عنها ويدفعها إلى من هو أعلم منه بها، أو من كلّف الفتوى بها، وذلك طريقة السلف"[٢٦].

وقال أبو حَصين الأسدي رضي الله عنه: "إن أحدكم ليفتي في المسألة، ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر"[٢٧].

وكان الإمام مالك رضي الله عنه إذا سُئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، وعلّق عليها الخطيب البغدادي[٢٨]، فقال: "ويحقّ للمفتي أن يكون كذلك، وقد جعله السائل الحجة له عند الله جل جلاله، وقلّده فيما قال، وصار إلى فتواه من غير مطالبة ببرهان ولا مباحثة عن دليل، بل سُلِّم له وانقاد إليه، إن هذا لمقام خطر وطريق وعر".

وقال الإمام سحنون رضي الله عنه: "أشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره".

وقال المحدث سفيان رضي الله عنه: "أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُداً من أن يفتوا"، وقال: "أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها وأجهلهم بها أنطقهم فيها".

وبكى الإمام ربيعة رضي الله عنه فقيل: ما يبكيك؟ فقال: "استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم" وقال: "ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق"[٢٩].

وللخروج من هذه الجرأة على دين الله جل جلاله سبل عديدة منها:

أولاً: ترويض النفس على قول: لا أدري، وذلك بتعظيم مخافة الله جل جلاله في القلب، وترك غرور النفس والتواضع، فإن من أكبر مداخل هذا هو التكبّر والتعالي؛ وليكن شعارك دائماً في كل ما لا تعرف هو شعار السابقين من سلف هذه الأمة وخلفها، وهو قول: "لا أدري"، و"الله أعلم".

فعن الإمام الشعبي أنه قال: "لا أدري نصف العلم"(٣٠)، وقيل: لولا خشيت التكاسل والتباطؤ عن طلب العلم لقلنا: إنها العلم كله. وقال ساجقلي زاده[٣١]: "ولعل وجه كونه نصف العلم أن من جهل شيئاً وجهل جهله به كان مجهوله من أمرين، وهذا هو الجهل المركب، ومن قال: لا أدري علم جهله به، وبقي علمه بذلك الأمر".

ومن الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في حثّهم على القول: لا أدري، والله أعلم، عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: "العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري"[٣٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله"[٣٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "من علم منكم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم إذا سُئل الرجل عن ما لا يعلم أن يقول: «الله أعلم»[٣٤].

وعن علي رضي الله عنه، قال: "يا بردها على الكبد، إذا سئل الرجل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم"[٣٥]، وعلق الحافظ السخاوي بعد ذكره هذه الآثار[٣٦]: "وقد كثر اغفال لا أدري، وترك الحوالة على من يدري، فعم الضرر بذلك نسأل الله التوفيق والسلامة".

وما سلكه صحابة رسول الله ﷺ تبعهم عليه أئمة الدين فتوقف الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في مسائل عديدة ولم يجب، وسئل الإمام مالك رضي الله عنه عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري. وربّما كان يسأل عن خمسين مسألة، فلا يجيب في واحدة منها[٣٧].

وهذه كلها صور مشرقة عن السلف ترينا إلى أي حد كانوا يخشون الفتوى بغير علم، على الرغم من الأمر بتبليغ الدعوة والتحذير من كتم العلم، أرجو أن تكون نبراساً لكلّ من عنده بعض العلم أن يقف عند حدّه، ولمن عنده رغبة في نشر

العلم أن يكون متثبتاً مما يقول، وأن من عرف رأياً اجتهاديا لا ينبغي أن يتعصب له[٣٨].

ثانياً: أن لا يفتي إلا من كان أهلاً للفتيا، ممن ضبط العلم ودرسه على المشايخ العظام؛ ليكون ممن يندرج في حديث رسول الله ﷺ: (إن العلماء هم ورثة الأنبياء)[٣٩].

وقد ذكروا في قواعد المفتي والمستفتي: "لا يجوز الإفتاء لكلّ من تعلم الفقه لدى الاساتذة حتى تحصل له ملكة فقهية، وهذه الملكة يعرف بها أصول الأحكام وقواعدها وعللها ويميّز الكتب المعتبرة من غيرها، ودليل حصول هذه الملكة أن يأذن له مشايخه المهرة بالإفتاء"[٤٠].

قال الإمام مالك رضي الله عنه: "ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك". وفي رواية: "ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعاً لذلك؟". وقال أيضاً: "ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه"[٤١].

ثالثاً: أن تتولى الجهات المسؤولة تتبع حال المفتين، فتقرّ من كان أهلاً، وتمنع غيره، وهذه سنة مضت من عهد الصحابة رضي الله عنهم، فقد كان عمر رضي الله عنه لا يسمح لأي من الصحابة بتحديث الناس وتعليمهم؛ إذ نهى الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه عن التحديث، فقال له: "لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة"[٤٢].

وهذا النهي من سيدنا عمر رضي الله عنه؛ لأنه في ذاك الوقت كان كبار الصحابة رضي الله عنهم أحياء، وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه متأخر في إسلامه بالنسبة لهم، فهم أولى بالتحديث والفتوى منه، حتى إذا ما جاء عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه جلس أبو هريرة رضي الله عنه للتحديث والتعليم.

وهذا الأمر كان متبعاً في عهد بني أمية، حتى في موسم الحج يمنع أن يفتي الناس إلا من وثق في علمه ودينه، قال ابن كيسان: "اذكرهم في زمان بني أمية يأمرون بالحج صائحاً يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح"[٤٣].

وأيضاً حرص بنو العباس وغيرهم على هذا، قال ابن وهب رضي الله عنه: "حججت سنة ثمان وأربعين ومئة وصائح يصيح لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن

الماجشون"[٤٤].

وهذا الفعل من الدول الإسلامية المتتابعة لما فيه المصلحة العظيمة على مجتمعاتها، ودرءاً للفساد والفحشاء الذي يعمّ لو ترك الأمر هكذا؛ لأن أهل الهوى إن لم يعاقبوا على هواهم فسيفسدون على الناس حياتهم، إذ لا بدّ للحق من قوة تدافع عنه وتنصره، فعن سيدنا عثمان رضي الله عنه: "إن الله جل جلاله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"[٤٥].

لذلك صرّح كبار العلماء بوجوب ذلك على إمام المسلمين، فذكروا قول الخطيب البغدادي رضي الله عنه: "ينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتين، فمن صلح للفتيا أقرّه، ومن لا يصلح منعه، ونهاه أن يعود، وتوعّده بالعقوبة إن عاد. وطريق الإمام إلى معرفة من يصلح للفتوى أن يسأل علماء وقته، ويعتمد أخبار الموثوق به"، وأقرّوه عليه كالنووي[٤٦]، وغيره.

وقال الفقيه الماوردي رضي الله عنه[٤٧]: "وأما جلوس العلماء والفقهاء في الجوامع والمساجد والتصدي للتدريس والفتيا فعلى كلّ واحد منهم زاجر من نفسه أو لا يتصدى لما ليس له بأهل فيضل به المستهدي ويزلّ به المسترشد.. وللسلطان فيهم من النظر ما يوجبه الاختيار من إقراره أو إنكاره".

رابعاً: التزام قواعد وضوابط الفتوى المتبعة في كل مذهب فقهي، فلا يحلّ لكلّ أحد أن يفتي بما شاء من أي مذهب شاء دون مراعاة ضوابطه وقيوده المنصوص عليها في كتبه، فعلم الفقه كغيره من العلوم له أسسه المبنيّ عليها، والتي لا يجوز لمن يتكلم فيه أن يتناساها أو يتجاهلها.

ومعلوم أن المفتي على صورتين:

الأولى: أن يكون مجتهداً مطلقاً، فيجيب السائل باجتهاده من الكتاب والسنة، وهذا النوع من الاجتهاد عند أهل السنة إجمالاً ظهر فيه علماء كثر على مدار التاريخ الإسلامي، لكن الذين اعترفت لهم الأمّة وتلقت اجتهادهم بالقبول من بين كل هؤلاء هم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم فحسب، وحصول مثل هذا الاجتهاد للمتأخرين متعسّر جدا كما سبق.

الثاني: أن يكون معتمداً على مذهب فقهي، يحفظ مسائله، ويضبط فروعه، ويدرك أصوله، بأن درسه على المشايخ

الكبار، وأجازوه بالإفتاء فيه، فهو حافظ وناقل أمين لاجتهاد أصحاب هذا المذهب، ويمكن أن يترقى به الأمر فيتمكن من الإجتهاد فيما يجد من مسائل على قواعد وضوابط مذهبه.

وهذا النوع من الاجتهاد والإفتاء هو ما مشت عليه الأمة في قرونها بعد الأئمة الأربعة، فكان أصحاب المذاهب هم المفتون في الدول الإسلامية المتعاقبة، وهم من يتولى القضاء والتدريس وغيرها من الأمور الدينية في الدول.

وما وسع أمتنا من الإفتاء والاجتهاد المذهبي في عصورها الذهبية عندما كانت دولتها ممتدة الأطراف، وكان الحكم لها في الأرض لا شكّ أنه يسعنا، ويمكننا من إرجاع عزّتنا وكرامتنا ومجدنا؛ إذ لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى ديننا القويم، والتمسك بأحكامه الصحيحة، وطريق ذلك الالتزام والتمسك بالمذاهب الفقهية المشهورة، فهي تمثل الدين الصحيح، الذي حمل رسالة الوسطية والسماحة.

فعلى كلّ من يتصدر للإفتاء أن يلتزم مذهبا فقهيا ويراعي ضوابطه وأحكامه فيما يفتي بعد أن يكون مؤهلاً لذلك، ولا سبيل للخروج من هذه الفوضى والاضطراب الديني والفقهي والجرأة على دين الله إلا بمراعاة ذلك، وهذا ما أقرّه المؤتمر الإسلامي المنعقد في عمان ٤-٦ / ٦/ ٢٠٠٥م، إذ نصوا على ما يلي:

"إن الاعتراف بالمذاهب الفقهية في الإسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهلات شخصية معيّنة يحددها كلّ مذهب، ولا يجوز الإفتاء دون التقيد بمنهجية المذاهب، ولا يجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث مذهباً جديداً، أو يقدم فتاوى مرفوضة تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقرّ من مذاهبها".

وهذا ما أكدته قمة منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقدة في مكة ٧ - ٨ / ١٢/ ٢٠٠٥م في بيانها الختامي، ومنه: "التنديد بالجرأة على الفتوى ممّن ليس أهلاً لها، مما يعد خروجاً على قواعد الدين وثوابته وما استقرّ من مذاهب المسلمين، وهذا يوجب التأكيد على ضرورة الالتزام بمنهجية الفتوى كما أقرها العلماء"[(٤٨)].

وهذه المنهجية في الفتوى وعدم الجرأة فيها إن اتبعت تحقق أهداف رسالة

عمان، ففي كتاب "إجماع المسلمين"(٤٩): "وهدف محاورها الثلاثة «حول التكفير والمذاهب والفتاوى»:

١ . وقف تكفير المسلمين بعضهم لبعض بسبب خلافات عقائدية ثانوية (حقيقية أو خيالية)، وفي ذلك التكفير حرمانهم بصورة إجرامية من حقوقهم وإباحة قتلهم وخلق الفتنة في الأمة.

٢ . إعتراف كل المسلمين بعضهم ببعض، ونتيجة لذلك توحيد الأمة وبالتالي تقويتها.

٣ . وقف أو على الأقل تعرية الفتاوى غير الصحيحة على ايدي الجهلاء الذين هم غير مؤهلين لذلك، والتي تضلل الناس بكل أنواع الأفكار الخاطئة والمدمرة التي ينتج عنها اشكال من السلوك والأفعال الخاطئة".

وقد فصّل ما سبق ذكره وابانه ووضحه فضيلة شيخنا المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله فقال: "إن الإسلام لا يعترف بنظام الكهنوت الموجود في المسيحية وغيرها من الأديان فالحكم كله لله جل جلاله ولرسوله ﷺ، أما العلماء فإنهم لا يشرعون الأحكام، وإنما يشرحون ما ثبت من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبالرغم من نفي نظام الكهنوت، فإنه لا بد لشرح أحكام الشريعة من مؤهلات تمكن الشارح من الفهم الصحيح لنصوص القرآن والسنة.

فالمفتي في الإسلام ليس شارعاً للأحكام، وإنما هو شارح ومبيّنٌ لما شرعه الله جل جلاله في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ، ولما استقرت عليها الشريعة عبر القرون، وبعبارة العلامة ابن قيم الجوزية رضي الله عنه: "إنه موقّع عن الله عز وجل".

فلا يجوز الإفتاء لكل من هب ودب، فإنه مسؤولية عظيمة لا يؤديها إلا من تبحر في العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والعقائد وأصولها، كل ذلك لدى أساتذة مهرة ورثوا هذا العلم جيلاً بعد جيل، وكذلك يجب لمن يتصدّر للإفتاء أن يكون عنده معرفة تامّة بأحوال أهل زمانه وأعرافهم المتبعة.

والطريق المتوارث الذي عملت به هذه الأمة عبر القرون أن مجرد دراسة العلوم الشرعية لم تعتبر كافية في تأهيل المرء للإفتاء، حتى يتدرب لذلك لدى مفت موثق من علماء عصره، فإن الإفتاء يحتاج إلى بصيرة دينية وملكة فقهية لا تكاد تحصل

بمجرّد دراسة الكتب، وإنما يجب لذلك تجربة علمية.

وهذا مثل الطبيب الذي لا يسمح له بمعالجة المرضى بمجرد دراسة علم الطب، وإنما يشترط لذلك أن يتدرّب على ذلك عملياً لدى طبيب ماهر له تجربة واسعة في هذا المجال، وهذا المعنى أكد عليه العلماء الذين ألفوا كتباً في أصول الفتوى وليراجع مثلاً: "آداب الفتوى" للنووي و"شرح عقود رسم المفتي" في "رسائل ابن عابدين".

ومن المؤسف أن هذه النقطة أغفلها اليوم كثير من الناس، فكلّ من اشتهر اسمه كزعيم سياسي أو كقائد لحركة من الحركات، فإنه لا يبالي بإصدار فتاوى، ولو لم تكن عنده كفاءة مطلوبة في العلوم الشرعية، وإن الناس يغترون بشهرته فيعتبرون فتواه حكماً شرعياً، ولو كان مخالفاً لما استقرت عليه الأمة طوال القرون، فلا بد من نبذ مثل هذه الفتاوى الشاذة التي لا تزيد المسلمين إلا شقاقاً وخلافاً، والتي تمزّق جمع المسلمين وتكسر قوتهم، وتعضد مؤامرات أعدائهم"(٥٠).

وبعد هذا البيان يعلم أهمية الفتوى في الإسلام، وأن الجرأة عليها لمن ليس أهلاً لها أمر عظيم لا يتجاسر عليه إلا كل جبّار عنيد، فهو متقوّل على الله جل جلاله ورسوله ﷺ بغير علم، وهذا كبيرة من الكبائر، وأثره في ضياع المجتمع وفساده كبير؛ إذ به تستحل المحرمات، وحرم المباحات، ويعيش الناس في ضنك شديد.

وإن طريق قرآننا وسنة نبينا ﷺ ترك هذه الجرأة، وهذا ما سلكه الصحابة والتابعون وأئمة هذا الدين رضي الله عنهم، وتواتر عنهم التحذير من هذا الأمر الخطير، وقد اتبعوا طرقاً ومناهج للخروج من هذا السبيل: كتربية أنفسهم وتلامذتهم على قول: لا ادري، وعدم تولي الإفتاء إلا من كان أهلاً، وتحمل الجهات المسؤولة مسؤوليتها في تتبع المفتين وأحوالهم، والتزام منهجية واضحة للمفتي في كل مذهب فقهي بمراعاة قواعده وضوابطه.

ونسأل الله جل جلاله أن يكون فيما ذكر بصيرة للمتبصرين، وهداية للمهتدين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الهوامش:

١- في "صحيح مسلم" (٤: ٢٢٩٨)
٢- ينظر : " قرار رقم (١٥٣) (١٧/٢) فقرة (أولاً) لمجلس مجمع الفقه الإسلامي".
٣- ينظر : "فيض القدير" (١: ٢٠٥).
٤- الإسراء : ٨٥.
٥- يوسف : ٧٦.
٦- طه : ١١٤.
٧- النحل : ٤٣
٨- النحل : ١١٦
٩- يونس: ٩.
١٠- في "الكشاف" (٣١:٣).
١١- الأعراف : ٣٣.
١٢- " الموسوعة الفقهية الكويتية " (٣٢: ٢٣).
١٣- في " سنن ابن ماجة" (١: ٢٠)، و "مسند أحمد" (٢: ٣٢١)، و "سنن الدارمي" (١: ٦٩)، و "المستدرك" (١: ١٨٣).
١٤- في "صحيح البخاري" (١: ٥٠)، و " صحيح مسلم" (٤: ٢٠٥٨).
١٥- رواه ابن عدي عن عبد بن جعفر مرسلاً كما في "كشف الخفاء" (١: ٥١).
١٦- ينظر: "فيض القدير" (١: ٢٠٥).
١٧- في "سنن أبي داود" (١: ٩٣)، و "سنن البيهقي الكبير" (١: ٢٧٧)، و "سنن الدارقطني" (١: ١٨٩).
١٨- في "فتاوى الأزهر" (١٠: ١٩٧).
١٩- في "صحيح ابن حبان" (٤: ٤٧٦).
٢٠- في "الفقيه والمتفقه" (٢: ١٦٥).
٢١- في "الزهد لابن المبارك" (١: ١٩)، و "سنن الترمذي" (٥: ٥٠٤)، و"المجموع" (١: ٧٣).
٢٢- في "المقالات" في مقال "خطورة التسرع في الإفتاء" (ص٢٢٨).
٢٣- ينظر: "المجموع" (١: ٧٣)، و"اصول الإفتاء" (ص٣).
٢٤- ينظر: "فيض القدير" (١: ٢٠٥).
٢٥- ينظر "الجواهر المضيئة" (٢: ٣٤٢).
٢٦- ينظر "فيض القدير" (١: ٢٠٥-٢٠٦).
٢٧- ينظر "الفقيه والمتفقه" (٢: ١٦٨).
٢٨- في " الفقيه والمتفقه" (٢: ١٦٨).
٢٩- ينظر: "الآداب الشرعية" (٢: ٦٣).
٣٠- ينظر: في "الفقيه والمتفقه" (٢: ١٧٠)، و"المدخل" (٢: ١٨٤)، و"سنن الدارمي" (١: ٧٤).
٣١- في "ترتيب العلوم" (ص ٢٠٣).
٣٢- في "المعجم الأوسط" (١: ٢٩٩).
٣٣- في "المدخل إلى السنن الكبرى" (١٨٧: ٢).
٣٤- في"مسند الشاشي" (١: ٤٥٠)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (٢: ١٩٦)، و"سنن الدارمي" (١: ٧٣).
٣٥- في "مسند أحمد" (٤: ٨١)، و"المستدرك"(١: ١٦٦).
٣٦- في "المقاصد الحسنة" (١: ٢٣٨).
٣٧- ينظر: "أدب المفتي" لابن الصلاح (٧٩)، و"المجموع" (١: ٤١).
٣٨- ينظر: "فتاوى الأزهر" (١٠: ١٩٧).
٣٩- في "سنن أبي داود" (٢: ٣٤١)، و"سنن الترمذي" (٥: ٤٨)، و"صحيح ابن حبان" (١: ٢٨٩).
٤٠- ينظر: "أصول الإفتاء" (ص٢٨).
٤١- ينظر: "المجموع" (١: ٧٣- ٧٤).
٤٢- في "تاريخ أبي زرعة" (١: ٢٨٦)، و"البداية والنهاية" (٨: ١٠٦)، و"تاريخ ابن عساكر" (١٩: ١١٧/ ٢)، كما في "سير أعلام النبلاء" (٢: ٦٠٠ - ٦٠١)، قال الأرنؤوط: "إسناده صحيح".
٤٣- ينظر: "طبقات الشيرازي" (ص٥٧).
٤٤- ينظر: "طبقات الشيرازي" (ص٥٢).
٤٥- ينظر: "الجد الحثيث" (ص٦٠).
٤٦- في "المجموع" (١: ٧٤).
٤٧- في "الأحكام السلطانية" (ص٢٣٧).
٤٨- ينظر اجماع المسلمين ص٢٣-٢٦ .
٤٩- ص٣٧-٣٨ .
٥٠- ينظر اجماع المسلمين ص٢٠٣-٢٠٤ .

تحليل كلمتين

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

١- المقلة وتطورها اللغوي:

الأصل في المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وقد اشتق من المقلة المصدر وهو المقل أي: النظر إلى الشيء، لأن النظر إلى الشيء يأتي عن طريق النظر بالمقلة، وقد اشتق من المقل.. الفعل: مقل. بل قد يكون الفعل قد اشتق، قبل المصدر ثم جاء منه المصدر فالاشتقاقات تأتي من كل صنوف الكلمات في اللغة، وليس من المصدر والفعل وحدهما وإن كان الاشتقاق منهما أكثر.

لقد قال البصريّون: لا يجوز الاشتقاق إلا من المصدر. وقد أوردوا لذلك أسباباً.. أهمها أن المصدر لفظ معنوي والفعل مادي والمعنوي مقدم على المادي.

لأن المصدر حدث من غير زمن أما الفعل فحدث وزمن، والحدث دون زمن مقدم على الحدث مع الزمن، لأن البسيط مقدم على المركب. فالمصدر البسيط مقدم على الفعل المركب.

ولكن الكوفيين رأوا أن الفعل هو الأصل والمصدر مشتق منه، لأن اللغات في بدء تكوينها تنتقل من المادي إلى المعنوي، واللغات كالأمم التي تدرك في بدء تطورها المحسوس (المادي) قبل المعنوي الذي يأتي متأخراً في تطور الأمم، لأن الذي يكون نامياً عند الإنسان في بداية الحياة إنما هو الحواس وليس العقل ولأن اللغة هي نتاج تطور الإنسان ما عدا العربية التي

هي لغة إلهامية ألهمها الله تعالى.. العرب.

اللغة لم تؤيد رأي الفريقين:

بيد أننا نجد أن اللغة في تطورها لم تؤيد رأي البصريين، ولا أيدت رأي الكوفيين إلى حد ما. لأن الفعل يسبق المصدر .. غالباً، مثل كلمة: كتب، فقد سبقت المصدر: كَتْبٌ أو كتابةٌ لأن الفعل حدثٌ، والحدث غالباً محسوس وحياة الإنسان بدأت بالمحسوس بشكل عام قبل المعنوي (المجرد).

بل إن اللغة، في تطورها تجاوزت رأي البصريين ورأي الكوفيين معاً لأن الفريقين كانا يعتمدان على فذلكات ذهنية وخاصة البصريين منهم لا تقوم على وعي لطبيعة اللغة، وتدقيق في واقع اللغة، فكما اشتق من الفعل.. اشتق من اسم الذات فالمصدر "المُقْلُ" إنما اشتق من اسم الذات "المُقْلَة" أو أن الفعل "مَقَلَ" اشتق من اسم الذات نفسه وهو "المُقْلَةُ" ثم المصدر"المَقْلُ" اشتق من الفعل مَقَلَ.

بل لقد اشتق العرب من الحروف ومن الضمائر ومن الأسماء الجامدة ومن أسماء الأصوات ومن الأعيان (الجواهر أو الذوات) وقد عرضنا لهذا، في مقالات سابقة.

بل لقد اشتق الناس من الفعل: مقل فعلاً خماسيا هو: تمقل، وهو من المقلة أيضاً. والفرق بينه وبين الفعل الثلاثي أن فيه تأكيداً على النظر إلى الشيء أكثر من الفعل الثلاثي، فتمقل تعني: دقق النظر إلى الشيء. ومُسوغ وجود أي لفظة جديدة هو أنها تعبر عن معنى جديد. **لأن من صفات اللغة الراقية أنها تستجيب لكل المعاني. بأحد قوانين تطور اللغة ونموها التي عرضنا لها خلال مقالات سابقة.**

يضاف إلى المعجم:

بقي أن أقول: إن الفعل: "تمقل" ليس موجوداً في المعجم، وإنما هو اشتقاق حادث يجدر أن يضاف إلى المعجم. كما تفعل الأمم المتحضرة التي تضيف إلى المعجم ما يستجد من ألفاظٍ كل سنة. **بل كما فعل أجدادنا في عصور الازدهار الذين أضافوا آلاف الألفاظ إلى المعاجم. وما قولهم: هذا .. فعلٌ مولّدٌ أو كلمة مولّدةٌ أو هذا معنى مولّد إلا تعبيراً عما استجد من ألفاظ، ومعانٍ، بعد عصور الاحتجاج.**

٢- تحقيق لفظ كلمة (أبَيِّنُها):

في سنة ألف وتسعمائة وثلاث وستين

كنت طالباً في مرحلة الإجازة في اللغة العربية في جامعة دمشق. وقد درس لنا أحد أساتذتنا، يرحمه الله، قصيدة النابغة الذُّبياني المعلقة التي مطلعها:

يا دارَ ميَّة بالعلياء فالسند

أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَد

وقد قرأها لنا بصوته الحنون، وقد قرأ البيت الرابع في القصيدة على النحو التالي:

إلا الأواريَّ لأْياً ما (أُبيِّنُها)

والنؤْيُ كالحوض بالمَظلومة الجلَد

وكلمة (أَبَيَّنُها) تُقرأ بفتح الهمزة والباء والياء المفتوحة المشددة وضم النون، ولكن قرأها (أُبَيِّنُها) بضم الهمرة وفتح الباء وكسر الياء المشددة وضم النون. وهذه القراءة "خاطئة" في نظري. لأن معنى (أُبيِّنُها): أوَضِّحها للناس. والشاعر لم يقصد ذلك، وإنما قصد أنه هو لا يستطيع أن يتبيَّنها. أي: إن أصل الكلمة: (لأْياً ما أَتَبَيَّنُها). فحذف الشاعر تاء الفعل، فأصبحت (أَبَيَّنُها) كما كتبناها آنفاً.

حذف جائز:

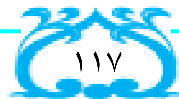
هذا الحذف جائز في اللغة: جاز أن تُحذف تاء الفعل الماضي، وأن يبقى حرف المضارعة، سواءٌ أكان الهمزة (كما في الحالة السابقة) أو التاء أو الياء أو النون، ويجمعها كلمة (نأتي). أما لماذا تُحذف تاء الفعل ولا يحذف حرف المضارعة؟ السبب أنه إذا حذف حرف المضارعة وهو هنا الهمزة (أ).. فإنه يُحذف بحذفه "معنى" وهو المضارعة أي: الدلالة على الزمن الحاضر كثيراً أو المستقبل قليلاً. أما إذا حُذف حرف التاء من الفعل الماضي.. فإنه يبقى بضعة أحرف تدل على "الفعل". ففي حالة (تبَيَّنُ) الواردة في البيت تحذف التاء ويبقى أربعة أحرف هي (بَيَّنٌّ) التي تدل على تمام الكلمة فحذف معنى كامل بحذف حرف المعنى (الهمزة) هو حذفٌ لكلمة بهذا الحرف، لأنه ذو معنى مستقلّ، وليس كذلك حذف التاء من الفعل السابق.

وحذف حرف الفعل المضارع وارد في الشعر وفي القرآن الكريم.. قال دُريُد ابن الصِّمَّةِ في قصيدته الدالية التي منها البيت المشهور:

وهل أنا إلا من غَزيَّة إنْ غَوَتْ

غَوَيْتُ، وإنْ ترْشُدْ غزيَّةُ أرْشُـد

قال منها:



وكنت كأني واثق بمصدر

(يَمَشَّى) بأكناف الجليب بمحتدِ

(يَمَشَّى) بفتح الياء والميم والشين المشددة.. أصلها هو: (يتمشى) بفتح الياء والتاء والميم والشين المشددة. وكلتا الكلمتين.. فعل مضارع، الأولى حُذفت منهما تاء الفعل.

والثانية أعيدت لها تاء الفعل.

شكل للكلمة.. خطأ:

وقد أورد أحد الكتاب (وهو الدكتور جميل علوش) الذين يدعون المعرفة باللغة.. هذه الكلمة على صيغة (يُمَشِّي) بضم الياء وفتح الميم وكسر الشين المشددة، وذلك في معرض إنكاره لأهمية الشعر الجاهلي، وأنه (الشعر الجاهليّ)، بزعمه لا يخلو من أخطاء في اللغة والوزن.

والقاف المشددة الأولى، وضمّ القاف الأخيرة هي فعل مضارع، الصيغة التامة منه عندما ترد إليه تاء الفعل المحذوف هي (تتشقق) بفتح التاء الأولى والثانية والشين والقاف الأولى المشددة؛ وضم القاف الأخيرة. والفرق بين حذف تاء الفعل وبقاء حرف المضارعة بين القرآن وكلام البشر.. أنها تأتي في كلام البشر على الجواز أو لضرورة الوزن، كما وضح لنا من بيت النابغة، وبيت دُريد؛ فقد حذف حرف المضارعة جوازاً. وقد أخذنا بهذا الجواز لضرورة الوزن. فالوزن لا يستقيم في البيت الأول لو قال النابغة: (ما أتَبَيَّنُها) بِرَدِّ التاء المحذوفة. ولا يستقيم في البيت الثاني لو قال دريد: (يتمشى) بردّ التاء المحذوفة.

الحذف في القرآن للوجوب:

أما القرآن فالحذف يأتي "للوجوب" لسببين: الأول أنه لا يجوز أن نُحل كلمة فيه محل أخرى.. وإن كان الفرق حذف حرف أو إضافة حرف. خلافاً لكلام البشر الذي يمكن أن يضاف إليه ويحذف منه، حتى في الشعر إذا استقام الوزن و المعنى. مثلاً في بيت المتنبي الذي لم يرض عنه النقاد لورود كلمة (تُؤذي) فيه، وهو:

تلذُّ له المرءة وهي (تؤذي)

ومن يعشق يلذُّ له الغرام

قال النقاد: "إنّ تؤذي قلقة في موضعها، لأن صاحب المروءة لا يتأذى من فعل المروءة. أما سمعت قولهم: (يهتز للندى) والهِزَّة نوع من الفرح أو السعادة أو

الانتشاء. في هذا البيت يمكننا أن نغير هذه اللفظة القلقة بلفظة أفضل منها.. كأن نقول: "تلذّ له المروءة لو تنجي (فلو تنجّي) أفضل في هذا المكان من اللفظة التي أوردها الشاعر. ومعنى الشطرة مع الكلمة التي اقترحناها هنا: "تلذّ له المروءة لأنها تملؤُهُ حبوراً، لكنها لا تنجّي من القتل أو الموت.

أما قال الشاعر، يمدح معنا ابن زائدة:

فلو أنّ حمداً أخلد الناس لم تمت

ولكن حمدَ الناسِ ليس بمخلــد

السبب الثاني أن هناك علة لاستعمال القرآن لأي كلمة سواء وردت كاملة أم حذف منها حرف أو أضيف لها حرف.

وهمنا هنا حذف تاء الفعل الماضي (تشقق) بحيث أصبحت في المضارع (تشقق) هناك فرق بين (تشقق) بحذف التاء و (تتشقق) بإثبات التاء.

إن حذف أي حرف من الكلمة يجوز حذفه .. يجعل الكلمة أسهل لفظاً، ولذلك فقولنا: "سل ما بدا لك" أسهل من قولنا: "اسأل ما بدا لك" وعلى هذا (فتشقق) بتاء واحدة أسهل لفظاً من (تتشقق) بتائين. وهذه السهولة تشير إلى سهولة تفطر الأرض عن الأموات، عندما يأمرها ربها يوم القيامة، لكي يخرجوا خروجاً سهلاً لا صعوبة فيه. ولذلك فهم يخرجون "سراعاً".

إن سهولة تفطر الأرض يُسهِّل عليهم الخروج سراعاً! أرأيت أنّ حذف التاء يشير إلى معنى لا غنى عنه مما يجعل حذفها (في هذا السياق من القرآن) أمراً لا بُدَّ منه؛ مما يجعل حذفها "وجوبيا" ؟ وإن "سراعاً" يناسبها السرعة في تشقق الأرض.

بقي أن أقول عن كلمة (أبَيِّنُها) التي حذفت منها تاء الفعل: إني وجدتها في (لسان العرب) على الصورة التي قرأها علينا أستاذنا. ولكن ذلك ليس خطأ من ابن منظور.. صاحب اللسان، وإنما هو خطأ ممن (أعد وصنف) اللسان في العصر الحاضر وهو الأستاذ يوسف خياط أو هو خطأ من الطابع.

صحة الكلمة حسب موقعها:

يبقى أن أشير إلى أن (سل ما بدا لك) وإن كانت سهلة .. فإنها لا تفضل دائماً على اللفظ الكامل، وهو (اسأل ما بدا لك) لأن الكلمة أو العبارة تصحّ أو تحسن في موقعها المناسب لا تصح أو تحسن في غيره، والله المنان وهو القوي المستعان.

الهوامش:

١- العلياء والسند.. اسما مكانين كانت تسكن فيهما –مية– حبيبة الشاعر.

– أقوت: أقفرت وخلت من أهلها.

– الأمد: الزمن، وسالف الأمد: الزمن الماضي.

٢- الأواري: جمع آري وهو حبل تربط به الدابة.

– لأيا: صعوبة ومشقة

– ما أبينها: ما أتبينها، ما اتعرفها إلا بصعوبة.

– النؤي: القناة التي تحفر حول بيت الشَّعر.

– المظلومة: الأرض التي يُحفر فيها النؤي. وهي مظلومة لأنها قليلة الماء.

– الجلد: الأرض القوية الصلبة أو الحفرة المتماسكة البناء.

٣- مُصَدِّر: حصان يسبق الخيل فيكون في صدرها.

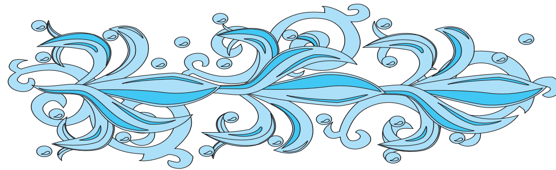
– أكناف: جوانب الشيء وأطرافه.

– الجليب ومحتد: موضعان.

– الحق .. أن الزعم بأن الشعر الجاهلي –فن أخطاء– في اللغة والوزن وهو لون من السفه فالشعر الجاهلي، عند شعرائه الكبار وفي قصائده المعتبرة التي تزيد الواحدة منها عن عشرين بيتاً، ليس من خطأ في اللغة أو الوزن. وإنما الخطأ جاء من تناقل الرواة له، لأنه كان يتناقل شفوياً، حتى منتصف القرن الثاني.. ولم يُدوّن جمهرته إلا بعد ذلك.

٤- وجاء ثابتاً من أصحاب المقطعات القصيرة الذين لا يملكون الموهبة الشعرية أو ممن ليسوا بفصحاء. وذلك كله.. قليل قليل.

٥- تملؤه.. يمكن أن تُكتب على صورة أخرى هي (تملأه) وكلا الإملائين صحيح. فإذا كتبتها الواو فقد غلبت صوت الحرف لأنه مضموم وواقع في داخل الكلمة. وفي مثل هذه الحالة يجوز أن تكتب على (الواو). وإذا كتبتها بألف فوقها همزة فقد غلبت أصل الكلمة وهي (تملأ) قبل أن تدخل عليها (ها).



مهمة تعليم الناس الخير

▪ **بقلم الأستاذ أحمد صقر السويدي**

مع المهام الخاصة بكل إنسان في شؤون حياته التي يقوم بها الإنسان في بيته عموماً، من تصريف شؤون حياته، والسعي في الرزق على أولاده وعلى من يعولهم، والقيام على أمور دينهم وشأنهم.

وهناك المهام العامة، فأمر الله سبحانه وتعالى نساء النبي ﷺ أن يقمن بها فقال: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾ الأحزاب: ٣٤.

أي: **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾** قيل: هي القرآن، (والحكمة): هي السنة، لأنهن يسمعن كلام الله وقول النبي ﷺ، فكان منوطاً بهن أن يبلغن عن الله ورسوله ما سمعن.

قال ابن كثير: **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك ﷺ" .

وسنتعرض في مهام بيت النبي ﷺ كيف نقلت زوجاته أحاديث كثيرة، حتى فيما يتدخل في خصوصيات الرجل مع أهل بيته، نقلوا لنا ذلك كله، وذلك طبعاً من تبليغ ما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يبلغوه.

فنعلم أن هذا البيت بيت عظيم التبعة، عظيم المكانة في حياة المجتمع الذي عاش فيه، وهو مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، وفي حياة المجتمعات التي تأتي من بعده، فكل ينهل من بيت النبي ﷺ أخلاقاً وآداباً وقيماً.

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ
غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيم(١)

فيصلح بها شأنه، كما أصلح النبي ﷺ شأن من حوله من أزواجه وبناته ومواليه ﷺ وآله وصحبه.

ولقد تبين من خلال الأحاديث والسير حرص أمهات المؤمنين على التلقي من رسول الله ﷺ القرآن والسنة، ونهلن من عنده علماً غزيراً، وبين أيدينا ما يشير إلى ذلك:

الحديث الأول:

أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا جهلت أمراً أو استصعب عليها أمرٌ، سألت النبي ﷺ. وكان ذلك ديدن زوجات النبي ﷺ أنهن يسألنه إذا خفي عليهن أمر.

أما الحديث الآخر:

فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ؛ أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ فلما كان يوما من ذلك، والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (أيها الناس!) فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: "إني من الناس"، فقال رسول الله ﷺ: (إني لكم فرطٌ على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيُذب عني كما يُذب البعير الضّال، فأقول: (فيم هذا؟) فيقال: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: (سحقاً)(٢).

فيدل هذا الحديث على حرص زوجات النبي ﷺ أن يسمعن منه ويبلغوا عنه ما سمعوا.

ولعل زوجات النبي ﷺ كنّ يكثرن عن النبي ﷺ ما كان يذكر من العلم بآيات الله من الحكمة ويعلمنه الناس بعد ذلك.

ونقصد الناس أصحاب النبي ﷺ، ومن

جاء بعدهم من التابعين، فهنا يذكر اصحاب النبي ﷺ ومن جاء بعدهم علم زوجات النبي ﷺ، وحرصهن على ما كان بين أيديهن من الحكمة أن يبلغوه لمن جاء بعد النبي ﷺ.

فعن أبي موسى رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديثٌ قط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً"[٣].

وعن قبيسة بن ذئيب رضي الله عنه، كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من اصحاب النبي ﷺ[٤].

وعن أبي سلمة رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أعلم بسنن النبي ﷺ، ولا أفقه في رأي إذا احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها.

عن مسلم قال: سألنا مسروقاً: «كانت عائشة تحسن الفرائض»؟ قال: "والذي لا إله غيره، لقد رأيت الأكابر من أصحاب محمد ﷺ، يسألونها عن الفرائض[٥].

وعن محمود بن لبيد قال: كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيراً، ولا مثلاً لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أي أنهما كانتا تحدثان عن النبي ﷺ كثيراً، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت رضي الله عنها.

وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها يسألانها عن السنن[٦].

بل تجاوزت بعلمها إلى اشياء كثيرة، قال عروة بن الزبير[٧]: "قلت لعائشة رضي الله عنها: إني أفكر في أمرك فأعجب، أجدك من أفقه الناس، قلت: "ما يمنعها زوجة النبي ﷺ وابنة أبي بكر، وأجدك عالمة بأيام العرب وأنسابها وأشعارها، فقلت: وما يمنعها وأبوها علامة قريش، ولكني أعجب أن وجدتك عالمة بالطب، فمن اين؟ فأخذت بيدي، فقالت: يا عُريَّة[٨]، إن رسول الله ﷺ كثرت أسقامه[٩]، فكانت أطباء العرب والعجم يبعثون له فتعلمت ذلك.

وفي رواية أحمد: كنت أعالجها له فمن ثمّ[١٠].

إذاً كانت تمارس الطب رضي الله عنها، فعلمت ذلك من العلم ومن الممارسة بتطبيب النبي ﷺ، فنقلت ذلك إلينا، فنقلت من علم الدنيا والآخرة.

وهذه المهمة لم تبق فقط عند التبليغ عن النبي ﷺ، بل تحولت إلى ممارسة علمية وتوجيه الناس إلى الخير دائماً، وحضهم على الانصراف عن الشر.

فهذه ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ دخل عليها رجل من قرابتها فوجدت منه ريح شراب(١١) فقالت له: "لئن لم تخرج إلى المسلمين، فيجلدوك، لا تدخل عليَّ أبداً(١٢).

وهذا من حرصها على أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرء الشر عن ما رأته في قريب من أقاربها.

أما أبو هريرة رضي الله عنه، فكان يحرص أن يعرض علمه على زوجات النبي ﷺ لما عندهن من علم النبوة.

كان أبو هريرة يُحدث ويقول: "اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة، وعائشة تصلي، فلما قضت صلاتها قالت لعروة: "ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفاً! إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه"(١٣).

ومعنى هذا أن أبا هريرة كان يسرد أحاديث النبي ﷺ مرة واحدة، وإنما عابت عليه هذا الأمر، ولم تنكر عليه ما حدث عن النبي ﷺ، وإنما كانت تريد منه ان يحدث كما حدث النبي ﷺ قليلاً قليلاً، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يسرد أحاديث النبي ﷺ جميعها، والعبرة أن أبا هريرة رضي الله عنه يستشهد على صدق ما يرويه عائشة رضي الله عنها.

كذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقوم بهذه المهمة، مهمة تبليغ الخير للناس.

عن عباد بن عبدالله بن الزبير، أن عائشة أمرت أن يُمرَّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلي عليه، فأنكر الناس ذلك عليها. فقالت: ما أسرع ما نسي الناس! ما صلّى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا في المسجد(١٤).

فأخبرت عن أمر فعله النبي ﷺ وذكرت الناس ما نسوا من سنة النبي ﷺ وفعلت فعلاً كان عليه النبي ﷺ.

فقالت أيضاً في رواية أخرى: "إنها لما تُوفي سعد بن أبي وقاص، أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد فيصلين عليه. ففعلوا، فوقف به على حجرهن يصلين عليه، أخرج به من باب الجنائز الذي كان إلى المقاعد، فبلغهن أن

الناس عابوا ذلك، وقالوا: "ما كانت الجنائز يدخل بها المسجد، فبلغ ذلك عائشة فقالت: ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به! عابوا علينا أن يمر بجنازة في المسجد! وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد»[١٥].

وهذه قصة أخرى بين أيدينا على حرص زوجات النبي ﷺ على التبليغ عنه ﷺ، وإثبات العلم الذي ينقله الصحابة عن النبي ﷺ، ويؤيدونهم لأنه سُمع عدة مرات، سمعه هذا، وسمعته تلك وغير ذلك من أصحاب النبي ﷺ.

يقول داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص حدّثه عن أبيه، أنه كان قاعداً عند عبدالله بن عمر إذ طلع خبّابٌ صاحب المقصورة فقال: يا عبدالله بن عمر! ألا تسمع ما يقول أبو هريرة؟ إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر، كُلُّ قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد، فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة، ثم يرجع إليه، فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها في يده[١٦]، حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر الحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: "لقد فرّطنا في قراريط كثيرة[١٧].

فما لبث أن رجع ابن عمر رضي الله عنهم عند رواية أبي هريرة ولام نفسه تصديقاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي شهدت له عائشة رضي الله عنها.

وهكذا تبلغ زوجاته وأهل بيته عن النبي ﷺ الحكمة والعلم والآيات والفرائض، وغير ذلك مما كان في بيت النبي ﷺ، فكنّ حاملات للعلم مؤديات للأمانة، مبلغات عن النبي ﷺ.

وهذه قصة تحدث في بيت عائشة رضي الله عنها بين اثنين من التابعين:

عن ابن أبي عتيق، قال: تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثاً، وكان القاسم رجلاً لحّانة[١٨]، وكان لأم ولد[١٩]، فقالت له عائشة: ما لك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أتيت. هذا أدبته أمه. وأنت أدبتك أمك، قال: فغضب القاسم،

وأضبّ[٢٠] عليها، فلما رأى مائدة عائشة قد أُتي بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي، قالت: اجلس، قال: إني أصلي. قالت: اجلس غُدَر، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان)[٢١].

فدل هذا على أن موقف عائشة كان مبلغاً عن النبي ﷺ في هذه الحادثة الذي كان فيها نوع من الاختلاف بينها وبين زائر لها من التابعين.

إذاً نرى من كل هذه الأحاديث وهذه الروايات قيام زوجات النبي ﷺ وأهل بيته بالتبليغ عنه ما علمهن من الحكمة والسنة النبوية.

الهوامش:

١- تفسير ابن كثير ٣/ ٧٨٤.

٢- البردة للبوصيري مطبعة دار الفضيلة ١٩٩٦م.

٣- أخرجه مسلم ٤/ ١٧٩٥ ورقمه (٢٢٩٥).

٤- سير أعلام النبلاء ٢/ ١٧٩.

٥- سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨١.

٦- سنن الدارمي ٢/ ٤٤٢ ورقمه (٢٨٥٩).

٧- حياة الصحابة ٣/ ٢٧٠.

٨- وهو ابن اختها اسماء رضي الله عنهم أجمعين.

٩- تصغير عروة.

١٠- يعني لما كبر.

١١- مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٥ وقال: رواه الطبراني في الاوسط والكبير وفيه عبد الله بن معاوية الزبيري قال أبو حاتم: مستقيم الحديث وفيه ضعف وبقية رجال أحمد والطبراني في الكبير ثقات.

١٢- أي كأنه شرب مسكراً.

١٣- سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٤٤.

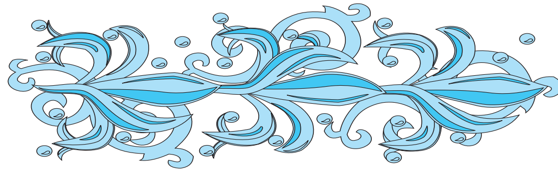
١٤- أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٩٨ ورقمه (٢٤٩٣).

١٥- أخرجه مسلم ٢/ ٦٦٨ ورقمه (٩٧٣).

١٦- أخرجه مسلم ٢/ ٦٦٨ ورقمه (٩٧٣).

١٧- كأنه يريد أن يضرب بها أبا هريرة رضي الله عنهما.

١٨- أخرجه مسلم ٢/ ٦٥٣ ورقمه (٩٤٥).



قبس من الهجرة المعلِّمة

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

تعد الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، من الأحداث الكبرى الفاصلة في تاريخ الدعوة الاسلامية.. فقد كانت هذه الهجرة المباركة فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً، ومنطلقاً لعصر جديد ترسخت فيه دعائم الوحدانية، وتهاوت اعلام الوثنية، واستهلت البشرية منذ هذه الهجرة المباركة حياة عزيزة كريمة، حياة تليق بالانسان ومكانته في الكون ورسالته في حياته الدنيا.

ولأن الاسلام الحنيف رسالة عالمية خالدة، جاءت لتحرر البشرية من الشرك والظلم، وتنقذها من نير الاستبداد وتسلط الطغاة ليحيا الناس أحراراً أباة، كانت الهجرة لتحقيق هذه الحرية للناس جميعاً، فلا يعلو في الأرض سلطان فوق سلطان الله عز وجل، ولا يكون لأحد سبيل على الناس فيما يؤمنون به، ويكون الدين لله.

فالهجرة بتضحياتها العزيزة كانت ثمناً للحرية الدينية والانسانية، التي كانت البشرية في أمس الحاجة اليها في ذلك الزمن.

❖ هجرات بين يدي الهجرة الكبرى:

لقد هاجر المسلمون بإذن نبيهم الكريم ﷺ الى الحبشة، وهاجر النبي ﷺ الى الطائف، وجحيم العدوان يقذف باللهب من حول النبي ﷺ وصحبه رضوان الله تعالى عليهم، ويزيد من ضراوة قريش موت أبي طالب، الذي كان بادي الرأي على دين قومه، وهو مع ذلك يقول في لاميته

المشهورة:

اعوذ برب الناس من كل طاعن

علينا بسوء أو مُلحٍ بباطل

ومن كان كاشح يسعى لنا بمعيبة

ومن مُلحق بالدين ما لم نحاول

وتلقى ربها بعد أبي طالب بقليل أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، ويأسى الرسول ﷺ أشد الأسى لموتها بعد عمه الودود الواصل، وتتعاقب الأحداث ليبرز للعيان ما عاش من خبر الهجرة الى دار الذين آووا وآثروا ونصروا، ولقد هاجر المسلمون الهجرة الكبرى، وأيقنت قريش ان النبي ﷺ يُعد العدة للتحول بالدعوة الى حيث حدد الله مكانها في رؤيا أراها مصطفاه ﷺ (ارض بين حرتين بينهما نخل) رواه الامام احمد من حديث عبد الله ابن عباس.

وقرّ قرار المشركين في دار الندوة ان يغتالوا النبي ﷺ بعد ان عجزوا عن اغتيال دعوته والقضاء على رسالته والذين آمنوا معه، ولكن الله تعالى خطط لرسوله ﷺ ومهد له سبل الخروج من أكرم البقاع، وألهم سبحانه نبيه ان يستعين بالكتمان والسرية لما أراد فطالع ابا بكر رضي الله عنه بإذن الله له في الهجرة وأعلمه أنه سيكون صاحبه فيها.

ويا لها من صحبة جاءت على مستوى أول الناس اسلاماً واعظمهم إيماناً وأكثرهم بذلاً لإنجاح ذلك الأمر العظيم، الذي جند له ابناءه وبناته وماله وعماله، وأهدف نفسه درءاً دون ان يصيب النبي ﷺ أذى في الغار.

وما أعذب الحديث عن الغار الذي آوى الرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، ورد عنه الذين وقفوا على مدخله، وقد رد الله ابصارهم عن النبي ﷺ وصحبه، كما رد أبصار الفتية الذين أحاطوا بيته وانتظروا فرصة خروجه ﷺ ليضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل كما خططت قريش! ولكن الله تعالى جعل رسوله الكريم ﷺ بمنجاة من هؤلاء الشباب، وهو تعالى يقول: **﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾** يس: ٩ .

وأبصروا بعد فوات الأوان تراب الهوان يغطي وجوههم، بعد ان علموا من أول فدائي في الاسلام سيدنا علي كرم الله وجهه ان رسول الله ﷺ مضى في كلاءة الله، وانه كان يتوسد فراشه ويتغطى ببرده

الحضرمي، حتى أتم الله ما أراد لرسوله ﷺ من هؤلاء المتربصين به.

ان حديث الغار وما تلاه وأعقبه من مواقف، خليق بأن نستذكر ونمعن النظر في آثار رعاية الله تعالى لرسوله ﷺ حتى تم أمر الله واستقبلت المدينة المنورة أكرم قادم اليها ووافد عليها، منذ كانت والى آخر الزمان، بما هو أهل من تصديق لرسالته، وإيمان بدعوته وجهاد في سبيلها، حتى ملأ نور الاسلام أطراف الجزيرة وجاوزها الى ما وراءها من بلاد فارس والروم، حتى دانتا للدين العظيم وللرسالة كي تبقى أبداً قوام امر الحياة، وسبيل السيرة والتمكين للذين ان فاتهم شرف الهجرة من مكة الى المدينة «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كما قال النبي ﷺ.

فإن هجرة باقية زاكية تناديهم في قول رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخاري من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما.

وماذا وراء هجرة ما نهى الله عنه، الا ما يعين الله عز وجل عليه من أمره وهو تعالى لا يأمر الا بخير، لنكون بذلك أهل لنصر الله وعونه، على كل من كاد ومكر وعاث في الارض فساداً، ورام للمقدسات الاسلامية ولغيرها مما استحفظه الاسلام من مقدسات المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

فينبغي ان تتحول ذكريات الهجرة الى منهج نلتزم به، فنهجر الحقد والضغينة الى الحب والتسامح، ونهجر الأنانية وحب الذات الى التضحية في سبيل سعادة الآخرين، ويجب ان نهجر السلبية التي أفسدت حياتنا الى الايجابية التي تنتظم بها أمورنا، نهاجر من ذل المعصية الى عز الطاعة، ومن التواكل الى العمل الجاد والأخذ بالأسباب التي يتحقق بها النجاح في كل أمورنا، وبذلك نسترد قدراتنا العظيمة التي أنعم الله تعالى بها علينا.

ما أحوجنا اليوم الى تاريخ الاسلام لنستلهم منه العظة والعبرة من خلال هذه المناسبات التي نحتفي بها، بعد ان ابتعدنا عن المنهج القويم الذي صنع أرقى حضارة عرفها الانسان وأقام أعظم مجتمع بشري أساسه الرحمة والعدل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والحمد لله رب العالمين.

الهجرة منبع الأخوة

■ بقلم الاستاذ هبة زكي العجرمي

غادرت مكة للمدينة حادياً ... ركب الصحابة في خطاك ترسموا

هاجرت في الاسحار هجرة واثق ... بالله يحدوك الكتاب المحكم

فاستقبلوك على مشارف يثرب ... أهل بترحاب يجل ويعظم

والتفت الانصار حولك مثلما ... يخطى بواثقه السوار المعصم

ألفت بين المسلمين فأصبحوا ... بين الخليقة عروة لا تفصم

ان ذكرى الهجرة النبوية الشريفة هي إحدى ذكريات الاسلام المجيدة التي تمنحنا فيضاً واسعاً من الدروس العظيمة، والعبر المفيدة، والقيم النبيلة، والمبادئ الرفيعة، لتكون للمسلمين زاداً وعوناً في مسيرة هذه الحياة، فتفتح الأبصار والبصائر على الواقع الذي نعيشه خيره وشره، حلوه ومره، فتزول كثير من الظلمات، وينير مصباح المعرفة والعطاء الطريق نحو مستقبل مليء بالمودة والألفة والأخوة والوفاق والاتفاق.

كلما مر عام ومضى وتجدد آخر تطلع المسلمون نحو المستقبل، تراودهم الآمال ان يكون العام الجديد في حياتهم عام خير ورخاء وسعادة، فتذكروا وتذاكروا ذلك المجتمع المنظم في ظل هذه الذكرى

العظيمة الذي بناه وصنعه نبي رب العالمين الصادق الوعد الأمين محمد ﷺ، مجتمع قام على أسس عديدة عظيمة تجعل من أمة الاسلام أمة واحدة متماسكة موحدة، قال تعالى: **﴿ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾**.

فلا يجوز لهذه الأمة ان تضل بعد هداية، ولا تتفرق بعد وحدة، ولا ان تكفر بعد إيمان، ولذا كانت اللبنة الأولى في وضع أساس ترابط الأمة ووحدتها، هي قضية الإخاء التي بدأها النبي ﷺ عمله من أول يوم من أيام الهجرة، وقرر فور وصوله المدينة، مبدأ الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وبهذا المبدأ وصل الرسول الكريم الأمة بعضها بالبعض الآخر.

وفي اطار هذه الأخوة تحرك الفرد بروح الجماعة ومصلحتها، فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا وجود الا بها، وكانت عواطف الايثار والحب والمواساة تملأ المجتمع الجديد بمثل عليا وقيم اخلاقية فاضلة، فكانوا يتوارثون بهذه الأخوة التي أصبحت اقوى من قرابة الرحم.

لقد كانت الهجرة الى المدينة المنورة منطلقاً للأخوة والتآخي وإقامة المجتمع المسلم المترابط لينطلق الى رحاب الارض جميعاً حاملاً رسالة الله تعالى للناس جميعاً منظماً لعلاقاتهم وشؤونهم ومصالحهم محافظاً على الحقوق دون انحراف أو ظلم.

لقد عرف المجتمع الاسلامي آنذاك أخوة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، عاش فيه المسلمون الحب واقعاً، وتجسدت فيهم تعاليمه وأسسه سلوكاً عملياً، فتفاعلت نفوسهم وتعاونت أرواحهم، وامتزجت دماؤهم في ظلال الأخوة، في رحاب العلم والعمل وميادين الدعوة وساحات البذل والجهاد، فلم تفرق جمعهم أهواء، أو يفسد أحوالهم خلافات، لذا كانوا الأجدر حديثاً والأقوى حجة والأنصح جواباً، والأبلغ تأثيراً.

فلتكن الأخوة رسالة ينطلق بها المسلمون، رافعين لواءها وناشرين طيبها ومؤكدين لمعانيها، فهي الوصية التي يحرصون على بقائها حية في النفوس، تجمع الشتات، وتقرب النوافر، وتوسع المنافذ، وتسد ابواب الفتن، وهي الرابطة الربانية التي تغذي القلب وتمده بالحياة، حتى تكون سداً قوياً منيعاً يحافظ على وحدة الصف المؤمن.

حكمة النهي عن الفعل الضار وأدلة ذلك

■ بقلم الاستاذ إسماعيل السعيدات

لا شك أن من كتب في نظرية الضمان وما تناوله من مباحث قد أسهبوا فيه واستعرضوا أدلة مشروعية الضمان، وان كانوا لم يفردوا الأدلة الإجمالية والتفصيلية لتحريم ممارسة الفعل الضار، والذي يؤدي إلى ضمان الضرر المتلف بسبب هذا الفعل غير المشروع في مبحث مستقل، ولم يحددوا حكمة النهي عن الفعل الضار والضمان فيه، وفي هذه الدراسة سأتناول الأدلة الإجمالية والتفصيلية، التي تنهض بتحريم الفعل الضار، والحكمة من ضمانه.

❖ أهداف الدراسة:

١- إبراز الأدلة الإجمالية والتفصيلية التي تنهض بتحريم الفعل الضار، والحكمة من ضمان الفعل الضار؛ ليبتعد الناس عن ممارسة الأفعال الضارة .

٢- بيان مدى الضمان وحكمته في جعل الناس تخاف من الوقوع في الفعل الضار.

٣- تبصير الدارسين بالأدلة الإجمالية والتفصيلية التي تنهض بتحريم الفعل الضار، والحكمة من ضمان الفعل الضار.

٤- الكتابة في موضوع له مساس بالواقع وحياة الناس وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية وتعاملاتهم والتزاماتهم

وتصرفاتهم،صيانة لحقوق العباد من المساس بها أو النيل منها .

٥- تطبيق أحكام الضمان في الفعل الضار في حياتنا المعاصرة لتظهر لنا عظمة الشريعة الإسلامية في تشريعها، لما يصلح حياة الناس وينظمها ويجعلها تسير في يسر وسهولة، وتبين لنا مدى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وما يستجد من أحكام ومعالجتها لتلك المستجدات، بترك باب الاجتهاد مفتوحاً ليتم معرفة الأحكام الشرعية للمسائل المستجدة، فكان لا بد من البحث فيها ودراستها دراسة مستفيضة.

الفعل الضار: هو فعل أو عدوان موجب للضمان لا تجيزه الشريعة الإسلامية ولا تأذن به، فهو عدوان، والعدوان كما نعلم هو أن يسلك الشخص في الحياة مسلكاً مخالفاً لما ألزم به الشارع سواء بترك واجب أو فعل محرم.

والضمان: لغة، هو الكفالة والغرامة. قال ابن منظور: "ضمن الشيء وبه ضمناً وضماناً: كفل به. وضمنه إياه: كفله، وضمنته الشيء تضمينا فتضمنه عني: مثل غرمته"[١].

أما في الاصطلاح، فقد وردت تعريفات عديدة وهي تصب في قالب واحد، ومن خلال تتبع مصطلح "الضمان" في لسان الفقهاء، فهو كما يقول الأستاذ علي الخفيف: "هو شغل الذمة بواجب يطلب الوفاء به إذا توافرت شروطه"[٢]، أو بعبارة أخرى: "هو شغل الذمة بما يجب الوفاء به من مال أو عمل"[٣]، والضمان كما عرفه الأستاذ الزرقا حين قال: "الضمان: هو التزام بتعويض مالي عن ضرر للغير"[٤]، وقد عرفه الدكتور وهبة الزحيلي: "بأنه الالتزام بتعويض الغير عما لحقه من تلف المال أو ضياع المنافع، أو عن الضرر الجزئي أو الكلي الحادث بالنفس الإنسانية"[٥].

وأضاف الإمام الغزالي بأن الضمان هو: "واجب رد الشيء، أو بدّله بالمثل أو القيمة"[٦]، وعرفت مجلة الأحكام العدلية الضمان بأنه: "إعطاء مثل الشيء ان كان من المثليات أو قيمته إن كان من القيميات"[٧].

ومن خلال ما سبق يمكننا القول: إن الضمان هو التعويض عما يلحق الغير

بسبب تلف المال، أو ضياع المنفعة وفواتها، أو الضرر اللاحق بالنفس الموجب للتعويض بالمثل أو القيمة.

● المطلب الثاني: الأدلة الإجمالية والتفصيلية التي تنهض بتحريم الفعل الضار:

الشريعة الإسلامية حرمت كل ما من شأنه إيقاع الضرر بالناس في الدنيا، كما كان شأنها من قبل في التخفيف عن العباد وتشريع الأحكام الشرعية التي تدفع عنهم المشقة والحرج والإثم، وتجلب لهم المصلحة، فقد حرمت الاعتداء على الضرورات الخمس التي هي سبب سعادة الناس في الدنيا والآخرة، هذه الضرورات التي حثت جميع الملل والشرائع على حفظها، والفعل الضار يكون باعتداء على إحدى هذه الضرورات التي حرمت الشريعة الاعتداء عليه، وأوجبت الضمان والعقوبة على من يخالف ذلك، وهذه الضرورات هي من تكريم الله للإنسان، وتفضيله على سائر المخلوقات، وهذه الضرورات هي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

وقد جاءت شريعتنا الغراء السمحة، بأدلة شرعية نهضت بتحريم الفعل الضار المؤدي إلى ضمان الأثر المترتب عليه، وباعتبار أن هذا الفعل هو تقصير من قبل الشخص باعتداء على إحدى الضرورات الخمس، ومن هذه النصوص ما ورد في الكتاب، وما ورد في السنة النبوية، ومن أقوال الصحابة وأفعالهم والمعقول، أما من الكتاب فنذكر عدداً من هذه النصوص:

١- جاء في تحريم العدوان على الأموال من نصوص كقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾** النساء: ٢٩-٣٠.

وجه الاستدلال: الآيتان صريحتان على منع ارتكاب الفعل الضار كالاعتداء على أموالهم وأكلها بالتحايل والباطل، وتحريم قتل وإزهاق النفس، ومن يفعل هذه الأمور المحذورة متعمداً فسوف يكون مصيره نار جهنم.

٢- قال تعالى: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ**

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦ .

وجه الاستدلال: الله تعالى ينهى عن الفساد في الأرض بأي فعل ضار مهما كان حجمه.

٣- قال تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحرث وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** البقرة : ٢٠٥ .

وجه الاستدلال: كل ما يضر بالحرث والنسل هو من قبيل الفساد في الأرض والظلم والعدوان الناتج عن الفعل الضار.

٤- والعديد من النصوص القرآنية الواردة في هذا الباب كثيرة، ومنها قوله تعالى: **﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾** البقرة: ١٩٤، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾** النحل: ١٢٦، وقوله تعالى: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** الشورى: ٤٠، فهذه الآيات تحث على وجوب الضمان على الفعل الضار المتمثل بالاعتداء على الآخرين.

وأما من السنة النبوية فقد وردت العديد من النصوص الدالة على تحريم الفعل الضار المرتبط بالعدوان والتعدي ومنها:

١- قوله ﷺ في يوم النحر في خطبة حجة الوداع في باب تحريم الأموال والدماء والأعراض: "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا " (متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما في حجة النبي ﷺ).

وجه الاستدلال: من خلال هذه الخطبة الجامعة من خطب النبي ﷺ والتي تحرم على الناس ارتكاب ما يضرهم في دنياهم وأخراهم، من ناحية الدماء والأموال والأعراض.

٢- الحديث الذي يرويه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

وجه الاستدلال: هذا الحديث فيه صراحة واضحة على تحريم التعرض لمال المسلم ودمه وعرضه إلا بوجه حق .

٣- الحديث الذي يرويه أبو هريرة أن

رسول الله ﷺ قال: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، واكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار".

وجه الاستدلال: هذا حديث فيه من التقارير ما فيه من الدلالة على تحريم ارتكاب الشتم والقذف فهذه من الأضرار الأدبية التي توجب عقوبة الضمان ليتم زجر الجناة عن ارتكاب مثل تلك الجرائم، وردع غيرهم ممن تسول لهم أنفسهم بالمعصية.

٤- الحديث الذي يرويه سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين" (صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض).

٥- حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: "على اليد ما أخذت حتى تؤديه" (رواه احمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وصححه الحاكم، سبل السلام، ٦٧/٣).

٦- حديث أنس الذي يرويه عن رسول الله ﷺ انه قال: "لا يحل مال أمرئ مسلم إلا بطيب نفسه" (رواه الدار قطني، نيل الاوطار، ٣١٦/٥).

٧- ما رواه أنس قال: أهدت بعض أزواج النبي ﷺ إليه طعاماً في قصعة، فضربت عائشة القصعة بيدها، فألقت ما فيها، فقال النبي ﷺ: طعام بطعام، وإناء بإناء" (رواه الترمذي وصححه، نيل الاوطار، ٣٢٢/٥).

٨- ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم" (مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، تحقيق الألباني، ١٥/٢، ٢٩٢).

٩- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "العجماء جرحها جبار" (مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، تحقيق الألباني، ٣٤/٢، ١٠٣٣).

١٠- عن عمران بن حصين: أن رجلا عض يد رجل فنزع يده من فمه فوقعت ثنيتاه، فاختصموا إلى النبي، ﷺ،

فقال: "يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل، لا ديّة له" (صحيح البخاري، كتاب الديات، باب إذا عض رجل فوقعت ثناياه. صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب الصائل على نفس الإنسان أو عضوه إذا دفعه المصول).

وجه الاستدلال: الحديث واضح في أن المعتدي إذا ناله الضرر نتيجة لاعتدائه فلا ضمان له.

١١- ما روى الشيخان، عنه ﷺ، قال: "لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح" (صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه فلا ديّة له، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، وفي روايات للحديث عند غير البخاري: "ما كان عليك من ذلك من شيء"، و "فلا ديّة ولا قصاص"، و "فهو هدر" (أنظر هذه الروايات ورواتها عند ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص٢٥٥، ﷺ أنه قال: (العجماء جرحها جبار. والبئر جبار. والمعدن جبار. وفي الركاز الخمس)، (صحيح البخاري، كتاب الديات، باب العجماء جبار. صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار).

ومن أقوال وأفعال الصحابة في هذا الشأن:

١- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في غلام قتل غيلة: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم، وان عمر قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتل غيلة، وقال: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً» يفيد هذا الأثر أن الاشتراك في الفعل الضار يوجب تطبيق الحكم على جميع المشتركين فيه(٨).

٢- أن امرأة ذكرت عمر رضي الله عنه بسوء فأرسل في طلبها ففزعت وضربها الطلق وهي في طريقها إليه، فألقت ولداً فصاح صيحتين ثم مات، فاستشار عمر أصحابه، فقال علي: إن ديته عليك لأنك أنت أفزعتها فألقت، فأمر عمر علياً أن يقسم عقله على قريش، أي يقسم دية الجنين على عاقلة عمر وهي قريش(٩).

٣- روى عبد الرزاق في مصنفه أن رجلاً

كان يختن الصبيان، فقطع من ذكر الصبي فضمنه عمر رضي الله عنه[١٠].

٤- روى الإمام احمد أن رجلاً أتى أهل بيت فاستقاهم فلم يسقوه حتى مات فأغرمهم عمر رضي الله عنه الدية[١١].

٥- روى ابن حزم أن حلاقاً كان يقص لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعض شعره، فأفزعه عمر فضرط الرجل من الفزع، فقال عمر: أما إنا لم نرد هذا، ولكن سنعقلها، فأعطاه أربعين درهماً[١٢].

٦- قضاء عمر بن الخطاب في رجل نخس دابة عليها راكب فصدمت آخر فقتلته أن الدابة على الناخس لا على الراكب[١٣].

٧- روى ابن وهب وغيره أن بعض أمراء عمر بن الخطاب، أراد أن يعبر بجنوده نهراً فلم يجد سفناً، فقال: اطلبوا رجلاً يعلم غور النهر، فأتي بشيخ، فقال الشيخ: إني أخاف البرد، وكان في وقت البرد، فأكرهه الأمير فأدخله النهر، فلم يلبثه البرد فغرق، واستدعى عمر الأمير ليسأله فقال الأمير : ما تعمدت قتله، ولم نجد شيئاً نعبر فيه، فقال عمر: لرجل مسلم أحب إليّ من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك، فأعط أهله ديته واخرج فلا أراك[١٤]، فالضمان هنا جعله عمر على المتسبب وهو الأمير ولم يجعله في بيت مال المسلمين.

٨- روى ابن عبد البر في الاستيعاب أن نفراً من اليمن حجاجاً نزلوا ضيوفاً على رجل يقال له: أبو خراش، فقال لهم: ما أمسى عندي ماء، ولكن هذه برمة (قدر) وشاة وقربة، فردوا الماء فإنه غير بعيد، ثم اطبخوا الشاة، وذروا القربة والبرمة عند الماء فأخذهما، فامتنعوا وقالوا: لا نبرح، فأخذ أبو خراش القربة وسعى نحو الماء تحت الليل فاستقى ثم اقبل فنهشته حية، فأقبل حتى أعطاهم الماء ولم يعلمهم بما أصابه، فباتوا يأكلون، فلما أصبحوا وجدوه في الموت فأقاموا حتى دفنوه، وبلغ عمر خبره فكتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرمهم الدية[١٥]، وهذه من صور التسبب بطريق الإحراج الأدبي ففي فقه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يمثل توسعاً في مفهوم التسبب بالفعل الضار.

هذه بعض الأمثلة والصور من حياة الصحابة، تدل على تضمين الفعل الضار وصاحبه، ولو كان مخطئاً أو كان متسبباً، فالفعل الضار نتائجه ضارة ومفضية إلى الهلاك، فلا بد من تضمين المتساهل فيه؛ ليتم حفظ نفوس الناس، وبالتالي يتحقق الأمن المرجو في الحياة.

وحقيقة فالفعل الضار كمصدر في إحداث الضر لا بد من تقييد الفعل المراد القيام به في إحداث الضر والنتيجة المترتبة على فعله، وإذا كان الفعل النافع من مصادر الحقوق، وذلك لترتب نتيجته عليه وهي النفع المحض الذي يلحق المسلمين بسبب الأفعال النافعة المؤدية إلى تيسير حياتهم ودفع الحرج والمشقة الواقعة عليهم، أو التي ستقع عليهم، ولكن الفعل الضار هو إلحاق الضرر بالناس، والإفضاء إلى ما يفسد حياتهم ويقضي عليها.

ولكن ما هي الحكمة الشرعية من ضمان الفعل الضار، أنها تتمثل في كل مما يأتي:

أولا: حكمة الزجر المحض:

زجر الجاني عن فعله لكي لا يعود إليه مرة أخرى، وردع غيره عن ارتكابه مثل هذا الفعل الضار الذي سبب الضمان .

ثانياً: حكمة الجبر المحض:

جبر للخلل الذي سبب الفعل الضار، وترميم لما أوقعه من خسائر وأضرار.

ثالثاً: حكمة الزجر والجبر معاً:

من خلال اجتماع هاتين الحكمتين معاً في تضمين مرتكب الفعل الضار .

❖ الخاتمة:

١- **الفعل الضار:** هو فعل أو عدوان موجب للضمان لا تجيزه الشريعة الإسلامية ولا تأذن به، فهو عدوان، والعدوان سلوك الشخص مسلكاً مخالفاً لما ألزم به الشارع سواء بترك واجب أو فعل محرم، فلا بد من معرفة الضمان الذي يترتب على الفعل الضار.

٢- **الضمان:** هو الالتزام بتعويض الغير عما لحقه من تلف المال أو ضياع المنافع، أو عن الضرر الجزئي أو الكلي الحادث بالنفس الإنسانية.

٣- **الشريعة الإسلامية جاءت بأدلة شرعية نهضت بتحريم الفعل الضار** المؤدي إلى ضمان الأثر المترتب على

الفعل الضار، ومن هذه النصوص ما ورد في الكتاب، وما ورد في السنة النبوية، ومن أقوال الصحابة وأفعالهم والمعقول.

٤- الحكمة من ضمان الفعل الضار تتمثل في الحكم الثلاثة مجتمعة مع بعضها البعض وهي:

أولا: حكمة الزجر المحض.

ثانياً: حكمة الجبر المحض.

ثالثاً: حكمة الزجر والجبر معاً.

٥- البعض يطلق المسؤولية التقصيرية على الفعل الضار، باعتبار أن التقصير الواقع من قبل الشخص هو أحد أركان الفعل الضار، وباعتبار أن هذا التقصير واقع على إحدى الضرورات الخمس المرعية في جميع الشرائع، والتي من نعمة الله على الإنسان أن حفظ مقصود الشارع في الدين والنفس والعقل والنسل والمال، لتحقيق

الهوامش:

١ . إبن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ط١، ج١٣، ص٢٥٧، المادة ضمن.

٢ . الخفيف: علي، الضمان في الفقه الإسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٣،٤.

٣ . المرجع السابق، ص٥.

٤ . الزرقا، المدخل الفقهي العام، ج٢، ص١٠٣٢، ف٦٤٨.

٥ . الزحيلي، نظرية الضمان، ص١٥.

٦ . نقله عن كتابه "الوجيز" الزحيلي، نظرية الضمان، ص١٤.

٧ . جمعية المجلة، مجلة الأحكام العدلية، تحقيق نجيب هواويني، كازخانة تجارت كتب، ص٨٠، المادة ٤١٦.

٨ . الرحيلي، رويعي بن راجح، فقه عمر بن الخطاب موازناً بفقه أشهر المجتهدين من تراثنا الإسلامي، ٢/٢٠٩-٢٢٣، (١٩٨٣م، ط١،، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة).

٩ . الشيرازي، المهذب، ٢/١٩٢ (صححه زكريا عميرات، ط١، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت).

١٠ . (الرحيلي، فقه عمر بن الخطاب ٢/٩١).

١١ . (المرجع نفسه،٢/٧٠)

١٢ . (المرجع نفسه،٢/٢٣٢)

١٣ . (المرجع نفسه ٢/٨٥).

١٤ . المرجع نفسه،٢/٦٥-٦٧.

١٥ . المرجع نفسه،٢/٦٨ (نقلاً عن الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر).

خطبة الجمعة

مع اطلالة عام هجري جديد

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ ويقول سبحانه: ﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾.

عباد الله؛

ودعت الأمة الاسلامية، بل ودع العالم بأسره عاماً هجرياً كاملاً، مضى بأحداثه ووقائعه، مضى بخيره وشره، مضى من اعمار بني آدم، ولن يعود الى يوم القيامة، ذهب كما ذهب غيره، وتلك سُنة الله في كونه الى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

فالليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، والعبد يعيش في هذا الميدان الذي أُعد للسباق الطويل، والذي لا يتقدم فيه الا من ذكر ربه، الذي عرف حقه وشكر نعمه، الذي يجعل من تواصل الاعوام، تواصل دأب وعمل ونصب لإحراز الراحة الكبرى، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

اما من يذهب عن هذه المعاني السامية، ويهيم وراء منافعه العاجلة ولذاته الفانية، ولا يعتبر ولا يتعظ بمرور الايام والأعوام، فتلك امارة الخسران وعلامة الحرمان والعياذ بالله.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان يقول ﷺ: «اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء» وقد كان السلف الصالح يجعلون من مرور الايام والسنين مدكراً ومزدجراً فكانوا يستحيون من الله ان يكون يومهم على مثل حالهم بالأمس، حتى قالوا: كيف يفرح من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح من يقوده عمره الى اجله، وحياته تقوده الى موته؟!

نعم أمة الاسلام؛

ان من فضل الله وتوفيقه للعبد، ان يلهمه لاستغلال كل ساعة بل كل دقيقة من عمره في العمل الصالح، ويوفقه لأخذ العبر والبصائر من انقضاء الشهور والأعوام، وفقد الأهل والإخوان، فكم ودعنا في العام المنصرم من أخ أو قريب أو خليل، وكم نقل الى المقابر من عزيز او نسيب او صديق، وأحدنا لا يدري، هل يُتم هذا العام الجديد او لا يكون له ذلك، فالموت الذي تخطانا اليهم، سيتخطى غيرنا الينا، فاعتبروا يا أولى الابصار.

نعم اخوة الايمان؛

من الواجب على المسلم الواعي، ان يسلك مسلك المحاسبة لنفسه، ويعمل لرصيد آخرته قبل فوات الأوان وألا يغمض عينيه عن عبر الزمان وفواجع الايام، ففي الايام عبر وأي عبر، وفي مرور الازمان مزدجر ومدكر، وهي لا تزيد المسلم الا اقبالاً على الله عز وجل والتماساً لرضاه بالاعمال الصالحة.

وعلى النقيض من ذلك، الغافل السادر في لهو الحياة، فهو كالثمل لا يصحو من سكرته، نسي الله فأنساه الله نفسه للعمل لما فيه فلاحها في الأولى والعقبى **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ❖ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾**.

نعم عباد الله؛

ان مرور الأيام وتصرُّم الأعوام، هو المعيار لمعرفة الواعي من اللاهي، فذاك يستدعي اليقظة والمحاسبة قبل ان تقول نفس: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، **﴿يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ﴿يوم ينظر المرء الى ما قدمت يداه﴾ ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان**

بينها وبينه أمداً بعيداً﴾.

يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت، وتشهد ما قدمت وأخرت، يوم تخرس فيه الألسن وتنطق فيه الجوارح، يوم شيَّب ذكره سيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، يقول سبحانه وتعالى: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون﴾ ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الذي انطق كل شيء﴾**.

نعم أمة الاسلام؛

ان الله سبحانه يريد أن يقيم على عباده الحجة من جوارحهم، ليكون ادل على صدور الذنب منهم، سيما من حاول جهلاً منه ان ينكر ما اقترفت يداه، ونطق به لسانه في دار الدنيا، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، يقول رسول الله ﷺ: «يلقى العبد ربه فيقول الله له: ألم أكرمك وأزوجك، وأسخر لك الابل، وأذرك ترأس، فيقول: بلى يا رب، فيقول: أفظننت انك ملاقيّ، فيقول: بلا يا رب، فيقال له: اني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول له مثل ذلك، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: آمنت بك وبكتابك ورسولك وصليت وصمت وتصدقت، ويُثني بخير ما استطاع، فيقول الله سبحانه: الا نبعث شاهداً عليك، فيفكر في نفسه، من الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويُقال لفخذه: تكلمي، فتتكلم فخذه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه» نسأل الله العافية والسلامة.

نعم أخي المسلم؛

اذا ادركت هذا الحديث المنبعث من مشكاة النبوة لعرفت انك غير متروك سدى، فالواجب عليك ان كنت عاقلاً تريد نجاة نفسك ان لا تغفل ولا ساعة وان تكون دائماً على حذر.

نعم أمة الاسلام؛

اذا تأمل المسلم احوال امته في هذه الايام، ونظر الى تلك الشدائد والتحديات والمصائب والمؤامرات التي يشنها اعداء الاسلام والمسلمين على مقدّرات الأمة ومقدساتها وقيمها وأخلاقها، ان المسلم اذا تأمل ذلك لأدرك ما فعله رسول الهدى ﷺ عندما هاجر الى المدينة المنورة مع صحبه الكرام رضوان الله عليهم، ليؤسس الدولة الاسلامية على قواعد واركان لا يجهلها احد، ولأدرك ما فعله الصحابة العظام ولَعَلم علم القين ضرورة ان نحذو حذوهم، عندما طبقوا تعاليم الاسلام وتمسكوا بهدي القرآن واعتصموا بحبل الله المتين، حتى ملكوا البلاد وسادوا العباد، ودانت لهم

الدنيا وسعد بهم الاشقياء، وثبتوا في الحق، يحترم الصغير منهم الكبير، ويواسي الغني منهم الفقير، ويرأف عالمهم بجاهلهم حتى يعلمه، وكل منهم يقدر أخاه المسلم ويحترمه.

ويؤثرون على أنفسهم الطيبات، ويستخفون بالمكاره، في سبيل أمتهم ولو سمع أحدهم في المشرق بحادثة ألمت بأخيه في المغرب لتألم لها، وبذل ما يستطيع من مساعدة ومعاونة، وبذلك استنارت دنياهم وعز دينهم، وحفظت اوطانهم وصينت اعراضهم وأموالهم، حتى هابهم الاعداء وحسب لهم ألف ألف حساب.

نعم اخوة الاسلام؛

هكذا فعلت الهجرة وقيام الدولة بالمسلمين، وبقي الامر كذلك الى ما شاء الله ان يكون، وما ذهبت عن المسلمين سيادة الدنيا، وخرج الامر من ايديهم وظهر عليهم من خالفهم وناوأهم، الا حين تفرق شملهم وفتن الشيطان بينهم، واتبعوا الأهواء والسبل الضالة.

فذاك عقاب الإعراض وجزاء الغفلة والعياذ بالله، فلنتق الله عباد الله وليكن لنا ونحن في بداية عام جديد حافز لمراجعة سجل اعمالنا واستصلاح الفاسد من أمورنا.

نعم اخوة الايمان؛

لا بد من وقفة صادقة مع مرور العام واستقبال آخر جديد، لا بد من وقفة حازمة مع النفوس لمحاسبتها، ماذا قدمت لغدها، ماذا قدمت لدينها، ماذا قدمت لمجتمعها وأمتها، هل حملت راية الاسلام، هل سارت على نهج سلف هذه الأمة؟

عباد الله؛

اننا مع كل هذا، لنتفاءل كثيراً بدخول هذا العام ومستقبل الأعوام فالنصر للاسلام واهله، وذلك وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، وأملنا في الله كبير، ان يكون هذا العام عام نصر وعزة للاسلام وتضامن للمسلمين، وعام استقامة وفلاح لشؤون المسلمين واحوالهم.

اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير ايامنا يوم نلقاك، واجعل اللهم مستقبل ايامنا خيراً من ماضيها، وقابل اعوامنا خيراً من سالفها.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

بحمد الله تعالى



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد الثاني - المجلد ٥٥

صفر ١٤٣٢هـ - شباط ٢٠١١م



ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالة الأمة

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

المحتويات

العدد الثاني ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ❖

الاسلام..رسالة

ان من سمات الإسلام ومرتكزاته، التوازن والاعتدال في كل الآفاق والنواحي، الاعتدال الذي يليق برسالة عامة خالدة، جاءت لتسع أقطار الارض وأطوار الزمن، الاعتدال بين اشواق الروح وحقوق الجسد، بين بواعث الدين ومطالب الدنيا، الاعتدال بين العمل لهذه الحياة، والعمل لما بعد الحياة: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لايحب المفسدين﴾ القصص: ٧٧ .

فلم يطلب الإسلام من المسلم أن يكون راهباً في دير، أو عابداً في خلوة، قائماً ليله، صائماً نهاره، لا حظ له في الحياة ولا حظ للحياة فيه: وإنما طلب من المسلم أن يكون إنساناً عاملاً في الحياة، يعمرها ويسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها، مخالطاً للناس: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» رواه أحمد ومسلم والترمذي.

فالمسلم لا تشغله مطالب الحياة وحقوق الجسد عن مطالب وحقوق الروح، لا تشغله رغائب الدنيا الفانية عن حقائق الآخرة الباقية، عليه ألا ينسى الله فينسى حقيقة نفسه وماهية وجوده، قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون ❖ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أؤلئك هم الفاسقون﴾ الحشر: ١٨-١٩ .

ومن هنا نعرف أن مهمة العبادات أن تأخذ بيد الإنسان حتى لا تغرقه أعمال الدنيا في لجة النسيان.. فهي تقوم بالتنبيه والتذكير لمن نسي مولاه او غفل عن أخراه.. ثم تدع الإنسان يعود بعد أدائها الى دنياه ساعياً لرزقه، وحسبنا أن نقرأ هاتين الآيتين من سورة الجمعة لنعرف منهما كيف وضعتا المسلم في وضعه الرشيد بين الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ❖ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الجمعة: ٩-١٠ .

تـــوازن واعتـــدال

فهذا هـو شـأن المسـلم، عمل وبيـع قبل الصـلاة، ثم صلاة وسـعي الى ذكر الـله تعـالى، ثم بـعد انقضـاء الصـلاة انتشار فـي الأرض وابتغـاء من فضـل الله، وفضل الله هنا هو الرزق والكسب.

هـكذا هـم الـمؤمـنون، طـلاب دنيـا وآخـرة، يـطلبـون الـحسـنـة فـي الـحيـاتيـن، والسعادة في الدارين، دعاؤهم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾.

وحسـنـة الـدنيـا واسـعـة المعنـى تشـمـل العـافـيـة والسـلامـة والمـرأة الصـالحـة والزوج الصـالح والاولاد الأبرار والعلم الـنافع والرزق الواسـع والمحبة والألـفة بين الناس وكل ما يحقق السعادة في الدنيا.

وحسـنة الآخرة هـي الفوز برحمة الله ورضوانه والـنعيم الـمقيـم.. إن الإفراط في أحـد الـجانبين، المادة والـروح، على حساب الآخر أمر مـذموم خارج عن سـنة الفطرة وصراط الدين القويم.

والاسلام لا ينعزل عن الدنيا وأن الدنيا لا تحيف على الدين، والأصل التوازن بينهما بحيث لا يطغي أحدهما على الآخر، قال رسول الله ﷺ: «إن لبدنك عليك حقاً، وإن لـزوجك عليك حقاً وإن لـزورك عليك حقاً، فـأعط كل ذي حق حقـه» رواه البخاري.

فـما أحوج الـناس أن يلـتزمـوا هـذا الـديـن ليجـدوا الإيمـان فـي الـقـلـوب والـراحـة والأمان للأجساد، ما أحوجهم الى دين الفطرة التي فطروا عليها.. ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الأنفال: ٢٤، ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم ومـا جعل عليكم في الـدين مـن حرج، مـلـة أبيكم ابراهيم، هو سـماكم المسـلميـن من قبـل وفي هـذا ليكون الـرسول شـهيـداً عليكم وتكونـوا شـهداء علـى الـناس فـأقيمـوا الـصلاة وآتـوا الـزكاة واعتـصـمـوا بـالـله هـو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ الحج: ٧٨ .

اسرة التحرير

جلالة الملك عبد الله الثاني
ابن الحسين حفظه الله
يرعى
احتفال وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية
بذكرى الهجرة النبوية الشريفة

٣٠ / ذو الحجة/ ١٤٣١هـ الموافق ٦/١٢/٢٠١٠م

■ إعداد الاستاذ أحمد عزت



مندوباً عن حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله، رعى صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف الأمين الخاص لجلالته، الاحتفال الديني الكبير بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة، والذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية يوم الاثنين ٣٠ ذو الحجة ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/١٢/٦م، في قاعة المؤتمرات الكبرى في مسجد الشهيد الملك المؤسس عبد الله بن الحسين طيب الله ثراه.

وفي بداية الاحتفال الذي افتتح بالسلام الملكي وآيات من الذكر الحكيم، ألقى معالي الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، رئيس اللجنة الوطنية للإحتفال بالمناسبات الاسلامية كلمة قال فيها:

صاحب السمو الملكي مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم،

أيها الحفل الكريم؛



لقد جاءت دلالات هذا الحدث العظيم «الهجرة النبوية الشريفة» فياضة بالمعاني والدروس والعظات والعبر، وان كل جانب من جوانبه او ملمح من ملامحه يمثل عنواناً كبيراً نستطيع بكل سهولة ان نقدمه موجهاً ومرشداً في جانب من جوانب حياتنا المعاصرة بشمولها وتعدد جوانبها، ولننظر الى الحدث بعمومه واجماله، ثم لننظر لعدد من تفصيلاته وجوانبه وملامحه.

فالحدث بعمومه واجماله صورة مشرقة موجهة للأمة، ان تعد وتخطط للوصول الى اهدافها الكبرى ومشروعاتها العظمى، فالرسول ﷺ الحامل لرسالة الله سبحانه وتعالى الخاتمة للناس كافة، وهو يتصدى بأمر الله وفضله لحمل هذه المسؤولية العظيمة نجده يبذل كل جهد ممكن لتبليغ رسالة ربه بدءاً من دعوته السرية الى دعوته الجهرية وهو يجد من قريش الصد والعدوان والايذاء والاضطهاد له ﷺ ولصحابته الكرام.

فينشغل ﷺ طويلاً رغم كل ذلك بإيجاد المحضن الحاني لدعوته والذي يتولى فيه التطبيق لما حمل من رسالة ودعا اليه من دين ويعمل في اطاره على تبليغ الدعوة للناس

كافة وتطبيقها التطبيق الامثل فيقيم فيه للاسلام بذلك دولة، ويبني وفق هديه مجتمعاً مميزاً توطئة لإنشاء أمة عظيمة وتاريخ حافل وحضارة وارفة.

وعلى ضوء هذه الرؤيا وتنفيذاً لهذا التطلع، يعرض نفسه ﷺ على القبائل في موسم الحج، ويتوجه الى الطائف ويحاول جهده اقناع ثقيف بذلك فما يكون أسوأ من ردها عليه.

وتفعل به ما بينته كتب السيرة من تعد على شخص المصطفى ﷺ وإساءة اليه حتى ألجأته لذلك الدعاء الخالد: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني، ام الى عدو ملكته أمري؟! ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير ان عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ان يحل علي غضبك، أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك».

فلا ييأس الرسول الأعظم ﷺ ويظل في جهده لإيجاد ذلك المحضن المبارك، وكان ما كان من بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، حيث بايعه جمع من الأوس والخزرج تكوَّن من خمسة وسبعين، منهم امرأتان «على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم وأبناءهم اذا قدم عليهم وسميت هذه البيعة بيعة الحرب، وقد ارسل الرسول ﷺ معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلمهم ويعلم من يرغب من اهل يثرب الاسلام».

وقد قرر رسول الله ﷺ بعد ان تأكد من شروط المحضن المطلوب قد توافرت بيثرب، وبخاصة بعد ان نجحت مهمة مصعب بن عمير رضي الله عنه فما ظل بيت من بيوتها الا ويذكر فيه رسول الله ﷺ بخير.

وحتى ينجح التنفيذ لهذا القرار وضع الرسول الاعظم ﷺ خطته المباركة لتحقيق ذلك ولننظر لما فعل ﷺ، فما نجده قد اغفل اي امر من أمور انجاح هذا العمل، وهذا الذي جعله مطمئناً راضياً.

وقد كانت خطته ﷺ دقيقة ومحكمة، يطلب من ابن عمه علي بن ابي طالب ان ينام في فراشه ﷺ، ايهاماً لقريش انه ما زال لم يغادر، ويتجه جنوباً مع صاحبه ابي بكر الصديق

رضي الله عنه والمقصود الشمال، ويختفي في غار ثور ثلاثة أيام، ويكلف اسماء بنت ابي بكر ان تحضر لهم الطعام والشراب الى الغار، ويطلب من عبد الله بن ابي بكر تزويده بأخبار قريش وتحركاتها، ويتفق مع عبد الله بن أريقط ليكون دليلهما الى يثرب، ومع عامر بن فهيرة راعي الغنم ليأتي كل ليلة بأغنامه ليغطي على آثار القادمين الى الغار والمغادرين له، فقد أخذ رسول الله ﷺ وهو يعد هذا الاعداد الشامل والأخذ بالأسباب لذلك كان مطمئناً لتحقق النتائج **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾**.

ثم اذا نظرنا الى فعل رسول الله ﷺ فور وصوله ليثرب لمدينته ﷺ، فإنا نجده يهتم ببناء مجتمعه الوليد ودولته الناشئة بكل أبعادها التربوية والأخلاقية والعلمية والاقتصادية والعسكرية.

ومن أهم أعماله ﷺ فيها:

١- بناء المسجد عنواناً للتربية والاعداد والتعليم لأفراد هذا المجتمع الوليد، ليكونوا في مستوى المسؤوليات العظيمة التي حملها إياهم هذا الدين، والمسجد في النظر الاسلامي مكان للعبادة فيه تحكم صلة العبد بربه كما ان فيه تحكم صلات المسلمين بعضهم ببعض، وهو مكان للتعليم والمشاورة ولقاء المسلمين في رحابه لتنظر فيه أمور الأمة وما تواجهه من قضايا وأمور، فكان الرسول ﷺ اذا حزبه أمر دعا المسلمين الى المسجد بقوله: «الصلاة جامعة»، فالمسجد كان بحق مركز تنمية شامل في النظر الاسلامي.

٢- الكتاب الذي وضعه الرسول ﷺ بين جميع الفئات التي تسكن المدينة، فكان هذا الكتاب بمثابة الاعلان التأسيسي للدولة والتنظيم التشريعي لشؤونها، نظمت فيه جميع العلاقات القائمة في ذلك المجتمع الوليد في كتاب شامل كتبه بين فئات المجتمع من مسلمين وغير مسلمين، قام على العدل وصيانة الحقوق وتنظيم الواجبات والمسؤوليات.

٣- عقد المؤاخاة بين المسلمين الذين قام على اكتافهم بناء المجتمع الأول، حيث وجههم الرسول ﷺ لذلك بقوله: «تآخوا في الله أخوين أخوين» فتقوم بينهم أخوة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، فتقاسموا لقمة العيش ومواجهة ظروف الحياة وقام بينهم اروع صور التحاب والتعاون والتناصر.

٤- انشاء السوق تحقيقاً للاستقلال الاقتصادي في دولة المدينة واهتماماً منه ﷺ بالبناء الاقتصادي لها.

٥- الدخول في معارك الدفاع عن الدولة وتجهيز السرايا العسكرية لترقب اخبار قريش ومسالمة العديد من القبائل تحييداً لها من الدخول في تحالفات مع قريش وكذلك لقطع طرق الامداد والتجارة الخاصة بقريش وحصارها اقتصادياً كل ذلك من اجل ايجاد القوة الرادعة حماية للمجتمع الوليد ودفاعاً عنه.

٦- وقد تم عمل موصول لبناء كل فعاليات المجتمع ومؤسساته المتعددة مما نقلته لنا كتب السيرة النبوية وألف فيه كتب مستقلة حول تنظيم الرسول ﷺ لدولته الوليدة ومجتمعها الناشئ.



لقد قدم رسول الله ﷺ من خلال منظومة العمل المتكامل الذي جرى في المدينة المنورة، تطبيقاً شاملاً لما حمل من دعوة ودعا اليه من رسالة، فسيرته العطرة ﷺ تمثل النبع العظيم الذي يقدم الصورة المثلى للتطبيق الاسلامي، قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

ولكل هذه الاعتبارات كان اهتمام المسلمين بالهجرة النبوية وكان حرصهم على جعل الحدث بداية للتاريخ الاسلامي لأنها تمثل بداية التطبيق العملي الشامل لهذا الدين العظيم، وهذا هو الذي دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى اختيار الهجرة بداية للتاريخ الاسلامي بعد تشاور معروف مع اهل الحل والعقد في المدينة المنورة، فلم يأخذ لا بيوم مولد رسول الله ﷺ ولا بداية نزول القرآن، ورجح ان يكون التأريخ بداية من حدث الهجرة النبوية فهي بحق تمثل امتداد هذه الأمة بما تحمل من رسالة في المكان والزمان وبها تم الانتقال من مرحلة الاعداد والتحضير الى مرحلة التطبيق والتنفيذ.

وهكذا يظهر لنا جلياً أهمية الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية، فهي مناسبة للتدبر والتأمل وفرصة للتذكير بآثارها على مسيرة الأمة، فهي الانطلاقة العملية لهذه الأمة وبها تم بناء المجتمع الاسلامي الأول، وانتقل الاسلام بها من دين وحق بلا قوة الى دين تحميه دولة وتسنده قوة.

فالهجرة لم تكن هروباً من قريش إنما كانت استمراراً في طريق الدعوة عن وعي وبصيرة تحقيقاً لأهداف هذا الدين العظيم في المجتمع الانساني كله.

وهذا ما يدفع للقول اكثر من مرة في ظلال الهجرة النبوية، ونحن في الأردن العربي الهاشمي نقدم نموذجاً في الجد والعطاء والتآخي والتكافل والشعور بمعاناة الأمة وهمومها، والدعوة الى تعاونها وتكاملها ووحدة صفها، وقيادتنا الهاشمية وفية للرسالة تدعو الى ان نعيش معاني الهجرة واقعاً وسلوكاً، وتضرب المثل تلو المثل وتحقق الانجاز تلو الانجاز في بناء هذا الحمى الهاشمي الصامد المرابط.

نعم؛ لقد اقام احفاد رسول الله ﷺ على هذه الأرض الطيبة، دولة راسخة البنيان تفهم

الاسلام رسالة خير وهداية، وتعيش ثوابت الاصالة وآفاق المعاصرة ومعاني الايمان وحقائق العلم في نسق متوازن ووسطية صادقة، تلبي اشواق الروح ومتطلبات العمل وحاجات الحياة، وتقدم للأمة مجتمعاً متراحماً متكاملاً يحرص على الوحدة الوطنية بين أبنائه ويواجه الصعاب.

نعم؛ وضع القواعد والأسس الملك الموسس الشهيد عبد الله بن الحسين طيب الله ثراه، والذي يأتي احتفالنا هذا في ظلال مسجده الطاهر وأقام القواعد وأعلى البنيان الملك الباني المغفور له بفضل الله ورحمته الحسين بن طلال طيب الله ثراه، وها هو ابنه وخليفته من بعده الملك المعزز عبد الله يحمل الراية ويواصل مسيرة الخير والعطاء، وها هي رسالة عمان التي دعا اليها وتبناها حفظه الله صورة من صور العطاء المبارك لهذا البلد في التعريف بالاسلام والدفاع عنه والدعوة اليه.

وفقه الله وسدد على طريق الخير خطاه واكرمنا جل وعلا بأن تعود علينا هذه الذكرى في كل عام والوطن في تقدم وأمان والأمة في كرامة وعلو ووحدة وتكامل.

وألقى سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد الكريم الخصاونة كلمة قال فيها:



سيدي صاحب السمو الملكي الأمير علي بن نايف مندوب صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم يحفظكم الله ويرعاكم.

في عمر الزمن ايام حاسمة تمضي، ولكنها تُخلِّد في سجلات الحياة اثراً عميقاً، كتب لها ان تغير مجرى التاريخ، وتحقق اهدافاً عظيمة.

واليوم الذي بدأت به الهجرة يوم مبارك متميز، لا يُنسى مهما تعاقبت الأيام، وتوالت السنون، وكيف يُنسى يوم فرّق الله به بين الحق والباطل، وانبلج من بعده ضياء فجر الاسلام، وفتح للدنيا عصراً جديداً مجيداً تزهو به الحياة، وتاريخاً مشرقاً مليئاً بالتضحيات والبطولات الرائعة التي لم يسبق لها مثيل.

واستحق يوم الهجرة من تقدير المسلمين له ما جعلهم يعتبرونه بداية تاريخهم في هذه الحياة، فلم يؤرخوا بميلاد نبيهم العظيم ﷺ ولا ببعثته، وانما أرّخوا بهجرته لما تحمله هذه الذكرى من معان وأهداف سامية.

فقد انتقلت الدعوة الاسلامية من الضيق الى السعة، ومن الضعف الى القوة ومن استهتار المشركين بالمسلمين الى سيادة المسلمين، وبدأت الأمة العربية تنتقل من الفوضى والتشتت الى النظام والوحدة، وأخرجت الناس من الظلمات الى النور، وجعلت المسلمين خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**.

صاحب السمو الملكي مندوب جلالة القائد الأعلى؛

لقد لقي النبي ﷺ وصحبه الكرام في مكة المكرمة ضروباً من الأذى والقسوة والشدة، فصبروا وصابروا ولاذوا الى الله المعين النصير، وكان رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة المثلى في التحمل والصبر، مؤكداً ان النصر مع الصبر، وان الصبر مفتاح الفرج، وان مع العسر يسراً، قال الله تعالى: **﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ❖ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾** الحجر: ٩٧-٩٨ .

ومن يستقرئ التاريخ بعين المنصف يدرك ضعف مجتمع مكة في آخر أيامه، حتى أوشك على الانهيار لا بسبب الإضرار بهم أو تخريبهم له، بل بسبب تحمل المسلمين وصبرهم وحسن خلقهم ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فالمسلمون كانوا يعلمون علم اليقين ان هؤلاء الكفار هم أضعف الناس حينما توزن الأمور بميزان الحق، ومقاييس الايمان، فلم يواجهوا المشركين سلاحاً بسلاح، او مالاً بمال، او سلطاناً بسلطان، ولكنهم تمسكوا بالقرآن الكريم وتعاليمه، لقوله تعالى: **﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك انك على صراط مستقيم ❖ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾** الزخرف: ٤٣-٤٤ .

قال المفسرون: الذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم محمد ﷺ هم آل بيته الأطهار وسائر العرب، فالحق يخاطب الرسول ﷺ وأمته بأن يثبتوا على ما هم فيه، وان يسيروا في طريقهم مطمئني القلوب، لأنهم على الصراط المستقيم، لهذا كان النبي الكريم ﷺ يقول: «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون»، وكان اصحابه الكرام كلما ادلهمت الخطوب وكثرت

المحن ازدادوا تمسكاً بدينهم، وواظبوا على صلاتهم وسجودهم وإخلاصهم لربهم، لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.

وكان كفار قريش من شدة غيظهم وحنقهم، يضعون المؤمنين على لهيب الصحراء، وصدورهم مثقلة بالحجارة المحماة لأجل فتنهم عن دينهم، ولسان المؤمن يلهج بذكر الله، لا يزيد احدهم عن قول: أحد أحد.

سيدي؛

لم تكن الهجرة رحلة على ارض معبدة وطريق ممهدة، بل صاحبها معاناة نفسية وجسدية تحيِّر الحليم وتأخذ لب الرشيد.

فقد اجمع الكفار على مبادرة رسول الله ﷺ بالقتل، واختاروا لذلك أقوى شباب البغي من أهل مكة، قال الله تعالى واصفاً مكرهم: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: ٣٠، فخرج ﷺ من بينهم بثقة وهدوء وهو يتلو كتاب الله: **﴿يس ❁ والقرآن الحكيم..﴾** الى قوله جل وعلا: **﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾** يس: ٩ .

وفي غار ثور أنصت رسول الله ﷺ وصاحبه الى صوت اقدام المطاردين وقد بلغتهم، فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث رسول الله ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا».

وخرج ﷺ الى المدينة بأمن وأمان، وراحة واستقرار، وتبعهما سراقة بن مالك أملاً في العطاء الكبير الذي وضعته قريش ثمناً لمن يأتي بهما، الا ان رعاية الله لنبيه محمد ﷺ حالت بينه وبين ذلك، فهوت فرس سراقة مرة بعد مرة، حتى أيقن ان النبي ﷺ حق، وان ربه من فوقه يحرسه ويمنعه **﴿والله يعصمك من الناس﴾** فأصبح سراقة حارساً للنبي ﷺ يكف عنه الطلب، ويرد عنه الماكرين.

سيدي؛

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لمكة يوم هاجر منها: «ما اطيبك من بلد، وأحبك الي، ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك» فلقد أحب

النبي ﷺ مكة حباً شديداً، وآلمه تركها، وحز في نفسه ان يخرجه قومه منها.

وفي هذا الحديث اشارة الى ان المرء الصالح يتمنى الخير لموطنه ويبغض كل ما يسيء الى بلده، وان الانسان يرى وطنه اجمل وأفضل بقاع الأرض، مهما فعل به أهلها.

فحب الوطن والانتماء اليه شعور راق ونبيل، والايمان يخرج حب الأوطان من صورته البسيطة، من حب الطين الى حب الطاعة لرب العالمين، ولذا كان حب الوطن من الايمان.

اذاً لا لوم على من يحب وطنه، ويتفانى في خدمته والدفاع عنه، وعن مقدراته وخيراته، ويحافظ على هويته ويكون فرداً صالحاً فيه، ولكن اللوم كل اللوم والعتب كل العتب فيمن يضن ويبخل عن الانتماء لوطنه أو الدفاع عنه إنكاراً منه للمعروف، ونسياناً للجميل **﴿والله لا يحب كل خوان أثيم﴾** وقد قيل: أمة لا تعرف الوطنية لا تستحق الحياة، وقال الجاحظ: كانت العرب اذا غزت او سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه.

سيدي:

ان المسلم الواعي والمتدين الصادق يدرك قيمة الوطن ومعاني الوطنية والانتماء، فالعامل المشترك الذي يجمع بين الانتماء والمواطنة، هو ان المواطنة فرع عن الانتماء، بل هي ثمرة من ثماره ونتيجة حتمية له، فالمواطنة علاقة تقوم بين الافراد والارض التي عاشوا عليها.

فكيف اذا اجتمع مع ذلك مؤيدات للحب تزيده رسوخاً وشموخاً، بأن تكون الارض مباركة **﴿التي باركنا فيها﴾** والاردن هو ارض الحشد والرباط، وتضم ارضه مئات الألوف من الشهداء، استشهدوا في اليرموك، ومؤتة، وحطين، وعين جالوت، واللطرون، وباب الواد، والكرامة وما زالت القافلة تسير ولم تنته بعد.

لأجل ذلك يجب على أبناء هذا الوطن الغالي الالتفاف حول قيادتهم الهاشمية المباركة، وموالاتهم بكل معنى الكلمة، ليبقى هذا البلد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وقلعة صامدة في وجه أعدائه.

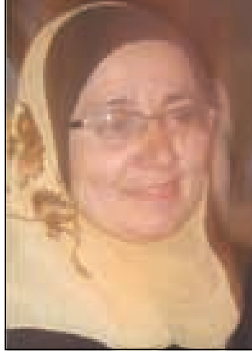
فالأوطان تحتاج الى الحماية والسهر الدائمين، خاصة وانها تحتضن ثرواتنا وخيراتنا، وما ننعم به من نعمة الامن والاستقرار، ونعمة المحافظة على القيم والمبادئ وأصول

الخير، النابعة من شريعتنا الاسلامية، فأوطاننا هي مهد الأنبياء والعلماء والرسالات، ومن اجلها ضحى الشهداء والعلماء والمصلحون والمجاهدون.

ومن هنا يجب على كل مواطن وخاصة أئمة المساجد وخطباء الجمعة ان يحثوا على حب الوطن، ويعززوا الوطنية وبث الوعي بين المسلمين وتعميق مفهوم الولاء والانتماء له، وجمع الناس على الأخوة الايمانية والمحافظة على المكتسبات الوطنية، لأن أمن الوطن واستقراره من اولويات الاسلام.

كما ويجب البعد عن كل ما يثير الخلاف والاختلاف ونشر الاشاعات المغرضة والفتنة بين الناس وهذه من الاسس الثابتة والمرتكزات المهمة لبناء المجتمع السليم.

اللهم احفظنا بالاسلام، واجعل هذا البلد سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، وانزل علينا الغيث برحمتك يا ارحم الراحمين، واحفظ قائدنا الاعلى من كل سوء وهيئ له البطانة الصالحة، والحمد لله رب العالمين.



كما ألقت سعادة النائب أمل الرفوع كلمة قالت فيها:

الحمد لله الواجد الماجد السامع ذكر الذاكر وحمد الحامد، لعظمته ركع الراكع وتذلل الساجد، وألقى في الأرض رواسي شامخات القواعد، سبحانه تنزه عن الشريك وعن الولد والوالد وأقسم على وحدانيته في القرآن وما ينكر الا معاند.

كانت هجرة رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، حدثاً هاماً من الاحداث الحاسمة في تاريخ الدعوة الاسلامية، فبها انتهى عهد وابتدأ عهد جديد، وصارت طيبة مهاجر النبي ﷺ ومثواه الأخير حيث دفن جسده الشريف في ارضها.

لقد حفلت كتب السيرة بتدوين حوادث الهجرة المباركة، وتبارت أقلام الكاتبين في ذكر المعاني البالغة والعبر التي انطوت عليها رحلة كتبت للخلائق تاريخاً مجيداً وعصراً زاهراً جديداً، فكانت نهضة عظيمة لم تعرف لها البشرية مثالاً سبقها.

لقد ناصب رجال القبائل، نبي الله ﷺ العداء، واجتمعوا على إيذائه وتعذيب اصحابه

والوقوف بوجه دعوته ليفتنوا الذين آمنوا عن دينهم، فأشار الرسول ﷺ على اصحابه ان يهاجروا الى الحبشة فهاجر عشرة رجال واربع نسوة، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة سوى الصبيان، هاجروا مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت اول هجرة في الاسلام.

وقد أحسن النجاشي ملك الحبشة استقبالهم وإكرامهم، فاطمأنوا في جواره وأمنوا، وحاولت قريش التقرب الى النجاشي بالهدايا النفيسة لاستردادهم والايقاع بينهم وبين النجاشي، ولكن النجاشي سمع منهم آيات بينات من القرآن في حق نبي الله عيسى عليه السلام وأمه الصديقة مريم، فصدق بدعوتهم وزاد من اكرامهم وحمايتهم وباءت قريش بالخيبة والخسران المبين.

لقد كان أذى المشركين للمسلمين عجيباً، ولكن صبرهم على الأذى كان اعجب، فثبتهم الله تعالى فازداد عددهم وقويت شوكتهم، حتى خشي المشركون بأسهم، فأجمعوا على مقاطعة بني هاشم حتى يسلموا اليهم الرسول ﷺ ليقتلوه، ولكن اهل بيته نصروه برغم ما وجدوه من الشدائد والأهوال.

ثم فقد النبي الكريم نصيرين بوفاة عمه ابي طالب ثم زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، فانطلق الى الطائف ولكنه لم يجد من اهلها أذناً صاغية، وآذوه بأقوالهم وأفعالهم فعاد الى مكة، وكان يقصد في نشر الدعوة الموسم حيث تأتي القبائل الى مكة، فوجدت دعوته صدى طيباً بين اهل يثرب الأوس والخزرج الذين عرفوا وصفه بأنه نبي آخر الزمان من اليهود، فآمن منهم ستة كانوا سبب انتشار الدعوة بعد ذلك.

لقد وجدوا في دعوة التوحيد وتعاليم النبي ﷺ ما يوحد كلمتهم ويجمع شتات شملهم ويقضي على ما بينهم من تنازع وبغضاء، ووجدوا في شخصية الرسول ﷺ ضالتهم المنشودة فاجتمعوا تحت لوائه، لقد دعاهم الى التوحيد الخالص ونهاهم عن عبادة الأوثان، وعلّمهم الايمان برسل الله وكتبه المنزلة وملائكته المقربين وبالبعث والجزاء، كما

دعاهم الى مكارم الأخلاق وترك الخبائث من الأعمال والسيئات من العادات وهذا مصداق لقوله جل وعلا في سورة الجمعة: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**.

وهكذا انتشر الاسلام بالمدينة، ثم لما سمع المشركون بإسلام الأنصار ومبايعتهم له ﷺ، جزعوا وفزعوا اشد الفزع ووجدوا في ذلك خطراً عليهم، فيزول سلطانهم وتذهب ريحهم وتتعرض تجارتهم الى الشام غادية ورائحة لخسران عظيم، فمكروا مكرهم وتآمروا على قتل النبي ﷺ وسمعوا رأي زعيمهم عمرو بن هشام الذي كناه الرسول ﷺ فيما بعد بأبي جهل، فقد أشار عليهم بأن يجتمع عدد من شبان قبائل العرب يحمل كل واحد منهم سيفاً صارماً ثم يعمد هؤلاء الى النبي ﷺ فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على قتال قبائل العرب جميعهم ثم يعطونهم الدية بعد ذلك، وقد اجتمع كفار قريش على هذا الرأي.

ثم ان الله تبارك وتعالى اوحى للنبي الكريم ﷺ بتآمرهم ووعده بالعصمة والنجاة منهم، وأذن الله له بالهجرة، فأخبر الصديق ابا بكر رضي الله عنه بعزمه على الرحيل، وقال: يا أبا بكر ان الله قد أذن لي في الخروج والهجرة فقال ابو بكر رضي الله عنه: الصحبة يا رسول الله، قال رسول الله: الصحبة، فهيأ سيدنا ابو بكر رضي الله عنه راحلتين لهذا السفر المبارك الميمون.

ثم ان النبي ﷺ أمر سيدنا علياً كرم الله وجهه بالمبيت في مضجعه وأن يلبس بردته وطمأنه انه لن يصيبه مكروه بإذن الله.

وخرج ﷺ مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليلاً ومكثا في غار ثور قرب مكة، ولكن المشركين بثوا العيون والأرصاد ووعدوا بالجوائز لمن يظفر بالنبي ﷺ ويأتي به، وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ذهبوا الى مضجعه فأبصروا سيدنا علياً فبهتوا وخيب الله سعيهم وأعمى أبصارهم.

وهكذا ظفر الغار بشرف ضيافة النزيلين الكريمين ثلاثة أيام، وكان عامر بن فهيرة

مولى سيدنا ابي بكر يمر عليهم بالأغنام فيحتلبان، وكان عبد الله بن ابي بكر يوافيهما بما يجد من الاخبار، حتى سكن من ورائهما الطلب، وغفل عنهما الناس.

وفي اليوم الرابع وافاهما عبد الله بن الاريقط براحلتين فخرجا الى المدينة، وفي الطريق أدركهما سراقة، وظن ان الفرصة سانحة لربح الجائزة، ولكن فرسه عثر به وساخت في الارض قوائمه، وأحدق به اعصار، عندها استغاث سراقة ووعد ان يكتم امرهما، ووفى سراقة بما وعد.

ولما وصل النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه الى المدينة كان النصر والتأييد من الأنصار، وآخى الرسول ﷺ بينهم وبين المهاجرين فكانت نقطة تحول مهمة كسبت منها الدعوة الاسلامية قوة واندفاعاً، وذيوعاً وانتشاراً، واعواناً وأنصاراً.

وشاع في نفوس المؤمنين سرور اللقاء فالاسلام يدعوهم الى العدل والاحسان، وينهاهم عن البغي والعدوان، ويؤلف بين قلوب كانت فرقتها الجاهلية، ويجمع كلمات مزقتها العصبية، وأمرهم نبيهم ﷺ بإفشاء السلام وهو عنوان المودة والرحمة، وامرهم بإطعام الطعام وهو آية التعاون والتراحم، وبصلاة الليل والناس نيام وهي صلاة الأوابين المتبتلين.

لم تكن هجرته ﷺ جبناً أو فراراً بل كانت انتقالاً من دار صعب فيها نشر الدعوة، الى دار وضع فيها أساس الدولة الاسلامية العظيمة، فتألفت قلوب الأوس والخزرج وتآخى المهاجرون مع الأنصار، فصارت الهجرة فرقاناً بين الحق والباطل وكثر المؤمنون بعد قلة واجتمعوا بعد شتات.

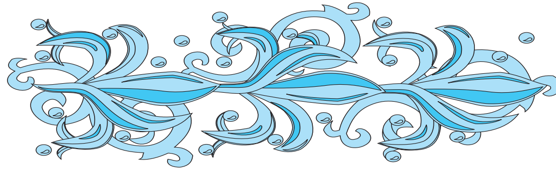
ان علينا ان نعتبر بمعاني الهجرة ونأخذ منها الدروس والعظات، ففي الهجرة مفارقة للوطن والاهل والديار والأموال، وفي هذا ثبات المؤمن على عقيدة الحق، وصبر وعزم وتضحية جعل الله فيها الثواب الجزيل، والرسول ﷺ يقول: «انما الاعمال بالنيات، وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه».

لقد كانت الهجرة ايذاناً بأن صولة الباطل مهما عظمت وقوته مهما بلغت، فمصيرها الى الزوال ونهايتها الى الفشل والبوار، وايذاناً بأن الحق لا بد له من يوم يحطم فيه الاغلال وتعلو فيه رايته وترتفع كلمته، كيف لا والله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين بالنصر المبين وجعل لهم من الشدة فرجاً ومن العسر يسراً ومن الضيق سعة، قال تعالى: **﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾** غافر.

ان الدروس المستفادة من الهجرة كثيرة، ومن جملتها ضرورة الصبر على الشدائد والبلايا، وكافة انواع الظلم والاستبداد، والصمود في وجه الباطل والثبات في ميدان الكفاح، والوقوف الى جانب الحق في شجاعة وحزم وصرامة، وان بهجتنا بهذه الذكرى تمتزج بعزمنا على الاقتداء بصاحب الذكرى ﷺ والتمسك بهديه وعقيدته والالتزام بشريعته، معلمين ومتعلمين، فهو القائل ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

وفي نهاية الاحتفال قدمت فرقة أنوار الهدى التابعة لوزارة الأوقاف بالتعاون مع اكاديمية الانجال الدولية انشودة بهذه المناسبة العطرة.

وحضر الاحتفال عدد من اصحاب المعالي الوزراء والسعادة السفراء المعتمدين لدى البلاط الملكي الهاشمي وضباط القوات المسلحة والأمن العام والمخابرات والدفاع المدني وقوات الدرك وعدد من السادة العلماء والأئمة والدعاة والواعظات وعدد من



١

ملخص: الجهود الحديثة في خدمة الحديث النبوي الشريف

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

أولاً: المقصود بالحديثة أي المعاصرة، ونعني بالمعاصر في دراستنا هذه: من عاش في القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠-١٤٠٠هـ)، أي القرن العشرين الميلادي (١٩٠٠-٢٠٠٠م) من أهل الحديث وعلومه، وبذل جهداً ملموساً في خدمة السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، إن تحقيقاً أو شرحاً أو تخريجاً أو تصنيفاً أو أي دراسة حديثية لها اعتبار.

ثانياً: حظيت السنة النبوية بعناية خاصة في القرن الرابع عشر الهجري في جميع المجالات والتخصصات وعلوم الحديث لأسباب كثيرة، أهمها ثلاثة:

١) الصحوة العلمية الإسلامية المباركة، وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري لايقاظ المسلمين من غفوتهم، وفتح كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة وإنشاء الجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية والمدارس الشرعية.

٢) الهجمة الشرسة من معظم المستشرقين على الإسلام والمسلمين عامة وعلى السنة النبوية خاصة، وذلك طيلة القرون الثلاثة الأولى، سيما في القرن الرابع عشر الهجري عن طريق الإعلام والغزو الفكري، مما دعا العلماء والدعاة والمصلحين للوقوف في وجههم

والرد عليهم وكشف أباطيلهم وإثبات حجية السنة ومكانتها.

٣) **التقنية العلمية المعاصرة**، في المطابع والكتب والأشرطة والأقراص المرنة والإنترنت، مما فتح المجال لطباعة كتب السنة ونشرها وتخزينها وظهرت دراسات جمة في خدمة السنة النبوية وحجيتها"(١).

ثالثاً: وقد تفاوتت جهود أهل الحديث تفاوتاً كبيراً حيث مرت عملية النشر والتحقيق بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: منذ إنشاء المطبعة الأميرية في بولاق بمصر وطبع فيها مئات الكتب من مختلف الفنون، وفيها حرصت المطابع على طبع كتاب أو أكثر بهامش الكتاب الأصلي أو بآخره، وتولى طباعة الكتب وتصحيحها جماعة من العلماء الفضلاء، وتعد هذه المرحلة من أغنى وأخصب مراحل نشر التراث العربي وإذاعته.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الناشرين النابهين، وهم طبقة من عظماء الرجال الذين جاهدوا في سبيل نشر التراث، ومعظمهم من بلاد الشام كمحمد أمين الخانجي، وحسام الدين القدسي، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومن مصر: محمد محيى الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي وغيرهم، ومن أهم ما يميز منشورات هذه الطبقة: الحرص على ذكر مخطوطات الكتاب ووصفها.

المرحلة الثالثة: مرحلة دار الكتب المصرية، والتي تحمل كل سمات المنهج العلمي الدقيق في إخراج النصوص، والتي تأثرت إلى حد ما بمناهج المستشرقين الذين شُغلوا بتراثنا واستقوا زبدة مناهجهم من أصل تراثنا، وتعد هذه المرحلة مرحلة النضج والكمال من حيث استكمال الأسباب العلمية، واصطناع الوسائل العلمية الفنية المعينة على إخراج التراث إخراجاً دقيقاً يقوم على جمع نسخ الكتاب المخطوطة والمفاضلة بينها وإثبات الفروق والتعليق على النص وصنع الفهارس التحليلية.

المرحلة الرابعة: مرحلة الأفذاذ من العلماء وأهم رموزها الشيخ أحمد محمد شاكر، وأخوه محمود، والأستاذ عبد السلام هارون، وغيرهم ممن بذلوا جهوداً طيبة.

ثم تتابعت الجهود في التحقيق والتخريج، وكان لكل قطر من الأقطار

الإسلامية، ولكل جامعة أو معهد أو مؤسسة، نصيب ودور وكان للكثير من العلماء والباحثين والمعنيين بذلك أيضاً دور ونصيب"[٢].

❖ أثر كليات الشريعة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة:

تأسست كليات شريعة في كثير من الجامعات، حيث تعنى بتدريس علوم الشريعة بمختلف فروعها، ومنها أقسام متخصصة في تدريس الحديث النبوي الشريف وعلومه، والسيرة المطهرة وتاريخها، والتصدي لمن حاول النيل منها ودفع شبه الحاقدين من مستشرقين وغيرهم.

ومن أهمها ما يأتي:

١- جامعة الأزهر الشريف/ مصر.

٢- جامعة دمشق/ سوريا.

٣- الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.

٤- جامعة أم القرى/ مكة المكرمة.

٥- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.

٦- الجامعة الزيتونية/ تونس.

٧- الجامعة الأردنية/ الأردن.

٨- جامعة محمد الخامس/ المغرب.

٩- جامعة آل البيت / الأردن.

وعشرات الجامعات الإسلامية المنتشرة في شرق العالم الإسلامي وغربه، حيث أعدت ألوف الرسائل العلمية في تخصص الحديث النبوي الشريف وعلومه في الأقسام المختصة التابعة لكليات الشريعة في هذه الجامعات، ولا يمكن إغفال الأثر الكبير الناتج عن هذه الدراسات والرسائل، والجهود المبذولة لخدمة السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف.

❖ بعض المراكز والمؤسسات والجمعيات وأثرها في خدمة الحديث النبوي الشريف:

دار الحديث الأشرفية بدمشق[٣]:

أول من بناها وأقامها السلطان موسى الأشرف وهو من أبناء السلطان الملك العادل الذي جاء بعد صلاح الدين، ثم تولى استعادة مجدها محدث الشام محمد بدر الدين الحسني صاحب النهضة العلمية وخاصة في علم الحديث، وهي الدار التي تولاها من قبل من العلماء: ابن

الصلاح وابو شامة والنووي والمزي وابن ناصر الدمشقي وابن كثير وغيرهم.

وللعلامة يوسف المغربي جهد واضح وكبير في إعادة دار الحديث إلى سابق مجدها وتدريس الحديث والعلوم فيها، وهو والد محمد بدر الدين الحسني.

وكان الشيخ يوسف قد تولى مشيخة الدار يقرئ فيها كتب الحديث الشريف وغيرها إلى أن تولى الإمامة من بعده ابنه أحمد بهاء الدين الذي توفي سنة ١٣٣٠هـ.

ثم ولده الثاني محمد بدر الدين، الذي انقطع في غرفة أبيه بدار الحديث يحفظ المتون، فحفظ الصحيحين مع أسانيدهما، وقيل: إنه حفظ كتب الحديث الستة.

وكان يلقي الدروس في هذه الدار للطلاب والعلماء والشيوخ من صحوة النهار إلى قبيل الغروب، وكثير منها في الحديث الشريف فدرّس الكتب الستة وشروحها، وكنز العمال، وشرح نخبة الفكر، وشرح الشفا للقاري، وشرح مشكاة المصابيح وغيرها.

وقد خلف بدر الدين أكثر من أربعين مؤلفاً منها:

١- شرح على صحيح البخاري.

٢- شرح على الشمائل النبوية.

٣- حاشية على نخبة الفكر.

مركز بحوث السيرة والسنة / جامعة قطر[٤]:

تم إنشاء هذا المركز بقرار أميري سنة ١٩٨٠م، محدداً أهدافه ومهمته الجليلة، والتي تتلخص في النقاط التالية:

١- إعداد موسوعة للحديث النبوي تضم صحاح الأحاديث، محققة ومبوبة ومفهرسة بشكل عصري مشرف.

٢- الإسهام في تحقيق المصادر المهمة للسيرة والسنة ونشرهما بما يلائم العصر.

٣- إصدار دراسات عصرية عن السيرة والسنة تسهم في تكوين وعي إسلامي صحيح.

٤- متابعة ما ينشر عن السيرة والسنة بأقلام المستشرقين وغيرهم سلباً وإيجاباً.

٥- إخراج دراسات مرجعية (بيبلوجرافية) مفصلة، وأخرى جغرافية وأثرية وخرائط لأرض الرسالة ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة.

٦- دراسة الأحكام الشرعية المستمدة من السنة بشكل متكامل.

٧- إصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر في حقل الفكر الإسلامي المتعلق بالسيرة والسنة.

٨- إنشاء مكتبة إسلامية لبحوث السيرة والسنة ومؤلفاتها ومراجعها ومخطوطاتها.

وقد تم تنفيذ بعض هذه البنود كدراسات في السنة والسيرة، وإصدار المجلة العلمية، وإنشاء المكتبة العلمية، والمشاركة في بعض المؤتمرات المتخصصة وغير ذلك.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(٥):

أنشئت سنة ١٩٣١م بقرار العلماء الجزائريين في نادي الترقي، على رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ العربي التبعي، ورفعت الجمعية شعار "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".

وتمثلت عناية هذه الجمعية بالسنة النبوية في نواحي شتى منها:

١- مرجعية الجمعية وأصولها في الدعوة والتعليم ومنهج الحياة: القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح.

٢- تعد السنة النبوية الأصل والمرجع الثاني في منهج الجمعية التعليمي والدعوي والتربوي.

٣- تقرير السنة كمادة دعوية في مدارس الجمعية ومساجدها ونواديها.

٤- تسمية صحف وجرائد ومجلات الجمعية بأسماء شرعية منها: السنة، الشريعة، الصراط.

٥- حفظ علماء ورجال الجمعية الحديث الشريف، وتدريسه وخاصة صحيحي البخاري ومسلم، وموطأ مالك، ونشر بعضهم أحاديث مشروحة في بعض الصحف.

٦- عناية علماء الجمعية بالتحري والدقة والأمانة في نقل حديث رسول الله ﷺ.

٧- افتتاح مدرسة في تلمسان سميت بدار الحديث، كان يدرس بها الحديث النبوي والعلوم الشرعية والعربية.

٨- جهود متنوعة كثيرة لعلماء الجمعية كحفظ الحديث، والاشتراك في المؤتمرات، وترجمة الكتب من وإلى

اللغة العربية وغير ذلك.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي[٦]:

أنشئ هذا المركز سنة ١٩٩١م بتمويل مؤسسة السيد جمعة الماجد، لتحقيق جملة من الأهداف منها:

١- الاهتمام بالفكر والثقافة والتراث العربي الإسلامي وتيسير السبل لدراسته وتحقيقه.

٢- جمع الأوعية الثقافية القيمة من الثقافة العالمية الإسلامية وحفظها في مكتبة مرجعية ليسهل الانتفاع بها.

٣- تشجيع البحث في حقول الثقافة كافة والفكر الإنساني بخاصة ما يتعلق منها بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٤- الإسهام في نشر المؤلفات العلمية وإجراء الدراسات التي تخدم الإسلام.

٥- التعاون العلمي وتبادل الخبرات مع الهيئات الثقافية ومراكز البحث المختلفة.

أهم الإصدارات المتعلقة بالحديث النبوي الشريف:

١- مشيخة أبي المواهب الحنبلي محمد بن عبد الباقي الحنبلي - تحقيق محمد مطيع الحافظ.

٢- إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني.

٣- كشف المغطى في فضل الموطأ، للحافظ ابن عساكر، تحقيق محمد مطيع الحافظ.

٤- الإخلاص والنية / لابن أبي الدنيا، تحقيق إياد خالد الطباع.

٥- الأربعين البلدانية/ ابن عساكر/ تحقيق محمد مطيع الحافظ.

٦- البلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان على ترتيب أبواب المنهاج للإمام النووي/ لسراج الدين بن النحوي.

❖ مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في السعودية[٧]:

أولاً: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية:

أنشئ سنة ١٤٠٦هـ في الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.

أهم أهداف المركز:

١- جمع وحفظ الكتب المخطوطة

والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية.

٢- إعداد موسوعة في الحديث النبوي، والسيرة النبوية.

٣- تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية، وإعداد البحوث العلمية التي تخدم السنة والسيرة النبوية.

٤- ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية.

٥- رد الأباطيل ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

٦- الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة.

٧- الاستفادة من خبرات الحاسب الآلي في جمع السنة وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها.

أعمال المركز العلمية:

١- طباعة الكتب التالية:

- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة المنورة/ د. صالح الرفاعي.

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/ للهيثمي.

- السيرة النبوية والمستشرقون.

- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة/ لابن حجر العسقلاني.

٢- عمل فهارس لكتاب "المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ". لابن الجارود النيسابوري.

٣- إعداد قواعد المعلومات للموضوعات التالية:

- موسوعة السيرة النبوية.

- موسوعة الرواة.

- موسوعة المتون.

ثانياً: الجمعية السعودية للسنة النبوية وعلومها:

أنشئت بتاريخ ١٤٢٣هـ، بقرار من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

أهدافها:

١- تنمية البحث العلمي في مجال السنة وعلومها.

٢- خدمة المجتمع والأمة الإسلامية من خلال تنمية الوعي بالأحاديث الصحيحة، ونقد الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٣- تقديم الخبرة اللازمة في المجالات الدعوية والمناهج المدرسية في مجال السنة.

٤- متابعة الدراسات الحديثة في السنة وعلومها والاستفادة منها.

٥- التنسيق مع مراكز السنة في العالم.

نشاط الجمعية:

١- تشجيع إجراء البحوث والاستشارات العلمية في السنة وعلومها.

٢- التأليف والترجمة والنشر في السنة وعلومها.

٣- وضع القواعد الأساسية للمناهج المدرسية في مجال السنة وعلومها.

٤- العمل على نشر رسائل الماجستير والدكتوراه في السنة وعلومها.

٥- إعداد موسوعات في الأحاديث والجرح والتعديل.

٦- إصدار مجلة علمية محكمة للبحوث والدراسات في مجال السنة وعلومها.

٧- التعاون مع وسائل الإعلام بتقديم برامج في السنة النبوية.

٨- تنظيم رحلات علمية لجمع مخطوطات السنة التي لم تنشر(٨).

ثالثاً: جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة:

أنشئت سنة ١٤٢٢هـ في المدينة المنورة.

أهدافها:

١- تشجيع البحث العلمي في مجال السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية.

٢- إثراء الساحة الإسلامية بالبحوث العلمية المؤصلة.

٣- إذكاء روح التنافس العلمي بين الباحثين في كافة أنحاء العالم.

٤- الإسهام في التقدم والرقي الحضاري للبشرية.

يطرح في كل دورة من دورات الجائزة ولكل فرع من فرعيها موضوعات في تخصصات مختلفة، وكان مما طرح في الدورة الأولى للسنة النبوية:

١- عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان.

٢- فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية.

ومما طرح في الدورة الثانية:

١- التكفير في ضوء السنة النبوية.

٢- حقوق المرأة في السنة النبوية.

ومما طرح في الدورة الثالثة:

١- التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية.

٢- مصادر السيرة بين المحدثين والمؤرخين.

ويقدم لكل فائز في أحد موضوعات الجائزة ما يلي:

١- شهادة استحقاق.

٢- درع يحمل شعار الجائزة.

٣- مبلغ نقدي مقداره (٥٠,٠٠٠) ريال سعودي.

ومن أنشطة هذه المسابقة: مسابقة الأمير نايف لحفظ الحديث النبوي، وهي ثلاثة مستويات لطلبة المدارس.

المؤسسات والمراكز الدينية الأكاديمية في الهند[٩]:

١- دار العلوم، ديوبند: تم افتتاحها سنة ١٢٨٣هـ، في قرية ديوبند الهندية، أسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي، وتعد من أكبر مدارس الهند الدينية.

٢- مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور: أنشئت سنة ١٢٨٣هـ، وأصبحت الآن جامعة، أسسها الفقيه الشيخ سعادة علي السهارنفوري.

٣- دار العلوم لندوة العلماء، تأسست سنة ١٣١٢هـ.

٤- مدرسة أهل الحديث.

٥- دار الحديث الرحمانية بدلهي.

٦- جامعة دار السلام بعمر أباد.

٧- الجامعة السلفية بنارس.

٨- دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد.

٩- مجمع دار المصنفين.

١٠- المجلس العلمي بالهند.

١١- إدارة العلوم الأثرية بفيصل أباد بباكستان[١٠].

وقد كان لهذه المدارس والمؤسسات أثر كبير فيما يلي:

١- نشر كتب الحديث النبوي الشريف وطباعتها والعناية بها تحقيقاً وتخريجاً ودراسة وشرحاً، بمختلف أنواعها، كتب الأصول الحديثية، والتراجم والرجال ومصطلح الحديث وعلومه وغير ذلك.

٢- الرد على منكري السنة والحديث.

٣- المقررات الدراسية.

٤- العناية بالمخطوطات الحديثية.

❖ أهم أعلام الحديث وعلومه وأثرهم في خدمة السنة والحديث:

أولاً: أحمد محمد شاكر[١١]:

ولد الشيخ شاكر سنة ١٨٩٢م في القاهرة، وتوفي سنة ١٩٥٨م. التحق سنة ١٩٠٠ بكلية غوردون في السودان، ثم سنة ١٩٠٤م التحق بمعهد الإسكندرية، وسنة ١٩٠٩م بدأ يدرس الحديث، وحاز شهادة العالمية من الأزهري سنة ١٩١٧م.

تتلمذ على والده، والعلامة محمد رشيد رضا، والعلامة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، والعلامة عبد الله بن إدريس السنوسي وغيرهم.

أعماله وجهوده:

١- صحيح ابن حبان، أصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥٢م.

٢- سنن الترمذي، أصدر منه جزأين فقط.

٣- مسند الإمام أحمد، صدر منه خمسة عشر جزءاً.

٤- مختصر سنن أبي داود للمنذري، حققه بالمشاركة مع محمد حامد الفقي.

٥- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير.

٦- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر.

٧- شرح ألفية السيوطي، أتمه سنة ١٩٣٤م.

٨- خصائص المسند للإمام أحمد للحافظ أبي موسى المديني.

٩- تفسير الطبري، حققه وعلق عليه أخوه محمد شاكر، وراجعه وخرج أحاديثه أحمد شاكر. صدر منه أربعة عشر جزءاً.

١٠- المحلى لابن حزم، حقق منه الأجزاء الستة الأولى[١٢].

ثانياً: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي[١٣]:

ولد الشيخ محمد فؤاد سنة ١٨٨٢م في قرية القليوبية (مصر)، نشأ في القاهرة في حي السيدة زينب إلى أن بلغ الخامسة من عمره، ثم سافر مع أسرته إلى السودان، وبعدها غادروا إلى وادي حلفا ثم إلى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصف، ثم نزلوا القاهرة وهناك دخل مدرسة عباس الابتدائية ثم تركها ليلتحق

بمدرسة الأمريكان في حي الأزبكية حيث ظل هناك سنتين، وفي سنة ١٨٩٩م ترك مدرسة الأمريكان واشتغل مدرساً للغة العربية بمدرسة "الماسي" ثم التحق بعد فترة بمدرسة في الوجه البحري ليعمل ناظراً لها واستمر بهذا المنصب سنتين ونصف، ثم انتقل ليعمل مدرساً للرياضة في مدرسة أخرى ثم ليعمل مع الأديب صادق عنبر في المدرسة التحضيرية الكبرى.

من الشخصيات المهمة التي تأثر بها محمد فؤاد الشيخ محمد رشيد رضا، فقد تعرف عليه سنة ١٩٢٢م واستمر لقاؤهما إلى أن مات رشيد رضا سنة ١٩٣٦م.

أعماله العلمية:

تمثلت أعماله العلمية في تحقيق وفهرسة العديد من كتب السنة أهمها ما يلي:

١) مفتاح كنوز السنة، وهو معجم مفهرس عام تفصيلي، وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي والنسائي وابن ماجة، والدارمي، وموطأ مالك، ومسند زيد بن علي وأبي داود الطيالسي، والإمام أحمد، وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي.

وضع هذا الكتاب باللغة الإنجليزية الدكتور الهولندي أ. ي. فنسنك، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي بتكليف من الشيخ محمد رشيد رضا، وذلك سنة ١٩٢٨م وانتهى منه سنة ١٩٣٣م.

٢- موطأ الإمام مالك: قام الشيخ فؤاد بتصحيح نسخة الموطأ وترقيم أحاديثها والتعليق عليها. وقد جمع الشيخ ستاً من نسخ الموطأ وقارن بين نصوص بعضها البعض. فما اتفق الجميع عليه وأيقن أنه الصواب أثبته، وما اختلف فيه رجح ما في شرح الزرقاني والنسخة المطبوعة في الهند سنة ١٣٠٧هـ.

٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان:

جمع الشيخ فؤاد في هذا الكتاب الأحاديث التي تعززت صحتها بورودها في كل من البخاري ومسلم، حيث جرد الأحاديث من أسانيدها واجتزأ برواية واحدة من الروايات المكررة، وأردف كل حديث بتوضيح موجز لتفسير غريب اللفظ وغامض المعنى، وضبط الأحاديث

بالشكل والتي بلغت (١٩٠٦) أحاديث.

٤- سنن ابن ماجة، يقول الشيخ فؤاد: بلغت جملة أحاديث سنن ابن ماجة ٤٣٤١ حديثاً منها ٣٠٠٢ أخرجها أصحاب الكتب الخمسة، والباقي (١٣٣٩) حديثاً هي الزوائد على ما جاء في الكتب الخمسة. وقد اتبعها بمفتاح يحوي الأحاديث مرتبة حسب أوائل كلماتها، وأمام كل حديث الرقم الدال عليه.

٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قام الشيخ فؤاد بترقيم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث مما يسهل الإشارة والرجوع إليها في البحوث العلمية.

ثالثاً: مصطفى السباعي[١٤]:

هو مصطفى بن حسني السباعي، ولد بحمص سنة ١٩١٥م، ونشأ فيها، وأخذ العلم أولاً على يد والده رحمه الله تعالى، ثم التحق بالمدرسة المسعودية الابتدائية ثم إلى الثانوية الشرعية بحمص وتخرج منها سنة ١٩٣٠م. وتولى توعية الشباب والطلاب والآباء، كما توجه إلى الإصلاح الديني ومحاربة البدع والخرافات المنسوبة للإسلام.

ثم التحق بالدراسة بالأزهر عام ١٩٣٣م في كلية الشريعة تخصص الفقه والأصول، وفي سنة ١٩٣٩م ألف لجنة باسم "لجنة الشؤون الإسلامية بالأزهر" لرفع صوت الأزهر عالياً في الدفاع عن الإسلام وتشريعه. وفي عام ١٩٥٠م عاد إلى دمشق وترشح لانتخابات الجمعية التأسيسية (البرلمان) عن مدينة دمشق وصار عضواً فيها، وفي أثنائها ناقش الدكتوراه، ثم عمل محاضراً في كلية الحقوق بجامعة دمشق.

وفي ١٩٥٤م فتح كلية الشريعة بجامعة دمشق وصار عميداً لها، وبقي أستاذاً فيها حتى توفي سنة ١٩٦٤م.

من مؤلفاته:

١- السنة ومكانتها في التشريع.

٢- السيرة النبوية (دروس وعبر).

٣- عظماؤنا في التاريخ.

٤- هذا هو الإسلام (جزءان).

٥- المرأة بين الفقه والقانون.

٦- القلائد في فرائد الفوائد.

٧- أخلاقنا الاجتماعية، وأخرى.

رابعاً: د. نور الدين عتر[١٥]:

هو نور الدين محمد حسن عتر، ولد في مدينة حلب سنة ١٩٣٧م، حصل على الثانوية سنة ١٩٥٨م، والتحق بالأزهر إلى أن حصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٤م

بتقدير ممتاز.

درّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عامي ٦٥-٦٦. ثم في كلية الشريعة بجامعة دمشق منذ ١٩٦٧م - حتى الآن.

مؤلفاته:

١- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين.

٢- منهج النقد في علوم الحديث.

٣- أعلام الأنام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام.

٤- معجم المصطلحات الحديثية.

٥- أصول الجرح والتعديل.

٦- السنة المطهرة والتحديات[١٦].

خامساً: محمد ناصر الدين الألباني[١٧]:

هو أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني، ولد سنة ١٩١٤م في مدينة اشقودره عاصمة دولة ألبانيا، انتقل مع والده إلى دمشق وبدأ تعليمه هناك إلا أنه ترك المدارس وتعلم القرآن على يد والده ثم الفقه الحنفي والنحو وغير ذلك.

ثم تحول لعلم الحديث أول العقد الثالث من عمره، وكان قوي الشخصية ومنصفاً في قول الحق وقبوله.

مؤلفاته:

١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.

٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.

٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة.

٤- السنة "لابن أبي عاصم" وسماه "ظلال الجنة في تخريج السنة".

٥- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام.

٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته للسيوطي.

٧- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للسيوطي.

٨- تحذير الساجد في اتخاذ القبور مساجد، وهو أول بحث كتبه[١٨].

سادساً: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة[١٩].

هو عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن

حسن أبو غدة الحلبي، ولد بحلب من بلاد الشام سنة ١٩١٧م، تلقى العلم على أكثر من مائة عالم في مختلف العلوم.

رحل إلى دمشق ثم القاهرة ودرس بالأزهر الشريف، ثم إلى الحرمين الشريفين، ثم الهند وباكستان والعراق وغيرها.

مؤلفاته وأعماله:

١- الإسناد من الدين صفحة مشرقة من تاريخ سماع المحدثين.

٢- تحقيق أسمي الصحيحين، واسم جامع الترمذي.

٣- الجمع والترتيب لأحاديث تاريخ الخطيب.

٤- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث.

٥- أمراء المؤمنين في الحديث.

٦- الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم[٢٠].

سابعا: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة[٢١]:

ولد الدكتور أبو شهبة سنة ١٩١٤م في قرية منية جناح مركز دسوق حفظ القرآن في التاسعة من عمره، وتابع دراسته إلى أن حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٣٠م من معهد طنطا الثانوي.

ثم دخل الأزهر إلى أن حصل على الدكتوراه سنة ١٩٤٦م، ثم أعير إلى السعودية للتدريس بالمعهد العالي السعودي بمكة المكرمة.

مؤلفاته:

١- المدخل لدراسة القرآن الكريم.

٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

٣- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين.

٤- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث.

٥- السيرة في ضوء القرآن والسنة.

٦- أعلام المحدثين.

٧- علوم الحديث.

٨- الكتب الصحاح الستة[٢٢].

ثامناً: الشيخ عبد العزيز بن باز[٢٣]:

ولد في الرياض سنة ١٣٣٠هـ، وذهب بصره سنة ١٣٥٠م، حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، تتلمذ على أيدي كثير من علماء الرياض، ولي القضاء في منطقة الخرج بين عامي ١٣٥٧هـ-١٣٧١هـ.

ثم التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ وكلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٣هـ، ثم نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ، ثم رئاسة الجامعة نفسها عام ١٣٩٠هـ.

ثم الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٣٩٥هـ، ثم مفتي عام السعودية سنة ١٤١٤هـ.

أهم أعماله ومؤلفاته:

١- وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها.

٢- حاشية مقيدة على فتح الباري، وصل فيها إلى كتاب الحج.

٣- تعليقات محررة على حواشي تقريب التهذيب لابن حجر.

٤- تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأدعية والأذكار.

٥- بحث: طرق حديث الافتراق ورواياته.

٦- بحث حديث: "إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فإنما رسول الله من المرسلين"[٢٤].

تاسعاً: محمد حبيب الله الشنقيطي الجكني[٢٥]:

هو محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن ما يأبى، ولد سنة ١٨٧٨م، وتوفي سنة ١٩٤٤م.

ولد وتعلم بشنقيط، ودرس القرآن والعلم على عدد من شيوخ بلاده، ودرس فقه الإمام مالك، وانتقل إلى مراكش فالمدينة المنورة واستوطن مكة ثم القاهرة مدرساً بالأزهر وتوفي هناك.

أهم أعماله ومؤلفاته:

١- دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، وشرحه في "تبيين المدارك لنظم دليل السالك"، واختصره في "إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك".

٢- هداية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث "منظومة".

٣- كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب.

٤- أصح ما ورد في المهدي وعيسى.

٥- الخلاصة النافعة في الحديث المسلسل بالأولية.

٦- الصحابيات وأحداث السيرة[٢٦].

عاشراً: عبد الحميد بن باديس[٢٧]:

ولد الشيخ ابن باديس في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، عام ١٨٨٩م، وهو رائد فكرة جمعية العلماء المسلمين، وقد اعتنى بالسنة عناية شديدة، ووجه الناس إلى العناية بها حيث كان يقول: "تقوم الدعوة الإصلاحية على أساس الكتاب والسنة".

جهود ابن باديس في الحديث:

١- إنشاء صحيفة السنة النبوية المحمدية.

٢- تخصيص الصفحة الأولى من جريدة جمعية العلماء المسلمين لباب الآثار

الهوامش:

(١) الجهود المبذولة في حجية السنة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٩. أ.د. محمد الزحيلي (بتصرف)، ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة، الشارقة، ٤-٥/٥/٢٠٠٥م.

(٢) جهود العلماء في التحقيق والتخريج والتوثيق في العصر الحديث، ص ١٢-١٣. د. عثمان جمعة ضميرية، ندوة "الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم"، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، تاريخ: ٤-٥/ ٥/ ٢٠٠٥م. وانظر: جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة، محمد أبو صعيليك.

(٣) بتصرف، دار الحديث الأشرفية بدمشق وأثرها في خدمة السنة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري، د.محمد مطيع الحافظ، الندوة السابقة.

(٤) بتصرف دور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة / د. حصة عبد العزيز السويدي/ الندوة السابقة.

(٥) بتصرف، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحديث الشريف وإحياء السنة، د. عقيلة حسين/ الندوة السابقة.

(٦) بتصرف، جهود مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في خدمة الحديث النبوي / د. أنس صلاح الدين صبري / ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر / دبي ٢٨-٣٠ / ٥ / ٢٠٠٥م.

(٧) بتصرف، جهود مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في المملكة العربية السعودية، د.أحمد بن عبد الله الباتلي/ الندوة السابقة.

(٨) وأنشطة أخرى تنظر في المرجع المشار إليه.

(٩) بتصرف، أضواء على الدراسات الحديثية في الهند، د. ولي الدين تقي الدين الندوي / ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، دبي.

(١٠) انظر: جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة / محمد أبو صعيليك، ص ١٤-١٦.

(١١) بتصرف، العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر، وجهده الريادي في النهضة الحديثية المعاصرة، د. عبد السميع الأنيس، الندوة السابقة.

(١٢) بلغت أعماله وتحقيقاته الأربعين أو أكثر.

(١٣) بتصرف عن بحث "جهود الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيق وفهرسة كتب السنة النبوية الشريفة، د. حسن علي الشابقي، الندوة السابقة.

(١٤) بتصرف، الجهود المبذولة في خدمة السنة في القرن الرابع عشر الهجري/ أ.د. محمد الزحيلي، الندوة السابقة.

(١٥) بتصرف، د. نور الدين عتر وجهوده المبذولة في خدمة السنة المطهرة، د. نزار محمود قاسم الشيخ، الندوة السابقة.

(١٦) وله مؤلفات وتحقيقات وبحوث كثيرة أخرى.

(١٧) بتصرف، جهود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في خدمة السنة المطهرة، د. خالد علي محمد، الندوة السابقة.

(١٨) بلغت مصنفات الشيخ مائتين ونيف لا مجال لسردها.

(١٩) بتصرف، جهود الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في خدمة التراث، أ.د. مجاهد مصطفى بهجت، الندوة السابقة.

(٢٠) وله مؤلفات أخرى لم أذكرها اختصاراً.

(٢١) بتصرف جهود الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في خدمة السنة وعلومها، أ.د. البشير الترابي/ الندوة السابقة.

(٢٢) وله عشرات المصنفات التي دافع فيها عن السنة وأهلها.

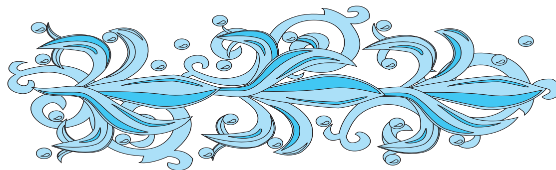
(٢٣) بتصرف، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وأثره في العناية بالحديث النبوي، علي ابن عبد العزيز بن علي الشبل/ الندوة السابقة.

(٢٤) وهناك العديد من المؤلفات والبحوث في موضوعات متفرقة لم أذكرها اختصاراً.

(٢٥) بتصرف، جهود محمد حبيب الله الشنقيطي الجكني في خدمة السنة، د. سعد الدين منصور محمد / الندوة السابقة.

(٢٦) وله عدة تصانيف أخرى.

(٢٧) بتصرف، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحديث الشريف وإحياء السنة / د. عقيلة حسين، الندوة السابقة. وانظر: بحث "الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف/ د. عبد العزيز دخان، الندوة السابقة.



٢

موقف النقاد الإجمالي من كتاب السنن لأبي داود السجستاني

■ **بقلم الدكتور محمد مختار المفتي**

❖ معنى التلقي بالقبول وبيان مدى صحة إطلاقه على كتاب السنن:

لا شك أن أشهر المصنفات الحديثية التي اقترن ذكرها بهذا المصطلح، الصحيحان للإمامين البخاري ومسلم فهما الكتابان اللذان حظيا منذ تأليفهما وإلى الآن بالتسليم بصحة أحاديثهما بإطلاق، وربما كان أول من أشهر ذلك على مستوى التقعيد والنظرية الحافظ ابن الصلاح في مقدمته بقوله:

"وهذا القسم (أي ما اتفق عليه الشيخان) جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يُخطئ وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يُخطئ والأمة في إجماعها معصوم من الخطأ ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها وأكثر إجماعات الأمة كذلك، وهذه نكتة نفيسة نافعة ومن فوائدها القول بأن ما انفرد به البخاري ومسلم مندرج في سبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول على الوجه الذي فصلناه من حالهما فيما سبق سوى أحرف يسيرة تكلم

عليها بعض أهل النقد من الحفاظ كالدارقطني وغيره وهي معروفة عند أهل هذا الشأن والله أعلم"(٢١).

هكذا إذن يبدو أن ما اتفق عليه الشيخان وكذا ما أخرجه كلٌّ منهما على انفراد متلقى بالقبول بين الأئمة أي علمائها وأئمتها.

واقتصار الحافظ ابن الصلاح في ذكره لهذه الصفة على الصحيحين وحدهما، دال بمفهومه على أن غيرهما لا يشاركهما فيهما، لكن هذه الدلالة الضمنية نجدها مصرحاً بها بعبارة واضحة من طرف الأمير الصنعاني حيث قال: "والتلقي من الأمة وقع للصحيحين كما سلف ولم يقع التلقي لسنن أبي داود"(٢٢).

ولكننا رغم ذلك نجد في كتابات بعض الباحثين ولا سيما المعاصرين، إطلاقاً لهذه العبارة في حق سنن أبي داود، فقد وصفها بها ولي الله الدهلوي في قوله: "..الطبقة الثانية: كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ولم يرضوا في كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوه على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس وتعلّق بها القوم شرحاً لغريبها وفحصاً عن رجالها واستنباطاً بفقهها، وعلى تلك الأحاديث بناء عامة العلوم كسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي"(٢٣).

وقد نحا نحوه في ذلك أيضاً العلامة محمد عبد الرشيد النعماني فقال: "وقد رُزق هذا الكتاب (أي سنن أبي داود) القبول من أئمة أهل العلم من جميع الطوائف فترى الإمام المجتهد أبا بكر الجصاص الرازي في تصانيفه كأن أحاديث أبي داود على طرف لسانه"(٢٤).

فهل يعني هذا بالتلقي بالقبول استواء السنن والصحيحين أم شيئاً آخر غيره؟

إن كان الأول فهو باطل بداهة وإن كان أمراً آخر فما هو؟

لقد ذهب الأمير الصنعاني الذي نفى التلقي بالقبول لسنن أبي داود إلى تفسير معناه بقوله: "إعلمُ أن معنى تلقي الأمة للحديث بالقبول هو أن تكون الأمة بين عامل بالحديث ومتأول له كما في غاية السول وغيرها من كتب الأصول(٢٥).

وهذا الكلام وإن كان يتعلق بالحديث المتلقى بالقبول لا بالكتاب المتلقى

بالقبول فالنتيجة واحدة، فابن الصلاح عندما تكلم عن هذه القضية بخصوص الصحيحين كان مفاد كلامه أن الأمة ملزمة بالعمل بما فيهما من المتفق عليه وغير المتفق أو تأويله بإثبات النسخ أو ما شابه ذلك باستثناء ما انتقد عليهما وهو قليل، وهذا هو نفس مفاد كلام الصنعاني كما هو واضح، ومعنى ذلك أن الأحاديث المعمول بها أو المتأولة كلها متلقاة بالقبول، وإذا كان الحديث الحسن من هذا الباب أيضاً أي معمولاً به أو متناولاً، وكانت سنن أبي داود تشتمل عليه وعلى الصحيح، بل كان مقصد أبي داود جمع الأحاديث التي عليها العمل ، فلم لا تكون هي كذلك متلقاة بالقبول حسب تفسير الصنعاني نفسه للمصطلح؟ فإن قيل: إن السنن تشتمل على الضعيف كذلك، فالجواب أن الضعيف الذي فيه منه قسم محكوم عليه من طرف مؤلفها بالضعف لكونه أخرجه للضدية أو غير ذلك ومنه قسم منجبر ومرتق بإنجباره إلى درجة الحسن ومنه ما ليس من هذا ولا ذاك وهو قليل فلم لا نتعامل معه كتعاملنا مع المنتقد على الصحيحين أي نستثنيه من التلقي بالقبول؟

هذا مع أن ابن الصلاح إنما استثنى هذه المواضع من القطع بالصحة وإفادة العلم لا من التلقي بالقبول.

الظاهر أن التلقي بالقبول اصطلاح يمكن وصف سنن أبي داود به بشرط التقيد ببعض الأمور، وهي:

أولاً: أن معناه اعتماد الأئمة على السنن واعتبارهم لها أحد المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في مجال الأحكام الشرعية، ومن ثم كانت شهرتها فيما بينهم واعتناؤهم بها شرحاً لها واختصاراً واستنباطاً منها وإلزاماً بها...الخ، وهذا هو واقع سنن أبي داود الذي لا يمكن دفعه، ونعتبر أن من أبرز الأدلة على اعتماد الأئمة على السنن انشغالهم ببيان شروط مؤلفها فيها ضمن عنايتهم بشروط الأئمة الخمسة في المرحلة الأولى ثم الستة فيما بعدها وإلحاق السنن الأربعة في ذلك بالصحيحين.

ثانياً: لا تصح مساواتها بالصحيحين رغم ذلك للبون الشاسع بينهما بالشكل الذي لا يحتاج إلى بيان أو تفسير، لكن نقول بإجمال: إن التلقي بالقبول يعني التسليم التام لصاحبيهما فيما قراره من

صحة أحاديثهما وهو يعني عدم جواز الإنشغال بالبحث أو حتى الكلام عن أسانيدهما ورجالهما من حيث الصحة والضعف أو التجريح والتوثيق أو ما شابه ذلك فكله عبث لا داعي له ولا فائدة منه، ولذلك كان سلوك العلماء إزاء ما خرج في الصحيحين أو أحدهما الاكتفاء بالعزو لهما واعتبار ذلك حكماً على الحديث بالصحة أو أقل بأعلى درجات الصحة بإطلاق، وهذا ما لا يمكن اعتباره فيما خرجه الإمام أبو داود، وإن كان فيه ما هو من هذا القبيل، أما أن كتابه كله كذلك فلا.

وقد كان من علو شأن الصحيحين أن العلماء اختلفوا فيما يفيده تلقيهما بالقبول أهو العلم أم الظن، فذهب المقدسي محمد ابن طاهر وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالخالق بن يوسف وابن الصلاح إلى إفادته للعلم باستثناء بعض المواضع المنتقدة القليلة فيهما، كما تقدم النقل عن ابن الصلاح قريباً[٢٦].

وذهب العز بن عبدالسلام إلى أنه يفيد الظن فقط[٢٧]، وأومأ النووي إلى مثله عندما قال: "وذكر الشيخ أن ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه وخالفه المحققون والأكثرون، قالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر"[٢٨]، ورد ذلك البلقيني مرجحاً مذهب ابن الصلاح فقال: "وما قاله ابن عبدالسلام والنووي ومن تبعهما ممنوع"[٢٩].

وليس هذا الخلاف مطروحاً البتة عند الكلام عن سنن أبي داود، فكان هذا أحد الفروق الأساسية في قضية التلقي بالقبول بين الصحيحين وسنن أبي داود التي تمنع استواءهما في المراد بها حيال كل منهما.

هذا وللحافظ ابن حجر الذي ذهب إلى أن أحاديث الصحيحين مفيدة للعلم كلام نفيس في معنى التلقي بالقبول للصحيحين ومعناه لغيرهما ومزيتهما في ذلك على ما سواهما ذكره في سياق مناقشة هذه المذاهب المذكورة ، ورداً بالخصوص على إقرار الحافظ العراقي كون مذهب النووي عكس مذهب ابن الصلاح فقال: "أقر شيخنا هذا من كلام النووي وفيه نظر، وذلك أن ابن الصلاح لم يقل: إن الأمة أجمعت على العمل بما فيهما وكيف يسوغ له أن يطلق ذلك والأمة لم تجمع على العمل بما فيهما لا من حيث

الجملة ولا من حيث التفصيل لأن فيهما أحاديث ترك العمل بما دلت عليه لوجود معارض من ناسخ أو مخصص، وإن ما نقل ابن الصلاح أن الأمة أجمعت على تلقيهما بالقبول من حيث الصحة ويؤيد ذلك أنه قال (أي النووي) في شرح مسلم ما صورته: ما اتفقا عليه مقطوع بصدقه لتلقي الأمة له بالقبول وذلك يفيد العلم النظري وهو من إفادة العلم كالمتواتر إلا أن المتواتر يفيد العلم الضروري وتلقي الأمة يفيد العلم النظري ثم حكى عن إمام الحرمين مقالته المشهورة أنه لو حلف إنسان...الخ، فهذا يؤيد ما قلنا: إنه ما أراد أنهم اتفقوا على العمل وإنما اتفقوا على الصحة وحين إذن فلا بد لاتفاقهم من مزية لأن اتفاقهم على تلقي خبر غير ما في الصحيحين بالقبول ولو كان سنده ضعيفاً يوجب العمل بمدلوله فاتفاقهم على تلقي ما صحّ سنده ماذا يفيد؟

فأما متى قلنا: يوجب العمل فقط لزم تساوي الضعيف والصحيح فلا بد للصحيح من مزية، وقد وجدت في ما حكاه إمام الحرمين في البرهان عن الأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ما يصرح بهذا التفصيل الذي أشرت إليه فإنه قال في الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول: مقطوع بصحته ثم فصل ذلك فقال: إن اتفقوا على العمل به لم يقطع بصدقه وحمل الأمر على اعتقادهم وجوب العمل بخبر الواحد، وإن تلقوه بالقبول قولاً وفعلاً حكم بعدم قطعه، ثم حكى أقوالاً أخرى لعلماء الأصول وقال بعدها: "فقول الشيخ محيى الدين النووي: (خالف ابن الصلاح المحققون والأكثرون) غير متجه"[٣٠].

وبهذا التفصيل يظهر أن المتلقى بالقبول ليس نوعاً واحداً هو المنطبق على ما في الصحيحين ولو كان كذلك لما أمكن إطلاق التلقي بالقبول إلا عليهما وإنما هو أنواع متعددة تتحدد حسب هذا الكلام في أربعة:

الأول: المتواتر وهو يوجب العلم القطعي الضروري.

والثاني: المتلقى بالقبول قولاً وفعلاً أي صح سنده وعمل به وهو يوجب العلم الضروري أيضاً.

والثالث: المتلقى بالقبول قولاً لا فعلاً وهو ما صح سنده ولكنه لم يعمل به لسبب من الأسباب وهو يوجب العلم النظري.

والرابع: المتلقى بالقبول فعلاً وقولاً وهو ما عمل به وإن لم يكن سند صحيح ويدخل فيه الحديث الضعيف المتلقى بالقبول وهو يوجب العمل.

وعليه فسنن أبي داود تكون متلقاة بالقبول لأن مبناها على الأحاديث التي عمل بها بالإضافة إلى الأنواع الأخرى التي هي مشتملة عليها بلا أدنى شك، وهو ما يوافق عليه قول الأمير الصنعاني المتقدم.

بقي أن نشير إلى أن الأمير رحمه الله جنح في كتابه «ثمرات النظر في علم الأثر» إلى مذهب متميز أعتبر بموجبه أن التلقي بالقبول له معنى أخص من الصحة فهو عنده خاص والصحة أمر عام، وذهب بناء على ذلك إلى أن الأحاديث المنتقدة في الصحيحين لا يمكن اعتبارها خارجة عن مبدأ التلقي بالقبول وإنما هي خارجة عن الصحة أصلاً لأنها عنده لو كانت خارجة عن التلقي بالقبول لكان محتملاً أن تكون صحيحة، ونص كلامه هو: ".. إن المدعى: تلقي الأمة بالقبول وهو أخص من الصحة وقد ذهب الأكثر ومنهم ابن حجر إلى إفادته العلم بخلاف ما حكم له لمجرد الصحة فغاية ما يفيد الظن ما لم ينضم إليه غير ذلك فيفيده وهذه الأحاديث (أي المنتقدة) مخرجة عن الصحيحين، عن التلقي بالقبول فإن كان ما لم يصح غير متلقى فالصواب في العبارة أن يقال: غير صحيحة لا غير متلقاة بالقبول لإيهامه أنها صحيحة إذ ليس عنها إلا التلقي بالقبول وهو أخص من الصحة ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم والحال أنها ليست بصحيحة"(٣١).

وقد خالف بهذا ابن الصلاح أولاً لأنه لم يعن باستثناء تلك المواضع خروجها عن الصحة ولا عن التلقي بالقبول، وإنما عن إفادة العلم النظري الذي تفيده عامة أحاديث الصحيحين، أما القول بأنها غير صحيحة فهذا ما لم يقله أحد، وكلام المنتقدين هو في معظمه شكلي وتقني ولا يصل إلى الطعن في صحة الأحاديث في حد ذاتها، بل هو من ناحية أخرى يكمل عمل الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله.

ثم ناقض الأمير نفسه من ناحية أخرى، حين اعتبر أن التلقي بالقبول أخص من الصحة فمقتضى ذلك أن كل متلقى بالقبول صحيح لزوماً وليس العكس مع أنه سبق منه تفسير المتلقي بالقبول بأنه ما تكون الأمة بين عامل به ومتأول له

وهو في ذلك جازم لأنه نص عليه في توضيح الأفكار وفي ثمرات النظر كذلك، وهو في ثمرات النظر يقول: "ويحتمل أنه يدخل في الحسن"[٣٢]، وهو الصحيح بل ويحتمل أنه يدخل في الضعيف كما تقدم، وعليه فليس التلقي بالقبول أخص من الصحة وإنما العكس هو الصحيح أي أن كل صحيح فهو متلقى بالقبول لزوماً وليس كل متلقى بالقبول صحيحاً لزوماً، ويبقى بعد ذلك هل كل صحيح متلقى بالقبول يعمل به؟ الجواب لا، لأنه ينقسم بعد ذلك إلى ما هو متلقى بالقبول قولاً وفعلاً أو متلقى بالقبول قولاً لا فعلاً حسب التقسيم المتقدم الذي ضم قسم المتلقى بالقبول فعلاً لا قولاً وهو الذي يدخل فيه الضعيف، وهو الذي بمقتضاه اعتبرنا سنن أبي داود متلقاة بالقبول.

ثالثاً: يحتاج من يتعامل مع سنن أبي داود على أساس مبدأ تلقيها بالقبول إلى نوع من التفصيل يقف بمقتضاه على أنواع ودرجات الأحاديث التي اشتملت عليها فهي متلقاة بالقبول على الجملة لا على التفصيل أو بعبارة أخرى يجب استثناء مواضع من السنن من التلقي بالقبول كما تم استثناء مواضع من الصحيحين من ذلك.

والله الموفق والهادي

الهوامش:

(٢١) علوم الحديث: ٢٤-٢٥.

(٢٢) توضيح الأفكار: ١: ٢١٠.

(٢٣) قواعد التحديث: ٢٤١.

(٢٤) الإمام ابن ماجة وكتابه السنن: ١١٧.

(٢٥) توضيح الأفكار: ١: ٩٤.

(٢٦) علوم الحديث: ٢٤-٢٥. وانظر ألفية العراقي وشرحها ١: ٦٩-٧٠.

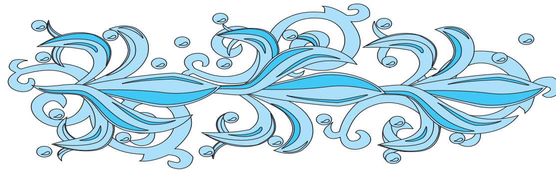
(٢٧) انظر محاسن الاصطلاح للبلقيني: ١٠١.

(٢٨) انظر تدريب الراوي ١: ١٣١-١٣٢.

(٢٩) محاسن الاصطلاح: ١٠١.

(٣٠) النكت ١ : ٣٧١-٣٧٤.

(٣١) ثمرات النظر: ١٣٥-١٣٦.



١

﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً ❖ إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سبباً ❖ فأتبع سبباً ❖ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً ❖ قال أما من ظلم فسوف نعذبه عذاباً نكراً ❖ وأما من ءامن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ الكهف: ٨٣-٨٨ .

هذه الآيات من سورة الكهف، وهي من السور المكية التي نزلت في مكة قبل الهجرة. وقد تعرضت هذه السورة فيما تعرضت له لثلاث قصص من روائع القصص التي ذكرها القرآن الكريم، وذلك لتثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس المؤمنة.

فالقصة الأولى: هي قصة الفتية الذين آمنوا بربهم وخرجوا من مدينتهم فراراً بدينهم، ولجئوا إلى غار في جبل، وناموا فيه مدة طويلة وهم لا يشعرون، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المدة على الحساب الشمسي وعلى الحساب القمري وذلك بقوله تعالى في هذه الآيات: **﴿فلبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾** فالسنون التسع هي الفرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية، حيث تزيد

السنة القمرية عن السنة الشمسية كل مائة سنة ثلاث سنوات قمرية، وهذا الحساب الدقيق قد ثبتت صحته بعد مئات السنين لعلماء الفلك، وهذا من الإعجاز القرآني، حيث أن رسول الله محمدا ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب بإقرار جميع خصومه.

والقصة الثانية: قصة موسى عليه السلام مع أحد عباد الله المقربين، قيل: هو الخضر، وهي قصة تدل على وجوب التواضع في طلب العلم، وأنه فوق كل ذي علم عليم. وهي تقص علينا ما جرى من الأخبار الغيبية التي اطلع الله عليها ذلك العبد الصالح، ولم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها، وهي قصة السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

والقصة الثالثة: هي قصة (ذي القرنين) وهي القصة التي وردت في هذه الآيات وما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾.

ومناسبة نزول هذه الآيات كما ذكر المفسرون: أن اليهود كانوا يحاولون إحراج النبي ﷺ فيوعزون إلى مشركي مكة أن يسألوه عن الأشياء الغريبة المجهولة عند الناس إلاَّ قليلاً منهم، لعله يخطئ فيجدون منفذاً للطعن فيه، من ذلك أنهم قالوا: إسألوه عن ذي القرنين وماذا حصل منه، فنزلت هذه الآيات وما بعدها.

ومعنى هذه الآيات: يسألك أيها الرسول بعض الكفار عن نبأ ذي القرنين، فقل لهم أيها النبي: سأتلوا عليكم من أخباره قرآناً. ثم بين ذلك بقوله تعالى: **﴿إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سبباً﴾** أي إنَّا يسرنا له أسباب الملك والسلطان والفتح والعمران، وأعطيناه كل ما يحتاج إليه للوصول إلى غرضه من أسباب العلم والقدرة والتصرف، وقد اختلف المفسرون في تعيين ذي القرنين، فقيل: هو اسكندر المقدوني، وقيل: هو ملك صالح، وقيل: هو نبي كما هو ظاهر هذه الآيات. وذهب العلامة فضيلة المرحوم عبد الجليل عيسى في تفسيره (تفسير القرآن) إلى ما ذهب إليه العلامة (أبو الكلام أزاد) وزير معارف الهند المتوفى سنة ١٩٥٨ ميلادية أنه ملك فارسي عادل اسمه (كورش) أو (قورش)

وسمي ذي القرنين لأنه ملك الأرض من مغربها إلى مشرقها - أي من بلاد المغرب إلى نهاية بلاد الصين، وهي الأرض التي كانت معمورة في ذلك الوقت(١).

وقد ورد ذكره في الكتاب المقدس عند اليهود، فقد جاءت قصته في سفر أخبار الأيام الثاني من الكتاب المقدس عند النصارى والذي هو الكتاب المقدس عند اليهود، وذلك في بعض أسفاره.

فقد جاء في آخر فقرات أخبار الأيام الثاني: «وَفِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ لأَجْلِ تَكْمِيلِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ، فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَكَذَا بِالْكِتَابَةِ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَ السَّمَاءِ قَدْ أَعْطَانِي جَمِيعَ مَمَالِكِ الأَرْضِ،»(٢).

وجاء في السفر الذي يليه، وهو سفر عزرا قصة الملك كورش الفارسي وأنه أمر بعودة السبي من بابل إلى مملكة يهوذا في فلسطين.

فقد جاء في الإصحاح الأول منه وفي أول فقرة منه: (وَفِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ، عِنْدَ تَمَامِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضًا قَائِلاً: «هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا. مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلهُهُ مَعَهُ» إلى آخر الإصحاح(٣).

فقد ورد في هذا الإصحاح كما ورد في بعض الأسفار قصة كورش ملك فارس والذي عرف بذي القرنين، قصة استيلائه على غرب البلاد التي كان يحكمها وهي بلاد فارس حيث وصل إلى المحيط الأطلسي، فاستولى على العراق وفلسطين وسوريا ولبنان والأردن ومصر وبلاد المغرب العربي وأنقذ اليهود في بابل من الأسر، ورد إليهم كثيراً مما سلب منهم، وأقام الهيكل الذي كان قد دمره نبوخذ نصر في يهوذا.

وورود هذا في كتابهم المقدس يدل على علمهم بذي القرنين، وهم يعلمون أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه كان أُميا لا يعلم بقصته، فدفعوا المشركين ليسألوه

عنه ليحرجوه في ذلك، فنزلت هذه الآيات للرد على سؤالهم.

فبينت أن الله بعد أن آتاه أسباب القوة والنصر توجه أولاً إلى جهة الغرب فاستولى على كل البلاد التي كانت تقع غرب بلاد فارس حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسي. فنظر إلى البحر عند مغيب الشمس في آخر النهار، فرآها في رأي العين لا في الحقيقة، كأنها تغرب في طين أسود لأن ماء البحر أزرق يظهر من بعيد مع غروب الشمس، ولون الغيوم التي تحجب معظم نور الشمس عند غروبها كأن الشمس تغرب في طين أسود، وهذا في رؤية العين لا في الحقيقة. ويحاول بعض المبشرين تضليل العوام وتشكيكهم في صحة القرآن فيقولون: بأن الله قال في القرآن بأن الشمس تغيب في عين حمئة، والعين الحمئة هي الطين الأسود، مع أنه من المعلوم أن الشمس في السماء ولها فلك خاص بها، فكيف يقول القرآن بأن الشمس تغيب في عين حمئة فالجواب كما بينت: هو أن القرآن لم يخبر عن حقيقة غروبها وأنها تغيب في عين حمئة، وإنما أخبر عن رؤية ذي القرنين لها عند غروبها، وهو واقف على نهاية غرب البلاد التي استولى عليها على شاطئ البحر، وهو المحيط الأطلسي. وذلك كالذي يسير في صحراء قاحلة يرى السراب –وهو اللمعان الذي يحدث من سقوط أشعة الشمس وقت الظهيرة على أرض مستوية وهي ما تعرف بالقيعان في الصحراء– أنه ماء وهو في الحقيقة سراب.

وعند وصوله إلى مغرب الأرض قد وجد في تلك البلاد قوماً مشركين بالله، فألهمه الله أن يختار فيهم أحد أمرين: إما أن يقاتلهم وإما أن يدعوهم أولاً للإيمان بالله، فإن لم يستجيبوا يقاتلهم وهذا الأمر الأخير هو الأمر الأفضل والأحسن.

فقال ذو القرنين لبعض خاصته: أما من ظلم نفسه ولم يقبل دعوتي له بالإيمان بالله، وأصر على كفره وشركه بالله، سوف نعاقبه ونعذبه عذاباً شديداً. ثم يرد إلى ربه يوم القيامة فيعذبه عذاباً شديداً ليس معروفاً.

وأما من آمن وعمل صالحاً فله العاقبة الحسنى يوم القيامة، وسوف نعامله في

الدنيا معاملة حسنة، حيث نعامله برفق ونسهل له الحياة فيعيش حياة سعيدة.

وهذا ما دل عليه قوله تبارك وتعالى:

﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً ❖ قال أما من ظلم فسوف نعذبه عذاباً نكراً ❖ وأما من ءامن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾.

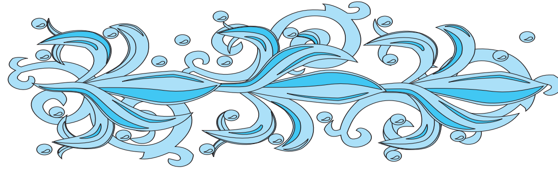
وسوف نفسر باقي الآيات التي تتعلق بذي القرنين في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

الهوامش:

(١) انظر: تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف (سابقاً) الجزء الثاني صفحة ٢٧٨- ٢٧٩.

(٢) الكتاب المقدس، كتاب العهد القديم، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح: ٣٦ الفقرات: ٢٢-٢٣.

(٣) المصدر السابق، سفر عزرا الإصحاح الأول.



الرسـول ﷺ الأسوة الأسرية

■ بقلم الأستاذ أحمد صقر السويدي

من المهام العظيمة التي ينبغي أن تكون في البيوت، والتي مارسها رسول الله ﷺ ومارسها أهله معه، هو أمر أهله وعشيرته بطاعة الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر في حياة النبي ﷺ قسمان، أمر عام وأمر خاص.

أما الأمر العام: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ الشعراء: ٢١٤، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ(١)، فقال: «يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أنّ لكم رحماً سأبلها ببلالها(٢)».

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم(٣)».

فهذا نداء عام أمر رسول الله ﷺ أهله بطاعة الله، والفرار إليه سبحانه، والإيمان به وتوحيده، والإخلاص في العبادة له،

وهناك توجيهات وأوامر خاصة في حياتهم نتعرض لها، لننظر كيف عالج رسول الله ﷺ الأمر بطاعة الله في أهل بيته، فإنه كان حريصاً عليهم كحرصه على أمته وأكثر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: (الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[٤].

هذا عون الرسول ﷺ لأهل بيته على طاعة الله فيقوم رسول الله ﷺ بنفسه يمر على بيت السيدة فاطمة رضي الله عنها ليوقظها ويوقظ زوجها علياً رضي الله عنه لصلاة الفجر فيقول: (الصلاة يا أهل بيت محمد).

وهو عون على طاعة الله، عون على رضا الله في وقت قد يثقل على الإنسان أن يقوم لصلاة الفجر فيجد عوناً من رسول الله ﷺ نفسه، فهذا حرص من رسول الله ﷺ على أهل بيته أن يكونوا حريصين على هذه الطاعة مقبلين على هذه الفريضة في وقتها.

وصورة أخرى مع نسائه رضي الله عنهن، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: (قومي، فأوتري يا عائشة)[٥].

فهذا الحديث يدل على ان رسول الله ﷺ يطلب من أهل بيته أن يحافظوا على سنة الوتر، التي يحافظ عليها رسول الله ﷺ.

نعم ما كان يأمرها أن تقوم معه بقيام الليل، وإنما كان يُرشدهم ويوجههم لذلك، ولكن إذا كان الوتر قال: (قومي يا عائشة فأوتري).

وصورة أخرى: أن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أخبر أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: (ألا تصليان؟) فقلت: "يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ، يضرب فخذه، وهو يقول: **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**[٦].

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة، أي أتاهما بالليل وكأنه رآهما نائمين أو يتجهزان للنوم، فقال: (ألا تصليان) أي: ألا تقومون لليل؟ فقلت -أي عليّ-: "يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثنا بعثنا، أي لو شاء الله لقمنا لقيام الليل، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، أي لم يعجبه كلام علي رضي الله عنه ولم

يعجبه رده، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه".

انظروا إلى تأثر رسول الله ﷺ أن لا يجد بيت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه مقبلين على هذه الطاعة، ويجد منهما هذا الجواب، فيضرب فخذه ويقول: **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**.

فينظر الإنسان إلى حرص رسول الله ﷺ على بيت ابنته وزوجها ان يكونوا في طاعة الله، وفي مرضاة الله، وفي عبادة الله، فلما وجد من علي رضي الله عنه هذا الرد، أخذ النبي في نفسه فضرب على فخذه متأثراً من هذا القول، متأثراً من هذا الرد، متأثرا أن يجدهم لا يقومون الليل فيضرب فخذه ﷺ ويقول: **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**.

ويوجه النبي ﷺ أهله للعون المعنوي بالطاعة على متطلبات الحياة الدنيا، عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: (على مكانكما) فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: (ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تُكبرا الله أربعاً وثلاثين. وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم).

وعن ابن أبي ليلى وزاد في الحديث قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[٧].

صورة أخرى لتوجيه أهل بيته للطاعة والعمل الصالح، وذلك عندما استيقظ ﷺ من نومه فزعا لما رأى من الفتن، فأول ما بدأ به من النصح لزوجاته رضي الله عنهن.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: (سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)[٨].

كما يتضح منه ﷺ توجيههن نحو أفضل العبادات وأقربها عند الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن جويرية رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلّى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: (ما زلت على الحال التي

فارقتك عليها؟) قالت: "نعم"، قال النبي ﷺ: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)(٩).

وأمر فاطمة رضي الله عنها أن تشهد أضحيتها، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يا فاطمة! قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بكل قطرة تقطر من دمها أن يُغْفَر لك ما سلف من ذنوبك) قالت: "يا رسول الله! ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟" قال: (بل لنا وللمسلمين)(١٠).

وأما عائشة رضي الله عنها فتخبرنا خبراً جميلاً عن عون رسول الله ﷺ لها في التصرف فيما يرضي الله تعالى، وما يزيل عن الناس الحزن، تقول: دخلت علي امرأة مسكينة، ومعها شيء تهديه إليّ، قالت: فكرهت أن أقبله منها رحمة بها، فقال لي نبي الله ﷺ: (فهلا قبلتيه وكافئتيها، فأرى أنك حقرتيها، فتواضعي يا عائشة، فإن الله يحب المتواضعين، ويبغض المستكبرين) يعني يوجهها النبي ﷺ إلى التواضع مع هذه الفقيرة، حتى تأخذ ما في نفسها وترحمها بهذا الأمر.

وعن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ لقي امرأةً تخرج من عند عائشة ومعها شيء تحمله، فقال لها: (ما هذا؟ قالت: "أهديته لعائشة فأبت أن تقبله"، فقال النبي ﷺ لعائشة حين دخل عليها: (هلا قبلتيه منها! قالت: يا رسول الله إنها محتاجة، هي كانت أحوج إليه مني، قال: فهلا قبلتيه منها، وأعطيتها خيراً منه)(١١).

وكذلك جاءت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها(١٢) إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني إمرأة قد ثقلت فعلمني شيئاً أقوله وأنا جالسة، قال: (قولي: الله أكبر مائة مرة، فإنه خير لك من مائة بدنة مجللة متقبلة، وقولي: الحمد لله مائة مرة، فإنها خير لك من مائة فرس مسرجة ملجمة حملتيها في سبيل الله، وقولي: سبحان الله مائة مرة فإنه خير لك من مائة رقبة من ولد إسماعيل تعتقينهم وقولي: لا إله إلا الله مائة مرة لا تذر ذنباً ولا يسبقه العمل)(١٣).

فانظر إلى توجيه النبي ﷺ أهل بيته إلى الطاعة وعمل الخيرات فرسول الله ﷺ يدخل على ضُباعة بنت الزبير وهي ابنة عمه قبل أن يحج يعرض عليها أن تحج معه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير فقال لها: (أردت الحج) قالت:

"والله! ما أجدني إلا وجعة، قال لها: (حجي واشترطي وقولي: (اللهم! محلي حيث حبستني)[١٤].

فانظر إلى حرص النبي ﷺ أن تكون ابنة عمه معه في الحج حتى لا يفوتها صحبته في حجته التي حجها، وذلك لعظيم الأجر والمثوبة عند الله أن يحج الناس مع النبي ﷺ، فكان أولى الناس برسول الله ﷺ أرحامه أن يشاركوه في هذه المثوبة.

الهوامش:

١- عم: خاطب عموم الناس والقبائل في قريش، خص: خاطب أهل بيته وارحامه.

٢- أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ورقمه (٢٠٤)، وقوله: "سأبلها ببلالها" أي أصلها بالإحسان فلا تقطع بالجفاء والإعراض كالحبل يُبل بالماء حتى لا تقطعه الشمس بالجفاف.

٣- أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ورقمه (٢٠٥).

٤- جزء من حديث في سنن الترمذي ٥/ ٣٥٢ ورقمه (٣٢٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ورقمه (٦٢٧).

٥- أخرجه مسلم ١/ ٥١١ ورقو (٧٤٤).

٦- أخرجه البخاري ١ / ٣٧٩ ورقمه (١٠٧٥) مولٍّ أي مدبر وذاهب.

٧- أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩١ ورقمه (٢٧٢٧).

٨- أخرجه البخاري ١/ ٣٧٩ ورقمه (١٠٧٤).

٩- أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩٠ ورقمه (٢٧٢٦).

١٠- مجمع الزوائد ٤/ ٢٠، وقال: رواه البزار وفيه عطية بن قيس وفيه كلام كثير وقد وثق، وقال الألباني: منكر انظر ضعيف الترغيب ورقمه (٦٧٤).

١١- حياة الصحابة ج٢/ ٢٤٠ نقلاً عن أبي نعيم في الحلية ج ٤/ ٢٠٤.

١٢- الجامع معمر بن راشد الأزدي ١٠ / ٤٤٩ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية تحقيق حبيب الأعظمي.

١٣- وهي ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وخطبها عام الفتح ولكنها اعتذرت إليه لكبر سنها وكثرة أولادها.

١٤- مسند أحمد ٦/ ٣٤٤ ورقمه (٢٦٩٥٦): (سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة متقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة) قال ابن خلف: أحسبه قال: (تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل، إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به) وقال الألباني: إسناده حسن رجاله ثقات. السلسلة الصحيحة رقمه (١٣١٦).

١٥- أخرجه مسلم ٢/ ٨٦٧ ورقمه (١٢٠٧).

أثر العطاء والانتماء في طلب العلم

■ بقلم الدكتور أنس كرزون

النفوس المتقاعسة لا تقوى على تحقيق الجودة في العمل وإتقانه وتحسينه، ولا تصبر على بذل الجهد والاجتهاد والحرص للوصول إلى الهدف المنشود.

وأما النفوس الأبية فإنها تتطلع إلى أعالي القمم، وتسعى بهمة صادقة وعزم أكيد إلى تحقيق الأهداف والتغلب على المعوقات[١].

ولهذا قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله: (الكبير الهمة على الإطلاق من يتحرى الفضائل لا لجاهٍ ولا لثروة ولا لِلَذَّةٍ، ولا لاستشعار نخوةٍ واستعلاء على البرية، بل يتحرى مصالح العباد شاكراً بذلك نعمة الله، ومتوخياً به مرضاته)[٢].

وما أبدع التوجيه النبوي الذي حدَّد فيه مفتاح النجاح في الحياة، والبعد عن مسببات الفشل، حيث كان ﷺ يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، والعجز والكسل)[٣].

فالإغراق في الهموم والإخلاد إلى الكسل، ظلم للنفس وحرمان لها من نيل ما تطمح إليه، وقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (أما الكسل فيتولد عنه الإضاعة والتفريط والحرمان وأشد الندامة)[٤].

والإيمان الصادق يمدُّ صاحبه بالهمة العالية والعزيمة القوية، والتوكل على الله عز وجل وطلب العون منه سبحانه،

والشعور بالمسؤولية، ويدفع عنه الكسل والخمول.

ومن بدائع وصايا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لا تصغرنَّ همتكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمة)[٥]، وقد روى الخطيب البغدادي عن الجنيد أنه قال: (ما طلب أحدٌ شيئاً بجدٍّ وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه)[٦].

فما أحوج العاملين في مجال التعليم القرآني إلى الهمة العالية، والتسابق للخيرات واغتنام الأوقات فالعمر قصير والناقد بصير.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (الموفق من تلمّح قِصر الموسم المعمول فيه، وامتداد زمن الجزاء الذي لا آخر له، فزاحم على كل فضيلة، فإنها إذا فاتت فلا وجه لاستدراكها، أو ليس في الحديث يقال للرجل: (اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)[٧] فلو أن الفكر عمل في هذا حق العمل لحفظ القرآن عاجلاً)[٨].

وإذا كان المتعلقون بحطام الدنيا يرغبون في طول العمر ليزدادوا من كسب متاعها فإن أصحاب الهمة العالية يدعون ربهم أن يرزقهم طول العمر وقوة البدن ليزداد عطاؤهم ونفعهم وتعليمهم للآخرين وتحقيق ما يرجون من الآمال.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (خلقت لي همة عالية تطلب الغايات، بلغتُ السنَّ وما بلغت ما أمَّلت، فأخذت أسأل تطويل العمر وتقوية البدن وبلوغ الآمال)[٩].

ويقول أيضاً: (دعوت يوماً فقلت: اللهم بلغني آمالي من العلم والعمل، وأطل عمري لأبلغ ما أحبُ من ذلك، فعارضني وسواس من إبليس، فقال: ثم ماذا؟ أليس الموت؟ فما الذي ينفع طول الحياة؟، فقلت له: يا أبله، لو فهمت ما تحت سؤالي علمت أنه ليس بعبث، أليس في كل يوم يزيد عملي ومعرفتي فتكثر ثمارُ غرسي، فأشكر يوم حصادي؟، أفيسرني أنني متُّ منذ عشرين سنة؟ لا والله) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (لا يزيد المؤمن عمرُهُ إلا خيراً)[١٠].

«فيا ليتني قدرت على عمر نوح، فإن العلم كثير، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع»[١١].

فتأمل رعاك الله هذه الهمة التي بلغت الذروة، والحرص على العلم والتعليم، وجني المزيد من الثمار التي تنفع العباد

وتحيي البلاد.

قال الطيبي رحمه الله تعالى: (إن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر، فينبغي أن يتَّجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس ماله كثيراً كان الربح أكثر، فمن انتفع من عمره بأحسن عمله فقد فاز وأفلح، ومن أضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسراناً مبيناً)[١٢].

فلنسارع إلى اغتنام الزمن بأكبر الهمم لنرقى طريق القمم ولنسأل المولى العون والتوفيق للسير على الطريق.

ومن بدائع التوجيهات النبوية ضرب المثل للمسلم بشجرة النخل؛ لغرس الفضائل في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وحثهم على العطاء النافع والإتقان فيه، بأسلوب مشوِّق مستمدٍّ من أمثلة محسوسة وواقع مألوف لديهم.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس، فقال: (إن من الشجر شجرةً خضراء، بركتها كبركة المسلم، لا يسقط ورقها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟

قال عبدالله: فوقَعَ الناس في شَجَر البَوَادي، فقال القوم: هي شَجَرةُ كذا، هي شَجَرةُ كذا، ووَقَع في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَة، فجَعَلْتُ أُرِيدُ أن أقولَها، فإذا أَسْنَانُ القوم، فأهابُ أن أَتكلَّم وأنا غلامٌ شابٌّ، ورأيتُ أبا بكر وعُمَر لا يتكلَّمان، فسَكَتُّ، فلما لم يتكلَّما، قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (هي النخلة)[١٣].

وهذا الحديث النبوي حافل بالتوجيهات وغرس الفضائل بأسلوب تربوي غير مباشر، وذلك بضرب المثل الذي يربط بين الواقع المحسوس المألوف للناس، وما ينبغي لهم التمسك به من محاسن الأخلاق وحب العطاء، **ولو تأملنا هذا المثل لوجدنا أوجهاً كثيرة للتشبيه بين النخلة والمسلم، ومنها المجالات التالية:** النخلة شجرة من أجود الشجر وأعلاها مرتبة في كثرة خيرها ودوام ظلها، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فإنه من حيث طلوعه لا يزال يؤكل أنواعاً: بلحاً ورطباً وتمراً وغير ذلك، بالإضافة إلى جمال نباتها وورقها، وتماسك جذعها، وإذا يَبِسَت النَّخْلَةُ يُتَّخَذُ منها منافعُ كثيرة، من خَشَبِها، ووَرَقِها، وأَغصانِها[١٤]، وكذلك المسلم كله خير ونفع، وبركته عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته، فهو ذو عمل صالح وقول حسن، وحب للعطاء وإتقان للعمل بدون توقف أو تخاذل

أو كسل.

فما أحرى القائمين على تعليم القرآن أن يزداد عطاؤهم ويعم نفعهم لكل من حولهم، وأن يجعلوا قلوبهم المملوءة بمحبة القرآن تفيض نوراً وخيراً، وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

ولا شك أن استمرار العطاء يحتاج إلى صبر وسهر ومشقة وبذل للجهد، وهذا ما يفعله أهل الدنيا لكسب الأموال وزيادة الأرباح، أفلا يحرص أهل القرآن على بذل أكبر الجهد لنيل الربح في التجارة مع الله سبحانه وتعالى وبلوغ جنته!! قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصلاة وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[١٥].

وتأمل هذه الوصية من الإمام مالك رحمه الله لتلاميذه بالتأكيد على استمرار العطاء ونشر العلم، عن ابن القاسم قال: كنا إذا ودعنا مالكاً يقول لنا: (اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلّموه ولا تكتموه)[١٦].

وما أبدع قول الشاعر:

كن وردة طيبُها حتى لسارقها

لا دمنةً خُبْثُها حتى لساقيها

انظر إلى الماءِ إنَّ البذل شيمتُهُ

يأتي الحقول فيرويها ويُحييها

فما تعكر إلا وهو مُنحبسٌ

والنفسُ كالماءِ تحكيهِ ويحكيها

والإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش في عزلة، فهو يتطلع لإيجاد علاقات مع الآخرين، ولهذا كانت الحاجة إلى الانتماء أقوى دوافع السلوك لديه ومحور اهتماماته[١٧].

والمسلم يعتز بانتمائه للإسلام، ويفخر بما أكرمه الله عز وجل به من الأخوة الإيمانية، التي يسعى لتقويتها وأداء حقوقها وتوثيق أواصرها، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[١٨].

وقال تعالى: **﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾**[١٩].

وقد أرشدنا المولى سبحانه للاعتزاز بالإسلام والفرح بنعمة القرآن، فقال تعالى: **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[٢٠].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: (ينبغي للمسلم أن يفرح بالقرآن فرح الغني

بغناه وذي السلطان بسلطانه، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**وأنزل اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾.

فمن أنعم الله به عليه، ويسَّرهُ له ليتعلمه ويقرأه، فقد أشركه مع نبيه في علمه، فإن لم يعظم المنعم عليه هذه النعمة ويعرف قدرها فهو من أجهل الجاهلين)[٢١].

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على غرس محبة القرآن في النفوس، والاعتزاز بانتمائهم لسلسلة الإسناد التي تلقوا بها كتاب الله عز وجل.

عن ثابت البناني رحمه الله أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال له: (خذ عني، فإنك لن تأخذ عن أحدٍ أوثق مني، أخذتُه عن رسول الله ﷺ، وأخذه رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، وأخذه جبريل عن الله عز وجل)[٢٢].

ولقد حفلت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ببيان الفضل العظيم والأجر الكبير لمن أقبل على تعلم القرآن الكريم وتعليمه، فما أعظمها من مكانة ومنزلة رفيعة أن يكون قارئ القرآن ومعلمه مع السفرة الكرام البررة، وأن يحظى بوسام الخيرية العظمى: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٢٣].

والشرف الذي يطير له القلب فرحاً أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله أهلين من الناس). قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[٢٤].

وأهل القرآن هم حفظته العاملون به الحافظون لحدوده، وهؤلاء هم أهل الله، أي: المقربون لديه المختصون برحمته ورضوانه، فليكن أهل القرآن فخورين بانتمائهم لهذا الشرف العظيم، معتزين بأنهم أسرة واحدة مهما اختلفت لغاتهم وجنسياتهم.

وليحرص العاملون في الجمعيات والمؤسسات القرآنية على تشويق الأبناء وإذكاء روح التنافس بينهم لينالوا مراتب الصدارة في انتمائهم لهذه الأسرة القرآنية المباركة، التي تجمع أشراف الأمة على مائدة القرآن، منذ عهد النبوة إلى قيام الساعة جيلاً بعد جيل، يرتبط فيها الأجداد بالأحفاد بنسب عالي المقام، ومنازل في الجنة يترقون فيها وهم يتلون ما معهم من القرآن. نسأل الله أن يجعلنا منهم.

الهوامش:

(١) ينظر: كتاب الهمة العالية في حياة المعلم- للمؤلف.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢٩١.

(٣) رواه البخاري رقم ٦٠٠٢، ومسلم رقم ٢٧٢٢.

(٤) (٥) الفوائد لابن القيم ص٤٧ .

(٦) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٣١٩.

(٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١٧٩/٢.

(٨) رواه الترمذي رقم ٢٩١٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٩) صيد الخاطر ص٢٤٥.

(١٠) صيد الخاطر ص٢٢٩ .

(١١) رواه مسلم رقم ٢٦٨٢، وروى الترمذي (رقم/٢٤٣١) عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن أعرابياً قال: يا رسول الله من خير الناس؟ قال ﷺ: (من طال عمره وحسن عمله).

(١٢) صيد الخاطر ص١٠٦.

(١٣) رواه البخاري رقم ٦١، ومسلم رقم ٢١٦٥.

(١٤) ينظر: زاد المعاد لابن القيم ٣٦٥/٤.

(١٥) فاطر: ٢٩ - ٣٠.

(١٦) جامع بيان العلم وفضله ١٤٧.

(١٧) التربية والتجديد للدكتور ماجد عرسان الكيلاني ص٧٦.

(١٨) الحجرات: ١٠.

(١٩) آل عمران: ١٠٣

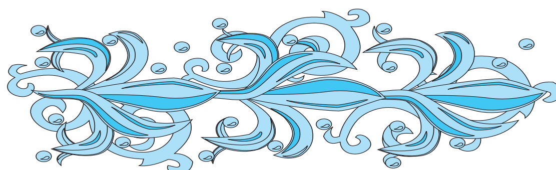
(٢٠) يونس: ٥٨.

(٢١) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص١٨٧.

(٢٢) رواه الترمذي رقم ٣٨٣٠.

(٢٣) رواه البخاري رقم ٤٧٣٩.

(٢٤) رواه الإمام أحمد ١٢٧/٣، وابن ماجة رقم ٢١٥، والحاكم ٥٥٦/١، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب رقم ٢١٢١ .



السبق التاريخي للمنهجية الإسلامية المتميزة في التعامل مع ظاهرة الاختلاف

■ بقلم الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

من المفارقة الكبيرة أننا عندما نتحدث عن فقه الاختلاف، وفن إدارته نجد تبايناً عظيماً بين واقع الأمة قديمها وحاضرها.. فعند إلقاء نظرة على الاختلاف في التصور الإسلامي، وفي التطبيق الواقعي الذي مارسته المدارس الثقافية الفقهية المتعددة طوال ألف وثلاثمائة سنة.. نرى واقعاً جميلاً مشرقاً يزخر بما كانت تصبو البشرية للوصول إليه خلال قرونها المنصرمة، كما نرى فقه الخلاف في الإسلام بناءً ثقافياً سامقاً في ناحيتيه النظرية والعملية، إذا عالجنا هذا الموضوع من حيث الزاوية التاريخية البحتة، بعيداً عن الاستغلال السياسي الذي كان يحدث أحياناً للخلاف الفكري.

والأدلة التطبيقية العملية على هذه النظرة المتفائلة، إزاء الواقع الثقافي التاريخي في جانبيه النظري والعملي تتمثل في التالي:

أولاً: قيام المنهج الإسلامي على الاجتهاد بعد تأسيس الثوابت القطعية وهي المحكمات التي لا خلاف فيها: وقد بدأت مرحلة الاجتهاد منذ نزل الوحي القرآني على نبينا محمد ﷺ، وكان هو سيد المجتهدين فيما لم ينزل عليه فيه وحي، وهذه مسألة أصولية مشهورة، وسور

الأنفال، وعبس، والتحريم تبين أمثلة ذلك فيما هو مشهور.. ثم سارت حركة الاجتهاد بين أصحابه رضي الله عنهم في عهده وبعد عهده ﷺ في إطار المحكمات.. والاجتهاد يقتضي للوهلة الأولى من إطلاق كلمة الاجتهاد: قبول إبداء الناس لآرائهم، وعدم الإلزام برأي بعينه، ولذا قيل: أتفتحون باب الاجتهاد ثم تلزمون الناس برأيكم؟

ثانياً: الثروة الفقهية التي كانت ثمرة لاختلاف الرأي من جهة، وثمرة للوئام الذي ساد بين المذاهب الفقهية من جهة أخرى:
إذا استبعدنا الاستغلال السياسي والتعصب، وإذا قلب المرء صفحات آلاف المجلدات لن يجد صعوبة في معرفة أن كل فقيه يصرح بكلمة (رأيي) (أو هذا رأي ارتأيته)، وها هو أبو حنيفة فقيه القوم يلخص الاجتهاد الفقهي بقوله لصاحبه أبي يوسف: "ويحك يا يعقوب لا تكتب كل ما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد"(١).

ثالثاً: القواعد القانونية (الفقهية والأصولية) التي تنشر ثقافة الاختلاف وتضبط وتنمي جوانبه الايجابية: وهذه القواعد وضعها أئمة المذاهب ومجتهدوها، وهي قواعد قانونية محددة تدير الاختلاف في الرأي بحيث ينمي التعددية في الرأي، ويستثمرها ويعطيها التجدد والحيوية الفقهية والفكرية، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى النزاع والتعصب.. **ومن هذه القواعد التي وضعوها القواعد التالية:**

لا إنكار في مسائل الخلاف، المجتهد مصيب، مراعاة الاختلاف مندوبة، الخروج من الخلاف مستحب، طلب الشيء لا يسقط بإرادة الخلاف، مسائل الخلاف إذا اتصل ببعضها قضاء حاكم تعين القول به وارتفع الخلاف، إذا تعارض خلافان قدم أقواهما.

وضع الفقهاء والأصوليون هذه المبادئ العظيمة استنباطاً من أن العصمة للنص لا للفهم الشخصي للنص.. وهذه القواعد تأتي إضافة إلى القواعد الشرعية المقررة في الشرع والتي يتم من خلالها إدارة الخلاف مثل: " الحوار بالحسنى، والجدال بالتي هي أحسن" بل منع الله كل جدال إلا بالتي هي أحسن كما قال تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾** العنكبوت: ٤٦ .

وهاتان القاعدتان تأخذان صفة العموم حتى مع اليهود والنصارى فضلاً عن أن

يكون ذلك فيما بين المسلمين كمذاهب فقهية، أو اتجاهات فكرية، أو تيارات تنموية ذات أصول علمية.. ومن لطيف ما ذكره ابن العربي في قانون التأويل أن مجالس المناظرات بينهم وبين اليهود والنصارى في بيت المقدس، كانت منعقدة قائمة على الحوار العلمي المحض دون تعنت أو تعصب أو عنف، ومن ذلك قصة مناظرة الحبر اليهودي الشهير التستري الذي وصفه بأنه كان لقناً فيهم ذكياً بطريقهم، وذكر بعض مناظراته..[٢].

وهذه الصورة لما كان عليه المسلمون في فقه الاختلاف مع غيرهم من نضج ثقافي، وتطبيق مثالي لقواعد الإسلام.

وقد استقى الغربيون هذه المبادئ وأعادوا صياغتها ليوهموا العالم أنهم أصحابها، ولا ننسى أن التقنين الدستوري الفرنسي في وضعيته بعد الثورة الفرنسية قد تأثر بالتقنين الفقهي المالكي..

رابعاً: تأسيس علوم مستقلة لها متونها الخاصة تعنى بوضع القوانين التي تضبط الحوار بين أهل الاجتهاد كعلم البحث وعلم المناظرة وعلم الجدل، وعلم الخلاف:

وعلى سبيل المثال فقد عرفوا علم المناظرة بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين، وموضوعه الأدلة من حيث إنها يثبت بها المدعى على الغير، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب"[٣].. وقد امتدت فوائد هذا العلم لأنه يخدم العلوم كلها، إذ البحث والمناظرة "عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"، وعللوا وجوده بأن "المسائل العلمية تتزايد يوماً فيوماً بتلاحق الأفكار والأنظار فلتفاوت مراتب الطبائع والأذهان لا يخلو علمٌ من العلوم عن تصادم الآراء، وتباين الأفكار، وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول وإلا لكان مكابرة ... فلا بد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود وتلك القوانين هي علم آداب البحث"[٤].

وبناء على هذا شاع عندهم التعبير عن اجتهادهم بأنه "رأي" يمكن نقضه ونقده والبحث عما هو أفضل منه.. وليس حكماً منزلاً، ولا كتاباً مفصلاً لا يأتيه الباطل.

لننظر إلى بعض أقوال خير القرون

على الإطلاق.. إنه قرن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.. فأبو بكر رضي الله عنه يقول: "أقول فيها برأيي فإن كان صواباً.."، ومثله ابن مسعود رضي الله عنه، يقول عن اجتهاده في قضية: "سأقول فيها بجهد رأيي فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني والله ورسوله منه بريء"(٥)، فجعل قوله اجتهاداً، وجعله رأياً.. ولما قال ابن عباس للصحابة في مجلس عمر عن مسألة: "أحدثكم برأيي" أي لا نص مقدس وإنما وجهة نظر قال له عمر: "عن ذلك نسألك(٦)، ولعله تعلم هذا الرقي في العبارة من زيد بن ثابت، فقد عاتبه ابن عباس في اجتهاد ظنه مخطئاً فيه فقال له زيد: "إنما أقول برأيي وتقول برأيك"(٧).. فهذه العبارة هي المعادلة لشعار الثقافة في عصرنا: الرأي والرأي الآخر.

بل حذروا من عد الرأي ووجهة النظر حكماً ملزماً يعادل النص القطعي كما قال محمد بن سيرين في مسألة استنبط منها شيئا: "فظننت ظناً فلا تجعلوه أنتم يقيناً".. فاجتهاده مجرد ظن ووجهة نظر.. فلا ينبغي أن يجعلها من يسمعه ممن هو أهل للنظر حكماً منزلاً، أو نصاً قاطعاً.

وكانت إدارة الحوار تتم بين الأطراف المختلفة وفق قاعدة **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾** سبأ: ٢٤، وهذا في مسائل العقائد فما بالك في مسائل الفروع، وقضايا العمل الدعوي الإسلامي الإداري؟ وعلى الرغم من الضرورة الواقعية للاختلاف في المجتمع المسلم فإننا لاحظنا بعين الاستقراء التاريخي في الحوادث العامة أن الاستقرار الاجتماعي، والسلم العام بين سائر الفئات والمذاهب كان هو السائد في فترات تاريخنا الماضي إجمالاً.

فقد مثلت المذاهب الفقهية الأربعة أو الخمسة أو الستة.. بل التي يمكن إيصالها إلى ما يزيد على العشرة.. مثلت هذه المذاهب الفقهية رؤى فكرة مباينة، واجتهادات ثقافية مختلفة، ويمكن اعتبار المذاهب الفقهية بحق أحزاباً سياسية في الفقه، أو جماعات دعوية في الفروع.. وعلى الرغم من هذه المساحات الكبيرة للتعددية في المحيط الإسلامي حينها إلا أن الجميع كان يسودهم روح الإخاء، والترابط الوثيق، وتجمعهم قاعدة **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: ٢، وهذا كله يوضح حقيقة السبق الإسلامي لنشر

ثقافة الحوار لو كان عند "البيت الدولي، والنظام العالمي إنصاف لمنتجاتنا الثقافية.

التعصب لآراء الأفراد والجماعات: بطر الحق وغمط الناس يطفئ نور الحق ويمزق المسلمين: وإذا كان الخلاف أمراً واقعاً، وضرورة خلقية، فإنه لا يحدث الفرقة ما دام منضبطاً بميزان الشرع بل إن الذي يحدث الفرقة هو بطر الحق، والتعصب للرأي، والاستعلاء على الآخرين، وقد تنازع بعض التابعين تنازعاً شديداً في القراءات المتواترة مع أنها جميعاً مشروعة حتى قام عثمان رضي الله عنه، بالعمل العظيم في تعميم المصاحف، وذكرهم بمشروعية القراءة على الأحرف المنزلة.

وعلى الرغم مما يلحظ في زماننا من أن أكثر أعمال الاتجاهات الإسلامية تكاملية؛ إذ إن معظم الأعمال التي يبرز فيها هذا الاتجاه أو ذاك هي أعمالٌ نوعية تعود إلى اختلاف التنوع، ولكن النزاع والتنافس ونبذ استيعاب هذا النوع من الاختلاف هي السمة الطاغية، وقد يجمع كل طرف من أطراف الاختلاف حقاً وباطلاً فتحل العصبية الذميمة وتصادر من كل طرف حقه وباطله ثم يضيع الهدى نتيجة لهذا التنازع الذميم، ويترتب على ذلك التقاطع والتدابر والمكر ببعضهم.

وقد يكون سبب ذلك: إما عدم استيعاب وقوع الخلاف فكريا أو نفسيا أو علمياً، وإما الإصرار على تثبيت الخطأ والصواب من كل ذي انتماء على أنه صواب محض من حزبه وفئته.

وقد يستدل على ذلك بأدلة منها: قاعدة "لا إنكار في مسائل الخلاف".. "إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة، والمقابلة، والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق، ورسوخ البدعة"[٨].

فإذا عرف أن الاختلاف حقيقة واقعية، بل إن الاختلاف في الاحكام أكثر من أن ينضبط سهل تربية النفس على الموقف الصحيح منه نابذاً ابتداء كل تقطيع لعرى الأخوة لمجرد وقوع الخلاف بينهما، "ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجراً لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة"[٩].

ووقوع الاختلاف: يؤدي إلى أخذ الصواب من كل طرف، ولا تمنع هيبة المخطئ من الإنكار عليه دون حط أو تفريط في حقوق الأخوة الإسلامية: كما قال الذهبي: "وبين الأئمة اختلاف كبير في الفروع وبعض الأصول، وللقليل منهم غلطات وزلقات، ومفردات منكرة، وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صواباً، ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب والسنة، وكل ما خالفوا فيه لقياس أو تأويل، وإذا رأيت فقيها خالف حديثا أو رد حديثا أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه.. وإنما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف"[١٠].

وقد يكون مع كل طرف شيء من الصواب وشيء من الخطأ فيؤخذ الصواب من كل طرف مع التماس العذر في وقوع الخطأ.

الهوامش:

١- تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ٣/ ٥٠٤.

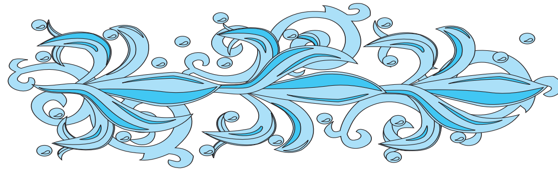
٢- انظر: قانون التأويل ص٤٣٨.

٣- كشف الظنون ١/ ٣٨ .

٤- كشف الظنون ٣٨/١.

٥- الموطأ ٢/ ٤٦٠، النسائي ١٢٢/٦، ورواه الحاكم ١٩٦/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

٦- ابن خزيمة ٣/ ٣٢٢، ورواه الحاكم ١/ ٦٠٤، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".



١

الجهاز الاداري في النظام الاسلامي

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد صالح الحمداني

لأجل ان تؤدي التشكيلات الادارية مهمتها على الوجه الأكمل، لتقدم خدمة عامة، لا بد من التزام مسؤولي الادارة لأحكام الشريعة والخضوع لها ابتداء من الرئيس ومروراً بوزرائه وولاته وغيرهم، لأنهم المسؤولون عن تنفيذ شرع الله على ارض الله وتنفيذ أحكامه كما في قوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾[١].

والأمر واضح الدلالة على اتباع القرآن الكريم الذي فيه كمال تربيتكم وسمو أعمالكم ومعاني أخلاقكم، وحذر الله عز وجل من اتباع الهوى الذي يؤدي بنتيجته لترك الحق وبمعرفتكم المصلحة فسوف لا تؤثرون الضار على النافع[٢]، لا بل ان التحذير شمل جميع الناس من الخروج على الشريعة بقوله سبحانه وتعالى: **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**[٣]، وبموجب هذا التحذير فإن الادارة تخضع في تصرفاتها جميعاً لشرع الله، كما لا يمكن ان تتخذ قراراً أو ان تقوم بعمل ما لم يكن خاضعاً لذلك الشرع الحكيم وتنفيذاً لأحكامه، وهذا الامر يشمل الحاكم والمحكوم، وعليه لا يمكن اتفاقهما على أمر مخالف للشريعة لأن ذلك يكون خروجاً عليها وبذلك يستحق الخارجون وصف الظلم كما ذكرت الآية الكريمة.

وعليه لا بد للإدارة من ضمانات لأجل ان تحقق الخضوع والالتزام بسلطان الشريعة وهذه الضمانات هي: نظام التولية، والرقابة الادارية.

١- نظام التولية:

ان النظام الاسلامي له وسائله الكفيلة بخضوع الادارة للأحكام الشرعية، وتكمن تلكم الوسائل في القوة والأمانة والتي تضمنها قوله سبحانه وتعالى: **﴿ان خير من استأجرت القوي الأمين﴾**(٤)، وبحكم هذه الآية الكريمة **لا يجوز ان يتولى المناصب العامة في الدولة، الا من اتصف بالقوة والأمانة ويحرم تولية الضعيف الخؤون.**

فالقوة تعني امكانية المسؤول على ادارة العمل بفضل ما يمتلك من خبرة عملية وبعد نظر وثاقب فكر ومهارة سياسية وغيرها، ودليل ذلك قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه عندما سأله الإمارة: «يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها»(٥).

اما الامانة: فهي الورع في الدين والتقوى والصدق وهذه الصفات تكون عنصر الرقابة الداخلية عند المسؤول والتي بدورها تحاسب نفسه على التصرفات جميعها(٦)، ولا سيما اذا التزم بشعار «الله شاهدي الله ناظري الله معي» والذي يجسده قوله سبحانه وتعالى: **﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾**(٧).

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن القوة والأمانة أساس لكل ولاية لأن «القوة في الحكم ترجع الى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، والى القدرة على تنفيذ الاحكام والأمانة ترجع الى خشية الله وان لا يشتري بآياته ثمناً قليلاً وترك خشية الناس»(٨)، وعليه فلا بد من الاختيار الجيد فهذا رسول الله ﷺ، عندما جاءه نفر يطلبون منه ان يولي رجلاً يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه من أموالهم اذ قال لهم: «ائتوني العشية ابعث معكم القوي الأمين»(٩)، فأرسل معهم ابا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين في أول خطبة له سياسته في التولية، فيذكر القوة والأمانة ويرتب على حسن الالتزام وعدمه ثواباً وعقاباً يقول: «اما بعد؛ فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا، ولّينا اهل القوة والأمانة فمن يحسن نزده حسناً ومن يسيء نعاقبه»(١٠).

ولسائل يسأل فإذا لم يكن من هو بهذه المواصفات أعني القوة والأمانة، ففي هذه الحالة يختار الامثل فالأمثل بعد اجتهاد فمن فعل ذلك يكون قد ادى الأمانة ونهض

بالواجب كما ينبغي[١١].

والذي يعدل عن اختيار صفتي القوة والأمانة محاباة، فقد رتب عليه ﷺ عقوبة كبيرة بقوله: «من ولي من امر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»[١٢].

هذا الوصف كفيل ان يردع أولي الامر بالامتثال والالتزام بتولية القوي الأمين، دون اللجوء الى أي صفة أخرى لأنه «ان عدل عن الأحق الاصلح الى غيره لأجل قرابة بينهما او صداقة او موافقة بلد او مذهب او طريقة او جنس او لرشوة يأخذها من مال او منفعة او غير ذلك من الاسباب او لضغن في قلبه على الأحق او عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[١٣] واستحق بهذه المخالفة العقاب الوبيل بعد نهي الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون﴾**[١٤].

وخلاصة القول: ان الالتزام والخضوع الذاتي لأحكام الشريعة، يؤدي الى نظام تولية له ثماره اليانعة والتي تتمثل بتنفيذ الأحكام الشرعية وإشاعة العدل كما يريد سبحانه وتعالى، فيطمئن الجميع الى ما يتخذ من قرارات لكونها تنطلق من قاعدتي القوة والأمانة المستمدة من الأحكام الشرعية.

٢- الرقابة الإدارية:

لا ينتهي عمل الحاكم بتعيين من يقومون بالأعمال الادارية، بل عليه ان تستمر رقابته على أعمالهم، لأن الانسان ليس معصوماً من الخطأ، ولما كانت رقابته ومحاسبته تجعلهم اكثر حرصاً وابعد خطأً، فتعد واجبة شرعاً، يقول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته..»[١٥].

وانطلاقاً من هذه الأدلة على الرقابة الادارية يوجه الفقيه ابو يعلى ان على الخليفة «ان يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة ولا يعول على التعويض تشاغلاً بلذة او عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح»[١٦].

وفي حالة ترك أمر المراقبة فإن النتيجة خسران الجنة كما يقول رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم

عليه الجنة»[١٧].

وما هذا الاهتمام في النظام الاسلامي بالمراقبة والمحاسبة، الا لسعيه لتحقيق مقاصد الشريعة التي بها يسعد الانسان في دنياه وأخراه.

وعليه فإن نظام التولية والرقابة الادارية كفيلان بخضوع الادارة لأحكام الشرع، لأن مسؤولي الادارة جميعهم مسؤولون على أعمالهم المخالفة لأحكام الشريعة والتي تنتج ضرراً للغير. والنصوص التي تدعو الى رفع الظلم وإزالة الضرر في حالة وقوعهما كثيرة ومنها قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[١٨] ولعل ما فعله ابن اللتبية بعد استعماله الصدقة وعاد بعد انجاز مهمته قال: هذا لكم وهذا اهدي اليّ فقال النبي ﷺ: «ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول: هذا لكم وهذا أهدي اليّ فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته»[١٩].

فكل ما يؤخذ بسبب المنصب سواء أكان مالاً أو هدية فيعد سحتاً لقوله ﷺ: «هدايا الأمراء غلول»[٢٠]، فما ظنك بتجاوز ذلك ولا سيما في العقود الدولية والمقاولات العامة والاختلاس بشتى الطرق وعدم الحفاظ على الأموال العامة وتبذيرها في غير محلها كذلك يؤثر تأثيراً على الرعية، والأحكام الشرعية تسعى لتحقيق المصلحة العامة وإزالة الضرر، ولذلك شددت على هذا الجانب فهل وعى المسؤولون أحكام دينهم ليسلموا من عقوبة الله واعتراض رعيتهم!.

❖ اسباب الفساد الإداري:

ان معرفة اسباب الفساد يساعد على ايجاد الحلول التي تساعد على إزالته ولعل اهم تلك الاسباب ما يأتي:

١- السعي لتحقيق المنافع الشخصية غير المشروعة: يسعى الكثير ممن يتصدرون المسؤولية الى تحقيق مآربهم الشخصية بوسائل شتى دونما الالتفات الى من يقودونهم، وهذا التصور نابع من الجهل بالنفس وسوء تقدير المسؤولية التي أنيطت به، لذلك قدم مصلحته الشخصية على المصلحة العامة، مما يعطي مؤشراً بإيثار نفسه على المجموع، وهذا خلل فيما أسند اليه من خدمة المجموع.

٢- التهرب من التكليف: أحياناً يكلف غير المؤهل، وهذا الأمر يجعل تصرفات هذا الشخص وإدارته غير صحيحة من حيث الاجراءات القانونية، ويضع وجهة نظره عاملاً لتسيير الأمور مما يعطل القانون، وعدم المعرفة تجعله يتهرب من المسؤولية الادارية بكل الوسائل إيثاراً للراحة وهرباً من التكلف بالعمل، أو يدع الأمور بيد غيره مما يفتح باباً لضياع الحقوق، ولا يهمه ذلك ما دام محتفظاً بمنصبه، وهذا يعد سبباً من اسباب الفساد الاداري ومخالف لأمر التولية لوجود من هو خير منه.

٣- الظلم: لقد رهب الله من الظلم وندد بالظالمين، لأن الظلم اساس كل فساد في الارض، وسبب من اسباب الفوضى في قيادة الشعوب وسياسة الأمم، وموقد نيران الحروب، ومعول تخريب، ولذلك كله فقد أهلك الله الأمم السابقة بسبب ظلمهم وتجاوزهم[٢١] قال سبحانه: **﴿لقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾**[٢٢]، بل كتب عليهم اللعنة بقوله: **﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾**[٢٣].

وما هذه العقوبات الا لأن الظلم تعد على الحق والميل الى الباطل، وهذا يعني ان الظالمين يمنعون اهل الحق حقوقهم، والظلم مرض اجتماعي يجب مقاومته والقضاء عليه وإلا فإن خطره عام على الأمة، لأن شيوعه يؤدي الى وصول اشرار الناس الى الحكم، ووصولهم هذا يؤدي الى الهلاك كما أشارت الآية الكريمة[٢٤].

٤- الفسوق: ان الله سبحانه وتعالى قد وضع للحياة سنناً لا تتبدل ونواميس لا تتخلف وحين توجد الأسباب تحصل النتائج فالذي ينعم النظر ويديم التفكير في قوله تعالى: **﴿وإذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾**[٢٥]، يصل الى ان الآية قررت سنة الله في المترفين وهم طبقة الكبراء الناعمين الذين توفر لهم كل ما يتمنون من بهارج الدنيا فخلدوا الى الدعة والراحة حتى رتعوا في الفسق واستهتروا بالقيم وارخصوها وولغوا في الأعراض، وكل هذه التصرفات تضعف الأمة، وحيث لم يجدوا من يردعهم ويضرب على أيديهم وبسبب ذلك الخروج، ترتبت النتيجة الحتمية وهي التدمير والهلاك جزاءً وفاقاً[٢٦].

٥- البطر: الاسلام يدعو الى القصد والاعتدال في الانفاق ولا يمنع التمتع

بالحياة ونعيمها بالقدر الذي لا يبطره ولا يبذر فيه فيخرجه عن المألوف فيكون البطر سبباً للهلاك يقول الله تعالى: **﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾**[٢٧].

فالانسان البطر انسان ضعيف الارادة ساقط الهمة، ولذلك يسهل اختراقه واستغلاله وتسخيره من لدن الغير لتنفيذ مطالبهم حتى ولو على حساب غيرهم وغمط حقوقهم والمسرف جرثومة فتاكة بالقيم، ولذلك تراه انانياً جشعاً وعدواً للحق وخصماً لدوداً للإصلاح والمصلحين[٢٨].

فالآية الكريمة بينت ان الله تعالى بعث على الذين بطروا عذاباً أهلكهم ودمر قريتهم فأصبحت أثراً بعد عين، وكفى بهذه العقوبة تحذيراً واتخاذها درساً للرجوع الى الصواب[٢٩].

فالبطر يؤدي الى أخطار جسام منها:
استئثار طبقة على خيرات المجتمع، وهذا يولد حقداً في الطبقات المحرومة مما يؤدي الى الاقتتال، فالبطرون يصلون الى دفة السلطة بسبب ثرائهم مما يجعلهم يسنون القوانين التي تحميهم وتديم عليهم ترفهم، لذلك نراهم على مر التاريخ أعداء لكل دعوة اصلاحية، لأنها ستمنع بعض امتيازاتهم التي هم يعيشون في بحبوحتها[٣٠].

ولما تقدم فإن البطرين يعيشون لأنفسهم تاركين غيرهم يتقلبون في شذف من العيش وحرمان من الحقوق وهذا تعد صارخ وعامل من عوامل الفساد.

٦- العتو عن امر الله سبحانه وتعالى:
ان عدم الالتزام بأوامر الله عز وجل يسبب عقوبة لأصحابها وهؤلاء قوم صالح عليه السلام، لما لم يأخذوا بتوجيه نبيهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين كما صورتهم الآية الكريمة بقوله تعالى: **﴿فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ❁ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ❁ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾**[٣١].

فالآية الكريمة تعبر عن عصيان يظهر اصحابه التبجح الذي ترافقه معصية، ويكشف عن شعورهم النفسي باستعجالهم العذاب، ولا سيما ارتكابهم عقر الناقة فجاء الجزاء نتيجة العتو رجفة يصحبها فزع وجثوم، حيث لم ينفعهم النصح

والإرشاد من لدن صالح عليه السلام فذكرهم بأمانة الشهادة والتبليغ والنصح والتبرؤ من سوء المصير الذي جلبوه لأنفسهم بسبب العصيان[٣٢].

وعليه فكل من يعصي ويتبجح بعصيانه فإنه يلحقه العذاب الأليم ولا سيما العاصين ممن بيدهم الأمر، وهذا يستوجب مراجعة دقيقة لعلاقتنا مع الله سبحانه وتعالى قيادات وقاعدة لكي لا نكون سبباً للفساد.

٧- **الاستبداد:** قال الله تعالى حكاية عن ملكة سبأ: **﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾**[٣٣]، وما قالت هذا الا لأنها تعرف ان من طبيعة الملوك غير المتقين، انهم اذا دخلوا مدينة اشاعوا فيها الفساد، وحطموا القوة المدافعة عنها وعلى رأسها رؤساؤها الذين جعلوهم أذلة، لأنهم عنصر المقاومة وهذا هو ديدنهم الذي ينتهجونه[٣٤].

وانطلاقاً من هذا فإن الاسلام يمنع الاستبداد والطغيان في الحكم ولا يجوز لحاكم ان يكره شعبه على شيء ضد الاسلام، والحرية في ظل الاسلام مكفولة الحفظ للجميع كي يفجروا طاقاتهم الابداعية ويعبروا عن آرائهم بلا تأثير[٣٥].

فهل وعى المسؤولون دروس القرآن الكريم والتزموا بها كي يحبهم الناس

المراجع:

١- الأعراف: ٣ .

٢- ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٢٨٣ .

٣- الطلاق: ١ .

٤- القصص: ٢٦ .

٥- صحيح مسلم ٣/١٤٥٧ .

٦- دراسات في الفكر الاسلامي للدكتور ابراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ٢٧٨ .

٧- الحديد: ٤ .

٨- السياسة الشرعية لابن تيمية ١٥ .

٩- السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤٢٢ .

١٠- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٧٤، والنظم الاسلامي للدكتور منير البياتي ٣١٦ .

١١- ينظر السياسة الشرعية لابن تيمية ١٥، والنظم الاسلامي للدكتور منير البياتي ٣١٧ .

١٢- المستدرك للحاكم ٤/١٠٤، ووصفه بأنه صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

١٣- السياسة الشرعية لابن تيمية ١١، والنظم الاسلامي لمنير البياتي ٣١٨ .

١٤- الأنفال: ٢٧ .

١٥- صحيح البخاري ١/٣٠٤، وصحيح مسلم

١٤٥٩/٣ .

١٦- الأحكام السلطانية ١٢، والأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ١٦، واصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ١٨٨ .

١٧- صحيح مسلم ١٢٥/١ .

١٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٦/٢ .

١٩- صحيح مسلم ١٤٦٣/٣، وصحيح البخاري ٢٥٥٩/٦، وصحيح ابن خزيمة ٥٣/٤ .

٢٠- مسند ابي عوانة الاسفراييني ٣٩٥/٤، وسنن البيهقي الكبرى ١٣٨/١٠ .

٢١- ينظر الموسوعة في سماحة الاسلام محمد صادق العرجون ٢٩٣/١ .

٢٢- يونس: ١٣ .

٢٣- هود: ١٨ .

٢٤- ينظر الخطايا في نظر الاسلام، عفيف عبد الفتاح ١٢٠-١٢١ .

٢٥- الاسراء: ١٦ .

٢٦- ينظر في ظلال القرآن للسيد قطب ٣١٢/٥-٣١٣ .

٢٧- القصص: ٥٨ .

٢٨- مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي ٢٢٧-٢٣١ .

٢٩- الخطايا في نظر الاسلام، عفيف عبد الفتاح ١٥٤ .

٣٠- المصدر نفسه ١٥٨-١٥٩ .

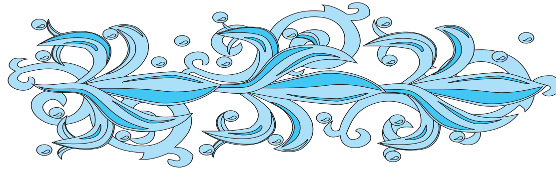
٣١- الأعراف: ٧٧-٧٩ .

٣٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥٥٢/٣ .

٣٣- النمل: ٣٤ .

٣٤- في ظلال القرآن ٢٧٢/٦-٢٧٣ .

٣٥- مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي ٢٠٩-٢١٠ .



الفقيه الظاهري ابن حزم الاندلسي ومذهبه

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

كنت قد اقتنيت كتاباً قبل بضع سنوات عنوانه «ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» تأليف الدكتور عبد الحليم عويس، تناول فيه حياة هذا الفقيه وآراءه في مختلف النشاطات التي مارسها، ولا سيما موقفه الفقهي الذي اتسم بالظاهرية قياساً على بقية المذاهب الاسلامية التي أخذت بالرأي، الى جانب اعتمادها على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعُرفت بالاجتهاد على ما بينها من تفاوت مما نشهده في مذاهب اهل السنة الأربعة، الى جانب مذاهب الشيعة والخوارج (وقد انقرض المذهب الأخير، الا من بقية تسمى الاباضية في الشمال الافريقي وسلطنة عمان)، وهكذا فإن المذهب الذي أخذ به ابن حزم، هو مذهب غير هذه التي ذكرنا، وهدفي ان نتعرف عليه.

❖ ابن حزم الظاهري وما مارسه من أعمال:

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم المولود سنة ٣٨٤هـ والمتوفى سنة ٤٥٦هـ وتلامذته الذين نشروا مذهبه، وأهمهم المؤرخ ابو عبد الله محمد بن ابي نصر الحميدي، المتوفى سنة ٤٨٨هـ، ثم صاعد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ولكن الظاهرية ترجع اصلاً الى اواسط القرن الثالث الهجري، اذ بدأت على يد الفقيه داود بن علي بن خلف القاشاني المتوفى سنة ٢٧٠هـ، وقد كان في الاصل شافعياً، ثم اتخذ طريقاً خاصاً، يتلخص في الأخذ بظاهر القرآن الكريم، وعدم قبول القياس والتأويل، وهو أول من قال بالأخذ بالظاهر من الكتاب والسنة،

وألـغـى مـا سـوى ذلك، ولـهـذا سـمـي داود الظاهري، وعُرف اتباعه بالظاهرية.

وقد خرج دواد على الاصول والقواعد الفقهية لدى الشافعية، وله في هذا الشأن مؤلفات كثيرة، ذكرها ابن النديم في كتابه «الفهرست»، وهي تدل على سعة اطلاعه، ثم كان ابن حزم الاندلسي من اتباعه، ولذلك سمي بالظاهري ايضاً «تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن، الطبعة الثامنة، ج٣/٣٤٧–٣٤٨».

وعلى اي حال فإن ابن حزم اعتمد على منهج الحديث وعلى الظاهر في توثيق سند الرواية ومتنها، وأخذ بأسلوب التحقق العقلي والنقد الداخلي ورصد الظواهر وتجميعها، (وفقاً لما ذكره عبد الحليم عويس)، بخصوص كتاب ابن حزم المسمى «حجة الوداع»، حيث ظهر هذا النهج واضحاً، فقد قدم له ابن حزم بسرد وجيز للوقائع التاريخية المتعلقة «بحجة الوداع»، ثم اتبعها بإيراد الأحاديث المؤيدة لكل ما ذكر.

وعلى أي حال فإنني كنت أظن ان الظاهرية قد اختفت من الوجود، ولكنني عندما قضيت (١٨) عاماً في السعودية استاذاً في جامعة الرياض، لاحظت في الصحف اسمين على الأقل ينتسبان الى الظاهرية، أحدهما هو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الذي رجع اليه عويس عدة مرات في مؤلفاته السبعة ولا سيما «تاريخ المذهب الظاهري» و «حوار حافل مع شيخ الظاهريين» و «الظاهرية ومدلولاتها» (انظر ص٩٠ وهوامشها ٣و٤ و ص٤٢١–٤٢٢).

وأما الثاني فهو ابو تراب الظاهري (ص١٢) وهذا ما جعلني اعتقد بأن الظاهرية لا زالت موجودة بيننا، وان من حق الجيل الحاضر ان يعرف شيئاً عنها، ولذلك عمدت لتلخيص اهم النقاط الواردة في كتاب الدكتور عويس وتقديمها لقراء مجلتنا الغراء «هدي الاسلام»، علماً بأنني لاحظت تعاطف المؤلف مع الظاهريين، رغم محاولته الحياد واتباع الامانة العلمية، وبإمكاني ان أؤكد للقراء بأن ما جاء في هذا المقال يعكس الى حد كبير موقف المؤلف عويس المتعاطف مع الظاهرية، فضلاً عن تعاطف بعض المستشرقين الذين حققوا بعض مصادرها ونشروها، وفضلاً عن تعاطف الحكومة الاسبانية التي خصصت اسبوعاً للاحتفال بذكرى «ابن حزم» وإحياء ذكراه بإقامة تمثال له في قرطبة (ص١٢) وسمي «اسبوع ابن حزم».

ومن الادلة على تعاطف عويس مع ابن حزم ما جاء في (ص٥٧) عند ذكره عودة ابن حزم الى قريته، فقال: «بعد ان تكالب عليه الفقهاء» ولا شك انه يقصد «فقهاء المسلمين» ولا أظن ان من اللائق اطلاق

صفة «التكالب» عليهم مهما كان موقفهم من ابن حزم!!.

وعلى اي حال فإن ابن حزم لم يكن مجرد مجتهد في الاحكام الدينية، بل كان له نشاط واسع في التأليف، كما سنرى ان شاء الله في مختلف المواضيع (ص١١٠-١٢١).

هذا وترجع علاقة ابن حزم بالاسلام الى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اذ كان جده الاعلى وهو يزيد الذي كان من موالي يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنه احد قادة فتح الشام، وكان فارسياً في الاصل (ص٥١) وكان احد اجداده بعد ذلك، وهو خلف بن معدان، وهو الذي دخل الاندلس مع موسى ابن نصير سنة ٩٣هـ، ولكن بعض المؤرخين -ولا سيما الاجانب- يُرجع بأصله الى أسرة اسبانية نصرانية، مما رفضه ابن حزم نفسه، وقد نشأ في عائلة ذات مقام كبير حتى تولى أبوه الوزارة للحاجب المنصور (ص٥١-٥٩) ولذا حظي ابنه بالتعليم على يد علماء زمانه، بما في ذلك المنطق والفقه والحديث والأدب والتاريخ على أيدي كبار الاساتذة، مثل الحسين بن علي الفاسي، وهو من طبقة ابن عبد البر وأمثاله ممن حفلت كتب التراجم بسيرهم، وكان يمنِّي نفسه بزيارة بغداد قبلة العلوم في زمانة، فلم تتح له الفرصة (ص٧٢) فقال شعراً:

ولي نحو اكناف العراق صبابة
ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم
فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك تدري ان البعد غصة
وان كساد العلم آفته القرب

اما بالنسبة للوظائف فإنه تولى قمتها وهي الوزارة كأبيه، ولكنه شغل نفسه بالعمل لبعث الدولة الأموية بالأندلس، مما استدعى بقاءه في قرطبة على أمل اعادتها للوجود، وفيها ولي الوزارة للخليفة عبد الرحمن بن هشام سنة ٤١٤هـ، ولكنها لم تدم طويلاً ففارقها، ثم عاد اليها في الفترة (٤١٨-٤٢٤هـ) غير انه لم يل اي منصب علمي ولا قضائي (ص٧١)، كما انه اصبح شريداً لفترة ما.

❖ ابن حزم ونشاطاته:

وعندما فارق ابن حزم قرطبة، ذهب الى جزيرة «ميورقة» وفيها واجه عدواً لدوداً هو محمد بن سعيد الموقي (ص٧٣-٧٤) أحد المالكية المتعصبين ضد ظاهريته، فهرب الى اشبيلية ولقي معارضة مماثلة، وفي خضم هذه الأحوال لقي الطبيب الاسرائيلي، واسمه «اسماعيل بن يوسف المعروف بابن النغريلة» وكانت بينهما مناقشات حول الملل والنحل، فناظره فيها

ابن حزم سنة ٤٠٤هـ (ص٧٥-٧٦).

ثم تنقل في بقاع الأندلس، ومنها جزيرة ميورقة آنفة الذكر، وفيها جاهر بمذهبه الظاهري (ص٧٦)، ولكنه أخفق في حمل اهلها على قبول هذا المذهب، فغادرها الى قرطبة الا انه لقي فيها موقفاً مماثلاً حتى أقصاه اهلها وحرقوا كتبه، وكان اكبر اعدائه سليمان بن خلف الباجي، الفقيه المالكي الذي رحل الى الحجاز والعراق، ولقي فيها العلماء، وقد استغرقت رحلته (١٣ عاماً) وكان من مناوئيه ابن عبد البر، ولكنها مناوأة مؤذية (ص٧٧-٧٨). وقد وجد عدد غير قليل من العلماء ممن أيدوا مذهبه (ص٧٩).

ومما ذكره عنه مؤلف الكتاب، وفاءه وتدينه، ونقل بعض أقواله التي تؤيد هذا المنحى، مما نجد تأييده في كتابه «طوق الحمامة» والى جانب ذلك فإن ابن حزم عُرف بالشدة في إصدار الأحكام، غير ان بعض مؤيديه يفسرها بالصراحة والشجاعة والجرأة التي عرفت فيه حتى وفاته.

وقد اتجهت حياته بالتصدي للتعليم وتفقيه التابعين والمواظبة على التأليف (ص٨١-٨٤)، وخاصة الفلسفة والمنطق والتاريخ، علاوة على الفقه، وحيث انه اتخذ الظاهرية مذهباً، فإنه يرفض التأويلات والافتراضات العقلية، وقد احتل ذلك جانباً مهماً من فكره، مما جعله أصولياً فقيهاً مجتهداً، وصاحب مدرسة الحديث والأثر في مواجهة مدرسة الرأي والقياس، وهو يقول: «ان دين الله ظاهر، لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه» وأمر قراءه باتهام **«كل من يدعو الى ان يُتبع بلا برهان، وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً، فهي دعاوى ومخارق، واعلموا ان رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا كان عنده ﷺ سر ولا رمز ولا باطن» (ص٩٠-٩١).**

لقد اختار ابن حزم الظاهرية بتأثير ظروف فكرية وتاريخية في العصر الذي ساد فيه الانحلال وتردي الأخلاق، وصيرورة الفقهاء «حسب ظن المؤلف» عضداً للأمراء في تبرير طغيانهم وظلمهم «كذا» وقد أتيح لابن حزم قراءة الفقه المالكي، وغيره من المذاهب، واستنتج من قراءته -حسب قول المؤلف- ان القياس والاستحسان، قد اصبحا من اسباب الخلاف، وكان على الفقهاء ان يكيفوا بين احكامهم وبين مقتضيات الحياة الفاسدة (كذا..)، مما مسخ أصول الدين وآدابه، فكانت «ظاهرية ابن حزم» هي رد الفعل لما سماه المؤلف بالوصولية.

وقد حاول ابن حزم اصلاح الموقف باصلاح ما سماه فساد الفقه، وإشاعة نظام اسلامي يملك التأثير على الحكام،

وقد وجد -حسب زعم المؤلف- التأويل بإسم القياس والاستحسان والتعليل، تجاوزاً على ما سماه «الدلالات الصريحة».

وحاول تنفيذ الاصلاح بواسطة الحكام، ولكنه فشل، ولذلك عمد لاصلاح فساد الفقه حسب تعبيره، بالامتناع عن استخدام القياس، والاستحسان والتعليل، فاختار المذهب الظاهري، لأنه حسب رأيه يوجب الاجتهاد ويمنع التلاعب بالنصوص، وقد تدرج ابن حزم من المذهب المالكي السائد في المغرب والاندلس، الى المذهب الشافعي، ثم انتهى به الأمر الى المذهب الظاهري الذي أوجده داود الظاهري، كما اسلفنا، لكنه خالفه في بعض مسائله الاساسية، حتى صار الناس يسمونه «المذهب الحزمي» (ص٨٨-٨٩).

وقد رصد عويس للمذهب الظواهري خصائص معينة منها (ص٩٤):

١- الالتزام بالنص قرآناً وسنة ثابتة في حدود المعنى الظاهر، بحكم دلالة اللغة.

٢- الاعتراف بإجماع الصحابة وتابعيهم كمصدر للتشريع، ورفض القياس والاستحسان وسد الذرائع، ويضاف الى شرط الاجماع مصدر يسمى «الدليل».

٣- المساواة بين الصحابة، وقد يؤخذ كلام بعضهم ويُترك كلام البعض الآخر، فالشريعة وحدها هي المتقيد بها.

٤- النظر الى أئمة المذاهب نظرة متساوية، ولا معنى للتعصب لمالك مثلاً دون الشافعي.

٥- رفض التقليد ويكفي ان القائلين به مقرون على انفسهم بأنه لا يحل لأحد ان يأخذ بقول أحد بلا برهان.

٦- اذا خالف أحد العلماء الجماعة فلا حجة في الكثرة بالنسبة للقلة لأن «اهل الفضل وقليل ما هم».

٧- العبرة في الأمور هي بالفعل، فإذا روى الصحابي حديثاً عن النبي ﷺ ثم روي عن ذلك الصحابي فعل خلافه، فيؤخذ فعله ويترك ما روي عنه.

٨- رفض التعليل، فالشريعة تعبدية، والمعقول منها نص الله على معقوليته.

٩- طريقة الاستدلال على الأحكام، تبدأ بآية أو بحديث نبوي، او بالإجماع، أي إجماع كل عصر اذا لم يتقدم في المسألة خلاف من جانب العلماء المجتهدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعلماء الأمصار وأئمة الحديث ومن تبعهم، وتعرض المسألة بالنسبة لهذه الاعتبارات، ويتم اقرارها

تبعاً لذلك.

١٠- ويأتي بعد ذلك دور التحليل، والنقد، فيصحح الأمر أو يضعف، أو يعدل او يجرح او يقبل او يرفض مع مناقشة الحجج التي اقرته او رفضته.

١١- احتفاؤه بغرائب الفقه، وجمع من غرائب فقه الصحابة والتابعين ومن بعدهم، الشيء الكثير الذي يستنبط منها مدى السعة والشمول والتطور والمرونة في التشريع الاسلامي.

وقد طبق ابن حزم هذه المعالم وقدم في ضوئها مذهباً فقهياً «حزمياً» وذلك عبر موسوعته المسماة «المحلى» الذي حمل مذهباً مقارناً بالمذاهب الأخرى، وقد تضمن حلولاً لـ (٢٠٢٨) مسألة من مجموع مسائله البالغة (٢٣١٢) مسألة، وبسبب وفاته لم يكملها، وقد بلغ ما طبع منها (٧٠٥٠) صفحة، وهي مختصر لما جمع من مسائل عددها (١٢٩٠٣) مسألة تضمن آراء (٥٤٦) عالماً سلفياً، يضاف اليها آراء في (٢٥٠) مسألة لفريق من الصحابة رضي الله عنهم (ص٩٢-٩٦).

ويقول الدكتور عويس: ان ابن حزم في تجديده واستقلاليته وعمقه، يشبه الامام الشافعي رحمه الله من ناحية الالتزام بالأثر، كما يتفق في هذا الباب مع الامام احمد بن حنبل رحمه الله، مما يبدو في منهجه من تضييق.

ثم ان التزامه بالظاهر قد هداه «حسب رأي عويس» الى آراء فقهية اعتبرت سابقة لعصرها، ومنها رأيه في حق المكاتبة للعبد ومساواته للحر في عدد الزوجات، ثم رأيه في الغناء، وفي منع تأجير الأرض الزراعية، اذ هي لمن يزرعها، ووجوب انفاق الزوجة على زوجها ان كانت موسرة، كما انه كان رائداً في الوصية الواجبة للأقارب غير الوارثين، وإعطاء القاضي حق تنفيذ تلك الوصية (ص٩٦-٩٧).

❖ منهج ابن حزم في العلوم العربية والفلسفة:

ومنها قوله: ان اللغة العربية فرض تعلمها على الفقيه، لأنه بها يفهم معاني الكلام، ومن يجهل اللغة والنحو، فإنه لم يعرف اللسان الذي خاطب به الله تعالى نبينا محمداً ﷺ، ومن لا يعرف هذا اللسان لا تحل له الفتيا، لأنه يفتي بما لا يدري، وقد افترض ابن حزم ان اللغة كانت واحدة، ثم صارت لغات كثيرة، اذ توزعها بنو آدم، لكنه لا يفضل لغة على أخرى، وكانت نظرته الى اللغات من حيث كونها «مجموعات» وهي -في نظر عويس- نظرة رائدة لم يسبق اليها من جانب علماء أوروبا، اذ سبقهم ابن حزم بقرنين، وكان الى جانب ذلك شاعراً وله القصيدة

النقفورية التي أجاب بها ملك الروم «نقفور» حينما تهجم على الاسلام والمسلمين بقصيدة (وهي في ٩٦ بيتاً) ارسلها الى الخليفة العباسي المطيع فرد عليها ابن حزم بقصيدة بلغت (١٠٧) ابيات اما قصيدة (نقفور) فمطلعها:

من الملك الطهر المسيحي مالك
الى الأملاك من آل هاشم
الى الملك الفضل المطيع أخي العلا
ومن يرجّى للمعضلات العظائم

ويختمها بقوله:

فعيسى علا فوق السموات عرشه
يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى
فصار رفاتاً بين تلك الرمائم
تناولتم اصحابه بعد موته
بسب وقذف وانتهاك المحارم

فرد عليها ابن حزم بقصيدة مطلعها:

من المجتبي بالله رب العوالم
ودين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي الى الله بالتقى
والرشد والاسلام افضل قائم

ثم رد على افتراءات الأعداء، وختم قصيدته بقوله:

لنا كل علم من ديم ومحدث
وانتم حمير داميات المحارم
اثبتم بشعر بارد متخاذل
ضعف معاني النظم جم البلاعم
فدونكما كالعقد فيه زمرد
ودرّ وياقوت بإحكام حاكم

وهكذا كان ابن حزم شاعراً بليغاً، كما كان كاتباً قديراً، وان كتابه «طوق الحمامة» خير دليل على رقي اسلوبه الأدبي، وما فيه من ادب فلسفي في الحب العذري، علاوة على كتابه «الفصل» الذي بسط فيه آراءه عن الاعجاز القرآني، وهو لا يتفق مع علماء عصره في معاداة الفلسفة والمنطق اللذين وجد فيهما فوائد أكيدة.

وقد لاحظ بعض الباحثين انه في كتابه «التقريب» قدم عرضاً شعرياً لمنطق «ارسطو» فكان بذلك خير من شرح مستغلقه وأوضح غموضه، ويُعتبر كتاب «الفصل» معرضاً للمذاهب الفلسفية والآراء الكلامية القيمة، اذ يناقشها ويعرضها على الفكر الاسلامي، ويرد عليها بأدلة نقلية وعقلية، وكذلك رسائله التي تضم كثيراً من آرائه الفلسفية، حتى ليمكن القول: إن فكر ابن حزم العلمي والفلسفي كان فكراً اسلامياً خالصاً (ص٩٧-١٠٠ و ١٤٥-١٤٦).

❖ ابن حزم ومؤلفاته وكثرتها:

يعتبر ابن حزم من اكثر المسلمين

تصنيفاً، ان لم يكن اكثرهم مطلقاً، وقد طرق مختلف العلوم والفنون الى جانب مناقشة المعارضين له بنحو (٤٠٠ مجلد) بصفحات تقدر بثمانين ألف ورقة، والورقة صفحتان، حتى اعتبره المؤرخ «فيليب حتي» أحد الاثنين او الثلاثة الذين يمثلون أخصب المسلمين في التأليف، وأغزرهم مادة، وقد أحصى له المؤلف عويس ٨٩ رسالة مفقودة، أما مؤلفاته الموجودة فتبلغ (٥٣) ويصل بعضها الى (٤٠) مجلداً، وقد رجع المؤلف الى (١٦) منها، وهي تنظم اكثر المعارف المتصلة بالعلوم الانسانية، وبعضها ابتكر ابن حزم موضوعاتها الجديدة مما ينم عن صدقه ودفاعه عن مبادئه وإيمانه القوي المتين بالله وبرسالة الاسلام وعلومه، وانه يمثل البداية للمرحلة الأخيرة في تاريخ الفكر الاسلامي وهي ذروة التفكير العقلي الاسلامي التي انتهت بابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ (ص١١٠-١٢١).

ولا غرابة في ذلك فإن ابن حزم عاش في قرطبة التي كانت تعتبر أعظم مدن اوروبا وثاني مدينة في العالم بالنسبة لبغداد الأولى (ص٢٧) واستمرت قيادة قرطبة العلمية لأوروبا واسبانيا خاصة (ص١٩-٥٠) وان المعنيين بالتراث الاسلامي يشهدون بأن ابن حزم كان كثير الانتاج، وقد سجلوا عناوين الكثير مما خطه قلمه، مما استغرق ذكرها أكثر من عشر صفحات (ص١١٠-١٢١) اذ لم يكن مجرد مجتهد في الأحكام الدينية، بل طرق عدة مواضيع اخرى، **ولنبدأ بذكر مصنفاته التي سلمت من الضياع، وعرفها المؤلف عويس وهي:**

جوامع السيرة «النبوية»، حجة الوداع، جمهرة انساب العرب، نقط العروس، المفاضلة بين الصحابة، فضائل الاندلس، الرد على ابن النغريلة اليهودي، امهات الخلفاء، الفصل في الملل والأهواء والنحل، طوق الحمامة، المحلى، الاخلاق والسير، الإحكام في أصول الأحكام، إبطال القياس والرأي والاستحسان، التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم، مراتب الاجماع في العبادات، وكتاب المجلى.

هذا وان الكثير من نتاج ابن حزم لم يكتب له النشر، مما يُفهم من كتاب نشر سنة ١٣٩٩هـ، وهو تاريخ هذا الكتاب لمؤلفه الدكتور عبد الحليم عويس، وهذه اسماء الكتب التي لم يكتب لها النشر، وهي مفقودة:

رسالة في مراتب العلوم، الإمامة والسياسة، التوقيف على شارع النجاة، اسماء الصحابة الرواة، اسماء الصحابة من اصحاب الفتيا، رسالة فتوح الاسلام، اسماء الخلفاء والولاة، رسالة الاصول والفروع، رسالة الامامة.

❖ دور ابن حزم في التاريخ:

من المصادر التي استند اليها ابن حزم، ما يمكن تسميته المصادر الحية، وهم أصحاب النزعات والأفكار الذين جادلهم وسجل آراءهم في كتبه، ومنهم:

عبد الله بن خلف الأنصاري، عبد الله ابن محمد السلمي الكاتب، محمد بن علي ابن ابي الحسين الطيب «وهو وسابقه يقولان بخلود النفس والزمان»، ثابت بن محمد الجرجاني الملحد، عبد الله بن شيف «القائل: بتعدد الازليين»، خويز بن خلف الباجي الذي جعل للجمادات تمييزاً، سليمان بن خلف الباجي «القائل بانقطاع نبوة محمد» اسماعيل بن يوسف اليهودي ابن النغريلة الذي ناظره ابن حزم، ابو الحسن الطرابلسي من المعتزلة، محمد بن عيسى الصوفي من المجسدين.

وغير هؤلاء كثيرون ممن جادلهم ابن حزم، اذ كان الجدل العلني عنده وسيلة من وسائل الجهاد (ص١٥٩-١٦١) هذا وقد عمد ابن حزم الى تطبيق منهج الظاهرية على التاريخ، من خلال انتمائه لمدرسة الحديث وتوثيق الخبر، ولمدرسته الظاهرية في فهم النصوص، وعنده ان النقل هو ميزة الملة الاسلامية من بين سائر الملل، وهو القائل: ان التزام المسلمين بهذا المبدأ هو الذي أضعف الملل الأخرى أمام مقاييس النقد الصحيح، لذلك حرص على الالتزام به، ومزجه مزجاً كاملاً مع منهج الظاهرية (ص١٦٣-١٦٩).

ومما له علاقة بهذا الشأن ان ابن حزم يؤيد الحجة التاريخية التي يقرنها بأحاديث رواها من ثماني طرق، وعددها (١٤ حديثاً) نقلت بثماني عشرة رواية، وهكذا ثم يحلل الروايات بالنسبة لرواتها، فيذكر ما فيها من قوة وضعف، ويذكر المؤلف عويس، بأن ابن حزم مع هذه الاحتياطات كلها، قد اخطأه التوفيق في بعض القضايا اذ اعتمد على بعض الرواة المجهولين، علماً بأن الجرح في الحديث عند الأصوليين هو أولى من التعديل، حيث ان البخاري اجتمع لديه (١٠٠) الف حديث لم يقبل منها الا (٤٠٠٠) حديث في صحيحه (ص١٧٦-١٨١).

ولذلك ليس غريباً ان يقع ابن حزم في بعض الأخطاء، كما ان ابن حزم يعمد احياناً لتأويل اللغة لكي يستقيم له المعنى الى ما يريد، ثم ان قسوته حيال الاشعري تدل على عدم اطلاعه على كل تراثه، كما ان له أخطاء أخرى شكلت في حقيقتها عبئاً على تراثه، وسببت له النفرة، وخاصة بهجومه على ابي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى، ولا تكاد تخلو كتاباته من هجومه على اهل الرأي والقياس وشيخهم ابي حنيفة.

ومما يناقض ابن حزم نفسه فيه، هو موقفه حيال عبد الرحمن بن هليعة، الذي ضعّفه في (١٥) موضعاً في كتابه «المحلى» وتقبّل رواياته هو في سلسلة الرواة لها، علاوة على وجود محمد بن عبد الرحمن الذي جهّله ابن حزم في موضعين من كتابه «المحلى ص١٨٢-١٨٣)، كما انه لم يخلط بين راويين كما حصل في خلطه بين كثير ابن عبد الله بن زيد، الراوي عن عمرو، وبين كثير بن زيد الاسلمي (ص١٨٣).

ثم انه يبالغ في تمجيد فضائل الاندلس وأهلها، مما يوقعه في احكام عامة ومقارنات ناقصة، وهي تفضيل الاندلس على المشرق، ومن ذلك المبالغة في وصف المؤلفات الاندلسية (ص١٨٤)، كما انه يتعصب للأمويين ضد العلويين في الاندلس، ولو كان يشجب بعض سياساتهم عند حكمهم في المشرق، فيجرمهم بقتل الامام الحسين رضي الله عنه، وقتلهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وقصفهم الحرم المكي عندما ثار ضد الحكم الاموي (١٨٦-١٨٧).

وعلى اي حال فإن تأثير ابن حزم كان واضحاً في ابن خلدون، سواء في منهج النقد التاريخي ام في التحليل، وكذلك في معرفة الأنساب لا سيما بالنسبة لأنساب البربر، وبالنسبة لقضايا الفكر التاريخي (ص٢٠٢-٢٠٣).

ومن الجدير بالذكر ان تراث ابن حزم، سواء منه ما كان مباشراً في التأريخ لحياته ام ما جاء منه عرضاً، قد قدم وثائق كثيرة شعرية ونثرية ورسائل وتراجم وجيزة للرجال الذين اسهموا في صنع الحياة الفكرية والسياسية، كما صور نماذج لحياة الطبقة الراقية المالكة لزمام الأمور في الاندلس (ص٢٦٦)، وكانت له جهود واسعة في مجال تاريخ السيرة النبوية (ص٢٢٨-٢٣٥) وفي تاريخ المشرق الاسلامي في مختلف العصور (ص٢٣٥-٢٤٦) وكذلك بصفة خاصة تاريخ الاندلس (ص٢٤٧-٢٥٧).

هذا ولابن حزم تأثير فكري في المغرب العربي، مما يلاحظ في كثير من علماء المغرب والاندلس مثل عبد الواحد المراكشي «المتوفى سنة ٦٤٧هـ»، وهو المؤرخ لدولة الموحدين (ص٢٥٨ وما بعدها)، وقد لاحظ ان سلاطين الموحدين، كانوا متأثرين بآراء الإمام الغزالي رحمه الله، وآراء ابن حزم، ومنهم السلطان يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن الذي ولي الحكم سنة ٥٨٠هـ وتوفي سنة ٥٩٥هـ (ص٢٥٩-٢٦٥).

اما بالنسبة لآراء ابن حزم، فإنه يجيز تولي المرأة للقضاء، كما يجيز ذلك للعبد، واوضح موقفه الطيب تجاه المرأة مما نجده في كتابه «طوق الحمامة» (ص٢٨١-٣٣٧).

اما بالنسبة للحكام المسلمين فإن ابن حزم يجيز عزلهم اذا كان ذلك في مصلحة المسلمين (ص٢٨١)، وفي الشؤون الاقتصادية فرأيه عدم السماح بالمزارعة بالنسبة للأرض الزراعية، الا في ثلاث حالات:

١- ان يزرعها المالك نفسه بآلاته واعوانه.

٢- او يسمح لغيره بزراعتها بشرط ان لا يأخذ منه شيئاً، الا اذا شارك بالآلات او البذور.

٣- او يعطيها لمن لا يجيز بيع الماء تأكيداً لمعنى الملكية العامة لهذا المصدر (ص٢٩٣-٢٩٦).

ولابن حزم رأي جدير بالاهتمام، وهو قوله: إنه فرض على الاغنياء في كل بلد ان يقوموا بالانفاق على فقرائهم، وان يجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تكف الزكاة بنفقتهم، وينبغي القيام لهم بما يأكلون واللباس للشتاء والصيف، وبمسكن يقيهم المطر والشمس ومن عيون المارة، عملاً بقوله تعالى: **﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾** واتباعاً للحديث الشريف القائل: «المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه (ص٣٠٩) ولابن حزم اهتمام خاص بالتعليم الذي يشمل (١١) علماً وهي «النحو واللغة والشعر والحساب والفلك والمنطق والطبيعيات، وعوارض الجو، والتشريح والتاريخ قديمه وحديثه، والفلسفة ومقارنة الأديان، والشريعة».

ويتضح مما تقدم ادخاله التعليم الواجب تعلمه يشمل علوماً عملية، يجعلها ضمن العلوم الواجب تعلمها، ومن بينها محو الامية (ص٣٢٠-٣٢٥) كما انه يرى ان من حق العبد ان يحصل على حريته متى شاء، كما يعطي لولد الزنا حقه في الحياة اذ لا ذنب له في جريمة لم يرتكبها، وهكذا سبق ابن حزم الدعوة لحقوق الانسان (ص٣٢٦-٣٢٨).

هذا ويعترف مؤرخو الاديان ومنهم آدم متز، في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٨٤/١، بأن مقارنة الاديان هو علم اسلامي نشأ بفضل التسامح الذي عرف به المسلمون تجاه الاديان الاخرى، وقد ظهرت كتابات المسلمين عن العقائد الاخرى، بما فيها الوثنية، وعقائد اهل الكتاب في سلسلة من الكتب،و مثل كتابات النونجتي (٢٠٢هـ) والمسبحي (٤٢٠هـ) وابي منصور البغدادي (٤٢٩هـ) في كتاب «الملل والنحل» ثم ظهر كتاب «الفصل والملل والأهواء والنحل» لابن حزم كحلقة في سلسلة مقارنة الاديان (ص٣٢٣-٣٣٤)، وقد كان هذا الكتاب حلقة بارزة في هذه السلسلة، كما كان للديانات

قطوف دانية

بقلم الطالب أسامة الأسعد

قال الله تعالى:

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾.

النساء: ٣٦

رفع البصر في الصلاة

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما بال اقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم، (فاشتد قوله في ذلك حتى قال:) لينتهين عن ذلك أو لتخطفن ابصارهم».

الإحسان

قال عامر الشعبي: روي عن نبي الله عيسى عليه السلام انه قال:

«ان الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وليس الاحسان ان تحسن الى من أحسن اليك».

كيف تعرف الحليم

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لا نعرفهم الا في ثلاثة:

لا تــعـــرف الـــحـــلـــيـــم الا اذا غـــضـــب

ولا الـــشـــجـــاع الا عـــنـــد الـــحـــرب

ولا تــعــرف اخـــاك الا اذا احــتــجــت الــيــه.

خيار المؤمنين

قال رسول الله ﷺ:

«اكمل المؤمنين ايماناً، احسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائه، أو خيركم خيركم لأهله، وانا خيركم لأهلي».

أسوأ الناس

سئل أحد الحكماء: من أسوأ الناس حالاً؟

قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله!!

سيد المتواضعين وإمامهم ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك، ويقول ﷺ: «لـــو دعيت الـى كراع لأجبت».

سمو الأمير غازي يرعى ندوة :

«أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة في العالم الاسلامي»

التي عقدتها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو»

بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

■ اعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة



رعى صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد حفظه الله في المركز الثقافي الاسلامي التابع لمسجد الشهيد الملك المؤسس عبد الله بن الحسين طيب الله ثراه بتاريخ ٢٠١٠/١٢/٢٢ ندوة «أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة في العالم الاسلامي».

وتهدف هذه الندوة الى بيان اهمية الاجتهاد في الشريعة الاسلامية ودور التجديد في إثراء الحياة الاسلامية وان فهم المقصود بتجديد الفكر الاسلامي المعاصر أمر في غاية الاهمية لمعرفة الواجب الملقى على عاتق العلماء والمفكرين المسلمين للنهوض بهذا الفكر من خلال ما اعتمدته الشريعة الاسلامية من أدوات.

وان المملكة الأردنية الهاشمية وبرعاية جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله تركز على هذين الأمرين بجدية وفاعلية ويتجلى ذلك في جملة من الأعمال الكبيرة والانجازات المتميزة.

كلمة معالي الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي:



وفي بداية الحفل ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية كلمة قال فيها:

سيدي صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد المعظم المبعوث الشخصي لجلالة الملك المعظم ومستشاره الخاص رئيس مجلس امناء مؤسسة آل البيت للفكر الاسلامي، اسمحوا لي أن أتقدم لسموكم بأعظم آيات الشكر على رعايتكم لهذه الندوة التي تعقد لبحث امور الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة في العالم الاسلامي.

حضرة الأستاذ الدكتور عبد الاله بن عرفه مندوب معالي المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة؛

ايها العلماء الأجلاء أيتها الأخوات الفاضلات؛

لقد سعدت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بمبادرة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون والتنسيق معها لعقد ندوة متخصصة حول دور الاجتهاد والتجديد في اثراء مسيرة الثقافة الاسلامية المعاصرة فسارعت للترحيب بذلك. وتم بحمد الله انعقاد هذه الندوة في الفترة من ٢٢-٢٣/١٢/٢٠١٠ بحضور عدد من كبار العلماء والمختصين المهتمين في اثراء مسيرة الثقافة الاسلامية المعاصرة سعيا دؤوباً لتحقيق تقدم الامة وانجاح مشروعها النهضوي الحضاري في كل آفاقه وابعاده.

وقد كان لي وبحمد الله وفضله اهتمام مبكر في أبعاد هذا الموضوع نظرا لعلاقته وأهميته الكبرى في تحقيق نهضة الأمة ونقلته الواسعة في ابعاد التنمية الشاملة في حياتنا المعاصرة.

وقد قدمت اكثر من بحث بهذا الخصوص وشاركت في أكثر من مناسبة اهتمت بثنايا هذا الموضوع وقضاياه، وقد رأيت ان اضعها بين يدي المشاركين في هذه الندوة لتكون محل مناقشة وإثراء، قد كان اهم مظاهر هذا الاهتمام به في اطار البحث والدراسة، فقدمت فيه وفي القضايا المتعلقة به عددا من البحوث وأوراق العمل وقد انعكس ذلك على عملي في المجالات العلمية والعملية بحثا وتدريسا ومشاركة في اعداد المناهج التربوية والتخطيط الجامعي والجهود الاعلامية المتعددة.

سيدي صاحب السمو أيها العلماء الأجلاء أيها الحفل الكريم؛

لقد جاء هذا الدين العظيم رسالة الله سبحانه وتعالى الخاتمة للناس كافة، وقد شاءت إرادته سبحانه ان يكون هذا الدين العظيم ناظما للحياة الإنسانية بكل أبعادها، محققا لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ وقال جل من قائل: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾.

وكان من صفات هذا الدين العظيم، الكمال قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾، وقد عبر العلماء عن هذا الشمول



والكمال في تنظيم الواقع الإنساني والخلود والاستمرار في ذلك بقولهم: (ما من أمر من أمور العباد إلا وله فيه حكم) مهما بلغ تقدم المجتمع الإنساني ومهما تنوعت قضايا وتعددت، وقد قال الامام الشافعي في كتابه الرسالة - والذي يعتبر كما هو معلوم الكتاب الأول في علم أصول الفقه -: (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها).

وقد صاغ الله سبحانه وتعالى شريعته ونزلها بالكيفية التي تمكنها من أداء ذلك والقيام به.. فهذه الأحكام إما أن يكون منصوصا عليها بشكل مباشر لا يحتاج الى جهد لمعرفته وأخذه من نصوص الشريعة غير المكنة اللغوية السليمة، واما ان يكون منصوصا عليها بشكل غير مباشر يحتاج الى جهد في استنباطه واستمداده من نصوص الشريعة وأدلتها التفصيلية، وهذا الجهد الذي يبذل للاستنباط والاستمداد هو الذي يطلق عليه الاجتهاد في مجال ما هو ثابت من الاحكام وما هو متغير بتغيير الزمان والمكان.

وان الاجتهاد والذي عرف بأنه «بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية» لم يترك دون تحديد لماهيته وبيان لشروطه والقواعد المنظمة له مما تصدى له علم مستقل من العلوم الإسلامية هو علم "أصول الفقه" والفقه هو العلم بالأحكام

الشرعية العملية المستمد من أدلتها التفصيلية مع ملاحظة ان علم أصول الفقه هو الذي يبين القواعد التي تعين المجتهد على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها.

فالفقه هو عبارة عن الثمرة والنتاج الذي نحصل عليه من تحكيم شريعة الله سبحانه في أفعال العباد ومستجدات الحياة، وذلك من خلال منظومة الاجتهاد فالاجتهاد يغطي حاجة ملحة من حاجات الأمة في مواكبة شؤون الحياة الانسانية وقضاياها المستجدة والقيام به فرض من فروض الكفاية لا بد من توافره بالقدر الذي يفي بحاجات الأمة وإلا اثمت الأمة بتركه وعلى رأسها القادرون والمسؤولون عن مسيرتها قال تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾**.

والاجتهاد بالنسبة للقادر عليه فرض عين وهو والجهاد بالمنزلة نفسها، وقد بينت ورقة العمل التي قدمتها لهذه الندوة هذا الموضوع بكثير من تفصيلاته.

صاحب السمو، أيها العلماء الأجلاء؛

أيها الحفل الكريم؛

هذا دور الاجتهاد وأهميته، وأما دور التجديد في إثراء الحياة الإسلامية بشكل دائم ومستمر، فيعرف بفهم المراد بذلك في النظر الإسلامي، ذلك ان فهم المقصود بتجديد الفكر الإسلامي المعاصر أمر في غاية الأهمية لمعرفة الواجب الملقى على عاتق العلماء والمفكرين المسلمين للنهوض بهذا الفكر من خلال ما اعتمدته الشريعة من أدوات لتحقيق ذلك، وواضح ان على رأس هذه الأدوات الاجتهاد ودوره المميز في مواكبة الحياة الإنسانية بالحلول والمعالجات لكل ما نتعرض له من قضايا ومشكلات.

فقد اخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ: (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) وقد بينت في ورقة العمل المقدمة لهذه الندوة القيمة ان المقصود بهذا التجديد في هذا الحديث: التفعيل والتحريك ويكون هذا بإحكام ربط الدين بالواقع النامي المتحرك فعند ذلك يتجدد بمعنى يتفعل ويتحرك

وينمو دين الأمة، أي تدينها أو علاقتها بالدين نتيجة هذا الربط والتفعيل.

كلمة الدكتور عبد الإله بن عرفة:

من جهته أكد الخبير في شؤون التراث والتنوع الثقافي في المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة الدكتور عبد الإله بن عرفة، اهمية الموضوعات التي تتناولها الندوة، معرباً عن تقديره للجهود التي بذلتها وزارة الأوقاف في سبيل الاعداد للندوة وتنظيمها.

وقال: لقد ألقت الاستراتيجية الثقافية للعالم الاسلامي التي انجزتها الايسيسكو الضوء على دور المجددين والمجتهدين في تنمية الثقافة القادرة على تطوير البيئة والمجتمع، على اعتبار ان الثقافة تشكل النسيج المتكامل من المعارف والفنون والآداب والأعراف بشكل عام.

وبين ان المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة تعلق آمالاً كبيرة على الندوة للخروج بنتائج وتوصيات عملية تؤسس لمرحلة جديدة من العمل الثقافي الجاد في العالم الاسلامي، وتعمل على تنمية الثقافة وتعميق الهوية الاسلامية لمواجهة الأخطار الفكرية



والثقافية التي تهدد المجتمعات الاسلامية.

أهداف الندوة

ناقشت الندوة التي عقدت بمشاركة عدد كبير من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين عدداً من الموضوعات والقضايا المتعلقة بالاجتهاد والتجديد والانفتاح على الثقافات الأخرى ورأي علم الاصول ومقاصد الشريعة في تنمية ثقافة المجتمعات الاسلامية.

ومن هذه الاهداف:

١- بلورة الاستجابة الراشدة لتحديات العصر عن طريق اكتشاف توازنات جديدة داخل الفكر الاسلامي، على نحو يعزز فاعلية افراد الأمة لتحقيق مشروع النهضة الاسلامي.

٢- ايجاد حالة من ارتقاء الوعي الفكري والثقافي يوازي متطلبات العصر عن طريق النظرة الشمولية والمتعمقة للأدلة الشرعية.

٣- التعرف على الفرص المتاحة لاكتشاف الوعي والتناغم والانسجام مع المتغيرات لدى ابناء الأمة، بعيداً عن القوالب الجامدة والنمطية التي نملكها عما حولنا.

٤- تنظيم الخبرة والتعامل مع الوجود الخارجي بعقلية مرنة قادرة على التنسيق بين القديم والجديد بعيداً عن الصدام والتناقض بين الواقع والمتوقع.

٥- فهم أعمق لمقاصد الشريعة، وطرائق البحث والاستدلال وتربية الفكر الناقد البصير، والاحساس بالمسؤولية.

٦- الاعتراف بالخطأ وتربية روح الحوار والبحث في الكليات وعدم الغرق في المسائل الجزئية.

برنامج الندوة

اليوم الأول: الأربعاء ٢٢/١٢/٢٠١٠م

المحور الأول: الاجتهاد والتجديد اصل في الشريعة والفكر الاسلامي

● الجلسة الأولى:

ترأس الجلسة: الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

اوراق العمل:

١- الاجتهاد والتجديد اصل في الشريعة والفكر الاسلامي «المصالح المرسلة» نموذجاً، فضيلة الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

٢- وجه الحاجة الى الاجتهاد وتجديده، سعادة الاستاذ الدكتور فاتح محمد زقلام.

٣- الاجتهاد بوابة التجديد والانفتاح، سماحة السيد علي الشريف محمد الأمين.

٤- الاجتهاد والتجديد اصل في الشريعة والفكر الاسلامي، الدكتور وائل عربيات.

● الجلسة الثانية:

ترأس الجلسة: الدكتور عبد الإله بن عرفة.

اوراق العمل:

١- من آثار الاجتهاد والتجديد في تنمية ثقافة المجتمعات الاسلامية، سماحة الشيخ أحمد ابن احمد الخليلي.

٢- اثر علم الاصول ومقاصد الشريعة في تنمية الثقافة الاسلامية، سماحة الدكتور محمد كامل امام.

٣- اثر الاجتهاد والتجديد في تنمية ثقافة المجتمعات الاسلامية، نماذج تطبيقية، الاستاذ الدكتور عبد الناصر ابو البصل.

اليوم الثاني: الخميس ٢٣/١٢/٢٠١٠م

المحور الثاني: اثر اجتهادات المعاصرين في معالجة قضايا العصر الثقافية:

● الجلسة الثالثة:

ترأس الجلسة: معالي الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي.

أوراق العمل:

١- الاجتهاد المجدد محور الثقافة التغييرية، سماحة الشيخ محمد علي التسخيري.

٢- الاجتهاد والتجديد ودورها في إثراء الحياة المعاصرة، الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي.

٣- أثر اجتهادات المعاصرين في معالجة قضايا العصر الثقافية، الاستاذ الدكتور محمد القضاة.

● **الجلسة الرابعة:**

ترأس الجلسة: الاستاذ الدكتور محمد كمال امام:

اوراق العمل:

١- بناء الثقافة عند مالك بن نبي، الاستاذ الدكتور عمار الطالبي.

٢- الاجتهاد والتجديد في فكر الأمة التكويني والتربوي المطلوب لتنمية الثقافة، الاستاذ الدكتور سعيد شبار.

٣- أثر اجتهادات المعاصرين في معالجة قضايا العصر الثقافية، الدكتور نوح الفقير.

البيان الختامي والتوصيات

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ ايسيسكو ـ ووزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية ندوة حول أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة في العالم الإسلامي ، وذلك في العاصمة الأردنية عمَّان ، بتاريخ ١٧ ـ ١٨ محرم الحرام ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠.

وترأس صاحب السمو جلسة الافتتاح التي استهلت بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، ثم تناول الكلمة معالي الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية، وممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- الدكتور عبد الإله بن عرفة، التي تم التذكير فيهما بسياق عقد هذه الندوة والأهداف المرجوة منها، وشُكّر المنظمين والمشاركين، ثم اجتمع

صاحب السمو الملكي غازي بن محمد بالسادة العلماء، حيث تناول بعض القضايا التي ينبغي توجيه الاهتمام بها من طرف علماء الأمة.

كما ذكَّر بجهود المملكة الأردنية الهاشمية تحت قيادة جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله في مجال السماحة والحوار والوسطية والاعتدال من خلال وثيقة رسالة عمان (١٤٢٥/٢٠٠٤). ونوه بالمجهودات المخلصة والطيبة التي يقوم به معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للإيسيسكو لفائدة الدول الأعضاء في مجالات اختصاص المنظمة.

وقد شارك في هذه الندوة علماء وباحثون من الأردن، وسلطنة عمان، ولبنان، والمغرب والجزائر، وليبيا، وإيران، إضافة إلى مجموعة من عمداء الجامعات الأردنية وجمع غفير من المهتمين والأساتذة. كما حضر جلسة الافتتاح عدد من سفراء الدول العربية والإسلامية، ووسائل الإعلام.

وبعد الجلسة الافتتاحية، تدارس المشاركون محاور الندوة المدرجة في جدول أعمال الندوة، وهي:

- الاجتهاد والتجديد أصل في الشريعة والفكر الإسلامي.
- بيان أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات الإسلامية : نماذج تطبيقية.
- أثر اجتهادات المعاصرين في معالجة قضايا العصر الثقافية.

وخلال جلسات العمل تدارس المشاركون واقع الثقافة في العالم الإسلامي، وتناولوا جوانب القوة والضعف في مكوناتها ، ونواحي التقصير في تنميتها، وناقشوا سبل تنمية الثقافة في العالم الإسلامي بالاعتماد على قيم الاجتهاد والتجديد المنضبطة في المنظور الإسلامي، وخرجوا بالتوصيات الآتية:

أولا : التأكيد على أهمية استمداد عناصر القوة الثقافية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، ومن الفهم الوسطي للدين، وتحديد ثوابته في التأصيل والتجديد في ثقافة العالم الإسلامي، مع الاستعانة بسائر العلوم الإسلامية وتطبيقاتها مثل: أصول الفقه،



ومقاصد الشريعة، والخلاف العلمي، للإفادة منها في تنمية الثقافة في العالم الإسلامي، وعلى الأخص من ذلك موضوعات الاجتهاد بضوابطه والمصالح المرسلة، ، وآداب الخلاف، لأهميتها في تيسير الحوار مع الذات ومع الآخر، ومعالجة القضايا المستجدة.

ثانيا: تكثيف العمل الثقافي بين علماء العالم الإسلامي ومفكريه، واختيار أهل الحكمة والاختصاص من ذوي الآفاق الواسعة والثقافة الوسطية لوضع الأسس الفكرية والمنهجية الكفيلة بترسيخ مبدأ الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة في العالم الإسلامي والقادرة على توجيه الناشئة والعامة إلى الاهتمام بتنمية الثقافة في مفهومها الواسع والثقافة الإسلامية على وجه الخصوص، في إطار فهمٍ معتدل ووسطي لقيم الإسلام وتعاليمه ومنهجه في التحليل والفهم والاستنتاج.

ثالثاً: العمل على إصدار موسوعة إسلامية تقرِّب وجهات النظر بين العلماء والمثقفين المسلمين بقصد توحيد المنظور الإسلامي للقضايا التراثية، والقضايا المعاصرة، واتخاذ

ذلك سبيلا إلى تنمية ثقافة إسلامية جديدة تُعرِّف بالإسلام والعالم الإسلامي تعريفاً منصفاً، وتبرز الثوابت والأصول في ثقافته، وتقلل من شأن الخلافات الفكرية، بأن تضعها في إطارها التاريخي غير المقدس، والثانوي غير المؤثر على وحدة الأمة ووسطيتها.

رابعاً: حثُّ المؤسسات الإعلامية على دعم الإعلام الدَّاعي للوسطية والحوار باعتبارهما السبيل إلى ترسيخ ثقافة جديدة تؤلف بين المسلمين، وتصلح ما خلفته فتنُ التعصب والإقصاء، وتبني ما خربته روح التخلف والجهل وضيق الأفق.

وبهذه المناسبة يشيد المشاركون بالدور الكبير الذي أدته رسالة عمان ببيانها للصورة المشرقة الصحيحة لهذا الدين وتبنيها لمنهج الوسطية والاعتدال في عرض أحكام هذا الدين العظيم وكذلك يشيد المشاركون بالقرارات التي أصدرها المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م في ضوء رسالة عمان وما نص عليه البيان الختامي لهذا المؤتمر الموقع من علماء الأمة، من اتفاق اتباع المذاهب الإسلامية الثمانية وقرارهم بصحة إسلام أتباع كل مذهب من هذه المذاهب: المذاهب الأربعة من اهل السنة والجماعة (الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي) والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الاباضي والمذهب الظاهري) ، وقرارهم بعدم جواز تكفير أي مسلم من أتباع هذه المذاهب، ما دام يؤمن بأركان الإيمان ويوقن بأركان الإسلام ولا ينكر معلوماً من الدين بالضرورة وإقراره أيضا بالتنديد والجرأة على التكفير والجرأة على الفتوى بعيداً عن قواعد الشريعة في ضبطها وتنظيم شؤونها.

والتأكيد على ضرورة نبذ الخلاف بين المسلمين وتوحيد كلمتهم وموقفهم واحترامهم بعضهم لبعض وتقوية روابط الأخوة التي تجمعهم على التحاب في الله وإغلاق الباب أمام أي شكل من أشكال الفتنة بينهم.

خامساً: الدعوة إلى تفعيل الاجتهاد والتجديد لترسيخ ثقافة احترام الخصوصيات والرموز الثقافية لطوائف الأمة ومذاهبها، واستبعاد تعميق الخلاف في مسائلها، أو إثارة

قضاياها الشائكة في قنوات الإعلام العام والمناهج التعليمية، لتجنيب الناشئة في مدارسهم والعامة في حقول عملهم ما تركه الإخباريون والوضاعون من شوائب الخلافات بين المسلمين، وعلى الأخص منها ما يتعلق بالصفوة الأولى من الصحابة وآل البيت عليهم رضوان الله وسلامه، تلك الصفوة التي حملت لنا رسالة الإسلام وتعاليمه السمحة، وجاهدت في الله حق جهاده، وأشاد بها الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد، فأعلن رضاه عنها، وأكد طبيعة الرحمة والمودة السائدتين في جماعتها، بما لا يدع مجالا للشك والتشوية.

سادساً: تنمية الثقافة في العالم الإسلامي بدعم الكتب والدوريات وتشجيع المؤلفين والكُتاب والأدباء، والحفاظ على حقوقهم، وتيسير تبادل الكتب والدوريات بين بلدان العالم الإسلامي، وتخصيص الجوائز القيمة للإسهامات العلمية والأدبية والفنية التي تعمل على إنعاش الثقافة وتنميتها في العالم الإسلامي.

سابعا: العمل على إسهام الثقافة الإسلامية في الميادين العالمية للتعريف بالإسلام والمسلمين، وعلى الأخص منها صناعة الخيالة النظيفة، والإنتاج الروائي العالمي، وتيسير الترجمة للأعمال الكبرى من لغات الشعوب الإسلامية وإليها، وعلى رأسها لغة القرآن الكريم، والاستثمار الأمثل في الأعمال الثقافية في العالم الإسلامي وخارجه.

ثامنا: التنويه ببرامج الايسيسكو للاحتفاء بعواصم الثقافة الإسلامية، ودعوة جهات الاختصاص المعنية لاستغلال هذه المناسبة لإقامة التظاهرات الثقافية والعلمية الكفيلة بإبراز أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية الثقافة، وتشجيع الإبداع في مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم والفنون.

تاسعاً: الاهتمام بثقافة الطفل المسلم على مستوى البيت والمدرسة والإعلام والاتصال الألكتروني، لما لها من أهمية في تكوين مستقبل ثقافة العالم الإسلامي، والعزم على تنقيتها من كلِّ الشوائب والانحرافات الفكرية ، تأسيساً لبناء الوعي المشترك للأجيال

القادمة، وتلافياً لما رأيناه من أخطار التفرق والتعصب عبر التاريخ.

عاشراً: الاهتمام بالجوانب الثقافية المتعلقة في كل نشاطات المرأة واهتماماتها على مستوى البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع وعلاقة ذلك في تنشئة الأجيال لبناء الوعي المشترك لأمتنا في قادم أيامها في إطار التوجيه الإسلامي الراشد.

حادي عشر: العمل على تحقيق الاحترام عند الإنسان المسلم للخصوصيات الأخرى التي تختلف عن خصوصياته الثقافية، وذلك من خلال تربيته على احترام التنوع الثقافي، والتمييز بين ما هو فكر إنساني وما هو مقدس في الثقافة الإسلامية، وتوسيع آفاقه لقبول الرأي الآخر، وتعزيز ثقافة الحوار وآداب الاختلاف في المجتمعات والمدارس الإسلامية.

ثاني عشر: تشجيع تحقيق ونشر عيون التراث المهتمة بقضايا الاجتهاد والتجديد للاستفادة من مضامينها ومنهجيتها لمعالجة قضايا العالم الإسلامي الثقافية المعاصرة، وتنمية الثقافة في المجتمعات الإسلامية.

ثالث عشر: الاجتهاد لا يمنع من التعددية الثقافية والتنوع الفكري شريطة أن يكون ذلك في ظل الثوابت العقدية وان ثقافة الاختلاف في الإسلام تحافظ على السلم الاجتماعي بوجود التنوع والتمتع بالظاهرة الحضارية، دون أن يؤدي ذلك إلى الاضطراب والتنازع.

رابع عشر: متابعة البحث والتحقيق في مجال التراث العلمي، لبيان فضل المسلمين على عصر النهضة، ودورهم في تأسيس الحضارة الحديثة، وهو الدور الذي يشهد له بعض المنصفين، ويتجاهله أو ينكره غيرهم، والتنبيه إلى التنافس المحموم بين الأمم في هذا المجال الحضاري المهم، لما له من أهمية في بعث الهمم، وغرس الثقة في نفوس الناشئة أمام ثقافات التمييز العرقي، التي تنظر بدونية واستنقاص إلى الشعوب التي عاقتها ظروفها عن المشاركة في التحولات الحضارية الحديثة.

خامس عشر: دعوة الايسيسكو من خلال المجلس الاستشاري للتقريب بين المذاهب

الإسلامية إلى تشكيل لجنة من العلماء المجتهدين للنظر في الموضوعات الثقافية المستجدة.

سادس عشر: الدعوة إلى متابعة البحث والاجتهاد والتجديد في قضايا التمويل الإسلامي، وذلك لتقديم بدائل للنماذج الاقتصادية والمالية التي أظهرت عجزها في حلّ الأزمات الغذائية والاقتصادية والمالية العالمية.

سابع عشر: دعوة العلماء إلى توجيه الاهتمام بقضايا التنوع الثقافي والفجوة المعرفية بأنواعها المختلفة، في مجالات العقل واللغة والتعلم، لتقديم حلول منضبطة بالشرع ومنفتحة على العصر.

ثامن عشر: تقديم كل سبل الدعم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي باعتباره مؤسسة للاجتهاد الجماعي على مستوى الأمة واعتباره مرجعية فقهية لها.

تاسع عشر: نشر بحوث هذه الندوة وتوصياتها، تعميماً للفائدة، وإسهاماً في تنمية الثقافة في العالم الإسلامي، واستشرافاً لخطوات أخرى تُبنى على أساس نتائج هذه الندوة، وتُوسِّع آفاقها.

عشرون: توجيه خالص الشكر والتقدير إلى صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد حفظه الله على رعايته لهذه الندوة، وإلى وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ممثلة في شخص معالي الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي على تعاونها لعقد هذه الندوة.

حادي وعشرون: توجيه خالص التهنئة والتقدير لمعالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للإيسيسكو على جهوده المخلصة لفائدة تفعيل العمل الثقافي الإسلامي المشترك لفائدة المسلمين داخل العالم الإسلامي وخارجه.

واتفق المشاركون على رفع برقية شكر لمقام حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله الثاني ابن الحسين على احتضانه عقد هذه الندوة في هذا البلد الطيب ودعم

١

العنف المجتمعي: أصوله وجذوره

■ بقلم الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

العنف لغة يعني: ضد الرفق واللين، وفيه شدة وقسوة، واصطلاحا: هو كل تصرف يلحق الأذى بالآخرين، سواء كان الأذى جسديا أو نفسيا أو ماديا، والعنف الجسدي قد يكون ضربا أو طعنا أو إحداث رضوض أو كسور أو جروح، أما العنف النفسي فهو الحاق الأذى المعنوي الذي يسبب الغضب والخوف والإحباط والقلق أو الشعور بالنقص أو عدم الإستقرار النفسي.

وأما العنف المادي فهو الحاق الضرر بالممتلكات والمقتنيات مثل التخريب والتكسير والحرق وهدم الجدران والأسوار، وخلع الأبواب والشبابيك وتدمير أكشاك رجال الأمن أو سياراتهم أو مراكزهم الأمنية، وهذا التعريف هو للعنف الفردي الذي يقوم به شخص واحد وليس مجموعة أشخاص.

أما العنف المجتمعي فهو انتشار خبر المشكلة الفردية التي تحدث بين شخصين لسبب أو لآخر فيهب أبناء كل عشيرة لنصرة ابنهم ظالما كان أو مظلوما بالمفهوم الجاهلي الداعي الى العصبية القبلية البغيضة، والذي أعطاه الإسلام مفهوما حضاريا يتسم بالعدل والحكمة إذ تكون نصرة الظالم بردعه عن ظلمه بالإرشاد والتوجيه والنصح.

وهكذا سرعان ما يتحول الخلاف الفردي -وهو شيء طبيعي في جميع المجتمعات وفي جميع العصور والأزمنة بغض النظر عن العرق أو الدين- إلى خلاف عشائري يؤدي الى حدوث مشاجرة

بين مجموعتين أو عشيرتين دون أن يكون لهما دراية أو مصلحة بأسباب الخلاف، وإنما قام أبناء العشيرتين انتصارا من كل عشيرة لابنها باسم العصبية والقبلية العشائرية عملا بقول الشاعر الجاهلي:

وهل أنا الا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

❖ هل العنف المجتمعي يشكل ظاهرة؟

قال الناطق باسم الأمن العام الرائد محمد الخطيب في الندوة التي نظمتها جريدة الدستور بتاريخ ٢٠/٨/٢٠١٠ بعنوان "**مواجهة العنف مسؤولية مشتركة تبدأ بالحوار**": ان الأحداث التي حصلت أو الخلافات أو المشاجرات التي شهدناها خلال السنة والنصف الماضية، دليل على أنه أصبح لدينا تنامي للنزعة لدى الأفراد أو الجماعات لاستخدام العنف لحل مشاكلهم الشخصية أو ما يسمى "**استيفاء الحق بالذات**" أو بالمفهوم العامي "الأخذ بالثأر ورد الصاع صاعين".

وقال الدكتور موسى شتيوي: لا يوجد شك من وجهة نظري أن ظاهرة العنف الجماعي، أصبحت ظاهرة مقلقة لأنها تتكرر وتدوم وتستمر، والأرقام المتوفرة لدى مديرية الأمن العام ولدى الباحثين تشير الى أن هذه الظاهرة منتشرة جغرافيا وعدديا ومستمرة، وهي تعبر عن مجموعة من المخرجات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، والذي يميز هذه الظاهرة وخطورتها مجموعة من العوامل، **أولها: أن جزءا كبيرا منها يحصل بسبب قضايا وخلافات فردية** – وهذا ليس جديدا ولا خاصا بالمجتمع الأردني- لكن اللافت للنظر هو ردة الفعل الجماعية السريعة والمفاجئة والعريضة على جرم، فهذا التحول في ردة الفعل الى هذا الشكل الجماعي بهذه السرعة أمر مقلق.

والمسألة الثانية المقلقة: هي تطاول المواطنين على القانون وعلى المؤسسة التي تنفذ القانون -وهي مديرية الامن العام- وهذا دليل على أنها مشكلة من نوع آخر، وهذا يقلل من هيبة الدولة، حوادث إعتداء بعض المطلوبين للعدالة والذين تحاول مديرية الامن العام الإمساك بهم لتحويلهم للقضاء، فقبل مدة أقدم طالب جامعي من أحدى العشائر على إرتكاب جريمة تبادل إطلاق النار مع احد افراد الأمن العام الذي كان يطارده لإلقاء القبض عليه، وتوجهت جاهة كبيرة لأخذ العطوة العشائرية من عشيرة الشرطي المغدور، وكذلك ما حصل مع أبناء أحد الأحياء

واشتباكهم مع رجال الامن العام.

ومن الأدلة على وجود ظاهرة العنف المجتمعي في بلدنا هو أن جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله دعا الى ضرورة ايجاد حلول جذرية وفاعلة للحد من ظاهرة العنف التي بدأت تغزو مجتمعنا. وقال دولة رئيس الوزراء السيد سمير الرفاعي: إن تنامي ظاهرة العنف المجتمعي يتطلب تضافر الجهود لمعالجتها ارتكازا على سيادة القانون والتركيز على الدور التوعوي وتفعيل دور المؤسسات المعنية بقطاع الشباب.

وفي هذا السياق تعجبني المقولة التي أطلقتها جلالة الملكة رانيا العبدالله والتي قالت فيها: إننا يجب أن لا نلجأ الى اسلوب انكار وجود المشكلات، بل علينا ان نتصدى لمواجهة هذه المشكلات والعمل سويا على ايجاد الحلول لها، وانني أؤمن بهذا المبدأ ايمانا مطلقا ولا أتفق مع من يحاول من باب المكابرة أو النفاق إنكار وجود ظاهرة العنف المجتمعي في مجتمعنا، بل يجب الإعتراف بوجود المشكلة ليكون ذلك حافزا للجميع للعمل على حل هذه المشكلة والعمل على إنهائها واجتذاذها من جذورها، **لأن الاعتراف بوجود المشكلة أول خطوة على طريق الحل.**

ويبدو أن الحكومة أدركت أن المشاجرات التي أصبحت تتخذ منحى عشائرياً وتصطبغ بالصبغة الجماعية أصبحت من الكثرة ومن الخطورة ما دفعها للإعتراف بتحول هذه المشاجرات الى ظاهرة تستحق الإهتمام والدراسة وايجاد الحلول، ولهذا فإن مجلس الوزراء قام بتشكيل لجنة وزارية في أوائل شهر أيار سنة ٢٠١٠ برئاسة نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية لدراسة ظاهرة العنف المجتمعي ومعرفة الأسباب التي تقف وراءها، **وبعد إجراء دراسة مستفيضة قامت اللجنة بتقديم تقريرها في شهر حزيران من العام نفسه أكدت فيه وجود الظاهرة وإلى أن أسبابها تعود الى وسائل الإعلام والفضائيات مما أدى الى انتشار العنف والتمرد على القانون، والى غياب دور الفعاليات الإجتماعية، والضغوط الإقتصادية التي أدت الى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة.**

وواضح أن هذا التقرير تظهر عليه الصبغة الرسمية والعمومية وعدم الغوص والتعمق في صلب المعضلة وألقى باللائمة على جميع الجهات القريبة والبعيدة باستثناء الحكومة نفسها، وعزا أسباب وجود الظاهرة بعيدا عن الجهة المسؤولة

عن إدارة شؤون الوطن، والمنوط بها مهمة توفير الأمن والإستقرار والحياة الأفضل للمواطنين، ونعني بها الحكومة ذاتها، إذ متى كان للفعاليات الإجتماعية سلطة ودور على المجتمع لتعتبر غياب هذا الدور من أسباب تفشي العنف المجتمعي ؟ وبذلك تكون قد أزاحت عن نفسها مسؤولية انتشار العنف حتى أصبح ظاهرة مقلقة للأسباب التي أوردناها آنفاً، والتي تقع كلها في دائرة مسؤولية الحكومة بمختلف وزاراتها وهيئاتها ومديرياتها، وتستطيع بالتزامها بالقوانين التي تسنها هي نفسها وتطبيقها، العدالة بعيدا عن التمييز والإنحياز أن تعمل على زوال هذه الظاهرة أو على الأقل التقليل من حدتها، فجاء تقرير هذه اللجنة مؤيدا للمقولة: إذا أردت أن تقتل قضية فشكل لها لجنة.

إذن نستطيع أن نقول: إن العنف المجتمعي أصبح ظاهرة واضحة للعيان، تستدعي اهتمام الجهات الحكومية الرسمية وغير الرسمية المختلفة كالأسرة التربوية كالجامعات والمدارس والمراكز والأندية الثقافية، ولا ننسى أيضا دور المسجد والإمام والواعظ في معالجة ظاهرة العنف، بشرط أن يكون ذلك ممنهجا ومخططا له. سيما وأن ظاهرة العنف والعنف المجتمعي في الأردن أخذت في تزايد واتساع لتشمل ليس فقط الطبقات بسيطة الثقافة وضعيفة الإقتصاد، بل أصبحت تشمل جميع الطبقات الإجتماعية سواء منها المثقفة والمتعلمة وخاصة في المدارس والجامعات، ولعل أوضحها المشاجرة الجماعية التي حصلت في إحدى الجامعات الأردنية مؤخرا بين مجموعة من الطلاب، والتي ذهب ضحيتها أحد الطلاب، وكذلك إقدام استاذ جامعي مخضرم في إحدى الجامعات الأردنية باستخدام السلاح وإطلاق عيارات نارية على عميدة إحدى الكليات وإصابتها بثلاث رصاصات في مختلف أنحاء جسدها نقلت على إثر ذلك الى المستشفى. ظنا منه أنها تقف وراء انهاء خدماته في الجامعة دون أن يكون لديه أي دليل حقيقي يؤيد هذا الظن!!.

❖ أصول العنف وجذوره:

قال الدكتور سلطان أبو عرابي رئيس جامعة اليرموك في ندوة "**العنف المجتمعي بين العرف والقانون**" التي تم تنظيمها في جامعة اليرموك: لقد أصبح العنف في هذه الأيام واقعا معاشا للإنسان المعاصر في مختلف المجتمعات،

وتضاربت الآراء حول أصول العنف فمنهم من يقول بنظرية غريزية العنف، ومنهم من يقول بأنه صفة مكتسبة تتأثر بالبيئة المحيطة والتربية والتنشئة الأسرية، ويبدأ العنف فرديا ثم يمتد الى المجتمع ليرتد عنفا اجتماعيا بأسماء وإطارات مختلفة، لافتا الى أن العنف مرتبط بالإنسان منذ وجوده على سطح الأرض، **وأن الأديان السماوية تضمنت القيم التي تحد من العنف وآثاره السلبية في المجتمع، وأن عدم التزام الإنسان بهذه القيم الدينية أدى الى أن يصبح العنف صفة سائدة في المجتمعات.**

ولنا أن نتساءل لماذا كل هذا العنف في مجتمعنا وشموليته لمختلف أنواع العنف؟ فهل يوجد للعنف جذور في تاريخنا العربي؟ وهل نجد في ثقافتنا ما يمجد العنف ويحترم الإنسان العنيف والمثير للقلاقل والإضطرابات بين أفراد المجتمع ؟ يقول الباحث السيد عمر عبيدات في ندوة "**العنف المجتمعي: الجذور والأسباب وآلية الحل**" على موقع عمون الإلكتروني: إن الباحث في الأدب العربي يجد فيه من الشعر ما يدل على تمجيد العنف والإفتخار به، فيقول الشاعر:

أن لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويقول آخر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
إن لم يرق على جوانبه الدم

ويقول آخر:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ويقول آخر:

وهل أنا الا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

ومن الأمثلة العربية في العصر الجاهلي التي تدعو الى العنف المثل القائل: "**انصر أخاك ظالما أو مظلوما" والذي أعطاء الإسلام المعنى الإنساني الراقي البعيد عن التعصب والعصبية، والداعي الى التوجيه والنصح والإرشاد.**

فأي تعبير أبلغ من هذه الأقوال التي تدعو كلها للقتل والعنف وإراقة الدماء، والإنتماء المطلق للعشيرة والإنقياد لها في جميع أفعالها مهما كانت مشينة، ومن الإنتصار للأخ والقريب حتى ولو كان ظالما معتديا فيجب نصرته وتأييده في عدوانه وظلمه، ولعل مبدأ العنف يظهر في أوضح

صورة في قول الشاعر: .... ومن لا يظلم الناس يظلم، فهذه دعوة صريحة لارتكاب جرائم الإعتداء على الآخرين ظلما وعدوانا، وفي هذا مدعاة لانتشار الفتن وإثارة النعرات والمشاجرات والحروب بين أبناء الحمى الواحد.

وقد كانت المجتمعات العربية القديمة تعيش في حالة عداء مستحكم وحالة من القتال والحروب اليومية التي دفعت المؤرخين لتسميتها بالأيام، لأنها كانت شبه يومية بين القبائل العربية، وكان القوي فيها يأكل ويعيش والضعيف يجوع ويموت، القوي يملك المال لأنه يستطيع قتل صاحب المال واغتصاب ماله، أو اغتصاب ماله دون أن يقتله، والضعيف فقير الحال لأنه لا يستطيع القتل ولا الإغتصاب، القوي يسود بقوته قومه لأنه يغتصب الزعامة اغتصابا فلا ينازعه أحد، والضعيف يبقى تحت سلطة القوي وقودا لحربه ومادة حيوية لبناء مجده ... ولهذا لما جاء الإسلام بتعاليمه السمحة التي ساوت بين الناس، سواء كانوا أقوياء أم ضعفاء، وسواء كانوا زعماء أو عبيداً، وحرمت على المسلم أن ينال من أخيه المسلم: من نفسه أو عرضه أو ماله، وحرمت الإعتداء على الآخرين وظلم الآخرين، استقطب اليه أولا الضعفاء والفقراء، لأنه ركز في دعوته على محو الطبقية وتحقيق مبدأ مساواة الناس في ظل نظام سياسي واقتصادي واجتماعي قائم على أخذ الحق من القوي للضعيف، ومشاركة الموسر في سد حاجات الفقير، فقال رسول الله ﷺ: "الضعيف عندكم قوي عندي حتى أرد اليه حقه، والقوي عندكم ضعيف عندي حتى آخذ منه حق الضعيف ".

ونبذ الإسلام الإستقواء وعده من تراث الجاهلية، ولهذا لما عاير ابو ذر الغفاري بلال بن رباح رضي الله عنهما قائلا له: يا ابن السوداء: قال له رسول الله ﷺ: "إن فيك روحا جاهلية" ولهذا عندما ننظر في العنف المجتمعي نجد أن أكثر الأنواع انتشارا بين الناس هو العنف الأسري الذي يمارسه –عادة– الزوج بحق زوجته وأولاده، إذ ما زال الرجل في مجتمعنا يضرب زوجته وأولاده دون سبب أو لأتفه الأسباب دون أن يستطيع أحد مناقشته أو الوقوف في وجه تسلطه وجبروته، ليس إلا لأنه يعيش في عقلية الإنسان الجاهلي الذي كأنه هو الزعيم الأوحد للأسرة حتى أنه كان يملك حق التنازل عن زوجته وإهدائها الى أحد أصدقائه أو أقاربه، وهكذا فإن

الرجل في مجتمعنا الحالي نشأ في بيت يضرب فيه الزوج زوجته والأب أبناءه،وتستمر السلسلة من الأجداد الى الأبناء ثم الى الأحفاد وهكذا دواليك، وذلك لأننا توارثنا عادات وقيما جاهلية انتشرت بيننا في عصر الجهل والإنحطاط، والتخلي عن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو الى الرحمة بالأبناء والرفق في الزوجات.

فقد كان رسول الله ﷺ يلاعب الأطفال ويمسح على رؤوسهم ويقبلهم ويبعث الدفء والحنان في نفوسهم، وكان لطيفا كريما مع زوجاته، وكان يدعو الى اللطف والرفق بالنساء، فكان يقول: "خياركم خياركم لأهله وأنا خياركم لأهلي"، والأهل هم الزوجة والأبناء، وكان يقول ﷺ: "أعجب من أحدكم يضرب زوجته بالنهار ويأتيها في الليل يضاجعها"، ولكنها سيادة العقلية الذكورية الإستعلائية التي ورثها الإنسان المعاصر من أجداده الأوائل في العصر الجاهلي، وفي عصر الإنحطاط وتجاوز التعاليم الإسلامية السمحة التي عملت قولا وعملا على نبذ تلك العادات والقيم المنافية ليس لتعاليم الإسلام فحسب بل والمبادئ الإنسانية.

ومما يؤسف له أن بعض الأشخاص من أبناء العشائر والقبائل يستغل هذا الإرتباط العشائري والنصرة والتأييد، فيوظف ما يستطيع من إمكانات في سبيل العمل على إذكاء هذه الظاهرة وتغذيتها من جديد، فقد قال مدير وكالة الأنباء الأردنية "بترا" في الندوة التي نظمتها الوكالة: إن من اهم أسباب بروز ظاهرة العنف: تعاظم وأهمية دور المرجعية التقليدية، مبينا أن الأحداث والمشاجرات التي تأخذ الطابع العشائري هي ظاهرة جديدة أفرزتها ديناميكية التغيير الإقتصادي والسياسي والإجتماعي، ويمكن تسمية هذه الظاهرة بـ "العشائرية الجديدة" التي تقوم على التعصب العائلي والجهوي المقرون بمصالح يريد بعضهم تحقيقها من خلال هذه الأطر.

بمعنى أن وراء خلق هذه العشائرية الجديدة، أشخاص لهم مصالح وأجندات متنوعة يرون أن هذه العشائرية هي الأداة الحقيقية القادرة على تمكينهم من تحقيق تلك المصالح والأجندات، فتراهم يحرضون ويحركون أبناء العشيرة لتلك أو ذلك الأمر لكي يقوموا بلعب دور الزعيم القائد للعشيرة، سواء في إشعال نيران الفتنة أو في تصدر حركة الصلح وإخماد الفتنة التي افتعلوها بعد أن يكونوا قد

منزلة الشباب ودورهم في الإسلام

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد؛ فإن الحديث عن الشباب شيق؛ كحال تلك المرحلة التي يمرّ بها الإنسان من مراحل حياته، يتمناها، ويعيش أحياناً مع ذكرياتها، ويشتاق لعودة تلك الأيام الجميلة بعد فواتها، كما قال الشاعر:

فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبره بما فَعَلَ المشيبُ

ولا ريب أنه ما تمنى العودة إلى شبابه إلا لما فيه من ذكريات عطرة، وبطولات يفتخر بها، وسعادة غمرت حياته آنذاك.

وللشباب مكانة مرموقة في الحياة الدنيا، فهي مرحلة الافتخار والاعتزاز بين مراحل العمر، وهي ريحانة الحياة وزهرتها، وهي مرحلة القوة والمنعة والطموح، جسماً وعقلاً وروحاً؛ ولذلك بعث الله الأنبياء وهم في سن الشباب؛ فقد ورد في تفسير ابن كثير[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وقرأ: **﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**[٢]، **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾**[٣]، وفي تفسير قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾**[٤].

قال المفسرون: القوة: الشباب، وفي قول الله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥] ذكر أهل التأويل في معنى الخفة والثقل؛ فقالوا: معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع: الشباب، ومعنى الثقل: الشيخوخة.

وفي الإسلام حظي الشباب بالتكاليف التي تناسب قوتهم وقدراتهم، وقد كان رسول الله ﷺ يوصي بالشباب، ووعد الشاب الطائع وبشره بالجنة؛ فكان أبو سعيد الخدري يقول للشباب: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ؛ قال الرسول ﷺ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ)[٦].

وبيّن رسول الله ﷺ صفة الشاب الخيّر؛ فقال: (خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم)[٧]؛ يعني تشبه الشباب بالكهول في سيرتهم، لا في صورتهم، فيغلب عليه وقار العلم، وسكينة الحلم، ونزاهة التقوى عن مداني الأمور، وكفّ نقصه عن عجلة الطبع، وأخلاق السوء، والتصابي واللهو، فيكون في الدنيا في رعاية اللّه، وفي القيامة في ظله، وشر الكهول من تشبه بالشباب في العجلة، وقلة الثبات والصبر عن الشهوات.

ومن هنا كان للشباب دورٌ في الدين الإسلامي، وأظهر شبابنا من السلف الصالح كفاياتهم وقدراتهم في هذا المجال، كما كان للشباب المسلمين أدوار في معظم المجالات الحياتية؛ العلمية والقيادية والعسكرية والطبية، وغيرها من ألوان وأشكال الحياة. **وقد سجّل سلفنا الصالح في تاريخنا المجيد صوراً مشرقة في هذا المجال؛ ومن هذه الصور المُشرّفة:**

أولاً: النبي الهاشمي الصادق الأمين الشاب وقصة الحجر الأسود: قبل بعثة النبي ﷺ وقد مضى من عمره خمس وثلاثون سنة أُعيد بناء الكعبة، إذ جاء سيل ضعّف بنيانها، وصدع جدرانها، فلم تجد قريش بداً من إعادة بنائها، وشارك فيه؛ وكان ينقل الحجارة على كتفه، واختلفت القبائل حول من يستحق أن ينال

شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، ووصل بهم الخلاف إلى درجة القتال؛ فقد قربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، دون أن يردها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، وجاء دوره ﷺ فقضى بين العرب؛ وكان له ﷺ أثر كبير في حل المشكلة؛ وخضع الجميع لاقتراحه، وهو الأمين والمحبوب من الجميع؛ إذ بسط رداءه ووضع الحجر عليه، وشارك الجميع في حمله، ومن هذه القصة يتبين مدى حكمته ﷺ في تدبير الأمور، وقطع دابر الخصومات، التي تراق فيها الدماء، حتى كان خمود نار الفتنة على يد الرسول ﷺ، ونحن ينبغي أن نحيل هذه المزية فيه ﷺ إلى ما اختاره الله له من القيام بعبء الرسالة والنبوة، ويتبين من القصة مدى سمو منزلته ﷺ بين قريش وهو شاب قوي؛ فقد كان ملقباً عندهم بالصادق الأمين، وكان محبوباً منهم كلهم، وكانوا لا يرتابون في صدقه، وفي كريم أخلاقه.

ثانياً: دور الشباب من بيت النبوة وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة النبوية الشريفة: لما كانت عتمة الليل من اليوم الثاني من ربيع الأول/ ٢٠ أيلول سنة (٦٢٢م)، وبعد أن مضى ثلاثة عشر سنة من البعثة هاجر النَّبيُّ ﷺ، واجتمع المشركون على بابه يتربصون به ﷺ ليقتلوه، ولكنه خرج من بينهم، وقد ألقى الله عليهم سنة من النوم، وكان دور الشباب من بيت النبوة وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه على النحو الآتي:

١ . عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه شاب ينام مكان النبي ﷺ: نام في مكان النبي ﷺ يوم هجرته، وعلى فراشه، وطمأنه ﷺ بأنه لن يصل إليه أي مكروه، وفي تلك الصورة تضحية بالغة بالنفس لحماية الدين.

٢ . عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما شاب يبيت بجوار الغار: كان يبيت عندهما في الغار، وكان يخبرهما بأخبار مكة؛ ففي صحيح البخاري: (يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ[٨]، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ؛ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ)[٩].

٣ . عامر بن فهيرة رضي الله عنه شاب يرعى حول الغار: كان يروح عليهما بقطيعه من الغنم، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع

عامر أثره بالغنم؛ كي لا يظهر لقدميه أثر.

٤ . ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: كانت تزودهما بالزاد، واضطرت لقص نطاقها نصفين؛ وبذلك سميت ذات النطاقين.

وهذه صور مشرقة رسمها شباب؛ تصوّر ما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً في سبيل الله، ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام، وإقامة المجتمع المسلم، فلا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصراً على عباداته، بل عليه أن يستنفد طاقاته سعياً في سبيل الإسلام، وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن، وأغلب من كانوا حوله ﷺ كانوا شباباً ولم يألوا جهداً في تجنيد طاقاتهم لنصرة الإسلام.

ثالثاً: زيد بن ثابت شاب عاقل يجمع القرآن: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لزيد بن ثابت رضي الله عنه: (قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ)(١٠) اختاره كونه شاباً؛ فيكون أنشط لما يُطلب منه، وكونه عاقلاً، فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم، فتركن النفس إليه.

رابعاً: تقديم رأي الشباب عند المشاورة في غزوتي بدر وأحد: عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: (من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا، فسارع في ذلك شبان الرجال، وبقي الشيوخ تحت الرايات)، وفي يوم أحد استشار ﷺ أصحابه، وخيّرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم، والبقاء في المدينة؛ فإن دخلوا عليهم فيها قاتلوهم؛ فكان رأي بعض الشيوخ من المسلمين عدم الخروج، والبقاء في المدينة، غير أن كثيراً من الصحابة الشباب رغبوا في الخروج، وقالوا: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا؛ لا يرونا أنّا جبنّا عنهم وضعفنا، ولم يزل أصحاب هذا الرأي برسول الله ﷺ حتى وافقهم على ما أرادوا.

خامساً: بعث الصحابي الشاب أسامة ابن زيد إلى مؤتة بعد والده رضي الله عنهما: أمر ﷺ المسلمين بالتهيؤ لغزو الروم، واختار ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان شاباً حدثاً؛ فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة في مؤتة،

وأن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وذلك مع بدء شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه، ولكن المنافقين راحوا يقولون مستنكرين: (أمّر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار)، فخرج ﷺ إلى الناس وقد عصب رأسه وخطب فيهم قائلاً:(إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ -يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لَهَا، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَايْمُ اللهِ إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ)(١١)، فتجهز الناس مع أسامة من المهاجرين والأنصار، وخرج أسامة بجيشه إلى ظاهر المدينة، وتوفي النبي ﷺ فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإنفاذ جيش أسامة، وخرج ماشياً، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلنّ، فقال أبو بكر: والله لا نزلت ولا ركبت، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله، وسار أسامة إلى تخوم البلقاء، ورجع رضي الله عنه منصوراً ظافراً وكان في تسيير ذلك الجيش نفع عظيم للمسلمين.

هذه نماذج من صور مشرقة للشباب المسلم، وهو غيض من فيض، وإلا فالقرآن والسنة والسيرة وحياة السلف تزخر بصور أخرى، مما يؤكد دور الشباب المسلم في كل زمان، وأنهم أهل للقيام بأعباء الدعوة، ونشر الفضيلة، واستغلال القدرات الجسدية والعقلية بما يحفظها.

الهوامش:

١- تفسير ابن كثير ج٥ ص ٣٤٩.

٢- سورة الأنبياء ٦٠.

٣- سورة الكهف ٦٠.

٤- سورة الروم ٥٤.

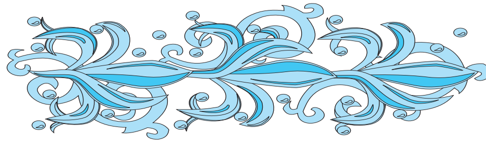
٥- سورة التوبة ٤١.

٦- رواه مسلم.

٧- رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٨- ثقف لقن: حاذق سريع الفهم.

٩- البخاري: كتاب المناقب، باب هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ.



دور الشعر في حروب الردة

■ **بقلم الدكتور أحمد شقيرات**

مقدمة:

كانت فترة حروب الردة أقصر فترات تاريخ صدر الاسلام الادبية الا انها وفي مجال الشعر لا تقل خصوبة عن فتراته الاخرى، كعصر النبوة والفتن الداخلية، والفتوحات، ولكنها ظلت ردحاً طويلاً من الزمن في طي النسيان كما يقول مؤلف كتاب «ديوان الردة» د. علي العتوم، حيث هي حركة ادبية جاءت ضد الاسلام، العقيدة الإلهية التي زعزعت معتقدات الجاهليين واقتلعتها من جذورها تقريباً.

وقد كان من احلافها المشركين المرتدين: طليحة بن خويلد الازدي، والاسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، الذين حاربهم الصحابة رضي الله عنهم.

❖ الاسلام والشعر:

كما اعجب العربي بالشعر، فقد اعجب بالسحر والجن والكهانة كذلك، فكان لها هيبة عظيمة في قلبه، فكأنه كان يشعر بالضعف والعجز، فكان بديهاً لذلك ان يتهم الرسول ﷺ بها، كما يتهمه بالشعر، قال تعالى: **﴿بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾** ص: ٤، وقال تعالى: **﴿وما صاحبكم بمجنون﴾** وقال تعالى: **﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ❖ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾** الحاقة: ٤١-٤٢ .

وقد عرض القرآن الكريم بالشعراء الكافرين وندد بهم لتحطيم شخصياتهم قال تعالى: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ❖ ألم تر انهم في كل واد يهيمون ❖ وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾** الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦ .

وقد اجتمعت كلمة المفسرين على ان المراد بهذه الآيات الكريمة، هم أولئك النفر من الشعراء الذين يدافعون عن الكفر والمعصية، ويؤذون الرسول الكريم ﷺ وينالون من المسلمين، ويقولون في الاغراض الباطلة التي يحاربها الاسلام كالهجاء والقدح في الأنساب، ونهش الاعراض وبعث الضغائن وإشاعة الفساد، اما شعراء المسلمين الذين علت اصواتهم للذود عن الاسلام والدفاع عن افكاره ومثله والانتصار لأنفسهم وللمسلمين ممن هجاهم ونال منهم، فقد استثناهم الله تعالى بقوله: **﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون﴾** الشعراء: ٢٢٧[١].

❖ الرسول ﷺ والشعر:

لقد حملت لنا الأخبار ان الرسول ﷺ كان يستحسن الشعر ويستنشده ويثيب عليه، كما كان يحث الشعراء على قوله احياناً، روى صاحب الأغاني: ان رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا، يعني شعراء المشركين، قال: «ليس هناك او ليس عنده ذلك» ثم قال للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم، وحث حسان بن ثابت رضي الله عنه على قول الشعر والرد على شعراء المشركين، وأمره ان يذهب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليحدثه حديث القوم وأيامهم وأحسابهم لتتوافر لديه مادة الهجاء[٢].

❖ الشعراء فريقان:

قال تعالى: **﴿قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفّاك أثيم ❖ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ❖ والشعراء يتبعهم الغاوون...﴾** الشعراء: ٢٢١-٢٢٧ .

فالفريق الأول هم الذين يزعمون أنهم يقولون مثل ما يقول محمد ﷺ ظناً منهم ان الكلام كلام بشر، وأنهم قادرون على أن يأتوا بمثل ما جاء به، وهم مكذبون بدعوته كافرون، ومعنى يتبعهم الغاوون هم الذين يصدقونهم ويسيرون على خطاهم في الباطل، وقيل: الغاوون: الراوون، وقيل:

الشياطين، وقيل: هم شعراء قريش: عبد الله بن الزبعري، وهبيرة بن ابي وهب المخزومي، وسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحي، ومن ثقيف: أمية بن ابي الصلت، فقالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه، ويجتمع اليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهازيجهم.

والفريق الثاني: هم أولئك الشعراء المؤمنون اصحاب الرسالة الذين يدافعون عنها ويضحون من أجلها، ولا يصدر عنهم قول الا من منطلق الايمان بالله وحده وذكره في السر والعلن، ولذلك يعرف شعرهم ويشتهر على انه شعر الدعوة الى الله والايمان برسالته، وهو القول الحق القائم على العمل الصالح، المصور للخير، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، **﴿الا الذين آمنوا ..﴾** الآية.

يقول الامام الزمخشري: «واستثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون من ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك عليهم أغلب من الشعر، واذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح الرسول ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة رضي الله عنهم وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون بها بذنب، ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجونهم»(٣).

❖ أغراض شعر حروب الردة:

لقد تغير مفهوم هذه الاغراض مع ظهور الاسلام، ولكنها بقيت كما هي، فالفخر مثلاً كان من ابرز الموضوعات التي اثارتها حروب الردة، فقد وقف الثابتون على الاسلام مواقف بطولة، وقدموا للاسلام تضحيات جسيمة، تفتقت لها قرائح الشعر عن شعر غزير يتضوع منه أريج الايمان، ويتلألأ في أرجائه ألق البطولة والتضحية في سبيل العقيدة، ويتوهج بأصدق مشاعر الثناء والوفاء لكل من تصدى للمرتدين ونصر الله ورسوله ﷺ.

ولكن كان هناك بعض الاصوات الشعرية التي اعماها الضلال، واصمها الحقد، فلم تنفذ اليها أشعة الايمان، فقد كانت تردد نغمات الجاهلية، والنعرات القبلية، وتعبر عن شح في الانفس، وقصر في النظر، وضيق في الأفق، تلك اصوات شعراء المرتدين، يقول عدي بن حاتم الطائي في الثبات على الاسلام:

وإنا وإن جاشت فزارة كلها

وذبيان في موج من البحر مزبد

وأجرى لهم فيها ذيول غروره

طليحة مأوى كل غاو وملحد

نغاورهم بالخيل حتى نقيمهم

بصم العوالي والصفيح المهند

وقد سرني منكم معاشر طيئ

حماية هذا الدين من كل معتد

وبيعكم أموالكم ونفوسكم

رجاء الذي يجزي به الله في غد

وإعطاؤكم ما كان من صدقاتكم

بغير جهاد من لسان ولا يد

وقد تعددت اغراض شعر حروب الردة، فمنها: الهجاء للمرتدين والحماسة والرثاء والتحسر والتحريض والتهديد والتحذير والنصح والارشاد والشكر والاعتذار والندم.

ومن فخر المرتدين بأحداث الردة، الفخر بمنع الزكاة، ومن ذلك قول قيس بن عاصم المنفري حين ارتد وفرّق إبل الصدقة في قومه بني منفر:

ألا أبلغا عني قريشاً رسالة

اذا ما أتتها بينات الودائع

حبوت بها في الدهر اعراض منفر

وأيأست منها كل أطلس طامع

وجدت ابي والخال كانا بنجوة

بقاع فلم يحلل بها من أدافع(٥)

وفي وقعة «ذو دوران» وقد كانت لمسيلمة الكذاب على المسلمين، قال رجل من بني حنيفة:

ألم ترنا على عهد أتانا

بملهم والخطوب لها انتهاء

فشل الجمع جمع ابي فضيل

بذي دوران ذكره اللقاء

ويقصد بأبي فضيل أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأجابه من المسلمين عمر بن ابي ربيعة السلمي قائلاً:

أيا حنفي لا تفخر بقرء

أتانا بغتة ولنا العلاء

فما نلتم ولا نلنا كبيراً

بذي دوران اذ جد النجاء

والقرء لعله المقصود به هنا الشعر، اذ من معانيها القافية وأقراء الشعر أنواعه وأنحاؤه(٦).

وقال معاذ بن يزيد بن الصعق العامري يحث قومه هوازن حين عزموا على الردة،

علـى الـعـودة الـى الاسـلام، فـلـم يـقـبـلـوا، فارتحل بأهله، وبمن أطاعه:

بني عامر أين أين الفرار

من الله والله لا يغلب

منعتم فرائض اموالكم

وترك صلاتكم اعجب

وكذبتم الحق فيما أتى

وان المكذب للأكذب(٧)

وقال مكنف بن زيد الخيل في بني اسد المرتدين مع طليحة بن خويلد:

ضلوا وغرهم طليحة بالمنى

كذباً وداعي ربنا لا يكذب

لما رأونا بالفضاء كتائباً

يدعو الى رب الرسول ويرغب

ولّوا فراراً والرماح تؤزهم

وبكل وجه وجهوا نترقب(٨)

وقال الأغلب العجلي في سجاح الكاهنة زوجة مسيلمة الكذاب (وقد أسلمت بعد ردتها):

ان سجاحاً لاقت الكذابا

ساء لها فأعيت الجوابا

وهتكت عن سترها الحجابا(٩)

الهوامش:

١- د. كمال عهبري، شعر الصراع بين الاسلام وخصومه، دار المناهج، عمان، الاردن ١٩٩٩، ص٢٤-٢٧ .

٢- المرجع السابق، ص٢٨-٢٩ .

٣- يوسف العظم، الشعر والشعراء في الكتاب والسنة، دار الفرقان، عمان، الاردن ١٩٨٣- ص١١-٢٢ .

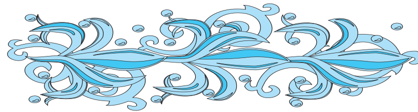
٤-٥- د. محمود عبد الله ابو الخير، شعر حروب الردة، وزارة الثقافة عمان، الاردن، ٢٠٠٢، ص٢٥٧-٢٩٨ .

٦- د. علي العتوم، ديوان الردة (جمع وتحقيق وشرح) مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٧، ص٢٠ .

٧-٨- المرجع السابق ص٢٤-٢٥ .

٩- المرجع السابق ص٣٣ .

١٠- المرجع السابق، ص١١٩-١٢٠ .



حسن الخُلق

■ **بقلم الواعظة اعتدال حاتم ابو الغنم**

يخطئ كثير من المسلمين في اعتقادهم ان ما يدخل الجنة، من اكثر من صلاة وصيام وزكاة، ويغفل عن عبادة تسوق صاحبها الى اعلى الجنان، لأنها تثقل ميزان العبد يوم القيامة ألا وهي «حسن الخلق».

فالمسلم المقرب عند الله تعالى ليس من أتى بصلاة وصيام ودعاء وذكر فحسب، بل من اتى بتواضع وحلم وكرم وغيرها من الأخلاق الحميدة التي دعا اليها الاسلام.

والمتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد ان الكثير منها فيه التركيز على عبادة حسن الخلق وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة التي تمثلت فيه شخصية نبي الله ﷺ، وقد مدح خُلقه ووصفه بالعظيم، قال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: ٤ .

ونجد في سيرة المصطفى ﷺ مواقف تؤكد خلقه العظيم، فهنالك مواقف في تواضعه وصبره وحلمه يعرفها علماء المسلمين وعامتهم، فعلمنا ﷺ العفو والصفح والاحسان الى الناس وان الاخلاق تغير اطباع الناس وتنشر فيهم المودة والمحبة، والتآلف قال تعالى: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾**.

وعلمنا ﷺ ان الصغير يحترم الكبير والكبير يرحم الصغير، وان الرفق لا يكون

في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه.

فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يبول في المسجد فهم الصحابة به، وجاء النبي ﷺ فقال دعوه يتم بوله لا تضايقوه، مع انه يبول في المسجد، فلما انتهى اخبره ﷺ ان المسجد للصلاة والقرآن والذكر لا يجوز فيه ما فعل، ومن شدة حب الرجل لرسول الله ﷺ -احبه لحسن خلقه- قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً!! فضحك النبي ﷺ وقال: لقد حجرت واسعاً.

والحلم والاناة من الاخلاق، فالمسلم لا بد ان يكون رفيقاً بالآخرين متأنياً بالأعمال لا يعجل بها فقد مدح النبي ﷺ صحابياً اسمه الاشج بن عبد قيس، مدحه لأخلاقه الجميلة، فقال له: «ان فيك خصلتين يحبهما الله.. قال: الحلم والأناة».

وعلمنا ﷺ ان اكرام الضيف من الايمان، فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وعلمنا ﷺ ان من الامور التي يثاب عليها العبد في ديننا والتي يؤجر عليها يوم القيامة الابتسامة.. من يصدق انه من يبتسم يؤجر عند الله جل وعلا فالابتسامة صدقة من الصدقات مثل من انفق ديناراً في سبيل الله، فالمسلم يجب ان يكون بشوشاً مع الآخرين، يدخل السرور في قلوبهم، قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق»، وقد كان ﷺ كثير الابتسام وضحك في بعض المواقف حتى ظهرت نواجذه.

وأخبرنا ﷺ: «ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ومن اراد ان يكون قريباً من النبي ﷺ يوم القيامة فليحسن خلقه لقوله ﷺ: «ان من احبكم الي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وان ابغضكم الي وابعدكم عني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون».

اللهم كما أحسنت خلقنا فحسن خُلقنا،

والحمد لله رب العالمين

حكايات فقهية للأستاذ حيدر قفة

■ بقلم الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي

صدر للاستاذ حيدر قفة في شهر ايار لهذا العام ٢٠١٠ الجزء الثالث من سلسلة "حكايات فقهية مختارة ودلالاتها" وكان قد صدر الجزء الاول منها عام ٢٠٠٥م.

والسلسلة مجموعة كبيرة من أحاديث رسول الله ﷺ، ينتقيها من الأحاديث ذات الصلة بالحياة والمجتمع الذي نعيش. ثم يستخرج ما فيها من دلالات اجتماعية وواجبات دينية، مع ما يوافق ذلك من مظانها، والحديث عن الأسانيد التي روتها، والتعريف بكل سند من رجالها، كما عرف في نظام الجرح والتعديل.

ويلفت انتباه الناظر فيما صدر من هذه السلسلة أمران:

الأول: عظم هذا الجهد الكبير في إنجاز دراسة مئة وتسعة وثلاثين حديثا نبوياً دراسة شاملة لمتن الحديث وما يؤخذ منه من دروس.

والثاني: المنهج الدقيق الذي أخذ به نفسه في تقديم هذه الأحاديث الشريفة للناس. وكان يلتزم في اختيارها:

أ- ان تحمل في طياتها روح الحكاية، لأنها أروح للنفس.

ب- ان يكون الحديث صحيحا ولا ينزل عن درجة الحسن.

ج- ان تعالج جانبا من جوانب الفقه، فالجزء الاول أداره حول الطهارة

والأذان والصلاة، والثاني اداره حول الزكاة والصيام والاعتكاف، والثالث: حول الجنائز والذكر والدعاء والحج.

اما المنهج الدقيق الذي التزم فيه في مقدمة الجزء الاول، فإنه يقول:

١- اكتب الحديث مع تشكيله، وذكر درجته، والمصدر الذي أستقيته منه.

٢- قمت بشرح الكلمات التي أظن انها تحتاج الى شرح.

٣- وضعت عنوانا بارزا مباشراً أذكر فيه دلالاته على الحكم الشرعي.

٤- وضعت عنواناً بارزاً اخر اسميته بعض الموضوعات التي تثار.

٥- ألزمت نفسي ان تكون الموضوعات المثارة عشرة فقط في كل موضوع حديث.

٦- ألزمت نفسي ان لا يزيد الحديث مع الشرح والتعليق عن اربع صفحات الى خمس.

٧- حرصت اثناء تناول الموضوع على تسريب عدة علوم الى نفوس المتلقين وعقولهم على جرعات خفيفة مثل علم التراجم، مصطلح الحديث، اصول الفقه، التفسير.

٨- حرصت ان اضمن شرحي شيئا من الطرائف العلمية والشوارد الفقهية.

١٠- ذكرت للاعلام الواردين في الحديث، ترجمة مختصرة لكل وحد منهم.

بعد هذا التعريف الوصفي لهذه السلسلة يخرج الناظر، الى الجهد المبذول، في انجاز ما نشر منها، في هذه الاجزاء الثلاثة، مع الاحتياط أن هذا الباحث الجاد مصمم على ان تصل الى تسع اجزاء ينهيها بجزء خاص للفهارس.

إشارات:

بعد هذا التعريف بهذه السلسلة يخرج الناظر بعدد من الملاحظات: انها يمكن أن تشكل موسوعة فقهية، فحينما تكتمل، كما يخطط لها صاحبها، وكما نرجو لها، سيجد فيها القارئ معلومات شافية حول مدارات الفقه الاسلامي المترامية الأطراف، كالصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة والأذان وتوابعها، وهو لا يورد حديثا ضعيفا او مدلسا او أمثال ذلك، فالمقبول عنده هو الحديث الصحيح، وما لا ينزل عن درجة الحسن، وهذا يريح القارئ من السؤال عن مستوى ما يقرأ من

الاحاديث.

ويختار في الحديث ان يعالج جانبا من جوانب الفقه في المجتمع، بأن يكون واجباً او مندوباً مثلا، اما ان يحمل الحديث في طياته روح الحكاية، فهو أمر حرص عليه المؤلف، فربما لم يكن شرطا ضروريا، اذ ان الحكاية، في بعض الأحيان، تعنى بجانب التسلية والامتاع، وحديث رسول الله ﷺ، تشريع ودستور المسلمين وليس معنيا بجانب تسلية المستمعين، وان كان يحرص احيانا على اسلوب السؤال والجواب، وهو اسلوب فيه جانب التشويق للمتلقين.

حول المنهاج:

وحول المنهج الذي اختطه المؤلف لنفسه في هذه الموسوعة، فربما كان في بعض فقراته سليما بل موفقاً، وربما كان فيه، في الوقت نفسه، بعض الالتزام بما قد لا يلزم، بما يبدو أنه شق فيه على نفسه دونما كبير ضرورة.

فمن الاولى كتابته للحديث، وقد شكلت حروف كلماته، وقد تحرى عن ذكر درجته من الصحة والحسن، وقد تم تخريجه من مظان الحديث النبوي الشريف المعروفة، فهذه أمور علمية في التعامل مع المصدر الثاني من التشريع الاسلامي.

ومن ذلك أيضاً شرح مفرداتها التي تحتاج الى توضيح، فهذا مما يسهل على القارئ الوقوف على الأبعاد الفكرية للنص، كذلك وضع العنوان البارز للدلالات المستخرجة من الحديث، أما العنوان الآخر الذي أضافه بعنوان: **بعض الموضوعات التي تثار**، فقد يكون فيه تزايد أتعب الباحث فيه نفسه.

وهنا نصل الى قوله: «ألزمت نفسي ان تكون الموضوعات المثارة عشرة فقط في كل حديث»، انني اخشى ان يكون هذا من باب الزام ما لا يلزم، كما قلنا، وان نكون قد حبسنا انفسنا في حدود هذا الرقم (١٠) غير الضروري، والحقيقة العلمية اهم من الحدود الرقمية والباحث ربما كان يحس بهذا حينما قال: «الزمت نفسي» فالمشوار طويل ومجهد.

وأما الاضافات العلمية التي سماها «جرعات خفيفة»، فربما كان فيها اضافات وتنوعات مناسبة متشعبة، تظهر سعة علم الباحث في إفادة المتلقي.

ويذكر الباحث انه حرص على اضافة الطرائف العلمية والشوارد الفقهية،

ويضيف الطرائف الأدبية المهذبة، اما الأولى فهي مثل الجرعات الخفيفة كما سماها، وفي اضافتها غنية للقارئ، وأما الثانية لم أكد أقع على شيء منها، فضلاً عن أنها ربما كانت من غير طبع المؤلف المعروف بالهدوء الكبير العالي، كذلك وليست من طبع البحث في موضوعه الحديثي الفقهي، وربما كان مما يدل على هذه الروح تسميته السلسلة برمتها **«حكايات فقهية»**.

واما ذكر الاعلام الواردة اسماؤهم في اسناد الحديث وذكر التراجم المختصرة لهم، فهذا يدل على مدى علم المؤلف وإحساسه بضرورة اكتمال عناصر بحثه العلمي، فهو أمر لا غناء عنه.

نموذج:

ولقد حاولت ان اختار من هذه الأحاديث المئة وأكثر واحداً يصلح ان يكون نموذجاً للقارئ يطلع عليه، فوجدت انه لا يقل عن اربع صفحات او خمس وربما كان في هذا الرقم مشقة، ولكنني أشهد شهادة لله تعالى اني ما حاولت ان اقرأ حكاية حديث الا خرجت بعلم جديد، فيه الاضافة العلمية المترامية الابعاد، لذلك اجدني انصح القارئ العزيز بأن يحرص على أن يقرأ شيئاً من هذه الحكايات، كما انصح خطباء الجمعة وطلاب علم الفقه ان يفيدوا من هذه الموسوعة المعجبة.

الخلاصة:

وبعد؛ فإنني احس ان وراء هذه المجلدات الثلاثة جهداً جباراً من الانكباب العلمي الدؤوب الذي قد يستغرق الشهور والسنين، وأعود لأتذكر اخانا المؤلف ابا كريم، بارك الله له في جهده وفي عمره، فأجده الرجل المتبتل الكثير الصيام والقيام، الذي استطاع بانجاز علمي مذكور ما تستطيعه مجموعة من الباحثين اذا حبسوا انفسهم له شهوراً وشهوراً.

ان الحكايات الفقهية المختارة ودلالاتها، التي انجز ابو كريم منها ثلاثة مجلدات حتى الآن، يمكن ان تكون موسوعة فقهية حديثة تعليمية قيمة، تستحق ان توضع بين ايدي جميع ابنائنا في المدارس والمراكز الدينية والقرآنية والعلمية والمساجد.

بارك الله في هذه الجهود المثمرة،

الطاعة في الاسلام

■ بقلم الاستاذة اميرة عبد الله

قال الله تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾، ان الطاعة هي ضد المعصية ومعناها الانقياد والاستسلام والخضوع، فإن لله سننا في الأمم والأفراد فيما يتصل بهلاكهم أو عافيتهم، فمن شاء أن يرحم سواء كان أمة أو فردا فعليه بطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

طاعة الله والرسول ﷺ فيها الخير والبركة والسداد والنصر، فعندما ارتدت القبائل عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد عقد اللواء لأسامة بن زيد أن يتوجه إلى الشام قبل وفاته، وقف الصحابة الكرام معارضين إصرار أبي بكر على بعث جيش أسامة رضي الله عنهم، خوفا على المدينة أن تستباح من قبل المرتدين إذا خرج الجيش فقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لو جرت الكلاب بأقدام أمهات المؤمنين ما حللت لواء عقده رسول الله ﷺ).

كلمات تكتب بماء الذهب!! ولا يعلم أجرها إلا الله عز وجل، وألقى الله الرعب في قلوب المرتدين حيث قالوا: ما كان ليبعث جيش أسامة لأطراف الشام إلا وله في المدينة من يدافع عنها، قس هذا الوفاء والاتباع السامق، بمن يتحذلق بما هو منبوذ إذا ما قيس بالوضع الأمني الذي كانت تعيشه المدينة في ذلك الوقت فيجدون لأنفسهم الحق في الخروج على أمر الله ورسوله ﷺ بإحداث صور من الانحراف تحت ستار المصلحة، والقياس الفاسد.

قال تعالى: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**

إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ والأصل أن تكون الطاعة لله وللرسول قال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** وطاعة الرسول ﷺ هي طاعة الله تعالى ذلك لأن القرآن وحي الله إلى رسوله لفظا ومعنى، والحديث هو وحي الله إلى رسوله معنى واللفظ لرسول الله ﷺ وصدق الله العظيم: **﴿وما ينطق عن الهوى ❖ إن هو إلا وحي يوحى﴾.**

ومعصية الله أو الرسول ﷺ فيها الانكسار والهزيمة والخذلان، وعندما أمر رسول الله ﷺ الرماة في غزوة أحد أن يحفظوا ويلزموا أماكنهم ولو رأوا الطير تتخطف المسلمين، وبهذا انتصر المسلمون في أول المعركة وتنادى الرماة: الغنائم الغنائم، فتركوا موقعهم، وبحركة التفاف قام بها خالد بن الوليد وكان كافرا، إنفرط عقد المسلمين وكان درسا عمليا يتناسب مع عظم الحقيقة التي أراد الله لأمة الحق أن تتربى عليها أن الطاعة لله والرسول ﷺ فيها النصر، وأن المعصية لله والرسول ﷺ فيها الهزيمة، ولو انتصر المسلمون على ما فعلوه، لما كانت لهم بعد ذلك طاعة حيث يقولون: عصينا فانتصرنا وصدق الله العظيم: **﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾.**

ان للطاعة مفهومين:

المفهوم الاول: مفهوم جاهلي: لا نعرفه في إسلامنا وهي الطاعة العمياء، بلا ضوابط ولا أصول نعود إليها من كتاب وسنة وإجماع وقياس، وهذا المفهوم للطاعة مرفوض.

المفهوم الثاني مفهوم إسلامي: وهي الطاعة المبصرة، الواعية، المدركة، التي تحكمها الضوابط الشرعية لا الأهواء، والأصول لا آراء الرجال وصدق الله العظيم: **﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾** ونأخذ منها طاعة الوالدين: حيث انها تكون مقيدة بطاعة الله ورسوله ﷺ، فسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان من أبر الناس بأمه، أسلم فأقسمت أمه ألا تذوق طعاما ولا شرابا ولا تستظل بظل حتى يرجع عن دينه، فذهب سعد إلى رسول الله ﷺ وذكر له قسم أمه وبره بها فأنزل الله تعالى قوله: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾** لقمان: ١٥، فذهب سعد إلى أمه وقال: يا أماه لو كانت لك مائة روح تخرج الواحدة بعد الأخرى ما رجعت عن ديني فلما رأت عزمه رجعت عن قسمها.

وطاعة الوالدين مقدمة على طاعة الزوجة: للحديث: (عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله: أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها؟ قلت: فأي الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: أمه).

ومن علامات الساعة إغضاب الوالدين لأجل زوجة أو صديق للحديث: ((إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، وذكر: وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وأدنى صديقه وأجفى أباه)).

اما طاعة المرأة لزوجها، حيث ان الطاعة في المعروف: فينبغي على المرأة المسلمة أن تعلم أن الزوج المسلم بابها إلى الجنة للحديث: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة) فلا تمتنع عنه إذا دعاها إلى الفراش لحديث: (إذا دعا الرجل امرأته إلى الفراش فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) لما في الامتناع من فتح لأبواب الغواية ووساوس الشيطان، ولا تخرج إلا بإذنه للحديث: (إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع) (ولا تصوم تطوعا إلا بإذنه ولا تأذن في بيته (بدخول أحد أو بتصدق أو بيع شيء وهكذا) إلا بإذنه).

والطاعة في المعصية لا تجوز: فإذا ابتليت المرأة المسلمة بزوج سيء يأمرها بخلع الحجاب أو ترك الصلاة أو حضور المجالس المختلطة فطاعة الزوج معصية لله تعالى.

عندما جاء وفد النساء إلى النبي ﷺ يطلبن الجهاد والإذن في دخول ساحات المعارك لنيل الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين: قال لهم النبي ﷺ: (طاعة المرأة زوجها يعدل ذلك وقليل منكن فاعله).

وموقف المسلم من الطاعة أن الصحابة رضوان الله عليهم تربوا على مبدأ التلقي للتنفيذ يقول ابن مسعود: (ما كنا نحفظ إلا الخمس والعشر آيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها).

فطاعتهم مطلقة مهما تغيرت الأحوال وتبدلت الظروف وعلى ذلك بايع الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا) ويقول ﷺ: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره).

مضار التدخين

شعـــر الاستـاذ حلـمي محـمد شـقيـــر

رب الـخـلائـق والأكوان قـاطـبـة ... انت العظيم من الأعماق نحكيها
حرمت كل خبيث في مطاعمنا ... حتى المشارب مثل المزن نسقيها
قد كنت ترشدنا للخير تدفعنا ... تحمي النفوس من الأنجاس تحميها
فالنفس مزدانة والعقل يحرسها ... والـلـه يـرشـدهـا لـلـخـيـر يهـديها
لكنها النفس احيـاناً نطاوعها ... والـنـفـس امـارة لـلسـوء والـتـيـها
والنفس تـزعم ان التبغ يبعدها ... عن الهموم فيا سبحان معطيها
هـل الـسـجـائـر طب لا مـثـيل لـه ... يحمي النفوس من الأنواء يشفيها
التبغ يحوي سموماً كلها خبث ... فهو المسرطن لا لبسا وتشويها
ظن الشباب ان التبغ يجعلهم ... مثل الرجال الى الامجاد يعليها
التبغ يقتل اجساداً ويحرقها ... يدمر النفس للتابوت يدنيها
كل السجائر سم لا يضارعه ... سم الأفاعي ولا سما يضاهيها
كل السموم حواها التبغ تشربه ... يدمر النفس للأمراض يدينها
لا النوم ينعم فيها المرء من تعب ... يدمي عيوناً وصار الدمع مجريها
هل انت عبد الى السيجار ترشفه ... اين الرجولة فالسيجار يكويها
ولا تقل عن الارجيلة العصماء ان بها ... خيراً عميماً فلا خيراً يوازيها
فالشر فيها فلا نفس تطيب بها ... واي خير من القطران نبغيها
حتى مجالسها شر ومضيعة ... سخف الكلام سمات في مراميها
كفوا عن التدخين فالأوطان ترمقكم ... تبغي رجالاً صحاح الجسم تحميها
وابغوا الهداية فالرحمن ارشدكم ... فالخير فيكم حماة المجد بانيها
لا تقتلوا النفس فالرحمن ارشدكم ... من يقتل النفس فالأديان يعصيها
وحرروا النفس من خبث يدمرها ... وطهروا النفس فالتدخين يشقيها
وطهروا العقل من فكر اضر به ... فالخير في العقل لا في التبغ نبغيها
ثم الصلاة على النبي وآله ... هادي النفوس من الآفات يحميها

❖ ❖ ❖

الـربــا

■ بقلم الواعظة وفاء عيد المجاولة

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

في هذا الزمن اعرض كثير من المسلمين عن اليوم الآخر، والتفتوا الى الدنيا حتى ملكت قلوبهم وعقولهم وأصبح جمع المال من اي طريق كان اكبر همهم ومبلغ علمهم، فالحلال عند بعضهم ما حل باليد والجيب ولو كان حراماً، والحرام عندهم ما تعذر عليهم أخذه، وهذا انما يدل على عدم خشية الله تعالى في قلوبهم وإعراضهم عن دين الله تعالى.

ومن هذه المكاسب المحرمة التي تساهل بها كثير من الناس هي التعامل بالربا، ذلك المال الحرام الذي من اكله مستحلاً فهو كافر والعياذ بالله، لأن تحريم الربا معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**.

وقد كشف النبي ﷺ حقيقة الربا وبين بشاعته وقبحه، بما يردع كل مؤمن بالله واليوم الآخر، عن مقاربته فضلاً عن مقارفته حيث قال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً ادناها مثل إتيان الرجل أمه».

والربا هو كسب خبيث محرم، وسحت لا ضير فيه، ولا بركة منه، بل يجلب الضرر والنقيصة في الدنيا والحاضر والمستقبل، على كل من شارك فيه وأعان عليه ورضيه بأي وجه من وجوه المشاركة، من آخذ أو

معطي أو كاتب أو شاهد أو إعانة بمال او إجازة لأهله أو تأييدهم او شفاعة أو دعاية لهم أو دفاع عنهم او حمايتهم او رضا بما هم عليه او غير ذلك.

ومن وجوه التأييد والاعانة لأهل هذه المعاملة الباطلة الجائرة التي حقيقتها المحادة والمحاربة لله ورسوله ﷺ والظلم الشديد للعباد، فمعاملة هذه حقيقتها، لا شك ان اضرارها كثيرة وعظيمة وان عواقبها وخيمة وأليمة على الفرد والجماعة الذين يشتركون فيها، وعلى المجتمع الذي يقر ذلك المنكر فلا ينكره ولا يسعى في تغييره وهو اضرار محققة منها:

١- عدم قبول الصدقة من آكل الربا لأن كسبه خبيث وقد قال سبحانه وتعالى: **﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾**، وقال ﷺ: «ان الله طيب لا يقبل الا طيباً» رواه مسلم.

٢- رد الدعاء، فلا يستجيب الله دعاء آكل الربا، قال ﷺ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

٣- نزع البركة من العمر ومن الكسب، قال تعالى: **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**.

٤- آكل الربا سبب للحرب من الله ورسوله ﷺ.

٥- آكل الربا موجب للعن من الله ورسوله ﷺ، واللعن هو الطرد والابعاد عن مظان الرحمة لكل من اشترك في الربا بأي وجه من الوجوه.

٦- آكل الربا من اسباب سوء الخاتمة، لأن من الذنوب ما يستوجب به صاحبه نزع الايمان، ومن ذلك ذنب الربا فيفتن به صاحبه عند الموت فيلقى ربه مرابياً عاصياً لله ورسوله ﷺ.

٧- آكل الربا كما جاء في الحديث الشريف يعذب في قبره بالساحة في نهر من دم وتقذف في فيه الحجارة، فتقذف به وسط النهر وهكذا كلما اراد الخروج رمي في فيه بحجر فيرجع حيث كان.

٨- من مات وهو يتعامل بالربا فإنه متوعد بالنار لقوله تعالى: **﴿ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة

الاستغفار

بقلم الاستاذ ابراهيم الدهون

الحمد لله ثم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له غافر الذنوب وقابل التوب، ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ نبي الرحمة وشفيع الأمة يوم الدين.

أيها الموحدون، أوصيكم ونفسي بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ ولا تولوا عنه وانتم تسمعون، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون

وبعد:

فقد روى الترمذي بسند حسن عن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى في الحديث القدسي: يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك الذنب على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة).

تدور رحى هذا الحديث على ثلاثة أسباب يحصل بها مغفرة الذنوب، أولها: الدعاء وثانيها: الاستغفار وثالثها: توحيد الله تعالى في العبادة.

ويقوي هذا الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن النبي ﷺ قال: يقول الله في الحديث القدسي: (من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بقرابها مغفرة)، فالدعاء هو العبادة أمر الله به ووعد عليه بالإجابة قال سبحانه وتعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾**.

والله تعالى إذ فتح على عبده باب الدعاء فقد فتح عليه باب الإجابة، لكن الدعاء سبب مقتضي للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تختلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجوب بعض موانعه ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى كما روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة وان الله تعالى لا يقبل دعاء من عبد غافل لاه).

وعلى المسلم أن يعزم المسألة ويكثر من الدعاء له، وعلى المسلم أن لا يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة ولو طالت المدة، فإنه سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء، فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء، فهو قريب من الاجابة.

أيها المؤمنون؛

ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة الذنوب وما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة وفي مستدرك الحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم أو قطيعة رحم، إلا اعطاه الله بها ثلاثاً: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها)، فالإلحاح في الدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى، موجب للمغفرة وليعلم المؤمن أنه لا يغفر الذنوب إلا الله تعالى.

السبب الثاني للمغفرة: الإستغفار، ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب أو بلغت نهاية ما يصل إليه البصر، والاستغفار: طلب المغفرة،

والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها، وكثيراً ما نجد آيات في القرآن الكريم آمرة بالاستغفار كقوله تعالى: **﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾** وتارة مادحة للمستغفرين، كقوله تعالى: **﴿والمستغفرين بالأسحار﴾** وتارة مقرونة بالتوبة فيكون الاستغفار عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي طلب منه للمغفرة، ودعاؤها يكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج الدعاء من قلب منكسر بالذنوب وصادق، في ساعة إجابة كالأسحار وأدبار الصلوات. وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (إن عبداً أذنب فقال: رب أذنبت ذنباً فاغفر لي قال الله تعالى: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ به، غفرت لعبدي).

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (التائب من الذنوب كمن لا ذنب له)، فقول القائل: استغفر الله معناه: اطلب المغفرة.

وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه ثم يثني بالاعتراف بذنبه ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد ابن أوس عن النبي ﷺ قال: (سيد الاستغفار ان يقول العبد: اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنوبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) أخرجه البخاري.

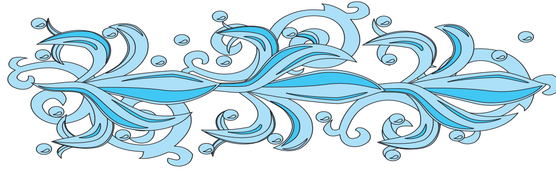
ورسول الله ﷺ وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان الصحابة الكرام يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة يقول: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور) • وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وعند مسلم أكثر من مائة مرة، وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار.

والسبب الثالث من أسباب مغفرة

الذنوب: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض (ما يقارب ملأها) خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى وقام بشروطه كلها، بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب الله له بذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، أو منعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً وحماية وخشية وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبها الله تعالى إلى حسنات، فإن هذا التوحيد هو الأكبر والأعظم والأهم في هذه الحياة الدنيا.

أقول قولي هذا واستغفر الله فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

الحمد لله حمداً كما أمر ونشهد أن لا إله إلا الله ما سمعت اذن بخبر، ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله المخصوص بالسيادة منذ خلق اللوح والقلم صلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً كما أمر، أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته لقوله سبحانه وتعالى: **﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾** ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد الخامس - المجلـــد ٥٥

جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ - أيار ٢٠١١م

❖ ❖ ❖

❖ ❖ ❖

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

وحدة الاسرة الانسانية في

كانت دعوة الاسلام، صريحة الى التعارف والتعاون بين جميع الامم والشعوب على ما فيه خيرها، وفي مقدمة ذلك تحرير الانسان من العبودية لغير الله عز وجل، وتقديم جميع انواع البر الى بني الانسان كافة من غير اي تمييز ما بين إنسان وآخر، عملاً بقوله سبحانه: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.

وإذا رمنا فهم أبعاد نظرة الاسلام الى وحدة الاسرة البشرية، ووحدة كرامتها على الله تعالى، لا بد ان ننظر الى ما كانت عليه أوضاع الأمم والشعوب السائدة في ذلك العصر الذي ظهر فيه الاسلام، سواء على أساس التعالي في الأنساب، او على أساس نظام الطبقات وتفاوت كل طبقة عن الأخرى بالحقوق والكرامة، كما كان عليه الأمر في مختلف الشعوب من فرس ويونان وهند ورومان، وإما على أساس التفاضل بين الشعوب نفسها في الأعراق والألوان.

وفي كل هذه الأحوال، ولدى جميع الأمم، لم يكن للمرأة مكان الى جانب الرجل، لا في الأهلية ولا في الحقوق، بل ولا حتى في معاني الانسانية نفسها، وهكذا جاء الاسلام والعالم كله ممزق اجتماعياً من جراء ذلك، وفي حروب داخلية أو خارجية، تأتي على الأرواح البشرية، كما تأتي النار على كل ما تجد في طريقها، ولا تخلف وراءها الا خراباً ودماراً وأمواتاً وأمراضاً وبؤساً وشقاءً، بعيداً عن كل معاني الانسانية التي كرمها الخالق سبحانه.

وقد اعتبر الاسلام الحنيف هذه الامراض الاجتماعية، في مقدمة مشكلات الانسانية، التي أخذ الاسلام على عاتقه معالجتها بكل جرأة وصراحة، ولذلك اطلق على دعوته في صريح القرآن العزيز «الدعوة الى الحياة» وقال في ذلك جل وعز: ﴿يا أيها

منظور الشريعة الاسلامية

الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ واعتبر الاسلام حل تلك المشاكل الانسانية الحيوية، ملازماً لدعوة الاسلام الى الايمان بالله تعالى.

وهكذا قام الاسلام بإصلاح جذري شامل في كل هذه الميادين الحيوية، التي تعثرت فيها الأمم والشعوب قديماً وحديثاً، وأقام اصلاحاته كلها على أساس من الكرامة والعدالة والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات، قبل الاعلان العالمي لحقوق الانسان، او الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للإنسان.

وبذلك فتح الاسلام آفاق دعوته لبني الانسان، ليتسابقوا في التعارف والتعاون على ما فيه خير الناس اجمعين، وبذلك حطم الاسلام الحواجز التي كانت ما بين الاجناس والاعراض والانساب، واعلن رسول الله ﷺ في رجل من فارس اسم «سلمان» فقال فيه: «سلمان منا اهل البيت» كما ضم ﷺ صهيباً الرومي وهو من اصل روماني، وبلالاً الاسود من اصل حبشي رضي الله عنهم، جعلهم جميعاً في مقدمة دعاته، بل في مقدمة كبار القادة من اصحابه الكرام.

وبهذا يكون الاسلام العظيم، قد حقق معجزة تاريخية في وحدة الاسرة البشرية، وبدأ فيها في عصر كان جميع الناس يتنافسون بالأجناس وبالأعراق والأنساب، وجعلهم جميعاً يعيشون تحت شعار إلهي نادى به الاسلام منذ بزوغ شمسه وظهوره، وأكده رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه بكل صراحة وقوة وصلابة، في وداعه الأخير للحياة: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب.. وان دماءكم وأموالكم عليكم حرام..».

ردع الإنسان عن إيذاء النبي العدنان ﷺ

■ بقلم الدكتور عبد الله أحمد الزيوت

لقد ختم الله عز وجل رسله وأنبياءه بنبيِّنا محمد ﷺ، وأخذ الله تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أممهم العهد والميثاق لئن جاءهم الرسول ﷺ مصدقًا لما معهم، أن يؤمنوا به وينصروه.

وقد أكرم الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ، وخصَّه بخصائص لم يشاركه فيها أحد؛ فشرح صَدرَه، ووضع عنه وزرَه، ورفع له ذِكْره، وأعلى تعالى شأنه، ورفع مكانته، وآتاه الكتاب والحكمة، وخصّه بالشفاعة العظمى يوم القيامة، وفضَّله على جميع المخلوقين من الملائكة والرسل والآدميين.

وقد أوجب الله تعالى إلى جانب الإيمان بنبوته محبته، وتعظيمه، وتوقيره، ونُصرته، واتباع سنته وامتثال أمره ونهيه في كلِّ ما جاء به، وجعل الله اتباع نبيه ﷺ طاعة له تعالى وعلامة محبته، وفي البعد والانحراف عن ذلك معصيته التي لا يُعذر بها أحد من خلقه، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** النساء: ١٣، قال تعالى: **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** الأعراف: ١٥٧، ولا ريب أنّ توقير النبي ﷺ بعد موته وتعظيمه ونُصْرته، لازم كما كان حال

حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته.

والمرءُ يُكرم إما لدينه، أو خُلقه، أو قَدْره، أو إحسانه إلى النَّاس، والعاقل لا يؤذي مَنْ اتصف بواحدة منها أو اثنتين، فكيف بمن جمعها على أتم وجه وأكمله، وهو سيد الخلق محمد ﷺ الذي جمع الخصال الحِسَان، واتصف بأقصى درجات الكمال؛ فهو ﷺ وإن كان بشرًا إلا أنه في أكمل درجات البشرية وأحسن حالاتها.

وهذا الكمال البشري الذي اتصف به النبي ﷺ موجب لاحترامه وتعظيمه وتقديره، ورادعٌ للعقلاء أولي النُّهى عن إيذائه بقول أو فعل، ولكنَّ سنَّةَ الله تعالى قضت أن يكون لكل نبي عدوٌّ من المجرمين، يؤذيه، ويحاول أن يشوِّه سمعته، لسبب أو لآخر، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾** الفرقان: ٣١، وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** الأنعام: ٣٤ .

ولما كان إيذاء الرسول ﷺ من أقبح الأفعال، وكان فيه انتهاك لحرمته، وسوء أدب بحقه ﷺ جاء الأمر في القرآن الكريم بالتأدب معه ﷺ والردّع عن إيذائه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾** الأحزاب: ٥٣ .

سبب نزول الآية الكريمة:

ورد في الصحيحين عن أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه أنّه قَالَ: "لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْش دَعَا النَّاسَ، طَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَام فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ مَعَهُ مِن النَّاس وَبَقِيَ ثَلاثَةٌ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا، قال: فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَرْخَى الحجاب بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾**"(١).

وورد في الصحيح عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنه

قال: "قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بالحجاب، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحجاب"[٢].

وليس بين الروايتين تعارض لجواز الجمع بينهما، قال الحافظ ابن حجر: "وَيُمْكِن الْجَمْع بِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ قَبلَ قِصَّة زَيْنَب، فَلِقُرْبِه مِنهَا أطلقت نُزُول الحِجَاب بِهَذَا السَّبَب، وَلا مَانِع مِنْ تَعَدُّد الأَسْبَاب"[٣].

وذُكِرَ أن قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾** نزل بسبب رجل قَالَ: لَوْ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ لَتَزَوَّجْت بعض نسائه، وقيل: القائل هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه[٤]، لكنَّ هذا - كما قال الماتريدي - "قبيح، ولا يُحْتمل أنْ يكون أحدٌ مِنَ الصحابة يقول ذلك، أو واحد ممن صفا إيمانه، وحَسُنَ إسلامُه، يَخطُرُ بباله ذلك، إلا أن يكون منافقًا"[٥]، فهو يتعارض مع جلال وقَدْر هذا الصحابي رضي الله عنه، وفيه اتهام وإساءة له، والواجب أن يُحسَن الظنُّ به وبغيره من الصحابة، ويُجلّوا عن مثله.

وقد أحسن ابن عاشور إذ قال: "لا شك أنه من موضوعات الذين يطعنون في طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه، وهذه الأخبار واهية الأسانيد ودلائل الوضع واضحة فإنَّ طلحة إنْ كان قال ذلك بلسانه لم يكن ليخفى على الناس فكيف يتفرد بروايته من انفرد؟ وإنْ كان خطر ذلك في نفسه ولم يتكلم به، فمن ذا الذي اطَّلع على ما في قلبه؟ وليس بمتعين أن يكون لنزول هذه الآية سبب، فإنْ كان لها سبب فلا شك أنّه قول بعض المنافقين لما يؤذن به قوله تعالى عَقب هذه الآيات: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** الأحزاب: ٦٠"[٦].

❖ العمل بما يُرضي الرسول ﷺ ولا يؤذيه:

افتتحت الآية الكريمة الخطاب بنداء المؤمنين بوصف الإيمان، وهو الرابط بينهم وبين الرسول ﷺ، وفيه حثّ على امتثال الأمر، واجتناب النّهي، ولهذا كان عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُهُ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"[٧].

وقبل مجيء الرّدع يأمر الله تعالى بالتأدب مع الرسول ﷺ في دخول بيوته وفي خطاب أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ؛ أما بيوته ﷺ فقد نهى الله تعالى عن دخولها في حال من الأحوال إلاّ في حال الدعوة إلى طعام[٨] والإذن في الدُّخُولِ من غير انتظار **﴿إِنَاهُ﴾**؛ أي:

"نضجه وبلوغه، يقال: أَنَى يَأْنِي إناءً إذا بلغ ونضج"(٩)، ثم إذا دعيتم إلى طعام فادخلوا، فإذا أكلتم الطعام فتفرقوا واخرجوا، ولا تتأخّروا بعد ذلك مُسْتَأْنِسِينَ لحديث بعضكم بعضًا، قال ابن عطية: "وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى دار الدعوة ينتظر طبخ الطعام ونضجه، وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل، لا قبله لانتظار نضج الطعام"(١٠).

وللحثّ على النّهي عن دخول بيوت النبي ﷺ بغير إذن بيّن تعالى علّته، فقال: **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحق﴾**، فإسم الإشارة يعود إلى الدخول بغير إذن، والانتظار، والاستئناس للحديث، وكلّ ذلك معلّل بإذاية الرسول ﷺ، والمعنى: "مَنَعْنَاكُم منه لإِذَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فجعل المنع من الدخول بغير إِذْنٍ وَالْمُقَامَ بعد كمال المقصود مُحَرَّمًا فِعلُهُ، لإِذَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ"(١١)، ولكن لشدّة حيائه ﷺ كان يكره أن ينهاهم أو يخرجهم من بيته، ولهذا نهى الله تعالى عن ذلك، وعلّمهم الأدب في دخول بيوته ﷺ.

فلم يكن المقصود من الدخول بغير إذن والاستئناس للحديث إيذاء الرسول ﷺ، أو مضايقته، وإنّما هو جارٍ على ما كانوا يصنعون في ابتداء الإسلام، ولذلك امتثلوا الأمر، والتزموا الأدب في اللحظة الأولى التي استشعروا فيها أنهم أثقلوا على الرسول ﷺ، بدليل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النفر "لمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ"(١٢).

وأما عن التأدب معه ﷺ في خطاب زوجاته فقال عزّ من قائل: **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾**، فأمرهم إذا أرادوا سؤالَهُنَّ متاعًا ـ وهو يعمّ جميع ما يمكن أن يُطْلَب من المَواعين وَسائر المرَافِق للدين والدنيا(١٣) أَنْ يَسْأَلُوهُنَّ من وراء حجاب ساتر بينهم وبينهنَّ، ثم يذكر تعالى علَّة ذلك وحكمته فيقول: **﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾**؛ أي: أكثرُ تطهيرًا لها من الخواطِرِ الشَّيطانيَّةِ، وأبعد عن الريبة وسوء الظنّ"(١٤).

فالحجاب معلّل بطهارة القلوب من خواطر السوء، حين لا يكون هناك حجاب ساتر بين الرجال والنساء.

ومجيء هذا الأمر مع أمهات المؤمنين ومع صحابة الرسول ﷺ، يُلجِمُ أولئك

الذين تهاونوا في أمر الله تعالى فرفعوا الحجاب في بيوتهم.. وليست نساؤهم أَطهرُ قلبًا من أمهات المؤمنين، كما أنَّ أصحابهم ليسوا أنبلَ نفسًا من صحابة الرسول ﷺ(١٥).

والحقُّ أن الحجاب طهارة لقلوب الرجال وقلوب النساء؛ لأن النظرة سهم من سهام إبليس، والعين إذا لم تر لم يشته القلب، وإذا رأت قد يشتهي وقد لا يشتهي، ولذلك كان القلب عند عدم الرؤية أطهر، والأمن من الفتنة حينئذ أظهر، أما رفع الحجاب والاعتماد على الثقة بالنفس فهو طريق لفساد قلوب الرجال والنساء، وفتح لباب الفتنة والشَّر على مصراعيه.

❖ الرّدع عن إيذاء الرّسول ﷺ بأبلغ الوجوه:

وبعد ذكر بعض الآداب التي يجب مُراعاتها في بيوت الرسول ﷺ، ومع أزواجه، وبيان ما خفي على بعضهم مما كان يؤذيه ﷺ ويثقُل عليه، يأتي الرّدع عن إيذائه ﷺ في شيء من الأشياء ولو بأقل القليل: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾**.

يأتي تركيب (ما كان) للدلالة على النفي؛ وذلك لأن (ما) للنفي، و (كان) للإثبات، ونفي الإثبات نفي، وقد يخرج عن ذلك ويأتي للدلالة على معان أخرى، منها: الرَّدع والزّجر، قال صاحب أَضواء البيان: لفظ **(ما كان)** يدل على النفي، فتارة يدل ذلك النفي من جهة المعنى على الزَّجر والرَّدع، وتارة يدل على التعجيز، وتارة يدل على التنزيه(١٦).

وهذا التركيب لا يُراد منه الردع والزجر إلا في الأمر الذي يكون بمقدور الإنسان - المكلف - أن يمتنع عنه، أمّا ما خرج عن ذلك، وكان مما لا قُدْرَة له عليه، ولا طاقة له به، فهو نفي بليغ، وليس ردعًا.

وسواء أكان هذا التركيب بمعنى النفي أم خرج إلى الرّدع فهو يدل على المبالغة، وحول هذا المعنى يقول المطرزي: "لمّا أرادوا نفي الأمر بأبلغ الوجوه قالوا: ما كان لك أن تفعل كذا، حتّى استُعمِلَ فيما هو مُحالٌ أو قريبٌ منه"(١٧).

ولعلَّ وجه دلالته على المبالغة أن فيه نفي الشأن والعادة، فقولك لزيد مثلاً: ما كان لك أن تكذب، أبلغ من قولك: لا تكذب؛ لأنّ الأول فيه دلالة على أن الكذب لم يكن من شأن زيد ولا من عادته، ولا يليق به ذلك؛ لأن فيه من الخصال الحميدة التي تردعه عن الكذب، وتجعله بعيداً عنه، والثاني ليس فيه إلا مجرد طلب ترك الكذب(١٨).

ومما يدل على أنّ هذا التركيب يفيد المبالغة وقوع لام الجحود بعد (كان) المنفية؛ فإذا نفت (ما) فعل (كان) أفادت قوّة النفي ومباعدة المنفي، وحسبك أنّها يبنى عليها الجحود في نحو: ما كان ليفعل كذا[١٩].

ووجه دلالته على المبالغة هنا أن إيذاء الرسول ﷺ ليس من شأن المؤمن المتصف بصفة الإيمان بمعناه الصحيح ولا من عادته، بل ولا يكون منه ذلك أبدًا ؛ لأنه يعمل بما يُرضيه ﷺ ولا يؤذيه، وإنما هو من أفعال أهل الكفر والضلال القبيحة، وصفاتهم الذميمة، وليسوا من الإيمان في شيء.

قال ابن عاشور: "دلت جملة **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾** على الحظر المؤكد؛ لأن **﴿وَمَا كَانَ لَكُم﴾** نفيٌ للاستحقاق الذي دلت عليه (اللام)، وإقحام فعل (كان) لتأكيد انتفاء الإذن، وهذه الصيغة من صيغ شدة التحريم"[٢٠].

❖ معنى الأذى:

والأذى في اللّغة يطلق في الأصل على الشّيء تتكرّهُه ولا تقرّه[٢١]؛ فالأذى في الأصل مقتصر على ما يحصل في النفس من إنكار للشيءٍ مع كراهته، لا غير.

ولكن الراغب الأصفهاني توسع في بيان معنى الأذى، فقال: "الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضرر، إما في نفسه، أو جسمه، أو تبعاته، دنيويا كان أو أخرويا"[٢٢].

وأورد صاحب تاج العروس ما يُبيِّن مقدار الأذى وما يصلح أن يطلق عليه أذى، فقال: الأذى: المكروه اليسير، ونقل عن الخطابي قوله: الأذى: الشر الخفيف، فإن زاد كان ضررًا[٢٣].

وعلى هذا فالأذى هو كل ما يصل إلى الإنسان من غيره من قليل الشر ويسير المكروه، سواء أكان في نفسه أم جسمه أم أهله.

والقرآن الكريم يردع عن كلِّ ما يتأذى به الرسُولُ ﷺ سواء أكان قولاً أم عملاً، وسواء أكان ذلك بشيء قليل من الشّر أم ترك أثرًا يسيرًا من المكروه، قال أبو حيّان: قوله: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾**: عام في كل ما يتأذى به، **﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا﴾** خاص بعد عام؛ لأن ذلك يكون أعظم الأذى، فحرم الله تعالى نكاح أزواجه بعد وفاته"[٢٤].

وتحريم أزواجه ﷺ على أحدٍ بعده مما اختصَّ به ﷺ، وفي هذا تكريم من الله تعالى لرسوله ﷺ وتمييز له عن سائر أمته.

والتعبير عن الرسول ﷺ بعنوان الرسالة لتقبيح ذلك الفعل، والإشارة إلى أنّه بمراحل عما يقتضيه شأنه ﷺ، إذ في الرسالة من النّفع، وما هو سبب للسعادة ما يستوجب به ﷺ غاية الإكرام والإجلال، فضلاً عن الكفّ والامتناع عن كلِّ ما يتأذى به ﷺ(٢٥).

ولزيادة الرّدع عظَّم الله تعالى أذى رسوله ﷺ، وشدَّد فيه وتوعد عليه، فقال: **﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾**، فالإشارة - بعد التوكيد - إلى ما ذكر منْ إيذاء النبي ﷺ، وما فيه من مَعْنى البُعد للدلالة على بُعدِ منزلة الإيذاء في الشرِّ والفساد، فهو عند الله تعالى ذنبٌ عظيمٌ، وأمر هائلٌ شديدٌ، وفي هذا من تعظيم الله تعالى لشأن رسوله ﷺ، وإيجاب حُرمته حيًا وميتًا ما لا يخفى(٢٦).

وللمبالغة في الوعيد يُخبر تعالى أنه عالم بما يُظهَر وما يُخْفى من أذى الرسول ﷺ، ومحيط بكلّ شيء علمًا، فيقول: **﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** الأحزاب: ٥٤، وسيجازي كلّ إنسان بما يناسب أعماله الظاهرة والخافية، قال الآلوسي: "وفي تعميم (شَيء) في الموضعين مع البُرهان على المقصودِ من ثبوت علمه تعالى مزيدُ تهويل وتشديدٍ ومبالغةٍ في الوعيدِ"(٢٧)، وفي هذا رادع قويّ لأولي النُّهى عن إذاية الرسول ﷺ بقولٍ أو فعلٍ، سرًّا كان ذلك أو جهرًا.

❖ إذاية الرسول ﷺ تُوجب اللعنة والعذاب الأليم:

ولعظيم قدر الرسول ﷺ، وللرّدع عن التعرض له بأي نوع من الأذى فقد أوجب الله تعالى للذين يتعمدون إيذاء رسوله ﷺ العذاب الأليم، واللعن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** التوبة: ٦١، وهذا عام يندرج فيه الذين آذوه ﷺ في حياته، وبعد وفاته(٢٨)؛ فالعذاب الأليم الموجع نازل لا محالة بكلِّ من يتجرأ على إيذاء الرسول ﷺ بأي نوع من أنواع الأذى قلَّ أو كثُر.

وإبراز اسم الرسول ﷺ مع إضافته إلى الاسم الجليل فيه عدة فوائد، منها: التعظيم لشأن الرسول ﷺ والزيادة في تشريفه ﷺ، والتنبيه على أن أذية الرسول ﷺ راجعة إلى جناب الله تعالى، موجبة لكمال السخط والغضب منه تعالى(٢٩).

وقد قرن الله تعالى أذاه بأذى رسوله ﷺ، وذكر أنَّ المؤذي ملعون في الدنيا والآخرة، وأنّ له العذاب المهين، فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾** الأحزاب: ٥٧ .

أمَّا إذاية الله تعالى فتكون: "بالكفر، ونسبة الصاحبة والولد والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به"[٣٠]، فقد ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تعالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ[٣١].

وأمَّا إذاية الرسول ﷺ فهي كما يقول ابن كثير: "عامة في كل من آذاه بشيء، ومَنْ آذاهُ فقد آذى اللهَ تعالى، كما أنَّ مَنْ أطاعَهُ فقد أطاعَ اللهَ تعالى"[٣٢].

واللعن: "الطَّرْدُ والإبْعَادُ على سبيل السَّخَط، وذلك مِنَ الله تعالى في الآخرة عُقُوبَةٌ، وفي الدُّنيا انقِطَاعٌ من قَبُولِ رحْمَتِه وتوفيقه"[٣٣]؛ فمطرود من رحمة الله تعالى، ومُبعدٌ من رضاه في العاجل والآجل كلّ مَنْ آذى رسوله ﷺ، وأعدَّ له تعالى مع ذلك عذابًا يصيبه في الآخرة فيُذلُّ فيه ويُهان.

وهذه الآية والتي قبلها ذُكِرتا ضمن الآيات التي يُستدل بها على أن الأذى في حقّ الرسول ﷺ كُفرٌ؛ لأنّ اللعن يقع من الله تعالى على الذين كفروا، وكذلك العذاب الأليم، والعذاب المُهين إنما يكون للكفّار، وحكم الكافر القتل، وكذلك حكم مؤذى النبي ﷺ هو القتل[٣٤].

قال ثناء الله الهندي: "من آذى رسول الله ﷺ بطعن في شخصه أو دينه، أو نَسَبِه، أو صفاته بوجه من وجوه الشين فيه صراحةً، أو كناية، أو تعريضًا، أو إشارة كفر، لعنه الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأعدَّ له عذاب جهنَّم"[٣٥].

❖ كفاية الله تعالى رسوله ﷺ المؤذين:

وقد وعد الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بكفايته مَنْ آذاه، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ الحجر: ٩٥، ومن كفاية الله تعالى لرسوله ﷺ تولي الرّد عنه لمن ادعى أن النبي ﷺ أبتر، فقال: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ الكوثر: ٣، هكذا بصيغة التوكيد، والحصر؛ "أي: عدوك ومبغضك، والأبتر: الحقير الذليل، أو المفرد الوحيد، أو الذي لا خير فيه"[٣٦].

فإذا كان الله تعالى قد تولى الرّد عن نبيه ﷺ على الطعن بشخصه ﷺ فكيف بمن يسبُه، ويتعمد إيذاءه بطريقة أو بأخرى؟!

فالآية الأولى ـ كما نسب النسفي إلى الجمهور قولهم ـ: "نزلت في خَمسةِ نفرٍ كانوا يُبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله تعالى"[٣٧]، وهؤلاء الخمسة ـ على ما ذكر ابن هشام ـ

هم : الأَسْوَدُ بن المُطّلِب، والأَسْوَدُ بن عَبدِ يَغُوث، والْوَلِيدُ بن المُغيرَة، والعَاصُ بن وَائِلِ، والْحَارِثُ بن الطُّلاطِلَة(٣٨).

أما الآية الثانية فنزلت في العاص بن وَائِل، كان إذا ذُكِر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه(٣٩).

ولا يعني هذا أن الهلاك مُقتصرٌ على هؤلاء الخمسة، بل إنّ أحداث التاريخ تشهد على هلاك كثيرين ممن آذوا الرسول ﷺ(٤٠)، قال ابن تيمية: "ولعلك لا تجدُ أحدًا آذى نبيًا من الأنبياء ثُمَّ لم يتب إلا ولا بُدَّ أن تُصيبَه قارعةٌ"(٤١).

وهكذا تحقّق وعد الله تعالى لرسوله ﷺ فأخذ المؤذين له أخذ عزيز مقتدر، ونالهم من العذاب المُهين في الدنيا قبل الآخرة، ولعذاب الآخرة أشق لو كانوا يعلمون، وإنّ الله تعالى الذي كفاه المؤذين له وهو حيّ، لقادر على أن يكفيه المؤذين

الهوامش:

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾، ٤/١٧٩٩، كتاب الاستئذان، باب من قام من مجلسه أو بيته..(٥٩١٦)، ٥/٢٣١٣، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش،.. ٢/١٠٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾، ٤/١٧٩٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٩م، ٨/٥٣١.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٦٣.

(٥) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ٤/١٣١ .

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/٩٣ .

(٧) ابن أبي حاتم، ٥/١٦٦٩، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/١٤٢، ٢/٤.

(٨) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٤/٢٩٧ وقد ذكر أن (يؤذن) متضمن معنى الدعاء؛ أي: إلاّ أن يؤذن لكم مدعوّين إلى طعام.

(٩) الزجاج، معاني القرآن، ٤/٢٣٥.

(١٠) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٣٩٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٤٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/٢٩٨ .

(١١) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (٥٤٣هـ) أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ٣/٥٤٩.

(١٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش.. رقم (١٤٢٨)، ٢/١٠٤٦، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، برقم (٣٢١٨)،٥/٣٥٧.

(١٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٣٩٦، القرطبي،

الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٤٦، الثعالبي، الجواهر الحسان، ٣/٢٣٥.

(١٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧/١١٣، الشوكاني، فتح القدير، ٤/٢٩٨، الآلوسي، روح المعاني، ٢٢/٧٢.

(١٥) أبو موسى، محمد محمد، من أسرار التعبير القرآني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ٣٨٥.

(١٦) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣/٤١٩.

(١٧) المطرزي، ناصر الدين بن عبد السيد بن علي، المغرب في ترتيب المعرب، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م، ٢/٤٣٢.

(١٨) انظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، أضواء المنار، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٩هـ، ٢/٤٣٧.

(١٩) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/٢٥٦.٢٥٧.

(٢٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/٩٢.

(٢١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/٧٨.

(٢٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ٢٤.

(٢٣) الزَّبيدي، تاج العروس،١٠/١٣.

(٢٤) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/٢٤٧.

(٢٥) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ٦/١٢٧، ابن عجيبة، البحر المديد، ٦/٤٧.

(٢٦) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٧/٢٤٩،.

(٢٧) الآلوسي، روح المعاني، ٢٢/٧٤.

(٢٨) أبو حيان، البحر المحيط، ٥/٦٣.

(٢٩) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤/٧٧.

(٣٠) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٣٩٨.

(٣١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾، (٤٥٤٩)، ٤/ ١٨٢٥، صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦)، ٤/١٧٦٢، واللفظ له.

(٣٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٤٦٩.

(٣٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، ٤٥٤.

(٣٤) انظر: القاضي عياض، الشفا، ٢/٢١١، ٢١٩-٢١٠.

(٣٥) الهندي، محمد ثناء الله العثماني الحنفي، تفسير المظهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ٧/٣٨٢.

(٣٦) القاضي عياض، الشفا، ١/٥٢.

(٣٧) النسفي، مدارك التنزيل، ٢/٢٠٠.

(٣٨) ابن هشام، أبو محمد بن هشام بن أيوب (٢١٨هـ)، السيرة النبوية، دار الفكر، بيروت، ط٢، د.ت، ١/٤٠٨.٤١٠.

(٣٩) الواحدي، أسباب النزول، ٣٠٧، السيوطي، لباب النقول، ٢١٧.

(٤٠) أورد القاضي عياض في كتاب الشفا بعضًا من هذه الشواهد، انظر: الشفا، ١/٣٤٦.٣٤٥ .

(٤١) ابن تيمية، الصارم المسلول، ١٧٢ .

فضيلة ومنزلة الدعاء

■ بقلم الدكتور علاء الدين البرغوثي

الدعاء يطلق على أمرين: دعاء العبادة، وهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة، لأن المتعبد لله طالب من ربه وداع اياه، ان يقبل منه تلك العبادة والاثابة عليها، فهو العبادة بمعناها الشامل، ودعاء المسألة، وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره او دفعه.

❖ من فضائل الدعاء:

١- الدعاء عبادة عظيمة، قال الله تعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾** غافر: ٦٠، وقال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[١].

٢- في الدعاء ابتعاد عن الكبر، ويدل عليه قوله عز وجل في الآية السابقة.

٣- ما يعطيه الله تعالى للداعي، فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعة رحم، الا اعطاه الله إحدى ثلاث: اما ان يعجل له دعوته، واما ان يدخرها له في الآخرة، واما ان يدفع عنه من السوء مثلها، قال: اذاً نكثر، قال: الله أكثر»[٢].

❖ آداب الدعاء:

الانسان حين يطلب من احد من الناس شيئاً يتأدب معه غاية الأدب، وكلما عظم الطلب اشتد الأدب، والله تعالى هو أحق من طلب، وأحق من يتأدب معه، فللدعاء آداب يتأدب بها الداعي، منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، ومن ذلك:

١- ان يخلص الدعاء لله تعالى، وهذا شرط العبادة، فارق به اهل الاسلام اهل الشرك، وليحذر ان يدعو غير الله سبحانه، كما قال تعالى: **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك من الظالمين ❖ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾** يونس: ١٠٦-١٠٧، وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[٣].

٢- الحزم بالدعاء واليقين بالاجابة، قال النبي ﷺ: «لا يقل احدكم: اللهم اغفر لي ان شئت، ارحمني ان شئت، ارزقني ان شئت، وليعزم مسألته انه يفعل ما يشاء لا مرد له»[٤]، وقال ﷺ: «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[٥].

٣- التضرع والخشوع والرغبة في فضل الله جل شأنه، والرهبة من عقوبته: لقوله تعالى: **﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾** الاعراف: ٢٠٥، وقوله تعالى: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾** الأنبياء: ٩٠ .

٤- حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ لما جاء عن فضالة ابن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له او لغيره: «اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جل وعلا والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء».

٥- أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لقوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** الأعراف: ١٨٠ .

٦- الاعتراف بالذنب، وقد قال ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت «لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين» لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له»[٦]، وعند شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار ان تقول: اللهم انت ربي لا إله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت، اعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء[٧] لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر

الذنوب الا انت، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة»[٨].

٧- ألا يدعو الداعي على نفسه ولا على أهله الا بالخير، قال ﷺ: «يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم او قطيعة رحم»[٩] وقال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[١٠].

٨- ان يتخير جوامع الدعاء بدلاً من الحشو والتفصيل الذي لا لزوم له، فقد كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك[١١].

٩- الاكثار من الدعاء والالحاح فيه، مع خفض الصوت بالدعاء، قال تعالى: ﴿**ادعو ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين**﴾ الاعراف: ٥٥، وقال ﷺ: «اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، انكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»[١٢].

١٠- رفع اليدين واستقبال القبلة، ففي حديث ابي موسى رضي الله عنه ان النبي ﷺ: «رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبيد ابي عامر، ورأيت بياض ابطيه»[١٣]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة، فدعا على نفر من قريش»[١٤].

❖ من موانع اجابة الدعاء:

ثمة أمور اذا حصلت من الداعي فإنه متوعد بعدم اجابة دعائه، ومنها: المطعم الحرام، والمشرب الحرام، والملبس الحرام، والتغذية بالحرام، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ايها الناس! ان الله طيب لا يقبل الا طيباً، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم**﴾ المؤمنون: ١٥، وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ البقرة: ٢٧١، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»[١٥].

ومنها: الاستعجال في إجابة الدعاء:

صح ان أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل:

يا رسول الله! فما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[١٦]، وهذا لا ينافي الدعاء بتعجيل الطلب فقد صح ان النبي ﷺ في حديث الاستسقاء قال: «عاجلاً غير رائث»[١٧].

❖ أوقات وأحوال ترجى فيها إجابة الدعوة:

١- عند النداء للصلوات المكتوبة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله لقوله ﷺ: «ثنتان لا تردان: او قلما تردان.. الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحم[١٨] بعضهم بعضاً»[١٩].

٢- بين الأذان والاقامة، لقوله ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة فادعوا»[٢٠].

٣- في السجود، لقوله ﷺ: «اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٢١].

٤- آخر ساعة من يوم الجمعة، لقوله ﷺ: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً الا آتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[٢٢].

٥- في أوقات من الليل، وخاصة ثلثه الأخير، قال ﷺ: «ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه، وذلك كل ليلة»[٢٣].

وقال ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟»[٢٤].

٦- دعوة الصائم والمسافر والمظلوم والوالد لولده، وعلى ولده، لقوله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[٢٥] وفي رواية «ودعوة الصائم»[٢٦] وقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه الى اليمن: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢٧].

٧- دعوة المضطر: المضطر: المكروب المجهود، والله تبارك وتعالى يجيب المضطر اذا دعاه ولو كان مشركاً، فكيف اذا كان مسلماً عاصياً مفرطاً في جنب الله؟ بل كيف اذا كان مؤمناً براً؟ قال تعالى: ﴿**أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**﴾ النمل: ٢٦ .

٨- يوم عرفة، قال ﷺ: «خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي: لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»(٢٨).

٩- دعوة الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله، لقوله ﷺ: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوا وسألوه فأعطاهم»(٢٩).

فيا ترى أين نحن من الدعاء؟ وما حالنا

الهوامش:

١- اخرجه ابو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٨٢٨) واحمد في المسند (١٨٣٧٨) وقال عنه شعيب الارناؤوط: اسناده صحيح.

٢- رواه البخاري في الادب المفرد ٧١٠، والترمذي ٣٥٧٣، وقال عنه: حسن صحيح غريب، واحمد في المسند ١١١٤٩، وقال الارناؤوط: اسناده صحيح.

٣- اخرجه البخاري في كتاب التفسير حديث ٤٤٩٧، باب قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾** البقرة: ١٦٥، وأخرجه مسلم، كتاب الايمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، ح٩٢ .

٤- اخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والارادة ح ٧٤٧٧، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: ان شئت، ح ٢٦٧٩ .

٥- اخرجه الترمذي ٣٤٧٩، واحمد في المسند ٦٦٥٥، والحاكم في المستدرك ١٨١٧، وحسنه الالباني، انظر صحيح الجامع ٣٤٥ .

٦- اخرجه الترمذي في سننه ٣٥٠٥، والحاكم في المستدرك ٣٤٤٤، واحمد ١٤٦٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع ٣٣٨٣ .

٧- ابوء: اعترف.

٨- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات باب افضل الاستغفار، ح ٦٣٠٦ .

٩- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ح ٦٣٤٠، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب بيان انه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، ح ٢٧٣٥ .

١٠- اخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة ابي اليسر، ج ٣٠٠٩ .

١١- اخرجه ابو داود ١٤٨٢ وصححه الالباني انظر صحيح الجامعة ٤٩٤٩ .

١٢- اخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ح٢٩٩٢، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ح ٢٧٠٤ .

١٣- اخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة اوطاس ح ٤٣٢٣، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل ابي موسى وابي عامر الاشعريين ح ٢٥٩٨ .

١٤- رواه البخاري، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، ح ٣٩٦٠، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى

المشركين والمنافقين ح ١٧٩٤ .

١٥- اخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح ١٠١٥ .

١٦- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ح٦٣٤٠، واخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب بيان انه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت لم يستجب لي، ح ٢٧٣٥ .

١٧- اخرجه ابن ماجة ١٢٦٩، واحمد ٢٣٥/٤، وقوله: غير رائث، اي غير آجل، والحاكم في المستدرك ١٢٢٩، وقال: الحديث صحيح على شرط الشيخين.

١٨- اي: تشتبك الحرب بينهم.

١٩- اخرجه ابو داود (٢٥٤٠) وقال الحافظ في النتائج: حديث حسن صحيح ٧٧/١، واخرجه الدارمي ١٢٠٠، والحاكم في المستدرك ٧١٢ .

٢٠- اخرجه احمد ١٢٢٢١، والترمذي ٢١٢، وابو يلعى في مسنده ٣٦٧٩ وصحح حسين اسد اسناده.

٢١- اخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٢ .

٢٢- اخرجه ابو داود ١٠٤٨ والنسائي ١٣٩٠، والحاكم في المستدرك ١٠٣٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم.

٢٣- اخرجه مسلم ٧٥٧، كتاب الصلاة، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء.

٢٤- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل، ح ٦٣٢١، ومسلم كتاب الصلاة باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ح ٧٥٨ .

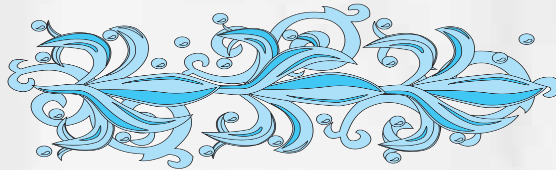
٢٥- اخرجه البخاري في الادب المفرد ٣٢، وابو داود ١٥٣٦، والترمذي ١٩٠٥، وابن ماجة ٣٨٦٢، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع ٣٠٣٠ .

٢٦- اخرجه البيهقي في الشعب ٣٥٩٤، وابو داود ١٥٣٦، والترمذي ١٩٠٥، وابن ماجة ٣٨٦٢ وحسنه الالباني انظر الصحيحة ٥٩٦ .

٢٧- اخرجه البخاري كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ح ٢٤٤٨، ومسلم كتاب الايمان، باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام.

٢٨- اخرجه الترمذي ٣٥٨٥ وغيره، وهو حسن لغيره وانظر المشكاة برقم ٢٥٩٨، وصحيح الجامع ٣٢٧٤ .

٢٩- اخرجه ابن ماجة ٢٨٩٣، وانظر الصحيحة ١٨٢٠، حديث حسنه الألباني، وقد أخرجه ابن حبان ٣٤٠٠ والبيهقي في الشعب ٤١٠٨ .



٢

اعتراضات الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري على العلاء مُغُلْطَاي والبدر الزركشي

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

ثانياً: منهج الحافظ في الاعتراض:

سار الحافظ ابن حجر –في الاعتراض– وفق منهج يمكن تقريبه إلى القارئ على النحو الآتي:

١- قد يذكر الحافظ ابن حجر رأيه في المسألة، ثم يحكي بعد ذلك القدر المنتقد على أحد الشارحين ويقول: وفيه تعقّب على مغلطاي مثلاً[٨٢]، وقد يقول أحياناً: واعترض فلان الشارح... وهو متعقّب أيضاً، ثم يوضح السبب في الاعتراض[٨٣].

٢- يصرح الحافظ ابن حجر في الغالب، بأن القدر المنتقد، وقف عليه بخط الشارح، أو قرأه في شرحه، أو وقع في الشرح[٨٤].

٣- قد يذكر الحافظ ابن حجر من شايع الشارح على رأيه، فوهم أيضا؛ ثم يتبع ذلك ببيان وجه الوهم، وسبب الخطأ[٨٥].

٤- قد يحكي الحافظ ابن حجر رأي الشارح الذي تعقّب فيه غيره، ثم ينقضه، فيكون كلامه نقضا للاعتراض، وقد وقع له هذا في "فتح الباري"[٨٦].

٥- يبين الحافظ ابن حجر مصدر وهم الشارح المعترض عليه؛ ويوضح الموقع في الغلط، مزيلاً الالتباس، وكاشفاً للإشكال[٨٧].

٦- يفصل الحافظ ابن حجر بين القدر المنتقد من كلام الشارح وبين اعتراضه بقوله: "قلت"، على أن ذلك ليس يطرد له في جميع الاعتراضات[٨٨].

٧- يعترف الحافظ ابن حجر -مع جلالته في العلم- أنه قلد مغلطاي وابن الملقن فيما قالاه، وأنه ثبت له بعد البحث خطأ ما ذهبا إليه[٨٩].

٨- استعمل الحافظ ابن حجر في الاعتراض ألفاظا مخصوصة؛ على مراتب ثلاثة مختلفة وهي:

أ- استعمال الفعل الماضي، للدلالة على الوقوع في الخطأ: كقوله: "وهم"، "زعم" "ذهل"، "أخطأ" "خفي هذا على الشيخ"[٩٠].

ب- استعمال الفعل الماضي المنفي بأداة: كقوله: "ليس كما قال" أو "ليس ما زعم"[٩١].

ج- الإشارة إلى الخطأ الواقع من الشارح: أو تأكيد أنه كذلك بضمير ظاهر: فمن الأول: قوله: "وهذا نظر من لم يطلع على حقيقة الحال فيه"؛ أو "وهذا بعيد عن الصواب". أو "وهذا من أعجب ما وقع له"[٩٢].

ومن الثاني: قوله: "... وهو غلط" أو وهو سهو"[٩٣].

■ المبحث الرابع: النصوص المستخرجة (الاعتراضات):

تعقّب الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري بشرح صحيح البخاري العلاء مغلطاي في ثلاثين موضعاً.

وتعقّب البدر الزركشي في خمسة مواضع، فانتقدهما ونبّه على الغلط الواقع، وأزال الالتباس وكشف الإشكال ووضّح وجه الصواب.

وهذه الاعتراضات هي:

٥- كتاب الغسل:

٢٨- باب إذا التقى الختانان:

١- قال ابن حجر في قوله (تابعه عمرو)[٩٤]: "وقرأت بخط الشيخ مغلطاي أن رواية عمرو بن مرزوق هذه عند مسلم عن محمد بن عمرو بن جبلة عن وهب بن جرير، وابن أبي عدي، كلاهما عن عمرو ابن مرزوق عن شعبة، وتبعه بعض الشراح

على ذلك، وهو غلط، فإن ذكر عمرو بن مرزوق في إسناد مسلم زيادة، بل لم يخرج مسلم لعمرو بن مرزوق شيئاً"(٩٥).

٢- قال ابن حجر في قوله (وقال موسى)(٩٦): "وقرأت بخط مغلطاي أيضاً أن رواية موسى هذه عند البيهقي، أخرجها من طريق عفان وهمام، كلاهما عن موسى عن أبان، وهو تخليط تبعه عليه أيضاً بعض الشراح، وإنما أخرجها البيهقي من طريق عفان عن همام وأبان جميعا عن قتادة، فهمام شيخ عفان لا رفيقه؛ وأبان رفيق همام لا شيخ شيخه، ولا ذكر لموسى فيه أصلاً، بل عفان رواه عن أبان كما رواه عنه موسى، فهو رفيقه لا شيخه، والله الهادي إلى الصواب"(٩٧).

٧- كتاب التيمم:

١- باب:

٣- قال ابن حجر في قوله (في بعض أسفاره)(٩٨): وفي رواية علي بن مسهر في هذا الحديث(٩٩) عن هشام قال: "وكان ذلك المكان يقال له: الصلصل".

رواه جعفر الفريابي في كتاب الطهارة له، وابن عبد البر من طريقه، والصلصل بمهملتين مضمومتين؛ ولامين: الأولى ساكنة بين الصادين.

قال البكري: "هو جبل عند ذي الحليفة"، كذا ذكره في حرف الصاد المهملة، ووهم مغلطاي في فهم كلامه، فزعم أنه ضبطه بالضاد المعجمة؛ وقلده في ذلك بعض الشراح، وتصرف فيه، فزاده وهماً على وهم"(١٠٠).

١٠- كتاب الأذان:

٨٧- باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة:

٤- قال ابن حجر في قوله: "وقال إسماعيل ينمى ذلك"(١٠١).

وقرأت بخط مغلطاي هو إسماعيل بن إسحاق القاضي، وكأنه رأى الحديث عند الجوزقي، والبيهقي، وغيرهما من روايته عن القعنبي، فظن أنه المراد، وليس كذلك، لأن رواية إسماعيل بن إسحاق موافقة لرواية البخاري، ولم يذكر أحد أن البخاري روى عنه، وهو أصغر سناً من البخاري، وأحدث سماعاً، وقد شاركه في كثير من مشايخه البصريين القدماء"(١٠٢).

١٤٥- باب سنة الجلوس في التشهد:

٥- قال ابن حجر في قوله: "وكانت فقيهة"(١٠٣): "... فجزم بعض الشراح بأن ذلك من كلام البخاري، لا من كلام

مكحول، فقال مغلطاي: القائل: "وكانت فقيهة" هو البخاري فيما أرى؛ وتبعه شيخنا ابن الملقن فقال: الظاهر أنه قول البخاري".

وليس كما قالا، فقد رويناه تاما في مسند الفريابي أيضاً بسنده إلى مكحول، ومن طريقة البخاري أن الدليل إذا كان عاما، وعمل بعمومه بعض العلماء، رجح به، وإن لم يحتج به بمجرده"(١٠٤).

١٨- كتاب تقصير الصلاة:

٤- باب في كم يقصر الصلاة:

٦- قال ابن حجر: "قوله: "مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة"(١٠٥) أي محرم: قال شيخنا ابن الملقن تبعاً لشيخه مغلطاي: الهاء في قوله: "مسيرة يوم وليلة" للمرة الواحدة، والتقدير أن تسافر مرة واحدة مخصوصة بيوم وليلة، ولا سلف له في هذا الإعراب، ومسيرة إنما هي مصدر سار، كقوله: سيرا مثل عاش معيشة وعيشا"(١٠٦).

٢٣- كتاب الجنائز:

٨- باب غسل الميت ووضوؤه بالماء والسدر:

٧- قال ابن حجر: "قوله: "ابنته"(١٠٧).

وقرأت بخط مغلطاي: زعم الترمذي أن أم تعود لأم كلثوم، وفيه نظر".

كذا قال، ولم أر في الترمذي شيئاً من ذلك"(١٠٨).

٢٥- كتاب الحج:

١١٨- باب نحر الإبل مقيدة:

٨- قال ابن حجر: قوله (وقال شعبة عن يونس: أخبرني زياد)(١٠٩)، وقد نسب مغلطاي؛ ومن تبعه تعليق شعبة المذكور لتخريج إبراهيم الحربي، عن عمرو بن مرزوق عن شعبة، فراجعته، فوجدته فيه عن يونس عن زياد بالعنعنة، وليس في ذلك وفاء بمقصود البخاري، فإنه أخرج طريق شعبة لبيان سماع يونس له من زياد، وكذا أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر غندر عن شعبة بالعنعنة"(١١٠).

٢٨- كتاب جزاء الصيد:

٢٧- باب من نذر المشي إلى الكعبة:

٩- قال ابن حجر: "قوله: (بين ابنيه)(١١١) لم أقف على اسم هذا الشيخ، ولا على اسم ابنيه، وقرأت بخط مغلطاي: "الرجل الذي يهادي". قال الخطيب: هو أبو إسرائيل". كذا قال، وتبعه ابن الملقن، وليس ذلك في كتاب الخطيب، وإنما أورده

من حديث مالك عن حميد بن قيس وثور أنهما أخبراه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قائما في الشمس، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن لا يستظل..." قال الخطيب: هذا الرجل هو أبو إسرائيل؛ ثم ساق حديث عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، فرأى رجلاً يقال له: أبو إسرائيل...". وهذا الحديث سيأتي في الأيمان والنذور من حديث ابن عباس، والمغايرة بينه وبين حديث أنس ظاهرة من عدة أوجه، فيحتاج من وحد بين القصتين إلى مستند، والله المستعان"(١١٢).

٢٩- كتاب فضائل المدينة:

- باب(١١٣):

١٠- قال ابن حجر: "قوله (تابعه عثمان ابن عمر عن يونس)(١١٤). وقد ضاق مخرجه على الإسماعيلي فأخرجه من طريق عبد الله بن وهب... وساق رواية وهب بن جرير فقال: "حدثنا أبو يعلى حدثنا زهير أبو خيثمة وقاسم بن أبي شيبة، كلاهما عن وهب بن جرير".. ثم قال: قاسم بن أبي شيبة ليس من شرط هذا الكتاب"، ونقل مغلطاي كلام الإسماعيلي هذا، وتبعه شيخنا ابن الملقن، وقال في آخره: قال الإسماعيلي: أبو شيبة، ليس من شرط هذا الكتاب. "وهو سهو كأنه أراد أن يكتب قاسم بن أبي شيبة، فقال: وأبو شيبة"(١١٥).

١١- قال ابن حجر في شرح حديث أنس أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر..(١١٦): "ثم قال مغلطاي: وقال الإسماعيلي: "قال الحسن عن أنس: إن رسول الله ﷺ قال: "فذكره، وقال: "يعني المدينة" أهـ، وهذا نظر من لم يطلع على حقيقة الحال فيه، إذ الإسماعيلي، ذكر رواية الحسن عن أنس لهذا الحديث متابعة لرواية يونس عن الزهري عن أنس، كما ذكر مغلطاي رواية ابن وهب وشبيب ابن سعيد متابعة لجرير بن حازم عن يونس، وليس كذلك، وإنما أورد الإسماعيلي طريق شبيب بن سعيد فقال: أخبرني الحسن يعني ابن سفيان، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أحمد بن شبيب ابن سعيد، حدثنا أبي عن يونس عن الزهري، ثم تحول الإسماعيلي إلى طريق ابن وهب.

وساق الحديث على لفظه، ثم قال بعد فراغه: وقال الحسن عن أنس، ومراده أن رواية ابن وهب فيها تصريح ابن شهاب، وهو الزهري، أن أنسا حدثه، بخلاف رواية

شبيب بن سعيد التي أخرجها من طريق الحسن بن سفيان، فإنه قال فيها: عن أنس"(١١٧).

٣٠- كتاب الصوم:

١٨- باب تعجيل السحور:

١٢- قال ابن حجر: "قوله "باب تعجيل السحور" قال ابن بطال: ولو ترجم له بباب تأخير السحور لكان حسنا، وتعقّبه مغلطاي بأنه وجد في نسخة أخرى من البخاري "باب تأخير السحور". ولم أر ذلك في شيء من نسخ البخاري التي وقعت لنا"(١١٨).

١٣- قال ابن حجر عند قول البخاري: حدثنا محمد بن عبيد الله(١١٩): "قلت: ورأيت هنا بخط القطب ومغلطاي: "محمد ابن عبيد" بغير إضافة، وهو غلط، والصواب: "محمد بن عبيد الله". وهو أبو ثابت المدني مشهور من كبار شيوخ البخاري"(١٢٠).

٢٣- باب المباشرة للصائم:

١٤- قال ابن حجر عند قول طاووس "أولي الإربة": الأحمق لا حاجة له في النساء"(١٢١): ورأيت بخط مغلطاي في شرحه هنا قال: "وقال ابن عباس -أي في تفسير أولي الإربة- المقعد، وقال ابن جبير: المعتوه، وقال عكرمة: العنين. "ولم أر ذلك في شيء من نسخ البخاري، وإنما أوقعه في ذلك أن القطب لما أخرج أثر طاووس قال بعده: "وعن ابن عباس المقعد الخ". ولم يرد القطب أن البخاري ذكر ذلك، وإنما أورده القطب من قبل نفسه من كلام أهل التفسير"(١٢٢).

٤٠- باب متى يجوز قضاء رمضان:

١٥- قال ابن حجر: "قوله: حدثنا زهير عن يحيى"(١٢٣): "... وذهل مغلطاي فنقل عن الحافظ الضياء أنه القطان، وليس كما قال، فإن الضياء حكى قول من قال: إنه يحيى بن أبي كثير، ثم رده، وجزم بأنه يحيى بن سعيد، ولم يقل: القطان، ولا جائز أن يكون القطان، لأنه لم يدرك أبا سلمة، وليست لزهير ابن معاوية عنه رواية، وإنما هو يروي عن زهير"(١٢٤).

٣٤- كتاب البيوع:

٦٤- باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل والبقر والغنم:

١٦- قال ابن حجر: "(ويذكر عن أبي صالح ومجاهد)(١٢٥): وأما رواية مجاهد فوصلها البزار؛ قال مغلطاي: لم أرها إلا عنده.

قلت: قد وصلها أيضاً الطبراني في "الأوسط" من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن ابن أبي نجيح، والدارقطني من طريق ليث ابن أبي سليم، كلاهما عن مجاهد"(١٢٦).

٦١- كتاب المناقب:

٦- باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع:

١٧- قال ابن حجر في قوله: "حدثنا محمد"(١٢٧) هو ابن سلام، وقرأت بخط مغلطاي: "قيل: هو ابن سلام، وقيل: ابن يحيى الذهلي"، وهذا الثاني وهم، فإن الذهلي لم يدرك عبد الوهاب الثقفي، والصواب أنه ابن سلام كما ثبت عند أبي علي بن السكن في غير هذا الحديث، ويحتمل أن يكون ابن حوشب، فقد خرج البخاري في تفسير "اقتربت" وفي الإكراه عن محمد بن عبد الله بن حوشب عن عبد الله الثقفي، فهو أولى أن يفسر به من محمد بن يحيى، وقد أخرجه الإسماعيلي وأبو يعلى من طريق محمد بن المثنى عن عبد الوهاب، فيحتمل أن يكون هو، فإنه من شيوخ البخاري"(١٢٨).

٦٣- كتاب مناقب الأنصار:

٦٢- باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة:

١٨- قال ابن حجر: "قوله (وخالاي)(١٢٩) وقرأت بخط مغلطاي: "يريد عيسى بن عامر بن عدي بن سنان، وخالد بن عمرو بن عدي بن سنان، لأن أم جابر أنيسة بنت غنمة بن عدي بن سنان، يعني فكل منهما ابن عمها بمنزلة أخيها، فأطلق عليهما جابر أنهما خالاه مجازاً".
قلت: إن حمل على الحقيقة تعين كما قاله الدمياطي، وإلا فتغليط ابن عيينة، مع أن كلامه يمكن حمله على المجاز بأمر فيه مجاز، ليس بمتجه، والله المستعان"(١٣٠).

٥٠- باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه؟

١٩- قال ابن حجر في "قوله: "فقالت جارية على ظهر بيت: وأمير المؤمنين، قتله العبد الأسود)(١٣١)، واعترض مغلطاي أيضاً بأن أول من قيل له: أمير المؤمنين عبد الله بن جحش، وهو متعقّب أيضاً بأنه لم يلقب به، وإنما خوطب بذلك، لأنه كان أول أمير في الإسلام على سرية"(١٣٢).

٦٤- كتاب المغازي:

٥٦- باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان:

٢٠- قال ابن حجر: (قوله في رواية منصور: فقال رجل)[١٣٣]: في رواية الأعمش: "فقال رجل من الأنصار".

وفي رواية الواقدي أنه معتب بن قشير، من بني عمرو بن عوف، وكان من المنافقين، وفيه تعقّب على مغلطاي حيث قال: لم أر أحدا قال: إنه من الأنصار إلا ما وقع هنا، وجزم بأنه حرقوص بن زهير السعدي، وتبعه ابن الملقن، وأخطأ في ذلك، فإن قصة حرقوص غير هذه كما سيأتي قريبا من حديث أبي سعيد الخدري"[١٣٤].

٦٥- كتاب التفسير:

٤- باب: **﴿قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها..﴾**:

٢١- قال ابن حجر: "(قوله: التبرج أن تخرج زينتها)[١٣٥] هو قول أبي عبيدة، واسمه معمر بن المثنى.. وتوهم مغلطاي، ومن قلده أن مراد البخاري معمر بن راشد، فنسب هذا إلى تخريج عبد الرزاق في تفسيره عن معمر؛ ولا وجود لذلك في تفسير عبد الرزاق، وإنما أخرج عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية قال: "كانت المرأة تخرج تتمشى بين الرجال، فذلك تبرج الجاهلية"[١٣٦].

٢٢- قال ابن حجر: "(قوله: سنة الله استنها: جعلها)[١٣٧] هو قول أبي عبيدة أيضاً، وزاد: جعلها سنة، ونسبه مغلطاي، ومن تبعه أيضاً إلى تخريج عبد الرزاق عن معمر، وليس ذلك فيه"[١٣٨].

١- باب: **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾** الآية[١٣٩]:

٢٣- قال ابن حجر: "في قوله (ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني (أبا بكر)[١٤٠].

قال مغلطاي: "يحتمل أنه أراد بذلك ابا بكر عبد الله بن الزبير؛ أو أبا بكر عبد الله بن أبي مليكة، فإن أبا مليكة له ذكر في الصحابة".

قلت: وهذا بعيد عن الصواب، بل قرينة ذكر عمر، ترشد إلى أن مراده أبو بكر الصديق"[١٤١].

٦٦- كتاب فضائل القرآن:

١٧- باب فضل القرآن على سائر الكلام:

٢٤- قال ابن حجر في قوله: (ولا ريح لها)[١٤٢] في رواية شعبة: "وريحها مر" واستشكلت هذه الرواية من جهة أن المرارة من أوصاف الطعوم، فكيف يوصف بها الريح؟

وأجيب بأن ريحها لما كان كريهاً، استعير له وصف المرارة، وأطلق الزركشي هنا أن هذه الرواية وهم، وأن الصواب ما في رواية هذا الباب: "ولا ريح لها".

ثم قال في كتاب الأطعمة لما جاء فيه "ولا ريح لها": هذا أصوب من رواية الترمذي"طعمها مر؛ وريحها مر"، ثم ذكر توجيهها، وكأنه ما استحضر أنها في هذا الكتاب، وتكلم عليها، فلذلك نسبها للترمذي"[١٤٣].

٦٧- كتاب النكاح:

١١- باب تزويج الصغار من الكبار:

٢٥- قال ابن حجر في قوله: (أنت أخي في دين الله وكتابه)[١٤٤]: وقال مغلطاي: في صحة هذا الحديث نظر، لأن الخلة لأبي بكر إنما كانت بالمدينة، وخطبة عائشة كانت بمكة فكيف يلتئم قوله: إنما أنا أخوك"، وأيضاً النبي ﷺ ما باشر الخطبة بنفسه.

قلت: اعتراضه الثاني يرد الاعتراض الأول من وجهين، إذ المذكور في الحديث، الأخوة وهي أخوة الدين، والذي اعترض به الخلة، وهي أخص من الأخوة، ثم الذي وقع بالمدينة إنما هو قوله ﷺ: "لو كنت متخذا خليلا"، الحديث الماضي في المناقب من رواية أبي سعيد، فليس فيه إثبات الخلة إلا بالقول لا بالفعل.

الوجه الثاني: أن في الثاني إثبات ما نفاه في الأول، والجواب عن اعتراضه بالمباشرة إمكان الجمع بأنه خاطب بذلك بعد أن راسله"[١٤٥].

٦٨- كتاب الطلاق:

٧- باب من قال لامرأته: أنت علي حرام:

٢٦- قال ابن حجر: "قوله: (وقال الليث عن نافع قال: كان ابن عمر إذا سئل عمن طلق ثلاثاً قال: لو طلقت مرة أو مرتين، فإن النبي ﷺ أمرني بهذا، فإن طلقها ثلاثاً حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك)[١٤٦].

بعد أن ذكر وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة: وخفي هذا على الشيخ مغلطاي، ومن تبعه فنفوا مناسبة هذا الحديث للترجمة، ولكن عرج شيخنا ابن الملقن تلويحاً على شيء مما أشرت إليه"[١٤٧].

٧٠- كتاب الأطعمة:

١١- باب طعام الواحد يكفي الاثنين:

٢٧- قال ابن حجر: (قوله: باب طعام الواحد يكفي الاثنين)[١٤٨] وقال ابن

المنير: "ورد حديث بلفظ الترجمة، لكنه لم يوافق شرط البخاري، فاستقرأ معناه من حديث الباب، لأن من أمكنه ترك الثلث، أمكنه ترك النصف لتقاربهما انتهى".

وتعقّبه مغلطاي بأن الترمذي أخرج الحديث من طريق أبي سفيان عن جابر، وهو على شرط البخاري انتهى".

وليس كما زعم، فإن البخاري، وإن كان أخرج لأبي سفيان، لكن أخرج له مقروناً بأبي صالح عن جابر ثلاثة أحاديث فقط.. ثم لا أدري لم خصه بتخريج الترمذي مع أن مسلماً أخرجه من طريق الأعمش عن أبي سفيان."[149].

٧٥- كتاب المرضى:

٩- باب ما جاء في كفارة المرض:

٢٨- قال ابن حجر في قوله: (تفيئها)[150] بفاء وتحتانية، مهموز أي تميلها وزنه ومعناه؛ قال الزركشي: (هنا لم يذكر الفاعل، وهو الريح، وبه يتم الكلام، وقد ذكره في باب كفارة المرض) وهذا من أعجب ما وقع له، فإن هذا الباب الذي ذكر فيه ذلك، باب كفارة المرض، ولفظ الريح ثابت فيه عند معظم الرواة"[151].

٨١- كتاب الرقاق:

١٧- باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه:

٢٩- قال ابن حجر في قوله: (حدثنا أبو نعيم بنحو من نصف هذا الحديث)[152] وقد جزم مغلطاي وبعض شيوخنا أن القدر المسموع له منه هو الذي ذكره في "باب إذا دعي الرجل، فجاء هل يستأذن" من كتاب الاستئذان حيث قال: حدثنا أبو نعيم... أنبأنا مجاهد عن أبي هريرة قال: دخلت مع رسول الله ﷺ، فوجد لبنا في قدح، فقال: أبا هر، الحق أهل الصفة فادعهم إلي، قال: فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا".

قال مغلطاي: "فهذا هو القدر الذي سمعه البخاري من أبي نعيم" واعترضه الكرماني فقال: "ليس هذا ثلث الحديث، ولا ربعه، فضلاً عن نصفه"؛ قلت: وفيه نظر من وجهين آخرين :

أحدهما: احتمال أن يكون هذا السياق لابن المبارك، فإنه ليس فيه القصة الأولى المتعلقة بأبي هريرة، ولا ما في آخره من حصول البركة في اللبن"[153].

٤٣- باب نفخ الصور:

٣٠- قال ابن حجر في قوله: (قال ابن

عباس: الناقور: الصور)[١٥٤]، واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه منه، فألصقه بابن عجلان، وقد قال الدارقطني: إنه متروك؛ يضع الحديث، وقال الخليلي: شيخ ضعيف، شحن تفسيره بما لا يتابع عليه... وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي"[١٥٥].

٨٢- كتاب القدر:

٩- باب (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون...):

٣١- قال ابن حجر: قوله (عن عكرمة عن ابن عباس: وحرم بالحبشية وجب)[١٥٦] لم أقف على هذا التعليق موصولاً، وقرأت بخط مغلطاي، وتبعه شيخنا ابن الملقن وغيره: فقالوا: "أخرجه أبو جعفر عن ابن قهزاد عن أبي عوانة عنه".

قلت: ولم أقف على ذلك في تفسير أبي جعفر الطبري، وإنما فيه، وفي تفسير عبد ابن حميد؛ وابن أبي حاتم جميعا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾** قال: وجب..."[١٥٧].

٣٢- قال ابن حجر: قوله (عن ابن عباس: "ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة"[١٥٨].

فذكر الحديث ثم قال: وقال شبابة: حدثنا ورقاء عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ "... ولم أقف على رواية شبابة هذه موصولة، وكنت قرأت بخط مغلطاي، وتبعه شيخنا ابن الملقن، أن الطبراني وصلها في المعجم الأوسط عن عمرو بن عثمان عن ابن المنادى عنه، وقلدتهما في ذلك في "تغليق التعليق" ثم راجعت المعجم الأوسط، فلم أجدها"[١٥٩].

٩١- كتاب التعبير:

٤- باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة:

٣٣- قال ابن حجر في قوله: "الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان"[١٦٠]. وقد اعترضه الإسماعيلي فقال: ليس هذا الحديث من هذا الباب في شيء، وأخذه الزركشي فقال: إدخاله في هذا الباب لا وجه له، بل هو ملحق بالذي قبله.

قلت: ... ويجاب عن صنيع الأكثر بأن وجه دخوله في هذه الترجمة إلى أن الرؤيا الصالحة، إنما كانت جزء من أجزاء

النبوة، لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان، فإنها ليست من أجزاء النبوة، وأشار البخاري مع ذلك إلى ما وقع في بعض الطرق عن أبي سلمة عن أبي قتادة.."(١٦١).

٩٢- كتاب الفتن:

٢٠- باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد:

٣٤- قال ابن حجر في قوله: (لو كنت في شدق الأسد)(١٦٢) ووقع في "تنقيح" الزركشي أن القاضي -يعني عياض- ضبط الشدق بالذال المعجمة، قال: وكلام الجوهري يقتضي أنه بالدال المهملة، وقال لي بعض من لقيته من الأئمة: إنه غلط على القاضي.

قلت: وليس كذلك فإنه ذكره في "المشارق" في الكلام على حديث سمرة الطويل في الذي يشرشر شدقه، فإنه ضبط الشدق -بالذال المعجمة- وتبعه ابن قرقول في "المطالع" نعم هو غلط، فقد ضبط في جميع كتب اللغة بالدال المهملة، والله أعلم(١٦٣).

٩٦- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة:

٢٣- باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول:

٣٥- قال ابن حجر في قوله: (باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة)(١٦٤).

ووقع في "تنقيح" الزركشي، في الترجمة بدل قوله: (لا من غير الرسول) "لأمر يحضره الرسول" ولم أره لغيره(١٦٥).

تم الجمع بحول الله وقوته، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله وصحبه أجمعين.

❖ الخاتمة:

١- لقد جال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- تعلمه في كل مجالات العلوم الدينية والأدبية، وزاحم بفكره ونشاطه وعبقريته أئمة الحديث والتفسير واللغة والأدب والشعر، وقدّم خدمة جلّى للأمة الإسلامية لا سيما في الحديث الشريف وعلومه، وكان كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري أجلّ شروح البخاري وأجلّ تصانيفه وأشهرها وأكثرها نفعاً.

٢- كان من خصائص منهج الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" الموازنة بين الآراء ومناقشتها، والاعتراض عليها، فقد حرص على تتبع ما وقع للشراح قبله من أوهام، والتنبيه عليها، فقام الحافظ

متعقّباً الغلط الواقع والسهو الحاصل، موضحاً وجه الصواب، ومزيلاً للالتباس، وكاشفاً للإشكال.

٣- كان من بين هؤلاء الشراح الذين انتقدهم الحافظ ابن حجر علاء الدين مغلطاي والبدر الزركشي.

٤- تعقّب الحافظ ابن حجر العلاء مغلطاي في ثلاثة وخمسين موضعاً، وتعقّب البدر الزركشي في ثلاثة وعشرين.

٥- هناك جملة أسباب حملت الحافظ ابن حجر على الاعتراض منها: الوهم في النقل من الكتب، والغلط في نقل كلام أهل العلم، والقصور في معرفة أحوال الرجال ومراتبهم في الجرح والتعديل.

٦- أقترح عمل دراسة على اعتراضات الحافظ ابن حجر على الإمام النووي

الهوامش:

(٨٢) انظر: الاعتراض رقم: ٢٠.

(٨٣) انظر: الاعتراض رقم: ١٩.

(٨٤) انظر: الاعتراض رقم: ١ و٢ و٩ و٣٤.

(٨٥) انظر: الاعتراض رقم: ٥ و٦ و١٠.

(٨٦) انظر: الاعتراض رقم: ١٢.

(٨٧) انظر: الاعتراض رقم: ١٤.

(٨٨) انظر: مثلا الاعتراض رقم: ١٦ و١٨ و٢٥ و٣٠.

(٨٩) انظر: الاعتراض رقم: ٣٢. قلت: وهذا من تواضع الحافظ ابن حجر العلمي، وإنصافه من نفسه. فلله دره من حافظ ناقد بصير. وههنا أمر ينبغي أن يذكر: ذلك أن الحافظ قد استفاد من شرح مغلطاي والزركشي مع انتقاده لهما؛ ودونك أيها القارئ الكريم هذه المواضع من "فتح الباري" تقف بك على هذا الذي قلناه: (ج ٣/١٩١) و(ج ١٢/ ١٣٨).

(٩٠) انظر: الاعتراض رقم: ٣ و٤ و٥ و٢٦.

(٩١) انظر: الاعتراض رقم: ١٥ و٢٧.

(٩٢) انظر: الاعتراض رقم: ١٠ و١١ و٢٣ و٢٨.

(٩٣) انظر: الاعتراض رقم: ١٠ و١٣.

(٩٤) يعني قول البخاري: "تابعه عمرو بن مرزوق عن شعبة مثله".

(٩٥) انظر: فتح الباري (ج: ١/ص: ٣٩٤) دار الفكر. إشراف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٩٦) يعني قول البخاري: "وقال موسى: حدثنا أبان قال: حدثنا قتادة أخبرنا الحسن مثله.

(٩٧) انظر: فتح الباري (ج: ١/ص: ٣٩٤).

(٩٨) هذه قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر الحديث بطوله في البخاري برقم: ٣٣٤.

(٩٩) هو حديث عائشة في التيمم برقم: ٣٣٤.

(١٠٠) انظر: فتح الباري (ج: ١/ ص: ٤٣٢).

(١٠١) ينمي: بضم أوله وفتح الميم بلفظ المجهول وانظر: الفتح (ج: ٢/ص: ٢٢٥).

(١٠٢) انظر: فتح الباري (ج: ٢/ص: ٢٢٥) ورجح الحافظ في إسماعيل، أن يكون إسماعيل بن أبي أويس كما جزم به الحميدي في الجمع بين الصحيحين.

(١٠٣) هذه قطعة من ترجمة البخاري، وأولها: "وكانت

أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل".

(١٠٤) انظر: فتح الباري (ج: ٢/ص: ٣٠٦)، وللعيني مناقشة فيما اعترض به الحافظ على مغلطاي وابن الملقن انظر بيان ذلك "انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري" (ج٢/ ص: ١٢٨)، حققه حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مجلدان.

(١٠٥) هذه قطعة من حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري برقم: ١٠٨٨.

(١٠٦) انظر: فتح الباري (ج: ٢/ص: ٥٦٨).

(١٠٧) قطعة من حديث أم عطية الانصارية في قصة غسل بنت النبي ﷺ، انظره بطوله في الصحيح برقم: ١٢٥٣.

(١٠٨) انظر: فتح الباري (ج: ٣/ص: ١٢٨).

(١٠٩) قاله البخاري عقب حديث زياد بن جبير برقم: ١٧١٣.

(١١٠) انظر: فتح الباري (ج: ٣/ص: ٥٥٤) وقد رجح الحافظ أن يكون هذا التعليق مخرجا في مسند إسحاق بن راهويه، وساقه بسنده منه. وعلق البدر العيني على اعتراض الحافظ بقوله: "إنما قصد مغلطاي ذكر مجرد الاتصال، مع قطع النظر عما ذكر". وانظر: العمدة (ج: ١٠/ص: ٥١)، وانتقاض الاعتراض (ج٣/ ص٦٣).

(١١١) قطعة من حديث أنس برقم: ١٨٦٥.

(١١٢) انظر: فتح الباري (ج: ٤/ص: ٧٩).

(١١٣) قال الحافظ في الفتح (ج: ٤/ص: ٩٨): "كذا للأكثر بلا ترجمة، وسقط من رواية أبي ذر فأشكل..."، لذلك اختار محمد فؤاد عبد الباقي عدم ترقيمه، وتبعناه.

(١١٤) قاله البخاري عقب حديث أنس برقم: ١٨٨٥.

(١١٥) انظر: فتح الباري (ج: ٤/ص: ٩٨).

(١١٦) انظر: الحديث بطوله في الصحيح برقم: ١٨٨٦.

(١١٧) انظر: فتح الباري (ج: ٤/ص: ٩٨ و٩٩).

(١١٨) انظر: فتح الباري (ج: ٤/ص: ١٣٧). وقال العيني في العمدة (ج١٠/ ص٢٩٨) طبعة دار الفكر: لها وقف على اعتراض الحافظ "ليت شعري هل أحاط بجميع نسخ البخاري في أيدي الناس وفي البلاد، وعدم رؤيته فذلك لا يستلزم العدم". قال الحافظ في انتقاض الاعتراض (ج٣/ص٧٦)، "قلت: فصح أنه غلط".

(١١٩) انظر: سند حديث رقم: ١٩٢٠.

(١٢٠) انظر: الفتح (ج: ٤/ص: ١٣٨).

(١٢١) نقله البخاري عقب حديث رقم: ١٩٢٧.

(١٢٢) انظر: فتح الباري (ج: ٤/ص: ١٥١).

(١٢٣) انظر: سند حديث رقم: ١٩٥٠.

(١٢٤) واختار الحافظ أن يكون: يحيى بن سعيد الأنصاري، وانظر: الفتح: (ج: ٤/ص: ١٩٠ و١٩١). وقال العيني في العمدة (ج: ٦/ص: ٥٥) متعقّباً قول الحافظ: "هو أيضاً غفل، فإن لقائل أن يقول: يحتمل أن يكون يحيى بن سعيد، كما قاله الضياء، ونقله عن مغلطاي". وانظر رد الحافظ في انتقاض الاعتراض (ج٤ / ص٧).

(١٢٥) قاله البخاري عقب حديث رقم: ٢١٤٨.

(١٢٦) انظر: الفتح (ج: ٤/ص: ٣٦٤).

(١٢٧) انظر: سند حديث رقم: ٣٥١٤.

(١٢٨) انظر: الفتح (ج: ٦ ص: ٥٤٤).

(١٢٩) هذه قطعة من حديث جابر، حديث رقم: ٣٨٩٠.

(١٣٠) انظر: الفتح (ج: ٧/ص: ٢٢٢). وانظر أيضا: العمدة (ج: ١٧/ص: ٣١) فقد اعترض البدر العيني، وانظر: انتقاض الاعتراض (ج٤ / ص: ١٢٦، ١٢٩).

(١٣١) قطعة من حديث طويل فيه قصة مقتل حمزة ابن عبد المطلب، حديث رقم: ٤٠٧٢.

(١٣٢) انظر: الفتح (ج: ٧/ص: ٣٧١).

(١٣٣) انظر: حديث رقم: ٤٣٣٦.

(١٣٤) انظر: فتح الباري (ج: ٨/ص: ٥٦).

(١٣٥) كذا قال ابن حجر والموجود في البخاري: "التبرج أن تخرج محاسنها". ولعله في نسخة أخرى من البخاري.

(١٣٦) انظر: الفتح (ج: ٨/ص: ٥١٩).

(١٣٧) هذا من كلام البخاري في ترجمة الباب المذكور آنفاً.

(١٣٨) انظر: الفتح (ج: ٨/ص: ٥٢٠).

(١٣٩) هذا هو الباب الأول في سورة الحجرات ولذلك كان رقمه: ١.

(١٤٠) هذه قطعة من حديث رقم: ٤٨٤٥.

(١٤١) انظر: الفتح (ج: ٨/ص: ٥٩١). قال العيني لما وقف على هذا الاعتراض: "وهو بعيد من الصواب، لكن سبقه أي الإنكار على مغلطاي، صاحب التوضيح، فكيف يقول هكذا، وهو شيخه ولم يشرح الذي جمعه إلا من كتاب شيخه، ولم يذكر من خارج إلا شيئا يسيراً". وانظر العمدة (ج: ١٩/ص: ١٨٣)، وانظر أيضاً رد الحافظ في انتقاض الاعتراض (ج٥/ص٥٤).

(١٤٢) قطعة من حديث أبي موسى الأشعري برقم: ٥٠٢٠.

(١٤٣) انظر: فتح الباري (ج: ٩/ص: ٦٧).

(١٤٤) هذه قطعة من حديث عروة برقم: ٥٠٨١.

(١٤٥) انظر: فتح الباري (ج: ٩/ص: ١٢٤).

(١٤٦) انظر: حديث رقم: ٥٢٦٤.

(١٤٧) انظر: فتح الباري (ج: ٩/ص: ٣٧٣).

(١٤٨) هذا من كلام البخاري في ترجمة الباب.

(١٤٩) انظر: فتح الباري (ج: ٩/ص: ٥٣٥ و٥٣٦).

(١٥٠) هذه قطعة من حديث أبي هريرة برقم: ٥٦٤٤.

(١٥١) انظر: فتح الباري (ج: ١٠/ص: ١٠٦).

(١٥٢) هذا من قول البخاري في أول سند حديث مجاهد عن أبي هريرة برقم: ٦٤٥٢.

(١٥٣) انظر: الفتح (ج: ١١/ص: ٢٨٣). وقال العيني لما وقف على هذا الاعتراض: "في هذا النظر نظر، لأنه إذا لم يتبين كون السياق لأبي نعيم، كذلك لا يتعين كونه لابن المبارك" وانظر: العمدة (ج: ٢٣/ص: ٥٩).

(١٥٤) من كلام البخاري في ترجمة الباب.

(١٥٥) انظر: الفتح (ج: ١١/ص: ٣٩٥ و٣٩٦).

(١٥٦) من كلام البخاري في ترجمة الباب.

(١٥٧) انظر: الفتح (ج: ١١/ص: ٥٠٣). وقال العيني تعليقا على هذا الاعتراض: "هذا مجرد تشنيع، وعدم وقوفه لا يستلزم عدم وقوف غيره، ونسخ الطبري كثيرة لا تخلو من زيادة ونقصان" وانظر: العمدة (ج: ٢٣/ص: ١٥٦)، وردّه الحافظ في انتقاض الاعتراض (ج٦ / ص٣٢) فقال: "قلت: دعواه أنّ نسخ الطبري كثيرة باطلة فيما علمناه بعد البحث من تفسير الطبري نسخة كاملة، إلا واحدة وفيها نسختان ناقصتان".

(١٥٨) قطعة من حديث رقم: ٦٦١٢.

(١٥٩) انظر: فتح الباري (ج: ١١/ص: ٥٠٣).

(١٦٠) قطعة من حديث أبي قتادة برقم: ٦٩٨٦.

(١٦١) انظر: الفتح (ج: ١٢/ص: ٣٧٤).

(١٦٢) قطعة من حديث طويل برقم: ٧١١٠.

(١٦٣) انظر: فتح الباري (ج: ١٣/ص: ٦٨).

(١٦٤) من قول البخاري في ترجمة الباب.

(١٦٥) انظر: فتح الباري (ج: ١٣/ص: ٣٢٤).

الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وجهوده في خدمة السنة النبوية

■ بقلم الأستاذ محمد أبو صعيليك

يمكن لنا أن نعرف بالشيخ أحمد شاكر من خلال ما يلي:

أولاً : اسمه ومولده:

هو الأستاذ العلامة المحدث أبو الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر. ولد -رحمه الله- بعد فجر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩٢م بمنزل والده بالقاهرة، ثم ارتحل مع والده إلى السودان حيث كان قد عُينَ قاضياً فيها.

ثانيا: دراسته وتعليمه :

درس الشيخ أحمد شاكر في السودان بكلية «غوردن» ثم بعد رجوعه إلى مصر درس بالإسكندرية، ثم التحق بالأزهر الذي صار والده وكيلاً لمشيخته سنة ١٣٢٨هـ .

وانتقال الشيخ إلى الأزهر كان بداية عهد جديد من حياته، فقد استطاع أن يتصل بكثير من العلماء وطلبة العلم الموجودين في القاهرة ثم بدأ ينتقل في مكتبات القاهرة ويستفيد من العلماء ويكثر من المطالعة وقد حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩١٧م وعمل في

التدريس لمدة أربعة أشهر فقط، ثم عمل في سلك القضاء حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥١م.

ولم ينقطع خلال فترة اشتغاله بالقضاء عن المطالعة والتصنيف، بل إنه أثرى المكتبة الإسلامية ببحوثه القيمة وتحقيقه لأمات الكتب المفيدة.

وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م.

ثالثاً: أشهر شيوخه:

تربى الشيخ أحمد شاكر في بيئة علمية، فوالده كان وكيلاً للأزهر، وجده لأمه العالم الجليل هارون عبد الرزاق؛ بالإضافة إلى وجود الأزهر الذي كان يستقطب كبار العلماء من شتى بلدان العالم الإسلامي مما أتاح للشيخ فرصة أن ينهل من معين العلم والعلماء.

ومن أشهر العلماء الذين استفاد منهم:

١- والده العلامة محمد شاكر، وكان أعظم الناس أثراً في حياته.

٢- الشيخ عبد السلام الفقي، وقد تعلم منه كتب الأدب واللغة والشعر.

٣- الشيخ محمود أبو دقيقة، وتعلم منه الفقه وأصوله بالإضافة إلى أنه تعلم منه الفروسية، والرماية، والسباحة.

٤- علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

٥- علامة المغرب ومحدثها الشيخ عبد الله ابن إدريس السنوسي، وقد أجازه برواية صحيح البخاري وبقية الكتب الستة.

٦- الشيخ طاهر الجزائري من كبار علماء الشام.

٧- العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وغيرهم من جهابذة العلم.

رابعا: أشهر تلاميذه:

أخذ عن الشيخ شاكر مجموعة من التلاميذ منهم ما يلي:

١- العلامة المحقق سيد صقر، صاحب التحقيقات المعروفة.

٢- العلامة المحقق عبد السلام هارون، صاحب التحقيقات المعروفة.

٣- شقيقه العلامة المحقق أحمد شاكر.

٤- شقيقه علي شاكر.

خامساً: جهوده في خدمة السنة:

كان للشيخ جهود في خدمة السنة وهذه

تقسم إلى ما يلي:

أولاً: التحقيق: حيث قام الشيخ بتحقيق مجموعة من الكتب العلمية المفيدة، وكان من هم المصنفات التي حققها وعلق عليها:

أ . الرسالة للإمام الشافعي حيث حققه تحقيقاً علمياً ينم عن غزارة علمه وسعة اطلاعه، وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد .

ب . الجامع للترمذي عن عدة نسخ، وصل فيه إلى نهاية الجزء الثاني .

ج . تحقيق وشرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرع بخدمة هذا الكتاب من سنة ١٩١١م، حتى بدأ بطباعته سنة ١٩٤٦م، وفهرس أحاديثه حسب الموضوعات، وخرجها وشرح مفرداته، وعلق عليه تعليقات هامة ومفيدة، ولكنه لم ينته من تخريج كامل أحاديث المسند؛ بل وصل إلى ثلث الكتاب تقريباً، وعدد الأحاديث التي حققها (٨٠٩٩) وقدم للكتاب بنقل كتابين جعلهما كالمقدمة بالنسبة للمسند هما: «خصائص المسند» للحافظ أبي موسى المديني «والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد» لابن الجزري.

٤- تحقيق مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، وتهذيب ابن قيِّم الجوزية، بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي، وطبع الكتاب في ثمانية مجلدات، وقد حقق الشيخ شاكر منه خمسة مجلدات .

٥- تحقيق صحيح ابن حبان: حقق الجزء الأول منه فقط .

٦ - تحقيق كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم .

٧- تحقيق كتاب المحلى لابن حزم، حيث وصل فيه إلى نهاية المجلد السابع .

٨ - تخريج أحاديث من تفسير الطبري: شارك أخاه محمود شاكر في تخريج أحاديث بعض الأجزاء من هذا التفسير، وعلق على بعض الأحاديث إلى الجزء الثالث عشر.

٩ - تحقيق كتاب (لباب الآداب) للأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤هـ .

١٠ - تحقيق كتاب شرح العقيدة الطحاوية .

١١- شرح العمدة لابن دقيق العيد .

١٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة .

١٣- الأصمعيات للأصمعي .

١٤- المفضليات للضبي .

١٥- الخراج ليحيى بن آدم .

١٦- فتح المغيث للعراقي .

١٧- التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي .

١٨- الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان .

١٩- المعرب للجواليقي .

٢٠- المكافأة وحسن العقبى لأسامة بن منقذ .

ثانياً-: التأليف: حيث ألف الشيخ شاكر الكتب التالية:

١ – شرح ألفية السيوطي في علم الحديث.

٢- الباعث الحثيث شرح (اختصار علوم الحديث) للحافظ ابن كثير .

٣- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصره وحذف منه الأسانيد، والروايات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة، وتفاصيل المسائل الكلامية، وهو أفضل المختصرات التي طبعت لتفسير ابن كثير، وقد طبع كاملاً في ثلاثة مجلدات .

٤- نظام الطلاق في الإسلام .

٥- كلمة الحق .

٦- في الشرع واللغة .

٧- السمع والطاعة .

٨- كلمة الفصل في قتل شاربي الخمر .

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى قيمة في اللغة والأدب، وبحوث مفيدة في الفقه والقضايا الاجتماعية والسياسية كتبها في مجلة (الهدي النبوي) حينما كان رئيس تحرير لها.

سادساً – من آرائه الفقهية:

كانت للشيخ آراء فقهيه منها ما يلي:

أ- جواز تقنين الأحكام الشرعية:

الشيخ أحمد محمد شاكر أجاز تقنين الأحكام الشرعية، ووضع خطة عملية لاقتباس القوانين من الشريعة الإسلامية، فقد دعا إلى العمل الجماعي واختيار لجنة من كبار علماء الشريعة، يسمو اختيارهم على الرغبات الشخصية والأهواء الحزبية، وان تكون اللجنة على علم واسع في مسائل أصول الفقه، وتعارض الأدلة والترجيح بينها ومسائل علم أصول الحديث لتحقق كل مسألة وتوحد القاعدة التي يبنى عليها الاستدلال والاستنباط، وكذلك من كبار رجال القانون غير مقيدة برأي ولا مقلدة

بمذهب إلا نصوص الكتاب والسنة، وأمامها أقوال الأئمة وقواعد الأصول وآراء الفقهاء، وتحت أنظارها آراء رجال القانون، ثم تستنبط من الفروع ما تراه صواباً، مناسباً لحال الناس وظروفهم مما يدخل تحت قواعد الكتاب والسنة ولا يصادم نصاً ولا يخالف شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة ولا قاعدة أساسية من قواعد التشريع الإسلامي، وتضع اللجنة الأسس وترسم المناهج، وتقوم بالصياغة القانونية الدقيقة، ويُعرض عملها كاملاً على الأمة، ليكون موضع البحث والنقد العلمي، فإن استقر الرأي عليه عُرض على السلطات التشريعية لإقراره واستصدار القانون للعمل به..".

وذهب بعض العلماء المعاصرين إلى منع التقنين والإلزام به، ومنهم الشيوخ: محمد الأمين الشنقيطي، وبكر أبو زيد وعبد الله البسام وأكثر أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

١- يقول العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر: "ولم يكن الفقهاء والحكام والقضاة في العصور الأولى مقلدين، ولا جامدين؛ بل كانوا سادة مجتهدين، ثم فشا التقليد بين أكثر العلماء إلا أفرادا كانوا مصابيح هدى في كل جيل، ومع ذلك فقد كان المقلدون من العلماء يحسنون التطبيق والاستنباط في تقليدهم.. إلى أن جاء عصر ضعف المسلمين ؛ بضعف العلماء واستبداد الأمراء الجاهلين، فتتابع الناس على التقليد، اشتد تعصبهم لأقوال الفقهاء المتأخرين؛ في فروع ليست منصوصة في الكتاب والسنة.. حتى لقد عرض بعض الأمراء في الجيل الماضي على العلماء أن يضعوا قانونا شرعيا ؛ يقتبسونه من المذاهب الأربعة ؛ حرصا على ما ألفوا من التقليد، وهو طلب متواضع ؛ قد يكون علاجا وقتيا، فأبوا واستنكروا؛ فأعرض عنهم.. ثم جاءت النهضة الإسلامية الحاضرة، وقد نفخ في روحها رجال كانوا نبراس عصرهم، وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ووضع أصولها عمليا، وأرسى قواعدها والدي محمد شاكر فاستيقظت العقول وثارت النفوس على التقليد، ونبغ في العلماء من يذهب الى وجوب الاجتهاد، وقد يكون اجتهادا مبتسرا، وقد يكون اجتهادا فيه خطأ كثير، ولكنه خير من الجمود".

وقال: "فأنا أرفض التقليد كله ولا أدعو إليه، سواء أكان تقليدا للمتقدمين أم

للمتأخرين ؛ ثم الاجتهاد الفردي غير منتج في وضع القوانين بل يكاد يكون محالا أن يقوم به فرد أو أفراد، والعمل الصحيح المنتج هو الاجتهاد الجماعي؛ فإذا تبودلت الأفكار، وتداولت الآراء، ظهر وجه الصواب إن شاء الله.

سابعاً: جهوده في الإصلاح السياسي والاجتماعي:

عاش الشيخ أحمد شاكر في فترة امتازت بكثرة الأحداث وتواليها، والدول الإسلامية تئن تحت نير الاستعمار الإنكليزي والفرنسي، وخور المسلمين وعجز معظم العلماء عن القيام بواجبهم، بل كانوا يشعرون بالانهزامية والصغار أمام الهجمات الفكرية للصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين وطعنهم في هذا الدين، والتركيز على مصر المركز العلمي للعالم الإسلامي، واليهود يخططون لاحتلال فلسطين، وأحكام الشريعة الإسلامية أقصيت عن حياة الناس، بفعل الفساد والتخطيط الصليبي الماكر ضد هذه الأمة، حتى صار التدين والتمسك بدين الإسلام، وصمة عار وتخلفاً ورجعية!!.

وأمام هذه الموجات المتلاطمة والعواصف الجارفة، التي تهب بالفساد وقمع الصالحين من العباد، ونصبوا لذلك رايات في كل هضبة وواد، فلا يقوى على الصمود والمواجهة إلا العظماء من الرجال، وما دام أنه كما يقال : لكل زمان دولة ورجال، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى الشيخ ليذود عن حياض هذه الأمة ويدافع عن شرفها وعزتها التي لا تكون أبداً إلا بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فانبرى الشيخ للتصدي لكل الأفكار الهدامة متمسكاً بكتاب الله ملتزماً بعقيدة السلف، يقارع الأعداء وتلامذة الغرب من المستشرقين دون أن تلين له قناة أو تخور له عزيمة، مع قلة من أمثاله من الرجال.

وصار يدبج ببراعه، مقالات نفيسة وتعليقات مفيدة على بعض ما حققه من الكتب، ومن ذلك تعليقاته على تفسير ابن جرير الطبري، وعمدة التفسير مفصلاً القول عن آيات الحاكمية وتكفير من لا يحكم بشريعة الله، وتعليقاته لا تزال مصدراً هاماً لمن جاء بعده من العلماء المجاهدين، الذين فتح الله بصيرتهم ولا أريد للقارئ لمقالتي هذه أن يعيش في جو التصور النظري، بل أنصح -والدين النصيحة- بالاطلاع على كتاب «كلمة الحق» فليس من سمع كمن رأى وعندها يتعرف القارئ على مدى مقدرة الشيخ

على البيان وفصاحته، ودفاعه عن هذا الدين الحنيف، وتصديه للمبتدعين، والخرافيين وللمستشرقين وغيرهم.

وأريد أن أخص بالذكر من بين المقالات الهامة للشيخ ثلاثة مقالات هي: «أيتها الأمم المستعبدة»، «بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة»، والثالثة «تحية المؤتمر العربي في قضية فلسطين».

سنلاحظ من خلالها مواقفه الحازمة وبغضه لأعداء الله، وتحريض الأمة على جهاد المستعمر الذي نهب خيرات البلاد ونشر في الأمة الفساد .

تاسعاً: منهجه في تصحيح الأسانيد:

غلب على الشيخ في مجال البحث العلمي الاهتمام بتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها خاصة في تخريجه لأحاديث المسند، وعند تتبع الأسانيد التي حكم عليها بالصحة، **يلاحظ أن أهم القواعد التي يسير عليها في تصحيح إسناد حديث ما هي كالآتي:**

١- إذا ذكر البخاري الراوي في «تاريخه الكبير» وسكت عنه، ولم يذكره في الضعفاء فإن الشيخ يعتبر سكوته توثيقاً للراوي.

٢- إذا ذكر ابن أبي حاتم الراوي في «الجرح والتعديل» وسكت عنه أيضا، فإن الشيخ يعتبر سكوته عن الراوي توثيقاً له.

٣- كان يعتمد على توثيق ابن حبان فالرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتاب «الثقات» ثقات عند الشيخ أحمد شاكر.

٤- توثيقه لـ (عبد الله بن لهيعة) بإطلاق.

٥- توثيقه للمجهول من التابعين قياساً لحالهم على حال الصحابة.

عاشراً: مآخذ على الشيخ:

ومما أخذ على الشيخ أمور هي:

الأولى: معظم الكتب الهامة التي قام بتحقيقها أو شرحها، لم يكد يتممها، وكأنه كان يشتغل بأكثر من كتاب في وقت واحد، فالترمذي والمسند وصحيح ابن حبان وتفسير ابن كثير وتفسير الطبري، وغيرها، لم تكتمل، ولو أكملها لكانت الفائدة أوسع وأكثر، فلا تكاد تجد من يسد هذا الفراغ الذي تركه الشيخ، **فمنهجه وأسلوبه يختلف عمن جاء بعده، وهذا يعود للأسباب التالية:**

أ- الاختلاف مع الناشرين .

ب- العمل في عدة مشاريع بمفرده .

ج- قلة التمويل .

د- قلة التلاميذ .

هـ- قلة الوسائل المساعدة كالفهارس .

و- قلة المصادر المطبوعة وندرة المخطوطات.

الثانية: في نقد منهجه في تصحيح الأسانيد بناء على أهم القواعد المذكورة آنفاً. فالبخاري في «التاريخ الكبير» وكذا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» لا يعتبر سكوتهما عن الراوي تعديلاً له، فقد يذكر البخاري في كتابه راوياً ضعيفاً ويسكت عنه، وقد يسكت عن بعض الرواة المجهولين، ويسكت أحياناً عن بعض الرواة الذين لم يعرفهم ولم يفرق بين أسمائهم. وأما ابن أبي حاتم فقد يسكت عن الرواة الذين لم يتمكن من معرفة أحوالهم، فقد قال في مقدمة كتاب الجرح والتعديل: «على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روي عنه العلم وجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى».

أما اعتماده على توثيق ابن حبان، فإبن حبان كان متساهلاً في التوثيق فما كل من ذكرهم في «كتاب الثقات» بثقات.

وقد تكلم عن تساهل ابن حبان في التوثيق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتاب «التنكيل» وكذا الشيخ ناصر الألباني في مواضع من السلسلة الضعيفة. فكان مما قاله الألباني: «إن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيراً ما يوثق المجهولين حتى الذين يصرح هو بنفسه أنه لا يدري من هو ولا من أبوه».

وتساهله نابع من اصطلاحه في تعريف العدل، فالعدل عنده من لم يعرف منه الجرح إذ الجرح ضد التعديل، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده إذ لم يكلف الناس معرفة ما غاب عنهم.

وأما توثيقه لعبد الله بن لهيعة بإطلاق فهو موضع انتقاد أيضاً، إذ أن عبد الله بن لهيعة ضعفه أكثر العلماء الذين يعتد بقولهم كإبن معين، والنسائي وابن المديني، والجوزجاني، وابن حبان، والذهبي، وابن خزيمة، لأنه اختلط في آخر عمره بعد احتراق كتبه وأما من روى عنه قبل الاختلاط فروايته صحيحة، والذين رووا عنه قبل أن يختلط وقبل احتراق كتبه هم العبادلة، عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المقرئ» وفي غير رواية هؤلاء عنه فهو

ضعيف.

وأما توثيقه للمجهولين من التابعين فليس بصحيح، وإنما فعل ذلك قياساً لحال هؤلاء على حال الصحابة، والفرق واضح، فالصحابة مشهود بعدالتهم وثقتهم، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وليس حال التابعين كذلك، قال الحافظ ابن حجر: «ثم إن من بعد الصحابة تلقوا ذلك منهم وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك من بعدهم إلا أنه دخل فيمن بعد الصحابة في كل عصر قوم ممن ليست لهم أهلية ذلك وتبليغه، فأخطأوا مما تحملوا ونقلوا، ومنهم من تعمد ذلك فدخلت الآفة فيه من هذا الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سنة نبيه ﷺ، فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة»(٢).

لكن الشيخ أحمد شاكر إذا مر بتابعي وكان مجهولاً، فكثيراً ما يكرر العبارة الآتية: ((وهو تابعي، فأمره على الستر والعدل حتى يتبين فيه جرح)).

من مصادر الترجمة:

١ - محمد رجب البيومي - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين - مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة.

٢ - محمود محمد شاكر - أحمد محمد شاكر إمام المحدثين - مجلة المجلة - القاهرة - العدد (١٩) - (١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م).

٣ - محمد عزت الطهطاوي - الشيخ أحمد محمد شاكر إمام من أئمة الحديث في هذا العصر - مجلة الأزهر - العدد (٥) السنة الثانية والستون - (١٤١٠هـ = ١٩٨٩م).

٤ - السيد الجميلي - طبقات المحققين والمصححين (أحمد محمد شاكر) - مجلة الأزهر - العدد (١١) السنة الثامنة والستون - (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

٥- مقالات موقع الألوكة - (٢٤)

٦ - ترجمة أحمد محمد شاكر وبيان جهوده العلمية/ أبو حسان الأثري، عن شبكة الانترنت .

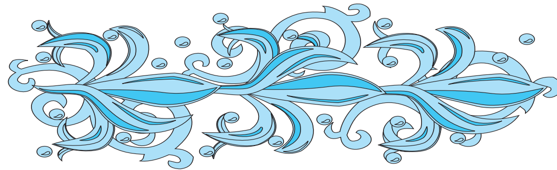
٧- من أعلام الدعوة الإسلامية في مصر للمستشار عبد الله العقيل، طبعة دار المأمون للتراث .

٨- الأعلام للزركلي، طبعة دار العلم للملايين .

٩- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي .

١٠- وقائع ندوة الجهود المبذولة لخدمة السنة في جامعة الشارقة .

١١- جهود المعاصرين في خدمة السنة، تأليف: محمد عبد الله أبو صعيليك، طبعة دار القلم،



موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

يتكوّن الكتاب المقدس عند اليهود من تسعة وثلاثين سفرا، الخمسة الأولى منها يزعمون أنها هي التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام وهي: سفر التكوين –سفر الخروج– سفر لاوين –سفر العدد– سفر التثنية، وباقي الأسفار يزعمون أنها نزلت على الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام، ومن هذه الأسفار ما يطلقون عليه سفر المزامير ويزعمون أنه السفر الذي نزل على داود عليه السلام.

أما بالنسبة للكتاب المقدس عند النصارى، فيتكون من جزأين: الجزء الأول يطلقون عليه: كتاب العهد القديم وهو الكتاب المقدس عند اليهود الذي يتكون من تسعة وثلاثين سفرا. والجزء الثاني يطلقون عليه كتاب العهد الجديد وجميعها سبعة وعشرون سفرا ومنها الأناجيل الأربعة وهي: إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا[1]. أما الأسفار الباقية فهي رسائل بولس وعددها أربعة عشر (١٤) سفرا، ورسائل بطرس وعددها سبعة (٧) أسفار، وأخيراً رؤية يوحنا.

أما بالنسبة لموقف الإسلام من هذه الكتب المقدسة عند اليهود وعند النصارى. فالقرآن الكريم أخبرنا بأخباره القاطعة المتواترة أن الله تعالى قد أنزل قبل القرآن كتباً سماوية، حيث أنزل على

كل نبي أرسله كتابا يشتمل على حقيقة العقيدة وعلى أحكام شرعية ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال الله تعالى في سورة فاطر: **﴿انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير﴾**[2]، وقال في سورة البقرة: **﴿كان الناس أمة واحدة[3] فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[4] وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾** الآية: ٢١٣ .

أخبرنا الله في الآية الأولى وهي التي وردت في سورة فاطر أنه أرسل لكل أمة رسولاً، وأخبرنا بالآية الثانية التي نزلت في سورة البقرة أنَّه كان لكل نبي أرسله كتاب ليحكم فيه بين الناس بالعدل. إلا أن الله سبحانه لم يخبرنا عن جميع الكتب السماوية التي أنزلها على رسله فلذلك لا يجوز أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم **وقد أخبرنا الله في كتابه أنه أنزل أربعة كتب وهي:**

١- صحف إبراهيم عليه السلام وقد أخبرنا القرآن بعض ما ورد فيها وورد أيضاً في التوراة في سورة النجم: **﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى ❖ وابراهيم الذي وفى ❖ ألا تزر وازرة وزر أخرى ❖ وأن ليس للإنسان الا ما سعى ❖ وان سعيه سوف يرى ❖ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ❖ وأن الى ربك المنتهى ❖ وانه هو أضحك وأبكى ❖ وانه هو أمات وأحيا ❖ وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى ❖ من نطفة اذا تمنى ❖ وان عليه النشأة الأخرى ❖ وانه هو أغنى وأقنى ❖ وأنه هو رب الشعرى ❖ وانه أهلك عاداً الأولى ❖ وثمود فما أبقى ❖ وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ❖ والمؤتفكة أهوى ❖ فغشاها ما غشى﴾**[5] كما ورد أيضاً في سورة الأعلى: **﴿قد أفلح من تزكى ❖ وذكر اسم ربه فصلى ❖ بل تؤثرون الحياة الدنيا ❖ والآخرة خير وأبقى ❖ ان هذا لفي الصحف الأولى ❖ صحف ابراهيم وموسى﴾**[6].

٢- التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام حيث قال سبحانه: **﴿انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾**[7].

٣- والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام حيث قال الله تعالى في سورة المائدة: **﴿وقفينا على ءاثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وءاتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ الآية: ٤٦**.

٤- الزبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام قال الله تعالى: **﴿وآتينا داود زبوراً﴾**(٨).

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على باقي الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها ولا يجوز لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم.

وبالنسبة للإيمان بهذه الكتب الأربعة؛ فإننا نؤمن بما قصه الله علينا مما ورد فيها من أحكام في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة المائدة عما نزل في التوراة: **﴿وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾**(٩).

فقد تضمنت هذه الآية أن من أحكام التوراة التي كتبها الله فيها على بني إسرائيل هذه الجملة من الأحكام الجنائية، وهي تتعلق بشريعة القصاص من الأحكام الثابتة المستمرة التي لم تنسخ برسالة محمد ﷺ.

ومن جملة ما قصه الله علينا بأنه تضمنته التوراة والإنجيل: البشارة بمحمد ﷺ وذكر بعض صفاته. قال الله تعالى: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ❖ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون﴾**(١٠)(١١).

فهذه الآيات تدل بوضوح على أن الرسول النبي الأمي وهو محمد ﷺ مكتوب عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل وكتابته فيها باسمه أو صفاته. كما تضمنت التوراة والإنجيل صفات أصحابه في سورة الفتح قال الله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين**

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾.

فهذه الآية تدل على صفات أصحابه ﷺ في التوراة بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً، يبتغون فضلا من الله والرضا الكامل منه. وهذه العلامات تميزهم عن غيرهم. ومثلهم الذي ورد في الإنجيل كزرع يبدأ صغيراً ضعيفاً فتظهر فروعه من حوله فيشتد الزرع ويستغلظ، فيعقب ذلك بسرعة أن يستوي الزرع على سيقانه يرى فيه الزراع شيئاً عجاباً لسرعة نموه وشدته وقوته.

وهكذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه في قلة في أول الدعوة، ثم قوي سلطانهم عندما انتقلوا إلى المدينة المنورة وامتدَّت فتوحاتهم وسلطانهم بسرعة، حتى استولوا على جميع الجزيرة العربية وهزموا دولة الفرس والروم في مدة وجيزة.

لذلك أخبرنا الله بعض ما ورد في الزبور الذي نزل على داود عليه السلام: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون﴾**[١٢].

والإيمان بهذه الكتب الأربعة هو إيمان إجمالي وليس تفصيلي فنحن نؤمن بما قصه الله علينا بأنه ورد فيها، ولا نؤمن بما لم يرد ذكره في القرآن لأنه دخلها التحريف بالتغيير، والزيادة، والنقصان، كما ذكر القرآن الكريم. كما أنه ليس لها سند صحيح متواتر إلى من تنسب إليهم وهو الذي تثبت به العقائد الدينية.

كما أنه بالنسبة للتوراة فهناك توراتان أو ثلاثة: إحداها هي التوراة العبرية التي يؤمن بها اليهود والنصارى، وتوراة عند السامريين -وهي طائفة من بني إسرائيل تسكن في مدينة نابلس وبعض المدن الفلسطينية- وتوراة يونانية، وكل واحدة تختلف عن الأخرى، فأي منهما هي التي نزلت على موسى عليه السلام ؟

وكذلك يوجد أربعة أناجيل فأيهما الإنجيل الذي فيه ما نزل على عيسى عليه السلام؟ ومن المعلوم لدى المحققين أن الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام هو الكتاب الذي جعله الله هداية لبني إسرائيل ومخلصاً لهم من أسر المادة والرياء والشقاق، ولم يكن مكتوبا، بل كان المسيح عليه السلام يتكلم به واعظاً ومبشراً.

أما الأناجيل الحالية فهي قصص وروايات كتبت عن حياة المسيح وسيرته، وفيها قليل من تعاليمه وعظاته وأمثاله، إذ ليس يعقل أن ينزل الله في الإنجيل خبر ولادة المسيح وهروبه إلى مصر مع يوسف النجار الذي ينسب إليه في هذه الأناجيل(١٣)!! ثم تجوله في البلاد وصلبه بعد ذلك وقيامه وارتفاعه إلى السماء، فهذه أخبار تاريخية كتبها تلاميذه الذين شاهدوا الحوادث بأعينهم على حد زعمهم.

وكذلك بالنسبة للتوراة فمن أقوى الأدلة التي تدل على أن كلاً من التوراة العبرية والتوراة السامرية، ليس أي واحدة منهما هي التوراة التي نزلت على موسى، ما ورد في كلتا التوراتين في سفر التثنية منهما قصة موت موسى عليه السلام، فكيف يأتي في كل واحدة منهما قصة موته مع أنه من المتفق عليه أن التوراة نزلت عليه؟

أما بالنسبة للمزامير وهي الزبور الذي نزل على داود عليه السلام، فمن المعلوم أنَّ المزامير التي نزلت على داود عليه السلام تشتمل على بيان وحدانية الله وبعض الأحكام الشرعية وفيها دعاء وابتهال واستغفار وثناء لترقيق قلوب بني إسرائيل، وشرط الدعاء أن يكون مناسبا مع المدعو إليه، والمزامير الحالية فيها ألفاظ لا تليق ولا يصح أن تنسب إلى الله عز وجل وذلك مثل ما ورد في أول المزمور العاشر: (يا رب لماذا تقف بعيدا؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟). وما ورد أيضا في أول المزمور الثالث عشر: (إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟) وقوله أيضا في أول المزمور الثاني والعشرين: (إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري؟ إلهي في النهار لماذا تركتني بعيداً في الليل أدعوك فلا هُدوَّ لي) مثل هذا الكثير ورد في هذه المزامير.

أقول: هذه الألفاظ لا تصح أن يتفوه بها في حق الله أي إنسان مؤمن، فكيف تصدر من نبي من أنبياء الله؟ فلا يمكن أن تكون وحيا.

وقد جاء في آخر هذه المزامير وهو المزمور المائة والخمسون، نموذج أيضا يستحيل عقلا أن يصدر من نبي من أنبياء الله يقول: (سبحوه بصوت الصور، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار مزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف، كل نسمة فلتسبح الرَّب هَلِّلويا).

أقول: هل يعقل أن يطلب الله أن يعبد

برقص وغنا، ودف ورباب، وعود وصنوج وهتاف؟ اللهم إن هذا افتراء على نبي الله داود عليه السلام وعلى الله، سبحانه وتعالى عما **يقولون علواً كبيرا.**

فالزبور دعاء وتسبيح مع أحكام ذكر الله منها في سورة الأنبياء: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.**

فالزبور الذي أنزله على سيدنا داود شيء والمزامير الحالية شيء آخر لا يؤمن بصحتها عقل سليم.

وقد ذكر القرآن تحريف التوراة والإنجيل لفظا ومعنى وحذفا قال الله تعالى في سورة البقرة: **﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون ❖ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون﴾**[١٤].

وقال الله أيضا في سورة البقرة: **﴿ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ❖ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾**[١٥].

وقال الله في سورة آل عمران: **﴿وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾.**

وقال الله في سورة آل عمران أيضا: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾**[١٦].

وقال الله في سورة المائدة: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ❖ ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾**[١٧].

وقال الله في سورة الأنعام: **﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله**

على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾.

هذه الآيات الكريمة كافية في إثبات أنواع التحريف الثلاثة: التحريف اللفظي بكتابة الألفاظ من عندهم وقولهم: إنها من عند الله. والتحريف المعنوي بتحريف الكلم عن مواضعه، والحذف بنسيان نصيباً وجزءاً مما ذكروا به.

وقد جاء القرآن رقيبا على هذه الكتب يقر الحق الذي جاء فيها، ويظهر ما حرفوه أو نسوه منها. قال الله تعالى في سورة المائدة: **﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾**.

يخاطب الله نبيه محمداً ﷺ في هذه الآية، لقد أنزلنا إليك الكتاب الكامل وهو القرآن ملازماً الحق في كل أحكامه وأنبائه، مصدقا لما نزل قبله من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ومهيمنا عليها، أي رقيبا عليها يقر ما جاء فيها من الحق ويظهر خطأ ما حرفوه فيها أو نسوه منها. وهذا ما فعله القرآن بالنسبة للتوراة والإنجيل فإنه أظهر ما فيهما من حق كما بين ما فيهما من خطأ وتحريف.

نماذج مما بينه في التوراة من خطأ وتحريف:

- الافتراء على إبراهيم عليه السلام أنه أمر زوجته ساره، أن تكذب ليتزوجها فرعون وينال الخير منه[١٨].

- الافتراء على يعقوب الذي هو إسرائيل الذي ينتسبون إليه، بأنه هو وأمه رفقة خدعا إسحاق عليه السلام وسرقا منه البركة التي هي من حق أخيه عيسو البكر ثم هرب إلى خاله في سوريا وعاش عنده عشرين سنة ثم سرق خاله وعاد إلى فلسطين[١٩].

- الافتراء على هارون عليه السلام أنه هو الذي صنع العجل ودعى بني إسرائيل لعبادته[٢٠].

وهذا فيض من كثير مما اشتملت عليه التوراة من افتراءات وأكاذيب ومما اشتملت عليه الأناجيل من افتراءات وبين عدم صحتها القرآن الكريم.

- دعوى أن المسيح ابن الله أو أنه هو الله أو أنه ثالث ثلاثة أو أنه هو وأمه إلهين من دون الله وبين القرآن أن المسيح عليه السلام هو عبد الله ورسوله.

فمما قاله الله في الرد على دعوى أن لله ولداً ما ورد في سورة مريم: **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ❖ لقد جئتم شيئاً إدا ❖ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الجبال وتخر الجبال هداً ❖ ان دعوا للرحمن ولداً ❖ وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً ❖ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً﴾**[21].

وقد بين الله سبحانه أن من أسباب إنزال القرآن الكريم إنذار هؤلاء الذين ادعوا بأن لله ولداً، قال تعالى: **﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ❖ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً﴾**[22].

الهوامش:

(١) انظر الكتاب المقدس طباعة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، ١٩٥٨م. والكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، وطبعة الكتاب المقدس بمصر القاهرة، الإصدار السابع الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

(٢) نذير: أي محذر ومخوف من عصيان الله.

(٣) أمة واحدة: على ملة واحدة وهي توحيد الله وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها فاختلفوا.

(٤) الكتاب بالحق: الكتب السماوية المشتملة على العدل.

(٥) النجم: ٣٦-٥٤.

وفَّى: أي أدى ما أمر به ربه على أتم وجه.

- ألا تزر وازرة وزر أخرى: لا تحمل نفس من الذنوب فوق ذنبها.

- إلا ما سعى: إلاّ جزاء عمله في الدنيا.

- وأن سعيه سوف يرى: أي يراه الله ورسوله والمؤمنون ويراه صاحبه.

- المنتهى: المرجع والمصير.

- أضحك وأبكى: المراد أوجد أسباب الضحك وأسباب البكاء.

- تمنى: أي تدفق في الرحم.

- النشأة الأخرى: البعث من القبور.

- أقنى: أفقر.

- الشعرى: نجم ضخم شديد الحرارة كانت تعبده بعض العرب.

- المؤتفكة: المنقلبة وهي قرى قوم عاد ولوط.

- أهوى: أسقطها من أعلى إلى أسفل.

- الآيات: ٣٦-٥٤.

(٦) الآيات: ١٤-١٩.

(٧) سورة المائدة: ٤٤,

(٨) سورة النساء: ١٦٣.

(٩) والجروح قصاص: أي يقتص من الجاني بمثل ما فعل بالمجنى عليه، كاليد باليد والرجل بالرجل الخ.

(١٠) سورة الأعراف: ١٥٦-١٥٧.

(١١) إصرهم: التكاليف الشاقة التي كانت مكتوبة عليهم.

- الأغلال: جمع غُل بضم أوله وهو في الأصل الحديد الذي يجمع يد الأسير إلى عنقه، والمراد هنا تصوير ما كانوا فيه من المشقة بصورة حسية.

- عزروه: منعوه من عدوه حتى لا يناله بسوء.

- نصروه: أي إذا حارب عدوه قاتلوا معه.

(١٢) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(١٣) لقد ذكر كل من إنجيل متى ولوقا تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف هو أبوه الشرعي وذلك كما ورد في السفر الأول من إنجيل متى فقد جاء فيه: (كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم: إبراهيم ولد إسحاق وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وأخويه... ودان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يُدعى المسيح) انظر الفقرات: ١-١٧.

ويقول لوقا في السفر الثالث من إنجيله: (ولما ابتدأ يوسع (دعوته) كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن منئات بن لاوي... بن شيت بن آدم بن الله). الفقرات ٢٣-٣٨ كما جاء في هذا الإنجيل في الإصحاح الثاني: (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح ثم افتقدوه ثم وجدوه (قالت له أمه: يا بني لماذا فعلت لنا هكذا؟ هو ذا أبوك وانا كنا نطلبك معذَّبين!).

(١٤) الكتاب: هنا هو التوراة.

- أماني: أكاذيب تلقوها عن رؤسائهم.

- يكتبون الكتاب: الكتاب هو ما يكتبه أحبار اليهود بأيديهم ويوهمون عامتهم أنه من التوراة.

(١٥) البقرة: ١٧٤-١٧٥ .

- الذين يكتمون: المراد علماء اليهود.

- من الكتاب: المراد هنا هو التوراة.

- يشترون به: أي يأخذون بهذا الكتمان.

- ثمنا قليلا: هو ما يأخذونه من اتباعهم بحكم ساستهم.

- لا يكلمهم الله: أي كلاما يسرهم.

(١٦) ميثاق الذين أوتوا الكتاب: هو العهد الذي أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

- نبذوه وراء ظهورهم: طرحوا تعاليمه وأهملوها.

(١٧) المائدة: ١٣-١٤ .

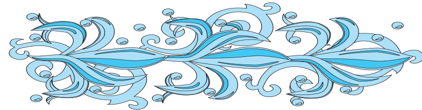
- نسوا حظا مما ذكروا به: أي نسوا نصيبا مما ورد في كتابهم، والمراد في الأولى اليهود وفي الثانية النصارى كما هو ظاهر.

(١٨) سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر الفقرات: ١٤-٢٠ .

(١٩) سفر التكوين الاصحاح السابع والعشرون.

(٢٠) سفر الخروج الاصحاح الثاني والثلاثون.

(٢١) سورة مريم الآيات: ٨٨-٩٣ ومعنى كلمة إذا: أي تقطيعاً منكراً جداً.



١

نظرات إسلامية في الطفولة

■ بقلم الدكتور احمد مصطفى القضاة

الطفولة مرحلة أساسية من أهمّ مراحل الإنسان وأخطرها، وهي تعكس صورة الإنسان المستقبلية، لأن الطفولة -والمبكرة منها- حجر الأساس وركن البناء لمستقبل الإنسان وبنائه، فالطفولة الحسنة تعطي حياة حسنة للإنسان على الأغلب، والطفولة السيئة تعطي واقعاً سيئاً مهما حاول صاحبه أن يتغلب، ولذلك عمل المهتمون بمستقبل الطفولة ما لم يعملوه في غيرها.

ولقد اهتم الإسلام بالإنسان جنيناً وطفلاً وشاباً وشيخاً، وأعطى أحكامه الخاصة به حياً وميتاً، وجعل الإنسان محور العملية الحياتية في الدنيا، فقال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾**(١)، وقال تعالى: **﴿ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾**(٢)، وقدم أرقى الصور وأحكم الأحكام وأفضل السبل وأعظم المعالجات في عالم الطفولة، وكانت نظرة الإسلام إلى الطفولة متميزة ومتقدمة وراقية وعظيمة، ولقد سبقت النظريات الحديثة وفاقت الفلسفات القديمة في تأسيس الطفولة السليمة وتوجيهها وبنائها وتمكينها.

وتأتي هذه السلسلة الموسومة بـ "نظرات في الطفولة" لتلقي الضوء على مرحلة الإنسان الأولى من وجهة نظر الإسلام، وتقدّم عدداً من الصور والمشاهد ذات العلاقة بعالم الطفولة، وتعرض نظرات قرآنية وتوجيهات نبوية في حياة الأطفال، كما تعطي نماذج مختلفة وأساليب متنوعة في التأسيس والتوجيه لطفولة نظيفة متميزة.

❖ مفهوم الطفولة:

الطفولة هي المرحلة والحالة التي يكون فيها الإنسان طفلاً، ولمعرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي والقانوني والتربوي للطفولة، لا بد من معرفة معنى الطفل في اللغة أولاً، وفي الاصطلاح ثانياً، لأنّ تحديد مفهوم الطفولة متوقّف على بيان معنى الطفل، والمعاني التي تعني كلمة الطفل أيضاً، حيث إنّ المرحلة التي يعيشها الإنسان الطفل، أو الحالة التي يكون فيها الإنسان طفلاً هي التي تحدد مفهوم الطفولة، وتبين طبيعتها وواقعها، إذ ينظر في الطفولة ومرحلتها وحالتها من النظر إلى الإنسان الطفل من حيث الزمان والحالة التي يكون بها.

الطفل في اللغة: الصغير من كل شيء، كما يطلق على كل جزء من كل شيء، وعلى المولود. وعلى ولد كل وحشية. وعلى الحاجة، والطفل والطفلة: الصغيران، ولا فعل له. وكذا الطفولة: الصغر، والطفولية أيضاً.

وتطلق كلمة الطفل على المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وتطلق كلمة الطفولة عل الحالة التي يكون بها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، كما يقال: الطفل للمفرد المذكر، يقال لمثناه: طفلان، وجمعه أطفال، وأما مؤنثه المفرد فيقال: طفلة، وكذا طفلتان، وطفلات(٣).

جاء في لسان العرب: والعرب تقول: جارية طفلة وطفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وغلمان طفل. ويقال: طفل وطفلة وطفلان وأطفال وطفلتان، وطفلات في القياس(٤).

ويطلق الطفل في اللغة على المولود من حين ولادته إلى أن يحتلم، قال أبو الهيثم كما نقله ابن منظور(٥): الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم.

أما علماء الشريعة فقد عرّفوا الطفل كما وردت في كتبهم بتعريفات بمجملها:

تعني ما ورد في اللغة العربية: وهو المولود من حين ولادته إلى أن يبلغ.

وإذا كان معنى الطفل هو الصغير من كل شيء. فإن الصغير في اللغة: من هو دون البلوغ. وبذلك يكون الطفل: من هو دون البلوغ. وهكذا قال الفقهاء، فابن جزيء بكتابه "قوانين الأحكام الشرعية" قال: أما الصغير فهو غير البالغ[٦].

وبذلك فإن مفهوم الطفولة في اللغة والاصطلاح ينحصر في الحالة التي يكون الإنسان بها طفلاً، وهي منذ ولادته إلى بلوغه، ونلاحظ أنها قد انحصرت بفترة زمنية معينة، حيث بدأت من فترة خروج المولود من بطن أمه وانتهت ببلوغ يعرف بعلامات حددتها الشريعة، ويمكن أن يطلق على الطفولة أسماء أخرى كالصغر والحداثة والصبا، إلا أنها أسماء بمسمى واحد، وهو الحالة التي يكون بها الإنسان.

والواصفون لتلك الحالة التي يكون بها الإنسان يطلقون على صاحبها طفلاً إذا نظروا إليه من حيث الضعف والحاجة والمساعدة، وخاصة أن من معاني الطفل الحاجة، كما يطلقون الصغير إذا قاسوه بغيره ممن هو أطول منه عمراً أو أشد قوة، أو يطلقون الصبي على اعتبار أن صاحب هذه الحالة ينمو ويزيد ويصبو خلافاً لحالة الإنسان في أواخر عمره إذ يبدأ فيه بالتناقص.

وأما تحديد مرحلة الطفولة فهي تبدأ منذ ولادة الإنسان وخروجه من بطن أمه، وقد أشار القرآن الكريم إليها في موضعين: **﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾** و **﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾**، فقبل الإخراج لا يسمى الإنسان طفلاً، لأن الإنسان يكون طفلاً بمجرد إخراجه من بطن أمه، فإذا خرج بعد تمام خلقه كان طفلاً مكتملاً، وإذا خرج قبل اكتماله وقد تخلقت فيه الصورة الآدمية كان طفلاً غير مكتمل، ثم إن القرآن والسنة أشارا إلى مراحل خلق الإنسان في بطن أمه كالعلقة والمضغة، وهو ما يسمى بالجنين، ولا يسمى طفلاً أبداً.

وأما عن انتهاء مرحلة الطفولة بالبلوغ ففيها أدلتها، وقد حدد حديث «رفع القلم» أن الصبي رفع عنه القلم حتى يبلغ أو يحتلم، وبذلك فإن حالة الصبا تنتهي بالبلوغ. وهكذا فإن مفهوم الطفولة في اللغة والاصطلاح يعني الحالة التي يكون بها الإنسان طفلاً، وهي تبدأ منذ خروجه من بطن أمه وتنتهي بالبلوغ.

أما مفهوم الطفولة عند القانونيين والتربويين: فهي الحالة التي يكون بها الإنسان طفلاً أيضاً، ولكن اختلفوا في التحديد الزمني الذي تبدأ به الطفولة وتنتهي عنده، حيث اعتبرت بعض القوانين في بعض الدول أن الإنسان طفل إذا كان سنه أقل من ثمانية عشر عاماً، وفي دول أخرى يمتد سن الطفولة إلى سن الحادية والعشرين(٧).

وهذا المفهوم للطفولة عند القانونيين والباحثين وتقسيمهم لها إلى طفولة مبكرة وطفولة متأخرة، مأخوذة من حالة الضعف عند الإنسان، ومتى ينتهي اعتماده على الآخرين ليعتمد على نفسه؟.

ويمكن أن نأتي بتعريف واحد للطفولة عند الباحثين لنحدد منه ومن غيره المفهوم الأفضل للطفولة. وهذا التعريف استخدمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في جمهورية مصر العربية ومنظمة الأمم المتحدة للأطفال "اليونيسف" في دراسة مسحية على مستوى مصر عام ١٩٧٦م لبحث احتياجات الطفولة فيها، **حيث عرفت الطفولة بأنها: معنى جامع يضم جميع الأعمار ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الاعتماد على النفس**، وهي محددة بالفترة الواقعة ما بين الحلم وسن الثامنة عشرة، وتشمل مراحل النمو، مرحلة ما قبل الميلاد، ومرحلة المهد، والطفولة المبكرة، والطفولة المتأخرة، والبلوغ، ومرحلة المراهقة حتى سن الثامنة عشرة.

ويُلاَحَظُ أنّ التعريف يدخل الجنين أو بمعنى منذ البدء بتخلق الإنسان في بطن أمه إلى أن يستغني عن الآخرين، وأن هذا التعريف يعني أن الطفولة تتفاوت من جيل إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، وأنه خاضع لمتطلبات الحياة التي يعيشها الطفل بمفهومهم.

أما مصطلح الطفولة في التربية وعلم النفس: فَيُطْلَقُ عادة على الفترة التي يقضيها الصغار من أبناء البشر من حياتهم منذ الميلاد إلى أن يكتمل نموهم ويصلوا إلى حالة النضج، ومن المعروف أن الأطفال الصغار في هذه الفترة يعتمدون على الأَبَوَيْن أو على ذوي القربى، أو على الكبار بصفة عامة، سواء كانوا والدين أو أقرباء أو غيرهم من أفراد المجتمع في الحصول على غذائهم، وفي حياتهم ورعايتهم(٨).

❖ طبيعة الطفولة:

أما طبيعة الطفولة وواقعها فإنها مرحلة من مراحل الإنسان التي تتسم بصفات وملامح تختلف عن مراحل الإنسان الأخرى، فمرحلة الطفولة هي مرحلة الضعف البشري، إذ يحتاج الإنسان فيها إلى العون والمساعدة، والحماية والرعاية والتغذية والتوجيه، وهو في أول يوم من أيامه في هذه المرحلة محتاج إلى كل شيء، حتى تبدأ طفولته بالتقلص شيئاً فشيئاً بعد أن ينمو الإنسان نموه الطبيعي ويرتقي بنفسه ارتقاءً طبيعياً إلى أن تتضاءل الحاجة الطفولية ثم تنتهي بانتهاء المرحلة.

والملاحظ أن طفولة الإنسان هي الأطول زمناً عند الكائنات، فمرحلتها طويلة والتأثرات فيها بطيئة، والارتقاء بها ارتقاءٌ تدريجي لا يشعر به أحد، ونظراً لطول هذه المرحلة فإن السلوكات الإيجابية والسلبية تتأصل في نفس الطفل ثم تنمو معه إلى أن تكبر ثم يصعب تغييرها، وفي معنى "العلم في الصغر كالنقش في الحجر" إشارة إلى ذلك.

وعالم الطفولة يجمع في طياته أصنافاً شتى من الأطفال أصحاب المواهب المختلفة والقدرات المتباينة والتصرفات المتناقضة والحركات اللاإرادية، وهو عالم مجهول مع ما ارتسمت فيه من قضايا ونظريات وقدمت فيه بحوث ودراسات، إلا أن عالم الطفل الموجود في الأسرة وتحت رعاية والديه ما زال مجهولاً، فعلى الرغم من الغرائز والميول المشتركة التي تجمع الأطفال فإن الواحد منهم يكاد يفترق عن الآخر، وهذا يؤكد أن عالم الطفل طفولي وهو بحاجة في كل عصر إلى مزيد من الدراسات والتجارب ليبقى العطاء مستمراً إلى جيل لا تنتهي احتياجاته.

وعالم الأطفال مليء بالأخطاء والتصرفات غير المقبولة، وقد قيل: إن الطفولة مستودع أخطاء، كلما قوّمت الطفل نحو سلوك أفضل، برز لديه سلوك آخر بحاجة إلى تقويم. فالطفل يُولد ويُولد معه الخطأ، مع أنهم يُولدون أبرياء، وهم على الفطرة، لكن الخطأ يبدأ معهم بتدرج الزمن إلى أن تتسع دائرة الالتزامات والمسؤوليات بسن ما بعد البلوغ، ولذلك يخطئ من يقول: إن الإنسان يولد في الخطيئة. لأن الإنسان يُولد على الفطرة، وهي تعني البراءة في أبعادها التربوية والسلوكية، ثم تحدث الأخطاء - وليست الخطايا - في عالم الطفل، وتكاد تُجمع النظريات الدينية وغير الدينية على أن

الأطفال في إطارهم العام لا يُؤاخذون بالأفعال التي تُوصف بالإجرام.

ويعد بعض العلماء أن مرحلة الطفولة من أكثر مراحل الإنسان غموضاً، إذ إن غيرها أوضح منها، حيث يصعب التعامل معها أكثر من غيرها من مراحل الإنسان، فمثلاً الطبيب الذي يعالج الطفل يجد صعوبة أكثر من معالجته للرجل، والأديب الذي يكتب للصغار يحتار أحياناً أكثر من حيرته أثناء كتابته للكبار، والمحاضر الذي يحاضر بالأطفال يجد حرجاً أكثر مما يجده عندما يحاضر بالطلبة الكبار الذين يفهمون منه دون عناء في توصيل المعلومة إليهم.

وطبيعة الطفولة تختلف عن غيرها بخصائص عدة وصفات متنوعة، وبمجموعة استعدادات، فهي مرحلة يكون الإنسان فيها غير مكتمل، وهو ينمو ويرتقي أكثر من نموه وارتقائه في مرحلة الشباب والشيخوخة، كما أنها تختلف عن غيرها بضعفها الواضح المتعدد، فالإنسان فيها ضعيف عقلياً وجسدياً ونفسياً، ولذلك رُوعيت فيها أحكام شرعية مختلفة عن غيرها من مراحل الإنسان.

❖ أهمية الطفولة:

تُعدّ مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان، لأن بقية المراحل الإنسانية مبنية عليها وتعتمد عليها اعتماداً كلياً، لأن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأولى في حياة الإنسان وغيرها من المراحل لاحق بها ومتوقّف عليها، ولذلك تتأثر مراحل الإنسان المتأخرة بمرحلة الطفولة المتقدمة سلباً أو إيجاباً، لأن مسلكيات الطفولة تنعكس على الإنسان في مراحله اللاحقة، ولا شك أن الطفولة الرديئة تعطي واقعاً رديئاً في عالم الطفولة أولاً، وفي عالم المختلطين بالطفولة، وكذا فالطفولة الحسنة تعطي واقعاً حسناً في عالم الأطفال وغيرهم.

والأطفال هم بناة المستقبل وواقع الغد، وهم الموارد البشرية الرئيسة للأمة في أعوامها القادمة، وهم اللبنات الأولى في بناء المجتمعات البشرية والهياكل الاجتماعية، وهم النقطة التي يبدأ منها الإنسان حياته وبالأخص في البناء البشري والإصلاح الاجتماعي، فمثلاً إنجاب الأطفال ربما يكون من دواعي بقاء البيوت والمحافظة على الأسر إزاء ما يعترضها من صراعات واختلافات، حيث دلت الدراسات أن فريقاً من الأزواج يتحملون إساءة بعضهم حفاظاً على الأطفال، فلربما يحفظ الطفل أمه في بيت أبيه، أو يحمي

أحد أبويه من شرور الآخر.

والطفولة من ألصق الأشياء في حياة الإنسان، فالأطفال هم أحب القطاعات البشرية إلى قلوب الناس ونفوس الأمة، والصفحات الطفولية من أكثر الصفحات البشرية امتلاءً بالبِشْر والبراءة والصفاء والنقاء والطهر، فالطفولة متعة النفوس، وأريحية القلوب، وقرة العيون، وطمأنينة الضمائر، وزينة الحياة، قال تعالى: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾**[٩]، وقال تعالى: **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماماً﴾**[١٠]، والأطفال هم الصحائف البيضاء النقية، وهم صحائف الفطرة الصافية الزكية، ولأهمية الطفولة وضرورة المحافظة عليها كان الحب الفطري عند الإنسان تجاه أطفاله، وكان الاهتمام العالمي بالأطفال والطفولة في كل بلد من بلدان العالم، حيث كثرت الاهتمامات والدراسات في عالم الطفولة، وكانت رعاية الطفولة أهم المشاريع البشرية في إصلاح المجتمعات.

والطفولة هي مصدر الإنسانية وأصل المجتمعات، وبدء الحياة الإنسانية، والإنسان بشقيه -الصغير والكبير- هو محور الشرائع والأنظمة والدراسات والأعمال والمشاريع، وهو محل وجود الحياة من حيث هي حياة إنسانية، ولذلك فإن أهمية الطفولة هي أهمية للإنسان ذاته وللمجتمع ذاته، وهي جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية، فالعناية بالطفل عناية للكل كما أن التفريط به تفريط بالكل، وتشكل الطفولة جانباً من جوانب الحياة الإنسانية المتداخلة التي لا يمكن فصلها، فهي قطعة من الحياة، ولا يمكن أن تكون الحياة بدونها.

ونظراً لأهمية الطفولة في تحديد مستقبل الأمة وتحديد هوية الأجيال، فإن الدول الحالية والمنظمات المعاصرة وما يتبعها من أفراد وأنظمة وأجهزة وما قامت به من بحوث وتجارب ودراسات، بدأت تهتم بالطفولة اهتماماً كبيراً، يختلف هذا الاهتمام عن السنوات السابقة، فقد أخذت تقدم للأطفال أكثر بكثير مما كانت تقدمه سابقاً، حيث يظهر هذا الاهتمام العالمي في الحيز الذي تشغله قضايا الطفولة، ونظرة سريعة فيما كتب عن الأطفال، وفيما قُدِّم لهم، وفيما شُرِّع من أجلهم، تعطي الصورة الواضحة للبعد الفعلي الحقيقي القائم عند الدول والمؤسسات.

والطفولة صفحة بيضاء نكتب عليها ما نشاء، واشتهر "العلم في الصغر كالنقش في الحجر" وهي عبارة تشير إلى صفاء مرحلة الطفولة، كما أن الطفولة أرض صالحة لاستنبات ما يريده الإنسان، لأن الطفل كقطعة العجين أو المعجون تُصنع بالطريقة التي يريدها الإنسان، مع صعوبة التصنيع أحياناً، وكثرة الأخطاء من الطفل أحياناً أخرى.

ونظراً لأهمية الطفولة فإن المخاطر الناجمة عن ترك العناية الصحيحة بالطفولة تنبئ بوجود مشاكل شتى في المجتمعات، وقد دلت الإحصائيات والدراسات في كثير من بلدان العالم المتأخرة أن الإهمال بالطفولة أدى إلى انحرافات سلوكية وأوبئة وأمراض وجرائم وانتهاكات ومفاسد وشرور وتشرد وضياع وخراب ودمار، وكان من أسباب ذلك الأطفال الضائعون، والإهمال من القائمين على شؤون الأطفال، فمثلاً سوء التغذية في بعض بلدان الدول العالمية أدى إلى تشوهات خلقية، وانحرافات سلوكية وأمراض جسدية ونفسية، ولذلك فإن أعداء الإسلام من صهيونية واستعمار وغيرهما ركّزوا تركيزاً كبيراً على مرحلة الطفولة فقاموا بإعداد المخططات اللازمة والوسائل المناسبة لتوجيه الأطفال حسب أفكارهم وقيمهم، وقاموا بنشر ثقافتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة للتأثير في مسيرة الأطفال في البلدان العربية والإسلامية.

أما اهتمام الإسلام بالأطفال وعنايته بالطفولة ورعايته لشؤونها، فيتَّضح في هذه الدراسة التي بين أيدينا فهي تُبيّن ذلك الاهتمام العظيم البالغ في رعاية الإسلام للإنسان، قبل أن يكون في بطن أمه إلى أن يخرج من الحياة بدفنه، مروراً بمراحل الطفولة والفتوة والشيخوخة، حيث كثرت النصوص الشرعية المتعلقة بشؤون الأطفال، وقد جعل الإسلام أحكاماً خاصة بالصغار، وقد قام علماء الشريعة بدراسة تلك النصوص والأحكام وفصّلوها تفصيلاً جميلاً في مواطن مختلفة من كتبهم، مع مراعاة أن شؤون الطفولة تحتاج إلى دراسات مستمرة وبحوث متكررة، كما أن حياتهم المتجددة بحاجة إلى رعاية مستمرة ومتكررة.

❖ متى تنتهي مرحلة الطفولة؟

تبين لنا من معنى الطفولة في اللغة ومن أقوال العلماء أن الطفولة تبدأ منذ خروج الإنسان من بطن أمه إلى أن يبلغ،

وهي الحالة التي يكون الإنسان بها طفلاً، وبذلك فإن الإنسان لا يُسمّى طفلاً وهو في بطن أمه، كما لا يُسمّى طفلاً بعد بلوغه.

والإسلام جعل العقل مناط التكليف والبلوغ شرط التكليف، فلا تكليف على المجنون، ولا على غير البالغ، وقد أقام وصفاً ظاهراً منضبطاً يكون مناطاً للتكليف، وهو البلوغ، وهو وقت يستكمل فيه الإنسان -عادة- شرائط العقل وأسبابه.

ولما كان خروج الإنسان من بطن أمه معلوماً، لأنه انتقال من مكان معلوم إلى آخر معلوم، وكان خروج الإنسان من حالة الطفولة إلى غيرها غير معلوم، فقد جعلت علامات لهذا الخروج الثاني الذي تنتهي به مرحلة الطفولة، ولذلك لا بد من بحث علامات البلوغ وبيان آراء العلماء فيها، لتكون الصورة واضحة في تحديد المفهوم الشرعي للطفولة.

❖ معنى البلوغ وعلاماته:

أما البلوغ في اللغة: فهو مصدر الفعل بلغ، وبلغ: وصل وانتهى وقارب، يقال: بلغ المكان: وصل إليه وكذا إذا شارف منه، ومنه قوله تعالى: **﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾**[١١]، أي قاربنه. وبلغ الغلام: أي أدرك. وبلغ الشجر: حان إدراك ثمره. وأدرك الصبي: بلغ الحلم. وحلم الصبي: أدرك وبلغ مبلغ الرجال. فالبلوغ: الوصول[١٢].

وأما البلوغ في الاصطلاح: فهو انتهاء حد الصغر[١٣].

وأما علامات البلوغ فهي[١٤]:

أولاً: الإنزال: ومعناه خروج المني يقظة أو مناماً لجماع أو غيره، ويعبر عن الإنزال أيضاً بالاحتلام عند بعضهم.

قال ابن المنذر: أجمعوا على أن الفرائض والأحكام تجب على المحتلم العاقل[١٥].

وهكذا يتبين لنا أن الطفولة تبدأ بخروج الإنسان من بطن أمه، وتنتهي بالبلوغ الذي قد يكون طبيعياً كالاحتلام والحيض والحمل أو تقديراً بالسن، وهذه المرحلة لها أحوالها وأحكامها، والبلوغ أقرب وصف ظاهر منضبط يترتب به تكليف، وتُبنى عليه التزامات، وهو وصف أنسب بكثير من وصف الجانحين في اعتبار انتهاء الطفولة بانتهاء حاجة الإنسان لأنها غير منضبطة، فقد يستغني

الهوامش:

(١) سورة الإسراء آية رقم٧٠.

(٢) سورة لقمان آية رقم٢٠.

(٣) لسان العرب ٤٠٢/١١، القاموس المحيط ص١٣٢٦، مختار الصحاح ص٣٩٤.

(٤) لسان العرب ٤٠٢/١١.

(٥) لسان العرب ٤٠٢/١١ .

(٦) قوانين الأحكام الشرعية ص٣٣٦ .

(٧) لمزيد من المعلومات انظر في كتاب: تربية الطفل بين الماضي والحاضر: د. فتحية سليمان.

(٨) ريادة الإسلام في تفهم خصوصية عالم الطفل: عيسى الجراجرة ص٤٤.

(٩) سورة الكهف آية رقم٤٦.

(١٠) سورة الفرقان آية رقم٧٤.

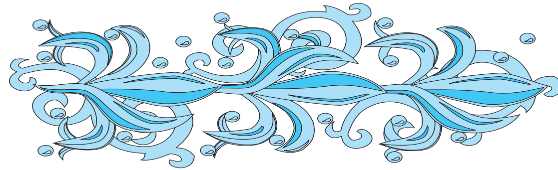
(١١) سورة الطلاق آية رقم٢.

(١٢) مختار الصحاح ص٦٣. لسان العرب مادة بلغ. المعجم الوسيط مادة بلغ وأدرك وحلم.

(١٣) تكملة البحر الرائق ٩٦/٨.

(١٤) تبيين المسالك٥١٧/٣. روضة الطالبين١٧٨/٤. زاد المحتاج ١٨٧/٢، الروض المربع ٢٠٤/٢. كشاف القناع ٤٣٢/٣. المقنع وحاشيته ١٣٩/٢. الكافي ١٩٣/٢. الإنصاف ٣٢٠/٥. فقه السنة ٥٧٥/٣. المجموع ٣٥٩/١٣. المهذب ٣٣٧/١. مغني المحتاج ١٦٦/٢. نهاية المحتاج وحاشية الشبراملسي ٣٤٧/٤. تكملة البحر الرائق ٩٦/٨. جواهر الإكليل ٩٧/٢. الخرشي ٢٩١/٥. حاشية العدوي ٢٩١/٥. مواهب الجليل ٣٨٢/٣. الفقه على المذاهب الأربعة ٣٥٠/٢. حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب ٤٣٣/٢. الأنوار لأعمال الأبرار وحاشية الكمثرى وحاشية الحاج إبراهيم ٤٤٠/١. إعانة الطالبين ٦٩/٣. السراج الوهاج ص٢٢٩. فتح الوهاب٥/١. منهاج الطالبين ص٥٢. حاشية الشرواني وحاشية العبادي على تحفة المحتاج١٦٣/٥. أسنى المطالب وحاشية الرملي٢٠٦/٢. المغني والشرح الكبير ٥١٣/٥. الإختيار٩٥/٢. بدائع الصنائع ٤٤٦/٩. نيل المآرب ٣٩٩/١. نيل الأوطار ٣٧٢/٥. المحلى٨٨/١. تفسير آيات الأحكام ١٨٤/٣. حاشية ابن حمدون ٣٤/١. الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء: محمود الكبيسي ص٣٨.

(١٥) المغني والشرح الكبير ٥١٢/٤. كشاف القناع ٤٣٢/٣ .



القدس في الحركة الثقافية

■ بقلم الدكتور عمر الساريسي

كانت القدس هي الشغل الأكبر لقلوب المسلمين في عصر الحروب الصليبية في القرنين السادس والسابع الهجري، وكانت عنصرا هاما جدا من ألوان النشاط الثقافي النثري الذي صاحب الحركة الجهادية التي أفضت إلى التحرير.

ولقد عاش المسلمون في هذه الأيام الحاسمة من تاريخهم، في تعبئة عسكرية متميزة وروح قتالية عالية، تبدت في أعمال ثقافية مصاحبة بقيت على الدهر.

فلقد احتشد المؤرخون لتدوين الحركة الجهادية للبلاد عامة ولبيت المقدس خاصة، في كتب تاريخية راصدة، وتفرغ غيرهم من الباحثين لإصدار كتب حول الحرب والجهاد واليات القتال والتحريض عليه، وهو ما تفرزه الشعوب عندما يداهمها الخطر الأجنبي، وترسم بذلك صورة اليقظة القصوى للشعوب التي تصمم على البقاء، فيما يمكن أن تسمى بالجغرافية السياسية، وذلك لما لهذه المدينة من قدسية عند الله تعالى، ومكانة في قلوب المسلمين، وإستراتجية في موازين السياسة والحروب.

أ- كتب التاريخ للجهاد والمجاهدين:

١- ومما يذكر في هذا الصدد كتاب ألفه عز الدين بن الأثير، المؤرخ الشهير وصاحب الكامل في التاريخ (٦٣٠هـ) وأداره حول الأسرة الزنكية (عماد الدين زنكي وابنه نور الدين) وجهادهما في تحرير بلاد الشام ومصر، وسماه "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية"[١].

٢- كما يذكر كتاب "مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب"[٢]، لجمال الدين ابن واصل.

٣- وكتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"[٣]، لأبي شامة القدسي.

٤- على أن أهم هذه الكتب في هذا الصدد هي أعمال العماد الكاتب الأصفهاني التي تدور حول بلاد الشام وحول القدس.

٥- وأعمال بهاء الدين بن شداد حول صلاح الدين، وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي[٤]. هو درة أعمال العماد الكاتب (٥١٩-٥٩٧). فلقد قصره على السنوات الست الأخيرة من عمر صلاح الدين (٥٨٣-٥٨٩) وهي تاج هذا العمر ونبراسه. فلقد بدأت من بعد طبرية واشتملت على قصة الانتصار العظيم في حطين والانتصار الأعظم في القدس: خطوة بخطوة، وكان العماد مصاحبا للسلطان في كل أحداث المعركة الحاسمة، وقد عاش كل مراحلها، وينطبق عليه ما نسميه اليوم برئيس قسم الأعلام العسكري، وكفاه فخرا أنه يكاد يكون مخصصا لتحرير صلاح الدين لبيت المقدس.

ونقتطف من هذا الكتاب بعض الصور المعبرة: (.. ثم رحل عن عسقلان للقدس طالبا وبالعزم غالبا.. ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية.. وطار الخبر إلى القدس فطارت قلوب من به رعبا، وتمنت الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت.. فكأن المجانيق مجانين يرامون، وجبال تجذبها حبال، فما زالت تقلع بمقالعها وتقرع بمقارعها، وتصدم وتهدم وتصرع وتصدع.. حتى تركت السور سورا وجعلت الذاب عنه محسورا.. واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته الإسراء والمعراج.. ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب.. وهدم ما قدامه من الأبنية، وتنظيف ما حوله من الأبنية، ورتب السلطان في قبة الصخرة إماما من أحسن القراء تلاوة..) ثم ختم كتابه بذكر وفاة السلطان صلاح

الدين وذكر صفاته ومآثره وأولاده.

٦- ومن أعمال العماد الكاتب أيضا البرق الشامي[٥]، وهو أيضا في التأريخ للوقائع الرئيسية في تحرير القدس وسائر البلاد الشامية من الغزو الصليبي، وهو يبدأ بحوادث عام ٥٦٢هـ، وهو عام قدوم العماد إلى بلاد الشام والتحاقه بالخدمة في ديوان الرسائل الديوانية التابع لولاية السلطان الناصر صلاح الدين، وقد عاش من قبل في أصفهان وبغداد وبلاد فارس، وينتهي كتاب البرق الشامي بأحداث عام ٥٨٩ هـ وهو عام وفاة السلطان.

ومما تتميز به مؤلفات العماد الكاتب هذه بوجه خاص، أنها تسجيل مباشر من واقع الأحداث والوقائع الحربية، كما قام بها أبطالها الحقيقيون، ودونها هؤلاء المرافقون العسكريون الإعلاميون المجاهدون من أمثال العماد والقاضي الفاضل.

٧- ويلتقي مع العماد في هذه الخاصية أيضا، رجل آخر كان يصاحب السلطان صلاح الدين مصاحبة ملاصقة مباشرة في المعارك وغيرها، ونعني به القاضي بهاء الدين بن شداد، الذي ألف كتاب "النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية"[٦]. (السلطان صلاح الدين اسمه يوسف بن أيوب) في السلطان وحبه للجهاد.

ب- كتب الحرب:

ولقد عاش المسلمون في زمن الحروب الصليبية حياة جهادية هيأت مناخا مناسبا لتأليف الكتب في الثقافة الحربية والعسكرية، والحض على الجهاد، وفي وصف أدوات القتال وآلات الحرب. ونذكر فيما يلي، نبذة قصيرة عن كل من هذه الكتب:

١. كتاب "فضائل الجهاد" للقاضي بهاء الدين بن شداد، وقد ألفه للسلطان صلاح الدين. لأن هذا السلطان كان حبه للجهاد-فيما يروي القاضي مؤلف الكتاب- قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيما. ويضيف القاضي: " وأنا ممن جمع له فيه كتابا، جمعت فيه أدبه وكل آية وردت فيه، وكل حديث في فضله وشرحت غريبها، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد"[٧].

٢. كتاب "الاجتهاد في طلب الجهاد" لابن

كثير(٧٧٤هـ)، وفيه ما تيسر من القرآن والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور الإسلامية، وفيه أخبار تاريخية تتصل بفلسطين وبيت المقدس[٨].

٣. "عمدة السالك في سياسة الممالك"، وقد ألفه ابن صابر المنجنيقي في أحوال الحرب والسلاح[٩].

٤. كتاب "الأربعين في الجهاد" وقد ألفه الحافظ ابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)[١٠].

٥. "الفروسية" وقد ألفه ابن القيم إمام المدرسة الجوزية وابن قيمها(٦٩١-٥٧١هـ)، وفيه أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله حول الخيل وركوبها وسائر أنواع الرياضات والفرسان والفروسية، ولعل الغربيين قد نقلوا نظام الفروسية من مسلمي العصور الوسطى[١١].

٦. وكذلك"الفتح القسي في الفتح القدسي" للعماد الكاتب

٧. والنوادر السلطانية للقاضي بهاء الدين بن شداد، وقد تقدم ذكرها.

ج- في الجغرافية السياسية (حول فضائل مدينة القدس):

ولقد كان نصيب بيت المقدس من هذه الحركة الثقافية التي تمثلت في تأليف الكتب كبيرا. وذلك لأنها قصب السبق والهدف الأسمى في ميدان الجهاد طيلة مدة احتلال الصليبيين لها من ٤٩٢-٥٨٣ هـ وهي بذلك مهوى أفئدة المسلمين في بلاد الشام، وهي تأتي في القداسة للمسلمين بعد مكة والمدينة المنورة.

ومن هذه الكتب:

١. "فضائل القدس"، وقد ألفه أبو الفرج الجوزي (٦٥٤هـ) وحققه د. جبرائيل جبور، ونشرته دار الآفاق الحديثة، بيروت ١٩٧٨.

٢. "الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى" - وقد ألفه القاسم بن عسكر - (٦٠٠هـ).

٣. "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام". وقد ألفه شهاب الدين احمد بن محمد المقدسي الشافعي (٧٦٥).

٤. "فضائل بيت المقدس وقبر الخليل عليه السلام وفضائل الشام"، وقد ألفه أبو المعالي المشرف بن المرجي بن إبراهيم المعروف بالمقدسي[١٢].

الهوامش:

١. البداية والنهاية- تاريخ ابن كثير- دار الفكر العربي.

٢. البرق الشامي- العماد الكاتب- تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٧٩.

٣. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية- عز الدين بن الأثير، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣.

٤. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق - محيى الدين عبد الحميد- القاهرة ١٩٥٩.

٥. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية-أبو شامة القدسي- القاهرة، المكتبة الميمنية ١٤٧٨هـ، وطبع لجنة التأليف والترجمة النشر، تحقيق محمد حلمي احمد، القاهرة، ١٩٥٦

٦. الفتح القسي في الفتح القدسي- العماد الكاتب الأصبهاني- تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة.

٧. مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب - جمال الدين بن واصل- تحقيق د. جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية ١٩٥٧.

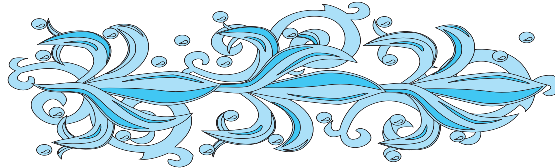
٨. أدب الحروب الصليبية د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.

٩. الأدب في العصر الأيوبي د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧.

١٠. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر د. احمد أحمد بدوي مكتبة نهضة مصر، القاهرة ط١، ١٩٥٤، ط٢، ١٩٦٨.

١١. الحياة الأدبية في القرن الخامس الهجري، د. عبد الجليل عبد المهدي، مكتبة الأقصى- عمان- الأردن، ١٩٧٧.

١٢. نصوص من أدب الحروب الصليبية دراسة وتحليل د. عمر الساريسي، دار المنارة، جدة ١٩٨٥.



٣

نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

فرض الله الزكاة فرضا دينيا على كل غني مسلم، ذكرا كان أو أنثى، بالغا كان أو صبيا، عاقلا كان أو مجنونا، وهي عبادة محضة فلا تقبل عند الله بغير نية، ويقوم ولي الصبي والمجنون مقامهما في النية فينويها عنهما. وكذلك فرض الله أخذ الزكاة فرضا دينيا على الدولة الإسلامية ممثلة في الخليفة أن تأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين وتردها على فقرائهم. ويجب أخذها من مال المرتد لأنه بدخوله في الإسلام التزم تكاليف الإسلام التزاما مؤبدا، ولا تجب على الكافر الأصلي ولا تؤخذ منه.

❖ من أدلة وجوب الزكاة في مال الصبي:

القول بوجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وهو ما نرجحه، وعبرنا هنا بالصبي ولم نعبر باليتيم كما هي عادة الفقهاء، وذلك لأن الصبي قد لا يكون يتيما، فالتعبير بالصبي يشمل الصبي اليتيم والصبي غير اليتيم، فقد يرث الصبي غير اليتيم مالا كبيرا من قريب له غير والديه.

١- قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: ١٠٣. فكلمة **﴿أموالهم﴾** نكرة مضافة فهي من ألفاظ العموم فتستغرق جميع أنواع المال دفعة واحدة. وضمير الجمع **﴿هم﴾** في كلمة **﴿أموالهم﴾** ضمير جمع فيشمل جميع المسلمين، فيدخل فيه الصبي والمجنون،

فتجب الزكاة في جميع أنواع الأموال التي يملكها الصبي والمجنون.

٢- وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) أخرجه البخاري ومسلم.

وكلمة (أغنيائهم) نكرة مضافة فتعم كل أغنياء المسلمين دفعة واحدة فيدخل فيها الصبي والمجنون. وكذلك كلمة (فقرائهم) تعم جميع فقراء المسلمين، فيدخل فيها الصبي الفقير والمجنون الفقير، فكما تجب الزكاة للصبي والمجنون إذا كانا فقيرين يلزم من ذلك أن تجب عليهما إذا كانا غنيين.

٣- وقال رسول الله ﷺ: (ابتغوا في مال اليتيم - أو قال: في أموال اليتامى - لا تذهبها الصدقة) أخرجه الشافعي بإسناد صحيح عن يوسف بن ماهَكَ، ويوسف هذا تابعي، فالحديث مرسل، ولكن الشافعي قبله لأنه عضده عموم النصوص الأخرى، وبما صح عن الصحابة من إيجاب الزكاة في مي مال اليتيم، والإنسان لا يكون يتيما إلا إذا كان صبيا.

موطن الشاهد في الحديث هو قوله ﷺ: (لا تذهبها الصدقة)، والصدقة هنا هي الصدقة المفروضة يعني الزكاة، لأنه يحرم التطوع بالصدقة من مال اليتيم. ووجه الاستشهاد: أن الأمر بالابتغاء في مال اليتيم يعني تنميته خوف ذهابه بالصدقة يدل على أن الصدقة تجب في مال اليتيم، وهو الصبي الذي لم يبلغ.

٤- وقال رسول الله ﷺ: (اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة) أخرجه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: أخبرني شيخي - يقصد الحافظ زين الدين العراقي - إسناده صحيح.

٥- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ابتغوا في أموال اليتامى لا تأكلها الصدقة) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وقال: إسناده صحيح ، وله شواهد عن عمر. والصدقة هنا هي الصدقة المفروضة يعني الزكاة، لأنه يحرم التطوع بالصدقة من مال اليتيم.

٦- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حق مانعي الزكاة: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال).

ووجه الاستدلال أنه لما كانت الزكاة حق المال فتجب في كل مال بلغ النصاب بقطع النظر عن مالكه، فلا ينظر في حال المالك من حيث العقل والبلوغ، وإنما ينظر إليه من حيث هو غني مسلم لا غير.

٧. القول بوجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون هو الوارد عن الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعائشة وجابر بن عبد الله، ولم يرد أن أحدا من الصحابة قال بعدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون إلا ابن عباس وابن مسعود، ولكن الرواية عن ابن عباس ضعيفة لأن في إسنادها ابن لهيعة وهو ضعيف، والرواية عن ابن مسعود ضعيفة أيضا.

٨. إن المجتمع الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين وعهد الصحابة كان مجتمعا كثر فيه الأيتام بسبب كثرة الشهداء ولم يرو بإسناد صحيح عن أحد من الصحابة أنه قال بوجوب الزكاة في مال اليتيم والصبي فيدل ذلك على أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون.

٩. على الرغم من تشديد الله تعالى في حفظ مال اليتيم يعني الصبي غير أنه تعالى لم يشترط في إيجاب الزكاة في مال الغني أن يكون بالغا عاقلا، فيدل عدم الاشتراط على أن مراد الشارع تعالى بقاء النصوص العامة في إيجاب الزكاة على عمومها، فتشمل مال الغني اليتيم كما تشمل مال الغني البالغ، وتشمل مال الغني المجنون كما تشمل مال الغني العاقل.

❖ اعتراضات:

القول بعدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهو مرجوح في نظرنا. **ومن اعتراضات القائلين بذلك على قول المخالفين ما يلي:**

١. إن إيجاب الزكاة في مال الصبي والمجنون يؤدي إلى ذهاب مالهما، لذلك لا تجب الزكاة في مالهما.

الجواب: إن الله أوجب الولاية على الصبي والمجنون في مالهما، ومن أهم وظائف الولي على المجنون أو الصبي أن يحرك مالهما، يعني أن يستثمره، فإن واجب الولي هنا لا يقتصر على حفظ مالهما من التلف، بل لا بد من أن يبذل أقصى وسعه لتحريكه باستثماره. وعلى فرض عدم تنمة الولي لمال الصبي والمجنون فإنه يرتكب بذلك حراما، ولكن لا يلزم من تقصيره في ذلك إسقاط الزكاة عن المال الذي وجبت فيه، فإذا استهلكته صار الصبي والمجنون فقيرين فيصير لهما حق في الزكاة، وتتولاهما الدولة

عملا بقول النبي ﷺ: (أنا ولي بكل مسلم من نفسه، من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي) متفق عليه، ومعنى ضياعا: أولادا ضائعين لقلة مالهم وصغر سنهم.

وكذلك على فرض عدم وجود أدلة نقلية توجب الزكاة في مال المجانين والأغنياء، نقول: المصلحة في حفظ مال المجانين والأيتام بعدم دفع زكاته هي مصلحة خاصة، ومصلحة الفقراء والمساكين وسائر المستحقين للزكاة هي مصلحة عامة، ولا يمكن التوفيق بين هاتين المصلحتين، وعند عدم التوفيق بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فتجب الزكاة في مال المجنون والصبي.

٢. الزكاة عبادة محضة كالصلاة والصيام والعبادات المحضة لا تصح بغير نية، والصبي والمجنون ليسا من أهل النية، فلا تجب الزكاة في مالهما، كما لا تجب الصلاة عليهما.

الجواب: هذا دليل عقلي يعارض دلالة الأدلة النقلية ولا يجوز معارضة الدليل العقلي بالدليل النقلي، فهو مردود. ولما ثبت بالدليل النقلي وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون، دل إيجابها دلالة التزام على أن الولي ينوب عنهما في النية، يعني يقوم مقامهما في النية. ولا يجوز للصبي إذا بلغ والمجنون إذا أفاق أن يطالبا الولي بما أخرجه زكاة من مالهما. ولذلك يندب للولي أن يشهد شاهدين على إخراجه زكاة مال من تحت ولايته.

وكذلك، هذا الاعتراض ضعيف من جهة أن الواجب في الزكاة أخذها دون نظر إلى نية المالك، ولذلك تؤخذ عنوة من الغني الممتنع، فقياسا على ذلك يجب أخذها ممن لا نية له وهو الصبي والمجنون. وهذا بخلاف الصلاة والصوم فإنهما عبادات بدنية، والتعبد فيهما إنما هو باحتمال المشقة البدنية، وذلك لا يجوز التوكيل والإنابة فيهما.

٣ ـ وقد يقال: أُسقطت الصلاة والصوم عنهما فتسقط الزكاة عنهما.

والجواب: الفرض لا يسقط بسقوط فرض آخر، ولا يسقط إلا إذا أسقطه الله أو أسقطه رسوله ﷺ، فلا يلزم من سقوط الصلاة والصوم عنهما سقوط الزكاة عنهما.

٤ ـ إن من حكمة الصدقة تطهير المزكي من الذنوب قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** وليس للمجنون والصبي ذنوب فلا يحتاجا إلى التطهير، فلا تجب الزكاة عليهما.

الجواب: إذا لم يكن الصبي بحاجة إلى التطهير فإن المال محتاج إلى التطهير والتزكية، وليس مال البالغ العاقل بأحوج من مال الصبي والمجنون إلى التطهير والتزكية.

٥ - إن القلم يعني التكليف مرفوع عن الصبي والمجنون، فلا تجب الزكاة عليهما، بدليل قول رسول الله ﷺ: (رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق) أخرجه النسائي بإسناد صحيح، وأخرجه أبو داود مرة بإسناد صحيح ومرة بإسناد حسن، كما ذكر النووي في المجموع.

الجواب: لا خلاف في رفع القلم عن الصبي والمجنون، ولكن في مسألة الزكاة رفع القلم عنهما ووضع على الولي، فهو المكلف بتنمية مالهما وإخراج الزكاة منه.

٦- إن إيجاب الزكاة يتعارض مع مصلحة الصبي والمجنون بحفظ مالهما.

الجواب: هذا دليل عقلي يعارضه دليل عقلي لعله أقوى منه وهو: إن عدم أخذ الزكاة يتعارض مع مصلحة الفقراء والمساكين، ولذلك يتساقط هذان الدليلان العقليان فيجب الرجوع إلى النقل والنقل فيه دلالة قوية على وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون.

❖ حكم الزكاة في مال الكافر:

كلمة (كافر) في الإسلام ليست كلمة شتم، ولكنها وصف لواقع يعبر بها في الإسلام عن واقع الشخص غير المسلم، فهو في حكم الإسلام كافر، كما أن كل من لا يؤمن بالمسيحية فهو في حكم المسيحيين كافر، وكل من لا يؤمن بالتشيع فهو في حكم الشيعة كافر، وكل من لا يؤمن باليهودية فهو في حكم اليهود كافر.

ولا تجب الزكاة على الكافر الأصلي بدليل قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) أخرجه البخاري ومسلم.

والحديث ذكر صنفا واحدا من أهل الزكاة هو فقراء المسلمين ولم يذكر جميع أهل الزكاة وهم ثمانية أصناف، وإنما اقتصر الحديث على فقراء المسلمين، لأن المقصود الأول من الزكاة هو إغناء فقراء

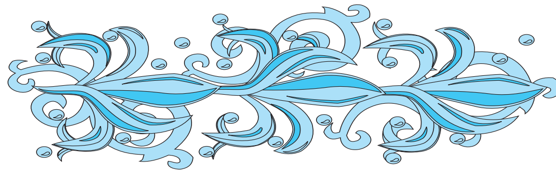
المسلمين، أما فقراء غير المسلمين فإن إغناءهم واجب على دولة الإسلام ولكن من غير مال الزكاة.

دل الحديث على أن الإنسان لا يطالب في الدنيا بشيء من فرائض الإسلام إلا بعد أن يدخل في الإسلام. ودلت نصوص أخرى على أن الكافر إذا أسلم لم يطالب بقضاء شيء من فرائض الإسلام التي فاتته في حال كفره. وكذلك دلت النصوص الشرعية على أن شرط قبول العمل من الإنسان هو دخوله في الإسلام، فلا يقبل من الكافر صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا غير ذلك من الأعمال المفروضة والمندوبة إلا إذا أسلم.

وأما المرتد فحكم تكليفه بالفرائض يختلف عن حكم الكافر الأصلي، فالمرتد لا يسقط عنه شيء من فرائض الإسلام، لأنه بدخوله في الإسلام التزم بامتثال جميع أحكام الإسلام، فإذا ضيع شيئا من فرائض الإسلام في زمن إسلامه قبل أن يرتد أو ضيعه في زمن ردته فيجب عليه قضاؤه إذا تاب من الردة، وأما الزكاة فيجب على الدولة أن تأخذ عنوة منه في زمن ردته ما وجب عليه من الزكاة قبل ردته، وما عليه من الزكاة في زمن ردته، لأن الردة لا تقطع استمرار توجه التكليف إلى المرتد، لأن الإنسان بدخوله في الإسلام يدخل في جميع التكليفات دخولا مؤبدا، ولذلك فإن المرتد يطالب بقضاء كل فرض فاته، سواء فاته في زمن إسلامه قبل ردته أو فاته في زمن ردته، وسواء أتركه ترك كفر أم عمدا دون كفر أم تهاونا وكسلا.

❖ لماذا لم تجب الزكاة على غير المسلم؟

الزكاة عبادة دينية لذلك لم يوجبها الله على غير المسلمين. وكذلك الزكاة حق المال وجبت على أغنياء المسلمين لترد على فقرائهم، لذلك لم يوجبها الله تعالى على أغنياء غير المسلمين، ولم يجز صرفها إلى فقراء غير المسلمين، أما فقراء غير المسلمين فالواجب على دولة



أسباب العنف المجتمعي

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

تحدثنا في أعداد سابقة عن ماهية العنف المجتمعي وعن تزايده، بحيث أصبح يشكل ظاهرة تنوعت في مظاهرها وشملت جميع المجالات والأماكن، وأصبح من الضروري البحث في أسباب هذا العنف.

❖ أسباب العنف المجتمعي:

ليس من الصواب ان نعزو ظهور ظاهرة العنف المجتمعي لسبب واحد أو سببين، ومن المعقول عند البحث في أسباب أي ظاهرة إو حادثة خطيرة، أن نعزوها إلى أسباب عديدة ؛لأن نظرية تعدد الأسباب أقرب إلى الدقة من نظرية السبب الواحد، بالرغم من أن البعض يحاول أحيانا الميل إلى الإرتباط بميوله واتجاهاته واختصاصه.

وفي هذا المجال يقول الأستاذ عمران الزعبي في الملتقى الوطني الذي نظمته وزارة التنمية السياسية يومي التاسع والعاشر من شهر كانون الثاني سنة ٢٠١٠م: إن من أسباب العنف المجتمعي فرضية الإزدحام السكاني، وما يرتبط به من توترات واستفزازات وتنافس بين الأفراد على الموارد المتاحة والإمتيازات،وحق المرور ومواقف السيارات والبسطات العشوائية التي تسلب المواطن حقه في الرصيف، بل وفي الشارع أحيانا،وداخل الأسواق الشعبية،

فرغم أنه افترض سبب الإزدحام السكاني إلا أن هـذا الإزدحام لـه أشكال عديدة جعلت منه تعددا للأسباب، **ومن هنا يمكننا محاولة الحديث عن الأسباب المتعددة لظاهرة العنف المجتمعي فيما يلي:**

أولا: الإبتعاد عن الدين الإسلامي والتخلي عن تعاليمه السمحة؛ فالإسلام دين أُخوة ومودة، ودين تسامح مع جميع البشر، ويدعو إلى حسن التعامل مع جميع الناس وإن اختلفت دياناتهم ومعتقداتهم، ويوصي بالإحسان إلى الجار وعدم إيذائه، ويدعو إلى التعاون المجتمعي والتضامن مع المجتمع، والحفاظ على الوطن ومصالحه، ويوصي بحسن تربية الأبناء والعدل بينهم وملاطفتهم ومداعبتهم، وإدخال الفرح والسرور إلى قلوبهم، ويوصي خيرا بالنساء؛ غير أن الناس في هذه الأيام يتصرفون حسب العادات والقيم الموروثة من العادات الجاهلية، التي دعا الإسلام إلى نبذها والتخلي عنها، ولكنها عادت وظهرت من جديد في عصور الإنحطاط والضعف والجهل والإبتعاد عن تعاليم الإسلام، فصار الرجل يتصرف في البيت على أنه الزعيم الأوحد الذي يجب أن يطاع في كل ما يأمر به دون نقاش أو مشورة من أحد بحكم سيطرة العقلية الذكورية، وأن الرجل هو سيد البيت والشارع والإدارة وكل مكان؛ فيضرب الزوجة والأبناء بدون سبب أو لأتفه الأسباب، دون أن يقف أحد في وجهه أو يحاول ردعه، وانتقلت هذه العادة من الأجداد إلى الأبناء فالأحفاد،وما زالت سائدة حتى يومنا هذا؛ فانتقلت من جيل إلى جيل بحكم الجهل بتعاليم الإسلام التي تدعو إلى الرحمة بالأبناء والرفق بالزوجات.

فقد كان رسول الله ﷺ يلاعب الأطفال ويمازحهم ويمسح على رؤوسهم بيديه الكريمتين، ويقبلهم وينزل من على المنبر وهو يخطب خطبة الجمعة، ليحمل حفيديه الحسن والحسين ثم يعود إلى المنبر ليكمل أو يتابع خطبته، وكان يوصي بالنساء خيرا فيقول :رفقا بالقوارير، وكان يقول: "خياركم خياركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، والأهل هم الزوجة والأبناء، وقال ﷺ: "أعجب من أحدكم يضرب زوجته في

النهار كالدابة وأتيها في الليل يضاجعها " .

ولكن في عصر الإنحطاط والجهل أصبح المجتمع مجتمعا ذكوريا، أصبحت فيه السلطة بيد الرجل بصفة مطلقة، يمارس ما يحلو له، يمارسها كيفما يشاء دونما وازع ديني أو رادع أخلاقي، وعند أتفه الفرص يقوم بارتكاب جريمة العنف الجسدي والمعنوي بحق زوجته التي غالباً ما تلجأ لأهلها، وقد يمتد الخلاف بين الزوجين إلى أهلهما، والأمثلة على هذا النوع أكثر من أن تحصى، ولكن نكتفي بذكر حادثة وقعت قبل بضعة أشهر في مدينة إربد إذ أن مواطنا أردنيا يعيش في جمهورية ألمانيا تزوج بمواطنة أردنية من أهل مدينة إربد والتحقت وأقامت معه في ألمانيا.

ولكن بعد مدة أقدم الزوج على ارتكاب جريمة العنف المجتمعي فقتل زوجته، فامتد الصراع إلى عائلتيهما في إربد، حيث قام أقارب الزوجة بالإعتداء على أقارب الزوج وأحرقوا بيوتهم وأشجارهم، مما اضطر مديرية الأمن العام للتدخل والحجز بين العشيرتين، وحمل أهل الزوج القاتل على أخذ عطوة عشائرية من أهل الزوجة المقتولة.

ثانيا: سيادة العقلية العشائرية: إن سيادة النظام العشائري والقبلي، تلعب دورا في ازدياد وتيرة العنف المجتمعي؛ لأن المجرم أو الجاني يعتمد على دعم عشيرته له، فيسند ظهره إلى هذا الدعم والتأييد العشائري الذي يشاركه حتى في ما يترتب عليه من تكاليف مالية، مما يعمل على تشجيعه على إعادة ارتكاب الجريمة.

والغريب في الأمر أنه بالرغم من أن الحكومة الأردنية قد ألغت سنة ١٩٧٦م التعامل بالقضاء العشائري، فإن الأجهزة الرسمية لا تزال ترعى بشكل أو بآخر تطبيق التقاضي العشائري، فالمحاكم لا تبت في دعوى جنائية أو جزائية إلا بعد إحضار صك صلح عشائري، وحتى أن الحاكم الإداري (المحافظ أو المتصرف) يتدخل لإرغام أهل المجني عليه لإعطاء عطوة عشائرية أو العكس –وإن اقتصرت الآن– على قضايا القتل وهتك العرض.

وأصبح واضحا للعيان أن هناك تغليباً

للثقافة العشائرية والجهوية والإقليمية، على حساب الهوية الوطنية وأصبح الإنتماء للوطن يمر من خلال الإنتماء للعشيرة، ويقول الاستاذ عمران الزعبي في الملتقى الوطني الذي نظمته وزارة التنمية السياسية يومي ٩-١٠ كانون الثاني ٢٠١٠م: إن من أسباب العنف المجتمعي وجود مفاهيم ومدركات مغلوطة للعصبية والقبلية والإقليمية بنسبة ٨٤٪ والواسطة والمحسوبية عند تطبيق الأنظمة والتعليمات بنسبة ٧٤٪ .

ثالثا: غياب تطبيق القانون: ولكن في دستورنا الأردني الكثير من المواد التي استمدت منها القوانين التي تدعو إلى الحرية الشخصية وعدم الإعتداء على الغير سواء كانوا الأبناء أو الزوجة أو الجيران أو المواطنين، فالمشكلة عندنا ليست غياب القوانين وعدم وجودها، وإنما المشكلة في تطبيق هذه القوانين؛ فالأصل أن أي قانون تسنه الحكومة يجب أن يتم تطبيقه على الجميع دون استثناء؛ كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، أعلاهم وأدناهم، لا أن يطبق بشكل إنتقائي، وهذا ما أنكره رسول الله ﷺ: "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الغني تركوه وإذا سرق فيهم الفقير أقاموا عليه الحد، فوالذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

وهذا التعطيل للقوانين وإفلات الجناة من العقاب بسبب عشيرتهم أو جهويتهم أو مناصبهم أو الواسطات، يجعل الفقير يشعر بأنه بعيد عن أخذ حقه عن طريق الحكومة، ويرى القانون يطبق بصفة إنتقائية بحيث لا يطال إلا الفقراء والضعفاء ومن ليس لهم عشيرة تسند ظهورهم، فإن ثقته بالقانون تضعف وولاؤه للحكومة يهتز، ويلح عليه الظلم إلى أن يوقظ فيه عصبية الجاهلية القائمة على استخدام القوة لتحصيل الحق وما هو أكثر من الحق. فشعور المواطن بأن القانون لا يطبق بشكل صحيح على الجميع أدى إلى الإرتداد إلى الأطر التقليدية والعشائرية، كوسيلة رئيسة للحصول على الحقوق أو المكاسب، وهذا ما أدى إلى عدم احترام القانون والجهات الممثلة له.

رابعا: غياب العدالة والمساواة وتكافؤ

الفرص: قال مدير وكالة الأنباء الأردنية "بترا" السيد رمضان الرواشدة في الندوة التي عقدتها الوكالة حول العنف المجتمعي: إن من ابرز أسباب بروز ظاهرة العنف المجتمعي، الشعور بعدم العدالة والمساواة الإجتماعية. مبينا أن هناك شعورا متناميا لدى نسبة كبيرة من فئات المجتمع بضعف العدالة أو غيابها في إدارة الشأن العام، وخصوصا في مجال إجراء المعاملات والتوظيف والقبول في الجامعات وغيرها، وفي هذا المجال حدث ولا حرج، فهناك إحساس عام لدى الأغلبية الساحقة من المواطنين بعدم تكافؤ الفرص، وأن هناك تمييزا وانحيازا واضحين في التوظيف وخاصة في التعيين للمناصب القيادية.

خامسا: ضعف الثقة بين مكونات المجتمع وضعف الروابط الإجتماعية: فليس هناك ثقة بين كبار القوم وعامة الناس.

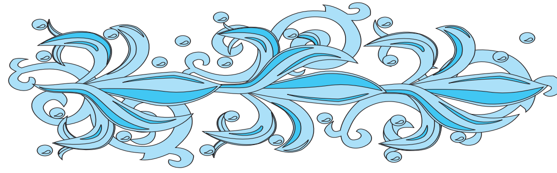
سادسا: الفقر والبطالة واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء.

سابعا: دور وسائل الإعلام وخاصة التلفاز والفضائيات والإنترنت: فهذه الوسائل تلعب دورا خطيرا في تفشي الإنحلال الخلقي وانتشار الجرائم بمختلف أنواعها؛ سواء من قتل أو سطو أو اغتصاب، غير أنها تبث أفلاما ومسلسلات وفيديوهات لأعمال الجنس الهابطة والساقطة التي لا تتفق ولأعراف انسانية ولا العادات والتقاليد العربية الإسلامية العليا، فتعمل على الإختلاط بين الجنسين بطريقة بذيئة، وتوضح تنفيذ عمليات السطو على المنازل والمؤسسات العامة سواء بالصعود من المناطق الخلفية للبناء أو برش بخاخ مخدر على وجه الضحية، واختطاف الرهائن من الأطفال والنساء، وعمليات القتل، مما يجعل فئة الشباب تحاول تقليد هذه الأحداث المصورة وارتكاب جرائم العنف، وكذلك تعمل على تضخيم بعض الحوادث وتسهب في الحديث عن حادثة ما وتشرح تفاصيلها فتثير الأحاسيس وتشعل نار الفتنة عند الأهل المجني عليهم، فيدفعونهم للأخذ بالثأر وارتكاب جريمة أخرى، وتنبه فئة الشباب وخاصة المنحرفين منهم إلى مثل هذه الأحداث

فيقومون بتقليدها وارتكاب اعمال العنف المشابهة لها.

ثامنا: غياب دور البيت والمدرسة والمؤسسات العامة: فالبيت هو المدرسة الأولى التي ينهل منها الأبناء العلوم الإجتماعية والأخلاق الحميدة، والأب هو المعلم الأول وهو النموذج المثال الذي يقلده أبناؤه في كل حركة يتحركها وكل عمل يقوم به، وقد كان الأب يهتم كثيرا بتربية أبنائه على جميل الأخلاق وحسن التعامل مع المجتمع والتسامح والتعاون، وكان يحرص على تربية أبنائه تربة صالحة، ويساعد المعلم على تربيتهم، والآن لا يجد الأب لحظة للجلوس مع أبنائه وتعليمهم دروس الحياة الإجتماعية، فلا يعلمهم الصدق والإنتماء للوطن والمجتمع ولا يراقبهم في تصرفاتهم مع أصحابهم الذين لا يعرف عنهم شيئا.

فغالبا ما ينحرف هؤلاء الأبناء ويقترفوا جرائم السرقة والإنحلال، فغاب دور المعلم وبالتالي دور المدرسة في التربية، وأصبح المعلم مغلوبا على أمره، ولم يعد هناك دور تربوي للمدرسة، وفقد المعلم مكانته المرموقة في المجتمع، وليس هناك أي دور تربوي واخلاقي لأي من المؤسسات الوطنية كالجمعيات والنوادي، بل إنها كثيرا ما تكون سببا لأعمال العنف المجتمعي، والمسجد وهو مركز الإشعاع



الابتلاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة

■ بقلم الاستاذة مجد اسعد

يخبر الله تبارك وتعالى أن الابتلاء، سنة لمن دخل في طريق الإيمان :﴿أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾، ثم يعرض القرآن أمام هؤلاء نموذجاً حيًّا من حياة السابقين الماضين، ليجعل هذه القضية شاخصة أمام أعينهم، وأن الابتلاء ليس أمراً خاصًّا بهم، قال تبارك وتعالى: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾، إذاً فالفتنة على طريق الإيمان ليست قضية خاصة بهؤلاء المخاطبين بهذا القرآن، وليست قضية خاصة بهذه الأمة، إنما هي سنة ماضية.

إن حمل هذا الدين والقيام بأمانة تبليغه للبشرية أجمع، لأولئك الذين تسمّوا به وقصروا في الالتزام به والوفاء بحقه، أو أولئك الذين لم يدخلوا في هذا الدين بعد، إن حمل هذا الدين والقيام بأعبائه أمر صعب شاق على النفوس، وإن القيام بهذا الجهد لا يمكن أبداً أن يكافئه أي جهد في هذه الدنيا.

من هنا كان هذا الدين يحتاج في حمله إلى نفوس أبيّة، إلى نفوس جادة، يحتاج الحاملون لهذا الدين، والقائمون به إلى مزيد من رفع الهمة، وإلى مزيد من الجدية حتى يكونوا مؤهلين للقيام بهذا الدين ولتحمّل أعباء نشره ومواجهة ما يواجههم

في هذا الطريق، ولا شك أن هذا القرآن وهو يربي هذه الأمة، يربيها على تقوى الله عز وجل وتوحيده وعبادته، ويربيها على الخلق والسلوك، ويربيها على حمل أعباء هذا الدين والقيام بهذه الأمانة التي ائتمن الله عز وجل هذه الأمة عليها، وفي القرآن الكريم حديث عن سنة لا تتخلف في قيام هذه الدعوات وانتصارها، يقول تبارك وتعالى: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾.

أتظنون أنكم تدخلون الجنة؟ أتظنون أن دعواكم تصدق بالإيمان والقيام بهذا الدين ولمّا يصيبكم ما أصاب من كان قبلكم؟ لقد مستهم البأساء والضراء حتى يتساءل الرسول ﷺ؟ وهو أعلم الناس بوعد الله، وحتى يتساءل المؤمنون معه ﴿ **متى نصر الله**﴾؟ وهو سؤال يحمل في طياته عظم ما كان يعانيه هؤلاء العظماء رضي الله عنهم من البلاء والمضايقة.

لا شك أن هذا القرآن الكريم يخاطب القلوب البشرية ويخاطب الناس بكافة وسائل الخطاب وأساليبه، وليس أعظم أثراً لدى الناس من النماذج الحية التي تُعرض أمامهم؛ فالحديث النظري يحفز الكثير من الناس، لكن الصورة الحية التي يرونها بأعينهم، أو يقرؤون عنها فتتخيلها أذهانهم وكأنهم يرونها رأي العين، وأن هذه الصورة تترك أعظم الأثر لدى الناس.

ففي القرآن الكريم نماذج من أخبار أتباع الأنبياء عليهم السلام الذين ساروا على طريقهم، واحتملوا في سبيل هذا الدين المشاق والمكاره، كقصة أهل الكهف الذين اختاروا أن يعيشوا في كهف خشن بعيد عن الناس، وأصحاب الأخدود الذين اختاروا أن يقذفوا في نار الدنيا، وكان هذا أحب إليهم من أن يعودوا إلى الكفر بعد أن أنقذهم الله منه؛ فكانوا أهلاً لأن يذوقوا حلاوة الإيمان ولذة الإيمان كما أخبر النبي ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يُكره أن يقذف في النار".

إن هذه النماذج وحدها كافية في دفع أصحاب الهمم الضعيفة، وفي دفع

الكسالى إلى أن يدفعوا عنهم الكسل والخمول، وأن يأخذوا بالجد والعزيمة في الدعوة لدين الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الخير في دنيا الناس، لكن القرآن العظيم يعرض أمام المسلمين نموذجاً آخر: ذلكم هو النموذج المنحرف، النموذج الضال، لقد كان المسلمون ربما يشعرون بنوع من اليأس والألم ويصيبهم الإحباط وهم يواجهون أعداء الله عز وجل، فيثير فيهم القرآن الكريم النظر إلى جانب آخر ربما كان له دور عظيم في إحياء نفوسهم، يقول الله عز وجل: **﴿ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾**.

لا يصيبكم الوهن ولا الضعف وأنتم تبتغون القوم في الجهاد والدعوة، وأن تبذلوا ما تبذلون، فإن كنتم تألمون وتدفعون الثمن فأولئك يألمون كما تألمون، إن كان يسقط منكم شهداء فأولئك يسقط منهم قتلى، وإن كنتم تبذلون الوقت والجهد فأولئك يبذلون كما تبذلون.

ويقول سبحانه في آية أخرى: **﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾**.

وفي سنة النبي ﷺ نرى نماذج من ذلك، فقد جاء إليه أحد أصحابه وهو خباب - رضي الله عنهم - يشتكي إليه ما أصابه من المشركين وقال له: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فغضب ﷺ لأنه قرأ في حديث خباب الاستعجال واستبطاء وعد الله عز وجل؛ فقعد ﷺ وقال: "لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشق باثنين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون". إنها سنة الماضين من قبلكم، ويمضي خباب رضي الله عنه وقد سمع هذا التثبيت والتوجيه من النبي ﷺ، يمضي بنفس صادقة جادة وعزيمة أبيّة يستمد من هذه النماذج التي عرضها له ﷺ روحاً تدفعه إلى مزيد من الصبر على الابتلاء والصبر على الأذى والمضايقة، وتدفعه إلى الشعور بالأمل والاستبشار وإلى أن يطرح اليأس عنه جانباً، وأن يعلم أنه إن

يصيبه ما أصابه فقد أصاب السابقين قبله ما هو فوق ذلك بكثير.

ويبين ﷺ أيضاً نموذجاً آخر فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني انظر رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء آذاه قومه وهو يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

وقد أخبر الله عز وجل عن بعض أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، أنهم كانوا يُقتلون بغير حق؛ فحكى القرآن العزيز كثيراً عن بني إسرائيل، أنهم يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

فسنة هذه الأمة هي سنة الأولين السابقين سيصيبهم ما أصابهم، وما تلبث هذه النماذج حيث تعرض على المؤمنين الصادقين الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ويتدبرون معانيه، ما تلبث هذه النماذج أن تعيد الأمل في تلك النفوس التي ربما أصابها ما أصابها من اليأس والقنوط، ما تلبث هذه النماذج أن تعيد الحماس وأن ترفع الهمة لتلك النفوس التي ربما أصابها الضعف والفتور والقنوط.

إذن فالقضية ليست حكراً على المؤمنين، ولا على الذين يحملون الدعوة الصادقة، إنما هي سنة الله عز وجل في كل من يريد أن يحمل مبدأ يدافع عنه ويضحي في سبيله، فهو ثمن لا بد أن يدفعه كل من يريد أن ينشر مبدأً سواءً أكان حقّاً أم باطلاً، هو ثمن لا بد أن يدفعه كل من يريد أن يدعو إلى عقيدة سواءً أكانت عقيدة صحيحة أم كانت عقيدة ضالة، لا شك أن الذي يريد هذا المطلب النفيس الغالي لا بد أن يدفع الثمن، ومن ثَمّ كان المؤمنون الصادقون الداعون إلى الله عز وجل وهم ينشرون دعوة الحق والتي لا حَقّ سواها، وهم ينشرون هذا المبدأ الصادق والذي تهون دونه سائر المبادئ، كان هؤلاء بحاجة إلى عرض هذا النموذج، فلئن كان طريقكم شاقاً فطريق الآخرين كذلك، وأنتم تزيدون عليهم أنكم أصحاب هدف سام ونية صادقة **﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾** أنتم تشعرون أن كل ما تبذلونه ستلقون جزاءه عند الله عز وجل يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، أما هؤلاء فهم والعياذ بالله حطب جهنم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

قطوف دانية

بقلم الطالب زيد احمد

قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾.

البقرة: ٢١-٢٢

ما النجاة

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال ﷺ:

«أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك».

موعظة

قال عمر بن عبد العزيز:

«خصلتان لا تعدمانك من الجاهل: كثرة الالتفات وسرعة الجواب».

لعن في الخمر عشرة

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

لعن في الخمر عشرة: العاصر لها والمعصورة له، وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وتاجرها ومتجرها وبائعها ومشتريها، وشاتلها - يعني غارسها.

طول الأمل

قال احمد بن ابراهيم الدورتي: حضرت الصلاة فقال معروف الكرخي لأبي ثوبة: صلِّ بنا، فقال: ان صليت بكم هذه الصلاة لا أصلي بكم الثانية، نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل.

التوجه الى الله

قال طاووس لعطاء: يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه، ولكن انزلها بمن بابه مفتوح لك الى يوم القيامة، أمرك تدعوه وضمن لك ان يستجيب لك.

حقيقة

قال وهب بن منبه: الايمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه.

اعبد الله فإنه يثبتك

ذكر ان رجلاً جاء الى شفيق الزاهد رحمه الله، فقال له: اوصني، فقال له شفيق: احفظ ثلاثة اشياء: اعبد الله فإنه يثبتك، وحارب عدو الله فإنه ينصرك، وصدقه بالوعد فإنه يأتي به اليك.

دواء القلب خمسة

قال عبد الله الانطاكي رضي الله عنه:

دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وإخلاء البطن من الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

تحقيق مخطوطات التراث الاسلامي والتأليف فيه وحاجتنا الماسة لتنسيق هذه الأعمال

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

ان من حق المسلمين (والأمة العربية خاصة) ان يفخروا بين الأمم بأمور كثيرة، يأتي في مقدمتها ان الله سبحانه وتعالى قد خصهم بالرسالة المحمدية، التي جعلها خاتمة رسالات السماء، وهو أمر تنفرد فيه بين الأمم، والى جانب ذلك، فمن حقها ان تفخر ايضاً بالانجازات التي سجلتها في مختلف العلوم والآداب، والتي تمت على أيدي العلماء والأدباء الذين أناروا طريق الانسانية لقرون عديدة.

وان المسلمين قد اودعوا نتاج أفكارهم وقرائحهم في كتب قيمة، وموسوعات ضخمة، سلم قسط غير قليل منها من الضياع والاتلاف، رغم عوادي الزمان وقسوة الظروف، وقد تمثل ذلك في التراث المخطوط الموزع في مختلف أنحاء العالم، وهو تراث ضخم يقدره البعض بثلاثة ملايين مخطوطة[١]، تتناول كل ما عرفه الانسان في الماضي من علوم وآداب وفنون، وهي بحق مفخرة من مفاخر هذه الأمة التي قل نظيرها بين أمم العالم.

ولا حاجة بي الى القول بأن أمة بهذا الغنى الفكري والأدبي، من حقها ان تتبوأ المكانة السامية التي تستحقها، بل هي - ولا شك- موضع حسد لدى كثير من أمم العالم، ولا سيما الأمم التي لم يكن لها في

التاريخ نصيب، وبالتالي ليس لديها ما يذكرها بالماضي ويشدها اليه، ولذلك دأبت الأمم على جمع تراثها وحفظه وصيانته، باعتباره اللبنة الأولى في بناء صرح نهضتها الجديدة، وهذا ما فعلته الأمم الأوروبية في بدايات نهضتها الحديثة التي بدأت جذورها بحركة إحياء التراث (الكلاسيكي) القائم على مخلفات اليونان والرومان، وبعثها الى عالم الوجود، لتكون الأساس الذي شيدت عليه النهضة الأوروبية الحديثة.

وهكذا فإن الترابط بين نهضة الأمة وبعث تراثها ترابط وثيق، ولا ريب ان العرب والمسلمين عامة لا يختلفون عن غيرهم في هذا المضمار، بل هم أشد ارتباطاً بتراثهم، إذ هو مصدر غناهم، وهو الطابع الذي يمنحهم شخصيتهم المتميزة، ومن هنا جاءت أهمية التراث بالنسبة لنا، ومن هنا نشأت الضرورة لجمعه وصيانته ونشره.

ولقد أدرك الدكتور صلاح الدين المنجد (المدير السابق لمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية)، أدرك هذه الحقيقة، وأكد على ضرورة بذل العناية اللازمة لمعرفة ما يحقق وما يطبع من مخطوطات التراث، والإحاطة بما لا يزال منها مخطوطاً، تيسيراً على العلماء والباحثين، وقد دعا الى ضرورة الابتعاد في دراستنا حول ماضينا، عن السطحية ولزوم الاعتماد على المصادر الأولى(٢).

أما الآن فندخل الى صلب الموضوع من خلال الفقرات الآتية:

❖ أولاً تحقيق التراث ونشره:

لا شك ان كثيراً من المؤسسات الثقافية دأبت منذ زمن بالعمل على جمع التراث وحفظه وصيانته وفهرسته، وتأتي في مقدمتها دور الكتب الوطنية والجامعات والمجامع العلمية وكثير من المؤسسات الثقافية والأفراد، ولكن ينبغي علينا مضاعفة الجهود لإنجاز تلك العمليات، للحيلولة دون تعرض المخططات للتلف والضياع اذا بقيت مبعثرة في أيدي من لا يقدر قيمتها ويعرف حقها، أو تضطره الحاجة لبيعها بثمن بخس، وفي مثل هذه الظروف، تهرب الى خارج العالم الاسلامي.

انني لست بصدد معالجة هذا الموضوع، ولكنني اريد التركيز على اعمال التحقيق، بالنظر لما لاحظته من فوضى

اتسمت بها هذه الأعمال، مما أدى لبعثرة الجهود والاسراف بالأموال، وعلى أي حال فإن التراث مهما كان غنياً، فإنه يبقى عديم الفائدة اذا ما ظل قابعاً في الخزائن، حتى ولو بلغت به العناية اعلى الدرجات، واقصى ما يمكن الانتفاع به – في هذه الحالة– هو ان يرجع اليه بعض الافراد ممن عرفوا اماكن وجوده، وتمكنوا من الوصول اليه، ولديهم الصبر والقدرة على قراءة الخطوط القديمة وما يعتريها من نواقص وشوائب، تجعل قراءتها أشبه بفك الطلاسم! لذا نشأت الحاجة الى التحقيق لإزالة تلك الشوائب، ولجعل قراءتها ميسورة وسهلة.

لكن التحقيق بحد ذاته غير كاف، اذ لا بد من وصول الكتب المحققة الى أيدي القراء، وهنا يأتي الدور الذي تلعبه دور النشر، ولذلك فإن التحقيق والنشر توأمان يكمل أحدهما الآخر، والحق ان عملية التحقيق والنشر (وخاصة في البلاد العربية) قائمة بنشاط لا يستهان به، سواء من جانب المؤسسات الحكومية والجامعات، أو دور النشر والافراد، الا ان من المؤسف حقاً ان اعمال التحقيق لا زالت يعوزها التنظيم والتنسيق، ولا زلنا نرى كتاباً واحداً يحقق من قبل شخصين أو أكثر، دون ان يدري أحدهم بما يفعله الآخرون، مما يؤدي الى نشوء التحقيقات المنصبة على كتاب واحد في أوقات متقاربة، ومثال ذلك كتاب «المغرب في حُلي المغرب» لابن سعيد الأندلسي، الذي تم تحقيقه في عام ١٩٥٥م، في كل من مصر والسودان، أو كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن» لابن ناقيا البغدادي، الذي حُقق في سنة ١٩٦٨م، في كل من العراق والكويت في وقت واحد، وهناك كتاب «المحن» لأبي العرب التميمي، الذي حققه الدكتور يحيى الجبوري من العراق، ونشر في بيروت سنة ١٩٨٣م، والى جانبه تحقيق الكتاب نفسه من قبل الدكتور عمر العقيلي من السعودية، ونشر في الرياض سنة ١٩٨٤م!!.

والحق انه لمن المؤسف ان يتكرر هذا الأمر فيحظى كتاب واحد بالتحقيق أكثر من مرة، وتبقى مئات الألوف من المخطوطات العربية مكدسة في الخزائن دون ان يمسها إنسان! وكم كان حرياً ان نوجد الوسيلة التي من شأنها ان تجنبنا تكرار هذه الظاهرة المؤسفة التي صرنا نلمسها باستمرار، ولئلا يظن القارئ الكريم انني أبالغ في وصف هذه الظاهرة الخطيرة، فإنني سأنقل اليه بعض ما ورد

يصدرها معهد المخطوطات العربية، وذلك في العددين ١٨ و ١٩، الصادرين في أواسط عام ١٩٨٥م، وفيهما من أمثلة صارخة على الفوضى في هذا المجال.

وفيما يلي نماذج مما ورد في النشرة سالفة الذكر:

١- نشر الدكتور محمد رضوان الداية «ديوان يحيى بن حكم الغزال» في دمشق سنة ١٩٨٢م، في حين ان الدكتور حكمت الألوسي من العراق، سبقه بنشر هذا الديوان في بغداد عام ١٩٧١م، واعقبه محمد صالح البنداق في نشره عام ١٩٧٩م في بيروت.

٢- قام محمد عبد الجليل من المغرب، بتحقيق كتاب «محاسن المجالس» لابن العريف الذي سبق ان حققه المستشرق الاسباني «بلاسيوس» ونشره في سنة ١٩٧٥م، وتبعه نهاد الخياط بمثل ذلك في سنة ١٩٨٠م كما ان المستشرق «وليم إيليوت» نشره مع ترجمة انجليزية بالتعاون مع العراقي الدكتور عدنان خالد في السنة نفسها.

٣- قام الاستاذ محمد بن ناصر العجمي، بتحقيق كتاب «الأوائل» للحافظ ابن ابي عاصم في حين ان هذا الكتاب قد حققه الدكتور عبد الله الجبوري من العراق، ونشره المكتب الاسلامي في بيروت وقد علقت على ذلك «نشرة أخبار التراث» آنفة الذكر بقولها ان تحقيق الدكتور الجبوري يتسم بالامتياز، وأنه على مستوى عال، وهكذا فالكتاب غير محتاج الى إعادة التحقيق[٣] وزادت قائلة: ان الاستاذ العجمي قد نشر عدداً من الكتب التي سبق وحُققت تحقيقاً علمياً جيداً، ونُشرت قبل نشره بسنوات، وقد أشرنا الى ذلك في أكثر من عدد من نشرة «أخبار التراث»[٤].

٤- قام الاستاذ محيى الدين مستو، بالمدينة المنورة بتحقيق كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي، علماً بأن الكتاب سبق تحقيقه ونشره في القاهرة سنة ١٩٨٣، وقد علقت عليه نشرة «اخبار التراث» قائلة بأن هذا الكتب قد صدر في أكثر من طبعة في دمشق وبيروت[٥].

كما ان الاستاذ محيى الدين نفسه يعمل على تحقيق كتاب «الأنوار» للنووي نفسه، غير أن هذا الكتاب سبق وحققه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ونشر في

بيروت عام ١٩٧١م، كما ان هذا الكتاب سبق ونشر في مصر عدة مرات.

٥- قام الدكتور محمد حسن من باكستان، بتحقيق كتاب «العباب الزاخر» للحسن الصاغاني، وكان المجمع العلمي العراقي قد قام بنشر هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٦- تولى الدكتور صبيح التميمي وكامل شهوان من العراق، بتحقيق كتاب «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي، في حين عمل الدكتور علي المنصور في العراق ايضاً على تحقيقه، بل وإن طالبة في جامعة دمشق حققته كجزء من رسالة الماجستير.

٧- حقق الدكتور علي المنصور من العراق كتاب «العضديات» لأبي علي الفارسي، بينما كان تحقيق هذا الكتاب جزءاً من رسالة ماجستير قدمها أحد الطلاب لجامعة دمشق.

٨- قام الدكتور يحيى الجبوري من العراق، بتحقيق كتاب «الفاضل في أدب الكامل» بينما سبقه الى ذلك يوسف مسكوني من العراق ايضاً، اذ حقق الكتاب نفسه ونشره في بغداد سنة ١٩٧٢م.

٩- قام الدكتور علي زوين من العراق بتحقيق كتاب «الفرق بين الحروف الخمسة» لابن السيد البطلوسي، بينما سبق ونشر الكتاب مرتين، الاولى في القاهرة سنة ١٩٨٢، بتحقيق حمزة النشرتي، والثانية في دمشق ونشر سنة ١٩٨٤م، بتحقيق عبد الله الناصر.

١٠- قامت الاستاذة كلستان محمد سعيد في جامعة غرناطة بتحقيق «الجمانة الكبرى» لأبي القاسم الزياتي، كجزء من رسالة الدكتوراه، في حين سبقها الى ذلك عبد الكريم الفيلالي ونشره بالرباط سنة ١٩٧٦ .

١١- تصدت الدكتورة دورثيا كرافولسكي من ألمانيا بتحقيق القسم الجغرافي من كتاب «مسالك الابصار» لابن فضل الله العمري ونشرته، في حين قامت دار الكتب المصرية بذلك ايضاً.

١٢- قام عادل الشيخ حسين من العراق بتحقيق كتاب «الملاحة في علم الفلاحة» لعبد الغني النابلسي، بينما سبق صدور الكتاب في أكثر من طبعة، ومنها طبعة بيروت(٦).

١٣- صدر عن المركز الحضاري بالكويت كتاب «المطالب العالية» للرازي بتحقيق

الدكتور أحمد السقا، في حين سبق تحقيق هذا الكتاب كجزء من رسالة الدكتور أحمد الشريف في جامعة الازهر سنة ١٩٧٣ .

١٤- قام الدكتور رضوان السيد من لبنان، بتحقيق «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور، وطبع في ١٥ مجلداً، في حين ان احدى دور النشر في دمشق قد أصدرته بأجزائه كلها.

١٥- صدر في المدينة المنورة سنة ١٩٨٤م، كتاب «الكنى والأسماء» للإمام مسلم بتحقيق الدكتور عبد الرحيم القشيري، بينما صدر الكتاب نفسه وفي السنة نفسها، في دمشق بتحقيق مطاع الطرابيشي.

١٦- قام الدكتور حسين خربوش من الاردن بتحقيق «قلائد العقيان» لابن خاقان، في حين انه سبق تحقيقه من قبل الاستاذ محمد العناني ونشر في تونس سنة ١٩٦٦ .

١٧- صدر في بيروت سنة ١٩٨٥م، كتاب «أيها الولد» للإمام الغزالي، بتحقيق الشيخ علي محيى الدين القره داغي، في حين سبق صدوره في بغداد سنة ١٩١٤م، بتحقيق جميل ابراهيم حبيب.

١٨- حقق في القاهرة سنة ١٩٤٨م، كتاب «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، والى جانبه نشرت في القاهرة نسخة أخرى منه بتحقيق محمد بدر «غير مؤرخة».

١٩- قام المستشرق «دي غوييه» بتحقيق كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري سنة ١٨٦٦م، ثم حققه رضوان محمد رمضان سنة ١٩٣٢، في مصر، وبعد ذلك حققه في القاهرة ايضاً، صلاح الدين المنجد، ونشره في الفترة ١٩٥٦-١٩٦٠م.

٢٠- حقق أحمد شاكر كتاب «الجامع الصحيح» للترمذي ونشره في القاهرة سنة ١٩٣٧م، في حين قد سبق نشر هذا الكتاب في بولاق سنة ١٢٩٢هـ، اي في عام ١٨٨٠م.

٢١- طبع كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي في استانبول سنة ١٩١٤م ثم حققه محمد عبد الحميد ونشره في مصر سنة ١٩٤٧م.

٢٢- حقق المستشرق «رايت» كتاب «رحلة ابن جبير» وطبعه في لايدن سنة ١٨٥٢م، ثم صدر الكتاب بتحقيق حسين نصار في القاهرة سنة ١٩٥٥م.

٢٣- نشرت المطبعة العلمية في القاهرة سنة ١٣١٣هـ «ديوان جرير» ثم نشر الديوان في القاهرة ايضاً بتحقيق محمد طه سنة ١٩٦٩م، اي في سنة ١٣٨٩هـ.

٢٤- نشر كتاب «الصحاح» لاسماعيل بن حماد الجوهري، في القاهرة سنة ١٢٧٢هـ ونشره مرة أخرة في سنة ١٣١١هـ وطبع في مصر ايضاً.

٢٥- كان كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم قد نشر سنة ١٣٢١هـ، دون ذكر مكان النشر، ثم طبع في مصر سنة ١٣٤٧هـ.

٢٦- طبع «مسند احمد بن حنبل» في بولاق سنة ١٣١٣هـ ثم نشر في القاهرة سنة ١٩٥٤م، بتحقيق أحمد شاكر، اي في سنة ١٣٧٤هـ.

ولكن هذه مجرد نماذج اردت ان ابرهن من خلالها على مدى ما تعرضت له عملية التحقيق والنشر من فوضى، حتى أصبح الكتاب يُحقق وينشر في بلد واحد مرتين، دون ان يعلم احد المحققين بما يفعله الآخر، وما سبب ذلك الا غياب التنسيق والتنظيم.

وقد تشكى قبلي الدكتور صلاح الدين المنجد[٧]، كما ان الدكتور اكرم ضياء العمري له شكوى مماثلة ودعوة الى ضرورة تنسيق الطاقة في هذا المجال، مما ابداه في كتابه «التراث والمعاصرة»[٨]، اذ تشكى من إهمال تسجيل الانتاج الفكري المطبوع، سواء أكان مما ألف الأجداد ام المعاصرون.

وعلى الرغم من إصدار مجلس جامعة الدول العربية قراراً قبل أكثر من (٣٠) عاماً، بإنشاء مركز لتسجيل المطبوعات في البلاد العربية، فإن هذا المركز لم يحقق المطلوب، وانني من جانب أقرر الجهود التي بذلت في إعداد «معجم سركيس للمطبوعات العربية» لكنه جهد فردي مضت عليه عشرات السنين، ومثله كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» للمستشرق الأمريكي «فان دايك».

كما أقدر جهود «معهد المخطوطات العربية» سالف الذكر، وجهود وزارة التربية ووزارة الارشاد في مصر، في تسجيل المطبوعات الصادرة في مصر، ومن بينها تحقيق المخطوطات، ولكن ذلك على أهميته فإنه قاصر على مصر، ولا يصل في أغلب الأحيان الى أيدي الباحثين[٩].

أما مخطوطات الكتب الاسلامية، فتنتشر في كثير من البلاد الاجنبية،

ولذلك فإن معرفتها اكثر صعوبة من تلك التي تنتشر في البلاد العربية والاسلامية، والحصول على كشوف من منشوراتها عسير، ثم كونها مكتوبة بلغات اجنبية، ليست مألوفة «في كثير من الحالات» لدى اكثر الباحثين في تراثنا، مما يحول دون الاستفادة منها.

وأما بالنسبة لتكرر نشر المخطوطة الواحدة اكثر من مرة، فإن حل هذه المشكلة في منتهى السهولة، اذا ما التزمنا بتقليد سهل جداً، وهو ألا يقوم المحققون بأعمال التحقيق قبل الاستفسار من «معهد المخطوطات العربية» وهو من مؤسسات جامعة الدول العربية التي تمثل جميع الاقطار العربية، عما اذا كان احد يتولى تحقيق المخطوط المزمع تحقيقه، مع العلم ان نجاح هذا المعهد في هذا الصدد يتوقف على مدى ما يلقى من تعاون صادق من جانب جمهور المحققين، بالابلاغ سريعاً عن عزمهم تحقيق مخطوط ما، ليتولى نشر النبأ في النشرة ذات العلاقة، وعلى دور النشر الالتزام بمثل هذا الابلاغ تجنباً لازدواجية الاعمال، وبعثرة الجهود وتبذير الأموال.

هذا بالنسبة للبلاد العربية ولكنني لا أعلم شيئاً عن منظمة الدول الاسلامية، ومع ذلك يستحسن إعلام أمانتها العامة بالمعلومات آنفة الذكر، وحثها على إصدار نشرة تتناول اخبار التراث الاسلامي وتحقيقه.

هذا مع العلم بأنني لا أدعو الى منع اعادة تحقيق مخطوطات الكتب التي سبق تحقيقها، اذا ما استجدت أمور تستدعي ذلك، كأن نكتشف مخطوطات جديدة لتلك الكتب هي أكثر صحة وكمالاً، فتكون مثلاً نسخة المؤلف، أو أنها اكثر دقة وكمالاً من المخطوطات التي تم تحقيقها، أو في التحقيق السابق لم تراع فيه الدقة اللازمة مما عرضه لكثير من الاخطاء، أو ان المحقق السابق اتخذ نسخاً اتصفت بالأخطاء والأوهام.

❖ ثانياً: الرسائل الجامعية «الاطروحات»:

وهذا موضوع لا يقل أهمية عن موضوع إحياء التراث، بل ان الصلة بين الموضوعين وثيقة، واعني بها امكان ازدواجية العمل في إعداد الرسائل الجامعية «الاطروحات»، اي امكانية اتخاذ موضوع واحد لرسائل عدة ويكون ذلك على حساب المواضيع التي أهملت دراستها، اذ تطالعنا

الأخبار من حين لآخر عن قيام الباحثين بإعداد رسائل جامعية عن موضوع سبق تناوله بالكتابة عنه، مما يؤدي بدوره الى إهمال موضوعات مهمة وبقائها مهملة لا تُمس، والحق ان تاريخنا الاسلامي وتراثنا لا يزالان في كثير من النواحي، بحاجة الى دراسة علمية متأنية، تقوم على تطبيق مناهج البحث وقواعد «مصطلح التاريخ» وان المجال واسع لمن يريد الدراسة الجدية في مختلف المجالات.

ولذلك فليس هناك ما يضطرنا على التهالك على موضوعات محدودة تتم اعادة بحثها ودراستها بدون مبرر، وتكرار الكلام في أمرها على حساب غيرها من الموضوعات التي لم يمسها الباحثون.

وهنا ايضاً أخشى أن يتهمني القارئ بالمبالغة، ولذلك سوف ألجأ الى إيراد الأمثلة لكي أبرهن للقارئ بأن المشكلة قائمة فعلاً، وسوف اكتفي هنا -بإذن الله- بالرجوع الى نشرة «أخبار التراث العربي» التي اشرنا اليها في الفقرة الأولى من هذا المقال، وكنت قد استعنت بهذا عندما كنت استاذاً للتاريخ الاسلامي في جامعة الملك سعود في الرياض حتى عام ١٩٩٣، عندما كان الطلاب من جامعتي «او غيرها من الجامعات» يستشيرونني في اختيار المواضيع التي تصلح للدراسة في رسائل جامعية، ولا سيما لغرض الدكتوراه، فكنت أنصحهم بمراجعة النشرة المشار اليها آنفاً ومحاولة عدم التكرار في دراسة موضوعات سبق دراستها، إلا إذا كانت تحتاج تلك الدراسات الى تقويم وتصحيح،

وفيما يأتي نماذج لعملية التكرار:

١- سجل الطالب احمد ابو الطيب تحقيق كتاب «السحر والشعر» تأليف لسان الدين ابن الخطيب، لنيل دبلوم الدراسة العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط، وكان تحقيق هذا الكتاب موضوع رسالة للماجستير التي قدمها الطالب عمار ابراهيم قدور، الى جامعة عين شمس. ومعنى هذا تكرار لدراسة موضوع بدون مبرر، فالواجب تجنبه.

٢- وقد سبقت الاشارة في الفقرة المتعلقة بتحقيق التراث «وهي برقم ٦» عن قيام الدكتور صبيح التميمي وزميله بتحقيق كتاب «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي، وان طالباً في جامعة دمشق تصدى لتحقيقه كجزء من رسالة الماجستير، كما ان الفقرة المذكورة، «وهي برقم ٧» تصدت لما قام به

الدكتور علي المنصور من تحقيق «العضديات» في الوقت الذي يقوم بتحقيقها طالب آخر في دمشق كجزء من رسالة الماجستير، كما تضمنت تلك الفقرة «وهي برقم ١٠» عن قيام الطالبة كلستان محمد سعيد في جامعة غرناطة بتحقيق «الجمانة الكبرى» لأبي قاسم الزياني كجزء لرسالة الدكتوراه، وان الكتاب المذكور قد حققه الاستاذ عبد الكريم الغيلاني في سنة ١٩٦٧ .

٣- كانت «دراسة شعراء بني يشكر» موضوع رسالة الماجستير لطالب في الجامعة الاردنية سنة ١٩٨٠م، وهو محمود احمد اسماعيل، وقد اختارها موضوعاً لرسالة الماجستير ايضاً، راشد سعد القني، الطالب في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض.

٤- تحقيق كتاب «شرح قواعد الاعراب» للكافيجي، كان موضوعاً لرسالتي ماجستير في كل من الجامعة المستنصرية ببغداد وجامعة دمشق في آن واحد.

٥- كان كتاب بناء الكعبة المسمى «عزم الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد» كان تحقيق مخطوطته رسالة للماجستير قدمها الطالب خالد عزام الخالدي الى جامعة الملك سعود، في حين ان طالباً آخر هو عبد الله بن سليمان اللهيب، قام بعمل مماثل بتقديم الكتاب المذكور كرسالة الماجستير الى جامعة الملك عبد العزيز في جدة (كلاهما في السعودية).

وهكذا نجد في الأمثلة السابقة، أمثلة أخرى للفوضى، فنرى رسائل عديدة تسجلها جامعاتنا دون النظر الى سبق تسجيلها للدراسة في جامعات أخرى، بل ان بعضها يتم في جامعتين في قطر واحد، مما يؤدي الى إضاعة الجهود التي تبذل في تحقيق المخطوطات نفسها اكثر من مرة، بينما تبقى عشرات الألوف منها قابعة في خزائن المكتبات، على حساب آلاف الموضوعات التي تستحق الدراسة ولا تمسها يد إنسان!!.

وعلاج هذه المشكلة سهل يسير، ويمكن تلخيصه بما هو آت:

١- تكليف مؤسسة عربية ذات صفة دولية، كمنظمة الثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، او اتحاد الجامعات

العربية، باصدار نشرة شهرية لنشر الرسائل الجامعية في جامعات الدول العربية، ومحاولة الحصول على عناوين الاطروحات التي تسجل في الجامعات الاجنبية ذات العلاقة بالتراث الاسلامي، وحبذا لو امكن اصدار نشرة مماثلة من منظمة الدول الاسلامية تسير على مثل هذا النهج، علماً بأن «معهد المخطوطات العربية» قائم بهذا الواجب تطوعاً، ولكن في نطاق محدود، يشمل فقط الجامعات التي تتعاون معه من تلقاء نفسها، ولكن ينبغي ان تلتزم الدول العربية كافة، بالتعاون مع هذا المعهد.

٢- اصدار التعليمات الى معاهد الدراسات العليا في الجامعات العربية «والاسلامية ان امكن»، بضرورة الاتصال بالمؤسسة الوارد ذكرها في الفقرة السابقة، عندما يتقدم اليها طلاب الدراسات العليا لتسجيل عناوين رسائلهم، للتحقق من عدم وجود التكرار والحيلولة دون وقوعه.

٣- تكليف الجامعات العربية على الاقل بإصدار دليل سنوي يتضمن كشوف الرسائل التي سُجلت فيها، لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه، في

الحقيقة ان بعض الجامعات العربية تصدر مثل هذا الدليل، الا انها لا تصدره بانتظام، مما يضيع الفائدة المرجوة منه.

ومما يجدر ذكره انني عندما كنت استاذاً في جامعة الملك سعود قبل اكثر من عشرين عاماً، علمت ان الدكتور عبد الحميد عيسى من جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض، كان يسعى لإعداد دليل للرسائل الجامعية التي تتعلق بالدراسات الاندلسية والمغربية(١٠)، وقد وجه في ذلك الوقت نداء الى الباحثين والمتخصصين بتلك الدراسات «ولا سيما في أقطار المغرب» لموافاته بما لديهم من معلومات في هذا الشأن، فعسى ان يكون نداؤه قد لقي الاستجابة التي يستحقها، كما آمل ان يكون الدكتور عيسى قدوة لباحثين آخرين يتصدون لنشر دليل للرسائل الجامعية التي تتناول مختلف حقول الدراسات الاسلامية، وبذلك يساهمون مساهمة مشكورة في ازالة بعض الفوضى التي يعاني منها طلبة الدراسات العليا، عند اختيارهم موضوعات لرسائلهم الجامعية.

❖ ثالثا: الترجمة:

ومما له علاقة بموضوع هذا المقال،

تكرر ترجمة بعض الكتب المؤلفة بلغات اجنبية، وهي بلا شك، مشكلة كتلك التي شهدناها في تحقيق المخطوطات، او في اختيار الموضوعات، ولا شك بوجود هذه المشكلة في نطاق ضيق، ولكن عدم معالجتها يساهم في تفاقمها، اذ لم يتم تداركها من البداية والذي حملني على تناول هذه النقطة، هو ما لمسته شخصياً قبل (٢٥) عاماً عندما قمت بدراسة كتاب «وصف افريقيا» للحسن الوزان، المسمى «ليو الافريقي» المتوفى سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥٠م[١١]، فوجدت ان جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، قد قامت بترجمة هذا الكتاب ونشره باللغة العربية في سنة ١٩٧٩م، بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول في تلك السنة، وهو كتاب ضخم يقع في (٦٧٥) صفحة، تمت ترجمته من اللغة الفرنسية، المنقولة بدورها عن اللغة الايطالية التي صنف لها الوزان كتابه هذا، عندما كان مقيماً في كنف الفاتيكان، ولكن هذا الكتاب ما لبث ان ترجم مرة أخرى في المغرب، ويبدو ان من ترجمه هناك لم يصل الى علمه وجود ترجمة عربية منشورة.

وقد حصل امر مماثل بالنسبة «لرحلة ناصر خسرو» المسماة «سفرنامة» التي سبق للدكتور الخشاب ان ترجمها الى العربية منذ مدة طويلة، وقد طبعت عدة مرات، وآخرها طبعة ١٩٧٠م، الا ان الدكتور احمد خالد البدلي «من جامعة الملك سعود» قد قام بترجمتها مرة أخرى وقامت الجامعة المذكورة بنشرها في سنة ١٩٨٣م،

ولا يفوتنا في هذه المناسبة ذكر كتاب «العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب»، تأليف المستشرق الألماني «يوهان فك Johan Fvch» الذي نقله من الألمانية الى العربية قبل حوالي ٥٠ عاماً، الدكتور عبد الحميد النجار، وراجعه الدكتوران احمد امين ومحمد يوسف موسى، ونشر في القاهرة آنذاك، ثم صدر هذا الكتاب بعنوانه المشار اليه آنفاً بتمامه حرفاً بحرف، لكن ترجمته في هذه المرة منسوبة الى الدكتور المصري «رمضان عبد التواب» وقد أثار هذا الوضع موجة من النقد، نقلت جانباً منه جريدة الرياض، في عددها ٥٩٨٤ الصادر يوم ١٤٠٥/٢/١٧هـ/ ١٩٨٤/١١/١٠م.

فقد اتهم الدكتور عبد التواب بالسطو على ترجمة الدكتور النجار، وما الى ذلك مما هو خارج عن نطاق هذا المقال، لكن

الذي يهمني هنا هو تكرار الترجمة «او ادعاء تكرارها» لكتاب واحد مرتين!!.

وعلى أي حال فإن من المفيد «ان لم يكن من الواجب» ان تتولى احدى الجهات الثقافية العربية والاسلامية ذات الصفة الدولية، امر الاعلان عن الكتب التي ترجمت، وتلك التي قد يتصدى الباحثون لترجمتها، لئلا يتورط غيرهم في إضاعة الوقت والمال في تكرار الترجمة بدون مبرر، ومن الطبيعي فإنه يتوجب على كل من يزمع ترجمة كتاب ما، ان يبلغ عزمه هذا الى الجهة الثقافية المشار اليها آنفاً، لكي تنشر النبأ على الملأ ذي العلاقة، في الوقت نفسه.

وأخيراً فإن هذه بعض الملاحظات التي عنت لي، وقد رأيت من واجبي تسجيلها ونشرها، لعلها تجد بعض الاهتمام من جانب المعنيين بموضوع التراث الاسلامي، وبالدراسات الجامعية وبأمور الترجمة، وإنني لا أزعم مقترحاتي المتواضعة هذه، ستكون كفيلة بالقضاء على الفوضى والازدواجية، لكنها ربما كانت حافزاً لغيري على الادلاء بدلوهم في هذا الموضوع وتقديم مقترحاتهم التي من شأنها معالجة النقائص التي أشرت اليها آنفاً، وتدارك ما فاتني ذكره من وسائل العلاج.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

١-٢- صلاح الدين المنجد، معجم المخطوطات العربية، بيروت ١٩٧٨ ج١، ص٧ .

٣-٤- العدد ١٨ من النشرة ص٨ .

٥- المرجع السابق ص١٩ .

٦- المرجع السابق ص٣١ .

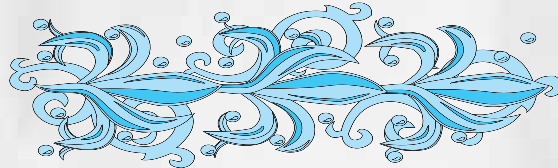
٧- المنجد، المرجع السابق ص٥-٦ .

٨- كتاب التراث والمعاصرة، طبعة قطر ١٩٨٥ ص٨٣-٨٤ .

٩- المنجد، المرجع السابق ص٦ .

١٠- انظر نشرة التراث العربي، العدد ٩ لشهر ايار وحزيران ١٩٨٥م، ص١٤ .

١١- نشرت الدراسة في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض، العدد ٨، ص٤٣٩-٥١٨ .



الإلتجاء إلى الله يقي من خطر القلق النفسي

■ بقلم الشيخ ابراهيم محمد الدهون

من السمات البارزة للحضارة الحديثة، وجود القلق والحيرة والاضطراب والارتياب بين الناس، وذلك لسرعة التغيير في التقدم المادي، وبما أن القيم الروحية والأخلاقية لم توازِ سرعة هذا التغيير المادي، لذا طرأت مشكلات جديدة تحتاج إلى حل، فنجد معظم الناس يشتد النزاع بينهم وخاصة في تعاملهم الاجتماعي والاقتصادي، لأنهم يتناحرون على إرضاء حاجاتهم المادية والنفسية، ويدفعون كل ما يعترض هذا الإرضاء من موانع وعقبات متجاهلين القيم الروحية والأخلاقية لأنها ضعفت في النفوس.

فمن هنا تمزقت نفوس الكثيرين من البشر بين الدعوة إلى التعاون والتكامل والتكافل وهي الدعوة إلى المثالية، وبين هذا التنافس المرير على المادة لأن أكثر الناس لا يعرف إلا الأنانية وحب الذات ولو على حساب الآخرين.

وبما أن الإسلام يحرص على سلامة المؤمن جسمياً ونفسياً وروحياً وخلقياً كما يحرص على تقدمه مادياً ،لذلك نجد النبي ﷺ كان يتتبع خطوات أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فيشاركهم مشاعرهم ويوجههم نحو الخير بأساليب تربوية عظيمة تشعر باهتمامه بسلامة نفوسهم وأرواحهم، لتبقى موصولة بالخالق سبحانه وتعالى لأن الاعتصام به سبحانه وتعالى مصدر صفاء النفوس

ونقائها وراحتها وطمأنينته.

ولو أخذنا هذه القصة مثلا لبينت لنا تلك المعالم البارزة في تربية النبي ﷺ لأصحابه وتوجيههم إلى الله سبحانه وتعالى الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: (أبو أمامة) جالساً فيه فقال: يا أبا امامة مالي أراك جالسا في المسجد في وقت غير وقت الصلاة؟ فقال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال: ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك. فقال: بلى يا رسول الله. فقال: إذا أصبحت وإذا أمسيت قل: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" قال: فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني. رواه أبو داود.

ففي هذا الحديث نجد علاجا نبويا لمرض القلق النفسي، حيث عرف النبي ﷺ من خلال تواجد هذا الصحابي في المسجد في غير وقت الصلاة، أنه يعاني من أزمة نفسية تستدعيه لأن ينفس عن ضيقه ويفرج من كربه، لذلك عرض عليه المساعدة المعنوية فهي العلاج الفعال القوي إذ أن المساعدة المادية قد لا يجدها النبي ﷺ لفقره وقلة ماله، فعرض عليه ما هو أنجع من المادة وانجح في العلاج من المال.

فقد بين الحديث أن النبي ﷺ دعاه للالتجاء والتوجه إلى الله، فإنه إذا أوصدت الأبواب في وجهه فباب رحمة الله ما زال مفتوحاً، وأنه سبحانه القادر على كشف السوء **ونرى في الحديث أموراً ثمانية أمرنا رسول الله ﷺ أن نستجير بالله منها فهي كلها شرور تصيب النفس البشرية بالحزن والقلق والاضطراب وهذه الأمور الثمانية هي:**

أولها وثانيها: الهم والحزن: والهم يكون في الأمور المهمة المقبلة التي يود الإنسان حصولها أو يخاف وقوعها وشرها، فخليق بالمسلم أن يعد للنوائب عدتها وللشدائد وقايتها وأن يجعل تفكيره في الوسائل المنجية من الشر والمخفضة من صدماته ومن أجل أن الهم مضيعة للوقت في نيل الخير المرجو أو تجنب الشر المحذور تعوذ

الرسول ﷺ منه وأشار على الصحابي بذلك.

أما الحزن: فإنما يكون على أمر مضى كمحبوب فات نواله أو نزل به، وهذا أيضا مذموم وقد نهى رب العالمين عنه بقوله: **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** آل عمران: ١٣٩ .

فلو كان الحزن يرد فائتا أو يدفع حاصلاً، لكنا معذورين فيه ولكنه مضيعة للوقت وتسخط على قضاء الله وتعلق بما لا سبيل إليه وتكاسل عن عمل ينسي المصيبة أو يخفف ألمها وذلك كله تعوذ أيضا منه رسول الله ﷺ وأشار على الصحابة بذلك.

ثالثها ورابعها: العجز والكسل: والعجز هو عدم القدرة على عمل الشيء، والكسل: هو التقاعس عنه مع استطاعته، ومما لا شك فيه أن للعمل مكانة في حياة الإنسان فسعادة المرء في دنياه وآخرته، انما تكون بالعمل وإذا عرفنا أن العجز والكسل معتمدان على العمل، أدركنا انهما شر مستطير إذا أصيب بهما الإنسان فحينئذ يصبح لا يرجى له سعادة في اخراه ولا أولاه، فالعجز والكسل داءان وبيلان ومرضان قاتلان علينا أن نتعوذ بالله منهما ونتحصن من شرهما.

خامسها وسادسها: الجبن والبخل:

والجبن هو الشح بالنفس والبخل هو الشح بالمال، فالذي يبخل بنفسه عن بذلها في سبيل الله دفاعاً عن الحق والدين والبلاد، انما هو يميت نفسه لأنه إن أحيا جسمه فقد ماتت روحه، ماتت نفسه العالية وذهبت حياته الطيبة وكم من حي بين الناس في عداد الأموات وكم من ميت في عداد الأحياء، لأن الحياة الحقة أن تعيش مرفوع الرأس موفور الكرامة محفوظ الحرية، وأما الذي يبخل بماله فلا ينفقه في سبيل تربية نفسه وتهذيب خلقها، ويبخل على الفقراء والمساكين والملهوفين أو يبخل عن الجهاد ومصالح الأمة الإسلامية، فهو ساع إلى هلاك نفسه والقضاء على أمته بل ساع في خراب الكون لأن بالمال قيامه وانتظام شؤونه وتقريب مصالحه وقضاء حوائجه، فالذي يكثر المال عليه أن يعلم أنه لا ينفعه بعد وفاته، بل ذلك المال يكون شرا عليه يوم القيامة فالمؤمن الصادق هو من يبذل روحه في سبيل دينه ويبذل ماله لأمته في سبيل الحصول على رضى الله وطاعته.

سابعها وثامنها: غلبة الدين وقهر

الرجال:

فـالدَّين إذا غلب الإنسـان ذهب بعـزه ومـجـده، وملك عليـه نفسـه وفكره فـلا يخلص إلى الهناءة ولا يحـسن التـفكيـر، فنعوذ بالله من الديون الغـالبـة كـمـا تَعوذ بالله منها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه.

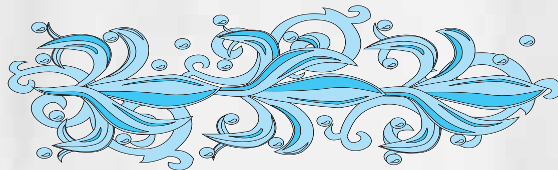
أمـا قـهـر الرجـال، فيكون إمـا بالإذلال والاسـتـعـبـاد له أو انتـصـارهم عليـه في مـواطن النزاع والخـصـومـة أو مـيـادين الحرب والطعان فنعوذ بالله أن يستبد بنا فرد فيستخدمنا لمآربه وأغراضه الشريرة، كـمـا نعـوذ بالله من أن يفـوز علينا عـدو فينصر باطله على حقنا وتكون له الكلمة علينا.

فـتلك هـي الأمـور الثـمـانيـة التي علم الرسول الله ﷺ أبا أمـامة أن يستعيذ بالله منها فسـبحـانه هو المعين وحده والعـاصم من البـلاء والمحن ومن اعـتـصـم به نجـا وسلم.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله في كـتـابه «الفـوائد»: «كـيف يسلم من له زوجة لا ترحمـه وولد لا يعـذره، وجار لا يأمنه وصـاحب لا ينصـحـه وشـريك لا ينصفـه وعدو لا ينام عن مـعـاداته ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة وشهوة غـالبة له وغـضب قـاهر وشـيطان مـزين وضـعف مـتسـول عليـه، فإن تولاه الله وجذبه إليـه انقهرت هذه كلها وان تخلى الله عنه ووكله إلى نفسـه، اجتـمعت عليه فكانت الهلكة» فليـتنا نعي أسـرار هذا القـول الحكيم فنتـوجـه إلى الله تعـالى في كل أحـوالنا وشؤون حياتنا.

نسـأل الله سـبحـانه وتعـالى أن يجعلنا ممن تولاهم برعايته، وان نكون ممن التجأ إليـه وحـده فـبلغ مـأمنه وسلك سـبـيل التوفيق، فله الحمد وحده واليه المشتكى وهو المستعان ولاحول ولا قوة إلا به.

والحمد لله رب العالمين



في فقه اللغة
بين العربية والإنجليزية
في نحو اللغات وتراكيبها

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

انتهينا في مقالة سابقة إلى أنّ اللغة.. لا يأتي الكلام والكتابة فيها، على غرار المثل الذي أورده الكاتب، وأن الجرجاني لم يُرد من مصطلح (معاني النحو) تغيير قواعد النحو، وهنا يقول الدكتور عمايرة: "الاقتصار في تقعيد اللغة وتقنينها على اللغة المكتوبة بينما الأصل في اللغة أن تكون منطوقة، وبالنطق يستطيع المتكلم أن يعبر بتركيب جملي واحد عن معان متعددة. ولما كان النحاة قد أهملوا في تقعيد القواعد كل ما يتعلق بالنبر والتنغيم، نتيجة اعتمادها على اللغة المكتوبة، فإننا لا نجد لهذين العنصرين اللذين أخذا يبرزان بوضوح في الدراسات اللغوية المعاصرة، وبخاصة في الغرب، لا نجد لهما أثراً عند نحاة العرب إلا فيما يتعلق بالاستفهام محذوف الأداة..» ص٣٤ .

أقول: أرجو ألا نقلد الغرب في كل شيء حتى لو دخلوا جحر ضبّ خربٍ.. دخلناه للأسباب الثلاثة الآتية:

الأول: أن العرب أساساً اعتمدوا على اللغة المنطوقة (لا كما يقول المؤلف) لأن الكتابة، أصلاً، كانت شبه معدومة عند العرب قبل الإسلام. ومن المعروف أن اللغويين جمعوا معظم اللغة من الفصحاء (وللأسف -ومن غير الفصحاء-) في المدن والبادية، من خلال المشافهة.

والثاني: أن الغربي يلجأ إلى التنغيم للتمييز بين معنى وآخر للتركيب الواحد،

لأن اللغة الإنجليزية مثلاً لغة نمطية أي: جامدة التركيب.. غالباً، فليس أمام الغربي إلا التنغيم ليجعل الجملة الواحدة تعبر عن غير معنى واحد.أما العربي فأمامه للتعبير الواحد أكثر من صياغة واحدة، وذلك.. يجعله يستغني بتنوع الصياغة عن تنويع التنغيم. ولا شك أن جمود التعبير وتنوع التنغيم قصور في اللغة، وأن تنوع الصياغة للتعبير الواحد يُعد غني في اللغة، عندما يعبر كل تنوع عن ظلال للمعنى تختلف عما في الوضع الآخر.

خذ مثلاً في الإنجليزية هذه الجملة:

If Jim hadn't Lent me the money, I wouldn't have been able to buy the car .

فأنت لا تستطيع أن تقدم (Jim) على (If) ولا (hadn't) على (Jim) ولا (the money) على ما سبق ولا (car the buy to) على (wouldn't I).

بينما كل هذا.. ممكن في العربية، نقول: "إذا «جم» لم يقرضني النقود.. فلن أكون قادراً على شراء السيارة، ونقول: .. إذا لم يقرضني جم.. أو.. جم إذا لم يقرضني.. أو.. النقود إذا لم يقرضنيها جم فلن أكون قادراً على شراء السيارة، أو النقود، إذا لم يقرضنيها جم فعلى شراء السيارة.. لن أكون قادراً.

أهذه اللغة التي هي بهذه المرونة الفائقة.. أفي حاجة إلى أن تعتمد التنغيم؟ ثم.. إن كل تغيير في التعبير يؤدي إلى تغيير في المعنى، حسب نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم أي: تغيير ترتيب الألفاظ في العبارة، هو: التغيير في المعنى.

والثالث- أن التنغيم المتنوع للعبارة الواحدة في الإنجليزية.. جعل فيها شرخاً بين المنطوق والمكتوب لا يمكن رأبه، لأن حروف كثير من الكلمات جاءت بناءاً على تنغيم واحد، وأضحت مفارقة لأنواع التنغيم الأخرى للكلمة نفسها، ولكي يتغلب الإنجليز والأمريكان على ذلك.. يحاولون أن يكتبوا الكلمة في معاجمهم مرتين: مرة.. تبعاً للصورة التي كانت عليها الكتابة، أيام كانت تنطق نطقاً معيناً قبل عدة قرون. ومرة.. بين قوسين تبعاً لما تطور له النطق في الحاضر، خذ مثلاً.. (Emulate) ومعناها: تشبه به لفظها المكتوب (إميوليت)، ولكنها تلفظ هكذا، كما كتبت بين شرطتين /Emuleit/!! ولفظها: إمجوليت، ولفظها الحرفي (أميولاتي)!!.

❖ حيص بيص:

- هم واقعون في (حيص بيص)، يعزّ عليهم أن يطرحوا الخط القديم وأن يكتبوها كما ينطقونها، حسب الحروف

التي بين شرطتين، وهم غير قادرين على إعادة أصواتهم كما كانوا عليه من قبل قرون أو عقود!

- ونحن ننطق كما نكتب -على الإجمال- ونكتب كما ننطق، بفضل القرآن الكريم الذي أحد علومه، وهو علم التجويد، حفظ الصوت العربي نقياً في الفصحى كما كان في الجاهلية، وكما نزل به القرآن الكريم على قلب رسولنا محمد ﷺ ينطقه بلسانه الشريف الذي أخذه عنه الصحابة رضي الله عنهم بالمشافهة. وهكذا، ينتقل صوت الحروف من جيل إلى جيل بالمشافهة حتى يوم الناس هذا.. بل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، دون تحريف.

- أنعدل إذن عن تنوع التعبير إلى التنغيم، لأن الغرب ينغّم؟ والتنويع باقٍ ثابت ومن طبيعة لغتنا، والتنغيم متغير لا يستقر على حال، مما يجعل اللغة تتنقل، مع الزمن إلى لغة أخرى، أصواتاً وحروفاً؟
التنغيم.. متغير، لأنّ منحى الصوت يتغير، حسب البيئة والظروف، وطبيعة الحياة.. فيتغير الصوت، وتتغير اللغة، أو تنحرف عن أصولها، وهذا.. نجت منه العربية لغة القرآن الكريم، ثم.. أنتبع تنغيم الجزيرة العربية، على تعدده، أم مطّ الصوت الشامي أم خطفه في اللهجة المصرية، أم انحباسه ثم اندفاعه في المغربية؟ أم تحمل كل هذه البيئات على تنغيم أهل مكة فنكلفهم ما لا يُطاق؟

ويقول: "ولعل في هذا.. ما يفسر لنا بوضوح اتساق لغة -أكلوني البراغيث- مع اللغة العربية السليمة، ولا يحول دون قبولها، مع كثرتها في كتب التراث، ومع وجودها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، يقول تعالى: ﴿**فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم**﴾ المائدة: ٧١ ويقول: ﴿**وأسروا النجوى الذين ظلموا**﴾ الأنبياء: ٣، وجاء في الحديث: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار" ص١٩٢ .

وأقول: أولاً لم يأت الكاتب بجواب: (ولا يحول دون قبولها، مع..) وهو غالباً.. إلا لأن النحاة اعتبروها شاذة ساقطة.

الخلط بين نوعين من التراكيب:

وثانياً: خلط الكاتب بين نوعين من الاستعمال: الأول (أكلوني البراغيث)، والثاني: ﴿**وأسرّوا النجوى الذين ظلموا**﴾.

فعبارة (أكلوني البراغيث) تختلف اختلافاً جوهرياً عن عبارة القرآن: لأن (البراغيث) لا يستعمل معها (واو الجماعة) عادةً، كما لا تستعمل مع كل جمع مذكر لغير العقلاء (إلا لغاية البلاغة)، وإنما تستعمل مع العقلاء فقط.

وهنا نقول: لا يجوز أن أقول: (أكلوني اللصوص) قياساً على الآية السابقة بدون غاية بلاغية، أما الآية فاستعمالها صحيح، لأن (الواو) ترد مع العقلاء ﴿**الذين ظلموا**﴾، ولأنها جاءت لغاية بلاغية سنوضحها لاحقاً.

بيد أني لا أوافق الكاتب إذ يقول: (فما كانت الواو في "أكلوني البراغيث" إلا لتوكيد الفاعل) ص: ١٩٣ بعد أن أجرى عدداً من صور التحويل على العبارة التي تبدأ بقوله: «أكل البراغيث هم إياي» أقول: لأن التوكيد لم يرد في اللغة سابقاً المؤكد بفتح الكاف وتحويلاته هذه إلى خطئها أكثر تعقيداً من (علل النحو) التي اعترض هو عليها، يقول المؤلف: (فتكون الجملة التوليدية التي تتضمن المعنى القريب "أكل البراغيث إياي") -vso- تتحول إلى: (أكل البراغيث البراغيث إياي vsso) أو: (أكل البراغيث إياي)، فالتحق الضمير بالفعل، ولكن برسم آخر، وهو الواو التي هي لاحقة تعبر عن (البراغيث إياي)، ثم جرى في الجملة تحويل آخر، طبقا لقواعد النحو التحويلي، فأصحبت: (أكلوني البراغيث) بإضافة نون الوقاية التي لها وظيفة صوتية نص عليها علماء العرب في كثير من أعمالهم، فما كانت الواو إلا لتوكيد الفاعل في هذه اللهجة) ص١٩٢ .

بالله عليك: هل صحيح أن ذهن العربي الأمي يتسع لكل هذه التحويلات المعقدة؟ وإذا اتسع.. أتظن أن أحداً يُطيق أن يتعلم لغة، بعض عباراتها تمرّ بكل هذا التعقيد، ولو كان هذا الأحد هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي في القديم.. صاحب العقل الرياضي العبقري، أو أنشتاين في الحديث.. صاحب النظرية النسبية؟!

بلى، لا أوافقه، لأنّ التوكيد لم يرد سابقاً للمؤكد كما أسلفنا ولأن الواضح لا يؤكد بالغامض، إن الضمير غامض والاسم واضح، فلا يمكن أن يُؤكد الضمير الواو الإسم الظاهر.

نقلّد كلَّ ناعقٍ في الغرب:

لاحظ أن الدكتور العمايرة.. يتكلم عن الجملة التوليدية والجملة التحويلية، وهما مصطلحان غربيان وغريبان على النحو العربي فالنحاة العرب سمّوها: الجملة الأصلية والجملة الفرعية، (وإن كنت لا أوافق النحاة العرب على ذلك لأن الجمل كلها أصلية) طبعاً ليست الغرابة إذا كان الأمر فيه جديد، بمانعة من أخذه، لكن، هنا.. الاصطلاح العربي .. أوضح من الاصطلاح الغربي.

ولكن، كيف نظهر بأننا مطلعون على النحو الغربي إذا ما حاول كل باحث منا أن

يزج أكثر من مصطلح من مصطلحات تشوم (وقد يراكمها مراكمة) وقد يكون للدكتور العمايرة بعض العذر لأنه يدرس النحو من خلال منظار تشوم أمّا الذين يتكلفون تكلّفاً يأتوا بهذه المصطلحات التي مرّت معنا وغيرها حتى يظهروا.. أنهم ممن يقرأون لتشوم وأمثاله، ممن هم من وراء البحار ذوي الدم الأزرق.

ومما يدل على أن كتابات هؤلاء أخلاقية، بدرجة رفيعة أنهم لم يوطنوا أنفسهم في فلسطين، ولم يحوّلوا العراق إلى دماء، وجثث، وعظام، ومقابر: بل لم يحولوا سجن أبي غريب إلى (مباءة) لإهدار كرامة الإنسان، وإذلاله بل تعريته، وممارسة الجنس مع الرجال، وكأنهم قوم لوط خلافاً لما خلقه الله تعالى، وأراده.

وإني لأرى (إلى جانب أن المصطلحين النحويين العربيين أصحّ من المصطلحين التشوميين)، أن ترجمة النحاة العرب الأفذاذ لمصطلحي تشوم ترجمة غير دقيقة، لأن الجملة الأصلية (التي تترتب حسب ترتيب المعاني، في الذهن) ليست (توليدية) وإنما هي (مولدة) لأن المتكلم، أو الكاتب هو الذي تولّدها، وليست هي (تولّد) غيرها. إلا من باب المجاز الرديء الذي يناسب الأدب، ولكن، لا يناسب العلم. ومثله مصطلح (التحويلية) لأن الجملة الفرعية لا تقوم هي بتحويل ذاتها، وإنما الكاتب أو المتكلم هو الذي يحولها وإذن.. هي (الجملة المحوّلة).

ما إعراب البراغيث:

أما لماذا لا تصحّ الواو مع البراغيث أصلاً، عندما تستعمل استعمالاً حقيقيا، ولا يصحّ هذا النوع من الاستعمال، لغة معتمدة.. وإنما صحت هنا؟ فذلك.. لأنّ الأعرابي استعمل الواو استعمالاً مجازياً (من باب الاستعارة التصريحية)، فلما أكثرت البراغيث لدْغه كبرت في إحساسه حتى تصورها رجالاً يقرصونه، فقال ملهوجاً: (أكلوني) ثم تنبه أن ليس من رجال، فأردف: البراغيثُ، فالبراغيثُ.. توضيح للواو أي هي توكيد في مصطلح النحاة.

وقريب من هذا التعبير ما ورد في القرآن الكريم، قال تعالى عن الكافرين: **﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾** فصلت: ٢١ .

فلم يقولوا: (لم شهدت؟) وإنما خاطبوها خطاب العقلاء، لأن الله تعالى أنطقها.. فشهدت عليهم، فصارت في شعور الكافرين عاقلة، والبراغيث.. تصرّفت تصرُّف العقلاء الأعداء، فأكثرت من تقريص هذا الأعرابي الذي لا عهد له بالبراغيث، فتضخمت مشاعره بها، فشكا

ما أصابه منها، وكأنه يشكو من رجال اعتدوا عليه بالضرب أو بالتقريص.

ومن حيث شخصنة غير المشخصن أصلاً، وتحويله إلى عاقل يخاطب (سواءٌ أجاء مفرداً أم جاء جمعاً) لا يختلف قول الأعرابي هذا عن قول ابنة طريف التي تضخم في وجدانها الحزين الحساس أشجار الخابور، فأحسّت أنها أحياءُ عاقلةٌ، ولذا عتبت على هذه الأشجار التي لم تُسقط أوراقها، حزناً على أخيها ابن طريف، الذي قُتل في معركة من المعارك، قالت: (فيا شجرَ الخابورِ)، فشخصنته، وأعطته سمة العقلاء، وما ينتظر من العقلاء، من تعاطف، تعاطف بعضهم مع بعض، ومواساة بعضهم لبعض.

القضية بلاغيّة:

إذن.. القضية هي قضية بلاغية أصلاً، وليست قضية لغوية، ومع ذلك.. فصدر اللغة يتسع لمثل هذه التغييرات اللغوية التي تقتضيها حاجات بلاغية، **لأنّ اللغة ذات منطق مرن، فهي (أي - اللغة العربية) تعي أن دورها الحقيقي الوظيفي أن تعبّر عن معاني العقل، وعن خلجات النفس، ولهذا.. فهي ترى من وظيفتها وواجبها أن تكون مستعدة للتعبير عن كلا وجهي حياة الإنسان. أما تراها اتسعت للتعبير عن العقل الكلي والوجدان الكلي المتمثلين في القرآن الكريم أولاً، وفي الحديث النبوي الشريف، ثانياً، أبلغ تعبير وأدق تعبير، فكان التعبير في القرآن معجزاً، وفي الحديث النبوي، بلاغةً تنزل دونها بلاغة الشعراء والبلغاء؟**

والآن أظن أنه قد وضح أن عبارة القرآن: **﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾**، وعبارة الحديث: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"، تختلف عن عبارة (أكلوني البراغيث) اختلافاً جوهرياً.. فالعبارتان لغة معترف بها، لأنّ (الواو) في (أسرّوا) هي واو الجماعة قد استعملت على وجهها، ولأنّ عبارة (الذين ظلموا) هي موضح للواو.

ومثلها تماماً عبارة الحديث: (ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) فهي موضِّح وأما (الواو) في (اسروا) وفي (يتعاقبون).. فهي ضمير متصل في محل رفع فاعل.

أما **﴿ثُمّ عموا وصمّوا كثيرٌ منهم﴾** فهي مختلفة ومتفقة مع **﴿وأسرّوا النجوى..﴾** لأن (كثيرٌ) هي بدل بعض من كل، أي: هي بدل من الواو في (عموا) وفي (صموا)، لأنك لا تجدها جواباً مكافئاً لسؤالك: من هم الذين عموا وصموا؟ إذ لا يصح أن يكون الجواب: كثير منهم، وإنما جواب السؤال هو: هم بنو إسرائيل، فتأكد بذلك بدلية (كثيرٌ منهم). والله تعالى أعلم.

تقوى القلوب
كما يراها الامام ابن القيم الجوزية

■ **بقلم الاستاذة هديل خليل هندم**

قال ابو الدرداء رضي الله عنه: «يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون به قيام الحمقى، وصومهم، والذرة من صاحب تقوى، افضل من امثال الجبال عبادة من المغترين» وهذا -وأيم الله- من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة رضوان الله عليهم، وتقدمهم على من بعدهم في كل خير، رضي الله عنهم.

والعبد المؤمن انما يقطع منازل السير الى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ وقال جل وعلا: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾، وقال النبي ﷺ: «التقوى ههنا» وأشار الى صدره.

فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة، وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير، والتقدم والسبق الى الله سبحانه وتعالى، انما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همه تقدم عليه بعمله، وهذا موضع يحتاج الى تفصيل يوافق فيه الاسلام والاحسان.

❖ **اكمل الهدى:**

فأكمل الهدى بعد هدي الله تعالى، هدي رسول الله ﷺ وكان موفياً لكل واحد منهما حقه فكان مع كماله وارادته واحواله مع الله عز وجل يقوم حتى تتورم قدماه الشريفتان، ويصوم حتى يقال: لا يفطر،

ويجاهد في سبيل الله ويخالط اصحابه ولا يحتجب عنهم، ولا يترك شيئاً من النوافل والأوراد لتلك الواردات التي تعجز عن حملها قوى البشر.

والله تعالى أمر عباده ان يقوموا بشرائع الاسلام على ظواهرهم، وحقائق الايمان على بواطنهم، ولا يقبل واحداً منها الا بصاحبه وقرينه.

وفي المسند مرفوعاً: «الاسلام علانية والايمان في القلب»، فكل اسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه الى حقيقة الايمان الباطنة، فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الايمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الاسلام الظاهرة، لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، وكما انه لو قام بظواهر الاسلام وليس في باطنه حقيقة الايمان لم ينجه ذلك من النار.

واذا عرف هذا فالصادقون والسائرون الى الله والدار الآخرة قسمان:

١- قسم صرفوا ما فضل من اوقاتهم بعد الفرائض الى النوافل البدنية، وجعلوها دأبهم من غير حرص منهم على تحقيق اعمال القلوب ومنازلها واحلامها، وان لم يكونوا خالين من اصلها ولكن هممهم مصروفة الى الاستكثار من الاعمال.

٢- وقسم صرفوا ما فضل من الفرائض والسنن الى الاهتمام بصلاح قلوبهم وعكوفها على الله وحده، وحفظ الخواطر والارادات معه، وجعلوا قوة تعبدهم بأعمال القلوب من تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والانابة، ورأوا ان أيسر نصيب من الواردات التي ترد على قلوبهم من الله سبحانه، أحب اليهم من كثير من التطوعات البدنية، فإذا حصل لأحدهم وارد أنس او حب او اشتياق او انكسار وذل، لم يستبدل به شيئاً سواه البتة، الا ان يجيء الأمر فيبادر اليه بذلك الوارد، ان امكنه، والا بادر الى الأمر ولو ذهب الوارد فإذا جاءت النوافل فههنا معترك التردد، فإن امكن القيام اليها به، فذاك والا نطر في الارجح والأحب الى الله، هل هو القيام الى تلك النافلة، ولو ذهب وارده كإغاثة الملهوف وإرشاد ضال وجبر مكسور واستفادة ايمان ونحو ذلك.

فههنا ينبغي تقديم النافلة الراجحة، ومتى قدمها لله رغبة فيه وتقرباً اليه، فإنه يرد عليه ما فات من وارده اقوى مما كان في وقت آخر، وان كان الوارد ارجح من النافلة فالحزم له الاستمرار في وارده حتى يتوارى عنه فإنه يفوت والنافلة لا تفوت.

وهذا موضع يحتاج الى فضل فقه في الطريق ومراتب الاعمال وتقديم الأهم منها فالأهم، والله الموفق لذلك لا إله غيره ولا رب سواه.

من معالم الكرك

آثار نبي الله لوط عليه السلام في غور الصافي وأضرحة الصحابة والقلاع الإسلامية فيها

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

تقع محافظة الكرك في جنوب المملكة، قال ياقوت الحموي: (كَرَك اسم لقلعة حصينة جداً، في طرف الشام، من نواحي البلقاء، في جبالها، بين أيلة وبحر القُلْزُم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عالٍ، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض)، يريد قلعة الربض، التي تربض على أعلى قمةٍ في عجلون، وكانت تعرف بكرك الشوبك، وهناك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام، تسمى كرك نوح، وشتان بينهما في المسافة، ومن علماء الكرك الأردنيين المشهورين إبراهيم بن موسى، وولده برهان إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي.

ومن آثارها:

أولاً: آثار لوط عليه السلام في البحر الميت ومآب والربة، وفيها مقام أبي عبد الله الهاشمي وعين زغر المباركة: رسول الله لوط ابن أخ رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، عاصره، وعاش في كنفه، وآمن به؛ وهاجر معه إلى بيت المقدس؛ قال الله تعالى: **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**، ثم نزح عن عمه الخليل عليه السلام بأمره وإذنه، فنزل بمدينة سدوم، وهي منطقة حول البحر الميت، وكهف لوط عليه السلام ما زال يشهد.

وليس لرسول الله لوط عليه السلام مقام معروف في الأردن، ولكن البحر الميت يسمى باسمه؛ فيقال: (بحيرة لوط)، وما جاوره من الأرض هي أرض سدوم، وكان يسكنها

المؤتفكات، وهم الذين قلب الله تعالى فيهم أرضهم؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾، والأرض المقلوبة هي قعر البحر الميت الآن، والصور التي تلتقطها الغواصات لقاع البحر الميت تظهر حقيقة الموقع.

ولقد سميت بعض الأماكن بأسماء أولاد لوط عليه السلام؛ ومن ذلك:

١ . زُغَرُ قرية مباركة في غور الكرك نجّى الله فيها لوطاً عليه السلام: تقع زُغَرُ في غور الصافي، غرب مدينة الكرك، قال ياقوت: (قرية بمشارف الشام.. وقيل: زُغَرُ اسم بنت لوط عليه السلام؛ نزلت بهذه القرية فسميت باسمها)، وقيل: عين بالبلقاء، وقيل: إن فيها الحجر الذي ضربه موسى فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ، وفيها عين صغيرة ضئيلة، ويُخبر من حولها من السكان أنها كانت فيما مضى دفاقة الماء قوية الجريان، ويسميها أهلها بلهجتهم: (العين الزغيرة)؛ أي الصغيرة، وقد جاءَ ذكرها في حديث الجساسة، وأنها تغور في آخر الزمان، وغورها من علامات الساعة ، وقد وردت القصة في صحيح مسلم ، وعاش في زغر القارئ محمد بن الحسن أبو الطيب الزغري.

٢ . قرية الرّبّة مرّ منها لوط عليه السلام ودفن ابنته فيها وفيها مقام أبي عبد الله الهاشمي وآثار القلعة التاريخية: قال ياقوت الحموي: (الربة قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاء)، كان اسمها "ربة مؤاب" أي عاصمة مؤاب؛ فالربة المدينة الرئيسة، ويقال: إنها سميت بهذا الاسم بسبب دفن ربة بنت لوط عليه السلام فيها؛ قال ابن أبي حاتم: (خَرَجَ لُوطٌ عليه السلام مِنْهَا بِبِنَاتِهِ وَهُنَّ ثَلاثٌ، فَلَمَّا بَلَغَ مَكَانًا مِنَ الشَّام مَاتَتِ الْكُبْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الرَّبَة، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى إِذْ بَلَغَ مَكَانًا آخَرَ مَاتَتِ الصُّغْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الزّغْرِيَّةُ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْوُسْطَى)، ومثل هذا قال ياقوت الحموي.

ولقد عاش في الربة من العلماء أبو عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ومن آثار الربة مقام ينسب للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو عبارة عن كومة من الحجارة، يظهر فوقها نقش كتب عليه: (هذا القبر المبارك قبر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عمله العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان القانوني)، وقد استشهد زيد في عهد هشام بن عبد الملك، وقد يعود هذا النقش في تاريخه إلى العهد التركي، وقد تم نقل هذا النقش إلى متحف المزار الإسلامي في مزار الكرك، ومعروف أن زيداً هذا هو الذي يُنسب إليه الزيدية؛

ففي نسبة المقام إليه شك، والذي يظهر لي أن هذا هو مقام «أبو عبد الله الهاشمي»، والله تعالى أعلم.

وفي بلدة الربة موقع أثري؛ ويدل ما بقي من البناء على أن الموقع هو أساس قلعة قديمة.

٣. مآب سميت باسم مؤاب بن لوط عليه السلام: مَآب بلادٌ شَرْقِيَّ الْبَحْرِ الْمَيِّتَ، ويقال: مؤاب اسْمٌ لابْنِ لُوطٍ عليه السلام، ومن نسله شَعْبُ مُؤَاب، الَّذِي أُعْطِيَ اسْمُهُ لِهَذِهِ الْبُقْعَة، ومَآب هِيَ السَّرَاةُ -الشراة- الَّتِي تَمْتَدُّ بِمُحَاذَاةِ الْغَوْرِ الأُرْدُنِّيِّ مِن الشَّرْق، وَتَقَعُ عَلَيْهَا مُدُنٌ كثيرة؛ منها الْبَتْرَاءُ، وَالْكَرَكُ، وَالسَّلْطُ، وَعَجْلُون، وَرُبَّمَا جَرَشُ وَعَمَّانُ، قال المقدسي البشاري: (أما الشراة فجعلنا قصبتها زغر، ومدنها مآب، ومعان، وتبوك، وأذرح، وأيلة، ومدين)، وقال ياقوت: (مَآبُ في اللغة المرجع، وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء)، وقال الطبري: (أول صلح كان بالشام صلح مآب، مرّ أبو عبيدة بها في طريقه، وهي قرية من البلقاء، فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم.

ثانياً: القطرانة القلعة مدرسة علمية، والحاميات ومحطتها لرعاية حجاج بيت الله والطريق السلطاني: مدينة القطرانة جنوب عمان على بعد نحو ٩٠ كم، وعرفت في التاريخ بأنها محطّة مُهمَّة على طريق الحجّ، وفيها قلعة القطرانة، التي بنيت في عام ٩٣٧هـ/١٥٣١م، خصوصاً لحماية طريق الحج، حيث أن هذه القلعة كانت إحدى المراحل الرئيسية على طريق الحج؛ مثلها مثل القسطل، وزيزياء، وقلعة الحسا، وتقع على الطريق التي أمر بشقّها السلطان سليمان القانوني، وتسمّى اليوم الطريق السلطاني؛ فالموقع مرتبط ارتباطاً جذرياً بالحج، وقد استعملها الأتراك نقطة إستراتيجية عسكرية، وقد قام رحالة عديدون بزيارتها ومنهم ستزن الألماني، وبيركهارت السويسري، والألماني برونوف عام ١٨٩٨م، ونستنتج من تقارير هؤلاء الرحالة أنها كانت قائمة منذ عام ١٨٠٥م، وربما تكون قد بنيت قبل ذلك.

وقلعة القطرانة مستطيلة صغيرة، وأسوارها مُجهَّزة بالفتحات، وكوىً -جمع كوّة- إطلاق السهام، وفيها النوافذ الكاشفة، ويقع مدخل القلعة في الواجهة الجنوبية الشرقية، وترتفع البوابة حوالي ثلاثة أمتار، ويعلوها شرفة للمراقبة.

وذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار أن في القلعة دفن الشيخ حامد بن أحمد بن عبيد العطار الشافعي الأشعري.

ثالثاً: مقام رسول الله نوح عليه السلام: يوجد في الكرك مقام لنبي الله نوح عليه السلام، وأهل التاريخ يتفقون أنه لم يبعث في هذه

المنطقة؛ ولكن قرب الأردن من بيت المقدس هو الذي يؤكد لنا مروره منها، وقد يكون قد قضى فترة فيها؛ وهو حفيد إدريس عليه السلام، وبُعث بعده، يقال: كان بينه وبين آدم عشرة قرون، ومما تجدر الإشارة إليه وجود مقام لنبي الله نوح عليه السلام في الشام؛ في بلد يقال لها: (كرك نوح).

رابعاً: جوهرة الصحراء استولى عليها الظاهر بيبرس وهي مليئة بالآثار عامرة بالمشاهد: قلعة الكرك أعجوبة؛ قال ابن بطوطة: (هي من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها، ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته، وله باب واحد؛ قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد، ومدخل دهليزه كذلك، وبهذا الحصن يتحصن الملوك، وإليه يلجأون في النوائب).

إنها من القلاع ذات الأهمية، وهي من أقدم وأضخم القلاع في منطقة الشرق الأوسط؛ بناء ضخم مستطيل الشكل طوله من الجهة الشرقية ٢٢٠ متراً، ومن الجهة الغربية ٢٤٠ متراً، أما الجهة الجنوبية فيبلغ طولها ٨٥ متراً، والشمالية التي تقع فيها البوابة الرئيسية للقلعة، ولها أربعة أسوار لا زالت جميعها قائمة، وإن كانت بعض الأبراج المنصوبة عليها قد اعتراها التغيير، بفعل ما تعرضت له المنطقة من زلازل متلاحقة، أو نتيجة الحروب والحصار، أو بسبب عوامل الزمن، وتتألف القلعة من الداخل من جزأين رئيسيين؛ الجزء الأسفل ويقع في الجهة الغربية على يمين الداخل للقلعة، والجزء الأعلى ويقع على يسار الداخل من جهة الشرق.

تاريخ القلعة: شهدت القلعة أحداثاً تاريخية كبيرة فرضتها طبيعة القلعة؛ ومنها:

١ . أنه تعاقب عليها المؤابيون والأشوريون والأنباط واليونان والرومان والبيزنطيون، ودخل المسلمون الأردن، وظلت الكرك في العصر الإسلامي محمية، واشتهرت المنطقة كافة بالتحركات السياسية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي الدولتين الأموية والعباسية.

٢ . احتلتها قوات الصليبيين، واشتهرت إبان الحروب الصليبية، وأقام الملك بولدين الأول المتوفى ٥٠٩ هـ حصناً؛ لحماية الحدود الجنوبية الشرقية لمملكة بيت المقدس، وأطلق عليها الصليبيون اسم (جوهرة الصحراء)؛ وكانت الكرك مركزاً للمملكة الصليبية، وكانت تلك المملكة مشهورة بالتهور وخرق المعاهدات، وكانت تتعرض لقوافل التجار والحجاج، وتشن حملات على شواطئ البحر الأحمر، وبلغت الغطرسة أنها حاولت تهديد موطن الإسلام الأول مكة المكرمة؛ الأمر الذي دفع صلاح الدين الأيوبي إلى استجماع

قواه العسكرية، وقام بحملة قوية عليها ونجح في طرد الصليبيين منها، بعد أن ظلت القلعة في قبضة الصليبيين مدة تزيد عن أربعين سنة.

٣ . أصبحت هذه القلعة حصنا أيوبياً، بعد قتل حاكمها أرناط وذلك عام أربع وثمانين وخمسمائة (٥٨٤ هـ /١١٨٨م)، واستخدم صلاح الدين القلعة موقعاً عسكرياً، وبذلك أمكنه السيطرة على وادي عربة وخليج العقبة، بالإضافة إلى حصن الشوبك، وقد مكّن الحصنان الصليبيين من قطع الاتصال بين مصر والشام، والسيطرة على طرق القوافل، وعلى حقول القمح في الكرك وطرق التجارة، وجعلها السلاطين عاصمة لمملكتهم، وقاموا ببناء المدارس، ودور العلم، ومراكز الاستشفاء، وبنوا الأبراج الجديدة لتحمي القلعة من هجمات الأعداء، وطمسوا المعالم الصليبية فيها؛ مما أعادها قلعة إسلامية.

٤ . استولى الظاهر بيبرس على القلعة سنة ١٢٦٢م، وبرزت النقوش الإسلامية على جدران القلعة باسمه؛ فعلى أحد الأبراج: (إنها عمارة مولانا السلطان، الملك الظاهر، السيد الأجل الكبير، العالم العادل المجاهد، المرابط المؤيد المظفر المنصور، ركن الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيد الملوك والسلاطين، ناصر الحق مغيث الخلق ملك البحرين، صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين، محيى الخلافة المعظمة، ظل الله في الأرض، قسيم أمير المؤمنين بيبرس بن عبدالله الصالحي أعز الله أنصاره)، وفي الفترة المتأخرة من نهايات الدولة المملوكية تعرضت لغزوات القبائل البدوية، ولم تكن تحت سلطة مركزية في ذلك الوقت، وأضحت القلعة منفى سلاطين المماليك، وكان أول المنفيين إلى الكرك من سلاطين المماليك أحد أبناء السلطان الظاهر بيبرس؛ وذلك عام ١٢٧٩م، ونُفي إليها محمد بن قلاوون عام ١٢٩٣م، ومن الكرك عاد محمد بن قلاوون للكرسي مرة أخرى عام ١٣٠٩ م، وبقي للكرك هذا الوضع الغريب طوال دولة المماليك.

٥ . عام ١٥١٦م تمت سيطرة العثمانيين عليها، وأصبحت حامية تركية، وأعيد استخدامها مركزاً للجند، بعد أن دُمر جزء كبير منها أثناء احتلالها.

٦ . في العصر الحديث شهدت المزيد من التطوير والتحسين وأعمال الصيانة التي شملت مرافق القلعة وأسوارها وأبراجها.

ذم العتاب في الأدب العربي

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد القادر الشيخلي

يحفل التراث الادبي والأخلاقي العربي الاسلامي، بجملة أقوال تنتسب الى باب الحكم، تدعو الى نبذ العتاب وتجنب اللجوء اليه، ويبين بعضها مضاره وسأستشهد في هذا الشأن بالأمثال العربية، وكذلك بنماذج من الشعر.

أولا، الأمثال العربية نثراً وشعراً:

أ- من لاحاك فقد عاداك:

الملاحاة: الملاومة، وأصله من قولهم: لحوت العود، اذا قشرته، وكانوا يشبهون اللوم بالقشر وتحريق الجلد، ولذلك قال تأبط شراً:

يا من لغدالة خدالة اشب
حرق باللوم جلدي أي تحرق

ولحى الرجل، وألام، اذا أتى ما يلام عليه، ويلحى من اجله، ثم فرقوا بين القشر واللوم، يقال: لحيت الرجل اذا لمته، ولحوت العود اذا قشرته والاصل واحد، ويقولون: أثقل من العذول، وقال ابو هلال العسكري:

اذا لم يرد خل اعانه خله
أتاه اذا ناب المسلم يوبخ

ويقولون: اللوم يغري، كما قال ابو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء[١]

ب- رب ملوم لا ذنب له[٢]:

هذا مثل عربي، وانما قيل ذلك لأن من العذر ما لا يمكن اعلانه، وكان مالك بن أنس لا يغشى احداً لزيارة ولا تهنئة ولا تعزية ولا عيادة، فإذا عوتب على ذلك قال: لا يمكنني اظهاره، وليس كل عذر يمكن ان يظهر، ويقولون: رب ملوم لا ذنب له وقال الشاعر منصور النمري:

لعل له عذراً وانت تلوم
وكم من ملوم وهو غير مليم

وقالوا: المرء اعلم بشأنه[٣]، وقال ابو هلال العسكري: من اجود ما جاء في ذلك من الشعر قول الفزاري:

رثمن المسك انافاً حساناً
ودفن الزعفران على الجيوب[٤]
ذكرت بموقفي حمل بن بدر
وصاحبه الألد لدى الخطوب
فقلت لهن لا عذر لدينا
يكون من المحب الى الحبيب
ولو صدق الهوى أو كنت حراً
لمت مع الندى يوم القليب
وقد طاعنت حتى لا طعان
وزالت حيلة الرجل اللبيب
وكم من موقف حسن احيلت
محاسنه فعد من الذنوب

ونحوه قال البحتري:

اذا محاسن اللائي أدل بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر[٥]

وينسب الجاحظ، مثل: «رب ملوم لا ذنب له»، الى الأخف، فقالوا: ذم رجل عند الأحنف: الكمأة بالسمن، فقال الأحنف: رب ملوم لا ذنب له[٦] وذكر الجاحظ في مؤلف له آخر: «رب ملوم مذموم»[٧].

وقال ابن المقفع:

فلا تلم المرء في شأنه
فرب ملوم ولم يذنب

وقال مسلم بن الوليد:

لعل له عذراً وانت تلوم
وكم لائم قد لام وهو مليم

وأنشد أيضاً:

فكم من مليم لم يصب بملامة
ومتبع بالذنب ليس له ذنب
وكم من محب صد من غير علة
وان لم يكن في وصل صلته عتب[٨]

ج- كم لائم مليم:

يقول: ان كل من أتى أمراً حسناً فلسبب دعاه اليه وقبيحاً فلعذر له فيه، فلامه اذا كان مليم، والملوم، المذنب الذي أتى ما يلام عليه، وفي القرآن ﴿**فالتقمه الحوت وهو مليم**﴾ الصافات: ١٤٢ .

وقال الشاعر في معنى المليم:

تدعو الضرورات في الأمور الى

سلوك ما لا يليق بالأدب

وحيرة المرء في تطلبه

تحله ان يلج في الطلب

ما حامل نفسه على سبب

الا لعذر يكون في السبب(٩)

د- ليس من العدل سرعة العذل:

المثل لأكثم بن صيفي، يقول: لا ينبغي لمن يبلغه عن أخيه شيء أن يسرع اليه باللائمة، فلعل له عذراً وحجة، يقال: عذله عذلاً، والعذل بالتحريك: الاسم(١٠).

ثانياً الشعر العربي: شعر العتاب:

قال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا، وكان قصد الاندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد:

لا تعذليه فإن العذل يولعه

قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

جاوزت في لومه حداً أضر به

من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً

من عنفه فهو مضنى القلب موجعه

قد كان مضلعاً بالخطب يحمله

فضيقت بخطوب البين اضلعه

يكفيه من لوعة التفنيد ان له

من النوى كل يوم ما يروّعه(١١)

وقال الشاعر:

الدهر اقصر مدة

من ان يمحق بالعتاب

فتغنم الساعات فيه

فمرها ممر السحاب(١٢)

وقال الشاعر:

لا تعتبن على العباد فإنما

يأتيك رزقك حين يؤذن فيه(١٣)

❖ عتاب باطل وعتاب حق:

احياناً يعاتب المرء فيما لا مجال للعتاب فيه، فيرد على معاتبيه بعتاب أشر، قال المقنع الكندي:

يعاتبني في الدين قومي، وان

ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

أشد بها ما قد أخلوا وضيعوا

تغور حقوق ما اطاقوا لها سرا

فإن اكلوا لحمي وفرت لحومهم

وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا احمل الحقد القديم عليهم

وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالي ان تتابع لي غنى

وان قل مالي لم اكلفهم رفدا

واني لعبد الضيف ما دام ثاويا

وما لي غيرها تشبه العبدا[١٤]

قال للمتنبي احد اخوانه: «سلمت عليك فلم ترد السلام»، فقال معتذراً:

انا عاتب لعتبـــــك

متعجب لتعجبــــــك

اذا كنت حين لقيتنــي

متوجعاً لتغيبــــــك

فشغلت عن رد السلام

وكان شغلي عنك بك[١٥]

عذل ابو سعيد المجيرمي، المتنبي على تركه لقاء الملوك فقال للمتنبي ارتجالاً:

ابا سعيد جنب العتابــا

فرب رأي أخطأ الصوابا

فإنهم قد أثروا الحجايا

واستوقفوا لردنا البوابا

وان حد الصارم القرضابا

والذابلات السمر والعراب[١٦]

ترفع فيا بيننا الحجابا[١٧]

قال الشاعر:

فدع العتاب فرب شر

هاج اوله العتـــاب

وقـال بشـار بن بـرد في رذيلة الافـراط بالعتاب:

اذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي تعاتبه

وقال الشاعر:

عتبت على عمرو فلما تركته

وجربت اقواماً بكيت على عمرو

وقال ابو تمام:

ولا تسقني ماء الملامة فانني

صب قد استعذبت ماء بكائي

وقال الشاعر:

حياة ابي العوام زين لقومه

لكل امرء قاس الأمور وجربا

وتعتب احياناً عليه ولو مضى

لكنا على الباقي من الناس اعتبا[١٨]

❖ **لا عتاب على القناعة:**

عاتبت امرأة بعلها في شأن قناعته، وقعوده عن اغتنام المال، ودر عليها الزوج شعراً:

وقائلة تعاتبني
وجرم الليل منبلج
فقلت رويداً مقبلة
لكل كلمة فرج
أيسرك ان اكون رتقت
بين الاسم والنهج
فأدرك ما ظفرت به
ويبقى العار والحوج
ذريتي خلق قاصة
اضايقها وتنفرج
فإن ضاقت بنا بلد
فلي في الارض منعرج[١٩]

❖ **لا عتاب على كرم الكريم:**

كان حاتم الطائي، شاعراً جاهلياً، اشتهر بشجاعته وسخائه، ودخل اسمه في الأمثال العربية، فقيل: أجود من حاتم، وتوفي في سنة ٦٠٥م وماوية «ماوي» زوجته ويدللها باسم النوار، وكانت تعاتب حاتماً على انفاقه، قال حاتم الطائي:

أماوي قد طال التجنب والهجر
وقد عذرتني من طلابكم العذر
أماوي اما مانع فمبين
وإما عطاء لا ينهنهه الزجر
فقد علم الأقوام لو أن حاتماً
اراد ثراء المال كان له وفر
اذا انا دلاني الذين أحبهم[٢٠]
لملحودة[٢١] زلج[٢٢] جوانبها غبر
وأبو أثقالاً[٢٣] لا ينقضون اكفهم
وكلهم[٢٤] دمى أنامله الحفر
أماوي اني لا أقول لسائل
اذا جاء يوماً حل في مالنا نزر
أماوي ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر
ولا أشتم ابن العم ان كان أخوتي
شهوداً وقد اودى بإخوانه الدهر
ولا أخذل المولى لسوء بسلائه
وان محنو الضلوع عليّ غمر

وعشنا مع الاقوام بالفقر والغنى
وكلاً سقانا بكأسها الدهر
فما زادنا بأواً[٢٥] على ذي قرابة
غنانا ولا ازرى بأحسابنا[٢٦] الفقر

ثالثاً، النثر العربي.. حكم بليغة:

١- العتاب سيء:

قال الحكماء العرب: «العتاب يبعث على التجني، والتجني أخو المحاجة وهي اخت العداوة، والعداوة ام القطيعة»، «العتاب رسول الفرقة، وداعي القلى، وسبب السلوان، وباعث الهجران»، «سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث ألا يكدهم بالتوبيخ، لئلاً يضطروا الى القحة»، «العتاب داعية الاجتناب، فإذا انبسطت المعاتبة، انقبضت المصاحبة»[٢٧].

وقال بعض العلماء:

من عذر الناس عذره الله، ومن عاتب الناس عاتبه الله[٢٨]، وقال ارسطو الحكيم لصديق له: ما اكثر ما نعاتب غيرنا على الظنون، ونترك عتاب انفسنا على اليقين[٢٩].

● **حكاية:**

حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثنا روح حدثنا عوف قال: بلغني ان ام ذر عاتبت ابا ذر في معيشتها، فقال لها: يا أم ذر ان بين ايدينا عقبة كؤوداً وان المخفف فيها أهون من المثقل»[٣٠].

٢- ليس بالعتاب ينال المرء تعظيم الشأن:

قال الشاعر الحكيم صالح بن جناح: لا ترفع الناس الى برك وجلال أمرك وتعظيم قدرك بالمعاتبة، ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبه منهم، وانظر الأمر الذي اكرم به من هو أبعد منك، وقرب به من اقرب منك فالزمه[٣١].

ويعقب المحقق محمد ابراهيم سليم على ذلك بقوله: كثيرون في مجتمعنا اولئك الذين لا يكفون عن العتاب ليشعروا من حولهم بالتقصير والذنب فالانسان ينال الحب والتقدير والاحترام بالبذل والعطاء، وعندئذ يشعر الناس بالحرج عند تقصيرهم في حقه[٣٢].

٣- افراط الزوج بالعتاب سبب انفصال زوجته:

حكاية: قال العتبي: خطب الى اعرابي رجل موسر احدى ابنتيه وكان للخطاب امرأة، فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها:

ولم؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب[٣٣].

حكاية أخرى: نافرت امرأة فضالة زوجها، وابدت كراهيتها له وخاصمته لدى مسلم بن قتيبة، والي خراسان، فقالت: أبغضه، والله لخلال فيه، وما هي؟: قالت: قليل الغيرة، سريع الطيرة، شديد العتاب، سريع العقاب، قد اقبل بخره، وأدبر ذخره[٣٤] وهجت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيق سريعاً، وينطق رجيعاً، يصبح حلساً، ويمسي رجساً، ان جاع جزع، وان شبع فزع[٣٥].

وقال عبد الله بن جعفر لابنته: «اياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء»[٣٦].

الهوامش:

١- ابو هلال العسكري «الحسن بن عبد الله بن سعيد، مات بعد الاربعمائة» كتاب جمهرة الامثال، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطاني، بيروت، دار الجيل ص٢٣٠ وما بعدها.

٢-٣- ابو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، الجزء الاول ص٤٧٤، وهناك مثل آخر يقول: رب سامع بخبري لم يسمع بعذري.

٤- رثمت المرأة أنفها بالطيب طلته، ذو الرمة يصف امرأة:

تثني النقاب على عرنين ارنبة

شماء مارنها بالمسك مرثوم

٥- المرجع السابق، ص٤٧٥ .

٦- الجاحظ، البيان والتبيين ج٢، ص٣٦٤ .

٧- الجاحظ، الحيوان، ح١، ص٢٤ .

٨- الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٣٦٣ .

٩- ابو هلال العسكري، جمهرة الامثال، الجزء الثاني، ص١٤٥ وما بعدها.

١٠- المرجع السابق، ص١٩٢ .

١١- انظر بقية الأبيات، السيد الهاشمي، جواهر الادب، الجزء الثاني، بيروت، مؤسسة المعارف، ص٣٧٢ .

١٢- مذكور لدى ابن حنبل ابي عبد الله احمد بن حنبل الشيباني، توفي ٢٤١هـ ٨٥٥م، الزهد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص١٨٥ .

١٣- مذكور لدى الشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي «من علماء القرن الخامس الهجري»، المحاسن والمساوئ، دار بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤، ص٢٨٧ .

١٤- هذه الأبيات مذكورة لدى الأمير اسامة بن منقذ «المرجع السابق، ص٣٨١».

١٥- الديوان، دار صادر، ص٤٠ المكتبة الثقافية ص٣٩ .

١٦- الصارم، السيف القاطع، القرضبا، كذلك «اي السيف القاطع» الذابلات: الرماح، العراب: الخيل

العربية.

١٧- ديوان المتنبي، دار صادر، ص٣٩، وهوامشها.

١٨- اورد هذين البيتين الأخيرين، المبرد، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني، ص٣٩٢ .

١٩- مذكورة لدى ابن ابي الدنيا، عبد الله بن محمد ابن عبيد، متوفى ٢٨١هـ، القناعة والتعفف، تحقيق مجدي السيد ابراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٩، ص٩٥، وانظر نسخة اخرى، بتحقيق: نور سعيدة، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢، ص٩٨ .

٢٠- في رواية «يلونني».

٢١- في رواية «وراحوا سراعاً».

٢٢- في رواية «بمظلمة».

٢٣- زلج: صخور ملساء.

٢٤- في رواية «يقولون قد».

٢٥- البأو: الفخر والاستعلاء.

٢٦- في رواية بأحلامنا.

٢٧- ابو هلال العسكري، كتاب جمهرة الامثال، الجزء الاول، ص٦٩ .

٢٨- الشيخ نور الدين البريفكاتي، الانوار البهية باختصار البدور الجلية «تلخيص محمد بن ياسين ابن عبد الله» مكتبة بسام، الموصل ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص٢٧ .

٢٩- اسامة بن منقذ، المرجع السابق، ٤٣٠ .

٣٠- ابن حنبل «احمد بن حنبل الشيباني توفي ٢٤١هـ٨٥٥م» الزهد، بيروت، دار المكتبة العلمية، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص١٨٥ .

٣١- صالح بن جناح اللخمي الدمشقي، كتاب الادب والمروءة، «رسالة نشرها الشيخ طاهر الجزائري وكذلك العلامة محمد كرد علي في رسائل البلغاء» مذكور لدى: محمد ابراهيم سليم، المروءة الغائبة «مجموعة رسائل في المروءة»، القاهرة، مكتبة القرآن ١٩٨٦، ص٣ .

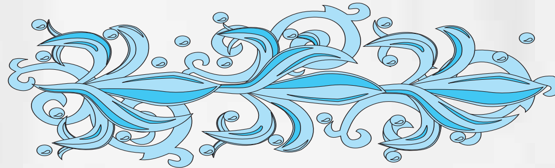
٣٢- المرجع السابق، في الموضوع ذاته، هامش رقم (٤٥).

٣٣- ابن عبد ربه «احمد بن محمد الاندلسي» العقد الفريد، بيروت، ص٧٨ .

٣٤- ظهرت رائحته واشتدت من الامام بخره، ومن الخلف بنتنه.

٣٥- المرجع السابق، ص١٥٠، وجدير بالذكر ان المحقق محمد بن ابراهيم سليم، قام بانتقاء اخبار النساء وما قيل عنهن في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، ونشرها بعنوان: طبائع النساء، وما فيها من عجائب وأخبار وأسرار، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٥ «يتألف من ٢٤٠ صفحة».

٣٦- الجاحظ «ابو عثمان عمرو بن بحر، متوفى ٢٥٥هـ» المحاسن والاضداد، تحقيق الشيخ محمد سويد، دار احياء العلوم، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٠م، ص٢٨٧ .



قال الله تعالى:

﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾

▪ بقلم الفلكي الاستاذ عماد مجاهد

يقول عز وجل في الآية ٤٧ من سورة الذاريات: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾، وحسب جاء في لسان العرب لابن منظور في شرحه لمعنى كلمة موسعون: السعة: هو نقيض الضيق، وموسعون أي جعلنا بينها وبين الأرض سعة. وبينت كتب التفاسير أن معنى ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أي وشيدنا السماء واحكمنا خلقها بقوة وقدرة قال ابن عباس: ﴿بأيد﴾ بقوة ﴿وإنا لموسعون﴾ أي وإنا لموسعون في خلق السماء، فان الأرض وما يحيط بها من الهواء والماء بالنسبة لها، كحلقة صغيرة في فلاة كما ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

كان الإنسان منذ القدم قد وضع العديد من النماذج للكون، إلا أن أهم هذه النماذج القديمة هو الذي صاغه اسحق نيوتن، الذي قال فيه: «إن الكون عبارة عن فضاء غير متناه أي ليست له حدود، وتملأه المجرات التي تسبح في وسط أثيري يملأ الكون» لكن ما لبث أن قوبل بالكثير من التساؤلات، فلو أن الكون غير محدود حسب رأي نيوتن لكان قد فقد طاقته وانطفأت حرارته منذ مليارات السنين.

كان الفيزيائي الشهير ألبرت اينشتاين قد صاغ نموذجا للكون بناء على دراسات

فيزيائية نظرية بحتة دون الاعتماد على الأرصاد الفلكية للكون، فقد توصل اينشتاين إلى أن الكون احدب مثل الكرة وساكن لا يتمدد، وأطلق على نموذجه عن الكون (الكون الأحدب المحدود) حيث بين اينشتاين خلال نظرية النسبية العامة، بأن الفضاء يتحدب (ينحني) حول الكتل الكبيرة فلو كان الضوء يسير في خط مستقيم واقترب من جاذبية جسم كتلته كبيرة مثل الشمس، فإن الضوء الذي يمر بجانبها سوف ينحني، وبذلك يتحدب الفضاء الكوني كله حول نفسه ويصبح على شكل كرة لكن دون حافة خارجية، لذلك يمكن أن نتصور أن الكون محدود لكنه غير متناه.

وفي عام ١٩٤٨م نشرت نظرية **(الحالة المستقرة للكون)** التي عمل فيها ثلاثة علماء هم بوندي وجولد ثم عدل عليها الفلكي الأمريكي فريد هويل، وتنص هذه النظرية على انه ليس للكون بداية وانه مخلوق منذ الأزل، لكن بعد أن انتشرت نظرية الانفجار العظيم حول نشوء الكون قوبلت نظرية الحالة المستقرة للكون بالرفض.

اكتشف الفيزيائي الشهير (كريستيان دوبلر) بأن الأمواج الصوتية تطول إذا ما ابتعد مصدر الصوت عن الراصد، لذلك يكون تأثيرها بسيطا على أذن الراصد،بينما تقصر الموجات الصادرة إذا كان مصدر الصوت يقترب من الراصد، وهذه الظاهرة تحدث بشكل اعتيادي عندما يقف شخص ما على طريق سريع وتمر السيارات من أمامه بسرعة عالية، فإذا كانت السيارة تتجه نحونا فإن صوت المحرك يزداد شيئا فشيئا ويصبح الصوت أعلى ما يمكن عندما تصبح السيارة قريبة منه، لكن بمجرد أن تمر السيارة من أمام الشخص الواقف على الطريق فإن صوتها يخبو بسرعة، وسبب هذه الظاهرة أن السيارة أي مصدر الصوت عندما يقترب منا، فإن صوتها يزداد نظرا لانضغاط الموجات الصوتية التي يقل طولها، لذلك يكون تأثيرها على طبلة الأذن عاليا فيكون الصوت حادا، بينما تطول الموجات عندما تجتازها السيارة فيقل اهتزاز طبلة الأذن فيصبح الصوت خافتا.

إن ما يحدث للصوت يحدث للضوء أيضا، فإذا ابتعد مصدر الضوء عن الراصد فإن موجات الضوء سوف تطول ويتحول الطيف الظاهر إلى اللون الأحمر، لان هذه الأطياف لها أطوال موجية كبيرة،

بينما يتحول الطيف الصادر عن مصدر الضوء المقترب إلى اللون الأزرق، لان الطول الموجي لهذا الطيف هو الأقصر. هذه الظاهرة تعرف باسم (أثر دوبلر) نسبة إلى العالم دوبلر سميث الذي اكتشفها.

في عام ١٩٢٢ تمكن الفلكي (سيلفر) من تحليل الطيف القادم من مجرة المرأة المسلسلة اقرب المجرات إلى مجرتنا درب التبانة، وكانت نتيجة التحليل الطيفي أن طيف مجرة المرأة المسلسلة يحيد نحو الأحمر، وعرف سيلفر أن المجرة تبتعد عن مجرتنا، لكن لم تلق دراسات سيلفر أي اهتمام من قبل العلماء!

وفي نفس العام الذي اكتشف فيه سيلفر ابتعاد مجرة المسلسلة، قام هاوي الفلك الأمريكي (أدوين هبل) بأرصاد متواصلة للمجرات من خلال مرصد جبل ويلسون الأمريكي، وبعد أن درس الأطياف الصادرة عن هذه المجرات تبين له أن طيف كل المجرات يحيد نحو الأحمر، وهذا يعني أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض، أي أن الكون يتوسع.

لاحظ هابل من خلال الدراسات التي أجراها على طيف المجرات أنها لا تبتعد عن بعضها البعض بشكل عشوائي، بل تبتعد عن بعضها بتناسق جميل، فقد تبين انه كلما كانت المجرات ابعد عنا، كلما كانت سرعة ابتعاد المجرة أعلى، وكلما كانت المجرة اقرب إلينا كلما كانت سرعة ابتعادها اقل، وقد تمكن هابل من صياغة علاقة تدل على سرعة ابتعاد المجرة نسبة لبعدها، وهي انه كلما كانت المجرة ابعد عنا مقدار مليون فرسخ فلكي (بارسك) زادت سرعة ابتعادها مقدار ٥٥ كلم في الثانية، وأطلق على هذه العلاقة اسم (ثابت هابل).

تعتبر النتائج العلمية التي توصل إليها هابل هامة للغاية، وهي من أهم الاكتشافات الفلكية في القرن العشرين، فهي تبين بلا أدنى شك أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض وهذا يدل على أن الكون يتمدد، وتدل كذلك على أن مادة الكون كانت قبل فترة من الزمن أي عند نشوئه متجمعة في نقطة واحدة! وهذا اكبر إثبات على أن للكون بداية وتأكيد واضح على صحة نظرية الانفجار العظيم للكون، كما أن هذا التمدد إثبات قوي للإعجاز الكوني في القرآن الكريم، الذي يوضح أن الكون يتمدد!

برز تساؤل بعد تصوير الكون المجري وهو كيفية تحديد مركز للكون، فمن صفات الكون انه متماثل أي لا يمكن تمييز منطقة عن أخرى نتيجة تشابه شكل الكون في أي مكان رصدناه، فالكون كما يظهر من خلال المراصد الفلكية عبارة عن مجرات تتباعد عن بعضها البعض بشكل منتظم في كل الأمكنة كما أن المادة فيه على مستوى الكون موزعة بانتظام وهذا كله يوضح بأن الكون متناسق في كل الأمكنة، **هذا التماثل يجعل من الصعب تحديد مركز للكون فإذا افترضنا أن مجرتنا درب التبانة مركزا للكون فعلى أي أساس بني هذا الافتراض؟**

ولتوضيح طبيعة التماثل في الكون نضرب مثالا بسيطا، فلو صنعنا قطعة كيك محشوة بالزبيب، ووضعناها في الفرن، فإن قطعة الكيك تبدأ بالانتفاخ أو تتسع عن حجمها الأصلي وتتباعد حبات الزبيب عن بعضها بتناسق وانتظام، وهنا نتساءل إذا افترضنا عدم وجود حواف لقطعة الكيك أي ليس لها حدود، فهل سيكون بالإمكان تحديد مركز لقطعة الكيك بعد هذا التناسق والتماثل في توزيع حبات الزبيب ؟ إن هذا المثل الذي ضربته حول قطعة الكيك ينطبق على الكون على مستوى الكون وليس على مستوى المجرة، حيث أننا لم نر حدوداً للكون إن كانت له حدود، لذلك لا يمكن تحديد مركز واضح أو ثابت للكون.

نستنتج من خلال هذه الدراسات النقاط التالية:

١- أن مادة الكون كانت متجمعة في نقطة صغيرة ثم حدث لها انفجار لسبب ما، ثم تابعت مادة الكون ابتعادها عن بعضها البعض، وهذا يعني أن الكون يتمدد وان للكون بداية ولم يكن أزليا وهو معاكس لقول الملحدين الذين يدعون انه ليس للكون بداية.

٢- أن تمدد الكون ليس عشوائيا بل يتم بشكل رياضي دقيق ، وهو يتفق مع ما جاء في القران الكريم قبل أكثر من ١٤٠٠ عام وهذا إعجاز علمي كبير للقران الكريم كما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة **﴿وإنا لموسعون﴾**.

٣- أن اتزان الكون وانتظام حركة الأجرام السماوية فيه، يدلل على وجود خالق للكون نظم حركة الكون والأجرام السماوية فيه.

فتبارك الله أحسن الخالقين

العالِم الذي لا يعمَل بعلمه!!

■ بقلم الطالبة حياة عاكف

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد ان يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأن احكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض وأهواء الناس ولا سيما اهل الرياسة.

والذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم الا بمخافة الحق ودفعه كثيراً، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك لا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما اذا قامت له شبهة وشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وان كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه اقدم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال الله تعالى: ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**﴾.

وأما هذه الآية فتدل على عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، قال تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ❖ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث**﴾.

وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذم، وذلك من وجوه:

١- انه ضل من بعد العلم واختار الكفر على الايمان عمداً لا جهلاً.

٢- انه فارق الايمان مفارقة من لا يعود اليه ابداً، فإنه انسلخ من الآيات

بالجملة كما تنسلخ الحية من جلدها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

٣- ان الشيطان ادركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال سبحانه: **﴿فأتبعه الشيطان﴾** ولم يقل: تبعه، فإن في معنى اتبعه ادركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

٤- انه غوى بعد الرشد، والغي والضلال في العلم والقصد، وهو اخص بفساد القصد والعمل، كما ان الضلال اخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا افرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

٥- انه سبحانه لم يشأ ان يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

٦- انه سبحانه أخبر عن خسة همته وانه اختار الأسفل الأدنى على الاشرف الأعلى.

٧- ان اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن اخلاد الى الارض وميل بكليته الى ما هناك، وأصل الاخلاد اللزوم على الدوام كأنه قيل: لزم الميل الى الارض، ومن هذا يقال: أخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به، قال مالك بن نويرة:

بأبناء حي من قبائل مالك

وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

٨- انه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه اماماً له يقتدي به ويتبعه.

٩- انه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات وأسقطها نفساً وأبخلها وأشدها ولهذا سمي كلباً.

١٠- انه شبَّه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد.. وهكذا. هذا ان ترك فهو لهثان على الدنيا، وان وعظ وزجر فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء او عطش الا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الري وحال العطش، فضربه الله مثلاً لهذا الكافر فقال: ان وعظته فهو ضال، وان تركته فهو ضال كالكلب، ان طردته لهث، وان تركته على حاله لهث.

وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب، وانما وقع بالكلب اللاهث وذلك أخس ما يكون.

الإمام العدل والقدوة:
رجاء بن حيوة الكندي

بقلم الاستاذ ايمن محمد خليل

❖ اسمه ونسبه:

رجاء بن حيوة بن جرول ابو المقدام الكندي الازدي، من اهل فلسطين من مدينة بيسان، وصفه الامام الذهبي فقال: الامام العدل، القدوة، الوزير العادل، الفقيه، من جلة التابعين، ولجده جرول صحبة على ما قيل، وقال ابن سعد: كان رجاء ثقة، عالماً فاضلاً كثير العلم.

❖ البيئة التي نشأ فيها:

ادرك رجاء زمن معاوية رضي الله عنه، ومات في أول إمرة هشام سنة ١١٢هـ، وهذه الفترة هي فترة استقرار الأمر للدولة الأموية، فعاش رجاء بن حيوة في كنف دولة امتدت رقعتها وعلا شأنها، وكثرت فتوحاتها، وازدادت مواردها، وكان الاعداء يرهبون جانبها، وعلى الرغم من الفتن الداخلية الكثيرة التي كانت تنشأ في بعض أقاليمها، والتي ما تلبث ان تخمد ويقضى عليها.

❖ صلته بالخلفاء:

كان رجاء ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهد امارته، ثم في خلافته، وبلغ من ثقة عمر بن عبد العزيز به ان طلب منه ان يكون في من يغسله ويكفنه ويدخل معه في قبره، وقال له: اذا وضعتموني في قبري

فحل العقدة ثم انظر الى وجهي، فقال رجاء: فكنت فيمن غسله وكفنه ودخل قبره، فلما حللت العقدة نظرت الى وجهه فإذا هو كالقراطيس.

واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وكان صاحب مشورته، وهو الذي اشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز، فنصح بذلك لدينه وأمته، ولم ينظر الى عاجل مغنم كان يعده به بعض من يتوقون الى الخلافة، وتمنون على رجاء ان يزين لسليمان اسناد الأمر اليهم، بل آثر مرضاة الله عز وجل، والنصح لأمة محمد ﷺ، غير آبه بما عسى ان يناله من الضرر او الأذى بسبب موقفه هذا.

وقد لازم خلفاء بني أمية، يأمر بالمعروف ويدلهم على طريق الهدى، ولا يقصر في بذل النصيحة، وقول كلمة الحق، كان هذا شأنه الى ان مات عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر انقطع رجاء عن صحبتهم، فسأله يزيد بن عبد الملك ان يصحبه، فأبى واستعفاه.

❖ ثناء العلماء عليه:

كان رجاء رجلاً من الشخصيات التي نالت حب الناس واعجابهم بما حازه من خِلال وسجايا، يتمنى كل ذي عقل راجح وقلب صادق ان ينالها أو شيئاً منها، وقد أكثر علماء وأعلام عصره من الثناء عليه، والاشادة بما وهبه الله تعالى وامتن به عليه، وكانوا يعدونه آية من آيات الله يمشي على الأرض.

روى ابن عساكر بسنده: ان هشام بن عبد الملك قال: ان في كندة لثلاثة نفر ينزل الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء: رجاء بن حيوة، وعبادة بن نسي، وعدي بن عدي، وقال عنه مكحول: انه سيد أهل الشام، وقال مطر: ما لقيت شامياً أفقه من رجاء بن حيوة، وما نعلم ان أحداً جازت شهادته وحده الا رجاء بن حيوة، يعني انه صدق على عهد عمر بن عبد العزيز وحده في تولية سليمان.

واما ابن عون فيقول: كان رجاء ممن يحدث الحديث على حروفه -يعني انه ضابط متقن- وما أدركت احداً من اهل الاسلام اعظم رجاء لأهل الاسلام من القاسم بن محمد، ومحمد بن سيرين، ورجاء بن حيوة، وما لقيت أشد ورعاً من

هؤلاء الثلاثة، فإنهم لم يجاوزوا ما علموا ولم يتكلفوا ان يقولوا برأيهم، ويقول الوليد بن عبيد: ما رأيت أحسن اعتدالاً في الصلاة من رجاء بن حيوة.

❖ رجاحة عقله وحسن تقديره للأمور:

ان دقة فهمه وكريم سجاياه وغزير علمه وسعة اطلاعه على سنة الرسول الكريم ﷺ، فضلاً عن مخالطته للخلفاء والأمراء، وما يستلزم ذلك من دقة الملاحظة ووزن الكلمة قبل نطقها، كل ذلك جعل رجاء ذا عقل راجح، وقلب يقظ، وخبرة واسعة بنفسيات الناس، وتمييز ما ينفع مما يؤذي ويضر، ولنستمع له يحدثنا بما يدل على دقة ملاحظته وعمق فهمه وحسن تقديره.

روى ابن عساكر بسنده ان رجاء بن حيوة قال: من لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه، قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه الا بإخلاصه له، دام سخطه، ومن عاتب اخوانه على كل ذنب كثر عدوه.

فيا لها من كلمات تمثل الواقع خير تمثيل، فكم يجمع الخيال في بعض المواقف، وتغلب العاطفة في بعضها الآخر، فلا يتصور الانسان هفوة من صديق، أو زلة من صاحب، وإذا ما وقعت فهي القاصمة التي ينسى معها كل محاسنه مهما عظمت، ولو تأمل المرء نفسه قليلاً لوجد انه مقيم على كثير مما يعيب على صاحبه، فواجب الأخ ان يحتال لزلة أخيه عذراً، وان يحمل أمره على أشد حال وأقومها.

واما الاخلاص فشيء أساس في حياة المتآخين، ولا تقوم أخوة على غير الإخلاص أبداً، ومما يدل على سعة علمه ورجاحة عقله قوله: ويقال: ما أحسن الاسلام ويزينه الايمان، وما أحسن الايمان، وتزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق.

نعم؛ لا يكتمل الاسلام الا بالإيمان، بل لا إسلام اذا لم يتحقق الايمان، واذا تجرد الايمان من التقوى، فقد خاصية الخشية من الله عز وجل، وأصبح مجرد تصديق.

❖ حرصه على مصلحة المسلمين:

لما مرض سليمان بن عبد الملك كتب

عهده الى ابنه أيوب -وهو غلام لم يبلغ- فقال له رجاء: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره ان يستخلف الرجل الصالح، قال سليمان: كتاب استخير الله فيه وأنظر، ولم أعزم عليه، فمكث يوماً أو يومين ثم خرقه، وهنا اهتبل رجاء الفرصة، وبين لسليمان ان الواجب يملي عليه ان يختار لأمة محمد ﷺ من هو أكثرهم صلاحاً وأشدهم حرصاً على إقامة العدل، وأقدرهم على إمضاء الاحكام وتنفيذ الحدود.

وعمر بن عبد العزيز هو الرجل الذي تجمعت فيه هذه الصفات، فهو أحق بالخلافة وأهلها، ولسوف يكون استخلافه من عظائم الحسنات التي تسجل في صحيفة سليمان.

ولخير أراده الله تعالى بسليمان استجاب لمطلب رجاء، وأملى عليه كتاباً باستخلاف عمر بن عبد العزيز، وأمر رجاء ان يأخذ البيعة لمن عهد له أمير المؤمنين دون ان يسميه لهم، ثم يعلن اسمه بعد ذلك.

❖ موقف شجاع:

قال رجاء: فلما فاضت روحه سجيته بقطيفة خضراء وخرجت، فقلت لصاحب الشرطة «كعب بن جابر»: اجمع اهل بيت أمير المؤمنين جميعاً، فلما اجتمعوا جاء رجاء وقال: بايعوا على ما أمر به أمير المؤمنين، ومن سمى في كتابه المختوم، فبايعوا.

فلما رأيت اني قد أحكمت الأمر قرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز، نادى هشام: لا نبايعه أبداً، قال رجاء: قلت: إذن والله أضرب عنقك، قم فبايع، وأخذت عمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر وتمت البيعة.

لقد حفظ التاريخ لرجاء موقفه هذا، وما زال درساً للأجيال يعلمنا كيف يستطيع المخلصون ان يفرضوا وجودهم، ويؤثروا في توجيه الأمور، وإلا فمن ذا الذي يستطيع ان يهدد هشام بضرب عنقه، وهو في مجلس قومه أهل السيادة والرياسة والبأس الشديد؟! انه الحق يعلو بصاحبه ويجعل الجميع يلقون السمع اليه، ويرضخون لصوته.

الألفة بين الأخوة

■ بقلم الطالب عمر نضال القطامين

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً، وألف ين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء وإخواناً، وفي الآخرة رفقاء وخلاناً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً.

قال الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** آل عمران: ١٠٣ .

ان الأخوة في الله تعالى، سبب في زرع المحبة والألفة بين الأحباب، وهي ما يجلب التقارب والتعارف، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما اعطي عبد بعد الاسلام خيراً من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وداً من أخيه، فليتمسك به».

وقال أبو عمر الأوزاعي: حدثني عبدة ابن ابي لبابة عن مجاهد، ولقيته فأخذ بيدي فقال: اذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه،

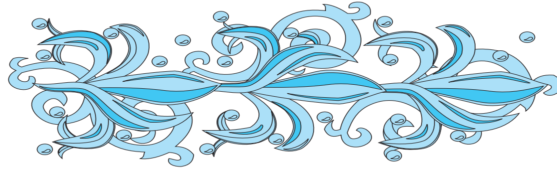
تحاتت خطاياهم كما تحات ورق الشجر، وكان ابن مسعود رضي الله عنه عندما يقرأ قول الله تعالى: **﴿لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾** يقول: أنزلت هذه الآية في المتحابين في الله عز وجل.

اذن فالألفة هي ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً، كانت الثمرة محمودة، وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق».

وقال اسامة بن شريك: قلنا: يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «حسن الخلق»، ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ان أقربكم مني مجلساً، أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون».

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا الى حبك



رحلة إلى الآخرة

■ بقلم الشيخ جعفر بني حمد

فإنه مهما عاش الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ومهما طال به البقاء ومهما استمتع بشهواتها وملذاتها، فإن المصير واحد والنهاية محتومة ألا وهي الموت الذي لا مفر منه قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ آل عمران: ١٨٥، وقال الشاعر:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... لا بُدَّ يوماً على آلة حدباء محمولُ

إنه لا بد من يوم ترجع فيه الخلائق إلى خالقها جل جلاله ليحاسبهم على ما عملوا في هذه الدنيا قال تعالى: **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾** البقرة: ٢٨١، يوم طالما نسيناه يوم هو آخر الأيام، يوم تغص فيه الحناجر إنه اليوم العظيم والموقف الجليل بين يدي الملك، يوم كتبه الله على كل صغير وكبير وكل جليل وحقير، إنه اليوم المشهود واللقاء الموعود.

ثم إنه قبل هذا اليوم لحظة ينتقل فيها الإنسان من دار الغرور إلى دار السرور أو دار الشرور كل بحسب عمله، تلك اللحظة التي يُلقى فيها الإنسان آخر النظرات على الأبناء والبنات والإخوان والأخوات يلقى فيها آخر النظرات على هذه الدنيا، وتبدو على وجهه معالم السكرات وتخرج من صميم قلبه الآهات والزفرات.

إنها اللحظة التي يعرف فيها الإنسان حقارة الدنيا وغرورها، إنها اللحظة التي يشعر الإنسان فيها بالحسرة والألم على كل لحظة فرّط فيها في جنب الله تبارك وتعالى فهو يناديه: رباه، رباه قال تعالى: **﴿رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾** المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠ .

إنها اللحظة الحاسمة والساعة القاصمة التي يدنو فيها ملك الموت لكي ينادي نداء النعيم أو نداء الجحيم؟!

إن الغربة الحقيقية إنما هي غربة اللحد والكفن، فهل تذكرت انطراحك على الفراش وإذا بأيدي الأهل تقلبك، فاشتد نزعك وصارت قواك تخور شيئاً فشيئاً وصار الموت يصارعك من كل عرق ثم أسلمت الروح إلى بارئها والتفت الساق بالساق ثم قربوك بعد ذلك ليصلى عليك، ثم أنزلوك في القبر وحيداً فريداً لا مؤنس

ولا مرافق معك من الأهل والأحبة، هناك يحس المرء بدار غريبة ومنازل رهيبة عجيبة، وفي فترة وجيزة ينتقل العبد من دار الهوان إلى دار النعيم المقيم إن كان ممن تاب وآمن وعمل صالحاً ، أو ينتقل إلى دار الجحيم والعذاب الأليم إن كان ممن أساء العمل وعصى المولى جل شأنه.

لقد طويت صفحات الغرور وبدا للعبد هول البعث والنشور، مضت المهلكات والمغريات وبقت التبعات اصبح القلب يتفطر على أيام غفل فيها عن ذكر الله واليوم الآخر، فها هي الدنيا بما فيها قد انتهت وأدبرت أيامها مر السحاب وها هو الآن يستقبل معالم حياة جديدة حياة البرزخ وما فيها من الأمور العظيمة، في لحظة واحدة أصبح كأنه لم يك شيئاً مذكوراً فلا إله إلا الله من ساعة ينزل فيها المرء أول منازل الآخرة فإما عيشة هنية وإما عيشة تعيسة.

ولا إله إلا الله من دار تقارب سكانها وتفاوت عُمارها فقبر يتقلب صاحبه في النعيم والرضوان المقيم، وقبر في دركات الجحيم والعذاب الأليم فهو ينادي ولكن لا مُجيب!؟ وهو يتعطف ولكن لا مستجيب، ثم يأتي بعد ذلك اللقاء الموعود واليوم المشهود اليوم الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون، فينفخ في الصور فيخرج الموتى من تلك الأجداث وتلك القبور إلى ربهم حفاة عراة غرلاً، فلا أنساب ولا أحساب ولا جاه ولا مال **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ❖ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ❖ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ❖ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾** المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٤ .

إنه اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، إنه اليوم الذي تتبدد عنده الأرحام والأحلام إنه اليوم الذي تنشر فيه الدواوين وتنصب فيه الموازين، انه اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، واليوم الذي يود المجرم لو يفتدي فيه من العذاب ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه.

فيا أخي المسلم، يا من عصيت الله تصوّر نفسك وأنت واقف بين الخلائق ثم نودي باسمك، أين فلان ابن فلان؟ هلُم إلى العرض على الله فقمت ترتعد فرائصك وتضطرب قدماك وجميع جوارحك من شدة الخوف وهول الموقف، قد تغير لونك وحل بك من الهم والغم والقلق ما الله به عليم، وتصور وقوفك بين يدي بديع السموات والأرض وقلبك مملوء من الرعب وطرفك خائف وأنت خاشع ذليل، قد أمسكت صحيفة عملك بيدك فيها الدقيق والجليل تقرؤها بلسان كليل وقلب منكسر، وداخلك الخجل والحياء من الله الذي لم يزل إليك محسناً وعليك ساتراً، فبالله عليك بأي لسان تجيبه حين يسألك عن

قبيح أفعالك وعظيم جرمك، وكيف بك إذا ذكرت مخالفتك له وركوبك معاصيه وقلة اهتمامك بنهيه وأوامره وطاعته ماذا تقول إذا قال لك: يا عبدي، ما اجللتني، أما استحييت مني؟! استخففت بنظري اليك؟! ألم أحسن اليك؟! ألم انعم عليك؟! ما غرك بي؟.

تذكر أهل الصالحات حين يخرجون من قبورهم وقد ابيضت وجوههم بآثار الحسنات، تتلقاهم الملائكة بطيب الكلام هذا يومكم الذي كنتم توعدون، تذكر عندما يقول الله سبحانه وتعالى بحقهم: يا ملائكتي، خذوا بعبادي إلى جنات النعيم، خذوهم إلى الرضوان المقيم خذوهم إلى جنة الكرامة والظل الظليل، فأصبحوا بنعمة الله في عيشة راضية وفتحت لهم الجنان وطاف حولهم الحور العين والولدان، وذهب عنهم النكد والنصب وزال العناء والتعب.

وتذكر في المقابل تلك النفس الظالمة الخبيثة المعرضة عن منهج الله وصراطه المستقيم العاصية لله ورسوله، عندما يقول تبارك وتعالى بحقها: يا ملائكتي خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلّوه، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني فوقفت تلك النفس الآثمة الظالمة على نار تصلي الوجوه، نار تلظى وجحيم تغيظ وتزفر، وقد تمنت تلك النفس أن لو رجعت إلى الدنيا لتتوب إلى الله وترجع إليه وتعمل صالحاً، لكن هيهات هيهات أن ترجع وانّى لها ذلك فكبت وجوههم في النار، وهوت في تلك المهاوي المظلمة وتقلبت بين الدركات والجحيم، والحسرات والزفرات، فسبحان الله العظيم ما اعظم الفرق بين هؤلاء وأولئك، بين من كان في النعيم ومن كان في الجحيم وصدق الحق تعالى إذ يقول: **﴿إن الأبرار لفي نعيم ❖ وإن الفجار لفي جحيم﴾** الانفطار: ١٣ ـ ١٤ .

فيا أيها المسلم قف قليلاً وحاسب نفسك وراجعها قبل أن يفوت الأوان، وتعود الروح إلى بارئها فإن كنت ممن يسارع في الخيرات والطاعات ويتجنب المعاصي والمخالفات، فأبشر واحمد الله على ذلك واسأله الثبات حتى الممات، وهنيئاً لك ما انت مقدم عليه بإذن الله، وإن كنت غير ذلك فتب إلى الله وارجع إلى الهدى ولا داعي للعناد والإصرار على المعاصي التي ستوردك لعذاب الله وسخطه، فإنك والله لأعجز من أن تطيق شيئاً من هذا العذاب إنك والله لتصبر على الجوع والعطش وتصبر على الضر والتكاليف لكنك والله لا صبر لك على النار، إذاً فأنقذ نفسك من النار ما دمت في زمن المهالك، قبل أن تندم حيث لا ينفع الندم، ثم اعلم أن طريق الاستقامة والالتزام ليس فيه تعقيد وكبت حرية كما يظنه البعض، بل ان طريق الاستقامة والالتزام كله سعادة، كله لذة، كله راحة كله طمأنينة، أما حياة المعصية والآثام فكلها قلق وارتباك وحسرة في الدنيا ثم عذاب وهوان في الآخرة، فجرب يرحمك الله طريق الهداية من الآن ولا تتردد فإني لك والله من الناصحين.

في ذكرى غزوة خيبر

شعر الشيخ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

خطرت ببالي كم تعالت خيبر ... ويهودها متحصنون ومُكَّر
أمر النبي بأن تزال حصونها ... فيهود قوم ماكرون وغدر
ويحاول الصديق حيناً فتحها ... فيعود مستاء ولا هو يقدر
ويجرب الفاروق أيضاً حظه ... لكنه وبفتحها لا يظفر
ويقرر الهادي باعطاء اللواء ... غداً لمن هو فاتح لا يعثر
وهو المحب لربه ورسوله ... من يا ترى ذاك الحظيظ الأمهر
وترقب الأصحاب كل آملاً ... في أن يفوز بحبهم يتفاخر
قام النبي وقال هل فيكم علي ... قالوا طريح يشك فيه البصر
بصق النبي بمقلتيه وقد دعا ... له بالشفاء فقام فوراً يبصر
قال النبي خذ اللواء وسر به ... وافتح حصوناً ضاق منها البشر
وتحطمت كل الحصون وفتحت ... الا السَّلالم والوطيح تأخروا
امر النبي حصارها وبشدة ... فاستسلمت لسواعد لا تقهر
غنم الرسول وصحبه اموالهم ... وبدت صفية في نساء تؤسر
امر النبي بعتقها قد أسلمت ... وغدت له زوجاً طهوراً تفخر
لكن زينب زوج سلام بدت ... بمحبة لرسولنا تتظاهر
فشوت له شاة وزادت سمها ... بذراعها فرسولنا به يؤثر
لاك النبي من الذراع ولم يصغ ... للحم طعماً شيئاً يستنكر
لفظ الطعام وقال عظمه منبئي ... ان السموم بلحمه تتناثر
ونجا رسول الله من غدر التي ... كانت حقيقة امرها به تمكر
ودعا بها فبدت تقول بجرأة ... ذاك اختبار للذي به تأمر
ان كان كذباً سمنا لك قاتل ... واذا صدقت فربكم به مخبر
ولقد نجوت فأنت حقاً مرسل ... من عند ربي صادق لا تقهر
وبدينكم اسلمت فاشهد انني ... بك مؤمن وبربنا لا أنكر

❖ ❖ ❖

خطبة الجمعة

فريضة الاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ بها نطق القرآن العظيم، وبها تجاوبت أحاديث الرسول الكريم، وبها استقام بناء الملة، نطق بها الرسول ﷺ على الصفا وأذن بها بلال بن رباح رضي الله عنه على الكعبة المشرفة، وارتفع بها صوت الأذان في كل مكان وزمان وعصر وجيل، لا إله الا الله محمد رسول الله، مفتاح باب الاسلام.

لقد منّ الله تعالى على المؤمنين، اذ جعلهم أمة واحدة فيما يقولون وفيما يفعلون، وما يأيتون وما يذرون، وألف بين قلوبهم، ونزع من صدورهم العداوة، وحمية الجاهلية، وأثبت لهم الأخوة في الإيمان، لا فرق بين صغير وكبير، وذكر وأنثى، وحاكم ومحكوم.

وأول ما بدأ به النبي محمد ﷺ اذ بعثه في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته البينة النافعة، ويزكيهم من الادناس والخبائث الضارة، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأرسله رحمة للعالمين أجمعين، إنه ﷺ الذي دعا الى التوحيد والاعتصام والاتحاد.

فحرر الانسان من عبادة الاوثان، واتجه بأهل الارض قاطبة الى بارئ الارض

والسماء، وعلّم ﷺ اتباعه رضوان الله عليهم، انهم لا يعبدون الا إلهاً واحداً، ولا يدينون الا بشريعة واحدة، فصلاتهم واحدة، وقبلتهم واحدة، ومواسم الطاعة واحدة، والحج وبيوت الله المساجد تجمعهم، والدستور الحكيم يشملهم، والمفاضلة بينهم لا تكون إلا بالتقوى.

وعقد سيدنا محمد ﷺ بين المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، أخوة في الدين، وقضى على ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب، واختلاف الكلمة، وما زال يدعو المسلمين الى الألفة والأخوة والتعاون والاتحاد، ويأمرهم بذلك مع بيان فائدة الاتفاق، وما تقع فيه الأمة من الشر بسبب الشقاق والافتراق، **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾** وقال لهم: **﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ❖ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ❖ واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾**.

هذه الأخوة الإيمانية، المعتصمة بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، نعمة يمتن الله بها على عباده المسلمين، وهي نعمة يهبها لمن يحبهم من عباده دائماً، ويذكرهم الله عز وجل في هذه الآيات، كيف كانوا في الجاهلية اعداءً وما كان اعدى من الأوس والخزرج في المدينة المنورة أحد، وهما الحيان العربيان في يثرب آنذاك، ومع كل ذلك فإن الله جل وعلا، ألف بين قلوب الحيين من العرب بالاسلام، وما كان الا الاسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان الا حبل الله العظيم الذي يعتصم به الجميع، فيصبحون بنعمة الله إخواناً، وما يمكن ان يجمع القلوب إلا أخوة في الله تعالى، تترفع عن الجراح والاحقاد التي اوجدها العدو البغيض، وتتعالى عن كل ما يعكر صفاء الأخوة، التي تصغر بل تندرس الى جانبها الاحقاد التاريخية، والثارات القومية الدفينة، او الأطماع الشخصية البغيضة، ويجتمع الصف كله تحت لواء «الله وحده الكبير المتعال».

نعم معاشر المؤمنين؛

الأمة المؤمنة هي التي تتعالى على الجراح، وتصدق مع الله تعالى، ويكون أفرادها رحماء فيما بينهم، فإن الله سبحانه يكرمهم مرة أخرة بنعمة الإخوة، ويؤلف بين قلوبهم، حتى يكونوا أمة صالحة واحدة ومجتمعاً متحاباً واحداً وجسداً معافى واحداً، ويصدق وعيد الله تعالى في اعدائهم: **﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض**

فساداً والله لا يحب المفسدين﴾.

هكذا كانت أيها السادة الكرام، أخوة السلف الصالح من هذه الأمة، ترجع الى ميزان واحد، تقوِّم به كل ما يعرض لها في الحياة، وتتحاكم الى شريعة واحدة من عند الله عز وجل، وتتجه بولائها كله الى القيادة القائمة على تحقيق الأخوة في الدين، كي يقوم كيانها على الحب والتكافل، اللذين تختفي في ظلالهما مشاعر الأثرة، وتتضاعف بهما مشاعر الإيثار، الا إيثار المنطلق في يسر، المندفع في حرارة، المطمئن الواثق المرتاح.

ويوم نزل قول الله جل ذكره: **﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير﴾**، لما سمع المسلمون هذا الهدى، من عرب وعجم تيقنوا انهم جميعاً من أولاد آدم وحواء عليهما السلام، وعنصرهم الماء والطين، وكما بدأهم الله يعودون، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود الا بتقوى الله العظيم.

بهذا المنهج السماوي المبارك، نادى يوم الفتح وعلى باب الكعبة المشرفة، رسول الله ﷺ وأسقط ما كان في نفوسهم من الكبر، وجعلهم سواسية كأسنان المشط.

نعم معشر الموحدين؛

ان هذه الأمة المباركة، ما توحدت الا بتعاليم القرآن الكريم، ولن تتوحد من جديد، وتستعيد قوتها وعزتها ومجدها ودورها القيادي، الا بالعودة الى تلك التعاليم ووضعها موضع التطبيق، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: «نحن قوم أعزنا الله بالاسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

فيا إخوة الايمان؛ ما أحوجنا اليوم للوحدة والتكاتف والتعاون على مستوى الأُسر والمجتمعات والعدول والأمة كلها، من اجل الحفاظ على هويتنا وعقيدتنا واستقلالنا وحريتنا ووحدة ارضنا، فكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وحافظوا على وحدة الصف واجتماع الكلمة حتى نكون كما وصف الله سبحانه وتعالى عباده المتقين: **﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** صدق الله العظيم.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واهدهم الى الصراط المستقيم، ووفقهم للإعتصام بحبلك المتين، واجمعهم على كتابك العظيم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه العظيم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

تم العدد بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العدد العاشر - المجلد ٥٥

ذوالحجة ١٤٣٢هـ - تشرين ثاني ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٩٦٢-٦ ٥٦٦٦١٤١

فاكس: ٩٦٢-٦ ٥٦٠٢٢٥٤

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

اهداف المجلة

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

لبيك اللهم لبيك..

في هذه الأيام المباركة، تشهد الأمة الاسلامية موسماً عظيماً من مواسم العبادات، ومرابع النور، حقاً انها أيام كريمة على الله عز وجل، اذ أعلى قدرها ورفع شأنها، وجعلها موسماً وميداناً للتنافس واستباق الخيرات.

وما اجمل ان يتحدث المسلمون في هذه الأيام، عن هذا الركن العظيم ويتذاكروا ما فيها من حكم وأسرار ولطائف وفضائل واعمال.. وما ذاك الا ان الله جل في علاه، قد ميّز وخص هذه الفريضة بميزات ليست في غيرها من الشعائر والعبادات، وجعل فيها من حيث المكان والوقت حكماً جليلة لا يعلمها سواه عز وجل.

فأفعال الحج ومناسكه لا تصح في اي وقت من أوقات السنة، الا في الأشهر المعلومات والأيام المعدودات، وكذا الأمر في المكان، إذ لا تصح هذه الفريضة في اي مكان في الأرض كالصلاة والصيام، إلا في بقعة مباركة محدودة وهي مكة المكرمة، بلد الله الحرام، حيث يوجد البيت العتيق اول بيت وضع للناس هدى للعالمين.

وقد ألزم الله سبحانه عباده المؤمنين، ان يؤدوا هذه الفريضة على حالة يتساوى فيها غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، ليلقنهم درساً عملياً في الخضوع والمساواة، فأوجب على حجاج بيته وزوار حرمه، ان ينخلعوا عن مظاهرهم الدنيوية، وفوارقهم المادية، ويتجردوا عن كل لون من ألوان الحياة من شأنه أن يمايز بينهم، حتى لا يكون هناك تفاوت او طبقية، فألزموا جميعاً ان يلقوه في بيته المعظم، بثياب الاحرام البيضاء، خاضعين متذللين، كأنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

لبيك لا شريك لك لبيك..

وقد جعل الله سبحانه هذه الفريضة تتكرر كل عام مرة واحدة، ليحرص المسلمون عليها ويجتمعوا ويتعارفوا على صعيد عرفات بكل أمن وسكينة وخشوع وطمأنينة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده، ان فرض الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر، في الوقت الذي رغب في الحج ودعا اليه، واعظم مثوبته وأجره، وجعله مكفراً للخطايا والذنوب، ورافعاً للدرجات، حتى يحرص كل مسلم على أداء هذه الشعيرة.

يقول رسول الله ﷺ: «ان هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام، فمن حج البيت او اعتمر فهو ضامن على الله سبحانه، فإن مات أدخله الجنة، وان رده الى اهله رده بأجر وغنم»، الى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة، فلبى النداء واستجاب من كتب الله له الحج، وجاءوا من كل فج عميق، يتحملون المشاق، مضحين براحتهم ومفارقة الاهل والأوطان، ذاكرين ربهم مهللين ملبين مكبرين، والبشر على وجوههم، لا يشكون متاعب السفر ولا مشاق الطريق، وقد وقف الجميع على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وأعراقهم والسنتهم حول الكعبة المشرفة وعلى صعيد عرفات، لا فرق بين اي واحد منهم، وقد وحدهم الاسلام في الزمان والمكان، وفي الذكر والنداء والتلبية والتكبير، واللباس والمصير..

حقاً انها المساواة التي نادى بها الاسلام مذ أبي الأنبياء ابراهيم عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه.

اسرة التحرير

مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته

■ بقلم الدكتور هاشم الأهدل

ان تحديد المصطلحات من الأمور المعرفية المهمة في العملية التعليمية، والتي ينبغي ان تُبين للدارسين بوضوح، كي يعرفوا ما الأمر الذي سيدرسونه، وما الجوانب المتعلقة به، وبالتالي يمكن قياس مدى استيعابهم لما درسوه، اما اذا لم تكن تلك المصطلحات واضحة فإن ذلك سيؤثر على الأهداف والوسائل والتقويم، ولذلك سيبدأ المقال بتعريف المقصود بالتدبر.

التدبر لغة(١): «النظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»، وقال ابن كثير: التدبر هو: «تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً، وما دخل في ضمنها، وما لا يتم تلك المعاني الا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الاشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»(٢).

وعرفه بعض المعاصرين بأنه: «التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول الى معان جديدة، يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط

السور القرآنية ببعضها، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط»[٣].

ومن التعريفات: «الفهم لما يتلى من القرآن، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح للعمل بمقتضاه»[٤].

وعليه فإن مفهوم التدبر يشمل الأمور التالية[٥]:

- معرفة معاني الألفاظ، وما يراد بها.
- تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات، مما يُفهم من السياق او تركيب الجمل.
- اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.
- اليقين بأخباره، والخضوع لتعاليمه.

ومصطلح التدبر ليس المقصود به هو مجرد قراءة آيات القرآن، وتلاوة حروفه، وحفظ كلماته، بل الأمر يتعدى ذلك، يقول ابو بكر الآجري: «وتدبر آياته،: اتباعه والعمل بعلمه، اما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى ان أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما اسقطت منه حرفاً، وقد والله اسقطه كله، ما يرى له القرآن في خُلق ولا عمل»[٦]، اي انه ليست العبرة بالقراءة النظرية المجردة، وانما الواجب ان يظهر اثر هذه القراءة في العبادة والأخلاق والمعاملات والتصرفات المختلفة.

ويقول الحسن البصري: «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً»[٧]، اي انهم اكتفوا بالقراءة والتلاوة، ومع ان قراءة القرآن خير وبركة، ولكن ليس المقصود من القرآن ان يقرأه الانسان، كما يقرأ الكتاب العادي، ولكن الهدف ان يُقرأ ويظهر اثر القراءة في شخصية الفرد وسلوكه، وعلاقاته الشخصية والاجتماعية، وعباداته القلبية والجوارحية.

وينبغي ان يكون لدى المتدبر الاستعداد الكلي لتطبيق تعاليم القرآن، والتسليم بكل افكاره ومعانيه، وعدم الالتفات الى المصالح الشخصية او التقاليد المجتمعية، والإعراض عنها اذا خالفت القرآن، ومن كان هذا حاله فسيعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

ومن التدبر للآيات ان يعمل المتعلم بما يقرأ أو يستمع، ولا يكن همه الحفظ فقط، فمن حفظ القرآن عن ظهر قلب فقد حاز خيراً كثيراً، ولكنه لن يبلغ مرتبة العلماء والفقهاء اذا لم تتوفر لديه الدواعي ليعمل بمقتضى كل ما حفظ، يقول ابن تيمية: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه، لم يكن من اهل العلم والدين»[٨].

❖ الفــروق الفــردية في تلاوة القــرآن وتدبره:

مع ان الواجب على كل مسلم ان يتدبر القـرآن، إلا انه لا بد هنا من الإشـارة الى مـوضوع الفروق الفردية بين المتعلمين في التعامل مع القرآن، فمن المتعلمين من يكثر تلاوة الآيات وإنهاء الختـمات بلا تأمل، ولكن ابتغاء الأجور الواردة في ذلك، ومنهم من يجـد همـتـه في حـفظ الآيات واستظهارها عن ظهر قلب، اكثر مما يجده في الوقـوف عند الآيات وتأملهـا، ومن المتعلمين من لا تساعده خلفيته الثقافية والشـرعـيـة على بلوغ المراتب العليـا في التأمل والتدبر، بل ان منهم من يشغل وقته بدروس العلم والفقه والحديث، ويقضي معها الساعات الطوال، ليس جهلاً بأهمية التدبر، ولكن لشعوره ان تلك الدروس هي من تدبر القـرآن، ولا شك ان تلك الدروس العلميـة تؤدي الى فهم كـلام الله، وفـهم حـديث رسـوله ﷺ، قـال تعـالى: ﴿**وأنزلنا اليك الذكـر لتـبـين للناس مـا نزل اليـهم ولعلهم يتفكرون**﴾ النحل: ٤٤ .

ولا شك ان هناك فـرقـاً بين قـراءة القـرآن وتدبر مـعـانيـه، وبين قـراءة كـتب عـادية، وذلك من ناحيـة الأفضلية، وهذا الأمر يختلف من شخص لآخر، يفصل ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة بقوله: «كـلام الله لا يقـاس به كـلام الخلق، وامـا الافضل في حق الشخص: فهو بحسب حاجته ومنفعته، فإن كان يحفظ القرآن وهو محـتـاج الى تعلم غيـره، فتعلمه ما يحتاج اليه افضل من تكرار التلاوة التي لا يحتاج الى تكرارها، وكذلك ان كان حفظ من القرآن ما يكفيه وهو محتاج الى علم آخر، وكذلك ان كان قد حفظ القرآن او بعضه، وهو لا يفهم معانيه، فتعلمه لما يفهمه من معاني القرآن افضل من تلاوة ما لا يفهم معناه، واما من تعبد بتلاوة الفقه فتعبده بتلاوة القرآن أفضل، وتدبره لمعـاني القـرآن افضل من تدبره لكلام لا يحتاج لتدبره»[٩].

ومن المتـعلمين من يكون همـه فـقط الذكر والتسبيح، وليست لديه القدرة لفهم القرآن، وعندما سئل شيخ الاسلام رحمه الله عـمن يحفظ القـرآن أيما افـضل له: تلاوة القرآن مع أمن النسيان، او التسبيح وما عداه؟ فأجاب: «الواحد من هؤلاء يجد في الذكر من اجتماع قلبه، وقوة ايمانه، واندفـاع الوسـاوس عنه، ومـزيد السكينة والنور والهـدى مـا لا يجـده في قـراءة القرآن، بل اذا قرأ القرآن لا يفهمه، أو لا يحضر قلبه وفهمه»[١٠].

❖ حقيقة التدبر:

من القضايا المهمة ان يعرف المتربي ان تدبر القرآن، يكون بالتفكر والتأمل فيما يدرك بالعقل، وما يقع في حدود امكانيات العقل البشري، اما ما وراء ذلك من أمور الغيبيات فهي خارج نطاق العقل، والواجب التسليم بها، **فخلاصة الأمر ان التدبر يقع في المعلوم، وهو معرفة التفسير والاستنباط من القرآن اما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، فالواجب الايمان بها دون الدخول في اجتهادات لبيانها، وهي مما لا يحصل بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله**[١١].

ومن امتلأ فكره بتدبر القرآن، واصبح همه فهم المعاني فسيجد نفسه تلقائياً يبحث عن التطبيقات الخارجية الحية لمواضيع القرآن، ويسعى لجعلها مؤثرة في حياته وسلوكه، وسيقارن بين الأشخاص لمعرفة الذين تنطبق عليهم اوصاف القرآن، ولا شك ان خير من يمثل تطبيق تعاليم القران هم الصحابة رضوان الله عليهم وتنفيذهم لمراد الله تعالى في قوله: **﴿يتلونه حق تلاوته﴾** حيث «كانت قراءة السلف الصالح من الصحابة القرآن قراءة طبيعية منتجة، مفرزة السلوك الايجابي الفعال، شاحنة الوجدان دافعة السلوك الى جلائل الأعمال، تجلو البصائر، فتدرك وظيفة القراءة في تكوين عادات التفكير الناضج، وتدرك العلاقة اللازمة بين النية الطيبة والعمل الطيب، وبين التعليم والاستثمار، ولذلك ربطت بين العلم والعمل، وأدركت المعاني الأولية والثانوية»[١٢].

❖ غاية التدبر وأهميته:

لقد بين المولى سبحانه وتعالى المقصود من إنزال القرآن الكريم، الذي واجب العمل به، والالتزام بتوجيهاته وارشاداته، وهذه الأمور لا يمكن تحصيلها بدون تدبر القرآن والتفكر في معانيه، ولذلك فإن قراءة ختمة بتدبر وتفكر، خير من قراءة عدد من الختمات بدون هذا التدبر، يقول تعالى: **﴿كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر أولوا الألباب﴾** ص: ٢٩ .

يقول الامام الطبري: «ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به»[١٣] وقال الشوكاني: «والمعنى كثير الخير والبركة»[١٤] ولا شك ان القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها: كثرة أوامره ونواهيه، وتنوع مواعظه وزواجره، وتعدد

ترغيباته وترهيباته، ومن بركات القرآن: زيادة حسنات العبد، وفي رفعة مقامه، وفي جلب السعادة له في الدارين، ولا شك ان من يتدبر القرآن يحصل تلك البركات وزيادة.

وقال السيوطي رحمه الله: «تسن القراءة بالتدبر والفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم»[١٥]، فليس المقصود مجرد التلاوة، وانما المقصود ان يكون هذا القرآن منهاجاً للعمل وهادياً للسلوك، لأن من تدبر كلام الله كان ذلك دافعاً له للعمل، ومن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ: «ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين» رواه مسلم برقم ٨١٧ .

وفي الآخرة له الدرجات العلى، عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان او ظلتان سوداوان فيهما شرق، او كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما» رواه مسلم برقم ٨٠٥ .

وبدون العمل يصبح العلم وبالاً على صاحبه، فما وقر في القلب وما استوعبه الذهن، يزداد رسوخاً ومضاءً اذا صدقته الأفعال السلوكية، يقول الزرقاني: «وما من شك في أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من ان التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصاً المعارف الدينية، فإنها تزكو بتنفيذها، وتزيد باتباعه، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾** الأنفال: ٢٩، أي هداية ونوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الرشد والغي»[١٦].

لذلك ينبغي ان يكون علم التدبر دافعاً للعمل المثمر الذي يجلب لصاحبه السعادة في الدنيا والآخرة، وان يكون النظر في الحروف والكلمات والعبارات القرآنية، ليس من اجل التأمل في جمال الخط ووضوحه، وانما من اجل ان تكون نبراساً للعمل في هذه الدنيا.

وقد ذكر ابن عثيمين رحمه الله ما يؤكد هذه الحقيقة فقال: «ان الله تعالى

يبين الحكمة من انزال هذا القرآن المبارك ان يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها، والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول الى معانيها، فإذا لم يكن ذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه»(١٧).

❖ أهمية تدبر القرآن:

١- التفاعل الوجداني والاستجابة لأمر الله تعالى:

ان الهدف الاساس من التدبر، هو تحقيق مقصود نزول القرآن وهو العمل به، والمبادرة لتنفيذ ما يأمر به المولى عز وجل وما ينهى عنه، يقول ابن كثير رحمه الله: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾** آل عمران: ١٨٧، فذم الله تعالى اهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله، فعلينا ايها المسلمون ان ننتهي عما ذمهم الله به، وان نأتمر بما أمرنا الله من تعلم كتاب الله المنزل الينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه»(١٨).

ومن عرف القرآن وفهم معانيه يتيقن انه حق وصدق، فيؤمن به ويستجيب لأحكامه، ويأتمر بأوامره، وينتهي عن زواجره، ويكون حاله كحال أهل الكتاب الذين آمنوا، ولم يغيروا ولم يبدلوا قال تعالى: **﴿الذين ءاتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ❖ واذا يتلى عليهم قالوا ءامنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾** القصص: ٥٢-٥٣ .

٢- زيادة الإيمان:

ان قراءة القرآن ومداومة الاتصال معه، والتجاوب مع كلام الله يؤثر ايجابياً في المستوى الايماني للقارئ المتدبر، وكلما قرأ آية او سورة أثرت في عبادته وإيمانه، قال تعالى واصفاً حال المؤمنين الذين نزل عليهم القرآن: **﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾** التوبة: ١٢٤ .

فالقلب يزداد إذعاناً وإخباتاً بالتدبر، والايمان يزيد رسوخاً بالتدبر، قال تعالى: **﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾** الأنفال: ٢ .

يقول ابن السعدي رحمه الله: «وجه ذلك أنهم يلقون السمع ويحضرون قلوبهم

بتدبره، فعند ذلك يزيد ايمانهم لأن التدبر من اعمال القلوب، ولأنه لا بد ان يبين لهم معنى ما كانوا يجهلونه، او يتذكرون ما كانوا نسوه، او يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، او اشتياقاً الى كرامة ربهم، او وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الايمان»[١٩].

٣- اكتساب الخشوع:

يُعد الخشوع مرتبة يحصلها من تدبر القرآن، فيشعر بالطمأنينة والسكينة، قال تعالى: **﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾** الزمر: ٢٣.

فالذين اكتسبوا الخشوع نالوا في الدنيا راحة القلوب، وفازوا في الآخرة، بالمطلوب، يقول النووي: «ينبغي للقارئ ان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، ودلائله اكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر»[٢٠].

يقول الله تعالى واصفاً الذين يتجاوبون مع آياته: **﴿قل آمنوا أو لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ❖ ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً ❖ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾** الاسراء: ١٠٧-١٠٩، يقول ابن حجر: «الخشوع هو مقصود التلاوة»[٢١].

٤- الهداية الشاملة:

بين المولى الكريم في كتابه العظيم ان هذا القرآن يرشد اصحابه الى افضل الأحوال، قال تعالى: **﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً كبيراً﴾** الاسراء: ٩، يقول ابن السعدي: « **﴿أقوم﴾** اي أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة، وأعظم قياماً وصلاحاً للأمور»[٢٢].

والهداية لا تكون الا لمن يؤمن به، فيتدبره ويعمل به، لأن «الهدف من إنزال القرآن هو ان نتدبر آياته، بمعنى ان نتفكر في معانيها ومدلولاتها وأسرارها وأخبارها حتى نستفيد منها الهداية، ونستفيد منها خشية الله سبحانه وتعالى، وعبادته وحده لا شريك له، ونعرف ما نأتي وما نترك من الأعمال والأقوال والمعاملات وغير ذلك، ولا يتم هذا ولا يحصل الا بتدبر القرآن»[٢٣].

وفي التدبر الهداية الشاملة، وترقية الهمة للمراتب العالية، والتوفيق للدرجات

الرفيعة، وصلاح الدين والدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: «فليس للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب الى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتثبت قواعد الايمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد اركانه، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة واسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فلا تزال معانيه تنهض بالعبد الى ربه، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق، وتناديه كلما فترت عزماته، ووني في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل، وفي تأمل القرآن وتدبره اضعاف اضعاف ما ذكرناه من الحكم والفوائد»(٢٤).

٥- النصيحة لكتاب الله:

النصيحة هي بذل غاية الجهد للقيام بحقوق المنصوح، سواءً كانت الحقوق خاصة او عامة، وتدبر كتاب الله الكريم من أقوى دلائل النصيحة التي ارشد اليها رسول الله ﷺ في قوله: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم برقم ٥٥ .

يقول ابن رجب: « اما النصح لكتاب الله فشدة حبه وتعظيم قدره، اذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره والوقوف عند تلاوته، لطلب معاني ما أحب مولاه، وان يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما فهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه، فكذلك الناصح لكتاب ربه: يعني بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويديم مدارسته بالمحبة له، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه».

وقال ابو عمرو بن الصلاح: «والنصيحة لكتابه: الايمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله وتدبر آياته والدعاء اليه»(٢٥).

٦- التلذذ بالقرآن:

التلذذ الذي يحصل من التدبر يجد القارئ طعمه في قلبه، بزيادة الايمان او براحة في القلب، يقول تعالى: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ الرعد: ٢٨ .

وللقرآن الكريم لذة في تلاوته، ولذة في الاستماع الى آياته، ولذة في تدبر معانيه، ولذة في فهم مراميه، ولا يستشعرها الا من حقق مطالبها، وانها لذة لا تعادلها لذة من لذائذ الدنيا، يقول الزركشي: «من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك

من لذة القرآن شيئاً»[٢٦] وقال ابن جرير الطبري: «اني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته»[٢٧].

ولا يتعارض قول ابن جرير مع حقيقة ان بعض الناس قد يلتذ بقراءة القرآن، أو الاستماع اليه، ولو لم يكن فاهماً للمعاني، او عارفاً للألفاظ، لأن مقصوده التلذذ الأكمل، الذي يكون بمعرفة معاني القرآن، والتأثر بجرسه ومقاطعه، وأسلوبه وتناسب آياته.

٧- معرفة الحلال والحرام:

ان من يتدبر كلام الله يتبين له كثير من الأحكام الفقهية المتعلقة بالحياة، ويتعود على الأساليب القرآنية في توضيح الأوامر والنواهي التي بها سعادة الناس وصلاح معاشهم، فيعينه ذلك على الالتزام بشعب الدين ظاهراً وباطناً، كما أمر الله بذلك في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾** البقرة: ٢٠٨.

٨- الشفاء الحسي والمعنوي:

التدبر يدفع العقائد الفاسدة والشكوك المحيرة، فإذا تدبر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الانسان، فتصرفه عن الطاعات او تهوي به في بحار المعاصي والظلمات، وفي القرآن شفاء من ذلك كله، وقد بينه في مواضع عديدة، يقول تعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** يونس: ٥٧، ويقول ايضاً: **﴿ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت ءاياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين ءامنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في ءاذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾** فصلت: ٤٤، ويقول أيضاً: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً﴾** الاسراء: ٨٢.

يقول ابن جرير رحمه الله عن آية سورة الاسراء: «يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل ومن الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعمها عليهم»[٢٨].

والرقية الشرعية التي يستشفى بها من الأمراض الحسية، تستلزم قراءة القرآن بتدبر وتأمل، حتى تكون نافعة بإذن الله،

وليست القراءة الهذرمية التي لا خشوع فيها ولا إخبات.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العبد التداوي به بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء ابداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء؟ الذي لو نزل على الجبال لصدعها وعلى الارض لقطعها، فما من مرض من امراض القلوب والأبدان الا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهماً في كتابه، وأما الأدوية القلبية فإنه يذكرها مفصلة، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها»(٢٩).

الهوامش:

١- التعريفات ص٥٤ .
٢- تفسير القرآن العظيم ج١ ص٨ .
٣- تنمية القدرة على تدبر القرآن، محمد الدويش، ص٤٣ .
٤- كيف نتدبر القرآن ص١٢ .
٥- تدبر القرآن ص١٢ .
٦- أخلاق أهل القرآن، ابو بكر الآجري ص٥٠ .
٧- تلبيس ابليس، عبد الرحمن بن الجوزي ص١٠٩ .
٨- فتاوى شيخ الاسلام، ج٢٣، ص٥٤ .
٩-١٠- فتاوى شيخ الاسلام ج٢٣، ص٥٥-٥٦ .
١١- مفهوم التفسير والتأويل، د. مساعد الطيار ص٢٠٢ .
١٢- تعليم القرآن، ابو بلال الحامد ص٩٩ .
١٣- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري.
١٤- فتح القدير للشوكاني، ص٤٣٠ .
١٥- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١، ص١٤٠ .
١٦- مناهل العرفان، للزرقاني ج١، ص٣١١ .
١٧- اصول في التفسير للشيخ العثيمين ص٢٥ .
١٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج١، ص٨ .
١٩- تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٣١٥ .
٢٠- التبيان في آداب القرآن للنووي، ص٦٠ .
٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩، ص٩٢ .
٢٢- القواعد الحسان للسعدي، ص١٤٥ .
٢٣- تدبر القرآن، ص٢١ .
٢٤- مدارج السالكين، ج١، ص٤٥١ .
٢٥- جامع العلوم والحكم، ج١، ص٢٢١ .
٢٦- البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٧١ .
٢٧- البيان في تأويل القرآن، ج١٨، ص٦٣ .
٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن، ج٨، ص١٣٩ .
٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٤، ص٣٥٢ .

٣

مراحل علم القراءات

■ بقلم الاستاذ الدكتور أحمد خالد شكري

استمر ازدهار علم القراءات الذي بلغ إحدى أعلى ذرواته في القرن الخامس، مع ملاحظة حصول التفاوت بين السنين في كثرة المؤلفات وتنوعها ونوعها[٧٤].

وفي أوائل هذه المرحلة الثالثة كان ظهور الإمام الكبير ابن الجزري الذي يعد واسطة عقدها، وأكبر علمائها، ويكاد يجمع كل من جاء بعده على فضله وتقدم مكانته وعظيم منزلته، ويشهد لهذا سيرة حياته الزاخرة بالكثير من المؤكدات لهذه المنزلة، والمزايا الكثيرة التي تؤهله بحق لأن يكون الإمام الأبرز في هذه المرحلة، ومن أظهر وأهم الأسباب المؤيدة والمؤكدة لذلك[٧٥]:

- **مكانته العلمية في عصره وما بعده،** ولهذه المكانة العلمية المميزة وُصف في عصره وما بعده بالإمام الكبير، وحافظ عصره، ومقرئ الممالك الإسلامية والمحرر والمدقق، ورأس المحققين الفضلاء وشمس القراء والمقرئين، ومجدد علم القراءات في القرن التاسع في بلاد المسلمين قاطبة[٧٦]، ونص كثيرون على أنه العمدة في الخلاف لمن جاء بعده.

- **كثرة مؤلفاته وتنوعها في القراءات وفي العلوم المتصلة به،** فله في القراءات العشر كتاب النشر وتقريبه وطيبته، ومتن

الدرة في القراءات الثلاث، وتحبير التيسير، وفي القراءات الشاذة: عدة منظومات وكتب، وفي تراجم القراء: غاية النهاية، وفي رسم المصحف: الظرائف، وفي التجويد: التمهيد والمقدمة[٧٧].

- **المكانة الكبيرة التي حازتها مؤلفاته ومنظوماته بين أهل العلم،** حتى عُدّت أصولا يرجع إليها ويعتمد عليها، مع احتواء مؤلفاته على تحقيقات علمية تدل على تمكنه في هذا العلم ونبوغه فيه.

وقد كثرت عبارات العلماء في امتداح مؤلفاته، ومنها قول السيوطي عن النشر: "لم يصنف مثله"[٧٨]، وقول الضباع عنه: "إن في كتاب النشر في القراءات العشر لأصدق التباشير وأوضح الأدلة على نباهة مؤلفه وعلو شأنه، وسمو مرتبته في هذا الفن الجليل، حتى لقب بحق إمام المقرئين، وخاتمة الحافظين المحققين،.."[٧٩]، ومع ذلك لم يخل جهده الكبير وتحقيقاته الكثيرة في هذا الكتاب مما يستدرك عليه ويلحظ فيه من خلط أو سهو[٨٠].

- **وجوده في معظم أسانيد القراء في عصرنا الحاضر**[٨١]، مما يؤكد مكانته العلمية ودوره الكبير في نشر هذا العلم.

وبعد الانطلاقة الكبرى لعلم القراءات على يد الإمام الكبير ابن الجزري، تحول الحال مع الوقت إلى صورة من الخفوت والضعف، حيث ندرت المؤلفات، وقل المعتنون بهذا العلم، واستمر الحال بهذه الصورة إلى نهاية القرن الثالث عشر[٨٢].

ومن أشهر المؤلفات في علم القراءات في هذه المرحلة:

- إيضاح الدرة المضية لعثمان بن عمر الناشري (ت ٨٤٨) وله كتب أخرى في القراءات[٨٣].
- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، ومجمع السرور والحبور ومطلع الشموس والبدور، كلاهما في القراءات الأربع عشرة[٨٤] لمحمد بن خليل القباقبي (ت ٨٤٩).
- فكاهة البصر والسمع في معرفة القراءات السبع لمحمد بن إبراهيم الساودي (ت ٨٦١).
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، والمكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، كلاهما لعمر ابن قاسم النشار (ت ٩٠٧).
- ألفية في القراءات العشر، وشرح الشاطبية، والدر النثير في قراءة ابن كثير، ثلاثتها لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) وله بحوث في

القراءات في عدد من مؤلفاته الأخرى كالإتقان وغيره[٨٥].

- لطائف الإشارات لفنون القراءات في القراءات الأربع عشرة لأحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣).
- بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الأصبهاني لأحمد الطيبي (ت ٩٧٩).
- شرح الشاطبية، وتخريج القراءات في تفسير البيضاوي لملاّ علي القاري (ت ١٠١٤).
- الجواهر المكللة لمن رام الطرق المكملة في القراءات العشر لمحمد بن أحمد العوفي (ت ١٠٤٩).
- مقدمة في مذاهب القراء الأربعة الزائدة على العشرة لسلطان المزاحي (ت ١٠٧٥).
- الأصول من الشاطبية لعبد الله باقشير (ت ١٠٧٦).
- القواعد البقرية في القراءات السبع لأبي الإكرام محمد بن قاسم البقري (ت ١١١١).
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر أو منتهى الأماني والمسرات في علم القراءات لأحمد بن محمد البنا الدمياطي (ت١١١٧).
- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي بن محمد الصفاقسي (ت ١١١٧).
- تحرير الطرق والروايات في القراءات لعلي بن سليمان المنصوري (ت ١١٣٤) شيخ القراءات بالأستانة في زمنه.
- الإفادة المقنعة في قراءات الأئمة الأربعة لعبد الله بن مصطفى محمد الكوبريلي (ت ١١٤٨).
- إتحاف البشر في القراءات الأربعة عشر لعبد الخالق بن الزين المزجاجي (ت ١١٥٢).
- إتحاف البررة بما سكت عنه نشر العشرة للأزميري مصطفى بن عبد الرحمن (ت ١١٥٥).
- زبدة العرفان في وجوه القرآن ليوسف أفندي زاده (ت ١١٦٧).
- فتح الكريم الرحمن في تحرير أوجه القرآن، لمصطفى بن علي الميهي (ت نحو ١٢٣٠).
- هبة المنان في تحرير أوجه القرآن لمحمد بن محمد الطباخ (ت نحو ١٢٥٠).

واشتهر في هذه المرحلة عدد من القراء الكبار، حيث ترد أسماؤهم في كتب الأعلام وفي أسانيد القراءات، وقد لا

يكون لبعضهم مؤلفات في هذا العلم، ومن هؤلاء: رضوان العقبي (ت٨٥٢)، وزكريا الأنصاري (٩٦٢)، وناصر الدين الطبلاوي (ت ٩٦٦)، وعلي الطرابلسي (ت ١٠٣٢)، وأحمد النخلي (ت ١١٣٠)، والسيد هاشم (ت ١١٧٩)، وإبراهيم الحافظ (ت ١١٨٦)، وأحمد المرزوقي (ت ١٢٦٢)، وغيرهم[٨٦].

من ميزات هذه المرحلة:

١- اتجه عدد من المؤلفين في هذه المرحلة إلى الاقتصار على القراءات الأربع الشواذ بإفرادها بالتأليف أو بذكرها مع القراءات العشر.

٢- كثرة المؤلفات في بداية هذه المرحلة، وندرتها في آخرها، خاصة في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

٣- استقر أمر التمييز بين المتواتر والشاذ من أوجه القراءات بشكل واضح، بعد أن كان عرضة لتجاذبات عديدة وترددات كثيرة في الأزمنة السابقة[٨٧].

٤- ظهور علم متعلق بتلقي القراءات وفهمها وهو علم التحريرات[٨٨]، ومعناه: تنقيح القراءة وتهذيبها من أي خطأ أو غموض، وفائدته: منع التركيب في القراءة، ومنع خلط الطرق والروايات، ومنع إسناد القراءة لغير قارئها، وتفصيل مجمل المتون المختصرة[٨٩]، ومن أشهر من ألّف في تحريرات الطيبة: المنصوري، ومن تبعه في منهجه كالأجهوري والإبياري، ويوسف زاده ومن تبعه في منهجه كالأزميري والسيد هاشم والمتولي، ومن أشهر من ألّف في تحريرات الشاطبية الجمزوري وحسن بن خلف الحسيني[٩٠].

٥- يلحظ ظهور عدد من علماء القراءات الأتراك، حيث شاركوا في حركة التأليف، وكان لهم أسلوب مميز في محاولة تقريب علم القراءات باستخدام الجداول الموضحة والرسوم المقرِّبة، ومنهم من ألّف في التحريرات، مما يدل على عمق علمهم واستيعابهم لمسائل ودقائق هذا العلم الجليل.

❖ المرحلة الرابعة (مرحلة النهضة):

بعد حصول ضعف ظاهر وتأخر شامل وتراجع كبير في علم القراءات، امتد لنحو ثلاثة قرون[٩١]، بدأت مع إطلالة القرن الرابع عشر تظهر تباشير الفرج ومعالم الانشراح وبوادر الصحوة، ومبشرات النهوض بعد العثرة، وتطورت مع الوقت ونمت إلى أن أصبحت ظاهرة كبرى.

وسبق في المرحلتين الثانية والثالثة اختيار أحد كبار الأئمة واسطة عقد لها، فكان الإمام الداني للمرحلة الثانية،

والإمام ابن الجزري للمرحلة الثالثة، وكان اختيارهما أيسر من اختيار إمام هذه المرحلة، فإني بعد التأمل والتدبر لاختيار أصلح أو أفضل من تنطبق عليه المواصفات، وتبين لي أنها يمكن أن تنطبق على أكثر من شخص، وقد ارتأيت اختيار الإمام محمد بن أحمد المتولي (ت ١٣١٣) على غيره ليكون واسطة عقد هذه المرحلة، لما امتاز به من ميزات جعلته أهلا لهذا الموقع، ومنها:

كثرة مؤلفاته وتنوع موضوعاتها في القراءات والعلوم المتعلقة بها[٩٢] وعمق مادتها.

وتحقيقه كثيرا من المسائل الشائكة، والمواضع الدقيقة، والقضايا العالقة في هذا العلم، حتى أطلق عليه لقب: العلامة المحقق، وخاتمة المحققين[٩٣].

وكثرة تلاميذه وغزارة عطائه، وتلقي آرائه وترجيحاته بالقبول، والتسليم له بالمنزلة العليا والمقام المقدم بين أهل عصره، وقد حظي بالوصول إلى منصب شيخ المقارئ المصرية بجدارة، وأطلق عليه لقب: ابن الجزري الصغير، وكان لعلو إسناده دور كبير في الإقبال عليه والتلقي عنه، ومعظم أسانيد القراء الشاميين والمصريين التي تيسر لي الاطلاع عليها تمر من طريقه.

وظهر في هذه المرحلة عدد من كبار العلماء المحققين في هذا العلم، وسأقتصر على ذكر عدد منهم ممن توفوا، وأعتذر عن ذكر أسماء الأحياء منهم -مع الاعتراف لهم بالعلم والفضل والمنزلة الكبرى- فلم يكن الإعراض عن ذكرهم لأمر يتعلق بهذا الجانب ولكنه يتعلق بعدم اكتمال مسيرة حياتهم فتبقى المعلومات التي تذكر عنهم قاصرة، ولكثرتهم جدا وتعدد بلادهم مما يجعل من الصعب جدا الإحاطة بهم في مثل هذا المختصر، وقد يؤدي ذكر بعض منهم دون بعض إلى انتقاد، وسيأتي الوقت الذي يُذكرون فيه وتُذكر أعمالهم المجيدة وجهودهم الكبيرة، كما يلحظ أن معظم من سيرد ذكرهم من أهل مصر، حيث كان لهم فضل السبق في هذا الميدان، وكثر منهم العلماء المتميزون، كما أتيحت فرصة التعريف بهم أكثر من غيرهم بسبب ما تيسر لهم من الاشتهار على مستوى واسع:

- حسن بن خلف الحسيني (ت ١٣٠٣)[٩٥] من مؤلفاته: إتحاف البرية بتحرير الشاطبية.
- أحمد بن محمد الحلواني (١٣٠٧) مجدد علم القراءات بدمشق.

- عبد الرحمن دبس وزيت (ت ١٣٤٥) وابنه عبد الوهاب (ت ١٣٨٩).
- محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد (ت ١٣٥٧) شيخ المقارئ المصرية.
- محمد سليم بن أحمد الحلواني (ت ١٣٦٣).
- علي بن محمد الضباع (ت ١٣٨٠)(٩٦) شيخ المقارئ المصرية، له نحو ثلاثين كتابا في القراءات وتحريراتها وفي الرسم وعدّ الآي وغيرها.
- محمد بن عبد الرحمن الخليجي (ت ١٣٨٩) له نحو ثلاثين كتابا في القراءات، منها: حل المشكلات وتوضيح التحريرات في القراءات.
- عبد العزيز عيون السود (١٣٩٩).
- حسن الشاعر (ت ١٤٠٠).
- محمود خليل الحصري (ت ١٤٠٠).
- عبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣) له نحو ثلاثين كتابا معظمها في القراءات، ومن أشهرها البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة.
- عامر السيد عثمان (ت ١٤٠٨) شيخ المقارئ المصرية.
- عبد الفتاح المرصفي (ت ١٤٠٩).
- محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢).
- أحمد عبد العزيز الزيات (ت ١٤٢٤).
- إبراهيم علي شحاتة السمنودي (ت ١٤٢٩).
- محمد طه سكر (ت ١٤٢٩).

وحسن الكتبي، والخطيب الشعار، وحسن الجريسي، وجابر المصري، وعبد الفتاح هنيدي، وأبو شرع المرصفي، وحسن شريف، والسباعي عامر، والهلالي الإبياري، وعلماء آخرون كثيرون في مصر وفي بلاد الشام وفي المغرب وفي تركيا وفي الهند وفي السودان وفي اليمن وفي باكستان وفي ليبيا وفي موريتانيا وفي السعودية وفي العراق وفي إندونيسيا وماليزيا وبنغلادش، وغيرها من البلاد المسلمة وغير المسلمة.

ومن أشهر المؤلفات في هذه المرحلة لمن لم يسبق ذكرهم:

الزبدة في القراءة، لعبد الله بن عبد الرحمن الكليسي الحلبي (ت ١٣٠٣).

فتح المقفلات لما تضمنه نظم الحرز والدرة من القراءات لأبي عيد رضوان بن محمد المخللاتي (ت ١٣١١) وله مؤلفات أخرى.

غنية الطلبة بشرح الطيبة، ومفردات

لعدد من القراء السبعة، لمحفوظ بن عبد الله الترمسي (ت ١٣٣٨).

تعميم النفع بتبسيط القراءات السبع، لأحمد بن ياسين الخياري (ت ١٣٨٠).

إتحاف حرز الأماني برواية الأصبهاني لحسين خطاب (ت ١٤٠٨)[٩٧].

من ميزات هذه المرحلة:

١- تطور طرق تدريس القــرآن من الطريقة المتعارف عليها تقليديا وهي الإجازة وحلقات الإقراء والكتاتيب إلى طرق جديدة كثيرة، منها:

أ- افتتاح جامعات وكليات ومعاهد في عدد من البلاد الإسلامية وغيرها، ومن هذه المؤسسات: جامعة القرآن الكريم في السودان، وكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية القرآن الكريم بطنطا، والكلية العليا للقرآن الكريم في اليمن، وكلية القرآن الكريم في قيرغيزيا، ومعهد القراءات في مصر، وفي الأردن، وفي الكويت، ومعهد الإمام الشاطبي في جدة، وفي اليمن، وقسم القراءات القرآنية في جامعة العلوم الإسلامية في الأردن، وفي جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وفي عدد من الجامعات الأخرى[٩٨]، وغيرها كثير.

ب- استخدام وسائل التقانة الحديثة للتعلم ونشر العلم، حيث اغتنم متعلمو ومعلمو القراءات ذلك، ووظفوا هذه الوسائل في تعلم وتعليم القراءات، واستخدمت هذه الوسائل في تعليم القراءات، فوجدت المصاحف الإلكترونية وكتب القراءات الملونة، والمنتديات والملتقيات القرآنية والإقراء والإجازة من خلال الانترنت وغرف الدردشة، وأدى ذيوع هذه الوسائل إلى البحث في حكمها والموقف منها حيث ظهرت دعوات تمنع وأخرى تجيز، وثالثة توجب التعامل بهذه الأشياء ورابعة تحدد الضوابط والقيود اللازم مراعاتها في هذه الانطلاقة، وعقد مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ندوة بعنوان "القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة" قدمت فيه بحوث عديدة في هذا الجانب[٩٩].

٢- كثرة الحفاظ والمقبلين على تعلم القراءات، خاصة في هذه السنوات الأخيرة، وظهور أعداد كبيرة من النوابغ، لعلها كانت موجودة في السابق بشكل مماثل أو أكبر، ولكن عدم وجود وسائل الإعلام الكثيرة والمتنوعة وقتها لم تساعد على العلم بها.

٣- كثرة المؤلفات في علم القراءات

والعلوم المتصلة به، وكثرة تحقيق الكتب الأمهات والقديمة في هذا العلم، بصورة رسائل جامعية أو برغبة من الباحثين، ومن أبرز موضوعات هذه الكتب: التعريف بعلم القراءات وتبيينه وتقريبه، حيث كثرت المؤلفات في هذا الجانب بسبب الحاجة إليها، والبحث في الأسانيد وتراجم القراء، وعن كيفية الجمع(١٠٠).

٤- إقبال النساء على هذا العلم والاعتناء به، والحصول على الإجازة فيه، ومنحها بعد ذلك وقد كثرت أعداد المجازات والمجيزات في القراءات في العصر الحالي بشكل ظاهر، كما دخلت المرأة ميدان التأليف في القراءات ورأينا عددا من المؤلفات في هذا العلم لنساء مجيدات متمكنات فيه، كما رأينا أسماءهن في الأسانيد، وتناقل المهتمون أسماء بعضهن ممن اشتهرن بالضبط والإتقان في هذا العلم المبارك(١٠١).

ومع كثرة الظواهر الإيجابية والمبشرات في هذه المرحلة إلا أن فيها عددا من الظواهر السلبية ومنها:

- اقتحام عدد من غير الأكفياء وغير المجازين وغير المتخصصين في الدراسات القرآنية ميدان هذا العلم في التحقيق(١٠٢) والتأليف(١٠٣) والبحث، وقد أدى ذلك إلى حصول أخطاء في أعمالهم، وكان الأَولى بهم احترام التخصص، وعدم الخوض في ما لا يتقنون.

- ظهور أدعياء الإجازة والمدلسين فيها، ولعل هذا العيب كان موجودا من قديم ولكنه كثر في هذا الوقت، حيث يوجد من يزعم أنه تلقى القراءات عمن لم يلقه أو لقيه لقاء عابرا أو قرأ عليه يسيرا وزعم أنه تلقى عنه، وقد كثرت هذه الظاهرة للأسف، ومن هؤلاء من يستجيز لنفسه أن يجيز بناء على هذا، وقد بلغ من كثرة انتشار الأمر أن أصدر أحد كبار شيوخ الإقراء وهو الشيخ بكري الطرابيشي الدمشقي بيانا يحذر فيه ممن يزعم القراءة عليه أو الحصول على الإجازة منه، ولولا حصول هذا الأمر وذيوعه لما أصدر تحذيره هذا(١٠٤).

- طلب عدد من المجيزين الأجرة على تعليم القرآن ومنح الإجازة بشكل شخصي ومباشر ممن يقدم طالبا القراءة والإجازة، وقد يكون مبدأ أخذ الأجرة على التعليم مثار جدال وخلاف، ولكنه في الصورة المعروضة هنا تطور إلى مغالاة ومبالغة وشجع كبير من بعضهم وصل بالمبلغ المطلوبٍ أن يكون بالآلاف، مما أعطى صورة قاتمة ومحبطة جدا لمن حصل معه

مثل هذا الموقف.

تتفاوت الاجتهادات في تحديد عدد المراحل ومدة كل منها، وقد وجدت تقسيما قريبا من التقسيم الذي اخترته لهذا البحث في كتاب: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب (ص ١٦-١٨) حيث بيّن أن هذا العلم مرّ بأربعة مراحل:

أولها: مرحلة الوحي والتنزيل، وثانيها: مرحلة التأسيس والتأصيل، وثالثها: مرحلة التدوين والتعليل، ورابعها: مرحلة البيان والتحصيل، وبعد هذه المراحل الأربع تأتي مرحلة التثبيت والتكميل بدءاً من القرن السابع، وجعلها بعض الباحثين ست عشرة مرحلة (يُنظر: القراءات القرآنية تأريخ وتعريف، لعبد الهادي الفضلي، ١٣-٥٢، واختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة، للدكتور محمد موسى نصر، ٩٩-١٥٩).

كما في الحديث عن أنس عن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ فخرجنا إلى المسجد فأقيمت الصلاة، قلت: كم كان بينهما؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية (رواه أحمد في المسند برقم ٢١٦٢١ وهو صحيح ٤٩٢/٣٥).

كما في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، رواه البخاري ومسلم في عدة مواضع.

ورد التقديم في الصلاة في أحاديث منها قوله ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله" رواه مسلم برقم ١٥٦٤، وأحمد في المسند برقم ١٧٠٦٣ (٢٩٥/٢٨)، وورد التقديم في القبر في قتلى أحد حيث كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد (رواه البخاري برقم ١٢٧٨).

حيث ولّى النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص إمرة قومه، وكان أحدثهم سنا لأنه أكثرهم حفظا، رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٨٣٣٦ (٥٠/٩).

الهوامش:

٧٤- في كتاب: السلاسل الذهبية ١٠٩-٢١١ مجموعة من الأسانيد ورد فيها ذكره، وقد اطلعت على إجازات عديدة ذُكر فيها (منشورة في مواقع على الانترنت)، كما اطلعت على بعض إجازات لقراء من المغرب لم يُذكر فيها.

٧٥- أشار إلى هذه الحقيقة محمد مطيع الحافظ في كتابه "القراءات وكبار القراء في دمشق" حيث قال: "بدأ علم القراءات بدمشق يضعف منذ القرن العاشر وحتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري ثم عاد إلى طور القوة" (ص ٢٧٣)، وأكّد

في تعليقه على أحوال علم القراءات في دمشق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على قلة المقرئين المختصين، وندرة شيوخ الإقراء، (ص ٢٠١ و٢١٨).

٧٦- علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، ٣٥١.

٧٧- ذكر القباقبي في مقدمة إيضاح الرموز أنه بعد أن انتهى من منظومة مجمع السرور رغب عدد من طلبته في شرحها وإيضاحها فألّف كتاب إيضاح الرموز، وقد قمت بتحقيقه في أطروحة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واطلعت بعد انتهائي من العمل بسنوات على تحقيق آخر للأخ فرحات عياش، حصل به على درجة الدكتوراه في جامعة الجزائر سنة ١٩٩٠م، كما اطلعت قريبا على تحقيق لجمال شرف نشرته دار الصحابة بمصر وفيه أخطاء كثيرة وعليه انتقادات عديدة.

٧٨- يُنظر بحث: القراءات القرآنية في مؤلفات السيوطي عرض ونقد، ١١١-١٤٤ وهو منشور ضمن كتاب: في القراءات القرآنية.

٧٩- يُنظر: علم القراءات لنبيل آل إسماعيل، ٢٥٦ و١٩٥ و٢٥٧-٢٦٢ و٢٨٩، وعلم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، ٣٥١-٣٥٣، والإمام المتولي وجهوده في علم القراءات، ١٠٩-١١١.

٨٠- أسباب وجود القراءات الشاذة، بحث منشور ضمن كتاب: في القراءات القرآنية، ٢١.

٨١- ترجع النشأة الأولى لعلم التحريرات إلى القرن الخامس الهجري، حيث ظهر جمع القراءات في ختمة واحدة في حدود ذلك الوقت، إلا أنه لم يؤلف فيه بشكل مستقل إلا في هذه المرحلة، وأول من ألف فيه الإمام ابن الجزري (نظرات في تحريرات العلماء للقراءات المتواترة، ٩ و٤٣).

٨٢- مقدمة تحقيق الفتح الرحماني شرح كنز المعاني بتحرير حرز الأماني، ١٨ و١٩، ونظرات في تحريرات العلماء للقراءات المتواترة، ٩.

٨٣- تأملات حول تحريرات العلماء للقراءات المتواترة، ٣٧-٤٠، وما زاده الإمام الشاطبي في حرز الأماني على التيسير للإمام الداني بين القراءة والمنع، ٢٧.

٨٤- حيث تمثل بداية المرحلة السابقة انطلاقا وازدهارا حقيقيا لعلم القراءات، ثم بدأت بوادر الركود والتراجع، واستمرت لنحو ثلاثة قرون.

٨٥- بلغ عدد مؤلفاته تسعة وأربعين جُلّها في القراءات وفي تحريراتها، منها: فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم، والوجوه المسفرة في القراءات الثلاث المتممة للعشرة، والروض النضير في أوجه الكتاب المنير، وله مؤلفات في الرسم وعدّ الآي، (تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ٤٢٥، والإمام المتولي وجهوده في علم القراءات، ١٧٣-٣٧٠ و٤٥٨، وهداية القاري، ٦٩٨-٧٠٢).

٨٦- هداية القاري، ٦٢٧.

٨٧- الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات، ٣٧٥.

٨٨- مختلف في تحديد تاريخ وفاته بين ما ذكرته وما ورد في هداية القاري أنه ١٣٤٢ (يُنظر: الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات، ١١٨).

٨٩- اختلف في تحديد تاريخ وفاته بين ما ذكرته، وما ورد في هداية القاري وغيره أنه ١٣٧٦ أو ١٣٨١.

٩٠- يُرجع للاطلاع على أسماء كبار علماء القراءات في هذه المرحلة بتوسع إلى: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ٤٢٥-٤٣٤، وعلم القراءات لنبيل آل إسماعيل، ١٩٨ و٢٦٧ و٢٩٠-٣٠٠، ومقدمات في علم القراءات، ١٩٠ و١٩٢ و١٩٤، والقراءات وكبار القراء في دمشق، ٢١٩ و٢٢٠ و٢٢٤ و٢٣١ و٢٢٧ و٢٣٢ و٢٣٤، وهداية القاري، ملحق الأعلام.

٩١- مقدمات في علم القراءات، ٧٢-٧٤، ومواقع عديدة على الانترنت.

٩٢- تفاصيل الندوة وبرنامجها منشوران في موقع

المجمع الإلكتروني.

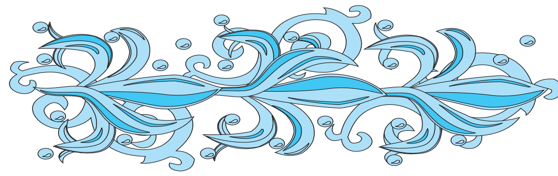
٩٣- صدرت مجموعة غير قليلة من الكتب مؤخرا في هذه الموضوعات، قام على الاعتناء بها عدد من الباحثين الأفاضل، ويظهر لمن يطلع عليها مقدار الجهد الكبير المبذول في إعدادها.

٩٤- من الأسماء التي تذكر في مصر: الحاجة نفيسة عبد الكريم زيدان وغيرها، وفي سوريا الحاجة سمر عشا مؤلفة كتاب البسط في القراءات العشر، وقد نال شهرة كبيرة وامتدحه كبار علماء القراءة في الشام.

٩٥- من أمثلته: كتاب: حجة القراءات لابن زنجلة، حققه سعيد الأفغاني، وفيه تعليقات فيها خطأ، كما في ص ٨٤ و٨٥، وفيه عبارات أخرى بحاجة إلى تعليق، وكتاب: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي حققه د. محيى الدين رمضان، وفيه مواضع عديدة بحاجة إلى تعليق، منها ٣٥/١ و٢٧١ و٢٤٣، وكتاب: التيسير في القراءات السبع للداني تحقيق المستشرق أوتو برتزل، وقد تتبع أخطاءه وكشف عيوبه محقق التيسير لاحقا الدكتور حاتم صالح الضامن في مقدمة تحقيقه، (١٢-٧٦)، ومجموعها تسع مئة وثمانية أخطاء أو ملحوظات.

٩٦- من أمثلته: معجم القراءات القرآنية، للدكتور عبد العال سالم مكرم، والدكتور أحمد مختار عمر، فيه كثير من المؤاخذات العلمية، وللدكتور عبد العزيز إسماعيل مراجعة علمية له بعنوان "معجم القراءات القرآنية نقد وتقويم" منشور في مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العددان ١٣ و١٤، سنة ١٤٠٤هـ، ص ٥٧-٩٩.

٩٧- البيان منشور في ملتقى أهل التفسير على شبكة الانترنت.



نشأة القراءات وظهور الخلاف بين القرّاء

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد الهادي عبد الله

في خلال ثلاثة وعشرين عاماً، هي المدة التي قضاها الرسول الكريم ﷺ بعد البعثة في تبليغ رسالة ربه(١) اكتمل نزول القرآن الكريم، وكان تنزيله نجماً بعد نجم، بحسب ما يجد من الوقائع والأحداث، مراعى فيه ان تتنزل أحكامه وتشريعاته على واقع الأحوال ومجريات الحياة اليومية، حتى لا تنوء الهمم بأعباء القيام بجملة التكاليف والآداب الشرعية لو أنها خوطبت بها دفعة واحدة، وكان في ذلك أيضاً من التيسير على الأمة في تلقي كتاب الله آية آية، وسورة سورة، وجزءاً جزءاً، ما لا يخفى من الحكمة والتربية المتأنية، الى ما في ذلك أيضاً من تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ، بتواتر الوحي وعدم انقطاع صلته بربه عن طريقه(٢).

وقد تأتّى لصحابة رسول الله ﷺ ان يستظهروه شيئاً بعد شيء، كل حسب إمكانيته وطاقته، لا سيما وان ذلك في المرحلة المكية من الدعوة، لم يكن بالأمر الهين، اذ لم يكن الاتصال يومئذ برسول الله ﷺ متيسراً في كل وقت، كما ان التواصل بين المسلمين في هذا العهد لم يكن امراً سهلاً، يضاف الى ذلك ان اكثر القرشيين الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم لم يكونوا اهل قراءة وكتابة، لشيوع الأمية في الجزيرة العربية يومئذ، واعتماد الكافة بالسليقة، على الحافظة والذاكرة، دون الكتابة والتدوين.

كان القرآن الكريم سلاح الدعوة قبل كل سلاح، وكان ﷺ مدعواً الى ما خاطبه الله تعالى في قوله: **﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾**[٣].

ومن ثم كان ﷺ يكتفي في المرحلة المكية بإبلاغ ما ينزل عليه من الوحي، الى كل من يأنس منه استماعاً، أو يرجو منه استجابة، وكثير يومئذ ممن أسلم، كان إسلامه بعد ان استمع الى شيء من القرآن، كما وقع مثلاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤].

وقد كان عليه السلام الى جانب ذلك يعلم اصحابه ما يجدّ من التنزيل، ويتدرج بهم في ذلك غاية التدرج، قال ابو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن -كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما- انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً»[٥].

وكان ﷺ كما كان اصحابه من السابقين الأولين، يقومون بنشر القرآن في الأوساط المكية، حتى كان ذلك يقض مضاجع المشركين «فكان رسول الله ﷺ اذا جهر بالقرآن وهو يصلي، تفرقوا عنه، وأبوا ان يستمعوا منه، وكان الرجل اذا اراد ان يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلي يسترق السمع دونهم فرقاً منهم»[٦].

وفي هذه الأثناء كان بعض السابقين الأولين من الصحابة يعلمون الراغبين في الاسلام ما معهم من القرآن، بل بلغ الأمر ببعضهم انه اراد سماع صوت القرآن عالياً في مكة ولم يكتف بالقراءة والإقراء سراً، وقد ذكر ابن اسحق في سيرته «ان اول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً اصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فذكر انه قرأ عليهم عند المقام وقريش في انديتها سورة الرحمن، فجعل يقرأ وهم يضربون وجهه، حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ، ثم انصرف الى أصحابه»[٧].

ومن الذين اسهموا بقسط كبير في نشر القرآن في هذه الحقبة، ابو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد ذكر ابن اسحق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر مسجد بفناء داره، فكان اذا صلى فيه وقرأ القرآن، بكى بكاءً شديداً فيجتمع اليه النساء والصبيان والعبيد، يعجبون مما يرون من رقته»[٨].

وكان جماعة مهمة من الصحابة قد اخذوا عن النبي ﷺ قدراً كبيراً من القرآن في العهد المكي، منهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود ومصعب ابن عمير وابن أم مكتوم وخباب رضي الله عنهم، وقد أخذ جماعة منهم ينتدب للتعليم والإقراء، ولا سيما بعد ان أخذ الاسلام يفشو خبره، ويقبل الناس على سماع القرآن من خارج مكة، وينبغي ان نشير الى ان اول داعية انتدب لهذه الغاية هو مصعب ابن عمير المذكور رضي الله عنه، فقد أخرج الحافظ ابو نعيم بسنده عن ابن شهاب الزهري «ان النبي ﷺ بعث الى الأنصار مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار، فنزل ببني غنم، على أسعد بن زرارة، يحدثهم ويقص عليهم القرآن، فلم يزل يدعو ويهدي الله على يديه، حتى قل دار من دور الانصار، الا أسلم فيها ناس، ورجع مصعب الى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المقرئ»(٩).

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أول من قدم علينا من اصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يعلماننا القرآن»(١٠).

لقد كانت بعثة مصعب وابن أم مكتوم الى المدينة المنورة، طالعة «مدارس القراءات» بل اعطيت لها هذه الصبغة بالفعل، منذ هذا الوقت، فأطلق على الدار التي كانا بها «دار القراء»(١١) وأطلق على مصعب اسم «المقرئ» وهو أول من سمي به»(١٢).

وفي هذه المدرسة تلقى الرعيل الأول من حفاظ الأنصار أول ما تلقوه من آيات القرآن وسوره، قبل مهاجر النبي ﷺ الى المدينة، ولم تتم الهجرة حتى شاع الحفظ، ودخل القرآن غير بيت من بيوت الأنصار، وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد حفظت سبع عشرة سورة فقرأت عليه، فأعجبه ذلك»(١٣).

ثم كانت الهجرة العامة الى المدينة، وهي حدث يشكل تحولاً جذرياً في الحياة الاسلامية، فبعد ان كانت الدعوة حبيسة خرجت الى الأفق، وبعد ان كان سماع القرآن مقصوراً على الفرص التي كانت تتاح من حين لآخر، اصبح منذ بداية العهد المدني يرافق الحياة اليومية لعامة المسلمين، **وقد ساهم في ازدهار قراءة القرآن وشيوع حفظه بين الأنصار حدثان من الأهمية بمكان:**

١- تأسيس المسجد النبوي: واتخاذه مركزاً للتعليم، فقد غدا منذ انشائه بعد

الهجرة بقليل مدرسة يومية مفتوحة باستمرار، لتلقي القرآن الكريم من رسول الله ﷺ وصحابته، آناء الليل وأطراف النهار، في الصلوات والمجالس والخطب والمواعظ.

٢- عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: هذا الحدث الذي كان الى جانب حله لمشكلة إيواء المهاجرين[١٤] أحد العوامل البارزة في تغلغل القرآن بشكل واسع في بيوت الأنصار، اذ لم يمض غير يسير، حتى أصبحت البيوت تعج بالحفّاظ والقرّاء، مشايخ وشباباً، على الرغم مما كانت الوقائع في نصرة الاسلام تأخذ من صفوتهم، كما حدث في واقعة «بئر معونة»[١٥] اذ استشهد فيها سبعون من قرّاء الأنصار[١٦].

وقد أصبح القراء الذين تلقوا القرآن في أول الدعوة يقومون في المدينة بواجب إقراء الداخلين في الاسلام، من الأنصار وغيرهم، وقد التف على بعض الحفاظ عدد كبير من المتعلمين، وفي حلية ابي نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه «انه ذكر سبعين رجلاً كانوا اذا جنّهم الليل، آووا الى معلم لهم بالمدينة، يبيتون يدرسون القرآن»[١٧].

ثم لم يلبث أن نشأ في المسجد النبوي وما حوله، نوع من التفرغ التام لهذا الغرض، لا سيما بين المهاجرين، بعد ان كفل لهم الانصار السكن والمؤونة الضروريين[١٨].

وانضوت الى المسجد أفواج من المهاجرين بعد ذلك، لا سيما الذين لم تكن لهم منازل ولم يدخلوا فيما عقد من المؤاخاة، فكان مقامهم بالصفة، وهي سقيفة أمام المسجد النبوي.

قال القاضي ابو بكر بن العربي: «كانوا قوماً من المهاجرين لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، فنزلوا صفة المسجد، وكانوا أربعمائة رجل، يلتمسون الرزق بالنهار، ويأوون الى الصفة بالليل»[١٩].

وكان ﷺ يتولى تعليمهم القران بنفسه، وأحياناً يسند هذه المهمة الى غيره، وفي حديث ابي طلحة رضي الله عنه «انه اقبل يوماً فإذا النبي ﷺ قائم يقرئ اصحاب الصفة»[٢٠].

وفي حديث عبادة بن الصامت قال: «كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي ﷺ الى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع للمسجد ضجة، حتى أمرهم النبي ﷺ ان يخفضوا اصواتهم لئلا يتغالطوا»[٢١].

وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه: «اتى علينا رسول الله ﷺ ونحن أناس من

ضعفاء المهاجرين ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا..»[٢٢].

وفي حلية ابي نعيم قائمة طويلة بأسماء اهل الصفة، ولولا ضيق المقام لذكرنا اسماء جماعة منهم كان لهم المقام المحمود في علوم القرآن، لا سيما القراءات[٢٣].

وهكذا آتى الحدثان الآنفا الذكر أكلهما، فلم يمر وقت طويل حتى غصت رحاب المسجد النبوي بالقراء والمقرئين.

ثم دخل في اسلوب التعليم عامل جديد، كان لأول وهلة محدود الأثر، وذلك هو عامل تعلم الكتابة وتعليمها، واول مبادرة رسمية كانت في ذلك هي ما ورد في السيرة ان النبي ﷺ قبل في فداء بعض الأسرى في غزوة بدر الكبرى، ان يقوم منهم من يحسن الكتابة العربية بتعليمها لعشرة من أبناء المسلمين، «ومنهم تعلمها زيد بن ثابت في جماعة من غلمة الأنصار»[٢٤].

وقد شاعت الكتابة بعد هذا بين ابناء الأنصار، وتعلمها بعضهم من بعض، وكان بعضهم يقوم بتعليمها لقراء القرآن، وفي حديث عبادة: «انه علم ناساً من اهل الصفة القراءة والكتابة»[٢٥].

وشاعت الكتابة بين النساء ايضاً، كما في حديث الشفاء، قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال: ألا تعلِّمين هذه رقية النملة، كما علمتها الكتابة»(٢٦).

وقد اتسع الناس في استعمال الخط، وأصبح لكثير من القراء صحف خاصة كتبوا فيها ما تلقوه من القرآن، واصبح بعضهم يكتب الوحي وغيره للنبي ﷺ وكان اكثرهم لزوماً لذلك أُبي بن كعب، فإذا غاب كتب له زيد بن ثابت».

كانت هذه العوامل كلها مساعدة على ازدياد عدد القراء، ونمو عدد المتصدرين للتعليم والإقراء، من المهاجرين والأنصار، وأخذ الاشعاع القرآني يتجاوز حدود المدينة الى الجهات النائية، بفعل اتساع رقعة الاسلام، وتزايد الإقبال عليه من أطراف الجزيرة، وضعف سلطان مشركي قريش على الاستمرار في التصدي للدعوة، وهكذا كانت الجماعات تتوارد على المدينة لا سيما بعد صلح الحديبية.

ودخل كثير من الجهات تحت راية الاسلام طواعية، فكانت الوفود منها تتوارد على المدينة، ولا سيما بعد فتح مكة، وعرفت السنة التاسعة بسنة الوفود لكثرة من وفد فيها مبايعاً من القبائل العربية.

وقد أخذ ﷺ يبث في هذه الجهات مجموعة من قراء الصحابة للقيام بمهمة الدعوة، وتلقين الناس القرآن والسنن، وتعريفهم بشرائع الاسلام وكان الهدف من ذلك الوصول بالقرآن الى هذه الجهات النائية، والتمكين للاسلام بها، وتمتين الصلات بين المسلمين في المدينة، وبين من بعدت بهم الديار، ممن بلغتهم الدعوة، دون ان يتمكنوا من الهجرة، او كانوا قد هاجروا، ولكن أذن لهم في العودة الى ديارهم، كما فعل الاشعريون.

وقد سلك ﷺ في انتدابه للأمراء على الجهات أنه كان يؤمر على القوم اكثرهم قرآناً، مهما تكون أسنان أصحابه، ممن وفدوا معه او أوفدوا.

وسيتجلى من بعد في حروب الردة كيف كان أثر هؤلاء الدعاة الذين أمروا على تلك الجهات من قيامهم فيها بترسيخ الاسلام، حتى ذكر في ترجمة عثمان بن ابي العاص انه هو الذي منع قومه من الردة[٢٧] وكان ﷺ قد استعمله على قومه ثقيف، وهو اصغر الستة الذين وفدوا معه على النبي ﷺ، لأنه كما قال: «كان قد حفظ سورة البقرة»[٢٨].

ساعد هذا على انتشار القرآن في الأقطار، وشيوع قراءته فيها، وتكاثر عدد القراء والمقرئين المتصدرين للتعليم، ولم يكونوا جميعاً من قريش، بل كانوا قراء ومقرئين من قبائل مختلفة ومتباينة، فلم يكن هناك بد من ان تختلف قراءاتهم وأصواتهم في أداء القرآن، طالما ان القرآن انزل بلغة قريش، وقرأه قراء من قريش وغيرها، يضاف الى ذلك تعدد مصادر الأخذ، اذ كان كثير من القراء لم يتيسر لهم في جميع الأحوال الاتصال بالنبي ﷺ، فكانوا يتلقون القرآن عن أصحابه.

ثم اتسع الاسلام وقرأ القرآن جماعات، فكان لا مناص من ان تتمثل في قراءاتهم خصائص وسمات متميزة من قارئ الى آخر، تمثل الفروق بين من قرأ على حرف نزل أولاً، ومن قرأ على غيره من الحروف، كما تمثل الفروق بين من كان من قريش يقرأ القرآن ويقرئه بخصائص لغتها، ومن كان من سواها، ممن يحمل في لسانه خصائص لهجته ولحن قبيلته، ومن هنا بدأت تثور بين القراء بعض الوقائع التي يلاحظون فيها نوعاً من الاختلاف بين القراءات، تارة في طريقة الاداء، وتارة في حروف القراءة، فكان المرجع في ذلك الى رسول الله ﷺ، ليبين لهم أساس ما اختلفوا فيه، ويوجههم الى مشروعيته ووجه الرخصة فيه.

الهوامش:

١- درجنا على المشهور من مقام النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، وفي المدينة عشراً، انظر حديث ابن عباس في ذلك وقوله: «نزل القران في عشرين سنة» في المستدرك لأبي عبد الله الحاكم ج٢ ص٢٢٢، وقارن بما في المصنف الكبير للحافظ عبد الرزاق ج٣ ص٥٩٨، وفضائل القرآن لابن كثير ص٤٣٠ .

٢- في سورة الفرقان آية ٣٢ بيان لهذا المعنى.

٣- الفرقان: ٥٢ .

٤- انظر قصة اسلامه في سيرة ابن اسحق ج٣، ص١٦٠، نشر معهد الدراسات والابحاث للتعريب.

٥- اللفظ لابن تيمية في مقدمته اصول التفسير ص٥ وانظر طبقات ابن سعد ج١٧٢/٦ وجامع البيان للقرطبي ج٣٥/١ وتفسير القرطبي ج٣٤/١ .

٦- سيرة ابن اسحق ج٤ ص١٨٦، من المجلد الذي جمع من سيرته ونشره معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط بتحقيق الاستاذ محمد حميد الله ١٣٩٦-١٩٧٦ .

٧- سيرة ابن اسحق ج٣ ص١٦٦ من المجموع الذي نشره معهد الدراسات.

٨- نفس المصدر ص٢١٨ .

٩- حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ ص١٠٧٤٥ .

١٠- صحيح الامام البخاري بشرح ابن حجر ج١٠ ص٤٨ ، ٣٢٨ .

١١- قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج٢، ص٤٩٤: هي دار كانت لمخرمة بن نوفل، تدعى «دار القراء» وبها نزل ابن أم مكتوم، وانظر ايضاً الخطط الكبرى للمقريزي، ج٢ ص٤٩، ٣٦٢ .

١٢- ذكر ابن الجزري في غاية النهاية ج٢ ص٢٩٩ ترجمة رقم ٣٦١١ عن الحافظ مغلطاي ان مصعباً اول من سمي المقرئ، ٥٠ .

١٣- المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣، ص٤٣١، وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٥٢، ٣١ .

١٤- انظر قيمة هذا الحدث في الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي ج٢، ص٥٣، ١٨ .

١٥- كانت هذه الموقعة في شهر صفر من السنة الرابعة كما في مرآة الجنان لليافعي ج١ ص٩، وقد ذكر ابو نعيم في الحلية ج١ ص١٢٣، ان رعلاً وذكوان وعصية طلبوهم من النبي ﷺ ليعلموهم فغدروا بهم في الطريق» ٥٤ .

١٦- ذكر ابن اسحق انهم اربعون انظر تهذيب سيرة ابن هشام ج٢ ص٨٣، وصحح السهيلي في الروض ج٢، ص١٧٤ انهم سبعون، وهو الثابت في صحيح البخاري ج١٠، ص٤٢٢، بشرح ابن حجر، ومصنف عبد الرزاق ج٦ ص٣٨٤، والحلية ج١، ص١٢٣، وعيون الأثر ج٢، ص٥٥، ٤٦ .

١٧- حلية الأولياء ج١، ص٥٧، ١٢٣ .

١٨- في تفسير ابن كثير ج٦، ص٦٠٧، «ان الانصار قالوا للمهاجرين: «اموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر، فقالوا: نعم يا رسول الله».

١٩- احكام القرآن لابن العربي القسم ٣، ص١٣١٧ .

٢٠- حلية الأولياء، ج١ ص٣٤٢ .

٢١- ذكره محمد بن عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان ج١، ص٢٣٤ .

٢٢- سنن ابي داود ج٢، ص٢٩٠ والحلية لأبي نعيم ج١، ص٢٣٤ .

٢٣- انظر حلية الأولياء، ج١، ص٣٥٢-٣٥٣ .

٢٤- الروض الأنف للسهيلي ج٢، ص٩٢ .

٢٥- سنن ابي داود ج٢، ص٢٣٧ .

٢٦- سنن ابي داود ج٢، ص٢٣٧، والنملة: قروح تخرج في البدن تعالج بالرقية الشرعية.

٢٧- الاصابة لابن حجر ج٢، ص٤٥٣ .

٢٨- انظر الدر المنثور للسيوطي ج١، ص٢١ .

في رحاب قوله تعالى:

﴿الحج أشهر معلومات﴾

■ بقلم الدكتور عبد الله الزيوت

إن التقرب إلى الله تعالى، لا يتم بترك ما نهى عنه الشرع فحسب، بل لا بد من الإتيان بما أمر به الله تعالى؛ فالتشريع الإسلامي قائم على أمر ونهي، وقد فرض الله تعالى الحج على المسلم المستطيع، وظهرت عنايته تعالى بهذه الفريضة العظيمة، إذ تحدثت آيات من كتابه العظيم عن الحج وفضله وأشهره وبيَّنت بعض آدابه، وما يجب أن يُراعى في أدائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الحج أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحج فلا رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧ .

في هذه الآية الكريمة يُبيِّن الله تعالى وقت الحج، وبعض آدابه، و يأمر الحاجَّ بالتزود لهذه المهمة بما يحتاج لإتمامها، ويؤكد أن أفضل ما يتزود به هو التقوى.

ومناسبة الآية لما قبلها: أنَّه لما أمر الله تعالى في الآية السابقة وهي قوله تعالى: **﴿وَأَتِمُّوا الحج وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** البقرة: ١٩٦، بإتمام الحج والعمرة، وبيَّن ما يجب على المحصر أن يفعله، وكانت العمرة لا وقت لها معلومًا، ذكر في هذه الآية أنَّ الحجَّ له وقت معلوم؛ فجميع السنة وقت للعمرة، وأما الحج فيقع في السنة مرة، فلا يكون في غير هذه الأشهر(١).

فالميقات الزماني لأداء فريضة الحجِّ ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ أي: معروفات لا يكاد يجهلهنَّ أحدٌ من الناس، خاصة ممَنْ خوطِبَ بالقرآن الكريم وقت نزوله، والتعبير عن هذه الأشهر بأنها ﴿مَعْلُومَاتٌ﴾ يُحيل إلى شيءٍ معروف في الذهن، فالعرب في الجاهلية كانت تعرف الحج وأشهره، لكن كانوا يخلطون مع أصل الحجِّ الذي أخذوه عن إبراهيم عليه السلام ما ليس منه.

والأشهر المقصودة هي شَوَّالُ وَذُو الْقِعْدَةِ، واختُلف في ذي الحجَّة، هل هو شهر ذي الحجة بكامله، أو شهر الحج إلى يوم عشر، أو شهر الحج إلى اليوم التاسع؟ فأكثر المفسرين على أنَّها عَشْرٌ مِنْ ذِي الحجة، وهذا ما ذهب إليه الإمام الطبري، وقال: لأن ذلك من الله خبر عن ميقات الحجِّ، ولا عمل للحجِّ يعمل بعد انقضاء أيام منى، فمعلوم أنه لم يعن بذلك جميع الشهر الثالث، وإذا لم يكن معنيًا به جميعه، صح قول من قال: وعشر ذي الحجة[٢].

وفائدة هذا الخلاف تظهر فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم النحر؛ فمن قال: إن ذا الحجة كله من الوقت قال : لم يلزمه دم التأخير، ومن قال: ليس إلا العشر منه قال: يلزم دم التأخير[٣].

وكلمة ﴿أَشْهُرٌ﴾ جمع قلّة، وإنما جاء بهذا الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت والعرب تُسمي الوقت تامًا بقليله وكثيره، فيقال: زرتك يوم الجمعة، وإنما زاره في بعضه، فأقام البعض مقام الكل.

وقد ذكر ابن عاشور احتمال أن يكون المقصود من التعبير بصيغة جمع القلة ﴿أَشْهُرٌ﴾ تهوين مُدَّة ترك الرفث والفسوق والجدال[٤]، كما قالت عَائِشَةَ أُم المؤمنين لعروة بن الزُّبير ـ وقد سألها عن لحم صَيْدٍ لم يُصَدْ من أجله ـ :" يا ابْنَ أخْتي، إنَّما هيَ عَشْرُ ليالٍ، فإن تخلَّج في نفسك شيءٌ فَدَعْهُ، تَعْنِي أَكْلَ لحْمِ الصَّيْدِ"[٥].

❖ ما يجب أن يتخلى عنه المسلم عند أدائه لفريضة الحجِّ:

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحج﴾ أي: ألزم نفسه في الأشهر المعلومات الحجَّ وأوجبه عليها وذلك بالنية والدخول بالإحرام والتلبية، والفَرْض في أصل الوضع يَدُلُّ عَلَى تَأْثِيرٍ فِي شَيْءٍ مِنْ حَزٍّ أَوْ غَيْرِهِ، فَالْفَرْضُ: الحزُّ فِي الشَّيْءِ والقطع، يُقَالُ: فَرَضْتُ الخشَبة، والحزُّ فِي سِيَةِ الْقَوْسِ فَرْضٌ،و فَرَضَ مِسْوَاكَهُ فهو يَفْرِضُهُ فَرْضاً، إِذَا حَزَّهُ بِأَسْنَانِه، فكأن من التزم شيئًا وأثبته على نفسه قد فرضه[٦]، وقد حكى

الإمام الطبري إجماع أهل التأويل على أن المراد من الفَـرْض هاهنا الإيجاب والإلزام[٧].

فمن نوى الحجَّ وأوجبه على نفسه في هذه الأشهر، فيجب عليه أن يتجنب الرَّفث والفسوق والجدال، قال تعالى: **﴿فَلا رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج﴾**.

أما الرَّفث فهو كلُّ كلام متضمّنٌ لما يُستقبح ذكره، ويُسْتَحْيَا مِنْ إظْهَارِهِ من ذكر الجماع، ودواعيه، وَالرَّفَثُ: الْفُحْشُ فِي الْكَلامِ، يُقَالُ: أَرْفَثَ وَرَفَثَ[٨]، وللمفسرين في المراد من الرَّفث هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الجماع، والثاني: الجماع وما دونه من التعريض به، والثالث: اللغو من الكلام[٩]، وكلها أقوال صالحة في ظل الدلالة العامة للكلمة؛ وعلى هذا تكون الآية دالة على النهي عن الرَّفث في هذه المعاني كلّها.

وأمّا الفسوق فهو الخروج عن طاعة الله تعالى، والفِسْقُ يقع بالقليل من الذُّنوب وبالكثير[١٠]، وهو هاهنا اسم عام يشمل المعاصي كلها لا يختص بها شيء دون شيء، كالسُّباب، والغيبة، والتنابز بالألقاب، وغير ذلك مما يُخْرِج عن طاعة الله بمعاصيه.

وأمّا الجدال فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جدلت الحبل؛ أي: أحكمت فتله[١١]، فكل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه ويودُّ لو يقدر على فتله وغلبه.

والجدال من الخصال التي تسبب البغضاء والحقد في النفوس وتثير الخلافات بين الناس، وقد نهى الله تعالى عن الجدال في الحجِّ، وهذا النهي يشمل المخاصمة والمشادة حتى يغضب الحاجُّ صاحبه، ويشمل النزاع في مناسك الحجِّ وأحكامه؛ لأن الله تعالى بينه وقطع المراء فيه، ويشمل أيضًا المنازعات بين الناس في معاملاتهم، وغير ذلك مما يُثير الشَّر ويؤدي إلى العداوة والبغضاء وتغير القلوب.

فالواجب على المسلم الذي أوجب على نفسه الحجَّ وأحرم به، أن يبتعد عن كل قول أو فعل يكون خارجًا عن آداب الإسلام، ومؤدياً إلى التنازع والمشاتمة بين الرفقاء والإخوان.

وفائدة التصريح في مقام الإضمار، بذكر لفظ الحجِّ في قوله تعالى: **﴿فَلا رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج﴾** ولم يقل: (فيه) مع أن المقام يقتضي الإضمار، الدلالة على كمال الاعتناء بشأنه، والإشعار بعلَّة الحكم، فإنَّ زيارة البيت المُعَظَّم

والتقرب بها إلى الله تعالى من موجبات ترك الأمور المذكورة، وإيراد صيغة النفي مع أن حقيقته النهي للمبالغة في النهي، والدلالة على أن هذا الأمر مما لا ينبغي أن يقع أصلا، فإنَّ ما كان منكرًا مستقبحًا في نفسه منهيًا عنه مطلقاً، فهو للمُحْرِم بأشرف العبادات وأشقها أنكر وأقبح(١٢).

وقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"(١٣).

❖ ما يجب أن يتحلى به المسلم عند أدائه لفريضة الحجِّ:

وبعد النهي عن إتيان المنكرات من الاقوال والافعال، جاء الحثُّ على فعل الخيرات، والإرشاد إلى الطريق الموصل إلى الحجّ المبرور، فقال تعالى: **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾** فالمؤمن مأمور أن يفعل كلَّ ما أمره الله تعالى به في حجّه، من إتمام المناسك، وأداء الواجبات لينال بذلك الثواب الجزيل، فإنه مهما يفعل من خيرٍ وقربة وعبادة وعمل صالح إبتغاء وجه الله **﴿فإن الله﴾** به عليم، وهذا يتضمن غاية الحثِّ على فعل الخيرات، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قولي وفعلي.

ثمَّ يأتي الأمر بالتزود لرحلة الحجِّ، فيقول تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾** التزود أخذ الزاد، وهو الطعام والشراب الذي يحمله المسافر في سفره، والله تعالى يأمر بالتزود لسفر الحجّ المبارك بالزاد المادي الحقيقي الذي يكفّ عن سؤال الناس، ويصون ماء الوجه، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ فإذا قدموا مكة سألوا الناس فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**(١٤).

وفي الوقت نفسه يأمر تعالى بالتزود بالزاد المعنوي، وهو امتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيه، والإكثار من العمل الصالح، وهذا هو الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في الدنيا والآخره، وهو الموصل للنَّعيم الدائم.

ثم يأمر الله تعالى أهل العقول بتقواه، فقال: **﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾**، والألباب جمع لُبٍّ، وهو العقل، والمعنى: اتقوا عقابي وعذابي في مخالفتي وعصياني يا ذوي العقول والأفهام، ومن لم يتقه من ذوي الألباب فكأنه لا لبّ له.

وإنما خصَّ الله تعالى أصحاب العقول بالذكر لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل المعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب تفهم، ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل في الخطاب بذلك حظا، إذ كانوا أشباحا كالأنعام، وصورا كالبهائم، بل هم منها أضل سبيلا(١٥).

نسأل الله أن يجعلنا من أصحاب العقول النيِّرة، وأن يزودنا بالتقوى، ومن كل قول وفعل يقربنا إليه، ويُحقِّق رضاه عنا.

وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين

الهوامش:

١- ابو حيان، البحر المحيط، ٩٣/٢، القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٤٠٥/٢ .

٢- الامام الطبري، جامع البيان ١٢٠/٤ .

٣- الشوكاني، فتح القدير ٢٠٠٠/١ .

٤- ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٣١/٢ .

٥- الامام مالك، الموطأ ٥١٥/٣ .

٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٨٨/٤، ابن عطية، المحرر الوجيز ٣١٤/١ .

٧- الامام الطبري ١٢١/٤ .

٨- ابن فارس ٤٢١/٢ .

٩- ابن الجوزي، زاد المسير ٢١١/١ .

١٠- ابن فارس ٥٠٢/٤ .

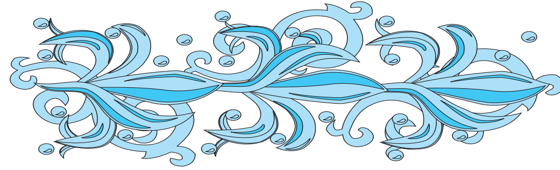
١١- الراغب الاصفهاني، المفردات ٩٧ .

١٢- ابو السعود، ارشاد العقل السليم ٢٠٧/١ .

١٣- صحيح مسلم ١٠٧/٤ .

١٤- صحيح البخاري ٥٥٤/٢ .

١٥- الامام الطبري ١٦١/٤ .



علاقة توعية الحجاج بالدعوة الإسلامية

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

إن الدعوة إلى الله تعالى في موسم الحج سنّة نبوية منذ فجر الإسلام؛ إذ كان النبي ﷺ يعرض دعوته على الناس في مواسم الحج، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت النبي ﷺ في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يأيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا".

ومن حديث جابر رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواقف فيقول: "هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل!".

وفي حجة الوداع، وفي أكبر جمع وأعظم ظرفي الزمان والمكان، يقول ﷺ: "بلغوا عني ولو آية، نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، ربّ حامل فقه لمن هو أفقه منه".

كما أرسل العديد من أصحابه رضي الله عنهم لذلك، وقد استمر علماء الإسلام ودعاته الصادقون على مرّ العصور في اغتنام هذا الموسم العظيم دعويًا مستفيدين منه في إيقاظ القلوب وإنارة البصائر وعرض الإسلام النقي.

والحج موسم دعوي وفرصة ذهبية للدعاة والعلماء والمصلحين، فالناس فيه مقبلون على الخير وقد تجردوا عن مشاغل الدنيا وملهياتها، ولمشاهد الموسم

ومناسكه أثر عجيب على قلب كل حاج، وفي موسم الحج تكون الحاجة ماسّة إلى فقه العلماء وإرشادات الدعاة، ويقصد البيت الحرام ويحج إليه فئات كثيرة من الناس، والدعاة والعلماء أنفسهم يأتون من شتى الأمصار بأعداد كبيرة تكفي القيام بأعباء الدعوة في هذا الموسم العظيم، وتفويت هذه الفرصة الدعوية من قبل الدعاة تفريط لا مسوغ له، لذا ينبغي عليهم أن يعدوا عدتهم لتبصير الحجيج بفقه الحج وإرشادهم وتوجيههم التوجيه الصحيح، واختيار الوسائل الدعوية الحديثة المؤثرة التي تسهم في التأثير على سلوك الحجاج.

والآلاف من الحجاج الذين يتهيأون لـ "رحلة العمر"، يحتاجون من التوعية والإرشاد والتوجيه عناية واهتماما كبيرا بتعلم أحكام الحج ومعانيه ومقاصده وأسراره واهدافه وفلسفته.

ان توعية الحجاج غاية شرعية ومطلب أساسي ملح لتبصيرهم بفقه الحج وإرشادهم وتوجيههم التوجيه الصحيح لأداء مناسك الحج بسهولة ويسر، والتوعية في الحج: هو العمل على تغيير سلوك الحجاج نحو الجانب الإيجابي.

والدعوة إلى الله تعالى من أعظم أعمال البر لما يترتب عليها من فوائد جليلة، ومصالح عظيمة تعود على الداعي والمدعو وعلى المجتمع والأمة والبشرية جمعاء، وقد أثنى الله سبحانه على الدعاة من عباده فقال: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾**، والحج مناسبة كبرى، وفرصة مهمة للدعوة إلى الله وتبصير المسلمين بأمور دينهم حيث تحتشد الملايين من بقاع المعمورة في هذا الموسم، بدافع التعبد لله تعالى، وهم أحوج ما يكونوا إلى من يوصل إليهم الخير والبر والإحسان والمعروف الديني والدنيوي.

إن موسم الحج يفتح آفاقاً رحبة للوعظ والإرشاد والدعوة، ونحن نريد اليوم من يفهم الحج فهما صحيحا شاملا.. ومن يدرك مراميه وغاياته.. ومن يعرف فلسفة الحج في الإسلام بتدبر واع وتأمل دقيق، والمقاصد في المناسك كما بين العلماء.. فإن غالبية المسلمين يفتقر إلى معرفة هذه المقاصد، وفي تقديري أن هذه المعاني بالنسبة للحاج كالروح للجسد، **وإلا فما قيمة حج يرجع الإنسان منه كما جاء إليه،** لم يغير في نفسه ولا سلوكه شيئاً.

والحديث عن الحج زماناً ومكاناً وأداء، ليس حديثاً عابراً عن رحلة إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة

فحسب، بل هو حديث عن مدرسة مؤصلة لها منحاها العقدي، وتشريعاتها الدينية، وقيمها الاجتماعية بأبعد ما تكون تلك المعاني والمقاييس في العقيدة والشريعة والسلوك الاجتماعي بالأهداف والمقاصد.

لذا لا بد من أن ندرك أن حركة الإنسان الجسمية في طريق تأدية فريضة الحج لا بد أن تكون مسبوقة بحركة فكرية، تعقد العزم على أن العودة من هذه الرحلة يجب أن تتفوق على الذهاب إليها من حيث تقويم السلوك واستقامة اعوجاجها، فما أجمل أن يعود الحاج وقد استشعر دروس الحج واستشعر معاني الحج.. المعاني العظيمة، التي من تأصلت في قلبه رجع شخصا آخر.

❖ الحاجة إلى توعية الحجيج:

في عصرنا نرى في الحج جهودًا دعوية مباركة، وأعمالاً مشكورة يقوم بها العديد من الجهات والأفراد في المملكة العربية السعودية؛ ولكنها ـ مع كثرتها ـ لا تزال غير كافية وتحتاج إلى مزيد لأسباب عديدة أهمها:

١- **توارد الأعداد الضخمة من الحجيج والتي تتزايد موسمًا بعد آخر**، وهو مما يهيئ لإحداث نقلة دعوية نوعية في العالم الإسلامي متى أحسنا ذلك.

٢- **تفشي الأمية الشرعية وعموم الجهل بعقائد الإسلام وأحكامه**، وانتشار الشركيات والبدع والخرافات بشكل مذهل في أوساط كثير من الحجاج.

٣- **نوعية الحجيج**؛ إذ كثير ممن يأتي للحج من البلدان المتفرقة هم من ذوي العواطف الدينية الجياشة الذين توفَّرَ لديهم نوع من اليسار النسبي والوجاهة في أوساط أقوامهم، مما يرجى أن يكون لدعوتهم أثر على أقوامهم بعد عودتهم.

٤- **استعداد الحجيج وتهيؤهم للاستماع والتلقي.**

٥- **نظرة كثير من المسلمين لأبناء الحرمين نظرة تقدير وإجلال**، وتقليدهم لهم فيما يرونهم يفعلونه ويدعون إليه، وهذا مما يضاعف المسؤولية ويزيد العبء على عاتق الدعاة والمخلصين في بلاد الحرمين.

كل ذلك يحتم إعطاء الدعوة والإرشاد في موسم الحج أولوية تفوق أولوية الاهتمام بشؤون تغذية الحجيج وإسكانهم وتوفير النقل لهم، كما يحتم تكثيف البرامج الدعوية ومراجعة القائم منها ومحاولة إدخال التجديد عليها بما يتلاءم وأهمية الدعوة في هذا المقام المبارك.

❖ أبرز مـجـالات الـتـوعـيـة بالحـج في الدعوة إلى الله تعالى:

المسلمون اليوم بحاجة أولا لتوعيتهم في فقه الأولويات ومقاصدها: يقول الدكتور يوسف القرضاوي: في موسم الحج من كل عـام نرى أعـداداً غـفـيـرةً من المسلمين الموسـرين يحـرصـون على شـهـود الموسم متطوعين، وكثيراً ما يضيفون إليه العُمرة في رمضان، ينفقون في ذلك عن سخاء، وقد يصطحبون معهم أناساً من الفقراء على نفـقـتـهم، ومـا كلَّف الله بالحج ولا العُـمـرة هؤلاء، فـإذا طالبـتـهم ببـذل هذه النفـقـات السنوية ذاتهـا لإنشـاء مـركـز للدعوة، أو تجـهـيـز دعـاة مـتـخـصـصـين متفرغين، أو تأليف أو ترجمة ونشر كتب إسـلامـيـة نافـعـة، **﴿لوَّوْا رؤوسـهم ورأيتـهم يصدون وهم مستكبرون﴾**.

هناك توعية في جانب الأحكام الفقهية لمناسك الحج، مثل جواز الرمي قبل الزوال في اليوم الثاني عشر حفاظا على أرواح وسـلامـة وأمن الحـجـاج وتوعـيـتـهم في الاقـتـصـار على طواف الركن والواجب، أو في تأخـيـر طواف الإفـاضـة إلى آخـر أيام الحج أي في تأجـيل طواف الإفـاضـة مع طواف الوداع وجعلهما طوافا واحدا قبيل مـغـادرة الحاج، وكذلك في إمكانيـة اتخـاذ بعض الرخص في مسألة الطواف لتخفيف الضغط على المطاف في موسم الحج. وان يتبنى العلمـاء والدعـاة فـتـاوى التـيـسـيـر وتوعـيـة الحـجـاج باتبـاعـهـا دون مـزاحـمـة الآخـرين والإضـرار بهم. وتوعـيـة الحـجـاج بالسـيـر على منهج الرسـول ﷺ في حـجـة الوداع عندمـا أقـام في منطقـة البطحـاء البـعـيـدة عن الحـرم حـوالى (٢) كم والتي تعرف حاليا بالمعابدة ولم يذهب للحرم بعد الحج إلا عند قيامه بطواف الوداع، وكأن النبي ﷺ يعلم ماذا سيكون عليه الحج بعد مئـات السنين من ازدحـام، لذلك فقـد سنّ سنة حسنة عندما سكن بعيدا عن الحرم ولم يذهب لكل صلاة، فـحـجـاجنا من هذه الناحيـة بحاجـة إلى توعيـة وتبصيـر إذ أن الكثيـر من الحـجـاج يذهبون إلى الحـرم كل يوم للصـلاة والطواف، وفي ذلك مـشـقـة عليـهم وتضـيـيق على باقي المسلمين في الحـرم وتعريض أنفسهم والآخـرين للخطر، والحـجـاج لو سـاروا على هذا المنهـاج لما حـصل الازدحـام الكبـيـر الذي نـراه في الطواف فترة الحج.

ومن مجالات التوعية في الدعوة توعية الحجاج بأهميـة التنظيم والنظام، فالتقيد بتـعليـمـات ولي الأمـر في المحـافظة على انظمـة الحج للحـفـاظ على أرواح الحـجـاج وممتلكاتهم وحـمـايتـهم من حـوداث الدفع

والاختناق واجب شرعا، وفي ثقافتنا الإسلامية يعدّ الالتزام بهذه القوانين والأنظمة إلزامًا وتكليفًا شرعيًا، بحيث من يتسبّب في ضرر نفسه يأثم بهذا العمل، ويتحمّل وزر إيقاع الضرر بالآخرين كذلك، ومنها توجيه الحجاج إلى تصحيح الأفكار و المعتقدات الخاطئة، إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو باب كبير من أبواب الدعوة إلى الله.

وهناك بعض فئات من الحجيج تخصص اليوم السادس، ليلة السابع من شهر ذي الحجة في القيام ببعض الأعمال التي تتنافى مع الإسلام والتي تسبب تجمهر الناس حولهم وتعيق حركة الناس داخل الحرم أو في المطاف، وهناك من يمسكون بعضهم البعض في شكل جماعات مما يضيق على الناس ويثير ضجرهم ويسببون الزحام، لذا كان واجب الدعاة تبصير الحجاج بمشكلة الزحام بالحج وكذلك بتنبيههم على مسألة الزحام بسبب تكرار الطواف، حيث إن منهج النبي ﷺ لم يطف إلا طواف النسك فقط، كذلك توجيههم وتوعيتهم بمسألة تكرار العمرة التي فيها تضييق على من يؤدي النسك المفروض، فيحصل الزحام في المسعى والطواف ويلحقون الأذى والضرر بالحجاج، وكما هو معلوم فإن إلحاق الأذى ممنوع في الشريعة، حيث إن الأمر الذي يتولد منه مفسدة مرفوض في ديننا، وكذلك ينبغي على الدعاة والمرشدين والعلماء على اختلاف مستوياتهم توجيه الحجاج إلى عدم تقبيل الركن اليماني، لأن السنة استلامه من غير تقبيل، وتوجيههم على عدم المزاحمة على الحجر الأسود، وأن استلامه وتقبيله يكون في غير مزاحمة، و تبصيرهم في أن استلام الحجر الأسود سنّة، والتحرز عن أذى المسلم واجب فلا ينبغي له أن يؤذي أحدا، وإرشاد الحاجّ أن يرمل في الزحام إذا وجد فرجة مع توقي الضرر والإضرار، وتوجيه حجاج بيت الله الحرام في ترك التعلق بأستار الكعبة والتمسك بجدرانها وأيضا ترك استلام الركنين الشاميين. وكذلك توجيه الحجاج على أن الصلاة داخل مسجد نمرة ليس واجبا وإرشادهم إلى أن صلاة ركعتي الطواف يمكن أن تؤدى في أي مكان في المسجد الحرام وإرشاد الحجاج للتمييز بين الواجب و السنّة، والسنّة و البدعة، والصحيح والباطل من أعمال الحج، وتوجيه الحجاج أن المرور بالمزدلفة كاف لتحقيق الوقوف وما دامت هي على الطريق فالكل سيمرّ بها، وإرشاد الحجاج إلى ضرورة التوكيل في رمي الجمرات لمن لا يستطيع، وتوجيههم إلى مدة الرمي

وكذلك إرشادهم إلى أنّ المبيت بمنى ليلة التاسع من ذي الحجة هو سنّة، وتبصيرهم وتوعيتهم بعدم وجوب الوقوف في جبل الرحمة وتوجيههم بضرورة قضاء الحجاج يوم عرفة بالأعمال الصالحة، هذه امثلة على مجالات التوعية والإرشاد الدعوي في الحج.

❖ قصور في وعي بعض الحجيج في فهم آداب الإسلام:

من يقصد البيت الحرام في موسم الحج لا تغيب عن ناظريه ظاهرتان سلبيتان، ليستا من خلق المسلم والحاج لبيت الله، ولا تمتان إلى أدب الإسلام بصلة؛ أولى هاتين الظاهرتين، ظاهرة عدم مراعاة قواعد النظافة في الأماكن المقدسة، وهذا ما يتضح من أطنان المخلفات التي تلقى على الأرض في منى وعرفات، ما يتنافى مع الهدف الأسمى من الحج، وثانيهما ظاهرة الفوضى وعدم مراعاة النظام واحترام الآخرين.

إن العديد من المؤدين لمناسك الحج لا يكترثون كثيرًا بهذا الأدب الإسلامي، ولا يلقون له بالاً، مع أن المكان الذي هم فيه أولى وأجدر بمراعاة هذا الأدب، وهذا يدل على قصور في الوعي وجهل في فهم الدين ومقاصده.ونحسب أن الالتزام بقواعد وسلوكيات الدين الاسلامي في النظافة والتزام النظام مقصدان هامان من مقاصد الحج، وهما مظهران من مظاهر رقي الأمم، ومؤشران من مؤشرات وعيها الثقافي.

لا نريد أن نأخذ صورة العبادة ونغفل عن روحها، لا نريد أن تغيب عنا معاني هذه العبادة المهمة ومقاصدها العظيمة.. لا بد من تمثل الأهداف البعيدة التي يرمي إليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته.

وهذه التوعية وهذا التوجيه الدعوي منصب على عاتق العلماء والدعاة في تبصير المسلمين في أمور دينهم واخلاق دينهم. وتبيّن الدراسات الميدانية المعنية بإدارة الأزمات، أنّ أكثر التجاوزات والأخطاء الإدارية والثقافية والدينية التي يقع فيها الحجاج أثناء أدائهم لمناسك الحج؛ هو نتيجة لعدم إعدادهم لها مسبقاً في بلدانهم وبالكيفية والحجم المناسبين. ولا يتوقف الأمر على الذين يحجّون لأول مرة، حيث إنّ الاحتشاد البشري الهائل، والتغيّر المستمر في بعض مفرزات الطرق المتصلة بمناسك الحج، يستدعي تثقيفاً متجدداً ومواكباً للمتغيرات الحاصلة والإرشادات الإدارية و التوعية العبادية اللازمة لها.

❖ توعية الحجاج في بلادهم:

ينبغي إعداد خطة كاملة وشاملة لتوعية الحجاج في بلدانهم وحتى وصولهم إلى الديار المقدسة، للتيسير على زوّار بيت الله الحرام في كل ما يلتبس عليهم في أمور دينهم لكي يؤدوا نسكهم بطريقة ميسرة وسليمة. وبسبب ضيق موسم الحج وانشغال الحجاج في عباداتهم فإن توعية الحجاج وتبصيرهم في أمور دينهم في بلادهم، هي أفضل وذات جدوى أكبر، وكذلك ينبغي التركيز على برامج التوعية والتدريب العملي للحجاج في بلادهم وبوقت كاف قبل وصولهم إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، وفي دراسة لوزارة الحج السعودية بينت أنّ من بين الدول التي تنفذ برامج توعية مختلفة لحجاجها قبل سفرهم إلى المملكة العربية السعودية لأداء الحج هي: (ماليزيا، الأردن، إيران) إذ كانت أعداد الوفيات والمصابين بين حجاج هذه الدول أثناء رمي الجمرات قليلة جدا، رغم ارتفاع أعداد الحجاج القادمين منها.

❖ وسائل دعوية للحجاج في بلدانهم:

● السعي إلى التنسيق مع مسؤولي الحج في الجهات والمشيخات والمجالس والمؤسسات والمراكز الإسلامية في الدول المختلفة لعقد دورات شرعية عن صفة الحج وآدابه، ومتطلبات الحاج في السفر، والأمور التي يشرع فعلها قبل السفر، وتهيئة الأجواء الملائمة لإنجاحها.

● تكليف الجهات الدعوية والمؤسسات والمراكز الإسلامية بعضَ دعاتهم في البلدان المختلفة بمرافقة الحجاج القادمين من بلدانهم وتعليمهم والقيام بتوعيتهم.

● عمل حقيبة إرشادية للحاج بلغته تتكون من مصحف وبعض الكتيبات والأشرطة والخرائط الخاصة بمكة والمشاعر، والتنسيق مع الجهات التي تتولى سفر الحجيج في البلدان المختلفة لتوزيع هذه الحقائب.

● توفير الكتيبات والأشرطة والخرائط الخاصة بمكة والمدينة والمشاعر بلغات مختلفة وعرضها للبيع في البلدان التي يقدم منها الحجاج قبل زمن الحج بوقت كافٍ.

● الاستفادة من التقنيات الحديثة لشرح معالم الحج وأركانه وآدابه، كأشرطة الفيديو والمجسمات والشرائح الفلمية؛ لأن كثيرًا من الأخطاء التي يقع فيها الحجيج ناتجة عن الجهل بكيفية المشاعر ومواقعها.

❖ **وسائل دعوية في وسائل التنقل المختلفة إلى بلاد الحرمين:**

- عرض أفلام فيديو وتشغيل أشرطة كاسيت حول صفة الحج وآدابه عند القدوم إلى المشاعر، وعند المغادرة وحول أهمية الاستمرار في العمل الصالح، وأن يكون العبد بعد الحج خيرًا منه قبله، والحث على تجنب البدع والمنكرات التي يقع فيها بعض الحجيج عند عودتهم إلى بلدانهم، وأن يكون للحاج عند عودته دور في إصلاح أهله ومجتمعه وبث الوعي الشرعي ومجابهة الفساد.
- توزيع حقائب إرشادية على الحجاج تتضمن مصحفًا وسواكًا ومجموعة من الكتيبات والأشرطة الإسلامية المعتمدة من جهات علمية موثوقة.
- توزيع حقائب توعية خاصة بالمرأة تتضمن ـ بالإضافة إلى ما تتضمنه الحقيبة الإرشادية ـ كتيبات وأشرطة عن صفة الحجاب الشرعي وكيفية الالتزام به، ودور المرأة المسلمة، كما يمكن أن يضاف إلى هذه الحقيبة حجاب شرعي.
- في الرحلات التي تستمر وقتًا طويلاً ويكون العدد مناسباً، يمكن التنسيق مع المطوفين وأصحاب الحملات وشركات النقل لتعيين داعية أو أكثر من الذين يجيدون لغة الحجاج لشرح مناسك الحج وآدابه والأخطاء التي يقع فيها الحجيج لتجنبها، وطرح بعض الموضوعات العقدية والفقهية، والإجابة عن استفسارات الحجاج ونحو ذلك مما يهمهم.
- الاقتراح على شركات النقل الجوي والبحري وضع مكتبة شرعية صغيرة مقروءة ومسموعة وعرضها على الركاب للشراء أو الاستعارة أثناء الرحلة.
- التأكيد على شركات النقل الجوية والبحرية بأهمية تنبيه الحجيج عند محاذاة الميقات؛ لأن كثيرًا منها لا يقوم بذلك، كذلك عدم عرض أو تقديم ما لا يحل شرعاً.

ثالثًا: وسائل دعوية في منافذ بلاد الحرمين الحدودية:

- توزيع المصاحف والكتيبات والأشرطة الإسلامية والخرائط الإرشادية عند قدوم الحجاج ومغادرتهم.
- وضع لوحات توجيهية، وأخرى تحمل عبارات الترحيب والوداع باسم الجهات والمؤسسات الدعوية.
- توزيع دليل بعدة لغات يتضمن أرقام

هواتف الجهات الدعوية والخدمية الهامة وأرقام هواتف طلبة العلم والدعاة، ولا بد من تضمنه أرقام هواتف بعض الدعاة الذين يتحدثون بلغات مختلفة والإشارة إلى اللغة التي يتحدث بها كل منهم.

رابعًا: وسائل دعوية في مدن الحجاج والمواقيت:

- تكثيف الدعاة في هذه المواقع وبلغات مختلفة؛ بحيث تكون مهمتهم تعليم الحجاج ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، وتوجيههم إلى ما ينفعهم، ومساعدتهم في تصحيح الأخطاء التي تُرَى عليهم، والإجابة عن استفساراتهم، ونحو ذلك.
- تكليف دعاة ميدانيين للرجال وداعيات ميدانيات للنساء يتخاطبون بلغات مختلفة يتجولون في مدن الحجاج بالسيارات وعلى الأقدام بحيث تكون مهمتهم التعليم المباشر للحجاج والدعوة لهم بحكمة ولين.
- الإكثار من مكاتب الإرشاد الشرعي الصغيرة في مدن الحجاج والمواقيت بقدر المستطاع؛ مع أهمية تخصيص بعضٍ منها للرجال وأخرى للنساء.
- توزيع المصاحف وما يستطاع توزيعه من الكتيبات والنشرات والأشرطة الإرشادية بحيث يُضمن وصولها إلى كل حاج بلغته.
- وضع لوحات إرشادية تتضمن صفة الحج وآدابه ونماذج من الأخطاء العقدية والسلوكية التي يقع فيها الحجاج، ويمكن أن يكون بعضها لوحات إلكترونية حتى يتمكن الدعاة القائمون عليها من تحديد التوجيهات الملائمة بلغات مختلفة.
- إقامة الدروس العلمية والدورات الشرعية في مدن الحجاج بعد انتهاء موسم الحج في وقت انتظار الحجيج زمن المغادرة إلى بلدانهم.
- التنسيق مع المجلات الإسلامية لأخذ مسترجعاتها لتوزيعه على الحجاج في مدن بعد انتهاء موسم الحج.
- التنسيق مع مكاتب دعوة الجاليات والمكتبات والتسجيلات الإسلامية لإقامة معارض للكتاب والشريط الإسلامي بلغات مختلفة في مدن الحجاج.

❖ الخاتمة:

- الحج موسم دعوي وفرصة ذهبية للدعاة والعلماء والمصلحين.
- إن موسم الحج يفتح آفاقاً رحبة للوعظ

والإرشاد والدعوة.

- الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ في موسم الحج سنّة نبوية منذ فجر الإسلام.

- التوعية الدينية في الحج وتنميتها مسؤولية مؤسساتنا الشرعية والدعوية.

- ينبغي على الدعاة أن يعدوا عدتهم لتبصير الحجيج بفقه الحج وإرشادهم وتوجيههم التوجيه الصحيح.

- في موسم الحج تكون الحاجة ماسّة إلى فقه العلماء وإرشادات الدعاة.

- الحجاج يحتاجون من التوعية والإرشاد والتوجيه عناية واهتماما كبيرا بتعلم أحكام الحج ومعانيه ومقاصده وأسراره واهدافه وفلسفته.

- توجيه الحجاج إلى تصحيح الأفكار و المعتقدات الخاطئة عن اعمال الحج.

- إرشاد الحجاج للتمييز بين الواجب والسنّة، والسنّة والبدعة، والصحيح والباطل من أعمال الحج.

- توعية الحجاج غاية شرعية ومطلب أساسي ملحّ.

- التوعية في الحج من وسائل الدعوة الإسلامية.

- حركة الإنسان الجسمية في طريق تأدية فريضة الحج لا بد أن تكون مسبوقة بحركة فكرية وعلمية.

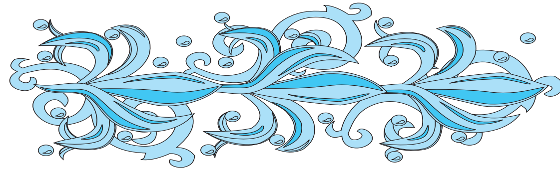
- ينبغي على الدعاة إدراك الأهداف العامة لبرامج التوعية الإسلامية في الحج.

- يجب إعطاء الدعوة والإرشاد في موسم الحج أولوية كبرى.

- نشر الوعي الديني الصحيح بين الحجاج يكون بنهله صافياً نقياً من منابعه ومصادره الأصلية: الكتاب والسنّة.

- توعية الحجاج وتبصيرهم في أمور دينهم ومناسكهم في بلادهم هي أفضل وذات جدوى أكبر.

- ليست العبرة بكثرة الحج، ولكن بأثر الحج في سلوكياتنا.



هل تحج له؟

■ بقلم الدكتور محمد ياسر القضماني

من هو؟ هو الله!! وهل ينبغي ان يكون شيء من الاعمال الا له ومن اجله جل جلاله وتعالى في علاه؟! أخبرني رحمك الله؛ ما فائدة ان تحج من اجل ان يقال: كذا، او يعتقد كذا، أو لا يعتقد كذا؟! الى متى نزج انفسنا في أوهام، نعم أوهام!! من قال لك: انك قادر على ارضاء هؤلاء الذين تسعى في مرضاتهم، وتبذل كريم أموالك ونفائس اوقاتك رخيصة في سبيل محبتهم؟!.

من قال لك: انك بذلك تكرم عليهم وتعظم في اعينهم؟! لا انك هين في انفسهم، بل لا تستصغر من الناس احداً لما جبلت عليه في اصل فطرتها من تعظيم الحقيق بالتعظيم والمحبة الا وهو الله تعالى، كما استصغارنا لهؤلاء المفتونين بالدنيا، العابدين لشهواتهم وحظوظ انفسهم!.

وتقترب ايام الوفود الى مكة والمشاعر، والتلبس بالمناسك والشعائر، وتهتاج الأرواح لهاديها وخالقها، نعم! من لا يشتاق لله ورسوله والداعي قد دعا، والمنادي قد نادى؟!.

لقد دعي ابو الأنبياء خليل الرحمن ابراهيم عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء صلوات الله وسلامه، الى ان يؤذن في الناس بالحج، ولما اشفق من ذلك وبالذي يبلغ صوته؟! جاء البيان عليك النداء وعلينا البلاغ، فما ان نادى حتى اجابت ولبت أمم وشعوب، ومما ورد: فمن لبى مرة أجاب مرة، ومن لبى مرتين اجاب مرتين.

ولكن ليس كل من يجيب يصفو له عمله، وليس كل من يصل هناك يكون موصولاً مقبولاً، وهل يقال: لبيك وسعديك لكل من قال: لبيك اللهم لبيك؟! يحكى عن ابي محمد المرتعش انه قال: حججت كذا وكذا حجة على التجريد بدون تزود واعداد، فبان لي ان جميع ذلك كان مشوباً بحظي، وذلك

ان والدتي سألتني يوماً ان استقي لها جرة ماء، فشغل ذلك على نفسي، فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت لحظ، وشوب لنفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع!.

ارأيتم كيف كانوا يحاسبون انفسهم، وكيف يتعققون من دخائل نفوسهم، وقبائح شهواتهم، وشنائع اهوائهم؟! كثير منا لا يلتفت لذلك ولا يستشعره، فضلاً عن معرفة مصيبته والتعقق بآفته!.

كم عانى ابو محمد هذا في حجاته من اهوال ومتاعب واحمال ثقال في سبيل ان يتم حجه، ويؤدي نسكه على اتم وجه، ولما سألته والدته ان يستقي لها جرة ماء ما سهل عليه أمرها، ولا هشت روحه للمسارعة لواجب بل لأوجب الواجبات، وأشهر الطاعات، وابرك القربات وهل اعظم من ان يلحق الله بر الأمهات بتوحيد رب البريات، وخالق الأرضين والسموات؟!.

حنانيكم يا من تتأثرون ان فاتكم الموسم وقد اعددتم له كل عدة، يا من تتأسفون ان لم تقدموا هذا العام على كعبته وبيته الحرام، ولا تتأثرون ولا تتأسفون ان قطعتم ارحامكم بل هجرتم أولاهم واقربهم بالصلات، وعزيز الهبات وسني الاعطيات!!.

حنانيكم يا من تتنغصون ان فاتكم الوقوف بعرفات هذا العام، ولا تتنغصون ان فاتكم التعرف على ما يصحح وجهاتكم، ويصوب اعمالكم، ويطهر نفوسكم!.

حنانيكم يا من تعكرتم لفوات منى، وما مناهم الا ارضاء الأهواء الدنية، والشهوات الخفية!

حنانيكم يا من تحسرتم ان لم تصلوا في الروضة الشريفة، وتقابلوا الحجرة المنيفة، وتحظوا بالسلام على خير الأنام، ان كنتم يا هؤلاء محبين فلماذا تخالفون وتشردون، لم تفوتون وتفرطون في الآداب النبويات والسنن المرعيات؟!.

اننا نعرف بكثير من الأعمال ونفرح بها بل ونطرب لها ايما طرب، وربما ظننا انها ستؤهلنا لدخول الجنة من ابوابها الثمانية، غير انه لو دقق المرء المنصف المنور بهداية المخلصين، وعبادة المقربين، لعرف وتيقن ان اعماله هذه دعاوى عريضة، كان يتعبد فيها حقاً ولكن لا لمولاه وخالقه وانما لنفسه وحظوظه وشهواته؟!

كم مر على ظهر هذه الأرض من يحسبون انهم يحسنون صنعاً! ومتى تظهر البواطن؟ هناك عندما تبلو كل نفس ما اسلفت! فالآن دققوا ايها الحجاج والحديث عنكم، اهتفوا في آذان قلوبكم ما الذي حملكم على الذهاب والإياب؟ هل إرضاء رب الأرباب، ومحبة سيد الأحباب ام غير ذلك؟ تولنا يا رب فلا نلتفت لسواك يا رب غفراً غفراً.

من فوائد الحج

■ **بقلم الاستاذة منتهى العبيدي**

الحج ركن من أركان الإسلام تهفو إليه القلوب المسلمة، وتلبي له الأفئدة المؤمنة الموحدة على اختلاف أجناسها وتعدد ألوانها واختلاف قبائلها وأنسابها، فمشهد عظيم من مشاهد الأمة الواحدة الموحدة، التي جمع بين أجناسها الدين رغم اختلاف الألسن والألوان، حيث يجتمع الملايين من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد، عليهم ملابس الإحرام، ملابس الطهر والنقاء، وهم يرددون: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» مستجيبة لذلك النداء الذي أذّن به أبونا ابراهيم عليه السلام، فجاءت قوافل المؤمنين من كل فج عميق ليطوفوا بالبيت العتيق.

والحج عبادة من العبادات التي يشترك فيها بذل المال -ويشمل بالنفقة التي ينفقها الحاج في ذلك- والبدن بما يشمل: المشقة والتعب والنصب والحل والترحال في القيام بها، ولها شروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، ومرادنا هو ما وراء ذلك من المعاني الكثيرة العظيمة ،المعاني الإيمانية القلبية، **والفوائد الغزيرة التي اشتمل عليها الحج، والتي لن نتمكن من أن نأتي على ذكرها جميعاً، فمن ذلك:**

١- الهجرة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ، ويتجلى معنى ذلك في قيام المسلم بترك ماله وولده وأهله وعمله ودياره، وقدومه على الله جامعاً بين الخوف والرجاء، فيطلب مغفرة ربه ويرجو رحمته وفضله، قاصدين وجه الله تعالى، مهاجرين

له فارين إليه. ولكن هناك من يحجون بيت الله ويقصدونه، ممن لا ينتبهون لهذا المعنى في تلك العبادة ولا يمتثلونه، وأنت تستغرب عندما ترى الحاج وعليه آثار السفر، ومظاهر الهجرة، وهو في الوقت نفسه غير قادر على هجر المعاصي والعادات السيئة، ولو تفطن الحاج إلى معنى الهجرة في الحج، لكان من أوائل ما ينبغي عليه فعله هو هجر السيئات والمعاصي.

٢- الأمة الواحدة، أمة المسلمين واحدة منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى أن يرث عز وجل الأرض ومن عليها، جمع بينهم توحيد الله وعبادته، فلم يعد شيء يقدر على التفريق بينهم؛ لا جنس ولا شكل ولا لون ولا لغة ولا بلد، وها هم المسلمون على تنوعاتهم الكثيرة في هذا الموسم العظيم يجمعهم موقف واحد لعبادة الله العلي الكبير، وقد اكد الرسول ﷺ هذا المعنى وبين وحدة المسلمين وشبههم بالجسد الواحد.

٣- تزكية النفوس وتطهيرها، لقد حضت الشريعة على تزكية النفس وتحريرها من شح النفس، فأمرت بإعطاء الفقراء والمساكين حقهم من الزكوات، وحث على الإنفاق عليهم والإحسان إليهم، ووعدت على ذلك الأجر الجزيل، وفي الحج يحتاج الناس إلى الزاد الذي به قيام النفوس، وفي هذا الموقف يأمر الله الحجاج أن يُخرِجوا من أموالهم وأزوادهم ما يطعمون به الفقير؛ من النسك الذي ذبحوه تقرباً إلى الله تعالى، والإنسان عندما يقرّب لحبيب أو يهدي لصديق؛ فإنه يختار من الأشياء الجيد النفيس ولكنك ترى كم ينفق بعض الحجيج من نفقة فى المتاع والملذات والهدايا والمشتريات وهم مع ذلك أشحة على الخير الا ما رحم ربي.

٤- الحج فريضة العمر، فالعبادات انواع فمنها ما هو فريضة العام كصوم شهر رمضان، ومنها ما هو فريضة الأسبوع كفريضة الجمعة، ومنها ما هو فريضة اليوم، وهي الصلوات الخمس، ومنها ما هو فريضة العمر، وهو الحج فلا يجب في العمر كله إلا مرة واحدة ولكن السؤال: لماذا فرض الحج مرة واحدة في العمر؟

من اجل التيسير؟ قد يكون ذلك لكن من المؤكد ان الحج اشتمل على معاني

كثيرة، وتعاليم جليلة لو فقهها المسلم وعمل بها لأغنته ولم يحتج الى الحج مرة اخرى لانه اداها بشكل يرضي الله تعالى، حتى يفيض الله عليه من رحمته، ويفتح عليه من كنوزه.

٥- مجانبة الكبر والبعد عنه تواضعاً لله تعالى: الذل والكبر من الأخلاق الذميمة التي تأباها الشريعة والنفوس الشريفة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

والحُجاج في يوم عرفة، هناك رئيس ومرؤوس، وأمير ومأمور، وملك ومملوك، جميعهم في لباس واحد إزار ورداء، رؤوسهم حاسرة، أيديهم مرفوعة، ألسنتهم تلهج بالذكر والدعاء وطلب المغفرة، همُّهم الفوز بالرضوان ودخول الجنان؛ لا التعالي أو التكبر على عبيد الخالق سبحانه.

٦- تعظيم الشرع والتسليم له، المسلم معظِّم للشرع مقدِّم له على كل شيء؛ على الآراء والأقوال والرجال، على العقول والألباب والأفهام، على النفس والمال، يرى الشريعة معصومة، يقبل منها كل ما جاءت به وثبتت نسبته إليها؛ حتى لو لم يستوعب ذلك عقله، أو لم تتبين له في ذلك الحكمة، ويظهر ذلك المعنى جلياً في الحج، يظهر في كل شعيرة من شعائره، وأظهر ما يكون في ذلك تقبيل الحجر الأسود، فالحجر الأسود حجر، والحجر لا يضر ولا ينفع، ولكنَّ رسول الله ﷺ قبَّله.

من لم يستفد ويعي هذه المعاني ويعمل بها ومن خلالها، فلا يكون قد حج حجا مبرورا حجا من القلب قبل القالب، بل يكون فحسب من الركب والعير، ولأن المعاصي في حال الإحرام أعظم وأكبر عقاباً منها في غيرها، فجلال الحج وعظمته لا يناسبه وقوع الحاج في تلك الرذائل، أما من يصدُق ويُصَدِق بقلبه وعمله فطوبى له، طوبى له إذا أدى حجا مبرورا سالماً من المبطلات والمنقصات والمفسدات.

عندئذ تأتيه الجائزة من ربه تعالى جزاءً وفاقا على ما كان منه من حج مبرور لا كِبرَ فيه ولا غرور، ولا لغو فيه ولا فجور، ولكن بِر وايمان، وتقوى وإحسان، وهجرة بالجسد والجنان، يرجو عفو الرحمن، بقلبه قبل اللسان.. فيبشره ربه ان صار مطهرا من الذنوب كيوم ولدته أمه.

خطبة الجمعة

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

ان خطبة الجمعة من أهم وأعظم شعائر الإسلام، التي تكوّن في نفس المسلم جرعة ايمانية وشعلة روحانية، تنير أيام حياته من الجمعة الى الجمعة، وهي فرصة ثمينة يتلاقى فيها الدعاة مع أفراد المجتمع، استجابة لأمر الله عز وجل القائل في كتابه العزيز: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ الجمعة: ٩ .

كان هذا منذ بدء رسالة الإسلام ولا تزال هي أكثر الوسائل فاعلية في نشر الحق وإصلاح الفرد والمجتمع، فهي تحتل موقعاً متميزاً في تفعيل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الدعوة وبث الإصلاح والفكر الصحيح، ومخاطبة مختلف الفئات والطبقات والمستويات، فللخطبة أثرها المباشر وسرعتها في توجيه الرأي العام ولها مساهمتها الفعالة في الأخذ بيد الأمة، لكي تتخطى ما يواجهه المسلمون في العصر الحديث من تحديات، وتتخلص منه بروح من الأمل والرجاء والتفاؤل وتجنب روح اليأس والتشاؤم والقعود عن العمل.

فأي قدر واي مكانة حظي فيها هذا المنبر وهذه الشعيرة، التي تشهدها الملائكة لتلقي ظلال الهيبة والجلال عليها من جهة، ناهيك عما نالت هذه الوسيلة من الدراسة والعناية من جهة أخرى، فضلاً عن التوظيف العملي لهذه الوسيلة.

واذا كان هذا هو أثر الخطبة ومكانتها ودورها في تجـذير مـفـهـوم الصـلاح والإصلاح وتمتين الإنسان بربه ومجتمعه ووطنه ونفسه، فإنه يحسن بحث هذا الدور من حيث الخطيب نفسه وواقعه وأنواع المشكلات المطروحة التي ينبغي ان تعطى لها الأولوية في الخطبة، ومسؤولية السامع، ما له وما عليه، وهذه الأخيرة التي تعنيني في هذا المقال.

وحتى تؤتي الخطبة ثمارها وتحقق هدفها ينبغي ان تكون عناصرها مترابطة، متكاملة، تكوّن منظومة فكر متناسق نصل في نهاية الخطبة الى تحقيق الهدف المنشود.

وقبل الخوض في المستقبل ما له وما عليه، أود ان أسوق تعريفا للخطبة الجيدة مقتبسا من الاستاذ محمد بن جماعة الذي يقول فيه: **هي "الخطبة المتقنة التي تحدث تفاعلاً ايجابيا لدى أكثر الحاضرين، بحيث يشعرون بعد انتهائها انهم قد ازدادوا إيمانا، وتعمقت مشاعر أخوتهم وتضامنهم وانتمائهم الديني، واستفادوا وعياً وبصيرة بواقعهم وقضاياهم وهمومهم المشتركة فتترسخ معانيها في الأذهان، ولا يتبخر أثرها ولا ينسى موضوعها بعد الصلاة بقليل".**

هذا مع العلم ان هناك عشرات التعريفات للخطبة بعضها مختصر وبعضها مطول، ويمكن لمن اراد التوسع الرجوع الى المصادر ذات الصلة بالموضوع.

ومما يؤكد على أهمية جودة خطبة الجمعة والتأثير المراد منها ومن مجالس الذكر عموما، ذلك الحوار الإيماني الهادئ الهادف الذي دار بين الرسول ﷺ والصحابي الجليل حنظلة بن الربيع الأسدي لما شكا من شعوره حين يستمع للنبي ﷺ وهو يذكر بالنار والجنة كأنه يراهما رأي العين، فاذا خرج من المجلس نسي كثيراً فأجابه النبي ﷺ بأنهم لو يدومون على ما يكونون عنده وفي الذكر، لصافحتهم الملائكة على فرشهم وفي الطرقات" حديث صحيح اخرجه الامام مسلم.

هذا التأثير الروحي في المستمعين المقترن بالمجلس من قبل المتكلم، هو مقياس القيمة الجديدة التي يبحث عنها المستمعون في مجالسهم وفي خطبة الجمعة المتكررة اسبوعيا تحديداً.

وقد كان من أثر خطب النبي ﷺ وأحاديثه، ان اصحابه رضي الله عنهم كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ويرددونها ويحدثون بها غيرهم بعد سنوات من سماعها، مما يدل على رسوخ كلامه ﷺ في أذهان مستمعيه، ويعود ذلك لسهولة

عبارته واعتماده على الكلام المختصر والجمل البليغة، وتكراره للعبارات ذات المفاهيم المفتاحية وقدرته الصوتية على شد انتباه المستمعين.

وها هي بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها تقول: (ما حفظت «ق» الا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة).

ومما يؤكد ايضا على مدى أهمية دور السامع وما هو مطلوب منه قول الرسول ﷺ في الحديث المتواتر (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه).

وهذا يتطلب من السامع مراعاة المسؤولية التعليمية الدعوية ذات الأبعاد الرباعية التي قررها هذا الحديث الشريف وهي:

١) السماع.

٢) الوعي والفهم والادراك.

٣) الحفظ والمذاكرة.

٤) التبليغ.

وأنّى له (أي السامع) ان يحقق ذلك الا اذا التزم بجملة امور منها:

أولا: التهيئة النفسية: فيؤمر بالتطيب والاغتسال والسواك والتبكير في الحضور للمسجد.

ثانيا: الانصات للخطيب وعدم جواز الكلام ولو بكلمة، حيث جاء في الحديث المتفق عليه (اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة: "أنصت" فقد لغوت) وذلك ليحصل من الجميع حسن الاستماع وتمام الاستفادة واحترام الشعائر، ليكون للخطبة الأثر البليغ في سلوك المسلم واعماله، ومواظبته على الطاعات وابتعاده عن المعاصي، ويتأثر قلبه ويتجدد ايمانه ويقوى يقينه وترسخ العقيدة في قلبه، فينصرف وقد رق قلبه وذرفت عينه وخشع لربه واستكان، واستعان على ذلك بجلساء صالحين يذكرونه اذا نسي ويعينونه اذا ذكر ويقوون عزيمته، ويعمرون مجالسهم بالعلم النافع والعمل الصالح والتفكير في آيات الله تعالى.

جاء في حديث سلمان عند البخاري: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ويدهن ويتطيب، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب الله له، ثم ينصت اذا تكلم الامام، الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" زاد مسلم (وفضل ثلاثة أيام).

ثالثا: هناك نوع من أنواع الاستماع يطلق عليه "الاستماع العاطفي وهو يختلف عن الاستماع الواعي او الاختياري فهو يتم بقصد الفهم أولا، أي البحث عن فهم

الاخـرين بالدخـول الـى الأطر المرجـعـيـة لتفكيرهم، ومحاولة رؤية العالم بالطريقة التي يرونه بهـا وفـهم مـشـاعـرهـم، وهذا الاستماع لا يعني تسجيل الكلمات والتأمل فيها ولا حتى فهمها اذ ان (١٠٪) فقط من تواصلنا يتم عن طريق الكلمات التي نقولها و (٣٠٪) عن طريق الاصـــوات التـي نصـــدرها، و (٦٠٪) عن طريق لغـــة أجسامنا، اما في الاستماع العاطفي فإنك تستمع بأذنيك وعينيك وقلبك، انك تستمع للمشاعر والمعنى والسلوك معاً.

رابعـا: من الأمـور ذات الصلة بفـاعلية الخطبة وتـأثيرها: توجه السامع ورغبته في السماع حيث ان هذا الأمر يترك اثراً واضحا على نفس الخطيب ويشرح صدره للكلام، مثلما يؤثر جفاء السامع وانشغاله عن الخطبة سلبا على نفسية الخطيب، قال احد الحكماء مخاطبا ابناءه: (أي ابنائي تعلموا ادب الاستماع كما تتعلمون ادب الكلام، ومن حسن الاستماع ان تمهلوا المتكلم حتى يتم حديثه كاملا، وان تقبلوا عليـه بوجـوهكم وتنظروا اليـه نظرة من يرعى ويقدر ويحترم، وان تفهموا وتعوا وتحيطوا بما يقول ولا تستعجلوه بجواب، واحـذروا ان يقـرأ في وجـوهكم تبـرمـا وضجـرا وسـأمـا من حـديث، او سـخـرية وهزءا من نبـرة، او ضـيـقـا من اطالتـه، او تـآخـذوه بفـقـره او غناه، انكم بحـسـن استماعكم تدنون من القلوب وتقربون من المجالس، وتوقظون المودة وتزرعون المحبة في نفوس محدثيكم)، والعرب يقولون: "العيون مغاريف الكلام".

خامسا: قد يأتي بعض المصلين للجمعة لاسـقـاط الفـرض فـقـط فـلا يرغب في الاستماع واذا اسهب الخطيب احيانا ضاق صـدره ومل، فـربمـا خـرج بذهنه خـارج المسجد او نام، والغالب على هؤلاء عدم التأثر او التفاعل مع الخطبة وماذا طرح الخطيب ·

سادسـا: ان المسلمين حين يتوجهون الى المسـاجـد يوم الجـمـعـة في المدن والقـرى والبوادي، يطمحون الى الاستماع الى كلمة طيبـة وعظة بالغة تزكي نفوسهم وتنير عقولهم وترقق مشاعرهم وترشدهم الى أحكام دينهم ومصالحهم الدنيوية وحياتهم الأخروية، وان مسؤولية السامع تكمن في ديمومـة التـواصل مع الخطيب من بداية الخطبـة الى نهـايتـهـا، ثم انعكاس ذلك ايجابيا على شخصه وأسرته وتعامله مع مجتمعه ليشكل انموذج "مبلغ أوعى من سامع".

فكيف يتسنى لخطيب الجمعة تحقيق هـذه المقـاصـد والأهداف والغـايات من خلال الخطبة؟!

بداية لنقف على قيمة خطبة الجمعة

المعنوية عند الناس وتأثيرها فيهم في ضوء دراسة اجريت في مصر كانت نتائجها على النحو التالي:

١- (٧٨٪) من المستمعين ذكروا انهم يتأثرون تأثراً دائما بما يقوله الخطيب.

٢- (٧١٪) ذكروا انهم يلتزمون دائما بما يقوله الخطيب.

٣- تم تكليف احد الخطباء ان يخطب عن الربا، فأجرى استفتاء قبل الخطبة وبعدها وكانت النتيجة كما يلي:

أ- (٨٥٪) كانوا يعرفون المفهوم الصحيح للربا، وبعد الخطبة ارتفعت النسبة الى (٩٧٪).

ب- (٣٣٪) كانوا يعرفون عقوبة المرابي، وبعد الخطبة ارتفعت النسبة الى (٥٩٪).

ج- (٧١٪) كانوا يعلمون ان البنوك المصرية تتعامل بالربا، وبعدها ارتفعت النسبة الى (٩٤٪).

د- (٥٠٪) كانوا يفضلون الاستثمار في البنوك الاسلامية، وبعدها ارتفعت النسبة الى (٦٤٪).

النتيجة: (٣٤٪) سينصحون الآخرين بترك الربا.

يتضح اذا مدى التأثير الايجابي الذي يحدثه الخطيب لدى الناس، وما له من دور كبير واثر بالغ في بيئته ومجتمعه وسامعيه وقومه، فهو قرين المربي والمعلم والموجه، وبقدر احسانه واخلاصه يتبوأ في قلوب الناس مكانا، ويضع الله له قبولا قل ان يزاحمه او يدانيه فيه احد، ومرد ذلك الى الاخلاص اولا، وتوفيق الله سبحانه وتعالى ايضا، ثم الى حسن الاجادة وجودة الافادة، والقدرة على التأثير المكسو بلباس التقوى والورع.

سابعا: على الخطيب مراعاة اوضاع الناس وما يحيط بهم من ظروف وأجواء وعوامل تحفيز او تثبيط خاصة في ظروف عصرنا الذي يعج بالفتن والتحديات من كل جهة، وبوسائل الاتصال والاعلام المتطورة بتقنياتها وامكاناتها الباهرة من جهة ثانية.

وهذا مما يضاعف مسؤولية الخطيب ويفرض العمل على تطوير آليات فنه الخطابي، فلا بد ان يغذي خطبه الاسبوعية بما يقنع الناس بحيوية المنبر وتفاعله مع الواقع والحياة، والا فقد حجة الواقع فيما يخاطب به الناس، فخطبة الجمعة أشبه بجرس الانذار الذي يعمل كل اسبوع على تذكير المؤمن بثوابته العقدية ويحثه على تجديد العهد.

فلا بد من القول اذا بأن الخطبة الفعالة: هي التي تؤثر في نفس السامع وتدفعه نحو الاستجابة لمطالب الخطيب

وتشد قلبه وعقله للتوجه اليها والاستفادة منها.

ومن أسباب الفاعلية والتأثير:

١- **خلفيــة الخطيب وسيــرته:** اذ تشكل اطاراً مرجعيا عند السامع يحكم من خلاله على هذه الخطبة، لذلك يحسن بالخطيب ان يكون قدوة فيما يقول ويفعل.

٢- **السمت والمظهر:** ويكون ذلك باللباس النظيف الواسع الذي ليس فيه ما يستغرب او يستهجن.

٣- **الصوت:** فكلما كان الصوت مناسبا وعلى قدر الحاجة، بحيث يصل الى جميع السامعين من غير تشويش او تقطيع وبما يتناسب مع طبيعة الموضوع وسياق الحديث، كلما كان ذلك اوعى لجمع طاقات المستمع على هدف الخطبة.

٤- **نظافة المكان:** فالمسجد النظيف في فراشه وساحاته ومرافقه، يهيئ للسامع راحة نفسية لها أثرها في حسن الفهم وقوة الاستيعاب لما يقوله الخطيب.

٥- **مدى الاتصال بين الخطيب والسامع:** حيث ان الاتصال كلما كان اوثق واقرب كلما كان ذلك أوعى للتأثر، وتناسب حركات اليد مع الكلمة، وتوزيع نظرات الخطيب نحو المستمعين، فإنه يشد انتباه المصلين مع الخطيب.

٦- **تجنب التجريح والتشهير عموماً وخصوصا:** لأن هذا يوغر الصدور ويثير الأحقاد ويقطع فرص الآخرين للاستفادة من الخطبة، لأن السامع في هذه الحالة سيهيئ نفسه للرد عليها وليس للإفادة منها.

٧- **تناسب النبرة والصوت مع الموقف:** فيشتد الخطيب في موقف الشدة ويلين في موضع اللين، كما جاء في الحديث الصحيح عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش».

٨- **تجنب الاشارة الى الناس عند ذكر امر مذموم،** مثلا كقوله تعالى: **﴿كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون﴾**.

٩- **اشاعة الامل وروح التيسير والتبشير،** يقول تعالى: **﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾**.

١٠- **حسن الاسلوب وجودته،** والبعد عن التكلف في اختيار الالفاظ التي قد لا يفهمها كثير من المستمعين، قال ﷺ: (هلك المتنطعون)، رواه الامام مسلم، قال ابن الاثير: التنطع في الكلام:

التعمق فيه والتفاصح ومن ذلك مثلا قول احدهم: لقد فاحت رائحة الشمس فعطرت وجنات القلوب وتركت قطرات الندى الايماني الابيض على شفاه الخفقات الدافئة في الصدور!!.

١١- **حالة الخطيب النفسية:** أي ان يكون الخطيب عند الخطبة هادئ النفس، مطمئن القلب، باسم الوجه مستبشرا، لان الوجه العابس المكفهر من اسباب النفرة واليأس من الخطبة .

١٢- **يجب ان يعرف الخطيب قبل القاء الخطبة، ماذا يريد ان يقول ومعرفته لمن يقول وهو الجمهور،** فإن لكل مقام مقالا .

١٣- **براعة الاستهلال:** وهي البداية المثيرة والضمانة الاكيدة، التي تشد السامع وتحرك في نفسه الرغبة في الاستماع، وايداعه حيوية تسير معه من اول الخطبة حتى نهايتها.

١٤- **الوحدة الموضوعية في الخطبة:** فإن الخطبة الجيدة تمتاز بطرح موضوع واحد يحشد الخطيب فيه كل ما يتعلق فيه من آيات واحاديث وآثار وحتى وقائع تشهد للموضوع، وذلك لإيجاد بناء علمي ومعرفي لا ينسى لدى السامع مع الايام.

١٥- **الحرص على الحديث في القضايا الكلية العامة في ديننا والتي لا يختلف عليها اثنان،** لان من اهداف الخطبة: جمع الناس على مقاصد الشريعة، وتوحيدهم والتأليف بينهم.

١٦- **ضرورة الاهتمام باللغة العربية وتجنب اللحن:** وذلك لان اللغة العربية لغة قرآننا ولسان نبينا محمد ﷺ، ولا يصح التفريط باللغة او التهاون بها وبالسامعين ايضا.

هذه اشارات سريعة تأتي في سياق اسباب الفاعلية والتأثير، والتي لا يمكن لخطيب ينشد النجاح والتأثير ان يتخلى عنها او عن بعضها.

وجدير بالذكر ان استذكر وقفات سريعة ما يمكن ان نخلص اليه من اشارات على الطريق لائمتنا وخطبائنا وهم يمارسون دورهم الدعوي في اطار الخطاب الاسلامي الراشد:

١- **لا بد ان نستذكر دائما قول الله تعالى: ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾** فهذه اركان اساسية هي عنوان الاسلوب الامثل للدعوة الناجحة: الحكمة، والموعظة، والمجادلة بالحسنى، فالموعظة لن تثمر في معزل عن الحكمة، فالحكمة اذا هي اللباس السابغ للموعظة.

٢- **يضطلع خطباؤنا اليوم بدور ايجابي فاعل في حياة الامم والشعوب،** فهم دائما في الطليعة، على منابرهم وفي محاريب صلاتهم، او قاعات دروسهم، او حتى وهم يمارسون حياتهم العادية، لأنهم اصحاب رسالة مقدسة ترتبط برسول الله ﷺ، ولان ايقاعهم لدى الناس مسموع فدورهم اساس في تجذير مفهوم الامن والاستقرار، وهم حجر الزاوية في بناء المجتمع المنيع، متميزون في فكرهم وعطائهم وولائهم وانتمائهم لأمتهم ووطنهم وقيادتهم، كيف لا وهم من تتلمذوا في مدرسة الرسول محمد ﷺ ومدرسة اصحابه رضوان الله عليهم، التي تعلموا فيها منهج التميز والثبات على الحق والخير والفضيلة، حيث جاء في الاثر: لا تكونوا امعة، تقولون: ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساؤوا ان لا تظلموا.

٣- **يتمتع كثير من الخطباء والدعاة بعلم وافر وفضل جم، وثقافة واسعة ما احوج الناس اليها في هذا الزمان،** ولكنهم ابوا الا ان يحرموا الناس هذا الخير والعلم ضاربين بحديث رسول الله ﷺ (الدين النصيحة) عرض الحائط، فحري بنا ان نتوقف مراجعين انفسنا واضعين النقاط على الحروف، متحرين ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، في تربيتهم لأبنائهم واسرهم وانفسهم، ﴿**يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**﴾.

٤- **علينا ان نتقبل الرأي والرأي الآخر في اطار النقد الذاتي البناء،** الرامي الى تحسين الاداء وتطوير العمل والارتقاء به وتصويب المسيرة، حتى لا يبقى فيها اعوجاج يشوه صورتها اليوم او غدا.

ولسنا بأتقى ولا أنقى من اصحاب رسول الله ﷺ اذ نزل القران الكريم والرسول ﷺ بين ظهرانيهم يوجه لهم نقدا ايجابيا بناءا ولأكثر من مرة: فبعد غزوة أُحد نزل قول الله تعالى: ﴿**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة**﴾، وبعد غزوة حنين نزل قول الله تعالى: ﴿**ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾ وغير ذلك والقران الكريم يصوب اخطاء وقع فيها المسلمون حينذاك على مرأى ومسمع قريش وكفار العرب، فلا ضير اذا كان الهدف هو الاصلاح والتصويب والمصلحة العامة.

والله من وراء القصد

مكة المكرمة
اعتبارات الزمان والمكان

■ بقلم الاستاذ معاذ بني عامر

لربما كانت وضعية مكة المكرمة تاريخياً وجغرافياً مُفارقة بحدٍّ ذاتها، من حيث هي أصل، أصلٌ يُحاكي نموذجاً أصلياً. فعلى تلكَ البقعة من الأرض يتم تبئير -من بؤرة- العالَم في صعيد واحد.. ولربما كانَ للنص القرآني: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ آل عمران: ١٤، أن يُميط اللثام عمًّا ذهبنا إليه، فتلكَ البقعة الجغرافية، مُتجذرة في التاريخ أزلاً.

وإذا كانت عبادة الله سبحانه غاية في حدٍّ ذاتها، فإنها تتجلّى أكثر ما تتجلّى في فعل الصلاة، ولكي يكتمل فعل الصلاة لا بُدَّ لمؤديه أن يتوجه إلى القِبلةِ، إلى البيت العتيق في مكة المُكرمة على وجه التحديد، وبدون ذلك تكون صلاته باطلة.

وما توجه المُصلِّي في صلاته ناحية البيت العتيق، إلا من باب - كواحدٍ من أوجه تفسير ذلك الفعل الإيماني - الإيغال في فعل الزمن الخاص بتلك البقعة الجغرافية دون سواها.

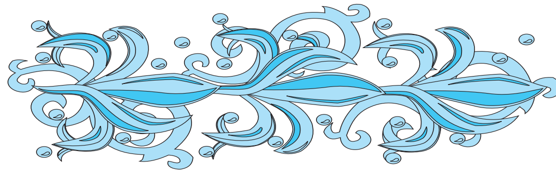
فبناء البيت العتيق في تلك البقعة الجغرافية تحديداً، لما يؤشِّرُ على مكانة تلكَ المنطقة وبؤريتها ومركزيتها، وأكثر ما يتأكد هذا الشيء ساعة يتواجد المرء في البيت العتيق! فإذا أرادَ الصلاة فإنَّه سيتوجه إلى القِبلةِ، والشبكة الطبوغرافية لتلك البقعة الجغرافية من الأرض تُشْكِلُ على المرء، فيفقد إحساسه بالمكان، فكل شيء مُتوَجهٌ إلى جهة الجنوب، وكأنَّ روافد

الأرض كُلها تأتي وتصبُّ في هذا الرافد العظيم، ولكثرة الماء الدافق يضيع المرء في هذه اللُجِّةِ العاتية، فَيُصابُ بنوعٍ من الخَدر اللذيذ.

كذا الأمرُ بالنسبة للزمن في مكة المُكرمة، فعوضاً عن إيغال المكان في التاريخ المُقدّس، فإنَّ المُطوِّف بالبيت العتيق يجد أنه يتجاوز إحداثية الزمن إلى عالَم مَلَكوتي، وإذا كان من معنى للطواف حول البيت العتيق - بعكس عقارب الساعة حيث الدلالة الكبرى على إحداثية الزمن في العالَم - فهو تأكيدٌ على الجانب الخالد عن الكائن الفاني؛ إنَّهُ يتأكد لاهوتياً عبر فعل ناسوتي، فمؤشر البندول يتحرك عكس اتجاه الزمن في بُعدٍ تأكيدي على الجانب اللانهائي عندَ الإنسان، فالدلائل تؤشر على أن البيت العتيق في مكة المكرمة هو بداية العالَم اللانهائي : عالَم الخلود والأبدية.

أما لناحية أنَّ المُسلم يتوجه بصلاته ناحية القِبلة، فبرأيي أنَّ موضوع الصلاة بحدٍّ ذاته تَشِفُّ عن جوهر أبدي كان للكائن البشري أن يعي أبعاده اللانهائية على الأرض ابتداءً. ففعل الصلاة تمَّ إقراره في العالَم المَلَكوتي لكي يُطَبِّق المسلم فروضه على هذه الأرض. فهو فعل بحسب ذلك، فعلٌ يجمع بين فناء وإنهاء عالَم الأرض، وبقاء وديمومة عالَم المَلَكوت. ولتحقيق هذا المسار وخلق حالة من التوازن بين أطرافه. فأنَّى تواجدَ المُسلم في هذا العالَم - في أي بقعة على هذه الأرض - فبإمكانه أن يلتحمَ بالعالَم المُطلَق، عبر تَوجّههِ إلى البيت العتيق حيث بداية العالَم اللانهائي.

وأعتقدُ أن النص القرآني: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾** آل عمران: ١٤، شَفَّ عن العلاقة الأزلية -عبر هذا المكان المُقَدَّس- بين الكائن البشري وربِّه، وبين مُتطلبات الإنسان ككائن فانٍ وخالدٍ في آنٍ معاً.



التصوف في الاسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور سعدون الساموك

التصوف الحق في الاسلام كما يراه أصحابه، علم وعمل، وبه يتوصل المسلم الى أعلى درجات الايمان، وهو لون من ألوان المعرفة الاسلامية، ومذهب من مذاهب السلوك الانساني الرفيع، لذلك احتل جانباً مهماً من جوانب الفكر الاسلامي، وله شأن عظيم، فقد قاد أهله حركات ثورية جهادية كان لها دور فعال في تاريخ الاسلام والمسلمين[١].

عرفه الشيخ زكريا الانصاري بأنه «علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية»[٢]، وهو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني[٣]، ويقول السري السقطي لأتباعه: «التصوف اسم لثلاثة معان: هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن ينقض الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الشريعة»[٤].

والصوفية عند البعض من الطرق الدينية السرية الفلسفية، عرفت عند المسلمين مع الرعيل الاول، ولها تأثير محسوس على العقائد الاسلامية متمثلة بالزهد والعبادة والتقوى ولباس الصوف، تعمل في تفسير النصوص والأحاديث حسب العقل لتخفيف ما يعتري الناس من هول الحساب والصراط وجحيم العذاب،

مقيمة محبة الله[٥].

ولم يكن للتصوف أثر كبير قبل ظهور الإمام الغزالي رحمه الله، حيث وضع قواعد جديدة للصوفية ضمن نطاق القواعد الاسلامية، وسعى الى إقامة فلسفة دينية أخلاقية بكتابه «تهافت الفلاسفة» و «المنقذ من الضلال» وفي تدريساته بالنظامية في بغداد وكان قصده الوصول الى الحقيقة بالطرق النفسانية والتمسك بالزهد والتقوى والخلوة والرياضة ومجاهدة النفس وتزكيتها، وتهذيب الأخلاق حتى يصل الى تخلية قلبه من غير الله تعالى، والى نور يشرق في نفسه من مصدر علوي او نور يقذفه الله في صدره، فقال قولته الشهيرة: «لقد رأيت بوضوح ان الصوفية أرباب أحوال لا أصحاب أقوال»[٦].

«وقد تحصل الاحوال بالذوق والرياضة وبالاعراض عن الدنيا والهرب من علائق الحياة، وان الحقيقة التي يبشر بها الصوفيون لا تحصل بقراءة الكتب، وانما بالوجد والاستغراق والخلوة والزهد وترويض النفس والتجربة والامتحان».

وقال أيضاً: «اني علمت يقيناً ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، وقال: ان الصوفية أولها استغراق القلب بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله».

ويرى الصوفيون ان العلم الحقيقي لا يحصل الا بالوجد والاستغراق، حتى يصل المؤمن الى حالة الفناء في الله، وان الفناء خاص بهذا الوجود وأما البقاء فهو الرجوع الى الله بعد الوفاة، يقول ابو زيد البسطامي: شاهدت ان الحب والمحب والحبيب واحد لا جزء له لأن الكل في عالم الوحدة واحد.

ويقول الحسن البصري: «مثقال ذرة من الورع السالم، خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة النافلة»، ويقول معروف الكرخي: «ان محبة الله شيء لا يكتسب بالتعلم وانما هي هبة من الله وفضل».

والقصد من التأويل الذي يرمي اليه الصوفيون، هو تفسير النصوص الغامضة

بما يقبله العقل والمنطق والفلسفة الشائعة في الأوساط المفكرة بقصد مقابلة المذاهب المتطرفة ضمن نطاق قواعد السنة، وبهذا أعطوا للفلاسفة والعلماء والأذكياء طريقة التفكير العميق والوجد والاستغراق والمراقبة والخلوة للوصول الى مرتبة الكمال، ومرتبة الاتصال والفناء في ذات الله فالوحدة، واعطوا أفراد الناس طريقة الاذكار والأوراد والتسابيح والتهاليل وحلقات الذكر.

أما تعريف التصوف: فهو ذوق أو نزعة روحية أو خلجات وجدانية مبتناة على صفاء النفس، توصل صاحبها الى التجرد من الدنيا، ولا يمكن الوصول اليه بالتعليم ولا يوصف بالألفاظ بل بالذوق والحال وتبدل الصفات والسلوك.

والمعرفة بالذات الإلهية عند الصوفية، هي شيء يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية، والمعرفة هي العلم الباطني المتولد عن الكشف والشهود، وفيه تظهر الحقائق للصوفي(٧).

ولكل من العارفين طريقة خاصة للوصول الى المعرفة، وقد يكتسب العارفون منهم المعرفة بالله بمجرد الانتساب الى الطريقة، او بمجرد اللحظة من الشيخ، ويحتم على الصوفي نسيان نفسه بل ونسيان نسيانه، ولا يبلغ الصوفي الكمال الا في اللحظة التي يفني فيها معرفته في العارف.

اما الطرق العامة عندهم، فهي التوبة والاستغفار والزهد في الدنيا والخشوع وعمل الخير والتوكل والتسليم لارادة الله والاستغراق والحال والجذب، ثم المجاهدة والمراقبة والخلوة والتوجه الى الله والالتجاء الى الله وترديد اسم الله والذكر والوجد، ثم المشاهدة بالقلب وادراك الحقائق، فالمعرفة لله تعالى.

وأما أهل الكشف من الصوفية، فهي في أسمى مرتبة الكمال، يشاهدون الحقائق ببصيرتهم وبنور يقذفه الله في قلوبهم، فيشهدون الله في كل شيء وفي انفسهم، وتبلغ النفس سعادتها متى أحست بفنائها في الله وعند هذا الحد لا خير ولا شر ولا طاعة ولا معصية فلا خوف من

عقاب ولا رجاء ثواب.

والزهاد: وهم اقل مرتبة من العارفين بالله، فهؤلاء يتركون لذائذ الدنيا وطيباتها بأمل الوصول الى أحسن منها والى ثواب أخروي أطيب منها، ويرجون ثواب الله في اليوم الآخر، كأنهم يستبدلون خرقة صوف بجبة خز، فلا فرق بينهم وبين المتمسكين بالمحسوسات والرسوم الدينية الظاهرية.

وفريق آخر يسمى العبّاد، وهم المواظبون على العبادات بأنواعها وأشكالها، عمال يعملون لأجرة يأخذونها في الآخرة، و «أهل التقوى» أولئك الذين يعملون الطيبات «والأبدال» المحدثون بآلاء الله وأهل الله، وهم المطلعون على أسرار التصوف وتأويل النصوص[٨].

وان «الولاية» خاصة بأولئك الذين يتولاهم الله بعنايته ويعصمهم من المعصية، فيشاهدون الله بقلوبهم فيكشف لهم ما لا يكشفه لغيرهم وهم في حالة «جذب» دائمة لا يصحون من سكرهم الا وقت الصلاة ويحفظهم الله بعنايته من المعصية في حالة سكرهم»[٩].

وان الولي هو الذي يصل الى مقام الفناء عن ذاته وإرادته، ويمكث بالارادة الإلهية فترتفع بينهما الحجب فيصبح لا «أين» أي لا مكان له، وان «الابدال» و «الابطال» هم الذين تتعدد صورهم في الوجود وروحهم واحدة، وهؤلاء هم الخواص من اهل الله.

وللصوفي ثلاث حالات:

الأولى: حالة الصحو، وهي حالة الشعور والوعي ويشترك معهم فيها كافة البشر.

الثانية: حالة فقدان الوعي والشعور.

الثالثة: وتسمى حالة الشهود او حالة الصحو الثانية وتعقب حالة السكر[١٠].

❖ أسس الصوفية:

أولاً: الحب، فهم يظهرون الحب لكل ما هو جميل اينما تألق لعيونهم.

ثانياً: الذوق والحال، والذوق هو معرفة الله وهو نور يقذفه الله في قلوب أوليائه، وبه يفرقون بين الحق والباطل دون التماس معلم او سماع كتاب.

ثالثاً: التجرد والشك، وهي تجرد الذات عن كل وهم وفكرة ومعتقد وتقليد، والتوجه بالكلية الى اليقين للوصول الى الحقيقة، بل الاتصال بالله ولا يحصل اليقين الا بالشك والتدقيق والزهد عن الحاجات والفقر، فيدخلون بالاعتكاف ويعتزلون العالم سنوات لترويض النفس حتى الوصول الى اعلى الدرجات في المراتب الصوفية «اليقين» الذي ينشدونه والحقيقة التي يبحثون عنها(١١).

وفي نهاية المطاف.. فإن الصوفية الحقة، تتحقق بالصحبة الحقة بمعانيها الزاكية السامية وحكمها العالية وابعادها العميقة، فهي بالنسبة الى التصوف كنسبة الرأس الى الجسد، فلا تصوف بلا صحبة، فيعرفها المتصوفة بأنها: «خدمة الرجال وموافقة اهل الكمال لمعرفة الخالق، وفائدتها وثمرتها تهذيب النفوس وتطهير القلوب لمعرفة علام الغيوب وهي الاجتماع بالعارفين والاستماع منهم بطريق السلوك للوصول الى الله سبحانه وتعالى»(١٢).

الهوامش:

١- بكر السيد عبد الرزاق السيد محمود السامرائي، الصحبة عند الصوفية، رسالة ماجستير تقدم بها الى الجامعة الاسلامية في بغداد عام ١٩٩٧ ص٣ .

٢- الأنصاري، شرح الرسالة القشيرية ج٩٦/١ .

٣- الصحبة عند الصوفية، ص٤٦ .

٤- فتاح، الفلسفة والتصوف، حضارة العراق، مطبعة الحرية، بغداد ١٩٨٥ ج ٢٨١/٨، وانظر الصحبة عند الصوفية ص٤٩ .

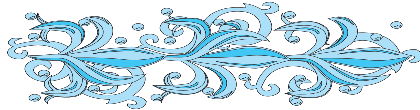
٥-٦- فاروق الدملوجي، هذا هو الاسلام، ص٩٦ .

٧- المرجع السابق ص٩٩ .

٨- المرجع السابق ص١٠١ .

٩-١٠-١١- المرجع السابق ص١٠٢-١٠٣، وانظر الصحبة عند الصوفية ص٥٥ .

١٢- الصحبة عند الصوفية، ص١٨ .



الشريعة الاسلامية تنظم المعاهدات الدولية

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

لعبت الشريعة الاسلامية، دوراً عظيماً في ترسيخ مبادئ قانون المعاهدات الدولية، وتدعيم قواعده، ومارستها في الواقع، في حين يدعي واضعو القانون من الاوروبيين، ان القانون الدولي هو الذي ينظم المعاهدات، ووضع اشكالها وشروطها، وان العلاقات الدولية وقواعد القانون الدولي، كل ذلك من ثمار الحضارة الاوروبية في العصور الحديثة، وان العصور السالفة لم تعرف اي نظام أو قانون دولي، وان المجتمعات غير الاوروبية لم تساهم في نشأة وتطور المجتمع الدولي والقواعد القانونية في تنظيم العلاقات الدولية بالمعنى الفني الصحيح.

❖ مفهوم المعاهدات في اللغة والاصطلاح:

أ- في اللغة: المعاهدة لفظ مشتق من كلمة عهد، والعهد له معان عديدة منها:

١- الوصية، يقال: عهد الي بكذا، اي اوصاني، قال تعالى: **﴿وبعهد الله أوفوا﴾** الأنعام: ١٥٢ .

٢- اليمين، يحلف بها الرجل: عليّ عهد الله لأفعلن كذا، اي أقسم بالله.

٣- الأمان، تقول: انا اعهدك من هذا الأمر، اي أؤمنك او أنا كفيلك وفي التنزيل: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾** البقرة: ١٢٤، وقوله تعالى: **﴿أم اتخذ عند الله عهداً﴾** مريم: ٧٨ .

٤- الزمان، تقول: كان ذلك عهد فلان.

٥- المعرفة والعلم، يقال: عهد الأمر، أي عرفه وعلمه.

٦- والعهد، كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من مواثيق فهو عهد، وعاهد: اعطى عهداً، اي حالف واعقد، وتعاهدا: تحالفا وتعاقدا، والمعاهدة ميثاق يكون بين اثنين او جماعتين(١).

وهناك مصطلحات لها صلة بمعنى المعاهدة منها: الإلّ، اسم يشتمل على معان متعددة منها: العهد والقرابة، قال تعالى: **﴿لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾** التوبة: ١٠ .

❖ مشروعية عقد المعاهدة وأهميتها:

اعطى الاسلام للامام حرية التعاهد مع غير المسلمين، اذا كان في ذلك صلاح للاسلام ومصلحة المسلمين، وقد وردت مشروعية عقد المعاهدة في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.

أما في الكتاب: فقد وردت آيات صريحة في ذلك، منها قوله تعالى: **﴿براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين﴾** التوبة: ١، وقال تعالى: **﴿الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** النساء: ٩٠، وقوله جل وعلا: **﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** الأنفال: ٦١ .

وفي السنة: من التطبيق العملي للمعاهدات في العصر النبوي، المعاهدة التي عقدت بين المسلمين والمشركين واليهود إبان وصول الرسول ﷺ الى المدينة المنورة، وتعتبر اول معاهدة دولية لأنه لم تكن للمسلمين دولة -بالمفهوم الحديث- في مكة المكرمة اي قبل هجرته ﷺ.

ولقد احتوت هذه المعاهدة على سبعة واربعين بنداً، شملت تنظيماً داخلياً وخارجياً وما يخص الموادعة منها هو من البند (٢٤-٤٧) مما يدل على عدم حدوث تداخل بين بنود الوثيقتين «وثيقة المهاجرين ووثيقة موادعة اليهود» بل ذكرت كل وثيقة مجتمعة متسلسلة، وكانت معاهدة تحالف دفاعي وتعاون ضد العدوان الخارجي، وتنظيماً لعلاقات اقتصادية، وقد تم الاتفاق بين الموقعين عليها على نصرة بعضهم بعضاً وحماية عقائدهم ممن يريد أوطانهم وجماعتهم بسوء(٢).

ومن المعاهدات التي بنى عليها الفقهاء كثيراً من الأحكام العامة في العلاقات

الدولية «معاهدة الحديبية» التي كانت في السنة السادسة للهجرة، وتعد نموذجاً لما اشتملت عليه من شروط وأجل، والتي تسامح فيها رسول الله ﷺ مع الطرف الآخر، وليس تسامحاً أحدث بلبلة داخل صفوف الجماعة الاسلامية.. دليل على انه كان داعية للسلم ما سنحت له فرصة، وإيفاءً منه بما قاله وهو سائر الى مكة: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها»(٣).

❖ الشروط المعتبرة لصحة عقد المعاهدات ومراحل ابرامها في الشريعة الاسلامية:

● مفهوم العقد:

يطلق العقد في اللغة على ما فيه ربط بين اطراف الشيء، يقال: عقدت الحبل فانعقد، كما يطلق على كل ما فيه التزام، ويقال: اتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كل منهما بتنفيذ ما اتفقا عليه، اما في الاصطلاح فهو: ربط أجزاء التصرف شرعاً بالايجاب والقبول.

● مفهوم الشرط:

معناه لغة: العلامة، ومنه اشراط الساعة، وهو ما لا يتم الشيء الا به، ولا يكون داخلاً في حقيقته **ومعناه في الاصطلاح:** ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده(٤).

● شروط المعاهدات:

للمعاهدات شروط شكلية وأخرى موضوعية:

الشروط الشكلية:

لما كانت المعاهدات في الشريعة تقصد لتحقيق غاية شرعية يتحقق من خلالها المصلحة بالوسائل التي يمكن ان يتحقق فيها، دون النظر الى الاجراءات التي تمر بها المعاهدات، فإن فقهاء الشريعة لم يعطوا للشكليات اهتماماً كبيراً، ولقد اتخذت المعاهدات التي عقدتها الدولة الاسلامية في عصورها المختلفة أساليب متنوعة لإجرائها.

ومن الشروط الشكلية: المفاوضات وتحرير المعاهدات «كتابتها» ولغتها وصياغتها، والتوقيع عليها، والسلطة المختصة بعقدها من الامام او الخليفة كما ذهب الحنابلة والشافعية وجمهور المالكية، او من فريق من المسلمين بغير اذن الامام

كما ذهب الاحناف للمصلحة العامة، وأخيراً تبادل الوثائق وإيداعها.

الشروط الموضوعية:

١- اهلية المتعاقدين او الصلاحية الدستورية، وامتاز الاسلام بالسعة والمرونة في ذلك اذ عقد الرسول ﷺ معاهدة مع «يحنة بن رؤبة» اسقف أيلة -العقبة- وكان يمثل طائفة دينية تتبع سياسات للدولة الرومانية.

٢- موافقة بنودها لأحكام الشريعة.

٣- وجوب توافر المصلحة.

٤- الصياغة الدقيقة الواضحة المعنى المحددة الاهداف.

٥- تحقق الرضا عند المتعاقدين.

ومن القواعد الشرعية في ذلك «الرضا بالشيء رضا بما يتولد عنه» ويقتضي ذلك خلو الرضا من الطرفين من الاكراه والغش والتدليس والغلط».

❖ الشروط الزمنية لصحة عقد المعاهدات في الشريعة الاسلامية:

١- اهمية تأريخ المعاهدات الدولية.

٢- تحديد مدة المعاهدة الدولية في الشريعة.

٣- مباشرة تنفيذ المعاهدات في الشريعة الاسلامية(٥).

❖ المعاهدة وسيلة من وسائل تنظيم العلاقات الدولية:

لقد خصت المعاهدات التي تتعلق بتنظيم الحرب او الحالات المتصلة بها، بمركز الصدارة بين المعاهدات التي عقدها المسلمون مع غيرهم، واستأثرت بالأهمية الكبرى على عهد رسول الله ﷺ والخلافة الراشدة، لما اقتضته ظروف الدولة الجديدة وطبيعة علاقاتها بالمجتمعات السياسية التي كانت قائمة آنذاك، **والى جانب ذلك عقدت معاهدات تتعلق بتنظيم علاقات الجوار والصداقة وبعض النواحي التجارية والاقتصادية ومنها:**

١- معاهدات حسن الجوار، وأولها ما كانت بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة، ومن امثلتها معاهدة المسلمين مع نصارى نجران.

٢- معاهدات الصلح، وهي التي تعقب الحرب او اثنائها او قبلها، فيمتنع وقوعها كما حصل في صلح الحديبية، وقد سميت بأسماء عدة في كتب الفقه والسير، فتارة بالموادعة وأخرى بالمسالمة وثالثة بالهدنة.. وغير ذلك، والغرض

منها ان تعيش الدولتان بأمان من اعتداء احداهما على الأخرى.

٣- **معاهدات الفداء:** وهي معاهدات تحرير اسرى الحرب بوساطة التبادل، او بدفع مبلغ من المال متفق عليه.

٤- **المعاهدات التجارية:** وهي لتنظيم المعاهدات التجارية الخارجية، خلافاً لبعض اعراف العصور الوسطى، التي منعت الافرنجة من تعاطي التجارة مع المسلمين، ولكن جمهور فقهاء المسلمين اجازوا الاتجار بين المسلمين وغيرهم، واوجبوا على التجار التقيد بأحكام الشريعة في ذلك، فحرموا الاتجار بكل ما هو محرم في التبادل او العقود الداخلية، كما حرموا تحريماً مطلقاً ان يصدر الى دار الحرب اي شيء من الاسلحة، وكل ما يستعان به في الحرب، او يزيد في قوة العدو الحربية(٦).

❖ الوسائل السلمية لتسوية المنازعات الدولية في عهد النبي ﷺ:

وهذه الوسائل هي التي لا تتضمن استخدام القوة العسكرية لتسوية النزاع بين دولتين، وهي تتنوع تبعاً لطبيعة النزاع، فبعضها يتم تسويتها عبر القنوات الدبلوماسية، ويطلق عليها الوسائل الدبلوماسية او السياسية، ومنها ما له صفة قانونية لا يمكن تسويتها الا عبر مؤسسات قضائية تطلق عليها الوسائل القضائية، بينما المنازعات السياسية وهي التي ترد على مصالح للدولة او تعديل أوضاع قائمة، يمكن تسويتها دبلوماسياً ولا تخضع لاختصاص المحاكم الدولية.

وقد اتسمت المنازعات بين النبي ﷺ وبين الآخرين، بأنها منازعات عقائدية تتعلق بمعتقدات الانسان الموروثة، فهدف الاسلام انتزاعها وغرس معتقدات سماوية محلها، ومن هذه الوسائل: المفاوضات المباشرة والمساعي الحميدة والوساطة، وهي من القواعد الحديثة في القانون الدولي، وهي تقوم على أساس المفاوضات ايضاً، ولكنها مفاوضات غير مباشرة بين الطرفين المتنازعين، حيث يتولى طرف ثالث مهمة هذا التفاوض، وكذلك الوسائل القضائية: كالتحكيم الدولي والقضاء الدولي، كما تعد الحرب من الوسائل المهمة لتسوية المنازعات الدولية في الوقت الحاضر، فهي وسيلة حاسمة لهذه المنازعات(٧).

❖ القانون الدولي الانساني في الاسلام:

وضع الاسلام منذ قيامه قواعد إنسانية

للقتال، فعلى الرغم من ان الاسلام حرم استخدام القوة العسكرية الا في حالات محدودة، فاللجوء اليها مقيد بأحكام الشرع الاسلامي، والقتال في الاسلام مقيد بالفضيلة والانسانية، ومن أولى الخطط التي تلجأ اليها الدول لتحقيق النصر على الطرف الآخر المباغتة في الحرب، وذلك بأن تعمد الدولة الى مفاجأة الطرف الآخر بحرب خاطفة سريعة تدمر مرتكزاته العسكرية والمدنية الانسانية.

والدولة التي تملك هذه المبادرة تكون قد حققت النصر على الطرف الآخر وهذا النوع من الحروب محرم في الشريعة الاسلامية، لأنها تتنافى وطبيعة الهدف من القتال، **فالقتال في الاسلام ليس هو تدمير القائم وقتل الانسان الذي هو هدف الدين وغايته، بل ان الهدف هو رد الشر واقتلاع الظلم من نفوس المعادين للاسلام.**

حتى ان الاسلام اجاز الاستعانة بغير المسلمين في القتال او الجهاد وهم الكفار والمشركون والمنافقون والفاسقون واهل الاهواء والبدع والبغاة، فقد قبل النبي ﷺ حماية عمه ابي طالب له وهو مشرك، كما استعان بالنجاشي وهو نصراني، وبمطعم ابن عدي وهو مشرك ايضاً، وكذلك إقرار النبي ﷺ للصحابة على الاستعانة بعشائرهم وأقربائهم وهم على الشرك[٩].

❖ أثر التغيرات السياسية في إحدى الدول المتعاقدة على المعاهدة:

● في الفقه الاسلامي:

ينص فقهاء الشريعة الاسلامية على انه اذا تغير الخليفة او الامام، فإن النظام الاسلامي باق لا يبدل، ومنه الالتزامات التي تعهدت بها الدولة الاسلامية.

يقول ابن قدامة: «وان عقد الامام الهدنة ثم مات او عزل لم ينتقض عهده، وعلى من بعده الوفاء به، لأن الامام عقده باجتهاده فلم يجز نقضه باجتهاد غيره، كما لم يجز للحاكم نقض احكام من قبله باجتهاده، كما فعل علي رضي الله عنه مع نصارى نجران حين رفض نقض ما ابرمه عمر معهم حين اجلاهم عن نجران، فقال علي رضي الله عنه: «ان عمر كان رشيداً في أمره، وإني لا أغير امراً فعله عمر رضي الله عنه».

● في القانون الدولي:

القاعدة العامة المقررة بهذا الصدد هي: ان التغيرات التي تطرأ على شكل الحكومة لا تؤثر مطلقاً على المركز القانوني للدولة

في المجتمع الدولي، سواء حصل هذا التغيير بالطرق الدستورية المقررة او عن طريق العنف، والاصل في هذه القاعدة هو مبدأ استمرارية الدولة، اي ان الدولة في ذاتها قائمة ومستمرة الوجود، رغم ما يطرأ عليها من تغيرات في الحكم، وعليه فتعتبر كل حكومة مسؤولة عن تصرفات الحكومة السابقة.

وتطبيقاً لذلك تلتزم الحكومة الجديدة باحترام الالتزامات والتعهدات التي أبرمتها الحكومة السابقة، وعليها ان تحترم المعاهدات وان تفي بالديون التي التزمت بها تلك الحكومة، وتثبت المسؤولية الدولية اذا ما رفضت الحكومة الجديدة الاعتراف بالحقوق التي اكتسبها الأجانب في ظل الحكومة القديمة(١٠).

الهوامش:

١- المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا، ص٦٥٧ .

٢-٣- د. اسماعيل كاظم العيساوي، احكام المعاهدات في الفقه الاسلامي، دار عمار، عمان، الاردن، ٢٠٠٠ ص٥٩-٦٢ .

٤- د. عيسى صالح العمري، دور المعاهدات في حكم العلاقات الدولية في الشريعة الاسلامية، مطبعة الشعب، عمان، الاردن، ٢٠٠٥، ص٩٩-١٠٠ .

٥- المرجع السابق، ص١٠١-١٢١ .

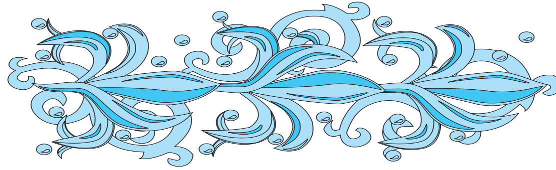
٦- العيساوي، مرجع سابق، ص٧٥-٨٢ .

٧- د. سهيل حسين الفتلاوي، تسوية المنازعات الدولية في عهد النبي ﷺ، دار الضياء، عمان، الاردن، ٢٠٠١، ص٧-٩٩ .

٨- الفتلاوي، مرجع سابق، ص١١٧-١١٨ .

٩- أ. د. محمد عثمان شبير، حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد الاسلامي، دار النفائس، عمان، الاردن، ٢٠٠١، ص٢٦-٢٨ .

١٠- العيساوي، مرجع سابق، ص٢٠٥-٢٠٧ .



رحلة الحج لشاعر اندلسي ضرير في القرن الثامن الهجري وتراثه الادبي

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

المقصود بالشاعر، هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي بن جابر الاندلسي، المري الهواري المالكي الضرير، ويلقب بشمس الدين، المولود سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، والمتوفى سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م، (وقد يطلق عليه اسم ابن جابر).

كان شاعراً أعمى، وعالماً بالعربية، وهو من أهل مدينة «المرية» في الاندلس، توجه اولاً الى الديار المصرية بصحبة مواطن أندلسي آخر، هو احمد بن يوسف الغرناطي الرعيني، فكان الشاعر ابو عبد الله يؤلف وينظم الشعر، والرعيني يكتب، وقد اشتهرا بين الناس بلقب «الاعمى والبصير».

وبعد قضاء بعض المدة للدراسة في مصر، توجها الى الشام، فدخلا دمشق وأقاما فيها، واستقرا فيها، واتخذا لهما سكناً في قرية «البيرة» قرب «سمسياط» وعند ذلك تزوج الشاعر، مما ادى الى افتراق الزميلين، ولكن الرعيني توفاه الله، فرثاه صاحبه وقد توفي بعده بسنة في «البيرة» آنفة الذكر، بعد ان ترك تراثاً قيماً، اذ هو الذي اخترع اول «بديعية» في الادب العربي، حسب رأي البعض، ولكن هناك من يقول: انه اتبع اسلوب الشاعر العراقي صفي الدين الحلي، ولذا سمى

بديعيته «الحلة السرا في مدح خير الورى» والحلة هي مدينة الشاعر الحلي.

هذا وقد عرفت تلك القصيدة بعنوان آخر، هو: «بديعية العميان» وهي مطبوعة، وقد شرحها هو نفسه، لكن هذا الشرح لا يزال مخطوطاً.

ومن مؤلفاته «شرح ألفية ابن مالك» وهو مخطوط في مكتبة «عبيد» بدمشق، ونسخة أخرى منه في المكتبة الظاهرية بدمشق ايضاً ونسخة في مكتبة «شيستر بيتي» في ايرلندا كما ان له شرح ألفية ابن معطي، وتقع في ثمانية أجزاء، وقصيدة «العين في مدح سيد الكونين»، وهي مخطوط ايضاً، كما ان له ايضاً «نظم فصيح ثعلب» الذي تم نشره، هذا وقد نظم كتاب «كفاية المتحفظ» وكتاب «غاية المرام في تثليث الكلام» وهو مخطوط، ومثله كتابه المسمى «المنحة في اختصار المُلحة» والمقصود هو «مُلحة الاعراب» للحريري، وله ايضاً عدة مؤلفات في اللغة والنحو والبلاغة والعروض، وله قصائد عدة منها «المقصد الصالح في مدح الملك الصالح» وهي مخطوطة وكذلك له قصيدة ميمية في حرفي «الظاء والضاد» وهي لا تزال مخطوطة ايضاً.

والحقيقة ان ابا عبد الله هو شاعر مطبوع، وله نظم وافر لا يزال أغلبه مخطوطاً، وأبرز قصائده كانت من وحي رحلته الحجازية، ويبدو ان تلك الرحلة، كانت قبل رحلته التي انتهت بوفاته في الشام، وهي من البحر الطويل، وقد ذكر فيها منازل الحج، والمواقيت من بدايتها في حلب، ضمن قافلة كبيرة حتى عودته اليها، ويؤكد بعض المعلقين، انه استهدف من وراء تلك القصائد، استفزاز همم المسلمين الى أداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي، الى جانب مدح الرسول ﷺ، ويعدها البعض انها من ادب الرحلات، والأدب الجغرافي، ويصفونها في عداد رحلات ابن جبير وابن بطوطة، كما يعتبرونها من وسائل اعادة اكتشاف طريق الحج الحلبي.

وقد نظم ايضاً قصيدة تقع في (١٨) بيتاً في مدح الرسول ﷺ موجودة نسخة منها مؤرخة بسنة ٧٧٣هـ، وتوجد نسخة أخرى منها في مكتبة «اسكوريال» بمدريد، مطلعها:

هناؤكم أهل طيبة قد حقّا

فبالقرب من خير الورى حزتم سبقا

اما بالنسبة لحجته فإن رحلته هذه الى مكة المكرمة، التي استغرقت ثلاثة أشهر وثمانية أيام، اذ بدأها بآخر يوم من شعبان، الى السابع من ذي الحجة، يوم

وصوله الى مكة المكرمة، واستغرقت رحلة العودة مثل تلك المدة، وهكذا فإن ما قضاه في السفر، يزيد على سبعة أشهر، عدا ايام الاقامة في مكة والمشاعر المقدسة، وايام الزيارة للمسجد النبوي الشريف.

وقد ورد في قصيدته التي نظمها في هذه الرحلة، ذكر (٧٠) موضعاً مر بها، ويقول من اطلع على تلك القصيدة: ان الشاعر لم يذكر فيها اي شيء عن مخاطر الأمن، او العراقيل الناشئة عن العدوان، مما يدل على قدرة الحكام في دولة المماليك من تأمين الأمن، خاصة بعد زوال الخطر الصليبي الذي كان يهدد المواضع التي يمر بها الطريق.

ولقد حاولت من جانبي الوصول الى تلك القصيدة، فلم أوفق، اذ لم يرد منها شيء في المصادر المتيسرة التي ترجمت لهذا الشاعر، وانما اقتصرت على الاشارة اليها في النبذة التي نشرتها مجلة «العربي» عن هذا الشاعر.

والجدير بالذكر ان هذا الشاعر، بعد اقامته الطويلة في منطقة حلب، «والظاهر انها قد سبقت رحلة الحج التي تحدثنا عنها والتي انتهت بوفاته رحمه الله» وقد عاد الى «البيرة» وفيها توفي، وينبغي التنبيه الى ان «البيرة» هذه هي ليست المدينة الاندلسية المعروفة، وانما هي قرب سمسياط من الثغور الشامية التي تواجه ثغور «الدولة البيزنطية».

❖ كشف المصادر:

١- مفتاح السعادة لطاش كوبري زادة ج١/١٥٦ .

٢- بغية الوعاة للسيوطي ص١٤ .

٣- نفح الطيب للمقري، ج٢/٦٦٨ و ج٤/٧٩٨ .

٤- اعلام النبلاء للذهبي، ج٥/٧٧ .

٥- الدرر الكامنة لابن حجر، ٣/٣٦١ .

٦- نكت الهميان للصفدي، ص٢٤٤ .

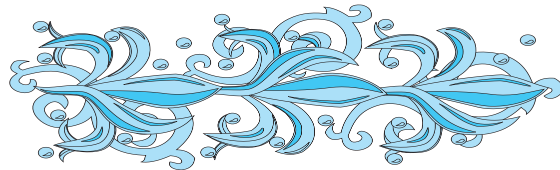
٧- كشف الظنون لحاجي خليفة ص١٥٢-١٥٥ .

٨- بروكلمان، ج٢/١٤ و ٣١٠ .

٩- مجلة الفتح، طبعة جاد الحق، لشهر ربيع الثاني ١٣٤٧هـ.

١٠- الاعلام للزركلي ج٥/٣٢٨ .

١١- مجلة العربي الكويتية، العدد ٥٨٠، آذار سنة ٢٠٠٧ (تعليق من حلب بقلم د. محمد جمال طحان).



الفدية والكفارة في الحج

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

من رحمة الله بهذه الأمة، أن رفع عنها الأغلال والآصار التي كانت على من قبلها من الأمم، فخفف عنها أثقال غيرها، ويسّر عليها أمر عبادتها فقال سبحانه: ﴿يرِيد الله أَن يخفف عنكم وخلق الاِنسان ضعيفا﴾ النساء: ٢٨، وقال جل وعلا: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ الحج: ٧٨، ولهذا جعل الله تعالى للمسلم ما يستدرك به النقص الحاصل في عبادته، وشرع له ما يكفر به ما ارتكبه من محظور حال العبادة، ومن هنا جاءت مشروعية الفدية والكفارة في الحج.

وبداية نرى أنه من المفيد بيان معنى الفدية ومعنى الكفارة وبيان الفرق بينهما:

فمصطلح الفدية لغويا بمشتقاته يحمل مضامين ودلالات الحرية، والخلاص، والانقاذ، والانتقال من وضع عسير إلى آخر يسير،كما جاء في لسان العرب، والمعجم الوسيط في مادة (فدي)، وأكد صاحب القاموس الفقهي على تلك المعاني بقوله: فدى الأسير: فدي، وفدى، وفداء: استنقذه بمال، أو غيره، فخلصه مما كان فيه، فدي المرأة نفسها من زوجها: أعطته مالا حتى تخلصت منه بالطلاق، افتدى فلان: قدم الفدية عن نفسه، الفداء: ما يقدم من مال، ونحوه، لتخليص الأسير (انظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، لسعدي أبو جيب، بتصرف).

❖ **مفهوم الفدية في القرآن:**

في سورة الصافات وهي مكية وردت مفردة الفدية بمعنى الانقاذ والانتقال من وضع ضيق إلى موسع، وذلك في فداء اسماعيل عليه السلام بكبش عظيم، وانتقال إبراهيم عليه السلام من طاعة ذبح ابنه إلى طاعة نحر الكبش، فقال تعالى: **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** وفي سورة محمد ﷺ وردت لفظة الفدية بمعنى طلب الحرية والخروج من الاسر مقابل مبلغ مالي محدد، كما في قوله تعالى: **﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾**.

وفي سورة البقرة جاءت مفردة الفدية بمعنى الانتقال من حال سيئ إلى حال أحسن منه، مقابل قيمة نقدية أو عينية تدفعها المرأة المتزوجة لزوجها الذي استحال العيش معه قال تعالى: **﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله﴾**.

أيضا وردت كلمة الفدية في سياق آخر من سورة البقرة،بمعنى الانتقال من نسك إلى نسك أكثر تيسيرا من الأول، فقال تعالى: **﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾**.

ويبدو أن استخدام النص القرآني لمفردة **﴿فدية طعام﴾** وعدم استعماله لكلمة (كفارة طعام) يعد بمثابة النص في محل النزاع، وهذه اشارة دقيقة للغاية، بمعنى أن المكلف لم يرتكب ذنبا كما هو مقرر في الخطاب الفقهي، ولكنه انتقل من عبادة الامساك والشعور المعنوي بمعاناة المسكين إلى شعيرة الانفاق على المساكين وهي من خصال أهل التقوى والاحسان. ولو كان مرتكبا ذنبا بتركه للصيام لكان من المنطق حسب العرف القرآني أن يستعمل القرآن مفردة كفارة عوضا عن الفدية.

❖ **الفدية وأنواعها:**

الفدية: هي صيام أو صدقة أو نسك تكون بسبب فعل المُحْرِم أحد المحظورات وقت الإحرام، أو تقصير في واجبات الحج أو العمرة، قال الله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك﴾**.

والفدية هي إحدى ثلاثة خيارات كما ذكر القرآن الكريم:

١- الصيام: وهو صيام ثلاثة أيام، ويجوز صومها في أي وقت يجوز فيه الصوم، سواء كان في الحج أو بعد رجوع الحاج إلى بلده ويصومها إن شاء متتابعة وإن شاء متفرقة.

٢- الصدقة: والمراد بها التصدق على ستة مساكين لكل مسكين مُدّان من غالب قوت البلد، وللحاج أن يفعل ذلك في مكة أو بعد رجوعه إلى بلده.

٣- ذبح شاة : للتصدق بها على الفقراء، ويشترط فيها ما يشترط في الأضحية والهدي من السلامة من العيوب، ولا يجوز لصاحب الفدية أن يأكل منها ويجوز ذبحها في أي مكان في مكة المكرمة.

❖ تعدد الفدية بتعدد المحظور:

العلماء يختلفون في موجب تعدّد الفدية في محظورات الحجّ، واختلافهم راجع إلى الاختلاف في تحقيق المناط بالنظر إلى عدم وجود نصّ في تعدّد الفدية من كتاب ولا سنّة، فالمالكية ينظرون إلى وقت الفعل، فإن كان واحدًا أو متقاربًا تلزمه فدية واحدة، وإن كان وقت الفعل متباعدًا فإنّ الفدية تتعدّد بتعدّد الفعل، والأحناف يفرقون -في موجب الفدية- بين النوع الواحد في مجلس واحد فتلزمه كفارة واحدة، وإن فعل في مجالس متعدّدة تعدّدت الكفارة، والشافعية يفرّقون بين ما إذا كان أحدهما استهلاكًا والآخر استمتاعًا، وبين أن يكون استهلاكًا فقط، أو استمتاعًا فقط، أمّا الحنابلة فيفرّقون -في موجب الفدية- بين المحظورات من جنس واحد كمن حَلَقَ ثمّ حَلَقَ، أو قلّم مرّة بعد مرّة فلا تتعدّد الفدية بتعدّد الأسباب التي هي نوع واحد سواء كانت في مجلس واحد أو مجالس متفرّقة، ما لم يقع الفعل الثاني بعد تكفيره عن الفعل الأول فإنّه في هذه الحال تلزمه فدية أخرى.

أمّا إذا كانت المحظورات المرتكبة من أجناس مختلفة كالحلق، والوطء، والتطيّب، ولبس المخيط، فعليه لكلّ واحد فدية سواء أكان في مجلس واحد أو مجالس متفرقة.

وبعد هذا الإيجاز يمكن تقرير أصل موجبات الفدية على الوجه التالي:

أولاً: إذا افتدى عن محظور من محظورات الإحرام ثمّ عاد إلى فعله بعد الفدية فتلزمه فدية أخرى.

ثانيًا: إذا كانت المحظورات متداخلة الأجزاء، أي: من نوع واحد، ووقعت في مجلس أو مجالس متفرقة، مثل الحلق بعد الحلق أو التطيب بعد التطيب فعليه فدية واحدة، فلا تتعدد الفدية بتعدد أسبابها، مثل من سها في صلاته مرّات متعدّدة يكفيه لجميعها سهو واحد، أو زنى مرّات متعدّدة قبل أن يقام عليه الحدّ فيكفي حدّه حدًّا واحدًا، بخلاف ما إذا زنى بعد أن أقيم حدّ الزنى عليه، فإنّه يقام عليه حدٌّ آخر،

ثالثًا: إذا كانت المحظورات المرتكبة غير متداخلة الأجزاء أي: أطرافها متباينة، فإمّا أن يكون المُحْرِم قد أتى بها مجتمعة في مجلس واحد، أو متفرّقة، فإن أتى بها مجتمعة فتلزمه كفارة واحدة كالمحرم الذي لبس ثوبًا مخيطًا مطيّبًا، وهذا منقول عن أحمد رحمه الله، قال: "إنّ في الطيب واللّبس والحلَقَ فدية واحدة، وإن فعل ذلك واحدًا بعد واحد فعليه لكلّ واحد دم" "المغني" لابن قدامة (٥٢٨/٤) وهو قول إسحاق، وقال الحسن: "إن لَبِسَ القميصَ وتَعَمَّم وتطيّب فَعَلَ ذلك جميعًا فليس عليه إلاّ كفارة واحدة "انظر "المغني" لابن قدامة: (٥٢٨/٤)، ونحو ذلك عن مالك رحمه الله.

أمّا إذا كانت المحظورات المرتكبة أنواعًا متفرّقةً، فإنّ الفدية تتعدّد بتعدّد موجبها أي: أنّ عليه لكلّ محظور فداء، وتلحق صورتها بالحدود المختلفة كمن سرق وزنى وقذف فتتعدّد عليه الحدود، كما تلحق بالأيمان المختلفة على أشياء مختلفة ثمّ يحنث فيها، فإنّه تتعدّد الكفارة بتعدّد الأيمان.

في الحج عشرون دماً (على خلاف بين الفقهاء) التمتع والقِران والفوات والإحصار والتأخير إلى الموت والإفساد والاستمتاع دون الإفساد والمبيت بمزدلفة ومنى والميقات والدفع من عرفات قبل الغروب والرمي والحلق والصيد وقطع نبات الحرم وطواف الوداع وترك مشي القادر عليه إلى بيت الله إذا نذره.

❖ متى تتحد الفدية؟

١- إذا ظن المحرم إباحة المحظورات التي فعلها أثناء الإحرام، وكان مستندًا إلى أمرٍ قوي مثل ما إذا فسد حجه أو عمرته بجماع، فظن أنه لا يجب عليه إتمام الإحرام الفاسد ففعل أمورًا منهياً عنها قبل إتمام حجه الفاسد كأن حلق، وقلّم أظفاره ولبس ثيابه، فتلزمه فدية واحدة على الجميع. ومثل من طاف طواف الإفاضة أو طواف العمرة من غير وضوء معتقدًا أنه قد تحلل من إحرامه، فلا تلزمه فدية واحدة إذا علم بعد ذلك ببطلان طوافه وعدم تحلله (الشرح الكبير: ٦٧/٢).

٢- إذا فعل المحرم عددًا من الممنوعات التي دعت الحاجة إليها في مجلس واحد متتالية، كأن يكون غير قادر على التجرد من المحيط والمخيط فلبس الحذاء والقميص والسراويل وغطاء الرأس كل ذلك في وقت واحد، فلا يلزمه حينئذ في جميع ما لبسه إلا فدية واحدة.

٣- أن يقدم المحرم عند لبسه لثيابه ما

كان أكثر نفعاً، كأن يلبس ثوباً ساترًا لجميع بدنه ثم يلبس بعده سراويل أو شيئاً من اللباس الداخلي، فلا تلزمه إلا فدية، واحدة ولو عكس وقدم في اللبس ما كان أقل نفعاً لتعددت الفدية بتعدد ما لبس.

٤- إذا نوى المحرم عند أول أمر احتاج إليه من الأشياء التي توجب الفدية، كمن نوى أنه يفعل كل ما يحتاج إليه في المستقبل من الممنوعات الأخرى سواء كانت هذه الممنوعات من نوع واحد مثل : من تداوى لجرح ونوى تكرار التداوي كلما احتاج إليه، أو كانت الممنوعات مختلفة مثل استعمال الطيب ولبس الثياب فينوي عند استعماله للطيب مثلاً، أنه ينوي في المستقبل لبس ثيابه أو ينوي فعل كل ما يحتاج إليه من محظورات الإحرام في المستقبل، فتلزمه فدية واحدة في كل ما يفعله بعد ذلك من محظورات الإحرام.

❖ جزاء الصيد:

حرّم الله تعالى على المحرم صيد الحيوان البري، وحرم عليه كذلك قتله سواء كان المحرم في الحل أو في الحرم، وحرم الله أيضاً صيده وقتله في الحرم سواء كان القاتل محرماً أو غير محرم، ومن قتله في هاتين الحالتين يجب عليه الجزاء سواء كان الحيوان مأكول اللحم، أو غير مأكول وسواء كان القتل عمدًا أو خطأ أو نسياناً أو اضطرارًا، كأن يكون الناس في مجاعة تبيح أكل الميتة فإن الخطأ والنسيان والاضطرار لا يسقط الجزاء ولكنه يسقط الإثم فقد قال تعالى: **﴿وحُرِّم عليكم صيدُ البرِ ما دُمتُم حُرُماً﴾** المائدة: ٩٦، وقد ذكر الله تعالى النهي عن القتل وأوجب الجزاء على من قتله متعمدًا.

❖ الواجب في جزاء الصيد:

يجب الجزاء على من قتل الصيد وهو محرم، وكذلك يجب الجزاء على من قتله في الحرم ولو كان غير محرم، والجزاء واحد من ثلاثة أشياء على التخيير مثل الفدية (مدونة الفقه: ١٧٤/٢). التي ذكرها الله تعالى في قوله: **﴿فجزاءٌ مثلُ ما قَتَلَ مِنَ النَعَمِ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عدلٍ منكم هدياً بالغَ الكعبةِ أو كفارةٌ طعامُ مساكين أو عدل ذَلِكَ صياماً ليذوق وبال أمره﴾** المائدة: ٩٥ .

١. النسك:

وهو ذبح حيوان من النعم يماثل في قيمته وصفته ما قتله المحرم من الصيد، وقد سماه الله تعالى هدياً فيجب فيه ما يجب في الهدي من حيث السن والسلامة من العيب والمكان الذي يذبح فيه، وكذلك يندب فيه ما يندب في الهدي من الإشعار والتقليد وغيره.

٢. التصدق بقيمة الصيد طعاماً:

وذلك من غالب القوت في الموضع الذي قتل فيه الصيد، ويتصدق به على فقراء ذلك الموضع فيعطي مدي طعام لكل مسكين، وإذا لم يوجد مساكين في ذلك الموضع فيتصدق به على مساكين أقرب مكان إليهم، ويعتد بقيمة الصيد يوم قتله لا يوم إخراج الجزاء ولا يوم الحكم به.

٣. الصيام:

عدل الطعام المتقدم صياماً لمن أراد الصيام بدل الإطعام، فيصوم لكل مد يوماً وليس للصيام مكان او زمان مخصوص.

❖ أحكام الفدية:

والفدية تجب على المحرم بواحد من الأمور التالية:

- أن يرتكب محظوراً من محظورات الإحرام.
- أن يترك واجباً من واجبات الحج أو العمرة.
- أن يكون متمتعاً أو قارناً وهو دم شكران وليس دم جبران.
- أن يفوته الحج أو يحصر عنه.

أما الفدية الواجبة بارتكاب المحظورات فتختلف من محظور لآخر، وهذه المحظورات يمكن تقسيمها بحسب الفدية إلى أربعة أقسام:

١- ما لا فدية فيه: وهو عقد النكاح، فإذا عقد الحاج عقد نكاح، أو عُقد له، فإن العقد باطل في قول أكثر أهل العلم، والعاقد آثم بفعله، لكن ليس عليه فدية.

٢- ما فديته مغلظة: وهو الجماع حال الإحرام، فإذا جامع المحرم زوجته قبل أن يتحلل التحلل الأول أثم، وفسد حجه وحجها إذا كانت مطاوعة له، ولزمهما معًا أن يمضيا في حجهما، ويستمرا فيما بقي عليهما من أعمال، ثم يقضيا الحج من عامهما القادم، وتلزم كل واحد منهما فدية، وهي بدنة ينحرها ويفرق لحمها على فقراء الحرم، والجماع هو المحظور الوحيد الذي يفسد الحج به، أما إن حصل الجماع بعد التحلل الأول فإن حجه لا يفسد بذلك وتلزمه شاة توزع على فقراء الحرم .

٣- ما فديته المِثْلُ أو ما يقوم مقامه: وهو قتل الصيد، فمن قتل صيد البر المأكول حال إحرامه لزمه واحد من أمور ثلاثة:

أولها: المِثْل، وهو أن يذبح الحاج من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، ما يماثل الحيوان الذي صاده، فالنعامة مثلاً

فيها بدنة، وحمار الوحش فيه بقرة، والغزال فيه شاة، إلى غير ذلك من المثليات التي ذكرها الفقهاء، ويُذبح المثل ويُوزع على فقراء الحرم.

ثانيها: الإطعام، وكيفيته أن يقوّم المثل، ويشتري بقيمته طعامًا يُوزعه على الفقراء والمساكين، لكل مسكين نصف صاع.

ثالثها: الصيام، فينظر عدد المساكين الذين يمكن إطعامهم في الحالة الثانية، ويصوم عن كل مسكين يومًا.

ودليل ذلك قوله سبحانه: **﴿يا أَيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أَو كفارة طعام مساكين أَو عدل ذلك صياما لِيذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عَزِيز ذو انتقام﴾** المائدة: ٩٥ .

٤- ما فديته فدية الأذى: وهو حلق الشعر، وقص الأظفار، وتغطية الرجل رأسه بملاصق، ولبس الرجل ما خيط على هيئة البدن، واستعمال الطيب، وانتقاب المرأة ولبسها القفازين.

فإذا ارتكب المحرم أحد هذه المحظورات، فهو مخير بين أن يذبح شاة ويفرق لحمها على فقراء الحرم، أو يطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم ثلاثة أيام، وهذه الفدية تسمى فدية الأذى، وهي المذكورة في قوله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضا أَو به أَذى من رأْسه ففدية من صيام أَو صدقة أو نسك﴾** البقرة: ١٩٦ .

هذه أحكام الفدية المترتبة على ارتكاب محظور من محظورات الإحرام، وأما بالنسبة للفدية المترتبة على ترك الواجب، كترك الإحرام من الميقات، وعدم الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفات، وترك المبيت بمزدلفة ومنى، وترك طواف الوداع (عند بعض الأئمة)، ونحو ذلك من واجبات الحج، فالواجب فيه شاة، فإن لم يجد ففي انتقاله إلى الصيام خلاف فمنهم من قال: يصوم عشرة أيام قياساً على دم التمتع، ومنهم من لم يلزمه بالصوم.

إلا أنه يجب التنبه إلى أن المحرم إذا ترك واجبًا من واجبات الحج، فإنه يجب عليه الفدية سواءً أكان الترك عمدًا أم سهواً، أم جهلاً، لأنه تاركٌ لنسك، بخلاف ما لو ارتكب محظورًا من محظورات الإحرام، التي سبق ذكرها، جاهلاً أو ناسيًا أو مكرهًا، فلا شيء عليه على الصحيح، لقول النبي ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ

والنسيان وما استكرهوا عليه) رواه ابن ماجة وغيره.

وإذا كان الحاج متمتعاً أو قارناً ولم يكن من حاضري المسجد الحرام فيجب عليه دم أيضاً، وأقله شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة وهو دم شكران، فإن لم يجد فيصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله لقوله تعالى: **﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر منَ الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أَهله حَاضرِي المسجد الحرام ﴾** البقرة: ١٩٦ .

كما تجب الفدية على من فاته الحج بعد أن أحرم به، أو أحصر عنه بسبب من الأسباب المانعة له من الوصول إلى الحرم.

❖ الفَرْق بين الفدية والهَدْي في الحج:

موضع الفِدْية على ما رأَى الإمام مالك أنها تُفْعَل في أي مكان بمكة أو بغيرها، وإن شاءَ ببلده، وسواءٌ في ذلك الذبح أو الإطعام أو الصيام، ولا داعي للإنابة في إرسالها إلى مكة.. وعلى كلٍّ فإنه يجوز أن يُنيب المرءُ شخصاً في الفِدْيَة عنه بالحرَم بالذبح أو الإطعام.

أما الهَدْي فهو ما يُقَدِّمه الحاج من الحيوان باسم الله إلى الحرَم يُذْبَح فيه ويُطعِم منه المسكين والفقير، ويكون في حالات خاصة، منها:

١. حدوث مانع يمنع من إتمام الحج والعمرة كمرض أو عَدُوٍّ؛ لقوله تعالى: **﴿وَأَتِمُّوا الحجَّ والعُمرةَ لله فَإِنْ أحصرتُم فما استيسرَ من الهَدْي﴾**، ولا يكون إلا حيواناً يُذْبَح، وإذا عجز الإنسان عنه فليس له أن يَسْتَبْدِل به غيرَه ولا أن يَقْتَضِيَه إذا تيسَّر له.

٢. التمتُّع بالتحلُّل من إحرام العمرة لاستئناف إحرام آخر للحج عند الخُروج إلى عرفات، وهو قولُه تعالى: **﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بالعُمرةِ إلى الحجِّ فما استيسرَ من الهدْي﴾**، فإذا لم يجد الحاج هدياً كان عليه ما ذكره الله تعالى عنه بقوله: **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثلاثة أيام في الحجِّ وسبعةٍ إذا رجَعْتُم تلكَ عشَرةٌ كامِلةٌ﴾** وهذا النَّوْع من الهدي يُجيز الإمام مالك نحرَه بغير مكة كالفدية.

٣. الهَدْي الواقع جزاءً للصيد في الحرَم، ولا يجوز فِعْلُه بغير الحرم؛ لقوله تعالى: **﴿يَا أيها الذين آمنوا لا تقتُلُوا الصيدَ وأنتُمْ حُرُمٌ ومَن قتَلَه منكم متعمداً فجزاءٌ مِثْلُ ما قتَلَ من النعَم يَحْكُم به ذوَا عَدْلٍ منكم هدياً بالغَ الكعبةِ أو كفَّارةٌ طعامُ مساكين أو عَدْلُ﴾**.

والحمد لله رب العالمين

الحج
فريضة وحكم

■ بقلم الشيخ ابراهيم الدهون

قال الله تبارك وتعالى مبيناً فريضة الحج على المسلمين القادرين: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ❖ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ آل عمران: ٩٦، وقال سبحانه: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ البقرة: ١٢٥، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ الحج: ٢٧ .**

لقد افتتح الله تعالى الآية الأولى بذكر محاسن البيت، وعظيم شأنه، فوضعه بأفضل الصفات، منها انه اسبق بيوت العالم لذكر الله تعالى فيه، وانه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت الدنيا ابرك منه ولا أكثر خيراً، ولا أدوم، ولا انفع للخلائق ووصفه بالمصدر نفسه، حتى كأنه الهدى نفسه، وفي وصفه بهذه الصفات ما يبعث النفوس على شد الرحال إليه، وان بعدت بالزائرين الديار وتناءت بهم الاقطار.

وقد جعل الله تعالى الكعبة المشرفة قبلة للمسلمين، واختار لها البلد الأمين، وشرفه بأن اقسم به في كتابه فقال تعالى: **﴿وهذا البلد الأمين﴾**، وجعله حرما آمنا،

لا يسفك فيه دم، ولا يروع فيه مسلم، ولا ينفر له صيد، ولا تلتقط لقطته إلا للتعريف وجعل الحج المبرور ماحياً للذنوب والخطايا، موجباً لدخول الجنة بسلام، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، وثبت عن النبي ﷺ: أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف في غيره وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).

وقال رسول الله ﷺ: (من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة) رواه احمد وابن ماجة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت يا رسول الله: هل على النساء من جهاد؟ قال: نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة) رواه احمد وابن ماجة وإسناده صحيح، وعن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، ومجاهد وطاووس أنهم كانوا يقولون: لو علمت رجلا غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه.

فالحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، وجعل الحج من بين أركان الإسلام فريضة العمر وأكمل تعالى به الدين،.وأتم به النعمة، وأنزل على النبي ﷺ: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** المائدة: ٣، وإنما نزلت هذه الآيات يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء.

قال العلماء: إن الحج المبرور، هو المقبول عند الله تعالى، وهو الذي جاء على الوجه الأكمل باستيفاء الأعمال البدنية والقلبية، ومن ذلك أن يكون المال الذي ينفقه حلالاً، وأنشدوا:

إذا حججت بمال أصله

فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلاّ كل طيبة

ما كل من حج بيت الله المبرور

والحج المبرور الذي لا رفث فيه ولا فسوق، -أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا خروج عن آداب الشريعة وحدودها- له في النفس، وإصلاحها أكبر الآثار، لما فيه من الانقطاع عن الأهل والوطن والأعمال الدنيوية، والإقبال على الله تعالى، وإحياء شعائر الأنبياء عليهم السلام، والوقوف في مواقف أفضل المرسلين، والتذكر

بتقلبهم في تلك الأماكن المقدسة تعبداً لله تعالى، وتقرباً إليه، وخضوعاً خالصاً لجلاله، لا حظ للنفس فيه، فمن حج مثل هذا الحج المبرور، واستغرق قلبه بمثل هذا الإحساس والشعور، رجى أن يُمحى ما كان علق بنفسه من آثار الذنوب الماضية، وعند ذلك تنبعث النفس إلى حسن الطاعة، والاستقامة على طريق الهداية، فتعمد إلى أداء ما عليها من الحقوق لله تعالى والناس بقدر الاستطاعة، فيصبح أن يقال: (إنها ولدت ولادة جديدة) وان يقال: (إن السيئات الماضية قد كفرت وسترت، لان الغفران والتكفير، بمعنى تغطية الشيء، وقد غطيت تلك الظلمة الماضية، وسترت بهذا النور الحاضر).

❖ حكم الحج:

حكم الحج كثيرة، وفي كل واحد من أعمال المناسك تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر، وقد شرف الله البيت الحرام بالإضافة إلى نفسه، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حوله حرما لبيته -تفخيما لأمره- وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره، وفي الطواف بالبيت تشبه بالملائكة المقربين الحافين الطائفين حول العرش، وما القصد طواف الجسم فحسب، بل طواف القلب بذكر الرب، وفي السعي بين الصفا والمروة إظهار للخلوص في الخدمة، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، وفي الوقوف بعرفات وازدحام الخلق وارتفاع الأصوات، باختلاف اللغات، تذكر لاجتماع الأمم بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

وفي الإحرام:

الذي يتجرد فيه كل حاج من ثيابه جميعاً، ويرتدي ثوبين اثنين متواضعين في شكلهما ولونهما ووضعهما، إزار ورداء لا غير، إعلان للمساواة بين الناس، بزوال شارات التفريق بينهم التي تحملها الملابس العادية باختلاف قيمها، وأشكالها، وألوانها، ومظاهرها، وانك لترى الحجاج وقد تجردوا من ثيابهم واحرموا لله رب العالمين، فلا تكاد تميز بين أمير ومأمور، وكبير وصغير، ورئيس ومرؤوس، ووجيه ومغمور، كل أولئك قد سوى بينهم المظهر الجديد فلا اختلاف ولا تمييز.

وبهذا الإحرام،يحرم على الحاج أن يحلق شعره، أو يقص ظفره، أو يقطع شجراً، أو يهيج صيداً، أو يقتل حشرة، أو ينال مخلوقاً بسوء، حتى لو لقي قاتل أبيه لما استطاع أن يمد إليه يداً، أو يتجه إليه بانتقام، وهذا تدريب عملي على الصبر

وسعة الخلق فتطبع به النفوس، وتنطوي عليه الجوانح، والقلوب.

وهذه الكعبة المشرفة، التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام، وأعانه في ذلك إسماعيل عليه السلام، إنما هي علم الوحدة الإنسانية، والأخوة البشرية، ورمز ارتباط القلوب والنفوس والأرواح بالله سبحانه وتعالى: **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾** المائدة: ٩٧، تهوي إليها الأفئدة وتطوف بها القلوب تارة والأشخاص تارة أخرى، وتستقبلها الوجوه في كل مكان إيذانا بوحدة الوجهة، وتقديرا لهذه الوحدة، والحجر الأسود فيه نقطة التقاء المشاعر الإنسانية والعواطف الأخوية، فمن صافحه فكأنما يصافح إخوانه من بني الإنسان جميعاً، ومن قبَّله، فكأنما يرسل إليهم على صفحته بإخلاصه ومودته ومظهر إخائه ومحبته.

وهذه الجمرات يقف أمام هدفها الحاج متمثلاً " أن قوى الشر قد جسِّدت في إبليس لعنه الله، وان الحاج الآن قد طهر من الآثام، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه؟، بعد ان سعد بوقفة عرفات، ونزلت عليه من الله الرحمات والفيوضات، فعليه أن يكون للرحمن ولياً، وللشيطان عدواً، وأنه ليعرب عن كل هذه المشاعر، ويرمز إلى مدلول هذه الخواطر بهذا العدد من الحصى يقذف به وجه عدوه اللعين إبليس، إرضاء للرحمن، ورجماً للشيطان، باسم الله، والله اكبر.

والحاج في كل هذه المواقف موصول القلب بالله تبارك وتعالى، معلق النفس والروح بمغفرته، ومثوبته، ورضاه، ومحبته، فإذا احرم فشعاره: (لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك).

وإذا طاف فعمله دعوات صاعدة إلى السماء، وابتهال، وبكاء، والتزام، ودعاء، واستلام وتقبيل، وانس برحمة الكبير الجليل، اللهم إيمانا بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعا لسنة نبيك ﷺ.

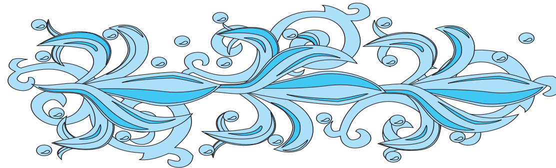
ويقول الذين لا يعلمون: (إن هذه الكعبة والحجر من بقية وثنية الجاهلية اقرها الإسلام)، ونقول لهؤلاء: إنما جاء الإسلام ليحطم الوثنية في كل صورها، وأشكالها، وليقضي على عبادة الأوثان والأصنام، وان كل موقف من مواقف الحج إنما هو تقرير لهذه الوحدانية، وإسلام الوجوه والقلوب لله وحده الملك العلام، وإنما مثل الكعبة والحجر كمثل هذا العلم الذي تنصبه الدول رمزاً "لمجدها، وشعاراً لوطنها"، فتخفق له القلوب، وتهتز لاهتزازه الأفئدة

لا لذاته ولكن لما يشير إليه من معنى عظيم، وشعور كريم، ولقد أراد الله الحكيم العليم أن تكون الكعبة هكذا علماً "مركوزاً" على الأرض تتجسَّد به الوحدة العالمية ويرمز إلى هذه الأخوة الإنسانية، واختار الله إبراهيم وهو موضع التقدير والتكريم من كل هذه الأديان السماوية، لإنفاذ هذه الإرادة الربانية فصدع بأمر الله، واستجاب لنداء مولاه، وسأله بعد ذلك أن يتقبل عمله، وان يبارك له فيما أولاه: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ❖ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم﴾ البقرة: ١٢٧-١٢٨.**

ولعلها الحكمة الإلهية أن يقطع الله على هؤلاء المتربصين حبل الجدل، والتشدق في الكلام بأن يختار لهذه محطم الأصنام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد دعا الله تعالى ان يجعله وابنه من المسلمين، لان الإسلام دين الفطرة، رضيه الله تعالى للبشرية من فوق سبع سموات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** المائدة: ٣، وقال تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** آل عمران: ١٩، وقال جل شأنه: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾** آل عمران: ٨٥ .

وان العمل العظيم في مغزاه، ليصغر إذا جهل الناس هدفه ومرماه، وكذلك هذا الحج الذي أقام الله به دعائم الصلاح والقوة في الحياة، أصبح عند الكثيرين عبادة آلية عادية يؤدونها دون أن يعوا ويفهموا مقاصدها، وان خيرهم من كان يرجو بها المثوبة والأجر من الله تعالى، أما ما وراء ذلك من المنافع المادية والروحية والاجتماعية التي أشارت إليها الآية الكريمة: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات﴾** الحج: ٢٨، فإنهم لا يطيلون فيها التفكير، ولا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير.

والحمد لله رب العالمين



قطوف دانية

بقلم الطالبة هديل هندم

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ان الله على كل شيء قدير﴾.

البقرة: ١٤٨

بقيت كلها إلا كتفها

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها انهم ذبحوا شاة فقال رسول الله ﷺ:

«ما بقي منها؟ قالت عائشة: ما بقي منها إلا كتفها، فقال ﷺ: بقي منها كلها غير كتفها».

ضرب من بر الوالدين

قيل لزين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: إنك من أبر الناس بأُمك، فلماذا لا تأكل معها في صفيحة؟! قال: إني أخاف ان تسبق يدي الى لقمة سبقت اليها عيناها فأكون قد عققتها!!.

حسن الخلق

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة».

عجبت لمن..

عجبت لمن يتوكل على الله حق التوكل، ثم يكون قلقاً للمستقبل!

عجبت لمن يثق في رحمة الله تمام الثقة، ثم ييأس من الفرج!

عجبت لمن يوقن بحكمة الله تمام اليقين، ثم يعتب على الله في قضائه وقدره!

عجبت لمن يطمئن الى عدالة الله تمام الاطمئنان، ثم يشك في نهاية الظالمين!

عجبت لمن ايقن الموت، ثم هو يفرح ولم يستعد له!

عجبت لمن ايقن بالنار، ثم هو يضحك!

عجبت لمن ادعى دخول الجنة، ثم لم يعمل لها!

عجبت لمن عرف الله تعالى، ثم لم يؤد حقه!!

فيم الجمال؟!

قال رسول الله ﷺ: «ان من البيان لسحراً فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطب» وقال العباس رضي الله عنه: «يا رسول الله.. فيم الجمال؟! قال ﷺ: في اللسان»، وكما يقال: عقل الرجل مدفون تحت لسانه.

تعهد نفسك

اذا عملت فاذكر نظر الله اليك.. واذا تكلمت فاذكر سمع الله اليك.. واذا سكت فاذكر علم الله فيك!.

ميزان الله عز وجل

قال بعض الفضلاء: ان العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه.

من أخلاق الحاج

■ **بقلم الطالبة هبة الله أحمد**

الحج عبادة عظيمة الأجر والثواب يمحو الله تعالى بها الخطيئات، ويهدم ما قبلها من السيئات ويرفع بها الدرجات وما أجلها من طاعة وفريضة، فينبغي ان يحرص المسلم على أدائها بالكيفية التي شرعها الله تعالى حيث يقول جل وعلا: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ البقرة: ١٩٧ .

﴿فلا رفث﴾: أي من أحرم بالحج او العمرة فليجتنب الرفث، والرفث كما قال العلماء هو الجماع او مقدماته ودواعيه ونحو ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنه: الرفث التعريض بذكر الجماع.

وقوله تعالى: **﴿ولا فسوق﴾** عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هي المعاصي، وقال الضحاك: هي التنابز بالألقاب، وقد ثبت في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخاري.

وقوله تعالى: **﴿ولا جدال في الحج﴾** فيه قولان: **أحدهما:** ولا مجادلة في وقت الحج في مناسكه، **والقول الثاني:** المخاصمة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الجدال ان تماري صاحبك حتى تغضبه، فمن الواجب على كل حاج ان يتخلق بالأخلاق الفاضلة، وان يتحلى بالخصال الحسنة والصفات الطيبة، وان يبتعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الخصال والخلال، ليكون حجه

مبروراً وسعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً، والحج المبرور كما بين النبي ﷺ: «ليس له جزاء الا الجنة» رواه البخاري ومسلم.

فهذه جملة من امهات الأخلاق للتذكير والتنبيه:

١- **الإخلاص:** فعلى الحاج ان يكون الباعث له على أداء نسكه، هو طلب مرضاة الله تعالى وابتغاء الأجر والمثوبة منه سبحانه وتعالى، وألا يكون في نفسه شيء من حظوظ الدنيا، لأن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: «انا اغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»، والنبي الكريم ﷺ حج حجة واحدة قال فيها: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة».

٢- **المتابعة:** ينبغي على الحاج ان يتأسى بالنبي ﷺ في حجته وان يبحث عن الأفضل ليفعله، قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم».

٣- **التقوى:** فمن أخلاق الحاج التقوى، لقوله تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ البقرة: ١٩٧، والتقوى هي العمل بطاعة الله على نور منه رجاءً لثوابه والحذر من معصيته وخشية عقابه.

٤- **الخوف والرجاء:** فينبغي على الحاج ان يكون خائفاً راجياً، وهكذا كان السلف منهم من يغلب عليه الخوف، ومنهم من يغلب عليه الرجاء، قال ابن المبارك لسفيان الثوري عشية عرفة: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن ان الله لا يغفر له!.

٥- **التوبة الصادقة:** ومن أخلاق الحاج التوبة الصادقة، وهي الرجوع عما يكرهه الله تعالى ظاهراً وباطناً، الى ما يحبه الله تعالى ظاهراً وباطناً، والتوبة واجبة في كل حال على العموم، الا انه في حال الحج آكد وجوباً.

٦- **الصبر:** ومن أخلاق الحاج.. خلق الصبر، لأن الحج من أكثر العبادات التي تحتاج الى صبر لما فيه من الزحام واختلاف طبائع البشر وعاداتهم، وكذلك يحتاج الحاج الصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن معصيته، والصبر على مفارقة الأهل والأوطان.

وفقنا الله تعالى وإياكم ويسر لنا ولكم وتقبل منا ومنكم، وجعل حجكم مبروراً ومقبولاً وسعيكم مشكوراً.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

من مدرسة الحج

■ بقلم الاستاذ محمد عبد الفتاح العمارنة

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحج يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ❖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ❖ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ❖ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ❖ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ❖ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ❖ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحج: ٢٧-٣٣ .

ان المتبصر بعبادة الحج العظيمة التي فرضها الله تعالى على امة محمد ﷺ، يجد أن هذه العبادة مدرسة ربانية نبوية تأهيلية عالية المستوى في العلم والعمل والإيمان والتقوى، فأنت يا أخي المسلم لا تستطيع أداء عبادة الحج إلا إذا كنت على علم بفقه أحكام الحج وكيفية أداء هذه العبادة.

وان عملك وسلوكك ومنهجك في رحلتك لبيت الله الحرام، مدرسة عملية في تعلم وتطبيق أخلاق الإسلام. وان الأروع والأجمل في هذه العبادة العظيمة هو ما نجده من حلاوة الإيمان والتقوى التي مبناها في عبادتنا هذه وفي كل العبادات، هو الإخلاص والصدق والمتابعة لهدي نبينا الكريم محمد ﷺ.

بل إن أملنا ورجاءنا في تطهير قلوبنا من الذنوب والمعاصي، يزداد ويكبر بعد أداء هذه العبادة الجليلة العظيمة. لا سيما وان وجهت قلبك ووجهك خالصا لله تعالى.

وان حال عباد الله وهم يؤدون مناسك الحج – من بداية عقد النية لأداء الحج إلى العودة من الديار المقدسة– يجدون أنفسهم يعيشون رحلة إيمانية تربوية علمية عقائدية تاريخية مميزة، حتى انك تجد أخي الحاج وأنت ذاهب إلى الأراضي المقدسة، كيف كان مستوى إيمانك وكيف أصبح، خاصة حينما تمر في طريقك بمواقع الغزوات والمعارك كأرض تبوك وخيبر وبدر وغيرها من الأراضي المقدسة المباركة، وسترى حينها كيف انت قبل الحج وكيف أنت خلال الحج، بل وسترى كم سيزداد شوقك للديار المقدسة عند فراقها.

ولن يسيطر على قلبك حينها شعور أعظم من شعور الرجاء من الله تعالى بقبول حجك، ورفع درجتك وتكفير ذنوبك برحمة الله تعالى وفضله. ذلك لأنك خرجت من بيتك وقلبك معلق بذاك الوعد الصادق الذي بشرك به النبي ﷺ، حينما قال مبشرا: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه". او حينما بشرك ثانية قائلا ﷺ: " والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة".

وفي حديث آخر في بيان أثر الحج والعمرة في تكفير المعاصي والذنوب، يقول النبي ﷺ: " تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد"، فلله در الحج من عبادة وطوبى للحاج بهذا الخير الوفير، الذي ناله في الدنيا والآخرة (رزق وفير ينفي الفقر، ومغفرة واسعة تنفي الذنوب).

وبالرغم من كل هذه البركات والخيرات التي يحصلها العبد من هذه العبادة العظيمة، فان عظيم عطاء الله وكرمه يحيط بنا فيقول لنا ربنا تبارك وتعالى: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الحرام وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾** البقرة: ١٩٨، فقد بين أهل العلم رحمهم الله تعالى انه يشرع للحاج أن يسعى في مصالحه الدنيوية وهو في الحج، وذلك ضمن الضوابط الشرعية كعروض التجارة وما شابه ذلك.

فيا لها من رحلة إيمانية كلما يتذكرها العبد منا، تخشع نفسه وتدمع عينه ويهفو قلبه شوقا لأدائها ثانية وثالثة ورابعة..

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

٢

الفعل «فَرَجَ» ومشتقاته

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

في هذه المقالة، نكمل تحليلنا لمشتقات الفعل «فَرَجَ».

١٠- فَرْجَة: هزيمة، ومثالها قولهم: «اذكروا القوم على فرجتهم» اي: على هزيمتهم، وسميت الهزيمة: فَرْجَة، لأن المنهزمين ينفرج بعضهم عن بعض، اذ لا يبقى تنظيم يشدهم، وبذلك تكون الأرض بينهم مكشوفة، لتباعد المسافة بين كل واحد وآخر.

وبذلك فهم خلاف المنتصرين الذين يتقدمون أو يرجعون بتنظيم، ومن تكتيك الحرب في القديم ان يتراص المحابون، ولا يكون بينهم تخلخل: اما قال الله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ الصف: ٤ .

أي لا خلل ولا فرج بين صفوفهم، لأن ذلك أثبت للمحارب بالسيف او الرمح واخلع لقلوب الأعداء، لأن رؤيته لزميله المقاتل ملاصقاً له يحمله على التقدم وعدم الفرار، ولأن رؤية الأعداء لأعدائهم صفوفاً متراصة، يضعف من عزيمتهم على اقتحامهم واختراق صفوفهم.

١١- ومن فَرْجَة.. فالفريج، اي: الظاهر المنكشف الذي ادت الهزيمة الى اتساع المسافة بينه وبين زملائه، وعلى هذا الفريج في المعركة هو المهزوم، مثل قتيل، اي: مقتول، ويقال: امرأة فريج: للتي أعيت من الولادة، وهي فريج، وليست فارجاً، مثلاً، لأن الانفراج الذي حدث بين وركيها

انما كان رغماً عنها، لما تسببه لها الولادة العسرة من آلام مبرحة.

اما لماذا قيل: رجل فريج وامرأة فريج، ولم تلحق التاء المربوطة بصفة المرأة؟ فذلك راجع الى ان ما كان من الصفات على وزن «فعيل» بمعنى مفعول، فإنها يستوي فيها المذكر والمؤنث، لذلك نقول: رجل قتيل وامرأة قتيل، ورجل جريح، وامرأة جريح، ولا نقول: فريجة، او قتيلة، او جريحة، الا اذا جاءت الصفة دون ذكر للموصوف، كأن نضع عنواناً فلا نضع فيه الاسم المؤنث، عندئذ نقول: «قتيلة الجوع» وهذا عنوان مقالة كتبها الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي، عندما اكتشف في جبل المقطم شرقي القاهرة جثة امرأة تبين من تشريحها ان سبب موتها هو: الجوع وطبعاً لا يقع مثل هذا في مجتمع يسوده الاسلام، اما قال تعالى: **﴿فلا اقتحم العقبة ❖ وما أدراك ما العقبة ❖ فك رقبة ❖ او إطعام في يوم ذي مسغبة ❖ يتيماً ذا مقربة ❖ أو مسكيناً ذا متربة﴾** البلد: ١١-١٦.

وكما نقول: امرأة فريج، نقول: نعجة او ناقة او عنز فريج، اذا اخذت بالولادة فباعدت ما بين وركيها فانكشف ما بينهما.

١٢- والمُفْرَجُ: الرجل الذي لا عشيرة له، وقد يبدو لأول وهلة عدم ارتباط معناه بمعنى المادة، ولكن الذي يدقق في امر الرجل المفرج، يجد ان لا أعوان له يحيطون به، لأنه لا عشيرة له، مما يؤدي الى ان تكون الأرض منكشفة حوله، على خلاف من له عشيرة يحيط به رجالها، مما يُغطي ما حوله من الأرض ولا يكشفها، وقد جاءت الصيغة على اسم المفعول من الرباعي، لأن كونه بلا عشيرة ليس من فعله ولا من ارادته، وانما هو مرغم عليه، وليس له حيلة في دفعه.

١٣- والمُفْرِجُ: اسم فاعل، ويقال: دجاجة مفرج، ذات فراريج، لأن الفراريج ومفردها فروجة وهي صغار الدجاج، تفرج عن نفسها بنقر قشرة البيضة وكسرها والخروج منها عندما يكتمل نموها، وفي ذلك انكشاف للفروجة اي الصوص(١) وأصل الفروجة صفة مبالغة، اي: كثيرة التفريج عن نفسها بنقر قشرة البيضة، ولأنها في أصلها صفة فإنما جاز ان تأتي للمؤنث وللمذكر، مثل: داهية فنحن نقول: رجل داهية، وامرأة داهية، والتاء المربوطة، هنا للمبالغة، ورجل علاّمة وامرأة علاّمة، وكما اننا نقول: جنين للمذكر والمؤنث، جاز ان نقول: صوص للذكر والأنثى من صغار

الدجاج، لأن الملامح التي تميز الذكر من الأنثى غير واضحة.

١٤- اما الفَرُّوج، فلعله جمع لفروجة، اما فراريج فجمع الجمع، غالباً، ومعروف في اللغة ان حذف التاء المربوطة من بعض الكلمات يجعلها جمعاً، مثل: بقرة، وجمعها بقر، وشجرة، وجمعها شجر، ففروجة جمعها فرّوج، وجمع الجمع: فراريج.

وقد سميت الدجاجة: مفرجاً على اسم الفاعل، لأن لها عملاً لا يُنكر في تحويل البيض الى فروج او فراريج فهي ترقد على البيض ثلاثة أسابيع أو حولها حتى تخرج منه الفراريج.

طبعاً الفاعلية الاصلية لله تعالى ﴿فعّال لما يريد﴾ البروج: ١٦، لأن البيض يتحول الى فراريج بقدرة الله تعالى، ولذلك فالدجاجة فاعل مجازي.

كما اننا نقول: «عشب نابت، فنصرف الفاعلية للعشب، لأننا نراه ينمو اسبوعاً بعد اسبوع، دون ان نرى فاعلاً خارجياً ينميه، مع ان الفاعلية في اصلها لله تعالى، فالله مُنبِت بكسر الباء، والنبات منبَت بفتح الباء، ولذلك فالفاعلية في النبات انما هي فاعلية مجازية، ويسمى هذا مجازاً عقلياً، وأُفضل على هذا المصطلح ان يقال: «مجاز صوري».

١٥- المُفَرَّج: المشط، لأن بين اسنانه انفراجاً، اي: انكشافاً، ولأنه يجعل الشعر منساباً بعد ان كان متكتلاً، والانسياب صورة من صور الانكشاف او الاتساع، لأنه يمد الشعر الى آخر مداه، ويجعل انفراج الشعرات بعضها عن بعض واضحاً.

١٦- والمُنْفَرِجة: الزاوية المنفرجة في الهندسة هي التي تزيد على تسعين درجة، وبهذا ينكشف ما بين امتداد خطيها، بل يزدادان انكشافاً واتساعاً كلما امتد اكثر فأكثر.

١٧- والمتفرِّج: جمعه: المتفرجون، وهم الذين يشاهدون الصور في السينما او التلفاز او الفيديو او الانترنت، او يشاهدون المسرحيات والعروض.. الخ، وهم متفرجون لأنهم يبقون المسافة بينهم وبين هذه الصور والمناظر مكشوفة، وهو استعمال حديث غير موجود في المعاجم، ولكنه استعمال لا غبار عليه، لأنه يجري على نفس القاعدة، اي: فيه المعنى المركزي للفعل «فرج» ومعنى جديد تطلبه التطور الحديث.

وفعله: تفرج يتفرج: واسم المفعول: متفرج عليه، والمصدر: التفرج، واسم

المصدر: فرجة، والفرجة ايضاً هي الشيء الذي يتفرج عليه، اي بينه وبين المتفرج مسافة مكشوفة.

١٨- وأُفْرِجَ عن السجناء: اطلق سراحهم والسجناء الذين اطلق سراحهم، انكشفوا بعد ان كان السجن يخفيهم، وافرج فعل مبني للمجهول، ويمكن ان نورده مبنياً للمعلوم، فنقول: افرج مدير السجن عن السجناء، اي: اطلق سراحهم، وقد فضل الفعل المبني للمجهول هنا، على الفعل المبني للمعلوم، لأن هذا المعنى، الاصل ان يعبر فيه بالفعل المبني للمجهول، لأنه ليس المهم الشخص الذي اطلق سراحهم، وانما المهم اطلاق سراحهم، ولأن الايجاز مقصد من مقاصد الفصاحة اذا استطاع ان يؤدي المعنى المطلوب اداءً تاماً، وهو هنا مؤد للمعنى المطلوب وللمعنى المقصود.

❖ نتيجة:

وبعد؛ أرأيت ان هناك عشرات الكلمات التي تتولد من الجذر اللغوي الواحد، وتتحد معه في المعنى المركزي اضافة الى معنى آخر جديد، مما يسهل تعلم اللغة بحيث يكاد المتعلم ان يعرف معنى عشرات الكلمات اذا عرف معنى الجذر اللغوي لهذه الكلمات، ومما يجعل قَصْرَ معنى الكلمة «الصيغة» على معنى واحد، هو: جهل بطبيعة اللغة، لجهل بفقه اللغة، فبعض الكلمات، يكون لها عشرون معنى.

وان اللغة العربية منطقية وليست اعتباطية، لأن اللفظ فيها لا يأتي مقدماً على المعنى، وانما المعنى لا ينفك عنه اللفظ الملائم له، ولهذا، يأتي المعنى غالباً جارياً على القواعد المتعارف عليها في اشتقاق الألفاظ، ولكنه يأتي أحياناً استثناءً على هذه القواعد، لأن المعنى لا يتضح وضوحاً تاماً الا بهذا الاستثناء، والله ولي التوفيق.

الهامش ١: الصوص: صغار الدجاج، بين يوم وعشرة ايام، وبعض اللغويين لم يقبل هذه الكلمة لهذا المعنى، لأن هذا الاستعمال لم يرد في المعجم بشكل مباشر، ولكن الجمهور الذي استعمل هذه الكلمة لهذا المعنى على صواب، لأن معناها في المعاجم: البخيل، والعلاقة قائمة بين صوص الرجال وصوص الدجاج، فالأول: حقير الفعال والآخر حقير الحجم، فالحقارة هي العلاقة الجامعة بينهما، اذن، قل: صوص الدجاج، ولا تبال.

الإعجاز العلمي في القرآن

زلزال اليابان يغير اتجاه محور دوران الأرض ويقصر مدة اليوم الأرضي

■ بقلم الفلكي عماد مجاهد

توصل علماء الفلك في وكالة الفضاء الأمريكية"ناسا"، إلى أن زلزال تشيلي –الذي وقع أخيرا وحصد أرواح الآلاف وبلغت قوته ٩.٨ درجة بحسب مقياس ريختر– قد أدى إلى تغيير اتجاه محور دوران الأرض، وهو الخط الوهمي الذي تدور حوله الأرض أثناء دورانها حول نفسها وينشأ عنه تعاقب الليل والنهار، حيث انتقل اتجاهه في السماء عن موقعه السابق مقدار عشرة سنتمترات، وتقصير مدة اليوم الأرضي المعروفه مدته، وهي حوالي ٢٤ ساعة إلا أربعة دقائق وبضع ثوان وكسور الثانيه؛ بسبب تغير موقع الصخور في باطن الأرض.

لذلك أصبح لزاما على الجهات الفلكية العالمية أن تعمل على تقصير مدة اليوم الأرضي بما يعادل ٢٦.١ ميكروثانية منذ وقوع الزلزال، وللعلم فإن الميكروثانية تعادل جزء من مليون جزء من الثانية الواحدة، ومع ان العامة ترى أن هذه المدة الزمنية القصيرة جدا غير مهمة، لكن الفلكيين وأجهزة القياس الفلكية تعتبرها مهمة للغاية خاصة مع تعدد حدوث الزلازل الكبيرة على مدار العام، والتي يصل عددها إلى عشرة زلازل كل قرن تقريبا بحسب إحصاءات مراكز الرصد

الزلزالي ألعالمية.

وكانت الأرض قد تعرضت لزلزال مدمر في المحيط الهندي سنة ٢٠٠٤ وأدى إلى حدوث مد عالي في المحيط -تسو نامي- أدى إلى مقتل أكثر من نصف مليون شخص، وتدمير عدد كبير من المدن والقرى في السواحل الجنوبية الشرقية من آسيا وتحديدا اندونيسيا. وكانت نتيجته تقصير مدة دوران الأرض آنذاك ٨.٦ مايكرو ثانية.

وكان الفلكيون قد عملوا على تقصير مدة اليوم الأرضي ٢٤ مرة منذ سنة ١٩٧٢ وحتى ٢٠٠٨ حتى وصل الفارق إلى ثانية واحدة، وبحسب هذه الآلية فإن الفارق يصل إلى ساعة واحدة أي سيكون مدة اليوم الأرضي ٢٣ ساعة بعد ٥٠٤٠ سنة من الآن! .

إن المراصد الفلكية العالمية تحدد الوقت بدقة بالغة من خلال حركة النجوم الظاهرة في السماء وشروقها وغروبها، ويعتبر مرصد جرينتش الوطني في بريطانيا المرجع الدولي في تحديد الوقت، وأي تغيير في مدة اليوم لأي سبب كان، يمكنه رصدها وتحديدها بدقة متناهية، وعلى الرغم من أن التكنولوجيا الحديثة قد صنعت ساعات فائقة الدقة مثل الساعة الهيدروجينية والساعة الذرية، حيث تصل نسبة الخطأ فيها إلى حوالي جزء من ألف جزء من الثانية في العام الواحد فقط.

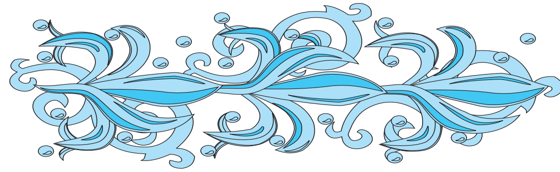
إن كل الساعات المتقدمة والحديثة رغم دقتها العالية، إلا انه لا يمكن اعتبارها مرجعا لعلماء الفلك في قياس الزمن والوقت، خاصة مع التطور العلمي والتكنولوجي الذي تشهده البشرية في العصر الحالي، لذلك فان البشر بحاجة ماسة لرصد نجوم السماء بشكل دائم لتحديد الزمن والوقت مهما تطورنا علميا وتكنولوجيا.

وردت في القرآن الكريم آيات عدة تشير إلى أهمية النجوم في الاهتداء وقياس الزمن، حيث يقول تعالى في الآية ٩٧ من سورة الأنعام: **﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾**، ويقول تعالى في الآية ١٦ من سورة النحل:

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾.

إن هذه الآيات الكريمة تدل بشكل لا يدعو للشك أبدا أن الله خلق النجوم- وكذلك جميع الأجرام السماوية- للاهتداء بها وتحديد الوقت بغض النظر عن التطور العلمي والتكنولوجي، إذ يحتاجها الإنسان لمعرفة وتحديد الأوقات في كل العصور والأزمان، فقد استخدم الفراعنة النجوم لتحديد وقت فيضان نهر النيل، واستخدمها العرب لتحديد مواعيد الزراعة والحصاد والتنقل والسفر في البر والبحر وغير ذلك من الأمور. ويستخدمها الفلكيون في العصر الحالي لتحديد موقع المركبات الفضائية في المجرة، حيث استخدم الفلكيون في "ناسا" نجم "سهيل" المعروف لتحديد موقع مركبة الفضاء الأمريكية "فواياجير-١" في مجرتنا درب التبانة، التي خرجت من المجموعة الشمسية قبل أشهر قليلة.

إن هذا يدل على إعجاز هذه الآيات القرآنية، وان البشر بحاجة للنجوم في كل الأزمان وبغض النظر عن تطورهم العلمي والتكنولوجي، وهذا رد واضح على أولئك الذين يعتقدون أننا لم نعد بحاجة للنجوم، وان المقصود بالآيات يخص فترة نزول القرآن الكريم، هو اعتقاد خاطئ ولا يمت لحقيقة القرآن وعظمته بصلة.



بيت المقدس في أدب عصر الحروب الصليبية

■ بقلم الدكتور عمر الساريسي

سعدت، وسعد معي الكثيرون، بالاستماع إلى الصديق الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، وهو يعرض لأخبار بيت القدس في صفحات الأدب، منذ احتلال الصليبيين لها عام ٤٩٢هـ، إلى أن جاء وقت إخراج الصليبيين منها ومن بلاد الشام، عام ٦٩٢هـ، أقول: سعدت، لأن الباحث الكريم قد ذكر ما أرى أنه يجب أن يذكره في تقليب صفحات الأدب عن مسألة القدس، في تلك العهود.

لقد رصد رصدا علميا جامعا لأغلب ما يستطيع باحث أن يجمعه في عهود الاحتلال والجهاد والتحرير والثبات، وكان بين الحين والحين يبدي التساؤلات المحيرة عن نسب بعض مواقف الناس في بعض تلك العهود. وما أروع ما عرضه من استنتاج حينما ذكر أن جهود المسلمين، جميع المسلمين، قد تعاونت وتتابعت حتى استطاعت أن تقوم بواجبها في تحرير القدس وسائر البلاد من المحتلين، ذكر ذلك حينما ذكر الملك الصالح أيوب، في آخر العهد الأيوبي، استعان بالخوارزمية، وهم مسلمون، كما أن الأسرة الزنكية والأيوبية والمماليك البحرية كلها من المسلمين.

ولقد كان النقاش الذي استتبع هذه المحاضرة الشاملة طيبا، إلا أن المشاهد

لها يقف عند نقطتين:

أولهـا: أن القـدس لم تحـفل بهـا قلوب المسلمين واهتماماتهم كما تفعل الآن. ولا ندري كيف نقبل هذا التفكير ونحن نستمع إلى شـعـراء، وهـم يمدحـون عـمـاد الـدين زنكي، في انتصاراته على الصليبيين قبل تحـرير صـلاح الدين لهـا بأكـثـر من سـتين عـامـا، نسـتـمع إليـهم وهم يـذكـرونه ببـيت المقدس؟ وكذلك فعل الشعراء في مدائحهم لنور الدين بعـده، ولصـــلاح الدين قـبـل تحـريرها. وتحدثنا كتب التاريخ أن تحـرير القدس قد كان الشغل الشاغل لنور الدين، فـقد صنع للمسـجـد الأقـصى منبـرا قـبل تحريره بعشرين عاما، كما أنه أرسل صلاح الدين إلى مـصـر لإخـمـاد الـفـتنة ولطرد الصليـبـيين منهـا، وللإطاحـة بمملكة بيت المقـدس من هنـاك أيضـا. وتحـدثنا هذه الكتب أيضا أن صـلاح الدين كان قد اتفق مع نور الدين على ذلك.

وآخرهما: أن أحوال المسلمين لا تشبـه في هذه الأيام، أحـوالهم فـي زمن الحـروب الصليـبيـة. إنني أقول مع المحـاضـر الكريم حينما قـال: ما أشبه الليلة بالبـارحة، أقول: وأذكر أن نور الدين كان يعمل على تحـرير البـلاد من الصليبيين، وعلى تحـرير نفوس بعض الولاة من عدم الولاء لله، فـقـد قـال لبـــعـــضــــهم: إنـنـي آت إليك أولا لتــجــدد إسـلامك على يدي! ثم بعد ذلك نتفق على ما بعده،.

أقــول ذلك وأذكــر بمقــولـة الجنـرال اللنبي، وهـو يدخل القــدس عـــام ١٩١٧، ويقول: "الآن انتهت الحروب الصليبية". بل إنني أقــول ذلك وأذكــر القـــراء الكرام بتــصــريحــات الدبلومــاسي الأمــريكي- بلوتراك- الأخيرة وقـد نشـرتها الصـحف المحلية منذ مدة قريبة.

❖ هاجس تحرير القدس:

إن من ينظر في التـاريخ الأدبي لمدينة القدس،زمن الاحتلال الصليبي لها، فيما بين (٤٩٢-٥٨٣ هـ). (١٠٩٢-١١٨٧م) يقف على المنزلة الرفيعة التي تحتلها من قلوب المسـلـمـين فـي ذلـك الأوان، وفـي كـل آن، يتـضح ذلك تمام الوضـوح، في مطالعـة مـا قـيل من أشـعـار في الحضّ على تحـريرها من أيدي الفرنجة أولا، وفي قراءة ما نظم منها، أو بعضه، وهو وفير إلى حد كبير، في تصوير أفراح المسلمين حينما كتب الله لهم أن يطردوا منها الأعداء ثانيا.

فمنذ أن حرر عماد الدين زنكي، رحمه الله، إمارة الرها، في شمال سوريا، عام ٥٣٩هـ أهاب به ابن القيسراني، الشاعر المعاصر، أن ينهض لما هو في آمال المسلمين المطمح الأكبر، وهو بيت المقدس:

وأن ينجز العدة الماطل

أما آن أن يزهق الباطل

فإن يك فتح الرها لجة

فساحلها القدس والساحل

فهو يستنجز ما وعد من العمل على تحرير أولى القبلتين، ففتحها سيكون أسهل من فتح الرها، الذي أسماه المؤرخون "فتح الفتوح"، لأنه أول هزيمة يمنى بها الصليبيون المعتدون، منذ بداية غزوهم لبلاد المسلمين، في الشام ومصر، قبل نحو من خمسين عاما. وللهزيمة الأولى على نفوس الأعداء الذين أسكرتهم نشوة النصر المتكرر، ولها على نفوسهم أثر كبير.

وحينما انتصر نور الدين زنكي على صاحب أنطاكية، عام ٥٤٤هـ هنأه هذا الشاعر نفسه، بهذا النصر، وذكره بما ذكر به أباه من قبل:

فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجب

يوليك أقصى المنى، فالقدس مرتقب

وائذن لموجك في تطهير ساحله

فإنما أنت بحر لجة لجب

واللجب هو صوت حركة الجيوش بما فيه من عتاد وناقلات وجنود.

وحينما انتصر أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين، على الفرنجة في مصر، أرسل العماد الكاتب قصيدة كان منها:

أغز الفرنج، فهذا وقت غزوهم

وأحطم جموعهم بالذابل الحطم

وطهر القدس من رجس الصليب وثب

على البغاة، وثوب الأجدال القطم

فملك مصرَ وملك الشام قد نظما

في عقد عز من الإسلام منتظم

والذابل الحطم هو الرمح القاهر، أما الأجدل القطم فهو الصقر المفترس. ولننظر لقوله: فهذا وقت غزوهم، إشارة لا يكاد يوحي بها إلا مستشار عسكري كبير.

بل إن الإغراء بفتح القدس قد أصبح حلما زاهيا، يراه الراغبون فيه نبوءة تحدس بها قلوبهم، ويثقون بها ببصائرهم. فهذا قاضي دمشق، ابن الزكي الشافعي، يتنبأ بفتح القدس في شهر رجب، وقد

صـدقه الله الرؤيا، ولكن بعد أربع سنوات مضت على فتح حلب (٥٧٩) إنه يقول له:

وفتحكم حلبا في الصيف في صفر

قضى لكم فافتتاح القدس في رجب

أما ابن هبـة الله الدمشقي فإنه يدعو صـلاح الدين إلى الجـهـاد وفـتح القـدس بنبرة عالية صريحة:

ولست تعذر في ترك الجهاد، فقـد

أصبحت تملك من مصر إلى حلب

وطهر المسجد الأقصى وحوزتَـــــه

من النجاسات والاشراك والصلب

هذا شيء قليل من كـثيـر، مما قـام به الشـعـراء من حض على الجـهـاد ضـد الأعداء عن ثالث الحرمين الشريفين، أما ما سـجلوه من أفـراح وأشـعـار وانتـصـارات حينمـا قـيّض الله على أيديهم ذلك، فـهـو أكثر من هذا القدر بكثير، حتى تضيق به أبحاث موسعة، ونلتقي فيها جميعا بواحدة فقط يقولها رشيد النابلسي:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر

فليوف الله أقوام بما نذروا

الآن قرت جنوب في مضاجعها

ونام من لم يزل حلفا له السهر

لقد استراح لتحرير القدس الموتى في مـضـاجـعـهم، والأحـيـاء السـاهرون على الأسوار. فهي أمال كانت منتظرة منذ زمن الاحتلال، وكانت تقوم عليها النذور، ومنها صـورة رائعـة للمـسـجـد الأقـصى بعـد التحرير، نرجو أن نمر بها مرة ثانية بعد التحرير:

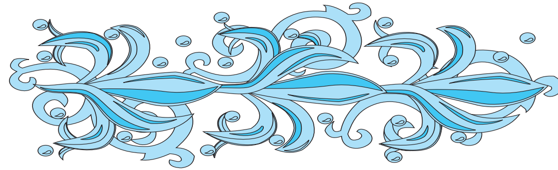
يا بهجة القدس! إذا أضحى به علم

الإسلام من بعد طي، وهو منتشر

يا نور مسجده الأقصى! وقد رفعت

بعد الصليب به، الآيات والسور

إن بيت المقـدس ظل زمن احـتـلالهـا هاجسا مقلقا للتحرير، ثم إنها كانت غاية المنى ومادة النشوة والفرح بعده.



التفوّق في الحياة الدراسية

■ بقلم الدكتور ماجد أحمد المومني

تعتبر الحياة الدراسية عبر مراحلها من الرّوضة الى الجامعة، فترة إعداد وتهيئة للحياة العملية.. ويتخلّل هذا الإعداد وهذه التهيئة الكثير من النشاطات والمهارات والمعلومات، يشترك فيها المعلّم والمتعلّم والبيئة التعليميّة.

والبيئة التعليميّة حقولها واسعة باتساع المعرفة والإمكانات المتاحة لتطوير النظام المدرسي، وغرس القيم والإتجاهات وترجمتها الى واقع ملموس في سلوك المتعلمين وهذا ممكن عن طريق الجوانب التالية:

١ . تهيئة المناخ المدرسي المناسب للأداء التربوي، القائم على النماء والانتماء والتعاون والإيثار وتنمية الميول والقدرات.

٢ . تعريف المتعلّم بكيفية مساهمته بالحفاظ على هذا النظام وتبصيره بأهمية دوره في الحياة الإجتماعية.

٣ . تدريب الطلاب عملياً على المشاركة والعمل التطوعي، من خلال إشتراكهم في أعمال المجتمع المحلي كمواسم قطف الزيتون والحصاد ومكافحة الآفات، والمشاركة بيوم المرور العالمي والمناسبات الوطنية والقومية والعالمية.

٤ . إختيار الكوادر الفنية والتربوية المتطورة والمدرّبة، للتعامل مع المتعلمين

من خلال قدراتهم الجسمية والعقلية والإجتماعية والإنفعالية ومراعاة فروضهم المدرسية.

٥ . تبصير المتعلمين بوسائل عملية إجرائية لتحقيق طموحاتهم في التفوّق والنجاح في حياتهم الدراسية والعملية. وهذا البند الأخير هو موضوع هذا المقال.

❖ الوسائل العملية للتفوق والنجاح:

مع أن العملية التربويّة كلّ متكامل بأطرافها الثلاثة: المعلّم والمتعلّم والبيئة التعليمية.. الاّ أن الوسائل العملية التالية تساعد المتعلّم على التفوق والنجاح سواء في حياته الدّراسية أو في حياته العملية عن طريق ما يلي:

١ . تنظيم وقته بين الدّراسة والمذاكرة والأعمال الإجتماعية وأوقات الفراغ، بإعطاء الوقت الكافي لكل جانب دون أن يطغى جانب على آخر لتحتفظ الحياة برونقها وجمالها ويُسر تكاليفها.

٢ . المشاركة بمجالس الآباء والمعلّمين عن طريق تزويد الآباء والمعلّمين بالمشكلات الواقعية وحسب الأولوية، لتبادر هذه المجالس حلها مع أصحاب العلاقة مستعينة بخبرات المختصين من المجتمع المحلّي.

٣ . إقامة المعارض والمتاحف السّنوية بمهارات طلابية وتوجيهات إشرافية من المعلّمين وتبرعات محليّة لموادّها الاولية من أهل اليُسر والشركات التجارية. مع إبراز الأهداف العامة من هذه المعارض بما يخدم الأمن الوطني والقومي والتراث العالمي والإنساني.

٤ . وضع إمكانات المدرسة تحت تصرّف المجتمع المحلي في حال تعرضه للكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات أو الكوارث العرقية والطائفية والإقليميّة مثل الحروب.. بحيث تفتح المدارس كملاجئ أو مشافي أو أماكن إيواء مؤقتة.

٥ . المذاكرة الجيدة طوال العام الدّراسي **مع التركيز على الأساليب التالية وقت الإمتحانات والإختبارات المدرسية:**

أ- تنظيم الوقت بين المذاكرة والرّاحة والنّوم الكافي وعدم إرهاق الأعصاب بالأوقات الطويلة للدّراسة.

ب- الفهم لمحتوى الدّراسة بعيداً عن البصم الآلي وهذا يتطلّب ما يلي:

١ . القراءة الجيدة لمحتوى الدرس وتقسيمه الى فقرات.

٢ . تحديد العناصر الأساسية ووضع خطوط حمراء تحت هذه العناصر.

٣ . الإجابة عن الأسئلة الخاصة بكل محتوى.. وباختصار.

٤ . وضع ملاحظات عن العناصر التي تحتاج الى متابعة.. بالرّجوع الى المعلم أو المكتبة أو زملاء الدّراسة.

٥ . أن يبدأ الطالب بمذاكرة المواد والعناصر الأقل صعوبة وصولاً الى الأصعب تدريجياً.

٦ . أن يربط بين ما يقرؤه وبين الواقع الحسّي، فحتّى الأشياء المجردة في الرياضيات يمكن ربطها بأشياء حسيّة لدى الطالب تساعده في استذكارها وقت اللزوم.

٧ . الابتعاد عن المذاكرة مثل عقد الاختبار أو الامتحان بنصف ساعة على الأقل، خوفاً من تشابك المعلومات وضياع ما كسبه من مذاكرته للمواد الدراسية.

٨ . أن يبدأ الاجابة بما يعرفه ويترك الصعب الى حين تذكره وكتابة ما يتذكره.

❖ أراء المتفوقين في الامتحانات المدرسية:

من خلال لقاءات مندوبي الصّحافة المحلية مع أوائل الثانوية العامة ولسنوات متلاحقة، تبين لهم عوامل مشتركة تكاد تكون القاسم المشترك الأعظم لأسباب تفوقهم في امتحان الشهادة الثانوية **ومن هذه العوامل:**

١ . التحضير اليومي لمواد الدّراسة بحيث لا تتراكم على الطالب وقت الإمتحان.

٢ . الرّجوع الى معلمي المواد المختلفة لشرح ما صعب عليهم أثناء التحضير المسبق لمادّة الدرس.

٣ . تنظيم الوقت اليومي بين:

- الدوام المدرسي.
- وأوقات المذاكرة والتحضير اليومي.
- والواجبات الإجتماعية والعائلية.
- والنّوم الكافي.

٤ . تهيئة المناخ المناسب للدراسة والمذاكرة من الأسرة.

❖ ملاحظات مراكز البحوث في الجامعات حول موضوع التفوق الدراسي:

أفادت مراكز البحوث في الجامعات الأردنية، أن هناك ارتباطاً قوياً بين المتفوقين في الدراسة الثانوية وبين المتفوقين في الدراسة الجامعية.

وأبانت دراساتهم أن نسبة المتفوقين في المدارس الحكومية، أعلى بكثير ممن يدرسون في المؤسسات الخاصة، مع أن الاعتقاد السائد لدى العامة أن خدمات المدارس الخاصة وعنايتهم بالطلبة أعلى من مثيلاتها في المدارس الحكومية.

وهذا الخطأ الشائع ناتج عن إمكانات المدارس الخاصة وتهيئة وسائط النقل والاستفادة من التقانة الحديثة، ثم إن طلاب هذه المدارس هم من الميسورين من الناحية الاقتصادية والمرموقين في المراكز الحكومية، وبالتالي منهم طلاب مدللون ليسوا من الجدية في المذاكرة والدراسة بالقدر الذي يتمتع به أبناء العامة من الطبقات المتوسطة.

ومن المفارقات العجيبة أن أعداد المتفوقين في الدراسة الثانوية والجامعية هم من الإناث أكثر من الذكور، وعلّل أحد أساتذة كلية التربية هذه الظاهرة إلى أن الإناث أحرص من الذكور في تنظيم أوقات الدراسة والالتزام بالنظام المدرسي وأقل إشكالية من الذكور، وهنّ يحاولن إثبات جدارتهن في شتى حقول المعرفية ليقتنع المجتمع الذي اعتاد على تفضيل الذكور، وأنهن لسن أقل من الذكور جدارة وذكاء.

❖ الاستفادة من التقانة الحديثة في التفوق:

مع انتشار الفضائيات والشبكات العنكبوتية "الانترنت" أصبح تبادل المعلومات متيسراً، كما وأمكن بالوسائل السمعية والبصرية تسجيل المحاضرات في المواد العلمية الصعبة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والاستفادة منها في برامج التلفزيون التربوي، بل ويمكن عن طريقها ربط مراكز البحوث العالمية في الطب والهندسة بهذه الشبكات العنكبوتية.. مما يسهل على الطلاب اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لتخصصاتهم.

ولكن يوجد انعكاسات سلبية مع تقدم العولمة وتطور التقانة، إذ تتسارع بتسارع مراكز "الانترنت" - المقاهي الإلكترونية ومع سهولة التقاط أفلام وبرامج إباحية توقظ الغرائز وتعطل مسارات التفوق الدراسي.

وهذا يتطلب من المربين عناية وإرشاداً ومراقبة، كما يتطلب من ربّ الأسرة توجيه أبنائه لأفضل القنوات وأفضل البرامج التربوية، وأن يشاركهم جلساتهم في مشاهدة هذه البرامج حيث أن الخلوة بهذه البرامج من الأمور التي تستهوي المراهقين وتعيق تفوقهم في الدراسة.

وان السمع والبصر والفؤاد.. كلٌ سيُسألُ عمّا سمعه وشاهده وهوى قلبه إليه واشتهاه.. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد، كُلُّ أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ الإسراء: ٣٦ .

❖ الخلاصة:

النجاح والتفوق - سواء في الحياة الدراسية أو الحياة العملية - له أسبابه وأهمها:

١ . تنظيم الوقت بين الدوام والمذاكرة والحياة الاجتماعية والنوم الكافي بحيث لا يطغى جانب على آخر.

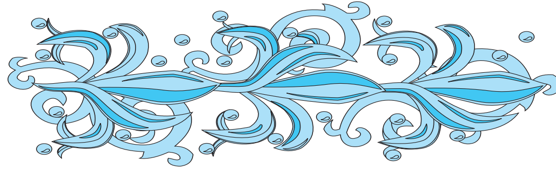
٢ . التحضير اليومي لمواد الدراسة.. ويقابله التخطيط اليومي لشؤون الحياة، في الواقع العملي.

٣ . عدم مخالطة قرناء السوء، سواء في الحياة المدرسية أو الحياة العملية.

٤ . الاستفادة من معطيات التقانة الحديثة للنجاح والتفوق وعدم الانقياد للشهوات والأهواء من هذه المعطيات.

٥ . تهيئة المناخ المناسب للنجاح والتفوق من الأسرة.

هذا وبالله التوفيق



الهَدي

أحكام وشروط وثمرات

■ بقلم الواعظة خولة شحادة

الهدي: هو ما يُهدى إلى الحرم من النعم وغيرها كالطعام واللباس، فالهدي أعم من الأضحية، قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ قال عطاء رحمه الله: شاة[1]، وعنه قال: أدنى ما يهراق من الدماء في الحج أو غيره: شاة[2].

وقال ابن كثير: وقوله: **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾**[3] قال الإمام مالك: عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، أنه كان يقول: **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** شاة، وقال ابن عباس: الهدي من الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والمعز والضأن، وقال الثوري عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** قال: شاة، وكذا قال عطاء، ومجاهد، وطاووس، وأبو العالية، ومحمد بن علي بن الحسين، وعبد الرحمن بن القاسم، والشعبي، والنخعي، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وغيرهم مثل ذلك، وهو مذهب الأئمة الأربعة، تفسير ابن كثير، وقال تعالى: **﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾**.

قال ابن كثير: قال ابن جريج: قال عطاء في قوله: **﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** الحج: ٦٣، قال: البقرة والبعير، وكذا روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري، وقال مجاهد:

وإنما البـدن من الإبل (قُلْت): أمـا إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه، تفسير ابن كثـيـر (٣٧٤/٥)، وقـال عطاء: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ قال: البقرة والبعير(٤).

❖ متى يجب الهدي؟

عن عطاء قال في وجوب دم التمتع إذا رمى الجـمـرة. المغني (٣٥٩/٥)، وقـال عطاء: لا يجب حـتى يقف بعـرفـات(٥)، ومذهب الشافعي في هذه المسألة: هو أن وقت وجوب دم التمتع، هو وقت الإحرام بالحج قال النووي في شرح المهذب: وبه قال أبو حنيفة، وداود.

❖ الحكمة من الهدي والأضاحي:

سئل الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، عَن الحِكمَـةِ في الهَـدْيِ والأضَـاحِي، فقال: شرع الهَدي أن يُهدَى لخيَر البقَاعِ في أَشـرَفِ الأزمَـانِ في أجَلِّ العِـبَـادَات، فَصَـارَ الذبحُ أَحَدَ أَنسَـاكِهَـا الوَاجِـبَـةِ أو المكَمِّلَةِ، وصَـارَ تمامُ ذَلِكَ أَنْ تُسَـاقَ مِنَ الحِلِّ.

وفِيهِ: تَوسِيعٌ عَلَى سُكَّانِ بيتـه الحَرَام، حَيْثُ شَرَعَ لَهُم مِنَ الأرزَاقِ وسَاقَ لَهُم مِن قَدَرِهِ وشَرعِه مَا به يرتَزقُونَ وبهِ يتمتَّعُونَ، إذ قَد تَكَفلَ بأرزَاقِهِم بَرهم وفاجرهم كَما تكفلَ بأرزَاقِ جَميعِ خَلقِه كما في دَعوَةِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومِنَ الحكمَةِ فيهَا: أَنَّها شُكرٌ لنعمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بالتَّوفِيقِ لحج بيته الحَرَام ولهَذَا وَجبتَ في المتعَةِ والقِرَان، وشَمِلَتْ تَوسعَتَهُ، فهي لِلأَغْنِيَاءِ والفُقَرَاءِ لمن ذَبَحَهَا وغَيرهِم، قال تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الحج: ٢٨، ثمَّ إنَّ هَذهِ العِبَادَةَ لم تَختَصّ بحجَّاجِ بيتِهِ الحَرَامِ بَل شَملَتْ مشرُوعيتُهَا جَميعَ المسلمين في هَذهِ الأيّام، فَشَرَعَ لَهُم الأَضَاحِي تَحصِيلاً لِفَوَائِدِ هَذهِ العِبَادَةِ الفَاضِلَة(٦).

❖ شروط الهدي:

عن البـراء بن عـازب قـالَ: قـام فـينا رسـولُ الله ﷺ فـقـال: "أَربَعٌ لا تجـوزُ في الضَّحايا: العوراءُ البَيِّنُ عَوَرُها، والمريضةُ البيِّنُ مرضُها، والعرجاءُ البيِّنُ ظَلَعُها، والكبيرةُ التي لا تُنْقي".

والحـديث دليل على أن هذه الأربعـة العيوب مانعة من صحة التضحية، وسكت عن غـيـرها من العـيـوب، فـذهب أهل الظاهر إلى أنه لا عيب غير هذه الأربعة، وذهب الجـمـهـور إلى أنه يقـاس عليـهـا غيرها مما كان أشد منها أو مساوياً لها كالعمياء ومقطوعة الساق. وقوله: "البين عورها" قال في البحر: إنه يعفى عما إذا

كان الذاهب الثلث فما دونه، وكذا في العرج قال الشافعي: العرجاء إذا تأخرت عن الغنم لأجله فهو بين. وقوله: "ظلعها" أي اعوجاجها.

وعنْ جابر رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: "لا تذبحُوا إلا مُسنّةً إلا أن يَعْسر عليكم فَتَذْبحوا جَذَعةً منَ الضَّأنِ" رواهُ مُسلمٌ.

المسنة: الثنية من كل شيء من الإبل والبقر والغنم فما فوقها كما قدمنا.

والحديث دليل على أنه لا يجزئ الجذع من الضأن في حال من الأحوال إلا عند تعسر المسنة؛ وقد نقل القاضي عياض الإجماع على ذلك، ولكنه غير صحيح لما يأتي، وحكي عن ابن عمر، والزهري أنه لا يجزئ ولو مع التعسر. اهـ. المسائل التي حلف عليها أحمد.

قال العلماء: المسنة هي: الثنية من كل شيء من الإبل والبقر والغنم، فما فوقها وهذا تصريح بأنه لا يجوز الجذع من غير الضأن في حال من الأحوال، وهذا مجمع عليه على ما نقله القاضي عياض. وقال الإمام أحمد: وشروطها أربعة: أن تكون سليمة غير مريضة، ولا عوراء، ولا عرجاء، ولا مسنة أي كبيرة. وقال عطاء بن أبي رباح في العيوب الأربعة: العوراء والعرجاء والمريضة والكسيرة قال: أمّا الذي سمعناه فالأربع وكلُّ شيء سواهنَّ جائز.

❖ الاشتراك في الهدي[٧]:

يجوز اشتراك سبعة أشخاص في البدنة وسبعة في البقرة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قالَ: "نحرْنا معَ رسولِ اللهَ ﷺ في الحديبيةِ البَدَنَةَ عن سبعة والبقرَةَ عنْ سبْعةٍ"[٨].

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: يجزئ الناقة والبقرة عن سبعة متمتعين، المحلى (٣٦٨/٧)، وعن هشام عن الحسن وعطاء أنهما كانا لا يريان بأسا بالمتمتع أن يدخل في شرك في جزور أو بقرة .المصنف لابن أبي شيبة (١٣٥/٣).

قال النووي: سواء كانوا مجتمعين أو متفرقين مفترضين أو متطوّعين، أو بعضهم متقرّباً وبعضهم طالب لحم، وبه قال أحمد، وذهب مالك: إلى أنه لا يجوز الاشتراك في الهدي إلا في هدي التطوّع، وهدي الإحصار عندي من هدي التطوّع، ويستحب للمضحي أن يتصدق وأن يأكل، واستحب كثير من العلماء أن يقسمها أثلاثاً، ثلثاً للادخار وثلثاً للصدقة وثلثاً للأكل لقوله ﷺ: "كلوا وتصدّقوا وادّخروا" أخرجه الترمذي بلفظ "كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتسع ذو

الطول على من لا طول له، فكلوا مـا بدا لكم وتصـدّقـوا وادخـروا" ولعل الظاهـرية توجب التجزئة. وقال عبد الوهاب: أوجب قوم الأكل وليس بواجب في المذهب.

❖ إن قدم قبل العشر نحر الهدي:

قال عطاء: إذا قدم المتمتع قبل العشـر طاف وسـعى ونحـر هديه، وإن قـدم في العشر لم ينحر إلا يوم النحر(٩).

وثبت هذا عن الإمـام أحـمـد، وقـال مـالك: من أهدى هدياً للعـمـرة وهو ممن تمتع بالعـمـرة إلى الحج، لم يجـز ذلك عنه ولكنه ينحـره ويهدي هـدياً آخر لمتعته، إنما يصيـر متمتعاً إذا حل من عمـرته، ثم إذا أنشأ الحج حينئذ يجب عليه الهدي. قال أبو بكر بن المنذر: قول مالك صحيح. كتاب الإشراف لابن المنذر (٣/٣٥٢)، وعنه قال: لا يجـزئ هدي المتعـة إلا بعـد الوقـوف بعرفات، المحلى (٥/١٤٤).

قال ابن قدامة: وإن قدم قبل العشـر نحر الهدي، وهذا يدل على أن المتمتع إذا قدم قبل العشر حل وإن كان معه هدي، وإن قـدم في العـشـر لم يحل، وهذا قـول عطاء رواه حنبل في المناسك، وقال فيمن لبد أو ضفر: هو بمنزلة من ساق الهدي، لحديث حفصة والرواية الأولى لما فيها من الحـديث الصـحـيح الصـريح. وهو أولى بالاتبـاع. المغني على مـخـتـصـر الخـرقي (٣/٢٦٢).

❖ في المحرم يذبح:

قـال عطاء بن أبي رباح: لا بأس أن يذبح المحرم ما ليس بصيد، المصنف ابن أبي شيبة(٣/٣١٣)، إذا دخل مكة ومعه الهدي(١٠)، قال عطاء: إن قدم في العشر لم ينحره حتى ينحره بمنى.

قال أبو طالب: سمعت أحمد قال في الرجل: يدخل مكة في شوال، ومعه هدي قال: ينحـر بمكة، وإن قدم قبل العشـر ينحره لا يضيع أو يموت أو يسرق، وكذلك قال عطاء: وإن قدم في العشر لم ينحره حتى ينحره بمنى، لأن النَّبي ﷺ وأصحابه قدموا في العشر، فلم ينحروا، حتى نحروا بمنى، ومن جاء قبل ذلك نحره عن عمرته، وأقام على إحرامه، وكان قارناً انتهى محل الغرض منه(١١).

قال ابن قدامة: فصل: فأما من معه هدي فليس له أن يتـحلل لكن يقـيم على إحـرامـه ويدخل الحج على العـمـرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً نص عليه أحمد، وهو قول أبي حنيفة، وقال مالك والشافعي في قول: له التحلل ونحر هديه، ويستحب نحره عند المروة، وكلام الخرقي يحتمله لإطلاقه(١٢).

❖ **الذبح يوم النحر وأيام التشريق:**

وقت الذبح يوم العيد بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق، والوقت يتعلق به في بدايته ونهايته، أما بداية الذبح لأهل الأمصار تكون بعد صلاة الإمام، لما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: "من ذبح قبل الصلاة فليعد مكانها أُخرى ومن لم يذبح فليذبح".

قوله ﷺ: "من صلى صلاتنا ونسك نُسكنا فقد أصاب النسك ومن ذبح قبل ذلك فشاته شاة لحم"، أما غير أهل الأمصار كأهل القرى الذين لا تصلَ فيهم صلاة العيد، فيبدأ الذبح عندهم بمقدار وقت الصلاة، يعني المقدار الذي تمضي فيه وقت الصلاة ثم يحل لهم الذبح بعد ذلك.

فالذبح يمتد إلى آخر أيام التشريق لأن النبي ﷺ قال: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى» وكذلك ورد عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** قال: هذه الأيام المعلومات هي يوم النحر وثلاثة أيام بعده. ومذهب عطاء بن أبي رباح في أيام النحر: يوم النحر، وثلاثة أيام بعده[١٣] وقال: الذبح أيام منى كلها[١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولهذا صارت السنة أن أهل منى يرمون ثم يذبحون، والرمي لهم بمنزلة صلاة العيد لغيرهم، وليس بمنى صلاة عيد ولا جمعة، ولهذا صار المسلمون بمنى يرمون، ثم يذبحون النسك، إتباعاً لسنته[١٥].

❖ **أين ينحر هديه:**

عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: المنحر بمكة ولكنها نزهت عن الدماء، قال: قلت لعطاء: أين تنحر أنت؟ قال: في رحلي، المصنف لابن أبي شيبة(٤١٧/٣)، وعن حجاج قال: قلت لعطاء: أين أنحر هديي بأعلى مكة أو في أسفلها؟ قال: نعم، قلت: بالابطح؟ قال: نعم، قلت: في بيتي؟ قال: نعم. المصنف لابن أبي شيبة (٤١٨/٣)، وعن هشام عن عطاء قال: تنحر البدنة حيث تيسر عليه من منى[١٦]، وعن ابن جريج عن عطاء قال: النحر حيث ينحر الإمام[١٧]، وقال الإمام أحمد في قوله: **﴿والهدي معكوفا أن يبلغ محله﴾** قال: حتى يبلغ الحرم[١٨].

❖ **عقل البدن وكيف نحرها:**

عن ابن جريج عن عطاء قال: إن شاء قياماً، وإن شاء باركة[١٩]، وعن حجاج عن عطاء أن ابن عمر كان ينحرها شابا قياما

، فلما كبر نحرها وهي باركة[٢٠]، وعن ابن جريج عن عطاء قال: ينزع جلالها لا تتمرغ فيه، يعني البدن، أي إن قصها أو قطعها، لا تتمرغ فيه: أي عند ذبحها[٢١].

قلت: وإضجاعها ووضع القدم على صفحتها مما أخرجه الشيخان، وأما الإبل فالسنة أن ينحرها وهي قائمة معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها صحيح أبي داود(١٥٥٠) وفيه بعده شاهد من حديث ابن عمر نحوه أخرجه الشيخان. ووجهها قبل القبلة رواه مالك بسند صحيح عن ابن عمر موقوفا وعلقه البخاري بصيغة الجزم رقم (٣٣٠) من مختصر للبخاري. اللهم إن هذا منك ولك، اللهم تقبل مني، ويقول عند الذبح أو النحر: بسم الله والله أكبر[٢٢].

قال أبو بكر بن المنذر: يستحب أن يستقبل لها القبلة، ولا يحرم إذا ذبحت لغير القبلة[٢٣].

❖ هل المرأة تنحر:

عن ابن جريج عن عطاء أن امرأة سألته قالت: إن زوجي يأمرني أن أنحر! قال: أطيعي زوجك، تاريخ جرجان (ص٣٣١).

❖ الأكل من الهدي:

عن ابن جريج عن جابر قال: كنا لا نأكل من البدن إلا أيام منى، فرخص لنا رسول الله ﷺ فقال:" كلوا وزودوا" فأكلنا وتزودنا، قال: قلنا لعطاء: أتراه رخص هدي المتعة وحده؟ قال: لا ولكن لا أراه إلا الهديَ كلَّه[٢٤].

الهوامش:

١- تفسير الطبري (٢/٢١٧) .

٢- كتاب الأم للشافعي (٢/١٣٩) .

٣- سورة البقرة الآية (١٩٦).

٤- تفسير الطبري (١٧/١١٨) .

٥- المجموع (٧/١٨٥)، المغني (٣/٣٥٩) .

٦- إرشاد أولي الأبصار والألباب لنيل الفقه بأيسر الطرق والأسباب (ص١١٤).

٧- وتجزئ الشاة عن واحد، والبدنة والبقرة عن سبعة، هذا هو الاشتراك في الأضحية وهو على قسمين: القسم الأول: اشتراك ملك، القسم الثاني: اشتراك ثواب، أما اشتراك الملك فلا تجزئ الشاة إلا عن واحد، وأما الإبل والبقر فتجزئ عن سبعة لحديث جابر: ((إنهم كانوا ينحرون الإبل عن سبعة والبقر عن سبعة))، وأما تشريك الثواب وهو أن يشرك أحداً معه في ثواب أضحيته فهذا لا حد له لا في الإبل ولا في الغنم ولا في البقر لأن الرسول ﷺ ذبح كبشاً فقال: ((اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي)) وقال: ((اللهم هذا عن محمد وآل محمد وعن أمة محمد)) وهو كبش عن هؤلاء جميعاً فهذا تشريك في الثواب.

٨- رواهُ مُسلمٌ في الحج برقم (١٣١٨) .

٩- المغني (٢٤٢/٥و٣٥٩)، الاستذكار(١٠٣/٤)،التمهيد (٣٥٢/٨) .

١٠- عن جابر بن عبدالله قال: «أهلَّ النبي هو وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم النبي وطلحة، وقدم علي من اليمن ومعه هدي، فقال: أهللت بما أهل به النبي ..» الحديث رواه البخاري برقم (١٥٦٨).

١١- أضواء البيان، تفسير سورة الحج .

١٢- المغني على مختصر الخرقي (٢٦٢/٣) .

١٣- تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٥)، التمهيد (١٩٦/٢٣)، الاستذكار (٢٤٥/٥) .

١٤- الاستذكار (٢٤٦/٥)، السنن الكبرى (٢٣٩/٥).

١٥- مجموع الفتاوى (٣٢٠/٢٧).

١٦- المصنف لابن أبي شيبة (٤١٧/٣).

١٧- أخبار مكة للفاكهي (٢٧٦/٤).

١٨- المسائل التي حلف عليها أحمد .

١٩- المصنف لابن أبي شيبة (٤٢٨/٣)، قال القرطبي (٦٢/١٢): وشذَّ عطاء وخالف فاستحب نحرها باركة، والصحيح ما عليه الجمهور، وكذا نقله ابن قدامة في المغني (٢٩٨/٥)، والنص عن عطاء إنما دل على التخيير .

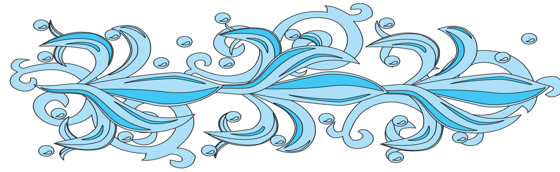
٢٠- قال الله: **﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾** قال القرطبي: عن ابن أبي ذئب أنه سأل ابن شهاب عن الصواف فقال: تقيدها ثم تصفها . وقال لي مالك بن أنس مثله. وكافة العلماء على استحباب ذلك.

٢١- المصنف لابن أبي شيبة (٢١٧/٣) .

٢٢- مناسك الحج والعمرة .

٢٣- كتاب الإشراف لابن المنذر (٣٣٩/٣)، دار المدينة .

٢٤- المصنف لابن أبي شيبة (٤١٤/٣).



﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾

■ بقلم الاستاذ محمد خيري

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ التوبة: ٣٦ .

الأشهر الحرم اختارها الله جل وعلا من بين الأشهر كلها، وكل مؤمن بالله واليوم الآخر يُعَظِّم ما عظم الله ويعظم شعائر الله، تقرباً اليه وخوفاً من عقابه ورجاء في رحمته جل وعلا، ومن علمه ربه أتم عليه النعمة إذا رزقه العمل، فَعَلَّمَنا الله عز وجل أن عدة الشهور عنده اثنا عشر شهراً في كتابه يوم خلق السموات والأرض منها الأربعة الحرم، فجاءت السُّنة المطهرة وبينتها، قال رسول الله ﷺ: "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مُضَر الذي بين جمادى وشعبان".

فقد كانت الأشهر الحرم معظمة في شريعة إبراهيم عليه السلام، واستمر ذلك باقياً، فكان العرب قبل الإسلام يعظمونها، ويحرمون القتال فيها، إلى أن ابتدع مبتدعهم النسيء فكانوا ينسئون الشهر الحرام (يؤخرونه عن موعده)، حين تعجلهم الحاجة إلى الغزو. قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ في الكفر يُضَلُّ به الَّذين كفروا يُحِلُّونَهُ عامًا ويحرمونَهُ عامًا﴾**

التوبة: ٣٧، وقد بقيت لهذه الأشهر حرمتها في الإسلام، فنهي المسلمون عن انتهاكها.

وهذه الأشهر الحُرُم يوضع فيها القتال ـ إلا ردًا للعدوان ـ وتُضاعف فيه الحسنةُ. وذهب الشافعي وكثير من العلماء إلى تغليظِ ديةِ القتيلِ في الأشهر الحُرُم.

فالمعصية فيها مغلظة تدريبًا للنفوس على ترك المعاصي فيما سواها، وهي من مواقيت العبادة فمن لم يعزم الحج فيها، فلا أقل من أن يترك المعصية.

وجاء في كتب التفسير عند قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ التوبة: ٣٦، قال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحُرُم أعظم خطيئةٍ ووزر من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: "إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رُسلا ومن الناس رُسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجدَ، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهرَ الحرم، واصطفى من الأيام يومَ الجمعةِ، واصطفى من الليالي ليلةَ القدرِ فعَظِّموا ما عظَّم الله.

❖ الظلم ثلاثة أقسام:

- ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الشرك بالله.
- ظلم بينه وبين الناس.
- ظلم بينه و بين نفسه .

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان أول ما يَهُمّ بالظلم فقد ظلم نفسه.

❖ استغلال هذه الأشهر من خلال الأمور التالية:

- عقد العزم الصادق بالتوبة و الإنابة إلى الله و الهمة العالية على اغتنام هذه الأشهر بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه.
- اغتنام هذه الفرصة لتزكية نفسك و تعويدها على الطاعة.
- إستشعار رقابة الله عز وجل و التفكير في معاني أسمائه الحسنى (السميع، البصير، الشهيد، المحيط، الرقيب).
- المسارعة في تصحيح السير إلى الله وتحمل الصعاب والمشاق والصبر على ذلك، ومن ثم تصحيح السلوك والتعامل مع الناس.
- استحضار حرمة هذه الأشهر وتعظيمها، فإن تعظيمها من تعظيم الله عز وجل فقد قال تعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** الحج: ٣٢ .

خطوات على طريق الحج

■ بقلم الطالبة سمية ابراهيم

كل مسلم حريص على أداء فريضة الحج، لكونها ركناً من اركان الاسلام، ولما فيها من فوائد عظيمة، وآثار كثيرة، تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات، فالحج سبيل التقوى، وبه النجاة من النار، ولزوم أعمال الخير والبر، وهناك أمور يجب على الحاج أن يتنبه لها قبل الحج، لأنها من أسباب موانع قبول الحج والدعاء، ومن أسباب عدم قبول العمل الصالح، وسأذكر للحاج الكريم، شيئاً من تلك الأمور، حتى يدرك خطر فعلها، وعظيم جرمها، فيبتعد عنها، ويقبل له حجه، ويرفع له عمله، ويقبل منه دعاؤه.

أولاً: لا بد من إعلان التوبة؛ وليكن التجديد كاملاً؛ فإن الإقبال على الله عز وجل لا بد أن تكون له أمارات الإخلاص والصدق بإذن الله عز وجل.

ثانياً: لا بد من تحقق النية الخالصة لله تعالى؛ ما الذي حركك لتنفق الأموال ولتقطع المسافات ولتتحمل المشاق؟ إنك إن فعلت ذلك كله من غير أن يكون في سويداء قلبك التعلق بالله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، فاعلم أنك ما صنعت شيئاً غير أن أرهقت نفسك، وأذهبت مالك، ثم فقدت أجرك، بل ربما رجعت مأزوراً غير مأجور.

لا بد أن تجعل قصدك وجه الله سبحانه، وطلبك الآخرة، وبغيتك الجنة.. **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** القصص: ٧٧ .

وابتغي وجه الله في كل أمرٍ من الأمور صغيراً كان أو كبيراً، والله عز وجل قد قال كما في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه). وهذا فيه حسنُ استقبالٍ، وتهيأ ينبغي أن يكون من المسلم في مثل هذا الأمر العظيم.

ثالثاً: لا بد أن تحرص أيها الحاج على الرفقة الصالحة التي تذكرك إذا نسيت، وتعينك إذا ذكرت، وتعلمك إذا جهلت، وتقوّيك إذا ضعفت، وتساعدك إذا عجزت.

إنه لا بد لنا أن نعلم أن الأسباب التي نبذلها في أمور حياتنا الدنيا، ينبغي أن نبذل لها أضعافاً مضاعفةً في أمور الدين والآخرة، إن الناس إذا أرادوا سفراً بحثوا عن رفيق الطريق قبل أن ينشؤا سفرهم .. بحثوا عمن يعرفوا تلك البلاد وأخبارها وأسرارها، حتى يكون عوناً لهم على الوصول إلى مرادهم وتحقيق مبتغاهم.

لا بد لك أخي الحاج في موسم الخير وفي فريضةٍ من فرائض الله، أن تصحب الأخيار الذين عندهم فقه في الدين، وتحرِي لسنة النبي الكريم ﷺ حتى يحصل لك التكامل في التعبد، وحتى يحصل لك العون على التزود؛ فإن بعض الناس يؤدي المناسك، وينسى أن كثيراً من الوقت ينبغي أن يشغل في كثيرٍ من الطاعات، وهذه الصحبة تعين على مثل هذا، والنبي ﷺ أخر حجه حتى يتهيأ حشد كبير، وجمعٌ عظيم، يتشرفون بصحبة النبي ﷺ وينظرون إليه ويتأسون به، كما أخبر جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لهم: (لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أراكم بعد عامي هذا).

لقد أراد أن يكون قدوة لهم، وأن يكون الصحابة صحبة صالحة، تتعاون على الخير، وعلى الطاعة، وعلى الفقه في الدين، فالزم اخوةً صالحين يعينونك على أداء الفريضة.

رابعاً: لا بد أن تعلم أن العبادة في الإسلام حقيقة لا مظهر؛ ولذلك ينبغي لك أن تكثر في موسم الطاعات، وفي موسم تكفير السيئات من الاستغلال والاغتنام الكامل للأوقات.

وهذا يحصل به الشمول في العبادة فعندما تكون في البقاع المقدسة وفي الاشهر الحرم وفي هذه الفريضة القائمة،

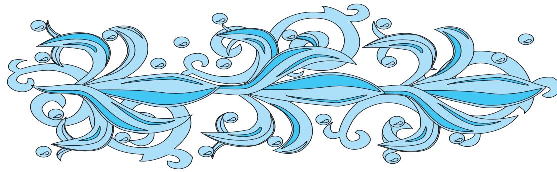
ينبغي لك أن تجعل كل لحظة من اللحظات عبادة وطاعة لله عز وجل، كما ينبغي أن ينشغل اللسان بالذكر والاستغفار، وتلاوة القرآن، وأن ينشغل القلب بمزيدٍ من الخشية لله عز وجل واستحضار هول المحشر، وجمع الناس يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ينبغي أن لا تضيع وقتاً إلا وفيه طاعةٌ لله عز وجل، ولا تفعل أخي الحاج كما يفعل بعض الناس، يرمي الجمرات ثم يلغو بلسانه، و يلهو بجوارحه، ويسرح طرفه وبصره، ويفعل المكروهات.

عجباً، كيف يجمع مسلم في هذه الأماكن المقدسة والأيام المعظمة والفريضة الواجبة؟ كيف يجمع بين هذا وبين هذه الأمور التي لا تليق بالمسلم في أي مكان وفي أي زمان فضلاً عن هذه الأماكن والأزمنة المقدسة، والموسم العظيم الذي ينبغي أن يكون لله رب العالمين.

اجعل كل وقتك له عملٌ صالحٌ من تلاوةٍ أو ذكرٍ، أو مراجعةٍ أو خيرٍ، أو إطعامِ الطعام، أو إعانةِ للحجاج.

تقبل الله حجك ورزقك عوداً حميداً وعملاً متقبلاً والحمد لله رب العالمين.



فضيلة التواضع ومنزلته

■ بقلم الشيخ عبد الرحيم نصر ابو عبيد

التواضع صفة طيبة وخلق كريم حث عليه رسول الله ﷺ، فقد جاء في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ان الله اوحى الي ان تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد».

والتواضع المطلوب هو التواضع الذي لا يؤدي الى منقصة ولا مذلة، يقول المصطفى ﷺ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسألة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط اهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله» رواه الطبراني ورواته ثقات.

فالرجل اذا كان من وجهاء الناس، لم يكن من التواضع ان يجلس على الأرض في عرض الطريق متواضعاً، بل يجلس في مكان لا يلام على الجلوس فيه، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه فأنزلها منزلتها اللائقة بها من غير تكبر ولا غرور.

والتواضع ان لا يرى الانسان لنفسه فضلاً على غيره، ومع ذلك ينبغي عليه ان يأخذ وضعه وان يؤدي وظيفته في حدود ما امر الله به، وان تطلب منه ذل ان يكون عظيماً في مظهره انيقاً في زينته، رقيقاً في مشاعره يتكلم بما يناسب الوجهاء من الناس مع الاحتفاظ بتواضعه ما امكن.

فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه زار معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما في الشام حين كان والياً عليها فاستقبله معاوية بالخيل المسومة ذات السروج المزينة والحرس عن يمينه وشماله وامامه وخلفه، في موكب لا يكون الا للملوك فأبى عمر رضي الله عنه ان يكلمه، فقال له عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين اتعبت الرجل يكلمك ولا تكلمه، فقال عمر: يا معاوية ما هذا الذي أرى؟ فقال معاوية: يا أمير المؤمنين انني في بلاد لا يسمع اهلها ولا يطيعون الوالي الا اذا كان بهذه الأبهة، فسكت عمر ثم قال: حيلة لبيب او خدعة أريب فأنت وذاك لا آمرك ولا أنهاك، فقد عذره في هذا ووكله لنيته، وكان معاوية من أحكم الناس وأشدهم تواضعاً ولا ندري هل كان يفعل ذلك سياسة ام كان هذا جبلة فيه؟.

والتواضع ترجمة صادقة للعبودية الخالصة لله عز وجل، ودليل قاطع على معرفة الانسان بنفسه ومعرفة منزلته من خالقه، وقد قيل: من عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فقد شهد له بالجلال والجمال والكمال، وشهد على نفسه بالعبودية الخالصة مع تمام الافتقار اليه واسلام القلب له تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى: **﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ❖ لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾** الأنعام: ١٦٢-١٦٣، فروح العبودية في تواضع العبد لخالقه ومولاه، بحيث لا يرى لنفسه فضلاً في طاعة ولا حقاً في ثواب.

ولكن كيف يتواضع العبد لله أولاً وكيف يكبح جماح نفسه عن الكبر؟ والجواب ان ذلك يتم في أربعة أمور:

أولاً: النظر الى مبدأ خلقه فإن النظر الى مبدأ الخلق، يصل العبد بخالقه ويشعره بنعمة وجوده ويريه في نفسه آيات قدرة خالقه ومولاه، يقول تعالى: **﴿فلينظر الانسان مم خلق ❖ خلق من ماء دافق ❖ يخرج من بين الصلب والترائب﴾** الطارق: ٥-٧، وقال تعالى: **﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ❖ ثم جعل نسله من ماء مهين﴾** السجدة: ٧-٨ .

فإذا فكر الانسان وتدبر هذه الآيات، عرف انه صفر لا يساوي شيئاً لكنه بفضل الله تعالى يكون شيئاً مذكوراً وعندئذ يزول من نفسه كل أثر للكبر والغرور.

ثانياً: النظر الى مصيره ومستقره وماذا قدّم لنفسه من عمل صالح؟

فهو من التراب والى التراب يعود، والموت أقرب اليه من شراك نعله، وبعده تتساوى الرؤوس ويتخلى عنه اهله ويعودون ويقتسمون امواله التي سيسأل عنها.

قال مالك بن دينار:

أتيت المقابر ناديتهـا

اين المعظَّم والمفتخـر

اين المذل بسلطانـه

اين المزكي اذا ما حضر

اين الملبي اذا ما دعا

اين العزيز اذا ما امـر

قـال ابن دينار: قلت هذا فـسـمعت من يقول ولم أر شيئاً:

تفانوا جميعاً فلا مخبر

وماتوا جميعاً وهذا الخبر

تروح وتغدوا بنات الثرى

فتمحوا محاسن تلك الصور

وقد قلد القوم اعمالهم

فإما نعيم وإما سقـر

وساروا جميعاً الى ملك قادر

عزيز مطاع اذا ما أمـر

فيا سائلي عن أناس مضوا

اما لك فيمن مضى معتبر

اذا عرف الانسان ذلك المصير المحتوم، تهون عليه الدنيا بما فيها فلا يُسعده شيء من حطامها، ولا يعتز الا بافتقاره لله والتواضع لعظمته.

ثالثا: النظر فيما اعده الله للمتواضعين وما اعده للمتكبرين، فإنه لو أمعن النظر في الأجر العظيم الذي يحصل عليه المتواضع في دنياه وآخرته، ما سره في حياته كلها الا ان ينسى انه شيء يستحق الذكر، وبهذا يعظم شأنه عند الله عز وجل فمن تواضع لله رفعه، قال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلاً بعفو الا عزاً، وما تواضع احد لله الا رفعه الله» رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه.

اما ما وعد الله به المتواضعين من منزلة، فيكفي ان نعلم ان الله عز وجل اضافهم اليه تشريفاً لهم وتكريماً فقال تعالى: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾** الفرقان: ٦٣ .

وصفة العبودية لله هي من اعظم الصفات التي يتصف بها الانسان وقد وصفها الله تعالى لخير خلقه محمد ﷺ فقال تعالى: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾** الاسراء: ١ .

اما المتكبرون فحسبنا ان نعلم انهم شرار الخلق في الدنيا والآخرة، فقد

ابغضهم الله سبحانه وبغّض فيهم خلقه ولعنهم لعناً كبيراً وحرّم عليهم دخول الجنة، قال تعالى: **﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾** الأعراف: ١٤٦-١٤٧ .

وروى الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان رسول الله ﷺ قال: «من تواضع لأخيه المسلم، رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله»، وروى مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال ﷺ: «ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» (بطر الحق: دفعه ورده، وغمط الناس: احتقارهم).

رابعاً: الاكثار من ذكر الله عز وجل، فإن الاكثار من ذكره تعالى يطرد عن الذاكر شبح الغفلة ويزيل عن صدره ظلمة الوحشة، ويجعل قلبه مؤهلاً لقبول الايمان الصحيح، فإن من ذهبت عنه الغفلة والظلمة والقسوة، عرف الله بأوصافه الكمالية فتواضع لعظمته كل التواضع مهما اوتي من عظائم النعم وطيبات الحياة.

بهذه الأمور الأربعة السابقة يتواضع العبد لله تعالى، أما التواضع للناس فهو في الحقيقة تواضع لله لأن العبد حين يتواضع للناس، لا يقصد منهم ان يحمدوه على هذا التواضع، لأنه لو قصد ذلك لكان مرائياً، والرياء مفسد للعمل، ولكن كيف يستطيع ان يتواضع للناس من غير مذلة ولا منقصة؟ وذلك بأن يلتزم مع الامور الأربعة السابقة اربعة أخرى معها وهي:

أولاً: ان يتجرد من أثرته وأنانيته وحبه لذاته، وان الناس للناس بعضهم لبعض خدم، ولا يستغني أحدهم عن غيره وان الناس مهما تفاوتت انسابهم، فكلهم لآدم وآدم من تراب، وان الدنيا زائلة ومتاعها قليل والخير في التعاون على البر والتقوى، وان الانسان مدني بالطبع لا يستطيع ان يعيش بمعزل عن ابناء جنسه، فإذا ما عرف هذه الحقائق كلها لم يسعه الا ان يخفض جناحه لأخيه فلا يتعالى عليه، اذ لا مكان للتعالي وهم جميعاً فقراء الى الله تعالى.

ثانياً: ان يجعل نصب عينيه ما كان عليه النبي ﷺ من خُلق فاضل وكمال وافر وتواضع جم مع سمو منزلته ﷺ في العالمين، فيقتدي به في عاداته وعباداته وسلوكه كله، فقد كان ﷺ يجالس الفقراء والمساكين ويرعى شؤونهم ويخدمهم بنفسه ويواسيهم بماله ويشاركهم في أفراحهم

وأحزانهم، وكان ﷺ يحمل متاعه بنفسه ويُسلم على الصغار، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون به في ذلك كله.

ثالثاً: ان يتعلم المرء أصول الأخلاق من القرآن والسنة ليبني عليها كل شؤون حياته.

رابعاً: ان يكون بعيداً عن المؤثرات الخارجية والتقليد الأعمى، بمعنى انه اذا اراد ان يتواضع لا يتكلف في تواضعه ليحاكي الآخرين من غير وعي ولا إدراك.

ولنعلم بأن التواضع انما يصدق اذا كان عن قدرة، اما ان كان عن رهبة او ذلة فلا يكون هذا من التواضع في شيء بل هو هوان فوق هوان.

والتواضع يرتبط بثلاث فضائل هي:

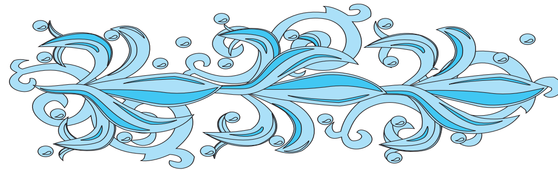
١- صدق الانسان مع نفسه، فمعرفة الانسان لنفسه تجعله يدرك ما في نفسه من عيوب ونقائص، فيتواضع ولا يستكبر على الناس.

٢- ينطوي التواضع على مبدأ التنظيم والاعتدال، لأن العدل يعطي كل ذي حق حقه، والتواضع يناضل ضد الكبرياء والأنانية.

٣- الشجاعة ضرورة في كل لحظة لدى المتواضع، ليتغلب على أنانيته وحبه لنفسه.

عن ابي بكر رضي الله عنه قال: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع، وعن ابي الفتح بن شخرف قال: رأيت علياً رضي الله عنه في المنام فقلت له: يا ابا الحسن عظني، فقال لي: ما أحسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل.

جعلني الله وإياكم من المتواضعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



الإصلاح الاجتماعي ودرء مظاهر الفساد

■ بقلم الأستاذ عبد الله محمد أبو زيد

إن التطرف يمثل تحديا خطيرا، في كل ركن من أركان المعمورة، يتعين على الجميع أن يواجهوه متكاتفين، للحيلولة دون حدوث مخاطر وخيمة العواقب، فإذا تم تحصين المجتمعات ضد هذا الفكر، فإن هذا سيؤدي إلى سيادة الفكر الوسطي في كافة المجالات، ويتم الإصلاح من خلال التوعية الوطنية، والأمنية، والعدالة الاجتماعية، ودرء مظاهر الفساد.

التوعية الوطنية: تعتبر التوعية الوطنية الحصن الحصين في مواجهة الأفكار الهدامة، والانحرافات الفكرية، التي تؤثر على الناس في بلادنا، وحينما يتعرض وطننا العزيز إلى الاعتداءات، فإن هذا الأمر يتطلب إجراءات وخطوات ضرورية تصب في مصلحة أمننا الديني والوطني، ويقصد بالتوعية الوطنية تحصين الفرد، تحصينا فكريا صحيحا وفق العقيدة الإسلامية، من التيارات والاتجاهات المنحرفة التي تخلق في المجتمع حالة من الفوضى والاضطراب.

ويمكن تعزيز التوعية الوطنية من خلال الإجراءات الآتية:

أولا: تربية المواطن على احترام الحقوق العامة للمجتمع على الفرد، التي نادي بها الإسلام، والتي تحقق الأمن والاستقرار فيه.

ثانيا: غرس القيم والمبادئ الإسلامية

لدى المواطنين، كإتقان العمل والمحافظة على الأسرار العسكرية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والسلوكيات المعوجة، كالتعدي على الأموال العامة والخاصة، وترديد الإشاعات المغرضة.

ثالثا: إشاعة روح المحبة والتعاون بين المواطنين، وتحذيرهم من الاختلافات التي تسبب الفرقة والبغضاء والتشاحن، قال الله تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** المائدة: ٢ .

رابعا: إبراز الفكر الوسطي المعتدل، والتحذير من التيارات الفكرية، التي تتبنى الغلو والتطرف منهجا وسلوكا، قال الله تعالى: **﴿ادع إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحكمة وَالْمَوْعِظَةِ الحسنة﴾** النحل: ١٢٥ .

ويقول الرسول ﷺ: (يَسِّروا ولا تُعَسِّروا وبَشِّروا ولا تَنفّروا) (متفق عليه: البخاري، كتاب العلم، ومسلم: كتاب الجهاد والسير)، ويتم من خلال:

١- الاقتصار على مصادر التلقي الصحيحة، والتحذير من مصادر التلقي المشبوهة.

٢- احترام العلماء وتقديرهم، والالتفاف حولهم، والرجوع إليهم في الأمور كلها، قال الله تعالى: **﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** النحل: ٤٣ .

٣- ترسيخ مبدأ الحوار الهادف، والسماع للآخرين واحترام آرائهم، بقصد الوصول إلى الحق، قال الله تعالى: **﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** النحل: ١٢٥، إن إبراز الفكر الإسلامي الوسطي، البعيد كل البعد عن الغلو والتطرف والتشدد، سوف يؤدي في النهاية إلى توعية المواطنين ويجعلهم أفرادا صالحين، يخدمون مجتمعهم و أمتهم، ويعملون من أجل بناء هذا الوطن الغالي علينا جميعا.

٤- تكثيف المحاضرات والندوات، لمناقشة المسائل العلمية، التي تخفى على الكثير من الناس، ومن ذلك فقه كيفية إنكار المنكر، والموازنة بين المصالح والمفاسد، ومقاصد الشريعة، ونعمة الأمن، وطاعة ولي الأمر، وغيرها.

خامسا: تعزيز الحس الأمني الصحيح، ودعوة المواطنين إلى الحفاظ على أمن الوطن، ومقدراته، ومكتسباته.

سادسا: الحب والإخلاص للقيادة الهاشمية الحكيمة في هذا البلد المرابط، التي تسعى جاهدة لخدمة الدين و إظهاره بصورته الحقيقية الصافية.

قال الله تعالى: **﴿قُل لا أسألُكُم عَليه أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى﴾** الشورى: ٢٣،

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩ .

سابعا: ترسيخ مبادئ الوحدة الوطنية، وتأصيل مفهوم المواطنة، بحيث يعرف المواطن بأن عليه من الواجبات بقدر ما له من الحقوق، ونبذ الأصوات التي تشتت الناس وتفرقهم.

ثامنا: وضع خطة بعيدة الأمد من قبل الدولة، وبمشاركة علماء الدين المصلحين، وبما يقود تدريجيا إلى تركيز القيم الدينية الإنسانية باتجاه المحبة والمساواة، وتأكيد أهمية القناعة والاقتناع من خلال الحوار، ونبذ كافة أشكال العنف والتطرف.

تاسعا: بيان أهمية المواطنين، وحاجة المجتمع إليهم، ومعالجة الفراغ السلبي، وتوفير فرص العمل المناسب على أساس الكفاءة والمواطنة . إن أكبر شاهد على خطورة الاختراقات الفكرية، ما نراه اليوم من ممارسات خاطئة، فالذين يمارسون الاعمال الإرهابية ليسوا من كبار السن، ولا من المتخصصين في السياسة الشرعية، بل هم شباب غرر بهم، واخذوا على حين غرة، وهذا يؤكد أهمية الثقافة الشرعية المعتدلة ويؤكد أهمية الشباب، فهم المستهدفون، وفي ظل هذه البوادر السيئة، نكون أحوج ما نكون إلى معرفة ثقافة التطرف، بوصفها جزءا من التعبئة العامة، التي تجعل شبابنا على بينة من أمرهم، فالثقافة المعرفية بإزاء الثقافة المضادة، تكشف عن الغلاة والمتطرفين، وتضع أمام أعين المستهدفين كل الخيارات، ليكونوا على بينة من أمرهم، ولا يؤخذوا على حين غرة، ولقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول ﷺ عن شر مخافة أن يقع فيه (البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام).

❖ التوعية الأمنية:

التوعية الأمنية مسؤولية مشتركة بين الجميع، فيجب أن تتضافر الجهود للوصول الى هذه الغاية العظيمة، ونحن اليوم بأشد الحاجة الى المواطن الذي يحمل هم الوطن على كاهله، ويراعي مصلحته، ويقدم روحه في سبيل الله، من خلال حراسته والذود عنه، وان الاسهام في نشر الوعي الامني في ارجاء الوطن، سيجعل المواطنين مؤهلين لمواجهة هذه الاثار، على ان هناك جهودا كبيرة تبذل من قبل العلماء والكتاب والمفكرين، من اجل نشر الوعي الأمني بين المواطنين، غير ان هذه الجهود ينبغي ان تتوحد وتتحقق في التوعية الامنية من خلال نشر الوعي بين

المواطنين، فيما يتعلق بأدوارهم ومسئولياتهم في المحافظة على أمن الوطن، ومن خلال ابراز أهمية الصف الواحد، والتلاحم بين القيادة والشعب، وتوضيح أهمية نعمة الامن، وتعظيم منجزات هذا البلد، والتأكيد على ميزاته، الشرعية، والحضارية، والثقافية، والاجتماعية .

والواجب يتطلب بيان الجهود التي بذلت وتبذل في سبيل بنائه وتنميته، والدعوة الى الوقوف امام التحديات التي تواجهه، وبيان دور المواطن في المحافظة على مكتسبات الوطن ومقدراته، ومحاولة الرقي به، ونشر الوعي بين المواطنين فيما يتعلق بمسؤولياتهم تجاه دينهم، ومجتمعهم، ومليكهم، وتعزيز حبهم لوطنهم باعتباره بيتهم الكبير، على اننا اذا القينا نظرة على مجتمعنا المحلي في المملكة الاردنية الهاشمية، سنجد أنه مجتمع متماسك، يتصف بالوعي والحس الامني، والصدق والالتزام بالاخلاق الكريمة، وقد وهبه الله قيادة هاشمية واعية تتصف بالحكمة والاتزان ولله الحمد والمنّة.

❖ العدالة الاجتماعية:

يراد العدل بالمساواة في اعطاء الحقوق والالتزام بالواجبات، دون تفرقة بسبب الدين أو الجنس او اللون، قال تعالى: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** المائدة: ٨، اما العدالة الاجتماعية، فتعني اعطاء كل فرد ما يستحقه، وتوزيع المنافع المادية في المجتمع، وتوفير الاحتياجات الأساسية بشكل متساو للجميع، كما أنها تعني المساواة في الفرص، أي أن تكون لدى كل فرد الفرصة في الصعود الاجتماعي.

ولقد اهتم الإسلام بالعدالة الاجتماعية. بما تحمله من معان وقيم رفيعة، تساعد على القيام بمجتمع يتمتع بالسلام والإخاء والمحبة والرخاء، والعدالة في الإسلام لا تطبق فقط على المسلمين، إنما جعلت لجميع أفراد المجتمع، وإذا سادت العدالة في المجتمع كانت سببا في شيوع ثقافة الوسطية والاعتدال، والبعد عن التطرف كما يساهم تحقيق العدالة في تراجع معدلات الفساد بمختلف أنواعه ومجالاته.

❖ درء مظاهر الفساد:

يعتبر الفساد ظاهرة اجتماعية سيئة، تستحق تسليط الضوء عليها، ونتيجة لخطورة ظاهرة الفساد وانتشارها بشكل مثير للقلق، نلاحظ تطرق جميع وسائل الاعلام هذه الايام لها عبر التحليل،

وتخصيص البرامج، واجراء مقابلات مع المختصين وذوي الخبرة في هذا الموضوع، فالفساد يمثل اكبر عقبة امام التطور الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي.

ان اوضح صورة للفساد هو استخدام النفوذ العام لتحقيق منافع خاصة، فيشمل مساحة واسعة من الاعمال والتصرفات غير الشرعية، والتي تتدرج ضمن عمليات الفساد، ومن ذلك مثلا: استغلال النفوذ، وابتزاز الاخرين عن طريق استخدام السلطات التي يملكها المسؤول، واستغلال الاموال العامة او السيطرة عليها او مصادرتها، او اختلاسها او استعمالها لغير الأوجه التي أعدت لها، والاستفادة من أموال الدولة بشكل مناف للقوانين والتعليمات والأعراف، وإشاعة جو الواسطة والمحسوبية، وحماية الأقارب والأصحاب من القوانين والعقوبات، او تعيينهم بمناصب اكبر من مؤهلاتهم وقدراتهم وخبراتهم، وضعف الاداء، والاهمال، وعدم الإحساس بالمسؤولية، والتأخر عن العمل، والانصراف المبكر من العمل، والتهرب من اداء الواجبات، والتخريب والهدم، ومن الفساد هدايا العمال.

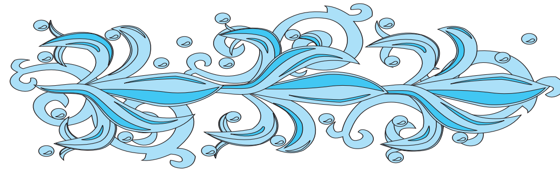
وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: «اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا من الأَسْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّة على الصَّدَقَة، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ له رغاء، او بقرة لها خوار، او شاة تعير ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حتى رأينا عفرتي ابطيه ثم قال: اللهم هل بلغت؟ مرتين، وفي رواية ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال: اللهم هل بلغت؟ بصر عيني، وسمع اذني» (مسلم : كتاب الإمارة، باب : التحريم هدايا العمال).

ومن عواقب انتشار الفساد القضاء على منجزات الامم، وتفكيك كيانها، فالفساد مثله مثل جراثيم المرض، لا تنشط ولا تنتشر الا في الجسم الذي تضعف مقاومته، ومن يستعرض دول العالم، يجد ان الدول التي ينتشر فيها الفساد في تخلف مستمر، بينما الدول التي يقل فيها الفساد في تقدم مستمر، وإذا وضعنا جانبا الضرر الاقتصادي الذي يسببه الفساد، فلا نغفل الضرر الاجتماعي الذي لا يقل خطورة عن الضرر

الاقـتـصـادي، بل انه قـد يزيد من تكلفـة الفساد، خصوصا وان الفساد أكثر من كونه مجرد مسألة اقتصادية، لا بل إن تصنيف الفساد على انه مسألة اقتصادية يعتبر تقليلا من تأثيره الحقيقي على المجتمع ككل، وفضلا عن كون الفساد يؤدي الى القضاء على هيبة القانون، فإنه يؤدي الى انهيار شديد في البيئة الاجتماعية والثقافية، وعندما تقبل الأجيال الفساد كأسلوب في العمل، وطريقة للحصول على مزايا في المجتمع، فإن النسيج الأخلاقي المجتمعي يبدأ في الانهيار، قال الله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ والخوف بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾** النحل: ١١٢ .

ولا يمكن القضاء على الفساد الا بتغيير الواقع، لان الفساد لا يكون الا عبر اسبابه، وما دامت الاسباب مستمرة فالمسببات ايضا مستمرة، كما قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** الرعد: ١١، فاليد الواحدة لا تصفق، كما في المثل، فإن تبعثرت الجهود فإننا لن نصل الى الهدف المنشود، قال تعالى: **﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** الأنفال: ٤٦، فيجب علينا ان يشد بعضنا ازر بعض، وان نتعاون على البر والتقوى، وان نتواصى بالحق وبالصبر وبالمرحمة، وبذلك نحقق قول الله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** آل عمران: ١١٠ .

والحمد لله رب العالمين



خطبة الجمعة

الحج دروس وعبر

بقلم الشيخ أحمد حسين

فريضة الحج، تلكم الفريضة التي عظمت في مناسكها، وجلت في مظاهرها، وسمت في ثمارها، إنها فريضة الحج، عظيمة المنافع، جمة الآثار، تضمنت من المصالح ما لا يحصيه المحصون ولا يعده العادون، تضمنت من المقاصد أسماها، ومن الحكم أعلاها، ومن المنافع أعظمها وأزكاها، مقاصد تدور محاورها على تصحيح الاعتقاد والتعبد، وعلى الدعوة لانتظام شمل المسلمين ووحدة كلمتهم، وعلى التربية للفرد والمجتمع، والتزكية السلوكية للنفوس والقلوب والأرواح والأبدان.

قال الله تعالى: **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾** الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (منافع الدنيا والآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله جل وعلا، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات).

عباد الله، إن من أبرز دروس هذه الفريضة، تلكم المحبة التي جعلها الله تعالى لبيته الحرام في قلوب عباده،

يستنفرهم البيت من كل فج رجالاً أو ركباناً. وهذه المحبة فطرها المولى سبحانه في قلوب عباده كما قال تعالى: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن جرير وغيره: (لا يقضون منه وطرًا، يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه).

وقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، وهو يأرز بين المسجدين»، وفسر «يأرز» بمعنى: ينضم ويتجمع، وفي معناه العام ما يفيد تعلق قلوب المسلمين بمشاعرهم.

عباد الله، لا تزال الأفئدة تهوي إلى ذلكم البيت، وتتوق إلى رؤيته والطواف به، الغني القادر، والفقير المعدم، مئات الألوف من هؤلاء وهؤلاء يتقاطرون من أصقاع الأرض ليلبوا نداء إبراهيم عليه السلام الذي نادى به منذ آلاف السنين: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحج يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**.

فيا لله! لكم اشتاقت لبطحاء مكة النفوس، وهفت لربها القلوب، وكم من متحسّر يتمنى المبيت ليلة بمنى، أو الوقوف ساعة بعرفات، أو مشاركة الحجيج مبيتهم بمزدلفة، أو المزاحمة عند الجمرات، أو الطواف بالبيت وسكب العبرات.

عباد الله، ومن دروس الحج أيضاً تذكير الأمة بأن أعظم ما يجب أن تهتم به وأن تحافظ عليه وأن تغرسه في النفوس، تحقيق التوحيد لله سبحانه، وتحقيق الغاية القصوى في الخضوع والتذلل له عز شأنه، توجهًا وإرادة، قصدًا وعملاً، ولذا افتتح النبي ﷺ حجته بالتوحيد كما يقول جابر رضي الله عنه: فأهل بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وكذلك الأنبياء عليهم السلام كانوا من قبل يلهجون بالتوحيد ويلبون به، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر في حجه بوادي الأزرق فقال: «أي وادٍ هذا؟» قالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى -عليه الصلاة والسلام- هابطًا من الثنية له جؤار إلى الله تعالى بالتلبية»، ثم أتى على ثنية أخرى، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية كذا وكذا، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى -عليه الصلاة والسلام- على ناقة حمراء عليه جبة من صوف وهو يلبي».

عباد الله، إن الواجب علينا جميعاً، استحضار ما دلت عليه هذه الكلمات من معان، ومعرفة ما تضمنته من دلالات، وعلى المسلم أن يكون على دراية عظيمة بهذا المعنى في حياته كلها، محافظًا عليه في كل حين وآن، مراعيًا له في كل جانب، لا يسأل إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يتوكل إلا على الله، لا يطلب المدد والعون والنصر إلا من الله، مستيقنا أن الخير كله بيد الله، وأزمّة الأمور بيده، ومرجعها إليه، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

وإذا كان الأمر كذلك في حق الأفراد، فالأمة أجمع حري بها أن تستلهم من الحج تلك الدروس والعبر، ولتعلم أن القاعدة الثابتة لاستقرار حياتها، هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا في مناشط الحياة كلها، وأن تحقق الخضوع التام لله والذل المتناهي له سبحانه، ترسيخًا للعقيدة الصحيحة في واقع الحياة وتأصيلاً لها في النفوس، وإلا فبدون ذلك تخطفها الأهواء وتتقاذفها الأوهام. **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُم الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون﴾**.

عباد الله، إن النبي ﷺ حينما يكبر الله عند كل شوط في الطواف، ويكبر الله عند الصفا والمروة، ويكبر الله عند رمي الجمار، ويكبر الله في أيام التشريق، لهو يبعث في النفوس شعورًا عميقًا لقيمة ذكر الله وتكبيره في حياة المرء المسلم، وأن كلمة الله أكبر، هي رأس الذكر وعموده، وهي أول ما كلف به النبي ﷺ حين أمر بالإنذار: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾**.

بالذكر - عباد الله - تستدفع الآفات وتكشف الكربات وتهون به على المصاب الملمات. الذكر زيَّن الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين. قال ابن عباس رضي الله عنه: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر خنس)، وقال الحسن البصري رحمه الله: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

عباد الله، الله أكبر كلمة عظيمة تحيي موات النفوس الهامدة، ولصوتها هدير كهدير البحر المتلاطم، بل إنها سلاح فتاك في وجوه أعداء الملة ولصوص الأرض، وهي سيف الحروب الذي لا يثلم، كيف لا والنبي ﷺ أخبر أن مدينة تفتح في آخر الزمان بهذه الكلمة؟! قال: «فإذا جاؤوها نزلوا - أي: المسلمون - فلم يقاتلوا

بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا في الثالثة: لا إله إلا الله والله اكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا» الحديث رواه مسلم.

عباد الله، لما غربت شمس يوم عرفة وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، دفع النبي ﷺ من عرفات وقد شنق لناقته القصواء الزمام حتى لا تسرع، وهو يقول بيده اليمنى: أيها الناس، السكينة السكينة، السكينة السكينة.

إن هذا الموقف الجليل الذي تتسابق فيه النفوس إلى الخير وهي أينما حلت في عرصات المشاعر فهي في نسك، غير أن الهدوء والطمأنينة والسكينة وعدم الاستعجال هو الشعور الإيجابي وهي الطريقة المباركة لكل نجاح أمثل، فالسكينة لا يعدلها شيء؛ إذ العجلة داء المجتمعات، بل هي من مقتضيات حظوظ النفس البغيضة والجهل بالعواقب، وذلك لخروجها عن الإطار المشروع حتى في حال العبادة، يقول الباري سبحانه: **﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾**، بل حتى أدق مواضع العبادة يقول النبي ﷺ: «إن الله يستجيب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي» رواه البخاري مسلم.

فالعجلة - عباد الله - من الخلال المذمومة في أعمال المرء العبادية والحياتية، والواجب على العاقل أن يلزم التأني في الأمور كلها؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطالب عجز، ومن لم تصلحه الأناة فلن تنفعه العجلة، بل تضره، وصفات العجلة أن يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعدما يحمد، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم. المرء العجل تصحبه الندامة وتخذله السلامة، وقد كانت العرب في القديم تكني العجلة بأم الندامات، والمثل السائر: في العجلة الندامة.

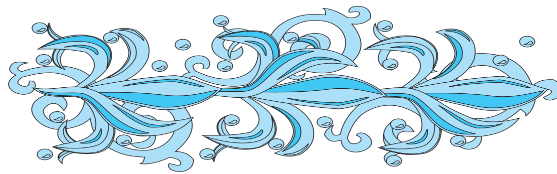
عباد الله، إن للحج حكمًا عالية ومقاصد نافعة، ففيه يتعارف المسلمون، يجتمعون فيه على اختلاف شعوبهم وطبقاتهم وأوطانهم وألسنتهم وألوانهم، يلتقي المسلم بإخوانه المسلمين، فتلتقي القلوب، وتزداد المحبة والمودة والائتلاف.

وفي الحج - عباد الله - تذكير بالدار الآخرة، حيث يصور الحج ذلك تصويرًا

عجيبًا، فالميت ينتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة، والحاج ينتقل من بلاده إلى أخرى، والميت يجرد من ثيابه، والحاج يتجرد من المخيط، والميت يغسل بعد تجريده، والحاج يغتسل عند ميقاته، والميت يكفن في ثياب بيضاء، وكذا الحاج يلبس إزارا ورداء أبيضين نظيفين، والأموات يحشرون سواء، وكذا الحجاج يقفون سواء، وهذا غيض من فيض من حكم الحج ومقاصده.

عباد الله، اليوم ومواكب الحجيج تتحرك الى بيت الله الحرام تذكروا قبلتكم الأولى، تذكروا أنه من الواجب على كل واحد منكم أن يطهر بيت المقدس، كما طهر بيت الله من دنس الشرك وعبادة الأوثان، حتى يعود إلى المسلمين ويدخلوا فيه أعزة ظاهرين ليعبدوا الله وحده ويسبحونه، وحتى ترفع فيه كلمة الله، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع إلى الله سبحانه والعمل بكتابه واتباع سنة رسوله ﷺ، يومها نجد النصر حليفنا والفوز معنا، قال سبحانه: **﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال أيضًا عز ذكره: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.**

نفعني الله واياكم بهدي كتابه



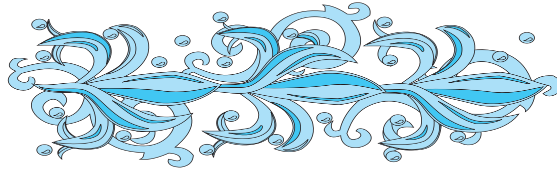
فهرس عام المجلة
للمجلد الخامس والخمسين
١٤٣٢هـ/٢٠١١م

يشتمل على:

- **أولاً: عناوين الموضوعات**
- **ثانياً: أسماء السادة الكتّاب**

▪ إعداد الاستاذ سميح أحمد عثامنة

أولاً: عنـاويـــن الموضـــوعـــات



ثانياً: أسماء السادة الكتّاب

اسم الكاتب	عنوان الموضوع	رقم العدد	رقم الصفحة
الطالبة أبرار محمد	البعد عن الفحش في القول	٩	١٣٣
الشيخ ابراهيم الدهون	الهجرة النبوية معناها واهدافها	١	٤٦
الشيخ ابراهيم الدهون	خطبة الجمعة/ الاستغفار	٢	١٢٣
الشيخ ابراهيم الدهون	المولد النبوي الشريف	٣	٣٤
الشيخ ابراهيم الدهون	اهمية الكلمة في الاسلام فضلها وخطرها	٤	٧٢
الشيخ ابراهيم الدهون	الالتجاء الى الله يقي من خطر القلق النفسي	٥	١٠١
الشيخ ابراهيم الدهون	السكينة في القرآن الكريم	٦	٥٠
الشيخ ابراهيم الدهون	ليلة خير من ألف شهر	٨	١١٤
الشيخ ابراهيم الدهون	الحج فريضة وحكم	١٠	٨٧
الطالب ابراهيم الشوابكة	فضل صيام الست من شوال	٩	٥٥
الشيخ احمد حسين	خطبة الجمعة/ الحج دروس وعبر	١٠	١٣٧
أ. د. أحمد خالد شكري	مراحل علم القراءات ح١	٨	٦
أ. د. أحمد خالد شكري	مراحل علم القراءات ح٢	٩	١١
أ. د. أحمد خالد شكري	مراحل علم القراءات ح٣	١٠	١٦
الشيخ احمد الديب	خطبة الجمعة/ فضل الصلاة على النبي ﷺ	٣	١٣٧
د. احمد شقيرات	التداوي بالقرآن الكريم	١	٦٢
د. احمد شقيرات	دور الشعر في حروب الردة	٢	١١٥
د. احمد شقيرات	القول في اسماء الله الحسنى	٣	٦١
د. احمد شقيرات	مفهوم البيئة في الاسلام	٤	٨٤
د. احمد شقيرات	الفكر الديني بين الاسلام والنظم المعاصرة	٦	١٠٣
د. احمد شقيرات	القواعد الفقهية للمال في الاسلام	٨	١٢٢
د. احمد شقيرات	الشريعة الاسلامية تنظم المعاهدات الدولية	١٠	٦٩
أ. احمد صقر السويدي	مهمة تعليم الناس الخير	١	١٢١
أ. احمد صقر السويدي	رسول الله ﷺ الاسوة الاسرية	٢	٥٠
أ. احمد صقر السويدي	كيف عالج النبي ﷺ الغيرة بين نسائه	٣	٣٧
أ. احمد صقر السويدي	أحزان في بيت النبي ﷺ	٦	٣١
أ. أحمد عزت	احتفال وزارة الاوقاف بذكرى الهجرة	٢	٦
أ. أحمد عزت	احتفال وزارة الاوقاف باسبوع الوئام	٤	٥٩

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العــدد الثالــث - المجلــد ٥٥

ربيع الأول ١٤٣٢هـ - آذار ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ❖

بين يدي ذكرى

كان نبينا ورسولنا سيدنا محمد ﷺ في دعوته الاسلامية ورسالته الخاتمة، على وفق سنة الله في الأنبياء والمرسلين قبله، آمن وصدّق به من سبقت لهم عناية الله وهدايته النورانية،، فكان لهم فضل السبق الى الاسلام والايمان، وكذب به وبرسالته أناس آخرون، فاستمروا على الجهل والكفر والعناد والضلال، ولقي منهم ﷺ ما لقيه من أنواع الاذاية والاستهزاء طيلة مدة ثلاث عشرة سنة قضاها في مكة المكرمة، وبقي ﷺ صابراً محتسباً لله، واثقاً من نصره تعالى له ولدينه، متيقناً من هزم الكفر وضلاله، مستجيباً لأمر الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾، وقوله سبحانه: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين﴾.

وشاء الله تعالى ان يهاجر نبيه المصطفى ﷺ الى المدينة المنورة، لمواصلة تبليغ دعوته واكمال رسالة ربه بعد ما بلغ اذى كفار قريش في مكة أقصاه، ووصل بهم الكيد منتهاه، الى حد التآمر على حياته ﷺ، فأبطل الله مكرهم ورده في نحورهم، وأظهر على يد رسوله ﷺ معجزاته الإلهية في كل حركة يتحركها، وفي كل خطوة يخطوها، بدءاً من خروجه من بيته ليلاً، ومكثه في غار حراء مدة ثلاث ليال بأيامها، ثم مسيره نحو المدينة المنورة عشرة أيام بلياليها حتى وصلها ظافراً منتصراً، مكلوءاً برعاية الله وعنايته التي لا ترام، مرفوقاً في جميع تلك الخطوات والتحركات بصاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين، وخلّد الحق سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله المبين: ﴿والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ وبقوله تعالى: ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

ويواصل النبي ﷺ في المدينة المنورة تبليغ رسالة ربه ودعوته الاسلامية الى الناس كافة، وجهاده في سبيل الله مع صحابته الأبرار طيلة عشر سنوات، اكمل الله فيها دينه وأتمه على الأمة المحمدية نعمة عظيمة شاملة، وتكونت معه الدولة الأولى في الاسلام بكل اسسها ومقوماتها في عهد الرسول ﷺ، وأنزل الله في

المولد النبوي العطرة

ذلك قوله الحكيم: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾.

وكما تكفل الله تعالى بحفظ نبيه ورسوله سيدنا محمد ﷺ في شخصه، وعصمه في ذاته من تصرف اي مخلوق على حياته، وتولاه بعنايته حتى اكمل رسالة ربه، تكفل سبحانه كذلك بحفظ كتابه القرآن الكريم الذي هو الاصل الأساس والمصدر الأول لدين الاسلام وشرعه الرباني الحكيم، حفظاً في المصحف المسطور، وفي القلوب والصدور، ويسر سبحانه من يصون سنة نبيه ﷺ ويحفظها في المكتوب المقروء وفي الصدور، من عهد الصحابة الأبرار، والتابعين الاخيار، ومن تبعهم بإحسان خلفاً عن سلف، وفي كل عصر وجيل، الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو سبحانه خير الوارثين.

وبحفظ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حفظت الأمة الاسلامية في دينها، عقيدة وعبادة، أخلاقاً ومعاملة، وفي حضارتها العلمية والانسانية التي شع نورها في جميع انحاء الدنيا، وحفظت في وحدتها وأخوتها الدينية وتمسكها المتين، وفي وقوفها صفاً واحداً في وجه كل من اراد ان يمس بمقدساتها او ينال من مقوماتها، عملاً بقول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقوله جل وعلا: ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ وقوله عز وجل في حق نبيه ﷺ: ﴿يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ❖ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ وقوله عز وجل: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾.

والله نرجو ونسأل ان يجعل ذكرى المولد النبوي العطرة، مناسبة دينية متجددة يراجع فيها المسلم نفسه وذاته، ويعمل لما فيه خيره وصلاحه، وصلاح الأمة الاسلامية وشعوبها المؤمنة في كل بلد ومكان، بما يحقق لها القوة والمنعة المستمرة، التي قال فيها الحق سبحانه: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

أسرة التحرير

٢

ملخص: الجهود الحديثة في خدمة الحديث النبوي الشريف

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

الجهود المبذولة حالياً في استغلال التقنية لخدمة الحديث النبوي الشريف[٢٨]:

أولاً: البرمجيات، أهم وأبرز البرمجيات في خدمة الحديث الشريف ما يلي:

١- صحيح البخاري: كان باكورة إنتاج شركة صخر، وهو يخدم صحيح البخاري، ويمتاز بتقدمه على بقية البرامج التي تخدم كتاباً واحداً.

٢- البيان فيما اتفق عليه الشيخان: من إنتاج شركة صخر عام ١٩٩٦م، يحتوي على أكثر من ١٧٠٠ حديث متفق عليها، وهو إصدار مترجم إلى عدة لغات منها: الإنجليزية والألمانية والأندونيسية والتركية والفرنسية.

٣- صفوة الأحاديث: من إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات ويعرض النص الكامل لكتاب الأربعين النووية وكتاب رياض الصالحين وشرحه من كتاب نزهة المتقين.

٤- برنامج موسوعة الحديث الشريف للكتب التسعة: وهي: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومسند أحمد وموطأ مالك وسنن الدارمي، بما يساوي حوالي ٢٥ ألف صفحة

مطبوعة. وقد ظهر هذا الإصدار سنة ١٩٩٨م، وهو من إنتاج شركة حرف والبرنامج الآن في إصداره الثالث (٢٠٠٣م).

٥- برنامج الموسوعة الذهبية: أنتجه مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي سنة ١٩٩٣م، ويضم في إصداره الثاني (١٣٤) كتاباً تضم (٥٧٦) مجلداً وجزءاً، وتعد هذه الموسوعة من أضخم الموسوعات الحديثية باستخدام الحاسب الآلي.

٦- برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية، مكتبة حاسوبية ضخمة ضمت في إصدارها الأخير أكثر من (٣٥٠٠) مجلد وجزء، وأكثر من ٣٠٠ ألف ترجمة للرواة.

٧- موسوعة التخريج الكبرى والأطراف الشاملة، أصدرتها شركة التراث حيث يمكن القيام بالتخريج الآلي لحوالي ٢٥٠ ألف نص مسند ، بالإضافة إلى موسوعة شاملة للأطراف والآثار القولية والفعلية.

٨- موسوعة الأحاديث الصحيحة.

٩- موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمعللة والغرائب.

١٠- مكتبة علوم الحديث.

١١- مؤلفات الحافظ ابن حجر.

١٢- مكتبة الأجزاء الحديثية[٢٩] .

١٣- مكتبة الحديث الشريف: من إنتاج شركة العريس للكمبيوتر، وهو الآن في إصداره السادس ويحتوي على أكثر من (٣٠٠٠) مجلد وجزء[٣٠] .

ثانياً: المواقع الالكترونية:

هناك مواقع الكترونية على شبكة المعلومات (الانترنت) تعنى بالحديث الشريف وعلومه، من أهمها وأبرزها:

١- موقع الحديث الشريف www.al-islam.hadith.com

٢- موقع مشروع: المحدث www.muhaddith.org

٣- موقع الحديث الشريف (الأزهر):

www.alazhr.org/AL Sonna/Default.asp?Action=start.

٤- جامع الحديث النبوي www.sonnh.com

٥- مشروع الورّاق www.alwaraq.com

٦- مشروع المكتبة الالكترونية www.ulamah.com

٧- موقع الإيمان www.aleman.com

وغيرها الأصيلة والتي لها ارتباطات تشعيبية (links) لمواقع أخرى.

التقنيات الحديثة في خدمة السنة النبوية وعلومها[٣١]:

❖ أهم ميزات استغلال التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية والحديث الشريف:

١- إمكانية تخزين كمية معلومات هائلة ضمن قواعد بيانات مترابطة ثم التعامل معها حسب الحاجة وكما يريد المبرمج.

٢- سهولة الحفظ والنقل، إذ يمكن الآن تخزين ملايين الصفحات من المعلومات على قرص صلب صغير لا يتجاوز حجمه عقلة الأصبع سواء قرص (CD) أو (DVD) أو (ray Blue).

٣- قلة التكلفة وسهولة الشحن والتوزيع، وذلك بسبب التنافس وكثرة الانتشار وتنوع المصادر.

٤- سهولة الفهرسة والترتيب وهو ما يسهل عملية الاستفادة من الحاسب الآلي في خدمة السنة النبوية وعلومها.

٥- سرعة الوصول إلى المعلومة المطلوبة ضمن مليارات الصفحات خلال ثوان فقط، وأشهر محرك بحث في العالم يشهد لذلك هو (Google).

٦- إمكانية الوصول إلى المعلومات الموجودة في غير مظانها.

٧- رخص تكلفة الاقتناء من اقتناء الكتب المطبوعة.

٨- تخترق الحواجز الجغرافية.

٩- إمكانية الوصول إلى المعلومة بطرق مختلفة سواء عن طريق كلمة أو راو أو بطرق الحديث أو البحث الصرفي الحر، أو بدلالة تخريج الحديث، أو موضوعه وغير ذلك.

المحاذير من هذه البرامج[٣٢]:

١- كثرة التصحيفات والسقط فيها، مما يوقع من يعتمد عليها في أخطاء كثيرة، لذا على الباحث الرجوع معها إلى المصادر والأصول.

٢- أي خطأ من الباحث في إدخال المعلومة المطلوبة ينتج عنه عدم إظهار البرنامج لها.

٣- اعتماد بعض الطلاب وطلاب الدراسات العليا على مثل هذه البرامج اعتماداً كاملاً وعدم الرجوع إلى الكتب الأصلية، وهذا مزلق خطير.

٤- الاعتماد على هذه البرامج دون

الرجوع إلى الكتب الأصلية يفقد الباحث الفوائد الكثيرة التي تحصل له بالرجوع إلى الكتاب.

٥- هذه البرامج جعلت بعض من لا ينتسبون إلى العلم والتخصص يتجرأون على التأليف والتحقيق لسهولة تناول المعلومة.

❖ إيجابيات تحقيق كتب السنة وتخريج الأحاديث[٣٣]:

وفي تحقيق كتب السنة وعلومها، وتخريج الأحاديث، ونشرها بطريقة علمية، وفق أصول النشر الحديث وضمن قواعد التحقيق، نجني جملة من المكاسب والفوائد الإجمالية، من أهمها:

١- الحفاظ على تراث الأمة من الضياع، أو الحفاظ على ما بقي منه بعد أن عدت عليه العوادي والفتن وحوادث الدهر، وبذلك نصل ما بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، ونستفيد من هذا التراث الضخم في حل كثير من مشكلات العصر.

٢- تيسير الرجوع للكتاب والإفادة منه إفادة أكبر، حيث يزوده المحقق بجملة من الفهارس العلمية المتنوعة الكاشفة لمحتواه، ومن أهمها: فهارس الأبحاث، والمصطلحات والأعلام، والأماكن، والمصطلحات الحضارية، والقواعد والضوابط، وفهارس الشعر، وفهارس الآيات والأحاديث النبوية، والآثار المروية، وغيرها من الفهارس والكشافات بحسب موضوع الكتاب والفن أو العلم.

٣- وفي عملية التحقيق نستطيع أن نطمئن إلى صحة النص الذي نقرؤه، وصحة نسبته إلى صاحبه، حيث يقوم المحقق بدراسة تهدف إلى إثبات صحة نسبة الكتاب لصاحبه.

٤- كما أن تحقيق كتب الحديث وعلومه وسيلة لتيسير فهم النص وتقريبه، بما يكتنفه من شرح للغامض المبهم، وضبط للمهمل والمشكل، وترجمة للأعلام -حسب الحاجة- وتعقيب على بعض الآراء والأفكار، وتصحيح ما قد يظهر من أخطاء، فيجعل الفائدة ميسورة التحقق للقارئ أكثر.

٥- ومما يتصل بعملية التيسير والتقريب، تجدر الإشارة إلى أن طريقة إخراج النص والعناية بفقراته، والاهتمام بعلامات الترقيم كالفاصلة والفاصلة المنقوطة، والنقطة والنقطتين، وعلامات التعجب والأقواس وإشارة الحصر- أو المعترضتين- كل ذلك يساعد القارئ على

الفهم، ويشجع على متابعة القراءة دون عناء.

٦- وفائدة أخرى تتصل بالمنهج العلمي في البحث، إذ يمكن أن يتبين أثر المؤلف السابق فيمن جاء بعده، وتأثر اللاحق بالسابق، من خلال مقارنة النصوص وتوثيقها، وقد يصحح نسبة كتاب لصاحبه، أو يكشف عن مؤلفه الذي كان مجهولاً، فيما يضعه المحقق من دراسات بين يدي النص المحقق.

❖ السلبيات والملاحظات على التحقيق والتخريج:

١- وأما ما يتبدى لنا من ملاحظات وسلبيات في تحقيق كتب الحديث وتخريجها، فيمكن أن نجعله مندرجاً في أمور إجمالية ثلاثة:

أولها: الانحراف عن الهدف الأساس الذي يتغياه المسلم في نشر العلم، تدريساً وتأليفاً وتحقيقاً، ألا وهو القيام بواجب الطاعة والعبادة، فإن ذلك كله عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى يبتغي بها الأجر والمثوبة، قبل أن يطلب بها عرضاً من الدنيا، أو أن يسعى من ورائها إلى اتساع شهرة أو تحقيق شهوة، والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة متضافرة.

ثانيها: إغفال القواعد الضابطة التي اتفق عليها المحققون في نشر كتب التراث، والاضطراب في مفهوم التحقيق والغاية منه، حيث تحول عند بعض الذين يزعمون التحقيق، إلى شيء آخر، لا علاقة له بالتحقيق، وإنما هو شرح أو حاشية أو تقريرات على الكتاب، أو عملية نفخ أو عبث بالكتب.

الثالث: وهو مما له صلة بما سبقه، أن بعضهم تسوّر هذا العلم، وهو خالي الوفاض، غير مؤهل له، لا يمتلك إلا شهوة وهوى يدفعانه للعمل.

٢- وهذه الملاحظات الإجمالية، يمكن أن نؤيدها بالإشارة إلى كثير من السلبيات التي رصدها المعنيون بهذا التراث، أو رصدوا جملة وافرة منها تشير إلى ما وراءها، وإن كانت النية متجهة أصلاً إلى بيان الإيجابيات أكثر من بيان السلبيات، لكن لخطورة هذا الجانب السلبي، ينبغي التحذير والتنبيه.

فمن هذه السلبيات التي كانت نتيجة الانحراف عن المنهج السليم في التحقيق:

١- عدم اتباع قواعده الضابطة له: فنجد كتباً كثيرة يعوزها العناية أكثر بالعمل، مثل ضبط الأعلام والأسماء التي

لا تعـرف إلا سـمـاعـاً، وضـبطهـا يكون بالرجوع إلى الكتب في ذلك.

ومنهـا أيضـاً: التـوسع في التـعليق والشرح، ونقل نصوص كثيرة في الحواشي لأدنى مناسبة وأحياناً دون مناسبة، مما يضخم الكتاب، ويجعله كالطبل الأجوف، وهو ما يمكن تسـميـتـه بالكتـابة على الهامش، حيث تطغى الهوامش والحواشي على المتن، دون ضبط النسبة بينهما.

٢- وأحياناً على الضد من ذلك: تقرأ كتاباً يقع في مجلدات: لا تجد فيه تعليقاً، ولا تقع فيه على شرح لمصطلح، أو تفسير لكلمة غامضة أو غريبة، أو عزو لآية، أو تخريج لحديث، أو نسبة بيت شعر لقائله، أو ترجمة لعلم غير مشهور من العلماء، وقد يكون الكتاب كله سرداً واحداً من أوله إلى آخره، لا تعرف فيه بداية لفقرة أو فكرة أو مسألة، ولا تجد علامة من علامات الترقيم، ولا إخراجاً فنياً يساعد على القراءة والفهم، حتى إنه ليصعب على القارئ أن يميز بين الآية المفسرة والآيات التي يستشهد بها المؤلف.

٣- ألمحت آنفاً إلى أن من أهم ما يبذل من جهد في التحقيق، هو تحقيق عنوان الكتاب والتأكد من صحته، ولكن هذه القاعدة المسلمة عند المحققين يضرب بها بعضهم عرض الحائط، ويجعلونها تحت أقدامهم ودبر آذانهم، فيبيحون لأنفسهم تغيير اسم الكتاب وعنوانه، ويستبدلون به اسماً آخر، مع أن الكتاب قد عرف منذ قرون باسمه الصحيح، فيأتي محقق مجتهد ومعلق بارع، يجانبه الصواب، ويجانب الأمانة العلميـة، والخلق الإسلامي، فيعدو على تراث الأمة وحقوق العلماء، فيعمل في مؤلفاتهم تشويهاً وتحريفاً، ويخدع القارئ، حيث يوهمه بأن هذا كتاب آخر غير الكتاب المعروف بذلك الاسم.. والنتيجة التي تترتب على ذلك العمل هي فقد الثقة بعمل المحقق لظهور تلاعبه وخيانته للأمانة.

ومثال ذلك: كتاب "آداب حملة القرآن" للإمام أبي بكر الآجري، حققه الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري تحقيقاً نفيساً، وقدم له بدراسة قيمة، ثم ظهر الكتاب بتحقيق آخر في بيروت بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث (!) بعنوان "أخلاق أهل القرآن".

٤- ومما يتصل بذلك، أو هو قريب منه وفي بابه: التغيير في نص الحديث عند تخريجه ليوافق مصدراً آخر غير الذي

جاء فيه، وبذلك يهمل النص الأصلي الذي ينبغي تخريجه وتوثيقه، ويتبرع بتخريج غيره.

٥- تحقيق الكتاب عن نسخة واحدة، وقد تكون نسخة سقيمة، مع وجود نسخة أخرى جيدة قيمة تساعد على إخراج نص كامل صحيح للكتاب، وعندئذ يقع المحقق في كثير من الأخطاء، ويقف في كثير من المواضع لا يدري مـاذا يصنع، لأنه يرى السياق أمامه غير مترابط، وكان فيه فجوة كبيرة.

٦- إغفال نشر الكتب الأصول في العلم والأمات في كل فن من الفنون الشرعية والعربية ونحوها، والاهتمام بكتب تأتي في مرتبة تالية أو متأخرة، وقد لا تضيف شيئاً ذا بال إلى المعرفة، ولو أهملناها إهمالاً تاماً لم نفقد شيئاً، بينما كثير من الكتب النفيسة الأصلية في العلم لا تزال تقبع في عالم النسيان، إما لأنها كتب كبيرة يحتاج إخراجها وتحقيقها إلى جهد أكبر، وإلى نفقات قد تكون باهظة يعجز عنها الأفراد المعنيون بهذا التراث الحريصون عليه، أو لأنها ليست ذات شهرة عريضة عند كثير من طلاب العلم أو المحققين مثلاً، فهي تحتاج -إذن- إلى من يعرّف بها ويتحمل مسؤولية القيام بتحقيقها وإشاعتها، وإن كنا نجد في الآونة الأخيرة عناية ببعض هذه الآثار واتجاهاً إليها، وبخاصة في الجامعات والمعاهد والدراسات العليا ومراكز التحقيق، ونسأل الله تعالى أن يبارك في جهود العاملين ويكتب لهم التوفيق والسداد.

٧- ومما يتصل بذلك: العناية بكتب "الزوائد" في الحديث مع وجود الكتب الأصلية التي جردت زوائدها. فمع وجود "صحيح ابن حبان" تقل الحاجة إلى "موارد الظمآن" ولا ينبغي صرف كثير من الوقت إليها على حساب أصلها الذي هو أكثر أهمية. ومع وجود "معاجم الطبراني" تقل أهمية زوائدها ما لم تكن ذات فائدة مقصودة كالحكم على الزوائد، والكلام عليها تصحيحاً وتضعيفاً، وهو ما قام به غالباً الحافظ الهيتمي رحمه الله.

٨- وإذا كـان من الأجدى أن يبدأ الباحثون من حيث انتهى غيرهم، كما يستفيدوا من جهود السابقين، ويتابعوا عملية إتمام البناء الذي تعاقب عليه أجيال من الأسلاف، فإنه من العبث ومن التجاهل لجهود الآخرين من العلماء أن

نقوم بتكرار العمل وإضاعة الجهد في كتب نالت من العناية غايتها.

٩- التقصير والخلط في تخريج أحاديث الأحكام، بحيث يترك المخرج اللفظي الذي ينبغي تخريجه لأنه موضع الشاهد وعليه بني الحكم، ثم يستكثر من التخريج والروايات للفظ آخر قريب منه.

١٠- إغفال نشر الكتب السهلة، الميسورة الفهم، التي يمكن الانتفاع بها على نطاق واسع، والعناية بالكتب المعقدة - أحياناً- لغزارة مادتها، وقلة حجمها، فهي أشبه ما تكون بالألغاز والأحاجي، أو على الأقل قد تحتاج إلى وقت طويل وعناء كبير كي تحل ألفاظها، وتعيد ضمائرها، وتفهم مراد مؤلفيها.

١١- تلك الظاهرة التي عمت كثيراً من الأقطار، والتي تتمثل في عملية خداع وتدليس، بسلخ بعض الأبواب أو الفصول أو المباحث من كتاب كبير، ثم نشره باسم جديد، يوهم بأنه تأليف مستقل، وفي هذا تغرير بالقارئ وخطورة في عملية التوثيق في البحث العلمي وسطو على جيوب القراء وأموالهم، يدفع إلى ذلك جشع وتهافت على الربح السريع من أقصر الطرق، دون نظر إلى حلال أو حرام ودون رقابة ذاتية أو غير ذاتية.

١٢- ومما يمكن أن نضيفه هنا من ملاحظات: تكرار العمل الواحد، دون وجود ما يسوغ ذلك، فتجد كتاباً أنفق عليه محققه جهداً كبيراً ومالاً وفيراً للحصول على مخطوطاته وتصويرها، ثم حققه تحقيقاً علمياً وأخرجه إخراجاً جميلاً يتناسب مع أهميته، وبعد هذا كله يأتي محقق آخر، أو سارق لجهد غيره، يزيد بضع كلمات أو جملة من الحواشي التي لا داعي لها، ويخرج الكتاب من جديد دون عناء ولا تكاليف.

١٣- أصبحت المختصرات الماسخة للأصول من تراثنا كثيرة كثرة تستلفت النظر، وتدعو للوقوف عندها. وأصل فكرة الاختصار هذه وواقعها عند أدعياء التيسير والتهذيب اليوم، أصل هذه الفكرة محل نظر، ولها آثارها السلبية ومخاطرها في المنهج العلمي وفي التوثيق، ومظاهر ذلك كثيرة متعددة. وكل يوم نطالع جديداً من هذا العدوان الأثيم على كتب العلماء، وكأن أناساً قدت وجوههم من الأديم، استهوتهم هذه الطريقة، ووجدوا فيها وسيلة سهلة للتجارة، وسبيلاً لنشر

أسمائهم مصدرة بأبي فلان وأم علان.

١٤- وهذا العمل العظيم -كما وصفه أصحابه- سيؤدي إلى قطع صلة الأمة والأجيال القادمة "بأصول السنة"، حيث يحلو لكل واحد من الناشئة أن يجتزئ بالصحيح، ففيه غنية عن الضعيف، وهو لا يريد إلا الصحيح ليهديه "إلى ما يصح الاحتجاج به والعمل بنصه من أحاديثها"، ولينقي السنة ويطهرها من الدخيل. ومع الزمن ينسى الأصل، ولا حاجة للعودة إلى "سنن أبي داود" و"سنن الترمذي".. لأنها تجمع الصحيح والضعيف، أما كتابنا هذا، ومشروعنا إياه، فهو في الصحيح المجرد، "إذ هو الذي تشتد حاجة الناس كافة إليه وهو الذي يسعى المكتب إلى إشاعة العلم منه والعمل بين الأجيال المعاصرة والمقبلة -بإذن الله- من المسلمين.

وعندئذ سلام على تراث تناقلته الأجيال المسلمة وخدمة العلماء بكل جهد بشري ممكن، ما لم يخدم مثله تراث قط، ويا ضيعة الجهود السابقة المخلصة.

الهوامش:

(٢٨) بتصرف، التقنيات الحديثة.. مرجع سابق. وانظر: أهم برامج الحاسوب الحديثية.. عرض ونقد/ د. محمد بن تركي التركي..

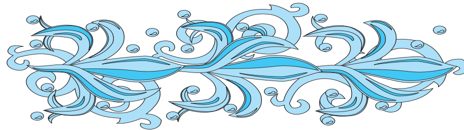
(٢٩) وغيرها من إصدارات مركز التراث، والخمسة الأخيرة هي عبارة عن قص لبعض الكتب من قاعدة البيانات ولصقها في قاعدة بيانات أخرى، ولمزيد من معرفة الإصدارات انظر : أثر التقنيات الحديثة في خدمة السنة النبوية المطهرة وعلومها... د. عبد العزيز الكبيسي/ الندوة السابقة.

(٣٠) ولشركة العريس إصدارات أخرى غير هذه.

(٣١) بتصرف، التقنيات الحديثة في خدمة السنة النبوية/ د. محمد عيادة أيوب الكبيسي، الندوة السابقة. انظر: أهم برامج الحاسوب الحديثية -عرض ونقد، د. محمد بن تركي التركيب، الندوة السابقة.

(٣٢) بتصرف، أهم برامج الحاسوب، مرجع سابق.

(٣٣) بتصرف، جهود العلماء في التحقيق والتوثيق في العصر الحديث -الإيجابيات والسلبيات، د. عثمان جمعة ضميرية.



رسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد العالمين

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

اسمه ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، من بني هاشم، ومن أسمائه أحمد، والماحي والعاقب، ويكنّى بأبي القاسم وبأبي إبراهيم، وورد اسمه الشريف (محمد) في القرآن؛ و (أحمد) في التوراة والإنجيل والقرآن.

مولده ﷺ: ولد في شهر ربيع الأول عام الفيل، سنة ٥٧١ م لأبوين قرشيين عريقي النسب.

نشأته ﷺ: نشأ يتيماً؛ إذ توفي والده قبل ولادته، وحشد الله حوله الخير؛ فأمه آمنة وقابلته ثويبة، وحاضنته أم أيمن بركة، ومرضعته حليمة السعدية؛ وبذلك أحسن الله أسماء من كانوا معه وحوله.

حادثة شق الصدر: شق الله صدره لأول مرة وهو في بيت حليمة السعدية، فكانت الحادثة من مقدمات الوحي ودلائل النبوة، وشقه أخرى وهو بجوار الكعبة، فغسل الله قلبه، وشرح الله صدره، وملأه إيماناً.

كفالته ﷺ: توفيت أمه وهو ابن (٦) سنوات؛ فضمه إليه جدّه عبد المطلب مدة سنتين، فلما حضرته الوفاة أوصى أبا طالب بحفظه وحياطته.

أوصافه ﷺ: وُصف رسول الله ﷺ في

القرآن بصفات جليلة؛ فهو عبدالله، والشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير، والرؤوف الرحيم، وصاحب الخلق العظيم، وهو خاتم الرسل والنبيين، ووصف نفسه فقال: (أنا دَعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرَى أخي عيسى، ورأت أمِّي حين حملَت بي أنه خرج منها نورٌ أضاءَ لها قُصُور الشَّام)، ووصفه الناس قبل الرسالة بالصادق الأمين، وكان يَبْـرُقُ وَجْـهُـهُ مِنَ السّـرُورِ، وكفه ألين من الحرير، وعطره أطيب من كل العطور.

عمله ﷺ بالتجارة: اشتغل في بداية حياته بالتجارة؛ فخرج مع عمه إلى الشام وهو صغير، ثم استقل بالعمل بقوة وأمانة وإخلاص.

زواجه بخديجة رضي الله عنها: لمّا بلغ خمساً وعشرين سنة تزوج بأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي التي آمنت به حين كفر به الناس؛ وصدقته حين كذبوه، وواسته بنفسها ومالها، فبشرها الله ببيت في الجنة؛ لا صخب فيه ولا نصب.

ظاهرة الوحي: أوحى الله إليه وهو بغار حراء، وهو ابن أربعين سنة، فخشي على نفسه، فأخبر خديجة رضي الله عنها وهو يرجف فؤاده؛ قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ؛ فَوَاللّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدا؛ وَاللّهِ إِنّكَ لَتَصِلُ الرّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلّ، وتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وتقْرِي الضّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحق.

مضامين الوحي المحمدي: تضمن الوحي المحمدي كثيراً من المبادئ؛ منها عبادة الله وحده، والتحاكم إلى شريعة الله، والتمسك بمكارم الأخلاق، وأن الناس سواسية؛ وأن أكرمهم عند الله أتقاهم.

الصدع بالدعوة: بدأ رسول الله ﷺ يدعو إلى الدين الحق سراً، ثم جهراً، وأنذر عشيرته الأقربين، وأهل مكة أجمعين، ولكنه لاقى وأتباعه الأذى الشديد، فأوى إلى ركن مكين، فعصمه الله من المشركين، وغرس نور الإيمان في قلوب المؤمنين، فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ؛ راجين النصر والتمكين، ودعا أهل الطائف، فآذوه، وشكا إلى الله تعالى ضعف قوته، وقلة حيلته، ولم يدع عليهم، بل دعا لهم؛ لعل الله أن يخرج من

أصلابهم من يوحد الله.

الإســراء والمعــراج: بعــد سنوات من البعثة، وقبل الهجرة بسنة أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس؛ وكان الإسراء على ظهر البراق، ثم عرج به إلى السماء، ورأى من آيات ربه الكبــرى، ورجع من حــيث أسري به؛ فلما أصبح أخبر الناس، وهم بين مــصــدّق ومكذّب، فـوصف لهم بيت المقدس، ولم يكن رآه قبلاً، فأقام عليهم الحجة، واستنارت لهم المحجة؛ فآمن من آمن على يقين، وكفر من كفر عناداً وإنكاراً بلا دليل.

كفاه الله المستهزئين: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ ولمّا شتموا رسول الله ﷺ قال: «انْظُرُوا كَيْفَ يَصْرِفُ اللّهُ عَنّي شَتْمَ قُرَيْش وَلَعْنَهُمْ إِنّهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمّما وَيَلْعَنُونَ مُذَمّما وَأَنَا مُحَمّدٌ».

الهجرة الشريفة إلى المدينة المنورة: بعد ثلاث عــشــرة سنة هاجــر ﷺ إلى المدينة المنورة، وحــفظه ربه في طريق الهــجــرة والأعداء يتبعونه، ويتوعدونه، ونصره الله بالنجاة، واجتمعت وفود المهاجرين بنبيها، واستقبلهم الأنصار بالحفاوة والتكريم؛ وشكّل النواة الأولى لدولة الإســلام، وفي المدينة انتقل الإسلام من المرحلة النظرية إلى المرحلة العملية؛ فسادت المساواة، وارتفعت راية الحق، وأزهق الله الباطل، ونظراً لأهمية الهجرة جُعل العام الذي كانت فيه بداية للتاريخ الإسلامي.

بناء المسجد وتحويل القبلة والمؤاخاة: بنى ﷺ مسجد قباء، ثم المسجد النبوي، وحوّل الله قبلته من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وهي القبلة التي كان يتمناها النبي ﷺ؛ ليحوز شرف القبلتين، وجمع قلوب المسلمين؛ فآخى بين الأنصار والمهاجرين.

جــهــاده ﷺ: بدأ ﷺ يجــاهد لنشــر الإسلام؛ فكان يرسل الدعاة إلى الإسلام، ويرسل الجيوش لتحارب الكفر وأهله، ولم ينهزم قط، ولم يدر ظهره للعدو حتى في أحلك الظروف، وقاد عدة معارك عسكرية بنفسه، وخرج منها منتصراً؛ فكان لها أثر حاسم في تاريخ البشر؛ ومن هذه المعارك غزوة بدر الكبرى في ١٧/رمضان/ ٢هـ؛ وغزوة أحد في ٣هـ؛ ضد مشركي قريش الذين أردوا الانتقام لما حلّ بهم في بدر،

وتعاضدوا على ذلك؛ وجمعوا أموالهم؛ فكانت عليهم حسرة، ولقي الرسول ﷺ الكثير من المشركين في هذه الغزوة؛ حتى سال دمه على وجهه الشريف، وغزوة بني النضير في ٤هـ، وغزوة الأحزاب (الخندق) في ٥هـ؛ إذ تحزّب الأعداء وتجمّعوا ونشطوا ليستأصلوا المسلمين، فصرف الله الأعداء بالريح الشديدة، التي كفأت القدور، وزلزلت الخيام، وشاركت الملائكة في دبّ الرعب في القلوب.

وغزوة بني قريظة في ٥هـ؛ ضد اليهود الذين نقضوا العهود، فأخرجهم من حصونهم، ونصره الله عليهم، وغزوة خيبر في ٧هـ، ضد يهود خيبر، وفتحها النبي ﷺ، وغزوة الفتح في ٨هـ، وبعده دخل الناس في دين الله أفواجاً، وغزوة هوازن (يوم حنين) في ٨هـ؛ وغزوة تبوك في ٩هـ؛ إذ عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس، وأولى الناس بالدعوة، فغزا تبوك، وكان الحرُّ شديداً، فتجمّع ثلاثون ألفاً من الموحدين، وسار بهم متجهاً صوب تبوك، ففرّت جيوش الروم، ونصر الله تعالى رسوله بالرعب من مسيرة شهر.

عام الوفود وانتشار الدين: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودانت العرب بدين الإسلام بدأت تفد الوفود على الإسلام أفواجاً؛ يضربون إليه من كل وجه؛ حتى زاد عدد الوفود على خمسين وفداً.

حجة الوداع في سنة عشر: انطلق رسول الله ﷺ في الدعوة وحيداً، ولمّا وقف بعرفات بعد ثلاث وعشرين سنة وفي يوم الحج الأكبر كان معه تسعون ألف مسلم، وجعل نشر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصيته لهم، وأمانة في أعناقهم.

زهده ﷺ: كان يقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو إليه الضرورة، ويزهد فيما سواه، وهو الذي اكتفى بالقليل عن القناطير، وآثر الحصير على الفراش الوثير؛ ولبس لبوس العز والفخر والتوقير، وعزف عن السندس والإستبرق من الحرير، وكان يمر على حجراته الشهر والشهران لا توقد فيها نار، يعيش مع أمهات المؤمنين على الأسودين التمر والماء، وتقرّب إلى الله بإطعام الفقير والأسير، وكان يربط الأحجار على بطنه

الشـريف، وأكل مع أصحـابه أوراق الشـجـر حتى تشققت أشداقهم.

جـمـاله ﷺ: عن جَـابِرِ بْنِ سَـمُـرَةَ قـال: "رَأَيْتُ النبيّ ﷺ في لَيْلَةٍ إِضْحِيَان، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولُ الله ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَـمْـرَاءُ فَـإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْـسَنُ مِنَ الْقَمَرِ".

طيب عرقه ﷺ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَـانَ النَّبِـيّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمّ سُلَيْم فَـيَنَامُ عَلَىَ فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فيـه. قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ علَىَ فِرَاشِـهَا، فَـأُتِيتْ فَـقِيلَ لَهَـا: هَذَا النّبِيّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِك، عَلَىَ فِرَاشِك، قَـالَ: فَـجَـاءَتْ وَقَـدْ عَـرِق، وَاسْـتَنْقَعَ عَـرَقُـهُ علَىَ قِطْعَـةِ أَدِيم، عَلَىَ الْفِـرَاش، فَـفَـتَـحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَـوَارِيرِهَا، فَفَـزِعَ النّبِيّ ﷺ فَـقَـالَ: "مَـا تصْنَعِينَ يَا أُمّ سُلَيْم؟" فَقَـالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَـانِنَا، قَالَ: "أَصَبْتِ، وروي أَنّ النّبِـيّ ﷺ كَـانَ يَأْتِيـهَـا فَـيَـقِـيلُ عِنْدَهَا، فَتَبْسُطُ لَهُ نِطَعاً فَيَقِيلُ عَلَيْه، وَكَانَ كَثِيْرَ الْعَـرَق، فَكَانَتْ تَجْـمَـعُ عَـرَقَـهُ فَـتَـجْـعَـلُهُ فِي الطّيب وَالْقَـوَارِير، فَـقَـالَ النّبِـيّ ﷺ: "يَا أُمّ سُلَيْمٍ مَـا هَذَا؟" قَـالَتْ: عَـرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي.

هيبتـه ﷺ: قـصـة الأراشي: قـدم رجل من أراش بإبل له إلى مكة، فـابتـاعـهـا منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشـي حـــتـى وقف على نادي قـــريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فـقـال: يا مـعـشـر قـريش مَنْ رجل يعـديني على أبي الحكم بن هـشـام، فـإني غـريب وابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك – يهـزون بـه – إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليـه فهو يعديك عليـه، فـأقـبل الأراشـي حـتـى وقف على رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له، فقام معه، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: (محمد فاخرج!) فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم، وقد انتقع لونه، فـقـال: (أعط هذا الرجل حـقـه)، قـال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رســول الله ﷺ، وقـــال للأراشي: الحق

لشأنك، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد أخذت الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: أعط هذا الرجل حقه، فقال: نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه، ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك مالك فو الله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فو الله لو أبيت لأكلني.

حب المخلوقات له ﷺ: وهو الذي حنّ الجذع إليه، وسلّم الحجر عليه، واستمع الجنّ لقراءته، ورحبت به ملائكة السماء، واشتاقت إليه قلوب المؤمنين، وملأ الوجود عدلاً وبراً، وبهاءً وجمالاً، وأنساً وخيراً، ونوراً وعطراً؛ فالتزم الصحابة مجلسه، ولم يصبروا على فراقه، والتمسوا البركة من ماء وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له وقالوا فيه وفيهم: ما رأينا أحداً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً.

من أقواله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىَ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوَىَ هَهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَىَ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"، وقال: "اتّق الله حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السّيّئَةَ الحْسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"، وقال: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ -أَوْ قَالَ: لِجارِهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، وقال: "اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"، وقال: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ".

وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى: استهلت السنة الحادية عشرة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة النبوية

راجعاً من حجة الوداع، ومنها نقله الله تعالى من الدار الفانية إلى النعيم الأبدي؛ في محلة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى ولا أسنى؛ ودخل أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجهه فقبّله وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتاً، مات محمد ورب الكعبة، ودفن ﷺ في المدينة المنورة، ودفن بجواره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والناس إلى اليوم لا يذكرون الوفاة رغم مرارتها؛ ويذكرون الحياة.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم وفاته:

بها حجراتٌ كان ينزلُ وسطها

من الله نورٌ يستضاء ويوقد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلادٌ ثوى فيها الرشيدُ المسدد

تهيلُ عليه الترب أيدٍ وأعينٌ

عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيّبوا حلماً وعلماً ورحمة

عشية علّوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيُهم

وقد وهنت منهم ظهورٌ وأعضد

ويبكون من تبكي السموات يومه

ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوماً رزية هالك

رزية يوم مات فيه محمد

فابك رسول الله يا عين عبرة

ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي

على الناس منها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي

لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد

ولا مثله حتى القيامة يفقد

أولاده ﷺ: له ثلاثة أبناء؛ القاسم وإبراهيم وعبد الله، وكلهم ماتوا صغاراً، وله أربع بنات؛ زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ومن فاطمة انتشرت ذريته ﷺ.

ميراث النبوة: لم يترك ﷺ ديناراً ولا درهماً، بل مات ودرعه مرهونة في نفقة عياله، وحسبه رضوان الله، وحب ملايين المؤمنين والذكر الحسن، ولم تنقطع صلة المسلمين به بعد موته، فهو قدوة الصالحين

في كل شيء، ومَثلهم الأعلى في كل أمر، وشفيعهم يوم القيامة، وجارهم في جوار الله، إنه النبي الهاشمي الشفيع، المُكرّم الذي يستنير المؤمنون بسيرته، ويستنون بسنته، ويستأنسون باسمه، هو الرسول الأمين، المقرون في سورة نون بخلق عظيم، والمُبشر فيها بأجر غير ممنون، والمجتبى في سورة الضحى بعدم الهجر والقلى، بل بالعطاء الجزيل الأوفى حتى يرضى، وفي سورة الشرح بشق الصدر؛ لغرس الخير، وانقاض الظهر، ورفع الذكر، وفي سورة البيّنة بتلاوة الصحف المُطهرة ذات الكتب القيّمة، وفي سورة النصر بالفتح والظفر، وفي سورة الكوثر ببتر الشانئ الأبتر، ونبع حوض الكوثر في المحشر؛ حوافّه المسك والعنبر؛ فصلوات ربي وسلامه عليه.

مقامه عند الله: عَنْ أَنَس قَالَ: (بَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: "أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ" فَقَرَأَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ◆ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ◆ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر﴾**، ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟" فَقُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُوم "، وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: **﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**، وَقَالَ عليه السلام: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحكيم﴾** فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي" وَبَكَى، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ الله: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءكَ"، وفرح رسول الله ﷺ والصحابة بآية رجاء؛ فرسول الله ﷺ لا يرضى ببقاء واحدٍ من أمته في النار، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

والحمد لله رب العالمين

الرسل عليهم السلام ومفهوم العصمة

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

سنوضح هنا مفهوم العصمة تحت عنواني «عصمتان وقانون فطرة الرسل والأنبياء عليهم السلام» ممهداً لهذا بتبيين الفرق بين مناهج العقول ومستوياتها كالآتي:

١- الفرق هائل بين العقل التبريري والعقل التبيُّني العلمي:

ان العقل التبريري يفهم لكل يحفظ ويتذكر فحسب، اما العقل التبيُّني العلمي فيفهم لكي يشكل ويناقش وينقد، حتى يصل الى اليقين بصحة المسألة، فيتبناها ويتعامل معها، او الى اليقين ببطلان المسألة، فيطرحها ويتصرف على أساس من ذلك، العقل التبريري يفكر فحسب، اما العقل العلمي فيتفكر، ولذا ورد الفعل «يتفكر» ومشتقاته في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، ولم يرد الفعل «فكّر» الا مرة واحدة ومع التفكير المنحرف.

وهذا العقل التبريري هو الذي جعل الشيوخ الستة «محمد الصادق عرجون، وابو زهرة، والبوطي، والغزالي، والندوي، ومحمد ابو شهبة» ينكصون عند التطبيق والتحقيق وينكصون عن التبين والتفكر، والشك والنقد، عند اول امتحان، ومثلهم العشرات بل المئات.

٢- عصمتان للرسل والأنبياء:

ثم اين العصمتان اللتان عصم الله العزيز الحكيم القدير بهما جميع انبيائه؟

واين الصرفتان لكل منهما؟[١].

في الصرفة الذاتية صرفهم للكمالات، وهذه صرفة ايجابية وصرفهم عن الرذالات وهذه صرفة سلبية، ومن الكمالات الشجاعة والأنفة وإباء الضيم والسكوت على الإهانة أو الإذلال من الأنداد مناقض للشجاعة والأنفة والإباء، ويجري من ناحية أخرى في مجرى الرذالات، هذه الرذالات المصروف عنهن الرسل والأنبياء.

وفي الصرفة الغيرية صرف الله القادر ارادة العباد عن كل عمل فيه اهانة او اذلال، وأكبر مثل على ذلك ان الله القادر صرف ارادة فرعون عن اهانة موسى عليه السلام حاشاه، او إذلاله، وهذه صرفة سلبية اما من كان قلبه وجسمه متورماً بالشر وقرر ان يؤذي نبياً وضع الله القادر في طريقه ما يمنعه من تنفيذ قراره، بإخافته وإرعابه كما حدث لأبي جهل عندما اعلن لأتباعه انه سيهوي على رأس رسول الله محمد ﷺ (اقول: حاشاه) عندما يسجد في الكعبة بحجر ضخم، وعندما بدأ الخطوات الأولى بما اعلن وتقدم نحو الرسول المحمي من ربه، ارتد مذعوراً وطرح الحجر من يده، وعندما سألوه، قال: «ان بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة» فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وهذه صرفة ايجابية من الله القادر، فمن اين يقع على الرسل والأنبياء حاشاهم بعد هذا اهانة او اذلال.

وليس يصح في الاذهان شيء

اذا احتاج النهار الى دليل

٣- قانون فطرة الرسل والأنبياء:

ذلك لأن الرسل والأنبياء عليهم السلام، لهم فطرة خاصة تقوم على قانون ثابت كقوانين الكون، فكما ان الكواكب لها قانون خاص فلا تتصادم، ولا يخرج أحدها عن مساره، قال تعالى: **﴿لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** يس: ٤٠، فالشمس لا تخرج عن قانونها الثابت فتدرك القمر ولو خرجت واصطدمت بالقمر لانفرط نظام الكون الذي لن ينفرط حتى يشاء الله تبعاً لقدر الله فيه، قال تعالى: **﴿ان الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده﴾** فاطر: ٤١ .

ثم نحن نعرف ان قانون المادة ثابت، فالحديد مثلاً يتقلص بعض تقلص بالبرودة، ويتمدد بعض تمدد بالحرارة، هكذا قانون النبوة ثابت فليس من نبي ارتكب كبيرة حتى قبل النبوة وليس من نبي ارتكب حتى صغيرة بعد النبوة بل ان الصغائر التي يرتكبها قبل النبوة هي من ناحية قليلة جداً ومن ناحية اخرى ليس منها صغائر الخسة والنذالة كالسرقة والغش والغيبة والنميمة.

بل ان الرسل لا يرتكبون المكروهات وهم يعلمون انها مكروهات، بل يظنون انها من المباح، فإذا تبين لهم بوحي من الله تعالى أو باجتهاد لاحق من الرسول اطرح المكروه، ووقف عند المباح، **﴿قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم﴾** الأنعام: ١٦١ .

وإلا فكيف نفسر ان الرسل لا يرتكبون لا الكبائر ولا الصغائر، ولا حتى المكروهات، قبل ان تنزل تفاصيل الوحي عن تفاصيل الحلال والحرام، الرسول ﷺ لا يفعل اي حرام، حتى قبل ان ينزل الشرع الذي يحرمه.

ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشرب الخمرة ومثله كثيرون قبل ان ينزل القرآن بتحريم الخمرة اما الرسول ﷺ فحاشاه.

ولهذا قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: **﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** الى قوله تعالى: **﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾** الفتح: ١-٣ والصراط المستقيم هنا هو الاستقامة على الحق كاستقامة الكواكب في مساراتها واستقامة اشياء الكون على قوانينها.

وفي جلسة تكلمت عن عصمة الأنبياء فرد علي رجل فاضل (تحدثت عن ان النبوة في كيان الانبياء فطرة خاصة)[٢] قال ما مضمونه بأن العصمة قد يكون تفسيرها لا ينطبق على قضية ضرب الرسول (هذا الرجل يناضل من اجل قناعته واستقراره) وهنا اقول: لقد خطر ببالي بيت للشاعر المتنبي يقول:

وليس يصح في الاذهان شيء

اذا احتاج النهار الى دليل!

ان هذا التبرير او الهروب الى الحلم من الواقع، بؤس مضاعف كما كان قوله السابق بأنا لا نستطيع ان ننفي ما لا يتفق من الحديث مع القرآن بعقولنا بؤساً مضاعفاً.

طرفة:

وقبل ان انقل معاني «عصم» ومشتقاتها من معجم لسان العرب، وهو اكبر معجم عربي، اذكر طرفة: كانت لنا زميلة في الجامعة تلبس على رأسها منديلاً يتقلص عن العنق والأذنين ومضت على ذلك ثلاث سنوات ثم حصلت الزميلة على الدكتوراه فغطت رأسها بالدكتوره بدل المنديل.

ومرة زارت مكتبي وكان عندي صديق متدين ومشاغب، فسألها: لماذا لا تلبسين الخمار على رأسك؟ فقالت منجرفة مع هواها: ليس في القرآن ما يدل على ان للرأس غطاءً شرعياً، فقال لها: وما تقولين في قوله تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** النور: ٣١، والخمار هو لباس المرأة؟ قالت: الخمار ليس لباس الرأس، قال: فما معنى الخمار اذن؟ اتخالفين ما ورد معنى له في معجم لسان العرب؟ قالت: ليس من اللازم ان نقبل المعنى الذي ورد في المعاجم، فقال ساخراً: اذاً دعينا نؤلف لغة جديدة بمعان جديدة حتى يستوي لك ان تتنكري للمعنى الذي ورد في المعاجم للخمار، فلوت عنقها وقلبت شفتها السفلى وأشاحت بوجهها ومضت لا تلوي على شيء، بلى هكذا يفعل الهوى بأهله، ومثل هذا يفعل اتباع ما عليه المتأخرون من جمود وتقليد فيبررون ولا يبحثون عن أسباب.

معاني «عَصَمَ»:

يقول اللسان: «العصمة في كلام العرب: المنع وعصم الله عبده: منعه مما يوبقه «اي يهلكه» وعصمه يعصمه عصماً، منعه ووقاه، وفي التنزيل: **﴿لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم﴾** هود: ٤٣، وعصمه الطعام: منعه من الجوع، وهذا طعام يعصم، اي يمنع من الجوع، والعاصم: المانع الحامي، ومن ذلك شعر ابي طالب يمدح محمداً ﷺ:

وأبيض[٣] يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

اي يمنعهن من الجوع والحاجة والضياع.

اذن كل معاني عصم يعصم، هي منع العاصم للمعصوم من اي سوء يقع عليه في المجال الذي يعصم فيه العاصم المعصوم.

واذن عصمة الله العلي القدير لرسوله ﷺ من الناس، هي منعه له ووقايته من

اهانة الناس او اذلالهم له، سواء بالقتل المادي بإزهاق الروح، او القتل المعنوي بإهدار الكرامة، ومن ذهبت كرامته ذهب وجوده المعنوي الاعتباري.

وبعد، أرأيت ان القول بأن عصم قد يكون لها معنى لا ينطبق على عصمة الرسول من الضرب، أقول: حاشا الرسول العظيم ﷺ، هو نوع من الذهاب مع الوهم، او التفكير الغيبوي الذي لا يريد ان يستغني عما تجذر في النفس منذ الصغر، بدافع واع ودافع غير واع.

ولذا يستنجد بتفسير الأمر تفسيراً غيبوياً[٤]، بما ان الواقع ووقائعه لم تنجده وهذا خذلان عقلي يقتل القدرة على الفهم الصحيح بَلْهَ التجديد او الابداع والله تعالى اعلم.

ما الفائدة؟:

وبعد ان تركت الجلسة أخبرني احد الفضلاء ان رجلاً محترماً تساءل: افرض ان ما يقوله عودة الله صحيح، وهو ان قريشاً لم تهنه، فماذا نستفيد من ذلك؟

وجوابي:

١- ان البحث عن الحقيقة من اجل تجليتها للناس هو فضيلة علمية واخلاقية بحد ذاته، ﴿**ذلك ان الله هو الحق**﴾ الحج: ٦، والحق والعدل هما فيض من الله العزيز الحكيم سبحانه.

٢- ان عقيدة المسلم الآن عن الرسول ﷺ مشوهة وهدفي هو تجلية الصورة الصحيحة النقية لرسولنا العظيم ﷺ، بحيث تصبح عقيدة المسلم عن الرسول ﷺ صافية نقية، لا شائبة فيها، والعقيدة بكل مقوماتها هي لب الدين، والأصل الأكبر الذي يوجه سلوك المسلم، ويبني عليه التشريع.

٣- اذا عرف الناس حقيقة شخصية الرسول العظيم ﷺ، وانه شخصية مهيوبة ترتد عنها الأبصار حسرى، فلا تجرؤ النفوس على توجيه اي اهانة له حاشاه، فإن ذلك يطبع في نفوس الاطفال صورة العظيم القدوة بحيث تبني النفوس وهي مشحونة بأحاسيس العزة والكرامة، فعندما يشب الطفل ويكون ممتلئاً بالعزة والكرامة فلا يقبل الضيم او الظلم لا من الداخل ولا من الخارج، وعندئذ يعيد هذا الجيل العزة للإسلام والكرامة للمسلمين.

أليس هذه الأهداف العظيمة التي هي

مزايا مشرقة جديرة بأن نحرص عليها للوصول الى الصورة الحق للأصل الذي يأتينا بهذه المزايا وهو رسولنا العظيم ﷺ؟ اي ورب الكعبة.

ايعقل ان العصمة تعني عدم الإحساس؟

وفي جلسة مع استاذ -رئيس جامعة- عندما ذكرت له قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ المائدة: ٩٧، كدليل من عشرات الأدلة على ان قريشاً لم تهن الرسول ﷺ لا مادياً ولا معنوياً، قال: «لعل العصمة تعني ان الرسول ﷺ لم يكن يأبه بما يقول عليه وبإيذائهم له بدنياً ان هذا مجرد تساؤل».

اقول: الحق ان الذي دفع هذا الرجل المستنير ان يقول هذا القول هو: ان الانسان بشكل عام يقلق وتضطرب اعماقه عندما تحرك ما استقر في وجدانه ويحس انه فقد شيئاً من قوام شخصيته، والانسان يتشبث ببقاء رصيده النفسي كما يتشبث بألا يفقد عضواً من اعضاء جسده، وكما يتشبث بألا يخسر شيئاً من رصيده في البنك، ان اهمية الرصيد النفسي لا تقل عن اهمية الرصيد المالي، هذا هو الذي دفعه الى هذا التفسير النقيض.

ولكن مما يدل على ان «يعصم» بعيدة كل البعد عن ان الرسول ﷺ لم يكن يأبه او يشعر بما يقولون ويفعلون تجاهه.

الأول: ان الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿**ولقد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ الأنعام: ٣٣، فلو كان لا يأبه بما يقولون لما كان يحزن لما يقولون.

الثاني: قوله تعالى ومثله كثير: ﴿**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً**﴾ الأحزاب: ٥٧، فلو كان ﷺ لا يأبه، لما تأذى.

الثالث: ان الرسول ﷺ كان يضيق صدره بما يقولون من تواطئهم على عدم الاستجابة لما يدعو له ومن رميهم له في غيبته ببعض الاتهامات التي رفع الله المعز قدره عنها قال تعالى: ﴿**ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون**﴾ الحجر: ٩٧، فلو كان لا يأبه بما يقولون وما يفعلون فلماذا يضيق صدره الشريف؟.

الرابع: ان الرسول العظيم ﷺ واساه ربه لأن أحد رجال قريش قال: محمد

أبتر، فقال تعالى: **﴿ان شانئك هو الابتر﴾** الكوثر: ٣، فلو كان لا يأبه فلماذا يواسيه ربه؟

الخامس: ان الرسول ﷺ قال: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ قالوا: كيف؟ يشتمون مذمماً وانا محمد، ويلعنون مذمماً وانا محمد».

الخلاصة:

ان العصمة لا علاقة لها بمعنى «لا يأبه او لا يشعر بما يقولون وما يفعلون» وإنما هي صرف للناس عن إيذاء الرسول ﷺ اذىً مادياً أو معنوياً فيه إهانة او إذلال، ذلك لأن الرسول الكامل الكرامة كامل الاحساس بما يهين او يذل، فلهذا صرف الله القدير الناس عن إهانته أو إذلاله حاشاه ﷺ، والله تعالى اعلم.

الهوامش:

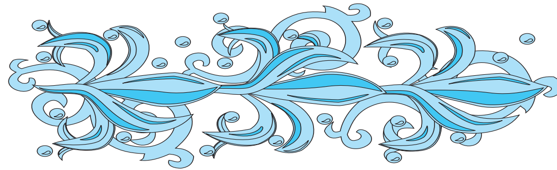
١- تفصيل ذلك في الجزء الثاني التمهيدي تحت عنوان «النبوة في كيان الانبياء فطرة خاصة» من كتابي «العصمتان» معد للطبع.

٢- ان تفصيل ذلك في الجزء الثاني التمهيدي من كتابي «العصمتان» معد للطبع.

٣- وابيض: بالرفع معطوف على مرفوع قبله فليست الواو واو «رُبّ».

٤- الغيبوي مناقض للغيبي، فالخبر الغيبي هو الذي أنزله الله تعالى في القرآن الكريم وهو حق محض اما الغيبوي فهو الكلام المتوهم الذي لا أصل له، لا في الدين ولا في العقول العبقرية.

٥- صحيح البخاري، رقم ٣٥٣٣ .



أقباس من هدي رسول الله ﷺ في الدعوة الى الله تعالى

■ بقلم الدكتور مبارك العلمي

ان أشرف العمل وأنبله وأكرمه وأسماه، دعوة عباد الله تعالى اليه، وتعريفهم أنه الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الخالق البارئ المصور، يسبح له ما في السموات والأرض، ثم وصلهم به، بأن يعبدوه لا يشركون به شيئاً، ويطيعونه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتلك رسالة الأنبياء والمرسلين، المصطفين من خلق الله الأكرمين.

❖ الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ:

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** البقرة: ٢٥٣، وقال جل وعلا: **﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾** الحج: ٧٥، وانطلاقاً من مبدأ التفضيل والاصطفاء الذي ورد في القرآن الكريم، يعلم العالمون ان الله تعالى آتى عبده محمداً ﷺ من الفضل وعلو القدر وعظم المنزلة، ما لم يؤت أحداً من أنبيائه ورسله الأكرمين، قال جل شأنه: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ❖ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾** آل عمران: ٨١-٨٢ .

فالنبيّون الذين أخذ الله تعالى عليهم الميثاق، هم رسل الله اجمعون، والرسول المصدق لما معهم هو رسول الله محمد ﷺ، وأخذ الميثاق من النبيين اخذ له من اتباعهم، وتلك هي البشارة به ﷺ، وتلك

آية الاصطفاء والتفضيل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهو الحق من الحق، نزل به الروح الأمين على أشرف الخلق **﴿وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾** المائدة: ٥٠ .

ومن وجوه شرف القرآن الكريم وتفرده، أنه الرسالة، وهو المعجزة وهو الدال وهو المدلول عليه، به كمل الدين وبه تمت النعمة، وبه حق لدين الاسلام ان يكون بمحل الرضى من الله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾** المائدة: ٤ .

❖ الدعوة الى الله على هدى من الله:

بين الانسان وبين الله تعالى موعد لا يخلف، وبين العبد وربه مسعى يكدح فيه اليه كدحاً، فإن استقام نال الفوز وجنى قطوف الأمان، ولا تنال الاستقامة الا بالعلم والعمل، والمثل الأعلى، والأسوة الحسنة الفضلى محمد رسول الله ﷺ، فقد علمه الله سبحانه وتعالى ان ينادي في الناس: **﴿قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني﴾** يوسف: ١٠٨، والسبيل المشار اليه -اشارة استحضار وتبيين- هو الاسلام الذي شرعه الله جل وعلا لعباده ورضيه لهم، وكونه ﷺ على بصيرة، وصف كنائي عن حاله، فهو ﷺ على تمام التبيين، وكمال اليقين من أمر ربه سبحانه وتعالى، فالبصيرة هي نور القلب، وبه يستنير السبيل ويهتدي السالك، والمؤمنون تبع للداعي، من نوره يقتبسون وبأمره يعملون، والنور من الله تعالى والأمر أمره جل وعلا.. **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾** النور: ٣٥ .

انه مثل عظيم ضربه الله تعالى لهداه في قلوب المؤمنين، فهو تعالى الهادي، وبهداه يهتدي المهتدون ويهدون، وإمام الهداة محمد ﷺ، قال رب العزة: **﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم ❖ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور﴾** الشورى: ٥٢-٥٣ .

❖ حجة الله تعالى وآياته:

لقد أقام الله العظيم الحجة على الناس اجمعين، اذ جلّى لهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، فهو رب السموات

والأرض وما بينهما **﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾** الأعراف: ٥٤ .

وتسبيح الكائنات كلها بحمد ربها تعالى متحقق مشهود في انقيادها وطاعتها لأمره، فلا اختلاف ولا فطور في شيء من خلق الله على مر السنين وتعاقب الدهور **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ❖ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❖ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ❖ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** يس: ٣٧-٤٠ .

وكما جلى الله العظيم لعباده آياته في الآفاق، بأن جعل ميسم العبودية على كل شيء، أراهم آيات رحمته وكرمه وفضله في أنفسهم، وفي إنزال أفضل كتبه على أكرم رسله ﷺ **﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: ١٠٧ .

انها شهادة الله العلي العظيم، وشهادة العظيم هي العظيمة، وان اعظم ما انعم الله به على عباده هو رسوله محمد ﷺ، وما ذلك الا لأنه ﷺ جاءهم بأكمل دين وأفضل رسالة، وشهد له الله سبحانه وتعالى بأزكى خلق: **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: ٤ .

❖ حق الدعوة على الدعاة:

ما أعظم الأمانة وما أثقل الحمل، وما أشق الكلفة، ولكن يعظم الأجر لعظم المشقة، وان واجب الدعاة الى الله ان يكونوا ورثة رسول الله ﷺ، يرثونه في إيمانه بربه سبحانه وتعالى، وفي علمه بكماله وجلاله وجماله، وفي طاعته لأمره ونهيه، وفي صبره وجهاده، وفي مرضاته وحلمه، وفي زهده وجوده، وفي رحمته بأمته وبره بأهله.. بل في كل أمره ﷺ، فإنهم ان كانوا كذلك، حق لهم ان يقبل الناس منهم كما قبلوا من رسول الله ﷺ، وان يكونوا من التابعين بإحسان.

ان الأسوة الحسنة حقيقة ينصهر فيها الايمان والعلم والعمل والاخلاص والاحسان، وليقبل الناس الحق والصلاح والفضل، لا بد ان يروه في السلوك والمخالفة، وإذا لم يسبق سلوك الدعاة القول منهم، فإنه يجب ان يصاحبه ويواكبه، وهو ما تشتد اليه حاجة المسلمين اليوم، والدعاة منهم خاصة، يجب ان يرى منهم غير المسلمين ما يزكيهم ويعلي من قدرهم بأن يعطوا المثل الصالح في أخلاقهم، بأن تكون طيبة سليمة مسالمة، يألفون ويؤلفون، يؤدون الأمانة.. أمانة النفس والأهل والجار والأمة والانسانية كلها، ففي الصحيحين عن ابي موسى

الأشعري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة، قال: أرأيت ان لم يجد؟ قال: يعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت ان لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت ان لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت ان لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنه صدقة».

فلنتدبر هذا الحديث الشريف، ولننظر حال الأمة وقد علمته وعلمت به، وحكمته واحتكمت اليه، واتخذته ميزاناً ومرآة لها فيما يجب ان يكون بين أفرادها من مخالقة وتعاون على الخير، فإذا تدبرنا ذلك الحديث علمنا:

١- ان المسلم يبذل الخير للغير، يبدأ بالاحسان ويسبق الى البر، ذلك شأنه وتلك صفته، يتخلق بأخلاق ربه سبحانه وتعالى.

٢- انه عامل منتج سباق.

٣- انه معين على الخير ان لم يكن مستقلاً به.

٤- انه داع الى المكارم ودال على المعروف.

٥- انه أمين حفيظ لأمن غيره من الناس.

فلننظر الى ذلك المجتمع الذي يتنافس ابناؤه في فعل الخيرات ويسارعون في بذل المعروف والاحسان وأدناهم منزلة من يمسك أذاه عن الآخرين؟

انه المجتمع الذي يفترش الأمن ويلتحف السلام، مجتمع سعيد كريم منعم محفوظ بحفظ الله العظيم ذي الجلال والإكرام.

فإلى ذلك الشأو ينبغي ان تتطلع همم الدعاة الى الله، وعلى ذلك المنوال يجب ان تخط الأقلام، اقتداء واتباعاً لأكرم رسول أرسله العلي الأعلى الى الأنام، يدلهم على المكارم ويدعوهم الى الارتقاء في معارج الاحسان.

روى الامام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «ان رسول الله ﷺ موصوف في التوراة بما هو موصوف في القرآن: (يا أيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، انت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق، لا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله الا الله، ويفتح به عيوناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً) صلى الله على سيدنا محمد، ووفقنا لأن ندعو بمثل ما دعا اليه.. انه سميع مجيب.

المولد النبوي الشريف

■ بقلم الشيخ ابراهيم محمد الدهون

تحتفل الأمة الإسلامية بذكرى عزيزة على قلب كل مؤمن ينبض بالإيمان، إلا وهي ذكرى ميلاد المصطفى ﷺ، هذه الذكرى العطرة والمولد الاسنى الذي نتفيأ هذه الأيام ظلاله لنستذكر مناقبه وخصاله ونستعيد احاديثه ونسترجع افعاله.

فبإحياء هذه الذكرى إحياء لسنة صاحبها، والاحتفاء بها اقتداء به واهتداء بهديه واقتفاء لأثره ﷺ، وبغير ذلك لا تنفع الذكرى ولا يجدي أن نحتشد لها ونحتفي، فالأمور بما يستفاد بها من دروس وعظات بحيث تكون نورا تقود الخطى وتهدي السائرين فقد كان ﷺ المثل الأعلى في الرحمة والعفو والحلم والصبر والكرم، وكذلك المثل الكامل في القيادة فسر عظمة شخصيته ﷺ بدأت عندما صاغ امة من جديد، تحدت العالم يومئذ بمثلها ومبادئها وقيمها ومقاصدها العليا في الحياة الإنسانية على مداها الطويل وأحقابها المتعاقبة.

فقد صاغ امة أضحت تتمثل في أعماق نفسها مبادئ وقيما عليا إنسانية خالدة بموضوعيتها ونزاهتها عن الغرض والطمع والاستغلال والطغيان والظلم، ثم ما لبثت أن دفعها وعيها لذاتها ولشخصيتها المعنوية الكاملة، إلى أن تعتبر نفسها مسؤولة عن حمايتها ونشرها في أرجاء الأرض، وسرعان ما انتشرت في معظم

العالم وفي فترة قصيرة من عمر الزمن حتى أصبحت وكما وصفها الله جلت قدرته: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾**.

أما أخلاق الرسول ﷺ والتي يجب أن تكون نورا ونبراسا يضيء لنا الطريق في حياتنا اليومية ، فها هو يلخص مهمته بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وها هي عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه قالت: «كان خلقه القران» وقد وصفه ربه بقوله تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**.

لقد ولد ﷺ والدنيا أعاصير مصطرعة ما بين شرق وغرب وما بين فلسفات ومعتقدات، وما بين قبائل وشعوب وهذه الأعاصير جعلت العالم كأمواج البحار تهب على السطح عارمة أو في باطن البحار عاتية كما جاء وصفها في قوله تعالى: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾**، وكان هذا النور محمداً ﷺ هيئه الله للرسالة وحماه من الأذى طفلا وفتى ورجلا يكنز الدنيا في عينيه ويحمل الرحمة للعالم اجمع ويجمع بين الحكمة والشجاعة **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**.

نعم كان ﷺ منة ربانية ونعمة إلهية، أخرجنا الله بها من الظلمات الى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ولقد اوجب الله شكر النعم ووعد عليها بالمزيد كما حذر من كفرها وتوعد عليها بالعذاب الشديد **فمن شكر نعمة إرسال الرسول ﷺ:**

أولا: الإيمان به إيمانا يبعث على تعظيمه وتوقيره والعمل بما انزل عليه وتبليغ رسالته فمن اجل تبليغ دعوته ساروا تحت كل نجم وقطعوا كل واد واجتازوا الأراضي الواسعة هداة مجاهدين، فهدى الله بهم من شاء من خلقه وعادت رايتهم مكللة بالعزة والنصر والإباء.

ثانيا: ومن شكر نعمة إرسال الرسول ﷺ أن نشعر بالفخر والاعتزاز أن جعل

الله الرسول منا معشر البشر ومعشر العرب فالمرء يعتز ان يكون له قريب ممكن له في الأرض فكيف لا يعتز ان يكون له قريب ممكن له في السماء، فقد اختاره الله من بين ملايين البشر فأنزل الله عليه الوحي وجعله رسول هذه الأمة فمهد لها سبيل الهداية وجعلها على بصيرة من أمر دينها وجعله ربه معلما للناس وقدوة لهم ، فهي نعمة لا يقدرها إلا من يرى الآخرين يناجون ربهم بما لا يفهمون معناه وصدق الله العظيم: **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾**.

ثالثا: ومن شكر نعمة إرسال الرسول ﷺ أن نقتدي به في معالجته للمواقف والأمور فقد واجه ﷺ كل الظروف التي تواجهها كل الأمم في مختلف مراحل تكوينها، فقد كان يكافح من اجل إحقاق الحق وإبطال الباطل ويتصدى للمشاكل والفتن وجرد سيفه للباطل فأذعن المبطلون للحق وعلت كلمة الله في الأرض.

فيجب أن نتعلم من رسولنا ﷺ الصبر، فنصبر ونجد ونعمل كما عمل بحنكة وذكاء وموازنة دقيقه بين الغاية المنشودة والإمكانات المتاحة، ثم نخلص للحق بمقدار إيماننا به ونضحي من اجله بمقدار حبنا لانتصاره وان الحق لا ينتصر الا بالقوة، فوحد أمته ورفع عن العالم الإصرار والأغلال التي كانت عليهم، فعلم الاتباع الكتاب وهداهم بالسنة وزكاهم بالإسلام وترك للعالم ميراثه ودينه وقرآنه وسنته وال بيته، فقد تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فحفظ الله بها امة الإسلام على الرغم من الكوارث التي مرت بها من قوى الشر والعدوان من الرومان والتتر والصلبيين والمستعمرين فزالت قواهم وخرج الإسلام والمسلمون انقياء يتجهون في صحوة راشدة إلى دين الله.

ونحن في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ نترقب أن يزيل العرب والمسلمون فرقتهم وضياعهم ونزاعهم وخلافهم، وان يوحدوا صفوفهم ويكونوا امة الخلود التي اصطفاها الله لرسالته: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**، صدق الله العظيم.

كيف عالج النبي ﷺ الغيرة بين نسائه رضي الله عنهن

■ بقلم الاستاذ أحمد صقر السويدي

الحديث عن بيت النبي ﷺ، هذا البيت الذي مرت به جميع اصناف الحياة وظروف الزمان من فقر وغنى، ومن فرح وحزن، ومن شدة ورخاء، ومن عسر ويسر، كل ذلك ليكون لنا القدوة والأسوة الحسنة لما نعيشه في حياتنا، إنه بيت يدخل عليه ما يدخل على بيوت المسلمين من الهم والحزن والفرح والسرور والكثرة والقلة والفقر والغنى.

ولقد جاء من أحاديث النبي ﷺ وسيرته انه كان يخرج من بيته ليس عنده طعام، وان عائشة رضي الله عنها تذكر ان النبي ﷺ «كان يمر عليه شهر وشهران وثلاثة ولا يوقد في بيته النار»[1].

وان النبي ﷺ لما فتحت عليه الفتوح كان يجعل لأهل بيته مؤونة سنة، وذلك مما أغناه الله سبحانه وتعالى وأعطاه بعد الفتوح، فمر على بيت النبي ﷺ فقر ومر عليه غنى، ومر عليه فرح بتزويج بناته ﷺ، ومر عليه حزن بفقده ابناءه وبناته صلوات الله عليه وسلامه.

اذاً بيت رسول الله ﷺ لنا فيه أسوة حسنة في أنه مرت به جميع ظروف الحياة وأصنافها، فلنا فيه الأسوة الحسنة والقدوة الكريمة.

وسنتحدث في جانب من الجوانب التي مرت بالنبي ﷺ، كلنا يعلم ان النبي ﷺ كان عنده عدة نسوة، ومعناه ان هناك نوعاً من الغيرة ونوعاً من التنافس على محبته ﷺ، ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها عن بعض زوجات النبي ﷺ: انها كانت تساميني عند رسول الله ﷺ، بمعنى تنافسني في محبته، وذكرت هذا الحديث في زينب[٢] رضي الله عنهن اجمعين.

فالنبي ﷺ مرت به تلك الغيرة التي تغارها النساء من بعضهن بعضاً، ولذلك عالج النبي ﷺ هذه الغيرة في نسائه بعدد من الأمور نذكرها دون ترتيب تصاعدي او تنازلي ولكنها على بعض المواقف، منها:

الأمر الأول: ان النبي ﷺ يرد هذه الغيرة الى انها وازع او انها نزعة من نزعات الشيطان[٣].

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، انه بلغه ان عائشة رضي الله عنها كانت نائمة عند رسول الله ﷺ ففقدته من الليل، فسمعت صوته وهو يصلي، قالت: فقمت اليه فأدخلت يدي في شعره فمسسته أبه بلل ثم رجعت الى فراشي ثم إنه سلّم، فقال: أجاءك شيطانك؟ فقلت: أما لك شيطان؟ قال: بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم[٤].

أخبرنا يوسف بن سعيد قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: اخبرني عبد الله بن ابي مليكة انه سمع محمد بن قيس ابن مخرمة يقول: سمعت عائشة تحدث قالت: ألا أحدثكم عني وعن النبي ﷺ؟ قلنا: بلى، قالت: لما كانت ليلتي التي هو عندي، تعني النبي ﷺ انقلب فوضع نعليه عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث الا ريثما ظن اني قد رقدت، ثم انتعل رويداً وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب رويداً، وخرج رويداً، وجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري وانطلقت في أثره حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات، فأطال ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، وهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، وسبقته فدخلت، فليس الا ان اضطجعت فدخل، فقال: ما لك يا عائشة حشيا رابية، قالت: لا، قال: «لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير»، قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته الخبر، قال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟» قالت: نعم، فلهزني في صدري لهزة أوجعتني، ثم قال: «أظننت ان يحيف الله عليك ورسوله؟»، قلت: مهما

يكتم الناس فقد علمه الله، قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيت، ولم يدخل علي وقد وضعت ثيابك فناداني، فأخفى منك، فأجبته فأخفيته منك، فظننت ان قد رقدت، وكرهت ان اوقظك، وخشيت ان تستوحشي، فأمرني ان آتي البقيع، فاستغفر لهم، قلت: كيف أقول يا رسول الله، قال: «قولي: السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون»[٥].

وفي رواية: ان رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة؟ أغرت، فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله أومعي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[٦].

ومعنى أن النبي ﷺ يرد هذا الأمر ويدفع هذه الغيرة ان هذا الذي حدث منك يا عائشة انما هو نزعة من نزعات الشيطان، ووسواس منه، فاستقرت عائشة رضي الله عنها.

الأمر الثاني: الدعاء لهن:

فالنبي ﷺ لما خطب أم سلمة[٧] قالت له ﵂: «اني غيرى وإني مصبية، يعني إني أغار، وإني كثيرة الأولاد، عندي صبية في البيت، فقال النبي ﷺ: أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، يعني سيكفيهم برعاية رسول الله ﷺ، وأما قولك اني غيرى فأدعو الله ان يذهب غيرتك، فدعا لها رسول الله ﷺ» وفي رواية أخرى أما أيتامك فعلى الله وعلى رسوله، والشاهد في هذا دعوة النبي ﷺ لها ان تذهب عنها هذه الغيرة وان ينزع الله ما فيها، وهذا نوع من العلاج، ان يدعو الرجل لزوجاته بأن ينزع الله سبحانه وتعالى هذه الغيرة عنهن فتستقر نفوسهن على الخير.

الأمر الثالث: ذكر فضائلهن:

كذلك عالج النبي ﷺ الغيرة بين نسائه بذكر فضائلهن وما قدمنه، وفي باب الوفاء الذي كان فيه رسول الله ﷺ لزوجاته ان عائشة ﵂ تقول: كان رسول الله ﷺ اذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوماً فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله خيراً من كبيرة السن، قالت: فرأيته غضب غضباً

أسقطت من خلدي وقلت في نفسي: اللهم ان أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس وآوتني اذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني، قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً[٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ اذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، لقد آمنت بي اذ كفر بي الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها اذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها اذ حرمني اولاد النساء[٩].

فهذا نوع من العلاج الذي عالج به النبي ﷺ ان يذكر فضائل المرأة التي يغار منها حتى تعرف المرأة الأخرى التي عند زوجها أن لها مكانة وكل له فضل وكل له خير.

وعن انس رضي الله عنه قال: بلغ صفية ان حفصة رضي الله عنها قالت: اني ابنة يهودي، فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما شأنك» فقالت: قالت لي حفصة: اني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: «انك ابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك» فقال: «اتق الله يا حفصة»[١٠].

ومعنى قول النبي ﷺ انك ابنة نبي، لأنها من ذرية هارون عليه السلام، وان عمك نبي يعني موسى عليه السلام فهذا نسب عظيم تنتهي اليه، وانك لتحت نبي، اي انك زوجة نبي، فبم تفخر عليك، فأنت في فخر النسب اعظم، لأنك تعودين الى سلالة أنبياء.

ثم قال: اتق الله يا حفصة، ومعنى ذلك، توجيه آخر، وهو توجيه زوجاته الى تقوى الله سبحانه وتعالى والاستغفار من هذا الأمر.

الأمر الرابع: جمعهن في مجلس واحد:

ايضاً من المعالجة التي عالجها النبي ﷺ في زوجاته، انه كان يجمعهن في مجلس واحد، وهذا الجمع يذهب ما في النفس من الغيرة، ويقرب الانفس الى بعضها بعضاً كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ:

فقال: مرحباً بابنتي، فأجلسها عن يمينه أو شماله[11]، وهذا اشارة إلى أن النبي ﷺ كان يجمع نساءه في مجلس واحد.

الامر الخامس: مروره عليهن ضحىً:

ومن الامور التي عالج بها الرسول ﷺ الغيرة بين نسائه انه كان يمر عليهن ضحى، فيسأل عن أحوالهن جميعاً، ويستخبر عن أفعالهن فدل ذلك على ان هذا المرور اشارة الى انه يرعى البيوت كلها، فلا يغفل عن بيت من هذه البيوت.

الأمر السادس: الحلم:

ومنه كذلك ﷺ في معالجته لهذه الغيرة انه يعالج هذه الأمور بالحلم وبالاعراض عن بعض الأخطاء التي تحدث، فقد ورد أن النبي ﷺ كان عنده أضياف في بيته، فأرسلت امرأة من نسائه الى بيت ضرتها - الذي فيه أضياف- قصعة فيها شيء من الثريد، فلما رأت المرأة زوجة النبي ﷺ - التي هو في بيتها هذا الاناء الذي جاء- ضربته برجلها أو بيدها فانكسر هذا الاناء، فما زاد النبي ﷺ الا ان قال: غارت أمكم، يعني هذا التصرف تصرف غيرة، فكان نوع من المزاح والحلم، فخبأ النبي ﷺ هذا الاناء، ولما جاء إناء آخر من غزو دفعه رسول الله ﷺ الى بيت الذي كسر اناؤها، فهذا نوع من المعالجة التي عالجها النبي ﷺ[12].

الأمر السابع: التخفيف عليهن:

وكذلك من أمور المعالجة تخفيف هذا الأمر الذي قد يقع من زوجات النبي ﷺ بنوع من العلاقة العاطفية التي مارسها النبي ﷺ.

لما رجع النبي ﷺ من خيبر وكان قد تزوج من صفية رضي الله عنها، فتلقته عائشة رضي الله عنها متغطية، ونظرت الى صفية وخرجت فرآها النبي ﷺ فعلم غيرتها، فخرج النبي ﷺ خلفها وضمها اليه فأذهب ما في نفسها، وهذا من العلاج الذي عالجه النبي في الغيرة بين نسائه وإلا فالغيرة أمر فطري عند النساء، ولكن عالجه النبي ﷺ وهو المبعوث رحمة للعالمين.

الأمر الثامن: الاستئذان في بعض الأمور:

وهذا الذي فعله النبي ﷺ في مرضه الذي مات به فإن النبي ﷺ لما مرض ثقل عليه ان يتحرك بين بيوته، فكان يقول (وهناك روايتان) لهن جميعاً: لو رأيتن ان أطبب في بيت إحداكن! فقالت ام سلمة رضي الله عنها: نعلم ماذا تريد؟ تريد ابنة ابي قحافة،

يعني تريد ان تكون عند عائشة، نعلم هذا، فسكت النبي ﷺ فأقررن ذلك فجعلناه في بيت عائشة رضي الله عنها يطبب، وهذه كرامة الله لعائشة ان يموت ﷺ في بيتها[١٣].

الأمر التاسع: القرعة في السفر:

والنبي ﷺ كان يقرع بين نسائه في السفر، حتى لا يقال: انه اختار فلانة، فكان اذا أراد السفر أقرع بين نسائه (اي جعل قرعة)، فمن وقعت عليها القرعة خرجت معه ﷺ، وما ذاك حتى يعالج هذا الامر، فكان منه ﷺ علاج لهذه الغيرة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ اذا اراد ان يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها، خرج بها النبي ﷺ فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع النبي ﷺ بعد ما أنزل الحجاب[١٥].

الأمر العاشر: الشدة:

وقد ورد بعض الأحاديث عن النبي ﷺ انه تصرف بنوع من الشدة وبيان الغرض في هذا الأمر، كما قال لحفصة: اتق الله يا حفصة، وكما مر على عائشة فما زال يذكر محاسن خديجة شهراً كاملاً حتى لا تذكر عائشة رضي الله عنها خديجة بسوء[١٦].

الحادي عشر: السماح بالانتصار في مواطن الخطأ:

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما عملت حتى دخلت على زينب بغير اذن وهي غضبى، ثم قالت لرسول الله ﷺ: أحسبك اذا قلبت لك بنية ابي بكر ذراعيها، ثم أقبلت الي فأعرضت عنها، حتى قال النبي ﷺ: «دونك فانتصري» فأقبلت عليها حتى رأيتها قد يبس ريقها في فمها، ما ترد علي شيئاً، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه»[١٧].

وانما سمح النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها ان تنتصر لنفسها لأن زينب رضي الله عنها دخلت بيتها من غير إذن، وذكرت من خصوصيات الحياة الزوجية ما ينبغي ألا يثار بين الضرائر.

فهذه بعض الصور التي عالج بها النبي ﷺ الغيرة بين نسائه، والله من وراء القصد.

الهوامش:

١- روى البخاري ٩٠٧/٢، ورقمه ٢٤٢٨، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الاسودان

التمـر والماء الا انه كـان لرسـول الله ﷺ جيران من الانصار وكانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا.

٢- جـزء من حـديث الإفك، انظر صـحـيح البخاري ٩٤٢/٢-٩٤٥ ورقمه ٢٥١٨، ومنه قالت عائشة رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: «يا زينب ما علمت، ما رأيت» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها الا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع».

٣- التمهيد لابن عبد البر، ج٢٣ ص٣٥١ .

٤- سنن النسائي ٧٢/٧، ورقمه ٣٩٦٠، ونصه: عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ان عائشة رضي الله عنها قالت: التمست رسول الله ﷺ، فأدخلت يدي في شعره، فقال: «قد جاءك شيطانك؟» فقلت: أما لك شيطان، فقال: بلى ولكن الله اعانني عليه فأسلم».

٥- سنن النسائي ٩١/٤ ورقمه ٢٠٣٧ .

٦- صحيح مسلم ٢١٦٨/٤ ورقمه ٢٨١٥ .

٧- وفي مسند الإمام أحمد ٣١٣/٦ ورقمه ٢٦٧١١ ومنه: «فبعث اليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبرسوله، أخبر رسول الله ﷺ اني امرأة غيرى وأني مصبية وانه ليس احد من أوليائي شاهداً فبعث اليها رسول الله ﷺ «اما قولك: اني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: اني غيرى، فسأدعوا الله ان يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب الا سيرضاني» قلت: يا عمر قم فزوج رسول الله ﷺ».

٨- سير أعلام النبلاء ١١٢/٢ .

٩- مسند الامام احمد ١١٧/٦ ورقمه ٢٤٩٠٨ .

١٠- مسند الامام احمد ١٣٥/٣ ورقمه ١٢٥١٤ .

١١- انظر صحيح مسلم ١٩٠٥/٤، ورقمه ٢٤٥٠، وهو بتمامه: عن عائشة قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله، فقال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه او عن شماله ثم انه اسر اليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم انه سارها فضحكت ايضاً، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أرقب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى اذا قبض سألتها فقالت: انه كان حدثني: «ان جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وانه عارضه به في العام مرتين، ولا اراني الا قد حضر اجلي، وانك اول اهلي لحوقاً بي ونعم السلف انا لك» فبكيت لذلك، ثم انه سارني

فقال: «الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت لذلك.

١٢- صحيح البخاري ٢٠٠٣/٥ ورقمه ٤٩٢٧، عن انس قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت احدى امهات المؤمنين بصفحة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصفحة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصفحة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى اتى بصفحة من عند التي هو في بيتها فدفع الصفحة الصحيحة الى التي كسرت صفحتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت.

١٣- سير أعلام النبلاء، واستأذن النبي ﷺ نساءه في مرضه، فقال: «انه ليشق علي الاختلاف بينكن، فائذن لي ان أكون عند بعضكن»، فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد تريد عائشة قد أذنا لك وكان آخر زاده من الدنيا ريقي، اتى بسواك، فقال: «انكثيه يا عائشة» فنكثته، وقبض بين حجري ونحري، ودفن في بيتي» هذا حديث صالح الاسناد ولكن فيه انقطاع.

١٤- وفي صحيح البخاري ١٦١٧/٤، ورقمه ٤١٨٥ عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «اين انا غدا، أين انا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وان رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن ابي بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر اليه رسول الله ﷺ، فقلت له: اعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فاعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند الى صدري.

١٥- أخرجه البخاري ١٠٥٥/٣ ورقمه ٢٧٢٣ .

١٦- سير أعلام النبلاء ج٢، ص١١٢، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ اذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها فذكرها يوماً فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن قالت: فرأيته غضب غضباً اسقطت في خلدي وقلت في نفسي: اللهم ان اذهبت غضب رسولك عني لم اعد اذكرها بسوء فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت والله لقد آمنت بي اذ كذبني الناس وآوتني اذ رفضني الناس ورزقت منها الولد وحرمتموه مني، قالت: فغدا وراح علي بها شهراً.

١٧- مستند الامام احمد ٩٣/٦، ورقمه ٢٤٦٦٤ .

لغة الكلام خجلى.. ولولا حب محمد لم أتكلم

■ بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

إنه كلما هل على أمة الاسلام هذا الشهر الكريم المبارك، شهر ربيع الأول من كل عام الا وأقبلت معه اعظم ذكرى دينية، واتت معه اكبر مناسبة اسلامية، يستبشر بها المسلمون، ويفرح بها المؤمنون في كل مكان، ألا وهي ذكرى مولد سيد السادات والكائنات سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

حيث كانت البشرية غارقة في ظلام كثيف صفيق، وظلم غليظ راسخ، تتخبط في عقائدها، وتتزيف في أفكارها، تصطنع للظلم فلسفة، وللضلال شريعة ومبادئ، في هذا الجو المكفهر الخانق، انبثق النور من بطحاء مكة بمولد أشرف الخلق وأطهرهم سيدنا محمد ﷺ ليبشر بالحق ويهدي الى الصراط المستقيم.

نبي أُمي وقوم أُميون، وحياة جافية متجهمة، وارض جدباء، ومع كل هذا تلد الحياة اكرم مواليدها، وتخرج الأرض أطيب ثمراتها، فتتفجر ينابيع الحكمة من فم هذا النبي العظيم الأُمي ﷺ، ثم تقع هذه الحكمة في عقول هؤلاء الأميين وفي قلوبهم، موقع الماء الغدق في الأرض القفر، فإذا الناس غير الناس، واذا الحياة غير الحياة، واذا اعراب البادية ورعاة الابل، شامة الناس، وأساتذة العلم وساسة الحكم

وتربية الأمم وقيادة الشعوب، واذا هذا البلد مطلع النور، ومشرق الهدى، ومهوى الأفئدة، وقبلة أنظار العالم من عدو وصديق.

حقاً لقد أشرقت الأرض من جديد بنور ربها، وظهر نور السماء بميلاد اعظم الخلق، ومع هذه البداية وهذا الاجتباء والاصطفاء، بدأت عناية الله تبارك وتعالى تهيئه لحمل خاتمة الرسالات، فكمال في الخَلْق وكمال في الخُلق وكمال في الأقوال وكمال في الأعمال، ولعل هذه الكمالات هي من أسباب العظمة الحقيقية في شخص الرسول الأعظم ﷺ التي قربته الى نفوس الناس، وجعلته محبوباً اليهم، تعشق الطبائع متابعته، وتميل القلوب الى الانقياد له، فلا ينفر منه معاند، ولا يستوحش برؤيته أحد، فنوره يعم الجميع، وبشره يسقي القلوب الظمأى، إنها الكمالات الكفيلة في تحقيق المنهج الاصلاحي، وتكوين جيل رائد قيادي، مؤهل للمحافظة على المبادئ والدعوة لها والثبات من اجلها، فهو ﷺ العظيم في كل باب، والمتقدم في كل شأن، فأنى استفتحت ابواب العظمة لتلجها، وجدته المالك لمفاتيحها، المتربع على عرشها المتسنم ذرى مجدها صلوات الله وسلامه عليه.

لقد ارسله الله تعالى للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بعد ان اختاره جل وعلا من مشكاة الأنبياء، ومن سلالة الشرفاء، من أطيب الأجداد وأشرف الآباء، وما زال نوره يتقلب بين الساجدين والراكعين لله، الى ان اختار الله لظهوره ابوين كريمين، من اعرق البيوت مجداً وأشرف الأنساب نسباً.

فليقل القائلون في هذا النبي العظيم ﷺ ما شاءوا من قصيد المدح والثناء، ولينظموا له ما وسعهم الخيال من غرائب الأحداث وعجائب الأساطير، فإن ذلك كله ومثله معه اذا وضع في ميزان النبوة والرسالة، لن يتأثر به هذا الميزان، ولن يتحرك مؤشره قيد أنملة صعوداً أو هبوطاً، فمقام رسول الله ﷺ أجل وأرفع وأعظم من أن يتأثر بشيء من هذا، فقد رفعه ربه عز وجل فوق كل مقام، وأعلى منزلته فوق كل منزلة، إذ يخاطبه سبحانه وتعالى: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** فبهذا العطاء الموعود من رب العالمين، لم يبق للنبي ﷺ شيء يعطاه من أفواه

المحبين المادحين.

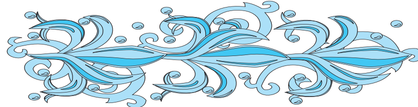
في إطار هذه المعاني ومن اعماق ما تفيض به الذكرى من عبر ودلالات، تحرص المملكة الأردنية الهاشمية، وهي تشرف بقيادة هاشمية فذة، موصولة بصاحب الذكرى ﷺ، بأعمق الجذور وأمتن الروابط، وستبقى بإذن الله الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، تحرص بقيادة العترة الطاهرة لنشر حقيقة الاسلام، بيضاء نقية تذود عن حياضه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهزء الساخرين.

ولقد ضرب حفيد صاحب هذه الذكرى جلالة الملك، قمة المثل والتفاني عندما عبر عن ضمير الأمة العربية والاسلامية وكان بحق تعبيراً صادقاً عندما خاطب العالم كله في المحافل الدولية: **«انه لن يتسامح او يقبل بأي إساءة تمس الدين الاسلامي او اي دين سماوي آخر، فالأردن صاحب الشرعية الدينية التي يتمسك بمبادئ الاسلام القائمة على احترام الديانات السماوية وانبيائها عليهم صلوات الله وسلامه».**

سيدي صاحب الذكرى صلوات الله وسلامه عليك وعلى آل بيتك الأطهار، نشهد انك رسول الله بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وأخرجت الناس من الظلمات الى النور، وجعلت القلوب القاسية التي كانت تستمرئ وأد البنات وقطيعة الرحم وأكل مال اليتيم، تتفجر بالرحمة، وتتدفق بالشفقة وجعلت النفوس التي كانت تنزع الى القتل وسفك الدماء تهفوا الى السلام والحضارة والبناء.

فحري بهذه الأمة اليوم ان تتفيأ ظلال هدي هذا النبي العظيم ﷺ، محبة وتعظيماً وتعزيراً وتوقيراً واتباعاً وسلوكاً، جدير بالمسلمين اليوم ان يتقدموا بخطى ثابتة راسخة نحو سيرته العطرة حتى تقتبس وتستنير من مشكاة النبوة، بما فيه خير الشعوب والمجتمعات في الأولى والآخرة، وصدق الله العلي العظيم: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾**.

فصلوات الله وسلامه عليك أيها النبي العظيم، والحمد لله رب العالمين.



٢

﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾

■ بقلم الدكتور محمد رامز العزيزي

قال الله تعالى: **﴿ثم أتبع سبباً ❖ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ❖ كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً ❖ ثم أتبع سبباً ❖ حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ❖ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً ❖ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ❖ ءاتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال ءاتوني أفرغ عليه قطراً ❖ فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً ❖ قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾** الكهف: ٨٩-٩٨ .

هذه الآيات من سورة الكهف وهي تكملة للآيات السابقة التي وردت فيها قصة ذي القرنين. فالآيات السابقة التي شرحناها في العدد السابق بينا بأن ذي القرنين هو ملك فارسي صالح عادل، وأنه قد يكون نبياً، وقد ملك جميع الأرض المعمورة في ذلك العصر، وهي التي تقع بين المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، ولذلك سمي ذي القرنين.

وقد بدأت فتوحاته فاستولى على جميع الأرض التي تقع غرب بلاد فارس، فوصل إلى المحيط الأطلسي، ووجد عند المحيط الأطلسي قوماً كافرين، فعاملهم بطريقة حسنة حيث دعاهم إلى الإيمان بالله

وعبادته، وأن يعملوا الأعمال الصالحة، أما من أصر على كفره وشركه بالله فسوف يعاقبه على ذلك وأخبرهم بأنه سوف يعاقب عقاباً شديداً يوم القيامة لم يعهد مثله.

وهذه الآيات التي تلتها بينت أنه بعد أن استولى على الأرض التي تقع في غرب بلاد فارس، سلك ذو القرنين طريقاً توصله إلى المشرق، حتى إذا بلغ المكان الذي تطلع عليه الشمس أولاً من الأرض المعمورة - وهي التي تقع على شاطئ المحيط الهادي - وجدها تطلع على قوم شبه عرايا ولا يظلهم سقف بيت كما هي الحال في بعض البلاد التي تقع في إفريقيا، وهذا ما دل عليه قوله تبارك وتعالى: **﴿ثم أتبع سبباً ❖ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾** فالمراد بمطلع الشمس المكان الذي تطلع عليه أولاً وهي الأرض التي كانت مسكونة في ذلك الوقت.

وقال الله بعد ذلك: **﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾** أي وأمر ذي القرنين كما ذكرنا لك أيها النبي، فلا تعجب وقد أحطنا بما لدى ذي القرنين من الجنود والعدة علما، فالله لا تخفى عليه خافية، فقد أحاط علم الله بما كان لدى ذي القرنين من العدة والجنود والبلاد التي استولى عليها. فهو العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم سلك ذو القرنين طريقاً ثالثاً، وذلك نحو الشمال، فسار فيه حتى إذا بلغ بين الجبلين المعهودين، وهما اللذان يفصلان بين المغول والتتار في الشمال، وبين أهل الجنوب في آسيا، وجد من دونهما أمة من الناس قليلي الفطنة يصعب التفاهم معهم، ويصعب إفهامهم وهذا ما دل عليه قوله تعالى: **﴿ثم أتبع سبباً ❖ حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا﴾** ثم قال تعالى: **﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً﴾**.

قالوا مخاطبين ذي القرنين: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج القاطنين خلف هذين الجبلين مفسدون في أرضنا، فهم يغيرون علينا ويمعنون بالقتل والسلب والتخريب في بلادنا.

فيهلكون الحرث والنسل، فهل ترضى أن نجعل لك أجراً في نظير أن تجعل بيننا وبينهم سداً منيعاً يمنعهم من الوصول إلينا.

فرد عليهم قائلاً: إنَّ ما منحه الله من سعة الثروة والسلطان خير مما تعرضون علي، فأعينوني بقوة من عمال وصناع وأحجار لأجعل بينكم وبينهم سداً قوياً منيعاً، ومن القوة التي طلبها أن يجمعوا له قطعاً من الحديد، فجمعوا له ما أراده، فأقام سداً عالياً منيعاً.

ساوى به بين حافتي الجبلين، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه ناراً، فأوقدوها فقال: انفخوا في الأكوار بكثرة وبقوة، فنفخوا حتى أصبح الحديد كالنار، قال بعد ذلك: آتوني نحاساً مذاباً أفرغه عليه ليدخل بين فجوات السور ويغطي أعلاه، فلما تم ذلك عجز يأجوج ومأجوج عن استعلاء ظهره أو نقبه، وبعد أن أتم ذو القرنين بناء هذا السَّد بين الجبلين قال شاكراً لله: هذا السد والقدرة على إنشائه رحمة من ربي بعباده الضعفاء وسوف يستمر قائماً هكذا حتى الوقت الذي وعد الله فيه بهدمه، فإذا جاء وعد الله بهدمه وإزالته سوف يزول ويخرج يأجوج ومأجوج، وهم التتار والمغول فيعودن للإفساد في الأرض ووعده حق لا بد من تحقيقه.

وقد روى البخاري عن السيدة زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ أنه دخل عليها يوماً فزعاً يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج جزء صغير) فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: (نعم إذا كثر الفساد) وقد اتسع شيئاً فشيئاً حتى فتح آخره في القرن السابع الهجري، وخرج جنكيز خان وخرب كثيراً من البلاد، وتبعه هولاكو الذي خرب بغداد وذلك كما ذكر فضيلة الأستاذ عبد الجليل عيسى في تفسيره لهذه الآيات[1].

وكان العالم الإسلامي عند خروجهم وظهورهم ينقسم على نفسه إلى دويلات، وكثر فساد المسلمين وفساد حكامهم. فالخلافة العباسية، كانت منحصرة في بغداد وضواحيها، والدولة الخوارزمية في المناطق الشرقية من حدود الخلافة العباسية، ودول الموحدين في المغرب العربي، وإمارات الأيوبيين في بلاد الشام ومصر.

وكان الصليبيون ما زالوا يسيطرون على قسم كبير من المدن والقلاع التي كانت تقع في سواحل بلاد الشام، وكانت قد ظهرت دولة المماليك في مصر على أنقاض دولة الأيوبيين فيها.

وكانت الخلافة العباسية عند خروج التتار في غاية الضعف والاضمحلال، واقتصرت سلطة الخليفة خارج بلاده على

المظهر الديني من مباركة الولاة الذين يستولون على السلطة في منطقة ما من العالم الإسلامي، ممن يعلنون له الولاء والطاعة، ويطلبون منه التفويض بإدارة البلاد التي تحت سيطرتهم، فيصدر إليهم أمر التفويض بعد أن يرسلوا له الهدايا والتحف النفيسة. ويتفرغ هو للهوه ولعبه وعمارة القصور والتباهي بالمظاهر، والبروز في حلله في المناسبات العامة والخاصة، فكان لا هم للخليفة إلا جمع الأموال والاستغراق في الملذات والشهوات.

وكان من تهتك آخر خلفائهم المستعصم بالله عبد الله بن المنتصر بالله، أن جيوش التتار عندما كانت تحاصره تغني المغنيات في مجلسه، وتلعب الجواري بين يديه وتضحكه، حتى أن بعض جواريه أصابها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص كما ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية(٢) وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾** الإسراء: ١٦ .

ونتيجة لهذا الانقسام وهذا الفساد في العالم الإسلامي تحقق وعد الله، فهدم هذا السدَّ الذي أقامه ذو القرنين بين الجبلين، وخرج يأجوج ومأجوج الذين كانوا يقيمون خلفه، وهم التتار والمغول بقيادة جنكيز خان، وخرب كثيراً من بلاد المسلمين وهي بلاد الهند وأفغانستان، وخلفه هولاكو الذي واصل الزحف مع جنده فاستولى على بلاد الفرس وعلى بغداد والعراق وبلاد الشام، حتى تفرق ملك المسلمين شَذَرَ مَذَرَ، فقد زحف التتار بقيادة هولاكو فاستولوا على بغداد، وأزالوا الخلافة العباسية منها بعد قتل خليفتها وأمرائها وعلمائها وأبيحت المدينة للجند، فأخذوا يثخنون في أهلها قتلاً وتمثيلاً، كما زحف قائد التتار هولاكو إلى مدينة حلب فخربها وقتل أهلها وهدم قلعتها واتجه إلى دمشق وكان عليها الملك الناصر الأيوبي ففر الناصر واستسلمت دمشق لهولاكو.

وبعث هولاكو خطاباً للسلطان قطز، وهو أحد المماليك الذين حكموا مصر، يطلب إليه الطاعة والتسليم ويفيض بالتهديد والوعيد، فما كان من السلطان قطز إلا أن قتل رسل هولاكو وأعد العدة مع أمرائه للقتال، وخرج للقاء التتار، وعاضده في خروجه سلطان العلماء العز ابن عبد السلام، الذي حث الشعب المصري على التبرع للجهاد في سبيل الله وقتال التتار، فاجتمع العالم التقي الصالح

مع الحاكم المؤمن الصالح. فتحقق النصر للإسلام والمسلمين، فقد التقى الجيشان في عين جالوت، وهي قرية تقع بين مدينتي بيسان ونابلس في فلسطين وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين (٦٥٨هـ) في يوم الجمعة[٣].

فنصر الله الإسلام في ذلك اليوم وأعزه، وانكسر التتار وولوا الأدبار، ثم بعد ذلك تم تطهير بلاد الشام من رجس التتار، واستولى السلطان قطز رحمه الله عليها وصار ملكه من الفرات إلى النيل.

ولولا نصر الله لهذا السلطان المملوكي قطز في هذه المعركة لتم للتتار التغلب على جميع البلاد الإسلامية؛ مصر، وبلاد المغرب العربي، وشبه الجزيرة العربية.

ومن العجيب أن مدة حكم السلطان قطز رحمه الله -الذي تحقق له هذا النصر على التتار في عين جالوت ثم تطهير بلاد الشام منهم وقسم من بلاد العراق- سنة واحدة فقط.

وصدق الله العظيم: **﴿ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾** الحج: ٤٠، وبعد فترة من الزمن وبعد حصول القتال بين المسلمين والتتار أسلم في سنة (٦٩٥هـ) ملك التتار قازان بن أرغون بن إيفان بن جنكيز خان وأظهر إسلامه على يد الأمير توزون[٤] وتسمى بمحمود وذلك كما ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ودخل دمشق بعد أن بعث لأهلها الأمان واستسلمت له ثم رحل قازان إلى بلاده، وعادت دمشق إلى حكم المماليك بعد مائة يوم من سقوطها. كما دخل قسم كبير من التتار والمغول في الإسلام فأصبح أعداء الإسلام بالأمس أنصار اليوم، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾** النور: ٤٦ .

الهوامش:

(١) تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى رحمه الله في تفسيره هذه الآيات.

(٢) كتاب تقي الدين بن دقيق العيد صفحة ٢٥، تأليف محمد رامز العزيزي نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص٢٠٠.

(٣) تقي الدين، دقيق العيد لمحمد رامز العزيزي صفحة ٢٦، نقلاً عن كتاب النجوم الزاهرة ط٨ صفحة ٧٩ تأليف أبي المحاسن.

(٤) المصدر السابق، النجوم الزاهرة ج٨ ص٧١ .

حسن الأدب والتأدب مع رسول الله ﷺ

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

يشعر المسلم في قرارة نفسه، بوجوب الأدب الكامل مع سيد البشرية، ورسول الإنسانية ومعلمها الخير ﷺ الذي أدبه ربه سبحانه وتعالى القائل ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» كما أن الله تعالى جعله إماماً وحاكماً فقال سبحانه: ﴿انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ النساء: ١٠٥ .

وإن الله عز وجل قد فرض على المؤمنين طاعته، وأوجب محبته لقوله سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾** النساء: ٥٩، وقوله جل ثناؤه: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** النساء: ٨٠ .

ولكن كيف يكون الأدب مع من أرسله الله هادياً وبشيراً ورؤوفاً ورحيماً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.. وهل يمكننا أن نؤديه حقه من التأدب والاحترام؟ – فداه روحي وأبي وأمي– إذ رأس الأدب مع مؤدب البشرية وقائدها وقدوتها ﷺ كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله أي شائبة؟ فو الله ما خرج من فمه الشريف إلا الحق والصدق، فلا يقدّم على رأيه وقوله رأي وقول أي أحد، وأن يوجد التحكيم والتسليم والانقياد للنبي العظيم

والرسول الكريم ﷺ الموحى إليه من رب العالمين.

ومن الأدب والتأدب مع هادي البشرية ﷺ ما يلي:

● تصديقه بكل ما أخبر به من أمري الدنيا والآخرة، وكافة شؤون الغيب -التي تثبت صحتها اليوم نظريات من غير المؤمنين برسالته- وإن القول عندنا هو ما قاله وعمله وأقره وسكت عنه المرسل رحمة للعالمين محمد ﷺ.

● إطاعته ﷺ في كل ما أمر ونهى.

● ترسم خطاه واقتفاء أثره في جميع مسالك الدين والدنيا.

● إحياء سنته الشريفة، وإظهار شريعته المضيئة، وإبلاغ دعوته الصالحة لكل زمان ومكان.. بل لا يصلح الزمان والمكان إلا بها.

● إنفاذ جميع وصاياه وأوامره ﷺ بكل رضا وتسليم.

● أن لا يقدّم المسلم على حبّ النبي الكريم ﷺ وتوقيره وتعظيمه أحداً، وحتى يكون الرسول العظيم أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين.

● أن يوالي المسلم من كان يواليه قائده ورسوله، وان يعادي المسلم من كان يعاديه، وأن يرضى بما كان يرضى عنه، وأن يغضب لما كان يغضب منه، وأن يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ.

● توقيره وإجلاله، وأن لا يجعل دعاءه كدعاء الآخرين لقوله تعالى في محكم كتابه الخالد: **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** النور: ٦٣، وفيه للمفسرين قولان:

الأول: لا تدْعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، مع التوقير والتواضع.

الثاني: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا إن شاء المدعو أجاب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم ﷺ لم يكن لكم بدّ من إجابته الواجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة، وكذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ واستفهام وتقدير شمائله وفضائله ﷺ.

● ومن الأدب معه ﷺ عدم رفع الصوت فوق صوته وذلك بأمر من الله بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له**

بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون﴾ الحجرات: ٢، فإذا كان رفع الصوت فوق صوته محبطاً للأعمال، فما الظن بطرح الآراء ونتائج الأفكار على سنته الشريفة وما جاء به، وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه عندما نزلت هذه الآية الكريمة قال: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار -أي الكلام الخفي الذي يراد كتمه- ويروي عن عمر ﷺ أيضاً أنه بعد نزولها صار يطرق بأظفاره على باب بيت النبي الكريم ﷺ حتى لا يكاد يسمع، وكذلك بات يتكلم مع نبيه وقائده وحبيبه كأخي السرار أيضاً، ومثلهما باقي الصحابة الكرام الذين تخرجوا في مدرسة معلم البشرية الخير ﷺ.

● وروي أن أبا جعفر المنصور -أمير المؤمنين- ناظر الإمام مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدّب قوماً فقال: ﴿......﴾ ومدح قوماً فقال: ﴿......﴾ وذمّ قوماً فقال: ﴿....﴾ وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً.. فاستكان وهدأ.

● ومن الأدب معه ﷺ إنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط، لم يذهب أحد مذهباً في حاجة له حتى يستأذنه كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾** النور: ٦٢ .

وهناك آيات وردود قرآنية مرشدة للأدب والتأدب مع رسول الإنسانية المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ومنها:

● لما قال المشركون: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾** الحجر: ٦، أجاب تعالى عنه من غير واسطة فقال: **﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ❖ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾** القلم.

● ولما قالوا: **﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾** أجاب سبحانه وتعالى عنه بقوله الكريم: **﴿بَلِ الَّذِين لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي العَذَابِ وَالضَّلالِ البَعِيدِ﴾** الرعد: ٤٣ .

● ولما قالوا: **﴿لَسْتَ مُرْسَلاً﴾** أجاب عنه سبحانه بقوله: **﴿يس ❖ وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ ❖ إِنَّكَ لمن المُرْسَلِينَ﴾** وأمثلة ذلك كثير.

كما أن هناك مواقف من الأدب والتأدب مع الرسول الكريم ﷺ منها:

● سأل رسول الله ﷺ عمه العباس رضي الله عنه: أنا أكبر أم أنت؟ فأجابه: أنت أكبر وأكرم ولكني ولدت قبلك.

● قال عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية -قبل أن يسلم- حينما رأى من تعظيم أصحاب رسول الله وتأدبهم معه أنه ﷺ: لا يتوضأ حتى ابتدروا ماء وضوئه، ولا تسقط شعرة من شعره إلا استبقوا إليها، وإذا أمرهم بأمر ابتدأوا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده. ولا يحدّون إليه النظر، وعندما رجع إلى قريش قال لهم: أيا معشر قريش: إني جئت كسرى في عظمته، وقيصر في سلطانه، والنجاشي في ملكه، وإني والله مـا رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه.

هكذا كان الصحابة الكرام ذلك الجيل القرآني الفريد. في أدبهم وتوقيرهم وتأدبهم لحبيبهم وزعيمهم وقائدهم وقدوتهم ﷺ إنه تعظيم الحب، وليس تعظيم الخوف من بطش أو سلطان من وصفه ربه في كتابه الخالد بقوله: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** القلم: ٤، وقوله جل ثناؤه: **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** التوبة: ١٢٨، والأمثلة الدالة على الأدب والتأدب مع إنسان الإنسانية ﷺ جدّ كثيرة نوضح بعض معالمها المجبولة بالحب وحسن الاقتداء والافتداء.

● كان بعض السلف من ساكني المدينة المنورة المشرفة بساكنها ﷺ لا يتنقّل بين أحيائها راكباً.. خشية أن يسير على طريق سلكه سيد الإنسانية ﷺ ماشياً.

● وكذلك كان بعضهم لا يسير منتعلاً خشية أن يكون قد سار في هذا الدرب حبيبه وقدوته وقائده ﷺ.

● وكان بعض علماء السلف لا يلقي حديثاً شريفاً إلا بعد أن يتوضأ ويتطيّب ويلبس أجمل ثيابه.. إكراماً وتعظيماً لصاحب القول والرسالة.

● كم فرح المسلمون بقول من بهم - رؤوف رحيم- (المرء مع من أحب) ومـا أحب أحد أحداً مثل حب الصحابة -جيل القدوة- لنبيهم الكريم الذي هو أفضل جسر وخير موصل إلى محبة الله، لأن محبة الله ورسوله ﷺ هي الدين كله، وعليها مدار الهداية والتقوى والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

خصائص وعظيم قدر رسول الله ﷺ

■ بقلم الاستاذة حياة عاكف

قال الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة: ١٢٨، وقد وصفه الله تعالى بالشهادة وجعله ﷺ شهيداً على الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام وشهيداً على أمته، كما جعله سبحانه وتعالى شاهداً عليهم ايضاً وعلى الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ❖ وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾.

وأما كونه ﷺ شاهداً على أمته وشهيداً عليها، فقد قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**.

وأما في السنة النبوية الشريفة، فقد ورد الكثير من الاحاديث الدالة على شهادة رسول الله ﷺ، فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته».

رسول الله ﷺ اول المسلمين:

لقد أخبرنا الله عز وجل ان رسول الله ﷺ اول المسلمين وان الله هو الذي أمره ان يتلو بذلك، قال تعالى: **﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**.

وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا استفتح الصلاة كبّر ثم قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك

أمرت وأنا اول المسلمين».

رسول الله ﷺ خاتم النبيين:

لقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات السماوية بنبيه وصفيه محمد ﷺ، كما ختم بدينه الاسلام الديانات السماوية السابقة، فكما لا دين بعد دينه كذلك لا نبي بعده ﷺ، قال الله تعالى: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي»

رسول الله ﷺ منّة يمتن الله تعالى بها على عباده:

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين، بهذا النبي الكريم ﷺ كما امتن الله عز وجل بهدايتهم اليه، وكان ذلك عن طريق رسول الله ﷺ لأنه هو الداعي اليه ولم يذكر الله سبحانه وتعالى ذلك لأحد من الانبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، فقال سبحانه وتعالى: **﴿لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**.

الايمان به ﷺ مقرون بالايمان بالله عز وجل:

ومن علو مكانة النبي المصطفى ﷺ عند ربه عز وجل ورفعة قدره وعلو مقامه، ان قرن الله سبحانه وتعالى الايمان برسوله ﷺ بالايمان به سبحانه وتعالى، لذا لا يصح إيمان من لم يؤمن برسول الله محمد ﷺ وان ادعى الايمان بالله سبحانه وتعالى، بل لا بد من وجود الايمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ في وقت واحد، ولم يذكر انه سبحانه وتعالى اعطى ذلك لأحد من انبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾**.

رسول الله ﷺ رحمة للعالمين:

جعل الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ رحمة مهداة للعالمين، مؤمنهم بالله وكافرهم كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة، قال تعالى: **﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾**. وأما كونه ﷺ رحمة للمؤمنين من هذه الأمة خاصة، فقد قال الله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**.

وهو ﷺ الرحمة المهداة التي شملت جميع الخلق على اختلاف الألوان والأفكار والأجناس، فمهما قدمنا من شمائل ومدائح فلن نوفيه حقه صلوات الله وسلامه عليه.

مولد النبي مُحَمَّد ﷺ

■ بقلم الاستاذ معاذ بني عامر

في كتابه «المائة: تقويمٌ لأعظم الناس أثراً في التاريخ»، يكتب "مايكل هارت" عن سيدنا مُحَمَّد ﷺ بعدَ أن أدرجه كأعظم شخصية في التاريخ البشري: "لقد اخترتُ مُحَمَّداً ﷺ في أولِ هذه القائمة، ولا بُدَّ أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك، ولكن مُحَمَّداً ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجحَ نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبحَ قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً، وبعدَ ١٣ قرناً من وفاته، فإنَّ أثر مُحَمَّد ﷺ لا يزال قوياً مُتجدداً".

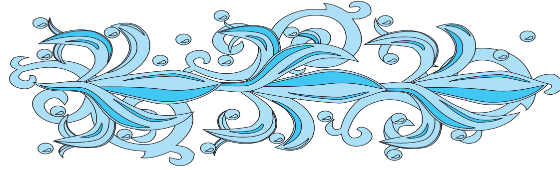
وإنِّي أُدْرِجُ هذا الاقتباس ليسَ لأُدَلِّلَ على بديهةٍ مُسَلَّم بها لدينا نحنُ المسلمين، ولكن من باب أن ذات المؤلف قد اختار مئة شخصية عالمية عبر التاريخ كُلِّه كانَ لها كبير أثر في إحداث تغيُّر جذري في بنية العالَم، نتيجة لإحداث فروقات جوهرية في الأذهان أدت -كلاحقٍ- إلى تحولات كبيرة في الأعيان.

ولكنَ المفارقة الكبرى التي أتى بها سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، أتت مِنْ جمعه بينَ مُتطلبات الدين والدُنيا، فقد وازن بين مُتطلبات الجسد والعقل والروح في واحدة من الطروحات الملحمية في التاريخ البشري، فعلى عكس تعاليم أخرى أحدثَ سيدنا مُحَمَّد ﷺ أثراً زلزاليا إيجابياً لدى الكائن البشري؛ فذلكَ الكائن

كانَ قد تعثَّر لمدة طويلة بتعاليم تُرجِّحُ كفة على كفة، مرة كفة الروح على كفة الجسد ومرة كفة الجسد على الروح، مما أثر سلباً على تطلعات الإنسان العميقة.

وفي لمحةِ رحمةٍ بعثَ الله الجليل سيدنا مُحَمَّداً بتعاليمه الإلهية، سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، ومنذ اليوم الأول للبعثة المحمدية ستعمل هذه التعاليم على الموازنة بين احتياجات الكائن البشري الجسدية والعقلية والروحية، وستخلق حالة من التوازن بين الدين والدنيا، العالَمين الأرضي والخالد.

فالتعاليم التي أتى بها النبي محمد ﷺ، ستعمل على التأسيس للمدِّ البشري على هذه الأرض، لناحية أنَّهُ -أي الكائن البشري- كائنٌ فانٍ وفي ذات الوقت كائن خالد، وَمِنْ هذا المُنطلق تَمَّ التأسيس للتعامل مع كافة احتياجات هذا الكائن - ما كبر منها وما صغر- بحيث لا تطغى حاجة على حاجة ولا ترجح كفة على كفة، بل يبقى في حالة من التوازن تحفظ له دنياه وآخرته.



القول في أسماء الله الحسنى

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

ان مباحث أسماء الله وصفاته من أهم مباحث الاعتقاد، وقد سلكت فيها الفرق الاسلامية مذاهب شتى، ونشأ عن الضلال فيها معتقدات باطلة، وتصورات خاطئة، وهدى الله سلفنا الصالح من الصحابة وتابعيهم على إثرهم الى الحق فيما اختلف فيه، وقد اتبع السلف الصالح المنهج القرآني الايماني النبوي في هذا الموضوع، واتباع هذا المنهج هو السفينة التي ينجو من ركبها، ويغرق من تركها، وقد شهد الله تعالى لصحابة نبيه ﷺ أكرم شهادة، وأخبر برضاه عنهم، قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ التوبة: ١٠٠ .

❖ الله تعالى ليس كمثله شيء:

قال تعالى: **﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾** مريم: ٦٥، قال الامام القشيري رحمه الله، في «شرح اسماء الله الحسنى» (٧٢-٧٥): «الكلام في تفسير هذه الآية من وجوه منها: **﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده﴾** قول على قول أهل الجنة: «ان اكتسابات العباد مخلوقة لله تعالى سبحانه، لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه الا على المالك، وقوله: **﴿فاعبده﴾** وجه نظمه بما تقدم انه لما ثبت انه المالك على الاطلاق، فله بحق ملكه ان يتعبد من شاء من خلقه بما يريد من حقه، وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع، ولا يستحقها احد سوى المعبود جلت قدرته،

وهي من قولهم: طريق معبد اذا وطئته السابلة «السائرون على الطريق».

وقوله: ﴿**واصطبر لعبادته**﴾ في دلالة على ان الحال وإن وصفت، فهي لا تكتفي الا باقتران وفاء العاقبة، ولهذا قال المشايخ: لا يغرنك صفاء الأوقات فإن تحتها عوارض الآفات، وقوله تعالى: ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ جاء في التفسير: هل تعلم له نظيراً، معناه هل تعلم أحداً يستحق من الصفات ما يستحقه الله جل وعلا؟، وقيل: معناه هل تعلم أحداً يسمى الله سوى الله؟»[١].

❖ فضل اسماء الله الحسنى:

سمى الله سبحانه وتعالى أسماءه بالحسنى، لأنها حسنة في الاسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله، قال تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ الأعراف: ١٨٠، إذن الأسماء الحسنى على إطلاقها هي لله، وان وجدت في غيره صارت صفات محدودة مهما اتسعت، والحسنى: تأنيث لكلمة «الأحسن»، اسم تفضيل، وهي الأسماء الحسنى في صلاحية الألوهية لها، وصلاحيتها للألوهية، وحين تقول: «غفّار» فأنت وأنا وكل من يسمعها تعود عليه، وحين تقول: «قهار» وانت مذنب ستخاف، وهي صفة حسنى بالنسبة للإله، لأن الإله لا بد ان تكون له صفات جمال، وصفات جلال، فصفات الجمال لمن أطاع، وصفات الجلال لمن عصى، وحين تقول عنه سبحانه: انه رحيم، فهذا أمر حسن عندي وعندك لأنني أنظر الى رحمته لي،. وأنت تنظر الى رحمته لك، وكذلك لا تأخذ النعم بمدلولها عندك، بل خذ النعم بمرادات الله تعالى فيها[٢].

❖ أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

«.. وحسبك ان أعرف الخلق بربه، الذي هو أخشاهم لله، وأتقاهم له ﷺ، قرر فيما أخبرنا به انه لا يستطيع ان يحصي المحامد والمدائح التي يستحقها رب العباد، فقد قال في خطابه لربه، «لا أحصي ثناء عليك» وإذا شاء العباد ان يعرفوا ربهم ويزدادوا به علماً، فليس أمامهم من طريق الا التعرف اليه عبر النصوص الواصفة له، والمصرحة بأفعاله وأسمائه، لأن الله غيب لا يرى في الحياة الدنيا، قال تعالى معرفاً بنفسه: ﴿**الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين**

أيديهم وما خلفهم﴾ البقرة: ٢٥٥، وقال جل وعلا: **﴿هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ❖ هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾** الحشر: ٢٢-٢٣[٣].

❖ إحصاء اسماء الله وعظم ثواب ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة الا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» (صحيح البخاري)، وقد اختلف اهل العلم في المراد بالإحصاء المذكور في الحديث، فقيل: المراد به الإحاطة بمعانيها، وقيل: العمل بمقتضاها مع فقه معناها، والصواب من القول: ان المراد بالإحصاء هو عدها حتى يستوفيها حفظاً، فإن هذا هو معنى الاحصاء في اللغة.

يقول ابن منظور: «الاحصاء: العدد والحفظ، وأحصى الشيء: أحاط به، وفي التنزيل: **﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾** الجن: ٢٨، وقال الأزهري: أي أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كل شيء، وأحصيت الشيء: عددته، قال الفرّاء في قوله تعالى: **﴿علم ان لن تحصوه فتاب عليكم﴾** المزمل: ٢٠: علم ان لن تحفظوا مواقيت الليل، وقال الفيروزآبادي: «أخذ من لفظ «الحصى» «الإحصاء» وهو التحصيل بالعدد.

يقال: أحصيت كذا، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدونه بالعدد كاعتمادنا فيه على الأصابع، يقول ابن القيم رحمه الله: مراتب إحصاء اسماء الله تعالى ثلاث، **الأولى:** احصاء ألفاظها وعددها، **والثانية:** فهم معانيها ومدلولها، **والثالثة:** دعاؤه بها كما قال تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** الأعراف: ١٨٠[٤].

❖ اسماء الله توقيفية غير محصورة في عدد معين:

قال ابن عثيمين رحمه الله: «أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** الاسراء: ٣١[٥].

❖ اسلوب الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى:

إن الثناء على الله عامة ما يجيء مضافاً الى أسمائه الحسنى الظاهرة دون

المضمرة، إلا ان يتقدم الاسم الظاهر فيجيء بعده المضمر، وهذا نحو قول المصلي: **﴿الحمد لله رب العالمين ❖ الرحمن الرحيم ❖ مالك يوم الدين ❖ إياك نعبد﴾** الفاتحة: ٢-٥، وقوله في الركوع: «سبحان ربي العظيم» وفي السجود: «سبحان ربي الأعلى» وكان النبي ﷺ يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي، رب اغفر لي» وسر ذلك ان الله تعالى يُسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويثني عليه بالهيئة المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وتدبر طريقة القرآن تجدها كذلك[٦].

❖ قواعد مهمة في معرفة أسماء الله تعالى:

١- من أسماء الله الحسنى ما لا يطلق على الله سبحانه الا بمقابله، مثل: «الخافض والرافع» و «المعطي والمانع» و «المعز والمذل» و «الضار والنافع» و «القابض والباسط»، لأنها لم تطلق في الوحي الا بمقابلها حتى لا توهم نقصاً، فلا يجوز إطلاق الاسم على انفراده كالخافض والمانع ونحوه، وكذلك «المنتقم» لم يأت في القرآن الكريم الا مضافاً كقوله تعالى: **﴿والله عزيز ذو انتقام﴾** آل عمران: ٤ .

٢- هناك أفعال وردت في القرآن الكريم أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي في سياقها مدح وكمال، ولكن لا يجوز اشتقاق اسم منها نحو قوله تعالى: **﴿ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾** النساء: ١٤٢ فلا يجوز ان يسمى الله تعالى مخادعاً.

٣- دلالة أسماء الله الحسنى على حقيقتها مطابقة وتضميناً والتزاماً، فدلالة اسم «الرحمن» على ذاته مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمناً، وعلى الحياة وغيرها التزاماً.. وهكذا بقية الأسماء.

٤- ان الله عز وجل لا يماثل شيئاً من خلقه ولا يماثله شيء، فكل ما ثبت له من الأسماء والصفات فمعناه يختص به لا يشركه فيه أحد، لكن قد يكون هناك اسماء مشتركة بين الله وبين خلقه، أو بين صفة من صفاته وصفات خلقه، فهذه يجب ان لا توهم تشابهاً في المسمى، **فإن الاشتراك انما في محض الاسم، ولا يوجب مماثلة بين الله عز وجل وبين من يسمى او يوصف بها من المخلوقين**، فأسماء الله تعالى تليق به سبحانه[٧].

❖ معنى الإلحاد في أسماء الله:

قال تعالى: **﴿وذر الذين يلحدون في**

أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ الأعراف: ١٨٠، والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، قال ابن السكيت: الملحد: المائل عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه، ومنه الملتحد: وهو مفتعل من ذلك، ومنه قوله تعالى: **﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾** الكهف: ٢٧، اي من تعدل اليه، وتهرب اليه وتلتجئ اليه وتبتهل اليه، فنميل اليه عن غيره، تقول العرب: التحد فلان الى فلان، اذا عدل اليه[٨].

❖ لأسماء الله الحسنى إشراقات روحية:

وهذه الاشراقات لا يتعرض لها الا من دعا الله بها، وتشرب قلبه حبها، وأخذ حظه منها، وجعلها قدوته في أقواله وأفعاله وجميع أحواله، حتى يكون بها عبداً ربانياً يفر بها من الكفر الى الاسلام، ومن المعصية الى الطاعة، ويفر بها منه اليه، فيقول بقلبه ولسانه ما كان يقوله الرسول الكريم ﷺ في دعائه: «اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» رواه احمد في مسنده وابن ماجة في سننه.

وكل اسم من اسماء الله الحسنى له مذاق خاص، لا يعرفه الا من لهج به لسانه، وآمن به قلبه ايماناً يصل به الى اليقين بأن الله تعالى هو الغني، الذي لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وان رحمته تعالى وسعت كل شيء، وان الأمر كله اليه[٩].

❖ مواضع ذكر الله تعالى أسماءه الحسنى في القرآن الكريم:

١- في سورة الأعراف: ١٨٠، قال تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾**.

٢- في آخر سورة الاسراء: ١١٠، قال تعالى: **﴿قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**.

٣- في سورة طه: ٨، قال تعالى: **﴿الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى﴾**.

٤- في سورة الحشر: ٢٤، قال تعالى: **﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾**.

ولله سبحانه وتعالى أسماء كثيرة قيل: ثلاثماية، وقيل: ألف وواحد، وقيل: اربعة وعشرون ومائة ألف على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: انه ليس له حد، ولكن

اشرفها وأجلها هي ما وردت في حديث الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحداً، من احصاها دخل الجنة».

والمهم انها في مجموعها وتر، والوتر افضل من الشفع لأن الله تعالى وتر يحب الوتر، وأنها مرتبة ترتيباً توقيفياً لا يعلم كنهها الا الله سبحانه وتعالى، وقد جرى السلف الصالح على إيراد هذا الترتيب في أحاديثهم ودعائهم استدراراً للرحمة والبركة، وان قوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»، ليس المقصود فيه مجرد الاحصاء العددي، ولذا قيل في معنى من أحصاها: من يحفظها وتعبد بها، أو طلبها في القرآن الكريم ليعرفها، أو يتخلق بمدلولاتها التي يمكن التخلق بها، مثل «الحليم»، او معرفة معانيها او حفظها على قلبه[١٠].

الهوامش:

١- محمد متولي شعراوي، شرح اسماء الله الحسنى، المكتبة التوقيفية، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦-٧ .

٢- المرجع السابق ص١٠-١١ .

٣- د. عمر الاشقر، الاسماء والصفات في معتقد اهل السنة والجماعة، دار النفائس، عمان- الاردن، ١٩٩٣، ص١٨-١٩ .

٤- المرجع السابق، ص٢٩-٣١ .

٥- الأئمة البيهقي وابن تيمية وابن القيم وابن عثيمين، شرح اسماء الله الحسنى وصفاته العليا، دار ابن الهيثم، ٢٠٠٥، ص١٥ .

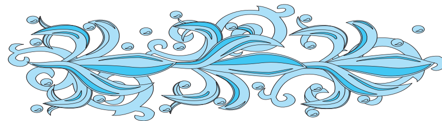
٦- المرجع السابق، ص٤٦-٤٧ .

٧- الامام شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية، شرح اسماء الله الحسنى، دار الغد الجديدة، القرهرة، ٢٠٠٧، ص١٢-١٣ .

٨- المرجع السابق، ص٢٩ .

٩- د. محمد بكر اسماعيل، اسماء الله الحسنى، آثارها وأسرارها، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦ .

١٠- سليمان سامي محمود، النور الاسمى في شرح اسماء الله الحسنى، مراجعة عدد من علماء الازهر الشريف، دار الصابوني، القاهرة ١٩٩٠، ص٦-٧ .



شهـادة في رسـول اللـه ﷺ

■ بقلم الاستاذ جعفر بني حمد

بعيداً عن الناس في غار حراء برأس جبل شاهق، هبط جبريل سيد الملائكة أجمعين على سيد المرسلين محمد ﷺ يتلو عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١، فأُلبس من تلك الساعة ثوب النبوة واستلم وظيفته عند ملك الملوك برتبة رسول لا بل سيد المرسلين وأصبح فوراً أعظم شخصية ظهرت على وجه الأرض خُلقاً وعلماً وعملاً، فلم يأت قبله مثله ولن يأتي بعده.

كان ﷺ أمة كاملة كما كان جده ابراهيم عليه السلام **﴿ان إبراهيم كان أُمة﴾**، بل أعظم من كل أمة فلو وزنت به البشرية لرجح عليها، وفي كل زمان نجد المتطاولين على رسول الله ﷺ يتطاولون عليه تطاول الثرى على الثريا، وهنا أشير الى شهادة في رسول الله ﷺ من خالقه ومن نفس رسول الله ﷺ ومن عاشوا معه ﷺ وعاصروه من اعدائه لا بل ومن الذين أتوا بعده فهذا خالقه وربه يشهد فيه وقد:

١- زكى الله عقل النبي ﷺ فقال: **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾** النجم: ٢ .

٢- وزكى الله لسانه فقال: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾** النجم: ٣ .

٣- وزكى شرعه فقال: **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾** النجم: ٤ .

٤- وزكى جليسه فقال: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ**

الْقُوَى﴾ النجم: ٥ .

٥- وزكى فؤاده فقال: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾** النجم: ١١ .

٦- وزكى بصره فقال: **﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾** النجم: ١٧ .

٧- وزكاه كله فقال: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** القلم: ٤ .

وكل هذه الشهادة كانت في مكان القرب في ليلة الاسراء والمعراج.

وصدرك مشروح **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾** الشرح: ١ .

وشانئك مقطوع مفضوح **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾** الكوثر: ٣ .

وكتابه الذي انزل عليه محفوظ **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** الحجر: ٩، والمكر به مخذول **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** الأنفال: ٣٠، وكفاك الله المستهزئين **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** الحجر: ٩٥، وعصمك من الناس أجمعين **﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** المائدة: ٦٧ .

وأما شهادته في نفسه ﷺ:

فقد أوحى الله اليه، وأذن له أن يقول: "انا حبيب الله ولا فخر، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر، وانا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وانا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وانا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر، وانا سيد ولد آدم ولا فخر " رواه الترمذي.

وأما شهادة من عاصره ﷺ:

فقد كانت قريش يلقبونه بالصادق الأمين قبل الرسالة وأما أزواجه فقد قالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" وعندما سئل عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: "هو رسول الله والرسول على قدر المرسل".

وأما شهادة المتأخرين فيه ﷺ:

فالكلمات التي قيلت في جنابه كثيرة، ننقل منها قول أكبر شعراء الغرب (برنارد شو) وهو الذي درس الإسلام وتاريخ النبي

ﷺ ثم أسلم بعد ذلك: «إن محمداً -ﷺ- يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية، إنني اعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة، بهذه الروح يجب ان تفهموا كلامي، إن محمداً -ﷺ- هو أكمل البشرية من الغابرين والحاضرين ولا يتصور وجود مثله في الآتين».

ولهذا أحبه كل من عرفه، وآمن به كل منصف عاقل، وكما أنه يستحيل أن يأتي أحد بمثل القرآن كذلك يستحيل أن يأتي بشر مثل محمد ﷺ.

والآن وبعد أن نقلنا هذه الشهادات في رسول الله ﷺ وهو ليس بحاجة اليها جميعاً إلا شهادة ربه فيه الذي أدبه فأحسن تأديبه كما جاء في الحديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» فيض القدير.

ماذا نقول لكم يا من تطاولتم وتتطاولون على رسول الله ﷺ في كل زمان نقول لكم: انه كان سيداً في كل مجال بل هو المقياس الذي يقاس عليه البشر الكامل ولن يصل أحد إلى مستواه.

وننقل جزءاً يسيراً من صفة واحدة من صفاته العديدة الا وهي صفة الرحمة: فقد كان ﷺ رحمة للعالمين **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** الأنبياء: ١٠٧، ورحمة بالمؤمن **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** التوبة: ١٢٨ .

رحيماً بالطير والحيوان والجماد فها هو ﷺ يشدّد النكير على رجل من الأنصار لأنه يتعب جمله ويُجيعه، وها هو يرى قبّرة في إحدى الغزوات تحوم حول الجيش فيقول: «من فجع هذه بصغارها ردوا إليها صغارها» وها هو الجذعُ يحن إليه.

حن إليه جذعٌ وهو جماد

فعجيب أن تجمد الإحياء

فقد كان ﷺ يخطب الجمعة على جذع وعندما صنع له المنبر سمع للجذع حنيناً حتى نزل إليه المصطفى ﷺ فهدأ وسكن.

وبعد هذه الشهادات وبعد هذا القول لكم يا من تطاولتم على رسول الله ﷺ.

ما نقول لامة محمد ﷺ وما هو واجبها تجاه نبيها؟.

نقـول: إن علينـا من ضـمن الواجـبـات الكبيرة تجاهه واجبين – الأول الدفاع عنه والثـاني المحبـة له. والدفـاع عنه ﷺ يكون ببيان أخلاق رسـول الله ﷺ ومزاياه الطيبة وسـجـاياه الحـمـيـدة لأنه يمثل مـاضـيـنا وحاضرنا ومستقبلنا ولأن الطعن فيه طعن في مرسله وهو الله سبحانه وتعالى وطعن فـي القـــرآن الكريم، ولكن يجب أن يكون الدفــاع عنه منضــبطاً بالأسلوب العلمي والحوار الهادئ وأقول أيضا: إن التعبيـر عن السـخط أمـر مـشـروع ولكن يجب أن يكون هذا التعبير بإيجابية وان يكون الرد كمـا كـان الرسـول ﷺ يفـعل عندمـا كـان يتـعـرض للأذى، فـقـد كـان الرد بعـقـلانيـة فهـذا يهودي يـأتيـه يطـالبـه بدين لـه: (جاء زيد بن سعنة من أحبار اليهود، الى النبي ﷺ يتقـاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن ثم قـال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل وإني بكم لعـارف قـال: فـانتهره عمـر! فـقـال له رسـول الله ﷺ: يـا عـمـر أنا وهو كنـا إلى غـيـر هذا منك أحـوج أن تأمـرني بحسن القـضـاء وتأمـره بحسن التقاضي، انطلق يا عـمـر أوفه حقـه أما انه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعاً لترويعك عليه) رواه الحـاكم، ويجب علينا كمسلمين أن نؤكد رفضنا القاطع لأي إساءة لرسـول الله ﷺ ونؤكد أيضـا ضـرورة التـعـامل مع هذه القضيـة بلغـة الحـوار والعقل والمنطق، مـشـيـرين إلى أن الإسـلام لا يقـر العنف أو إيقـاع الضـرر بالأفـراد والممتلكات، ولا يقـر الممارسـات الخـاطئـة التي تصـدر عن بعض الأفراد مع الاعتقاد الجازم بان لكل مسلم أن يرد الإسـاءة التي وجهت لشخص النبي الكريم ﷺ.

ولخـصـوصـيـة العـلاقـة بين بلدنا هذا بقيـادته الهـاشـمـيـة التي تنتمي لآل البـيت الأطهار بقيادة جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحـسـين حـفظه الله، ومـا يملك من شـرعـيـة دينيـة وإرث تاريخي، فـإننا نثـمن الدور والجـهـود التي يقـوم بهـا فـي رفض وإدانة أي إسـاءة للرسـول الكريم ورسـالة الإسـلام تحت أي ذريعـة، ولكن ينبـغـي أن يكون الـرد كمـا أسلفنا عـقـلانيـاً ولا يؤدي بأي حال إلى صراع الحضارات لا بل إلى

توثيق عرى الاخوة الانسانية بينهما.

ومن أجل ذلك يجب علينا أن نحب رسول الله ﷺ لأنه أحب أمته وأحب وطنه ودعا إلى الحب في الله، أما حبه لوطنه فعندما هاجر من مكة إلى المدينة قال: (والله إنك لأحب أرض الله إلي ولولا أن اهلك أخرجوني منك ما خرجت، وبقي أيضاً بعد الهجرة ستة عشر شهراً وهو يوجه وجهه الشريف في صلاته إلى المسجد الأقصى ولكن قلبه معلق بالكعبة حتى أنزل الله سبحانه وتعالى: **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحرام وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾** البقرة: ١٤٤ فتوجه ﷺ في صلاته إلى الكعبة وبذلك اطمئن فؤاده.

وأما حبه لأمته فقد كان حريصاً عليها وقد كان وجوده في الأمة أماناً لها: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** الأنفال: ٣٣، وبه تزاد الحسنات حيث يقول ﷺ: «من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشراً، وقد جُعل البخيل من هذه الأمة من ذُكر عنده الرسول ﷺ ولم يصل عليه وإن الله سبحانه وتعالى يرفع ذكره كل يوم خمس مرات في الأذان بعد: الله أكبر وأشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فكم من مؤذنٍ في العالم وكم من مردد للأذان بعد المؤذن يذكر رسول الله ﷺ ويشهد أنه رسول الله فهل بعد هذه الشهادة من قول ولنختتم قولنا بما تفضل به ربنا إذ يقول سبحانه: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ والحكمة وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ❖ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ﴾** البقرة: ١٥١-١٥٢.

نسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين والشاكرين له على نعمه وأعظمها نعمة الإسلام ومن أوصلها الينا سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين

قطر مسلم عريق مهدد بالزوال

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

في عدد كانون الأول لسنة ٢٠٠٩م، من المجلة الجغرافية الامريكية المسماة «الجغرافية الوطنية National Geographic» لفتت نظري المقدمة التي يكتبها رئيس التحرير، وهي بعنوان «اكثر الناس يحملون آلة للتصوير، وهي صفحة لا رقم لها» حيث قال: ان الصورة في الصفحة (٣٠) تمثل مجموعة من الايغوريين في مدينة «اورمكي» عاصمة ولاية «سكيانغ» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتابعة للصين، وهي تمثلهم قبل سقوطهم قتلى برصاص الشرطة الصينية، في حزيران ٢٠٠٩م.

وقد أخذت هذه الصورة من قبل سيدة «ايغورية» ثم قال رئيس التحرير: ان هذا الحادث يمثل تكراراً لما حدث لمنطقة «تيبت» وان الموقف في «اورمكي» سيكون موازياً للمذبحة التي وقعت في ميدان «تيانامجن» في سنة ١٩٨٩، ولكن هذه الصورة ليست كاملة، وتحتاج الى مزيد من التفاصيل، وهذا ما حمل المجلة على الاستعانة بتلك السيدة الايغورية التي صورت الأحداث بآلة التصوير المخفية في جهاز تلفوني محمول، مما لا يلفت أنظار اجهزة الأمن، ومع ذلك فإن هذا العمل محفوف بكثير من الأخطار، ولكنه يستحق المجازفة لأنه يتعلق بتسجيل الحقيقة عن حملة كفاح من أجل «حقوق الانسان».

اما المقال نفسه فعنوانه «تيبت الأخرى» وتحتل صفحاته المعززة بالصور «ص٣٠-٥٥» من صفحات المجلة وجاء فيه القول:

إن «الايغوريين» شعب مسلم غني بالمصادر الطبيعية، وتقع بلادهم في نهاية الحدود الغربية للصين، ولكن هذا الشعب مهدد بالفناء بسبب تلك المصادر، وفي مقدمتها «النفط» الذي يحتكر العمل فيه الصينيون الذين اصبحوا نصف سكان الاقليم، اذ عمدت الحكومة الى نقل اعداد ضخمة من عناصر «هان الصيني» الى هذه المنطقة، مما يهدد مستقبل «الأيغوريين» الذين هم من اصول تركية (أقول: لا يزالون يكتبون لغتهم بالحروف العربية، وقد كان لعاصمتهم التاريخية «كاشغر» اهمية خاصة اذ فتحها المسلمون في العصر الأموي -كما سنرى ان شاء الله- ومنها هددوا الصين نفسها وفيها هددت الجيوش الاسلامية باقتحام الصين لولا مسارعة القيادة الصينية الى معالجة الموقف بدفع الجزية، ومعالجة القَسَم الذي حلفه القادة المسلمون بأن يطأوا بأقدامهم تراب العاصمة الصينية، اذ عالجته القيادة الصينية بجلب كميات من تربة العاصمة ووضعها تحت اقدام القادة المسلمين براً بيمينهم، ولذلك اكتفى المسلمون بما احتلوه منها، وبالجزية).

وكان فتحا بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦هـ ٧١٥م، والمعروف عنه انه نشأ في ظل الأمويين، وقد ولاه عبد الملك بن مروان «الري» وتولى خراسان علاوة على الري في ايام الوليد، ثم غزا بلاد ما وراء النهر، فتوغل فيها وافتتح كثيراً من المدائن، ومنها «كاشغر» وخوارزم وسجستان وسمرقند، ثم غزا اطراف الصين، وضرب الجزية كما اسلفنا، وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها.

واستمرت ولايته ١٣ سنة، وكان عظيم المكانة مرهوب الجانب، غير انه قُتل في فرغانة، في نزاع بين القادة والولاة، وأهل البصرة يفخرون به باعتباره من اهلها (انظر وفيات الأعيان ٤٢٨/١ وابن الاثير ٤/٥ والطبري ١٠٣/٨ وابن خلدون ٥٩/٣، ٦٦ وخزانة البغدادي واعلام الزركلي ١٩٠/٥).

وقد ذكر ياقوت الحموي في بلدانه «كاشغر ج٧/٢٠٧-٢٠٨» وقال عنها: انها مدينة وقرى، يُسافر اليها من سمرقند، وهي (وسط بلاد الترك) وأهلها مسلمون، وينسب اليها محمد بن الحسين الكاشغري الواعظ، وكان فاضلاً سمع الحديث الكثير، وطلب التفسير والأدب، وقد عاش بين سنة ٤٩٠-٥٥٠هـ، وان من اهلها

الحسين بن علي بن خلف الالمعي الكاشغري، وكان شيخاً فاضلاً واعظاً، وله تصانيف كثيرة، وغلب عليه الحديث، وكان قد سمع الحديث من محمد بن علي الصوري وابي طالب بن غيلان وغيرهما، وروى الحديث عنه محمد بن محمود السمرقندي الشجاعي، وقد صنف في الحديث ما يزيد على (١٢٠) مصنفاً، كما يقول ياقوت الحموي، وتوفي ببغداد سنة ٤٨٤هـ (لسان الميزان ٣٠٥/٢ واعلام الزركلي ٢٤٦/٢)(١).

اما المصادر الاجنبية، فتعتبر «كاشغر» من المدن الاسلامية المهمة في أواسط آسيا «انظر موسوعة كمبرج بالانجليزية» وقد انعكست هذه الاهمية على العاصمة الحالية «اورمكي» التي تقول عنها الموسوعة آنفة الذكر: ان فيها ثماني جامعات «ولعلها تقصد كليات» اثنتان منها متخصصة بالطب، ثم تقول: ان الاقليم هو اوسع الاقاليم التابعة للصين، واغناها بانتاج الحبوب والقطن والمعادن كاليورانيوم والحديد والصفيح والنفط والفحم، كما يضم مصانع كثيرة للحديد والكيماويات والاسمنت «انظر الموسوعة الانجليزية المسماة هاتشوه» ثم تذكر «موسوعة كمبرج» ان أهم مباني العاصمة هي «المسجد الكبير» الذي يرجع تاريخه الى سنة ٧٤٢م، «اي سنة ١٢٥هـ» وهذا يعني انه المسجد الذي أقامه الفاتحون المسلمون، وهو بذلك التاريخ ينفرد بين المساجد الاسلامية القائمة حالياً «ما عدا الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى المبارك ومسجد الكوفة والجامع الأموي في دمشق».

ونعود الى الإجراءات التي اتخذتها السلطات الصينية حيال هؤلاء المسلمين، ويقول كاتب المقال: ان قواتها المسلحة كانت تسيطر على جميع شوارع العاصمة اورمكي، وهي مدججة بالسلاح، ويشير الى مسجدها «وقد نشر صورته» الذي تسنى له ان يرابط قربه عند صلاة الظهر، ويقول: ولما انتهت صلاة الظهر، خرجت جموع المصلين وهم «عدة مئات» وكانوا في فزع، حتى ان أكثرهم لم يتسن لهم أخذ أحذيتهم من شدة الخوف من هجوم العساكر على المصلين الذين لا يحملون اي سلاح، ثم خرج من المسجد ثلاثة شبان وهم يحملون العصي غير مكترثين بقوات الأمن، وانصرفوا باتجاه مساكنهم، بعد ان لوحوا بعصيهم، ولكن اصحاب الدكاكين

سارعوا الى إغلاقها ثم تبين لكاتب المقال ان الشبان السالف ذكرهم كانوا يحملون سيوفاً قديمة، وسمع اطلاق النار في المنطقة التي كانوا فيها ولعل النار قد أطلقت عليهم.

ثم يقول كاتب المقال: «ان كفاح اهل «تيبت» من اجل الاستقلال عن الصين، قد استأثر باهتمام العالم الغربي، ولكن لم يبد احد اي اكتراث حيال الشعب الأيغوري» الذي يخوض كفاحاً اكبر في الدفاع عن هويته، وقد كانوا في الماضي يحتلون مركزاً في العالم المعروف، اذ كانت بلادهم مركز انطلاق «طريق الحرير» المعروف عالمياً، وقد شهد ذلك الرحالة الايطالي المشهور «ماركوبولو» الذي زار المنطقة في سنة ١٢٧٢م (٦٧١هـ) وتعرف على الايغوريين في وطنهم وأشار الى أسفار تجارهم الى مختلف أنحاء العالم «موسوعة هاتشون الانجليزية، ص٦٦٣».

هذا وقد شاهد كاتب مقال «المجلة الجغرافية الامريكية» القوات الصينية التي ترابط في مختلفة انحاء مدينة اورمكي، ولا سيما في أحياء «الأيغوريين» كما شهد الموضع الذي يسميه اهلها باسم عربي وهو «المشرب» «اي المقهى» الذي يلتقون فيه حيث ينشدون الاشعار، ويعزفون على «الطمبور» ويتبادلون الحديث ولاحظ ايضاً انهم يحرمون لحم الخنزير ولا يأكلون الا لحم الغنم، كما لاحظ ان اللغة الايغورية في طريقها الى الاختفاء في المدارس لتحل محلها اللغة الصينية، التي هي الوسيلة للحصول على العمل.

لكن الايغوريين قلقين من هذا الاتجاه، خاصة وانهم لم يعودوا اصحاب «طريق الحرير» لأن التجارة قد تحولت الى الطريق البحري، وقد اقتنع الصينيون بهذه الحقيقة، وقد سموا هذه البلاد «سكيانغ» وتعني «الحدود الجديدة» اي حدود الصين، رغم ان هذه البلاد تتمتع بالحكم الذاتي، كما حرصت الصين على تهجير الزيادة الحاصلة في السكان الى هذه البلاد، والمعروف ان الايغوريين اعلنوا استقلالهم مرتين، وكانت آخرها في سنة ١٩٤٤م، واستمر ذلك الاستقلال خمس سنوات، ثم جاء الحكم الشيوعي الذي ارسل قواته العسكرية لإعادة السيطرة عليها، كما جعلت ارضها ساحة للأبحاث «النووية» في المركز المسمى «لوب نور».

ثم ان سعة الرقعة لهذا الاقليم توفر ساحة حاجزة بين الصين والنفوذ الاجنبي، كما جعلته الحكومة ساحة للتجارب الزراعية ومقراً لقوة عسكرية مؤلفة من الصينيين، علاوة على فريق زراعي وقوة للحماية وسجناً للخارجين على القانون في المناطق الأخرى.

وقد بدأت هذه السياسة في سنة ١٩٥٤م، حيث أرسلت الحكومة (١٠٠) ألف من الجنود المسرحين الى الاقليم، خاصة بعد إيصال خط سكة الحديد الى «اورمكي» في سنة ١٩٦٢، لا سيما بعد اكتشاف ٤٠٪ من مخزون الفحم والغاز في كل الصين، كما في هذا الاقليم ٢٠٪ من مخزون النفط (ولكن الحكومة الصينية تقول: انه يبلغ ثلث المخزون) ويقدر مخزون الفحم بـ (٣٠٠) مليار طن، اي ٤٠٪ من مخزون الصين كلها، وكذلك الغاز الذي يبلغ ٢١٪ مما في الصين كلها، كما ان فيه كميات كبيرة من الذهب والملح وغيرهما من المعادن، مما ادى الى مضاعفة سكان المنطقة من الصينيين، وبلغ انتاج القطن ٣٨٪ من مجموع انتاجه في الصين كلها.

ولم تكتف الحكومة بما حصل الصينيون عليه في هذا الموقع، بل التفتوا الى «كاشغر» العاصمة التاريخية للأيغوريين، فشرعوا بهدم مبانيها التاريخية القديمة، بحجة تعرضها للانهيار، والحقيقة انها بقيت كما رآها «ماركوبولو» سابق الذكر، في القرن الثالث عشر الميلادي «السابع الهجري» ولكنها تحولت الى هدف لآلات الهدم، ولكن اهلها لم يستطيعوا ابداء غضبهم على ذلك خوفاً من انتقام الحكومة، غير ان احد الشجعان منهم تحدث الى مندوب المجلة الامريكية «ولكن في جو من الخوف والفزع» فأخذه الى منزله القديم فأعجب بما رآه في داخله من جمال البناء وجمال التأثيث، بينما آلات الهدم تفترس المباني المقرر هدمها، ومنها منزل ذلك الشجاع وهو المنزل الذي ولد فيه هو وأبوه وجده وغيره من الاجداد.

والظاهر حسب قول كاتب المقال: ان الصين لا تكتفي بهدم المباني، بل تعمل على تغيير تفكير اصحابها، وقال ذلك الشجاع الايغوري: اذا كان اهل الشرق الاوسط يربطون القنابل بأجسامهم ويفجرونها، فإن الايغوريين لا يحتاجون الى مثل تلك القنابل لأنهم مهيئون

للانفجار بأنفسهم!!.

ومما زاد في ذلك التهيؤ للإنفجار قتل اثنين من العمال الايغوريين في مصنع صيني، فتظاهر (٥) آلاف عامل احتجاجاً على ذلك، وهتفوا باسم «ايغور» مما اثار العمال الصينيين الذين تظاهر آلاف منهم ايضاً وهم يحملون العصي والسكاكين وغيرها، وهجموا على «الايغوريين».

ليس هذا فحسب بل عمدت الحكومة بالضغط على فتيات الايغور بالهجرة الى خارج منطقتهم للعمل في المصانع، وذلك بغرض تقليص نسبة الايغوريين على ارض بلادهم، ففي سنة ١٩٤٧ كان عدد الصينيين في الاقليم لا يتجاوز (٢٢٠) ألفاً وهم يؤلفون خمسة بالمئة من مجموع السكان الايغوريين الذين كانوا يبلغ عددهم آنذاك أكثر من ثلاثة ملايين (اي زيادة على ٧٥٪ من المجموع) اما في سنة ٢٠٠٧م، فإن عدد الايغوريين ازداد الى ٩,٦ ملايين مقابل عدد الصينيين البالغ ٨,٢ ملايين!!.

كما ان التعامل بالنسبة للنفط، فإنه اعتبر ملكاً لحكومة الصين، وان من يرغب في العمل من الايغوريين في هذا الحقل وامثاله فعليه ان يتبرأ من دينه، الأمر الذي يرفضه الايغوريون، وصارت الوظائف تذهب الى الصينيين، وأدى ذلك الى هجرة الكثيرين منهم الى المدن الصينية للعمل في المصانع المملوكة للأفراد، لأن الحكومة لا تستخدمهم في مصانعها.

وفي السنين الماضية انطلقت المقاومة من جانب الايغوريين متخذة اسلوب العنف، ففي عقد الثمانين من القرن الماضي، قام الطلبة الايغوريون بأعمال العنف، احتجاجاً على سوء معاملة الشرطة لمواطنيهم، وفي سنة ١٩٩٠م، قام الاهلون في منطقة كاشغر، بمسيرات احتجاج على تحديد عدد النسل، ادت الى سقوط حوالي (٥٠) قتيلاً.

وفي سنة ١٩٩٧م، قامت احتجاجات على اساءة معاملة المسلمين لتمسكهم بعقيدتهم، وقد أدى ذلك الى اعتقال كثيرين، ووقوع اصابات خاصة وقد عمدت الحكومة الى التشديد في المساجد، ثم تأثرت الحكومة بأحداث نيويورك حتى ان المتحدث بلسان وزارة الخارجية الصينية، قال: ان بلاده اصبحت ضحية للإرهاب الدولي، وقد اصدرت الحكومة بياناً ينسب اضطرابات «سكيانغ» الى «القاعدة»

والجدير بالذكر ان كاتب مقال المجلة، يقول: ان الصين طلبت في كانون الأول ٢٠٠١م، في الولايات المتحدة ادراج اسماء (٢٢) أيغورياً الذين تلقوا –في زعمها– السلاح والتدريب في افغانستان وباكستان في القائمة السوداء، وسلمتهم الصين الى الولايات المتحدة التي اودعتهم في السجن المعروف المقام في جزيرة كوبا.

وفي آب ٢٠٠٢م، توجه نائب وزير الخارجية الامريكية الى الصين ليبحث بعض الأمور ومنها اشتراك الايغوريين في نشاط ما يسمى «الحركة التركستانية الاسلامية» التي ادرجتها اميركا ضمن المنظمات الارهابية، وعلى اي حال فإن الايغوريين يتمسكون جداً بعقيدتهم الاسلامية، وهذا واضح من حرص الحركة التركستانية على وصف نفسها بالاسلامية، وقد تضمن مقال المجلة الامريكية صورة لعدد من المواطنين «ذكوراً واناثاً» وهم يزورون قبور الأولياء في مناسبة تسمى عيد الإمام عاصم، رغم القيود التي فرضتها السلطات الصينية على المساجد وفعالياتها، وبالفعل فإن الشرطة والقوات العسكرية، اطبقت على اورمكي مما سبقت الاشارة اليه.

ويقول كاتب مقال المجلة: ان الحكومة ما لم تنفق من موارد «سكيانغ» قدراً كافياً يؤمن لأهلها احتياجاتهم بصفتهم المالك الحقيقي لتلك الموارد، فإن دعاة الانفصال عن الصين، يلقون آذاناً صاغية حتى ولو ادى الأمر الى قتلهم، وقد شاهد الكاتب ذلك بنفسه في الحادث الوارد ذكره في بداية هذا المقال، ويضرب به مثلاً على حساسية الصينيين بالنسبة لما يحدث في سكيانغ.

ومن ذلك ما حصل للسيدة «ربيعة قادر» غسالة الألبسة بالأجرة، التي تمكنت بنشاطها وذكائها أن تقيم متجراً كبيراً ضخم عديم المثال، وقد اعلنت تأييدها لبني جنسها، مما حمل وفداً امريكياً على طلب لقائها في سنة ١٩٩٩م، وعندما وصل الوفد الى الصين لاجراء المقابلة، قامت السلطات الصينية بتوقيفها وسجنها لمدة ٦ سنوات، اذ أفزعت الحكومة الصينية بنشاطها، رغم انها امرأة مسنة وجدة لأحد عشر من الاحفاد، وقد أطلق عليها لقب «ام الايغوريين» واصبح مجرد ذكر اسمها يؤدي بقائله الى السجن.

ويتضح مما تقدم ان الاقليم الذي

تدّعي الصين تملكه، رغم انه من بلاد الترك المسلمين وقد تعاقبوا على حكمه، اذ افتتحه المسلمون عام ٩٦هـ ٧١٥م، في العهد الأموي، وتوالى الحكام المسلمون عليه حتى احتلته الصين في سنة ١٨٩٨م، أي بعد ١١ قرناً، كما ان الحكم الصيني لم يكن مستقراً، اذ تخللته العديد من الانتفاضات، ومنها ثورتان في الفترة السابقة على تولي الشيوعيين لحكم الصين، وقلما يسود الهدوء بعد ذلك الحكم، غير ان الصين عمدت الى تهجير اعداد كبيرة من العناصر الصينية الى هذه البلاد حتى قارب عددهم عدد سكانها الأصليين الذين ينتمون الى العنصر التركي، مما أثارهم، وهو الأمر الذي سجله مندوب المجلة الجغرافية الامريكية، مما اشرنا اليه في بداية هذا المقال. ثم ان الفاتحين المسلمين ميزوها بقولهم: ان سكانها كانوا من الاتراك، بخلاف ما وراءها من الاقاليم التي سموها «صينية» وفرضوا عليها الجزية.

وخاتمة مقال المجلة، تقول: ان العالم الغربي يعرف جيداً كفاح اهل «تيبت» ضد الصين بسبب وجود الزعيم الديني المشهور «دلاي لاما» وشخصيته الجذابة، اما قضية الايغوريين لم يكن وراءها شخص مثله، ولكن سوء معاملة الصين «لربيعة عبد القادر» جعلها هي الممثل لهم.

وهي تؤكد استمرارها في الدفاع عن أهلها وحقهم في تقرير مصيرهم، حسبما قالته لكاتب هذا المقال، اذ قالت: انها دعت الصين لارسال من يقوم بالمفاوضات بهذا الشأن، رغم يأسها من استجابة الصين لحل وسط، هذا مع العلم ان ربيعة بعد قضاء محكوميتها في السجن الصيني، هاجرت الى أمريكا لتقود الكفاح ضد الصين من هناك، والله ولي التوفيق.

الهامش ١:

هذا وهناك محمد بن الحسين، الاديب التركي من اهل القرن الخامس الهجري ١١م، مؤلف كتاب لغة الترك الذي يعد من اهم المصادر عن اللغة التركية وتاريخ الترك، وكان من ادباء المسلمين في كاشغر وقد زار بغداد (الف كتابه سنة ٤٦٤هـ ١٠٧٢م) وذكر ابن الاثير في تاريخه ٣٧/٨ ان حاكم كاشغر في عهد المنصور العباسي، كان «سائك بوغراخان» الذي لا يزال قبره معروفاً في عهده، وجاء في الموسوعة الاسلامية الانجليزية ان كاشغر تولاها عام ٨٨٥هـ ١٤٩١م حاكم يدعى ابو بكر، اما الصين فقد احتلتها عام ١٣١٦هـ ١٨٩٨م.

١

نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

إن كل مجتمع لا تحكمه شريعة الله، تظهر فيه حتما طبقتان: طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، ويزداد الأغنياء فيه ثراء ويزداد الفقراء فيه فقرا، ويصبح الفقراء فيه مجرد أداة إنتاج يملكها الأغنياء، وقديما كان الأغنياء يتملكون الفقراء ملكا حقيقيا كما يتملكون الدواب، فيصيرون عبيدا لهم يبيعونهم كما تباع الدواب ويذبحونهم لأهون الأسباب.

لقد حكم البشرية في العصر الحديث نظامان اقتصاديان لا غير: النظام الاشتراكي الشيوعي، والنظام الرأسمالي العلماني، فما حقيقة هذين النظامين؟

أما النظام الاشتراكي فإن الإنسان في نظره، أداة إنتاج كما أن الدابة أداة إنتاج وكما أن الآلة أداة إنتاج، فلا قيمة للإنسان في ذاته وإنما قيمته هي بقدر ما ينتج للمجتمع، فالعناية بالفرد في الدولة الاشتراكية إنما هي عناية من أجل مصلحة العمل والإنتاج فقط، الدابة تعلف لتعمل وتنتج، والآلة تصان لتعمل وتنتج، والإنسان يطعم ويكسى ويعتنى به ليعمل وينتج، ولذلك لا يجوز له أن يتملك، لأنه إذا تملك جعل أخاه الإنسان أداة إنتاج له، وهو ما لا يجوز في النظام الاشتراكي، فإنه لا يجيز للإنسان أن يستغل أخاه الإنسان.

إن هذه النظرة من النظام الاشتراكي الشيوعي للإنسان، هوت به إلى مستوى الآلة التي يتعامل معها، فهي تعمل ولا

تملك، فكان على الإطلاق أقصر الأنظمة الاقتصادية عمرا، وهذا ما ثبت في الواقع، ولذلك لا يستحق النظام الاشتراكي أن يبحث فيه كحل لمشكلة الفقر ومشكلة الطبقية الاقتصادية في المجتمع، بل إن البحث فيه لاستنباط حلول منه نوع من العبث.

وأما النظام الرأسمالي وهو (نظام الاقتصاد الحر) أو (نظام الحرية الاقتصادية) ففي ظله تعمقت الطبقية الاقتصادية بصورة شنيعة، وصار العامل أداة إنتاج لمصلحة رب العمل فقط، دون عدل بين ما يبذل من جهد وما يأخذه من أجر.

وفي ظل النظام الرأسمالي صار المال يتحكم في السياسة وصار رجال المال هم حكام المجتمع، وصارت السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية أداة في يد رجال المال، وصار أفراد السلطتين مع أصحاب المال في الدولة شبكة فساد وعصابة تآمر، تضع الخطط وتسن التشريعات لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال على حساب مصلحة الناس في المجتمع، فازداد الفقراء فقرا وازداد الأغنياء ثراء، فالنظام الرأسمالي حيث حكم نزل بالناس العذاب.

فأين الحل الحقيقي لمشكلة الفقر؟ هل الحل في النظام الاشتراكي أو في النظام الرأسمالي أو في نظام غيرهما؟

إنه لم يوجد في البشرية نظام اقتصادي متكامل مترابط سوى ثلاثة أنظمة، أقدمها النظام الاقتصادي الإسلامي، وبعده النظام الاقتصادي الرأسمالي وبعده النظام الاقتصادي الاشتراكي. أما النظام الاقتصادي الاشتراكي فغير ممكن التطبيق، وأما النظام الاقتصادي الرأسمالي فإن تطبيقه قد ألحق بالبشرية أسوأ عذاب اجتماعي في تاريخها، وصنع في المجتمعات البشرية أسوأ طبقية شهدها تاريخ الإنسانية، وهو نظام على وشك الانهيار، فهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

إن العذاب الذي يعاني منه فقراء العالم إنما هو بسبب فساد النظام الرأسمالي وخلو الواقع الإنساني من نظام اقتصادي

يحل المشكلة الاقتصادية.

لقد أصبحت البشرية مرغمة على الرجوع إلى نظام الله، فإن الله هو الذي خلق الناس وهو الذي يملك حل مشكلاتهم، سواء في السياسة والحكم وفي الاجتماع والأخلاق وفي المال والاقتصاد، ونظام الله للبشرية هو النظام الإسلامي، ومن فروعه النظام الاقتصادي الإسلامي، ومنه نظام الزكاة.

وفي هذه الحلقة وما بعدها نقدم حقيقة نظام الزكاة في الإسلام، متيقنين أن البشرية في نهاية المطاف ستجد نفسها قد رست السفينة بها في مرفأ نظام الإسلام.

❖ معنى الزكاة لغة وشرعا:

الزكاة في اللغة: من (زكا) بمعنى زاد ونمى، يقال: زكا الزرع يزكو زكاء، فكل شيء ازداد فقد زكا. واستعملت الزكاة بمعنى زيادة خصال الخير، يقال: فلان زَكِيٌّ، أي زائد في خصال الخير، وزكّى القاضي الشهود، أي بَيَّنَ زيادتهم في الخير.

والزكاة في الشرع: حصة في المال فرضها الله تعالى للمستحقين. وتطلق الزكاة على الفعل، وهو إيتاء الزكاة، ومنه قوله تعالى: **﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾** يعني يؤتون الزكاة، وهو التزكية. فالزكاة لفظ مشترك يطلق على الحصة المخرجة وعلى الفعل وهو التزكية.

وسميت الزكاة زكاة لأن المال يزكو بها ونفس المزكي تزكو بها والفقير يزكو بها.

أما أن المال يزكو بالزكاة فلأنها سبب البركة والنماء في المال، فإن الله يدفع عنه الآفات وينجي صاحبه من بلاء لو وقع به أذهب من ماله أضعاف الحصة التي أداها زكاة لماله، وكذلك فإن الله وعد أنه يخلف ما أنفقه الإنسان، قال تعالى: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾** سبأ: ٣٩، وقال تعالى: **﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾** الروم: ٣٩.

وأما أن نفس المزكي تزكو بها فلأن الإنفاق من خصال الخير يطهر النفس من الشح وهو خصلة سوء، وأما أن الفقير يزكو بها فلأنه يحصل له بها نمو نفسي ومادي معا.

واستعمل الله في القرآن الكريم لفظة (الزكاة) و (الصدقة) و (الصدقات) فاستعمل لفظة الزكاة (مُعَرَّفَةً) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ذكرت في سبع وعشرين منها مقترنة بالصلاة في آية واحدة، وذكرت في موضع منها في آيتين ولكنهما مقترنتان في سياق واحد، وهو قوله تعالى: **﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون ❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون﴾** المؤمنون: ٢-٤.

واستعمل المشرع تعالى لفظة (الزكاة) في السور المكية والسور المدنية من القرآن الكريم ولكنه استعمل لفظة (الصدقة) ولفظة (الصدقات) في السور المدنية من القرآن الكريم ولم يستعملها في المكية، فإن لفظة (الصدقة) و (الصدقات) وردت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة جميعها في السور المدنية من القرآن الكريم.

وكذلك استعمل المشرع تعالى لفظة (الزكاة) و (الصدقة) بمعنى واحد، فالزكاة هي الصدقة والصدقة هي الزكاة، تختلفان في الاسم وتتطابقان في الحقيقة، أي المعنى. فهما لفظان مترادفان، اختلفا في الاسم ولكن مسماهما واحد هو المعنى الشرعي السابق، ويدل على ترادفهما أن العامل على الزكاة سمي شرعا (المُصَدِّقُ)، لأنه يأخذ الصدقة أي الزكاة ويفرقها.

وسميت الزكاة صدقة لأنها مأخوذة من الصدق، لأن إيتاء الزكاة عمل يصدق به المزكي إيمانَه بأن الزكاة فرض، وكذلك الزكاة دليل على أن المزكي يصدق (يؤمن) باليوم الآخر وبثواب المزكي وبعقاب مانع الزكاة عند الله تعالى.

فتسمية الزكاة صدقة كتسمية مهر المرأة في الزواج صداقا، لأن الزوج يبذله والمرأة تقبله تصديقا منهما لنيتهما دوام الحال بينهما، فهو بذلك يخالف أجر المتعة في نكاح المتعة ويخالف أجرة السفاح، لأنها في الحالتين لا تدل على نية.

❖ حكمة تشريع الزكاة:

الظاهر أن المراد الأصلي للمشرع تعالى من تشريع الزكاة، هو ابتلاء الغني أيشكر نعمة المنعم، فيؤدي الحق المالي في نعمة

الله عليه، أم يكفر بنعمة ربه وتطغيه النعمة حتى تنسيه المنعم. وجزاء الشكر هو الثواب العظيم يوم القيامة، فضلا عن زيادة النعمة للشاكر في الدنيا.

❖ تشريع فرضية الزكاة مجملة في العهد المكي:

بدأت عناية الإسلام بالفقراء وحل مشكلة الفقر والمشكلة الاقتصادية مع بداية نزول رسالة الإسلام على رسول الله محمد ﷺ في مكة المكرمة، فكان مما ذكر في القرآن المكي معاني أولية تتعلق بمعالجة مشكلة الفقر وحل المشكلة الاقتصادية، **ومن هذه المعاني الأولية:** الحض على إطعام المسكين، والإنفاق من رزق الله، وأداء حق السائل والمحروم والمسكين وابن السبيل، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من المعاني.

إن من أوائل الآيات القرآنية تَنَزُّلاً في العهد المكي الآيات التي رغبت في إطعام المسكين والحض عليه ورهبت من عدم إطعامه، ثم الآيات التي جعلت إطعام المسكين والسائل والمحروم حقا مفروضا وليس تطوعا، ثم الآيات التي ذكرت لفظ الزكاة وصرحت بأن إيتاء الزكاة من الإيمان بالله ومن أوصاف المؤمنين وأحد أفضل الأعمال التي يثاب عليها المؤمن بالجنة في الآخرة، وأن منع الزكاة من أوصاف المشركين وأحد أسوأ الأعمال التي يعاقب عليها صاحبها بالنار في الحياة الآخرة.

ولكن لم يرد في العهد المكي تقدير للزكاة ولا لأنصبتها، وإنما شرع ذلك وغيره من تفصيلات نظام الزكاة في المدينة المنورة أي بعد أن قامت للإسلام دولة ووجدت سلطة تحمله وتطبق نظامه، فصارت الدولة تجبي الزكاة وتحفظها وتوزعها وفق ما يتَنَزَّل من أحكام شرعية، فما توفي الرسول ﷺ حتى اكتملت أحكام هذا النظام، فطبقه الخلفاء بعد ذلك باعتباره نظاما كاملا مفصلا.

فالزكاة شرعت فرضيتها في العهد المكي بالتدرج، ولكنها لم تشرع بمقاديرها وأنصبائها وتفصيلاتها إلا في العهد المدني، فالفرض شرع مجملا في العهد

المكي وتفصيل الفرض شرع في العهد المدني.

ومن الملاحظ أن لفظة (الزكاة) ذكرت (معرفة) في السور المكية من القرآن الكريم في ثمانية مواضع، وذكرت معرفة في السور المدنية في اثنين وعشرين موضعا.

وقد ظهر التدرج في تشريع الزكاة في العهد المكي من خلال آيات عديدة في القرآن المكي، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**ولا يحض على طعام المسكين**﴾ الحاقة: ٣٤، وقوله تعالى: ﴿**ولا تحاضون على طعام المسكين**﴾ الفجر: ١٨. وقوله تعالى: ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة ❖ إلا أصحاب اليمين ❖ في جنات يتساءلون ❖ عن المجرمين ❖ ما سلككم في سقر ❖ قالوا لم نك من المصلين ❖ ولم نك نطعم المسكين**﴾ المدثر: ٣٨-٤٤ .

وقوله تعالى: ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ الذاريات: ١٩، والسائل هو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق، والمحروم من لا مال له ولا كسب ولا حرفة يتقوت منها. وهذه الآية صريحة في أن الفقير له حق في مال الغني، فإذا أعطاه الغني فإنما يعطيه حقا وجب له، فليس للمعطي أن يمن وليس للآخذ أن يتذلل.

وقوله تعالى: ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم ❖ للسائل والمحروم**﴾ المعارج: ٢٤-٢٥. ومعنى (معلوم) مفروض، فحق الفقير في مال الغني حق محتوم وليس صدقة تطوعية متروكة لمشيئة الغني إن شاء جاد بها وإن شاء بخل.

وترك الله تعالى في العهد المكي للغني نفسه تقدير هذا الحق المحتوم على حسب درجة تقواه، وعلى حسب حاجة أفراد الجماعة المؤمنة، فقد يكفي القليل وقد يقتضي الحاجة بذل الكثير أو الأكثر، وقوة إيمان صاحب الزكاة ودرجة تقواه، هي الضابط للقدر الذي يجب عليه بذله من ماله، فأبو بكر رضي الله عنه مثلا أنفق معظم ماله في النفقة في سبيل الله وإعتاق العبيد ووضع بقية ماله كله بين يدي النبي ﷺ عندما تجهزا للهجرة ولم يبق لأهل بيته

من ماله شيئا، علما أنه كان مسافرا في سفر لا يعلم هل بعده الموت أو الحياة؟ وهل بعده اللقاء أو هو الفراق الأبدي؟.

وبقي التشريع في باب الزكاة في العهد المكي كله مجملا ثم بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة لإقامة دولة الإسلام، بدأت الأحكام التفصيلية للزكاة تتَنَزَّل، فشرع في العهد المدني (عهد الدولة) أنصبة الزكاة ومقاديرها وجميع أحكامها على وجه التفصيل، ومن الآيات المكية التي تدل على فرضية الزكاة في مكة المكرمة:

قوله تعالى: ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا**﴾ الإسراء: ٢٦، وقال تعالى: ﴿**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ❖ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**﴾ الروم: ٣٨-٣٩. بين الله في هذه الآية أن الربا يزيد المال في الظاهر ولكنه في الحقيقة ينقصه، وأن الزكاة تنقص المال في الظاهر ولكنها في الحقيقة تزيده وتضاعفه.

وقوله تعالى: ﴿**تلك آيات الكتاب الحكيم ❖ هدى ورحمة للمحسنين ❖ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾ لقمان: ٢-٤، فعطف الزكاة على الصلاة فدل ذلك على أن الصلاة والزكاة شرعتا في مكة المكرمة، وكذلك دل على أن الحكمة من الصلاة غير الحكمة من الزكاة فلا تغني إحداهما عن الأخرى، فالصلاة شرعت لتطهير النفس وترقيتها، والزكاة شرعت لتطهير المال وتنميته لأن الله يبارك في المال المزكى ويحفظه من الهلاك والنقص.

وقوله تعالى: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ المؤمنون: ٤، وهي مكية، فإيتاء الزكاة هو أحد الأعمال التي ينال المؤمن بها في الحياة الآخرة منزلة الفردوس، وهو أعلى الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمن.

وقوله تعالى: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة**

والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ الأعراف: ١٥٦، فإيتاء الزكاة هو أحد الأعمال التي ينال بها المؤمن رحمة الله في الحياة الآخرة. والزكاة التي شرعت منذ أول العهد المكي هي زكاة المال وليست زكاة النفس بدليل لفظ الإيتاء، فدل ذلك على أن لفظ الزكاة أصبح منذ بداية العهد المكي مصطلحا شرعيا يراد به زكاة المال وليس زكاة النفس، فلا يحمل لفظ الزكاة على زكاة النفس إلا إذا دل دليل على أن المراد به زكاة النفس.

وقوله تعالى: **﴿.. وويل للمشركين ❖ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾** فصلت: ٦-٧، فتوعد الله على الشرك ومنع الزكاة بالنار في الحياة الآخرة، كما وعد على الإيمان وإيتاء الزكاة بالجنة والفردوس في الحياة الآخرة.

وقوله تعالى: **﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغيرَ معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** الأنعام: ١٤١، وهي آية مكية، وتدل هذه الآية على أن أصل الزكاة أي فرضيتها شرعت في العهد المكي، فأوجب الله تعالى على كل صاحب زرع أو ثمر أن يؤتي زكاة الزرع يوم حصاده وأن يؤتي زكاة الثمر يوم قطافه، وترك لصاحب الزرع والثمر أن يحدد بنفسه قدر ما ينفقه، وذلك أن مقادير الزكاة لم تشرع إلا في العهد المدني (عهد الدولة).

وفي الآية السابقة من سورة الأنعام سمى الله تعالى منع حق الغير في المال إسرافا ومثل ذلك صرف المال في وجه حرام، فصارت كلمة الإسراف مصطلحا شرعيا معناه: منع حق وجب في المال أو إنفاق المال في وجه حرام، فمعنى قوله في الآية **﴿ولا تسرفوا﴾** لا تمنعوا الزكاة لأنها حق مفروض في أموالكم، ولا تنفقوا شيئا من أموالكم في وجه حرام.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

■ بقلم الطالبة مجد اسماعيل

ها نحن نتفيأ ظلال شهر ربيع الأول.. ربيع الانوار، هذا الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ، وفيه بعث وهاجر، وفيه انتقل الى الرفيق الاعلى، وما يحمل هذا الشهر في طياته من مناسبات وذكريات للنبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فبمولده ﷺ توقف الزمن مبتسماً ليطوي تاريخاً مظلماً، ويبدأ تاريخ ينبثق منه نور الهداية للأمة، فكان بمولده ميلاد أمة تنفست ببركة وجوده نسائم الحرية وشقت طريقها الإيماني الذي رسمه لهم ليخرجهم من ظلمات العبودية إلى عبادة رب العباد، وكان ﷺ منذ مولده وحتى بعثته مثالاً للأخلاق والمكارم، وجاء ﷺ حاملاً راية التوحيد منطلقاً من أسس وقيم أخلاقية عظيمة حتى زكاه ربه بقوله: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.**

وكان الخطاب النبوي يحث على التحلي بمكارم الأخلاق في مناحي الحياة كافة فقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وعليه ربى أصحابه رضوان الله عليهم في مدرسة النبوة ليتخرجوا منها متسلحين بالأخلاق والإيمان.. وعلى هذا الأدب النبوي والمنهج الرباني أوجد مجتمعاً متآخياً وموحداً دون فوارق طبقية، فرفع الضعيف إلى مستوى القوي، وكان معيار التمييز هو "التقوى" فأقام دولة على أسس أخلاقية وفضائل حميدة واقتصاد منزه من الربا، وأقام قواعد الدولة وصاغ دستورها من قواعد أخلاقية مثلت سياجاً منيعاً لنمو الدولة الإسلامية لتسود العالم ليس بحد السيف وإنما بأخلاق وسلوك الإسلام، الذي فتحت أمامه الأرض شرقاً وغربا ليدخل الناس في دين الله افواجاً طواعية، وكانت راية

الإسلام عالية خفاقة.

لقـــد بُعث رســـول الله ﷺ للعـــالمين، وجـعلت أمـتـه لتكون شـاهدةً على الناس، والشــهـادة تعني الحـضـور الواعي، وهذه حـقـيـقـة كبـرى يجب أن يعـيـهـا المسلمـون ليـتمكنوا من تحـقـيق عـالمية دعـوة نبيـهم، وليـؤدوا دور الشـاهد علـى البـشـرية، وهذا جـزء من الأمـانـة التي تركـهـا على عـاتقـهم رسـولهم الذي يحـتـفلون هذه الأيام بـذكـر مولده ﷺ فهل يؤدون الأمانة؟.

فكم نحن اليـوم بحاجـة إلى إحيـاء هذه القـيم والتحلي بمكارم الأخـلاق كـصـحـوة تبعث المجـتمعـات من الأجداث التي دفنوا أنفسهم فيها، عندما تجردوا من مبـادئهم وأخـلاقـهم التـي تركنا عليـهـا رسـول الله مـحـمـد ﷺ، الـذي قـال: «تركـتـكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كـتـاب الله وسنتي»!!.. ولنا في رســول الله ﷺ أسـوة حـسنة، الذي جـاء رحمـة وقـدوة للعالمين، والذي كان أحسنهم خلقاً وأكملهم خلقا حتى انه وصف نفسه قائلا: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

فلمــاذا لا نجـعل من هـذه المناسـبــات الاحـتفـالية محطات محـاسـبـة ومراجـعة نتـــزود من خـــلالهـا بالمزيد من الأخـــلاق النبوية، ونجعل من احتفالنا بالمولد النبوي الشـريف مـوسـماً مـثـمـراً لغـرس المفـاهيم الايمانيـة والأخـلاقيـة في نفـوس الشـبـاب والنشء، تحميهم وتحصنهم من أي ارتداد أخلاقي يضر بالمجتمع والامة، ولا نحصـر هذه المناسـبـة العظيـمـة لاحـتفـالات يغلب عليـهـا طابع الحـضـور والتـجلي فـي حب رسول الله ﷺ، والتي تنتهي عندما ينقضي المولد وتعاود تلك الممارسات الخاطئة التي لا تسـتـقـيم مع الحب الوجـداني لهـذا الرسول ﷺ؟!!.

فـــالمسلمـــون مطلوب منهم ان يكونوا أصحاب أدب رفيع وخلق كريم، ومطالبون بأن يستدرجوا أخلاق النبوة في حياتهم وتصرفاتهم، فحبنا لرسول الله ﷺ من التمسك بسنته والتأسي بأخلاقه وبصدق الحديث وأدب الاختلاف.

ان العـزة والرفعـة والمنعة وعـدم إعطاء الدنيـــة في الدين والدنيــا، وغـيــرهـا من الصــفــات التي اتصف بهـا رســولنا ﷺ، الذي أمـرنا ربنا عـز وجل بأن نقـتـدي به تعني أولَ مــا تعنيــه، ان يبني المسلمـــون مجتمعهم على العدل والفضيلة والأخلاق والمساواة وهذا أول ما يجب أن نتذكره في يوم مولد رسولنا وشفيعنا وحبيبنا ﷺ، وهو أول مـا يجب أن نسـعى إليـه إذا أردنا أن نقتدي به إنفاذاً لأمر الله تعالى لنا.

والحمد لله رب العالمين

قطوف دانية

بقلم الطالب حازم عبد القادر

قال الله تعالى:

﴿وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾.

الدنيا عبرة وموعظة

عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﵁ انه بكى يوماً بين اصحابه فسئل عن ذلك فقال:

فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، فإن فيها موعظة لمن ادكر.

الراسخون في العلم

سئل رسول الله ﷺ عن الراسخين في العلم فقال:

«من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم».

لا تحاسبوا الناس

قال ابو الدرداء ﵁: «لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم، ابن آدم:

عليك نفسك، فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه».

ادخال السرور على قلوب الفقراء

قال الامام علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكرم وجهه:

والذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أدخل على قلب فقير سروراً، الا خلق الله له من هذا السرور لطفاً، فإذا أنزلت به نائبة جرى اليها لطف الله كالماء في انحداره حتى يدرأها عنه.

روح عن نفسك

مر أحد المغفلين وعلى عنقه عصا في طرفيها زنبيليان قد كادا يحطمانه، وفي أحدهما برّ، وفي الآخر تراب، فقيل له: ما هذا؟

قال: عدلت البر بهذا التراب لأنه كان قد أمالني في أحد الجانبين، فأخذ رجل زنبيل التراب فقلبه، وجعل البر نصفين في الزنبلين، وقال له: احمل الآن، فحمله فلما رآه خفيفاً قال: ما أعقلك يا شيخ!

كثرة الضحك

قال رسول الله ﷺ:

«من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه».

الأحمق

الأحمق من إذا تكلم فضحه حمقه، وان سكت فضحه عيّه، وان عمل افسد وان ترك ضيع لا يغنيه علمه، ولا ينتفع بعلم غيره، ولا يستريح زاجره، تود امه انها اثكلته وتتمنى امرأته انها فقدته، يأخذ جليسه منه الوحشة ويتمنى جاره منه الوحدة.

٢

وسائل علاج الفساد الإداري

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد صالح الحمداني

هناك وسائل كثيرة في النظام الاسلامي، لها آثارها الايجابية على الادارة واحداث التغيير والاصلاح، لأنها تضع الحلول الناجعة وتقدم البدائل وتقف بصلابة في مواجهة المفسدين وتعمل على قطع دابر فسادهم، ولعل أهم تلك الوسائل ما يأتي:

١- الأسوة الحسنة:

إذا وجدت القدوة المخلصة بعملها الصادقة في أقوالها، القديرة بإدارتها، فلا شك ان هذه المواصفات ستؤثر تأثيراً مباشراً على من يعملون معه، ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى وأعطى القدوة الصالحة في قيادته وإدارته ولذا فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا ان يكون الرسول ﷺ قدوتنا في الحياة فقال جل وعلا: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**(١).

فإن كان هذا الأنموذج المتكامل يؤدي الى تلك النتائج الطيبة، فإن الأنموذج السيء سيؤدي الى فساد من يعملون معه لأنهم يسلكون سبيله ويتعلمون أساليبه، يقول سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾**(٢).

فالآية الكريمة تأمر ان تكون الأفعال موافقة للأقوال، فإذا لم تكن كذلك فإن خللاً يحدث وفساداً يتحقق، لأن أي خصلة حميدة أو فكرة سامية لا يكتب لها النجاح ما لم يكن من يمثلها بعمله ويتصف بها

سلوكه فيثمر العمل ويحمد السلوك، فيكون صاحبها قدوة يحتذى ومثلاً يضرب، ولذلك فكثير من الأفكار ماتت لعدم وجود من يمثلها، ومن هنا تظهر ضرورة وجود القدوة لكونه يبرهن عملياً على نجاح القيم والمثل العليا فيعطي غيره قناعة بأهليته لبلوغ تلك القيم لأنها ضمن طاقته البشرية[٣].

ولما كانت النفوس تمتلك قابلية المحاكاة وتتمثل بالنماذج الحية، فإننا نجد الكثيرين يتشبهون مندفعين لتقليد من يقتعون باستقامته، والاقتداء برسول الله ﷺ هو اتباع لا ابتداع، وان يكون الاقتداء كاملاً غير مجزأ فلا يجوز ان تقتدي به في بعض الجوانب وتخالف في جوانب أخرى، وعليه فعلى المسؤولين في القيادات الادارية ان يضعوا هذه المفاهيم دليل عمل ليعالجوا ما اعتل ويصلحوا ما اختل.

٢- الأخلاق الحميدة:

ان اتصاف القائد الاداري بالخلق السامي يجعله محبوباً بين من يعمل معهم وهذا الحب سيدفعهم للعمل لأنهم مرتاحون نفسياً من تعامله معهم وتقديره اياهم، لأنه يفتح صدره لسماع مطالبهم واقتراحاتهم بقلب سليم وطوية صافية يحاورهم بلطف الإخاء وسماحة الوالد، يقول سبحانه وتعالى يصف نبيه ﷺ وتعامله مع الناس: **﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[٤].

ومن ناحية جملة تلك الأخلاق العالية استعمال الحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادئ البناء والتي تعمل على منع وقوع الفساد وإصلاح المستعدين لذلك بفضل ما يتقنونه من توجيه وإرشاد ونصيحة فيثوبوا الى رشدهم، يقول الله تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[٥].

هذا وان الاسلام لم يترك الخلق لتقديرات الناس فيصيبها ما يصيبهم من تقلبات وميول وانما ربطها بالعقيدة، حيث اوجب التزامها، وجعلها ميزان التفاضل بين الناس[٦]، فإذا جانب المسؤول الخلق في تعامله فإنه سيقع في المحظور الذي يعد انحرافاً عن الفطرة السليمة.

٣- الثبات على الاصلاح والاصرار على مقاومة الفساد:

من المعروف ان الدعوات الاصلاحية تتعرض للمقاومة بشتى الوسائل ولا سيما ممن سيحرمون بعض الامتيازات الزائفة فيقفون حجر عثرة أمام تلك الدعوات،

وعليه فما على المصلحين الا الثبات والصبر على طريق الاصلاح والاصرار على مقاومة المتصدين لمسيرتهم الاصلاحية مهما اصابهم، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ❖ وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ❖ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾**[٧].

ان تأكيد القرآن الكريم على ضرورة الثبات، حفاظاً على القيم الانسانية ان تهدر، وحفاظاً على البشرية ان تنقسم وصيانة للعقل الانساني ان يضل[٨].

٤- الاختيار الأمثل لتسلم القيادة الادارية:

ان من اسباب نجاح الادارة حسن اختيار القائد، لأنه السبب الرئيس في الاصلاح او الافساد حسب مواصفاته التي يتصف بها وصدق رسول الله ﷺ ان جعل من أشراط الساعة ان يؤتمن الخائن ويخون الأمين بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الأرحام وحتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن»[٩].

ويرى عمر رضي الله عنه ان أي تفريط في انتقاء الولاة وفي تخيرهم من بين من عرفوا بالفقه والنزاهة، وحصافة الرأي ونقاء الضمير يفسد الرعية أمرها، ويأتي على كل صالحة فيها، وتحيلها مرعى خصيباً للفساد الذي لا يبقي ولا يذر شيئاً للحياة فيها[١٠]، ومما تقدم فإن اختيار القائد الإداري ضرورة يجب مراعاتها عند إسنادها لأنها أمانة.

٥- استعمال الرقباء:

ان من واجب القائد الإداري استعمال رقباء على سير العمل وسيرة العاملين ليتصرف بحكمته بمعالجة ما يصله عنهم، وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه المثل وأعطى القدوة في هذا المضمار، لا بل كان يسأل كل من يغدو اليه حول أميرهم وما يقوم به من عمل تجاههم فإذا سمع تقصيراً عزله[١١]، وبهذا الأسلوب كان الولاة يتحفظون كثيراً ويخشون اقرب الناس اليهم ان ينقل خبرهم الى الخليفة، فكان رضي الله عنه يسأل عن أسعار السوق ويتابع ذلك[١٢].

وهذا علي كرم الله وجهه، قد نوه الى الرقابة الواعية بقوله: «وابعث العيون من

اهل الصدق والوفاء عليهم فإن تعاهدك في السر لأمورهم قدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية»[١٣].

وعليه؛ أليس من الواجب الاقتداء بمثل هؤلاء الرجال والتزام اسلوبهم في التعامل كي لا ننبت عن اصولنا بل نتشبث بهم فذلك فلاح لنا في الدنيا والآخرة.

٦- استعمال المحققين:

ان وصول الأخبار الى القائد الإداري عن طريق الرقباء لا يتخذ إجراء ما لم يتحقق من تلكم الأخبار، ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه كان يفعل ذلك، فقد أرسل الصحابي محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى عياض بن غنم عامله على مصر، عندما وصلته أخبار انه أخل بالشروط المبرمة مع الولاة، حيث هتف به رجل وهو يمشي في بعض طرق المدينة: يا عمر أترى هذه الشروط تنجيك من الله تعالى وعياض بن غنم على مصر قد لبس الرقيق واتخذ الحاجب؟ فلما وصله وجده كما وصف الرجل فقال له: اجب امير المؤمنين، فقال: اطرح علي قبائي، فقال: لا، إلا على حالك هذه، قال: فقدم به عليه[١٤].

بهذا يعد عمر رضي الله عنه اول من استعمل شخصاً للشكايات والتحقق وتقصي الحقائق، ومع كثرة الاجهزة الرقابية تحت مسمياتها المتعددة، الا انها لم ترتق الى المستوى المطلوب في كشف الحقائق لمحاسبة المقصرين مما جعل الأمور تسير نحو الأسوأ، ولم تصل الأمور الى هذا المستوى الا لوجود فساد اداري ينخر بجسد المؤسسة العامة، التي يجب ان نحميها جميعاً وان نجند كل الطاقات لأجل القضاء على هذا المرض الفتاك.

٧- استدعاء المتهمين واصحاب الشكاوى والاستماع اليهم:

لم يكتف القائد الاداري بإرسال من يتحقق مما ورده من أخبار، بل كان يستدعي المتهمين واصحاب الشكاوى ويستمع مباشرة منهم، وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه فقد كان ينتهز موسم الحج ليتخذه فرصة للمراجعة والمحاسبة، فيجتمع بالولاة ويحل الاشكالات ويتخذ القرارات بشأن ذلك، وبهذا الاسلوب قضى على كثير مما يحدث بفضل هذه الاجراءات التي يعود نفعها على الجميع[١٥].

٨- الجولات التفتيشية:

ان لهذه الحملات ضرورة ملحة لمردودها الايجابي حيث ان العاملين يكونون مستعدين دوماً لاستقبال مثل هذه

الجـولات، قـائمين بعـملهم بجـد خـوفـاً لوقوعهم تحت طائلة المحاسبة والمعاقبة، ولو ان ديننا يأمرنا ان تكون الرقابة ذاتية لشعورنا بمراقبة الله لنا فيما نأتي وفيما ندع، ومع ذلك فـإن هذه الجـولات تؤتي ثمارها ولا سيما للخارجين عن النظام، وهذا الاجراء استعمله عمر رضي الله عنه فكان يقوم بجولات في المدن لا بل قرر ان يسير حولاً كاملاً يتجول في الأمصار حتى يطلع عن كثب فيما يجري فلربما لا تصله بعض الأخبار ويكون مسؤولاً عنها يوم القيامة فيقول: لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً فإني اعلم ان للناس حوائج تقطع دوني، اما أعمالهم فلا يرفعونها اليّ، وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير الى الشام فأقيم شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا»[١٦].

وهذا علي كرم الله وجهه كتب الى عامله كعب بن مالك يأمره القيام بزيارات للمدن التي تحت ادارته للإشراف على مجريات العمل، والاطمئنان على تنفيذ الأحكام الشرعية اذ يقول: «استخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم وتنظر سيرتهم»[١٧].

فهل وعت القيادات الادارية هذه الاجراءات في ذلك الزمن، حيث الأمن والأمان والصدق والعدل والإخلاص فماذا نحتاج اليوم؟ أليس من الواجب اطلاع القيادات على تراث رموزهم والتشبه بهم وسلوك سبيلهم، في وقت نحن بحاجة الى مثل هذه الاجراءات لتحقق ثمارها على الناس جميعاً.

٩- احصاء ثروة الوالي عند تسلمه الولاية:

لأجل ان لا تكون الولاية وسيلة للإثراء فقد احصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اموال الولاة وكان يمنعهم من الاتجار، لأن اصحاب المناصب يستغلون مناصبهم في اكل اموال الناس، لأن نفوذهم في ذلك يترتب عليه محاباتهم ومجاملتهم وهذا قمة الفساد لتصادم المصلحة الخاصة مع المصلحة العامة، وقد أمر عمر رضي الله عنه ابنه ان يرد أغناماً اشتراها من غنائم جلولاء وقال: «انه يحابا»[١٨]، لأنه ابن الخليفة فيخفض له السعر في الشراء، وهذا نفاق ومحاباة على حساب مصلحة المسلمين[١٩].

يقول ابن خلدون: واعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم

بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع، فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا، لأن عامته من البيع والشراء، واذا كانت الأسواق عطلاً منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفسد»[٢٠].

وما دمنا في زمن قل الاخلاص فيه وكادت الأمانة تنعدم والضمائر ان تموت، يجب ان نعيد العمل بهذه الوسيلة العلاجية ولا سيما لأصحاب المناصب الادارية العليا، وما نسمعه من وقوع اختلاسات وثراء على حساب الشعب وتزوير في العقود المالية وغيرها، تؤكد سقوط اصحاب الضمائر الميتة في مستنقعات الرذيلة ومنكرات الرشوة مما أدى الى ضياع النزاهة والأمانة التي حملنا اياها، فعلى الدولة ان تفعل هذه الوسيلة وتعيد الحق الى أهله وتنزل العقوبة على مستحقيها جزاء وفاقاً.

١٠- العمل عبادة:

ان المسلم حينما يتقلد مسؤولية يجب ان يؤمن بأن العمل الذي يؤديه عبادة يبتغي مرضاة الله به، يقول الله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[٢١].

فديننا يحث الناس على العمل وينبذ الكسل، ويريد من اتباعه ان يكونوا منتجين سواء أكان العمل ادارياً أم حرفياً عاماً ام خاصاً وعد عملهم ضرباً من العبادة وسبيلاً للتقرب الى الله سبحانه وتعالى، فإذا عرف المسلم هذا فلا يمكن ان يفسد عبادته ويخل في أدائها وهذا ما يجب ان يعرفه الناس عامة واصحاب القيادات الادارية خاصة[٢٢].

وانطلاقاً مما تقدم فإن العمل يعد مصدراً للقيمة ومعياراً للمفاضلة بين الناس، يقول ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[٢٣]، والعمل دليل ايمان المؤمن والقرآن الكريم ربط بين الايمان والعمل الصالح في كثير من الآيات ومنها قوله سبحانه وتعالى: **﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾**[٢٤].

١١- الرقابة الذاتية:

الاسلام يربي في المسلم الرقابة الذاتية التي تضبط السلوك والممارسات سواء أكان المسلم موظفاً أو غير موظف، وهذا البناء لا يترك هاجساً أو فكرة أو كلمة أو فعلاً، فعلى مستوى الهاجس يقول سبحانه وتعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من**

حبل الوريد﴾[٢٥]، والمسلم مراقب على مستوى الكلمة التي يلفظها، يقول تعالى: **﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾**[٢٦]، لا بل ان الانسان مراقب على مستوى الفعل مهما كانت صفته ووزنه، يقول سبحانه وتعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ❖ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**[٢٧].

وكل هذا يدعو المسلم ان يكون في أعلى درجات الحذر، ويستحضر رقابة الله عز وجل في مخيلته دوماً، وهذه الرقابة الذاتية هي الدعامة الحقيقية للنظام الرقابي في المؤسسة الاسلامية[٢٨].

فإن كان المسؤول كذلك فإننا نطمئن لعمله وقيادته وقراراته لأنه يخاف الله فيحاسب نفسه ويتجنب ويبتعد عن كل الآثام الظاهرة والباطنة امتثالاً لأمره سبحانه: **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾**[٢٩]، لاعتقاده ان الله سبحانه مطلع عليه وسيحاسبه على ذلك يقول جل وعلا: **﴿لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله﴾**[٣٠].

فالاسلام يوقظ في نفس المؤمن ضميره، لأجل ان يخلق عنده نوعاً من الوازع الذاتي يقوم على خشية الله وتقواه ويكون ثمرة ايمانه بربه، وهذا ما يوجه عمله نحو البر فيفعله، ويجنبه عمل الشر فيبتعد عنه، فإذا راودته الهواجس وشطحت به الوساوس كان هذا الوازع الرقيب عليه، يرده الى الحق لما يمتلكه من قدرة التمييز بين الحق والباطل[٣١]، لا بل عد رسول الله ﷺ وجود الوازع الذاتي عند المؤمن إمارة من امارات رضا الله سبحانه وتعالى، وعلامة من علامات الخير وهبها الخالق له، يقول ﷺ: «اذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه»[٣٢].

فعلينا والحالة هذه ان نعمل على تنمية هذه الرقابة الذاتية في النفوس، لأنها من أهم وسائل علاج الفساد الاداري.

وما ذكرته ان هو إلا بعض وسائل علاج الفساد الاداري تعطي للقيادات العليا حق استخدامها لأجل المحافظة على تطبيق النظام وتسيير الأمور على الوجه الأكمل، والحفاظ على أموال الدولة وحماية حقوق الرعية وتوفير حياة مطمئنة لهم ووقف عبث العابثين والضرب على أيدي المستغلين.

الهوامش:

١- الأحزاب ٢١ .

٢- الصف: ٢-٣ .

٣- أنظر أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حنبكة الميداني: ٨٠ .

٤- آل عمران: ١٥٩ .

٥- النحل: ١٢٥ .

٦- التصور الاسلامي للانسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي: ١٦٢-١٦٣ .

٧- آل عمران: ١٤٦-١٤٨ .

٨- التصور الاسلامي للانسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي: ٥٠ .

٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٥٨/٤ .

١٠- عمر بن الخطاب، عبد الكريم الخطيب ٢٥١ .

١١- الخراج، أبو يوسف ١١٧، وكيف واجه الاسلام الفساد الاداري، للدكتور سيف راشد الجابري، والدكتور كامل صقر ١٥٩ .

١٢- تاريخ الرسل والملوك، الطبري ٦٠/٢ .

١٣- نهج البلاغة ٦١٦، وسيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب، د. علي محمد الصلابي ٣٧٨ .

١٤- الخراج لأبي يوسف ١١٦، وكيف واجه الاسلام الفساد الاداري، د. سيف راشد الجابري، ود. كامل صقر ١٦٠-١٦١ .

١٥- التراتيب الادارية، الشيخ عبد الحي الكتاني ٢٦٧/١، وكيف واجه الاسلام الفساد الاداري، د. سيف الجابري، ود. كامل صقر ١٦١، وسيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للصلابي ٣٣٣ .

١٦- الكامل لابن الأثير ٢٩/٣-٣٠ .

١٧- الخراج لأبي يوسف، ١١٨، وسيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب للصلابي ٣٦٣ .

١٨- المغني لابن قدامة ٤٩٣/١٠ .

١٩- كيف واجه الاسلام الفساد الاداري، د. سيف راشد الجابري ود. كامل صقر ١٦٣ .

٢٠- مقدمة ابن خلدون ٢٢٩ .

٢١- التوبة: ١٠٥ .

٢٢- القرآن نظرة عصرية جديدة، مجموعة من الكتّاب، ١١٨، ١٢١ .

٢٣- صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤ .

٢٤- الكهف: ١٠٧ .

٢٥- ق: ١٦ .

٢٦- ق: ١٨ .

٢٧- الزلزلة: ٧-٨ .

٢٨- معجم مصطلحات الادارة العامة ٣٣٣-٣٣٤ .

٢٩- الأنعام: ١٢٠ .

٣٠- البقرة: ٢٨٤ .

٣١- الخلق الحميد في القرآن المجيد، محمد عبد الرحيم عدس ١٩٨ .

٣٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر في الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني ٨١/١، وفي رواية (من قبله) بدل من (نفسه).

١

صفحات من العسكرية العربية الاسلامية

المثنى بن حارثة الشيباني

■ بقلم الاستاذ مصطفى محمد هديب

في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه انبعثت الأمة العربية بالاسلام، وانبعثت العسكرية العربية، عندئذ بالجهاد في سبيل الله، فكان لها شرف حمل الاسلام الى الناس كافة، لتعلو راية التوحيد في الأرض بعد ان لوثتها أوضار الشرك قروناً عديدة!!.

ولقد أذهل الجهد الجهادي الاسلامي امم الأرض، لما رافقه من توفيق الله نفض عنه سكوناً قديماً متواصلاً، وأينع حركة بناء وتفاعل أقامت دولة الاسلام، من الصين شرقاً الى فرنسا غرباً!

لقد غلب هذا الجهد المتميز -الذي قام بدعوة الاسلام الى عبادة الله واحداً أحداً لا شريك له- أقوى دولتين في العالم حينذاك، فارس والروم! وقد كان لذلك عنوان واحد: **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: ٥١ .

ويقول عز وجل: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**

وليـــمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ النور: ٥٥ .

ان آفة الشرك التي جاء الرسل كلهم الى أممهم بإسقاطها من الاعتقاد مع الله سبحانه وتعالى هي عنوان الكفر وهي من اعظم الذنوب التي استوجبت غضب الله سبحانه وتعالى وبعث الأنبياء بالتوحيد: **﴿وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون﴾**! نعم توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته على ما أمر وشرع ذلك هو عنوان كل دين سماوي بعث به الرسل.

وفي الشرك -ذلك الذنب العظيم- قال الحق: **﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق﴾** الحج: ٣١، وفي بشاعة الشرك واستحقاق معتقده العذاب، يقول سبحانه وتعالى: **﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**.

وبهذه العقيدة الصافية من الشرك، وهذا الاسلام الذي كان القرآن الكريم منارته، والهدي النبوي مرشده، اندفع المسلمون من ارض العرب كالأسود الكاسرة، يحطمون الأوثان، ويهدمون قلاع الشرك، ويرفعون راية التوحيد!!.

وفي كل جهد بشري منظم، لا بد ان يكون له وفيه بعد العقيدة قادة أمناء وأوفياء وأكفاء، لهم من القدرة العقلية والبدنية نصيب وافر ولديهم من قدرات القادة في سياسة الأفراد وإدارة الحرب والدهاء والحنكة ما يقدرون به بعد توفيق الله وعونه ان يحققوا النصر على الاعداء لتعلو ارادة الله سبحانه وتعالى على ما وعد!.

وعلى مسرح القيادة العسكرية، ظهر خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وابو عبيدة وطارق بن زياد وكثير غيرهم ومن أولئك القادة.. المثنى بن حارثة الشيباني، قائد كريم، وبطل مغوار، وسيد في الجاهلية والاسلام، وفي سيرته العطرة يبهرك المثنى بحماسته وإرادته وشجاعته المنقطعة النظير، وكفاءته في القيادة وتبسطه مع جنوده، وصدقه وانضباطه الفذ، الشهيد، بطل معارك الاسلام في العراق، الذي مثل ارادة التحدي والدعوة الخالصة لله عز وجل.

انه المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن شيبان، بن بكر بن وائل بن

ربيعة، القبيلة العربية التي كانت تسكن ما بين اليمامة والبحرين حتى اطراف السواد من ارض العراق.

كانت قبيلة بدوية تسكن الخيام، ولا تعرف لها سكن مدني ولما كانت ارضها كثيرة الجدب، فقد كانوا دائماً في حرب مع جيرانهم من القبائل العربية كتغلب وتميم.

وقد كانت العرب أمة مستضعفة قبل الاسلام، وقد أوكل الفرس بهم المناذرة في العراق، كما أوكل الروم بهم الغساسنة ليكفوهم أمرهم استصغاراً لشأنهم!! ولقد التقى العرب الفرس قبل الاسلام في وقعة ذي قار، وانتصروا عليهم وكانت ارهاصاً لانبعاث الأمة العربية بالاسلام، وقد قال رسول الله ﷺ وقد وصله خبر ذلك النصر: «ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا»!!.

❖ المثنى على مسرح التاريخ الاسلامي:

من يستعرض ما لقيه الرسل الكرام عليهم السلام من أقوامهم اذ بعثوا فيهم يدعون الى توحيد الله وعبادته على ما أمر وشرع، لا يجد فيما عاناه رسول الاسلام محمد بن عبد الله ﷺ أمراً مستغرباً!!.

لقي رسول الله ﷺ من قومه في مكة ومن آمن معه، الاستهزاء والتكذيب والايذاء، بالقول والفعل ولقي ﷺ الصد الشديد لدعوته الى الله وبيان ذلك للناس.

وهاجر المسلمون الى الحبشة مرتين هرباً من الأذى والفتنة ولاحقتهم قريش حتى هناك ولكن الله افشل كيدهم، ثم هاجروا الى المدينة المنورة ليجد الاسلام عريناً يؤوي اليه ومنعة، وقبل ذلك ذهب رسول الله ﷺ يدعو اهل الطائف الى الاسلام والى نصرته فكذبوه وخذلوه وعاد الى مكة بعد ان أمنه المطعم بن عدي! وأخذ رسول الله ﷺ يتصل سراً بوفود الحج لعله يلقى من يؤمن به ويسنده وينصره.

ويخرج ليلة في موسم الحج برفقة ابي بكر وعلي بن ابي طالب ويلقون قوماً وبادرهم أبو بكر رضي الله عنه: ممن القوم؟ قال أحدهم: من شيبان بن ثعلبة! ويلتفت ابو بكر الى رسول الله ﷺ: «بأبي انت وأمي هؤلاء غرر في قومهم! كان فيهم معزوق بن عمر، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك! وكان معزوق قد غلبهم لساناً وجمالاً، وسأل أبو بكر معزوقاً: كيف العدد فيكم؟ إنا لنزيد على الألف، كيف

المنعة فيكم؟ علينا الجهد ولكل قوم جد! ثم قال معزوق: لعلك أخا قريش؟! قال ابو بكر: أوبلغكم انه رسول الله ها هو ذا، ويسأل معزوق إلام تدعو يا أخا قريش؟ قال ﷺ: ادعو الى شهادة ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وإني رسول الله وان تؤوني وتنصروني فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد».

وتلا عليه قوله تعالى: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا بالله شيئاً﴾**.. الآية، واستزاده فقرأ عليه: **﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان ..﴾** الآية فقال معزوق: «أَفِكَ قوم كذبوك»!

وانتقل الكلام الى هانئ فلم يتعجل قبول الاسلام، وطلب ان ينظر ليشاور قومه، وصار الكلام الى المثنى «شيخنا وصاحب حربنا» فقال المثنى: «قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا انما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة والآخر السِّمامة، فسأله رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان»؟ قال المثنى: «انهار كسرى ومياه العرب»!

وتابع المثنى.. «أما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وانا انما نزلنا على عهد أخذه كسرى علينا ان لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً واني ارى هذا الامر الذي تدعونا اليه مما تكره الملوك، فإن أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا».

فقال ﷺ: «ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم في الصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه»، وانفض المجلس، وأبطأت شيبان، وهاجر رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة، وفي السنة التاسعة للهجرة، جاءه وفد شيبان وأسلموا بين يديه ﷺ وكان فيهم المثنى بن حارثة، ومن تلك اللحظات طوى المثنى صفحة الجاهلية وما كان فيها ونشر صفحته الاسلامية يحمل لواء الاسلام مجاهداً مقداماً لا يشق له غبار!.

وفي خلافة ابي بكر جاء المثنى وطلب منه ان يجعله قائداً على من أسلم من قومه ليقاتل بهم من يليه من الفرس، فأذن له.

وما كان لهذا المجاهد المقدام ان يقاتل

بدون إذن، وهذه احدى سمات الجندي الأمين الطائع الذي لا يدل بمواهبه ولا بقدرته القتالية ولا بحس رأيه فلا ينفرد بأمر دون قيادته، وسنجد هذا الخلق سنداً في حياته بعد ذاك صماماً له من الفتنة.

وبدأت أخباره تصل من ميدان الفعال.. فيقول ابو بكر رضي الله عنه: «من هذا الفارس الذي تصلنا أخباره؟ فيقول قيس بن عاصم: هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، انه المثنى ابن حارثة».

وتنتهي حروب الردة ويعود الاسلام الى الجزيرة وتعلو رايته لتعلنها دولة واحدة وانتهت القتامة وعادت الدولة الواحدة التي تدين بالاسلام ولها جيش واحد وقيادة سياسية واحدة على ما تركها عليه رسول الاسلام ﷺ قبل وفاته.

ويخشى ابو بكر رضي الله عنه ان العرب اذا لم ينشغلوا بأمر الدعوة ان تفعل فيهم ذكريات الحرب فلا تؤمن الفتنة، ووجه رضي الله عنه الجيوش المقاتلة الى العراق والى بلاد الشام بعد ان رفض قائدا البلدين «فارس والروم» الدعوة الى الاسلام، كما جاءت في كتابي رسول الله ﷺ اليهما.

اما كسرى فارس فقد مزق الرسالة وأرسل لعامله على اليمن: «ان ارسل محمداً هذا اليّ لأرى رأيي فيه» وقد كان رسول الله ﷺ قد دعا «ان يمزق الله ملكه»!.

ويجيء عامل كسرى الى المدينة ويقول: «ان ربي أمرني ان أرسلك اليه»! ويجيب عليه رسول الله ﷺ: «ان ربي أخبرني ان ربك قد قتل»! وعاد الرجل أدراجه الى اليمن فوصله الخبر بصدق رسول الله ﷺ وأسلم!

ويتوجه خالد بن الوليد من اليمامة، - وفي قول من المدينة- الى العراق وهذا ما يرجحه المؤرخون بأمر الخليفة! وأمر المثنى ومن معه من المجاهدين ان ينضموا الى جيش خالد وتحت إمرته، ومثل المثنى جندي مطيع، ولم يؤثر عنه الا الطاعة والرغبة الصادقة في الجهاد!

وبلغ عدد المقاتلين تحت إمرة خالد (١٨ ألفاً)، وقبل «الأبلة» وهي بلدة مكان البصرة الآن، فرّق خالد جنده عدة فرق فسرح المثنى قبله بيومين، ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمر ودليلهما مالك بن عباد، وسالم بن نصر، احدهما قبل صاحبه بيوم، ثم خرج خالد

ودليله رافع، وواعدهم «الحفير» ليجتمعوا به وليصادموا عدوهم.

ومن الحفير الى الكاظمة، وهناك دارت معركة شرسة سميت «بذات السلاسل» انتصر فيها المسلمون وسار المسلمون الى موقع الجسر الأعظم على الفرات حيث تقع البصرة اليوم، وسبى خالد أولاد المقاتلة وأقر من لم ينهض من الفلاحين، وجعل لهم الذمة، وبلغ سهم الفارس في يوم «ذات السلاسل» ألف درهم خلا السلاح.

وخاض المسلمون معارك كثيرة حتى تحرر شق السواد من الغماس اذ كان النصر حليف المسلمين فيها كلها، وكان قائد الجيش خالد بن الوليد وكان المثنى أحد أفراد هذا الجيش، وذلك في العام ١٢هـ وعندما جاء امر الخليفة ابي بكر رضي الله عنه الى خالد ان ينجد جيوش المسلمين الاربعة في بلاد الشام قسم جيش العراق الى نصفين، وكان خالد قد عاد من الحج سراً، وعندما علم ابو بكر رضي الله عنه بذلك أمره ان لا يعود لمثلها، وكانت رسالة الخليفة «ان سر حتى تأتي جمع المسلمين باليرموك فليهنك ابا سليمان النية والخطوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك ان تدل بعمل فإن الله عز وجل له المن وهو ولي الجزاء».

ثم أمره ان يخرج في شطر من الناس، وان يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة، وفي ختام كتابه جاء فيه: فإذا فتح الله عليكم فارددهم الى العراق، وانت معهم، ثم انت في عملك».

❖ المثنى يواجه الفرس في العراق:

اصبح المثنى مسؤولاً عما حرره المسلمون من العراق، وعليه ان يحتفظ بما بين يديه، وان يحارب الفرس لذلك، والخليفة يعلم ان معه نصف جند خالد، وهو يستشعر هذا النقص، لكن ذلك لم يفت في عضده.

ودع المثنى خالداً ويمم خالد الى بلاد الشام يقطع باديته في مغامرة من اعظم المغامرات الحربية في التاريخ، وقد كان توفيقاً من الله ان اعثر دليلهم على اصل شجرة في الارض وجد عندها الماء كان مر بها قبل ثلاثين عاماً! ووصل خالد رضي الله عنه الى اليرموك.

ولم يسترح المثنى ولا جيشه، الا وسمعوا ان الفرس قد جمعوا لهم (١٠ آلاف) مقاتل، وهم متوجهون نحوهم!

خـرج المثنى وأقـام ببـابل ومـعـه على مجنبتيه شقيقاه: المعنى ومسعود، وجاءه خطاب كسرى شهريار ورد عليه المثنى، ودارت في بابل «الموصل الآن» معركة بين المسلمين والفرس بقيادة هرمز، وسمي ذلك اليوم بيوم «النمارق» وهزم فيه الفرس هزيمة نكراء.

ولكن المسلمين لم يستطيعوا ان يحتفظوا بكل ما غنموه من سواد العراق، فارتد المثنى الى الحيرة وتحصن بها، ومع النصر الذي حققه في المعركة ببابل الا انه آثر التحصن بمواقعه الأولى خشية ان يباغت!.

وهكذا كتب لأبي بكر يستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة، فلما أبطأ عليه رد الخليفة استخلف بشير بن الخصّاصيّة على من بالعراق من المسلمين، وذهب الى المدينة يعرض موقفه.

ودعا ابو بكر عمر رضي الله عنهما وأوصاه: «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به: إني لأرجو ان أموت من يومي هذا، فإن انا مت، فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى، وان فتح الله على أمراء الشام فاردد اصحاب خالد الى العراق فإنهم أهله وولاة امره وحده، وهم اهل الضراوة بهم، والجرأة عليهم».

وصار عمر بن الخطاب ﵁ أميراً للمؤمنين، وندب الناس الى العراق مع المثنى، فلم يجبه أحد، وثقل الأمر عليه وعلى المثنى، الذي ألح عليه بأن يسمح لمن تاب من الردة ان يقاتل.

ويقف المثنى خطيباً في المسلمين: ايها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه «قتال الفرس» فإنا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها ان شاء الله ما بعدها».

وسمع ابن الخطاب قول المثنى وحسن أثره في الناس، فقام فيهم خطيباً: «ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجفة «طلب الكلأ» ولا يقوى عليه أهله الا بذلك، أين المهاجرون عن موعود الله، سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها ..».

وظل المسلمون محجمون عن تلبية النداء، الى ان كسر ذلك الحاجز عمرو بن مسعود الثقفي ﵁.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

شبهات حول نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية والرد عليها

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

من أعجب العجب حقاً أن ينتقد الإسلام بشيء من تشريعاته الراقية التي وصلت ذروة الكمال التشريعي، ومن هذيانهم وشبهاتهم هذه: الاعتراض على الطلاق من حيث المبدأ والمطالبة بإلغائه لأنه يؤدي إلى التشرد والانحطاط والجريمة. وإن إعطاء الرجل وحده حق الطلاق وحرمان المرأة منه، فيه امتهان للمرأة واستعباد لها؟!.

أحب - أخي القارئ - أن أضعك بادئ ذي بدئ- أمام تشريعات الأمم غير المسلمة حول نظام الطلاق قديماً وحديثاً، لتتلمس عظمة التشريع الإسلامي وكيف عالج هذا الموضوع، لتوقن أنه تشريع إلهي لا تأليف حكماء من البشر ولا قساوسة ورهبان!!؟.

فقد كان الزواج لدى اليونان(1) يتم عن طريق شراء الخاطب خطيبته من وليها، ولما ألغي نظام الشراء في العصر الكلاسيكي بقيت السلطة المطلقة للزوج على زوجته حيث كان يطلّق كما شاء ومتى شاء دون قيد، بل كان الزوج يطلّق زوجته ويزوجها لمن شاء حال حياته أو يوصي بها إلى شخص آخر بعد وفاته.

وكذلك كان الطلاق لدى الرومان(2) في مختلف العصور بيد الزوج وحده يطلّق متى شاء وبدون سبب ولم يكن للزوجة أي

حق في طلب الطلاق، وأكثر من ذلك كان توليها أن يفرّق بينها وبين زوجها بالرغم من عدم رضاها، نظراً للسلطة الأبوية السائدة آنذاك.

انحلال الزواج في المسيحية[٣]:

أ- لدى الكاثوليك:

يرى اتباع المذهب الكاثوليكي أن الزواج رابطة مؤبدة لا سبيل لفك عراه، إذ متى تم الزواج صحيحاً بين الزوجين فلا يقبل التفريق ولو زنا أحدهما، فالزواج عقد لا يحلّه إلا الموت.

واستدل الكاثوليك الذين لا يبيحون الطلاق بين الزوجين لأي سبب كان بنصوص من الكتاب المقدس، فمن ذلك ما جاء في انجيل لوقا[٤]: (كل من طلق امرأته وتزوج أخرى فقد زنى، ومن يتزوج التي طلقها رجلها فقد زنى). وجاء في انجيل مرقس[٥]: (من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني) وورد أيضاً (... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرّقه إنسان)[٦].

ب- عند البروتستانت:

ذهب البروتستانت إلى جواز التفريق بين الزوجين في حالات:

١- حالة زنا أحد الزوجين.

٢- ترك أحد الزوجين دينه المسيحي إلى دين آخر.

ودليل هؤلاء ما جاء في انجيل متى، أن المسيح عليه السلام صعد على ربوة وأخذ يعظ الناس بما سميت بموعظة الجبل التي تعتبر دستوراً للمسيحية قال: (من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني)[٧].

جـ- عند الأرثوذكس:

أجاز الأرثوذكس التطليق بين الزوجين لعدة حالات استجابة لضرورات اجتماعية وتمشياً مع النظم التي عاشها الأرثوذكس في البيئة الشرقية على الرغم من أن التطليق عندهم لم يكن جائزاً إلا لعلّة الزنا فترة طويلة من الزمن، إلا أن أصحاب هذا المذهب أباحوا التطليق لعدة أسباب كسوء السلوك والعيوب والأمراض والجنون وغير ذلك، ومعلوم طبعاً أن هذه الأسباب لم ترد في الإنجيل ولم ينص عليه أي مصدر من مصادرهم الأولى.

وبعد ذلك نقول: إن الأمم المسيحية التي تحظر الطلاق قد وجدت نفسها في

حرج شديد، الأمر الذي اضطرها تحت الحاجة الإنسانية الفطرية الملحة إلى استحداث القوانين التي تجيز ذلك - ولو ناقضت كتابهم المقدس مناقضة صريحة واضحة - وبالفعل هذا ما حدث وعبّر عنه القانون الإيطالي[8] الذي أصدره مجلس النواب في أواخر كانون أول ١٩٧٠م ونص على إباحة الطلاق ضارباً عرض الحائط تعاليم الإنجيل لأنها تناقض الفطرة الإنسانية والحاجة البشرية، وقد أحدث هذا القانون زلزالاً كبيراً وكانت أصداء الموافقة عليه أشد قوة وأقوى غلبة من أي صوت آخر..!؟ ثم يأتوا بعد ذلك لينتقدوا الإسلام ونظامه الفذ مع أنهم خرجوا على مبادئ دينهم ليقلدوه!؟!

❖ موقف الإسلام من الطلاق[9]:

أما موقف الإسلام من الطلاق فواضح بين، ولسنا بحاجة -ولله الحمد- لتعديل نصوص القرآن الكريم ولا السنّة المطهرة ولا الخروج عليهما، ذلك أن ديننا دين الحق والفطرة جاء لتحقيق مصالح العباد على مر الزمان.

فقد ضمن الإسلام ابتداء عقد الزواج الرضائية التامة، فلا زواج بإكراه أحد الزوجين على من لا يختاره بمحض إرادته وهذا العقد المقدس شرع لأغراض سامية ومقاصد بيّنها الشارع الحكيم،قد يعترضه بعض ما يحول دون تحقيق أهدافه، فقد يكون أحد الزوجين عقيماً فلا يحقق الزواج هدفه من التناسل والتوالد.

وقد تتباين طبائع الزوجين وتختلف أخلاقهما فلا ينشأ التوافق والانسجام فلا يحقق الزواج هدفه الغريزي.

وقد تتضرر الزوجة أو الزوج من أذى يُلحقه أحدهما بالآخر أو تتضرر الزوجة لغياب زوجها في سجن أو غيره.

وبصورة عامة قد لا تتحقق المحبة والمودة بين الزوجين فلا ينشأ عن هذا الزواج الهدف الذي لأجله شرع ولأجله تم الرضا بين الزوجين.

وبما أن رفع الظلم عن كل من الزوجين أمر واجب؛ وضرر كل منهما أمر محرم، فما هو علاج هذه الحالات التي تتعرض لها كل حياة زوجية لم يكتب لها النجاح؟

هل نجبرهما على استمرار الحياة الزوجية رغم ما أصابها من وهن وضعف وتفكك وإضرار -كما ذهبت النصرانية-؟ فقد أخذت جميع أمم الأرض بنظام التفريق بين الزوجين وذهبت مذهب الإسلام، وأصحاب هذا المبدأ ثاروا عليه وشنوا حرباً لا هوادة فيها رغبة في وضع

ما تتطلبه نفسية المجتمع البشري من نظام يضمن الاطمئنان في علاقات الجنسين ويكفل السعادة البشرية، فإن مات هذا المبدأ الباطل عند أصحاب من أهل الإنجيل الذي نصت تعاليمه ألا تفريق بين الزوجين، أفنحييه نحن وقد جاءنا القرآن بما هو أرشد وأهدى وأحسن حكماً؟!.

أما العلاج الشافي فما جاء به الإسلام (دين الفطرة، المتصف بالواقعية والشمول)

إن هذا الزواج معرّض للانحلال وأسبابه. ومهما كانت أسبابه الظاهرة تافهة فقد يكون من العسير بل من الخطير الحيلولة دون وقوعه ؛ إذ ان سببه الحقيقي في كثير من الأحيان يكون نفسياً، الأمر الذي يجعل من حتمية استمرار الاقتران مبعث شقاء بل ربما خطر، على كل من الزوجين.

ومن ثم فإن مبدأ النصح لكل من الزوجين باستمرار التعايش والتفاهم، أساسي وضروري. ثم مبدأ التحكيم، كما أمر به القرآن، لتذويب ما قد يكون بينهما من خصومة ومشادّة ، وارد وأساسي أيضاً، ما كان السبيل إلى ذلك ممكناً.

فإذا لم تُجدِ المحاولتان شيئاً، فإن الحيلولة دون انحلال عقد الزواج أمر لا معنى له عندئذ، إذ هو لا يعني إلا مزيداً من الضغط ابتغاء تعجيل الانفجار.

ثم إن انحلال الزواج إذا تم باتفاق الارادتين، فلا إشكال في ذلك قط.

وفوق كل ذلك نقول: إن الإسلام حرص كل الحرص على تكوين الأسرة الصالحة القوية، لأنها أساس المجتمع الصالح القوي، فشرع من الأحكام ما يحقق هذه الغاية السامية وما من شأنه أن يضمن بقاء الأسرة متماسكة متعاونة متفاهمة متراحمة، الأمر الذي لا يؤدي إلى الطلاق إلا نادراً -وإحصائيات الدنيا كلها خير شاهد على ما نقول- فحث على الزواج من ذات الدين والخُلق، وجعل الطلاق من الأمور المكروهة حتى في لفظها فهو أبغض الحلال إلى الله، بل منع المزاح والهزل فيها، قال ﷺ: "ثلاثٌ جدّهن جدّ وهزلهنّ جدّ، النكاح والطلاق والرجعة"[١٠]، ثم إن حصل نزاع وشقاق بين الزوجين لا نطرق باب الطلاق فوراً، بل لا بد من معالجة المشكلة وعدم التسرع حتى لا تتهدم الأسرة -لبنة المجتمع الأولى- فيتشتت الشمل، **وقد عالج القرآن العظيم هذا الأمر على مراحل**[١١]:

١- مرحلة الصبر وتحمّل الأذى، فإن كره منها صفة نظر إلى أخرى فالكمال لله وحده وفي ذلك يقول عز وجل: **﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل**

الله فيه خيراً كثيراً﴾[١٢] ويقول ﷺ: "لا يفركنّ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي منها غيره"[١٣].

٢- مرحلة المبادرة بالعلاج الهادئ اللطيف، قال تعالى: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾**[١٤] ولا يتعجلني القارئ الكريم لإثارة شبهة جديدة طبل الأعداء لها وزمّر وهي أن الإسلام أهان المرأة وأمر بضربها، فلا تتوهم أن المقصود هنا أن نستعير إحدى هراوات رجال الأمن، ولا أن نضربها بسكين أو آلة حادة، وإنما الضرب غير المبرّح: أي غير المؤذي[١٥] كالضرب بالسواك وهو ضرب بالمزاح أشبه، المراد منه إيصال رسالة لا أكثر!؟! **ومع ذلك متى يكون هذا الضرب؟ في الحقيقة يجب أن يأتي بالمرتبة الثالثة -كما نص القرآن الكريم- بعد:**

أ- الوعظ المؤثر في النفوس: وهو علاج هادئ رقيق تفوح منه رائحة الحب والحرص الكبير على الزوجة، وتذكيرها بحقوق الزوج والعشرة الحسنة، ثم تخويفها بشديد عقاب الله وغضبه والإثم الذي يصيب المرأة إذا عصت زوجها، فمن النساء من يكفيها الوعظ الحسن والترغيب، ومنهن من يؤثر في أنفسهن التذكير بعقاب الله وغضبه، ومنهن من يرتدعن بالتهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا ومنعها بعض رغباتها كالثياب والحلي ونحو ذلك، فإن لم يُجْدِ ذلك فله أن يجرّب:

ب- الهجر والإعراض في المضجع: وهو سلاح يجمع بين اللين والشِدّة، ويتحقق ذلك بهجرها في الفراش مع الإعراض والصد زجراً بدون إيذاء (وقد جرت العادة بأن الاجتماع في المضجع يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر، ويزول ما كان في نفوسهما من اضطراب أثارته الحوادث قبل ذلك) فإذا هو فعل ذلك دعاها هذا إلى السؤال عن أسباب الهجر والهبوط بها من نشز المخالفة إلى مستوى الموافقة، فإن لم يفد ذلك فله حينئذٍ فقط أن يجرب المرتبة الثالثة (الضرب غير المبرح) على الوجه المذكور آنفاً.

٣- المرحلة الأخيرة مرحلة الحكمين: بحيث إذا توتر الأمر وأعيا العلاج في الدائرة الضيقة بين الزوجين فقط، يتفق الزوجان على حكمين أحدهما يمثل الزوج والآخر يمثل الزوجة كمحاولة أخيرة لحل النزاع إن حرصا على ذلك، قال تعالى:

﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾(١٦).

فإذا لم يكن هناك أي سبيل للإصلاح والتوفيق، ولا مناص من الفراق، فلعلّه هو الخير والمصلحة، والله تعالى يغني كل واحد منهما لأنه بيده خزائن السّموات والأرض، قال تعالى: **﴿وإن يتفرقا يُغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾**(١٧).

ثم أيضاً وبعد كل ذلك نقول: وفي سبيل الحفاظ على العشرة الزوجية، شرع الله تعالى الطلاق بعد تضييق النطاق عليه، فلا طلاق في حيض، ولا طلاق في طهر جامع فيه، ولا طلاق ثلاثاً دفعة واحدة، وشرع العدة لتكون فرصة إضافية أخرى للتكفير والرجعة، وأمر المطلقة أن تبقى في بيت الزوجية وسماه بيتها زمن العدة من أجل أن ينظر إليها بعد أن تمارس فنون الزوجات، فلربما عادت الرغبة مرة أخرى، فقد يراجعها وتعود الأمور إلى طبيعتها.

أما بعد الطلاق: الحق أننا لا نعلم بل لا يوجد نظام كنظام الإسلام وتشريعاته في حفظ حقوق المرأة بعد الطلاق فقد أقرها كما علمنا أن تبقى في بيتها وحرّم إخراجها منه. قال تعالى: **﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾** وكذلك فرض لها النفقة والكسوة، وهذا عدا النفقة على الأولاد وهو أمر لازم حسب العرف والاستطاعة يقدّره القاضي الشرعي المسلم، فدعوى أن الطلاق يساعد في زيادة التشرد، باطلة لبقاء واجبات الأبوين قائمة تجاه أبنائهم (حضانة ونفقة ورعاية).

❖ لماذا جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل(١٨)؟

ولدفع هذه الشبهة نقول: لكي يقوم الزواج على أساس راسخ، ينبغي أن يتم طبق منهج فطري يتفق مع طبيعة كل من الرجل والمرأة. وهذا يعني أن يكون الرجل هو الطالب والمرأة هي المطلوبة.

ولكي يسير الأمر على هذا المنوال يجب أن يتقدم الطالب -لا المطلوب- بالمنحة المالية المهر بين يدي خطبته؛ إذ لا يصح في ميزان العرض والطلب أن يكون الطالب هو الآخذ والمطلوب هو المعطي، بل هو تشاكس يتأبى على التطبيق.

وربما سمعنا من يقول: وماذا في أن

تتحول المرأة إلى طالبة؟

والجواب أن هذا يناقض فطرة الأنوثة أولاً، إذ المرأة لا يسعدها إلا أن يسعى الرجل وراءها ويبحث عنها. ثم إن سعيها هي وراء الرجل يجعلها تسقط عشرين سقطة ريثما تعثر على الزوج الذي هو الزوج فعلاً، هذا إن عثرت عليه. وما يجري في المجتمعات الأخرى خير شاهد على ما نقول.

فإذا تعرض الزواج بعد ذلك للانحلال، فإن المبدأ الذي يقتضيه النظام الذي أوضحناه في بناء الحياة الزوجية، هو أن يعطي الزوج حق التطليق، على أن يبقى المهر كله ملكاً للزوجة، ويضاف إليه الهدايا والأعطيات التابعة، ومن تأمل في هذا المبدأ يدرك تماماً مدى دقة العدالة في منهج الإسلام.

ولا يشك عاقل أن الزوج لا يقدم على الطلاق وقد علم بذيول الغرامات التي لا بد أن تتبعه، وتستقر على كاهله، إلا وثمّة واقع أشد من تلك الغرامات يدفعه دفعاً إلى الطلاق، ثم إن محاولة تجاهل هذا الواقع وصدّ الزوج عن الفراق لن يحقق أي خير للزوجة، بل يوقعها في الخطر والهلاك، لأن الضغط لا يولّد إلا الانفجار، ولذا قضت الشريعة الإسلامية بأن خيراً لها من هذا الاقتران الذي هو السجن ذاته، أن تتحلل من هذا الزواج وتفوز بكامل ما استقر لها من مهر وتوابعه.

فإن جاء من يتجاهل هذا الحق العجيب في دقته وعدالته، ثم يسأل: لماذا لم تعط الشريعة مثل هذا الحق -حق الطلاق- للزوجة أيضاً؟ قلنا له: إن هذا الحق المزعوم لا يتفق مع شيء من موازين العدالة، إن الزوجة لو أعطيت هذا الحق، لكان ذلك فرصة، وأي فرصة لها أن تجعل من مسألة الزواج مشاريع تجارية متلاحقة رابحة دون الحاجة إلى رأس مال أو بذل أي جهد إلا أنوثتها. إذ ما عليها إلا أن تتبرم بحياتها الزوجية وأن تصطنع مشكلة ما مع زوجها،ثم توقع الطلاق عليه بعد أن تستولي على كامل مهرها منه، بمقتضى أن الله عز وجل جعله عطية صافية لها. ثم تتجه إلى مشروع زواج جديد لتطبق الخطة نفسها، وتستولي على مهر جديد، وهكذا دواليك.

ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية وضعت في الحسبان احتمال وقوع جور على الزوجة من قبل الزوج، فأعطت القاضي حق النظر في الأمر، حتى إذا تحقق من وقوع هذا الظلم عليها ورأى أن لا سبيل إلى إنصافها إلا بحلّ عرى

لزوجية بينهما، كان له حق تطليقها منه، دون أن تخسر شيئاً من مهرها وسائر حقوقها المالية.

هل تجد في هذا الميزان التشريعي أن إجحافاً بطرف الزوج أو الزوجة!؟ وهل ترى فيه أي نظرة (دونية) إلى المرأة ؟! وأين تكمن هذه النظرة وما مظهرها!؟

بل هل لديك أي اقتراح بديل، أدق حكمة وعدالة من هذا الذي شرعه الله عز وجل!؟.

والغريب حقاً أن الذين حرّموا الطلاق بنصوص كتبهم المقدسة، قد ضربوا بتعاليم ديانتهم عرض الحائط ووضعوا القوانين التي تنقضها من الأساس، ولو صحوا من غفلتهم وتأملوا في الأمر لاتضح لهم بأن الإسلام قد سبقهم في هذا المضمار من قبل اربعة عشر قرناً أو يزيد.

والأشد غرابة أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين -وهم الذين أباحوه- إلى جانب القلة بل الندرة، ويكثر عن الغربيين الذين كانوا ينكرونه أشد الإنكار، وما فتئ يزداد مع الزمن انتشاراً مطرداً بنسب غير معقولة، ففي بريطانيا وحدها - إحصائية ١٨ سبتمبر ١٩٨٥ (حالة طلاق بين كل حالتي زواج)[١٩] وزادت نسبته في مجموع البلاد الأوروبية على ٥٠٪ أما في أمريكا فقد تجاوزت نسبة الطلاق ٦٠٪ (ولا شك أن الجميع يعلم أن نسبة الطلاق في البلاد العربية بمقتضى الإرادة المنفردة من الزوج لم تزد يوماً ما على نسبة ٤٪).

الهوامش:

١-٢- قصة الحضارة (١١٠/٢).
٣- الأحوال الشخصية، د. عبد الرحمن الصابوني (١٥٠/٢).
٤- انجيل لوقا الإصحاح (١٦) العدد (١٨).
٥- أنجيل مرقس الإصحاح (١٠) العدد (١٢).
٦- انجيل مرقس الاصحاح (١٠) العدد (٧).
٧- انجيل متى الإصحاح (٥) العدد (٣١).
٨- راجع: فلسفة نظام الأسرة في الإسلام، أ. د. أحمد الكبيسي ص(١٩٧).
٩- للاستزاده أنظر: أبغض الحلال، نور الدين العتر، وشبهات في طريق المرأة المسلمة، عبد الله بن حمد الجلالي.
١٠- أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وأنظر : فتح القدير (٦/٤).
١١- شبهات في طريق المرأة المسلمة، عبد الله الجلالي.
١٢- سورة النساء (١٩).
١٣- صحيح الجامع (٧٧٤١)، ومعنى لا يفرك: أي: لا يبغض.
١٤- سورة النساء (٣٤).
١٥- تفسير المراغي (٢٨/٢).
١٦- سورة النساء (٣٥).
١٧- سورة النساء (١٣٠).
١٨- سورة النساء (١٣٠).
١٩- أنظر: الإسلام نهر يبحث عن مجرى، شوقي أبو خليل، ص(٧٥).

صالح الجيتاوي يشعل قناديله على مآذن القدس

■ بقلم الدكتور عمر الساريسي

حينما أقرأ شعر المهندس الشاعر صالح عبد الله الجيتاوي، اتذكر على الفور الشاعر حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، والمتوفى في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري (٣٣٢هـ).

وكان هذا الشاعر قد اصدر ديوانه الاول صدى الصحراء عام ١٩٨٢، فتكونت لدي هذه الفكرة، فكرة الحاق شعره بشعر ابي تمام، وجعلت اجمع مقالة في ذلك، فتأخرت الى اليوم ولا أدري ما سبب التأخير، الى ان صدر الديوان الثاني للجيتاوي «قناديل على مآذن المسجد الاقصى» عام ٢٠٠١م، فأدرنا مناقشة علنية حول هذا الديوان، في أحد اللقاءات النقدية والثقافية في رابطة الأدب الاسلامي العالمية في عمان.

فإذا عدنا الى مجموعة الجيتاوي الثانية «قناديل على مآذن المسجد الاقصى» وجدنا انها تلفت انتباه القارئ والناقد، من جهتين اثنتين: الفنية والفكرية.

❖ من الناحية الفنية:

ان هذا المهندس «في الهندسة المدنية» قد اختار لشعره ان يكون بادي العناية بالمعنى أولاً، ومع ذلك فإنه لا يتنازل عن سبك شعري جميل لتشكيلته اللغوية، بل انه ليمنح هذه التشكيلة موسيقى تهدر في السمع كما هدرت الأفكار والمعاني، في العقل والحس.

١– التشكيل اللغوي:

ففي رثاء المهندس يحيى عياش، في تحية المقاومة الفلسطينية، يقول في قصيدة عامرة جعلها بعنوان «خيول مؤتة» يأتي المطلع على النحو التالي:

جراح قلبك في قلبي لها وجع

أعانك الله أنت البرء والوجع

وهو يقوم، كما ترى على تخير وقصد، جراح، وجع، وجع، والقافات: قلبك وقلبي، وهو يعتمد على المقابلة بين الألفاظ المتقابلة: قلبك وقلبي، والوجع والوجع والبرء والوجع والهمزة اعانك والبرء، انه مطلع ناجح يوائم بين الموضوع وبين وقعه اللفظي، وتصاقب الألفاظ مع المعاني لا يتقنه الا كبار الشعراء.

ولننظر في وقع مطلع آخر على العقل وعلى الحس، ففي حديث الانتفاضة يقول:

تسور الصبح محرابي فهل دمي

على الثمالة من عرضي ومن حرمي

لعل في جنبات الارض مزدلفاً

لراحة الروح او برءاً لذي سقم

وفي مطلع داخلي من هذه القصيدة نفسها يقول:

بي منك يا قدس حال لست اكتمه

وما عتيق الهوى يوماً بمكتتم

اننا نجد في هذه الابيات عناية ظاهرة الجمال بالتشكيل اللغوي، لا ينسى التصريح العروضي في المطلع، ويختار الألفاظ المتساوقة المخارج الصوتية، ولنتأمل كلمة «مزدلفاً» وما توحي به من القدرة على اللغة في ثنايا الشعر، وفي الوقت نفسه يطل المعنى احياناً حتى يتحول الى ما يشبه الحكمة النابتة في

التشكيل اللغوي، «وما عتيق الهوى يوماً بمكتتم».

وثمة عنصر ثالث تقفنا عليه هذه الأبيات في شعر الشاعر صالح الجيتاوي، انه الصورة الفنية.

٢- الصورة الفنية:

ان الشاعر يفتتح قصيدته في استقبال الانتفاضة الأولى في شهرها الاول «كانون الثاني ١٩٨٨» بحالة سيئة من اليأس والحزن والكآبة، لذلك يصور نفسه بأنه يقضي نهاره وليله في محراب الانفراد والتعبد، حتى طلع عليه الصباح، ويعني به الانتفاضة التي حاولت ان تنقذ ما تبقى من كرامته، وحرمانه، فهي التي اخرجته الى مكان فسيح من التحرر والشفاء من امراض تحكم الاعداء في الارض والانسان، انها أفكار مخبوءة تحت ظلال هذه الصورة.

وفي المطلع الآخر يخاطب القدس وفي قلبه لها حب قديم لا يستطيع كتمانه، وقلبه بيت مطلعي فيه القوة نفسها:

عذراً فلسطين، ان آتيك تحملني
لك القوافي وهل لي غير بعض فمي
قد كان حقك خيالاً على عدة
يختال بين دخان الفتح والحمم
يختط فوق روابي القدس مرقده
يفضي الى الله بالإيمان والشمم

انها صورة معبرة عن آمال عريضة ترسمها مخيلة الشاعر، لرجال اشداء اقوياء انتفضوا ليحرروا فلسطين من مغتصبيها والقدس بوابة الايمان.

ولقد سافر هذا الشاعر مراراً على متن صوره الفنية ليصل الى ما يريد من افكار وإيماءات، استمع اليه وهو يخاطب بلاده:

بلادي/ جنون العواصف فيك/ يد الحق/ تجلو ركام السواد الذي سد دربي/ وتستأصل الشجر المر/ في عمق روحي وقلبي/ ووقع رصاصك (ترويدة) النوم للوجع المستثار بصدري وفي ناظريا.

انه يروي ان فلسطين بما فيها من حق وقوة، تخفف عنه ما في حاضره من مرارة الحياة العميقة، لتعالج ما في أيامه المعاصرة من اوجاع الاحتلال.

والأمثلة على الصور الفنية كثيرة في هذا الديوان، ويمكن ان يجد القارئ مثالاً آخر معبراً منها في نقوش محرمة على حائط الأقصى (ص٩١).

٣– الانسيابية وطول النفس الشعري:

ان ما ذكرنا من عناية الشاعر باللغة وجزالة التشكيل اللغوي في شعره، لم يمنعه من ان يجعل قصيدته تجري رخية سهلة الجريان في قراءة القارئ، ولدى الشاعر بعد ذلك قدرة على طول النفس وإطالة الامد في القصيدة الواحدة.

ففي قصيدة خيال الجاردنز يبسط الشاعر قصيدته في تسع صفحات (٥٧–٦٦) وفي رثاء الشيخ عبد الله عزام، رحمه الله يبكيه في سبع صفحات (١٠٢–١٠٩) وفي رثاء محمد الدرة، طفل الانتفاضة المعروف، ثماني صفحات (٧٦–٧٥).

٤– الوحدة العضوية والموضوعية:

وانك لتجد في هذه الاطالة في القصائد، ان الشاعر لم يفقد في قصيدته الاثر الواحد في القراء والمتلقين، فالجو النفسي والجو المعرفي يحس القارئ انه يلف العمل الشعري الواحد ولا يخرج عنه الى موضوع خارج عليه.

❖ من الناحية الفكرية:

وعلى الرغم من صعوبة فصل الخصائص الفنية على المقومات الفكرية في العمل الشعري الواحد، الا اننا عرضنا لهما منفصلين لتسهيل الدراسة وتقريب المعلومات.

وبوجه عام فالمهندس صالح الجيتاوي من شعراء الأدب الاسلامي البارزين في هذا البلد العربي الاسلامي، وغيره من عالمنا الاسلامي، وهو ليس بحاجة الى اثبات هويته الاسلامية في ادبه الاسلامي، ولكننا نرى انه في هذا الديوان يشعل قصائده «قناديل على مآذن المسجد الاقصى»، وفي قصائده في هذا الديوان ما خصص لحب الرسول محمد ﷺ وحب الوطن «نقوش» ص٩١، وحب القدس ص٣١، والدعاء للأمة ص٤٤–٣٤، وفي رثاء يحيى عياش وعبد الله عزام ومحيى الدين الشريف وسليمان خاطر وداود معلا.

كلمات في حسن الخلق

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

قال الله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ن: ٤، وقال جل وعلا: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ آل عمران: ١٣٤، فالحمد لله الذي بعث لنا من تمم مكارم الأخلاق، وبين لنا حسن السياق، وهدانا الى سليم المساق، سيدنا محمد ﷺ زعيم الخَلق والأخلاق وأكمل البشر حسناً واتساق.

لا يخفى اننا في هذه الأيام بأمس الحاجة لمن يذكرنا بمحاسن الأخلاق وينتشل الكثير مما وقع فيه من الانحدار الشديد في الأخلاق والتعاملات، بعد ان انتشر سوء الخلق في مجتمعاتنا الاسلامية بشكل كبير يندى له الجبين، ويتفطر له الفؤاد، فبتنا نرى سوء خلق في معاملة الاخوان لبعضهم، والأبناء لآبائهم، والزوج لزوجته، الى ان اصبح امراً اعتيادياً لا نلقي له بالاً.

فنرجو الله عز وجل ان تزول هذه الآفة الخطيرة من مجتمعاتنا، ونعود الى ما كنا عليه من أخلاق، ويضرب المثل في أخلاق ابنائنا وبناتنا، ومدارسنا وجامعاتنا ومجتمعاتنا.

❖ **تعريف حسن الخلق:**

قال عبد الله بن مبارك رحمه الله في وصف حسن الخق: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: وجماع الخلق الحسن مع الناس، ان تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له، والاستغفار والثناء عليه والزيارة له، وتعطي من منعك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك

في دم او مال او عرض.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس».

❖ من فضائل حسن الخلق:

١- من اسباب بعثته ﷺ، قوله: «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» صحيح الجامع الألباني.

٢- انه امتثال لأمر الله عز وجل وأمر نبيه ﷺ.

٣- الفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى، قال النبي ﷺ: «أحب عباد الله الى الله احسنهم خلقاً» صحيح الجامع.

٤- الفوز بمحبة النبي ﷺ، والقرب من مجلسه في الجنة، قال ﷺ: «ان من احبكم الي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» رواه الترمذي.

٥- حسن الخلق من أسباب النجاة من النار.

٦- حسن الخلق يثقل الميزان يوم القيامة، قال ﷺ: «ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وان الله ليبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي.

٧- يدل على كمال ايمان العبد وافضليته.

٨- كان النبي ﷺ يدعو الله عز وجل ان يهديه لأحسن الأخلاق، فعن علي رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان اذا قام الى الصلاة قال: «.. واهدني لأحسن الاخلاق، لا يهدي لأحسنها الا انت واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها الا انت..».

❖ من الاسباب المعينة على اكتساب محاسن الأخلاق:

١- الدعاء، وهو باب عظيم فقد كان النبي ﷺ يدعو الله عز وجل ويسأله حسن الخلق.

٢- المجاهدة، علينا مجاهدة انفسنا لنتخلق بالأخلاق الحسنة.

٣- المحاسبة، علينا محاسبة انفسنا قبل ان يأتي يوم الحساب.

٤- علو الهمة، علينا ان نكون من اصحاب الهمم العالية التي لا ترضى الا بالقمة.

٥- صحبة الأخيار واهل الاخلاق الفاضلة.

٦- قبول النصح الهادف والنقد البنّاء.

اللهم كما حسنت خلقنا فحسن أخلاقنا
والحمد لله رب العالمين

الغـــرس والزراعـــة

■ بقلم الشيخ محمود طالب

هنيئاً لمن عرف ان العمل بالزراعة والغرس عبادة لا تقل اهميتها في الأجر والثواب والنفع عن إقامة الشعائر الدينية كالصلاة والزكاة والصيام والحج اذا ابتغى بهما العامل إعفاف نفسه او الانفاق على أهله وأفراد أسرته.

يقول النبي محمد ﷺ: «من أمسى كالاً «اي متعباً» من عمل يده أمسى مغفوراً له» رواه الطبراني في الأوسط، ويقول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» متفق عليه، ويقول ﷺ: «سبع يجري للعبد اجرهن وهو في قبره بعد موته: «من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته» البزار.

هذا هو توجيه رسول الله ﷺ لأصحابه في شأن العمل بالزراعة والغرس، فهلا تضافرت جهود القائمين على المؤسسات والنوادي الشبابية في توجيه جهود شبابنا وأبنائنا المنتسبين لهذه المؤسسات والنوادي، للعمل المثمر المنتج والافادة منهم في زراعة الأشجار وغرسها.

وما أجمل ان تقوم المؤسسات الزراعية على الخصوص بالحث على الزراعة والغرس وبخاصة زراعة الحبوب، وتشجيع المزارعين وتوجيههم الى ما ينبغي ان يزرع، وتقديم التسهيلات الخاصة بهم والأدوات

اللازمة لهم.

وكيف يكون حال الأمة التي تخلت عن زراعة قوتها اليومي من القمح والحبوب، وما مصيرها اذا ما عجزت إحدى هذه الدول المصدرة للقمح عن الوفاء بما التزمت به في يوم من الايام؟

نعم ان الأمة التي تملك قوتها اليومي من الحبوب، تملك قوتها وكرامتها وعزتها وإرادتها وتملك قراراتها السياسية والاقتصادية، وقراراتها الثقافية والتعليمية والاجتماعية والعسكرية.

من هنا حث الاسلام على الغرس والزراعة ودعا الى زيادة مساحة الأراضي الزراعية، والافادة من الموارد المائية، قال ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» رواه الترمذي.

وحذر الاسلام من تعطيل الطاقات البشرية، ولفت انظار ابنائه الى طرق الكسب المشروعة ودلهم على منابع الثروة، وجعل لزراعة الحبوب اهمية خاصة لأنها غذاء الانسان والحيوان، فلا عجب ونحن نقرأ القرآن الكريم أن نجد الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الزراعة، نجدها تقدم الحبوب أولاً، وتبدأ بذكرها على غيرها للدلالة على أهميتها كما في قوله تعالى: **﴿ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾** الأنعام: ٩٥ .

وقوله تعالى: **﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾** الأنعام: ٩٩ .

وقوله تعالى: **﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ❖ لنخرج به حباً ونباتاً ❖ وجنات ألفافاً﴾** النبأ: ١٤-١٦، وقوله جل وعلا: **﴿فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صباً ❖ ثم شققنا الأرض شقاً ❖ فأنبتنا فيها حباً وقضباً ❖ وزيتوناً ونخلاً ❖ وحدائق غلباً ❖ وفاكهة وأباً ❖ متاعاً لكم ولأنعامكم﴾** عبس: ٢٤-٣٢،

وقـوله تبـارك وتعـالى: ﴿**وآية لهم الأرض الميتـة أحييناها وأخرجنا منها حبـاً فمنه يأكلون ❖ وجـعلنا فـيـهـا جنات من نخـيل وأعناب وفجـرنا فيها من العيون ❖ ليأكلوا من ثمـره وما عـملته أيديهم أفـلا يشكرون**﴾ يس: ٣٣-٣٥ .

وفي هذه الآيات الكريمات نجد ما يلي:

١- ان الله تعـالى سـخـر هـذه الأرض للإنسان.

٢- ضـرورة اسـتـصـلاح الأرض البـور، وان من خـصـائصـهـا ان تتحـول الـى بسـاتين وحـدائق غنـاء بعـد ان كـانت صـحـراء قاحلة جرداء.

٣- تقـديم الأهـم على المهم، كـتـقـديم الحبوب على غيرها من النخيل والعنب والزيتون والرمان.

٤- الاشـارة الى أهمـيـة الماء في الزراعـة، ووجوب شق الترع وحفر الآبار.

٥- الحث على العـمل الزراعي الذي يحـيـا به الانسان والحيوان.

٦- وجوب شكر الله تعالى على هذه النعم.

٧- الحث على التفكير وإعمال العقل في كيفية انبات النبات، واختلاف الثمرات والطعم واللون والشجر والاستدلال به على قـدرة الله جل وعـلا وعظمـتـه وإحيائه للموتى، كما أحيا الارض بنزول الماء عليها.

اذا كـان العـالم كله جعل للشـجـرة يومـاً من أيام السنة، يحـتـفلون فـيـه بغـرس الاشـجـار، فـإننا أمـة الاسـلام أحق الناس بـالزراعـة والغـرس والرعـاية والعناية بالشجرة، لمكانتها ولمنافعها الجمة للإنسان والحـيـوان، فـقـد ذكـرها رب العـالمين في القـرآن الكريم نصـاً في سـتـة وعـشـرين موضـعـاً كـقوله تعـالى: ﴿**والنجم والشـجـر يسـجـدان**﴾ الرحـمن: ٦، وأمـا ذكـرها بما يدل عليـهـا كـالتين والزيتـون والرمـان والنخيل والعنب وجنات فقـد بلغت المئـات مما يدل على أهميتها ومكانتها.

فقـد أمـر الاسـلام بغـرسـهـا وزراعتـهـا ونهى عن قلعهـا أو قطعهـا، وجعل الثـواب لغـرسـهـا والإثم على من قلعهـا أو قطعهـا تعدياً.

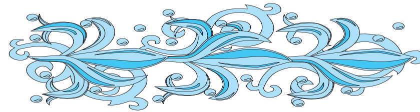
ومن مميزات الشجر والزرع انهما آيتان تدلان على الله وعظمته وقدرته تعالى لمن أمعن تفكيره فيهما، منذ فلق الحب والنوى مروراً بالإنبات وشق الأرض، وتكوين البراعم والأزهار واختلاف ألوانها وانعقاد ثمرها واكتمال نضوجها.

فالليمون والبرتقال والتفاح والنخيل والعنب وغيرها، كل له طعمه ولونه وشكله الخاص به، رغم انها جميعاً مغروسة في بستان واحد، وماؤها واحد، وهواؤها واحد، وتربتها واحدة، ألا يدل ذلك على قدرة وعظمة خالقها جل جلاله؟!.

والشجر عامل مهم في توازن الاوكسجين الذي نستنشقه، واذا فقده انسان أو حيوان هلك في الحال، والشجر مصدر من مصادر الطاقة لتجهيز الطعام وغيره، وهو مكان للترفيه والترويح عن النفس، ومنظره الخلاب يسر الناظرين، والى ظله يأوي الانسان، وبأوراقه يقتات الحيوان، وعلى رحيق أزهاره يعيش النحل الذي يزودنا بالعسل الذي فيه شفاء للناس.

والأشجار مصدر هام لكثير من الصناعات كالسفن التي تمخر عباب البحار والمحيطات، وما يصنع منها من دفاتر وأقلام، وهي عامل هام في تلطيف درجات الحرارة ومنع التربة من الانجراف، وهي ثروة اقتصادية هائلة للوطن، ان عملنا على غرسها ورعايتها وزيادة عددها.

وغرس الاشجار وزراعة الحبوب والمزروعات، من اعظم الأعمال الصالحة التي يؤجر عليها المرء في الاسلام، قال ﷺ: «ان قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فاستطاع ان لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر» رواه البخاري في الأدب.



الدعوة الاسلامية إرث نبوي شريف وليست تنظيمات حزبية وشكليات نظرية

■ بقلم الاستاذ أيمن محمد خليل

جاء الأمر من الله عز وجل بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾ المائدة: ٢ .

وليعلم الدعاة ان سكوتهم عن الخطأ في أنفسهم أو في اخوانهم الدعاة لأي سبب كان، هو نوع من التعاون على الإثم والعدوان، ومساهمة عملية في استفحال الداء واستعصاء الشفاء.

ومن هنا كان الدين النصيحة، وكان المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فحبذا لو تشيع بين الدعاة اللقاءات الايمانية والحلقات التعاونية الهادفة، الى تحقيق التناصح فيما بينهم، وتبادل الآراء في تشخيص المشكلات الدعوية، وأسلوب حلها، كما تشيع بينهم أحياناً اللقاءات لبحث المشكلات العامة، والعقبات الخارجية، وذلك لينهض العمل الاسلامي من كبوته، ويخلص الصف الاسلامي من

تلك الأخطاء، فتحقق الايجابيات وتدفع السلبيات.

فمن بصائر الدعوة الاسلامية.. التأكيد على ان سنة الله عز وجل في ابتلاء عباده المؤمنين بأنواع الابتلاءات الكثيرة، تكون لتمحيص النفوس واختبار القوة من الضعف، والصبر من الجزع من جهة، وتكون ايضاً للتنبيه الى الأخطاء، والتقصير في بعض الواجبات من جهة أخرى.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ❖ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ❖ أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون﴾** البقرة: ١٥٥-١٥٧، كما قال عز وجل: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾** الشورى: ٣٠ .

ولا يصح ان نعلل ابتلاءاتنا دائماً بالعلة الأولى دون انتباه الى العلة الثانية، كما يفعل الكثير منا، فنغطي بذلك أخطاءنا ونرسخ أمراضنا وأدواءنا من حيث نشعر أو لا نشعر.

وإلا صار مثلنا مثل المريض الذي يلحظ في مرضه ومصابه ملحظ رفع الدرجات وهو متلبس في المعاصي والآثام، ولا يلحظ فيه التنبيه الى الأخطاء وتكفير السيئات.

ومن الأخطاء الدعوية والمشكلات الداخلية، انواع عديدة متنوعة منها ما يتعلق بالمفاهيم الدعوية، ومنها ما يتعلق بالأمراض النفسية، ومنها ما يتعلق بالأخطاء المنهجية، ومنها ما يتعلق بالانحرافات السلوكية، وما الى ذلك من جوانب عديدة يضر جميعها بالدعوة ضرراً بليغاً.

ونتناول هنا أبرز هذه الأخطاء، محاولين جمع المتشابه فيها في إطار تلك الأطر، مع الإشارة الى المعالم الأولية في سبيل علاجها والتخلص منها، **فإن من الأخطاء والمشكلات الراجعة الى جانب المفاهيم الدعوية ما يلي:**

١- خطأ كثير من الدعاة في مفهوم الدعوة الاسلامية، وتحولها عند كثير منهم

من دعوة ربانية هادية وإرث نبوي شريف، الى تنظيمات حزبية، وشكليات نظرية، تأثراً بواقع الدعوات الأخرى ومحاكاة لها.

والدعوة في حقيقتها دعوةٌ الى الله، وعملٌ على تحقيق مرضاته، وقيامٌ بوظيفة الرسل عليهم السلام، ومتابعة لهم فيها، فهي أبعد ما تكون عن أهداف التنظيمات الوضعية، وطبيعة الدعوات الأرضية، تتميز في مناهجها وأساليبها ووسائلها، وتنضبط في مصادرها وأدلتها ومرجعيتها.

وقد انتشر هذا الخطأ واستشرى هذا المرض في نفوس كثير من الدعاة، وأثر في مناهجهم وأساليبهم، وحوّل بعضاً منهم من دعاة هادين الى رجالات دنيا، تسيرهم مطامعهم وطموحاتهم، وتحكمهم منافعهم ومصالحهم الدنيوية.

فلا بد من العودة بالدعوة الاسلامية الى مفهومها الصحيح، لتكون دعوة ربانية هادية، كما لا بد من الحذر من طغيان النظرة التنظيمية على المعاني الايمانية عند الدعاة، ليسلم للدعوة الاسلامية مفهومها ويظهر نقاؤها وصفاؤها، وتبرز خصائصها وآثارها.

٢- قَصْر بعض الدعاة أفراداً وجماعات مفهوم الدعوة على عنصر واحد من عناصرها أو أكثر، ودعوتهم الى العمل به دون غيره، وإنكارهم على غيرهم من الدعاة ان يعملوا بالعناصر الأخرى! حتى أصبحت الدعوة عند بعض الناس تبليغاً فقط او تعليماً، أو سياسة، مما أثر في إضعاف الدعوة وشوّه في جمالها من جهة، وأوقع بعض الدعاة في النيل من بعضهم بعضاً من جهة أخرى!.

ان الدعوة الاسلامية تبليغ وبيان، وتعليم وتربية، وتطبيق وتنفيذ وإذا كان مقبولاً من بعض الدعاة ان يتخصصوا بعنصر واحد أو أكثر من عناصر الدعوة، تبعاً، لاستعداداتهم وإمكاناتهم وظروفهم، فإنه لا يقبل من هؤلاء وأولئك ان ينظروا الى العمل بالعناصر الاسلامية الأخرى، نظرة استنكار، أو يرون ذلك خروجاً عن طبيعة الدعوة ووظيفتها.

٣- الخطأ في مفهوم التعددية العملية في العمل الاسلامي، وإساءة فهم الخلاف

الواقع بين المسلمين والغفلة عن طبيعته وأسبابه وحكمه، مما فرق الصفوف، وجعل من الأخوة المتعاونين اعداء متشاكسين، وعمّق في النفوس الفردية والأنانية، وأقام الحواجز النفسية بين الدعاة بسبب تلك الانتماءات، وأشاع روح العصبية والحزبية.

ولو تبصر الناس في حقيقة هذا التعدد، وفي أسباب هذا الاختلاف، لعرفوا انه يعود الى أسباب عديدة أهمها:

أ- طبيعة النصوص الشرعية المحتملة لأكثر من معنى، سواء كانت آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية، أو سيرة عملية.

ب- طبيعة العقول البشرية وتفاوتها في الفهم والإدراك لتلك النصوص، واستنباط الأحكام والفوائد منها، واستخلاص السنن والمناهج من مجموعها.

ج- غياب الوحدة السياسية للأمة المسلمة المتمثلة في الإمام المسلم الذي يرفع حكمه الخلاف في المسائل الاجتهادية.

د- رغبة العاملين للإسلام في استيعاب اكبر عدد ممكن من المسلمين في إطار الدعوة الاسلامية والعمل الاسلامي، حفاظاً على الشعوب الاسلامية من الضياع، وصوناً لها من مطامع الأعداء.

ولا يخفى على أحد مدى تفاوت أمزجة المسلمين، وتعدد آرائهم واجتهاداتهم التي لا يمكن ان يستوعبها عمل واحد، او اجتهاد واحد، ولا سيما في غياب الجماعة الكبرى التي يعترف لها الجميع بالكمال، ولا يجدون معها حاجة لوجود اي تجمع آخر.. وهكذا.

فلو عرف الدعاة هذه الأسباب والدواعي الى التعددية اليوم وأمثالها لما أنكر بعضهم على بعض، ولتعاونوا جميعاً في خدمة هذا الدين، يعترف بعضهم بفضل بعض، وينصح بعضهم بعضاً، ويعذر بعضهم بعضاً.

سائلين الله تعالى ان يحفظ لنا دعوتنا وان يتقبل منا صالح أعمالنا، انه سميع مجيب.

رسالة إلى أخي الموظف

■ بقلم الأستاذ بلال أبو الزيت

من خلال عملي في مديرية الموارد البشرية في وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، وما تتطلبه طبيعة العمل من التعامل مع الجمهور والاستماع إليهم ثم محاولة مساعدتهم وفقاً لما هو متاح عملاً بالقوانين والأنظمة المعمول بها، فقد وجدت لزاماً علي ان أوجه رسالة للموظف، أينما وجد، وأن تكون من باب التواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالوظيفة وسيلة للعيش الكريم والكسب المشروع، وهي من الأعمال التي يجب على الإنسان البحث عنها من اجل أداء رسالة في الحياة، ثم تأمين نفسه بحياة كريمة، والموظف الشريف مسؤول عن وظيفته يقوم بواجباتها على أكمل وجه مرضاة لله عز وجل حيث سيحاسب عليها أمامه سبحانه وتعالى يوم القيامة وعن كل صغيرة وكبيرة بل وهو مؤتمن من خلالها على مصلحة من مصالح المسلمين في حياتهم ومجتمعهم قال الله تعالى: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ الإسراء: ١٤ .

لذا كان على كل موظف ان يتق الله سبحانه وتعالى وأن يجعل من وظيفته طاعة لله تعالى وقد جاء في الأثر: (أنت

على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك) وعبادة يتقرب بها الى الله فالمسلم ان اخلص لله في كل شأن من شؤون حياته يكون فعله عبادة وسعيه في طلب رزقه عبادة وعمله عبادة، قال تعالى: ﴿**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ الأنعام: ١٦٢ .

أخي الموظف؛ ابحث لنفسك عن عمل شريف، نظيف، طيب، مباح يتفق في شؤونه مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ومبادئه العظيمة وقيمه الكريمة، حتى يكون عملاً مباركاً في كسبه وطيباً في شعاره، قال سبحانه وتعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً**﴾ الطلاق.

وإياك أخي الكريم والكسب الحرام أو العمل الذي فيه أدنى حرمة أو شبهة، فإن خيره وإن كثر قليل جداً وإن عظم لا بركة فيه، فقد روي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور متشابهات..) رواه أبو داود.

أخي الموظف اتق الله في عملك وراقبه جل وعلا، فإنه يراك في كل وقت وحين، واحرص على أداء عملك بصدق وأمانة وإخلاص ووفاء، و بالشكل الذي يرضاه الله امتثالا للحديث الشريف حيث قال رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت واتبع الحسنة السيئة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)، وتذكر ما روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) رواه أبو يعلى في مسنده ولا تنس أن جلوسك في مكتبك وقضاءك لحاجات الناس يعد عبادة تثاب عليها متى صلحت نيتك واحتسبتها عند الله سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ❖ وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ التوبة: ١٠٥ .

إن العمل في الإسلام أمر مقدس إذا قصد به وجه الله تعالى وخدمة عباد الله

وقضاء حاجاتهم، ولا تظن ان المنصب وسيلة الى السعادة المجردة، ولا يكون كذلك إلا إذا جعلته خالصا لله سبحانه وتعالى، فالسعادة الحقيقية أن تكون علاقتك مع الله سبحانه وتعالى على أكمل وجه، وأن تؤدي الأعمال على أحسن حال ولا تنظر إلى السعادة المؤقتة.

أخي الموظف؛ حافظ على مواعيد دوامك عند الحضور والانصراف وابذل جهدك على أن لا تتأخر أو أن تتغيب عن دوامك بغير عذر يجبرك على ذلك فكلنا راعٍ ومسؤول عن رعيته، وكل موظفٍ مسؤول كل المسؤولية عن وظيفته التي يشغلها فإن أحسن أداءها أثابه الله عليها خيراً، وإن قصّر حوسب وعوقب عليها لان الجزاء من جنس العمل ومن اخذ الأجر حاسبه الله على العمل، ولا تنس أن من عطّل أو أخّر مصالح الناس بقصد ولم يقض حوائجهم وهو قادر على ذلك، فهو واقع تحت قول النبي ﷺ: (من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون خلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته) رواه أبو داود.

فالحرص على قضاء حوائج الناس، وعدم تأخيرهم أو تعطيلهم، مدعاة لكسب دعائهم وان قضاء حوائج الناس تفريجاً لكربهم وتيسيراً لأمورهم من أفضل القربات، وما أحسن قول القائل:

من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

أخي الموظف؛ كن سهلاً ليناً، مبتسماً، لطيفاً في تعاملك مع الناس ومع مرؤوسيك، وعليك تقديم أقصى المساعدة، وعليك أيضاً الالتزام بالأنظمة والتعليمات المعمول بها في المؤسسات الحكومية والخاصة دونما ضرر أو إضرار، واعلم دائماً أن من يسر على مسلم، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

وان من رفق بمسلم رفق الله به في الدنيا والآخرة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه ومن ولي

من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فأرفق به) رواه مسلم.

أخي الموظف؛ احرص على حسن الخلق مع الناس ومع من له حاجة عندك بأن تحييه وتستقبله بكلمة طيبة، فالكلمة الطيبة صدقة و ابتسامتك في وجه أخيك صدقة، وتودعه بأحسن منها، فكم هو جميل ونبيل ورائع أن تنزل كل إنسان منزلته احتراماً لسنه أو لعلمه أو لفضله، جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا).

عوّد نفسك أن تكون بشوشاً مبتسماً قدر الإمكان مهما كانت ضغوط العمل كبيرة، فتبسمك في وجه أخيك صدقة كما اخبر رسول الله ﷺ، وحاول أن لا ترد مراجعاً فتخلف وعدك له، واعمل كل ما بوسعك بأن لا يخرج إنسان من مكتبك إلا وهو عنك راض، داعياً لك بالخير والتوفيق حتى وإن لم تقض حاجته . روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) رواه مسلم.

وحاول ان تخرج عن المألوف وجرب ان تكون إنسانا غير عادي، بحيث تخدم وتؤدي للناس أمورا ليست مطلوبة منك، واغرس لنفسك غرسا تجده يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول الشاعر:

ازرع جميلا ولو في غير موضعه

فلن يضيع الجميل أينما زرع

ان الجميل وان طال الزمان به

فليس يحصده إلا الذي زرع

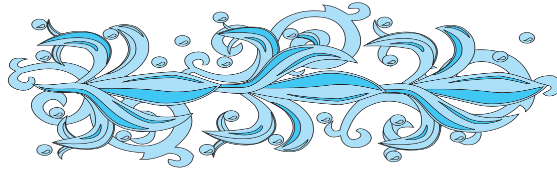
أخي الموظف؛ احذر من الانشغال بأي عمل مهما كان مهماً متى حان وقت الصلاة، وعليك أن تعوّد نفسك على إجابة النداء مبكراً وأداء الفريضة في وقتها حتى يكون عملك عوناً على الطاعة وتذكر قول الله تعالى: **﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** النساء: ٣٣، كما أنه لا خير في عمل يؤخر المسلم عن أداء الصلاة أو يمنعه من إجابة داعي الله جل في علاه، فإذا فرغت من ذلك إياك وإضاعة الوقت فيما لا فائدة منه ولا نفع فيه، وعد

مباشرة إلى عملك حتى لا يتعطل سير العمل واحرص على عدم تأخير المراجعين.

واعلم ان من سمات الموظف الناجح، محاولته المستمرة لتطوير نفسه من خلال الدورات وذلك لاكتساب المزيد من الخبرات والمهارات في مجال عمله، فالزمن يتغير وحال الدنيا يتبدل، وإذا لم يطور الموظف نفسه ويطلع على علوم المعرفة الجديدة، ويكون مواكباً لمتطلبات عصره -ما أمكن- فإنه لا يستطيع مجاراة الناجحين المتميزين وإتقان عمله على الوجه المطلوب، ذلك ان المسلم هو الاولى بأن يقود عجلة التطور والتقدم وان يكون قائدا ورائدا في كل المجالات، حيث ان العلم لا يقف عند حدٍ ولا عند جيل أو امة من الأمم، وبذلك يكون خير من يمشي في قضاء حوائج الناس على علم وبصيرة.

إن مخافة الله هي من أهم المقومات اللازم توافرها في المسلم بشكل عام، وفي الموظف الناجح بشكل خاص، وذلك انه بوجود الوازع الديني فإننا نضمن موظفاً أميناً ناجحاً، لأن الموظف إذا جعل مخافة الله نصب عينيه، فإن الإخلاص والنجاح في العمل سيتحقق بإذن الله تعالى.

وأخيراً فإن إتقان العمل مقصد شرعي وشرط أساسي وهام ليكون الموظف كيِّساً فطنا متطورا ومواكبا لتطورات العصر، فالمثالية أو ادعاؤها لا تكفي لتحقيق النجاح ما لم يكن مصاحباً لها قدرة وعطاء متميز، وتقديم كل جديد ومفيد للعمل مختتما بقوله تعالى: **﴿كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾** الصف: ٣ .



قناديـــل الأخـــوة

■ **بقلم الطالبة تسبيح عمر نضال**

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاءً، وفي الآخرة رفقاءً وخلاناً، والصلاة والسلام على نبينا محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً.

إن الأخوة ليست شعاراً يرفع، او مقالة تكتب، او خطبة تلقى، أو قصيدة تنظم، او كتاباً يؤلف، بل هي حياة تعاش، وعلاقات تقام، وسلوك مستقيم، وتواصل حسن.

فمن اجلّ صفات العبد المسلم ان يكون قلبه نقياً سليماً صافياً، لا يطوي في قلبه على المسلمين الا المحبة لهم، والاشفاق عليهم، فتلك والله هي حقيقة الألفة والصداقة، وعين المحبة والأخوة.

ولا شك ان المحبة في الله تعالى، والأخوة في دينه، من أفضل القربات وألطف الطاعات، وقد أظهر الله سبحانه وتعالى عِظم منته على عباده بهذه النعمة الجليلة، فقال: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾** آل عمران: ١٠٣ .

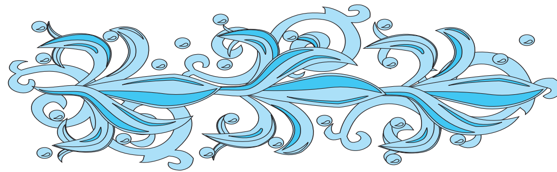
فالحب في الله هو الذي يروي ظمأ الروح الى المعاني العالية والى الروحانيات

السامية، ويفتح لنا الآفاق فترق حواسنا وتشف نفوسنا فترتقي شيئاً فشيئاً لنصل الى أبعد من مستوى حب الانسان فقط لأخيه الانسان، بل ايضاً تتعدى المحبة الى كل الكون، حتى الجمادات، ألم يقل رسول الله ﷺ: «أُحد جبل يحبنا ونحبه»!.

وتاريخنا الاسلامي حافل بمواقف الحب الجميل النوراني، فلقد كانت الأخوة في الله تعالى صفحة ناصعة في تاريخ الإخاء الاسلامي، كيف لا وهي احدى الدعامات والروابط في تأسيس دولة الاسلام في تلك البقعة الطاهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، بعد هجرته ﷺ حيث أقام دولة الاسلام القوية بالحب والايمان والمؤاخاة، فقد ركز ﷺ منذ بداية الدعوة على هذا المفهوم، فربى اصحابه عليهم رضوان الله على الحب وآخى بينهم أخوين أخوين، وعقد بين المهاجرين والأنصار عقد إخاء خاص بين كل اثنين، وهذا يدل على مدى تقدير الرسول ﷺ للمؤاخاة الخاصة، والجميع يعرف تميز العلاقة بين المهاجرين والأنصار التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية.

ويمكن ان يندرج الحديث عن الحب والأخوة في الله تعالى تحت باب: «تعال بنا نؤمن ساعة»، ساعة نرتقي فيها بإيماننا، فتطمئن بها قلوبنا، وتزكو نفوسنا، وتحلق في فضاءات الإيمان ارواحنا.. ساعة نسمو بها بأُخوتنا، ونمتن أواصر المحبة في قلوبنا، وما أحوجنا لهذه الساعة، بل ما أشد حاجتنا لها، في زمن كثرت فيه ساعات الهدم والحصار لكل مظاهر الخير والإيمان.

اللهم انا نسألك حبك وحب نبيك، وحب كل عمل يقربنا اليك، اللهم اجعلنا من أهل المحبة فيك وبك ولك.. آمين.



يا مولداً فرحت به البطحاء

شعـــر الشيخ عبد الرحيم ابو عبيد

يا مــولداً فــرحت به البطحــاء وتبـــددت من نوره الظلمـــاء
هـو مــولد للنور أطفـأ ظلمــة فـي قـلـب مكـة انـه وضّــــاء
فـرح الجـمـيع بمولد مـحـمـد حـتى العـصـاة فـإنهم سـعـداء
هـذا مـحـمــد قــد اطل بنوره طفل عظيم عظمـتــه سـمــاء
هو ابن عـبـد الله سـيـد قـومـه وهـو الشـــريف وأهـلـه شـرفــاء
بقـدومـــه ارض البـــوادي اينعت من بعـد قـحط جـاء والعـجـفـاء
اولاه رب العــــالمين عنـايـة وحـمـاه مما اضـمـر السـفـهـاء
ليـــبلغ الدين القـــويم لأمــة دين عـظيم للنجـــاة رجــاء
دين التـــوسط ليس دين تطرف ان التطرف خـــصلة شــيناء
دين يســـاوي بين كل عـــبـــاده ويُعـز فـيـه العـبـد والضـعـفـاء
فــالعـز يكمن باتبـاع مـحـمـد خـيـر العـبـاد ذلوله القـصـواء
يدعـو الى التـوحـيـد دين خـالص لله لـيـس لـربـنـا شـــركـــاء
هـو صـــاحـب الخلق العظيم بآية بكتـــاب ربي ذكـــرها وضـــاء
هو صاحب الحوض الفسيح بجنة يرد التـقـاة الحـوض والشـهـداء
هذا شـفـيـع الخلق يوم حـسـابهم ان الشـــفـــاعـــة منة وعطاء
لنبـــينـا ورســـولنـا من ربه نـعـم الإلـه الـواهـب المـعـطـاء
وهو الرؤوف بقومه مهما طغوا اذ أخـرجـوه وقـد بغى السـفـهـاء
فبدى رحيماً اذ يقول لجمعهم في فـــتـح مكة انتم الطلقـــاء
صلى عليــه الله في عليـــائه ومـــلائك صلوا مــعـــاً كـــرمـاء
والمؤمنون مخاطبون جميعهم ان الصـــلاة على النبي دعـــاء

❖ ❖ ❖

خطبة الجمعة

فضل الصلاة على النبي ﷺ

بقلم الشيخ احمد الديب

أيها الإخوة الكرام الأحبة، لقد مجّد الله تعالى رسوله وأثنى عليه الثناء العاطر وأعلى قدره، وجعل له المكانة السامية على جميع الأنبياء والمرسلين، ورفع ذكره في الأرض وفي السماء، فقال تعالى لنبيه ﷺ مذكرًا له بنعمته عليه: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ الشرح: ١- ٢، قال مجاهد: "يعني بالتأذين".

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَغَرُّ عليه للنبوّة خاتَمٌ

من الله مشهودٌ يلوح ويُشْهدُ

وضمّ الإله اسمَ النبيّ إلى اسمهِ

إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أَشْهدُ

فكلما ذُكرَ اللهُ تعالى ذُكرَ معه في الأذان والإقامة والتشهد، وفي يومِ الجمعة على المنابر ويومِ الفطر ويومِ الأضحى وأيامِ التشريق ويومِ عرفة وعندَ الجِمار وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عبدَ اللهَ جل ثناؤه وصدّقَ بالجنة والنار وبكل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسولُ الله لم ينتفع بشيء وكان كافرًا.

ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بكثرة

الصلاة على رسوله ﷺ فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾** الأحزاب: ٥٦ .

ففي هذه الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى بما ناله الرسول ﷺ من منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، وما له من السيادة والمقام المحمود فيقول تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾** قال ابن عباس: (يباركون على النبيّ). فهذه الآية شرّف الله بها رسولَهُ ﷺ حياتَه وموتَه، وذكرَ منزلتَهُ منه، والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره، وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك أن الله يرحم النبيّ، وتدعو له الملائكة ويستغفرون؛ وذلك لأن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء.

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾

يقول تعالى: يا أيها الذين آمنوا ادعُوا لنبيّ الله محمد، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيما، ويقول: وحيوه تحية الإسلام، وبنحو ذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ، فعن موسى بن طلحة عن أبيه قال: أتى رجل النبيّ ﷺ فقال: سمعت الله يقول: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾**، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قل: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي رواية مسلم وأبي داود عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وفي الحثّ على الصلاة عليه وفي فضائلها جاءت أحاديث كثيرة، منها ما روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف

رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»، قال عبد الرحمن: وأظنه قال: «أو أحدهما» وقوله: «رغم» أي: لصق بالرغام وهو التراب ذلاً وهوانا.

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ارتقى المنبر فقال: «آمين آمين آمين»، فقيل له: يا رسول الله، ما كنت تصنع هذا؟! فقال: «قال لي جبرائيل عليه السلام: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة فقلت: آمين».

ومن فضائل الصلاة على النبي ﷺ أيضا ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرًا وكتب له بها عشر حسنات»، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تبتغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

وقال سهل بن عبد الله: "الصلاة على النبي ﷺ أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين، وسائر العبادات ليس كذلك"، وقال أبو سليمان الداراني: "من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يرد ما بينهما"، وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلَّى على النبي ﷺ، فإذا جاءت الصلاة على النبي ﷺ رفع

الدعاء».

وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ قال القاضي أبو بكر بن بكير: "نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، فأمر الله الصحابة أن يسلّموا عليه، وكذلك من بعدهم أمِروا أن يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره".

وروى النسائي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبِشْرُ يُرى في وجهه، فقلت: إنا لنرى البشرى في وجهك! فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد، إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرًا؟!»، وعن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يسلم علي إذا متّ إلا جاءني سلامه مع جبريل، يقول: يا محمد، هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام، فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»، وروى النسائي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام» قال القشيري: "والتسليم قولك: سلام عليك".

ومن فضائل الصلاة عليه ﷺ أنها سبب في تفريج الكروب ومغفرة الذنوب، فعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»، قال أبي بن كعب: فقلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئتَ»، قال: قلت: الربع؟ قال: «ما شئتَ، وإن زدت فهو خير لك» قال: فقلت: فثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذًا يكفَى همك ويغفَر لك ذنبك» رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وفي رواية لأحمد عنه قال: قال رجل:

يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: «إذًا يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمّك من دنياك وآخرتك»، وقوله: «إني أكثِر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟» معناه: أكثِر الدعاءَ، فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك؟ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» رواه أحمد وأبو داود.

أيها الإخوة الكرام الأحبة، إن الصلاة على النبي ﷺ لها فضل عظيم، فلماذا قصّر فيها كثير من الناس، ولم يعرفوا لرسول الله قدره، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة وصاحب المقام المحمود؟! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟! يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟! ألا ترون ما قد بلغكم؟! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟! فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم،

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أُؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلَّمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفَّع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى».

فهذا هو فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، وهذا هو موقف رسول الله ﷺ يوم الحشر والنشور، فاتقوا الله يا عباد الله،

واعرفوا مقامَ رسولِ الله ﷺ، وآمنوا به وعزروه وانصروه ووقّروه وعظموه واتبعوا النورَ الذي أنزل معه، وإياكم والغلو فإنّ الانتسابَ الحقَ لدين الله والحبَ الصادقَ لمحمد ﷺ لا يتحقق إلا بالتأسي به وتحكيمِ شرعه والتزامِ واتباع سنته، ومن فرطَ في ذلك وتنصّلَ وقصرَ، فقد انقطع بالرسول ﷺ سببه ولو قال المدائحَ وأقام الحفلات ونمّق الكلمات، فمن الناس من يستهين بسنته ويقصر في طاعته ويزعم أنه متمسك بمحبته، كيف يكون ذلك؟! والله تعالى فرض علينا اتباعه لننال محبته: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** آل عمران: ٣١ .

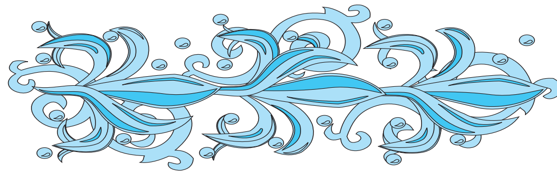
تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه

هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يُحب مطيع

أيها الإخوة الكرام الأحبة، **﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** هود: ٨٨ .



تم بحمد الله



إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العدد السادس - المجلد ٥٥
رجب ١٤٣٢هـ - حزيران ٢٠١١م

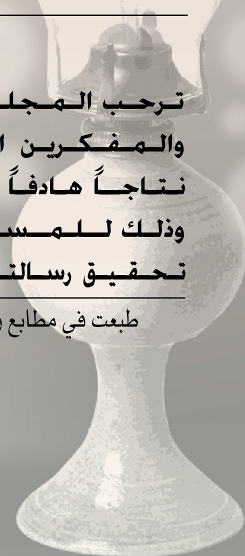




ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢
بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo



هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.

■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.

■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.

■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.

■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.

■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.

■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام

وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

أهمية ربط التربية

لا ريب ان الايمان بالله عز وجل، هو الموجه لسلوك الانسان، والدافع له تجاه الخير ونصرته، من حيث العناية والرعاية والتوفيق، كما ان الايمان هو الذي يصرفه عن طريق الشر، ويجعله متمسكاً ومتحلياً بالمبادئ الفاضلة والقيم العليا، بعيداً عن مساوئ الأخلاق ومهاوي الرذيلة، لأن هذا الايمان يجعله مراقباً لله تعالى في كل عمل أو قول أو ترك ونهي، كما جاء في الحديث الشريف: «قال: ما الايمان؟ قال: الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ولقائه وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الاسلام؟ قال: الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: وما الإحسان؟ قال: ان تعبد الله كأنك تراه، وان لم تكن تراه فإنه يراك».

حقاً ان الايمان، هو الموجه للسلوك والضابط له، والمتصل اتصالاً وثيقاً بالأعمال الصادرة من الانسان، من هنا كانت التربية الاسلامية، تربط دائماً بين الايمان والعمل والسلوك، قال تعالى: ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾، ويقول عز وجل: ﴿والعصر ❖ ان الانسان لفي خسر ❖ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾، والكتاب العزيز مليئ بالآيات التي تقرن الايمان بالعمل، فالإيمان الحق، هو الايمان الذي يصدر عنه السلوك، ويتبع منه العمل الصالح، ويخرج منه الخلق الكريم، فحسن الخلق والإخاء والمودة واجتناب الكبائر، والتمسك بالفضائل، يجب ان تصدر كلها عن هذه العقيدة، لهذا، كثيراً ما يربط رسول الله ﷺ بين الايمان والسلوك، من ذلك قوله: «لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن لا عهد له» وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

كما نجد رسول الله ﷺ يتحدث عن أثر الإيمان في اجتناب الرذائل، وارتباط الايمان بالسلوك ساعة فعل العمل فيقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»،

الاسلامية بمعتقدات الأمة

ويقول: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».

من هنا فإن التربية الاسلامية في ربطها المحكم بين العقيدة والسلوك، وجعل العمل نابعاً من العقيدة، وجعل العقيدة اساساً لكل فعل، انما تؤكد أهمية ربط التربية الاسلامية بمعتقدات الأمة، وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ترتكز على هذا الجانب وتؤكد عليه، وهو أهمية ربط التربية بعقيدة الأمة، باعتبار العمل مظهراً للإيمان، وترجمة له، فالله عز وجل جعل العمل معياراً حقيقياً لصدق الايمان، فربط دائماً بين الإيمان والعمل، وذم الذين لا يربطون بينهما في كثير من الآيات البينات كقوله سبحانه: ﴿كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ وقوله: ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾.

فالعقيدة لا بد ان تنعكس على الانسان وسلوكه، فإذا ما آمن المسلم إيماناً يقينياً بالله سبحانه، ومراقبته الدائمة لعبده، كان هذا الإيمان محدداً لسلوك المسلم كفرد، وسلوك الجماعة كأمة مسلمة.

فالعقيدة لا بد ان تترجم في حياة الفرد الذي يعلم بأن الله تعالى مطلع على سره ونجواه، وان افعاله مكتوبة وهو محاسب عليها، ولا بد ان تترجم في حياة الجماعة، فتبني نظام حياتها وفق هذه العقيدة التي آمنت بها، فلا تقضي في اي شأن من شؤون حياتها، ولا في اي جانب من جوانبها، الا من خلال أحكام هذه العقيدة وصدق الله العظيم: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً ❖ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً﴾.

أسرة التحرير

وجوب تعاهد القرآن الكريم

وفوائد حفظه والتحذير من نسيانه

■ بقلم الدكتور أنس كرزون

لا شك ان النسيان شيء فطري في الانسان، وهو يختلف عادة من شخص لآخر، ولكنه من النادر ان يكون كاملاً، اذ يستطيع المرء استرجاع ما كان يحفظه، لأن جانباً منه كان مختزناً في الذاكرة.

وقد شاءت حكمة الله سبحانه ان يتفلت حفظ القرآن الكريم من الصدور، اذا لم يبادر المسلم الى المراجعة الدائمة والتعاهد المستمر لما يحفظ من آيات القرآن الكريم، ولعل في ذلك حكماً عديدة، من ابرزها الابتلاء والامتحان لقلوب العباد، لكي يتميز الفرق بين القلب المتعلق بالقرآن المواظب على تلاوته، والقلب الذي تعلق به وقت الحفظ ثم فترت همته وانصرف عنه حتى نسيه(١).

كما ان هناك حكمة أخرى وهي تقوية دافع المسلم على الإكثار من تلاوة القرآن الكريم لينال الأجر العظيم بكل حرف يتلوه، ولو انه حفظ فلم ينس لما احتاج الى كثرة التلاوة، وبذلك يضيع على نفسه حسنات كثيرة، ومن هنا كان خوف النسيان لحفظ القرآن نعمة قد لا يدرك المسلم اهميتها، فالنسيان يدفعك الى الحرص على التلاوة المستمرة ويزيد اجرك عند ربك، لأن لك بكل حرف تتلوه حسنة،

والحسنة بعشر أمثالها.

ولقد حث الرسول ﷺ على تعاهد القرآن الكريم خشية النسيان، وحذر من التهاون والتكاسل عن ذلك في أحاديث عديدة، منها:

١- ما روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان الرسول ﷺ قال: «انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة، ان عاهد عليها أمسكها وان اطلقها ذهبت»[٢].

والمعروف ان الابل اذا ذهبت وتفلتت من صاحبها، لا يقدر على الامساك بها الا بعد تعب ومشقة، فكذلك صاحب القرآن ان لم يتعهد حفظه بالتكرار والمراجعة، انفلت منه واحتاج الى مشقة كبيرة لاسترجاعه، قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «ما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما ان البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الابل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة»[٣].

٢- وعن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الابل في عقلها»، وفي رواية أخرى: «استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها»[٤].

قال ابن بطال: هذا الحديث يوافق الآيتين: قوله تعالى: **﴿انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** وقوله تعالى: **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾**، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له، ومن أعرض عنه تفلت منه[٥].

وفي هذا حض على دوام مراجعة الحفظ وتكرار التلاوة خشية النسيان، وقد ضرب الرسول ﷺ هذا المثل لأنه أقرب في توضيح المقصود، كما أكد ذلك بالقسم «فوالذي نفس محمد بيده» تأكيداً على أهمية تعاهد القرآن ومراجعة الحفظ.

٣- وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أرَ ذنباً اعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[٦]، وكلمة «اوتيها» اشارة الى ان الحفظ نعمة عظيمة وهبة من الله يجب شكرها لا تضييعها.

ولا شك ان المراد الأول بهذا الوعيد هو ترك العمل بالقرآن الكريم وهجر تلاوته اعراضاً عنه، كما اخبر سبحانه عن حال هؤلاء الذين يشتكي الرسول ﷺ منهم، فقال تعالى: **﴿وقال الرسول يا رب ان**

قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ الفرقان: ٣٠ .

ولكن النسيان لا يعني ترك العمل فقط، وانما يعني ايضاً عدم التذكر وهو المتبادر للفهم من النصوص السابقة.

والنسيان نوعان[٧]**، الأول:** الذي ينشأ عن التعلق القلبي بأمور الدنيا وكثرة الانشغال بها، حتى يؤدي ذلك الى اهمال مراجعة القرآن وترك تلاوته، وهذا هو المذموم الذي ورد فيه الوعيد.

النوع الثاني: هو الذي لا ينشأ عن تقصير وإهمال، وانما ينتج عن تقدم السن وضعف الذاكرة، او اي ضرورة او عذر شرعي، فهذا لا يدخل ان شاء الله في الوعيد السابق.

والمقصود بهذا الحديث بيان عظيم الإثم الذي ينال المعرض عن تعاهد القرآن لأن ذلك يدل على قلة اعتناء بكتاب الله تعالى وعدم مبالاة بهذه النعمة التي نالها وهي حفظ سورة من القرآن.

وقد يرد هنا سؤال وهو ان بعض الذنوب اعظم من نسيان حفظ القرآن، فكيف جعل النسيان هنا اعظم الذنوب؟

والجواب كما قال العلماء: ان الحديث لا يقصد به اعظم الذنوب على الاطلاق، وانما المقصود اعظم الذنوب المترتبة على النسيان والاعراض، فيكون معنى الحديث: لم أر ذنباً مرتباً على نسيان اعظم من ذنب نسيان سورة من القرآن[٨]، قال الامام ابن المنادي رحمه الله: «ما زال السلف يرهبون نسيان القرآن بعد الحفظ لما في ذلك من النقص»[٩].

وهناك عوامل تساعد على التذكر، لكن ابرزها الاتقان الأساسي للحفظ، ووضوح معنى الآيات التي يحفظها، وتأثير الزمن الفاصل بين الحفظ والمراجعة، والصحة النفسية والجسمية للشخص اثناء الحفظ والمراجعة.

❖ وصايا وفوائد لحفظ القرآن الكريم ومراجعته:

لقد أخبر الله تعالى بالأجر العظيم والمنزلة العالية التي ينالها حامل القرآن الكريم أو من يحفظ بعض أجزاء منه عن ظهر قلب، **فإليك هذه الوصايا والفوائد التي ترسم لك معالم هذا الطريق:**

١- الاخلاص مفتاح العلم والفهم:

اجعل قصدك وهدفك من الحفظ التقرب الى الله سبحانه واستحضر ان ما تتلوه هو كلام الله عز وجل، واحذر ان

يكون دافعك نيل مكانة بين الناس او الحصول على بعض المكاسب الدنيوية والمكافآت والجوائز، فالله سبحانه لا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً له، قال تعالى: **﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾** البينة: ٥ .

٢- البعد عن المعاصي والآثام:

القلب المظلم بالمعاصي والمشغول بالتكالب على شهوات الدنيا لا موضع فيه لنور القرآن الكريم، فالمعاصي حاجز عن الحفظ، ووساوس الشيطان تصرف عن ذكر الله، كما قال تعالى: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾** المجادلة: ١٩ .

وقد روى عبد الله بن المبارك عن الضحاك بن مزاحم انه قال: «ما من احد تعلم القرآن فنسيه الا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول في ذلك: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾** الشورى: ٣٠، وان نسيان القرآن من اعظم المصائب»[١٠].

وهذا الامام الشافعي المشهور بسرعة الحفظ يشكو الى شيخه «وكيع» ان الحفظ تباطأ عليه يوماً، فيرشده الى علاج حاسم وهو ترك المعاصي وتفريغ القلب من كل ما يحجزه عن ربه، قال الامام الشافعي رحمه الله:

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يؤتى لعاصي

يقول الامام ابن المنادي: «ان للحفظ اسباباً.. منها احتشام المناقص جملة -اي اجتنابها- وذلك أن المرء اذا زجر نفسه وأقبل الى الله بالموافقة، وعت اذنه وصفا من الرين ذهنه»[١١]، والرين: ما يغطي القلب من غشاوة المعاصي، كما قال تعالى: **﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** المطففين: ٢٤ .

فمن جاهد نفسه للبعد عن المعاصي فتح الله تعالى قلبه لذكره، وهداه لتدبر آيات كتابه، ويسّر عليه حفظه ومدارسته، وفي ذلك يقول المولى سبحانه: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** العنكبوت: ٦٩ .

وقد أورد الامام ابن كثير عن ابن ابي حاتم قوله في معنى هذه الآية: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون[١٢].

٣- اغتنام فترة الشباب وسنوات الصغر:

لأن الصغير أفرغ قلباً، وأقل شغلاً، وقد حُكي عن الأحنف بن قيس انه سمع رجلاً يقول: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، فقال الأحنف: «الكبير أكثر عقلاً، لكنه أشغل قلباً»(١٣).

وينبغي لمن فاتته مرحلة الشباب ألا يتهاون في الحفظ، فإنه اذا فرّغ قلبه عن المشاغل والهموم سيجد سهولة في حفظ القرآن الكريم لا يجدها في غيره، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾** القمر: ١٧، وهذا من خصائص القرآن الكريم.

ولا تنس أخي المسلم ان الانسان عندما يصل مرحلة الشيخوخة يضعف بصره، وقد لا يقوى على قراءة القرآن من المصحف، وعندها سيجد ما يحفظه في صدره كنزاً يتلوه ويتهجد به، وان لم يكن قد حفظ من القرآن شيئاً يذكر فما أعظم ندامته!!.

٤- اغتنام أوقات النشاط والفراغ:

فلا ينبغي لك أخي القارئ ان تحفظ في وقت الملل والتعب، او عندما يكون ذهنك مشغولاً في أمر ما، لأن هذا يمنع من تركيز الحفظ، بل اختر وقت النشاط وراحة البال، وحبذا لو جعلت ذلك بعد صلاة الفجر، فهو انفع الأوقات لمن نام مبكراً.

٥- اختيار المكان المناسب للحفظ والمراجعة:

وذلك بالبعد عن اماكن الضجيج والضوضاء، لأن هذا يشغلك ويشتت ذهنك، فلا تحاول ان تحفظ وأنت في بيتك بين أولادك، أو في مكتبك ومحل وظيفتك بين زملائك وأصوات الناس من حولك، أو في الطريق وأنت تقود سيارتك، أو في متجرك أثناء البيع والشراء، وتذكر قول الله تعالى: **﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** الأحزاب: ٤ .

وخير مكان تختاره لحفظ القرآن الكريم بيوت الله لتنال الأجر مضاعفاً، أو في مكان هادئ لا ينشغل فيه سمعك وبصرك بما حولك.

٦- الدافع الذاتي والعزيمة الصادقة:

الرغبة القوية الصادقة لها اكبر الأثر في تقوية الحفظ وتسهيله وتركيزه، أما الذي يريد ان يحفظ تحت تأثير إلحاح والديه أو مدرسه دون اندفاع ذاتي، فإنه لن يستمر طويلاً، ولا بد ان يصاب بالفتور.

ويزداد الدافع الذاتي بالتشجيع المستمر، وبيان اجر ومنزلة حفظة القرآن الكريم ومجالس القرآن، وإذكاء روح التنافس في الحلقة او البيت او المدرسة، وبصدق العزيمة تندحر وساوس الشيطان وتخنس النفس الأمارة، قال الامام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «من صدق العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه الشيطان وسوّفه ومنّاه»[١٤].

٧- مشاركة الحواس:

تختلف إمكانات الناس وقدراتهم في الحفظ، وتفاوت قوة الحفظ بين شخص وآخر، ولكن الاستفادة من عدة حواس يسهل الامر ويرسخ الحفظ في الذاكرة.

فاحرص أخي القارئ على اشتراك حاسة النظر والسمع والنطق في ذلك، لأن لكل حاسة طريقاً موصلاً الى الدماغ، فإذا كثرت الطرق قوي الحفظ وترسخ.

ويكون ذلك بأن تبدأ حفظك بتلاوة جهرية لما تريد حفظه، وانت تنظر في الصفحة التي تتلوها، مع تدقيق النظر وتكراره حتى تنطبع صورة الصفحة في ذاكرتك، ويشارك سمعك في سماع التلاوة فيرتاح اليها، وبخاصة ان كنت تقرأ مع التغني المحبب الى النفس، اما من يحفظ بالنظر الى المصحف وهو ساكت، او عن طريق سمع تسجيل للقرآن دون ان ينظر في المصحف، او يكتفي اثناء حفظه بالقراءة بصوت خافت، فكل هذه الطرق لا تؤدي الى المطلوب بشكل ميسور.

الناس على قسمين:

منهم من يحفظ عن طريق السمع اكثر مما يحفظ بالنظر، وهذا ذاكرته سمعية، ومنهم من يحفظ عن طريق النظر اكثر، فإذا قرأ المقطع من كتاب حفظه اكثر مما اذا سمعه وهذا ذاكرته بصرية، فإن كنت من أولئك فاستعن بكثرة قراءة الآيات قبل حفظها مع إدامة النظر لفترة اطول في المصحف، ثم أغلق المصحف واكتب بخط يدك الآيات التي حفظتها، وبعد ذلك قارن بين ما كتبته وبين المصحف، لتتعرف على أخطائك ومواطن الضعف في حفظك كي تعيد تثبيتها ومراجعتها.

واذا لاحظت انك تخطئ كثيراً في كلمة من كلمات القرآن او تتساها كلما وصلت اليها في المراجعة، فاربطها في ذاكرتك بكلمة تشبهها من الكلمات المألوفة لديك، وعندها تتذكر هذه بتلك.

وقد ارشدنا الى هذه الوصية الامام

ابن المنادي رحمه الله حيث يقول: «كذلك فليفعل المعلم بالمتعلم، يأمره اذا كان معتاداً لنسيان كلمة من القرآن بأن يذكرها باسم معهود عنده، او شيء مألوف لديه يشبه اسمها، فإنه يذكر ذلك ان شاء الله»[١٥].

٨- تحديد طبعة واحدة للمصحف:

ويفضل اختيار طبعة مصحف الحفاظ التي تبدأ كل صفحة فيها ببداية الآية، وتنتهي بنهاية الآية، وهذا الأمر له أثر كبير في ترسيخ صورة الصفحة في الذاكرة، وإعادة تركيز هذه الصورة عند المراجعة.

اما اذا تغيرت طبعات المصاحف، فإن هذا سيؤدي الى انطباع صور مختلفة في الذهن وتشتيت الحفظ وعدم التركيز.

كما اوصيك أخي بالحرص على الاستعانة بمصحف الجيب او المصحف المجزأ الموافق لطبعة المصحف الذي تحفظ فيه، فهو خير أنيس كلما لاحظت فراغاً او نشاطاً، أينما كنت، لتبادر الى اغتنام الوقت في حفظ جديد، أو مراجعة لحفظ سابق.

٩- ضبط النطق:

وبعد اختيارك للزمان والمكان المناسبين وتحديد طبعة المصحف الذي ستحفظ فيه، يجب عليك قبل بدء الحفظ تصحيح النطق وضبط الكلمات القرآنية بالقراءة على أحد المتقنين، او سماع المقطع الذي تريد حفظه بصوت احد القراء من المسجل، لكي تضمن عدم الوقوع في الخطأ، لأن الكلمة التي تحفظها بشكل خاطئ يصعب عليك تصحيحها بعد ان رسخت في الذاكرة.

يقول الامام ابن المنادي: «ألا وإن للحفظ اسباباً.. منها ان يقرأ الانسان على من هو أحفظ منه، لأن الذي يُقرئ أنفذ في التبصرة بخطأ المقترئ من المقترئ بخطأ نفسه»[١٦].

فاحرص أخي المسلم على تلقي القرآن في مجالس القرآن والمشافهة عن الحفظة والمشايخ المتقنين، لتسلم من الخطأ، وتبدأ حفظك على أساس متين.

ولا يفوتني هنا ان أوصي إخواني مدرسي القرآن في المساجد والمدارس بالحصر على تصحيح تلاوة الطالب للمقطع الذي يريد حفظه، وارشاده الى ضبط الكلمات التي يكثر الخطأ فيها، مع مطالبته بتكرارها امام زملائه وقاية له من احتمال الخطأ.

١٠- الحفظ المترابط:

ولا تنس أخي ان يكون حفظك

متـرابطاً، فكلما حفظت آية، وتمكنت منها أعد قراءتها مع الآية التي قبلها، ثم انتقل الى آيات أخرى تربط بعضها ببعض حتى تكمل الصـفـحـة، وعندها ينبـغي اعـادة قراءتها وربط جميع آياتها قبل الانتقال الى صفحة أخرى، وكذلك عندما تكمل حفظ سـورة مـا، لا تبـدأ بغـيـرها حـتى تعـيـد تكرارها، لتضمن ترابط آياتها في ذاكرتك.

وان عـدم اتبـاع هذه الطريقـة سـيـجـعل حـفظك غـيـر مـتـرابط، وسـتـجـد نفسك بحاجـة الى من يذكرك ببداية كل آية عند تسميع الحفظ، كما يجعلك تعاني صعوبة كبيرة اثناء المراجعة.

١١- فهم المعاني:

ومما يساعد على ترابط الآيات وتسهيل الحـفظ، ان ترجع الى بعض التـفـاسـيـر المختصرة بين الحين والآخر لتفهم معاني تلك الآيات ولو على وجه الاجمال، او على الاقل استعن بكتاب «كلمات القرآن تفسير وبيـان» للشيخ حسنين محمد مخلوف، فإن معرفة معاني الكلمات يساعد على توضيح المعنى الاجمالي للآيات.

١٢- الحفظ المتقن:

بعض الشـبـاب يقـرأ المقطع مـرتين او ثلاثاً فـيظن انه حفظ، وينتـقل الى مـقطع آخـر حـرصـاً على السـرعـة، بسـبب ضـيق وقته او تنافسه مع زميله، أو إلحاح المدرس عليه، وهـذا لا يصح أبداً ولا يثمر، فالقليل الدائم خيـر من الكثيـر المنقطع، والحـفظ السريع يؤدي الى النسيان السريع.

وهذه الظاهرة منتشرة جداً في صفوف الطلاب، وسببها احياناً الرضى عن النفس والغـرور، حـيث يكتـفي الطالب بقـراءة المقطع مـرات قليلة، فـإذا لاحظ انه علق في ذاكرته انتقل الى غيره ظناً منه ان هذا المستوى يكفي، ويشجع على هذه الظاهرة تساهل بعض المدرسين اثناء التسميع.

والمطلوب ان لا يتـــوقف الطالب عن الحفظ والتكرار بمجرد شعوره انه حفظ هذه الآيات، بل عليــه ان يتـقن الحــفظ بزيادة تكرار تلك الآيات مـرة بعـد أخـرى، لأن كل تكرار جـديد يرسخ الحـفظ اكـثـر، ويخفف الجهد أثناء المراجعة.

١٣- المداومة على تلاوة القرآن الكريم:

سارع الى تلاوة القـرآن كلما سنحت لك الفـرصـة، لأن كثـرة التـلاوة تسهل الحفظ وترسـخـه، وتعـد من الطـرق الرئيـسـيـة في المراجـعـة، ولعلك تلاحظ ان بعض السـور والآيات التي تكثـر تلاوتها والاستمـاع اليها

لا يحتاج حفظها الى عناء ابداً، واذا وصل الطالب في حفظه اليها يمر عليها بيسر، ومن ذلك مثلاً سورة الواقعة وسورة الملك وأواخر سورة الفرقان، فضلاً عن سور جزء عم وأواخر سورة البقرة.

وهنا يتميز طالب عن طالب، فمن كانت عادته المداومة على التلاوة يومياً وتحديد مقدار يتلوه بلا انقطاع، فإن الحفظ بالنسبة اليه سهل ميسور، وسيلاحظ في كثير من الأحيان ان ما يريد حفظه يكاد يكون محفوظاً من قبل، واما من كان قليل التلاوة، ولا يتخذ لنفسه مقداراً محدداً يتلوه كل يوم، فإنه سيجد صعوبة اكبر في الحفظ.

ولا تنس أخي ان تلاوة القرآن الكريم من أفضل العبادات والقربات الى الله تعالى، وان كل حرف تتلوه لك به حسنة، والحسنة بعشر امثالها.

وقد ارشدنا الهادي البشير ﷺ الى هذا الطريق، الذي هو دأب الصالحين، لكي نرسخ حفظنا للقرآن، وننجو من عاقبة النسيان، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال: «واذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، واذا لم يقم به نسيه»[١٧].

١٤- الحفظ الافرادي قليل الجدوى:

لأن عادة الانسان ان يسوف، فكلما خطر له ان يبادر للحفظ جاءته المشاغل، ودعته نفسه الى التأجيل، وسرعان ما تفتر عزيمته، اما الحفظ بمشاركة أخ أو أخوة آخرين، يضعون لأنفسهم خطة، ويشد كل منهم عضد أخيه، ويحصل التنافس بينهم والعتاب على التقصير، فهذا هو الطريق الموصل للهدف ان شاء الله.

وكم رأيت من شباب حفظوا عدة أجزاء في حلقات التحفيظ في المساجد، ثم شُغلوا عن الحضور الى هذه الحلقات، وظنوا انهم يكملون المسير بأنفسهم، وأنهم يستغنون عن الحفظ في الحلقة، واذا بهم تضعف همتهم، ثم يتوقفون عن الحفظ، والأدهى من ذلك ان امثال هؤلاء يُشغلون احياناً بأمورهم واعمالهم، فيتركون مراجعة الحفظ السابق، وتمضي الايام واذا بهم قد نسوا كل ما حفظوه، وضيعوا كل ما جنوه.

ثم ان الحفظ الافرادي يعرض الانسان للوقوع في الخطأ أثناء نطق بعض

الكلمات، وقد يستمر هذا الخطأ مدة طويلة، دون ان ينتبه، ولكن عندما يُسمع حفظه لأخ من إخوانه او أستاذ في حلقة، فإن الخطأ سيظهر.

فاختر لنفسك إخوة في الله تحفظ معهم ما تيسر لك من كتاب الله، وتراجع معهم حفظك السابق، وهذا افضل ما يجتمع عليه الإخوة المتحابون في الله.

١٥- التدقيق في الآيات المتشابهة:

عليك ملاحظة الآيات المتشابهة في بعض ألفاظها، ومقارنة مواضع التشابه فيها مهم جداً، فحبذا لو تسجل في دفتر خاص ما يمر معك اثناء الحفظ من تشابه بين الآيات لتستحضر مواضع التشابه اثناء المراجعة.

والملاحظ عند بعض الطلاب الذين لا يهتمون بمواضع التشابه بين الآيات، أنهم يقعون أثناء التسميع في الخطأ بسبب ذلك، حيث تشتبه عليهم آية ما مع ما يشابهها في سورة أخرى، واذا بهم ينتقلون دون ان يشعروا الى السورة التالية، وقد ينتقلون الى ثالثة ورابعة أثناء التسميع اذا كانت هناك عدة مواضع لهذا التشابه.

ولهذا كان الطريق الامثل للحفظ المتقن ان تركز على مواضع التشابه وتلاحظها، وتبذل الجهد في الاهتمام بها، وقد ألف العلماء كتباً عديدة في ذلك، ومن ابرزها «متشابه القرآن العظيم» للامام ابي الحسن بن المنادي، المتوفى سنة ٣٦٦هـ وكتاب «اسرار التكرار في القرآن» لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، من علماء القرن الخامس الهجري، كما ألف بعضهم منظومات شعرية في هذا الموضوع، لتسهيل حفظها على الطلاب، ومنها «نظم متشابه القرآن» للشيخ محمد التشيتي من علماء القرن الحادي عشر الهجري.

يقول الامام ابن المنادي رحمه الله في بيان اهمية معرفة المواضع المتشابهة من آيات القرآن الكريم: «ان معرفة مواضع التشابه يساعد في تقوية حفظ الحافظ وتدريب المتحفظ، وقد وضع فريق من القراء هذا النوع، ولقبوه «المتشابه» رداً من سوء الحفظ، لأن القرآن فيه قصص وتقديم وتأخير، فاستحبوا ان يجعلوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط.

الهوامش:

١- خصائص القرآن الكريم، الدكتور فهد الرومي ص١٧٧ .

٢- صحيح البخاري باب استذكار القرآن وتعاهده ٤٧٤٣، وصحيح مسلم باب الأمر بتعهد القرآن رقم ٧٨٩ والابل المعقلة اي المربوطة بالعقال.

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧٩/٩ .

٤- صحيح مسلم رقم ٧٩٠-٧٩١، والتفضي هو التفلت، والنعم اصلها الابل والبقر والغنم، والمراد هنا الابل خاصة لأنها التي تعقل، اي تربط بالعقال.

٥- فتح الباري ٨١/٩ .

٦- رواه الترمذي ١٦٤/٥ حديث رقم ٢٩١٦، ورواه ابو داود ١٢٣/١ حديث رقم ٤٦١ واورده ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» ص١٤٥، والنووي في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن» ص٥٥ .

٧- خصائص القرآن الكريم، للدكتور فهد الرومي ص١٨٢ .

٨- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، للامام محمد بن علان الصديقي ٢٥١/٣ .

٩- متشابه القرآن العظيم لابن المنادي ص٥٢ .

١٠- فضائل القرآن لابن كثير ص١٤٧ .

١١- متشابه القرآن العظيم لابن المنادي ص٢٥ .

١٢- تفسير ابن كثير ٤٣٢/٣ .

١٣- ادب الدنيا والدين للماوردي ص٥٧ .

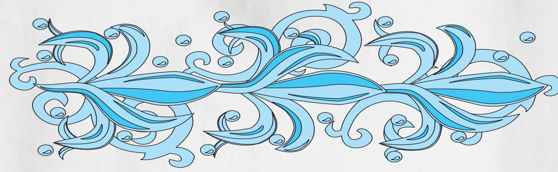
١٤- رسالة شرح شداد بن اوس للامام ابن رجب ص٣٦ .

١٥- متشابه القرآن العظيم لابن المنادي ص٥٦ باختصار.

١٦- متشابه القرآن العظيم لابن المنادي ص٢٥ .

١٧- رواه مسلم رقم ٢٢٧ .

١٨- متشابه القرآن العظيم لابن المنادي ص٥٩ ملخصاً.



١

أثر الحرص على السنّة النبوية في ابتكار مناهج علمية جديدة

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

نحاول في هذا البحث أن نبين جهود العلماء المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم خلال القرون الثلاثة الأولى في الحرص على السنة النبوية، وأثر ذلك في بناء حضارتهم وعلى ابتكار المناهج الجديدة في مختلف ميادين حياة المسلمين الدينية والاجتماعية، وكذلك التقدم في مظاهر الرقي العلمي والأدبي والأخلاقي، وأن هذه الجهود تنبع من عقيدتهم التوحيدية لله.. تلك العقيدة هي التي تبث في المسلمين قيماً رفيعة، وترسم لهم أبعاد منهج الإسلام في الحياة ونظمه وأصوله وفروعه.

وهذا المنهج الإسلامي للحياة يتمثل من حيث قواعده وأصوله وقيمه وآدابه في السنة النبوية المطهرة كمصدر ثاني بجانب القرآن الكريم، ومن خلال النظر والتأمل والأخذ بهذا المصدر- أي السنة- يستطيع المسلمون في كل زمان ومكان أن يبتكروا مناهجهم الجديدة ويشيدوا حضارتهم الكبرى. وكما عرفنا أن فيهما دعوة إلى العلم والمعرفة ، ودعوة إلى الإحسان والتعاون الاجتماعي على البر والتقوى، وإقامة نظام للحياة الإنسانية يقوم على العدل والشورى.

ومن أجل أهمية هذا المصدر- أي السنة_ في صنع الحضارة وابتكار المناهج،

كان للمسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم جهود هائلة في توثيق كل كلمة في الأحاديث النبوية للحرص عليها، وفي توثيق أو تضعيف كل تصدي لحمل شيء منها. فكان لهم عمل كبير ومنهج متميز في مجال العلم والمعرفة بصفة عامة، وكذلك في مجال العلاقة الاجتماعية وغيرها، مما أدى إلى أن يتفوقوا فيها ويحتفظوا بأصالتها ويتعمقوا في دراستها وتحليلها، بل أحسنوا استخدام مناهجها في مختلف جوانب الأعمال، وسوف نحاول أن نستعرض ذلك في هذا البحث إن شاء الله.

❖ دور علماء السنة في نشأة مناهج علمية

من المعروف لدى العلماء المسلمين عموما وأهل العلم خصوصاً، بأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطبقة الأولى من رواة الأحاديث وحفظة السنة النبوية، لأنهم كانوا يعيشون مع الرسول ﷺ ويشاهدونه ويسمعون منه ويأخذون عنه ويحرصون على أن يقتدوا به.

وأما التابعون فهم الطبقة الثانية- بعد الصحابة ثم اتباع التابعين الذين قاموا بهذه المهمة، لأنهم عاشوا مع التابعين وشاهدوهم وسمعوا منهم وحفظوا عنهم وحرصوا على أن يأخذوا منهم ما أخذوه عن الصحابة من سنة الرسول ﷺ، وبذلوا في سبيل هذا العلم جهداً كبيراً، فرحلوا وانتقلوا من مكان لآخر وسجلوا ودونوا.

فمن خلال هذا الجهد الجهيد والمهمة الجليلة التي قام بها العلماء سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين، تمكنوا من إتمام هذا العمل في حفظ السنة النبوية والتثبت من مأثوراتها، حيث أجمعوا على وجوب تلقي السنة النبوية بمزيد من الاعتناء والضبط ووضعوا لذلك قواعد ثابتة، ونظما واضحة، ومناهج دقيقة قائمة بذاتها من بين العلوم الإسلامية. **ويمكن أن نلخص أسس هذه القواعد والمناهج فيما يلي:**

أولاً: التمسك بالإسناد:

كان الإسناد يعتبر من أهم عناصر المنهج الإسلامي، فهو ذو مكانة كبرى في نقل الخبر، وذلك لتركزه في أبحاث العدالة والضبط، ومختلف بحوث هذا العلم، وقد وقع الالتزام بالإسناد والعناية به منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم وفي وقت مبكر[١] وقد سلك مسلكهم التابعون ثم تابعوهم.

وبالتحديد بدأ اهتمام العلماء من الصحابة والتابعين بعد أن وقعت الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان، حيث أن هذه الحادثة قد أظهرت الفرق والأحزاب التي نتجت عنها مظاهر الكذب على الرسول ﷺ من بين أهل الأهواء، وأخذ الدس على السنة النبوية يربو عصراً بعد عصر.

من أجل مواجهة ذلك فقد أخذ العلماء من الصحابة والتابعين منذ القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني من الهجرة موقفاً قوياً للحفاظ على الحديث الشريف والسنة النبوية، وأصبحوا متشددين في طلب الإسناد حيث لا يقبلون الأحاديث إلا ما عرفوا طريقها ورواتها، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم، لأن السند للخبر كالنسب للمرء. يقول ابن سيرين في ذلك: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(٢).

وقد تجرد عدد الصحابة رضي الله عنهم لحفظ الأحاديث النبوية وضبطها، وبخاصة من كانوا منهم أكثر ملازمة للرسول ﷺ، وكانوا في هذا الحفظ والضبط على جانب كبير من التدقيق والتحقيق "ولقد كان بعضهم يستحلف من روى له حديثاً لم يكن هو قد سمعه منه ﷺ، فإذا حلف صدقه مع أنه من الصحابة رضي الله عنهم وأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والإخلاص، وقد أجمع من يعتمد به من العلماء عند أهل السنة والجماعة أن الصحابة كلهم عدول"(٣). سواء في ذلك من لابس الفتن أو لم يلابسها، للحديث الصحيح المروي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه شهادته"(٤).

وعلى سبيل المثال ما روى الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "كنت إذا سمعت من رسول ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر، حدثني أنه سمع النبي ﷺ قال: "ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له"(٥).

واستمر اهتمام الصحابة بالتدقيق والتثبت بالإسناد في كل حديث نبوي يسمعونه من أحد عن الرسول ﷺ، بل

استمر ذلك الاهتمام في عصر التابعين رضوان الله عليهم وتابعيهم وأهل القرون الثلاثة الأولى، وعلى رأسهم أئمة المذاهب وجمهرة كبيرة من جامعي الحديث كالإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما.

وبذلك فقد ابتدأ هذا التثبت منذ عهد صغار الصحابة وكبار التابعين الذين ما زالوا يعيشون في زمن متأخر بعد الفتنة، واستمر إلى عهد أتباع التابعين الذين حركوا أنشطة التأليف والتدوين، وفي هذا يروي الإمام مسلم بسنده عن مجاهد قال: "جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا، وقال رسول الله ﷺ كذا، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس. ما لي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"(٦).

وكان التابعون وأتباعهم من بعدهم أيضاً يسألون عن الإسناد ويلتزمونه ويطالبون به، وذلك في منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث من الهجرة وخصوصاً بعد أن فشا الكذب على الرسول ﷺ، ولهذا قال أبو العالية: "كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم، فسمعناها من أفواههم"(٧). وبذلك فإن التابعين وأتباعهم أيضاً يتواصلون بطلب الإسناد، ويقول ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"(٨)، وقال أيضاً: "بيننا وبين القوم القوائم- يعني الإسناد"(٩).

وهكذا نرى أن منهج الإسناد قد اتخذه العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم، وتشددوا بالطلب فيه خاصة عن نقلهم الأحاديث والأخبار أو السنة النبوية عن الرسول ﷺ، وهو من أهم عناصر المنهج الذي ابتكره العلماء المسلمون أو المحدثون في سبيل الحفاظ على السنة النبوية، لكي تبقى بعيدة عن التغيير والتبديل، وتسلم من التزوير والتحوير. ولهذا فقد تمسك علماؤنا بهذا المنهج ونفوا عن السنة المطهرة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين. وتأويل الجاهلين، ولا يزالون ينفون والحمد لله(١٠).

ثانياً: الحرص على التوثيق:

ومنهج التوثيق عند المحدثين؛ هو أن

يوثق واحد من الناس ليكون أهلا لرواية الأحاديث النبوية الشريفة، لتقبل روايته، وهو أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة. وكذلك أن يكون من تقبل روايته لتوثيقه متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابته من التبديل والتغيير إن حدث من مكتوب له، عالماً بما يحيل المعنى إن روى بالمعنى(١١).

ومن المعروف لدى أهل العلم والمعرفة أن الجهود التي بذلها المحدثون في توثيق الأحاديث أو السنة النبوية كانت جهوداً رائدة، لم يسبق لها مثيل على مستوى الإنسانية كلها في مختلف حقب تاريخها، وكانت هذه الجهود مبذولة منذ عصر الصحابة إلى العصر الذهبي لتدوين السنة النبوية خاصة في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ولم يكن ذلك بمستغرب من علماء الحديث أو السنة بالذات، لأن الأمة الإسلامية أمة السند- كما سبق أن تكلمنا عنه، حيث لا تؤخذ معلومة إلا إذا كانت مسندة إلى قائل ثقة عن قائل ثقة.. حتى يبلغ بها مصدرها الرئيس- وذلك كما وصفه العلماء المحققون(١٢).

ولا شك أن كتب هؤلاء المحدثين قد أصبحت معالم للإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً ومنهج حياة، فهم الذادون عن السنة الذين حفظوها للأجيال التي جاءت بعدهم من عبث العابثين وكيد الضالين، فجاءت كتبهم عن السنة النبوية جمعاً علمياً صحيحاً، لا تشوبه شائبة لما تحدث به المعصوم ﷺ أو فعله أو أقره.

فلولا الجهود التي قد بذلها المحدثون سواء أكانت من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو علماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاعون ونسبوه إلى الرسول ﷺ زوراً وبهتاناً، وإن المنصف لا يسعه إلا أن يقف إجلالاً وإكباراً لجهود العلماء من الأمة التي بذلوها في تنقيح السنة الشريفة وتوثيق الرجال والأحاديث النبوية وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع. ومما يزداد فيه إعجاباً هو تلك القواعد العلمية الدقيقة التي طبقها العلماء، وذلك المنهج الخاص الذي اتبعوه في سبيل الحفاظ على أحاديث الرسول أو سننه ﷺ. حتى لم يتركوا فيها كلمة أو حرفاً يظن فيه الإدعاء أو الكذب ليصح الصحيح الثابت من سنة الرسول ﷺ، ويسلم من التحريف فيه والدخيل عليه، فيظل صافياً نقياً، لا تشوبه شائبة، ولا تعتريه ريبة. وبذلك فقد عملوا على ابتكار

قــوانين ومناهج علوم جــديدة لم تكن معروفة سابقاً مثل؛ علم الجرح والتعديل، وطرق تحـمل الحـديث النبـوي وشـروطه وغيرها من العلوم.

وفي أواخر عصر التابعين حوالي سنة ١٥٠ هجـرية- أي منتـصف القـرن الثـاني الهـجـري- اتسع أفق هذه العلوم وخاصـة علم الجـرح والتـعـديل، نظراً لكثـرة الرواة وكـثـرة الطلبـة الذين أقـبلوا على العلم، فتكلم جمع من العلماء في الرجال وجملة العلوم، وظهرت الحاجة الماسة لهذا العلم حيث كثر الوضع، وانخرط في سلك حملة الأخبار من ليس منهم[١٣].

فــمن الواضح البين لدى المعنيين من المسلمين بعلوم الحــديث النبـــوي، أن الحديث لا يعتبر صحيحاً يؤخذ به إلا إذا تتـابعت فيـه سلسلة الإسناد والرواة، من غيـر انقطاع، وكانت هذه السلسلة تتـألف من رجــال يوثق بروايتـهم حـسب شـروط التوثيق المعروفة والمذكورة من قبل.

وكــان الحكم على مكانة المحـدث من حيث قبـول أحاديثـه أو رفضـهـا يختلف اختلافاً واضحاً من حيث جرحه أو تعديله لدى علمـاء الحـديث، وكـان هؤلاء العلمـاء يختلفون فيما بينهم في جرح راو أو تعديله تبعاً لما تجمع لديهم من أسباب الجرح أو التـعديل، وليس مـعنى اختـلافـهم هذا أن هناك خللاً في معلومات أو أعمال علماء الحديث، وإنما مـعناه أنهم يلجـأون إلى كل وسيلة ويبـحـثون عن أي سبب ليـجـرحـوا هذا أو يعــدلوا ذاك، وتلك هي الأمـــانة والتثبت والتدقيق.

فـمـهـمـة العلمـاء في التـوثيق للرواة أو الأحـاديث كـانت شـاقـة لما يحف بهـا من الحذر، وما يترتب عليها من الآثار الجليلة في الدين والدنيـا . وبفضل الله ورحمتـه ذللت تلك الصـعـوبات على أيدي جـهـابذة العلماء في الحديث أو السنة، الذين كانوا بعلمـهم وفـضلهم وحـسن منهـجـهم ودقـة قواعدهم قد لجأوا إلى تقسيم الأحاديث وتفريعها إلى تقسيمات وتفريعات.

وكان هؤلاء الجهابذة ينتقدون الرجال كما ينتقدون المتون، وقد خصهم الله بهذه الفضـيلة ورزقـهم هذه المعـرفـة وأعطاهم الدأب والصـبـر، فـحـفظت بهـا السنة من عبث العـابثين وتأويل المغـرضين، وتحـريف الجاهلين المضلين، وصدق ابن المبارك حين قيل له: " هذه الأحاديث الموضوعة فقال: تعيش له الجـهـابذة"[١٤]، قـال الله تعـالى: **﴿إنا نـحـن نـزلـنـا الـذكــــــر وإنـا لـه لحافظون﴾**[١٥].

وعلى أثر ذلك فقد قسم هؤلاء العلماء الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود، والقوي من الضعيف، فقسموه إلى صحيح وضعيف، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفاً عند العلماء المحدثين في القرن الثاني الهجري، وإنما عرف بعد ذلك، " ويعتبر كتاب الترمذي أصلاً في معرفة الحسن"[١٦]، لأن الترمذي هو أول من استعمله بكثرة في وصف الأحاديث ، "وإن كان موجودا في كلام من سبقوه كالشافعي واحمد والبخاري وغيرهم ولكن على قلة"[١٧].

وهكذا فقد بلغت عناية العلماء وحرصهم على التوثيق في الأحاديث الشريفة بتحري الصحيح من السنة النبوية والقوي من الرواة أو الرجال، ما أدى بهم إلى تأليف كتب قائمة بذاتها في التوثيق والتضعيف أو التعديل والجرح، خاصة في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة وما بعده، وهي كتب لها أهميتها القصوى في الدفاع عن الحق وصيانة الشريعة الإسلامية من العبث، ومن تلك الكتب[١٨]:

١- التاريخ والعلل- ليحيى بن معين (ت: ٢٣٣ هـ).

٢- كتاب الطبقات- لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠ هـ).

٣- كتاب الضعفاء- للإمام البخاري (ت: ٢٥٦ هـ).

٤- التاريخ الكبير- لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت:٢٧٩ هـ).

٥- أسماء المحدثين وكناهم- لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ).

٦- كتاب الجرح والتعديل- لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٥٤ هـ).

٧- كتاب الثقات- للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان (ت: ٣٥٤ هـ).

٨- الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين- لابن عدي (ت: ٣٦٠ هـ).

ثالثاً: الحذر من الوضع:

ظهر مما قلناه في الفقرات السابقة ما قام به الصحابة وكبار التابعين في القرن الأول والثاني للهجرة من جمع الحديث، والتمسك بالإسناد، والحرص على التوثيق، وذب الخرافات والأكاذيب عن ساحته، وظهر لنا أيضاً أنهم أودعوا الأحاديث حوافظهم القوية وقرائحهم الصافية فكانوا بذلك في غنى عن الكتابة، وما روى عن بعضهم أنهم كانوا يكتبون الأحاديث لم

يكن منهم لضعف ملكة الحفظ، بل لزيادة التأكد من ضبط الأحاديث وتحري ألفاظها.

ولقد دلنا التاريخ أن الصحابة في حياة الرسول ﷺ وبعده كانوا يتورعون عن الكذب على الرسول ﷺ ولا يسمحون به، لأنهم كانوا على خشية من الله وتقى يمنعهم من الافتراء على الله ورسوله، وأنهم كانوا على حرص شديد على الشريعة وأحكامه والذب عنها وإبلاغها إلى الناس صحيحة كم تلقوها عن رسول الله ﷺ، وأنهم كانوا شجعاناً لا يرهبون أحداً إلا الله، فيتحملون في سبيل الحفظ على دين الله كل تضحية ويخاصمون كل أمير أو خليفة أو أي رجل يرون فيه انحرافاً عن دين الله، لا يخشون لوما ولا موتا ولا اضطهادا، ولا يغريهم عرض زائل.

ولهذا فلا شك أن الكذب لم يكن على عهد الرسول ﷺ من الصحابة ولا وقع منهم بعده؛ " وأنهم كانوا محل الثقة فيما بينهم، لا يكذب بعضهم بعضا، وكل ما كان بينهم من خلاف فقهي لا يتعدى اختلاف وجهات النظر في أمر ديني، وكل منهم يطلب الحق وينشده، لذلك وجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، لأن ما وقع إنما كان نتيجة لما أدى إليه اجتهاد كل فريق"[١٩].

وأما في عصر التابعين؛ "فإن الكذب في عهد كبارهم كان أقل منه في عهد صغارهم، وذلك لاحترام مقام الرسول ﷺ ولأن عامل التقوى والتدين كان أقوى في العهد الأول منه في العهد الثاني، ويضاف إلى ذلك أن وجود الصحابة وكبار التابعين المشهورين بالعلم والدين والعدالة واليقظة، من شأنه أن يقضي على الكذابين ويفضح نواياهم ومؤامراتهم، أو أن يحد من نشاطهم في الكذب"[٢٠].

ثم لما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وشاع الابتداع، وتفرقت الصحابة بالأمصار، ومات كثير منهم في الحروب وغيرها، وقل الضبط لضعف ملكة الحفظ، دعت الحاجة إلى تدوين الأحاديث وكتابته، وخصوصاً بعد عصر كبار التابعين في منتصف القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة(٢١)، حيث بدأ يفشو فيه الكذب ويكثر الوضع لأسباب مختلفة وأغراض متنوعة، الكلام عنها طويل وواسع يحتاج إلى فصول أخرى بها.

ولذلك فبالرغم من تكاتف الكتابة والحفظ على جمع الأحاديث وضبطها في هذا العصر؛ "فإنه قد انبثت جراثيم الشر

وعوامل الفتنة من الذين أخذوا يضعون الأحاديث، ويلقون على الناس الأساطير، وينشرون فيهم الخرافات والأكاذيب من قبل طوائف كثيرة، ترغب في الوصول إلى أهداف معينة، وتعمل على إفساد الأحاديث، وتجتهد في تزييفها. ومن تلك الطوائف التي تعتبر من الدواعي والبواعث للوضع هي طائفة الدعاة السياسيين، وطائفة الزنادقة، وطائفة القصاص وغيرها"[٢٢].

فلا شك أن العلماء في هذا العصر لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام ظاهرة الزيادة والكذب على الرسول ﷺ وعلى الصحابة رضوان الله عليهم بوضع الأحاديث ونسبتها إليهم، بل كانوا يمثلون طائفة من أعلم النقاد وكبار الحفاظ قاموا للدفاع عن الأحاديث والسنة النبوية، حيث انتدبوا أنفسهم لتخليص الحق من الباطل وتتبعوا كل ما نسب إلى الرسول ﷺ وأجروا فيه موازينهم ومعارفهم وقواعدهم التي وضعوا لقياس كل من السند والمتن، واستطاعوا أن يميزوا بين الصحيح، والمكذوب، والموضوع.

وعلى أثر ذلك فقد نشط علماء الحديث في هذا العصر ـ أي بداية من القرن الثاني الهجري المعروف بعصر التدوين والتصنيف- نشاطاً عظيماً في تدوين الحديث وتصنيف الكتب الحديثية، حيث جمعوا الموضوعات في مصنفات خاصة وكتبوا عن خصائصها وعلاماتها، وبينوا العلامات التي يعرف بها الوضع سواء كان عن طريق السند أو عن طريق المتن، فهي كانت نهضة مباركة في جمع الأحاديث وثورة عنيفة في وجوه الوضاعين، ولكنهم لم يصلوا إلى هذه المرحلة الحاسمة والنصر المبين على أعداء الإسلام الألداء إلا بشق الأنفس، فهذا أبو داود السجستاني في رسالته إلى أهل مكة يقول ما خلاصته: "كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل إلا من دون ألف حديث"[٢٣].

وفي ذلك قال الإمام مالك بن أنس: "لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيه معلن بالسفه وإن كان من أورع الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث"[٢٤].

وقال الإمام الشافعي: " كان ابن سيرين، وإبراهيم النخعي، وطاووس، وغير

واحد من التابعين، يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث يخالف هذا المذهب"[٢٥] وقال يحيى بن سعيد القطان: "لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث"[٢٦].

وقال سفيان الثوري: " إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث أكتبه أريد أن أتخذه ديناً، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به" والأوزاعي رضي الله عنه يقول: "تعلم ما لا يؤخذ كما تتعلم ما يؤخذ"[٢٧].

وكل ذلك يمثل بعض نماذج يظهر من خلاله جلياً ما كان عليه أئمة الحديث خلال هذا القرن والقرون التي تليه، من بصيرة طيبة، وحذر شديد، ومعرفة تامة بالسنة النبوية متونها وأسانيدها حتى كشفوا الرواة وأقصوا كثيراً منهم عن حظيرة السنة والتمتع بشرف روايتها، كما ميزوا الأحاديث؛ فحديث علموا صحته فعملوا به؛ وحديث علموا كذبه ووضعه فتركوه، وحديث تبين لهم ضعفه فلم يعتمدوا عليه وحده، وحديث اشتبه أمره فتوقفوا فيه حتى يظهر حاله وينكشف أمره.

فعلى أساس هذه البصيرة والمعرفة التامتين والحذر الشديد من الوضع تمكن هؤلاء العلماء الجهابذة من حفظ السنة النبوية، حيث قاموا بوضع القواعد والمناهج الخاصة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث. وإلى جانب ذلك أيضاً فقد وضعوا القواعد المعينة لمعرفة الموضوع منه، **وبينوا ما يدل على علامات الوضع عن طريق السند وعلامات الوضع عن طريق المتن. ومن أهم تلك العلامات التي تدل على الوضع ما يلي:**

أ- علامات الوضع في السند:

علامات الوضع في السند_ كما بينها علماء الحديث_ كثيرة وأهمها:

١- أن يكون أحد رواة الحديث قد عرف بالكذب، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع، وقد استقصى جهابذة العلماء معرفة الكذابين، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يفلت منهم أحد.

٢- أن يعترف الواضع بالوضع، كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبي مريم في فضائل السور، وعبد الكريم بن أبي العوجاء في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

٣- أن يروي الراوي عن شيخ ويثبت عدم لقياه له؛ كأن يكون قد ولد بعد وفاته، أو لم يرحل إلى المكان الذي ادعى سماعه

فيه، أو توفى هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك.

٤- أن يكون للراوي أهداف معينة توافق هواه الشخصي، وبواعثه النفسية الخاصة تعود الفائدة إليه، مثل حديث «الهريسة تشد الظهر» حيث كان واضعه يبيع الهريسة وغيره من الأحاديث.

ب_علامات الوضع في المتن:

وهذه العلامات كثيرة أيضاً وأهمها:

١- ركاكة اللفظ في الحديث؛ بحيث يدرك العليم باللغة العربية أن مثل هذا اللفظ ليس من فصاحة النبي ﷺ وبلاغته، لأنه يعرف بسيد الفصحاء وقد أوتي جوامع الكلم. قال الحافظ ابن حجر: " المدار في الركة على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة. أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظه بغير فصيح، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكذب"[٢٨].

٢- فساد المعنى؛ بحيث أن يكون مضمون الحديث مخالفاً لبديهيات العقل والعلم، من غير أن يمكن تأويل لفظ هذا الحديث، مثل الحديث الذي وضعه ابن زيد أسلم وهو مشهور بكذبه: "إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً، وصلت عند المقام ركعتين"[٢٩]، أو أن يكون مخالفاً للقواعد العامة في الحكم والأخلاق، مثل حديث: "جور الترك ولا عدل العرب"[٣٠]، أو أن يكون داعياً إلى شهوة وفساد، مثل حديث: "النظر إلى الوجه الحسن يجلي البصر"[٣١]، وغيرها كثير من مثل هذه الأحاديث. وفي هذا قال ابن الجوزي: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول. فاعلم أنه موضوع"[٣٢].

٣- مناقضة نصوص الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعي[٣٣]؛ بحيث يكون مخالفاً لصريح القرآن ولا يقبل التأويل، مثل حديث: " ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء"[٣٤]، فإنه مخالف لقوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[٣٥]، أو أن يكون مخالفاً لصريح السنة المتواترة مثل حديث: "إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث"، فإنه مخالف للحديث المتواتر: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[٣٦]. أو أن يكون مخالفاً للقواعد العامة المأخوذة من القرآن والسنة

أو الإجماع القطعي، مثل حديث: "من ولد له ولد فسماه محمداً كان هو ومولوده في الجنة"، فإنه مخالف للمعلوم المقطوع به من أحكام القرآن والسنة من النجاة بالأعمال الصالحة لا بالأسماء والألقاب"[٣٧]، وغير ذلك كثير.

٤- مخالفة الحديث للحقائق التاريخية المعروفة في عصر الرسول ﷺ، أو اقترانه بقرائن تثبت بطلانه، مثل حديث: "أن النبي ﷺ وضع الجزية على أهل خيبر ورفع عنهم الكلفة والسخرة بشهادة سعداً بن معاذ وكتابة معاوية بن أبي سفيان، مع أن الثابت في التاريخ أن الجزية لم تكن معروفة ولا مشروعة في عام خيبر، وإنما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك، وأن سعداً توفي قبل ذلك في غزوة الخندق، وأن معاوية إنما أسلم زمن الفتح. وبين ابن قيم الجوزية: "كذب هذا في عشر أدلة قوية"[٣٨]، فحقائق التاريخ ترد هذا الحديث وتحكم عليه بالوضع.

٥- موافقة الحديث لمذهب الراوي؛ وهو متعصب مغال في تعصبه، كأن يروي رافضي حديثاً في فضائل أهل البيت، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء، مثل ما رواه حبة بن جوين، قال: " سمعت علياً رضي الله عنه قال: عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين، قال ابن حبان: كان حبة غالياً في التشيع، واهياً في الحديث"[٣٩].

٦- اشتمال الحديث على إفراط في الجزاء على أعمال عادية؛ مثل المبالغة في الثواب العظيم على الفعل الصغير، والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير. وقد أكثر القصاص من مثل هذا النوع ترقيقاً لقلوب الناس وإثارة لتعجبهم، مثل حديث: "من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبياً"، ومثل حديث: "من قال: لا إله إلا الله خلق الله تعالى له طائراً له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له"[٤٠].

فهذه أهم القواعد التي وضعها العلماء لنقد الحديث وبينوا العلامات لتمييز الموضوع من الحديث وصحيحه، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة، وصنفوها حتى تعرف لأهل العلم ولا تشتبه عليهم، والذي يظهر أنهم لم يقتصروا في جهدهم على نقد سند الحديث فقط دون متنه، بل كان نقدهم منصباً على السند والمتن على السواء.

وإلى جانب هذه القواعد، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة نتيجة دراستهم لحديث الرسول ﷺ، وحفظه

ومقارنة طرقه، فعرفوا ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس منه، كما قال ابن الجوزي: "الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب"(٤١)، وكثيراً ما يقولون: "إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها"(٤٢).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، د. فاروق حمادة، ص٢٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، جزء: ٨٤/١ (المقدمة: (٥) باب بيان أن الإسناد من الدين ..)، وسنن الدارمي، جزء: ١١٢/١.

(٣) التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة، د. علي عبد الحليم محمود، ص: ٣٦ و١٠٦، والسنة قبل التدوين ص٢٢١، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص٥٧ والحديث والمحدثون: محمد زهوة ص١٥١.

(٤) متفق عليه، روى عن عمران بن الحصين، أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، جزء: ٣٣٧/٣ (كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)، وجزء ٦٣/٥)، باب فضائل أصحاب النبي جزء ١٦٣/٨ (كتاب الرقاق: باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها)، وجزء ٢٥٤/٨ (كتاب الإيمان والنذر: باب إثم من لا يفي بالنذر)، واخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، جزء ٨٧/١٦ (كتاب فضائل الصحابة.. (٥٢) باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، جزء ٤١/٢ و٥٦، وأبو داود رقم (١٥١٢)، وينظر: تهذيب التهذيب.. ابن حجر العسقلاني، جزء ٢٦٨/١.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، جزء ٨١/١ (المقدمة، (٤) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والإحتياط في تحملها)، والسنة ومكانتها، للسباعي، ص: ٩١.

(٧) السنة قبل التدوين، الدكتور محمد عجاج الخطيب، ص٢٢٣.

(٨) روى عن عبد الله بن المبارك، راجع صحيح مسلم بشرح النووي، جزء ٨٧/١ (المقدمة، (٥) باب بيان أن الإسناد من الدين..)، والكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص٦٨، والمنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، د. فاروق حمادة، ص٢٥٤.

(٩) المرجع السابق (صحيح مسلم بشرح النووي، جزء ٨٨/١ (المقدمة، (٥) باب بيان أن الإسناد من الدين..).

(١٠) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، د. فاروق حمادة، ص٩.

(١١) التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة، د. علي عبد الحليم محمود، ص١٧٥.

(١٢) نفس المرجع السابق (التوثيق والتضعيف ..)، ص٩٣.

(١٣) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، فاروق حمادة، ص٣١ بتصرف.

(١٤) تدريب الراوي.. السيوطي، ص١٤٨، والكفاية في علم الرواية، للبغدادي، ص٣٧، والجرح

والتعديل، الرازي، جزء ١، ص١٨.

(١٥) سورة الحجر: ٩.

(١٦) اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ص٤٣، والسنة ومكانتها..، د. السباعي، ص٩٤-٩٥. والسنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، ص٢٣٨.

(١٧) شرح علل الترمذي، لابن رجب، ص٢٥٨، وتدريب الراوي..، للسيوطي، ص٩٦، وفتح المغني، للسخاوي، جزء ١/١٧٠، والمنهج الإسلامي، د. فاروق حمادة، ص٤٠٧.

(١٨) التوثيق والتضعيف، د. علي عبد الحليم محمود، ص١٥٢/١٥٣.

(١٩) السنة ومكانتها..، ص:١٢٧، والسنة قبل التدوين، ص٤٠٤، ودراسات في السنة النبوية الشريفة، د. صديق عبد العظيم أبو الحسن، ص١٨٧.

(٢٠) السنة ومكانتها، ص٩٠-٩٣ بتصرف، ودراسات في السنة..، ص١٨٧-١٨٨.

(٢١) السنة قبل التدوين، ص٣٢٥/٣٢٦ بتصرف.

(٢٢) الحديث والمحدثون..، محمد ابو زهوة، ص:٢٥٩، ودراسات في السنة..، ص١٩٠/١٩٨ بتصرف، والسنة ومكانتها..، ص٧٨/٨٩ بتصرف.

(٢٣) حجة الله البالغة، عبد الرحيم الدهلوي، جزء ١، ص١٤٨، والحديث والمحدثون..، ص:٢٦٧/٢٦٨.

(٢٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، ص٤٠٣، والجرح والتعديل..، للرازي، جزء: ٣٢/١، والكفاية في علم الرواية، للبغدادي، ص١١٦.

(٢٥) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، ص٢٣٧.

(٢٦) توجيه النظر إلى علوم الأثر، لطاهر الجزائري، ص٣٦.

(٢٧) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، جزء ٧٦/١.

(٢٨) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، ص٩٠.

(٢٩) الباعث الحثيث، لابن كثير، ص٩١، ودراسات في السنة..، ص٢٠٤.

(٣٠) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري الهروي المكي، ص٨٨، والسنة ومكانتها..، ص٩٨.

(٣١) نفس المرجع السابق، ص٢٠٢، والسنة ومكانتها..، ص٩٨.

(٣٢) تدريب الراوي..، لجلال الدين السيوطي، ص١٨٠، والسنة ومكانتها..، د. السباعي، ص٩٩.

(٣٣) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للصنعاني، جزء ٩٦/٢.

(٣٤) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، ص٢٠٤، والسنة ومكانتها.. د. السباعي، ص٩٩.

(٣٥) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٣٦) قد سبق إخراج هذا الحديث، السنة ومكانتها..، ص٩٩.

(٣٧) المرجع السابق، ص٩٩، والسنة قبل التدوين، ص٢٤٥.

(٣٨) المنار، لابن قيم الجوزية، ص٣٧/٣٨.

(٣٩) السنة ومكانتها..، ص١٠٠، والسنة قبل التدوين، ص٢٤٦.

(٤٠) السنة ومكانتها..، ص١٠٢، والسنة قبل التدوين، ص٢٤٧، ودراسات في السنة..، ص٢٠٧.

(٤١) الباعث الحثيث..، ص٩٠، والسنة ومكانتها..، ص١٠٢.

(٤٢) معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، ص٢٦ والكفاية في علم الرواية، للبغدادي، ص٤٣١، والسنة ومكانتها..، ص١٠٢.

أحـــزان في بيت النبـي ﷺ

■ بقلم الأستاذ أحمد السويدي

لا يمكن ان تتحقق القدوة والأسوة في بيت النبي ﷺ، حتى يعالج ويماثل ما يقع في بيوت الناس، وإلا فلا يمكن ان تكون القدوة والأسوة، حتى يتمثل الناس حياة النبي ﷺ ويرونها المثل.

الصحابة رضي الله عنهم يخرجون من بيوتهم بالمدينة، وقد اصابهم الجوع وليس في بطونهم او بيوتهم ما يسد جوعهم، فمر النبي ﷺ فرأى بعض الصحابة فكشفوا عن بطونهم كل واحد قد ربط على بطنه صخرة، فكشف النبي ﷺ عن بطنه وإذا به قد ربط صخرتين[1].

فهذا مجال التأسي والاقتداء ان تتكرر الحالة التي وقعت لك، فتجد لها مثيلاً في حياة النبي ﷺ ان كان فرحاً وسروراً أو حزناً وغماً أو غير ذلك.

والذي نريد ان نتعرض له هنا تلك الاحزان في بيت النبي ﷺ، فالنبي ﷺ يعتريه ما يعتري البشر، والله سبحانه وتعالى جعل له ازواجاً وجعل له ذرية وجعل له احفاداً وجعل له اعماماً واخوالاً، وهؤلاء بشر يصيبهم ما يصيب البشر من فرح

وحزن وسرور وبهجة وغير ذلك.

والنبي ﷺ دخلت في حياته أحزان بشرية، هذه الأحزان البشرية تأخذ من نفس الانسان ويقف منها مواقف إما موقف الثبات بما قسم الله والرضا بما قضى الله، وإما السخط والضجر ولكل أجره وثوابه أو جزاؤه وعقابه.

ان النبي ﷺ فقد زوجتين من زوجاته، الأولى هي خديجة رضي الله عنها ام المؤمنين وفضلها عظيم ومكانتها معه عظيمة وعيشها مع النبي ﷺ كثير، وطالت المدة بين زواجه ﷺ ووفاتها[٢].

فالنبي ﷺ تزوجها قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وعاشت معه الى شهر رمضان من السنة العاشرة للبعثة[٣]، فهذه يعني خمساً وعشرين سنة عاشها النبي ﷺ مع خديجة، فهي مدة طويلة وكبيرة رأى منها الولد والبنت والحياة الزوجية الكريمة، التي كانت ترعاها البيوت في الجاهلية، وجاء الاسلام فوثقها وشدها.

فلما ماتت خديجة رضي الله عنها، وكان ذلك العام يسمى عام الحزن وهو نفس العام الذي مات فيه ابو طالب عم النبي ﷺ، وكان عوناً له وناصراً، وذلك بعد خروج النبي ﷺ من شعب بني هاشم فوجد لفقدها شيئاً عظيماً، وحزن النبي ﷺ حزناً كبيراً.

ذلك ان يموت من حوله الناصر والمعين والمصدق والمؤازر بنفسها ومالها، وكل شيء كانت تقدمه للنبي ﷺ فوجد عليها وجداً كثيراً، وحاول اصحابه ان يسلوا عنه ذلك، فعرضوا عليه سودة بنت زمعة رضي الله عنها فتزوجها، ولم يزل الحزن آخذاً منه حتى زواجه من عائشة رضي الله عنها[٤].

ان هذا حزن دخل على النبي ﷺ وحزنه ايضاً على عمه ابي طالب وان كان على الكفر الا انه كان مؤازراً ومؤيداً له ومدافعاً ومنافحاً عنه[٥]، فكان حزناً عليه، وكان بين وفاة ابي طالب ووفاة خديجة نحو شهرين أو ثلاثة أيام[٦].

ولم تنقض هذه الأحزان بل تتتابع، وذلك لسنة البشر وسنة الله تعالى في نبي الله، مثل بأحزانه لكل من أصابه حزن، فهذا النبي ﷺ يفقد خديجة رضي الله عنها، ويعود من غزوة بدر فيجد رقية بنته رضي الله عنها قد دفنت، والناس تنفض غبار التراب عن قبرها رضي الله عنها. فعن الزهري قال: «توفيت رقية يوم جاء زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ببشرى بدر»[٧].

فيكون هذا الحزن الذي يدخل على بيت النبي ﷺ وليس حزناً بسيطاً، وإنما حزن في وقت لم يكن فيه النبي ﷺ حاضراً ليرى هذا، وايضاً يأتي هذا الحزن وهو فرح مسرور بانتصاره في غزوة بدر فيأتيه هذا الحزن ﷺ فيتلقاه بالرضا.

يتزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة فتمكث معه شهرين فتتوفى رضي الله عنها فيدخل عليه حزن آخر بوفاة زوجة أخرى[٨].

أحزان تتتابع على النبي ﷺ وتتوفى أم كلثوم الزوجة الثانية لعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذي النورين بعد رقية فيجلس النبي ﷺ على قبرها وعيناه تدمعان كما يقول انس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «رأيت النبي ﷺ جالساً على قبرها -يعني ام كلثوم- وعيناه تدمعان والنبي ﷺ يأخذه من هذا الحزن»[٩].

ثم يدفن النبي ﷺ ابنته الثالثة زينب رضي الله عنها، وذلك قبل وفاته بعامين أو ثلاثة فيكون منه الحزن ﷺ لهذا الأمر، فلما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال ﷺ: «ألحقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال: مهلاً يا عمر»[١٠].

والنبي ﷺ يجد فقد الولد في مقتبل حياته من خديجة رضي الله عنها، ثم يرزق بأبناء حتى اهدى اليه المقوقس مارية القبطية، فيرزق الله تعالى النبي ﷺ ابراهيم، الذي سماه على أبيه ابراهيم[١١].

وكان النبي ﷺ فرحاً بإبراهيم ابنه وكان يخرج اليه في أعلى المدينة حيث بيت أمه مارية رضي الله عنها، فكان ﷺ يهش اليه وينطلق اليه وعندما مات لم يكمل السنتين كان عمره ثمانية عشر شهراً.

ويحدثنا أنس عن هذه الحادثة فيقول: «رأيت إبراهيم وهو يكيد بنفسه» اي يجود بها يريد النزع بين يدي النبي ﷺ يعني في حضن النبي ﷺ.

هذا أمر شديد ان يفقد الانسان ابنه بين يديه فدمعت عيناه ﷺ فقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول الا ما يرضي ربنا والله! يا ابراهيم، انا بك لمحزونون»[١٢].

وعن مكحول قال: «دخل النبي ﷺ وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف وابراهيم يجود بنفسه، فلما مات دمعت عيناه، فقال له عبد الرحمن: اي رسول الله تبكي؟ متى يراك المسلمون تبكي يبكوا، قال: فلما ترقرقت عبرته، «يعني

كشفت» قال: انما هذا رحم «اي رحمة في القلوب» وان من لا يرحم لا يُرحم، انما أنهى الناس عن النياحة، وأن يندب الرجل بما ليس فيه فلما قضى قال: لولا انه وعد جامع وسبيل مأتي «اي مسلوك» وان آخرنا لاحق بأولنا، لوجدنا عليه وجداً غير هذا، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون، تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وفضل رضاعه في الجنة «يقصد ابراهيم»(١٣).

قال عمرو: فلما توفي ابراهيم قال رسول الله ﷺ: «ان ابراهيم ابني وانه مات في الثدي(١٤) وان له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»(١٥).

وعن جابر بن عبد الله قال: خرج النبي ﷺ بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى النخل، فإذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه، فوضعه في حجره ففاضت عيناه، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أتبكي وانت تنهى الناس؟ قال: اني لم انه عن البكاء، انما نهيت عن النوح، صوتين أحمقين: نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت مصيبة: خمش وجوه وشق جيوب ورنة، وهذا هو رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم، يا ابراهيم لولا انه امر حق ووعد صدق، وان آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا، وانا بك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب»(١٦).

فتلقى النبي ﷺ هذه الأحزان والمصائب بالصبر والثبات مع بكاء القلب ودمعة من العين ليضرب أروع القدوة والأسوة للذين من بعده في مصائبهم.

النبي ﷺ كما قلنا: فقد أبناءه الذكور في الجاهلية، وفقد بناته الثلاث بحياته، وأخبر ونبأ ان فاطمة رضي الله عنها تموت بعده بيسير، ولذلك قال لها: «أنت أسرع أهلي لحوقاً بي»(١٧) وماتت بعده بستة أشهر رضي الله عنها.

كذلك النبي ﷺ فقد ابن ابنته ووجد على ذلك فيفقد النبي ﷺ الزوجة ويفقد الابن ويفقد البنت ويفقد الأحفاد ﷺ، **هذه كلها أحزان تدخل على النبي ﷺ فيعطينا أروع الصور وأفضل المعاملة مع ما يرضي الرب سبحانه وتعالى.**

❖ فقد الأحفاد:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ اذ جاءه رسول إحدى بناته تدعوه الى ابنها في الموت، فقال النبي ﷺ: «ارجع فأخبرها ان لله ما أخذ وله ما

أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب» فأعادت الرسول: انها أقسمت لتأتينها! فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، فدفع الصبي اليه ونفسه تقعقع كأنها في شن[18] ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وانما يرحم الله من عباده الرحماء»[19].

وهكذا تمر الأحزان على النبي ﷺ، فيبتلى ويصاب في حياته باستشهاد عمه حمزة رضي الله عنه في غزوة أحد. فعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد، فنظر الى منظر لم ينظر أوجع للقلب منه، أو اوجع لقلبه منه، ونظر اليه وقد مُثِّل به، فقال: «رحمة الله عليك، ان كنت ما علمت لوصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني ان اتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع -أو كلمة نحوها- اما والله على ذلك، لأمثلن بسبعين كميتتك» فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه الآية، وقرأ: **﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾** النحل: ١٢٦ .. الى آخر الآية، فكفّر رسول الله ﷺ وأمسك عن ذلك[20].

إذاً النبي ﷺ تصيبه الأحزان التي دخلت عليه من كل هذا، فالانسان منا يتأسى برسول الله ﷺ، فعن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مُصابه بي، فإنها من أعظم المصائب»[21].

أي من نزلت به مصيبة فليتذكر مصيبته بي سواء بفقد النبي ﷺ بشخصه عندما مات، أو بما نزل عليه من مصاب ﷺ، فيعرض الانسان مصيبته التي دخلت عليه بما دخل على النبي ﷺ من المصاب فهذه زوجاته، بناته، أبناؤه، أحفاده، أعمامه، يفقدهم النبي ﷺ فيكون من وراء ذلك الحزن الشديد.

ومن حزنه ايضاً الذي دخل عليه ﷺ باستشهاد مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فعن خالد بن سلمة المخزومي قال: لما جاء مصاب زيد وأصحابه أتى رسول الله ﷺ منزله بعد ذلك، فلقيته بنت زيد، فأجهشت بالبكاء في وجهه، فلما رآها رسول الله ﷺ بكى حتى انتحب، فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «شوق الحبيب الى الحبيب»[22].

هذا ما أصاب النبي ﷺ من مقتل زيد، فكان من النبي ﷺ الثبات والبكاء الحق الذي لا يأثم عليه احد وانما هو ميزان الرحمة وميزان البكاء الحقيقي الصحيح الذي أذن به الشرع.

الهوامش:

١- اخرجه الترمذي ٥٨٥/٤ ورقمه ٢٣٧١ عن ابي طلحة.

٢- انظر مبحث الوفاء للحياة الزوجية.

٣- الرحيق المختوم للمباركفوري ١٣٨-١٣٩ .

٤- في سير اعلام النبلاء ج١١٦/٢، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: وجد رسول الله ﷺ على خديجة «اي حزن» حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة.

٥- في الرحيق المختوم ص١٤٠ ينقله عن ابن هشام ٤١٦/١: «ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتى مات ابو طالب» وقال الألباني في فقه السيرة (١٢٣): ضعيف أخرجه ابن اسحق بسند صحيح مرسلاً.

٦- انظر الرحيق المختوم للمباركفوري ١٤٠ .

٧- مجمع الزوائد ٢٢٠/٩ وقال: رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات.

٨- فتح الباري ٣٧٨/١ .

٩- اخرجه البخاري ٤٣٢/١ ورقمه ١٢٢٥ .

١٠- المستدرك على الصحيحين ٢١٠/٣ ورقمه ٤٨٦٩ .

١١- وللعلم لم تكن العرب تسمي ابناءها بإبراهيم، رغم انهم في الجاهلية يزعمون أنهم على دين ابراهيم، ويحجون على حج ابراهيم، ولكن العرب لم تكن تسمي باسم ابراهيم، فسمى النبي ﷺ.

١٢- والحديث بتمامه في صحيح مسلم ١٨٠٧/٤ ورقمه ٢٣١٥ .

١٣- مصنف عبد الرزاق ٥٥٢/٣-٥٥٣ ورقمه ٦٦٧٢ .

١٤- في الثدي: يعني في فترة الرضاعة وهي سنتان ولم يتمهما.

١٥- اخرجه مسلم ١٨٠٨/٤ ورقمه ٢٣١٦ .

١٦- سنن البيهقي الكبرى ٦٩/٤ .

١٧- والحديث بتمامه في صحيح مسلم ١٩٠٥/٤ ورقمه ٢٤٥٠ .

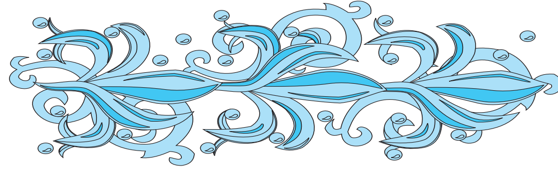
١٨- القربة القديمة.

١٩- اخرجه البخاري ٢٦٨٦/٦ ورقمه ٦٩٤٢ .

٢٠- مجمع الزوائد ١٢٢/٦ وقال: رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف.

٢١- سنن الدارمي ٥٣/١ ورقمه ٨٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٧ .

٢٢- سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١-٢٣٠ .



رحمة الصغير.. توقير الكبير

■ بقلم الشيخ اسعد محمد سعيد

الرحمة: رحمتان رحمة ذات تعلق حقّي، ورحمة ذات تعلق خلقي، والرحمة ذات التعلق الحقي رحمتان: رحمة من صفة الذات الإلهية وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل، فالرحمة التي هي صفة الذات أشار اليها الحق تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. وأما الرحمة التي هي من صفة الفعل، فقد أشار اليها رسول الله ﷺ بقوله: «ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة» رواه البخاري عن ابي هريرة[١].

ومعنى خلق: قدّر، وقد ورد خلق بمعنى قدّر في لغة العرب فيكون المعنى: ان الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السموات والأرض، ويجوز ان يكون معنى خلق اخترع وأوجد، فرحمته التي وسعت كل شيء هي صفة من صفات ذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً بها سبحانه وتعالى، لا تقبل الانقسام ولا التجزئة ولا التبعيض.

ورحمته التي خلقها لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا، هي من صفة الفعل التي تقبل الانقسام والتجزئة والتبعيض وهي المعنية بقوله ﷺ: «ان الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض».

قال صاحب الفتح بعد ما قرر ان الرحمة رحمتان وان المشار اليها في حديث المئة رحمة الرحمة من صفة الفعل قال: ليس في شيء من طرق الحديث ان

التي عند الله رحمة واحدة، بل اتفقت جميع الطرق على ان عنده تسعة وتسعين رحمة يكملها الله تعالى يوم القيامة مائة بالرحمة التي في الدنيا فتعدد الرحمة بالنسبة للخلق، ومناسبة هذا العدد الخاص المائة لكونه مثل عدد درجات الجنة، والجنة هي محل الرحمة فكأن كل رحمة بإزاء درجة وقد ثبت انه لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله تعالى، فمن نالته منها رحمة واحدة كان أدنى اهل الجنة منزلة واعلاهم منزلة من حصلت له جميع الانواع من الرحمة.

وقال القرطبي: مقتضى حديث المائة رحمة، ان الله علم ان انواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد، انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة وكلها للمؤمن، وليس للكفار حظ من الرحمة لا من جنس الرحمات الدنيا ولا من غيرها، واليه الاشارة بقوله تعالى: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾** وهذا العدد الخاص اطلق لإرادة التكثير والمبالغة فيه.

وقال الكرماني: الرحمة في الحديث عبارة عن القدرة المتعلقة بإيصال الخير، والقدرة في نفسها غير متناهية والتعلق غير متناه، لكن حصره في مائة على سبيل التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عند الخلق وتكثيراً لما عند الله سبحانه وتعالى، لكن قيل: انه لم تجر عادة العرب بذلك في المائة وانما جرى في السبعين.

وقال ابن ابي جمرة: ثبت ان نار الآخرة تفضل نار الدنيا بتسع وستين جزءاً فإذا قوبل كل جزء برحمة زادت الرحمات ثلاثين جزءاً، فيؤخذ منه ان الرحمة في الآخرة أكثر من النقمة فيها ويؤيده قوله ﷺ عن الله تعالى: «غلبت رحمتي غضبي».

وصفة الرحمة ذات التعلق الخلقي انعطاف قلبي مصحوب بالشفقة والود نحو المرحوم تظهر فيه آثاره بما يقتضيه حاله كإطعام جائع وكسوة عريان، وانقاذ مشرف على الهلاك ودفع ظالم عنه، وإرشاد حيران، وتعليم سائل عن أصل الدين ونحو ذلك والرحمة تكون من الكبير للصغير ومن القادر للعاجز والقوي للضعيف والصحيح للمريض والغني للفقير.. الخ.

وهذه الرحمة جزء يسير من جزء وضعه الله تعالى في الأرض، ليتراحم به

الخلق من الانس والجن والوحش والطير.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه»[٢]، زاد في مسلم: فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة ففيه اشارة الى ان الرحمة في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضاً.

فدل ذلك على ان الخلق كلهم مفطورون على الرحمة يحرمها من خرج عن هذه الدائرة التي يشترك فيها عموم الخلق ومن خرج عن هذه الدائرة فهو المحروم الشقي.

روى ابو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت ابا القاسم الصادق المصدوق ﷺ صاحب هذه الحجرة يقول: «لا تنزع الرحمة الا من شقي»[٣].

والذي لا يرحم خارج عن دائرة الاسلام وقد تبرأ منه سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[٤]، عن عبد الله بن عمرو يرويه عن ابن السرح عن النبي ﷺ.

والجزاء من جنس العمل، فمن لم يقدم الرحمة للغير فلن تقدم له الرحمة من الله عز وجل، روى مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل»[٥]، وروى ابو داود عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء»[٦].

ولقد اكد رسول الله ﷺ هذا المعنى فنفى رحمة الله عمن لا يرحم الناس وهو خبر من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، روى البخاري عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٧].

فعلى المؤمن ان يجلب رحمة الله تعالى برحمة الناس وخاصة الأصاغر منهم، فرحمة الصغير مفتاح رحمة الله تعالى، وكل العباد مفتقر الى الرحمة فما من امرئ وان كبرت سنه الا وهو صغير بالنسبة لمن فوقه والفوقية درجة غير محدودة، قال تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾.

❖ صور من الرحمة كما وردت في السنة:

أ- تقبيل الصغار ومؤانستهم:

روى مسلم عن انس بن مالك قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال: «كان ابراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وانه ليدخن، وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله، ثم يرجع، قال عمرو: فلما توفي ابراهيم قال رسول الله ﷺ: «ان ابراهيم ابني وانه مات في الثدي وان له الظئرين يكملان رضاعه في الجنة»(٨).

وروى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»(٩)، **والرحمة بالصغار تقتضي الصبر على ما يحدث منهم وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم.**

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه فدعا بماء فأتبعه(١٠).

وروى ايضاً عن ابي قتادة رضي الله عنه قال: «خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى فإذا ركع وضع وإذا رفع رفعها»(١١)، وأمامة هي ابنة زينب بنت النبي ﷺ، فمن شفقته ﷺ ورحمته لأمامة، انه كان اذا ركع أو سجد يخشى عليها ان تسقط فيضعها بالأرض وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الارض فتجزع من مفارقته فيحتاج ان يحملها اذا قام.

وتقبيل الصغار من الاهل المحارم وغيرهم من الاجانب، انما يكون للشفقة والرحمة لا للذة والشهوة وكذا الضم والشم والمعانقة وقد سن رسول الله ﷺ ذلك لأمته.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الاقرع: ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر اليه رسول الله ﷺ قال: «من لا يرحم لا يُرحم» والاقرع بن حابس من المؤلفة قلوبهم وقد حسن اسلامه، زاد الاسماعيلي في روايته «ما قبّلت انساناً قط».

وروى ايضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال:

«تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة»[١٢].

قال صاحب الفتح: يحتمل ان يكون الاعرابي الاقرع بن حابس التميمي، ويحتمل ان يكون قيس بن عاصم التميمي ووقع نحو ذلك لعيينة بن حصن الفزاري اخرج ابو يعلى في مسنده بسند رجاله ثقات الى ابي هريرة رضي الله عنه قال: دخل عيينة ابن حصن على رسول الله ﷺ فرآه يقبل الحسن والحسين، فقال: اتقبلهما يا رسول الله؟ ان لي عشرة فما قبلت احداً منهم، ويحتمل ان يكون وقع ذلك لجميعهم.

وهذه صورة من صور الرحمة بالصغار ضربها رسول الله ﷺ، مثلاً لما يدرك تحصيله بالحواس وهو رحمة الله تعالى لعباده.

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، اذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على ان تطرحه، فقال: لله ارحم بعباده من هذه بولدها»، والمراد بعباده هنا من مات على الاسلام، ويؤيده ما اخرجه احمد والحاكم من حديث انس قال: مرّ النبي ﷺ في نفر من اصحابه وصبي على الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها ان يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال: «ولا الله بطارح حبيبه في النار» فالتعبير بحبيبه يخرج الكافر وكذا من شاء إدخاله ممن لم يتب من مرتكبي الكبائر.

وفي الحديث إشارة الى انه ينبغي للمرء ان يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، إذ كل من فرض ان فيه رحمة ما حتى انه يقصد لأجلها، فالله سبحانه وتعالى أرحم منه، فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة.

ب- الرحمة بالبنات:

عرف اهل الجاهلية بغضهم البنات وحبهم البنين، ولذلك كانوا يهنئون العروسين بقولهم: بالرفاء والبنين اي بالالتحام وانجاب الذكور وهي تهنئة جاهلية لا يحل للمسلمين التبريك بها، وقد سن لنا رسول الله ﷺ تهنئة مباركة طيبة وهي قوله: «بارك الله عليكما وفيكما

وبكما وجمع بينكما بخير وأنجب منكما الكثير الطيب المبارك».

ومع بغض العرب في جاهليتهم للبنات وكونهم يؤثرون البنين عليهن كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾** فلم يكن الوأد فيهم مشهوراً الا في قبيلة عربية واحدة من قبائل العرب، **وما اشتهر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأد ابنة له في الجاهلية، وكان كلما ذكرها بكى حتى تخضل لحيته باطل لا أساس له من الصحة.**

وجاء الاسلام فرفع من شأن البنات ودعا الى تأديبهن وإكرامهن ووعد من أحسن أدبهن بالجنة، روى البخاري عن عروة بن الزبير ان عائشة رضي الله عنها حدثته فقالت: «جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من بُلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[١٣].

والمراد بالاحسان اليهن اطعامهن وإكساؤهن وسقيهن والانفاق عليهن وتأديبهن وتزويجهن اذا بلغن.

والاحسان اليهن من الذكور كل واحد بحسب حاله لا يكلف الله نفساً الا وسعها، فقد رأيت ان المرأة آثرت ابنتيها بالتمرة، فوصفت بالاحسان، والحديث جاء بلفظ البنات يشير الى أدنى الجمع ثلاث، وقد نص حديث عائشة رضي الله عنها كما جاء في البيهقي على الثلاث، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات او ثلاث أخوات فيحسن اليهن إلا كن له ستراً من النار»، وفي حديث جابر كما في البيهقي: «من كان له ثلاث بنات يعولهن ويكفهن ويرحمهن، فقد وجبت له الجنة البتة، فقال رجل من بعض القوم: وابنتان يا رسول الله، قال: وابنتان».

ويحصل الثواب المذكور من أحسن الى واحدة فقط اخرج الطبراني بسند واه عن ابن مسعود يرفعه «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعمة الله التي أوسع عليه..» الحديث.

ج- الرحمة باليتيم:

اليتم في الناس: فقد الصبي أباه قبل البلوغ، وفي الدواب فقد الأم، وأصل اليتم: الانفراد وقيل: الغفلة. والذكر يتيم والأنثى يتيمة، وجمعها أيتام ويتامى، واذا بلغ زال

عنه اسم اليتيم حقيقة وقد يطلق عليه مجازاً بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ﷺ وهو كبير يتيم أبي طالب لأنه رباه بعد موت أبيه.

ومنه الحديث: «تستأمر اليتيمة في نفسها فإن سكتت فهو إذنها»، اراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها فلزمها اسم اليتيم فدعيت به وهي بالغة مجازاً.

وفي حديث عمر رضي الله عنه قالت له بنت خفاف الغفاري: اني امرأة مؤتمة توفي زوجي وتركهم، يقال: أيتمت امرأة فهي مؤتم، ومؤتمة اذا كان أولادها أيتاماً، وتسمى أرملة ايضاً، والأرملة التي لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا من الإرمال وهو الفقر، ومن فقد أمه فهو لطيم، ومن فقد أبويه فهو قطيع، والاحسان الى الثلاثة مطلوب.

❖ كافل اليتيم في الجنة:

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بأصبعيه السبابة والوسطى[١٤].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره انا وهو كهاتين في الجنة» واشار مالك بالسبابة والوسطى[١٥].

كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، سواء كان ذلك بمال نفس اليتيم او بمال الكافل وسواء كان الكافل قريباً لليتيم كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه أم كان الكافل أجنبياً.

قال ابن بطّال: حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك وفي الحديث اشارة الى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم، قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى بشرط ان يكون الكافل متقياً.

روت ام سعيد بنت مرة الفهري عن أبيها أن النبي ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره اذا اتقى، معي في الجنة كهاتين» يعني المسبحة والوسطى[١٦]، وقد تكون المعية منزلة في الجنة، وقد تكون قرب المنزلة حالة دخول الجنة.

روى ابو يعلى بإسناد حسن ان شاء الله

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انا أول من يفتح باب الجنة الا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك ومن أنت؟ فتقول: انا امرأة قعدت على أيتام لي»[١٧]. وقد نعتها رسول الله ﷺ في حديث آخر بكونها ذات منصب وجمال وبحبسها نفسها على أيتامها حتى يكبروا أو يموتوا.

روى أبو داود عن عوف بن مالك الاشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة» وأومأ يزيد بن زريع راوي الحديث بالوسطى والسبابة «امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على أيتامها حتى بانوا أو ماتوا»[١٨] آمت: اذا صارت أيماً وهي من لا زوج له بكراً كانت أو ثيباً تزوجت او لم تتزوج بعد والمراد هنا من مات زوجها وتركها أيماً.

❖ كافل اليتيم يدخل الجنة البتة:

روى الترمذي وقال: -حديث حسن صحيح- عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نبي الله ﷺ قال: «من قبض يتيماً من بين مسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا ان يعمل ذنباً لا يغفر»[١٩] وهذا الأجر المعد لمن كفل اليتيم حتى يستغني بنفسه وذاك بالبلوغ.

روى ابو يعلى والطبراني وأحمد مختصراً بإسناد حسن عن زرارة بن أبي أوفى عن رجل من قومه يقال له: مالك او ابن مالك سمع النبي ﷺ يقول: «من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة، ومن ادرك والديه أو أحدهما ثم لم يبرهما دخل النار فأبعده الله، وأيما مسلم اعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار».

❖ خير البيوت:

أحب البيوت الى الله تعالى بيت يكرم فيه يتيم، وإذا أحبه الله تعالى تنزلت الرحمات فيه وتباعد منه الشيطان، روى ابن ماجة بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه»[٢٠].

وروى الطبراني والأصبهاني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ان أحب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مُكرم»[٢١]. وروى الطبراني والأصبهاني عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي

ﷺ قال: «ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم شيطان»(٢٢).

❖ ما يلين القلب:

مسح رأس اليتيم يلين القلب لما روى أحمد ورجاله رجال الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلاً شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»(٢٣).

وروى الطبراني بسند ضعيف عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، قال: أتحب ان يلين قلبك وتدرك حاجتك، ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»(٢٤).

وروى البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مسح برأس يتيم فإن له بكل شعرة مرت يداه عليها حسنة، ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم غيره كنت أنا وهو كهاتين وفرق بين اصبعيه»(٢٥).

❖ أجر الساعي على الأرملة:

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»(٢٦).

وجاء في مجمع الزوائد عن عبد الرحمن بن ابزى قال: قال رسول الله ﷺ: «كن لليتيم كالأب الرحيم»(٢٧)، وروى البيهقي عن بشر بن غزية قال: استشهد ابي مع النبي ﷺ في بعض غزواته فمر بي النبي ﷺ وانا ابكي فقال لي: «اسكت أما ترضى ان أكون أنا أبوك وعائشة أمك، قلت: بلى بأبي انت وأمي يا رسول الله»(٢٨).

❖ هل يضرب اليتيم؟

يؤدب اليتيم كما يؤدب ولد المؤدب ولا يزيد، روى الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مما أضرب يتيمي؟ قال: «مما كنت ضارباً منه ولدك غير واف مالك بماله ولا مالك من ماله مالاً»(٢٩).

❖ جزاء من يعرض عن إكرام اليتيم وهو قادر عليه:

روى الحاكم وصححه من طريق حفص ابن عمر بن عبد الله بن ابي طلحة عن أنس رضي الله عنه رفعه الى النبي ﷺ: «ان رجلاً قال ليعقوب عليه السلام: ما الذي اذهب بصرك وحنى ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب

بصـري فـالبكاء على يوسف، وأمـا الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين فأتاه جبريل عليه السلام فقال: أتشكو الله عز وجل؟ قال: إنما أشكو بثي وحزني الى الله، قال جبريل عليه السلام: الله اعلم بما قلت منك، قال: انطلق جبريل عليه السلام، ودخل يعقوب عليه السلام بيته فقال: اي رب أما ترحم الشيخ الكبير، أذهبت بصري وحنيت ظهري، فاردد علي ريحانتي فأشمهما شمة واحدة ثم اصنع بي بعد ما شئت، فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب ان الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول: أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقر بهما عينيك، ويقول لك يا يعقوب: اتدري لم أذهبت بصرك وحنيت ظهرك؟ ولم فعل إخوة يوسف بيوسف ما فعلوه؟ قال: لا، قال: إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع، وذبحت انت وأهلك شاة فأكلتموها ولم تطعموه، ويقول: إني لم احب شيئاً من خلقي حبي اليتامى والمساكين فأصنع طعاماً وادع المساكين، قال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه: من كان صائماً فليحضر طعام يعقوب، واذا اصبح ينادي مناديه: من كان مفطراً فليفطر على طعام يعقوب»(٣٠).

❖ خير النساء نساء قريش برحمتهن الصغار:

شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية لنساء قريش بحنوهن على الأولاد والشفقة عليهم وحسن تربيتهم والقيام عليهم اذا كانوا يتامى ونحو ذلك.

روى مسلم من طريق ابي الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة ومن طريق ابن طاووس عن ابيه عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نساء ركبن الإبل؟ قال احدهما: صالح نساء قريش، وقال الآخر: نساء قريش أحناه على يتيم في سفره وأرعاه على زوج في ذات يده»(٣١).

وفي رواية مسلم ايضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الابل احناه على طفل وارعاه على زوج في ذات يده»(٣٢).

❖ رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى في الرحمة:

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اني لأدخل الصلاة اريد اطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به»(٣٣)، ومعنى وجد أمه به:

من اجل حزنها عليه.

وروى البيهقي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رجل جالس عند النبي ﷺ فجاءه ولد له فأخذه وأجلسه في حجره وجاءت ابنة له فأخذها وأجلسها، فقال النبي ﷺ: «فهلا عدلت بينهما»[٣٤].

وروى ايضاً عن انس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله ﷺ حيث حضرته الوفاة فقال لنا: «اتقوا الله في الصلاة ثلاثاً، اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم، اتقوا الله في الضعيفين المرأة والأرملة والصبي اليتيم، اتقوا الله في الصلاة، فجعل يرددها وهو يقول الصلاة، وهو يغرغر حتى فاضت نفسه»[٣٥].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته الا على رحيم، قال: قلنا: يا رسول الله فكلنا رحيم، قال: ليس الذي يرحم نفسه خاصة ولكن الذي يرحم الناس عامة»[٣٦].

❖ توقير الكبير:

التوقير: التبجيل والتعظيم قال الله تعالى: ﴿**وتعزروه وتوقروه**﴾ يقال: وقره اذا بجله ولم يستخف به. روى أحمد والطبراني واسناده حسن عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[٣٧].

وروى البيهقي في الشعب عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أنس وقر الكبير وارحم الصغير ترافقني في الجنة»[٣٨]. وروى ايضاً عن ابن عمر قال: سمعت رسول النبي ﷺ يقول: «ان من اجلال الله تعالى على العباد إكرام ذي الشيبة المسلم ورعاية القرآن من استرعاه الله اياه، وطاعة الإمام يعني المقسط»[٣٩].

ونقل عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى قوله: ثلاثة من أعلام الوقار: تعظيم الكبير، والترحم على الصغير والتحلم على الوضيع.

وتوقير الكبير يكون بتوسيع المجلس له اذا كنت فيه وبالانصات لحديثه والقيام له وتقديمه والتأدب معه وغير ذلك من انواع الاكرام والاحترام، كتقديمه في الصلاة اذا كان أهلاً للإمامة امتثالاً لأمر النبي ﷺ: «فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم».

وكذلك تقديمه في الحديث، فقد روى البخاري عن سهل بن ابي حثمة قال: «انطلق

عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود بن زيد الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلاً، فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال: «كبّر، كبّر» وهو أحدث القوم فسكت فتكلما..»[٤٠] الحديث.

فقد دعا رسول الله ﷺ الى توقير الكبير وانما دعا الكبير الى الكلام لأن غالب الكبار مجربون للأمور فيفيد الصغير منهم الاقتداء برأيهم، والاهتداء بهداهم فسبق الوجود وتجربة الأمور من اعظم الامور التي يفيدها الحدث منهم. وذكر المناوي انه كان في يد النبي ﷺ سواك فأراد ان يعطيه بعض من حضر فقال جبريل عليه السلام: كبر كبر فأعطاه الأكبر، وقد يكون الكبر في العلم او في الدين فيقدم على من هو أسن منه»[٤١].

فتوقير الكبير يكون لسنه وعلمه ودينه، فإن كان الأسن أقل علماً أو أقل معرفة وخبرة وتجربة للأمور فيوقر الأعلم والأعرف والأكثر خبرة، ولا ينتقص من هو دونه في العلم والمعرفة والخبرة.

والبركة مع الاعلم دائماً والاعلم هو الاعرف، والاكثر خبرة هو الاكبر وقد روي عن النبي ﷺ انه قال: «البركة مع اكابركم»[٤٢] وقال: «البركة في اكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا»[٤٣].

❖ الرحمة بالبهائم:

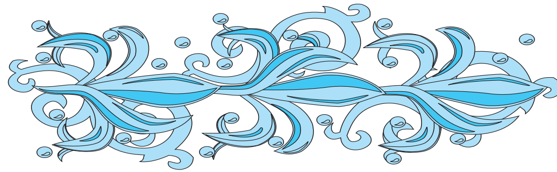
قال تعالى: ﴿**وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون**﴾، وروى مسلم عن شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ان الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٤٤].

وروى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: يكره أو يُنهى ان تحد شفرتك وهي تنظر اليك اذا أراد ان يذبح، وروى ايضاً عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ «أمر بحد الشفار وان يواري عن البهائم واذا ذبح احدكم فليجهز».

وهذا كله اذا كان الذبح لمنفعة واما اذا عدمت المنفعة فلا، لما روي ايضاً عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من قتل عصفوراً بغير حقه سأله الله يوم القيامة عنه قيل: وما حقه؟ قال: يذبح فيأكله ولا يقطع رأسه فيرمي به».

الهوامش:

١- فتح الباري ٢٥٨/١١ .
٢- مسلم ٢١٠٨/٤ .
٣-٤- سنن ابي داود ٢٨٦/٤ .
٥- مسلم ١٨٠٩/٤ .
٦- سنن ابي داود ٢٨٥/٤ .
٧- فتح الباري ٣٠٣/١٣ .
٨- مسلم ١٨٠٨/٤ .
٩- البخاري الفتح، ٣٦٤/١٠ .
١٠- فتح الباري ٣٦٣/١٠ .
١١- فتح الباري ٣٥٩/١٠ .
١٢- فتح الباري ٣٩٥/١٠ .
١٣- البخاري، فتح، ٣٥٨/١٠ .
١٤- فتح الباري ٣٦٥/١٠ .
١٥- مسلم ٢٢٨٧/٤ .
١٦- مجمع الزوائد ١٦٢/٨ .
١٧- الترغيب والترهيب ٣٤٩/٣ .
١٨- ابو داود ٣٣٨/٤ .
١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤- الترغيب والترهيب ٣٤٧/٣-٣٤٩ .
٢٥- الشعب ٤٧٢/٧ .
٢٦- الترغيب والترهيب ٣٥١/٣ .
٢٧- مجمع الزوائد ١٦٣/٨ .
٢٨- الشعب ٤٧٥/٧ .
٢٩- مجمع الزوائد ١٦٣/٨ .
٣٠- الترغيب والترهيب ٣٥٠/٣ .
٣١-٣٢- مسلم ١٩٥٨/٤ .
٣٣- مسلم ٣٤٣/١ .
٣٤- الشعب ٤٦٨/٧ .
٣٥- الشعب ٤٧٧/٧ .
٣٦- الشعب ٤٧٩/٧ .
٣٧- مجمع الزوائد ١٤/٨ .
٣٨- الشعب ٤٥٨/٧ .
٣٩- الشعب ٤٥٩/٧ .
٤٠-٤١- فتح الباري ١٩٧/٦ .
٤٢-٤٣- فيض القدير ٢٢٠/٣ .
٤٤- مسلم ١٥٤٨/٣ .



السكينة في القرآن الكريم

■ بقلم الشيخ ابراهيم محمد الدهون

السكينة منزلة من منازل المواهب، يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده لا من منازل المكاسب وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في ستة مواضع في كتابه العزيز.

الأول: قوله تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨ .**

الثاني: قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٢٦ .**

الثالث: قوله تعالى: **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ التوبة: ٤٠ .**

الرابع: قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** الفتح: ٤ .

الخامس: قوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** الفتح: ١٨ .

السادس: قوله تعالى: **﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحمية حَمِيَّةَ الجاهلية فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**

الفتح: ٢٦ .

معنى السكينة: الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف، فلا ينزعج بعد ذلك ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات.

وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن انزالها على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة ويوم حنين ويوم الحديبية حيث اضطربت قلوب المؤمنين من تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحتملها النفوس.

قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى السكينة: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة آية ٢٤٨، وفي صفة رسول الله ﷺ في الكتب المقدسة (إني باعث نبيا اميا ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه).

والسكينة اسم لثلاثة اشياء:

اولها: سكينة بني اسرائيل التي اعطوها في التابوت، واختلف اهل التفسير في بيانها وهي آية النصر تخلع قلوب الاعداء بصوتها رعبا اذا التقى الصفان للقتال.

الثانية: السكينة التي تنطق على لسان المحدثين فهي من لطائف صنع الله تعالى تلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحي على قلوب الانبياء عليهم السلام، وكثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه ولا روية، ويستغربه هو من نفسه كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه، واكثر ما يكون هذا عند الحاجة وصدق الرغبة من السائل الى الله عز وجل والاسراع بقلبه بين يديه مع تجرده من الاهواء وابتغائه النصيحة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه رضي الله عنه.

السكينة الثالثة: هي التي نزلت على قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** الفتح: ٤ .

وهذه السكينة التي انزلهـا الله في قلب رسوله ﷺ، تشتمل على ثلاثة معان: النور والقوة والروح.

فبالروح: حياة القلب وبالنور استنارته وضياؤه وإشراقه وبالقوة ثباته وعزمه ونشاطه.

فالنور: يكشف له عن دلائل الايمان وحقائق اليقين، ويميز له بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشد والشك واليقين.

والحياة: توجب كمال يقظته وفطنته وحضوره وانتباهه من سنة الغفلة وتأهبه للقائه.

والقوة: توجب له الصدق وصحة المعرفة وقهر داعي الغي والعنت وضبط النفس عن جزعها وهلعها واسترسالها في النقائص والعيوب، ولذلك ازداد بالسكينة إيمانا مع إيمانه.

وينشأ عن هذه السكينة (السكينة الثالثة) ما يسمى بسكينة الوقار فهي نتيجة وثمرة لها وسميت بذلك لأنها موجبة للوقار وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: سكينة الخشوع وهي الوقار والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان ولما كان الايمان موجبا للخشوع وداعيا إليه قال الله تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق﴾** الحديد: ١٦ .

الدرجة الثانية: السكينة عند المعاملة بمحاسبة النفوس وملاطفة الخلق ومراقبة الحق.

وهذه تحصل بثلاثة أمور:

احدهما: محاسبة النفس، فبمحاسبتها يطلع على عيوبها ونقائصها فيمكنه السعي في إصلاحها.

الثاني: ملاطفة الخلق: وهي معاملتهم بما يحب أن يعاملوه باللطف.

الثالث: مراقبة الحق سبحانه وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل، ولا تصح الدرجتان الأوليتان إلا بهذه، فمراقبة الحق سبحانه توجب اصلاح النفس واللطف بالخلق.

الدرجة الثالثة: وهي السكينة التي تثبت الرضى بالمقسوم من قبل صاحبها ولا تتطلع نفسه إلى غيره وهذه أعطاها الله تعالى لأوليائه وأصفيائه جعلني الله وإياكم منهم.

والحمد الله رب العالمين

٤

نظـام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

❖ التكليف المالي على غير المسلمين في الدولة الإسلامية:

التكليف المالي على أغنياء غير المسلمين أقل بكثير من التكليف المالي على أغنياء المسلمين، فالمسلم الغني فرضت عليه الزكاة بمقاديرها المختلفة باختلاف نوع المال الذي صار به غنيا، فهي ربع العشر في النقود وعروض التجارة، ونصف العشر في الزروع والثمار المسقية بمؤنة، ونصف العشر في المسقية بغير مؤنة، والعشرين (الخمس) في المعادن، ولا فرق في الغني المسلم بين أن يكون ذكرا أو أنثى، بالغا أو صبيا، عاقلا أو مجنونا.

أما أغنياء غير المسلمين فإن الله تعالى على الدولة الإسلامية أن تأخذ منهم (الجزية) وهي مبلغ تقدره الدولة وتأخذه من الأغنياء الذكور القادرين على القتال من غير رجال الدين، وصاحب الاختصاص في تقديره وأخذه هو الخليفة، فالجزية ليست نسبة من المال مقدرة من قبل المشرع تعالى كما في الزكاة، وليست مفروضة في المال وإنما فرض أخذها من نوع خاص من الأشخاص.

❖ حكم أخذ الدولة من مال أغنياء الذميين في مقابل أخذ الزكاة من أغنياء المسلمين:

هَمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن

خلافته أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب، فتفرقوا في البلاد، فقيل لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال يعني من الذهب والفضة، إنما هم أصحاب مواش، ولهم نكاية في العدو، فلا تعن عدوك عليك بهم، فصالحهم عمر على تضعيف الزكاة عليهم، وذلك أنهم قالوا: نحن عرب لا نؤدي ما تؤدي العجم، ولكن خذ منا تضعيف الصدقة ـ الزكاة ـ كما يأخذ بعضكم من بعض. فقال عمر: لا ، هذه فريضة المسلمين. قالوا: زد ما شئت بهذا الاسم، لا باسم الجزية. ففعل، فتراضى هو وهم على تضعيف الصدقة عليهم. أخرج قصة مصالحة عمر مع بني تغلب أبو عبيد في الأموال والبيهقي في السنن وابن أبي شيبة وغيرهم، قال أحمد شاكر رحمه الله معقبا على خبر بني تغلب: روي من طرق كثيرة تطمئن النفس إلى أن له أصلا صحيحا.

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يسقط الجزية عن نصارى بني تغلب، ولم يرفضوا هم دفعها، ولكنهم رفضوا اسمها ونفروا منه، وطلبوا أن يدفعوا بدلا عنها صدقة مضعفة، فقبل عمر ذلك منهم، فغير اسمها بالنسبة لهم من اسم (الجزية) إلى اسم (الصدقة)، فهو تغيير في الاسم دون أن يتغير من حقيقة الجزية شيئا، فصار يأخذها في أموالهم، وصار يأخذ منهم مثلي ما يأخذه من المسلمين في كل شيء، وأقر الصحابة فعل عمر ذلك، فكان إجماعا على أنه يجوز للخليفة لمصلحة معتبرة شرعا أن يغير اسم الجزية إذا نفر أهل الذمة من اسم الجزية، وأنه يجوز له أن يزيد فيها على قدر ما يؤخذ في الجزية، ولكن لا يجوز له أن يغير من حقيقتها شيئا.

وفعل عمر هذا سنة من سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وسنة الخلفاء الراشدين في الحكم سنة نبوية تقريرية، لأن النبي ﷺ أمر قبل موته باتباعها والعمل بها، ويستنبط من سنة عمر هذه أن أهل الذمة إذا رفضوا دفع الجزية تحت اسم الجزية أو نفروا من اسم الجزية فيجوز للخليفة أن يأخذها من أموالهم، ولكن يجب عليه أن يزيد في قدر ما يأخذه تحت اسم الصدقة على القدر الذي يقدره في الجزية، أما التضعيف فليس واجبا، فلم يفعله عمر ليبقى سنة أبدية، فلمن بعده أن يخالفه في ذلك، وفي حال تسمية الجزية باسم (صدقة أهل الذمة) أو (زكاة أهل الذمة) لا يجوز خلط مال

صدقة أهل الذمة أو زكاة أهل الذمة وزكاة المسلمين، فإنهما وإن تشابهتا في المال الذي تجبان فيه وفي الشروط والنصاب والمقادير غير أنهما تختلفان في الاسم والمصرف.

❖ المال الذي تجب فيه الزكاة:

المال الذي تجب فيه الزكاة هو الأعيان التي يمكن حيازتها والانتفاع بها، فلا تجب الزكاة في المنافع لأنها لا يمكن حيازتها منفصلة عن الأعيان التي تشتمل عليها، فمنفعة السكنى مثلا لا تحاز مستقلة عن الدار.

❖ علة وجوب الزكاة في المال:

اتفق جمهور الفقهاء القائلين بتعليل الأحكام الشرعية على أن نماء المال أو قابليته للنماء هي علة وجوب الزكاة في الأموال التي أخذ منها النبي ﷺ الزكاة، أما الأنعام فهي نامية بطبيعتها، لأنها تسمن وتدر اللبن وتتوالد وينمى صوفها وشعرها ووبرها، وأما الزروع والثمار والكنوز والمعادن والعسل فهي جميعا نماء في نفسها، وأما النقود فهي مال نام لأن الإنسان إذا استثمرها أنتجت مالا وحققت ربحا. وجعل النماء علة لوجوب الزكاة في المال ينسجم مع معنى الزكاة في اللغة وهو النماء والزيادة.

وبجعل النماء علة لإيجاب الزكاة في المال اتسعت دائرة الأموال التي تجب فيها الزكاة، فتجاوزت المنصوص عليه إلى كل مال توافرت فيه علة الحكم وهي النماء، فصار كل مال نام وعاء (يعني مصدرا) للزكاة، ولو لم يرد نص بوجوب الزكاة فيه.

وأوسع أقوال الفقهاء في المال الذي تجب فيه الزكاة قول أبي حنيفة رحمه الله فأوجب الزكاة في كل ما أخرجت الأرض، وأضيق أقوال الفقهاء في المال الذي تجب فيه الزكاة قول ابن حزم رحمه الله، فلم يوجبها إلا في ثمانية أصناف هي: الإبل والبقر والغنم والقمح والشعير والتمر والذهب والفضة، لأنه لا يقول بتعليل الأحكام، ولا يثبت حكما إلا بنص، ولم يثبت عنده أن النبي ﷺ أخذ الزكاة من غير الأصناف الثمانية المذكورة.

والجمهور يستندون في قولهم بوجوب الزكاة في كل مال نام على عدد من أصول الشريعة نذكر منها هنا أصلين:

١- عموم النصوص الشرعية الآمرة بالزكاة، كقوله تعالى: ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾ وقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل

رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: (أعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) وقوله ﷺ: (أدوا زكاة أموالكم)، ولم تفرق هذه النصوص بين مال ومال، ودلت نصوص أخرى على أن الأموال المعدة للانتفاع الشخصي لا تجب فيها زكاة، فتكون الزكاة في كل مال نام غير معد للانتفاع الشخصي.

٢ـ القياس وهو من أصول الشريعة على الصحيح، فلما ظهر للفقهاء أن علة وجوب الزكاة في الأصناف التي أخذ النبي ﷺ الزكاة منها هي النماء قاسوا على تلك الأصناف كل مال وجدت فيه تلك العلة وهي النماء.

❖ شروط المال الذي تجب فيه الزكاة:

شروط المال الذي تجب فيه الزكاة أربعة هي: الملك التام والنماء والنصاب الفاضل عن الحاجات الأصلية له ولمن يعولهم، وعدم الدين.

● الشرط الأول: أن يكون مملوكا لمالك معين ملكا تاما:

المالك الحقيقي للمال هو خالقه وهو الله تعالى، وأما الإنسان فملكه للمال ملك مجازي.

ويتفرع عن هذا الشرط مسائل منها: الزكاة في المال الحرام والزكاة في المال الموقوف وزكاة الدين.

قولنا: (مالا مملوكا): يخرج المال غير المملوك، كالمال الحرام، كمال السرقة والغصب والرشوة والربا والغش والاحتكار وغير ذلك من المال الحرام، وسيأتي حكم الزكاة في المال الحرام.

قولنا: (لمالك معين) يخرج المالك غير المعين، فالمعين كفلان أو الجماعة المعينة كذريته أو على بني فلان، وغير المعين كالفقراء أو المساكين أو المدارس، وسيأتي حكم زكاة المال الموقوف.

قولنا: (ملكا تاما)، الملك التام هو حكم شرعي مقدر في عين يقتضي الاختصاص بالعين تصرفا واستعمالا واستغلالا إلا لمانع، ويقصد بالاختصاص الانفراد أو الاستبداد، فالملك التام هو ما حازه الإنسان بسبب شرعي وكان بيده وتحت سلطته يتصرف فيه وينتفع به بإرادته وفوائده حاصلة له ولم يتعلق به حق لغيره، ويتفرع عن ذلك زكاة الدين، وستأتي.

ودليل هذا الشرط النصوص الشرعية التي أضافت المال إلى الإنسان، قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة﴾** وهي إضافة تقتضي الملكية وإن كانت ملكية مجازية

لكنها ملكية تامة، كما سلف. وكذلك الزكاة فيها تمليك المال للمستحقين، ومن لا يملك لا يمكنه أن يُمَلِّكُ غيره، فدل ذلك دلالة لزوم على أن الملك التام شرط من شروط المال حتى تجب فيه الزكاة.

❖ زكاة المال الحرام:

من حاز مالا بطريق حرام كمال السرقة والغصب والربا والغش والرشوة فلا يصير مالا له، ولا يخرج عن ملك مالكه الحقيقي، فيجب رده إلى مالكه إن علمه وإلا فإلى ورثته وإلا فيجب أن يقسمه كله على الفقراء. والنفقة منه لا تقبل سواء أكانت صدقة التطوع أو الزكاة المفروضة فإن الله لا يقبل ذلك منه، لأنه لا ينفق من مال مملوك له، فهو مال غيره فلا يملك التصرف فيه، فلا تقبل الصدقة منه، قال رسول ﷺ: (لا يقبل الله صدقة من غلول) حديث صحيح، والغلول هو المأخوذ من المال العام.

❖ زكاة المال الموقوف:

المال الموقوف على معين كفلان أو جماعة معينة كذريته أو على بني فلان، فتجب الزكاة فيه، لأن الموقوف ينتقل إلى الموقوف عليه فيصبح ملكه له ملكا تاما، أما الموقوف على مالك غير معين كالفقراء أو المساكين أو المجاهدين أو اليتامى أو المدارس أو غير ذلك من الجهات العامة، فهذا لا زكاة فيه، لأنه وإن تعين الصنف غير أن أفراده غير معينين. وكذلك كأموال الدولة، فإنها لا مالك معين لها، فلا زكاة فيها، ولأنها معدة في ذاتها للصرف، فإنها ملك لجميع المسلمين.

❖ زكاة الدين:

الدائن هو المالك للعين، والمدين هو المتصرف في العين والمنتفع بها، أما المدين فليس مالكا لما في يده من دين لغيره فلا تجب عليه فيه زكاة، وأما الدائن فهو مالك لدينه، ولكن قد يكون قادرا على الانتفاع بدينه وذلك بأن يكون مرجو الأداء، وقد يكون غير قادر على الانتفاع به وذلك بأن يكون غير مرجو الأداء، فإن كان الدين مرجو الأداء بأن كان المدين موسرا مقرا يؤدي الدين متى طلبه الدائن فيكون ملك الدائن في هذه الحالة ملكا تاما، فتجب الزكاة على الدائن فيزكي الدين الذي له مع ماله الحاضر.

أما إن كان الدين غير مرجو الأداء بأن كان على معسر لا يرجى يساره أو على جاحد ولا بينة عليه، فالدين في هذه الحالة (مال ضمار) والضمار في اللغة هو

الغائب الذي لا يرجى، فإن رجي فليس بضمار، وأصل الضمار في اللغة التغيب والاختفاء، والمال الضمار شرعا هو المال غير المقدور على الانتفاع به مع قيام أصل الملك فيه، فملك مالكه له ملك ناقص وليس تاما فلا تجب الزكاة فيه، لأن الزكاة إنما تجب في المال الذي صاحبه به غني، لقدرته على الانتفاع به، وهذا الدين صاحبه ليس به غنيا.

ومتى قبض الدائن دينه الميئوس منه وجبت فيه الزكاة فورا، ويزكيه عن سنة واحدة، وهو مذهب مالك رحمه الله، لأنه بعد اليأس صار كالمال الجديد فلا يزكى لما مضى من السنين.

❖ زكاة مكافآت الموظفين ومدخراتهم:

إذا كانت المكافأة أو الادخار حقا للموظف وليس هبة ويستطيع الموظف أن يقبضه متى شاء وبلغ نصابا واكتملت فيه شروط الزكاة وانتفت الموانع فيكون ملك الموظف له ملكا تاما فتجب عليه الزكاة فيه كل حول، أما إذا كانت المكافأة أو الادخار هبة فالهبة لا تملك إلا بالقبض.

● الشرط الثاني: أن يكون المال ناميا أو قابل للإنماء:

هذا الشرط يقتضي أن كل مال نام أو قابل للنماء فهو وعاء (مصدرا) للزكاة، فإن كان المال غير نام فلا تجب فيه الزكاة، ومن ذلك دواب الركوب وآلات أهل الحرف وأثاث المنازل ودور السكنى وغيرها.

❖ المال المعجوز عن تنميته:

إن عجز المالك عن تنمية ماله لأن المال تحت يد غيره وممنوعا منه، كما في الدين غير المرجو والمال المغصوب أو المسروق ونحو ذلك، فهذا لا تجب عليه فيه زكاة حتى يقبضه مالكه، فإن قبضه زكاه عن سنة واحدة، كما سلف في زكاة الدين غير المرجو. وإن عجز المالك عن تنمية ماله بحجة خوفه من الخسارة لو حركه يعني لو استثمره لينميه، فهذا ليس عذرا للمالك، فتجب الزكاة عليه في ماله المكنوز حتى ينميه أو تستهلكه الزكاة، وذلك أن العجز عيب وليس عذرا، ولذلك ذمه رسول الله ونهى عنه وأمر بالاستعانة بالله وعدم العجز، قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل) أخرجه البخاري. وقال رسول الله ﷺ: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) أخرجه مسلم.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

دور نور الدين زنكي في تحرير القدس

■ بقلم الدكتور عمر الساريسي

منذ أن فتح الله تعالى بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي وجنوده، وعادت إلى العهد العربي الإسلامي، والناس يربطون بين هذه المدينة المقدسة وبين هذا البطل المجاهد، يربطون بينهما ربطا يخيل للمتأمل معه، أنه استقر في أخلادها أن القائد هو صاحب هذا الشأن الأول والأخير في هذا الموضوع المطروح.

وما يمكن أن يجده الباحث من العذر في هذا المقام، أن الناس يجرون فيه مع طبائعهم في نسبة الأحداث لأسبابها المباشرة، نسبة فيها من التسرع في الحكم أكثر مما فيها من التروي والنظر إلى ما وراء الأحداث. ومن الحق لهم ولأمثالهم أن يرسلوا النظر إلى ما هو أبعد من الحدث ومجرياته الفيزيائية الآنية، إلى الأسباب الحقيقية والدوافع الأساسية، التي أفرزت هذا الحدث وتفاعلت مع عوامل أخرى كثيرة للوصول إلى نتيجة.

من هذا التقديم أريد أن أنظر فيما هو أبعد من تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين، أريد أن أنظر في الفترة التي سبقت تولي صلاح الدين أموره الإدارية والسياسية في زمنه، وأعني دور نور الدين محمود بن عماد زنكي على وجه

التحديد، لا رغبة في الانتقاص من الأضواء التاريخية الباهرة، التي سلطت على السلطان الناصر صلاح الدين بن نجم الدين أيوب، **ولكن حبا في نسبة الفضل إلى أهله، وبوجه خاص أولئك الذين لم يصيبوا حظا يناسبهم من الذكر والإنصاف.**

ولهذا فإننا سنحاول أن ننصف نور الدين محمود من واقع أفعاله وأقواله.

١. أول ما يخطر لنا في هذا المقام، بعد نظرة في تأمين الجبهة المصرية من أثر الخطر الصليبي، من أجل أن تكون رديفا لبلاد الشام أو بعدا استراتيجيا، كما نقول في هذه الأيام. إنه يقول لأسد الدين شيركوه عندما أنفذه إلى مصر ليبعد عنها خطر الصليبيين الداهم، ويردد شيركوه يقول له: "إننا إن أهملنا أمرها ملكها الفرنج ولا يبقى لنا معهم مقام بالشام وغيره".[١] ولهذا فقد قرر أن يستجيب لدعوة العاضد الفاطمي حينما طلب منه المعونة لدفع هذا البلاء.

٢. وحينما تطرد جيوشه (جيوش نور الدين) الصليبيين من دمياط يرسل له العاضد الفاطمي رسالة يشكره فيها على إنجاده، ولكنه يطالبه بطرد من كان منهم من الأتراك، لأنهم في رأيه، سيكونون خطرا على الحكم في مصر. فرد عليه نور الدين رسالة يمتدح فيه العنصر التركي ويقول: "اعلم أنني ما أرسلتهم واعتمدت عليهم إلا لعلمي بأن قنطاريات (رماح خشبية) الفرنج ليس لها إلا سهام الأتراك، فإن الفرنج لا يرعبون إلا منهم". ثم يضيف في رسالته ما ينبئ بأنه يفكر في مصير بيت المقدس وتخليصه من الأسر، ويقول:"فلعل الله ييسر فتح المسجد الأقصى مضافا إليه نعمه التي لا تحصى"[٢] .

إن نور الدين زنكي كان يربط إذن، بين إبعاد الصليبيين عن مصر وبين تحرير بيت المقدس من الذين احتلوه منهم من قبل.

٣. ولعل هذا الربط تتضح طبيعته وأهدافه من رد نور الدين على صلاح الدين، حينما أرسل إليه من مصر بأموال كثيرة ولآلئ وحجارة كريمة لا حصر لها، إذ قال له:"ما كانت بنا حاجة إلى هذا المال ولا نسد به خلة الأقلال، فأنت تعلم أنا ما أنفقنا الذهب في ملك مصر وبنا إلى الذهب فقر، وما لهذا المحمول في مقابلة ما وجدنا به قدر.

على الحصا، وبه فقر إلى ذهب

لم ينفق الذهب المربي بكثرته

لكنك تعلم أن ثغور الشام مفتقرة إلى السداد ووفورة الأعداد من الأجناد، وقد عم بالفرنج بلاء البلاء، فيجب أن يقع التعاقد على الإمداد بالمعونة والمعونة بالإمداد"[٣] .

إن نور الدين حينما أسرع لإنجاد مصر من خطر الفرنجة، لم يكن يطمح منه إلى مال، إنما كان يريد منه الرجال، من أجل أن يجتمعوا مع رجال بلاد الشام لدفع الخطر الداهم.

أليس هذا الذي كتب الله أن يتحول إلى حقيقة، ولكن على يد غيره؟

٤. ولم يكن نور الدين محمود يفكر في تخليص بيت المقدس من الفرنجة فحسب، ولكنه كان يحلم أيضا بنشر الإسلام في ربوع الأرض حتى يصل إلى القسطنطينية، التي وصل إليها المجاهدون الأولون من المسلمين منذ أيام الفتح الأول، فها هو ذا يرسل برسالة إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله يقول فيها: "وقسطنطينية والقدس يجريان إلى أمد الفتوح في مضمار المنافسة، وكلاهما في وحشة ليل الظلام المدلهم على انتظار صباح المؤانسة، والله تعالى بكرمه يدني قطاف الفتحين لأهل الإسلام ويوفق الخادم لحيازة مراضي الإمام"[٤] .

إن هذا السلطان المجاهد يجمع بين هاتين المدينتين الكبيرتين ذاوتي المصير الاستراتيجي في التاريخ الإسلامي، ويعتبرهما أسيرتين في ليل ظلام الاستعباد المدلهم وانتظار شمس الحرية والإسلام. إنه يتضرع إلى الله أن يعينه في فك أسرهما" "لأهل الإسلام" لا له هو! ثم إنه يلقب نفسه خادما والخليفة إماما!

٥. إن تحرير بيت المقدس هو الهاجس الذي كان لا يغيب عن ذهن نور الدين لحظة واحدة. فهذا العماد الأصفهاني حينما يرثيه عام ٥٦٩هـ يقول من مرثية صادقة وعين دامعة:

ميعاده في فتحه وظهوره

أو ما وعدت القدس أنك منجز

وتقدس الرحمن في تطهيره؟(٥)

فمتى تجير القدس من دنس العدا

أجل! إن لنا أن نتخيل أن نور الدين قد وعد القدس بالتحرير، فهو يختم الرسالة السابقة إلى الخليفة العباسي بقوله: نسأل الله التوفيق لاستدناء قواصي المنى وإقصاء عبدة الصليب الأنجاس من المسجد الأقصى، وأن يجعل فتح البيت

المقـدس مـفـتـتـح مـراده ومـقـتـدح زناده ومقـترحـه في جهـاده، وأن يملكه السـاحل بجميع بلاده"[٦].

إن هذا المجـاهد المتـوكل على الله في جـهـاده، الآمل أن يملك السـاحل الشـامي بجـمـيع بلاده، لم يكن يحلم بذلك حلمـا فـحـسـب، ولكنه خطط لـه وأرسل لأجل تحقيقه الأجناد ومهد له السبل. إن هذا المجاهد هو الذي قال فيه الشاعر إنه:

ما أحسن المحراب في المحراب!

جمع الشجاعة والخشوع لربه

إن الخـشـوع وحـده لا يكفي، كـمـا أن الشجاعة وحدها لا تكفي، ولكن منهما معا يخـرج المجـاهد المنتصـر بإذن الله، الرجل المحـارب من مـحـراب الخـشـوع إلى الله تعالى.

٦. وشـهـادة أخـرى دامـغـة تقـفـنا على تخطيط نور الدين المبكر لتـحـرير بيت المقـدس، تـأتينا هذه المرة لا من أفـعـاله ورسـائله وأقـواله، ولكن من قلم رئيس أركانه الذي أرسله إلى مصر لينقـذها من الفـرنجة، بعد عـمـه أسـد الدين شـيـركـوه ومـعـه، من القـائد المظفـر يوسف بن أيوب الذي أصبح فيـما بعد السلطان الناصر صـلاح الدين انه يقـول فـي رسـالة أنفـذها إلى الخليـفـة العـبـاسي يحـدثه فـيـها عن أعـمـاله الجـهـادية:" لم يكن سـبـب خـروج المملوك (ويعني نفسـه) من بيتـه، إلا وعـد كـان انعقـد بينه وبين نور الدين، رحمه الله تعـالى، في أن يتـجـاذبا طرفي الغـزاة من مصـر والشـام: المملوك بعسكره بره وبحـره ونور الدين من جـانب سـهل الشـام وغيره"[٧].

أرأيت إلى مـا يسـمى بعـرف العلوم العسكرية بطرفي الكماشة؟ إنه الذي يذكر السلطـان صـلاح الدين أنه اتفق على إجرائه وتطبيقه لتحرير مصر والشام. هو من جـانب البـر والبـحـر المتـوسط، ونور الدين من جانب سهل الشام.

إن تحـرير بيت المقـدس همٌّ، ورثه نور الدين عن أبيه الشهيد عماد الدين زنكي، منذ أن ذهب هذا الشهيد لتحرير ما احتل الأعداء من بلاد المسلمين في بلاد الشام، فحينما حرر الرها عام ٥٣٩هـ وسمي فعله "بفتح الفتوح" استقلبه ابن القيسـراني بقوله:

فإن يك فتح الرها لجـة

فساحلها القدس والساحل

٧. أما الإثبات الأقوى، فضلا عن هذه الإثباتات جميعا، فهو المنبر، وما أدراك ما المنبر؟ إننا نقرأ قصته من كتاب "مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب" يقول: لما فتح السلطان القدس أمر بعمارة المحراب الغربي القديم وترخيمه ووضع منبر رسمي ليقام عليه العرض. واحتيج بعد ذلك إلى منبر حسن فائق لائق بذلك المكان. وكان نور الدين محمود، رحمه الله، قد أنشأ منبرا برسم الأقصى قبل فتح القدس، بنيف وعشرين سنة (تأمل). لأنه رحمه الله، كانت أطماعه متعلقة بفتح القدس، وأمانيه لم تزل تحدث به، وكان بحلب رجل نجار يقال له: الأخترينى من ضيعة تعرف بأخترين، ولم يكن له نظير في صناعته، فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت المقدس، فقال له: "اجتهد أن تأتي به على أحسن نعت يمكن، واحكمه".

فجمع الصناع وبالغ في إتقانه وصنعته، وأتمه في سنتين، ثم اتفق أن جامع حلب في ايام النوري أحرق واحتيج إلى منبر، فنصب ذلك المنبر، وتولى ذلك النجار عمل محراب حلب مشابها للمنبر في الرسم. ومن رأى الآن محراب حلب شاهد فيه مثال المنبر القدسي.

فلما منَّ الله سبحانه على السلطان الملك الناصر بفتح بيت المقدس، تقدم بحمل المنبر من حلب، فحمل ونصب بالمسجد الأقصى، وهو الآن منصوب»[٨] .

ثم أمر صلاح الدين فعمل لجامع حلب شبه المحراب والمنبر الذي في القدس فكان كما أراد"[٩].

أما ابن كثير فيقول في هذا الصدد: "وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته"[١٠].

وبعد، فإننا نصل إلى ما ينطق به لسان حال التاريخ، الذي يصوغه أحد المؤرخين المشهورين فنقول: "ولو علم نور الدين ماذا ادخر الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينيه، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المشركين، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمها، رحمهما الله تعالى"[١١].

الهوامش:

١- الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، القاهرة ١٩٧١، ص٢٥.

٢- هو جد سبط ابن الجوزي الفقيه المتوفى عام ٦٥٤هـ.

٣- كتاب "فضائل القدس" أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق د. جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٥.

٤- المرجع السابق.

٥- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، في وصف أحداث ٤٩٢هـ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة،١٩٥٩، ص٠٤٢٧.

٦- هو محمد بن نصر بن منصور، فقيه مشهور، ولي القضاء في بلاد العجم وفي دمشق وبغداد، توفي عام ٥١٩هـ (طبقات ٢٢/٧).

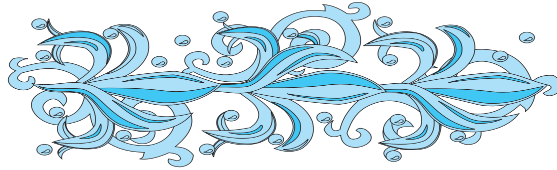
٧- "النجـــوم الزاهرة" ابن تغـــري بردي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣، ج ٥، ص١٥١.

٨- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، عز الدين بن الأثير الشيباني الجزري (٦٣٠) مؤرخ ومحدث، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣، ص٣٢،٣٣.

٩- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية الصلاحية، أبو شامة المقدسي، الجزء (١)، قسم٢، ص ٥٤٧، وفي رسالة للعاضد الفاطمي في مصر يقنعه ببقاء جنود الأتراك عنده "لأن الفرنج لا يرعبون إلا منهم" ثم يضيف: "فلعل الله ييسر فتح المسجد الأقصى مضافا إليه نعمه التي لا تحصى" المرجع السابق ص ٥٤٩.

١٠- كتاب الروضتين، أبو شامة، الجزء (١)، قسم٢ القاهرة ١٩٦٢ ص٦٢٤.

١١- المرجع السابق، ص٦٢٣ وفي نص آخر نقرأ قول صلاح الدين: "وما يتأخر النهوض إلى القدس، فهذا أوان فتحه، ولقد دام عليه ليل الضلال، وقد آن أن يسفر فيه الهدى عن صبحه" المرجع السابق، طبعة القاهرة، ١٢٨٧هـ ص٨٩ .



١

ابن عبد البر، بخاري الاندلس والمغرب

وكتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

المؤلف: هو ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث النبوي، وما يتعلق به، وقد تلقى العلم بقرطبة على أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأبي محمد بن عبد المؤمن، وأبي عمر الباجي، وأبي عمر الطلمنكي، وابي الوليد بن الفرضي وغيرهم.

وقد كتب اليه بالاجازة من المشرق ابو القاسم السقطي المكي، وعبد الغني بن سعيد الحافظ، وأبو ذر الهروي، وأبو محمد بن النحاس، وغيرهم، ولا غرابة في ذلك لأن من الملاحظ ان اهل المغرب والأندلس وحكامها كانوا كثيري الاهتمام بالحديث ولا سيما في القرن الخامس الهجري، اذ ظهر آنذاك الفيلسوف ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ، والشيخ عبد الله بن ياسين زعيم دولة المرابطين المتوفى سنة ٤٥٣هـ.

واستمر ذلك الاهتمام في القرن السادس، حيث ظهر المهدي ابن تومرت المتوفى سنة ٥٢٤هـ، كما ظهر الخليفة الموحدي المحدث يعقوب المنصور المتوفى سنة ٥٩٥هـ، غير ان اشهر المحدثين في الاندلس في هذه الفترة هو الحافظ

القرطبي ابو عمر المشهور بإبن عبد البر.

قال القاضي ابو علي الحسين بن محمد الصدفي «المعروف بإبن سُكرة»: سمعت شيخنا ابا الوليد الباجي يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث، وقال ايضاً: هو أحفظ أهل المغرب، أقول: ان من المعروف بين العلماء -فكما كان الخطيب البغدادي يُعرف بلقب «حافظ المشرق»- فإبن عبد البر كان يُعرف «بحافظ المغرب».

وقال ابو الحسين بن احمد بن محمد الغساني الاندلسي الجياني: ان ابن عبد البر هو شيخنا من اهل قرطبة، وقد طلب الفقه بها، ولزم ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هاشم، الفقيه الاشبيلي، وكتب بين يديه، وأخذ الكثير من الحديث من ابن الفرضي سابق الذكر، ودأب على طلب العلم، وبرع في الطلب حتى فاق من تقدمه من الاندلسيين، ثم ذكر طرفاً من مؤلفاته مما سنخصص لها فقرة قائمة بنفسها إن شاء الله وسمح الوقت، وإلا سنقتصر على كتاب الاستيعاب.

ثم فارق قرطبة، وتجول في غرب الاندلس، ثم ذهب الى شرقها، وسكن دانية وبلنسية وشاطبة، وتولى القضاء لمدينة أشبونة «وهي لشبونة عاصمة البرتغال حالياً» وقضاء «شنترين» في أيام الملك المظفر بن الافطس، وقد وصفه ابن خلكان بأنه إمام عصره في الحديث والأثر «الوفيات ٦٦/٧».

❖ **مؤلفاته: وهي كثيرة جداً سأحاول استقصاءها على قدر الامكان، وهي:**

١- **«الاستيعاب في معرفة الاصحاب»** وهو اهم مؤلفاته وسنخصصه بهذا المقال ان شاء الله، وقد طبع في هامش كتاب «الاصابة في تمييز الصحابة» تأليف ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ويقع في اربعة أجزاء ضخمة وقد نشر في القاهرة سنة ١٣٢٨هـ على نفقة سلطان المغرب الاقصى عبد الحفيظ ابن الحسن، وهو يستقصي اسماء الصحابة رضوان الله عليهم وتراجمهم.

٢- كتاب **«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»** في سبعة اجزاء، وقد رتبه على أسماء شيوخ الإمام مالك على حروف المعجم، وهو كتاب حسبما يقول مترجمو ابن عبد البر: انه لم يسبق احد الى مثله، وقد اطراه ابو محمد ابن حزم.

٣- كتاب **«الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما نظمه الموطأ من معاني الرأي والآثار»** وقد شرح فيه «الموطأ» ونسق أبوابه.

٤- كتاب **«جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»**.

٥- كتاب **«الدرر في اختصار المغازي والسير»** ونشر بالقاهرة بتحقيق شوقي ضيف، سنة ١٩٦٦ .

٦- كتاب **«العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم»**.

٧- كتاب **«القصد والأمم في تعريف أصول انساب العرب والعجم»** وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة ومعه كتاب «الانباه على قبائل الرواة» سنة ١٣٥٠هـ.

٨- كتاب **«بهجة المجالس وأنس المُجالس»** في ثلاثة أجزاء، جمع فيه أشياء مستحسنة وفقاً لما يقول ابن خلقان، وقد رأى الدكتور احسان عباس جزءاً واحداً بتحقيق محمد موسى الخولي، بالقاهرة سنة ١٩٦٢ .

٩- كتاب **«التقصي لحديث الموطأ»**.

١٠- كتاب **«الانتقاء في فضائل الثلاثة فقهاء، مالك والشافعي وابي حنيفة»** رضي الله عنهم.

١١- كتاب **«البيان عن تلاوة القرآن»**.

١٢- كتاب **«اسماء المعروفين بالكنى»** وهو في سبعة أجزاء **«وأظنه أصبح جزءاً من كتاب الاستيعاب»**.

١٣- كتاب **«الكافي في الفقه، في الاختلاف وأقوال مالك وأصحابه»** في ٢٠ جزءاً.

١٤- كتاب **«الشواهد في إثبات خبر الواحد»**.

١٥- كتاب **«الاكتفاء في القراءة»**.

١٦- كتاب **«البستان في الأخدان»**.

١٧- كتاب **«اختصار تاريخ احمد بن سعيد»**.

١٨- كتاب **«الاجوبة المرعبة في المسائل المستغربة»**.

١٩- كتاب **«اختصار التحرير واختصار التمييز»** السلم.

٢٠- كتاب **«الاسراف في الفرائض»**.

٢١- كتاب **«جمهرة الأنساب والتجريد»**.

٢٢- كتاب **«الانصاف فيما «بسم الله» من الخلاف والمدخل الى علم القراءات والتجويد»**.

٢٣- كتاب **«تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد»**، وقد نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ ويبدو انه مختصر لكتاب «التمهيد» المار ذكره برقم (٢).

٢٤- فهرس شيوخه وبعض كتبه الصغار، ولم اهتد الى عناوينها.

والجدير بالذكر ان ابن خلكان قد اقتبس من كتاب «بهجة المجالس» المار ذكره برقم (٨) جملة مما فيه، وهي من المستحسن اقتباس بعضها للإمام بأسلوب المؤلف، ومن جملة ذلك ما ورد فيه من ان النبي ﷺ رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقاً مدلى اعجبه وسأل عن صاحبه فقيل له: انه لأبي جهل، فشق عليه ذلك، وقال: «ما لأبي جهل والجنة، والله لا يدخلها أبداً، فلما أتاه عكرمة ابنه مسلماً، فرح به وقام اليه وتأول ذلك العذق لعكرمة ابنه. ومنها انه قيل لجعفر الصادق بن محمد: كم تتأخر الرؤيا؟ قال: رأى النبي ﷺ وكأن كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر قاتل الحسين رضي الله عنه وكان ابرص. فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين عاماً ومنها ان النبي ﷺ رأى رؤيا فقصها على أبي بكر رضي الله عنه وهي انه رأى كأنه وأبي بكر يرقيا سلماً، فسبقه النبي بمرقاتين ونصف فقال: يا رسول الله يقبضك الله تعالى الى رحمته وأعيش بعدك سنتين ونصف السنة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت ثلاثة أقمار سقطن في حجري، فقال لها ابو بكر: ان صدقت رؤياك، يدفن ثلاثة من خير أهل الأرض في بيتك، ولما دفن رسول الله ﷺ في بيتها قال لها ابو بكر: هذا أحد أقمارك «الوفيات طبعة احسان عباس ٧/٦٧-٦٩».

اكتفي بما نقلته عن كتاب «بهجة المجالس» وآمل ان تتاح لي الفرصة للاطلاع على هذا الكتاب وتقديم المزيد عما فيه مما يلقي الضوء على أسلوب ابن عبد البر، بإذن الله، **اما الآن فأتحول الى أهم مؤلفاته وهو كتاب «الاستيعاب في معرفة الاصحاب».**

٣- كتاب الاستيعاب: يبدو ان سبب تأليفه، هو رغبته في تعريف المسلمين بالصحابه رضي الله عنهم، لأنهم الواسطة بين المسلمين وبين النبي ﷺ، خاصة وانه رأى في كثير من المصنفات ان المؤلفين قد طولوا في ترجمتها واكثروا من التكرار والانساب ومخارج الروايات، ولكنهم غفلوا

عن التنبيه على عيون اخبارهم التي توقف القراء على مراتبهم ورأي كل واحد منهم، وما وصل اليه من معلومات ليست عند غيره، ولهذا رأى ان يجمع ذلك واختصاره وتقريبه لأنظار القراء، فيركز على النقاط التي هي الهدف من معرفتهم ومنزلتهم وبين مراتبهم بإيجاز، ليغني القارئ من مراجعة الكثير من الكتب، وأنه رتبه على حروف المعجم، واعتمد في تأليفه على الكتب المشهورة عند اهل السير والأنساب والتواريخ المعروفة.

ثم ذكر الكتب التي اعتمدها ومن قرأها عليهم من الثقات فبدأ بالمعلومات عن موسى بن عقبة، وثنى بالمعلومات المروية عن ابن اسحق والواقدي، فذكر ذلك بتفصيل وذكر اسماء من قرأ عليهم تلك المعلومات، ولم يكتف بسلسلة واحدة من القراءة، بل وبعدد منها تؤدي جميعها الى صاحب الرواية، كالبخاري مثلاً والطبري وغيرهما «الاستيعاب ١/١٠-١٢».

أ- ويبدو ان هذا الكتاب قد تم نشره بعد وفاة المؤلف، اذ ورد فيه عند بدايته القول: «يقول ابو عمر رضي الله عنه» (ج١/٣ و ٧ و ٩-١٣)، ثم يستطرد الى القول : ان العلم محيط بأن السنن لها أحكام جارية على المرء في دينه وفي أهله وماله، ومعلوم من حُكم بقوله وقضي بشهادته، فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته وما اليها، وان الصحابة رضوان الله عليهم قد كفينا البحث عن احوالهم لإجماع اهل الحق من المسلمين على عدالتهم، وهذا ما دعاه الى تصنيف هذا الكتاب اعتماداً على الكتب المصنفة عنهم، ثم سرد اسماءهم ومزاياهم، وقراءة تلك المعلومات بسند مؤلفيها، للتحقيق من ان الصحابة قد صحت صحبتهم لرسول الله ﷺ، ومن ادركه بمولده او كانت له رؤيته ﷺ او لقيه او كان مسلماً على عهده ولم يره، وأمثالهم ممن حفلت بهم الكتب السابقة التي قرأها المؤلف على من سمعها بسند الى مؤلفيهم وقد ذكرهم بأسمائهم ولم يقتصر في الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته، حتى ذكر من لقي الرسول مرة واحدة مؤمناً به، ورآه أو سمع منه لفظة فأداها عنه كذلك ذكر من وُلد على عهده من ابوين مسلمين، فدعا له او نظر اليه ونحو ذلك «الكتاب ١/٩-١٣».

ب- الا انه لم يذكر انساب قبائل الرواة في هذا الكتاب وانما ذكرهم في كتابه المسمى «الانباه على قبائل الرواة» الذي جعله مدخلاً لهذا الكتاب الذي بدأه بذكر

الرسول ﷺ وذلك ليكون كتابه مغنياً عما سواه، ثم اتبعه بذكر الصحابة مبوباً على حروف المعجم مع الاختصار والاستيعاب وترك التطويل.

والجدير بالذكر ان احمد بن علي العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ «اي بعد وفاة ابن عبد البر سنة ٤٦٣هـ»، قد ذكر اسماء من سبقه من المؤلفين في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم، وأول ما عرفه هو كتاب البخاري الذي نقل عنه ابو القاسم البغوي وغيره، وممن جمع اسماء الصحابة الى جانب من بعدهم من طبقات مشايخه كخليفة بن خياط، ومحمد بن سعد، ومن أقرانه يعقوب بن سفيان وأبي بكر بن خيثمة، ثم ابو القاسم البغوي وعبدان، ثم ابي علي بن السكن، وأبي حفص بن شاهين وأبي منصور الماوردي، وابن حبان والطبراني وذلك ضمن معجمه الكبير، ثم ابن مندة وابي نعيم، ثم ذكر العسقلاني ابن عبد البر الذي سمى كتابه «الاستيعاب» لظنه على حد قول العسقلاني: انه استوعب مما في الكتب السابقة، لكنه فاته كثير فذيل عليه ابو بكر ابن فتحون وابو موسى المديني، ثم ابن الاثير في كتابه «اسد الغابة».

ثم جاء الذهبي فأشار الى من ذكره غلطاً ومن لا تصح صحبته، ولكنه لم يستوعب ذلك «حسب رأي العسقلاني» ولذلك عمد هو الى تصنيف كتابه «الاصابة في تمييز الصحابة» ليتدارك - حسب قوله- النقائص ولكنه لم يحصل له الوقوف على جميع الصحابة، بالنسبة لما ذكره ابو زرعة الرازي الذي قال: توفي الرسول ﷺ وكان من رآه وسمع منه زيادة على (١٠٠) ألف انسان، كلهم روى عنه سماعاً او رؤية «الاصابة ٣/١».

ت- اما بالنسبة لكتاب الاستيعاب، فإن المؤلف لم يقتصر على ذكر من صحت صحبته ومجالسته للنبي ﷺ، بل ذكر جميع من لقيه ولو مرة واحدة «وهو مؤمن» (ج١/١٣) ورآه وسمع منه لفظة فأداها عنه، وكذلك من ولد في عهده من أبوين مسلمين، فدعا له او نظر اليه وكان مؤمناً له، وبهؤلاء يستكمل القرن الذي اشار اليه النبي ﷺ، وسماه بأنه قرني.

ث- وذكر ابو زرعة جواباً على سؤال عن الصحابة الذين يروى عنهم الحديث النبوي، وخاصة من ورد ذكرهم في الاستيعاب، فقال: ان جميع من ذكر فيه هم (٣٥٠٠) صحابي، وانه استدرك عليه

بمثل هذا العدد، ويقول العسقلاني: انه قرأ بخط الحافظ الذهبي في كتاب «التجريد» قوله: لعل الجميع هم (٨٠٠٠) صحابي على اقل تقدير، وقد رأى بخطه ايضاً ان جميع من ذكر ابن الاثير في كتابه «اسد الغابة» بلغ (٧٥٥٤) صحابياً.

وثبت عن الثوري قوله: «من قدم علياً على عثمان فقد اربى على (١٢) الفاً، مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وسبب خفاء اسمائهم ان اكثرهم أعراب، واكثرهم حضر حجة الوداع، ثم استعرض العسقلاني جماعة الصحابة وهم في اربع مجموعات حسب رأيه (٢/١-٦)، وانتهى به الى تعريف الصحابي، بأنه هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الاسلام، ويدخل ضمنهم من لقيه وطالت مجالسته له ام قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو، ومن غزا معه ومن لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره بسبب العمى ويخرج عنهم من لقيه وهو كافر ولو أسلم بعد ذلك اذا لم يجتمع به مرة أخرى، كما يخرج المؤمن بغيره، كأهل الكتاب ويدخل منهم في اصحابه من لقيه وآمن به وهكذا (٧/١).

ج- اما ابن عبد البر، فقد التزم بمن وصفهم الله في القرآن الكريم، المؤمنين بالرسالة المحمدية بقوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾الفتح: ٢٩، اي جميع من آمن به وآزره وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به اذ أطرى المسلمين السابقين، فقال عز وجل: ﴿**السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ التوبة: ١٠١ .

وفسر بعض الأئمة هذه السورة وعبارة ﴿**السابقون الأولون**﴾ بأن المقصود بهم الذين صلوا القبلتين وقيل: ان المقصود هم السابقون الاولون الذين بايعوا بيعة الرضوان، وهم اهل الحديبية الذين كان عددهم الفاً واربعماية مسلم الذين اعلن النبي ﷺ انه لا يدخل احدهم النار، اذ اشار الى أنه لا يدخل احد ممن شهد بدراً والحديبية النار بقوله ﷺ: «انتم اليوم خير اهل الارض» (٢/١-٣) اما اهل بدر فكان عددهم (٣١٣) مسلماً من المهاجرين والأنصار (٣/١-٤).

ح- وروى في هذا السياق قول النبي

ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، وعلى هذا الأساس يشمل هذا القول الصحابة (٦/١) لأنهم جميعاً عاشوا خلال القرن المشار اليه ويرى ابن عبد البر بأن طائفة من الصحابة قد خصهم الله بالفضل في قرآنه العظيم، اذ قال جل وعلا: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا﴾** الحديد: ١٠ . ومحال ان يستوي من قاتل النبي ﷺ قبل الفتح ومن قاتل عنه ولكل طبقة منهم منزلة معروفة (٩/١).

ويصرح المؤلف بأنه قد اعتمد في كتابه هذا على المعلومات المتوفرة في الكتب المشهورة عند اهل السير والأنساب والتواريخ المعروفة التي عوّل عليها العلماء، ومنها المعلومات المنقولة عن موسى بن عقبة وابن اسحق، مما قرأه على كبار العلماء الذين جاء ذكرهم واحداً واحداً في كتب الطبقات، كطبقات ابن سعد والواقدي وغير ذلك، ممن ذكرهم في هذا الفصل (١/١٠-١٢).

اما بالنسبة لعدد الصحابة، فإن من نشر كتاب «الاصابة في تمييز الصحابة» للعسقلاني، قام بترقيم التراجم فيه، فبلغت للصحابة الذين اشتهروا بأسمائهم (٩٤٧٥) ترجمة، يضاف اليها اعداد من عرف بكنيته ممن ضمهم الجزء الرابع من كتابه، فبلغوا (١٢٦٨) ثم ترجم للنساء اللاتي بلغ عددهن (١٥٥٢) فيكون المجموع لدى العسقلاني (١٢٣٢٥) ترجمة، يخرج منها عدد الذين تكرر ذكرهم ممن اشتهر باسمه وبكنيته، ولعلهم كانوا في حدود (٣٢٥١) وعليه يكون المجموع لدى العسقلاني (١٢٠٠٠) صحابي، واذا قارنا هذا العدد بمجموع من ذكرهم ابن عبد البر في «الاستيعاب» ولم يحظوا بالترقيم فهم في حدود عشرة آلاف، وذلك لأنه نشر في حاشيته «الاصابة» وقد فُسح له هامش واسع، يمكن انه احتل ثلاثة ارباع حجم «الاصابة».

ويقول ابو زرعة: ان الصحابة الوارد ذكرهم في «الاستيعاب» يبلغ عددهم (٣٥٠٠) صحابي، مع ان النبي ﷺ عندما توفي كان قد رآه وسمع منه ما لا يقل على (١٠٠) ألف انسان «الاصابة ١/٣-٤».

خ- هذا وقد حرص ابن عبد البر على ذكر أنساب الصحابة الرواة، وجعله بذلك ليغني به عن الرفع في الأنساب في كل حالة يرد فيها ذكر الصحابي، ويضمن

الاختصار الذي آلى به عن نفسه، وقد بدأ بذكر الرسول ﷺ واقتصر في ذلك على المعلومات التي يجب الوقوف عليها ولا يليق بذي علم جهلها، ثم يتبعه بذكر الصحابة بحسب ترتيب اسمائهم في باب واحد على حروف المعجم على ما اشترطه على نفسه بالتقصي والاستيعاب مع الاختصار (ج/١٣ ١-٤١) ثم ينتقل الى ذكر الصحابة حسب حروف الهجاء، وأولها حرف الألف، وبدأها بذكر ابراهيم ابن النبي ﷺ من مارية القبطية، وترجمته موجزة نسبياً (ص٤١-٤٧)، ثم انتقل الى الذين اسماؤهم «ابي» ٤٧/١-٥١ ثم «اسيد ص٥٣-٥٦» فأسامة وأولهم أسامة بن زيد الكلبي، ولم يذكر احداً غيره بهذا الاسم الا اسامة بن عمر الهذلي (ص٥٩). وهكذا استمر في حرف الالف حتى ص١٣٦ من الجزء الأول حيث انتقل الى حرف الباء.

د- ثم حرف الباء وفيه المؤلف يلتزم بالترتيب الهجائي للأسماء ليس بالنسبة للحرف الأول، لكنه يلتزم بهذا الترتيب بالنسبة لثلاثة حروف كما في بشر وبشير (١٤٥/١-١٥٤) ولكنه أخر «بسر» الى ما بعدها، حيث ابتدأ بيسر بن أرطأة بعدهما (١٥٤/١-١٦٣) حيث خصه بترجمة ضافية، والغريب انه اتبع بعد «يسر» ترتيباً آخر حيث بدأ بمن اسمه «بديل» ثم «بريدة» وعاد الى «بسر» (ج١٨٦/١-١٧٦) ولا ادري عما اذا كان بالاصل هكذا ام ان ذلك وقع عند الطباعة، ولكن هذا الاضطراب استمر حتى (١٨٦/١) عندما ترجم لتمام بن العباس ابن عم الرسول ﷺ، واستمرت ترجمته في حواشي اربع صفحات، ومما قال: انه بولادته تم للعباس ابن عبد المطلب عشرة اولاد «وقد ترجم لكل واحد في موضع اسمه من الحروف» ثم خص جعفر بن ابي طالب بترجمة ضافية (٢١٠/١-٢١٣) وتوج حرف «الحاء» بترجمة حمزة بن عبد المطلب شهيد مؤتة استغرقت حواشي ست صفحات (٢٧١/ ١-٢٧٦) وتوسع في ترجمة «الحارث بن هشام بن المغيرة» الذي استأمنت له يوم فتح مكة ابنته وهي زوج النبي ﷺ فقبل ذلك (٣٠٧/١-٣١١) اذ كان قد اسلم وحسن اسلامه.

ذ- الجدير بالذكر ان ابن عبد البر لا يتردد في القول عند ذكره بعض الصحابة: بأنه مجهول كما في حالة من اسمه «الحكم بن ابي الحكم» انه لا يعرفه اكثر من حديثه عن تآمره على الغدر بالرسول ﷺ، وسماعه مع جماعة المتآمرين، صوتاً يقول: ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا

تفتت فغشي علينا (٣١٧/١).

وفي هذا السياق ذكر الحكم بن العاص الأموي الذي طرده الرسول ﷺ من المدينة، فنزل الطائف وأعاده عثمان رضي الله عنه الى المدينة حيث توفي في آخر خلافته (٣١٧/١).

هذا وابن عبد البر يذكر احياناً بعض الأخطاء الواردة في نسب الصحابة، مثل حكيم ابو معاوية بن حكيم الذي ذكره ابن خيثمة في الصحابة، هو عنده غلط بيّن ولا يُعرف هذا الرجل في الصحابة، والحديث الذي نسب اليه هو حديث «بهز ابن حكيم» عن اسلافه، فذكر ابن عبد البر صحيحه وطريق روايته (٣٢٢/١-٣٢٧).

وعند حديثه عن حسان بن ثابت الانصاري الشاعر، توسع في الحديث عنه وروى بعض شعره (٣٣٥/١-٣٤٣)، وفعل مثل ذلك عند حديثه عن حجر بن عدي الكندي الذي قتله معاوية وذكر الأسباب (٣٥٦/١-٣٥٩)، في الحقيقة ان في الكتاب مادة غنية تنفع المؤرخين، من ذلك ما ذكره من سيرة الحسن بن علي بن ابي طالب وأخيه الحسين رضي الله عنهم، ذكر خلافهم مع معاوية، ويبدو مما ورد في هذا الباب ان ابن عبد البر يتعاطف جداً مع الحسنين، ويحمّل بني أمية مسؤولية قتل الحسن بالسم والحسين بالقتال (٣٦٩/١-٣٨٥) وعندما بلغ حرف الخاء، في اسم خالد، بدأه بخالد بن سعيد بن العاصي بن أمية الذي بكّر في دخول الاسلام، حتى ان البعض ليجعله بعد أبي بكر، فتوسع بالحديث عنه، وهو ممن هاجر الى الحبشة، واستشهد في معركة أجنادين (٣٩٩/١-٤٠٣) كما أنه توسع في ترجمة خالد بن الوليد رضي الله عنه (٤٠٥/١-٤١٠).

ر- اما بالنسبة لرافع بن ظهير «او حضير» قال عنه: لا يعرف بهذا الاسم احد من الصحابة وغير الصحابة، وانما هناك ظهير بن رافع وقد ذكره المؤلف في موضعه من الحروف في هذا الكتاب (انظر ج٢/٢٤١).

اما بالنسبة لرافع بن زنباع الجذامي، فقال: انه لم تصح عندي صحبته والله اعلم (٥٢٥-٥٣٠) وانما هو من التابعين واما بالنسبة لرشدان (٥٣٥/١-٥٣٦) فقال عنه: انه رجل مجهول ذكره بعضهم بين الصحابة ثم ترجم (٥٤١/١-٥٤٤) لزيد بن الخطاب «اخي عمر» المقتول في اليمامة من قبل قبيلة حنيفة بقيادة «مسيلمة» الكذاب.

وهكذا انتقل الى زيد دون ذكر من اسمه الزبير في هذا السياق، واشهر هؤلاء هو زيد بن ثابت الانصاري رضي الله عنه، وقال: انه لم يشهد بدراً لصغر سنه، ولكنه من الذين جمعوا القرآن، اذ كان يتولى الكتابة للرسول ﷺ، واستمر على ذلك في خلافة ابي بكر وعمر، واشتهر انه غلب الناس بإثنتين: بالقرآن وبالفرائض (١/ ٥٥٠-٥٥٤).

ز- وفي (١/٥٩٧-٥٧٤) ترجم لزياد بن ابي سفيان (ويقال له: زياد بن ابيه) ولد عام الفتح «وقيل غير ذلك»، لكنه ليس له صحبة ولا رواية، لكنه رجل قدير تولى ادارة الاقاليم المهمة، وهو الذي حضر نهر «الأُبلّة» كما هو خطيب بليغ تولى ولاية البصرة لعلي بن ابي طالب، ومن بعده لمعاوية.

ثم والى الحديث في حرف (ز) وفيه تناول في ترجمة مستفيضة (١/ ٥٨٠-٥٨٥) الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله ﷺ، وقد أسلم وعمره ٨ سنوات كعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه، ويقول ابن عبد البر: انه تصافى بعد وقعة الجمل مع الامام علي، ولكنه قُتل غيلة.

وهكذا استمر في حرف (ز) حتى نهاية الجزء الأول من «الاستيعاب» وكان آخر من ترجم لهم هو «زر بن حبيش الأسدي» الذي أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ، ولكنه من اجلّة التابعين وكان عالماً بالقرآن الكريم (١/٥٨٨-٥٨٩).

٤- **الجزء الثاني من «الاستيعاب»:**

استهله المؤلف (٢ / ص٢-٨) بذكر سعيد ابن زيد بن عمرو العدوي، وهو زوج شقيقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أطال في ترجمته، اذ كان دخوله في الاسلام مبكراً قبل عمر، وكان اسلام عمر عنده في بيته، كما هو معروف في القصة المشهورة، ثم انتقل الى ذكر سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (١٦/٢) ويقول: ان قوماً يقولون: ان له صحبة، الأمر الذي نفاه الإمام أحمد ابن حنبل ثم أفاض في ترجمة سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الذي التزم بالحياد في النزاع الذي حدث بين الامام علي ومعاوية، مع ميله للامام علي (١٨/٢-٢٧).

اما بالنسبة لسعد بن عبادة الخزرجي، فقد افاض في ترجمته (٣٥/٢-٤١) وهو الذي شهد بدراً وبيعة العقبة، وكانت راية الرسول ﷺ معه يوم فتح مكة، لكنه تخلّف عن بيعة ابي بكر وخرج من المدينة حتى وفاته بحوران.

أ- وأفسح المؤلف (٥٦/٢-٦١) المجال لترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو الذي روى عنه بعض الصحابة الحديث، ومنهم عمرو بن عباس وأنس رضوان الله عليهم، ثم انتقل الى ترجمة سلمان بن ربيعة الباهلي (/٦١-٦٢) المعدود من الصحابة وممن اعتبره منهم ابو حاتم الرازي، وقد ايد ابن عبد البر انتماءه الى الصحابة، ثم انتقل الى ذكر سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي، وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من اربعة، ابن ام عبد، ومن أُبي بن كعب، وسالم مولى ابي حذيفة ومن معاذ ابن جبل» (٧٠/٢-٧٢).

ثم يتصدى المؤلف للخلافات التي تحدث بين الرواة حول بعض الأشخاص، كما حصل بالنسبة للسائب بن صيفي بن عائد الذي اختلف في إسلامه، والذي قُتل في يوم بدر كافراً، بينما هناك روايات تؤكد اسلامه واستمراره حياً الى عهد معاوية.

ومن باب التصدي لاختلاف الاخبار، ما ذكره المؤلف عن سويد بن الصامت الأوسي الذي يزعم قومه انه مات مسلماً قتلته الخزرج في حرب مع قومه، ويعترف ابن عبد البر انه يشك في اسلامه، كما شك غيره ممن ألف في هذا الشأن قبله، ولكنه كان شاعراً محسناً كثير الحكم في شعره (١١٢/٢-١١٣).

ومن هذا القبيل ما ذكره (ص١٢٥) عن ساعدة الهذلي: ان في صحبته نظراً، وذكر في الصفحة نفسها ابا سالم السحيمي، وقال: ان له حديثاً واحداً فقط، ومما لاحظه المؤلف (١٢٨/٢) ان سعيد بن سهل الأنصاري، ممن ذكر بين شهداء بدر، ثم قال: لم يذكره ابن اسحق.

ب- ومن ملاحظاته ما ذكره (١٥١/٢) عن شريك بن طارق الاشجعي بأنه يقال: ان له صحبة، ويُنسب له رواية حديث عن النبي ﷺ، ولكنه يحدث عن عائشة، وليس له خبر يدل على لقائه لرسول الله ﷺ، ولكنه عند المؤرخين هو من الصحابة الذين نزلوا الكوفة ومن هذا القبيل، شبل والد عبد الرحمن الذي يروي عن ابيه الذي لم يرو عنه احد غيره، وهو ليس بمعروف ولا ابنه (١٢٥/٢-١٥٣)، ومن هؤلاء شبيل بن عوف البجلي الذي أدرك النبي ﷺ، وشهد القادسية، لكنه حسب قوله: لا تصح له رواية ولا صحبة انما روايته عن عمر بن الخطاب ومن بعده

(١٦٤/٢) وحديثه مضطرب الاسناد، غير انه افاض في ترجمة صهيب الرومي وأخباره (١٧٤/٢-١٨٢) وقد أشار الى نسبته الحقيقية الى النمر بن قاسط من العرب، وقد استغرقت ترجمته «حواشي ثماني صفحات» ومقابل ذلك يختصر احياناً عند ذكره بعض الرواة، من ذلك مثلاً (١٩٢/٢) عند ذكره صخر بن قدامة العقيلي، فاكتفى بالقول: «روى عنه الحسن البصري» ولا شيء بعد ذلك.

ت- ثم أفاض الحديث عند ذكره طلحة ابن عبد الله التيمي الذي أبلى في أُحد، وحمى رسول الله ﷺ من سهام العدو، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقال: انه كان غنياً، إيراده في كل يوم (١٠٠٠) وافٍ، والواف وزنه وزن الدينار (٢١٩/٢-٢٢٥) وممن افاض المؤلف بترجمته «الطفيل بن عمرو الدوسي» الذي صدّق النبي ﷺ بمكة ثم قدم عليه في المدينة، وشارك في حرب الخوارج وقُتل في اليمامة (٢٣٠/٢-٢٣٥)، ثم أفاض في ترجمة عبد الله بن ابي قحافة، وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو غني عن التفصيل (٢٤٣/٢-٢٥٧) ومن بعده ترجم لعبد الله بن رواحة (ج٢/٢٩٣-٢٩٧) وهو شهيد مؤتة، ثم ترجم لعبد الله بن الزبير (٢٩٩/٢-٣٠٧) كذلك افاض في ترجمة عبد الله بن مسعود (٣١٦/٢-٣٢٤) وقد ورد فيها انه اخذ من النبي ﷺ (٧٠) سورة من سور القرآن الكريم، ثم ترجم لعبد الله بن عمر ابن الخطاب (٣٤١/٢-٣٤٦).

وممن ترجم له في هذا السياق عبد الله بن نوفل القرشي الهاشمي الذي أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئاً، وان كان اول من بايعه في الحديبية وقُتل يوم الحرة (٣٣٢/٢-٣٣٣).

ث- وكذلك افاض ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص (٣٤٦/٢-٣٤٩) وكذلك في ترجمة عبد الله بن العباس (٣٥٠/٢-٣٧٥) ومن تصحيحاته (٣٦٦/٢) ما رواه عن عبد الله ابن عتبة بن مسعود من رواية العقيلي على انه من الصحابة، وهو غلط اذ كان من التابعين وكبارهم في الكوفة، وقد افاض بعض الشيء في ترجمة عبد الله بن قيس ابن سليم، وهو ابو موسى الاشعري (٣٧١/٢-٣٧٣) كما افاض في ترجمة عبد الله ابن سعد بن ابي سرح (٣٧٥/٢-٣٧٨)، كاتب الرسول ﷺ، وقد تولى ولاية مصر وفتح افريقيا، وابدى اهتماماً خاصاً بترجمة عبد الرحمن بن عوف أحد

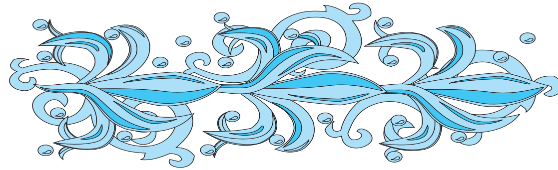
المبكرين في دخول الاسلام (٢/٣٩٢-٣٩٩) واتبعها بترجمة عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق (٢/٣٩٩-٤٠٢).

وعندما بلغ ترجمة عبد الرحمن بن عائش الحضرمي الذي يعد في اهل الشام، قال: لا تصح صحبته، وحديثه مضطرب (٢/٤١٧) اما بالنسبة لعبد الرحمن بن مل النهدي، فإنه اعترف بأنه دخل في الاسلام في العهد النبوي، لكنه لم ير النبي ﷺ (٢/٤٢٧-٤٢٩) ولذا لا يعتبر صحابياً.

ج- والغريب ان ابن عبد البر قد ترجم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد من أسماؤهم «عباد» (٢/٤٥٧) وغطت الترجمة هوامش (١٦) صفحة (٢/٤٥٨-٤٧٤) وفيها مادة قيمة لمن يريد الكتابة عنه، واتبعها بترجمة عمار بن ياسر (٢/٤٧٦-٤٨١) وقد عدّه الرسول ﷺ أحد وزرائه، ثم انتقل (٢/٤٩٣) الى باب عمرو، وبدأها بترجمة عمرو بن سعيد العاص الاموي الذي هاجر الهجرتين الى ارض الحبشة مع اخيه خالد ابن سعيد، ومن ابرز من يدخل في هذا الباب «عمرو بن العاص القرشي السهمي»(٢/٥٠٨-٥١٥)، الذي ترجم له المؤلف ترجمة ضافية، وقد هاجر الى المدينة بين الحديبية وخيبر وشارك في الفتوحات، ثم بمناصرته لمعاوية في خلافة الامام علي كرم الله وجهه، وتولى ولاية مصر، ومن البارزين في هذا الباب «عمرو ابن معد يكرب الزبيدي» الذي وفد على الرسول ﷺ مع وفد زبيد الى المدينة فأسلم، وشهد أكثر الفتوحات وهو من الشعراء (٢/٥٢٠-٥٢٣).

ومن الغريب ان هذا الجزء الثاني من الاستيعاب، لم يتضمن ترجمة لعلي بن ابي طالب ولعثمان بن عفان، رغم ان التسلسل الهجائي لإسميهما، يجعلهما في موضع سابق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكنهما وقع ذكرهما في الجزء الثالث من هذا الكتاب كما سنرى ان شاء الله.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله



٢

نظرات اسلامية في الطفولة

■ بقلم الدكتور أحمد مصطفى القضاة

❖ **البشارة بالغلام:**

قال الله تعالى: ﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾[١]، وقد وردت آيات قرآنية عدة ذكرت فيها البشارة بالغلام، وهي صورة من صور الطفولة، تظهر فيها ملامح الفرح وإشارات البِشْرِ على الأهل، وهم يستقبلون مولوداً جديداً، ومع أن البشارة تنقل وجود ولد أو ولادة صغير سيكبر بعد سنين، إلا أن الإيحاءات القرآنية في القصص الوارد بها البشارة تأتي بلفظ الغلام، لتوحي بإظهار صورة الطفولة الجميلة البريئة، تلك الصورة التي يألفها الإنسان السوي، ويطلبها الأزواج الأصحاء، لأن النفس البشرية متعلقة بحب صغارها لما يحملون من جمال وروعة وبهاء، ولما يتعاملون به من براءة ومحبة وصفاء.

والآية القرآنية السالفة الذكر تتحدث عن قصة نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام، إذ رزقه الله غلاماً وبشَّره به بعد أن بلغه الكبر وكانت امرأته عاقراً، وقد أسماه خالقه يحيى، لم يسبق أن سُمِّي أحد باسمه، وقد حمل الحدث لزكريا عليه السلام بشائر عدة، إذ رزقه الله غلاماً بعد زمن طويل لم ينجب به، وسماه يحيى ليحمل الاسم بشارة الحياة، ولم يُسبق أن سُمي به ليحمل بشارة السَبْق

والاختصاص، وكل هذه البشائر تصور لنا الراحة النفسية والفرح الداخلي عند زكريا عليه السلام النبي المؤمن الصادق، لترسم لنا صوراً مضيئة في عالم الطفولة، فإن الإنعام على الإنسان بغلام منحة عظيمة من الخالق، وأن السعادة بالأطفال والغلمان عند ولادتهم منحة أخرى.

وتقع البشارة بالغلام في نفس زكريا عليه السلام بعد زواج طويل لا إنجاب فيه، فيتعجب من أن يكون له غلام، قال تعالى: **﴿قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾**(٢)، وقال الله تعالى: **﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر﴾**(٣)، وبذلك يُبرز القرآن مشهداً طفولياً وهو وجود الغلام والبشارة به، لما لهذا المشهد من وقع طيب وأثر إيجابي في نفس زكريا عليه السلام، وهو مشهد تفرح له الأنفس وتبتهج به القلوب ويشتاق إليه الأهل، ويترقبه الأزواج وينتظره الكبار والصغار.

وتتكرر البشارة بالغلام في قصص أخرى من القرآن الكريم، لتدل الآيات على استحباب البشارة بالمولود وفطرية النفس البشرية إلى رؤية النسل، فمن تلك القصص القرآنية ما ورد عن السيدة مريم، قال تعالى: **﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾** بعد أن أجابها رسول ربها، قال الله تعالى: **﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾**(٤).

وتأتي الملائكة البررة على إبراهيم عليه السلام فيبشرونه بغلام، قال تعالى: **﴿قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم﴾**(٥)، وقال تعالى: **﴿قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾**(٦).

وفي قصة يوسف عليه السلام يرسل الوارد دلوه في البئر المقذوف فيه يوسف، فيتعلق به عليه السلام، قال تعالى: **﴿فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام﴾**(٧).

وهكذا نرى الآيات القرآنية تأتي بالبشارة عند ذكر الغلام، لتشير إلى الارتباط الوثيق بين وجود البشارة ووجود الغلام، وأن البشارة وجدت بوجود الغلام، فإن الطفل صورة البشارة والبراءة، ومصدر من مصادر الفرحة والبشر في الحياة الإنسانية مع ما يصدر منه من أخطاء، وما ينتج عنه من مسؤوليات وآثار.

ويقرر القرآن أن البنين من زينة الحياة الدنيا، وأن الله سبحانه قد زيَّن للناس حُبَّ البنين، قال تعالى: **﴿المال والبنون زينة**

الحياة الدنيا﴾[٨]، وقال تعالى: **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب﴾**[٩]، ولا شك أن حب الصغار أكثر من حب الكبار، وأن تعلق النفوس والقلوب بالصغار أشد من تعلقها بالكبار، ثم إن البشارة بقدوم الطفل القادم أو الغائب أعظم أثراً في النفس من البشارة بقدوم الرجل القادم أو الغائب.

وهكذا يكشف القرآن الكريم عن لوحة اجتماعية ومشهد حياتي يعيشه الأهل عند استقبال مولود أو رؤية غلام أو مجيء طفل، فتعم الفرحة، وتنتشر البشارة، ويبرز السرور، ويتراقص الأطفال بنبأ من سيلعبون معه، ويتمنون خطف المولود من فراش طفولته أو حضن أمه، ويشعر الجميع أن العالم من حولهم قد تَغيَّر، إذ أصبح فيه فرد جديد يؤثر وجوده في الموجودين سلباً أو إيجاباً، ولكنه في الأغلب يأتي بالفرحة، ويأتي البِشْرُ بإتيانه.

❖ إرضاع الطفل وفطامه:

قال الله تعالى: **﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن ارادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾**[١٠].

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على أحكام شرعية جليلة فيما يتعلق بالطفل، وتوجيهات قرآنية كريمة في حياة الأطفال، ومعان سامية نبيلة في عالم الطفولة، ذلك أن الآية القرآنية بينت طبيعة الإرضاع، وما يلحق به من رزق وكسوة ورعاية، ووجهت الآباء والأمهات إلى قضايا مهمة في حياة أطفالهم.

فالآية القرآنية تُلزم الأمهات بإرضاع أولادهن لمدة سنتين كاملتين إذا شاء الوالدان إتمام الرضاعة، وهي أطول مدة إرضاع، كما تلزم الآية الآباء بالإنفاق على الأمهات وكسوتهن حسب حال الأب دون إسراف أو تقتير، وبما هو متعارف عليه لتقوم الأمهات بحسن الرعاية والعناية، ولتؤدي حق الطفل الرضيع من إرضاع ونحوه[١١].

وتبلغ عناية الإسلام بالطفل الرضيع مبلغاً عظيماً، إذ توجه الآية الكريمة الأمر

للوالدين بعدم إلحاق الضرر والأذى بالطفل، وخاصة عند نشوب النزاع بينهما، أو حصول الخلاف في حياتهما، فلا تُسبب الوالدة الضرر لولدها فترفض إرضاعه وتربيته إغاظة لوالده، ولا يُسبب الوالد الضرر لولده فيرفض الرزق والكسوة والإنفاق بالمعروف أو ينتزع الطفل من والدته ليغيظها، ذلك أن الضرر الحاصل سيقع على الطفل الذي لا ذنب له ولا مسؤولية عليه تجاه ما يقع به الوالدان من خلاف.

ومن حرص الإسلام على حياة الطفل الرضيع أنه يُلزم الوارث أيضاً بمثل ما يُلزم به الوالدين من عدم إلحاق الضرر والأذى بمن لا ذنب له، فهو يُوجب على وارث الأب أو وارث الطفل -لاختلاف المراد بالآية- الإنفاق على الأم والقيام بحقوقها، وعدم الإضرار بها لتؤدي دورها المأمول في تنشئة الطفل، ولتقوم بواجبها على أكمل وجه.

ثم تبين الآية الكريمة حالة الفطام التي لا تقل أهمية عن حالة الإرضاع، فالقرآن يحدد أقصى مدة للإرضاع، ويأذن بالفطام أثناء الحولين لكن بعد أن يتفق الوالدان على فطامه ويتشاورا في شأنه ثم يريا مصلحة له في ذلك.

ويرتب القرآن فِصال الطفل بعد التراضي والمشورة بين الوالدين ليرتفع الإثم عنهما، وهذا يعني وقوع الإثم عليهما في حالة الفطام التي يقصد بها إضرار الطفل، أو الحالة التي لا تُراعى فيها مصلحته، لأن مسؤولية الطفل الرضيع مسؤولية حتمية على الوالدين مجتمعين، ولا تقبل الرغبة الظاهرة عندهما أو عند أحدهما، ولا تقبل الإرادة الآنية التي تطرأ نتيجة اختلافات وجهات النظر بينهما، وإنما تقبل الإرادة المشتركة **﴿فإن أرادا﴾** والمبنية على التراضي الذي يعني الرضا الداخلي والخارجي، والرضا النفسي والقلبي والعاطفي، والإرادة القائمة على التشاور والتحاور في مصلحة الطفل لا في مصلحتهما أو مصلحة أحدهما، ولذلك ترفض الاجتهادات الجزئية والقرارات الفجّة والأعمال الطارئة في مثل هذه الحالات، لأنها تُلحق الضرر بالطفل وتُوقعه في الأذى.

وقد شددت الآية على ضرورة التراضي والتشاور، حتى لا يقع الطفل فريسة القرارات العاجلة غير المدروسة، ونلمح من الآية الأخذ بالتدرج في الفطام، لأن

الفطام المفاجئ يربك نفسية الطفل الرضيع ويزعجها لصعوبة الانتقال من الألفة إلى غيرها بصورة مفاجئة، ولذلك فإن التراضي والتشاور يعطي مهلة تدريجية للطفل لمرحلة ما بين الإرضاع والفطام لتكون في الوقت المناسب وبالشكل الملائم.

وهكذا يريد الإسلام تهيئة الأجواء في حياة الأطفال، بعيدة عن الصراعات العائلية والنزاعات الزوجية، ويريد إبقاءهم في عالم مريح، ونفسيات هادئة، وإن كانت هذه الأيام الأولى قليلة العدد بالنسبة لأيامه القادمة، أو كانت عملية الفطام تبدو سطحية بسيطة، لكنها مهمة في توجيه نفسية الطفل نحو الأفضل والأهدأ، لأنه يرضع مع حليبه نسمات الهدوء أو نزعات البغض، ويتوجب علينا إبعاد الطفل عن الحليب المضر، والإرضاع الناقص، والأذى المتوقع، والفطام النكد، والمضارة الزوجية، والإنفاق الشحيح، والرزق والكسوة بغير المعروف.

وتضع الآية الكريمة ركيزة أساسية في عالم الطفولة وهي الإرضاع الطبيعي، حيث تأمر بالإرضاع الناتج من الأم، وفي آية أخرى إشارة إلى إرضاع غير الأم، وبذلك فإن القرآن يحبذ إعطاء الطفل حليب امرأة، لما يحمل هذا الحليب من مواصفات كاملة لبناء الطفل ونموه.

وقد أشار القرآن إلى رضاعة النبي موسى عليه السلام وهو صغير، إذ أمر الله أم موسى بأن ترضعه، وأبرز أهم مشهد من حياته الأولى، حيث قال: **﴿وأوحينا الى أم موسى ان ارضعيه فإن خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾**[12]، ثم شاءت الإرادة الإلهية أن يعود موسى عليه السلام إلى حليب أمه بعد أن حرّم الله عليه المراضع، لتحمل إشارة العودة أهمية حليب الأم، مع ما أراده الله سبحانه وتعالى من إلقاء موسى في اليم ورده إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، قال الله تعالى: **﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ❖ فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾**[13].. وهكذا يقرر القرآن التوجيهات الكريمة لإرضاع الطفل وفطامه.

❖ التربية المشتركة للطفل:

قال الله تعالى: **﴿وقل رب ارحمهما كما**

ربياني صغيراً﴾[١٤]، دعا القرآن الكريم إلى برّ الوالدين والإحسان إليهما والدعاء بالرحمة لهما، وفي معرض الدعوة إلى الإحسان بالوالدين يشير القرآن إلى مرحلة الصغر عند الأبناء، ويذكرهم بأيام طفولتهم، وبأيام ذكرياتهم الماضية البريئة، وهم يتربون في رحاب الأبوة والأمومة، ويستظلون في ظلال العطف والحنو والرحمة.

ولا شك أن حياة الأطفال مليئة بالمشاهد والذكريات، والعلاقات المتبادلة بين الكبار والصغار، وبين الآباء والأبناء، وعددها عدد الأيام والليالي، ففي كل ساعة موقف متبادل بين الطفل وأهله، وكأن القرآن الكريم يطوي عنا كل الصور الطفولية لتبقى الصورة المأمولة، والمشهد الذي يكاد يعدل كل المشاهد، حيث أبقى صورة التربية، ومشهد التوجيه، وذكريات البناء الإيماني في النفس البشرية الناشئة، ولذلك جاءت كلمة القرآن: **﴿كما ربياني صغيراً﴾**، لأن التربية -وفي حالة الصغر بالذات- هي أعظم شيء يقدمه الأبوان لولدهم.

والقرآن يَقْرن بين الأب والأم عند الدعاء والتربية، فهو يدعو الأبناء إلى الترحم على آبائهم وأمهاتهم والدعاء لهما بالرحمة دون تمييز بين أب وأم، ذلك أن العطاء المقدم للابن وهو صغير كان من الاثنين معاً، لأن التربية القويمة السليمة مسؤولية مشتركة بين الأب والأم، **﴿وقل رب ارحمهما﴾**، **﴿كما ربياني صغيراً﴾**.

وهذه التربية المشتركة لها وقتها المفضل وهو وقت الصغر، لأنها إذا تجاوزت صَعُبت، كما أنها إذا اقتصرت على غير الأبوين قَصُرت، لذلك فهي تربية مشتركة بين الأهل بالذات، وفي وقت النشوء والنمو لتكون تربية الطفل تربية مشتركة ومنطلقة من البيت أولاً، وفي وقتها المثمر المفيد ثانياً.

وتحمل إشارة الأبناء البارين إلى التربية المشتركة وقت الطفولة اهتمامهم وعنايتهم بالتربية والأخلاق والتأديب، فهم قد أبرزوا الصورة المثلى التي كانوا عليها، وهي صورة التربية على أيدي الوالدين معاً، لأنها صورة محببة إلى أنفسهم، عاشوها فترة من الزمن، ليعيش أبناؤهم القادمون فترة أخرى، فهم أبرزوا ما عاشوه وتأثروا به، ليعيش فيه الآخرون ويتأثّروا به.

ويأمر القرآن الأبناء بالدعاء للوالدين

بالرحمة، وأمره يفيد الوجوب، ليشير وجوب الدعاء لهما إلى وجوب التربية لمن وجب عليه الدعاء، وما أجمل وأشمل وأحكم لفظ القرآن **﴿وقل رب ارحمهما﴾** فالإبن ينادي الرب ليرحم من رباه صغيراً.

والمتأمل لبداية الآية القرآنية وهي تلقي بظلال الأنس والإحسان، وأجنحة الذل والقرب، وتنثر لطائف اللطف، فتنهى عن النَهّر وقول الأف، وتأمر بالقول الكريم الأنيس، يجد صوراً جميلة في حياة الإنسان الكبير والصغير، ومن هذه الصور صورة التربية الأنيسة اللطيفة التي تجعل الأطفال يتذكرون حلاوة أيامها ولياليها يوم أن يتجاوزوا مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، والحقيقة أن هناك شبهاً بين حالة الصغير العاجز والكبير العاجز، فكلاهما يحتاج إلى الغير، أما الكبير فيحتاج إلى الرحمة، وأما الصغير فيحتاج إلى التربية، وقد أشار القرآن إلى الحالتين، **﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ ﴿كما ربياني صغيراً﴾** والمتأمل للآيات يلمح الصورتين المتقاربتين بجلاء ووضوح.

وهكذا فإن تربية الأطفال كما يشير إليها القرآن الكريم مسؤولية مشتركة، وإن الأسرة البيتية هي المحضن الرئيس، ويقع القسط الأكبر من التربية والتوجيه والتأديب على الأهل، ولذلك فإن إبقاء الطفل دون تربية بيتية يعني انجرافه في التيارات الفاسدة والأخلاق المشينة، وإن قَصّر التربية على الأب أو الأم يعني أنها تربية عرجاء، لا تقوى على المسير أو التحدي، وإن قصر التوجيه أيضاً على المدرسة فقط أو على الأصدقاء فحسب يعني تربية قاصرة ناقصة، لأن التربية البيتية والمشتركة هي الأساس، وترتكز عليها السلوكات عند الأطفال في المستقبل سلباً أو إيجاباً.

❖ الطفولة ضعف:

قال الله تعالى: **﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾**[١٥].

لقد بين القرآن مراحل نمو الإنسان في بطن أمه وفي خارجه، والآيات في ذلك كثيرة، حيث بينت مراحل حياته من حيث الضعف وعدمه، الأولى: ضعف، والثانية: قوة، والثالثة: ضعف وشيبة. والمتتبع لنمو الإنسان يجد أن المرحلة الموصوفة بالضعف تبدأ من كونه نطفة إلى حين أن يبلغ، أي بمعنى مرحلة كونه جنيناً مع

مرحلة كونه طفلاً.

وقد أشار القرآن إلى أن مرحلة الجنين والطفولة مرحلة ضعف، ثم تعقبها مرحلة بلوغ الأشد، ثم مرحلة الضعف والشيبة، قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾[١٦].

وقال الله تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً**﴾[١٧].

وهكذا يقرر القرآن أن مرحلة الطفولة وما قبلها مرحلة ضعف، وهي تنتهي ببلوغ الحلم، لقوله تعالى: ﴿**واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم**﴾[١٨].

والحقيقة أن الاعتراف بضعف الإنسان في هذه المرحلة يجعل البناء سليماً والتوجيه قويماً، لأنه لا بد من معرفة أرضية البناء قبل البدء به، والقرآن يصور تلك المرحلة بأسلوب رائع واضح لتكون أمراً مسلماً وحقيقة بدهية في أذهان المتأملين وأنفس القارئين، ولذلك رتب الإسلام أحكاماً شرعية في مرحلة الطفولة تختلف في كثير من جوانبها عن الأحكام الشرعية المترتبة على ما بعد تلك المرحلة، لاختلاف الإنسان في المرحلتين تحملاً وأداءً، كينونة وطبيعة، تصوراً ونفسية.

ومسألة ضعف الطفل والاعتراف بذلك، والتعامل معه على هذا الأساس، مسألة تحتاج إلى التأمل والتفكر والتأني، لأن الإنسان قد يتعامل مع الطرف الآخر وهو الطفل دون أن يعرف ما في عالمه المجهول، وقد يرتب عليه التزامات قبل أن يعرف مدى قابليته واستعداده، فيقع الطرفان في اللامعقول أو اللامقبول. ثم إن الضعف المشار إليه ليس نوعاً واحداً، بل ضعف في كل جوانب الطفولة، فالطفل ضعيف في جسده، وضعيف في فكره، وضعيف في إرادته، وضعيف في كل شأن من شؤون حياته، على الرغم من ظهور بعض الحركات أو اللفتات العجيبة، وقد وردت الكلمة في الآية بصيغة النكرة لتفيد

العموم، وهذا تعبير قرآني له مقصده.

ونلحظ من بعض الآيات القــرآنيــة الواردة بهــذا الشــأن أنهــا تنسب الخلق والإخـراج إلى الله سـبـحـانه، وتنسب بلوغ الأَشُـدّ عند الإنســان وصــيــرورة الناس شـيـوخـاً إلى الخلق مع أن الله سـبـحـانه صاحب الأمر والفعل ليؤكد ضعف الإنسان في هذه المرحلة واحتياجه إلى غيره.

وبناءً على تقرير حقيقة ضعف الطفل فـإنه ينبـغي لأصـحـاب التـربيـة والآباء والموجهين أن يراعوا حالة الأطفال النفسية والجسدية والعقلية، وأن يتعاملوا معهم على أنهم ضعفاء محتاجون، فأنفسهم ضعيفة، وأجسادهم رقيقة، وعقولهم ناشئة، ولا يخاطبون على اعتبار اكتمال الجسم والعقل عندهم، وإن كـانت تبـدو منهم بعض التصرفات الذكية والحركات اللبقة، لأنها أعمال طارئة، أما الضعف بأنواعه المختلفة فهو الأساس الذي ينبغي التعامل معهم من خلاله، وهو الإطار الذي ينبغي أن تقوّم السلوكات من خلاله أيضاً.

ويخطئ بعض الناس في تعــامله مع الأطفال وهو يخاطبهم مخاطبة الكبار العقلاء سواء بسواء، ويُلقي عليهم من الالتزامات والتبعات ما يلقيه على الكبار الأقوياء سواء بسواء، والحقيقة أن الطفل ضعيف نفسياً لذا يُراعى فيه هذا الجانب عند النهوض به نفسياً، كما أنه ضعيف عقلياً ولذا يراعى فيه هذا الجانب عند النهوض به عقلياً، وهكذا في كل جانب من جوانب طفولته التي تحتاج إلى تنشئة أو معالجة.

ولكون مرحلة الطفولة مرحلة ضعف فــإنه ينبــغي أن تكون الرقــابة شــديدة، والعناية كبيرة، والملاحظة دقيقة، والتوجيه دائماً، لأن البناء في مرحلة الضعف خطير يحتاج إلى متابعة واستمرارية في الرقابة والتوجيه، والطفولة تشبه النبتة الصغيرة التي تحتاج إلى غذاء كامل وعناية فائقة ورقابة مستمرة، بحيث إذا غفل عنها صاحبها اجتاحتها الرياح فاقتلعتها وأذهبت كل ما قدم لها.

ولما كانت مرحلة الطفولة مرحلة ضعف كان هناك احتمال وقوع الأخطاء منهم، وعدم استجابتهم للسلوكات الإيجابية من المرة الأولى، وظهــور بعض الأعــمــال المتناقضة والنوازع المتعاكسة والأفعال الغـريبـة، واللجـوء إلى الأسـهل أو الحـيل وتســويغ المواقف، أو اللجــوء إلى البكاء والصراخ الذي أظن أنه مفيد للطفل ما

دام في إطاره المناسب بعيداً عن الفزع، ذلك أن الطفل ينتفع من البكاء انتفاعاً عظيماً، فهو يروض أعضاءه، ويحرك جسمه، ويثير غرائزه، ويحمي مزاجه، وربما في استهلال الطفل صارخاً عند ولادته إشارة إلى ذلك.

وإذا كانت الطفولة ضعفاً فينبغي أن لا يُقحم الطفل على المشي قبل أوانه، وأن لا يُطعم من الطعام والشراب ما لا يتحمله، وأن لا يحمل من التوجيهات والمسؤوليات ما لا يطيق، لأنها ستنقلب ضد مصلحته، كما لا يجوز إهمال الطفل نفسياً وجسدياً وفكرياً حتى لا يجتمع ضعف إلى ضعف، وإنما ينبغي أن يُعتنى به عناية فائقة لتنهض قوة الكبير بضعف الصغير.

❖ اللعب في الطفولة:

قال الله تعالى: **﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ❖ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون﴾**[19].

اشتملت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على دروس عظيمة وعبر جليلة، ومشاهدها مليئة بالمعاني والدلالات، وهذا المشهد واحد منها، مشهد مطالبة الأخوة لأبيهم بأن يرسل يوسف معهم غداً كي يرتع ويلعب، مع ما يخفون في بواطنهم من كيد له، ويقطعون على أنفسهم المؤكدات أنهم له ناصحون وأنهم له حافظون.

وقد كان المدخل الظاهري إلى نفس أبيهم لإرسال يوسف معهم هو الرتع واللعب، وكأنهم خارجون في رحلة رياضية أو متعة سياحية يريدون إشراك أخيهم فيها، فأذن لهم أبوهم بإرسال الغلام معهم على اعتبار أنه يرتع ويلعب، والرتع معناه الأكل مما لذ وطاب، واللعب بالاستباق وغيره[20]، وكان يوسف عليه السلام وقتئذ صغيراً، لأن السيارة التي أرسلت واردها فأدلى دلوه قال عنه واردها: إنه غلام، قال تعالى: **﴿فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام﴾**[21]، والغلام: من هو دون البلوغ.

ومشاهد القصة توحي أن أخوة يوسف كانوا يذهبون إلى اللعب ويتسابقون فيما بينهم، فقد طلبوا من أبيهم إرسال أخيهم ليشاركهم في الرحلة واللعب فيها، وعندما رجعوا إلى أبيهم تظاهروا بأنهم ذهبوا للمسابقة وتركوا يوسف عليه السلام عند المتاع فأكله الذئب، قال تعالى: **﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا**

فـأكله الذئب ومـا أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾[٢٢].

وهكذا تظاهروا باللعب عند إخـــراج أخيـهم، وتظاهروا بالمسابقـة عند عـودتهم دون أخيهم، وتشير الحادثة إلى أن يعقوب عليه السلام قـد رضي بأن يخـرج يوسف مـعـهم ليرتع ويلعب، ولم يعترض على لعبه، وإنما خشي أن يذهبوا به ويأكله الذئب وهم عنه غافلون، كما تشير الحادثة إلى أن أولاد يعقـوب عليه السلام كانوا يرتعون ويلعبـون، ومن ألوان لعبهم المسابقة بالعدو أو الرمي[٢٣] **﴿إنا ذهبنا نستبق﴾**.

ومشهد اللعب الذي يعرضه القرآن في قصة يوسف مشهد رائع، وتبرز روعته في أن النبي في صغره كان يلعب مع أترابه أو إخوانه، أو أن النبي يأذن لأبنائه باللعب.

وقد ثبت في السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلعب مع الغلمان في مضارب بني سعد ولم يتجاوز من العمر خمس سنين، وذلك عندما أتاه جبريل فشق صدره[٢٤].

كما ورد في السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كـان يلعب في صـغـره مع الصـبـيـان، فـيـروي صلى الله عليه وسلم عن نفسـه حيث يقـول: لقـد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان، كلنا قد تعـرّى وأخذ إزاره، وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم -ما أراه- لكمة وجيعة، ثم قـال: شـدَّ عليك إزارك. قـال: فـأخـذته فشددته عليّ ثم جعلت أحمل الحجارة على رقـــبــــتي، وإزاري علـيّ من بين أصحابي[٢٥].

وبما أن الدراسة عن الطفولة فإنه ينبغي أن تلتقط صورها وأن تؤخذ أحكامهـا من الآيات القرآنيـة والمواقف النبوية وأحداث التاريخ الإسلامي وآراء العلماء الأفاضل، لتكتمل صورتها في الأذهان، وتظهر جوانبها المضيئة في الواقع، ولذلك ينبغي للباحث أن يستقصي جزئيات الدراسة، ولا عجب أن نلتقط صورة عن عوالم الطفولة من مشاهد قصة يوسف عليه السلام التي تحمل في طياتها توجيهات عظيمة للبشرية.

والحقيقة أن اللعب بالنسبة للصغار أمـر فطري مـغـروس في أعـمـاقـهم وبواطنهم، وأن المرح جـــزء عظيم من حياتهم ودنياهم، فهم يمرحون ويلعبون ببـراءة، ويركـضـون ويتـحـركـون بسـرور، ويَعْدون ويرتعون بانشراح، إذ لا نمو لهم إلا

في رحاب اللعب، ومع ساعات المرح، وقد حملت القصة القرآنية التي بين أيدينا معنى عظيماً في أن يأذن نبي باللعب لابنه الصغير الذي أصبح نبياً.

ثم إن الإسلام لا يحرم اللعب المباح واللهو البريء على الكبار، فكيف يمنع الصغار منه؟، وهم لم يكلفوا بأحكام شرعية، ولذلك فإن الإسلام جعل ساحة اللعب للأطفال واسعة، لا يُضيّقها إلا الضيقون في فهم معاني الدين، ولا يَقْصرها عن أطفال أبرياء إلا القاصرون عن فهم الإسلام.

والقرآن الكريم يؤكد حقيقة أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وهي لعب مباح ولهو بريء للمؤمن، وهي لعب محرم ولهو محظور للفاجر، وينبغي للمؤمنين أن لا ينخدعوا بمظاهرها البرّاقة وأشكالها الخدّاعة ليسموا بأرواحهم في رحاب الإيمان، قال الله تعالى: ﴿**وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب**﴾[٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿**وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو**﴾[٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿**انما الحياة الدنيا لعب ولهو**﴾[٢٨]، وإن كانت الآيات في معرض ذم الدنيا فإنّها تبين طبيعة هذه الدنيا، وأن فيها لعباً ولهواً، وهي لعب ولهو.

وفي آية أخرى يبين القرآن مراحل الإنسان في الحياة الدنيا، وكيف تكون أحوال الناس ونفسياتهم في كل مرحلة؟، قال تعالى: ﴿**اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته**﴾[٢٩].

وإذا اندرجت صفة اللعب واللهو على الإنسان في كل أيامه ولياليه، فإنها في أيام طفولته ولياليها ألزم وأقوى، وكأن الآية القرآنية رتبت أحوال الناس زماناً، وذلك بصورة عامة، ففي الطفولة لعب ولهو، وفي المراهقة زينة، وفي المرحلة الأولى من الرجولة تفاخر بالأحساب والأنساب، وفي المرحلة الثانية تكاثر في الأموال والأولاد.

وأما اللعب بالنسبة للأطفال فإنه يُشكل الحيز الأكبر من اهتماماتهم، والمساحة العظمى من حياتهم، ولا يمكن أن ينفصل عن أي طفل سويّ، حتى يكاد يزعج هذا اللعب الآباء والمربين والأسر في لحظات سلوكهم واستقرارهم، إلا أن الأطفال مستمرون في لعبهم بشتى أشكاله وصوره رغم التحذيرات الصارمة.

الهوامش:

(١) سورة مريم: ٧.

(٢) سورة مريم: ٨.

(٣) سورة آل عمران: ٤٠.

(٤) سورة مريم : ١٩.

(٥) سورة الحجر: ٥٣.

(٦) سورة الذاريات: ٢٧.

(٧) سورة يوسف: ١٩.

(٨) سورة الكهف: ٤٦.

(٩) سورة آل عمران: ١٤.

(١٠) سورة البقرة: ٢٣٣.

(١١) صفوة التفاسير ١٥٠/١ .

(١٢) سورة القصص: ٧.

(١٣) سورة القصص: ١٢-١٣.

(١٤) سورة الإسراء: ٢٤.

(١٥) سورة الروم: ٥٤.

(١٦) سورة الحج: ٥.

(١٧) سورة غافر: ٦٧.

(١٨) سورة النور: ٥٩.

(١٩) سورة يوسف: ١١-١٢.

(٢٠) صفوة التفاسير ٤٣/٢.

(٢١) سورة يوسف: ١٩.

(٢٢) سورة يوسف: ١٧.

(٢٣) صفوة التفاسير ٤٤/٢.

(٢٤) صحيح مسلم ١٤٧/١. مسند أحمد ١٤٩/٣.

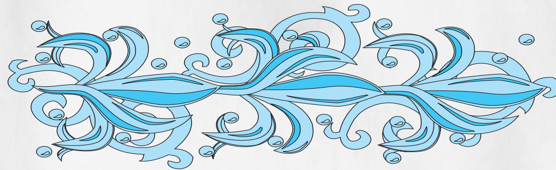
(٢٥) سيرة ابن هشام ١٤٩/١. دلائل النبوة ٣١/٢. تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله علوان ٣٢٦/١.

(٢٦) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢٧) سورة الأنعام: ٣٢.

(٢٨) سورة محمد: ٣٦.

(٢٩) سورة الحديد: ٢٠ .



من حكم الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه

■ بقلم الاستاذة هديل هندم

من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل عنده: ما احب ان اكون من اصحاب اليمين، احب ان اكون من المقربين، فقال عبد الله: لكن هنا رجل ودّ انه مات لم يبعث - يعني نفسه.

وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا ولكن اردنا ان نمشي معك، قال: ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع، وقال: لو تعلمون مني ما اعلم من نفسي لحثوتم على رأسي التراب، وقال: انكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوضة، واعمال محفوظة والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك ان يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك ان يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له.

- من اعطى خيراً فالله اعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه.
- المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة.
- ان اصدق الحديث كتاب الله واوثق عرى، كلمة التقى وخير الملة ملة ابراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم، وخير الهدي هدي الانبياء واشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من أمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم

القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من يكفر وشر العمى عمى القلب، والخمر الاثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية.

- من الناس من لا يأتي الجمعة الا دبراً ولا يذكر الله الا هجراً.
- كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب، خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون على اهل الارض.
- انكم ترون الكافر من اصح الناس جسماً وامرضه قلباً، وتلقون المؤمن من اصح الناس قلباً وامرضه جسماً، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت اجسادكم لكنتم اهون على الله من الجعلان.
- ان للقلوب شهوة وإدباراً فاغتنموها عن شهوتها، واقبالها ودعوها عند فترتها وادبارها.
- لا يبلغ العبد حقيقة الايمان، حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر احب اليه من الغنى، والتواضع احب اليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء، وان الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه منه شيء، ويأتي الرجل ولا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً، فيقسم له بالله انك لذيت وذيت، فيرجع وما جيء بحاجته بشيء ويسخط الله عليه.
- الاثم حواز القلوب.
- لا يكن احدكم إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول: انا مع الناس ان اهتدوا اهتديت وان ضلوا ضللت، الا ليوطن احدكم نفسه على انه ان كفر الناس لا يكفر.

فقال له رجل: علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: اعبد الله لا تشرك به شيئاً وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وان كان بعيداً بغيضاً ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وان كان حبيباً قريباً.

- يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أدّ امانتك، فيقول: يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فتمثل على هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها، حتى اذا ظن انه خارج بها، هوت وهوى في أثرها ابد الآبدين.
- اطلب قلبك في ثلاثة مواطن، عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر، وفي اوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن! فسل الله ان يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك.

والحمد لله رب العالمين

قطوف دانية

بقلم الطالبة انوار احمد الريشة

قال الله تبارك وتعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾

الأحزاب: ٢١ .

أحسن الناس وجهاً

كان رسول الله ﷺ، مشرق المحيا، يتلألأ بالنور الباهر، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله، كأن الشمس تجري في وجهه».

طيب الرائحة

كان من صفاته ﷺ، انه طيب الرائحة وان لم يمس طيباً، فعن انس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، اذا مشى تكفأ، وما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ».

ضحكه التبسم

كان أكثر ضحكه ﷺ التبسم، فعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما كان ضحك رسول الله ﷺ الا تبسماً».

أشجع الناس قلباً

عن أنس ؓ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس».

رسول الرحمة

كان رسول الله ﷺ رسول الرحمة، فعن ابي هريرة ؓ ان النبي ﷺ قال: «انما انا رحمة مهداة».

حلو المنطق

كان رسول الله ﷺ حلو المنطق، حسن الكلام، اذا تكلم اخذ بمجامع القلوب، وسبى الأرواح والعقول، وكان اذا تكلم يخرج النور من بين ثناياه.

خلقه القرآن

كان الرسول ﷺ صاحب خلق عظيم، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها انها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن: يغضب لغضبه ويرضى لرضاه».

رسول الرحمة

كان رسول الله ﷺ رسول الرحمة، فعن ابي هريرة ؓ ان النبي ﷺ قال: «انما انا رحمة مهداة».

جناية الخروج على ولي الأمر

■ بقلم الاستاذ الدكتور عبد المقصود حامد

إن من أهم أسس إقامة الدولة في الإسلام، هو تحقيق الأمن والاستقرار، لذا فإن الخروج على الحاكم -بسبب دواع لا يقرها الشرع- جناية، وقف الإسلام لها بالمرصاد، ويتبين هذا مما يلي:

❖ أولاً: وجوب طاعة ولي الأمر:

إن طاعة ولي الأمر والالتزام بمبايعته ومعاهدته على السمع والطاعة، طريق لرضى الله ونصرة المجتمع المسلم، أما نكث البيعة فإنه ينذر بعاقبة وخيمة على الناكثين؛ لأن المبايعة للحاكم هي معه في الظاهر، أما في حقيقتها فهي عهد يقطعه الإنسان على نفسه مع الله تعالى بالوفاء، وما يترتب عليه من السمع والطاعة في الأماكن والأوقات كلها، وهذا مستفاد من قول الحق سبحانه: **﴿إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكُثُ على نفسه ومن أوفى بما عاهَد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾**[1].

الإمام القرطبي: يذكر الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[2].

أن الله أمر بطاعته عز وجل أولا وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه ثم بطاعة

رسول الله ثانيا فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثا، على قول الجمهور، وابن عباس، وغيرهم.. قال سهيل: وإذا نهى السلطان العالم أن يفتي فليس له أن يفتي، فإن أفتى فهو عاص".

الإمام البيضاوي: يذكر الإمام البيضاوي في تفسيره عند هذه الآية - كذلك- ما يلي: "يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده، ويندرج فيهم الخلفاء وأمراء السرية" .

الإمام ابن كثير: وفي مقام تفسير هذه الآية الكريمة -كذلك- يذكر ابن كثير قول النبي ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأنه رأس زبيبة"[٣] وذكر هذا الحديث هنا يؤكد أن الآية نص في طاعة الأمراء.

الإمام فخر الدين الرازي: يرجح الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره أن المعنى في قوله تعالى: ﴿**وأولي الأمر**﴾ يقصد به الأمراء فيقول ما نصه: "وحمل أولي الأمر على الأمراء والسلاطين أولى... ويدل على وجوه:

الأول: أن الأمراء والسلاطين أوامرهم نافذة على الخلق، فهم في الحقيقة أولو الأمر.

والثاني: أن أول الآية وآخرها يناسب ما ذكرناه.

أما أول الآية فهو انه تعالى أمر الحكام بأداء الأمانات وبرعاية العدل، وأما آخر الآية فهو أنه تعالى أمر بالرد إلى الكتاب والسنة فيما يشكل، وهذا إنما يليق بالأمراء.

الثالث: أن النبي ﷺ بالغ في الترغيب في طاعة الأمراء فقال: "من أطاعني فقد أطاع الله ورسوله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني"[٤].

الإمام ابن تيمية: يتناول الإمام ابن تيمية رحمه الله، مسألة هامة في هذا الموضوع مقررا أن المعاهد إذا أقسم على البيعة ثم أفتى له أحد بجواز تحلله من القسم، فإنه يكون إفتاء باطلا، فيقول: "لو أفتي أحد من العامة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع، أو نكاح، أو إجارة، أو غير ذلك مما يجب الوفاء به من العقود التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أوكد، فمن أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العهود والحنث في يمينه كان مفتريا على الله الكذب، مفتيا بغير دين الإسلام،

فكيف إذا كان في معاقدة ولاة الأمور التي هي أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها"[٥].

وهذا الذي قاله كوكبة من علماء الإسلام يدور في فلك قول الله عز وجل: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾**[٦]، وقول الله عز وجل: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كفيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون﴾**[٧].

وعليه فالناكثون والخارجون على ولي الأمر قد أخرجوا أنفسهم من الدين نفسه، وإن مات أحدهم -وقت نكثه للعهد- مات ميتة الجاهلية-؛ أعاذنا الله من هذا.

ثانياً: التحذير من النكث في البيعة :

لقد حذر النبي ﷺ من النكث في البيعة فقال: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية" ولم يبح رسول الله الخروج على الإمام حتى لو كان من شرار الناس -تبعا لتصوير الحاكمين عليه- ما دام لم يمنعهم عن الصلاة، ولم يعطل لهم فرضا في العبادات.

كما يأمر النبي ﷺ الرعية بالصبر على الإمام إذا فعل شيئا يكرهونه فيقول ﷺ: "خيار أمتكم الذين تحبونهم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، فقيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من الطاعة"[٨].

ويبين النبي ﷺ أن بطانة الأمير وزيرا أو غيره، لها دخل هام في حب الرعية للإمام أو كراهته فيقول: "إذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه"[٩].

ثالثاً: مناصرة ولي الأمر ضد الخارجين عليه:

إن الحاكم الشرعي في الإسلام هو الذي بويع أولا، فإذا شق جماعة عصى الطاعة، وبايعوا حاكما آخر ليتحول أمر الأمة من أمن إلى خوف، ومن استقرار إلى فتن وقلائل . فإن النبي ﷺ يأمر بوجوب نصرة من بويع أولا، ويأمر عليه الصلاة والسلام بقتل من بويع له ثانيا، فيقول ﷺ: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"[١٠].

وهكذا يضرب النبي ﷺ بيد من حديد

على من يعــبـــثــون بأمن المسلمين، واستقرارهم.

وعلى نفس المنوال يأمـــر النبي ﷺ بنصرة ولي الأمر ضد كل من يخرج عليه شاقا عصى الطاعة، مناديا بالتفريق بين جـمـاعـة المسلمين ووحـدتهم، وتفكيك أواصرهم وزعزعة استقرارهم فيقول ﷺ: "إنه ستكون بعدي هنات وهنات، فمن أراد أن يفـرق أمـر هذه الأمـة وهي جـمـيع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان"(١١).

وهكذا يضع نبي الرحمة ﷺ منهاجا لأمته يحفظ لها أمنها ويحقق استقرارها ضد السفهاء، والعابثين، والناكثين، ولم يبح الخروج على ولي الأمر إلا عندما يظهر منهم كفر بواح من خلاله ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) سورة الفتح، آية ١٠ .

(٢) سورة النساء، آية ٥٩ .

(٣) رواه البخاري، في كتاب الأحكام . باب السمع والطاعة، تحت رقم ٧١٤٢ .

(٤) لفظ ما رواه الإمام مسلم هو "من أطاعني فقد أطاع الله ورسوله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني"، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الإمام، رقم ٤٧٢٦.

(٥) مجموع الفتاوي، ج ٣٥ من ١٠- ١١ ط عالم الكتب، السعودية ١٤١٢هـ ١٩٩١ .

(٦) سورة المائدة، آية ١ .

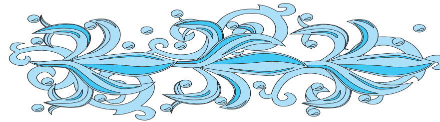
(٧) سورة النحل، آية ٩١ .

(٨) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، رقم ٤٧٨١ .

(٩) رواه أبو داود، كتاب الخراج، باب اتخاذ الوزير.

(١٠) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، رقم ٤٧٧٦ .

(١١) الفتن والأمور الحادثة.



السعادة الحقيقية في زواج كفء

■ بقلم الدكتور رضوان العناتي

يسعى الإنسان بشتى الوسائل إلى التمتع بما أباح الله تبارك وتعالى من نعم كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، ومن هذه النعم الزواج الذي هو تمتع بما أباح الله لعباده حيث يُسّر بهذه النعمة الكبيرة كل من وُفق إليها بأن أحسن الاختيار بالزواج ممن هي له كفء.

مما لاشك فيه أن الحياة السعيدة هي الهدف الأسمى لكل إنسان، وقد اختلف الناس في مفهوم السعادة فبعضهم يرى السعادة بجمع المال، وبعضهم يراها في صحة البدن والأمن والاستقرار،ويراها البعض في الزوجة الصالحة بينما يراها آخرون في المسكن الواسع والمآكل اللذيذة، والبعض يرى السعادة في حصول الرزق الحلال والعمل الصالح، ولا مانع من دخول كل ما ذكر في مفهوم السعادة؛ والسعادة سعادتان: سعادة دنيوية مؤقتة بعمر محدود وسعادة أخروية لا انقطاع لها.

والسعادة الكاملة تكون في الدنيا والآخرة وهذه السعادة لا تكون كما أخبر الحق تبارك وتعالى في الآية (٩٧) من سورة النحل إلا للمؤمنين المتقين ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾.

والحياة الطيبة في الدنيا راحة القلب

وطمأنينة النفس والقناعة برزق الله وإدراك لذة العبادة، وقد حكم النبي ﷺ بالفلاح والفوز في الدنيا والآخرة للمسلم الذي رزق حلالاً بقدر الحاجة وقنع به فقال ﷺ: "قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه" رواه مسلم.

ويرى الكاتب أن زواج الإنسان من زوجة كفء صالحة تكون عوناً له على التخلص من الهم والغم والقلق، وباعثا على السعادة الحقيقية حيث رأى التابعي سعيد بن المسيب أن حسنة الدنيا في قول الله: **﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾** هي الزوجة الصالحة التي ما يحصل الإنسان بعد تقوى الله على خير منها،إن نظر إليها أسرّته، وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته.

حرص الإسلام أشد الحرص على توفير بذور الألفة والمودة والسعادة في الزواج كما يلي:

حسن اختيار كل من الزوجين للآخر، بحيث يختار الزوج الزوجة الكفء له في الدين والنسب ومستوى المعيشة، وكذلك الحال بالنسبة للزوجة؛ وإن المتفحص لأسباب وقوع الطلاق أو وجود الشقاق والنزاع بين الزوجين أو عدم السعادة في الزواج، يعود لعدم وجود الكفاءة بينهما، فتجد رجلاً متديناً يتزوج من امرأة قليلة التدين، مما يجعل الانسجام والتفاهم بينهما صعباً.

التأكيد على أن الزواج سكن ومودة ورحمة، وليس ساحة صراع وفرض أحد الزوجين قوة شخصيته على حساب الآخر،وفي حالة بروز مشاكل فقد شرع الله حلولاً لها منذ بداياتها الأولى: فعند نشوز الزوجة شرع الله أربعة أساليب قبل الطلقة الأولى لإصلاحها موجودة في سورة النساء **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إنّ الله كان علياً كبيراً ❖ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيراً﴾**.

أما في حالة نشوز الزوج فقد أوصى الخالق الزوجة بالإصلاح بينها وبين زوجها حيث قال جلّ من قائل في نفس السورة

الآنفة الذكر: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾** يلاحظ مما سبق حرص الإسلام الشديد على إبقاء الخلافات الزوجية والسعي للإصلاح فيما بين الزوجين وعند تعسر ذلك يتم اللجوء للحكمين.

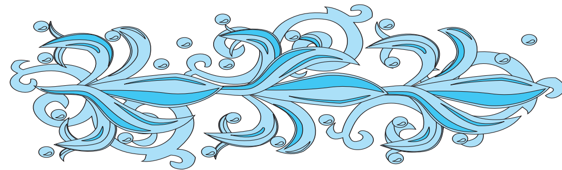
في حالة وجود الخلافات الزوجية المستعصية وعدم نجاح الحكمين شرع الإسلام الطلاق ثلاثاً حرصاً على استمرار الزوجية التي عظّم الله شأنها حيث سماها «الميثاق الغليظ».

❖ أبعاد الكفاءة في الزواج:

مما لاشك فيه أنه كلما كانت الكفاءة بين الزوجين أعلى، كلما كان ذلك مدعاة لنجاح زواجهما وقلة الخلافات بينهما وبالتالي عاش الزوجان في مودة ورحمة وسعادة وهناء، **ويمكن بيان أبعاد الكفاءة كما يلي:**

- تقارب الالتزام الديني والخلقي بينهما.
- تقارب نسب أسرتيهما من حيث المركز الاجتماعي.
- تقارب المستوى المادي والمستوى المعيشي لاسرتيهما.
- عدم وجود تفاوت كبير بين الزوجين من حيث العمر ويرى الكاتب بحكم خبرته العملية أن أفضل فرق في العمر هو ٥-٧ سنوات بحيث يفضل أن يكون الزوج هو الأكبر.
- عدم وجود تفاوت كبير بين الزوجين من حيث المؤهل العلمي.

والله تعالى الموفق والهادي الى سواء السبيل



الفكر الديني
بين الاسلام والنظم المعاصرة

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

تتجه الجموع البشرية اليوم بتغربها الكلي، الناجم عن جفوة أحدثتها بابتعادها عن الدين وإبعاد الدين عن الحياة، لتضع نفسها عند مفترق طرق ومنعطف حاد لتبحث عن طريق للخلاص، فإلى اي اتجاه تسير! وما الفكر الذي ارتضته سنين طوال انقذها، وما الفلسفات التي ابتدعتها بمخرجة لها من تمزقها وتشتتها، وخوائها الروحي والنفسي على الرغم من الانجازات التي حققتها في ميادين العلم وتقنيات الرفاهية المادية.

ولم تكن الثورة ضد الكنيسة حلاً كافياً للتعامل مع الانسان، لأنها انتهجت العلمانية طريقاً لها فأحدثت اضطراباً في المفاهيم والقيم السليمة للحياة بينها وبين العلم وتطورات المجتمعات وتقدمها الحضاري، وقدرته كذلك على إحداث التوازن بين مكونات الانسان، قادر على تقديم الحلول وانقاذ البشرية مما هي فيه، ومواجهته استشراء القيم المادية الطاغية، وهيمنة الفردية وتسلط قيم الاقتصاد والقيم السلوكية المختلة، والأفكار الفوضوية والتصورات الفاسدة.

❖ الدين فطرة انسانية:

تعد نزعة التدين جبلة جبلت عليها النفس البشرية، وفطرة فطرت عليها منذ أن شاءت إرادة الله ان يكون على الارض

انسان،.. ولكن ثمة فرق بين التسليم بنزوع النفس نحو التدين، وبين ما تتخذه من دين وما تذهب اليه من معتقد، يقول رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه إما يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه» (صحيح مسلم).

فما يحيط بالنفس هو ما يتجه بهذه الفطرة بما لديها من استعدادات اما نحو المحافظة عليها، فتتوجه الى الايمان بالله تعالى، وإما الى اتخاذ معبود سواه، وإما الى الانكار وجحوده إلحاداً.

وهؤلاء فريقان: فريق ألغوا عقولهم وتفكيرهم فانحدروا، وفريق استخدموا عقولهم لإشباع شهواتهم والعنصر المادي فيهم وفسدت تصوراتهم فهبطوا، وكلا الفريقين انحدر الى مدارك البهم والدونية لينطبق عليهم وصف الله تعالى: **﴿ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾** الفرقان: ٤٤، وهم جميعاً على عكس العلماء الذين أضاء الايمان قلوبهم حيث قال تعالى: **﴿انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور﴾** فاطر: ٢٨[١].

❖ الفكر والتفكير في الاسلام:

اكثر القرآن الكريم من الدعوة الى استخدام العقل بكل طاقته وأمر بتوظيفه، محدداً له مجالاته وبواعثه ودوافعه وأهدافه، وغاياته، وقد توسع في الدعوة أيما توسع الى درجة كانت السمة البارزة التي يمكن من خلالها التفريق بين الفكر الاسلامي وغيره، وجعل العقل كأحد أبرز وسائل الهداية والكشف عن الحقائق التي تقود الى الايمان بعالم الغيب.

فالفكر الاسلامي هو السبيل الوحيد لإدراك حقيقة الوجود الازلية، وكذلك الارتقاء بحياة الانسان نحو ما يحقق له الحياة الافضل والاستقرار النفسي والروحي على نحو أفضل بما يعود عليه من السعادة والطمأنينة والرضا، وكذلك جعل الاسلام العقل مناط التكليف وتحمل المسؤولية، وأوجب على المسلم التفكير فريضة الزامية، قال تعالى: **﴿قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾** سبأ: ٤٦[٢].

وقد توقف الفكر الاسلامي وتجمد بفعل الانحلال والتخلف، وتكالب عليه المعادون له، ما اوجد في الحياة فراغاً وجهلاً يقوم على علم بعالم المحسوسات، ويفتقر الى ما يزكي العواطف الانسانية

وقيمها الروحية المعنوية والخلقية، وهذا ما يسمى في الفكر المعاصر بـ «العقلانية العملية» والتي عجزت عن إحداث التوازن في الحياة، ثم نشأ عنها دعوة الى التحرر من قيود العقلانية التكنولوجية «أفكار العصر الحاضر» دون الرجوع الى «الحلول الصوفية او الاخلاقية وهذه الحلول التي تعد انحداراً في الفكر للمراحل المبكرة»، ليزداد تيهاً وضياعاً[٣].

❖ قضايا معرفية ومنهجية في الفكر العربي الاسلامي:

تجليات المنهج الظاهر لابن حزم:

هاجسه المعرفي: لقد كان ابن حزم يحمل هاجساً عرفياً رفيعاً ظل يواكبه طوال حياته ويحركه في نشاطاته جميعاً، وقد قرر ابن حزم ان الباطن هو الظاهر نفسه، وان الظاهر هو الباطن ايضاً، «ما علمنا علماً ظاهراً غير باطن، ولا علماً باطناً غير ظاهر، فكل علم يتيقن فهو ظاهر الى من علمه وباطن في قلبه معاً، وكل ظن يتيقن فليس علماً أصلاً لا ظاهراً ولا باطناً»[٤].

❖ الرؤيا الاسلامية للكون:

لما كانت هذه الرؤيا من الصعب حصرها نظراً لخصوبتها، وتناولها جميع اوجه الحياة والوجود، فسنلجأ الى عدد من المفاهيم القرآنية، التي تشكل عناصر محورية في هذه الرؤيا، مكتفين بالاشارة اليها بشكل مجمل بما يساعد على إبراز التصور الاسلامي للكون، وهذه المفاهيم على التوالي هي: التوحيد والمعرفة والارادة والأمانة والهداية والاستخلاف والتسخير والتدافع والتداول والاصلاح والبعث والخلود والثواب والعقاب.

اما التوحيد وله أبعاد عدة، منها ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى موجد هذا الوجود، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير، ومنها ما يتعلق بأن هذا الوجود جميعاً على ما فيه من تعدد، هو واحد ايضاً من جهة انتسابه للخالق، وواحد ايضاً من جهة ارتباطه وتأثير كل شيء فيه بعضه ببعض، لذا جاءت الآيات القرآنية تؤكد هذا، وترد على تعدد الآلهة او خلو العالم من إله واحد، وذهبت بعض الاتجاهات تبعاً لهذا، بأنه لا وجود حقاً سوى للخالق وحسب، وكل شيء إنما هو موجود به وحق به ومثبت به لا بشيء غيره.

أما من جهة العوالم التي تتعاقب وتتشكل منها الرؤية الاسلامية للوجود، فمنها عالم الملكوت الأزلي، وهو ما سبق للإنسان ان عاشه في بداية خلقه، ثم عالم الشهادة المستمر الى حين، وهو الذي اصبح مجال استخلاف الانسان وعمارته، ثم عالم المعاد النهائي الخالد الذي سيصبح عالم مصيره ومآله، ولكل عالم من هذه العوالم مواصفاته الخاصة به، بحيث تختلف مواصفات وشروط هذا العالم فكسب الانسان مثلاً متاح في عالم الشاهد فقط، وليس له الا سعيه فيه.

ولهذا يتبين ان عالم الشاهد عالم ابتلاء انساني، للانسان اليد الطولى لفعل اي شيء بحسب ارادته، ولا لشيء آخر قدرة الا ان يسخر فيطيع، فهو مخلوق لأجله، ومن هنا ترتب على الانسان ان يجتهد بما يجعل تجربته هذه، تجربة ناجحة مثمرة، وها هنا يأتي دور الجزاء ليفوز بالثواب، وبعكس هذا يبوء بالخسران المبين في الآخرة[٥].

❖ **نظرية الفيض:**

اقتبس ابن سينا والفارابي هذه النظرية من الفيلسوف الاسيوطي المصري «أفلوطين» وهي بإيجاز: صدور سلسلة من العقول عن العقل الاول، وعن طريق أدناها مرتبة يتصل العقل البشري بحقيقة الكون العظمى، مصدر كل حقيقة وكل وجود، وهي نظرية تفسر الموجودات بأنها كانت منذ الأزل في علم الله وتوجد أعيانها عندما يقول لها الله: «كوني» فتكون، ﴿**إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[٦].

❖ **وفي كل شيء له آية:**

يستقيم الدليل ان ثبت تعيناً ان العالم برمته «مصنوع» أو «فعل» فما يقال عن الموجودات آحاداً وفرادى، قياس على مشاهدات، فالثمرة لا تكون الا بشجرة، والولد لا يكون الا لأم.. وهكذا، ولكن للكون بكل ابعاده وأزمانه شأناً آخر، فما شهد أحد خلق كون، كي يقول يقيناً: ان الكون مخلوق، وما رآه يصنع كي يقول: انه صنعه، ويرتب على ذلك ان له صانعاً بالضرورة.

وما أقرب ذلك الى ما يرويه القرآن الكريم في سورة البقرة الآية ٢٦، ﴿**إذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى**﴾ وذلك صوت العقل قطعاً عن ابراهيم عليه السلام

يريد ان يرى كي يصدق عقله، ما لم يره أحد قط.

وهو لم يطلب ان يريه الله كيف خلق العالم، لأن العقل يدرك استحالة ان يرى ابراهيم عليه السلام خلق العالم من عدم، فإبراهيم عليه السلام بعض هذا العالم، فلا يمكن ان يوجد ليرى خلقه.. ولذا اكتفى ابراهيم عليه السلام بطلب مشاهدة ما يكون من البعث.

والدليل على ان ذلك الطلب مصدره العقل، الذي لا يقيس الغائب الا على شاهد، هو ما جاء في الآية بعد ذلك، من قول الله سبحانه له: **﴿أولم تؤمن﴾** فقال ابراهيم عليه السلام عندئذ: **﴿بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾** وذلك قاطع بأن الأمور الغيبية اي التي لم يشاهد الانسان شيئاً من قبيلها، لا يصدق الانسان بها الا عن طريق الايمان **﴿أولم تؤمن﴾** وان العقول بأداتها الخاصة وحدها تعجز عن الايمان بها، فالله سبحانه لم يقل له: «أولم تعقل» مما يقطع بأن النص القراني يحض الايمان بهذا اليقين.

فما ذهب اليه الفلاسفة من نظريات الخلق والصنع والتناغم المسبق، انما هو «فروض» او تفسيرات «جدلية» اي ممكنة، وليست برهانية ملزمة، لأنها قابلة للجدل، وذلك يسلمنا الى التفرقة بين يقين الإيمان ويقين البرهان(٧).

❖ موقف الشيخ مصطفى صبري من مناظرة محمد عبده وفرح انطون:

يورد مؤلف كتاب «الموقف -المدخل قراءة نقدية- وهو في علم الكلام، ما جاء على لسان الشيخ مصطفى صبري - آخر مشايخ الاسلام في الدولة العثمانية رحمه الله تعالى في كتابه «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين».

يقول الشيخ مصطفى صبري: «.. وبعبارة أخرى لما لم تنتج المناقشة الجارية بين محمد عبده وبين الاستاذ فرح انطون، غلبة الحق على الباطل، بل أدت الى زعزعة مكان الحق في قلوب كثير من المؤمنين بدلاً من ترصينه، وجب استئناف تلك المناظرة على أتباع الاستاذ فرح انطون القائلين بمثل ما قاله، وإثبات ان الدعاوى التي ادعاها في مناقضة العقل والعلم للدين، افتئات على العقل والعلم القديم والحديث، اللهم ان كان العلم في الشرق والغرب منحصراً في الملاحدة مثل «بوخنر» وأضرابه وأذنابه، والعقل في

عقولهم السخيفة، وليس الأمر كذلك، لأن في الغرب مسالك فلسفية ورجالاً آخرين كثيرين انتقدوا مذهب المادية الإلحادية والاثباتية الوضعية، انتقاداً شديداً، ولم يوافقوهم على القول بمنافاة العقل والعلم للدين[٨].

❖ الفكر الاسلامي بين السلفيين والإصلاحيين:

ان الخطاب الديني الذي وجد في الاسلام، وفي جزء كبير منه الموروث الثقافي الفكري، مادة لصياغة وعي مجتمعي مستقل عن المرجعية الفكرية الغربية، لم يسلّم بهزيمة الاسلام والعرب أمام أوروبا، ولم يصادق على النتائج التي أحدثتها حملتها سياسياً وفكرياً، بل أكد على التواصل بين هذه الذات وماضيها الاسلامي، كعنصر لحمة من الضرورة العودة اليه في مرحلة التفكك للتصدي للمسألة المركزية المتجسدة في التسلط الاجنبي خاصة على المستوى الثقافي.

وقد انقسم الخطاب التراثي هذا بين السلفيين والاصلاحيين المسلمين، فالاصلاحية الاسلامية تقول بأن الطبيعة الانسانية تحكمها القوانين الطبيعية والأخلاقية، وان هذه القوانين حقيقة ويمكن البرهنة عليها عن طريق العقل، وفي الحقيقة يعتبر المفكرون الاصلاحيون المسلمون الفلسفة، على انها علم العلوم.

يقول محمد عبده مثلاً: ان الاسلام لا يمكنه مناقضة العلم، فهو يؤمن بأن ميدان العقل ليس التكهن بل البحث بالمجال العلمي، وعندما يرى عبده تناسقاً بين الوحي والعقل فإنه يعني بالعقل هنا العلم، والأفغاني كعبده يجعل العلم المعيار النهائي، ليس فقط عند غموض القرآن أو اختلاف الآراء فيه، بل عند مناقضة القرآن الكريم للعلوم، لأن القران الكريم يحتوي على مبادئ عامة، فلا يجوز معارضته للعلوم.

اما اذا اعتبر ان هناك تناقضاً بينهما، فإن المنهج الذي يجب اتباعه هو التأويل «محمد عبده: رسالة التوحيد، ص١٩-٣١»، اما السلفية فبالرغم من تأكيدها على وجود المبادئ الأخلاقية في الطبيعة الانسانية، الا انها ترى عدم قدرة الانسان على التوصل لهذه المبادئ عن طريق العقل، وهذا يفرض ويتطلب وجود الوحي من اجل التمكن من انتاج النموذج الأخلاقي،

فتتحول الفطرة عند أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، والتي تتلقى الوحي الى الخضوع للقوى المسيطرة التي أوجدت القوانين والتي تنشأ بدورها عن مشيئة الله تعالى من اجل سعادة بني البشر.

وإذاً فالخلاف بين السلفية والاصلاحية، هو ان السلفية تجعل من الاسلام النظام الشامل الذي لا يحتاج الى دليل منطقي، بينما تقبل الاصلاحية مبدأ التوصل الى الحقيقة عن طريق البرهان، بمعنى آخر ترفض السلفية الدعوة القائلة بقدرة العقل البشري على التوصل الى الحقيقة دون مساعدة الوحي، أما الاصلاحية فتعتبر ان العقل له القدرة على إيجاد الكثير من المبادئ الميتافيزيقية(٩).

الهوامش:

١- عبد الغني حسن الخطيب، الاسلام حتمية المستقبل ونهاية التاريخ، دار يافا، عمان، الاردن ٢٠٠٢، ص١١-١٦ .

٢- المرجع السابق ص٢٢-٢٤ .

٣- المرجع السابق ص٢٨ .

٤- د. أنور الزعبي، دراسات في الفكر العربي الاسلامي، قضايا معرفية ومنهجية، دار ورد، عمان - الاردن ٢٠٠٨، ص٨ .

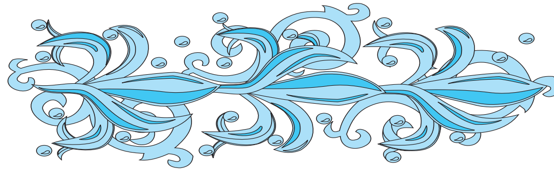
٥- المرجع السابق ص١٣٤-١٣٨ .

٦- د. نظمي لوقا، الألوهية ومحاكمة العقل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٥٥ .

٧- المرجع السابق ص١٥٨-١٥٩ .

٨- سعيد عبد اللطيف فودة، الموقف، دار الرازي، عمان- الاردن ٢٠٠٢، ص٧٢ .

٩- د. محمد خالد الشياب، رؤى فلسفية في الفكر العربي المعاصر، دار يافا العلمية، عمان - الاردن، ٢٠٠٧، ص٢٤ .



المظهر الاداري للحضارة العربية الاسلامية

■ بقلم الدكتور نعيم ابراهيم الظاهر

بدأ التنظيم الاداري في عصر الرسول محمد ﷺ، حيث كان يرسل الى القبائل التي تدخل في الإسلام، من يفقهها في الدين ويفهمها أحكام القرآن الكريم، وكان ينيب عنه بعض العمال والموظفين في المدن، وعند بعض القبائل الكبيرة في الحجاز واليمن، حيث كانوا يقومون بالوظائف المطلوبة منهم والتي كان اكثرها ذا صفة دينية كإقامة الصلاة وجمع اموال الزكاة (فوزي، ٦٩).

سلوك الموظفين والولاة وادارة الولايات وصلاحيات الوالي والامارة على البلدان وانواعها:

عندما انتشر الاسلام في الجزيرة العربية بعث الرسول ﷺ إلى المناطق الاسلامية من يقوم مقامه في إدارة شؤون البلاد، حيث كانوا يؤمون الناس في الصلاة ويجمعون الزكاة ويحكمون بين الناس وكانوا يتصفون بالتقوى، ومن الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ: عثمان بن العاص في الطائف، والعلاء بن الحضرمي في البحرين، وزياد بن لبيد في حضرموت، والمهاجر بن ابي امية في صنعاء، وعتاب بن اسيد العمري في مكة، وقد حدد الرسول ﷺ رواتب للعمال والولاة ففرض لعتاب بن اسيد نائبه على مكة درهما كل يوم (ابن هشام، ج٢، ٣٤٩، ٥٠٠).

أما المؤسس الحقيقي للنظام الاداري في الدولة الإسلامية، فقد كان عبد الملك ابن مروان وذلك في العصر الاموي حيث عرب النقود والدواوين، وصبغ الادارة الاموية بصبغة عربية (البلاذري: ٢٧١ السيوطي: ١٤٠). وكانت ادارة عمر بن الخطاب ادارة حازمة، (ابن الاثير: ج٣، ٩٠).

وقسمت الولاية إلى:

١- إمارة عامة والتي تنقسم إلى:

أ- إمارة استكفاء، حيث يقوم الامير بالجهاد وتقسيم الغنائم في المقاتلة، واخذ خمسها لأهل الخمس.

ب- وإمارة استيلاء

٢- امارة خاصة (شلبي ١٨٣).

وكان من الموظفين في الولاية: صاحب الشرطة، وعامل الخراج، وصاحب البريد الذي ينقل الاخبار من دار الخلافة إلى الولايات وبالعكس، ثم اتسعت مهمته فأسند إليه الخلفاء العباسيون امر المراقبة على الولاة، والجند (شلبي: ١٨٠).

ويقتصر الأمير في الإمارة الخاصة على تدبير الجيش، ولا يتعرض للقضاء أو الجباية والزكاة أو الامامة في الصلاة، بل يقوم بها القاضي الذي يعينه الخليفة وكذلك يعين الخليفة جباة لها يجمعون الخراج ويؤدون اعطيات الجند ويرسلون الباقي إلى بيت المال المركزي، وكانت الإمارات الخاصة قليلة في العهد العباسي (شلبي: ١٨٣).

وقد قسمت بلاد العرب زمن الرسول ﷺ، إلى ولايات منها: مكة والمدينة والطائف وصنعاء وغيرها، وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسمت إلى الولايات الآتية: ولاية الاهواز والبحرين، ولاية سجستان ومكران ولاية طبرستان، ولاية خراسان، ولاية العراق، ولاية الشام، ولاية فلسطين، ولاية مصر (افريقية ابو دياك ٧١ محاسنة ٧٨).

الدواوين:

ماذا نعني بالديوان:

هو الاسم الذي يطلق على المكان أو الدائرة التي تحفظ فيها الأوراق والسجلات الرسمية لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، ولترتيب أمور الدولة بعد اتساع الفتوحات (الماوردي ١٧٥ ابو يعلى ٢٢١).

(والديوان كلمه فارسيه تعني السجل أو الدفتر، أطلقت مجازاً على مكان حفظ السجل، والديوان شبيه بالوزارة في عصرنا، نشأت الدواوين في العهد الراشدي وبالتحديد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسبب الحاجة لضبط أموال بين المال وتنظيم الجيش، واتساع رقعة الدولة والحاجة لتنظيمها والحاجة لمراقبة العمّال والولاة، لقد تعددت وزاد عدد الدواوين كلّما كان بحاجة لذلك في العصر الأموي والعباسي أيضا.

❖ الأسباب التي أدت إلى إنشاء الدواوين في الدولة الإسلامية:

١ . اتساع رقعة الدولة والحاجة إلى تنظيمها.

٢ . كثرة المدخولات والمصروفات والحاجة إلى ضبط الأموال العامة.

٣ . الحاجة لتنظيم الجيش ومعرفة التفاصيل الخاصة بأفراده.

٤ . الحاجة إلى مراقبة أعمال العمّال والولاة.

❖ الظروف التي أدت إلى إنشاء الدواوين في الدولة الإسلامية:

اتسعت الدولة الإسلامية على اثر الفتوحات التي تمت في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ومعها تعقدت إدارة الدولة وأصبحت هناك حاجه لإيجاد سبيل لضبط أمور الدولة فاتبع عمر أساليب إدارية فارسية وهي الدواوين.

١- ديوان الجند:

من أعمال هذا الديوان: تسجيل أسماء الجند حتى ملامحهم، وأوصافهم، ونسبهم وقبائلهم وسائر ما يميزهم، ثم عيّن ووزع مقدارا من العطاء لكل واحد منهم، ويتولى الديوان الإنفاق على تسليح الجند، وإعداد المعدات الحربية وتموين الجيوش، **وبإنشاء هذا الديوان، وضع عمر بن الخطاب أساس التجنيد الإلزامي في الإسلام.**

٢- ديوان الخراج:

أنشأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجرى فيه تسجيل مصروفات الدولة ومدخولاتها (وارداتها) من الزكاة والخراج والجزية والعُشور، ثم ما يُفرض لكل مسلم من العطاء (لقد جعل عمر العطاء للمسلمين على أساس، القرابة من الرسول ﷺ ثم السابقة في الإسلام ونصرة الرسول).

تمكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بواسطة هذا الديوان تقسيم المدخولات على المسلمين والتدقيق في توزيعها وجباية المبالغ المستحقة من جزية وخراج وغيرها،

أما سبب إنشائه فيعود إلى كثرة الأموال التي وصلت بيت مال المسلمين من عامل البحرين أبي هريرة رضي الله عنه.

❖ الدواوين التي استحدثت في الدولة الأموية ودوافع استحداث كل منها:

١- **ديوان البريد:** أنشأه معاوية رضي الله عنه لخدمة أغراض الدولة ونقل الأوامر والأخبار والسلطة المركزية إلى الولايات وبالعكس وكانت مهمته الأساسية التجسس على الولاة.

٢- **ديوان الرسائل:** للإشراف على مراسلات الخليفة مع الولايات والأمصار وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى.

٣- **ديوان المستغلات:** ديوان الإيرادات من أملاك غير منقولة، كالأراضي والأبنية الحكومية.

٤- **ديوان الصدقات:** أي الزكاة. ويتم توزيعها على أصحاب الحقوق كما ورد في القرآن (الفقراء، المساكين العاملين عليها ..).

٥- **ديوان الطرّاز:** هي تحديث ورسم أسماء الخلفاء والأمراء أو تطرز على ملابسهم علامات تخصهم.

٦- **ديوان الخاتم:** أنشأه الخليفة معاوية منعاً للتزوير، فأصبحت الرسائل تختم ويوضع عليها الشمع، فإذا كسر الشمع عنها فقدت قانونيتها، اصبح فيما بعد يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة أصلية عن كل ما يُوقّع من رسائل وحسابات، وكذلك عمل الولاة، وذلك للرجوع إليها والمطابقة والمقارنة فيما بينها، ويعتبر هذا الديوان بمثابة أرشيف في أيامنا. (ابن الطقطقي ١٠٢).

٧- **وفي زمن عبد الملك بن مروان، تم انشاء ديوان الطراز،** للاشراف على المعامل التي كانت تنتج الملابس الرسمية الخاصة بالخليفة والقصر، اضافة إلى ملابس الجند والاعلام والشعارات الخاصة بالدولة (ابن خلدون ٢٢٨).

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تم تعريب ديوان الشام سنة ٨١ هـ/ ٧٠٠م حيث تولى تعريبه سليمان بن سعد الخشني واتم عمله خلال عام واحد (البلاذري: ٢٧٠).

وفي العراق أوكل الحجاج بن يوسف والي العراق مهمة تعريب الدواوين إلى صالح بن عبد الرحمن الذي انتهى من تعريبه في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ/٧٠٥م (السيوطي: ١٤٠).

وقد انتهت عملية التعريب في خلافة الوليد بن عبد الملك بتعريب الديوان في مصر من القبطية إلى العربية (حسن ج١، ٤٥٠).

أما الدواوين التي استحدثت في العهد العباسي فهي:

١- **ديوان الأزمّة:** (أنشأه المهدي وكان عبارة عن جهاز لمراقبة باقي الدواوين وخاصة التدقيق في الحسابات والشؤون المالية وكان عبارة عن دوائر صغيرة تشرف وتراقب أعمال الدواوين الكبيرة وتدقق في الحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها كل ديوان من الدواوين، وعمل هذا الديوان في العاصمة، أما في الولايات فسُمّي بالزمام، كما أنشأ المهدي ديوان زمام ألأزمّة، الذي ينظم في آن واحد جميع دواوين ألأزمّة، ويوازن ما بين المدخولات والمصروفات. وكان صاحبه يشبه وزير المالية في أيامنا (الصالح ٣١٧).

٢- **ديوان العزيز** (مجلس الخليفة) .

٣- **ديوان المصادرات، النظر في المظالم** (مصادرات أملاك وأموال الوزراء).

٤- **ديوان الصوافي:** (أراضى الدولة).

٥- **ديوان الضياع:** (ضياع الخليفة وأراضيه).

٦- **ديوان الموالي.**

٧- **ديوان الغلمان** (أسماء من يشتريهم الخليفة من الأتراك والمماليك).

٨- **ديوان النفقات على البلاط** (كل ما يحتاجه سكان القصر).

٩- **ديوان الجهبذة** (الحفاظ على مصالح غير المسلمين (ابو يوسف ٩٧).

❖ **الوزارة: (الوزارة).**

كلمة وزارة مشتقة من وزر وهو الملجأ **﴿كلا لا وزر﴾** (القيامة، ١١) أو وزر وتعني الحمل الثقيل أو الازر وهو الظهر (لسان العرب ج٧، ١٤٥-١٤٦).

وردت كلمة وزير في القرآن الكريم، حيث قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: **﴿واجعل لي وزيرا من أهلي ❖ هارون أخي ❖ اشدد به ازري ❖ واشركه في امري﴾** (طه: ٢٩-٣٢).

لم تظهر الوزارة كمنصب رسمي في عهد الرسول ﷺ ولا في الدولة الأموية، إذ اتخذ الخلفاء الأمويون المستشارين لأنهم قالوا: الوزارة من الأزر أي المساعدة والخليفة أجلّ من أن يؤازر (يُساعد) أما في الدولة العباسية فأصبحت الوزارة

منصبا رسميا منذ عهد الخليفة الأول عبد الله السفاح كما قال ابن الطقطقي: «.. والوزارة لم تتمهد قواعدها إلا في دولة بني العباس... فأصبحت الوزارة مؤسسة هامة ومركزية في الدولة، وارتفعت مكانة الوزير واصبح في المرتبة الثانية بعد الخلفية وتطورت الوزارة وأصبحت نوعين: التفويض والتنفيذ».

العلاقة بين الخليفة ووزير التفويض: يعهد الخليفة بالوزارة إلى رجل يفوض إليه النظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع إليه.

العلاقة بين الخليفة ووزير التنفيذ: يعتمد الوزير في وظيفته على تنفيذ أوامر الخليفة.

١- التطورات التي طرأت على الوزارة في العهد العباسي من حيث أنواعها وشروط وصلاحيات كل نوع.

٢- الوزارة نوعان: وزارة تفويض: وهي أن يعين الخليفة أو أحد ولاة الاقاليم شخصاً يفوض اليه تدبير أمور الدولة أو الولاية برأيه وامضائها على اجتهاده، ويجوز له أن يستعين بمن شاء من المسلمين ويعزل من يشاء من الولاة غير الاكفياء، ليحقق الاهداف التي عين من أجلها وهي: مصلحة العباد ورعاية شؤون البلاد، والقيام بما التزم به من تحصين الثغور واقامة الحدود واقتحام الحروب، ويشترك فيمن يتولى وزارة التفويض ان يتوفر فيه الشروط المطلوبة في الخليفة، ما عدا النسب القرشي، ووزارة التنفيذ ومن صلاحيات الوزير فيها: تسيير الجيوش وتجهيزها، وتفقد اسرار الدولة، والمشاركة في الرأي وتنفيذ ما يصدره الخليفة من أحكام، ونقل أوامر الخليفة، حيث يقوم الخليفة بتعيين شخص ما لتنفيذ ما يوكل إليه من أمور، وينقل اخبار الولاة والرعية اليه كما ينقل تعليماته واوامره إلى الولاة والقضاة وسائر الرعية (الماوردي، ٢٢ ابو يعلى الفراء: ٣٠).

ولكن عليه أن يطلع الخليفة فيما بعد على كل قرار اتخذه فيقبله أو يبطله ويسمى هذا النوع من الوزارة بوزارة السيف، مثال على ذلك وزارة آل برمك في عهد الخليفة هارون الرشيد .

كان الوزير قبل العصر العباسي مساعدا لأولي الأمر بالرأي والمشورة، أما أول من دعي بهذا الاسم، وكان له صلاحيات واسعة، فهو ابو سلمة الخلال الذي كان يدعى وزير آل محمد قبل قيام

الدولة العباسية، وقد اتخذه السفاح أول الخلفاء العباسيين وزيراً رسميا له، حيث اشتهر بالكرم والعلم (ابن الطقطقي ٥٢-١٥٥).

وزارة التنفيذ: يتولى فيها الوزير تنفيذ ما يطلبه منه الخليفة، وهو بمثابة واسطة بين الخليفة والرعية أو الولاة ويسمى هذا النوع من الوزارة بوزارة القلم، وفي احدى فترات الحكم العباسي، صار الوزير هو المتنفذ الأول في الدولة. وله سلطة كسلطة الخليفة يولي ويعزل الولاة ويتدخل في العطاء والمظالم (ابن كثير: ج١٢، ٢٧).

أما شروط وزارة التنفيذ فهي أقل من شروط وزارة التفويض، حيث ان بعض الفقهاء لم يشترطوا الاسلام، بل اجازوا أن يكون وزير التنفيذ ذميا أو عبدا، بينما رفض بعض الفقهاء ذلك (ابن كثير: ج٢، ١٠٣-١٠٤).

كما كانت سلطة الوزير في تصريف شؤون الخلافة تعتمد على قوة أو ضعف سلطة الخليفة (ماجد ٣٣).

الشروط الواجب توفرها في الوزير:

- الحرية مطلوبة في وزارة التفويض وغير مطلوبة في وزارة التنفيذ.
- الإسلام مطلوب في وزارة التفويض وغير مطلوب في وزارة التنفيذ.
- العلم بالأحكام الشرعية مطلوب في وزارة التفويض وغير مطلوب في وزارة التنفيذ.
- المعرفة بأمري الحرب والخراج (الضرائب) مطلوبة في وزارة التفويض وغير مطلوبة في وزارة التنفيذ.

صلاحيات ومهمات الوزارة:

- يجوز لوزير التفويض النظر في المظالم ولا يجوز لوزير التنفيذ.
- يجوز لوزير التفويض تعيين الولاة ولا يجوز لوزير التنفيذ.
- يجوز لوزير التفويض تسيير الجيوش وتدبير الحروب ولا يجوز لوزير التنفيذ.
- يجوز لوزير التفويض التصرف بأموال بيت المال ولا يجوز لوزير التنفيذ.

كما يحق للخليفة أمور دون وزير التفويض منها:

- عزل ولاة الوزير.
- قبول وإبطال عمل الوزير.
- إقالة الوزير.
- ولا يحق لوزير التفويض مخالفة أمر الخليفة أو ولاية العهد.

والله الموفق

من ثمرات الطهارة في الاسلام

■ بقلم الطالبة لجين اسماعيل

لما كانت الطهارة سمة من سمات الاسلام، فإن فيها فوائد عظيمة، وثمرات جليلة وحِكَم ومنافع للقلوب والأبدان، فإنه يجدر أن نقف على بعض ثمرات الطهارة، إذ ليس الأمر مقتصراً على غسل هذه الأطراف للنظافة والطهارة فحسب، بل إن هناك حِكماً وفوائد عظيمة في الوضوء والغسل، ومصالح لا تخطر على بال كثير من الناس، من أجل هذا وغيره من الأسباب، جمعت هذه الثمرات والفوائد، وهي كثيرة نقتصر على بعض منها.

لما كانت هذه الجوارح هي محل الكسب والعمل، وكانت هذه الأطراف أبواب المعاصي والذنوب كلها، منها ما يكون في الوجه كالسمع والبصر، واللسان والشم والذوق، وكذا الأمر في سائر الأعضاء، كان الطهور مكفراً للذنوب كلها، فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن عبدالله الصنابحي ان رسول الله ﷺ قال : «إذا توضّأ العبد المؤمن خرجت خطاياه من فيهِ، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه». وعند الترمذي: «خرجت ذنوبه مع الماء أو مع آخر قطر الماء».

ولقد كره بعض العلماء مسح فضل

الوضوء بالمنشفة، من أجل أن تطول مدة خروج الذنوب، ولأنه فضلة عبادة، وقد جاءت إحدى زوجات النبي ﷺ بمنديل له لمّا انتهى من وضوئه، فرده وأخذ ينفض الماء بيديه الشريفتين .

فالطهور إذاً مكفّر للذنوب بشرط الإسباغ. وقد استنبط محمد بن كعب القرظي في آخر آية الوضوء في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: النعمة منها تكفير السيئات.

إن من ثمار الوضوء، أن سيما هذه الأمة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم، وليست لأحد غيرهم، والمراد بالحلية الإكثار من الوضوء، سيما عند كل صلاة وليست الزيادة على أعضاء الوضوء.

وأخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غرلاً محجلين من أثر الوضوء» وفي رواية لأحمد: «.. كيف تعرف أمتك يا رسول الله من بين الأمم فيما بين نوح إلى امتك؟ فذكر الحديث.

ومن ثمرات الطهور تنشيطه للجوارح وزيادة في ذهاب الأخلاف التي على البدن، فيقف العبد في طهارة ونشاط، وهذا مجرّب لأن الماء يعيد إليه نشاطه وقوته وحيويته، والأبلغ منه الغسل، وقد ارشد رسول الله ﷺ لمن أتى أهله ثم أراد أن يعود أن يتوضأ، وبيّن في رواية للحاكم، أنه أنشط للعود، ومن هنا من أسباب انتشار الأمراض عدم الطهارة والاغتسال.

ومن ثمرات الطهارة أن الوضوء سلاح المؤمن، قال عمر رضي الله عنه: «إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان»، ولذا استحب النوم على طهارة، فإن العبد إذا نام على طهارة بات الملك في شعاره، ومن المعلوم أنه إذا حضرت الملائكة خرجت الشياطين. وكذا يستحب لمن شرع في علاج من مسّه الجن أن يتوضأ قبل العلاج؛ لأنه حصن من الشيطان.

ومن ثمرات الوضوء أنه من خصال الإيمان الخفية، التي لا يحافظ عليها إلا المؤمن كما أخرج الإمام أحمد من حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحافظ على الوضوء إلا المؤمن» فمن ثمرات المحافظة على الطهارة الشهادة له بالإيمان.

وإن من ثمرات الطهارة أنه إذا انتهى العبد من الوضوء وختمه بالشهادتين، كان موجباً لفتح أبواب الجنة، فقد أخرج الإمام مسلم عن عمر وعقبة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد

يتوضأ فيبلغ أو يسبغ ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له ابواب الجنه الثمانية يدخل من أيها شاء «وفي رواية للإمام الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

ومن ثمرات الطهارة وخصوصاً إذا نام العبد وهو طاهر، دعا المَلَك له بالمغفرة كلما انقلب في أي ساعة، فقد ثبت عند الإمام البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من بات طاهراً بات في شعاره ملك - وهو الملاصق للجسم من الملابس - فلا يستيقظ من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهراً» - قال الهيثمي: إسناده حسن فيحصل العبد إذا نام على طهارة على ثلاث خصال، أنه يبيت الملك في شعاره، ويدعو له بالمغفرة، وأنه إذا مات مات على طهارة، مع أن النوم هو موتة صغرى.

ومن ثمرات الطهارة أن الله سبحانه يرفع صاحبها بها الدرجات العلا، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكاره» فإسباغ الوضوء في البرد ولا سيما في الليل رفعة في الدرجات، ويباهي الله به الملائكة، وينظر الله إلى صاحبه.

ومن ثمرات الطهارة أن الوضوء في البيت ثم الخروج إلى المسجد على الطهارة، يكون ممشاه نافلة حيث إن الله كفر ذنوبه بالوضوء، ويكون صاحبه زائراً لله، فقد أخرج الإمام الطبراني -وسنده جيد- عن سلمان رضي الله عنه «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر لله، وحقاً على المزور أن يكرم الزائر»، أما قوله: «وكان ممشاه نافلة» فذكره الإمام مسلم.

ويتوج ثمرات الطهارة العظيمة، حب الله للمتطهرين، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** البقرة: ٢٢٢، فالطهر طهر بالماء من الحدث، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي.

فانظروا رحمكم الله كم في الطهارة من ثمار، وكم تيسر للعبد من أسباب تكفير الخطايا؛ لعلّه يتطهر قبل الموت فيلقى ربه طاهراً؛ فيصلح لمجاورة ربّه في دار السلام، ولكن مع الأسف رغم هذه الفضائل إلا أننا وللأسف نشاهد بعض المصلين من لا يحسن الوضوء كما ينبغي.

والحمد لله رب العالمين على نعمة الاسلام

حكم الإسلام في العنف المجتمعي

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

ذكرنا في أعداد سابقة أن ظاهرة العنف المجتمعي وللأسف، آخذة في التوسع والإنتشار في أوساط المجتمع الأردني لعوامل متعددة، بحيث أصبحت ظاهرة مقلقة، لأنها عمت كثيراً من الأوساط والبيئات الأردنية، وبعد أن أنهيت كتابة الموضوع في العدد السابق، حول مظاهر العنف المجتمعي طالعتنا الأخبار على شاشة فضائية الحقيقة الدولية، أن مشاجرة على خلفية عشائرية بالعصي والحجارة حدثت في داخل الجامعة الأردنية، مما اضطر وحدات الأمن العام والدرك الوطني للتدخل وإنهاء هذه المشاجرة الجامعية، والتي هي مظهر من مظاهر العنف الجماعي أو المجتمعي في الأوساط الجامعية.

إن هذا الإتساع المقلق لهذه المظاهر من العنف المجتمعي، دفع الجميع من مسؤولين وسياسيين وأساتذة جامعات وقياديين نقابيين في المجتمع المحلي، لدق ناقوس الخطر والتحذير من مغبة هذا الإتساع والإنتشار لهذه الظاهرة المقلقة فعلا.

وانطلاقا من المبدأ الحكيم الذي يقول: إن الإعتراف بوجود الخطأ هو الخطوة الأولى على طريق الحل، وإن إنكار الخطأ والمجادلة غير العلمية لمحاولة إخفائه يزيد من تفاقم ذلك الخطأ وتجذره في المجتمع إلى أن يصبح راسخ الجذور فيصعب حله،

ومواجهة الخطأ أو الخطر غالبا ما تؤدي الى إنهائه واجتذاذه من جذوره، بينما التغاضي عنه وعدم السماح بالإشارة اليه، يكون كالنعامة تضع رأسها في الرمال لتفادي العاصفة، من هنا ظهرت حكمة جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين، وواقعيته واهتمامه بإيجاد الحلول الصحيحة، فكان على رأس المنبهين لوجود هذه الظاهرة والمطالبين للجميع للبحث في أسبابها واقتراح الحلول المناسبة لاجتذاذها من جذورها، وذلك بتضافر جهود الجميع من مسؤولين رسميين وشبه رسميين ومؤسسات المجتمع المدني، وكانت الإستجابة لنداء جلالة الملك سريعة، إذ أخذت جميع المؤسسات والهيئات الثقافية والشبابية بالتصدي لهذه الظاهرة المتفشية، فاستجابت لخطاب جلالة الملك الذي ألقاه في شهر حزيران الماضي وتوجيهاته بضرورة التصدي لظاهرة العنف المجتمعي، أطلق المجلس الأعلى للشباب يوم ٢٥/ ٨ / ٢٠١٠ مبادرة تمكن شباب الوطن لظاهرة العنف المجتمعي خلال الثلث الأخير من شهر رمضان المبارك بعقد ثلاث ورشات رئيسية في أقاليم الشمال والوسط والجنوب، و٦٦ ورشة فرعية عقدت في الأندية والمراكز والهيئات الشبابية في مختلف مناطق المملكة، وذلك من أجل التصدي لظاهرة العنف المجتمعي التي أصبحت تؤرق الجميع.

وكنت قد ذكرت في مقالة سابقة أن العشائرية من أهم الأسباب التي تعمل على انتشار هذه الظاهرة وتغذيتها، وما أدل على ذلك من أن القاتل او الجاني سرعان ما تتحرك الجاهات الى أخذ العطوات العشائرية ثم صك الصلح العشائري الذي يتنازل بموجبه المجني عليه أو أهله، عن جميع حقوقه الشخصية والقانونية والجزائية، والعفو والصفح عن الجاني مقابل تناول" فنجان قهوة "، فأصبح فنجان القهوة هو أقصى عقوبة يمكن أن تلحق بالجاني بدلا من إلحاق أشد العقوبات كفصله من دراسته إن كان طالبا، أو الإستغناء عن عمله إن كان موظفا حتى يكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه ارتكاب جرائم العنف المجتمعي، فعندها يحسب كل من تراوده نفسه لارتكاب جريمة كل الحساب للعقوبة

المغلظة، فيرتدع عن الإقدام على ارتكاب الجريمة.

❖ العنف المجتمعي في الثقافة الإسلامية:

ورد في الأمثال العربية الجاهلية قول العرب: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" وفي هذا دعوة صريحة لوقوف العشيرة الى جانب أبنائها في كل الأحوال، وتقديم الدعم والتأييد سواء كانوا ظالمين معتدين على الغير، أو مظلومين معتدى عليهم من الغير، وهي دعوة الى العصبية المقيتة، ولما جاء الإسلام الحنيف بتعاليمه السمحة أبقى على هذا المثل ولكن بمفهوم إسلامي، بعيدا عن العصبية والتعصب، وجعل معناه يتماشى والتسامح والعدل، فلما سئل الرسول ﷺ: «أنصر أخي مظلوما، فكيف أنصره إن كان ظالما؟ فقال ﷺ: أن تكفه عن الظلم» أي تمنعه من ممارسة الظلم.

ويقول أستاذ الشريعة الإسلامية في الجامعة الأردنية الدكتور شرف القضاة: "كما لا يحق لي حتى نصرة المظلوم بما ليس لي من صلاحيات شرعية به ولا بارتكاب جريمة في سبيل نصرته بالإضافة الى كف يد الظالم، عبر نصحه أو تبليغ ولي الأمر ومن لهم سلطة عليه وليس بصفتي الشخصية، لأن الإسلام لم يترك أمر العقوبات الرادعة للأفراد، بل للدولة (موقع الغد) إذ من المعروف في الإسلام أن الذي يقيم الحدود في حال ارتكاب جرائم الحدود، ليس أصحاب الحق والمجني عليهم، بل هو ولي الأمر أو رئيس الدولة أو من ينوب عنه كالقضاة والحكام الإداريين، فهم وحدهم المخولون بتنفيذ الحدود والعقوبات على الجناة والمجرمين.

وقد أوضح الله تعالى لنا الحكمة البليغة من إقامة العقوبات ألا وهي الردع عن ارتكاب الجرائم، فقال تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾ البقرة: ١٧٩، ويضيف الدكتور القضاة شروطا لهذه العقوبات الرادعة منها: أن يتم تنفيذها من قبل المسؤولين وليس من قبل الأفراد أصحاب الحق، حتى لا تتسع دائرة الأخذ بالثأر فتستعر نيران الفتنة بين الناس، وكذلك ضرورة نبذ الإنتقائية في تطبيق العقوبات الرادعة، فلا يجوز تطبيق العقوبة على شخص وعدم تطبيقها على شخص آخر بسبب عشيرته أو

منصبه أو جاهه، فالناس كلهم سواسية أمام القانون في الحقوق والواجبات، وكلهم تحت مظلة القانون ولا أحد فوق القانون، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن هذا التمييز في تطبيق العقوبات من أسباب هلاك الأمم، فقال ﷺ: "لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الغني تركوه، وإذا سرق فيهم الفقير أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

فليس من الحكمة ولا من العدل والأخلاق أن يقدم موظف بسيط للقضاء وإنزال العقوبة الرادعة به لارتكابه جنحة بسيطة مثل قبول رشوة أو اختلاس مبلغ زهيد من أموال الدولة، بينما لا يستطيع أحد محاكمة مسؤول على ارتكابه جريمة أشد وأقوى من جريمة ذلك الموظف، مثل عمليات اختلاس مئات الآلاف من الدنانير أو شراء صفقات لمواد وآليات تالفة مقابل مئات الآلاف من الدنانير وتأخذ عملية نقاش القضية في مجلس النواب أشهراً أو سنوات، وفي النهاية يتم اتخاذ قرار بعدم تحويل الجاني للقضاء، كما حدث في قضية الآليات التي تم شراؤها للبلديات بمئات الآلاف من الدنانير، ولما تقدم ديوان المحاسبة بطلب تقديم المعني للمحاكمة، وتم تحويل القضية لمجلس النواب ظلت مدة طويلة ملقاة في أدراج المجلس، وكلما كان المجلس يدعى لمناقشة أمر تحويل الجاني للقضاء، يتم التدخل من هذا المسؤول أو ذاك المسؤول فيحولون دون اكتمال النصاب القانوني للإجتماع، الى أن صدر في نهاية المطاف قرار بعدم اكتمال النصاب القانوني اللازم لإحالة المعني للقضاء، وبالتالي حفظت القضية لا لبراءته ولكن لعدم تطبيق القانون عليه كما يطبق على غيره، وانهالت التهاني من علية القوم وملأت صفحات الجرائد تهنئه ببراءته والشهادة بأمانته ووطنيته!

كما أن من شروط تنفيذ العقوبة على الجاني، هو التثبت اليقيني بالرؤية المباشرة بالعين المجردة للجريمة وليس بالظن والتخمين أو الشبهة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك جرائم الشرف في المجتمع الأردني، ويتم فيها قتل فتاة أو امرأة لمجرد شبهة أو إشاعة بأنها اقترفت جريمة الفاحشة، في حين أن الشرع الإسلامي ينص على ضرورة شهادة أربعة

شـهـود عـدول رأوا الجـريمة بالفـعل بأم أعينهم، وهو ما يستحيل توفيره وما ذلك الشـرط الا حـفـاظا من الإسـلام على أعـراض الناس وحـمـاية أرواحـهـم، وحقن دمـائهم، والسـتـر عليـهم وعـدم السـمـاح بانتـشـار الفـتنـة في المجـتـمع، وسـهـولة القـذف، وبالتـالي لا يجـوز أن يقـدم أهل امـرأة على قـتلهـا أو قـتل من اتهم مـعـهـا لمجـرد شبـهـة أو إشـاعـة من أحـد، دون أن يقدم الدليل الشرعـي على ادعائه حتى ولو كـان صـحـيـحـا، والأصل في مـثل هذه الحـالات أن يقـام عليـه الحـد، حـد قـذف المحصنات الغـافلات، قـال تعـالى: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فـاجلدوهم ثمـانين جلدة ولا تقـبلوا لهم شهادة أبدا﴾** النور: ٤ .

❖ موقف الشريعة الإسلامية من العنف المجتمعي:

يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار في محـاضرة في المجالس العلمية الهـاشمية السـادسـة والخـمـسين: إن الانسـان في الاسـلام مـخلوق مكرم، خلقـه الله بيـديه، ونفـخ فـيـه من روحـه، وادخله جنتـه ثم استخلفه في الارض وفضله على كثير من المخلوقـات، ولا يجـوز أن يهـان أي إنسـان بغير حق، فالإسلام يحرم العنف المجتمعي والأسـري، كمـا يحـرم إلحـاق الضـرر مـاديا ومعنويا بالفـرد المسلم، والإسـلام يقف في وجه الإعتداء على الغير بكل صرامة وقوة، فـهـو يحـرم تهـديد النـاس في حيـاتهم أو أمنهم أو ممتلكاتهم أو معتقداتهم، فيقول رسـول الله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حـرام: دمـه ومـاله وعـرضـه" بل أخبـر النبي أن حرمـة الإنسان المؤمن عند الله أكبر من حـرمة الكعبة التي جعلهـا الله تعالى قيامـا للناس، وفـرض الله تعـالى عـقـوبة مناسـبـة ومـلائمة للجـريمة وذلك من منطلق الجـزاء من جنس العمل، وجعل عقوبة من يسعون في الأرض فـسـادا ويثـيـرون الفـتن بين النـاس، ويريدون أن تشيـع الفـاحشـة بينهم، أن يقـتلوا أو يصلبـوا أو تقطـع أيـديهم وأرجلهم أو ينفـوا من الأرض، قـال تعـالى: **﴿إنما جـزاء الذين يحـاربون الله ويسـعـون في الأرض فسـادا أن يقـتلوا أو يصلبـوا أو تقطع أيـديهم وأرجلهم مـن خـلاف أو ينفـوا من الأرض﴾** المائدة: ٣٣ .

فـالإسـلام دين إلهي وهو نعـمـة ورحـمـة وسـلام ومحـبـة وإيمان وإحسـان ومعـاملة

واستقامة ودعوة بالحكمة وإقناع بالحجة، يقول الله تعالى: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾** المائدة: ١٥، والمسلم الحق هين لين، وإلف مألوف كما يقول الصادق المصدوق ﷺ، والله تعالى يصور عباده الأبرار بصورة شفافة جميلة، فيقول: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** الفرقان: ٦٣ .

فالمسلم الحقيقي متسامح عفو، لا يأخذ بالثأر ولا يغضب للإساءة، فلا يرد على الإساءة بمثلها وإنما يرد على الإساءة بالصفح والعفو والسلام، فالعنف ليس من شيمة المسلمين وليس هذا حال الإسلام مع المسلمين خاصة من دون سائر الناس، بل إنه لا يسمح بإلحاق الأذى المادي او المعنوي بأي شخص سواء كان مسلما أو غير مسلم، فهذا رسول الله ﷺ يقول: "من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته (غلبته) يوم القيامة" بل إنه لم يرض بالإساءة اليهم ولو بالقول، فقال ﷺ: "من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار" ومن باب أولى أنه حرم قتلهم دون سبب مشروع، فقال ﷺ: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة" وذلك أن الأصل الثابت هو أن مبادئ الشريعة الإسلامية، تحث على نبذ العنف والإعتداء بكافة أشكاله ومصادره، وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حرصت على تأكيد هذا المبدأ في العلاقات الإنسانية بشكل عام والعلاقات الأسرية على الخصوص، مثال ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ١٥٩: **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**، وقوله في سورة البقرة: ٢٦٣: **﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾**.

والإسلام أرشد رسوله محمدا ﷺ وعامة المسلمين الى اللجوء الى اسلوب الحوار والنقاش في حل الخلافات والإشكالات، ونهى عن استعمال العنف والقهر الذي لن يكون له سوى تأجيج مشاعر العداء والبغضاء، وبالتالي تفكك المجتمع الواحد، وإثارة الإعتداءات والحروب بين المجتمعات وفي هذا يقول الله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾** العنكبوت: ٤٦، والإسلام يأمر بالتسامح وحسن التعامل

والمجادلة لغير المسلمين، فالنصوص الدينية، والوقائع التاريخية الإسلامية التي تدلنا على سماحة الإسلام وعدالته مع غير المسلمين كثيرة ومشهورة.

فقد كان ﷺ يعاشر جيرانه من اليهود والنصارى معاشرة كلها سماحة ورجاحة، فهو يعينهم وينصحهم ويعودهم ويزورهم، ويهدي اليهم من طعامه ومتاعه، وكان للرسول ﷺ جار يهودي له طفل كان يؤذي الرسول بالقول والفعل، فحدث أن هذا الطفل لم يظهر للرسول ﷺ ثلاثة أيام متتالية فافتقده، فسأل عنه فقيل له: إنه مريض، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن ذهب لعيادة هذا الطفل في منزله وجلس فوق رأسه يمسح على رأسه بيديه الكريمتين ويهديه فأعلن الطفل إسلامه! وذات مرة كان يجلس الرسول ﷺ مع أصحابه على حافة الطريق فمرت من أمامهم جنازة فوقف النبي ﷺ وأمر أصحابه بالوقوف، فقالوا له: إنها جنازة يهودي يا رسول الله، فقال ﷺ: «أو ليست نفسا»!

الإسلام يقيم العلاقة بين الأفراد والمجتمعات على مبدأ السلم والتضامن ونبذ العنف:

بدأ الإسلام بإصلاح الفرد، فأرشده الى تطهير داخله، وتزكية نفسه إيمانا منه بأنه إذا صلح المجتمع صلحت البشرية جمعاء، قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" وبين أن الإنسان الصالح لا يقدم على فعل ما لا يليق بالمسلم أن يفعله، فلا يعتدي على أموال الناس ولا على أعراضهم، فيسلم المسلمون من أذاه باليد أو اللسان، وهذا هو المسلم الحقيقي الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (متفق عليه) وقال تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾** الأحزاب: ٥٨، والمسلم الصادق هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه ويتجنب إيذاءهم، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (متفق عليه).

وأوجب لكل من الزوجين على الآخر حقوقا وواجبات وأمرهما بأدائها حتى تقوى الرابطة الزوجية، كما أوجب للأبناء

حقوقا على والديهم، وأوجب على الأبناء واجبات لوالديهم، وأمرهم بأدائها حتى تنبني الأسرة على أسس متينة من الاحترام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة، فقد أمر الإبن أن يحتمل أباه ويحسن اليه ويكرمه وخاصة في كبره، وعدم التثاقل أو الإشمئزاز في خدمة الوالدين، قال تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**﴾ الإسراء: ٢٣ .

فإذا كانت اللبنة الأولى في بناء المجتمع قوية متماسكة، كان المجتمع قويا متماسكا تسوده روح التعاون والتضامن، ثم انتقل الإنسان الى إصلاح المجتمع فجعله مجتمعا يقوم على التكافل والتساوي بين الأفراد في حقوقهم الطبيعية وواجباتهم الأساسية، تربط أفراده روح الأخوة الإيمانية التي هي تفوق الأخوة العصبية فقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾، وقال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" (متفق عليه)، وقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

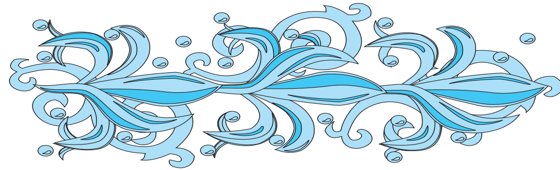
وبعد أن أرسى هذه العلاقة المتينة بين أفراد المجتمع القائمة على المودة والتكافل والمساواة، أعطى لكل فرد من أفراده الحق في تمثيل مجتمعه وينوب عنه، وساوى بينهم في الحقوق الطبيعية والواجبات الأساسية، فقال النبي ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" وبعد ذلك انتقل الى المجتمع الإنساني كله، الى عالم البشرية جمعاء، فأقام هذا المجتمع الإنساني الواسع على دعائم ثابتة واضحة من اتحاد الأصل وشرعة التمايز للتعارف وأساس الأفضلية التقوى، قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ الحجرات: ١٣ .

فالخطاب موجه لجميع البشر وليس خاصاً بالمؤمنين وحدهم، وجعل التفاضل بينهم بالتقوى، وهذا ما أوضحه الرسول ﷺ بقوله: "ليس لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود فضل إلا بالتقوى" وجعل أساس العلاقة بين مختلف الشعوب والأمم

المكون لهذا المجتمع الإنساني الواسع هو السلم والمودة وعدم الإعتداء على الغير، قال تعالى: ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ المائدة: ٧٨، فهذا أمر صريح من الله تعالى بعدم الإعتداء على الغير، وحرم قتل النفس، أي نفس سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة إلا بسبب موجب قررته الشريعة فقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**﴾ الإسراء: ٣٣، فهذه كلها دلائل وبراهين على أن الإسلام يحرم العنف بأشكاله الفردية أو المجتمعية.

وهكذا يتضح أن الإسلام وضع عددا من القواعد والمبادئ الأمنية، التي تنهى عن ممارسة العنف المجتمعي بحق أي إنسان مهما كان دينه أو مذهبه، منها: تحريم كل المسلم على المسلم، وتحريم النيل من شخصيته بالغيبة أو النميمة، والمساواة بين جميع المؤمنين والمسلمين، وتحريم قتل النفس بغض النظر عن دينها، كما أوجب على الدولة المساواة بين الجميع في تطبيق حكم الشرع وإنزال العقوبة بالجاني سواء كان غنيا أم فقيرا، وحرم السعي بين الناس للإيقاع بينهم، وإشعال نار الفتنة، وجعل جميع البشر متساوين في وحدة الأصل، والتفاضل بينهم إنما يكون بالتقوى، وأرسى قيم التكافل والتعاون بين جميع أفراد المجتمع للمحافظة على الأمن الداخلي.

من هنا نستطيع القول، بأنه يجب على كل مسلم غيور على دينه ومجتمعه أن يدفع باتجاه استئناف الحياة الإسلامية في جميع شؤوننا، وعدم الإنقياد وراء المجتمعات الغربية التي تتكاتف فيما بينها لمحاربة الإسلام والقضاء عليه، قال تعالى: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ الصف: ٨ .



آثار البلقاء

ضريح النبيين شعيب ويوشع عليهما السلام
والعلماء البلقاويّون منهم صحابة وتابعون
ومن الآثار قلعة السلط

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

البلقاء عند السابقين كورة بجوار عمان، كانت تنسب عمان إليها؛ فيقال: (عمان البلقاء)، وقد وردت عمان بهذه النسبة في الحديث النبوي الشريف؛ إذ قال رسول الله ﷺ: (حَوْضِي من عَدَنٍ إلى عَمّانَ البَلْقَاءِ)[١].

سميت البلقاء بهذا الاسم بسبب جمالها، فهي من البلق، وهو سواد وبياض، وهذا يعني الألوان المزدهية الكثيرة، والخيرات الوفيرة، ولذلك كانت عمان تُنسب إلى البلقاء؛ كما في الحديث آنف الذكر.

قال ياقوت:[٢] (البلقاء كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى[٣] قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل، ذكر هشام بن محمد عن الشرقي بن القطامي أنها سميت البلقاء؛ لأن بالق من بني عمان ابن لوط عليه السلام عمرها[٤]، ومن البلقاء قرية الجبارين[٥] التي أراد الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾[٦]، وقال قوم: بالبلقاء مدينة الشراة؛ أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم، وذكر بعض أهل السير أنها سميت ببلقاء بن سويد من بني عسل

ابن لوط عليه السلام، وأما الاشتقاق فهو من البلق، وهو سواد وبياض مختلطان، والبلق أيضاً الفسطاط)، ولعلها سميت البلقاء بهذا الاسم لجمال طبيعتها، وألوانها المزدهية، فقد كانت كثيرة القرى، كما هي اليوم، لكنها في السابق أوسع منها اليوم، تمتد من اربد شمالاً إلى مؤتة جنوباً إلى أريحا غرباً، واسعة المزارع، يضرب المثل في خصبها، ووفرة مائها، وجودة حنطتها، والبلقاء اليوم محافظة وسط الأردن ممتلئة مدناً وقرىً.

وكانت غزوة مؤتة أول بعث إلى البلقاء، ثم بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى الشام[٧]، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء؛ يعني مؤتة، وأرسل الصديق رضي الله عنه الجيوش إلى الشام؛ فنزل يزيد بن أبي سفيان البلقاء، ونزل شرحبيل رضي الله عنه بالأردن ويقال: ببصرى، ونزل أبو عبيدة رضي الله عنه بالجابية، ويقال: إن أبا عبيدة رضي الله عنه لما مرّ بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه، وكان أول صلح وقع بالشام، وفي عهد هشام بن عبد الملك ولّى صفوان بن سلمة على البلقاء، ووليها بعده ولده علي بن صفوان في زمن السفاح[٨].

لقد ذكر المؤرخون أسماء نخبة من العلماء من أهل البلقاء بوصف البلقاوي؛ ومنهم:

الصحابي الجليل سَيمَويه البلقاوي رضي الله عنه؛ وقد ورد اسمه في كتب تمييز الصحابة[٩]، وكان من التجار الذين كانوا يحملون القمح إلى المدينة المنورة؛ فعن الربيع بن صبيح قال: حدثني سَيمَويه؛ قال: أتيت النبي ﷺ وسمعت من فيه[١٠] إلى أذني، وحملنا قمحاً من البلقاء إلى المدينة، فبعنا وأردنا أن نشتري تمر المدينة فمنعونا، فأتينا النبي ﷺ فأخبرناه، فقال لهم النبي ﷺ: (أما يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر الذي يحملونه؟! ذروهم يحملونه)[١١]، وهذا من رحمة النبي ﷺ بالأمة، ودعوته لتيسير أسباب المعيشة، وكان سيمويه رضي الله عنه قبل إسلامه نصرانياً من رؤوس النصارى، وكان شماساً[١٢]؛ فقدم المدينة المنورة، ورأى رسول الله ﷺ، وسمع منه، وأسلم، وذكر بعض المؤرخين أنه أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، والصواب أنه من الصحابة، الذين سُجلت أسماؤهم بأحرف من نور في سجلات الصحابة الأبرار، يدل على ذلك قوله: (أتيت النبي ﷺ، وسمعت من فيه

إلى أذني)، وعاش رضي الله عنه مائة وعشرين سنة.

ومن علماء البلقاء الصحابي الجليل عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه وولده التابعي الجليل محمد وحفيده عروة الذي كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على اليمن، ومنهم مهدي بن إبراهيم، ويحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي، ومحمد ابن زيد، أبو زيد البلقاوي، وهو مذكور في فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد شهده، روي عن الإمام مالك، والإمام الحافظ أبي الخير الزُبيدي البلقاوي الأصل التَرمُلي، وقريش بن المستنير بن المستهل أبو فراس الربعي البلقاوي، وحفص بن حفص بن أبي السائب البلقاوي، موسى بن سهيل الرملي، محمد بن كثير المصيص، أسود بن مروان البلقاوي، زكريا بن عمرو، الشيخ أمين الدين محمد البلقاوي المعروف بالجلوتي.

إن هؤلاء الأفذاذ من علماء الحديث ينسبون إلى البلقاء؛ مما ينبئ عن أن هذه الكورة من الأردن كانت خصبة علمياً، كما كانت خصبة زراعياً.

ومن آثار البلقاء المشهورة:

أولاً: ضريح ومسجد رسول الله شعيب في وادي شعيب: وهو من نسل مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ورد اسمه في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، في أربع سور هي: آل عمران وهود والشعراء والعنكبوت، وهو من أنبياء العرب مع هود وصالح ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

أرسله الله تعالى إلى مدين، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾**[١٣]، وكانوا قوماً عرباً يسكنون مدين؛ وهي قرية من أرض معان.

ينسب قومه إلى جدهم مدين، وهو ممن هاجر مع إبراهيم عليه السلام إلى ارض الشام[١٤]، ويقال: أُرسل شعيب إلى أمتين مختلفتين؛ أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، والجمهور على أن أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة؛ والأيك شجر ملتف؛ فقد نسبوا إلى غيضة كانوا يسكنونها[١٥].

ولرسول الله شعيب عليه السلام مقام مشهور في البلقاء(١٦)؛ يقع على الطريق المؤدي إلى الأغوار الوسطى من مدينة السلط في وادي شعيب.

ويذكر أن لشعيب عليه السلام مقاماً في

حطين، والراجح أن مقامه بالأردن حيث تدل المسميات بجوار ضريحه على أنه عاش في هذه المنطقة، فمجيء موسى عليه السلام من مصر إلى معان أوفق في الرحلة من مصر إلى حطين.

ثانياً: ضريح ومسجد يوشع بن نون عليه السلام في البلقاء: وهو فتى موسى عليه السلام، وهو نبي، وقد وردت قصتهما في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾**[١٧]، ويوشع عليه السلام هو الذي فتح أريحا بعد وفاة موسى عليه السلام، وصلها قبل غروب الشمس؛ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: (أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئاً، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ)[١٨]؛ قال النووي: يقال: إنَّ الَّذي حبست عليه الشَّمس: يوشع بن نون.

يقع المسجد على رابية من روابي مدينة السلط؛ قال ياقوت[١٩]: (صَرَفَةُ: قرية من نواحي مَآب قرب البلقاء يقال: بها قبر يوشع بن نون)، ويقع المسجد إلى الغرب من عمان، وهو بناء قديم يرجع تاريخه إلى العصر العثماني، وتمت توسعته بمساحة إجمالية (١٤٠٠م٢).

ثالثاً: قلعة السلط ما زالت ماثلة: السلط مدينة من البلقاء، تُذكر في كتب التاريخ كثيراً؛ ويقال: (هي على الطريق البري من عمان إلى أريحا)، وقال الزركلي[٢٠]: (الصلت شرقي الأردن)، كذا قال: (الصلت) بالصاد والتاء، والمشهور الآن أنها (السلط) بالسين والطاء، ولا يوجد الآن بلد مشهور في شرق الأردن يسمى الصلت، والظاهر أنها كانت معروفة في التاريخ بهذا الاسم؛ ثم تبدلت الحروف لكثرة الاستعمال وتغير اللهجات، فأضحت السلط؛ وهو المشهور الآن.

أنعم الله على أرض السلط بخضرة خلابة، وبكثرة المياه والينابيع، التي تجود بالمياه العذبة الصافية؛ وهي غنية بجمالها، وكثرة مواقعها الأثرية، التي تؤكد تاريخ السلط العريق، والقلعة فيها موقع أثري؛ تلك التي تحتل مكانها في الجهة الشمالية الشرقية، وتوحي أساساتها الباقية أنها من العصر القديم، وهي من أكثر المدن أهمية منذ الأزل، وكانت توصف بأنها غرة البلقاء وكرسيّها؛ ومن العلماء الذين نشأوا في السلط محمد بن عبد الله الصلتي؛ ومحمد الهكاري[٢١] سنة (٧٨٦هـ).

الهوامش:

١- رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال السيوطي: صحيح.

٢- معجم البلدان ٤٨٩/١، وانظر (مختار الصحاح للرازي ص ٣٨).

٣- تبوك.

٤- سكنها.

٥- أريحا.

٦- المائدة: ٢٢.

٧- يطلق مصطلح الشام على ما بعد تبوك ويتجاوز دمشق من جهة الشمال.

٨- الإصابة ٣٩١/٦.

٩- كتاب الاستيعاب ٢/ ٦٩٢، أسد الغابة ٣٨١/٢، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٦٩٤/٢.

١٠- فمه.

١١- كنز العمال للهندي رقم الحديث: ٣٧١٤٠ .

١٢- الشماس في اصطلاحات النصارى هو الذي يحلق وسط رأسه، ويلزم الكنيسة، كسائر الشماسين.

١٣- سورة الأعراف ٨٥.

١٤- البداية والنهاية ١٨٤/١.

١٥- المفردات الراغب الأصفهاني ص٣٠.

١٦- الأعلام للزركلي ٣ / ١٦٥.

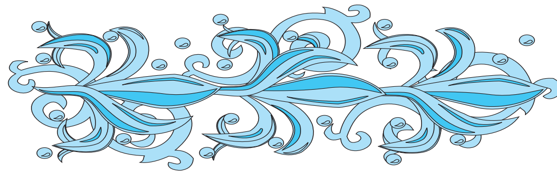
١٧- سورة الكهف ٦٠.

١٨- رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير؛ باب تحليل الغنائم لهذه الأمَّة خاصَّة.

١٩- معجم البلدان ٣ / ٨٨.

٢٠- الأعلام ٦/ ٢٣٦.

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/ ٨٥ .



لا يعرف خالقه من لا يعرف نفسه

■ بقلم الاستاذة آيات أحمد أسعد

من لم يعرف نفسه كيف يعرف خالقه؟! وان الله تعالى خلق في الصدر بيتاً هو القلب، ووضع فيه عرشاً لمعرفته، يستوي عليه المثل الاعلى عز وجل فهو مستو على عرشه بذاته بائن من خلقه، والمثل الاعلى من معرفته ومحبته وتوحيده مستو على سرير القلب وعليه بساط من الرضا، ووضع عن يمينه وشماله مرافق شرائعه وأوامره، وفتح اليه باباً من جنة رحمته والأُنس والشوق الى لقائه.

وأمطره من وابل كلامه ما انبت فيه اصناف الرياحين والأشجار المثمرة، من انواع الطاعات والتهليل والتسبيح والتحميد والتقديس وجعل في وسط البستان شجرة معرفة، فهي تؤدي اكلها كل حين بإذن ربها، من المحبة والانابة والخشية والفرح به والابتهاج بقربه، واجرى الى تلك الشجرة ما يسقيها من تدبر كلامه وفهمه والعمل بوصاياه، وعلق في ذلك البيت قنديلاً اسرجه بضياء معرفته والايمان به وتوحيده، فهو يستمد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، ثم أحاط عليه حائطاً يمنعه من دخول الآفات والمفسدين ومن يؤذي البستان فلا يلحقه أذاهم، وأقام عليه حرساً من الملائكة يحفظونه في يقظته ومنامه، ثم اعلم صاحب البيت والبستان بالساكن فيه، فهو دائماً همه اصلاح السكن ولم شعثه ليرضاه الساكن منزلاً.

واذا احس بأذى شعث في البستان، بادر الى اصلاحه ولمسه خشية انتقال الساكن منه، فنعم الساكن ونعم المسكن.

فسبحان الله رب العالمين كلم بين هذا البيت، وبيت استولى عليه الخراب وصار

مـأوى للحشـرات والهـوام ومـحـلاً لإلقـاء الأنتان والقـاذورات فيـه، فمن اراد التخلي وقضاء الحاجة وجد خربة لا ساكن فيها ولا حافظ لها وهي معدة لقضاء الحاجة مظلمـة الأرجـاء منتنة الرائحة قد عـمهـا الخراب، وملأتها القاذورات، فلا يأنس بها ولا ينزل فيـهـا الا من يناسـبـه سكناها من الحشرات والديدان والهوام.

الشـيطان جـالس على سـريرها وعلى السـرير بسـاط من الجـهل، وتخـفـق فـيـه الأهواء وعن يمينه وشماله مرافق الشهوات.

وقـد فـتح اليـه باب من حـقل الخـذلان والوحـشيـة والركـون الى الدنيـا والطمـأنينة بهــا، والـزهد فـي الآخــرة، وأمطـر من وابل الجهل والهوى والشـرك والبدع مـا انبت فيـه اصناف الشوك والحنظل والاشجار المثمرة بأنواع المعــاصـي والمخــالفــات من الـزوائد والتنديبـات والنوادر والهذليات والمضحكات والاشعار والغـزليات والخمريات التي تهيج على ارتكاب المحرمات وتزهد في الطاعات.

وجعل في وسط الحقل شـجرة الجـهل بـه والاعــراض عنه، فـهـي تؤتي أكلهــا كل حين من الفـسوق والمعاصي واللهـو واللعب والمجــون والذهـاب مع كل ريح واتبــاع كل شــهـوة، ومـن ثمــرها الـهــمــوم والـغــمــوم والأحزان والآلام.

ولكنها متوارية باشتغال النفس بلهوها ولعبهـا، فإذا افاقت من سكرها أخضرت كل هم وغم وحزن وقلق ومعـيـشـة ضنك، وأجرى الى تلك الشجـرة ما يسـقيـهـا من اتباع الهوى وطول الأمل والغرور.

ثم تـرك ذلك البـيـت وظلمــاته وخــراب حـيطانـه، بحـيث لا يمنع منه مـفـسـد ولا حيـوان ولا مؤذ ولا قذر، فـسبـحـان خـالق هذا البـيت وذلك البـيت فمن عـرف بيـتـه وقدّر مـا فيـه من الكنوز والذخائر والآلات انتفع بحياته ونفسه، ومن جهل ذلك جهل نفسه واضاع سعادته.

سـئل سـهل التسـتري: الرجل يأكل في اليـوم أكلة؟ قـال: أكل الصـديقين قـيل: هل فأكلتان؟ قال: اكل المؤمنين، قيل له: فثلاث أكلات؟ فقال: قل لأهله يبنوا له معلفاً.

قال الاسود بن سـالم: ركعتين اصليهما لله احب الي من الجنة بما فيها، فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم، الجنة رضى نفسي والركعتان رضى ربي، ورضى ربي أحب الي من رضى نفسي.

وقــال أحـــدهم: العـــارف في الارض ريحانة من رياحين الجنة، اذا شمها المريد اشـتـاقت نفـسـه الى الجنة، وقلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله، فإذا لاحظ جــلاله هـابه وعظمــه، واذا لاحظ جماله احبه واشتاق اليه.

التقاويم

وتجربة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الاردنية الهاشمية

■ بقلم الاستاذ يحيى زكريا ابو لبن

التقويم هو النظام الذي وضعه الإنسان لإحصاء الأيام، والاسابيع والشهور، والسنين، وضرورته تنبع من اتصاله بالحياة اليومية العامة منها والخاصة في شتى المجالات.

لقد ادرك الانسان أن هناك تعاقباً منتظماً للفصول، وحيث ان الفصول تؤثر في حياة الناس وتحدد حاجاتهم من الزراعة والتجارة وغيرها، فقد احتاجوا الى تقويم يمكنهم من التحضير لما سيأتي من الفصول، وقد اعتمد الانسان في حياته الأولى على الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم.

وتعتبر الدورة الظاهرة للشمس، أبسط وحدات نظام اليوم الشمسي واكثرها وضوحاً، وقد اظهرت السنة الشمسية تعاقب الفصول، إلا ان قدماء البشر لم يدركوا ان تعاقب الفصول سببه دوران الارض حول الشمس وكانوا يرون بأم اعينهم تغير مواقع القمر وتعدد اشكاله، ونتيجة لذلك فقد اعتبروا الفترة التي هي بين بدرين متتاليين شهراً قمرياً ،، ومن المعلوم ان الشهر القمري يساوي (٢٩,٥) تسعة وعشرين يوماً ونصف اليوم وأن اثني عشر شهراً من هذه الشهور تساوي (٣٥٤) ثلاثمائة واربعة وخمسين يوماً .

وبناء على ذلك فإن السنة القمرية هي أقل من السنة الشمسية التي مقدارها (٣٦٥) يوماً و (٥) ساعات وثمان واربعون

دقيقة وست واربعون ثانية أي ما يعادل احد عشر يوماً.

وقد اتفق المسلمون على ان التقويم الهجري يبدأ من هجرة الرسول ﷺ الى المدينة المنورة، والتي وافقت عام ٦٢٢م، وبما ان السنة الهجرية اقصر من السنة الميلاديه بأحد عشر يوماً، فإن بداية السنة الهجرية تنقص سنة كاملة كل اثنتين وثلاثين سنة، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا في قصة اصحاب الكهف بقوله تعالى: **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾** الكهف: ٢٥، أي إنا إذا حسبنا مدة مكثهم في الكهف بالحساب الشمسي كان (٣٠٠) ثلاثمائة سنة وبالحساب الهجري (٣٠٩) ثلاثمائة وتسع سنين، والسنة الهجرية تعتمد على القمر وفيها اثنا عشر شهراً طول الشهر فيها ثلاثون او تسعة وعشرون يوماً والاشهر الهجرية هي: (محرم، صفر، ربيع الاول، ربيع الثاني، جمادى الاولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة).

❖ التقويم الميلادي:

ان التقويم الميلادي هو الاكثر استعمالاً وشيوعاً بين الناس، ويتكون هذا التقويم من اثني عشر شهراً تتراوح ايامها بين ثلاثين وواحد وثلاثين يوماً، اما شهر شباط ففيه ثمانية وعشرون يوماً ويصبح تسعة وعشرين يوماً مرة كل اربع سنوات حيث تسمى هذه السنة بالسنة الكبيسة، إلا ان هذا التقويم ليس دقيقاً بما فيه الكفاية، لانه لا بد من حذف اليوم الزائد من شهر شباط في الارقام التي لا تقبل القسمة على اربعمائة بدون باق مثل (١٧٠٠،١٨٠٠،١٩٠٠) وبالتالي لا بد من الابقاء عليه في السنة التي تقبل القسمة على اربعمائة مثل (١٦٠٠، ٢٠٠٠) وهكذا، وان المسلمين والعرب يستعملون اصطلاحاً اطلقوا عليه مسميات متعددة: كالتقويم والروزنامة والنتيجة وكلها تصب في معنى ضبط التاريخ واليوم.

وكلمة روزنامة تعني بالفارسية: اسم اليوم وتعني في بلاد الفرس، الجريدة او الصحيفة لانها تصدر باسم يوم معين اما التقويم فقد جاء في كتاب مختار الصحاح للرازي بمادة قوم أي استقام وتعني: الاعتدال فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه﴾** فصلت: ٦، أي في التوجه اليه دون الآلهة ويقال: قوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم.

لقد اهتم العرب والمسلمون وغيرهم بوضع جداول للتقاويم، كما ان القرآن

الكريم قد دعانا الى النظر والتفكر وحساب الايام والسنين، من مثل قوله تعالى: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾** البقرة: ١٨٩، وقوله تعالى: **﴿ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله﴾** البقرة: ٢٨٢، وقوله تعالى: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق﴾** يونس: ٥ .

وقوله تعالى: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾** الاسراء: ١٢، وقوله تعالى: **﴿قال كم لبثتم في الارض عدد سنين، قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم فاسأل العادين﴾** المؤمنين: ١١٢-١١٣، وقوله تعالى: **﴿الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون﴾** السجدة: ٤، وقوله تعالى: **﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾** السجده: ٤ .

لقد احترم القرآن الكريم مبادئ التاريخ من خلال احترامه للعهود والعقود حيث ان العهود والعقود كلها مرتبطة بتواريخ محدودة وعهود مفصلة، ففي سورة المائدة: ١، قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود﴾** وفي ادعية النبي ﷺ تحديد زماني ضمن الأدعية المأثورة عنه ﷺ: (اللهم اجعل خير اعمالنا خواتيمها وخير زماننا آخره، وخير ايامنا يوم نلقاك).

❖ التقويم الهجري:

يعتمد التقويم الهجري على حركة القمر حول الارض، والفترة الزمنية التي يأخذها القمر لإتمام دورة واحدة حول الارض، وتسمى بالشهر القمري او الهجري وهذه الفترة بين ٢٩ و ٣٠ يوماً، والسنة القمرية تتكون من اثني عشر شهراً، ويبدأ اول يوم في هذا الشهر من الليلة التي شوهد فيها القمر هلالا مع غروب الشمس، وقد بدأ التاريخ الهجري (١/١/١هـ) يوم ٦٢٢/٧/١٥هـ.

❖ تقويم المملكة الاردنية الهاشمية:

عملت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، على اصدار تقويم موحد للمملكة بعد دراسات جادة ولجان متعددة، نظراً لأهمية التقويم وارتباطه بعبادات المسلمين من صلاة وصيام وحج وزكاة، بالتعاون مع دوائر الدولة ذات العلاقة كدائرة قاضي القضاة ودائرة الارصاد الجوية والمركز الجغرافي الملكي

والجمعية الفلكية الاردنية وغيرها من الدوائر، بعد ان اصبح بالإمكان على مستوى عالمي عمل تقاويم لعشرات بل لمئات السنين القادمة، وذلك لما شهده القرن السابق والحالي من تقدم علمي وفق معادلات حسابية دقيقه لمعظم مناطق العالم بما يشمل المدن والقرى، وفي السنوات الاخيرة فإن وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، قامت بإصدار تقويم خاص بالمملكة الاردنية الهاشمية يشرف على اعداده نخبة من الخبراء الاجلاء بالتنسيق مع الجمعية الفلكية الاردنية، متوخية الدقة الى حد كبير وبخاصة في اوقات الصلاة، وفي بدايات الاشهر القمرية، ويتضمن التقويم الاشهر القمرية والميلادية واوقات الصلاة لمدينة عمان، وفروق التوقيت للمدن الاخرى كما استحدثت جداول لعدد من المدن تنشر داخل التقويم في بداية كل شهر ومن هذه المدن العقبة وعمان والكورة والطفيلة.

وقد تابعت لجنة المواقيت التابعة لوزارة الاوقاف كل الملاحظات التي وردت حول التقويم المعمول به، والذي كان من ابرزها أثراً الأذان الموحد ورأت اللجنة اعتماد تقويم جديد منذ عام ١٤٢٢هـ /١٤٢٣هـ الموافق لعام ٢٠٠٢م، يعتمد في عمان احتساب وقت صلاة الفجر وشروق الشمس بالنسبة لمنطقة ماركا، واحتساب اوقات الصلوات الاخرى بالنسبة لمنطقة صويلح وهكذا في كل مدينة كبيرة، يؤخذ موقع في شرقها لاحتساب وقتي الفجر والشروق، وموقع في غربها لاحتساب اوقات بقية الصلوات وادخلت اوقات الصلاة لإربد والكرك والطفيلة ومعان والعقبة، وجداول بأوقات الصلاة وقائمة بفروق التوقيت لمدن اخرى، كما اعد قسم المواقيت جداول لمناطق بحاجة الى توقيت خاص بها وان لم يكن فيها الا مساجد قليلة كالريشه ورأس منيف، واما بشأن بدايات الاشهر القمرية فقد اعتمدت اللجنة في هذا التقويم حساب امكانية الرؤية.

اما ما يتعلق بالأهلة خاصة في شهر رمضان المبارك وشهر شوال، فتقوم اللجنة التابعة لدائرة قاضي القضاة بمراقبتها والاعلان عن ثبوتها في حينه، ويتضمن التقويم الاعياد والمناسبات الاسلامية والوطنية والعالمية، كما يشتمل تقويم الحائط على آيات كريمة واحاديث شريفة وفوائد جمة، تساهم في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع.

نسأل الله سبحانه وتعالى ان تعم به الفائدة، وان يلهمنا ربنا عز وجل خيري

آيات خلقك في الوجود عظيمة

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

رجعت بنا الأيام صاح قهقرى ... والشيب بان بهامتي ماذا جرى
قرب الرحيل الى البرازخ اخوتي ... فعلام عيني مسها بعض الكرى
النفس تلهو والسعادة طاعة ... لله يا من كنت من جنس الورى
الله قد خلق العباد لطاعة ... فانهج اذا كنت الغداة مفكرا
عن دار دنيانا الأنام ترحلوا ... الدود داس وجوههم تحت الثرى
فاطلب سبيل الرشد عمرك واغتنم ... ساعات عمرك للجنان مشمرا
قصرت في حق الإله تعبدي ... فاغفر لنا الآثام يا رب الورى
وامنح لنا الفردوس أطيب منزل ... واغفر لنفسي خالقي ما قد جرى
وارض عن النفس المسيئة غايتي ... غفرانك اللهم انك من درى
اني الى رضوانه متعطش ... في حبه ما عشت وثقت العرى
يا رب اشهد انك الله الذي ... أبدعت خلقتنا وفي الدنيا نرى
آيات خلقك في الوجود عظيمة ... كيف المقصر في العبادة يعذرا
آيات خلقك في الوجود عظيمة ... والكون من صنع المهيمن مزهرا
آيات خلقك في الوجود عظيمة ... والكون عن رب البرايا اخبرا
فانظر الى عظم السماء وما بها ... والله اقسم بالمواقع مخبرا
ان النجوم على العظيم دلالة ... ان النجوم دليل من يمشي السرى
الليل يأتي للسبات سكونه ... اما النهار الى البرية مبصرا
والموت يُفني الكائنات جميعها ... والله اجرى في البلاد الانهرا
يا رب صل على النبي وآله ... طه الشفيع الى البرية منذرا



خطبة الجمعة

قال عز وجل: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ❖ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾.

أيها الاخوة الموحدون؛

الاسلام في مدلوله المشرق، دين إلهي متكامل وتشريع فذ له أصوله الشامخة، وركائزه المتينة، ومن ثم فهو يتناول بالاصلاح والتهذيب كافة نواحي الحياة وضروبها، ويقود مسيرتها ان تنحرف بها السبل، ويمسك زمامها ان يلتوي بها القصد.

نعم معشر المسلمين؛

انه اسلام القلب والجوارح لله رب العالمين فكراً وعبادة وسعياً وتوجهاً، في خضوع وحب ورغبة ورجاء وانابة ودعاء **﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين﴾.**

انه رسالة خالدة وافية، انبثق نورها ليهدي البشرية الضالة، وينقذ الانسانية الحائرة التي كادت رأسها ترتطم بالصخور، ويوجه هذا القطيع المعربد وقد أفلس رصيده من القيم، فراح يتهالك في تمزق وشتات وضياع وشرود، ان الاسلام جاء ليهدم الجاهلية في كل مصر وناد وفي كل عصر وجيل، ويدك ابراجها العالية واركانها العاتية، ويمحو آثارها في جميع صورها وأشكالها.

وهذا ما قام به وعمل على تحقيقه اعظم مصلح في تاريخ الانسانية، انه الرسول الجليل سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله، حيث بعث في زمن طغت فيه الجاهلية وبغت وعمت وتفاقمت، وضربت اطنابها في ربوع الأرض، تزرع الشرور والآثام وتمكّن للظلم والعدوان.

واتخمت الأرض بالسفاهات والحماقات الطائشة، فحيثما وليت وجهك، ألفيت فساداً طافحاً وخبثاً مستشرياً، ووجدت نعرات جوفاء ومذاهب خرقاء، تسير التعاسة في ركابها، وينسج خيوطه في ظلالها، فهناك انظمة اقتصادية جائرة، وثمة حكومات مستبدة مستعلية، جعلت من الناس خولاً وعبيداً، يسامون العذاب في خدمة الطواغيت المارده، ويتجرعون كؤوس الذل في جو مشحون موبوء.

نعم أيها الإخوة المؤمنون؛

في خضم هذا المعترك الصاخب، المائج بالفتنة والمنكر، ارسل الله تعالى نبيه ﷺ على حين فترة من الرسل، فدعا الى عبادة الله الواحد، وجاهد وأبلى بلاء كبيراً، لسحق الجاهلية وإقصائها عن قيادة العرب.

واعلن الرسول العظيم ﷺ، دعوته الخالدة ونشط في إخماد أنفاس الجاهلية، مزرياً عليها، مبطلاً عقائدها الوثنية، حاملاً بدلاً منها الى البشر صيحة السماء الأخيرة في عالم الشرائع ودنيا الرسالات، ثم صدع بالحق في وجه الطغاة المستبدين، وبيّن لعبدة الاصنام وسدنة الجاهلية، مدى ما وصلت اليه

عقولهم من خبل، ومقدار ما آل اليه فكرهم من ضلال وهوس وصدق الله العظيم اذ يقول: **﴿ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾**.

ولكن هل ألقت الجاهلية السلاح وهادنت رسالة الحق والنور؟ هل أبصرت ما في طبيعتها الجاحدة من نقائص مشينة ومساقط فادحة، وانها بهذا العوار، وذاك الزيف، جرثومة قاتلة تبيد الانسانية وتضعها على حافة بركان، يقذف بالحمم ويرمي بشرر كالقصر!!

نعم معشر المسلمين:

فالجاهلية وطواغيتها وكل ما يملكون من قوة، اعلنوها حرباً ضروساً لا هوادة فيها على الاسلام واهله وداعيته الاول سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وقام صراع مرير احتشد فيه الباطل وجمع جموعه، ليخوضها معرك ساخنة مع الحق الممثل في سيدنا محمد ﷺ وصحبه العظام رضوان الله عليهم، وهو يحسب ان الدولة ستكون له وان النصر سيؤول اليه، ولكن هيهات هيهات.

فما كان للباطل ان يعز امام حق جريء قوي **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾**.

نعم أيها الاخوة المؤمنون؛

لقد استطاع رسول الله ﷺ واصحابه الغر الميامين، بعزيمة صادقة لا تلين وارادة صلبة تفل الحديد، وتذيب جلاميد الصخر، استطاعوا ان يجتذوا الباطل، ويكسروا جبروته، ويحطموا صروح الجاهلية النكراء، ويصرعوا طواغيت الارض تحت سنابك الحق الاسلامي.

ثم انطلقوا يؤسسون كيان الأمة الرائدة، التي حملت رسالة التوحيد الى عالم يموج بالكفر والجهالة، ونشرت في جوانب المعمورة عدالة القرآن وحضارة الاسلام.

وسارت كتائبها الظافرة تقّوض عروش البغي وتثل وتدك حصونه، وتنقذ الأمم والشعوب من كل فساد وظلم وإلحاد، حتى علت كلمة الله تعالى في آفاق

الأرض، وحكم نظام الاسلام الحضاري الناس جميعاً في أخوة باهرة ومساواة كريمة، وعدالة رحيمة وعبودية لله وحده لا شريك ولا ند له.

لقد أفاقت الانسانية من كابوس ثقيل الوطأة، أوشك على كتم انفاسها وقطع شرايين الحياة عنها، ولكن الله تعالى سلّم، فإذا بالصبح ينبلج والفجر ينبثق، واذا بحادي القافلة ورائد الجماعة يتقدم في إباء وشموخ، ليعلن انقشاع ليل طال فأرخى سدوله، وانجلاء سواد غارت نجومه، وصدق الله العظيم اذ يقول في كتابه العزيز: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾**.

ان البشرية منذ ان امسك بزمامها تلاميذ سيدنا محمد ﷺ وهم رهبان الليل وفرسان النهار رضوان الله عليهم، أخذت تشق طريقها صعداً الى حضارة ربانية وارفة الظلال، تصنع الأمجاد وتعلي بنيان الفضائل، وترسخ دعائم المساواة وتبسط جناحيها على المعذبين والمنكوبين، فتأسوا جراحهم وتلملم أحزانهم، وما سعد الناس وطابوا نفساً وقروا عيناً، وما أحسوا بنعمة الأمن وتنسموا عبيره، الا بعد ان تنفسوا في جو الاسلام الطهور.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله انه هو الغفور الرحيم.

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العــدد السابع - المجلــد ٥٥

شعبان ١٤٣٢هـ - تموز ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

اهداف المجلة

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

إنمـــا العـــزة للـــه..

لا ريب ان المسلمين في كل عصـر وجيل، ينشـدون العـزة والرفعـة، سـيمـا وان لهم رصيـداً كبيـراً من حقـائق الوجـود الاسـلامي، والتـي سـاهمت وأثرت في مسيـرة وبناء الحضارة الانسانية عبر قرون طويلة.

وهذه العزة المنشودة، ما كانت في يوم من الايام مادية تسفك الدماء، وتنهب الاموال، وتنتهك الحرمات، وتستعبد الاحرار، وتفتك بالضعفاء، وترمل النساء وتيتم الاطفال، وتفرض نفسها على الآخرين بقوة السيف او الرعب والفزع!!

بل ان العزة التي هي في اصلها لله عز وجل ولرسوله ﷺ ومن ثم للمؤمنين، هي التي تمثلت فيها قيم ومبادئ ومثاليات حضارة الاسلام، التي نباهي بها بل نفاخر الأمم كلها، لأن دعائمها ومرتكزاتها ما أقامها وأعلى قدرها وشأنها سوى القرآن العزيز.

وهذا يوجب على كل مسلم، ان يجد ويجتهد ويعمل على عودة هذه العزة، التي كادت تتلاشى هذه الأيام، بكل ما يملك من نفس ومال وقلب ولسان وقلم، فالمسلمون في العزة الاسلامية امام خالقهم، سواسية في عبوديتهم له عز وجل، وهم سواسية أمام الحياة في الحقوق والواجبات.

والمسلمون جميعاً في ظلال العزة الاسلامية، اخوة في حرية العيش الكريم دون تغابن او تظالم، وهم اخوة في حرية التفكير وانطلاق العقل في ميادين العلم والمعرفة، وللأمة الاسلامية تاريخ حافل مع الدعوة الى الله تعالى لاعلاء كلمته، تلك الدعوة المباركة الخالدة، التي جمعت بين الشعوب والأمم، وألفت بينهم بعقيدة التوحيد، والدعوة الى الله، والقيام بالعدل وتحقيق الامن بين العباد، والأمر بالمعروف والسعي الى البر والاصلاح، والنهي عن المنكر والبغي والتحذير من الظلم والفساد.

ولرسوله..وللمؤمنين

الاسلام الذي يقرر ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، هو دين الانسانية كلها، لا يقيم اي وزن في حسبانه لحواجز الجنس او العرق او اللون، ولا تعرف مبادئه واحكام شريعته الفوارق، فكل مؤمن بهذا الدين الخالد، مكلف بأحكامه والتزاماته، وتطبيق اوامره واجتناب نواهيه في واقع الحياة المعاش.

وطبقاً لأوامر الله سبحانه وتعالى، والايمان بدستوره العظيم وكتابه المبين، اوجب النظم الاصلاحية صوراً للعلم عامة، والكشف عن آيات الله ودلائله في هذا الوجود وفي هذا العصر تحديداً، الذي على الرغم من تنوع الحضارات وتقدمها في عمارة الارض، جلها حضارات زائفة مزعومة، تزرع الشرور وتبث الآثام والقوميات المفرقة والحروب المدمرة، والأزمات المفتعلة التي تعيث في الارض الفساد، بموازين مختلة، وبمعايير مزدوجة!!.

واين هذا من شريعة الاسلام، التي تدعو الى السلام والوئام والتعاون على كل ما فيه خير الانسانية مسلمها وكافرها، اين هذه الحضارات الكاذبة من شريعة سامية سامقة، تدعو الى الاعتدال في كل شيء، بل هي وسط في كل امر، وبذلك سمانا الله العزيز الكريم: أمة وسطاً وصدق تقدست أسماؤه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ البقرة: ١٤٣ .

أسرة التحرير

٢

أثر الحرص على السّنة النبوية في ابتكار مناهج علمية جديدة

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

منهج السنة في تحقيق المعرفة:

كانت السنة النبوية في مجموعها، مصدراً رئيساً لمعرفة التعاليم الإسلامية، وإن الأدلة التي تدل على ذلك ثابتة وقاطعة بنصوص من القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(٢)، وقوله عز وجل: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(٣). ومن هذا المنطلق فلا حاجة للمجادلة فيها والرد عليها لأن أصحابها قد اعتمدوا على حجج العقل والنقل معاً، وقد تكفل بحفظها علماء متخصصون من السلف والخلف فلا حاجة لتكرار الكلام فيه.

وفي الحقيقة أن أي علم من العلوم، وفرع من فروع المعرفة في تاريخ الإنسانية كلها، لم يتوافر له من التوثيق والتدقيق في البحث والتثبت من صحة النصوص مثل ما توافر للسنة الشريفة، وإنما يتجاهل هذه الحقيقة من لم تتح له معرفة الجهود التي بذلها علماء الحديث قديماً وحديثاً- كما تكلمنا عنه سابقاً- للتثبت من صحة الرواية عن النبي ﷺ، والتمحيص لأحوال الرواة، والتأكد من صحة الحديث

متمسكين بقواعد منهج صارم في السند والمتن جميعاً.

وعلى الرغم من ذلك فإن قضية فهم السنة النبوية قضية جوهرية لا تقل أهمية عن قضية التثبت من صحة المرويات، وكيفية الاحتجاج بالسنة النبوية، والالتفات إلى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقاريره التي قد تكون صادرة منه على سبيل التبليغ أو على سبيل الإمامة أو على سبيل القضاء، إلى غير ذلك مما فصل القول فيه علماء أصول الفقه وكثير من المحدثين(٤).

ولكن القضية الواحدة التي نعرض لها في هذا البحث، هي كيف كانت السنة المطهرة قد وجهت إلى منهج أصيل مهم لتحقيق المعرفة في جميع نواحيها؟ ألا وهو المنهج السمعي الذي يمثله البلاغ القرآني والبيان النبوي، وذلك لأنه الطريق المتميز في الاعتماد على هذا المنهج الذي يثمر المعارف الصادقة واليقينية في المجال الفكري الذي ساد في حضارة الإسلام نفسها، وبهذا المنهج صارت السنة النبوية وبجانبها القرآن الكريم مصدرا المعرفة في الثقافة الإسلامية.

أولاً: المنهج النبوي البياني:

إن هذا المنهج ينبثق من دستور القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى، وكتابه الذي أحكمت آياته، وبلاغه المبين على لسان رسوله محمد ﷺ إلى العالمين. وهو وحي الله تعالى إلى رسوله، ومعجزة التحدي وآية صدق هذا الرسول، ويعتبر القرآن أرقى مستويات المنهج السمعي الذي لم يكن هناك مثله، سواء في الإعجاز المتحدي أو في حجية المعجزة، أو في توثيق الرواية، أو في عقلانية الدراية، أو التعهد الإلهي له بالحفظ، وبعدم تبديل ما فيه من كلمات، ولا يأتيه الباطل من أي اتجاه وغير ذلك.

وتوضيحاً لذلك فقد جاءت في القرآن آيات كثيرة مثل قوله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(٥)، وقوله سبحانه: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلي، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾**(٦)، وقوله عز وجل: **﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم﴾**(٧)، وقوله جل وعلا: **﴿وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾**(٨) وغيرها من

الآيات.

وعلى الرغم من تطاول القرون التي بلغت الخامس عشر حتى الآن، فإنها تشهد على صدق هذا الوعد الإلهي بالحفظ وعدم التبديل، ونفي الباطل، ودائماً تقوم الشواهد على القرآن الكريم في مصادر المعرفة أعلى درجات الصدق والثقة واليقين، وذلك بالإضافة إلى دلائل صدقه المستمدة من وجوه إعجازه الأخرى الكثيرة، ولا زال بتعاليمه يقف شامخاً في وجه الأعاصير.

ولقد كانت مهمة الرسول ﷺ هو البلاغ لهذا المنهج الذي بلغ قمة اليقين المعرفي، ويمكن تلخيص هذه المهمة في الأمور الآتية:

١- إن البلاغ لهذا القرآن الكريم يمثل مهمة جاءه الأمر بها في كثير من آياته البينات باستعمال هذا اللفظ نفسه "البلاغ" ومشتقاته، أو بألفاظ تحمل مضمون إبلاغ هذا القرآن الكريم إلى العالمين. مثل قوله تعالى: **﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾**[٩]، وقوله سبحانه: **﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾**[١٠].

ولقد نهض الرسول ﷺ بهذه المهمة، فبلغ الرسالة وأشهد على ذلك الله والناس أجمعين.

٢- وإن البيان لهذا البلاغ القرآني هي المهمة الثانية من مهام الرسالة، وذلك بتفصيل مجمله، وتفسير إشاراته، والتخصيص لعامه، والتقييد لمطلقه، ووضع الضوابط المعينة على التمييز بين محكمه ومتشابهه، وأيضاً بتوقيت الشعائر والفرائض والمناسك، وبيان مقاديرها وشروطها وأركانها وأنصبتها ومصادرها ومصارفها وهيئاتها وغير ذلك.

ولقد أنجز الرسول ﷺ هذه المهمة وهي القيام بما فرضه الله عليه تنفيذا لقوله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**[١١]، وقوله سبحانه: **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾**[١٢].

٣- وإن التجسيد العملي للرسالة الإلهية عقيدة كانت أو شريعة وقيماً وأخلاقاً، هو التجسيد العملي لها بالتجربة النبوية، والتطبيق النبوي لمعالم المنهج الإسلامي، وهو الذي وضع الفكر القرآني

في الممارسة والتطبيق، وأحال المنهج الرباني بناءً حيوياً في الحياة، وبهذا فقد تخلقت من حوله إبداعات المسلمين المصطبغة بصبغته الربانية في شكل علوم وفنون ومعارف وأبنية مدنية، وتلك هي التي مثلت حضارة الإسلام.

فالإسلام لم ينحصر في الرسالة المحمدية عند حدود البلاغ القرآني، ولا البيان النبوي النظري لهذا البلاغ القرآني فحسب، وإنما كان عبر التجربة النبوية بناءً حيوياً تجسيدياً في الممارسة والسلوك والدولة والعلاقات وغيرها. فكان البالغ الذي جسدته السنة النبوية بالبيان النظري والتجسيد التطبيقي كياناً حياً يعيش به المسلمون، ولذلك كانت السنة النبوية بحكم كونها البيان العملي لهذا البلاغ القرآني سواء في الفكر أو التطبيق، تعتبر مصدراً للمعرفة اليقينية في كل ميادين ونواحي هذا البلاغ القرآني.

وحقاً أن إطار هذه السنة - وهي مبينة للبلاغ القرآني- يحتم أن يكون لها في هذا البلاغ معنى أو مبنى، وهي بذلك قد غدت وتعدو المصدر النبوي لبيان البلاغ الإلهي، سواء أكان بلاغاً هذا البيان النبوي أو اجتهاداً نبوياً أقره بلاغ القرآن الكريم نفسه.

وبهذا المعنى لعلاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم وفي إطار موقفها من المنهج السمعي للقرآن، فإن المسلم يلتمس في هذه السنة ويتخذ منها مصدراً في جوانب شتى ونلخصها فيما يأتي:

١- قد تكون السنة النبوية مصدراً لمعرفة أسباب نزول البلاغ القرآني والوحي الإلهي على رسوله ﷺ، بما يمثله من علم لتفسير القرآن، ووعي بحكمة التشريع الرباني وعون على مسايرة هذا التشريع وملائمته للتطور مع تغير الزمان والمكان.

٢- وقد تكون مصدراً لمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحربي والأدبي وغير ذلك للتجربة الإسلامية في عصر صدر الإسلام، وهي التي حولت البلاغ القرآني والبيان النبوي إلى كيان اجتماعي حي ومجتمع إنساني وبناء حضاري عائش.

٣- وقد تكون مصدراً لأبنية وهياكل الدولة الإسلامية عبر القرون التي أقامها المسلمون لحماية الدعوة الإسلامية ونصرتها، ونشر الدين الإسلامي وتثبيته، وكما أنها تمثل نماذج للواجبات المدنية التي اقتضتها الفرائض الدينية، وبذلك قد اكتسبت صبغة الواجبات الإسلامية وأهميتها، حتى ولو لم يرد التشريع

بفرضيتها صراحة في البلاغ القرآني.

٤- وقد تكون مصدراً للتشريع النبوي والتراث القانوني في السنة النبوية الشريفة، سواء ما كان منه تفصيلاً لمجمل القرآن، أو ما كان منه اجتهاداً فيما لا وحي فيه. وإلى جانب ذلك فهي أيضاً تمثل المصدر للتمييز في هذا الاجتهاد النبوي، بين ما أقره الوحي بالنص الصريح عليه أو بالسكوت عنه وبين ما نزل الوحي مصوباً له أو معدلاً.

٥- وقد تكون مصدراً للتمييز بين الدين الثابت الذي يجب فيه الإتباع للمنطوق والمفهوم من خلال الممارسات النبوية، وبين المتغيرات الدنيوية التي يجب فيها التزام المقاصد والأهداف دون التطبيق حرفياً، وكذلك للتمييز بين الدين الثابت وبين المتغيرات من الأعراف والعادات والتقاليد وغير ذلك.

بالإضافة إلى أنها هي المنهج الفاعل في أي جهد جاد من أجل التقدم والتجديد والتقويم لحياة الأمة، ومن هنا تصبح السنة النبوية الكاشفة عن معالم منهج النبوة مصدراً وفيراً للمعرفة المجددة للفكر الإسلامي ولواقع المسلمين جميعاً، وهذا عن المنهج البياني للسنة النبوية الذي يمثل مصدراً ثميناً للمعرفة في مواكب حياة الأمة الإسلامية.

ثانياً: كيفية تحقيق هذا المنهج للمعارف:

هناك كثير من النماذج الشاهدة لهذه المعارف من خلال البلاغ القرآني الذي يشير إلى القضايا المختلفة، وقام بتفصيله وتفسيره البيان النبوي، **وهذا بعض من تلك النماذج:**

١- قضية بدء الخلق التي يشير إليها القرآن الكريم، حيث جاءت إشاراته تتحدى الطواغيت وعبدة غير الله تعالى مثل قوله تعالى: **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾**(١٣)، وقوله سبحانه: **﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين..﴾**(١٤)، وقوله عز وجل: **﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾**(١٥).

وإذا كانت هذه الإشارات القرآنية إلى بدء الخلق هي اليقين الكاشف للمعرفة الإنسانية عن هذا الأمر الذي لم يشهده سوى الخالق سبحانه وتعالى، فإن السنة النبوية قد مثلت مصدر المعرفة الذي كشف لنا طرفاً من الحديث والعلم عن صورة الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم. فهذا حديث عمران بن حصين، قال

الرسول ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض"[١٦]، ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه"[١٧].

فمن هذا المصدر النبوي وتبعاً للمصدر القرآني، قد عرفنا ونعرف طرفاً من خبر بدء الخلق الذي كشف عن تصور الجلال الذي اختص به خلق الإنسان، حتى لقد أمر ملائكته بالسجود له، حيث قال تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[١٨].

٢- قضية أطوار خلق الإنسان وخاتمته، حيث أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ❖ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ❖ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**[١٩].

ولما كانت هذه الإشارات لإخبار الناس وإعلامهم عن أطوار خلقهم، وهي الأمور اليقينية التي كشف القرآن عنها للمعرفة الإنسانية، فهناك أيضاً إخبار وإيضاح من السنة النبوية عن هذه الأطوار، حتى تكون أكثر وضوحاً وتأكيداً على صحة هذه المعرفة. فهذا حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فو الله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، ليعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[٢٠].

فمن خلال هذا الإخبار النبوي وإعلامه عن أطوار الخلق الإنساني مؤكداً للإخبار القرآني الذي كشف الله عنها، "قد زود المعرفة الإنسانية بحقيقة مفادها أن الجنين يتقلب خلال مائة وعشرين يوماً داخل بطن أمه في ثلاثة أطوار ثم ينفخ فيه الملك الروح في الطور الرابع منها،

وزاد عليها الإخبار القرآني ثلاثة أطوار أخرى حتى أصبحت سبعاً"[٢١]، من بدايتها إلى أن يلقى الإنسان ربه سبحانه وتعالى، ولا شك أنه كسب كبير للمعرفة الإنسانية.

٣- قضية الإخبار عن الأمم السابقة والحضارات البائدة حيث جاءت الإشارات في القرآن عن هذه الأمم من أمثال؛ ذي القرنين، وعاد، وثمود، وأهل مدين، وأخبار الأنبياء والرسل السابقين وغيرها، في مثل قوله تعالى: **﴿ويسألونك عن ذي القرنين، قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ❁ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾**[٢٢]، وقوله سبحانه: **﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين﴾**[٢٣]، وغيرها من الآيات البينات.

وإذا كانت هذه الإشارات التاريخية هي الأمور المتيقنة من ذلك التاريخ، فإننا قد وجدنا في السنة النبوية طرفاً من المعارف، فيها بعض التفصيل لما في البلاغ القرآني من إشارات لذلك التاريخ. وهذا مثل في قصة أيوب عليه السلام التي فصلتها السنة النبوية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك"[٢٤].

٤- قضية واقع الجاهلية التي أخرج الإسلام أهلها من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام، مثل قوله تعالى: **﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾**[٢٥]، وقوله سبحانه: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[٢٦].

فإن الواقع يمثل جماعة بشرية غلبت عليها الأمية، وكانت فقيرة في أدوات التدوين لتاريخ مجتمعاتها من حيث؛ عاداتها وتقاليدها وأعرافها، وفي أديانها وأوثانها ومناسكها، وفي أحيائها القبلية وعلاقات قبائلها بمن جاورهم من الدول والشعوب، وفي مكانة المرأة بها، وأنواع الزواج وعلاقات الرجال بالنساء في الحلال والحرام، وفي أنماط الإنتاج وعلاقاتها بمصادر الرزق وغيرها.

فلا شك أن هذا الواقع الجاهلي لا سبيل إلى فهم عمق التطور الإسلامي وجذور الإنجاز الإسلامي إلا بتصوره، وذلك باعتباره ميدان هذا الانجاز وسبباً في مجيء البناء الحضاري الإسلامي على

هذا النحو الذي جاء عليه، والحق أن هذا الواقع لن نجد مصدراً من مصادر المعرفة والتعريف له أغنى وأكثر من سنة الرسول ﷺ.

وكما أن البيان النبوي وتجسيده للبلاغ القرآني في هذه القضية قد جعل الرسالة المحمدية- أمة ودولة ومجتمعاً ونظاماً وحضارة- تهتدي بالمنهج الرباني وتصطبغ بصبغة الله تعالى، حيث أنها التاريخ الأدق لمجتمع مصدر الإسلام، فيها وصف واقعه، ونصوص دستوره وقانونه، وعاداته وأعرافه، وفيها صور نشاط إنسانه في كثير من ميادين الحياة، الخاصة منها والعامة، وفيها أوسع وصف لدولة الإسلام الأولى عن رعيتها وحدودها، وطرائق العيش وسبل التكسب فيها، وغزواتها وفنون قتالها وفتوحاتها، وما حدث فيها من انتصارات وانتكاسات[٢٧]، فهي أوثق وأغنى مصادر المعرفة للقارئين والباحثين جميعاً.

٥- قضية استخلاف الإنسان في هذا العالم، حيث أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الإنسان خليفة في استعمار هذا العلم الذي يعيش فيه، وعلى امتداد الآفاق التي يبلغه سلطانه. فإن البلاغ القرآني قد حث الإنسان على النهوض بمهام الإعمار هذه، حيث أنها قد جاءت آياته دائماً قارنة الإيمان العامل بالعمل المؤمن، مثل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**[٢٨]، وقوله سبحانه: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[٢٩].

وإذا كان هذا الاستخلاف هو ما أراده الله، وهذا هو حديث البلاغ القرآني عن عمارة العالم الإسلامي بالإيمان والعمل المؤمن، فإن البيان النبوي أو السنة النبوية زاخرة بالمعارف التي تمثل الزاد الذي لا يعد ولا يحصى في هذا المجال، فلا شك أن أحاديث العمل والمأثورات التي حثت على إحياء الأرض وعمارتها كانت متوافرة ومتنوعة، حيث لا حاجة لذكرها جميعاً في هذا المقام.

وعلى كل فإن تجربة البناء الاجتماعي والاقتصادي لدولة الإسلام الأولى هي التجسيد التطبيقي أو العملي لهذا البيان النبوي في هذا المجال. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول الرسول ﷺ: خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح"[٣٠]

بل إن تعظيم العمل الإنساني في السنة النبوية يبلغ المقام الرفيع، حتى يتحدث عنه الرسول ﷺ في حديثه الذي يرويه أنس بن مالك: "إذا قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل"[٣١]. تلك إشارة إلى ذخائر المعارف التي قدمتها لنا السنة النبوية، مصدراً للمعرفة في هذا المجال.

٦- قضية البعث والحساب والجزاء في اليوم الآخر، حيث أن العقيدة الإسلامية تجعلها ركناً من أركان الإيمان، وقد أشار البلاغ القرآني إشارات عديدة إلى البعث بمثابة الحجة على منكريه، مثل قوله تعالى: **﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ولو ترى إذ وقفوا على ربهم، قال أليس هذا بالحق، قالوا بلى وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾**[٣٢] وقوله سبحانه: **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾**[٣٣]، وقوله عز وجل: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾**[٣٤].

وإذا كانت الإشارات إلى حديث البلاغ القرآني عن قضية البعث وخبره، فإن معارف السنة النبوية عن أنباء البعث وصوره وأحوال الناس فيه، هي أيضاً المصدر المعرفي الذي يجد فيه المسلم ما يقرب صورة هذا الخبر الغيبي إلى العقل المحدود لمخلوق عالم الشهادة، تتوجه إليه هذه الرسالة الإلهية بالبلاغ والبيان كما قال الله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٣٥].

وتأكيداً على هذا فهناك مثلاً في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه حيث يقول الرسول ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ المسبل[٣٦]، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.."[٣٧]. وكما وجدنا أيضاً الخبر عن الجزاء والشفاعة يوم القيامة في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد أسودوا، فيلقون نهر الحيا أو الحياة (شك مالك من أحد رجال السند) فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟.."[٣٨].

وهذا بالإضافة إلى ما ضمت كنوز السنة النبوية من صور تقرب للذهن الإنساني قدر الإمكان: أحوال النفخ في الصور، وأحداث ما بين النفختين، وصورة الحشر ومكانه، وصورة الناس فيه، والحساب والميزان، ومن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وغير ذلك من الأنباء والأخبار والمعارف المقربة والميسرة والمفسرة لإشارات البلاغ القرآني لهذا الخلق الذي يستحيل على العقل البشري إدراك كنه حقائقه ومضامينه.

كانت هذه بعض الأمثلة من النماذج التي تشهد على أن المنهج البياني للسنة النبوية قد تمكن من تحقيق المعارف الإسلامية، وعلى صدق وفائها بهذه المهمة في الفكر الإسلامي وفي حضارة المسلمين.

وخلاصة القول: إن تحقيق الإنسان المسلم للمعارف العديدة من المصادر والميادين المختلفة بوساطة السنة النبوية، قد يفتح للعقل الإنساني الجديد والعديد من الآفاق، وذلك دون أن يحد من قدرات وإمكانات وآفاق هذا العقل أو يقيد من طموحاته.

وإن هذا المنهج الإسلامي الذي يجعل البلاغ القرآني وبيانه النبوي مصدرا للمعرفة اليقينية في ميادين متعددة، قد يكون في بعضها مجرد دافع للعقل على النظر وحافظ له من تجاوز الحدود، وقد يكون في بعضها المعين المؤازر، ويكون في أخرى المصدر الوحيد لمعرفة ما لا مجال للعقل فيه. وبهذا المنهج رأينا السنة النبوية مصدراً للمعرفة التي تقوم- بجانب البلاغ القرآني- بإثراء معارف الإنسان المسلم، وإغناء النظام الفكري لحضارة الإسلام.

❖ الخاتمة:

وختاماً لا شك أن القارئ لهذا البحث يكتشف كيف أن السنة النبوية الشريفة – بعد القرآن الكريم- قد أثرت تأثيراً قوياً على مسار الفكر الإسلامي، وتوجيه الحضارة الإسلامية في مختلف نواحيها وتجلياتها، تلك الوجهة التي صارت عليها منذ انطلاقتها الأولى وعبر القرون الأولى إلى يومنا هذا.

وكل العلوم الشرعية التي أبدعها المسلمون ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسنة النبوية الشريفة وعليها تتأسس، فالمفسر لكتاب الله العزيز لا بد أن يرجع إليها لفهم كلامه سبحانه، كما يرجع إليها الفقيه والأصولي لاستنباط الحكم الشرعي المناسب، والداعية المربي لا غنى له بالاقتباس من سنة وسيرة الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آيات

ربهم، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

وبهذا وغيره يتأكد جلياً بأن السنة النبوية الشريفة، هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم؛ المصدر الذي كان له تأثيره الواضح على مختلف علوم المسلمين وإبداعاتهم في المجال التشريعي وفي المجال السياسي وفي مجال التربية والتعليم، وفي غيرها من المجالات الأخرى.

ولقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم قدر رسول الله ﷺ وعلموا أنه لا ينطق عن هوى وإنما هو وحي يوحى، ولم يجربوا عليه كذباً ولا علموا عنه رذيلة قبل بعثته ﷺ .. علم الصحابة كل ذلك فسارعوا إلى أقواله يحفظونها، وإلى أفعاله وسيرته يقتبسون منها القدوة والمثال، وإلى تقريراته يميزون بها الحق من الباطل.

فعلوا هذا لأنهم علموا أن الإيمان الحق لا يمكن أن يتحقق في نفوسهم إلا بالخضوع لأوامر النبوة، وخصوصاً في حياتهم كلها، ثم لا يجدوا في هذا الخضوع أدنى حرج أو ضيق، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** النساء: ٦٥ .

وجعل الله طاعة رسوله الكريم مقرونة بطاعته سبحانه فقال: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** النساء: ٥٩ .

بهذه الآيات وغيرها كان القرآن الكريم يحدد للصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم من المؤمنين الصادقين، كيف يقدرون السنة النبوية الشريفة، وكيف يتعاملون مع نصوصها الخالدة.

وهذا التقدير لسنة المصطفى ﷺ هو الذي حفظ لنا نصوص هذه السنة إلى اليوم، ولم تنل سير الأنبياء والرسل ولا سير الحكماء والحكام الذين كانوا قبل الإسلام مثل هذه العناية ولا أقرب من ذلك، وصدق الله العظيم حين قال: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: ٩ .

ولا شك أن حفظ القرآن لا يتحقق كاملاً إلا بحفظ السنة النبوية الشريفة لأن السنة هي المبينة للكتاب، الموضحة لمراد كلام الله: تفصل ما أجمله، وتقيد ما أطلقه، وتخصص ما عممه. ولا يمكن لعاقل أن يفهم الإسلام وحضارته والفكر المنبثق عنهما إلا إذا فهم السنة وفهم ذلك التأثير العميق الذي كان لها على مختلف نواحي الحياة الفكرية للمسلمين.

لهذا فإن هذا البحث- كما سيتبين لقارئه- قد حاول ملامسة هذا التفاعل الذي حدث بين حياة المسلمين وواقعهم مع نصوص السنة طيلة القرون الثلاثة الأولى للحضارة الإسلامية.

كما بينت مدى اهتمام السنة النبوية الشريفة بالعمل والتشجيع على بذل الجهد لتحقيق العمل المتقن. لأن العمل في الإسلام يسموا إلى مستوى العبادة إذا كان صاحبه مؤمناً وغرضه شريفاً.

وخلاصة القول: إن السنة النبوية الغراء قد أكدت اهتمامها وعنايتها البالغة بوضع معالم الأخلاق الإسلامية الفاضلة ومكارمها، وأن هذه العناية والاهتمام قد تجلت خلال شخصية الرسول ﷺ نفسه وبرسالته الخالدة، وبأدبه الإلهي، وبأخلاقه القرآنية المجسدة في سننه العملية وسيرته التطبيقية. وأن أول ما اهتمت به السنة هي الدعوة إلى تحصيل العلوم والمعارف، امتثالاً لما بدأه الله تعالى في القرآن الكريم في توجيه الإنسان وعقله إلى التعلم والقراءة والتطلع إليها.

وخلاصة القول: إن دور السنة النبوية واضح في مجال الفكر الإسلامي وتطوراته، وكان أبرز الأثر فيه هو تحرير الفكر الإنساني وإطلاق العقل من قيوده، ورسم الخطوط العامة للفكر الإسلامي في حركته، وفتح الطريق أمام الاجتهاد والتفسير والاستنباط ثم طرأ التطور والانفتاح على الثقافات الإنسانية والعالمية، وبدأت حركة الترجمة وتوسعت آفاق الفكر الإسلامي وأصبحت حركة ضخمة، فظهرت مدارس عديدة مثل؛ مدارس الفقه، والعقائد، وتحقيق السنة، فاللغة والأدب، والكتابة التاريخية وغيرها.

كما بينت كيف أن الحرص على سلامة وصحة النص الحديثي قد دفع بعلماء الحديث إلى ابتكار علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل علماء الأديان والحضارات السابقة، حيث أبدع علماء الحديث علوماً كثيرة لحفظ سند الحديث ومتنه، منها علم الجرح والتعديل، وعلم مصطلح الحديث. وكل هذه العلوم غرضها الحفاظ على النص الحديثي رواية ودراية.

وهذه العلوم أكدت كلها صدق نبوءة المصطفى الكريم محمد ﷺ الواردة في الحديث النبوي الشريف: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"(٣٩).

الهوامش:

(١) سورة آل عمران: ٣٢.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة النساء: ٨٠.

(٤) مجلة الإسلام المعاصر، تحت عنوان: الإستعانة بالسنة النبوية في تحقيق نهضة حضارية إسلامية شاملة، د. أحمد كمال أبو المجد، ص٢٣-٢٥، مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالي للفكر الإسلامي.

(٥) سورة الحجر: ٩.

(٦) سورة يونس: ١٥.

(٧) سورة يونس: ٦٤.

(٨) سورة فصلت: ٤٢/٤١.

(٩) سورة النور: ٥٤ وسورة العنكبوت: ١٨.

(١٠) سورة آل عمران: ٢٠.

(١١) سورة النحل: ٤٤.

(١٢) سورة النحل: ٦٤.

(١٣) سورة العنكبوت: ٢٠.

(١٤) سورة السجدة: ٧.

(١٥) سورة يونس: ٣٤، والأعراف: ٢٩، والأنبياء: ١٠٤، والنمل: ٦٤، والروم: ١١، ٢٧، والعنكبوت: ١٩: ١٣ .

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه، جزء ٢٢٢/٤ (كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: **﴿وهو الذي يبدأ الخلق..﴾**، وينظر: فتح الباري صحيح البخاري، ابن حجر، جزء: ٨٥/١.

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، جزء: ٢٢٢/٤ (كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: **﴿وهو الذي يبدأ الخلق..﴾**، ويُنظر: فتح الباري..، ابن حجر، جزء ٨٥/١.

(١٨) سورة البقرة: ٣٤، والأعراف: ١١، والإسراء: ٦١، والكهف: ٥٠، وطه: ١١٦.

(١٩) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

(٢٠) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، جزء ٢٣٠/٤ (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة..)، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، جزء ١٩٠/١٦ (كتاب القدر (١) باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه..)، وأبو داود في سننه، رقم (٤٧٠٨) والترمذي في سننه، رقم (٢١٣٨).

(٢١) الوافي في شرح الأربعين النووية، د. مصطفى البغا ومحيى الدين سسو، ص٢٥.

(٢٢) سورة الكهف: ٨٣-٨٤.

(٢٣) سورة الأنبياء: ٤٨.

(٢٤) رواه البخاري عن أبي هريرة وأخرجه في صحيحه، جزء ١٢٩/١-١٣٠ (كتاب الغسل: باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة...)، والنسائي في سننه، جزء: ١٦٥/١، وأحمد في مسنده، جزء ٣١٤/٢.

(٢٥) سورة الحديد: ٩.

(٢٦) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢٧) السيرة النبوية، لابن هشام، جزء: ٣ و٤، وفقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص: ٢٣٣-٢٤٧، ومحاولة لبناء منهج إسلامي متكامل، أنور الجندي، جزء: ٢، ص١٣ وما بعدها.

(٢٨) سورة الجمعة: ٩-١٠.

(٢٩) سورة التوبة: ١٠٥.

(٣٠) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه في مسنده، جزء: ١٣٦/٣، وينظر: الجامع الصغير..، للإمام السيوطي، جزء ٢٩٦/١، وصحيح الترغيب والترهيب، للمنذري، ص: ٢٣٠.

(٣١) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد في المسند، جزء ١٢٧/٣، وينظر: الجامع الصغير..، للإمام السيوطي، جزء ٢٦٦/١.

(٣٢) سورة الأنعام: ٢٩/٣٠.

(٣٣) سورة التغابن: ٧.

(٣٤) سورة آل عمران: ٦٦.

(٣٥) سورة سبأ: ٢٨.

(٣٦) المسبل؛ بضم الميم وسكون السين وكسر الباء: المرخي إزاره، الجار طرفه كبرا وخيلاء، كما شرحه الإمام النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، جزء: ١١٤/٢.

(٣٧) رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري، وأخرجه في صحيحه بشرح النووي، جزء ١١٤/٢ (كتاب الإيمان، (٤٦) باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية..)، وينظر: دليل الراغبين..، د. فاروق حمادة، ص٤٣٢ و٧٦٦، وكيف نتعامل مع السنة..، د. يوسف القرضاوي، ص: ١٠٥ و١٠٦.

(٣٨) روي عن أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري في صحيحه جزء: ٢٠/١ (كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان..)، وينظر: اللؤلؤ والمرجان..، جزء: ٤٧/١، والأحاديث القدسية، دار الكتب العلمية، جزء ٣٩٢/٢.

(٣٩) قد تم بيان هذا الحديث في مقدمة البحث.



٢

ابن عبد البر، بخاري الاندلس والمغرب

وكتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

الجزء الثالث: أود أن أنبه مرة أخرى انه ورد في هذا الجزء كالجزئين السابقين القول: «قال ابو عمر رحمه الله: كذا وكذا- كما في (٣٠٥/٣) الأمر الذي يدل على أن نشر الكتاب كان بعد وفاته، كما اود القول بأن النسخة المتيسرة لي بمكتبة جامعة كمبرج، هي صورة بالأوفسيت للنسخة التي طبعت في مصر على نفقة سلطان المغرب، قامت بطباعتها «مكتبة المثنى في بغداد» ويبدأ هذا الجزء بترجمة الصحابي عامر بن عبد الجراح القرشي، الذي بكّر في دخول الاسلام وهاجر الى الحبشة، وكان رضي الله عنه من كبار الصحابة الذين قادوا جيوش الفتح في بلاد الشام، ومنها الى فلسطين وتوفي في طاعون عمواس (٢/٣-٤).

أ- وممن وردت ترجمتهم في هذا الجزء **«عويمر بن عامر الخزرجي»** المعروف بكنيته «ابو الدرداء» وهو احد العلماء، وقد ولاه معاوية رضي الله عنه قضاء دمشق، وتوفي في خلافة عثمان ويروى ان النبي ﷺ سماه بأنه «حكيم أمتي» ويقول ابن عبد البر: ان له حكماً مأثورة (١٥/٣-٢٠).

ومن ابرز من ترجم له في هذا الجزء **الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه،** وهو غني عن التعريف، وغطت ترجمته حواشي ٤٣ صفحة (٢٦/٣-٦٨) ولم تبلغ هذا الحد ترجمة أحد من الصحابة بما

فيهم بقية الخلفاء الراشدين الثلاثة، ويروي قول عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فيه لما بلغها نبأ قتله: «لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها» (٥٧/٣).

ثم يبدأ المؤلف بما سماه «باب عثمان» **وبدأه بترجمة عثمان بن عفان القرشي** رضي الله عنه الذي بكّر في اعتناق الاسلام وكان ممن هاجر الى حبشة، وأفاض المؤلف بذكر تأييده للاسلام وتضحياته المادية في دعم المسلمين، وينقل عن الامام علي رضي الله عنه قوله: «من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الايمان، وقال: والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت» (٧٦/٣) وروى بعض الشعر الذي قيل في حق عثمان رضي الله عنه ج٣/٨١-٨٤ وكلها مدح له واستهجان لقتله (٦٩/٣-٨٥).

ب- ثم تناول «باب عباس» وأول ذكر فيه **العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه «عم النبي ﷺ» الذي اسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم اسلامه، وكان انصر الناس لرسول الله ﷺ بعد ابي طالب (٩٥/٣-٩٦)، وفي عام «الرمادة» امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يستسقى بالعباس، فاستجاب الله سبحانه لدعائه، ونزل المطر بكثافة (٩٧/٣-١٠٠) ثم تناول المؤلف «عباس بن مرداس السلمي» الذي كان قد حرّم الخمر بالجاهلية (١٠١/٣-١٠٣) وتناول بعد ذلك «باب عقبة» وفيه ذكر «عقبة الفهري» الذي ولد في عهد الرسول ﷺ وقال عنه المؤلف: انه لا تصح له صحبة، وقد ولاه عمرو بن العاص افريقيا وقد اخضعها للحكم الاسلامي (١٠١/٣-١١٠)، ثم تناول «عتبة بن غزوان»، الذي كان سابع رجل آمن بالاسلام، وقد هاجر الى الحبشة وشهد بدراً والمشاهد كلها، وقد أنفذه عمر رضي الله عنه لفتح العراق، وكان اول من نزل البصرة من المسلمين، وكان واليها حتى وفاته سنة ١٧هـ (١١٣/٣-١١٦).

ت- وممن تناوله ابن عبد البر في هذا الجزء **«عدي بن حاتم الطائي»** الذي قدم على النبي ﷺ سنة ٧هـ بصدقات قومه، ومنع قومه عن الردة، بل وقدم بصدقاتهم على أبي بكر رضي الله عنه، وكذلك على عمر رضي الله عنه من بعده، فعرف له منزلته، وقد كان ممن ساند الامام علياً في وقعتي الجمل والنهروان، وتوفي بالكوفة سنة ٦٧هـ (١٤١/٣-١٤٣).

ثم تناول **العلاء بن الحضرمي** رضي الله عنه الذي ولاه الرسول ﷺ البحرين، وأقره عليها كل من ابي بكر وعمر حتى توفي سنة ١٤هـ (١٤٦-١٤٨) ثم تناول «عكرمة بن ابي جهل المخزومي» الذي أسلم بعد

فتح مكة وحسن اسلامه، وكان مجتهداً في قتال المشركين واستعمله الرسول ﷺ على هوازن وصدقاتها، واستشهد في وقعة اجنادين (١٤٨/٣-١٥١).

ثم ترجم ابن عبد البر لفيروز الديلمي من ابناء الفرس في صنعاء وكان ينسب في بني «ضبة» وقد وفد على النبي ﷺ وهو الذي قتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة وسلّم اليه رأس الأسود آنف الذكر، ولكن هناك من يقول: ان من قتله كان في خلافة ابي بكر رضي الله عنه، ولكن المؤلف يؤيد صحة الرواية الأولى (٢٠٤/٣-٢٠٦).

ث- ثم تناول المؤلف سيرة **قيس بن السكن الذي اشتهر بكنيته «ابو زيد الأنصاري الخزرجي»** ويقال: هو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ الى جانب زيد بن ثابت، ومعاذ ابن جبل، وأُبي بن كعب، ويضيف الى ذلك قائلاً: وجُمع القرآن على عهده ﷺ من قبل جماعة منهم: عثمان بن عفان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وسالم مولى ابي حذيفة (٢٢٣/٣-٢٢٤) وهذه المعلومات عن وجود محاولة لجمع القرآن الكريم في العهد النبوي لم تشتهر، لأن ما درجنا عليه هو ان الجمع الاول تم في عهد ابي بكر رضي الله عنه، والجمع الثاني كان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولعل ابن عبد البر ينفرد في تدوين هذه الحقيقة، ويتلو هذا الخبر خبر مهم آخر هو عن قيس بن سعد بن عبادة الانصاري رضي الله عنه الذي اعتبره الواقدي من كرام الصحابة واسخيائهم، وانه شريف قومه، وانه كان بمثابة صاحب الشرطة للنبي ﷺ الذي نزع من ابيه الراية عند فتح مكة وسلّمها اليه، وقد صحب الامام علياً فولاه مصر ولكن الولاية صرفت عنه بضغط اهل الكوفة، وعين بدلاً منه محمد بن أبي بكر، وفسدت الامور حسب قوله، فأقام في المدينة حتى وفاته سنة ٦٠هـ، وكان سخياً كريماً وقد انفق أمواله الموروثة عن أبيه في اعمال الخير (٢٢٤/٣-٢٣١).

ج- ومن تصحيحات ابن عبد البر ما ذكره عن قيس بن ابي حازم الإحمسي الجاهلي الاسلامي فقال: انه لم ير النبي ﷺ، ويعتبر من كبار التابعين وروى الحديث عن ابي بكر وغيره من الصحابة (٢٤٧/٣) والملاحظ في تراجم الكتاب حرص ابن عبد البر في كثير من الأحيان على اقتباس الأشعار التي قيلت بالفخر بالاسلام والدفاع عن النبي ﷺ، كقول قردة بن نفاثة السلولي الشاعر وهو من

هوازن الذي افتخر بأن الله هداه الى الاسلام (٣/٢٧٣-٢٧٥) ومثل لبيد بن ربيعة العامري الذي جاء بنماذج من شعريهما (٣/٣٢٤-٣٢٩) ومثل كعب بن مالك الانصاري الخزرجي (٣/٢٨٦-٢٩٠) ومثل كعب بن زهير بن ابي سلمى (٣/٢٩٧-٣٠٢) وممن ترجم لهم المؤلف: كلثوم بن الهدم الانصاري، الذي نزل عليه النبي ﷺ عند قدومه الى المدينة وأقام لديه أربعة أيام (٣/٣١٤-٣١٦).

ح- وممن ذكرهم ابن عبد البر: **لهيب ابن مالك اللهبي،** الكاهن (٣/٢٣٠-٣٣٤) الذي تنبأ ببعثة النبي ﷺ، ووصف الدين الذي يأتي به بالفضائل التي في الاسلام، وكان ذلك كله شعراً، وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده، وذكر من الصحابة ممن سموا باسم محمد، بل ان بعضهم اعطي هذا الاسم بأمر من النبي ﷺ وهو محمد بن انس الظفري الانصاري (٣/٣٤٥) ومنهم محمد ابن ابي بكر الصديق (٣/٣٤٨-٣٤٩) ومحمد بن طلحة القرشي التميمي (٣/٣٤٩-٣٥٣٥)، ثم تناول ترجمة معاذ بن جبل الخزرجي الانصاري رضي الله عنه، الذي عينه رسول الله ﷺ والياً على اليمن، وهو صاحب القول المشهور بالاجتهاد في الامور التي ليس لها حكم في القرآن ولا في حديث رسول الله ﷺ (٣/٣٥٥-٣٦١).

ويحرص على ذكر الحديث الذي رواه اصحاب التراجم في الغالب، من ذلك حديث عقوبة الجلد للأمة التي زنت، وهي لم تحض بعد، وهو حديث رواه مالك بن عبد الله الأوسي (٣/٣٧٣)، ثم تناول من اسمه المغيرة، وفي مقدمتهم المغيرة بن شعبة الثقفي الذي أسلم عام الخندق، اذ هاجر وهو الذي بين من سماهم الشعبي «دهاة العرب» وهو للأمر العظيم (٣/٣٨٨-٣٩١).

خ- **ثم عقد لمعاوية بن ابي سفيان ترجمة ضافية** (٣/٣٩٥-٤٠٣) في تسع صفحات، كما انه ترجم لمروان بن الحكم في خمس صفحات (٣/٤٢٥-٤٢٩) الذي قال عنه: انه لا تصح صحبته، لأن رسول الله ﷺ نفى أباه الى الطائف وهو صغير معه، ولم يعد الى المدينة الا في خلافة عثمان الذي استكتبه وضمه اليه، فاستولى عليه، وفي ترجمته ذكر كثيراً من مساوئه، وبالنسبة لمسعود بن خراش (٣/٤٥١) ذكر ابن عبد البر قول البخاري: ان له صحبة، بينما نفاها ابو حاتم الرازي، وقال: روى عن عمر وطلحة وروى عنه ابو بردة (٣/٤٥١) **وقد ترجم المؤلف لمنذر بن عمرو ابن خنيس الخزرجي** الذي كان احد

النقباء الذين بايعوا الرسول ﷺ وأحد النقباء الاثني عشر، وقد خدم الرسول ﷺ بإيفاده لبعض المهمات، وقتل في معركة الخندق (٣/٤٥٨-٤٦٠) **وترجم لمصعب بن عمير القرشي العبدري** الذي هاجر الى الحبشة، وبعثه الرسول ﷺ الى المدينة قبل الهجرة ليقرئ اهلها القرآن، وقد قتل في أُحد (٣/٤٦٨-٤٧٦)، ثم ترجم لمقداد بن الأسود الزهري، وكان ضمن السبعة الذين أظهروا الاسلام، وذكره بين الوزراء الأربعة عشر الذين اعطاهم الله للنبي ﷺ كما ذكره بين الاشخاص الاربعة الذين امره الله بحبهم (٣/٤٧٢-٤٧٦) لأن الله يحبهم، وهم علي وسلمان الفارسي وابو ذر والمقداد رضي الله عنهم.

د- ولا يخلو الكتاب من ذكر الموالي

ومنهم «مدعم» العبد الاسود مولى الرسول ﷺ، وقتل في خيبر (٣/٤٩٢) وممن ذكرهم ابن عبد البر «ميمون بن سنباذ العقيلي» اليماني الذي نزل البصرة وهو الذي روى قول النبي ﷺ ونصه: «قوام امتي بشرارها» وعلق على ذلك المؤلف بقوله: ليس اسناد حديثه بالقائم، وأنكر بعض المحدثين ان تكون له صحبة (٣/٥١٠) ومثل ما ذكر عن مخلد الغفاري الذي يذكر في الصحابة، وقال البخاري عنه: إن له صحبة، وقال ابو حاتم الرازي: ليس له صحبة (٣/٥١٢-٥١٣).

وذكر المثنى بن حارثة الشيباني الذي قدم بقومه على الرسول ﷺ، وبعثه ابو بكر الى العراق لمقاتلة الفرس، ومن بعده عمر ابن الخطاب (٣/٥٢٢-٥٢٥) وأشار المؤلف الى المختار بن ابي عبيد الثقفي، وقال: ليست له صحبة ولا رواية أخبار، وأخباره غير مرضية (٣/٥٣٣-٥٣٦) كما أورد سيرة النعمان بن مقرن المزني، صاحب لواء مزينة يوم فتح مكة، وحضر معركة القادسية، وفتح نهاوند في العراق وأصبهان في فارس (٣/٥٤٥-٥٤٨) ثم ذكر النعمان بن بشير الأنصاري الذي ولد قبل وفاة النبي ﷺ بست سنين، وقال: لا يصحح بعض اهل الحديث سماعه من الرسول، وهو عند ابن عبد البر صحيح (٣/٥٥٠-٥٥٥).

ذ- وذكر نعيمان بن عمرو من بني النجار، في خبر طويل (٣/٥٧٣-٥٧٨) وكان من قدماء الصحابة وكبرائهم فيه دعابة زائدة وذكر واحدة منها وشفعها بغيرها، وان الرسول ﷺ لم يجز لعنه لأنه يحب الله ورسوله، **والمؤلف يهتم بأخبار الشعراء،** ومن بينهم النمر بن تولب العكلي، والنابغة الجعبري، ولا سيما الأخير الذي روى كثيراً من أشعاره (٣/٥٧٩-٥٩٣) وانتهز هذه المناسبة فذكر الشعراء الذين

رووا عن رسول الله ﷺ ومنهم حسان وعبد الله بن رواحة والنابغة آنف الذكر وغيرهم، وممن ذكرهم المؤلف «هند بن ابي هالة التميمي» ربيب رسول الله ﷺ، وأمه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وذكر التباس امره لدى بعض الرواة، وهو الذي مات بالبصرة بينما كان هند بن هند ماراً بها، بينما الآخر هو هند الذي قتل يوم الجمل (٣/٦٠٠-٦٠٣).

وممن ذكر من الشعراء: الوليد بن عقبة ابن ابي معيط الشاعر، وقد امتنع الرسول ﷺ ان يمسح على رأسه كغيره من الصبيان، لأن أمه قد ضمخته بالخلوق «وهو عطر شديد الرائحة» وهذا الحديث ذكره البخاري على الشك عن الوليد هذا، وقالوا: ان راويه مجهول والحديث منكر مضطرب لا يصح، وعلى كل حال ضمت الترجمة بعض شعره، وهو مستنكر لما ورد فيه من اقوال عن الخمرة وما الى ذلك (٣/٣٦١-٦٣٧).

ر- ولا يتردد ابن عبد البر عن ذكر أفراد لا يتوقع المرء منهم رواية الحديث، ومنهم **ترجمته لوحشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة ؓ**، فترجم له وقال: رُويت عنه أحاديث مسندة، مخرجها عن ولده وحشي بن حرب بن وحشي عن ابيه، وهو اسناد ليس بالقوي، إذ يأتي بمناكير، وقد ظن بعض اهل الحديث ان هذا الاسناد وفيه وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب عن ابيه عن جده، هو وحشي غيره، ليس قاتل حمزة الذي سكن دمشق، بينما هذا يسكن حمص، والله اعلم.

ثم حاول المؤلف تصحيح الخبر بذكر شخص آخر لرواية حديثه هذا (٣/٦٤٤-٦٤٧) وممن اهتم برواياتهم يزيد بن سفيان الذي لُقب «بيزيد الخير والذي شهد حنين، واستعمله ابو بكر في بعض المهام ثم جعله من القادة لفتح بلاد الشام، ففتح فلسطين (٣/٦٤٩-٦٥٠) وذكر الى جانب ذلك «يعلى بن امية التميمي» الذي أسلم يوم الفتح، واستعمله ابو بكر الصديق على حلوان، ثم عمل لعمر في اليمن، وكذلك لعثمان، وخرج يطالب بدمه، وأعان الزبير بـ (٤٠٠) ألف مقاتل، وحمل عائشة رضي الله عنها على جمل اشتراه بـ (٢٠٠) دينار، وقتل في صفين (٣/٦٦١-٦٦٤).

وهكذا ينفرد الكتاب بحقائق تاريخية، يكاد يكون الوحيد في ذكرها بين المؤرخين، ومن هذا القبيل، ما ذكره عن يعلى بن حمزة بن عبد المطلب، والروايات التي تقول: ان حمزة لم يعقب أحداً من بنيه الا يعلى هذا، فقد كان له خمسة أولاد ماتوا كلهم من غير عقب (٣/٦٦٤-٦٦٥).

وعند ذكره «يزداد» والد عيسى بن يزداد، وهو رجل يماني يقال: إن له صحبة، واكثر اهل الحديث لا يعرفونه اذ لم يرو عنه غير ابنه، وقال البخاري: ليس له حديث عندي، وقال يحيى بن معين: انه لا يعرفه ولا أباه، وهو تحامل منه (٦٨٢/٣-٦٨٣) ثم تناول «يربوع الجهني» وكان في وفد جهينة الى رسول الله ﷺ، وانه رحب بهم (٦٨٥/٣-٦٨٦) وبه ختم الأسماء المرتبة حسب حروف الهجاء.

❖ الجزء الرابع من الاستيعاب:

ثم أكمل كتابه بجزء رابع مخصص لمن لم يعرف الا بكنيته، وممن اختلف في اسمه واتفق على كنيته، واشترط على نفسه الايجاز واستمر الناشر بطباعته في حاشية كتاب «الاصابة» لابن حجر العسقلاني المطبوع في مصر على نفقة سلطان المغرب عبد الحفيظ بن الحسن سنة ٣٢٨ هـ، وقد أعيدت طباعته في بغداد من قبل «مكتبة المثنى» كما أسلفنا.

ومن الجدير بالتذكير ان ناشر كتاب «الاصابة» قد أعطى ارقاماً لأسماء من ذكرهم في كتابه في الاجزاء الثلاثة السابقة، فبلغوا (٩٤٧٥) صحابياً، ولكنه لم يفعل مثل ذلك بالنسبة لمن ورد ذكرهم في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، ويبدو انهم في حدود ١٠/٨ من هذا الرقم، وكذلك فعل ناشر الجزء الرابع من «الاصابة» فأعطى ارقاماً لأهل الكنى التي بلغت (١٢٦٨) كنية كما فعل الشيء نفسه بالنسبة للنساء اللاتي ذكرهن (بالاسم والكنية) فبلغن (١٥٥٢) امرأة، ولكنه لم يفعل مثل ذلك بالنسبة لمن ورد ذكره من الرجال او النساء في كتاب «الاستيعاب» ولقد بلغ من ترجم لهم من الرجال والنساء في «الاصابة» وفي هذا الجزء (٢٨٢٠) من الرجال والنساء، ولكن لم يفعل مثل ذلك بالنسبة لمن ورد ذكرهم في «الاستيعاب» ومن باب التخمين ان المجموع فيه حدود (٢٤٠٠) شخص بين ذكر وأنثى.

أ- ويبدأ هذا الجزء بكنية أسعد بن زرارة الأنصاري المسمى أبا أمامة، ج٢/٤، ويذكر في هذا الباب ابا ايوب الانصاري (٥/٤-٧) ثم ابا بكر الصديق رضي الله عنه (١٧/٤) وفي ترجمته خبر مفاده ان النبي ﷺ سأل ابا بكر من منهما اكبر سناً؟ فقال ابو بكر: بل انت اكبر وأكرم، وانا اسن منك، وعلق ابن عبد البر قائلاً: هذا الخبر لا يعرف بهذا الاسناد، وأحسبه وهماً، لأن اهل العلم يقولون: ان ابا بكر استوفى بخلافته سن الرسول ﷺ وهو ٦٣ سنة، وممن ذكر في هذا السياق ابو حبيب (٤٧/٤)، وقال المؤلف: انه مذكور في

الصحابة وهو لا يعرفه، وذكره ابن الكلبي بأنه ابو حبيب بن زيد بن الحباب له علاقة نسب مع أُبي بن كعب، وهو بدري، استشهد يوم اليمامة، وكان يقاتل بسيف رسول الله ﷺ في أُحد (٤/٥٨-٥٩).

وذكر أبا الدرداء رضي الله عنه واسمه عويمر والذي لقبه رسول الله ﷺ «بحكيم أمتي» وشهد بعد أُحد المشاهد كلها حتى وفاته سنة ٣٢هـ، وهو يعد من الفقهاء والعلماء (٤/٥٩-٦٠).

وذكر أبا ذر الغفاري رضي الله عنه الذي اختلف في اسمه فقيل: انه جندب بن جنادة، وقيل: برير بن جندب وغير ذلك، يعد من كبار الصحابة، وكان الخامس فيمن أسلم، وقد تجرأ في إعلان اسلامه في المسجد الحرام، فآذوه (٤/٦١-٦٥)، ثم ابو زيد الأنصاري، واسمه قيس بن السكن بن قيس من بني النجار، كان احد الذين جمعوا القرآن في عهد الرسول ﷺ، واستشهد يوم الجسر، وذكر المؤلف شخصاً يتفق مع هذا بالكنية والنسبة الى الانصار، ولكن اسمه سعد بن عبيد الذي شارك في جمع القرآن في زمن الرسول ﷺ (٤/٧٦-٧٧).

ب- ومنهم ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه في الرضاعة، كان من الشعراء المطبوعين، وقد هجا النبي ﷺ ثم اسلم وحسن إسلامه، وقد شهد معركة حنين وأبلى فيها بلاء حسناً (٤/٨٣-٨٥)، ثم ترجم لأبي سفيان وهو والد معاوية، ترجمة ضافية (٤/٨٥-٨٨) وبعض اخباره قد تدل على الشبهة في اسلامه، لكن سعيد بن المسيب يروي عن أبيه قوله: فقدت الاصوات يوم اليرموك، إلا صوت رجل واحد هو أبو سفيان، وقد أصيبت عينه بحجر فعمي.

اما ابو سعيد الخدري، وهو سعد بن مالك الأنصاري، وهو من الحفاظ المكثرين والعلماء العقلاء، فقد خرج مع الرسول ﷺ في غزوة بني المصطلق وهو ابن (١٥) سنة (٤/٨٩).

وورد ذكر شخصين هما: «ابو سهل» و «أبو السائب» بين اسماء الصحابة، ولكن ابن عبد البر قال عنهما: انه لا يعرفهما (٤/١٠٠) وقال مثل ذلك بالنسبة لشخص اسمه «ابو شيخ» المحاري، وله حديث واحد عند اهل الكوفة، ويقول عنه: ليس اسناده بشيء ولا يصح بالنسبة للحديث الواحد الذي يرويه اهل الكوفة (٤/١٠١).

ت- وذكر «ابو طلحة الانصاري» وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الذي

شهد بيعة العقبة وبدراً وما اعقبه من المشاهد، وكان في بعض الغزوات يقي رسول الله ﷺ بجسمه، فيتلقى النبل وتوفي سنة ٣٤هـ (١١٣/٤-١١٥) وتناول حياة «ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه» الذي هاجر الى الحبشة، وكان من اعيان الصحابة، حتى رشحه ابو بكر للخلافة، وهو احد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من قادة المسلمين في فتح الشام، وتوفي في طاعون عمواس (١٢١/٤-١٢٢) ثم «ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى القرشي» صهر رسول الله ﷺ، فهو زوج ابنته زينب، وأمه أخت لخديجة رضي الله عنها، وقد أسره المسلمون في معركة بدر فلجأ الى زوجته فأجارته، وأعلنت ذلك للمسلمين وهم في المسجد لصلاة الفجر، فوافق الرسول ﷺ على اجارتها، ثم دخل في الاسلام وحسن اسلامه وعقد زواجاً جديداً عليها (١٢٥/٤-١٢٩).

ث- **وممن ذكرهم المؤلف في حرف (ع)** **ابو عبد الرحمن الفهري القرشي** الذي قال الواقدي بأن اسمه عبد، وقال غيره غير ذلك، وانه شهد معركة حنين، **ووصفها في حديثه مما يلقي الضوء على دور الحديث في رواية الاحداث التاريخية** (١٣٧/٤-١٣٨) وذكر ابا عزيز جندب بن النعمان، وقال: انه مذكور في الصحابة، لا أعرفه (١٤٣/٤).

ويبدو ان ابن عبد البر، يذكر احياناً الشخص في موضعين، في موضع اسمه، وفي موضع كنيته، كالذي حصل بالنسبة لأبي عبد الله الصنابحي الذي ذكر بالنسبة لكنيته، وقال: اسمه عبد الرحمن ابن عسيلة، وقد ورد ذكره في باب اسمه (١٤٩/٤-١٥٠)، ولا تصح له صحبة، وقد فاته رؤية الرسول ﷺ، اذ توفي قبل ان يراه، وممن ذكره في هذا الكتاب «ابو قيس وهو مالك بن الحارث»، وقيل عنه غير ذلك، وعرف عنه في الجاهلية انه قد فارق الأوثان، واتخذ بيتاً له في المدينة مسجداً، وقال: انه يعبد فيه رب ابراهيم، ولما قدم الرسول ﷺ الى المدينة اسلم وحسن اسلامه، وهو شاعر يغلب عليه الايمان بالله والبر والاحسان (١٥٧/٤-١٥٩).

ثم ذكر ابا موسى الاشعري عبد الله بن قيس، وفي نسبه بعض الاختلاف، وكان ممن هاجر الى الحبشة، اذ كان قد اسلم وقد ولاه عمر بن الخطاب البصرة، وهو الذي ورد ذكره في شأن التحكيم بين علي ومعاوية، (١٧٣/٤-١٧٥) ثم ترجم المؤلف لأبي محجن الثقفي الذي اختلف في اسمه، وجاءت الترجمة حافلة بأخباره، ولا

سيما بالنسبة لفتح العراق (١٨٢/٤-١٨٧) **وجاءت ترجمته لأبي هريرة ضافية** اذ وقعت في حواشي ثماني صفحات (٢٠٣/٤-٢١٠) وقد لازم الرسول ﷺ ملازمة مستديمة ولذلك تمكن من سماع حديثه اكثر من اي صحابي آخر، ثم ختم باب الكنية بالنسبة للرجال (٢٢٢/٤-٢٢٣).

جـ- وبدأ بتراجم النساء (٢٢٤/٤) بترجمة اروى بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة الرسول ﷺ ثم ذكر قصة اسلامها (٢٢٤/٤-٢٢٨) ثم اسماء بنت ابي بكر (٢٣٢/٤-٢٣٤)، وهي ممن دخل في الاسلام في وقت مبكر. وفي هذا الباب ذكر «امامة بنت ابي العاص بن الربيع» وامها زينب بنت الرسول ﷺ وكان يحبها، وكان ربما حملها على عنقه في الصلاة (٢٤٤/٤-٢٤٧) وقد تزوجها علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

وممن ورد ذكرها في هذا الباب «بريرة» مولاة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقد أعتقت وروت بعض الحديث (٢٤٩/٤-٢٥٠) وتضمن هذا الباب زوجات النبي ﷺ وتبدأ بجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وهم من خزاعة وقد تزوجها الرسول ﷺ بعد غزوة بني المصطلق (٢٥٨/٤-٢٦١) ويورد زوجات الرسول ﷺ حسب موقع اسمائهن من حروف الهجاء، ومن ذلك «حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه» التي ترملت فتزوجها النبي ﷺ تطييباً لخاطرها، بعد عرضها للزواج على ابي بكر وعثمان فرفضها كل منهما، (٢٦٨/٤-٢٧٠).

وفي هذا الباب وردت ترجمة السيدة خديجة بنت خويلد القرشية رضي الله عنها، زوجة النبي ﷺ، وام اولاده وبناته وغطت ترجمتها حواشي (١١) صفحة من القطع الكبير (٢٧٩/٤-٢٨٩) وسنكتفي بها وبمن ذكرنا قبلها من زوجات المصطفى ﷺ، الا من ذكر عائشة رضي الله عنها، وقد ورد ذكرها في (٣٥٦/٤-٣٦١).

ومن النساء الخنساء الشاعرة التي قدمت على الرسول ﷺ مع قومها فأسلمت، وكان يستنشدها فيعجبه شعرها (٢٩٥/٤-٢٩٧) وتضمن هذا الباب بنات النبي ﷺ ومنهن رقية التي تزوجت عثمان ابن عفان، (٢٩٩/٤-٣٠٣) ومنهن «زينب» اكبر بنات الرسول ﷺ (٣١١/٤-٣١٣)، وسمية ام عمار بن ياسر التي عانت وزوجها من ظلم قريش، لأنهما دخلا في الاسلام في بدء دعوته (٣٣٠/٤-٣٣٣) وهي اول شهيد في الاسلام، لأنها «مع زوجها» كانت من اوائل الناس في اظهار

اسلامهم والجهر به.

وأبرز زوجاته ﷺ عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها، التي روت من الحديث النبوي، شطراً لا يباريها فيه أحد، (٤/٣٥٦-٣٦١) **ثم فاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ** وهي غنية عن التعريف، ويكفي انها شغلت حواشي تسع صفحات كبيرة (٤/٣٧٣-٣٨١).

ح- وممن ذكرهن ابن عبد البر من النساء (٤/٣٩٧) كعيبة بنت سعيد الاسلمية التي شهدت خيبر، فأسهم لها الرسول ﷺ بسهم رجل، ثم كبيرة بنت سفيان الثقفية، التي قال عنها: ان حديثها ليس بالقائم، لأنه يدور على محمد بن سليمان بن مسمول، وهو مجهول، ثم ترجم لميمونة بنت الحارث الهلالية زوجة الرسول ﷺ (٤/٤٠٤-٤٠٨) ثم مارية «ماري» القبطية التي أهداها الى النبي ﷺ المقوقس حاكم الاسكندرية، وهي أم ابراهيم، وهي التي يروى عن الرسول ﷺ قوله فيها: انه «اعتقها ولدها» لكن المؤلف يقول: ان اسناد هذا الحديث لا يقوم حجة لضعفه، رغم ان ابن عباس قد رواه عن النبي ﷺ (٤/٤١٠-٤١٣).

وهند بنت ابي أمية، واشتهرت بكنيتها «ام سلمة» زوجة الرسول ﷺ، وكانت بين الاولين في الهجرة الى الحبشة (٤/٤٢١-٤٢٣) وعند ذكره أم اسحق الغنوية التي هاجرت الى رسول الله ﷺ والتي تروي حديثاً فيمن أكل ناسياً، وهو حديث غريب الاسناد، ثم ذكر أم حبيبة بنت ابي سفيان زوجة النبي ﷺ، التي هاجرت الى الحبشة (٤/٤٣٩-٤٤٢)، ثم ذكر أم رومان زوجة النبي ﷺ التي ختمها بقوله: ان رواية مسروق عنها، مرسلة ولعله سمع ذلك من عائشة رضي الله عنها، (٤/٤٤٨-٤٥٢).

ومن أمهات المؤمنين ام سلمة التي سبق ذكرها وترجمتها مرتين، اي هند بنت ابي أمية وهي هاجرت الى الحبشة في بدء حياتها (٤/٤٥٤-٤٥٥)، ثم ذكر أم كلثوم ابنة الرسول ﷺ التي تزوجها عثمان بن عفان، بعد وفاة اختها رقية، (٤/٤٨٦-٤٨٧) ثم ذكر أم معبد الخزاعية التي قصد الرسول ﷺ خيمتها يوم الفتح مع ابي بكر في القصة المشهورة وما ورد فيه من شعر القائل:

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد

(٤/٤٩٥-٤٩٨).

وآخر النساء هي ام الوليد الانصارية، وحديثها عن الوارع بن نافع، وينتهي عند عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ بالحديث

عن طلوع الشمس من مغربها، ويعلق ابن عبد البر على ذلك بقوله: الا ان الوارع بن نافع العقيلي منكر الحديث، اذ يروي عن ابي سلمة وسالم احاديث لا تعرف الا به ولا يتابع عليها (٥٠٥/٤).

خ- وفي ختام الكتاب قال ابو عمر ابن عبد البر: فهذا اما انتهى الينا من الاسماء والكنى في الرجال والنساء من اصحاب رسول الله ﷺ، ممن روى او جاءت عنه رواية، أو انتظم ذكره في حكاية تدل على انه رأى الرسول ﷺ وكان مولوداً من ابوين مسلمين، او قدم عليه، أو أدى الصدقة اليه، ثم يقول: جاءت أحاديث عن رجال لا يذكرون بنسب ولا كنية ولا يسمون، وعن نساء لا يعرفن الا بجدة فلان او عمة فلان ونحو ذلك، وما انتهت الينا معرفته فقد ذكرناه، وتركنا ذكر امرأة فلان وعمة فلان، او فلانة، اذا لم يذكر لها اسم ولا كنية، ثم ختم خاتمته بالحمد لله تعالى والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وجميع الصحابة رضوان الله عليهم (٥٠٦/٤).

❖ أهمية الكتاب:

١- ليت أهمية كتاب «الاستيعاب في معرفة الاصحاب» باستقصاء اسماء الصحابة فقط، كما يدل عنوانه، وانما بما حواه من معلومات اكثر بكثير من الاسماء.

في الواقع انه كتاب ضخم اذ تبلغ عدد صفحاته المطبوعة، وتضم نصوصه مع نصوص كتاب «الاصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢٣٢٥) صفحة من القطع الكبير، ولعل الصفحات التي تخص كتاب «الاستيعاب» لا تقل عن (١٠٠٠) صفحة، حفلت بمعلومات قيمة ذكرناها في سياق تلخيصنا لمحتوياته، وهي معلومات لا تقتصر على ذكر رواة الحديث من الصحابة، أو الذين ذكرت اسماؤهم بين الصحابة ولم يقم دليل مقنع كان لإدراجهم ضمن الصحابة.

٢- أما ميزة الكتاب، فإنه استعرض حياة رواة الحديث عن النبي ﷺ، ليس فقط بسبب الرواية، وانما يذكر الكثير من اخبارهم ونشاطاتهم، مما يجعله مصدراً غنياً عن حقائق التاريخ الاسلامي، ولعل فيما سبق وذكرنا من تلخيص محتوياته الدليل على ما نقول.

ومن ذلك مثلاً الخبر عن واقعة «حنين» فيروي عن الصحابي «ابي عبد الرحمن الفهري القرشي» الذي قال الواقدي: ان اسمه «عبد»، وقال غيره: انه يزيد بن أنيس، او غير ذلك، وهو الذي شهد مع النبي ﷺ معركة حنين، اذ وصف الحرب

وتراجع المسلمين «مدبرين» كما قال الله تعالى في القرآن الكريم، فقال الرسول ﷺ: «يا عباد الله انا عبد الله ورسوله» ثم قال مثل ذلك لمعشر المهاجرين، ثم أخذ كفاً من تراب وضرب به وجوههم (١٣٧/٤-١٣٨).

٣- ويكاد ينفرد الكتاب بذكر حقيقة تاريخية في غاية الأهمية، وهي ذكره ان القرآن الكريم جمع في العهد النبوي، اي ان جمعه في عهد ابي بكر، وفي عهد عثمان كان من باب المراجعة وتحسين الخط.

٤- ويتميز ابو عمر بن عبد البر بالجرأة في ذكر الحقائق التاريخية، فإنه لا يتردد في القول: ان فلاناً لا يعد من الصحابة رغم اشتهار وجوده بينهم، كما يعترض على بعض الأحاديث، لأنها نسبت روايتها الى اشخاص لم تثبت صحبتهم لرسول الله ﷺ، مثل حارثة بن عدي بن أمية، الذي ذكره بعضهم في الصحابة، وهو مجهول لا يُعرف، رغم ورود ذكره لدى البخاري (٢٨٦/١)، اي انه تجرأ على نفي صحبة احد الرواة، رغم اعتراف البخاري به!!.

وقد ذكرنا عشرات الأمثلة في تلخيصنا للكتاب، ومن هذا القبيل ما ذكره عن حكيم ابي معاوية الذي ذكره ابن ابي خيثمة في الصحابة، وهو عند ابن عبد البر «غلط وخطأ بيّن» وقال عنه: هذا الرجل لم يذكره أحد في الصحابة غير ابن ابي خيثمة (٣٢٢/١) وقال مثل ذلك بالنسبة لحكيم بن جبلة الذي قال عنه ابن عبد البر: لا أعلم له عن الرسول ﷺ رواية، ولا خبر يدل على سماعه منه، ولا رؤية له (٣٢٤/١).

٥- لابن عبد البر ولع غريب بالشعر، اذ حرص على ذكر الشعراء الذين دافعوا عن الرسول ﷺ، وذكر نماذج من شعرهم، من ذلك ما ذكره الشاعر لبيد بن ربيعة العامري الذي قدم على النبي ﷺ، مع وفد قومه ومدحه بقصائد عدة (٣٢٤/٣-٣٢٨)، مما يمنح هذا الكتاب صفة أخرى، وهي كونه مصدراً أدبياً لا يستغنى عنه.

٦- يتخلل الكتاب عبارة مكررة، مفادها «قال ابو عمر» وهي مبثوثة في عدد غير قليل من صفحات الكتاب، والظاهر انها لا تعني فقط ان الكتاب قد جُمع ونُشر بعد وفاة المؤلف رحمه الله، الا اذا كانت مشفوعة بالترحم عليه، كما في خاتمة الكتاب (٥٠٦/٤)، اما اذا كانت خالية من الترحم كما في (٤/٣) عند حديثه عن عامر بن البكير الليثي الذي قال عنه: انه

شهد بدراً، فإنها تؤكد اهمية ما يليها من كلام، ليميزه عما نقله عن غيره، كما ان بعض الكتب العربية قد تضيع صفحاتها الأولى، بفعل الاستعمال الكثير فتتمزق ويتهاون اصحابها في اعادة كتابة تلك الصحف، فيضيع اسم المؤلف، ولذلك فإن ذكره في صلب الكتاب يمكّن القارئ من التعرف عليه، والله تعالى أعلم.

❖ المصادر:

لقد رجعت الى عدد كبير من المراجع التي تناولت سيرة ابن عبد البر، وبعض المصادر التي تناولت سير الشخصيات الواردة في كتاب «الاستيعاب» فكانت الحصيلة (٣٩) مرجعاً، المدرجة في هذا الكشف، لعل القارئ يجد في ذكرها بعض الفائدة، وهي:

١- ابن الأثير «المؤرخ» اللباب في تهذيب الأنساب، طبعة مصر، ١٣٥٦هـ-١٣٦٩هـ.
٢- الأنصاري «زكريا» شرح ألفية العراقي، طبعة فاس ١٣٥٤هـ.
٣- ابن بشكوال الصلة في تاريخ الاندلس، مدريد ١٨٨٢م.
٤- البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين الى اسماء المؤلفين، استانبول ١٩٥١-١٩٥٥م.
٥- الثعالبي محمد بن الحسن، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، الرباط ١٣٤٠هـ.
٦- ابن حزم، جمهرة انساب العرب، مصر ١٣٤٨هـ.
٧- الحميدي، جذوة المقتبس في ولاة الأندلس، مصر ١٣٧٢هـ.
٨- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت.
٩- حاجي خليفة، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، طبعة استانبول، ١٣٦٠هـ.
١٠- الذهبي، تذكرة الحفاظ، حيدر آباد «الهند» ١٣٣٣هـ.
١١- الذهبي، سير أعلام النبلاء، طبعة مصر.
١٢- الزركلي خير الدين، الاعلام، الطبعة الاخيرة في بيروت.
١٣- زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصر ١٩١٣-١٩١٤م.
١٤- سركيس يوسف، معجم المطبوعات العربية، مصر ١٣٤٦هـ.
١٥- ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلي المغرب، مصر ١٩٥٣م.
١٦- الضبّي، احمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ اهل الاندلس، مدريد ١٨٨٤م.
١٧- ابن عبد البر «موضوع هذا المقال» هو مراجعة كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» وعدد من مؤلفاته الأخرى «ولنا عودة ان شاء الله للتعريف ببعض مؤلفاته الأخرى».
١٨- العسقلاني ابن حجر، لسان الميزان، حيدر آباد «الهند» ١٣٣١هـ.
١٩- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مصر.
٢٠- الفتح بن خاقان، مطمح الانفس طبعة

الجوانب، استانبول، ١٣٠٢هـ.

٢١- ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، مصر ١٣٢٥هـ.

٢٢- ابن فرحون ابراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب «المالكي» مصر، ١٣٢٩هـ.

٢٣- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، طبعة مدريد، ١٨٩٠م.

٢٤- الكتاني محمد عبد الحي، معجم المعاجم، طبعة فاس، ١٣٤٦هـ.

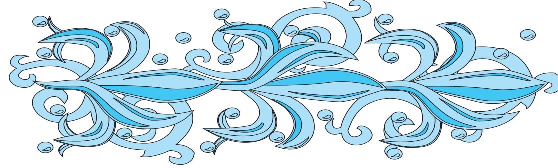
٢٥- الكتاني «د. يوسف» مقال في مجلة «المنهل» بجدة عن ابن عبد البر بخاري المغرب، جمادى الأولى ١٤١١هـ.

٢٦- ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، مصر ١٣٥١هـ.

٢٧- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق، ١٩٦١م.

٢٨- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مصر، ١٣٤٩هـ.

٢٩- المقري، نفح الطيب في غصن الاندلس



٣

نظرات اسلامية في الطفولة

■ بقلم الدكتور أحمد مصطفى القضاة

❖ **توجيهات في تربية الاطفال:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالتمر عند صِرام النخل فيجيء هذا بتمره وهذا من تمره حتى يصير عنده كوم من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرةً فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال: أما علمت أنّ آل محمد -ﷺ- لا يأكلون الصدقة»(١).

وفي رواية أخرى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: كِخْ كِخْ. ليطرحها، ثم قال: أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة»(٢).

لقد اشتمل هذا الحديث النبوي على توجيهات كريمة، ومعان نبيلة وأساليب عظيمة في التربية والتوجيه، يحتاجها الآباء والمربون وهم يعايشون عوالم الطفولة، وتعترضهم عقبات يقفون أمامها حائرين.

ففي هذا الحديث الطريقة المثلى في التوجيه، والأسلوب الأمثل في الترغيب والترهيب، فلقد ترك الرسول ﷺ الحسن والحسين يلعبان لينمي فيهما الحركة والحيوية، ولكن ضمن الحدود الشرعية، إذ أذن لهما باللعب بالتمر ثم منعهما من الأكل

منه، لأنه لا يباح، وقد كان ﷺ حكيماً في معالجة الموقف بما لا يترك انعكاسات أو تأثيرات سلبية في نفسية الطفل الذي أصبحت التمرة في فيه، فهو لم ينتزع التمرة انتزاعاً بطريقة وحشية أو عدوانية، بل كان لطيفاً في معالجة نفسية الطفل قبل أن يُخرج التمرة من فيه، إذ كرّهه عليه الصلاة والسلام بتلك التمرة، وهو بذلك ينقل الطفل من تعلقه بالتمرة إلى كرهه لها، وحينئذ سيبادر الطفل نفسه بمعالجة الموقف بطريقة لا إرادية، إذ أصبح راغباً عنها بعد أن كان راغباً فيها، وما أجمله من توجيه بكلمة مختصرة معبرة!.

ولذلك ينبغي أن يُبعد الطفل وأن يحافظ عليه بعيداً عن الحركات المزعجة والأصوات المفزعة والمناظر المرعبة ونحو ذلك، حتى لا يقع الطفل في انعكاسات سلبية تؤثر في نفسه وعقله، والأولى أن تكون الحركات لطيفة والأصوات هادئة والمناظر أليفة.

وتشير الكلمة التي قالها رسول الله ﷺ ليطرح الحَسنُ التمرة من فيه، إلى أن الحسن والحسين لديهما مفاضلات بين القبح والحُسْن، وعندهما مخزون من المعارف والمصطلحات الحسنة وغير الحسنة تم اكتسابها من الواقع النبوي والمجتمع الإسلامي، وفي مقدمة هذه المصطلحات الحسن، إذ أن اسم أحدهما الحسن واسم الآخر الحسين، وفي ذلك إيحاء إلى أنهما يبحثان عن الحسن دائماً في الشكل والمضمون، وفي المأكل والحركة.

وفي إخراج التمرة من فم الحسن مبالغة في البعد عن المحرم، وإبعاد الأطفال عن المأكولات التي لا تباح، ولا مسوّغ لكونهم أطفالاً، فإن المأكل الحلال منبت حسن للأطفال.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الإنبات الحسن، وأنه عطاء عظيم من الخالق الكريم، واصطفاء لمن نهج الطريق المبني على الالتزام بالطاعات، وفي مقدمتها إطعام الصغار والكبار ما أباحه الله لهم، فقد نذرت امرأة عمران ما في بطنها محرراً، وعندما وضعته استعاذته بالله هو وذريته من الشيطان الرجيم، فكان القبول من الله سبحانه بعد أن أُبعدت مريم عن الشيطان ونوازعه، وكان مع القبول الإنبات الحسن منذ الصغر، ذلك الإنبات المبني على الحلال والطاعة، قال تعالى: **﴿فلما وضعتها قالت رب ان وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ❁ فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً﴾**[٣]، ولا شك أن

الإنبات يبدأ من المراحل الأولى.

قال علي بن عبد الكافي السبكي: ومن مصالح الصبي أن الولي يصونه عن أكل ما فيه شبهة، وعن أن يخلط ماله به، ويحرص على إطعامه الحلال المحض، وعلى أن يكون ماله كله منه، وهي مصلحة أخروية ودنيوية، أما أخروية فظاهر، لأنه وإن لم يكن مكلفاً لكن الجسد النابت من الحلال الطيب أزكى عند الله وأعلى درجة في الآخرة من غيره، وأما دنيوية فإن الجسد الناشئ على الحلال ينشأ على خير فيحصل له مصالح الدنيا والآخرة(٤).

وتوجيه آخر من توجيهات الحديث النبوي هو ظهور الرسول ﷺ أمام الحسن بصورة الغاضب المنفعل، إلى المستوى الذي يدفع الحسن إلى إخراج التمرة من فيه، فقوله: "كخ كخ" لم يكن بها إلا غاضباً، فعندما أخرجها قال: "أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة".

وقد يكون الحَسَن بالعمر الذي يدرك فيه معنى قوله ﷺ في عدم أكل الصدقة، أو يكون قالها تبياناً لمن حوله لمعرفة نهي رسول الله ﷺ الحَسَن عن أكل التمرة، وبذلك يعطي ﷺ توضيحاً للطفل صاحب الحدث أو لمن شاهد ذلك الحدث، حتى لا يبقى الطفل أو غيره حائراً أمام الأمر والنهي المجرد، ذلك أن التوجيهات لا تعطي ثمارها إذا كانت سطحية أو فارغة، إذ لا بد أن تدخل التوجيهات والإرشادات إلى أعماق الطفل وبواطنه، ليرتاح نفسياً وفكرياً.

وفي إحدى الروايات أن الرسول ﷺ نظر إلى الحَسَن فأخرج التمرة من فيه، وبذلك يكشف الرسول ﷺ عن أسلوب آخر في التربية والتوجيه، وعن لون مؤثر فيهما، وهو التربية بالنظر، والتوجيه بالنظرة، والتفعيل بحركة العين، والتحريك بالإبصار، وكأن العين ناطقة، وإن من التوجيهات ما لا تحصل إلا بالنظر، وإن من السلوكات ما لا تتغير إلا بالإبصار، وإن العين لتثمر أحياناً أكثر من اللسان واليد، وتحرك الطفل حركة نشطة منفعلة تجاه الحدث فعلاً أو تركاً، حيث دلت على ذلك تجارب المربين مع تلاميذهم.

كما أن النظرة بالعين بالطريقة اللبقة، والحركة اللبقة تغرس في نفس الطفل هيبة وهالة للمربي، وتنمي فيه التقدير والاحترام ثم بعد ذلك تنعكس الآثار الطيبة والأعمال الإيجابية في حياة الطفل، ونحن نلمس أن هيبة الأستاذ في نفس التلميذ تدفعه تجاه واجباته، وتوجه سلوكاته إلى المأمول، وقد أصبحنا نرى أن كلمات بعض الأساتذة لا قيمة لها عند التلاميذ، نظراً لكسر الجسور السليمة بين

الطرفين وإسقاط الهيبة من بينهما، مما أدى إلى انحراف التلاميذ وإحباط المدرسين، ولذلك فالإبقاء على العلاقة المحترمة بين الأساتذة والتلاميذ ضروري في التوجيه، ولنا من حث الإسلام على بر الوالدين إشارة لطيفة إلى إبقاء علاقة محترمة بين الآباء والأبناء، وأن هذه العلاقة المحترمة القائمة على الحب والمودة والاحترام تعين الآباء في توجيه أبنائهم، وبالأخص الصغار منهم.

ويدل هذا الحديث أيضاً على جواز لعب الأطفال بالمأكولات والسماح لهم بذلك، شريطة أن لا يكون اعتداء أو إيذاء، وأن لا يشمل اللعب أموراً غير مباحة، فقد أذن الرسول ﷺ لهما باللعب بالتمر وهو أحد أنواع المأكولات، ولو كان في لعبهما اعتداء أو إيذاء لمنعهما، كما حدث عندما أخذ أحدهما تمرة ليأكلها فمنعه الرسول الكريم.

ولا شك أن السماح للطفل باللعب بالتمر ونحوه يكسر الحاجز النفسي بين الطفل والمنظر الماثل حياً أمامه، ويلبي رغبة الصغير في أن يتعامل مع الموجود، وأن يلمس ما تصبو إليه نفسه، بما لا يتعارض مع الأحكام الشرعية، وأن يُطعم مما يراه إذا كان مباحاً وممكناً، إذ لو كانت التمرة مباحة لأبقاها رسول الله ﷺ في فمه.

وهذه الحالة التي حصلت في الحياة النبوية يحصل مثلها الكثير الكثير، ويتوجب على الآباء والمربين أن يعاملوا الأطفال مثل معاملة رسول الله ﷺ لهم، ففي كل يوم وليلة يرى الأطفال مناظر الطعام والشراب، كمناظر الخبز والخضار والفواكه والحلوى والعصير وأشياء أخرى، والأنسب أن يسمح لهم بلمس ذلك، والنظر إليه، واللعب به بما لا يؤذي أو يضر.

والحديث يدل على أحكام شرعية، كجواز لعب الأطفال بالمأكولات بما لا يؤذي أو يضر والسماح بذلك، ومنع الأطفال من المأكولات والمشروبات التي لا تحل وإن لم يبلغوا الحلم، ولو كان المأكول في أفواههم، كما يدل على جواز أمر الطفل أو نهيه بالنظر، وجواز تكريه الطفل بغير المباح، واستحباب حضور الأطفال مجالس الكبار، وألاّ يمنعوا من ذلك إلا لمحظور.

❖ مداعبة الأطفال:

عن محمود بن الربيع قال: «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»(٥).

يتضح من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ، قد بادر الصحابي الجليل يوم أن كان طفلاً بأعمال محببة وأفعال

مــريحــة، وهو يكشف عن أثر اللعب بالماء لدى الأطفال، وأن يمارس الكبار هذا اللون من اللعب البريء مع الصغار، فهو ترطيب لأجسادهم من حرارة الجو أثناء الصيف، وتلطيف لأنفسهم من صعوبة الحياة وقسوة العيش.

ويشير الحديث إلى أن النبي ﷺ أخذ الماء من دلو، ليداعب الأطفال أثناء عمله، أو عند حضورهم، ويبدأ باللعب معهم، وهو أسلوب رائع في التربية القويمة، لأن الكبير يملك أسلوب التوجيه أكثر من الصغير، والصغير ينتظر الأعمال والمبادرات ممن هو أكبر منه، وقلما ينطلق الصغير تجاه الكبير إلا إذا شعر بأريحية معه أو بمبادرة منه.

والحقيقة أن الماء يأخذ مساحة واسعة من حياة الأطفال، وله تأثيره المميز في نفوس الصغار ووقعه الخاص عليها، وكم هي الفرحة التي تغمر الطفل وهو يتراشق مع أترابه الآخــــرين رذاذ الماء؟، وكم هو السرور الذي يثلج صدور الصغار وهم يسبحون بأحواض الماء؟، وكأن الحياة قد دبت بهم من جديد فانطلقوا فيها بحيوية ونشاط، وأخذوا يسرحون ويمرحون، وكأن الدنيا لم تخلق إلا لهم.

وقد كان ﷺ يحب النظر إلى الوجه الحسن والخضرة والماء الجاري، ليدل على أثر الماء، في حياة الكبار، فكيف سيكون الأثر إذاً في حياة الصغار؟، لا شك أن حياتهم تتجدد حيوية وحركة وانطلاقاً، وبالأخص بعد النوم أو الإعياء أو الكسل، كما يلمس المتوضئ نشاطاً وحيوية بعد وضوئه، وإذا غضب المرء ينصح بالوضوء لأنه يطفئ الغضب، حيث للماء دور فعّال في تنشيط حركة الإنسان وتفعيله.

ثم إن للماء موطناً حساساً في أنفس الأطفال، والحديث يكشف أن الوجه موطن حساس في مداعبة الأطفال بالماء، فمجة الماء بالوجه تنشط الحركة، وتدفع الكسل، وتكسر حاجز الخمول، وتثير الانتباه، وتنبه الأعصاب، وتلفت النظر، وتحرك الذاكرة.

وإذا كان الماء يؤثر في تنشيط حركة الإنسان في الحياة، ويؤدي دوراً فاعلاً في شؤون الإنسان، ويعطي إيجابيات كثيرة في النفس البشرية، فإنه ينبغي للمربين أن ينشطوا الأطفال وينقلوهم من عزلتهم وانكماشهم ويُربوهم بوسائل شتى، منها التربية بالماء، وبأشكال وكيفيات مختلفة، كاللعب بالماء الجاري أو الراكد، والتبادح بقطع الثلج، والتقاذف بخراطيم المياه، والتراكض تحت حبات المطر، والجلوس في ماء الحمام، والمجة في الوجه، وتسليط المياه بالبرابيش على الأطفال المارّين والجالسين، وعمل الأحواض المائية

والترابية، ورمي الحجارة وغيرها في الأنهر والبحار، وحملهم في السفن والقوارب، وعرض أفلام وصور للطبيعة التي تحوي مناظر الماء.

ومن أبرز الأشكال والكيفيات التي ينبغي أن يتعامل معها الكبار والصغار في التربية بالماء، السباحة التي تقوي الجسم، وتهذب النفس، وتنشط الإنسان وتعطيه حركة وحيوية، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة يأمرهم بتعليم الأولاد السباحة[٦].

ثم يشير الحديث إلى أثر الماء في حياة الأطفال، وفي الوقت الذي يرتاحون فيه، ويرغبون أثناءه اللعب، إذ لا يجوز أن يُروّع الأطفال بالماء أو بغيره، كما يحدث مع بعض الناس الذين يقومون بقذف الماء من أفواههم أو من وسائل أخرى على الأطفال بصورة مفاجئة وبشكل مثير، مما يؤدي إلى بكاء الأطفال وصراخهم وظهور انعكاسات غير مرغوب بها في أنفسهم، نتيجة لتصرفات الآخرين غير اللائقة واللامقبولة، ولذلك ينبغي أن تبقى المداعبة في إطارها المقبول لا أن تصبح تخويفاً وترويعاً للأطفال، وقد قال ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"[٧].

والحقيقة أن هناك بؤراً نفسية عند الأطفال فيما يتعلق بالحوادث والوقائع التي يعيشونها، تتجمع حولها الانعكاسات الموجهة إليهم، وتنطلق منها التأثيرات المرسلة منهم، وينبغي على أولياء الأمور والمربين أن يلاحظوا تلك البؤر، ففي كل حدث واقع أو تصرف حاصل بؤرة نفسية، والجهل بها يؤدي إلى انعكاسات سلبية في حياة الأطفال، يمكن أن نسميه الكساح النفسي، الذي ربما يؤدي إلى الكساح العقلي.

أما بالنسبة لفعل رسول الله ﷺ وهو إرسال الماء من فمه الطاهر إلى وجه الصحابي وهو ابن خمس سنين، فإنه لم يكن بصورة مرعبة مثيرة، وإنما كان بشكل مقبول مريح، فهو يتذكرها على الرغم من صغر سنه، ويحدث بها أصحابه عند كبره، وكأنه يفتخر بها أنها من رسول الله ﷺ، ونتمنى أن تتكرر تلك الصورة من كبار المسلمين مع أطفالهم.

وقد حصلت الحادثة عند بئر ماء أو على مقربة منها لأنه أخذ الماء من دلو، إذ تشير الحادثة إلى أن الأجواء مهيئة عند ابن الربيع، وأن حالة الطقس مقبولة، لأن الرسول ﷺ لا يؤذي أحداً، ولا يسبب إزعاجاً لأحد، وكأن الحادثة حصلت في النهار أو في جو الصحراء.

وهكذا يجب أن تراعى حال الطفل المراد مداعبته حتى لا تُحدث في نفسه

انعكاسات غير مرغوب بها، كبغض الشخص المازح، أو بغض الحدث نفسه، ليكره الطفل بعد ذلك التعامل مع الآخرين، فشتان ما بين مداعبته بالماء عند النهر، ومداعبته بالماء عند استيقاظه أو إطعامه.

وفي الحديث جواز مداعبة الكبار للصغار بما يباح، وجواز حضور وإحضار الأطفال مجالس الرجال وأمكنتهم، وجواز استعمال المياه في المزاح مع الصغار، وذلك في أوقات وأحوال يرتاحون فيها.

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز إحضار الصبيان مجالس الحديث وزيارة الإمام أصحابه في دورهم ومداعبته صبيانهم. وقال أيضاً: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة(٨).

❖ المعاملة الكريمة للأطفال:

أخبر أبو الأشهب عن الحسن قال: «بينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء صبي، حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها، وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: فهلا على فخذك الأخرى؟. فحملها على فخذه الأخرى، فقال: الآن عدلت»(٩).

يدل الحديث على العدل بين الأبناء، والتسوية في المعاملة، والمساواة في التعامل، وكراهة التفريق بين الذكر والأنثى في النحل والعطايا، والحالة الواقعة أمام رسول الله ﷺ تصور جوانب متعددة من الخلق النبوي في معاملة الأطفال، فقد رضي رسول الله ﷺ أن يحضر الأطفال الذكور والإناث مجلسه التعليمي، وأن يكونوا بين الصحابة الكرام الذين يكبرونهم سناً وخُلقاً، ولا بأس بأن يحضر الأطفال مجالس الكبار، وقد أذن رسول الله ﷺ بذلك، لأن فيه تعويداً لهم على أخلاق الكبار، وتمريناً لأخلاقهم على استجابة توجيهات الكبار.

وفي الحديث جواز قطع التدريس والمحادثة، لبيان حكم شرعي أو تقديم نظرة إسلامية لحالة طارئة في عالم الطفولة أو غيره، فإن الرسول ﷺ قد قطع الحديث مع أصحابه والتفت إلى ذلك الرجل الذي لم يعدل بين ابنه وابنته في المعاملة، وبهذا يعطي الرسول ﷺ طريقة مثلى في معالجة بعض قضايا الطفولة التي تنشأ في عالمهم، نتيجة التفريق بين الطفل الذكر والطفل الأنثى، أو تقديم الأحسن للطفل الذكر دون الطفل الأنثى، وتتمثل هذه الطريقة في استغلال الحدث للتوجيه السليم، وعدم الانتظار إلى وقت

لاحق قد تبحث فيه القضية أو يعالج فيه الحدث، **ولا شك أن السرعة والتنبيه لاستغلال الحدث ثم تقديم الرأي الصائب، أمر له أهميته في المعالجة لمشكلات الطفولة،** فلو قُدّر أن الرسول ﷺ أَخَّر توجيهه لذلك الرجل لظن الجالسون أنه إقرار من رسول الله ﷺ على فعل ذلك الرجل، ولكنه درس جماعي في استغلال المواقف الطارئة في عالم الطفولة، كما أن استغلال الحدث فيه تطييب خاطر للطفلة الأنثى التي أصيبت مشاعرها نتيجة تقديم أخيها الذكر عليها في الجلوس على فخذ أبيها.

وفي اعتراض الرسول ﷺ على معاملة الرجل لابنته وإقراره بالألوان الأخرى من المعاملة، توجيه كريم وترغيب حسن في ملاطفة الأطفال، والتعامل معهم بالحسنى، وقبول دخولهم مجالس الكبار، والمسح على رؤوسهم، وإجلاسهم على الأرجل أو على الأرض أو في الأحضان، وتقبيلهم، والاستماع إليهم، ليشعر الطفل بروح معنوية عالية ويطرد شبح الاغتراب ووحشة الغربة من بواطنه وواقعه.

وهذا الحديث الذي فيه إقرار الرسول ﷺ دخول الأطفال مجالس الكبار ولو كان فيهم النبي ﷺ، أو كانت الجلسة للمذاكرة والدرس رد قوي على بعض الناس الذين يمنعون أطفالهم من مخالطة الكبار أو مجالستهم بحجة الحياء وتسويغ الأدب، بل يقومون بتوبيخهم بأصوات غليظة وألفاظ قاسية ونظرات مرعبة، ظناً منهم أن مجالس الكبار مقصورة عليهم أو أن عالمهم طفولي بحت لا يجوز الاقتراب منه والاختلاط به، **ولذلك رسم الحديث خلقاً نبوياً عظيماً، إذ لا مجلس أبهى من مجلس رسول الله ﷺ، وقد قبل فيه حضور الأطفال، وقدَّم عدلاً ورحمة ورأفة في عالم الطفولة، وأبرز صوراً جميلة أثناء الأحداث الواقعة مع الأطفال كالمسح والجلوس والتقبيل والمصاحبة والمحادثة.**

كما أن في الحديث رداً قوياً على بعض الناس الذين يتذمرون من مجيء أطفالهم معهم إلى الأسواق أو المجالس، مكتفين بتربية أطفالهم داخل جدران البيت، ففي هذا الحديث أن الصبي جاء إلى أبيه في مجلس رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه، وأن ابنته قد جاءت إلى أبيها أيضاً، ولك أن تتصور دخول الأطفال ومجيئهم إلى أبيهم وملاطفة أبيهم إليهم وهو وهم في مجلس الرجال الذي يترأس الحديث فيه رسول الله ﷺ، لترى مدى الأثر السلبي من طرد الأطفال من مجيئهم إلى آبائهم.

وقد ترجم السلف أخلاقياتهم الحسنة

في عوالم الطفولة، فهذا أحد الخلفاء لا يؤثر أحد أبنائه على أحد بلقمة، ليعلم الابن أن العدل أمر طبيعي، فقد ورد أن عمر بن عبد العزيز ضم ابناً له، وكان يحبه، فقال: يا فلان، والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أؤثرك على أخيك بلقمة[١٠].

وكم تزن اللقمة في الموازين؟، ولكنها الإرادة الحازمة، والنفس العادلة التي تجمع الأبناء على مائدة واحدة، وفي صعيد واحد، والتي تفيض عليهم حناناً وإطعاماً، كأنهم نفس واحدة، وما أجمل أن يُعْلِم الأب طفله بحبه!، وأن يضمه إلى صدره، وأن يُطْعِمه اللقمة الزكية بيده، وأن يعدل بينه وبين إخوانه في كل شيء.

فعن أبي هريرة أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها بنتان لها، وكان يُطعم التمر فأطعمها ثلاث تمرات، فأطعمت ابنتيها تمرتين وأمسكت الواحدة، فلما أكلاها نظرا إليها فشقت التمرة بينهما، فقال رسول الله ﷺ: "لقد غفر الله لها، أعطت في حق وأطعمت في جهد"[١١].

وفي الحديث حث الآباء والأمهات على الشفقة على الأطفال والرأفة والرحمة بهم، والرعاية لشؤونهم والعناية بأحوالهم، وفي مقدمة ذلك طلب الغذاء لهم. وأما تخصيص بعض الأشياء للصغار دون الكبار فهو مرغوب به، فعن الحسن أو جابر بن عبد الله قال: «صليت مع رسول الله ﷺ الظهر أو العصر، فلما سلّم قال لنا: على أماكنكم. قال: جرة فيها حلوى. فجعل يأتي على رجل رجل فيلعقه لعقة لعقة، حتى أتى عليّ - وأنا غلام - فألعقني لعقة، ثم قال: أزيدك؟. قلت: نعم. فألعقني لصغري، فلم يزل كذلك حتى أتى على آخر القوم»[١٢].

وفي الحديث جواز زيادة الأطفال وتمييزهم عن الكبار بالعطية، فالرسول ﷺ أعطى كل واحد لعقة، وزاد الحسن أو جابراً بأخرى لصغره، ولم يكن التمييز بين الصغار أنفسهم، أو الكبار أنفسهم، لأنه يتنافى مع العدل، ويغرس الحقد، ثم إننا نسترشد بالحديث لجواز استحباب مجالسة الغلمان للكبار وحضورهم الصلوات معهم، ونلمس من الحديث أن جلوس الغلام كان بينهم، ولم يكن في نهاية حلقتهم أو صفّهم، لأنه أعطى الرجال ثم الغلام ثم أكمل القوم.

❖ حمل الأطفال وشمّهم وتقبيلهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بصر عيني، وسمع أذني، رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن أو الحسين، وأكبر ظني أنه الحسين- فوضع قدميه على قدميه، ثم جعل يرقيه على ساقيه وفخذيه، وهو يقول: ترق عين بقة، فلما وضع رجليه على

رسول الله ﷺ فتح فاه، فقبل جوفه، ثم قال: "اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه"(١٣).

وفي رواية عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ والحسن والحسين يثبان على ظهره فيأخذهما الناس، فقال: دعوهما، بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين(١٤).

لقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في التعامل الحسن مع الأطفال، وقد دلت سيرته النبوية العطرة في التعامل المثالي معهم على البعد التربوي والسبق النبوي في هذا المجال، حتى تكاد كل حركة نبوية تحمل توجيهاً، وكل كلمة نطق بها ﷺ تحمل معنى عظيماً وإرشاداً سليماً في عالم فريق من الناس يتسم باللاوضوح.

وهذا الحديث برواياته المتعددة يصف لنا معاملة الرسول ﷺ المهذبة الأنيقة للصغار، ويكشف عن التعامل العملي معهم، إذ لم يقدم نظريات صعبة التطبيق، كما لم يخاطب أولياء الأمور في مثاليات الطفولة الصعبة، لكنه تعامل معهم، ولاعبهم، وداعبهم، وقبّلهم، ومازحهم، وشمّهم، وحملهم، وهكذا قدم ألواناً متعددة لإسعاد الأطفال وإدخال السرور عليهم.

والرسول ﷺ يبادر الحسن أو الحسين فيأخذ يده، ويضع قدميه على قدميه، ثم على ساقيه وفخذيه، ويفتح فمه ويقبّله، ليعطي صورة عملية في الأسلوب التدريجي في أخذ الأطفال وملاعبتهم، وتوجيهاً عملياً في بيان أثر حركة الرجلين، وأثر لمس الفم وتقبيله.

ويحاول الجالسون منع الحسن أو الحسين من الوثب على ظهر رسول الله ﷺ احتراماً له، ظناً منهم أن النبي المُرْسل لا يلاعب الصغار، فيأمرهم عليه الصلاة والسلام بأن يتركوا الحسن أو الحسين يلعب ويثب على ظهره، لما لهذا اللعب والوثب من الأمر العظيم في تهذيب نفسية الطفل وتنشيط حركة جسده، وتكسير الحواجز النفسية المفتعلة بين الكبار والصغار، وإخراج الأطفال من العزلة والانكماش، إذ إنّ الطفل ينمو نمواً شاملاً متكاملاً بنمو حركته ونشاطه المتكامل، من تغذية وتأديب وتوجيه ولعب ونحو ذلك مما يؤثر في سلوكات الأطفال.

وفي رواية أخرى عن ابن أبي نجيح قال: كان الحسن والحسين يركبان فوق ظهر النبي ﷺ ويقولان: حل حل، ويقول النبي ﷺ: «نِعْم البعير بعيركما».

وفي الحديث صورة نبوية كريمة من الصور النبوية المتعددة في التفنن في إدخال البهجة على نفوس الغلمان والرفق بالصبيان والتلطف مع الأطفال، وهو

يكشف بخلقه النبوي الجوانب العميقة في نفسية الصغار ورغبتهم في ملاعبة الكبار بأخلاقهم الطفولية وحركاتهم البريئة.

ويدل الحديث على معرفة الرسول العظيم ﷺ بخصوصية عالم الأطفال، وأن الطفل طفل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ ودلالات، وبذلك يسجل الرسول ﷺ السبق في معرفة خصوصية عالم الأطفال وتفهيمها، وأن عالمهم يختلف تماماً عن عالم الكبار، وعلى الكبار البالغين أن يلاحظوا أخلاقيات الأطفال واهتماماتهم على أنها طفولية، وأن يتعاملوا معهم وهم مدركون ومتفهمون لأبعاد الطفولة.

أما تقبيل الصغار وملاعبتهم بذلك فقد جاءت روايات متعددة، فعن أبي ليلى قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء الحسن فأقبل يتمرغ عليه، فرفع مقدم قميصه فقبل زبيبته(١٥).

ويدل الحديث على جواز مجالسة الصغار للكبار واستحباب مخالطتهم لهم، وأن يقدم لهم ما يفرحهم أثناء المجالسة والمخالطة، لأن ملاطفة الأطفال بمنزلة غذاء نفسي لهم، وبالأخص أمام الكبار الذين يتوهمونهم غرباء عنهم، وقد وردت الروايات والآثار في دخول الصحابة الصغار مجالس الكبار بمحضر رسول الله ﷺ وبغير محضره.

ثم يحمل الحديث الملاحظة النبوية الكريمة والخلق النبوي اللطيف في التعامل مع الأطفال ومبادرتهم في اللعب والمرح والمزاح، وكم هي صورة جميلة رؤية طفل صغير بين يدي رسول عظيم؟، والصغير يلعب ويرقص ويمرح ويتمرغ في أحضانه، ويحرك يديه و رأسه وجسده كله في سعادة كاملة وفرحة كبيرة، ثم يبادره الرسول الحاني برفع مقدم قميصه، والكشف عن المكمن الذي يحرك فرحة الصغير ويزيدها، ويتوج تلك الفرحة الطفولية بقبلة نبوية.

وهكذا يكشف الرسول المربي الذي لا ينطق عن الهوى، عن الجوانب التي تُدخل السرور على الأطفال والأحوال التي يمتلئ الصغار من خلالها فرحاً وسروراً، ويحقق الإسلام بهذا السلوك النبوي في التعامل مع الأطفال بأريحية وأنس ومحبة وملاعبة، سبقاً تربوياً في عالم الطفولة، وتؤكد التجربة النبوية أن الملاحظة الحسنة والملاعبة اللطيفة والمداعبة الهادئة والانبساط البريء والقبلة الطبيعية والحركات الطفولية في عالم الأطفال تشكل مقومات ضرورية لتكوين شخصيتهم وتنمية قدراتهم وتجاوب مواهبهم، ثم إن الرسول ﷺ يتعامل مع الصغار بما يتفق مع الأدب النبوي، وبما يلبي احتياجات

الطفولة الفطرية، وأمام الصحابة الكرام، ليتعاملوا مع أطفالهم بالأسلوب النبوي نفسه.

وتتعدد الأساليب النبوية في ملاعبة الأطفال وحملهم على المرح والفرح واللعب، فهو يبادر الصغار باللعب، ويتعامل معهم بأريحية، وبأكثر من أسلوب، فتارة يُفرّج الرجلين، وتارة يقبل السرة، ففي رواية كان النبي ﷺ يفرج بين رجلي الحسين ويقبل زبيبته[١٦]. وتارة يمج الماء في الوجه، وتارة يرفع الطفل على رجليه.. وهكذا تتلون الأساليب اللطيفة عند الرسول الحاني المربي في تعامله مع الصغار، وصيغة الحديث تنبئ عن تكرار فعله ﷺ في التعامل المرح مع الأطفال، لأن التعامل اللطيف لم يكن أمراً هامشياً في حياة الرسول ﷺ، بل عاشه هو وأصحابه مع أطفال المسلمين.

ويبين الحديث النبوي برواياته المتعددة موطناً من مواطن سعادة الطفل وإسعاده، وذلك بتقبيل سرته، والكشف عن بطنه، ودغدغته بوضع الفم على جسده، وإضحاكه بتحريك رجليه أو يديه، والإكثار من ذلك، وقد لمست هذا مع طفل لي بكى على شيء، فحاولت تهدئته بتوجيهات وإغراءات فأصر على بكائه، ثم تذكرت هذا الحديث وغيره فأخذت أمازحه وأدغدغ جسده ومشاعره، وأقبل سرته، فتحول الطفل من البكاء إلى الضحك، وعاد يلاعبني بعد أن نأى عني.

أما الصحابة العظام فقد كانوا يتذاكرون أيام الطفولة التي رسم معالمها المضيئة الرسول الكريم ويتباهون فيما فعله عليه الصلاة والسلام بمن كان منهم صغيراً، لأن المواقف النبوية أخذت منهم البعد الفعلي في حياتهم، وبهذا يتأكد لدينا أن التجربة النبوية في عالم الطفولة كانت جماعية لدى الصحابة.

ولذلك تخرج الجيل العظيم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم -بعد أن كانوا أطفالاً- من مدرسة الرسول العظيم ﷺ ليكونوا عظماء التاريخ، فعن عمير بن إسحاق قال: رأيت أبا هريرة قال للحسن بن علي: أرني المكان الذي قبّله منك رسول الله ﷺ، فكشف له عن سرته[١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: "من لا يَرْحم لا يُرْحم"[١٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي للنبي ﷺ فقال: تُقبّلون الصبيان؟ فما نقبّلهم، فقال النبي ﷺ: "أَوَ أملك لك

أن نزع الله من قلبك الرحمة"[١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه تحت كتاب الأدب فوضع «باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته» وهذا الفقه من البخاري إشارة إلى استحباب تقبيل الأطفال ومعانقتهم، ثم ذكر قول ثابت عن أنس: أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبّله وشمّه.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً، إذ قال الخادم إن فاطمة وعلياً رضي الله عنهما بالسدة، قالت: فقال لي: قومي فتنحي عن أهل بيتي. قالت: قمت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبّلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبّل فاطمة وقبّل علياً، وأغدق عليهم خميصة سوداء، وقال: "اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي". قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله، فقال: وأنت[٢٠].

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة؟.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ وآله.

(٣) سورة آل عمران: ٣٦.

(٤) انظر المجموع١٣/٣٥١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير؟.

(٦) تربية الأولاد في الإسلام١/٢٦٥.

(٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح. إسناده صحيح.

(٨) فتح الباري١/١٤١.

(٩) العيال -ابن أبي الدنيا- حديث رقم ٣٦، ابن عساكر٤/٢٥٤. في إسناده إرسال.

(١٠) العيال -ابن أبي الدنيا- حديث رقم ٤٠.

(١١) العيال حديث رقم ٣٨٩.

(١٢) العيال حديث رقم ٢٣٨، سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب العسل، إسناده حسن.

(١٣) العيال حديث رقم ٢٠٩. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ١١٦٨.

(١٤) العيال حديث رقم ٢١٧. السنن الكبرى للنسائي، المناقب، باب مناقب أصحاب رسول الله، إسناده حسن.

(١٥) العيال حديث رقم ٢١٠.

(١٦) العيال حديث رقم ٢١١.

(١٧) العيال حديث رقم ٢١٢.

(١٨) (١٩) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٢٠) مسند أحمد ٦/٢٠٥.

الناسخ والمنسوخ عند الترمذي في السنن

■ بقلم الأستاذ محمد أبو صعيليك

من المباحث التي عني بها الإمام الترمذي -رحمه الله- في كتابه الجامع أبواب الفقه والاستدلال لها، ومناقشة المذاهب في آرائها الفقهية، ومحاولة الجمع بين النصوص المتعارضة في نظر الفقهاء، فإذا تعذر الجمع بين النصوص سار الفقيه إلى النسخ، ومن هنا فقد عني الإمام الترمذي ببيان الناسخ والمنسوخ من الأحاديث مما تداوله الفقهاء، وتحاوروا حوله، وقد بث -رحمه الله- في كتابه أحاديث ذكر أنها ناسخة لأخرى ونسخ العمل بها وجرى العمل بخلافها في خضم بحثه في الصناعة الفقهية في كتابه الجامع الذي وضعه أساساً للاستدلال لأقوال الفقهاء التي بلغته، وعند النظر في كتابه فقد وجدته ذكر في باب الناسخ والمنسوخ النماذج التالية :

١ . حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيد عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ :(إِنَّمَا كَانَ الْمَاءُ مِنْ الْمَاءِ رُخْصَةً فِي أَوَّلِ الإِسْلامِ ثُمَّ نُهِيَ عَنْهَا) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المبارك أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ .

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمَاءُ من الْمَاءِ فِي أَوَّلِ الاسلام ثُمَّ نُسِخَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَــعْبٍ وَرَافِعُ بْنُ خَـدِيجٍ، وَالْعَـمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَـرِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا جَـامَعَ الرَّجُلُ امْـرَأَتَهُ فِي الْفَـرْجِ وَجَبَ عَلَيْـهِمَـا الْغُسْلُ وَإِنْ لَمْ يُنْزِلاَ . سنن الترمذي - (ج ١ / ص ١٨٦).

٢ . بَاب مَــا جَــاءَ فِي نَسْخِ الْكَلامِ فِي الصلاة :

٣٧٠ - حَـدَّثَنَـا أَحْـمَـدُ بْنُ مَنِيعٍ حَـدَّثَنَا هُشَـيْمٌ أَخْبَـرَنَا إِسْـمَعِيلُ بْنُ أَبِي خَـالِدٍ عَن الْحَارِثِ بْنِ شُبَيْلٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنَّا نَتَكَلَّمُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِـي الصَّــــلاةِ يُكَلِّمُ الـرَّجُـلُ مِنَّا صَاحِبَهُ إِلَى جَنْبِهِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَـانِتِينَ**﴾ فَــأُمِـرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِـينَـا عن الْكَلامِ.

قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاوِيَةَ ابن الحَكَمِ قَـالَ أَبُو عِـيسَى: حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: إِذَا تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَامِدًا فِي الصَّـلاةِ أَوْ نَاسِـيًـا أَعَـادَ الصَّـلاةَ، وَهُوَ قَـوْلُ سُـفْـيَـانَ الثَّـوْرِيِّ وَابْنِ الْمُبَـارَكِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ، وقَـالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا تَكَلَّمَ عَامِدًا فِي الصَّـلاةِ أَعَـادَ الصَّـلاةَ وَإِنْ كَـانَ نَـاسِـيًـا أَوْ جَـاهِـلا أَجْـزَأَهُ، وَبِهِ يَقُـولُ الشَّـافِـعِيُّ. سنن التــرمــذي (ج ٢ / ص ١٧٢) (ج ٢ / ص ١٧٣)

٣ . حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ شَرِبَ الخمر فَاجْلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ).

قَــــالَ: وَفِي الْبَــــاب عَن أَبِي هُرَيْرَةَ وَالشَّـرِيدِ وَشُـرَحْبِيلَ بْنِ أَوْسٍ وَجَـرِيرٍ وَأَبِي الرَّمَدِ الْبَلَوِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو .

قَـالَ أَبُو عِـيسَى: حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ هَكَذَا رَوَى الثَّــوْرِيُّ أَيْضًــا عَنْ عَــاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ وَمَعْمَرٌ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيــهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَــالَ: سَمِعْت مُحَمَّدًا يَقُولُ : حَدِيثُ أَبِي صَالِحٍ عَن مُـعَـاوِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا، أَصَحُّ مِنْ حَـدِيثِ أَبِي صَـالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الأَمْرِ ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ، هَكَذَا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَــالَ: إِنَّ مَنْ شَــرِبَ الخــمــر فَاجْلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ، قَالَ: ثُمَّ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ

الخمر في الرَّابعة فضربه، ولم يقتُلْهُ، وَكَذَلِكَ رَوَى الزُّهْرِيُّ عَن قَبِيصَةَ بْن ذُؤَيْبٍ عَن النَّبيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا، قَالَ: فَرُفِعَ الْقَتْلُ، وَكَانَتْ رُخْصَةً، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الحديث عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ لاَ نَعْلَمُ بَيْنَهُمْ اخْتِلافًا فِي ذَلِكَ فِي الْقَدِيمِ والحديث، وَمِمَّا يُقَوِّي هَذَا مَا رُوِيَ عَن النَّبيِّ ﷺ مِنْ أَوْجُهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ. سنن الترمذي – (ج ٥ / ص ٣٥٥).

٤ . حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابن عُيَيْنَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ ابن عَقِيلٍ سَمِعَ جَابِرًا قَالَ سُفْيَانُ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا مَعَهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَةٍ مِن الأَنْصَارِ فَذَبَحَتْ لَهُ شَاةً فَأَكَلَ، وَأَتَتْهُ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ لِلظُّهْرِ وَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَتْهُ بِعُلالَةٍ مِنْ عُلالَةِ الشَّاةِ فَأَكَلَ ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي رَافِعٍ وَأُمِّ الحكم وَعَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ وَأُمِّ عَامِرٍ وَسُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ وَأُمِّ سَلَمَةَ .

قَالَ أَبُو عِيسَى: وَلاَ يَصِحُّ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ، إِنَّمَا رَوَاهُ حُسَامُ بْنُ مِصَكٍّ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَن النَّبيِّ ﷺ، وَالصَّحِيحُ إِنَّمَا هُوَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَن النَّبيِّ ﷺ، هَكَذَا رَوَاهُ الحُفَّاظُ، وَرُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عن النَّبيِّ ﷺ، وَرَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَعِكْرِمَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْن عَطَاءٍ وَعَلِيُّ ابن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَن النَّبيِّ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق، وَهَذَا أَصَحُّ، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَقَ رَأَوْا تَرْكَ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّت النَّارُ، وَهَذَا آخِرُ الأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَأَنَّ هَذَا الحَدِيثَ نَاسِخٌ لِلْحَدِيثِ الأَوَّلِ حَدِيثِ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّت النَّارُ. سنن الترمذي – (ج ١ / ص ١٣٥)

٥ . حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى ابن سَعِيدٍ عَنْ وَاقِدٍ وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو بْن سَعْدِ ابن مُعَاذٍ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ

الحكَم عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

أَنَّهُ ذُكِرَ الْقِيَامُ فِي الجَنَائِزِ حَتَّى تُوضَعَ فَقَالَ عَلِيٌّ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَعَدَ .

وَفِي الْبَاب عَن الحسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَفِيهِ رِوَايَةُ أَرْبَعَةٍ من التَّابِعِينَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذَا أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَاب، وَهَذَا الحَدِيثُ نَاسِخٌ لِلأَوَّلِ إِذَا رَأَيْتُمْ الجنَازَةَ فَقُومُوا، وقَالَ أَحْمَدُ: إِنْ شَاءَ قَامَ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَقُمْ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَامَ ثُمَّ قَعَدَ، وَهَكَذَا قَالَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ أَبُو عِيسَى: مَعْنَى قَوْلِ عَلِيٍّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الجنَازَةِ ثُمَّ قَعَدَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الجنَازَةَ قَامَ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ بَعْدُ فَكَانَ لاَ يَقُومُ إِذَا رَأَى الجنَازَةَ. سنن الترمذي (ج ١ / ص ١٣٥).

٦ . حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابن عَيَّاش حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن السُّلَمِيِّ قَالَ : قَالَ لَنَا عُمَرُ بْنُ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الرُّكَبَ سُنَّتْ لَكُمْ، فَخُذُوا بِالرُّكَبِ .

قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ سَعْدٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي حُمَيْدٍ وَأَبِي أُسَيْدٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَمُحَمَّدِ ابن مَسْلَمَةَ وَأَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لاَ اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلاَّ مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَبَعْضِ أَصْحَابِه أَنَّهُمْ كَانُوا يُطَبِّقُونَ وَالتَّطْبِيقُ مَنْسُوخٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ. سنن الترمذي - (ج ١ / ص ٤٣٦)

٧ . حَدَّثَنَا الحسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ بْنُ عُمَرَ عَنْ عَمْرِو بن دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنْ الْعَرْشِ.

قَالَ: فَذَكَرُوا لابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ فَتَلا هَذِهِ الآية **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾**.

قَالَ: مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الآية وَلاَ بُدِّلَتْ وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَمْرِو بْنَ دِينَارٍ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ وَلَمْ

يَرْفَعْهُ. سنن الترمذي - (ج ١٠ / ص ٢٩١)

٨ . حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ عَمِّهِ عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَدَى رَجُلَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِرَجُلٍ مِن الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَعَمُّ أَبِي قِلابَةَ هُوَ أَبُو الْمُهَلَّبِ وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو وَيُقَالُ: مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو قِلابَةَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ابن زَيْدٍ الجرْمِيُّ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ لِلإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ الأَسَارَى وَيَقْتُلَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَيَفْدِي مَنْ شَاءَ وَاخْتَارَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْقَتْلَ عَلَى الْفِدَاءِ و قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ هَذِهِ الآيَة مَنْسُوخَةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾** نَسَخَتْهَا **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾**.

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ هَنَّادٌ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَك عَن الأَوْزَاعِيِّ قَالَ إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ: قُلْتُ لأَحْمَدَ: إِذَا أُسِرَ الأَسِيرُ يُقْتَلُ أَوْ يُفَادَى أحب إِلَيْكَ قَالَ: إِنْ قَدَرُوا أَنْ يُفَادُوا فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَإِنْ قُتِلَ فَمَا أَعْلَمُ بِهِ بَأْسًا قَالَ إِسْحَقُ: الإِثْخَانُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا فَأَطْمَعُ بِهِ الْكَثِيرَ، سنن الترمذي - (ج ٦ / ص ٧٨)

٩ . حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ابن هَارُونَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ تَطَوُّعًا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ وَهُوَ جَاءٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عُمَرَ هَذِهِ الآيَةَ **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾**.

الآية فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَة قَالَ أَبُو عِيسَى، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَيُرْوَى عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الآية **﴿ولله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه﴾**. قَالَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ نَسَخَهَا قَوْلُهُ: **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحرام﴾** أَيْ تِلْقَاءَهُ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْن أَبِي الشَّوَارِب حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ وَيُرْوَى عَنْ مُجَاهِدٍ فِي هَذِهِ الآية **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**.

قَالَ: فَثَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ عَنْ مُجَاهِدٍ بِهَذَا، سنن الترمذي - (ج ١٠ / ص ٢١٧).

ثانياً: مسالك الترمذي في بيان النسخ:

سلك الترمذي في بيان الناسخ والمنسوخ في كتابه، المسالك التالية:

أ- ذكر الناسخ والمنسوخ في تسعة مواضع هي:

١ . باب نسخ الماء من الماء .

٢ . باب نسخ الكلام في الصلاة .

٣ . باب نسخ قتل شارب الخمر بعد الثالثة .

٤ . باب نسخ الوضوء مما مست النار .

٥ . باب نسخ القيام للجنازة .

٦ . باب نسخ التطبيق في الصلاة .

٧ . باب نسخ توبة القاتل .

٨ . باب نسخ فدية المشركين .

٩ . باب نسخ عدم اشتراط القبلة في صلاة التطوع .

ب- شمل النسخ القرآن الكريم والحديث الشريف.

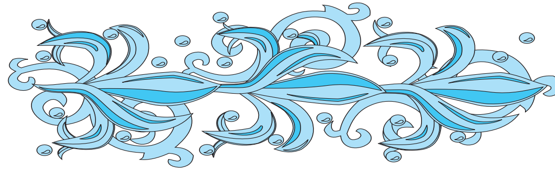
ج- عبارات الترمذي في التعبير عن النسخ:

١ . التصريح بالنسخ .

٢ . التبويب المعبر عن النسخ .

٣ . ذكر الناسخ والمنسوخ .

٤ . نقل الأقوال في النسخ .



الحـــلـــم

■ بقلم الدكتور طلال حمزة عبيدات

تتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل، ويثور ويغضب لأتفه الأسباب، ومنهم من تستفزه الشدائد ولكنه لا يثور ولا يغضب، بل يبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره، وسجاحة خلقه (أي لينه وحسنه).

ومع أن للطباع الأصيلة في النفس دخلا كبيرا في حظوظ الناس من الحدة والهدوء، والعجلة والأناة، والكدر والنقاء، الإ أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين وحلمه وصفحه، وتجاوزه عن أخطائهم، فالرجل العظيم حقا كلما حلق في آفاق الكمال إتسع صدره، وامتد حلمه،وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا عدا عليه غر يريد تجريحه، نظر اليه من قمته كما ينظر الفيلسوف الى صبيان يعبثون في الطريق وقد يرمونه بالحجارة، فلا يكون منه الا الاحتمال والأناة والحلم.

والحلم هو الأناة والعقل وضبط النفس عند الغضب، وتأخير معاقبة الظلم والرد عليه، وهو نقيض السفه والجهل والغضب.

والحلم من أشرف الأخلاق وأطيبها، وأعظمها وقعا على النفوس وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واكتساب الحمد، فقد قال النبي ﷺ: (من حلم ساد ومن تفهم ازداد) وروى محمد بن الحارث الهلالي أن جبريل عليه السلام

نزل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إني أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة.. **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** الأعراف: ١٩٩ .

وللحلم فضل عظيم وثواب كبير في الدنيا والآخرة، فالمسلم الذي يتحلى بالحلم يكسب قلوب الأعداء قبل الأصدقاء، والمجتمع الذي ينتشر بين أفراده الحلم مجتمع آمن من أضرار مخاطر الغضب والسفه، من شتم وضرب وسفك للدماء.. ومثل هذا المجتمع سوف يسوده الحب والتعاون والتكافل والأخوة، وهذه من أهم مظاهر الأمن، وسر من أسرار قوة وتماسك المجتمعات، والله عز وجل يحب الحليم من الناس، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الحليم الحيي، ويبغض الفاحش البذيء»، وقال احد الأدباء الحكماء: «من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم» وقال الشاعر :

أحب مكارم الأخلاق من جهدي

وأكره أن أعيب وأن اعابا

وأصفح عن مكارم الأخلاق حلما

وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه

ومن حقر الرجال فلن يهابا

كيف لا؟ والحلم صفة من صفات الله عز وجل، فقد قال تعالى: **﴿والله غفور حليم﴾** البقرة: ٢٢٥، وقال تعالى: **﴿والله غني حليم﴾** البقرة: ٢٦٣، ومن حلم الله عز وجل انه لا تثيره معصية العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارا.

وقد أكد الله عز وجل ذلك حين قال: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى اجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾** فاطر: ٤٥ .

إذا كان الحلم صفة من صفات الله عز وجل، فهو ايضا صفة من صفات أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم وتسليماته، فقد كان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام حليما الى درجة كبيرة، فقد قال الله تعالى عن حلمه: **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾** التوبة: ١١٤، وقد وصف الله تعالى نبيه شعيبا بالحلم والرشد والعقل، فقال حكاية عن قوم شعيب: **﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** هود: ٨٧، كما تحدث الله تعالى عن حلم رسوله محمد ﷺ فقال: **﴿فبما**

رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ آل عمران: ١٥٩ .

وقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمعلم الأول للمسلمين لدروس الأخلاق الحميدة، ومن الدروس التي علمها ﷺ لأصحابه في الأناة والصفح والحلم، عندما جاءه أعرابي يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال له: (أأحسنت اليك؟ فقال الأعرابي: لا، ولا أجملت! فغضب الصحابة وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا .. ثم قام ودخل منزله فأرسل اليه وزاده شيئا ثم قال له: أأحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي ﷺ: إنك قلت ما قلت آنفا وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال الأعرابي: نعم.

فلما كان الغد جاء، فقال له النبي ﷺ: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال رسول الله ﷺ: مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليها، فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار).

ويظهر من هذا الحديث الشريف أن الرسول ﷺ لم يندهش ولم ينفعل من كلام الأعرابي، ولم يحاول أن ينتقم منه أو يسمح لأصحابه بالنيل منه لتطاوله عليه، بل تعامل معه بمنتهى الحلم والرفق، وأجزل له العطاء حتى حمله على تغيير موقفه، وأن يدعو للرسول ﷺ بالخير، فعمل الرسول ﷺ بسعة حلمه ورحمته بالناس على إنقاذ الموقف من الشر، فحال دون اقتراف أصحابه للثأر والإنتقام، وأنقذ الأعرابي من الثأر والهلاك ونيل العقاب دون ظلم.

بل إن رسول الله ﷺ حين طلب من أصحابه أن يدعوا الله ويلعن المشركين الذين كانوا ينكلون به ويتفنون في ايذائه بالقول والفعل أبى ذلك وقال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا» (رواه مسلم)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات، قالوا: نعم يا رسول الله،

قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حـــرمك وتصل من قطعك) رواه الطبراني.

وهناك العديد والعديد من المواقف التي تعامل بها الرسول ﷺ مع أعدائه أو من أساء اليه بمنتهى الرفق واللين، وأظهر من الحلم وسعة الصدر ورجاحة العقل ما تنفرج له الأسارير، وتؤكد أن أخلاقه هي أخلاق الأنبياء والرسل عليهم السلام، كيف لا، وقد كانت تربيته محط اهتمام العناية الإلهية التي شملته منذ نعومة أظفاره، وبلغت مستوى رفيعا لا يدانيه مستوى، فنال بها ثناء الله تعالى عليه وعلى حسن خلقه، فخاطبه ربه قائلا: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**، ونورد من هذه المواقف ما قاله زيد بن سعنة، وكان من أحبار اليهود: لم يبق شيء من علامات النبوة الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه، الا إثنين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما، فكنت اتلطف اليه لكي أخالطه (أعامله بالبيع والشراء) الى أن ابتعت منه يوما تمرا الى أجل معين ودفعت له الثمن، فلما كان قبل موعد التسليم بيوم جئته وهو بين أصحابه، ثم أخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ (مكشر)، وصحت اليه بصوت أغلظ، وقلت: يا محمد إقضني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب لقوم مطل (يعني لا تدفعون للناس حقوقهم)، وكان من عادة الصحابة ألا يتحركوا إلا بأمر رسول الله ﷺ، إلا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يستطع الصبر على هذه الإهانة من هذا اليهودي الفظ، فانتفض قائلا: أي عدو الله، أتقول لرسول الله ما أسمع؟ فوالله لولا ما أحاذر قوته لضربت رأسك! ورسول الله ينظر الى عمر بسكون وتؤدة ثم قال له: يا عمر كنا نحن الاثنين أحوج الى غير هذا منك، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، قم يا عمر إقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته، ويتابع زيد بن سعنة حديثه فيقول: فكظم عمر غيظه ولو أنه يفضل لو يقتلني لإهانتي للرسول ﷺ، والتفت الى عمر وقلت له: والله لم يبق شيء من علامات النبوة الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما وقد خبرتهما الآن: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل الا حلما، أشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا، فدهش عمر وحمد الله أنه لم يقتله .

فهل هناك أعظم من الحلم خلقا، ومن الحلم سجية ومسلكا؟ فانظر اليه كيف أنه جعل من غير المسلم مسلما مخلصا، ومن

العدو مؤمنا وأخا حميما، ولم يعرف عنه ﷺ وسلم أنه أنتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة من حرم الله فينتقم لله بها.

وهناك فرق بين الحلم والضعف، فالحلم يكون من القادر القوي الذي يستطيع أن يرد إساءة الآخرين، وينتصر لنفسه، ويغضب ويثور لمن اعتدى عليه، أما الضعيف الذي لا قوة له تحميه من عدوه، ولا سلطان له يشد من أزره أمام من يجهل عليه فهذا ليس بحليم، ولكنه ضعيف، فهو لا يملك ما يدافع به، فيكظم غيظه ضعفا وليس حلما.

ولا يقصد بهذا القول دعوة وإغراء بالغضب والانقياد إليه، بل دعوة الى التوازن بين الحلم والغضب على أن يكون الحلم قائدا وله المبادرة، وعلى أن يكون الحلم في موقف القدرة على الإساءة للمسيء، لإن من عزب عنه الحلم فانقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه، وضعف رأيه عن خبرة أسبابه ودواعيه حتى يصبح بليد الرأي، ضعيف الفهم، مقطوع الحجة، قليل الحيلة، وقد يكون صاحب حق فيضيعه بغضبه مع ما يناله من أثر الغضب في جسمه وفي نفسه، حتى يصير أضر عليه مما غضب له، وروي أن سلمان الفارسي قال لعلي بن ابي طالب: ما الذي يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: ألا تغضب، وهذا ما يستوجب من كل إنسان حصيف أن يواجه قوة الغضب إذا أساء اليه من هو دونه بالحلم والصفح، فبذلك يصدها ويتغلب عليها فيحظى بانجلاء الحيرة وحميد العاقبة.

والحلم خلق عظيم يتصف به المؤمنون، وهو من صفات عباد الرحمن الذين يحلمون أمام السفهاء والجهلاء، قال تعالى: **﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾** الشورى: ٣٧، وهو سبب في تغير أحوال الناس، فالعدو قد يصبح حبيبا وصديقا بسبب الحلم عليه، قال تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** فصلت: ٣٤ .

وقال رسول الله ﷺ: (ما ازداد أحد بعفو إلا عزا) وقد مدح ﷺ أشج عبد القيس بقوله: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

لقد بين النبي ﷺ الثواب العظيم والأجر الكبير من عند الله عز وجل لمن يحلم ويتخلق بالحلم، ويكظم غيظه، فقال ﷺ: (ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى).

أثر الخادمات الاجنبيات على سلوك أطفالنا

■ بقلم الدكتور ماجد احمد المومني

من مظاهر الحياة العصرية الحديثة، التباهي باقتناء الكماليات والتهافت على الشكليات والاهتمام بالمظاهر، والابتعاد عن الجوهر والضروريات. وقد صاحب هذه الحياة عدة ظواهر غريبة على مجتمعنا، منها استقدام الخادمات الاجنبيات، وتوكيلهن بتربية الأطفال بدلاً من الامهات الحقيقيات، واستخدام العمالة الاجنبية في البيوت لسوق المركبات او خدماً أو عمال حدائق وتنظيفات، فأصبح البيت الواحد يعج بالعديد من غريب الجنسيات، وغالباً ما تكون هذه الجنسيات غريبة في الطباع والسلوك والعادات، ومغايرة في الدين والأخلاق وفي معظمها عمالة من دول مختلفة، ودول فقيرة مثل سيرلانكا والفلبين واندونيسيا والهند.

والأصل في استقدام الخادمات عندما بدأ عمل المرأة، ونحن لا نعارض في اقتحام المرأة مجال العمل، ولكن ان يكون العمل له اولوية على تربية الاطفال، فإنه يلغي دور الأمومة وتربية الاطفال، فبدلاً من ان يكون العمل قيمة حضارية ومشاركة انسانية من المرأة لزوجها، اصبح عملها هدماً للقيم الحضارية واهمالاً للزوج والأطفال، ومنفذاً لهروب الازواج الى مهاوي المسلك الحرام، مع ضياع الاطفال، وسأُبين في هذا الموضوع المخاطر التي تجلبها الخادمات على بيوتنا وحضارتنا وأمتنا ووطننا.

❖ أولاً: اللغة القومية وعاء التراث الحضاري والفكري:

أهم دور تقدمه الأسرة لأطفالها، أنها المكان الأول الذي يتعلم به الاطفال لغتهم القومية ولهجتهم الوطنية، ولما كانت اللغة وسيلة الاتصال بالتراث الحضاري والفكري بما يحتويه من مثل وقيم وأخلاق وأركان عقائد، فإن اي خلل بتعليم هذه اللغة يعني خللاً في هذا الاتصال الحضاري والفكري.

وتوكيل الخادمات بتربية الاطفال يجلب معه هذا الخلل مورداً بعض الامثلة:

مربية اجنبية تمسك احد الاطفال لتقول له: «شاطان كثير حلو» حيث رفض الطفل ثوبه الجديد معتقداً حسب ادراكه ان قول الخادمة يعني ان هذا الثوب هو ثوب شيطان كثير حلو، بينما بلغة الخادمة الاجنبية يعني قولها: ثوب من الستان كثير حلو، والستان نوع من القماش ناعم الملمس.

وهذا طفل آخر يسير خلف أمه مردداً: «آيد.. آيد» والأم لا تكترث بما يقول طفلها، ولم يدر بخلدها انه يطلب الماء، ولكن بلغة الخادمة الاندونيسية فإنه يعني الماء.

وسائق يردد كلمة «سيدا» وتعني بلغته المشي الى الأمام بخط مستقيم وبلغتنا القومية «سيدا» تعني رب الاسرة او البيت، والأمثلة كثيرة على الفاظ لها مدلولاتها بلغة الخدم مغايرة لمعانيها بلغتنا القومية وتقع في أذهان اطفالنا ومداركهم بمعاني غير سليمة.

فأول خطر من توكيل الخادمات بتربية الاطفال يتمثل في هذا الخطر باكتساب اللغة القومية واللهجة الوطنية، وهذا بدوره يشكل خطراً على التراث الحضاري والفكري للأمة باعتبار ان اللغة وسيلة الاتصال بالتاريخ والدين والعقيدة لهذه الأمة.

❖ ثانياً: الخادمات يجلبن معهن الغريب من العادات والأخلاق مع اختلاف في العقيدة والدين:

معظم الخادمات في بلادنا من الدول الفقيرة والمتخلفة، وهن في الغالب بوذيات والقليل من الفلبينيات يعتنقن الديانة

المسيحية، ولكنهن يشتركن في غريب العادات والسلوك فمسألة اصطحاب الرفيق الى البيت أمر عادي عند الخدم «Boy Friend» او «Girl Friend» وهذا السلوك يتنافى مع قيمنا وديننا.

ومسألة عادات الاكل والشرب غريبة ومحرمة، فاحتساء المسكرات وأكل لحم الخنزير امر عادي لهؤلاء الخدم، بينما يحرم علينا ذلك، والأغرب من ذلك ان مسألة الحصول على هذه المحرمات قد يؤخذ من مصاريف الاطفال.

ثم ان آداب السلوك عند هؤلاء الخدم تختلف عنها عما نمارسه اتجاه الوالدين وكبار السن والجيران والمجتمع بشكل عام.

واذا سأل الاطفال أهاليهم عن بعض التصرفات لا يتلقون الاجابات الشافية والمعقولة من الآباء والأمهات، فيتشرب الاطفال بعض العادات السيئة من هؤلاء الخدم.

فليتق الله الآباء والأمهات ولينتبهوا إلى أطفالهم من هذه السلوكيات والعادات، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾** التحريم: ٦ .

الاصل في عمل الأم مساعدة زوجها على تكاليف المعيشة والمهمة الاساسية لها تربية اطفالها، اما ان يكون عمل المرأة مفاخرة على حساب الاسرة، فهذا من امراضنا الاجتماعية الخبيثة.

❖ ثالثاً: سلطان الخدم في البيوت:

ونتيجة لاهمال الزوجات لأزواجهن وعدم الاهتمام بطلباتهم الجسمية والروحية، فإن الازواج يتجهون لاشباع رغباتهم في اسفار الصيف او في ممارسة الحرام مع هؤلاء الخدم، ومتى وصل الامر الى هذا الحد يأخذ سلطان الخدم في التزايد بحماية رب البيت، فتبدأ النزاعات والخلافات الى حد الطلاق وضياع الاطفال.

ان الخادمة التي تصل الى فراش الزوجية وتدنسه بآثامها، لا يهمها تشريد الاسرة وضياع الاطفال، بل انها مع الزمن تستولي على قلب الزوج وماله وعياله ويصبح لها سلطان في البيت لضرب الاطفال بدون رحمة ما دام رب البيت قد

اعطاها سلطاته، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً**﴾ النساء: ١٤٤ .

انا أنبه الى هذه الظاهرة بعد ان استفحلت في بيوتنا، خير للأم ان تكسب زوجها وتربي اطفالها من ان تفرط بأبنائها وزوجها هذا بلاغ للناس، قال تعالى: ﴿**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**﴾ ابراهيم: ٥٢ .

اذا دخلت الخادمة من الباب خرجت السعادة الزوجية من النوافذ والأبواب الخلفية.

❖ رابعاً: الوقاية خير من العلاج:

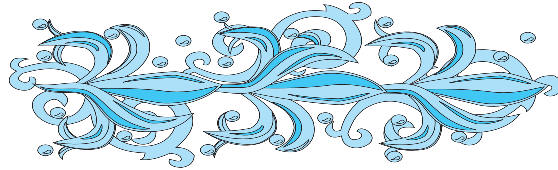
- لتحرص ربات البيوت على أطفالهن وأزواجهن، وعدم استقدام الخادمات امان من الخراب والدمار.

- ما يدفع للخادمات من اجور هو بالعملات الصعبة لتعمير البلاد والاوطان.

- ما ترميه الخادمات في الحاويات من الطعام والملابس، يفي باحتياجات الفقراء من الاقارب وأهل البلاد.

- نظافة الابدان وصحة الاديان في عدم استخدام اولئك الخادمات.

- ان استخدام اولئك الخادمات مظهر من مظاهر الاسراف، والمسرفون اخوان الشياطين، قال تعالى: ﴿**ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً**﴾ الاسراء: ٢٧ .



العنف المجتمعي.. آلية الحل

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

❖ مقدمة:

تحدثنا عن العنف المجتمعي ومفهومه ومظاهره وأشكاله، ثم تحدثنا عن أسباب تزايد هذه الظاهرة وانتشارها في المجتمع الأردني، والآن سنتحدث عن آلية الحل وإنهاء هذه الظاهرة اللاحضارية، ولا يمكن الحديث عن القضاء على هذه الظاهرة الا إذا عملنا على القضاء على الأسباب المؤدية والمساعدة على انتشارها.

إن معالجة ظاهرة العنف تحتاج الى تظافر جهود جميع المؤسسات المجتمعية المدنية سواء الرسمية منها كالمدرسة والجامعة والمسجد ومديرية الأمن العام، أو غير الرسمية مثل: الجمعيات الخيرية والنوادي والروابط وغيرها، وأن يعتبر الجميع أنفسهم شركاء في ايجاد حل لهذه الظاهرة والقضاء عليها، وأن هذه المهمة ليست خاصة بجهة دون أخرى ولا يقتصر تنفيذ هذا الهدف على الأمن العام دون غيره، ولا على الجامعة أو المسجد بمفرده ولا بالمدرسة أو الأسرة بمعزل عن بقية المؤسسات الوطنية.

وبالتالي لا بد من وجود استراتيجية وطنية تتم صياغتها لتتضافر كل الجهود وتحديد الواجبات؛ فوزارة الأوقاف تقوم

بجانب توعوي كبير يشترك فيه جميع خطباء وأئمة المساجد من أجل رفع مستوى الوعي الحضاري عند الناس، وبالذات إذا شعرنا أن هناك جهات معينة أو فئات معينة أو أماكن معينة بحاجة الى توعية، ووسائل الإعلام يقع على كاهلها الدور الأهم في نشر ثقافة التسامح وعدم تضخيم الحوادث وإساءة الترويج لها.

وإنني أرى منذ البداية أنه يجب على الحكومة تشكيل هيئة عليا ممثلة لجميع الأطياف السياسية والدينية والإقليمية والإجتماعية، لدراسة هذه الظاهرة بموضوعية وتعمق لتحديد حجم المشكلة وتحديد الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة وأفضل الأساليب والوسائل الكفيلة بالقضاء عليها وإنهائها واجتذاذها من جذورها، ليحل محلها السلام والوئام، وتسود المجتمع الأردني المودة والتعاون والإحترام المتبادل والتسامح.

ومن خلال دراستنا لأسباب تفشي ظاهرة العنف المجتمعي فإننا نقترح الحلول التالية لأنهاء هذه الأسباب، وبالتالي تنتهي ظاهرة العنف المجتمعي، وفيما يلي بيان ذلك:

١- تطبيق قانون الدولة وسيادتها على الجميع دون انحياز أو تمييز أو استثناء لاعتبارات في غالبيتها عشائرية أو جهوية أو اقليمية، والتزام الحكومة بتطبيق القانون بعدالة وشفافية على الجميع دون أي تفرقة، وأن لا يكون هناك أي تدخل مجتمعي في تطبيق القانون، وأن تكون هناك سرعة في البت في القضايا التي نعتقد أنها تؤثر على المجتمع؛ حتى يكون موضوع الردع العام قريبا، فإذا مر على الجريمة سنة أو أكثر فإن الردع العام لا يحقق دوره إذا تطورت القضية.

وهذا يتطلب إعادة تدعيم ثقافة القانون وخضوع الجميع للقانون، وأن تلتزم مديرية الأمن العام قبل غيرها بمعاملة الجميع على قدم المساواة، فلا تقوم بالإفراج عن فلان وفلان من مرتكبي العنف المجتمعي لواسطات فلان وفلان من النواب والمخاتير والوجهاء من أجل تلميعهم وجعلهم يتبؤون مكانة عالية بين الناس، بينما فلان وفلان يطبق عليهما القانون ولا تقبل لهما وساطة، فعندما يشعر جميع المواطنين أنهم سواسية أمام القانون، وأنه لا يستطيع أحد الإفلات من قبضته، وأن المقولة العامة القائلة بأنه لا أحد فوق القانون -إلا جلالة الملك- هي حقيقة وليست مجرد شعار فارغ، عندها يستعيد القانون المدني مكانته وسيادته، ويكون ذلك بمثابة تدعيم لثقافة القانون،

وأن الجميع خاضع له دون تمييز أو محاباة، ويصبح كل مواطن موقنا بأنه اذا ارتكب جريمة فلن يفلت من يد القانون، وأنه سيخضع لمواد القانون العقابية فيفكر مليا قبل أن يقدم على جريمته.

وفي هذا المجال وقبل سنتين من الآن وقعت عملية احتيال على شركة تأمين على الحياة تطلبت تزوير وثيقة رسمية، قام الجاني الرئيسي بتضليل موظفة بسيطة في أحد المستشفيات بالإشتراك في تزوير هذه الوثيقة، ولما تم اكتشاف العملية والقاء القبض على الجاني الرئيسي هرع عدد من نواب المنطقة -أقرباء الجاني- للتدخل والتوسط فأخرجوه من العملية كما تخرج الشعرة من العجين، وبينما تم إدانة الموظفة البسيطة وفصلها من وظيفتها، فما زال فارس الجريمة حرا طليقا يصول ويجول ليقوم بتنفيذ غيرها من عمليات الإحتيال مسنودا بالدعم العشائري الذي تفتقر اليه المسكينة.

٢- تفعيل قرار الحكومة الصادر عام ١٩٧٦ والقاضي بإلغاء العمل بالقضاء العشائري، وإحالة جميع الجرائم الى القانون المدني الأردني الذي يجب أن يكون هو المخول الوحيد بالبت في هذه الجرائم، اعتمادا على المواد المستوحاة من الدستور الأردني، وعدم ربط المحاكمات بالقضاء العشائري والعطوات العشائرية، وضرورة العمل على التخلي عن ثقافة العشائرية التي تدعو الى العنصرية والتعصب، واستبدالها بثقافة حضارية عصرية تدعو الى احتكام الجميع الى القانون المدني العصري، وعدم اللجوء الى القضاء العشائري، لأن هذا القانون يشتمل في معظمه على الظلم، ولا يستند إلى واقع الحال عند حدوث الجريمة.

وإذا كان لا بد من الإعتراف بأنه في ظل سيادة الثقافة العشائرية فإن القضاء العشائري والعطوات العشائرية تعمل على حقن الدماء،وتهدئة الامور وعدم تفاقم الوضع بين المتخاصمين بأخذ العطوة الامنية الفورية ثم العطوة العشائرية بكفيل الوفا وكفيل الدفا، وتضع حدا الى تطور المشاجرة وتفاقمها، الا انه في معظمه يلحق الظلم والاساءة الى الكثير من الناس ممن ليس له علاقة في الجريمة، فموضوع الجلوة مثلا الذي يفرض على خمسة الجاني الجلي عن منطقة اقامتهم الاصلية التي تعتبر موطنهم الاصلي وبيئتهم الاصلية، وترك كل ما يملكون من عقارات واملاك، والتوجه الى الاقامة في منطقة جديدة ليس لهم فيها احد او شيء، فيها الكثير من الظلم إذ ما ذنب قريب

الجاني الذي يعمل تاجرا مثلا ليرغم على ترك عمله وتجارته في منطقته التي ولد فيها ونشأ وترعرع فيها، الى منطقة لا يعرف فيها أحدا، مرغما على ترك تجارته وامواله والإقامة في هذه المنطقة الجديدة التي ليس له فيها تجارة ولا صناعة.

ثم ان هذه العطوات العشائرية مؤقتة تعمل عملها في بداية الحادث، ولكنها تتوقف عن التأثير بعد انقضاء مدة العطوة، ثم ان ما تقوم به من تنازل المجني عليه عن حقوقه دون مقابل -في معظم الأحيان- يشكل عاملا داعما ومشجعا لارتكاب الجرائم.

ومن مظاهر ظلم القضاء العشائري هو عدم اعترافه بالتقرير الرسمي الصادر عن مديرية الامن العام بناء على الكروكة التي ينظمها شرطي السير، ففي حال تصادم سيارتين ووفاة السائق المخطئ والمتسبب بالحادث، فإن القضاء العشائري يحمل السائق الآخر مسؤولية الحادث، ويفرض عليه أخذ عطوة عشائرية تحمله كل ما يترتب على الحادث من نفقات علاج وإصلاح سيارات ودية المتوفى أو المتوفين بحجة أن السائق المخطئ قد توفي، ويرددون عبارة "هناك وفاة" في حين أن القوانين في الدول المتقدمة تحمل المسؤولية للمخطئ حتى ولو توفي، فيتحمل أهله جميع التكاليف المالية المترتبة على الحادث بما في ذلك مخالفة السير، حتى أن الإنسان الراجل إذا عبر الشارع من مكان غير المكان المخصص لعبوره بالخطوط وصدمته سيارة مسرعة على طريق سريع وتوفي، فإن المسؤولية تقع على هذا الرجل الذي لم يحترم الأنظمة والقوانين، ولا يطال السائق الذي صدمه أية مسؤولية، أما إذا تم صدمه على المنطقة المخصصة لعبور الشارع بالخطوط فإن السائق يتحمل المسؤولية.

بينما في الأردن يعتبر القضاء العشائري السائق، دائما مخطئا حتى لو كان الخطأ من الشخص الراجل؛ مثل أن يقفز طفل أو أي شخص بشكل مفاجئ من مكان مخفي ومن منطقة غير مخصصة للمشاة وعلى شارع أوتوستراد ولو كان يسير بسرعة عادية، فإن السائق هو المذنب دائما، وهذا لا يتفق وقواعد السير والأنظمة والقوانين، وأعرف من هذه الأمثلة الكثير الكثير والذي يعرفه أيضا جميع الناس،ولكن لا مجال لذكره.

٣- إعادة النظر بجدية في منح تراخيص حمل واقتناء السلاح خاصة بهذا الشكل من التوسع في منح التراخيص دون

الأخذ بعين الإعتبار الحاجة الفعلية لطالب الترخيص لاقتناء هذا السلاح أو حمله، لأنه كما تقول إحدى الشخصيات الوطنية: فنحن لا نقتني السلاح لنشر دعوة ولا لإعلان حرب، فالوطن مستقل والحمد لله، وينعم بنعمة الأمن والإستقرار، وقيادة الوطن الهاشمية وعلى رأسها جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين قيادة ذات مشروعية دينية وتاريخية وسياسية، نالت ثقة الحركة الوطنية العربية منذ مطلع القرن العشرين قبل أن ينال ثقة الشعب الأردني الوفي وولاءه، فهي ليست بحاجة إلى حماية من احد، ووجود هذه الأسلحة بهذا الكم وهذه الكيفية يشجع على ارتكاب الجرائم، وانتشار العنف المجتمعي، ويلاحظ أن جل الذين يحصلون على هذه الرخص إنما يحصلون عليها بالواسطة ليس إلا.

قبل بضع سنوات دعيت لحضور حفل زواج صديق لي يتقلد مسؤولية، وأخوه أيضا ذو منصب رفيع (محافظ إحدى محافظات المملكة)، وقريبه -آنذاك- رئيسا للوزراء ومن عائلة مرموقة وعريقة، وأثناء السهرة بدأت أصوات البارود تلعلع في سماء المنطقة، وألهبة الرصاص من مختلف أنواع الأسلحة تضيء الفضاء، مما بعث الخوف في نفوس أبنائي الشباب – المرافقين لي- لأنه لا عهد لهم بمثل هذه الحالة من إطلاق العيارات النارية، وقد طلب شقيق العريس من جميع الحضور بمكبر الصوت عدم إطلاق الرصاص مرات عديدة، ولكن لا مجيب واضطر تحت ضغط بعض الحضور المطالبين بالتخفيف من كثافة العيارات النارية أن يعلن في مكبر الصوت: لا أحد يستجيب لدعوتي بعدم إطلاق الرصاص، فماذا أفعل؟ وأقل واحد فيكم برتبة كذا وكذا!! وما كان مني إلا أن اضطررت تحت ضغط أبنائي الى مغادرة السهرة مبكرا، وأنا على يقين لو أن هذا المشهد حدث في منطقة غير هذه المنطقة لتدخلت قوات الأمن العام فورا لإنهائه.

وحدث في مدينة الرصيفة قبل سنوات مشهد أخف من المشهد السابق، وشاهدنا جميعا على شاشة التلفزيون الحركات الرعناء التي كان يمارسها مطلقو الرصاص من أسلحة الكلاشينكوف وغيره والتي أسفرت مباشرة عن إصابة أحد أقرباء العريس برصاصة فأردته قتيلا، فتحول العرس الى مأتم والفرح الى ترح.

٤- إعادة النظر بنظرية الأمن الشامل التي يتبناها الأمن العام بهدف تعزيز

الكفاءة الفنية والإدارية للتعامل مع العنف المجتمعي، من حيث ملاءمتها للمستجدات في المجتمع الأردني باتجاه التركيز على الأمن الشخصي للمواطنين، وتطوير قواعد اشتباك خاصة بالعنف المجتمعي، وإعادة النظر في الأسس والمعايير المتبعة في تشكيل المجالس الأمنية المحلية المعتمدة على القيادات التقليدية من المخاتير والوجهاء، فيجب إعادة تشكيلها بحيث تضم البلديات ومؤسسات المجتمع المدني (الجمعيات والأندية والروابط والمدارس والمراكز الثقافية) أو إضافتها للمجالس الحالية.

كما أنه يجب أن يكون رجل الأمن العام قويا في شخصيته يتمتع بقدر كاف من التعليم والثقافة، لا يخضع للإغراءات ولا للتهديدات، فيكون واثقا من نفسه ومن إدارته بأنها تقدم له الحماية اللازمة معنويا وماديا وماليا تجاه جميع التبعات التي قد تحدث نتيجة ما قد يصدر عنه من إشكالات أثناء تأدية واجبه الوطني، ولا يجوز معاملته على أنه مجرد فرد عادي ارتكب خطأ -أثناء تأدية الواجب- وعليه أن يتحمل تبعات ذلك الفعل سواء كان خطأ أو غير خطأ لأنه يتعرض اثناء أدائه واجبه الوطني لمقاومة عنيفة بالسلاح الأبيض أو السلاح الناري مما يضطره للدفاع عن نفسه، وحفاظا على هيبة المؤسسة الأمنية وبالتالي هيبة الدولة، فيصيب احد الجناة الفارين من وجه العدالة اثناء مقاومته له سواء بهراوة او برصاصة، فيجب ذلك كجزء من اداء الواجب المهني والوطني، ولا يجوز اللجوء الى عشيرته وارغامها على اخذ عطوة عشائرية ودفع تكاليفها، لانه سيولد عنده شعور بعدم الحماية الرسمية، فيضعف موقفه فلا يعود قادرا على بذل اي جهد لمنع وقوع جريمة أو القاء القبض على مرتكب جريمة، بل ان الحل الصحيح الذي يجب اتباعه هو اللجوء الى القانون المستند الى الدستور الأردني.

ولعل هذه الإعتبارات هي التي شجعت الجناة على مقاومة رجال الأمن العام والإعتداء عليهم، وقد ذكرت عند الحديث عن مظاهر العنف المجتمعي بعض هذه الحوادث، ولكن أذكر حادثة وقعت قبل أيام حيث أقدم مجموعة من الجناة بعد ارتكاب جريمة اعتداء على أحد المواطنين ومطاردة سيارة الشرطة لهم، أن أطلق أحدهم الرصاص على سيارة الشرطة وأصاب ضابط برتبة نقيب ففارق الحياة!! وأنه قبل بضع سنوات قام أحد الجناة المطاردين من رجال الأمن بالإفلات منهم

والصعود الى ظهر عمارة سكنية في حي الحسين في الرصيفة مثيرا الرعب بين سكان الحي وانهال رميا برصاص الكلاشينكوف باتجاه الشرطة الذين كانوا يحاولون الصعود الى سطح المنزل المتمترس به هذا المجرم، وأصاب عدداً منهم قبل أن يتمكنوا من إصابته برصاصة قاتلة فأردته قتيلا وأحضروا جثته الى ثلاجة الموتى في مستشفى الأمير فيصل.

٥- التزام الحكومة بمضمون التوجيهات الملكية السامية التي تضمنها كتاب التكليف السامي، ومضمون رد رئيس الوزراء على رسالة التكليف الملكية الداعية الى محاربة الفساد واجتذاذه من جذوره ومكافحة الرشوة والواسطة والمحسوبية وهذه من أهم الأمراض المتفشية في المجتمع، والتي أجمع جميع الباحثين الذين تناولوا هذه الظاهرة بالبحث أنها من أهم عوامل بروز ظاهرة العنف.

ولا يكفي أن تصدر الحكومة القرارات والكتب المؤكدة على ضرورة مكافحة هذه الآفات، ويبقى الأمر عند هذا الحد وكفى، بل يجب أن تعمل الحكومة فعليا على متابعة بؤر الفساد والواسطة والمحسوبية، ومن المهم أن تضمن الحكومة تحقيق العدالة في مؤسسات العمل بمحاربة الواسطة والمحسوبية والرشوة سواء كانت من داخل المؤسسة أو من خارجها (النواب والوجهاء وكبار المسؤولين) إضافة الى الإلتزام بتطبيق الأنظمة والقوانين بدقة وعدالة، وتفعيل تقييم قرارات المسؤولين ومساءلتهم إن اقتضى الأمر ذلك.

ولكن للأسف فإن هذا غير ممكن التحقيق لأن جميع قرارات الحكومة لا تعدوا كونها حبرا على ورق، من أجل دغدغة العواطف دون أن تخطو خطوة واحدة على هذا النهج، حتى شاع بين المواطنين مقولة مفادها أن الحكومات المتعاقبة تعد بالقضاء على الفساد وليس على الفاسدين!! والفساد لا تستطيع حكومة أن تراه أو تمسك به لأنه غير محسوس، ويجب على الحكومة أن تؤمن حقا بأنها حكومة وطن، وأنها لكل المواطنين، وأنه يجب عليها أن تكون قريبة منهم بنفس المسافة.

فالكل أبناء هذا الوطن متساوون في الحقوق كما هم متساوون في الواجبات، بمختلف أصولهم ومنابتهم دونما تمييز أو تفريق، وليكن دائما أمام عينيها أن الإفريقي الكيني الأسود باراك أوباما ابن مهاجر زنجي مسلم اكتسب الجنسية الأمريكية من والدته الأمريكية وليس من

أجداده، أصبح له جميع الحقوق كأي مواطن أمريكي دونما تمييز، وقد تمكن من الفوز برئاسة الحزب الديمقراطي الذي أهله للفوز برئاسة أعظم دولة وهي القطب الأوحد في هذا العالم، ولم يقف لونه ولا أصله الإفريقي ولا دين أهله وجدته العجوز التي رفضت محاولات المبشرين بتنصيرها ودعت الله أثناء تأدية فريضة الحج هذا العام ٢٠١٠ أن يهدي حفيدها للإسلام!.

لم يقف ذلك عائقا أو مانعا من تقلد المركز الاول والسلطة الأولى وان يصبح سيد الولايات المتحدة الأمريكية بولاياتها الأربع وخمسين، وسكانها الذين شارفوا على الثلاثمائة مليون نسمة، فالوطن لجميع مواطنيه -كما قال جلالة المغفور له بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال- من شتى الأصول والمنابت.

٦- البدء فورا بعملية إصلاح سياسي حقيقي وإشراك المواطنين في صنع القرار، وتمتين ثقة المواطنين بالعملية الديمقراطية من خلال ممارسة الحكومة لمبادئ العدالة والمساواة بين الجميع، والتعامل مع المواطنين بنزاهة وشفافية بعيدا عن انتهاج سياسة ازدواجية المعايير -على الطريقة الأمريكية- لأسباب عشائرية أو جهوية أو إقليمية.

وبذلك يتم مبدأ ترسيخ الإنتماء للوطن واحترام قوانينه، وعدم التطاول على مؤسساته بل ويجب أن تعمل على تطبيق القوانين بعدالة ومساواة على جميع المقيمين في الوطن من مواطنين وغير مواطنين، ثم نطلق العنان للحريات لتصبح فعلا كما قال جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين: إن الحرية سقفها السماء فليتكلم الناس ما يريدون وليعبروا عما يجيش في صدورهم فذلك تنفيس للكبت وتفريج للنفوس، ولا يعود يبقى أي خطر من أحد وتتولد في نفوسهم مشاعر الإنتماء للوطن والحب والولاء للقائد، وروح التضامن والتكاتف مع المواطنين وتفتر وتختفي مشاعر العنف المجتمعي.

٧ - الإلتزام بتطبيق مبدأ الدستور الأردني الذي ينص على أن جميع المواطنين متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، فيجب على الحكومة الإنتقال من دائرة القول والقرارات الى مجال الفعل في القضاء على أشكال التمييز والتفريق بين المواطنين على أساس الجنس أو الدين أو العشيرة أو الأصل وتطبيق مبدأ المساواة، لا فرق لمواطن على آخر فضل الا بالكفاءة والإلتزام والإنتماء،

ويجب أن تسودهم العدالة الإجتماعية في جميع الأمور وخاصة الوظائف والتعيين في المناصب القيادية واعتماد إجراءات الكفاءة والإختصاص، **ولا يمكن الوصول الى هذا الوضع المثالي إلا إذا تم شطب خانة مكان ولادة الأب واسم العشيرة عند تعبئة طلب التعيين وعند المقابلة الشخصية.**

٨- العودة الى الإلتزام بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف في مختلف مناحي الحياة، فالإسلام فيه الحل لجميع المشاكل التي تواجهها المجتمعات، وقبل أيام قليلة أعلن مسؤول بريطاني كبير أن على بريطانيا حل مشاكلها بتطبيق تعاليم الإسلام، وقال العالم الفرنسي جارودي: إن أزمة الأخلاق والإنحلال الإجتماعي في أوروبا، ليس لها حل إلا بالعمل بتعاليم الدين الإسلامي، لأن الإسلام دين يدعو الى الأخوة والتعاون والتسامح مع الآخر والعفو عن المخطئ والرسول محمد ﷺ يقول: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" والإسلام يعتبر التوبة والرجوع عن الخطأ يجب ما قبله ويأمر المسلمين بحسن الخطاب والحوار فيقول الله تبارك وتعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾**.

وكل مسلم على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبله، يقول الرسول ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " وبالتالي لا يجوز لمسلم أن يعتدي على أخيه أو يلحق الأذى الجسدي أو المعنوي أو المادي، والأمثلة التي تدل على دور الإسلام في القضاء على العنف المجتمعي كثيرة سنفرد لها دراسة خاصة إن شاء الله.

٩- تفعيل دور البيت في غرس قيم الأخلاق السامية وروح التعاون مع المجتمع، وذلك بأن يعيد رب الأسرة التصاقه بجميع أفراد عائلته كما كان ذلك في الوقت الماضي، عندما كان الأب يمثل بؤرة الجذب لجميع أفراد الأسرة، يجلس وسطهم ويعلمهم الأخلاق الحميدة ويقص عليهم الروايات والقصص التي تدعو للشجاعة والتكاتف والتعاون، وأن ما يحدث الآن هو أن رب الأسرة غائب عنها طوال النهار في العمل، ويعود للبيت منهكا وربما يجلس أمام التلفاز ليشاهد مباراة كرة قدم أوروبية أو مشاهدة مسلسل غرامي تركي، والأولاد كل منهمك في هوايته الشخصية على الإنترنت أو التلفاز أو غير ذلك، فيجب العودة الى ترابط الأسرة والى لعب

الأب لدوره كنموذج للجميع في الأخلاق وخاصة أن الأب هو الإنسان المثال للطفل في سنواته الأولى .

١٠- تفعيل دور المدرسة والجامعة والمسجد في معالجة الفراغ الروحي والفكري الذي يعانيه الشباب، لأن الفراغ الفكري والروحي يعني التخلف، والعنف يعني عدم الأمن والإستقرار، والملاحظ الآن أنه لا المدرسة ولا الجامعة تقوم بدور تربوي توعوي وأن دورها يقتصر على تلقين المادة العلمية دون الإلتفات الى الجانب الأخلاقي والتربوي، وأن النصف الأول من المهام الملقاة على كاهلها حسب ما يوحي به اسمها "وزارة التربية والتعليم" غائب تماما، وقد عمل معالي الاستاذ ضيف الله الحمود في اواخر الخمسينات من القرن الماضي، الى تسمية الوزارة باسم "وزارة المعارف" لانه لاحظ غياب دور التربية في مهماتها.

وكذلك الحال بالنسبة للجامعات فهي لا تقوم بالدور المطلوب في مجال التربية المجتمعية والاخلاقية، والمطلوب وضع سياسة مبرمجة ومخطط لها في القاء المحاضرات، والندوات الهادفة الى نشر ثقافة التسامح والتعاون بين الطلاب وبالتالي في المجتمع، والإنعتاق من القوقعة التي حشرت نفسها فيها وهي الاقتصار على المحاضرات الصفية.

١١- اعادة التركيز على مفاهيم الاخلاق الكريمة في المعاملات وحسن التعايش والتسامح واحترام الاخر، واتباع لغة الحوار لحل المشاكل التي تواجه الناس في الأماكن العامة كالأسواق والشوارع والمحال التجارية وحركة المرور والسيارات، وأن يتم تعليم الجميع كيفية حل المشكلات بالحوار والإحترام المتبادل والتسامح.

١٢- عقد مؤتمر وطني شامل لا يقتصر على اعضاء الحكومة الحاليين والسابقين وكبار الموظفين في الدولة، وإنما يدعى لهذا المؤتمر النقابات المهنية والأحزاب السياسية والفعاليات الشعبية، والنشطاء السياسيون والإجتماعيون وأصحاب الإختصاص من أساتذة الجامعات، للحديث في الموضوع بحرية وعمق والوصول الى الأسباب الحقيقية لانتشار ظاهرة العنف المجتمعي، وبالتالي وضع ميثاق اجتماعي وطني للحد من ظاهرة العنف بمقاومة أسبابها ودواعيها.

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

وسطية الاسلام في العبادات

■ **بقلم الدكتور عبد الرحمن ابداح**

يظن بعض أهل الغيرة على الدين، ان التشدد وحمل الناس على العزيمة والتضييق عليهم في باب الخيارات المتاحة، يظنون انه هو الأفضل ديانة، وانه هو الاقرب للتقوى.

والمعلوم من الدين بالضرورة، ان هذا الدين يسر وان تشريعاته في كل ابواب الحياة انما جاءت لتراعي مصلحة الناس، ولتختار لهم ما هو أنسب لفطرتهم وأقرب لتحقيق مآربهم المشروعة سواء في باب العبادات أو المعاملات.

فعلى سبيل المثال فإن من الهدي النبوي الشريف في الصلاة، ان يراعي الامام أحوال المأمومين وألا يطيل القراءة الى حد إجهاد المقتدين، وادخال الملل الى قلوبهم، او تنفيرهم من صلاة الجماعة، مستذكرين في ذلك قوله ﷺ عندما قرأ معاذ رضي الله عنه سورة البقرة في إمامته للصلاة: «يا معاذ أفتان انت قالها ثلاثاً، إقرأ يا معاذ والشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الاعلى، ونحوها» أخرجه الشيخان.

وقل مثل ذلك عندما يطيل الامام الركوع او السجود او دعاء القنوت، ناسياً أن وراءه الضعيف والمشغول والمريض ومن في حكمهم، وبهذه المناسبة انصح إخواني الأئمة لمراعاة ذلك كله اذ التدين والقرب من الله تعالى لا يكون في التشدد وإحراج الناس، وجدير بأصحاب الفضيلة الأئمة ان يحببوا الدين وتكاليفه وتشريعاته الى

الناس من خلال التيسير وعدم التشديد.

وفي هذا نستذكر قوله ﷺ وهو يوصي معاذاً وأبا ايوب الانصاري: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» رواه البخاري.

وفي بعض الاحيان يتوقف أئمة ووعاظ وحتى غيرهم من الراغبين في إحياء السنن وإماتة البدع، يتوقفون عند صغائر الأمور التي يظنون أنها ليست من الدين، ويحاولوا ان يقيموا الدنيا على من يفعلها بحجة أنها ليست من الدين وان النبي ﷺ لم يفعلها، وقد تكون مثل هذه الأمور في حقل المباحات او الامور التي تقبل الاجتهاد وتعدد الآراء، فعلى سبيل المثال: اذا قلت لأحدهم بعد أداء الصلاة: «تقبل الله» تجده انتفض واشتد غضبه وارتفع صوته بالانكار قائلاً: هذا ليس من السنة!!.

واذا سمع قائلاً يقول للمتوضئ: «زمزم أو حرماً» اشتد عليه بالنكير، وان سمع مؤذناً يرفع الصوت بالصلاة والسلام على نبينا الكريم ﷺ استشاط غضباً وغيظاً.

وان وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية اذ تؤكد تفهمها لهؤلاء الإخوة وحرصهم على إقامة شعائر الدين وأحكام الاسلام، الكبير منها والصغير ولكننا في الوقت نفسه نرجو ان لا يتوقفوا عند هذه الأمور الجزئية وألا يخوضوا هذه المعارك الصغيرة مع أناس بسطاء، عقيدتهم نقية ومحبتهم لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ ظاهرة في الوقت الذي نسكت ونغض الطرف عن مخالفات شرعية تصل حد الموبقات والكبائر.

فهل نظن ان المولى سبحانه وتعالى سيعذب مسلماً قال لأخيه بعد نهاية الصلاة: «تقبل الله طاعتكم» أو انه قرأ الفاتحة عند المقبرة او انه أمسك بالمسبحة ليحصي عدد تسبيحاته؟.

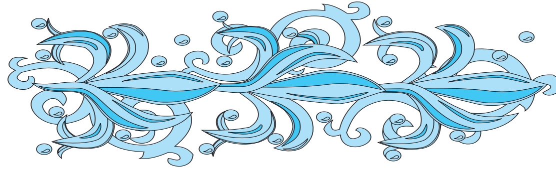
لا نقصد من هذا المناكفة ولا المساجلة ولا فتح حوارات ولا مناقشات حول قضايا بسيطة ولكنها دعوة صافية وأخوية الى جميع العاملين في حقل الدعوة، ان لا نحجم قضايانا ونختزلها لندخل في مثل هذه الأمور، وان نلتفت الى المهم من امور المسلمين والنافع لهم في مصالح دنياهم وآخرتهم وأن نيسر ما استطعنا على إخواننا في المساجد، بما في ذلك قصر الخطبة وعدم الاطالة حيث نجد بعض الخطباء يطيل الى حد يوصل السامعين الى الملل والسآمة، يعيد ويكرر ويدور حول

فكرة واحدة لا يخرج منها، فلا تدري كيف بدأ ولا الى ماذا انتهى، وهو يظن ان الدين سيقوم في العالم كله على أثر هذه الخطبة.

ان الدعوة الى الله تعالى لها مجالات كثيرة غير خطبة الجمعة يمكن الاستفادة منها وتوظيفها، وان السامعين لخطب الجمعة فيهم المريض، والمشغول، وذو الحاجة،وفيهم من يجلس في حر الشمس، او برد الشتاء.

والنصيحة لكل هؤلاء الأحبة الذين يطيلون خطبهم، ان يراجعوا منهج النبي المصطفى ﷺ في التيسير على الأمة والرحمة عليها، وانك لو تأملت خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع لوجدتها تسعها الدقائق القليلة علماً بأنها أشمل وأطول خطبة له ﷺ.

ختاماً نسأل الله سبحانه وتعالى ان يحفظ العاملين في ميدان هذه الدعوة المباركة، وأن يوفقهم لعمل الخير وخير العمل في رحاب الرسالة والرسول ﷺ وهو سبحانه المستعان وعليه البلاغ.



قطوف دانية

بقلم الطالب نضال علي القطامين

قال تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

حديث شريف

قال ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها، او موبقها» رواه البخاري.

افضل الذخائر

قال بعض الأدباء: افضل الذخائر أخ وفيّ حميم صادق المودة لطيف الصحبة، يهتم لشأنك اهتمامه بشأنه، يتوفر على هنائك كما يتوفر على هنائه، قال الشاعر:

واحذر مساوئ الأخلاق تشان بها   وأسوأ السوء سوء الخلق والبخل

التبرم من القضاء والقدر

حكي ان اعربية دخلت من البادية، فسمعت صراخاً في دار فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم انسان، فقالت: ما أراهم الا من ربهم يستغيثون، بقضائه يتبرمون، وعن ثوابه يرغبون.

القناعة

قال بعض الحكماء: القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر دليل الـزيادة، والزيادة دليل بقـاء النعـمـة، والحـيـاء دليل الخـيـر كله، قـال الشاعر:

وأقـبـح شـيء ان يـرى المرء نفـسـه — رفـيـعـاً وعند الـعـالمين وضـيـع

تواضـع تكـن كالنجم لاح لناظـر — على صـفحات الماء وهـو رفـيـع

الطمع في الحياة

حدثنا المسعودي ان المنصور بينما كان جالساً في مجلسه، سقط بين يديه سهم فذعر ذعراً شديداً، ثم أخذه فجعل يقلبه، فإذا مكتوب عليه بين الريشتين:

اتطمـع في الحـيـاة الى التنـــاد — وتحـسـب ان مـا لك من نفـاذ؟

سـتـسـأل عن ذنوبك والخطايا — وتسـأل بعـد ذلك عـن العـبـاد

صنع الخير

قال بعض الحكماء: اصنع الخير عند امكانه، يبق لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك، تحسن لك والدولة عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك.

ميزان الله عز وجل

قـال بعض الفضـلاء: ان العـدل مـيـزان الله الذي وضـعـه للخلق، ونصبـه للحق، فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه.

الطلاق بواسطة وسائل الاتصال الحديثة

■ بقلم الاستاذ زياد محمود سلامة

مقدمة:

من القضايا المستجدة التي يعايشها الناس والتي استحدثت بفعل التقانة[١] الحديثة؛ قضية عقد الصفقات المختلفة عن طريق الهاتف والبريد الإلكتروني؛ ومنها قضية إبرام عقود الزواج، وامتد الأمر إلى إيقاع الطلاق عبر هذه الوسائل المستجدة، ولما كانت القضية مرتبطة بالتقدم العلمي الحديث، فمن الطبيعي أننا لن نقع على رأي قديم مأثور قاطع، بل سنجد أقوالاً وآراء مختلفة لعلماء مُحْدَثين، وفي هذا البحث سنحاول استجلاء المسألة ومعرفة الآراء فيها، والتوصل إلى رأي حولها.

تعريف الطلاق: عُرِّف الطلاق تعريفات كثيرة ولكنها جميعها متقاربة متشابهة، منها ما عرفه الشافعية من أنه: حَل عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه[٢]، وعرفته لجنة إعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية الموحد للإقليمين المصري والسوري في عهد الوحدة بينهما، والتي ترأسها الشيخ مصطفى الزرقاء: "الطلاق هو حل رابطة الزوجية الصحيحة بإرادة الزوج أو من يقوم مقامه"[٣].

وسائل إيقاع الطلاق: الأصل أن يتم الطلاق وفق تسلسل شرعي معين حتى يكون هذا الطلاق طلاقاً سنياً مقبولاً ومن هذه الخطوات: دعا الإسلام الزوجين إلى أن يحتمل كلٌ منهما أخلاق الآخر بصبر

وتؤدة، وأن يتعاشرا فيما بينهما بالحسنى ولو كره أحدهما الآخر، يقول تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** النساء: ١٩،

إذا ما حصل سوء تفاهم فعلى الزوج تقديم الموعظة الحسنة والنصيحة لزوجته وتبصيرها بغلطها، **﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾** النساء: ٣٤، فإن لم تُجْدِ النصيحة فالخطوة التالية هي الهجر في المضاجع: **﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾** النساء: ٣٤، فإن لم يُجْدِ ذلك لجأ الزوج إلى الضرب الخفيف غير المبرح: **﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾** النساء: ٣٤ .

فإن اشتد الخلاف بحيث لم يعد يَحتمل أحدهما تصرفات الآخر، أوجب الإسلام أن تُشكَل محكمة عائلية لحل الخلاف بينهما في حدود الأسرة وتكون لجنة التحكيم مؤلفة من عضو يختاره الزوج وعضو تختاره الزوجة، يقول تعالى: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حَكَمَاً من أهله وَحَكَمَاً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق اللهُ بينهما﴾** النساء: ٣٥ .

إذا لم ينفع التحكيم أجاز الإسلام أن يقع الطلاق بين الزوجين[٤]؛ ولكن على الرجل أن يحتاط حين الإقدام على هذه الخطوة فلا بد أن يطلقها طلقة واحدة رجعية في طهر لا جماع فيه، ولا طلاق، أي لا تتكرر مرات الطلاق في الطهر الواحد، ويتركها حتى تنقضي عدتها بثلاث حيضات[٥] والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾** الطلاق: ١، ولا بد من الإشهاد على الطلاق: انطلاقاً من قوله تعالى: **﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾** الطلاق: ٢ .

وقد اشترط بعض الفقهاء الإشهاد على الطلاق، في حين لم يشترط آخرون ذلك، فمن المعلوم أن جمهور الفقهاء من السلف والخلف قد ذهبوا إلى أن الطلاق يقع بدون إشهاد[٦]، وقال الأستاذ أحمد الغندور: "ولقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة، ويرى الكثير منهم أن الأمر في قوله تعالى: **﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾** للندب، وبذا تكون الشهادة مندوبة في الطلاق والرجعة، لأن الآية في صدر ذكر الطلاق والرجعة، ولم يؤثر عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه أن الإشهاد شرط لصحة وقوع الطلاق برغم كثرة ما وقع أمامهم من حوادث الطلاق، ويرى بعض المفسرين أن الشهادة مندوبة للطلاق فقط، بينما يرى آخرون أنها للمراجعة فقط، لأن الأمر به جاء بعد قوله: **﴿فإمساك بمعروف﴾** وهو

للمراجعة، ويرى بعض الفقهاء وهو الظاهر من سياق الآيتين أن الأمر في قوله: **﴿وأشهدوا﴾** للوجوب، بدليل قوله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾** الطلاق: ٢ .

وليس في الآية ما يصرف الأمر عن الوجوب، بل القرائن تؤيد حمله على الوجوب، لأن الطلاق عمل استثنائي يقوم به الرجل، وهو أحد طرفي العقد، ويقوم به وحده، وافقت الزوجة أم لا، ولكنهم يختلفون في أنه راجع إلى الطلاق أو الرجعة أو كليهما، ويقول غندور: والحق أن كليهما يترتب عليه آثار يخشى عليها من التجاحد، والإشهاد يمنعه(٧) "ومن القائلين بوجوب الإشهاد على الطلاق: علي بن أبي طالب وعمران بن حصين ومن التابعين الإمام محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق وبنوهما من آل البيت، وكذلك عطاء وابن جريج وابن سيرين رحمهم الله، ففي "جواهر الكلام" عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لمن سأل عن طلاق: أشهدتَ رجلين عدلين كما أمر الله عز وجل؟ قال: لا، قال: اذهبْ فليس طلاقك بطلاق "وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: "من طلق بغير شهود فليس بشيء" ومن العلماء المحدثين الذين مالوا إلى اشتراط وجود شاهدين في الطلاق الإمام محمد أبو زهرة الذي قال: "إن حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يزجونها إلى الزوجين، فيكون لهما مخرج من الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله سبحانه وتعالى؛ وقال: إن ذلك معقول المعنى، يوجبه التنسيق بين إنشاء الزواج وإنهائه، فإن حضور الشاهدين شرط في الإنشاء، فيجب أن يكون شرطاً في الإنهاء.

الطلاق البدعي باطل: من هنا نرى أن الأصل في إيقاع الطلاق أن يكون بعلم مسبق من الزوجة أن زوجها ينوي طلاقها، والدليل على ذلك أمر الله تعالى الزوجين أن يحاولا إصلاح ذات بينهما أولاً، وإن استعصى الحل على الزوجين أرسل كل واحد منهما حكماً (من أهله)، وإذا أخفق الحكمان في الإصلاح، فليس للزوج الإقدام على الطلاق إلا في حالة كون الزوجة خالية من الحيض والنفاس، وفي طهر لم يمسسها زوجها فيه، وهذا ما يعرف بالطلاق السني، والدليل على أن الطلاق السني هو المشروع وحده ما جاء في حديث ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمرُ بن الخطاب رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: "مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله عز وجل

أن تطلق لها النساء"[٨]، وفي رواية أخرى: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً»[٩] وفي رواية أخرى: «فردها عليه رسول الله ﷺ ولم يرها شيئاً»[١٠] فإذا وقع الطلاق على هذا النحو وتلفظ الزوج بالطلاق لا سيما بوجود الشاهدين كان طلاقاً منجزاً سنياً، وهو الطلاق الذي قال به كافة علماء المسلمين.

وأما إذا وقع الطلاق بدعياً، أي غير متبع خطوات الطلاق السني، فهناك خلاف بين العلماء في صحته ووقوعه، فالجمهور على أن الطلاق البدعي مع أنه محرم، إلا انه واقع ونافذ، وهناك بعض العلماء الفقهاء من اعتبر الطلاق البدعي غير واقع و لا أثر له ومن هؤلاء: عبد الله ابن معمر وسعيد بن المسيب وطاووس، فعن ابن جريج عن ابن طاووس عن أبيه أنه قال: "كان لا يرى طلاقاً ما خالف وجه الطلاق، ووجه العدة، وكان يقول: وجه الطلاق أن يطلقها طاهراً من غير جماع وإذا استبان حملها"[١١] وبه قال خلاس بن عمرو وأبو قلابة من التابعين، وهو اختيار الإمام ابن عقيل من أئمة الحنابلة وأئمة أهل البيت (الشيعة الجعفرية) ومن الزيدية: الناصر والشوكاني، ومن المعتزلة إسماعيل بن علية، والظاهرية ومنهم ابن حزم الظاهري[١٢] وأحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد، وجمع من المحققين منهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[١٣] ويمنع عند بعض المالكية[١٤] ومن العلماء المحدثين الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ علي الخفيف[١٥] والشيخ أحمد شاكر[١٦] والشيخ سيد سابق[١٧] والشيخ عبد الله ابن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في قطر[١٨] والشيخ محمد زكريا[١٩] ود. أحمد غندور[٢٠] والدكتور محمود السرطاوي[٢١]، وبناءً على رأي من قال بعدم وقوع الطلاق البدعي، فسيكون لدى المرأة العلم المسبق والاستعداد لقرار الطلاق.

وعليه أيضاً فالقول بوقوع الطلاق في غياب المرأة سواء أرسل الزوجة قرار الطلاق بواسطة البريد أو الهاتف أو الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فسيثير سؤالاً قال به الفقهاء قديماً عن حجية إيقاع الطلاق بغير التلفظ المباشر به، وسنجد أن الفقهاء قد تناولوا المسألة عند حديثهم ما هي الوسائل التي يمكن من خلالها قبول إيقاع الطلاق عند غياب أحد الزوجين عن الآخر عند النطق بالطلاق، **وقد وجدنا هذه الوسائل والطرق هي:**

أ- إيقاع الطلاق بالتوكيل والتفويض.

ب- إيقاع الطلاق بالإشارة.

ت- إيقاع الطلاق بالكتابة، بحضور الزوجة.

ث- إيقاع الطلاق بالكتابة بغياب الزوجة ومنها:

١) إيقاع الطلاق بالهاتف الجوال.

٢) إيقاع الطلاق بالبريد الالكتروني (الإنترنت).

وتمهيدا لمعرفة حكم الطلاق بوسائل الاتصال الحديثة؛ لا بد من الوقوف على حالات طلاق المرأة وهي غائبة عن زوجها، لأن الطلاق عبر وسائل الاتصال الحديثة لا يتم في حضور الزوجين جسدياً في مكان إيقاع الطلاق.

التفويض في الطلاق: للزوج أن ينيب زوجته في إيقاع الطلاق، وهنا للزوجة أن توقع الطلاق على نفسها متى شاءت بناءً على التفويض الممنوح لها من الزوج(٢٢)، وللزوج أن يوكل غيره في إيقاع الطلاق والوكيل هنا يعمل بإرادة الموكل(٢٣)، والمهم في الأمر أن الطلاق هنا يقع في غياب الزوج.

الطلاق بالإشارة: و لا يقع طلاق بالإشارة اتفاقاً إلا عند العجز عن النطق؛ لأنه لا طريق إلى الطلاق عند ذلك إلا بها، فقامت مقام اللفظ، ولا بد لوقوع الطلاق بها من إفادتها الطلاق، وذلك عند المشاهدين لها الواقفين على طريق الإفادة من صاحبها(٢٤).

الطلاق الغيابي: قال الظاهرية: لا يقع الطلاق إلا بعد إعلام الزوجة بالطلاق، وعلى ذلك إذا طلقها وهي غائبة فله الرجوع فيما قال، وذلك أمر حسن؛ كما قال الشيخ أبو زهرة(٢٥) وقال ابن حزم: إن من غاب عن زوجته فطلقها وهو غائب لم يكن طلاقاً، وهي زوجته كما كانت: يتوارثان إن مات أحدهما وتبقى جميع حقوق الزوجية بينهما، سواء أكان مدخولاً بها أم لا، وسواءً أكان طلاقاً رجعياً أم بائناً، ولا يزال الحال بينهما كذلك حتى يبلغها الطلاق ممن تصدقه، أو من شهود تقبل شهادتهم في الحكم، وعند ذلك يلزمها الطلاق من وقت علمها إن كانت فيه حاملاً أو طاهراً في طهر لم يمسها فيه، ذلك لأن الطلاق لم يُشرع للمضارة، وطلاقها حين الغيبة مضارة، ومضارتها حرام، فيكون مردوداً باطلاً(٢٦).

واشترط الشيعة أن يكون الزوج عند الطلاق حاضراً ليس غائباً عنها، أما إذا كان غائباً عنها غيبة لا يعلم معها انتقال زوجته من قرء إلى قرء، فإنه يشترط لوقوع طلاقها حينئذ أن يتحرى وقت

طهرها على حسب ما يعرف من عادتها، فإذا طلقها بعد ذلك وقع الطلاق، وإن صادفها حائضاً لأنه فعل ما يستطيعه، أما إذا طلقها بدون تحر لذلك فصادف ذلك وقت حيضها، أو طلقها وهو يعلم أنها حائض، فلا يقع طلاقه[٢٧].

الرسالة في الطلاق: وهي أن يبعث الزوج رسالة (شفهية) مع شخص ما لإخبار الزوجة بوقوع طلاقها، وكما قال الشيخ علي الخفيف: "هي نقل عبارة المرسِل" فإذا طلق الزوج زوجته وليست حاضرة مجلس العقد أو جعل لها أن تطلق نفسها وهي غائبة ثم أرسل إليها رسولاً يبلغها ذلك، فليس لعبارة الرسول أثر، وإنما الأثر لعبارة المرسِل عند نطقها هو بها[٢٨].

الطلاق بالكتابة: أجاز الكثير من العلماء الطلاق كتابةً فقالوا: "والكتابة يقع بها الطلاق، ولو كان الكاتب قادراً على النطق، فكما أن للزوج أن يطلق زوجته باللفظ، فله أن يكتب إليها الطلاق، واشترط الفقهاء أن تكون الكتابة مستبينة مرسومة، أي بينة واضحة بحيث تُقرأ في صحيفة ونحوها، ومكتوبة بعنوان الزوجة بأن يكتب إليها: يا فلانة: أنتِ طالق.. إلخ[٢٩]، وقال الظاهرية بعدم وقوع الطلاق كتابة، فقد ذهب ابن حزم وكما نقل الشيخ علي الخفيف إلى ان الطلاق لا يقع بالكتابة، فمن كتب إلى امرأته بالطلاق، فليس بشيء؛ لأن اسم التطليق الوارد في الكتاب الكريم - إنما يقع على اللفظ لا على الكتابة[٣٠].

وعند الجعفرية أن الطلاق بالكتابة من الحاضر لا يقع دون خلاف، وأما الكتابة من الغائب فلا يقع بها الطلاق على المعتمد المشهور عندهم[٣١]، ونقل الشيخ الخفيف عن الشيعة أن الطلاق لا يقع عند الشيعة الجعفرية بالكتابة، إلا إذا كان المطلِق عاجزاً عن النطق: سواء أكان حاضراً أم غائباً[٣٢]، واشترط الكثير من الفقهاء وجود الشاهدين على الطلاق كتابة، جاء في المغني لابن قدامة "ولا يثبت الكتاب بالطلاق إلا بشاهدين عدلين أنَّ هذا كتابه[٣٣]، جاء في كتاب "الأم" للإمام الشافعي: "إذا كان الرجل غائباً عن امرأته فأراد أن يطلقها للسنة كتب إليها: (إذا أتاك كتابي هذا وقد حضتِ بعد خروجي من عندك فإن كنت طاهراً فأنت طالق) وإن كان علم أنها قد حاضت قبل أن يخرج، ولم يمسها بعد الطهر، أو علم أنها قد حاضت وطهرت وهو غائب كتب إليها: (إذا أتاك كتابي فإن كنت طاهراً فأنت طالق، وإن كنت حائضاً فإذا طهرت

فأنت طالق)"[٣٤] وقال د. محمد إسماعيل عيساوي أبو الريش الأستاذ في كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر: أنه لا يُقبل الطلاق بطريقة الكتابة عند الحنابلة إلا إذا شهد عليه شاهدان فانعدام الشهادة يؤدي إلى انعدام القبول ومن ثم لا يقع[٣٥]، وقول البينة هو المعتبر وإن خالف قول الزوجين في الطلاق، وبأن الطلاق يقع لتكذيب البينة للزوجين[٣٦] وقال الشيخ علي الخفيف: "ويظهر لي من هذا: لو كُتب له ما يدل على طلاق امرأته فأمضاه، أو وقع عليه بختمه، ولم يتلفظ بما فيه، ولم يبعث به إليها - لا يقع به طلاق، إلا إذا أقر أنه كتابه، وفي المحيط: كل كتاب لم يكتبه بخطه، ويمله بنفسه لا يقع به طلاق إذا لم يقرّ أنه كتابه"[٣٧] وعند الشيعة: إذا أمر غيره أن يكتب: فلانةٌ طالق، لم يقع الأمر[٣٨].

❖ الطلاق بالوسائل الحديثة:

من وسائل الاتصال الحديثة التي يمكن إيقاع الطلاق من خلالها:

١) الرسالة الشفهية.

٢) الرسالة المكتوبة.

٣) الفاكس.

٤) الهاتف.

٥) البريد الالكتروني (الإنترنت).

١ . **الرسالة الشفهية:** قد يرسل زوج مسافر أو بعيد عن زوجته رسالة شفهية مع شخص آخر يخبرها فيها طلاقها.

٢ . **الرسالة المكتوبة:** قد يرسل الزوج رسالة مكتوبة إلى زوجته يخبرها فيها بطلاقها، وقد تكون الرسالة مع شخص معروف لديها، وقد تكون مع شخص غير معروف أو بالبريد، والفرق بين المعروف وغير المعروف في قيمة التوثيق والتأكد من عدم التزوير.

٣ . **الرسالة بواسطة الفاكس:** قد تصل المرأة رسالة من زوجها عن طريق الفاكس يخبرها فيها طلاقها.

٤ . **الهاتف:** قد يتصل الزوج شخصياً بزوجته بواسطة الهاتف وتسمع صوته وتتأكد من شخصيته فيسمعها لفظ الطلاق.

٥ . **البريد الالكتروني (الإنترنت)** قد تتلقى المرأة على بريدها الإلكتروني الخاص بها رسالة من زوجها يخبرها فيها طلاقها، وقد تتلقى المرأة رسالة على غير بريدها الخاص من زوجها يخبرها فيها طلاقها.

هذه وسائل الاتصال الحديثة التي

يمكن أن تصل (لفظة) الطلاق إلى المرأة من زوجها، وقد اضطررنا لهذا التفصيل لما له أثر في معرفة الحكم.

مقدمة الأحداث: سابقة للطلاق تمت عبر البريد الالكتروني في تركيا وأيدها المفتي هناك وذكرت جريدة "الشرق الأوسط" أن فتوى لمفتي تركيا تسببت في تشكيل الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر لجنة من كبار علماء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لإصدار فتوى حول مدى شرعية الطلاق الذي يتم من خلال رسائل الهاتف النقال والانترنت. انقسم العلماء والباحثون في حكم الطلاق عبر الإنترنت إلى قسمين:

القسم الأول: حرمة إيقاع الطلاق عبر الإنترنت: ذهب إلى هذا الرأي: الشيخ يوسف القرضاوي والدكتورة سعاد صالح والدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وغيرهم.

القسم الثاني: ويرى إباحة إيقاع الطلاق عبر الإنترنت: ومنهم الدكتور أحمد عمر هاشم الأستاذ في جامعة الأزهر، وإن لم يكن يفضله، والدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر الأسبق والشيخ عبد العزيز بن عبد الله مفتي السعودية والشيخ يوسف البدري الأستاذ بجامعة الأزهر والشيخ فرحات المنجي أحد علماء الأزهر وأستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الدكتور صبري عبد الرؤوف، والشيخ هاشم يحيى مفتي "كوالالمبور" وغيرهم.

حجج وآراء المانعين[٣٩]**:**

١ . القرصنة هي السبب، يقول القرضاوي: إن القرصنة لم تُبق شيئًا سريًا، حيث يمكن للإنسان أن يعرف كلمة المرور الخاصة بكل متعامل مع الإنترنت وأن يعرف توقيعه، وموقع زوجته وأن يفعل ما يشاء وتقع المصائب؛ أي أن عملية التزوير سهلة وممكنة، ويؤكد الدكتور أحمد عمر هاشم (الذي يرى إباحة الزواج عبر الإنترنت)، أنه لا يحبذ هذا الطلاق، وحسبَ تعبيره "أخشى ما أخشاه أن تكون هذه الوسيلة غير آمنة، ويُوظف البريد الإلكتروني والإنترنت توظيفا سيئًا، ولذلك أنصح بأن يكون ذلك بالطريقة المعهودة وإذا كان متعسرًا يمكن أن يوكل (الزوج) أحدًا يقوم بذلك.

وقد يقوم شخص ما بإرسال رسالة من هاتف الزوج على سبيل المزاح أو لإحداث وقيعة بين الزوجين.. أو قد يقوم أحد محترفي برامج الاختراق على الانترنت باستخدام البريد الالكتروني لأي من

الزوجين مما يحدث وقيعة بينهما.. ويرى طارق السركال المحامي في أبو ظبي وعضو اتحاد المحامين العرب أن التعامل مع قضية مصيرية وإنسانية مثل الطلاق، يختلف بالضرورة عن مختلف القضايا اليومية الاعتيادية الأخرى فيما يتعلق برسائل المحمول أو أي وسيلة إلكترونية أخرى، فالطلاق يقع سواء مشافهة أو كتابة، وذلك باتفاق جميع الفقهاء، مشيراً إلى أن العبارات التي يتضمنها وقوع الطلاق سواء قيلت أو كتبت فإنها تكون صحيحة، وهذا ينطبق على الطلاق الذي يتم عبر الإنترنت، ولكن الإشكالية هنا تكون في الوثوق من مصدر الرسالة، وهل الزوج هو الذي أدخل المعلومة فعلاً أم شخص آخر، فأي شخص يمكنه أن يتحايل أو يوقع الفتنة بين الزوجين بإرساله عبر "الهاتف أو الإنترنت" يحمل الطلاق للزوجة دون علم زوجها"، والشرع ينفي كل ما فيه الغش والضرر.

٢ . **التلفظ بالطلاق:** البعض يؤكد على ضرورة تفوه الزوج بلفظ الطلاق حتى تسمعه الزوجة طالما أنه قادر على الكلام.. أما الطلاق بالكتابة.. فيجب أن يكون بخط واضح بحيث تستطيع الزوجة أن تتيقن منه.. لكن الحروف المطبوعة والمستخدمة في أجهزة الهواتف متشابهةٌ و (مكتوبة بواسطة الآلة) فلا تستطيع الزوجة أن تتأكد منها، فلا يقع بها الطلاق وتعتبر الزوجة بناء على ذلك طالقاً، لكن يتعين عليها الاتصال به لتسمع ألفاظ الطلاق بنفسها".

٣ . عدم استكمال شروط الطلاق:
رفض الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة هذا الأسلوب، مؤكدا عدم صحته لعدم استكمال الشروط الرئيسية لوقوع الطلاق، مؤكداً أنه لا بد من استبعاد هذه الوسائل في الطلاق لكي يظل للطلاق حرمته وللأسرة سلامتها، وأكد على وجود آداب للطلاق يجب أن تتوافر لا يمكن التأكد من تحقيقها عن طريق الهاتف النقال أو الانترنت وهي أن تكون الزوجة في حالة طهر، ويشير الدكتور شاهين إلى أن الطلاق لا يقع إلا إقرارا مباشرا في المواجهة .

حجج القائلين بجواز إيقاع الطلاق عبر الإنترنت:

١. يباح الطلاق عبر الإنترنت وحسب رأي الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر الأسبق، بشرط التأكد من صحة المراسلة، ويرى الشيخ فرحات المنجي أحد علماء الأزهر أن الطلاق عبر رسائل SMS جائز

ويقع طالما تم التأكد من أن المرسل هو الزوج، أما إذا قال: إنني لم أرسل شيئا ولو كان على رقم (الموبايل) الخاص به فهذا لا يعتبر طلاقا لأنه في هذه الحالة تراجع عن قراره ولم يرد الطلاق، فالطلاق لا بد له من شهود ﴿**فأشهدوا ذوي عدل منكم**﴾.

ويوضح الدكتور زكي عثمان الأستاذ في جامعة الأزهر أن الطلاق عبر الهاتف النقال أو الانترنت صحيح، لأن الزوجة تعرف صوت زوجها جيدا فكأنها تقف أمامه، فليس شرطا أن يذهب الزوج لتوثيق الطلاق لأنها تحسب طلقة فقط بدون توثيق؛ خاصة أن طلاق المشافهة يقع على الزوجة حتى لو كانت غير موجودة، ولكن يمكن أن تحدث الخديعة إذا حدث الطلاق عن طريق وسائل النقال، فغير معروف من كتبها ولمن، والكلام ينطبق أيضا على الطلاق عبر الانترنت ؛ لأن الخط غير معروف والصوت أيضا غير واضح فتنتفي شروط الطلاق التي لم تتفق عليها المذاهب الأربعة.

٢ . **إقرار الزوج:** إذا أقر الزوج عندما تجد الزوجة رسالة تحمل في مضمونها معنى الطلاق، فإنه واقع شرعا إذا تأكد عدم التلاعب، لكنه لا يقع رسميا ولا تعترف به المحكمة دون اعتراف الزوج بأنه هو من قام بإرسال الرسالة، وهذا سيحدث تشتيتا يقع عبأه على الزوجة أولا ثم الأسرة بأكملها، يقول أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الدكتور صبري عبد الرؤوف: إن الطلاق بالانترنت أو بالهاتف جائز بشرط اعتراف الزوج والتأكد أن الزوج هو المطلق فعلا وباعترافه انه طلق زوجته من خلال إحدى هذه الوسائل. لان الأمر هنا يثبت بالإقرار والإقرار سيد الأدلة أما إذا أنكر الزوج إيقاع الطلاق على زوجته فإنه لا يقع لان الأصل عدم الطلاق.

٣ . **لا بد من سماع الزوجة تلفظ الزوج:** قال الدكتور محمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية: إن الزوجة تعتبر طالقاً، لكن يتعين عليها الاتصال به لتسمع ألفاظ الطلاق بنفسها".

وذلك تعقيباً منه على حادثة قيام زوج يعيش في الولايات المتحدة بطلاق زوجته التي تركها في مصر إلكترونياً" وكانت الزوجة قد فوجئت وهي تتفحص بريدها الإلكتروني برسالة من زوجها تحمل عبارة واحدة "أنت طالق" وطالبت الزوجة بحضانة طفلها الذي يبلغ من العمر ١٢ عاماً على أساس انه لم تكن هناك خلافات سابقة تبرر الطلاق، وفجرت

الواقعة قضية كيفية حصول الزوجة على حقوقها الشرعية إذا تم طلاقها إلكترونياً؟

٤- الطلاق لا يحتاج شهوداً: والسبب في ذلك: أن الطلاق لا يحتاج إلى إشهاد، وعدم الأخذ بالشهادة على الطلاق تعمل به معظم قوانين الأحوال الشخصية في العالم الإسلامي، فمن الممكن أن يتم عن طريق الإنترنت بشرط التوثيق لتتحقق الزوجة من طلاقها.. فإذا أنكر الزوج عملية الطلاق هذه التي تمت عبر الإنترنت تكون الورقة الموثقة والمشهود عليها والمرسلة بطريق الإنترنت هي إثبات عملية الطلاق.

٥ . الطلاق يقع بمجرد النية: يرى مفتي عام السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله جواز حكم الطلاق بالانترنت عندما ينوي الزوج الطلاق ويرسله عبر البريد الالكتروني وأكد أن الطلاق يقع بمجرد نية الطلاق.

٦ . الطلاق يقع كتابة: قال الشيخ يوسف البدري: ان علماء الأمة قديما وحديثا أجمعوا على أن لفظ الطلاق ما دام صدر من الزوج وحده أو أمام جماعة وأبلغ بها واحد من الناس زوجته بالصيغة الصريحة لفظا أو كتابة أو إشارة، فإنه طلاق واقع وعليه فإن رسائل المحمول المسماة الـ SMS هي وسيلة مكتوبة معتبرة شرعا وما دام قد أقر بأن الرسالة التي أرسلها لزوجته بهذه الوسيلة بالصيغة الصريحة «أنت طالق» فإن الطلاق يعد واقعا لا محالة، ذلك انه من المقرر شرعا أن الأخرس يقع طلاقه بالإشارة، فالأولى أن الطلاق يقع برسالة محمول أقر الزوج أنه أوقعها، ولم نجد في السلف والخلف من يقول خلاف ذلك، وعليه فان هذه الرسالة تعد طلقة، وإذا كانت الثالثة للزوج فإن امرأته تحرم عليه فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره، فإن استمر الرجل في معاشرة زوجته يعدا زانيين.

شروط إيقاع الطلاق غيابياً:

قبل أي كلام لا بد من التذكير أن الطلاق المقبول شرعاً، والذي ستبنى عليه الأحكام هنا، هو الطلاق السني وحده، دون الطلاق البدعي لقوة أدلة القائلين بعدم وقوع الطلاق البدعي[٤٠] يقول عبد السلام درويش المختص في القضايا الأسرية في محاكم دبي: **إن قبول الطلاق عبر الرسائل القصيرة مرهون بأربعة شروط هي:**

١ . أن يكون الزوج هو المرسل.

٢ . وأن يكون لديه العزم والرغبة على تطليق زوجته.

٣ . وألا تعني صياغة الرسالة أكثر من

معنى غير الطلاق.

٤ . وأن تستقبلها الزوجة.

وأكد أهمية إقرار الزوج صراحة دون لبس بأنه مصدر الرسالة، وأن مضمونها يعبر عن رغبته، لذا يرفض اعتماد "الرسالة الهاتفية" وسيلة لتبليغ الزوجة بالطلاق، وما من شك في أن القاضي، عليه أن يتحقق تماما من أن الزوج هو الذي أرسل هذه الرسالة، بل انه يتيح له أكثر من فرصة لإعادة التفكير في شهادته وإقراره ومراجعة نفسه قبل أدائه اليمين الشرعي، وقبل الأخذ بإفادته، حتى تتكون لدى المحكمة قناعة تامة بحيثيات حكمها.

هناك شرط مهم جداً لقبول إيقاع الطلاق عبر وسائل الاتصال الحديثة، حتى لو كان التلفظ بالطلاق قد حصل مواجهة بين الزوجين خلال محادثتهما عبر الهاتف أو الإنترنت وتم التأكد من النقاط السالفة الذكر، وتم التأكد أن الزوج خال من موانع الطلاق كالإكراه والسكر والدهش وغيره، هو أن لا يقع الطلاق في حيض أو طهر لم يمس الرجل زوجته فيه، أي أن يتم الطلاق سنياً لا بدعياً، وبما أن أمر الطلاق أمر تعبدي قد يحمل أسرار الزوجين فيكفي أن يقر الزوجان بأنهما اتبعا خطوات الطلاق السني، بما في ذلك إقرارهما أنهما لم يتماسا في الطهر الذي وقع فيه الطلاق.

احتياطات: من باب الاحتياط أولاً، ومن باب اتباع خطوات الطلاق السني فعلى ولي الأمر (القاضي) إلزام الزوج بالإشهاد على إيقاعه الطلاق، فيشهد شاهدا عدل أنه أوقع الطلاق على زوجته وعلى صحة هذه الوثيقة وصدورها عن الزوج، والأمر الأوثق أن تجري في محكمة شرعية أمام القاضي، وحبذا أن تُشهِدَ المرأة استلامها أمر الطلاق، و لا مانع أن يكون أمام القاضي أيضاً وذلك حسماً للخلاف.

الهوامش:

١- التقانة لفظة تدل على استخدام (التكنولوجيا) بوسائلها المختلفة، وقد حاول الكثير تعريب لفظة التكنولوجيا، فعربها بعضهم بالتقنية، وقد شاعت هذه اللفظة، ولكن الأستاذ المرحوم مصطفى الزرقا كان يرى أن تعريب التكنولوجيا بالتقنية خطأ، لأن التقنية تدل على صنع القناة التي تستخدم في الري والمياه، وأن الصواب هو تعريبها بالتقانة (من الإتقان).

٢- شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني: القسم الثاني: انحلال عقد الزواج/ د. محمود السرطاوي ؛ منشورات الجامعة الأردنية؛ عمان: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص٢٣ نقلاً عن مغني المحتاج

للشربيني ٢٧٩/٣

٣- مشروع قانون الأحوال الشخصية الموحد للإقليمين المصري والسوري في عهد الوحدة بينهما، ط ١ (١٤١٦هـ ١٩٩٦م) دار القلم، دمـــشق؛ الدار الشامية، بيروت.

٤- الخطوات (٣،٢،١) من كتاب: السباعي/ شرح قانون الأحوال الشخصية ج ١ص ٢٣٤ .

٥- الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون: بحث مقارن/ أحمد الغندور؛ ط١ (١٣٨٧هـ ١٩٦٧م) دار المعارف بمصر ص٤٤ .

٦- الطلاق في الشريعة.. أحمد الغندور ص٥٣ .

٧- مسلم ٥٩/١٠ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤٥/٩ .

٨- مسلم ٥٩/١٠ .

٩- رواه أحمد وأبو داود والنسائي .

١٠-١١- الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون: بحث مقارن/ أحمد الغندور ص٤٣ .

١٢- فقه السنة /السيد سابق،دار الكتاب العربي ط ٨ (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) المجلد ٢ ص ٢٣٨ .

١٣- ومدى حرية الزوجين في الطلاق للصابوني ٤٠٤/١ .

١٤- فرق الزواج ص ٣٠ .

١٥- نظام الطلاق في الإسلام.

١٦- فقه السنة /السيد سابق، دار الكتاب العربي ط ٨ (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) المجلد ٢ ص٢٣٧

١٧- الحكم الشرعي في الطلاق السني والبدعي ورسائل أخرى / عبد الله بن زيد آل محمود ص ٥٣ .

١٨- (الأحوال الشخصية ص٢٤٠).

١٩- (الطلاق في الشريعة الإسلامية ص ٥٢).

٢٠- فقه أحوال شخصية ١ / محمود السرطاوي ؛ جامعة القدس المفتوحة ؛ ص ١٦١.

٢١-٢٢- الأحوال الشخصية/ محمد أبو زهرة ص ٣٢٤ بتصرف.

٢٣- فرق الزواج / علي الخفيف ص ١٠٧ .

٢٤- الأحوال الشخصية/ محمد أبو زهرة ص ٣٦٩ .

٢٥- الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون: بحث مقارن / أحمد الغندور ص ٩١ .

٢٦- الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون: بحث مقارن / أحمد الغندور ص ٩٠-٩١ .

٢٧- فرق الزواج / علي الخفيف ص ٦٠ .

٢٨- فقه السنة / سيد سابق ٢/ ٢٢٩ والأحوال الشخصية لأبي زهرة ص ٢٩٥ومدى حرية الزوجين في الطلاق للصابوني ٢٨٣/١والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ٢٨٩/٤-٢٩٣ .

٢٩- فرق الزواج / علي الخفيف ص ١٠٦ .

٣٠- مدى حرية الزوجين في الطلاق للصابوني ص ٢٨٢ .

٣١- فرق الزواج / علي الخفيف ص ١٠٦ .

٣٢- أركان الطلاق / محمد إسماعيل عيساوي أبو الريش ص ٢٦٩ نقلاً عن المغني لابن قدامة ٢٤١/٧ .

٣٣- الأم / محمد بن إدريس الشافعي ١٨١/٥ .

٣٤-٣٥- أركان الطلاق / لأبي الريش ص ٢٧٠ .

٣٦-٣٧- فرق الزواج / علي الخفيف ص ١٠٦ .

٣٨- المرجع في (آراء المانعين والمبيحين) لإيقاع الطلاق عبر وسائل الاتصال الحديثة من عدة مواقع على الإنترنت.

٣٩-٤٠- انظر ما كُتب تحت عنوان وسائل إيقاع الطلاق: الفقرة (٨) الطلاق البدعي باطل من هذا البحث.

تحديد الجريمة التي يعاقب عليها بالجلد تعزيراً

■ بقلم الدكتور حسن عبده محمد

الجريمة هي ارتكاب فعل محرم، يترتب عليه عقوبة شرعية مقدرة أو عقوبة شرعية غير مقدرة، وهي ما تسمى بعقوبة التعزير، فالعقوبة الشرعية المقدرة مثل عقوبة الزنا والقذف وعقوبة شرب الخمر.. الخ، والعقوبة غير المقدرة هي العقوبة التعزيرية التي يكون الجزاء فيها من قبل الحاكم الشرعي «القاضي» والذي يؤديه اجتهاده لتقرير تلك العقوبة التعزيرية لإيقاعها على الجناة، حسب الظروف ونوع القضية التي يعاقب مرتكبها بالتعزير.

واجمع الفقهاء رحمهم الله تعالى انه يجوز التعزير بالجلد في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة[١]، كمباشرة الاجنبية فيما دون الفرج، واتيان المرأة المرأة، وسرقة ما لا قطع فيه، والجناية بما لا يوجب القصاص، او القذف بغير الزنا او ما أشبه ذلك من المعاصي، لما روى عبد الملك بن عمير قال: «سئل علي رضي الله عنه عن قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا خبيث، قال: هن فواحش فيهن التعزير وليس فيهن الحد»، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «انه لما خرج من البصرة استخلف ابا الأسود، فأتي بلص نقب حرزاً على قوم، فوجدوه في النقب فقال: مسكين اراد ان يسرق فأعجلتموه، فضربه خمسة وعشرين سوطاً وخلى عنه»[٢].

ويحسن ان نذكر نصوص الفقهاء رحمهم الله تعالى، على قضية الاجماع في

كل معصية لا حد فيها ولا كفارة، ففي المهذب للشيرازي: «ومن أتى معصية لا حد فيها ولا كفارة، كمباشرة الاجنبية دون الفرج وسرقة ما دون النصاب، او السرقة من غير حرز او القذف بغير الزنا او الجناية التي لا قصاص فيها وما اشبه ذلك من المعاصي، عزر على حسب ما يراه السلطان، لما روي عن علي رضي الله عنه عن قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا خبيث، قال: هن فواحش فيهن التعزير وليس فيهن حد[٣].

وقال ابن فرحون المالكي في تبصرة الحكام: «والتعزير وتأديب استصلاح وزجر على ذنوب لم يشرع فيها حد ولا كفارة، والاصل في التعزير ما ثبت في سنن ابي داود ان رسول الله ﷺ قال: «لا يجلد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله تعالى»(٤)، وقال ابو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي في «الكافي» في فقه الامام احمد بن حنبل: «وهو -اي التعزير- مشروع في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة، كوطء جاريته المشركة او المزوجة ومباشرة الاجنبية فيما دون الفرج، وسرقة ما لا يوجب الحد، والجناية بما لا يوجب القصاص ونحوه، لما روي عن علي رضي الله عنه: «انه سئل عن قول الرجل للرجل: «يا فاسق، يا خبيث، قال: هن فواحش، فيهن تعزير وليس فيهن حد»[٥].

وقال الكاساني في بدائع الصنائع: «وأما سبب وجوبه -اي التعزير- فارتكاب جناية ليس لها حد مقدر في الشرع سواء أكانت الجناية على حق الله تعالى كترك الصلاة والصوم ونحو ذلك، أم على حق العبد بأن آذى مسلماً بغير حق بفعل أو بقول يحتمل الصدق والكذب، بأن قال له: يا خبيث، يا فاسق، يا سارق، يا فاجر، يا آكل الربا، يا شارب الخمر، ونحو ذلك»[٦].

وجاء في المحلى لابن حزم الظاهري في المسألة (٢٢٩٩) قال ابو محمد رحمه الله: «فقد قلنا: انه لا حد لله تعالى محدود ولا لرسوله ﷺ الا في سبعة أشياء، وهي: الردة، والحرابة قبل ان يقدر عليه، والزنا، والقذف بالزنا، وشرب الخمر -سكر او لم يسكر- والسرقة، وجحد العارية، وأما سائر المعاصي فإن فيها التعزير فقط وهو الأدب»[٧].

❖ بيان الحد الأعلى لمقدار الجلد تعزيراً:

اختلف الفقهاء رحمهم الله تعالى في ذلك، وظهرت الآراء الآتية:

أولاً: ابو حنيفة: يرى انه لا يزاد في التعزير على تسعة وثلاثين سوطاً، ودليله: «ومن بلغ حداً في غير حد فهو من

المعتدين»[٨]، وبهذا أخذ ابو يوسف من الحنفية بادئ الأمر ثم رجع عنه، فكان له روايتان بعد رجوعه عن رأي ابي حنيفة، فقال: «يبلغ بالتعزير تسعة وسبعين سوطاً، وهذه رواية، والرواية الأخرى: يبلغ به خمسة وسبعين سوطاً، وحجته: ان أقل حدود الأحرار ثمانون جلدة»[٩].

قال السرخسي في المبسوط: لا يبلغ بالتعزير اربعين سوطاً، وبه أخذ ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله، قالا: لأن الأربعين سوطاً أدنى ما يكون من الحد، وهو الحد في القذف والشرب، قال ﷺ: «من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين» وهذا قول ابي يوسف الأول ثم رجع، وقال: يبلغ بالتعزير خمسة وسبعين سوطاً، لأن أدنى الحد ثمانون سوطاً وحد العبد نصف الحر بحد كامل، وهذا مروي عن محمد، وعن ابي يوسف: انه يجوز ان يبلغ بالتعزير تسعة وسبعين سوطاً، وهذا ظاهر على الاصل»[١٠].

ثانياً: الشافعية: يرون ان التعزير اذا كان بالجلد فإنه يجب ان ينقص عن اقل الحدود، فينقص في العبد عن عشرين جلدة، وقيل: تقاس كل جريمة بما يليق بها مما فيه او في جنسه حد، فينقص تعزير مقدمة الزنا عن حده وان زاد على حد الفرية، وتعزير السب في حد القذف وان زاد على حد الشرب[١١].

ولعل حمل بعض العلماء من الشافعية[١٢] مذهب الامام الشافعي رحمه الله تعالى، على أنه لا يزاد في اكثر التعزير بالجلد على عشر جلدات، لحديث ابي بردة رضي الله عنه: «لا يجلد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله»، ولما اشتهر من قول الشافعي رحمه الله: «اذا صح الحديث فهو مذهبي» وقد صح هذا الحديث عن النبي ﷺ[١٣]، قال في نهاية المحتاج الى شرح المنهاج: «فإن جلد -اي في التعزير- وجب ان ينقص في عبد من عشرين جلدة، ونصف سنة في حبسه، وحر عن اربعين جلدة، وقيل: يجب النقص فيهما عن عشرين، لخبر: «من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين»، ويستوي في هذا جميع المعاصي في الأصح، والثاني: تقاس كل معصية بما يليق بها مما فيه حد فينقص تعزير مقدمة الزنا عن حده وان زاد على حد القذف، وتعزير السب عن حد القذف وان زاد على حد الشرب»[١٤].

ثالثاً: الحنابلة ولهم روايتان:

الرواية الأولى: يرون أنه لا يزاد على عشر جلدات في التعزير، استناداً للحديث: «لا يجلد فوق عشرة اسواط الا

في حد من حدود الله تعالى»[١٥].

والرواية الثانية: لا يبلغ بالتعزير الحد وهو الذي ذكره الخرقي، فيحتمل انه اراد لا يبلغ به -اي التعزير- بالجلد ادنى حد مشروع[١٦] غير ان صاحب كشف القناع استثنى من ذلك من وطء امة امرأته بإذنها فإنه يجلد مائة جلدة[١٧] قال في المغنى: «واختلف عن احمد في قدره -اي التعزير بالجلد- فروي عنه انه لا يزاد على عشر جلدات، نص احمد على هذا في مواضع، وبه قال اسحق، لما روى ابو بردة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط الا في حد من حدود الله تعالى»[١٨].

رابعا: المالكية: يرون ان العقوبة بالجلد تعزيراً ليس فيها حد مقدر، وهذا بإجماع اهل المذهب، فيجوز التعزير بالجلد ان يبلغ به فوق الحد، فللإمام ان يزيد في التعزير دون وقوف عند عقوبة الحد مع مراعاة المصلحة غير المشوبة بالهوى، واحتج المالكية على رأيهم بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فإن معن بن زياد زور كتاباً على عمر وذهب به الى صاحب بيت المال، فأخذ منه مالاً فجلده عمر مائة جلدة فتشفع فيه قوم فضربه مائة أخرى، ثم جلده بعد ذلك مائة ثالثة، ولم يخالفه احد من الصحابة، فكان ذلك اجماعاً، كما ضرب عمر رضي الله عنه صبيغ بن عسل اكثر من الحد[١٩].

قال ابن فرحون في تبصرة الحكام: «وأما تحديد العقوبة فلا سبيل اليه عند احد من اهل المذهب، ومذهب مالك رحمه الله انه يجيز في العقوبات فوق الحد، وقد أمر مالك بضرب رجل وجد مع صبي قد جرده وضمه الى صدره، فضربه أربعمائة فانتفخ ومات ولم يستعظم مالك ذلك»[٢٠].

وقد تأول المالكية حديث أبي بردة على انه مقصور على زمن النبي ﷺ لأنه كان يكفي الجاني منهم هذا القدر وتأولوه ايضاً على ان المراد بقوله: «في حد» اي في حق من حقوق الله تعالى وان لم يكن من المعاصي المقدر حدودها، لأن المعاصي كلها من حدود الله تعالى[٢١]، ويؤيد ما ذهب اليه المالكية في رأيي قول ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ان المراد بحدود الله ما حرم لحق الله فإن الحدود في لفظ الكتاب والسنة يراد بها الفصل بين الحلال والحرام، مثل آخر الحلال وأول الحرام فيقال في الأول: ﴿**تلك حدود الله فلا تعتدوها**﴾[٢٢]، ويقال في الثاني: ﴿**تلك حدود الله فلا تقربوها**﴾[٢٣]، وان تسمية العقوبة المقررة حداً عُرْفٌ حادث وان مراد

الحديث ان من ضرب لحق نفسه كضرب الرجل امرأته في النشوز لا يزيد على عشر جلدات»[٢٤].

خامساً: ويرى الظاهرية: انه لا يزاد في التعزير بالجلد على عشرة أسواط، ودليلهم حديث ابي بردة المتقدم: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط الا في حد من حدود الله تعالى»[٢٥].

رأيي: بالنظر الى آراء الفقهاء السابقة وأدلتهم، أجدني أميل وأرجح رأي المالكية وهو ان التعزير بالجلد مفوض لرأي الإمام على حسب ما يراه من الأدلة ومقتضيات الأحوال، سواء بالنسبة للجريمة او حال الجاني فله أن ينقص عن أدنى الحدود وله ان يزيد على أعلاها، اذا كانت الجريمة ذات دلالة واضحة على عظمها وجرمها سواء في حق الدولة الاسلامية او في حق المجتمع الاسلامي، لأن التعزير يختلف باختلاف الجرائم والأشخاص والزمان والمكان، ولأن بعض الجرائم أقل خطورة من البعض الآخر، كما ان بعض المجرمين لا يردعهم جلد الحد المقرر، فعلى ذلك يترك امر تقدير الجلدات بعدد معين لرأي الامام، كما ان حجة المالكية التي احتجوا بها قوية ويؤيدها المبدأ العام في التعزير وهو ان التعزير مفوض لرأي الامام اذ ليس فيه حد معين يتقيد به الحاكم، والله الموفق.

❖ بيان الحد الأدنى لمقدار الجلد تعزيراً:

اختلف في ذلك وظهر الآتي:

أولاً: فالقدوري من الحنفية يرى ان المقدار الأدنى للجلد تعزيراً هو ثلاث جلدات، لأن ما دون ذلك لا يقع به الزجر، وعند غالبية الحنفية ان ادناه على ما يراه الامام بقدر ما يعلم ان الجاني ينزجر به، لأن ذلك يختلف باختلاف الناس فعلى الرأي الأول: «ان التعزير اذا وجب بنوع من الضرب ورؤي ان جانباً معيناً ينزجر بسوط واحد، فإنه يكمل له ثلاثة أسواط؛ لأن في ذلك أقل التعزير بالضرب وقد وجب فأكمل ما يلزم أقله، اذ ليس وراء الاقل شيء وأقله ثلاثة وعلى الرأي الثاني: انه اذا رؤي ان السوط الواحد يكفي للزجر فإنه يكتفي به دون زيادة»[٢٦].

قال الزيلعي في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: «وأقله ثلاثة أي اقل التعزير ثلاثة اسواط، وهكذا ذكر القدوري فكأنه يرى ان ما دونها لا يقع به الزجر، وليس كذلك، بل يختلف ذلك باختلاف الاشخاص، فلا معنى لتقديره مع حصول المقصود بدونه، فيكون مفوضاً الى رأي

القاضي يقيمه بقدر ما يرى المصلحة فيه»[٢٧].

ثانياً: الشافعية يرون انه ليس لأقل التعزير حد معين سواء أكان جلداً أم غيره فذلك مفوض الى رأي الامام فيجتهد فيه جنساً وقدراً وانفراداً واجتماعاً، فهم لم يحددوا أقل مقدار للجلد تعزيراً[٢٨]، جاء في المجموع شرح المهذب للشيرازي: «ولا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود، فإن كان حر لم يبلغ أربعين، وان كان عبد لم يبلغ به عشرين، لما روي ان النبي ﷺ قال: «من بلغ بما ليس بحد حداً فهو من المعتدين»[٢٩].

ثالثاً: والحنابلة يرون انه ليس لأقل عقوبة الجلد تعزيراً حد مقدر، بل ذلك يرجع الى رأي الامام واجتهاده فيما يقتضيه حال الشخص، قال ابن قدامة في المغني: «واذا ثبت تقدير اكثره فليس أقله مقدراً، لأنه لو تقدر لكان حداً ولأن النبي ﷺ قدر اكثره ولم يقدر أقله فيرجع فيه الى اجتهاد الامام فيما يراه ويقتضيه حال الشخص»[٣٠].

رابعاً: والمالكية لا يرون تقديراً لأدنى العقوبة بالجلد، قال ابن فرحون في تبصرة الحكام: «وأما تحديد العقوبة أي عقوبة التعزير فلا سبيل اليه عند احد من اهل المذهب وبالجملة، فإنها -اي التعزيرات- تختلف بحسب اختلاف الذنوب وما يعلم من حال المعاقب من جلده وصبره على سيرها، أو ضعفه عن ذلك وانزجاره اذا عوقب بأقلها»[٣١].

خامساً: وجاء في المحلى لابن حزم: «قال ابو محمد رحمه الله: فلما اختلفوا كما ذكرنا وجب ان ننظر في ذلك فنظرنا في قول من اسقط التعزير جملة ومن رأى انه يزاد فيه على عشر جلدات اذ لم يبق غير هذين القولين، اذ سائر الأقوال قد سقط التعليق بها جملة واحدة، (ثم قال ابن حزم) قال ابو محمد رحمه الله: ومن اتى منكرات جملة فللحاكم ان يضربه لكل منكر منها عشر جلدات فأقل بالغاً ذلك ما بلغ، لأن الأمر في التعزير جاء مجملاً فيمن اتى منكراً ان يغير باليد»[٣٢] فيتضح من نص ابن حزم المذكور ويفهم منه انه ليس لأقل الجلد تعزيراً حد معين ينتهي اليه.

والذي يترجح في هذا البحث انه ليس لأقل التعزير بالجلد حد معين ينتهي اليه بل ذلك يرجع لاجتهاد الحاكم وما يراه مناسباً لحال الشخص المراد تعزيره، إذ أن مبدأ التعزير في الشريعة الاسلامية مفوض لرأي الحاكم ويختلف التعزير من

شخص لآخر ويختلف ايضاً باختلاف الجرائم ومدى خطورتها على الدولة الاسلامية أو المجتمع الاسلامي او الفرد ايضاً، وقد وسع على الحاكم في اختياره العقوبة ومقدار الجلدات للشخص المعزر، فقد يرتدع شخص من سوط أو سوطين او ثلاثة، وقد لا يرتدع من ذلك، فيجلد حتى يرتدع وينزجر عن العود الى الجريمة مرة أخرى.

ويحسن بعد ان رجحت أنه ليس لأعلى عقوبة الجلد تعزيراً أو أدناها حد معين ينتهى اليه، ان أذكر خلاصة ما قاله العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري، قال: «واختلف العلماء في مبلغ التعزير على أقوال، **أحدها:** لا يزاد على عشر جلدات إلا في حد وهو قول أحمد واسحق، **والثاني:** روي عن الليث انه قال: يحتمل ان يتجاوز بالتعزير عشرة أسواط ويحتمل ما سوى ذلك، **والثالث:** ان لا يبلغ فوق عشرين سوطاً، **والرابع:** ألا يبلغ اكثر من ثلاثين جلدة، وهما مرويان عن عمر رضي الله عنه، **والخامس:** قال الشافعي في قوله الآخر: «لا يبلغ عشرين سوطاً» **والسادس:** قال ابو حنيفة ومحمد: «لا يبلغ به أربعين سوطاً، بل ينقص منه سوطاً» وبه قال الشافعي في قوله الآخر، **والسابع:** قال ابن ابي ليلى وابو يوسف: «أكثره خمسة وسبعون سوطاً» **والثامن:** قال مالك: «التعزير ربما كان اكثر من الحد اذا ادى الامام اجتهاده الى ذلك» وروي مثله عن ابي يوسف وابي ثور، **والتاسع:** قال الليث: «لا يتجاوز تسعة وأقل» وبه قال اهل الظاهر نقله ابن حزم، **والعاشر:** قال الطحاوي: «ولا يجوز اعتبار التعزير بالحدود، لأنهم لم يختلفوا في ان التعزير موكول الى اجتهاد الامام فيخفف تارة ويشدد أخرى»(٣٣).

❖ الاعتبارات التي يجب على ولي الأمر مراعاتها عند تنفيذ العقوبة بالجلد تعزيراً:

هذا المبحث مهم في تنفيذ عقوبة الجلد على المحكوم عليه، وذلك بأن يراعي الامام حال المجلود، فيشترط في ذلك ألا يؤدي تنفيذ هذه العقوبة -اعني عقوبة التعزير بالجلد- الى هلاك المجلود، لأن عقوبة التعزير شرعت للزجر كغيره لا للهلاك، فعلى الإمام ان يراعي حال المجلود، فلا يقيم الجلد في الحر الشديد ولا البرد الشديد ايضاً اذا خشي الهلاك، ولا يقام على المريض حتى يبرأ ولا على النفساء حتى ينقضي النفاس، ولا على الحامل حتى تضع، وان كان البعض يرى ان يؤخر الجلد للحامل فقط(٣٤)، ولا يؤخر الجلد للمرض او للحر او البرد ولكن يقام

بسوط يؤمن معه التلف، فإن خشي من التلف قيم بأطراف الثياب وما أشبهه مما يتحمله المحدود في الجلد سواء أكان حداً أم تعزيراً، على ذلك فلا منافاة بين الرأيين، لأن كليهما ينظر الى هلاك المجلود وان يكون التنفيذ بحيث يحتمله ولا يؤدي الى هلاكه، قال في مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج: ولا يجلد في مرض او حر أو برد مفرطين -اي شديدين- بل يؤخر الى البرء واعتدال الوقت خشية الهلاك»[٣٥]، وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: «وانتظر بالجلد اعتدال الهواء فلا يجلد في برد أو حر مفرطين، خوف الهلاك»[٣٦]، وفي فتح القدير لابن همام: «ولخوف التلف لا يقام الحد في البرد الشديد والحر الشديد، بل يؤخر الى اعتدال الزمان وهذا في البرد عند من يرى تجريد المحدود ظاهراً، لأنه قد يمرض، أما الحر فلا»[٣٧].

وفي المغني قال ابن قدامة: «ولا يقام الحد على حامل حتى تضع سواء كان الحمل زنا وغيره لا نعلم في هذا خلافاً، قال ابن المنذر: «أجمع اهل العلم على ان الحامل لا ترجم حتى تضع» (ثم قال): والمريض على ضربين، أحدهما: يرجى برؤه، فقال أصحابنا: يقام عليه الحد ولا يؤخر كما قال ابو بكر في النفساء، وهذا قول اسحق وأبي ثور (ثم قال ابن قدامة): فالمريض الذي لا يرجى برؤه فهذا يقام عليه في الحال، ولا يؤخر بسوط يؤمن معه التلف كالقضيب الصغير وشمراخ النخل، فإن خيف عليه من ذلك جمع الضغث فيه مائة شمراخ فضرب به ضربة واحدة، وبهذا قال الشافعي وأنكر مالك هذا (ثم قال ابن قدامة): وكذلك الحكم في تأخيره لأجل الحر والبرد المفرط»[٣٨]، ومراد ابن قدامة في تأخيره، اي في تأخير الحد لأجل الحر والبرد خوف هلاك المحدود بالجلد، وعندي: ان ذلك شمل تأخير الجلد تعزيراً عن المجلود اذا خيف هلاكه من البرد او الحر او المرض او خلاف ذلك.

وهكذا يتبين انه ليس لأعلى الجلد تعزيراً قدر معين ينتهى اليه، ولا لأقله قدر معين ينتهى اليه ايضاً، بل ذلك يرجع لنوع الجريمة المرتكبة كما في حادثة جريمة تزوير كتاب بيت المال على عهد عمر رضي الله عنه، والحال ان الجاني الذي لا يحتمل الجلد الكثير، يكون جلده ولو بأطراف الثوب، أو بعثكول فيه مائة شمراخ، والشريعة

الاسلامية تسعى دائماً لإصلاح الفرد والمجتمع، وليس الهدف من كثرة الجلد تعزيراً إهلاك الجاني، بل الهدف إصلاحه بالجلد ليرتدع عن الجريمة التي ارتكبها، وليكون عضواً صالحاً في المجتمع، كذلك لا تتهاون الشريعة الاسلامية في حق من ارتكب جرماً يوجب تعزيره، فيقام عليه التعزير بالجلد حسب حاله صحة ومرضاً قوة وضعفاً ذكورة وأنوثة، وهذا هو منتهى العدالة في الشريعة الاسلامية، في مجال التعزير وغيره، والله اعلم واحكم بمصالح العباد.

الهوامش:

١- الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل، ج٤، ص٢٤٢، ومنار السبيل شرح الدليل لابن ضويان، ص٢، ص٣٨١، والمهذب للشيرازي ج٢، ص٢٨٨، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج٣، ص٢٠٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ص٦٣ .

٢- المهذب للشيرازي، ج٢، ص٢٨٨ .

٣- المهذب للشيرازي، ج٢، ص٢٨٨ .

٤- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام لابن فرحون المالكي بهامش فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك ج٢، ص٢٩٣، والحديث اخرجه الامام البخاري في صحيحه، ج٨، ص٣١-٣٢، وغيره.

٥- الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، ج٤، ص٢٤٢، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٢هـ.

٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، ج٧، ص٦٣ .

٧- المحلى لأبي محمد بن احمد بن سعيد بن حزم، ج١٣، ص٤٣٢، طبع سنة ١٣٩٢هـ.

٨- الحديث مروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه وانظره في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي، ج٥، ص٣٩١، برقم ١٣٣٧٤، واخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٨، ص٣٢٧ .

٩- انظر المبسوط للسرخسي ج٧، ص٦٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، ج٣، ص٢٠٩ .

١٠- المبسوط للسرخسي ج٢٤، ص٣٥-٣٦ الطبعة الثانية.

١١- نهاية المحتاج الى شرح المنهاج لأحمد بن حمزة الرملي المشهور بالشافعي الصغير، ج٨، ص٢٢-٢٣، طبع سنة ١٣٨٦هـ، والمهذب للشيرازي ج٢، ص٢٨٨ .

١٢- المجموع شرح مهذب الشيرازي ج١٩، ص١٠٢ .

١٣- الحديث قد صح عن النبي ﷺ، فقد أخرجه البخاري في صحيحه، ج٨، ص٣١-٣٢، ومسلم في صحيحه ج٣، ص١٣٠٣- ١٣٣٣، وابن ماجة ج٢، ص٨٦٧، وابو داود ج٤، ص٢٣٢، والترمذي ج٤، ص٦٣ .

١٤- نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للرملي، ص٨، ص٢٢-٢٣ .

١٥- الحديث رواه ابو بردة وهو حديث مشهور.

١٦- المغني لابن قدامة، ج٨، ص٣٢٤، والشرح الكبير لأبي الفرج، ج٥، ص٤٩٢، وكشاف القناع عن متن

الاقناع، ج٦، ص١٢٣ .

١٧- كشاف القناع عن متن الاقناع، ج٦، ص١٢٣ .

١٨- الحديث سبق تخريجه.

١٩- تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام لابن فرحون بهامش فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، ج٢، ص٢٩٩-٣٠٠، وانظر كذلك التعزير في الشريعة الاسلامية للدكتور عبد العزيز عامر، ص٣٤٠-٣٤١، الطبعة الخامسة.

٢٠- تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام، للقاضي برهان الدين ابراهيم بن علي ابن ابي القاسم بن محمد بن فرحون المالكي المدني بهامش فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، ج٢، ص٢٩٩-٣٠٠، طبع دار المعرفة بيروت لبنان.

٢١- تبصرة الحكام لابن فرحون بهامش فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، ج٢، ص٣٠٠، وانظر التعزير في الشريعة الاسلامية للدكتور عبد العزيز عامر، ص٣٤٢، الطبعة الخامسة.

٢٢- البقرة: ٢٢٩ .

٢٣- البقرة: ١٨٧ .

٢٤- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، ص١٢٤، طبع الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٢٥- المحلى لابن حزم الظاهري، ج١٣، ص٤٨٥-٤٨٦ .

٢٦- فتح القدير لابن الهمام ٥، ص٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، ج٣، ص٢١٠، وانظر التعزير في الشريعة الاسلامية للدكتور عبد العزيز عامر، ص٣٤٣-٣٤٤ .

٢٧- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، ج٣، ص٢١٠، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٨- مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج، ج٤، ص١٩٢، وحاشية اعانة الطالبين لأبي بكر المشهور بالسيد البكري، ج٤، ص١٦٨، طبع الحلبي وشركاه.

٢٩- المجموع شرح المهذب للشيرازي، ج١٩، ص١٠١، الطبعة الكاملة.

٣٠- المغني لابن قدامة، ج٨، ص٣٢٥ .

٣١- تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام، ج٢، ص٢٩٩، الطبعة السابقة.

٣٢- المحلى لابن حزم الظاهري، ج١٣، ص٤٨٥-٤٨٦، طبع سنة ١٣٩٢هـ.

٣٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد العيني، ج٢٤، ص٢٣، طبعة دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ.

٣٤- لأن في اقامة عقوبة الجلد سواء حداً او تعزيراً عليها في حال حملها، اتلافاً لمعصوم ولا سبيل اليه، ويشمل ذلك الرجم ايضاً فلا يقام على الحامل حد الرجم حتى تضع.

٣٥- مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج، ج٤، ص١٥٥ .

٣٦- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤، ص٣٢٢ .

٣٧- فتح القدير لابن همام، ج٥، ص٢٤٥ .

٣٨- المغني لابن قدامة، ج٨، ص١٧١-١٧٣ .

المحبة حسب الهمة
كما يراها الامام ابن القيم

■ بقلم الاستاذة هديل هندم

محبة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفساً واعلاهم همة وارفعهم قدراً من لذته في معرفة الله سبحانه ومحبته والشوق الى لقائه، والتودد اليه بما يحبه ويرضاه، فلذته في اقباله عليه وعكوف همته عليه، ودون ذلك مراتب لا يحصيها الا الله تعالى، حتى تنتهي الى من لذته في أخس الاشياء من القاذورات والفواحش في كل شيء من الكلام والفعال والاشغال، فلو عرض عليه ما يلتذ به الأول، لم تسمح نفسه بقبوله ولا الالتفات اليه وربما تألمت من ذلك، كما ان الاول اذا عرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به ولم تلتفت اليه ونفرت منه.

فأكمل الناس محبة من جمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه، فهذا ممن قال الله تعالى فيه: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾**.

وأبخسهم حظاً من اللذة من تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: **﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾**.

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا في وجه المتمتع فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذي أذن لهم فيه، فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذي دعاهم اليه الهوى والشهوة، وسواء أذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة الآخرة، فلا لذة الدنيا دامت لهم ولا لذة الآخرة حصلت لهم.

فمن صدق في محبته وسعى الى دوامها والعيش الطيب فليجعل لذة الدنيا موصلاً له الى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله وإرادته وعبادته فيتناولها بحكم الاستعانة، والقوة على طلبه لا بحكم مجرد الشهوة والهوى، وان كان ممن زويت عنه لذات الدنيا وطيباتها، فليجعل ما نقص منها زيادة في لذته الآخرة ويبهج نفسه ويسرها ههنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك.

فطيبات الدنيا ولذاتها نعم العون لمن صح طلبه لله والدار الآخرة وكانت همته لما هناك، وبئس القاطع لمن كانت هي مقصده وهمته وحولها يدندن، وفواتها في الدنيا نعم العون لطالب الله والدار الآخرة، وبئس القاطع النازع من الله والدار الآخرة، فمن أخذ منافع الدنيا على وجه لا ينقص حظه من الآخرة، ظفر بهما جميعاً وإلا خسرها جميعاً.

❖ آثار ترك المعاصي:

سبحان الله رب العالمين، ففي ترك الذنوب والمعاصي اقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الله الخلق الله عز وجل وصلاح المعاش وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس، ونعيم القلب وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والغم والحزن.

وعز النفس عن احتمال الذل وصون نور القلب ان تطفئه ظلمة المعصية وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له اذا اوذي وظلم، وذبهم عن عرضه اذا اغتابه مغتاب وسرعة اجابة دعائه، وزوال

الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الانس والجن منه وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه ومصيره اليه وصغر الدنيا في قلبه وكبد الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير، والفوز العظيم فيها وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الايمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وايمانه ومعرفته وحصول محبة الله له واقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له الى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها الى روضة من رياض الجنة ينعم فيها الى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق وهو في ظل العرش، فإذا انصرفوا من بين يدي الله سبحانه، أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين و **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**.

والحمد لله رب العالمين



معالم محافظة مأدبا

صومعة الراهب بَحيرى في أم الرصاص وسوق الحجيج والبركة العظيمة في زيزياء ومكاور وقصة يحيى عليه السلام

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

أرض مأدبا سهلة فسيحة؛ وخصبة خضراء، وفيها ذكريات الأنبياء؛ كرسول الله موسى وعيسى ويحيى عليهم السلام، وآثار جبل نيبو تشهد على ذلك؛ ومن تلك الآثار:

أولاً: صومعة الراهب بحيرى في أم الرصاص:

كان الرسول محمد ﷺ قبل البعثة يمر في طريق تجارته من الأردن؛ وكان يرافق عمّه في التجارة وهو صغير؛ فقد خرج أبو طالب في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل تعلّق به، فرق له أبو طالب، وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، فصحبه، ولما بلغ الشام نزل الركبُ بقرب صومعة الراهب بحيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ولا يَعرضُ لهم، وفي ذلك العام تغيّر الحال؛ لأنه لمّا نظر من صومعته رأى عجباً؛ إذ رأى طفلاً من بين القوم، وعليه غمامة تظله.

فنزل بحيرى من صومعته، وصنع لهم طعاماً كثيراً، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم؛ صغيركم وكبيركم وعبدكم وحُرّكم؛ فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم؛ فما كنت تصنع هذا بنا! وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت؛ قد كان ما تقول، ولكنكم ضيفٌ، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاماً، فتأكلوا منه

كلكم فاجتمعوا إليه، وتخلّف ﷺ من بين القوم لحداثة سنِه؛ وبقي في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرى في القوم لم يرَ صاحب الصِفة التي يعرفها ويجدها عنده في كتبه، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي؛ قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك، إلا غلام وهو أحدث القوم سناً، فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده؛ قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما سأله باللات والعزى لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فقال ﷺ له: لا تسألني باللات والعزى؛ فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله؛ في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى: ما هو بِابْنِك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً؛ قال: فإنه ابن أخي؛ قال فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، احذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده[١].

وفي الروض الأنف: (جاء -الراهب- فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة -من الثنية- لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً؛ ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة)[٢].

هذه أشهر الروايات[٣] في قصة الراهب بحيرى، وقد وردت بأسانيد متعددة، وصححها العلماء، قال العجلوني[٤]: (قال البيهقي: هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى لها شواهد).

وقد صحت هذه الحادثة؛ إذ رواها من الصحابة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ومن التابعين أبو مجلز؛ والروايات رواها الترمذي وأبو نعيم في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن سعد في الطبقات الكبرى.

وفي تاريخ دمشق ذكر ابن عساكر أن الراهب بحيرى (كان يسكن البلقاء بقريةٍ يقال لها: ميفعة وراء زيزاء، وأنه توفي قبل بعثة النبي ﷺ)[٥]؛ هكذا قال ابن عساكر، وتعرف اليوم بأم الرصاص، وفيها آثار كثيرة، ومنها صومعة الراهب المذكورة والله تعالى أعلم.

ثانيا: سوق الحجيج والبركة العظيمة في زيزياء (الجيزة):

الزِّيزاءُ في اللغة العربية هي الأَكَمَةُ الصغيرة[٦]، وهي أرض فسيحة مفتوحة؛ بجوار مأدبا، كانت محطة استراحة لحجاج بيت الله، قال ياقوت: (زَيْزَاءُ من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج، ويقام بها لهم سوق، وفيها بركة عظيمة)[٧]، ويُذكر أن الذين بنوها قبيلة المصري؛ يقال: (إنهم أعقاب من تخلف من جيش إبراهيم باشا[٨] بعد انسحابه من فلسطين، كانوا يقطنون سابقا غزة، ورحل قسم منهم إلى شرقي الأردن، وشرعوا في استثمار الأرض التي بجوار مأدبا، ثم بنوا عليها قريتي زيزياء، وسحاب[٩])، فقام بتجهيز أربعة ألوية لأربعة قادة وأمرهم أن يسلكوا طرق القوافل؛ حيث سلك أبو عبيدة طريق وادي القرى ثم ذات المنار، ومنها إلى معان، ثم إلى مؤاب حيث التقى مع الروم بين زيزياء وعمان وانتصر عليهم.

ازدهرت زيزياء في العصر الأموي كغيرها من مناطق البادية؛ فقد كانت من المنازل المشهورة على طريق الحجاج، وكان الوليد في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يتخذ منها مكانا للصيد والنزهة، وينزل على بركة زيزياء.

بقى الحجاج في العصر القديم يمرون بها للتزود بالماء، وتتخذ شكلاً شبه مستطيل؛ تبلغ أبعاده (٨٧٧٤) متراً بينما يبلغ عمقها ١٧,٥ قدماً، وتتقدمها مصفاة لتنقية المياه من الترسبات الطينية قبل دخولها إلى البركة، وما تزال هذه البركة بحالة جيدة إلى يومنا هذا.

ثالثاً: وادي الموجب: وادي الموجب عميق؛ يفصل بين محافظتي مأدبا

والكرك:

وقد وصف الإدريسي الطريق إلى مؤتة فقال: (تمرّ منها إلى عمان فيما بين شعبي جبل؛ يقال له: الموجب، وهو واد عظيم عميق القعر، ويمر فيما بين هذين الشعبين، وليسا بمتباعدين، وذلك يمكن أن يكون بمقدار ما يمكن أن يكلم إنسان إنساناً وهما واقفان على ضفتي النهر فيسمع بعضهما بعضاً، ينزل فيه السالك ستة أميال ويصعد ستة أميال أيضاً)[١٠].

رابعاً: قلعة مكاور وقصة رسول الله يحيى عليه السلام:

رسول الله يحيى ابن رسول الله زكريا عليهما الصلاة والسلام، يتصل نسبه بوالده اتصالاً ثابتاً في القرآن الكريم، إذ اقترن اسمه باسم والده فيه، كما اقترنت قصته بقصته أيضاً، ويسميه النصارى يوحنا المعمدان.

وقرية مكاور هي قرية صغيرة تقع جنوب غرب مدينة مأدبا، وترتفع ٧٣٠م عن سطح البحر، وتطل على البحر الميت، ضمن منطقة مترامية بالتلال والهضاب والوديان، وبنيت القلعة سنة ٩٠ قبل الميلاد؛ لتكون حصناً منيعاً؛ لصد غزو الأنباط العرب، اتخذها هيرودس بداية القرن الأول للميلاد قصراً للاستجمام والراحة، ولم يبق اليوم غير بقايا القلعة، وهي مشهورة بأسوارها، وأبراجها، وقنواتها، وأعمدتها، وضخامة حجارتها، وقد عثر فيه على أقدم قطعة فسيفسائية في الأردن، ويعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، وتعود شهرتها إلى الاعتقاد بكونها المكان الذي سجن فيه يحيى عليه السلام، وقطع هيرودس رأسه، بما يعرف بـ"المشنقة"، وكان قد بدأ بدعوته من منطقة المغطس حيث كان يقيم عليه السلام، وأما قصة قتله فقد كانت عبارة عن هدية من الملك هيرودس لزوجته؛ إذ كان يريد أن يتزوج بنتها، فأبى يحيى عليه السلام، فغضبت واستوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه، وفار دمه، وظلّ دمه يفور حتى قُتل عليه من بني إسرائيل الكثير، وانتقم الله منهم، ولعل هذه القصة مذكورة في أكثر كتب التاريخ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١١]، واختلف المؤرخون في مكان قتله[١٢]، ولا ينفي أن تكون قصة الذبح قد حدثت في مكاور، كما لا تنفي أن يكون عاش في مكاور أو فيما جاورها، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

١- سيرة ابن هشام ١/١٨٠.

٢- الروض الأنف للسهيلي ١/٣١٢.

٣- الترمذي ٤/٤٩٦، دلائل النبوة للبيهقي ١/٤٠٧، والحاكم في المستدرك ١٢/٦١٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/١٨٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٢٠ .

٤- كشف الخفاء ١/١٤٠ .

٥- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢/ ١٦٣.

٦- لسان العرب ٥ / ٣٥٨.

٧- معجم البلدان ٢ / ٤١٢.

٨- إبراهيم (باشا) المذكور في النص قائد، من ولاة مصر، وأصله تركي، أرسله محمد علي سنة ١٢٤٧هـ بجيش إلى سورية، فاستولى على دمشق وحمص وحلب، وانقادت له بلاد الشام، وفي سنة ١٢٥٤هـ تولى السلطان عبد المجيد، فاتفق مع الانكليز على إخراج إبراهيم من سورية، فانتهى الأمر بخروجه وعودته إلى مصر توفي سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م.

٩- تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص٢٥١، معجم قبائل العرب كحالة ٣/١١٠٤ .

١٠- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٣/١١٤ .

١١- قصص الأنبياء ابن كثير٢ /٣٦٢.

١٢- تاريخ الطبري ٢/١٥ والبداية والنهاية ٢/٦٦ .



فلله كم يعطي الكريم لنفسه

بقلم الدكتور عبد الرحمن الساريسي

قضى البين ما بيني وبين رفيقتي وخلف صدعاً في القلوب وصدَّعا
وطيّـــر مــا كــان النفـــوس رأت به سعـــادة دنيـــاها، فـــأغنى وأقنعا
ولَكِنمــــــا الأيام تبـــــــدو رزية اذا كنت فيــهــا لاهيـاً متـمـتـعـا
فــإن انت أُبعـدت عنهـا تبـينت حقيقتها الكبرى فعشت ملذعا

❖ ❖ ❖

وعشنا على الأيام لوناً من الهوى يعـــز عليـــهـــا ان يعـــاد بناؤها
فـهـبت رياح الفـقـر بيني وبينهـا وأنهت حيـاة كـان شـهـداً شـرابها
وراحت وراح الشهد والحب والهوى ولم يبق الا السـهـد في أعـقـابها
فهل يا ترى يا رب اقضي بجنبها بـآخـــرة الجنـات، والنعـــمى بهـــا؟

❖ ❖ ❖

تهـيئ مـا أبغي من الأمـر مسبـقاً وتســبغ جـــوا في الهناء وتصلح
قليل من النفـقـات يكفي لبيـتـهـا وتصنع منهـــا مـــا يلذ ويفـــرح
وان انت لم تنفذ الى البيت ما رأت تجد عنك عذرا في الحديث وتمزح
فلله مــا كـــانت تراعي مطالبي! وتصـغي لما تحكي العيـون وتلمح

❖ ❖ ❖

وكم حــملت مني شــقـــاوة ناظر يرى ابويه دائمــاً، قـــبل نفـــســـه
ويتـــعـــبـــهـــا دوماً اذا لم تكن لهـمـا كـأنهـمـا من بعض غـرســه
وان سمـعـت من عمهـا لفظ جارح تســامح من أجلي، لا تبيع بأنسه
وكــــانت لأمي مـــثل بنت حنونة فلله كم يعطي الكريم لنفـــســـه!

يعـذبني مـا كنت اقـسـو بأمـرها | فـمـا هـي الا لحظة ثم تبـتـسـم
وان عـاتبت من بعد وقت وحاسبت | ففي نظرة في العين أحلى من النغم
وكنت كـثـيراً مـا أرى دمـعـهـا الذي | يخــالـط وضــعــاً لا بكاء ولا ألم
مـفـاجـئـة تخـتـار في إخـبـارها | ولله مـا كـانت مـفـاجـأتهـا تلم!



وان غـبت عن بيـتي لأمـر يخـصني | فلا تلحق التسآل بالبحث عن أمري
وان عدت والضيف الكريم بصحبتي | فلم ألق الا الود فـي السـر والجهـر
وان كـان بيـتي ضـيـقـاً لمبـيـتـه | ففي مطبخ البيت تنام وتستمري!
لها الله من زوجة صبور لزوجها! | فهل توسع الجنات، يا رب، للصبـر؟



سـلام عليـهـا من قلوب تجـرحت | ومـا مـثل قلبي قـد تجـرح بعـدها
سـلام عليـهـا من نسـاء عـرفنها | وأقـسـمن مـا راقت لديهن مـثلها
لقد كان منها البيت في مثل كعبة | ومـجـمع خـلان تجـمـعن حـولهـا
ويلقـيـنهـا في حين بئـر سـرائر | ويلقينها في حين أهلاً من أهلها



سلام عليها، أيا رب، من قلب مدنف | تقلب فـي نعـمـائهـا وشـقـي بهـا
سلام عليها، أيا رب، من حسن عشرة | مكملة في الحب عندي وعندها
فلم يرتفع يومـاً حـديث بصـوتهـا | ولم يستمع ضيفي لصوت حديثها
ولم ترتفض لي في حـديثي كلمـة | ومـا ضـايقـتني في أمـور تسـوؤها



فأعوامها الخمسون كانت كأنها   سويعات أنس في هناء وفي لعب
ولم يخل بيت من هناء وشقوة   كمثل غيوم الصيف تتجم في الدرب
وإن رغبت في مثل ما تطلب النسا   فبالهون والحسنى، ومن دون ما صخب
وإن لاحظت اني بضيق وعسرة   ترخص بما تلقى يداها من الذهب



وقد حسّن الخلاق في الحسن حسنها   كما كمل الرحمن حسن خلاقها
فما جزعت يوماً بهم اصابها   ولا مرض معي يهز صوابها
فلم تضعف الامراض قوة صبرها   وظلت مع الشافي تجيل ثوابها
وجاءت مع الانسام في لطف روحها   وراحت مع الارواح تغلق بابها



وقد نسل الرحمن منها أحبة   عزاء وسلوى عند فقد الأحبة
ثلاث بنيات وشهما أخاهم   به تطرد الأحزان عند البلية
وقد نسل الرحمن منهم اعزة   كمل فضاء الناس دون الرزية
ونحن جميعاً نلتقي في دموعها   ونجأر للرحمن في فضل رحمة



اليك إله العرش، أرفع دعوتي   بحسن قبول ترتضيه لمثلها
فقد أمضت الستين في الدين والتقى   وكل فعال الصدق من أفعالها
وكانت ترجّي الخير في كل حالة   لكل عباد الله في احوالها
فيا رب، يا معبود، أحسن ثوابها   بجنات عدن لا تزال ديارها



التوجيه الإسلامي الصحيح عقيدة وسلوكا

■ بقلم الأستاذ عبد الله محمد أبو زيد

إن الدعاة إلى الإسلام بأمس الحاجة إلى منهج واضح، يبين لهم طريق الدعوة الإسلامية، وكيفية مخاطبة الناس، وإلى منطلقات فكرية يصدرون عنها في نطاق دعوة الناس إلى الإسلام، بحيث يتحقق معها الوضوح لأبعاد الطريق وخصائصه ومواصفاته، فلا يتخبطون بعدها خبط عشواء، أو يسيئون الى الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

❖ مكانه الدعوة إلى الله:

إن التوجيه إلى عقائد الإسلام وأحكامه المعتدلة ضرورة شرعية، والدعوة الى الإسلام اشرف الإعمال، قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قولاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالحاً وَقَالَ إِنَّنِي من المُسْلِمِينَ﴾**(١) وبينت السنة النبوية أن الإيمان يتفاوت بتفاوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن رَأى مِنكُم مُنكَراً فَليُغَيِّرْهُ بيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ»(٢)، فالدعوة الإسلامية ضرورة شرعية لبناء الشخصية السوية، التي تمثل الإسلام عقيدة وأخلاقا وسلوكا، ولتكوين المجتمع الذي يلتزمه فكرا وسلوكا لإقامة الحق والعدل في الحياة، **فالإسلام يسعى لتحقيق غايات، ونيل مرتبات، ومن أهمها:**

١ . بيان أن الدين ضرورة إنسانية واجتماعية من جهتين: الأولى: أنه

رحمة الإنسان كي ينسق بين حاجات نفسه المختلفة، والثانية: رحمة الإنسان بأخيه الإنسان.

٢ . معالجة قلق الإنسانية ونكدها وأمراضها، ومعالجة أسباب تلك العلل والأمراض النفسية من المخدرات والمسكرات ونحوها.

٣ . مواجهة تحديات العصر، ومؤمرات أعداء الإسلام، والموجات الإلحادية التي تستهدف الوجود الإسلامي بالاستئصال والزوال.

٤ . معالجة الفكر المتطرف، ومقاومة الغلو في الدين.

❖ الأسلوب السليم في توجيه الناس:

يجب أن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمراد بالحكمة الدليل الموضح للحق، المزيل للشبهة، وأما الموعظة فهي الكلام المرقق للشعور، المقنع، الذي رسم الإسلام المنهج والطريقة المثلى في شرح حقيقة الإسلام، وبيان أغراضه ومراميه، وإذ الحق وحده لا يستوي قائما أمام إغواء الشيطان، وغرائز الإنسان الفطرية التي تدعوه الى التحلل، قال الله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسنة وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[٣]، وإن المتأمل يرى أن الاسلام قد راعى الفطرة البشرية، وما جلبت عليه النفس من ميول، ولا شك أن ذلك منتهى الحكمة و الرحمة.

لقد كان خطاب الله وخطاب نبيه ﷺ للناس ملامسا للعقل وللقلب وللنفس، ولذلك اثمر الخطاب حياة مستقرة آمنة؛ قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[٤]؛ فتكون حياتنا رفيعة، ومتميزة بالقدر الذي نفيد فيه من خطاب الله تعالى وخطاب الرسول ﷺ.

إن الكلمة الطيبة، و القول السديد الحسن، والحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، واليسر والبعد عن التعقيد، سمات للخطاب الإسلامي الأصيل، الذي درج عليه الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون من بعدهم، لأنه خطاب العقل والعلم والحكمة والحوار بالحسنى، وتوضح ذلك الحقائق الإسلامية الآتية:

١ . كلمة الاسلام هي الكلمة الطيبة، قال تعالى: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت**

وفرعها في السماء﴾[٥] وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يحييكم، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون﴾**[٦].

٢ . الحكمة تقي مصارع الشر وتدفع غوائل الدهر، قال الله تعالى: **﴿يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**[٧].

٣ . حب الخير للبشرية ودعوة غير المسلمين للاعتدال، قال الله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[٨].

٤ . الحث على الشورى وعدم الانفراد والاستبداد، قال الله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين﴾**[٩].

٥ . التمسك بالقول السديد والتقوى، قال الله تعالى: **﴿فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾**[١٠].

٦ . الرحمة الشاملة للبشرية كافة، قال الله تعالى: **﴿وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين﴾**[١١].

٧ . اليسر والبعد عن التكلف والتعقيد، قال الله تعالى: **﴿قل مآ أسألكم عليه من أجر ومآ أنا من المتكلفين﴾**[١٢].

٨ . اللين والتسامح، قال الله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾**[١٣] وهذه هي القاعدة العامة؛ لا يستثنى منها الا حالة الاصرار على الكفر والاستهزاء بالاسلام؛ فهؤلاء يجب تغليظ القول لهم، بغير فحش، ولا قذف، ولا سباب ولا لعن، بل كما في قول إبراهيم عليه السلام لقومه، قال الله تعالى: **﴿أُفٍّ لَكُمْ ولما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**[١٤].

❖ ثمار الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

لا شك ان مرعاة الحكمة في الخطاب، والوعظ بالحسنى، والمجادلة بالتي هي احسن تؤتي اكلها، ومن ثمارها:

١- حب الدين واهله؛ فالالتزام بالسمات العامة للتوجيه الاسلامي يأسر قلوب

السامعين، ويزيد في محبة الدعوة الى الله تعالى في قلوبهم.

٢- كسب الانصار، والالتفاف حول الدعوة، فتنتشر الرسالة شيئا فشيئا.

٣- ايصال الكلام الى القلوب بمهارة، فقد وعظ رجل المأمون بغلظة؛ فقال له المأمون: يا هذا إن الله بعث من هما خير منك الى من هو شر مني فقال لهما: **﴿فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**[١٥].

٤- تقديم الاسلام بصورته المشرقة؛ التي امر الله تعالى بها الناس اجمعين؛ والتي اكدتها ودعت اليها رسالة عمان.

❖ مخاطر العنف والغلظة في الدعوة:

إن استخدام اسلوب الغلظة والعنف وعدم الحكمة يؤدي الى الانفضاض والنفور؛ لأن الناس لا يطيقون الشدة، ويحبون التلطف بالقول، واللطف كفيل أن يثير رغبة المدعو الى السماع، وأن يقمع نوازع الشر، قال رسول الله ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد، وأسرع اليه الناس: «لقد حجرت واسعا[١٦]، اهريقوا عليه سجلا من ماء، أو دلوا من ماء، ثم قال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[١٧].

ومن مخاطر العنف انه يؤدي الى توتير الاجواء، ويعمل على صناعة مناخ يؤهل للتطرف، لان المرء المأزوم بمعاناة واقعية يصعب عليه ان يكون معتدلا، حتى لو كان مقتنعا بضرورة الاعتدال، فسيفهم الاعتدال حينئذ بطريقة مختلفة؛ وما إفشاء السلام وممارسته سلوكيا في البيت والمؤسسات والمجتمع، إلا لإيجاد المحضن الفطري للاعتدال وإقصاء مفاهيم التطرف.

إن هذه المخاطر وامثالها تبرر للهجمات التي تهدف الى تشويه صورة الاسلام، والاساءة الى المسلمين، وباتت تستغل في ذلك ابشع استغلال.

❖ صور من سماحة الاسلام واثرها في التوجيه السليم:

إن السماحة تعني السهولة واللين؛ في التعامل مع الاخرين، والرفق بهم، والتجاوز عن اخطائهم، ولقد ارسى الاسلام عبر العصور احسن القواعد للعلاقات الانسانية بين الافراد والامم والشعوب، بغض النظر عن الاختلاف في العقيدة، او الجنس او اللون على قاعدة التسامح والحوار مع الاخرين والرحمة بهم والعطف عليهم.

١ . صور من القران الكريم:

لقد حفل القران الكريم بدعوة ==

المسلمين الى التسامح، فلم يمنع المسلمين من البر لغير المسلمين قال الله تعالى: **﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[١٨] وأمر الله بمجادلة المخالفين بالحسنى؛ قال الله تعالى: **﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[١٩] وأمر الله سبحانه النبي ﷺ ان يجير المشرك إذا لجأ إليه، واحتمى به، وهذه سماحة ما بعدها سماحة؛ قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾**[٢٠].

٢ . صور من سيرة رسول ﷺ:

أ- كان لرسول الله ﷺ جيران من أهل الكتاب، فكان يتعاهدهم ببره، ويهديهم الهدايا، ويتقبل منهم الهدايا، حتى أن امرأة يهودية دست له السم في ذراع شاة أهدتها إليه، وكان من عادته أن يقبل الهدية، ويحسن الجوار.

ب- همَّ فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: (أفضالة!) قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: (ماذا كنت تحدث به نفسك؟) قال: لا شيء كنت اذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: (استغفر الله)، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء احب الي منه، قال فضالة: فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها، فقالت: هلم الي الحديث، فقلت: يأبى عليك الله والاسلام[٢١]. ويجب أن نعلم ان تسامح رسول الله ﷺ مع فضالة كان في حق من حقوقه ﷺ، اما اذا كان في حق من حقوق الله فلا يملك التسامح فيه الا الله تعالى.

والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الاسلامية من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرائه وولاته وتلامذتهم من التابعين وتابعيهم، يرى انهم كانوا احرص الناس على الرفق والسماحة، في تنفيذ العهود، والمصالحات، مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين بصدق واخلاص، نتيجة لما رأوه من العدالة والرحمة في معاملة المسلمين لهم.

ولقد ظل التسامح مبدأ اسلاميا، ولما ابتعد الناس بعد ذلك عن دينهم ظهر

العنف، وبرزت القسوة، وبقدر الابتعاد عن التسامح كان القرب من التطرف والغلو، ولذلك كان الإسلام بمبادئه الناصعة السمحة محطا لتقدير كل المنصفين ممن لم يلتزم ويؤمن به.

❖ التمسك بالثوابت الإسلامية:

ظل القران المكي ينزل عى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاما يحدثه عن قضية العقيدة البعيدة عن الشوائب، ولم يتجاوز القران المكي هذه القضية الأساسية إلى النظام الإسلامي والشرائع إلا بعد ان قضت مشيئة الله تعالى انها قد استوفت ما تستحقه من البيان، وأنها استقرت استقرارا مكينا في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، وهكذا ينبغي ان تطول مرحلة بناء العقيدة، وان تتم خطوات البناء على مهل، وفي عمق وتثبت، ولقد خرَّجت هذه الدعوة الإسلامية جيلا قرانيا فريدا مميزا، لأنه استقى أول ما استقى من نبع القرآن الكريم وحده، ثم من حديث رسول الله ﷺ.

وأما في العهد المدني فكان التركيز أولا على ما سبق في الفترة المكية، من امور العقيدة وأركان الإسلام، إضافة إلى تشريعات لتطمئن النفوس، ويحلو التوجه، ويستقر الإيمان في الجنان.

لقد أمر الإسلام بأفعال متفاوتة المراتب، فهناك فرق بين الفرض والسنة، وبين الواجب والمستحب والمباح، ونهى عن اشياء متفاوتة المراتب ايضا، فمنها الحرام والمكروه، وينبغي للمسلم ان يفرق بين هذه المراتب، لان الخلل في التفريق يوقعه في الافراط او التفريط، فمن عظم اليسير وبالغ فيه وقع في الغلو، **ومن نتائج عدم التفريق بين مراتب المطلوبات والمنهيات ما يلي:**

١ . عدم العلم بمراتب الاحكام، والخلط بينها.

٢ . التركيز على السنن والمستحبات، لا على الفرائض والواجبات.

٣ . التشدد في غير محله، وعدم مراعاة أولويات الدين، فيبدأ بالجزئيات قبل الكليات، وبالفروع قبل الاصول، وغياب فقه الأولويات آفة، وقد تثار معركة من اجل نافلة، او من اجل شكل، او هيئة دون اعتبار للمضمون.

والخلاصة: أن المنهاج القويم في التوجه يجب أن يستمر من قوله تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٢٢].

الهوامش:

١- سورة فصلت ٣٣ .

٢- مسلم : كتاب الايمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

٣- سورة النحل ١٢٥ .

٤-٥- سورة الانفال ٢٤ .

٦- سورة إبراهيم ٢٤ .

٧- سورة البقرة ٢٦٩ .

٨- سورة آل عمران ٦٤ .

٩- سورة آل عمران ١٥٩ .

١٠- سورة النساء ٩ .

١١- سورة الأنبياء ١٠٧ .

١٢- سورة ص ٨٦ .

١٣- سورة آل عمران ١٥٩ .

١٤- سورة الانبياء ٦٧ .

١٥- سورة طه ٤٤ .

١٦- البخاري : كتاب الادب، باب الرفق في الأمر كله .

١٧- الترمذي : أبواب الطهارة باب ما جاء في البول يصيب الأرض .

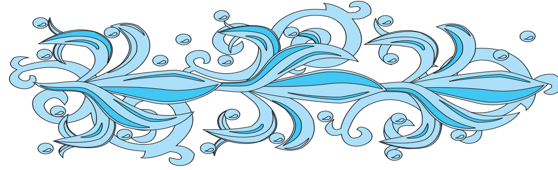
١٨- سورة الممتحنة ٨ .

١٩- سورة العنكبوت ٤٦ .

٢٠- سورة التوبة ٦ .

٢١- زاد المعاد ابن القيم ٣٢٢/٢ .

٢٢- سورة يوسف ١٠٨ .



منزلة الدعاء في الاسلام

■ بقلم الاستاذة اميره عبد الله

قال الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ وقال سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾، وقال رسول الله ﷺ: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾، وقال ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء».

لا يزال المؤمن بخير ما تعلق قلبه بربه ومولاه، وثمة عبادة هي صلة العبد بربه، وهي أنس قلبه، وراحة نفسه.

ويتقلب الناس في دنياهم بين أيام الفرح والسرور، وأيام الشدة والبلاء، وتمر بهم سنين ينعمون فيها بطيب العيش، ورغد المعيشة، وتعصف بهم سنين أخرى عجاف، يتجرعون فيها -والعياذ بالله- الغصص أو يكتوون بنار البُعد والحرمان.

ففي زمان الحضارة والتقدم، في كل يوم يسمع العالم باختراع جديد، أو اكتشاف فريد في عالم الأسلحة، على تراب الأرض، أو في فضاء السماء الرحب، أو وسط أمواج البحر، وإن السلاح هو عتاد الأمم الذي تقاتل به أعداءها، فمقياس القوة والضعف في عُرف العالم اليوم، بما تملك تلك الأمة أو الدولة من أسلحة أو عتاد.

ولكن ثمة سلاح لا تصنعه مصانع الغرب أو الشرق، إنه أقوى من كل سلاح مهما بلغت قوته ودقته، والعجيب في هذا السلاح أنه عزيز لا يملكه إلا صنف واحد من الناس، لا يملكه إلا المؤمنون الموحدون، إنه سلاح رباني، سلاح الأنبياء والأتقياء على مرّ العصور.

سلاح نجى الله به نوحًا عليه السلام فأغرق

قومه بالطوفان، ونجى الله به موسى عليه السلام من الطاغية فرعون، ونجى الله به صالحًا ويونس وايوب، وأهلك ثمود، وأذل عادًا وأظهر هوداً عليه السلام، وأعز محمدًا ﷺ في مواطن كثيرة.

سلاح حارب به رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، أعتى قوتين في ذلك الوقت: قوة الفرس، وقوة الروم، فانقلبوا صاغرين مبهورين، كيف استطاع أولئك العرب العزَّل أن يتفوقوا عليهم وهم من هم، في القوة والمنعة، ولا يزال ذلكم السلاح هو سيف الصالحين المخبتين مع تعاقب الأزمان وتغير الأحوال.

فقد جعل الله تعالى من الدعاء عبادة وقربى، وأمر عباده بالتوجه إليه لينالوا عنده منزلة رفيعة وزلفى، أمر بالدعاء وجعله وسيلة الرجاء، فجميع الخلق يفزعون في حوائجهم إليه، ويعتمدون عند الحوادث والكوارث عليه.

❖ من آداب الدعاء واسباب الاستجابة:

أولاً: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، وبين الأذان والإقامة وغيرها.

روى الترمذي وأبو داود وأحمد في مسنده ـ وحسنه ابن حجر ـ أن أنسًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة».

ثانيًا: أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، اثناء السفر.

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

ثالثًا: أن يدعو مستقبلاً القبلة رافعًا يديه مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإنَّ حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه، قال تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾** البقرة: ١٨٦ .

ذكر ابن حجر عن بعض الصحابة في معنى قوله تعالى: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾** الإسراء: ١١٠، أي لا ترفع صوتك في دعائك فتذكر ذنوبك فتُعير بها.

رابعًا: الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

قال الله تعالى: **﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدًا وسبحوا**

بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ❖ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ❖ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ السجدة: ١٤- ١٦ .

أخرج الترمذي والحاكم -وقال: حديث مستقيم الإسناد- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه).

خامسًا: أن يلح في الدعاء ويكون ثلاثًا ولا يستبطئ الإجابة، قال تعالى: **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾** النمل: ٦٢، وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي».

سادسًا: أن يفتتح الدعاء ويختمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

قال سبحانه: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** الأعراف: ١٨٠، وأخرج النسائي وابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك.. فقال النبي ﷺ لأصحابه: (تدرون بم دعا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى).

سابعًا: التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكل الهمة، وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة، وتحري أكل الحلال، كما قال الغزالي رحمه الله.

أخرج الطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد، فليكثر من الدعاء في الرخاء».

قال الأوزاعي رحمه الله: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: (يا معشر من حضر: ألستم مقرين بالإساءة؟، قالوا: بلى، فقال: اللهم إنا سمعناك تقول: **﴿ما على المحسنين من سبيل﴾** التوبة: ٩١، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم اغفر لنا، وارحمنا واسقنا)، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقوا.

والحمد لله رب العالمين

خلق القناعة في الاسلام

■ **بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي**

القناعة: هي الرضا بما قسم الله تعالى للمرء من متاع الحياة الدنيا، وعدم النظر الى ما للغير، فليس للحياة بدون قناعة لذة، ولا من غير رضا قيمة وما ضاقت الدنيا الا في وجه من اتخذ الجشع طبعاً، والحرص ديدناً، ولا عاش سعيداً إلا من كان الرضا حليفه والزهد قرينه، قال الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» رواه البخاري، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «اذا نظر أحدكم الى من فضِّل عليه في المال والخَلق، فلينظر الى من هو أسفل منه» رواه البخاري.

ان الانسان في طبيعة خلقه مجبول على موازنة نفسه وأحواله بغيره من الناس وأحوالهم، فإذا هو استثمر طبيعة نفسه هذه في النظر الى من فضل عليه في المال او في الخلق، عاد عليه بالضرر وكفران ما هو فيه من نعم الله، وربما حسد من رآه أفضل منه وحقد عليه، الى ما هنالك من

مرذول الأخلاق!.

وطريق التـــخلص من هـذا الداء وهـذه الأدواء، هو اتبـاع مـا ارشـد اليـه النبي ﷺ بأن ينظر الى من هو أسفل منه! نعم هذا هو الداء وهذا هـو الدواء، نظرة خـاطفـة دواؤها نظرة صائبة.

قال علي كرم الله وجهه: «من رضي بما قُسم له، اسـتراح قلبـه وبدنـه»، وقال بعض الحكمـاء: ان مـن قنـع كـان غنيـاً، وان كـان مـقـتـراً، ومن لم يقنـع كان فـقـيـراً وان كـان مكثـراً، وقـال آخـر: اجـعـل مـا طلبتـه من الدنيـا فلم تنله مثل مـا لم يخطر ببـالك فلم تقله.

وقـــال بعـض الصلحـــاء: يا ابـن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائن الله مـلآنة، وخـزائنه لا تنفـد أبداً، ولا تـأنس بغيـر الله فـإن أنست بغيـره تعـالى فـاتك الخير كلـه، وارض بما قسم الله لـك فتريح قلبك وبدنك، ولا تطالبـه برزق غد، كمـا لا يطالبك بعمل غد، فإنه لا ينسى من عصاه فكيف ينسى من اطاعه، وهو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط.

قال الشاعر:

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل
حزيناً على الدنيا رهين غبونها
وإذا شئت ان تحيا سعيداً فلا تكن
على حالة الا رضيت بدونها

وقال غيره:

ورأيت اسباب القناعة أكدت
بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا
فإذا بنا في منزل جاوزته
وجعلت من غيره لي منزلا
وإذا غلا علي شيء تركته
فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال آخر:

كفى من العيش ما قد سد من عوز
ففيه للمرء قنيان وغنيان
وذو القناعة راض من معيشته
وصاحب الحرص ان أثرى فغضبان

والحمد لله رب العالمين

كيفية معالجة الإسلام للظروف الطارئة على العقود

■ بقلم الأستاذة روان منور الفقراء

تمتاز الشريعة الإسلامية بالمرونة والتجدد، وتعالج أي تغير يطرأ على غير الطبيعة المعتادة، وفي هذا الزمن كثر التغير والتحول على العقود وغيرها بسبب ما تفرضه ظروف هذا العصر، أو ما تفرضه أقدار الله في أرضه من الكوارث والزلازل وغيرها، فيحصل هناك ظرف طارئ على العقد والالتزام أو الاتفاق بين الأشخاص، فما هو موقف الشريعة من أي تغير على العقود والالتزام بين أطراف العقد؟ وهذا هو موضوع البحث.

● **معنى الظروف الطارئة:**

الظروف في اللغة: جمع ظرف، ومعناه دائر على وعاء الشيء[١].

ومن ذلك إطلاق الظرف على الحال[٢] فالظروف: الأحوال.

أما كلمة الطارئة: فهي مؤنث الطارئ؛ اسم فاعل من طرأ. ومعناها (الداهية التي لا يعرف من أين أتت)[٣].

فالظروف الطارئة في اللغة: هي الأحوال النازلة العظيمة التي لا يعرف من أين أتت ولا كيف حصلت.

أما الفقهاء فلم يستعملوا هذا المصطلح في مؤلفاتهم وكتبهم فيما وقفت عليه"الباحثة". وقد جرى استعمال هذا المصطلح عند علماء القانون.

والظروف الطارئة في علم القانون: هي الحوادث الاستثنائية العامة التي ليس في الوسع توقعها عند إبرام العقد، ويترتب على حدوثها أن يصير تنفيذ الالتزام مرهقاً للمدين بحيث يهدده بخسارة

كبيرة[٤].

● **نظرية الظروف الطارئة في الشريعة والقانون:**

إذا كان الفكر الغربي يتباهى بأنه قد صاغ النظريات الحديثة، إلا إن الفقه الإسلامي قد تمكن منذ أمد بعيد من التوفيق بين مصالح الفرد والجماعة بطريقة عجزت عنها القوانين الوضعية، والدليل والبرهان على ذلك، كثرة هذه القوانين وكثرة إجراء التعديلات فيها باستمرار حتى صار التعديل فيها سمة بارزة، وهذه التعديلات لتواجه ما لم تستدركه من حالات حال صدورها، في حين أن القواعد الكلية للتشريع الإسلامي ومبادئه العامة، ما زالت وستظل قائمة توفي بحاجات البشر من خلال اجتهاد الأئمة المسلمين وفقهائهم.

والفقه الإسلامي قرر مبدأ "الطوارئ" لهذه النظرية، وأنا كباحثة اسميها (إسعاف العقد) لأن العقد يتهدده خطر لأحدى الطرفين، وكان رائد هذه النظرية نصوص من القران والسنة النبوية والقواعد الفقهية المستنبطة منها.

فالدين الحنيف لا يقرر العنت ولا يرضى بالعسر والمشقة، بل إن أحكامه ومبادئه فيها مظاهر كثيرة للتوسعة على المكلفين والتخفيف عنهم.

أولا: من القرآن الكريم، فقد أباح الشارع أكل الميتة -وهي في الأصل محظورة ومحرمة- عند الضرورة.

أ- لقوله تعالى: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٥].

ب- وقال تعالى: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**[٦].

ج- وقوله تعالى: **﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[٧].

- وكثير من الآيات التي تدل على رفع الحرج والمشقة:

ثانيا: من السنة، نهضت أدلة كثيرة تدل على وجوب رفع الضرر عن الناس من باب الرحمة والتيسير بهم ورفع المشقة عنهم.

أ-عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[٨]، وهذا الحديث يعتبر من مبادئ الإسلام الذي رتب عليه الفقهاء كثيراً من الأحكام الشرعية.

وأنا لا أريد أن أبين أوجه الالتقاء والاختلاف بين الظروف الطارئة كما عالجها الإسلام، والنظرية كما عالجها القانون الوضعي، إلا أن الفقه الإسلامي

ليس كالقانون الوضعي الذي يأخذ قالباً شكلياً، بينما في الفقه الإسلامي نجد أنه فقه عملي ينفر من الشكليات، لذلك جاءت معالجة الظروف الطارئة في الإسلام لتواجه حالات معينة، وتقوم على رفع الضرر الواقع على أحد طرفي العقد، بعد حصول الظرف الطارئ.

إذاً مستند هذه النظرية مستند شرعي -وليس بحثي سرد الأدلة التي تبين أن الفقه أخذ بهذه النظرية- وهذا الاستناد مستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن القواعد الفقهية والضوابط الكلية والمقاصد والمصالح التي رتب عليها الشارع أحكامه.

من المعروف حتى نقول: إن هذا ظرف طارئ، لا بد من تحقق شروط حتى نحكم عليه بأنه طارئ، ثم يتبين لنا كيفية معالجة الشريعة لهذا الظرف، فليس كل ظرف يعتبر طارئا، فلا بد من شروط وأوصاف لهذا الظرف.

وهذه الأوصاف هي[٩]:

١)- وجود عقد يتراخى تنفيذه عن وقت إبرامه، سواء أكان من العقود المستمرة، حتى يعتبر الزمن عنصرا ملازما للاستيفاء من قبل أحد العاقدين، كعقد الإجارة، أو عقد البيع بالنسبة للثمار القائمة على الشجر، التي ينتظر بدو صلاحها.

٢)- أن يكون الظرف الحادث قد طرأ بعد إبرام العقد، ولم يكن بالوسع توقعه، ولا يمكن دفعه -كالجوائح والفيضانات من السماء- والحروب والثورة من البشر-.

٣)- ويشترط ألا يكون حدوثه بسبب أحد العاقدين، وإلا كان مسئولا عن آثاره وحده.

٤)- أن يحدث هذا الظرف الطارئ ضرراً زائداً أو فاحشاً غير معتاد يخل بمصالح العاقدين أو أحدهما.

● من الصور أو الأمثلة للظروف الطارئة وكيفية معالجة الإسلام لها:

أولا: عقد الإجارة: الإجارة، مأخوذة من الأجر وهو العوض المقابل بعمل، وهو عقدٌ على منفعة معلومة أو على عمل معلوم.

وعقد الإجارة من المعروف أن فيه المؤجر، والمستأجر، والعين المؤجرة، وهؤلاء الثلاثة يقع عليهم الظرف الطارئ، وحتى لا نخلط في الموضوع نبدأ على الترتيب في **كيفية معالجة الإسلام للظرف الطارئ الذي يحصل لكل من هؤلاء الثلاثة:**

(١)- الظرف الطارئ الذي يحصل من

المؤجر ومعالجته من قبل الشريعة.

هذا البند له صور نقتصر على صورة واحدة، لنرى مدى سعة الشريعة واستيعابها وسماحتها حتى في العقود والمعاملات.

وهذه الصورة هي: لحوق دين فادح يستغرق جميع أموال المؤجر، وهذه الصورة أن يقوم شخص بتأجير عين يملكها ثم بعد ذلك ثقل عليه الدين، ولم يجد له قضاء وسداداً لهذا الدين إلا بيع العين المؤجرة،فهذا عذر -خصوصا عند الأحناف- يجيز له فسخ إجارة العين، ليتمكن من بيعها؛ لأننا لو أبقينا الإجارة مع لحوق الدين الفادح، لأصاب المؤجر ضرر جسيم، وسيحبس بهذا الدين لعدم الوفاء به أو يذهب للحرام من الربا والسرقة(١٠).

وقد أشار ابن عابدين إلى حالة قريبة لهذه، إذا عجز عن تدبير نفقته أو نفقة أقاربه الذين تلزمه نفقتهم بسبب إعساره مثلا، فيجوز بسبب الحاجة الماسة فسخ عقد العين المؤجرة وبيعها لتغطية هذه النفقة(١١).

(٢)- الظرف الطارئ الذي يحصل من المستأجر ومعالجته من قبل الشريعة.

وهذه لها صور أو حالات أيضا فمن هذه الحالات أو الصور:

الصورة الأولى: مرض المستأجر أو موته، وهذا ظرف طارئ يستحيل أن يدفع عن نفسه الموت، فيجوز فسخ العقد لهذا العذر، وهذا بشرط إذا ترتب عليه عدم القدرة على استيفاء المنفعة المعقود عليها كلها أو بعضها، فمثلا من استأجر دابة ليسافر -وهذه بعض الصور القديمة التي ضربها الفقهاء وبالإمكان القياس عليها السيارات وغيرها- فمات، فإذا مات قبل السفر -وبعد إبرام العقد- فلا شيء عليه. وإذا مات بعد مسافة من السفر وجب عليه أداء الأجرة بقدر المسافة، ويفسخ العقد بالنسبة لجزئه الذي لم ينفذ فيه(١٢).

الصورة الثانية: موت الرضيع، اتفق الحنابلة والشافعية، على أنه إذا استأجر رجل مرضعة لصبي رضيع فمات هذا الصبي الذي عقدت الإجارة من أجله، فذلك عذرٌ يجيز الفسخ، لفوات المنفعة بهلاك محلها(١٣).

الصورة الثالثة: إفلاس المستأجر، فيقوم من السوق أو يريد سفرا فإن هذا من الأعذار الطارئة عند الفقهاء، ويلحق بها عند الأحناف من استأجر منفعة في قرية معلومة فنفر منها الناس، إما بسبب

وباء أو طاعون أو قربهم من سيل عارم فهذا عذر يجيز له الفسخ[١٤].

ونص الشافعية على مثل هذه الحالة من استأجر امرأة لكنس المسجد فحاضت، فتصير بذلك ممنوعة من دخول المسجد شرعا، وبالتالي يستحيل الانتفاع بها في كنس المسجد فيكون عذرا شرعيا تفسخ به الإجارة[١٥].

ونص الحنابلة أيضا على الخوف العام، فمن استأجر بيتاً في قرية وكانت هذه القرية متاخمة -مجاورة- لبلد للأعداء - كفار- ونشبت الحرب يعد هذا عذرا طارئا يجيز الفسخ[١٦].

(٣)- الظرف الطارئ الذي يحصل العين المؤجرة ومعالجتها من قبل الشريعة.

كما أن الظرف الطارئ قد يكون من المؤجر والمستأجر، قد يكون أيضاً من العين المعقود عليها. وهذه لها بعض الصور ذكرها الفقهاء.

الصورة الأولى: نقص منفعة المعقود عليها أو انعدامها،من المعلوم أن الغاية من إبرام العقد "عقد الإجارة" من ناحية المستأجر هي تحصيل منافع العين المؤجرة، وتلك المنافع لا تحصل مرة واحدة، وإنما تحدث شيئا فشيئا، ولذا كان الزمن من بين العناصر الجوهرية لمثل هذا العقد، ولذلك نص فقهاء الشريعة الإسلامية على أن الشخص إذا استأجر دارا أو دابة فانهدمت الدار أو ماتت الدابة، أو انهدم من الدار جزء لا يمكن معه استيفاء المنفعة، فإن ذلك يعتبر ظرفا طارئا يفسخ به عقد الإجارة[١٧].

وكتب الفقه مليئة بالأمثلة على الظروف الطارئة التي تحصل بعد العقد بالنسبة للعين المؤجرة.

- فيرى الحنفية والمالكية والحنابلة، أن مرض العبد الذي استأجر ليقوم بعمل معين، أو هروبه يعد عذرا طارئا يجيز الفسخ؛ لأن القصد من إجارة العبد هو الاعتماد على قوته فإذا مرض نقصت المنفعة.

ونصوا أيضا، على أن من استأجر حارسا، فأصيب هذا الحارس بالعمى - فقد البصر-فهذا عذر طارئ يجيز الفسخ، لأن الإبصار وقوته وحدته مطلوبة في الحارس، وهذا يتعارض مع الغاية من العقد، مما يتيح له طلب فسخ العقد لفوات المنفعة.

الصورة الثانية: غصب الدار أو غصب منفعتها.

عقد الإجارة من العقود التي ترد على المنافع، بمعنى انه إذا لم تحصل المنفعة

المرجوة منه فلا يستحق المؤجر الأجر المتفق عليه في العقد ولا يلزم المستأجر بدفع الأجرة، وجريا وراء تلك العلة اتفق كل من المالكية والشافعية والحنابلة، ان عدم استيفاء المستأجر لمنفعة العين يعد عذرا طارئا يجيز له الفسخ،سواء كان بسبب الغصب أو حبس العين المستأجرة[18].

فنظرية الظروف الطارئة في الإسلام وسيلة من وسائل تحقيق الرضا الذي جعله الله شرطاً لإباحة التجارات كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[19].

وبهذا يتبين لنا كيفية معالجة الإسلام الظروف الطارئة على العقود، بحيث لا يكون هناك إجحاف بأحد الطرفين، والخروج من الأزمة بأقل الأضرار.

الهوامش:

١- معجم المقاييس في اللغة، مادة (ظرف)، ص (٦٤٤).

٢- المعجم الوسيط، مادة (ظرف)، ص (٥٥٥).

٣- المعجم الوسيط، مادة (طرأ)، ص(٥٥٢). وينظر: القاموس المحيط، مادة (طرأ)، ص (٥٨).

٤- القواعد القانونية العربية والدولية للقوة القاهرة.

٥- سورة البقرة: ١٧٣.

٦- سورة البقرة: ١٨٥.

٧- سورة الحج: ٧٨.

٨- صحيح ابن ماجة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم٢٥٠، والإرواء ٨٩٦.

٩- النظريات الفقهية، د. فتحي الدريني، ص١٥٥.

١٠- بدائع الصنائع، علاء الدين الكاساني، ١٢٥/٢ .

١١- رد المحتار، ابن عابدين ٥٨/٦ .

١٢- الفتاوى الهندية، الشيخ نظام ١٢٣/١ والروض المربع، منصور البهوتي، ٨٥/٣ .

١٣- المجموع، للنووي ٩٠/٧، المغني، ابن قدامة ١٨٩/١١ .

١٤- بدائع الصنائع، الكاساني ١٢٥/٢ .

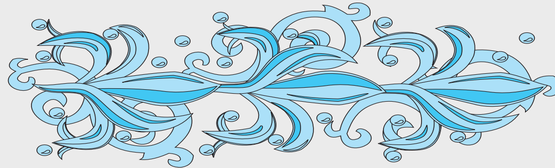
١٥- نهاية المحتاج ، شمس الدين الرملي ٢٠١/٢ .

١٦- المغني ١٩٨/٨ .

١٧- بدائع الصنائع ٣٠١/٣، حاشية سليمان الجمل، على المنهج للشيخ زكريا الانصاري،٢٥٥/٣، كشاف القناع، البهوتي ٢٤١/٤ .

١٨- المراجع السابقة.

١٩- سورة النساء: ٢ .



حذار ان تُضيعك المسالك

شعر الاستاذ جبريل علي الهباهبة

تفكر يا أخي دوماً بذاتك
وقل لي من ترى ابدع صفاتك

ضعيفاً كنت بادي العمر طفلا
فهل تذكر فعالك في حياتك

خلقت لطاعة الرحمن فيها
وتصعد للعزيز بسيئاتك

تفكر في السماء وفي النجوم
وما في الكون من اثر العظيم

تجد آيات خلاق البرايا
ورب الناس خلاق رحيم

فسبحان المهيمن من إله
تجلى في الخفاء وفي السكون

تفكر في المساء وفي الصباح
فإن العمر يغدو للرواح

وما الدنيا سوى أحلام ليل
وليل العمر يسفر للصباح

فأعدد للسؤال جواب صدق
ودع عنك التصابي والمزاح

ألم تنظر الى الانام غرقى
بدنيا العيش تغدو كالسكارى

تملكت النفوس اخي عجوز
فهم في عيشة الدنيا حيارى

فقال لها (علي) ليك عني
ومن يغفل بها تصليه نارا

حلاة العيش ليس بطعم نادر
ولكن للصلاة اخي فبادر

ولا تركن الى اهوء دنيا
فإنك عن مفاتنها مغادر

وتقــوى الله فــاجـعلـهـا لبــاسـا يميـتـك والذي احـيـــاك قـــادر

ألـم تـر ان كـل الـنـاس تـغـــــــدو الـى بطن الـثـــرى فـــالكل هـالك

وان الـلـه يـبـــــعـــــثـنا الـيـــــه ويعلم مـــا تخـــفـي من فـعـــالك

فــبــــادر للتــقـى واعـــمـل لـدار حـــذار ان تضـيــعك المسـالك

تفكر في دنـاك وســــاكنيــهـــا وانظر من حـدوا عـمـرا عليـهـا

فـقـد امـسـوا باطنهـا عظامـا فـقل يا صـاح مـا اعـددت فـيـهـا

ولو ملكت فـــيـــهــــا كل شيء سـتـتـركـهـا فـلا تـأسى عليـهـا

تفكر كـيـف ان الـعــمــر يجــري وان الـلـه بـالأعـــــمــــال يدري

ولا تـنظر الى صـــغـــر الخطايا ولكن من عـــصـــيـت وانت تـدري

واســأل خــالق الأنـام يعــفـــو عن الآثام في ســـر وجـــهـــر

تفكر في الحــيـــاة وفي المـمات وبادر لـلصــــيــــام ولـلصـــلاة

ولا تنس نصــيــبـك من دناك وحج البـيـت فــافـعـل والـزكــاة

فــمــهـــمـــا طـالت الأيام تفنى فــفي أيام عــمــرك من عظات

تفكر يوم تـبـــعـث للحـســـاب وتخـــرج لـلإلـه مـن الـتـــراب

وأهوال يشــيـب الطفل منهـــا ونيـــران اعـــدت للعـــذاب

وجنات يدوم الـعـيش فـيـهـــا كـمـا قـد جـاء في آي الكتـاب



خطبة الجمعة

لا عزة لنا الا بالاسلام

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله عز وجل: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ النور: ٥٥ .

كثير من المتفائلين الذين لا يلتاعون لحاضر المسلمين، يقول ويكرر عبارة: المسلمون بخير، ولكن المسلم المرهف بالأحداث الجارية داخل بلاد الاسلام وخارجها، يقف من هذا التعبير المبالغ فيه كثيراً، موقف الشك او الرفض، حقاً المسلمون بخير لأن طريق المجد الغارب مفتوح لكي يعود.

حقاً المسلمون بخير، لأن النور المخرج من ظلمات الجهل والتخلف والفساد، بين ايديهم لا يزال يناديهم، حقاً المسلمون بخير لأن الفرصة الى هذا اليوم تلوح بيديها: ان هلموا هلموا قبل ان اغضب فلا أعود، ولكن وفي الوقت نفسه يتساءل المؤمن: هل المسلمون بخير بعد ان تنكبوا الطريق المفتوح لعودة المجد التليد؟ هل المسلمون بخير بعد ان صموا آذانهم عن نداء النور الذي يخرجهم من

ظلمات الحيرة والضياع الى حياة الأمن واليقين؟ هل المسلمون بخير وهم لم ينتهزوا هذه الفرصة، التي اوشكت ان تُغاضب، فإن غاضبت لن تعود؟

نعم ايها الإخوة المؤمنون، لو تدبر المسلمون أمرهم وادركوا حقيقة موقفهم، لأيقنوا ان القرآن الكريم ومعه السنة المطهرة، هما طوق النجاة في خضم هذه الحياة، وكتاب الله تباركت أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو الربوة العالية العاصمة من طوفان الفتن، الذي يطوق العالم ويهدده بأفدح وأعظم الأخطار!!.

ومما أثر وصح عن سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه قوله عن القرآن الكريم: «انه كتاب الله فيه خير ما قبلكم وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم» فلا عزة للمسلمين الا بالقرآن العظيم، ولن يتحقق نصرهم على اعدائهم، الا بالاعتصام بحبل الله والاحتكام الى ما جاء به القرآن من مبادئ وقيم ومثل.

نعم ايها الاخوة الموحدون؛ المسلمون جمع تتساوى افراده في صفة الاسلام، والاسلام تلك الصفة السامية فوق الصفات كلها، والكريمة فوق الكرائم كلها، دين شامل يوحدهم لاشتراكهم في خصائصه، التي كل شعيرة من شعائره، جمع لا تفريق.. وحب لا عداوة.. ومناصرة لا مخاذلة.. وايثار لا أثرة.. فهم يوم التزامهم بمبادئه، أمة واحدة كما خاطبهم ربهم **﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾** بل هم كما وصفهم تفخيماً وتكريماً وتعظيماً لشأنهم **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**.

وأولى تلك المبادئ التي منحتهم التفضيل عن سواهم **﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** وما تقدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

على الايمان بالله تعالى، الا لما فيهما من اتصال مباشر بحياة المسلمين، فرداً او جماعة على وجه يكون للايمان بالله درعاً وحصناً، واين يكون الايمان بالله ايماناً في مجتمع، سقط فيه الامر بالمعروف، فصار المنكر معروفاً لتفشيه وانتشاره، وصار المعروف منكراً لعزته وندرته!!.

نعم عباد الله؛ المثل الذي نفتده اليوم وقد اصبحت بلاد الاسلام قطعاً ، واهلها شيعاً، يطمع فيهم استهانة وجشعاً، من كان يسترق بنظره رجاء برهم طمعاً، هذا المثل الذي نفتقده اليوم، هو ذلك الذي جعله الله لسيدنا محمد ﷺ واصحابه الكرام رضوان الله عليهم اجمعين، جعله مثلاً في التوراة والانجيل والقرآن، حين وصفهم في قمة النصر، ويوم اكرمهم بأكرم الفتح، اذ قال جل جلاله، يا معاشر المسلمين؛ **﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً﴾**.

هذا مثل رسول الله ﷺ وصحبه الكرام، اما مثل بعض المسلمين اليوم فهم رحماء بالكفار قساة بينهم!!.

نعم أخي المسلم، ادر في خاطرك **﴿أشداء على الكفار﴾** بما تحمل صفة الشدة من ايحاء بالعزة والصلابة، والمنعة والثقة، وادر في خاطرك **﴿رحماء بينهم﴾** بما تحمله صفة الرحمة من شفقة ومحبة وتواضع وتسامح وعفو وايثار، كل ذلك رجاء استحكام الوحدة وتكامل القوة بين افراد الأمة الواحدة.

ان التراحم بينهم تأكيد للشدة على الكافرين والمعتدين، فالأمران متلازمان كل التلازم، بل هما اليد والسلاح جميعاً لكسب النصر، فلو فقدت الشدة على الكفار، مع وجود التراحم بين المؤمنين، لأقض الكفارَ مضاجِعُهم، ولو وجدت الشدة على الكفار مع قسوة المؤمنين بينهم، لأكلهم الكفار في ساعة من ليل

أو نهار، ولو فقد الامران معاً –وقد كادا او كان في هذا العصر– لذهب كل عدو بما قدر عليه، سيما ان فنون البلاء التي تميز بها اعداء الاسلام حرباً وسلماً، هي اكثر عدداً واوفر مدداً واشد هولاً، من ان تضارعها او تفوقها طوائف متخاذلة، وشعوب مهزوزة يمقت بعضها بعضاً، ويعمل بعضها لدمار بعض ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

نعم ايها الإخوة الموحدون؛

المثل الذي نفتقده اليوم ان نرى المسلمين ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً، محافظة على شعار دينهم ابتغاء الفضل والرضوان بوسائله المشروعة.

جدير بأن يجاب وأول وسائله المشروعة، ما انبنى المثل عليه من الشدة على الكفار والرحمة بين المسلمين، ولقد اكمل الله المثل الكريم بصورة محببة الى القلوب، تستفز النفس الى الاعجاب **﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع﴾** لقد تماسكت الصفات وتشابكت وتتالت يعقب بعضها بعضاً.

اخرج شطأه وآزره، استغلظ واستوى على سوقه، هذه الجمل الاربع قوة في البنية وسلامة من الآفة، ومواتاة من عناصر النماء والقوة، واكتمال للصورة التي نهايتها المحتومة **﴿يعجب الزراع﴾** وأي زرع كهذا في القوة والجمال، وسرعة الانتقال الى الغاية المنشودة لا يعجب الزراع!.

هكذا أيها الإخوة الأحبة، كان سلف هذه الأمة، كانوا مع الله فكان الله معهم.

نعم عباد الله هل نحن من الذين معه اليوم؟ انها معيشة متصلة المعنى كلما تحققت هذه الخصائص واتصف المسلمون بتلك الصفات، فليست صفات الذين معه امراً مجهولاً، بل امراً مهجوراً على حد قوله تعالى حكاية عن صفيه من خلقه سيدنا محمد ﷺ: **﴿يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾**.

وليس هجره الا يوجد في الحقائب والبيوت او يتلى ويعلم، ولكن هجره الا يقود المسلمين من قلوبهم الى طاعة ربهم عز وجل، ان هجر القرآن الكريم ان لا «يقود المسلمين الى جمع شملهم، ان

هجر القرآن العزيز ان لا يقود المسلمين الى الخضوع لأحكامه، وقد صح ان رسول الله ﷺ رفع يوماً بصره الى السماء فقال: «هذا اوان رفع العلم فقال صفوان بن عسال: وفينا كتاب الله نتعلمه ونعلم ابناءنا ويعلم ابناؤنا أبناءهم، فغضب رسول الله ﷺ وقال: أوليست التوراة والانجيل في يد النصارى واليهود؟ فما اغنت عنهم حين تركوها»؟!.

نعم أمة الاسلام؛ ان الضرر خطير والعذاب جسيم، ولا عاصم لنا من كل ذلك الا المعية الصادقة، التي جعلها الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ ولصحبه العظام رضوان الله عليهم اجمعين، وصدق الله العظيم **﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً﴾.**

والله نرجو ونأمل ان يعزنا بالاسلام ويعز بنا الاسلام

نفعني الله واياكم بهدي كتابه اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد التاسع - المجلـــد ٥٥

شوال ١٤٣٢هـ - أيلول ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

عمان - الاردن ص.ب ٦٥٩

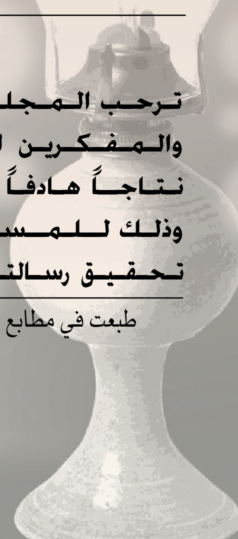
هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف



هدي الإسلام

أهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

فماذا بعد

لقد عشنا في الايام الماضية، في رحاب شهر رمضان المبارك، المدرسة الراقية لتطهير الروح واعلان سلطان الارادة، والتغلب على العادات اليومية المألوفة، حتى كانت تتمثل للصائمين المخبتين، حلقات التقوى المؤثرة في سلوكهم وحياتهم، فليس هناك شهر كريم يحرك ساكن الشوق الى ملكوت الله سبحانه، ويبعث الارادة القوية الفاعلة المُغيِّرة، كشهر رمضان المبارك، الذي يلهم المسلمين الصائمين المعاني السامية، ويوحي ببواعث العزة والكرامة، لما تشهد ايامه من منابع الخير وعوارف الفضل ومرابع النور، ونفحات الرب العظيم، حيث حفلت ايامه الغر ولياليه البيض بخصائص كريمة، حافلة بالحركة والالتزام والذكر والعبادة والخشوع.

انه شهر عظيم تلقى فيه المسلم الصائم دروساً في الشفقة والرحمة، دروساً في التواضع والمحبة والصفاء والسلام، دروساً جعلته يصم أذنيه عن اللغو، ويصد هواه عن السوء، ويكف لسانه عن الفحش، ويغض بصره عن كل مشين ومنكر.

والكل يعلم ان رمضان كان شهر التربية على الصالحات والفضائل، فالفضائل والعادات الحسنة، انما تتكون في النفوس بطول المران وكثرة المزاولة والتدريب، وحتى تصبح العادة خلقاً راسخاً، وطبعاً لازماً، لا بد ان تمر بفترة طويلة من التكرار والمواظبة ومحاسن الآداب العالية، بعد ان تعلمنا من شهر رمضان المبارك، دروساً في مراقبة الله وتزكية الضمير، فالصائم كان يعاني من ألم الجوع ومرارة العطش، والطعام والماء بين يديه، ولكنه لا يقربهما خوفاً من الله تعالى، فهلا اصبحت التقوى شعاراً للمسلمين،

رمضـــان؟!

وخلقاً ملازماً بعد انقضاء هذا الشهر الكريم؟!.

كما علمتنا ايام رمضان دروساً في الصبر وقوة الارادة، فالصائم كان يكبح شهواته، ويرد غرائزه الجامحة، ويتخلى عن مألوف حياته، حقاً الصائم هو الذي يصبح سيد نفسه وأمير عاداته لا أسيرها بعد رمضان.

القى علينا شهر رمضان دروساً في المساواة بين الغني والفقير، والصغير والكبير، والسيد والخادم، فالكل امام الله مكلف، فلا بد ان تبقى المساواة شعاراً لنا في وحدة العمل، ووحدة الشعور، ووحدة الهدف، ووحدة الضمير والمصير.

هذا المؤمن الصائم الذي كان يصوم رمضان لا يرفث ولا يصخب، ولا يقابل السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، يجب ان يصاحبه هذا الخلق السامي، بعد انقضاء شهر رمضان، حتى يصبح من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

ان رمضان ينبغي ان يكون في نظر المؤمن سنة لا شهراً، وذلك حين يعيش بعد انقضاء شهر الصوم على زاد من تقواه، وذخيرة من هداه، ورصيد من الفضائل، يعصمه من شهوات النفس وخطرات السوء، الى أن يلقى صومه في عام جديد.

أسرة التحرير

من خصائص القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور عبد العزيز الضامر

ان من نعم الله تعالى في هذه الحياة، ان جعل لكل شيء خصائص تميزه وتبينه عن غيره، فجعل للإسلام خصائص تظهر عظمته[١] وتبين روعته لكل من يعرفه أو يسمع به، وجعل لمبلغه سيدنا محمد ﷺ خصائص تدل على صدق نبوته وعظيم أمره[٢].

وجعل للقرآن الكريم خصائص تظهر إعجازه[٣]، وتبين كماله، وتنفي عنه التحريف والتزوير، وانه الرسالة الخالدة التي بها يصلح الناس، فيهتدون الى الصراط المستقيم، صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقبل ان أدلف الى صلب الموضوع، فإنه يجدر بي ان أمهد له بذكر شيء من خصائص القرآن الكريم التي لها أوثق الصلة والارتباط بموضوع التنزيل.

أولاً: انه كتاب هداية:

وذلك بأن الله تعالى قد أكد هذا الأمر بقوله: **﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً﴾** الاسراء: ٩.

فهو الهداية الكبرى، والغاية العظمى لارشاد الناس الى الطريق القويم الذي لا

اعوجاج فيه، حيث يدلهم الى الخير ويباعدهم عن الشر.

وقد مر أكثر المفسرين على هذه الآية الكريمة مروراً سريعاً، من غير اشباع او إفاضة حولها، ومن دون الوقوف عندها وتحليلها تحليلاً يظهر دلالات الهداية وأثرها في قلوب المؤمنين، سوى ما وجدته عند العلامة الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى في تفسيره «اضواء البيان» حيث ذكر صوراً كثيرة من صور هداية القرآن للتي هي أقوم، وذلك في اكثر من خمسين صفحة(٤).

فالقرآن الكريم نزل لإصلاح ما افسده الناس عقائدياً وخلقياً وسلوكياً وسياسياً واقتصادياً وكل اشكال الحياة، فهو هداية يهدي به الله الى صراط مستقيم.

فيهدي الى السلوك الحسن والخلق الجميل، وهذا واضح من خلال تتبع الآيات الكريمة التي حثت على قضايا الأدب والسلوك، كآيات الحث على الاستئذان والصبر والعفة، وآيات النهي عن الغيبة والتجسس والتنابز بالألقاب والكذب والقذف.. ونحو ذلك.

ويهدي الى الطريق الأمثل في حل مشكلات الاقتصاد، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد او الجماعات، وهذا واضح في آيات النهي عن التعامل بالربا، والحث على اكتساب المال من مصارفه الشرعية، التي تُبارك للانسان وترضي عنه الملك الديان.

وهدي الى كل ما تدل عليه لفظة الهداية من المعاني والدلالات، التي لو وقف المفسرون على ساحلها لأخرجوا درراً وأصدافاً.

ثانياً: انه كتاب الزمن:

فقد دلت الآيات الكريمات من القرآن على صلاحيته في كل زمان ومكان، وانه الحاكم في كل عصر ومصر، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن نبيه محمد ﷺ: **﴿وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾** الأنعام: ١٩، وقد ذكر عدد من المفسرين(٥) ان المراد بقوله تعالى: **﴿ومن بلغ﴾** أي من بلغه هذا القرآن على مر الأزمان الى يوم القيامة.

قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) رحمه الله: وأنذر به من بلغ اليه اي: كل من بلغ اليه من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة، وفي هذه الآية من الدلالة على شمول احكام القرآن لمن سيوجد، كشمولها لمن قد كان موجوداً وقت النزول..»(٦).

وقال ابن باديس رحمه الله: «ان القرآن

كتاب الدهر، ومعجزته الخالدة، فلا يستقبل بتفسيره الا الزمن»[٧].

وقال الدكتور محمد دراز[٨] رحمه الله في شأن القرآن: «كتاب مفتوح مع الزمان، يأخذ كل منه ما يسر له، بل ترى محيطاً مترامي الاطراف لا تحده عقول الأفراد والأجيال»[٩].

ولهذا يلاحظ ان القرآن الكريم لم تُذكر فيه كثير من الشخصيات المخاطبة فيه، لبيان صلاحيته في كل زمان ومكان، وذلك لأن هذه الشخصيات رموز تتعدد اشكالها وألوانها عبر مر العصور والدهور.

ومن هنا يجب ان نقف بكل قوة ضد تلك المحاولات المجترئة على الله، التي تريد ان تسلب القرآن خصيصة الخلود، وان تُضفي على احكامه طابع التأقيت، وهو ما يسمونه «تاريخية النصوص» حتى وجدنا من يرد قطعيات القرآن بأوهام من عنده.

كالذي زعم ان قول الله تعالى: **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** النساء: ١١، وما في معناه من توزيع انصبة المواريث، انما كان ذلك يوم لم يكن للمرأة استقلال اقتصادي، وكانت تابعة للرجل، وكان الرجل قواماً عليها، أما وقد تعلمت المرأة وعملت، وخاضت معركة الحياة مزاحمة للرجال بالمناكب، فلم يعد هذا الحكم ذا موضوع!.

ومثل ذلك من قال في قوله تعالى: **﴿قل لا أجد في ما أوحي الي محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فإنه رجس﴾** الأنعام: ١٤٥، قال: ان ذلك التحريم كان لخنزير ذلك الزمان، الذي يألف القذورات والنجاسات، ولا ينطبق على خنزير عصرنا الذي يربى ويغذى تحت اشراف صحي!.

ان هؤلاء المحرفين يريدونه «قرآناً موقوتاً» بزمن معين، وقد اراد منزله تبارك وتعالى ان يكون كتاب الزمن كله[١٠].

ثالثاً: انه كتاب شامل لأمور الحياة:

اذا كان القرآن الكريم بلاغاً لكل الناس على مر الازمان، فهذا دليل على شموله لجميع امور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونحو ذلك. ولذلك قال الله تعالى: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون﴾** الأنعام: ٣٨، فيه علم مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبسط أسباب الخير والشر، والسعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة، وعلم النفوس وأحوالها، وأصول الأخلاق والأحكام، وكليات السياسة والتشريع، وحقائق الحياة في العمران والاجتماع، ونظم الكون المبنية

على الرحمة والقوة والعدل والاحسان[١١].

وقد افرد الامام السيوطي (ت: ٩١١هـ) رحمه الله ضمن كتابه «الاتقان» نوعاً من انواع علوم القرآن وهو النوع الخامس والستون[١٢] ما يدل على شمول القرآن الكريم لكل شيء، حيث اورد الآية السابقة وكذلك قوله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾** النحل: ٨٩، ونصوصاً أخرى من أحاديث وآثار تدل عليها، ومنها قول الامام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) رحمه الله: «ليست تنزل بأحد من المسلمين نازلة الا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»[١٣].

وقد يقول قائل: «ان القرآن ليس فيه كل شيء بدليل ان كثيراً من الأشياء لم نجد لها ذكراً في القرآن»! فالجواب على هذا: هو ان القرآن الكريم فيه اصول كل شيء، ولو ذكر فيه كل صغير وكبير لأصبح في أسفار ومجلدات كبار يشق حملها ومدارستها على الناس، وان هذه الاصول تشمل جميع الأشياء اما نصاً وإما دلالة ومعنى أو قياساً وهذا باب واسع لاستثمار النصوص.

وقد قال ابن برهان البغدادي[١٤] رحمه الله: «الباري سبحانه قادر على التنصيص على حكم الحوادث والوقائع، ولم يفعل، ولكن نص على أصول، ورد معرفة الحكم في الفروع الى النظر والاجتهاد»[١٥].

وقال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) رحمه الله: «ان الشريعة لم تنص على حكم كل جزئية على حدتها وانما أتت بأمور كلية وعبارات مطلقة تتناول اعداداً لا تنحصر»[١٦].

الهوامش:

١- الخصائص العامة للاسلام، د. يوسف القرضاوي.

٢- الخصائص الكبرى للسيوطي، وغاية السول في خصائص الرسول ﷺ لابن الملقن.

٣- معترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي، وخصائص القرآن، د. فهد الرومي.

٤- اضواء البيان (٣/٤٠٩-٤٥٧).

٥- تفسير البغوي (٢/١٣) والكشاف للزمخشري (٢/١١) وتفسير البيضاوي (١/٢٩٦).

٦- فتح القدير (٢/١٣٢).

٧- مجالس التذكير ص٣٧٧ .

٨- محمد بن عبد الله دراز، عالم ازهري حصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، وتوفي في الباكستان سنة ١٣٧٧هـ، من مؤلفاته: مدخل الى القرآن، ودستور الأخلاق في القرآن، والنبأ العظيم.. وغيرها.

وينظر الاعلام للزركلي (٦/٢٤٦) ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/٤٣٨).

٩- النبأ العظيم ص١١١ .

١٠- كـيف نتـعـامل مع القـرآن العظيم؟ د. يوسف القرضاوي (٧٣-٧٥).

١١- مجالس التذكير ص٣٢ .

١٢- الاتقان في علوم القرآن ٢٤/٤ .

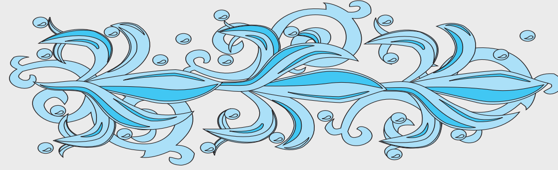
١٣- الرسالة ص٢٠ .

١٤- هو احمد بن علي بن بَرهان «بالفتح» البغدادي، وكنيته ابو الفتح، فقيه شافعي، وأصولي بارع حتى صـار يُضـرب به المثل في تبـحـره في الاصـول والفـروع، تتلمـذ على الغـزالي والشـاشـي والكيـا الهراسي، توفي سنة ٥٢٠هـ.

وينظر وفيات الاعيان لابن خلكان (٣٥/١) وشذرات الذهب لابن العماد (٦١/٢-٦٢).

١٥- الاجتهاد للسيوطي ص١٦٩ .

١٦- الموافقات (١٤/٥-١٥).



٢

مـراحـل علـم القـراءات

■ بقلم الاستاذ الدكتور أحمد خالد شكري

يظهر في المرحلة الثانية (مرحلة الانتشار) استقرار علم القراءات وثبات كثير من مسائله ووضوح العديد من جزئياته، وانتقاله إلى مرحلة النضج بعد أن تأسس في المرحلة السابقة كثير من الأمور، ولا يقصد بهذا تقديم هذه المرحلة على السابقة، ولكنها مكملة لها مبنية عليها.

واخترت جعل بداية هذه المرحلة تأليف كتاب السبعة في القراءات، لما يمثله من نقلة نوعية ظاهرة في مسيرة هذا العلم، حيث توجه التأليف في علم القراءات إلى صورة من الاستقرار بعد اختيار سبعة من أشهر أئمة القراءة في أمصار الإسلام، واعتبار ما زاد عن أوجه القراءة المنسوبة إليهم شاذا، فالتزم بهذا الاختيار عدد كبير من العلماء وقبلوه وألّفوا مؤلفاتهم وفق هذا المبدأ.

وكان من مرجحات اتباع هذا المنهج في التأليف: المكانة العلمية الكبيرة لرائد التسبيع وهو ابن مجاهد، وموافقة هذا العدد لعدد المصاحف التي كتبها عثمان بن عفان ووجه بها إلى الأمصار(٤٩).

أما موافقة هذا العدد لعدد الأحرف التي نزل بها القرآن، فقد كان مثار جدال

كبير بين أهل العلم، ففي الوقت الذي أيده عدد منهم، رأى آخرون في هذا الفعل إثارة إشكال كبير وإيهام عريض عند عامة الناس بأن القراءات السبع هي عين الأحرف السبعة، ورأوا فيه كذلك إيهاما آخر بانحصار الصحيح من القراءات في هذه السبع، مع وجود قراءات أخرى صحيحة متواترة لا تقل ثبوتا وصحة وقوة عن هذه القراءات السبع[٥٠]، وكان هذا الاعتراض على صنيع ابن مجاهد حافزا لعدد من علماء القراءات إلى تجنب الاقتصار في التأليف على القراءات السبع، واتجه معظمهم إلى زيادة قارئ أو أكثر على هذا العدد ممن صحت قراءتهم عند المؤلف، وتلقاها مشافهة بسند متصل عن شيخه أو عن شيوخه.

وفي هذه المرحلة ظهر عدد كبير من أئمة علم القراءات، وتنوعت فيها المؤلفات وكثرت، وشهدت حركة التأليف في القراءات نشاطا ملحوظا، وسأورد في هذه العجالة عددا من أشهر أئمة القراءات في هذه المرحلة:

ابن مجاهد: أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤) اشتهرت عبارة أنه "شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة" ويعد بحق أحد أبرز علماء القراءات في عصره وما بعده، ونظرا لمكانته العلمية الفائقة، لاقى فعله بالاقتصار على سبعة من الأئمة قبولا واستحسانا عند كثير من علماء القراءات فتابعوه على هذا المنهج، إلا أن عددا من علماء القراءات إما أنه لم يبلغه فعل ابن مجاهد وإما أنه بلغه ولم يرق له أو لم يقنع به، فلم يلتزم بمبدأ الاقتصار على سبعة من الأئمة، فوُجدت مؤلفات عديدة في القراءات العشر وأكثر منها.

ويعد كتابه السبعة أول مصنف اشتهر عند القراء، وذاع صيته بينهم بشكل كبير، وتبع كثير من أئمة القراءة منهجه في التسبيع، ولذا فهو منطلق مؤلفات المسبعين[٥١].

ابن مهران: أحمد بن الحسين (ت ٣٨١) هو أول من دون القراءات العشر في كتبه الثلاث: الغاية والشامل والمبسوط، ومن دوافعه لذلك: دفع توهم أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، والاعتراف بمكانة أبي جعفر ويعقوب وتبيين دور خلف في الجمع بين قراءتي حمزة والكسائي[٥٢].

مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧) له كتب كثيرة في القراءات والتوجيه والتجويد والتفسير وغيرها من العلوم، منه: التبصرة في القراءات السبع، والإبانة

والكشف والرعاية[٥٣]، ويعد أحد كبار القراء في المغرب في زمنه.

أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤) أرى أن هذا الإمام يعد واسطة العقد في هذه المرحلة بسبب اجتماع عدة أمور فيه تجعله الإمام المعتبر في زمنه وما بعده، وهذه الأمور هي:

غزارة علمه، وقوة حفظه وحسن فهمه،وضبطه للمسائل والقضايا ودقته العلمية، وسعة روايته وقوة نقده، وكثرة شيوخه الذين تلقى عنهم، يضاف إلى ذلك كثرة مؤلفاته مع ما فيها من التحقيق والتدقيق وسعة الرواية بما يدل على تمكنه من علم القراءات، وتنوع موضوعاتها في القراءات والعلوم المتصلة بها، مع جودة التأليف وحسن التصنيف[٥٤].

وقد أدى ذلك إلى أن أصبح إماما كبيرا في القراءات، ذا منزلة عظيمة بين أهل عصره ومن بعدهم، وأطلق عليه لقب: "أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين"[٥٥] وجرى العمل باختياراته، وأصبحت مؤلفاته منارات للعلم نهل منها من أتى بعده وارتوى من معينها طلابه وطلابهم وبقيت على مدى العصور معالم مضيئة، ومن أشهر مؤلفاته: جامع البيان في القراءات السبع، والتيسير في القراءات السبع، والمقنع في رسم المصحف، والمحكم في النقط، والتعريف في اختلاف الرواة عن نافع، والبيان في عد آي القرآن، والتحديد في التجويد، وكتاب في تراجم القراء، وغيرها كثير[٥٦].

ومن فضائل الداني أنه أول من مهّد طريقة الجمع بالإرداف[٥٧]، وأول من أدخل الروايات العشر عن الإمام نافع، وأول من استعمل النظم وسيلة تعليمية[٥٨].

أبو معشر الطبري: عبد الكريم بن عبد الصمد (ت ٤٧٨) كان له مكانة خاصة فهو شيخ الإقراء في مكة، وعالي السند، وله اعتناء بجمع الطرق والروايات، من مؤلفاته التلخيص في القراءات الثمانية بزيادة يعقوب، وسوق العروس وهو كتاب كبير فيه ألف وخمس مئة رواية وطريق، وله الجامع في القراءات العشر، وقد يكون عنوانا آخر لكتابه السابق، وله: الإرشاد في القراءات الشاذة، وطبقات القراء، وكتاب في العدد[٥٩].

الشاطبي: القاسم بن فيره الرعيني (ت ٥٩٠) كان أحد كبار علماء القراءات، اشتهر بمنظوماته الثلاث: حرز الأماني في القراءات السبع، وهي نظم لكتاب التيسير، وعقيلة أتراب القصائد، وهي نظم لكتاب المقنع في الرسم، وناظمة الزهر وهي نظم

لكتاب البيان في عدّ الآي، وقد ذاع صيت منظومته حرز الأماني وأصبحت عمدة المقرئين بالسبع، وبلغ من عظيم شهرتها واعتناء العلماء والقراء بها، أن زاد عدد شروحها وما قام حولها من معارضات وتكميلات عن مئة[٦٠].

وقد يخطر في البال تساؤل عن سبب تقديم الداني على الشاطبي، مع اشتهار كتب الشاطبي أكثر، والحق أن للإمام الشاطبي منزلة عالية ومكانة كبرى، ولكن بعد البحث والتأمل تبين أن معظم جهود الشاطبي إنما كانت في الاغتراف من معين الداني، كما أن جوانب الإبداع عند الداني تفوق ما عند الشاطبي، ولذا اختير الداني في موقع الصدارة، وإن كان ذلك لا يؤثر في الدور الكبير للشاطبي ولسائر كبار علماء القراءات ولا يلغيه.

الجعبري: إبراهيم بن عمر (ت ٧٣٢) أحد كبار علماء القراءات ورسم المصحف وعدّ الآي، له فيها عدد من المؤلفات من أشهرها: كنز المعاني في شرح حرز الأماني، ونزهة البررة في قراءة الأئمة العشرة، أثنى عليه وعلى مؤلفاته العلماء، وحظيت كتبه بالاعتناء ووضع الشروح والحواشي عليها[٦١].

واشتهر في هذه المرحلة عدد كبير من علماء القراءة، ولما كان المجال لا يتسع لتفصيل الحديث عنهم وعن جهودهم المباركة، فسأكتفي بسرد مجموعة من أشهر المؤلفات في القراءات مع نسبتها إلى مؤلفيها، دون استقصاء، وذلك بهدف إلقاء الضوء على الجهود الكبيرة والحركة العلمية النشطة جدا في هذه المرحلة:

التذكرة في القراءات الثمان (السبعة ويعقوب) لأبي الحسن طاهر بن غلبون (٣٩٩).

التذكار في القراءات العشر لابن شيطا (٤٠٥).

المنتهى في القراءات الخمسة عشر لأبي الفضل الخزاعي (٤٠٨).

المنشّا في القراءات الثمان لأبي الفتح فارس بن أحمد (ت ٤١١).

الهادي في القراءات السبع لابن سفيان (ت ٤١٥) ويعد ابن سفيان مؤسس مدرسة القراءات في القيروان[٦٢].

الروضة في القراءات السبع لأبي عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩).

الروضة في القراءات الإحدى عشرة (العشرة والأعمش) للحسن بن محمد المالكي (٤٣٨).

المفيد في القراءات العشر لأبي نصر

الخباز (ت ٤٤٠).

الوجيز في القراءات الثمان للأهوازي (ت ٤٤٦) وله مؤلفات أخرى في القراءات، منها: الإقناع والموجز والإيجاز[٦٣].

الجامع في القراءات العشر لأبي الحسن الخياط البغدادي (ت٤٥٠).

العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف (ت ٤٥٥).

الإيجاز في القراءات لإسحاق بن محمد المعافري (ت ٤٦٠).

المفتاح في اختلاف القراء السبعة لعبد الوهاب القرطبي (٤٦١).

الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت ٤٦٥).

الكافي في القراءات السبع لابن شريح (ت ٤٧٦) وله نحو ثلاثين كتابا في القراءات[٦٤].

المنظومة الرائية في قراءة الإمام نافع لأبي الحسن علي الحصري (٤٨٢).

المستنير في القراءات العشر لأبي طاهر بن سوار (ت ٤٩٦).

المهذب في القراءات العشر لأبي منصور الخياط (ت ٤٩٩).

الكتاب الأوسط في القراءات الثمان للحسن بن علي العماني (نحو ٥٠٠).

تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع لابن بليمة الحسن بن خلف (ت ٥١٤).

التجريد في القراءات السبع لابن الفحام (ت ٥١٦).

إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، والكفاية الكبرى في القراءات العشر، كلاهما لأبي العز القلانسي (ت ٥٢١).

الموضح في القراءات العشر، والمفتاح في القراءات العشر، كلاهما لأبي منصور العطار (ت ٥٣٩).

الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش (ت ٥٤٠).

المبهج في القراءات السبع المتممة بابن محيصن والأعمش ويعقوب وخلف، والكفاية في القراءات الست، والإيجاز في القراءات السبع، والاختيار في القراءات العشر، جميعها لعبد الله بن علي سبط الخياط البغدادي (ت ٥٤١).

المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري (ت ٥٥٠).

المفيد في القراءات الثمان لمحمد بن

إبراهيم الحضرمي (ت ٥٦٠).

الغاية في القراءات العشر لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩) وله كتب أخرى، وهو من أجلة العلماء، حتى وُصف بأنه في المشارقة كالداني في المغاربة بل أوسع منه بكثير مع أنه اقتفى أثره وسلك طريقه.

الشمعة في القراءات السبعة لشعلة الموصلي (ت ٦٥٦).

الشامل في القراءات السبع لعبد الله ابن محمد الاسكندراني (ت ٦٨٣).

تقريب المنافع في قراءة نافع لأبي عبد الله بن القصاب (٧٠٠).

الدر النثير والعذب النمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لعبد الواحد بن محمد بن أبي السداد المالقي (ت ٧٠٥).

نظم التيسير لمحمد بن محمد بن آجروم الصنهاجي (٧٢٣).

التجريد وترتيب الأداء لعلي بن سليمان الأنصاري القرطبي (٧٣٠).

الشرعة في القراءات السبعة لهبة الله البازري (ت ٧٣٨).

الكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطي (ت ٧٤٠).

عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي منظومة، ومفردات القراء السبعة ومؤلفات أخرى في القراءات لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥)، وهو من كبار علماء القراءات والتفسير والنحو والتاريخ، ومن اطلع على كلامه في القراءات في تفسيره علم رسوخه في هذا العلم وتمكنه منه إلى درجة كبيرة[٦٦].

البستان في القراءات الثلاث عشرة واختيار اليزيدي لابن الجندي (ت ٧٦٩).

المبهج للطالب المدلج في القراءات السبع لعليّ بن أبي بكر بن شداد (ت ٧٧١).

مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات، وتحفة الأنام في الوقف على الهمز لحمزة وهشام، وقرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين، كلها لعلي بن عثمان بن القاصح (ت ٨٠١)[٦٧].

ويلحظ في هذه المرحلة انحسار حركة الاختيار واقتصارها بين عدد محدود من القراء ، مقارنة بالمرحلة الأولى، ونجد عددا من كبار القراء المؤلفين يختارون مما يروون وجها أو أوجها مع تبيين علة الاختيار، ومن هؤلاء على سبيل المثال مكي ابن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧) حيث

أكثر في كتابه الكشف من الاختيار والترجيح بين القراءات التي ذكرها فيه، وكلها من القراءات السبع، وكانت قواعده في الاختيار: موافقة أكثر القراء، وموافقة قراءة أهل الحرمين، والأظهر في الدلالة على المعنى، والأكثر موافقة للسياق، والموافقة لأصل اللغة والأفشى والأخف فيها، والأقرب إلى رسم المصحف، كما كان يستأنس بوجود النظير وبما روي عن النبي ﷺ(٦٨)، ويلحظ من خلال النظر في هذه القواعد دقة وسلامة منهج مكي في الاختيار والترجيح بين أوجه القراءة.

ومع موافقة الهذلي (ت ٤٦٥) لمعظم هذه القواعد حيث قال في كتابه الكامل: "اخترت اختيارا وافقت فيه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلام والقراءات والتفاسير والسنن والمعاني، أرجو أن ينفع بعون الله وتوفيقه"(٦٩)، وكان من معاييره في الاختيار: شهرة القراءة، والفصاحة، وموافقة الرسم، واللغة، وقوة المعنى، وكثرة دوران القراءة في القرآن(٧٠)، إلا أن اختياراته لم تكن محصورة في القراءات السبع ولا العشر، إنما اتسع نطاقها لتشمل القراءات الخمسين التي ذكرها في كتابه الكامل، ومع ذلك فقد كانت اختياراته من القراءات الشاذة قليلة جدا(٧١).

من ميزات المرحلة الثانية:

كثرة المؤلفات في القراءات: يظهر ذلك بوضوح من خلال المقارنة بين عدد المؤلفات في هذه المرحلة والمرحلة السابقة، وليس السبب الوحيد لذلك طول زمن هذه المرحلة نسبيا إلى تلك، ولا تأخر التأليف في المرحلة السابقة قرنا أو أكثر، فإن الحركة العلمية في هذه المرحلة ازدهرت وتنوعت البلاد التي ينتسب إليها المؤلفون أكثر، كما تنوعت موضوعات المؤلفات ما بين كتب في قراءة مفردة إلى كتب في السبع والثمان والعشر والأربع عشرة وأكثر من ذلك، كما تعددت المؤلفات التي تكثر من الطرق والرواة، ولذا كان وصف هذه المرحلة بمرحلة الانتشار فيه جانب كبير من الصواب.

كثرة المؤلفات في توجيه القراءات: حيث يلحظ زيادة التوجه إلى التأليف في توجيه القراءات بشكل أوسع وأكثر من المرحلة السابقة، ومن أشهر المؤلفات في التوجيه في هذه المرحلة:

الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠).

الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧).

المحتسب في تبيين وجوه شواذ

القـراءات والإيضـاح عنهـا لابن جني (ت ٣٩٢).

حجـة القـراءات لأبي زرعـة ابن زنجلة (نحو ٤١٠).

الكشف عن وجـوه القـراءات السـبع وعللهـا وحـجـجـهـا لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧).

شرح الهداية لأحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٤٠).

المختار في معاني قراءات أهل الأمصار لأبي بكر أحمـد بن عبيـد الله بن إدريس (القرن الخامس).

الموضح في القـراءات الثمـان وعللهـا لابن أبي مـريم الشـيـرازي (ت بعـد ٥٦٥)(٧٢).

كثرة المؤلفات المحورية أو الأساسية التي دار في فلكها كتب عديدة، ككتاب السبعـة الذي كـان إمامـا لأهل التسبيع، ومنظومة الشاطبية التي زاد عدد شروحها عن مئة، ومنظومة الدرر اللوامع لابن بري (ت ٧٠٩) حيث كثرت شروحها وتعددت، ومن هذه الشروح: تفصيل الدرر لمحمد بن أحمد بن غازي، والفجر الساطع لعبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي (ت ١٠٨٢)، وشرح أحمد بن الطالب العيشي الشهير باحميدتي (ت ١٢٥١) ومحمد أحيد بن الطالب اعل العلوي، والغرر السواطع وهو تكميل للدرر اللوامع بإضافة بقية القراءات السبع إليها لزين العابدين ابن محمد بن اجّمد اليدالي (ت ١٣٥٨) ويطلق على مثل هذا العمل عند الشناقطة الاحمرار حيث جرت العادة عندهم أن يكتب باللون الأحمر خلال المنظومة ما يُضاف إليها من توضيحات أو شرح(٧٣).

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

٤٩- أشار إلى بعض هذه النقاط محقق جامع البيان، ١٤/١-١٩ و٣٥، وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١١٢٠/٣: "والقراء خاضعون لتصانيفه".

غاية النهاية لابن الجزري ٥٠٣/١.

٥٠- ورد في معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني للدكتور عبد الهادي حميتو، أنها بلغت ١٧١ كتابا وجزءا (مقدمة تحقيق كتابه جامع البيان ٣٦/١).

٥١- الإرداف في اللغة التتابع، وفي اصطلاح القراء: أن يكتب متعلم القراءات بالجمع رموز القراء فوق أو بعد الألفاظ المختلف في قراءتها ليسهل عليهم حفظها (يُنظر: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، ٦٦)

٥٢- قراءة الإمام نافع عند المغاربة للدكتور عبد الهادي حميتو ٧٦٦/٣-٧٧٠ بوساطة تاريخ القراءات في المشرق والمغرب ٢٩٥.

٥٣- يُنظر في مؤلفات أبي معشر: علم القراءات، ص ١٨٨ و١٩٧ و١٩٨، وتاريخ القراءات في المشرق

والمغرب، ١٧٤ و١٧٥، ومقدمة تحقيق كتابه التلخيص، ٣١و٣٢ .

٥٤- قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٢/١٨٨-٢٢٨، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ٣٦١-٣٦٨، والإمام الشاطبي سيد القراء ١٤٨-١٧٤، والجعبري ومنهجه في كنز المعاني، ١١٦-١٢٢.

٥٥- الجعبري ومنهجه في كنز المعاني، ٤٠٣-٤٧٩.

٥٦- تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ١٩٠ و١٩١.

٥٧- الأهوازي وجهوده في علوم القراءات، ٩٧-١٦٨، وفي هذا الكتاب عرض لما وجه إلى الأهوازي من اتهامات، وردها، ص ٦٦-٨٤.

٥٨- غاية النهاية ٢/١٥٣، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب ٣١٩.

٥٩- هذه العبارات لابن الجزري في غاية النهاية ١/٢٠٤، ولكن بالتأمل والتمعن في سيرة ومؤلفات كل من الداني وأبي العلاء والمنزلة العلمية لكل منهما، ترجح لي تقديم الداني واختياره واسطة عقد هذه المرحلة، دون انتقاص لأبي العلاء أو أي إمام غيره.

٦٠- أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، ٩٨-١٠١ و٢٥ و١٩٥.

ذكر هذه المؤلفات وغيرها عدد من المؤلفين والباحثين، وبعضهم بيّن أماكن وجود نسخ المخطوط منها، ومعلومات النشر والتحقيق للمحقق والمنشور منها، ومن هذه المؤلفات: النشر ١/٥٨-٩٨، وعلم القراءات لنبيل آل إسماعيل ١٠٧-١٣٩ و٢٣٠-٢٣٣ و٢٦٤-٢٦٥ و٢٩٥-٢٩٧ و٣١٦-٣١٩، ومعجم القراءات القرآنية ١/١١٨-١٢٣.

٦١- قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، ٥٨-١٢٩.

٦٢- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، ٣٠٧.

٦٣- الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه، ٨٠-٨٢.

٦٤- بلغ مجموع اختيارات الإمام الهذلي في الكامل ١٩٢٤ اختيارا، منها ٧٤ اختيارا فقط من القراءات الشاذة، بما لا تصل نسبته إلى ٤٪ (الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه، ١٠١).

٦٥- مقدمة تحقيق شرح الهداية، ٢٧-٤٠، ومقدمات في علم القراءات، ٢٢٣-٢٢٥.

٦٦- تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ٥٨٦ و٦٠١ و٦٠٩.

٦٧- آثرت وصف هذه المرحلة بالازدهار مع أن فيها فترات من الركود والضعف، تغليبا للصورة الإيجابية وإبرازا لها.

٦٨- أشار عدد من المؤلفين إلى مكانة هذا الإمام وتميزه، يُنظر على سبيل المثال: الإمام ابن الجزري وجهوده في علم القراءات، ص ٥، والقراءات وكبار القراء في دمشق، ١٨٢، ومقدمة تحقيق تحبير التيسير.

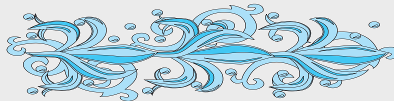
٦٩- القراءات وكبار القراء في دمشق، ٢٧٣.

٧٠- عُني عدد من المؤلفين بسرد أسماء مؤلفاته، يُنظر في ذلك: الإمام ابن الجزري وجهوده في علم القراءات، ٣٩-٥١، ومقدمة تحقيق تحبير التيسير، ٤٨-٥٩، ومقدمة تحقيق النشر، والقراءات وكبار القراء في دمشق، ٢٧٩-٣٥٦.

٧١- طبقات الحفاظ للسيوطي، ٥٤٩.

٧٢- مقدمة تحقيق النشر للضباع، نقله نبيل آل إسماعيل ص ٢٥.

٧٣- السلاسل الذهبية، ٢٧ و٢٨ و٣٠ .



٦

نظـــام الزكـــاة في الإســـلام

▪ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

❖ **الحول ليس شرطا لوجوب الزكاة:**

الحول هو اثنا عشر شهرا عربيا، وهو ليس شرطا لوجوب الزكاة في المال، ولكنه شرط لأخذ الدولة الزكاة، فلا يجوز للدولة أن تأخذ الزكاة في المال الواحد إلا مرة واحدة في العام الواحد.

ومن ذهب من الفقهاء إلى أن حولان الحول شرط لوجوب الزكاة قالوا: هو شرط لوجوب الزكاة في الأنعام والنقود وعروض التجارة، فعندهم لا تجب الزكاة في شيء من هذه الأموال، حتى يحول عليها الحول في يد مالكها، وقالوا: إن ما سوى هذه الأموال لا يشترط مرور حول عليها في يد مالكها لتجب فيها الزكاة، فزكاتها تجب عند حصولها.

والحكمة عند الذين اشترطوا الحول لوجوب الزكاة في الأنعام والنقود وعروض التجارة، هي أن هذه الأموال مقتناة من أجل نمائها، والحول مظنة حصول النماء، أما الأموال التي لا يشترط فيها الحول فلأنها نماء في نفسها، كما في الزروع والثمار والعسل والمعدن والكنز ومستخرجات البحر.

❖ **سبب الخلاف في اشتراط الحول:**

سبب اختلاف الفقهاء في اشتراط الحول، هو أنه لم يرد في اشتراطه حديث ثابت. ولعل من اشترطوا الحول فهموا ذلك من أن سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، جرت على أن يبعثوا عمال الزكاة على رأس كل حول لجمع زكاة الأنعام والزروع والثمار، فظنوا أن هذا الفعل يدل على اشتراط الحول. والصواب أن هذا الفعل يدل على أن الزكاة لا تجب في المال الواحد إلا مرة واحدة في العام الواحد، وكانوا يرسلون الجباة في كل عام مرة بحكم الواقع، فالأنعام تلد مرة واحدة في الغالب، والزروع والثمار تنتج في السنة مرة واحدة، فلا يدل فعلهم ذلك على أن الحول شرط لوجوب الزكاة في المال.

وكذلك عروض التجارة فالحول فيها إنما هو من أجل الحساب وإخراج الزكاة، وليس شرطا لوجوب الزكاة، فإن التاجر يحسب تجارته في كل عام مرة ويخرج زكاتها، لأنه يعلم أن الزكاة تجب في المال في كل عام مرة، وهو الذي يحدد ميقاتاً زمنيا يجب عند تجارته ويخرج عنده زكاتها.

❖ حكم الحول في المال المستفاد:

إذا استفاد المسلم مالا وعنده مال من جنسه، فيضمه إلى ما عنده، فيضم الغنم إلى الغنم والنقود إلى النقود، والبقر إلى البقر، وسلع التجارة إلى سلع التجارة، وهكذا، **ولكيفية التزكية هنا حالات:**

الحالة الأولى: إن كان مجموع ما عنده وما استفاده لم يبلغ نصابا فلا تجب الزكاة فيه.

الحالة الثانية: إن كان ما عنده قد بلغ نصابا ولم يزكه بعد فإنه يضم ما استفاده إلى ما عنده ويخرج زكاة الجميع، فكأن المال المستفاد هو مواليد نتجت من المال الذي عنده. وإن كان ما عنده قد أخرج زكاته، فيضم ما استفاده إلى ما عنده وينتظر حلول الموسم الجديد للتزكية، ويأخذ المستفاد هنا حكم المواليد التي نتجت بعد إخراج الزكاة.

وإذا كانت الدولة هي التي تأخذ الزكاة فإنها تنظر إلى ما عنده دون نظر إلى المدة التي مضت على ملكه له.

أما إذا كان المال الذي استفاده ليس من جنس ما عنده، كما لو استفاد غنما وعنده بقر، فلا يضم الغنم إلى البقر، وإنما تعامل الغنم باعتبارها مالا منفصلا، فإن

ملكها وهي نصاب وجب عليه فورا إخراج زكاتها، وإن كانت لم تبلغ نصابا فلا تجب فيها زكاة فإن بلغت بعد ذلك نصابا فيجب عليه أن يزكيها وأن يستقبل من حين تزكيتها حولا جديدا، لأن الزكاة لا تجب في كل عام إلا مرة واحدة.

وهذا القول له مستندات منها ما روي عن ابن مسعود وابن عباس ومعاوية أن الزكاة تجب فيه حين استفاده، وروى أحمد بإسناده عن ابن مسعود قال: "كان عبد الله يعطينا (يعني العطاء) ويزكيه". وعن الأوزاعي فيمن باع عبده أو داره: أنه يزكي الثمن حين يقع في يده إلا أن يكون له شهر يعلم، فيؤخره حتى يزكيه مع ماله.

❖ **الأموال التي تجب فيها الزكاة:**

الأنعام في باب الزكاة هي الإبل والبقر والغنم، وسمى الله تعالى إحدى سور القرآن الكريم سورة (الأنعام)، وهذه الأنعام هي أكثر الأنعام نفعا للإنسان، وذكر الله في القرآن الكريم بعض منافعها، فمن ذلك قوله تعالى: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ❖ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ❖ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾** النحل: ٥-٧، وقال تعالى: **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾** النحل: ٦٦. وقال تعالى: **﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾** النحل: ٨٠.

وهذه الفوائد هي بعض فوائد نعمة الله على العباد بخلق الأنعام لهم، ولولا أن الله تعالى ذلل الأنعام لعباده لم ينتفعوا بها، فكانت نعمة التذليل في الأنعام نعمة أخرى أيضا، ونعمة جعل منتجاتها مشبعة للحاجات الأساسية للإنسان من المأكل والمشرب والمسكن نعمة ثالثة، ونعم الله على العباد لا تحصى وكل واحدة منها تستحق الشكر، قال تعالى: **﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ❖ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ❖ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾** يس: ٧١-٧٣.

❖ **شروط وجوب الزكاة في الأنعام:**

شروط الزكاة في الأنعام ثلاثة: النصاب والسوم في أكثر السنة بقصد

النماء وأن لا تكون الإبل والبقر عوامل.

● **الشرط الأول: النصاب.**

نصاب الإبل خمس ونصاب البقر ثلاثون ونصاب الغنم أربعون، فمن ملك نصابا من الأنعام وجبت عليه فيه الزكاة في كل عام مرة، ومن ملك منها أقل من النصاب لم تجب عليه فيه زكاة.

● **الشرط الثاني: السوم في أكثر السنة بقصد النماء.**

السوم في اللغة الرعي، وفي الشرع: الرعي في الكلأ المباح غالب السنة. والسائمة يقابلها المعلوفة. وقلنا: أكثر السنة عملا بالأغلب فأعطينا للأغلب حكم الكل، فإن كثيرا من الناس يعلفون أنعامهم في بعض أيام السنة لعدم الكلأ أو لقلته.

ويشترط لوجوب الزكاة أن يكون القصد الأصلي من الإسامة هو النماء، فإن كان قصده الأصلي من الإسامة هو النفع الشخصي كالركوب والحمل عليها، فلا تجب فيها زكاة.

والحكمة في إيجاب الزكاة في السائمة دون المعلوفة، أن المعلوفة تكثر مؤنتها فيكون نماؤها بعد مؤنتها قليلا، فيشق على المالكين تزكيتها، أما السائمة فتقل مؤنتها فيكون العفو من نمائها بعد مؤنتها كثيرا، ويكون المأخوذ من ذلك العفو قليلا، فلا تشق تزكيتها على نفوس مالكيها، قال تعالى: ﴿**خذ العفو**﴾ الأعراف: ١٩٩، وقال تعالى: ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ البقرة: ٢١٩. والتكليف في شريعة الإسلام لم يأت ليصادم هوى النفوس ولكن ليخرج النفوس من أن تكون عبيدا لهواها.

دليل هذا الشرط:

من الأدلة على هذا الشرط قول الرسول ﷺ: (وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين منها شاة) أخرجه البخاري. وقول الرسول ﷺ: (في كل إبل سائمة في كل أربعين ابنة لبون) صححه جماعة من العلماء. فلفظة (سائمتها) في النص الأول قيد، ولفظة (سائمة) في النص الثاني قيد، والقيد إذا لم يكن لذكره فائدة يكون لغوا، والتشريع منزه عن اللغو، وتكون فائدة القيد هي بيان أن المراد من النص عند ذكر القيد هو خلاف المراد منه عند عدم ذكره، فلو لم يذكر القيد لكان المراد وجوب الزكاة في الإبل مطلقا السائمة والمعلوفة، فلما ذكر

القيد عرفنا أن الشارع إنما أراد إيجاب الزكاة في الإبل السائمة دون المعلوفة، فيكون تعليق الحكم على أحد وصفين لازمين في الشيء الواحد يدل على أن الوصف الآخر بخلافه.

وحيث وردت نصوص مطلقة من ذكر السوم تحمل على النصوص المقيدة بقيد السوم.

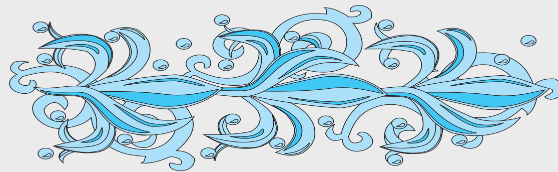
● **الشرط الثالث: أن لا تكون الإبل والبقر عوامل.**

لا زكاة في الإبل والبقر العوامل، أي التي تستعمل للحرث أو السقي أو نقل الأمتعة أو غير ذلك من الأعمال.

ومن أدلة هذا الشرط قول الرسول ﷺ: (وليس في البقر العوامل صدقة) وقوله ﷺ: (وليس على الحراثة صدقة)، وقوله ﷺ: (ليس على العوامل شيء).

ولعل الحكمة في عدم وجوب الصدقة في العوامل، هي أن القصد الأصلي من اقتنائها هو عملها وليس نماؤها، فلم تجب فيها الزكاة. وكذلك مؤنة العوامل كثيرة فيكون نماؤها قليلا فيشق على النفوس تزكيتها، وكذلك لعملها أثر في إيجاد النماء الذي تجب فيه الزكاة، كالزرع الذي استعملت في الحرث له ودرسه بعد حصاده وحمل الغلة عليها لنقلها وغير ذلك، فتكون تزكية النماء الذي استعملت فيه بوجوه مختلفة هي تزكية لها، فلو وجبت الزكاة فيها لكان ذلك تضعيفا للزكاة على المالك، وفي ذلك مشقة على النفوس، والشريعة جاءت لرفع المشقة والحرج.

والحمد لله رب العالمين



الهدي النبوي في الوقاية من العدوى والأمراض

■ بقلم الدكتور عبد الله محمد ربابعة

من المعلوم أنّ حفظ النفس وسلامتها هو أحد مقاصد الشريعة الإسلاميّة، ولذلك أولى الإسلام مسألة صحّة الإنسان اهتماماً كبيراً، لا يوجد في غيره من الشرائع، والصحّة -كما هو معلوم- نعمة عظيمة أنعم الله بها علينا، قال ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحّة والفراغ"[1]، وحث العباد على سؤال الله تعالى العافية، فقال ﷺ: "سلوا الله العافية، فإنه لم يعط عبد شيئاً أفضل من العافية"[2]، ونوّه بالصحّة والعافية فقال: "من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[3].

والأحاديث التي ترشد الخلق إلى سؤال الله تعالى العافية كثيرة، لأنّ الصحّة ضروريّة لقيام المرء بما افترضه الله تعالى عليه من الطاعات والعبادات.

ولكن كيف نحافظ على صحّتنا؟

يقول الإمام ابن قيّم الجوزيّة: "ومن تأمّل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحّة به، فإنّ حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، والهواء، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون، والمنكح، والاستفراغ، والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن، والبلد، والسنّ، والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحّة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولمّا كانت الصحّة والعافية من أجلّ نِعَمِ الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه، بل العافية المطلقة أجلّ النعم على

الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عمّا يُضادّها"[٤].

ومن المعلوم أنّ القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، تضمّنا العديد من التوجيهات والتدابير التي يجب القيام بها للحفاظ على الصحّة والعافية، تلك التوجيهات التي تشمل مختلف ألوان النشاط الإنساني، والتي تؤكد بدورها على اعتراف الإسلام بالعدوى، وحرصه على اتخاذ جميع السبل لمنع انتشارها، ومن تلك الإجراءات والتوجيهات:

أولاً: التوجيهات والأوامر الشرعيّة الداعية للمحافظة على البيئة ونظافتها:

يعرّف العلماء البيئة بأنها: ذلك المحيط الذي نعيشه حسّاً ومعنى، ويحتوينا بكل معنى الاحتواء، وهو مجموعة من البيئات المختلفة، كالبيئة الاجتماعيّة، والاستوائيّة، والمداريّة، والقطبيّة، والبحريّة، والجبليّة، والصحراويّة، والمدن، والقرى، والبادية، إلى غير ذلك[٥].

فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من ماء، وهواء، وأرض، ونبات.. ولا شكّ أنّ الإساءة إلى أيّ عنصر منها يعتبر إساءة إلى الإنسان نفسه، ولذلك رأينا الإسلام يدعو إلى النظافة الشخصيّة، ونظافة المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، لأنّ ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه الصحّة العامّة، وهو الوسيلة الكفيلة بتحقيق العافية، والمحافظة على الصحّة.

ومن هدي الإسلام للمحافظة على النظافة الشخصيّة:

١- الدعوة للطهارة، والطهارة -كما هو معلوم- هي الشرط الأهمّ لصحّة العبادات، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾** (المائدة: ٦)، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وثيابك فطهّر﴾** (المدثر: ٧٤)، وقال ﷺ: "أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟.."[٦].

٢- ولتقليل احتمالات انتشار الأمراض المعدية، كان من هديه ﷺ غسل الأيدي عند الاستيقاظ من النوم، فعن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ، قال: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها وضوئه، فإنّ أحدكم لا يدري أين باتت يده"[٧].

وكذا كان من هديه ﷺ: غسل الأيدي قبل الطعام وبعده، فعن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ كان إذا أراد أن يأكل وهو جنب غسل يديه[٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثمّ مضمض وغسل يده وصلى[٩].

٣- كما دعا الإسلام إلى المحافظة على نظافة الفم، لأنّ الفم مكان لتكاثر البكتيريا الناقلة للعدوى، ولذلك كانت المضمضة سنة من سنن الوضوء، كما أكد الرسول ﷺ على استعمال السواك الذي اعتبره مطهرة للفم، مرضاة للربّ، فقال: "السواك مطهرة للفم، مرضاة للربّ"[١٠]، ولعظيم اهتمامه ﷺ بتنظيف الأسنان بالسواك، قال: "لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"[١١]، وللترغيب باستعمال السواك قال ﷺ: "فضل الصّلاة بالسواك على الصّلاة بغير سواك سبعين ضعفاً"[١٢].

وقد اثبت الطبّ الحديث الفوائد الصحيّة للسواك[١٣]، وأنّه يعمل على قتل مختلف أنواع الجراثيم والبكتيريا الموجودة بالفم، ويمنعها من المرور عبر الأمعاء، تلك الجراثيم التي من شأنها أن تنقل العدوى من المرضى إلى الأصحّاء عبر قنوات عديدة كالعطاس، والشرب من الإناء الواحد، وغير ذلك.

٤- التأكيد على سنن الفطرة:

جاء الإسلام بقواعد عامّة وبتدابير عمليّة، من شأنها أن تحافظ على صحّة الإنسان فتقيه من العديد من الأمراض، ومن تلك القواعد : تأكيده على سنن الفطرة، قال ﷺ: **"الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصّ الشارب"**[١٤].

ولا شكّ أنّ المحافظة على هذه السنن، من شأنها أن تقي الإنسان العديد من الأمراض، وتمنع انتقال العدوى منه إلى الآخرين..

فمن المعلوم أنّ الأظفار الطويلة غالباً ما تختبئ تحتها الأوساخ، وخاصّة أثناء الاستنجاء، وهذه الأوساخ تحمل بدورها أصنافاً عديدة من الجراثيم والبكتيريا التي غالباً ما تنقل العدوى إلى الآخرين من خلال اختلاط الأظفار بالطعام والشراب..

وإطالة الشارب من شأنه أن يساعد على نقل الأمراض إلى الجسم، ذلك أنّ شعر الشارب غالباً ما يدخل إلى الفم نظراً لطوله، والشعر وبلا شكّ حامل لأنواع عديدة من الجراثيم التي من شأنها أن تنقل إليه العدوى..

أما الاستحداد -حلق شعر العانة-: فلا شكّ أنّ الواحد منا يشعر إذا ما طال شعر عانته بنتن رائحته، بسبب علوق الأوساخ على شعره، كما أنّ الشعر عندها يكون ملاذاً آمناً لقمل يسمّى: قمل العانة، وهذا

بدوره ينقل الأمراض وخاصّة للزوجة.. وشعر الإبط مثل ذلك.

٥- الحثّ على نظافة شعر الرأس وترجيله: قال ﷺ: "من كان له شعر فليكرمه"[١٥]. وإكرام الشعر يكون بتنظيفه، وتسريحه، وترجيله، وتعاهده، لئلا يكون بيئة صالحة لانتشار قمل الرأس الذي يتسبّب بدوره بنقل العديد من الأمراض.

٦- كما أمر الإسلام بالاستنجاء من البول والغائط بالماء والحجارة أو ما يقوم مقامهما، لأنها قذارة تحتوي على أصناف عديدة من الجراثيم التي من شأنها أن تفتك بالإنسان.. ومثل البول والغائط: الحيض، ولذلك دعا الإسلام المرأة إلى تعاهد نفسها بالنظافة، لأنّ دم الحيض دم فاسد، وهو مرتع خصب لتكاثر الجراثيم.

٧- ودعا الإسلام إلى المحافظة على نظافة البيوت والأماكن العامّة كالشوارع، والنوادي، والمياه، والشواطئ، وحذّر من إيذاء الناس، قال ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظلّ، وقارعة الطريق"[١٦].

ومعلوم أنّ تبرّز المريض في المواطن الثلاث التي أشار إليها الحديث، من شأنه أن يتسبّب في إيذاء الآخرين، ونقل عدوى المرض المصاب به إليهم.. ونهى عن البول في المكان الراكد، فعن جابر عن رسول الله، ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد[١٧].

ومن المعلوم أنّ الماء الراكد غالباً ما يكون ملاذاً ومكاناً خصباً للبعوض الناقل لمرض الملاريا التي تفتك بالآلاف، وخاصّة في البلاد التي تكثر فيها البرك والمستنقعات.

٨- وزيادة في حرص الإسلام على توفير البيئة الملائمة للإنسان، فقد اعتبر الرسول ﷺ إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فقال: "الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[١٨].

وأخيراً، فإنّ الإسلام يدعو لجميع السبل التي من شأنها أن تحقق نظافة البيئة، كي يعيش الإنسان آمناً مطمئناً، لأنّ تدابير الصحّة العامّة وإجراءاتها من مقاصد الشريعة التي تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد..

ثانياً: التوجيهات والأوامر الشرعيّة المتعلقة بالطعام والشراب:

١- دعا الإسلام إلى عدم الإسراف في الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا**

وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف/٣١)، وقال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطنه، حسب ابن أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه»[١٩].

وقد ترجم ذلك طبيب العرب الحارث ابن كلدة بأعظم النظريّات التطبيقيّة في الطبّ الوقائي الإسلامي حين قال: "الحمية رأس كل دواء والمعدة بيت الداء"، وما ذلك إلا لأنّ المعدة هي الوعاء الذي تأخذ منه جميع أجزاء البدن حاجتها من الطعام والشراب عن طريق العروق والشرايين، فإذا كان الطعام والشراب أو احدهما ملوّثاً أصيب الجسم كلّه، وكذا الحال إذا ملئت المعدة فوق طاقتها بالطعام والشراب، وبالتالي يعجز الجسم عن أداء وظيفته.

وقد أثبت الطبّ الحديث أنّ الإسراف في الطعام والشراب، سبيل للتخمة التي من شأنها أن تسبّب العديد من العلل لمختلف أجزاء البدن، فالحمية رأس الطبّ، وهي الأساس الأوّل في محاربة الأمراض وحماية الأفراد من الداء.

ولذلك رأينا الأطبّاء يوصون بالحمية من بعض الأطعمة والأشربة، كما نجد الإسلام وضع نظاماً لراحة المعدة والأمعاء بالصوم الذي لا إسراف فيه ولا مبالغة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (البقرة/١٨٣).

٢- حرّم الإسلام العديد من الأطعمة والأشربة: قال تعالى: **﴿حرِّمَتْ عَلَيْكُم المَيْتَةَ وَالدَّم وَلحم الخنْزير وَمَا أهلَّ لِغَير الله به وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبعُ إلا مَا ذكَّيتُم وَمَا ذبحَ عَلَى النصب﴾** (المائدة/٣).

وقد أكّد العلم الحديث أنّ أكل ميتة الحيوان ضار بالجسم، وأنّ الجراثيم تنفد إلى الميتة من الأمعاء والفتحات الطبيعية والجلد، وتعتبر الأمعاء المنفذ الأكثر أهمية من غيره لأنه مفعم بالجراثيم، وهذه الجراثيم لا تكون ممرضة زمن الحياة بسبب مقاومة الجسم الحي لها أما بعد الموت فإنها تنمو وتحلّ خمائرها الأنسجة وتدخل الجدر المعائية، ومنها تنفذ إلى الأوعية اللمفاوية والدموية، وأنّ احتباس الدم في الميتة، كما ينقص من طيب اللحم، فإنه يساعد على انتشار الجراثيم وتكاثرها في الجثّة[٢٠].

كما أكّد الطبّ الحديث العديد من الأضرار التي تلحق بجسم الإنسان جرّاء أكله للحم الخنزير[٢١]، يضاف لذلك أن العالم عاش منذ فترة وجيزة رعباً

عظيما جرّاء ما سُمّي بانفلونزا الخنازير، ذلكم المرض الخطير الذي ينتقل إلى جسم الإنسان من الخنزير.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ❖ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** (المائدة/ ٩٠-٩١).

ومن المعلوم أنّ تحريم الخمر تابع للطبّ الوقائيّ الإسلامي، لأنّ اجتنابه من شأنه أن يقي الفرد والمجتمع من العديد من الأمراض المهلكة، ويحمي المجتمع من ويلات حوادث المرور التي يتسبّب بها السائقون المخمورون، وكذا حوادث الانتحار التي يقدم عليه أولئك السكارى.

٣- وإمعاناً منه ﷺ في إثبات العدوى وانتقالها من إنسان لآخر، دعا إلى نظافة الأواني والأوعية وغسلها غسلاً جيداً، كما نهى عن التنفّس في الإناء أو النفخ فيه، فقال ﷺ: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء"[٢٢]، ونهى ﷺ عن الشرب من فم القربة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء.."[٢٣] وعن أبي سعيد الخدري، قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية، يعني أن تكسر أفواهها فيشرب منها"[٢٤].

قال النووي في حديثه عن علّة النهي: "سببه أنه لا يؤمن أن يكون في البقاء ما يؤذيه فيدخل في جوفه ولا يدري، وقيل: لأنه يقذره على غيره، وقيل: إنه ينتنه، أو لأنه مستقذر"[٢٥].

قلت: وقد ثبت علمياً أنّ العديد من الأمراض تنتقل بواسطة اللعاب، والشفتين، كالتيفوئيد، والدفتريا، والانفلونزا،.. وغيرها.

٤- الأمر بتغطية أواني الطعام والشراب لحمايتها من الحشرات والأمراض الناقلة للأمراض المعدية، قال ﷺ: "غطّوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإنّ في السّنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء"[٢٦].

وقد بيّن الطبّ الحديث أنّ الأمراض المعدية تسري في مواسم معيّنة من السنة، بل إنّ بعضها يظهر كل عدد معيّن من السنوات، وحسب نظام دقيق، لا يعرف تعليله حتى الآن، ومن أمثلة ذلك: أنّ الحصبة وشلل الأطفال تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفوئيد يكثر في الصيف، أمّا

الكوليرا، فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات، والجدري كل ثلاث سنوات[٢٧].

ثالثاً: التوجيهات والأوامر الشرعيّة المتعلقة بالصحّة الجنسيّة:

دعا الإسلام إلى القيام بالعديد من الإجراءات التي من شأنها أن تضبط العمليّة الجنسيّة، وكذا تحافظ على صحّة الجسم بعيدا عن الأمراض المختلفة التي من شأنها أن تنتقل من إنسان لآخر، من ذلك:

١- الاستنجاء بعد البول والغائط: فمن المعلوم أنّ سنّة الرسول ﷺ قضت بوجوب تنظيف القبل والدبر بعد قضاء الحاجة، إذ طهارتهما شرط من شروط صحّة الصّلاة.

فعن أبي أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، أنّ هذه الآية نزلت: **﴿فِيهِ رِجَالٌ يحبّون أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المطهرين﴾** قال ﷺ: "يا معشر الأنصار إنّ الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم؟ قالوا: نتوضّأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء، قال: فهو كذلك، فعليكموه"[٢٨].

"وقد أثبت علم الطفيليّات أنّ الاستنجاء خير وسيلة للحفاظ على الصحّة من انتشار الأمراض الطفيليّة للآخرين، وقطع سبل العدوى من مصاب لغيره، كما أنّ الاستنجاء في مكان خاص بعيد عن ظلّ الناس، وبعيد عن القنوات المائيّة، من شأنه أن يقطع دورة حياة الديدان والطفيليّات المختلفة، وبذا يتمّ الحدّ من انتشار العدوى، ويمكن القضاء على الطفيليّات ويسهل الشفاء من الأمراض الطفيليّة"[٢٩].

٢- الأمر بالختان: والختان كما هو معلوم سنّة من السنن التي أمر بها الرسول، ﷺ، وقد أكد العلم الحديث على أنّ الختان له دور كبير وهام في الوقاية من الأمراض الجنسيّة المختلفة[٣٠]، وما ذلك إلا لأنّ القلفة المحيطة بالحشفة يصعب تنظيفها، وبالتالي تبقى مكاناً لتجمّع أنواع عديدة من الجراثيم، التي من شأنها أن تنقل العدوى لآخر في حالة الاتصال الجنسي، أو غيره من ألوان الشذوذ.

٣- تحريم العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة.. قال تعالى: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾** الإسراء: ٣٢ .

ومن المعلوم أنّ غريزة الجنس أمر فطري عند الإنسان، والمطلوب من الإنسان أن يصرفها فيما أحلّ الله من خلال الزواج الحلال، وأنّ تصريفها في غير هذا الطريق من شأنه أن يجعل الإنسان عرضة للأمراض الجنسيّة، وهي أمراض تنتقل

بالعدوى، وتصيب الإنسان جرّاء اتصاله بشخص مصاب، فالابتعاد عن الزنا هو الطريقة المثلى للوقاية من الأمراض التناسليّة المتعدّدة، ومن أشهر هذه الأمراض: الإيدز، الزهري، السّيلان، إلى غير ذلك من الأمراض(٣١).

٤- تحريم إتيان النساء في المحيض:

قال تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذى فاعْتَزِلُوا النِّساء فِي المَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطهرن فإذا تطهّرن فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيث أَمَرَكُم الله إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوابِين وَيُحِبُّ المتطهرين﴾** البقرة: ٢٢٢ .

وقد أثبت الطبّ الحديث أنّ هنالك أضراراً صحّيّة، تعود على كلا الزوجين جرّاء ممارسة العمليّة الجنسيّة بين الزوجين في فترة الحيض، فمن المعلوم أنّ على جلد القضيب ميكروبات عديدة، ولكن المواد المطهّرة والإفراز الحامضي للمهبل تقتلها أثناء الطهر، أمّا أثناء الحيض فأجهزة الدفاع مشلولة، والبيئة الصالحة لتكاثر الميكروبات متوفرة.

ثمّ إنّ وجود الدم أثناء الحيض يجعل وسط المهبل قلوياً بعد أن كان حمضياً، وهذا مما يجعل المهبل عرضة للتلوّث بالجراثيم، وقابل للالتهابات، فإذا حدث الجماع أثناء الحيض ينتج عن ذلك تخريش لجدار المهبل، ومن ثم يحدث الالتهاب، وفي نفس الوقت يكون غشاء الرحم أثناء الحيض في حالة انسلاخ، لأنه جرح مفتوح، مما يجعله عرضة للإصابة والالتهاب بالجراثيم التي تدخل أثناء الجماع . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ الجماع يزيد من النزف الدموي، ويزيد من احتقان المهبل والرحم، وبالتالي تزداد الالتهابات شدّة، وربّما تصل إلى قناة الرحم وملحقاته والى المثانة، وتؤدّي إلى العقم والتهاب مجرى البول.

كما أنّ الرجل أيضاً يتعرّض للالتهابات بالجراثيم التي تدخل قضيبه من الجماع، فقد يصاب الجهاز البولي، وتمتد الإصابة إلى المثانة، فالحالب، والكلى، وقد تشمل أيضاً الجهاز التناسلي، حيث يصل المرض إلى الحويصلات المنويّة، والبروستاتا، والحبل المنويّ، والبربخ، والخصيتين، وقد يؤدّي ذلك إلى العقم عند الرجل(٣٢).

وبذلك يكون القرآن الكريم قد ساهم في الحدّ من انتقال العدوى، وحافظ على صحّة الإنسان من خلال قطع دابر انتقال العدوى، ليبقى جسم الإنسان سليماً معافى.

رابعاً: الإجراءات الإسلاميّة الصحية لمنع انتشار الأمراض المعدية:

أمر الإسلام بالعديد من الإجراءات والتدابير، التي من شأنها منع انتشار الأوبئة والأمراض السارية، من ذلك:

١- الأمر بعزل المريض مرضاً معدياً لسدّ الأبواب أمام انتقاله إلى غيره، قال ﷺ: "لا يوردنّ ممرض على مصح"(٣٣).

٢- الأمر بعدم دخول المناطق الموبوءة وكذا الخروج منها، لما في ذلك من التعرّض للوباء، وكذا منعاً لانتشاره، وحصره في بقعة معيّنة، كما في حديث النهي عن الدخول إلى المناطق الموبوءة بالطاعون، قال الإمام ابن القيّم: "وقد جمع النبي، ﷺ للأمّة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرّز منه، فإنّ في الدخول في الأرض التي هو بها تعرّضاً للبلاء، وموافاة له في محلّ سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنّب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية"(٣٤).

٣- التوقي من كلام المصاب بالأمراض المعدية عن قرب، منعاً لانتقال العدوى، قال ﷺ: "لا تديموا النظر إلى المجذومين، وإذا كلّمتموهم فليكن بينكم وبينهم قدر رمح"(٣٥).

٤- الأمر بوضع اليد على الفم في حال العطاس: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع ثوبه أو يده على فيه، وخفض أو غضّ بها صوته"(٣٦)، وفي رواية الترمذي: "كان إذا عطس غطّى وجهه بيده أو بثوبه، وغضّ بها صوته"(٣٧).

والحكمة من وضع اليد على الفم أثناء العطاس هي: منع الرذاذ الخارج من الفم من الانتشار إلى الغير، ذلك أنّ العاطس إذا كان مريضاً بمرض ما، فمن شأن العطاس أن ينقل المرض إلى الأصحّاء، فتقوم اليد بمنع الرذاذ من الانتشار، قال الدكتور إبراهيم الراوي في كلامه عن الحكمة من وضع اليد على الفم: "وهذا الأدب النبويّ له حكمته الصحيّة الجليّة، إذ يندفع مع العطاس رذاذه إلى مسافة بعيدة، يمكن أن يصل معها إلى الجالسين مع العاطس أو أن يصل إلى طعام أو شراب قريب منه، وهذا يمكن أن ينقل العدوى بمرض ما (كالزكام) إذا كان العاطس مصاباً به، وليس من خلق المسلم أن يتسبّب بشيء من ذلك، لذا علّمنا النبيّ، ﷺ، الأدب في أن نضع يدنا أو منديلاً على فمنا عند العطاس، لمنع وصول رذاذه إلى الغير، وفي ذلك غاية الأدب"(٣٨).

٥- والإسلام يدعو إلى الاستجابة لحملات التطعيم التي تقوم بها وزارات

الصحّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، إذ الأمر بالتطعيم داخل ضمن قوله تعالى: **﴿قَدْ خَسِرَ الذينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيرِ عِلْمٍ﴾** (الأنعام/١٤٠)، وقوله تعالى: **﴿لا تضَارّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾** (البقرة/٢٣٣)، وقوله ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت"[٣٩].

فاستخدام اللقاحات والأمصال، وكل وسائل العلاج الحديثة في الوقاية من الأمراض، أمور يحثّ عليها الإسلام ويدعو لاستخدامها، كيف لا والرسول ﷺ يقول: "إنّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام"[٤٠].

فالتطعيم ضد الأمراض هو نوع من الدواء سداً للذريعة، ولكي تحصّن الأجسام ضدّ الأمراض قبل هجومها، والله أعلم.

الهوامش:

١- أخرجه البخاري ص ١٢٣٢ برقم ٦٤١٢، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحّة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، أحمد في المسند ص ٢٠١ برقم ٢٣٤٠، الترمذي ص ٣٨١ برقم ٢٣٠٤ .

٢- أخرجه أحمد في المسند ص ٢٥ برقم ٤٦، الترمذي ص ٥٥٩ برقم ٣٥٥٨، كتاب الدعوات.

٣- أخرجه الطبراني في الأوسط ٤٩٥/١ برقم ١٨٢٨، البيهقي في الشعب ٣٣٥١/٧ برقم ١٠٣٥٨ .

٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوزيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٩٨٧م، ٢١٤/٤.

٥- انظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، د.محمّد أبو يحيى ورفاقه، دار المناهج، عمان، ط٧، ٢٠٠٧م، ص ١٧٢.

٦- أخرجه النسائي في الكبرى ١٤٣/١ برقم ٣٢٣، البيهقي في الكبرى ٣٦١/١ برقم ١٥٧٤.

٧- أخرجه البخاري ص ٥٦ برقم ١٦٢، كتاب الوضوء، باب: الإستجمار وتراً، مسلم ص ١٣٤ برقم ٢٧٨، كتاب الطهارة.

٨- أخرجه أحمد في المسند ص ١٩٤٩ برقم ٢٦٩١٥، ابن خزيمة في الصحيح ١٠٩/١ برقم ٢١٨ .

٩- أخرجه أحمد في المسند ص ٦٣٦ برقم ٩٠٣٧، ابن ماجة ص ٦٥ برقم ٤٩٣، الطيالسي في المسند ١٦٣/٤ برقم ٢٥٣٣.

١٠- أخرجه أحمد في المسند ص ١٨٠٠ برقم ٢٤٧٠٧، النسائي في المجتبى ص ١٠ برقم ٥، كتاب الطهارة.

١١- أخرجه البخاري ص ١٧٩ برقم ٨٨٧، كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، مالك في الموطأ ص ٤٥ برقم ٢٨٥ .

١٢- أخرجه أحمد في المسند ص ١٩٤٥ برقم ٢٦٨٧١، البيهقي في الكبرى ٣٨/١ برقم ١٦٠ .

١٣- انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.عبد الرحيم مارديني، دار المحبّة، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٦٢٥-٦٢٦، الموسوعة الذهبيّة في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي،

القاهرة،ط ٢٠٠٥،١ ص٩٠٦-٩٠٧.

١٤- أخرجه البخاري ص ١١٤٨ برقم ٥٨٨٩، كتاب اللباس، باب: قصّ الشارب، مسلم ص ١٢٨ برقم ٢٥٧، كتاب الطهارة.

١٥- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٢٠٤/٥ برقم ٦٤٥٥، الطحاوي في مشكل الآثار ٣٩١/٧ برقم ٢٨٥٠، أبو داود ص ٤٥٤ برقم ٤١٦٣ .

١٦- أخرجه أحمد ص ٢٢٩ برقم ٢٧١٥، البيهقي في الكبرى ٩٧/١ برقم ٤٧٤، ابن ماجة ص ٥١ برقم ٣٢٨، كتاب الطهارة وسننها.

١٧- أخرجه مسلم ص ١٣٦ برقم ٢٨١، كتاب الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، أحمد في المسند ص ١٠١٢ برقم ١٤٨٣٦ .

١٨- أخرجه مسلم ص ٤٨ برقم ٥٨، كتاب الإيمان، باب: بيان شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، أحمد في المسند ص ٦٥٤ برقم ٩٣٥٠ .

١٩- أخرجه أحمد في المسند ص ١٢٢٠ برقم ١٧٣١٨، الحاكم في المستدرك ١٣٥/٤ برقم ٧١٣٩، وابن حبان في الصحيح ٤٤٩/٢ برقم ٦٢٧٤.

٢٠- انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٠٨.

٢١- انظر: المرجع السابق ص ١١١-١١٤، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الرحيم مارديني، ص ٣٥٠-٣٥١، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد العاطي البربري، دار الياقوت، عمان، ط١، ص ١١١-١١٣.

٢٢- أخرجه البخاري ص ٥٥ برقم ١٥٣، كتاب الضوء، باب: النهي عن الاستنجاء باليمين، مسلم ص ١٣٠ برقم ٢٦٧، كتاب الطهارة.

٢٣- أخرجه البخاري ص ١١٠٦ برقم ٥٦٢٧، كتاب الأشربة، باب: الشرب من فم السقاء، أحمد في المسند ص ٥٣٠ برقم ٧٣٦٧، البيهقي في الكبرى ٢٨٥/٧ برقم ١٤٤٤١.

٢٤- أخرجه البخاري ص ١١٠٦ برقم ٥٦٢٥، كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامها، أحمد في المسند ص ٨٠١ برقم ١١٦٨٥ .

٢٥- صحيح مسلم بشرح النووي ١٣ /١٩٤.

٢٦- أخرجه مسلم ص ٨٣٦ برقم ٢٠١٤، كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها، أحمد في المسند ص ١٠١٦ برقم ١٤٨٨٩ .

٢٧- انظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ١٠١٤.

٢٨- أخرجه ابن ماجة ص ٥٣ برقم ٣٥٥، كتاب الطهارة وسننها، باب: الاستنجاء بالماء.

٢٩- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، د.أحمد مصطفى متولي ص ٩٤٣.

٣٠- المرجع السابق ص ٩٥٠.

٣١- انظر للاستزادة: أمراض الجراثيم بين الوقاية والعلاج ص ٧٨-٨٤، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية ص ٥٥٤-٥٥٨.

٣٢- انظر: أمراض الجراثيم بين الوقاية والعلاج في الطب الإسلامي، د : الفاضل العبيد عمر، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م، ص ٨٨-٨٩، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن

الكريم والسنة النبوية ص ٩٧٤-٩٨٠.

٣٣- سبق تخريجه.

٣٤- الطب النبوي، ابن قيّم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م، ص ٣٩.

٣٥- أخرجه أحمد في المسند ص ٧٢ برقم ٥٨١، وذكره الهيثمي في المجمع ١١٩/٥ برقم ٨٣٨٦ .

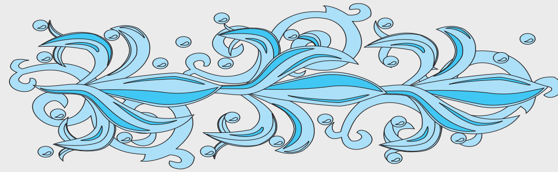
٣٦- أخرجه أبو داود ص ٥٤٣ برقم ٥٠٢٩، كتاب الأدب، باب: ما جاء في التثاؤب.

٣٧- أخرجه الترمذي ص ٤٤٣ برقم ٢٧٤٥، كتاب الأدب، باب: ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٣٨- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ١٠١١ نقلاً عن مقالة للدكتور ابراهيم الراوي: "أثر العطاس على الدماغ" مجلة حضارة الإسلام، العدد ٢٠، عام ١٩٧٩م.

٣٩- أخرجه أبو داود ص ٤٢٥ برقم ٣٨٧٤، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهة، البيهقي في الكبرى ٥/١٠ برقم ١٩٤٦٥، الطبراني في الكبير ٢٥٤/٢٤ برقم ١٤٩.

٤٠- أخرجه أحمد ص ٤٦٥ برقم ٦٤٩٥، أبو داود ص ١٩٩ برقم ١٦٩٢ .



الوسطية في الاسلام

■ بقلم الدكتور احمد الكبيسي

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

﴿وكذلك﴾: مما سبق، وآخره الآيات من ١٢٤-١٤١، وهي تقرير ان اصل الدين واحد وهو دين سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي جمع الناس على القبلة والذي وصى به ابناؤه، ثم انحرفت الأمم من بعده عن جادته، كل تدعي ادعاء فرعياً وتجادل فيه الى ان تفرقوا شيعاً، فأذن الله بأن توجد هذه الأمة ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾ اي افضل الأمم وأعلاها شأناً، تصحح انحراف العقيدة، وتعيد البشرية الى التوحيد.

﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ ولا تنتهي مهمة امتكم باعتبارها الأمة الافضل والأولى عند حد التصحيح، بل تناط بها مسؤولية مستمرة وباقية ما بقيت الأمة، وهي رسالتها الى البشرية، ومسؤوليتها من اقامة التوحيد على الأرض، ومراقبة ذلك، والشهادة عليه عندما يحصحص الحق وتوضع الموازين القسط، **﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**، ويشهد على تلك الأمة في ممارسة دورها القيادي ذاك افضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا تشهد الأمة الفضلى على سائر الأمم، ويشهد النبي الأفضل صلى الله عليه وسلم على تلك الأمة، بل يشهد على شهادتها التي هي الغاية من جعلها أمة وسطية في الأمم.

لقد اراد الله الحق لهذه الأمة ان تكون

شاهدة على الناس، فزودها بما جعلها افضل الأمم لتكون أهلاً لهذه الشهادة لأن الشهادة على الناس تقتضي المسؤولية والأهلية والفوقية، وهذا مقام القمة، وهو يقابل مقام رسول الله ﷺ في أمته بدليل عطف **﴿يكون﴾** على **﴿تكونوا﴾** دون تكرار لام التعليل إيحاءً بالاشتراك في علة واحدة، زيادة على الاشتراك بالعطف.

وللشهادة شأن يوم القيامة، حيث لا يملك احد ان يحاج او يجادل او يطلب برهاناً، فينتصر الله الحق المطلق لذاته، ويضع الموازين بالقسط ويجيء بالشهداء على رؤوس الأشهاد، فالحكم بناء على الشهادة إقامة للحق الذي تمثله الموازين القسط، وهذا لازم لله، وشاهد على انه الحق المطلق، وللشهادة في الدنيا شأن كذلك، فهي دليل على فضل الأمة ومركزها القيادي بين الأمم، وتقرير لمسؤوليتها أمام الله ورسوله على البشرية جمعاء، وتكريس بين لأفضليتها باعتبارها الأمة التي يفترض ان تهدي بالحدق وبه تعدل وتمثل الخليفة الذي اراده الله في الارض، اي الأمة الخليفة والرائدة والمسؤولة والشاهدة كشهادة نبيها ورسولها عليها.

ولعل هذا يلقي شيئاً من الضوء على تفسير الآية الكريمة **﴿وشاهد ومشهود﴾** التي اختلف في تفسيرها، وتعددت الأقوال فيها فبلغت ثلاثين قولاً، فلعل الآية قسم بعظم شأن عملية الشهادة يوم القيامة من عدة جهات، ابرزها دلالتها على افضلية هذه الأمة باعتبارها شاهدة ومشهودة عليها، وأفضلية نبيها ﷺ بشهادته عليها.

هكذا تضم هذه الآية التي اتصف بها تيار فكري بإهتداء المعنى الفرعي لكلمة «وسط» الى الآية الصريحة التي تطلق الخيرية لهذه الأمة، **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** وهي كما سبق ان رأينا تقرر مسؤوليتها باعتبارها الأمة الفضلى، من الناس جميعاً، وذلك فيما يخص صلتها بهم، تلك الصلة التي تتلخص في حملهم على الحق بالنهي الصادرين عن عقيدة سليمة تتخذ الله الحق المطلق مرجعيتها فيما تأمر به وتنهى عنه.

ولعل مما يرفد البحث استعراض الآيات من ١٠٢-١١٠ من آل عمران، حيث نقف على سمات الجماعة الاسلامية المطلوبة، وقد لفتني انها جاءت على صورة

الأمر مما يتبين لي انها صورة ما يجب ان تكون عليه الجماعة، وقمة ذلك، **﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾** اي لتكونوا أمة تدعو الأمم الى الخير، وتأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر وبهذا تفلحون.

ويلي تلك الآية الدعوة الى التوحد حول الدين والتذكير بالحق وهيمنته على السموات والأرض، وان الرجوع اليه حتم، ثم تقرير مطمئن يهبه الأمل بأن تلك الأمة بفكر الأمم بكونها تأمر بنفسها وغيرها بالمعروف، وتنهى نفسها وغيرها عن المنكر، وبذلك لا يملك أحد ان يغيرها الى اذى وهذا أمر صرح للأمة بأن تكون كما اراد لها الله لتكون الأعلى فافعلوا منوط الايمان وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين، وليس منوطاً بكونها الأمة التي نزل فيها الاسلام.

مما تقدم نرى ان من أسباب افضلية هذه الأمة، ولعله السبب الأبرز انتدابها لدور القيادة المستمرة في الأرض، وهنا واضح وصريح في الآية **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** فقد جمع الله تعالى فيها ما جمع من خصائص الوسطية ليؤهلها للشهادة والرقابة على الناس وقيادتهم الى التوحيد.

❖ ملاحظات متفرقة حول أسباب افضلية الأمة الاسلامية:

أ- كونها أمة مقيمة على التوحيد:

لقد حفظ للأمة بقاء مصدر التشريع الاول بمنجاة من التغيير او التحريف، الأمر الذي لم يتوفر لأي مصدر تشريع في الوجود سماوياً كان أو وضعياً، وتكريس التوحيد رأساً لهرم التشريع الاسلامي حصر هذا التشريع في القطاع الزاوي لهذا الرأس، فضمن بذلك اتساق احكامه وأحكامها وحفظ بذلك للأمة كتاب تحديد منزلته بحفظه، لأنه كتاب ناطق بالحق ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

والتوحيد من قرآن الحق وهو مركز في فطرة الانسان السوي، تشهد به عليه نفسه والآفاق من حوله بلسان الحال شهادة مرتبطة بأصل وجوده كإنسان عاقل، اي قادر على استيعاب قوانين الحق واستنتاجها من الغاية او الواقع والوصول

عبرها الى التوحيد.

ب- كونها الوحيدة التي تملك اجابات منبثقة عن تساؤلات البشر الأزلية:

وهذه الاجابات تشكل تصوراً علمياً ومنطقياً واضحاً لكبرى حقائق الوجود، ودور الانسان فيه، في ظل الايمان بالله الحق المطلق، مما يخرج بالدين عن نطاق الفلسفة الماورائية السمات، التي روج لها فكر المتكلمين وجدلهم والطبيعة الاسطورية التي أفرزها تأثير الاسرائيليات السلبي، وتمكن اصحاب الفكر السطحي البدائي من التصنيف في زمن بقي من مصنفاته ما بقي، وذهب ما ذهب عشوائياً في احيان كثيرة لما نزل بالأمة من نوازل.

وقد تركت هذه الاتجاهات في الفكر الاسلامي بصمات تحتاج الى جهود ضخمة، لإخراجها وتنحيها عن الحياة العملية المعاشة اليوم الى برزخ التاريخ لتمثل مرحلة في الفكر الاسلامي على امل ان تقدم البديل المؤهل لإحياء صبغة الله الحق في هذا العصر او على الاقل، وكتمهيد لذلك، ان نقدم الفكر الذي يملك اوراق الوصول الى العقل الانساني المعاصر، وإحياء القلب الذي تنحى عن دوره تحت ضغط الفساد المتواصل، وابراز شروط هذا البدل ان يقيم توازناً بين الوقائع المادية الملموسة، والمنطق الانساني السليم، والتخيل الروحاني الايماني الرشيد.

ج- كونها الأمة الأكثر احتراماً للعقل:

وليس أدل على ذلك من ظاهرة الاجتهاد الفريدة، وتعدد المذاهب في الفقه مما ادى الى إحياء حضارة الغرب التي كانت مندثرة في العصر الذهبي لهذه الأمة وذلك في ميادين العقل ومضاميره، حيث جندت العلوم البشرية آنذاك في البداية لخدمة الفقه ثم أبدع في كل مجال ابداعاته المتخصصة اساساً لشهادة التاريخ الاسلامي من اضطهاد بعض ذوي العقول، فليس من الأمة كأمة مسلمة في شيء.

ويكفي ما في الكتاب والسنة والأثر من شواهد هي كل الكتاب والسنة والأثر لو تتبعنا وتحرينا، وحسبنا دليلاً على منزلة العقل في الأمة المسلمة، ان يوزن مراد العلماء بدماء الشهداء، وان كل ما في الأمة من مبدعين في كل مجال كانوا حين كانت الأمة، مشمولين بقانون التفرغ التلقائي الذي تغتبط النظم الاجتماعية الحديثة

بدعوى ابتكاره وتطبيقه.

د- كونها الأمة الأكثر احتراماً للإنسان:

حتى لتفوق قدسية كعبتها وقبلتها، وحتى عندما يكون عدواً، وترعى احساسه حتى لتشنع على من يروع وتنهى عن إيذاء الجار، وتقيم توازناً فريداً بين أمم تلغي الفرد لمصلحة الجماعة، وأمم تقدس وتدلل النوازع الفردية على حساب سلامة وأمن المجتمع، وذلك بأن تربط الفرد بالمجتمع والأمة ربطاً عضوياً ومصيرياً، وذلك يجعل الهدف الخاص والهدف العام واحداً وهو إقامة الحق، وهذا الربط بين الفرد والمجتمع والأمة لم تحقق الأنظمة الوضعية مثله حتى يومنا هذا، فهذه الأمة تمنح افرادها امتداداً في العمل والأمل يلغي ارتباط جهد الفرد بالعمر الزمني، ويضاعفه اضعافاً لا تنتهي خدمته لجماعته، باعتبار الدنيا مزرعة الآخرة، والثمرة التي تحصد فيما هو دان من الحياة، انما هو محصول مؤجل الحصاد ومؤكده فيما هو آت من هذه الحياة، بل هو مضاعف حتى الرضا.

وما قد يصوره على انه احكام قاسية او لا انسانية في التشريع الاسلامي، يقصد به مصلحة الفرد والجماعة بشكل متوازٍ ومتوازن، سواء في ذلك اذا وضعنا في اعتبارنا ان حياة الفرد ممتدة الى ما وراء ايامه على هذه الأرض، وان هذه القسوة انما هي ضمانة لمكسب آت، واذا وضعنا في اعتبارنا انها رادع لغيره من الأفراد وهي لا شك مكسب لتجتمع من حيث كونها تطمره، وندرة تطبيق هذه الأحكام شاهد على تحقيقها لأهدافها على الصعيدين الفردي والجماعي.

هـ- كونها الأمة الأكثر حكمة واحكاماً فيما يخص المرأة من تشريع:

وما يخص المرأة من الشريع الاسلامي ينبغي تناوله من مصادره الاولى مباشرة، وعدم التعويل على تطبيقاته العملية لأسباب لا تخفى على منصف يقنع بروح البحث العلمي، بل اننا بحاجة الى فقه جديد للنصوص المتعلقة بالمرأة في هذه المصادر، وربما كان من الأجدى ان تتصدى النساء لهذا، فربما كن اقدر على ذلك من الرجال الذين تولوا الأمر حتى اليوم، ولعل هذا من روح التوجيه الذي اعطى المرأة ميزة خاصة لدى الشهادة فيما يخصها من شؤون.

والتشريعات الخاصة بالمرأة المسلمة لم تقدم حتى اليوم بالطريقة العلمية السليمة التي تجلو حقيقتها المتفوقة على كل التشريعات السماوية والوضعية القائمة، انما اصلها على مبدأ عام هو «النساء شقائق الرجال» والمتضمنة احكاماً خاصة بالمرأة فيما تنفرد به المرأة من احوال تقتضي لها تغطية من احكام الشرع، سواء في ذلك الأحوال المدنية والأمور الاقتصادية والسياسية، لأن الأحكام لا تزال تتخبط فيها المجتمعات على اختلافها منذ فجر الانسانية حتى يومنا هذا.

ان الجامع لأسباب فضل هذه الأمة أنها أمة تهتدي بالحق وبه تعدل سواء في ذلك على الصعيد الداخلي والخارجي، فلقد أقام الله الوجود على الحق، واستخلف الانسان في الارض لإقامته، وخصه بذلك نفخة من روحه دون سائر الخلق، **وبموجب هذه النفخة امتلك الانسان قدرات فريدة ابرزها:**

أ- القدرة على الاهتداء الى قوانين الطاقة في ذاته وفي الوجود من حوله.

ب- القدرة على تفعيل هذه القوانين بسلطان من الله يؤهله للنفوذ من اقطار السموات والأرض.

ت- القدرة على الاختيار بين الاخلاص لقوانين الحق هذه والسير في جادته وبين تنكر هذه الجادة الى جادة الباطل، وبالكفاءة نفسها، ولأن الله متم نوره وهذا قانون حق، فقد اضاف الى تمكين البشر من الاهتداء التلقائي بفعل فطرية الحق فيهم اصطفاء، وسن من أفذاذهم القادرين على استكنان الحق وإحقاقه وبعثهم الى الجانحين عن جادة الحق لإرشادهم، أولئك هم الأنبياء والرسل.

ولأن الرسالة المحمدية خاتمة تلك الرسالات الداعية الى الق، فالأمة حكماً خير الأمم وأفضلها.

ومن مظاهر فضل هذه الأمة:

كونها الأمة الوحيدة الباقية على التوحيد، وهي التي تملك مرجعاً ثابتاً وباقياً وصالحاً لكل عصر، ودستوراً كاملاً يغطي تفاصيل شؤون الفرد والجماعة تغطية كاملة، وهي الأمة الأولى في التاريخ التي اقامت دولة ومجتمعاً على اساس ايديولوجي.

وكونها الأمة الوحيدة التي تمتلك

اجابات مقنعة عن تساؤلات البشر الأزلية، وهي الأكثر احتراماً للعقل والعلم، والأكثر احتراماً للانسان عبر تاريخ البشرية، والأكثر حكمة واحكاماً فيما يخص المرأة من تشريع، والأولى في رعاية حقوق الطفل.

وكونها الأولى التي سنت تشريعات لحماية البيئة الطبيعية، والأولى التي اقامت للنظافة مفهوماً معنوياً اضافة الى مفهومها المادي.

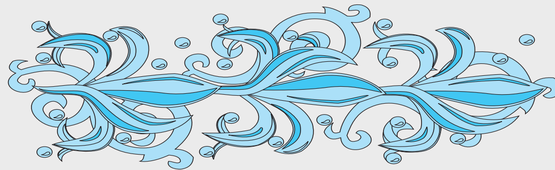
وكونها الوحيدة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر فيما بينها وبين الناس، وما تزال قائمة على الأسرة كخلية أولى في المجتمع.

وكونها الأمة الوحيدة التي تأبى الربا، وهي الوحيدة التي ما تزال فيها الأعراض مصانة.

وكونها الأمة التي تحترم حقوق الأرض، وحقوق الجار.

وكونها الأمة الوحيدة التي تحرم الخمر وتأنفه، وهي الشاهدة على الأمم عندما **﴿يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾**.

وكونها الوحيدة التي نظمت العلاقة بين الجنسين تنظيماً اثبت صلاحيته للبقاء، وما تزال نساؤها تحتفظ بالحجاب كدليل حي وناطق على كونها شقيقة للرجل، وهي الأمة الوحيدة التي تتيح فعلاً لأصحاب العقائد الأخرى العيش الكريم فيها، وتحقق صفة الانسانية في اصل اخراجها ووجودها، وهي التي نظمت العلاقة بين طبقات المجتمع وأفراده على اساس التواد والتراحم، وربطت المال بالانسان وأقامت الاقتصاد على اسس انسانية، وهي الأمة التي تعتد بأنسابها وتتخذها جذراً للمحافظة على الأسرة كخلية اولى في المجتمع.



وقفـات
مع حديث لرسول الله ﷺ

■ بقلم المحامي شكري الحسن

عن ام المؤمنين عـائشـة رضي الله عنهـا، ان قـريشـا اهمـهم شـأن المرأة المخزومـيـة، التي سرقت في عهد النبي ﷺ، من يتكلم مع الرسول فيها؟ فقالوا: ومن يتجرأ عليه الا اسامة ابن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله، فكلمه فيها اسامة بن زيد رضي الله عنه، فتلون وجهه ﷺ فقال: اتشفع في حد من حدود الله؟ فقال اسامة: استغفر لي يا رسول الله!! فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فخطب واثنى على الله بما هو اهله، ثم قال: «اما بعد فإنما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه مسلم.

ان السـرقـة، وباء يكاد لا يخلو منه مجتمع، وتكون السرقة على اية صورة، وما اكثرها!! فقد تكون رشوة، اختلاسا، استغلالا.. الخ.

وهذا الواقع الاليم كان فيما مضى يتم في الخفاء، لكن اليوم اصبحت السرقة، احيانا ترتكب في وضح النهار بلا خجل، ومع الاعتداء على الانفس، وعلى العرض احيانا، فقد تتشكل عصابات متخصصة لسرقة المنازل، او الممتلكات وغيرها.. فأصبح الامر ليس مأمونا..

أرأيتم كيف ان جرما تهاونا فيه اول الامر، استفحل، فأخذ يشمل الدم والعرض والفساد، والاستغلال والتخريب .

اننا نتفق ان جريمة السرقة، بكافة اشكالها تسبب اذى، ونخرا في السلم الاجتماعي، وان الدواء الوحيد لهذا الوباء تحت ايدينا، نجده في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ، اقامة الحد.

قال الله تعالى: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾** المائدة: ٣٨، اما في سنة النبي ﷺ فقد قال: «انما اهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد».

ان المشرع الاعظم اعطى العلاج، بقطع يد السارق، وهو المشرع العظيم الذي احاط بكل شي علما سبحانه، وعرف بم يكون صلاح البشرية.

ان قطع يد السارق، وان كانت له وصمة عار، فهو تطهير له من جريمته، ويرد السؤال: لماذا نحجم -معشر المسلمين- عن قطع يد السارق؟! اهي الشفقة والرحمة؟! لكن فلنسأل انفسنا كم من يد تبتر؟! وكم من ساق تقطع نتيجة حوادث السيارات على سبيل المثال؟! وكم من جسم يصاب بالشلل وكم من انفس تزهق وتموت نتيجة ذلك وامثاله؟! ومع ذلك لا تتقطع، ولا تذوب حشاشات القلوب، ولم يمت الناس حسرة وأسى!! ام اننا نحجم عن قطع يد السارق خوفا من تقولات الناس؟! ام خوفا من تطبيقه على احد من اهلينا؟! الم نعلم انه ما دمر الامم السابقة، وافسد حياتها ونشر فيها الفوضى، الا عدم العدالة في تنفيذ القوانين! لنتدبر حديث النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو ان فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها!!» فمن هي فاطمه؟ انها كريمة اطهر البيوت واعلاها نسبا، ومن محمد؟! انه سيد الخلق اجمعين ﷺ!! وهل هناك رابطة اعز واغلى من الرابطة التي بين فاطمة ومحمد؟! ومع ذلك من سينفذ العقوبة على فاطمة اذا سرقت؟!، انه هو محمد نفسه ﷺ.. الله اكبر!!

ما اعظم البلاء، ان لم نسو بين الناس في اقامة الحدود فنفعل كما فعلت الأمم السابقة تنفذ العقوبة على الضعفاء، ومن لا شأن لهم، ونترك الاقوياء والاغنياء، وبذلك نقيم الظلم وما اقساه، ونخلف التفرقة وما اقبحها، ونقيم الفتنة والشر فنحكم على انفسنا بالويل والثبور.

ما احوجنا الى وقفة تاريخية طويلة، نستعيد فيها سيرة السلف الصالح من اجدادنا، ونراجع فيها انفسنا مراجعة جادة، نحاسبها حساب المؤمن، الخائف من الله تعالى الحريص على دينه ووطنه، بل وعلينا نبذ المحسوبية، التي تلوث الحياة وتفسدها.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، نسير على هدي سيد المرسلين، ﷺ.

الاعتدال والتطرف في الحركات الاسلامية المعاصرة

■ بقلم الاستاذ الدكتور بسام العموش

تزداد عناية الباحثين والمفكرين ومراكز البحوث والدراسات الجامعية بالحركات الاسلامية، فبعد ان كانت منزوية في عصور الجهل وسيطرة الفكر الآخر الاقصائي، عادت الصحوة الاسلامية الى البروز ليس على الصعيد الثقافي والعلمي فحسب، بل ايضاً على الصعيدين الدعوي والسياسي، لقد ساهم رجال الصحوة الاسلامية في ثورات الاستقلال على المستعمرين، فكان عز الدين القسام وعمر المختار وعبد القادر الجزائري والحسيني وغيرهم كثير، وبعد خروج المستعمر خاضت الأمة صراعاً داخلياً دفعت ثمنه سجوناً ومعتقلات وهجرة.

وتعود الصحوة اليوم بعد انحسار الفكر المستورد، وازدياد الغطرسة الصهيونية، وطرق الاسلاميون أبواب المؤسسات، فدخلوا النقابات والبلديات والبرلمانات والوزارات، بل حكموا في السودان وايران وأفغانستان، وقطعوا شوطاً محدوداً في رحلة الاعتراف بالآخر، ونشأت لجان التنسيق مع الوطنيين والقوميين واليساريين بشيء من النسبية، وذلك في الأقطار التي برزت فيها الصحوة مثل مصر والأردن وفلسطين ولبنان واليمن والخليج وتركيا وايران والمغرب والسودان والجزائر، كما

برزت الصحوة الاسلامية عبر المنظمات الشبابية في بلاد المهجر (اوروبا وامريكا) وبدأوا رحلة تكوين «اللوبي الاسلامي» كنقيض للوبي الصهيوني.

ولأننا حريصون على الصحوة فإننا نعترف أنها لا تزال تعيش في مشكلات لا بد ان تتخلص منها، لتصير صحوة لباب وليس مجرد حجاب، كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي.

ان الغيورين من ابناء الصحوة الاسلامية، مدعوون لتنقيتها من الشوائب الفكرية التي لا يمكن ان ترتبط بالاسلام، ان الاسلام هو دين العدالة والاعتدال والآيات الكريمة والأحاديث النبوية اكثر من ان تحصى نذكر منها قوله تعالى: **﴿واذا قلتم فاعدلوا﴾** وقوله: **﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** وقوله: **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** وقوله: **﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾** وقوله: **﴿ألم نجعل له عينين﴾** وقوله: **﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه﴾**.

ولأن العدل أساس الملك فقد بين ﷺ ان «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: إمام عادل»، وسر اولوية الإمام العادل في السبعة الذين ذكرهم ﷺ، أنه أساس لوجود الستة الآخرين وغيرهم، فبغياب الإمام العادل تتأثر الحياة كلها من حيث التدين وعمارة المساجد والأخلاق الكريمة، وارتفاع راية الجهاد في سبيل الله ولا يعني هذا ان الخير غير موجود، ولكن المقصود انه غير متمتع بالحماية والتشجيع العام وفي المقابل فإنه يعطي المظلة العامة للخير، لتبقى جحور للأشرار هنا وهناك، ولن تصفو الحياة للخير وحده او الشر وحده ولكنها كفرسي رهان الى قيام الساعة.

والعدالة والاعتدال والعدل ليس محصوراً في الامام بل مطلوب من الجميع سواء كانوا حكاماً أو أفراداً او جماعات ويبقى الخطاب القرآني على عمومه **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى﴾** فالجميع مخاطب بتحقيق العدالة مع نفسه ومع غيره من الناس، فالإنسان العادل اي المستقيم اي البعيد عن العوج لا يظلم نفسه ولا غيره، يعترف بالخطأ الصادر عنه، كما انه يعترف بالخير الموجود عند الآخرين.

والاعتدال يرفض التطرف لأن الاسلام دين الوسطية، قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم امة وسطاً﴾** وهدف الوسطية في الآية نفسها **﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** ولن يشهد

على الناس متطرفون لأن الوقوف في الطرف او عليه لا يمكن من الرؤية الواضحة، ولهذا فإن المتطرف يعيش الوهم والغرور فلا يحقق الخير لنفسه فضلاً عن ان يحققه للآخرين، وان هؤلاء المتطرفين لا ارضاً يقطعون ولا أظهر يبقون، فقطع الأرض (اي تحقيق الاهداف النبيلة والايجابية) يحتاج الى رؤية استراتيجية ووعي تام وفهم كامل، وهذا كله موجود في النهج الحقيقي للرسول ﷺ الذي رفض قتل شخص كافر نطق بالشهادتين تحت ظل السيف، فقال للصحابي الذي لم يستجب لنطق الكافر: «أقتلته؟! أين تذهب بلا إله الا الله يوم القيامة؟» وحينما فسر الصحابي قتله وأنه قال تلك الكلمة لينجو من السيف، اعلنها ﷺ مدوية مجلجلة عبر الأزمنة: «هلا شققت عن قلبه».

ان الحركات الاسلامية بمختلف أسمائها وعناوينها، هي صاحبة نية صالحة تريد الخير والاصلاح وان يعيش الناس في ظل عدالة الاسلام، ولقد حققت جزءاً من الخير المنشود وكان لها أثر محمود في واقع المجتمع، لكن النية الصالحة لا تكفي فلا بد من العمل وان يكون صالحاً، قال تعالى: ﴿**والعصر ❖ ان الانسان لفي خسر ❖ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ فهم قد ﴿**آمنوا**﴾ و ﴿**عملوا**﴾ وليس (قالوا) وما عملوه كان (صالحاً)، **وحتى تصلح اعمال الحركات الاسلامية فلا بد ان تتخلص هذه الحركات من بعض السلبيات التي يرفضها الاسلام نفسه وهي على سبيل المثال:**

❖ التطرف الاعتقادي:

١- التكفير:

فقد ظهرت حركات اسمها «التكفير والهجرة» في مصر وانتقلت العدوى لعدد من الأقطار، وبالرغم من ان استبداد الانظمة كان له دور في ظهور هذه الحركة، الا ان ذلك ليس مبرراً لتبني المسلمين لفكر التكفير، وهو فكر الخوارج «تاريخياً» الذين لم يلتزموا بتوجيهات الاسلام، واكتفي هنا بذكر حديثين شريفين: **الأول:** ما ذكرته سابقاً وهو قول الرسول ﷺ: «اين تذهب بلا اله الا الله.. هلا شققت عن قلبه»، **الثاني:** قوله ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما».

والأحاديث في فضل «لا إله الا الله» كثيرة جداً فهي اول ما يُسأل عنه العبد في قبره، وهي مفتاح الجنة وهي وسيلة الشفاعة وهي التي ترجح أمام كل

السيئات، وهي التي تعصم الدم والمال، فليترك التكفيريون هذا النهج الخطير وليتمسكوا بقوله ﷺ: «هلا شققت عن قلبه»، فنحن مأمورون ان نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ونحن دعاة لا قضاة كما قال قادة الاخوان المسلمين.

لقد تسرب فكر التكفير الى أفراد ينتمون الى الإخوان، وحزب التحرير والجماعات السلفية والصوفية والهررية «احباش» وحركة الجهاد المصرية، وأساؤوا الى جماعاتهم وعلى هذه الجماعات ان تعيد النظر في مناهجها الفكرية والتربوية، حتى تحول دون تفريخ هذه المناهج لجماعات التكفير الخطيرة واليائسة، ان المسلم يشعر بذنبه ويتمنى للآخرين ان يتوبوا، لا ان يُنَصّب من نفسه حكماً يدخل الناس النار ويفتري على الله عز وجل، وعلى هذه الجماعات ان تراجع الشروط التي حددها العلماء لتكفير المعين، ليجدوا البون الشاسع بين هذه الشروط وما يتلفظ به التكفيريون تجاه الناس أياً كانت مواقعهم الوظيفية.

❖ التطرف السلوكي:

٢- الاغتيالات:

وقد بنى التكفيريون هذا العمل بناء على إلصاق كلمة الكفر بالشخص المراد اغتياله، ان الاغتيال كعمل سياسي موجود عبر التاريخ البشري، وما يعنينا هنا هو ان لا يربط هؤلاء جريمتهم بالاسلام، لقد امر الاسلام ان نخدم غير المسلمين وسماهم اهل ذمة ليكون تعاملنا معهم نابعاً من ضمائرنا، فهم في ذمتنا نحافظ عليهم وعلى أموالهم وأولادهم وأماكن عبادتهم رغم اننا نختلف معهم عقائدياً، وهذا ما ميز الاسلام، بل دفع بعض هؤلاء ليدخلوا في الاسلام الذي لا يؤمن بإكراه الناس بل يترك لهم حرية الاعتقاد لأن ذلك هو ما يليق بتكريم الانسان، فإذا كان هذا في حق غير المسلم فما بالك بالمسلم الذي له حرمة الدم والعرض والمال، لقد قال النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم الا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وبالطبع فإن من يمارس القصاص هو الدولة الاسلامية، فليس لنا نحن الأفراد ان نرجم او نقطع او نعاقب، ورغم اننا في تقديراتنا لسلوكيات الحكام مختلفون، لكن ما يجب ان نتفق عليه ان اغتيالهم باسم الدين امر مدان، ولعل اغتيال أنور السادات كمثال حي يؤكد ان هذا العمل لا يفيد في شيء، ولا يحقق اية خطوات ايجابية للصحوة الاسلامية، ولعل الاغتيال له مجال واحد وهو حالة الحرب مع

العدو، فهي حرب مفتوحة الأبواب والاختيارات ومنها اغتيال رؤوس الكفر التي تفكر وتخطط وتنفذ لقتل امتنا ودينها وعرضها ونسائها وأطفالها ومقدساتها.

اما بيننا كأبناء أمة عربية واسلامية، فلا يحل ذلك وكذا الذين لم يأخذوا ارضنا ولم يعتدوا علينا ولم يخرجونا من ديارنا، من بقية الشعوب التي يجب ان نتعارف عليها ونقدم لها صورة طيبة عن الاسلام ومبادئه، **وفي هذا السياق فإن اغتيال السياح امر مرفوض لا تقبله الشريعة الغراء، بل هو عمل مشين ينفر الناس عن الاسلام** ولو فهم هؤلاء المتطرفون الاسلام لما قاموا بذلك فليراجعوا سماحة الرسول ﷺ مع اعدائه حين قال لهم يوم فتح مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فكيف بهؤلاء وهم اهل كتاب وضيوف على بلاد المسلمين؟!

٣- التطرف الفكري:

عند التدقيق في البنى الفكرية لدى كثير من الحركات الاسلامية، نجد انفسنا امام افكار متعددة متناثرة وأحياناً متناقضة، والأهم اننا لا نجد منظومة فكرية منطقية مؤصلة وواقية، فالموقف من غير المسلم فيه مدارس متعددة حتى داخل الجماعة الواحدة، والموقف من السلطات الرسمية فيه أقوال وممارسات، والمرأة عند الجماعات لها مواقع متعددة، والاجتهاد وإفرازاته والجرأة فيه وقداسة الأشخاص والوقائع التاريخية والنصوص الفقهية بل حتى المسائل الاعتقادية، نجد في ذلك مذاهب وآراء وكل ذلك ناتج عن فقد التأهيل العقلي والنقلي، بل نرى خلافات واسعة اذا ذكر العقل، ان الجماعات الاسلامية مدعوة لاعادة البناء وفحص الموروث ومراجعة الحسابات وتدقيق المفاهيم، والاعتراف بالأخطاء وتبني سياسة الانفتاح والمصالحة مع الذات والواقع، تمهيداً لاصلاحه وبغير ذلك فإن الجماعات ستراوح مكانها، بل ستتآكل وتصبح هياكل تاريخية لا تسمن الواقع ولا تشبع جوعه، وعندها قد تصبح جزءاً من خداع الذات والناس الذين يأملون فيها الخير والتغيير.

لقد رأينا من يرى ان لا يسلم المسلم على غيره بل يقاطعه، ورأينا من يرى ان المرأة للطبخ والنسل فحسب، ورأينا من ينادي بوثائق مكتوبة، ان الديمقراطية نظام كفر، ورأينا من ينادي بإعطاء العقل إجازة لا رجعة بعدها، ورأينا من يريد فرض رأيه وان من لم يكن معه فهو عدو للاسلام والمسلمين!!.

ورأينا من ثار بالسلاح على السلطة وإذ به يوقع نفسه والناس معه في مصائب الدماء والسجون والتشريد، كل ذلك نتيجة لفهم عقيم لفقه الانكار وانه مدعو لاستخدام اليد ضارباً عرض الحائط بما قاله العلماء، من ان استخدام اليد انما هو لصاحب السلطة وليس لغيره الا النصح والارشاد والنصيحة، رأينا رسائل التطرف تتبع عن اشخاص نصبوا انفسهم قيادة واهل إفتاء حتى وهم في السجون، ينطلقون من اوهامهم ولقد سمعنا عن ذاك الذي يدعو تنظيمه الى قصف الوزارات والمؤسسات اليمنية لأنها في رأيه مؤسسات الطاغوت، ولم يخطر بباله انها مؤسسات الشعب وان الحاكم مهما طال حكمه فلا بد ان يغادر، وان الموظفين في هذه المؤسسات انما هم من ابناء الاسلام.

نعم الغيرة على الاسلام مطلوبة ولكن علينا ان ندقق في قول الرسول ﷺ: «ان من الغيرة ما يحبه الله» فليس كل غيرة محمودة، فقد تكون ذميمة اذا تجاوزت حدها، نغار حينما نرى تاركاً للصلاة، ولكن ذلك لا يدفعنا الى الاساءة اليه بالتكفير والتحقير بل مطلوب منا ان نحرص عليه، قال تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**.

لا يجوز للمسلم ان يكون كذلك الذي قيل عنه: انه اذا احب ادهش واذا كره أفحش، بل يتوسط ويعتدل فيحب هوناً ويكره هوناً، لقد حارب خالد بن الوليد رضي الله عنه الاسلام ولكنه صار سيف الله المسلول، ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجه الاسلام واذ به الفاروق وشيخ العدل، الذي يبكي خشية ان تعثر شاة في العراق بسبب الطريق غير السوي، وفي عصرنا الحاضر وقف خالد محمد خالد ومصطفى محمود ويوسف اسلام في مواقع لا تحمد ولكنهم عادوا فيما بعد دعاة منافحين عن الاسلام، مباشرين للدعوة مضحين بالوقت والمال، ورأينا توبة الفنانات المصريات لتكون معلماً بارزاً يتحدى الذين يحكمون على الناس بأن رحمة الله اوسع، وكما قال ﷺ: «.. على رغم أنف أبي ذر».

كيف تريد جماعات اسلامية ان تقود المجتمع، بينما تصورها عن المرأة ودورها لا يتناسب مع هذا الطموح؟ لماذا يهتم اسلاميون بغطاء الوجه ولا يهتمون بتنوير العقل؟! لماذا يضيع اسلاميون وقتهم في طول الجلباب واللحية ولا يتحدثون لأتباعهم عن زكاة العقل وضرورة التفكير؟! لماذا يحدث رجال ووعاظ الناس عن طاعة الزوج ولا يتحدثون عن حقوق المرأة؟! لماذا

يسكت بعض الوعاظ عن جريمة مصادرة الأخ لميراث اخته؟! لماذا تثور ثائرة بعضهم اذا اسندت المسؤولية لامرأة بينما آلاف الرجال يقودون مواقعهم بفشل واضح؟!

لماذا يمارسون القنص التاريخي فيختارون ما يوافقهم حسب تفسيرهم، ويخفون ما يصطدم مع أفكارهم؟! ما هي دلالة تقديم خديجة رضي الله عنها لمالها؟! ما هي دلالة عمل اسماء ذات النطاقين؟! ما هي دلالة استشهاد سمية وأنها كانت اول شهيد في الاسلام؟! لماذا يحلو لإسلاميين ان لا تذكر المرأة الا في مجال تعدد الزوجات؟ لماذا لا يتحدثون عن السلبيات الواقعية في ممارسة بعض الرجال للتعدد؟! لماذا لا يميز هؤلاء بين النص المقدس وبين افهامهم غير المقدسة للنص؟! لماذا يشهرون البطاقة الحمراء امام اي مناقش مع ان الانبياء سألوا ربهم واستغفروه، لقد طلبوا رؤية الله، وطلبوا ان يروا كيف يحي الله الموتى، وطلبوا تخفيف الصلاة، ودعوا لقومهم بالهداية، وسامحوا اعداءهم وصفحوا عمن اساء لأشخاصهم ولبيوتهم؟ كيف يقرأ هؤلاء اعطاء الرسول ﷺ للمال الكثير لمالك بن عوف عقب معركة هوازن وثقيف؟ كيف يفهمون فريضة إعطاء المؤلفة قلوبهم سهماً من اسهم الزكاة؟ كيف يفهمون مدح الرسول ﷺ للنجاشي بأنه ملك عادل مع انه آنذاك غير مسلم؟ كيف ينظرون لمرونة الرسول ﷺ عند صلح الحديبية فلم يكتب باسم الله الرحمن الرحيم وقبل ان يكتب باسمك اللهم، وقبل ان يكتب محمد بن عبد الله عوضاً عن محمد رسول الله؟ كيف يفسرون افتاء الرسول ﷺ في الحج للسائلين بقوله: «لا حرج»؟ لماذا يقود هؤلاء الناس الى الحرج واغراقهم في الذنب واشعارهم انهم دون المستوى المطلوب؟ وهل سلوك وفعل هؤلاء الادعاء في شتى المجالات ملتزم بالشرعية ام لهم مخالفاتهم التي يعرفها الناس؟!

قبل ربع قرن صليت خلف احد الاقطاب رحمه الله، فسألني بعد الصلاة «صلاة الظهر» كم صليت؟ فقلت: اربعاً فقال: لا شك ان صلاتك باطلة «لأنني مسافر حسب رأيه» فقلت: لا شك ان صلاتي صحيحة وانا غير مسافر بل مقيم، وحتى لو كنت مسافراً فإنني مع جمهور العلماء القائلين بإتمام المسافر صلاته خلف المقيم، لقد سمعنا خطباً تحرم لبس «البنطلون» وحرمة شراء التلفاز ومشاهدته، ورأينا في برنامج احد الاحزاب الاسلامية منع الستلايت، وسمعنا عن تحريم دراسة الفتاة في الجامعة، وكان صاحب الفتوى آنذاك

يدرس في الجامعة ومن جملة طلابه الفتيات، وسمعنا عن حرمة التصوير والغناء، كل ذلك دون تمييز بين السلبيات والايجابيات التي يمكن ان تتحقق، ودون التفريق بين من يسيء استخدام الاشياء ومن لا يعرف ذلك.

ان هذه المحطات الفكرية والفقهية السلبية والخطيرة، لا بد من مقاومتها حتى يعود المتطرفون الى رشدهم، ووجودها لا يلغي الاعتدال الموجود في مساحات كبيرة لدى الحركات الاسلامية، فالعمل الدعوي الارشادي واصلاح النفوس واعادة الناس الى جادة الصواب بالنصح والارشاد كل ذلك له اثره الملموس، كما ان التربية التي تقوم عليها الجماعات لأفرادها وتثقيفهم بالثقافة الاسلامية امر يسجل لها، لكننا نطالبها ان تصنع الانتماء للاسلام وليس الى الحزب او الجماعة، كما نريد تربية وتثقيفاً وفق الأمور المتفق عليها بين المسلمين مما يجمع ولا يفرق، ويصنع الاعتدال لا التطرف، وأظن ان بعض الحركات قد بدأت رحلة الوضوح والايجابية، وهنا اسجل باحترام ما اكدته القيادة الدولية للاخوان المسلمين من ان من حق المرأة ان ترشح وتنتخب وتولي المواقع المختلفة، لكن لا يزال مشوار المرأة داخل الحركة يحتاج الى تقدم حيث يمنع القانون الاساسي للاخوان المسلمين المرأة داخل الحركة من دخول مجلس الشورى والمكتب التنفيذي والهيئات الادارية، كما يسجل لهم تعاونهم مع غيرهم من القوى في الامور المشتركة، ويسجل لهم ايجابيتهم في القضية الفلسطينية، وان الحركات الاسلامية الأخرى مدعوة لانعاش دور المرأة والاعتراف به اولاً، كما انها مدعوة للمصالحة مع العقل اذ كيف يترك الأمر لغير المختصين من علماء الشريعة الاكفاء والموثوقين ان يقودوا فئة من الشباب للبحث عن المهدي المنتظر في صفوفهم، كما حصل مع مجموعة الشباب السعودي الذين قادهم سائق تاكسي يدعى «جهيمان» ليوقع المسلمين في فتنة في صحن الكعبة وما نتج عنه من تصادم مع السلطات السعودية ووقوع عدد من القتلى في الارض الحرام.

ان ضرورة اعادة النظر فيما تغرسه الحركات الاسلامية في عقول شبابها امر لا يجوز انكاره، ولربما اخذنا مما فعلته حركة طالبان درساً هاماً، فلو كانت تلك الحركة قد دققت افكارها لما جعلت من تمثال بوذا قضية اثارت عليها العالم وتسببت في اعتداء البوذيين على القرآن الكريم، ولو دققت الحركة موقفها من المرأة لما سمحت لنفسها الا ان تقدم

انجـازاً في تعليم المرأة التي هي بنت وأم وارملة وليست نصف المجتمع كما يقولون.

ان مـا يجب ان تفـهـمـه الحـركـات، ان رعـايـة المرأة هـي رعـايـة للرجل والاسـرة والأولاد والعلم والتـقـدم والفكر والدعـوة وليس مجرد تعليم فرد عادي.

ولو دقق ابن لادن في منهج عـــمله واكـتـفى بنصـرة الافـغـان ضد المحـتلين الروس لكان له وسام الشرف، امـا الوهم بقدرة تنظيم اياً كانت قدرته على محاربة العـــالم فـــهــو وهم، وهو وضع لرقـــاب المسلمين ومصالحهم واقطارهم ومقدراتهم تحت رحمة قوى الغطرسة والاستكبار، ولا ينبغي لابن لادن ولا غيره ان يتخذ قراراً يتعلق بالأمة ووجودها ومستقبلها ثم ينزوي ويختـفي، ويبدأ المساكين بلعق جـراحـهم ورعاية ايتامهم ومشرديهم ومعاقيهم بينما نجد ابطال الفتوة الاسلامية يختفون عن الساحة!!.

لا يجـوز للشـيخ عـمـر عـبـد الرحـمن (مسجون في امريكا) ان يفتي بقتل السياح وضــرب المؤســســات المصــرية، ان هـذه الأسماء تقود المسلمين الى التيه والهلاك، وللأسف اننا لا نزال نتردد في معارضتها، بل ان أشـبــال هؤلاء الأقطاب (!!) بدأوا يمـارســـون نفس العـــمل وينـادون بنفس الافكار ولربما بطريقـة اقسـى وأشـد، لا تخلو بلد منهم وهنا اسـتـذكـر الافكار المتطرفـة التي يحـملهـا علي بلحـاج، من جبـهـة الانقاذ الجـزائرية وما افـرزه من قيادات متطرفة خرجت على اشياخها فهلكت وأهلكت.

اذكـر ان احـد مـشـايخ الاردن وقف يخطب في امريكا في الجالية الاسلامية اثناء مؤتمر سنوي داعياً الى قتل اليهود في امـريكا، مـسـتنداً الى قـوله تعـالى: **﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾** وكم اعجبني وقوف شاب مسلم متخصص في الشريعة للشيخ بالمرصاد مـوضـحـاً ان المعـركـة المسلحـة مع الصهاينة ساحتها فلسطين، اما معارك السياسة والاقتصاد والأفكار فإنها تشمل الكرة الأرضية كلها، وكان في كلامه هذا حـماية لملايين المسلمين الذين يعيشون هناك بين مشرد ودارس وتاجر.

ان ابناء الصـحوة الاسـلاميـة مـدعوون لمزيد من الوعي والتمحيص والتدقيق، وان العلمـاء الموثوقين اصـحـاب العلم الشـرعي والواقعي، يحملون على عـاتقهم مسؤولية نشــر الوعي ومــواجــهــة أفكار التطرف وتصويبها وإزالة الغشاوة عن أعين البعض استجابة لقوله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتـــمــونه﴾ ولعل هـذه الكلمـــات تكون مساهمة في رحلة التوعية المطلوبة.

فضل صيام الست من شوال

■ بقلم الطالب ابراهيم الشوابكة

فرض الله تعالى على الذين آمنوا صوم شهر رمضان، وقد سنّ لنا النبى ﷺ الصوم قبله فى شعبان، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبى ﷺ يصوم فى شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله إلا قليلاً» (متفق عليه).

وقد سنّ الصوم بعده فى شوال لحديث أبي أيوب: "من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر "فكانت كالراتبة من نوافل الصلاة قبلها وبعدها.

ولا يخفى ان افضل النوافل أجراً: النوافل الراتبة، وهي: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

وجاء في الحديث القدسي الشريف الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به.. "فإذا استشعر المسلم معنى (فإنه لي)، وخالط هذا المعنى شغاف قلبه، أحب الصوم، وتمنى ألا ينتهي من رمضان أبداً، ولكن كيف ينال ذلك ورمضان يبدأ بالهلال وينتهي بالهلال؟!

هذا الشوق يؤهل العبد لمكافأة من الله وعطاء كبير، حيث يجعل له صوم ستة أيام من شوال تكمل له حلقة العام مع رمضان، فيصبح كمن صام العام كله، ومن كان هذا شأنه دائماً، فكأنما صام العمر كله، وذلك عطاء من الله سبحانه لمن إذا خرج من

العبادة أحب العودة إليها، وعليه يمكن حمل الأجور العظيمة على الأعمال اليسيرة بعد العبادة كحديث: " ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ "قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " تسبحون، وتحمدون، وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين.." .

فمن صام رمضان، أي: أتم أيامه صياماً حتى طلع عليه هلال شوال، ثم أتبعه ستاً من شوال، أي: بعد عيد الفطر فيبدأ الصوم من اليوم الثاني أو ما بعده، إلى أن يتم صوم الأيام الستة متتابعة أو متفرقة في أول الشهر، أو في وسطه، أو في آخره، بهذا كله يكون قد تحقق له أنه (أتبعه ستاً من شوال).

ولا شك أن المسلم مطالب بالمداومة على الطاعات، والاستمرار في الحرص على تزكية النفس، ومن أجل هذه التزكية شُرعت العبادات والطاعات، وبقدر نصيب العبد من الطاعات، تكون تزكيته لنفسه، وبقدر تفريطه يكون بُعده عن التزكية، لذا كان أهل الطاعات من عباد الله المؤمنين أرق قلوباً، وأكثر صلاحاً، وأهل المعاصي أغلظ الناس قلوباً، وأشد الخلق فساداً والعياذ بالله تعالى.

والصوم من تلك العبادات التي تطهِّر القلوب من أدرانها، وتشفيها من عللها واسقامها لذلك فإن شهر رمضان موسم للمراجعة، وأيامه طهارة للقلوب، وتلك فائدة عظيمة يجنيها الصائم من صومه، ليخرج من صومه بقلب جديد، وحالة أخرى، وصيام الستة من شوال بعد رمضان، فرصة من تلك الفرص الغالية، بحيث يقف الصائم على أعتاب طاعة أخرى، بعد أن فرغ من صيام رمضان، وقد أرشد أمته إلى فضل الست من شوال، وحثهم بأسلوب يرغِّب في صيام هذه الأيام المباركة.

وصيام الست سُنَّة، ولا بأس أن يصومها الإنسان سَنَة ويتركها أخرى، ولكن الأفضل أن يصومها كل سنة ولا يحرم نفسه من ثوابها ويجوز صومها متفرقة، ولا يلزم في صيامها التتابع، وإن كان التتابع أفضل، ويجوز أن يجعلها في أي أيام الشهر شاء، وإن كان أوله -بعد يوم العيد- أسهل، واستحبه بعض السلف .

ومن كان عليه أيام من رمضان فإنه يقضيها أولاً، ثم يصوم ستاً من شوال لماذا؟ لأنّ فضيلة صيام الدهر لا تتحقق إلاّ

لمن صام رمضان كاملاً، وصام بعده ستة أيام من شوال، ومن بقيت عليه أيام من رمضان لا يقال عنه : إنه صام رمضان، لذلك لا يحصل له الثواب المذكور في الحديث، والله تعالى اعلم، فالقضاء واجب، والواجب مقدم على النفل.

من فضائل ومزايا صوم هذه الايام:

● إن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله.

● إن صيام ستة من شوال وشهر شعبان، كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة.. وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فإنه يحتاج إلى ما يجبره من الأعمال.

● إن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد، وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

● إن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره.

● إن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي ﷺ يقوم حتى تتورّم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول: «أفلا أكون عبداً شكورا».

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره، وغير ذلك من أنواع شكره، فقال: **﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** البقرة: ١٨٥، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان، وإعانته عليه، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقيب ذلك.

هذه المواسم تمرّ سريعاً، فعلى المسلم أن يغتنمها فيما يعود عليه بالثواب الجزيل، وليسأل الله تعالى أن يوفقه لطاعته.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الاسلام والعمل

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

ان الشريعة الاسلامية تدعو الى محاربة الفقر والبطالة، بحثها على العمل النافع دون غيره، وما ذلك الا لاحتواء الاسلام على نظام شامل للحياة، يرسم منهجا متكاملا لكل جوانب الحياة.

ونظرا لأهمية العمل وارتفاع قيمته، فقد تعددت مفاهيمه وتعريفاته لدى الاسلاميين والاقتصاديين، محاولة منهم للوصول الى تحديد دقيق لمفهوم العمل في الاسلام، وقبل تناول هذه المفاهيم نتناول المفهوم اللغوي للعمل حيث ان العمل في اللغة يعني: المهنة والفعل من عمل عملا والجمع اعمال واعملة، واستعمله غيره طلب اليه العمل، والعامل على الصدقة الذي يسعى الى جمعها.

❖ اولا: المفهوم العام للعمل:

ان المهتمين في الاقتصاد لهم تعريفات للعمل بشكل عام من غير قيد شرعي وهذه بعض التعريفات:

١- العمل هو القدرة على الانتاج ، لكن الملاحظ انه لم تحدد فيه طبيعة الاعمال وانواعها ومشروعيتها.

٢- هو الوسيلة الطبيعية التي نحصل بواسطتها على ما نحتاج اليه في حياتنا المادية والمعنوية، ولكنه ايضا نجده قد ترك الباب مفتوحا لأي فعل واي تصرف بغرض اشباع حياتنا المادية والمعنوية .

٣- انه الجهد الارادي الذي يبذله الانسان مستهدفا انتاج السلع والخدمات، وهو كذلك لا يختلف عن التعريفات السابقة، وبالتالي فإن اي مجهود من غير هدف لا يعتبر عملا.

٤- هو الجهد البدني والعقلي الذي يبذله الإنسان في مجال سعيه الدنيوي من أجل الارتزاق والاكتساب أي على كل جهد عقلي وبدني يبذله الإنسان في مجال النشاط الاقتصادي، في سبيل إنتاج الخدمات والسلع الاقتصادية لغرض الكسب والعيش.

٥- هو الطاقة أو الجهد الحركي الذي يبذله الإنسان من أجل تحصيل أو إنتاج ما يؤدي إلى إشباع حاجة معينة محلّلة، وهذا الإنتاج قد يكون سلعة، كما قد يكون خدمة. فتكييف الطاقة يتجسّد في إنتاج السلع والخدمات، فالطبيب والنّجار والعامل والحمّال، كل منهم يكيّف طاقته الإنسانية من أجل إشباع حاجة معينة، لأن العمل هو الجهد، أو القوة البشرية التي تتفاعل مع مختلف العناصر الأولية من أجل توفير سلعة مادية، أو إشباع حاجة فكرية أو نفسية، كالكرسي والكتاب، وعلاج المرضى، والقضاء ورئاسة الدولة والبرنامج الإذاعي والتلفزيوني والقصيدة الشعرية وغير ذلك.

❖ ثانيا: المفهوم الشرعي للعمل:

نكتفي هنا بذكر تعريفين يعكسان ما جاء في النصوص الشرعية، وهما:

١- العمل هو كل جهد مشروع يبذله الانسان ويعود عليه او على غيره بالخير والفائدة والمنفعة، سواء اكان هذا الجهد جسميا كالحرف اليدوية ام فكريا كالتعليم والقضاء.

٢- ان العمل شامل لكل فاعلية اقتصادية مشروعة مقابل اجرة او مال يؤخذ، سواء اكان هذا العمل جسميا ماديا كالحرف اليدوية، ام فكريا كالولاية او الامارة وكتولي وظيفة القضاء وسائر الوظائف وكمهنة الطب.

من خلال التعريفين السابقين يتبين لنا:
ان كل جهد وعمل مشروع ماديا ام معنويا ام مؤلفا منهما معا يعد عملا في نظر الشرع ، وهذا امر في غاية الاهمية حيث ان الاعمال النافعة الصغيرة كالحرف مثلا ام الكبيرة كرئاسة الدولة، كلها اعمال والكل عمال وعلى هذا يمكن ان نقول: ان المجتمع الاسلامي يتكون من مجموعة من العاملين فالمراة في بيتها عاملة والمزارع

والوزير والطالب والمفتي والقاضي كلهم عمال في المفهوم الاسلامي، وهذا بدوره له نتائج اجتماعية مهمة جدا، منها المساواة وان تفاوتت قدراتهم ومزاياهم واجورهم، **لكن لا فضل لفئة دون اخرى لان الكل عامل في حدود امكاناته ومواهبه وكل ميسر لما خلق له.**

وان العمال ليسوا فريقا في المجتمع بل هم كل المجتمع والكل يساهم في بنائه حتى لو كان نفع العمل راجعاً اليه في الظاهر، لأنه على الاقل يكون بنفعه لنفسه قد قضى على الفقر او البطالة او سؤال الناس، فتلقائيا يكون عاملا ونافعا للمجتمع.

وفى السنة النبويه الكريمة نصوص متعددة، تمجد العمل الطيب وترفع درجته وتكرم صاحبه، يقول ﷺ: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له" (عن ابن عباس)(ا) "أن الله يحب العبد المؤمن المحترف" (عن ابن عمر) وقال ﷺ:" لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم" (رواه مسلم).

وورد عنه ﷺ أنه قال: "ما أكل احد طعاما قط، خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده" رواه البخاري، وقال ﷺ: "لأن يحتطب أحدكم خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" عن أبي هريرة.

ونظر الرسول ﷺ إلى يد إنسان تورمت من العمل فأخذها وقبلها وقال: «هذه يد يحبها الله ورسوله" وقال الرسول ﷺ: "إن من الذنوب ذنوبا لا يغفرها إلا السعي على الرزق" إبن ماجة، وسأل الرسول ﷺ عن أحد أصحابه وقد غاب عنه فقال له إخوته: هو يصوم النهار ويقوم الليل يا رسول الله، فقال: من يكفيه مؤونته؟ قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: كلكم خير منه".

وكان ﷺ يدفع بأهل بيته رجالا ونساء دفعا إلى العمل، فكان يقول لإبنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها: "يا فاطمة إعملي فإنني لا أغني عنك من الله شيئا" ويقول لآل البيت: "يا آل بيت محمد لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالأنساب، إعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، ومن لم يسرع به عمله لم يسرع به نسبه".

ولا يعرف الإسلام ما شاع بين الناس فى وقت من الأوقات من إحتقار بعض الأعمال، فكل عمل له قيمته فى نظر الإسلام.. هذا أعطى أجرا والآخر أعطى جهدا، وقد أوصى الإسلام كلا منهما بأن

يتقي الله فيما يبذله للآخر، هذا بإعطاء المال دون إجحاف للعامل، وذاك بإعطاء الجهد كاملا والعمل متقنا، حتى يكون كسبه حلالا طيبا ويصدق عليه قول الرسول ﷺ: "رحم الله امرءا عمل عملاً فأتقنه".. لأن الإتقان أهم عوامل النهوض بالأمم، والإعلام بشمول واستحقاق رحمة الله لكل من اتقن بدعاء سيد الخلق ﷺ لهي جائزة تستحق من كل واحد فينا محاولة نيلها ببذل قصارى الجهد.

❖ مفهوم العمل في الاسلام والحضارات القديمة:

إن الحضارات القديمة ومما لا شك فيه لم تقم من العدم، وإنما كانت نتيجة عمل مضني قام به الإنسان في القديم، وهو ما تؤكده مختلف الديانات السماوية والنظريات القديمة والحديثة، والتي تعتبر كلها بأن العمل البشري هو مصدر الإنتاج والتطور والرخاء في أية مرحلة من مراحل تطور البشر، إلا أن هذه الديانات والنظريات تختلف في تقييمها لهذا العمل وفيمن يستفيد بثماره.

ففي الحضارة المصرية: التي قامت على العمل الجبار، سواء بالنسبة للفلاحة أو بالنسبة إلى الصناعة التي كانت راقية ومزدهرة آنذاك، حيث عرفت مصر القديمة منذ عهودها الأولى، صناعة البرونز لإنتاج الأسلحة وصناعة الآجر والإسمنت والزجاج والفخار والخشب والجلد والنسيج واستعمال الكيمياء في الصناعة، واشتهرت مصر القديمة أيضا بالفكر العلمي كالرياضيات والهندسة والأهرام خير شاهد على ذلك.

وتتكون الفرقة العاملة من الرجال الأحرار والعبيد والرقيق يشرف عليهم رئيس يؤدي لأفرادها أجورهم.

أما الحضارة البابلية: فقد اهتمت بالصيد أكثر من الزراعة لوعورة أراضيها وكثرة الحجارة فيها، كما أن أغلب البابليين كانوا يعملون في باطن الأرض ويستخرجون المعادن مثل: الحديد، والذهب، والفضة والرصاص بالإضافة إلى بعض الصناعات التي كانوا يقومون بها مثل النسيج والآجر وبعض الصناعات الأخرى، ومما يجب التنبيه إليه هو ان الحضارة البابلية بقيادة مؤسسها حمورابي والذي حكمها بالعدل لمدة ٤٣ سنة، وقد وضع لها قوانين تفوق ٢٨٠ قانونا رتبت ترتيبا يكاد يكون الترتيب العلمي الحالي فقسمت كالتالي: قوانين خاصة بالأملاك المنقولة

والأملاك العقارية والتجارة والصناعة والأجرة والأضرار الجسيمة والعمل. وهذه الحضارة هي من الحضارات القليلة القديمة التي حددت الأجور من قبل الدولة كما كانت هذه الحضارة عظيمة ومتطورة وطورت الكثير من العلوم وعلمتها اليونان وذلك نتيجة إقبال شعبها على العلم والعمل معا، وذلك قبل ٢٨ قرناً من الميلاد.

الحضارة الفينيقية: تعتبر هي أيضا من أقدم الحضارات (٢٨ قبل الميلاد) حيث اشتهر أهلها بالتجارة الخارجية والصناعة كصناعة الزجاج والمعادن والأسلحة والمجوهرات، وباحتكاكهم بالحضارات الأخرى عن طريق التجارة الخارجية، مكنتهم من الاستفادة من أحداث توصلت إليه تلك الحضارات، من اختراعات وطرق الصناعة وطرق الإنتاج.

اليهود: من أكثر الشعوب إقبالا على العمل حيث عملوا أيام النبي سليمان عليه السلام في مختلف المجالات (الفلاحية وتربية المواشي..) ومع زيادة ثروتهم اهتموا بالتجارة ونجحوا فيها حتى أصبحوا مضرب المثل فيها.

الحضارة الرومانية: تعتبر هذه الحضارة من أهم الحضارات القديمة، التي اشتهرت بالازدهار الاقتصادي والمادي الذي لا يفوقهم إلا الازدهار الأوروبي بعد الثورة الصناعية، وذلك بفضل كد الكادحين من العبيد الفقراء المفروض عليهم من طرف الأشراف والنبلاء، وكلها أعمال يدوية التي كان يرى جماعة اللاتين أن العمل اليدوي القوي، هو سبب قوة النفوس والأجسام لاستخدامها -أي أجسام العبيد والفقراء- لحماية النبلاء والأشراف من اعتداءات الغير، أما التجارة فلم تكن ذات بال عند الرومان لأنهم يرون فيها بأنها عمل غير شريف ما دامت تهدف إلى الشراء بأرخص الأثمان والبيع بأرفعها.

وبعد أن جاءت الديانة المسيحية بنظرة جديدة للعمل، حيث كان السيد المسيح عليه السلام يشتغل بيديه، وضع الفتى (سان بول) مبدأ إجبارية العمل حيث قال: "إن الذي لا يعمل لا يأكل".

وفي الأخير نقول: إن الرومان والكثير من الحضارات القديمة، لم يقدروا قيمة العمل كما أنهم لم ينصفوا العمال والطبقات المغلوبة على أمرها مثل العبيد والفقراء والفلاحين، ولم يمنحوهم حقوقهم وحرياتهم خوفا من الثورة عليهم

وعلى أملاكهم وسلطتهم، وبالتالي لم يمكنوهم من استغلال ثمرة عملهم وجهدهم واستفادتهم بإنتاجهم.

❖ العمل في الإسلام:

يعظم الإسلام من شأن العمل فعلى قدر عمل الإنسان يكون جزاؤه، فقال الله تعالى في القران الكريم: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** النحل: ٩٧ .

فالأنبياء الذين هم أفضل خلق الله قد عملوا، فقد عمل آدم عليه السلام بالزراعة، وداود عليه السلام بالحدادة، وعيسى عليه السلام بالصباغة، ومحمد ﷺ برعي الغنم وفي التجارة، فلا يجوز للمسلم ترك العمل بإسم التفرغ للعبادة أو التوكل على الله، ولو عمل في أقل الأعمال فهو خير من أن يسأل الناس فقال النبى ﷺ: (لأن يأخذ أحدكم حبلة، ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب، فيبيع فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس) ولا يحث الرسول ﷺ على مجرد العمل ولكن على اتقانه أيضا فيقول: (ان الله تعالى يحب أحدكم إذا عَمِلَ عملاً أن يتقنه، قيل: وما اتقانه يا رسول الله؟ قال :"يخلصه من الرياء والبدعة).

❖ الحث على العمل:

العمل له أهمية كبيرة في حياتنا لأن إسلامنا الحنيف حثنا على ذلك، وجعله عبادة يؤجر عليها من عمل، طالما أنه يعمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ولا بد للإنسان أن يسعى لطلب الرزق الحلال والبعد عن المحرمات حتى يبارك الله عز وجل في رزقه؛ لأن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى، ولكن ليس معنى ذلك أن نجلس وننتظر الرزق يأتي إلينا من عند الله.

فالإسلام لا يعرف الكسل ولا يحب اليأس، ويقدر الأيدي العاملة ، قال رسول الله ﷺ: "ما أكل أحد من عمل قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده" رواه البخاري.

وللعمل قيمة عالية في الإسلام لأنه سبب لاستمرار وجود الإنسان في هذا الكون، فالله عز وجل خلق الإنسان وكلفه بعدة أعمال لينفع بها نفسه أولا ثم مجتمعه وليس هذا فحسب بل لينتفع بها في آخرته أيضا ، وأفضل دلالة على ذلك قوله تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾** الزلزلة: ٧-٨ .

كما أن الإنسان يعمل ليبحث عن رزقه

ويحقق به حاجاته المادية والمعنوية والفكرية، ولذلك عظم الإسلام من قيمة العمل ورفع شأنه حتى جعل منزلته من منزلة الجهاد في سبيل الله وفي ذلك يقول كعب بن عجرة: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب النبي ﷺ من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: "إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".

وكل فرد في الأمة يمكن أن يسهم بأداء عمل مهما كان قليلا أو محدودا، وتنوع الأعمال يناسب تنوع الملكات والطاقات، ومن شأنه أن يؤدي إلى تضامن وتكامل المجتمع لتوفير جميع الأعمال التي يحتاجها مهما صغرت أو عظمت، فالعالم لا غنى له عن مصلح الأحذية أو الطاهي، والحاكم بحاجة إلى عامل النظافة ،ولو انعدم أي عامل منها لحدث خلل وارتباك في حياة المجتمع.

وهذا الرسول الكريم ﷺ يعطي للمسلمين القدوة الصادقة في الحرص على العمل؛ فهو ومع انه سيد الأمة وخير الناس لم يكتف بالإشتراك بالعمل بل كان يسبق إليه ويجتهد فيه حتى يكون مثالا وقدوة، وكان أصحابه رضوان الله عليهم يخجلون كلما رأوا الرسول يسبقهم في العمل وبذل الجهد، فها هو يقوم بنفسه مع أصحابه ببناء مسجده في المدينة، ولم يكتف بدور الإشراف والتوجيه، وفي معركة الخندق أخذ بنفسه يقوم بأعمال الحفر ونقل التراب وقد كان يربط على بطنه زنارا من شدة الجوع، وعندما عرضت لأصحابه صخرة كأداء لم يقدروا على تحطيمها وأخبروه بها، قام ﷺ بضربها ثلاث ضربات قوية فأحالها هشيما أهْيَلا.

وقد حثَّ الرسول ﷺ على العمل، فقال: "اعملوا فكل ميسر لما خُلق له فمن كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة"، البخاري الصحيح، رقم ٤٩٤٩ .

إن العمل الجاد الشريف النظيف البعيد عن الحرام واستغلال جهود الآخرين، هو العمل الذي يثيب الله عليه

وهو المعيار الحقيقي في الحياة، فكل مغنم او مال ينتج عن حرام، او يكون استغلالا لجهد الآخرين وغير ناتج عن جهد بشري فكري او عضلي مثمر فهو مرفوض، لان الانسان يثبت بعمله الانتاجي حقيقة وجوده وانسانيته.

والاسلام وهو دين العزة لا يرضى البطالة والقعود عن العمل، ويبارك الأمة العاملة المجدة المنتجة النشيطة لأن الأمة التي يقوى ملكها، وتقوى على الوقوف في وجه المتربصين بها، وتستغني عن أعدائها بما تعمل وتنتج، تكون أمة قوية عزيزة سعيدة، أما الأمة التي ألفت البطالة، وسكنت الى الخمول والكسل، واعتمدت على غيرها في عملها وقوتها وسلعتها، فهي أمة ضعيفة مهانة لا تحمي نفسها، ولا تنال نصيبها من العزة والرقي والاستقلال.

فلا تسعد أمة يأبى ابناؤها العمل الانتاجي، ويأنفون من امتهان الصناعات، ويعتمدون على ما تنتج مصانع غيرهم، ويستمرئون الراحة المذلة على العمل المعز.

ومن التكاليف التي فرضها الله على الإنسان سواء أكان عاملاً أو صاحب عمل (مستثمراً) خفيراً أو وزيراً هي العمل لعمارة الأرض وعبادة الله عز وجل، فهو القائل سبحانه: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ هود: ٦١، وقوله جل شأنه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾ الذاريات: ٥٦- ٥٧، ويقول الرسول ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى" رواه البخاري.

ولقد رفع الله درجة العمل إلى مرتبة العبادة وقرنه بالإيمان في كثير من الآيات منها قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ الكهف: ١١٠، ولقد وضع الله شرطين ليتحول أي عمل إلى عبادة أولهما: أن يكون العمل صالحاً يوافق شرع الله عز وجل، وثانيهما: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، فلا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، وأن القيم الإيمانية هي من أهم محركات ومحفزات وبواعث العمل الصالح والخالص.

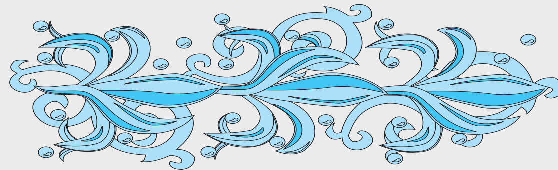
والعمل في الإسلام فريضة، وأساس ذلك قول رسول الله ﷺ: "طلب الحلال فريضة بعد الفريضة" أخرجه الزبيدي والهيثمي، وهو من مكفرات الذنوب

مصداقاً لقوله ﷺ: "من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له" رواه أحمد، والعمل شرف وقيمة وعز، فاليد العليا خير من اليد السفلى، واليد التي تعطي خير من التي تأخذ، والعمل في الإسلام إذا كان ابتغاء مرضاة الله وليس للتفاخر والكبرياء والجاه والمظهرية، يصبح عبادة يستحق فاعلها الأجر والثواب.

فعندما يفهم ويقتنع ويؤمن كل من العامل وصاحب العمل، سواء أكان الحكومة أو المستثمر أو غيرهما بأن العمل في الإسلام عبادة وشرف وعزة وجهاد في سبيل الله، يكون ذلك حافزاً لهم على العمل الصادق والخالص والنافع للنفس وللوطن والأمة الإسلامية، ولكن تظهر المشكلة عندما لا يقوم العامل بواجباته ولا يقوم صاحب العمل بإعطاء العامل حقوقه وبذلك يكون بينهما تصادم وخلافات، أحياناً تقود إلى انخفاض الأداء والجودة، وأحياناً إلى المظاهرات والإضرابات.

فالإسلام دين العمل، وهو عمل للدنيا، وعمل للآخرة. قال الله تعالى: **﴿وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيك وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** وقد أمر الله سبحانه بالعمل والسعي في الأرض والأكل من رزق الله، فقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورِ﴾**.

وكان الأنبياء جميعًا عليهم الصلاة والسلام، خير قدوة لنا في العمل والسعي، فما من نبي إلا ورعى الغنم، وكان لكل نبي حرفة وعمل يقوم به، وقد شارك النبي ﷺ أصحابه في الأعمال المختلفة، ولم يتميز عنهم كما حدث في بناء المسجد أو حفر الخندق فكان يحمل التراب والحجارة.



العفة.. من أخلاق الإسلام الرفيعة

■ بقلم الدكتور طلال حمزة عبيدات

❖ **مقدمة:**

العفة في اللغة: هي الامتناع عن الشيء والكف عن طلبه لما يحمله من مكروه، قال في النهاية في غريب الحديث: عفف، وفيه "من يستعفف يعفه الله"، والاستعفاف طلب العفاف، والتعفف هو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي من طلب العفة وتكفلها أعطاه الله إياها، وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء، يقال: عفّ يعف عفه فهو عفيف.

وفي لسان العرب مادة عفف، العفة: الكف عما لا يحل ويجمل، عف عن المحارم والأطماع الدنية، واستعف، وأعفه الله وفي التنزيل: **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾** النور، فسره ثعلب فقال: ليضبط نفسه بمثل الصوم فإنه وجاء وفي الحديث: "من يستعفف يعفه الله" والاستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء، ومنه الحديث الشريف: "اللهم إني أسألك العفة والغنى".

ومن هذا التعريف اللغوي نخلص إلى تعريف العفيف وهو: "التقي الذي إذا خلا بالحسناء خاف الله عز وجل وحصن فرجه" وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولهذا اخبرنا رسول الله ﷺ عن

ثلاثة نفر آواهم المبيت الى غار، فانطبقت عليهم صخرة أغلقت مدخل الغار، ففرج الله تعالى عنهم هذه الصخرة بصالح أعمالهم، وكان من بينهم رجل كان يحب ابنة عمه فلما تمكن منها وجلس بين فخذيها قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه (أي لا تمسني) فتركها -وهو قادر على فعل الفاحشة- لوجه الله تعالى، فإذا بالصخرة تنفرج بنصيبه هذا من الإخلاص (الرواية بالتفصيل في صحيح البخاري، رقم ٢٢١٥).

وأما المفهوم العلمي للعفة فهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة عليها، فتكف عن محارم الله عز وجل في كل شيء، في المأكل والمشرب وغيرها من أعمال الجوارح.

واصطلاحا فهي حالة للنفس تمتنع بها عن المحرمات قولا وفعلا، والبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن والكف عن المحارم وكل ما يضر بالعلاقات ويحط من الكرامة الإنسانية ويضر بصحة الفرد والجماعة، وهي سبيل شرعي لإحصان الفروج، والترفع عن هواجس النفس الأمارة بالسوء، وهي منهج أخلاقي إرادي لضبط الدافع الجنسي وسط منافذ الانحراف وما يلازمه.

❖ **تنمية خلق العفة:**

هناك مجموعة من الأسس والمبادئ التي لا بد أن ينتبه إليها المرء، إذا أراد أن يكون عفيفا يزين نفسه بخلق العفة، وهي بحاجة إلى العزيمة والإرادة القوية التي لا تضعف أمام المغريات، وهي:

١- التربية الإيمانية: وهي أن يعمل الإنسان على تربية نفسه تربية إيمانية ويقوي صلته برب العالمين، وان يعلم أن الله تعالى يراه في السر والعلن، فهو ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ غافر: ١٩، ومن وسائل تقوية الإيمان وتحديد الشهوة والسيطرة عليها بالصيام فهو مدرسة ومحراب العبادة، وهي حجاب وساتر للمرء من الانزلاق في مهاوي الملذات والشهوات، والرسول ﷺ يوصي من لا يقدر على الزواج بالصوم فإنه له وجاء أي واقي وحامي، وكذلك الاستعانة بالصبر والصلاة والدعاء والإكثار من ذكر الله، ليحصل له الوجل فيكون من عباد الله المؤمنين: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ الأنفال: ٢، وبذلك يحصل له الاطمئنان ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ الرعد: ٢٨ .

٢- التربية الأخلاقية: فإذا نظرنا إلى العفة وجدناها كتلة من الأخلاق الرفيعة، العالية، التي يجب على المرء أن يتحلى بها، فيعمل على تهذيب الخواطر ويوجهها نحو الخير، ويمنعها من الانشغال بالتفكير في الخيالات المهيجة والمثيرة للمشاعر والعواطف والغرائز، وكذلك يعمل على حفظ البصر ووقاية العين من النظرة الخائنة، قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ النور: ٣٠-٣١، وقال ﷺ: "أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا، وخياركم خياركم لنسائكم" (أخرجه الترمذي بإسناد صحيح).

٣- تجنب المثيرات الجنسية: وذلك بغض البصر والابتعاد عن المواطن التي تكثر فيها النساء، وأماكن اختلاط الرجال بالنساء وخاصة الأماكن غير الملتزمة مثل أماكن اللهو كالملاهي الليلية، ونوادي التدليك والمساج، والكوفي شوب وصالات الرقص والبارات، والعمل على تقوية الاردة والتخطيط لتنميتها، لان فلاح المرء في دنياه وآخرته رهين بمدى مخالفة هواه وتهذيب غرائزه، وعدم الانصياع وراء رغبات النفس الأمارة بالسوء التي تزين لصاحبها ارتكاب الفواحش وعمل السيئات، والغرق في معاصي الفتن وإطلاق النفس لهواها وملذاتها.

٤- الرفقة الصالحة: من المعروف بداهة تأثير الرفقاء والأصحاب على المرء، والمثل يقول: قل من صاحبك اقل لك: من أنت، وقال رسول الله ﷺ: "يحشر المرء مع خليله فلينظر احدكم من يخالل" (أخرجه احمد عن أبي هريرة) فالصحبة الصالحة مدعاة للخير وعون للمرء على نفسه فتعينه على أن يحفظ بصره وفرجه، وان لم يستح من الله فإنه سيستحي من أصحابه الصالحين، الذين يذكرونه إذا نسي ويعينونه إذا ذكر، أما مصاحبة الأشرار والمنحرفين فلا تجلب لصاحبها إلا مزيدا من الفسق والفساد، والانشغال بالبحث عن إشباع الشهوات والغرائز بشتى الطرق والوسائل، وهم كمصاحبة نافخ الكير لا يأتيك منه إلا رائحة كريهة أو يحرق ملابسك.

❖ أنواع العفة:

١ . عفة الجوارح: المسلم الصالح العفيف يعف يده ورجله وعينه ولسانه

وآذانه وفرجه عن الحرام، وقد أمر الله تعالى الشباب غير القادرين على الزواج بالاستعفاف، قال تعالى: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ النور: ٣٣ .

٢ . عفة الجسد: المسلم يستر جسده ويبتعد عن إظهار عوراته، وعلى المرأة المسلمة إن تلتزم بلباس التقوى الساتر المحتشم: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن لا يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما**﴾ الأحزاب: ٥٩ .

٣ . العفة من أموال الغير: المسلم يعف عن أموال الغير فلا يأخذها بغير حق، ويتعفف عن أموال اليتيم إذا كان تحت كفالته، قال تعالى: ﴿**ومن كان غنيا فليستعفف**﴾ النساء: ٦ .

٤ . عفة المأكل والمشرب: المسلم يعف نفسه ويمتنع عن وضع اللقمة الحرام في جوفه، لأن من وضع لقمة حراما في فمه، فلا يتقبل الله تعالى منه عبادة أربعين يوما، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾ البقرة: ١٧٢، وقال ﷺ: "من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفوراً له" أخرجه الطبراني، وذلك لان الكسب الحلال عزة وشرف وفي الحرام الذل والهوان والنار.

٥ . عفة اللسان: المسلم يعف لسانه عن السب والشتم، فلا يقول إلا طيبا ولا يتكلم إلا بخير، والله تعالى يصف المسلمين بقوله: ﴿**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**﴾ الحج: ٢٤، وقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (متفق عليه).

٦ . العفة عن سؤال الناس: المسلم يعف لسانه عن سؤال الناس إذا احتاج، ولا يطلب المال بدون عمل، وقد مدح الله تعالى أناسا من الفقراء لا يسألون الناس بسبب عفتهم، فقال تعالى: ﴿**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**﴾ البقرة: ٢٧٣ .

❖ ثمرات العفة:

العفة فضيلة من فضائل الأخلاق السامية التي حث عليها الإسلام وأمر بالتحلي بها لما لها من فوائد جمة تعود على صاحبها بالخير العميم في الدنيا

والآخرة ومن هذه الفوائد والثمرات ما يلي:

١ . تحقيق المروءة التي ينال بها العفيف الحمد والمجد والشرف في الدنيا والآخرة، والتي تقود إلى الارتقاء في سماء الفضيلة والبعد عن حضيض الرذيلة، وحمايته من الفواحش وأضرارها فيكون نقيا طاهرا، فينال بذلك العزة والرفعة والكرامة.

٢ . حراسة الفضيلة في المجتمع بصد النفس وزجرها عن الانحراف والانزلاق في مهاوي الرذائل وهتك الأعراض.

٣ . نقاء المجتمع وطهارته من المفاسد والمأثم والرذائل والمصائب والعقوبات الربانية.

٤ . حفظ الأعراض ودفع أسباب الريبة والفتنة والفساد والإباحية وصونها من الحرام والرذيلة ومواضع الآثام.

٥ . تأمين سلامة المجتمع من الأذى والشرور والآفات من الأمراض الفتاكة وكل عوامل الانهيار الحضاري، قال تعالى: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾** الإسراء: ١٦ .

٦ . العفة تقود صاحبها للفوز بالفلاح والثناء من الله تعالى: **﴿قد افلح المؤمنون ❖ الذين هم في صلاتهم خاشعون ❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون ❖ والذين هم لفروجهم حافظون﴾** المؤمنون: ١- ٥ .

٧ . العفيف يفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة والنجاة من النار: **﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** المؤمنون: ١٠- ١١ .

٨ . السلامة والنجاة من نار السموم، ثلاثة لا ترى أعينهم النار: «عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله» (أخرجه الطبراني).

٩ . العفيف يهبه الله تعالى قوة القلب ونعيمه وطيب النفس وانشراح الصدر، والعفة هي كرامة النفس في الدنيا، فليس لأحد ما يعيب به الإنسان العفيف ولا ما يكدر به صفو قلبه أو صدره ما دامت خالية من الانحرافات والدنايا.

١٠ . العفيف يتمتع بوفرة العقل ونزاهة النفس وكمالها وعزها، ويتحلى بقوة الإرادة والعزيمة على الصبر والثبات عند مواجهة الأزمات، لأنه يكون قد روّض

نفسه وعودها على عدم الإسراع نحو الشهوات والملذات، وكبح جماحها عن الانحراف في مستنقعات الرذائل، ومن عف خف وزره وعظم عند الله قدره.

١١ . العفة تؤدي إلى سلامة المجتمع وصلاحه، وهي مدعاة لحصانة الشباب من الاضطرابات النفسية والروحية والعقلية والفساد والانفلات، وتحول دون انحطاط المجتمع وانهياره، وتحافظ على تماسك الأسرة وبالتالي على تدعيم أركان قوة المجتمع وأسباب منعته.

١٢ . العفة تولد القناعة والقناعة من مكارم الأخلاق التي تدعو إلى الرضى بالقليل والإيمان بالجليل والاستعداد ليوم الرحيل، فلا ينظر القنوع على ما في أيدي الناس ولا يحسدهم، ونفسه راضية مطمئنة، ويكون بعيدا عن القلق والاضطراب، ويظل عزيزا كريما لا يسأل الناس إلحافا.

❖ مراتب العفة:

للعفة مراتب تتدرج فيها لتصل إلى درجة التسامي والنقاء وهي:

١ . **المرتبة الأولى: العفة في الميل الجنسي،** وهي تعني عدم لجوء الإنسان إلى ارتكاب الأعمال الحرام المنافية للأخلاق، من اجل إشباع شهوته وإطفاء نيران غريزته، والعفيف يحرص على توجيه هذا الميل لإشباع غرائزه بالطرق الشرعية التي أحلها الله.

٢ . **المرتبة الثانية: العفة في أعضاء البدن،** بمعنى إلى جانب السيطرة على الشهوة وكبح جماحها، يمنع أعضاء بدنه من ارتكاب الزنى والمعصية والفاحشة.

٣ . **المرتبة الثالثة: العفة في الفكر والثقافة المعرفية،** وهي تعني عدم تفكير الإنسان بارتكاب الذنب والمعصية، علاوة على ضبط أعضاء البدن، وبهذا يصل المرء إلى درجة يتساوى فيها ظاهره وباطنه، ويصبح وجوده تجسيدا للعفة.

❖ مخاطر عدم العفة:

إن ضياع العفة من المجتمعات وانتشار الرذيلة والانحلال الخلقي، يؤدي إلى ظهور عدد من المخاطر التي تهدد كيان المجتمع وتعمل على انهياره، وهي:

١ . **المخاطر الإيمانية:** إذا انعدمت العفة في مجتمع ما انتشر الضلال وفقد الإنسان منزلته وكرامته بين الناس، ورفع الإيمان من القلوب وبالتالي رفع الحفظ

الرباني ففقد الجميع مكانتهم ومنزلتهم عند ربهم واستحقوا سخطه وعذابه.

٢ . **المخاطر الاجتماعية:** انعدام العفة يؤدي إلى فقدان الروابط الإنسانية التعاونية ويحل محلها الفساد الذي يقبل عليه الإفراد وهذا بدوره يعمل على تفكك النسيج الاجتماعي وانهياره، وتنتشر العادات الدونية والممارسات السيئة فتتصدع القيم الحميدة في الحياة الزوجية، فتتفكك الأسر وتنحل الأخلاق ويعم الفساد.

٣ . **المخاطر النفسية:** انعدام العفة يؤدي إلى تزايد معدلات القلق والتوتر والاضطرابات النفسية والانتحار، والى ذبول مشاعر الغيرة على العرض والشرف والحياء، وتفقد الرجولة من أفراد المجتمع، ويزرع بينهم الشك والريبة وعدم الثقة مما يؤدي إلى انتشار الجرائم اللاأخلاقية لأسباب عدم الإستقرار النفسي.

٤ . **المخاطر الصحية وتفشي الأمراض الخطيرة والفتاكة،** قال رسول الله ﷺ: "ما انتشرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الأوجاع التي لم تكن في إسلافهم" ولا يخفى على احد الأمراض المعدية والمدمرة التي بدأت تظهر في الدول التي يسودها الانحلال الأخلاقي وتنتشر فيها الإباحية، ولعل أخطرها مرض الايدز والزهري.

❖ أسباب ضياع العفة من المجتمع:

هناك مجتمعات وخاصة المجتمعات الغربية التي أعلنت الحرية المطلقة للمرأة إلى درجة الإباحية وأطلقت لها العنان، فأصبحت تعمل ما تريد حتى في العراء دون أي وازع ديني أو ضميري أو ذاتي، وحتى الرجل أصبح يتفنن في تقليد المرأة في جميع مظاهرها حتى ارتداء لباس المرأة لا بل حتى الشذوذ الجنسي، فانعدمت العفة في هذه المجتمعات وسادها الانحلال الخلقي وتفشي الأمراض التي لم تكن موجودة سابقا، **وهناك عدد من الأسباب أدت إلى ضياع العفة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وهي:**

١ . تسخير جميع وسائل الاعلام وخاصة المرئية لبث ما يثير مكامن الشهوة ويفسد الروح.

٢ . الإعجاب بنظم الغرب وتقليده، والانبهار بحضارته ومدنيته والإقدام على تقليده.

٣ . تعرية المرأة وتحريرها واستعبادها وإخراجها من بيتها للتمثيل والمشاركة في مسابقات اختيار ملكة الجمال العالمية، وكذلك لعروض الأزياء والفنون.

٤ . تسهيل عملية الحصول على المحرمات، وتكثير سبل الغواية وطرق الفاحشة، وتنوعها في الطرقات والأسواق.

٥ . التساهل في دخول الرجال والخدم إلى البيوت واختلاطهم مع النساء والبنات مما يسهل حدوث عمليات الفاحشة.

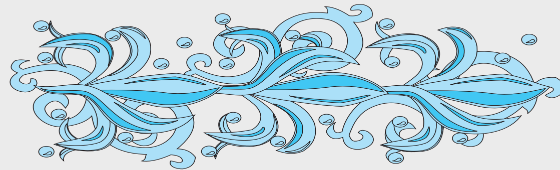
٦ . الأسواق العامة وخاصة المولات وما فيها من اختلاط وتبرج ودعوة إلى الإثارة والإغراءات.

٧ . وسائل ومنتديات الترفيه غير البريء من النوادي الليلية ونوادي المساج والتدليك ونوادي الرقص والممارسات اللاخلاقية.

٨ . معوقات الزواج من مغالاة في المهور واشتراط التكاليف الباهظة للحياة الزوجية التي تصون الشباب من الانحراف.

ونختم هذا الموضوع بالإشارة إلى أهم وأسمى موقفين من مواقف العفة وهما قصة سيدنا يوسف عليه السلام الذي **﴿راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربّي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون﴾** يوسف: ٢٣ .

وقصة الصحابي الجليل عثمان بن طلحة رضي الله عنه الذي رافق الصحابية الجليلة أم سلمة في هجرتها من مكة إلى المدينة للحاق بزوجها –وقد كان المشركون منعوها من الهجرة معه– فقالت أم سلمه: "ما رأيت قط رجلا أكرم في العرب من عثمان بن طلحة".



التربية الصالحة للأجيال الناشئة

■ بقلم الدكتور عبد الرحمن ابداح

يلاحظ في التربية أنها عملية دائمة، تحتاج إلى معايشة ومتابعة، وتحتاج إلى نصح وتوجيه مستمر، وهي وإن كانت قليلة الثمر، إلا أن ثمرتها تظهر في تحسين النوع الإنساني، وإنتاج الإنسان الصالح الذي يؤمن بواجبه إيمانه بحقه، ويوظف جميع طاقاته وقواه في خدمة دينه الذي ارتضاه عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

ويرتبط الزواج بالتربية ارتباطا وثيقا، لما فيه من حفظ الإنسان، وسلامة المجتمع من الانحلال الأخلاقي والسلامة من الأمراض، والسكن الروحي والنفسي إضافة إلى التعاون بين الزوجين على بناء أسرة تتأجج فيها عواطف الأبوة والأمومة.

والبداية الصحيحة في الزواج تبنى على حسن اختيار كل من الزوج والزوجة لشريك حياته، وأن الدين هو أحسن الأسس لهذا الاختيار، إذ كثيراً ما يفشل الزواج الذي يقوم على الانحياز لجانب المال أو الشرف أو الجمال دون مراعاة لجانب الدين.

وقد يكون من المناسب الابتعاد عن زواج الأقارب حرصاً على صفات وراثية جسمية تتنحى فيها كل السلبيات، وتنتشر بسببها علاقات اجتماعية تتجاوز الحدود الضيقة القائمة بين الأقارب لتشمل مساحة أكبر تمهد إلى بناء اجتماعي متماسك.

وقد شجع النبي المصطفى ﷺ على

الزواج من الأبكار، المعروفات بحسن التودد إلى الزوج، مثلما رغب ﷺ في الزواج من الولود حرصاً على زيادة النسل والذرية الصالحة.

وقد أمر المولى سبحانه وتعالى الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين، لما في ذلك من سلامة وصحة للمولود، ولما فيه أيضاً من تنمية لعواطف الأمومة.

ويلاحظ في الأسرة جانب التوازن والعدل في المعاملة بين الأولاد، وألا نظهر ميلاً مع أحدهم لما في ذلك من إثارة للبغضاء والكراهية بينهم، أو أن نخص أحداً منهم بعطية دون إخوانه، أو أن نلمح بإشارة أو عبارة إلى حرمان أحد من البنين أو البنات.

ويظهر الوالد فرحه بالمولود سواء كان ذكراً أم أنثى، لأن تفضيل البنين على البنات سمة جاهلية قائمة على فكرة القبلية والغارات والسلب والثأر، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك.

وليس في الشريعة ما يمنع تباعد الحمل حرصاً على صحة الأم، وإتاحة الفرصة إلى كل مولود ليأخذ حظه من الرضاعة والرعاية.

وقد أقامت الشريعة حول الأسرة سوراً منيعاً لحمايتها من أسباب الترهل والانحراف، فشجعت على العمل والكسب لكي لا يتسرب الفقر إلى الأسرة ويبدأ عطبها من عسر الحال وذل السؤال ومد اليد للمخلوقين.

ودعت الشريعة إلى حل المشكلات في الأسرة عن طريق التفاهم والحوار وخفض الجناح، وألا يكون اللجوء إلى الطلاق إلا عندما تفشل كل الحلول الأخرى، وذلك حرصاً على مستقبل الأولاد، وحماية للأسرة من التشتت والانهيار، ورغبة في حفظ اللحمة الاجتماعية ووقايتها من أسباب العنف والوهن.

وعالجت الشريعة مشكلة الفراغ إذ حببت للمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بالتعلم والتعليم والعبادة والدعوة وخدمة المجتمع، وهذا الجهد المبارك يستوعب طاقات النفس الإنسانية ولا يدع فيها أية مساحة خالية يقتلها أو يستحوذ عليها الفراغ.

ونهى النبي ﷺ عن صحبة الأشرار وبين مخاطر ذلك حين شبه الجليس الصالح بحامل المسك وشبه الآخر بنافخ الكير، لذا يحسن بالمربي أن يلاحظ علاقات الأبناء والوسط الذي يتحركون به

وتأثيراتهم عليه.

ويحسن بالآباء النأيُ بأبنائهم عن مشاهدة الأفلام المثيرة أو أفلام الرعب التي تقوي جانب القسوة والعنف.

وإذا تخلى الآباء عن تربية أبنائهم بطريقة متوازنة تلبي حاجات الجسم والعقل والروح، فإن من آثار ذلك أن تنشأ نفوس يجتاحها التشاؤم والانفصام، ويقتلها الوهم والخرافة والشك، حيث ستكون مثل هذه المخرجات سبباً واضحاً في خراب المجتمع وتقويض بنيانه.

ولما كانت التربية الأخلاقية مسؤولية جماعية، فإنه لا بد من التحذير من تربية الأبناء على الكذب والسرقة والسب والشتم كما إنه لا بد من مقاومة كل مظاهر الميوعة والانحلال وذوبان الشخصية وسط موجات التقليد الأعمى، والترف المفسد للحياة، والانسياق وراء الموسيقى الخليعة والأغاني الهابطة، النابتة في المستنقع الآسن والدرك الهابط.

ولا بد للمربي أن يجتهد في تربية الأبناء على احترام الذات، والابتعاد عن أسباب الإهانة والتحقير لما يورثه ذلك من الشعور بالنقص والعجز والخمول، وتربيتهم أيضاً على احترام الآخر وتقبله وحفظ حقه.

ولا حرج في أن يمارس الأبناء بعض أصناف اللهو المباح كالسباق والمصارعة، ورمي السهام والحراب والرياضة.

ونجنب أبناءنا كل أنواع الشعوذة والسحر والتمائم والحجب والكهانة، مثلما نشجعهم على الكسب الحلال والعمل النافع وحسن استغلال الوقت، والتعامل مع من حوله بإيجابية وإحسان بعيداً عن العصبية والتفاخر والنياحة وسائر أعمال الجاهلية.

ولتحقيق هذه المقاصد لا بد من أن تعمل مؤسسات التربية سواء كانت البيت أم المدرسة أم الشارع أم مجتمع الأصحاب، لا بد لها جميعاً من الانسجام والتوافق والتكافل وصولاً إلى الهدف الكبير الذي نؤمله، وهو الإنسان الصالح الذي تزهو بصلاحه الحياة.

ولما كانت التربية بهذه المثابة، ربانية إنسانية شاملة، فقد زهت عصور الإسلام الأولى في خير القرون بالسابقين الأولين من العلماء والأدباء والشعراء وأصحاب الحرف الأطباء والمعلمين فكانوا قاعدة الأمة الصلبة، التي استطاعت أن تنطلق منها لبناء حياة وارفة الظلال يانعة الثمار، وشواهد ذلك كثيرة تحدثك عنها بلاد

المجد المفقود في الأندلس مثلما تحدثك عنها المساجد الجامعة التي كانت جامعات تدرس كل العلوم النافعة كالجامع الأزهر وجامع القرويين وجامع الزيتونة والجامع الأموي وغيرها.

والتربية الإسلامية تنتمي إلى العالم كله، لأن العالم كل ميدانها، فهدفها الإنسان أنى وجد وحيث كان، وهي ليست إقليميه ضيقه تعنى بالإنسان في إقليم معين فحسب ولكنها أبعد مدى، وأوسع نظرة، إذ الشريعة معنية بإصلاح العالم كله، وتتجاوز بالإنسان حدود المكان أو اللون أو اللغة أو ما شابه ذلك.

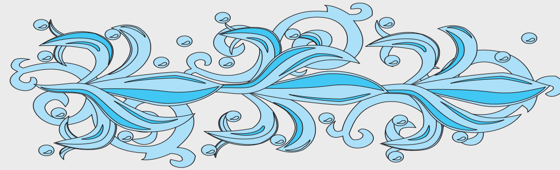
وفي موطن التربية الإسلامية يتعلم الصغير من الكبير، والكبير من الصغير، ولا يجد في نفسه أي غضاضة أو حرج، فالحكمة ضالة المؤمن.

وتراعي مناهج التربية في الإسلام متغيرات الزمان والمكان نظراً لمرونتها وقدرتها على استيعاب المستجدات دون إخلال بثوابت الدين والعقيدة، وتجعل كل إنسان شريكاً في عملية البناء الاجتماعي، إذ أن هذا البناء مسؤولية الجميع حيث يؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

وكلما ابتعدت البشرية عن هذه التربية، كلما هبطت وانحدرت في دوامة الجاهليات المعاصرة، التي ترسخ روح الأنانية الفردية والاستئثار، وتترك الإنسان يتمادى في سلبيته وعزلته، يقتله الاغتراب والشعور بالوحشة ممن حوله، وكأنه يردد مع الشاعر قوله:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطيرُ

ولهذا فقد بات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نحمل هذه الشريعة بمناهجها التربوية الرفيعة إلى العالم كله، على خطا السابقين الأولين، والله الهادي إلى سواء السبيل.



٤

نظرات اسلامية في الطفولة

■ بقلم الدكتور احمد مصطفى القضاة

تكاد تتصب الدراسات والبحوث والتشريعات المتعلقة بالطفولة في جانب الحقوق، على اعتبار أن الإنسان في مرحلة الطفولة ضعيف ومحتاج، وكينونته لا تسمح له بأن تترتب عليها الالتزامات ولا أن تناط بها المسؤوليات، ولذلك كثر الحديث عن حقوق الأطفال في الإسلام وفي الأنظمة والتشريعات العالمية، والكتابة في هذا المجال بين مسهب ومقل.

وأظن أن الدراسة المتعلقة بالطفولة ومنها الأوضاع والتشريعات المتعلقة بالحقوق أو بما يسمى حماية الطفولة يجب أن تتجذّر، وأن تتأصّل، مع مراعاة تغير الأزمان وتبدل الأحوال والظروف وتنوع الأساليب والمعطيات، وأن يتفق المسؤولون والمربون والمعتنون في دول العالم كلها على الحقوق الأصلية للطفل، التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والمعتقدات والعادات والتيارات، لأن الأطفال يولدون بقواسم مشتركة ثم يفترقون لاختلاف البيئات والمعطيات، وفي الحديث الشريف إشارة للمعنى المشترك عند جميع الأطفال "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(١).

فحق الولادة وحق الطفل في أن يكون موجوداً، ينبغي أن لا يطرح في أي ناد أو فكر أو مؤتمر للمساومة ولو كان الطفل معاقاً، وينبغي أن تصل التشريعات الدولية

والمربون في العالم والمسؤولون في كل الأسر إلى ضرورة حماية وجود الطفل، وأن تلزم كل الأطراف المعنية الحفاظ على وجود الطفل، لأن الطفل نفس بشرية محترمة لا تقل أهمية وحرمة عن نفس المعتدي عليها، وهذا في كل حق من حقوقه الأساسية المشتركة لينعم أطفال العالم بما أنعم الله به عليهم، ولنجنبهم ويلات الحروب وآثار القيم والتصورات الفاسدة.

أما حقوق الأطفال في الإسلام فقد اشتملت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على رصيد كبير من الأسس والدعائم والتوجيهات والتشريعات، التي حدّدت وبيّنت وحفظت حقوق الأطفال، وكانت أعم وأشمل من أن تكون لفئة من الناس، أو لمرحلة من العمر، أو لفريق من الخلق، لأنها الرسالة السماوية التي أرادها الله سبحانه لإسعاد البشرية في الدارين، وميّزها بالرحمة فقال تعالى: **﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**(٢).

وتعد هذه الدراسة التي بين أيدينا صفحة واضحة في حماية الإسلام للطفولة، ومكانة الطفل في الشريعة الإسلامية، وأن كليات الإسلام وجزئيات الفقه المتعلقة بالطفولة تتجه إلى ترسيخ القيم الإنسانية في مجال الطفولة، وتأصيل حقوق الأطفال عند المعنيين، وتأسيس التشريعات الكاملة في عالم الطفولة التي لا تظلم أحداً ولا يزيغ عنها مهتد، وهي حقوق تُعطى للأطفال لأنهم أطفال، دون تصنيف زمني أو إقليمي، ويؤيدها المطالبون بتأديتها ابتغاء لوجه الله سبحانه راضيةً نفوسهم، محكومة بها أحوالهم.

ويمكن تقسيم الحقوق الممنوحة للأطفال عدة أقسام، تبعاً للحيثية التي ينظر إليها، فهناك حقوق ثابتة كحق الرضاع وحقوق غير ثابتة كحق الختان، بمعنى أن الرضاع حق ثابت لا يقبل التأخير لأنه سيؤدي إلى هلاك الطفل، أما الختان مثلاً فهو أمر مختلف بزمنية فعله، إذ ذهب فريق من العلماء إلى أن وجوبه بالبلوغ، ويمكن القول بحقوق متفق عليها بين العلماء وحقوق مختلف فيها، فتكون الحقوق المتفق عليها لازمة لا يمكن إلغاؤها، والحقوق المختلف فيها متروكة لقناعة الفاعل.

كما تقسم الحقوق بالنظر إلى العموم والخصوص إلى حقوق عامة كحق الحضانة إذ يشترك فيه كل طفل، وحقوق

خاصة لا تتعلق إلا بشخص الطفل كحقه بتملك شيء خاص به، ويمكن أن نفرق بين الحق العام والحق الخاص بحق النسب مثلاً، فهو حق عام في أن ينسب كل طفل إلى أب، وهو حق خاص في أن ينسب الطفل إلى أبيه، فنسبه إلى أبيه خاص به لا يشترك معه غيره سوى إخوانه، ولذلك فإن من الحقوق ما تبقى طبيعتها عامة ومنها ما تبقى طبيعتها خاصة، ومنها ما اختلطت طبيعتها بالعام والخاص.

وهذه الحقوق نذكرها في هذا الفصل بإطارها العام لا بشكلها التفصيلي، ويمكن أن نعد كل ما يعطى للطفل حقاً، وكل ما حدده له الشرع سواء منه مباشرة أو من غيره حقاً، وجبت المحافظة عليه وتحقيقه في حياة الطفل.

أما حقوق الطفل بمجملها فيمكن تلخيصها بما يلي:

١. حق الوجود والحياة: وهو أهم حق ممنوح للطفل، لأن بقية الحقوق مرتكزة عليه ومنبثقة منه، ولا فرق في هذا الحق بين طفل وآخر، إذ يستوي فيه من كان أبواه مسلمين أو غير مسلمين أو أحدهما مسلماً، ومن يعيش في دار الحرب أو دار الإسلام، إذ لا نظر إلى الجنس أو العقيدة أو البلد أو الزمن في حفظ حق الطفل في الحياة.

وقد قرر الإسلام الحماية الكاملة للإنسان وأكرمه على كثير من خلقه، وحرّم قتله، قال تعالى: ﴿**من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً**﴾[٤].

وقد سن الإسلام التشريعات والأحكام التي تحفظ الجنس البشري، حتى الأحكام التي شرعت في مجال العقوبات هي لعناية المجتمع ورعاية الإنسانية قال تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[٥].

والقرآن الكريم أرسى قاعدة التكريم الإلهي للإنسان ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾[٦]، وعاب على المشركين فعلهم الشنيع في قتل البنات ﴿**وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ❖ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما**

يحكمون﴾[٧]، ونهى عن القتل خشية الفقر **﴿ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾**[٨]، وهكذا اجتمعت النصوص الشرعية في العناية بالإنسان جنيناً وطفلاً وشاباً وكهلاً، والحفاظ على كرامته وحياته.

٢. حق النسب والأهل: وهو من الحقوق الشرعية التي أقرتها الشريعة الإسلامية للأطفال وللإنسانية، وذلك في أن ينسب كل مولود إلى أبويه الحقيقيين، وأن يثبت هذا النسب بالطرق الشرعية التي لا تسمح بالتلاعب ولا بالنسب الوهمي، ولذلك فثبوت نسب المولود من أبويه حق شرعي لا يحل التنازل عنه، وهذا الحق لا يقل أهمية عن حق الطفل في الحياة حفاظاً على نفس الطفل وشخصيته وبنائه ووجوده وأسرته ومستقبله، وإن الأسرة والأهل والعشيرة ركيزة أساسية في حياة الأطفال ومستقبلهم، وبقاء الطفل دون معرفة نسبه، وبعيداً عن هيكله النسبي، وشريداً عن إخوانه وأهله وأقربائه يجعله عرضة للمخاطر.

وقد حرّم الإسلام التبني وهو أن يدّعي شخص أبوة مولود من غيره، سواء أكان معروف النسب أم مجهوله دون أن يكون بين الشخص وأم الطفل رباط زوجي، ونزل القرآن الكريم يحرم تلك العادة التي انتشرت في الأوساط العربية الجاهلية قبل مجيء الإسلام، قال تعالى: **﴿وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ❖ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾**[٩].

وورد النهي الشديد في الأحاديث النبوية في أن ينسب المرء إلى غير أبيه، فعن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام"[١٠]. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر"[١١].

وتحقيقاً لحق الطفل في ثبوت نسبه من أبويه، وانتمائه إلى مجتمع لا غنى له عنه، فقد شرعت الأحكام الشرعية المتعلقة بثبوت النسب، ومعالجة أوضاع اللقطاء وحرمة التبني، وضرورة الرعاية الحقيقية للأسر، والطرق الشرعية السليمة في الزواج، وما يترتب عليه من آثار.

٣. حق الإيمان والعقيدة: من الحقوق المقررة شرعاً أن يكون للطفل دين يؤمن به،

وعقيدة ينتمي إليها، وهي حق الفطرة التي خُلق عليها، فإن من ألزم الواجبات المنوطة بالأولياء والأوصياء في حق أطفالهم، أن يعلّموهم الإيمان بالله سبحانه وبصفاته وأسمائه، وأنه الخالق الرازق، وأنه القادر على كل شيء، وأنه الإله المعبود وحده،، ولذلك كان الاستفتاح على المولود بكلمة التوحيد لتكون أول كلمة يسمعها.

فحق التدين من الحقوق الواجبة على الآباء تجاه أطفالهم، إذ يجب عليهم أن يعلّموهم أن الكون والإنسان والحياة من صنع الله، وأن الله يرانا ولا نراه، وأن الحياة والموت بيده، وكذلك أن يغرسوا في نفوسهم محبة الله ورسوله، والخشية والمراقبة من الخالق، وأن يلقنوهم الشهادتين، ويوضحوا لهم الظواهر الكونية بما يَردُّها إلى الخالق.

وحفاظاً على هذا الحق فإنه يجب تعليمهم أركان الإيمان ومقتضياته وحقيقته ومفاهيمه، حسب القدرة الذهنية والاستعداد النفسي، وأن يُوضح لهم الكفر ومعناه وما يلحق به من آثار سيئة ومخاطر جسيمة، وأن يقدم لهم عالم الغيب والشهادة كما ورد في القرآن والسنة.

وهكذا فإن الإسلام يقرر هذا الحق للطفل، ويقدم أحكامه المتميزة وتوجيهاته الفريدة في عالم الطفولة بإطارها الإيماني العام، فإن الإيمان هو أساس الوجود، وأن هذا الحق، وهو حق التدين أصل كل الحقوق.

٤. حق الرضاع والحضانة: وهو من الحقوق المقررة شرعاً للطفل، ويعني أن يشرب المولود اللبن من ثدي امرأة أو نحوها، في وقت محدد بعد ولادته أو نحو ذلك.

والإرضاع ثابت في القرآن والسنة، ورتب له الشرع أحكاماً خاصة، فأباح الإرضاع من غير الأم، وجعل المرضعة بمرتبة الأم، وجعل التحريم بالرضاع كما جعله بالنسب، قال ﷺ: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب"[١٢]، وكانت أحكام الرضاع المفصلة تحقيقاً لمصلحة الطفل، وإظهاراً لحقه في الرضاع.

وقد رتب القرآن الكريم الإرضاع على الأمهات، فقال تعالى: **﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة﴾**[١٣] وتتميماً لمصلحة الطفل ورعايته وتمتعه بحقّه بالإرضاع، فقد أوجب الشرع على الآباء كسوة الأمهات والأطفال ورزقهم، فقال تعالى: **﴿وعلى**

المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾(١٤)، كما أباح الاسترضاع عند المرضعات من غير الأمهات، فقال تعالى: **﴿وان تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾**(١٥)، وقال الله تعالى: **﴿وان اردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾**(١٦).

ونظراً لأهمية هذا الحق فقد عَدَّ الشرع الطفل الرضيع ابناً للمرأة المرضعة، وأبناءها إخوة للطفل الرضيع، وإن كانوا من غير أبيه، ورتب على ذلك الشرع أحكاماً خاصة، وأهمها التحريم، فقال تعالى: **﴿وامهاتكم الاتي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾**(١٧)، وكأن القرآن الكريم أوجد أسرة بديلة في حالة تعذر وجود أسرة أصيلة، ليبقى حق الطفل في الرضاع قائماً موجوداً.

وأما حق الحضانة: فهو تربية الطفل منذ ولادته إلى سن معينة، والقيام بشؤونه ورعاية مصلحته والعناية به ممن تجب عليه. وهي من أكثر حقوق الطفل تنفيذاً وانشغالاً، حيث تتناول جوانب متعددة من حياة الطفل، كالجانب التربوي الذي يعني تنشئة الطفل تربوياً بما يتفق مع أسس التربية الإسلامية، والجانب المادي الذي يحدد مسؤولية الإنفاق على الطفل وما يلحق به طيلة مدة حضانته، والجانب الأسري الذي ينمي في بواطن الطفل مظاهر انتمائه الأسري أو المجتمعي.

وهكذا فإن حق الحضانة من أكثر حقوق الطفل اتساعاً، ففترته الزمنية أطول من فترة حق الرضاع مثلاً، والمهام المنوطة والأحكام المتعلقة به أكثر من غيره، والدراسات والتشريعات حول الحضانة أكثر من غيرها، فلذلك حق الحضانة من ألزم الحقوق للأطفال، فعليه ترتكز تصورات الأطفال وقيمهم ونظراتهم واهتماماتهم ومستقبلهم سلباً أو إيجاباً تبعاً للأجواء التي يمر بها المحضون، فهي تعني الرعاية العقدية والجسدية والصحية والفكرية والنفسية والتربوية والاجتماعية، وكل شأن من شؤون حياة الطفل.

والمتتبع لأحكام الحضانة في الشريعة الإسلامية، والأنظمة والتشريعات في قوانين الأحوال الشخصية في البلاد العربية، يطلع على الأبعاد المهمة لحق الحضانة، وأنه من ألزم الحقوق، وأنه من الحقوق المشتركة، ويتوقف على مدى التعامل بهذا الحق مستقبل الأطفال.

٥. حق النفقة والرعاية: يجب على الأب أن ينفق على طفله من ماله إذا كان له مال،

فإن لم يكن له مال فالنفقة في مال الأب، وفي حالة انعدام النفقة من مال الطفل أو الأب، فقد رتب الإسلام أحكاماً خاصة بالنفقات، لأن النفقة على الصغير حق شرعي له، وهي تمثل الجانب المالي والاقتصادي الذي يجب تأمينه لمصلحة الطفل وحقه، ونفقة الطفل وما يتعلق بها من أحكام وتوجيهات تناولها الفقهاء في كتبهم.

وأما حق الرعاية فإن الأطفال في الدين الإسلامي مرعيون، إذ إنّ من واجبات الدولة الإسلامية المحافظة على رعاياها، وتدبير شؤون مواطنيها، وتقديم الخدمات اللازمة لهم، ولا شك أن الأطفال أشد المواطنين خدمة، كما يجب على الدولة الإسلامية أن تحقق للمواطنين ومن بينهم الأطفال حق الحماية من أي اعتداء خارجي أو داخلي.

وقد أعطت الشريعة الإسلامية عناية خاصة بالأطفال، فكانت أحكامها في مجال الطفولة مبنية على تحقيق مصلحة الطفل، وقد طلبت من المسؤولين عن الأطفال أكثر بكثير من طلبها من الأطفال أنفسهم، وشرعت أحكام الحجر وأحكام الولاية والوصاية، وبينت صلاحيات القاضي، وحددت مجالات الأطفال في الأقوال والأفعال وما يترتب عليها من آثار وأحوال.

وطلب الإسلام من كل راع أن يتحمل مسؤولية رعايته، فكل فرد مكلف في المجتمع الإسلامي، مطالب بأن يقوم بمقتضيات مسؤوليته ومتطلباتها، ولا شك أن هذا يعود على الأطفال بالحفظ والعناية، كما شرعت التشريعات الجنائية في حماية الطفولة المتعلقة بالحروب والأسرى، والآداب العامة في التعامل مع الأطفال، والمناهج التربوية التي تحقق الطفل المثالي أو الطفل المرعي، والضوابط العامة والخاصة التي تحفظ الأطفال من التشرد أو الانحراف، ومن حق الرعاية أن يحقق للطفل الأمن الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والصحي والغذائي.

٦. حق التأديب والتعليم: إن الإسلام يهدف إلى إصلاح المجتمعات والأفراد، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بالتربية والتوجيه، ولذلك كانت البعثة المحمدية متممة لمكارم الأخلاق، ودعا الإسلام إلى الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، وطلبها من المكلفين أنفسهم، وطالب بها الأولياء والأوصياء في حق أطفالهم، فإن الأخلاق

نسيج مشترك بين شرائح المجتمع، صغيرها وكبيرها، وأن الأخلاق ثمرة الإيمان السليم.

وحق التأديب الممنوح للطفل في الإسلام ميدانه واسع، وجوانبه كثيرة، وقد زخرت الشريعة الإسلامية بالتوجيهات والأحكام الداعية إلى تربية الطفل وتأديبه، وهي مذكورة في مظانها في الدراسات العلمية.

وحق التأديب ملزم به الوالدان والمربون وأصحاب المسؤولية منذ الولادة إلى البلوغ، وإلى ما بعد البلوغ، كل فرد من موقعه وحسب اختصاصه، وقد رتب الشارع جزاءً على كل من يقصر في واجبه، وقد قيل: إن الله يسأل الوالد عن بر ولده قبل أن يسأل الولد عن بر والده.

وعبارات الفقهاء[١٨] واضحة في إلزام الأولياء بتعهد الأطفال وتأديبهم، وهي عبارات مأخوذة من الكتاب والسنة وما استنبط منها من أحكام وتوجيهات، وهذه الدراسة التي بين أيدينا تحمل كثيراً من التوجيهات الكريمة في تأديب الأطفال وتعليمهم.

وأما حق التعليم فإن المعلومة بالنسبة للإنسان -صغيراً كان أو كبيراً- ضرورة لازمة، لا يمكن العيش دونها، وهي ثمرة أكيدة للطفل، وإن التعليم هو الطريق الصحيح لإصلاح المجتمعات وسلامة تعاملها مع بعضها، والعلم والتعلم للكبير والصغير في المنظور الإسلامي فريضة شرعية وضرورة بشرية، لأن التعلم السليم يوصل إلى عبادة الله سبحانه ومعرفة الحلال والحرام، وتطبيق الأحكام الشرعية.

وقد كثرت النصوص الشرعية في الحث على التعلم، وبيان مكانة العلم والعلماء، وجعلت التعليم إلزامياً ومجانياً، وهو مع الإنسان منذ ولادته إلى مماته مع المستوى العقلي والقدرة الاستيعابية لمخاطبة الناس على قدر عقولهم، ولذلك أُذّن عند المولود بكلمة التوحيد، ولقّن بها الإنسان عند الممات، فهو تعليم مستمر في مرحلة الطفولة وما بعدها.

والعلماء والمربون يركّزون على التعليم في الصغر، مبيّنين أن له دوراً مهمّاً في تحديد هوية الإنسان الثقافية، وأثراً بالغاً في تحديد سلوكيات الطفل، وأما الفقهاء فإنهم يُلزمون بتعاهد الأولاد وإرسالهم إلى الكتاتيب، وتعليمهم القرآن والسنة والمغازي، وأحكام الحلال والحرام.

وقد زخرت المكتبة الإسلامية بالدراسات العلمية والميدانية والتربوية في توجيه الأطفال وتعليمهم وبيان طرائق التعامل معهم، وهذه الدراسات تؤكد حقيقة أن التعليم حق من حقوق الطفل في الإسلام.

٧. حق الحرية والكرامة: من الحقوق المقررة في الإسلام للطفل أن يعيش حراً كما ولدته أمه، وما أجمل المقولة المشهورة التي نطق بها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"، وقد عاش الخليفة عمر هذا المعنى أيام خلافته، حيث مر بغلمان يلعبون في أحد شوارع المدينة، فلما رأوا عمر هربوا سوى غلام واحد، فاستغرب الخليفة، ثم سأل هذا الغلام عن عدم هربه مع أصحابه، فأجابه الغلام بلغة الأحرار "يا أمير المؤمنين، ليست الطريق ضيقة لأوسع لك، ولست بظالم لأهرب من وجهك، فسر على بركة الله".

ولذلك ينبغي أن نربي أطفالنا على معاني الحرية والكرامة كما علمها عمر وتعامل معها، وينبغي أن تتحقق في كيان كل الأطفال وحياتهم كل معاني الحرية والكرامة، فالطفل يُولد عبداً لله لا لغيره، محرراً من كل ألوان الذل، ونفسه محترمة كبقية النفوس.

والحرية الممنوحة للطفل تشمل حالات عدة، كحرية الرأي والتفكير والتعبير، وحرية العمل والقول، وحرية التنقل والسفر، وحرية الحركة واللعب، وحرية العقيدة والتدين، وكل أنواع الحريات العامة ضمن الحدود الشرعية، بل إن القيود الشرعية في الأقوال والأفعال عند الأطفال أقل بكثير منها عند الكبار، لأن الطفل غير مكلف، ولا تُوصف أفعاله بالآثام، لأن المسؤولية على وليه ووصيه.

ثم إن الأحكام الشرعية المتعلقة بالطفولة، كالحضانة والرضاع والنفقة تهدف إلى رعاية الطفل وحفظه والنظر في شؤونه، وهي مع أنها أحكام شرعية فهي تكريم للطفل، وأن وجوب المسؤولية على الأولياء والأوصياء تجاه الأطفال تكريم آخر لهم، مع ما يدخلون به من تكريم مع الكبار ضمن التوجيهات القرآنية والنبوية الداعية إلى تكريم الإنسان وتمييزه عن بقية المخلوقات، ومن حق الكرامة أن يُسوّى بين الطفل الذكر والطفل الأنثى في النظرة والعطية وكل سلوك يتم مع الأطفال.

٨. حقوق أخرى:

أ. حق التسمية: وهذا حق طبيعي يُعرف به في المجتمع، وأن يكون الاسم حسناً، وفي ذلك أحاديث وأحكام، وهو بمنزلة التعريف بالذات وجزء من الجنسية.

ب. حق العقيقة: عند القائلين بوجوبها أو باستحبابها، وهي أن يقوم الأب بالذبح بعد ولادة الطفل، ولها أحكامها الخاصة.

ج. حق الختان: الذي يبدأ منذ الولادة عند الذكور، ويجب عند البلوغ، وله أحكامه الخاصة.

د. حق اللعب: أن يأذن الولي أو الوصي أو المربي للطفل في أن يلعب ويمرح، لأن شخصية الطفل لا تكتمل إلا به، وأن رغباته لا تتهذب إلا به، ويشكل اللعب في حياة الأطفال جزءاً كبيراً، وأن ترك الأطفال بدون لعب يعني تعرضهم لمخاطر شتى، وأثناء هذه الدراسة شواهد كثيرة على حق الطفل باللعب.

هـ. حقوق طارئة متفرقة.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٣٢.

(٤) سورة الإسراء آية رقم ٣٣.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

(٦) سورة الإسراء آية رقم ٧٠.

(٧) سورة النحل آية رقم ٥٨ و ٥٩.

(٨) سورة الإسراء آية رقم ٣١.

(٩) سورة الأحزاب آية رقم ٤ و ٥.

(١٠)(١١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه.

(١٢) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. إسناده حسن.

(١٣) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

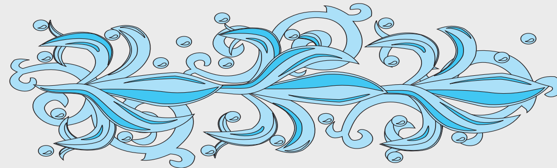
(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

(١٥) سورة الطلاق آية رقم ٦.

(١٦) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

(١٧) سورة النساء آية رقم ٢٣.

(١٨) جواهر الإكليل ٤٠٨/١، شرح منح الجليل ٤٥٣/٢ .



همسة في آذان الدعاة
كيف تكسب ود الناس

■ بقلم الاستاذ محمد سلامة يوسف

لا شك ان الدعاة أحوج الناس الى معرفة طرق ووسائل رد القلوب الشاردة الى حياض الهدى ومناهل التقوى، فاشكر الله ايها المؤمن ان كان فيك من ذلك الشيء.

❖ **أهمية هذا الموضوع:**

اولاً: ان كسب قلوب الناس طريق ووسيلة الى تقبلهم الحق، وبعض الناس معرض عن دعوة الله لعدم انسجامه مع الداعية، نتيجة لبعض تصرفاته الخاطئة وقد ثبت عنه ﷺ انه قال: «يا أيها الناس ان منكم منفرين».

ثانياً: صنف من الدعاة لا يهتم بمعاملة الناس ولا يبالي بموقف الناس منه، ولهذا نشأت بينه وبينهم هوة كبيرة، حالت دون تبليغ دعوة الله في الوقت الذي نجد فيه بعضاً من اصحاب الأفكار المنحرفة، أوجدوا لأفكارهم أَتباعاً ولمبادئهم جنوداً وأنصاراً، لأنهم عرفوا كيف يتعاملون مع الناس فكسبوا قلوبهم وحركوا نفوسهم الى ما لديهم من باطل.

❖ **الوسائل النبوية في كسب قلوب البرية:**

الوسيلة الأولى: خدمة الناس وقضاء حوائجهم، فقد جبلت النفوس على حب من

أحسن اليها، والميل الى من يسعى في قضاء حاجاتها، ولذلك قيل:

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الانسان احساناً

وأولى الناس بالكسب هم اهلك واقرباؤك، لذلك قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي»، وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله ﷺ يفعل؟ قالت: «كان يكون في مهنة اهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة».

الوسيلة الثانية: الحلم وكظم الغيظ، فقد يخطئ بعض الناس احياناً في حقك، يعد فيخلف او يتأخر او يحرجك لسانه، فلا بد لكسبه من حلم وكظم غيظ، لأنك صاحب هدف وغاية تريد ان تصل اليها، ولذا لا بد من حسن تصرفك والله عز وجل يمتدح هذا الصنف من الدعاة فيقول: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾.

وعن انس رضي الله عنه قال: كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فأدركه اعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى ازالت الرداء الى صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشة الرداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك!! فالتفت اليه رسول الله ﷺ وضحك وامر له بعطايا».

وهذا الموقف من سيد الخلق ﷺ، لا يحتاج منا الى تعليق سوى ان نقول: ما قاله الحق عز وجل في وصف نبيه ﷺ: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

الوسيلة الثالثة: السماحة في المعاملة:

يوجز رسول الله ﷺ اصول المعاملة التي يدخل فيها المسلم الى قلوب الناس ويكسب ودهم وحبهم فيقول: «رحم الله رجلاً سمحاً اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى» فالسماحة في البيع الا يكون البائع شحيحاً بسلعته، مغالياً في الربح فظاً في معاملة الناس.

الوسيلة الرابعة: المداراة:

المداراة وليس المداهنة، والمداراة هي لين الكلام والبشاشة وحسن العشرة لأناس عندهم شيء من الفجور والفسق، وذلك لمصلحة شرعية، فقد روى البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله

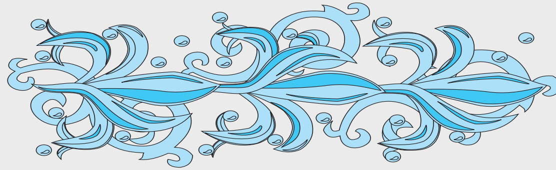
عنها قالت: «ان رجلاً استأذن على النبي ﷺ وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه؟! فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة متى عهدتيني فاحشاً، ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه».

الوسيلة الخامسة: الرفق:

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» بل الرفق مفضل على كثير من الأخلاق، لذا كان ما يعطيه الله لصاحبه من الثناء الحسن في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة، اكثر مما يعطيه الله لصاحبه من الثناء الحسن في الدنيا.

وهذه من المواطن التي يتأكد فيها الرفق عند تقويم الخطأ لقوله ﷺ: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه».

والحمد لله رب العالمين



قطوف دانية

بقلم الطالب مالك الهباهبة

قال الله تعالى:

﴿لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

البقرة: ٢٨٦

اقتفاء أثر الرسول ﷺ

قال الجنيد بن محمد رحمه الله:

الطرق الى الله كلها مسدودة على الخلق، الا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه، كما قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

سر الزهد

سئل الحسن البصري رحمه الله: ما سر زهدك في الدنيا؟

فقال: «علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري، فاطمأن قلبي له، وعلمت بأن عملي لن يقوم به غيري، فاشتغلت به، وعلمت بأن الله مطلع علي، فاستحييت ان أقابله على معصية، وعلمت بأن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله».

قلب التائب

قال عون بن عبد الله رحمه الله:

«قلب التائب بمنزلة الزجاجة، يؤثر فيها جميع ما أصابها، فالموعظة الى قلوبهم سريعة، وهم الى الرقة أقرب، فداووا القلوب بالتوبة، فلرُب تائب دعته توبته الى الجنة، حتى أوفدته عليها، جالسوا التوابين فإن رحمة الله الى التوابين أقرب».

ظلمة الذنوب

قال الشافعي رحمه الله:

«كتب حكيم الى حكيم: يا أخي؛ قد أوتيت علماً، فلا تتس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم».

المؤمن

قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

«المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي»!

أنت المعني

قال الحسن البصري رحمه الله:

«رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم.. أنت المعني وإياك يُراد».

ما النجــاة؟

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

النجاة هي الزحزحة عن النار؛ والفوز بالجنة؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجنة فَقَدْ فَازَ وَما الحياة الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(١)، ولذلك كان الصحابة الكرام يسألون النبي ﷺ عن أبواب النجاة، وقد يكتفى بالسؤال عن باب واحد منها؛ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رَسُول اللَّهِ ما النجاة ؟ قال: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ)(٢).

حفظ اللسان: وهو أهم الأعضاء؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَم فإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّها تُكفِّرُ اللِّسَانَ - أي: تتذلل وتتواضع له - فَتَقُولُ: اتق اللَّهَ فِينا فإنما نَحْنُ مِنْكَ، فإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا)(٣)، وبعض العلماء يقولون: القلب أهم من اللسان؛ لقول النبي ﷺ: (أَلاَ وَإِنَّ فِي الجسد مُضْغَةً إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسد كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)(٤).

قال الطيبي: اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم، كما قيل: (المرء بأصغريه، يعني بهما القلب واللسان)؛ أي يقوم ويكمل معانيه بهما، وعن سُفْيَانَ بن عبدِ الله الثّقفيّ رضي الله عنه قال: (قلت: يَا رَسُولَ الله، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قال: قُلْ رَبّي الله ثُمّ اسْتَقِمْ. قال: قلت: يا رسولَ الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمّ قَالَ: هذا)(٥).

والناس مع اللسان أصناف؛ ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عَنْ أَبي سَعِيد الخُدْرِيِّ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (النَّاسُ ثَلاثَةٌ: سَالِمٌ، وَغَانِمٌ، وَشَاجِبٌ)(٦)، وفي تفسير الحديث قال الأصمعي: الغانم مَن قال خيراً فغنم، والسالم مَن سكت فسلم، والشاجب مَن قال شراً فشجب، أهلك نفسه، وفي لفظ (المجالِسُ ثلاثةٌ: فسالِمٌ وغانِمٌ، وشاجِبٌ)(٧)؛ أي إمّا سالمٌ من الإثم، وإما غانمٌ للأجْر، وإما هالِكٌ آثمٌ، وقال أبو عبيد: ويُروى (الناس ثلاثةٌ: السَّالمُ الساكتُ، والغانمُ الذي يأمُر بالخير وَيَنْهى عن المُنكر، والشاجِبُ الناطقُ بالخَنَا المُعينُ على الظُّلمِ).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه، فإنَّ كَثْرَةَ الكَلام بغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعالى قَسْوَةٌ لِلْقَلْب، وَإنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ تَعالى القَلْبُ القَاسِي)؛ أي صاحبه، أو التقدير أبعد قلوب الناس القلب القاسي.

الاتساع بالبيت: أما البيت فمع العولمة أضحى لا يسع أهله، فالأجساد فيه والقلوب خارجه، وقد تجلس العائلة في مكان واحد؛ وقلوبهم شتى، والله تعالى يريد أن تكون التربية والتعليم من خلال رب البيت، وأن يستشعروا جميعاً عظمة الاجتماع.

البكاء على الخطيئة أمر مطلوب في الشرع، قال الله تعالى: **﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾**(٨)، وأهل الدنيا يبكون على متاع الدنيا الزائل، فكيف لا يبكي المسلم خوفاً من خالقه، ورغبة في جنته، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**(٩).

أمة محمد ﷺ ناجية: إن من تمسك بما دلّه عليه النبي ﷺ من أسباب النجاة فقد فاز، وليعلم المسلم أن شرف انتسابه للنبي ﷺ من الشفاعة؛ قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**(١٠).

الهوامش:

١- سورة آل عمران ١٨٥.
٢- رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
٣- رواه الترمذي.
٤- متفق عليه.
٥- رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة.
٦- رواه الطبراني.
٧- رواه الترمذي .
٨- سورة الإسراء ١٠٩.
٩- سورة الأنفال ٢.
١٠- سورة الأنفال ٣٣.

الزكاة برهان المؤمن

■ بقلم الاستاذ يحيى القاضي

قال الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ التوبة: ٦٠ .

الزكاة لغة: عرفها علماء اللغة بأنها النماء والزيادة، من زكا الشيء اذا نما وزاد.. فالزكاة هي: البركة والنماء والطهارة، وقد جاء في لسان العرب (واصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح).

الزكاة شرعا: عرفها صاحب الحاوي وآخرون: (هو اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة (واعلم) أن الزكاة لفظة عربية معروفة لدى العرب قبل ورود الشرع مستعملة في اشعارهم، وذلك اكثر من ان يستدل له وقال داود الظاهري: (لا اصل لهذا الاسم في اللغة وانما عرف بالشرع).. وقال صاحب الحاوي: (هذا القول وإن كان فاسدا فليس الخلاف فيه مؤثرا في احكام الزكاة).

❖ دليل فرضية الزكاة:

الزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة وفرض من فروضه، وقد تضافرت على وجوبها الادلة الشرعية القطعية الثبوت والدلالة في القرآن الكريم، والادلة الصحيحة من السنة النبوية المطهرة واجماع الصحابة والمعقول.

أولا: القران الكريم:

قوله تعالى: **﴿واقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾** وقوله سبحانه: **﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم﴾**.

ثانيا: السنة المطهرة:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الاسلام على خمس: شهادة ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان).

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن قال: (انك تأتي قوما من اهل الكتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فإن هم اطاعوك لذلك، فأعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم اطاعوك لذلك فإياك وكرائم اموالهم، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب).

بالاضافة الى الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة التي جاءت تحث على فريضة الزكاة والترهيب من عدم ادائها.

ثالثا: الاجماع:

ان الأمة اجمعت على فرضيتها واول من فعل ذلك الصحابة ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين دون تفريط، ويتجلى ذلك بقول اول الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله ﷺ ابو بكر الصديق رضي الله عنه: (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقتلن من فرق بين الزكاة والصلاة).

وجاء لفظ الحديث في صحيح البخاري (والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو الا قد شرح الله صدر ابي بكر رضي الله عنه للقتال،فعرفت انه الحق).

وعن أنس رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه كتب له فريضة الصدقة التي امر الله رسوله ﷺ (من بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة،وليست عنده جذعة وعنده حقة، فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما، ومن بلغت عنده الحقة وليست عنده الحقة وعنده الجذعة، فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين.ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا بنت لبون فانها تقبل منه

بنت لبون ويعطى شاتين او عشرين درهما، ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة، ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين، ومن بلغت صدقته بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض، فانها تقبل منه بنت مخاض ويعطى معها عشرين درهما او شاتان.

❖ الفرق بين الزكاة والصدقة:

الزكاة المفروضة قد سميت في القرآن والسنة صدقة، قال الماوردي: (الصدقة زكاة والزكاة صدقة، يفترق الاسم يتفق المسمى) حيث قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** وكما قال رسول الله ﷺ: (والصدقة برهان) والصدقة ايضا قد تطلق ويكون المقصود بها غير الزكاة المفروضة وهي صدقة التطوع، التي رغب فيها الشارع الحكيم ورتب عليها الثواب العظيم والمغفرة الواسعة.

❖ متى فرضت الزكاة؟

المشهور انها فرضت في السنة الثانية من الهجرة وقد قيل: انها فرضت قبل رمضان ولكن الاقوى انها فرضت بعد فريضة الصيام لحديث قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: (امرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة).

❖ واجب ولي الامر نحو جمع الزكاة:

يجب على امام المسلمين وحاكمهم ان يقاتل مانع الزكاة حتى يدفعها، قال الامام النووي: (اذا منع واحد او جمع الزكاة وامتنعوا بالقتال وجب على الامام قتالهم، لما ثبت في الصحيحين من رواية ابي هريرة: (ان الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا اولا في قتال مانعي الزكاة، ورأى ابو بكر رضي الله عنه قتالهم واستدل عليهم، فلما ظهرت عليهم الدلائل وافقوه، فصار قتالهم مجمعا عليه).

وللحاكم ايضا ان يفرض عقوبة مالية على مانع الزكاة زيادة على قدرها، وهي نصف ماله تعزيرا وتأديبا له وردعا لغيره وذلك لقوله ﷺ: (من اعطاها مؤتجرا فله اجره ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله ، عزمة من عزمات ربنا لا يحل لآل محمد منها شيء).

❖ شروط وجوب الزكاة:

يرى بعض الفقهاء انها تجب على الحر البالغ العاقل، ويرى الاستاذ عبد الحليم حمودة رحمه الله: (انها تجب في الاموال في أي يد كانت).

ومنه يتبين ان الزكاة تجب على كل

مسلم ولا تجب على الكافر، واما المرتد -والعياذ بالله- فان ماله موقوف، فان عاد الى الاسلام اخذت منه الزكاة عن زمن ردته ورد اليه الباقي وان لم يرجع فماله كله للمسلمين.

وتجب الزكاة في مال كل من يملك النصاب من المسلمين جميعا سواء اكانوا ذكورا ام اناثا ، صغارا ام كبارا، عقلاء ام غير عقلاء.

واذا كان على ولي الامر ان يستثمر مال اليتيم، فإنه عند عدم المقدرة على الاستثمار لا يؤخذ من هذا المال زكاة، وهو ما نص عليه بعض الفقهاء: (ليس في مال يتيم ولا معتوه زكاة الا ان يعمل به).

وكذلك من له دين على الغير (يدفعه عنه ولا يصل اليه الا بخصومة فزكاته على الذي في يده) أي لا تجب على صاحب المال الاصلي ما دام في غير يديه.

❖ الصدقة عن الغير:

يجوز أن يتصدق الرجل عن ابيه وعمه وامه، وان تتصدق المرأة عن بيت زوجها وله بما تصدقت اجر لانه كاسب المال، وكذلك المملوك ان يتصدق من مال مولاه لقول رسول الله ﷺ: (اذا انفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة، كان لها اجرها وله مثله بما اكتسب، ولها بما انفقت وللخازن مثل ذلك، من غير ان ينقص من اجورهم شيئا).

❖ أصناف الزكاة:

١- الذهب والفضة وما يصاغ منهما من حلي.

٢- أموال التجارة.

٣- الحيوان وينحصر في (الابل"الجمال" والماشية وتشمل الغنم المعز والبقر) ويقال لهذه جميعا: الانعام.

٤- الزروع والثمار.

٥- الركاز والمعدن.

٦- (الورق المالي) والاسهم والسندات.

٧- العنبر واللؤلؤ.

٨- العسل.

❖ مكان أداء الزكاة:

الاصل ان تصرف زكاة المال في بلد المال، وزكاة الفطر تصرف حيث يسكن المزكي، واذا لم يجد المزكي من يأخذ زكاة ماله في بلده المقيم فيه ساعة اخراج المال، يحق له دفعه الى ولي الامر ليصرفها حيث يرى ذلك مناسبا، وان ينقلها الى حيث يعلم ان هناك من يحتاج اليها.

❖ وقت اداء الزكاة:

بالنسبة إلى الثمار والزروع والمعدن

والركاز، فهذا لا يجوز فيه تعجيل الزكاة، اما النقدان والماشية وعروض التجارة، فانه متى وجد النصاب جاز التعجيل ولو لحولين او اكثر بخلاف ما اذا عجلها قبل ملك النصاب، اما زكاة الفطر فيجوز اخراجها من اول يوم في شهر رمضان حتى غروب شمس اخر يوم منه، ويرى بعض الفقهاء جواز اخراجها قبل صلاة العيد.

❖ مصارف الزكاة:

يقول تعالى: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾.**

وقد جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: اعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: (ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقة حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية اجزاء، فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك).

❖ من تحرم عليهم مصارف الزكاة:

١- آل النبي ﷺ.

٢- تحرم على من تجب النفقة عليهم من المزكي نفسه كالزوجة والابناء.

٣- على المحاربين للاسلام الا من نستألف قلوبهم منهم.

٤- على من لم يرد في هذه الاية وخاصة الكفار.

❖ مسائل فقهية تتعلق بصدقة الفطر:

المسألة الأولى: ما هو وقت وجوب زكاة الفطر؟

المتفق عليه بين علماء المسلمين ان زكاة الفطر تجب بالفطر من رمضان، وهي واجبة على كل فرد من ابناء المسلمين، الكبير والصغير، الذكر والأنثى، الحر والعبد.

وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر، او صاعا من شعير، على العبد والحر والذكر والانثى، والصغير والكبير من المسلمين).

ولقد اختلفوا فيما بينهم في تحديد وقت الوجوب على قولين، الاول: (تجب بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان، لانها وجبت طهرة للصائم والصوم ينتهي بالغروب فتجب به الزكاة) وهذا قول الامام مالك والشافعي واحمد واسحاق والثوري.

الثاني: ذهب اصحابه الى (انها تجب بطلوع الفجر من يوم العيد، لانها قربة تتعلق بيوم العيد فلم يتقدم وجوبها يوم

العيد كالضحية يوم الاضحى)، وهذا قول الامام ابي حنيفة واصحابه والليث وابي ثور ومالك في احدى رواياته.

والذي اختاره القول الثاني من باب التيسير والسعة على الفقراء والمساكين، وحتى لا تفوتهم زكاة الفطر، فلربما تأخر ثبوت رؤية هلال شوال خاصة في آخر يوم (يوم الشك) من رمضان والله اعلم.

المسألة الثانية: هل تجب صدقة الفطر على الطفل الذي يولد بعد مغيب الشمس وقبل فجر يوم العيد؟ وهل تجب على المكلف الذي توفي في هذا الوقت؟

لقد ذهب صاحب كتاب تأويل الدعائم الى ان زكاة الفطر تجب عنه وعمن يعول وعن الحمل قبل ان يولد ،والذي نطمئن اليه ان زكاة الفطر تجب على ولي الطفل الذي يولد قبل صلاة العيد بدخوله ضمن الحديث النبوي الشريف، الذي فرض فيه رسول الله ﷺ زكاة الفطر والمروي عن ابن عمر رضي الله عنه.

وبالنسبة للمكلف الذي توفي قبل هذا الوقت -أي قبل مغيب آخر ايام رمضان المبارك او قبل صلاة العيد- فعلى الورثة اخراج صدقة الفطر عنه، كما ورد عن ام المؤمنين عائشه رضي الله عنها: (ان رجلا اتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ان امي افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت، افلها اجر ان تصدقت عنها؟ قال: نعم).

المسألة الثالثة: ما هي حكمة صدقة الفطر؟

حكمتها طهرة للصائم، مرضاة للرب، معونة للفقراء والمعوزين، خاصة أن الصائم لربما وقع في اللغو والرفث، فقد جاء الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات).

المسألة الرابعة: ما هي شروط وجوب صدقة الفطر؟

تجب صدقة الفطر على كل مسلم حر مالك لمقدار صاع، يزيد عن قوته وقوت عياله يوما وليلة، وتجب عليه هو، وعمن يعول، كزوجته وأبنائه غير الكاسبين لقوتهم، أي لا يعملون ، وخدمه ومملوكه.

وعند الإمام مالك: تجب على الحر المسلم القادر عليها، عن نفسه وعن كل مسلم تلزمه مؤونته، كوالديه الفقيرين، واولاده الذكور البالغين القادرين على الكسب، والاناث وزوجة له أو لأبيه وخادم

رقيق لأبيه أو امه أو ولده وهم أهل الأحلام.

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (إلى أنها واجبة على الحر المسلم المالك لمقدار النصاب فاضلا عن حوائجه الأصلية، عن نفسه، وأولاده الصغار، وعبيده للخدمة، ومدبره، وأم ولده وإن كانوا كفارا، لا غير)، لقوله ﷺ: (أدوا عمن تمونون).

وما يطمئن إليه القلب: وجوبها على كل مسلم حر ومملوك، يدفعها عنه سيده، وعلى كل صغير وكبير، ذكر وأنثى، يخرجها عن نفسه من ماله، إن كان مقتدرا، وإلا أخرجها عنه من يعوله من المسلمين. وكذلك الزوجة في مال زوجها والأولاد يخرجها عنهم أبوهم، أما الأب والجد -وإن علا- فإن كانوا ضمن رعاية الأبناء فيخرجها الأبناء عنهم. وكذلك الأبناء -وإن نزلوا- فعلى معيلهم إن لم يملكوا زيادة عن قوتهم وقت إخراجها، وقدره صاع، زيادة عن قوتهم فلا تجب عليهم وتجب على المعيل والله أعلم.

المسألة الخامسة: ما هو مقدار زكاة الفطر؟ وهل تختلف من عام إلى عام؟

لقد جاء تحديد مقدار زكاة الفطر في السنة المطهرة، حيث قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كنا إذا كان فينا رسول الله ﷺ نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير، حر ومملوك، صاعا من طعام أو صاعا من أقط (الجميد أو الكشك) أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر او صاعا من زبيب، فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية حاجا، أو معتمرا، فكلم الناس على المنبر، فكان فيما كلم الناس، فأما انا ، فلا أزال أخرجه أبدا ما عشت).

وقال الترمذي: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون من كل شيء صاعا والأقط هو -بفتح فكسر- اللبن المتحجر مثل اللبن، والمعروف في بلاد الشام بالجميد.

فيتضح من الحديث السابق أن الواجب في صدقة الفطر: صاع من القمح أو الشعير، أو التمر، أو الزبيب، أو الأقط، أو الأرز، أو الذرة،وكل ما يعتبر قوتا في أي بلد.

والمعنى المستفاد والله أعلم أن الزكاة تكون مما تيسر من أقوات كل إقليم، هذا بالنسبة للشق الأول من المسألة، اما الشق الثاني هل تختلف من عام إلى عام؟ نقول وبالله التوفيق: لا تختلف فقد حددها رسول الله ﷺ بمقدار شرعي وهو ما يعرف بالصاع الذي يساوي نحو كيلوين (٢

كغم) من الطعام أو خمسة أرطال تقريب.

المسألة السادسة: هل ينبغي على المسلمين اخراج زكاة المال من عين الأصناف المذكورة في الحديث النبوي الذي جاء عن ابي سعيد الخدري؟ أم يجوز إخراج قيمة الصاع وإعطاؤه للفقراء والمساكين؟

سئل الإمام احمد عن إعطاء الدراهم في صدقة الفطر فقال: أخاف ألا يجزئه خلاف سنة رسول الله ﷺ وقال له قوم: يقولون عمر بن عبد العزيز كان يأخذ القيمة، قال: يدعون قول رسول الله ﷺ ويقولون: قال فلان؟ قال ابن عمر: (فرض رسول الله ﷺ) والقيمة في حقوق الناس لا تجوز الا بتراض منهم. وليس للزكاة مالك معين فيجوز وهذا مذهب ابن تيمية أيضا، بينما ذهب الامام الثوري وأبو حنيفة وأصحابه إلى جواز إخراج القيمة. وقد روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري، وعن عطاء: أنه كان يعطي في صدقة الفطر ورقا(دراهم فضية)[١].

وعن أبي اسحاق قال: أدركتهم وهم يؤدون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام[٢]، وروى ابن أبي شيبة عن عون قال: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقرأ الى عدي بالبصرة (وعدي هو الوالي) يؤخذ من أهل الديوان من أعطياتهم من كل إنسان نصف درهم[٣].

وعن الحسن قال: لا بأس أن تعطى الدراهم في صدقة الفطر[٤].

وإنه لم يرد عن أبي حنيفة أنه أخرجها نقدا، ولم يثبت ذلك عنه وإنما ورد عن تلامذته. والله أعلم، وإن كان ورد ذلك عن أصحابه، وعند الامام الثوري الأصل كما قال الامام أحمد: (قول رسول الله- وحديث ابن عباس بأنها طعمة للمساكين وطهرة للصائم من اللغو والرفث) والله تعالى أعلم.

و ممن ذهب إلى جواز إخراج القيمة: ابن المنذر قياسا على فعل الصحابة رضوان الله عليهم، حيث أن الصحابة أجازوا إخراج نصف الصاع من القمح، لأنهم رأوه معادلا في القيمة للصاع من التمر أو الشعير، ولهذا قال معاوية: (إني لأرى مدين من سمراء الشام تعدل صاعا من التمر)[٥].

لأجل ذلك قال النبي ﷺ: (اغنوهم- يعني المساكين في هذا اليوم)، وفي رواية البيهقي: (اغنوهم عن طواف هذا اليوم)[٦].

والذي يظهر من الحديث النبوي الشريف: اغناء الفقراء في هذا اليوم عن

المسألة، وحفظ ماء الوجه لديهم، والتوسع على عيالهم، ليشعروا بسعادة العيد المبارك، وليشاركوا الأغنياء فرحة العيد، وذلك يتحقق بالقيمة نقدا أو الطعام، ولربما كان الطعام مصدر خسارة للفقير ، لانه لربما كثر الطعام عن حاجته ولا يستطيع تخزينه، وإذا أراد بيعه لم يحصل على قيمته الفعلية، لأن التجار سوف يبخسونه الثمن، بينما بأخذ القيمة يستطيع أن يوسع على عياله.

ولعل الحكمة من تعيين الصاع من قوت البلد في أقوال الرسول ﷺ، يعود إلى أمرين، كما قال الدكتور يوسف القرضاوي الأمر الأول: أن النقود كانت عزيزة عند العرب، أي قليلة أو معدومة، خاصة أهل البوادي منهم فلو قلت لأحدهم: ادفع درهما أو دينارا، فلن تجد لديه من ذلك شيئا.. ليس لديه إلا الأطعمة الشائعة كالتمر والشعير والزبيب وغيرها مما كان يقتات به العرب يومئذ.. وهذا مما يجعل النبي ﷺ يحدد زكاة الفطر بالصاع.

إن النقود تتغير قيمتها الشرائية من وقت لآخر، فأحيانا نجد الدينار منخفض القيمة، وقيمته الشرائية متدنية جدا، وفي أحيان أخرى ترتفع قيمته الشرائية في الأسواق، وهذا يجعل تحديد الزكاة بالنقود مضربا بين الصعود والهبوط وهو الصاع، والصاع هذا يشبع عائلة ليوم طعام في الغالب.

وقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام الأقوات التي كانت شائعة في عصره، وهي ليست على سبيل الحصر، ولهذا قال العلماء: بأن الاخراج من غالب قوت البلد جائز، سواء أكان برا أو أرزا أم ذرة أم غير ذلك(٧)، والذي يلوح لي ويطمئن له قلبي جواز إخراج قيمتها نقدا والله أعلم.

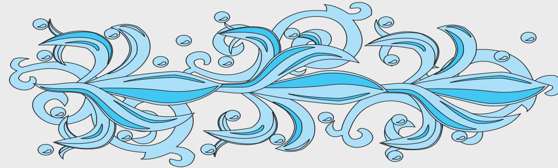
الهوامش:

١- المحلى لابن حزم / ج٦ ص١٣٧ .

٢- المغني لابن قدامة /ج٣، ص ٦٥ .

٣-٤-٥-٦- مصنف ابن ابي شيبة الجزء الرابع ص ٣٧ - ٣٨ .

٧- البيهقي والدارقطني.



المسلمون في الصين

وعددهم يتجاوز خمسين مليوناً

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

المقدمة:

لقد وقع بصري على كتاب من تأليف الدكتور ضياء الدين سردار، وفيه بعض مذكراته، فأعجبني غاية الاعجاب، ويؤسفني أني نسيت عنوانه، بحكم تقدمي في السن، اذ تجاوزت الثمانين، وقد سبق للشاعر الجاهلي زهير ان قال: «ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم»، أما الآن فقد اطلعت على كتاب آخر من تأليفه وهو بعنوان «البحث الشاق عن الجنة»، وهو الآخر يقوم على مذكراته، ويحمل تاريخ سنة ٢٠٠٥م، فبادرت بقراءته قراءة متواصلة حتى اكملته -والحمد لله- وهو كتاب يركز على العقائد الاسلامية وما تتعرض له من أخذ ورد، وعلى أحوال المسلمين في عدد من اقطار العالم.

وقبل ان اتناول الكتاب، يهمني التعريف بمؤلفه مستقى من كتابه، انه ولد في سنة ١٩٥١، في الباكستان، غير ان عائلته هاجرت مبكراً الى بريطانيا، وفيها تمت دراسته منذ الطفولة، حتى نال الدكتوراه، وتخللت الدراسة قيامه ببعض الاعمال المناسبة، لا سيما في حقل الاعلام والصحافة، كما تولى وظائف تعليمية في بعض الجامعات، ومنها جامعة جدة «السعودية».

وقد صنف عدداً يناهز (٤٠) كتاباً، في مختلف المواضيع، كما انه يعد من المفكرين

الاسلاميين، ولهذا السبب فإنه أسس، أو انضم الى كثير من المؤسسات الاسلامية التي هدفها نشر مبادئ الاسلام القائمة على السلام والتعاون ليس بين المسلمين فحسب، بل مع كل من يستهدف التعاون لجعل العالم مثابة للتسامح والأمن.

حتى ان احدى الصحف البريطانية وصفته بأنه باحث في اهمية المجالات الروحية، ثم ان كتابه يلقي الضوء على التاريخ الاسلامي، وتعريف الغربيين بإنجازات المسلمين العلمية «وهو ما ذكرته جريدة هيرالد» اما «الفاينيشل تايمس» فقالت معلقة على كتابه هذا: انه رغم كونه يخص المسلمين، الا انه يلقي الضوء على انجازاتهم الماضية، ويضعها بين ايدي غير المسلمين.

واما جريدة «الملحق الثقافي لجريدة تايمس» فقد وصفت الدكتور سردار ليس فقط باتساع علمه في الموضوع الذي عالجه فحسب، فإنه «اي المؤلف» ينم على اتساع اطلاعه في الموضوع الذي تناوله، وهو من اكبر المؤلفين المحيطين بمبادئ الاسلام في الوقت الحاضر، كما ان له نشاطاً ملموساً في عدد من المؤسسات والمنظمات الاسلامية، ومن ذلك انه صار زائراً مستمراً لتركيا منذ عام ١٩٨٠م، اذ تم اختياره عضواً في «المركز الدولي لبحوث التاريخ الاسلامي» التابع لمنظمة اتحاد الدول الاسلامية (انظر الكتاب ص٢٧٠).

ثم انه شغل مناصب جامعية ومنها جامعة «جدة» السعودية حيث قضى خمس نسوات فيها، كما انه يتمتع بسمعة جامعية عالية، ويشغل مراكز تعليمية في عدد من الجامعات البريطانية، حتى ان احدى الجامعات اختارته ممتحناً خارجياً لطالبة، للحصول على درجة الدكتوراه، مما يؤكد علو مكانته العلمية.

اما الكتاب، فقد تضمن تفاصيل زياراته للعديد من الاقطار الاسلامية، وسجل ملاحظاته عنها من وجهة النظر الاسلامية، وما لقي من تعاون ومن صعوبات في تلك الاقطار، ومنها ايران والباكستان والسعودية، مما خصها بتفاصيل، غير ان ما لفت نظري فيه هو الفقرة التي تناولت زيارته للصين (ص٢٣٠-٢٤٨)، اذ زار مدينة «شايونغ» التي انعقد فيها مؤتمر يمثل جميع مسلمي الصين، ويتناول مشاكلهم، ولكنه يستدرك ويقول: ان مسلمي الصين لا يجابهون اية مشاكل تذكر «كما اكد له ممثلوهم» خلافاً لما كان عليه الحال، في ايام الثورة الثقافية، عندما كان جميع اتباع الديانات معرضين لعدوان «الحرس الاحمر» اذ كان

المسلمون مثلاً يمنعون من العناية بمساجدهم، ولا يسمح لهم بأداء فريضة الحج، اما بعد ذلك فقد اصبحوا احراراً في ممارسة عبادات أديانهم ما داموا لا يتعرضون بسوء لإدارات الحكومة الصينية، لكن الوضع لم يخل من بعض المعكرات في حالات الزواج وأمثاله.

وقد حضر الدكتور سردار جلسات المؤتمر الاسلامي الصيني، وشهد تسامح الحكومة الصينية مع مسلميها بعقد ذلك المؤتمر لبحث الامور التي تهمهم، فيما يتعلق بالشؤون الدينية، وقد لاحظ الأخ سردار ان اولئك المسلمين جميعاً هم من اهل السنة الذين يتبعون المذهب الحنفي، وان كثيراً منهم ينتمون الى الطرق الصوفية التي يعتبرونها منسوبة الى النبي ﷺ، وفق سلسلة من الرواة، ومما لاحظه ايضاً ان المسلمين من السنيين وكذلك الشيعة، يتحدثون كلهم العربية بطلاقة، وهذا يعيد الى ذاكرتي عندما كنت قائماً بأعمال السفارة العراقية في جدة، في السنوات ١٩٤٦-١٩٤٧، اذ لاحظت وصول دبلوماسي من موظفي الممثلية الدبلوماسية الصينية في القاهرة، في موسم حج السنتين المذكورتين الى جدة ليساعد حجاج بلاده، ولفت نظري تمكنه من العربية بطلاقة، ولكن لم ألاحظ وجوده في حجتي الثالثة سنة ١٩٥٢، والرابعة في سنة ١٩٧٥، عندما كنت استاذاً في جامعة الرياض.

هذا وقد تخلل المؤتمر نشاطات جانبية، ومنها حفلات الطعام الانيقة (ص٣٢٩-٣٣٠) وزيارة المدينة المحرمة، وسور الصين، علاوة على أداء الصلوات في المسجد، ولا سيما صلاة الجمعة التي تولى الخطابة والامامة فيها، الشيخ سليمان، رئيس المؤتمر، وقد ضمن خطبة الجمعة معلومات عن الوجود الاسلامي في الصين تاريخاً وحاضراً، وقال: ان المسلمين قدموا لأول مرة الى الصين عقب ظهور الاسلام بمئة سنة، وان ذلك مشاهد في شواهد القبور القديمة التي لا زالت موجودة في مدينة «كوانزهو».

وهذا انا «سامي الصقار» أؤيده لأنني عندما كانت مديراً لشؤون العلاقات مع البلاد العربية، في وزارة الخارجية العراقية، فاجأني سنة ١٩٥٩ بزيارته مستشار السفارة الصينية في بغداد، رغم انني لا علاقة لي رسمية مع الصين، فرحبت به وقال لي: انه علم باهتمامي «بحكم تخصصي بالتاريخ الاسلامي» بأمور المسلمين في العالم، فأراد ان يزودني بشيء عن تاريخ المسلمين في الصين، وعندها سلمني مظروفاً يحتوي

على صور لشواهد القبور في بلاده، وقد وجدتها فعلاً كما قال الدكتور سردار، ويرجع القديم منها الى أوائل القرن الثاني والثالث من تاريخ الهجرة.

ولاحظت ان غالبية اصحاب تلك القبور من مواطني حضرموت، ولذلك ما ذكره الشيخ سليمان هو حقيقة لا خلاف فيها، ثم ان مسلمي جنوب الجزيرة العربية، قد واصلوا الهجرة والمتاجرة مع جنوب غربي الصين، وان المسلمين قد تعلموا صناعة الورق من الصينيين، وحملوا تلك الصناعة الى سمرقند، ثم الى الشرق الاوسط، وخاصة الى بغداد، ومنها نقلت تلك الصناعة الى الشمال الافريقي، ثم الى الاندلس، ومن هناك دخلت الى اوروبا.

ولنعد الى خطبة الشيخ سليمان، حيث انتقل الى التاريخ المعاصر، فقال: ان عدد المسلمين في الصين يبلغ (٦٠) مليوناً وان العاصمة تحوي (٥٠) مسجداً، وتنتشر فيها حوانيت بيع لحوم الغنم المذبوحة حسب الشريعة الاسلامية، وتباع في شارع تسوده مساكن المسلمين، وتبرز فيه المباني العالية، ثم قال: ان الحاج عبد الرحيم الهوريني، كان قد أنشأ أول مدرسة في العاصمة سنة ١٦٠٩م، وان مسلماً آخر هو جمال الدين، أنشأ فيها اول مرصد فلكي، وهو لا يزال الى اليوم قائماً ومستخدماً.

ثم اشار الى فترة «الثورة الثقافية» التي استمرت عشر سنوات، قاسى خلالها المسلمون معاملة في غاية السوء، حيث أُغلقت رابطة المسلمين الصينيين، التي انشئت عام ١٩٥١م.

اما الآن فإن المسلمين يتمتعون بالحرية، كما استعادوا رابطتهم بمبانيها، ومنها المدرسة الاسلامية التي كان الملك فؤاد ملك مصر، قد تبرع بإنشائها(١)، ثم هناك المعهد الاسلامي في جامعة «بيجن» العاصمة الذي أسس سنة ١٩٨٢، ثم استطرد الخطيب الى القول: ان جامعات العاصمة الثماني تضم كل منها قسماً لدراسة اللغة العربية التي صارت تدرس ايضاً في عدة معاهد لغوية، لذلك ليس غريباً ان تجد الشبيبة المسلمة كلها تجيد اللغة العربية (ص٢٣١-٢٣٣).

وقد وصف الدكتور سردار الجامع الذي كان تأسيسه سنة ٩٩٦م، وقال: انه له مئذنتين لكل منهما شرفتان، وبينهما قبة ضخمة، ولهذا الجامع ساحة أمامية واسعة، والى جانبها مبنى ضخم، ثم قال: ان بيت الصلاة له روعة، وقد ازدحم بالمصلين، وخاصة من الشباب الذين جاءوا الى العاصمة للدراسة في الاقسام المخصصة للغة العربية، ولدى سؤاله اياهم عن سبب اختيارهم لدراسة اللغة العربية،

كان جوابهم لأنها لغة القرآن الكريم، الذي يبين الاحكام الشرعية الاسلامية.

وقد وجد بينهم شابة شاركت في جميع المناقشات التي أثيرت في قاعة المؤتمر (ص٢٣٥) وقد علم الدكتور سردار بأن المسلمين منذ ١٩٧٨ قد شيدوا (٢٢٠٠) جامع في المنطقة التي يقطنها المسلمون، جامع في كل قرية يزيد عدد سكانها على (١٠٠٠) نسمة (ص٢٣٣) ويحتاج كل منها الى إمام يحسن العربية وتفسير القرآن الكريم والأحكام الشرعية التي يرغب المسلمون في تطبيقها.

ثم قرر الدكتور سردار ان يقضي بعض الوقت في القرى الاسلامية، للوقوف على مدى التزام القرويين بأحكام الاسلام، فلما انتهت اعمال المؤتمر تحول الدكتور الى احدى القرى ليكون ضيفاً لقروي مسلم، بعد ان اكمل زياراته للأحياء الاسلامية في العاصمة، بما في ذلك مقرات الطرق الصوفية والمدارس الاسلامية (ص٢٣٨-٢٣٩)، واختيرت له قريتان لا تبعدان عن العاصمة الصينية سوى (٣٥) كيلو متراً.

وكان هناك جامع في كل منهما، أولهما يرجع تاريخ بنائه الى القرن الخامس عشر الميلادي، ولكنه دمر اثناء حكم «الثورة الثقافية» ولهذا قام أهل القرية بإعادة بنائه، وكان دليله في هذه المرحلة امام الجامع الحاج نور الدين الذي استضافه وأسكنه في بيته «وهو بغرفتين» لسكناه وزوجته وابنته البالغة اربع سنوات، وقد وجدهم كلهم يحسنون العربية، وقضى في هذا المنزل اسبوعاً ثم تحول الى قرية أخرى، وهي لا تختلف عن الأولى في كل شيء.

والجدير ان الدكتور سردار كان يُدعى في كل يوم من جانب اهل القرية، ليتناول طعام العشاء ومعه امام المسجد، وقد لاحظ ان الحديث اثناء هذه الزيارات، كان يرتكز على رغبة المسلمين في اتباع احكام الشريعة الاسلامية، مما يؤكد على التزام مسلمي الصين بأحكام الاسلام قدر المستطاع (ص٢٣٨-٢٤٠).

❖ مسلمون آخرون تحت الحكم الصيني:

ان مقالي في الاساس يتركز على مسلمي الصين، الذين هم من اصل صيني ويعشيون في العاصمة وفي المناطق الجنوبية بالدرجة الأولى، غير ان هناك مسلمين في اقاليم اخرى احتلتها الصين، واعني بلاد الايغوريين، الذين كانت عاصمتهم كاشغر، وهي في اقصى الشمال الغربي.

وقد فتحها المسلمون في العهد الاموي، يوم فتحوا «بخارى وسمرقند وغيرها» غير ان الحكومة الصينية قد غيرت اسم المنطقة وحولته الى «سكيانغ» وفتحته لهجرة الصينيين من سكان المناطق الاخرى حتى زاد عدد المهاجرين على عدد المواطنين الاصليين، اذ اكتشفت فيها النفط وكثير من المعادن، وقد تناولت الموضوع بمقال سابق، هذا وقد نقلت حكومة الصين عاصمة هذا الاقليم من كاشغر الى مدينة اخرى اسمها اورمكي.

والايغوريون هم من الشعوب التركية المسلمة، كبقية شعوب آسيا الوسطى، ويلتزمون بأحكام الاسلام، ولهم لغتهم الخاصة، ويعترف مؤلف كتاب «الصين» وهو «ألان ساما غيسكي» ان هذا الاقليم قد غزاه الصينيون وان اهله من الشعوب التركية، وان سبب طمع الصين فيه هو غناه بالموارد الطبيعية، علاوة على كونه البداية لطريق الحرير، الذي اشتهر في تاريخ العصور الوسطى وما بعدها (انظر الكتاب آنف الذكر ص٧٥٩-٧٨٤).

والظاهر ان الايغوريين لهم علاقات وطيدة بإخوانهم من مسلمين الصين، رغم بعد المسافة، وقد شهد الدكتور سردار بعضهم في المؤتمر الاسلامي، غير ان بعد المسافة بين المنطقتين يحول دون امكان مسلمي العاصمة والاقليم الجنوبي، من دعم اخوانهم الايغوريين، خاصة وان حكومة الصين تتبنى سياسة التهجير، حتى ان سكان هذا الاقليم كما اسلفنا قد تناقصت نسبتهم الى المهاجرين الى ما يقل عن النصف، وهكذا نحن في مواجهة فلسطين اخرى والمشتكى الى الله سبحانه وبيده مقاليد الأمور.

المصادر:

١- كتاب الدكتور سردار، ضياء الدين، وهو بالانجليزية بعنوان «Desperately Seeking Paradisw London 2005.».

٢- كتاب تأليف آلان ساما غالسكي، وهو بالانجليزية ايضاً بعنوان «China, 2 Edition, Brekey, U.S.A, 1988».

٣- أ. د. سامي الصقار، مقال بعنوان «الآيغوريين»، مجلة هدي الاسلام، العدد الثالث ٢٠١١ .

الهامش ١: يبدو انها كانت اول مدرسة تقام في العاصمة، وقد ارسلت حكومة العراق الشيخ جلال الحنفي للتدريس فيها في سنة ١٩٥٩ .

خلق الرحمة

■ بقلم الاستاذ نور نضال قطامين

الحمد لله العظيم القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام: ٥٤، وقال عز وجل: ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ يوسف: ٦٤ .

فقد وصف الله نفسه بصفة الرحمة في آيات كثيرة، ووصف نبيه سيدنا محمداً ﷺ بصفة الرحمة في جملة من الآيات الكريمة وكذلك الأمر في الأحاديث النبوية الشريفة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: ٧ .

❖ تعريف الرحمة:

الرحمة لغة: تدور مادة «ر ح م» حول معنى الرقة والعطف والرأفة، **واصطلاحاً:** قال ابن القيم رحمه الله: «ان الرحمة صفة تقتضي ايصال المنافع والمصالح الى العبد، وان كرهتها نفسه وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية».

ان المتأمل بسيرة الرسول ﷺ يجد انها مليئة بهذا الخلق الرفيع فمن هذه الأمثلة:

١- رحمته ﷺ بالصغار: فقد كان ﷺ يقعد أسامة بن زيد رضي الله عنه على فخذه، ويقعد الحسن رضي الله عنه على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ويقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما».

٢- رحمته ﷺ بالضعفاء: عن انس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أُف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت».

٣- رحمته ﷺ بالبهائم: مر ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة».

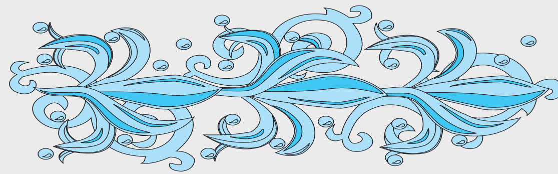
٤- رحمته ﷺ بالكفار: عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله؛ ادع على المشركين، فقال ﷺ: «اني لم أبعث لعاناً وانما بعثت رحمة» وقال: «اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون».

ولقد دعا الاسلام المسلمين ان يتصفوا بكل الأخلاق الفاضلة، التي من خلالها يظهر التكامل بين افراد المجتمع، وكأنه جسد واحد في ثوب واحد، لا خلل فيه ولا اختلاف.

فخلق الرحمة يتجسد من خلاله تراحم الخلق فيما بينهم، ويسود بينهم جو من الحنان والعطف والود والإخاء، ويصفو المجتمع من كل ما ينغص الحياة من الحقد والحسد والغل والبغضاء والتشاحن والتدابر.

فيا أخا الاسلام، اين نحن من هذا الخلق؟ وما هو نصيبه من حياتنا؟ فهل نحن رحماء مع آبائنا وأمهاتنا، واين نحن من رحمة ابنائنا وبناتنا وازواجنا؟ والنبي ﷺ يقول: «من لا يَرحم لا يُرحم».. وأين نحن من رحمة الضعفاء والمساكين من خدم وفقراء وغيرهم؟ والله تعالى يقول: **﴿رحماء بينهم﴾**.

اللهم زينا بزينة الايمان وارزقنا حسن الأخلاق، واجعلنا من عبادك الرحماء، واشملنا برحمتك وبعفوك، وبفضلك ووالدينا وجميع المسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.



الباقيات الصالحات

■ بقلم الاستاذ علاء الدين يونس

لا ريب ولا شك ان ذكر الله عز وجل، من اعظم القربات التي يطمح المسلم ان تكون معراج روحه الى السماء، لنيل رضى الله والقرب منه سبحانه، وللباقيات الصالحات: ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر)) مكانة في الدّين عظيمة، ومنزلة في الإسلام رفيعة، فهُنَّ أفضل الكلمات وأجلهنَّ، وهنَّ من القرآن، وهنَّ أطيب الكلام وأحبّه إلى الله، وأحبُّه إلى رسوله ﷺ من كلِّ ما طلعت عليه الشمس، وفيهنَّ رفعٌ للدرجات وتكفيرٌ للذنوب والسيّئات، وجُنَّة لقائلهنَّ من النار، ويأتين يوم القيامة مُنجيات لقائلهنَّ ومقدّمات له، إلى غير ذلك من صنوف الفضائل وأنواع المناقب، ممّا يدلُّ على عظيم شرف هذه الكلمات عند الله وعلوِّ منزلتهنَّ عنده، وكثرة ما يترتَّب عليهنَّ من خيرات متواصلة وفضائل متوالية في الدنيا والآخرة.

ولقد ورد في فضل هذه الكلمات الأربع نصوصٌ كثيرةٌ تدل دلالةً قويةً على عظم شأنهنَّ وجلالة قدرهنَّ، وما يترتّب على القيام بهنَّ من أجور عظيمةٍ وأفضالٍ كريمةٍ، وخيرات متواليةٍ في الدنيا والآخرة فمِن فضائلِ هذه الكلمات: أنَّهنَّ أحب الكلام إلى الله، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَحبُّ الكلام إلى الله -تعالى- أربع، لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"، ورواه الطيالسي في مسنده بلفظ: "أربع هنَّ من أطيب الكلام، وهنّ من القرآن، لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان

الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

من فضائلهنَّ: ما ثبت في مسند الإمام أحمد، وشعب الإيمان للبيهقي بإسناد جيّد عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: مرّ بي رسول الله ﷺ فقلتُ: "إنِّي قد كبرتُ وضعُفت -أو كما قالت- فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: "سبّحي اللهَ مائة تسبيحة، فإنَّها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لكِ مائة فرس مُسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكَبِّري اللهَ مائة تكبيرة فإنَّها تعدل لك مائة بدَنة مُقلّدة متقبّلَة، وهلِّلي مائة تهليلة - قال ابن خلف (الراوي عن عاصم) أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتيتِ به" قال المنذري: رواه أحمد بإسناد حسن.

فالمتأمّل في هذا الثواب العظيم المترتِّب على هذه الكلمات سبّح اللهَ مائة: فإنَّها تعدل عِتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، وخصَّ بني إسماعيل بالذّكر لأنَّهم أشرفُ العرب نَسباً، ومن حَمِد الله مائة، كان له من الثواب مثل ثواب من تصدّق بمائة فرس مسرجةٍ ملجمةٍ، أي: عليها سرجها ولجامها لحمل المجاهدين في سبيل الله، ومن كبّر اللهَ مائة مرّة، كان له من الثواب مثلُ ثواب إنفاق مائة بدنةٍ مقلّدةٍ متقبّلةٍ، ومن هلّل مائة، فإنَّها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفع لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتى به.

وكلمة التوحيد لا إله إلاّ الله، هي أفضل هذه الكلمات الأربع، وأجلّهنّ وأعظمهنّ؛ فلأجلها خُلقت الخليقةُ، وأُرسلت الرسلُ، وأُنزلت الكتبُ، وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، فهي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي أعظم أركان الدِّين وأهم شعب الإيمان، وهي سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وأصل الدين وأساسه ورأس أمره، وفضائل هذه الكلمة وموقعها من الدين فوق ما يصفُه الواصفون ويعرفه العارفون **﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.**

ولهذا فإنَّ لهذه الكلمة الجليلة فضائلَ عظيمةً، وفواضلَ كريمةً، ومزايا جمّةً، لا يُمكن لأحد استقصاؤها، ومما ورد في فضل هذه الكلمة في القرآن الكريم أنَّ الله تبارك وتعالى جعلها زبدةَ دعوة الرسل، وخلاصةَ رسالاتهم، قال الله

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال تعالى في أول سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ وهذه الآية هي أول ما عدّد الله على عباده من النعم في هذه السورة، فدلّ ذلك على أنَّ التوفيق لذلك، هو أعظم نعم الله تعالى التي أسبغها على عباده كما قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال مجاهد: "لا إله إلا الله".

ومن فضائلها: أنَّ الله وصفها في القرآن العزيز بأنَّها الكلمة الطيّبة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وأنَّها هي الرابطة الحقيقية التي اجتمع عليها أهل دين الإسلام، فعليها يُوالون ويعادون، وبها يُحبّون ويُبغضون، وبسببها أصبح المجتمع المسلم كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يَشُدُّ بعضه بعضاً.

ومن فضائل هذه الكلمة: أنَّها لو وُزنت بالسموات والأرض رجحت بهنّ كما في المسند عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: "أنَّ نوحاً قال لابنه عند موته: آمُرُك بلا إله إلا الله، فإنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة، ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهنّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السموات السبع في حلقة مبهمة لقصمتهنّ لا إله إلا الله".

ومن فضائلها: أنَّها ليس لها دون الله حجاب، بل تخرق الحُجب حتى تصل إلى الله عز وجل، ففي الترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: "ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتَنَب الكبائر".

ومن فضائلها: أنَّ من قالها خالصاً من قلبه، يكون أسعد الناس بشفاعة الرسول الكريم ﷺ يوم القيامة، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قيل: يا رسول الله من أَسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك لما رأيت من حِرصك على الحديث، أَسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه".

والله تعالى نسأل ان يجعلنا من الذاكرين له كثيرا

علاقة الرسول محمد ﷺ بالأردن

■ بقلم الاستاذ حلمي شقير

إن الأردن لم يكن غريباً عن رسول الله ﷺ، فقد عرف رسول الله ﷺ الأردن منذ كان تاجرا يتجر للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كما أن رسول الله ﷺ لم يبعث لأهل الجزيرة العربية وإنما بعث للناس جميعا، وكانت دعوته تدعو إلى نشر العدل والمساواة واحترام الإنسان وفضله على سائر المخلوقات.

عرف الرسول ﷺ ثرى الأردن حين قدم في الرحلة الأولى مع عمه أبي طالب عندما كان (محمد) ﷺ لم يتجاوز عمره ١٢ سنة وشاهده الراهب (بحيرا) في بصرى الشام، وتأمل الراهب (بحيرا) محمداً ﷺ فشاهد كما شاهدت القافلة، أن غيمة تظله ﷺ وشاهد علامات النبوة واضحة جلية وهي علامات ذكرت في التوراة والإنجيل، فما كان من هذا الراهب، إلا أن حض عم محمد على إخفائه عن عيون اليهود قائلاً: إن هذا الغلام سيكون نبيا وهو بشرى عيسى بن مريم عليه السلام، وكانت رحلة محمد (ﷺ) الثانية في تجارة للسيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد – إحدى حرائر مكة وأشرافها– وكانت سنه تخطو نحو الخامسة والعشرين.

ووصل الرسول الكريم وخادمه ميسرة فاستظلا شجرة قريبة من صومعة الراهب (نسطو) ودار حوار بين الراهب وميسرة فقال الراهب: من هذا الذي استظل تحت هذه الشجرة؟ قال ميسرة: رجل من قريش

من أهل مكة أهل الحرم فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى إلا نبي.

لقد مرّ رسول الله ﷺ أرض الأردن قبل البعثة مرتين، وكان مساره في جنوب الأردن الذي يشمل العقبة والبتراء والبادية وأم الجمال إلى بصرى الشام والمفرق. والشجرة التي استظل تحتها رسول الله ﷺ في منطقة الصفاوي.

ووصل الرسول ﷺ إلى الأردن في رحلة الإسراء، وقد كانت أول صلاة لرسول الله خارج الجزيرة العربية في أرض مدين، وأرض مدين تشمل المنطقة معان والطفيلة والكرك هذا المثلث كان أراضي المدينتين. لقد صلى رسول الله ﷺ أول صلاة في بلادنا في الأرض التي باركها الله، فالأردن جزء من الأرض المباركة قال تعالى: **﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** الأنبياء: ٧١.

فالله نجى إبراهيم ولوطا فكانت الأردن هي جزء من الأرض المباركة، وكانت مكان إقامة لوط عليه السلام بعد الخسف ومنها عبر خليل الله إبراهيم الخليل بفلسطين.

وحين يقسم الله سبحانه بالتين والزيتون، فإنه سبحانه يريد بلاد الشام بلد التين والزيتون والأردن جزء منها ويضيف القرطبي، أن التين هي منطقة أهل الكهف أرض البلقاء وعمان، لقد التقت طريق الإيلاف مع فضاء الإسراء لتتبارك أرض الأردن وسماء الأردن بهذه الرحلات المباركة.

ولم تتوقف علاقة الرسول ﷺ وصحابته الكرام بالأردن، فقد تشرف أردننا بصحابة رسول الله ﷺ، فقد أرسل رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي وكعب بن عمر الغفاري وسرية بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى وادي الحزار، وجاءت سرية ذات السلاسل بعد معركة مؤتة مباشرة، فوقعت في وادي الحرير في مكان يعرف اليوم بالسلاسل وحدد الطبري الموقع بأنه في منطقة قبيلة جذام، وقد كانت قبيلة جذام تسكن في منطقة وادي السلاسل في الطفيلة.

١. أما المراسلات فقد تراسل رسول الله ﷺ مع فروة بن عمر الجذامي في مدينة معان في سنة (٦ هـ) وأهدى فروة هدية إلى رسول ﷺ، وقد نقلها مسعود بن سعد الجذامي حيث أنه أخبر رسول الله أن أهل معان قد دخلوا الإسلام، وعند مياه عفرا اعتقله الروم وصلبوه وقتلوه وكان أول الشهداء من أهل الأردن وله ضريح في عفرا يحمل اسمه.

٢. وقد تراسل رسول الله ﷺ عندما

كان في تبوك (٩ هـ) مع يوحنا بن رؤبة حاكم العقبة وقام رؤبة بزيارة سريعة لمنطقة تبوك، حيث اجتمع مع رسول الله ﷺ وأهداه عباءة يمنية .. وكانت مدينة العقبة الأردنية تحوي العديد من الكنائس المسيحية.

٣. كما أرسل الرسول ﷺ رسالة إلى أهل اذرح والجربا وقنا تمنحهم الأمن والأمان، مع فرض جزية عليهم إذا لم يدخلوا الإسلام.

نص رسالة الرسول ﷺ إلى يوحنا بن رؤبة (العقبة):

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذه المنة من الله، ومحمد النبي ورسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل العقبة (ايله)، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام واليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذ من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر، كتبها: شرحبيل بن حسنة».

نص رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهل أذرح والجربا وقنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى بني (حنينة) وأهل قنا، سلام عليكم، فإنه أنزل علي انكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله يجيركم كما يجير منه نفسه، فإن لرسول الله رقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله، وإن لكم -بعد ذلك- ربع ما أخرجت نخيلكم وربع صادق عرككم (خشبكم)، وربع ما أغزلت نساؤكم وأنكم قد ثريتم بعد ذلك، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة إن سمعتم وأطعتم أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن ائتمر في بني (حنينة) وأهل (قنا) من المسلمين فهو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله.

لم تتوقف رسل رسول الله ﷺ عن الدعوة إلى الله وتبليغ رسائله ولم يقتصر عمل رسول الله ﷺ على إرسال الرسل بل أرسل سرايا تأديبية لعرب جذام في سنة ٦ هـ بعد أن لاحظ المسلمون أن أهل هذه البلاد يعترضون قوافلهم.

فبينما كان دحية الكلبي عائداً من تجارته مرّ على قيصر الروم فأهداه

قيصر مالا، وأثناء مروره بأرض جذام أغار عليه الهديد بن عوص وابنه فسلباه ما يملك فوصل خبر السطو إلى ضبيب الجذامي الضبي، فأغاروا على الهديد وقومه وردوا ما سلبه الهنيد، وأخبر دحية رسول الله ما حصل له عندما وصل المدينة فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في حين أغار على الهنيد وقتله وغنم منهم مالاً وفيراً ثم سمع الضبيب بعمل رسول الله وانتصار زيد على الهنيد توجه وجهاء القوم إلى زيد بن حارثة وأخبروه أنهم مسلمون وقرأوا عليها شيئاً من القرآن فرد عليهم ما أخذه منهم.

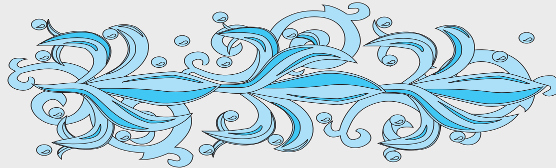
وفي السنة السادسة للهجرة أيضاً أرسل رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف لقتال قبيلة كلب النصرانية، وأوصاه بعدم الغدر والخيانة وأن يتبع مع القوم أسلوب الحوار ولا يكرههم على الإسلام، فمكث فيهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأبوا وفي اليوم الثالث أسلم أميرهم (الأصبغ بن عمرو الكلبي) وأسلم معه كثيرون وأما الذين لم يسلموا فوافقوا على دفع الجزية.

وأخبر الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأرسل رافع بن مكيث ليعلمهم الإسلام وتزوج تماضر بنت الأصبغ.

وفي السنة الثامنة للهجرة بعث رسول ﷺ بسرية قوامها ١٥ رجلا إلى ذات اطلاع -بين الكرك والطفيلة- وكان أهلها نصرانيون فقتلوا أربعة عشر رجلاً مسلما ونجى جريح واحد أتى رسول الله فأخبره بما حدث، ولقد بدأ التوتر يزداد شيئاً فشيئاً بين المسلمين في المدينة وبين الروم في الشام حيث نقاط التماس، وكانت هذه الإرهاصات مقدمة لمعركة مؤتة.

من هنا يمكن القول: إن علاقة الرسول محمد ﷺ بالأردن وأهله، علاقة وشيجة زادتها عمقا دماء الصحابة الذين رووا دماءهم الطاهرة ثرى الأردن الغالي.. بلد الحشد والرباط إلى يوم الدين.

والله ولي التوفيق



الآثار التربوية للعبادة في الشريعة الإسلامية

■ بقلم الدكتور إسماعيل السعيدات

تشكل العبادة جانباً مهماً في حياة الناس، فغاية خلقهم هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، فالعبادة بمعناها الواسع والتي تشمل أي عمل يقوم به الإنسان إذا قصد به إرضاء الله تعالى، وكانت نيته خالصة، وكان هذا العمل موافقاً لما جاءت أحكام الشريعة به وبني على أساس التيسير لا على التعسير على العباد.

إن دراسة الآثار التربوية للعبادات في الشريعة الإسلامية، تحتل مكاناً أصيلاً بين الموضوعات العملية الفقهية؛ إذ هو من مباحث فقه العبادات وما يترتب على القيام بالعبادات من أحكام وتشريعات وآثاروالتي احتلت مكانة مرموقة في بحوث العلماء قديماً وحديثاً، وقد تناولوها بشمول وسعة لا يتركان مجالاً للإضافة, إلا محاولة حسن العرض والترتيب، وفي هذه الدراسة سأتناول الآثار التربوية للعبادات في الشريعة الإسلامية بكافة أشكالها؛ لأن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت لإسعاد البشرية وتحريرها من الظلمات إلى النور، والعبادات هي النور الإلهي للناس جميعاً، وهذا الجهد في حقيقته ما هو إلا محاولة متواضعة يكتنفها كثير من النقص الناتج من عمل الباحث نفسه بصفته بشراً خطاءً ناقصاً.

فالعبادة إذا أقيمت كما أمر الله أن تقام، لا شك أنها تعود على الفرد

والجماعة بالخير العظيم والثواب الجليل، فهي تنظم علاقة الفرد بربه ومجتمعه وأمته، فهي سكينة وطمأنينة للنفس، كما أنها تحقق الكثير من الخير والنفع والعزة والتمكين في الأرض للأمة الإسلامية.

وفي هذه الدراسة بيان لمعنى العبادة الواسع والشامل، ومدى حاجة الناس إليها، والثمرات والآثار التربوية المتحققة نتيجة القيام بالشعائر التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر لله تعالى على الفرد والمجتمع.

❖ أهداف الدراسة:

١- إبراز الآثار التربوية المتعلقة بالعبادات في الشريعة الإسلامية؛ ليصار إلى إخلاص العبادة إلى الله؛ حتى يتم جني هذه الآثار والثمرات حقيقة.

٢- بيان مدى إسهام العبادات في توثيق الصلة بالخالق، وتطهير النفس من إتباع الهوى والشهوات، والميل عن طريق الهدى، وتحقيق أعلى درجات التقوى والإحسان.

٣- تبصير الدارسين بهذه الآثار الناتجة عن تطبيق أركان الإسلام في الحياة العملية.

٤- الكتابة في موضوع له مساس بالواقع وحياة الناس وتنظيم صلتهم بالخالق المنعم عليهم والمستحق للعبادة.

٥- تطبيق العبادة وإخلاصها إلى رب العزة يقوي جانب التقوى في حياة الناس، ويمنعهم من ارتكاب الجرائم، والإصرار على الصغائر، ويعيد للأمة الإسلامية هيبتها وكرامتها وتميزها على سائر الأمم، بالدعوة إلى الله، والعبادة الخالصة.

٦- كثرة الحديث عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات، دون التوسع في إبراز الآثار التربوية للعبادات في حياة الناس، وتمثل هذه الآثار في الحياة اليومية.

العبادة لغة تعني: الخضوع والتذلل والطاعة، أو الطاعة مع الخضوع، والتعبد هو التنسك[1].

اصطلاحاً كما عرفها ابن تيمية بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان للجار واليتيم، والدعاء، والذكر، وأمثال ذلك من العبادة، ثم يضيف بقوله: وحب الله ورسوله وخشية الله

والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة[٢].

فالعبادة في المفهوم العام تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله، فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى، والقيام بأداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض، ومنع الفساد فيها، يُعد عبادة، وهكذا تتحول أعمال الإنسان مهما حققت له نفعاً دنيوياً إلى عبادة إذا قصد بها رضا الله، فالعبادة ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم، حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل، ونشاط وحركة وبناء.

فالعبادة في المفهوم الخاص: هي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة،وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وهي نوع من التربية، ففرائض الإسلام تخاطب كل الجوانب في الإنسانية، ونجد أن العبادات في الإسلام تدعو إلى الوحدة والجماعة، ووحدة القيم، والنظر إلى الخير، والشر، والفضائل، والرذائل.

مما سبق يمكن القول: إن العبادة شاملة لكل حياة الإنسان ونشاطاته من آداب الأكل والشرب إلى بناء الدولة وشؤون المعاملات والعلاقات الدولية فهي ليست مقصورة على الشعائر الدينية التعبدية بل تشمل كل أمر يقوم به الإنسان طاعة لله تعالى.

❖ الثمار والفوائد والآثار المتحققة من تطبيق العبادة في الشريعة الإسلامية بكافة أشكالها:

الصلاة والصوم والزكاة والحج من العبادات التي يقوم بها المكلفون، وتحقق كثيراً من الفوائد التي تعود عليهم بالنفع العظيم يوم القيامة، وترفع من عزيمتهم، وتمدهم بعناصر القوة، ونحن نحتاج إلى عناصر القوة، وهذه العناصر يمكن أن تتأتى من خلال القيام بالوضوء فهو قوة للجسم ونشاط وغذاء للروح، والوقوف بين يدي الله تعالى في اتجاه واحد، ما هو إلا دليل على قوة وحدة الوجهة والمقصد، وافتتاح الصلاة بالتكبير ما هو إلا قوة للروح وللأمة تشعرها بأن الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، والخروج منها بالتسليم قوة تنهي بالرحمة والسلام، وأي قوة أكبر من القوة التي تربيها الصلاة في نفوس المسلمين.

للعبادة في الشريعة الإسلامية ثمرات وفوائد وآثار تربوية واجتماعية تعود على الإفراد والجماعات، ولا بد من استعراض

هذه الثمرات التي تتحقق من القيام بالعبادات، وأول هذه الثمرات العظيمة – وكلنا يدركه من خلال أداء العبادات- أن الإيمان يزداد بالعبادة والعمل الصالح، وينقص بالمعصية والتقصير في أداء حقوق الله التعبدية، ومن العبادات التي تزيد في الإيمان قراءة القرآن الكريم والاستماع إليه، وفهم آياته، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**(٣)، والعلم الشرعي وتعلمه وتعليمه لمن لا يعلم، قال تعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الحق مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**(٤).

وثاني الثمرات حصول الأمن والطمأنينة النفسية، التي ترجع إلى تلبية حاجة الفرد الفطرية وهي العبادة فتخضع الجوارح لربها قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**(٥).

وثالث هذه الثمرات التحرر من العبودية لغير الله تعالى، فالعمل بدون إخلاص يُعد شركاً، والشرك ظلم للنفس، والظلم مرتعه وخيم، ولذا شددت الشريعة الإسلامية على بيان أهمية إخلاص العبادة له وحده، والتحرر من عبودية الأصنام والأوثان.

ورابع هذه الثمرات السعي نحو الفضيلة والأخلاق الحميدة التي منبعها أداء الشعائر التعبدية.

وخامس هذه الثمرات تربية الضمير الحي اليقظ في الإنسان الذي بدوره يوجه سلوك الفرد نحو الخير والابتعاد عن الشر، ومحاسبة النفس على التقصير في أداء حقوق الله، قال تعالى: **﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾**(٦)، فالعبادة تربي في النفس الشعور بمراقبة الله التي تدفع الناس إلى الخوف من الله وخشيته وتقواه وابتغاء رضوانه ورحمته.

وسادس هذه الثمرات أن العبادة هي جانب تطبيقي عملي للاعتقاد، فالهيئة الجماعية التي تؤدى بها معظم العبادات، لها دور كبير وفعال في تأليف وتجميع الأفراد، وتقوية وترسيخ للمشاعر الأخوية القائمة على أساس وحدة الاعتقاد، والحث على التواد والتآلف والتعاون والتراحم وكل ما من شأنه أن يقوي الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

وسابع هذه الثمرات هو أن العبادة تربي في الفرد المسلم عواطف الحب وتنميها، حب لله ولرسوله ولعباده المؤمنين،

وبغض لأعــــداء الله من الإنس والجن، وتقوي عنده عقيدة الولاء للإسلام والبراء من الشرك.

وثامن هذه الثمرات أن العبادة غذاء للروح بها يهتدي الفرد المسلم إلى سر وجوده، ويجد بها سعادة روحية دنيوية لا تدانيها سعادة، ويجد للعبادة لذة وحلاوة.

وتاسع هذه الثمرات أن العبادة ابتلاء إلهي من أجل معرفة الشاكرين من الجاحدين، قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجنة وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**[٧]، فالعبادة في حقيقتها هي طلب للثواب الإلهي وخوف من العقاب الرباني، فهي حق الله على عباده مقابل ما أنعم عليهم من نعم لا تحصى ولا تعد.

ولو أمعنا النظر في الأمور لوجدنا أن العبادات في الإسلام تحقق معاني سامية وأهدافاً نبيلة، فهي تنمي علاقة الفرد بربه، وبأخيه ومجتمعه، وأمته، **ومن العبادات التي تظهر آثارها التربوية في حياة الأفراد والجماعات:**

أولا: الصلاة هي الصلة الدائمة المتكررة بين العبد وربه، وهي المنبه الذي يذكر الإنسان بخالقه، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، جعلها الإسلام عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وهي المقياس والميزان للتفاضل بين الكفر والإسلام والإيمان والنفاق، ومما لا شك فيه أن الصلاة التي فرضت ليلة الإسراء والمعراج هي هدية مباركة للنبي ﷺ وأمته.

كيف لا وهي تصل الفاني بالباقي، والضعيف بالقوي، والفقير بالغني، والذليل بالعزيز، ولنتأمل في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج" ثلاثا، غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الأمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إلى عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[٨].

فالصلاة فيها من الأسرار والثمرات والآثار التربوية ما لا يحصيه عد، فكل مسلم يستشرف بعضاً منها بحسب إقباله على ربه، ومن هذه الآثار أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١ . المحافظة على الصلاة تجعل المسلم حريصاً على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتقيه من الوقوع في الفواحش والمنكرات، وهي ثمرة وأثر تربوي للصلاة في تنظيم علاقة الفرد بأخيه ومجتمعه، تتمثل في الطهارة والنقاء والصفاء؛ لأن الصلاة في جوهرها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾**[٩]، ولأن الصلاة توجب على المسلم أن لا يسرق ولا يخون، ولا يكذب ولا يحتكر ولا يغش، ولا يؤذي الناس بلسانه أو يده أو أي جارحة من جوارحه.

٢ . الصلاة طريق للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، والمحافظين عليها تستقيم أمورهم في الحياة الدنيا ويرثون جنات النعيم في الآخرة، قال تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**[١٠]، وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ❖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ❖ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[١١]، فإقامة الصلاة بالسكينة والطمأنينة، هي مراتب عزيزة وكبيرة لا يصل إليها إلا المحافظون عليها.

٣ . الصلاة صلة مباشرة بين العبد وربه، تدخله في رحمته، إذا أداها بروح الإخلاص والنية الصادقة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[١٢].

٤ . الصلاة وأداؤها جماعة تحقق عند الفرد المسلم قيمة ضبط الوقت الذي يساوى قيمة الحياة بالعمل الصالح المستمر من الصلاة إلى وقت الصلاة الأخرى وهكذا جميع وقت المسلم يكون حريصاً على استغلاله استغلالاً نافعاً.

٥ . الصلاة في المسجد رمز الوحدة والقوة بين المسلمين على اختلاف الأجناس والألوان، وعلى مختلف الأمكنة والأوطان، والإسلام يركز على إقامة الصلاة جماعة لتظهر ثمراتها في ترسيخ وتعميق مفهوم الوحدة، قال تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**[١٣].

٦ . الصلاة هي الدواء لكل الأدواء، والنجاة من كل بلاء، والحصن المنيع من كل

الفتن، وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزب به أمر، أو نزل به هم يفرغ إلى الصلاة، فالصلاة حاجة من حاجات الإنسان الضرورية.

٧ . الصلاة من خلال الاجتماع لأدائها جماعة في المسجد علاوة على الأجر العظيم المضاعف هي داع من دواعي الحب بين المسلمين، من خلال اجتماعهم في أطهر مكان على وجه الأرض بين يدي رب العالمين، وعندما يختم المسلم صلاته بالتسليم فإن ذلك دلالة على الرحمة والسلام المنشود من هذه الشريعة الغراء، فدلت على أن قوة الإسلام قوة تنتهي بالرحمة والسلام دائماً، وما أحوج المسلمين اليوم إلى مثل هذه القوة الرحيمة، لتشمل أمم الأرض المعذبة البائسة.

٨ . من الآثار التربوية للصلاة في حياة الأفراد، أنها تدفعهم للمبادرة إلى أداء الأعمال في وقتها وعدم التأخر في أدائها، كما أنها تعلمهم وضع كل أمر موضعه، كما أن صلاة الاستخارة تعمل على حسم القرارات وعدم التردد فيها والإقبال على القيام بالأعمال دون خوف أو تردد.

ويمكن القول: إن الصلاة بما فيها من الأسرار والمعاني العظيمة والحِكم الجليلة، تحقق ثمرات وآثاراً طيبة في حياة الأفراد والجماعات أعظم من أن يحصرها عاد أو يسجلها قلم؛ لأنها أمر إلهي نعبد الله بها.

ثانياً: الزكاة هي قرينة الصلاة، وقد قرنت بالصلاة في مواضع متعددة؛ تأكيداً لبيان أهميتها وأثرها العظيم في حياة الشعوب، والزكاة سبب لحفظ المال وجلب الرزق، وهي برهان على الإيمان ، فالزكاة فيها من الأسرار والثمرات والآثار التربوية ما لا يحصيه عد، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ . الزكاة بمعناها الواسع: الطهارة والتزكية، فهي تطهر نفس الغني من الشح والبخل، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(١٤)، وتطهر نفس الفقير من الحقد والحسد، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**(١٥)، وقوله تعالى: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾**(١٦)، كما أن الزكاة تعني النماء والزيادة، فهي تنمي المال وتطرح فيه البركة، قال تعالى: **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**(١٧)، فالمال بالبذل يزداد حاله؛ لأن من أمر بالعطاء وعد بالعوض والفضل، فوجوب الزكاة له أثر فعال في تنمية المال وعدم تجميده، فإنها تدفع

المزكي إلى توظيف ماله وتنميته خشية نفاذه من جراء دفع الزكاة كل عام، وما وعد الله تعالى من تعويض للمزكي من الأجر والثواب العظيم في الآخرة؛ من هنا أولت الزكاة علاقة الفرد بأخيه وبمجتمعه وأمته عناية فائقة من خلال تحقيق جوانب التكافل والتعاون على الخير.

٢ . الزكاة تقرب الهوة بين طبقتين من الطبقات الاجتماعية حتى لا يحصل في المجتمع غنى فاحش وفقر مدقع، ثراء وبطر، وحاجة وبؤس؛ فإن الأبعاد التشريعية والاجتماعية للزكاة كبيرة في حياة الأفراد والجماعات.

٣ . الزكاة تقضي على العديد من المشاكل وأهمها: مشكلة الفقر التي تدفع الناس إلى ارتكاب عدد من الجرائم من أجل تحصيل المال كالسرقة والسلب والنهب والغصب.

فالزكاة من خلال معالجتها لمشكلة الفقر تربي النفوس على الحب والخير والبعد عن الشر والمعاصي، وتوجد في النفس رقابة ذاتية مبعثها الخوف من الله وخشيته ومراقبته في السر والعلن.

٤ . الزكاة فيها تربية للمشاعر النبيلة المتمثلة في مشاركة الفقراء المحتاجين مشاركة فعلية، وتخفيف ما تعانيه من هموم وأوجاع.

٥ . الزكاة تحقق أعلى درجات التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي، وهي وسيلة من وسائل تماسك المجتمع، فتجد المجتمع كله وحدة واحدة من خلالها يعطف الغني على الفقير فتسود أروع معاني التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٦ . الزكاة تقرب العبد من ربه وتسد حاجة المحتاجين عن السؤال وتربي في النفس ترك السؤال، فتغرس في النفس حب العمل، فهي وسيلة من وسائل التقريب بين العبد وربه، وبين الناس جميعاً.

٧ . الزكاة تطهر المجتمع من ظاهرة التسول، وتحفز الناس على الحب والتواد والسعي للعمل الصالح، والعلم بأن اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

٨ . الزكاة تحرر الإنسان من عبودية المال وتحرره من التعلقات المادية، فتدفعه إلى أداء الزكاة رغبة في فعل الخير وطلباً للأجر العظيم من الله تعالى.

٩ . الزكاة يمحو الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، فالصدقات تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار، وقد وعد الله المزكي

بالأجر العظيم على أدائه لحق المال الذي هو مستخلف فيه،قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[١٨].

ثالثاً: الصوم ركن من أركان الإسلام الخمسة، وقد كتبه الله على أمة الإسلام كما كتبه على أمم قد سبقت، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٩]، والصوم عبادة سامية من يؤديها حق الأداء ترتفع به إلى مراتب السعادة، ودرجات الفلاح، والصوم الذي خص الله به الأمة المحمدية ما هو إلا دليل على أن الخير كله في أركان الإسلام التي فرضها الله على العباد لتزيد من تعلقهم بحبل الله المتين.

والصوم عبادة جليلة ترتبط مع العبادات الأخرى برباط وثيق، وتؤثر في أخلاق ومعنويات الصائم، من هنا نرى كيف يتأثر الصائم بصيامه، فيتصدق ويقرأ القرآن ويصبر ويجاهد ويسارع في فعل الخيرات، فالصيام طريق موصل إلى تقوى الله وهو مدرسة رائعة للتربية، وفرصة ثمينة لتحسين الخلق والتقرب من الله والوصول إلى تقواه، فأثر الصيام ينبغي أن يلمسه كل من يخالط المسلم الصائم فيلمس أخلاقه، ويوقن بأن الصيام جُنة، فالصيام فيه من الأسرار والثمرات والآثار التربوية ما لا يُحصيه عد، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ . الصيام تربية عملية بجانب كونه عملاً تعبدياً، فهو تربية مباشرة للنفس والبدن والأخلاق والعادات، فهو لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب، ولكنه يتضمن البعد عن المحرمات، ليظهر أثر ذلك في حياته متمثلاً بالتقوى الواردة في آيات الصيام.

٢ . الصيام يعين الفرد على نزعات الشيطان وهوى نفسه، من خلال محاربته بالامتناع عن سائر المحرمات.

٣ . الصيام يعرف الفرد بنعم الله تعالى عليه والتي قد يغفل عنها؛ لتعوده على حياة الرغد والنعيم، ولكن الجوع والعطش يذكرانه بنعم الله عليه فيشكر المنعم على نعمه وفضله.

٤ . الصيام يُعود النفس على الصدقات والبذل في وجوه الخير، بسبب الجوع والعطش الذي يعرض للصائم، فيتذكر ما يعانيه الذين يتعرضون للجوع والعطش.

٥ . الصيام مدرسة للفرد يتعلم منها الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الصفات السيئة، فيبتعد عن الكذب، والخيانة،

والسرقة، والغيبة، والإفساد في الأرض، والسب واللعن.

٦ . الصيام صحة للأبدان، فكثرة الشبع، وامتلاء البطن من أسباب الأمراض، قال تعالى: **﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[٢٠].

٧ . الصيام له أثر تربوي في تهذيب نفس الأفراد وترويضها حتى تنقاد لصاحبها وتدفعه إلى أعمال البر والخير.

٨ . الصيام فيه تعويد للنفس على العزيمة على القيادة، والصبر على المكاره، واتباع النظام الواحد الذي يساوي بين جميع المسلمين في بداية وقت الصيام وانتهائه، فتظهر الوحدة بأروع وأجمل معانيها العظيمة.

رابعاً: الحج مؤتمر إسلامي عالمي إلهي كريم، من خلاله يتم دعوة العباد إلى زيارة بيت الله العتيق، للطواف والسعي والوقوف بعرفات، والقيام بمناسك الحج وواجباته في الأيام المعدودات، وهو مفروض في العمر مرة واحدة للقادر المستطيع، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**[٢١]، فهي استجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام عندما دعا الناس إلى زيارة البيت الحرام فلبى الناس أفرادا وجماعات من مختلف أقطار العالم من كل فج عميق؛ لينالوا مغفرة ذنوبهم وعتقهم من النار، ورجوعهم إلى الدنيا كيوم ولدتهم أمهاتهم، قال تعالى: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحج يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**[٢٢].

فالحج مؤتمر إسلامي يأتي إليه المسلمون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، فالحج فيه من الأسرار والثمرات والآثار التربوية ما لا يُحصيه عد، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ . الحج بما فيه من أركان وواجبات وسنن فيه قوة للجسم، والنفس، والإرادة، من خلال السفر الطويل وتحمل مشاقه، والقيام بأعمال الحج جميعاً.

٢ . الحج فيه تربية لوحدة المسلمين وتجمعهم في صعيد واحد ووقت واحد لا فرق بينهم إلا بالتقوى، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، فتزول الفوارق بينهم، وهو أعظم محقق لمعاني الأخوة الإسلامية، **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**، فالحج هو ربط وتنظيم لعلاقة الفرد المسلم مع ربه ومجتمعه وأمته.

٣ . الحج مظهر من مظاهر توحيد الله

وإفراده بالعبادة الخالصة، فالحج زيارة لبيت الله الحرام البيت الذي أول ما بني على وجه الأرض؛ والغرض من إقامته هو عبادة الله تعالى وحده، وإخلاص العمل له.

٤ . الحج يربي في نفس المسلم الخوف من الموقف وهوله يوم القيامة، عندما يقف الحجاج في صعيد عرفات، فيقف محاسباً نفسه على تقصيرها في طاعة الله.

٥ . الحج فيه تربية للنفس على التحلي بالأخلاق الفاضلة، وضبط اللسان فلا رفث ولا فسوق في الحج، وكبح للنفس الإمارة بالسوء.

٦ . الحج فيه تأثير تربوي بتعميق معاني الأمانة في الحياة والمحافظة عليها.

٧ . من خلال الحج ندرك أهمية مراعاة الأحوال الصحية للناس من خلال أحكام الحج فلا تكليف فوق الطاقة.

الهوامش:

١- ابن منظور، لسان العرب، ٣/٢٧٠-٢٧٢ ١٧/٤٦٧-٤٧١.

٢- ابن تيمية، العبودية، ٣٨ .

٣- الأنفال، آية ٢.

٤- الحج، آية ٥٤.

٥- الأنعام، آية ٨٢.

٦- القيامة، آية ٢.

٧- آل عمران، آية ١٤٢.

٨- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ٦٨ .

٩- سورة العنكبوت، آية ٤٥.

١٠- سورة المؤمنون، آية ١، ٢ .

١١- سورة المؤمنون، آية ٩، ١٠، ١١.

١٢- سورة البقرة، آية ١٥٣.

١٣- سورة الروم، آية ٣١- ٣٢.

١٤- سورة الحشر، آية ٩ .

١٥- سورة المعارج، آية ٢٤، ٢٥ .

١٦- سورة التوبة، آية ١٠٣ .

١٧- سورة سبأ، آية ٣٩ .

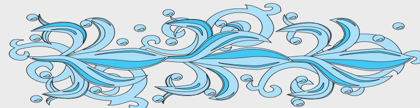
١٨- سورة البقرة، آية ٢٦٧ .

١٩- سورة البقرة، آية ١٨٣ .

٢٠- سورة البقرة، آية ١٨٤ .

٢١- سورة آل عمران، آية ٩٧ .

٢٢- سورة الحج، آية ٩٧ .



قمع النفس عن الهوى

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

للنفس البشرية نزغات شيطانية، ولذات شهوانية، فإذا هي تركت وشأنها تمشي وراء لذاتها وتسير في سبل شهواتها، فنزعت من الشر كل منزع، فلا شك انها تهوي بصاحبها الى الهلاك فيردى في مهاوي الردى، اما من تغلب على نفسه وقادها بعقل راجح وفكر ثاقب، وهذب أطباعها وأطماعها الدنية، وكفها عن شهواتها الخسيسة، فإنه يكون بعيداً عن مواطن الشقاء والهلاك، غير مرتكب إثماً ولا متحمل وزراً وسيجزيه الله الجزاء الأوفى مع المتقين.

قال الله تعالى: **﴿فأما من طغى ❖ وآثر الحياة الدنيا ❖ فإن الجحيم هي المأوى ❖ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ❖ فإن الجنة هي المأوى﴾** وقال جل وعلا: **﴿قد أفلح من زكاها ❖ وقد خاب من دسّاها﴾** وقال سبحانه: **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾**.

وقال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اقدعوا (اي كفوا) هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع الى شر غاية، ان هذا الحق ثقيل مري، وان الباطل خفيف وبيّ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة اورثت حزناً طويلاً».

وقال علي كرم الله وجهه: «اخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى وطول الأمل، فإن

اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة».

وقال ابن السماك: كن لهواك مسوفاً ولعقلك مسعفاً، وانظر ما تسوء عاقبته، فوطِّن نفسك على مجانبته، فإن ترك النفس ما تهوى داؤها، وترك ما تهون دواؤها، فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء.

قال بعض العلماء: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقيل: العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح.

وقيل ايضاً: من اطاع هواه اعطى عدوه مناه.

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:

صن النفس واحملها ما يزينها
تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترين الناس الا تجملاً
نبا بك دهر اجفاك خليل

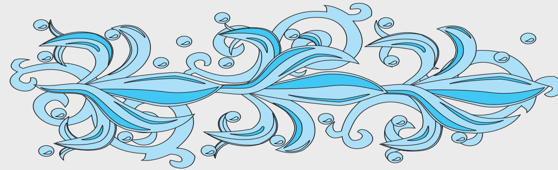
وقال ابو الفتح البستي:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
لتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وقال الشاعر:

اذا المرء اعطى نفسه كل ما اشتهت
ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الإثم والعار الذي
دعته اليه من حلاوة عاجل

والحمد لله رب العالمين



البعد عن الفحش في القول

■ بقلم الطالبة ابرار محمد

جرى بين سيدنا أبي بكر الصديق وبين ربيعة الأسلمي رضي الله عنهما كلام، فقال ابو بكر رضي الله عنه لربيعة كلمة كرهها وندم بعدها فقال له: «يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصاً»، فقال له ربيعة: لا أفعل، قال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله؟ قال: ما أنا بفاعل.

فانطلق ابو بكر رضي الله عنه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وانطلق يتلوه ربيعة، وجاء أناس من أسلم فقالوا له: رحم الله أبو بكر! في اي شيء يستعدي عليك رسول الله وهو الذي قال لك ما قال؟ فأجابهم: «أتدرون من هذا؟ هذا ابو بكر الصديق، هذا ثاني اثنين اذ هما في الغار، هذا ذو شيبة المسلمين، اياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما فيهلك ربيعة» قالوا: وما تأمرنا؟ قال: ارجعوا.

وانطلق ابو بكر وتبعه بمفرده حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان، فرفع اليه فقال: «يا ربيعة ما لك والصديق»؟.

فقال: يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها، فقال لي: «قل كما قلتها لك حتى يكون قصاصاً فأبيت».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجل! لا ترد عليه ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر، فقال له ربيعة: غفر الله لك يا ابا بكر» فولى ابو بكر رضي الله عنه وهو يبكي.

ان البعد عن الفحش في القول، هو تجنب المرء النطق بالألفاظ البذيئة والكلمات المبتذلة والتبرؤ من سماعها، والعمل على محاربتها، لما تجلبه من العداوة والبغضاء، وتجره من المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العواقب وأسوأ النتائج، فتتفكك عرى المحبة، وتتقطع روابط الألفة ويحل الفساد محل الأخوة، والخصام محل الوئام، واذ ذاك تسوء الأحوال وتضطرب نظم الأعمال.

قال الله تعالى: **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظُلم وكان الله سميعاً عليما﴾** وقال جل وعلا: **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾**، وقال عز وجل: **﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾**.

وروى الامام البخاري في كتابه الجامع الصحيح، ان رسول الله ﷺ قال: «ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه» وقال ﷺ: «ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه، ويسب امه فيسب أمه» رواه البخاري. وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه البخاري.

قال عمرو بن عتبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن النطق به، فإن السامع شريك القائل، ولو ردت كلمة الناطق بالأذى في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها».

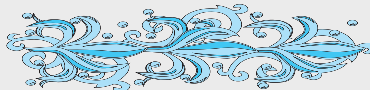
قال ابو الحسن بن الحراث الهاشمي:

تحر من الطرق اوساطها
وعدَّ عن الموضع المشتبه
وسمعك صن عن قبيح الكلام
كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح
شريك لقائلــه فانتبــــه

وقال آخر:

وتجنب الفحشاء لا تنطق بها
ما دمت في جد الكلام وهزله
واحبس لسانك عن رديء مقاله
وتوقَّ من عثر اللسان وزله
كم كلمة جرّت لرأس نقمة
كالدهر يرشق نَبْله في نُبله

والحمد لله رب العالمين



كيف تحافظ على صلاة الفجر

■ بقلم الاستاذة هديل هندم

ما أسهل ان ينطق اللسان بكلمة الاسلام، ولكن من الصعب أن يترسخ الايمان في قلب الانسان، ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾.

كثيراً ما يتنافى كلام اللسان مع إيمان القلب، كما ان كثيراً ما يتنافى كلام اللسان مع افعال الجوارح، والمؤمن الصادق هو من وافق قوله عمله، وهو من أظهر بلسانه ما يخفي في قلبه، اما المنافقون فظاهرهم قد يكون حسناً وطاهراً، ولكن قلوبهم قاسية كالحجارة أو هي أشد قسوة.

هناك من يصلي بعض الصلوات في المسجد ويفوته معظمها، وهناك من يصلي في بيته قبل خروج الوقت، وهناك من تفوته الصلاة في بيته ولا يصلي الا بعد خروج الوقت.. درجات كثيرة متفاوتة، ولكن يبقى النجاح المطلوب هو صلاة المؤمن في المسجد في أول الوقت، هذا الاختبار هام للدرجة التي جعلت رسول الله ﷺ يستخدمه دائماً للتفرقة بين المؤمن والمنافق.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان اثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزب من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار».

ولكم أيها السادة القراء، ان تتخيلوا عظم المشكلة، وضخامة الجريمة التي تدفع رسول الله ﷺ مع رحمته وشفقته على أمته لأن يهم بتحريق بيوت هؤلاء.

ولكني والله ارى انه من رحمته وشفقته قال هذه الكلمات، لأنه يريد ان يستنقذ أمته من نار الآخرة بتخويفهم بنار في قلبه.

روى ذلك أحمد والنسائي والدارمي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم قال: «أشهد فلان الصلاة ؟ قالوا: لا، قال: ففلان؟ قالوا: لا.. فقال: ان هاتين الصلاتين (الصبح والعشاء) من اثقل الصلاة على المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً».

والمنافقون لا يدركون الخير الذي في صلاة الصبح في جماعة المسجد، ولو أدرك هؤلاء هذا الخير لجاءوا الى المسجد تحت أي ظرف.

ان كان المرء يهدر هذه الصلاة بصورة واضحة منتظمة، فهذه علامة من علامات النفاق، ومن كانت به هذه العلامة فليراجع نفسه بسرعة فإنه ولا شك يخشى عليه خاتمة السوء.

❖ **وقت صلاة الفجر:**

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس»، فليس هناك شك في وقت صلاة الصبح، وقد اكد رسول الله ﷺ على هذا المعنى في حديث الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه حين قال: «من ادرك ركعة من صلاة الصبح قبل ان تطلع الشمس فقد ادرك الصبح».

اما في اختبار النفاق من الايمان بالنسبة للمرأة يكون بالصلاة في اول وقتها، فتكون المرأة المؤمنة التي نجحت في الاختبار هي التي صلت الصبح في الوقت الذي يصلي فيه الرجال في المسجد، وتكون المرأة التي من عادتها انها لم تتمكن من ان تدرك الصبح قبل ان تشرق الشمس ممن يخشى على إيمانها بالكاد.

وعلى الناحية الأخرى.. ما هي احب الاعمال الى الله؟

سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ هذا السؤال، فأجاب كما جاء في البخاري ومسلم قائلاً: «أحب العمل الى الله تعالى الصلاة على وقتها، قال عبد الله: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله».

فانظر رحمك الله كيف قدم رسول الله ﷺ إقامة الصلاة في اول وقتها على بر الوالدين على عظمه، وكيف قدمها على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الاسلام.

من جوانب التيسير في الإسلام

■ إعداد: الأستاذ بلال تيسير أبو الزيت

خص المولى عز وجل نبيه الكريم محمداً ﷺ، برسالة خاتمة لجميع الرسالات، فكانت شاملة في أحكامها وتشريعاتها ومقاصدها، تتسم بالاستمرارية والتواصل في الزمن، ورسالة هذا شأنها من الخلود والعموم لا بد أن يجعل الله فيها من التخفيف والتيسير والرحمة، ما يلائم اختلاف الأجيال ومتغيرات كل العصور وشتى البقاع، وما فطر عليه الإنسان من الفطرة السليمة قال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ الروم: ٣٠ .

فالإسلام جاء لإصلاح الإنسان وإسعاده في الدارين، ولم يهدف إلى إثقال كاهله بالأوامر والنواهي أو تجاهل رغباته وميوله ومشاعره، قال تعالى: **﴿فذكر انما أنت مذكر ❖ لست عليهم بمسيطر﴾** الغاشية: ٢١ – ٢٢ .

ولو أمعنا النظر في أركان الإسلام والعبادات وفي هدي الرسول ﷺ، لوجدنا أن التيسير في الإسلام سمة عامة، فها هو النبي محمد ﷺ الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

ومن أهم الأمثلة على تيسير الله تعالى في الدين هي أن السيئة بمثلها، وتغفر وتبدل حسنة اذا تاب الانسان، قال تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء**

بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون﴾ القصص: ٨٤ .

والحسنة بعشر أمثالها والله سبحانه وتعالى يضاعف لمن يشاء، حتى إن السيئة إن هَمَّ بها العبد ولم يفعلها كتبت له حسنة، فإن فعلها كتبت له سيئة واحدة، سبحانك ربي ما أكرمك!.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن: فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ولو نظرنا إلى أركان الإسلام الخمسة لعلمنا أن الله تعالى جعل فيها اليسر ورفع المشقه والحرج، أما الشهادة فمن قالها في العمر مرة واحدة معتقداً بها كفته، ويسقط تلفظها عن الأخرس والأبكم وتكفي منه الإشارة.

والوضوء يسره الله تعالى ايضاً، فمن لم يجد ماءً يتيمم بالتراب قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾** المائدة: ٦ .

والصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، ولو شاء تعالى لأبقاها خمسين لكنه جعلها خمسة في العدد خمسين في الأجر، ثم إن الله تعالى يسر للخائف والمحارب صلاة الخوف قال تعالى: **﴿واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً﴾** النساء: ١٠١ .

وأجاز الجمع والقصر للمسافر، ويسر الله تعالى للمسلم أن يجمع بين صلاتين في المسجد في حالة المطر الشديد، وأباح للمريض الصلاة قاعداً إن لم يستطع الصلاة واقفاً، فإن لم يستطع قاعداً فمضطجعاً فإن لم يستطع فبعينيه، والصلاة تسقط عن الحائض والنفساء وهي غير مطالبة بقضائها، وإذا حسبنا كم

من الوقت يستغرق أداء الصلوات الخمس في اليوم والليلة، لوجدنا أنها قرابة الساعة ويبقى لنا ثلاث وعشرون ساعة نتفرغ فيها لشؤون الحياة والعمل وغيرها من الأمور الحلال.

العبادات جاءت مبنية على اليسر ورفع الحرج:

فالزكاة لا تجب إلا لمن كان عنده مال وبلغ النصاب وحال عليه الحول، فمن لم تتوفر لديه هذه الشروط تسقط عنه، ونسبة الزكاة التي فرضها الله تعالى في النقود والذهب والفضة مثلاً هي ٢,٥٪ وأبقى للمسلم ٩٧,٥٪ فهل هناك يسر أكثر من هذا ﴿**والذين في اموالهم حق معلوم**﴾ المعارج: ٢٤ .

والإنسان غير ملزم بغيرها فإن تصدق فهو خير له، إلا إذا أصاب الناس مجاعة أو طرأت أحوال أخرى فيناط الأمر للإمام لسد حاجة الفقراء.

والصيام يسره الله تعالى للناس فالمريض والمسافر وغير القادر، رخص لهم الإفطار والمريض الذي لا يرجى شفاؤه يعفى من القضاء وعليه الكفارة، قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾ البقرة: ١٨٥ .

وثواب صيام رمضان لا يعلمه إلا الله كما جاء في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)، فلنا أن نتخيل الجزاء من الجواد الكريم ما أعظمه وأجزله فسبحانه وتعالى وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ومن صام يوماً تطوعاً لوجه الله تعالى باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً، هذا بصيام يوم واحد تطوعاً فكيف بصيام عدة أيام والمسلم ليس مطالباً بها أصلاً، والصوم المطلوب هو شهر واحد من بين اثني عشر شهراً في السنة وهذه نسبة قليلة من الأيام وليست بكبيرة، ويجب أن يتفكر فيها كل من يشعر بثقل الصيام عليه.

والحج فرضه الله تعالى على من استطاع إليه سبيلاً مرة واحدة في العمر إلا من تطوع قال تعالى: ﴿**فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**﴾ آل عمران: ٩٧ .

وحتى مناسك الحج نفسها قامت على

اليسر ورفع الحرج كما في أيام التشريق قال تعالى: **﴿واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون﴾** البقرة: ٢٠٣ .

أما الطعام والشراب فأباحه الله تعالى وما حرمه علينا قليل ولحكمة بالغة، ومع هذا كله فإنه أباح للمضطر أن يأكل ويشرب مما حرمه الله تعالى عليه خشية الهلاك وعلى قدر الضرورة قال تعالى: **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾** المائدة: ٣ .

حتى الجهاد يسقط عن الضعيف والمريض ومن في حكمهما، قال الله تعالى: **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾** التوبة: ٩١ .

وتلاوة القرآن فيها من الثواب العظيم، فبكل حرف نقرأه حسنة: «لا أقول: ألم حرف وإنما ألف حرف ولام حرف وميم حرف» ومن شق عليه قراءة القران له أجران قال ﷺ: «الذي يقرأ القران وهو ماهر به مع الكرام السفرة البررة، والذي يقرأ القران وهو عليه شاق له أجران» رواه مسلم ١٨٩٨ .

أما العقاب فالله جعله لردع المجرم عن جرمه، فعندما ينص الشارع على قطع يد السارق لا ليكثر المقطوعة أيديهم، ولكن ليعيش الناس بأمان، حتى عقوبة الزنا وهي من أبشع الجرائم ومع هذا لا يطبق العقاب إلا بالإقرار أو أربعة شهود ومن الذي يتجرأ أن يفعل هذه الخصلة الشنيعة أمام شهود إلا إذا كان فاجراً، قال تعالى: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً وأولئك هم الفاسقون﴾** النور: ٤ .

فيكاد تطبيق الحد هنا يكون مستحيلاً. ثم إن الله تعالى أمر بالستر في هذه الحالة والأحاديث في ذلك كثيرة وإن استغفر الزاني وتاب الى ربه فالله غفور رحيم.

ومن تيسير الله تعالى لعباده الدعاء والذكر والتسبيح والإستغفار، التي إن داوم عليها المسلم كانت له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه الله من حيث لا يحتسب، والله تعالى يحب عباده التوابين المتقين المحسنين والشواهد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية أيضاً كثيرة، ومن تيسير الله تعالى أن جعل الدعاء بينه وبين عباده مباشرة بلا واسطة قال تعالى: **﴿واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾** البقرة: ١٨٦ .

التكليف الشرعي، ومن التيسير أيضاً أن الله تعالى لم يكلف الإنسان إلا بعد سن البلوغ ولا يحاسبه على أفعاله إلا بعد هذه السن.

ومن تيسير الله تعالى أن شرع التكافل الاجتماعي، فالغني يعطي الفقير، واليتيم إن مات أبوه وجد في كل المسلمين آباء له يرعونه ويقدمون له العون، والآيات والأحاديث في الإحسان إلى اليتامى والمساكين كثيرة، منها قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» رواه البخاري ٦٠٠٥، ٥٣٠٤ .

فهل بعد هذا التيسير نجد من يقول: إن الإسلام دين متشدد يصعب الالتزام به، وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو ذاك؟ قال أحد الصالحين: (ما أعظم هذا الدين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعلم الناس عليها حتى قضاء الحاجة) ومن هنا كان هذا الدين الذي اختاره الله تعالى للبشرية جمعاء قال تعالى: **﴿ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾** آل عمران: ١٩، وقال سبحانه: **﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** آل عمران: ٨٥ .

وقد روعي جانب التيسير أيضاً في التعامل بين البشر، وحض القرآن على ذلك والدائن يمهل المدين ويمد له في الأجل إلى الوقت الذي تنفرج فيه أحواله ويرتفع عنه الضيق قال تعالى: **﴿وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة﴾** البقرة: ٢٨٠، أي إذا كان المدين معسراً لا يجد ما يوفي به دينه **﴿فنظرة الى ميسرة﴾** والنظرة هي التأخير لحين الميسرة بمعنى اليسر ووجود المال ثم يردف ذلك قائلاً: **﴿وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾** البقرة: ٢٨٠ .

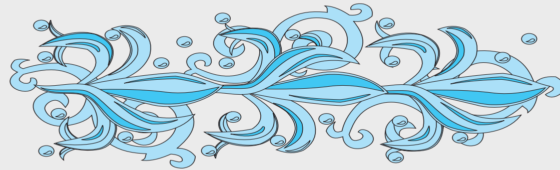
أي إن تتصدقوا على المعسر بإسقاط

الدين فهو خير من مطالبتكم في الحال، وخير من أموالهم إلى أجل ممتد.

إن التيسير يحتضن الدين ويغلفه ويمتد ويجري في داخله مثلما تجري الدماء داخل عروق بدن الإنسان لذلك فالبيان القرآني واضح في القول: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ الحج: ٧٨، ويقول: ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾ المائدة: ٦ .

والحرج هو الضيق والشدة لذلك كان الرسول ﷺ هيناً ليناً وكان أكثر الناس سماحة ويسراً، وكان يعيب على المغالين وعلى المتشددين وعلى المتفيهقين ويأمر قائلاً: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» رواه مسلم ٤٦٢٢، وجاء الناس في حجة الوداع منهم من يقول: «حلقت قبل أن أذبح يا رسول الله» فيقول ﷺ: «لا حرج» ومنهم من يقول: نحرت قبل أن أرمي يا رسول الله فيقول ﷺ: " ارم لا حرج" رواه البخاري ٨٤ او ٢٤ او ٧٢٣ او ١٧٣٥ او ١٧٣٦ او ١٧٣٧ او ٦٦٦٥ او ٦٦٦٦ ومسلم ٣٢٢٠ و ٣٢٢١ و ٣٢٢٣، وقد أوصل بعض الرواة أنه أجاب بلا حرج عن ٢٤ سؤالاً في تلك الحجة، يقول المولى جل وعلا: ﴿**وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم**﴾ البقرة: ٢٣٧ .

فسبحان الذي شرع لنا هذا الدين وأتمه علينا وأرسل رسوله ﷺ رحمة للعالمين.



خطبة الجمعة

وهكذا انقضت ايام البر والاحسان..

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله عز وجل: ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ الذين اتقوا هم الذين عظموا امر الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهم محسنون لأنهم اهل الشفقة على الفقراء والمحتاجين من خلق الله، فكان جزاؤهم من الله، انه يكون معهم يتولاهم بالحماية والرعاية والاحسان والتوفيق والهداية.

نعم ايها الاخوة المسلمون؛

ها هو شهر رمضان قد غادرنا ورحل عنا والسؤال الذي يطرح نفسه، ماذا حقق الصوم في نفوسنا، ماذا تعلمنا من دروس الصبر، فهل اخي المسلم اتقيت الله فيه وقمت بحقوقه، وحافظت على آدابه؟ هل احسنت فيه المعاملة مع خلق الله واحترمت حقوقهم؟ هل استنار قلبك يا عبد الله في رمضان بعد ظلمة العصيان؟

هل تهذبت بالصيام نفسك وقويت عزيمتك؟ هل عرفت مقدار النعمة بفقدها فشكرت عليها مولاك، هل امتلأ قلبك

رحمة فعطفت على الأرامل واليتامى؟

نعم أخي المؤمن؛ انتهى شهر رمضان فهل احييته بالعبادة؟ انقضى شهر رمضان فهل اشتغلت فيه بتلاوة كتابه؟ انقضى شهر البرو الاحسان فهل اكرمت فيه يتيماً أو ارملة او سائلاً محروماً؟

نعم يا عبد الله؛ انقضى شهر صلة الأرحام، فهل وصلت فيه قريباً، او جبرت بعيداً؟ انقضى شهر العفو والصفح والغفران، فهل عفوت فيه عمن ظلمك او صفحت عمن أساء اليك؟

انقضى شهر التوبة والقبول فهل صرت من التائبين المقبولين؟ انقضى شهر رمضان ورسول الله ﷺ يقول: «ان لله عز وجل في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار، فإذا كان آخر ليلة اعتق الله بعدد ما مضى» فهل طمعت أخي المسلم ان تكون من هؤلاء العتقاء الذين اعتق الله تعالى رقابهم من نار جهنم، والعتق لا يكون الا للصائمين، المؤمنين حقاً، الذين يعيشون على هدى من الله ويجعلون السنة كلها كرمضان.

وهكذا يسلمه رمضان الى رمضان وهو بينهما ملك يمشي على الارض مأموناً شره، مرجواً خيره، ان اردت له وصفاً دقيقاً فلن تجد ابلغ من قول المربي المعصوم ﷺ: «المؤمن كالنحلة ان اكلت اكلت طيباً وان اعطت اعطت طيباً، وان وقعت على عود لم تخدشه ولم تكسره».

نعم ايها الإخوة الموحدون؛ هذا حال المؤمن الصادق في رمضان، وغير رمضان، هذا الصنف الصائم حقاً الذي يجعل السنة كلها رمضان، في هداه وتقواه وفي خلقه وآدابه.

وهناك صنف آخر من الناس يصوم رمضان ويهتدي ويصلي فيه، ويؤم المساجد ويعمل صالحاً يرضاه الله، فإذا انقضى شهر الطاعة والغفران، رجع هذا الصنف من المسلمين الى ما كان عليه قبل رمضان، واصبح هؤلاء وكأنهم غير أولئك الذين كانت بالأمس صائمين قائمين خاشعين خاضعين لله رب العالمين، هؤلاء الذين كانوا تزخر بهم المساجد، ما بين قائم أو راكع، او تالٍ للقرآن، تراهم بعد رمضان وقد هجروا المساجد هجراً غير جميل، واصبحوا يمرون من ابوابها دون ان يفكروا بدخولها.

فيا أخي المسلم، الصوم نعمة من ربك عليك، فارع النعم ولا تزيلها بالمعاصي، واعلم ان الصوم الصحيح يهذب القلب الى الايمان وينوره بنور الاسلام، ويهذب النفس ويقوي العزيمة، ويُعِّرف العبد مقدار نعم الله عليه، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء والفقراء. ويجعله دوماً وابداً طائعاً مخلصاً وعابداً صادقاً، وبراً مستقيماً، لا يتزعزع ايمانه بالله تعالى، فإذا خالف المسلم هذه الصفات ولم يؤثر فيه صومه، وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فقد خسر خسراناً مبيناً وشذ عن سواء السبيل، فأغضب ربه وارضى شيطانه وهواه.

نعم يا عبد الله؛

قد عهدناك في شهر رمضان منيباً الى ربك تائباً من ذنبك، راغباً في رحمته وثوابه، خائفاً من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظاً على الصلوات في أوقاتها، حريصاً على شهود الجمعة والجماعات، مقبلاً على مجالس العلم ومستعداً لقبول النصائح والعظات، عهدناك في رمضان مهذباً نقياً، متواضعاً تقياً، فعلى اي شيء عزمت بعد انقضاء شهر الصيام؟.

اتراك اخي المسلم -لا قدر الله- بعدما ذقت حلاوة الطاعة، تعود الى مرارة العصيان، اتراك بعد ما صرت من حزب الرحمن، تنقلب على عقبيك فتنضم الى حزب الشيطان.. اتراك بعدما كانت في عداد المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين وشعار الايمان؟.

هل يليق بك يا عبد الله بعدما كتبت في جملة الطائعين المرحومين، ان تصير في زمرة العاصين المحرومين.. أيليق بك بعدما كنت في رمضان براً نقياً ان تصير بعد رمضان محروماً من رحمة الله وتوفيقه، شقياً بعصيانك له.

كلا أخي المسلم؛ ما هكذا يكون المؤمنون، فطاعة الله نور للقلب وشكر للنعمة، فما الذي يستفيده ذلك الشقي من ترك الطاعة والصلاة، سوى ظلمة القلب وكفران النعمة، فشهوة المعاصي ايها الاخوة قصيرة عاجلة، تعقبها حسرة طويلة دائمة وشقوة ملازمة، ونار حامية وذل شديد وعذاب الله في الدنيا والآخرة، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، يوم يعض الظالم على يديه نادماً على ما

جناه، وصدق الله العظيم: **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ❖ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد ❖ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب ❖ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر اولوا الألباب﴾**.

فما بالك أخي المسلم تعصي الله بعد طاعة وتضل بعد هدى، وتعوج بعد استقامة، وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير؟ فما بالك يا عبد الله تعبده شهراً واحداً وتعصيه احد عشر شهراً، او تهجر بيته.

فإن كنت تعبد رمضان فرمضان يأتي ويرحل ويروح ويغدو، وان كنت تعبد الله وحده فإن الله تبارك وتعالى حي لا يموت، وهو الحي القيوم الدائم الباقي الذي لا يزول ولا يتحول.

نعم اخي المسلم، برجوعك الى ارتكاب الآثام وطاعتك للشيطان وهوى الانفس، وعصيانك لله تعالى بترك اوامره وعدم الانتهاء عن نواهيه، فباقترافك لهذه الآثام هدمت ما بنيت في رمضان، وأضعت ما جمعته من حسنات، ومثلك كمثل التي نقضت غزلها، او كمثل رجل زرع زرعاً او غرس غرساً حتى اذا ما أوشك ان يؤتي ثماره قام فأتلفه او أهلكه.

نعم ايها الاخوة؛ فكما ان الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات المتوالية تأتي كذلك على الحسنات فتفنيها وتنهيها وتذهب بها.

فحذار اخي المسلم من المعاصي فمصيرها وخيم وعاقبتها مظلمة، فإذا اطعت الله في رمضان فداوم على طاعته واستقم في دينك، وليكن رمضان حداً فاصلاً بينك وبين المعاصي التي تزيل النعم وتورث الندم.

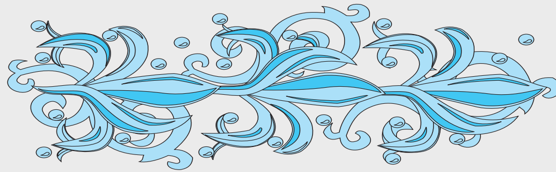
فيا عباد الله كونوا مسلمين حقاً ومؤمنين صادقين تعبدون الله في كل حين، حتى تكونوا من **﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾** ومن الذين آمنوا بالله واعتصموا بحبله المتين وكان اثر القرآن فيهم ايجابياً كما كان حال الرعيل الأول من ابناء هذه الأمة.

وقد كان الله العظيم غايتهم، والقرآن الكريم دستورهم، ورسوله ﷺ قدوتهم

وإمامهم وزعيمهم، والجهاد سبيلهم.. فمتى نعيد سيرة هؤلاء العظام ونصنع مثلما صنعوا؟

وأخيراً اذكركم ايها الاخوة بحديث عظيم جامع قاله رسول الله ﷺ: «ايها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم، وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم، وان المؤمن بين مخافتين، بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، واجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، فإن الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة، وما من يوم ينشق فجره الا ينادي مناد: يا ابن آدم انا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود الى يوم القيامة، فالعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد، وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وليس بعد هذه الدار الى الجنة أو النار».

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه الكريم



تم بحمد الله



هدي الإسلام

إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م

العـــدد الثامن - المجلـــد ٥٥

رمضان ١٤٣٢هـ - آب ٢٠١١م





ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

المراسلات: باسم المحرر المسؤول

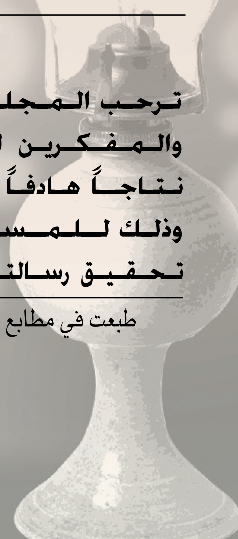
عمان – الاردن ص.ب ٦٥٩

هاتف: ٥٦٦٦١٤١ ٦-٩٦٢

فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo

الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo



هدي الإسلام

اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

سياسة المجلة

- ■ التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- ■ التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- ■ الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- ■ الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- ■ اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- ■ اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- ■ الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- ■ توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

سنة المجلة

عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية

❖ ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه الكريم ❖

فريضة الصيام وأثرها

ان للصوم أثراً عظيماً على النفس، كما صرحت بذلك آيات الكتاب العزيز، ولا يستطيع المرء ان يدرك أبعاد اثر الصوم، الا اذا عرف حقيقة النفس البشرية وماهية الفطرة التي جبلت عليها، وما هي مقومات حياتها ومتطلبات وجودها.

ولا يخفى ان الانسان عبارة عن مادة وروح، يعقل ويفكر، ويشعر ويتذوق، اذ خلقه عز وجل من طين لازب ﴿انا خلقناهم من طين لازب﴾ ثم نفخ فيه الروح ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ ولكل من الجسد المادي والروح غذاء، فغذاء الجسد الطعام والشراب والنوم والراحة، وغذاء الروح الايمان بالله عز وجل والتعلق به والسمو بالنفس الى الملكوت الأعلى.

وميزان الحق عز وجل ان لا يطغى شيء على آخر، بل كل شيء خلقه بقدر، وأيهما تجاوز الحد وطغى على الآخر، كانت المعادلة غير سليمة، فإذا تغلب عنصر المادة على عنصر الروح، كما لو اقتصر الانسان على متطلبات جسده وأهمل الروح من الدين والايمان، هبط صاحب هذه النفس الى الأرض التي خلق منها، واذا تغلب عنصر الروح على عنصر المادة، بأن منح الروح متطلبات من الايمان بالله سبحانه، وترقى في ذلك وعلا وسما وتشبه بملائكة القدس، فلا ريب انه يزداد قرباً وأنساً من الله تعالى، ما لم يترتب على ذلك هلاك وإفساد لجسده.

وهكذا لا بد للانسان من غذاء لروحه، يمنعها الجنوح والوقوع في السوء والشرور والشبهات والآثام، حيث يؤدي هذا الغذاء الى تهذيبها ونقائها وصفائها، فترتقي وتسمو وتحلق وتنطلق الى رحاب السماء ﴿ونفس وما سواها ❖ فألهمها فجورها وتقواها ❖ قد أفلح من زكاها ❖ وقد خاب من دساها﴾.

وان من هذا الغذاء الذي يبعث في الروح الايمان، وتتطلع به الى ملكوت السماء، الصيام، هذه الفريضة التي تحرر الانسان من سلطان غرائزه، وتجعله ينطلق من سجن

في تربيــة النفــس

جسده ويتغلب على نزعات شهوته، ويتحكم بتصرفاته وأفعاله، انه الصيام الذي ينمي في النفس مراقبة الله تعالى، ومن راقبه عز وجل، فقد زكى نفسه، يحملها على الطاعات واجتناب المعاصي، وبذلك تتهذب نفسه بالصيام.

من هنا يقول رسول الله ﷺ: «الصوم جنة» اي وقاية، والمسلم اثناء صيامه، حريص كل الحرص على الاستفادة من وقته، فتجده تالياً للقرآن العزيز، مقيماً للصلاة، مؤدياً للزكاة، معطياً للصدقات، تراه جواداً كريماً، خيراً سمحاً، حليماً صابراً، ذاكراً قانتاً لله سبحانه، شاكراً لأنعمه، يقول رسول الله ﷺ: «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما ينبغي له ان يتحفظ كفّر ما قبله» وقال: «اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل».

فالصيام يهيئ النفس ويعد الروح لتتلقى الفيض الإلهي، وتتلذذ بذوق حلاوة الايمان، الصيام يسمو بأخلاق الصائم ويرفع قدرها ويعلي منزلتها، حتى تكون كالمسك الذي تفوح منه الرائحة الجميلة الطيبة.

وبهذا يكون الصوم مدرسة ايمانية تربوية لتتهذب النفس وتزكيها من ادران المادة، ولقد ارشدنا رسول الله ﷺ الى كثرة الدعاء والاستغفار والذكر في شهر رمضان المبارك، والى الانفاق والجود والبذل، لما لذلك من أثر في تهذيب النفس وصقلها، فقال ﷺ: «استكثروا فيه من اربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنا لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فتذكرون الله وتستغفرونه، واما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار».

هذه حقيقة الصيام، وهذا هو أثره على النفوس، وبهذا يكون الصيام المقبول الذي جزاؤه الجنة ونعيمها بإذن الله تعالى.

اسرة التحرير

١

مراحل علم القراءات

■ بقلم الاستاذ الدكتور أحمد خالد شكري

إن جهود الأمة المسلمة لم تتوقف منذ بدأ نزول القرآن إلى يومنا هذا، وستبقى مستمرة إلى ما شاء الله، ذلك أن القرآن الكريم يمثل لهذه الأمة روحها التي بها تحيا، وشخصيتها التي تعرف بها وتميزها عن غيرها، ولذا لا يستغرب أي مسلم حين يرى هذه الجهود الهائلة المبذولة في سبيل خدمة هذا الكتاب العظيم على مدار التاريخ.

وإن الباحث في هذا الجانب من جوانب صلة الأمة بكتاب ربها، وهي المراحل التي مر بها علم القراءات، سيجد أمامه كمًّاً هائلا من المعلومات المتناثرة والمجموعة، وكلها تؤكد بشكل واضح قاطع كثرة الجهود المبذولة في خدمة كتاب الله وغزارتها من جانب، وتنوعها من جانب آخر، وعمقها وما فيها من تحقيق وتدقيق وتتبع وتفصيل من جانب ثالث.

وقد ظهر لي تقسيم المراحل الزمنية التي مر بها علم القراءات إلى أربعة مراحل عامة[1]، حاولت أن أعالج في كل مرحلة النقاط الرئيسة المتعلقة بها، كما حاولت تجلية أبرز الجوانب المتعلقة بهذا العلم الجليل.

❖ المرحلة الأولى (مرحلة التأسيس):

كان نزول القرآن بدءا لانقلاب شامل في حياة العرب، انتقلت به من أمة البداوة

إلى أمة الحضارة، ومن ذيل قافلة الحياة إلى مقدمتها وقيادتها، ومن التأثر إلى التأثير، ومن السلبية إلى الإيجابية، ومع توالي نزول الآيات على قلب النبي ﷺ أقبل عليه العرب بشغف ورغبة يقرؤونه ويتعلمونه ويحفظونه ويهتدون بهديه، وأصبح القرآن الشغل الشاغل لهم، ومحور حياتهم وعلومهم، حتى إن أحدهم أصبح يقدر الوقت اللازم لإنجاز بعض الأعمال بعدد من الآيات(٢)، وإذا سمع أحدهم من آخر تلاوة تخالف ما تعلمه يبادر إلى الإنكار عليه، فالخطأ في القرآن ليس كأي خطأ(٣)، وأصبح تعلم القرآن شرفا يسعى الجميع إلى تحصيله، وحفظ القرآن وساما يسعى كثيرون إلى تقلده، وأصبح أكثرهم حفظا وأقرؤهم مقدما في الصلاة وفي القبر(٤)، وأصبح أصغرهم سنا يتولى إمرتهم تكريما له وإجلالا لما يحفظ من الآيات الكريمات(٥).

وبلغ من حرصهم وعنايتهم بالقرآن القيام به آناء الليل وهواجر النهار، حتى ورمت أقدامهم واصفرَّت ألوانهم وعُرفت به سيماهم من أثر السجود، وهمّ بعضهم بالانقطاع للعبادة والتبتل والرهبانية، فنهاهم النبي الكريم ﷺ عن ذلك(٦).

ومع انشغال الصحابة جميعا بالقرآن وتعلمه وتعليمه، إلا أن من اشتهر منهم في هذا الجانب عدد محصور، ومنهم الصحابة الكرام الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله ﷺ، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء رضي الله عنهم(٧)، وتنتهي أسانيد القراء العشرة إليهم وإلى عمر بن الخطاب، وأبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وعبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن السائب المخزومي، وعبد الله بن عياش المخزومي، رضي الله عنهم، وفي صحبة عبد الله بن عياش خلاف(٨).

ومما يُستشكل في هذا الأمر عدم إيراد اسم أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في الطبقة الأولى عند الإمام الذهبي في طبقاته، وقد عرّف المذكورين في هذه الطبقة بأنهم "الذين عرضوا على رسول الله ﷺ"، فأبو بكر رضي الله عنه كان دائم الملازمة للنبي الكريم ﷺ سنوات عديدة، وهو رفيقه في الهجرة وفي مواطن كثيرة، وأمّ به ﷺ وبالمسلمين في الصلاة بأمره، فسمع النبي ﷺ تلاوته مرارا.

واستدل عدد من العلماء(٩) على حفظه رضي الله عنه القرآن بأن النبي ﷺ قدمه في

مـرضـه إمـامـا وهو القـائل: "يؤم القـوم أقـرؤهم لكتـاب الله"[١٠]، فـهـذا إقـرار من النبي ﷺ لأبي بكر بأنه أقرأ الصحابة.

وبيّن عدد من العلماء سبب عدم انتهاء أسانيد القراءات إليه، بأنه رضي الله عنه لم يتصدّ للإقـراء ولم تطل أيامـه بعـد النبي ﷺ[١١]، وانشغل أيام خلافته بأحداث جسام كجمع القرآن وحروب الردة.

أمـا عـمـر بن الخطاب فـهـو أحـد من تنتهي إليهم أسانيد ابن كثير وأبي عمرو ويعـقـوب رواية، وسـمـاعـاً في أسـانيـدهم وأسـانيد الكسـائي وأبي جعفـر وخلف[١٢]، وذكـر ابن الجـزري أنه وردت الـرواية عن عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه في حـروف القرآن[١٣].

وبهـذا يُعلم أنهمـا من أحق الصـحـابة بالذكر في مثل هذا المقام[١٤].

ومن القراء المشهورين من الصحابة:

سالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وهما مذكوران في الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة نفر: من ابن أم عبد - عبد الله بن مسعود-، ومن أبيّ بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل"[١٥].

وأبو زيد المذكور في الحديث عن قتادة قـال: سـألت أنس بن مـالك: من جـمـع القـرآن على عـهـد رسـول الله ﷺ؟ فـقـال: أربعـة كلهم من الأنصـار: أبي بن كـعب، ومـعـاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي[١٦]، واسم أبي زيد: قـيس بن السكن[١٧]، وفي هذا الحـديث عـدة إشكالات في حـصـر العدد في أربعة أجاب عنها العلماء بعدة إجابات[١٨].

وأبو أيوب الأنصـاري، وعـبـادة بن الصـامت، وهمـا مـذكوران في الأثر عن محمد بن كعب القرظي قال:" جمع القرآن على عـهـد رسـول الله ﷺ خـمـسـة من الأنصـار: مـعـاذ بن جـبل، وعـبـادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري"[١٩].

وذكر أبو عبيد في كتاب القراءات من قـراء الصـحـابة: الخلفـاء الأربعـة، وطلحـة وسـعـداً والعبـادلة وعـائشـة وحفصـة وأم سلمة[٢٠].

ومما يدل على كـثـرة عـدد القـراء بين الصحـابة، أن الذين استشـهـدوا في حادثة بئر معونة كانوا سبعين صحابيا يقال لهم: القراء[٢١].

وتلقى عن كـبـار الصـحـابة عـدد من

صغارهم ومن التابعين[٢٢]، وبعد جيل الصحابة استمر شغف التابعين ومن بعدهم بتعلم القرآن الكريم وقراءاته، فأقبلوا عليه ونهلوا من معينه الفياض وتنافسوا وتسابقوا في ميدانه الفسيح، ومع تفرق الصحابة في الأمصار نشأت مدارس نسبت إليهم وإلى بلدانهم نبغ في كل منها قراء كبار.

ومع الوقت بدأت تظهر معالم مميزة في هذا العلم، كتحديد شروط القراءة الصحيحة، وتوجيه القراءات، وظهور مصطلح القراءة الشاذة، والاختيار، والترجيح بين القراءات، والطعن في بعض أوجه القراءة، ونسبة القراءات إلى القراء المشهورين، وبدء التأليف في القراءات إفرادا وجمعا.

ويمكن تلخيص تطور علم القراءات في هذه المرحلة في النقاط التالية[٢٣]:

ابتدأ نزول القرآن مع فجر الرسالة، وكان نزوله بادئ الأمر بحرف واحد، ثم نزل بسبعة أحرف.

كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على النبي الكريم ﷺ، فيعلمها لأصحابه فور نزولها، ويطلب من كتبة الوحي كتابتها.

قام الصحابة بتعليم بعضهم بعضا القرآن، فمن سمع من النبي الآيات يعلمها لمن لم يسمع، ويعلم كبار الصحابة صغارهم، واشتهر عدد من الصحابة بالحفظ والإتقان وجودة الأداء، حتى أطلق لقب (القراء) على عدد منهم.

ومع تفرق الصحابة في الأمصار وخروجهم للجهاد، كانوا يُعلّمون القرآن، وحصل بين بعض المتعلمين خلاف أدى إلى المسارعة بنسخ المصحف وتوزيعه على الأمصار حسما للخلاف وقطعا لدابر الفتنة، وذلك زمن خلافة عثمان رضي الله عنه، وأرسل مع كل مصحف قارئا ليضبط الأمر، فأقبل الناس على الالتزام بالقراءة على الصحيح الثابت دون غيره والاقتصار عليه.

انتشر علم القراءات في الأمصار القريبة والنائية، مع الحركة الدائبة في تعليم القرآن الكريم، ومع الوقت اشتهر في كل مصر عدد من أئمة القراءة، ممن تجرد لتعليم القرآن وأجاد، وأقبل الناس عليهم يغرفون من معينهم الفياض ويتلقون عنهم، وكان من أشهر هؤلاء القراء العشرة، كما اشتهر عدد كبير من كبار علماء القراءات ممن بذلوا جهودا في التعليم والتأليف، وتزخر كتب التاريخ والتراجم بذكرهم والتعريف بهم، ولا يتسع المقام في هذا البحث لأكثر من الإشارة إلى عدد منهم

ممن تميز بالتأليف أو بنسبة القراءة إليه، أمثال: أصحاب القراءات الشاذة الأربعة: الحسن البصري (ت١١٠)[٢٤]، وابن محيصن (ت ١٢٣)، والأعمش (ت ١٤٨)، واليزيدي (ت ٢٠٢)، ومن المؤلفين: يحيى ابن يعمر (ت ٩٠) الذي نص عدد من العلماء أنه أول من ألف في القراءات، وأبان بن تغلب الكوفي (ت١٤١) ومقاتل بن سليمان (ت ١٥٠) وزائدة بن قدامة الثقفي (ت ١٦١) وهارون بن موسى الأعور (ت ١٩٨)، وهو أول من تتبع القراءات الشاذة وألف فيها، ويحيى بن المبارك اليزيدي (ت٢٠٢)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) له كتاب في القراءات فيه خمس وعشرون قراءة إضافة إلى القراءات السبع، وهو أول إمام معتبر ألّف في القراءات[٢٥]، وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥)، قال عنه ابن الجزري: "وأحسبه أول من صنف في القراءات"[٢٦]، وله أيضا كتاب في اختلاف المصاحف، ومحمد بن عيسى الأصبهاني (ت ٢٥٣) له كتاب الجامع في القراءات، وكتاب في الرسم وكتاب في العدد، وأحمد بن جبير الكوفي نزيل أنطاكية (ت ٢٥٨) ألّف في القراءات الخمس(٢٧)، والإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) له كتاب في القراءات أورد فيه أكثر من عشرين قراءة[٢٨]، كما نسبت كتب في القراءات لعدد من القراء العشرة كأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب[٢٩].

وتوجد كتب أخرى عديدة -تقارب المئة كتاب-- لم تصلنا أسماؤها وعناوينها لنتعرف على محتوياتها بالتفصيل[٣٠].

وظهرت مدارس القراءات في الأمصار، ومع الوقت تجذرت النسبة إليها، ويميل كثير من الباحثين إلى تقسيم هذه المدارس إلى: مدرسة المدينة، ومدرسة مكة، وجمعهما بعضهم في مدرسة الحجاز، ومدرسة الكوفة، ومدرسة البصرة، وجمعهما بعضهم في مدرسة العراق، ومدرسة الشام، وزاد بعضهم مدرسة مصر، ومدرسة المغرب، ومدرسة الأندلس[٣١].

ويلحظ أن كتب القراءات في هذه المرحلة لم تكن تلتزم بعدد محدد من القراء في الكتب المؤلفة، فبعضها في قراءة أحد الأئمة، ومعظمها في قراءات متعددة، يتجاوز عدد القراء فيها العشرة والعشرين قارئا، كما يلحظ تدوين علم القراءات والتعرض للحديث عنه في ثنايا الكتب المؤلفة في العلوم الأخرى، كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة والفريابي وابن الضريس وابن أبي داود

والآجري في كتبهم المؤلفة في فضائل القرآن وآدابه وتاريخه، وكما فعل سفيان الثوري والفراء وابن قتيبة في تفاسيرهم أو في كتب معاني القرآن، وكما فعل الإمام أحمد والبخاري وغيرهما في كتب الحديث، وكما فعل سيبويه والمبرد وغيرهما في كتب النحو(٣٢).

وفي هذه المرحلة اعتنى عدد من العلماء بالبحث في شروط القراءة الصحيحة، ووردت عنهم نصوص متقاربة في ذلك، ومعظم كلامهم يفيد الاتفاق على الشروط الثلاثة كما استقرت لاحقا، مع شيء يسير من الاختلاف(٣٣).

ويلحظ في هذه المرحلة انتشار الاختيار من القراء الكبار، مما قرأ به أحدهم على شيوخه، وترجع بداية الاختيار إلى عصر صغار الصحابة الذين قرؤوا على أكثر من صحابي، ثم تطورت في عهد التابعين وتابعيهم، فقد كان الواحد منهم يقرأ على أكثر من صحابي وتابعي حتى بات من الصعب أن تردّ قراءة واحد من أولئك التابعين إلى صحابي بعينه، فامتزجت قراءة أبيّ بقراءة ابن مسعود وبقراءة أبي موسى الأشعري وهكذا(٣٤).

وتعددت عبارات الأئمة في تعريف الاختيار بألفاظ متقاربة، ومن أوضحها أن يعمد من كان أهلا للاختيار، إلى ما تلقاه من أوجه القراءات فيختار منها الراجح عنده، ويلتزمه ويقرئ به(٣٥).

وقد تفاوتت أسس الاختيار عند الأئمة، فكان بعضهم يشترط لما يختاره اتفاق أكثر من قارئ عليه، كما ورد عن نافع من قوله: "قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شك فيه واحد تركته حتى اتبعت هذه القراءة" وقد قرأ الكسائي على حمزة، وخالفه في حروف كثيرة لأنه قرأ على غيره، فاختار من قراءة حمزة ومن قراءة غيره قراءةً(٣٦)، وكذلك قرأ أبو عمرو على ابن كثير، هو يخالفه في كثير من الحروف، لأنه قرأ على غيره، واختار من قراءته ومن قراءة غيره قراءةً ، ومنهم من اقتصر على صحة الرواية، كما كانوا يشترطون قوة وجه القراءة في العربية، وموافقة الرسم، والأصح في التأويل، ومنهم من كان يقدم أهل الحرمين خاصة إذا وافقهم غيرهم(٣٧).

وحصل من بعض القراء اختيار أوجه من القراءة فيها مخالفة لبعض هذه الشروط، فكان موقف عامة أهل القرآن منهم استنكار صنيعهم وعدم موافقتهم على اختيارهم، وبلغ الأمر في بعض

الأحيان إلى حدّ محاكمتهم على ذلك الاختيار واستتابتهم منه، بمحضر الحاكم أو القاضي، وذلك لأهمية هذا الأمر وعظيم منزلته لتعلقه بكتاب الله تعالى[٣٨].

ومن القراء الذين نسب إليهم الاختيار:

محمد بن عبد الرحمن بن السميفع اليماني (ت نحو ١١٠)[٣٩] "له اختيار في القراءة ينسب إليه شذّ فيه"[٤٠].

طلحة بن مصرف (ت ١١٢) "له اختيار في القراءة ينسب إليه"[٤١].

أيوب بن المتوكل البصري (ت ٢٠٠) "له اختيار تبع فيه الأثر"[٤٢].

محمد بن سعدان الضرير (ت ٢٣١) " له اختيار لم يخالف فيه المشهور"[٤٣].

أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) له اختيار اتبع فيه الأثر والنظر وما صح عنده في الخبر عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين[٤٤].

وكان لبعضهم أكثر من اختيار كمحمد ابن عيسى الأصبهاني (ت ٢٥٣) "له اختيار في القراءة أول وثان"[٤٥].

ومن مستلزمات الاختيار، الإقرار لمن كان أهلا له، أن يختار من مجموع ما قرأ على شيوخه وروى عنهم وجها أو أوجها دون أن ينكر عليه ذلك أو يُخطأ في فعله، إلا أن عددا ممن كتب وبحث في علم القراءات اتجه إلى تخطئة بعض أصحاب الاختيار في فعلهم، وقد يقود إلى مثل هذا الإنكار صدور عبارات عن صاحب الاختيار يرى فيها تأكيد اختياره وتقديمه على غيره، وهذا تعبير يمكن قبوله من قائله بلا حساسية نحوه، ولكن كان لبعض أصحاب الاختيارات عبارات من نحو: عدم استجازة القراءة بما يخالف اختياره ونحوها من العبارات أدت إلى إنكارها عليهم وتخطئتهم في إطلاقها، ولعل أحد أشهر أصحاب الاختيارات الذين كثر الحديث عن عدم استجازته سوى ما رجّح أو ما اختار الإمام الكبير والقارئ الشهير والمفسر القدير أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) رحمه الله، حيث قال ذلك في عدد من المواضع في تفسيره، وبعض ما ردّه أو لم يستجزه من القراءات الصحيحة المتواترة[٤٦]، ولعل أعدل المواقف في تجلية الصورة أن يقال: إن ما ردّه أو لم يستجزه لم يثبت عنده متواترا وإلا لما قال ذلك فيه[٤٧].

ثم إن حركة الاختيار ضعفت وقلّت بعد القرن الثالث، وانتشر بدلا منها التوجه إلى المحافظة على اختيارات القراء ونقل قراءاتهم[٤٨].

من ميزات المرحلة الأولى:

● أنها مرحلة التأسيس، ومن لوازم ذلك أن علم القراءات لم يكن قد استقر بعد.

● تظهر فيها العناية البالغة بكتاب الله تعالى والجهود الهائلة في حفظه وتعلمه.

● انتشرت في هذه المرحلة القراءات انتشارا كبيرا في الأقطار المتعددة، وظهرت مدارس القراءة في الأمصار.

● بدأ ظهور المؤلفات في القراءات، ولم يكن قد استقر اختيار عدد من القراء تنسب إليهم القراءة الصحيحة وتقصر عليهم.

● ظهور مفهوم الاختيار في القراءة.

● إيراد القراءات أو الحديث عنها ضمن كتب مؤلفة في فضائل القرآن وآدابه وفي كتب التفسير ودواوين الحديث، وفي كتب النحو واللغة.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

١- علم القراءات، ٧٦.

٢- معرفة القراء الكبار للذهبي ١/٢٤-٤٢.

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٤٣ و٤٥ و٤٧ و٥٧.

٤- فضائل القرآن لابن كثير، ١٦٠، وغاية النهاية لابن الجزري ١/٤٣١، وفتح الباري لابن حجر ٩/٦٥.

٥- رواه مسلم برقم ١٥٦٤، وأحمد في المسند برقم ١٧٠٦٣ (٢٨/٢٩٥).

٦- غاية النهاية لابن الجزري ١/٤٣٢.

٧- السلاسل الذهبية لأيمن سويد ٤٨٩-٥٢٢.

٨- غاية النهاية لابن الجزري ١/٥٩١.

٩- من لطيف ما استدل به الباقلاني على حفظ أبي بكر وعمر ما ثبت في الروايات العديدة أنهما كانا يؤمان الناس بالسور الطوال، وقد عُلم أن كثيرا من الحفاظ يتهيبون من الصلاة بالناس بمثل هذه السور (الانتصار للقرآن ١٨٢-١٨٨).

١٠- رواه مسلم برقم ٦٤٨٩، وأحمد في المسند برقم ٦٥٢٣ (١١/٧٦).

١١- رواه البخاري برقم ٣٥٩٩، ومسلم برقم ٦٤٩٤، وأحمد في المسند برقم ١٣٩٤٢ (٢١/٣٧٩).

١٢- فتح الباري لابن حجر ٩/٦٧، والإتقان للسيوطي ١/٣٤٠.

١٣- الانتصار للباقلاني، ١٦٥-١٧٢، والإتقان للسيوطي ١/٣٣٣-٣٣٦.

١٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٥٧.

١٥- الإتقان للسيوطي ١/٣٣٩.

١٦- رواه البخاري برقم ٣٨٦٠، ومسلم برقم ١٥٨٢.

١٧- ذكر عدد من المؤلفين أسماء المشهورين بالإقراء من التابعين، يُنظر على سبيل المثال: الإتقان للسيوطي ١/٣٤٢.

١٨- أورد تفاصيل هذه المراحل عدد من المؤلفين في هذا الموضوع، يُنظر مثلا: مقدمات في علم

القراءات ٥٦- ٦٥، وصفحات في علم القراءات ٣٢-٤٤، والقراءات القرآنية تاريخ وتعريف ١٣-٣٢، وغيرها.

١٩- معظم الوفيات المذكورة في البحث بالتاريخ الهجري ولذا لم ألحقها بما يميزها، وميّزت ما كان منها بالتاريخ الميلادي.

٢٠- النشر لابن الجزري ٣٤/١، واختيارات الإمام لأبي عبيد ٧١، وفيه النص على أن كتاب أبي عبيد مفقود.

٢١- غاية النهاية ٣٢٠/١.

٢٢- ذكر ابن الجزري أن كتاب ابن جبير في القراءات الخمس (النشر ٣٤/١) وذكر مكي (الإبانة، ٩٠) أنه في القراءات الثمان، وهي قراءات الأئمة السبعة ويعقوب.

٢٣- النشر ٣٤/١.

٢٤- ورد ذكر هؤلاء الأئمة وهذه الكتب في عدد من المؤلفات، منها: الفهرست ٣٨ و٢٧٦، وغاية النهاية ٣٤٨/٢، والقراءات القرآنية للفضلي، ٢٧، وعلم القراءات لنبيل آل إسماعيل، ٩٩، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام لبازمول ١٩٧، ومقدمات في علم القراءات، ١٩٠.

٢٥- أورد مؤلف كتاب: القراءات القرآنية حتى عصر ابن مجاهد اثنين وستين كتابا لعلماء ممن عرفت تواريخ وفياتهم، وثلاثة وعشرين كتابا لمجهولي الوفاة (ص ١٥٦ - ١٦٨) وأورد مؤلف كتاب اختيارات أبي عبيد أربعة وأربعين كتابا (ص ١٢٧-١٣٤)، ومعظم هذه الكتب لم يصلنا منها أكثر من العنوان واسم المؤلف.

٢٦- ورد ذكر هذه المدارس وأشهر رموزها في عدة كتب، منها: علم القراءات، ص ١٦٧-١٩٩ و٢٠٣-٢٣٣ والقراءات القرآنية حتى عهد ابن مجاهد ١٣-٢٨، وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب ص ١٨٧ و٢٥١ و٤٣٥ و٥٧٩، كما توجد كتب تخص إحدى هذه المدارس بالدراسة والبحث وتفصيل الحديث عنها، ومن هذه الكتب على سبيل المثال: القراءات القرآنية في بلاد الشام للدكتور حسين عطوان، وعلم القراءات في اليمن للدكتور عبد الله المنصوري، والقراءات بإفريقية للدكتورة هند شلبي.

٢٧- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ٢١٧ - ٢٥٦.

٢٨- القراءات القرآنية تأريخ وتعريف حيث تتبع الفكرة زمنيا (ص ١٠٩-١٢٢).

٢٩- القراءات القرآنية حتى عهد ابن مجاهد، ص ٦٨.

٣٠- يُنظر في تعريف الاختيار وتبيين أهميته وتاريخه وأسسه: الإبانة لمكي، ٤٩ و٥٠ و٨٣-٨٥، والتبيان في مباحث من علوم القرآن على طريق الإتقان، ١٢١، والقراءات بإفريقية، ١٥٩، والاختيار في القراءات القرآنية، ٧-٢٠، والاختيار في القراءات والرسم والضبط، ١١-١٣، وأبحاث في علوم القرآن، ٣٧-٧١.

٣١- الإبانة، ٤٩ و٥٠.

٣٢- الاختيار في القراءات والرسم والضبط، ١٤٣ و١٤٤.

٣٣- من أشهر الحوادث التي حفظها لنا التاريخ، استتابة ابن شنبوذ، محمد بن أحمد (ت ٣٢٨) بحضور الوزير ابن مقلة وكبار القراء في بغداد لإصراره على القراءة بما يخالف رسم المصحف، وحادثة محاكمة ابن مقسم، محمد بن الحسن (ت ٣٥٤) لاستجازته القراءة بما لم يرد إذا وافق الرسم واللغة (غاية النهاية ٥٤/٢، و ١٢٣/٢، ومعرفة القراء الكبار ٢٢١/١).

٣٤- لم تصرح المراجع التي وقفت عليها بتاريخ وفاته وفي المعلومات المتعلقة به شيء من الاضطراب ففي بعضها أن من تلاميذه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧) وفي بعضها أنه قرأ على نافع (ت ١٦٩) ويضعفه ما قبله، ولعل في بعضها وهم (غاية النهاية ١٦١/٢، وعلم القراءات في اليمن، ٢٦٦).

٣٥- غاية النهاية ١٦١/٢.

٣٦- غاية النهاية ٣٤٣/١

٣٧- غاية النهاية ١٧٢/١، وقال الذهبي: "اختار لنفسه مقرءا" ١٤٩/١ .

٣٨- غاية النهاية ١٤٣/٢ .

٣٩- قراءات القراء المعروفين، ٥١.

٤٠- غاية النهاية ٢٢٣/٢ .

٤١- من أمثلته: جامع البيان، ١٩٣/١، و٨٧/٣، و٢٥٢/٥، و٢٠٨/٧، و٦٣/١٦.

٤٢- سلك عدد من الباحثين مسلك تخطئة الإمام الطبري وانتقاده، ومن هؤلاء: محمد عارف الهرري في كتابه: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري والرد عليه، ود. لبيب السعيد في كتابه: دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر، وسلك باحثون آخرون مسلكا وسطا فيه توضيح المسألة بما يزيل الإلباس والاعتذار عن عبارات الإمام الطبري بأوجه وجيهة، ومن هؤلاء: محمد بالوالي في كتابه الاختيار في القراءات والرسم والضبط، ١٠٨-١١٦، ود. مساعد بن سليمان الطيار في كتابه: مقالات في علوم القرآن ومناهج المفسرين، ٣١٢-٣٢٧.

٤٣- أبحاث في علوم القرآن لغانم الحمد، ص ٣٦ و٧٠، والقراءات القرآنية حتى عهد ابن مجاهد، ٨٤ .

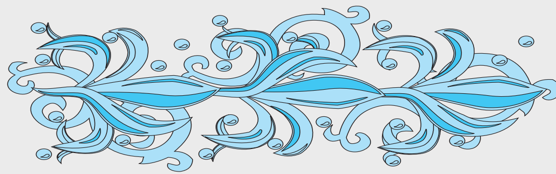
٤٤- أشار مكي في الإبانة إلى السبب الثاني مؤيدا له، ص ٩٠.

٤٥- نقل ابن الجزري نقولا كثيرة عن عدد من أئمة القراءات الكبار في إثبات وجود أوجه من القراءات الصحيحة تزيد عن القراءات السبع، يمكن الاطلاع عليها في منجد المقرئين: ١٦ و٧٨ ومواضع أخرى، كما توجد عبارات مماثلة في كتب أخرى عديدة.

٤٦- تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ١٢٧.

٤٧- تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ١٤٢.

٤٨- مقدمة تحقيق كتابه الهداية إلى بلوغ النهاية، ١٨/١-٢٥، وقواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، ٥٣ و٥٤ .



من مشاهد الاعجاز النفسي في القرآن الكريم

■ بقلم الدكتور علي البدري

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين الذي أوتي الكتاب ومثله معه، وبعد؛

فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى، كتاب خالد وحجة دامغة وحكمة بالغة ومعجزة متجددة، ما بقي الجديدان تعهد الله تعالى بحفظه فقال تعالى: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[١]، على حين ان التوراة والانجيل لم يحظيا بمثل هذه الرعاية الإلهية وترك شأنهما لأمانة أهل الكتاب.

فخانوهما وحرفوهما، قال تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون﴾**[٢] والقرآن الكريم كتاب أنزله الله تعالى **﴿ليخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾**[٣].

ودعا اهل الكتاب الى الحق فقال تعالى: **﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ❖ يهدي به الله من اتبع**

رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾[٤].

هذا ولا يختلف منصفان اثنان سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للاسلام، ومن جعل على بصره غشاوة في هذه الحقيقة الواقعة «اعجاز القرآن»[٥].

والقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، يعرض على دنيا الناس آيات التحدي، في قوله تعالى: **﴿أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ❖ فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾**[٦].

وقوله جل وعلا في علاه: **﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ❖ فإلم يستجيبوا فاعلموا انما انزل بعلم الله وأن لا إله الا هو فهل انتم مسلمون﴾**[٧].

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾**.

﴿ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ❖ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾[٨].

وقال عز شأنه: **﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ❖ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾**[٩]، ثم أعلن القرآن الكريم للناس ان هذه الآية الكريمة: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**[١٠].

هذه آيات التحدي، يتلوها الناس منذ فجر الاسلام، لقد قرعت آذان الجاحدين مرات ومرات، وعجزوا وما يزالون وسيظلون عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن الكريم، او بمثل عشر سور فقط، أو بمثل سورة واحدة، ودون ذلك خرط القتاد، وذلك أمل بعيد المنال والسورة القصيرة الواحدة ونحوها من الآيات فوق طاقة البشر، مهما بذلوا في ذلك من حيلة.

ومما ينبغي ان يعرفه الناس، ان اعجاز القرآن الكريم ليس في ألفاظه او معانيه فحسب، وإنما جوهر الاعجاز في خصائص نظم القرآن الكريم وراء ألفاظه ومعانيه[١١] وذلك فوق طاقة الإنس والجن

مجتمعين او متفرقين، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وعلى الرغم من ان جوانب اعجاز القرآن الكريم كثيرة اوضحها نظمه الفريد، الذي يقول عنه الزمخشري: «وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره»[١٢].

فإن هناك جانباً هاماً في الاعجاز، وهو صنيعة النفوس المستعدة لمعرفة الحكمة وفصل الخطاب، فلا يسمع المرء كلاماً يخلص الى النفس كما يخلص القرآن الكريم اليها، فتحس بروعته وحلاوته وعظمته ومهابته، وتأمل قوله تعالى: **﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**[١٣].

واذا تأملت النفس المؤمنة آيات من كتاب الله تعالى ازدادت إيماناً، وتأمل قوله تعالى: **﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾**[١٤]، والقرآن الكريم تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾**[١٥].

وإذا تحدث عن الوعيد عادت النفوس مرتاعة قد علاها الوجيب وتغشاها القلق والفرق!! لقد حال القرآن الكريم بين كثير من النفوس ومضمراتها ايام الجهالة والجحود، فكم من عدو لرسول الله ﷺ من صعاليك العرب وفتاكها، اقبلوا يريدون اغتياله، فإذا بهم يسمعون آيات من الذكر الحكيم فيقول قائلهم لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله لقد كان وجهك أبغض الوجوه اليّ، وكان دينك ابغض الأديان الي، فوالله لقد اصبح وجهك احب الوجوه الي وأضحى دينك أحب الأديان الي»[١٦] من حديث ثمامة بن أثال.

وهكذا تصبح عداوتهم موالاة، ويضحى كفرهم إيماناً، انه صنيع الوحي الإلهي في نفوس البشر، وذلك ما لا يتوفر لأي كتاب سوى القرآن الكريم ونظمه الفريد[١٧]، وتلك دلائل شاهدات على الاعجاز النفسي في القرآن الكريم.

واذا أمكن ان نشير بإيجاز الى بعض الذين ملك القرآن عليهم أقطار نفوسهم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد خرج يريد قتل رسول الله ﷺ، فتصل الى قلبه آيات من سورة طه فتحييه بعد موات، وتضيئه بعد

إظلام، فلا يلبث ان يشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله، ويضحى الفاروق رضي الله عنه اعظم نفسية انسانية يقتدي المسلمون بها، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد الصديق رضي الله عنه، انه صنيع القرآن الكريم في النفوس الطاهرة، وانه الاعجاز النفسي في القرآن الكريم.

وأنيس الغفاري شقيق ابي ذر رضي الله عنهما يقول: «ان الناس يتهمون محمداً صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون!! وتالله لو وضعت القرآن الكريم على أقراء الشر «قوافيه» فما التأم على إحداها، وهو ليس من أقاويل الكهنة، وانه لصادق وانهم لكاذبون».

وتلك شهادة نفسية بما للقرآن الكريم من تأثير على النفوس التي شرح الله صدرها للاسلام.

وهذا الوليد بن عقبة يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يتلو قوله تعالى: ﴿**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[١٨]، فيقول: ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ثم اتبع هذا بقوله: وما يقول هذا بشر[١٩].

ومثل هذا القول لا يقوله الا رجل خالط القرآن الكريم اعماق نفسه وذلك من شواهد الاعجاز النفسي في القرآن الكريم، اما تأثر الذين ختم الله على قلوبهم فقد كان واضحاً ايضاً.

فهذا عتبة بن ربيعة يستخدم سلاح الإغراء ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيذهب اليه متحدثاً بلسان قريش كلها، وقبله قال له عمه ابو طالب: يا ابن أخي ابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق!! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وفي موقف آخر يقبل النبي صلى الله عليه وسلم مباهلة النصارى لأنه يحمل نفساً كريمة واثقة من نصر الله تعالى، ولكنهم يتراجعون[٢٠]، ومع هذا الاطمئنان النفسي بنجاح الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة او في المدينة المنورة، فلقد جاء عتبة هذا في مكة يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت، وقد أتيت قومك بدين جديد فرقت به وحدتهم وشتت به ألفتهم، وسفهت أحلامهم وعبت آباءهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً لعلك تقبل بعضها!!.

ان كنت تريد بهذا الامر «الاسلام» مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

مالاً، وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي لديك رئياً من الجن بذلنا لك الطب حتى تبرأ، او لعل هذا شعر جاش في صدرك فإنكم يا بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا نقدر عليه!!(٢١).

وهكذا يكون الاغراء بالمال والجاه والسيادة، **﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً﴾**(٢٢)، ولكن عتبة هذا لم يلبث الا قليلاً حتى سمع من رسول الله ﷺ من صدر سورة فصلت الى قوله تعالى: **﴿فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾**(٢٣) واذا بالرجل يلقي يديه خلف ظهره ويصفر لونه، وتأخذ الآيات عقله ولبه، فيصيبه الإعياء ويذهب الى جماعة الكفر متثاقلاً لا يستطيع المشي فيقول لهم: يا معشر قريش، اطيعوني هذه المرة واعصوني فيما سواها، خلو بين الرجل وما هو فيه، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان ظهر عليهم، فهو منكم، وملكه ملككم، وكنتم أسعد الناس، لقد سمعت من كلامه ما ليس شعراً ولا سحراً ولا كهانة، ثم قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم، ولم يلبث القوم ان اتهموه بالوقوع في سحر محمد ﷺ ولكنهم قالوا: لقد عاد عتبة بغير الوجه الذي ذهب به الى محمد ﷺ.

انه التأثير النفسي بالقرآن الكريم، وذلك من سمات الاعجاز النفسي في كتاب الله عز وجل، وفي بيعتي العقبة الأولى والثانية، سمع الأنصار آيات من كتاب الله فأشرقت بها نفوسهم بعد ظلام، فعادوا الى المدينة المنورة «يثرب» فنشروا فيها الايمان حتى قال الكثيرون: فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة المنورة بالقرآن.. وذلك من اوضح الدلائل على الاعجاز النفسي في القرآن الكريم.

وهذا هو الوليد بن المغيرة، يسمع القرآن الكريم من رسول الله ﷺ فيقول: «لقد سمعت من محمد ﷺ كلاماً ما هو كلام من الأنس ولا من كلام الجن، ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه».

ان هذا الوصف الجيد ليدل دلالة بالغة على مدى احساسه النفسي بروعة القرآن الكريم، وهذا لا يتنافى مع كفره لأنه قد كفر عن علم، قال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾**(٢٤).

ان الوليد بن المغيرة على الرغم من إحساسه النفسي بوحي السماء، اتهم النبي ﷺ بالسحر، وقال عنه: هو شيء يكون ببابل من حذقه فرق به بين الرجل وامرأته وبين الرجل وأخيه، وهكذا فرق محمد بين فلان وزوجته، وبين فلان وأخيه، وبين فلان وأقاربه، وراح يعدد.. ببصيرة عمياء وقد رد الله تعالى على هذا الكفور بأن يصليه سقر التي لا تبقي ولا تذر[٢٥] ومهما يكن من شيء فتأثر الوليد بالقرآن الكريم لا شك فيه، وهو أثر من الاعجاز النفسي للقرآن الكريم والفضل ما شهدت به الاعداء.

ان الوليد قال للناس: يا معشر قريش، ما رجل منكم اعلم بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده والله ما يشبه كلام محمد شيئاً من هذا، وانتم تزعمون انه شاعر مجنون، فهل رأيتموه يخنق؟ وتزعمون انه كاهن!! فهل جربتم عليه كهانة قط؟ لقد عاش بينهم رسول الله ﷺ ثلاثة وخمسين عاماً أربعون منها قبل النبوة وثلاثة عشر عاماً بعدها.

فكيف يأتي لأمثال هؤلاء المعتوهين ان يقولوا فيه ما قالوا؟! انه الحقد وعمى البصيرة **﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾**[٢٦] وهذان الرجلان هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي والقريتان مكة والطائف[٢٧] ان تأثر الوليد هذا من أوضح دلائل الاعجاز النفسي في القرآن الكريم.

وان الجن حينما سمعوا القرآن الكريم لم يلبثوا ان قالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم: **﴿انا سمعنا قرآناً عجباً ❖ يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ❖ وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾**[٢٨].

ان القرآن الكريم يضيء ظلمات القلوب، ما لم يكن اصحابها من المغضوب عليهم او من الضالين[٢٩] فهؤلاء قد بين الله تعالى شأنهم بقوله تعالى: **﴿ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾** واذا سألت عن سر استواء الايمان وعدمه عندهم؟ فالجواب قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾** واذا سألت عن سر هذا الختم المهلك للدنيا وللآخرة معاً؟ فالجواب قوله تعالى: **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾**[٣٠]، وتلك حال النفوس العمياء الصماء، وهي نفوس أكثر أهل الأرض، قال تعالى: **﴿وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن**

وان هم الا يخرصون﴾[٣١] اما النفوس السوية فإن القرآن الكريم يحييها بعد ان كانت ميتة ويضيئها بعد ان كانت مظلمة، قال تعالى: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾**[٣٢] وقال عز شأنه: **﴿أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾**.

ولقد أشار القرآن الكريم الى آثاره في نفوس بعض رهبان النصارى وقسيسيهم في قوله تعالى: **﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ❖ واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾**[٣٣] وهذا لسماعهم بضع آيات من كتاب الله عز وجل، ولك ان تتأمل الآيات الكريمة الآتية: **﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد﴾**[٣٤]، **﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾**[٣٥]، **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[٣٦].

ويستطيع كل مسلم اذا تأمل القرآن الكريم ان يشعر بطمأنينة النفس، قال تعالى: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**[٣٧].

ان القرآن الكريم يشعر النفس بنعمة الرضا بقضاء الله وقدره[٣٨] ويملؤها بكل معاني الخير[٣٩] وهو علاج نفسي يغني عن جميع عقاقير الأطباء الذين يسمون انفسهم اطباء نفسيين وهم احوج الناس الى علاج نفوسهم، ومن عاش مع القرآن الكريم عاش هادئ النفس مطمئن السريرة[٤٠]، عاش في كنف الله تعالى يستشعر ايجابية صفاته تعالى وفاعليتها في الكون والحياة، فإذا اصابه سوء واضطرته ظروفه الى الضيق لجأ الى ربه الذي يتولاه، وتذكر قوله تعالى: **﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾**[٤١] وقوله تعالى: **﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾**[٤٢] وقوله تعالى: **﴿والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾**[٤٣]، وقوله تعالى: **﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾**[٤٤] وقوله جل وعلا: **﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون﴾**[٤٥] وقوله عز وجل: **﴿ان بطش ربك لشديد ❖ انه هو يبدئ ويعيد ❖ وهو الغفور الودود ❖ ذو العرش المجيد ❖ فعال لما**

يريد﴾[٤٦]، وقوله تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾**[٤٧] وقوله تعالى: **﴿ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها﴾**[٤٨] وقوله عز شأنه: **﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾**[٤٩]، وقوله سبحانه: **﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾**[٥٠]، وقوله تعالى: **﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**.

ومن هاله الصراع المستمر منذ فجر التاريخ الى اليوم والى الأبد بين الحق والباطل، فعليه ان يتذكر قوله تعالى: **﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾**[٥١].

وبهذا تستريح نفسه ويوطن نفسه على استمرار هذا الصراع فيسعى الى الجهاد بنفسه او بماله أو بما يستطيع، ان التفكير في معاني القرآن يشفي النفوس من اوجاعها واسقامها، قال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً﴾**[٥٢].

ومن تعرض للفتن عليه ان يسلك سبيل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً﴾[٥٣]، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم»[٥٤].

ويقول جعفر الصادق: عجبت لأربع كيف يغفلون عن اربع «اي من الدعوات القرآنية»: عجبت لمن مسه الضر كيف يغفل عن قوله تعالى: **﴿رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾** دعا بها أيوب فقال الله تعالى: **﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾**.

وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن قوله تعالى: **﴿وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد﴾** والله تعالى يقول عقيبه: **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾**[٥٥].

وعجبت لمن تكاثر أعداؤه كيف يغفل عن قوله تعالى: **﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** دعا بها المسلمون حين قال لهم الناس: **﴿ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾** فقال عز وجل: **﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله﴾**[٥٦].

وعجبت لمن أصابه هم محزن كيف

يغفل عن قوله تعالى: **﴿لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾** وقد دعا بها ذو النون عليه السلام فاستجاب الله له، كما قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾** ولم يكن ذلك له خاصة، لأن الله تعالى يقول: **﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾**[٥٧].

وهكذا يتجلى لنا ان القرآن الكريم جوهر الطب النفسي، وانه معجز اعجازاً نفسياً لا يماثله في هذا المجال، اي كتاب في علم النفس او في غيره، قال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** ان للقرآن الكريم تأثيراً جوهرياً في النفوس الطاهرة المطمئنة[٥٨].

ان القرآن الكريم علاج للثكالى والمفجوعين والمرضى والمحرومين والبؤساء والمظلومين، يفرون الى ربهم بتلاوة كلماته فتكون عليهم برداً وسلاماً، والله بهم بر رحيم، يعيشون في كنفه راضين مطمئنين شاكرين الله تعالى ان جعل لهم ألسنة رطبة بذكره على الدوام.

لقد قال بعض هؤلاء الراضين: لو علم رجال الدنيا اللذة التي نحن فيها مع ربنا لقاتلوننا عليها بالسيوف، وما ذلك الا بسبب الرضا النفسي الذي اسبغه عليهم كتاب الله الكريم **﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾**[٥٩] اما المفتونون فيقول الله تعالى عنهم: **﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ❖ أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[٦٠].

ان تربية المرء على هدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تورثه سكينة في قلبه وطمأنينة في نفسه، يشعر بحلاوتهما ما دام على صلة بالقرآن[٦١] ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم بأنه: «لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الجد ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا: **﴿انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به﴾** من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم! ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قسمه الله، هو الذكر المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب»[٦٢].

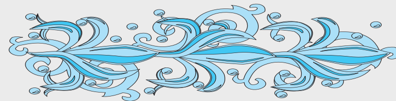
هذا وصف نبوي كريم للقرآن العظيم: **﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾**[٦٣] وان هذا الكتاب الخالد هو مصدر هداية المسلمين فرداً فرداً، وهو سبيل اصلاح نفوس البشرية به صلح أول هذه الأمة ولن يصلح آخرها الا بما صلح به أولها، به ألف الله تعالى بين قلوب المؤمنين فقال عز شأنه لنبيه ﷺ: **﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾**[٦٤].

وبه أنزل الله تعالى السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم **﴿فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**[٦٥] **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[٦٦] **﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم ❖ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾**[٦٧]، ان تأثيره في النفوس لمن اوضح سمات الإعجاز النفسي في القرآن الكريم.

الهوامش:

١- الحجر: ٩ .
٢- البقرة: ٧٩ .
٣- ابراهيم: ١ .
٤- المائدة: ١٥-١٦ .
٥- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ص١١ .
٦- الطور: ٣٣-٣٤ .
٧- هود: ١٣-١٤ .
٨- يونس: ٣٨-٣٩ .
٩- البقرة: ٢٣-٢٤ .
١٠- الاسراء: ٨٨ .
١١- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص٢٣٨ .
١٢- الكشاف ج٢ ص٤٧٣، وانظر اعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة، منير سلطان ط الاسكندرية سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ص١٧٦ .
١٣- الزمر: ٢٣ .
١٤- الانفال: ٢ .
١٥- فصلت: ٤٢ .
١٦- من هدي النبوة، الشرباصي الحسنين ط القاهرة ص٧٦ .
١٧- اعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، ص٢٣٤ ط سنة ١٣٩٤هـ.
١٨- النحل: ٩٠ .
١٩- الرسالة الشافية للامام عبد الظاهر ص١٢٥، من ثلاث رسائل في اعجاز القرآن «دار المعارف».
٢٠- مدخل الى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، د. محمد عبد الله دراز ، ترجمة أ. محمد عبد العظيم علي ص١٧٢ .
٢١- بيان اعجاز القرآن للخطابي تحقيق عبد الله الصديق ط ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م ط القاهرة ص٩٤ .

٢٢- النساء: ٧٧ .
٢٣- فصلت: ١-١٣ .
٢٤- الجاثية: ٢٣ .
٢٥- المدثر: ١١-٢٠ .
٢٦- الزخرف: ٣١ .
٢٧- المصحف المفسر لمحمد فريد وجدي ص٦٥٠ .
٢٨- الجن: ١-٣ .
٢٩- الاشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلحي تحقيق د. عبد الله شحاته، ط سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م ص١٠١ .
٣٠- البقرة: ٦-١٠ .
٣١- الانعام: ١١٦ .
٣٢- الحشر: ٢١ .
٣٣- المائدة: ٨٢-٨٣ .
٣٤- ق: ٣٧ .
٣٥- الكهف: ١ .
٣٦- النساء: ٨٢ .
٣٧- الرعد: ٢٨ .
٣٨- نعمة القرآن، نعمت صدقي ص٢١٧، مكتبة عالم الكتب بالقاهرة.
٣٩- الدستور القرآني في شؤون الحياة، أ. محمد عزه دروزة، ص٤٨٥، وانظر القرآن والمبشرون، أ. دروزة ايضاً ص٤٦٢ طبعة المكتب الاسلامي، دمشق، سوريا.
٤٠- دستور الاخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز تعريب د. عبد الصبور شاهين، ط الرسالة ص٧٢٥-٧٤٥ .
٤١- النمل: ٦٢ .
٤٢- الانعام: ١٨ .
٤٣- يوسف: ٢١ .
٤٤- آل عمران: ٦ .
٤٥- الأنفال: ٥٤ .
٤٦- البروج: ١٢-١٦ .
٤٧- الطلاق: ٢-٣ .
٤٨- هود: ٥٦ .
٤٩- الزمر: ٣٦ .
٥٠- الحج: ١٨ .
٥١- الرعد: ١٧ .
٥٢- الاسراء: ٨٢ .
٥٣- الاسراء: ٩ .
٥٤- دليل الحيران في آيات من القرآن، أ. خلف محمد الحسيني ص١٢ .
٥٥- الانبياء: ٨٣ .
٥٦- غافر: ٤٤-٤٥ .
٥٧- آل عمران: ١٧٣-١٧٤ .
٥٨- الأنبياء: ٨٧-٨٨ .
٥٩- الرعد: ٨ .
٦٠- المائدة: ٤١ .
٦١- تجربة التربية الاسلامية في ميزان البحث، أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط المكتبة الأموية، دمشق ص٥٢-٧٢ .
٦٢- معترك الاقران في اعجاز القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق علي البجاوي، القسم الاول ص٢٤٤، ط دار الفكر، القاهرة.
٦٣- الاسراء: ٩ .
٦٤- الانفال: ٦٣ .
٦٥- الفتح: ٤، ١٨، ١٩ .
٦٦- التوبة: ٣٣ .
٦٧- الشورى: ٥٢-٥٣ .



العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

■ بقلم الدكتور عبد العزيز الضامر

تعتبر مسألة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[١] من المسائل الواضحة والصريحة التي استدل بها المفسرون على قضية تنزيل الآيات على الواقع، إذ كل حادثة نزل بشأنها النص القرآني فإنه غير مقصود عليها، بل ان هذا النص يعم كل واقعة كانت ماضية او مستقبلية، قد شابهت الحدث الرئيس الذي من اجله انزلت الآية.

وقد بين النبي ﷺ هذه المسألة في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله **﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾** هود: ١١٤، قال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»[٢].

ونجد الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا هذه المسألة أيضاً، فهذا كعب بن عجرة رضي الله عنهم يروي حادثة عن نفسه فيقول: «حملت الى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت ارى ان الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام، أو اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك، فنزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة»[٣].

ولذلك قال السيوطي (ت ٩١١هـ) رحمه الله: «ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة

شائعاً ذائعاً بينهم»[٤].

وقد اختزلت لنا هذه المسألة الكثير من القضايا والأحداث التي لم تكن موجودة زمن التنزيل، وهذه من حكمة الشرع الحكيم، لأن الوقائع لا نهاية لها، فهي تسير في حركة مستمرة سيّالة، وان النص القرآني الكريم هو الذي يستوعبها.

وقد ابعد النجعة بعض الباحثين[٥] في هذا الزمان ممن يرون بأن «العبرة بخصوص السبب لا عموم اللفظ»[٦] بقصد قصر الألفاظ القرآنية العامة على ما ورد في عصر النبوة فقط، دون تعميمها وتنزيلها على بقية العصور.

وبهذا الرأي تنتفي صلاحية القرآن لهذا العصر وغيره، فيكون محصوراً مقصوراً على عصره الذي نزل فيه، ولهذا نجد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، قد تنبه لهذه القضية فقال: «والناس وان تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه؟ فلم يقل احد من علماء المسلمين: ان عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وانما غاية ما يقال: انها تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ! والآية التي لها سبب معين ان كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وان كانت خيراً بمدح او ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته ايضاً»[٧].

فالآيات التي نزلت بشأن المنافقين في عهد النبي ﷺ، وما فيها من وصف لأعمالهم فإنها تعم كل من يستحق ان يُطلق عليه وصف المنافق على مر العصور والدهور ممن يُظهر الايمان ويبطن الكفر.

ولعل هذا ما يفسر عدم ذكر منافق بعينه، بل يأتي الحديث عنهم بأوصاف ونعوت ترشد الى أعمالهم، كما تكرر ذلك في سورة التوبة عند قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني**﴾ التوبة: ٤٩، وقوله: ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات**﴾ التوبة: ٥٨، وقوله: ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذن**﴾ التوبة: ٦١، وقوله: ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقن ولنكونن من الصالحين**﴾ التوبة: ٥٧ .

وكذلك الآيات التي نزلت في وصف المؤمنين وبيان حالهم، فإنها ايضاً تعم كل من يستحق ان يطلق عليه وصف الايمان في اي عصر وزمن كان، ولذلك قال الشيخ محمد رشيد رضا: «ان الآيات على عمومها تتناول من كان منهم في عصر التنزيل تناولاً اولياً، وتصف حالهم وصفاً مطابقاً، وهي مع ذلك عبرة عامة شاملة لمن مضى ولمن يجيء من هذا الصنف الى يوم القيامة»[٨].

وأختم هذا المقال بمسألة يجدر الإشارة اليها وهي: حكم تعميم بعض الآيات التي نزلت بشأن الكافرين من

اليهود والنصارى ونحوهما، وتنزيلها على أفراد المؤمنين ممن انطبقت عليهم بعض الصفات التي حملها الكفار.

فأقول: ان من يتأمل عبارات السلف من المفسرين وغيرهم يلاحظ انهم يجوزون هذا الأمر، نظراً لما شابه به عمل هؤلاء المسلمين عمل أولئك الكافرين، ولأن هذه الآيات متناولة من كان على مثل حالهم من هذه الأمة.

ومثاله ما جاء عن ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾** البقرة: ٢٧، حيث قال: «.. غير ان هذه الآيات عندي وان كانت فيهم نزلت -أي أحبار اليهود ومن كان على شركه من اهل النفاق- فإنه معني بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلالة، ومعني بما وافق منها صفة المنافقين خاصة جميع المنافقين وبما وافق منها صفة كفار احبار اليهود جميع من كان لهم نظير في كفرهم»[٩].

وكذلك ما جاء في آية التحذير من كتمان العلم **﴿ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾** البقرة: ١٥٩، حيث قال الطبري (ت٣١٠هـ) رحمه الله: «.. وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معني بها كل كاتم علم فرض الله تعالى بيانه للناس»[١٠].

وقد فهم أبو هريرة رضي الله عنه هذا المعنى فقال: «.. ولولا آيتان في كتاب الله ما حدّثت حديثاً» ثم تلا: **﴿ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات﴾** الآيتان[١١]، فهاتان الآيتان وان كان المخاطب فيهما أهل الكتاب، إلا أنه جاز لنا ان ننزلهما ونعممهما على غيرهم ممن شابه عملهم من المسلمين، كما قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) رحمه الله: «وكم من آية نزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها»[١٢].

وقال ابن باديس رحمه الله: «نزول الآيات في الكافرين لا يمنع من تطبيقها على من شاركهم في مثل الحال الذي أنكرته عليهم من المؤمنين، لأن الوصف المذموم مذموم، سواءً أكان المتصف به مؤمناً أم كان كافراً»[١٣].

وعلى هذا فإن التنزيل بهذه الصورة يكون جائزاً بضوابط ينبغي الاعتناء والاهتمام بها وهي الآتي[١٤]:

اولاً: يحسن ذكر مدلول الآية المطابق، وهو أنها نازلة في الكفار، وأنه يستفاد منها ان من اتصف بهذه الصفة من المسلمين، فإنه يلحق بحكم الكفار، ولكن كل بحسبه، فهذا كافر كفراً محضاً، وهذا مسلم عاص وافق الكفار في هذه الصفة.

ثانياً: ان من سلك هذا الطريق، فإنه لا يصح ان يقصر الآية على ما فسر به قياساً، ولو فعل لكان تحكماً بلا دليل، كما هو حال أهل البدع، والتحكم لا يعجز عنه أحد.

ثالثاً: يلزم ان يكون بين معنى الآية الظاهر وبين ما ذكره من الاستشهاد والتفسير قياساً ارتباط ظاهر، وإلا لكان باطلاً من أصله.

الهوامش:

١- اختلف الأصوليون حول هذه المسألة، فمنهم من يرى بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو قول الجمهور، ومنهم من يرى بأن العبرة بخصوص السبب، ويُنسب الى المُزني وأبي ثور والدقاق، والراجح الأول.

تنبيه: هذا الخلاف محله اذا لم تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله، أما اذا قامت تلك القرينة فإن الحكم يكون مقصوراً على سببه لا محالة بإجماع العلماء.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (فتح ١٢/٢) حديث رقم (٥٢٦) ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ نووي ٨٢/١٧ حديث رقم ٦٩٣٢ .

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ فتح ٣٤/٨، حديث رقم ٤٥١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم اذا كان به أذى، نووي ٣٦٠/٨، حديث رقم ٢٨٧٥ .

٤- الاتقان في علوم القرآن ٨٥/١ .

٥- هو محمد سعيد العشماوي، مستشار ورئيس محكمة الجنايات، ومحكمة امن الدولة العليا بمصر، مارس التدريس في عدد من الجامعات والمعاهد الشرقية والغربية، وله العديد من المؤلفات المطبوعة منها: معالم الاسلام، والاسلام السياسي، والخلافة الاسلامية وغيرها.

٦- اشار الى هذه المسألة في كتابه الربا والفائدة في الاسلام ص٣٣-٣٤، وقد تولى الرد عليه عدد من الباحثين أمثال الدكتور عمر عبد الله كامل في كتابه قراءة نقدية في فكر محمد سعيد العشماوي والرد على افتراءاته ص١١١-١١٨ .

٧- مقدمة في أصول التفسير ص٤٧ .

٨- تفسير المنار ١٣٤/١ .

٩- تفسير الطبري ٤٣٧/١ .

١٠- تفسير الطبري ٧٣٢/٢ .

١١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، فتح ٢٥٨/١، حديث رقم ١١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل ابي هريرة رضي الله عنه، نووي ٢٧٢/١٦، حديث رقم ٦٣٥٠ .

١٢- تفسير الكشاف ٢٩٣/٣ .

١٣- مجالس التذكير ص١٤٦ .

١٤- تنظر في هذه الضوابط في مجلة «مواكب» عدد ١٢، عام ١٤٢٣، مقال بعنوان «الاستشهاد بالآيات في غير ما نزلت فيه..» ص١٦، للدكتور مساعد ابن سليمان الطيار.

تنوع أساليب القرآن الكريم ومقاصده

■ بقلم الدكتور عبد الله أحمد الزيوت

لقد شملت هداية القرآن الكريم جميعَ المصالح العامة والمقاصد الكليّة، التي جاء التشريع الإسلامي بحفظها ورعايتها، وشملت أيضاً النَّاس كلَّهم في كل الأمكنة، وفي كل الأزمنة، دون تمييز بين جنسٍ وآخر، أو عِرقٍ وآخر، أو لون وآخر، أو بيئة وأخرى.

ولمّا كان القرآن العظيم كتاب هداية نزل لِهداية النَّاس - في كل عصر ومصر - للحق، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وتبصيرهم بسبل الوقاية والنّجاة من الشرور والآثام، وكان النَّاس متباينين في مداركهم وأفهامهم ، مختلفين باختلاف بيئاتهم واستعداداتهم.. كان من الحكمة أن تتنوع أساليب القرآن الكريم وأن تتعدد طرقه؛ من أجل أن تلائم أحوال النَّاس على اختلاف بيئاتهم وقيمهم وعاداتهم، وما طُبعت عليه نفوسهم من تباينٍ في التكوين والاستعداد، أو في الثقافة والتفكير، ومن أجل أن يُحقّقَ مقاصدَه المتنوعة، وأهمها، وعلى قِمّتِها توحيد الله تعالى والإخلاص في عبادته تعالى وحده من غير شرك ولا نفاق.

وقد جاء التنبيه إلى هذا التنويع في غير ما آية من آيات القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾** الإسراء: ٤١ .

والصرف: رد الشيء من حالةٍ إلى حالة، أو إبداله بغيره ، والتصريف

كالصرف إلا في التكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر، وتصريف الرياح: صَرْفُها من حال إلى حال، ومنه: تصريف الكلام، وتصريف الدراهم[(١)].

ويخرج لفظ التصريف إلى معانٍ عدة، منها: التزيين والزيادة، والترديد والتكرير، والتبيين، والتنويع.

جاء في معجم مقاييس اللّغة: صَرْف الكلام: تزيينهُ والزِّيادةُ فيه، سُمِّيَ بذلك لأنَّه إذا زيِّن صرف الأسماعَ إلى استماعه[(٢)].

وقال الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الأعراف: ٥٨: نردّدها ونكرّرها[(٣)].

وقال الفخر الرازي: "التصريف في اللغة عبارة عن صرف الشيء من جهة إلى جهة ، نحو تصريف الرياح وتصريف الأمور هذا هو الأصل في اللغة ، ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين ؛ لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ومن مثال إلى مثال آخر، ليكمل الإيضاح ويقوي البيان"[(٤)].

وعلى هذا فالتصريف في القرآن يعني التنويع، والانتقال من حال إلى حال بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، بمعنى أنَّه يتضمن الأحكام التشريعية، والعقائد، والأخلاق، وغيرها، ويأتي بها بأساليب متنَوِّعة، من وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب، ونحوها، ويعرض هذه الأساليب بطرق مختلفة، غاية في الوضوح والبيان، والروعة والإعجاز، الأمر الذي جعله يشدّ الأسماع إلى السماع، ويستميل النفوس ويؤثر فيها.

قال بعض المفسرين في معنى تصريف القرآن: لم يجعله نوعاً واحداً، بل وعداً، ووعيداً، ومحكماً، ومتشابهاً، ونهياً، وأمراً، واخباراً، وأمثالاً، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال، وتصريف الأفعال من الماضي، والمستقبل، والأمر، والنهى، ونحوها[(٥)].

ولعلّ قولهم هذا ينسجم مع حذف مفعول ﴿صَرَّفْنَا﴾، والذي يعمّ ما ذكروه، ويشمل أنواعاً أخرى لم يذكروها، كالمواعظ، والأحكام، والحجج والبراهين، وتنويع طرق الترغيب والترهيب والتربية، والتي عُرِضَت بأساليب متنوّعة، وطرق مختلفة، تناسب اختلاف طبائع الناس، ومستويات قُدراتِ الفهم لديهم، وبحسب ما لدى أصنافهم من استعدادات للاستجابة،

وقدرةٍ على مخالفة أهوائهم وشهواتهم.

ويستوفي هذا التصريف كل الاحتمالات التي يُرجى نفعها ولو لبعض الأفراد أو الجماعات، لقطع أعذار المكلفين؛ حتى لا تكون لهم حُجَّة عند الله تبارك وتعالى.

ومن الآيات التي تُنَبِّه إلى هذه التنوع قوله تعالى: **﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾** الأنعام: ٤٦، وقوله تعالى: **﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾** الأنعام: ٦٥، وقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** الأحقاف: ٢٧ .

وتصريف الآيات: تنويعها، ونقلها من أسلوب إلى أسلوب، تارة بالترغيب، وتارة بالترهيب، وتارة بالوعد، وتارة بالوعيد، وأخرى بالتذكير بالنِّعم، ومرة بالدعوة إلى التفكّر، والاعتبار بما حلَّ ببعض الأمم[٦].

وليس هذا فحسب، بل إن القرآن الكريم يُنَوِّع الوعيد ويُصرِّف الإنذار على أوجه مختلفة؛ ليُنبِّه أهل الغفلة، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾** طه: ١١٣، فكما أنزل الله تعالى تلك الآيات المشتملة على الوعيد، أنزل القرآن كلَّه بلغة العرب؛ ليفهموه ويهتدوا به، ونوّع فيه الوعيد أنواعاً كثيرة[٧]، تارة بذكر آثار الذنوب، وتارة بذكر أحوال القيامة وأهوالها، وأخرى بذكر النَّار وما أُعدَّ لأهلها من أنواع العقاب وأصناف العذاب، إلى غير ذلك من أنواع الوعيد، ولا ريب أن كلّ نوع يُصادف هوى في نفس أحد المستقبلين، فالخطاب يشمل الأهواء كلها بكل مستوياتها، العالم والجاهل ومتوسط الفكر، الكل يجد في القرآن مَا يناسبه.

وقد بيَّنت الآية الكريمة أنَّ من مقاصد إنزال القرآن بلسان عربي وحِكَمه ، وتصريف الله فيه من أنواع الوعيد أن يتّقيَ النَّاسُ ربَّهم، فيتركوا الكفر والفسق والمعاصي، أو يُحدثَ لهم هذا الكتاب العزيز موعظة وتذكُّراً، يهديهم إلى الحقِّ، فيعملون من صالح الأعمال ما ينفعهم في العاجل والآجل.

وأخبر الله أنّه صرَّف في هذا القرآن للنّاس أنواعًا كثيرة من الأمثال، فقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾** الإسراء: ٨٩، وتصريف الأمثال يعني ردها وتنويعها، وتحويلها من أسلوب إلى آخر، وعرضها بصور متباينة، تناسب شتى العقول، وشتى الأجيال والأطوار؛ ليتعظوا بها فيؤمنوا بالله، وتنبيهاً لهم على

الحقّ ليهتدوا إليه ويعملوا به، ويبتعدوا عن الكفر والمعاصي متى أعملوا عقولهم لتدبرها وفهمها، ولكنّ أكثر الناس عطلوا عقولهم - التي ميّزهم الله بها - عن فهم أمثال القرآن الكريم وتدبرها، ورفضوا الإذعان لأمر الله، وازدادوا نفورًا عن الحقّ الواضح لهم وضوح الشمس في رابعة النهار... بل كانوا أكثر المخلوقات خصومة وجَدَلاً.!

وفي ضوء ما تقدم فقد بان أنَّ أساليب القرآن العظيم متنوّعة، وطرائقه مختلفة، وأنَّها تستوعب جميع النَّاس على اختلاف قيمهم وعاداتهم، وتباين طبائعهم، وأفهامهم، وثقافاتهم.. وتراعي طبيعة النفس البشرية المجبولة على محبّة ما فيه نفعها ومصلحتها، وكُره ما يضرها ويؤذيها، بحيث تقطع الأعذار، ولا يبقى معها لأحد عصى الله وخالف أمره حُجَّةً عند ربه، وتكون للَّهِ الحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

وهذا التنويع والتغاير في الأساليب منهج مقصود، له حِكَمٌ وأسرارٌ، وله أهداف يرمي إليها؛ أولها وأهمها تحقيق الغاية التي خلق الله الخلق لها، وهي عبادته وحده لا شريك له، **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** الذاريات: ٥٦ .

وهذه العبادة ليست محصورة في أركان الإسلام كالصلاة والصوم مثلاً، وإنَّما "تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال حكاية عن رسوله ﷺ: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** الأنعام: ١٦٢-١٦٣ .

ومنها: التنبيه على دليل من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وأنَّه منزَّل من عند الله، إذ إنَّ تنويع الآيات، وعرضها بأساليب متعددة، وطرق مختلفة - كلّها في البلاغة سواء - أشدّ تعجيزاً لمن يحاول معارضته عن أن يأتي بمثله، ولا ريب أنَّ ذلك التنويعَ لا يَرِدُ بتلك الصورة في كلام البشر، ولا شك أن القارئ - المنصف - لآيات القرآن الكريم لا يحتاج لأكثر من التمهل والانتباه، وقليل من التدبر حتى يدرك أن هذا إنَّما هو كلام الله إلى كل خلقه، يُعلن فيه عن نفسه، ويتجلى بشتى أنواع الخطاب مخاطبًا الرسول ﷺ، ومخاطبًا فئات من الناس، والناس جميعًا، إذ ليس في مقدور بَشَرٍ أن يأتي بكلام بهذا الطول وهذا التنوع، وعلى درجة واحدة من الفصاحة والبلاغة، وقوة التأثير.

ومنها على سبيل الإجمال: تقرير

الحـجج والدلائل، والمبـالغـة في ترسـيخ الأحكام والتكاليف، وشرح الصدور، وتثبيت النفوس وتسليتها، وتجديد نشاطها، ودفع السـآمـة والمَلَل عنها، وتقـريب المعنى إلى الأفـهـام بما يُعينُ على قـبـوله والعـمل بمضمونه؛ ذلكم أنَّ طبع الإنسان جُبِلَ على الملال، فكلما انتقل من أسلوب إلى أسلوب انشرح صدره، وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته، ويصير أقرب إلى فهم معناه والعمل بمقتضاه.

وهكذا تتنوّع آيات القـــرآن الكريم وتُعرَض بأساليب متعددة، وطرق مختلفة **﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** ق: ٣٧ .

وقد كان التنويع في الأساليب رحمة من الله، ومنّة يمنّهـا على النَّاس، وكـان في الوقت نفسه دليلاً من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وسرّاً من أسراره، وخاصية من خصائصه التي تميّز بها عن الكتب السَّماوية السَّابقة.

ومن خلال تنوع أساليب القرآن الكريم نُدرك أهمية تنويع الأساليب الدعوية؛ فعلى الدعاة إلى الله تعالى مراعاة ذلك، وعليهم أن يسلكوا في دعوتهم أساليب متعددة، يُراعوا من خلالها أحوال المدعوين، في منازلهم وطباعهم، وقربهم وبعدهم من الخير، فما يناسب شخصًا لا يُناسب آخر، وما يتقبله شخص قد يرفضه آخر، ولهم في أساليب القرآن الكريم وتنوعها أمثلة بالغة الحكمة، وعليهم أن يتأسوا بإمام الدعاة نبيّنا محمد ﷺ؛ فقد تنوعت أساليبه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، واستخدم كل الوسائل المشروعة المتاحة في عصره، وقد قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** الأحزاب: ٢١ .

الهوامش:

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٢٨٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٤٣/٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ١٠٧.

(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠/ ١٧٣

(٥) انظر مثلاً: القرطبي، الجامع لأحكام القران، ١٧٢/١٠.

(٦) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٤٠٩، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٣٤/٣.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٩٠/٣، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤٤/٦، الآلوسي، روح المعاني، ٢٦٦/١٦ .

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾

■ بقلم الاستاذ محمد السعدي

لقد أكرمنا الله تعالى ببعثة المصطفى محمد ﷺ، وزادنا فضلاً وكرماً بأن انزل عليه القرآن ليخرجنا به من الظلمات الى النور، ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، ومن جحيم المعصية الى جنة الطاعة، ومن دوامة العقائد والفلسفات الوضعية الى واحة الحقيقة المطلقة الخالدة: ﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾ ابراهيم: ١، ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ الاسراء: ١٠٥ .

وما من امر جامع يحقق مصالح الناس ويسعدهم في دنياهم وأخراهم، الا له في القرآن ذكر وبيان ﴿**ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً**﴾ الاسراء: ٩، ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾ النحل: ٨٩ .

ولا حاجة للمسلمين بالعودة الى الكتب السماوية السابقة بحثاً عن الحق والهدى، فالهداية التامة، والحق المطلق، انما هو بين دفتي القرآن العزيز، الذي جعله الله الصورة الأخيرة للدين، والمرجع الأخير للعقيدة، وجعله سبحانه فرقاناً بين الحق والباطل وأميناً ومهيمناً على الكتب السماوية السابقة التي طالتها يد العبث والتحريف: ﴿**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً**

عليه﴾ المائدة: ٤٨ .

ولقد أتم الله لنا النعمة، وأجزل لنا العطية، بأن تكفل بحفظ هذا الكتاب وحمايته من كل محاولة للتحريف والتزييف، حتى لا تكون فتنة للمؤمنين، ولا مطعن للكافرين: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾** الحجر: ٩ .

وبسبب هذه العصمة الربانية، وهذه الرعاية الإلهية، ما زال هذا الكتاب منذ اربعة عشر قرناً وسيظل الى قيام الساعة، مصوناً خالداً يهدي الحيارى الى الصراط المستقيم، صراط الحق والنعيم: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً﴾** النساء: ١٧٤ .

وسيظل هذا الكتاب الى ان يرث الله الارض ومن عليها المعجزة الخالدة، والحجة الدامغة التي تشهد على صدق رسالة محمد ﷺ **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** الاسراء: ٨٨ .

وحينما كان المشركون يطالبون نبينا ﷺ بعرض المعجزات المادية التي أيده الله بها كان الله تعالى يسترعي انظارهم الى ان المعجزة بين ايديهم تتلى عليهم آناء الليل وأطرف النهار **﴿وقالوا لولا انزل عليه ءايات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين ❖ أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** العنكبوت: ٥٠-٥١ .

ان هذا الكتاب هو دستور حياتنا، ومنهج سلوكنا، وسبيل عزتنا وسعادتنا، وحتى تظل الصلة قائمة بيننا وبين هذا الكتاب، أمرنا الله تبارك وتعالى ان نُقبل عليه ونتلوه حق تلاوته: **﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾** المزمل: ٢٠، **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾** القمر: ٢٢، فلبوا ايها السادة القراء نداء الله ورتلوا القرآن ترتيلاً، واعلموا ان لكم في تلاوة القرآن فضلاً كبيراً، وثواباً عظيماً.

وحسبكم قول نبيكم محمد ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر امثالها لا أقول: الم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، وقوله: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

واذا كنتم تطمعون ان تجدوا من يشفع لكم يوم القيامة، فالقرآن الكريم يشفع لكم اذا تعهدتموه في الدنيا وانزلتموه المنزلة التي يستأهلها، يقول المصطفى ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة

شفيعاً لأصحابه»، واذا كنتم تطمحون الى المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة، فتعلموا تلاوة القرآن وعلموها ازواجكم وأبناءكم وجيرانكم وتلاميذكم، يقول سيد المرسلين ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ولا يعتذرن احد بأنه يجهل التلاوة فالجاهل ينبغي ان يتعلم وينبغي ان يحاول ويبذل كل ما في وسعه، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه، له اجران كما بين خاتم المرسلين محمد ﷺ.

وان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ يتلو القرآن في معظم الاحيان وفي مختلف الاحوال، وكان يتلوه آية آية في تدبر وتمعن وعلى مهل، وكان ﷺ يحب ان يستمع الى تلاوة القرآن من غيره، وقد روي انه طلب مرة من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان يسمعه قرآناً، فتردد وقال: أأقرأ وعليك أنزل؟ فقال ﷺ: «اني احب ان اسمعه من غيري» فقرأ له ابن مسعود من سورة النساء حتى اذا وصل الى قوله تعالى: **﴿فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ❖ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾** النساء: ٤٠-٤١، فقال رسول الله ﷺ: «حسبك حسبك» واغرورقت عيناه بالدموع، شعوراً برهبة الموقف وثقل المسؤولية، وإشفاقاً على أمته وأتباعه من شهادة يوم الحساب.

واذا فاتنا ان نتلو القرآن لسبب او لآخر، فلا أقل من ان ننصت خاشعين حينما يُتلى على مسامعنا كما أمر منزل الكتاب جل وعلا: **﴿واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾** الاعراف: ٢٠٤ .

ان تلاوة القرآن الكريم لا تستهدف استمطار الرحمة على الأموات، ولا إطراب الكسالى وتسليتهم، ولا إظهار البراعة والتفوق في علوم التجويد والقراءات، وإنما تستهدف تنوير العقول، وإحياء القلوب، وإصلاح النفوس، فالقرآن نزل لإحياء الأموات لا لإماتة الأحياء: **﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾** الانفال: ٢٤ .

نزل القرآن الكريم لتتفكر فيه العقول، وتتأثر به القلوب، ويتحول هذا التجاوب وتلك المعايشة الى عقيدة صلبة، وعمل خلاق، وسلوك مستقيم **﴿كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الألباب﴾** ص: ٢٩، **﴿أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها﴾** محمد: ٢٤ .

وكم وبخ الله تعالى اليهود لأنهم لم يفقهوا تعاليم التوراة، ولم يضعوها موضع التطبيق تحذيراً للمسلمين من هذا السلوك

الشنيع **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾** الجمعة: ٥، وكم اثنى الله عز وجل على المؤمنين الذين يتبعون التلاوة بالالتزام بتعاليم الدين والعمل الصالح **﴿ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ❖ ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور﴾** فاطر: ٢٩-٣٠ .

ان هذا الكتاب ينبغي ان نقبل عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل، وان نتلقى اياته كما يتلقى الجندي اوامر قائده في الميدان.

ان هذا الكتاب لم ينزل لنزين به المكتبات ولا لنقرأه على الاموات، ولا لنتخذه احرازاً وتعاويذ، وانما نزل ليكون منهج الحياة، ودستور الدولة، وشريعة المجتمع، نزل ليتحول الى قوانين تنظم حياة الناس، ومناهج تهدي العقول، وتصلح النفوس، وتهذب الأخلاق، نزل ليتحول الى صدق في القول، وأمانة في العمل، وجهاد في ميادين الحياة.

ان القرآن الكريم اذا صادف حساً مرهفاً، وقلباً سليماً، ونفساً توّاقة الى الحق، يفعل الأعاجيب، ويفجر طاقات الخير والإبداع في الانسان، ويتحول الى إيمان والتزام واستقامة وطهارة، يقول الحق جل وعلا في وصف هذا النمط الخير من الخلق: **﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ❖ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ❖ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾** السجدة: ١٥-١٧ .

ولقد قص الله سبحانه وتعالى علينا خبر طائفة من النصارى المنصفين، الذين ما ان سمعوا القرآن وأدركوا انه الحق من ربهم، حتى سارعوا الى الايمان والتصديق ونطقوا بشهادة الحق والتوحيد، يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون ❖ واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾** المائدة: ٨٢-٨٣ .

بل ان الجن انفسهم حينما سمعوا هذا القرآن يترقرق على لسان المصطفى ﷺ تفجرت ينابيع الهداية في قلوبهم، وتجاوبت مع دعوته فطرتهم، فهرعوا الى الايمان به وحمل رسالته: **﴿واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين**

❖ **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ❖ يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾** الاحقاف: ٢٩-٣٢ .

فامنحوا القرآن قلوبكم يمنحكم الهداية والايمان، وامنحوا القرآن عقولكم يمنحكم الحكمة والفرقان، وامنحوه سواعدكم يمنحكم الحضارة والعمران، لقد شكا رسول الله ﷺ الى ربه ما عاناه من إعراض قومه عن القرآن وهجرانهم للفرقان: **﴿وقال الرسول يا رب اني قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾** الفرقان: ٣٠ .

ولو كان ﷺ اليوم حياً لامتلأت نفسه بالحسرة، وارتفع صوته بالشكوى وهو يرى هذه الأمة تهجر القرآن، وتصم عنه الآذان، وتشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، تستبدل قانون الأرض الجائر بقانون السماء المعصوم.

وتنسى هذه الأمة ان هذا الكتاب -وهذا الكتاب وحده- هو الذي صنع لها كياناً ودولة ومجداً وحضارة وبوأها سيادة العالم: **﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾** الانبياء: ١٠ .

والتاريخ خير شاهد على ان هذه الأمة عزّت يوم تمسكت بالقرآن، واعتصمت بحبله المتين، وسارت على صراطه المستقيم، وذلت هذه الأمة حينما أعرضت عن هذا الكتاب، ونحته عن مسرح الحياة والسياسة والاجتماع والاقتصاد: **﴿ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ❖ قال رب لما حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ❖ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** طه: ١٢٤-١٢٦ .

ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها، ولا منجاة لهذه الأمة ولا عزة ولا وحدة ولا نصر الا بالعودة الى كتاب الله.. وان هذا الكتاب الذي صنع بالأمس الأبطال، وربى الرجال وأحيا أمة، وأقام حضارة، لقادر اليوم ان يصنع نفس الصنيع، ويلعب ذات الدور، اذا اعدناه الى مكانته اللائقة، وحكمناه في سائر شؤون حياتنا.

ان الله استأمننا على هذا الكتاب، وحملنا مسؤولية هذه الرسالة، وهو سائلنا يوم القيامة عما استرعانا حفظنا أم ضيعنا: **﴿فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم ❖ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾** الزخرف: ٤٣-٤٤، فإلى القرآن أيها المسلمون، الى التلاوة الحقة، والتدبر الخلاق، والتطبيق والعمل، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

رمضان شهر القرآن

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

يشتاق الصائم في رمضان إلى قراءة القرآن؛ وذلك لأسباب:

١ . موافقة النزول ومدارسة جبريل: فقد نزل القرآن في شهر رمضان؛ قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(١)، ونزل كاملاً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلا)(٢)، كما كان جبريل عليه السلام ينزل بأمر ربه سبحانه وتعالى في ليالي هذا الشهر الكريم، فيدارسُ الرسول ﷺ ما سبق نزولُه من القرآن الكريم، وكان الرسول ﷺ حينذاك كالريح المرسلة في الجود والإنفاق في سبيل الله.

٢ . الشفاء في القرآن ورمضان: والشفاء في الصيام لا يخفى على كل ذي لُب، والأطباء يكتبون في ذلك ويقررونه، وأما القرآن ففيه الشفاء من الأمراض الحسية قال الله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارا﴾** فالقرآن هو الشفاء النافع، والقارئ طيب الرائحة، طيب المعشر، والمظهر والمخبر، ولا ينكشف إلا عن طيب، فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ: طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: (انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحي فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ والله إِنِّي لأَرْقِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِن الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ **﴿الحمد لِلَّهِ رَبِّ العالمين﴾** فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ)[٣] قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)[٤]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ في أذن مصاب **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾**[٥] حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ: ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال)[٦].

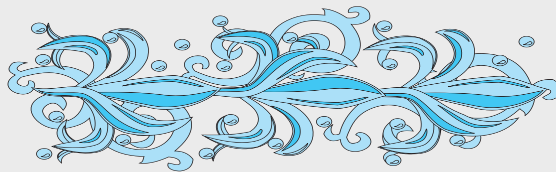
٣ . يوصلان إلى حب الله: قال الرسول ﷺ: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ المسك، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُما إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ (والقرآن يوصل إلى حب الله؛ فالصحابي الذي تعلق بسورة الإخلاص أحبه الله بها؛ فقد بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ **﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾**، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "سَلُوهُ، لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ"،

فَسَأَلُوهُ. فقَالَ: لأَنّهَا صِفَةُ الرّحْمَنُ، فَأَنَا أُحِبّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (أَخْبِرُوهُ أَنّ الله يُحِبّهُ)[٧].

٤ . يشفعان للعبد يوم القيامة: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ، ثَلاَثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا، حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)[٨]، وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ)[٩].

الهوامش:

١- سورة البقرة ١٨٥.
٢- الحاكم والطبراني.
٣- قلبة: علة.
٤- متفق عليه واللفظ للبخاري.
٥- سورة المؤمنون ١١٥.
٦- قال السيوطي في الدر النثور: أخرجه الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه.
٧- رواه البخاري.
٨- أخرجه أحمد وأهل السنن الأربعة وقال الترمذي: حديث حسن.
٩- رواه أحمد.



فضل القرآن الكريم على سائر الكلام

▪ بقلم الاستاذ محمد اسعد

خلق الله تعالى البشر لغاية عظيمة وحكمة جليلة، وهي تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجن وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، والعبادة هي حق الله الخالص على عباده لا يشاركه فيه أحد، قال ﷺ: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)(١).

ثم استخلفهم الله تعالى في الأرض واستعمرهم فيها، قال تعالى: ﴿هو أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود: ٦١ .

وبعث الله إليهم الرسل عليهم السلام، وأنزل عليهم الكتب، ليعرفوهم بربهم ويعلموهم كيف يعبدوه، قال تعالى: **﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾** طه: ١٢٣-١٢٤ .

فالكتب المنزلة من الله تعالى هي دساتير لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، وبينه وبني جنسه، حتى يقوم الإنسان بالقسط في عبادته لله وفي جميع شؤون

حياته المختلفة، قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ والميزان لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحديد فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** الحديد: ٢٥ .

ولا شك أن القرآن الكريم هو آخر هذه الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وهو أشرفها وأكملها، وهو أيضا ناسخ لتلك الكتب جميعا ومهيمن عليها، قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بالحق مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾** المائدة: ٤٨ .

القرآن الكريم هو: كلام الله العظيم وصراطه المستقيم، وهو أساس رسالة التوحيد، وحجة الرسول الدامغة وآيته الكبرى، وهو المصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، وهو الرحمة المسداة للناس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال الله عز وجل: **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾** الإسراء، وقال ﷺ: (فضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام، كفضل الله تعالى على خلقه) رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، ولا يعوج فيقوّم، ولايزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكلِّ حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: الم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر) رواه الدارقطني والحاكم وصححه، وتعقبه الذهبي بأن فيه راوياً ضعيفاً.

❖ فضائل تلاوة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه:

– أثنى الله عز وجل على التالين لكتاب الله فقال: **﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾** فاطر: ٢٩-٣٠ .

– وقال ﷺ: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي

يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم.

- وقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترُجَّة، ريحها طيب وطعمها طيب) رواه البخاري ومسلم.

- ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه، هو أكثر كمالاً لأنه مكمِّل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر على نفسه والنفع المتعدي إلى غيره، ولذلك قال ﷺ: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) رواه البخاري.

❖ فضائل حفظ القرآن الكريم:

- ميّز الله عز وجل القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: ٩ .

- ولقد يسّر الله سبحانه وتعالى تلاوة القرآن وحفظه لعباده فقال تعالى: **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾** القمر: ١٧، فنجد الطفل الصغير والأعجمي وغيرهما، يقبل على حفظ القرآن، فييسر الله له ذلك، رغم أنه لا يعرف من العربية ولا الكتابة شيئاً.

- ولقد حثّ الإسلام على حفظ شيء من القرآن ولو كان يسيراً، وأن يجتهد في الزيادة عليه، وشبّه النبي ﷺ قلب الرجل الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن بالبيت الخرب الخالي من العمران، المهدم الأركان .. قال ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه السيوطي.

❖ فضائل أهل القرآن الكريم وتفضيلهم على غيرهم:

أثنى النبي ﷺ على الدائمين على تلاوة القرآن ودراسته، العاكفين على تدبر معانيه وتعلم أحكامه، حتى سماهم أهل الله وخاصته.

- قال ﷺ: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة، وصححه الحافظ العراقي والسيوطي.

- وقال ﷺ: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) رواه البخاري.

- وقال ﷺ: (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط) رواه أبو داود، وحسنه النووي والسيوطي.

- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول: (أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإن أُشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد) رواه البخاري.

❖ تدبر القرآن الكريم ومعانيه وأحكامه:

- ينبغي عند قراءة القرآن أن يتدبّر القارئ ويتأمل في معاني القرآن وأحكامه، لأن هذا هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾** ص: ٢٩ .

- وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنزيه نزّه وعظّم، أو دعاء تضرّع وطلب.

- قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ" رواه البخاري.

❖ فضائل ختم القرآن، وفي كم يختم؟

- يستحب اغتنام ختم القرآن والدعاء عقبه لأنه من مظان إجابة الدعاء.

- قال قتادة: "كان أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا" رواه الدارمي.

- وأما المدة التي يختم بها القرآن فتختلف باختلاف الأشخاص، ولكن ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة.

- عن مكحول قال: "كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك".

- وكره العلماء أن يختم في أقل من ثلاث ؛ لقوله ﷺ: (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) رواه أبو داود والترمذي وصححه.

- وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: (اقرأ القرآن في شهر) قال: إني أجد قوة قال: (اقرأه في عشر) قال: إني أجد قوة، قال: (اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك) رواه البخاري ومسلم.

مرحباً بالزائر الكريم

■ بقلم الاستاذ عبد الله مصطفى محمد

رمضان ضيف عزيز، يحل علينا كل عام اياماً معدودات، وهو بين الشهور كيوسف عليه السلام بين إخوته، فلنقدر له قدره ولنستعد له بما هو اهله، قال الله تعالى: ﴿ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ التوبة: ٤٦، وهذه ومضات على طريق الاستعداد له.

❖ واشوقاه الى رمضان:

استحضر في قلبك احب الناس اليك، وقد غاب عنك احد عشر شهراً، وانك بشرت بقدومه بعد ايام قلائل، كيف شوقك الى لقائه؟

❖ الفرح بقدومه:

قال الله تعالى: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** يونس: ٥٨، فالفرح بالطاعات ومواسم الخيرات، فرع عن محبة الله تعالى، فهم يفرحون بفضل الله عليهم ان مد في اعمارهم وبلغهم صيام رمضان وقيام ليله.

❖ الدعاء:

فقد كان السلف الصالح يستقبلونه بالدعاء: «اللهم بلغنا رمضان.. اللهم سلمنا لرمضان وسلم رمضان لنا، وتسلمه منا متقبلاً».

❖ القلوب بين الخوف والانقطاع ورجاء البلاغ:

القوم على سفر فمنهم من تنقطع به

الطريق، ومنهم من يصل فهل نبلغ رمضان ام تقصر بنا الاعمار كما قصرت بإخواننا الذين صاموا معنا العام الماضي، وانقطع حبل عمرهم فلن يصوموا معنا هذا العام؟

❖ صدق العزم:

رمضان فرصة، والفرص اذا فاتت قد لا تتاح مرة أخرى، فاعقد العزم على ان تصوم صياماً لم تصمه من قبل، وحدث نفسك: «لئن اشهدني الله رمضان لأصومنه صيام مودع».

وقل لها: «لقد اشهدني الله رمضان اعواماً عديدة ففاتني من الخير الكثير، فلئن اشهدني الله الشهر ليرين ما اصنع».. قل لنفسك: «لسوف اعرضك هذا العام على ربي أخذك ام تركك».

فالصدق في العزم، قال الله تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾** الاحزاب: ٢٣ .

❖ التوبة:

كيف تزرع في ارض كلها آفات؟ فطهر تربة قلبك قبل موسم الزراعة، واغسله بماء التوبة وثلج الانابة وبرد الاستغفار: «اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» فالقلوب موضع نظر الرب من العبد، فهل تحب ان ينظر الله الى قلبك فيجد فيه رجس الشرك، ودنس المعاصي وقذر الحقد والحسد والغل، وغيرها من المهلكات؟!.

❖ العلم قبل العمل:

كم حسنات فاتت! وكم من اعمال احبطت بسبب الجهل! فلنجلس لنتعلم شيئاً من فضائل الصيام، واحكامه وآدابه قبل ان نصوم، قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجة، وصححه الألباني.

❖ رفع درجة الاستعداد:

من سيدخل معركة يرجو النصر فيها، ومن سيدخل امتحاناً يأمل النجاح فيه استعداداً يليق بما يؤمله من النصر والنجاح، ونحن نستقبل شهراً ترفع فيه الدرجات، وتضاعف فيه الحسنات، وتحط فيه السيئات وتعتق فيه الرقاب من النيران، فعلينا ان نرفع درجة الاستعداد بالمحافظة على الصلوات في جماعة، واتباع الفرائض بالنوافل، وقيام الليل،

وذكر الله تعالى، وغيرها من الطاعات.

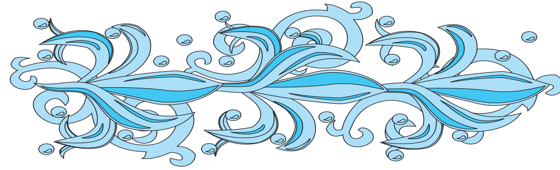
❖ الاكثار من الصيام في شعبان:

صوم شعبان كالسُنَّة القبلية قبل رمضان، وفي صيامه تدريب للنفس، وهو دليل على محبة الصيام والشوق له، حتى اذا جاء رمضان، صامت النفس صيام المتلذذ، لا صيام المتألم، وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الصيام في شعبان، وكان رسول الله ﷺ يصوم اكثر شعبان كما جاء في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

❖ جهز من الآن حقيبة صائم ضع فيها:

مصحفاً فإن شهر رمضان شهر القرآن، فلك ورد حفظ وورد قراءة وورد تدبر، وهو معك في مسجدك وبيتك وعملك ومواصلاتك. وضع فيها سواكاً فهو مطهرة للفم مرضاة للرب، فستحتاجه قبل وضوئك وعند صلاتك وعند قراءة القرآن، وعند الانتباه من النوم.

اللهم بلغنا رمضان



المرض الذي يبيح الفطر في رمضان

■ بقلم الدكتور عبد الستار حامد الدباغ

جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للناس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[١] وقال تعالى: ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾[٢].

ومن هذه الرحمة ان الاسلام رعى مصلحة الناس كافة في أمر الدين والدنيا، والمصلحة التي تحققها الأحكام الشرعية وتثبتها النصوص، هي المصلحة الحقيقية[٣] المحضة لا مشقة فيها ولا حرج، قال الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً الا وسعها﴾[٤]، وقال جل وعلا: ﴿لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها﴾[٥] وقال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٦].

وقد أكدت نصوص الشريعة بمجموعها، ان الأمور الاهم والتي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث اذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة وفي الأخرى يفوت النعيم[٧] هي خمسة أمور سماها الأصوليون: «الضروريات الخمس» وهي[٨]: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل. وأما ترتيبها فقد اختلف فيها الأصوليون[٩] فقال بعضهم: الدين أولاً ثم النفس ثم العقل ثم النسل «العرض» ثم المال، وقال آخرون: النفس ثم الدين ثم العقل ثم

النسل ثم المال.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**﴾[١٠] وقال عز من قائل: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم**﴾[١١].

وفي هاتين الآيتين دليل على وجوب حفظ النفس وحرمتها، وقد دلت أحاديث كثيرة توافق في معناها هاتين الآيتين، دلت على حرمة قتل النفس او تعذيبها.

وعموم نصوص الشريعة دالة بالاستقراء على أهمية النفس عامة والبشرية خاصة والمسلمة بوجه أخص، فكان جواز أكل الميتة المحرمة حال الاضطرار، لحفظ النفس خروجاً عن الحكم الثابت في آيات، منها قوله تعالى: ﴿**حرمت عليكم الميتة..**﴾[١٢] والأدلة كثيرة على مقدار حرمة النفس.

هذا وقد اتفق العلماء جميعاً على ان الصوم اذا وصل بالانسان الى الهلاك، ولو كان بلا مرض اصلي فقد وجب عليه الفطر فكيف اذا كان ثمة مرض اصلاً.

ومن هنا فقد اجمع العلماء على جواز فطر المسلم اذا كان مريضاً، وذلك لما ثبت بآية كريمة حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فمن كان مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر﴾[١٣]، وكل هذا لحفظ النفس الانسانية الذي هو من مقاصد الدين وكلياته، لكنهم اختلفوا في حد المريض الذي يباح له الفطر الى قولين:

الاول: ان اي مرض يطلق عليه اسم المرض مطلقاً فهو مبيح للفطر، وهو قول عطاء وابن سيرين والحسن في احدى الروايتين عنه وبه أخذ الظاهرية[١٤] وداود.

فقد أخرج القرطبي بسنده قال: قال طريف بن ثمال العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل، فلما فرغ قال: انه وجعت اصبعي هذه[١٥].

وروى القرطبي عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: من اي مرض يفطر؟ قال: من اي مرض كان، كما قال تعالى: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾[١٦] وذكر القمّي في الرغائب والغرائب ان قوله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه**﴾[١٧] راجع الى المرضى فمن كان منهم يطيقه أفطر وأطعم[١٨] وروي عن البخاري انه قال: اعتللت بنيسابور علة خفيفة، وذلك في شهر رمضان فعادني

اسحق بن راهويه في نفر من اصحابه فقال لي: افطرت يا أبا عبد الله؟ فقلت: نعم، فقال: خشيت ان تضعف عن قبول الرخصة[١٩].

واما حجة اصحاب هذا القول فظاهر الآية على اطلاقه، وبأن المسافر يباح له الفطر وان لم يحتج اليه فكذلك المريض، ويرد عليه بأن المريض مرضاً خفيفاً شاهد للشهر لا يؤذيه الصوم فكان كالصحيح، والآية التي وردت في المريض والمسافر وليس بينهما تشابه كلي، فليس طول مدة المرض شرطاً في جواز الفطر اجماعاً، واما طول مدة السفر او مسافته على الاقل فهي شرط لصحة الفطر فيه.

فالسفر اعتبرت فيه مظنة المشقة، وهي انما تكون في السفر الطويل، ولم يمكن اعتبار الحكمة بنفسها اذ انها غير منضبطة، فإن قليل المشقة لا يبيح الفطر وقد يوجد دون سفر، وكثيرها يختلف باختلاف المكلفين وأحوالهم، فكانت اباحة الفطر في مظنتها، وهو السفر الطويل، وهو محدد منضبط.

واما المرض فلا ضابط له فمن الأمراض ما يفيدها الصوم، ومنها لا يؤثر فيها كالجرب وأمراض الجلد والفقرات، بل وبعض امراض الجهاز الهضمي فلم يصلح المرض ضابطاً، بل ولا المشقة مع المرض اذ قد يكون الدواء في الصوم، وانما اعتبر الضرر هو الضابط، فما يخاف معه الضرر بالصوم جاز لصاحبه الفطر[٢٠].

القول الثاني: ان للمرض الذي يبيح الفطر شروطاً، ان تحقق بعضها جاز له الفطر، لأن جواز الفطر انما وقع رخصة لنا، ولدفع الحرج والمشقة عنا، ولذلك قرنه بالسفر في الآية الكريمة فإذا لم يوجد الضرر فلا معنى للفطر[٢١]، واما إن لم يتحقق شيء منها لم يجز له الفطر.

وقد اختلفوا في تحديد هذه الشروط على ان بعضهم لم يذكر الا شرطاً واحداً منها، وبعضهم توسع فيها ومن هذه الشروط:

١- ان يكون الصيام يُجهده[٢٢]، قال مالك: والأمر الذي سمعت من اهل العلم، ان المريض اذا اصابه المرض الذي يشق عليه الصيام معه ويتعبه ويبلغ ذلك منه، فإن له ان يفطر[٢٣]، سئل الحسن البصري: متى يفطر الصائم؟ قال: اذا اجهده الصوم[٢٤]، ونقل الصابوني المعاصر عن الأصم أنه قال: الفطر يباح في حالة

المشقة والجهد مع المرض واما المرض الذي لا يُجهد الصائم فلا يجوز له الفطر[٢٥].

٢- ان يزيد الصوم في مرض الصائم: قال الامام الشافعي رضي الله عنه: وان زاد مرض المريض زيادة بيّنة أفطر[٢٦]، وقد شرط كثير من العلماء هذا الأمر ليباح الفطر[٢٧] وتعليل ذلك ان زيادة المرض مفضية الى الهلاك[٢٨] وكما بينا فإن حفظ النفس من الضروريات التي كان من مقاصد الاسلام حفظها وحمايتها.

٣- ان يتأخر برؤ المريض[٢٩] وان لم يكن في صيامه زيادة في مرضه أو مشقة.

٤- ألا يستطيع القيام للصلاة، نقل الطبري في تفسيره عن الحسن وابراهيم انهما قالا في تفسير المرض: «هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعداً»[٣٠].

ونقل عن النخعي انه قال: «ان لم يستطع المريض القيام للصلاة أفطر»[٣١]، قلت: والحق ما ذهب اليه الجمهور، لأنه القول الذي يوازن بين حرمة العبادة وجلالها، أخذاً بروح النص وحكمته، وبين ألا تكون العبادة سبباً في المشقة والحرج، وهو ما يتنافى وطبيعة المنهج الرباني عموماً[٣٢]، وقد يكون من الأمراض ما يمنع من الحركة كلياً أو جزئياً بحيث لا يستطيع المريض القيام للصلاة، لكنه يستطيع دون ادنى مشقة الصوم، وذلك كأمراض الظهر «الدسك» والرقبة، والشلل النصفي والكلي، ومرض خشونة غضاريف الركبتين وغيرها من الامراض، التي لا علاقة لها بالجهد العام والمشقة الكلية، بل على العكس، يكون المريض متمدداً -كعلاج منها- طيلة ليله ونهاره، وما لم يكن للفطر اسباب اخرى كتناول الدواء أو مرض آخر فلا يباح له الفطر، والله أعلم.

وتحت هذا العذر مسائل متعلقة به:

المسألة الأولى: الفطر نهاراً بعد الشروع في الصوم بسبب المرض:

يجوز الفطر لمرض معين ظهر في اثناء الصوم، كأن ارتفع ضغط المريض او جاءت نوبة الحمى او لُسع، فيجوز له الفطر للتداوي من ذلك كله[٣٣]، قال القنوجي في فتح البيان: **﴿فمن كان منكم مريضاً او على سفر﴾**[٣٤] المرض في اثناء الصوم والسفر قبل الشروع في الصوم، وهذا سر التعبير **﴿على﴾** للسفر دون المرض[٣٥].

بل اوجب بعض الفقهاء على المريض ان يصوم مقدار ما يستطيع من النهار، فإن لم يجد قوة، أكل ويستحب ان يمسك بعد الاكل، ويأكل في الليل ما يتقوى به على

صيام جزء من النهار[٣٦].

المسألة الثانية: الشك في زيادة المرض:

اما الشك العارض بلا دليل فلا يجوز الفطر، فقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه: «وان كانت زيادته محتملة لم يفطر»[٣٧] ويحمل قوله على الاحتمال المجرد بلا قرينة، **والقرينة التي بها يتأكد جواز الفطر، نوعان:**

أ- قرينة داخلية[٣٨]: كأن يعلم المريض من نفسه علماً يقينياً، انه سيصيبه بسبب الصوم ان بقي صائماً ما يبيح له الإفطار.

قال الامام مالك رضي الله عنه: «وما الله أعلم بذلك من العبد، ومن ذلك ما لا تبلغ صفته»[٣٩]، ووجه الدلالة في قول الإمام مالك رضي الله عنه ان العبد يعلم من نفسه انه مريض، ويجوز له بتحصيل هذا العلم ان يفطر، وفي بعض هذه الحالات لا يمكن للطبيب -فضلاً عن غيره- تحديد حالة المريض، فيكون المعول في مثل هذه الحالة على المريض نفسه، اي على القرينة الداخلية.

وأما لو كانت له نوبة الحمى، فلا يجوز له ان يأكل قبل ان تظهر، لكن ان ظهرت لا بأس بفطره، وذلك قياساً على الحائض حيث لا يجوز لها ان تفطر قبل حيضها،

واما ان افطر ولم تظهر نوبة الحمى فيجب عليه القضاء وقيل: تجب عليه الكفارة ايضاً[٤٠].

ب- قرينة خارجية:

١- وذلك بإخبار طبيب حاذق له معرفة تامة بالطب، فلا يجوز تقليد من له أدنى معرفة بالطب، ويفضل ان يكون من اهل الاختصاص بنوع المرض[٤١]، وان يكون الطبيب مسلماً فلا يعتمد على قول الكافر، لاحتمال ان غرضه افساد عبادة المسلم كمن شرع متيمماً في الصلاة فوعده الكافر بإعطاء الماء فإنه لا يقطع الصلاة[٤٢].

وان يكون مستوراً غير ظاهر الفسق، يداوم على الفرائض ويمتنع عن الكبائر، وقيل: بل تشترط العدالة[٤٣] وقال المالكية: يقبل قول الطبيب المأمون[٤٤].

واذا اخذ بقول طبيب لم تتوفر فيه هذه الشروط وأفطر، فالظاهر لزوم الكفارة عند من يوجب الكفارة بغير الجماع من المفطرات، لأن هذا إفطار عمد بلا أمارة ولا غلبة ظن[٤٥].

٢- وقد تكون القرينة الخارجية بإخبار غيره وان كان غير طبيب شرط كونه مجرباً لنفس المرض، فيجوز له الفطر بناء

على مثل هذه القرينة[٤٦]، وقد قال الحنابلة: يجوز الفطر لقول مسلم ثقة[٤٧] ولو لم يكن طبيباً ولا مجرباً.

اما ان كانت القرينة اخبار غير الطبيب له، فلا يمكن الاعتماد عليه لأن أعراض الأمراض قد تتشابه ويختلف المرض اختلافاً كلياً، فارتفاع حرارة الجسم علامة دالة على الكثير من الأمراض منها ما يبيح الفطر ومنها ما لا يبيحه، لذا لا يصح اعتبار اخبار غير الطبيب قرينة دالة على جعل المرض المسبب لمثل هذه القرينة مرضاً مبيحاً للفطر، فكذلك كل الاعراض.

والذي يبدو لي والله اعلم انه لا ينبغي الاعتماد على قول غير الطبيب المأمون «الذي ليس من هدفه تخريب عبادة المسلم» او على تيقن المرء من نفسه والله اعلم.

المسألة الثالثة: الصحيح الذي يخشى المرض:

اختلف الفقهاء في حكم الصحيح الذي يخشى المرض بقرينة ثابتة، فقال الحنفية: هو كالمريض، اذا توفرت عنده ما ذكرناه من القرائن، فيجوز له الفطر[٤٨] وعند الشافعية لا يجوز له الفطر الا ان يمرض ويجد ألماً شديداً[٤٩]، وقال المالكية: ان الصحيح الذي يظن الهلاك مطلقاً او الأذى الشديد فهو كالمريض[٥٠]، وقال الحنابلة: ان الصحيح الذي يخشى المرض كالمريض[٥١].

المسألة الرابعة: هل يجزئ صيام من يباح له الفطر؟

اتفق جمهور الفقهاء على ان صيام من صام ممن يباح له الفطر من المرضى يجزئ[٥٢] وشذ الظاهرية فأوجبوا الفطر على المريض مطلقاً، وحرّموا عليه الصيام، واعتبروا صيامه معصية[٥٣] مستدلين بظاهر قوله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر﴾**[٥٤]، ولم يقل سبحانه: «فأفطر فعدة» فوجوب العدة يقتضي عدم صحة الصوم حال المرض.

ورد عليهم النسفي في تفسيره، فقال: «ومن فرض الفطر على المريض والمسافر فقد عدل عن موجب الآية»[٥٥]، ولست ارى الشعراوي المعاصر الا موافقاً لهم فيما ذهبوا اليه، حيث يقول في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «اي ان صوم المريض والمسافر قد انتقل الى وقت الاقامة بعد السفر والشفاء بعد المرض».

ونقول: ما لا يحتاج الى تأويل في

النص، اولى في الفهم مما يحتاج الى تأويل، وليكن أدبنا في التعبير ليس أدب ذوق بل أدب طاعة، لأن الطاعة فوق الأدب، ثم لماذا لا نفهم ان مراده سبحانه وتعالى هو ان فرض الصوم في أيام أخر للمريض والمسافر فلا يفيد صيامه، ولا يقبل منه على هذه الحالة، وهو ما ارتاح اليه»[٥٦].

ثم يقول بعد كل هذا الكلام الصريح في تأييد الظاهرية: «ولكن علينا ان ندخل في اعتبارنا ان المراد من المرض والسفر هنا: هو ما يخرج مجموع ملكات الإنسان عن سويتها»[٥٧].

قلت: كلامه هذا قد يوافق الجمهور في حد المرض من وجه، لكن اذا كان بعض الأمراض يخرج مجموع ملكات الانسان عن سويتها، فإن السفر ليس كذلك، فلا ينبغي ان يكون حكمها واحداً، ثم انه لا يشترط في المرض المبيح للفطر ان يُخرج جميع ملكات الانسان عن سويتها.

وعلى كل حال فإن ما ذكره من عدم جواز صوم المريض مخالف لما عليه الجمهور، قال الامام الطبري في تفسيره: «الجميع مجمعون على صحة صوم المريض الذي يبيح له مرضه بالاجماع الافطار، وعدم لزوم أداء أيام أخر مكان التي صامها»[٥٨]، وما ذلك الا لصدوره من اهله في محله وقول الظاهرية ومن وافقهم يقتضي تحريم الصوم على فئة في رمضان، وليس في الادلة ما يثبت ذلك ولا ما يؤيده.. وبهذا يتبين لنا رجحان قول الجمهور، والله تعالى اعلم.

وهذا كله اذا لم يخش على نفسه الهلاك، فأما اذا خشي الهلاك فقد أوجب الجمهور عليه الفطر واختلفوا.. هل يجزئ صيامه ان صام ام لا؟

والظاهر انه يجزئ وهو قول الجمهور[٥٩] وقال بعض الشافعية[٦٠] والظاهرية[٦١]: ان صيامه لا يجزئ، ولو وجب القضاء مع الأداء -كما هو رأي هؤلاء- لصار ما هو سبب للرخصة، سبباً لزيادة فرض لم يكن في حق غير صاحب العذر[٦٢].

فرع:

الذي يداوي المرضى، ويتوقف ذلك منه على افطاره جاز له الافطار وقد نص عليه الحنفية[٦٣] ذلك لأن المريض الواحد اذا خاف على نفسه، جاز له الفطر فكيف بمن يتوقف على فطره مداواة كثير من المرضى؟، ويمكن قياسه على الحامل والمرضع، ان خافتا على ولديهما لا على نفسيهما جاز لهما الفطر، والله تعالى اعلم.

الهوامش:

١- يونس: ٥٧ .

٢- الأنبياء: ١٠٧ .

٣- اصول الفقه، ابو زهرة (٣٦٤-٣٦٦) اصول الفقه الاسلامي، د. وهبة الزحيلي ١٠٢/٢ .

٤- البقرة: ٢٨٦ .

٥- الطلاق: ٧ .

٦- البقرة: ١٨٥ .

٧- الموافقات، الشاطبي ٨/٢ .

٨-٩- نفسه وانظر اصول الفقه الاسلامي، د. وهبة الزحيلي ١٠٢/٢ .

١٠- البقرة: ١٩٥ .

١١- النحل: ١٠٦ .

١٢- المائدة: ٣ .

١٣- البقرة: ١٨٥ .

١٤- المحلى، ابن حزم ٢٤٢/٦، تفسير الخازن ٢٠٤/١، القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٧٦/٢ .

١٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٧٦/٢-٢٧٧ .

١٦-١٧- البقرة: ١٨٤ .

١٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٦/٢ .

١٩- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٧/٢ .

٢٠- المغني، ابن قدامة ٤١/٣-٤٢ .

٢١- الزركشي على الخرقي ٦١٢/٢ .

٢٢- الكمال، فتح القدير ٣٥٠/٢-٣٥٢، حاشية ابن عابدين ٤٢٣/٢، كفاية الأخيار العيني ٢٠٦ .

٢٣- الاستذكار، ابن عبد البر ١٦٠/١٠-١٦١، شرح الزرقاني على موطأ مالك ١٨٤/٢ .

٢٤- تفسير الحسن البصري ١٣١/١ .

٢٥- تفسير آيات الأحكام ٢١٠/١ .

٢٦- الشافعي، الأم ١١٣/٢، اختلاف الحديث ٢٦٦/٧ .

٢٧- فتح القدير، ابن الهمام ٣٥١/٢، رد المحتار ٤٢٣/٢، المغني، ابن قدامة ٤١/٣ .

٢٨- المراقي ١٣٥، الطحاوي على المراقي ٣٧٣ .

٢٩- رد المحتار على الدر المختار ٢٢٣/٢، الفتاوى الهندية ٢٠٧١، المدونة ٢٧٧/١ .

٣٠- تفسير الطبري ١٥٤/٢، وتفسير البغوي ٢٠٤/١ .

٣١- الدر المنثور، السيوطي ٤٥٩/١، القرطبي ٢٧٦/٢ .

٣٢- احكام الصيام والاعتكاف د. محمد عقلة ٨٩ .

٣٣- حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٢ .

٣٤- البقرة: ١٨٤ .

٣٥- فتح البيان، القنوجي ٣٦٣/١ .

٣٦- منهج الطالبين ٩٦/٦-٩٨، مصنف عبد الرزاق ٢١٩/٤ .

٣٧- الأم ١١٣/٢ .

٣٨- الفتاوى الهندية ٢٢٧/١ .

٣٩- الاستذكار، ابن عبد البر ١٦٢/١٠ .

٤٠- حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٢، الفتاوى الهندية ٢٠٧/١ .

٤١-٤٢- الحاشية، ابن عابدين ٤٢٢/٢ .

٤٣- الفتاوى الهندية، ٢٠٧/١، الحاشية، ابن عابدين ٤٢٢/٢ .

٤٤- المعيار المعرب، الونشريسي ٤٢٠/١ .

٤٥- فتح القدير، ابن الهمام ٣٥١/٢، الفتاوى الهندية ٢٠٧/١، حاشية رد المحتار ٤٢٢/٢ .

٤٦- حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٢ .

٤٧- الاقناع الحجاوي ٣٠٨/١ .

٤٨- مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر ٢٤٨/١، مراقي الفلاح ١٢٦، حاشية الطحطاوي ٣٧٤ .

٤٩- المجموع النووي ٢٦٠/٦، كفاية الأخيار، العيني ٢٠٦ .

٥٠- اسهل المدارك ٤١٩/١، حاشية الدسوقي ٥٣٥/١، مواهب الجليل ٤٤٧/٢ .

٥١- المغني، ابن قدامة ٤٢/٣، الزركشي على الخرقي ٦١٢/٢ .

٥٢- مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر ٢٤٨/١، حاشية ابن عابدين ٤٢/٢، الاقناع الحجاوي ٣٠٩/١، المجموع النووي ٢٦٠/٦ .

٥٣- المحلى، ابن حزم، ١٨٥/٦ .

٥٤- البقرة: ١٨٥ .

٥٥- تفسير النسفي ١٠٤/١ .

٥٦-٥٧- تفسير الشعراوي ٧٧١/٢-٧٧٢ .

٥٨- تفسير الطبري ١٥٤/٢ .

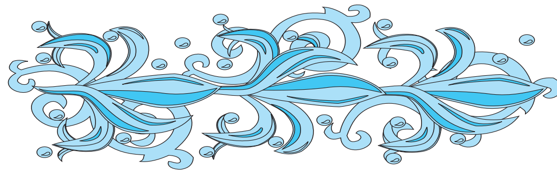
٥٩- ابن عابدين الحاشية ٤٢٢/٢، تبيين الحقائق الزيلعي ٣٣٣/١، المغني، ابن قدامة ٤٢/٣، الزركشي على الخرقي ٦١٢/٢ .

٦٠- كفاية الأخيار العيني ٢٠٦ .

٦١- المحلى، ابن حزم ١٨٥/٦ .

٦٢- بدائع الصنائع، الكاساني ٩٥/٢ .

٦٣- حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٢ .



استقبال رمضان المبارك

■ بقلم الطالبة رندة أنس الطويل

ينبغي للمسلم ألا يفرط في مواسم الطاعات، وأن يكون من السابقين فيها، ومن المتنافسين فيها، قال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

ومواسم الطاعات في الاسلام كثيرة، تضفي على المسلم سعادة وطمأنينة كلما تكررت، سيما وان الايمان يتجدد، ويزداد فيها، ولا غرو ولا عجب ان من اعظم هذه المواسم شهر رمضان المبارك، الذي يبتهج به المؤمنون ويفرح بمقدمه الموحدون، ويقبل عليه المسلمون، بكل جد وايمان ونشاط.

ولأهميته فإن المؤمنين يستقبلونه بكل فرح وحبور، وبوسائل وطرق محببة معظمة لهذه الشعيرة الاسلامية، فمن ذلك:

١- الدعاء بأن يبلغنا الله تعالى شهر رمضان ونحن في صحة وعافية حتى ننشط في عبادته عز وجل، من صيام وصلاة وذكر وقيام، فقد روي عن أنس رضي الله عنه انه قال: كان النبي ﷺ اذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان» رواه أحمد.

وكان السلف الصالح يدعون الله ان يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ان يتقبله منهم، فإذا هلّ هلال رمضان دعوا الله عز وجل وكبروا: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله».

٢- الحمد والشكر على بلوغه، قال النووي رحمه الله في كتابه الأذكار: «اعلم انه يستحب لمن تجددت له نعمة او اندفعت عنه نقمة ظاهرة، ان يسجد شكراً لله ويثني عليه لما هو أهله، وان من اكبر نعم الله عز وجل على عبده، توفيقه للطاعة والعبادة، فمجرد دخول شهر رمضان على المسلم، وهو في صحة جيدة، نعمة عظيمة تستحق الشكر والثناء على الله المنعم المتفضل بها، فالحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه».

٣- الفرح والسرور والابتهاج، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ انه كان يبشر أصحابه بمجيء شهر رمضان، فيقول: «جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح ابواب الجنان وتغلق ابواب الجحيم» رواه احمد.

٤- العزم والتصميم المسبق للاستفادة من شهر رمضان، فالكثير من الناس وللأسف الشديد يخططون تخطيطاً دقيقاً لأمور الدنيا، ولكن قليلون هم الذين يخططون لأمور الآخرة،فعلى المسلم ان يضع برنامجاً عملياً لاغتنام ايام وليالي شهر رمضان.

٥- عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة اوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه واعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال تعالى: **﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾**.

٦- العلم والفقه بأحكام شهر رمضان، يجب على المؤمن ان يعبد الله تعالى، على علم ولا يعذر بجهل الفرائض التي فرضها الله تعالى على العباد، ومن ذلك صوم رمضان فينبغي للمسلم ان يتعلم مسائل الصوم وأحكامه قبل مجيئه ليكون صومه صحيحاً مقبولاً عند الله، قال تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾**.

٧- العزم على ترك الآثام والسيئات والتوبة الصادقة من جميع الذنوب والاقلاع عنها وعدم العودة اليها، فهو شهر التوبة، فمن لم يتب فيه فمتى يتوب؟ قال تعالى: **﴿وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**.

٨- التهيئة النفسية والروحية من خلال القراءة والاطلاع على الكتب والرسائل وسماع الاشرطة الاسلامية من المحاضرات والدروس، التي تبين فضائل الصوم وأحكامه حتى تتهيأ النفس للطاعة

فيه، فكان النبي ﷺ يهيئ نفوس اصحابه لاستغلال هذا الشهر الفضيل فيقول في آخر يوم من شعبان: «جاءكم شهر رمضان شهر مبارك..».

٩- الاعداد الجيد للدعوة الى الله من خلال:

أ- تحضير بعض الكلمات والتوجيهات تحضيراً جيداً لالقائها في مسجد الحي.

ب- توزيع كتيبات ورسائل وعظية وفقهية متعلقة بشهر رمضان.

ج- اعداد هدية شهر رمضان.

د- التذكير بالفقراء والمساكين وبذل الصدقات والزكاة لهم.

١٠- فتح صفحة بيضاء مشرقة مع:

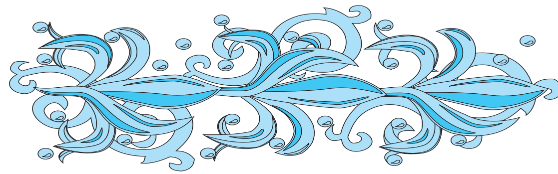
أ- الله عز وجل بالتوبة الصادقة.

ب- الرسول الكريم ﷺ بطاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر.

ج- مع الوالدين والأقارب والأرحام والزوجة والأولاد.

د- مع المجتمع الذي نعيش فيه.

هكذا يستقبل المسلم شهر رمضان المبارك، فاللهم بلغنا رمضان وتقبله منا إنك انت السميع العليم.



هل اشتقت لرمضان؟

■ بقلم الطالب يوسف خليل جبر

سؤال ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة ان يسأله لنفسه، ونحن قاب قوسين او ادنى من غرة الايام الفضيلة، وشامة زماننا وافضل ايام دهرنا، شهر رمضان المبارك، الذي جعل الله فيه من الخيرات ما لم يجعله في غيره، وتفضل به على هذه الأمة المرحومة بعطايا لم يجعلها لأمة سابقة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وانا لنرجو الله ان لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا.

والمؤمن يعلم ان ايام الله تتفاضل، وأزمنته تتباين، وانه اختار من الايام والاوقات ما فضله على غيرها، ومن اجلها موسم رمضان، فلذا كانت النفوس الشريفة تشتاق لرمضان، وتسأل ربها بلوغه، وكلنا في هذه الازمنة الغابرة التي تسلط فيها حب الدنيا على القلوب، والغفلة عن المواسم المباركة، صارت سمة بارزة عند الكثير، احببت في هذه العجالة، حث النفوس الغافلة لتستعد لهذا الموسم وتشتاق له.

اعلم رعاك الله انه لا بد لك ان تشتاق لرمضان، لأنك تعلم انه شهر تفتح فيه ابواب الجنة فتستقبل اعمال العاملين، وتفرح باجتهاد المجتهدين، وتسعد بلقاء المخلصين، المتاجرين مع ربهم جل وعز، تشتاق لرمضان لأنك تفرح بهذه الجموع المؤمنة وهي تؤم المساجد، وتقصد بيوت الله، تشتاق لرمضان لأنك تفرح لحال المؤمنين وقد صار القرآن أنيسهم

وجليسهم، تفرح بحال المؤمنين وقد تآلفت قلوبهم، واجتمعت نفوسهم بعد الشتات.

تشتاق لرمضان لأنك تعلم انه شهر تغلق فيه ابواب النار، فتتال فرصة للبعد عن الذنوب والمعاصي، والحذر من ناره، فتجد من نفسك النفور من المعصية والبطء عنها، وترى من نفسك ان عينيك قد كفت عن الحرام، وأذنك قد حفظت عن الآثام، وكلما دعاك داعي المعصية قلت له: اني أخاف الله.

تشتاق لرمضان لأنك تعلم انه شهر تصفد فيه الشياطين، فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه قبل، فيقل تسلطهم على العباد، ويحبس شرهم عن الخلق، وهذا تفسير ما نراه من اندفاع الناس الى الطاعة ونشاطهم فيها، وقلة وقوعهم في المعاصي، ولكن كم هو الألم يعتصر في الفؤاد لأنه لا يزال في الناس من لم يتخلص من تسلط الشيطان عليه، وتسييره له، فهو لا يزال مصراً على ترك الصلاة في جماعة، ومصراً على كثير من المعاصي والمحرمات، فبصره يسرح ويمرح هنا وهناك، واذنه لم يكفها بعد عما حرم، والقلب يتعلق بالملاذ، فليت شعري متى يعود مثل هذا؟

جاء في الصحيحين من حديث ابي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين» متفق عليه.

كيف لا تشتاق لرمضان وهو شهر مغفرة الذنوب، وإقالة العثرات، اريدك أن تتأمل في فضل الله على العباد ورحمته بهم، وانظر كيف يهيء لهم سبحانه وتعالى، مثل هذه المواسم المباركة، والأيام الفاضلة، ليغفر ذنوبهم ويمحو سيئاتهم، فما اعظمه من رب رحيم، وما اجله من إله كريم.

جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان، مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر».

وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

أرأيت هذا الفضل؟! وهل تدبرت في هذا العطاء؟! ذنوب عمر مضى، وعثرات سنين رحلت، يغفرها الله بفضل هذه

الطاعات، ابعد هذا لا تشتاق لرمضان؟!! ألا ترجو نيل هذه المغفرة وتطمع بالفوز بهذا العطاء؟!! اذاً حرك قلبك بالشوق الى رمضان.

كيف لا تشتاق الى رمضان وقد جعل الله عبادة الصوم عبادة خالصة له من بين سائر العبادات، وما ذاك اخي الا لما ينتظر الصائمين المخلصين من الثواب الذي لا يخطر لهم على بال، ولا تسل عن الثواب الذي يكون لهم لأن الله قد قال فيه: «إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به» رواه الامام البخاري في صحيحه.

وهنا تقف عبارة كل كاتب مسيرة امام هذا الفضل، يا مقبلاً على شهر رمضان وانت تجهد في الجوع والعطش، وانت تحرم نفسك شهوتها، تذكر ان الله قد اعد للصائمين من العطايا ما يفوق الوصف والخيال، ولئن فرحت في دنياك بإتمام صيام يوم واحد، فإن الفرحة الحقيقية أمامك في جنات النعيم.

فعن ابي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد او قاتله فليقل: اني صائم اني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان: اذا افطر فرح بفطره، واذا لقي ربه فرح بصومه» رواه البخاري.

والآن، فلا أخالك وقد انتهيت من قراءة هذه السطور الا وقد اشتقت لرمضان، وتسأل ربك ان يبلغك اياه وانت في صحة وعافية، وقوة على فعل الطاعات، ولكن اعلم ان كثيراً ممن يبلغونه يحرمون خيراته، بسبب اصرارهم على الذنوب والمعاصي والمحرمات، فيدخل عليهم رمضان ويخرج وهم في بعد عن ربهم ولا ينالون من فضائل هذا الشهر الا الخسارة والبوار، فطائفة من الناس دعا عليهم النبي ﷺ «رغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له» اخرجه الترمذي.

لا تكن منهم وكن في شوق عظيم لبلوغه، حتى اذا ما ادركته كنت من اكثر الناس اجتهاداً فيه.

اللهم بلغنا رمضان، وانت راض عنا يا رحمن، اللهم وفقنا لصيامه وقيامه واجعلنا فيه من عتقائك من النار.. آمين والحمد لله رب العالمين.

الصوم وتربية الارادة

■ بقلم الأستاذ أيمن محمد خليل

الحياة على تقلب أحوالها، تموج بالمباهج والمفاتن والشهوات التي تغري الانسان وتجتذبه الى معاقرتها وتعاطيها اجتذاباً! والانسان بدوره مدفوع الى ذلك بغريزة ظمأى ونفس شغوفة لحوحة أمارة...، الأمر الذي يقتضي رادعاً معيارياً تربوياً يقوِّم ذلك الانسان، ويعينه على التوسط والاعتدال في تعاطي مباحات الحياة، واتقائه الحرام فيها وذلك المعيار هو الارادة.

والارادة منشؤها ضمير حي متأسس على الفطرة السوية والقلب السليم!! وهو ما يكفل توطين هذه الارادة على حالة من القوة والمضاء، ما لم تنفك الفطرة أو القلب عن طبيعتهما السليمة الى غيرها من اللوث والانحراف، اذ غالباً ما يفتأ الانسان يلابس احوال الحياة الدنيا ويعافس مغرياتها، حتى تتغير فطرته ويلتاث قلبه وتنتكس ارادته.. اللهم ما لم يسعف بسبب من السماء يقويها ويسمو بها على كل ما يشين ويقبح، يقول الله عز وجل: ﴿**وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ التكوير: ٢٩ .

وعلى الرغم من ذلك الضعف الانساني والانتكاس: فإن رصيداً ما من الارادة يبقيه الله لدى الانسان، ليتيح له كرات أخرى من التفكر والاختيار والنهوض والمضاء في طريق الله!!.

وغير خاف على أحد ان الغرائز الحيوانية، تتكسر حدتها وتتحطم على

صخرة الارادة الفطرية المجردة، بيد ان سمو هذه الغرائز والارتفاع بها عن السفه والدنايا، مرهون بمدد الله وتعهده للانسان بالتهذيب والرعاية والتربية، وذلك من خلال جملة من الفرائض والتكاليف الشرعية الخليقة بتعزيز ارادته ودفعها في مسارات الفطرة ومسالك الفلاح.

ولقد كان الصوم ضرباً مهماً من هذه التكاليف التي تعنى اساساً بتربية الارادة **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: ١٨٣ .

وحصول التقوى هو العلة الظاهرة من الصيام -الذي هو مقتضى الارادة- أساس التقوى التي تدندن حولها أماني نهضتنا وآمال فلاحنا، فضلاً عن كون الصوم -كما يقول سيد قطب رحمه الله-: «هو مجال تقرير الارادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما انه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، ايثاراً لما عند الله من الرضى والمتاع»(١).

والصوم امتناع عن المباح المعتاد مقداراً زمنياً، يبدأ من طلوع الفجر وحتى غروب الشمس، وهو وقت تلح خلاله مع الحركة والانتشار، حاجات الغرائز الانسانية بالاشباع والرواء، والصوم هنا قهر لكل شهوة غلابة، ومصروفة عن كل معتاد، فإن «عادة الناس غالباً التعريج على أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشهوة والإخلاد الى ارض الطبيعة، والمُريد منسلخ عن ذلك، فصار خروجه عنه، أمارة ودلالة على صحة الإرادة.. فسمي انسلاخه وتركه: إرادة»(٢).

ان الارادة الصومية التي اعتادت مجانية المباح لا سيما وقت الذروة من الحاجة والإلحاح.. لا يمكن بحال ان تستجيب لعرض أو إغراء، او تنجر خلف شهوة، ولا ان تحوم حول شبهة او تقرب حراماً.. «الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم».

ولعل أجمل ما في هذه العملية هو اتساق الارادة الانسانية المسلمة المختارة في مسار الارادة الإلهية عن طواعية واستحباب، فالصائم حين يفطم نفسه عن شهوتها، ويلجم غرائزه بلجام الشريعة عن مطالبها، فإنما يكشف عن الآفاق المتسامية في ذاته الفاعلة التي تتجلى من خلالها معالم الربانية في أوجه الحياة الاجتماعية على اختلافها.

فإن عملية التحول الاجتماعي من دائرة الماديات الآسنة، الى دائرة الربانية الطهورة، أمر يعوزه ارادة قوية وطاقات نفسية موقوفة على أمر الله تعالى، وقبول ذلك نية خالصة سنية، والصيام مظنة قوية

لتحصيل تلك الملكات جميعاً.

ونستعرض فيما يلي لطائف ومعان لما نسميه الارادة الصومية:

١- ان الصبر بحسب درجته، هو التجسيد الحقيقي للإرادة، والصيام بمقتضى اشارة النبي ﷺ وسيلة معتبرة شرعاً في تحصيل الصبر: «الصوم نصف الصبر»(٣).

فالصبر على الصوم من اكمل معاني الارادة الربانية، لأنه صبر لله لا علم لأحد بقدره وطبيعته، فإن أبلغ ما في الصوم من وسائل تربوية وتنموية للإرادة: «ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد من لا يراه الا الله عز وجل، فإنه في الباطن بالصبر المجرد»(٤).

٢- اذا تسنى تدريج الصبر الى ثلاث مدارج: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، فإن الارادة تصير تبعاً لذلك، فإذا كان صوم العموم معنياً بكف شهوتي البطن والفرج، فإن نطاق هذه الإرادة من السلطة والهيمنة لا يتعدى هاتين الجارحتين، بل توشك دائرة نفوذهما ان تتقلص وتتضيق بمقتضى فقر الحال الى دائرة أخرى وقائية، على العكس من صوم الخصوص الذي يعكس نماذج أرقى وأمثل في نوعية الإرادة، تلك التي تلعب دوراً أكبر في تنمية الكيان الانساني بصورة نوعية ومتوازية على المستويين الرأسي والأفقي سواء، فغض السمع والبصر عن الحرام، وكف اللسان وبقية الجوارح عن كل منكر وقبيح، انما ينبئ عن منزلة ارفع من الارادة ينالها المرء بصوم الخصوص، ولقد أشار النبي ﷺ الى وسائل بلوغ ذلك المقام المتسامي بقوله: «ليس الصوم عن الطعام والشراب، انما الصوم عن اللغو والرفث»(٥).

أما تطهير الجنان مما لا يليق بمقام العبودية، من خواطر وأفكار ووساوس قادحة فهو صوم خصوص الخصوص الذي ما وفق الى تحقيقه وانجازه أحد، الا وحاز من الارادة الفاعلة والهمة العالية والعزيمة القوية الصادقة، ما يؤهله لمقام القرب والاصطفاء فالاستخلاف.

٣- ان الصوم من ارقى الوسائل الى حسم قضية تباين المقاصد وتعارض الإرادات، سواء كان هذا التعارض او التباين بين إرادة انسانية وأخرى، او بين إرادة انسانية وإرادة شرعية، فالصوم بطبيعته ترويض للارادة الانسانية بمحض اختيارها، ولمّ شواردها في مساق الارادة الإلهية الكونية ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ آل عمران: ١٠٤.

فتتحقق من ثم أسباب اصلاح الأرض

وفلاح الانسانية المؤمنة وسعادتها، وقبل ذلك وبعد الحظوة برضوان الله عز وجل، «كل عمل ابن آدم له الا الصوم، فإنه لي وأنا اجزي به يدع طعامه وشرابه من اجلي»، ذلك بأن الصيام يعد من أقوى مؤشرات الإرادة الصادقة، حيث تظل فرص تحصيل التقوى وتعزيز الارادة في ظلاله سانحة.

ولأجل الحفاظ على مستوى ارادي رفيع وسرمدي، سن النبي ﷺ لأتباعه صيام أيام معينة في الاسبوع وفي الشهر والسنة، وجعل الأولوية بعد الفريضة بشأن الصوم قائلاً: «ان أحب الصيام الى الله صيام داود، وأحب الصلاة صلاة داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً»(٧) قيل: «وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة أيام تقديراً بيوم العيد وأيام التشريق، وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد رديء العادات، ويفتح ابواب الشهوات»(٨).

فلئن هادن المسلم شهواته، وأطلق لغرائزه عنان الترخص، وخلى بينه وبين لذائذه وهواه، لا سيما في عصر تتوهج فيه المثيرات الشيطانية، وتعلو فيه أمواج الفتن الطاغية، وتتوافر بين يديه وسائل المتعة والتسرية بغير ضوابط او قيود. فأنى للمسلم حينئذ بدينه أو إرادته وتقواه؟!.

ولعل حاجة الأمة المسلمة في أصداء هذه الظروف الهائلة، في اعادة صياغة ذاتها نفسياً وتربوياً على المستوى الفردي والمؤسسي، لن تتحقق الا بإرادة تنموية رائدة، تستلهم منهجها وتوجهاتها من وحي البارئ جل وعلا، ولا سيما شعيرة الصيام التي تنمي في النفس المؤمنة ملكة التقوى والمراقبة والاحسان، وتغذيتها بالضمير الحي النبيه، فتثمر عن قوة معنوية خطيرة، هي الارادة، ارادة الصبر على الجوع والعطش وملامسة النساء، ارادة الجود والكرم والسخاء.. ارادة الانتصار على الباطل والاستعلاء على المنكرات.. ارادة التعفف عما ليس بحق والتورع عن الشبهات.. ارادة درء الفتن والتمكين لدين الله في الارض.. يقول سيد قطب: «ولقد كان من الطبيعي ان يفرض الصوم على الأمة التي يفرض عليها الجهاد في سبيل الله، لتقرير منهجه في الأرض، وللقوامة على البشرية وللشهادة على الناس»(٩).

فلعل من ابرز التحديات التي تواجه الأمة المسلمة، هو تحدي الارادة الاسلامية متمثلاً في سعي الخصوم الى تحطيمها بمعاول الإلحاد والتشكيك وبالغزو الفكري تارة، وبنشر الرذائل وإشاعة الفحشاء والمنكر تارة، وبالترويج لقيم الاستهلاك الكاسحة تارة أخرى.

ولقد ترتب على ذلك نتائج خطيرة بدأت أعراضها تأخذ في الطفح على بنيتنا الاجتماعية، ابتداء من غبش الهوية، مروراً بتمييع القيم وتسطيح المبادئ الاسلامية، وانتهاء بقضايا التعريض بثوابتنا الاصيلة، والتلويح بنقضها وإهدارها.

وهكذا، فإن بناء الإرادة الاسلامية وتنميتها انما يعد فريضة شرعية، باعتبار الإرادة هي حائط الصد المنيع عن كياننا العقدي والفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، والصوم وحده كفيل بحل ذلك، فقيم وجدير ان نتعاطاه ونأنس به، فرضاً ومندوباً ومستحباً ونفلاً، فلا زالت الأمة بخير ما لابس المؤمنون تلك الشعيرة الغراء وعاشوا معانيها وتجلياتها الروحية والتاريخية العظيمة، فقد عاشها الأولون فأنجزوا ما لم يكن لأحد طاقة بتصور حصوله، ولكنه حصل، وفي رمضان خاصة!! انها الإرادة العظيمة السامية المحترمة التي أتاح الله لنا منها في الصيام قدراً معتبراً وحظاً موفوراً.. وذلك بحسب تجويد الصوم وإتقانه وحسن القصد به الى الله سبحانه وتعالى.

ان الصوم تجربة فريدة يخوضها الانسان بملابساتها الخاصة وظروفها الموقوتة، حتى ليخرج منها معافى في دينه ودنياه، وقد تسربل بالتقوى واتشح بالإرادة باعتبارهما التعبير الصادق عن الانسان المسلم كذات لها قيمة حضارية أصيلة ووجود فاعل.

فلعل عظمة هذا التشريع الرباني تتجلى في كونه احد الروافد الثرية للإرادة الفاعلة، التي تمد المجتمع الاسلامي بمقومات التوازن والهداية والانضباط، وهو ما تعول عليه قضايا استرداد وعينا التاريخي، واستنساخ امجادنا وتحقيق معالم خيريتنا، وقبل كل ذلك وبعده، ارضاء الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ.

الهوامش:

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ١٤١٥هـ، ط٢٣، ١/١٦٧ .

٢- عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، وزارة الشؤون الاسلامية، دبي ١٤٠٢هـ، ص٤٤ .

٣- رواه الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة ١/١٧٤٥ اورده الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٨١١ .

٤- ابو حامد محمد الغزالي، احياء علوم الدين، دار الريان للتراث، مصر ١٤٠٧هـ ١/٢٧٤ .

٥- رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي كلاهما عن ابي هريرة، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني ح٥٣٧٦ .

٦- رواه البخاري في كتاب الصوم، والدارقطني بلفظه، حديث ١٧٧٠ .

٧- رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن عمر ح ١١٥٩ (١٨٩).

٨- احياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢/٢٨٢ .

٩- في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢/١٦٧ .

بأي حال نستقبل رمضان

■ بقلم الاستاذة فاتن عواد

ما هي إلا ايام قليلة ونستقبل ضيفا كريما، ننتظره من العام إلى العام، إنه شهر رمضان المعظم، نرجو الله عز وجل أن يهله علينا وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات، شهر السعادة الحقيقية التي يشعر بها المسلمون في بقاع الأرض جميعاً، تتحرر قلوبهم شهراً كاملاً، تحلق في آفاق رحبة نرى القلب متحفزاً .. يسأل النفس قائلاً: هل أنت راضية عما فعلته في رمضان الماضي؟ وهنا نجد النفس ترفع شعار «الصمت هو النجاة»!! .

بأي حال نستقبلك يا رمضان؟

سؤال تتسابق فيه الهمم العالية والنفوس العظيمة، سؤال يحتاج لإعادة ترتيب النفس المسلمة من الداخل!!

يأتي رمضان ولنا ان نتأمل رمضان الفائت، ورمضان القادم ؟ كم من أخ جمعتنا به الأيام وصام معنا رمضان ثم رحل إلى عالم الآخرة، ولكأني به اليوم رهين قبره، وأسير ظلماته ووحشته، فما أجدرنا بمحاسبة انفسنا قبل رحيل كهذا الرحيل . لقد حفظ لنا الزمان آمالاً كانوا يعيشونها، وطموحات يسعون لتحقيقها، وكانوا ينتظرون رمضان لتحقيق بعض هذه الآمال، وإنجاز هذه الطموحات غير أن الموت عاجلهم، والقدر فاجأهم، فكان

الرحيل بلا ميعاد فأصبحوا ما بين فرح مسرور فتح له باب إلى الجنة، فرأى فيها ما يتمناه فقال: ربي عجّل بقيام الساعة وآخر ضاق قبره عليه حتى اختلفت أضلاعه، وعاش في قبره وكأنه في حفرة من النار بدون انيس ولا حبيب، ورأى بعينيه منظر الحيات والعقارب تنهش جسده فصرخ وقال : ربي لا تقم الساعة .

يعود رمضان هذا العام وفي بلاد المسلمين أحزان ماثلة، وظلمات عاتية، عاد وقد خلّفت الفتن والحروب في بلاد المسلمين يتيماً يترقرق الدمع في عينيه لا يجد من يواسيه، وأسرة فقدت معيلها فباتت ساهرة ليلها حزينة، تنتظر ظهور الصباح لعرض شكواها على عامة المسلمين في سؤال عشاء، أو البحث عن كساء، وأحوال ترصدها العين، من أشلاء ودماء، وفراق وشتات، ونحن آمنين في بيوتنا، مطمئنين في حياتنا، مسرورين بأفراحنا، فماذا نحن فاعلين مع هذا القدوم المبارك لشهر رمضان؟.

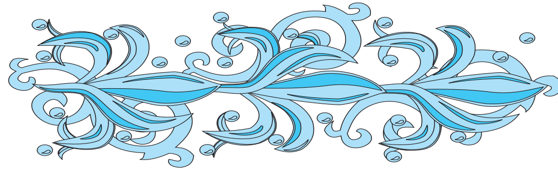
الجرأة على المعصية، والإقدام عليها، سبب من أسباب سوء الخاتمة -اجارنا الله- وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فربما تعذّر عليه النطق بالشهادة كما شهد الناس كثيراً من المحتضرين، أصابهم ذلك حتى أنه قيل لبعضهم: قل لا اله الا الله، فلا يستطيع ان يقولها او ينطقها او ان يقول: لا أستطيع أن أقولها وقال اخر وهو يحتضر: ما ينفعني ما تقول وانا ما تركت معصية إلا ارتكبتها ثم مات ولم يقلها!!

هذه الأحوال المؤسفة التي تكون نهايتها مؤسفة نتيجة الإصرار على المعصية عافانا الله من هذه العواقب، فكم من معصية استعذبها الإنسان مع مرور الزمن، وصار له إلف بها، وتعلّق بها حتى أصبحت وأمست تسيطر على فكره، وتحدثه في خلواته فلما ازداد به هذا الحال وصار يعرف به في حياته كلها أصابته فاجعة الموت،إثر حادث على الطريق فإذا بالرجل يردد في سكرات الموت الشهوة التي تعلّق بها، واستمر المسكين على حاله حتى فاضت روحه وهو على هذه الحالة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يأتي رمضان وبين طياته حديث عظيم

يقول فيه النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين، شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه ابواب النيران»، فما أجدرنا إلى اغتنامه بصيام النهار الذي تحدث رسول الله ﷺ عن فضله فقال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

فلنحرص على ان لا نكون على المعصية مصرين، وعلى التقصير في الطاعة، حتى في زمن العبادات فنخشى أن يحال بيننا وبين الهداية والتوبة والرجوع الى الله، وحينئذ تتحقق فينا عظيم الخسارة، فيا ليت شعري من يفيق من غفلته قبل فوات الزمان فإن للربح أياماً، وللتجارة أوقاتاً . فاتته الفضائل وتمنى على الله الأماني ها هو رمضان قادم ونحن والحمد لله لا زلنا على قيد الحياة، فلنستعد للقائه فالله اعلم قد يكون آخر رمضان لنا في هذه الدنيا، فلنعمل على التوبة الى الله وصدق ﷺ حين قال: «بعدا لمن ادرك رمضان ولم يغفر له» اي بعد من رحمة الله من ادركه رمضان وهو على قيد الحياة ولم يعمل به بما يوجب له مغفرة الله ورحمته.



ادارة الوقت في رمضان

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

ان من أعظم المواسم على الاطلاق، شهر رمضان المبارك، ففيه السوق قائمة والربح وفير والأجر في ازدياد، فهو خير الشهور، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم، ولله عز وجل في كل ليلة من ليالي رمضان عتقاء من النار، وذلك هو الفوز العظيم.

فحري بكل مسلم ان يحسن استغلال كل دقيقة بل كل لحظة من هذا الشهر الكريم، حتى يحجز لنفسه مقعداً في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، لذلك كانت ادارة الوقت هامة على مستوى الثلاثين يوماً بكاملها، أكثر من غيرها على مستوى الأيام والشهور، وهذه بعض الخطوات التي تبين حسن ادارة الوقت في رمضان بحيث تستثمره الاستثمار الأمثل.

● **الخطوة الأولى: حدد مجالاتك التي ستتحرك فيها**، ومتى تحسن تحديد تلك المجالات، تذكر انك طالب جنة وتود ان تتاجر مع الله عز وجل بأفضل تجارة.

بعض هذه المجالات:

١- مجال التربية الايمانية.

٢- مجالات الأقارب وصلة الأرحام.

٣- مجال الأسرة والأبناء.

٤- مجال دعوة المسلمين لأعمال البر.

● **الخطوة الثـانيـة: حـدد أهـداف كل مجال، فمن أهداف التربية الايمانية:**

١- المحـافظة على صـلاة الجـمـاعــة في جميع الأوقات في المسجد.

٢- خـتم القـرآن الكريم مـرة واحـدة على الأقل تلاوة وتدبراً.

٣- صلاة التراويح بجزء من القرآن يومياً.

أما مجـال الاسـرة والأبناء فـمن اهداف هذا المجال:

١- متابعة تأدية الصـلاة في أوقاتها لجميع أفراد الاسرة.

٢- متابعتهم في ختم القرآن الكريم خـلال الشهر.

٣- متـابعـة انضبـاطهم في صـلاة التـراويح وغيرها من الأهداف.

● **مجال الاقارب والأرحام:**

١- صلـة الرحـم وزيـارة الاقـــارب خــــلال الشهر.

٢- دعــوة الأرحــام والإخــوة على الافطار خلال الشهر.

٣- دعوتهم لاسـتثمـار اوقاتهم خلال الشـهر الفضيل.

● **مجال دعوة الآخرين لأعمال البر:**

١- دعـوة عـدد من الأصـدقـاء أو الـزمـلاء للاعتكاف بعض الليالي أو مـا تيسـر في مسجد الحي.

٢- دعـوة زمـيلين او صـديقين الى صــلاة التراويح بجزء من القرآن يومياً.

٣- المشاركة في جمع زكاة الفطر وتوزيعها على الفقراء والمساكين.

● **الخطوة الثالثة:** حدد الأنشطة والوسائل المطلوبة لتحقيق الأهداف في كل مجال.

● **الخطوة الرابعــة:** ضع امــام كل نشــاط الوقت المطلوب لتنفيذه.

● **الخطوة الخامسة:** تجميع الازمنة.

● **الخطوة السادسة:** حساب الوقت المتاح.

● **الخطوة السـابعـة:** مـقـارنة حجـم الوقت المتاح بحجم الوقت المطلوب.

● **الخطوة الثامنة:** المراجعة.

هـذه بعـض الخـطـوات الـتـي تـعـين كـل مسلم على ان يستثمر وقته خلال الشهر الفضـيل ليكون ان شـاء الله عـز وجل من عتقاء الشهر الفضيل.

والحمد لله رب العالمين

رمضان شهر الإنتصارات.. معركة عين جالوت

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

في تاريخ الأمم والشعوب، معارك مصيرية حاسمة وفاصلة، تعمل على تقويض أركان امبراطوريات عظيمة وتزيلها من الوجود وتجعلها أثرا بعد عين، وتشيد أركان دول صغيرة فتجعل منها دولا عظيمة وتنقذها من خطر الإندثار والزوال على أيدي تلك الإمبراطوريات، ومعركة عين جالوت هي إحدى هذه المعارك المصيرية الفاصلة، فما كان لدولة الإسلام أن تزول نهائيا لو فشلت جيوشها في معركتي اليرموك والقادسية.

وما كان يمكن أن ينقلب ميزان القوة العسكرية بين المسلمين والفرنجة الى الأبد، لو أحرزوا نجاحا في معركة حطين، ولكن دولة الخلافة الإسلامية قد زالت عندما دمر التتار عاصمتها بغداد سنة ١٢٥٨م وأبادوا سكانها، وفعلوا الشيء نفسه في دمشق وحلب وبقية المدن الشامية، ولم يبق أمامهم قوة يمكن أن تمنعهم من تدمير القوة الإسلامية، ولو أن التتار حققوا النصر على هذه القوة الإسلامية في معركة عين جالوت لزالت الدولة الإسلامية نهائيا من الوجود[١]، وعليه يمكننا القول: إن معركة عين جالوت هي معركة الدفاع عن وجود الأمة الإسلامية، بعد أن تعرض هذا الوجود برمته الى الخطر والزوال أمام إعصار التتار القادم من منغوليا.

معركة عين جالوت توضح بجلاء أن بين

الإيمان والنصر موقف لا بد منه ألا وهو الجهاد بصبر وثبات، فموقف المؤمنين في معترك الجهاد موقف الشرف والإباء، موقف العزيمة والمضاء وموقف العزة والكرم، تشتد الأزمات أمامهم فلا يظعنون، وتتفاقم أهوال الصراع فلا يجبنون، ويبطئ عليهم النصر فلا ييأسون، لأنهم يوقنون أن مع العسر يسرا وأن مع الصبر نصرا، والله تعالى يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾**(٢)، وهم يتمثلون دائما قول الله تعالى ونداءه لهم بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**(٣).

إن صلاح الدين الأيوبي والمظفر قطز، كلاهما تميز بالتقوى والغيرة على الدين والحماسة للجهاد في سبيل الله، فاستحقا وعد الله تعالى بالنصر للمؤمنين: **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾**(٤) لم تكن معركة عين جالوت حدثا طارئا مفاجئا، بل كانت حلقة في مجموعة الحرب طويلة الأمد التي جابهتها أمتنا الإسلامية أيام الحروب الصليبية، ومن هنا يصعب فصلها كحدث مستقل، وتقديمها كنسيج متكامل بذاته، وبالتالي فهي لا تكتسب أهميتها إلا من خلال عرض الوقائع الرئيسية الممهدة لها.

وإذا كانت معركة حطين ترتبط ببداية الحروب الصليبية، فإن معركة عين جالوت ترتبط بنتائج معركة حطين"(٥)، ومن هنا تظهر ضرورة التركيز على عرض مجموعة الأحداث التي بدأت بيوم حطين وانتهت بيوم عين جالوت، وكلا المعركتين كانتا نقطة التحول الحاسمة في مسيرة الحرب طويلة الأمد، وقد سبقت كلاً منهما وتبعتها مجموعة من الإنتصارات والهزائم، ولكن تلك الهزائم لم تكن قادرة على سلب الإنتصارات ثمارها أو إفراغها من أهدافها، وإنما كانت هزائم تكتيكية في إطار انتصارات استراتيجية، وبمقارنة بين قوات التتار الجامحة التي سارت مسافة أربعة آلاف ميل تنتقل من انتصار الى انتصار، تقتلع كل ما يعترض طريقها وتلحق الدمار والخراب والحرق في كل ما تجده أمامها وتمعن بالذبح والقتل لكل من تجده في طريق اندفاعها.

وبين قوات المسلمين الناشئة التي ما كاد السلطان المظفر قطز المملوكي يحققها، بفرضه الإتحاد على الإمارات العربية المتصارعة المتنازعة فيما بينها

يظهر بوضوح أن النصر في هذه المعركة، لم يكن الا من نصيب المؤمنين المجاهدين الصابرين المحتسبين في سبيل الله، فهم الذين مهدوا للنصر الحاسم وكانوا جديرين بأن ينالوا النصر من الله تعالى وأن يكونوا من الذين قال عنهم: **﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾**(٦).

ولهذا فإنه من الواضح جليا أنه لا يمكن الأخذ بمعركة عين جالوت إلا في إطار الجهاد في سبيل الله ضد القوى المشتركة للفرنجة والتتار المتحالفة ضد المسلمين، وإلا فإنه من البديهي أنه ما كان لهذه القوة الإسلامية القليلة العدد والعدة، بحيث لا يمكن مقارنتها بقوة التتار الجامحة، أن تحقق النصر على أعظم الأمم آنذاك وأعظمها وحشية وهمجية.

❖ التحضيرات للمعركة:

المغول:

بدأ نجم المغول في الصعود السياسي والعسكري منذ أن تقلد زمام الحكم جنكيزخان سنة ١١٩٤ م الذي استطاع أن يحقق الإنتصارات الهامة في منطقة الشرق الأقصى حيث استولى على بكين عاصمة الصين سنة ١٢١٥م ثم استولى على أراضي الدولة الخوارزمية الإسلامية بما فيها بخارى وسمرقند ونيسابور وغزنة وبلخ والري سنة ١٢٥٨م وأصبح المغول يسيطرون على جميع البلاد الواقعة ضمن المناطق الممتدة من كوريا شرقا الى بلاد فارس غربا، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا، ثم اجتاحوا روسيا وتمكن ابنه أوكتاي من احتلال موسكو وبولندا وبرلين وفِّيَنّا، ثم تمكن ابنه منكو بقيادة هولاكو من احتلال بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية يوم ١٠ محرم سنة ٦٥٦ هجري الموافق ١٠ شباط سنة ١٢٥٨ م وقتل آخر الخلفاء العباسيين وهو المستعصم بالله وولديه وجميع قادة الجيش وموظفي الدولة، وسفكوا دماء أهلها وخربوا جوامعها ومشاهدها كما استولوا على أربيل، ودب الرعب بين المسلمين "(٧).

ثم استولى على الموصل وحلب ودمشق عاصمة المسلمين، وأدرك الفرنجة الصليبيون أن هذا العالم الإسلامي الذي ناصبوه العداء وبادؤوه بالحرب، قد أوشك على الإنهيار دفعة واحدة تحت سنابك هؤلاء المتوحشين، الذين ما عرفوا من أسباب الحضارة سوى الحرب والقتال وانقسم هؤلاء الفرنجة بين شامت ينتظر نهاية المسلمين على أيدي هؤلاء الغزاة، وبين خائف من بطش هؤلاء البرابرة الذين ارتبطوا معهم بمواثيق لتحقيق الهدف المشترك وهو القضاء على المسلمين.

ووجد المسلمون أنفسهم أمام موقف لا عهد لهم به ولا قبل لهم بدفعه منذ ظهور الإسلام، فهؤلاء الصليبيون قد أقاموا إمارتهم في الموقع المتوسط من فلسطين لتكون كالمدية التي تستنزف دماءهم وقدراتهم، وهؤلاء التتار وقد أزالوا لهم خلافتهم واستمروا في القضاء على بقية مواقعهم وحواضرهم، ولم يبق أمام هولاكو من قوة إسلامية سوى مصر، فأرسل قوة استطلاعية اخترقت مصر ووصلت غزة وأرسل الى قطز يطلب اليه المثول لديه لتقديم الولاء والطاعة، وقد جاء في رسالته: "من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم يعلم الملك المظفر قطز أنا نحن جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه، فلكم في جميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم وأسلموا الينا أمركم قبل أن يتكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى، ولقد علمتم أننا فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد، فإنكم أكلتم الحرام وخنتم العهود والإيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان، فأبشروا بالمذلة والهوان.

المسلمون:

عندما استلم قطز رسالة هولاكو هذه عقد مجلسا من أمراء دولته وبحث معهم الموقف، فأجمع الحاضرون على قتل الرسل والسير الى الصالحية، فأمر قطز باعتقالهم ثم بادر بجمع الأمراء من جديد وصارحهم بعزمه على السير لمواجهة التتار فأبدوا اعتراضهم على الخروج معه، فأظهر ما تنطوي عليه نفسه من الشجاعة وأعلمهم أنه قائم بالحملة لو اقتضى الأمر أن يلقى التتار وحده، وحثهم على استنقاذ الشام ونصرة الإسلام فضجوا في البكاء وتحالفوا على الإجتهاد في قتال التتار وإخراجهم من البلاد، وعمل على ترتيب الأوضاع الداخلية، وهيأ الأمة للحرب وأعلن النفير العام، ثم دعا أئمة المسلمين واستفتاهم في جمع الأموال من الشعب.

فأصدر شيخ الإسلام في ذلك الوقت عز الدين بن عبد السلام بأنه إذا طرق العدو البلاد وجب على الناس الجهاد وجاز للسلطان ان يأخذ من أموال وأعيان البلد ما يستعين به على تجهيز العسكر لدفع العدو، ولكن بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيء من المال والسلاح(٨).

وبعد أن أكمل التحضيرات خرج قطز الى معسكر الصالحية وبصحبته الملك المنصور الأيوبي ثم غادر معسكره متجها الى غزة لتدمير قوة الإستطلاع المغولية وكان على مقدمة جيشه الظاهر بيبرس،

ونودي في القاهرة والفسطاط وسائر البلاد بالخروج الى الجهاد في سبيل الله، وغادر المظفر قطز مصر على رأس جيش من المجاهدين ووصل مدينة عكا واجتاز مدينة الناصرة فوصل يوم الثاني من شهر أيلول سنة ١٢٦٠م الموافق ٢٤ رمضان سنة ٦٥٨ هجري الى عين جالوت بين بيسان ونابلس في فلسطين.

سير المعركة:

التقى جيش المسلمين بقيادة المظفر قطز بجيش المغول بقيادة القائد كتغيا واشتبك الجيشان يوم ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هجري الموافق ٣ أيلول سنة ١٢٦٠م واشتد القتال وحمي الوطيس فاضطرب جناح عسكر السلطان، قال تعالى: **﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ❖ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ❖ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا﴾**(9)، **﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾**(10) **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾**(11).

فألقى الملك المظفر قطز خوذته من على رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته: واإسلاماه ثلاث مرات وكأني بالسلطان قطز يستذكر ما قام به رسول الله ﷺ في معركة بدر عندما حمي وطيسها، واشتد الأمر على المجاهدين المسلمين ونزل رسول الله ﷺ الى ميدان المعركة بين صفوف المجاهدين يرتب صفوفهم ويعيد تنظيمهم ويستحث نفوسهم، ويشحذ هممهم ويبشرهم بتأييد الله ونصره، ورفع يديه الى السماء متضرعا الى الله تعالى حتى بان بياض إبطيه وهو يدعو الله أن يفي بعهده، وأن ينجز له وعده ويحقق له النصر على المشركين.

وإذا بقطز يتمثل دور رسول الله ﷺ ويتخذ منه خير قدوة وأحسن أسوة، فنزل بنفسه بين جنود المسلمين المجاهدين المؤمنين الصادقين، وأخذ يحفزهم للقتال ويشعل في نفوسهم روح القتال والجهاد، ويبعث فيها الأمل والرجاء في نصر الله لهم وتأييده، ورفع يديه الى السماء متضرعا الى الله بصوت عال قائلا : «اللهم انصر عبدك قطز على التتار» وحمل ومن معه حملة صادقة فأيده الله بنصر من عنده وتم تطويق الجيش المغولي بكامله وتحول ميدان المعركة الى مجزرة حقيقية، واشتد القتال بين الطرفين لم ير

مثله حتى قتل من الطائفتين جماعة، ولم يتمكن من النجاة سوى عدد قليل من المغول ووقع كتغيا في الأسر ثم قتل ولاذ جنود التتار بالفرار لا يلوون على شيء وفروا هاربين فلحقهم المسلمون يطاردون فلولهم ولم يحققوا أهدافهم الخبيثة، قال تعالى: **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾**(١٣).

وما كان من المظفر قطز إلا أن نزل عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ثم استولى على سائر بلاد الشام من الفرات الى حدود مصر، فاستعاد المسلمون سيادتهم على بلادهم.

❖ أهمية معركة عين جالوت:

ومما يروى عن شجاعة قطز أن جواده قتل يوم عين جالوت، فظل يحارب راجلا فرآه بعض الأمراء الشجعان فترجل له عن جواده فامتنع قطز عن ركوبه قائلا: "ما كنت لأمنع المسلمين الإنتفاع بك هذا الوقت وذكروا أن بعض خواص قطز لاموه على عدم ركوبه وقالوا له: لو صادفك -والعياذ بالله- بعض المغول وأنت راجل كنت رحت وراح الإسلام، فقال لهم: "أما أنا فكنت رحت الى الجنة إن شاء الله وأما الإسلام فما كان الله ليضيعه"(١٤).

وكان لهذه المعركة التي دارت رحاها في شهر رمضان المبارك، أعظم الأثر على المسلمين فقد أنقذت بلاد الشام من الإحتلال المغولي الهمجي، وعجلت باستعادة البلاد الإسلامية من الإحتلال الصليبي، ودعمت القوة الإسلامية وحولتها من الدفاع الى الهجوم وعادت بلاد الشام الى حكم الإسلام وعادت الطمأنينة والاستقرار للبلاد والعباد تحقيقا لقوله تعالى: **﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾**.

الهوامش:

١- عقيد ركن قاسم محمد صالح، العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى، المطابع العسكرية، عمان، ١٩٨٧، ص٨٣ .
٢- سورة الأنفال، آية ٤٥ .
٣- سورة الصف، الآيتان ١١-١٢ .
٤- سورة غافر، آية ٥١ .
٥- بسام العسلي، المظفر قطز وعين جالوت، دار النفائس، ط٢،١٩٨٠، ص٢١ .
٦- سورة الروم، آية ٤٧ .
٧- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبين والمماليك، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص٢٢١ .
٨- د. جميل بيضون وآخرون، تاريخ المشرق الإسلامي، دار الأمل، ١٩٨٩، ص٩٥ .
٩- سورة الأحزاب، الآيات ١٠-١٢ .
١٠- سورة الأحزاب، اية ٢٢ .
١١- سورة الأحزاب، آية ٢٦ .
١٢- أبو المحاسن ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص٧٩ .
١٣- سورة الأحزاب، آية ٢٥ .

قطوف دانية

بقلم الطالبة هدى وجيه

قال الله تعالى:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

البقرة: ١٨٥

صيام رمضان

قال رسول الله ﷺ:

«من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

صيام ستة من شوال

قال رسول الله ﷺ:

«من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر».

الصيام في سبيل الله

قال رسول الله ﷺ:

«من صام يوماً في سبيل الله، أبعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً».

من أخلاق النبوة

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من أخـلاق النبـوة: تعـجـيل الافطـار، وتأخـيـر الســحـور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة».

الافطار على التمر

قال رسول الله ﷺ:

«اذا صـام أحـدكم فليـفطر على التـمـر، فـإن لم يجـد فـعلـى الماء فـإنه طهور».

السحور بركة

قال رسول الله ﷺ:

«السحور كله بركة، فلا تدعوه ولو ان يجـرع أحدكم جرعة ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين».

من أكل ناسياً

قال رسول الله ﷺ:

«من أكل ناسياً وهو صائم فليتم صومه، فإنما اطعمه الله وسقاه».

ثبوت الأجر

كان النبي ﷺ اذا أفطر قال:

«ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر ان شاء الله».

رمضـــان يعــود بالانتصــارات

■ بقلم الاستاذ مصطفى محمد هديب

ندعو الله ان يبلغنا رمضان، ورمضان في حياة المسلم محطة عظيمة الشأن، يجدد فيها ولاءه لله سبحانه وتعالى، وهو فرصة عظيمة للتطهر من الذنوب واكتساب المغانم التي وعد بها الصائمون «الصوم لي وانا اجزي به» وما اجزل جوائز الرحمن وما اعظمها!.

وشهوة الطعام شديدة في الانسان، ففيها لذة وفيها سبب الابقاء على حياته واتصالها الى يومه في نهاية أجله!، وقد استكثر الانسان مما تنبت الارض واستزرعه، وجعل مقامه قرب الماء، وحارب من اجل طعامه والاكثار منه وحيازته، قال تعالى: **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾** سواء في خلقه أو في استبقاء حياته!.

وقامت الحياة في مكة على الماء.. ماء زمزم، وقد ترك ابراهيم عليه السلام اهله وولده «هاجر واسماعيل» في برية ليس بها ماء ولا زرع ومشى! ومن يترك اهله وولده في قفر موحش لا وجود لأسباب الحياة فيه؟!!

وما أن أخذ قليلاً من طريقه حتى وقف! ويرفع يديه الى السماء: **﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** ابراهيم: ٣٧ .

وينبع الماء عند قدمي الطفل العاجز اسماعيل!! وتؤوي اليهم قبيلة لتشرب من الماء، وتعمر مكة.. اذن هي دعوة ابراهيم عليه السلام!

وتقوم مكة في نشاطها الاقتصادي على

التجارة في حاجات الانسان من الطعام واللباس، ومما يحتاجه الناس في ذلك الزمان! وكانوا على موعد مع النبوة الخاتمة، النبوة العربية الى الناس كافة، والدين الحق الذي ارتضاه سبحانه الى اهل الأرض.

وكان مما كُلف به المسلمون صوم رمضان، والصوم كان في الناس قبل الاسلام، قال سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: ١٨٢ .

والصوم هو أحد عبادات الاسلام، وهو واجب ومندوب، وصوم شهر رمضان من اركان الاسلام الخمس التي بني عليها.

والصوم عبادة وطب، واذا ما تأملنا ما يقوله الطب في الصوم ذهلنا لما فيه من المنافع الصحية العظيمة، **﴿وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾** البقرة: ١٨٤ .

فعندما يمتنع المسلم عن طعامه وشرابه من الفجر حتى الغروب، يقوم الجسم باستخدام مخزونه من السكر والدهون، فيتخلص بذلك من الخلايا التالفة والسموم، ثم يعوض ما ينقصه بعد الافطار، والصوم يذيب الدهون المتراكمة على جُدر الاوعية الدموية خاصة، وبذلك يتوسع هذا المجرى ويزداد تدفق الدم فيه، وبذلك تزيد تغذية الخلايا بالاكسجين.

والصوم يعالج أمراض الحساسية لغياب انواع الطعام المهيجة لها، ويخفف من آثار حب الشباب والبشرة الدهنية والدمامل والبثور، ويخفف ايضاً من اعراض فشل القلب، ويعالج الصوم كثيراً من مشكلات الجهاز الهضمي كزيادة الحموضة واضطرابات القولون العصبي وعسر الهضم وانتفاخ البطن.

وحقيقة العبادات كلها، الى جانب انها استجابة للتكليف الرباني، وتعبير عن العبودية لله تعالى، فإن فيها منفعة دنيوية وهذا مما يعطي المؤمن يقيناً بعظمة التدبير الإلهي!

ولقد رأت الأمم المتحدة ان تجعل يوماً عالمياً لغسل اليدين (١٠/١٥) من كل عام، لما وجدته من نفع للانسانية في ذلك! وقد ثبت بالاحصاء ان غسل اليدين ينقذ في العام ما يزيد على ستة ملايين طفل من الموت!!.

فاليدان هما وسيلة الاتصال بالعالم الخارجي، وبهما يؤدي الطبيب والممرض والعامل والأم وكل انسان عمله، وهما بذلك عرضة للتلوث.

وثبت ان غسل اليدين يزيل عنهما ما

بهما من جراثيم أو سموم، فأوصوا بهذا اليوم للتأكيد على هذه الحقيقة وزيادة الوعي بضرورة الاهتمام بنظافة اليدين.

والاسلام بما اوجبه على المسلم من الوضوء للصلاة وغسل اليدين لمن يقوم من نوم الليل، والاغتسال عند الجنابة، وغسل الجمعة والاغتسال للدخول في الاسلام، وعندما جعل النظافة من الايمان، انما كان -مع ذلك- ينفع الانسان في شؤون دنياه.

ففي الوضوء يغسل المسلم كفيه ست مرات، والمسلم يتوضأ عدة مرات في اليوم، فهل سيبقى على يديه شيء! وسبحان ربي العظيم ما أحكمه.

وللصوم خصوصية فهو عبادة خالصة بين العبد وربه، فالانسان يصوم ولا يعلم صدق هذه العبادة الا الله سبحانه وتعالى، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ان في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه احد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فإذا دخلوا أغلق، فلا يدخل منه أحد» متفق عليه.

❖ النصر في رمضان:

من ينظر في تاريخ الدعوة الاسلامية، ما كان فيها في عهد رسول الله وما كان بعده ﷺ، يذهله ما حققه الاسلام من انتصارات في معاركه ضد أهل الشرك لرفع راية التوحيد في الارض، وكان الجهد الانساني موجوداً في حدود الطاقة والامكانيات، وهي في الحقيقة قليلة العدد والعُدد! ولكن نصر الله وعونه كان دائماً مع عباده المؤمنين الموحدين.

ومن المعارك الفاصلة آنذاك معركة بدر التي حدثت في السنة الثانية للهجرة، والتي ما زال صداها يتردد في تاريخ الدعوة الاسلامية، لما كان لها من أثر فاصل بين الايمان والفكر!.

لن نعيد تفاصيل المعركة.. فقد كتب عنها الكثير! ولكننا سنقف فقط عند بعض ملامحها وسماتها، فقد كان عدد المسلمين ثلاثمائة مسلم، وعدد المشركين ألف مشرك، يزيدون او ينقصون قليلاً، وقد حزرهم رسول الله ﷺ عندما اخبره اسيران من قريش بعدد ما ينحرونه من جُزُر في اليوم!.

وعندما شاهد رسول الله ﷺ هذا الفارق الهائل في العدد، شعر بمسؤوليته الشديدة على الاسلام، ان لا يكون اذا فنيت هذه العصبة من المؤمنين امام جبروت الشرك الذي جاء به أهل مكة! ويرفع رسول الله ﷺ يديه الى السماء يناشد ربه: «اللهم انجز لي ما وعدتني

اللهم إني انشدك عهدك ووعدك» وبالغ ﷺ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق رضي الله عنه وقال: «حسبك يا رسول الله ألححت على ربك»!.

وأوحى الله تعالى الى ملائكته: **﴿اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾** الأنفال: ١٢ .

وأوحى الى رسوله ﷺ: **﴿أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾** الأنفال: ٩، وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة قليلة ورفع رأسه وقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع» وخرج رسول الله ﷺ من العريش وهو يثب في الدرع ويقول: **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾** القمر: ٤٥، وهزم المشركون وقتل منهم سبعون وأُسر سبعون!! وكان شهداء المسلمين (١٤) شهيداً.

❖ القرآن الكريم ومعركة بدر:

قال سبحانه وتعالى في تشريع الانفال وتصويب سلوك المؤمنين: **﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين﴾** الأنفال: ١ .

وقال سبحانه يبين ما وجده المسلمون من ضيق في الاستجابة للخروج الى ملاقاة قريش: **﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون ❖ يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾** الأنفال: ٥-٦ .

ويبين القرآن الكريم سبب هذا الخروج **﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾** الأنفال: ٧ .

ويأتي المدد من السماء عوناً ونصراً: **﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ❖ وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله﴾** الأنفال: ٩-١٠ .

ويمن الحق سبحانه وتعالى على المؤمنين أنه نصرهم وقتل اعداءهم: **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم﴾** الأنفال: ١٧ .

وهكذا بقيت أحداث بدر قرآناً يتلى على مر الزمان، تؤكد على هذا النصر الإلهي العظيم، ليطمئن المؤمنون دائماً لعون الله سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾** محمد: ٧ .

٥

نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الاستاذ الدكتور احمد العوضي

● **الشرط الثالث: النصاب الفاضل عن الحاجات الأصلية له ولمن يعولهم:**

النصاب شرعا هو: قدر معين شرعا إذا بلغه المال بشروطه وجبت فيه الزكاة. فالنصاب أمارة شرعية نصبها المشرع تعالى علامة مادية على الغني، فهو الحد المعين شرعا بين الفقر والغنى، فمن ملك نصابا فهو غني ومن لم يملك نصابا فهو فقير، والفقير يستحق المواساة فيجب أن يعطى ولا يجوز أن يؤخذ منه، ولذلك فرض الله الصدقة يعني الزكاة على الأغنياء دون الفقراء، قال رسول الله ﷺ: (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) أخرجه البخاري معلقا، وأخرجه أحمد موصولا.

والنصاب من كل مال يكفي في الأحوال المعتادة أقل البيوت لمدة سنة، وأقل البيوت هو ما يتألف من الزوجين وابن بينهما أو خادم.

ويشترط في النصاب لتجب فيه الزكاة، أن يكون فاضلا عن الحاجات الأصلية لمالكه، وهي كل حاجة يلحق الإنسان بفقدها ضرر غير معتاد، وهي مختلفة باختلاف البيئات وقد يختلف بعضها باختلاف الأشخاص، ومن أمثلتها: المأكل والمشرب والملبس والمسكن وآلة الحرفة لصاحب الحرفة وكتب العلم لمن تعنيه. فإن العلم حياة والجهل هلاك. وقضاء الدين ونحو ذلك.

وفي الإسلام يجب على الدولة الإسلامية قبل أن تأخذ منه الزكاة، أن تنظر إلى حاجات الإنسان الأصلية وأن تضمن كفاية ماله لحاجاته الأصلية له ولمن يعولهم من والدين وزوجات وأولاد وخدم مهما كثر عدد من يعولهم، فإن قصر ماله عن بعض الحاجات الأصلية له ولمن يعولهم يحرم عليها أن تأخذ من زكاة.

وحكمة التشريع هنا هي أن الزكاة فرضت على المتنعم بالمال، وهو الغني، لتكون شكراً لله على الإغناء بنعمة المال، التي بها تمكن الغني من هذا النوع من التنعم، والفاقد لبعض حاجاته الأساسية غير غني فليس عنده من نعمة المال ما يتنعم بها، فيكون فاقدا للنصاب لذلك لم يوجب الله عليه زكاة.

وعند التحقيق يجد الناظر في أحكام النصاب، أن الذهب هو أساس تقدير الأنصباء جميعا، فإن نصاب الذهب عشرون دينارا، ففي الأحوال العادية يعدله كل نصاب من الأموال الأخرى: مائتا درهم من الفضة وخمس ذود من الإبل وثلاثون من البقر وأربعون من الغنم وخمسة أوسق من الطعام، وهلم جرا.

(تنبيه): وقد جعلت الشريعة الإسلامية الذهب هو أساس التقدير لكل ما سواه، فهو النقد الشرعي المتعين في الدولة الإسلامية، ولذلك لا يجوز للدولة الإسلامية أن تجعل غير الذهب نقدا أصيلا فيها، لأن الذهب هو النقد الوحيد الأصيل، ولكن يجوز لها أن تصدر نقدا بديلا يعني غير ذهبي، من معدن أو ورق أو غير ذلك ولكن بشرطين: أن لا تصدر من النقد البديل أكثر مما لديها من الذهب الخالص، وأن يتمكن حامل النقد البديل من صرفه متى شاء بذهب خالص.

والغاية من هذين الشرطين، لكي يبقى الناس يتعاملون في الحقيقة بالذهب، وهو ما يجب على الدولة الإسلامية أن تفرضه على العالم كله. وحيث استنكفت الدول عن جعل الذهب نقدا وحيدا أصيلا أو أساسا للنقد البديل، اختلت المعاملات المالية بين الناس وكذلك بين الأمم وانتكست الدول من حالة الغنى إلى حالة الفقر الشديد وهددت المجاعات الناس، وهذا ما حصل فعلا في العالم على طول

القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين عندما جعلت سلة العملات بديلا عن الذهب ثم جعل الدولار الأمريكي بديلا عن سلة العملات، فضربت العالم عدة أزمات مالية دمرت الاقتصاد العالمي وأفلست العديد من الدول وعمت المجاعات العالم.

❖ الأدلة الشرعية على هذا الشرط:

قال تعالى: **﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾** البقرة: ٢١٩. قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها: "العفو ما يفضل عن أهلك"، وقال الحسن في تفسيرها: "أن لا يجهد مالك - يعني يهلك - ثم تقعد تسأل الناس".

وقال رسول الله ﷺ: (إنما الصدقة عن ظهر غنى)، وفي رواية: (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) أخرجه البخاري تعليقا، ووصله أحمد وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. **وعدم وجوب الزكاة على الفقير في الشريعة الإسلامية ينسجم مع أن حاجة النفس في الشريعة الإسلامية مقدمة على حاجة الغير، ومنسجمة مع أن حاجة أهل الرجل وولده بمنزلة حاجة نفسه، فتقدم على حاجة غير الأهل والولد.** ويشهد لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (قال رجل: يا رسول الله، عندي دينار. قال: أنفقه على أهلك. قال: عندي آخر. قال: انفقه على أهلك (يعني زوجك) قال: عندي آخر. قال: أنفقه على ولدك. قال: عندي آخر. قال: أنت أبصر) أخرجه مسلم. وقال رسول ﷺ: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك، فإن فضل شيء عن ذوي قرابتك فهكذا وهكذا) أخرجه مسلم.

● الشرط الرابع: عدم الدين:

اختلف الفقهاء في الدين هل يمنع وجوب الزكاة عن المدين أو لا يمنعه؟ وسبب اختلافهم في ذلك هو اختلافهم في تكييف الزكاة، فمنهم من كيفها على أنها عبادة، فقالوا: تجب على من بيده مال، لأن المال هو شرط التكليف بالزكاة، وهو العلامة الظاهرة المقتضية للوجوب على المكلف، سواء أكان عليه دين أم لم يكن، وأيضا تعارض حقين: حق الله وحق الآدمي، وحق الله أحق أن يقضى.

وآخرون كيفوها على أنها حق في المال للمساكين، فقالوا: الدين يسقط الزكاة عن

رب المال، لأن حق الدين مقدم على حق المساكين.

والذي قررته نصوص الشريعة أن الزكاة عبادة على الغني بشروط وليست عبادة على كل صاحب مال مطلقا، فحيث بلغ المال نصابا سالما من الدين وجبت فيه الزكاة، وحيث كان على رب المال دين يستغرق النصاب أو ينقصه سقطت الزكاة عن المال.

ومما يدل على عدم وجوب الزكاة على المدين أمور منها:

أولا: الغنى شرط لوجوب الزكاة في المال، ومع وجود الدين ينتفي الغنى، وإذا انتفى الشرط انتفى مشروطه، فإن الشرط يلزم من عدمه عدم مشروطه.

ثانيا: من شروط وجوب الزكاة الملك التام في المال، وملك المدين لماله ملك ناقص، لتسلط الدائن المستحق عليه بحقه في مطالبته بدينه.

ثالثا: إن من يملك نصابا من مال واحد ولا يملك نصابا من غيره، وعليه دين يستغرق النصاب الذي يملكه أو ينقصه، فهو فقير وغارم، فاستوجب الزكاة من جهتين، فلا تجب عليه.

خامسا: الزكاة شرعت لمواساة ذوي الحاجات، والمدين الذي يُنّقِصُ دينُهُ نصابَه يعد محتاجاً فيستحق الزكاة فكيف تؤخذ منه؟.

سادسا: عن ابن عمر رضي الله عنه قال في الدين: "يخرج ما استدان و أنفق على ثمرته ويزكي ما بقي"، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "يخرج ما استدان على ثمرته ويزكي ما بقي". وخطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: "هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فيؤده حتى يخرجوا زكاة أموالكم» أخرجه أبو عبيد في الأموال. وفي لفظ: "من كان عليه دين فليقض دينه وليزك بقية ماله» أخرجه مالك في الموطأ.

فهذه الأدلة تدل على أن المدين لا تجب عليه زكاة.

❖ شروط الدين الذي يمنع وجوب الزكاة:

يشترط في الدين الذي يمنع وجوب الزكاة في المال شرطان:

الشـــرط الأول: أن يســـتـغـــرق الدين النصاب أو ينقصه:

ومثال ذلك: أن يكون عنده أربعون شاة، وعليـه دين يحـتـاج إلى بيع شـاة لقـضـائه، فهذا لا تجب عليه الزكاة، أما إذا كان عنده خمسون شاة وعليه دين يكفي لسداده أن يبيع عشر شياه، فتجب عليه الزكاة في الأربعين، ويقاس على هذا غيره.

الشـــرط الثـــاني: أن يكون الدين له مطالب من جهة العباد، ومن أمثلته: مهر الزوجة المعجل، ونفقة الزوجة ونفقة الأهل ونفقة الأقارب الذين تجب النفقة عليه لهم، ومنه ما وجب عليه من الزكاة لسنوات مضت ولم يخرجها لأنها أصبحت حقا للعباد.

أمـا مـا كـان دينا ليس له مطالب من العبـاد، وهو حقـوق الله كنذر أو كـفـارة ونحوها فهذا الدين لا يمنع وجوب الزكاة، لكيلا نفتح الذريعة للمتهرب من دفع الزكاة أن يدعي أن عليه حقا لله، وهذا إذا كانت الدولة الإسـلامية هي التي تجبي الزكاة، أما إذا زالت دولة الإسلام أو قصرت في أخذ الزكاة وتفريقها في مصارفها، وصار الإنسان يخرج زكاة ماله بنفسه، فيجوز له أن يخـرج ديون الله من مـاله قـبل أداء الزكاة، عملا بقول الرسول ﷺ: (فدين الله أحق أن يقضى)، ثم ينظر فيما بقي فإن بلغ نصابا أخرج زكاته.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله



١

منهج الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب»

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

كان الحافظ المنذري رحمه الله في مقدمة المشتغلين بالدراسات الحديثية في عصره، وقد خصص الجانب الأكبر من نتاجه للعناية بالحديث الشريف، وقد حظي كتابه (الترغيب والترهيب) بعناية العلماء بشكل لافت للنظر، وتمثلت هذه العناية بالإقبال على مصنف الحافظ المنذري بالاختصار والتلخيص وذلك بغية تقريبه لجمهور الأمة وتعميم النفع به، وقد بين هذا البحث جملة هؤلاء الأئمة الذين قاموا باختصار (الترغيب والترهيب) وكذلك الذين قاموا بشرحه وإن اختلفت الشروح طولاً وقصراً.

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لم يسلم من النقد والمؤاخذة فهو عمل بشري يشتمل على الصواب والخطأ والكمال لله سبحانه وتعالى، وقد أشرت إلى هذه الأوهام التي تعرض لها العلماء عند انتقادهم لهذا الكتاب.

وقد احتل كتاب (الترغيب والترهيب) مكانة مرموقة بين المصنفات التي ألفت في الترغيب والترهيب، وأثنى عليه الأئمة والعلماء وذلك لاشتماله على كثير من المزايا، ومن مظاهر ذيوع كتاب (الترغيب والترهيب) في الأوساط العلمية وكثرة

استعمال الأئمة له أننا لا نكاد نجد كتاباً في الحديث يتعلق بالمتون أو الفقه أو التخريج أو الجوامع الحديثية إلا ونجد هذا المصنف المبارك فيه مرات عديدة.

وتعرض هذا البحث لأبرز السمات المنهجية في الكتاب في خطوط عريضة، مع الإشارة إلى بعض الأمثلة المتيسرة عند الحاجة.

❖ **التصنيف في الترغيب والترهيب:**

كان التصنيف في الحديث النبوي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، يتجه غالباً إلى جمع الأحاديث بطريقتين، تنسجم أولاهما مع أركان الإسلام في العقائد والعبادات والمعاملات، سواء منها ما اقتصر على باب واحد أو شمل عدداً من الأبواب، كما هو الحال في كتب الجوامع[١] والسنن[٢] والمصنفات[٣].

وتتجه ثانيتهما إلى جمع الأحاديث والآثار بحسب أسماء رواتها من الصحابة والتابعين كالمسانيد[٤] والمعاجم[٥]، وكانت أحاديث الترغيب والترهيب مبثوثة متفرقة في بطون هذه المصنفات، فنجد مثلاً باب الترغيب في النكاح في صحيح البخاري[٦]، ونجد الترغيب في صلاة التراويح في صحيح مسلم[٧]، والتشديد في النياحة على الميت في صحيح مسلم أيضاً[٨] والتغليظ على من قتل نفسه في السنن الكبرى للبيهقي[٩].

إلا أننا لا نعدم في القرنين المذكورين بعض المحدثين الذين أفردوا للترغيب والترهيب كتاباً مستقلاً، أشار إليه أصحاب كتب التراجم في مصنفاتهم كما سيأتي بيانه.

ورغبة في تقديم صورة واضحة عن بداية التأليف في هذا الفن، وكيفية تناول المحدثين له فيما بعد، ومدى اعتماد المتأخر على المتقدم، فقد قمت بإحصاء تقريبي لا أدعي إحاطته وشموله، وإنما يقرب من الحقيقة، فوجدت أن بعض المصنفين بنى كتابه على موضوع واحد لا يعدوه، كالترغيب في العلم، أو في الجهاد أو في الصلاة، أو في الزهد، أو غير ذلك. وبعضهم جعله عاماً في مواضيع شتى كما هو الشأن بالنسبة لكتاب الحافظ المنذري.

وسأذكر هنا اسم المؤلف وسنة وفاته، واسم كتابه الذي ألفه في هذا الباب، والمصدر الذي جاء ذكره فيه وهذه القائمة المتضمنة لمن ألف في (الترغيب والترهيب) سأوردها مرتبة وفق التدرج التاريخي تشتمل على أهم الكتب التي وضعت في موضوع (الترغيب والترهيب).

١- حسن بن يسار البصري، (ت١٠١هـ) له

كتاب: (الترغيب بمجاورة مكة المكرمة)[١٠].

٢- النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد التميمي، (ت٢٠٣هـ) له كتاب : (الترغيب)[١١].

٣- الحسن بن محبوب الزراد الكوفي (ت ٢٢٤هـ) له كتاب: (الترهيب)[١٢].

٤- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت ٢٤١هـ) له كتاب: (ترغيب الصلاة)[١٣].

٥- حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبدالله النسائي (ت٢٥١هـ) له كتاب: (الترغيب والترهيب)[١٤].

٦- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري (ت٢٦٤هـ) له كتاب (الترغيب في العلم)[١٥].

٧- محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز التجيبي (ت٣١٢هـ) له كتاب (ترغيب الجهاد)[١٦].

٨- أحمد بن محمد بن خالد الكوفي البرقي (ت٣٧٦هـ) له كتاب (الترغيب)[١٧].

٩- عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ، المعروف بابن شاهين (ت٣٨٥هـ) له كتاب (الترغيب والترهيب)[١٨].

١٠- سليم بن أيوب بن سُليم (ت٤٤٧هـ) له كتاب (الترغيب)(١٩).

١١- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الخسْروردي (ت٤٨٥هـ) له كتاب (الترغيب والترهيب)[٢٠].

١٢- محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي (ت٥٠٧هـ) له كتاب (الترغيب)[٢١].

١٣- إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي الطلحي الأصفهاني (ت٥٣٥هـ) له كتاب (الترغيب والترهيب)[٢٢]. وقد طبع بتحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

١٤- محمد بن عبدالرحمن البخاري (ت٥٤٦هـ) له كتاب: (ترغيب الصلاة)[٢٣].

١٥- محمد بن أبي القاسم بن باجوك الخوارزمي (ت٥٦٢هـ) له كتاب: (ترغيب العلم)[٢٤].

١٦- محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصبهاني (ت٥٨١هـ) له كتاب (الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية)[٢٥].

١٧- يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

الكومي، الموحدي (ت٩٩٥هـ) له كتاب (الترغيب) جمع فيه الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالعبادات[٢٦].

١٨- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الصقال (ت٥٩٩هـ) له كتاب (الترغيب)[٢٧].

١٩- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور (ت٦٠٠هـ) له كتاب (الترغيب في الدعاء) وهو مطبوع بتحقيق فواز زمرلي، دار ابن حزم، الطبعة الاولى سنة ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٢٠- محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي (ت٦١٠هـ) له كتاب (الترغيب في الجهاد)[٢٨].

٢١- عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي المصري (ت٦٥٦هـ) له كتاب (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف)[٢٩]. وقد طبع مرات عديدة.

٢٢- عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلمي (ت٦٦٠هـ) له كتاب: (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام)[٣٠]. وقد طبع بتحقيق محمد شكور، مكتبة المنار، عمان، ١٤٠٧هـ.

٢٣- عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ) له كتاب: (الترغيب والترهيب).

٢٤- محمد ابن إسحاق الخوارزمي (ت٨٢٧هـ)، له كتاب: (الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق)[٣١].

٢٥- الشيخ اللقري، من بلدة هجيكي، قدم القسطنطينية، قيل: له مائة مصنف، لم يذكر اسمه ووفاته له كتاب: (ترغيب الصالحين وترهيب الفاسقين)[٣٢].

٢٦- الشيخ أبو إسحاق: إبراهيم بن أحمد ابن محمد الأنصاري، لم تذكر وفاته، له كتاب: (ترغيب العباد في الحض على الجهاد)[٣٣].

٢٧- محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) له كتاب: (الرأي المصيب في المرور على الترغيب)[٣٤].

٢٨- عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي، (ت٩٢١هـ) له كتاب: (الترغيب والاجتهاد في الباعث لذوي الهمم العلية على الجهاد)[٣٥].

٢٩- أحمد بن محمد المنوفي المصري الشافعي (ت٩٣١هـ) له كتاب:

(ترغيب السامع في الصلاة على خير شافع)[٣٦].

٣٠- محمد بن بير محمد بن مريد القسطموني، (ت١٠١٠هـ)، له كتاب (ترغيب المتعلمين)[٣٧].

٣١- الشيخ علي قاري بن محمد الخلخالي (ت١١٠٥هـ) له كتاب (الترغيب إلى العالم العقلي والتزهيد عن العالم الحسي)[٣٨].

٣٢- محمد بن بار محمد بن خواجة، (ت١١١٠هـ) له كتاب: (ترغيب الحسنات وترهيب السيئات)[٣٩].

٣٣- عبد الرحمن بن أحمد السخاوي (ت١١٢٣هـ) له كتاب (الترغيب في فضل الصلاة على الحبيب)[٤٠].

٣٤- عبد المعطي بن سالم الشبلي، (ت١١٢٧هـ) له كتاب: (ترغيب المشتاق في أحكام مسائل الطلاق)[٤١].

٣٥- محمد بن خليل القره حصاري (ت١١٤٢هـ) له كتاب: (ترغيبات الأبرار وترهيبات الأشرار)[٤٢].

٣٦- الشيخ عدلي، له كتاب: (الترغيبات)[٤٣].

٣٧- الشيخ العربي بن إدريس العلمي (ت١٣٢٠هـ) له كتاب: (الترغيب والترهيب في الطريق والتصرف وآداب المريد)[٤٤].

٣٨- محمد بن عبد الواحد (ت١٣٢٤هـ) له كتاب: (الترغيب في زيارة الأولياء)[٤٥].

٣٩- محمد منير الدمشقي، له كتاب (الترغيب والترهيب من القرآن الكريم)، وهو مطبوع بهامش (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف) للحافظ المنذري، القاهرة، دار التراث، مكتبة الإرشاد، ١٤٠٦هـ.

❖ التعريف بالترغيب والترهيب:

● موضوع كتاب "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف":

لقد قصد الحافظ المنذري أن يجعل كتابه جامعاً لأحاديث الترغيب والترهيب، وأسماه "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف" وصرح بأنه جعل كتابه: "حاوياً لما تفرق في غيره من الكتب، مقتصراً فيه على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب[٤٦].

وعلى هذا، فموضوع كتاب "الترغيب والترهيب" هو: أحاديث الترغيب والترهيب مرتبة على الأبواب الفقهية[٤٧]،

فهي أصل موضوعه، وعنوان الكتاب يدل على مراده منه، إلا أن الحافظ المنذري أدرج كتاب البعث والنشور ضمن مواد مصنفة على الرغم من أنه ليس صريحاً في الترغيب والترهيب، يدل على ذلك ما صرح به نفسه في مقدمة كتاب (البعث وأهوال القيامة): "وهذا الكتاب بجملته ليس صريحاً في الترغيب والترهيب، وإنما هو حكاية أمور مهولة تؤول بالسعداء إلى النعيم، وبالأشقياء على الجحيم"(٤٨).

وقد رتب المنذري مادته الحديثية وفق الترتيب الفقهي المعروف، وحرص في عامة كتابه أن يحكم على كل نص بما يناسبه من الأحكام النقدية، جامعاً لشواهده ومتابعاته، وغريبه، كما يتعرض لناسخه ومنسوخه إن وجد.

وقد جاء كتابه جامعاً لأبواب الترغيب والترهيب، مشتملاً على أصول مسائله وفروعه، وهذه صورة للموضوعات التي عالجها المنذري في مصنفه، وبث مادته الحديثية من خلالها: كتاب العلم، كتاب الحج، كتاب القضاء وغيره، كتاب الطهارة، كتاب الجهاد، كتاب الحدود وغيرها، كتاب الصلاة، كتاب قراءة القرآن، كتاب البر والصلة، كتاب النوافل، كتاب الذكر والدعاء، كتاب الأدب وغيره، كتاب الجمعة، كتاب البيوع، كتاب التوبة والزهد، كتاب الصدقات، كتاب النكاح وما يتعلق به، كتاب الجنائز وما يتعلق بها، كتاب الصوم، كتاب اللباس والزينة، كتاب البعث وأهوال القيامة، كتاب العيدين والأضحية، كتاب الطعام وغيره، كتاب صفة الجنة والنار.

وقد عالج المنذري في هذه الكتب، التي بلغ عددها أربعة وعشرين كتاباً، مسائل الترغيب والترهيب وعني بها عناية بالغة، فتوسع في تفريغ هذه المسائل وأشبعها بما يفيها من المادة الحديثية، وفاق بعمله هذا سائر الأئمة الذين صنفوا في الترغيب والترهيب.

● مختصرات "الترغيب والترهيب":

حظي كتاب "الترغيب والترهيب" بعناية العلماء بشكل لافت للنظر وتمثلت هذه العناية بالإقبال على مصنف الحافظ المنذري بالاختصار والتلخيص، وذلك بغية تقريبه لجمهور الأمة وتعميم النفع به.

ومن جملة هؤلاء الأئمة الذين قاموا باختصار "الترغيب والترهيب":

١- محمد بن عمار بن أحمد القاهري (ت٨٤٤هـ) وقد اختار له اسماً وهو (التيسير والتقريب إلى الترغيب والترهيب)(٤٩).

٢- أحـمـد بن علي بن حـجـر الكناني العـسـقـلاني (ت٨٥٢هـ)، وقد سماه (مختصر الترغيب والترغيب)[٥٠]. وقد طبع في الهند بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ثم طبع بدمشق سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م بتحقيق الأعظمي أيضاً وتعليقات سارية عبدالكريم الرفاعي.

٣- محمد بن أبي بكر بن حراز الديري الصفدي الناصري (ت٨٦٢هـ) وقد أسماه: (التقريب إلى كتاب الترغيب والترهيب)[٥١]. وحققه: محمد عرار ومصطفى البغا، وطبع ببيروت.

٤- محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله ابن علي الحميري اليمني الحضرمي، الشهير ببحرق، (ت٩٣٠هـ)، وأسماه (مختصر الترغيب والترهيب)[٥٢].

٥- أحمد بن علي الشرفي (ت١٢٠٢هـ) وأسماه (مختصر الترغيب والترهيب)[٥٣].

٦- علي بن سليمان البجمعوي (ت١٣٠٦هـ)، وأسماه: (الترغيب والترهيب في اختصار الترغيب والترهيب)[٥٤].

٧- يوسف بن إسماعيل بن ناصر الدين النبهاني (ت١٣٥٠هـ) ويسمى مختصره (إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم).

وقد اقتصر فيه على الأحاديث التي رواها الإمامان البخاري ومسلم أو أحدهما، سواء بالمعنى أو باللفظ كما أنه تبع المنذري في ترتيب وتبويب الكتاب، إلا في النادر، وتبعه كذلك في تفسير الألفاظ التي فسرها المنذري، إلا أنه شرح هو أيضاً ما رآه يحتاج إلى شرح وهو قليل يقول الشيخ النبهاني في مقدمة كتابه: "وقد تبعته في تبويبه وترتيبه، إلا في النادر، لحكمة تظهر للعارف، وتركت الأبواب التي لم أجد فيها شيئاً من أحاديث الصحيحين، وقد تكون ترجمته شاملة لجملة أشياء، فاقتصر منها على ما فيه شيء من روايتهما أو رواية أحدهما، وقد يتكرر الحديث في عدة أبواب فأنبه عليه، وقد تذكر بعض الأبواب أو بعض الأحاديث في غير محلها لسبب بيّنه صاحب الأصل"[٥٥].

وتتمثل قيمة الكتاب في كون النبهاني اقتصر فيه على إخراج لب لباب الصحيح من كتاب (الترغيب والترهيب) فاقتصر فيه على أحاديث "الصحيحين" دون سواهما مما تضمنه الكتاب. وقد طبع

الكتاب بتحقيق مأمون الصاغرجي/مطبعة دار الفكر المعاصر/ بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨- الشيخ محمد بن يحيى الهندي الحنفي، (ت١٣٥٥هـ) وأسماه (تهذيب الترغيب والترهيب)[٥٦].

٩- الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: وقد توجهت همته إلى تمييز صحيح الترغيب والترهيب من ضعيفه، وتم طبع المجلد الأول من القسم الصحيح بعنوان: (صحيح الترغيب والترهيب) وهذا المجلد يعادل ثلث كتاب الحافظ المنذري.

١٠- عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: وقد سماه (قطوف الثمر وعقود الدرر من كلام سيد البشر) وتم طبع هذا الكتاب بمطابع القصيم/ الرياض سنة ١٤٠٧هـ.

١١- الدكتور يوسف القرضاوي: وقد اختار له اسماً وهو: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب)، جمع فيه كل الأحاديث الصحيحة والحسنة، وقد أوضح منهجه في النقد والتمحيص فقال: "واجتهدت أن أضم إلى رأي المنذري رأي غيره من أئمة الحديث ونقاده ممن جاء بعده، فيما أخذته من أحاديث هذا المنتقى حتى ازداد اطمئناناً إلى قبول الحديث وثبوته"[٥٧]. وتم طبع الجزء الأول من هذا المنتقى في قطر سنة ١٩٨٦. ثم طبع تاماً في جزأين في المنصورة سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٢- عوني نعيم الشريف: واسم مختصره (تهذيب الترغيب والترهيب) قال صاحبه في مقدمته : "حذفت منه جميع الأحاديث الضعيفة والموضوعة وذلك بالرجوع إلى موسوعة الأحاديث الصحيحة[٥٨] وإلى المعجم المفهرس لأحاديث الألباني[٥٩]. وقد طبع في مجلدين بمطبعة دار الجيل، بيروت، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٣- سميح عباس: وقد أسماه (إعلام المسلم بما اتفق عليه البخاري ومسلم في الترغيب والترهيب)، وقد اقتصر فيه صاحبه على الأحاديث المتفق عليها من البخاري ومسلم. وكان قد صدر هذا الكتاب في عام ١٩٨٥م بعنوان (زاد الواعظ والخطيب من المتفق عليه في الترغيب والترهيب)، وتم طبع هذا الكتاب بمطبعة الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

● **أهم شروحه:**

وضعت لكتاب (الترغيب والترهيب) شروح كثيرة، اختلفت طولاً وقصراً ومن بين هؤلاء الشراح نذكر:

١- حسن بن علي بن سليمان الفيومي، (ت٨٧٠هـ) وقد أسماه: (فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب)[٦٠].

٢- علي بن محمد المنوفي المالكي، (ت٩٣٩هـ) له شرح في الترغيب والترهيب. ذكره الأستاذان: محمد عصام عرار ومصطفى البغا في مقدمة كتاب (التقريب إلى كتاب الترغيب والترهيب)[٦١]، ولم يذكرا مصدرهما في ذلك، والله أعلم.

٣- محمد حياة السندي، (ت١١٦٣هـ) سماه (شرح الترغيب والترهيب)[٦٢].

● **زوائد (الترغيب والترهيب):**

قام الحافظ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، المتوفى سنة أربعين وثمانمائة للهجرة باستخراج زوائد الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، وأطلق عليه: (تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب) أو (إتحاف الحبيب بما زاد على الترغيب والترهيب)، ذكره السخاوي في (الضوء اللامع)[٦٣] والسيوطي في (حسن المحاضرة)[٦٤].

● **المكانة العلمية (للترغيب):**

احتل كتاب "الترغيب والترهيب" مكانة مرموقة بين المصنفات التي ألفت في الترغيب والترهيب، فقد أكبره الأئمة النقاد وأطنبوا في الثناء عليه، وذلك لاشتماله على كثير من المزايا.

وإن قيام العديد من العلماء على تقريبه، وشرحه، والعمل على استخراج زوائده والتبكير في طبعه (سنة ١٤١٧هـ) يدل على ضرورته ومسيس حاجة العلماء إليه لأهميته وجلالته.

وكان ممن أثنى عليه وحمده وارتضاه بل فضله على غيره من كتب الحديث المتخصصة في الزهد، الإمام الحافظ محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير حيث يقول في معرض حديثه عن تقسيم العلوم إلى ما لا يحتاج إليه في الدين وما يحتاج إليه-: "والقسم الثاني من العلم: ما يحتاج إليه في الدين وهو قسمان: قسم لم يختلف في حسنه مثل النصوص في الحديث والإجماع من تفسير الإسلام والإيمان الواجب على الجميع دون ما عاداه، وعلم الزهد بما اشتملت عليه كتبه مما أجمع عليه دون ما اختلف فيه.

ومن أنفس كتبه رياض الصالحين للنووي لاقتصاره على الحديث القوي، وأنفس منه الترغيب والترهيب للمنذري[٦٥].

وقال الحافظ الناجي مشيداً به: "وقد أجاد ترتيبه وتصنيفه، وأحسن جمعه وتأليفه، فهو فرد في فنه منقطع القرين في حسنه"[٦٦] فاستحق بذلك أن يصفه ابن العماد بأنه "كتاب نفيس"[٦٧].

ونظراً لإمامة الحافظ المنذري وتقدمه في الحديث وعلومه، صارت مصنفاته مرجعاً للعلماء، يقول العلامة محمد بن يحيى بهران الصعدي: "وقد آثرت رواية الكتب الستة على غيرها من كتب الأحاديث النبوية، وآثرت رواية غيرها من كتب الحديث على ما يرد في الكتب الفقهية، لظهور إسناد كتب الحديث ومعرفة أصولها وموافقة المخالف على وجوب قبولها، وحيث يقع بين الروايات اختلاف يختلف في المعنى، أوردها جميعاً بألفاظها، وحيث لا أظفر بالخبر المشار إليه في كتب الحديث، أذكر ما ورد في غيرها. واعتمدت فيما أنسبه إلى الكتب الستة أو بعضها على رواية جامع الأصول، وفيما أنسبه إلى غيرها من كتب الحديث على رواية الحافظ عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب، المقبول عند علماء المنقول"[٦٨].

وقد أفتى الحافظ جلال الدين السيوطي بالاعتماد على مصنفات المنذري الحديثية، وذلك عندما سئل عن كتب فيها أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست في "الموطأ" ولا في "الصحيحين" فأجاب بأنهم لا يروون منها إلا ما ثبت وروده وإلا وقفوا على روايتها حتى يسألوه عنها، وقال: "وإذا علمتم أن الحديث في سائر الكتب الستة، أو مسند الإمام أحمد، فارووه مطمئنين. وكذلك ما كان مذكوراً في تصانيف الشيخ محيى الدين النووي، أو المنذري صاحب الترغيب والترهيب، قال: فارووه مطمئنين"[٦٩].

وقال الشيخ عبدالحي الكتاني: "وهو كتاب عظيم الفائدة"[٧٠]، وهذا الثناء العطر على (الترغيب والترهيب) من كبار العلماء يؤكد المكانة العلمية السامقة التي بلغها هذا السفر الجليل.

ومن مظاهر ذيوع كتاب (الترغيب والترهيب) في الأوساط العلمية، وكثرة استعمال الأئمة له أننا لا نكاد نجد كتاباً في الحديث يتعلق بالمتون أو الفقه أو التخريج أو الجوامع الحديثية أو الإثبات أو الرحلات، إلا ونجد ذكر هذا المصنف المبارك فيه مرات عديدة.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) الجامع في اصطلاح المحدثين: "ما يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والرقاق وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ والسير والفتن والمناقب وغير ذلك" الكتاني، محمد بن جعفر (١٣٤٥هـ) الرسالة المستطرفة، ص٤٢، قدم له ووضع فهارسه محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط٤، ١٤٠٦/١٩٨٦م، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

(٢) السنن في اصطلاح المحدثين: "الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة في اصطلاحهم سنة ويسمى حديثاً"، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٣٢.

(٣) المصنفات: "كتب مرتبة على الأبواب لكنها تشتمل على الحديث الموقوف، والحديث المقطوع بالإضافة إلى الحديث المرفوع"، عتر، د. نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ص٢٠٠، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الفكر، دمشق.

(٤) المسانيد: هي المصنفات التي يكون ترتيب أحاديثها على أسماء الصحابة،فتدرج أحاديثها كل صحابي على حدة صحيحة كانت أم ضعيفة، وهؤلاء الصحابة إما يرتبون حسب حروف المعجم، أو على القبائل، أو على السابقة في الإسلام، أو شرافة النسب، أنظر، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) فتح المغيث شرح الفية الحديث، ج٢، ص٣٨٥، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٦٠.

(٥) المعجم في اصطلاح المحدثين، ما نذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء"، الكتاني الرسالة المستطرفة، ص١٣٥.

(٦) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٩، ص٥، عني بإخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ، المطبعة السلفية، القاهرة.

(٧) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ) مع شرحه للإمام النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، ج٦، ص٣٩، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة على الميت ج٦، ص٢٣٥.

(٩) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ)، كتاب الجراح باب التغليظ على من قتل نفسه، ج٨، ص٤٣، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٠) انظر، البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، ج١، ص٢٦٥، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة باستانبول.

(١١) انظر، المصدر السابق، ح٢، ص٤٩٤.

(١٢) انظر، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٦.

(١٣) انظر، المصدر السابق، ج١، ص٤٨.

(١٤) انظر تباعاً الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥٥٠-٥٥١، تصحيح عبدالرحمن بن يحيى المصلحي، تصوير دار إحياء التراث العربي، بعناية وكالة المعارف الجليلة سنة ١٩٤١م باستانبول. والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٣٣٩ والكتاني،

الرسالة المستطرفة، ص٥٧ وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج١، ص٨٥٨، اعتنى به وجمعه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٥) انظر تباعاً السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٩٤، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦١م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، وابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي (١٠٨٩). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٢، ص١٤٨، طبعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت، وانظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠. وانظر كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٣٨٣.

(١٦) البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج١ن ص٢٨٢، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين، سنة ١٣٦٤هـ، استانبول. وانظر الزركلي، خير الدين (١٣٩٦) الأعلام، ج٦، ص١٩٠، ط٨، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت.

(١٧) انظر، البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٦٧.

(١٨) انظر، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٥٧.

(١٩) انظر، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٢٠) انظر الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٦٦، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٩، ١٤١٣/١٩٩٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، وابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين (٨٨١) طبقات الشافعية، ج١، ص٢٢٧، تحقيق عبد العظيم خان، ط١، ١٤٠٧/١٩٨٧م، الناشر، عالم الكتب، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص٣٠٥، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٧٨.

(٢١) انظر، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص٧٢، وكحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٦٠.

(٢٢) انظر تباعاً، الذهبي، التذكرة، ج٤، ص١٢٧٨. وحاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٢١١، والكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٥٧. وكحالة. معجم المؤلفين، ١٣٥/٣.

(٢٣) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٩٩.

(٢٤) انظر، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٠.

(٢٥) انظر، المصدر السابق، ج١، ص٤٠١، وانظر كذلك البغدادي ، هدية العارفين، ج٢، ص١٠٠-١٠١.

(٢٦) انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٥، والبغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٢٨٢.

(٢٧) انظر، كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٥٧.

(٢٨) انظر، البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص١٠٨-١٠٩ والزركلي، الأعلام ج٦، ص١٩١.

(٢٩) انظر تباعاً، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٨٣، والكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨١.

(٣٠) انظر تباعاً، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٠٠، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٨٠، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢١.

(٣١) انظر الزركلي، الأعلام، ص٣٠ وانظر كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص١٢١-١٢٢.

(٣٢) انظر، البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٢٨٢.

(٣٣) انظر، البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص١٨.

(٣٤) انظر، البغدادي، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٩.

(٣٥) انظر، البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٢٨٣، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٨٣.

(٣٦) انظر تباعاً، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٩٩، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص١٤٠. والزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٣٣.

(٣٧) انظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠. والزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٨٤.

(٣٨) انظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٤٨٨.

(٣٩) انظر، البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٢٨٢، والبغدادي، هدية العارفين،ج٢، ص٣٠٦.

(٤٠) انظر، البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٥٢، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٩٧.

(٤١) انظر، البغدادي، الإيضاح، ج١، ص٢٨٣، والبغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٦٢٢.

(٤٢) انظر، البغدادي، الإيضاح، ج١، ص٢٨٢.

(٤٣) انظر، حاجي، خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠.

(٤٤) انظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٣٧٣.

(٤٥) انظر المصدر نفسه، ج٣، ص٤٧١.

(٤٦) المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبدالقوي (٦٥٦) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج١، ص٢، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.

(٤٧) أشير إلى أن الحافظ المنذري قد ذكر قبل أبواب الفقه، أنواعاً من الترغيب والترهيب كالترغيب في الإخلاص، والصدق، والنية الصالحة، والترهيب من الرياء، وما يقوله من خاف شيئاً منه، والترغيب في اتباع الكتاب والسنة، والترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء، والترغيب في البداءة بالخير ليستن به، والترهيب من البداءة بالشر خوفاً أن يستن به.

(٤٨) المنذري، الترغيب والترهيب، ج٦، ص١٧٢.

(٤٩) انظر، صالح أحمد الوعيل، مقدمة الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، ج١، ص٧٠.

(٥٠) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠. وانظر، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨١. والأعظمي، حبيب الرحمن، مقدمة كتاب مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني، ص٧، ط ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، الناشر إدارة إحياء المعارف.

(٥١) ابن الديري، شمس الدين محمد بن أبي بكر الصفدي الناصري (٨٦٢) التقريب إلى كتاب الترغيب والترهيب، ج١، ص٥٨، تحقيق وتعليق الشيخ محمد عصام عرار والدكتور مصطفى ديب البغا، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١، دار اليمامة/ دمشق.

(٥٢) انظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٤٦٥.

(٥٣) انظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١ن ص٢٠٢

(٥٤) الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير (١٣٨٢)، فهرس الفهارس والإثبات، ج١، ص١٧٧. بعناية الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٥٥) النبهاني، يوسف بن إسماعيل (١٣٥٠)، إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم، ص٧، تحقيق مأمون الصاغرجي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

(٥٦) المالكي، علوي بن السيد عباس، فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب، ص٧، ط٢، ١٣٧٧هـ، دار إحياء الكتب العربية، حلب.

(٥٧) القرضاوي، الدكتور يوسف، مقدمة المتقي من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، ج١، ص٦٥، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الوفاء، المنصورة.

(٥٨) قال المؤلف مبيناً منهجه في جمع هذه الموسوعة الحديثية: (قمت بتتبع الأحاديث الصحيحة وجمعها من كتب أئمة الحديث المختصين بالتصحيح والتضعيف دونما تشدد أو تساهل) انظر مقدمة تهذيب الترغيب، ج١، ص٧.

(٥٩) عوني نعيم شريف، مقدمة تهذيب الترغيب، ج١، ص٩-١٠.

(٦٠) انظر تباعاً، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨١ وعبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٦٣. وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص٢٥٦، نقله إلى العربية الدكتور السيد يعقوب بكر، طبع سنة ١٩٧٧م، دار المعارف، القاهرة.

(٦١) انظر، محمد عصام عرار ومصطفى ديب البغا، مقدمة التقريب إلى الترغيب والترهيب، ج١، ص٤٣.

(٦٢) انظر تباعاً، البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٣٢٧، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٩٧، والكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨١. وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٦٣، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٢٧١.

(٦٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١، ص٢٥١، دار مكتبة الحياة ببيروت.

(٦٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص٢٠٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، طبعة البابي الحلبي، القاهرة.

(٦٥) ابن الوزير، أبو عبدالله محمد بن المرتضى اليماني (٤٨٠) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ص٣٥، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦٦) الناجحي، مقدمة العجالة مع التغريب، ج٥، ص٥.

(٦٧) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٨.

(٦٨) الصعدي، محمد بن يحيى بهران (٩٥٧هـ) جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار، ج١، ص٣، طبع بحاشية البحر الزخار الجامع لمذاهب الأنصار، مراجعة الأستاذين عبدالله محمد الصديق، وعبدالحفيظ سعد عطية، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، مطبعة السعادة، مصر.

(٦٩) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الحاوي الفتاوي (٩١١) ج١، ص٢٥٠، ط٢، ١٣٩٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧٠) عبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٦٢-٥٦٣.

شهر رمضان المبارك

■ بقلم الشيخ محمد عبد الفتاح العمارنة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ❖ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ١٨٣-١٨٥ .

لقد أظلنا شهر عظيم فضله، كريم أجره وقدره، فيه ليلة خير من ألف شهر، قال ﷺ في فضلها: " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري، وهو شهر انزل الله فيه كلامه العظيم القران الكريم، شهر الرحمة والمغفرة، فمن لم يدرك خير هذا الشهر العظيم وينعم بخيراته ونسائمه الرحمانية، فهو المحروم بعينه لا محالة!!

ورمضان شهر الانتصارات والبركات والعبرات والطاعات، والصدقات

والكفارات، فقيامه وصيامه مغفرة للذنوب السابقة، وهو شهر تستجاب فيه الدعوات وتكثر فيه العطايا والهبات من رب الأرض والسموات .وقبل كل هذا وذاك هو شهر اختص الله به نفسه ليكافئ عليه ويجزي به دون كل الأعمال والطاعات. حيث قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا اجزي به" ثم قال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" رواه البخاري.

وفي رواية أخرى لمسلم أن رسول الله ﷺ يقول: "كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: "إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به: يدع شهوته وطعامه من اجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه".

نعم فنحن في كل الطاعات ندع الدنيا وشهواتها وملذاتها لله، لكن الصوم أمر خفي يستطيع المرء أن يأكل سرا ثم يقول: أنا صائم، فمن جاهد نفسه وترك شهوته سرا وجهرا فالله يكافئه، والصيام من أعظم العبادات التي فرضها الله تعالى على العباد لتحقيق مقاصد التقوى أولا **﴿لعلكم تتقون﴾** ومن ثم لنيل المغفرة.

ومن عظيم فضل هذا الشهر الكريم، أن اجر الفريضة فيه بسبعين فريضة وأجر النافلة فيه كالفريضة، بل إن في عبادة الصوم اجر إضافي، فإذا قمت بتفطير صائم ولو على تمرة أو شربة ماء فان لك كأجر صومه، فقد قال ﷺ: "من فطَّر صائما كان له مثل أجره غير انه لا ينقص من أجر الصائم شيء" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

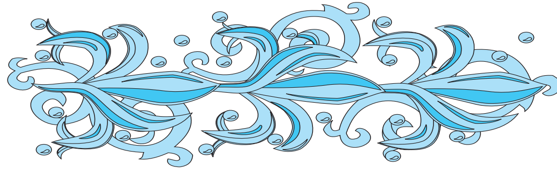
ورمضان شهر تكثر فيه العبادات من عمرة وقيام وتراويح وغيرها، فالعمرة في رمضان يكون أجرها بأجر حجة مع النبي ﷺ، حيث أورد مسلم في كتاب فضل العمرة في رمضان ان النبي ﷺ قال: "عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي".

وهو شهر تكثر فيه البركات وتعم فيه الخيرات على كافة أفراد المجتمع المسلم، ففيه تفيض الصدقات والزكوات بحيث تكاد ترى المجتمع المسلم في خير عام

شامل واسع على الجميع، وحينها ترى النفوس تزكو والقلوب تنكسر لله تعالى، كيف لا وقد بات المجتمع المسلم كله كالجسد الواحد يسمع بعضه تأوهات البعض، فيشد أزرهم ويعين محتاجهم ويرفق بأرحامهم وضعفائهم، وهو شهر الأوبة والعودة إلى الله فكم من عبد ابق شارد عن مولاه مقصر في جنب سيده جل وعلا، نراه في المسجد تائبا إلى الله منيبا إليه سبحانه، بل كم من مسلم أساء ما بينه وبين الله وبينه وبين الناس، تراه يسعى لتقديم عمل صالح خالص صادق يرضي به وجه ربه ويكفر به عن ذنبه، فهذا الشهر فرصة رائعة فيها بحبوحة وسعة للإصلاح مع الله ومع النفس والعباد.

وهو شهر القران الكريم، فقد نقل عن الإمام الشافعي رحمه الله انه كان يختم القران في رمضان ستين مرة، ولا يتفرغ لشيء من العلم في رمضان إلا القران ولا شيء سوى القران، وكان سلفنا الصالح يشغلون نهارهم بالصيام والقران وليلهم بالقيام والاستغفار والخشية والبكاء من خشية الرحمن، وذلك حينما كانت القلوب حية لينة رقيقة شفافة، غضة طرية واعية مخبتة لمولاها الله جل جلاله.

وهو شهر الانتصارات والبركات عند امة الإسلام، ويكفينا في ذلك تذكر تلك الغزوة العظيمة الأولى في الإسلام التي كانت سببا في تغيير وجه الجزيرة العربية كلها، تلك الغزوة التي حدثت في السابع عشر من رمضان إلا وهي غزوة بدر الكبرى، وما نزل فيها من آيات وعظات وما روي فيها من أحاديث نبوية شريفة، وسجلت كتب السير والتاريخ أحداث ودروس وفوائد هذه الغزوة المباركة.



ليلة خير من ألف شهر

■ بقلم الاستاذ ابراهيم الدهون

لقد اختار الله سبحانه وتعالى شهر الصيام، لنزول القرآن العظيم فقال جلّ من قائل: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة: ١٨٥ ووضح الله تعالى في كتابه العزيز معلناً أن في هذا الشهر المبارك، ليلة عظيمة ذات منزلةٍ رفيعةٍ فقال في محكم التنزيل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر ❖ وما أدراك ما ليلة القدر ❖ ليلة القدر خير من ألف شهر ❖ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ❖ سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ سورة القدر.

❖ معناها:

القدر: هو الشرف العظيم والمنزلة الرفيعة والبركة العميمة، وسميت ليلة القدر بهذا الاسم، لأنها انزل فيها كتاب ذو قدر وعظمة، بواسطة ملك ذي قدر وشأن، على قلب رسول ذي قدر ومحبة من الله، وعلى أمةٍ ذات قدر وشرف، وكما وصف الله تبارك وتعالى هذه الليلة بالقدر والشرف، وصفها أيضاً بالبركة فقال سبحانه وتعالى: **﴿حم والكتاب المبين، إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾** الدخان: ١-٣ .

فهي ليلة الفتوحات الربانية والأنوار القدسية، والبركات السنية و التنزلات الملائكية تتشوق إليها أرواح المؤمنين وقلوب الخاشعين.

❖ تحديدها وتعيينها:

لقد أخفى الله تعالى وقت ليلة القدر من أيام شهر رمضان المبارك لأسرار وحكم، ولم يحدد القرآن العظيم ليلة القدر، وسيدنا محمد ﷺ لم يحدد هذه الليلة المباركة تحديداً تاما معيناً، وإنما أشار اليها على وجه التقريب.

وقد اختلفت الروايات في تعيين هذه الليلة، وأرجح هذه الروايات أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر منه، وأنها في ليالي الوتر من العشر الأواخر.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ قوله: «تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر» ومعنى التحري: هو الاجتهاد والحرص في العبادة بالمثابرة والنشاط.

ثم يقرب الرسول ﷺ أكثر من ذلك في التعيين فيقول: «تحروا ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر من رمضان» رواه أحمد والترمذي.

وقد قال ابن إسحاق رحمه الله ما نصه: «إنها كانت ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى: **﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾** الأنفال: ٤١.

لأن المراد بيوم **﴿التقى الجمعان﴾** يوم التقاء المسلمين مع المشركين في غزوة بدر الكبرى وكان ذلك يوم الجمعة، في ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة وهو أول ما أنزل فيه من القرآن العظيم في رمضان وقد وافق يوم التقاء الجمعين، وإن كان بينهما زمان طويل، فهما متحدان في الوصف وهما يوافقان يوم الجمعة ١٧ رمضان ولم يتحدا في الزمن».

وذكر إبن حجر العسقلاني في فتح الباري أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن تعيين ليلة القدر، لعل أحدهم سمع من رسول الله تعييناً لها، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر من رمضان، وهذه العشر هي التي كان رسول الله ﷺ يكثر فيها من التعبد لله، والتقرب إليه بالطاعات ويلازم المسجد بالاعتكاف.

فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله إذا دخل العشر الأواخر شدَ مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله» وفي الترمذي «كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر

ما لا يجتهد في غيرها».

ولقد أكد سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما «أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان» واقتصرت هنا على أرجح الروايات التي وردت في شأن تحديد وتعيين ليلة القدر وهي كثيرة ومشهورة.

كما بذل العلماء والعارفون والمحبون، محاولات شتى في سبيل تحديد ليلة القدر بطرق كثيرة، منها ما قاله بعضهم: إن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة، وهي التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿**سلام هي**﴾ في السورة نفسها هذه الكلمة هي تمام سبع وعشرين.

ومنها أن حروف ليلة القدر تسعة حروف، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات وضرب ثلاث في تسع تساوي سبعاً وعشرين.

ولعل في إخفاء هذه الليلة وعدم تعيينها، أسرار وحكم أرادها العليم الخبير لعباده، ليداوموا على الطاعة والقرب من الله تعالى في كل الليالي والأيام، ليتحصل لهم الثواب العظيم والمنزلة الرفيعة.

ولذلك قال أسلافنا رضي الله عنهم:

أخفى الإله عزَ وجل أموراً في أمور لحكم، فأخفى ليلة من الليالي لتحيا جميعاً، وساعة الإجابة في الجمعة ليدعوا الناس في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ عليها كلها، والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع، ورضاه في الطاعات وغضبه في معصيته لينزجر عن الكل، والولي في المؤمنين ليحسن الظن في كل منهم، ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً، وأجل الإنسان أخفي عنه ليكون على أهبة دائماً.

❖ فضائلها:

لقد بين القرآن العظيم فضائل هذه الليلة المباركة أعظم بيان، ففيها نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وفيها تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم، وهي بشهادة الله عزَ وجل خير من ألف شهر.

وقد وردت أحاديث نبوية تبين فضل ومنزلة هذه الليلة العظيمة، وقد عقد البخاري باباً خاصاً في فضل هذه الليلة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من صام رمضان إيماناً واحتسابا

غفر له ما تقدم من ذنبه)، وقال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

كما أعلن رسول الله ﷺ خيرية هذه الليلة المباركة وحرمان من حرمها فقال: (أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ومن حرم خيرها فقد حرم) رواه النسائي والبيهقي وقال الإمام مالك في موطئه: سمعت من أثق به من أهل العلم يقول: «إن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن يبلغوا من العمل مثل ما يبلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر».

❖ إحياؤها:

يشهد رسول الله ﷺ شهادة صدق نبوية، عند مليك مقتدر، لمن قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا ببراءة من الذنوب، والخير العميم لمن يتوب فيقول: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

فهي ليلة العبادة والخشوع، وهي ليلة القرآن والإحسان، وليلة التذكر لنعمة الحق والدين، وليلة إحياء القلوب وإذكاء الإخلاص، والحث على التوبة والرجوع إلى الله تعالى وشدة التمسك بدينه، والتأدب بأوامره، والكف عن نواهيه.

وهي ليلة التهجد والطاعة ومحطة التوبة والضراعة، وهي ليلة البر والصدقات وازدياد النعم والأرزاق، فيا أهل الطاعة والمحبة هذه ليلتكم لتزدادوا إيماناً وإحساناً، ولتطهروا أنفسكم من الذنوب والخذلان، ولتفوزوا بالجنة والرضوان.

وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، بماذا أدعو فيها؟ فقال: قولي: «اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني» رواه الترمذي وأحمد.

وأرجو الله تعالى أن أكون وإياكم ممن يدعون فيستجاب لهم، وممن يفوزون بمحبة الله ورضوانه وجنته.

والحمد لله رب العالمين

عبقرية اللغة العربية

مثال الفعل «فرج» ومشتقاته

■ بقلم الدكتور عودة الله منيع القيسي

نبحث في هذه المقالة الفعل «فرج» ومشتقاته من الافعال والأسماء والصفات، لندلل بذلك على ان هناك ثلاثة أشياء ذات اهمية بالغة في اللغة هي:

الأول: ان اللغة العربية لغة العقلاء، ولذلك فهي تقوم على اشتقاق معقول لا اشتقاق اعتباطي، لأن كل المشتقات من الأصل اللغوي الواحد، يكون لها كلها معنى مركزي واحد، ثم تحمل كل صيغة معنى جديداً، اضافة الى المعنى المركزي.

الثاني: ان هناك صيغاً وردت في المعاجم لا يسهل قبولها من حيث الاشتقاق للوهلة الأولى، ولكن من باب الاستعمال الاستثنائي الذي ادى اليه معنى مخصوص ولّده ظرف مخصوص، وستتضح أمثلة ذلك خلال هذه المقالة.

الثالث: ان الأديب أو اللغوي يمكن ان يأتي باشتقاقات لم ترد في المعاجم للتعبير عن المعاني الجديدة، بل يمكننا ان نولد اشتقاقات استثنائية لم يعتد اهل اللغة استعمالها، ولم ترد في القديم، تأتي تعبيراً عن حالة خاصة ولدتها الظروف، كأن نأتي باسم الفاعل من فعل -لا ارادي- لا يأتي منه اسم فاعل في المعتاد واليك التفاصيل:

- **فَرَجَ:** هذا هو الجذر اللغوي، وهو فعل ثلاثي، ومعناه انكشف واتسع، ففرج الشيء، كشفه.

١- والفرج: الخلل بين الشيئين، اي: هو منطقة مكشوفة بينهما، والفرّج: هو عورة الرجل والمرأة، وسمي فرج المرأة هكذا: لأنه ينكشف عنه الوركان، ولأنه ينفرج ما بين شفريه، اي: يتسع عند الجماع او الولادة، اما الرجل اطلق على عورته الفرج لسببين: الأول، انه ينتشر فينكشف او يكاد او يكون واضحاً وبارزاً في موضوعه فكأنه مكشوف، والثاني: او الوركين ينفرجان عنه وله اي: ينكشفان، والفرج: الثغر المخوف لأنه منكشف للعدو لقربه منه، والفرج: سوار الرجل والمرأة، لأن فيه فراغاً، والفراغ نوع من الانكشاف والاتساع، **وفروج الأرض:** نواحيها المتسعة المكشوفة، ومفردها فرج.

٢- والفرجة: الخصاصة بين الشيئين، كما يقول معجم لسان العرب، والخصاصة: الاتساع والانكشاف.

٣- والتفاريج: الفتحات التي بين الأصابع، وما بين الأصابع منطقة مكشوفة، ويقول ابن الأعرابي: مفرد التفاريج: تفراج، وانا ارى ان هذا الجمع من الجموع التي لا مفرد لها، مثل: تقاطيع الوجه، فليس لها مفرد، سواء أقلنا: تقطاع أو تقطيعة، ومثل: تقاسيم فليس لها مفرد، سواء أقلنا: تقسام او تقسيمة، والاتيان بمفرد لكل من هذه الجموع او مثلها، انما هو صناعة لغوية لم يتكلم بها العرب ولا بأس في استعمال المصنوع اذا اقتضاه معنى جديد.

٤- والفرجة: بالفتح.. بالأمر والفرجة بالضم في الجدار والباب. اي هو الاتساع والانكشاف في كل منهما، ولكن من دقة اللغة العربية أنها تستعمل غالباً صيغة لكل معنى، وإن تقارب المعنيان فالانكشاف في الأمر أو المشكلة معنوي وليس مادياً ولهذا، جاءت الفاء مفتوحة، اما الانكشاف في الجدار والباب انما هو مادي، ولذلك ضم أوله ليختلف مبناه عن مبنى المعنوي، وهذا نوع من الاشتقاق بالحركات،كما اننا نفرق في المعنى باستعمال الاشتقاق بالحروف، ولذلك، نجمع عيناً على عيون، عندما نريد العيون المبصرة، او عيون الماء، في حين نجمعها على أعيان، عندما نريد التعبير عن علية القوم، ومن المطرد في اللغة ان المادي يضم أوله وان المعني يفتح اوله.

ومثل: الفرجة والفُرجة: غَرفة وغُرفة،

فالغرفة هي ان تغرف بيدك او بإناء من الماء مرة واحدة، اما كمية الماء المغروفة مرة واحدة، فهي غُرفة قال تعالى: **﴿الا من اغترف غرفة بيده﴾** البقرة: ٢٤٩ .

ومثل غرفة الماء.. الغرفة التي هي جزء من بناء تتخذ مسكناً او مكتباً، لأن هذه وهذه شيئان ماديان وجمع الغرفة: غرف وغُرفات، كما ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً﴾** العنكبوت: ٥٨، وقال: **﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾** سبأ: ٣٧ .

لماذا (غُرفاً وغُرفات)؟:

وبالمناسبة لماذا جاء في الآية الاولى **﴿غُرفاً﴾** وفي الآية الثانية **﴿الغرفات﴾**؟ مفهوم ان الجمعين لمفرد واحد وهما اشتقاقان لهذا المفرد، ولا يجوز ان نستعمل فيما نكتب الا أحد الاشتقاقين، الا اذا اختلف المعنى، عندئذ من الدقة ان نأتي بكل جمع في موطنه، وهكذا كان في القرآن الكريم -الكتاب المعجز- فقد استعملت غرفاً وهي جمع تكسير وتكثير مع المؤمنين الذين يعملون الصالحات، واستعملت الغرفات وهي جمع يدل على القليل مع المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع انهم اصحاب اموال وأولاد، والأموال والأولاد، غالباً ما تصرفان عن بعض العبادة والعمل الصالح، اما قال الله تعالى: **﴿ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى﴾** اما اعتبر الحق تعالى ان كثرة المال لرجل وكثرة الولد، انما هما نعمتان يجب على الانسان ان يعبد ربه كفاء ما اعطاء منهما، فإذا لم يفعل غضب عليه وتهدده وتوعده؟ قال تعالى في هذا السياق: **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً ❖ وجعلت له مالاً ممدوداً ❖ وبنين شهوداً﴾** المدثر: ١١-١٣، ولكنه لم يؤمن فوجه الله تعالى له هذا التهديد الشديد.

ولذلك.. فالذين يؤمنون ويعكفون على عمل الصالحات من أصحاب الثروات، والعدد الكبير من الأبناء أقلة، لأن الثروات والابناء تدفع كثيراً منه الى ان تأخذهم العزة بالإثم، ولذلك جاء التعبير بالايمان والعمل الصالح من باب الاستثناء، وبعد ان سبق ان الاموال والأولاد لا تقرب المرء من

الله تعالى.

وعلى ذلك فالمؤمنون منهم أقلة، فالكثرة المؤمنة استعمل معهم جمع الكثرة، والقلة المؤمنة استعمل معهم جمع القلة.

ومما يمثل به على ان جـــمع المؤنث السـالم، غـالبـاً مـا يدل على القلة قـول حسان ابن ثابت رضي الله عنه يفتخر بكرم قومه: لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى، فقال: الجفنات ولم يقل: الجفنان، ولذلك انتقده النابغـة الذبيـاني في سـوق عكاظ الذي كانت تضرب له فيه خيمة من أدم اي: من جلد، ليحكم بين الشعراء انتقده باستعماله الجفنات وليس الجفان، لأن الجفنات تدل على القليل، ولذلك.. عندمـا اراد الحق تعـالى ان يبين فضله على سليمـان عليه السلام بأمره الجن بأن يطيعوه قال: **﴿يعملون له مـا يشـاء من مـحـاريب وتماثيل وجـفـان كـالجـواب وقـدور راسـيـات﴾** سـبـأ: ١٣، فاستعمل جمع التكسير «جفان»[(١)] للدلالة على الكثرة، ولم يستعمل: الجفنات، جمع المؤنث السالم، لدلالتها على القلة.

٥- والفـرجـة: الراحـة من حـزن او مـرض، والراحة منهمـا انما هو انكشـاف لهـمـا اي: زوال، وهو انكشـاف معنوي لا مادي، وجمع الفرجة: فرجات وفُرج، وأرى انه يمكن ان يضـاف: فُرَج بضم الفاء وفتح الراء، لأنه يمكننا ان نضيف من المشتقات ما تدعو اليه الحاجة، بل ان كثرة الجموع التي تأتي من مـفـرد واحـد تسـهل الاستعمال، فسواء ضممت او فتحت - مثلاً- فالكلام صحيح وهذا ناتج عن ان العربية مستقراة من سبع لهجات، بينها اختلاف في قليل من اللفظ، ولا ضير ما دام كل لفظ له خصوصية معنى، اما الاختلاف في حركات الاعراب، فيجب وجوبا ان يطرح منه ما خالف اعراب القرآن.

٦- والفَرِج: ورجل فرج: لا تزال تتكشف عورته وذلك في الحال التي يحدث فيها ذلك بغير قصد منه، وانما هي عادة، وارى اننا نستطيع ان نقول: رجل فارج: اذا كان يقصد كشف عورته، وفَرِج على وزن فَعِل، انما هو صفة مشبهة سدت مسد اسم الفاعل، لأن الافعال اللاإرادية لا يأتي منها اسم فاعل غالباً، لأن من يتصف بها ليس فاعلاً لها وانما هو متلق لها، فإذا قصد ان يقوم بها، ارادياً، جاز ان يأتي منها اسم

فاعل لأنه في هذه الحال، يكون فاعلاً لها، وان كان هذا يقع من باب الاستثناء، ومن هذا الباب نستطيع ان نقول: رجل مفروج «اي: اسم مفعول» اذا كشف آخر عن فرجه، رغماً عنه، وان لم يقع هذا الاشتقاق في الماضي، لأن المعنى يستدعي اللفظ، او بعبارة أخرى: لأن المعنى ولفظه ينبثقان الى الوجود معاً -غالباً- فقد يكون موجوداً، وقد لا يكون، فيقوم الأدباء واللغويون باشتقاقه، لأن اللغة التي لا تستجيب لتطورات الحياة والمعاني المتجددة بتجدد الظروف والأحوال، تنتهي الى الانزواء او الاضمحلال او الانقراض.

واللغة العربية من اللغات المتدفقة بالحيوية التي تستطيع ان تستجيب للجديد، عن طريق سبع طرق وأكثر، منها: الاشتقاق، وطور الدلالة والانتقال من المجاز الى الحقيقة، وارتجال الالفاظ وتضمين كلمة معنى كلمة أخرى، والاتساع في الاستعمال.

٧- **والأفرَج:** العظيم الأليتين، لا تكادان تلتقيان، ويقول لسان العرب: وهذا في الحبش، ولأنهما تلتقيان فهما تكشفان ما بينهما، والفعل: فَرِج يَفْرَجُ فَرَجاً، ولا ارى مانعاً من ضم الراء لأن الضم يدل على الاتصاف الثابت.

ومن معاني الفَرَج كذلك: الفرج بعد الشدة، وهو انكشاف الهم والغم، ولذلك فهو اتساع معنوي او انكشاف معنوي، وليس بمادي، لأن الانسان يحس في مثل هذه الحالة بطلاقة وانشراح.

٨- **والفُرُجُ الفِرِجُ:** الذي لا يكتم السر، اي الذي يكشف السر، وهو انكشاف معنوي كذلك.

والكلمتان: الفُرُج والفرَج: لغتان لمعنى واحد، اي انهما لهجتان عربيتان جاهليتان، كل لهجة لقبيلة مختلفة عن الأخرى، ومن المعروف ان اللغة العربية لم تجمع من لهجة واحدة وانما جمعت من سبع لهجات، في مقدمتها لهجة قريش في مكة المكرمة، وهذا يعني ان لبعض المعاني لفظين، كل لفظ لقبيلة وفي ذلك تيسير على المتحدث، او الكاتب، فإذا قال مثلاً: يكفُل، بضم الفاء، فهو مصيب، واذا قال: يكْفَل، بفتح الفاء فهو مصيب كذلك، ولكن اللهجات متماثلة في خمس وتسعين بالمئة من الألفاظ، فالاختلاف بينها قليل جداً.

واذا قال: رجل فُرُج، بالضم، دل على غلظه في كشف السر، اما اذا قال: رجل فِرّج، بكسر الفاء، دل على تلطفه بكشف السر.

٩- وقوس فرُجٌ، وفارجٌ وفريج: منتفخة السيتين «اي منتفخة الطرفين»، والانفراج يعني الانفجاج ويعني الانكشاف والاتساع بين السيتين، اما فُرج وفَريج، فهما صفتان مشبهتان تشيران الى ان المتكلم بهما، يرى ان الانفراج يأتي بين طرفي القوس من عوامل خارجية، لأن القوس جماد، ليس لها[٢] يدان فيما يحدث لها، اما من قال: فارج، فقد شخص القوس لأنه اندمج بها شعورياً، فبث بها الحياة، ولذلك تصور انها هي التي تقوم بإرادتها بالانفراج، وتشخيص الجوامد يجري على ألسنة الشعراء، اما قال ذو الرّمة، شاعر الحب والصحراء في القرن الأول الهجري:

وعينان قال الله: كونا، فكانتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر؟

وهو بذلك يبث الحياة في العينين، ويشخصهما، ويتعامل معهما وكأنهما شخص عاقل: يؤمر فيطيع، ذلك انه أسبغ على هاتين العينين، مشاعره وأحاسيسه وعاطفته.

بل أما قال ابناء يعقوب عليه السلام لأبيهم: **﴿يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ❁ واسأل القرية التي كنا فيها..﴾** يوسف: ٨٠-٨١، فلأنهم كانوا صادقين، حسب ما ظهر لهم في واقعة السرقة فقد انعكست عواطفهم وأحاسيسهم الصادقة على القرية فحدث اندماج بينهم وبينها، بحيث خُيِّل اليهم انها عاقلة، تُسأل فتجيب وانها قادرة على الشهادة لهم أمام ابيهم، لقد أنسنوا القرية[٣].

ما كان خيالاً كان حقيقة لسيدنا محمد ﷺ:

بل ان الاندماج بين الشعراء وبين ابناء يعقوب عليه السلام وبين القرية، مما خيل اليهم ان هذه الجوامد ذات عقل، اصبح حقيقة لسيدنا محمد ﷺ فقد كان يخطب ﷺ في بدء بناء المسجد النبوي على جذع شجرة، وبعد حين بنى الصحابة رضوان الله عليهم منبراً للرسول الكريم ﷺ ليخطب من عليه، وفي اول مرة اعتلاه

الرسـول الكريم ﷺ ليـخطـب، أخـذ الجـذع يحـن كــحنـين النيـب «اي: النـوق» ولـم يكـف عـن الحنـين حـــتى نـزل الـرســـول ﷺ عـن المنبر، وربت عليه وطيب خاطره، فصمت.

ان الله تعالى بث الحياة في هذا الجذع اليابس، ليحن حنين النيب حزناً على فراق الرسـول ﷺ له، انه اندمـاج حقيقي وليس اندماجاً متخيلاً بسبب صدق العواطف، وجيشانها، وقانون بث الحياة في الجوامد من قوانين الكون، وما بث الحيـاة في طين آدم عليه السلام الا من هذا القبيل.

❖ الخلاصة:

نخلص من هذا في مجال اللغة، الى ان الألفـاظ ذات المعـانـي اللاإرادية، يمكن ان تعطى معنى ارادياً اذا تمثل المتكلم فيـهـا المعنى او تخيله المتكلم، لأنه اندمج في مادة الكلمة المعنوية او الجـامـدة، ولهذا فـمـادة «فَرِح» مـثـلاً مـادة لا ارادية ولذلك لا نقـول بشكل عـام: رجل فـارح، وانما نقـول: رجل فرح او فرحان، لأن مصدر الفرح خارجي، فـهـو لا يفـرح اذا اراد او يغـضب اذا اراد، ولكن على النادر نجد رجلاً متفـائلاً جداً بحيث يفرح لأقل المفرجات او يتكلف الفرح حتى يشعر به، بحيث يمكننا ان نقول: كلما رأيت هذا الـرجل وجــدتـه فــارحـــاً، اي: استعملنا معه اسم الفاعل، ونقول: محمود كان في حفلة الطرب مفروحاً، (فنستعمل مـعـه اسم المفـعـول) لأن قـوة الطرب التي احاطت به هزت اعماقه فاستجاب لها وهو كالمجبر، ولدت في ملامح وجهه فرحاً وهـذا وضـع نـادر جـــــــداً، ولـكـنـه لـيـس مستحيلاً لأن الألفاظ تبع للمعاني.

❖ مستقر المعاني هما: النفس والعقل:

وهذا يعنـي ان مـسـتـقـر المعـانـي هو النفس «العـقل» ولـن تسـتـقـر المعـانـي في العقل لولا ان لها خـلايا معينة فيـه قادرة على الاسـتـقـبـال، ولن تكون قـادرة على الاسـتقـبـال لـولا ان تكونت فـيـهـا مسـارب «قـوالب» للـمـعـانـي وللألفـاظ، كـمـفـردات وتعـابيـر تقـوم على أسـاس هيئـات تـراكيب تكونت في هذه الخـلايا، وهـذه المسـارب وهـذه التراكيب قادرة على التعبير بالألفاظ مرتبة حسب ترتيب المعاني فيها.

ولما كـانت المعـاني غـيـر متناهيـة، فـهـذا يعنـي ان هذه المسـارب وهيـئـات التـركيب قـادرة على توليد مـا لا يحصى من المعـاني،

والا لما استطاع متكلم ان يأتي بجديد في المعنى الذي يستتبع ألفاظاً جديدة أحياناً، او ترتيب الفاظ قديمة ترتيباً جديداً، او جمعاً بين بعض الألفاظ الجديدة والقديمة مع ترتيب جديد لها.

إذن، عبد القاهر الجرجاني، سابق لتشوم بقرون في معرفة هذه النظرية اللغوية، ونضيف هنا ان المعاني البسيطة منها والمركبة، لا تسبق الألفاظ، وانما تتولدان وتتشكلان في وقت واحد معاً تقريباً، ولو كانت صورتها العامة قد تكون في الذهن قبل تشكلها التفصيلي بألفاظ وتعابير.

وهنا يحسن ان نلاحظ ان عبد القاهر الجرجاني، قال بأن الألفاظ تترتب حسب ترتب المعاني في النفس ولم يقل: في العقل، لأن العقل لا يتحرك، كما قلنا سابقاً، الا اذا استنفرته النفس.

ولهذا فاستنفار العبارات في خلايا الدماغ لا يكون الا اذا حركت الدماغ النفس «الوجدان» ولهذا، يختلف ترتيب المعاني في العقل، وترتيب الألفاظ تبعاً لذلك، يختلف في مجال العلم أو الفكر عن ترتيبهما في مجال الأدب، لأن النفس تكون مستقرة الى حد كبير عند التفكير العلمي والفلسفي والنقدي، على تفاوت في استقرارها، انها تتحرك بنسبة عشر درجات في المئة الى عشرين، وبذلك يكون حفزها للعقل محدوداً، مما يبقي الألفاظ المستنفرة على ترتيب بسيط مثلاً، يأتي الفعل ثم الفاعل ثم يأتي المفعول وهكذا، تخرج الى الوجود، اما في الادب فيعظم الاستنفار، ويصير الترتيب مركباً او مكثفاً، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

١- هذا لا يعني ان جمع التكسير يدل على الكثرة دائماً، بل هناك اربعة جموع تدل على القلة غالباً، وهي على وزن أفعل، أفعلة، أفعال، فعلة.

٢- القوس: تُذَّكر وتؤنَّث، فالوجهان جائزان.

٣- لا تلتفت الى المفسرين الذين يقولون: ﴿**واسأل القرية**﴾ تعني: واسأل اهل القرية، فهذا تجاهل لحقيقة نفسية شعورية، وهي انه اذا امتلأت النفس والمشاعر بالانفعال بدت لها الجمادات او النباتات عاقلة، وكأنها افراد من الناس، ما قالت اخت ابن طريف عاتبة على شجر الخابور الذي لم يسقط ورقه حداداً على ابن طريف:

فيا شجر الخابور مالك مورقاً
كأنك لم تجزع على ابن طريف؟

وأقل ما يقال: اسأل كل من في القرية، وما فيها من أناس وأشياء

القواعد الفقهية للمال في الاسلام

■ بقلم الدكتور أحمد شقيرات

ان التشريف يستتبع التكليف، ولقد شرف الله تبارك وتعالى هذه الأمة يوم ان اصطفاها وأورثها الكتاب الذي فيه ذكرها وعزها وشرفها، الكتاب الذي لم ينزل ليتغنى به العرب لا يتجاوز حناجرهم، وانما نزل ليكون دستوراً للعالمين اجمعين ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ الفرقان: ١ .

ولقد كان لجانب المعاملات المالية نصيب كبير من الإفساد الذي سببته النظم العلمانية الدخيلة، ولقد شاعت في الحياة الاقتصادية المعاصرة أنواع من المعاملات التي ألبست ثوب الشرعية وهي لا تمت الى الشريعة بأدنى صلة، ولم يقف المخلصون من علماء هذه الأمة مكتوفي الأيدي أمام سيل النوازل المتتابع في هذا الجانب الخطير -جانب المعاملات المالية- وإنما ذهبوا لتلقي هذه النوازل، وبذلوا جهوداً عظيمة في تمييز الغث من السمين، وفي دعوة الأمة الى ارتضاء الجيد ونبذ الرديء.

❖ معنى القاعدة لغة واصطلاحاً:

القاعدة لغة: الأساس، وجمعها قواعد أي أسس، وأصلها مأخوذ من القعود وهو الجلوس، والعرب تسمي أسافل الرجل التي يقعد بها على الأرض، المقعدة، وتسمي أماكن القعود مقاعد، وقد اطلقوا القاعدة على الأمر الكلي الذي ينطبق على الجزئيات، قال تعالى: **﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم﴾** البقرة: ١٢٧ .

القاعدة اصطلاحاً: القاعدة في الاصطلاح العام الذي يدخل في جميع الفنون هي: الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته، بحيث يسهل تعرف أحوال الجزئيات منه.

ففي كتاب الجرجاني «التعريفات»: هي قضية كلية منطقية على جميع اجزائها، وفي «التلويح على التوضيح» للتفتازاني: «حكم كلي ينطبق على جزئياتها ليتعرف احكامها منه»[1].

اما القاعدة في الاصطلاح الخاص، فقد جنح بعض العلماء الى موافقة الاصطلاح العام في كون القاعدة الفقهية أمراً كلياً أو قضية كلية، ومنهم تاج الدين السبكي الذي عرفها بأنها «الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها»، اما الذين اعتبروها قضية اغلبية او اكثرية فمنهم الحموي «احمد بن محمد» الذي عرفها بأنها «حكم أكثري لا كلي، ينطبق على اكثر جزئياته، لتعرف أحكامها»[2].

❖ معنى الضابط والفرق بينه وبين القاعدة:

الضبط لغة هو الإحكام والحفظ، يقال: ضبط الشيء، اي أحكمه وحفظه بالحزم، ورجل ضابط اي حازم، قال الليث: «الضبط لزوم الشيء، لا يفارقه في كل شيء» (لسان العرب ٥/٤٥٧-٤٥٨) **والضابط في الاصطلاح:** كالقاعدة غير انه يفترق عنها في أنه يختص بباب واحد أو أبواب قليلة متقاربة، أما القاعدة فإنها تدخل في جميع أبواب الفقه أو أغلبها»[3].

❖ القواعد الكلية الخمس الكبرى:

■ القاعدة الأولى: الأمور بمقاصدها:

ومعنى هذه القاعدة: «ان حكم الأمور بمقاصد فاعليها» اي ان الحكم الذي يترتب عليها امر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر، وتعني الأمور هنا اعمال المكلف وتصرفاته وأقواله، وعليه يمكن ان توضح أكثر فنقول: «ان معنى القاعدة: «ان اعمال الشخص من قولية أو فعلية تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها، فاختلاف مقصود الشخص من تلك الاعمال والتصرفات» وهي مستوحاة من قول النبي ﷺ: «انما الاعمال بالنيات» ونتائجها أخروية وأحكامها شرعية.

■ القاعدة الثانية: اليقين لا يزول بالشك:

وتدخل في جميع ابواب الفقه، والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة ارباع الفقه،

واليقين لغة: العلم، وتحقق الأمر، وإزالة الشك، وفي الاصطلاح: فإن اليقين هو «اعتقاد الشيء، بأنه كذا مع اعتقاده أنه لا يمكن الا كذا، مطابقاً للواقع، غير ممكن الزوال».

■ **القاعدة الثالثة: لا ضرر ولا ضرار:**

وهي حديث رسول الله ﷺ بلفظها ونصها الذي رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عائشة وابن عباس وأبو هريرة، وتعتبر من جوامع كلم رسول الله ﷺ، وهي من القواعد الكبرى التي تدخل في جميع ابواب الدين، وتهيمن على كثير من الفروع، وتضبط كثيراً من الأحكام، ولا يعتبر الحديث الشريف وحده هو الدليل والأصل لهذه القاعدة، وانما تعتمد القاعدة على أصل قطعي يعلم بالاستقراء، وذلك «حيث ان الضرر والضرار مثبوت منعه في الشريعة كلها».

■ **القاعدة الرابعة: المشقة تجلب التيسير:**

ويتمثل يسر الشريعة في ظاهرتين اثنتين أساسيتين، هما:

١- ان احكام الشريعة نفسها نزلت من عند الله تعالى بهذه الصفة، سهلة ميسرة لا عسر فيها ولا حرج.

٢- ان هذه الشريعة برغم يسرها قد تخللتها الرخص التي تلبي الأعذار.

■ **القاعدة الخامسة: العادة محكمة:**

الركون الى العوائد والأعراف أسلوب قضاء عند الأئمة من غير خلاف، وقد وقع لهم ذلك في أبواب من الفقة كالنقود والسلم والمرابحة والآجال والوكالة، وشرطوا في الفقيه ان يكون عالماً بالواقع الذي يحكم عليه، وقالوا في ذلك قولتهم المشهورة: «الحكم على شيء فرع عن تصوره»[٤].

❖ **القواعد الحاكمة على الربا:**

الربا في اللغة: هو مطلق الزيادة، او الزيادة مطلقاً، يقال: ربا الشيء يربو اذا زاد ونما، وفي القرآن الكريم ﴿**ويربي الصدقات**﴾ البقرة: ٢٧، اي يزيد الصدقات، وقد بدأ الفقه في مسألة الربا منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في اتجاهين **احدهما:** هو اتجاه الحاكم الحذر، **وثانيهما:** هو اتجاه الشخص العادي.

والربا نوعان: ربا النسيئة وربا الفضل، والأول كان يحدث في المطعومات التي يضطر اليها الفقير والجائع والمعوز لكي يقتات ويقيت اسرته، وكان الدين فيه ينسأ (اي يؤجل) عدة مرات، مع مضاعفته في

كل مرة ليصبح اضعافاً مضاعفة (بنص القرآن الكريم).

امـــا ربـا الفـــضـل فكان يحـــدث في مقايضته كذلك بين شيئين: مكيل وموزون (من الأشـيـاء السـتـة الواردة في حـديث النبي ﷺ الذي رواه عـبـادة، بحـيث يكون أحـد المبـيـعين مـتـفـاضـلاً (اي زائداً على الآخر)، وهو غيـر محظور عند ابن عباس والصحابة عبد الله بن مسعود وابن الزبير وأسامة بن زيد وعطاء وسعيد وعروة(٥).

❖ البيوع قديماً وحديثاً:

لقـد ربط النظام الرأسـمـالي مـصـالح المسلمين ربطاً محكماً لدرجة ان الكثير من هذه المصالح لا يستطيع الناس تحقـيقـهـا الا ضـمن هذا النظام، فنظام التـأمين يفيـد المسلم الـراغب في شـراء سيـارة مـثـلاً لأن عليـه ان يؤمن عليهـا، وكذلك نظام البنوك الذي يتقيد بالفائدة فلا يعطي قرضاً دون فائدة(٦).

❖ التطبيق المعاصر:

البيع بالتقسيط بين المشروع والممنوع:

وله صـور عـديدة في الواقع المعـاصـر، وهذه الصور يختلط فيها الحلال والحرام، ويشـتـبـه فـيـهـا الـصـحـيح بالبـاطل، ودور القـاعـدة هنا هو البت والفـصل بين هذه الصـور المخـتـلطـة، والقـاعـدة **﴿احل الله البـيـع وحـرم الـربا﴾** تعـد دليـلاً قـوياً على جواز البيع بالتقسيط، وحلّه ما لم يلتبس بإجراءات تخرجه من صـورة البيع بالأجل الى صـورة الـربا، والحكم بالحل والحـرمـة ينطبق على البـيـع بـالـتـقـسـيط مع زيادة الثمن مقابل الأجل(٧).

❖ في الخروج من المظالم المالية:

يقـول ابو حـامـد الغـزالي: «اعلم ان من مـات وفي يده مـال مـختلط، فعليـه وظيـفـة في تمييـز الحرام وإخراجه، ووظيفة اخرى في مصرف المخرج».

● **الوظيفـة الأولى: في كيفيـة التمييـز والإخــراج،** فـإن كـان مـعـيناً من جـهـة الاغتصاب او وديعة أو غيـره، فهو سـهل، وإن كـان مـخـتلطاً بأن يعلم أن قـدر نصف المال حـرام، أو بكسب تجـارة فـيـهـا كـذب وخـيـانـة فعليـه تمييـز ذلك القـدر، وإن لم يعلم قدره أخذ بالاحتياط وغالب الظن واليقين.

● **الوظيفـة الثـانيـة: في المصـرف:** فإذا مـيـز الحـرام، فـإن كـان لـه مـالك مـعين يصرف اليه وان لم يكن صرف لوارثه، وان كان غائباً انتظر حضوره او تكلف الايصال اليـه حيث هو، وان لم يكن له مـالك مـعين تصدق به او صرفه الى مصالح المسلمين،

من الرباطات والمساجد والقناطر، وحسن ان يسلم الى القاضي ان كان أميناً، والا لم تبرأ ذمته بالتسليم الى قاض خائن، وقد وردت أخبار وآثار تدل على جواز التصدق بهذا المال الحرام وصرفه الى المصالح، وقد أمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلاة، التي قدمت اليه فكلمته بأنها حرام، فقال رسول الله ﷺ: «أطعموها الأسارى»(٨).

❖ أسلمة الشركات المساهمة:

يمكن لنا ان نتخلص من المال الحرام او الكسب غير المشروع المدخر لدى الشركة المساهمة بالكيفية التالية:

أولاً: إما ان يكون المال الحرام مملوكاً لجهة خاصة أو عامة، ويعرفها من بيده المال، فيجب عليه رده لصاحبه.

ثانياً: وإما أن يكون هذا المال الحرام لا يعرف صاحبه، وهنا يجب ان ينفق في المصالح العامة للمسلمين.

ثالثاً: اذا كان هذا المال الحرام يشكل جزءاً رئيسياً من مال الشركة أو غالب مالها، فعليها ان تتخلص منه دفعة واحدة، وذلك يؤدي الى خسارتها او اقفالها نهائياً.

رابعاً: وهنا يكون الحل إما ان يجعل المال الحرام ملكاً للمصلحة العامة، وتضارب به الشركة على حصته من الربح، على اعتبار ان المصلحة العامة شخصية اعتبارية، ويبدأ بتسديد هذا المال الحرام للمصلحة العامة من حصته من الربح خلال مدة زمنية، ليتمكن فيها من التخلص من المال الحرام وتحويل رأس المال الى مال حلال بالكامل، أو في الغالب، وبهذه الحالة نكون قد حفظنا الشركة من الاقفال، وحفظنا اموال المصلحة العامة، وتحققت مقاصد الانتفاع بالمال بما يحقق المصلحة للجميع، وعامة فقهاء الاسلام يرى رد المال الحرام لصاحبه اذا عرفه والا فيتصدق به عنه، فإن أحاطت المظالم بذمته، وعلم انه وجب عليه من ذلك ما لا يطيق أداءه أبداً لكثرته، فعليه ان يزيل ما بيده اجمع، إما الى المساكين، وإما الى ما فيه صلاح المسلمين، حتى لا يبقى في يديه الا اقل ما يجزئه في الصلاة من اللباس وهو ما يستر العورة من سرته الى ركبته، كما يقول القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»(٩).

❖ الحيل في المعاملات المالية:

ان مقاصد الشريعة الاسلامية هي جلب المنافع ودرء المفاسد، وهي المعتبرة في علل الأحكام، وان الله تعالى ورسوله ﷺ قد سدّ الذرائع المفضية الى المحارم

بأن حرمها الله تعالى ونهى عنها، ولذلك فإن الذريعة هي: «ما كان وسيلة أو طريقاً الى شيء».

❖ أنواع الحيل:

هي: الحيل في البيع، والحيل في استحلال السحت باسم الهدية، والحيل في الشفعة، والحيل في الاستيثاق في البيوع، والحيل في الديون والحوالات، والحيل في الصلح، والحيل في الوكالة، والحيل في الضمان او الكفالة، والحيل في الإجارة[١١].

❖ الحيل في الديون والحوالات:

الحوالة لغة: هي النقل ، **وشرعاً:** هي نقل الدين من ذمة المحيل الى ذمة المحال عليه، قال ابن رشد: والحوالة معاملة صحيحة مستقاة من الدين بالدين لقوله ﷺ: «مطل الغني ظلم، وإذا أحيل احدكم على غني فليحتل» (صحيح البخاري ٢/١٢٣) ومن الفقهاء من أجازها في الذهب والدراهم، ومنعها في الطعام معللين ذلك بأنه بيع للطعام بالطعام قبل ان يستوفى.

والحوالة جائزة في الديون وتصح برضا المحيل والمحال والمحال عليه، من هنا نشأت الحيل لتجويز ما لا يجوز حسب قواعد المذهب او لدفع الحيلة بالحيلة عند الحاجة[١٢]، ومثالاً على ذلك: الرجل يكون له المال على رجل آخر، فأراد المطلوب ان يحيل الطالب على رجل آخر، وقال الطالب: إني أخاف أن يهلك او يضيع حقي، ان حلتني به على هذا الرجل، وأنت عندي أوثق، كيف الحيلة في ذلك؟ **والجواب:** ان يشهد المطلوب ان الطالب وكيله في قبض ماله على غريمه فلان، وبقوله: فلان بالوكالة[١٣].

الهوامش:

١- عطية عبد الله رمضان، موسوعة القواعد الفقهية المنظمة للمعاملات المالية الاسلامية، دار الايمان، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧، ص١٧ .

٢- المرجع السابق ص١٨ .

٣- المرجع السابق ص٢٢ .

٤- المرجع نفسه ص٣٢-٦٩ .

٥- المستشار محمد سعيد العشماوي، الربا والفائدة في الاسلام، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة ١٩٩٦، ص٣١-٥١ .

٦- يوسف احمد السباتين، البيوع القديمة والمعاصرة «البورصات المحلية والدولية» دار البيارق، عمان الاردن، ٢٠٠٢، ص٦٧ .

٧- عطية رمضان، مرجع سابق، ص٢٥٢ .

٨- ابو حامد الغزالي، مختصر إحياء علوم الدين، دار الارقم، بيروت، ص١٠٢ .

٩- زيد نواف الدويري: بحوث فقهية، دار يافا، عمان الاردن، ٢٠٠٧، ص١٠٩-١١١ .

١٠- نشوة المعلواني، الحيل الشرعية بين الحظر والاباحة، دار اقرأ، دمشق، ٢٠٠٢، ص٥٩ .

١١- المرجع نفسه، ص١٤٩-١٩٥ .

١٢-١٣- المرجع السابق، ص١٦٩-١٧٠ .

الاعـــلام في رمضـــان

■ بقلم الطالب أنس اسماعيل

لعل الاعلام من اقوى الاسباب وأبلغها في جفاف الروحانيات التي يشكو منه الكثير، ويتبرم ويتضايق من ان نفسه لا تقبل على العبادة، ولا تتأثر بالمواعظ وخاصة القرآن الكريم، بل وربما دخل الشهر الكريم وخرج، وعينه لم تدمع خشية لله جل وعلا، أو خوفاً منه، بل يترقب وبكل شوق متى ينتهي شهر رمضان!!

هناك مظاهر غير محمودة تقع خاصة في رمضان، وفيها من التفريط وتفويت نيل الاجر الشيء الكثير، بل انها تعرض صاحبها لاقتراف الذنوب، وتحمل الاوزار ذلكم ما يشاهد في شاشات التلفاز من المسلسلات وخاصة الشعبية منها، والتي يؤجل عرضها مع الأسف حتى تثبت رؤية الهلال، وكأن رمضان عندهم شهر الهزل وتضييع الأوقات والضحك والسهر!!.

ان المسلسلات من هذا النوع، لتفعل في نفوس مشاهديها ما تعجز عنه امضى خطط المكر والتمييع، اذ ان هدف الاعداء تفريغ رمضان من معانيه الايمانية والنفسية والصحية، فإذا لم يتم لهم ذلك بأي وسيلة فهو المطلوب، فضلاً عما يعرض من المباريات الرياضية والأغاني التي يسمونها الأغاني الرمضانية!! ولعل هذا من أقوى الاسباب وأبلغها في جفاف

الروحانيات عند المسلم.

ومسألة أخرى تتعلق بإهدار الوقت في الشهر الفضيل الا وهي الركض وراء المسابقات الرمضانية، التي يتعمد المعنيون نشرها هي الأخرى في رمضان، سواء ما كان منها في الجرائد او الاذاعة المحلية والخارجية، ومنها ما يشاهد في محطات التلفزة، وهي مع ما تضيعه من الأوقات، كما يجري من المكالمات التلفزيونية بين الشباب بعضهم البعض، بحثاً عن الحل او التأكد من الجواب، فضلاً عن ذلك فإن من هذه المسابقات ما يدخل في تعاملاتها الميسر وكما هو معلوم فهو محرم شرعاً، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** المائدة.

وهو كل معاملة يدخل فيها المتعامل في الجهالة، لا يدري هل يغنم او يغرم، ومعاملة هذا شأنها تعوِّد متعاطيها على البطالة والكسل وهجر الاعمال المشروعة.

كما تطرح في المسابقات الرمضانية وغيرها، بطاقات تباع بأثمان مختلفة لا يحق لأحد الدخول في المسابقة حتى يشتري هذه البطاقة، فحاله الآن اذا غارم فإذا ادخل بطاقته كرخصة، فيحتمل ان يكون جوابه صحيحاً فيغنم، كما يحتمل خطؤه فيغرم، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالبطاقات التي يبيعها منظمو المسابقات كثيرة، بينما الفائزون عذرهم محدود، فمن هذا الباب دخلت في حكم الميسر والله تعالى اعلم.

فاتقوا الله ايها المسلمون في دينكم، واتقوه في صيامكم، فإنه ما شرع الا من اجل التقوى وعمارتها في القلوب، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة.

فهل يجد المنشغلون والمتابعون المسلسلات والمباريات والمسابقات، هل يجدون بعدها تقوى ام يجدون ضدها؟!

والحمد لله رب العالمين

المسار الروحي للكائن البشري

■ بقلم الاستاذ معاذ بني عامر

في واحدةٍ من أعظم إنجازات سيدنا مُحَمّد ﷺ، أنَّهُ اختصرَ عُمر البشرية في مسيرة حياته. وهنا ثمةَ مؤشر على أنَّ مقدّرات الكائن البشري، تتجهُ أساساً ناحية الروح، فالزمن الواقعي المُتَعيّن المُعاش هو زمن مُتقَطِّع، تسلسلي، إحداثي ؛ نتجَ لتسهيل مهام البشر وترتيب أمور حياتهم، وفي خِضَمِ هذهِ التبعية فقدَ الإنسان بريقَ إحساسه الأول.

والسؤال الذي يطرحُ نفسه في هذا السياق: هل يمكن للكائن البشري أن يختصر التاريخ الكُلّي في بُنيةٍ ما؟.

لربما كانَ لِـ حوادث الزمن المتفرقة وما يرافقها من إحداثيات، السبب الرئيسي في حجب البُعد الكلّي لذلك التاريخ العتيد عن الكائن البشري. وبين حين وآخر - كردٍّ فعل وجودي بالأساس - قد ينتاب المرء شعورٌ غامض بأنَّ بينَ جنبيه تاريخ كُلّي، ولكن هذا الشعور لا يلبث أن ينمحي أمام إرهاصات الزمن وإحداثياته المُتتالية.

وبرأيي أن هذا الشعور المُطلق قد تأتّى من حدثٍ أصلي، كانَ قد تأصَّلَ أزلاً في بُنى الكائن البشري على إطلاقه؛ أعني ذلكَ الحدث الجليل الذي حدثَ في عالَمِ الذَّرِّ وأشهدَ فيه الله خلقه على أنفسهم بأنَّ الألوهية والربوبية هي للعلي القدير: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾** الأعراف: ١٧٢.

فَمُنْذُ الأزل وبُنى الكائن البشري

الأساسية، تُشِفُّ عن حدثٍ مَهول يستعرُ أوار ناره فيه، فالخبرة الداخلية بـ (التاريخ الكُلّي) تجدُ لها أساساً قوياً عندَ الكائن البشري تتأتى مرجعيتها من النصِّ القرآني: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الأعراف: ١٧٢.

ففي لحظات صفاءٍ قد يصل المرء إلى حالةٍ من الفهم الكامل للتاريخ البشري ككل منذ الأزل وحتى الأبد، ولكن هذا الفهم لا يلبث أن يتهاوى أمام مشاغل الحياة اليومية الواقعية، فكثرة المشاغل هي بمثابة انتصار للخبرة ناحية (الخارجي) المعني بالحياة الواقعية وإحداثياتها المُتتالية، على حساب الخبرة بـ (الداخلي) الذي يعود إلى الأزل ويتجه مباشرة ناحية الأبد دفعة واحدة.

ولكن الأساس التكويني موجودٌ كانَ وما زال وسيبقى أُسَّاً وجودياً عندَ الكائن البشري، وإنْ حدثَ أنْ عُمِّيَ على ناظريه. ولنا في سيرة النبي مُحمَّد ﷺ عبرة في هذا المجال، فحياته ﷺ تبدو كَسِفْرٍ روحي للبشرية جمعاء، جاء فيه كُل التاريخ البشري. ففي حياته صلّى الله عليه وسلّم كانَ النبي قد أوضحَ كُل شيءٍ يهمّ الإنسان، سواء في حياته المادية أو العقلية أو الروحية، ولم يتركهُ لحيرته، بل أوضح له معالم الطريق وأزاح الغماوة عن بصره وبصيرته.

وإنْ كانَ من رسالةٍ كُبرى في هذا المسار - إضافةٍ إلى رسائل أخرى - فهي استبطان الكائن البشري للزمن ككل ؛ كحدثٍ وجودي بالدرجة الأولى، وإنْ كانَ أكثر ما تمظهرَ وتجلَّى في التاريخ في شخص النبي مُحَمَّد ﷺ.

فالنبي ﷺ إذ يعي مثل هذا الحدث الجليل تمام الوعي فهو إمَامُنا في هذا، وإنْ كانت مشاغل الحياة قد سببت نكوصاً ارتداديا تجاه توضّح التاريخ الكلي في شخص الكائن البشري.

وفي هذا دليلٌ واضحٌ على الإمكانات الهائلة التي تستوطنُ ذات الكائن البشري، ولكن الفرق بيننا وبينَ سيدنا مُحمَّد ﷺ، هي انشغالنا بالحياة اليومية أكثر من انشغالنا بالحياة الأبدية وتتبع المسار الروحي للكائن البشري.

لمحة عن أحوال المسلمين في الصين

■ بقلم الأستاذ الدكتور سامي الصقار

كان المقال الذي نشرته «المجلة الجغرافية الامريكية» في عددها لشهر كانون الثاني ٢٠١٠م، عن مسلمي الاقليم الذي تسميه حكومة الصين باسم «كسنيانك Xinjang» وهو الاقليم الذي يقطنه «الايفوريون» الاتراك عنصراً، وعاصمته القديمة «كاشغر»، وتحتله الصين الآن، وقد سبق لي ان كتبت مقالاً عنه، في المجلة العزيزة «هدي الاسلام» وقد رأيت من الواجب السعي للحصول على مزيد من المعلومات عن مسلمي تلك المنطقة، وقد تسنى لي العثور على كتاب بعنوان «الصين معلومات مستقاة من حقيبة المسافرين» وعنوانه باللغة الانجليزية هو: «A Travel Survival Kit».

والكتاب من تأليف ثلاثة من الامريكيين، وكان الغرض منه تعريف السياح الاجانب بالصين، وبما فيها من مرافق سياحية، بما في ذلك المناطق الاسلامية، مما جعله يتضمن معلومات وافرة مهمة عن أحوال المسلمين في الاقليم الذي كان موضوعاً لمقال «المجلة الجغرافية» آنف الذكر.

وقد وجدت في هذا الكتاب معلومات تغطي الفترة المنتهية لعام ١٩٨٨م، ولذلك فإن ما فيه من معلومات تصلح للنشر

كمقدمة لما نشر في تلك المجلة، وعلى هذا الأساس عمدت الى تلخيص مادة الكتاب المتعلقة بالمسلمين، وترجمتها الى العربية لفائدة قراء مجلة هدي الاسلام الكرام.

ومما جاء في مقدمة هذا الكتاب، القول بأن الصين قد اجتذبت كثيراً من أبناء الشعوب والديانات المختلفة، فأقاموا فيها، واصبحوا من مواطنيها، والمسلمون من بينهم، وزاد على ذلك القول: كما انها كانت هدفاً للغزاة ومنهم الاتراك (ص١٤)، ولكن مؤلفي الكتاب لم يذكروا الفتح الاسلامي العربي الذي بلغ مدينة «كاشغر» درة هذا الاقليم المسلم، وقد كان فتحها وفتح اقليمها على يد القائد المسلم العربي «قتيبة بن مسلم» غير ان المؤلفين حرصوا على ذكر الرحالة الأوروبي «ماركوبولو» الذي زار الصين في القرن الثالث عشر الميلادي، لكنهم اهملوا ذكر الرحالة العربي المسلم «ابن بطوطة» الذي زارها بعد ذلك مباشرة، وقد خصص في كتاب رحلته فصلاً ضافياً لوصف الصين وعاصمتها المسماة «خان بالق» وحياة اهلها في مختلف النواحي، مما يشكل جهداً ثميناً في التعريف بالصين واهلها، كما ان مؤلفي هذا الكتاب اهملوا النهضة العلمية التي شهدتها «كاشغر» منذ الفتح الاسلامي، اسوة بمختلف الاقاليم التي فتحها المسلمون في مختلف انحاء العالم.

ولكن قد خص المؤلفون لهذا الكتاب، الاقليم سالف الذكر، بفصل استغرق ٢٧ صفحة (ص٧٥٩-٧٨٦)، الى جانب اقليم اسلامي يجاوره يسمى باسم تركي هو «جانصو **Gansu**» ومعناه «ماء الحياة»، واستغرق هذا الفصل ٢٢ صفحة (ص٧٣٦-٧٥٨)، وكلاهما، يقع على مسار «طريق الحرير» المشهور في التاريخ، والذي كان ينبض بعروق الحياة الاقتصادية، ولا سيما بالنسبة للصين والأقطار التي يمر بها الطريق، خاصة فيما يتعلق بالتصدير والاستيراد.

وقد كان هذا الطريق ينتهي الى سواحل البحر الابيض المتوسط، ثم الى قارة أوروبا، بعد ان يمر ببلاد الشام وآسيا الصغرى «اي تركيا الحالية» ولا تقتصر أهميته على التبادل التجاري فحسب، بل ويشمل تبادل الأفكار وثمرات العلوم والتجارب.

ولكن هذه الاتصالات لم تكن سليمة على الدوام، فقد أشار المؤلفون الى حادث تناول مسلمي الاقليم الايغوري واقليم «جان

صو» في السنوات (١٨٧٨-١٨٨٢) بالقتل المفجع من جانب السلطات الصينية، وذلك لأنهم انتفضوا على مضطهديهم الصينيين، **ويقدر عدد القتلى في هذا الحادث بعدة ملايين، علاوة على تدمير المدن والممتلكات،** وقد وصف المؤلفون ذلك العدوان الذي جرى بالأسلوب الوحشي، اي هكذا وطّد الصينيون سلطتهم بإقليم «جان صو» الغني بنفطه (ص٧٣٦) وقد ربطوا عاصمته «لانسز هو» بمدينة «اورومكي» عاصمة الاقليم الاسلامي الآخر الذي ابتلى باحتلالهم.

والجدير بالذكر ان مدينة «لانسز هو» هي مقر الجيش الصيني المسؤول عن أمن المنطقة الغربية للصين، اذ هي مقر عقدة المواصلات للمنطقة الشمالية الغربية من الاراضي الخاضعة للصين، وقد اتخذتها الحكومة الصينية مقراً للصناعات الحديثة، رغم ان أهلها ليسوا بصينيين ويتحدثون باللغة التركية (ص٧٣٨).

❖ اقليم سيكانك:

لا بد من تذكير القارئ بأن المنطقة التي يقطنها «الآيغوريون» الاتراك وسماها الصينيون بإسم «سيكيانك» فإنها من حيث الشكل تتمتع بالحكم الذاتي الذي يصفه مؤلفو الكتاب بأنه ذاتي بالاسم فقط! ويقولون: ان اهل تلك البلاد يقاسون كثيراً من عدوان الصينيين الذين يضطهدونهم، وقد كان اقليمهم هذا عرضة لغزو صيني مستمر، لأن الصين تعتبر هذه البلاد هي اهم العروق لحياة بلادهم، ذلك لأن «طريق الحرير» سالف الذكر يمر بها، وهو الوسيلة لنقل منتجات الصين الى سواحل البحر الابيض المتوسط -كما اسلفنا- ومن ورائه الى اوروبا، وفي هذا مبرر كاف لغزو هذا الاقليم الاسلامي، علاوة على انه مما يمكن القوات الصينية من السيطرة على البدو الرحل الذين يقلقون حكومة الصين (ص٧٥٩) وهم من الاتراك ايضاً.

والجدير بالذكر ان الصين قد عجزت في الماضي عن اخضاع هذا الاقليم لحكمها، وبقي اهلها على تمسكهم بالاسلام، وعلى انتمائهم القومي التركي، لكن القرن الثامن عشر الميلادي، كان عصراً دموياً بالنسبة لأهل هذا الاقليم المسلم، اذ عمت الانتفاضات المسلحة الاقليم، وذلك في السنوات ١٧٦٩-١٨٥٥م، بل واستمر الكفاح الى سنة ١٨٦٢، خاصة وان انتفاضات اسلامية أخرى في اقليم يكثر فيه المسلمون، هو اقليم «يونان» الذي

سنخصه ان شاء الله بفقرة خاصة.

وقد استخدمت الحكومة الصينية بالغ القسوة في مواجهة جميع الانتفاضات التي قام بها المسلمون في مختلف الاقاليم، ولا سيما في المنطقة «الايغورية وجانسو» وكانت الضحايا من المسلمين كثيرة العدد على مدى (١١) عاماً (ص٧٦١) وهذا يكشف كذبة القول بأن منطقة «الآيغوريين» تتمتع بالحكم الذاتي، وانه مجرد أوهام (ص٧٥٩) خاصة بعد ان غيرت حكومة الصين اسم هذا الاقليم، وأطلقت عليه اسماً صينياً -كما اسلفنا- واغرقته بملايين المهاجرين الصينيين، وفعلت الشيء نفسه في اقليم «جانسو -ماء الحياة» رغم معارضة سكانه الاصليين، بل ان التاريخ قد شهد استمرار القتال بين المواطنين وبين القوات الصينية ومواطني هذين الاقليمين، والهدف من ذلك، هو القضاء على الميزات التي يتمتع بها الاقليمان، من كون سكانهما يتمتعون بميزة دينية وأخرى قومية، أي ان أهلهما هم من المسلمين، وينتمون الى العنصر التركي «الآيغوري» وما أشبه.

ولذلك حرصت حكومة الصين على نقل العاصمة من مدينة «كاشغر» الغنية بتاريخها، الى مدن لم يكن لها اهمية تاريخية او حضارية هي «ارومكي».

وقد حدثت محاولات من جانب اهل هذه المنطقة للاستقلال عن الصين نهائياً، ولم تكلل تلك المحاولات بالنجاح وكانت ابرز تلك المحاولات، الحركة التي وقعت في الاربعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، التي قادها شخص اسمه «عثمان» الذي تزعم «الايغوريين والمغول» وغيرهم ممن يعادون حكومة الصين، فأعلن الاستقلال لدولة تسمى «جمهورية تركستان الشرقية» لكنها للأسف قد فشلت، ونجحت الصين في اقناع المسلمين بأنها ستمنحهم حكماً ذاتياً حقيقياً، ليس «صورياً» لإدارة بلادهم، وعينت سنة ١٩٤٨ مسلماً من اهل البلاد حاكماً عاماً للاقليم، اسمه «برهان» ولكنه اتضح انه شيوعي الولاء، كما ان عدداً من زعماء مسلمي هذا الاقليم، قد قتلوا في وقوع حادث مشبوه بسقوط الطائرة التي كانت تقلهم، ولكن عثمان سالف الذكر استمر في كفاحه ضد حكومة الصين، غير ان الحكومة تمكنت من هزيمته وأسره، وبالتالي اعدامه سنة ١٩٥١ (ص٧٦١).

ويفسر مؤلفو الكتاب اهتمام الصين بهذا الاقليم، هو موقعه الجغرافي المهم، اذ

يحادد الاتحاد السوفياتي المنقرض من ناحية الشمال، ويحادد افغانستان من ناحية الغرب، والحكم البريطاني «السابق في الهند» من ناحية الجنوب، وقد حل هناك كل من الباكستان والهند، ولذلك فإن استقلال هذا الاقليم يقلق الصين كثيراً، وهذا هو سبب مرابطة قوات صينية كثيرة العدد فيه حتى الآن (ص٧٦٢).

❖ الوضع السكاني للإقليم:

كانت الصين في سنة ١٩٥٥، قد اطلقت على هذا الاقليم اسم «اقليم الحكم الذاتي للآيغوريين» إذ كان ٩٠٪ من عدد سكانه هم من الآيغور، ولكن بعد وصول سكة الحديد الى اورمكي العاصمة، وتطور الصناعات في المنطقة، استتبع هذا التطور تدفق العناصر الصينية الى هذه المنطقة، مما أخل بالتوازن السكاني، اذ المعروف ان عدد سكان الاقليم كان في سنة ١٩٥٣ يقرب من خمسة ملايين نسمة منهم (٣,٦) ملايين من الآيغور، في حين ان الصينيين من عنصر «الهاه» كان قليلاً جداً، ولكن ما حلت سنة ١٩٧٠ حتى قفز عدد المنتمين للعنصر الصيني الى اربعة ملايين!!.

هذا وتدل احصائيات عام ١٩٨٢ ان مجموع سكان الاقليم المذكور قد بلغ (١٣) مليوناً، يؤلف الايغوريون منهم (٦) ملايين فقط، اي اقل من نصف عدد السكان!! ثم ان عدداً من المسلمين الذين ينتمون الى قومية «الفازاق» لم يروا من مصلحتهم البقاء في المنطقة، فهاجر بعضهم الى الاتحاد السوفياتي السابق، وهاجر البعض الآخر الى الهند وباكستان، كما حصل فريق آخر منهم على صفة «اللجوء السياسي» في تركيا، وقد أدى ذلك كله الى اضعاف الوجود الاسلامي في هذا الاقليم، والسبب في ذلك سوء معاملة حكومة الصين للأقليات المسلمة، ومنها الأيغور خاصة، اذ بقي الايغوريون متمسكين بمبادئ الاسلام، علاوة على تمسكهم بكتابة لغتهم بالحروف العربية!! ومما زاد في التوتر، ان الصين في زمن الثورة الثقافية قامت بغلق المساجد واعدام عدد من الناشطين المسلمين (ص٧٦٢).

كما ان اختيار الحكومة مواقع للأبحاث النووية في الاقاليم المسلمة، ومنها موقع «لوب نور» للأبحاث والتجارب النووية، قد أدى الى الإضرار بصحة المواطنين المسلمين، وبثرواتهم الحيوانية التي هي عماد حياتهم (ص٧٦٤)، مما حملهم على التظاهر ليس في شوارع الاقليم الاسلامي

فحسب، بل وفي العاصمة الصينية «بيجن» نفسها (ص٧٦٣).

هذا وان المدن الاسلامية ما زالت منتشرة في اقليم الايغوريين ومنها «هامي ورتبان وداهيان وغوشانغ وأستانة وشباهازي» غير ان الاهم هي «كاشغر» التي لا تزال تتألف رغم هجرها كعاصمة للإقليم الايغوري، فإن مؤلفي الكتاب قد اطروها وأطروا أخلاق اهلها، ووصفوا بعض مبانيها «بالرومانتيكية» كما وصفوا جامعها المسمى «عيد كاه جامع» اي «جامع صلاة العيد» علاوة على الجامع القديم والاسواق، كما خصوا بالذكر مقبرة أحد العلماء، وهو يسمى «حجة الله قبر أباخ خوجة» وما الى ذلك (ص٧٧٥-٧٧٩).

والجدير بالذكر ان اهل كاشغر حرصوا على استمرار صلاتهم بالمسلمين خارج الصين، وقد حوى الكتاب -وهو موضوع هذا المقال- حوى جدولاً «للباص» اليومي الذي ينطلق منها الى مدينة «راولبندي» في الباكستان (ص٧٨٢-٧٨٤».

❖ المسلمون في اقليم يونان:

ان هذا الاقليم يقع على البحر في جنوب غربي الصين، مما مكّن سكانه الى اقامة علاقات تجارية مع سكان غربي آسيا وشمال افريقيا، ولهذا السبب وجدت اعداد كبيرة من المسلمين يقيمون في هذا الاقليم، ولا سيما في عاصمته المسماة «كمنغ» وسنحاول القاء بعض الضوء على الوجود الاسلامي في هذه المنطقة من الصين، حيث نجد ان من ابرز مواقف المسلمين هو ما حصل للحكومة الاسلامية التي تولت حكم بعض انحاء هذا الاقليم، وما تم في عهد الزعيم المسلم «دو وينسكو» سلطان «دالي» الذي انتفض على الحكم الصيني في عامي ١٨٥٨ و ١٨٦٨، مما ادى الى هدم كثير من المباني، وقد امتدت الاضطرابات الى سنة ١٨٧٨ (ص٦٧١)، وان الوجود الاسلامي في المنطقة كان من القوة ان اتهم المسلمون بتخريب بعض التماثيل البوذية القديمة، عندما وقعت ثورتهم (ص٦٧٦).

والجدير بالذكر ان في مدينة دالي مسجداً شيد قبل ٤٠٠ سنة، قد حولته الثورة الثقافية الى مصنع رغم كونه من المباني التاريخية الثمينة، ولكنه أعيد المبنى سنة ١٩٧٧ الى أصله مسجداً، كما اعيد فتح ثلاثة مساجد اخرى كانت قد اغلقت واحتاجت للترميم، مما كلف المسلمين مبالغ كبيرة.

ويبدو ان المسلمين في هذه المنطقة كانت لهم اكثر من انتفاضة واحدة، ومنها ما حدث في سنة ١٨٥٥ واستمر الى عام ١٨٦٢، ثم الى سنة ١٨٧٣، ولكن الحكومة الصينية تمكنت من وضع حد لهذه الانتفاضات باستخدام القوة بقسوة شديدة، بل وارتكاب مجازر للمسلمين الذين جرى التعامل معهم أيام الثورة الثقافية بعنف لا مثيل له (ص٦٧٧).

ولعل من المفيد التذكير بأن في اقليم يونان نصباً تذكارياً لصيني مسلم، كان قد قاد حملة قوامها عدد من سفن الاسطول البحري الصيني، في القرن الخامس عشر الميلادي، اسمه «زنغ هي» وزار ثلاثين قطراً آسيوياً وافريقياً (انظر الصفحات ٦٧١ و ٣٠٥-٣٠٩ على التوالي).

كما ان من الجدير بالذكر بأن هناك مسجداً يقع في موضع يسمى «تونغهاي جي» كان قد شيد سنة ١٠٠٩م (ص٣٠٩) وهو كبير يستوعب عدد المسلمين الكبير الموجودين في مدينة «كوانز هو» مما يدل على عمق الوجود الاسلامي في هذه المنطقة، التي هاجر اليها كثير من سكان جنوب الجزيرة العربية كجزء من نشاطهم التجاري، وتشهد على ذلك شواهد القبور التي دفنوا فيها مما لا يزال موجوداً حتى الآن، واذكر جيداً ان السفير الصيني في العراق عام ١٩٦٠، وكنت مديراً عاماً في وزارة الخارجية، اراني كتاباً يحمل صوراً فوتوغرافية لتلك الشواهد، عندما علم باهتمامي بوجود المسلمين في بلاده، وقد لاحظت ان اكثرهم كانوا من اليمن وحضرموت، وأخيراً أود تذكير القراء بأن الرحالة العربي المسلم ابن بطوطة قد زار هذه المنطقة، وسجل معلومات ضافية عنها في رحلته المعروفة.

❖ خاتمة:

وحيث ان حكومة الصين قد سلكت في الوقت الحاضر سياسة متفتحة على العالم، ولا سيما بالنسبة للعالم الاسلامي الذي يعد اكبر سوق لمنتوجاتها، كما هو اكبر مصدر للنفط مادة الوقود التي تحتاجه مصانعها الحديثة، اقول: حبذا لو انتهزت الحكومات الاسلامية الفرصة لرصد احوال المسلمين الخاضعين لتلك الدولة، وتقديم الزمالات الدراسية لأبنائهم والمساهمة في بناء مساجدهم وذلك لبعث الأمل في نفوسهم، بأن لهم اشقاء لا ينسونهم في خضم هذه الحياة الدنيا -ان شاء الله- وان بعدت الشقة او طال الطريق.

متى يكون أول أيام شهر رمضان المبارك وفقا للحسابات الفلكية؟

■ بقلم الفلكي عماد مجاهد

تشير الحسابات الفلكية إلى أن هلال رمضان للعام الهجري ١٤٣٢ سوف يتولد بإذن الله تعالى في تمام الساعة (٩) و (٤٠) دقيقة و (٥٥) ثانية مساء يوم السبت الثامن والعشرين من شعبان (وفقا للتقويم الهجري الأردني) الموافق للثلاثين من تموز القادم إن شاء الله، وبما أن الهلال يتولد بعد غروب الشمس بمدة ساعتين تقريبا في عمان، ويغيب قبل غروب الشمس بمدة ٢٣ دقيقة، لذلك لن يشاهد الهلال سواء بالعين المجردة أو بالتلسكوب ولا حتى بالأقمار الصناعية مساء السبت وهو يوم ولادة الهلال.

أما مساء اليوم التالي أي مساء الأحد التاسع والعشرين من شعبان الموافق للحادي والثلاثين من تموز، فإن الهلال يمكث بعد غروب الشمس في عمان ١٨ دقيقة، ويكون عمره (من فترة ولادته وحتى غروب شمس هذا اليوم) ٢٢ ساعة ودقيقتين، ويرتفع القمر عن الأفق الغربي لحظة غروب الشمس (٢) درجة و (٣٧) دقيقة، ويغيب القمر في منطقة تبعد عن مكان مغيب الشمس ١٢ درجة إلى جنوب الشمس، ويبعد مركز قرص القمر عن مركز قرص الشمس لحظة غروبها (١٢)

درجة و (٥٦) دقيقة، لذلك فإن فتحة الهلال ستكون مائلة كثيرا جهة الجنوب أي يشبه هلال رمضان حرف الراء بالعربية (ر).

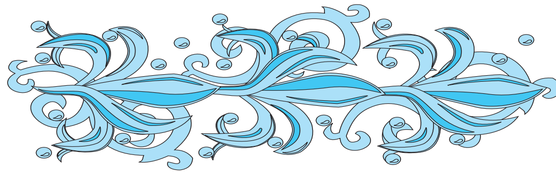
ووفقا للمعايير الفلكية الحديثة (معيار يالوب) فإن رؤية الهلال مستحيلة مساء الأحد في كل من روسيا ومعظم أنحاء أوروبا وخاصة المنطقة الشمالية منها، والنصف الشمالي من آسيا، بينما لا يمكن رؤية الهلال في كل من أواسط وجنوب آسيا والخليج العربي والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا، لكن يتوقع رؤية الهلال بالتلسكوب في كل من غربي استراليا وأواسط إفريقيا، ويتوقع أن تتوفر الظروف المناسبة لرؤية الهلال بالعين المجردة، بشرط أن تسمح الأحوال الجوية بذلك في كل من جنوب المحيط الهندي والنصف الجنوبي من القارة الإفريقية، والجزء الشمالي من المحيط الأطلسي وأمريكا الجنوبية والنصف الجنوبي من أمريكا الشمالية.

إن هذه المعلومات والتحاليل الفلكية لرؤية هلال رمضان القادم بإذن الله تعالى، تضعنا في حيرة، إذ انه وفقا للتقويم الهجري في الأردن، فان يوم الأحد الحادي والثلاثين من تموز سيكون موافقا للتاسع والعشرين من شعبان، والأول من رمضان هو الاثنين الأول من آب القادم، ولكن هل سيكون هنالك إكمال عدة بحيث يكون يوم الاثنين هو الثلاثين من شعبان، على اعتبار أن الهلال لن يشاهد مساء الأحد في أي دولة عربية أو إسلامية، ويكون تبعا لذلك يوم الثلاثاء الثاني من آب هو الأول من رمضان؟ أم يكون الاثنين هو الأول من رمضان كما هو متبع في التقويم الهجري الأردني، على اعتبار أن الهلال تولد فلكيا وتجاوز قرص الشمس مساء الأحد؟

الحقيقة أن هذه الحالة حدثت عند إثبات رمضان العام الماضي ٢٠١٠ عندما تولد الهلال صباح التاسع والعشرين من شعبان، لكن وفقا للحسابات الفلكية فلقد كان الهلال موجودا ليلة التحري، وغاب بعد الشمس بعدة دقائق ولكن لا يشاهد بالعين المجردة، فهل نعتبر أن اليوم التالي هو أول رمضان أم علينا أن ننتظر يوما آخر حتى نرى الهلال بالعين؟

هنا نقول: انه سواء بدأ رمضان الاثنين أو الثلاثاء فمن الناحية الفلكية، هو صحيح ولا خلاف فيه، وأظن - والله تعالى اعلم- انه ما دام الهلال تولد مساء السبت وكانت ليلة التحري مساء الاحد، فإن عمر الهلال يكون حوالي ٢٢ ساعة، فهل نترك كل هذه الساعات من شعبان والتي تقارب اليوم لأننا لا نرى الهلال بالعين مع انه موجود فعلا فوق الأفق؟

أرى هنا أن رؤية الهلال هي "وسيلة" لمعرفة وتحديد بداية الشهر القمري وليست عبادة، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن هنالك أي "وسيلة" لتحديد بداية الشهر سوى رؤية الهلال، ولو انه كانت في عهد الرسول ﷺ حسابات فلكية للقمر والشمس موثوق بها، لكان أمرنا الرسول الكريم بالاعتماد عليها في تحديد بداية الشهر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : "إنَّا أمَّة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين" رواه البخاري (١٨١٤) ومسلم (١٠٨٠) وهذا يعني انه إذا ما أصبحت الأمة تكتب وتحسب فلا مانع من استخدام الحساب، والله تعالى أعلم.



التعبيــر القـرآنـي

■ بقلم الاستاذة رابحة مطاوع الريحات

لقد تحدى القرآن الكريم العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله، ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وكان القرآن يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون انفسهم عند سماعه، لذلك سعوا الى ان يحولوا بين القرآن وأسماع الناس، وسعوا الى ان لا يصل الى الأذن لأنهم يعلمون انه لمجرد وصوله الى السمع، يحدث في النفس دوياً هائلاً وهزة عنيفة، وقد حكى الله عنهم هذا الاسلوب فقال في سورة فصلت: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

ان التعبير القرآني تعبير فني مقصود في كل لفظة بل في كل حرف فيه وضع وضعاً غنياً مقصوداً، ولم تراع في هذا الموضوع الآية وحدها ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا التعبير القرآني كله.

وعلى سبيل المثال ان كلمة «الدنيا» تكررت في القرآن بقدر الآخرة، فقد تكرر كل منها (١١٥) مرة وان الملائكة تكررت بقدر الشياطين فقد تكرر كل منها (٨٨) مرة، وأن الموت ومشتقاته تكرر بقدر الحياة فقد تكرر كل منها (١٤٥) مرة، وهل الموت الا للأحياء؟

وان الصيف والحر تكررا بقدر لفظ الشتاء والبرد، فقد تكرر كل منها خمس مرات، وان لفظ السيئات ومشتقاتها تكرر بقدر لفظ الصالحات ومشتقاتها كل منها (١٦٧) مرة.

وان ذكر الكافرين تكرر بنفس عدد النار، وهل النار الا للكافرين والعاصين، ثم

ان القرآن له خصوصيات في استعمال الألفاظ، فقد اختص كثيراً من الألفاظ باستعمالات خاصة به، مما يدل على القصد الواضح في التعبير، فمن ذلك أنه: استعمل الرياح حيث وردت في القرآن الكريم في الخير والرحمة، واستعملها في الشر والعقوبات، قال تعالى: **﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾** الأعراف: ٥٧، وقال سبحانه: **﴿ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾** الروم: ٤٦ .

في حين قال: **﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾** آل عمران: ١١٧، وقال جل وعلا: **﴿ريح فيها عذاب أليم﴾** الأحقاف: ٢٤، وقال تعالى: **﴿فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾** الحاقة: ٦، وغير ذلك.

ولم يستعمل الريح في الخير الا في موطن واحد عقبها بالشر وهو قوله تعالى: **﴿حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان﴾** يونس: ٢٢، وهي خاتمة غير حميدة.

ومن ذلك ذكر المطر، فإنك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام، بخلاف الغيث الذي يذكره القرآن في الخير: **﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾** النحل: ٥٣ .

وقال تعالى: **﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾** الفرقان: ٤٠، وقال ايضاً: **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾** وقال جل وعلا: **﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾** يوسف: ٤٩ .

ومن ذلك ما اختص به القرآن الكريم في استعمال العيون والأعين، فلم يستعمل العيون الا لعيون الماء، وقد وردت كلمة العيون في القرآن الكريم في عشرة مواطن كلها بمعنى الماء مثل قوله تعالى: **﴿في جنات وعيون﴾** وقوله سبحانه: **﴿في ظلال وعيون﴾** في حين جمع العين الباصرة على أعين مثل قوله تعالى: **﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾** الكهف: ١٠١، وقوله تعالى: **﴿وسحروا اعين الناس﴾** الأعراف: ١١٦، وقوله جل وعلا: **﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾**.

وخصوصيات الاستعمال القرآني كثيرة يستحيل ان نستقصيها، ولكن اردنا فقط ان نضرب امثلة على ذلك لنتبين الروعة والدقة باختيار **الفاظ القرآن الكريم.**

المرجع: كتاب التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي.

تلك هي الدنيا

■ بقلم الشيخ جعفر بني حمد

قال الله تعالى: ﴿اعْلَموَا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهْوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباتُهُ ثمَّ يهيجُ فتراه مُصفراً ثم يكونُ حطاماً وفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ مّنَ الله ورضوانٌ وما الحياةُ الدُنيا إلاّ متاع الغرور﴾ الحديد: ٢٠ .

إن الناس يختلفون من حيث النظرة إلى الحياة الدنيا ويتفاوتون في فهمها، ويتمايزون في التعامل معها فمنهم من ينظر إليها على أنها كل شيء ولا شيء غيرها، فيعمرها بكل شيء فهي جنّته وينسى الآخرة ولا يفكر بها أدنى تفكير، وصنفٌ آخر يراها رمزاً بسيطاً وجسراً للآخرة، فيعمل لآخِرته على حساب دنياه، فيجعل الحياة مزرعة للآخرة، وطائفةٌ أخرى تجعل النظرة متوازنة، يعمل للدنيا بالأدب الديني ويعمل للآخرة بطاعة الله وكله في طاعة الله فالسعيد من عمل لآخرته والشقي من حبط عمله .

إن العالم الذي نعيشه يشكو الجشع الذي أصاب أهله، والطمع الذي أعمى القلوب، ويشكو المال الذي فتن الأنفس، فلا الغني مقتنع بما يحوز، ولا الفقير راضٍ بعيش الكفاف، فذاك في نهم دائم من أجل تكديس الثروة، والأخير ساخط لفقد المال.

وحقيقة الأمر أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله

جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، ومن المهلكات الدنيا المؤثرة كما جاء في الأحاديث عن النبي ﷺ، والدنيا كما يقول عنها القائل:

ومن يذق الدنيا فإنه طعمتها

وسيق الينا عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غروراً وباطلاً

كما لاح في ظهر الفلاة سرابها

وما هي إلا جيفة مستحيلة

عليها كلاب همّهن اجتذابها

لقد كان رسول الله ﷺ يحبب إلى أصحابه صحبة الفقراء، حتى تنصرف آمالهم عن التطلع إلى الترف والزينة، قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحياة الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** الكهف: ٢٨، وعن الرسول ﷺ قال: (يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام) رواه الترمذي، وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: "كنت أصحب الأغنياء فما كان أكثر همّاً مني، كنت أرى دابةً خيراً من دابتي وثوباً خيراً من ثوبي".

وفي نهاية الأمر صاحَبَ الفقراء حتى لا يحمل تلك النفسية التي كان يحملها، وصدق رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه مُعافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، فلا التكاثر يلهي، ولا الغنى يعمي ولا الجاه يُعِزُّ، ولا الشرف يخدع وقد يعيش الإنسان عيش الهناء والرغد كما له أن يعيش عيش الكفاف. ومهما كان العيش يجب أن يكون دون إسراف وتبذير، يحمد الله على القليل ويشكره على الكثير، ليصيب خيري الدنيا والآخرة، إذ بالشكر تدوم النعم وبالكفر تزول النعم وتكثر النقم.

لا شك أن الدنيا فيها كثيرٌ مما يُزيّن للنّاس وتهوى الأنفس، وتتمنى الأفئدة وتعشق القلوب وهذا ابتلاء لهم من الله تعالى أن يشكروا النعمة ويجازوا خيراً، أم يكفروها وتكون الخاتمة سيئة يقول تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ والخيل الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ والحرث ذَلِكَ مَتَاعُ الحياة الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** آل عمران: ١٤، ويقول رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر) رواه مسلم.

وقد جاء يهودي إلى ابن حجر وهو حسن المظهر جميل الهيئة ويركب دابة، واليهودي رث الثياب سيء المنظر فقال لابن حجر: أيُّ جنةٍ أنا فيها، وأيُّ سجن أنت فيه، وأنت ترى من حالنا، فقال ابن حجر: (يا هذا إن الذي أنا فيه بالنسبة لما أعد الله للمؤمنين في الآخرة إنما أنا في سجن، وأنت بالذي أنت فيه بالنسبة لما أعد الله للكافرين في الآخرة فأنت في جَنَّة) فليتق الله المغترون بالدنيا وزخرفها، فالدنيا فانية والآخرة باقية، نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة لا يزول، والزهد في الدنيا يورث حب الله تعالى، فليكن الإنسان في الدنيا غريباً أو عابر سبيل، قال يونس بن ميسرة كما أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن مُهاجر: (ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون حالك في السراء والضراء سواء وأن يكون مادحك وذامّك في الحق سواء كذلك).

إنّ الزهد في الدنيا هو مفتاح المحبة ويورث حب الله، والزهد بما عند الآخرين هو مفتاح المحبة بين النّاس وبداية الإيثار الجميل الذي يرتفع بالإنسان إلى أعلى درجات الفضيلة والخلق النبيل، فهذا عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجعل قافلة كاملة لله تعالى، وهذا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجهز ثلث جيش العسرة ويشتري بئر رومة ويجعلها قُربة لله وصدقةً للمسلمين، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يدخل بيت المقدس بثوب مرقع، وتلك تركة أبي بكر تحملها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما تنفيذاً لوصية والدها الزاهد الورع الأمين فور وفاته، تحملها للخليفة الثاني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتركة هي بعير كان يستقي عليه الماء، ومحلب كان يحلب فيه اللبن، وعباءة كان يستقبل فيها الوفود، ولا شيء غير ذلك وهو أمير المؤمنين، وجميع صحابة رسول الله ﷺ نراهم مقتنعين بالقليل مجدّين بالعمل متوكلين على الله.

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجة.

فالزهد في الدنيا يقتضي محبة الله عز وجل لعبده والزهد فيما عند الناس مقتضٍ لمحبة الناس، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردةً مرقعة بفرو، فلما رآه ﷺ بكى للذي كان به مصعب من النعمة، ثم قال: كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلةٍ وراح في أخرى، ووضعت بين يديه ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما سترت الكعبة؟ قالوا: يا رسول الله نحن يومئذٍ خير منا اليوم نكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة فقال: بل أنتم خير منكم يومئذ) (روي في مجمع الزوائد قريباً منه).

وتلك مخة أخت بشر بن الحارث الحافي تأتي لأحمد بن حنبل وتقول له: إني امرأة رأس مالي دانقان أشتري القطن وأغزله فأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمر ابن ظاهر (طائف الشرطة) ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المصالح، فاستغليت ضوء المشعل فغزلت ثم غاب عني فعلمت أن الله مطالبني، فخلصني خلصك الله!! ثم قال: من هذه؟ قالوا: مخة اخت بشر بن الحارث فقال: من هنا نشأ الورع لا تغزلي على ضوئها.

وبشر الحافي يقول: تعلمت الورع من أختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل شيئاً لمخلوق فيه صنع، وتلك رابعة العدوية يأتيها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها: استعيني بها على بعض حوائجك فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أني استحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها فكيف أريد أن أجدها ممن لا يملكها!! فالدنيا متاع زائل يغرُّ صاحبه، فالزهد في الدنيا يورث سعادة الآخرة والفوز بالجنة.

فالدنيا محن ورزايا، ومصائب وبلايا، وآلام تضيق بها النفوس ومزعجات تورث الخوف والقلق، كم في الدنيا من عينٍ باكية، وكم فيها من قلب حزين، وكم فيها من الضعفاء المحرومين، قلوبهم تشتعل، ودموعهم تسيل، يا أصحاب الحاجات، أيها المريض، أيها المدين، أيها المكروب والمظلوم، أيها المعسر المهموم، أيها الفقير والمحروم، يا من يبحث عن السعادة الحقيقية، يا من ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ارجعوا إلى الله وقفوا ببابه واطلبوا حوائجكم منه، فبابه مفتوح وهو الجواد الحيي الكريم، لا يرد سائلاً ولا يطرد تائباً، لقد أعرضتم فأعرض الله عنكم ونسيتم الله فأنساكم أنفسكم، فالدِين هو السبيل الوحيد للتخلص من همومنا وضعفنا وفتورنا.

المسجد درة المكان الإسلامي

■ بقلم الاستاذ محمد مصطفى ناصيف

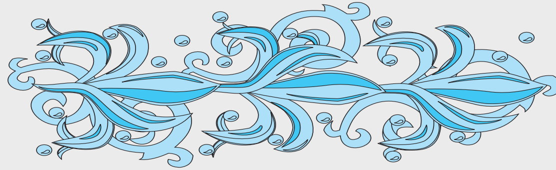
إن للمسجد دوراً مميزاً في نهضة أركان المجتمع الإسلامي، فقد كان منطلقاً وملاذاً للمسلم في جميع أموره، وموئلاً في بث معاني التآلف والتعاضد والتعاون بين مختلف فئاته الاجتماعية، وذلك في كافة المراحل: ففي مؤسسة الحكم، كان المسجد داراً للشورى وناقدا للإدارة، ومطبقاً للقوانين والمحاسبة على جميع الأمور التي تعود على المجتمع الإسلامي بالخير والنفع، ومؤتمراً رسمياً دورياً مفتوحاً أمام جميع المصلين ينعقد كل يوم جمعة على مستوى الأمة بأسرها؛ حيث سبق برلمانات العالم كلها - بأكثر من ألف سنة - في مدارسة أمور المجتمع وبيان لوازمه ومتطلباته وبيانها للحاكم باسلوب الدعوة الصادقة المخلصة، والنصح الراشد، والأمر بالمعروف، والرفق الهادف الذي ما كان في شيء إلا زانه.

وهو المكان للحوار السياسي والاجتماعي وغيرهما، فقد حرر المنبر من شخصية الواعظ فقط، وافسح المجال للمسلم التحدث عن مشاكله ومعاناته بالحق، لتتحقق مصلحة جماعة المسلمين.

وهو مدرسة للأجيال ينهلون من منابعها المعرفية والعلمية، وساحة رحبة للتربية الإسلامية السليمة.. حيث تخرّج فيها الأئمة العدول، والعلماء الكبار والقادة الأفذاذ، والساسة العظام. وعمل على توفير المظلة الاجتماعية لحماية وتأصيل القيم الإسلامية العربية، وتوثيق العرى إضافة إلى كونه موطن العبادة وتهذيب النفس والروح، حيث شهدت باحاته منذ

اللحظة الأولى: النشاط التعبدي والتربوي والتعليمي والدعوي والثقافي والاجتماعي والعسكري وقبلها حَرَماً وقبلة لدفع الحضارة.. لأن حضارة كل أمة هي مجموعة القيم والمبادئ والمفاهيم التي تؤمن بها وتعتنقها فالمسجد نقطة الارتكاز المدني والمكاني في الحياة العربية الإسلامية، حيث كان النشأة الأولى لبنيان أقامه الرسول الكريم ﷺ في المدينة المنورة ومواكبة تأسيس الدولة الإسلامية الأولى فيها، وبموازاة الزمن أصبح المسجد درّة المكان الإسلامي في تشكيل المعادلة بين منهاج الدين والدنيا، فاحتفظ بمكانة جعلته مدرسة الفكر ومحضن التربية، وعرين الجهاد والعطاء ففيها الحياة الحقيقية.

وعلى مدى الزمن الطويل لم تستطع قوة في الأرض أن تفك هذا الارتباط بين هذين القطبين، فمهما تكالب الأعداء على فصل ذلك فشلوا لأن قوة الله لا تقهر، والظلم والظلام لا يدومان، وعبر الإسلام والمسجد تأهّل الناس وتأهلت أمته لقيادة الأمم وتحولت القيادة والريادة السياسية والعسكرية والفكرية للعرب والمسلمين التي تمثلت في شخص قائدهم وإمامهم رسول البشرية ﷺ.



قصيدةٌ جمعتْ
أسماء سور القرآن الكريم

بقلم الاستاذ حسن محمد نجيب

باسم الذي قد أنزلت من عنده ... سور الكتاب على نواصي عبده
وأعوذ بالله العظيم بحفظه ... من شر فتنة غاسق أو نفثه
أما وبعد، أخي تلك قصيدة ... جمعت بها سور الكتاب بحوله
هو ذاك فرقان الأنام ونهجهم ... منظومة فيما حوى في فحوه
متحدياً في لفظه ﴿فأتوا به﴾ ... أو سورة أو آية من مثله
فتبارك الرحمن في تنزيله ... وتقدست أسماؤه في آيِه
سور طوال والمثاني تلوها ... ومئينها قد فصلت سوراً به
أولاها (فاتحة) الكتاب تنزلت ... أمّاً له تبيانها وَضَحٌ به
أعظِم بها من سورة أحصت بها ... (إياك نعبدُ) ما دعا في شرعه
وبسورة (البقرهْ) ابتدت آياتُها ... إعجازُها في أحرف من غيبه
شرعت لنا جلَّ الفرائض مطلقاً ... ومقيداً بِشَراح صفوة خلقه
و (بآلِ عمرانَ) الدروسُ مشت بها ... أحكامها اكتملت بوافِرِ فضله
فهما الفضاء لَذِكْرِنا وَسِعَا به ... والزهْرَوانِ من الكتاب بزَينِه
ولهنّ ما قَسَمَ الكتاب نساؤنا ... تبيانُ ما تقضي (النساءُ) بعدله
ما جارَ في حقٍ لهنّ وما قضى ... في قِسمةٍ ضِيزى لهنّ بقِسْمِه
ولنا القَوامة فيٍ الحياة سبيلُها ... سَكَنٌ لنا، نِعْمَ المطاب بِسُكنِه
و (المائدةْ) اجْتثّتْ مُحَلّلَ أُكْلنا ... للطيبياتِ لذائذاً من أُكْلِه
وعن الورى وضعتْ خبائث أُكلهم ... ما ساءَ عبداً أو يجرُّ لِضرِّه
والبُهْمُ (فالأنعامُ) فُصِّل حكمُها ... لشحومها ولحومها في فحوه
وبها الرَكوبُ مطيّةً، ولصوفها ... دفءٌ لنا ومنافعٌ كانت به

وبسورة (الأعراف) يحكي ربنا ... عن حال من ظلوا اقتضاءةَ أمره
قيل ادخلوا(لم يغنِ عنكم جمعكم) ... تلك الجنانَ، فقد قضى في حكمه
يا من له (الأنفالُ) حين تساءلوا ... كانت له فيما قضى ورسولِه
لبيه تِبراءَ (البراءةِ) مَطلَعاً ... من غير بَسْمَلةٍ تُسجّى باسمه
قد كان فيها ما قضى (سيحوا بها) ... وأذانُه صَدَقا له في وعده
لبيه (يونسَ) قومَه إن آمنوا ... ما كان كَشْفاً عنهمو من خزيه
لبيه (هودَ) ومن خلا من إثره ... في حاله حالُ الذي من قبله
هم تلك عادٌ قد عَتَوْا بِعُتلِّهم ... واستكبروا في ريعهم وعَثَوْا به
لبيه (يوسفَ) حلمُه عن إخوة ... كادوا المسيءَ بما رمى من سَوِّئِه
حتى إذا ألْقوه في الجُبِّ الذي ... غيباته تحكي بما أُلقى به
جاء البشير له فخرّوا سُجّداً ... مِن بعد ما كادوا له بقميصه
يا من تسبحه السماء وما حوت ... والأرض من فيها بِعَالي جَدّه
ويسبح (الرعدُ) العظيم بحمده ... والبرق فيما يحتويه بضوئه
واقرأ ب (إبراهيمَ) حسن دعائه ... في آيها مما دعاه لنسله
فاجعلْه بَلَداً آمناً في حِلِّه ... واجْنُبْ بَنِيه من الضلالة واحْمِه
و(الحِجْرُ) إن تُليت فهُم أصحابها ... قد كذّبوا رُسُلَ الإله وآيه
فاصطبحوا في صَيْحةٍ أخذت بهم ... والله يقضي لا مَرَدَّ لحكمه
و (النحلُ) سبحان الذي صفّى به ... من شهده كان الشفاءُ بما به
فاشهدْ له الرحمنُ أحسنَ خالق ... واشهد يقيناً لا شريكَ بمُلكه
إنْ كان في إعجازه آيٌّ له ... كانت له (الإسراءُ) إحدى آيه
سبحان من أسرى بها حدثاً له ... في ليلة الإسراء تلك بعبده
وأنام أهل (الكهفِ) في غارٍ لهم ... لَسنينَ عَدَداً في الرقيم بحَوله
وعن الأُلى حَدّثْ بـ(مريمَ) نفخَه ... ما أحصنتْ فَرْجاً لها من رُوحه
فجرى لها عيسى النبيُّ بلا أب ... ومكلِّم للناس وهو بمهده
وإذا اصطفى (طه) فحكمته به ... ما ضلَّ متّبِعٌ له في هديه

هو أسوةٌ و(الأنبياءُ) تحفّه   مثلَ الكواكب قد سَرَت من حوله
أكرِم بهم!! رُسلَ الإله وصفِوه   والمصطفِينَ من الأنام لخلقه
و (الحجُّ) للبيت العتيق سبيلُه   ما اسطاع ذو سَعَةٍ إليه بمَلكه
هو ذاك فرضٌ قائم أعظِم به!!   بشعائرٍ ميزت به في فَرضه
وإذا سُئلتَ عن الفلاح وأجره   فـ (المؤمنون) من الورى من أهله
أحصاهمُ الله العليمُ بآيها   بكتابه في سورةٍ تُلِيتْ به
فله الثنا و (النورُ) تشهد أنه   نورُ السما والأرضِ جلَّ بنوره
هو منزلُ (الفرقانِ) في أحكامه   يُلقى على خير الورى وحياً به
لا من كلام الإنس ما عَجِزوا به   أو من فَمِ (الشعراءِ) كان بلفظه
فانظرْ له واعجَبْ له ببيانه   في (النملِ) إعجازاً له في وصفه
ما ضاق إحصاءً له بكبيرةٍ   أو مثلِه بصغيرة دُرجت به
وبه من السِيَرِ العِتاق مدارجاً   يحكي بها كلاً له في عَصرِه
أمماً مضت وتعيدها (القصصُ) التي   يطوي بها تأريخها في صَفحِه
ذهبوا مع الأزمان لا تدري لهم   غيرَ الذي يُحكى به في ذِكره
فكفى به متحدياً في آيه   من كان مجترحَ الهوى من كِبره
أن شُبِّهوا بـ (العنكبوت) وبيتها   وَهِنِ الأساس تداعياً من ضعفه
في (الرومِ) يستبق الزمان بعلمه   والرومُ قد غُلبت، كذا في غيبه
وبآيه (لقمانُ) أُوتي حكمةً   فاقرأ له تلك المواعظ لابنه
وإذا تلوت (السجدةَ) من آي بها   فاسجد له ما مَنَّ فيه بفضله
صدقاً له (الأحزابَ) أبلغَ ناطق   عن وعده ما كان منه بنصره
فهم الرجالُ الصادقون تعاهدوا   مستمسكين مِن الوثاق بعهده
لا معرضين كما طغتْ (سَبَأٌ) ولا   متحدرين إلى الشفا من جُرُفه
في حالها العَرِمُ الخرابَ مشى به   لجنانها مما جنى في سَيْلِه
يا من دُعيتَ بـ(فاطر)في سورة   بالحَمْدِ مَطلعُ آيها في فَطرِه
أرسلتَ (يسنَ) الهدى، أكرِم به!!   فهو النذير، هو البشير بهديه

و(الصافّات) بصفِّها أرسلتها والزاجرات وما قضت في زجره
لبيه (صٌ) في الدجى آنائِه فيها وأطرافِ النهار بذكره
وله من (الزُمَرِ) القضاءُ بعدله ما للفريقين المساقُ بأمره
هو (غافرُ) الذنب الحليمُ بحلمه عن عبده هذا المسيء بذنبه
بكتابه قد فُصِّلتْ آياته في (فُصِّلتْ) عربيُّه في لفظه
نهجٌ قويم للأنام فسرٌ به والأمر بـ (الشورى) أساساً خذ به
فكأنما و (الزخرفُ) ازدانت به فيما حبا كالعِقد زِين بدُرِّه
وكأنما فيها (الدخانُ) عجائباً فدُخانها تحكي السماء بما به
عمّا حكته (الجاثيةُ) فالزم به واعمل لنفسك صالحاً واغنمْ به
وانظر لها (الأحقافُ)في نُذُر لها من قد خلوا ممن دُعُوا بنذيره
فأتاهمُو مما رأوا من عارضٍ في صَيِّبه ريحٌ عَتَتْ تَذري به
أفَلَم يسيروا في الدنا فلينظروا حُكْمَ المعقِّب، لا مَردَّ لحكمه
من قبلهم بادوا بِعَاقِبِ أمرهم فاقرأ لهم بـ (محمدٍ) آيٍ به
الهادِي الأميِّ رحمةِ ربه وشفيعِنا يوم الحساب بإذنه
فعليه صلوات الإله وزِدْ بها ما كان يومُ (الفتحِ) فاتحَ نصره
ولقدرِه (الحجراتُ) أعظمُ شاهد شهِدتْ له آياتها في قدره
فاقرأ بها (لا ترفعوا أصواتكم) واقرأ بها (لا تجهروا) تعرِفْ به
واعصِمْ بها (قٌ) حديثَ مجالسٍ ما كان من خوض الحديث وسَوْئه
وقل الرقيبَ على امرئ، فهُنا به مُتلقِّيان لما اجتراح بِلَسْنه
و (الذارياتِ) بما حوت فاقرأ بها (فِرّوا إلى الله) العظيم وجنته
وكذا ففي (الطورِ)الجنائنُ هُيِّأت و (النجمِ) فيها ما أراه لعبده
وبسورة (القمرِ) انشقاقٌ بَيِّنٌ بدلالة الإعجاز فيه بِبَدره
للخالق (الرحمنِ) تسبيحٌ بما كانت له آلاؤه في كونه
هي في وصوف (الواقعةْ) دَلَلٌ له وبها (الحديدُ) وما به من بأسه
ومن (المجادلةِ) استقِ الحكمَ الجلي وادرأ به ذاك (الظِهار) لقبحه

و (الحشرُ) فارقةُ المآب ومثلها — في (المُمتَحَنَ) منظومةً تُليتْ به
و (الصفُّ) جامعةُ البيانِ بلاغه — ك (الجمعة) انتثرت فكنّ كدرّه
وبه من السور اجتبى في لفظه — ك (منافقون) بما جرت في وصفه
وبها (التغابنُ) يومَ جمع بائن — فارقَبْ له يوماً ولات مجيئه
وبها (الطلاقُ) وما به من حكمه — وكذا بها (التحريمُ) ما في شأنه
فتبارك الرحمن في تنزيله — في (المُلكِ) و(القلم) الجرير بسطره
فاكتب به ما (الحاقّةُ) اقتربت به — واكتب به عَرَجَ (المعارج) باسمه
و(بنوحَ)فاسأل كم قضى في عمره — بدعائه من قد طَغوا من قومه
وبسورة (الجنِّ) الرشادُ سبيلُه — لمن ارتضى منه الهدى في قلبه
وهو الهدى برسوله في قوله: — ﴿يا أيها المزمِّلُ﴾ اقترنت به
أو رَوْعِه (المدَّثِّر) انطلقتْ به — (قمْ أنذرِ) الأمرُ انقضى من ربه
فاتبع له واجنَبْ به يوماً تَرى — فيه (القيامةُ) ما حكت من هَوْله
في بعثِه (الإنسان) ساعة نشره — من بعد ما جُمعت أضالعُ عظمه
و (المرسلاتُ) بما أتتْ صدقاً له — ميعاده سبحانه في وعده
وشهيده (النبأُ) العظيم ومثلُها — في (النازعات) لآيةٌ في شأنه
واشهدْ بها (عَبَسَ) الشهادةَ آيُها — تحكي كما أخواتُها تحكي به
يوماً به (التكويرُ) وصفُ مشاهدٍ — و(الإنفطارُ) إذا السما انفطرتْ به
فادرأ بنفسِك عن شَفَا جُرُفٍ هوى — واعصِمْ لسانَك ما جرى من لَسْنِه
واذكرْ بآي (مطفِّفينَ) مآلَهم — (ويلٌ لهم) بَدأت بما نزلتْ به
و (الإنشقاقُ) كذا إذا انشقّتْ بها — ذاتُ (البروج) وأرضُها من قَبْضِه
و(الطارقُ) القَسَمُ النذير فَصالُها — فاشهدْ له (الأعلى) بما في فَصله
واشهدْ بآي (الغاشيةُ) عِظماً له — في قَدره متباركاً في خَلقه
وخذِ العظات بسورة (الفجر) انطوت — في النفس عُقباها الرضى رضيتْ به
والحِلُّ بـ (البلدِ) العتيق شغافه — مَسعَى الفؤادِ بما هوى في سعيه
و (الشمسِ) وضُحاها ضُحىً من نوره — و (الليلِ) إذ يغشى كذا سرٌّ به

وبها (الضُّحى) في آيها أسلى بها ... تـبـيـانُـه نُـزُلاً بـه في سَلْوه
هـي للرسول المصطفى فيـما به ... وكذا هي (الشرْحُ) الشَراحُ لأُنسه
أوَليسَ أحكمَ حاكم شهدت به ... في (التين) ما شهدتْ له في حكمه؟
وبعلمه أولم ترَ (العلقَ) ابتدت ... في آيِها (اقرأ) ما أتاك بوَحيه؟؟
و (القَدرُ) ليلتُها تَنَزُّلُ أمره ... فيها السلامُ منزَّل من عنده
و (البيِّنةُ) تبيانُها كتب بها ... صحفٌ مطهَّرةٌ بقَيِّم ذكره
واعملْ بآي (الزلزلة) عملاً ترَ ... مثقالَه بالخير أو شر به
أفما ترى بـ (العاديات) قضاءَه ... و (القارعةُ) إنْ يقضِ ما يقضي به
فاجهَدْ ليوم أن تقوم به غداً ... ألهاك عنه من (التكاثرِ) مُلهِه
ولتعتبرْ من سورة (العصر) التي ... ألفى بها الإنسان ما في خسره
وخذ اتعاظاً آيَها (الهُمَزَه) ولا ... تغفلْ بمالك عن رضىً لم تبغه
قد كان قبلَك كبرُهم أودى بهم ... فاقرأ بآي (الفيل) ما جُعلوا به
وإذا تلوتَ (قريشَ) قل حسبي بها ... إيلافُها من طُعمه أو أمنه
ولنا و(للماعون) ما جاءت بها ... (أرَأيتَ) بالويل اجتنابَ مآله
و (الكوثرُ) المرجوُّ ذلك حوضه ... تهوى إليه النفسُ سُقيا نهره
وعد من الديَّان لا ريبٌ به ... آياتُه صِدقٌ له في وعده
و (النصرُ) شاهدةٌ له في وعده ... فبها فسبِّحْ من أتاك بنصره
واعصمْ يداً من سورةِ (المسدِ) التي ... ذُكرتْ بها من أنزلت في لعنه
هي (تبَّتْ) ابتدأت بها آياتها ... ثم انتهتْ مَسَداً بها في لفظه
وتذكَّر (الإخلاصَ) وافهمْ آيَها ... فهي العقيدة فحوُها في قوله
وبـ (قلْ أعوذُ) فسورتان هما لنا ... في (الناس) و (الفلَق) الأمانُ فَعُذْ به
هذي هي السورُ التي أتممتُها ... يُسراً من الله الكريم ومنِّه
إنْ كنتُ أبغي بالقصيدِ نظمتُه ... فله رجائي كلُّه أدعو به
ودعاؤنا تلك الصلاةُ ومثلُها ... ذاك السلامُ على الحبيب وصحبه



خطبة الجمعة

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾

بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

يقول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ❖ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ صدق الله العظيم.

اقبل شهر عظيم مبارك تغشاه سحب الرحمة والمغفرة والرضوان، شهر يتقاطر بركات من السماء، شهر إقبال باغي الخير وإدبار باغي الشر، شهر الاسراع الى عتبة باب الرحمن لطلب الرحمة والغفران، والاطراح بين يديه حتى يخرج نقياً من الذنوب، متهيئاً للدخول على ملك الملوك والحصول على رضاه.

شهر الصبر والمواساة، شهر التضحية والفداء، يفرح المؤمن فيه بتحمل المشاق، ويبقى سعيداً مسروراً مهما كلف من مشقة في هذا الشهر المبارك، ولا يتضجر من تكليفات شرعية من الامساك عن الطعام والشراب خاصة، وعن الغيبة والافتراء وقول الزور والعمل به عامة.

ولقد كان المسلمون يستقبلون شهر رمضان بفائق العناية، ويولونه اشد الاهتمام، ويستعدون لمقدمه فرحاً واستبشاراً بفضله، فعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يدعو ببلوغه رمضان، وكان السلف الصالح يستقبلونه بقولهم: «اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والنشاط، واعذنا فيه من الفتن».

وكان الصالحون من هذه الأمة المباركة، يسألون الله ستة أشهر ان يبلغهم رمضان، فإذا بلغوه سألوه ان يوفقهم فيه، فإذا اكملوه سألوا الله بقية السنة ان يتقبله منهم.

كل ذلك أيها الاخوة المؤمنون، لما يعلمون من فضل رمضان وسعة رحمة الله عليهم فيه، وما ينزله على عباده من الرحمات ويفيضه عليهم من النفحات، ويوسع عليهم من الارزاق والخيرات، ويجنبهم فيه من الزلات، حيث يفتح لهم ابواب الجنان، ويغلق عنهم ابواب النيران، ويصفد فيه مردة الجان، فيحال بينها وبين الإغواء والانحراف، وينادي منادي السماء: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر اقصر، فإذا اقبل باغي الخير فيه على ربه، منحه الرؤوف الرحيم منحة التوفيق، فيغفر له في الليلة الأولى منه، مغفرة تسع اهل القبلة، فإذا كان في وسطه، افاض فيه الرحمة، فإذا اشرف على النهاية كان العتق من النار جائزة الجوائز.

وقد أخبر رسول الله ﷺ ان من حرم الفضل في رمضان لا يناله في غيره، ومن لم يغفر له في رمضان، باعده الله في النار، وذلك لما صعد ﷺ المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، فسأله الصحابة

العضام رضوان الله عليهم عن ذلك فقال: أتاني جبريل (عليه السلام) فقال: من ادرك شهر رمضان فلم يغفر له، باعده الله في النار، فقل: آمين، فقلت: آمين، ومن ادرك ابويه أو احدهما ولم يغفر له، باعده الله في النار، فقل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده ولم يصل عليك (صلى الله عليه وسلم) باعده الله في النار، فقل: آمين، فقلت: آمين.

ومن عجب معشر المسلمين، ان جبريل عليه السلام وهو ملك الوحي والرحمة، يقول عن مسلم أدرك شهر رمضان ولم يغفر له: باعده الله في النار، ولكن ينتفي العجب يا عباد الله، اذا عرفنا فضائل رمضان، فوجدناه شهر الرحمة والمغفرة، وان وسائل المغفرة والرحمة من الطاعة متوفرة ودواعيها ميسرة، وفي الوقت نفسه عوامل الشر محدودة ومردة الشياطين موصدة، ورحمة الله منزلة، ولله فيه عتقاء من النار في كل ليلة، وابواب الجنة مفتحة كلها، وابواب النيران مغلقة كلها، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك، فمتى تناله اذاً؟! ومن لم يكن اهلاً للمغفرة في هذا الشهر العظيم، ففي اي وقت سيكون اهلاً لها؟! ومثله كمن حضر موسم ربح فخفق ولم يربح، فمتى يحصل على الربح، ومن خاض البحر ولم يطهر فما الذي سيطهره من مياه الدنيا كلها؟!.

وهكذا ايها الإخوة المؤمنون الصائمون، فمن لم ينل المغفرة في رمضان المبارك، بالتوبة والاقلاع والعودة والإنابة الى الله تعالى، والالتجاء وعمل الطاعات والدعاء، فمتى ينالها؟! واذا حرم العبد ليلة فيه خير من ألف شهر، فماذا يُرجى بعدها؟.

ان هذا عباد الله شبيه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله الا بعداً»، اي اذا كان وقوفه بين يدي ربه سبحانه وتعالى، ومناجاته اياه خمس مرات كل يوم، ولم تؤثر فيه هذه الصلاة، ولم يجد لها اثراً في نفسه وسلوكه، فأي المواقف بعدها ستنهاه؟! وكذلك الحال في فريضة الصيام.

وايضاً الذي يتوانى عن الصلاة على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عند سماعه

ذكره واسمه الشريف، مع كبير حقه عليه، وعظم قدره ﷺ عند الله سبحانه، وعظيم ما اجراه الله سبحانه وتعالى من الخيرات للأمة وللانسانية كلها على يديه صلوات الله وسلامه عليه، وقد امرنا بالصلاة والسلام عليه، ووعدنا رب العزة والجلال بالصلاة علينا عشر مرات اذا نحن صلينا عليه مرة واحدة، فمن يتأبى بعد ذلك، ومن يمتنع عن الصلاة عليه ﷺ أو من يغفل عند سماعه اسمه الشريف ﷺ، فمن كان حاله كذلك -والعياذ بالله تعالى- يكون جاحداً للفضل، كافراً للنعمة، ومحروماً من صلوات الله ورحماته عليه، فباعده الله في النار.

وكذلك معشر المسلمين، من يدرك ابويه اللذين هما سبب وجوده في الدنيا، ولم يجعلهما سبباً لوجوده في الجنة، مع ان الجنة تحت اقدام الامهات، فلا شك ولا ريب انه يكون عاقاً لوالديه، غير بار بهما، فباعده الله في النار.

ومن عجب ان نجد اقتران هذه الأمور الثلاثة، شهر رمضان، وبر الوالدين، وذكر رسول الله ﷺ، موجبات للجنة مبعدات في النار، لأن حق الوالدين مقرون ومرتبط بحق الله سبحانه وتعالى: **﴿وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً﴾**.

وذكر رسول الله ﷺ مقرون ومرتبط بذكر الله فقرن بهما رمضان لعظم حقه ومزيد فضله، وفي الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ: «اذا كان اول ليلة من رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجان، وغلقت ابواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

ايها الإخوة المؤمنون؛

اذكركم بحديث عظيم جامع قاله رسول الله ﷺ: «يا ايها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم، وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم، وان المؤمن بين مخافتين، بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، واجل قد بقي لا يدري ما

الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، فإن الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة، وما من يوم ينشق فجره الا ينادي مناد: يا ابن آدم انا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا اعود الى يوم القيامة، فالعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، وكما تدين تدان، وكما تزرع تحصد، وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، وليس بعد هذه الدار الا الجنة أو النار».

نفعني الله واياكم بهدي كتابه

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله